سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٥١٠)

ومن العجائب

ما ذكر المصنفون أنه من العجائب
في كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة
ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

١-"إلا أنه لين القشر، واتخذت من بيضها عجة فلما جمد، صار الوأنا ما بين أخضر وأحمر وأصفر شبيها بالوان اللحم، ومن ذلك السرلينس، وهو صدف مستدير إلى الطول أكبر من الظفر ينشق عن رطوبة مخاطية بيضاء ذات نكتة سوداء يعافها الناظر وفيه ملوحة عذبة زعموا ويباع بالكيل.

الفصل الرابع في

اختصاص ما شوهد من آثارها القديمة

أما ما يوجد بمصر من الآثار القديمة فشيء لم أر ولم أسمع بمثله في مثلها فأقتصر على أعجب ما شاهدته.

فمن ذلك الأهرام، وقد أكثر الناس من ذكرها ووصفها ومساحتها، وهي كثيرة العدد جدا وكلها بين الجيزة وعلى سمت مصر القديمة وتمتد في نحو مسافة يومين، وفي بوصير منها شيء كثير وبعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين ولبن وأكثرها حجر وبعضها مدرج وأكثرها مخروط أملس، قد كان منها بالجيزة عدد كثير لكنها صغار فهدمت في زمن صلاح الدين، يوسف بن أيوب، على يدي قراقوش وكان خصيا روميا سامي الهمة فكان يتولى عمائر مصر، وهو الذي بنى السور من الحجارة محيطا بالفسطاط والقاهرة وما بينهما وبالقلعة التي على المقطم، وهو أيضا الذي بنى القلعة وأنبط فيها البيرين الموجودتين اليوم، وهما أيضا **من العجائب** وينزل إليهما بدرج نحو ثلثمائة درجة، وأخذ حجارة هذه الأهرام الصغار وبنى بها القناطر الموجودة اليوم بالجيزة، وهذه القناطر من الأبنية العجيبة أيضا ومن أعمال الجبارين وتكون نيفا وأربعين قنطرة، وفي هذه السنة

وهي سنة سبع وتسعين وخمسمائة تولى أمرها من لا بصيرة عنده فسدها رجاء أن يحتبس الماء فيروي الجيزة، فقويت عليها جرية الماء فزلزلت منها ثلاث قناطر وانشقت، ومع ذلك فلم يرو ما رجا أن يروي، وقد بقي من هذه الأهرام المهدومة قلبها وحشوها وهي ردم وحجارة صغار لا تصلح للقناطر، فلأجل ذلك تركت.

وأما الأهرام المتحدث عنها المشار إليها الموصوفة بالعظم، فثلاثة أهرام موضوعة على خط مستقيم بالجيزة قبالة الفسطاط، وبينها مسافات يسيرة زواياها متقابلة نحو الشرق واثنان منها عظيمان جدا وفي قدر واحد وبهما أولع الشعراء وشبهوهما بنهدين". (١)

٢-"وقرأت بخط بعض المحصلين، أنه قاس العمود بقاعدتيه فكان اثنتين وستين ذراعا وسدس ذراع، وهو على جبل طوله ثلاث وعشرون ذراعا ونصف ذراع فصارت جملة ذلك خمسا وثمانين ذراعا وثلثي ذراع، وطول القاعدة السفلى اثنتا عشرة ذراعا، وطول القاعدة العليا سبع أذرع ونصف ذراع، وقاس أيضا المنارة فوجدها مائتي ذراع وثلاثا وثلاثين ذراعا وهي ثلاث طبقات: الطبقة الأولى مربعة وهي مائة ذراع وإحدى وعشرون ذراعا، والطبقة الثانية مثمنة وطولها إحدى وثمانون ذراعا ونصف ذراع، والطبقة الثالثة مدورة وطولها إحدى وثلاثون ذراعا ونصف ذراع، وفوق ذلك مسجد ارتفاعه نحو عشر

---

(١) الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ص/٢٣

أذرع.

ومن ذلك، الآثار التي بمصر القديمة، وهذه المدينة بالجيزة وهي منف التي كان يسكنها الفراعنة وكانت مستقر مملكة ملوك مصر، وإياها عني بقوله تعالى عن موسى عليه السلام: [ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها]، وبقوله تعالى: [فخرج منها خائفا يترقب] لأن مسكنه عليه السلام كان بقرية بالجيزة قريبة من المدينة تسمى دموة وبها اليوم دير لليهود، ومقدار خرابها اليوم مسيرة نصف يوم أو نحوه، وقد كانت عامرة في زمن إبراهيم ويوسف وموسى عليهم السلام،

وقبلهم بما شاء الله تعالى، وبعدهم إلى زمن بختنصر، فإنه أخرب ديار مصر وبقيت على خرابه أربعين سنة، وسبب خرابه إياها أن ملكها عصم منه اليهود، حين التجأوا إلى مصر، ولم يمكن منهم بختنصر فقصده بختنصر وأباد دياره، ثم جاء الاسكندر بعد ذلك واستولى عليهم، وعمر بها الإسكندرية وجعلها مقر الملك، ولم تزل على ذلك إلى أن جاء الإسلام ففتحت على يد عمرو بن العاص، وجعل مقر الملك بالفسطاط، ثم جاء المعز من المغرب، وبنى القاهرة وجعلها مقر الملك إلى اليوم، وقد ذكرنا ذلك مشروحا مفصلا في الكتاب الكبير، ولنرجع إلى وصف منف المسماة مصر القديمة:

فهذه المدينة مع سعتها وتقادم عهدها وتداول الملل عليها واستئصال الأمم إياها، من تعفية آثارها ومحو رسومها ونقل حجارتها وآلاتها، وإفساد أبنيتها وتشويه صورها، مضافا إلى ما فعلته فيها أربعة آلاف سنة فصاعدا تجد فيها **من العجائب** ما يفوت فهم الفطن المتأمل، ويحسر دون وصفه البليغ اللسن، وكلما زدته تأملا، زادك عجبا، وكلما زدته نظرا زادك". [١]

٣-"ولا يثقل ذلك علينا كما يثقل على الصبيان، ففي جميع الأشياء الطباعية شيء عجيب، ولذلك ينبغي لنا أن نطلب معرفة طباع كل واحد من الحيوان ونعلم أن في جميعه شيئا طباعيا كريما، لأنه لم يطبع شيء منها على وجه الباطل ولا كما جاء واتفق ولا بالبخت، بل كل ما يكون من قبيل الطباع قائما، يكون لشيء أعنى لحال التمام، ولذلك صار له مكان ومرتبة وفضيلة صالحة، فتبارك الله أحسن الخالقين!!

وأما باطن الحيوان وتجويفاته وما فيها **من العجائب** التي تشتمل على وصفها كتب التشريح لجالينوس وغيره وكتاب منافع الأعضاء له، فأن أيسر اليسير منه يبهت دونه المصور حسيرا ولا يجد له على ذلك ظهيرا ويعلم مصداق قوله تعالى: [وخلق الإنسان ضعيفا].

وأقول أن التعجب من الأمور الصناعية أيضا هو التعجب من الأمور الطباعية، لأن الأمور الصناعية هي بوجه ما طباعية، وذلك أنها حادثة عن قوى طباعية، كما أن المهندس إذا حرك ثقلا عظيما استحق أن يتعجب منه، فكذلك إذا صنع صورة من خشب مثلا تحرك تلك الصورة ثقلا ما، كان ذلك المهندس أحرى أن يتعجب منه، والله خلقكم وما تعملون فتبارك من هذا ملكوته، ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة، وفي أنفسكم أفلا تبصرون، ونور جلاله ساطع فلا يحجبه حجاب، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ومن أشباح الموجودات بقدرته قائمة وبإرادته متحركة وساكنة وبنفاذ أمره فيها فرحة، وباقترابها من حضرة قدسه مبتهجة،

---

(١) الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ص/٢٩

ولتكثرها تشهد بوحدانيته وبتغيرها تقر بقدرته وإن من شيء إلا يسبح بحمده.

ولنرجع إلى حديثنا الأول فنقول، هذه الأصنام مع كثرتها قد تركتها الأيام إلا الأقل منها جذاذا وغادرتها رمادا، ولقد شاهدت كبيرا منها وقد نحت من صلعته رحا ولم يظهر في صورته كبير تشويه ولا تغير بين،، ورأيت صنما وبين رجليه صنم متصل به صغير كأنه مولود بالقياس إليه، وهو مع ذلك كأعظم رجل يكون، وعليه من الملاحة والجمال ما يشوق الناظر إليه لا يمل من ملاحظته، واتخاذ الأصنام قد كان في ذلك الزمان شائعا في الأرض عاما في الأمم ولهذا قال تعالي في حق إبراهيم عليه السلام: [إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين] أي". [١]

٤-"القنب وقد تقمطت فأزالوها مع كثرتها فوجدوا تحتها عجلا صحيحا قد أحكم تقميطه، وحدثني آخر أنهم وجدوا صقرا لم تسقط منه ريشة، وحكى لي مثل ذلك عن هر وعن عصفور وعن خنفساء وغير ذلك مما يطول شرحه ويهجن ذكره.

وحكى لي الأمير الصادق أنه كان بقوص، فجاء إليه من يبحث عن المطالب فذكروا له أنهم انخسفت بهم هوة، موهمة أن فيها دفينا، فخرج معهم بجماعة متسلحين وحفروا فوجدوا زيرا كبيرا موثق الرأس بالجص، ففتحوه بعد الجهد فوجدوا فيه كالأصابع مكفنا بخرق فحلوه فوجدوا تحتها صيرا وهو سمك صغار وقد صار كالهباء إذا نفخ طار، فنقلوا الزير إلى مدينة قوص بين يدي الوالي واجتمع عليه نحو مائة رجل فحلوا الجميع حتى أتوا على آخره وهو كله صير مكفن ليس فيه سوى ذلك.

ورأيت أنا بعد ذلك في مدافنهم ببوصير **من العجائب** ما لا يفي به هذا الكتاب، فمن ذلك أني وجدت في هذه المدافن مغائر تحت الأرض مبنية بإتقان وفيها رمم مكفنة، وفي كل مغارة عدد لا يحصى، ومن المغائر ما هو مملوء برمم الكلاب، ومنها ما هو مملوء برمم البقر، ومنها ما فيه رمم السنانير والجميع مكفن بخرق القنب، ورأيت شيئا من عظام بني آدم وقد تمشق حتى صار كالليف الأبيض لقدمه، ومع ذلك فأكثر الرمم التي رأيتها صلبة متماسكة جدا يظهر عليها من الطراءة أكثر من رمم الهالكين سنة سبع وتسعين وخمسمائة التي ذكرها آخر كتابنا هذا، وسيما ما كان من الرمم القديمة قد انصبغ بالزفت والقطران فأنك تجدها في لون الحديد وصلابته ورزانته، ورأيت من جماجم البقر ما شاء الله وكذلك جماجم الغنم وفرقت بين رؤوس المعز والضأن وبين رؤوس البقر والثيران، ووجدت لحم البقر قد التصق بالأكفان حتى صار قطعة واحدة حمراء تقرب إلى السواد، ويخرج العظم من تحتها أبيض وبعض العظام أحمر وبعضها أسود، وكذلك في عظام الآدمي، ولا شك في أن الأكفان كانت تبل بالصبر والقطران وتشرب به ثم يكفن بها فلذلك يصبغ اللحم ويبقيه وما نال منها العظم صبغته فاحمر واسود، ووجدت في عدة مواضع تلالا من رمم الكلاب لعله يكون في جملتها مائة ألف رأس كلب أو يزيد

---

(١) الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ص/٣٣

وذلك مما يثير الباحثين عن المطالب، فإن جماعة يجعلون مكاسبهم من هذه القبور وأخذ ما سنح". [١]

٥-"الفصول راجحة وبراهين قاطعة تشهد على ترجيحه حتى تكون المسألة واضحة كالشمس في الظهيرة وقريب من هذا الإيوان محلات رفيعة معدة عندهم للأكل والشرب ولترويح النفس وكلها مشرفة على النهر التيمس، وبالقرب من ذلك دار رئيس المجلس المذكور. وفي الساعة العاشرة من يوم السبت توجهنا لمرسى بورط سميد على طريقة السكة الحديدية وسرنا نحو ساعتين ونصف، وكل هاته الطريق على جوانبها أجنة وحراثة وبناءات ومحطات السكة فوصلنا إليها فإذا هي مرسى حربية متينة الحصون وبها عدة ترسنات أعني الحياض التي تنشأ فيها المراكب الحربية وموضوع بها كثير من إقامتها وآلاتها مما يقضي منه العجب وبمجرد وصولنا إليها تلقانا فسيال من فسيالات البحر كلفه بنا الميرانط الكبير فهيأ لنا عربية وسارت بنا إلى الدكس أعني المون فركبنا منه في مركب صغير حربي متحف الغاية وسار بنا يطوف على المراكب الحربية الإنجليزية على حسب ترتيبها، وما نمر بمركب منها إلا ويؤدي مراسم السلام بالموسيقى، وقدر ما كان موجودا منها ما يزيد على المايتي مركب كما بهذه المرسى عدة مراكب حربية خشبية من العمل القديم، ولا زالت في غاية الصيانة عندهم لتعليم المتعلمين، ثم رجعنا لمحلنا مع بابور البر أيضا.

وفي الساعة الثامنة ليلا من يومنا هذا ذهبنا للطيطر والمسمى أنبار ورأينا فيه **من العجائب** والغرائب ما لا يكيف، وقدر ما كان فيه من المتفرجين نحو ثلاثة آلاف

نسمة. وفي الساعة الثالثة من يوم الاثنين توجهنا صحبة بابور البر وسار بنا نحو ثمانية أقسام فوصلنا إلى مدينة ونزة التي بها قصر السلطان الذي يسكنه في بعض الفصول فإذا هو قصر كبير متسع". [٢]

٦-"لاستيلائهم على

معظم ديار الإسلام، ولأنهم ما قصدوا إقليما إلا فتحوه، وما تواقعوا مع عسكر إلا هزموه. قال ابن أبي شامة: **ومن العجائب** أن التتر كسروا وأهلكوا بأبناء جنسهم من الترك وقيل في ذلك:

غلب التتار على البلاد فجاءهم ... من مصر تركي يجود بنفسه

بالشام أهلكهم وبدد شملهم ... ولكل شيء آفة من جنسه

وقد رتب المظفر قطز شمس الدين أقوش البرلي أميرا بالسواحل وغزة وجهز عسكرا إلى حلب لحفظها، وفوض نيابة السلطنة بدمشق إلى الأمير علم الدين سنجر الحلبي ونيابة السلطنة بحلب إلى الملك السعيد بن بدر الدين لولو صاحب الموصل ولما استقر هذا في نيابة حلب سار سيرة رديئة وكان دأبه التحيل على أخذ مال الرعية.

---

(١) الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ص/٣٧

(٢) الرحلة التتويجية لعاصمة البلاد الإنجليزية ص/٥٤

مقتل المظفر قطز وسلطنة الظاهر بيبرس وأحداث:
سار الملك المظفر قطز إلى مصر بعد أن ظفر بالتتر ورد فلهم إلى الشرق وكان اتفق بيبرس البندقداري وبعض أعيان الدولة على قتله، فساروا معه وقتلوه في القصير وتسلطن بيبرس البندقداري وتلقب بالملك الظاهر، ودخل مصر ففتحت له واستقرت قدمه في المملكة. ولما بلغ نائب السلطنة بدمشق علم الدين سنجر قتل قطز وسلطنة الظاهر جمع الناس وحلفهم لنفسه بالسلطنة، فأجابوه إلى ما أرادهم عليه، ولم يتأخر عنه أحد ولقب نفسه الملك المجاهد وخطب له بالسلطنة وضربت السكة باسمه وكاتب المنصور صاحب حماة في ذلك فلم يجبه وقال صاحب حماة: أنا مع من يملك الديار المصرية كائنا من كان. أما السعيد نائب السلطنة بحلب فحمله أمراؤها إلى الشغر وبكاس معتقلا لما اندفع العسكر الحلبي من بين أيدي التتر على البيرة، وقدموا عليهم حسام الدين الجوكندار العزيزي. ثم سار التتر إلى حلب وملكوها وأخرجوا أهلها إلى قرنبيا شرقي حلب، فأفنوا غالبهم بالسيف، واستولوا على اعزاز وخربوا قلعتها، واستولوا على حارم وقتلوا أهلها عن آخرهم وسبوا النساء، وملكوا حلب وأعمالها نحو أربعة أشهر. وقارب التتر حماة فخرج منها صاحبها وباقي العسكر واجتمعوا بحمص مع سائر الأجناد فوقع بين التتر". (١)

٧-"بحكم وفاته. قال ابن إياس بعد إيراد ما تقدم: ولكنه كان محبا لجمع الأموال ناظرا لما في أيدي الناس، ولولا ذلك لكان يعد من خيار ملوك الشراكسة على الإطلاق، ولكنه كان معذورا في ذلك، تحرك عليه في أيام سلطنته شاه سوار وحسن الطويل وابن عثمان وغيرهم من ملوك الشرق وجرد عليهم تجاريد وهو ثابت على سرير ملكه
ولم يتزحزح، حتى قيل ضبط ما صرفه على نفقات التجاريد التي جردها في أيام سلطنته إلى أن مات فكانت نحوا من سبعة آلاف ألف دينار وخمسة وستين ألف دينار خارجا عما كان ينفقه عند عودهم من التجاريد. وهذا **من العجائب** التي لم يسمع بمثلها. وكان قايتباي أعظم ملك في المماليك البرجية وكان في الخارج أعظم ملك في الإسلام، قال فيه سوبرنهايم في معلمة الإسلام بأنه كان محتاجا لعمارته وحملاته إلى مواد كثيرة وتحلل في المالية لم يستطع جباية الخراج إلا بالقوة، وقد انتقده المؤرخون انتقادا شديدا ونرى أن ما عمله من الواجب عليه وأنه أمر مفهوم بذاته في مملكته ليهيئ الأسباب اللازمة للدفاع عنها، وقد أدى قلة النظام في الجباية إلى خراب مملكة المماليك من أجل هذا كان السلطان مضطرا إلى استعمال الشدة في جباية الأموال.
وكان مغرما بشراء المماليك حتى قيل لولا الطواعين التي وقعت في أيامه لكان تكامل عنده ثمانية آلاف مملوك. وكان مولعا بالبنيان الفاخر خلف آثارا كثيرة في أرجاء مملكته، وصادر اليهود والنصارى مرتين في أيامه، وخلفه ابنه ناصر الدين محمد، وبدأت أمارات الضعف في أعصاب المملكة لصغر سنه وكان أبوه لا يريد سلطنته بعده، ولكن عاجله النزع فعمل الأمراء من عند أنفسهم، وكان الفساد مستشريا في مصر منذ تولي، وكثيرا ما كان السلطان يتخوف على نفسه من الأمراء فيحضر لهم المصحف العثماني ويحلفهم وقد حلفهم أربع مرات وكانت أيمانهم كاذبة فاجرة.

---

(١) خطط الشام ١٠٩/٢

وكان هذا الضعف ينال الشام منه قسط عظيم حتى خرب ولا سيما شماله لكثرة غارة الأعداء. قال ابن طولون في حوادث سنة ٩٠٦ وقفت حال الناس وقطعت الطرق من كثرة العرب المفارجة وبني رام خارج دمشق وأطرافها وكثر الظلم والاختلاف والناس مرتقبون الفتن. وفي هذه السنة وقع قتال بين الأمير علي
الشهابي في جماعة من وادي التيم ورجال الشوف وبين الأمير بكر". (١)

٨-"عامرة لعهد واضعها، ولا يزال القسم الأعظم منها بحاله لم يصب بأذى الأيام. وآثار الفسيفساء كثيرة مبعثرة في دور مادبا لم تزل على بريقها، وفي دار سليم الصناع في مادبا بركة ماء معمولة بالفسيفساء الملونة أيضا تخال ما فيها ماء حقيقيا وعلى جوانبها الثلاثة الباقية رسوم بالفسيفساء تمثل الحيوانات والطيور البرية والداجنة، تسرح في جنينة زاهرة والطيور المائية واقفة في وسط الماء على آنية تشبه الزهرية، وفي كل زاوية من زواياها صورة إنسان تخالف الأخرى. وفي
هذه البليدة عدة قاعات فرشت أرضها بالفسيفساء يطلق الماء عليها لتغسل كما يغسل بلاط القاعات وأفنية الدور.
قال في مسالك الأمصار: والفسيفساء مصنوع من زجاج يذهب ثم يطبق عليه زجاج رقيق ومن هذا النوع المسحور المسجور وأما الملون فمعجون وقد عمل منه في هذا الزمان ٧٤٠ - ٧٥٠ شيء كثير برسم الجامع الأموي وحصل منه عدة صناديق وفسدت في الحريق الواقع سنة أربعين وسبعمائة وعمل منه قبل للجامع التنكزي ما على جهة المحراب، غير أنه لا يجيء تماما مثل المعمول القديم في صفاء اللون وبهجة المنظر، والفرق بين الجديد والقديم أن القديم قطعه متناسقة على مقدار واحد والجديد قطعه مختلفة وبهذا يعرف الجديد والقديم اه.
ووصف ابن فضل الله هذا يمكن أن يستنتج منه أن الفسيفساء كانت تعمل في الشام، وأن هذه الصناعة اللطيفة وإن اختصت بها القسطنطينية قد نقلت إلى الشام وجود عملها. وكان الوليد بن عبد الملك يحمل الفسيفساء على البريد من القسطنطينية إلى دمشق حتى صفح بها حيطان المسجد الجامع ومكة والمدينة. وكانت الفسيفساء في الجامع الأموي قبل حريقه الأول في القرن الرابع ملونة مذهبة تحوي صور أشجار وأمصار وكتابات، على غاية الحسن والدقة ولطافة الصنعة، وقل شجرة أو بلد مذكور إلا وقد مثل على تلك الحيطان قاله المقدسي وقال غيره: إنه مثلث في صور الجامع صفات البلاد والقرى وما فيهما **من العجائب** وأن الكعبة المشرفة صورت فوق المحراب كما قال فيه بعض المحدثين:
إذا تفكرت في الفصوص وما ... فيها تيقنت حذق واضعها
أشجارها لا تزال مثمرة ... لا ترهب الريح في مدافعها
كأنها من زمرد غرست ... في أرض تبر يغشى بفاقعها". (٢)

---

(١) خطط الشام ١٩٨/٢
(٢) خطط الشام ١٠٩/٤

٩-"الإمبراطور هيرودوس. وقد بني هذا الجامع الصليبيون من سنة ١١٦٧ إلى ١١٨٧، وربما كان إنشاؤه مكان كنيسة يوستنيانوس وجدده المسلمون بعد ذلك. وأقدم ما في الجامع من الترميمات ما قام به قلاوون من سلاطين المماليك. وفي القدس عدا المسجد الأقصى ثمانية جوامع وهي جامع عمر بن الخطاب تهدم ومكانه الآن كنيسة القديسة حنة شمال كنيسة مار يوحنا والجامع الباقي مع المئذنة من آثار قلاوون قاله الأستاذ البرغوثي وجامع عكاشة وجامع سوق البيزار وجامع سلمان الفارسي وجامع الشيخ جراح وجامع سويقة علوان وجامع الخانقاه بالصلاحية قرب الكنيسة وجامع باب خان الزيت. والجوانع الخربة أيضا تسعة وهي جامع بحارة الحدادين، وآخر قرب دير اللاتين وثالث قرب بطريكية دير اللاتين ورابع اسمه الحيات وخامس جامع اليعقوبي قرب العقوبي قرب القلعة وجامع قرب دير الأرمن وثلة على مقربة من دير السريات وغيره في حارة اليهود وجامع الأزرق. وهناك ثلاثة جوامع معمورة أيضا وهي جامع البيل وجامع لؤلؤ وجامع أبي قصبة. وبعض هذه الجوامع لا شأن له من حيث النظافة والإتقان شأن المصليات البسيطة.

وفي الرملة عدة جوامع ومساجد قال ناصر خسرو في مسجدها الجامع: إن في وسطه صهاريج واسعة وإن مساحته ثلاثمائة قدم في مائتين. وقال الظاهري: إن

من جملة مزارتها الجامع الأبيض عجيب **من العجائب**. وكان منارة من عجائب الدنيا بناها قلاوون. وفي لد عدة جوامع ومساجد وكان بها في القرن الرابع جامع يجمع به خلق كثير من أهل القصبة وما حولها من القرى وجامعها الكبير اليوم من عهد الصليبيين كان كنيسة. وفي نابلس تسعة جوامع ومساجد أهمها الجامع الكبير ومسجد أولاد يعقوب وجامع النصر والخضراء والجامع الكبير بناه يوستينانوس. وعلى قيد غلوة من أرسوف بقايا حرم سيدنا علي بن غليل أو عليم. وفي قاقون بني الملك الظاهر بيبرس جامعا. والظاهر هذا جدد وبني عدة مساجد وجوامع في الشام ومثله قلاوون وتنكر من المماليك. ومن الجوامع التي رمها ديوان الأوقاف في فلسطين في العهد الأخير جامع المنشية والعجمي والبحر وأرشيد والطابية في يافا، وجامع العصا في الرملة،". (١)

١٠-"وفارقت حتى لا أراع من النوى ... وإن غاب جيران علي كرام

وقد جعلت نفسي على اليأس تنطوي ... وعيني على هجر الصديق تنام

فواها لزمن الاجتماع ما كان أغضه، وآها من انصداع الشمل فما أمضه، فيا لتلك المنازل التي سمت أن تسامى، ويا لهاتيك المسامرة التي بها هواطل السرور تهامى.

فارقتها لا عن رضى، وهجرتها ... لا عن قلى، ورحلت لا متخيرا

أسعى لرزق في البلاد مشتت ... **ومن العجائب** أن يكون مقترا

وأصون وجه مدائحي متعففا ... وأكف ذيل مطامعي متسترا

لا عيشتي تصفو ولا رسم الهوى ... يعفو، ولا جفني يصافحه الكرى

---

(١) خطط الشام ٥٦/٦

فسرت مع بعض الإخوان، من ذوي المروءة والإحسان، صحبة الركب المصري، والعيون بالمدامع تذري، لبعاد تلك المنازل، وفراق هاتيك المناهل.

فمني إليها كل وقت تحية ... وساكنها في كل آن له السنا

ثم لم نزل سائرين في المنازل الحرمية الشريفة، والمناهل السعيدة المنيفة، والمقادير تقودنا كيف جرى القلم، وأنا المنقاد إلى حيث المشقة والألم.

أمامي من الحرمان جيش عرمرم ... ومنه ورائي جحفل حين أركب

فلو تهت في البيداء والليل مسبل ... علي جناحيه لما لاح كوكب

ومازلنا كذلك نجوب الفيافي والمسالك، إلى أن وصلنا ينبع النخل، وروينا من مياهه التي هي كمجاج النحل، ولكن بعد أن تجرعنا المرامر، وكادت تنشق منا المرائر، مما قاسيناه في النقب من ضيق الطريق، وازدحم القطر الذي فرق بين الرفيق، إلى غير ذلك من الأوعار، ومصادمة الأحجار، في ليل مظلم، وهول مؤلم، ولسان الحال ينادي في تلك الشعوب والبوادي:

فاصبر لها غير محتال ولا ضجر ... في حادث الدهر ما يغنى عن الحيل

ينبع النخل

(فائدة) ينبع: بصيغة مضارع نبع الماء، إذا ظهر، من نواحي المدينة المنورة على". (١)

١١-"بن عبد الله بن الحسن العلوي بالمدينة، فكتب الخليفة المنصور إلى عامله بمصر أن يطم هذا الخليج، حتى لا يحمل الميرة من مصر إلى المدينة، فطم وانقطع اتصاله بالقلزم. ولما بنيت القاهرة بشرقيه صار يعرف بخليج القاهرة، وتسميه العامة بالخليج الحاكمي. وقال فيه الشعراء فأكثروا، قال ابن الساعاتي:

وعلى السد عزة قبل أن تم ... لكه ذلة المحب الخضوع

كسروا جبره هناك فحاكى ... كسر قلب يتلوه فيض دموع

ولسبط الملك:

سد الخليج بكسره جبر الورى ... طرا فكل قد غدا مسرورا

الماء سلطان فكيف تواترت ... عنه البشائر إذ غدا مكسورا

قال آخر:

لله در الخليج إن له ... تفضلا لا نزال نشكره

حسبك منه بأن عادته ... يجبر من لا يزال يكسره

وقال آخر:

---

(١) رحلة الشتاء والصيف ص/١٠

كسر الخليج وكان ذلك نعمة ... سرت قلوب العالمين بنشره

ومن العجائب والغرائب أنه ... جبرت قلوب العالمين بكسره

ولابن تميم:

خليج كالحسام له صقال ... ولكن فيه للرائي مسره

ترى فيه الملاح تجيد عوما ... كأنهم نجوم في المجره". [١]

١٢-"من الطور، وكان السلطان أرسل بالقبض عليه، فجهز في البحر إلى الطور ومعه أخوه إبراهيم مقيدين، فحبسا ببرج القلعة وأخوهما أبو القاسم قد استقر في الإمرة، وتوجه صحبة الركاب، وشرط عليه أن يبطل النزلة، ويعاقب من فعلها.

وقد خرجنا عن المقصود ولكن بحسب ما قيل:

إذا عرف الإنسان أخبار من مضى ... توهمته قد عاش من أول الدهر

وتحسبه قد عاش آخر عمره ... إلى الحشر إن أبقى الجميل من الذكر

ومن العجائب بصعيد مصر شجرة العباس، وهي شجرة متوسطة وأوراقها قصيرة منبسطة، فإذا قيل لها: يا شجرة العباس، حال الناس، اجتمعت أوراقها واحترقت لوقتها، كذا في المحاضرة.

ومن محاسن مصر قصب السكر الذي لا يوجد مثله في غيرها، وعن الشافعي: ثلاثة أشياء دواء للداء الذي لا دواء له، العنب ولبن التفاح وقصب السكر ولولاه ما أقمت بمصر، وعلى ذلك فما أحلى قول القائل:

نزلنا على القصب السكري ... نزول رجال يريدون نهبه

بجز كجز رقاب العدا ... ومص كمص شفاه الأحبه

وقال آخر:

تحكيه سمر القنا ولكن ... يزيد في جسمه طلاوه

وكلما زدته عذابا ... زادتك من ريقه حلاوه

وقال آخر:

مهفهف قد ريقه الشهد إن بدا ... يحاكي القنا لكن بغير سنان". [٢]

١٣-"سماء للزبرجد قد تبدت ... لها فيها نجوم من لجين

وقال:

يا مهديا لي بنفسجا عطرا ... يرتاح صدري له وينشرح

---

(١) رحلة الشتاء والصيف ص/٤٨

(٢) رحلة الشتاء والصيف ص/٥٦

بشرني عاجلا مصحفه ... بأن ضيق الأمور ينفسح

ولابن تميم:

عاينت ورد الروض يلطم خده ... ويقول وهو على البنفسج محنق

لا تشربوه وإن تضوع نشره ... ما بينكم فهو العدو الأزرق

وقال آخر:

للورد فضل على زهر الربيع سوى ... أن البنفسج أذكى منه في المهج

كأنه وعيون الناس ترمقه ... آثار قرص بدا في خد ذي غنج

وقد أفرد الناس التصانيف في محاسن مصر وما اشتملت عليه **من العجائب**، قال الجلال السيوطي في كتابه حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: قال بعض من صنف في فضائلها: بمصر الحمير المرسنة، والبقر الحسنة.

نكتة

حكى العبدري عن أبي عبيدة في كتابه المسالك أن أبا دلامة جاء إلى مصر مرة، ثم رجع فسئل عنها فقال: ثلثها تراب، وثلثها كلاب، وثلثها دواب. قيل: فأين الناس؟ قال في الثلث الأول. وعلى ذلك أقول:

ولقد أتيت ديار مصر مرة ... شوقا لقوم همت في إسعافهم". (١)

١٤-"فعزمت على ركوبه والنفس عندها إباء وامتناع، لما شاع من قولهم ما خفق الشراع، ولكن أي عقل لمعقول، وقد ورد في النقول: لو كشف لأحدكم لرأى قائدا يقوده، فألجأها إلى ركوبه وألزمتها، واقتحمت بها لجته وأنشدتها:

لقد خضت يا نفس بحر الهوى ... وأحرقت قلبي بنار النوى

علام نفورك من مركب ... سرى في أمان شديد القوى

فنزلت إحدى المراكب المتوجهة نحو الروم، منشدا بيتي المفتي أبي السعود وحبر العلوم:

خل الديار بما فيها لأهليها ... وقل سلام على الدنيا وما فيها

وألق معتصما تلك العزيمة في ... بحر التوكل بسم الله مجريها

فسرنا تلك الليلة والليلة الثانية على أحسن حال وأنعم بال، ثم اضطرب البحر وقامت فيه العناصل بحيث كادت لا تبقى شيئا على وجه الماء، وكان المدفع إذ ذاك ما يناهز الثلاثين سفينة فتفرقت بجمعها، حتى لا ترى واحدة منها واحدة ولا تظفر عنها بنبأ، وقد عقد الغيم غمائم غمه، وأمطرنا الوجل سحائب همه، وأرسل الغمام علينا الأمطار كأفواه القرب، ولقد شاهدت الأهوال من تلك الأحوال ولا عجب.

على أنها الأيام قد صرن كلها ... عجائب حتى ليس فيها عجائب

---

(١) رحلة الشتاء والصيف ص/٦٠

وامتد الحال وقل النوال، وقد نفد ما كان معنا من الما، واستولى علينا الظما:

ومن العجائب أنني ... في لج بحر صرت راكب

وأموت من ظمأ ولك ... ن عادة البحر العجائب

ويقول غيره:

وكم مات في البحر أخو ظما ... بغلته والماء جار وراكد". [١]

١٥-"ثم الذراع من الأصابع أربع ... من بعدها عشرون ثم الأصبع

ست شعيرات فبطن شعيرة ... منها إلى ظهر لأخرى يوضع

ثم الشعيرة ست شعرات غدت ... من شعر بغل ليس فيه تضعضع

غريبة

حكى القزويني عن صاحب تحفة الغرائب أن في حد خليج القسطنطينية قرية فيها بيت من الحجر، وفي البيت صورة الرجال والنساء والخيل والبغال وغيرها من الحيوانات، فمن أصابه وجع في عضو من أعضائه، يدخل ذلك البيت ويدنو من مثل صورته، ويمسح بيده مثل العضو الموجع من الصورة، ثم يمسح العضو الموجوع، فإن وجعه يزول في الحال.! قاله في الآثار.

ومن العجائب المشهودة بهذا الخليج، البرج القائم في وسط مائه التيار. ثم إنا سرنا وقد زمجرت تلك الرعود، فشهدنا ذلك اليوم الموعود.

في يوم برد ترى أنفاسه ... تشوه الأوجه من قرصها

تود فيه الشمس من برده ... لو جرت النار إلى قرصها

وقال:

قالوا أضر بنا السحاب بقطره ... لما رأوه لعبرتي يحكي

لا تعجبوا مما ترون فإنما ... هذى السماء لعبرتي تبكي

ثم أتينا على قبيزة، وهي بلدة بديعة المعاني، آهلة المغاني، فنزلنا بخانها الأمين المأمون، وقد رمينا بسهام بردها الميمون، وقد أوقدوا الحطب بذلك الخان، حتى كادت الأنفس تزهق لتكاثف الدخان.

وهكذا المرء في أيام غربته ... يلقى من الضيم ما لم يجر بالبال

ولما كان آخر الليل، قمنا منه حتى أتينا على خليج الديل وقت الشروق، وهو

أوسع من خليج اسكدار، فقطعناه في مركب صغير، ثم مررنا بالديل، وهو اسم لقرية لطيفة، فلما كان بعد الظهر أتينا على جاور كوى ومعناه قرية نصارى، وفيها نهر عظيم يدور بتلك الشعاب، وفيها اجتمعنا بأمين البصرة، الأمير محمود أغا ولما

---

(١) رحلة الشتاء والصيف ص/١٣١

هدأ الليل قمنا نقطع هاتيك القلال، وأنا بحال من قال:". (١)

١٦-"قلبي الخفوق ومدمعي الجاري دما ... مهما جرى ذكر العذيب أو اللوى

وإذا تألق بارق من بارق ... فهناك ينشر من هواه ما انطوى

فلما كان الضحى أتينا أزنيق وهي بلدة مسورة، بها الجداول والأشجار المختلفة الثمار، وإليها ينسب الفخار الأزنيقي، لأن بها مصانعه وأحجاره.

ثم أتينا على لفقة وهي قرية لطيفة ذات أشجار يانعة وريفة، ثم أتينا على سقوت وهي بلدة رحيبة الجناب، مخضرة الأرجاء والرحاب، ثم أتينا على أسكي شهر ومعناه بلدة قديمة، وقد حفت بالأشجار، وجرت بين رياضها الأنهار، **ومن العجائب** بها حمامها الذي ماؤه أحر من الجمر، من غير صنعة بشرية، لأن منابعه من معادن كبريتية، وبها النهر التيار الذي لا يجاز إلا من جسره:

أقمنا بها يوما ويوما وثالثا ... ويوما له يوم الترحل خامس

وعلى ذكر الجسر:

خط على ماء الشباب الذي ... بخده جسر من الشعر

صار طريقا لي إلى سلوتي ... وكنت فيه موثق الأسر

وقال:

ومما قضى الدهر الملم بنزلة ... على الفرس الميمون يبقى بها كسري

ولما قضى لم أقض غير تعجب ... ولكن رأيت اليسر يدنو مع العسر

فاكتريت بها بغلا لا نقص في معايبه، ولا يوجد ما يدانيه في مثالبه،". (٢)

١٧-"فما زلت أسير به وأنا معه أسير، وما زال يسير بي والطرف منه حسير:

أسير مثل أسير وهو يعرج بي ... كأنه نازل ينحط من درج

فإن رماني على ما فيه من عرج ... فما عليه إذا ما مت من حرج

وقال:

وقد كان مركوبي أعز خيولهم ... وأكرمهم إذ كان وافي الشرائط

وكنت عليه مطمئنا وثابتا ... كأني منه راكب فوق حائط

ثم أقمنا على بلدة السلطان السيد غازي، وهي بلدة آهلة المغاني، بديعة المعاني، سميت باسم فاتحها في سنة إحدى وعشرين

---

(١) رحلة الشتاء والصيف ص/١٨٨

(٢) رحلة الشتاء والصيف ص/١٨٩

وتسعمائة، وقبره على الجبل المطل عليها، وعليه مدرسة عظيمة، وحولها منازل عامرة بسكانها.

ثم أتينا على ينكي خان ومعناه الخان الجديد، وهو من بناء الوزير خسرو باشا، عمره سنة تسع وثلاثين وألف، وحوله منازل حدثت بحدوثه. ثم أتينا على بياض وهي قرية قوية البرد والأهوية، وذلك لكثرة الثلج على جبالها، وشدة أخلاق رجالها.

ومن العجائب أن أقيم ببلدة ... يوما وأسلم من أذى أحوالها

قال البصير: الثلج ما تصاعد من البحر إلى كرة الزمهرير ليكون مطرا، فتنعكس عليه الرياح الباردة، فينعقد ويسقط في البلاد البعيدة عن الشمس كالدقيق، وهو بارد في الثالثة يابس في الثانية، ونفعه في الحميات الحارة، والحكة وضعف المعدة عن الحر، ويسمن الحيوان غير الإنسان.

والثلج في الروم قد شاهدت موقعه ... كأنه القطن يهوي وهو مندوف

وقال:

انظر إلى وسط البسيطة أبيضا ... لم تبد فيه شامة سوداء

كرم السحاب فعم بالثلج الثرى ... إن الكريم له اليد البيضاء

تقي الدين السبكي:

أقول للسرو إذ كساه ... ثلج بدا نوره وأنهج

زمرد أنت في لجين ... فقال أبهى سنا وأبهج

ثم أتينا على قرية تسمى بلاوضون وهي كثيرة الخيرات، بها الأشجار". (١)

١٨-"كشهد النحل، تخرج أسفاطا غلاظا وأوساطا، ثم تنشق عن قضبان لجين وعسجد، كالدر المنضد، ثم تصير ذهبا أحمر بعد أن كانت في لون الزبرجد

كأن النخيل الباسقات وقد بدت ... لناظرها حسنا قباب زبرجد

وقد علقت في فروعها زينة لها ... قناديل ياقوت بأمراس عسجد

يروى أن النخلة أول شجرة استقرت على وجه الأرض، وأنها خلقت من فضلة طينة آدم عليه السلام، وفي الخبر: أكرموا عماتكم النخل. وقال البهلول:

وعماتك النخل كن مثلها ... لرامي الحجارة ترمى الرطب

ثم أخذنا في قطع المراحل، وسلوك فجاج المسالك والمنازل، حتى مررنا بآبار الفقير، وهي أربعون بئرا فيما يقال، ثم أتينا على مطران وهو واد قفر ممحل، وفيه يقول القائل:

مط ران مثل الشعب قفر ممحل ... ما فيه من عطف على ولهان

ومن العجائب أنه لم يولنا ... مطرا ويسمى قفره مطران

---

(١) رحلة الشتاء والصيف ص/١٩٠

ثم أتينا على بئر الزمرد وهي على الجادة بين جبال متضايقة، فارتوى منها الظمآن، واطمأن بها الولهان، ورحلنا عن ذلك الواد، وقد طاب الفؤاد:

ومر بي النسيم فرق حتى ... كأني قد شكوت إليه ما بي

ولم نزل نجوب الأغوار، ونقطع الفيافي والقفار، حتى أتينا على شعب النعام وهو قفر خال من الأنعام، اتفق أنا اشترينا فيه من العرب قربة ماء بنصف دينار، ثم رحلنا وعنزة تختطف من الركب ما كتب لها:

وإذا رأيت مصائبا في معشر ... فحظوظ ضعفائهم أجل وأوفر". (١)

١٩-"وها أنا أثبت لكم توضيحا للمقام بعض ما وجدته في بعض الكتب نقلا عن كتاب آثار البلاد للقزويني تحت عنوان مدينة مينس التي نحن بصدد وصفها قال:

مدينة عظيمة جدا بعضها مسكون والباقي مزروع وهي بأرض الفرنج على نهر يسمى رين وهي كثيرة القمح والشعير والسلت والكروم والفواكه، بها دراهم من ضرب سمرقند في سنة إحدى واثنتين وثلاثمائة عليها اسم صاحب السكة وتاريخ الضرب. قال الطرطوشي أحسب أنه ضرب نصر بن أحمد الساماني، **ومن العجائب** أن بها العقاقير التي لا توجد إلا بأقصى الشرق، وأنها من أقصى الغرب كالفلفل والزنجبيل والقرنفل والسنبل والقسط والخاولنجان فإنها تجلب من بلاد الهند، وأنها موجودة بها مع الكثرة أقول قوله في العنوان مغانجة أراد مدينة مينس

وهذه الكلمة محرفة من كلمة موجونيا كما تقدم لنا توضيحه. فأنت ترى باطلاعك على ذلك ما يقوم لك دليلا على دعوانا، وإن كنت أخالني وأخالك مستغربا ما ورد في نص تلك العبارة، من أنه كان يوجد بتلك الأنحاء دراهم من ضرب سمرقند، ولكن لعل السبب في ذلك هو كثرة المعاملة التجارية بين تلك البلاد وأواسط قارة آسيا، وسهل عليهم ذلك المواصلات البرية والبحرية.". (٢)

٢٠-"أترى يخفى على النساء دون الرجال هذا وما يجرى مجراه سرقة؟ فما معنى أصحابه يدعون التوارد؟ لولا المكابرة والجحود.

أبو خلد محمد بن المهلب بن المغيرة المهلبي يعاتب صاحبا له:

أصفيه ودي باختيا ... ري وهو يصحبني اضطرارا

وإذا جني أظهرت لي ... منه احتجاجا واعتذارا

ومن العجائب أن أصا ... دق من يعاديني جهارا

أبو العتاهية:

---

(١) رحلة الشتاء والصيف ص/٢٣٨

(٢) رسائل البشرى في السياحة بألمانيا وسويسرا ص/٣٥٥

وإذا صفا ودي له ... زادت مودته كدوره

فكأنما مات الوفا ... ء فلست مرتجيا نشوره

والحر يظهر للعد ... و صداقة عند الضروره

أبو نواس

إذا أمتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

قال المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى ... عدوا له ما من صداقته بد

مثقال الواسطي صاحب ابن الرومي من قصيدة له يعزى ابن أبي طاهر:

إذا ما صفا مجد الكريم من القذى ... أتاه الردى من حيث يدرى ولا يدرى

تسل بفكر في النبيين واعتبر ... بهم واستعن عند المصيبة بالصبر

أبو تمام:

بنات نعش ونعش لا كسوف لها ... والشمس والبدر منه الدهر في الرقم

والحادثات عدو الأكرمين فما ... تعتام إلا امرأ يشفى من القرم". (١)

٢١-"وذكره العماد الكاتب في الخريدة وأثنى عليه وقال: إنه جاب البلاد وتغرب وأكثر التنقل والحركات وتغلغل في أقطار خراسان وكرمان، ولقي ناصر الدين بن مكرم بن العلاء وزير كرمان ومدحه بقصيدته البائية التي يقول فيها:

حملنا من الأيام ما لا نطيقه ... كما حمل العظم الكسير العصائبا

ومنها في قصر الليل.

وليل رجونا أن يدب عذاره ... فما اختط حتى صار بالفجر شعائبا

ومن شعره:

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة ... باب الدواعي والبواعث مغلق

خلت الديار فلا كريم يرتجي ... منه النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب أن نراه كاسدا ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق

ومن شعره:

وخز الأسنة والخضوع لناقص ... أمران في ذوق النهى مران

وللرأي أن تختار فيما دونه ال ... مران وخز أسنة المران

ومن شعره:

---

(١) الإبانة عن سرقات المتنبي لفظا ومعنى ص/١٠٨

من آلة ست ما عند الوزير سوى ... تحريك لحيته في حال إيماء

فهو الوزير ولا أزر يشد به ... مثل العروض له بحر بلا ماء

وله:

وجف الناس حتى لو بكينا ... تعذر ما تبل به الجفون

فما تندى لممدوح بنان ... ولا يندى لمهجو جبين

ولد بغزة وتوفي وقد جاوز التسعين ودفن ببلخ سنة ٥٣٤.

ومن نظم الغزي:

قالوا بعدت ولم تقرب فقلت لهم ... بعدي عن الناس في هذا الزمان حجا

إذا خروجك لم يخرجك عن كرب ... حسدت من كان جليس البيت ما خرجا

كم عالم لم يلج بالقرع باب غنى ... وجاهل قبل قرع الباب قد ولجا". [١]

٢٢-"وقال بعض المحدثين: (مخلع البسيط)

ما سر من را بسر من را ... بل هي سوء لما رآها

ومن العجائب أن البحتري سماها سامراء، على مذهب العامة ولم يتهيب)

الخليفة، قال: (الكامل)

أخليت منه البذ وهو قراره ... ونصبته علما بسامراء

فيقال: أن الذي ابتدأ هذه المدينة واختطها المعتصم، لكثرة الجند ببغداد، وتعسفهم على العوام، وإنما سماها: سر من رأى.

ولعل هذا الاسم غيره عن وضعه من

جاء بعده من الخلفاء، لكونه لم تعجبه هذه المدينة، ولم توافق غرضه فسماها بضد اسمها سامرا وحذف الهمزة من ساء كما حذفت الأخرى من رأى وأدغم النون في الراء فقال: مرا. ولم يكن ذلك من فعل العوام.

وأما تعجبه من البحتري، في إنشاده البيت الذي قافيته سامراء ولم يتهيب في إنشاده الخليفة، فظن منه أن الشعر مديح في الخليفة، وهو في أبي سعيد الثغري، ولو إنه في الخليفة فلعله هو الذي غير هذه اللفظة فلا يتهيبه.

وقال في قوله: (الطويل)

سبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلها ... منعنا بها من جيئة وذهوب". [٢]

---

(١) الفلاكة والمفلوكون ص/١٠٦

(٢) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي ٢/٢٢

٢٣-"الأعرابي صوت شخب ناقته

بصوتها، حيث يقول:

كأن صوت شخبها المرفض ... كشيش أفعى أجمعت للعض

فهي تحك بعضها ببعض

وهذا التشبيه، في غاية الحسن، خصوصا إذا كانت الناقة كثيرة اللبن، واسعة مجرى اللبن من الخلف، ومنها (كرجمه) وهي حية عظيمة، لا تكون إلا في محل فيه البحور غالبا، وقد تكون في محل فيه شجر (إفرش) هو الآراك الذي تستجاد مساويكه، وهذه الحية، رأيت حية تشببها في حديقة مصر المخصوصة بالحيوانات، إلا أن التي بمصر أصغر، والأغلب أنها من جنسها، وهي لا تعض، وإنما تلتوي على الإنسان فتقطعه نصفين، أن التوت على نصفه، وإن التوت على ساقه، قطعتها وحدها، هكذا يقولون. **ومن العجائب** أن السودان يأكلونها، ورأيت عندهم سيورا من جلدها، يجعلونها تكة للسراويل.

أما العقارب، فإنها كثيرة جدا، ولكنها لا تقتل من لسعته، والناس يزعمون أن من لسعته، وركب حمارا، وجعل وجهه إلى ذنبه يبرأ، وقد جربت هذا فوجدته كذبا، وأصدق ما قيل فيها، أن من لسعته لا يشتفى إلا بعد أن يمكث أربعا وعشرين ساعة يصيح، ولا يداويه غير ذلك، وهذا عندي صواب، كما جربته في نفسي، وقد يعملون للصبيان ترياقا ينفعهم في لسعها، وهو أن يذبحوها وهي حية، فيقطعوا الأنبوبة التي تلي ذنبها، والتي فيها الشوكة فيرموهما، ثم يأخذوا الثلاث الباقية، فيحرقونها بالنار، حتى تستوي، فيجعلونها في شيء يزدرده الصبي، فيمكث مدة لا يؤثر فيه لسعها، وهذا صحيح مجرب. ومنها نوع يقال له (بنيه) وهو حنش فيه نقط سود، وأكثر لونه يميل إلى الصفرة، يئن إذا أراد أن يعض الإنسان. ويقال إنه ينقلب على ظهره قبل اللسع (كيروه): هي أشر حيات تلك البلاد، وهي حنش ضخم أصفر، وعلى جلده قشور، وله ظفر في ذنبه، وما رأيته

في تكانت، ولكن لا تخلو منه أرض، إذا كانت تنبت". (١)

٢٤-"الناعورة المذعورة الحائرة، وأنظر الماء فوق كتفها وهي عليه دائرة.

فعلمت أنها تئن من لوعة الفراق لما فقدت قرينها، فجعلت تعلل قلبها بلقائه، وتدير في الماء عيونها، كأنها تذكرت حالها وهي غصن يفهم التمايل ويدري، فغدت كلها عيونا على عهد أيام الصبا تجري، فصارت تعد **من العجائب**، إذ تسير من غير مفارقة موضعها، إذ لا رأس في جسدها، وقلبها ظاهر وعيونها في أضلعها:

وناعورة قد ضاعفت بنواحها ... نواحي وأجرت مقلتي دموعها

وقد ضعفت مما تئن فقد غدت ... من الضعف والشكوى تعد ضلوعها

والحمائم تبكي على موائس الأغصان في الرياض، وتذري دموع الخمول في تلك الخمائل والغياض، فقاسمتني الغضا قسمة

---

(١) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط ص/٥٣٧

شوهت خلقي وإنشائي، فجعلت غصونه في راحتيها وجمرة في قلبي وأحشائي:

أحمامة الوادي بمنعرج اللوى ... إن كنت مسعدة الكئيب فرجعي

فلقد تقاسمنا الغضا فغصونه ... في راحتيك وجمره في أضلعي

وجعلت أخاطبها بلسان الشكوى والغرام، وأغامزها بعين البلوى والهيام، وهي تطارحني الأحزان والأشجان، وتأتي من الألحان بالفنون على الأفنان، فخاطبتها بلسان حالي الحالي، وأنشدتها بلسان مقالي أتعرض للقالي:

أحمامة فوق الأراكة بيني ... بحياة من أبكاك ما أبكاك؟

أما أنا فبكيت من ألم الجوى ... وفراق من أهوى فأنت كذاك". (١)

٢٥-"فقبضت يدها وخمسة أصابع كأنها تريد أخذ شيء من الهواء وضمت أصابعها إلى راحتها ثم أومأت بها إلى فرجها ثم كررت هذا الفعل سبع مرات في ليلة السبت ثم كذلك تفعل سبع مرات في سبع ليال أخر آخرهن ليلة الجمعة التي

بعد ذلك السبت وهي تفعل ما ذكرناه في كل مرة تقبض على راحتها بأصابعها الخمسة وتقول: أخذت بيدي هذه قوة من القطب الجنوبي وكواكبه الجنوبية وأشفيت به رحمي بإذن هذه الجواهر الروحانية المقدسة فإن هذه العلة تزول عن رحمها وعلامة ذلك أنها تدخل الحمام بعد أربع ليال من هذا الفعل وتدخل البيت الحار من بيوت الحمام فتنظر إلى رحمها، يسيل منه رطوبة كريهة الريح وتفعل ذلك في يوم السبت الثامن من ابتداء عملها وتفعل كذلك في دخول البيت الحار فإنها ترى مثل تلك الرطوبة قد سالت منها وأكثر وأنتن ريحا وهو **من العجائب** المجربة.

(الخاصية السابعة)

إذا عض الإنسان كلب كلب وأخذ المعضوض قطعة من لبد معمولة ببلاد الترك خاصة فبلها ببول كلب أسود ثم أخذها بيده وقام حيال سهيل والقطب الجنوبي وأومأ بالليل نحوهما وخاطبها وقال: هذا اللبد التركي أجعله على موضع هذه العضة التي عضنيها الكلب لتشفيني بها الكواكب من هذه العضة اشفني بحق الشمس. وتكلم بذلك أربع عشرة مرة وأشار بقطعة اللبد باليد اليمنى نحو الكوكب والقطب جميعا ثم يشد اللبد على موضع العضة فإنه يسيل من ذلك الموضع بعد ثلاث ساعات من الزمان رطوبة قبيحة المنظر والريح كأنها ماء اللحم تضرب إلى السواد ثم بعدها رطوبة لزجة بلغمية ثم يقلب اللبد ويضعه على العضة مرة أخرى إلى تمام اثنتي عشرة ساعة محسوبة فإنه يحصل له الشفاء وأن عاد الوجع فليعاود ذلك". (٢)

---

(١) لوعة الشاكي ودمعة الباكي ص/٤٤

(٢) نثار الأزهار في الليل والنهار ص/١٤٨

٢٦-"يقولون لي ما أنت في كل بلدة ... وما تبتغي ما أبتغي جل أن يسمى

كأن بنيهم عالمون بأنني ... جلوب إليهم من معادنه اليتما

وما الجمع بين الماء والنار في يدي ... بأصعب من أجمع الجد والفهما

ولكنني مستنصر بذبابه ... ومرتكب في كل حال به الغشما

وجاعله يوم اللقاء تحيتي ... وإلا فلست السيد البطل القرما

إذا قل عزمي عن مدى خوف بعده ... بأبعد شيء ممكن لم يجد عزما

وإني لمن قوم كأن نفوسنا ... بها أنف أن تسكن اللحم والعظما

كذا إذا نادينا إذ شئت فاذهب ... ويا نفس زيدي في كرائهها عزما

فلا عبرت بي ساعة لا تعزني ... ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

أبو إسحق إبراهيم العزي رحمه الله تعالى:

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة ... باب السماحة والملاحة مغلق

خلت الديار فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب انه لايشترى ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق

أحمد الأرجائي رحمه الله تعالى:

تقصد أهل الفضل دون الورى ... مصائب الدنيا وآفاتها

كالطير لا يحبس من بينها ... إلا التي تطرب أصواتها

الشيخ محمد المنوفي رحمه الله تعالى:

عتبت على دهري بأفعاله التي ... أضاق بها صدري وأفنى بها جسمي

فقال ألم تعلم بأن حوادثي ... إذا أشكلت ردت لمن كان ذا علم

الصفي الحلي رحمه الله تعالى:

لما رأيت بني الزمان وما بهم ... خل وفي للشدائد أصطفي

أيقنت أن المستحيل ثلاثة ... الغول والعنقاء والخل والوفي

سيدي السيد الجليل الفاضل العلامة الحلاحل بن زين العابدين جمل الليل المدني رعاه الملك الغني:

عناء هذا الدهر ما أكثره ... وهمه الوابل ما أغزره". (١)

٢٧-"ويردون إليهم إنسانيتهم الضائعة، ويرفعونهم إلى المكان اللائق بالإنسان وكانوا ينشرون قيما من العدل والأخوة والتسامح والتكافل لا عهد للبشرية بها من قبل ولا رأتها من بعد في غير الإسلام، وينشرون حضارة حقيقة شاملة شامخة،

---

(١) نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن ص/٢٠١

لا يستأثرون بها لأنفسهم، بل يفتحون أبوابها لكل مسلم في الأرض، بل يستظل بظلها النصارى في الأندلس وشرق أوربا، واليهود في مختلف بلاد العالم الإسلامي، والوثنيون عباد البقر في الهند، وكل من أراد أن يتعلم أو يمارس الحياة دون عدوان (رحمه الله١). لم ينهب المسلمون خيرات البلاد المفتوحة، ولم يستذلوها ليتمتعوا بالسلطان، ولم يحافظوا عليها متأخرة متدينة ليبرروا استمرار سيادتهم عليها واستعلاءهم على أهلها ... إنما دعوهم أولا إلى الخير وهو الإسلام. فإن استجابوا فهم إخوة في الدين .. وإن أبوا طلبوا منهم جزية تدل على عدم مقاومتهم للخير المنزل من السماء أن يصل إلى قلوب الناس صافيا بلا غش، فإن أبوا هذا وذاك فعندئذ يقع القتال، لا لإكراه أحد على اعتناق الإسلام، إنما لإزالة مراكز القوى التي تمنع الحق أن يصل إلى الناس على حقيقته .. فإذا أزيلت مراكز الطغيان، وزال تأثيرها على النفوس، ترك الناس أحرارا في ظل الإسلام، يعتنقون ما يشاءون (رحمه الله٢).

أن حركة الفتح الإسلامي: دوافعها وخصائصها، وآثاره الواقعة لهي فصل أساسي في كتابة التاريخ الإسلامي، لابد أن يعالج باستفاضة لدحض مزاعم المستشرقين ومن يتتلمذ عليهم من بعض المؤرخين العرب وغيرهم .. وإن كنا نورده هنا من زاوية معينة: هي دلالتها على مدى عمق الوجود الإسلامي في نفوس الأمة التي تتحرك به، ولن تتحرك به أمة هذه الحركة الواسعة السريعة الفعالة المؤثرة وهي نفسها خاوية منه أو غير ممتلئة به حتى أعماقها (رحمه الله٣). وأول ما يسقط من دعاوي المغرضين في هذا الشأن ـ لفرط هشاشته ـ قول من قال إن الدوافع الاقتصادية هي التي دفعت حركة الفتح الإسلامي! إن الذي تحركة الدوافع الاقتصادية لا يخرج ليدعوا الناس ـ أول ما يدعوهم ـ إلى الإسلام، فإن أسلموا ألقى سلاحه وعانقهم كما يعانق الأخ أخاه، وأخذ يعلمهم تعاليم الإسلام ليشاركوه في الخير الرباني الذي هداه الله إليه، فأصحاب هؤلاء الفرية يفترون الكذب على التاريخ (رحمه الله٤)، وتسقط الدعاوى الأخرى تباعا وتبقى حقيقة مهمة هي أن هذه الحركة لا يمكن أن تأخذ صورتها التي أخذتها بالفعل، إلا أن تكون صادرة عن أمة ممتلئة بهذا الدين حتى أعماقها، حريصة عليه، مؤمنة به، راغبة فيه، راغبة في نشره في آفاق الأرض، فالقوة وحدها لا تفسر ما حدث في هذه الحركة **من العجائب**، فكم استخدمت القوى الطاغية في الأرض قوتها للتوسع في الأرض، فلم تصنع ما صنعته الحركة الإسلامية.

رحمه الله______________

(رحمه الله١) كيف نكتب التاريخ الإسلامي صـ١٢٠.

(رحمه الله٢) المصدر نفسه صـ١٢١.

(رحمه الله٣) المصدر نفسه صـ١٢١.

(رحمه الله٤) كيف نكتب التاريخ الإسلامي صـ١٢١.". (١)

٢٨-"الخشن، وترك مظاهر البذخ والإسراف التي سادت قبله وأمر ببيعها وأدخل أثمانها في بيت مال المسلمين (رحمه الله١)، وهكذا فعل بالجواري والعبيد حيث رد الجواري إلى أصحابهن إن كن من اللاتي أخذن بغير حق ووزع العبيد

---

(١) الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار ٣٤١/١

على العميان وذوي العاهات وحارب كل مظاهر الترف والبذخ، والإسراف (رحمه الله٢)، وأما ما قيل عن زهده بالنسبة للنكاح، فقد روى ابن عبد الحكم فقال: وقالت فاطمة زوجته ما اغتسل من جنابة منذ ولي حتى لقي الله غير ثلاث مرات، ويقال: ما اغتسل من جنابة حتى مات (رحمه الله٣)، فهذا ينافي ما اشتهر به عمر بن عبد العزيز من حبه الشديد لهدي الرسول صلى الله عليه وسلم، فيستبعد منه رحمه الله أن يترك السنة، وأن يقع في ظلم زوجاته وحقوقهن، فإن ترك الزواج وتحريم ذلك لا علاقة له بالزهد الإسلامي الذي بينه رسولنا صلى الله عليه وسلم وهو دخيل على المجتمع المسلم، وهو ما تفتخر به بعض الفرق المنحرفة عن الإسلام وتدعي أنه من الزهد الإسلامي، ولهم في ذلك حكايات لا يشك من تأملها أنها لا تمت إلى الإسلام بصلة، ولهم في ذلك وصايا عجيبة وتوجيهات غريبة، فمن أقوالهم:

. من ترك النساء والطعام فلابد له من ظهور كرامة.

. من تزوج فقد أدخل الدنيا بيته، فاحذروا من التزويج.

. لا يبلغ الرجل إلى منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة وأولاده كأنهم أيتام، ويأوي إلى منازل الكلام.

. من تعود أفخاذ النساء لا يفلح.

. من تزوج فقد ركن إلى الدنيا (رحمه الله٤). إلى غير ذلك **من العجائب** والغرائب وهذا المفهوم يخالف الإسلام دين التوسط والاعتدال، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فمن رغب عن سنتي فليس مني (رحمه الله٥). وجملة القول أن زهد عمر بن عبد العزيز كان مقيدا بالكتاب والسنة وأن كثيرا مما نسب إليه في هذا الباب لا يصح لمخالفته هدى النبي صلى الله عليه وسلم، ومن زهد عمر بن عبد العزيز في جمع المال، فقد كان على النقيض ممن يلي منصبا في وقتنا الحاضر فقد كانت غلته حين استخلف أربعين ألف دينار، ثم أصبحت حين توفي أربعمائة دينار، ولو بقي لنقصت (رحمه الله٦)، حيث لم يرتزق رحمه الله من بيت المسلمين شيئا (رحمه الله٧)، فقد كان رحمه الله من زهاد زمانه إن لم يك أزهدهم، فكان يقول: إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر، تسر قليلا وتحزن طويلا (رحمه الله٨). وأخباره في

رحمه الله______________

(رحمه الله١) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة (١/ ١٥٥).

(رحمه الله٢) المصدر نفسه (١/ ١٥٥).

(رحمه الله٣) سيرة عمر لابن عبد الحكم ص٥٠.

(رحمه الله٤) الطبقات للشعراني (١/ ٣٤).

(رحمه الله٥) فتح الباري على صحيح البخاري (٩/ ١٠٤).

(رحمه الله٦) حلية الأولياء (٥/ ٢٥٧).

(رحمه الله٧) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص١٨٦

(رَحِمَهُ اللَّهُ٨) النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر ص١٥١.". [١]

٢٩-"في استعمال السيف والقوسبراعة اعتزم معها أن يظهرها أمام الجماهير. فغادر القصر وعاش في مدرسة المجالدين فترة من الزمان، وأخذ يسوق المركبات في مباريات السباق، ويصارع الحيوانات والرجال في المجتلد (٦٧). ولا حاجة إلى القول بأن من كانوا يتبارون معه كانوا يحرصون على أن يكون هو الفائز؛ ولكنه لم يكن يبالي أن يخرج بمفرده قبل الفطور ليقاتل فرس نهر، أو فيلا، أو نمرا لا يعبأ قط بالملوك (٦٨). وقد بلغ من إتقانه الرماية أن استطاع في استعراض واحد قتل مائة نمر بمائة سهم. فكان يترك النمر يهاجم مجرما من المحكوم عليهم بالإعدام. ثم يرميه بسهم فيقتله، ويترك الرجل سليما يواجه الموت مرة أخرى (٦٩). وقد أمر أن تسجل هذه الأعمال المجيدة في صحيفة الحوادث اليومية، وأصر على أن يؤدى إليه من خزانة الدولة أجر على كل صراع من الألف الصراع التي قام بها.

ولقد كان المؤرخون أمثال تاستس، اللذين لا بد لنا من الرجوع إليهم في هذا الموضوع، ينظرون إلى هذه الأعمال بعين الأشراف الحانقين، ويحكمون عليها حسب تقاليدهم؛ ولهذا فإنا لا نعرف كم **من العجائب** التي يروونها تاريخ صحيح، وكم منها أملته الرغبة في التشهير به والثأر منه. فهم يؤكدون لنا أن كمودس كان يسكر ويقامر، ويبدد أموال الدولة، وأن في حريمه ثلثمائة إمرأة وثلثمائة غلام، وأنه يحلو له أن يكون إمرأة في بعض الأحيان، أو في القليل أن يلبس ثياب النساء حتى في الألعاب العامة نفسها. وقد رووا لنا عنه قصصا من القسوة لا يقبلها عقل. فيقولون مثلا إن كمودس أمر أحد كهنة بلونا Bellona أن يبتر ذراعه ليبرهن بقطعها على تقواه، وإنه أرغم بعض النساء اللائي نذرن أنفسهن لخدمة إيزيس أن يضربن صدورهن بثمارالبلوط المخروطية حتى يمتن، وإنه كان يقتل الرجال بلا تمييز بينهم بهراوة هرقل التي كان يمسكها بيده، وإنه جمع المقعدين وقتلهم بسهامه واحدا بعد واحد ... (٧٠) ويلوح أن إحدى عشيقاته كانت مسيحية، وأنه عفا من أجلها عن بعض المسيحيين الذين حكم عليهم بالعمل في مناجم سردينية.". [٢]

٣٠-"**ومن العجائب** أن هذا المحارب الواقعي كان يؤمن بالتنجيم، وأنه كان أكثر الناس براعة في تفسير النذر والأحلام. من ذلك أنه لما أن ماتت زوجته الأولى قبل أن يرتقي العرش بستة أعوام عرض على سورية غنية دل طالعها على أنها ستجلس على عرش أن تتزوجه. وكانت هذه الزوجة هي جوليا دمنا Julia Domna ابنه كاهن غني لإلجابال Elgabal إله حمص. وكان نيزك قد سقط في تلك المدينة من زمن بعيد وأقيم له ضريح في هيكل مزخرف، وأخذ الناس يعبدونه على أنه رمز الإله إن لم يكن هو الإله نفسه مجسما. وجاءت جوليا إلى قصر سبتميوس، وولدت له ولدين هما كركلا وجيتا Geta، وارتقت عرشها الموعود. وكانت أجمل من أن تقتصر على زوج واحد، ولكن مشاغل سبتميوس لم تكن تترك له من الفراغ ما يسمح له بأن يغار عليها. وقد جمعت حولها ندوة من الأدباء، وناصرت الفنون، وأقنعت

---

(١) الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار ١٥١/٢

(٢) قصة الحضارة ٤٦٦/١٠

فيلوسترانس بأن يكتب سيرة أبلونيوس التيانائي Apollonius of Tyana يخلع عليه الكثير من أسباب المديح. وكانت قوة أخلاقها ونفوذها مما عجل السير بالملكية نحو الأساليب الشرقية التي وصلت إلى غايتها من الناحية الأخلاقية في عهد إلجابالس Elgabalus ومن الناحية السياسية في عهد دقلديانوس.

وسلخ سبتميوس من حكمه الذي دام ثماني عشرة سنة في حروب سريعة وحشية قضى فيها على منافسيه؛ ودك بيزنطية بعد حصار دام أربعة أعوام. فأزال بعمله هذا حاجزا كان يقف في وجه القوط الآخذين في الانتشار، وغزا بارثيا، واستولى على طشقونة، وضم بلاد النهرين إلى الإمبراطورية، وعجل سقوط الأسرة الأرساسية المالكة. وأصيب في شيخوخته بداء النقرس. ولكنه لم يكن يرضى أن يضعف جيشه بعد أن قضى في السلم خمس سنين، فزحف به على كلدونيا Caledonia، وانتصرت على الاسكتلنديين في عدة وقائع غالية الثمن، انسحب على أثرها إلى بريطانيا، ثم آوى إلى يورك حيث وافته المنية (٢١١)." . [١]

٣١-"تشمل فروع الطب كلها تقريبا منها رسالة لأرخماثيوس Archimatheus تصف حال الطبيب وهو واقف بجوار سري المريض: يجب أن يتحلى الطبيب وهو ينظر إلى حال المريض بالرزانة، حتى لا تقلل من مكانته خاتمة المريض السيئة، وهو يضيف شفاؤه عجيبة أخرى إلى ما اشتهر به **من العجائب**؛ وعليه ألا يغازل زوجة المريض أو ابنته أو خادمته؛ وحتى إذا لم تكن ثمة ضرورة بدواء ما وجب عليه أن يصف له مركبا عديم الضرر، حتى لا يظن المريض أن العلاج لا يساوي أجر الطبيب، وحتى لا يظن أن الطبيعة هي التي شفت المريض دون معونة الطبيب (٦١).

وحلت جامعة نابلي محل مدرسة سلرنو بعد عام ١٢٦٨، حتى لم نعد نسمع عن هذه المدرسة إلا الشيء القليل. وكان خريجوها قبل ذلك العام قد نشروا طب سلرنو في طول أوربا وعرضها. وكان ثمة مدارس للطب صالحة في القرن الثالث عشر في بولونيا، وبدوا، وفرارا، وبروجيا، وسينا، وروما، ومنبلييه، وباريس، وأكسفورد؛ وامتزجت في هذه المدارس التقاليد الطبية الثلاثة الشهيرة - اليونانية، والعربية، واليهودية، وامتصتها امتصاصا تاما، وصيغ التراث الطبي كله صياغة جديدة حتى أصبح هو أساس علم الطب الحديث، واحتفظ أسلوبا التشخيص القديمان - وهما فحص جدران الصدر بالمسماع وتحليل البول - بشهرتهما وكثرة استعمالهما (ولا يزالان يحتفظان بهما إلى يومنا هذا). وبلغ من انتشارهما أن كانت المبولة رمز مهنة الطب أو دلالتها في بعض الأماكن (٦٢). كذلك بقيت أساليب العلاج القديمة بالمسهلات والحجامة؛ وكان الطبيب في إنجلترا "مركب علق". وكانت الحمامات الحارة من طرق العلاج المحببة. فكان المرضى يسافرون "ليأخذون الماء" من العيون المعدنية. وكان الطعام الخاص بالمرضى يوصف وصفا دقيقا في الأمراض كلها تقريبا (٦٣)، ولكن العقاقير الطبية كانت موفورة، فقلما كان هناك عنصر من العناصر لا يستخدم في العلاج - من الأعشاب البحرية (الغنية باليود) التي وصفها روجر السلرني

---

(١) قصة الحضارة ٣٢٤/١١

عام ١١٨٠". [١]

٣٢-"سيينا مهرجان الباليو (المعطف) المشهور: فكانت أحياؤها العشرة تنظم موكبا بملابس بهية يسير في شوارع زينت بالعمائر، والرايات، والزهور، ونساء مرحات لابسات ثيابا جذابة، ثم يتبارى فرسان الأحياء بجنون في سباق على معطف السيدة العذراء التي كرست المدينة التقية نفسها وحياتها له منذ أمد بعيد. ولم تملك فلورنسة الآن من المصورين إلا الصغار. وواصل كارلو دولتشي، بفن أضعف، صور رينو جيدي العاطفية، المتأملة في السماء، التي رسمها للعذراء والقديسين، والعالم كله يعرف لوحته "القديسة سيسيليا (٢٠) ". ورسم يوستوس سوسترمانس، الذي هاجر من فلاندر غلى فلورنسة، لوحات تعد **من العجائب** التي تشد الانتباه في قاعة بيتي-وليس أقلها رأس جاليليو الرائع الجليل. كذلك كان يبدو موسى وهو يشرع الناموس، لا كما نراه في وحش ميكل أنجيلو ذي القرون.

وكان الفن في روما يفيق من قيود الحركة المعارضة للإصلاح البروتستنتي. فعاد البابوات بقدر أخف إلى روح النهضة، وشجعوا الأدب، والدراما، والعمارة، والنحت، والصوير. ورمم إنوسنت العاشر الكابيتول وكنيسة سان جوفاني في لاتيرانو. وكلف الاسكندر السابع برنيني بأن ينحت نطاقا رباعيا من حراس مصنوعين من الجرانيت حول ميدان القديس بطرس (١٦٥٥ - ٦٧) -فنحت ٢٨٤ عمودا و٨٨ ركيزة، ووفق في صنعها إلى تحويل الذهب إلى حجر. وفي عهد هذا البابا أعاد بييترو داكورتونا بناء كنيسة سانتا ماريا ديللا باتشي، حيث كانت عرافات رفائيل لا تزال تتأمل القدر. واشترك جيرولامو دينالدي مع ابنه كارلو في تشييد كنيسة سانتاجنيزي الجميلة في ميدان نافونا. واشترك الوالد والولد ثانية في تصميم كنيسة "يسوع ومريم"، وبنى كارلو هيكل سانتا ماريا في كامبيتللي ليضم تمثالا للعذراء اعتقد الناس أنه أوقف طاعون ١٦٥٦. وكان الكرادلة والنبلاء يبنون مساكنهم ومدافنهم في فخامة القصور. وارتفع الآن قصر دوريا وهو قصر كولونا ذو الزخارف الباروكية المسرفة، وفي كنيسة "يسوع ومريم" حفر فرانشسكو كافالليني لأسرة بولونيتي مقبرة لا بد أنها أثارت حسد الأحياء للأموات. وأقام مصورون كثيرون الدليل على أن فنهم ما زال حيا في روما.". [٢]

٣٣-"كل الوعي لنسبية الحقيقة فلا بد يقيد فكره المطلق. ومع ذلك أشعل نيران الحرب (٤٨). وحيثما سار في محادثاته المختلفة مع مركيزته الوهمية، هب جيش الاستنارة بفرسان فولتير الخفيفة السريعة الاندفاع ومشاة دولباخ الثقيلة، ومهندسي دائرة المعارف العسكريين الخبراء في بث الألغام، بالإضافة إلى مدفعية ديدرو.

وكان أول اقتحامه مجال الفلسفة رسالة من خمس عشرة صحيفة "أصل الخرافات" والحق أنها كانت استقصاء سيولوجيا (اجتماعيا) عن نشأة الآلهة. ونحن لا نكاد نصدق كاتب سيرة حياته في أن الموضوع كتب وهو في سن الثالثة والعشرين، ولو أن مخطوطته تركت في حرص وحذر، حتى خفت وطأة الرقابة قي ١٧٢٤. وتكاد تكون هذه الرسالة "عصرية" في

---

(١) قصة الحضارة ١٨٩/١٧

(٢) قصة الحضارة ١٠٠/٣٣

روحها، تعقبت الأساطير، لا إلى مجرد اختراع الكهنة لها، بل إلى تخيلها البدائي، فوق كل شيء، إلى استعادة العقول البسيطة لتجسيد العمليات، فإن نهرا فاض لأن إلها صب ماءه، فكل عمليا ت الطبيعة من عمل الأرباب.

اعتقد الناس أن كثيرا من العجائب فوق قدرتهم: حلول الصواعق وقصف الرعود، وهبوب الرياح وإثارة الأمواج .... وتخيل الناس كائنات أقوى منهم، قادرة على أحداث هذه الآثار. وكان لا بد لهذه الكائنات الأسمى أن تتخذ شكلا آدميا، فأي شكل آخر يمكن تصوره؟ ... وعلى هذا كان الأرباب آدميين، ولكن أسبغت عليهم قدرة عليا .... وما كان في كقدور الناس البدائيين أن يدركوا صفة أدعى إلى الإعجاب من القوة المادية. ولم يكونوا قد أدركوا بعد الحكمة والعدالة، ولم يكن لديهم أسماء لهما (٤٩).

وقبل ورسو بنصف قرن نبذ فونتنيل ما قاله روسو عن مثالية الهمج غير المتمدنين، ففي رأيه أنهم كانوا أغبياء، متوحشين. ولكنه أضاف "كل الناس متشابهون شبها كبيرا، وليس ثمة جنس أو عرق، لا نرتعد نحن فزعا من حماقاته وسخافاته (٥٠) ". وكان حريصا على أن يضيف أن تفسيره للأرباب، ذلك التفسير المبني على المذهب الطبيعي، لم يطبق على آلهة المسيحيين أو اليهود.". [١]

٣٤-"فرنسا لينفق هناك آخر سني صراعه مع المرض واليأس. وهجره أصحابه القدامى لانهيار نفوذه السياسي وحدة طبعه. وأنهى موت زوجته الثانية (١٧٥٠) اهتمامه بشئون البشر، "في كل سنة ازداد عزلة في هذه الدنيا (٢٨) " وهذا عقاب الأنانية. وفي ١٧٥١ ابتلى بالسرطان الذي انتشر في وجهه فأملي وصية تتسم بالتقوى، ولكنه رفض أن يسمح لأي قسيس بالاهتمام بروحه (٢٩). ومات في ١٢ ديسمبر بعد ستة شهور من العذاب، بغير أمل لا لنفسه ولا للبشر. لقد أخذ اضمحلال الإيمان الديني يولد ذلك التشاؤم الذي سيصبح العلة الخفية التي تبتلي بها النفس العصرية.

٣ - الدفع الديني

أما المدافعون عن المسيحية فلم يقابلوا الهجوم الربوبي بأي استسلام أو هزيمة، بل إنهم على العكس من ذلك ردوا الهجوم بكل ما أوتي تندال أو مدلتن أو بولنبروك من قوة عارمة، وعلم واسع، وأسلوب مقذع. واعتمد المدافعون الأضعف شأنا، مثل تشاندلر أسقف لتشفيلد، ونيوتن أسقف لندن، على الحجج البالية، وهي أن اليهود كانوا ينتظرون في حرارة وشوق مجيء "المسيا" حين أتى المسيح، وإن كثيرا من النبوءات اليهودية تحققت على يديه؛ أو رجعوا-كما فعل شرلوك أسقف لندن وبيرس أسقف روتشستر-إلى الشواهد الكثيرة على قيامة المسيح. وركز شرلوك وغيره على أن الأدلة على معجزات المسيح غامرة ساحقة، وفيها كفاية لدعم ألوهية المسيح والمسيحية. وقال شرلوك إن رفض حدث توافرت الأدلة على صدقة لأنه يناقض تجربتنا عمل شديد الخطر، فعلى الأساس نفسه رفض سكان المدارين أن يؤمنوا بحقيقة الثلج. فإذا زعمنا أن الأشياء لا يمكن أن تكون غير ما عرفناها، "تجاوزنا أعلام حواسنا، وقامت النتيجة على الهوى لا على العقل (٣٠) ".

---

(١) قصة الحضارة ٩٧/٣٤

وليس في إمكاننا التأكد من أن الإنسان لن يقوم من الأموات برغم تجربتنا الواسعة، الضيقة في حقيقتها. فانظر كم **من العجائب** التي نقبلها الآن على أنها أحداث عادية في حياتنا كنا من قبل نظنها بعيدة التصور!". [1]

٣٥-"وحين عاد جون وسلي من هيرنوت، لم يستطع أن يوافق تماما على طريقة هوايتفيلد الخطابية، وتردد في الاقتداء به في الخطابة في الخلاء. قال: "إذ كنت طوال حياتي (إلى عهد قريب جدا) شديد التمسك بكل قواعد اللياقة والنظام، ... فقد كان المفروض أن أرى في تخليص النفوس شيئا يكاد يبلغ مبلغ الخطيئة إذا لم يتم في الكنيسة (٥٥) ". على أنه تغلب على نفوره هذا، وحمل رسالته إلى الحقول والشوارع، "وسلمت بأن أكون أكثر نزولا إلى العامة في الخلاء" (أبريل ١٧٣٩). وكانت خطابته أقل حرارة من خطابة هوايتفيلد، ولغته لغة العالم والجنتلمان، ولكنه هو أيضا خاطب عواطف سامعيه، وجعل الحياة اليومية لبسطاء الناس تبدو كأنها جزء من مسرحية هائلة، نبيلة، نفوسهم فيها ساحة معركة بين الشيطان والمسيح، فتحركوا في عالم **من العجائب** والمعجزات، وسمعوا فيه (أي في وسلي) -كما زعم-صوت الله. وبينما ألف هوايتفيلد أن يعظ الجميع ثم ينصرف عنه، راح وسلي ينظم أتباعه في "جماعات صغيرة" في المدينة تلو المدينة، ويرشدهم إلى الثبات والاستمرار. وكانت اجتماعاتهم أحياء للقاءات المحبة التي استنها المسيحيون الأولون-أعياد من الفرحة الدينية ومحبة الجماعة، يعترف بعضهم لبعض بخطاياهم، ويخضعون لفحص حياتهم الخلقية، ويشتركون في الصلاة وترتيل التراتيل الورعة. وكان جون قد ألف أو ترجم بعض الترانيم المؤثرة، وكان تشارلز قد بدأ مجموعة تراتيله الضخمة. وفي ١٧٤٠ كتب تشارلز أشهر ترانيمه الرائعة الكثيرة "يسوع يا حبيب روحي".
في هذه الجماعات المتحمسة درب جون وسلي وعاظا علمانيين حملوا البشارة الجديدة إلى حيث لا يستطيع القادة البقاء. فقد انتشر هؤلاء "المساعدون"-دون رسامة، ودون أي أبرشيات محددة، بمنبر أو بغير منبر-في أرجاء إنجلترا، وإسكتلندة، وويلز، وأوصلوا مخاوف وآمال اللاهوت البروتستنتي للطبقات العاملة، وحضروا لزيارات الإنعاشية التي سيقوم بها وسلي وهوايتفيلد. وكان". [2]

٣٦-"وهي نفسها خاوية منه أو غير ممتلئة به حتى أعماقها (ﷺ١). وأول ما يسقط من دعاوي المغرضين في هذا الشأن ـ لفرط هشاشته ـ قول من قال إن الدوافع الاقتصادية هي التي دفعت حركة الفتح الإسلامي! إن الذي تحركة الدوافع الاقتصادية لا يخرج ليدعوا الناس ـ أول ما يدعوهم ـ إلى الإسلام، فإن أسلموا ألقى سلاحه وعانقهم كما يعانق الأخ أخاه، وأخذ يعلمهم تعاليم الإسلام ليشاركوه في الخير الرباني الذي هداه الله إليه، فأصحاب هؤلاء الفرية يفترون الكذب على التاريخ (ﷺ٢)، وتسقط الدعاوى الأخرى تباعا وتبقى حقيقة مهمة هي أن هذه الحركة لا يمكن أن تأخذ صورتها التي أخذتها بالفعل، إلا أن تكون صادرة عن أمة ممتلئة بهذا الدين حتى أعماقها، حريصة عليه، مؤمنة به، راغبة فيه، راغبة في

---

(١) قصة الحضارة ١٧٧/٣٥

(٢) قصة الحضارة ١٩١/٣٥

نشره في آفاق الأرض، فالقوة وحدها لا تفسر ما حدث في هذه الحركة **من العجائب**، فكم استخدمت القوى الطاغية في الأرض قوتها للتوسع في الأرض، فلم تصنع ما صنعته الحركة الإسلامية.

إن السيف، يمكن أن يفتح الأرض، ولكنه لا يفتح القلوب، والذي حدث في حركة الفتح الإسلامي لم يكن مجرد التوسع في الأرض، إنما كان فتح القلوب لتعتنق الإسلام، وكان . في كثير من الأقطار اتخاذ لغة الدين لغة رسمية، ونسيان الشعوب المفتوحة ما كانت تستعمله من قبل من اللغات، حتى الذين بقوا على دينهم بغير إكراه لو لم يكن الفاتحون مسلمين حقا، بمعنى الإيمان بهذا، وممارسته في عالم الواقع والتمكن منه عقيدة وسلكا وحركة، ما حدثت هذه **العجائب** في الفتح الإسلامي وأمر آخر يتعلق بهذه القوة ذاتها إنها في غالب الأحيان لم تكن هي الأكبر عددا وعدة وخبرة حربية ... ، إنما كان العدد والعدة والخبرة في الجانب الآخر، جانب الذين انهزموا أمام قوة المسلمين، فلو لم يكن هناك عنصر آخر غير مادي . في جانب الفاتحين ما تمكنوا من التغلب على أعدائهم الذين يفوقونهم في فنون الحرب، كما يفوقونهم في العدد والعدة سواء، ذلك العنصر هو العقيدة الحية التي تملأ القلوب وهذه هي الدلالة التي نركز عليها هنا في وجه الدعاوي التي تقول إن انحرافات بني أمية قضت على هذا الدين وهو بعد في المهد وتلك نقطة ينبغي أن نقف عندها طويلا حتى نقومها في نفوس الدارسين، ينبغي أن نلغي من حسهم ذلك الإيحاء الخبيث بأن الإسلام قد انتهى بعد الخلافة الراشدة ولم يعد له وجود،

ﷺ______________

(ﷺ١) المصدر نفسه صـ١٢١.

(ﷺ٢) كيف نكتب التاريخ الإسلامي صـ١٢١.". [١]

٣٧-"كان الملك العادل – رحمه الله – حازما متيقظا، غزير العقل سديد الأراء، ذا مكر شديد وخديعة، وصبورا، حليما، ذا أناة وتؤدة، يسمع ما يكره ويغضي عنه كأنه لم يسمعه، كثير البذل والخرج عند الحاجة لا يقف في شيء، وأما في غير وقت الحاجة فلا، عظمت هيبته في القلوب، واتسع ملكه وواتته السعادة، وكثير أولاده، ورأى فيهم ما يحب من اتساع الممالك والظفر بالأعدام وقال ابن واصل ولم يبلغنا عن أحد من الملوك الماضين أنه رأى في أولاده ما رأى، فإنه اجتمع في كل واحد منهم من النجابة والكفاية والشهامة والفضيلة مالا مزيد عليه فهم كما قال الشاعر:

من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم ... مثل النجوم التي يسرى بها الساري (ﷺ١)

وكان للملك العادل فيما ذكره ابن واصل ستة عشر ولدا ذكرا سوى البنات (ﷺ٢)، **ومن العجائب** أنه لم يحضر وفاته أحد من أولاده وخلف سبعمائة ألف دينار عينا احتوى عليها المعظم (ﷺ٣).

ﷺ______________

(ﷺ١) مفرج الكروب (٣/ ٢٧٢).

---

(١) معاوية بن أبي سفيان ص/٣٨٦

(رحمه الله٢) المصدر (٣/ ٢٧٣).

(رحمه الله٣) شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص ٢٠٢س.". [1]

٣٨-"ومن طالع كتبهم وأناجيلهم وجد فيها **من العجائب** ما يقضي له بأن القوم تفرقت شرائعهم وأحكامهم، ونقولهم، .. وأن القوم لا يلتزمون مذهبا، والعجب أن أناجيلهم حكايات، وتواريخ ومجريات وكلام كفرة وكهنة (رحمه الله١). ثم أورد بعد ذلك خمسة عشرة مثالا من تناقضات الأناجيل تدل على تغييرها وتبديلها وعدم الوثوق بشيء منها (رحمه الله٢)، وهكذا من ومصادمة بعضها بعضا وإبراز العلماء المسلمين لاختلاف الأناجيل وتناقضها ومصادمة بعضها بعضا وإيراد الأمثلة على ذلك، إيضاح بما لا يدع مجالا للشك لضعف ما بنى عليه النصارى عقائدهم الذي يعدونه أساس ديانتهم (رحمه الله٣).

٣ – مناقشة قولهم في المسيح عليه السلام: المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام بشر مخلوق ليس بإله ولا ابن إله، قال تعالى: "إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل" (الزخرف، آية: ٥٩) وقال سبحانه وتعالى"ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل" (المائدة، آية ٧٥). وما أدعى عليه السلام الربوبية ولا الألوهية، ولم يأمر أحدا باتخاذه إلها، بل إنه عبد الله ورسوله كما قال الله سبحانه فيما حكاه عنه: "ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم" (المائدة، آية: ١١٧).

وقد عاش المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام يدعو إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، وكان قدوة صالحة في ذلك قال تعالى: "قال إني عبد الله ءاتاني الكتاب وجعلني نبيا* وجعلني مباركا، أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا" (مريم، الآيتان: ٣٠ – ٣١) ولما بلغ رسالة ربه وأراد به أعداؤه كيدا نجاه الله منهم، وذلك برفعه إليه قال الله تعالى: "إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك ومطهرك" (آل عمران، آية: ٥٥).

رحمه الله______________

(رحمه الله١) المصدر نفسه ص ٢٧

(رحمه الله٢) دعوة المسلمين للنصارى في عصر الحروب الصليبية (١/ ٢٥٠).

(رحمه الله٣) المصدر نفسه (١/ ٢٥٠).". [2]

٣٩-"ذكر الحرب بين إسماعيل الساماني وعمرو بن الليث.

عليه الصلاة والسلام٢٨٦¤٨٩٩ ⅛

---

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين ص/١٧٣

(٢) الأيوبيون بعد صلاح الدين ص/٧٤٥

تحارب إسماعيل بن أحمد الساماني وعمرو بن الليث، وذلك أن عمرو بن الليث لما قتل رافع بن هرثمة وبعث برأسه إلى الخليفة سأل منه أن يعطيه ما وراء النهر مضافا إلى ما بيده من ولاية خراسان، فأجابه إلى ذلك فانزعج لذلك إسماعيل بن أحمد الساماني نائب ما وراء النهر، وكتب إليه: إنك قد وليت دنيا عريضة فاقتنع بها عن ما في يدي من هذه البلاد، فلم يقبل فأقبل إليه إسماعيل في جيوش عظيمة جدا فالتقيا عند بلخ فهزم أصحاب عمرو، وأسر عمرو، فلما جئ به إلى إسماعيل بن أحمد قام إليه وقبل بين عينيه وغسل وجهه وخلع عليه وأمنه وكتب إلى الخليفة في أمره، ويذكر أن أهل تلك البلاد قد ملوا وضجروا من ولايته عليهم، فجاء كتاب الخليفة بأن يتسلم حواصله وأمواله فسلبه إياها، فآل به الحال بعد أن كان مطبخه يحمل على ستمائة جمل إلى القيد والسجن، **ومن العجائب** أن عمرا كان معه خمسون ألف مقاتل لم يصب أحد منهم ولا أسر سواه وحده، وهذا جزاء من غلب عليه الطمع، وقاده الحرص حتى أوقعه في ذل الفقر، وهذه سنة الله في كل طامع فيما ليس له، وفي كل طالب للزيادة في الدنيا.

٢/٣". (١)

٤٠-"وفاة ابن سينا الطبيب الفيلسوف.

عليه السلام ٤٢٨ رضي الله عنه رمضان ¤ ١٠٣٧ ١/٨

الحسين بن عبد الله بن سينا الرئيس، كان بارعا في الطب في زمانه، كان أبوه من أهل بلخ، وانتقل إلى بخارى، واشتغل بها فقرأ القرآن وأتقنه، وهو ابن عشر سنين، وأتقن الحساب والجبر والمقابلة وإقليدس والمجسطى، ثم اشتغل على أبي عبد الله الناتلي الحكيم، فبرع فيه وفاق أهل زمانه في ذلك، وتردد الناس إليه واشتغلوا عليه، وهو ابن ست عشرة سنة، وعالج بعض الملوك السامانية، وهو الأمير نوح بن نصر، فأعطاه جائزة سنية، وحكمه في خزانة كتبه، فرأى فيها **من العجائب** والمحاسن مالا يوجد في غيرها، فيقال إنه عزا بعض تلك الكتب إلى نفسه، وله في الإلهيات والطبيعيات كتب كثيرة، قال ابن خلكان: له نحو من مائة مصنف، صغار وكبار، منها القانون، والشفا، والنجاة، والإشارات، وسلامان، وإنسان، وحي بن يقظان، وغير ذلك، قال وكان من فلاسفة الإسلام وذكر أنه مات بالقولنج في همذان، وقيل بأصبهان، والأول أصح، يوم الجمعة في شهر رمضان منها، عن ثمان وخمسين سنة، وقد حصر الغزالي كلامه في مقاصد الفلاسفة، ثم رد عليه في تهافت الفلاسفة في عشرين مجلسا له، كفره في ثلاث منها، وهي قوله بقدم العالم، وعدم المعاد الجثماني، وأن الله لا يعلم الجزئيات، وبدعه في البواقي، ويقال إنه تاب عند الموت فالله أعلم.

٢/٣". (٢)

---

(١) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية ٢/٣٨١

(٢) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية ٣/٣٨٠

٤١-"الأشرف قايتباي يعيد النظام والقوة لدولة المماليك.

ﷺ٨٧٢¤١٤٦٧ ١/٨

كانت مدة حكم الأشرف قايتباي حافلة بالحروب، وسيرته من أطول السير، وقد تعرضت البلاد في أيامه لأخطار خارجية، أشدها ابتداء العثمانيين أصحاب القسطنطينية محاولة احتلال حلب وما حولها، فأنفق أموالا عظيمة على الجيوش كانت من العجائب التي لم يسمع بمثلها في الإنفاق، وشغل بالعثمانيين، حتى إن صاحب الأندلس استغاث به لإعانته على دفع الفرنج عن غرناطة، فاكتفى بالالتجاء إلى تهديدهم بواسطة القسيسين الذين في القدس، سلما دون قتال، فضاعت غرناطة وذهبت الأندلس. كان الأشرف قايتباي متقشفا مع عظم إنفاقه على الجيوش كثير المطالعة، له اشتغال بالعلم، وفيه نزعة صوفية، كما كان شجاعا عارفا بأنواع الفروسية، مهيبا عاقلا حكيما، إذا غضب لم يلبث أن تزول حدته. ترك كثيرا من آثار العمران في مصر وأبرزها قلعة قايتباي بالإسكندرية والحجاز والشام والقدس، ولا يزال بعضها قائما إلى الآن.

٢/٣". (١)

٤٢-"كورة على ساحل بحر اليمن في شرقي هجر، تشتمل على مدن كثيرة، سميت بعمان بن بغان بن إبراهيم الخليل، عليه السلام، والبحر الذي يليه منسوب إليه يقال بحر عمان.

روى ابن عمر عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: إني لأعلم أرضا من أرض العرب يقال لها عمان على شاطيء البحر، الحجة منها أفضل أو خير من حجتين من غيرها.

وعن الحسن البصري هو المراد من قوله تعالى: يأتين من كل فج عميق، يعني من عمان، وعن النبي، صلى الله عليه وسلم: من تعذر عليه الرزق فعليه بعمان. وأما حرها فمما يضرب به المثل.

بها اجتماع الخوارج الإباضية في زماننا هذا، وليس بها من غير هذا المذهب إلا غريب، وهم أتباع عبد الله بن اباض الذي ظهر في زمن مروان ابن محمد، آخر بني أمية، وقد قتل وكفي شره.

وحكى ابن الأثير في تاريخه: إنه في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة خرج بعمان طائر من البحر أكبر من فيل، ووقف على تل هناك وصاح بصوت عال ولسان فصيح: قد قرب ! قد قرب ! قد قرب ! ثم غاص في البحر، فعل ذلك ثلاثة أيام ثم غاب ولم ير بعد ذلك.

غانة

مدينة كبيرة في جنوب بلاد المغرب، متصلة ببلاد التبر، يجتمع إليها التجار ومنها يدخلون بلاد التبر، ولولاه لتعذر عليهم ذلك، وهي أكثر بلاد الله ذهبا لأنها بقرب معدنها، ومنها يحمل إلى سائر البلاد، وبها من النمور شيء كثير، وأكثر لباس أهلها جلد النمر.

وحكى الفقيه أبو الربيع الملتاني أن في طريق غانة من سجلماسة إليها أشجارا عظيمة مجوفة، يجتمع في تجاويفها مياه الأمطار

---

(١) الموسوعة التاريخية - الدرر السنية ٢٤٩/٧

فتبقى كالحياض، والمطر في الشتاء بها كثير جدا، فتبقى المياه في تجاويف تلك الأشجار إلى زمان الصيف، فالسابلة يشربونها في مرورهم إلى غانة، ولولا تلك المياه لتعذر عليهم المرور إليها، ويتخذون أقتاب البعران من خشب الصنوبر، فإن مات البعير فقتب رحله يفيء بثمنه.

غدامس

مدينة بالمغرب في جنوبيه ضاربة في بلاد السودان، يجلب منها الجلود الغدامسية، وهي من أجود الدباغ لا شيء فوقها في الجودة، كأنها ثياب الخز في النعومة.

بها عين قديمة يفيض الماء منها، ويقسمها أهل البلد قسمة معلومة، فإن أخذ أحد زائدا غاض ماؤها، وأهل المدينة لا يمكنون أحدا يأخذ زائدا خوفا من النقصان. وأهلها بربر مسلمون صالحون.

قاع

برية بين عمان وحضرموت، **من العجائب** أن التاجر يمر بها إلى عمان بسلعته ليبيعها، فيسمع في تلك البرية: فلان بن فلان معه سلعة تساوي كذا دينارا أو درهما ! فيدخل عمان لم يزد على ذلك شيء أصلا، والله الموفق.

قلعة الشرف

قلعة حصينة باليمن قرب زبيد لا يمكن استخلاصها قهرا لأنها بين جبال لا يوصل إليها إلا في مضيق لا يسمع إلا رجلا واحدا مسيرة يوم وبعض يوم، ودونه غياض، أوى إليه علي بن المهدي الحميري المستولي على زبيد سنة خمسين وخمسمائة. والله الموفق.

كاكدم

مدينة بأقصى المغرب جنوبي البحر متاخمة لبلاد السودان، منها صناع أسلحة.

منها الرماح والدرق اللمطية من جلد حيوان يقال له اللمط، لا يوجد إلا هناك، وهو شبه الظباء أبيض اللون، إلا أنه أعظم خلقا، يدبغ جلده في بلادهم باللبن وقشر بيض النعام سنة كاملة، لا يعمل فيه الحديد أصلا، إن ضرب بالسيوف نسبت عنه، وإن أصابه خدش أو بتر يبل بالماء ويمسح باليد فيزول عنه، يتخذ منه الدرق والجواشن قيمة كل واحد منها ثلاثون دينارا، وحكى الفقيه علي الجنحاني: انه مر بقرب كاكدم بل عال، والناس يقولون من صعد هذا التل اختطفه الجن، وعنده مدينة النحاس التي اشتهر ذكرها، وسيأتي ذكرها في موضعه إن شاء الله تعالى.

كله

بلدة بأرض الهند في منتصف الطريق بين عمان والصين، موقعها في المعمورة في وسط خط الاستواء، إذا كان منتصف النهار لا يبقى لشيء من الأشخاص ظل البتة.

بها منابت الخيزران، منها يحمل إلى سائر البلاد.

كنام

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: هي أرض بين الصين والهند من عجائب الدنيا، بها بطة من نحاس على عمود من نحاس

أيضا، فإذا كان يوم عاشوراء نشرت البطة جناحيها ومدت رقبتها فيفيض من الماء ما يكفيهم لزروعهم ومواشيهم إلى القابل.
كوار". (١)

٤٣-"مدينة بأرض مصر بالصعيد الأعلى، كثيرة البساتين والمزارع، وبها النخل والاترج والليمون، قال صاحب عجائب الأخبار: بها بيت عجيب تحت سقفه ثلاثمائة وستون عمودا، كل عمود قطعة واحدة من حجارة، على رأس العمود صورة رجل عليه قلنسوة، والسقف حجارة كله، قد وضعت أطراف الحجر على زواياه وعلى أرباع رؤوس الأساطين، ثم ألحمت الحاما لا يرى فيها فصل، يحسبها الناظر قطعة واحدة. يقولون: إن تلك الصور صور أهل تلك الدولة، وعلى كل عمود كتابة لا يدرى ما هي ولا يحسن أحد في زماننا قراءتها.

قلعة النجم

قلعة حصينة مطلة على الفرات، وعندها جسر الفرات يعبر عليه قوافل الشام والعراق والروم، وتحتها ربض به طائفة يتعاطون أنواع القمار، فإذا رأوا غريبا أظهروا أنهم مرمدون ويلعبون لعبا دونا ليظن الغريب أنهم في طبقة نازلة يطمع فيهم، ويخرجون المال إذا قمروا من غير اكتراث فتتوق نفس الغريب أن يلعب معهم، فكلما جلس لا يتركونه يقوم ومعه شيء حتى سراويله، وربما استرهنوا نفسه ومنعوه من الذهاب، حتى يأتي أصحابه ويؤدوا عنه ويخلصوه.

القيروان

مدينة عظيمة بافريقية، مصرت في أيام معاوية، وذلك انه لما ولي عقبة بن نافع القرشي افريقية ذهب إليها وفتحها وأسلم على يده كثير من البربر، فجمع عقبة أصحابه وقال: ان أهل افريقية قوم إذا غصبهم السيف أسلموا، وإذا رجع المسلمون عنهم عادوا إلى دينهم، ولست أرى نزول المسلمين بين أظهرهم رأيا، لكن رأيت أن أبني ههنا مدينة يسكنها المسلمون.
فجاؤوا إلى موضع القيروان، وهي أجمة عظيمة وغيضة لا تشقها الحيات من تشابك شجرها، فقالوا: هذه غيضة كثيرة السباع والهوام، وكان عقبة مستجاب الدعوة فجمع من كان في عسكره من الصحابة، وكانوا ثمانية عشر نفسا، ونادى: أيتها السباع والحشرات، نحن أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ارحلوا عنا فإنا نازلون فمن وجدناه بعد قتلناه ! فرأى الناس ذلك اليوم عجبا لم يروه قبل ذلك، وكان السبع يحمل أشباله، والذئب اجراءه، والحية أولادها وهي خارجة سربا سربا، فحمل ذلك كثيرا من البربر على الإسلام. ثم بنى المدينة فاستقامت في سنة خمس وخمسين. ذكر الجيهاني ان بالقيروان أسطوانتين لا يردى جوهرهما ما هو، وهما تترشحان ماء كل يوم جمعة قبل طلوع الشمس، وموضع العجب كونه يوم الجمعة.
وقد قيل: ان ملوك الروم طلبوهما بثمن بالغ، فقال أهل القيروان: لا نخرج أعجوبة **من العجائب** من بيت الله إلى بيت الشيطان !

قيس

جزيرة في بحر فارس دورها أربعة فراسخ، ومدينتها حسنة مليحة المنظر، ذات سور وأبواب وبساتين وعمارات، وهي مرفأ

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد ص/٢١

مراكب الهند والفرس ومنقلب التجارة ومتجر العرب والعجم. شربها من الآبار ولخواص الناس صهاريج.
وحولها جزائر كلها لصاحب قيس، لكنها في الصيف أشبه شيء ببيت حمام حار شديدة السخونة، وفي هذا الوقت يطول جلد خصي الناس حتى يصير ذراعا، فيرى كل أحد يتخذ كيسا فيه عفص مسحوق وقشر رمان ويترك خصيتيه فيه حتى لا تطول صفته.
يجلب منها كل أعجوبة وقعت في بلاد الهند. وكان ملكها في قوم ورثوها إلى أن ملك منهم ظالم يظلمهم، فخامروه وبعثوا إلى صاحب هرمز فطلبوه، فجاء الهرمزي ملكها وكان يظلم أفحش من ظلم القيسي، فخامروه وبعثوا إلى صاحب شيراز فطلبوه، فجهز عسكرا بعثهم في مراكب وخرج عسكر الهرمزي لقتالهم في مراكب، فنزلوا في سيرهم على نشز للاستراحة، فوصلت مراكب الفرس وهم على النشز فاضرموا النار في مراكب الهرامزة وساروا نحو قيس وملكوها بأسهل طريق، وكانت الهرامزة أقوى من الفرس وأعرف بقتال البحر إلا أن جدهم قعد بهم.
كابل
مدينة مشهورة بأرض الهند. بها ما يوجد من الجروم إلا النخل ويقع بنواحيها الثلج ولا يقع بها. وأهلها مسلمون وكفار. وزعمت الهند ان الشاهية لا تنعقد إلا بكابل، وإن كان بغيرها فلا يصير واجب الطاعة حتى يصير إليها ويعقد له الملك هنا. يجلب منها النوق البخاتي وهي أحسن أنواع الإبل.
كاريان
بليدة بأرض فارس بها بيت نار معظم عند المجوس تحمل ناره إلى بيوت النار في الآفاق. قال الاصطخري: من القلاع التي لم تفتح قط عنوة قلعة كاريان، وهي على جبل من طين، حوصرت مرارا ولم يظفر بها قط.
كازرون". (١)

٤٤-"قال الحاكي: شربت من هذه البئر وهي عذبة فيها نوع دهنية لطيفة، وقد استأذن الملك الكامل أباه الملك العادل أن يزرع شيئا من شجر البلسان، فأذن له، فغرم غرامات وزرعه فلم ينجح ولا حصل منه دهن البتة، فسأل أباه أن يجري لها ساقية من البئر المذكورة، فأذن له ففعل وأنجح، فعلموا أن ذلك من خاصية البئر. وليس في جميع الدنيا موضع ينبت شجر البلسان وينجع دهنه إلا هناك، ورأى رجل من أهل الحجاز شجر البلسان فقال: انه شجر البشام بعينه إلا أنا ما علمنا استخراج الدهن منه.
معرة النعمان
بليدة بين حلب وحماة، كثيرة التين والزيتون. ينسب إليها أبو العلاء أحمد ابن عبد الله المعري الضرير المشهور بالذكاء. ومن عجيب ما ذكر عنه أنه أخذ حمصة وقال: هذا يشبه رأس البازي! وهذا تشبيه عجيب من أولي الأبصار فضلا عن الأكمه، وقد ذكر البعير عنده أنه حيوان يحمل حملا ثقيلا فينهض به فقال: ينبغي أن تكون رقبته طويلة ليمتد نفسه فتقدر على

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد ص/٩٦

النهوض به ! وكان له سرير يجلس عليه فجعلوا في غيبته تحت قوائمه أربعة دراهم، تحت كل قائمة درهما، فقال: ان الأرض قد ارتفعت عن مكانها شيئا يسيرا والسماء نزلت ! **ومن العجائب** انه مع ذكائه اختفت عليه الموجودات التي ليست بمجسمة كالجواهر الروحانية، فاعتقد ان كل موجود يكون مجسما حتى قال:

قالوا: إله لنا قديم ! ... قلت لهم: هكذا يقول

قالوا: قديم بلا مكان ... قلت: أين هو ؟ فقولوا !

هذا الكلام لنا خفاء ... معناه: ليست لنا عقول

وقال أيضا:

يد بخمس ماء من عسجد قرنت ... ما بالها قطعت في ربع دينار ؟

وقال الرضي الموسوي:

صيانة النفس أغلتها وأرخصها ... صيانة المال فانظر حكمة الباري

وذكر أنه في آخر عمره تاب عن أمثال هذه واستغفر، وحسن إسلامه.

مكران

ناحية بين أرض السند وبلاد تيز، ذات مدن وقرى كبيرة، ومن عجائبها ما ذكره صاحب تحفة الغرائب أن بأرض مكران نهرا عليه قنطرة من الحجر قطعة واحدة، من عبر عليها يتقيأ جميع ما في بطنه بحيث لا يبقى فيها شيء، ولو كانوا ألوفا هذا حالهم، فمن أراد من الناس القيء عبر على تلك القنطرة.

مليانة

مدينة كبيرة بالمغرب من أعمال بجاية مستندة إلى جبل زكار، وهي كثيرة الخيرات وافرة الغلات، مشهورة بالحسن والطيب وكثرة الأشجار وتدفق المياه. حدثني الفقيه أبو الربيع سليمان الملتاني أن جبل زكار مطل على المدينة، وطول الجبل أكثر من فرسخ، ومياه المدينة تتدفق من سفحه، وهذا الجبل لا يزال أخضر صيفا وشتاء، وأعلى الجبل مسطح يزرع، وبقرب المدينة حمامات لا يوقد عليها ولا يستقى ماؤها، بنيت على عين حارة عذبة الماء يستحم بها من شاء.

منبج

مدينة بأرض الشام كبيرة ذات خيرات كثيرة وأرزاق واسعة وذات مدارس وربط. عليها سور بالحجارة المهندسة حصينة جدا. شربهم من قني تسيح على وجه الأرض.

ينسب إليها عبد الملك بن صالح الهاشمي المشهور بالبلاغة، قيل: لما قدم الرشيد منبج قال لعبد الملك: أهذا منزلك ؟ قال: هو لك يا أمير المؤمنين ولي بك ! قال: كيف صفتها ؟ قال: طيبة الهواء قليلة الادواء ! قال: كيف ليلها ؟ قال: كله سحر ! قال: صدقت إنها طيبة ! قال: طابت بك يا أمير المؤمنين ! وأين تذهب بها عين الطيب برها حمراء وسنبلها صفراء وشجراء، في فياف فيح بين قيصوم وشيح. فأعجب الرشيد كلامه.

منف

مدينة فرعون موسى، قيل: إنها أول مدينة عمرت بمصر بعد الطوفان، وهي المراد بقوله تعالى: ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها. وهي بقرب الفسطاط. كان فيها أربعة أنهار تخلط مياهها في موضع سرير فرعون ولهذا قال: وهذه الأنهار تجري من تحتي ! حكى من رأى منف قال: رأيت فيها دار فرعون ودرت في مجالسها ومشاربها وغرفها، فإذا جميع ذلك حجر واحد منقور، ما رأيت فيها مجمع حجرين ولا ملتقى صخرتين. وآثار هذه المدينة بمصر باقية وحجارة قصورها إلى الآن ظاهرة.". (١)

٤٥-"حصن حصين بطبرستان، كان في قديم الزمان خزانة ملوك الفرس، وأول من اتخذه منوجهر بن ايرج بن فريدون، وهو نقب في موضع عال في جبل صعب المسلك، والنقب يشبه بابا صغيرا، فإذا دخله الإنسان مشى نحو ميل في ظلمة شديدة ثم يخرج إلى موضع واسع شبيه بمدينة، قد أحاطت به الجبال من جميع الجوانب. وهي جبال لا يمكن صعودها لارتفاعها، وفي هذه السعة مغارات وكهوف، وفي وسطها عين غزيرة الماء ينبع من ثقبة ويغور في أخرى، وبينهما عشرة أذرع. وكان في أيام الفرس يحفظ هذا النقب رجلان معهما سلم يدلونه من الموضع، إذا أراد أحدهما النزول في دهر طويل، وعندهما ما يحتاجان إليه لسنين كثيرة.

ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن ملك العرب طبرستان، فحاولوا الصعود عليه فتعذر عليهم ذلك إلى أن ولي المازيار طبرستان، فقصد هذا الموضع وأقام عليه مدة حتى صعد رجل من أصحابه إليه، فدلى حبالا وأصعد قوما فيهم المازيار، فوقف على ما في تلك الكهوف من الأموال والسلاح والكنوز، وكان بيده إلى أن مات. وانقطع السبيل إليه إلى هذه الغاية.

ومن العجائب ما ذكره ابن الفقيه انه إلى جانب هذا الطاق شبيه بالدكان، إذا لطخ بعذرة أو شيء من الأقذار ارتفعت في الحال سحابة فمطرت عليه حتى تغسله وتنظفه، وان ذلك مشهور عندهم لا يتمارى فيه اثنان.

حلوان

مدينة بين همذان وبغداد. كانت عامرة طيبة والآن خراب، وتينها ورمانها في غاية الطيب، لم يوجد في شيء من البلاد مثلهما. وفي حواليها عدة عيون كبريتية ينتفع بها من عدة أدواء. وكان بها نخلتان مشهورتان على طريق السابلة، وصل إليهما مطيع بن اياس فقال:

أسعداني يا نخلتي حلوان ... وابكيا لي من ريب هذا الزمان

واعلما أن ريبه لم يزل ... يفرق بين الألافي والجيران

واسعداني وأيقنا أن نحسا ... سوف يأتيكما فتفترقان !

حكى المدائني أن المنصور اجتاز عليهما، وكان إحداهما على الطريق ضيقت على الأحمال والثقال، فأمر بقطعها فأنشد قول مطيع فقال: والله لا كنت ذلك النحس ! ثم اجتاز المهدي بهما واستطاب الموضع، ودعا لحسنه المغنية وقال لها: أما ترين طيب هذا الموضع ؟ غنيني بحياتي! فغنت:

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد ص/١٠٩

أيا نخلتي وادي بوانة حبذا ... إذا نام حراس النخيل جناكما !

فقال لها: أحسنت ! لقد هممت بقطع هاتين النخلتين فمنعتني. فقالت: أعيذك بالله أن تكون نحسهما ! وأنشدت قول مطيع، ثم اجتاز بهما الرشيد عند خروجه إلى خراسان وقد هاج به الدم بحلوان، فأشار عليه الطبيب بأكل الجمار، فطلب ذلك من دهقان حلوان فقال: ليست أرضنا أرض نخل لكن على العقبة نخلتان فاقطعوا إحداهما. فقطعوا. فلما اجتاز الرشيد بهما وجد إحداهما مقطوعة والأخرى قائمة وعليها مكتوب:

واعلما إن بقيتما أن نحسا ... سوف يأتيكما فتفترقان !

فاغتم الرشيد لذلك وقال: لقد عز علي ان كنت نحسهما، ولو كنت سمعت هذا الشعر ما قطعت هذه النخلة ولو قتلني الدم ! فاتفق انه لم يرجع من ذلك السفر.

الحويزة

كورة بين واسط والبصرة وخوزستان في وسط البطائح في غاية الرداءة. كتب وفادار بن خودكام إلى صديق له كتابا من الحويزة: وما أدراك ما الحويزة ! دار الهوان ومنزل الحرمان ! ثم ما أدراك ما الحويزة ! أرضها رغام وسماؤها قتام، وسحابها جهام وسمومها سهام، ومياهها سمام وطعامها حرام، وأهلها لئام، وخواصها عوام، وعوامها طغام ! لا يروي ريعها ولا يرجى نفعها، ولا يمري ضرعها ولا يرعى زرعها، ولقد صدق الله قوله فيها: ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ! وأنا منها بين هواء وبيء وماء رديء، وشباب غمر وشيخ غوي، يتخذون الغمر أدبا والزور إلى أرزاقهم سببا، يأكلون الدنيا سلبا ويعدون الدين لهوا ولعبا. ولو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا.

إذا سقى الله أرضا صوب غادية ... فلا سقاها سوى النيران تضطرم". (١)

٤٦-"قرية من قرى خراسان كثيرة الخيرات وافرة الغلات، ينسب إليها الوزير أبو نصر الكندري. كان وزيرا ذا رأي وعقل استوزره السلطان طغرلبك السلجوقي. ولما ملك الملوك السلجوقية خراسان وأخذوها من ملوك بني سبكتكين، لم يجسر أحد أن يدخل معهم خوفا من سلاطين بني سبكتكين. فابتدأ أبو نصر الكندري فاستوزره طغرلبك، وكان قد هجاه أبو الحسن الباخرزي بأبيات أولها:

أقبل من كندر مسخرة ... للشؤم في وجهه علامات

فطلب أبا الحسن وأحسن إليه وولاه وقال: إني تفاءلت بشعرك، كان أوله أقبل. إلا أنه كان شيعيا غاليا متعصبا، وكان السلطان معتزليا فأمر بلعن جميع المذاهب يوم الجمعة على المنبر، فشق ذلك على المسلمين، وفارق إمام الحرمين نيسابور وذهب إلى مكة، وكذلك الأستاذ أبو القاسم القشيري، ودخل على الناس من ذلك أمر عظيم وأثار همة صلحاء المسلمين. كانت أيام طغرلبك أياما قلائل، مات وقام مقامه ابن أخيه ألب أرسلان بن داود.

واستوزره نظام الملك الحسن بن علي بن إسحق، وقبض على الكندري وقتله سنة ست وخمسين وأربعمائة، وانقطع لعن

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد ص/١٤٥

المسلمين على رؤوس المنابر، وعاد أرباب الدين إلى أماكنهم وشكروا الله تعالى.

كنكور

بليدة بين همذان وقرميسين في فضاء واسع، طيبة الهواء عذبة الماء صحيحة التربة كثيرة الخيرات والثمرات. ولذلك اتخذها كسرى ابرويز مسكنا، وأمر أن يبنى له قصر لا يكون لأحد من الملوك مثله. فاتخذ للقصر أساسا مائة ذراع في مائة ذراع في ارتفاع عشرين ذراعا، يراه الناظر كأنه حجر واحد، لا يظهر فيه أثر الدرز، وبنى فيه ايوانات وجواسق وخزائن على اسطوانات حجرية تحير الناظر في صنعته وحسن نقوشه.

قال صاحب عجائب الأخبار: إذا أردت أن ترى عجبا **من العجائب** فانظر إلى أسطوانات هذا القصر إلى رؤوسها وأسافلها، وتعجب من تسخير الحجر الصلد لهؤلاء الصناع.

وحكي انه لما حضر عند كسرى فغفور ملك الصين وخاقان ملك الترك وداهر ملك الهند وقيصر ملك الروم أحضرهم في هذا القصر ليبصروا عجائبه وقوة ملك بانيه، وصنعة صناعه وعجزهم عن بناء مثله.

وذكر أن المسلمين لما وصلوا إليها في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، سرقت دوابهم في ذلك المكان فسموه قصر اللصوص. وحكي انه لما قتل كسرى ابرويز بقي من هذا القصر بقية؛ قال الحاكي: نظرت إلى بعض أساطينها نحت أكثرها وهندم، وبقي أقلها على حاله، فسألت عنها فذكروا انه لما قتل ابرويز انصرف الصناع عنها وتركوها ثم طلبوهم لإتمامها، فما كانت تعمل آلتهم فيها، ولا اهتدت فكرتهم إليها، فعلموا أن تيسير ذلك كان بهمة كسرى ابرويز.

كوثى

قرية بسواد العراق قديمة. ينسب إليها إبراهيم الخليل، عليه السلام، وبها كان مولده وطرح في النار بها، ولذلك قال أمير المؤمنين علي، رضي الله عنه: من كان سائلا عن نسبنا فإنا نبط من كوثى.

ومن الاتفاقات العجيبة اتفاق عامل كوثى. حكى بعض أهلها: انه جاءنا عامل واشتد في المطالبات، وكان للعرب عندنا مزارعة، وكان العمال الذين قبله يسامحونهم. فهذا العامل طالبهم وأهانهم بالضرب، فانصرفوا إلى بني أعمامهم شاكين، وتوافقوا على الكبس على العامل ليلا، فورد الناحية عامل آخر صارفا للأول وطالبا بالبقايا، فقبض عليه وقيده وضربه بالخشب وحمله إلى قرية أخرى، ووكل به عشرة من الغلمان. فلما أصبح المصروف دخل عليه غلامه وقال له: أخرج رجلك حتى أكسر القيد ! قال: أين الموكلون ؟ قال: هربوا والعرب الذين أخذت منهم الخراج كبسوا البارحة دار العمالة، وقتلوا العامل على أنه أنت، ولم يكن عندهم خبر صرفك. فقام الرجل وورد بغداد وذكر أن العامل الصارف أساء السيرة وأثار فتنة من العرب، فأقر على حاله في الناحية وضم إليه جيشا، فعاد إلى كوثى وأرب العرب وأرهب، وصالح ما بينه وبينهم واستقام أمره.

لنبان

قرية من قرى أصفهان، ينسب إليها الأديب الفاضل البارع عبد العزيز الملقب بالرفيع، له أشعار في غاية الحسن وديوان ورسائل. ورد جمال الدين الخجندي قزوين، وعقد مجلس الوعظ بالجامع، وذكر هذه الأبيات على المنبر، وذكر أنها للرفيع:

بأبي أين أنت ألقاك ؟ ... طال شوقي إلى محياك !
ورد الورد يدعي سفها ... أن رياه مثل رياك !". (١)

٤٧-"وبها كنيسة الأسرى، وهي مقصودة معتبرة عند النصارى، قال العذري: إن المسلمين هموا بفتح قرطبة فأسروا راعيا من رعاتها وسألوه عنها، فذكر أنها حصينة جدا إلا أن فيها ثغرة فوق باب القنطرة. فلما جنهم الليل ذهبوا إلى تلك الثغرة ودخلوا منها، وجاؤوا إلى باب المدينة الذي يقال له باب القنطرة، وقتلوا الحراس وفتحوا الباب ودخلوا المدينة. فلما علم صاحب قرطبة أن المسلمين دخلوا خرج مع وجوه المدينة وتحصن بهذه الكنيسة، فحاصرهم المسلمون ثلاثة أيام. فبينا هم كذلك إذ خرج العلج على فرس أصفر هاربا حتى أتى خندق المدينة، فتبعه أمير المسلمين واسمه مغيث. فلما رأى مغيثا حرك فرسه فسقط واندقت رقبته فأسره مغيث ورجع إلى بقية العلوج فأسرهم وقتلهم، فسميت الكنيسة كنيسة الأسرى.
وبها جبال معدن الفضة ومعدن الشادنج، وهو حجر يقطع الدم، ومعدن حجر التوتيا ومعدن الشبوب، وتجلب من قرطبة بغال قيمة واحد منها تبلغ خمسمائة دينار لحسن شكلها وألوانها، وعلوها وصحة قوائمها.
قسطلونة
مدينة قديمة بالأندلس بقرب بسطة. بها جبل فيه غار يتقاطر الماء من أعلاه في حفيرة تحته لطيفة نقطة نقطة، ويجتمع في تلك الحفيرة بذوبانها ولا يغيض، فإن شرب من ماء تلك الحفيرة عدد كثير لم ينقص؛ قال العذري: أخبرني بهذا جماعة شاهدوها، وهذا أمر شائع مستفيض في ذلك الموضع؛ قال: وفي هذا الغار ميت لا يغيره طول الأزمنة ولم يعرف له خبر.
قلعة اللان
إنها قلعة في غاية الحصانة بأرض اللان على قلة جبل. وهي من القلاع الموصوفة بالحصانة، تسمى باب اللان؛ قالوا: لو أن رجلا واحدا يمنع جميع ملوك الأرض عنها يصح له ذلك، لتعلقها بالجو وعسر الطريق. ولها قنطرة عجيبة البناء عظيمة، وعجبها مما يبصر لا مما يذكر، فإن اللفظ لا يعطي معنى. عجبها بناها سندباذ بن كشتاسف بن لهراسف، والقلعة على صخرة صماء بها عين ينبع الماء العذب من الصخرة الصماء. بها عجيبان: القنطرة والعين في وسط القلعة من الصخرة الصماء.
قيصرية
مدينة عظيمة في بلاد الروم، بناها ملك الروم من الحجارة، وهي كثيرة الأهل عظيمة العمارة، والآن هي كرسي ملك بني سلجوق وهم ملوك مسلمون. بها آثار قديمة يزورها الناس. وبها موضع يقولون انه حبيس محمد بن الحنفية. وبها جامع أبي محمد البطال، وكان بها حمام بناه بليناس الحكيم لقيصر ملك الروم من عجائب الدنيا. كان يحمى بسراج.
وبها موضع بين قيصرية واقصرا يشبه بيدرا مسخ حجرا، فصبرة الحنطة انقلبت حجرا أحمر، وصبرة التبن انقلبت حجرا أبيض اللون. وحولها تماثيل حجرية تشبه تماثيل الحيوانات من الإنسان والبهائم، لكنها تغيرت وفنيت بطول الوقت، وبقرب قيصرية

(١) آثار البلاد وأخبار العباد ص/١٨٣

جبل فيه من الحيات ما لا يحصى، إلا أنها لا تخرج منه لطلسم عمله الحكماء، فلا يخرج منه شيء البتة.

كش

مدينة بقرب سمرقند حصينة. لها قهندز وربض؛ قال الاصطخري: مدينة كش ثلاثة فراسخ في مثلها جرومية تدرك بها الثمار أسرع من سائر بلاد ما وراء النهر، غير أنها وبيئة، وعماراتها حسنة جدا.

وفي عامة دورها الماء الجاري والبستان. بها شوك الترنجبين يحمل منها إلى البلاد كلها. وفي جبالها العقاقير الكثيرة. ومنها يرتفع الملح المستحجر.

ومن مفاخرها أبو إسحق الكشي المشهور بالجود والكرم. **ومن العجائب** ما حكي عنه أن بعض أصدقائه شكا إليه سوء حاله وكثرة ديونه، فسأله أبو إسحق عن مقدار دينه ووزن في الحال وقال: اصرف هذا في دينك ! ثم وزن مثلها وقال: اصرف هذا في مصالحة شأنك ! وجعل يعتذر إليه اعتذار المذنب. فلما ذهب الرجل بكى بكاء شديدا، فسئل عن بكائه فقال: بكائي على غفلتي عن حال صديقي حتى افتقر إلى رفع الحال إلي والوقوف موقف السؤال.

كند

من قرى خجند بما وراء النهر، يقال لها كند باذام، وباذام هو اللوز لأن بها لوزا كثيرا. بها اللوز الفريك، وهو لوز عجيب ينقشر إذا فرك باليد.

لبلة". (١)

٤٨-"حصن بأرض الفرنج؛ قال العذري: حكى نصارى تلك الناحية أنه مر بهذا الحصن شيث مرتين، فخرجت عليه امرأة كانت زوجة سلاب على الطريق، هي وزوجها يسلبان ثياب المارين. فخرجت المرأة على شيث مرتين، وكان مستجاب الدعوة، فجردته عن ثيابه وهو مطاوع لها وأعطاها حتى بلغت به نزع السراويل، فعند ذلك دعا عليها فمسخت حجرا صلدا من ساعتها، فأدخل في فمها زرجونة فصارت الزرجونة مطعمة. وكل من أكل من أصل تلك الزرجونة لم يولد له ولد.

مدينة النساء

مدينة كبيرة واسعة الرقعة في جزيرة في بحر المغرب؛ قال الطرطوشي: أهلها نساء لا حكم للرجال عليهن، يركبن الخيول ويباشرن الحرب بأنفسهن، ولهن بأس شديد عند اللقاء، ولهن مماليك يختلف كل مملوك بالليل إلى سيدته، ويكون معها طول ليلته، ويقوم بالسحر ويخرج مستترا عند انبلاج الفجر، فإذا وضعت إحداهن ذكرا قتلته في الحال، وإن وضعت أنثى تركتها، وقال الطرطوشي: مدينة النساء يقين لا شك فيها.

مغانجة

مدينة عظيمة جدا، بعضها مسكون والباقي مزروع. وهي بأرض الفرنج على نهر يسمى رين. وهي كثيرة القمح والشعير

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد ص/٢٢٧

والسلت والكروم والفواكه. بها دراهم من ضرب سمرقند في سنة إحدى واثنتين وثلاث مائة، عليها اسم صاحب السكة وتاريخ الضرب؛ قال الطرطوشي: أحسب أنه ضرب نصر بن أحمد الساماني.

ومن العجائب أن بها العقاقير التي لا توجد إلا بأقصى الشرق، وانها من أقصى الغرب كالفلفل والزنجبيل والقرنفل والسنبل والقسط والخاولنجان، فإنها تجلب من بلاد الهند وإنها موجودة بها مع الكثرة.

نيقية

قال ابن الهروي: إنها من أعمال استنبول. وهي المدينة التي اجتمع بها آباء الملة المسيحية، فكانوا ثلاثمائة وثمانية عشر. آباء يزعمون أن المسيح كان معهم في هذا المجمع، وهو أول المجامع لهذه الملة، وبه أظهروا الأمانة التي هي أصل دينهم. وفي بيعتها صور هؤلاء، وصورة المسيح على كراسيهم. وفي طريق هذه المدينة تل على رأسه قبر أبي محمد البطال. والله الموفق.

الاقليم السابع

أوله حيث يكون النهار في الاستواء سبعة أقدام ونصف وعشر وسدس قدم، كما هو في الإقليم السادس، لأن آخره أول هذا، وآخره حيث يكون الظل نصف النهار في الاستواء ثمانية أقدام ونصفا ونصف عشر قدم. وليس فيه كثير عمارة إنما هو من المشرق غياض وجبال، يأوي إليها فرق من الأتراك كالمستوحشين، يمر على جبال باشغرت وحدود التحماكية وبلدي سوار وبلغار، وينتهي إلى البحر المحيط. وقليل من وراء هذا الاقليم من الأمم مثل ويسو وورنك ويورة وأمثالهم. ووقع في طرفه الأدنى الذي يلي الجنوب حيث وقع الطرف الشمالي في الإقليم السادس. وأطول نهار هؤلاء في أول الإقليم خمس عشرة ساعة ونصف وربع ساعة، وأوسطه ست عشرة، وآخره ست عشرة وربع، وطوله من المشرق إلى المغرب ستة آلاف ميل وسبعمائة وثمانون ميلا وأربع وخمسون دقيقة، وعرضه مائة وخمسة وثمانون ميلا وعشرون دقيقة، وتكسيره ألف ألف ميل ومائتا ألف ميل وأربعة وعشرون ألف ميل وثمانمائة وأربعة وعشرون ميلا وتسع وأربعون دقيقة. وآخر هذا الإقليم هو آخر العمارة ليس وراءه إلا قوم لا يعبأ بهم، وهم بالوحش أشبه. ولنذكر شيئا مما في هذا الإقليم من العمارات. والله الموفق.

باشغرت

جيل عظيم من الترك بين قسطنطينية وبلغار. حكى أحمد بن فضلان رسول المقتدر بالله إلى ملك الصقالبة لما أسلم فقال: عند ذكر باشغرت وقعنا في بلاد قوم من الترك، وجدناهم شر الأتراك وأقدرهم وأشدهم إقداما على القتل، فوجدتهم يقولون: للصيف رب، وللشتاء رب، وللمطر رب، وللريح رب، وللشجر رب، وللناس رب، وللدواب رب، وللماء رب، ولليل رب، وللنهار رب، وللموت رب، وللحياة رب، وللأرض رب، وللسماء رب، وهو أكبرهم إلا أنه يجتمع مع هؤلاء بالاتفاق ويرضى كل واحد بعمل شريكه.

وحكي أنه رأى قوما يعبدون الكراكي فقلت: إن هذا من أعجب الأشياء ! وسألت عن سبب عبادتهم الكراكي فقالوا: كنا نحارب قوما من أعدائنا فهزمونا، فصاحت الكراكي وراءهم فحسبوها كمينا منا فانهزموا، ورجعت الكرة لنا عليهم،

فنعبدها لأنها هزمت أعداءنا.". [١]

٤٩-"""""""""" صفحة رقم ١٣٦ """"""""

وأوقفت عليه أوقافا جليلة يزعمون ان سبع زورات يعدلن حجة يقصد ليالي الجمع وهو الموضع الذي خرج إليه قوم يونس لما أيقنوا بالعذاب وعلى نصف فرسخ منه عين يونس وبظاهر بلد عين يزعمون أن يونس خرج منها يستشفى بمائها من البرص وثم له مسجد وموضع شجرة اليقطين وعلى فرسخ من ميافارقين دير توما فيه جسد قائم يزعمون انه من الحواريين يابس رباط ذي القرنين على طريق الرحاب حصين عامر تحته كهف الظلمات التي دخلها ذو القرنين وحرص مسلمة بن عبد الملك في دخولها واستعد المشاعل والشموع فانطفت ورجع

ومن العجائب بنصيبين عين منها كلس أبيض يستعملونه كما يستعمل في الحمامات والدور بأرض الموصل دير الكلب يحمل إليه من عضه كلب عقور فيقيم عند رهبانه خمسين يوما فيبرأ بإذن الله تعالى وبهذا". [٢]

٥٠-"""""""""" صفحة رقم ١٦٨ """"""""

من البحيرة المقلوبة ملح منثور وخير العسل ما رعى السعتر بإيليا وجبل عاملة وأجود المري ما عمل باريحاء

٦ عجائب الشام

ومن العجائب بإيليا مغارة بظاهر البلد عظيمة سمعت بعض العلماء وقرأت في بعض الكتب أنها تنفذ إلى قوم موسى وما صح لي ذلك وأنها مقاطع للحجارة وفيها طرق يدخل فيها بالمشاعل بين فلسطين والحجاز الحجارة التي رمي بها قوم لوط على طريق الحجاج مخططة صغار وكبار

بطبرية عين تغلي تعم أكثر حمامات البلد وقد شق إلى كل حمام منها نهر فبخاره يحمي البيوت فلا يحتاج إلى وقيد وفي البيت الاول ماء". [٣]

٥١-"""""""""" صفحة رقم ١٧٠ """"""""

ولها موسم في شهر آب يذهب اليها الاحداث وأصحاب العلل وفي جبال الشراة أيضا حمة ينزل على فلسطين في كل ليلة الندى في الصيف اذا هبت الجنوب حتى يجري منه مزاريب المسجد الاقصى أبو رياح حمص طلسم جعل للعقارب ومن أخذ طينا وطبعه عليه نفع من لذغ العقارب بإذن الله تعالى فالعمل للطبع لا للطين

مدن سليمان عليه السلام بعلبك وتدمر **من العجائب** وقبة الصخرة وجامع دمشق ومينا صور وعكا **من العجائب**

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد ص/٢٥٠

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص/١٣٦

(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص/١٦٨

٧ أقسام الشام الطبيعية

ووضع هذا الاقليم طريف هو أربعة صفوف". [١]

٥٢-"""""""""" صفحة رقم ٢٠٩ """""""

كثير ابيض وسمعت انه قد انقطع معدنه واستغنى عنه اهل مصر بدخان الحمامات

٤ عجائب المغرب **والعجائب** بهذا الاقليم كثيرة منها أبو قلمون وهي دابة تحتك بحجارة على شط البحر فيقع منها وبرها وهو في لين الخز لونه لون الذهب لا يغادر منه شيئا وهو عزيز الوجود فيجمع وينسج منه ثياب تتلون في اليوم الوانا ويمنع السلطان من حمل ذلك إلى البلدان الا ما يخفى عنهم ربما بلغ الثوب عشرة آلاف دينار

بإصقلية جبل تفور منه النار اربعة اشهر في كل عشر سنين مرة وسائر الاوقات يدخن حوله ثلوج متلبدة الا موضع الدخان بمدينة ايكجا عيون تخرج اوقات الصلاة ثم تغور فان قصدها رجل كان قد قتل نفسا بغير حق لم يخرج له شيء

فإن قال قائل تركت كثيرا **من العجائب** في هذا الاقليم لم تذكرها قيل له انما تركنا ما ذكره". [٢]

٥٣-"""""""""" صفحة رقم ٢٥٨ """""""

الكلام قلت لله درك لقد بالغت واشرت إلى ان اختلف اليه فقال لست من أصحابكم قلت لا يزيدون على ما أوردت لانها مسألة ضيقة علينا قال هذا الذي أوردته من كلام الحاكم أبي نصر بن سهل نظار خراسان لأني كثيرا ما ناظرته

وأما علم الكلام فلا يقولون به ولا يتشيعون وكان بدبيل خانقاه وعندهم معرفة بعلم التصوف مع أدنى رزق

عجائب الاقليم

ومن العجائب الباب وهو حصن على ما ذكرنا من صور وعكا بسلسلة قد بني من الصخر وجعل ملاطه الرصاص بتفليس حمامات على ما ذكرنا في طبرية بلا وقيد جبل الحارث متعال على الاسلام لا يمكن أحدا صعوده يقال إنه مع الحويرث من جبال الطائف وإنه كان على نهر الرس ألف مدينة هي الان تحتهما

بجامع أردبيل حجر كبير لو ضربت عليه المرازب ما عملت فيه وقع من السماء على مسافة من البلد ثم حمل إلى الجامع وسمعت ظريفا الخادم يقول". [٣]

٥٤-"كما لا يمكنني أن أجزم بأن الذي اختصره غير المسعودي، وعلى أية حال فقد وجدنا التسمية على صدر النسخة الخطية المحفوظة بباريس، والتي صورت عنها النسخة التي في المكتبة الملكية.

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص/١٧٠

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص/٢٠٩

(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص/٢٥٨

كما وجدت التسمية على صدر النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة تيمور باشا، وفي كلتا النسختين يضاف الكتاب إلى المسعودي.

وأيا ما كان الكتاب للمسعودي أو غيره، فالكتاب فيه أشياء غريبة وأخبار طريفة تفيدنا كثيرا في معرفة التاريخ القديم بوجه عام والمصريين بوجه خاص، ولو أن العلم الحديث يقفنا منها موقف الريبة والشك.

وسيجد القارئ فيه لذة لا تعدلها لذة، وسيمضي في قراءته دون كد ولا ملل،، وسيعاود قراءته بعد ذلك مرات، وهو بلا ريب منته إلى إحدى ثمرتين: الاولى – أن الانسان فيما مضى وتصرم من الاجيال كان أقدر منه في هذه الحياة العصرية، وأن السحر والكهانة لعبا دورا كبيرا في غابر الاحقاب، وأن القدماء وصلوا في العلم بهما إلى غاية تتقاصر دونها أقصى الغايات.

الثمرة الثانية – أن قدماء المؤرخين كانوا ذوي خيال واسع، قصاصين بارعين قادرين على أن يجسموا الخيال، ويلبسوه ثوبا من الحقيقة محكم النسج.

وسيقف القراء منه على أن ما بلغه المصريون من الصناعة وعمارة الارض والفنون والعلوم والحكمة والبصر بالكيمياء لم تبلغه أمة من الامم، وسيجدون فيه **من العجائب** التي أقامها المصريون بالهندسة أو السحر أعاجيب أدناها الاهرام هذه التي أفنت العصور، ولم تبلها العصور.

وسيعلمون ان ليست هذه الاهرام وحدها التي أقامها القدماء آيات شاهدة لهم بالقوة والايد واتساق الملك الجبروت.". [١]

٥٥-"والحيوان [البهيمي والوحشي وغيره] (١)، وله خلقت اللذات جميعا، وعمل بهذه جميع الاعمال.

وله المنطق والضحك، والفكر الفطنة، واختراعات الاشياء، وله خاطب الباري عزوجل، وعليه وقع الامر والنهي والانسان هو الذي استنبط الاشياء وجمع العلوم، وعمل الآلات، وأثار المعادن، وأخرج ما في قعور البحار، وسخر له كل شئ.

ومن العجائب خلق النسناس وهو كمثل نصف الانسان بيد واحدة ورجل واحدة، ويثب وثبا ويعدو عدوا شديدا، وكان ببلاد اليمن، وربما كان ببلاد العجم، والعرب تصيده وتأكله.

وفي بعض أخبارهم أن سيارة وقعوا في أرض كثيرة النسانس، فصادوا واحدا وذبحوه وطبخوه وكان سمينا، فلما جلسوا يأكلونه قال أحدهم: لقد كان هذا النسناس سمينا، فقال نسناس آخر، قد اختفى في شجرة بالقرب منهم: إنه كان يأكل السرو فلذلك سمن، فنبههم على نفسه فأخذوه وذبحوه.

فقال آخر من شجرة أخرى، قد اختفى فيها عنهم: لو كان عاقلا صمت ولم ينطق، فاخذوه وذبحوه.

فناداهم نسناس آخر تخبأ في بعض خروق الارض: اني قد احسنت فلم أتكلم فأخذوه وذبحوه، وكان لهم فيها قوت.

وقيل إنه يغتذي بالثمار والنبات، ويصبر على العطش.

وقيل إن في شرقي القلزم مما يلي في البحر أمة متولدة من صنف من السباع وبني آدم، وجوهها عراض كثيرة الشعر مثل

---

(١) أخبار الزمان ص/١٥

وجوه السباع، وعيونها مدورة بصاصة، وأنيابها بارزة طوال، وآذانها طوال، وأبدانها كأبدان الناس إلا

---

١) عن ت.

(*)".[1]

٥٦-"وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " مر بي جبريل عليه السلام ليلة أسري بي عليهم فدعوتهم إلى الله تعالى فأجابوني فمحسنهم مع محسنكم ومسيئهم مع مسيئكم ".

روي وهب بن منبه باسناد له عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " إن لله تعالى ثمانية عشر الف عالم الدنيا منها عالم واحد، وما العمران في الدنيا إلا كخردلة في كف أحدكم ".

وقال بعض أهل الاثمر فيما رواه: إن الله عزوجل دابة في مرج من مروجه، والمرج في غامض علمه رزقها في كل يوم، مثل رزق العالم بأسره.

سبحان القادر على كل شئ.

ذكر البحر الميحط وما فيه **من العجائب** ويقال ان فيه عرش إبليس لعنه الله فوق البحر المظلم يتشبه بالباري عز وجل (١)، ويحمله نفر من الابالسة والعفاريت العظام لحمله، ويحيط به عفاريت من الجن الذين هم في طاعته فمنهم من في لجحه لا يفارقه، ومنهم من يتصرف عن أمره، وإنه لا يزول مرتبته إلا إلى من يطمع في فتنته أو عبد صالح يريد كيده، والباقون من أعوانه الذين يسعون إلى الناس ويضلونهم، وسجنه في جزيرة منه يحبس فيه من خالفة من الجن والشياطين.

وفيه هيكل سليمان النبي عليه السلام، وفيه جسده وهو قصر عجيب في

---

١) العبارة: يتشبه بالباري عزوجل محيت من ب، وقد أثبتناها كما في ت.". [2]

٥٧-"وتذكر البراهة (١) أن عليه قدم آدم عليه السلام مغموسة وهي سبعون (٢) ذراعا وأن على هذا الجبل مثل البرق ليلا ونهارا فلا يمكن احد من النظر إليه، وأن آدم عليه السلام خطا فيه إلى البحر خطوة واحدة، وهي على مسيرة يومين، وحوله ألوان الياقوت والاشياء (٣) كلها وعليه اصناف العطر والافاوية، ودواب المسك.

وارضه السنبادج، وفي أوديته الماس، وفي أنهاره البلور، وحوله في البحر غوص اللؤلؤ.

ويتصل بها جزيرة الرامي، والرامي مدينة بالهند، وبها الكركند، وفيها البقم، وعروقه دواء من السم لساعته، وقد جربه البحريون من سم الافاعي والحيات

---

(١) أخبار الزمان ص/٣٨

(٢) أخبار الزمان ص/٤١

وبها جواميس لا أذناب لها، وناس عراة في غياض لا يفهم كلامهم، وهم متوحشون من الناس، وطول الواحد منهم اربعة اشبار، وللرجل منهم فرج صغير، وكذلك المرأة.

وشعورهم زغب احمر، ويتسلقون على الشجر من غير أن يستعينوا بأيديهم، وهم يلحقون المراكب سباحة وهم في سرعة الريح يبيعون العنبر بالحديد، ويحملونه في أفواههم، وبقرب من هؤلاء قوم سود، وشعورهم مفلفلة، يأكلون الناس أحياء إذا ظفروا بهم يشرحوهم تشريحا، ولهم فيها جبل طينه فضة، إذا أصابته النار ذاب ويتصل بها ارض الكافور، وهو شجر نبت بها ظل الشجرة منها مائة إنسان واكثر، تثقب الشجرة فيسيل منها ماء يملأ عدة جرار، ثم يكون ذلك ماء الكافور، والكافور صمغ يخرج على اغصانها قطعا، ثم وخشبها ابيض خفيف وفي هذه الجزيرة عجائب كثيرة بحريات، وأطيار عجيبة، وغير ذلك **من العجائب** وجزيرة كله وهي جزيرة كبيرة يسكنها الهند، وفيها معدن الرصاص

---

١) ب: في البراهنة.

٢) في ب: سبعين.

٣) الذي في ب: وللاشباه.

(*)".(١)

٥٨-"وشبهه في ذلك اليوم في صحيفة، وتطوى وتودع في خزائن الملك فعلى ذلك جرت أمورهم.

وكان الملك إذا حزبه (١) أمر بجمعهم بخارج مصر، ويصطف لهم الناس بخارج المدينة ثم يقدمون ركبانا، يتقدم بعضهم بعضا، ويضرب بين أيديهم بطبل الاجتماع، فيدخل كل واحد منهم بأعجوبة، فمنهم من يعلو وجهه نور مثل نور الشمس فلا يقدر أحدهم النظر إليه، ومنهم من يكون على

يديه جوهر أخضر وأحمر على ثوب من ذهب منسوج، ومنهم من يكون راكبا على أسد متوشحا بحيات عظام ومنهم من تكون عليه قبة من نور أو جوهر في صنوف **من العجائب** الكثيرة، إلا أن كل واحد إنما يصنع ما يدل عليه كوكبه الذي يعبده، فإذا دخلوا على الملك قالوا أرادنا الملك الامر كذا، وأضمر الملك كذا، والصواب فيه كذا.

* * * وكان بمصر القديمة واسمها أمسوس ملك كاهن يقال له عيقام من ولد عرباق (٢) ابن آدم فتحكي أهل مصر عنه حكايات كثيرة تخرج عن العقل.

وكان قبل الطوفان وقد رأي في علمه كون الطوفان، فأمر الشياطين الذين تطيعه أن يبنوا له مكانا خلف خط الاستواء، بحيث لا يلحقه شئ من الآفات، فبنوا له القصر الذي [على] سفح جبل القمر، وهو قصر النحاس الذي فيه التماثيل من النحاس، وهي خمسة وثمانون تمثالا، يخرج ماء النيل من حلوقها، وينصب إلى بطحاء مصر.

فلما عمل له ذلك القصر أحب أن يراه قبل أن يسكنه، فجلس في قبة،

---

(١) أخبار الزمان ص/٥٨

١) في ب: إذا أحزبه، وفي ت: إذا جربه، والصواب ما ذكرناه.

٢) في ب: عراب.

(*)".[١]

٥٩-"وحملته الشياطين على أعناقها إليه، فلما رآه ورأى حكمة بنائه، وزخرفة حيطانه، وما فيها من النقوش وصور الافلاك، وغير ذلك **من العجائب**، وكانت المصابيح تسرج فيه، وتنصب فيه موائد يوجد عليها من كل الاطعمة، ولا يرون من يعملها، وكذلك لا إنس به.

وفي وسط القصر بركة من ماء جامد الظاهر ترى حركته من وراء ما جمد منه، وأشياء كثيرة من هذا المعنى، وإن كانت تنبو عنها العقول.

فأعجبه ما رأى ورجع إلى مصر فاستخلف ابنه عرباق (١) وأوصاه بما يوجب له الملك وولده على مكانه، ورجع هو إلى ذلك القصر، وأقام به حتى هلك هناك.

واليه تعزى مصاحف القبط، التي فيها تواريخهم.

قونية الكاهنة وفي مصاحف القبط أنها كانت تجلس على عرش من نار، فإذا ما احتكم إليها الرجل، وكان صادقا شق (٢) على النار حتى وصل إليها ولم تضره.

وكانت تتصور عليهم في أشكال كثيرة من الصور، إذا شاءت (٣) ثم بنت لنفسها قصرا واحتجبت فيه عن الناس، وجعلت حيطانه من نحاس مجوفة، وكتبت على كل أنبوب فيها من الفنون التي يتحاكم إليها فيه فكان الذي يتحاكم إليها يأتي إلى الانبوب الذي كتب عليه ذلك الفن، فيتكلم بما يريده، ويسأل ذلك ما قصد له بصوت خافض غير عال، فإذا فرغ من

١) في ت: عريان.

٢) في ت: خاض النار.

٣) ت: كيف شاءت.

أخبار الزمان م (٩) (*)".[٢]

٦٠-"يعرف بها مقدار النيل الذي عند جبل القمر وعمل للشمس [هناك] (١)

هيكلين (٢).

(١) أخبار الزمان ص/١٢٨

(٢) أخبار الزمان ص/١٢٩

وتحكي القبط عنه حكايات كثيرة، تخرج عن العادة، وتنكرها العقول، فكان يخفى عن الانسان فلا يرونه وهو معهم، وهو الذي بنى الاشمون.

ويقال إنها مدينة في شرقي مصر كان طولها اثني عشر مبلا وجعل عليها حصنا بنى فيه قصرا عظيما [يقال إنه بنى أنصنا واتخذ فيها] الاعلام والملاعب.

واتخذ في سفح الجبل مدينة يقال لها طهراطيس (٣) وجعل فيها **من العجائب** شيئا كثيرا، وجعل لها أربعة ابواب من كل جهة باب واحد، وجعل على الباب الشرقي صورة عقاب وعلى الباب الغربي صورة نسر (٤) وعلى الباب الجنوبي صورة اسد وعلى الباب الشمالي صورة كلب وملك (٥) فيها الروحانيات وكانت تنطق إذا قصد إليها القاصد ولا يصل احد إلى الدخول فيها دون استئذان الموكلين بها وغرس فيها شجرة تحمل كل صنف من الفواكه.

وبنى منارا طوله ثمانون ذراعا وعلى رأسه قبة تتلون في كل يوم لونا حتى تنقضي سبعة أيام بسبعة الوان ثم تعود إلى اللون الاول وتكسي المدينة ذلك اللون وجعل حول ذلك موضع ماء فيه سمك كثير، وجعل حول المدينة طلسمات من كل صنف تدفع عن اهلها المضار.

وكانت ايضا تسمى مدينة البوسق (٦) باسم الشجرة المنصوبة فيها.

---

١) زيادة عن ت.

٢) في ب: هيكلين.

وفي ت: هيكلا.

٣) في ت: وعمل في الجبل الشرقي مدينة، ويقال لها أو طبراطليش.

٤) في ت: صورة ثور.

٥) في ت: واسكن.

٦) في ت: اليوس.

(*)".[١]

٦١-"وجعل على باب كل مدينة طلسما، يمنع دخولها في صور مختلفة، لا يشبه بعضها بعضا.

وملا كل مدينة بالجوهر النفيس والزبرجد الخطير والذهب والفضة، والكبريت الاحمر، واكسير الصنعة، وصنوف الادوية المؤلفة، والسموم الفاتكة، وعلم كل باب منها بعلامة تعرف بها.

وانفذ إليها خازنا تحت الارض وجعلها من تحت جلجلة، وهي مدينته التي عمل فيها الجنة.

وبين كل مدينة من تلك المدن الثلاث عشرون ميلا، وبين الثلاث سبعة أميال.

---

(١) أخبار الزمان ص/١٣٣

وكان له من مدينته إلى هذه المدائن اسراب تحت الارض يصل منها إليها، وكذلك من بعضها إلى بعض.
وصفات هذه المدائن وعجائبها في كل قرية بمصر على تلك الحجارة، وفي جميع مصاحفهم القديمة، وأكثر ذكرها في هياكل الكواكب خاصة، وقرئ في مصحف لبعض الكهان القدماء ذكر بقراوش الملك بكل ما ذكرناه، وأنه عمل مع ما ذكرناه عجائب كثيرة أزالتها الطوفان وركب هذه الرمال لزوال طلسماتها، فأقام بقراوش ملكا مائة سنة وسبع سنين، ثم مات فعمل له ناووس، وجعل معه **من العجائب** ما يطول ذكره.
وولى بعده ابنه مصرام الملك بن بقراوس، فبنى للشمس هيكلا من المرمر وموهه بالذهب، وجعل في وسط الهيكل كالفرس من جوهر أزرق عليه صورة الشمس من ذهب أحمر، وأرخي عليه وعليها حلل الحرير الملون، وأمر أن يوقد عليها بطيب الريحان، وجعل في الهيكل قنديلا من الزجاج". [1]

٦٢-"وكان ذلك الملك آخر من دخلها منهم.
فلما دنا من النار أخذته فولى هاربا فأتى به سرباق فسأله عن أمره وتوعده فأقر فأمر بقتله، وحمله إلى الحصن الذي أخذ به فصلب هناك من جهة الشأم على اسطوانة عظيمة من حجر وزبر عليها هذا فلان بن فلان المتغلب على الشأم أضمر غائلة للملك وطلب ما لم يصل إليه تعديا منه عليه وظلما له فعوقب بهذا.
وأمر باطلاق الباقين.
وقيل لهم قد وجب عليكم القتل، لصحبتكم لمن أراد
الفساد في الارض.
ولكن الملك بفضله عفا عنكم وأمر أن تخرجوا من بلاده، ولا تعدوا إليها ابدا فخرجوا هاربين.
مسرورين بالسلامة فكانوا لا يمرون بأحد إلا حدثوه بما رأوا **من العجائب**.
فانقطعت أطماع الملوك في الوصول إلى مصر والتعرض لها.
وعملت في وقت سرباق عجائب كثيرة.
منها أنه عمل عرباق في مدينته بطة من نحاس قائمة على اسطوانة، فإذا دخل الغريب من ناحية من النواحي أو باب من الابواب صفقت بجناحيها، وصرخت فيؤخذ [الداخل] ويكشف عن أمره ومقصده، وشق إلى مدائن الغرب نهرا من النيل، وبنى على عبريه منازل وأعلاما، وغرس فيها غروسا يتنزه عليها، وملكهم مائة سنة وثلاثين سنة.
وملكهم بعده ابنه سهلون بن سرياق، وكان سهلون عالما منجما كاهنا، فأفاض العدل وقسم ماء النيل قسما موزونا، صرف إلى كل ناحية قسطا، ورتب الدولة وجعلها على سبع طبقات.
(الطبقة الاولى) الملك وولده وأهل بيته ومن يلي عدله، ورأس الكهان، والوزير الاكبر، وصاحب خاتم الملك، وصاحب خزائنه.

---

(١) أخبار الزمان ص/١٤١

(والطبقة الثانية) مراتب العمال والمتولين لجباية الاموال، والاشراف على النفقات في أمر المملكة، ومصالح البلاد والعمارات، وقسمة المياه.". [١]

٦٣-"فانتبه سهلون، وجعل يتفكر فيما رأى وتعجب منه وعزم أن ينفذ ما أمره به، فمشى إلى الجبل وحمل الطائرين معه وامتثل ما أمره به أبوه إلى أن وقف حذاء المرأة فسلم عليها، فقالت له أتعرفني ؟ قال لا، لاني ما رأيتك قبل وقتي هذا، قالت له: أنا صورة النار المعبودة في الامم الخالية، وقد أردت أن تحيي ذكري، وتتخذ لي بيتا وتوقد لي فيه نارا دائمة، بقدر واحدة،
وتتخذ لي عيدا في كل سنة تحضره أنت وقومك، فانك تتخذ بذلك عندي أنلك بها شرفا إلى شرفك، وملكا إلى ملكك، وامنع عنك وعن قومك من يطلبك ويعمل الحيلة عليك، وأدلك على كنوز جدك مصرام.
فضمن لها أن يفعل ذلك فدلته على الكنوز التي كنزها جده تحت المدائن المعلقة وكيف يصير إليها، وكيف يمتنع من الارواح الموكلة بها وما ينجيه منها.
فلما فرغ مما أراده من ذلك، قال لها فكيف لي بأن أراك في الاوقات التي أريد وأحتاج أن أسألك عما يطرأ من الامور فأسير اليك ؟ قالت له اما هذا المكان فلا تقربه بعد وقتك هذا، ولكن إذا احببت ان تراني فدخن في الوقت الذي علمته لك بكذا وكذا، اشياء ذكرتها له: منها عظام ما يقربه من القرابين والذبائح، وصموغ الاشجار.
فاني اتخيل لك واخبرك بكل حق وباطل يكون في بلدك.
فلما سمع ذلك منها سر به سرورا عظيما، وغابت الصور، وظهرت الافعى، وخرج هاربا، فلما نجا جعل على الكوة سدا ولم يؤخر ما فعلته به.
وأخرج كنوز جده وعمل بأمسوس وغيرها **من العجائب** ما يطول به الذكر، فمنها القبة المركبة على سبعة أركان، في بعض مصاحف القبط أن هذه القبة يقال لها قبة القضاء.". [٢]

٦٤-"وعلم أنه لا يجوز لبعضهم ظلم بعض، مع تلك الصورة، فلم تزل تلك الصورة باقية إلى أن أزالها الطوفان مع ما أزال من اعمالهم وعجائبهم.
وعملت في وقت سهلون اعمال كثيرة، وكتب سيرته وما ابتدعه **من العجائب** في مصحف، وعمل ادوية وعقاقير كثيرة وتماثيل متحركات.
وأمر أن يحمل ذلك كله مع المصحف الذي كتب فيه سيرته ومع كنوزه وذخائره إلى ناووسه الذي يجعل فيه إذا مات، وهو قد عمله في الجانب الغربي ووضع فيه غرائب وحكمة، فلما مات عمل فيه ذلك.

---

(١) أخبار الزمان ص/١٥١

(٢) أخبار الزمان ص/١٥٤

وملك بعد ابنه سوريد بن سهلون الملك، وحزن عليه هو واهل مملكته ورعيته، حزنا عظيما لم يحزن على ملك قبله، وكان ملكه مائة وتسعا وتسعين سنة.

وأقام دولته ورعيته عند ناووسه شهرا ينوحون ويبكون، وأقاموا في ناووسه خدمة يخدمون أموره وسدنة يحفظون ما يجب حفظه منه، وجلس ابنه على سرير الملك، واقتفى سيرة أبيه في العدل والصلاح وعمارة الارض، وسياسة الناس والانصاف بينهم، والاخذ لهم من نفسه وأهل بيته.

وهو أول من جبى الخراج بمصر، وألزم أهل الصناعات على أقدارهم، وأول من أمر بالانفاق على المرضى والزمنى من خزائنه وبنى المنارات، ونصب الاعلام والطلسمات والهياكل، وحسن عمارتها على أحسن ما تقدم لسواه، فأحبه الناس وحمدوا أمره، وعمل مرآة من أخلاط كثيرة، كان ينظر إليها فيرى الاقاليم، وما أخصب منها وما أجدب، وكلما يحدث فيها.

وكانت على منارة من نحاس في وسط مدينة أمسوس.

وتقول القبط إنه عملها لمصر خاصة، وكان يرى فيها جميع من يقصدها من". (١)

٦٥-"أجسادهم مصاحفهم كتبوها في ورق الذهب، ذكروا فيها جميع ما كان وما يكون وما قد عملوه **من العجائب**، وجعل في الحيطان من كل جانب كما تدور أصناما تعمل بأيديها جميع الصناعات، على مراتبها وأقدارها وصفة كل صنعة وعلاجها، وما يصلح لها.

وكتب مزبورا على الصور جميع علاجات الاشياء كلها، وعلم النواميس، وعلم كل علم ثم جعل فيها أموال الكواكب التي أهديت إليها، وأموال الكهنة وقدر ذلك لا يحصى عددا ولا وزنا.

وجعل لكل هرم منها خازنا، فصاحب الهرم الشرقي صنم مجزع من جزع أسد وأبيض له عينان مفتوحتان براقتان، وهو جالس على كرسي، ومعه شبه الحربة إذا نظر إليه ناظر سمع من جهته صوت يكاد ينزع قلبه فيهيم على وجهه ويختلس عقله، ولا يكاد يفارقه الهم حتى يموت منه.

وجعل خازن الهرم الغربي صنما من حجر صوان مجزعا واقفا معه شبه الحربة على رأسه حية مطوقة، من قرب منه وثبت إليه من ناحية قصده، فتطوقت على عنقه فقتلته ثم عادت إلى رأس الصنم.

وجعل خازن الهرم الملون صنما صغيرا من حجر البهت على قاعدة منه قائما، من نظر إليه اجتذبه الصنم حتى يلصق به، فلا يفارقه حتى يموت.

فلما فرغ من ذلك ضمدها بالارواح الروحانية، وذبح لها الذبائح لتمنع من أنفسها من أراد الوصول إليها، إلا من قرب لها وعمل لها بأعمال الوصول.

وذكرت القبط أن عليها كتابا منقوشا تفسيره بالعربية " أنا سوريد الملك الملك، بنيت هذه الاهرام في وقت كذا من الزمان، وأتممت بنيانها في ست سنين، فمن أتى بعدي، وزعم أنه ملك مثلي فليهدمها في ستين سنة، وقد

---

(١) أخبار الزمان ص/١٥٧

علم أن الهدم أيسر من البنيان، وإني قد كسوتها بالديباج فليكسها من أتى بعدي حصيرا ! "". (١)

٦٦-"عظيم الخلق، وهو الذي وضع أسرار الاهرام بالدهشور وغيرها، ليعمل ما عمله الاولون، وهو الذي بنى مدينة زرنده.

وهلكت عاد بالريح في آخر أيامه، وأثار من المعادن ما لم يثره أحد، وكان يجد الذهب على قدر الرحى والزبرجد مثل الاسطوانة، وغرس الا سارح في صحراء الغرب مثل النخلة.

وعمل **من العجائب** كثيرا، وعمل منارا عاليا في جبل قفط يرى منه البحر الشرقي، ووجد هنالك معادن زئبق فعمل منه بركة عظيمة، فقيل إنها هناك إلى اليوم.

وفي زمانه أثار ابليس وأعوانه الاصنام التي كان الطوفان أغرقها، وزينوا أمرها وعبادتها.

ويقال ان قفطويما بنى المدائن الداخلة، وعمل فيها عجائبا، منها الماء الملفوف القائم كالعمود ولا ينحل ولا يذوب ويسمى فلطيس، وصيادة الطير (١) إذا نصبها ومر عليها الطير سقط فيها ولم يقدر أن يبرح منها حتى يؤخذ.

وعمل بها أيضا عمودا من نحاس عليه صورة طائر، فإذا قرب الوحش والاسد والحيات من المدينة صفر ذلك الطائر صفيرا عاليا، فترجع تلك الدواب هاربة.

وكان للمدينة أربعة أبواب جعل لها أربعة أصنام، على كل باب صنم من نحاس لا يعبر غريب الا ألقى عليه النوم والسبات، فينام عند الباب فلا يبرح نائما حتى يأتيه أهل تلك المدينة، فينفخوا في وجهه فيقوم، فان لم يفعلوا ذلك لم يزل نائما حتى يهلك.

وعمل منارا لطيفا من زجاج ملون على قاعدة من نحاس، وعلى رأس المنارة

---

١) في ق: والبركة التي تسمى فلسطين أي صيادة الطير، لا يمر عليها طير الا سقط فيها.

(*)". (٢)

٦٧-"حل هذا الموضع بجسده وبقي ذكره وعلمه فلا يوصل إليه، ولا يقدر عليه بحيلة إلا بعد مدد ودورات تمضي من السنين ".

وملك بعده ابنه البودشير (١) الملك فتجبر وتكبر، وعمل بالسحر، واحتجب عن العيون، وقد كان أعمامه صابي وأبريت ملوكا على مواضعهم، إلا أنه كان أكبرهم سنا، فلذلك أذعنوا له.

فيقال إنه أرسل إلى هرمس المصري فبعثه إلى جبل القمر الذي يخرج النيل من تحته، حتى عمل له هناك هيكلا للتماثيل من

---

(١) أخبار الزمان ص/١٦٤

(٢) أخبار الزمان ص/١٨٤

نحاس، وعمل البطيحة التي ينصب عليها ماء النيل.
ويقال انه هو الذي عدل جنبي النيل، وقد كان يفيض في بعض مواضع وربما انقطع في مواضع، وأمره البودشير أن يسير مغربا لينظر ما هناك، فوقع إلى أرض واسعة متخرقة بالمياه والعيون كثيرة العشب، فبنى بها منائر ومتنزهات وأقام بها، وحول البودشير جماعة من أهل بيته، فعمروا تلك النواحي وبنوا فيها حتى صارت أرضا عامرة كلها، وأقاموا بذلك مدة كبيرة، وخالطهم البربر ونكح بعضهم في بعض.
ثم انهم تحاسدوا وتباغوا وكانت بينهم حروب افنتهم، فحينئذ خرب البلد وباد أهله الا بقية منازل تسمى الواحات.
ويقال إنه عمل في وقته كثيرا **من العجائب**، فمنها قبة لها أربعة أركان في كل واحد منها كوة يخرج منها دخان ملتف (٢) في ألوان شتى في يوم معلوم في السنة من أول سنتهم.
فإذا خرج الدخان أخضر دل على العمارة والخصب وحسن الزرع وصلاح
النبات، وإن خرج الدخان أبيض دل على الجدب وقلة الخيرات، وإن خرج

---

١) في ق: البودسير.
وفي ب: في هذا الموضع فقط البودشيم.
٢) في ق: ملفف.
(*)".[١]

٦٨-"عظيم إليهم فقتل منهم وسبا، وكل من سباه استعبده فصار ذلك سنة فيهم.
واقتطع معدن الذهب، وأقام فيه من سباه منهم يعملون الذهب ويحملونه إليه، وألزم المقام معهم من يحرسهم من جيشه.
وهو أول من أحب الصيد واتخذ الجوارح وولد الكلاب السلوقية من الذئاب والكلاب الاهلية، وعمل البيطرة وجميع ما يعالج به الدواب، وعمل **من العجائب** والطلاسم لكل شئ ما لا يحصى كثرة.
وجمع التماسيح في بركة في ناحية اسيوط بطلسم لها، وكانت تنصب إليها من النيل انصبابا فيقتلها، ويستعمل جميع جلودها في السفن وغيرها، ويدخل لحومها وشحومها في الاغذية ومؤلفات العقاقير.
والقبط تحكي انه عمل بمصر اثنتي عشرة اعجوبة وطلسما، ولم يعمل في بلد
ما عمل فيها ولا تهيأ ذلك له، وقد بقيت آثار أكثرها قائمة بعد خرابها وإفساد معالمها.
واقام شدات بن عديم تسعين سنة ملكا، وخرج فطرد صيدا فأكب به فرسه في هوة فقتله.
وفي بعض كتبهم أنه أخذ بعض خدمه، وقد خالفه في امر من الامور، فألقاه من اعلى الجبل إلى اسفله فتقطع ثم ندم على ذلك من فعله، ورأى انه سيصيبه مثل ذلك، وكان يتوقى ان يصعد جبلا، وأوصى ان اصابه شئ ان يجعل ناووسه في الموضع

---

(١) أخبار الزمان ص/١٨٧

الذى يلحقه فيه ما يلحقه، وان يزبر عليه " ليس ينبغي لذي القدرة ان يخرج عن الواجب، وان لا يفعل ما لا يجوز له فعله، وهذا ناووس شدات بن عديم بن قفطويم الملك، عمل ما لا يحل فكوفئ عليه ".
ولما هلك عمل سرب في سفح الجبل عليه قبة على مجلس قد صفح بالفضة". (١)

٦٩-"القصور وغرس الاجنة وأقام المنائر ونصب الاعلام وبنى المدن وأكثر فيها **من العجائب**.
والقبط تزعم ان خبر اشمون كان أكثر الاخبار ذكرا وعجائبا وسحرا.
منها انه بنى مدينة في سفح الجبل سماها أفطراطس وجعل لها أربعة أبواب جعل على الشرقي صورة عقاب، وعلى الغربي صورة ثور، وعلى الجنوبي صورة كلب، وعلى الشمالي صورة أسد.
وأسكن الكهنة بسحرهم في تلك الصور روحانية، وكانت تنطق إذا قصدها القاصد الغريب، ولا يقدر على الدخول إليها إلا بإذن الموكلين بها، وجعل فيها شجرة تثمر كل لون من الفاكهة.
وجعل فيها منارا طوله ثمانون ذراعا، على رأسه قبة تتلون كل يوم لونا حتى تمضي سبعة أيام بسبعة ألوان، ثم تعود إلى اللون الاول.
وكانت تلك الالوان تكسو المدينة لونا شعاعيا، وأجرى حول ذلك المنار ماء ساقه من النيل وجعل في ذلك الماء سمكا من كل لون.
وجعل حول المدينة طلسمات رؤسها رؤس القرود وأبدانها أبدان الناس، كل منها لدفع مضرة واجتلاب منفعة.
ودفن تحت كل صنم من الاصنام المبنية الاربعة على أبوابها صنفا من الكنوز ولكل واحد منها قربان وبخور، وكلام يوصل به إليه، وأسكن فيها السحرة.
وبنى بالقرب منها مدينة تعرف في كتبهم ذات العجائب في وسطها قبة عليها أبدا مثل السحابة تمطر مطرا خفيفا شتاء وصيفا، وتحت كل قبة مطهرة فيها ماء أخضر يتداوى به من كل داء فيبريه.". (٢)

٧٠-"لدينهم بسبب رؤيا رآها، ووجدوا من الاموال والجواهر وأصناف الذهب والتماثيل ما لا يحصى كثرة، ولا يعرف له قيمة.
ووجدوا صورة كاهن لهم كانوا يتعبدونها، وهي من زبرجد أخضر على قائمة من حجر البسد، ووجدوا صورة روحاني من ذهب ورأسه من جوهر أحمر وله جناحان من در، وفي يديه مصحف فيه كثير من علوم مصر في دفتين من ذهب مرصعتين بذهب ملون.
ووجدوا مطهرة من ياقوت أزرق على قاعدة من زجاج أخضر مسبوك، وفيها فضلة من الماء الدافع للاسقام.

---

(١) أخبار الزمان ص/١٩٦
(٢) أخبار الزمان ص/٢٠٤

ووجدوا فرسا من فضة من عزم عليه بعزائمه ودخنه بدخنه وركبه طار به فيما زعموا.
ووجدوا غير ذلك **من العجائب** والآلات التي يستعملها السحرة والاصنام التي يتخذونها، فجمعوا من ذلك ما خف حمله وثقل ثمنه، وأوقروا به دوابهم من جميع **العجائب** والتماثيل وغرائب ما كان فيها من الاشكال، وحملوا جميعه إلى الملك، وحمل الرجل الذي وجد حيا، ووصلوا بذلك كله إلى الملك، فابتهج بذلك وحمد الله تعالى على ما أولاه، وسر الناس.
وبهت منه كهنة مصر، ولم يعرفوا أصله، فوجه الملك دوابا وعسكرا
ونهض معهم من شاء من العامة بأشمون ومصر، فنقلوا جميع ما كان تبقى في المدينة من شئ له خطر، فصار بأيدي الناس منه شئ كثير، واستغنى فيها كثير من مساكين العامة وسوقتهم وسيق منه إلى الملك شئ كثير جدا.
وصار الموضع بعد ذلك زمانا طويلا مطلبا لمن أمكنه المسير إليه، وقل من مشى إليه ورجع خائبا.". (١)

٧١-"ورأيت في بلده **من العجائب** ما لا أحصيها كثرة من ذلك: أن أول ليلة بتناها في بلده رأيت قبل مغيب الشمس بساعة قياسية أفق السماء وقد احمرت احمرارا شديدا وسمعت في الجو أصواتا شديدة وهمهمة عالية فرفعت رأسي فإذا غيم أحمر مثل النار قريب مني وإذا تلك الهمهمة والأصوات منه وإذا فيه أمثال الناس والدواب وإذا في أيدي الأشباح التي فيه تشبه الناس رماح وسيوف أتبينها وأتخيلها وإذا قطعة أخرى مثلها أرى فيها أيضا رجالا ودواب وسلاحا فأقبلت هذه القطعة تحمل على هذه كما تحمل الكتيبة على الكتيبة ففزعنا من ذلك وأقبلنا على التضرع والدعاء وهم يضحكون منا ويتعجبون من فعلنا.
قال: وكنا ننظر إلى القطعة تحمل على القطعة فتختلطان جميعا ساعة ثم تفترقان فما زال الأمر كذلك ساعة من الليل ثم غابتا فسألنا الملك عن ذلك فزعم أن أجداده كانوا يقولون: إن هؤلاء من مؤمني الجن وكفارهم وهم يقتتلون في كل عشية وأنهم ما عدموا هذا مذ كانوا في كل ليلة.
صفحة : ٩

قال: ودخلت أنا وخياط كان للملك من أهل بغداد قد وقع إلى تلك الناحية قبتي لنتحدث فتحدثنا بمقدار ما يقرأ إنسان أقل من نصف سبع ونحن ننتظر أذان العتمة فإذا بالأذان فخرجنا من القبة وقد طلع الفجر فقلت للمؤذن :أي شيء أذنت قال: أذان الفجر قلت: فالعشاء الآخرة قال: نصليها مع المغرب قلت: فالليل قال: كما ترى وقد كان أقصر من هذا إلا أنه قد أخذ في الطول وذكر أنه منذ شهر ما نام خوفا أن تفوته صلاة الغداة وذلك أن الإنسان يجعل القدر على النار وقت المغرب ثم يصلي الغداة وما آن لها أن تنضج.". (٢)

---

(١) أخبار الزمان ص/٢٢٢
(٢) ابن فضلان ص/٢١

٧٢-"""""""" صفحة رقم ٣٣٢ """""""

كل من في المجلس ، أخبرنا بهذا الشيخ قبل مجيئك ، فكان هذا **من العجائب** ، وقد وقعت الإشارة لذلك في اسم الشيخ .

مشيخته

منقول من خطه في ثبت أجاز فيه أولادي ، أسعدهم الله ، بعد خطابة بليغة . قال فمن شيوخي الذين رويت عنهم . واسترفدت البركة منهم ، الشيخ الخطيب الصالح المتفنن ، أبو محمد عبد الواحد بن أبي السداد الباهلي ، والشيخ الإمام أبو جعفر بن الزبير ، والشيخ الوزير المشاور أبو عبد الله بن أبي عامر بن ربيع ، والقاضي العدل أبو عبد الله محمد ابن علي بن محمد بن برطال ، والشيخ الخطيب الصالح أبو عبد الله الطنجالي . والراوية المسن أبو عمرو محمد بن عبد الرحمن الرندي الطنجي ، والمدرس الصالح أبو الحسن علي بن أحمد الإشبيلي بن شالة ، والخطيبان الأستاذان الحاجان أبو عبد الله محمد بن رشيد الفهري ، وأبو عثمن سعيد ابن إبراهيم بن عيسى الحميري ، والشيخ الصالح أبو الحسين عبد الله بن محمد بن محمد بن يوسف بن منظور ، والخطيب الصالح العلامة المصنف أبو جعفر بن الزيات ، والفقيه القاضي أبو جعفر ابن عبد الوهاب ، والشيخ الراوية المحدث أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الكماد ، والخطيب أبو العباس أحمد بن محمد اللورقي ، والعدل أبو الحسن علي بن محمد الايي ، ابن مستقور ، والخطيب الصالح أبو العباس أحمد بن محمد بن خميس الجزيري ، والقاضي العدل الحاج أبو محمد عبد الله بن أبي أحمد بن زيد الغرناطي ، والشيخ الراوية الحاج الرحال الصوفي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أمين الفارسي العجمي الأقشري ، والقاضي الحسيب أبو عبد الله محمد بن عياض بن محمد ابن عياض ، والقاضي أبو عبد الله بن عبد المهيمن الحضرمي ، والأستاذ أبو إسحق الغافقي ، والإمام أبو القاسمي بن الشاط ، والخطيب القاضي أبو عبد الله القرطبي ، والراوية أبو القاسم البلفيقي ، والمحدث أبو القاسم التجيبي ، والخطيب أبو عبد الله الغماري ، والإمام الكبير ناصر الدين المشدالي ، والفقيه الصوفي أبو عبد الله محمد بن محمد الباهلي عرف بالمسفر من أهل بجاية ، وقاضي القضاة بتونس أبو إسحاق بن عبد الرفيع ، والعلامة أبو عبد الله بن راشد ، والخطيب أبو عبد الله بن عزمون ، والعلامة الخطيب أبو محمد عبد الواحد بن منظور بن محمد بن المنير الجذامي . قال ، وكلهم أجازني عامة ما يرويه ، وكان ممن لقيته ، وقرأت عليه ، إلا المدرس أبا الحسن بن شالة ، فوقع لي شك في إجازته .". (١)

٧٣-"واعلم أن الزمان وإن كان حقيقة ما ذكرنا، فإن الأمم على اختلافها أولعوا في التوقيت بذي الليالي والأيام، والشهور والأعوام، لما يتعلق به من وجوه المعاملات والآجال المضروبة في التجارات، ومن تقرير العدات، وإدراك الزراعات، وآماد العمارات، ومن فعل أهل الوبر في المحاضر والمزالف والمناجع والمجامع، وإقامة الأسواق، وتوجيه المعاش، ومن اشتغال أرباب النحل بما افترض عليه عندهم من تقرب وعبادة، ودعوا إلى الأخذ به في دينهم من فرض ونافلة، وأمروا بالتوجه إليه من سمت وقبلة، ولما أجرى الله تعالى العادة به فيه من حدوث حر وبرد، وجزر ومد، وتبدل خصب وجدب، ورخاء عيش

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة ـ موافقا للمطبوع ٣٣٢/٤

وبؤس، ومن ظهور نبات وأوان لقاح، أو ولاد وصبوب أمطار وهبوب أرواح لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم:)تعلموا من النجوم ما تعرفون به ساعات الليل والنهار، وهداية الطرق والسبل) فقدر أكثر الناس أن الزمان لا يكون غيرها ولا يعدوها إلى ما سواها، ولهذا الذي تبينته، أو أشرت إليه ذكر أبو الهذيل بعد تحديد الزمان الليل والنهار هما الأوقات لا غير. واعلم أن الذين زعموا أن الزمان شيء غير الليل والنهار، وغير دوران الفلك وليس بجسم ولا عرض، ثم قالوا: لا يجوز أن يخلق الله شيئا إلا في وقت ولا يفنى الوقت، فيقع أفعال لا في أوقات لأنه لو فني الوقت لم يصح تقدم بعضها على بعض ولا تأخر بعضها عن بعض، ولم يتبين ذلك فيها، وهذا محال قولهم داخل في أقوال الذين يقولون: إن الزمان والمكان المطلقين، ويعرب عنهما عند التحقيق بالدهر والخلاء جوهران قائمان بأنفسهما، والكلام عليهم يجيء بعد تنويع فرقهم وبيان طرقهم فنقول: بالله الحول والقوة من زعم أن الأزلي كثر من واحد أربع فرق: الأولى: الذين يقولون هما اثنان الفاعل والمادة فقط ويعني بالمادة الهيولى.

الثانية: الذين يدعون أن الأزلي ثلاثة الفاعل والمادة والخلاء.

الثالثة: الذين يدعون أنه الفاعل والمادة والخلاء والمدة.

الرابعة: الفرقة التي زعيمهم محمد بن زكريا، المتطبب لأنه زاد عليهم النفس الناطقة، فبلغ عدد الأزلي خمسة بهذيانه. وشرح مذهبهم أنه لم يزل خمسة أشياء، اثنان منها حيان فاعلان وهما: الباري والنفس، وواحد منفعل غير حي وهو الهيولى الذي منه كونت جميع الأجسام الموجودة، واثنان لا حيان ولا فاعلان ولا منفعلان وهما الخلاء والمادة، إلى خرافات لا تطيق اليد بيانها بالخط، ولا اللسان تحصيلها باللفظ، ولا القلب تمثيلها بالوهم، فمما يزعمه أن الباري تام الحكمة لا يلحقه سهو ولا غفلة، وتفيض منه الحياة كفيض النور عن قرصة الشمس، وهو العقل التام المحض، والنفس تفيض منه الحياة كفيض النور، وهي مترجحة بين الجهل والعقل كالرجل يسهو تارة، ويصحو أخرى، وذلك لأنها إذا نظرت نحو الباري الذي هو عقل محض غفلت وأفقت، وإذا نظرت نحو الهيولى التي هي جهل محض غفلت وسهت، وأقول متعجبا لولا الكرى لم يحلم وهذا كما قال غيري، أليس **من العجائب**. هذيانه في القدماء الخمسة، وما يعتقده من وجود العالم لحدوث العلة وما يدعيه من وجود الجوهرين الأزليين أعني الخلاء والمدة لا فعل لهما ولا انفعال، فلولا خذلان الله إياه، وإلا فماذا يعمل بجوهر لا فاعل ولا منفعل؟ ولم يضع الأرواح المقدمة قبالة الأرواح الفاسدة ولم يحدث العلة من غير نقص ولا آفة ولم يذكر شيئا ليس قيه جدوى ولا ثمرة وهذا الفصل إذا أعطي مستحقه من التأمل ظهر منه ما يسقط به سخيف كلامهم، وإن لم يكن مورده مورد الحجاج عليهم.". (١)

٧٤-"وأتقن وبقرب منه بناء مدينة نابلس فهذه المدن الثلاث بناءها متقن لكونها في الجبل والحجارة فيها كثيرة متيسرة وأما رؤية بيت المقدس من بعد **فمن العجائب** المشهورة في نورانيتها وحسن منظرها من جهة الشرق اذا كان الانسان على جبل طور زيتا وكذلك من جهة القبلة وأما من جهة الغرب والشمال فلا يرى منها من بعد إلا القليل لموارة

---

(١) الأزمنة والأمكنة ص/٦٢

الجبال لها فإن بيت المقدس وبلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام في جبال كثيرة الأوعار والأحجار والسير فيها مشق والمسافة فيها بعيدة فإن الجبال المحيطة بالبلدتين مسافتها تقريبا ثلاثة أيام طولا ومثلها عرضا بسير الأثقال ولكن اذا من الله على قاصد الزيارة بالوصول إلى المسجد الأقصى الشريف والى المقام الشريف الخليلي فمن حين رؤيته لتلك الأماكن المشرفة يحصل له من الانس والبهجة ما لا يكاد يوصف ويسلو ما حصل له من المشقة والنصب وقد أنشد الحافظ ابن حجر عند قدومه لزيارة بيت المقدس في معنى ذلك إلى البيت المقدس جئت أرجو (١) جنان الخلد نزلا من كريم قطعنا في محبته عقابا وما بعد العقاب سوى النعيم (٢) وأما الأبواب التي للمدينة فأولها من جهة القبلة باب حارة المغاربة وباب صهيون المعروف الآن بباب حارة اليهود ومن جهة الغرب باب سر صغير لصق دير الأرمن وباب المحراب وهو المسمى الآن بباب الخليل وروى المشرف بسنده عن علي بن سلامة قال سمعت أبي يقول سمعت ان باب لد الذي جاء عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه يقتل عليه عيسى بن مريم " ع " الدجال ليس هو باب الكنيسة التي عند الرملة وإنما هو باب داود الغربي الذي عند محراب داود ويسمى باب لد وباب يعرف بباب الرحبة ومن جهة الشمال باب دير السرب وباب العامود وباب الداعية المتوصل منه إلى حارة نبي زيد وباب الساهرة ومن جهة الشرق باب الاسباط

""""" صفحة رقم ٥٧ """""". (١)

٧٥-"يفور الماء منها حتى يصير كالنهر الجاري ويسيح إلى مسافة بعيدة ويستمر على هذه الحالة عدة أيام كالشهر ونحوه وهو **من العجائب** وكان في بيت المقدس ست برك عملها حزقيل أحد ملوك بني اسرائيل منها ثلاثة في المدينة بركة بني اسرائيل وبركة سليمان وبركة عياض وثلاثة خارج المدينة بركة ماملا وبركتا المرجيع جعل ذلك خزائن للماء لأهل بيت المقدس قلت اما بركة بني اسرائيل فهي موجودة مشهورة وهي شمالي المسجد الأقصى بلصق سورة بين باب الأسباط وباب حطة ومنظرها مهول وهي **من العجائب** وأما بركة سليمان وبركة عياض فلا أعرفهما ولم اطلع على شيء يدل عليهما ولكن بداخل القدس بركتان أحداهما بخط مرزبان وهي لجمع الماء المتحصل لحمام علاء الدين البصير وهي بجواره والثانية بحارة النصارى لجمع الماء المتحصل لحمام البترك وقف الخانقاه الصلاحية فيحتمل انهما البركتان المذكورتان والله أعلم وأما بركة ماملا فهي موجودة مشهورة وهي التي في وسط مقبرة ما ملا وأما بركتا المرجيع منها بالقرب من قرية ارطاس وهما موجودتان ينتفع بهما في خزن الماء الواصل من قناة السيل إلى القدس الشريف ومسافتهما عن القدس نحو نصف بريد والله اعلم وسبب تسمية مكانهما بالمرجيع ان سيدنا يوسف عليه السلام لما أخذه اخوته والقوه في الجب مروا به على قبر امه وهو بالقرب من المرجيع فلما رأى قبرها وهم طالعون ألقى نفسه عن الناقة وقال يا أماه ارفعي رأسك وانظري ما حل بولدك من البلاء وفقدوه فرجعوا فسمي المرجيع من ذلك اليوم فلما رجعوا لطموا وجهه وحملوه والقوه في الجب كما هو مشهور في القصة والله أعلم وبظاهر مدينة القدس الشريف من كل جهة كروم بها من أنواع الفواكه من العنب والتين والتفاح وغيره

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ص/٥٢

وأحسن الأماكن أرض تعرف بالبقعة ظاهر القدس الشريف من جهة الغرب إلى جهة القبلة وقف الملك صلاح الدين على خانقاه

""""" صفحة رقم ٦٠ """""". (١)

٧٦-"تسمى الساهرة واصل الساهرة الفلاة ووجه الأرض وقيل الأرض العريضة البسيطة والساهرة عند العرب الأرض التي تبعث سالكها على السهر للسرى فيها لينجو منها ومعنى الساهرة ارض لا ينامون عليها ويسهرون قلت وهذا البقيع المعروف بالساهرة ظاهر مدينة القدس الشريف من جهة الشمال وبه مقبرة يدفن فيها موتى المسلمين وبها جماعة من الصالحين والمقبرة مرتفعة على جبل عال (الأدهمية) وسفل هذا الجبل كهف **من العجائب** وهو زاوية للفقراء الأدهمية داخل تحت هذا الجبل في صخرة عظيمة وتسمى مغارة الكتان والمقبرة التي هي الساهرة علو سقف هذه المغارة بحيث أنه لو أمكن حفر القبور من اسفلها لنفذ إلى الكهف الذي هو زاوية الأدهمية ولكن المسافة بعيدة فإن الصخرة سمكة ضخمة جدا ويلغز في هذا بأن يقال احياء تحت أموات وهذا لأمر مشاهد عيانا وقد عمر هذه الزاوية الأمير منجك نائب الشام ووقف عليها هو وغيره من اهل الخير وفيها قبور جماعة من الصالحين وعليها الأنس والوقار (مغارة الكتان) ومقابل الساهرة من جهة القبلة تحت سور المدينة الشمالي مغارة كبيرة مستطيلة وتسمى مغارة الكتان أيضا يقال إنها تصل إلى تحت الصخرة الشريفة ودخلها جماعة وحكوا عنها أشياء من الأمور المهولة وأما ما بظاهر بيت المقدس من المقابرة والمغائر المعدة لدفن أموات المسلمين فأولها مقبرة باب الرحمة وهي بجوار سور المسجد الشرقي فوق وادي جهنم وهي مأنوسة لقربها من المسجد وهي أقرب الترب إلى المدينة وفيها قبر شداد ابن أوس الانصاري مشهور وغيره من العلماء والصالحين وقد جدد فيها تربة

""""" صفحة رقم ٦٤ """""". (٢)

٧٧-"واشتغل وأعاد بالصلاحية وحدث وروى عنه الرحالون وولي الخطابة بالمسجد الأقصى مشاركا لغيره في سنة إحدى وعشرين وثمانمائة وكان حبرا متواضعا توفي في رابع عشر رجب سنة تسع وستين وثمانمائة ودفن بالقلندرية بماملا رحمه الله الحافظ العلامة شيخ الاسلام شهاب الدين المكنى بأبي العباس أحمد بن عبد الله الكناني الشافعي الواعظ نزيل القدس الشريف مولده بقرية مجدل حمامة بالقرب من عسقلان من أعمال غزة في اوائل سنة تسع وثمانمائة ونشأ بها ثم استوطن بيت المقدس واشتغل بالعلم ففتح عليه وانتمى إلى الشيخ شهاب الدين ابن أرسلان وهو الذي كناه واشتهر بكنيته دأب وحصل في ابتداء أمره وفضل وتميز وصار من أعيان الفقهاء والمعيدين بالمدرسة الصلاحية وجلس للوعظ فاشتهر أمره حتى قيل عنه

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ص/٥٥

(٢) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ص/٥٩

ابن الجوزي زمانه وأما حفظه فكان **من العجائب** وكتابته على الفتوى نهاية في الحسن وفصاحته وطلاقة لسانه لا يجارى فيهما ولي الخطابة بالمسجد الأقصى الشريف عوضا عن شهاب الدين أحمد بن القرقشندي وباشر عنه ولده قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد قاضي الرملة وخطب في يوم الجمعة سابع رمضان سنة تسع وستين وثمانمائة فلم يتم له ذلك وعزل بعد مدة يسيرة بالخطيب علاء الدين القرقشندي ثم توجه الشيخ أبو العباس إلى القاهرة لضرورة له فدخل الحمام فوقع وكسر فخذه ومرض إلى أن مات في يوم الاربعاء سادس عشري جمادي الاخرة سنة سبعين وثمانمائة ودفن بالقرافة رحمه الله الخطيب علاء الدين أبو الحسن علي بن الشيخ شرف الدين عبد الرحيم القرقشندي الشافعي مولده في سنة اربع وثمانمائة استقر في نصف وظيفة الخطابة بالمسجد الأقصى وهو النصف الذي كان بيد أخيه الخطيب شهاب الدين أحمد واستمر بيده إلى أن توفي وكان من المعيدين بالمدرسة الصلاحية توفي

""""" صفحة رقم ١٤٢ """""". (١)

٧٨-"الشيخ القدوة أبو حفص عمر بن نجم الدين يعقوب البغدادي ثم المقدسي المعروف بالمجرد ولد ببغداد سنة اثنتي عشرة وسبعمائة وسمع البخاري بدمشق سنة ست وعشرين وأقام ببلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام في سنة خمس وسبعين وسبعمائة وبنى به زاوية في غاية الحسن بناء ومنظرا وبنى اماكن بأعلاها ورتب فيها من يتعلم القرآن وأجرى لهم المعاليم وكان اذا قرأ القرآن عنده أحد يخيره بين الاقامة عنده بشرط أن يشتغل بالعلم ويعطيه كتابا أو يذهب إلى بلدة أخرى ولا يدع أحدا يقعد عنده بطالا وكان في فعل الخير **من العجائب** لا يقصد في حاجة إلا قضاها ويضيف من يقصده بما حضر عنده وكان يوجد عنده من الماكولات اطيبها وكان شيخا طويلا يلبس على رأسه قبعا من غير عمامة توفي في ذي الحجة سنة خمس وتسعين وسبعمائة ودفن بزاويته ببلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام وقد وهم بعض المؤرخين فيه فظنه الشيخ عمر المجرد واقف زاوية المغاربة بالقدس لاشتراكهما في الاسم والشهرة وليس كذلك فإن صاحب زاوية المغاربة بالقدس الشريف الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد النبي المغربي المصمودي المجرد وتاريخ وقفه لزاويته في ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعمائة قبل مولد الشيخ عمر صاحب هذه الترجمة بتسع سنين ولما توفي الشيخ عمر المجرد صاحب الزاوية ببلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام كان قد فوض أمر زاويته إلى الشيخ العلامة جمال الدين عبد الله المراكشي الهنتاني المالكي في خامس شهر جمادي الآولى سنة خمس وتسعين وسبعمائة وأقام بها وفعل من كل حسنة وجميل ثم في العشر الأول من شهر ربيع الأول سنة ست وثمانمائة قرر الشيخ جمال الدين المذكور ولديه محمد وأحمد في المشيخة بالزاوية والتصرف فيها وكتب مستندا بذلك عليه خط شيخ الاسلام شهاب الدين أحمد بن الهائم والشيخ خليفة المالكي

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ص/١٣٦

""""" صفحة رقم ١٦٤ """""". (١)

٧٩-"الديري في ربيع الأول سنة ثمان وسبعين فدخل القاضي جمال الدين إلى القدس وهو متوعك فأقام اربعة عشر يوما وتوفي – كما تقدم في ترجمته – واعيد القاضي خير الدين إلى وظيفة القضاء في شهر جمادي الأولى ووصل اليه التوقيع الشريف والبس خلعة السلطان في محراب المسجد الأقصى ومشى الناس في خدمته إلى منزله بباب الحديد وذلك في أوائل جمادي الآخرة واستمر نحو تسعة أشهر ثم عزل بقاضي القضاة شمس الدين أخي القاضي جمال الدين ووصل المرسوم بذلك في سلخ صفر سنة تسع وسبعين وثمانمائة فتنزه عن القضاء ولم يتكلم فيه بعد ذلك وانقطع في منزله للعبادة والاشتغال بالعلم وقراءة القرآن والحديث وانتهت اليه رياسة مذهب أبي حنيفة بالقدس وتصدر للافتاء والتدريس وحج إلى بيت الله الحرام وعظم أمره عند الناس وصار له الهيبة والوقار ودرس بالمعظمية نيابة ونسخ بخطه الكثير من المصاحف الشريفة والبخاري وكتب الحديث والفقه وغري ذلك وكان في سرعة الكتابة والملازمة لها **من العجائب** وعمل طريقة في المصحف الشريف لم يسبق اليها في مقابلة الأحرف وهي أنه إذ كان أول حرف من أول سطر من الصحيفة الفا يكون أول حرف من أول السطر الأخير منها كذلك وأول السطر الثاني مثلا واوا فيكون الذي يقابله قبل السطر الأخير كذلك وهلم جرا واحرف المقابلة كتبها بالأحمر ويكون أول الصفحة أول الآية وآخر الصفحة آخر الآية وكل جزء في كراس كامل فيكون المصحف ثلاثين كراسا لا يزيد ولا ينقص وهذه الطريقة **من العجائب** وفي الحقيقة هي طريقة في غاية المشقة وقد سهلها الله له فعملها في اسرع وقت وهو تيسير من قبل الله تعال وقد اشتهر هذا المصحف بهذه الطريقة بخطه في غالب المملكة حتى وصل إلى الحجاز والعراق والروم وله ربعة شريفة بالحرم الشريف النبوي على ساكنه افضل الصلاة والسلام وكان خيرا متواضعا حسن اللفظ والشكل منور الشيبة وعنده تودد

""""" صفحة رقم ٢٤١ """""". (٢)

٨٠-"واستقر بعده في القدس الأمير صارم الدين قطلو مملوك عز الدين فرخشاه ابن شاهنشاه بن أيوب الأمير الاسفهلار عز الدين سعيد السعداء أبو عمرو عثمان بن علي بن عبد الله الزنجيلي كان متوليا على القدس الشريف وهو الذي عمر قبة المعراج بصحن الصخرة الشريفة في سنة سبع وتسعين وخمسمائة وتقدم ذكر ذلك الأمير حسام الدين أبو سعيد عثمان بن عبد الله العظمي متولي القدس الشريف وهو الذي تولى عمارة قبة النحوية بصحن الصخرة الشريفة بأمر الملك المعظم عيسى في سنة أربع وستمائة الأمير رشيد الدين فرج بن عبد الله المعظمي متولي بلد الخليل عليه السلام في زمن الملك المعظم عيسى وهو الذي تولى عمارة المنارة بمقام السيد يونس عليه السلام بقرية جلجول في شهر رجب سنة

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ص/١٥٨

(٢) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ص/٢٣٦

ثلاث وعشرين وستمائة الأمير الكبير علاء الدين الأعمى هو أيدغدى بن عبد الله الصالحي النجمي كان من أكابر الأمراء فلما أضر أقام بالقدس الشريف وولي نظره فعمره وثمره وكان ناظر الحرمين في أيام الظاهر بيبرس إلى أيام المنصور قلاوون وكان مهيبا لا تخالف مراسيمه وهو الذي بنى المطهرة قريبا من المسجد الشريف النبوي فانتفع الناس بها في الوضوء وتيسيره أثابه الله تعالى وانشأ بالقدس الشريف رباطا بباب الناظر وآثارا حسنة وبلط صحن الصخرة الشريفة وعمر المغلق ببلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام على باب المسجد الشريف الذي بداخله الافران والطواحين وهو مكان **من العجائب** يغلق عليه باب واحد والحاصل الذي يوضع فيه القمح والشعير علوه وكان سماط الخليل عليه الصلاة والسلام في كل يوم خميس كيالج قمحا وكيلجة عدسا فما مات إلا والسماط في كل يوم غرارتان قمحا وهذا يعد من حسن سيرته وطيب أيامه وكان يباشر الأمور بنفسه وله حرمة وافرة توفي في شهر شوال سنة ثلاث وتسعين وستمائة ودفن برباطه بباب الناظر بالقدس

""""" صفحة رقم ٢٧١ """""". (١)

٨١-"وفيها في جمادي الآخرة عزل القاضي كمال الدين النابلسي الحنبلي من قضاء الحنابلة بالقدس الشريف والرملة ونابلس عزله القاضي زين الدين بن مزهر كاتب السر الشريف وهو بمنزلة قانون صحبة السلطان ووقع في عزله ما لم يقع لغيره فإن العادة جرت إذا عزل القاضي يكتب مرسوم السلطان أو مطالعة القاضي كاتب السر بعزله وهذا القاضي إنما ثبت عزله ببينة شهدت عند القاضي فتح الدين أبي الفتح بن الاسيل الشافعي على القاضي كاتب السر انه عزله من القضاء فصرح القاضي الشافعي بثبوت عزله وكان الحنبلي غائبا بالقاهرة لأنه توجه اليها من جمادي الأولى وكتب القاضي الشافعي إلى نائبه بالرملة انه يمنع نائب الحنبلي بها من الحكم بمقتضى ثبوت عزل مستخلفه وفيها في يوم الاحد حادي عشري رجب توفي الأمير غرس الدين خليل ابن أبي والي أحد أعيان بيت المقدس وكان رئيسا كريما وفيه الخير والاحسان إلى الخاص والعام وكان الناس يترددون اليه من الاعيان وغيرهم ويأكلون على سماطة في كل وقت وكان يطعم من عرف ومن لم يعرف في جميع السنة وأما في شهر مضان **فمن العجائب** في إطعام الطعام وكان ذلك عن طيب نفس منه لا يتكره من ذلك بل يفرح له وكان قد اعتراه السمن وتزايد حتى كان لا يستطيع القيام إلا بمشقة وكان من محاسن بيت المقدس ومن أعظم محاسنه مع ما هو عليه من هذه المناقب الحسنة سلامة الناس من يده ولسانه ولم يبق بعده من هو في معناه ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة فيها في شهر ربيع الأول توجه المباشرون بالقدس الشريف إلى القاهرة المحروسة بمرسوم شريف ورد في ذلك وأقاموا بمشهد الحسين بالقاهرة في ترسيم القاضي علاء الدين ابن الصابوني وكيل المقام الشريف ثم افرج عنهم وعادوا إلى القدس وفيها طلب الأمير ناصر الدين محمد بن أيوب نائب القدس الشريف بسبب ما وقع عليه من الشكوى للسلطان ثم خلع عليه بالاستمرار وعاد إلى محل

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ص/٢٦٦

""""" صفحة رقم ٣٢١ """""". (١)

٨٢-"الشريف ومن جهة الغرب شباكان مطلان على السلم المتوصل منه إلى المدرسة وبالايوان المذكور من جهة الشرق ثلاثة شبابيك مطلة على المسجد إلى جهة صحن الصخرة الشريفة ويقابلها ثلاث شبابيك على صحن المدرسة والايوان الشمالي به شباكان مطلان على المسجد الشريف من جهة الشمال وشباكان من جهة الشرق والايوان الشرقي وهو الطارمة به ثلاث قناطر على عمودين من الرخام وعلوها قمريات من الزجاج والافرنجي في غاية البهجة والاتقان ويقابله الايوان الغربي وبه شباك مطل على صحن المدرسة مفروش ارض جميع ذلك بالرخام الملون وحيطان ذلك مستدير عليها الرخام والسقف على جميع ذلك من الخشب المدهون بورق الذهب واللازورد وهو في غاية الاحكام والاتقان والارتفاع وبجوار الايوان الشمالي بيت معقود يدخل اليه من الدركاه – المتقدم ذكرها – باب عن يسرة الداخل وهو مفروش الأرض بالرخام الملون وحيطانه مستدير عليها الرخام به شباكان مطلان على الايوان الشمالي من المدرسة وعلى ظاهر هذا البيت طبقة لطيفة بها شباك مطل على داخل المدرسة وشباك مطل على الساحة السماوية وبالساحة المذكورة – وهي السماوية – باب يدخل منه إلى سا حة اخرى بها الخلاوي المعقودة والمتوضأ والمنافع مركب جميع ذلك على الايوانين القبلي والشرقي وغيرهما من المدرسة البلدية وبالمدرسة المشار اليها من آلات البسط والقناديل ما هو في غاية الحسن مما لا يوجد في غيرها وعلى ظاهرها الرصاص المحكم كظاهر المسجد الاقصى الشريف ومن أعظم محاسنها كونها في هذه البقعة الشريفة ولو بنيت في غير هذا المحل لم يكن عليها الرونق الموجود عليها ببنائها فإن الناس كانوا يقولون قديما مسجد بيت المقدس به جوهرتان هما قبة الجامع الأقصى وقبة الصخرة الشريفة قلت وهذه المدرسة صارت جوهرة ثالثة فإنها **من العجائب** في حسن المنظر ولطف الهيئة والله الموفق

""""" صفحة رقم ٣٣٠ """""". (٢)

٨٣-"ثم حضر الخاصكي إلى القدس الشريف للزيارة ودخل بخلعة السلطان في شهر رمضان وحضر عيدالفطر بالقدس وتوجه لزيارة سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام ثم توجه إلى مدينة غزة ليقيم بها لانتظار الجواب الوارد عليه من المراسيم الشريفة فلما كان العشر الثالث من شهر شوال ورد مرسوم السلطان إلى شيخ الاسلام الكمالي بن أبي شريف الشافعي ومرسوم شريف مطلق لقضاة غزة والقدس الشريف يعلمهم انه لما جهز الأمير قانصوه باقر الخاصكي لكشف هذه الاجوبة وتحريرها وكتابة محضر بقضاة غزة والقدس بما يتضح به الحق وان كلا من النائبين كتب محضرا بما يختاره ولم يتضح للمسامع الشريفة الحق في ذلك وان المرسوم الشريف الوارد على يد الخاصكي انما برز بكتابة محضر واحد لامحضرين وبرز

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ص/٣١٦

(٢) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ص/٣٢٥

أمر السلطان ان شيخ الاسلام الكمالي ابن أبي شريف يتوجه بنفسه وصحبته قضاة القدس الشريف والرملة إلى مدينة غزة المحروسة ويجتمعون مع قضاة غزة وتحرر هذه الواقعة من اولها إلى آخرها ويكتب محضر شرعي بما يتضح به الحق وإن لم يحرر ذلك تبرز المراسيم الشريفة لقضاة غزة والقدس بالزامهم بالقيام للخزائن الشريفة بعشرة آلاف دينار مؤرخ المرسوم الشريف في ثالث عشر شوال فعند ذلك قابل شيخ الاسلام الكمالي وقضاة القدس الشريف أمر السلطان بالسمع والطاعة وتوجهوا إلى الرملة وسار منها مع من تيسر من قضاتها إلى مدينة غزة وهذه الواقعة **من العجائب** لأن شيخ الاسلام رجل عظيم الشأن وهو بركة الوجود وعالم المملكة وهو شيخ كبير سنة نحو الثمانين وبنيته ضعيفة والسفر يشق عليه فكلف إلى مالا طاقة لديه في زمن الحر الشديد بسبب واقعة حدثت من العرب المفسدين المحاربين للدين لا إسلام لهم ولا إيمان ولما توجه من القدس الشريف حمل في محارة على جمل وكان لا يركب الفرس إلا قليلا لضعف بدنه فقدم إلى مدينة غزة في عشية يوم الخميس مستهل ذي القعدة ونزل بالجامع المنسوب لمولانا السلطان الملك الأشرف واصبح يوم الجمعة فحضر". (١)

٨٤-"صيته وانتشرت مصنفاته في سائر الاقطار

""""" صفحة رقم ٣٨١ """""

وصار حجة بين الأنام في سائر ممالك الاسلام ومن اعظم محاسنه التي شكرت له في الدنيا ويرفع الله بها درجاته في الآخرة ما فعله في القبة المستجدة عند دير صهيون وقيامه في هدمها بعد أن صارت كنيسة محدثة في دار الاسلام في بيت الله المقدس وقيامه في منع النصارى من انتزاع القبو المجارو لدير صهيون المشهور أن به قبر سيدنا داود عليه السلام بعد بقائه في ايدي المسلمين مدة طويلة وبنى قبلة فيه لجهة الكعبة المشرفة - كما تقدم ذكر ذلك مفصلا في حوادث سنة خمس وسنة ست وتسعين وثمانمائة وغير ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيامه على حكام الشرطة ومنعهم من الظلم ومواجهتهم بالكلام الزاجر لهم وفي شهر شوال سنة تسعمائة ورد عليه مرسوم شريف بأن يكون متكلما على الخانقاه الصلاحية بالقدس الشريف ينظر في أمرها وعمل مصالحها فحضرها في عشية يوم الاثنين سادس شوال وجلس بالمجمع مع الصوفية في مجلس الشيخ وحصل للخانقاه وأهلها الجمال بحضوره ثم بعد فراغ الحضور جلس على تفرقة الخبز على مشايخها وتصرف فيها باجازة الوقف وانلظر في أمره وشرع في عمارة الخانقاه واصلاح ما اختل من نظامها واضيف اليه التكلم على المدرسة الجوهرية وغيرها لما هو معلوم من ديانته وورعه واجتهاده في لعل الخيرات وإزالة المنكرات وأما سمته وهيبته **فمن العجائب** في الابهة والنورانية رؤيته تذكر السلف الصالح ومن رآه علم انه من العلماء العاملين برؤية شكله وإن لم يكن يعرفه وأما خطه وعبارته في الفتوى فنهاية في الحسن وبالجملة فمحاسنه أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وهو اعظم من أن ينبه مثلي على فضله ولو ذكرت حقه في الترجمة لطال الفصل فإن مناقبه وذكر مشايخه يحتمل الأفراد بالتأليف والمراد هنا الاختصار ومن تصانيفه الاسعاد شرح الارشاد في الفقه والدرر اللوامع بتحرير

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ص/٣٧١

""""" صفحة رقم ٣٨٢ """""". (١)

٨٥-"وعندما مات جنكيز خان حدثت بعض الصراعات بين أتباعه، وانتهى الأمر إلى تقسيم مملكة التتار الواسعة إلى أجزاء عدة، وما يهمنا الآن من هذه الأجزاء جزآن؛ أما الجزء الأول فهو الذي يضم منغوليا والتركستان الشرقية، وكان على رأسه "أرتق بوقا"، وهو من أسرة أوكيتاي المغولي، وهذا الجزء يضم دولة التركستان الشرقية بكاملها، وقد تحسنت علاقة التتر بالمسلمين مع مرور الوقت، بل وصل الأمر إلى أن اعتنق أحد زعمائهم وهو "طرما تشيبرين" الإسلام، وبالتالي دخلت أعداد كبيرة من المغول في دين الإسلام، وهو **من العجائب** في التاريخ حيث يدخل المحتلون القاهرون في دين المستضعفين المهزومين، وهذه عظمة الإسلام وقوة حجته، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون! وكان هذا التحول إلى الإسلام في سنة ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م.
وبالمناسبة فهذه ليست المرة الأولى التي يدخل فيها المغول إلى الإسلام، فقد دخل قبل ذلك أحد زعمائهم الكبار وهو بركة خان إلى الإسلام، وأسلمت معه قبيلته المعروفة بالقبيلة الذهبية، وكانوا يعيشون في منطقة القوقاز في وسط آسيا.

مسلمو الصين وأسرتا قوبيلاي ومنغ". (٢)

٨٦-"وكان للملك العادل فيما ذكره ابن واصل ستة عشر ولدا ذكرا سوى البنات (١) ، **ومن العجائب** أنه لم يحضر وفاته أحد من أولاده وخلف سبعمائة ألف دينار عينا احتوى عليها المعظم (٢).
١٠- دور العلماء والفقهاء في الجهاد في عهد الملك العادل:
إن الفقهاء والعلماء في تلك الفترة حثوا أولي الأمر على التصدى للصليبيين، ونزلوا إلى ميدان الجهاد مقاتلين في سبيل الله، خالعين العمائم متزيين بزي الجند، حاملين السلاح دفاعا عن الإسلام والمسلمين، فكان في مقدمتهم الفقيه شهاب الدين بن البلاعي (٣) ، الذي كان أحد الجنود المقاتلين في صد الضربات العنيفة التي وجهها الصليبيون بغتة ضد مدينة حماة عام ٦٠١هـ/١٢٠٤هـ ناقضين الهدنة المنعقدة بينهم وبين صاحب حماة في العام الماضي (٤) ، فخرج إليهم صاحب المدينة الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب وقاتلهم وانضم إليه جموع العامة من أهل حماة، ولكن استطاع الصليبيون بعد قتال مرير أن يأسروا خلقا كثيرا من أهل حماة وعادوا إلى بلادهم وكان الفقيه شهاب الدين أحمد بن البلاعي قد أبلى بلاءا حسنا في ميدان المعركة، ورمى فارسا ووقعت فرسه، ولكنه سقط أسيرا، وحمل إلى طرابلس مع غيره من الأسرى، ولكن الظروف ساعدته على الهرب، ورمى بنفسه في البحر، ثم تعلق بجبال بعلبك، وجاء بعد شدائد إلى أهله

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ص/٣٧٦
(٢) الإيغور ص/١٠

سالما (٥) والجدير بالذكر أن ابن واصل قال إن هذا الفقيه، كان أول أمره معمما ثم خلع العمامة وتزينا بزي الجند (٦) ، ولعل هذا يؤكد حمية وحرص الفقهاء على الجهاد بأنفسهم في سبيل الله، حماية للإسلام والمسلمين، ويضيف

---

(١) المصدر (٢٧٣/٣).

(٢) شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ص ٢٠٢س.

(٣) دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى ص ١٧٧.

(٤) مفرج الكروب (١٥٤/٣) النجوم الزاهرة (١٨٦/٦ ، ١٨٧).

(٥) مفرج الكروب (١٦٣/٣) دور الفقهاء والعلماء ص ١٧٨.

(٦) مفرج الكروب (١٦٣/٣) دور الفقهاء والعلماء ص ١٧٨.". [١]

٨٧-"وهكذا استطرد الجعفري بذكر نماذج من تحريف الإنجيل وتناقضه في اثنين وخمسين موضعا، عقب بعد عرضها بقوله: فهذا كتاب قد تلاعبت به بنيات الطرق وتزاحمت به تراجمة الفرق، وولد من لسان إلى لسان، وعبث به التحريف والتصحيف في كل زمان (١)، وخاطب الخزرجي أحد قساوسة النصارى بقوله: ... أنا جيلكم إلا حكايات، وتواريخ، وكلام كهنة، وتلاميذ وغيرهم، حتى إني أحلف بالذي لا إله إلا هو أن تاريخ الطبري عندنا أصح نقلا من الإنجيل، ويعتمد عليه العاقل أكثر، مع أن التاريخ عندنا لا يجوز أن ينبني عليه شيء من أمر الدين (٢). ثم أورد الخزرجي في نقاشه مع القسيس أمثلة على تنقض الإنجيل مبتدئا لها بقوله: وفي الإنجيل الذي بأيديكم كثير من المتناقضات (٣)، ثم ذكر كثيرا من الأدلة على ذلك ثم وجه خطابه للقسيس قائلا: أخبرني أيها المغرور عن هذا الخلاف، أتعده تتميما أو نقصا لشريعة من سبقه (٤)؟ وأخيرا بعد أن انتهى الخزرجي من سرد الأمثلة الكثيرة على تناقض الإنجيل وبين أن فيها الكفاية على تهافت الأناجيل، والدليل على ما اشتملت ...عليه من الزلل والأباطيل، بعد ذلك تساءل قائلا: فليت شعري أين هذا الإنجيل المنزل عند الله؟ وأين كلماته من بين هذه الكلمات(٥). وقد بين القرافي أنه لكثرة التحريف والتبديل من الإنجيل وكثرة كتبته واختلاف طوائف النصارى فيه فلا يمكن والحال هذه تمييز الكلام الذي أنزله الله عن غيره حيث قال: وأما النصارى فلا يتعين لهم شيء مما أنزل الله تعالى أبدا (٦)وفي موضع آخر وصف القرافي كتب النصارى بقوله:... ومن طالع كتبهم وأناجيلهم وجد فيها **من العجائب** ما يقضي له بأن القوم تفرقت شرائعهم وأحكامهم، ونقولهم، .. وأن

---

(١) المصدر نفسه (٢٤٨/١).

(٢) المصدر نفسه (٢٤٨/١).

(٣) المصدر نفسه (٢٤٨/١).

---

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين ١٥٩/١

(٤) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان ص ١٥٥.

(٥) مقامع الصلبان ومراتع رياض أهلها الإيمان ص ١٥٧.

(٦) الأجوبة الفاخرة ص ٢٧.". [١]

٨٨-"

قال ابن اليسع وما خرجت أنا من مراكش في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة إلا وهذا البستان الذي غرسه عبد المؤمن يبلغ مبيع زيتونه وفواكهه ثلاثين ألف دينار مؤمنية على رخص الفاكهة بمراكش اه ولعل المنصور جدد معالم المسرة بعد اندراسها وأفاض سجال الحياة على ميت غراسها وكان المنصور يفتخر بالبديع كثيرا وينوه بقدره وفي ذلك يقول أبو فارس الفشتالي

(هذا البديع يعز شبه بدائع ** أبدعتهن به فجاء غريبا)

(أضنى الغزالة حسنه حسدا له ** أبدى عليها للأصيل شحوبا)

(وانقضت الزهر المنيرة إذ رأت ** زهر الرياض به ينور عجيبا)

(شيدتهن مصانعا وصنائعا ** أنجزن وعدك للعلا المرقوبا)

(وجريت في كل الفخار لغاية ** أدركتهن وما مسست لغوبا)

(فانعم بملكك دام فيه مؤبدا ** تجني به فنن النعيم رطيبا)

ولما أكمل المنصور البديع وفرغ من تنميق بردته وتطريز حلته صنع مهرجانا عظيما ودعا الأعيان والأكابر فقدم لهم من ضروب الأطعمة وصنوف الموائد وأفرغ عليهم من العطايا ومنحهم من الجوائز ما لم يعهد منه قبل ذلك وكان ممن دخل في غمار الناس رجل من البهاليل ممن كانت له شهرة بالصلاح في الوقت فقال له المنصور مباسطا كيف رأيت دارنا هذه يا فلان فقال له إذا هدمت كانت كدية كبيرة من التراب فوجم لها المنصور وتطير منها وتحكى هذه الحكاية عن غير المنصور فالله أعلم

قال اليفرني وقد ظهر مصداق ذلك على يد السلطان المظفر المولى إسماعيل بن الشريف فإنه أمر بهدمه سنة تسع عشرة ومائة وألف لموجب يطول شرحه فهدمت معالمه ومحيت مراسمه وفرق ما كان به من جموع الإنس وعاد حصيدا كأن لم يغن بالأمس حتى صار مرعى للكلاب والمواشي ووكرا للصدى والبوم وحق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه **ومن العجائب** أنه لم يبق بلد من بلاد المغرب إلا ودخله شيء من أنقاض البديع ولقد تذكرت بهذا ما حكاه بعض مؤرخي الأندلس أن

---

(١) الأيوبيون بعد صلاح الدين ٢/١٨٥

". (١)

٨٩-"

أريحية الأدب وكتب له أخوه مولاي الشريف في صدر كتاب بعث به إليه ما خاطب به سيف الدولة بن حمدان أخاه ناصر الدولة

(رضيت لك العليا وإن كنت أهلها ** وقلت لهم بيني وبين أخي فرق)

(أما كنت ترضى أن أكون مصليا ** إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق)

فاقترح المولى محمد على الشيخ أبي عبد الله المسناوي أن ينوب عنه في الجواب لأنه كان في جملة الوافدين عليه حينئذ فقال رحمه الله

(بلى قد رضيت أن تكون مجليا ** ويتلو نداكم في العلا من له السبق)

(ومالي لا أرضى لك المجد كله ** وأنت شقيق النفس إن عرف الحق)

(ولكن ذوو الضغن انتحوا ذات بيننا ** فغادرنا إفسادهم وبها رفق)

وفي هذا التاريخ أعني سنة سبع عشرة ومائة وألف انتزع النجليز جبل طارق من يد الإصبنيول حاصره ثلاثة أيام برا وبحرا في جند يسير فملكه لاشتغال الإصبنيول يومئذ عنه بأمر الفتنة التي حدثت في ملكه ولما ملكه النجليز عظم ذلك على أجناس الفرنج خصوصا الإصبنيول والفرنسيس ورأوا أن النجليز قد ملك عليهم باب أوروبا ولذا حاصروه مرارا فلم يحصلوا منه على طائل واستمر في يده إلى الآن

ولما دخلت سنة تسع عشرة ومائة وألف ورد الخبر بموت المولى زيدان ابن السلطان بتارودانت وحمل في تابوت إلى مكناسة فدفن ليلا إلى جانب أخيه المولى محمد العالم

وفي هذه السنة أمر السلطان بهدم قصر البديع الذي بناه المنصور السعدي بقصبة مراكش وقد تقدم الكلام عليه قال اليفرني في النزهة **ومن العجائب** أنه لم يبق بلد من بلاد المغرب إلا ودخله شيء من أنقاض البديع اه

ثم دخلت سنة عشرين ومائة وألف فيها افتتح الترك مدينة وهران وكانت بيد الإصبنيول مدة فردها الله على المسلمين يومئذ وفيها أمر السلطان بقراءة حديث الإنصات يوم الجمعة عند خروج الخطيب وجلوسه على المنبر

". (٢)

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ١٤٣/٥

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٩٣/٧

٩٠-"قصه عيسى بن مريم عم روينا عن الحسن أنه قال نزل الوحي على عيسى وهو ابن ثلاث عشرة سنة ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وكان في نبوته عشرين سنة ويقال هو آخر أنبياء بني إسرائيل وروينا عن الضحاك أن عيسى بعث إلى نصيبين وملكها جبار عنيد يقال له داود بن بوزا وكانوا أصحاب أصنام وتماثيل وزمن طب وأطباء ومعالجة فجاءهم عيسى من جنس صناعتهم بما أعجزهم وذلك من تمام القدرة وكمال القوة أن يعترض على المرء فيما هو لسبيله وليكون أنفى للشبهة وأبعد من التهمة وكما جاء عيسى عم في زمن السحر بما أبطل سحرهم وجاء محمد صلعم والزمن للخطباء والبلغاء والشعراء بما أفحمهم قالوا فأمن بعيسى الحواريون وهم أصفياءه وذلك بعدما أحيا لهم الموتى وأبرأ الأكمة والأبرص ونبأهم بما يأكلون في بيوتهم وما يدخرون للغد وخلق لهم من الطين كهيئة الطير ثم سألوه المائدة قال قوم فنزل عليهم وأكلوا منها ثم كفروا بها فمسخوا خنازير وكان الحسن يقول سألوا المائدة فلما قيل فمن يكفر بعد منكم فأني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين استعفوا فلم ينزل ومن نازعته نفسه في الإشراف على اختلاف الناس في هذه الأشياء وخوضهم فيها فلينظر كتاب المعاني فإني قد جمعت فيه ما وجدت إلا ما شذا قالوا ولما بلغ جالينوس الطبيب خبر عيسى وما يفعل من العجائب قصده لينظر ما عنده فمات قبل أن يصل إليه ويقال أنه آمن به قالوا ولما رأوا الآيات والعجائب من عيسى عم رمته اليهود بالسحر ونسبوه إلى غير رشده وخرجوا في طلبه فوجدوه قد اكتمن في غار ومعه أمه وجماعة من الحواريين فاستخرجوه وجعلوا يلطمون وجهه وينتفون شعره ويقولون إنك وإن كنت نبيا فدع ربك يمنعك ثم جعلوا على رأسه إكليلا من الشوك وفي قول اليهود والنصارى قتلوه وصلبوه ثم إن النصارى يقولون بعد ذلك رفع الله روحه إلى السماء ومنهم من يقول صلبوا الهيكل وعرج الروح وهو الله عز وجل وقال لي قبطى منهم أنه قتل وصلب ودفن وأقام بالقبر ثلاثا ثم نجاه أبوه ورفعه إلى السماء وفي قول المسلمين أنه لم يقتل ولم يصلب وإنما قتلوا رجلا وصلبوه وأشاعوا في الناس أنه عيسى فانتشر به الخبر قال الله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم واختلفوا في قوله تعالى إني متوفيك ورافعك إلي فقال كثير من أهل التفسير يقولون فيه تقديم وتأخير كأنه قال أني رافعك إلي ومتوفيك بعد إنزالك من السماء وقال قوم بل هو على وجهه وسياقه توفاه ثم رفعه ومعنى هذا القول أنه رفع روحه لا جسده قال أهل الأخبار رفع عيسى ونزل خفين فعدرعة وحذاقة للطير ذكر اختلاف الناس في هذه القصة وذكر الاختلاف في مدة هذه الفترة بين عيسى ومحمد عليها السلم قال ابن اسحق كانت الفترة ست مائة سنة وفي حساب المنجمين خمس مائة سنة إلا شيئا وروى عن أبي جريج أنه قال أربع مائة سنة والله أعلم وقال أهل الأخبار أنه كان في الفترة خالد ابن سنان العبسي نبيا وحنظلة بن أفيون الصادق نبيا وما أراه يصح وبعضهم كان يقول جرجيس نبيا وشمسون نبيا وفي كتاب بعض الحواريين أنه كان بعد المسيح بانطاكية أنبياء ومنهم برينا ولوقيوس وماثيل واغابوس ومن علماء أهل الإسلام من يقول أن قوله إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث أنهم كانوا أنبياء نومان وبالوص وشمعون وكان في الفترة أصحاب الكهف وسبا وضروان و جريج الناسك وقصة المقعد والمجذوم والأعمى وحبيب والنجار وفطروس الكافر أخو بحيرا المؤمن وكان عيسى عم فرق طائفة من الحواريين في البلدان والنواحي يدعون الناس ويعلموهم الدين ما حفظ من أسمائهم شمعون الصفا وهو رأسهم ويقال له صخرة الإيمان ويحيي ونومان ولوقا ومديوس وفطرس ويحنس واندرانس وفلبس وجرجيس ويعقوبس وميثا ويعقوب وبالوص ورفع عيسى عم قبل رجوعهم إليه

وكما يدل التأريخ عليه كان الملك في زمن عيسى عم من الأشغانيين". [١]

٩١-"ثم ملك افريذون وهو التاسع من ولد حام بن نوح قالوا أيضا هو ملك الأقاليم السبعة وأمر الناس بعبادة الله بعد ما كان أضلهم بيورسب ورد المظالم إلى أهلها وقام بالحق والعدل وفي زمانه تكلمت الفلاسفة ووضعوا الكتب وقرأت في بعض سير العجم أن إبراهيم عم ولد سنة ثلاثين من ملك افريذون بعد ما قال بعضهم أنه هو إبراهيم بعينه وقال آخرون أنه انقضى أمر إبراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ويوسف وموسى ويوشع وكاليب وحزقيل في ملك الضحاك وأنه بقى إلى أن أغرق الله فرعون وكان عاملا له على مصر وإلى أن خرج فرع بنهب ملك من ملوك العمالقة من ناحية اليمن ثم خرج عليه كاوى افريذون والله أعلم قالوا وكان لافريذون ثلاثة بنين سلم وطوج وايرج فقسم الأرض بينهم أثلاثا فصار الترك والصين لطوج وصار الروم والمغرب لسلم وصار العراق وفارس لايرج ثم طلب لثلاث أخوات متفقات في الحسن والجمال ليزوجهن ببنيه الثلاثة فوجدهن عند فرع بنهب فزوجهن إياهم قالوا وحسد سلم وطوج اريج وكان أصغرهم فقتلاه فدعا افريذون ربه أن لا يميته حتى يرى من نسل ايرج من يطلب بثأره قال ووقع غلام من نسل ايرج إلى أرض خراسان فكثر بها وتناسل وملك تكاثف جمعه ثم خرج من عقبه رجل اسمه منوجهر فجاء طالبا بثأر أبيه وقاتل سلما وطوجا بأرض بابل وقتلهما ودعا افريذون ووضع تاج الملك على رأسه وخر له ساجدا إذا استجاب الله فيه دعاءه ومات من ساعته قالوا وكان ملك افريذون خمس مائة سنة وفيه يقول بعض الشعراء

وقسمنا ملكنا في دهرنا ... قسمة اللحم في ظهر الوضم

فجعلنا الشام والروم إلى ... مغرب الشمس لغطريف سلم

ولطوج جعلنا الترك له ... وبلاد الصين يحييها برغم

ولايرج جعلنا عبرة ... فارس الملك وفزنا بالنعم

ثم ملك منوجهر بن منشخور العاشر من ولد ايرج وهو صاحب زمن موسى عم زعم قوم أنه في زمانه بعث موسى عم إلى أرض مصر قالت الفرس كان ملكه مائة وعشرين سنة وخرج عليه افراسياب التركي وكان من نسل طوج يطلب قتلة أبيه وحاصره سنين ثم تراضوا على أن يعطيه افراسياب قدر رمية من مملكته فأمروا رجلا يقال له آرش أن يرمي وكان أيدا ثقفا فأتكا على قوسه فاغرق فيها ثم أرسل سهمه من طبرستان فوقع بأعلى طخارستان ومات آرش مكانه ثم اختلفوا فزعموا أن الله عز وجل أرسل ريحا فاختطفت النشابة حتى وقعت حيث وقعت وزعم بعض أن الله عز وجل بعث ملكا فاحتملها ووضعها بحيث وضع فإن لم يكن ثم نبوة فالمعنى والله أعلم أنهما تراميا والخطر لمن فضل وغلب من طبرستان إلى طخارستان هذا إذا صح الخبر والله أعلم وأحكم، ثم ملك افراسياب التركي فعاث وأفسد وخرب الديار وعور الأنهار وقال قوم ملك الساعون في هلاك البرية سعيا أن ينشا له خلق جديد فقد طال مكثهم قالوا وحبس المطر عن الناس والحيوان ثم ملك رجل لم يكن من أهل بيت الملك يقال له زر بن طهماسب فطرد افراسياب وألحقه ببلاده ثم ملك كيقباذ من ولد افريذون مائة

---

(١) البدء والتاريخ ص/١٦٣

سنة ثم ملك كيكاوس ابن كايونة بن كيقباذ وهو الذي سار إلى حمير لقتالهم فأسروه وحطوه في جب أطبقوا عليه حجرا فيه ثقبه يطرح له كل يوم شيء من الطعام وكانت سعدى بنت ملك حمير تلاطفه وتطعمه إلى أن خرج رستم من سجستان لنصرته فاستنقذه ويذكرون في صفته **من العجائب**". (١)

٩٢-"في القديم قرى عامرة ومزارع متصلة والماء يجري من دجلة العوراء يمر بين يدي المذار وعبدسي وفم الصلح حتى يأتي المدائن والسفن تجري فيها من أرض الهند إلى المدائن ثم خدت الأرض حتى مرت بين يدي واسط قبل أن يكون واسط فجعلت بذلك الضياع بطائح قبلها جوخى بين المذار وعبدسي فصارت صحارى وسميت تلك دجلة العوراء لتحول الماء عنها وأنفق كسرى مالا عظيما على أن يحول الماء إلى دجلة العوراء فأعياه ذلك ورام بعده خالد بن عبد الله فأعجزه، الجزيرة ما بين دجلة والفرات فمنها سروج ورها وعين شمس ودارا ونصيبين وآمد وبرقعيد وبلد الموصل وبالس ورقة وهيت والرحبة أعلاها ارمينية، السواد سوادان سواد الكوفة وسواد البصرة وسمي سورستان طولها من حد الموصل إلى آخر الكوفة المعروفة ببهمن اردشير على فرات البصرة مائة وخمسة وعشرون فرسخا وعرضها ثمانون فرسخا من عقبة حلوان إلى العذيب مما يلي البادية يكون ذلك مكسرا عشرة آلاف فرسخ والفرسخ اثنا عشر الف ذراع كل ذلك مستعمر مستنزل وكان مبلغ خراج السواد مائة الف الف درهم وخمسين الف الف درهم ولم يزل على المقاسمة في أيام قباذ بن فيروز الملك فإنه مسحها ووضع الخراج عليها وبعث عمر بن الخطاب رضه عثمان بن حنيف فمسح السواد فوجده ستة وثلاثون الف الف جريب فوضع على كل جريب درهما وقفيزا، آذربيجان وارمينية هي شمال الجبل والعراق مشارقهم جرجان ومغاربهم الروم شمالهم أصناف أهل الشرك لأنه يقال أن ووراء باب الأبواب اثنين وسبعين فرقة من الكفار فمن مدنها الكبار اردبيل ومراغة وموقان وبرزغة وتفليس وثغورها ثغور أهل الشام وأهل الجزيرة وهي تسمى العواصم فمنها قالى قلا وسميساط واخلاط وقنسرين وكذلك طرسوس وعين زربة وآدنة والمصيصة، الأهواز طولها من سفح جبال اينان إلى شط البصرة وعرضها من حد واسط إلى حد فارس ومدنها الكبار ست كور وتستر وجندى وسابور والسوس والعسكر ورام هرمز ونفس مدينة الأهواز وكان يبلغ خراجها أيام الأكاسرة مائة ألف ألف درهم وخمسين ألف ألف درهم واف وحكي أنها جبيت في بعض الأوقات ألف حمل فضة، فارس طولها مائة وخمسون فرسخا في مائة وخمسين فرسخا منها صرود وجروم جبال وسهول وسواحل وكورها في الأصل أربع كور اصطخر وسابور ودارابجرد واردشير خره فمدينة اردشير ومدينة دارابجرد فسا ومدينة سابور نوبندجان ومدينة اصطخر البيضاء وخراجها أربعة وستون ألف ألف درهم واف ويتاخمها كرمان، كرمان وسجستان ومكران وما فوقها أما كرمان ففيها صرود وجروم وعيون وأدوية وأعظم مدنها أربع برماشير وبم وجيرفت ودار الملك المعروف بالسيرجان ويتاخمها بلاد مكران وسجستان فأما مكران فإنها تمتد إلى قيقان من أرض السند وفيه مدن وكور كثيرة ثم إلى مولتان تسمى فرج بيت الذهب لأن محمد بن يوسف لما افتتحها أصاب بها أربعين بهارا من الذهب والبهار ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون منا ذهبا يتصل حدود مولتان بحدود الهند وأما سجستان فمشارقها أرض كابل ومغاربها كرمان وجنوبها مكران وقيقان وشمالها قهستان

---

(١) البدء والتاريخ ص/١٦٩

وخراسان وتتاخم سجستان بلدي الرور والرخج وبست وهذه النواحي تتاخم أرض غزنة وقد ظهر في نواح يقال لها خشباجي معدن الذهب يحفرون الآبار ويخرجون من التراب الذهب وظهر هذا في سنة تسعين وثلاثمائة وزيد هذا الفصل في هذا الكتاب لأنه **من العجائب** ثم يرتفع إلى فنجهير وهي معادن الفضة إلى اندراب وبذخشان ووخان ثم يتصاعد إلى تبت ومن تبت إلى المشرق وفي شمال تبت والرخج الغور وهي جبال شامخة يخرقها نهر زرنج وفي جنوبها أرض السند، الجبل وهي من شرقي العراق وغربي خراسان أدنها إلى العراق حلوان ثم قرماسين ثم الدينور ثم همذان ونهاوند يسمى ماء البصرة وفي شمال هذه النواحي اذربيجان وفي جنوبها ماسبذان والسيروان ومدينة مهرجان قذق وهذه المدن بين العراق والأهواز والجبل وما يلي أرض فارس من الجبل الكرج واصبهان وما بينهم آخر عمل الجبل مما يلي خراسان الري وقزوين ثم في شمالها متصاعدا جرجان وطبرستان والجيل والديلم فالديلم لهم الجبال وهم أقل عددا من الجيل والجيل لهم سواحل بحر عابسكين وفي مشارق الرى قومس ثم يمر متصاعدا حتى يدخل حدود خراسان قالوا وبين الحدين تل لما وافى عبد الله بن طاهر خراسان واليا عليها وقف على ذلك التل ونادى يا أهل خرسان لا أجيبكم حتى أحميكم، خراسان طوله من حد الدامغان إلى". (١)

٩٣-"ذكر ما يحكى من عجائب الأرض وأهلها قد ذكر في الكتب أن عجائب الدنيا أربع شجر الزرزور ومنارة الاسكندرية وكنيسة الرها ومسجد دمشق **ومن العجائب** الهرمان بمصر ارتفاعهما في السماء أربع مائة وخمسون ذراعا في الخراط مكتوب عليهما من ادعى قوة فليهدمهما فإن الهدم أسهل من البناء ومنها قنطرة بختن معقودة من رأس جبل إلى جبل عقدها أهل الصين في الدهر ومنها جبل تبت يقال له جبل السم إذا مر به الناس أخذ بأنفاسهم فمنهم من يموت ومنهم من ينغل لسانه ومنها أن قتيبة بن مسلم لما افتتح ويكند أصاب بها قدورا عظاما يصعد إليها بالسلاليم فتذكروا أنها مما عملته الشياطين لسليمان عم بقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ومنها ما يحكى أن في مطلع الشمس أرضا ينبت الذهب قطعا كالنبات يظهر عند انفجار الصبح كالسرج ثم يغوص إذا دنا طلوع الشمس وفي تلك الأرض دابة على صورة النمل تأكل الناس قالوا ولما أغزى كشتاسب بت لهراسب اسفنديار فسار في أرض الترك حتى خرج من وراء الروم في أقصى الغرب وضع ثم صنما ونقش فيه ليس وراء هذا أحد يقاتل ولما فتح طارق بن زياد الأندلس في ولاية الوليد بن عبد الملك أصاب بها مائدة بثلاثة أطواق لؤلؤ وزبرجد وياقوت فذكر أهل الكتاب أنهما مما استخرجه الشياطين من البحر لسليمان بن داود ومنها أن من دخل تبت لم يزل مسرورا ضاحكا حتى يخرج كما يزعمون من غير علة ومنها أساطين انصنا مرأى الصعيد وغضائر السروج ومنها البحر المغربي لا تجري به السفن لأن فيه جبالا من حجر المغناطيس إذا انتهت إليه السفن جذبت ما فيها من المسامير فانتقضت قالوا وفي بحر الهند حيتان يبتلعون القارب وفيه سمك طيارة وفي بحر المغرب سمك على صورة الناس سواء وبأرض الهند شجر تقود فروعها إلى الأرض فتغوص فيها ثم تخرج رؤوسها من موضع آخر فإذا صارت شجرا عادت رؤوسها إلى الأرض ثم لا يزال كذلك حتى بلغت فراسخ ويغلب على بلدان كثيرة بعروقها وفروعها وزعموا أن قصب الخيزران يسير تحت الأرض خمسة فراسخ أو ستة وبها شجر يقال لها

---

(١) البدء والتاريخ ص/٢٠٩

وقواق فيزعمون أن صورة ثمره على صورة وجوه الناس وأما الحمات والنيران الظاهرة ومخارق الريح التي لا تسكن أبدا ومساقط الثلوج التي لا تخلو طول السنة ومستنقعات المياه المختلفة والطعوم والأرائيح والتراب المختلفة التي لا تحصى ولا تعد وقد ذكر محمد بن زكريا في كتاب الخواص منه طرفا صالحا فمما زعموا أن بارض الترك جبلا إذا انتهوا إليه شدوا في حوافر دوابهم اللبد والصوف لئلا يثير عجاجا فيمطرون قالوا ويحملون معهم من حجارة ذلك الجبل فإذا عطشوا حركوها في الماء فيمطرون في الحال وفي كتاب المسالك والممالك حكاية أن بأقصى الترك مما يلي شمالهم نهرا عظيما يدخل في نقب جبل عظيم ولا يدري أحد أين مخرج ذلك الماء ومصبه وأن رجلا منهم اتخذ ضغثا ودخل في زق عظيم وأمر أن ينفخ فيه واستوثق من رأسه ثم شد الزق على الضغث وطرح في الماء قالوا أنه غاص يومين أو ثلثة ثم خرج ببسيط من الأرض فلما أحس بضوء النهار شق عنه الزق فإذا هو بأرض ذات شجر وحيوان لم يرى مثلها في طولها وعرضها وعظمها وناس طوال القامات عراض الأجسام على دواب عظام فلما بصروا به جعلوا يضحكون تعجبا منه ومن خلقته وجسمه هكذا الحكاية فلا أدري من أي طريق عاد إليهم هذا الرجل وأخبرهم بالخبر ومن أراد معرفة هذه الأشياء فلينظر في طبائع الحيوان وطبائع الأحجار وطبائع النبات ويزده علما ومعرفة وخبرة". [١]

٩٤-"في ذكر اختلاف الناس في هذا الفصل أعلم أن ما كان في هذه الأخبار من المعجزات فكلها مصدقة مقبولة إذا صحت الرواية والنقل أو شهد لها نص القرآن والدلالة عليها كذهاب قوائم فرس سراقة في الأرض وكإنزال شاة أم معبد اللبن بعد يبسها وكأخذ الله بأبصار الفتكة عن نبيه وككلام ابليس في دار الندوة وكخبر المعراج والمسرى وقصة الروم والجن ولحس الأرضة الصحيفة ونزول جبريل بالوحي وتظليل الغمام والطير له في سفره وإخبار بحيرا وعداس وورقة بأمره وما ذكر **من العجائب** في مولده في ظئره حليمة من نزول اللبن في ضرعها وفي ضرع شاتها وغير ذلك مما يوصف ويحكى مع ما ذكر من هذه الخصال كلها داخل في حد الجواز والإمكان بعد أن كنا مجيزين للممتنع في الطبع والعادة للأنبياء وفي أيامهم فكيف الممكن المتوهم من ذلك وقد ناقض المنكرون لهذه الحال لخروجها عن العادة المجيزين لها بأنه قد تسوخ القوائم في السهلة والسباخ وفي نافقاء اليرابع والجرذان ويعود اللبن في الضرع بعد ذهابه وجفوفه بتغير الطبع وزوال العلة ووجود قوة حادثة كما قد يبصر الإنسان بعد العمى ويسمع بعد الصمم بحدوث سبب أو معنى دواء الطعام ويأخذ الله بأبصار قوم بأن يأتي عليهم النعاس أو يخفي شخص المار بهم فلا يرونه وكلام ابليس غير عجيب لأنه قد يقال لمن عمل بعمل ابليس هذا ابليس وكذلك لمن تكلم بكلام ابليس يوسوس ابليس بمثله وقد سمى الله عز وجل من اقتدى بالشيطان شيطانا فقال وإذا خلوا إلى شياطينهم وابليس شيطان وأما المعراج والمسرى فكفاك حجة على الخصم عدم اختلاف أهل الملة فيه وخبر الروم ولحس الأرضة والصحيفة وغير ذلك مما أخبر النبي صلعم من أخبار الغيب فمن وحي الله وتنزيله ومع أن ذلك ممكن معرفته من جملة الخبر وأما كيفية نزول جبريل بالوحي وظهوره له فإن الواجب أن لا يكلم الخصم إلا بإيجاب الوحي كيف شاء لأن الوحي على وجوه وحي إلهام ووحي إلقاء ووحي تلقين ووحي رؤيا وقد سئل النبي صلعم كيف يأتيك الوحي فقال

---

(١) البدء والتاريخ ص/٢١٤

أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني رواه الواقدي ونحن بحمد الله مصدقون بكل ما جاء على ظاهره وجدنا له مثلا وشبها أو لم نجد ومقرون بنزول الملك على الأنبياء سفيرا بينهم وبين الله عز وجل وواسطة قال هذا المناقض في حجاجته فإن قال الملحد إذ كان الأمر كما زعمت وكان كل ذلك ممكنا لعامة الناس فلم سميتها معجزات الأنبياء وخصصتهم بها قيل قد يكون الشيء معجزة في وقت وهو بعينه غير معجزة في وقت آخر ويكون معجزة لقوم وغير معجزة لقوم ويكون الشيء باجتماع أجزائه معجزة ويكون كل جزء منه على الانفراد غير معجزة وقال ذلك قولنا أن النبي صلعم نصر ببدر في قلة عددهم فلو وجد مثله في زماننا أو في بلد الشرك لجاز ذلك وكان ممكنا ثم لا يجوز أن يسمى معجزة وقد كان لرسول الله صلعم معجزة عظيمة في زمانه لأنه قد يقع بالاتفاق ما لا يرجى كونه ووقوعه قال القرآن معجزة عظيمة لهم قال فاتفاق تلك المعاني للنبي صلعم وتناسقها في زمانه معجزة أتاحها الله عز وجل وقدرها علامة لنبوته هذا يرحمك الله باب كان الله أغنى هذا المتكلف عن الخوض فيه والتمرس به وما أراه ابلى عنا في الإسلام أو رد عنه عادية إن لم يكن فتح عليهم باب شنعة وتلبيس وسبيل المعجزات للأنبياء في خروجها عن العادة سبيل إيجاد أعيان الخلق لا من سابقه فكما أن إيجاد الخلق لا من شيء لا مفهوم ولا معقول ولكن بعرف وتعلم بقيام الأدلة عليه كذلك معجزات الأنبياء عم غير موهومة ولا معقولة وإنما بعلم بقيام الأدلة عليها ولذلك جعلت مسألة الرسالة تابعة لمسألة التوحيد ومرتبة عليها وقد مضى من هذا في فصله ما كفى وأغنى ولله الحمد والمنة والحول والقوة والتوفيق والهداية،

الفصل السادس عشر

في مقدم رسول الله

وسراياه وغزواته إلى وقت وفاته صلعم". (١)

٩٥-"فمنها كلام الذئب للرجل الذي ... رأى الذئب في أغنامه يتردد

عجبت لأخذ الشاة مني رزقتها ... و هذا رسول الله يؤدي و تجحد

فخلى عن الشاة التي كان ضمها ... فأقبل للإسلام يسعى و يحفد

قالوا و مر بغنم لعبد القيس و هم يسمونها في وجوهها فنهاهم و أمرهم بالوسم في الآذان و وسم شاة منها فبقيت تلك السمة في أولادها إلى اليوم و فيها يقول

و شاة لعبد القيس مد بأذنها ... فلاحت سمات منه تبقى و تخلد

كأن على أولادها منه ميسما ... يدين على أولادها حين تولد

و شاة أم معبد **من العجائب** و أمرها مشهور شائع و كذلك الشاة المصلية المسمومة التي أهدتها إليه امرأة سلام بن مشكم اليهودية فأخذ منها فلاكها و لم يسغها و قال إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم ثم لفظ بها و كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر حن الجذع حتى أتاه النبي عليه السلام فالتزمه و قال لو لم ألتزمه لحن إلى يوم

---

(١) البدء والتاريخ ص/٢٣٨

القيامة و فيه يقول

و من ذاك جذع حن شوقا إلى النبي ... فما زال ساعات يميد و يسند

و قد سمعوا صوتا من الجذع نفسه ... فيا عجبا ممن يلط و يلحد

و وضع يده صلى الله عليه وسلم في ثردة كانت طعام رجلين فنزلت فيها البركة حتى صدر عنها ثلاث مائة و أكثر و فيها يقول

و منها ثريد كان قوتا لواحد ... فأشبع منه الخلق و الخلق شهد

ثلثمائة أطعموا منه فاكتفوا ... و ما كان يكفي واحدا يتزهد

و ألووا يوم حفر الخندق بعثت امرأة عبد الله بن رواحة بكف من تمر مع ابنتها إلى زوجها فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم فصبها في ثوب له ثم نادى يا أهل الخندق هلموا إلى الغداء فصدروا شباعا و بقيت بقية صالحة و فيه يقول

و في مزود إحدى و عشرين تمرة ... به جاءت الأخبار تروى و تسند

ثلاثة آلاف قضوا منه شبعهم ... وما تركوا بعد امتلا منه مزود

قالوا و رمى الكفار يوم بدر بكف من تراب و قال شاهت الوجوه فولوا منهزمين و كذلك يوم حنين و فيه يقول

و رميته الكفار بالترب في الوغى ... غداة حنين فابذعروا و بددوا

قالوا و مسح وجه ابن ملجان بيده فصارت في وجهه مسحة ملك و فيه يقول

ووجه ابن ملجان أضاء بكفه ... فأشرق لما مسه يتورد

قالوا و انقطع سيف عكاشة بن محصن في بعض الحروب فأعطاه جريدة نخل فصارت صفيحة يمانية فهي عند ولده إلى اليوم و فيه يقول

و أعطى عكاشا شطر نخل فهزه ... فصار يمانيا له يتوقد

قالوا وفي الخندق ظهرت كدية فأخذ المعول وضربها ثلاث ضربات رؤى فيها قصور الشام و اليمن و المشرق ففتحها الله عليه و فيه يقول

وفي صخرة يوما علاها بمعول ... أضاءت له الآفاق و الناس حشد

قالوا و لما نزل الحديبية قالوا كيف تنزل و لا ماء فأخرج سهما من كنانته و غرزه في بئر عادية فجاشت بالماء و فيه يقول

و من ذاك بئر نازح فار ماؤها ... يجيش رواعا زائدا يتزيد

و في الشارف الساني أدل دلالة ... و في جمل القصاب للذبح معتد

قالوا و أتاه أعرابي بضب فقال و الله لا أومن بك حتى يؤمن هذا الضب فشهد الضب بأنه رسول الله و فيه يقول

و في الضب إذ قال النبي محمد ... أتشهد لي يا ضب قال سأشهد

و في الغار قد لانت له الصخرة التي ... إليها التجا فيه و هو متوسد

وأظهر من عرج يريد علامة ... على صدقه حتى القيامة يشهد

روى أنه انتهى إلى عرج جبل أخلق لا فج فيه ولا مسلك ففرجه الله له حتى صار طريقا مهيعا قالوا وأراد الشأم لبعض

حاجاته فاعترض له سيل هاب القوم اقتحامه فتقدمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار طريقا يبسا وفيه يقول
و قحم في السيل القعاف بعيره ... فصار طريقا يابسا يتجرد". (١)

٩٦-" ثم يمتد شرقا ويصير جنوبي الأرض وفيه هناك جزائر الزابج وعلى سواحله خراب كثير ثم يمتد شرقا وشمالا حتى يتصل بحر الصين والهند ثم يمتد شرقا حتى يسامت نهاية الأرض الشرقية المكشوفة وهناك بلاد الصين ثم ينعطف في شرق الصين إلى جهة الشمال حتى يجاوز بلاد الصين ويسامت سد يأجوج ومأجوج ثم ينعطف ويستدير على أراضي غير معلومة الأحوال ثم يمتد مغربا في شمال الأرض ويسامت بلاد الروس ويتجاوزها ويعطف مغربا وجنوبا ويستدير على الأرض ويعود إلى جهة الغرب وينبثق من الغربي إلى متن الأرض الزقاق الذي ينتهي أقصاه إلى أطراف الشام من الغرب ثم يأخذ في بلاد الروم حتى يتصل بالقسطنطينية وغيرها من بلادهم

وينبعث من المحيط الشرقي بحار أخر فيها جزائر كثيرة حتى إنه يقال إن في بحر الهند ألف جزيرة وسبعمائة جزيرة فيها مدن وعمارات سوى الجزائر العاطلة ويقال لها البحر الأخضر فشرقيه بحر الصين وغربيه بحر اليمن وشماله بحر الهند وجنوبيه غير معلوم

وذكروا أن بين بحر الهند وبحر الصين جبالا فاصلة بينهما وفيها فجاج يسلك المراكب بينها يسيرها لهم الذي خلقها كما جعل مثلها في البر ايضا قال الله تعالى وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بكم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلكم تهتدون وقد ذكر بطليموس أحد ملوك الهند في كتابه المسمى بالمجسطي الذي عرب في زمان المأمون وهو أصل هذه العلوم أن البحار المتفجرة من المحيط الغربي والشرقي والجنوبي والشمالي كثيرة جدا فمنها ما هو واحد ولكن يسمى بحسب البلاد المتاخمة له فمن ذلك بحر القلزم والقلزم قرية على ساحله قريب من أيلة وبحر فارس وبحر الخزرة وبحر ورنك وبحر الروم وبحر بنطش وبحر الأزرق مدينة على ساحله وهو بحر القرم أيضا ويتضايق حتى يصب في بحر الروم عند جنوبي القسطنطينية وهو خليج القسطنطينية ولهذا تسرع المراكب في سيرها من القرم إلى بحر الروم وتبطيء إذا جاءت من الإسكندرية إلى القرم لاستقبالها جريان الماء وهذا **من العجائب** في الدنيا فإن كل ماء جار فهو حلو إلا هذا وكل بحر راكد فهو ملح أجاج إلا ما يذكر عن بحر الخزر وهو بحر جرجان وبحر طبرستان أن فيه قطعة كبيرة ماء حلوا فراتا على ما أخبر به المسافرون عنه

قال أهل الهيئة وهو بحر مستدير الشكل إلى الطول ما هو وقيل إنه مثلث كالقلع وليس هو متصلا بشيء من البحر المحيط بل منفرد وحده وطوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة وقيل أكثر من ذلك والله أعلم

ومن ذلك البحر الذي يخرج منه المد والجزر عند البصرة وفي بلاد المغرب نظيره أيضا يتزايد الماء من أول الشهر ولا يزال في زيادة إلى تمام الليلة الرابعة عشر منه وهو المد ثم يشرع في النقص وهو الجزر إلى آخر الشهر وقد ذكروا تحديد هذه

---

(١) البدء والتاريخ ص/٢٧٠

البحار ومبتداها ومنتهاها وذكروا ما في الأرض ". (١)

٩٧-" وأتوا فيه بأشياء **من العجائب** والغرائب وسنذكر طرفا من ذلك في كتاب الأحكام عند الوصول إليه إن شاء الله تعالى

وقد ذكر ابن جرير وغيره من علماء التاريخ أن أيوب عليه السلام لما توفي كان عمره ثلاثا وتسعين سنة وقيل إنه عاش أكثر من ذلك وقد روى ليث عن مجاهد ما معناه أن الله يحتج يوم القيامة بسليمان عليه السلام على الأغنياء وبيوسف عليه السلام على الأرقاء وبأيوب عليه السلام على أهل البلاء رواه ابن عساكر بمعناه وأنه أوصى إلى ولده حومل وقام بالأمر بعده ولده بشر بن أيوب وهو الذي يزعم كثير من الناس أنه ذو الكفل فالله أعلم ومات ابنه هذا وكان نبيا فيما يزعمون وكان عمره من السنين خمسا وسبعين ولنذكر ههنا قصة ذي الكفل إذ قال بعضهم إنه ابن أيوب عليها السلام

قصة ذي الكفل

الذي زعم قوم أنه ابن أيوب قال الله تعالى بعد قصة أيوب في سورة الأنبياء واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين وقال تعالى بعد قصة أيوب أيضا في سورة ص واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقرونا مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي عليه من ربه الصلاة والسلام وهذا هو المشهور وقد زعم آخرون أنه لم يكن نبيا وانما كان رجلا صالحا وحكما مقسطا عادلا وتوقف ابن جرير في ذلك فالله أعلم

وروى ابن جرير وابن أبي نجيح عن مجاهد أنه لم يكن نبيا وانما كان رجلا صالحا وكان قد تكفل لبني قومه ان يكفيه أمرهم ويقضي بينهم بالعدل فسمى ذا الكفل وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق داود بن أبي هند عن مجاهد أنه قال لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل فجمع الناس فقال من يتقبل لي بثلاث استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب قال فقام رجل تزدريه العين فقال أنا فقال أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب قال نعم قال فردهم ذلك اليوم وقال مثلها اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه قال فجعل ابليس يقول للشياطين عليكم بفلان فاعياهم ذلك فقال دعوني واياه فأتاه في صورة شيخ كبير فقير وأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام الليل والنهار إلاتلك النومة فدق الباب فقال من هذا قال شيخ كبير مظلوم قال فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه فقال إن بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا بي وفعلوا حتى حضر الرواح وذهبت القائلة وقال إذا رحت فأتني آخذ ". (٢)

---

(١) البداية والنهاية ١/٢٥

(٢) البداية والنهاية ١/٢٢٥

٩٨-" لا يسأل ولا يتمادى وهكذا روى ابن عدي من حديث إسماعيل بن عياش عن إسمعيل بن يحيى عن ابن مليكة عمن حدثه عن ابن مسعود وعن مسعر بن كدام عن عطية عن أبي سعيد رفع الحديث في دخول عيسى إلى الكتاب وتعليمه المعلم معنى حروف أبي جاد وهو مطول لا يفرح به ثم قال ابن عدي وهذا الحديث باطل بهذا الإسناد لا يرويه غير إسمعيل وروى ابن لهيعة عن عبدالله بن هبيرة قال كان عبدالله بن عمر يقول كان عيسى بن مريم وهو غلام يلعب مع الصبيان فكان يقول لأحدهم تريد أن أخبرك ما خبأت لك أمك فيقول نعم فيقول خبأت لك كذا وكذا فيذهب الغلام منهم إلى أمه فيقول لها أطعميني ما خبأت لي فتقول وأي شيء خبأت لك فيقول كذا وكذا فتقول له من أخبرك فيقول عيسى بن مريم فقالوا والله لئن تركتم هؤلاء الصبيان مع ابن مريم ليفسدنهم فجمعوهم في بيت وأغلقوا عليهم فخرج عيسى يلتمسهم فلم يجدهم فسمع ضوضاءهم في بيت فسأل عنهم فقالوا إنما هؤلاء قردة وخنازير فقال اللهم كذلك فكانوا كذلك رواه ابن عساكر

وقال إسحق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال وكان عيسى يرى العجائب في صباه الهاما من الله ففشا ذلك في اليهود وترعرع عيسى فهمت به بنو إسرائيل فخافت أمه عليه فأوحى الله إلى أمه أن تنطلق به إلى أرض مصر فذلك قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين

وقد اختلف السلف والمفسرون في المراد بهذه الربوة التي ذكر الله من صفتها أنها ذات قرار ومعين وهذه صفة غريبة الشكل وهي أنها ربوة وهو المكان المرتفع من الأرض الذي أعلاه مستو يقر عليه وارتفاعه متسع ومع علوه فيه عيون الماء معين وهو الجاري السارح على وجه الارض فقيل المراد المكان الذي ولدت فيه المسيح وهو نخلة بيت المقدس ولهذا ناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهو النهر الصغير في قول جمهور السلف وعن ابن عباس بإسناد جيد أنها أنهار دمشق فلعله أراد تشبيه ذلك المكان بأنهار دمشق وقيل ذلك بمصر كما زعمه من زعمه من أهل الكتاب ومن تلقاه عنهم والله أعلم وقيل هي الرملة وقال إسحق بن بشر قال لنا إدريس عن جده وهب بن منبه قال إن عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة أمر الله أن يرجع من بلاد مصر إلى بيت ايليا قال فقدم عليه يوسف بن خال أمه فحملهما على حمار حتى جاء بهما إلى ايليا وأقام بها حتى أحدث الله له الإنجيل وعلمه التوراة وأعطاء إحياء الموتى وإبراء الأسقام والعلم بالغيوب مما يدخرون في بيوتهم وتحدث الناس بقدومه وفزعوا لما كان يأتي **من العجائب** فجعلوا يعجبون منه فدعاهم إلى الله ففشا فيهم أمره ". (١)

٩٩-" سيوف الله سله على المشركين ودعا لي بالنصر فسميت سيف الله بذلك فانا من اشد المسلمين على المشركين فقال جرجه يا خالد الى ما تدعون قال الى شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله والاقرار بما جاء به من عند الله عز و جل قال فمن لم يجبكم قال فالجزية ونمنعهم قال فان لم يعطها قال نؤذنه بالحرب ثم نقاتله قال فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الامر اليوم قال منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ووضيعنا واولنا واخرنا قال جرجه فلمن

---

(١) البداية والنهاية ٢/٧٧

دخل فيكم اليوم من الاجر مثل ما لكم من الاجر والذخر قال نعم وافضل قال وكيف يساويكم وقد سبقتموه فقال خالد انا قبلنا هذا الامر عنوة وبايعنا نبينا وهو حي بين اظهرنا تاتيه اخبار السماء ويخبرنا بالكتاب ويرينا الايات وحق لمن راى ما راينا وسمع ما سمعنا ان يسلم ويبايع وانكم انتم لم تروا ما راينا ولم تسمعوا ما سمعنا **من العجائب** والحجج فمن دخل في هذا الامر منكم بحقيقة ونية كان افضل منا فقال جرجه بالله لقد صدقتني ولم تخادعني قال تالله لقد صدقتك وان الله ولي ما سالت عنه فعند ذلك قلب جرجه الترس ومال مع خالد وقال علمني الاسلام فمال به خالد الى فسطاطه فسن عليه قربة من ماء ثم صلى به ركعتين وحملت الروم مع انقلابه الى خالد وهم يرون انها منه حملة فازالوا المسلمين عن مواقفهم الا المحامية عليهم عكرمة بن ابي جهل والحرث بن هشام فركب خالد وجرجه معه والروم خلال المسلمين فتنادى الناس وثابوا وتراجعت الروم الى مواقفهم وزحف خالد بالمسلمين حتى تصافحوا بالسيوف فضرب فيهم خالد وجرجه من لدن ارتفاع النهار الى جنوح الشمس للغروب وصلى المسلمون صلاة الظهر وصلاة العصر ايماء واصيب جرجه رحمه الله ولم يصل لله الا تلك الركعتين مع خالد رضي الله عنهما وضعضعت الروم عند ذلك ثم نهد خالد بالقلب حتى صار في وسط خيول الروم فعند ذلك هربت خيالتهم واسندت بهم في تلك الصحراء وافرج المسلمون بخيولهم حتى ذهبوا واخر الناس صلاتي العشاءين حتى استقر الفتح وعمد خالد الى رحل الروم وهم الرجالة ففصلوهم حتى آخرهم حتى صاروا كانهم حائط قد هدم ثم تبعوا من فر من الخيالة واقتحم خالد عليهم خندقهم وجاء الروم في ظلام الليل الى الواقوصة فجعل الذين تسلسلوا وقيدوا بعضهم ببعض اذا سقط واحد منهم سقط الذين معه قال ابن جرير وغيره فسقط فيها وقتل عندها مائة الف وعشرون الفا سوى من قتل في المعركة وقد قاتل نساءالمسلمين في هذا اليوم وقتلوا خلقا كثيرا من الروم وكن يضربن من انهزم من المسلمين ويقلن اين تذهبون وتدعوننا للعلوج فاذا زجرنهم لا يملك احد نفسه حتى يرجع الى القتال

قال وتجلل القيقلان واشراف من قومه من الروم ببرانسهم وقالوا اذا لم نقدر على نصر دين ". (١)

١٠٠-" فحبسه في يوم السبت لثلاث خلون من ربيع الآخر وأمر بمصادرته فحمل مائة ألف وعشرين ألف دينار ومن الجواهر النفيسة ما يقوم بعشرين ألف دينار ثم صولح على ستة عشر الف ألف درهم وكان أبو دؤاد قد أصابه الفالج كما ذكرنا ثم نفي أهله من سامرا إلى بغداد مهانين قال ابن جرير فقال في ذلك ابو العتاهية

... لوكنت في الرأي منسوبا إلى رشد ... وكان عزمك عزما فيه توفيق ... لكان في الفقه شغل لو قنعت به ... عن أن تقول كتاب الله مخلوق ... ماذا عليك وأصل الدين يجمعهم ... ما كان في الفرع لولا الجهل والموق ...

وفي عيد الفطر منها امر المتوكل بانزال جثة أحمد بن نصر الخزاعي والجمع بين رأسه وجسده وأن يسلم إلى أوليائه ففرح الناس بذلك فرحا شيديدا واجتمع في جنازته خلق كثير جدا وجعلوا يتمسحون بها وبأعواد نعشه وكان يوما مشهودا ثم أتوا إلى الجذع الذي صلب عليه فجعلوا يتمسحون به وأرهج بذلك فرحا وسرورا فكتب المتوكل إلى نائبه يأمر بردعهم عن تعاطي مثل هذا وعن المغالاة في البشر ثم كتب المتوكل إلى الآفاق بالمنع من الكلام في مسألة الكلام والكف عن القول

---

(١) البداية والنهاية ١٣/٧

بخلق القرآن وأن من تعلم علم الكلام لو تكلم فيه فالمطبق مأواه إلى أن يموت وأمر الناس أن لا يشتغل أحد الا بالكتاب والسنة لا غير ثم أظهر إكرام الامام أحمد بن حنبل واستدعاه من بغداد إليه فاجتمع به فأكرمه وأمر له بجائزة سنية فلم يقبلها وخلع عليه خلعة سنية من ملابسه فاستحيا منه أحمد كثيرا فلبسها إلى الموضع الذي كان نازلا فيه ثم نزعها نزعا عنيفا وهو يبكي رحمه الله تعالى وجعل المتوكل في كل يوم يرسل إليه من طعامه الخاص ويظن أنه يأكل منه وكان أحمد لا يأكل لهم طعاما بل كان صائما مواصلا طاويا تلك الايام لأنه لم يتيسر له شيء يرضي أكله ولكن كان ابنه صالح وعبدالله يقبلان تلك الجوائز وهو لا يشعر بشي من ذلك ولولا انهم أسرعوا الأوبة إلى بغداد لخشي على أحمد ان يموت جوعا وارتفعت السنة جدا أيام المتوكل عفا الله عنه وكان لا يولي أحدا الا بعد مشورة الامام أحمد وكان ولاية يحي بن أكثم قضاء القضاة موضع ابن أبي دؤاد عن مشورته وقد كان يحي بن أكثم من أئمة السنة وعلماء الناس ومن المعظمين للفقه والحديث واتباع الأثر وكان قد ولى من جهته حبان بن بشر قضاء الشرقيه وسور إبن عبدالله قضاء الجانب الغربي وكان كلاهما أعورا فقال في ذلك بعض اصحاب إبن أبي دؤاد

... رأيت **من العجائب** قاضيين ... هما أحدوثة في الخافقين ... هما اقتسما العمى نصفين قدا ... كما اقتسما قضاء الجانبين ... ويحسب منهما من هز رأسا ... لنظر في مواريث ودين ". [١]

١٠١-" أبي العباس المعتضد سلطان الإسلام وفيها وقعت حروب بين هارون الشاري وبين بني شيبان في أرض الموصل وقد بسط ذلك ابن الأثير في كامله وفي رجب منها كانت وفاة المعتمد على الله ليلة الإثنين لتسع عشرة ليلة خلت منه

ترجمة المعتمد على الله

هو أمير المؤمنين المعتمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد واسمه أحمد بن جعفر بن محمد بن هارون الرشيد مكث في الخلافة ثلاثا وعشرين سنة وستة أيام وكان عمره يوم مات خمسين سنة وأشهرا وكان أسن من أخيه الموفق بستة أشهر وتأخر بعده أقل من سنة ولم يكن إليه مع أخيه شيء من الأمر حتى أن المعتمد طلب في بعض الأيام ثلاثمائة دينار فلم يصل إليها فقال الشاعر في ذلك ... **ومن العجائب** في الخلافة أن ... ترى ما قل ممتنعا عليه ... وتؤخذ الدنا باسمه جميعا ... وما ذاك شيء في يديه ... إليه تحمل الأموال طرا ويمنع بعض ما يجبى إليه ...

كان المعتمد أول خليفة انتقل من سامرا إلى بغداد ثم لم يعد إليها أحد من الخلفاء بل جعلوا إقامتهم ببغداد وكان سبب هلاكه في ما ذكره ابن الأثير أنه شرب في تلك الليلة شرابا كثيرا وتعشى عشاء كثيرا وكان وقت وفاته في القصر الحسيني من بغداد وحين مات أحضر المعتضد القضاة والأعيان وأشهدهم أنه مات حتف أنفه ثم غسل وكفن وصلي عليه ثم حمل فدفن بسامرا وفي صبيحة العزاء بويع للمعتضد وفيها توفي

البلاذري المؤرخ

---

(١) البداية والنهاية ٣١٦/١٠

واسمه أحمد بن يحيى بن جابر بن داود أبو الحسن ويقال أبو جعفر ويقال أبو بكرالبغدادي البلاذري صاحب التاريخ المنسوب إليه سمع هشام بن عمار وأبا عبيد القاسم بن سلام وأبا الربيع الزهراني وجماعة وعنه يحي بن النديم وأحمد بن عمار وأبو يوسف يعقوب بن نعيم بن قرقارة الأزدي قال ابن عساكر كان أديبا ظهرت له كتب جياد ومدح المأمون بمدائح وجالس المتوكل وتوفي أيام المعتمد وحصل له هوس ووسواس في آخر عمره وروى عنه ابن عساكر قال قال لي محمود الوراق قل من الشعر ما يبقى لك ذكره ويزول عنك إثمه فقلت عند ذلك

... استعدي يا نفس للموت واسعي ... لنجاة فالحازم المستعد ... إنما أنت مستعيرة وسوف ... تردين والعواري ترد ... أنت تسهين والحوادث لا ... تسهو وتلهين والمنايا تعد ... أي ملك في الأرض وأي حظ ... لامرئ حظه من الأرض لحد ". (١)

١٠٢-" البلاد فلم يقبل فأقبل إليه إسماعيل في جيوش عظيمة جدا فالتقيا عند بلخ فهزم أصحاب عمرو وأسر عمرو فلما جيء به إلى إسماعيل بن أحمد قام إليه وقبل بين عينيه وغسل وجهه وخلع عليه وأمنه وكتب إلى الخليفة في أمره ويذكر أن أهل تلك البلاد قد ملوا وضجروا من ولايته عليهم فجاء كتاب الخليفة بأن يتسلم حواصله وأمواله فسلبه إياها فآل به الحال بعد أن كان مطبخه يحمل على ستمائة جمل إلى القيد والسجن **ومن العجائب** أن عمرا كان معه خمسون ألف مقاتل لم يصب أحد منهم ولا أسر سواه وحده وهذا جزاء من غلب عليه الطمع وقاده الحرص حتى أوقعه في ذل الفقر وهذه سنة الله في كل طامع فيما ليس له وفي كل طالب للزيادة في الدنيا

ظهور أبي سعيد الجنابي رأس القرامطة وهم أخبث من الزنج وأشد فسادا

كان ظهوره في جمادى الآخرة من هذه السنة بنواحي البصرة فالتف عليه من الأعراب غيرهم بشر كثير وقويت شوكته جدا وقتل من حوله من أهل القرى ثم صار الى القطيف قريبا من البصرة ورام دخولها فكتب الخليفة المعتضد إلى نائبها يأمره بتحصين سورها فعمروه وجددوا معالمه بنحو من أربعة آلاف دينار فامتنعت من القرامطة بسبب ذلك وتغلب أبو سعيد الجنابي ومن معه من القرامطة على هجر وما حولها من البلاد وأكثروا في الأرض الفساد وكان أصل أبي سعيد الجنابي هذا أنه كان سمسارا في الطعام يبيعه ويحسب للناس الأثمان فقدم رجل به يقال له يحي بن المهدي في سنة إحدى وثمانين ومائتين فدعا أهل القطيف إلى بيعة المهدي فاستجاب له رجل يقال له علي بن العلاء بن حمدان الزيادي فساعده في الدعوة إلى المهدي وجمع الشيعة الذين كانوا في القطيف فاستجابوا له وكانوا في جملة من استجاب ابو السعيد الجنابي هذا قبحه الله ثم تغلب على أمرهم وأظهر فيهم القرمطة فاستجابوا له والتفوا عليه فتآمر عليهم وصار هو المشار إليه فيهم وأصله من بلدة هناك يقال لها جنابة وسيأتي ما يكون من أمره وأمر أصحابه قال في المنتظم ومن عجائب ما وقع من الحوادث في هذه السنة ثم روى بسنده أن امرأة تقدمت إلى قاضي الرى فادعت على زوجها بصداقها خمسمائة دينار فأنكره فجاءت ببينه تشهد لها به فقالوا نريد أن تسفر لنا عن وجهها حتى نعلم أنها الزوجة أم لا فلما صمموا على ذلك قال الزوج

---

(١) البداية والنهاية ١١/٦٥

لا تفعلوا هي صادقة فيما تدعيه فأقر بما ادعت ليصون زوجته عن النظر إلى وجهها فقالت المرأة حين عرفت ذلك منه وإنه إنما أقر ليصون وجهها عن النظر هو في حل من صداقي عليه في الدنيا والآخرة وممن توفي فيها من الأعيان المشاهير أحمد بن عيسى أبو السعيد الخراز فيما ذكره شيخنا الذهبي ". [١]

١٠٣-" رسول الله (ص) فبعثوا به في جملة تحف إلى المعز الفاطمي إلى إفريقية وفيها قصدت القرامطة مدينة طبرية ليأخذوها من يد الأخشيد صاحب مصر والشام وطلبوا من سيف الدولة أن يمدهم بحديد يتخذون منه سلاحا فقلع لهم أبواب الرقة وكانت من حديد صامت وأخذ لهم من حديد الناس حتى أخذ أواقي الباعة والأسواق وأرسل بذلك كله إليهم فأرسلوا إليه يقولون اكتفينا وفيها طلب معز الدولة من الخليفة أن يأذن له في دخول دار الخلافة ليتفرج فيها فأذن له فدخلها فبعث الخليفة خادمه وصاحبه معه فطافوا بها وهو مسرع خائف ثم خرج منها وقد خاف من غائلة ذلك وخشي أن يقتل في دهاليزها فتصدق بعشرة آلاف لما خرج شكرا لله على سلامته وازداد حبا في الخليفة المطيع من يومئذ وكان في جملة ما رأى فيها **من العجائب** صنم من نحاس على صورة امرأة حسناء جدا وحولها أصنام صغار في هيئة الخدم لها كان قد أتي بها في زمن المقتدر فأقيمت هناك ليتفرج عليها الجواري والنساء فهم معز الدولة أن يطلبه من الخليفة ثم ارتأى فترك ذلك وفي ذي الحجة منها خرج رجل بالكوفة فادعى أنه علوي وكان يتبرقع فسمي المتبرقع وغلظت فتنته وبعد صيته وذلك في غيبة معز الدولة الدول عن بغداد واشتغاله بأمر الموصل كما تقدم فلما رجع إلى بغداد اختفى المتبرقع وذهب في البلاد فلم ينتج له أمر بعد ذلك وممن توفي فيها من الأعيان

بكار بن أحمد

ابن بكار بن بيان بن بكار بن درستويه بن عيسى المقري روى الحديث عن عبدالله بن أحمد و عنه أبو الحسن الحماني وكان ثقة أقرأ القرآن أزيد من ستين سنة رحمه الله توفي في ربيع الأول منها وقد جاوز السبعين وقارب الثمانين ودفن بمقبرة الخيزران عند قبر أبي حنيفة

أبو إسحاق الجهمي

ولد سنة خمسين ومائتين وسمع الحديث وكان إذا سئل أن يحدث يقسم أن لا يحدث حتى يجاوز المائة فأبر الله قسمه وجاوزها فأسمع توفي عن مائة سنة وثلاثين سنة رحمه الله

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وثلثمائة

في عاشر المحرم منها عملت الشيعة مآتمهم وبدعتهم على ما تقدم قبل وغلقت الأوسواق وعلقت المسوح وخرجت النساء سافرات ناشرات شعورهن ينحن ويلطمن وجوههن في الأسواق والأزقة على الحسين وهذا تكلف لا حاجة إليه في الإسلام ولو كان هذا أمرا محمودا لفعله خير القرون وصدر هذه الأمة وخيرتها وهم أولى به (لو كانوا خيرا ما سبقونا اليه) وأهل السنة يقتدون ولا يبتدعون ثم تسلطت أهل السنة على الروافض فكسبوا مسجدهم مسجد براثا الذي هو عش

---

(١) البداية والنهاية ٨١/١١

الروافض وقتلوا بعض من كان فيه من القومة وفيها في رجب منها جاء ملك الروم بجيش كثيف إلى ". [١]

١٠٤-" ثم دخلت سنة تسع وستين وثلثمائة

في المحرم منها توفي الأمير عمر بن شاهين صاحب بلاد البطيحة منذ أربعين سنة تغلب عليها وعجز عنه الأمراء والملوك والخلفاء وبعثوا إليه الجنود والسرايا والجيوش غير مرة فكل ذلك يفلها ويكسرها وكل ما له في تمكن وزيادة وقوة ومكث كذلك هذه المدة ومع هذا كله مات على فراشه حنف أنفه فلا نامت أعين الجبناء وقام بالأمر من بعده ولده الحسن فرام عضد الدولة أن ينتزع الملك من يده فأرسل إليه سرية حافلة من الجنود فكسرهم الحسن بن عمر بن شاهين وكاد أن يتلفهم بالكلية حتى أرسل إليه عضد الدولة فصالحه على مال يحمله إليه في كل سنة وهذا **من العجائب** الغريبة وفي صفر قبض على الشريف أبي أحمد الحسن بن موسى الموسوي نقيب الطالبيين وقد كان أمير الحج مدة سنين أتهم بأنه يفشي الأسرار وأن عزالدولة أودع عنده عقدا ثمينا ووجدوا كتابا بخطه في إفشاء الأسرار فأنكر أنه خطه وكان مزورا عليه واعترف بالعقد فأخذ منه وعزل عن النقابة وولوا غيره وكان مظلوما وفي هذا الشهر أيضا عزل عضد الدولة قاضي القضاة أبا محمد بن معروف وولى غيره وفي شعبان منها ورد البريد من مصر إلى عضد الدولة بمراسلات كثيرة فرد الجواب بما مضمونه صدق النية وحسن الطوية ثم سأل عضد الدولة من الطائع أن يجدد عليه الخلع والجواهر وأن يزيد في إنشائه تاج الدولة فأجابه إلى ذلك وخلع عليه من أنواع الملابس ما لم يتمكن معه من تقبيل الأرض بين يدي الخليفة وفوض إليه ما وراء بابه من الأمور ومصالح المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وحضر ذلك أعيان الناس وكان يوما مشهودا وأرسل في رمضان إلى الأعراب من بني شيبان وغيرهم فعقرهم وكسرهم وكان أميرهم منبه ابن محمد الأسدي متحصنا بعين التمر مدة نيف وثلاثين سنة فأخذ ديارهم وأموالهم وفي يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي القعدة تزوج الطائع لله بنت عضد الدولة الكبرى وعقد العقد بحضرة الأعيان على صداق مبلغه مائة ألف دينار وكان وكيل عضد الدولة الشيخ ابا علي الحسين بن أحمد الفارسي النحوي صاحب الايضاح والتكملة وكان الذي خطب خطبة العقد القاضي أبو علي الحسن بن علي التنوخي قال ابن الأثير وفيها جدد عضد الدولة عمارة بغداد ومحاسنها وجدد المساجد والمشاهد وأجرى على الفقهاء الأرزاق وعلى الأئمة من الفقهاء والمحدثين والأطباء والحساب وغيرهم وأطلق الصلات لأرباب البيوتات والشرف وألزم أصحاب الاملاك بعمارة بيوتهم ودورهم ومهد الطرقات وأطلق المكوس وأصلح الطريق للحجاج من بغداد إلى مكة وأرسل الصدقات للمجاورين بالحرمين قال وأذن لوزيره نصر بن هارون وكان نصرانيا بعمارة البيع والأديرة وأطلق الأموال لفقرائهم ". [٢]

١٠٥-" الآخرة هبة الله بن الحسن

أبو الحسين المعروف بالحاجب كان من أهل الفضل والأدب والدين وله شعر حسن فمنه قوله

---

(١) البداية والنهاية ٢٥٤/١١

(٢) البداية والنهاية ٢٩٥/١١

... يا ليلة سلك الزما ... ن في طيبها كل مسلك ... إذ ترتقى روحي المسر ... ة مدركا ما ليس يدرك والبدر قد فضح الزما ... ن وسره فيه مهتك ... وكأنما زهر النجو ... م بلمعها شعل تحرك ... والغيب أحيانا يلو ... ح كأنه ثوب ممسك ... وكأن تجعيد الريا ... ح لدجلة ثوب مفرك ... وكان نشر المسك ... ينفح في النسيم إذا تحرك ... وكأنما المنثور مصفر ... الذري ذهب مسبك ... والنور يبسم في الريا ... ض فإن نظرت إليه سرك ... شارطت نفسي أن أقو ... م بحقها والشرط أملك ... حتى تولى الليل م ... تهزما وجاء الصبح يضحك ... وذا الفتى لو أنه ... في طيب العيش يترك ... والدهر يحسب عمره ... فإذا أتاه الشيب فذلك ...

أبو علي بن سينا

الطبيب الفيلسوف الحسن بن عبد الله بن سينا الرئيس كان بارعا في الطب في زمانه كان أبوه من أهل بلخ وانتقل إلى بخارى واشتغل بها فقرأ القرآن وأتقنه وهو ابن عشر سنين وأتقن الحساب والجبر والمقابلة وإقليدس والمجسطي ثم اشتغل على أبي عبد الله الناتلي الحكيم فبرع فيه وفاق أهل زمانه في ذلك وتردد الناس إليه واشتغلوا عليه وهو ابن ست عشرة سنة وعالج بعض الملوك السامانية وهو الأمير نوح بن نصر فأعطاه جائزة سنية وحكمه في خزانة كتبه فرأى فيها **من العجائب** والمحاسن مالا يوجد في غيرها فيقال إنه غزا بعض تلك الكتب إلى نفسه وله في الآلهيات والطبيعات كتب كثيرة قال ابن خلكان له نحو من مائة مصنف صغار وكبار منها القانون والشفا والنجاة والإشارات وسلامان وإنسان وحي بن يقظان وغير ذلك . قال وكان من فلاسفة الإسلام أورد له من الأشعار قصيدته في نفسه التي يقول فيها ... هبطت إليك من المقام الأرفع ... ورقاء ذات تعزز وتمنع ... محجوبة عن كل مقلة عارف ... وهي التي سفرت ولم تتبرقع ". (١)

١٠٦-" واستوزر أبا القاسم الخوارزمي وملك عبد الله بن تتش مدينة حلب ودبر أمر مملكته جناح الدولة ابن اتكين ورضوان بن تتش صاحب مدينة حماه وإليه تنسب بنو رضوان بها وفي يوم الجمعة التاسع عشر من ربيع الأول منها خطب لولي العهد أبي المنصور الفضل بن المستظهر ولقب بذخيرة الدين وفي ربيع الآخر خرج الوزير ابن جهير فاختط سورا على الحريم وأذن للعوام في العمل والتفرج فأظهروا منكرات كثيرة وسخافات عقول ضعيفة وعملوا أشياء منكرة فبعث إليه ابن عقيل رقعة فيها كلام غليظ وإنكار بغيض وفي رمضان خرج السلطان بركيارق فعدا عليه فداوى فلم يتمكن منه فمسك فعوقب فأقر على آخرين فلم يقرا فقتل الثلاثة وجاء الطواشي من جهة الخليفة مهنئا له بالسلامة وفي ذي القعدة منها خرج أبو حامد الغزالي من بغداد متوجها إلى بيت المقدس تاركا لتدريس النظامية زاهدا في الدنيا لابسا خشن الثياب بعد ناعمها وناب عنه أخوه في التدريس ثم حج في السنة التالية ثم رجع إلى بلده وقد صنف كتاب الأحياء في هذه المدة وكان يجتمع إليه الخلق الكثير كل يوم في الرباط فيسمعونه وفي يوم عرفة خلع على القاضي أبي الفرج عبد الرحمن بن هبة الله بن البستي ولقب بشرف القضاة ورد إلى ولاية القضاء بالحريم وغيره وفيها اصطلح أهل الكرخ من الرافضة والسنة مع بقية المحال وتزاوروا وتواصلوا وتواكلوا وكان هذا **من العجائب** وفيها قتل أحمد بن خاقان صاحب سمرقند وسببه أنه شهد عليه بالزندقة فخنق

---

(١) البداية والنهاية ٤٢/١٢

وولي مكانه ابن عمه مسعود وفيها دخل الأتراك إفريقية وغدروا بيحي بن تميم بن المعز بن باديس وقبضوا عليه وملكوا بلاده وقتلوا خلقا بعدما جرت بينه وبينهم حروب شديدة وكان مقدمهم رجل يقال له شاه ملك وكان من أولاد بعض أمراء المشرق فقدم مصر وخدم بها ثم هرب إلى المغرب ومعه جماعة ففعل ما ذكر ولم يحج أحد من أهل العراق فيها وممن توفي فيها من الأعيان الحسن بن أحمد بن خيرون

أبو الفضل المعروف بابن الباقلاني سمع الكثير وكتب عنه الخطيب وكانت له معرفة جيدة وهو من الثقات وقبله الدامغاني ثم صار أمينا له ثم ولي إشراف خزانة الغلات توفي في رجب عن ثنتين وثمانين سنة

تتش أبو المظفر

تاج الدولة بن ألب أرسلان صاحب دمشق وغيرها من البلاد وقد تزوج امرأة علي ابن أخيه بركيارق بن ملكشاه ولكن قدر الله وماتت وقد قال المتنبي

... ولله سر في علاك وإنما ... كلام العدي ضرب من الهذيان ... قال ابن خلكان كان صاحب البلاد الشرقية فاستنجده أتسز في محاربة أمير الجيوش من جهة صاحب مصر فلما قدم دمشق لنجدته وخرج إليه أتسز أمر بمسكه وقتله وأستحوذ هو على دمشق ". (١)

١٠٧-" فقتل منهم خلقا كثيرا عند الضريح **ومن العجائب** أن أحدهم ألقى نفسه وفرسه من فوق السور فسلم وسلمت فرسه وحج بالناس الأمير خمارتكين وممن توفي فيها من الأعيان عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله

أخو أبي حكيم الخيري وخير إحدى بلاد فارس سمع الحديث وتفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وكانت له معرفة بالفرائض والأدب واللغة وله مصنفات وكان مرضى الطريقة وكان يكتب المصاحف بالأجرة فبينما هو ذات يوم يكتب وضع القلم من يده واستند وقال والله لئن كان هذا موتا إنه لطيب ثم مات

عبد المحسن بن أحمد الشنجي

التاجر ويعرف بابن شهداء مكة بغدادي سمع الحديث الكثير ورحل وأكثر عن الخطيب وهو بصور وهو الذي حمله إلى العراق فلهذا أهدى إليه الخطيب تاريخ بغداد بخطبة وقد روى عنه في مصنفاته وكان يسميه عبد الله وكان ثقة

عبد الملك بن إبراهيم

ابن أحمد أبو الفضل المعروف بالهمذاني تفقه على الماوردي وكانت له يد طولى في العلوم الشريعة والحساب وغير ذلك وكان يحفظ غريب الحديث لأبي عبيد والمجمل لابن فارس وكان عفيفا زاهدا طلبه المقتدي ليوليه قاضي القضاة فأبى أشد الإباء واعتذر له بالعجز وعلو السن وكان ظريفا لطيفا كان يقولل كان أبي إذا أراد أن يؤدبني أخذ العصا بيده ثم يقول نويت أن أضرب ولدي تأديبا كما أمر الله ثم يضربني قال وإلى أن ينوي ويتمم النية كنت أهرب توفي في رجب منها ودفن عند قبر ابن شريح

---

(١) البداية والنهاية ١٢/١٤٩

محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن منصور

أبو بكر الدقاق ويعرف بابن الحاضنة كان معروفا بالإفادة وجودة القراءة وحسن الخط وصحة النقل جمع بين علم القراءات والحديث وأكثر عن الخطيب وأصحاب المخلص قال لما غرقت بغداد غرقت داري وكتبي فلم يبق لي شيء فاحتجت إلى النسخ فكتبت صحيح مسلم في تلك السنة سبع مرات فنمت فرأيت ذات ليلة كأن القيامة قد قامت وقائل يقول أين ابن الحاضنة فجئت فأدخلت الجنة فلما دخلتها استلقيت على قفاى ووضعت إحدى رجلي على الأخرى وقلت استرحت من النسخ ثم استيقظت والقلم في يدي والنسخ بين يدي

أبو المظفر السمعاني منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد أبو المظفر السمعاني الحافظ من أهل مرو تفقه أولا على أبيه في مذهب أبي حنيفة ثم انتقل إلى مذهب الشافعي فأخذ عن أبي إسحاق وابن ". (١)

١٠٨-" ونصفها وكان هو العاشر من ولد عبيد الله المهدى ولما قتل تغلب على الديار المصرية غلام من غلمانه أرمني فاستحوذ على الأمور ثلاثة أيام حتى حضر أبو علي أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي فأقم الخليفة الحافظ أبا الميمون عبدالمجيد بن الأمير أبي القاسم بن المستنصر وله من العمر ثمان وخمسون سنة ولما أقامه استحوذ على الأمور دونه وحصره في مجلسه لا يدع أحدا يدخل إليه إلا من يريد هو ونقل الأموال من القصر إلى داره ولم يبق للحفاظ سوى الإسم فقط وممن توفي فيها من الأعيان

إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد

أبو إسحاق الكلبي من أهل غزة جاوز الثمانين وله شعر جيد في الأتراك فمنه ... في فتية من جيوش الترك ما تركت ... للرعد كراتهم صوتا ولا صيتا ... قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة ... حسنا وإن قوتلوا كانوا عفاريتا ... وله ليت الذي بالعشق دونك خصني ... يا ظالمي قسم المحبة بيننا ... ألقى الهزبر فلا أخاف وثوبه ... ويرو عني نظر الغزال إذا دنا ... وله ... إنما هذه الحياة متاع ... والسفيه الغوي من يصطفيها ... ما مضى فات والمؤمل غيب ... ولك الساعة التي أنت فيها ... وله أيضا ... قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة ... باب الدواعي والبواعث مغلق ... خلت الديار فلا كريم يرتجى ... منها النوال ولا مليح يعشق ... **ومن العجائب** أنه لا يشترى ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق ... كانت وفاته في هذه السنة ببلاد بلخ ودفن بها ومما أنشده ابن خلكان له ... إشارة منك تكفينا وأحسن ما ... رد السلام غداة البين بالعنم ... حتى أذا طاح عنها المرط من دهش ... وانحل بالضم سلك العقد في الظلم ... تبسمت فاضاء الليل فاتلقطت ... حبات منتثر في ضوء منتظم ...

الحسين بن محمد

---

(١) البداية والنهاية ١٥٣/١٢

ابن عبدالوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبيدالله بن القاسم بن عبدالله بن سليمان بن وهب الدباس أبو عبدالله الشاعر المعروف بالبارع قرأ القراءات وسمع الحديث وكان عارفا بالنحو واللغة والأدب وله شعر حسن توفي في هذه السنة وقد جاوز الثمانين

محمد بن سعدون بن مرجا

... أبو عامر العبدري القرشي الحافظ أصله من بيروقة من بلاد المغرب وبغداد وسمع بها على طراد الزينبي والحميدي وغير واحد وكانت له معرفة جيدة بالحديث وكان يذهب في الفروع مذهب ". (١)

١٠٩-"كريما اديبا يحب أهل العلم ويحسن إليهم كان من خيار الملوك والوزراء وقد امتدحه غير واحد من الشعراء قال ابن خلكان كان أولا متوليا بمنية بني الخصيب ثم آل به الحال إلى أن صار وزير العاضد والفائز قبله ثم قام في الوزارة بعده ولده العادل رزيك بن طلائع فلم يزل فيها حتى انتزعها منه شاور كما سيأتي قال والصالح هذا هو باني الجامع عند باب زويلة ظاهر القاهرة قال **ومن العجائب** أنه ولي الوزارة في تاسع عشر شهر ونقل من دار الوزارة إلى القرافة في تاسع عشر شهر وزالت دولتهم في تاسع عشر شهر آخر قال ومن شعره ما رواه عنه زين الدين علي بن نجا الحنبلي ... مشيبك قد محى صنع الشباب ... وحل الباز في وكر الغراب ... تنام ومقلة الحدثان يقظى ... وما ناب النوائب عنك ناب ... وكيف نفاد عمرك وهو كنز ... وقد أنفقت منه بلا حساب ... وله ... كم ذا يرينا الدهر من أحداثه ... عبرا وفينا الصد والإعراض ... ننسى الممات وليس يجري ذكره ... فينا فتذكرنا به الأمراض ...

ومن شعره أيضا قوله

... أبى الله إلا أن يدوم لنا الدهر ... ويخدمنا في ملكنا العز والنصر ... علمنا بأن المال تفنى ألوفه ... ويبقى لنا من بعده الأجر والذكر ... خلطنا الندى بالبأس حتى كأننا ... سحاب لديه البرق والرعد والقطر ... وله أيضا وهو مما نظمه قبل موته بثلاث ليال (نحن في غفلة ونوم وللمو ... ت عيون يقظانة لا تنام) ... قد رحلنا إلى الحمام سنينا ... ليت شعري متى يكون الحمام ... ثم قتله غلمان العاضد في النهار غيلة وله إحدى وستون سنة وخلع على ولده العادل بالوزارة ورثاه عمارة التميمي بقصائد حسان ولما نقل إلى تربته بالقرافة سار العاضد معه حتى وصل إلى قبره فدفنه في التابوت قال ابن خلكان فعمل الفقيه عمارة في التابوت قصيدة فجار فيها في قوله ... وكأنه تابوت موسى أودعت ... في جانبيه سكينة ووقار ... وفيها كانت وقعة عظيمة بين بني خفاجة وأهل الكوفة فقتلوا من أهل الكوفة خلقا منهم الأمير قيصر وجرحوا أمير الحاج برغش جراحات فنهض إليهم وزير الخلافة عون الدين بن هبيرة فتبعهم حتى أوغل خلفهم في البرية في جيش كثيف فبعثوا يطلبون العفو وفيها ولي مكة الشريف عيسى بن قاسم بن أبي هاشم وقيل قاسم بن أبي فليتة بن قاسم

(١) البداية والنهاية ٢٠١/١٢

بن أبي هاشم وفيها أمر الخليفة بإزالة الدكاكين التي تضيق الطرقات وأن لا يجلس أحد من الباعة في عرض الطريق ". [١]

١١٠-" ولم يشتغل بقلعتها ثم صار إلى حماة فتسلمها من صاحبها عز الدين بن جبريل وسأله أن يكون سفيره بينه وبين الحلبيين فأجابه إلى ذلك فسار إليهم فحذرهم بأس صلاح الدين فلم يلتفتوا إليه بل أمروا بسجنه واعتقاله فأبطا الجواب على السلطان فكتب إليهم كتابا بليغا يلومهم فيه على ما هم فيه من الاختلاف وعدم الائتلاف فردوا عليه أسوأ جواب فأرسل إليهم يذكرهم أيامه وايام أبيه وعمه في خدمة نور الدين في المواقف المحمودة التي يشهد لهم بها أهل الدين ثم سار إلى حلب فنزل على جبل جوشن ثم نودي في أهل حلب بالحضور في ميدان باب العراق فاجتمعوا فأشرف عليهم ابن الملك نور الدين فتودد إليهم وتباكى لديهم وحرضهم على قتال صلاح الدين وذلك عن إشارة الأمراء المقدمين فأجابه أهل البلد بوجوب طاعته على كل أحد وشرط عليه الروافض منهم أن يعاد الأذان بحي على خير العمل وأن يذكر في الأسواق وأن يكون لهم في الجامع الجانب الشرقي وأن يذكر أسماء الأئمة الاثنى عشر بين يدي الجنائز وأن يكبروا على الجنازة خمسا وأن تكون عقود أنكحتهم إلى الشريف أبي طاهر بن أبي المكارم حمزة بن زاهر الحسيني فأجيبوا إلى ذلك كله فأذن بالجامع وسائر البلد بحي على خير العمل وعجز أهل البلد عن مقاومة الناصر وأعملوا في كيده كل خاطر فأرسلوا أولا إلى شيبان صاحب الحسبة فأرسل نفرا من أصحابه إلى الناصر ليقتلوه فلم يظفر منه بشيء بل قتلوا بعض الأمراء ثم ظهر عليهم فقتلوا عن آخرهم فراسلوا عند ذلك القومص صاحب طرابلس الفرنجي ووعدوه بأموال جزيلة إن هو رحل عنهم الناصر وكان هذا القومص قد أسره نور الدين وهو معتقل عنده مدة عشر سنين ثم افتدى نفسه بمائة ألف دينار والف أسير من المسلمين وكان لا ينساها لنور الدين بل قصد لحمص ليأخذها فركب إليه السلطان الناصر وقد أرسل السلطان إلى بلده طرابلس سرية فقتلوا وأسروا وغنموا فلما اقترب الناصر منه نكص على عقبيه راجعا إلى بلده ورأى أنه قد أجابهم إلى ما أرادوا منه فلما فصل الناصر إلى حمص لم يكن قد أخذ قلعتها فتصدى لأخذها فنصب عليها المنجنيقات فأخذها قسرا وملكها قهرا ثم كر راجعا إلى حلب فأناله الله في هذه الكرة ما طلب فلما نزل بها كتب إليهم القاضي الفاضل على لسان السلطان كتابا بليغا فصيحا فائقا رائقا على يدي الخطيب شمس الدين يقول فيه (فإذا قضى التسليم حق اللقا فاستدعى الإخلاص جهد الدعا فليعد وليعد حوادث ما كان حديثا يفترى وحوارى أمور إن قال فيها كثيرا فأكثر منه ما قد جرى ويشرح صدر منها لعله يشرح منها صدرا وليوضح الأحوال المستبشرة فإن الله لا يعبد سرا ... **ومن العجائب** أن تسير غرائب ... في الأرض لم يعلم بها المأمول ... كالعيس أقتل ما يكون لها الصدى ... والماء فوق ظهورها محمول ". [٢]

١١١-" الناس إليه ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جدا ويمد ركوعها وسجودها ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك رحمه الله وله من التصانيف الكبار

---

(١) البداية والنهاية ٢٤٤/١٢

(٢) البداية والنهاية ٢٨٩/١٢

والصغار شيء كثير وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا واقتنى من الكتب مالا يتهيأ لغيره تحصيل عشرة من كتب السلف والخلف وبالجملة كان قليل البصير في مجموعة وأموره وأحواله والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة سامحه الله ورحمه وقد كان متصديا للافتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين ابن تيمية وجرت بسببها فصول يطول بسطها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره وقد كانت جنازته حافلة رحمه الله شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة وتزاحم الناس على حمل نعشه وكمل له من العمر ستون سنة رحمه الله

وفي يوم الاثنين ثاني عشر شهر شعبان ذكر الدرس بالصدرية شرف الدين عبد الله بن الشيخ الامام العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية عوضا عن أبيه رحمه الله فأفاد وأجاد وسرد طرفا صالحا في فضل العلم وأهله وانتهى والله تعالى أعلم

ومن العجائب والغرائب التي لم يتفق مثلها ولم يقع من نحو مائتي سنة وأكثر انه بطل الوقيد بجامع دمشق في ليلة النصف من شعبان فلم يزد في وقيده قنديل واحد على عادة لياليه في سائر السنة ولله الحمد والمنة وفرح أهل العلم بذلك وأهل الديانة وشكروا الله تعالى على تبيطيل هذه البدعة الشنعاء التي كان يتولد بسببها شرور كثيرة بالبلد والستيجار بالجامع الأموي وكان ذلك بمرسوم السلطان الملك الناصر حسن بن الملك النصار محمد بن قلاوون خلد الله ملكه وشيد أركانه وكان الساعي لذلك بالديار المصرية الأمير حسام الدين أبو بكر بن النجيبي بيض الله وجهه وقد كان مقيما في هذا الحين بالديار المصرية وقد كنت رأيت عنده فتيا عليها خط الشيخ تقي الدين بن تيمية والشيخ كمال الدين بن الزملكاني وغيرهما في إبطال هذه البدعة فأنفذ الله ذلك والله الحمد والمنة وقد كانت هذه البدعة قد استقرت بين أظهر الناس من نحو سنة خمسين وأربعمائة وإلى زماننا هذا وكم سعى فيها من فقيه وقاض ومفت وعالم وعابد وأمير وزاهد ونائب سلطنة وغيرهم ولم ييسر الله ذلك إلا في عامنا هذا والمسؤل من الله إطالة عمر هذا السلطان ليعلم الجهلة الذين استقر في أهانهم إذا أبطل هذا الوقيد في عام يموت سلطان الوقت وكان هذا لا حقيقة له ولادليل عليه إلا مجرد الوهم والخيال

وفي مستهل شهر رمضان اتفق أمر غريب لم يتفق مثله من مدة متطاولة فيما يتعلق بالفقهاء والمدارس وهو أنه كان قد توفي ابن الناصح الحنبلي بالصالحية وكان بيده نصف تدريس الضاحية ". (١)

١١٢-" أخر قدم بها من الديار المصرية فانتشر الخبر في هذا اليوم باجلاس قاضي القضاة شمس الدين الكفري الحنفي فوق قاضي القضاة المالكية لكن لم يحضر في هذا اليوم وذلك بعد ما قد امر باجلاس المالكي فوقه

وفي ثاني رجب توفي القاضي الامام العالم شمس الدين بن مفلح المقدسي الحنبلي نائب مشيخة قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن محمد المقدسي الحنبلي وزوج ابنته وله منها سبعة أولاد ذكرو وإناث وكان بارعا فاضلا متفننا في علوم كثيرة ولا سيما علم الفروع كان غاية في نقل مذهب الامام أحمد وجمع مصنفات كثيرة منها كتاب المقنع نحوا من ثلاثين مجلدا كما أخبرني بذلك عنه قاضي القضاة جمال الدين وعلق على محفوظة أحكام الشيخ مجد الدين بن تيمية مجلدين وله غير ذلك من الفوائد والتعليقات رحمه الله توفي عن نحو خمسين سنة وصلى عليه بعد الظهر من يوم الخميس ثاني الشهر

---

(١) البداية والنهاية ٢٣٥/١٤

بالجامع المظفري ودفن بمقبره الشيخ الموفق وكانت له جناز حافلة حضرها القضاة كلهم وخلق من الاعيان رحمه الله وأكرم مثواه

وفي صبيحة يوم السبت رابع رجب ضرب نائب السلطنة جماعة من أهل قبر عاتكة أساؤا الادب على النائب ومماليكه بسبب جامع للخطبة جدد بناحيتهم فأراد بعض الفقراء أن يأخذ ذلك الجامع ويجعله زاوية للرقاصين فحكم القاضي الحنبلي بجعله جامعا قد نصب فيه مبنر وقد قدم شيخ الفقراء على يديه مرسوم شريف بتسليمه اليه فأنفت أنفس أهله تلك الناحية من عوده زاوية بعد ما كان جامعا وأعظموا ذلك فتكلم بعضهم بكلام سيء فاستحضر نائب السلطنة طائفة منهم وضربهم بالمقارع بين يديه ونودي عليهم في البلد فأراد بعض العامة إنكارا لذلك وحدد ميعاد حديث يقرأ بعد المغرب تحت قبة النسر على الكرسي ألذي يقرأ عليه المصحف رتبة أحد اولاد القاضي عماد الدين بن الشيرازي وحدث فيه الشيخ عماد الدين بن السراج واجتمع عنده خلق كثير وجم غفير وقرأ في السيرة النبوية من خطى وذلك في العشر الاول من هذا الشهر

أعجوبة **من العجائب**

وحضر شاب عجمي من بلاد تبريز وخراسان يزعم أنه يحفظ البخاري ومسلما وجامع المسانيد والكشاف للزمخشري وغير ذلك من محاضيرها في فنون أخر فلما كان يوم الاربعاء سلخ شهر رجب قرأ في الجامع الاموي بالحائط الشمالي منه عند باب الكلاسة من أول صحيح البخاري إلى أثناء كتاب العلم منه من حفظه وأنا أقابل عليه من نسخة بيدي فادى جيدا غير أنه يصحف بعضا الكلمات لعجم فيه وربما لحن أيضا في بعض الاحيان واجتمع خلق كثير من العامة والخاصة وجماعة من المحدثين فاعجب ذلك جماعة كثيرين وقال آخرون منهم إن سرد بقية ". (١)

١١٣-" قطب الدين محمد بن الحسن الحاكم بحمص جاء إلى دمشق لتلقي أخي زوجته قاضي القضاة تاج الدين السبكي الشافعي فتمرض من مدة ثم كانت وفاته بدمشق فصلى عليه بالجامع كما ذكرنا وخارج باب الفرج ثم صعدوا به إلى سفح جبل قاسيون وقد جاوز الثمانين بسنتين وقد حدث وروى شيئا يسيرا رحمه الله

وفي يوم الأحد ثالثه قدم قاضيا الحنفية والحنابلة بحلب والخطيب بها والشيخ شهاب الدين الاذرعي والشيخ زين الدين الباريني وآخرون معهم فنزلوا بالمدرسة الاقبالية وهم وقاضي قضاتهم الشافعي وهو كمال الدين المصري مطلوبون إلى الديار المصرية فتحرر ما ذكروه عن قاضيهم وما نقموه عليه من السيرة السيئة فيما يذكرون في المواقف الشريفة بمصر وتوجهوا إلى الديار المصرية يوم السبت عاشره

وفي يوم الخميس قدم الامير زين الدين زبالة نائب القلعة من الديار المصرية على البريد في تجمل عظيم هائل وتلقاه الناس بالشموع في أثناء الطريق ونزل بدار الذهب وراح الناس للسلام عليه وتهنئته بالعود إلى نيابة القلعة على عادته وهذه ثالث مرة وليها لأنه مشكور السيرة فيها وله فيها سعى محمود في أوقات متعددة

---

(١) البداية والنهاية ٢٩٤/١٤

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين صلى نائب السلطنة والقاضيان الشافعي والحنفي وكاتب السر وجماعة من الأمراء والأعيان بالمقصورة وقرئ كتاب السلطان على السدة بوضع مكس الغنم إلى كل رأس بدرهمين فتضاعفت الأدعية لولي الامر ولمن كان السبب في ذلك

غريبة من الغرائب وعجيبة **من العجائب**

وقد كثرت المياه في هذا الشهر وزادت الانهار زيادة كثيرة جدا بحيث إنه فاض الماء في سوق الخيل من نهر بردى حتى عم جميع العرصة المعروفة بموقف الموكب بحيث إنه اجريت فيه المراكب بالكلك وركبت فيه المارة من جانب إلى جانب واستمر ذلك جمعا متعددة وامتنع نائب السلطنة والجيش من الوقوف هناك وربما وقف نائب السلطنة بعض الايام تحت الطارمة تجاه باب الاسطبل السلطاني وهذا أمر لم يعهد مثله ولا رأيته قط في مدة عمري وقد سقطت بسبب ذلك بنايات ودور كثيرة وتعطلت طواحين كثيرة غمرها الماء

وفي ليلة الثلاثاء العشرين من جمادي الاولى توفي الصدر شمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ عز الدين بن منجي التنوخي بعد العشاء الآخرة وصلى عليه بجامع دمشق بعد صلاة الظهر ودفن بالسفح وفي صبيحة هذا اليوم توفي الشيخ ناصر الدين محمد بن أحمد القونوي الحنفي خطيب جامع يلبغا وصلى عليه عقيب صلاة الظهر أيضا ودفن بالصوفية وقد باشر عوضه الخطابة والامامة ". (١)

١١٤-"قال الله تعالى: وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون [الأنبياء: ٣١]. وقد ذكر بطليموس أحد ملوك الهند في كتابه المسمى بالمجسطي الذي عرب في زمان المأمون، وهو أصل هذه العلوم أن البحار المتفجرة من المحيط الغربي، والشرقي والجنوبي، والشمالي كثيرة جدا فمنها ما هو واحد، ولكن يسمى بحسب البلاد المتاخمة له فمن ذلك بحر القلزم، والقلزم قرية على ساحله قريب من أيلة، وبحر فارس، وبحر الخزر، وبحر ورنك، وبحر الروم، وبحر بنطش، وبحر الأزرق مدينة على ساحله، وهو بحر القرم أيضا، ويتضايق حتى يصب في بحر الروم عند جنوبي القسطنطينية، وهو خليج القسطنطينية ؛ ولهذا تسرع المراكب في سيرها من القرم إلى بحر الروم، وتبطيء إذا جاءت من الإسكندرية إلى القرم لاستقبالها جريان الماء، وهذا **من العجائب** في الدنيا فإن كل ماء جار فهو حلو إلا هذا، وكل بحر راكد فهو ملح أجاج إلا ما يذكر عن بحر الخزر وهو بحر جرجان، وبحر طبرستان أن فيه قطعة كبيرة ماء حلوا فراتا على ما أخبر به المسافرون عنه. قال أهل الهيئة: وهو بحر مستدير الشكل إلى الطول ما هو. وقيل: إنه مثلث كالقلع وليس هو متصلا بشيء من البحر المحيط بل منفرد وحده، وطوله ثمانمائة ميل، وعرضه ستمائة. وقيل: أكثر من ذلك، والله أعلم.". (٢)

---

(١) البداية والنهاية ١٤/٣٠٠

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤) ١/٥٥

١١٥-"وقال الضحاك، عن ابن عباس: رد الله إليها شبابها وزادها حتى ولدت له ستة وعشرين ولدا ذكرا.
وعاش أيوب بعد ذلك سبعين سنة بأرض الروم على دين الحنيفية، ثم غيروا بعده دين إبراهيم. وقوله: خذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب. هذه رخصة من الله تعالى لعبده ورسوله أيوب عليه السلام فيما كان من حلفه ليضربن امرأته مائة سوط. فقيل: حلفه ذلك لبيعها ضفائرها. وقيل: لأنه اعترضها الشيطان في صورة طبيب يصف لها دواء لأيوب، فأتته فأخبرته، فعرف أنه الشيطان فحلف ليضربنها مائة سوط، فلما عافاه الله عز وجل أفتاه أن يأخذ ضغثا، وهو كالعثكال الذي يجمع الشماريخ فيجمعها كلها ويضربها به ضربة واحدة، ويكون هذا منزلا منزلة الضرب بمائة سوط، ويبر ولا يحنث. وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله، وأطاعه، ولا سيما في حق امرأته الصابرة المحتسبة المكابدة الصديقة البارة الراشدة رضي الله عنها؛ ولهذا عقب الله هذه الرخصة، وعللها بقوله: إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب.
وقد استعمل كثير من الفقهاء هذه الرخصة في باب الأيمان والنذور، وتوسع آخرون فيها حتى وضعوا كتاب الحيل في الخلاص من الأيمان، وصدروه بهذه الآية الكريمة، وأتوا فيه بأشياء **من العجائب** والغرائب، وسنذكر طرفا من ذلك في كتاب الأحكام عند الوصول إليه إن شاء الله تعالى.
وقد ذكر ابن جرير، وغيره من علماء التاريخ أن أيوب عليه السلام". (١)

١١٦-"ومع علوه، فيه عين من الماء معين ؛ وهو الجاري السارح على وجه الأرض، فقيل: المراد المكان الذي ولدت فيه المسيح. وهو محلة بيت المقدس ولهذا فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهو النهر الصغير، في قول جمهور السلف.
وعن ابن عباس بإسناد جيد، أنها أنهار دمشق. فلعله أراد تشبيه ذلك المكان بأنهار دمشق. وقيل: ذلك بمصر. كما زعمه من زعمه من أهل الكتاب ومن تلقاه عنهم. والله أعلم. وقيل: هي الرملة.
وقال إسحاق بن بشر: قال لنا إدريس، عن جده وهب بن منبه، قال: إن عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة، أمره الله أن يرجع من بلاد مصر إلى بيت إيليا. قال: فقدم عليه يوسف ابن خال أمه، فحملهما على حمار، حتى جاء بهما إلى إيليا وأقام بها حتى أحدث الله له الإنجيل، وعلمه التوراة، وأعطاه إحياء الموتى، وإبراء الأسقام، والعلم بالغيوب مما يدخرون في بيوتهم، وتحدث الناس بقدومه، وفزعوا لما كان يأتي **من العجائب**، فجعلوا يعجبون منه، فدعاهم إلى الله ففشا فيهم أمره.
". (٢)

١١٧-"على أحد إلا هزمتهم ؟ قال: لا. قال: فبم سميت سيف الله ؟ قال: إن الله بعث فينا نبيه صلى الله عليه وسلم، فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعا، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه، وبعضنا كذبه وباعده، فكنت فيمن كذبه وباعده،

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤) ١/٥١٤

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤) ٢/٤٧١

ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه، فقال لي: أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين. ودعا لي بالنصر، فسميت سيف الله بذلك، فأنا من أشد المسلمين على المشركين. فقال جرجة: يا خالد، إلام تدعون ؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله، عز وجل. قال: فمن لم يجبكم ؟ قال: فالجزية ونمنعهم. قال: فإن لم يعطها ؟ قال: نؤذنه بالحرب ثم نقاتله. قال: فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم ؟ قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا. قال جرجة: فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر ؟ قال: نعم، وأفضل. قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟ فقال خالد: إنا دخلنا في هذا الأمر وبايعنا نبينا صلى الله عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء، ويخبرنا بالكتب ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا **من العجائب** والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا. فقال جرجة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ؟ قال: بالله لقد صدقتك، وإن". (١)

١١٨-"والفلسفة والجدل بين الناس، وذلك بهمة أبي العباس المعتضد سلطان الإسلام.

وفي هذه السنة وقعت حروب بين هارون الشاري وبين بني شيبان في أرض الموصل وقد بسط ذلك ابن الأثير في كامله.

وفي رجب منها كانت وفاة المعتمد على الله ليلة الإثنين لتسع عشرة ليلة خلت منه وهذه ترجمته.

هو أمير المؤمنين المعتمد على الله ابن المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد واسمه أحمد بن جعفر بن محمد بن هارون الرشيد بن المهدي محمد بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس استمرت أيامه في الخلافة ثلاثا وعشرين سنة وستة أيام وكان عمره يوم مات خمسين سنة وستة أشهر وكان أسن من أخيه أبي أحمد الموفق بستة أشهر وتأخر بعده أقل من سنة ولم يكن إليه من الأمر شيء وإنما كان الأمر كله فيما يتعلق بتدبير الخلافة إلى الموفق، وقد اتفق أن المعتمد طلب في بعض الأيام ثلاثمائة دينار فلم يحصل له، فقال في ذلك:

أليس **من العجائب** أن مثلي يرى ما قل ممتنعا عليه

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا وما من ذاك شيء في يديه". (٢)

١١٩-"فانزعج لذلك إسماعيل بن أحمد الساماني نائب ما وراء النهر وكتب إليه: إنك قد وليت دنيا عريضة فاقتنع بها عن ما في يدي من هذه البلاد. فلم يقبل فأقبل إليه إسماعيل بن أحمد الساماني في جيوش عظيمة جدا فالتقيا عند بلخ فهزم أصحاب عمرو وأسر عمرو بن الليث فلما جيء به إلى إسماعيل بن أحمد قام إليه وقبل بين عينيه وغسل وجهه وخلع عليه وأمنه وكتب إلى الخليفة في أمره ويذكر أن أهل تلك البلاد قد ملوه وضجروا من ولايته عليهم فجاء كتاب الخليفة بأن

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤) ٩/٥٦٣

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤) ١٤/٦٤٣

يتسلم حواصله وأمواله فسلبه إياها فآل به الحال بعد أن كان مطبخه يحمل على ستمائة جمل إلى القيد والسجن. **ومن العجائب** أن عمرا كان معه خمسون ألف مقاتل لم يصب أحد منهم ولا أسر سواه.

ظهور أبي سعيد الجنابي رأس القرامطة، قبحهم الله ولعنهم

وهم أخبث من الزنج وأشد فسادا كان ظهوره في جمادى الآخرة من هذه السنة بنواحي البصرة فالتف عليه من الأعراب وغيرهم بشر كثير وقويت شوكته جدا وقتل من حوله من أهل القرى، ثم صار إلى القطيف قريبا من البصرة ورام دخولها فكتب الخليفة المعتضد إلى نائبها يأمره بتحصين سورها فعمروه وجددوا معالمه بنحو من أربعة آلاف دينار، فامتنعت البصرة من القرامطة بسبب ذلك، وتغلب أبو سعيد الجنابي ومن معه من القرامطة على هجر وما حولها من البلاد وأكثروا في الأرض الفساد.". (١)

١٢٠-"بذلك كله إليهم حتى قالوا: اكتفينا.

وفيها طلب معز الدولة من الخليفة المطيع لله أن يأذن له في دخول دار الخلافة ليتفرج فيها، فأذن له فدخلها، فبعث خادمه وحاجبه معه، فطافوا معه فيها، وهو مسرع خائف، ثم خرج وقد خاف من غائلة ذلك، وخشي أن يقتل في بعض الدهاليز، فتصدق بعشرة آلاف لما خرج شكرا لله على سلامته، وازداد حبا في الخليفة المطيع لله من يومئذ، فكان في جملة ما رأى **من العجائب** بها صنم من نحاس على صورة امرأة حسناء جدا، وحولها أصنام صغار في هيئة الخدم لها، كان قد أتي به في زمن المقتدر، فأقيم هناك ليتفرج عليه الجواري والنساء، فهم المعز أن يطلبه من الخليفة، ثم ارتأى فترك ذلك.

وفي ذي الحجة منها خرج رجل بالكوفة، فادعى أنه علوي، وكان يتبرقع فسمي المبرقع، وغلظت قضيته وبعد صيته، وذلك في غيبة معز الدولة عن بغداد واشتغاله بأمر الموصل وناصر الدولة بن حمدان، فلما توطدت الأمور وعاد إلى بغداد اختفى المبرقع، وذهب في البلاد، فلم يفتح له أمر بعد ذلك.

وممن توفي فيها من الأعيان:

بكار بن أحمد بن بكار بن بنان بن بكار بن زياد بن درستويه،". (٢)

١٢١-"ثم دخلت سنة تسع وستين وثلاثمائة

في المحرم منها توفي الأمير عمران بن شاهين صاحب بلاد البطيحة منذ أربعين سنة، تغلب عليها، وعجز عنه الأمراء والملوك والخلفاء، وبعثت إليه الجنود والسرايا والجيوش غير مرة، فكل ذلك يفلها ويكسرها، وكل ما له في تمكن وقوة، ومكث كذلك

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤) ٦٨٣/١٤

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤) ٢٦٧/١٥

هذه المدة كلها، ومع هذا كله مات على فراشه حتف أنفه - فلا نامت أعين الجبناء - وقام بالأمر من بعده ولده الحسن، فرام عضد الدولة أن ينتزع الملك من يده، فأرسل إليه سرية فيها خلق من الجنود، فكسرهم الحسن بن عمران بن شاهين وردهم خائبين، وكاد أن يتلفهم بالكلية حتى أرسل إليه عضد الدولة، فصالحه على مال يرسله إليه كل سنة، وأخذوها من عضد الدولة، وهذا **من العجائب** الغريبة.

وفي صفر قبض على الشريف أبي أحمد الحسين بن موسى الموسوي نقيب الطالبيين، واتهم بأنه يفشي الأسرار، وأن عز الدولة أودع عنده عقدا ثمينا، وأتي بكتاب أنه خطه في إفشاء الأسرار، فأنكر أنه خطه، وكان مزورا عليه،". (١)

١٢٢-"واه الفتى لو أنه في ظل طيب العيش يترك

والدهر يحسب عمره فإذا أتاه الشيب فذلك

وكانت وفاته في رمضان من هذه السنة، رحمه الله تعالى.

أبو علي بن سينا، الطبيب الفيلسوف، الحسين بن عبد الله بن سينا

الشيخ الرئيس، الذي كان نادرة في زمانه، كان أبوه من أهل بلخ وانتقل إلى بخارى، واشتغل بها ابن سينا فقرأ القرآن، وأتقن علومه وهو ابن عشر، وأتقن الحساب والجبر والمقابلة و " إقليدس " و " المجسطي "، ثم اشتغل على أبي عبد الله الناتلي الحكيم، فبرع فيه، وفاق أهل زمانه، وتردد الناس إليه، واشتغلوا عليه، وهو ابن ست عشرة سنة، وقد عالج بعض الملوك السامانية، وهو الأمير نوح بن نصر، فأعطاه جائزة سنية، وحكمه في خزانة كتبه، فرأى فيها **من العجائب**، فيقال: إنه عزا بعض تلك الكتب إلى نفسه. وله في الإلهيات والطبيعيات كتب كثيرة.". (٢)

١٢٣-"المحال وتزاوروا وتواكلوا وتشاربوا، وكان هذا **من العجائب**، وفيها قتل أحمد خان صاحب سمرقند، وسببه أنه شهد عليه بالزندقة فخنق وولي مكانه ابن عمه مسعود

وفيها دخل الأتراك إفريقية وغدروا بيحيى بن تميم بن المعز بن باديس، وقبضوا عليه وملكوا بلاده وقتلوا خلقا، بعدما جرت بينهم وبينه حروب شديدة وكان مقدمهم رجل يقال له: شاه ملك وكان من أولاد بعض أمراء المشرق، فقدم مصر وخدم بها ثم هرب إلى المغرب ففعل ما ذكرنا، ولم يحج أحد من أهل العراق في هذه السنة.

وممن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن الحسن بن أحمد بن خيرون، أبو الفضل المعروف بابن الباقلاني سمع الكثير، وكتب عنه الخطيب، وكانت له معرفة

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤) ١٥/٣٩٦

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤) ١٥/٦٦٧

جيدة وهو من الثقات، وشهد عند أبي عبد الله الدامغاني، ثم صار أمينا له، ثم ولي إشراف خزانة الغلات. توفي في رجب عن ثنتين وثمانين سنة.

تتش أبو المظفر

تاج الدولة بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، صاحب دمشق وغيرها من البلاد، وقدكان تروج أمره على ابن". (١)

١٢٤-"وفيها أغارت خفاجة على بلاد سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس وقصدوا مشهد الحسين بالحائر، فتظاهروا فيه بالمنكرات والفساد، فكبسهم فيه الأمير صدقة المذكور، فقتل منهم خلقا كثيرا حتى عند الضريح، **ومن العجائب** أن أحدهم ألقى نفسه وفرسه من فوق السور فسلم وسلمت فرسه.

وحج بالناس في هذه السنة الأمير خمارتكين الحسناني.

ومن توفي فيها من الأعيان:

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله أبو حكيم الخبري: وخبر إحدى بلاد فارس، سمع الحديث وتفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وكانت له معرفة بالفرائض والأدب واللغة وله مصنفات، وكان مرضي الطريقة وكان يكتب المصاحف بالأجرة، فبينما هو ذات يوم يكتب وضع". (٢)

١٢٥-"وله:

إنما هذه الحياة متاع والسفيه الغوي من يصطفيها

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

وله أيضا:

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة باب البواعث والدواعي مغلق

خلت البلاد فلا كريم يرتجى منه النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب أنه لا يشترى ويخان فيه من الكساد ويسرق

ومما أنشده ابن خلكان في الوفيات من شعره الرائق قوله:

إشارة منك تكفينا وأحسن ما رد السلام غداة البين بالعنم

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤) ١٤٨/١٦

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤) ١٥٧/١٦

حتى إذا طاح عنها المرط من دهش وانحل بالضم سلك العقد في الظلم

تبسمت فأضاء الليل فالتقطت حبات منتثر في ضوء منتظم

كانت وفاته في هذه السنة ببلاد بلخ، ودفن فيها.

الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب الدباس

أبو". (١)

١٢٦-"فيها حتى انتزعها شاور، كما سيأتي. قال: والصالح هذا هو باني الجامع عند باب زويلة ظاهر القاهرة. قال: **ومن العجائب** أنه ولي الوزارة في تاسع عشر شهر، وقتل من تاسع عشر شهر، ونقل من دار الوزارة إلى القرافة في تاسع عشر شهر آخر، وزالت دولتهم في تاسع عشر شهر آخر. قال: ومن شعره ما رواه عنه الواعظ زين الدين علي بن نجا الحنبلي، وهو قوله

مشيبك قد نضا صبغ الشباب وحل الباز في وكر الغراب تنام ومقلة الحدثان يقظى

وما ناب النوائب عنك ناب وكيف بقاء عمرك وهو كنز

وقد أنفقت منه بلا حساب

وقوله:

كم ذا يرينا الدهر من أحداثه عبرا وفينا الصد والإعراض

ننسى الممات وليس يجري ذكره فينا فتذكرنا به الأمراض

ومن شعره الجيد أيضا قوله:

أبى الله إلا أن يدوم لنا الدهر ويخدمنا في ملكنا العز والنصر

علمنا بأن المال تفنى ألوفه ويبقى لنا من بعده الأجر والذكر

خلطنا الندى بالبأس حتى كأننا سحاب لديه البرق والرعد والقطر

وله أيضا، وهو مما نظمه قبل موته بثلاث ليال:". (٢)

١٢٧-"ولا ينزع عن ذلك، رحمه الله، وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا، واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف، وبالجملة كان قليل النظير، بل عديم النظير في مجموعه، وأموره، وأحواله، والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة، سامحه الله ورحمه، وقد كان متصديا للإفتاء بمسألة الطلاق

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤) ١٦/٢٨٦

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤) ١٦/٤٠٠

التي اختارها الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وجرت له بسببها فصول يطول بسطها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره، وقد كانت جنازته حافلة رحمه الله، شهدها القضاة، والأعيان، والصالحون من الخاصة والعامة، وتزاحم الناس على حمل نعشه، وكمل له من العمر ستون سنة، رحمه الله.

وفي يوم الاثنين ثاني عشر شهر شعبان ذكر الدرس بالصدرية شرف الدين عبد الله ابن الشيخ الإمام العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية، عوضا عن أبيه – رحمه الله – فأفاد، وأجاد، وسرد طرفا صالحا في فضل العلم وأهله.

ومن العجائب والغرائب التي لم يتفق مثلها، ولم يقع من نحو مائتي سنة وأكثر، أنه بطل الوقيد بجامع دمشق في ليلة النصف من شعبان، فلم يزد في وقيده قنديل واحد على عادة لياليه في سائر السنة، ولله الحمد والمنة، وفرح أهل العلم بذلك، وأهل الديانة، وشكروا الله تعالى على تبطيل هذه البدعة الشنيعة،". (١)

١٢٨–"قبر عاتكة أساءوا الأدب على النائب ومماليكه، بسبب جامع للخطبة جدد بناحيتهم، فأراد بعض الفقراء أن يأخذ ذلك الجامع، ويجعله زاوية للرقاصين، فحكم القاضي الحنبلي بجعله جامعا قد نصب فيه منبر، وقد قدم شيخ من الفقراء على يديه مرسوم شريف بتسليمه إليه، فأنفت أنفس أهل تلك الناحية من عوده زاوية بعد ما كان جامعا، وأعظموا ذلك، فتكلم بعضهم بكلام سيئ فاستحضر نائب السلطنة طائفة منهم، وضربهم بالمقارع بين يديه، ونودي عليهم في البلد، فأراد بعض العامة إنكارا لذلك، وحدد ميعاد حديث يقرأ بعد المغرب تحت قبة النسر على الكرسي الذي يقرأ عليه المصحف، رتبه أحد أولاد القاضي عماد الدين بن الشيرازي، وحدث فيه الشيخ عماد الدين بن السراج، واجتمع عنده خلق كثير، وجم غفير، وقرأ في السيرة النبوية من خطي، وذلك في العشر الأول من هذا الشهر.

أعجوبة **من العجائب**

وحضر شاب عجمي من بلاد تبريز وخراسان يزعم أنه يحفظ " البخاري "، و " مسلما "، و " جامع المسانيد "، و " الكشاف " للزمخشري، وغير ذلك من". (٢)

١٢٩–"القلعة على عادته، وهذه ثالث مرة وليها؛ لأنه مشكور السيرة فيها، وله فيها سعي محمود في أوقات متعددة.

وفي يوم الخميس حادي عشره صلى نائب السلطنة والقاضيان الشافعي والحنفي، وكاتب السر، وجماعة من الأمراء، والأعيان – بالمقصورة، وقرئ كتاب السلطان على السدة بوضع مكس الغنم إلى كل رأس بدرهمين، فتضاعفت الأدعية لولي الأمر، ولمن كان السبب في ذلك.

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤) ٥٢٤/١٨

(٢) البداية والنهاية (٧٧٤) ٦٥٨/١٨

غريبة من الغرائب، وعجيبة **من العجائب**

وقد كثرت المياه في هذا الشهر، وزادت الأنهار زيادة كثيرة جدا، بحيث إنه فاض الماء في سوق الخيل من نهر بردى حتى عم جميع العرصة المعروفة بموقف الموكب، بحيث إنه أجريت فيه المراكب بالكرا، وركبت فيه المارة من جانب إلى جانب، واستمر ذلك جمعا متعددة، وامتنع نائب السلطنة والجيش من الوقوف هناك، وربما وقف نائب السلطنة بعض الأيام تحت الطارمة تجاه باب الإسطبل السلطاني، وهذا أمر لم يعهد مثله، ولا رأيته قط في مدة عمري، وقد سقطت بسبب ذلك بنايات ودور كثيرة، وتعطلت طواحين كثيرة غمرها الماء.

وفي ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى توفي الصدر شمس الدين". (١)

١٣٠-"وفي سنة ٢٦٢، خرج المنذر بن الأمير محمد إلى ابن مروان؛ وكان القائد هاشم بن عبد العزيز؛ وهو الذي كان سبب هروب ابن مروان، لأنه قال له من بين الوزراء:)الكلب خير منك!(وأمر يصفع قفاه، واستبلغ في خزيه؛ فهرب مع أصحابه، وذلك في خبر طويل. وكان ابن مروان قد ابتنى بطليوس حصنا، وجعله موطنا، وأدخل فيه أهل ماردة وغيرهم من أهل المكانفة له على الشر. فلما انتهى إلى ابن مروان تحرك العسكر إليه، تنقل عن بطليوس، وحل بحصن كركي؛ واجتمع أهل ماردة إليه فيه؛ فنزل العسكر بمقربة من الحصن. وكان هاشم قد بعث إلى منت شلوط خيلا ورجلا لضبطه. وكان سعدون الرماري قد دخل إلى بلاد الشرك مستمدا؛ فجاء بمدد من المشركين، وأظهر أنه في قلة؛ فكتب بذلك عامل حصن منت شلوط إلى هاشم؛ فرأى هاشم أن ذلك فرصة في سعدون؛ فبادر بالخروج من العسكر على غير تعبئة ولا أهبة، في خيل قليلة. وأفحص هاشم، وجاوز الوعر، وأبعد عن العسكر؛ فأخذت المضايق عليه، وناشبوه القتال؛ فأخذته جراح، وقتل من أصحابه جماعة؛ وأسر هاشم المذكور. ولما اتصل خبر هاشم بالأمير محمد، وقع في جانبه، وقال:)هذا أمر جناه على نفسه بطيشه وعجلته!(ثم رد ولده عوضا منه. وحصل هاشم أسيرا بيد ابن مروان الذي صنعه في أسره في قرطبة؛ فبره ابن مروان، وأكرمه، وأحسن إليه، ولم يعاقبه بما فعل معه.

وفي سنة ٢٦٣، خرج المنذر بن الأمير محمد، وجعل طريقه على ماردة فلما انتهى ذلك إلى ابن مروان، زال عن بطليوس؛ واحتل بها قائد المنذر الوليد بن غانم؛ فخرب ديارها. وتقدم ابن مروان إلى بلاد العدو.

وفي سنة ٢٦٤، حارب المنذر سرقسطة، وأفسد ما ألفى من زروعها؛ ثم تقدم إلى تطيلة والمواضع التي صار فيها بنو موسى؛ فانتسقها، وأجال العسكر عليها.

وفيها، دخل البراء بن مالك من باب فلنبرية إلى جليقية بحشود الغرب، وتردد هنالك حتى أذهب نعيمهم.

وفيها، أطلق هاشم من الأسر.

وفي سنة ٢٦٥، ظهرت الفتنة وظهر الشر في جانب كورة ربة والجزيرة وتاكرنا؛ وظهر يحيى المعروف بالجزيري؛ فغزاه هاشم؛ فأذعن له، وقدم به إلى قرطبة.

---

(١) البداية والنهاية (٧٧٤) ٦٧٣/١٨

وفي سنة ٢٦٦، خرج عبد الله بن الأمير محمد إلى كورة ربة ونواحي الجزيرة، وبنى حصونا في تلك النواحي؛ ثم قفل.
وفيها، أمر الأمير محمد بإنشاء المراكب بقرطبة ليتوجه بها إلى البحر المحيط عبد الحميد الرعبطي المعروف بابن مغيث؛ وكان قد رفع إليه رافع أن جليقية من ناحية البحر المحيط لا سور لها، وأن أهلها لا يمتنعون من جيش إن غشيهم من تلك الناحية. فلما كملت المراكب بالإنشاء، قدم عبد الحميد بن مغيث عليها. فلما دخل البحر، تقطعت المراكب كلها وتفرقت، ولم يجتمع بعضها إلى بعض. ونجا ابن مغيث.
وفي سنة ٢٦٧، التاثت الحصون المبتناة برية وتاكرنا وجهة الجزيرة. وفيها، ابتدأ شر اللعين عمر بن حفصون، الذي أعيى الخلفاء أمره، وطالت في الدنيا فتنته، وعظم شره؛ فقام في هذه السنة على الأمير محمد بناحية رية. فتقدم إليه عامر بن عامر؛ فانهزم عامر وأسلم قبته؛ فأخذها ابن حفصون، وهو أول رواق ضربه؛ فاستكن إليه أهل الشر. وعزل الأمير عامرا عن كورة رية، وولاها عبد العزيز بن عباس؛ فهادنه ابن حفصون، وسكنت الحال بينهما. ثم عزل عبد العزيز، وتحرك ابن حفصون، وعاد إلى ما كان عليه من الشر. وخرج هاشم بن عبد العزيز إلى كورة رية يطلب كل من كشف وجهه في الفتنة وأظهر الخلاف، وأخذ رهائن أهل تاكرنا على إعطاء الطاعة.
ومن العجائب في هذا العام، ما ذكره الرازي وغيره. قالا: زلزلت الأرض بقرطبة زلزالا شديدا، وهاجت ريح عند صلاة المغرب؛ فأثارت سحابا فيه ظلمات ورعد وبرق؛ فصعق ستة نفر، وانقلبوا على ظهورهم، مات اثنان؛ وخر جميع الناس سجدا إلا الإمام، فإنه ثبت قائما؛ وكان الرجلان اللذان ماتا أقرب الناس إلى الإمام؛ فاحترق شعر أحدهما واسود وجهه وشقه الأيسر؛ والآخر ظهر بشقه الأيمن سواد؛ والأربعة الصرعى مكثوا حتى فرغ الإمام؛ فسئلوا عما أحسوا؛ فقالوا:)أحسسنا نارا كأنها الموج الثقيل.(ووجد أهل المسجد رائحة النار، ولم يوجد للصاعقة أثر في سقف ولا حائط. واهتزت لهذا الزلزال القصور والجبال، وهرب الناس إلى الصحارى، ضارعين إلى الله تعالى. وعم هذا الزلزال من البحر الشامي إلى آخر الجوف وإلى آخر أرض الشرك، لم يختلف في ذلك مختلف.". (١)

١٣١-"ولما فرغ ابن أبي عامر من غالب، دبر الحيلة في حتف جعفر بن علي، الذي أقامه أكبر معين في أمر غالب؛ فواكأ على قتله أبا الأحوص معن بن عبد العزيز النجيبي فارس العرب، في طائفة من أصحابه الأندلسيين؛ فقتلوه غيلة؛ ثم قتل ابن أبي عامر بعد ذلك أبا الأحوص، وانفرد وحده.
وفي سنة ٣٧١، تسمى ابن أبي عامر بالمنصور، ودعى له على المنابر به، استيفاء لرسوم الملوك؛ فكانت الكتب تنفذ عنه: من الحاجب المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر إلأى فلان. وأخذ الوزراء بتقبيل يده؛ ثم تابعهم على ذلك وجوه بني أمية؛ فكان من يدخل عليه من الوزراء وغيرهم يقبلون يده، ويمولونه عند كلامه ومخاطبته. فانقاد لذلك كبيرهم وصغيرهم؛ وإذا بدا لأبصارهم طفل من ولده، قاموا إليه، فاستبقوا ليده تقبيلا، وعموا أطرافه لثما. فساوى محمد بن أبي عامر الخليفة في هذه المراتب، وشاركه في تلك المذاهب. ولم يجعل فرقا بينه وبينه إلا في الاسم وحده في تصدير الكتب عنه، حتى تنامت

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ص/١٨٤

حاله في الجلالة، وبلغ غاية العز والقدرة.
قال حيان بن خلف: وقرأت في بعض الكتب أن محمد بن أبي عامر، لما حجب هشاما عن الناس واستبد بالأمر دونه، ظهرت فيهم بقرطبة أقوال معرضة أفشوا بينهم فيها أبياتا فاحشة. فمن ذلك ما قيل على لسان هشام الخليفة في شكواه لهم)وافر(:
أليس من العجائب أن ... يرى ما قل ممتنعا عليه
وتملك باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شئ في يديه
ومما قيل في تقديم هشام، وهو صغير لم يبلغ الحلم، وفي قاضيه ابن السليم)سريع(:
اقترب الوعد وحان الهلاك ... وكل ما تكرهه قد أتاك
خليفة يحضر في مكتب ... وأمه حبلى وقاض يناك
يريد بذلك شغف أم هشام بابن أبي عامر، لأنها كانت تتهم به، وهي أوصلته إلى حيث وصل من الحال التي لم يتمكن لأحد قبله ولا بعده مثلها؛ فسلب هشاما ملكه وجنده وماله.
وفي سنة ٣٧٢، قتل جعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي؛ وذلك أن المنصور عزم - بزعمه - على إكرام جعفر المذكور ليلة الأحد لثلاث خلون من شعبان من السنة، مكرا منه، وحيلة لقتله؛ فانتخبه ساقي المجلس بكأس؛ فقال له ابن أبي عامر:)اسقها أعز الناس علي(. فأمسك الساقي حيرة لكثرة من ضم المجلس من العلية؛ فزجره ابن أبي عامر وقال:)ناولها الوزير أبا أحمد! عليك لهنة الله!(فقام جعفر؛ فتناولها على قدمه، واستخفه الطرب حتى قام يرقص؛ فلم يبق أحد بالمجلس إلا فعل كنعله، وأميلت إليه الكؤوس حتى ثقل وانصرف في جوف الليل مع بعض غلمانه؛ فخرج إليه معن وأصحابه؛ فلم يكن فيه امتناع لما كان عليه من السكر؛ فأخذته السيوف حتى برد، وحز رأسه ويده اليمنى، وحملا إلى ابن أبي عامر سرا. فأظهر ابن أبي عامر الحزن عليه.
وفي سنة ٣٧٥، جهز المنصور جيشا كثيفا، وبعثه إلى العدوة؛ فحاصر حسن ابن قنون الشريف الحسني. وكان حاول الخروج من الدعوة المروانية؛ واجتمع إليه خلق من أهل الغرب، وظهر أمره؛ فوصله الجيش العرمرم؛ فلم يجد ملجأ إلا الاستسلام للأمان. فأمنه قائد الجيش، وحمله إلى قرطبة مرقبا. فلم يمض ابن أبي عامر أمانه، وأمر بقتله ليلا في الطريق بغيا وتعديا، لأن أمان قائده أمانه؛ فقال من شاهد قتله أن هبت عليهم ريح عاصف في تلك الليلة التي قتل فيها غدرا ذلك الشريف، صبتهم على وجوههم، وسلبتهم أثوابهم، واحتملت رداء حسن المقتول؛ فلم يجدوه، وأظلم عليهم الأفق حتى خافوا على أنفسهم.
وفيها تفرق بنو إدريس في البلاد، وملك ابن أبي عامر الغرب، وأخرج منه من كان بقي به من الأدارسة. فقيل في ذلك)كامل(:
فيما أرى عجب لمن يعجب ... جلت مصيبتنا وضاق المذهب
إني لأكذب مقلتي فيما أرى ... حتى أقول غلطت فيما أحسب

أيكون حيا من أمية واحد ... وبسوس صخم الملك هذا الأحدب

تمشي عساكرهم حوالي هودج ... أعواده فيهن قرد أشهب

أبي أمية ابن أقمار الدجى ... منكم وما لوجوهها تتغيب". (١)

١٣٢-"أحمد بن لؤلؤ بن عبد الله: العلامة الصالح الشهاب، أبو العباس القاهري الشافعي، أحد أئمتهم، ويعرف بابن النقيب، قال الأسنوي في ترجمته من الطبقات كما سيأتي: إنه كان كثير الحج والمجاورة بمكة والمدينة، وكذا قال غير واحد، منهم ابن صالح، قال: إنه تردد إلى الحرمين بالمجاورة والزيارة، وجاء في شهر رجب سنة ستين إليها مرة في الحر الشديد، فتعجب من همته، وهنأته بالزيارة في قصيدة نونية، وكان يحسن إلي كثيرا، وإلى كثير من المجاورين، بل كان شأنه السعي في مصالح المسلمين وحوائجهم، وهو السبب في إنشاء الرباط المنسوب إلي، وله فضائل كثيرة في علوم، أجلها الفروع، والأصول، والنحو، وفي مجاورته الأولى سكن مبرك الناقة، وقد رأيته خلاء قبل قدومه بأيام يسيرة من مجاورته الأخرى، فنزل فيه أيضا، وكان هذا **من العجائب**، وقال الوالي العراقي: وترافق هو ووالدي على الخروج للمجاورة في شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين، وكنت معهما، وجميع عيال الوالد، فبدأ بالمدينة، فأقام بها مدة أشهر، كتب فيها بخطه ألفية الوالد، وحضر تدريسها في تلك المجاورة عنده، وخرجا إلى مكة، وكان لي منه حظ كبير من الإحسان والملاطفة، انتهى، ورأيت من تصانيفه بالمدينة: شرح اللمحة البدرية في علم العربية، لشيخه أبي حيان، سماه المنحة السنية وهو في كراريس، ومولده سنة ست وسبعمائة، واشتغل بالعلم وهو ابن عشرين سنة، وتفقه بالسنباطي، والسبكي ونحوهما، وأخذ العربية عن أبي الحسن الأنصاري، والد ابن الملقن، وأبي حيان، وسمع الحديث على ابن القماح، وابن عبد الهادي، والميدومي، وحدث، ومهر في الفنون، وبرع، واختصر الكفاية في ست مجلدات، وكذا التنبيه، فصحح على قاعدة المتأخرين، ثم اختصره مقتصرا على الراجح، وهو لطيف، كثير الفائدة، سهل التناول، بحيث رأيته بخط شيخنا، ولكنه قال إنه لم يرزق حظ الحاوي الصغير، وعمل تصحيح المهذب، مع تخريج أحاديثه، وضبط لغاته وأسمائه في مجلدين، ونكت المنهاج في ثلاث مجلدات، كثير الفائدة، وغير ذلك، وكان وقورا ساكنا، خاشعا قانعا، انتفع عليه الطلبة، وتخرج به الفضلاء، ذكره الأسنوي في طبقاته، وقال: كان أبوه روميا، من نصارى أنطاكية، فوقع في سهم بعض الأمراء، فرباه وأعتقه، وباشر النقابة لبعض الأمراء، فعرف بالنقيب، ثم انقطع، وتصوف بالبيبرسية، ولزم الخير والعبادة، ونشأ له ولده الشهاب على قدم جيد، فكان أولا بزي الجند، ثم حفظ القرآن وقرأ بالسبع، ثم اشتغل بالعلم وله عشرون سنة، فلازم إلى أن مهر، قال: وكان عالما بالفقه، والقراءات والتفسير، والأصول، والنحو، ويستحضر من الأحاديث شيئا كثيرا - خصوصا المتعلقة بالأوراد والفضائل - ذكيا، أديبا، شاعرا، فصيحا، صالحا ورعا، متواضعا، طارحا للتكلف، متصوفا، كثير المودة، كثير البر، خصوصا لأقاربه، حسن الصوت بالقراءة، كثير الحج والمجاورة بمكة والمدينة، كثير النصح والمحبة لأصحابه، وافر العقل، مواظبا على الأشغال، والاشتغال، والتصنيف، لا أعلم في هذا العلم بعده من اشتمل على صفاته، ولا على أكثرها، وشرع في تصنيف أشياء لم تكمل، وبالجملة

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ص/٢٦٥

فهو ممن نفع الله به وبتصانيفه، ولم يكتب قط على فتيا تورعا، ولا ولي تدريسا، وكان – مع تشدده في العبادة – حلو النادرة، كثير الانبساط، فيه دعابة زائدة، حفظ عنه في أشياء لطيفة، انتهى. وقد سأله صاحبه الجمال الأسنوي تدريس الفاضلية، فامتنع، ومات قبله مطعونا في رابع عشر رمضان، سنة تسع وستين وسبعمائة، ودفن خارج باب النصر في حوش تربة الجمال الأسنوي، وذكره الولي العراقي في وفياته أيضا، وأنه – هو ووالده والهيثمي ممن سمع منه، وقال: إن نكته على المنهاج كثير الفوائد، واختصاره للكفاية حسن، وابن الجمال كان يقول: ليس على المهذب أنفع من تصحيحه، قال: وله تصانيف كثيرة لم تكمل، كتكملة التحقيق، وشرح المنهاج، وتتمة على شرح المهذب، وكان من خير أهل زمانه، متين الديانة، شديد الورع، عظيم الزهد، طارحا للتكلف، متواضعا، قائما بالحقوق، كثير الزيارة لأصحابه، كثير الإيثار، والبر والإحسان، مجتهدا في إخفاء ذلك، كثير الحج والمجاورة، قال – ومع هذا كله – كان كثير الانبساط، حلو النادرة، فيه دعابة زائدة حفظ عنه فيها أشياء لطيفة، إماما في القراءات، مع طيب النغمة وحسن الصوت، مصقعا في". (١)

١٣٣-"صب دمعا فرجا في صبه ... فرجا فازداد منه وصبا
شاقه ذكرى ليال سلفت ... بلذ يد العيش أيام الصبا
يا رعي الله ليلات مضت ... مع من نهوى ودهرا أخصبا
حين لا نخش من الواشي وقد ... غفلت عنا عيون الرقبا
من لمن قد بات عنه ألفه ... وعن الأحباب رغما غيبا
يرقب أحبابه إذ غربا ... أي من شرق ممن غربا
وكذا من أبياته مما كتبه في محمد بن عثمان بن أخضر، إما من التاريخ الكبير أو غيره، وقال ابن فرحون: إنه حاز من العلوم ما لم يحزه أخواه وانفرد اليوم باللغة والحديث ورجاله وولي الحكم والحسبة بدون سعي...، الله إليه لما علم من حاجة الخلق إليه، فقام بهما أحسن قيام ونرجو له من الله الزيادة والتمام فإنه سيف لأهل السنة دامغ للبدعة، وقرأ مرسومان بالوظيفتين في يوم واحد على مكة المؤذنين بعد صلاة الجمعة، وذاك أول سنة سبع وستين، وله التصانيف الحسنة والدروس المفيدة متع الله المسلمين ببقائه، وطول المجد ترجمته فقال: كان من أفاضل الدهر وأماثل العلماء وأوحد الزمان وفريد الأقران، الراقي مراقي الأعلام بالبنان واللسان والأقلام، مع القريحة الوقادة والبصيرة النقادة والجريدة التي بها ساد القادة وقاد السادة، تفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة وحوى من الفنون العلم كل نخبة طريفة وألقى بالآخر نزائره على علوم الأحاديث الشريفة، وفرع بها من فنون المعالي كل قبة...... مع نظم مخترع في ارتجاله الأفكار ويسرع في محاله الأفكار ويطلع في عياصة الأنوار ويبتدع في رياضة الأزهار، وينشر فضله والفضائل حاله ونجمه في أفق المعالي عال، ومصنفات بروق الطالبين... ومؤلفات تسوق المستفيدين... ودروس أحيت علم النعمان بعدما درس، وفوائد... ما في قلوب الطلاب من العلم ما غرس، ولي عام سبع وستين وسبعمائة وظيفتي الحكم والحسبة، ولما كان أنصاريا قام بنصر سنة المصطفى قياما صحح به نسبة دفع بسيفه

---

(١) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ٨٣/١

بأسه البدعة وأهلها،وأنه ببركة سميه المرتضى قدمت خلائق الخلائق حزنها وسهلها، وإن لم يكن سمي بالملة الحنفية فمن لها، وكان له إلى الديار المصرية ترداد ووفادة، كلما تكررت جعلت...، واتفق له في عام أحد وسبعين دخول العراق وأقام مدة ببغداد، وافى بأسماع الحديث ما دثر من عالمه وباد وأجاد وأفاد وأبدا وأعاد، ورفع أركان السنة وأساد وتلقى بالإكرام والأمجاد وحسن الإصدار والإيراد، وبعد إكماله عامه رجع إلى وطنه ومقامه، وفي الحجة عام ثلاث وسبعين عقب صدوره من مصر أدركه الأجل المحتوم وظهر له الأمد المكتوم، وأعقب أولادا كراما كل منهم بلغ من الفضل مراما، أنشدني رحمه الله من شعره من قصيدة طويلة:

أشتاق قربك والليالي تبعد ... وأروم عطفك والزمان ينكد

ما غير الهجر المقيم ولا الجفا ... ما كنت من حسن المود تعهد

إن كان في تلفي رضاك فإنني ... أهوى هواك وأبتغي ما يقصد

أعلمت أن السقم بعدك لم يدع ... لي ....

ومن العجائب أنني لك سائل ... والدمع مني سائل متبدد

٣١٠٤ - علي بن يوسف بن عزيز المدني الإمامي...: وعنه الأقشهري كيفية في السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصفه بالقاضي المشاور، صفي الأشراف، صفي الدين، وقال: أصلح الله سريرته كما أصلح علانيته وإنه أملاها عليه بالحرم الشريف المدني، من لفظه، وذكره ابن صالح فقال: كان فقيها ذا جاه ومال ودربة ودرية، حسن الملتقى والهيئة بشوشا قاضيا لحاجة سائله من أهل السنة معظما عند أهل المدينة المجاروين وغيرهما، حاكما يرجع إليه الوالي في الصلح بين الناس.". (١)

١٣٤-"@ ٢٩٤ @ . ٪ (لا يعجبنك راكب متلبس ٪ فعساه عن علم وعقل مفلس) ٪ . ٪ . ٪ (ومن العجائب أن يكون لجاهل ٪ فضل اللبيب وقد علاه السندس) ٪ . ٪ (إني لأعجب من تعدى طوره ٪ حتى يضيق علي منه المجلس) ٪ . وذكر أن ام أبن عثمان شريفة حسينية (ت) | | ذاكرت به الحافظ أبا محمد عبد الرحمن بن عمر الحراني ، فكتب لي ترجمته بيده ، هي : ' حمزة بن علي بن عثمان بن يوسف ، أبو القاسم بن أبي الحسن القرشي المخزومي / المصري ؛ الملقب بالقاضي الأشرف ، الحافظ ، أحد من عنى بهذا الشأن (ث) وجمعه وتحصيله . له الحظ الوافر من البراعة والبلاغة . أعلم من كان في زمانه بالكتابة والترسل - فيما يقال - يكتب الكتاب من آخره إلى أوله . سئل عن مولده ، فقال : في شعبان سنة سبع وأربعين وخمسمائة بمصر . سمع الحديث من أبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي ، وأبي الطاهر بن عوف (ج) ، وأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي اليابس (ح) العثماني ، والمرو (خ) بن علي بن المشرف ، وعبد الوهاب بن محمد بن عبد الله بن حماد الصنهاجي ، وعبد الواحد بن عسكر المخزومي (د) ، وأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحضرمي ، وبدر بن عبد الله الخداداذي بالاسكندرية ، وبمصر أباه وأبا محمد

---

(١) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ٢٩/٢

عبد الله بن عبد الجبار بن بري النحوي ، وابن الرحبي ، وأبا الحسن علي بن الأصبهاني المعروف بالكاملي ، وأبا عبد الله محمد بن المحل بن علي ، وإسماعيل بن قاسم الزيات وأبا القاسم هبة الله بن علي الأنصاري (ذ) ، وأبا عبد الله محمد بن حامد الارتاحي ، وأبا اسحق إبراهيم بن منصور الدمياطي ، وأبا البقاء عمر بن عبد العزيز ، القاري وغيرهم ممن يكثر ذكره . وبدمشق أبا المعالي (ر) عبد الله بن عبد الرحمن ابن صابر ، وأبا محمد عبد الرحمن بن المسلم (ز) وغيرهما (س) بدمشق . ولم يزل في الاشتغال بالعلم إلى حين وفاته – رحمه الله – توفي في .". [١]

١٣٥–" ولم يزل بعد ذلك يحسن الضبط لبلاده ويظهر الكفاية في كافة محاولاته إلى أن اعتلق ابن همشك بالدعوة المهدية خلدها الله ونابذ صهره محمد بن سعد وذلك في سنة اثنتين وستين – بعد الوقيعة العظمى بفحص الجلاب على مقربة من مرسية وكانت يوم الجمعة سابع ذي الحجة من سنة ستين – ووجه وزيره أبا جعفر هذا وافدا عنه إلى مراكش ومستصرخا على صهره ابن سعد وكان قد وطئ أعماله ودوخها وتغلب على كثير من معاقله وكانت تحته بنت ابن همشك فطلقها ثم ندم . وهدم رحى الوقشي بولجة بلنسية فقال في ذلك :

ألا أبلغا عني الشريق وأهله ... بأني لا أثني عنانا عن الغرب

لأجلبها خزر العيون ضوامرا ... وأوطئها أجسادكم بدل الترب

هدمتم رحى من لا يزال بسعيه ... وأفكاره يحني عليكم رحى الحرب

رحى شد ما يفني الرجال بطحنها ... وليس لها قطب سوى الطعن والضرب

ألم أجلب الجيش العرمرم نحوكم ... وصيرتكم في ما علمتم من الكرب

وإني ملي أن أكدر ما صفا ... لكم بعد هذا البلاد من الشرب

فإن يك عن أوطانكم عمر نأى ... فإن أمير المؤمنين على قرب

وله في وفادته على مراكش سنة أربع وستين يهنئ بعيد الفطر من قصيدة طويلة :

تحن إليكم وافدات المواسم ... فتهدى إلى كفيكم ثغر باسم

ومنهن عيد الفطر جاء مسلما ... عليك فحيا منك أفضل طاعم

ومن قبله وافي الصيام بشهره ... على خير أواب وأفضل صائم

يقول فيها :

تقبلت أخلاق الكهولة ناشئا ... فلم تدر يوما ما مناط التمائم

ولو لم تشأ وطء التراب بإخمص ... لسرت على هام الملوك الخضارم

وله وقد أحضر لمعاينة قتل أسد هائل المنظر يصفه من كلمة :

جهم المحيا إن تبسم هبته ... **ومن العجائب** هيبة المتبسم

---

(١) الجزء الثاني من تاريخ بني العباس ص/٢٦٢

ويقال كل الصيد في جوف الفرا ... وأرى الفراء لديه بعض المطعم

وكأنما هو ناظر عن زئبق ... وكأنما هو كاشر عن مخذم

وكأن لبدته بقية فروة ... قصرت على طول الزمان الأقدم

لما تمرد في العرينة فتحت ... أبوابها فانساب مثل الأرقم

وعلا زئير منه حتى خلته ... كالفحل يهدر عند شول هيم

وظننت أن الرعد من حيث الحيا ... حتى سمعت اليوم رعدا من فم

وتناولت زرق الأسنة زرقه ... حتى بدا في شكله كالشيهم

ولي في هذا المعنى من كلمة قلتها عند وفادتي على حضرة تونس – أيدها الله – رسولا عن والي بلنسية ودانية – أبي جميل بن سعد – وقد أحضرت لمثل ذلك في أواخر شعبان سنة ست وثلاثين وستمائة :

تحن إلى ملعب للظباء ... بكثبان رامة أو غرب

فهلا إلى ملعب للأسود ... سعدت بمنظره المعجب

يقام الجهاد به والجلاد ... لكل فتى مدره محرب

ويضري على الفتك بالضاريات ... فإن غالب القرن لم يغلب

ضوار ضوارب أظفارها ... تعير الظبي رقة المضرب

فمن أسد شرس محنق ... ومن نمر حرد مغضب

أثيرت حفائظها فانبرت ... تسابق في شأوها الأرحب

تصم المسامع من زأرها ... عوادي كالضمر الشزب

وتنبو العيون لإقدامها ... مذربة الناب والمخلب

كواشر من مرهفات حداد ... متى تصدع الهام لا تنشب

نيوب نبتن من النائبات ... وأزرين بالصارم المقضب

تنوء ثقالا ولكنها ... أخف وثوبا من الجندب ". [١]

١٣٦-"مردى١ والرشيد العطار ولم يحدث قال الذهبي وكان إماما جليلا وافر الحرمة حسن السيرة مليح الصورة تام الشكل مهيأ وقال الشيخ تاج الدين اشتغل في الفقه اشتغالا يسيرا ثم ولي استيفاء الأوقاف وحصل جملة ثم اتصل بأمير يعرف بالشمس فتعصب له وأخذ له تدريس الأمينية بعد أن طلب أن يكون فقيها بها في أيام القاضي نجم الدين فامتنع نجم الدين من ذلك وكان قليل الحظ من العلم ولكنه قادر على دخول على أسباب الدنيا مرض بالفالج مدة وفي المحرم سنة تسعين قدم شمس الدين إبراهيم بن سني الدولة إلى دمشق ومعه توقيع بالأمينية وعلم عليه ملك الأمراء وذكر التدريس ثم

---

(١) الحلة السيراء ص/١٤٨

طلب إلى دار السعادة ومنعت وسلمت الأمينية لابن الزملكاني وبطل التوقيع السلطاني حكاه الشيخ تاج الدين ثم باشرها ابن الزملكاني إلى أن توفي في شهر ربيع الآخر سنة تسعين وستمائة.

فائدة : قال الشيخ تاج الدين الفزاري في سنة خمس وثمانين وستمائة: من الوقائع العجيبة الغريبة في هذه السنة ان العلاء ابن الزملكاني نظر في كتاب وقف المدرسة الأمينية فزعم أن القيسرية التي إلى جانب المدرسة لا يحل إكراؤها ويجب أن يسكنها الفقراء بغير أجرة فأبطل جملة من الكراء كل شهر ثم اقتضى رأيه ونظره أن الدرس يذكر كل يوم حتى يوم الجمعة والثلاثاء وذكر الدرس بعد العيد بثلاثة أيام واستمر في الدرس يوم الثلاثاء وهذا **من العجائب** التي لم تعهد ولم يعترض عليه معترض في ذلك كذا بخط الشيخ تقي الدين الأسدي على ظهر كراسة فيها ذكر الأمينية ثم درس بها في حال مرضه وبعده ولده الشيخ الإمام العلامة بقية أعيان الشافعية كمال الدين أبو المعالي محمد مولده في شوال سنة سبع وستين وستمائة وتفقه على الشيخ تاج الدين الفزاري وغيره قال ابن كثير في سنة تسعين وستمائة: وهو

–

١ شذرات الذهب ٥: ٢٨٣.". (١)

١٣٧-". ...من تزوج فقد ركن إلى الدنيا٥٥٠٦. إلى غير ذلك **من العجائب** والغرائب وهذا المفهوم يخالف الإسلام دين التوسط والاعتدال، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فمن رغب عن سنتي فليس مني٥٥٠٧. وجملة القول أن زهد عمر بن عبد العزيز كان مقيدا بالكتاب والسنة وأن كثيرا مما نسب إليه في هذا الباب لا يصح لمخالفته هدى النبي صلى الله عليه وسلم، ومن زهد عمر بن عبد العزيز في جمع المال، فقد كان على النقيض ممن يلي منصبا في وقتنا الحاضر فقد كانت غلته حين استخلف أربعين ألف دينار، ثم أصبحت حين توفي أربعمائة دينار، ولو بقي لنقصت٥٥٠٨، حيث لم يرتزق رحمه الله من بيت المسلمين شيئا٥٥٠٩، فقد كان رحمه الله من زهاد زمانه إن لم يك أزهدهم، فكان يقول: إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر، تسر قليلا وتحزن طويلا٥٥١٠. وأخباره في الزهد كثيرة ذكر منها الشيخ أبو حفص عمر بن محمد الخضر المعروف بالملاء حوالي ثمانية وعشرين أثرا٥٥١١، لقد وصل عمر بن عبد العزيز إلى مرحلة متقدمة في الزهد والتحلي بصفات الزاهدين، وذلك ما لا يستطيع الوصول إليه أصحاب العيش في الظروف المادية في وقتنا الحاضر، الذي طغت فيه المادة على كل شيء في الحياة، وأصبح الناس يقيسون بعضهم البعض بما يملك من الدنيا وحطامها، حسبنا من قادة وزعماء هذا العصر المادي إن لم يتصفوا بصفة الزهد، على أقل تقدير، أن يكفوا أنفسهم عن الطمع، والجشع، وأن يسعوا إلى الكسب الحلال وأن يعملوا على قهر رغباتهم الدنيوية، لينالوا ما تاقت إليه نفس عمر بن عبد العزيز إلى ما هو أسمى من الدنيا.. إلى جنات النعيم٥٥١٢، ونختم حديثنا عن الزهد عند عمر بن عبد العزيز بهذا الأثر فقد قال لمولاه مزاحم: إني قد اشتهيت الحج، فهل عندك شيء؟ قال: بضعة عشر دينارا. قال: وما تقع مني؟ ثم مكث قليلا، ثم قال له:

---

(١) الدارس في تاريخ المدارس ١/١٤٥

يا أمير المؤمنين تجهز، فقد جاءنا مال سبعة عشر ألف دينارا من بعض مال بني مروان، قال: اجعلها في بيت". (١)

١٣٨-"هذا بقرطبة عيشة راضية في سرور وحبور وقتا، إلى أن ساءت الأيام بطامة ففارقها بغصة، وكان من محاسنه أنسه بالأدب، وغلبة أهله على خاصته، ولم يكن في مغدى ولا مراح، فتجملت آثاره بهم، وسارت أقوالهم فيه، وكان من ألهجهم بذكره أبو عامر بن شهيد، له معه أخبار مأثورة مشهور. شاهدتهم ليلة في مجلسه [و] طفيلة صغيرة عجيبة الخلق كانت تسقيهم [تسمى] أسماء عجبوا من مكابدتها السهر معهم، على صغر سنها، وحسن قيامها بخدمتهم، فسأله ابن المظفر وصفها فقال :

أفدي أسيماء من نديم ... ملازم للكؤوس راتب

قد عجبوا في السهاد منها ... وهي لعمري **من العجائب**

قالوا: تجافى الرقاد عنها ... فقلت لا ترقد الكواكب قال أبو عامر وابن حيان : واستوحش أبو عامر ابن المظفر هذا من هاشم المعتد ووزيره حكم بن سعيد القزاز، وكانوا قد رموه بذنب سليمان بن هشام الناصري، فلما خاف دبر الفرار، وخرج في لمة من ثقات أصحابه وأعوانه، وحمل معه عيون ذخائره وخاصة حرمه، وقطع أرضا بعيدة، ولم يعلم المعتد بخبره، إلى أن جاء خبر اجتيازه قرطبة راجعا على عقبه من شاطبة، لم يتفق له فيها ما أراد، فكر إلى ابن عبد الله بقرمونة مستجيرا به في ظنه، فأحلف ابن عبد". (٢)

١٣٩-"حسده على ذلك مجاهد صاحب دانية، وأظلم الأفق بينهما، فخرج مجاهد غازيا إلى بلاد عبد العزيز، وهو بالمرية مشتغل في تركية زهير، فخرج مبادرا عنها لاستصلاح مجاهد، واستخلف فيها صهره ووزيره معن بن صمادح، فكان شر خليفة استخلف، لم يكد يواري وجهه عبد العزيز عنه حتى عمل بالغدر به والتمهيد لنفسه عند رعيته، فخانه الأمانة، وطرده عن الإمارة، ونصب له الحرب، فغرب في اللؤم ما شاء؛ وتنكب التوفيق ابن أبي عامر لاسترعائه الذئب الأزل على ثلته، ومسترعي الذئب أظلم، وسر الله في خليفته لا يظهر أحدا عليه؛ وكان من العجب أن تملاها ابن صمادح مدته، وخلفها ميراثا في عقبه.

ثم أفضى الأمر من بعده إلى ابنه أبي يحيى محمد بن معن، وصار **من العجائب** أن ارتقى ذروة الإمارة، وتلقب من الأسماء الخلافية بالمعتصم، والرشيد لم يلده، وهو يعلم أن من الجور أس ملكه الموروث عن أب لم يكرم فيه فعله، ولا طال في طلبه تعبه، ثم لم يكفه تغطيه عن أجنحة النوائب بساحله الذي حال الحوز أمامه واللج وراءه، فرعى خضرته ولبس فروته، وأفنى دجاجه، مستبدا بمال ألفاه، لا يتجاوز به شهواته ومآربه إلى قضاء حق في جهاد عدو أو سد ثغر، أو معونة على بر؛ حتى

---

(١) الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار ١٩٥/٣

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٣٠٤/١

مل العافية، وبطر الدعة، وطلب الزيادة، فسعى للتوسع في بره". [١]

١٤٠-"غيبت عنه مغيب بدر كامل ... والليل أدهم ضارب برواق

ومن العجائب والكسوف مرتب ... قمر توارى في زمان محاق

من ذا أعزي من هذا الورى ... لم يلقني إلا بحزنك لاق

والناس محزونون فيك كأنما ... كان اتفاقهم على إصفاق وله في بلقين بن باديس ، من قصيدة أولها:

هو العمر يطوى والأماني رواحل ... هو العيش يفنى والليالي مراحل

إذا كانت الآمال تدعى قواتلا ... على الحكم فالآجل منا مقاتل

نغالب أجناد الردى الدهر بالمنى ... كما غالب الحق المصرح باطل

وأحوالنا بين الحياة وصدها ... تصرف والأقدار فيها العوامل

على ذا تقضى عالم بعد عالم ... ولم تختلف فيه القرون الأوائل ومنها:

مضى ملك العليا ولم يظلم الضحى ... ولا انتقلت عن حالهن المنازل

ولا انهدت الشم الرواسي ولا انثنت ... أعالي ديار الأرض وهي أسافل

فقل لعتاق الخيل تندب يومه ... فقد فجعت فيه القنا والقنابل

وليس صهيل الخيل ما تسمعونه ... ولكن عويل رجعته الصواهل

[ولا تعجبوا من واكف القطر إنه ... دموع هراقتها السحاب الهواطل]". [٢]

١٤١-"أجريتم دمعي دما لفراقكم ... ظلما وقلتم ما له لا يكتم

ما كان أكتمني لسري قبل أن ... تكف الدموع كأنما هي عندم

فإذا شهدت جماعة واعتادني ... تذكاركم فاضت دموعي تسجم

فبحقكم من ذا يعاين أدمعي ... تنهل إلا قال هذا مغرم

حملتموني ثقل بينكم ألم ... تتبينوا ألم الحنين فترحموا

عاقبتموني في الهوى بذنوبكم ... لقد استطلتم إذ قدرتم فاعلموا

أتظلمون وتظلمون محبكم ... **ومن العجائب** ظالم متظلم

أعتبتم فعتبتم وأطعتم ... فعصيتم ووصلتم فهجرتم

قد كان لي في هجركم لو أنني ... أقوى عليه من السلامة سلم

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٧٣١/٢

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٨٦٨/٢

ولقد علمتم أنني قد رمته ... فضعفت عنه فافعلوا ما شئتم

أنتم مناي وفيتم أو ختنم ... ولكم هواي دنوتم أو بنتم

يا حبذا أم الوفاء وإن جفت ... وتغيرت فهي التي لا تسأم

وهي التي انفردت بودي كله ... ولطالما قد كان وهو مقسم ومن شعره في المديح:

له في محمد بن عيسى الحضرمي (١) :

عتاب على الدنيا وقل عتاب ... رضينا بما ترضى ونحن غضاب

وقالت وأصغينا إلى زور قولها ... وقد يستفز القول وهو كذاب

وغمت (٢) على أبصارنا وقلوبنا ... فطال عليها الحوم وهي سراب

---

(١) الديوان: ٨.

(٢) الديوان: وغطت.". [1]

١٤٢-"وهو في فصل منها: **ومن العجائب** العجيبة، والنوادر الغريبة، تحكك من ليس من شانه، ولا يجري في ميدانه، إلى مطالبته، ونصبه لمحاربته ، بالإبراق وللإرعاد، والتهديد والايعاد، لا جرم أن يده أقصر، وخطبه أيسر، وهو أصغر وأحقر، فما ريع بذلك الوعيد، ولا رأسه لذلك التهديد ، ولا أصبح سربه خائفا، ولا أمسى طائره واقعا، ولا طرفه خاشعا، ولا اضطرب به مستقر، ولا قال أين المفر، بل عد ذلك من دلائل سموه الواضحة، ومخايل علوة اللائحة، وتضاحك منه لاهيا، وأنشد:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يا مربع

ومن أطرف ما جاءت به الأيام، وتحدثت به الأنام، مناواة جاهل خسيس، لإمام عادل رئيس، لقد استنت الفصال حتى القرعى ، ولا تعجبن لجاهل علا، إن البغاث بأرضنا يستنسر ، وما لتيس جبان، والجري مع العلماء في ميدان - ! أوهمه نفسه إذ لقب [٤٥ب] بالفقيه، وذلك أقصى أمانيه، وهو من العلم، أبعد من النجم، ومن الجهل الشديد، أقرب من حبل الوريد، وكيف يجاري العلماء، ويسامي الكبراء، ويزاحم أهل العلم بالفروع والأصول، والعلة والمعلول - ! وماذا". [2]

١٤٣-"هات يا سيدي عتبك وعتابك، واشحذ للملام شفارك وحرابك، تجدني لاحتمالك عودا بجنبه جلب ، وعليه من قراع الدهر ندب؛ على أني خلت أن الخطوب تبلغ بي رتبة من تعتد أنت عليه ذنبا، ويسمع من مثلك عتبا، ولكنها الأيام تأتي بغرائب، وتلد ما لا يحتسب **من العجائب**؛ وقد - وحياتك - جاشت هنا خواطري بالذم، وهمت

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٧٣٩/٤

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٢٠٢/٥

نفسي بأن تفارق عادتها عن الكظم، لولا بقية بقيت من الخجل ذكرتني بالتمالك، وعرفتني مذهبي في التماسك، فأمسكت عليك احتسابا، ورجوت على حمل جفاء مثلك ثوابا، وأضربت عن أن أتكلف لك في شيء مما ذكرته [جوابا]، إكراما لنفسي عن مجاوبتك، وتنزيها لها عن مساواتك ومماثلتك.

وله فصل من أخرى: كيف أكتب أو أعبر، وبأي ذهن أخبر وأستخبر، ومالي والله يد تجري بقلم، ولا خاطر يهتدي إلى كلم، وإن نفسي من التبلد والكهامة والأين، بحيث لا تخلص معنى ولا تجمع بين حرفين، وما حال من كلما هم بشيء باعده الدهر منه، وطردته الليالي عنه ، وكلما قرع باب مطلب عارضه من الحرمان رد، أو ذهب". (١)

١٤٤-"على الدهر أن يؤثر في ودك، أو يحل رباطا من عقدك، ولكني أقول مع هذا: واصل فقد أغببت، واعتذر بما أذنبت، وهات يا سيدي أخبارك التي هي أشهى إلى نفسي من عصر الصبا، وأندى على كبدي من نسيم الصبا، وجدد بك وبها عهدي فقد عفا منه رسم، ولاح عليه للقدم وسم.

وفي فصل : وعرفني بم تقطع دهرك، وعلى أي شيء تنفق عمرك، ونص على ما تجده عندك **من العجائب**، واستفدته بعدي من الغرائب، ولا تكتمني شيئا وابسطه المسهب، واشرح جميعه شرح المستوعب، تمح بذلك إساءة الإغباب، وتزل عني دواعي الاكتئاب.

وله من أخرى: وقفت على كتاب من لدنك قد اشتمل على كل بر وحفاية ، وإشفاق [ورثاية]، وتسلية تذهل عن سوء الحال، وتعد على الأيام بضمان إقبال، فذهب مستودعه بغمة النفس، وأدال من الوحشة بالأنس، وغلب الرجال على اليأس، وظلت حشاشة الهمة تتراجع، وخفضة الأمل تترافع، حتى كاد هذا يستقيل من عثار، وتلك تنثر بعد إقبار، وليس هذا بأول انطباق أعتم فطلعت له من تأنيسك مصابيح، ولا بأول غلق استبهم فتداركته من ألطافك مفاتيح، بل هي لبيض أياديك شوافع، ولسوالف مشاركتك توال وتوابع.

وله من أخرى: ولو رأيت فلانا وادعاءه، وزعمه أن الله اتخذه". (٢)

١٤٥-"حرف الهمزة

آمد

مدينة من كور الجزيرة من أعمال الموصل والجزيرة ما بين دجلة والموصل، وآمد بمقربة من ميافارقين فتحها عياض بن غنم بعد قتال على مثل صلح الرها، فإنه لما أتى الرها خرج إليه أهلها فقاتلوه فهزمهم المسلمون حتى ألجأوهم إلى المدينة فطلبوا الأمان والصلح، فأجابهم عياض إليه وكتب لهم (١) : " بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عياض بن غنم لأسقف الرها إنكم إن فتحتم لي باب المدينة على أن تؤدوا لي عن كل رجل منكم دينارا أو مد قمح فأنتم آمنون على أنفسكم

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٥/٢٦٤

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٥/٢٩٥

وأموالكم ومن تبعكم، عليكم ارشاد الضال وإصلاح الجسور والطرق ونصيحة المسلمين شهد الله وكفى بالله شهيدا " .
فعلى مثل هذا الصلح صالح أهل آمد وأهل ميافارقين وكفر توثا بعد قتال أيضا على مثل صلح الرها.
ومدينة آمد كبيرة حصينة على جبل في غربي دجلة وهي كثيرة الشجر والجبل عليها مطل نحو مائة قامة وعليها سور بحجارة الأرحى السود، ولها داخل سورها مياه جارية ومطاحن على عيون تطرد وأشجار وبساتين، وبينها وبين ميافارقين مرحلتان، ولها أربعة أبواب: باب التل وباب الماء وباب الجبل وباب الروم، وفي شمالها سوران، وفي قبليها برج كبير يسمى برج الزينة، وعلى باب الروم برجان، وقصبة السلطان في شرقها. والمدينة مستعلية على شرف، وهي أكبر من ميافارقين، وداخل آمد عين ثرة. وتأتيها دجلة من شمالها وتخرج من شرقيها، وبساتينها غربا وقبلة عنها إلى دجلة، وفي صحن جامعها أوتاد حديد قائمة معترضة من بلاط إلى بلاط ارتفاع الظاهر منها فوق الأرض ذراعان قد عقد بها كلها سلسلتان من حديد يذكر أهلها أن السرج كانت تقد عليها في سالف الأزمان.
ومن العجائب (٢) جبل بآمد فيه صدع فمن انتضى سيفه وأولجه فيه وهو قابض عليه اضطرب السيف في يده وارتعد هو ولو كان أشد الناس وأعجوبة أخرى أنه من حد بذلك الجبل سكينا أو سيفا وحمله على الابر والمسال جذبها أكبر من جذب المغنيطس، والحجر نفسه لا يجذب الحديد ولو بقي يحد عليه مائة عام لكانت تلك القوة فيه قائمة، وهو أقوى من حجر المغنيطس لأن الثوم يذهب قوة المغنيطس، وهذا مثل الذي بحوز موروور من الأندلس من أعمال قرطبة، وأخبر من حد به سيفا في الحجر مكانه من الجبل وقد تقادم عهده فوجده يجذب من تحت غمده وتعلق الابر بالغمد، وذكر صاحب هذا السيف أنه قد صقله مرارا فما زالت تلك القوة فيه.
ومن آمد إلى ميافارقين خمسة فراسخ. وفي سنة (٣) ست وثمانين ومائتين نزل المعتضد أمير المؤمنين خليفة بغداد على آمد بعد وفاة أحمد بن عيسى بن الشيخ وقد تحصن بها ولده محمد بن أحمد بن عيسى، فبث جيوشه حولها وحاصرها، فحدث شعلة بن شهاب اليشكري قال: وجهني المعتضد إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن الشيخ لأخذ الحجة عليه، قال: فلما صرت إليه واتصل الخبر بأم الشريف أرسلت إلي فقالت: يا ابن شهاب، كيف خلفت أمير المؤمنين؟ فقلت: خلفته والله ملكا جزلا وحكما عدلا أمارا بالمعروف فعالا للخير متعززا على الباطل متذللا للحق لا تأخذه في الله لومة لائم، قال: فقالت لي: هو والله أهل ذاك ومستحقه ومستوجبه، وكيف لا يكون كذلك وهو ظل الله الممدود على بلاده، والخليفة المؤتمن على عباده، أعز به دينه وأحيا به سنته

---

(١) فتوح البلدان: ١٠٦.
(٢) ابن الفقيه: ٦٧، ١٣٤.
(٣) المروج ٨: ١٣٤، والمنتظم ٦: ١٦.". [١]

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص/٣

١٤٦-"سليمان عليه السلام وهو على نحو فراسخ من اصطخر، وهو بنيان عجيب وهيكل عظيم وفي أعلاه صور محكمة من الصخر من الخيل وسائر الحيوان، يحيط بذلك كله سور عليه صور الأشخاص يزعم من جاور هذه المواضع أنها صور الأنبياء، وفي جوف هذا الهيكل الريح غير خارجة منه في ليل ولا نهار لها هبوب وحفيف يذكر من هناك أن سليمان عليه السلام حبس الريح فيه وأنه كان يتغدى ببعلبك من الشام ويقيل بتدمر ثم يتعشى بهذا المسجد، فقال يوما للريح: تيامني أو تياسري، فسارت إلى أرض فيها قصر أبيض فسارع من كان مع سليمان عليه السلام، فدخلوا القصر فإذا ليس فيه أحد يسألونه عن حال القصر وعن الباني له وإذا على القصر نسر واقع، فقال سليمان عليه السلام للنسر: من بنى هذا القصر؟ فقال النسر: يا نبي الله لا أدري من بناه وأنا عليه مذ ثمانمائة عام، هكذا أصبته، فسارع بعض من كان مع سليمان عليه السلام فكتب على القصر:

غدونا من قرى اصطخ؟ ... ر للقصر فقلناه

فمن يسأل عن القصر ... فمبنيا وجدناه

يقاس المرء بالمرء ... إذا ما هو ماشاه

فلا تصحب أخا الجهل ... وإياك وإياه

فكم من جاهل أردى ... حليما حين آخاه ونقل من خط أبي بكر ابن عروة أن سليمان عليه السلام رأى يوما في الصحراء بناء فأمر الريح فأمت به ذلك البناء فإذا قصر مبني من النحاس عليه شرفات وله سبعة أبواب على كل باب سبعة أقفال، فقرأ كتبا على حيطان القصر فوقع على المفاتيح فاحتفر فأخرجها وفتح القصر فإذا عتبة الباب من الذهب الأحمر وعليها كتابة باللازورد: من برجيس رحلنا، وبالقصر قلنا ومن يسأل عن القصر فمبنيا وجدنا فقال: لا إله إلا الله إن هذا لأمر عجب، رحل هؤلاء من برجيس غدوة ولحقتهم القائلة هنا وبين برجيس وهذا الموضع مسافة طويلة. ثم دخل فأصاب فيه مقاصير كثيرة فأقبل يفتح وينظر ما فيها **من العجائب**، ثم إنه فتح مقصورة فأصاب فيها رجلا مدرجا في أكفانه على سرير من الحديد الصيني طوله أربعون ذراعا ملقى على قمحدوته، فوضع يده على صدره فصار رمادا من طول ما أتى عليه من الأزمنة والدهور، فقال: لا إله إلا الله لكأن هذا الشخص لم يعمر في الدنيا قط، وإذا بحربة من ذهب مركوزة عن يمين السرير، وعن شماله أخرى مكتوب في إحداهما:

إنما الدنيا ساعة ويوم، ... ورقدة بينهما ونوم، ... يعيش قوم ويموت قوم، ... والدهر يمضي ما عليه لوم. ... وفي الأخرى: ملكنا وقدرنا، وقهرنا وتركنا ... وقضى الموت علينا، بعد هذا فذهبنا ... وإذا بلوح من ذهب مكتوب فيه:

إذا الحادثات بلغن المدى ... وكادت لهن تذوب المهج

وحل البلاء وبان العزاء ... فعند التناهي يكون الفرج وإذا تحت السرير مائدة من الحديد الصيني عليها ملح جريش وعليها مكتوب: أكل على هذه المائدة سبعون ألف ملك أعور سوى الأصحاء والبصراء وسوى الراقد على هذا السرير، ثم خرج من القصر وأصحابه، ورد مفاتيحه إلى موضعها، فإذا نداء من قبل الله عز وجل: يا سليمان إنما كانت المسئلة قبل أن يعطيك الله الملك ألا ينبغي لأحد من بعدك فأما من كان قبلك فبلغ أكثر من ذلك.

وذكر الطبري (١) أن فتح اصطخر الأخير كان سنة ثمان وعشرين وسط إمارة عثمان رضي الله عنه على يد الحكم بن أبي العاص، فأما فتحها الأول (٢) ففي أيام عمر رضي الله عنه قصدها عثمان بن أبي العاص فالتقى هو وأهلها بجور فاقتتلوا ما شاء الله تعالى ثم فتح الله عز وجل على المسلمين حور واصطخر ودعاهم عثمان إلى الجزية فأذعنوا، وجمع عثمان ما أفاء الله فخمسه وبعث بالخمس إلى عمر رضي الله عنه وقسم الباقي في الناس وعف الجند

---

(١) الطبري ١: ٢٨٢٧، ٢٦٩٨.

(٢) الطبري ١: ٢٦٢٦.". (١)

١٤٧-"وقرارا فبناها ومدنها وهي على نهر منبعث من عين على رأس المدينة فيعم جميعها ومنه ماء حمامها **ومن العجائب** البلاط الأوسط من مسجد جامع اقليش فإن طول كل جائزة من جوائزه مائة شبر وأحد عشر شبرا وهي مربعة منحوتة مستوية الأطراف.

اقليبيا (١)

مدينة كبيرة قديمة على ساحل البحر بأقصى جزيرة شريك قبلي مدينة تونس إلا أنها خربت ولم يبق منها الآن إلا قلعتها في قنة جبل وبقية سورها القائم على الساحل ظاهر اليوم وبينه وبين القلعة مسافة، وهي على نظر واسع وعمل كبير وعمارات عريضة وجبايات واسعة، والسفن تقصدها للميرة ولها مرسى، وجبل ادار قريب منها.

أقش (٢)

مدينة هي كانت قاعدة الجليقيين بينها وبين ليوزذال ثلاثون ميلا، وكانت أقش قبل هذا منسوبة إلى غرسية بن لب، وهي مبنية بالصخر المربع الكبير، وهي على نهر كبير يدخل منه المجوس بمراكبهم إليهم، وفي المدينة حمة غزيرة الماء واسعة الفضاء يستحم أهلها في جنباتها على بعد من عنصرها لشدة سخونته.

اقيانس (٣)

هو اسم لبحر الظلمات ويقال له البحر الأخضر والمحيط الذي لا يدرك له غاية ولا يحاط بمقداره ولا فيه حيوان، وهو الذي يخرج منه البحر الرومي الذي هو بحر الشام ومصر والمغرب والأندلس، فإنه خليج يخرج من هذا البحر وقد خاطر بنفسه خشخاش من الأندلس، وكان من فتيان قرطبة، في جماعة من أحداثها فركبوا مراكب استعدوها ودخلوا هذا البحر وغابوا فيه مدة ثم أتوا بغنائم واسعة وأخبار مشهورة.

وإنما يركب من هذا البحر ما يلي المغرب والشمال وذلك من أقاصي بلاد السودان إلى برطانية وهي الجزيرة العظمى التي في أقصى الشمال، وفيه ست جزائر تقابل بلاد السودان تسمى الخالدات ثم لا يعرف أحد ما بعد ذلك، وستأتي إن شاء الله تعالى حكاية أخرى عمن دخل هذا البحر أطول من هذه في موضعها في ذكر الأشبونة.

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص/٤٤

اسكر (٤)

قرية من أعمال مصر، ويقال إنها القرية التي ولد فيها موسى بن عمران عليه السلام قال حسين بن الاسكري المصري (٥) : كنت في جلاس تميم بن أبي تميم ومن يخف عليه جدا قال: فأرسل إلى بغداد فابتيعت له جارية رائقة فائقة الغناء، فلما وصلت إليه دعا جلساءه وكنت فيهم ثم مدت الستارة وأمر بالغناء فغنت:

وبدا له من بعدما اندمل الهوى ... برق تألق موهنا لمعانه

يبدو كحاشية الرداء ودونه ... صعب الذرى متمنع أركانه

وبدا لينظر كيف لاح فلم يطق ... نظرا إليه وصده سجانه

فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه ... والماء ما سحت به أجفانه فطرب الأمير تميم ومن حضره، ثم غنت:

سيسليك عما فات دولة مفضل ... أوائله محمودة وأواخره

ثنى الله عطفيه وألف شخصه ... على البر مذ شدت عليه مآزره قال: فطرب تميم أشد من الأول، ثم غنت:

أستودع الله في بغداد لي قمرا ... بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه قال: فاشتد طرب تميم وأفرط جدا ثم قال لها: تمني ما شئت فقالت: أتمنى عافية الأمير وسعادته، فقال: والله لا بد لك من التمني، قالت: على الوفاء أيها الأمير بما أتمنى قال: نعم،

---

(١) اقليبية (بالتاء المربوطة) عند البكري: ٤٥ والإدريسي (د): ١٢٥.

(٢) بروفنسال: ٢٨ والترجمة: ٣٥، ويبدو من وصف المؤلف لهذه المدينة أنها تقابل (Lugo) البلدة الرئيسية في مقاطعة جلقية، وكانت في القديم تسمى (Lucus Augusti) وربما قرئت ((لقش)).

(٣) بروفنسال: ٢٨ والترجمة: ٣٦، والبكري (مخ): ٣٤.

(٤) ترد بالشين ((أشكر)) في بعض المصادر.

(٥) جذوة المقتبس: ٦٦ والمطرب: ٦٢.". [١]

١٤٨-"والكمثرى والتين والرمان وضروب الفواكه حاشا شجر التوت، من غير غراسة ولا اعتمال.

اشبونة (١)

بالأندلس من كور باجة المختلطة بها، وهي مدينة على طريق العساكر فإن الطريق من باجة إلى الأشبونة يعترض مدينة الأشبونة، والأشبونة بغربي باجة، وهي مدينة قديمة على سيف البحر تتكسر أمواجه في سورها واسمها قودية، وسورها رائق البنيان بديع الشان، وبابها الغربي قد عقدت عليه حنايا فوق حنايا على عمد من رخام مثبتة على حجارة من رخام، وهو أكبر أبوابها، ولها باب غربي أيضا يعرف بباب الخوخة مشرف على سرح فسيح يشقه جدولا ماء يصبان في البحر، ولها

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص/٥٢

باب قبلي يسمى باب البحر تدخل أمواج البحر فيه عند مده وترتفع في سوره ثلاث قيم، وباب شرقي يعرف بباب الحمة، والحمة على مقربة منه ومن البحر بمائين: ماء حار وماء بارد، فإذا مد البحر واراهما، وباب شرقي أيضا يعرف بباب المقبرة. والمدينة (٢) في ذاتها حسنة ممتدة مع النهر لها سور وقصبة منيعة، والأشبونة على نحر البحر المظلم، وعلى ضفة البحر من جنوبه قبالة مدينة الأشبونة حصن المعدن ويسمى بذلك لأن عند هيجان البحر يقذف بالذهب التبر هناك، فإذا كان الشتاء قصد إلى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذي به إلى انقضاء الشتاء، وهو من عجائب الأرض.

ومن مدينة الأشبونة كان خروج المغررين في ركوب بحر الظلمات ليعرفوا ما فيه وإلى أين انتهاؤه، ولهم باشبونة موضع بقرب الحمة منسوب إليهم يعرف بدرب المغررين، وذلك أن ثمانية رجال كلهم أبناء عم اجتمعوا فابتنوا مركبا وادخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر، ثم دخلوا البحر في أول طاروس الريح الشرقية فجروا بها نحوا من أحد عشر يوما، فوصلوا إلى بحر غليظ الموج كدر الروائح كثير التروش قليل الضوء، فأيقنوا بالتلف فردوا قلعهم في اليد الأخرى وجروا في البحر في ناحية الجنوب اثني عشر يوما، فخرجوا إلى جزيرة الغنم، وفيها من الغنم ما لا يأخذه عد ولا تحصيل، وهي سارحة لا ناظر لها ولا راعي فقصدوا الجزيرة ونزلوها فوجدوا عين ماء جارية عليها شجرة تين بري، فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحد على أكلها فأخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب اثني عشر يوما إلى أن لاحت لهم جزيرة فنظروا فيها إلى عمارة وحرث، فقصدوا إليها ليروا ما فيها فما كان إلا غير بعيد حتى أحيط بهم في زوارق فأخذوا وحملوا في مركبهم إلى مدينة على ضفة البحر فأنزلوا بها في دار فرأوا بها رجالا شقرا زعرا شعورهم سبطة وهم طوال القدود، لنسائهم جمال عجيب، فاعتقلوا في بيت ثلاثة أيام ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربي، فسألهم عن حالهم وفيم جاءوا وأين بلادهم، فأخبروه بكل خبرهم فوعدهم خيرا وأعلمهم أنه ترجمان، فلما كان في اليوم الثاني من ذلك اليوم احضروا بين يدي الملك فسألهم عما سألهم عنه الترجمان، فأخبروه بما أخبر به الترجمان بالأمس وأنهم اقتحموا البحر ليروا ما فيه **من العجائب** وليقفوا على نهايته، فلما علم الملك ذلك ضحك وقال للترجمان: أخبر القوم أن أبي أمر قوما من عبيده يركبون هذا البحر وأنهم جروا في عرضه شهرا إلى أن انقطع عنهم الضوء وانصرفوا من غير فائدة تجدي، ثم وعدهم خيرا وصرفوا إلى موضع حبسهم إلى أن بدأ جري الريح الغربية فعمر بهم زورقا وعصبت أعينهم وجرى بهم في البحر برهة من الدهر، قال القوم: قدرنا أنه جرى بنا ثلاثة أيام بلياليها حتى جاء بنا إلى البر فأخرجنا وكتفنا إلى خلف وتركنا بالساحل إلى أن تضاحى النهار وطلعت الشمس ونحن في ضنك وسوء حال من شدة الكتاف حتى سمعنا ضوضاء وأصوات ناس فصحنا بجملتنا، فأقبل القوم إلينا فوجدونا بتلك الحال السيئة، فحلوا وثاقنا وسألونا فأخبرناهم بخبرنا وكانوا برابر، فقال لنا أحدهم: أتعلمون كم بينكم وبين بلدكم؟ فقلنا: لا، فقال: مسيرة شهرين، فقال زعيم القوم: وا أسفي، فسمي المكان إلى اليوم اسفي، وهو المرسى الذي في أقصى المغرب.

الأهواز (٣)

مدينة متصلة بالجبل، فتحها حرقوص بن زهير السعدي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والأهواز هي خوزستان وهي رام هرمز، وبين الأهواز وأصبهان خمسة وأربعون فرسخا، قالوا: ومن أقام بالأهواز حولا ثم تفقد عقله فإنه يجد فيه

نقصا بينا. وقصبة الأهواز تغلب كل من نزل بها من الأشراف إلى طبائع أهلها، ولا يوجد بها أحد له وجنة حمراء،

---

(١) بروفنسال: ١٦ والترجمة: ٢٢ (Lisbonne).

(٢) من هنا عن الإدريسي (د): ١٨٤.

(٣) انظر آثار البلاد: ١٥٢، وياقوت: ((الأهواز))، ولطائف المعارف: ١٧٥.". [١]

١٤٩-"إلا ميتا فقبره ببرذعة وقال أبو قدامة القشيري: كنا مع يزيد بن مزيد بأرمينية فإذا صائح في الليل يصيح: يا يزيد بن مزيد، قال: فأتي به يزيد فقال له: ما حملك على هذا الصياح؟ قال: نفقت دابتي ونفدت نفقتي وسمعت قول الشاعر:

إذا قيل من للمجد والجود والندى ... فناد بصوت يا يزيد بن مزيد فأمر له بفرس أبلق كان معجبا به وبمائة دينار.

برغش (١)

في بلاد الروم بالقرب من مدينة ليون، وهي مدينة كبيرة يفصلها نهر، ولكل جزء منها سور والأغلب على الجزء الواحد منها اليهود، وهي حصينة منيعة ذات أسوار وتجار وعدد وأموال وهي رصيف للقاصد والمتحول (٢) ، وهي كثيرة الكروم ولها رساتيق وأقاليم معمورة.

برشك (٣)

بين تنس وبرشك في الساحل ستة وثلاثون ميلا ، وبرشك مدينة صغيرة على تل وعليها سور تراب وهي على ضفة البحر، وشرب أهلها من عيون وماؤها عذب، وبها فواكه وجملة مزارع وحنطة كثيرة وشعير، ومنها إلى شرشال (٤) عشرون ميلا وكان طاغية صقلية (٥) أخذها واستولى عليها.

برلي

جزيرة في بحر الهند فيها الكافور الذي ليس في الدنيا مثله يكون في الشجرة الواحدة منه عشرة أجناس ينساب كل عرق منها بجنس منه، وكافور هذه الجزيرة يحمل إلى الصين، قالوا: ويلي هذه الجزيرة ستة آلاف جزيرة لا يحيط علما بما فيها إلا خالقها منها جزيرة بروان (٦) يخرج منها مائتا مركب محاربة وهم أهل بأس ونجدة وشجاعة وشدة يقاتلون من يليهم لاستحلالهم البنات والأخوات، ومنها جزيرة تسمى سواكن يحارب أهلها ملك قمار وشريرة وفنصور (٧) ، وأخذوا مرة سفينة كبيرة للمسلمين في ناحية كله وسبوا من فيها من الرجال والنساء ثم أتوا بهم بعد أعوام إلى بلاد جاوه وهم منهم على مسيرة ستين يوما فأخبروا أولئك النسوة أنهم لم يعترضوا منهم واحدة، ووجدوا الأبكار منهم بخواتيمهم (٨) .

بريانة (٩)

بالأندلس بقرب عقبة أنيشة، وهي مدينة جليلة عامرة كثيرة الخصب والأشجار والكروم، وهي في مستو من الأرض وبينها

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص/٦١

وبين البحر ثلاثة أميال، وهي قريبة من بلنسية.

برشانة (١٠)

بالأندلس أيضا وهي حصن على مجتمع نهرين وهو من أمنع الحصون مكانا وأوثقها بنيانا وأكثرها عمارة.

بريسا (١١)

في بلاد السودان على النيل وهي كثيرة الخيرات بها معدن للذهب عظيم مشهور في بلاد السودان، **ومن العجائب** أن في هذه المدينة معزى قصارا وعندهم شجر معلوم تحتك هذه المعزى إليها فتلقح من غير ذكر ويذبحون ذكران المعز ويستحيون الإناث لاستغنائهم عن الفحل، حدث بذلك من دخل بلادهم من ثقات التجار وهذا مثل ما حكاه المسعودي عن جزيرة النساء. وليس على بريسا سور وأهلها تجار يتجولون وأهلها كالقرية الحاضرة وهم طاعة للتكروري.

برطاس (١٢)

بلاد برطاس ويقال بلاد برداس فيما بين الخزر وبلغار، بينها وبين الخزر مسيرة خمسة عشر يوما، وهي طاعة لملك الخزر ليس لهم ملك سواه إلا أن لهم في كل محلة حاكما يتحاكمون إليه فيما نابهم، وهم حرب لبلغار والبجاناكية ودينهم شبيه بدين الغزية، ولهم أرض واسعة سهلة كبيرة وأرضهم مسيرة نصف شهر في مثلها، وينتهي عددهم نحو عشرة آلاف فارس،

---

(١) نزهة المشتاق: ٢٣١ والمؤلف ينقل عنه، وابن حوقل: ٢٩٠، وبروفنسال: ٤٤ والترجمة: ٥٥ (Burgos).

(٢) نزهة المشتاق: والمتجول.

(٣) الإدريسي (د/ ب): ٨٨/ ٦١.

(٤) في الأصلين: شوشال.

(٥) يعني الملك رجار النورماندي.

(٦) ص: بروادة.

(٧) ص: وسيعور، ع: يسعور غير معجمة الياء.

(٨) كذا بضمير الجمع المذكر.

(٩) الإدريسي (د): ١٩١، وبروفنسال: ٤٤، والترجمة: ٥٦ (Buriana).

(١٠) بروفنسال: ٤٢، والترجمة: ٥٣ (Purchena).

(١١) ذكر الإدريسي (د/ ب: ٢، ٤/ ٣، ٥) بريسي وقال: ومدينة بريسي على النيل، مدينة صغيرة لا سور لها غير أنها كالقرية الحاضرة، وأهلها تجار متجولون وهم في طاعة التكروري، وفي ص ع: برسنا أو (برسني).

(١٢) تشترك هذه المادة مع ما ورد في نزهة المشتاق: ٣٠٩، والكرخي: ١٣٠، ١٣١، وياقوت (عن الكرخي)، ولكن ما ورد فيها من تفصيلات يشير إلى أن المؤلف ينقل عن مصدر آخر، والنظر أيضا: ابن حوقل: ٣٣٣، ٣٣٥، وتقع برطاس

على روافد الفولجا.". (١)

١٥٠-"بورى (١) :

في أسفل الديار المصرية، في سنة عشر وستمائة وصل العدو إليها بشوانيه فسباها كما فعل في قره، وكان حلق رشيد قد حرس بالقطائع المصرية فعدل عنها إلى هذا المكان.

بونة (٢) :

من بلاد إفريقية قريبة من فحص قل وهي مدينة قديمة من بناء الأول وبها آثار كثيرة، وهي على ساحل البحر في نشز من الأرض مشرف على البحر وعلى فحوصها وقراها، وهي من أنزه البلاد وأكثرها لبنا ولحما وعسلا وحوتا، والبحر يضرب في سورها وفيها بئر على ضفة البحر منقورة في حجر صلد وماؤها أعذب ماء وأنقعه (٣) منها يشرب أكثر أهلها لعذوبته، وبغربي هذه المدينة ماء سائح يسقي بساتينها وأرضها، وموضع جناتها متنزه حسن مشرف على البحر، ويطل على بونة جبل زغوغ وهو كثير الثلج والبرد، وببونة مساجد وأسواق وحمام، وهي ذات ثمر وزرع، وقد سورت بونة بعد الخمسين والأربعمائة. **ومن العجائب** أن في هذا الجبل مسجدا لا ينزل عليه من ذلك الثلج شيء وإن عم الجبل كله. وأكثر لحمان أهل بونة البقر إلا أنها يصح بها السودان ويسقم البيضان. وحول بونة قبائل كثيرة من البربر مصمودة وأوربة وغيرهما، وأكثر تجارها أندلسيون. ومستخلص بونة غير جباية بيت المال عشرون ألف دينار.

وبغربي مدينة بونة بركة في دورها نحو عشرة أميال فيها سمك جليل كثير، وفيها طائر يعرف بالكيكل وهو يعشش على وجه الماء ويفرخ، فإن أحس بحيوان في البر أو إنسان يروم أخذه أخذ عشه بفراخه برجليه حتى يصير في وسط البركة حيث يأمن، وهو طائر حسن وهو الذي يسمى بمصر الغطاس (٤) ، وتتخذ مصر من جلوده الفراء لأمنها (٥) وجمالها وتباع بالأثمان الغالية. ومرسى بونة من المراسي المشهورة، وبونة في جون من البحر يسمى جون الأزقاق وهو صغير ربما عطبت فيه المراكب، وتسمى بونة بلد العناب لكثرة العناب فيها، ومنه خشب سقوفهم ووقودهم ومنه جميع ما يتصرفون فيه.

وفي بونة دفن ملك إفريقية الأمير الأجل أبو زكريا ابن الشيخ الأجل المجاهد أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص رحمه الله (٦) وإنه كان تحرك من حضرته تونس في تاسع صفر من سنة سبع وأربعين وستمائة ومعه ولي عهده ابنه أبو عبد الله محمد المستنصر بالله أمير المؤمنين فلما انتهى إلى قسنطينة مرض بها المرض الذي توفي منه وكان أبل منه وطمع له في البرء، وكتب بذلك إلى تونس وتوجه إليه منها الطلبة وغيرهم يهنئونه بالبرء من مرضه وقالت الشعراء في ذلك ثم عاوده مرضه فمات منه ليلة يوم الجمعة التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وستمائة وصلي عليه عصر يوم الجمعة فقرر أخوه أبو عبد الله اللحياني الولاية لابنه المستنصر فبايعه الناس هناك بيعة مجددة ثم جهز إلى روضته وحمل إلى بونة فدفن بجامعها بازاء قبر الشيخ الصالح الولي أبي مروان الفحصلي وهو ابن تسع وأربعين سنة وفي ذلك قال أبو عمرو عثمان بن عربية (٧) :

ليت شعري عن الخليفة يحيى ... وإلى ليت يستريح الحزين

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص/٨٨

قفل الجيش سالمين ويحيى ... بالمصلى من بونة مدفون وقيل في ذلك من المراثي والأقوال المبكية نظما ونثرا ما لا يسعه المختصر.

البونت (٨) :

هي قرية من أعمال بلنسية ينسب إليها صاحب الوثائق المجموعة عبد الله بن فتوح بن عبد الواحد (٩) .

بونية (١٠) :

هي قاعدة مدن لنقبردية، وهي مدينة مبنية بالحجر والآجر والكلس كبيرة جدا كثيرة الأهل تنفجر داخلها العيون وهي على نهر يجتمع تحتها بمقدار نصف ميل بنهر آخر، وفي هذه المدينة قصر حسن على بابه صورة فارس من نحاس متناهية

---

(١) خطط المقريزي ١: ١٨١ - ١٨٢، واليعقوبي: ٣٣٨ (بورة) وكذلك الإدريسي (د): ١٥٧، وقاموس رمزي ١: ١٧٦.

(٢) الاستبصار: ١٢٧، والبكري: ٥٤، والإدريسي (د/ ب): ١١٦/ ٨٥.

(٣) ع: وامنعه؛ ص: وامتعه، الاستبصار: وأنفقه.

(٤) الاستبصار: الخواص.

(٥) الاستبصار: للينها، وهي غير واضحة في ص.

(٦) انظر الفارسية ١٠٧ - ١١٤، وتاريخ الدولتين: ٢٤، والبيان المغرب ٣: ٣٩٣ (تطوان).

(٧) هو أبو عمرو عثمان بن عتيق به عثمان القيسي المعروف بابن عربية، ولد بالمهدية سنة ٦٠٠ وتوفي بتبرسق سنة ٦٥٩ (رحلة التجاني ٣٧٥ - ٣٧٩).

(٨) ص ع،البونة؛ بروفنسال: ٥٦، والترجمة: ٧١.

(٩) ترجمة في الصلة؛ ٢٧١، وكانت وفاته سنة ٤٦٢.

(١٠) كذا في ع: وفي ص: بوية، ولعل الصواب: بوبيه، وهي التي ترد عنه الإدريسي باسم بابيه (Pavia)، وقد كانت هذه المدينة عاصمة اللمبارديين (لنقبردية)."، [١]

١٥١-"خلية (١) :

هما جزيرتان في أرض جزيرة صقلية في ناحية مسيني وهما جزيرتا البركان، واحدة كبيرة والأخرى صغيرة، وفي هاتين الجزيرتين تتقد النار أبدا، فيرى لهب النار بالليل ودخانه بالنهار، **ومن العجائب** أن النار في إحدى الجزيرتين حديثة ولم تكن بها قبل وأنها ضعفت في الأخرى مذ ذاك، وهاتان الجزيرتان وما يليهما تسمى جزائر أوليا، سميت باسم أولين (٢) الذي ذكرت الفلاسفة الجاهلية أنه كان أميرا في تلك الجزائر وكان يعلم أهلها بما يجد في الرياح لتجارب حفظها فاتخذوه إلها.

خليج القسطنطينية (٣) :

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص/١١٥

من السواحل الشامية يأخذ من بحر مايطس (٤) وبحر نيطس ويجري الماء فيه جريا ويصب إلى بحر الشام، ومسافة هذا الخليج ثلثمائة وخمسون ميلا، وقيل أقل من ذلك، وعرضه في الموضع الذي يأخذ من بحر مايطس نحو من عشرة أميال، وهناك عمائر ومدينة للروم تدعى مسناة تمنع من يرد من ذلك البحر من مراكب الروس وغيرها، ثم يضيق هذا الخليج عند القسطنطينية فيصير عرضه، وهو موضع العبور من الجانب الشرقي إلى الجانب الغربي الذي فيه القسطنطينية، نحوا من أربعة أميال، وعليه العمائر، وينتهي إلى الموضع المعروف بأندلس. وهنالك جبال وعين ماء كبيرة ماؤها موصوف تعرف بعين مسلمة بن عبد الملك وكان نزوله عليها حين حاصر قسطنطينية، وأتته مراكب المسلمين، وفم هذا الخليج مما يلي بحر الشام ومنتهى مصبه يضيق، وهناك برج يمنع من فيه لمن يرد من مراكب المسلمين في الوقت الذي كانت للمسلمين فيه مراكب تغزو إلى الروم. وأما الآن (٥) فمراكب الروم تغزو بلاد الإسلام، قال المسعودي: وأخبرني أبو عمير علي بن أحمد بن عبد الباقي الأزدي وهو من أهل التحصيل، أنه حين عبر إلى القسطنطينية في هذا الخليج، حين دخل لإقامة الهدنة والفداء، كان يتبين جرية هذا الماء وبرده مما يلي بحر مايطس وربما يتبين في الماء الذي مما يلي بحر الشام فيجده فاترا، وهذا يدل على اتصال ماء هذين البحرين وأنه قد دخل من بحر الروم إلى هذا الخليج أيضا. قال المسعودي: وسمعت غير واحد من أهل التحصيل ممن غزا غزاة سلوقية مع غلام زرافة، وقد كانوا دخلوا إلى خليج القسطنطينية وساروا فيه مسافة بعيدة، أنهم وجدوا الماء في هذا الخليج يقل في أوقات من الليل والنهار ويكثر كالجزر والمد، وعليه المدن والعمائر، فلما أحسوا بنقصان الماء بادروا بالخروج منه إلى البر الرومي، وإن في مدخله من بحر الروم مدينة تقرب من فم الخليج، والخليج يطيف بالقسطنطينية من جهتين مما يلي الشرق ومما يلي الشمال.

غدير خم (٦) :

بازاء الجحفة، وتقدم ذكره في الجحفة، وقال أبو عبيدة : خم بئر احتفرها عبد شمس بالبطحاء بعد (٧) بئره العجول.

الخندق:

قبل وصولك إلى المدينة المكرمة من جهة المغرب بمقدار غلوة تلقى الخندق الشهير الذي صنعه النبي صلى الله عليه وسلم عند تحزب الأحزاب.

وكانت (٨) وقعة الخندق في شوال بعد أحد بسنة لما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير خرج من اليهود سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وكنانة بن الربيع النضريون، وهوذة بن قيس وأبو عمار الوائليان، في نفر من بني النضير وبني وائل، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدموا مكة على قريش، فاستعدوهم واستنصروهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم إلى حربه وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه، فهم الذين أنزل الله فيهم: " ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا، أولئك

---

(١) ع: خليبة، وعند رتزيتانو: الخالية، وفي نص اضطراب إذ لابد أن يذكر اسم جزيرتين من الجزر التي سماها من بعد

جزائر أوليا (Aeolia) باسم ملك الرياح والعواصف (Aeolus) وهي سبع جزر صغيرة بين صقلية وإيطاليا: Euonymos' Hiera' Lipara' Phonicusa' Ericusa' Didyme' Strongyle. وليس فيها اسم مقارب لما ذكره المؤلف.

(٢) لعل صوابه: أولس (Aeolus).

(٣) مروج الذهب ٢: ٣١٦.

(٤) ص ع: مانطس.

(٥) يعني زمن المسعودي.

(٦) معجم ما استعجم ٢: ٥١٠.

(٧) معجم البكري: عند.

(٨) ابن هشام ٢: ٢١٤.". (١)

١٥٢-"رمتك قيل بما فيها وما ظلمت ... ورامها قبلك الفجفاجة الصلف وسمرقند وخوارزم كور منقطعة من خراسان ومما وراء النهر، وتحيط بها المفاوز من كل جانب، وحدها يتصل بحدود الغزية مما يلي الشمال والمغرب، وحد جنوبها من شرقيها بلاد خراسان وما وراء النهر، وهي ناحية عريضة وخطة واسعة ومدن كثيرة، وهي آخر عمائر عمل جيحون وليس بعدها عليه عمارة حتى يقع ماء النهر في البحيرة، ومدينتها في الجانب الشمالي من جيحون، ولها من الجنوب مدينة كبيرة تسمى الجرجانية وهي أكبر مدينة بخوارزم بعد قصبتها قيل، وهي متجر الغزية ومنها تخرج القوافل إلى جرجان وكانت تخرج إلى الخزر على مر الأيام وإلى خراسان، وكانت قصبة الجرجانية تعرف باللغة الخوارزمية كاث وكانت أرباضا (١) وطولها نحو ميل في مثله فابتنوا غيرها من ورائها، وهي الجرجانية اليوم، وقيل مدينة خوارزم.

وخوارزم (٢) مدينة حصينة كثيرة الطعام والفواكه، والخواص من أهلها قيام على أنفسهم بالمروءة الظاهرة، وهم أكثر أهل خراسان سفرا، وليس بخراسان مدينة إلا وفيها منهم جمع كبير، ولغتهم ممتازة من لغة أهل خراسان، وزيهم القراطق والقلانس المعوجة، وخلقهم لا يخفى بين أهل خراسان ولهم بأس على الغربة ومنعة، وترتفع من خوارزم ثياب القطن والصوف وأمتعة كثيرة، وليس بخوارزم معادن، ويقع إليهم رقيق الصقلب والخزر وما والاها من رقيق الأتراك، ويقع إليهم الأوبار من الفنك والسمور والثعالب (٣) والخزوز وغير ذلك. وعرض نهر خوارزم عند المدينة فرسخان، وأول حدود خوارزم مما يلي ارموني بلد يسمى الطاهرية تجد فيها العمارة على جانبي جيحون ونهر جيحون ربما جمد في الشتاء حتى تعبر عليه الأثقال والأحمال والجمال ومن ناحية خوارزم يشتد في جموده، ومن مدن خوارزم غزنة وغيرها، وهم مياسير وأهل مروءة ظاهرة.

ونزل الططر على خوارزم في سنة ثمان عشرة وستمائة فأقاموا على مدينة الجرجانية قاعدة خوارزم شاه، قالوا: ومرو ونيسابور وبلخ، مع عظم كل واحدة منها، مجموعها يقصر عن الجرجانية بانفرادها فإنها كانت سرير السلطان الأعظم صاحب الأقاليم

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص/٢٢١

السلطانية ورب العساكر الكثيفة، وكان بها يومئذ عسكر جليل وأمراء مشهورون إلى أن ملك الططر المدينة وقتلوا فيها كل ذي روح، والخبر مستوفى في ذكر الجرجانية.

خوزستان (٤) :

في أرض عبادان في شرقي موضع دجلة، وهي بلاد كبيرة وعمل فسيح وماؤها صحيح، وهي سهلة الأرجاء كثيرة المياه، وبلادها عامرة، وقاعدة بلادها الأهواز، ومن بلادها عسكر مكرم وتستر وجنداسابور ورامهرمز وغيرها.

وبأرض خوزستان مياه جارية وأودية غزيرة وأنهار سائلة، وأكبر أنهارها نهر تستر، ويسمى دجيل الأهواز، وهو نهر عجيب منبعه من جبال هنالك وعليه الشاذروان الذي أمر بعمله سابور الملك، وهو **من العجائب** المشهورة فإنه بناء أمام تستر وثيق عال أقيم في صدر الماء سدا وثيقا بالحجر والعمد، فارتدع به الماء حتى صار أمام تستر، لأن تستر في نشز من الأرض عال والماء، مرتدع بين يديها، ويجري هذا النهر من وراء عسكر مكرم وعليه هناك جسر كبير وتجري فيه السفن الكبار ويتصل بالأهواز. وبين عسكر مكرم والأهواز ثلاثون ميلا في الماء ولا يضيع شيء من ماء هذا النهر إنما يتصرف كله في سقي الأرض وغلات القصب وضروب الحبوب والنخيل والبساتين والمزارع، وفيه المد والجزر، وأهل خوزستان يتكلمون بالفارسية والعربية ولسان آخر يستعملونه بينهم، وزيهم زي أهل العراق يلبسون القمص والطيالسة والعمائم، وفي أنفسهم وطباعهم الشر والتنافس بعضهم على بعض وفي ألوانهم صفرة وسمرة.

الخورنق (٥) :

تفسيره الموضع الذي يأكل فيه الملك ويشرب، والنجف: البساتين والمتنزهات التي يشرف الخورنق عليها، والخورنق بظهر الكوفة، وهو قصر النعمان بظهر الحيرة، قال عدي بن زيد:

وتفكر رب الخورنق إذ أش ... رف يوما وللهدى تفكير

---

(١) ص ع: أرباضها.

(٢) كذا ورد، ولعل (خوارزم) مكررة.

(٣) سقط من ع.

(٤) قارن بالكرخي: ٦٢، وابن حوقل: ٢٢٨.

(٥) معجم ما استعجم ٢: ٥١٥.". (١)

١٥٣-"الجوزجان مدينة يقال لها موريان وإلى فرياب ينسب محمد بن يوسف الفريابي صاحب التفسير وشيخ البخاري.

الفرماء (١) :

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص/٢٢٥

وقد تقصر، مدينة تلقاء مصر.

وهي أول (٢) مدن مصر من جهة الشمال، وبها أخلاط من الناس، وبينها وبين البحر الأخضر ثلاثة أميال.

وهي مدينة (٣) كبيرة قديمة أزلية فيها آثار عجيبة تدل على أنها كانت دار مملكة، ويقال إن الذي بناها هو الفرما الملك. ووجه ابن المدبر لما وصل مصر إلى الفرما لهدم أبواب رخام بها في شرقي الحصن احتاج أن يعمل منه فرشا في داره، فمنعه من ذلك أهل الفرما، وخرجوا إلى رسله بالسلاح وقالوا: هذه الأبواب التي ذكرها الله تعالى في كتابه على لسان يعقوب عليه السلام " يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة " .

ومن العجائب أن نخل الفرماء يثمر حين ينقطع البسر والرطب من جميع البلاد، فيكون رطب نخل الفرماء في كانون الأول، حين تلد النخل في كل مكان، فلا ينقطع أربعة أشهر، ولا يوجد هذا في بلد من البلاد سوى الفرماء، وهو تمر كبير، في وزن التمرة عشرون درهما وطولها فتر.

الفرات (٤) :

أحد الأنهار الستة الكبار المشهورة وهي النيل ودجلة والفرات ومهران السند وجنجون (٥) الهند وخمدان (٦) الصين وجيحون خراسان.

ويخرج الفرات من داخل بلاد الروم ومن جبال متصلة بقالي قلا من ثغور ارمينية ثم يمر في بلاد الروم، ويمتد حتى يصير إلى ملطية حتى يكون منها على ميلين، ثم يمتد إلى سميساط فيحمل من هناك السفن إلى بغداد ثم يمتد من سميساط (٧) مارا في جهة الجنوب مائلا مع الشرق إلى ساحل جرجان كذا ثم إلى الرافقة ويجتاز بالرقة إلى قرقيسيا، وهناك يصب في نهر الخابور إلى عانة إلى هيت إلى الأنبار، ومن هناك ينزل نهر عيسى إلى بغداد، ثم يصير خلجانا أربعة وتتفرق في البطائح.

وفي الخبر النبوي من حديث مسلم: " لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو به " . وفي طريق آخر: " يوشك أن يحسر الفرات عن كنز من ذهب " الحديث.

وقد أحسن النابغة الذبياني في وصف حال الفرات في قوله يذكر ممدوحه:

فما الفرات إذا هب الرياح له ... ترمي غواربه العبرين بالزبد

يمده كل واد مترع لجب ... فيه ركام من الينبوت والخضد

يظل من خوفه الملاح معتصما ... بالخيزرانة بعد الأين والنجد

يوما بأجود منه سيب نافلة ... ولا يحول عطاء اليوم دون غد وعبر المسلمون، في الفتح الأول، الفرات إلى المدائن لمحاصرتها، ويأتي ذلك إن شاء الله تعالى مشروحا في ذكر المدائن.

وفي السنة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى، وذلك سنة سبع زاد الفرات ودجلة زيادة لم ير مثلها، واتسعت بثوق عظام حملت السكور والمسنيات وطلب الماء الوهاد، فجهد أبرويز أن يردها ويقيم شاذرواناتها، فغلب الماء وطمى على العمارات، فغرق الكور والسطوح. وشغلت الأعاجم بحرب العرب فطمى الماء وزاد فلما ولي معاوية عبد الله بن

دراج مولاه العراق غلب الماء بالمسنيات والسكور، واستخرج به من الأرض ما بلغت عليه خمسة عشر ألف ألف، واستخرج الحجاج أيام الوليد ما غمر الماء من أرض البطيحة نحو خمسين فرسخا في مثلها.

---

(١) معجم ما استعجم ٣: ١٠٢٢.

(٢) اليعقوبي: ٣٣٠، والخطط ١: ٢١١.

(٣) الاستبصار: ٨٩.

(٤) في وصف الفرات انظر ابن رسته: ٩٣، والتنبيه والإشراف: ٥١، وياقوت (الفرات).

(٥) ص ع: وجيحون؛ وهو جنجس (الكنج).

(٦) ص ع: ويعنون.

(٧) ص: شمشاط.". [١]

١٥٤-"مما يلي البر وفيه باب الذهب، وهي التي تلي الشمال، وطولها من الباب الشرقي إلى الباب الغربي ثمانية وعشرون ميلا، ولها حيطان من حجارة، وبينهما فضاء تسعون ذراعا، وعرض السور الداخل اثنتا عشرة ذراعا، وسمكه اثنتان وسبعون ذراعا، وعرض السور الخارج ثمان أذرع، وسمكه اثنتان وأربعون ذراعا وفيما بين السورين نهر يسمى قسطنطيانوس، وهو مغطى ببلاط نحاس، طول كل بلاطة ست وأربعون ذراعا وعدة ما فيه من البلاطات اثنتان وأربعون ألف بلاطة، وعمق النهر اثنتان وأربعون ذراعا، وفيما بين باب الذهب، وهو باب مضبب بالحديد، أعمدة بالذهب، وطوله إحدى وعشرون ذراعا، وبين باب الملك اثنا عشر ميلا ولها من الأبواب نحو مائة باب أكبرها باب الذهب، وليس يدرى مثلها في الكبر قطر إلا قطر رومة.

وبها القصر (١) الشائع ذكره شماخة بناء واتساع قطر وحسن ترتيب، وفيه البذرون (٢) الذي يتوصل منه إلى القصر، وهو من عجائب الدنيا فإنه ملعب وزقاق يمشى فيه بين سطرين من صور مفرغة من النحاس البديع الصناعات، منها على صور الأدميين وضروب الخيل والسباع إلى ما سوى ذلك من الأشكال، وبالقصر وبما دار به ضروب **من العجائب** المصنوعات، ودون الخليج من جهة بلاد الأرمن أحد عشر عملا.

ودور قصر الملك فرسخ يحيط به سور منيف، وله ثلاثة أبواب، والذي يظهر يوم الشعانين من صلب الذهب أحد وعشرون ألف صليب، ومن صلب الحديد والنحاس المنقوشة المموهة بالذهب عشرة آلاف ومائتان، ومن المصاحف التي تقرأ في الكنيسة، رقومها من ذهب مكتوبة بالذهب والفضة، ستة آلاف وأربعمائة، وفيها من الشمامسة ومن تجري عليه الأرزاق ثمانية وأربعون ألفا لا ينقص عددهم، كلما مات أحدهم أقاموا مكانه آخر، ووضع قسطنطين في أعلى هذه الكنيسة آلة مطلسمة، وهو زرزور من نحاس إذا كان وقت الزيتون حشر إليها كل زرزور هناك، فيأتيها الزرزور بثلاث زيتونات اثنتان في

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص/٤٣٩

مخلبيه وثالثة في منقاره فيضعها عنده ثم ينصرف غاديا، ولا يزال ذلك دأبه طوال أمد الزيتون.

فإذا أراد (٣) الملك الخروج إلى هذه الكنيسة العظمى فرش له في طريقه من باب القصر إلى الكنيسة حصر، من فوق الحصر ضروب الرياحين الطيبة، وتزين دور المدينة يمنة ويسرة بالديباج وضروب ثياب الحرير، ثم يخرج بين يديه عشرة آلاف شيخ مشاة، عليهم كلهم ديباج أبيض، ثم يخرج بعدهم عشرة آلاف خادم، عليهم ديباج لون السماء، في أيديهم الطبرزينات الملبسة بالذهب، ثم يخرج بعد ذلك خمسة آلاف من فتيان الصقالبة عليهم ملحم خراساني أبيض، بأيديهم كلهم صلبان الذهب، ثم يخرج من بعدهم عشرة آلاف غلام أتراك وخزر، عليهم أقبية مذهبة، وبأيديهم رماح وأترسة ملبسة بالذهب، ثم يخرج بعدهم مائة بطريق، عليهم ثياب منسوجة بالذهب، في يد كل واحد منهم قضيب من ذهب ثم يخرج مائة غلام عليهم ثياب مشهورة مرصعة باللؤلؤ، يحملون تابوتا من ذهب، فيه كسوة الملك لصلاته، ثم يخرج رجل بين يديه يسكت الناس، ثم يخرج شيخ بيده طشت وإبريق من ذهب مرصعان بالدر والياقوت، ثم يخرج الملك ماشيا وعليه ثياب من ابريسم منسوجة بالجوهر كلها، وخفه مرصع بالدر والياقوت، وفي يد الملك حقة من ذهب فيها تراب، فكلما خطا خطوتين يقول له الوزير بلسانهم كلاما معناه: اذكر الموت والبلى، فإذا قال له ذلك وقف الملك وفتح الحق ونزل إلى التراب وقبله وبكى، يسير كذلك حتى ينتهي إلى باب الكنيسة فيقدم الرجل الطشت والإبريق، فيغسل الملك يده ويقول للوزير: إني بريء من دماء الناس كلهم والله لا يسألني عن دمائهم وإني قد جعلتها في عنقك، ويخلع ثيابه التي عليه على وزيره ويقول له: دن بالحق، ويأمر فيدار به على أسواق القسطنطينية، ويقال له: دن بالحق، كما قال له الملك. ويلبس الملك الثياب التي يدخل بها الكنيسة ويأمر بإدخال أسارى المسلمين الكنيسة، فينظرون إلى تلك الزينة فينادون: أطال الله بقاء الملك سنين كثيرة، ويقولون ذلك ثلاث مرات. ويساق خلف الملك ثلاثة من الخيل تقاد، وقال بعضهم: إنها لا تكون إلا شهبا، ويقال إنها من نسل خيل كانت للإسكندر توارثها ملوك اليونانية وملوك الروم لما غلبوا على المملكة، عليها سروج قرابيسها من الزمرد الأخضر والياقوت الأحمر، وتلك السروج وألبابها وما اتصل بها مرصع من الحجارة وأجلتها من الديباج المرصع بالدر والياقوت، فيدخلونها الكنيسة

---

(١) النقل مستمر عن نزهة المشتاق.

(٢) ص ع: البذبدون (دون اعجام في ع)، وفي نزهة المشتاق صورة الكلمة نفسها ((البدندون)) والبذرون كما هو عند ابن خرداذبه وابن رسته يقابل الهيودروم (Hippodrome).

(٣) متابع للبكري (ح): ١٩٦ وأصله عند ابن رستة: ١٢٣.". (١)

١٥٥-"ويصب في نهر مهران السند، والغالب على أهل الملتان أنهم مسلمون، والحكم فيهم لأهل الإسلام، ورئيسهم مسلم.

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص/٤٨٢

مليانة (١) :

مدينة في أحواز أشير من أرض المغرب بين تنس والمسيلة وبقرب نهر شلف، وهي مدينة رومية فيها آثار، وهي ذات أشجار وأنهار تطحن عليها الأرحاء، جددها زيري بن مناد وأسكنها ابنه بلكين، وهي عامرة ومشرفة على جميع ذلك الفحص الذي فيه بنو واريفن وغيرهم، وهي عامرة آهلة، ولها آبار عذبة وسوق جامعة.

وبقعتها كريمة (٢) ومزارعها خصيبة، ونهرها يسقي أكثر مزارعها وجناتها، ولها أرحاء على نهرها، ولأقاليمها حظ من سقي شلف، وعلى ثلاثة أميال (٣) منها جبل وانشريس (٤) .

وعلى مليانة لقي أبو بكر ابن الصابوني الشاعر (٥) السلطان أبا زكريا ملك إفريقية، كان هاجر إليه من الأندلس وركب البحر، وخرج في ساحل الغرب الأوسط، ولقي عسكر السلطان على مليانة فنظم قصيدة وتعرض بها في جهة خيام خدام السلطنة، **فمن العجائب** أن لحظه السلطان بعينه فقال للحاجب: إن صدق ظني فذاك الشخص الذي من صفته كذا الناظر إلى جهتنا هو ابن الصابوني الشاعر، فسر إليه برفق واسأله، فإن كان هو ومعه قصيدة فيحضر بها وينشدها، فكان الأمر على ما قدر السلطان، وحضر وأنشد قصيدة أولها:

الله جارك في حل ومرتحل ... يا معليا ملة الإسلام في الملل

فسرت والسعد يدعوني وينشدني ... إن السعادة في مليانة فمل فلما أتمها أمر بإنزاله، وأنعم عليه بخمسمائة دينار، وصحب العسكر إلى حضرة تونس.

ملل (٦) :

بينها وبين المدينة النبوية ثمانية عشر ميلا، وهي بطريق مكة وفيها آثار، وهي قليلة الأهل، ماؤها من الآبار، وكان كثير عزة يقول: إنما سميت ملل لتملل الناس بها، وكان الناس لا يبلغونها حتى يملوا، وقال جعفر بن الزبير يرثي ابنا له مات بملل:

أهاجك بين من حبيب قد ارتحل ... نعم ففؤادي هائم القلب مختبل

أحزني على ماء العشيرة والهوى ... على ملل يا لهف نفسي على ملل

فتى السن كهل الحلم يهتز للندى ... أمر من الدفلى وأحلى من العسل

ممطور (٧) :

جبل على مرحلة من القيروان نزله بعض الأمراء الداخلين لإفريقية فأصابه المطر فقال إن جبلنا هذا لممطور، فغلب عليه هذا الاسم.

منبج (٨) :

بناحية قنسرين ومن كورها، وهي مدينة كبيرة، وبينها وبين الفرات مرحلة، وعليها سوران، وهي من بناء الروم الأول وفيها أسواق عامرة وتجارات دائرة وغلات وأرزاق.

ويحف (٩) بغربيها وشرقيها بساتين ملتفة الأشجار مختلفة الثمار، والماء يطرد بها ويتخلل جميع نواحيها، وأرضها كريمة وأسواقها فسيحة، ودكاكينها وحوانيتها كأنها الخانات والمخازن اتساعا وكبرا، وكانت من مدن الروم العتيقة، ولهم بها من

البناء آثار تدل على عظيم اعتنائهم بها، ولها قلعة حصينة، وأهلها أهل خير وفضل، ومعاملاتهم صحيحة وأحوالهم مستقيمة. ومنبج أيضا بناحية عمان.

---

(١) البكري: ٦٩، وقارن بالاستبصار: ١٧١، وياقوت (مليانة)، وآثار البلاد: ٢٧٣، ورحلة العبدري: ٢٤.

(٢) الإدريسي (د/ ب): ٨٤/ ٨٥.

(٣) الإدريسي: أيام.

(٤) ص ع: وانشراس.

(٥) اختصار القدح: ٦٩، والمغرب ١: ٢٣، والوافي ٢: ٩، والفوات ٢: ٢٠٩، وقد أورد ابن سعيد هذه القصة ملخصة.

(٦) انظر معجم ما استعجم ٤: ١٢٥٦، وياقوت (ملل)، والمغانم المطابة: ٣٩١.

(٧) رحلة التجاني: ٣٢، والقائل هو معاوية بن حديج.

(٨) نزهة المشتاق: ١٩٧، وانظر ياقوت (منبج)، وآثار البلاد: ٢٧٤، والكرخي: ٤٦، وابن حوقل: ١٦٦.

(٩) رحلة ابن جبير: ٢٤٨.". (١)

١٥٦-"نول لمطة (١) :

من بلاد السوس الأقصى بالمغرب، بينها وبين وادي السوس الأقصى ثلاث مراحل، ومنها إلى البحر ثلاثة أيام، وبينها وبين سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة وفيها جزولة ولمطة. ومدينة نول إحدى مدن الإسلام، وهي مدينة كبيرة في أول الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط، وعليه قبائل لمطة ولمتونة، ومن مدينة نول إلى وادي درعة نحو ثلاث مراحل، وإنما سميت نول لمطة لأن قبيل لمطة يسكنونها، وماؤها جار، وهي آخر بلاد السوس، ومن أراد الدخول من وادي درعة إلى بلاد السودان، غانة وغيرها، فيمشي من وادي درعة نحو خمس مراحل إلى وادي تركى (٢) ، وهو أول الصحراء ثم يسير في جبال وعرة في طريق قد فتحت في حجر صلد بالنار والخل من عمل الأول ويزعم قوم أن ملوك بني أمية فتحوها، وهذه الطريق من إحدى عجائب العالم ومنها إلى جبل يسمى جبل الحديد ومن هذا الجبل يدخل إلى بلاد لمتونة، وأكثر لمتونة إنما هم رحالة لا يستقر بهم موضع، ولا يعرفون الحرث ولا الزرع ولا الخبز، وإنما لهم الأنعام الكثيرة فعيشهم من لبنها ولحمها، فهم يجففون اللحم ويطبخونه ويصبون عليه الشحم المذاب أو السمن ويأكلونه ويشربون عليه اللبن قد غنوا به عن الماء، فيبقى الرجل منهم الأشهر لا يشرب ماء ولا يأكل خبزا، وربما نفذ عمره ولا يأكل خبزا ولا يعرفه، وصحتهم مع ذلك متمكنة، وربما مرت بهم القوافل فيتحفون ملوكهم ورؤساءهم بالخبز والدقيق.

وببلادهم (٣) يكون اللمط الذي تعمل من جلوده الدرق فلا شيء أبدع منها ولا أصلب ظهرا، وبها يقاتل أهل المغرب لحصانتها وخفة محملها، وتصنع بهذه المدينة السروج وأقتاب الإبل، وتباع بها الأكسية السفسارية والبرانس التي يباع الواحد

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص/٥٤٧

منها بخمسين دينارا، والبقر والغنم عندهم كثيرة، والألبان والسمن، وإليها يلجأ أهل تلك الجهات في مهم حوائجهم.

وهذا الحيوان (٤) المسمى باللمط دابة دون البقر لها قرون رقاق حادة تكون لذكرانها وإناثها، وكلما كبر هذا الحيوان طال قرنه حتى يكون أزيد من أربعة أشبار، وأجود الدرق وأغلاها ثمنا ما عمل من جلود الإناث المسنات التي قد طالت قرونها لكبر سنها حتى منعت الفحل أن يعلوها. وببلادهم أيضا الفنك كثير، ومن عندهم تحمل جلودها إلى جميع البلاد، وعندهم الكباش الدمانية، وهي على خلقة الضأن إلا أنها أعظم وشعرها كشعر المعز لا صوف عليها، وهي من أحسن الغنم خلقا وألوانا. والريحان في بلاد الصحراء وفي بلاد السوس عزيز لأن بلادهم لا تنبته، وهو عندهم من أطيب الطيب.

ومن عجائب (٥) هذه الصحراء أن بها معدن ملح تحفر عنه الأرض كما تحفر عن سائر المعادن، ويوجد الملح تحت قامتين أو دونهما من وجه الأرض فيقطع كما تقطع الحجارة وعلى هذا المعدن حصن مبني بالحجارة المخرجة من المعدن وجميع ما فيه من بيوت وغرف ومساكن إنما هو مبني بحجارة الملح، وبهذا الملح يتجهز إلى بلاد السودان، غانة وغيرها، وله غلة عظيمة، وبإزاء معدن الملح الماء العذب الطيب أخبر بذلك من عاينه.

ومن مدينة نول إلى وليلي وهو موضع على شاطئ البحر المحيط بالقرب منه جزيرة في البحر لا يوصل إليها إذا مد البحر إلا في المراكب، وعند الجزر يوصل إليها على القدم، ويوجد فيها العنبر كثيرا، وأكثر معاش أهلها من لحوم السلاحف، وهي أكثر شيء في ذلك الموضع وهي مفرطة العظم وربما دخل الرجل في محار ظهورها يصيد في البحر كالقارب، وفي هذه الجزيرة أغنام كثيرة ومواش، وهي منتهى المراكب وآخر مراسي المغرب، ومن مدينة نول إلى هذه الجزيرة على البر لا يفارق الساحل مسيرة شهرين في أرض محجرة تنبو عنها المعاول ويكل فيها الحديد، وإنما يشرب من يمر على ذلك الطريق من حفر يحفرونها عند جزر البحر فتنبع ماء عذبا، وهو **من العجائب**، وإذا مات للمارين بهذا الطريق ميت لم يمكنهم مواراته بالتراب لصلابة الأرض وامتناعها عن الحفر فيسترونه بالحطام والحشيش ويقذفونه في البحر.

النوبهار (٦) :

هو بيت نار بناه منوشهر الهندي بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر وكان من يلي سدانته تعظمه الملوك وتنقاد إليه وتحمل إليه الأموال، وسمة المتولي بسدانته برمك، وسميت

---

(١) بدأ المادة بالنقل عن البكري: ١٦١، ثم عن الاستبصار: ٢١٣، ثم الإدريسي (د): ٥٩.

(٢) البكري ١٦٣: تارجا.

(٣) عن الاستبصار ثم عن البكري.

(٤) عاد إلى النقل عن الاستبصار.

(٥) لا يزال النقل عن الاستبصار مستمرا.

(٦) قارن بياقوت (النوبهار).". [١]

١٥٧-"وأكثر مخافة أن تنكسر، فتهب الريح المذكورة فيصيرون بقدرة الله تعالى حتى تنجو أو تتلف، كيف ما شاء الله عز وجل، وعندهم علامة للخلاص إذا قضى الله تعالى بذلك، وهي أن يرى أهل المراكب على صاريهم طائرا ذهبي اللون كأنه شعلة نار، فإذا رأوه علموا أنه من علامات النجاة، تواترت الأخبار بذلك، وهي **من العجائب.**

وملوك الهند (١) والصين ترغب في ارتفاع ظهور الفيلة وتزيد في أثمانها الذهب الكثير، وأرفعها تسع أذرع، وقد يوجد في موضع معلوم عندهم عشر أذرع وإحدى عشرة ذراعا.

ومملكة الهند (٢) عند جميع ملوك الكفار، بإجماع منهم، مملكة الحكمة، والحكمة من الهند مبدؤها. وزعموا أنهم أول من ضم المملكة ونصبوا لها ملكا، وأولهم البرهمن الأكبر، وهو الذي أظهر الحكمة وطبع السيوف وآلات الحرب وصور الأفلاك والبروج، وجعل ذلك كتابة قريبة للعقول وأثبته في الأفهام، وأشار إلى المبدأ الأول، وذلك هو كتاب " السند هند " أي دهر الدهور، ومنه فرعت الكتب، المجسطي وغيره.

وأعظم (٣) ملوك الهند البلهرا ومعناه ملك الملوك. والهند سبعة أجناس أحدها الساكهرية (٤) ، وهم الأشراف منهم، والملك فيهم لا يكون في غيرهم، وجميع أجناسهم يسجدون له عند اللقاء وهم لا يسجدون لأحد، ثم البراهمة، وهم عباد الهند ولباسهم جلود النمور، وهم يعبدون الأصنام توسلا إلى الله تعالى.

ولأهل الهند (٥) اثنتان وأربعون ملة، فمنهم من يثبت الخالق وينفي الرسل، ومنهم من ينفي الكل، ومنهم من يعبد النار ويحرق نفسه، ومنهم من يعبد الشمس ويسجد لها ويعتقد أنها الخالقة المدبرة لهذا العالم، ومنهم من يعبد الشجر، ومنهم من يعبد الثعابين يحظرونها بحظائر ويطعمونها أرزاقا، وهم يتوسلون بها، ومنهم من لا يتعب نفسه بعبادة شيء وينكر الكل.

هنين (٦) :

مدينة بالمغرب جليلة على البحر، وشمالها تلمسان، وهي بقرب ندرومة.

الهولاة:

جزيرة في البحر من جزر قمار، سكانها الهند، وليس بها متجر ولا سوق.

هيت (٧) :

مدينة بين الرحبة وبغداد، وهي على شاطئ الفرات، والهيت الهوة، وسميت هيت لأنها في هوة، وهي الأرض المنخفضة، وقيل سميت باسم بانيها هيت بن البلندى ملك من ولد مدين بن إبراهيم عليه السلام.

وهي (٨) في غربي الفرات، وعليها حصن، وهي من أعمر البلاد. وبأرض هيت عيون تسيل بالقار.

وفي مطلع قصيدة للمعري:

هات الحديث عن الزوراء أو هيتا ... ومن مدينة هيت محمد بن أبي العز بن جميل محيي الدين، ولاه الخليفة الناصر صدقة

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص/٥٨٤

المخزن، بيته مشهور بهيت، توفي سنة عشر وستمائة له في فرس أحمر محجل الأربع:

ومحجل للحسن منه حلة ... من أجلها فتنت به الأبصار

لما أتى والبرق يعثر خلفه ... خلعت عليه ثيابها الأنوار

إن قلت نار فالدخان بعرفه ... يقضي بما حكمت به النظار

أو قلت فيه جنة فانظر له ... قد فجرت من تحته الأنهار وكان فتح (١٠) هيت على يد عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل،

---

(١) عن ابن خرداذبه: ٦٧ وعنه نزهة المشتاق: ٣٤.

(٢) مروج الذهب ١: ١٤٨ وما بعدها، وقارن بطبقات صاعد: ١١، وقد نقل مؤلف الترجمانة: ٤٨٢ بعض هذه المادة.

(٣) الإدريسي (ق): ٢٢، ٢٣ :OG) ٩٥).

(٤) ص ع: الشاكهرية.

(٥) الإدريسي (ق): ٣٤ :OG) ٩٦).

(٦) انظر الإدريسي (د/ ب): ١٧٢/ ١١٢، والبكري: ٨٠ وياقوت.

(٧) معجم ما استعجم ٤: ١٣٥٧، وقارن بياقوت.

(٨) نزهة المشتاق: ١٩٨.

(١٠) الطبري ١: ٢٤٧٩.". [١]

١٥٨-"وفيه تنكرت المماليك السلطانية على كريم الدين الكبير، لتأخر جوامكهم شهرين، ثم تجمعوا في يوم الخميس ثامن عشرى صفر قبل الظهر، ووقفوا بباب القصر. وكان السلطان وقتذاك عند الحريم، فلما بلغه ذلك خشى منهم، وبعث بخروج الأمير بكتمر الساقي إليهم، فلم يرضوه، فخرج إيهم السلطان وقد صاروا ألفا وخمسمائة، فعندما رأهم سبهم وأهانهم، وأخذ العصا من المقدم وضرب بها رءوسهم وأكتافهم، وصاح فيهم: " اطلعوا مكانكم " ، فعادوا بأجمعهم إلى الطباق، فعدت سلامته **من العجائب**. ثم إنه أمر النائب بعرضهم، فعرضهم في يوم السبت أخر صفر، وأخرج منهم مائة وثمانين إلى البلاد الشامية، وأخرج بعد ذلك منهم جماعة من الطباق إلى خرائب تتر، وضرب واحدا منهم بالمقارع هو وغلامه، لكونه شرب الخمر، فمات بعد يومين من ضربه، وأخرج جماعة من الخدام وقطع جوامكهم، وأنزلهم من القلعة.

وفيه قدم رسول جوبان من الأردو يسأل أن يعطى ضيعة من ضياع مصر الخراب ليعمرها ويقفها على الحرم، فأعيد رسوله بأنه يسير إليه مكاتيب ضيعة بعد ذلك.

وفيه أنعم السلطان على جماعة من المماليك بإمريات: منهم علاء الدين أيدغدي التيليلي الشمسي أحد مماليك سنقر الأشقر، وكان قد أمر في أيام المنصور لاجين، وأنعم على كل من بيبرس الكريمي، وقطلوبغا طاز الناصري، وعبد الملك

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار ص/٥٩٧

المنصوري والي القلعة، وأبو بكر ابن الأمير أرغون النائب، وملكتمر السرجواني، وطيبغا القاسمي، وطقبغا، وبيدمر، وطغاي تمر من الخاصكية، يإمرة. ونزلوا إلى المدرسة المنصورية بين القصرين، وقد أشعلت لهم القاهرة، وجلس المغاني بالحوانيت في عدة أماكن، وعمل لهم كريم الدين سماطا جليلا وفواكه ومشارب بالمدرسة، فكان يوما مشهودا.

وفيه نزل السلطان لصيد الكراكي من بركة الحاج، وتقدم لكريم الدين الكبير أن يعمل بها احواشا للخيل والجمال وميدانا، ويبني الأمير بكتمر الساقي مثل ذلك. فجمع كريم الدين من الرجال للعمل نحو ألفي رجل ومائة زوج من البقر حتى فرغ في أيام يسيرة، وجعل في الميدان عدة من الحجورة المستولدة، وركب السلطان لمشاهدة ذلك، واستمر يتعاهد الركوب إليها.

وفيه شكا طائفة من أجناد الحلقة من زايد القانون في البلاد، فرسم للفخر ناظر الجيش ألا يتحدث في ذلك. وزايد القانون شيء حدث في الأيام الناصرية: وذلك أن السلطان لما عمل الجسور، واتفق أمرها، وأنشا عليها القناطر، صار الماء إذا أروى بلاد البحيرة يجد ما يمنعه من الخروج إلى البحر فيتراجع، ثم حرق من موضع خرقا كالمجراة، واتسع حتى صار خليجا صغيرا يمر على أراض لم يكن من عادتها أن يعلوها الماء. فطالع الأمير ركن الدين القلنجقي كاشف البحيرة السلطان بأن عدة من الأراضي التي في بلاد المقطعين قد شملها الري، وسأل أن يقتطع ولده منها خبزا بعشرة أرماح، فإنها زايدة عن قانون المقطعين. فندب السلطان الأمير أيتمش المحمدي والموفق مستوفي الدولة لكشف هذه الأراضي وقياسها، فتوجها إلى البحيرة وكشفا عنها، فبلغت خمسة وعشرين ألف فدان، فكتبت مشاريحها، و لم يذكر منها غير خمسة عشر ألف فدان فقط، فإنها كانت أراضي متفرقة في بلاد المقطعين. فكتب السلطان بها مثالات ما بين ثلاثمائة دينار وأربعمائة دينار، وفرقها على أرباب الجوامك من المماليك، فشق هذا على الأجناد، فإنها كانت من أراضي إقطاعاتهم.

وفي نصف جمادى الآخرة: ولد للسلطان من خوند طغاي ولدا أسماه آنوك.

وكانت طغاي هذه جارية تركية اشتراها تنكز نائب الشام من دمشق بتسعين ألف درهم، وبعثها إلى السلطان. فشق على سيدها ذلك لشغفه بها، وحضر إلى السلطان، فأنعم عليه بألفي دينار مصرية، وكتب له مسموحا بألفي دينار. وحظيت الخاتون طغاي عند السلطان، وكانت بارعة الجمال، فعمل السلطان عند ولادتها مهما عظيما إلى الغاية، وأنعم لها بالسفر إلى الحجاز لتحج، فشرع كريم الدين في تجهيزها، وبعث الأمير تنكز أيضا يستأذن في الحج، فأذن له.

وفيها قبض على الأمير صلاح الدين بن البيسري، وأرخي في الجب مقيدا، ثم أخرج بعد يومين إلى الإسكندرية. وسببه أنه كان يتورع عن الأكل من سماط السلطان، وكانت أخته تحت الحاج آل ملك، فشكا منه أنه قد أكل مالها، فقال السلطان: " متورع عن الأكل من السماط، ويأكل مال اليتيم " ، وأمر به فقيد.". (١)

١٥٩-"ومات بدر الدين حسن بن العيذابي رئيس المؤذنين، في سلخ جمادى الأولى، وكان من العجائب في النهمة وكثرة الأكل.

ومات الشيخ المعتقد رشيد الأسود التكروري، في المارستان، في يوم السبت ثالث عشرين جمادى الآخرة، وكان يقيم بجامع

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك ٤٣٢/١

راشدة خارج مصر، وهو أخر من سكنه.

ومات الأمير سلام – بتشديد اللام – بن محمد بن سليمان بن فايد، بالفاء، المعروف بابن التركية، أمير خفاجة بالصعيد، في سابع ربيع الآخر.

ومات الأمير زين الدين عبد الرحمن بن منكلي بغا الشمسي، وابن أخت الملك الأشرف شعبان بن حسين، في عاشر شعبان.

ومات الرئيس علاء الدين علي بن عبد الواحد بن محمد بن صغير رئيس الأطباء، وهو بحلب، في يوم الجمعة تاسع عشر ذي الحجة، ودفن بها، ثم نقل إلى القاهرة، وكان من محاسن الدنيا.

ومات بدر الدين محمد بن علي بن يحيى بن فضل الله العمري، كاتب السر، في يوم الثلاثاء العشرين من شوال بدمشق.

ومات القاضي الدين محمد بن محمد بن محمد المليجي، المعروف بصائم الدهر، ناظر الأحباس ومحتسب القاهرة، وخطيب مدرسة حسن، في تاسع عشر صفر، عن نحو سبعين سنة، وكان خيرا دينا، كثير النسك، ساكنا، قليل الكلام، بهيج الزي، جميل الهيئة، يسرد الصوم دائما.

ومات ناصر الدين محمد بن مقبل الجندي الظاهري، في يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الآخرة. كان يتظاهر يحف شاربه، ورفع يديه في كل خفض ورفع في الصلاة، ولا يكتم الاقتداء بمذهب أهل الظاهر، وكتب بخطه كثيرا، واشتغل بالحديث.

ومات ناصر الدين محمد بن شرف الدين موسى بن سيف الدين أرقطاي، في ليلة الأربعاء سادس عشرين ذي القعدة. كان حجه وأبوه من أمراء الألوف، وهو من أمراء العشراوات، ويحب الحديث، ويواظب سماعه على المشايخ.

ومات الأمير سيف الدين منكلي الطرخاني الشمسي، أحد الأمراء، ونائب الكرك. وتوفي ليلة العاشر من المحرم.

ومات جمال الدين عبد الله بن محمد بن العمري، المعروف بكاتب أيتمش، وبكاتب السمسرة، في يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع الآخر.

ومات أمين الدين يحيى بن محمد الحنبلي العسقلاني ليلة الأربعاء ثاني ربيع الأول. وماتت زبيدة بنت قاضي القضاة زين الدين عمر بن عبد الرحمن بن أبي بكر البسطامي الحنفي.

وماتت أم قاضي القضاة صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوي، في ليلة يوم السبت تاسع المحرم، ودفنت بالقرافة.

وماتت الشيخة الصالحة شيخة رباط البغدادية، في يوم السبت ثاني عشرين جمادى الآخرة. وكانت على قدم فاضلة من العبادة، وتذكير النساء في وعظها إياهن، وتعليمهن الخير.

ومات متملك تونس أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن عمر بن يحيى بن عمر بن ونودين الحفصي، في ليلة الخميس رابع شعبان، فكانت مدة ملكه أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر ونصف. وقام من بعده ابنه أبو فارس عبد العزيز.

ومات صاحب فاس السلطان أبو العباس أحمد بن أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني، ملك المغرب، في محرم. وأقيم بعده ابنه أبو فاس عبد العزيز بن أبي العباس.

سنة سبع وتسعين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الثلاثاء.

ففي ثالثه: قدم ثقل الأمير محمود الأستادار من الشام. وقدم البريد باستقرار دقماق في نيابة ملطية، وكان مقبل في نيابة طرسوس، وطغنجي في نيابة قلعة الروم، ومنكلي بغا الأسنبغاوي في نيابة الرها. وأن السلطان قبض على عدة من أمراء حلب، منهم ألطنبغا الأشرفي، وتمرباي الأشرفي، وقطلوشاه الماردييني. وأن عربان آل مهنا خرجوا بأجمعهم عن الطاعة، ودخلوا إلى البرية.

وفي رابعه: خرج أتباع ابن أويس إلى بغداد بحريمه.

وفي سابعه: قدم السلطان من حلب إلى دمشق بعساكره.

وفي سابع عشره توجه السلطان من دمشق يريد مصر، وولي الأمير بدخاص السودوني - حاجب الحجاب - نيابة الكرك، عوضا عن الشهاب أحمد بن الشيخ علي. ونقل الشهاب إلى دمشق حاجب الحجاب بها، عوضا عن تمربغا المنجكي. وقدم تمربغا في الخدمة إلى مصر، واستقر قنق باي السيفي اللالا بصفد من جملة أمرائها. واستقر الجبغا الجمالي الحاجب أميرا بدمشق، على طبلخاناه.

وفي ثالث عشرينه: نودي بزينة القاهرة ومصر، فزينتا.

وفيه قدم المحمل والحاج صحبة الأمير قديد وهم ركب واحد.". (١)

١٦٠-"وخرج في لقائه الملوك والفقهاء واعيان البلد وخرج عامة الناس وخاصتهم فوقف لهم في الجبيل وقبلوا كفه الكريمة واكثروا من الدعاء له وهو يؤمن على دعائهم ويقول كثر الله أمثالكم. فلما انقضى سلام الفقهاء وأتباعهم سار في مواكبه وكتائبه ولم يزل سائرا إلى قصره وبستانه بالجهملية وقد عمل أهل تعز من الطلعات التي تمشى على العجل والمدارية شيئا كثيرا فأقام في بستان الجهملية إلى صبح يوم الأربعاء العشرين من الشهر المذكور.

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح جمال الدين محمد بن يوسف الصبري وكان قاضي مدينة تعز فتوفي بعرفة يوم عرفة من السنة المذكورة فحمل إلى الأبطح بمكة ودفن قريبا من تربة الفقيه على بن أبي بكر الزيلعي صاحب قربة السلامة. وكان فقيها مجودا عارفا محققا اخذ الفقه عن جماعة من العلماء كالفقيه عمر الشعبي وابن العزاف وكان نحويا لغويا عارفا بالقراءات السبع والفرائض والجبر والمقابلة درس في المدرسة المعروفة بالغزالية في مدينة تعز ثم انتقل إلى المظفرية. وامتحن بالقضاء في آخر عمره ثم سافر به السلطان إلى مكة المشرفة فتوفى يوم عرفة مبطونا كما ذكرنا رحمه الله تعالى.

وفي سنة ثلاث وأربعين استقر السلطان في بلاده ولبست البيوت وعملت الفرحات سبعة أيام وأنفق السلطان على العسكر المنصور نفقة أربعة اشهر. ووقع مطر عظيم عام في يوم التاسع عشر من الشهر المذكور فدفع الوادي زبيد في آخر ذلك اليوم دفعة عظيمة فوصل السيل قربة المسلب من وادي زبيد بعد صلاة المغرب فاحتمل معظم القرية. وسال في السيل من سكانها نحو من مائة وخمسين نفسا ما بين رجل وامرأة وصغير وكبير وهلك من البقر والغنم والحمير شيء كثير ولم يبق من

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك ٢/٤٦٤

البيوت المسكونة إلا شيء يسير. وافتقر يومئذ كثير من أهلها. وانتقل أهل القرية من موضعهم إلى موضعهم اليوم وهو قبلي القرية القديمة.
وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح إبراهيم بن مهنا بن محمد بن مهنا وكان فقيها ورعا ناسكا وكان مولده سنة تسع وثمانين وستمائة وهو أحد الفقهاء المدرسين على مذهب الإمام أبي حنيفة. واستمر مدرسا في المدرسة الدعاسية بزبيد. وكان ذا مروءة وخلق حسن توفي في أثناء السنة المذكورة وقيل أن وفاته كانت في سنة سبع وأربعين والله اعلم رحمه الله تعالى.
وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو محمد عبد الله بن عبد الوهاب وكان فقيها فاضلا تفقه بذي السفال على الفقيه صالح بن عمرو على ابن أخيه محمد ابن عبد الرحمن. وولى قضاء صعدة مدة ثم عاد إلى تعز وجعل له رزقا في جامع المهجم فأقام بها إلى أن توفي في سنة ثلاث وأربعين رحمه الله تعالى.
وفي سنة أربع وأربعين خالف الملك المؤيد على أبيه في شهر رمضان وكان إقطاعه الجثة فاستولى على مدينة المهجم فجرد إليه السلطان العساكر صحبة القاضي موفق الدين ثم جرد الأمير سيف الدين طغي الخراساني في عشر آخر.
وفي هذه السنة حط السلطان في عساكره على جبل شورق وارتفع منه في النصف من المحرم.
وفيها ظهرت عجيبة **من العجائب** وذلك أن جارية يقال لها غناء من بيت الأمير بدر الدين محمد بن الفخر وضعت ولد أربعة اشهر وجهه وجه جدي وله قرنان وأربع عيون عينان من قدام وعينان من خلف وآذانه في راس الكتفين في كل كتف أذان وأنفه أعوج وله سن وناب ولسان ابن آدم متلسن أعني مخرج وشعره بين الجنبين وله أربع أرجل في كل رجل أربع أصابع وكوع حمار وله عجز مشقوق وله من قدام فرج ذكر ومن خلفه فرج أنثى فسبحان الخلاق العليم الفعال لما يريد. وكان ولادته يوم الأحد سلخ شهر رجب من السنة المذكورة والله أعلم.
وفيها توفي الفقيه الصالح أبو العتيق أبو بكر بن أحمد بن عمران المنبهي السهلي وكان فقيها ورعا صالحا فاضلا مولده ثامن ذي القعدة من سنة ثلاث وثمانين وستمائة. وكان تفقه بالفقيه صالح بن عمر ثم ارتحل إلى جباء وتفقه بالفقيه عثمان وكان يحفظ كتاب التنبيه لأبي اسحق ومنهاج النواوي غيبا وكان له في الفرائض يد طولى. وكان له في الفقه معرفة تامة وصلاحه مشهور وكان سليم القلب عن الأحقاد الطارئة وتوفي في السنة المذكورة.". (١)

١٦١-"ثم جرد عسكرا لأهل الحنكة خيلا ورجلا فأوقعوا بأهل الحنكة وقتلوا منهم جماعة ونهبوا القرية وظن أهل القرية إن السلطان داهمهم فولوا هاربين. فلما ظهر لهم إنما جريدة من العسكر عطفوا على العسكر. ولزموا الطرق فقتل من الغز جماعة . ومن الرجل آخرين. فعزم على غزوهم والمحطة عليهم فلم يساعده الوقت لكثرة الأمطار والرياح الشديدة فتقدم إلى تعز صبح يوم الاثنين السادس والعشرين من الشهر المذكور فأقام في حيس أياما ثم تقدم إلى تعز فدخلها يوم الثلاثاء الرابع من ذي الحجة .
قال علي بن الحسن الخزرجي ومما ظهر في هذه السنة **من العجائب** إن راعيا من رعاة الغنم خرج يرعى غنمه في ناحية

(١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ص/٢١٠

صنعاء في جبل يقال له مدبج. فبينما الغنم ترعى إذ نفرت منهن شاة فنزلت في حيد هنالك وهي تتبع الحشيش من مكان إلى مكان ذلك الحيد حتى بعدت عن الغنم على نحو من أربعين قامة فنزل بعدها الراعي قليلا قليلا حتى انتهى في ذلك الحيد إلى كهف فرأى فيه رجلا ميتا. فلما رآه فزع وهاله ما رأى فطلع قليلا قليلا كما نزل. وأعلم أهل تلك الناحية بما رأى في ذلك الموضع فقصد الموضع جماعة منهم وفي جملة من وصل ذلك الموضع منهم رجل يقال له غازي بن محمد الربيدي هو الذي وصل كتابه إلى بعض معاريفه من أهل تعز. يذكر في كتابه أنه وجد في الكهف المذكور رجلا ميتا عليه سبعة أكفان. وتحته نحو من أربعين ثوبا. وعليه عمامة طويلة طولها خمسة وثلاثون ذراعا في عرض ذراع قال وفتشت على جسمه فرأيته كأنه مات قبل ذلك اليوم بيوم واحد. ووجهه أبيض ، وأنفه مستقيم. كأنه راقد مستقبل القبلة. وساعده الأيمن تحت خده. ويده اليسرى على صدره. وشعر رأسه كأنه حلق منذ ثلاثة أيام. ورأسه مثل الطاسة. وهو قصير الظهر عريض الحقو غاية طول ساعده ذراع حديد. وطول أصابع يديه كل واحدة نحو من شبر. وطول ساقه ذراع ونصف. وطول أصابع رجليه كل واحدة نحو من كف. قال وفتشت وجهه فوجدت في جبهته ضربة خفيفة أسفل من مقص الشعر. وفي صدغه الأيمن ضربة جيدة قد كسرت جفنه. ومن ورائه كذلك. وفي ساعده الشمال طعنة تطير بين المزمارين. يعني العظمين الممتدين في الذراع .

قال وأجمع أهل تلك الناحية على إنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال ورأيت من فضله إن رجلا وصل إليه وهو أعمى وزاره وأنا حاضر فخرج من عنده في عافية . وقال أشهد بذلك .

قال علي بن الحسن الخزرجي أما قولهم إنه علي بن أبي طالب فغير صحيح لأن عليا رضي الله عنه قتل في الكوفة وقبر فيها بلا خلاف ولكنهم أخفوا قبره والغالب إن هذا أحد العلماء المتقدمين أو أحد ملوك حمير والله سبحانه أعلم.

وفي يوم الخميس الرابع من المحرم أول سنة ثمانمائة قطعت يد ابن الرياحي نقاش السكة في تعز لسبب أوجب ذلك فيما رآه السلطان .

وفي يوم السابع منه وصلت هدية الشيخ علي بن أبي بكر بن زيد صاحب أبيات حسين ووصل ببغلين ونعامة وزرافتين وأسد صغير وحمار وحش وعشر رؤوس من الإبل الصهب وعشر جوار حسان. وعشرة عبيد يحملون السلاح فوهب له السلطان ثلاثة آلاف دينار وكساه كسوة فاخرة وشيخه في بلاده وسمح له في خراجها عمن تقدمها وشفعه في عدة مشايخ العرب كانوا معتقلين فأطلقوا .

وفي شهر صفر وصلت الهدية من الديار المصرية إلى ساحل الحردة فلما وصل العلم بذلك إلى السلطان نزل إلى زبيد فكان دخوله زبيد يوم الاثنين الرابع عشر من شهر صفر. فلما استقر في زبيد ارسل الطواشي جمال الدين جميلا بثلاثمائة رجل إلى ساحل الحردة وجرد معه السلطان قطعة من العسكر يسيرون صحبة الهدية المذكورة.

فكان وصول الهدية إلى زبيد يوم الخميس الرابع والعشرين من شهر صفر المذكور وكانت هدية جليلة فيها من المماليك نحو من ثلاثين تركيا ومن جياد الخيل اثنا عشر رأسا بسروج مغرقة وآلة حسنة وعدة جوار من الروميات والأرمنيات وطبيب ماهر من يهود مصر. ومن الملبوس والمشموم والمطعوم شيء كثير لا يدخل تحت الحصر ووصل في الهدية ولد القاضي

شهاب الدين أحمد بن إبراهيم المحلي. وكان يوم وصول الهدية يوما مشهودا ." [1]

١٦٢-"**ومن العجائب** أيضا إنزاله حديث لا تعرف صحته (علامة خروج المهدى ألوية تقبل من المغرب عليها رجل أعرج من كنده) على أن المقصود به الجنرال ريتشارد مايرز قائد القوات المشتركة الأمريكية، لأنه كان يمشى على عكازين، مع أن كندة قبيلة عربية مشهورة، أبوهم كندة بن ثور، وقيل حى من اليمن، فما دخل قائد القوات المشتركة الأمريكية بها ؟!

ومن ذلك جزمه أن الهرمجدون – وهى من مزاعم أهل الكتاب – هى حرب قادمة بين روسيا مع الصين من جهة (وأطلق عليه المعسكر الشرقى)، وأمريكا وبريطانيا معهم المسلمون مكرهين على ذلك من جهة أخرى، ثم اقترح عدة (سيناريوهات) كما سماها ، لحدوث معركة الهرمجدون ، ولم يعلم أنه لا يوجد الآن ما يسمى المعسكر الشرقى، وأنه انتهى بانتهاء الحرب الباردة، وأن روسيا اليوم لا يتحمل اقتصادها وحالها المتردى، أن تتماسك فى زمن السلم، فكيف تخوض حربا، ولهذا طلبت من الغرب أن يمدها بالمال لتحارب المجاهدين فى الشيشان، وهذا المعلوم لدى الخاص والعام، لا يجهله أى متابع لما يحدث فى العالم .

والخلاصة:

... أن الكتاب ليس مبنيا على أصول العلم المحقق، بل هو أشبه بعمل حاطب ليل، قد استحوذت عليه أفكار مسبقة، فهو يسعى لأن يجمع لها ما هب ودب، ويتكلف المعانى البعيدة يستخرجها من نصوص غالبها لا يصح مما لا أصل له، أو هو منكر، أو موضوع، أو ضعيف، وجل اعتماده على كتاب الفتن لنعيم بن حماد، وهو كتاب ملئ بالأحاديث المنكرة.

...وإذا اعتمد على الصحيح حرف معناه ليوافق فكرته، وقد حشر فى كتابه خرافات، وقصص تشبه حكايات الكهنة، وأسوأ ما فيه أنه يقول فى معانى كلام النبوة، بغير علم، ولا هدى ، ولا كتاب منير ،ويجزم أن معناها كذا وكذا مما يقع فى زماننا ، بجرأة عجيبة فى الجزم بما ليس عليه دليل ظاهر ،". [2]

١٦٣-"...وأما فيما يتعلق بالمخطوطة التى زعم هذا المؤلف أنه اعتمد عليها واعتبرها نصا نادرا وساق منها ذلك الحديث الغريب الذى فيه هتلر وأمريكا وصدام وجمال عبدالناصر وغير ذلك **من العجائب** والغرائب فلا يضارعها ويضاهيها إلا قصة ذلك الحديث الذى أخرجه بعضهم من الكتب القديمة أثناء حرب الخليج الأخيرة وروج له وطبقه على تلك الأيام وجعله يبشر بنهاية لتلك الحرب تكون فيها نهاية أمريكا وحلفائها.

...إن تحقيق المخطوطات وتوثيقها يجب أن يخضع للقواعد التى وضعها المحدثون لذلك، ولا يسلم بما ورد فى هذه المخطوطات إلا بعد دراسة أسانيدها ومعرفة درجتها العلمية، ولو كان شئ من ذلك صحيحا لذكره العلماء القدامى الذين

---

(١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ص/٢٩٥

(٢) العلماء يردون على اسطورة هرمجدون ص/٢٤

كان الكثير منهم يحيط علما بمعظم هذه المخطوطات وما تضمنتها من الأحاديث والروايات.

...ثانيا: جعل المؤلف من ترخيص وتساهل بعض العلماء فى رواية الحديث الضعيف والاستدلال به فى الترغيب والترهيب مدخلا ومنطلقا وحجة ليستدل به هو فى قضايا وأحداث الفتن والملاحم، وهذا فى الحقيقة خطأ كبير، إذ يجب أن نفرق بين ما عرف عن العلماء من الترخيص فى إيراد الأحاديث الضعيفة فى باب الترغيب والترهيب وبين الاستدلال بها فى تقرير قضايا على جانب كبير من الخطورة، وتنبنى عليها كثير من الأحكام والتصرفات فى واقع المسلمين.

...فأما الأول فيمكن أن نوافق المؤلف عليه، رغم أن هناك من العلماء من منع الاستدلال بالحديث الضعيف مطلقا كما هو معروف فى كتب علوم الحديث، إضافة إلى هذا فإن الحديث الضعيف الذى يتساهلون فى إيراده إنما هو ما كان ضعفه ليس شديدا، يعنى ليس سببه فسق الراوى أو كذبه أو إتهامه بالكذب، وهو الأمر الذى يبدو غير واضح عند هذا الأستاذ من خلال التعميم الذى جزم به، ومن خلال استدلاله بأحاديث من هذا النوع الشديد الضعف، فإن أكثر الأحاديث التى استدل بها هذا المؤلف هى من هذا النوع الذى لم يقل العلماء بجواز الاستدلال به حتى فى الترغيب والترهيب.". (١)

١٦٤-"...فأما قول صاحب التفسير المبتدع: إن (سبعا من المثانى) معناها: ١٤ لأن المثانى جمع "مثنى" ، ومثنى تعنى "اثنين" كأنه قال: يا محمد أعطيناك أربعة عشر !! فهذا من القول على الله بغير علم، ومن الإجتراء على كتاب الله بالرأى المحض والهوى الصرف، الذى جاء النهى عنه والوعيد عليه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهل لهذا نظير فى كلام العرب شعرا أو نثرا؟!

تحكمات لا دليل عليها:

...ولو افترضنا صحة ذلك، وما هو بصحيح، فما معنى أعطيناك أربعة عشر؟ وماذا تفيده هذه الكلمة، ولم يتبين منها المعدود ما هو؟ أهو إبل أم بقر أم غنم أم دراهم أم دنانير؟ أم أى شئ هو؟

وما الذى جعل صاحبنا يقول : إن الـ ١٤ تعنى فواتح السور فى القرآن؟

وأى دليل على هذا من الشرع أو من اللغة أو من العقل؟

على أن فواتح السور ليست أربعة عشر، بل هى تسعة وعشرون، فلماذا اكتفى بالأربعة عشرة؟

وإذا كان قد اكتفى بغير المكرر، فلماذا لم يحذف الحروف المكررة أيضا ويقتصر على الحروف الأربعة عشر المذكورة فى فواتح السور؟

إن هذا كله تحكم من قائله لا يسنده دليل من دين أو علم.

ومن العجائب أن صاحب هذا التفسير المبتدع يقول مؤيدا بدعته:

ومما يزيد الأمر وضوحا : أن الآية التالية وهى الآية ٨٨ من سور الحجر تقول للرسول صلى الله عليه وسلم: إن الفترة التى منحها الله إياه أطول من الفترة التى منحت لأى رسول آخر : (لاتمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم)!!

---

(١) العلماء يردون على اسطورة هرمجدون ص/٣٩

...فسيادته يجعل الضمير فى (أزواجا منهم) للمرسلين مثل موسى وعيسى!

...هذا مع أن ما تدل عليه الآية بوضوح هو النهى عن التطلع إلى أصناف من الناس متعوا بأشياء لم يمتع هو بها من متاع الحياة الدنيا، فأما إذا كان ما عنده فوق ما عندهم، فلماذا يمد عينيه إليهم؟

...وأين ذكر المرسلين فيما سبق حتى يعود الضمير إليهم؟". (١)

١٦٥-"@ ٢٥٤ @ أنواع النصارى وقيل كان مسيرها بعد ذلك لأن ابنها دان بالنصرانية في قول بعضهم بعد عشرين سنة من ملكه وفي السنة الحادية والعشرين من ملكه طبق جميع ممالكه بالبيع هو وأمه منها كنيسة حمص وكنيسة الرها وهي **من العجائب** # ثم ملك بعده قسطنطين أنطاكية أربعا وعشرين سنة بعهد من أبيه إليه وسلم إليه القسطنطينية وإلى أخيه قسطنس أنطاكية والشام ومصر والجزيرة وإلى أخيه قسطوس رومية وما يليها من بلاد الفرنج والصقالبة وأخذ عليهما المواثيق بالانقياد لأخيهما قسطنطين # ثم ملك بعد يوليانوس ابن أخيه سنتين وكان يدين بمذهب الصابئين ويخفي ذلك فلما ملك أظهرها وخرب البيع وقتل النصارى وهو الذي سار إلى العراق أيام سابور بن اردشير فقتل بسهم غرب وقد ذكر أبو جعفر خبر هذا الملك مع سابور ذي الأكتاف وهو بعد سابور بن اردشير ثم ملك بعده يونيانوس سنة أظهر دين النصرانية ودان بها وعاد عن العراق ثم ملك بعده ولنطيوش اثنتي عشرة سنة وخمسة أشهر ثم ملك والنس ثلاث سنين وثلاثة أشهر ثم ملك والنطيانوس ثلاث سنين # ثم ملك تدوس الكبير ومعناه عطية الله تسع عشرة سنة وفي ملكه كان السنودس الثاني بمدينة القسطنطينية اجتمع فيه مائة وخمسون أسقفا لعنوا مقدونس وأشياعه وكان فيه بطرق الإسكندرية وبطرق أنطاكية وبطرق البيت المقدس والمدن التي يكون فيها كراسي البطرق أربع إحداها رومية وهي لبطرس الحواري والثانية الإسكندرية وهي لمرقس أحد أصحاب الأناجيل الأربعة والثالثة القسطنطينية والرابعة انطاكية وهي لبطرس أيضا # ولثمان سنين من ملكه ظهر أصحاب الكهف # ثم ملك بعده إرقاديوس بن تدوس ثلاث عشرة سنة ثم ملك تدوس الصغير بن تدوس الكبير اثنتين وأربعين سنة ولإحدى وعشرين سنة من ملكه كان السنودس الثالث بمدينة أفسوس وحضر هذا المجمع مائة أسقف وكان سببه ما ظهر من نسطورس بطرق القسطنطينية وهو رأس النسطورية من النصاري من مخالفة". (٢)

١٦٦-"@ ٢٥٥ @ مذهبهم فلعنوه ونفوه فسار إلى صعيد مصر فأقام ببلاد إخميم ومات بقرية يقال لها سيصلح وكثر اتباعه وصار بسبب ذلك بينهم وبين مخالفيهم حرب وقتال ثم دثرت مقالته إلى أن أحياها برصوما مطران نصيبين قديما # (خطأ للشهرستاني) # **ومن العجائب** أن الشهرستاني مصنف كتاب نهاية الإقدام في الأصول ومصنف كتاب الملل والنحل في ذكر المذاهب والآراء القديمة والجديدة ذكر فيه أن نسطور كان أيام المأمون وهذا تفرد به ولا أعلم له في ذلك موافقا # ثم ملك بعده مرقيان ست سنين وفي أول سنة من ملكه كان السنودس الرابع على تسقرس بطرق القسطنطينية

---

(١) العلماء يردون على اسطورة هرمجدون ص/٩٤

(٢) الكامل في التاريخ ١/٢٥٤

اجتمع فيه ثلثمائة وثلاثون أسقفا وفي هذا المجمع خالفت اليعقوبية سائر النصارى # ثم ملك ليون الكبير ست عشرة سنة ثم ملك ليون الصغير سنة وكان يعقوبي المذهب ثم ملك زينون سبع سنين وكان يعقوبيا فزهد في الملك فاستخلف ابنا له فهلك فعاد إلى الملك ثم ملك نسطاس سبعا وعشرين سنة وكان يعقوبي". (١)

١٦٧-"@ ٧٥ @ صالح بن علي في طلب مروان فار صالح من نهر أبي فطرس في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ومعه ابن فتان وعامر ابن إسماعيل فقدم صالح أبا عون وعامر ابن إسماعيل الحارثي فساروا حتى بلغوا العريش فاحرق مروان ما كان حوله من علف وطعام وسار صالح فنزل النيل ثم سار حتى أتى الصعيد وبلغه أن خيلا لمروان يحرقون الاعلاف فوجه إليهم فاخذوا وقدم بهم على صالح وهو بالفسطاط وسار فنزل موضعا يقال له ذات السلاسل وقدم أبو عون عامر بن إسماعيل الحارثي وشعبة بن كثير المازني في خيل أهل الموصل فلقوا خيلا لمروان فهزموهم واسروا منهم رجالا فقتلوا بعضا واستحيوا بعضا فسألوهم عن مروان فاخبروهم بمكانه على أن يرمنوهم وساروا فوجدوه نازلا في كنيسة في بوصير فوافوه ليلا وكان أصحاب أبي عون قليلين فقال لهم عامر بن إسماعيل أن أصبحنا ورأوا قلتنا أهلكونا ولم ينج منا أحد وكسر جفن سيفه وفعل أصحابه مثله وحملوا على أصحاب مروان فانهزموا وحمل رجل على مروان فطعنه وهو لا يعرفه وصاح صائح صرع أمير المؤمنين فابتدروه فسبق إليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان فاحتز رأسه فأخذه عامر فبعث به إلى أبي عون وبعثه أبو عون إلى صالح فلما وصل إليه أمر أن يقص لسانه فانقطع لسانه فأخذه مر فقال صالح ماذا ترينا الأيام من العجائب والعبر هذا لسان مروان قد أخذه هر وقال شاعر # (قد فتح الله مصر عنوة لكم ٪ واهلك الفاجر الجعدي إذ ظلما) # (فلاك مقوله هر يجرره ٪ وكان ربك من ذي الكفر منتقما) # وسيره صالح إلى أبي العباس السفاح وكان قتله لليلتين بقيتا من ذي الحجة ورجع صالح إلى الشام وخلف أبا عون بمصر وسلم اله السلاح والأموال والرقيق ولما وصل الرأس إلى السفاح كان بالكوفة فلما رآه سجد ثم رفع رأسه فقال الحمد لله الذي أظهرني عليك وأظفرني بك ولم يبق ثاري قبلك وقبل رهطك أعداء الدين وتمثل # (لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ٪ ولا دماؤهم للغيظ ترويني)". (٢)

١٦٨-"@ ٣١٧ @ $ ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائة $ # في هذه السنة بايع الرشيد لعبد الله المأمون بولاية العهد بعد الأمين وولاه خراسان وما يتصل بها إلى همدان ولقبه المأمون وسلمه إلى جعفر بن يحي وهذا من العجائب فإن الرشيد قد رأى ما صنع أبوه وجده المنصور بعيسى بن موسى حتى خلع نفسه من ولاية العهد وما صنع أخوه الهادي ليخلع نفسه من العهد فلو لم يعاجله الموت لخلعه # ثم هو بعد ذلك يبايع للمأمون بعد الامين وحبك الشيء يعمي ويصم وفيها حملت ابنة خاقان ملك الخزر إلى الفضل بن يحيى فماتت ببرذعة فرجع من معها إلى أبيها فأخبروه أنها قتلت غيلة فتجهز إلى بلاد الاسلام # وغزا الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح فبلغ أفسوس مدسنة أصحاب الكهف وفيها

---

(١) الكامل في التاريخ ٢٥٥/١

(٢) الكامل في التاريخ ٧٥/٥

سملت الروم عيني ملكهم قسطنطين بن أليون وأقروا أمه ريني وتلقب أغطسة # وحج بالناس موسى بن عيسى بن موسى وكان على الموصل هرثمة بن أعين وفيها جاز سليمان بن عبد الرحمن صاحب الأندلس إلى بلاد الأندلس من الشرق وتعرض لحرب ابن أخيه الحكم بن هشام بن عبد الرحمن صاحب البلاد فسار إليه الحكم في جيوش كثيرة # وقد اجتمع الى سليمان كثير من أهل الشقاق ومن يريد الفتنة فالتقيا واقتتلا واشتدت الحرب فانهزم سليمان واتبعه عسكر الحكم وعادت الحرب بينهم ثانية في ذي الحجة فانهزم فيها سليمان واعتصم بالوعر والجبال فعاد الحكم ثم عاد سليمان فجمع برابر وأقبل إلى جانب إستجة فسار". (١)

١٦٩-"@ ٣٧٠ @ يجب إلى ذلك وأخبره كراهة أهل الموصل من عماله فأعرض عن ذكرها وبقي المجروح بالموصل يسيرا وعزله المعتضد واستعمل بعده علي بن داود بن رهزاد الكردي # فقال شاعر يقال له العجيني # (ما رأى الناس لهذا الد ٪ هر مذ كانوا شبيها) # (ذلت الموصل حتى ٪ أمر الأكراد فيها) # (العجيني) بالنون $ ذكر وفاة المعتمد $ # وفيها توفي المعتمد على الله ليلة الأثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب ببغداد # وكان قد شرب على الشط في الحسني ببغداد يوم الأحد شرابا كثيرا وتعشى فأكثر فمات ليلا # وأحضر المعتضد القضاة وأعيان الناس فنظروا إليه وحمل إلى سامرا فدفن بها # وكان عمره خمسين سنة وستة أشهر وكان أسن من الموفق بستة أشهر # وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وستة أشهر # وكان في خلافته محكوما عليه قد تحكم عليه أخوه أبو أحمد الموفق وضيق عليه حتى أنه احتاج في بعض الأوقات إلى ثلاثمائة دينار فلم يجدها ذلك الوقت فقال # (أليس **من العجائب** أن مثلي ٪ يرى ما قل ممتنعا عليه) # (وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ٪ وما من ذاك شيء في يديه) # (إليه تحمل الأموال طرا ٪ ويمنع بعض ما يجبى عليه) # وكان أول الخلفاء إنتقل من سر من رأى مذ بنيت ثم لم يعد إليها أحد منهم $ ذكر خلافة أبي العباس المعتضد $ # وفي صبيحة الليلة التي مات فيها المعتمد بويع لأبي العباس المعتضد بالله". (٢)

١٧٠-"@ ٨٤ @ قبيح ووصل الخبر إلى بغداد فخرج الوزير عضد الدين وعرض العسكر ووصل العسكر الحلة وواسط مع طاشتكين أمير الحاج وغرغلي وساروا نحو العدو فلما سمع بوصولهم فارق مكانه وعاد وكان معه من التركمان جمع كثير فنهبهم عسكر بغداد ورجعوا من غير أمر بالعود فأنكر عليهم ذلك وأمروا بالعود إلى مواقفهم فعادوا لأوائل شهر رمضان وقد رجع الملك فنهب من البندنيجين ما كان سلم في الأول ووقعت بينهم وبين الملك وقعة ثم افترقوا فمضى الملك وفارق ولاية العراق $ ذكر عدة حوادث $ # في هذه السنة في جمادى الأولى أقيمت الصلاة في الجامع الذي بناه فخر الدولة ابن المطلب بقصر المأمون غربي بغداد أمر صلاح الدين ببناء المدرسة التي على قبر الشافعي رضي الله عنه بمصر وعمل بالقاهرة بيمارستان ووقف عليهما الوقوف العظيمة الكبيرة # وفيها رأيت بالموصل خروفين ببطن واحد ورأسين

---

(١) الكامل في التاريخ ٥/٣١٧

(٢) الكامل في التاريخ ٦/٣٧٠

وركبتين وظفرين وثماني قوائم كأنهما خروفان ببطن واحد وجه أحدهما الى وجه الآخر وهذا **من العجائب** # وفيها انقض كوكب أضاءت له الأرض إضاءة كثيرة وسمع له صوت عظيم وبقي أثره في السماء مقدار ساعة وذهب # وفيها توفي تاج الدين أبو علي الحسن بن عبد الله المظفر بن رئيس الرؤساء أخو الوزير عضد الدين وزير الخليفة # وفيها في المحرم توفي القاضي كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري قاضي دمشق وجميع الشام وإليه الوقوف بها والديوان وكان جوادا فاضلا رئيسا ذا عقل ومعرفة في تدبير الدول رحمه الله ورضي عنه". (١)

١٧١-"@ ٣٢٢ @ # وفيها تزوج أبو بكر بن البهلوان صاحب أذربيجان وأران بابنة ملك الكرج وسبب ذلك أن الكرج تابعت الغارات منهم على بلاده لما رأوا من عجزه وانهاكه في الشرب واللعب وما جانسهما وإعراضه عن تدبير الملك وحفظ البلاد فلما رأى هو أيضا ذلك ولم يكن عنده من الحمية والأنفة من هذه المناجس ما يترك ما هو مصر عليه وأنه لا يقدر على الذب عن البلاد عدل إلى الذب عنها بأيره فخطب ابنة ملكهم فتزوجها فكف الكرج عن النهب والإعارة والقتل فكان كما قيل أغمد سيفه وسل أيره # وفيها حمل إلى أزيك خروف وجهه صورة آدمي وبدنه بدن خروف وكان هذا **من العجائب** # وفيها توفي القاضي أبو محمد بن محمد المانداي الواسطي بها # وفيها في شوال توفي فخر الدين مبارك شاه بن الحسن المروروذي وكان حسن الشعر بالفارسية والعربية وله منزلة عظيمة عند غياث الدين الكبير صاحب غزنة وهراة وغيرهما وكان له دار ضيافة فيها كتب شطرنج فالعلماء يطالعون الكتب والجهال يلعبون بالشطرنج # وفيها في ذي الحجة توفي أبو الحسن علي بن علي بن سعادة الفارقي الفقيه الشافعي ببغداد وبقي مدة طويلة معيدا بالنظامية وصار مدرسا بالمدرسة التي أحدثتها أم الخليفة الناصر لدين الله وكان مع علمه صالحا طلب للنيابة في القضاء ببغداد فامتنع فألزم بذلك فوليه يسيرا ثم في بعض الأيام مشى إلى جامع ابن المطلب فنزل ولبس مئزر صوف غليظ وغير ثيابه وأمر الوكلاء وغيرهم بالانصراف وأقام به حتى سكن الطلب عنه وعاد إلى داره بغير ولاية # وفيها وقع الشيخ أبو موسى المكي المقيم بمقصورة جامع السلطان ببغداد من سطح الجامع فمات وكان رجلا صالحا كثير العبادة # وفيها توفي العفيف أبو المكارم عرفة بن علي بن بصلا البندنيجي ببغداد وكان رجلا صالحا منقطعا إلى العبادة رحمه الله". (٢)

١٧٢-"وهي طويلة. ويحكى أنها لما وصلت إلى السلطان أبي يزيد خان سر بها، وأمر لقائلها أحمد العليف بألف دينار جائزة، ورتب له في الصر في كل عام مائة دينار ذهبا كانت تصل إليه في كل عام، وصارت بعده لأولاده، وكان قد استولى على المرحوم السلطان أبي يزيد خان في آخر عمره مرض النقرس، وضعف عن الحركة، وترك الحروب والسفر سنين متعددة، فصارت عساكره يتطلبون سلطانا شابا قوي الحركة، كثير الأسفار ليغازي بهم، ويغنموا الغنائم، فرأوا أن السلطان سليم خان من أولاد السلطان أبي يزيد أقوى أخوته وأجلدهم، فمالوا إليه، وعطف عليهم، فخرج إليه أبوه محاربا، فقاتله

---

(١) الكامل في التاريخ ٨٤/١٠

(٢) الكامل في التاريخ ٣٢٢/١٠

وهزمه أبوه، ثم عطف على أبيه ثانيا لما رأى من ميل العساكر إليه واجتماعهم عليه، فلما رأى السلطان أبو يزيد توجه أركان الدولة إلى السلطان سليم، استشار وزراءه وأخصاءه في أمره، فأشاروا إليه أن يفرغ له عن السلطنة، ويختار التقاعد بعزه في أدرنة، وأبرموا عليه في ذلك، فأجابهم حين لم ير بدا من إجابتهم، وطلب السلطان سليم إلى حضرته، وعهد إليه بسلطنته، ثم توجه مع بعض خواص خدامه إلى أدرنة، فلما وصل إلى قرب جورلو كان فيها حضور أجله. فتوفي بها في سنة ثمان عشرة وتسعمائة، ووصل خبر موته هو وسلطان مكة قايتباي بن محمد بن بركات الشريف، وسلطان اليمن الشيخ عامر بن محمد إلى دمشق في يوم واحد، وهو يوم الأحد ثاني عشري ربيع الأولى من السنة المذكورة. رحمهم الله تعالى رحمة واسعة. آمين.

٢٤٤ – أحمد أبو المكارم الشارعي: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله، القاضي شهاب الدين أبو المكارم الشهير بالشارعي المصري المالكي، نزيل دمشق. ولد في ثاني عشر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة بالشارع الأعظم قرب باب زويلة، وتوفي ليلة الخميس ثاني عشري ربيع الأول سنة إحدى وتسعمائة بدمشق رحمه الله تعالى.

٢٤٥ – أحمد بن عبية: أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن عبية، شيخ العالم الواعظ المذكور شهاب الدين قاضي القدس الشريف الشهير بابن عبية المقدسي الأثري الشافعي نزيل دمشق. ولد في ثاني عشر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة، واشتغل بالقدس الشريف وحصل، وولي قضاء بيت المقدس، وامتحن بسبب القمامة، ثم رحل إلى لدمشق وقطن بها ووعظ وذكر الناس بالجامع الأموي، وله شعر لطيف وخط حسن، وقرأت بخطه أنه بات في بيت بعض إخوانه، وكان بقرب ناعورة على النهر تدور وتئن فقال:

وناعورة أنت فقلت لها: اقصري ... أنينك هذا زاد للقلب في الحزن

فقالت: أنيني إذ ظننتك عاشقا ... ترق لحال الصب قلت لها: إني

وهذا أقرب من قول الحافظ أبي الفضل بن حجر رحمه الله تعالى:

غرمت على الترحال من غير علمها ... فقالت وزادت في الأنين وفي الحزن

لقد حدثتني النفس أنك راحل ... فزاد أنين قلت: ما كذبت إني

قلت: ولو قال: قد صدقت لكان أولى، ومن شعر ابن عبية – رحمه الله تعالى – قصيدة نونية نقلت منها من خطه ما أثبته هنا:

بأبي أزج حواجب وعيون ... سلب بصاد للقلوب ونون

ففؤادي المعتل منه ناقص ... بمثال ذاك الأجوف المقرون

يا نظرة قد أورثت قلبي الردى ... بأبي جفون معذبي وجفوني

نظرت غزالا ناعسا يرعى الكرى ... فهي التي جلبت إلي منوني

قال العذول: وقعت في شرك الهوى ... فأجبت هذا من فعال عيوني

يا قاتل الله العيون فإنها ... حكمت علينا بالهوى والهون

إلى أن قال وأجاد:

خدعوا فؤادي بالوصال وعندما ... ثبت الهوى في أضلعي هجروني

هجروا ولو ذاقوا الذي قد ذقته ... تركوا الصدود وربما وصلوني

لم يرحموني حين حان فراقهم ... ما ضرهم لو أنهم رحموني

ومن العجائب أن نسوا ودي ومن ... ودي لهم كل الورى عرفوني

وقال في ملخصها مادحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

ما مخلصي في الحب من شرك الهوى إلا بمدح المصطفى المأمون

زين الأعارب في القراع وفي القرى ... ليث الكتائب لم يخف لمنون". [١]

١٧٣-"وفي هذه السنة، أعني سنة تسع وسبعين ومائتين، توفي أحمد المعتضد بالله ابن جعفر المتوكل بن المعتصم، لإحدى عشرة بقيت من رجب ببغداد، وكان قد شرب على الشط وتعشى، وأكثر من الشراب والأكل، فمات ليلا، وأحضر المعتضد القضاة وأعيان الناس، فنظروا إليه، وحمل إلى سرمن رأى فدفن بها، وكان عمر المعتمد خمسين سنة وستة أشهر، وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وستة أيام. وكان قد تحكم عليه في خلافته أخوه الموفق، وضيق عليه، حتى إنه احتاج إلى ثلاثمائة دينار فلم يجدها في ذلك الوقت، فقال:

أليس من العجائب أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه

خلافة أبي العباس

أحمد المعتضد بالله

وهو سادس عشرهم، وفي صبيحة الليلة التي مات فيها المعتمد، بويع لأبي العباس أحمد المعتضد بالله بن الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل. وفي هذه السنة توفي نصر بن أحمد الساماني، فقام بما كان إليه من العمل بما وراء النهر، أخوه إسماعيل ابن احمد بن أسد بن سامان.

وفي هذه السنة قدم الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص من مصر بهدايا عظيمة، من خمارويه بن أحمد بن طولون صاحب مصر، بسبب تزويج المعتضد بنت خمارويه.

وفيها توفي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سودة الترمذي السلمي، بترمذ، في رجب، وكان إماما حافظا له تصانيف حسنة، منها الجامع الكبير في الحديث، وكان ضريرا، وهو عن أئمة الحديث المشهورين، الذين يقتدى بهم في علم الحديث، وهو تلميذ محمد بن إسماعيل البخاري، وشاركه في بعض شيوخه، مثل قتيبة بن سعيد، وعلي بن حجر.

ثم دخلت سنة ثمانين ومائتين فيها توفي جعفر بن المعتمد وهو الذي كان لقبه المفوض، وخلعه أبوه وولى المعتضد على ما ذكرنا.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائتين: فيها سار المعتضد إلى ماردين، فهرب صاحبها حمدان، وخلى ابنه بها، فقابله

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ص/٧٦

المعتضد، فسلمها إليه. وفيها دخل طغج بن جف وكان عاملا على دمشق، من طرسوس إلى بلاد الروم، من قبل خمارويه، وفتح وسبى. وفيها توفي عبد الله بن محمد بن أبي عبد الله بن أبي الدنيا، صاحب التصانيف الكثيرة المشهورة.
ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائتين.
النيروز المعتضدي فيها أمر المعتضد بافتتاح الخراج في النيروز المعتضدي، للرفق بالناس، وهو في حزيران من شهور الروم، عند كون الشمس في أواخر الجوزاء.
قتل خمارويه في هذه السنة، قتل خمارويه بن أحمد بن طولون، ذبحه بعض خدمه على فراشه، في ذي الحجة بدمشق، وكان سببه أنه نقل إلى خمارويه، أن جواريه قد أخذت كل واحدة منهن خصيا، وجعلته لها كالزوج، وقصد خمارويه تقرير بعض الجواري على ذلك، فاجتمع جماعة من الخدم، واتفقوا على قتله، ثم قتل من خدمه الذين اتهموا بذلك، نيفا وعشرين نفسا. ولما مات خمارويه، بايع قواده جيش بن خمارويه، وكان صبيا، وفيها توفي أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، صاحب كتاب النبات. وفيها توفي الحارث ابن أبي أسامة، وله مسند. وفيها توفي أبو العيناء محمد بن القاسم، وكان روى عن الأصمعي، وكان ضريرا صاحب نوادر وأشعار، وكان من ظرفاء الناس، وفيه من سرعة الجواب والذكاء ما لم يكن في أحد، وولد في سنة إحدى وتسعين ومائتين، وكف بصره وقد بلغ أربعين سنة، ولقب بأبي العيناء، لأنه قال: لأبي زيد الأنصاري كيف تصغر عينا؟ فقال عيينا يا أبا العيناء فبقي عليه لقبا، وكان قد ذكر للمتوكل للمنادمة، فقال المتوكل: لولا أنه ضرير لصلح لذلك، وبلغ ذلك أبا العيناء فقال: إن أعفاني من رؤية الأهلة، فإني أصلح للمنادمة.
ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائتين في هذه السنة، خلع طغج بن جف أمير دمشق، جيش بن خمارويه بدمشق واختلف جند جيش عليه، لصباه وتقريبه الأرذال، وتهديده لقواد أبيه، فثاروا به فقتلوه ونهبوا داره، ونهبوا مصر وأحرقوها، وأقعدوا أخاه هارون بن خمارويه في الولاية، وكانت ولاية جيش بن خمارويه تسعة أشهر.". (١)

١٧٤-"فيها جمع عماد الدين زنكي عساكره وسار من الموصل إلى الشام، وقصد حصن الأثارب لشدة ضرره على المسلمين، فإن أهله الفرنج كانوا يقاسمون أهل حلب على جميع أعمال حلب الغربية، حتى على رحى بظاهر باب الجنان، بينها وبين سور حلب عرض الطريق. وأظن أن اسمها العريبة، وكان أهل حلب معهم في ضيق شديد، فسار عماد الدين إليه ونازله، وجمع الفرنج فارسهم وراجلهم وقصدوا عماد الدين، فرحل عماد الدين عن الأثارب وسار إلى ملتقاهم، فالتقوا واقتتلوا أشد قتال، ونصر الله المسلمين وانهزم الفرنج، ووقع كثير من فرسانهم في الأسر، وكثر القتل فيهم ولما فرغ المسلمون من ظفرهم عادوا إلى الأثارب فأخذوه عنوة، وقتلوا وأسروا كل من فيه، وخرب عماد الدين في ذلك الوقت حصن الأثارب المذكور، وجعله دكا وبقي خرابا إلى الآن.
ذكر وفاة الآمر بأحكام الله العلوي في هذه السنة في ذي القعدة قتل الآمر بأحكام الله العلوي أبو علي منصور بن المستعلي أحمد بن المستنصر معد العلوي صاحب مصر، وكان قد خرج إلى مستنزه له، فلما عاد وثب عليه الباطنية فقتلوه، وكانت

---

(١) المختصر في أخبار البشر ١٨٦/١

ولايته تسعا وعشرين سنه وخمسة أشهر وخمسة عشر يوما. وعمره أربعا وثلاثين سنة.

وهو العاشر من ولد المهدي عبيد الله. وهو العاشر من الخلفاء العلويين. ولما قتل الآمر لم يكن له ولد، فولى بعده ابن عمه الحافظ، عبد المجيد بن أبي القاسم بن المستنصر بالله، ولم يبايع أولا بالخلافة، بل كان على صورة نائب لانتظار حمل إن ظهر للآمر.

ولما تولى الحافظ، استوزر أبا علي أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي، فاستبد بالأمر، وتغلب على الحافظ وحجر عليه، ونقل أبو علي ما كان بالقصر من الأموال إلى داره، ولم يزل الأمر كذلك إلى أن قتل أبو علي سنة ست وعشرين على ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر غير ذلك:

في هذه السنة كان الرصد في دار السلطنة شرقي بغداد، تولاه البديع الإسطرلابي ولم يتم. وفي هذه السنة ملك السلطان مسعود قلعة ألموت. وفيها توفي إبراهيم بن عثمان بن محمد الغزي عند قلعة بلخ ودفن فيها، وهو من أهل غزة، ومولده سنة إحدى وأربعين وأربعمائة، وهو من الشعراء المجيدين فمن قصائده المشهورة قصيدته التي مدح فيها الترك التي أولها:

أمط عن الدرر الزهر اليواقيتا ... وأجعل لحج تلاقينا مواقيتا

ومنها:

في فتية من جيوش الترك ما تركت ... للرعد كراتهم صوتا ولا صيتا

قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة ... حسنا وإن قوتلوا كانوا عفاريتا

ثم ترك الغزي قول الشعر وغسل كثيرا منه وقال:

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة ... باب البواعث والدواعي مغلق

خلت البلاد فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب أنه لا يشترى ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة.

فيها أسر دبيس بن صدقة وسبب ذلك مسيره من العراق إلى صرخد، لأن صرخد كان صاحبها خصيا، وكانت له سرية، فتوفي الخصي في هذه السنة، واستولت سريته على قلعة صرخد وما فيها، وعلمت أنه لا يتم لها ذلك إن لم تتصل برجل يحميها، فأرسلت إلى دبيس ابن صدقة تستدعيه للتزوج به، وتسلم إليه صرخد وما فيها من مال وغيره.

فسار دبيس من العراق إليها، فضل به الأدلاء بنواحي دمشق، فنزل بناس من كلب كانوا شرقي الغوطة، فأخذوه وحملوه إلى تاج الملوك توري بن طغتكين صاحب دمشق، في شعبان من هذه السنة، فحبسه توري، وسمع عماد الدين زنكي بأسر دبيس، فأرسل إلى توري يطلبه، ويبذل له إطلاق ولده سونج ومن معه من الأمراء الذين غدر بهم زنكي وقبضهم. كما

تقدم ذكره.". (١)

١٧٥-"وفي هذه السنة، أعني سنة ست وخمسين وستمائة، في ليلة السبت السادس والعشرين من جمادى الأولى، توفي الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب، بظاهر دمشق، في قرية يقال لها البويضا، ومولده سنة ثلاث وستمائة، فكان عمره نحو ثلاث وخمسين سنة، وكنا قد ذكرنا أخباره في سنة خمس وخمسين، وأنه توجه إلى تيه بني إسرائيل، وصار مع عرب تلك البلاد وبلغ المغيث صاحب الكرك وصوله إلى تلك الجهة، فخشي منه، وأرسل إليه فقبض عليه، وحمله إلى بلد الشوبك، وأمر بحفر مطمورة ليحبسه فيها، وبقي الملك الناصر المذكور ممسوكا، والمطمورة تحفر قدامه ليحبس فيها، فبينما هو على تلك الحال، إذ ورد رسول الخليفة المستعصم يطلبه من بغداد، لما قصده التتر، ليقدمه على بعض العساكر لملتقى التتر، فلما ورد رسول الخليفة إلى دمشق، جهزوه إلى المغيث صاحب الكرك، ووصل الرسول إلى موضع الملك الناصر قبل أن يتم المطمورة، فأخذه وسار به إلى جهة دمشق، فبلغ الرسول استيلاء التتر على بغداد، وقتل الخليفة، فتركه الرسول ومضى لشأنه، فسار الناصر داود إلى البويضا، وهي قرية شرقي دمشق، وأقام بها، ولحق الناس في الشام في تلك المدة طاعون، مات منه الناصر داود المذكور في التاريخ المذكور، وخرج الملك الناصر يوسف صاحب دمشق إلى البويضا، وأظهر عليه الحزن، والتأسف، ونقله ودفنه بالصالحية في تربة والده المعظم، وكان الناصر داود فاضلا ناظما ناثرا، وقرأ العلوم العقلية على الشيخ شمس الدين عبد الحميد الخسروشاهي، تلميذ الإمام فخر الدين الرازي، وللناصر داود المذكور أشعار جيدة، قد تقدم ذكر بعضها، ومن شعره أيضا:

عيون عن السحر المبين تبين ... لها عند تحريك القلوب سكون

تصول ببيض وهي سود فرندها ... ذبول فتور والجفون جفون

إذا ما رأت قلبا خليا من الهوى ... تقول له كن مغرما فيكون

وله أيضا:

طوفي وقلبي قاتل وشهيد ... ودمي على خديك منه شهود

أما وحبك لست أضمر سلوة ... عن صبوتي ودع الفؤاد يبيد

مني بطيفك بعد ما منع الكرى ... عن ناظري البعد والتسهيد

ومن العجائب أن قلبك لم يلن ... لي والحديد ألانه داود

ومما كتب به في أثناء مكاتبته إلى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، وكان قد أغارت الفرنج على نابلس في أيام الملك الصالح أيوب صاحب مصر:

أيا ليت أمي أيم طول عمرها ... فلم يقضها ربي لمولى ولا بعل

ويا ليتها لما قضاها لسيد ... لبيب أريب طيب الفرع والأصل

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٣١٣/١

قضاها من اللاتي خلقن عواقرا ... فما بشرت يوما بأنثى ولا فحل

ويا ليتها لما غدت بي حاملا ... أصيبت بما احتفت عليه من الحمل

ويا ليتني لما ولدت وأصبحت تشد إلي الشدقيات بالرحل

لحقت بأسلافي فكنت ضجيعهم ... ولم أر في الإسلام ما فيه من خل

ذكر وفاة الصاحبة غازية خاتون

والدة الملك المنصور صاحب حماة:

وفي هذه السنة في ذي القعدة، توفيت الصاحبة غازية خاتون، بنت السلطان الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، بقلعة حماة، رحمها الله تعالى. وكان قدومها إلى حماة في سنة تسع وعشرين وستمائة، وولد لها من الملك المظفر محمود صاحب حماة، ثلاث بنين، مات أحدهم صغيرا، وكان اسمه عمر، وبقي الملك المنصور محمد صاحب حماة، وأخوه والد الملك الأفضل علي، وولد لها منه ثلاث بنات أيضا، فتوفيت الكبرى منهن، وكان اسمها ملكة خاتون، قبل وفاة والدتها بقليل، وتوفيت الصغرى، وهي دنيا خاتون، بعد وفاة أخيها الملك المنصور، وسنذكر وفاة الباقين في مواضعها إن شاء الله تعالى. وكانت الصاحبة غازية خاتون المذكورة، من أحسن النساء سيرة، وزهدا، وعبادة وحفظت الملك لولدها الملك المنصور حتى كبر، وسلمته إليه قبل وفاتها، رحمها الله تعالى.

ذكر غير ذلك من الحوادث". (١)

١٧٦-"من لؤلؤة إلى وادي الطرفاء، ثم إلى هرقلة، ثم إلى زبرلة، ثم إلى سدرية، ثم إلى برغوث، ثم إلى الإحساء، ثم إلى قونية، ثم تدخل وادي ذمارى إلى قرية دقلياس، ثم إلى قرية البرج، ثم إلى ملس قومس، ثم تأتي العلمين، ثم تصير إلى قريات قطية، ثم تصير إلى إيلمى، ثم تصير إلى درولية وهي مجمع العساكر للعرب والروم، ثم إلى حصن عرندسي، ثم إلى قرية أفرسوس، ثم إلى باسلاقين وملاجنة وهي اصطبلات الملك وموضع ثقله وميرته، ثم إلى بحيرة نيقية، ثم تنحدر منه إلى نقمودية، ثم إلى المعابر، ثم إلى الأرنبة وهي بلاد الملك.

ومن أراد عمورية من درب السلامة

فعلى لؤلؤة، ثم إلى نهر الطرفاء، ثم إلى خربة فارطة، ثم إلى حصن قنة، ثم إلى عبقرسون، ثم إلى حبر فرنية الأعلى، ثم تاتي بلاد الهدى، ثم تاتي فتلق وقرية تدعى فارطة، ثم تاتي عبرة كناص ثم تأتي لاطة، ثم تاتي عمورية.

صفة رومية وما فيها **من العجائب**

لها ثلاثة جوانب منها الشرقي والجنوبي والغربي في البحر، والجانب الشمالي يلي البر، وطولها من الباب الشرقي إلى الباب الغربي ثمانية وعشرون ميلا ولها حائطان من حجارة بينهما فضاء ستون ذراعا، وعرض السور الداخل اثنتا عشرة ذراعا وسمكه اثنتان وسبعون ذراعا وعرض السور الخارج ثماني اذرع وسمكه اثنتان وأربعون ذراعا، وفيما بين السورين نهر مغطى

(١) المختصر في أخبار البشر ٤٤٥/١

ببلاط نحاس طول كل بلاطة ست وأربعون ذراعا يقال لهذا النهر قسطيطالس، وبين باب الذهب وباب الملك اثنا عشر ميلا وسوق الطير بها فرسخ وسوق مادة من الباب الشرقي إلى الباب الغربي بثلث أصطوانات وحنيتا الوسطى منهن بعمد نحاس أصفر رومي قصبة العمود وقاعدته ورأسه مفرغ منه، وفيه حوانيت التجار، وسمك الأعمدة ثلاثون ذراعا، ومقدم هذه الأعمدة والحوانيت نقير نهر من نحاس أصفر من شرقيها إلى غربيها يجري فيه لسان من البحر وتجري السفن فيه بحمولتها فتجيء السفينة بما فيها حتى تقف على حانوت المشتري.

وحدثني ابو بكر بن عمر القرشي وعبد الله بن أبي طالب القرشي من كورة تونس بالمغرب قالا أن بمنارة اسكندرية ثلاثمائة بيت وستة وستين بيتا دائرة بها والمسجد بها في أعلاها، ويركب الفارس والفارسان إلى أعلاها بغير دراج إنما يدور الفرسان والرجالة إلى أعلاها مثل منارة سر من رأى، وهي على ساحل البحر يضرب موجه أساسها ولا يجتاز مركب إلا تحتها ويدخل البلاد.

وفي داخل المدينة كنيسة بنيت على اسم بطرس وبولس الحواريين وهما فيها في جرن، وطول هذه الكنيسة ثلاثمائة ذراع وعرضها مائتا ذراع وسمكها ثمانون ذراعا مبنية بقناطر نحاس أصفر وأركان نحاس أصفر مفرغة،وسقف هذه الكنيسة وحيطانها من نحاس أصفر رومي، وبرومية ألف ومائتا كنيسة وأسواقها كلها مبلطة برخام أبيض، وفيها أربعون ألف حمام، وفيها كنيسة شبهت ببيت المقدس طولها ميل فيها مذبح يقرب عليه القربان من زمرد أخضر طوله عشرون ذراعا وعرضه ست أذرع يحمله اثنا عشر تمثالا من ذهب إبريز طول كل تمثال منها ذراعان ونصف، ولكل تمثال عينان من ياقوت أحمر تضيء منها الكنيسة ولهذه الكنيسة ثمانية وعشرون بابا من ذهب إبريز عظام وألف باب من نحاس أصفر مفرغ سوى أبواب أبنوس وأبقسيون واصناف جيد الخشب المنقوش الذي لا يدرى ما قيمته، وحول سور رومية ألف ومائتان وعشرون عمودا فيها رهبان.

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: عجائب الدنيا أربع، ممراة كانت معلقة بمنارة الإسكندرية كان يجلس الرجل تحتها فيرى من بالقسطنطينية وبينهما عرض البحر.

وفرس من نحاس كان بأرض الأندلس قائلا بكفيه كذا باسطا يده أي ليس خلفي مسلك فلا يطأ تلك الأرض أحد إلا ابتلعته النمل.

ومنارة من نحاس عليها راكب من نحاس بأرض عاد فإذا كانت الأشهر الحرم هطل منها الماء فشرب الناس وسقوا وصبوا في الحياض فإذا انقضت الأشهر الحرم انقطع ذلك الماء.

وشجرة من نحاس عليها سودانية من نحاس بأرض رومية، فإذا كان أوان الزيتون صفرت السودانية التي من نحاس فتجيء كل سودانية من الطيارات بثلاث زيتونات زيتونتين برجليها وزيتونة بمنقارها حتى تلقيها على تلك السودانية النحاس فيعصر أهل رومية ما يكفيهم لآدامهم وسرجهم سنتهم إلى قابل.

سكك طريق المغرب". (١)

١٧٧-"**ومن العجائب** بيتان وجدا بالأندلس عند فتحها في مدينة الملوك ففتح احد البيتين وهو بيت الملوك فوجد فيه أربعة وعشرون تاجا عدة ملوكهم لايدرى ما قيمة التاج منها وعلى كل تاج اسم صاحبه ومبلغ سنه وكم ملك من السنين، ووجد في هذا البيت مائدة سليمان بن داوود عليهما السلام، ووجد على البيت الآخر أربعة وعشرون قفلا، كان كل ملك واحد منهم زاد عليه قفلا، ولا يدرون ما في البيت حتى ملك لذريق وهو آخر ملوكهم فقال لا بد لي من أن أعرف ما في هذا البيت وتوهم أن فيه مالا وجوهرا، فاجتمعت إليه الأساقفة والشمامسة فإعظموا ذلك عليه وسألوه أن يأخذ بما فعلت الملوك قبله فأبى إلا أن يفتحه، فقالوا أنظر ما يخطر على بالك من مال تراه فيه فنحن نجمعه لك وندفعه إليك ولا تفتحه، فعصاهم وفتح الباب فإذا في البيت تصاوير العرب على خيولهم بعمائمهم ونعالهم وقسيهم ونبلهم، فدخلت العرب بلدهم في السنة التي فتح فيها ذلك الباب.

ووجد قتيبة بن مسلم بمدينة تدعى بيكند قدورا عظاما يصعد إليها بسلاليم.

وهذه دائرة صورتها الحكماء على شكل الدنيا وأظهروا للعيان ان الله نعالى بلطف تدبيره جعل تمازج هذه الطبائع الأربع من أطرافها وحواشيها التي تشاكل بعضها بعضا كامتزاج الحر بالحر والبرد بالبرد على ما في هذا الشكل حتى خلق منها هذا العالم مع ما بينهما من التعادي والتضادد.

الحمد لله كثيرا

جميع ما في هذا الربع حار رطب طبع الهواء والدم والربيع والصبا وله المشرق وريحه الجنوب وساعته الأولى والثانية والثالثة ومن قوى البدن القوة الطبيعية الهاضمة ومن المذاقات الحلاوة ومن الكواكب القمر والزهرة ومن البروج الحمل والثور والجوزاء.

وعليه توكلت

جميع ما في هذا الربع حار يابس طبع النار والمرة الصفراء والصيف والشباب والتيمن وريحه الصبا وساعاته الرابعة والخامسة والسادسة ومن قوى البدن القوة النفسانية والحيوانية ومن المذاقات المرارة ومن الكواكب المريخ والشمس ومن البروج السرطان والأسد والسنبلة.

بالله الاستعانة

جميع ما في هذا الربع بارد ورطب طبع الماء والبلغم والشتاء والكبر والمغرب وريحه الدبور وساعاته العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة ومن المذاقات ما أشبه المالح ومن الكوكب المشتري وعطارد ومن البروج الجدي والدلو والحوت ومن القوى الدافعة.

وإليه الرغبة

جميع ما في هذا الربع بارد يابس طبع الأرض والمرة السوداء والخريف والاكتهال والجربى وريحه الشمال وساعاته السابعة

---

(١) المسالك والممالك - ابن خرداذبه ص/٢٧

والثامنة والتاسعة ومن القوبالماسكة ومن المذاقات القابضة ومن الكواكب زحل ومن البروج الميزان والعقرب والقوس.
ومن عجائب البنيان". (١)

١٧٨-"وحدث أبو ألفضل رائض ابن الحارث بن أسد أن أصل البراذين الخطلية التي يحمد جنسها من تلك العين وأنه كان في زمن ملك هناك يسمى بيك له رمك كثيرة يرسلها في الكلاء ترعى في المراعي وتأوي إلى تلك العين في الهاجرة إلى ظل شجرة تقيل هناك ويجمع الراعي إليها دوابه وهي واسعة عريضة مقدار أربع مائة ذراع في مثلها فيها ماء ساكن راكد صاف فرأى الراعي يوما وقد انتبه من نومه في براذينه برذونا طويلا كأطول ما يكون فظهر له برأي العين شيء هائل فطفق يرصده أي شيء هو إذ دنا وقت العصر فغاص في العين فبقي الراعي متحيرا فما زال كذلك يأوي إلى تلك العين مترصدا حتى إذا كان ذات يوم خرج ذلك البرذون بعينه ومعه مهرة وبراذين سواه كثيرة واختلطوا ببراذينه دائما في المرعى حتى اعتادوا مع براذينه وألقح هذا البرذون مهرا من مهارة ذلك الملك التي مع الراعي فنتجت مهرا كبارا جيادا..القامات فلما رأى ذلك الراعي سره واستبشر وأخبر بذلك سيده فعظم سرور الملك وخرج مع قهارمته للصيد مائلا إلى مرعى براذينه وكلائه فوافى حظيرة راعيه وأمر رائضه بأن يتوهق مهرا من تلك المهر التي من نتاج ألفحل الذي في العين فرمى بالوهق مهرا منها فأسرجه وركبه فإذا هو كأنه يطير بين السماء والأرض سلس في اللجام خفيف في النهوض فلما نزل وحط بسرجه إذا أولئك البراذين خرجوا من المرعى مع ما قد توالد فيما بينهم سوى التي نتجن أمهارا فعادوا إلى العين بأجمعهم ولم يخرج منها دابة إلى هذا الوقت ولا ظهر فبقي جنس البراذين الخطلانية منها، وحدثني هذا المحدث عن تاجر يسمى عبد الله الشخشي إنسان معروف ببلخ ونواحيها بأنه اشترى دابة منها طولها في السماء ثلاث أذرع بذراع السوداء وعرضها ذراع أيضا.

ومما روي **من العجائب**

أن مدينة تسمى كس بمسيرة يومين من سمرقند بينهما عقبة كبيرة مرتفعة وأن وراء كس جبال الثلج يتبين ثلج كل عام حتى لو أن إنسانا حديد البصر تهيأ له أن يعد ثلج أعوام الماضية من كل عام وبين كل ثلج عام خط أحمر مغبر من أيام المصيف لعجز عن ذلك وبذلك الثلج دود كبار بيض كالفيل فإذا انحدرت من ..يمد حتى ..سو..يخرج منها الماء الكثير ويمتد بها بما يذوب من الثلوج ويقع إلى جبال تسمى جبال..

الجبال عين كبيرة تسمى هشتادان در فيخرج منها ماء كثير ويسمى بسمرقند نهر جيرت وهو نهر بخارا.

وحدثني محدث أنه بدى له إلى تلك الناحية حاجة فخرج إليها وله ثم صديق فسأله عن عجائب هذه العين فأخبره أن فيها سكان الماء على خلقة بني آدم أحسن ما خلق الله وأن راعي غنم من هذه القرية كان يورد غنمه إلى هذه العين وبعض الرعاة كانوا يحدرون إليها ولا يقربونها وكان هذا الراعي يضرب الوتر واليراع والمزمار وكان.....المزمار واليراع ويطفون على وجه الماء ويستمعون إليه ويتلذذون بصوت غنائه فبينما هو ذات يوم قد ضرب بالوترين ونام على رأس العين إذا عمد أهل العين جبارا على وجه الماء وقبضوه كرها إلى عندهم فلما تم عليه يوم وليلة ولم ينصرف إلى أهله اغتموا له فأتوا تلك العين

---

(١) المسالك والممالك - ابن خرداذبه ص/٣٧

لاقتفاء الأثر فوجدوه وهو طاف على وجه الماء يسير وأهل العين يكرهونه على الزمر وضرب الوتر وأهله يتضرعون إليهم ويسألونهم تخليته فلم يجيبوهم إلى سؤالهم فبقوا على ذلك ثمانية أيام لا يتجرأ أحد منهم أن يدخل العين فيخلصه فلما أصبحوا بعد اليوم الثامن فما رأوا الراعي ولا أحدا معه منهم وخفي عنهم أمره.

وذكر هشام بن محمد قال: حدثني بعض من أثق إليه عن حميد بن بهرا دهقان الفلوجة السفلى أنه كان في أربعة مدن عجائب عظيمة فالأولى منهن كان بها قديما تمثال الأرض جميعا فإذا التوى عليه بعض أهل مملكته بخراجه خرق أنهارها عليهم فغرقت حيث كانت فلا يستطيعون لها سدا حتى يؤدوا ما عليهم فإذا سد أنهارها عليهم في تمثالها وانسدت عليهم في بلادهم، وكان في المدينة الثانية حوض فإذا أراد الملك أن يجمعهم لطعامه أتى من أحب منهم بما أحب من الأشربة فصبه في ذلك الحوض فاختلط جميعا ثم يقوم السقاة فيأخذون الآنية فمن صب في إنائه شيء..

نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة

لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي

الباب الحادي عشر

في ديوان البريد والسكك والطرق

إلى نواحي المشرق والمغرب". (١)

١٧٩-"٣١١ و زعم صاحب كتاب العجائب أن بحر هركند يليه بحر يقال له ذانجد «١» و بينهما ألف و سبعمائة جزيرة. قال: [و في] هذه الجزائر يكون العنبر الرفيع الدسم تكون القطعة منه مثل البيت. و في كتاب الطيب الذي ألفه إبراهيم بن الهنيري «٢»، أن أحمد بن حفص العطار قال: كنت جالسا في مجلس أبي إسحاق و هو يصفي «٣» عنبرا قد أذابه و أخرج ما كان فيه من الحشيش الذي حلقه مناقير الطير، فسألني فقلت: هذه مناقير الطير التي تأكل العنبر إذا راثته دوابه. فضحك أبو إسحاق و قال: هذا قول تقوله العامة، ما خلق الله دابة تروث العنبر و ما العنبر إلا شي ء يكون في قعر البحر. و لقد عني الرشيد بالمسألة عن العنبر و أصله و أمر حماد الزبيري بالمسألة عنه، فكتب إليه أن جماعة من عدن أعلموه أنه يخرج من عيون في قعر البحر تقتلعه الرياح بالأمواج الصعبة فيطفو على الماء و تقذفه الموج بالساحل كما أن بأرض هيت عيون تسيل بالقار و بأرض الروم عين الزفت الرومي.

قال: و آخر هذه الجزائر «٤» سرنديب، و قد تقدم ذكر ما فيها.

٣١٢ قال: و هذا البحر ربما أظلته السحاب ثلاثين يوما لا تصحى و لا يسكن وابلها، فلا يظهر فيه حيوان و يلوذ بقعر البحر. قال: و يخرج من هذا البحر إلى بحر الصنف الذي في جزائره مملكة المهراج، و هناك يكون العود النفيس، و هي جزائر لا يحصى ما فيها **من العجائب** و لا يحاط بها لكثرتها.

و فيها يكون جميع أفاويه «٥» الطيب و العطر. و يقال إن في هذا البحر قصرا

---

(١) المسالك والممالك - ابن خرداذبه ص/٤٥

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ٢١٥

أبيض يسير على الماء و يتراءى لأهل المراكب فيستبشرون به إذا هم أبصروه و يكون لهم دليل السلام.". [1]

١٨٠-"الصين صاحب قصور الدر و الجوهر الذي يجري في قصره نهران يسقيان العود و الكافور الذي توجد رائحته على فرسخين، و الذي تحته ابنة ألف ملك و تخدمه بنات ألف ملك، و الذي في مربطه ألف فيل أبيض، إلى أخيه كسرى أنو شروان. و أهدى إليه فارسا على فرس من ذهب منضدا بالجوهر عينا الفارس و الفرس ياقوت أحمر و قائم سيفه من زبرجد، و ثوب حرير صيني عسجدي «١» فيه صورة الملك الفارسي جالسا في إيوانه «٢» و عليه حليته و تاجه على رأسه و الخدم على رأسه بأيديهم المذاب، و الصورة «٣» منسوجة بالذهب، و أرض الثوب لازورد، في سفط من ذهب تحمله جارية تغيب في شعرها تتلألأ جمالا.

و كتب إليه ملك الهند: من ملك الهند و عظيم المشرق و صاحب قصر الذهب و أبواب الياقوت إلى أخيه ملك فارس صاحب التاج و الراية. و أهدى إليه ألف رطل من عود هندي يذوب في النار كالشمع و يختم عليه كما يختم على الشمع، و جاما من الياقوت الأحمر فسحته «٤» شبر مملوءا درا، و عشرة أمنان «٥» كافور كالفستق و أكبر من ذلك، و جارية طولها سبعة أذرع كأن بين أجفانها لمع البرق لها ضفائر تجرها، و فرشا من جلود الحيات ألين من الحرير و أحسن من الوشي.

و كان كتابه على لحاء الشجر المعروف بالكاذي مكتوب بالذهب الأحمر، و هذا الشجر يكون بأرض الهند و الصين، لحاؤه أرق من [الورق] الصيني ذو لونين عجيبين لا زوردي و رائحته عجيبة، فكانت تكتب فيه ملوكهم.

و كتب إليه ملك التبت: من خاقان ملك التبت و مشارق الأرض إلى أخيه المحمود السيرة، ملك المملكة المتوسطة للأقاليم السبعة. و أهدى إليه أنواعا من العجائب، منها مائة جوشن تبتية و مائة تجفاف و أربعة آلاف من من المسك الخزائني في نوافجه.

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ٢٨٨". [2]

١٨١-"٥١٨ و زعموا أن بلاد السودان مسيرة سبع سنين و أن أرض [مصر] كلها جزء واحد من ستين جزءا منها. و يتصل بالسوس الأقصى و بينه و بين السوس الأدنى عشرون يوما رمال و مفاوز فيها المدينة المعروفة بمدينة النحاس و قباب الرصاص التي صار إليها موسى بن نصير في مدة الوليد بن عبد الملك و ما رأى

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ٣٢٠

فيها من العجائب. و فيها قوم من الأشبان عمروا تلك الديار. و الوصول إليها ممتنع، بل لا سبيل إليها. و الله أعلم.

ذكر ممالك السودان

(١) المسالك والممالك. البكري ١/١٧٩

(٢) المسالك والممالك. البكري ١/٢٤٢

٥١٩ صار ولد كوش بن كنعان نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر، ثم افترقوا فصارت منهم طائفة إلى المشرق و طائفة إلى المغرب، فمن المشرق النوبة و البجاة و الزنج و الحبشة، فمن المغرب الزغاوة و المفافوا «١» و مركة «٢» و كوكو و غانة «٣» و غيرهم من أنواع الأحابيش و الزنج، أصناف منهم مكير «٤» و بربر، و هم غير البربر [الذين في بلاد المغرب] «٥» و المشكر «٦» و غيرهم.
و بحر السودان و الزنج و الأحابيش و غيرهم و هو عن يمين الهند.
٥٢٠ و قطعت الزنج دون الأحابيش الخليج المنفصل من أعلى النيل الذي يصب إلى بحر الزنج، فسكنت في ذلك الصقع و اتصلت مساكنهم [إلى بلاد سفالة و اتخذها الزنج] «٧» دار مملكة، و سمة ملكهم و فليمي، و هو ملك ملوك سائر الزنوج و معناه ابن الرب، تعالى الرب عن قولهم علوا كبيرا، و معناه أنه اختاره لملكهم و العدل فيهم، فمتى جار الملك عندهم أو حاد عن الحق قتلوه و حرموا عقبه الملك. و يزعمون أنه إذا فعل ذلك ملك فقد بطل أن يكون ابن الرب الذي هو ملك السماء و الأرض. و يركب و فليمي في ثلاثمائة
المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ٣٢١
ألف فارس دوابهم البقر، و ليس في أرضهم خيل و لا بغال و لا حمير و لا إبل، و لا يعرفون شيئا منها.". (١)

١٨٢-"آبار ثلاث عند قلعة مينا من إقليم سرقوسة يخرج منها في وقت معلوم من السنة زيت النفط، و ذلك في شهر شباط و شهرين بعده. [و ينزل من البر على درك و يرقى على درك آخر، و يخمر الرجل الذي يدخل البئر رأسه و يسد مسام أنفه، و إن تنفس في أسفل البئر هلك من ساعته، و ما أخرج منه وضع في قصار فيعلو الدهن منه] «١»
٨١٥ و ذكر [بعض] المؤرخين أن جزيرة صقلية كان يسكنها في قديم الدهر أمة مهملة تأكل الناس، و يقال إنه كان فيها جنس من المسوخ بعين واحدة «٢» في وسط جباههميسمون حقلوفس. و لم تزل صقلية على قديم الدهر كثيرة الفتن و الحروب، و في السنة التي بويع فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه صار قسطنطين بن هرقل في ألفي «٣» مركب يريد بلاد المسلمين، فسلط الله تعالى عليهم عاصفا من الريح فأغرقهم «٤»، فنجا بنفسه «٥» قسطنطين، فلما أتى صقلية صنعوا له حماما و دخله و قتلوه فيه. و لصقلية مدن كثيرة و نهران يطردان من عين واحدة يقال لأحدهما أوطشوم و للآخر القارم.
٨١٦ و بصقلية «٦» جزيرتا البركان الواحدة كبيرة و الأخرى صغيرة، و في هاتين الجزيرتين تتقد النار أبدا، فيرى فيهما «٧» لهب النار بالليل و دخانه بالنهار.
و **من العجائب** أن النار في إحدى الجزيرتين حديثة و لم تكن بها من قبل.
و هاتان الجزيرتان و ما يليهما «٨» تسمى جزائر «٩» أوليا، سميت باسم (أوليس بن يكيو) «١٠» الذي ذكرت فلاسفة الجاهلية أنه كان أميرا لتلك الجزائر و كان

---

(١) المسالك والممالك . البكري ١/٢٧٠

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ٤٨٥

يعلم أهلها بما يحدث في الرياح لتجارب حفظها، فاتخذوه إلها. و بصقلية غرائب يطول ذكرها.". [١]

١٨٣-"قال: في الثلث الأول. و في بعض الروايات أن الدجال «١» يخرج من موضع يقال له قوس. و الحسد في أهل مصر كثير و الجهل عليهم غالب. و قال علي بن الحسن العراقي «٢»: صلى علي بن أحمد بن أبي شيخمة العيد سنة «٣» اثنتين و ثلاثمائة بجامع عمرو «٤»، و لم يكن يصلي فيه العيد قبل ذلك، فخطب خطبة العيد في فتر نظرا، فكان مما قال (أو حدثوا عنه) «٥»: اتقوا الله حق تقاته و لا تموتن إلا و أنتم مشركون. فقال شاعرهم [سريع]:

و قام في العيد لنا خاطب يحضض الناس على الكفر

فأمر أمير مصر بضربه، فكلم فيه و تشفع «٦» له حتى تركه. و أهل مصر يشبه بعضهم بعضا في الأبدان و الأخلاق، و كذلك الصقالبة يشبه بعضهم بعضا.

٨٤٩ و **من العجائب** بأرض مصر: في قرية منها يقال لها بدرسانة القرى «٧» كنيسة للروم «٨» فيها بيت يصعد إليه الناس نيفا و عشرين مرقاة، و هناك سرير عليه صبي ميت، و تحت السرير صورة ثور عظيم من رخام و في جوفه باطية زجاج فيها أنبوبة نحاس، (توضع فيها فتل) «٩» كتان و يصب عليه يسير من الزيت و يشعل، فلا يلبث أن تمتلئ «١٠» الباطية و تفيض إلى جوف الثور، فيأخذ قيم الكنيسة ذلك الزيت فيسرج به دائما لا ينقطع نماؤه و زيادته، فإن أزيل الصبي الميت طفئت تلك النار و لم يفض الزيت. و قد صار إلى هذا الموضع جماعة من الناس و نظروا إليه و فرغوا الباطية، ثم أسر جوها بيسير من الزيت، ففاضت و بدا منها ما ذكرنا. و يذكرون أن المرأة إذا اتهمت نفسها بحمل

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ٥٠٧

أخذت ذلك الصبي الميت فجعلته في حجرها، فإن كان بها حمل تحرك جنينها في بطنها لحينه، و إلا لم يتحرك.". [٢]

١٨٤-"و يستعمل الملك جميع ما يقوله الناظرون و يؤرخ ذلك اليوم في الصحيفة «٤» و تطوى و تودع خزائنه. فعلى ذلك جرت «٥» أمورهم، و كان الملك إذا حزنه «٦» أمر أو هم (به هم أضمره) «٧» جمعهم خارج منف و اصطف لهم الناس في الشوارع و الطرقات، ثم يمرون ركبانا يقدم بعضهم بعضا فيدخل كل واحد منهم بأعجوبة، فمنهم من يعلو وجهه نور مثل نور الشمس و لا يقدر أحد (أن ينظر إليه) «٨»، و منهم من يدخل راكبا أسدا، و منهم من يتوشح بثعابين عظام، و منهم من يكون عليه قبة من نور، في صنوف **من العجائب** كثيرة إلا أن كل واحد منهم إنما يصنع ما يدل عليه كوكبه. فإذا دخلوا على الملك قالوا: أرادنا الملك لكذا و الصواب فيه «٩» كذا.

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ١، ص: ٥٢٥

---

(١) المسالك والممالك ـ البكري ٣٩٩/١

(٢) المسالك والممالك ـ البكري ٤١٧/١

٨٨٠ و روى ابن لهيعة قال: كان عدد السحرة الذين حشروا لفرعون «١» اثني عشر رئيسا، تحت يد كل رئيس عشرون عريفا، تحت يد كل عريف ألف من السحرة، و كان عدد السحرة مائة ألف و أربعين ألفا و مائة و اثنين و ثلاثين «٢»، (و الله أعلم) «٣».
المسالك و الممالك(البكرى)، ج ٢، ص: ٥٣٣
[المجلد الثاني]
ذكر ملوك مصر من لدن عمارتها قبل الطوفان و بعده إلى استفتاح المسلمين لها (و غريب أخبارهم) «١»". [١]

١٨٥-"٩٥٤ و بنى في صحراء الغرب مدينة يقال لها ديماس، و قد جاز بها قوم ضلوا الطريق، فسمعوا بها عزيف الجن. و رأوا ضوء نيرانهم. و أقام مناوش ملكا تسعا و ثلاثين سنة و عهد إلى ابنه مرنيش، و كان مضعفا لم يعمل في وقته أعجوبة، و بقي ملكا احدى عشرة سنة.
٩٥٥ و انتقل الملك إلى أشمون بن قفطيم أخي قفطويم، و كان ينزل الأشمونين «٣» سماها باسمه، و كان طولها اثني عشر ميلا في مثلها، و نقل إليها أهله و ولده.
و هو اتخذ الملاعب بأنصنا، و بنى البهنسا و غيرها من المدن و أكثر فيها «٤» **من العجائب**. و القبط تقول إنه أكثر ملوكهم أعجوبة و سحرا و أطول ملوكهم مدة، ملك ثمانمائة سنة (و ثلاثين سنة) «٥»، و انتزع قوم عاد الملك منه بعد ستمائة سنة «٦» (من ملكه) «٧»، فاستوبؤوا «٨» بلده و انتقلوا الى الدثنية من
المسالك و الممالك(البكرى)، ج ٢، ص: ٥٧٦
طريق الحجاز الى وادي القرى، فعمروها و اتخذوا بها المنازل، فسلط الله «١» عليهم الذر فأهلكتهم. فعاد ملك مصر الى أشمون و بنى مدينة في المشرق في سفح الجبل سماها أوطيراطيس و جعل لها أربعة أبواب على كل باب منها «٢» طلسم، و أسكنها الروحانيين بسحره، فكانت تنطق إذا قصدها القاصد و تخبره بما يريد و لا يقدر على الدخول إليها إلا بإذن الموكلين بها. و جعل فيها شجرة يطلع فيها كل لون من الفاكهة، و منارا في وسطها طوله ثمانون ذراعا على رأسه «٣» قبة تتلون كل يوم لونا حتى تمضي سبعة أيام، ثم تعود الى اللون الأول، فتكسو المدينة تلك الألوان. و أسكنها السحرة و كانت تعرف بمدينة السحرة- (و هي معنى أوطيراطس) «٤»- و منها كانت تخرج أصناف السحر. و هو أول من عمل النيروز إكراما للكواكب، و دفن في احد الأهرام الصغار القبلية.". [٢]

١٨٦-"الله بن طاهر في عرضه. و كان عمرو ولى قيسا الفضاء. و اختط عبادة بن الصامت الى جانب دار ابن رمانة و أنت تريد الى سوق الحمام. (و اختط خارجة «١» بن حذافة غربي المسجد الى اصحاب الحناء و أصحاب

(١) المسالك والممالك. البكري ٤٣٢/١
(٢) المسالك والممالك. البكري ٤٧٢/١

السويق) «٢». و اختط عبدالرحمان بن عديس الدار البيضاء و مروان بن الحكم بناها بناءها «٣» اليوم لما ولي مصر سنة ستين. و اختط ثقيف في ركن المسجد الشرقي الى السراجين. و اختط أبو ذر و من معه من غفار من زقاق القناديل راجعا الى قصر ابن جبر الى سوق بربر.

١٠٠٦ و اختط كعب بن يسار بن ضنة- و هو ابن بنت خالد بن سنان العبسي التي قال لها (رسول الله) «٤» صلعم: ابنة نبي ضيعه قومه- الدار المعروفة بدار النخلة في طرف زقاق القناديل، و كان يقال لزقاق القناديل زقاق الأشراف لأن عمرو بن العاص كان في طرفه و في الطرف الآخر كعب بن يسار، و بينهما دار أبي ذر و زكريا بن الجهم و عبدالرحمان بن شرحبيل و غيرهم من الأشراف.

و اختط كعب بن عدي القيسارية، فلما «٥» أراد عمر بن عبدالعزيز بناءها اشتراها منهم و خط لهم دارهم التي في بني وائل. و الحمام الذي يعرف اليوم «٦» بحمام أبي مرة كان خطة لرجل من تنوخ. فسأله إياه عبد العزيز بن مروان فوهبها له فبناه حماما لزبان ابنه و بزبان «٧» كان يعرف، و فيه يقول الشاعر يصف صنم رخام «٨» كان فيه على خلقة المرأة [كامل]:

من كان في نفسه للبيض منزلة فليأت أبيض في حمام زبان

لا روح فيه و لا شفر يقلبه لكنه صنم في خلق إنسان

في أبيات و كسر هذا الصنم و كان عجبا من العجائب «٩» حين أمر يزيد بن عبد

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ٢، ص: ٦٠٥". [1]

١٨٧-"١٢٠٣ مدينة بونة مدينة أولية «٢» و هي مدينة أقشتين «٣» العالم بدين النصرانية، و هي على ساحل البحر في نشر من الأرض منيع مطل على مدينة سبوس، و تسمى اليوم مدينة زاوي، و بينها و بين المدينة الحديثة نحو ثلاثة أميال، و لها مساجد و أسواق و حمام، و هي ذات ثمر و زرع، و قد سورت بونة الحديثة بعد الخمسين و أربعمائة. و في بونة الحديثة بئر على ضفة البحر منقورة في حجر صلد تسمى بئر النشرة منها يشرب أكثر أهلها. و بغربي هذه المدينة ماء سائح يسقي بساتينها و هو منتزه «٤» حسن. و يطل على بونة جبل زغوغ و هو كثير الثلج و البرد. و من العجائب أن فيه مسجدا لا ينزل عليه شي ء من ذلك الثلج و إن عم الجبل كله. و مدينة بونة (قرية بحرية) «٥» كثيرة اللحم و اللبن و الحوت و العسل و أكثر لحمانهم البقر. إلا أنها يصح بها السودان و يسقم البيضان «٦». و حول بونة قبائل كثيرة من البربر مصمودة و أوربة «٧» و غيرهما، و أكثر تجارها أندلسيون. و مستخلص بونة غير جباية بيت المال عشرون ألف دينار.

١٢٠٤ و بشرقي مدينة بونة مدينة مرسى الخرز فيه المرجان، و هي مدينة قد أحاط بها البحر إلا مسلكا لطيفا ربما قطعه البحر في الشتاء، عليها سور و بها سوق

---

(١) المسالك والممالك - البكري ١/٤٩٨

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ٢، ص: ٧١٨

عامرة «١»، و قد صنع بها مرفأ للسفن منذ مدة قريبة. و في هذه المدينة تنشأ السفن و المراكب الحربية التي يغزى بها إلى بلاد الروم. و إلى هذه المدينة «٢» يقصد الغزاة من كل أفق لأن مقطعها يقرب من جزيرة سردانية بينهما نحو مجرأين. و بإزاء مدينة مرسى الخرز بئر وبية الماء تعرف ببئر أزراق، يقول أهلها: طعنة بمزراق خير من شربة من بئر أزراق. و هذه المدينة كثيرة الحيات فاسدة الهواء، يمتاز أهلها من غيرهم بصفرة ألوانهم و لا يكاد يخلو عنق أحد منهم من تميمة. و جباية هذه المدينة عشرة آلاف دينار.

الطريق من القيروان إلى طبرقة". (١)

١٨٨-"١٤٩٤ و بلد الأندلس مثلث الشكل، فالركن الواحد منها الموضع الذي فيه صنم قادس بين المغرب و القبلة بإزاء جبل إفريقية المسمى أدلانية «٤»، و منه يخرج إلى «٥» البحر المتوسط الخارج إلى الشام الآخذ بقبلي الأندلس. و الركن الثاني هو بشرقي الأندلس بين مدينة نربونة «٦» و مدينة برذيل بإزاء «٧» جزيرتي ميورقة و منورقة بمجاورة البحرين البحر المحيط و البحر الشامي المتوسط، و بينهما المدخل الذي يعرف بالأبواب، و هو المدخل إلى الأندلس من الأرض الكبيرة على بلد إفرنجة، و مسافته بين البحرين مسيرة يومين، و يقابل مدينة برذيل مدينة نربونة على البحر المحيط. و الركن الثالث حيث ينعطف البحر من الجوف إلى الغرب حيث المنارة في الجبل الموفي على البحر، فيه الصنم العالي المشبه بصنم قادس، و هو البلد الطالع على بلد برطانية «٨». و قال أوروشيوش «٩»: يسمى البلد الذي فيه الصنم برغشية، و حيث هذا الصنم ينقطع حوز جليقية.

المسالك و الممالك(البكرى)، ج ٢، ص: ٨٩٤

١٤٩٥ فمن جوفي الأندلس و غربيه البحر المحيط، و في قبليه البحر الشامي و هو البحر المعروف ببحر تيران، و معناه الذي يشق دائرة الأرض. و في شرقيه منحرفا إلى الجوف يسيرا بلد البشكنش آخذا مع نهر أبره إلى بلد شنت مرية. و ذكر بطليموس «١» أن قلوباطرة «٢» فتحت في الجبل الحاجز بين الأندلس و إفرنجة طريقا بالحديد و النار و الخل، و كان فعلها ذلك **من العجائب**.

ذكر فضل الأندلس و غريب أخبارها.". (٢)

١٨٩-"وبهذه القرية له حكاية طريفة وذلك أنه رأى وهو بها في المنام كأنه يأكل مع أمير المسلمين علي بن يوسف في صحفة واحدة قال: ثم زاد أكلي على أكله وأحسست من نفسي شرها إلى الطعام ولم يزل ذلك بي إلى أن اختطفت الصحفة من بين يديه وانفردت بها فلما انتبه قص الرؤيا على رجل كان يقرأ عليه - اسمه عبد المنعم بن عشير يكنى أبا

---

(١) المسالك والممالك. البكري ٩٣/٢

(٢) المسالك والممالك. البكري ٢٤٨/٢

محمد كان يقرأ عليه – فلما أتى على آخرها قال: يا بني يا عبد المؤمن هذه الرؤيا لا ينبغي أن تكون لك إنما هي لرجل ثائر يثور على أمير المسلمين فيشاركه في بعض بلاده ثم يغلبه بعد ذلك عليها كلها وينفرد بمملكتها!.

واتفق له فيها أيضا **من العجائب** التي تثبت في باب الكلم الموافقة للقدر أن رجلا من وجوه أصحاب الملك العزيز بن المنصور الصنهاجي صاحب بجاية والقلعة وجد عليه الملك العزيز فاشتد خوفه فهرب منه إلى هذه الضيعة التي كان فيها عبد المؤمن فكان معه بها يعلم الصبيان وانتهت حال ذلك الرجل إلى غاية الإقلال ثم اتفق أن صاحبه رضي عنه فبلغه ذلك فسار إلى بجاية فدخل عليه فسأله أين كنت في هذه الأيام؟ فأخبره بقصته وكيف كان الصبيان يحيونه بالكسر! فضحك وقال: الضيعة لك وما والاها! وأمر له بمال ومركب وثياب فخرج الرجل إلى الضيعة في خيل ورجال معه وخرج إليه أهلها يتلقونه فأتى الصبيان عبد المؤمن وهو قاعد بفناء المسجد فقالوا له أتعرف من هذا الذي اهتزت له هذه الأرض؟ قال: لا! قالوا هو فلان صاحبك الذي كان يعلمنا معك! فقال: إن كانت حالة فلان انتهت إلى هذا فلا بد أن أكون أنا غدا أمير المؤمنين فكان الأمر كما قال ووافقت كلمته القدر.

وخرج ابن تومرت – كما ذكرنا – متوجها إلى المغرب حتى أتى مدينة تلمسان فأقام بمسجد بظاهرها يعرف بالعباد جاريا على عادته وكان قد وضع له في النفوس هيبة وفي الصدور عظمة فلا يراه أحد إلا هابه وعظم أمره وكان شديد الصمت كثير الانقباض إذا انفصل عن مجلس العلم لا يكاد يتكلم بكلمة.

أخبرني بعض أشياخ تلمسان عن رجل من الصالحين كان معتكفا معه بمسجد العباد أنه خرج عليهم ذات ليلة بعد ما صلى العتمة فنظر إليهم وقال: أين فلان؟ – لرجل كان يصحبهم – فأخبروه أنه مسجون فقام من وقته ودعا برجل منهم يمشي بين يديه حتى أتى باب المدينة فدق على البواب دقا عنيفا واستفتح فأجابه البواب إلى الفتح بسرعة من غير تلكؤ ولا إبطاء ولو استفتح أمير البلد لتعذر ذلك عليه ودخل حتى أتى السجن فابتدر إليه السجانون والحرس يتمسحون به ونادى: يا فلان! باسم صاحبهم فأجابه: فقال: اخرج! فخرج والسجانون ينظرون إليه كأنما أفرغ عليهم الماء الحار وخرج بصاحبه حتى أتى المسجد وكانت هذه عادته في كل ما يريد لا يتعذر عليه مراد ولا يمتنع عليه مطلوب قد سخرت له الرعية وذللت له الجبابرة.

ولم يزل مقيما بتلمسان – وكل من بها يعظمه من أمير ومأمور – إلى أن فصل عنها بعد أن استمال وجوه أهلها وملك قلوبها فخرج قاصدا مدينة فاس فلما وصل إليها أظهر ما كان يظهره وتحدث فيما كان يتحدث فيه من العلم وكان جل ما يدعو إليه علم الاعتقاد على طريق الاشعرية وكان أهل المغرب – على ما ذكرنا – ينافرون هذه العلوم ويعادون من ظهرت عليه شديدا أمرهم في ذلك فجمع والي المدينة الفقهاء وأحضره معهم فجرت له مناظرة كان له الشفوف فيها والظهور لأنه وجد جوا خاليا وألفى قوما صياما عن جميع العلوم النظرية خلا علم الفروع فلما سمع الفقهاء كلامه أشاروا على والي البلد بإخراجه لئلا يفسد عقول العوام فأمره والي البلد بالخروج: فخرج متوجها إلى مراكش.

ابن تومرت في حضرة ابن تاشفين

وكتب بخبره إلى أمير المسلمين علي بن يوسف فلما دخلها أحضر بين يديه وجمع له الفقهاء للمناظرة فلم يكن فيهم من

يعرف ما يقول: حاشا رجل من أهل الأندلس اسمه مالك بن وهيب كان قد شارك في جميع العلوم إلا أنه كان لا يظهر إلا ما ينفق في ذلك الزمان وكانت لديه فنون من العلم رأيت له كتابا سماه قراطة الذهب في ذكر لئام العرب ضمنه لئام العرب في الجاهلية والإسلام وضم إلى ذلك ما يتعلق به من الآداب فجاء الكتاب لا نظير له في فنه رأيته في خزانة بني عبد المؤمن.". (١)

١٩٠-"لآمن به، ولكان له وزيرا وابن عم، ولألزم طاعته كل من على الأرض من عرب وعجم، ورووا له أبياتا في البيت الحرام، وكيف كان يقصده فيمكث فيه تسعة أشهر، وكيف كان ينحر في العام سبعين ألفا من البدن.

وزعموا فوق هذا كله إنه تنبأ بعودة ملك حمير حيث يظهر المهدي منهم، وهو رجل حميري سبئي الأبوين، يعيد الملك إلى حمير بالعدل، في هذه الأبيات التي رواها عبيد بن شرية الجرهمي: **ومن العجائب** أن حم ير سوف تعلى بالقهور

ويسودها أهل الموا شي من نضير أو نضر

يعني النضر بن كنانة، وهو قريش.

ويثيرها المنصور من جنبي أزال كالصقور

وهو الإمام المرتجى الم ذكور من قدم الدهور

وأنه قال: بمنصور صير المرتجى يعود من الملك ما قد ذهب

ويرجع بالعدل سلطانها على الناس في عجمها والعرب

و قالوا إن المنصور هو لقب القائم المنتظر الذي سيظهر ليعيد ملك حمير المسلوب.

وذكروا إنه كان في جملة ما قاله من شعر قوله: واعلم بني بأن كل قبيلة ستذل إن نهضت لها قحطان

إ لى غير ذلك من أشعار نسبت إليه وإلى غيره من التبابعة تتحدث عن حقد القحطانيين على العدنانيين، وعن ألمهم الشديد لفراق ملكهم وانتقال الحكم منهم إلى المكيين، وقد كانوا من أتباعهم بالأمس. فعللوا أنفسهم بالتحدث عن الماضي، ثم صبروا أنفسهم بالحديث عن ملك سيعود، وعن دولة ستأتي، وعن مهدي يأخذ بالثأر، كالذي يفعله المغلوبون. وجعلوا ذا القرنيين الذي ورد اسمه في سورة الكهف منهم، فقالوا: هو الهميسع بن عمرو بن زيد ابن كهلان، أو الصعب بن عبد الله بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر، أو تبع الأكبر بن تبع الأقرن، أو تبع الأقرن، وكان مؤمنا عالما عادلا، ملك جميع الأرض وطافها، ومات في شمال بلاد الروم حيث يكون النهار ليلا إذا انتهت الشمس إلى برج الجدي. وقد كان يقول الشعر، وهو الذي بشر بالنبي في شعره، وطبيعي أن يكون واضعو هذه الأشعار أناسا من الأنصار ومن بقية فروع قحطان.". (٢)

---

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص/٥٢

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٦/٢

١٩١-"ولملوك الحيرة قصور ذكر أهل الأخبار أسماء بعض منها. مثل: الخورنق والسدير، كما كان لملوك الغساسنة قصور في مواضع مختلفة من مملكتهم وقصور في دمشق، يمضون في اياما عند زيارتهم لها، وعند وجود مراجعات لهم مع حكامها من الروم. وقد ذكر أهل الأخبار أسماء بعض القصور التي بناها الغساسنة في مواضع متفرقة من الأرضين التي خضعت لحكمهم، تحدثت عنها في أثناء كلامي على الغساسنة في الجزء الثالث من هذا الكتاب: كما تحدثت عن قصور ملوك الحرة في الجزء نفسه.

وكان للملك "النعمان" قصر بالحيرة عرف ب" القصر الأبيض"، لبياضه، يظهر ان جدرانه كانت مجصصة، فظهرت بيضاء. ويذكر أهل الأخبار ان النعمان، كان عنده دواوين شعر فيها ما مدح به، أو ما مدح به آله. ثم أمر فدفنها في قصره هذا، فلما كان "المختار" قيل، له: إن تحت القصر كنزا فأمر به فحفر، فاستخرج الكنز ثم صار إلى آل مروان أو ما صار منه. وكان هذا القصر دار ملكه ومقره في الحيرة، إذ لم يذكروا له قصرا آخر له فيها.

وكان للاكاسرة القصر الأبيض بالمدائن، ذكر انه كان **من العجائب،**ولم يزل قائما الى إن نقضه "المكنفي بالله" العباسى في حدود سنة ٢٩٠ هـ.وبنى بشرفاته أساس التاج الذي بدار الخلافة وبأساسه شرفاته. وقد ذكره البحتري.

وذكر "الزبيدي"، اسم قصر دعاه "لحيان"، زعم أنه "قصر النعمان بن المنذر بن ساوى" بالحيرة. فهل، قصد بذلك شخصا آخر من أهلك الحيرة أم إنه وهم من أوهام عديدة نجدهم في "تاج العروس" في أمور تأريخية، قد يكون المسؤول عنها نساخ الكتاب في بعض الأحيان.

ونسب بعض، أهل الأخبار إلى "النعمان بن المنذر"، دارا، قالوا لها: "الزوراء".، ذكروا أن "أبا جعفر المنصور" هدمها.

الحكم وأخذ الرأي

ولم يكن الملوك في العربية الجنوبية أو العربية الغربية ملوكا مطلقين لهم سلطان مطلق وحق إلهي في الدولة على نحو ما يريدون، ولكن كانوا ملوكا". (١)

١٩٢-" ٢٢ - محمد بن يوسف ابو عبد الله البناء لقي ستمائة شيخ وكتب الحديث الكثير كان يبنى للناس بالاجرة فيأخذ منها دانقا لنفقته ويتصدق بالباقى ويختم كل يوم ختمه وتوفي رحمه الله فى هذه السنة

٢٣ - يعقوب بن اسحاق بن تحية ابو يوسف الواسطي سمع يزيد بن هارون ونزل بغداد بالجانب الشرقى فى سوق الثلاثاء وحدث باربعة احاديث ووعدهم يحدثهم من الغد فمات وله مائة واثنا عشر سنة رحمه الله

سنةى ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائتين

فمن الحوادث فيها ان المعتضد دخل من متنزهه ببراز الروزوامر ببناء قصر فى موضع اختاره من براز الروز فحملت اليه الآلات وابتدىء بعمله

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤٧٢/٦

وفى شهر ربيع الاول غلط امر القرامطة بالبحرين واغاروا على نواحى هجر وقرب بعضهم من نواحى البصرة فوجه أمير المؤمنين المعتضد اليهم جيشا وفى شهر ربيع الآخر ولى المعتضد عباس بن عمرو الغنوي اليمامة والبحرين ومحاربة أبي سعيد القرمطى وضم اليه زهاء الفى رجل فسار نحو القرامطة فاقتتلوا فأسر العباس وقتل اصحابه فانزعج اهل البصرة وهموا بالجلاء عنها ثم اطلق العباس **ومن العجائب** انه كان مع العباس عشرة آلاف فى محاربة القرمطى ابى سعيد فقبض عليهم ابو سعيد فنجا العباس وحده وقتل الباقون وان عمرو بن الليث مضى فى خميس الفا الى محاربة اسمعيل بن احمد فاخذ هوونجا الباقون ولإحدى عشرة ليلة خلت من رجب ولى حامد بن العباس الخراج والضياع ". (١)

١٩٣-" ومخلفيه ويشير عليه بأن يستكتب بعده احد الرجلين اللذين انفذهما اليه فاختار استكتاب العباس وخرجا بالجواب اليه وتوفى فى تلك الساعة قال ابو بكر الصولى **ومن العجائب** التى رأيتها انا كنا نبكر لعيادة القاسم بن عبيد الله كل يوم فدخلنا يوم الاربعاء الذى توفى فيه ألى داره فرأينا ابنيه ابا علي وابا جعفر قد خرجا فقام الناس اليهما ودنا العباس بن الحسن فقبل يديهما فمات القاسم فى بقية اليوم وخوطب العباس بالوزارة فرايته بعد العصر وقد صار الى دار القاسم فخرج الولدان جميعا فقبلا يده وكان الحاصل من ضياع القاسم كل سنة سبعمائة الف دينار

٦٩ - محمد بن احمد بن البراء بن المبارك ابو الحسن العبدى سمع خلف بن هشام وعلى بن المدينى واحمد بن إبراهيم الدورقى وغيرهم وكان ثقة صدوقا اخبرنا ابو منصور القزاز اخبرنا ابو بكر ابن ثابت اخبرنا ابو العلاء الواسطى حدثنا محمد بن احمد بن حماد الكوفى حدثنا الحسن بن اسماعيل الكندى قال حدثنى ابو جعفر بن البراء قال اتصل بعمى ابى الحسن عن القاضى اسماعيل بن اسحاق شيء فعزم اسماعيل على الركوب اليه فبادره عمى ابو الحسن بالركوب فلما دخل انشأ يقول ... صفحت برغمى عنك صفح ضرورة ... اليك وفى قلبي ندوب من العتب ...

فاجابه اسماعيل يقول

... ولا زال بي شوق اليك مبرح ... يذلل منى كل ممتنع صعب ... توفى ابو الحسن بن البراء فى شوال هذه السنة

٧٠ - محمد بن احمد بن النضر ابن عبد الله بن مصعب ابو بكر المعنى ابن بنت معاوية بن عمرو الازدى ولد سنة ". (٢)

١٩٤-" له هيبة حتى قيل له انه الحاجب وحمل الى دار الوزير فرأى اكثر مما رأى ولم يشك انه الخليفة فقيل له هذا الوزير وزينت دار الخليفة فطيف بالرسول فيها فشاهد ما هاله وكان الستور ثمانية وثلاثين الف ستر والديباج المذهب منها اثنا عشر الفا وخمسمائة وكانت البسط اثنين وعشرين الفا وكان فى الدار من الوحش قطعان تأنس بالناس وتأكل من ايديهم وكان هناك مائة سبع كل سبع بيد سباع ثم اخرج الى دار الشجرة وكانت شجرة فى وسط بركة فيها ماء صاف والشجرة

(١) المنتظم ٦/٢٤

(٢) المنتظم ٦/٤٧

ثمانية عشر غصنا لكل غصن منها شاخات كثيرة عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة واكثر قضبان الشجرة فضة وبعضها مذهب وهى تتمايل ولها ورق مختلف الالوان وكل شيء من هذه الطيور يصفر ثم ادخل الى الفردوس وكان فيه من الفرش والآلات مالا يحصى وفى دهاليزه عشرة آلاف جوشن مذهبة معلقة ويطول شرح ما شاهد الرسول **من العجائب** الى ان وصل الى المقتدر وهو جالس على سرير آبنوس قد فرش بالدبيقي المطرز وعن يمنة السرير تسعة عقود معلقة وعن يسرته تسعة اخرى من افخر الجواهر يعلو ضوؤها على ضوء النهار فلما وصل الرسولان الى الخليفة وقفا عنده على نحو مائة ذراع وعلى بن محمد بن الفرات قائم بين يديه والترجمان واقف يخاطب ابن الفرات وابن الفرات يخاطب الخليفة ثم اخرجا وطيف بهما فى الدار حتى اخرجا الى دجلة وقد اقيمت على الشطوط الفيلة مزينة والزرافة والسباع والفهود ثم خلع عليهما وحمل اليهما خمسون سقروتا فى كل سقروق بدرة عشرة آلاف درهم وورد من مرو كتاب على السلطان ان نفرا عثروا من سور مدينة مرو على نقب فكشفوا عنه الكبس فوصلوا الى ازج فأصابوا فيه الف رأس وفى اذن كل رأس رقعة كتب فيها اسم صاحبه ". (١)

١٩٥-" ابو بكر الصولى عاش المقتدر فى الخلافة اكثر مما عاش الخلفاء قبله فان المعمرين من الخلفاء قبله معاوية وعبد الملك وهشام والمنصور والرشيد والمأمون والمعتمد وزاد عليهم ثم كلهم ماتوا على فرشهم وختم له بالشهادة **ومن العجائب** انه لم يل الخلافة من اسمه جعفر ويكنى ابا الفضل الا هو والمتوكل وقتل هو يوم الاربعاء والمتوكل ليلة الاربعاء

٣٩٦ – الحسن بن الربيع ابو على البجلى من اهل الكوفة سمع حماد بن زيد وابن المبارك وابن ادريس وغيرهم روى عنه عباس الدورى وغيره وحنبل وكان ثقة صالحا متعبدا يبيع البوارى

٣٩٧ – الحسن بن محمد بن عمر بن جعفر بن سنان ابو على النيسابورى حدث عن جماعة وروى عنه يوسف القواس وكان ثقة توفى فى هذه السنة

٣٩٨ – الحسين بن صالح بن خيران ابو على الفقيه الشافعى كان من افاضل الشيوخ واماثل الفقهاء مع حسن المذهب وقوة الورع واراده السلطان ان يلى القضاء فلم يفعل

اخبرنا ابو منصور القزاز اخبرنا ابو بكر بن ثابت اخبرنا القاضى ابو العلاء محمد ابن على الواسطى اخبرنا الحسين بن محمد بن عبيد العسكرى قال اريد ابو على بن خيران للقضاء فامتنع فوكل ابو الحسن على بن عيسى الوزير ببابه وختم فبقى بضع عشرة يوما فشاهدت الموكلين على بابه حتى كلم فأعفاه فقال لى أبى ". (٢)

١٩٦-" ٤٤١ – محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن زياد بن يزيد بن هارون ابو عبد الله الزعفرانى المعروف بابن بليل روى عنه الدارقطنى وكان رجلا صالحا ثقة

---

(١) المنتظم ١٤٤/٦

(٢) المنتظم ٢٤٤/٦

اخبرنا عبد الرحمن بن محمد اخبرنا احمد بن على اخبرنا ابو منصور محمد بن عيسى حدثنا صالح بن احمد بن محمد الحافظ قال سمعت محمد بن عبد الله الزعفرانى يقول رأيت النبى صلى الله عليه و سلم فى المنام فى سنة نيف وتسعين ومائتين وفى رأسه ولحيته بياض كثير فقلت يا رسول الله بلغنا انه لم يكن فى رأسك ولحيتك الا شعرات بيض فقال ذلك لدخول سنة ثلثمائة قال صالح وتوفى فى سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة

سنة ثم دخلت سنة اربع وعشرين وثلثمائة

فمن الحوادث فيها ان الجند احدقو بدار الخلافة وضربوا خيمهم فيها وحولها وملكوها وطولب الراضى بأن يخرج فيصلى بالناس ليراه الناس معهم فخرج وصلى وقال فى خطبته اللهم ان هؤلاء الغلمان بطانتى وظهارتى فمن ارادهم بسوء مارده ومن كادهم فكده وقبض الغلمان على الوزير وسألوا الخليفة ان يستوزر غيره فرد الخيار اليهم وقالوا على بن عيسى فاستحضره وعرضت عليه الوزارة فأبى وأشار بأخيه ابى على عبد الرحمن بن عيسى فقلد الوزارة وخلع عليه واحترقت دار ابن مقلة وحمل الى دار عبد الرحمن بن عيسى فضرب حتى صار جسمه كأنه الباذنجان واخذ خطه بألف الف دينار ثم عجز عبد الرحمن ابن عيسى عن تمشية الامور وضاق المال فاستعفى فقبض عليه لسبع خلون من رجب فكانت مدته خمسين يوما وقلد الوزارة ابو جعفر محمد بن القاسم الكرخى ثم عزل وقلد سليمان بن الحسن وكان هذا كله من عمل الاتراك والغلمان **ومن العجائب** ان دار ابن مقلة احترقت فى مثل اليوم الذى امر فيه باحراق دار ". (١)

١٩٧-" حقه فقال بعضهم هذا قد سعى فى الارض بالفساد فتقطع يده فقطعت وكان ينوح على يده ويقول يدخدمت بها الخلفاء ثلاث دفعات وكتبت بها القرآن دفعتين تقطع كما تقطع ايدى اللصوص ثم قال ان المحنة قد نشبت بى وهى تؤدينى الى التلف وانشد ... اذا مات بعضك فابك بعضا ... فان البعض من بعض قريب ...

ومن شعر ابن مقلة حين قطعت يده قوله

... ما سئمت الحياة لكن توثقت بأيمانهم فبانت يمينى ... بعث دينى لهم بدنياى حتى ... حرمونى دنياهم بعددينى ... فقد حطت ما استطعت بجهدى ... حفظ ارواحهم فما حفظونى ... ليس بعد اليمين لذة عيش ... يا حياتى بانت يمينى فبينى ...

وله ايضا

... اذا اتى الموت لميقاته ... فعد عن قول الاطباء ... وان مضى من انت صب به فالصبر من فعل الالباء ... ما مر شيء من بنى آدم ... امر من فقد الاحباء ...

ثم قطع لسانه بعد ذلك وطال حبسه فلحقه ذرب وكان يستسقى الماء بيده اليسرى وفمه الى ان مات فى شوال سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ودفن فى دار السلطان ثم سأل اهله تسليمه اليهم فنبش وسلم اليهم فدفنه ابنه ابو الحسين فى

---

(١) المنتظم ٢٨١/٦

داره ثم نبشته زوجته المعروفة بالدينارية ودفنته فى دارها **ومن العجائب** انه تقلد الوزارة ثلاث دفعات وسافر في عمره ثلاث مرات واحدة الى الموصل واثنتين فى النفى الى شيراز ودفن بعد موته ثلاث مرات فى ثلاث مواضع

٥١٢ – محمد بن القاسم بن محمد ابن بشار بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطن ابن دعامة ابو بكر ابن الانبارى ولد يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة احدى وسبعين ومائتين ". (١)

١٩٨–" وقد رماه جماعة من العلماء بالزندقة والالحاد وذلك امره ظاهر في كلامه واشعاره وانه يرد على الرسل ويعيب الشرائع ويجحد البعث ونقلت من خط ابي الوفاء ابن عقيل انه قال **من العجائب** ان المعري اظهر ما اظهر من الكفر البارد الذي لا يبلغ منه مبلغ شبهات الملحدين بن بل قصر فيه كل التقصير وسقط من عيون الكل ثم أعتذر بأن لقوله باطنا وانه مسلم في الباطن فلا عقل له ولا دين لانه تظاهر بالكفر وزعم انه مسلم في الباطن وهذا عكس قضايا المنافقين والزنادقة حيث تظاهروا بالاسلام وابطنوا الكفر فهل كان في بلاد الكفار حتى يحتاج الى ان يبطن الاسلام فلا اسخف عقلا ممن سلك هذه الطريقة التي هي اخس من طريقة الزنادقة والمنافقين اذا كان المتدين يطلب نجاة الآخرة لاهلاكها في الدنيا حين طعن في الاسلام في بلاد الاسلام وابطن الكفر واهلك نفسه في المعاد فلا عقل له ولا دين وهذا ابن الريوندى وابو حيان ما فيهم الا من قد انكشف من كلامه سقم في دينه يكثر التحميد والتقديس ويدس في اثناء ذلك المحن قال ابن عقيل وما سلم هؤلاء من القتل الا لأن ايمان الاكثرين ما صفا بل في قلوبهم شكوك تختلج وشكوك تعتلج مكتومة اما لترجح الايمان في القلوب او مخافة الانكار من الجمهور وفلما نطق ناطق شبهاتهم اصغوا اليه الا ترى من صدق ايمانه كيف قتل اباه واذا اردت ان تعلم صحة ما قلت فانظر الى نفورهم عند الظفر في عشائرهم وفي بعض اهوائهم او في صور يهوونها فانظر الى اراقه فاذا نذرت نادرة في الدين وان كثر وقعها لم يتحرك منها نابضة قال المصنف رحمه الله وقد رأيت للمعرى كتابا سماه الفصول والغايات يعارض به السور والآيات وهو كلام في نهايات الركة والبرودة فسبحان من اعمى بصره وبصيرته وقد ذكر على حروف المعجم في آخر كلماته فما هو على حرف الالف طوبى لركبان النعال المعتمدين على عصى الطلح يعارضون الركائب في الهواجر والظلماء يستغفر لهم قحة القمر وضياء الشمس وهنيا لتاركي النوق في غيطان الفلا يحوم عليها ابن داية يطيف بها السرحان وشتان او ارك قوة الالبان وجرى لبنها افقد من لبن العطاء ". (٢)

١٩٩–" وفاته الى ابن رضوان فأذكره بها فأعرض عنه فألح عليه فقال له اطلب ممن كان يعطيك فمضى الى قبر ابن يوسف وجلس عنده يترحم عليه ويقرأ القرآن فوجد عنده قرطاسا فيه عشرة دنانير فأخذه وجاء الى ابن رضوان فعرفه الحال فتعجب وتفكر فذكر انه زار ا لقبر وفي صحبته كواغذ فيها دنانير قد اعدها للصداقة فسقط احدها فقال ابن رضوان خذه ولن اقطعك اياه كل سنة ما دمت حيا **ومن العجائب** ما ذكره هبة الله بن المبارك السقطي قال توفى الأجل ابو منصور

---

(١) المنتظم ٦/٣١١

(٢) المنتظم ٨/١٨٥

بن يوسف فورث عنه ابناه ثلاثين الف دينار فتزوجها بابنتين على ابن جردة ورثتا عن ابيهما ثلاثين الف دينار عقارا وعينا فانفق الجماعة ذلك في ايسر زمان حتى ظل قوم منهم يتكففون الناس

٣٠٠ – ابو جعفر الطوسي

فقيه الشيعة توفي بمشهد امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

٤٦١

– ثم دخلت سنة احدى وستين واربعمائه

فمن الحوادث فيها ان الرغبات في الوزارة زادت فطلبها من لا يصلح واستقر أمر ابن عبد الرحيم فكتب العوام الرقاع والصقوها في الجامع باللعن لمن يسعى في هذا لان ابن عبد الرحيم كان مع البساسيرى نهب الحرم وقالت خاتون للخليفة هذا الرجل من جملة من نهبني وكان ابن جهير يواصل السؤال في العفو عن نفسه وتكلمت القهرمانة في حقه وبذل عنه خمس عشرة الف دينار فوقعت الاجابة واعفى من المال وبعث حاجب الباب ابو عبدالله المردوسي ومعه خادمان لاستدعائه فاقبل الى بغداد في يوم الاربعاء ثاني عشر صفر وفرح الناس بمجيئه حتى صام بعضهم وتصدق وصعد الخليفة الى المنظرة التي على الحلبة لمشاهدته فلما نزل الى هناك نزل تحتها وقبل الارض ودعا ثم ركب والعوام حوله فلما وصل الى باب النوبي نزل فقبل العتمة ثم دخل الى الديوان وانتهى حضوره ". (١)

٢٠٠–" عشرات الوف ووقع مشهد باب ابرز منارته وغرقت المقابر وصعدت التوابيت على الماء وخرق مشهد النذور ومقبرة الخيزران وقبر السبتي وتهدم الحريم من باب النوبي الى اكثر المأمونية وباب الازج وخرابة ظفر ودرب الشاكرية ودرب المطبخ ودرب حلاوة والمسعودة والشمعية وخرج الناس من هذه المواضع لا يلتفت احد على احد ووقع في درب القيار عدل قطن وسط الدرب وعبر الناس عليه فداس فوقع عليه جماعة موتى وكان رجل على كتفه ولدان صغيران فما زال يخوض بهما حتى أعيا فرمى بهما ونجا بنفسه وهلك من الناس والبهائم عدد كثير ثم عن لاقوم من المفسدين ان يزحفوا على الخليفة ليتسلطوا بذلك على النهب ونودي في الملاحين ان لا يأخذوا من الناس الا ما جرت به العادة في العبور واقيمت الجمعة في الطيار اسبوعين وفي الحلبة ثلاث جمع بعد ذلك فهيئ للخطيب في الحلبة ثلاث قواصر فصعد عليها وكان الماء واقفا في الجامع اكثر من قامة ووقع معظمه ومالت حيطانه واما الجانب الغربي فانه وقع فيه مشهد الكف وغرقت مقابر قريش ومقبرة احمد بن حنبل ودخل الماء شبابيك المارستان العضدي فوقف فيه وصمد نقيب النقباء الكامل بمواضع في اعلى البلد فسدها والطاهر نقيب العلويين بمواضع في جانب الكرخ فسدها ولما نقص الماء تحول فخر الدولة من الطيار الى صحن السلام فضرب فيه خيما وخر كاهات وكانت داره بباب العامة قد غرقت وعمل الخدم اكواخا وبلغت اجرة الروزجاري خمسة قاط الى ثلاثة قراريط وجلس حاجب الباب ابو عبدالله المردوسي في كرخ على عمل له عند باب النوبي ثم اردف هذا الطرق تغير الهواء بريح الغلات ونتن الاشياء الغريقة وتولى نقيب النقباء القورج **ومن العجائب** ان اسافل دجلة وواسط

---

(١) المنتظم ٢٥٢/٨

كانت تغرق من دون هذه الزيادة فما تجاوز هذا الامر بغداد وكان الناس يظنون ان السمك يكثر بهذا الماء فصار كالمعدوم وزرع الناس البطيخ والقثاء فدان حتى كان الناس اذا مروا بالقراح أمسكوا على الانف ". (١)

٢٠١-" فلم يقرأ على من أمرهما بذلك وعذبا بأنواع العذاب فلم يذكر من وضعهما فترك أحدهما تحت يد الفيل فقال خلصوني حتى أقر بالحال خلى التفت إلى رفقيه فقال له يا أخي لا بد من هذه القتلة فلا تفصح أهل سجتستان بإفشاء الأسرار فقتلا وبعث يمن الخادم إلى السلطان مهنئا له بالسلامة

وفي ذي القعدة خرج أبو حامد الغزالي من بغداد متوجها إلى بيت المقدس تاركا للتدريس في النظامية زاهدا في ذلك لابسا خشن الثياب بعد ناعمها وناب عنه أخوه في التدريس وعاد في السنة الثالثة من خروجه وقد صنف كتاب الأحياء فكان يجتمع إليه الخلق الكثير كل يوم في الرباط فيسمعونه منه ثم حج في سنة تسعين ثم عاد إلى بلده

وفي يوم عرفة خلع على القاضي أبي الفرج عبدالوهاب بن هبة الله السيبي ولقب بشرف القضاة ورد إليه ولاية القضاء بالحريم وغيره

وفي هذه السنة أصطلح أهل الكرخ مع بقية المحال وتزاوروا وتواكلوا وتشاوروا وكان هذا **من العجائب** ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

١٢٦ – أحمد بن الحسن

إبن أحمد بن خيرون أبو الفضل الباقلاوي ولد لثلاث بقين من جمادي الآخرة سنة ست وأربعمائة وسمع الحديث الكثير وكتبه وله به معرفة حسنة روى عنه أبو بكر الخطيب وحدثنا عنه أشياخنا وكان من الثقات وشهد عند أبي عبد الله الدامغاني ثم صار أمينا له ثم ولي أشراف خزانة الغلات وتوفي ضحوة يوم الخميس رابع عشر رجب هذه السنة ودفن بمقبرة باب حرب

١٢٧ – تتش بن ألب أرسلان

قتل في وقعة كانت بينه وبين بركياروق إبن ملك شاة وكان وزير تتش أبو المظفر علي بن النظام الملك فأسر في الوقعة وكان وزير بركياروق أبو بكر ". (٢)

٢٠٢-" باب الطارمة الستور التنيسى وللمكان شعاع يأخذ بالبصر عند طلوع الشمس عليه وكان تحتة سرير ملبس بصفائح الذهب وحواليه التماثيل المرصعة من الجوهر واليواقيت فسلمت عليه وتركت بين يدية هدية كانت معى فقال نتبرك بما يهدية العلماء ثم امر خادمة ان يطوف بى فى داره فدخلنا الى خركاه عظيمة قد البست قوائمها من الذهب وفيها من الجواهر اليواقيت شئ كثير وفى وسطها سرير من العود الهندى وتمثال طيور بحركات اذا جلس الملك صفقت بأجنحتها الى

---

(١) المنتظم ٢٨٦/٨

(٢) المنتظم ٨٧/٩

غير ذلك من العجائب فلما عدت رويت له الخبر عن النبي صلى الله عليه و سلم لمناديل سعد بن معاذ في الجنة احسن من هذا فبكى قال وبلغني انه كان لايبنى لنفسه منزلا حتى يبنى لله مسجدا او مدرسة توفى في رجب هذه السنة وقد جاوز السبعين وملك فيها اثنتين واربعين سنة

١٦٤ – انر الامير

كان السلطان بركياروق قد ولاه فارس جميعها ثم ولاه ولاية العراق وانتدب لقتال الباطنية ثم عزم على ترك بركياروق وطاعة السلطان محمد وكان اقطاعه يزيد على عشرة آلاف الف دينار فجلس ليله على طبعة فهجم عليه ثلاثة نفر من الاتراك المولودين بخوارزم وكانوا قد دخلوا شفى حيلة فصدم احدهم المشعل فرمى به وصدم الآخر شمعة فأطفأها وجذب الآخر سكينين فقتلة بهما فانلت اثنان وقتل الثالث ونهب ماله وحمل الى داره باصبهان فدفن بها

١٦٥ – بركة بن احمد

ابن عبد الله ابو غالب الواسطى ولد سنة عشر واربعمائة وسمع ابا القاسم بن بشران وابا عبد الله المحالى حدث عنه شيخنا عبد الوهاب وأثنى عليه وكان ثقة وتوفى يوم الاثنين ثالث عشر ذى الحجة ودفن بمقبرة الشونيزية

١٦٦ – عبد الباقى بن يوسف

ابن على صالح ابو تراب المراغى ولد سنة احدى واربعمائة سمع ببغداد ابا القاسم ". [1]

٢٠٣-" قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة ... حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا ...

وله ... انما هذه الحياة متاع ... والسفيه الغوي من يصطفيها ... ما مضى فات والمؤمل غيب ... ولك الساعة التي انت فيها ...

وله من قصيدة ... ليت الذي بالعشق دونك خصني ... يا ظالمي قسم المحبة بيننا ... القى الهزبر فلا اخاف وثوبه ... ويروعني نظر الغزال اذا رنا ...

وله ... وقالوا بع فؤادك حين تهوى ... لعلك تشتري قلبا جديدا ... إذا كان القديم هو المصافي ... وخان فكيف آتمن الجديدا ...

وترك قول الشعر وغسل كثيرا منه وقال ... قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة ... باب البواعث والدواعي مغلق ... خلت البلاد فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق ... ومن العجائب انه لا يشترى ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق ...

خرج الغزى من مرو الى بلخ فتوفي في الطريق فحمل الى بلخ فدفن بها وكان يقول اني لأرجو أن يعفو الله عني ويرحمني لاني شيخ مسن قد جاوزت السبعين ولأني من بلد الامام الشافعي وكان موته في هذه السنة حقق الله رجاءه

١٧ – الآمر بالله خليفة مصر

---

(١) المنتظم ١١٠/٩

هجم عليه عشرة غلمان من غلمان الافضل الذي كان من قبله فقتلوه في ثاني ذي القعدة من هذه السنة

١٨ – الحسين بن محمد

ابن عبد الوهاب بن احمد بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبيد الله ". (١)

٢٠٤–" ٥٨ – هبة الله بن عبد الله

ابن احمد بن عبد الله ابو القاسم الواسطي الشروطي من اهل الكرخ ولد سنة ثلاث واربعين واربعمائة سمع ابا الغنائم بن المامون وابا الحسين بن المهتدي وابا جعفر ابن المسلمة وابا بكر الخطيب وكان ثقة صالحا فاضلا عالما مقبلا على ما يعنيه توفي في ذي الحجة من هذه السنة

٥٩ – ام المسترشد بالله

توفيت وقت العتمة ليلة الاثنين تاسع عشر شوال هذه السنة واخرجت ليلا فدفنت في الرصافة **ومن العجائب** انه نفذ تلك الليلة الى ابي القاسم بن السياف في معنى حاجة لأجل الميتة فنفذ معهم ابنا له صغيرا ليعطيهم حاجتهم فدخلوا ومعهم نقاط فوقع من النفط في اعدال قطن فاحترقت وحصل الصبي في الخزانة وحده واحاطت به النار فلم يجد محيصا فاحترق

سنة

ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة

فمن الحوادث فيها قد ذكرنا ان امير المؤمنين قال للسلطان مسعود ارحل عنا بأصحابك وانه اقام على دار الغربة متلوما فنفذ اليه الجاولي شحنة بغداد مصانعا له على الخروج وأمر أن هو دافع ان يحط خيمه ثم بعث اليه الخلع في سلخ ذي القعدة ثم احس منه انه قد باطن الاتراك وضربه عند رؤس الحيطان واخرج ارباب الدولة خيمهم فوصل الخبر بان طغرل مات يوم الاربعاء ثالث المحرم فرحل مسعود جريدة فتلاحقه العسكر وأعاد الخليفة سرداقه فوصل مسعود الى همذان واختلف عليه العسكر وانفرد عنه قزل وسنقر وغيرهما واسرى اليهم ففرق شملهم فورد منهم الى بغداد جماعة واخبروا بسوء ضميره منهم البازدار وقزل وسنقر وخرج انوشروان في اصحابه واهله الى خراسان لوزارة السلطان مسعود فالتقى به الامراء الداوودية فأخذوا جميع ما معه ". (٢)

٢٠٥–" **ومن العجائب** أن ثلاثة من العيارين وقفوا في طريق الظفرية ليلا فمر بهم ابو العز الحمامي فأخذوا ثيابه ثم تطلبوا واخذ منهم اثنان فلما كان بعد يومين جاء الثالث هاربا من الرجالة فدخل الحمام الذي فيه ابو العز الذي اخذت ثيابه فخلع الثياب على الفرند وهي قميصان وخيشية فرآها الحمامي فعرفها فدخل اليه وقال له من اين لك هذه الثياب

---

(١) المنتظم ١٠/١٦

(٢) المنتظم ١٠/٤١

فأقر انه أخذها منه تلك الليلة فنفذ الى المستخدمين فأخذوه ولم يجدوا كتافا ففتشوا جيبه لعلهم يجدون شيئا من الذهب فوجدوا حبلا مهيأ للكتاف فكتفوه

ذكر من توفي في هذه السنة من الاكابر

٧٨ – احمد بن محمد

ابن ثابت بن الحسن بن علي ابو سعد الخجندي ولد سنة ثلاث واربعين وهو ولد الامام ابي بكر الخجندي من اهل اصبهان تفقه على والده وولي التدريس بالنظامية نوبا عدة وصرف وسمع ابا القاسم علي بن عبد الرحمن بن عليك وغيره وتوفي ببلده في غرة شعبان هذه السنة

٧٩ – عبد الملك بن علي

ابن عبد الملك بن محمد بن يوسف ابو الفضل سمع الحديث الكثير من عاصم وابي نصر الزينبي وغيرهما وكان عليه نور توفي في ذي الحجة

٨٠ – محمد بن احمد

ابن علي ابو الحسن ابن الابرادي تعبد وتفقه وصحب ابا الحسن ابن الفاعوس ووقف دارا له بالبدرية فجعلها مدرسة لاصحاب احمد بن حنبل توفي ليلة الخميس ثاني عشرين رمضان ودفن بباب ابرز

٨١ – محمد بن احمد

ابن الحسن الجوهري البروجردي ابو بكر سمع الحديث الكثير ورحل الى ". (١)

٢٠٦–" وجاءت في هذه الايام اكلاك من الموصل فتاهت في الماء حتى بيع ما عليها بيعقوبا بثمن طفيف واخبر اهلها بما تهدم من المنازل بالأمطار في الموصل وقالوا اتصلت عندنا الامطار اربعة اشهر فهدمت نحو الفي دار وكانوا يهدمون الدار اذا خيف وقوعها فهدموا اكثر مما هدم المطر وكانت الدار تقع على ساكنيها فيهلك الكل ثم زادت الفرات زيادة كثيرة وفاضت على سكر عندها يقال له سكر قنين وجاء الماء فأهلك من القرى والمزارع الكثير ثم جاء الى الجانب الغربي من نهر عيسى والصراة واسكر اهل دار القز واهل العتابيين وباب البصرة والكرخ وباتوا مدة على التلال يحفظون المحال وقد انبسط الماء فراسخ ومر خلف المحال فقلب في الخندق والصراة ونهر عيسى ورمى قطعة من قنطرة باب البصرة **ومن العجائب** ان هذا الماء على هذه الصفة ودجيل قد هلكت مزارعه بالعطش ووقع الموتان في الغنم وكان ما يؤتى به سليما يكون مطعونا حتى بيع الحمل بقيراط ومرض الناس من اكلها ثم غلت الفواكه فبيع كل منا من التفاح بنصف دانق وكذلك الكمثرى والخوخ حتى غلا الطين الذي يؤخذ من المقالع وبلغ الآجر كل الف بثلاثة دنانير ونصف

وتوفي في هذه السنة محمود بن زنكي فتجدد بعد موته اختلاف بحلب بين السنة والشيعة فقتل من الطائفتين خلق ونهب ظاهر البلد فذهب خمسة آلاف خركاه وبيت من التركمان

---

(١) المنتظم ٧٠/١٠

ذكر من توفي في هذه السنة من الاكابر

٣٤٤ – احمد بن علي

ابن المعمر بن محمد بن عبيد الله ابو عبد الله الحسيني نقيب العلويين وكان يلقب بالطاهر سمع الحديث الكثير وقرئ عليه وكان حسن الاخلاق جميل المعاشرة يتبرأ من الرافضة توفي ليلة الخميس العشرين من جمادى الآخرة ودفن بداره من الحريم الطاهري مدة ثم نقل الى مشهد الصبيان بالمدائن ولما توفي ولي مكانه ولده ". (١)

٢٠٧–" ننتظر الخطيب فجاء قبيل العصر فخطب وصلينا وكان السبب في تأخره ان الذي كانت الجمعة نوبته صرف عن الخطابة ولم يعلم نائبه فتأخر فبعثوا اليه من باب البصرة فحضر فاختصر فقرأ ألهاكم التكاثر وهذا شيء لا يذكر الناس انه جرى مثله على هذا الوصف

وفي يوم الجمعة خامس ذي القعدة اذن في اقامة الجمعة بمسجد في شارع دار الدقيق من الجانب الغربي فأقيمت فيه وقد ذكرنا انه اذن في اقامة الجمعة بمسجد ابن المأمون في جمادى الاولى **فمن العجائب** تجدد جامعين ببغداد في سنة واحدة وفي يوم الاثنين ثامن ذي القعدة بعد العصر هبت ريح شديدة فأثارت ترابا عظيما وازعجت الناس وبقيت كذلك ساعة جيدة ثم ذهبت

واتفق في هذا الشهر أن رجلا امر بالمعروف فقصده بعض من امره بخشبة فهرب الآمر فعاد الرجل الى بيته والخشبة بيده فحين دخل الدار وقع فمات ووصل الخبر في ذي القعدة بأن بلادا كثيرة زلزلت وخسف ببعضها وذكر فيها الري وقزوين

وكتب الى بعض الوعاظ ان امرأة تقول كان رجل اذا رآني في الطريق مشى الى جانبي وتعرض لي فقلت له انا لا اوافق الا على الحلال فتزوج بي عند الحاكم وقضيت معه مديدة يأتيني كما يأتي الرجل المرأة ثم عظمت بطنه وقال لي قد حبلت فاعملي لي دواء الاسقاط فعملت له فولد وقد حضرت المجلس انا وهو فما حكمنا فقال الواعظ هذا النكاح ما صح لانه بالولادة انكشف انه امرأة وتعجب الناس من حال هذا الخنثى الذي كان يأتي ويؤتى

وفي ليلة الاثنين ثاني عشرين ذي القعدة دخل رجل الى بيت اخته فذبحها وهرب وكأنه حدث عنها بما لا يصلح وتحدث بعض جيراننا بباب المراتب انه وقع في دراهم حائط فقام هو وجارية له يعزلون الآجر والجص فوجدت الجارية صندوقا لطيفا فيه منامية فيها دنانير في الدنانير اربعة وخمسة وبين ذلك حب ". (٢)

٢٠٨–"وقال الزهري عن أنس: لما ولدت أم إبراهيم إبراهيم كأنه وقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم منه شيء حتى جاءه جبريل، فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم، ويقال: إن المقوقس بعث معها بخصي كان يأوي إليها، وقيل: إن

---

(١) المنتظم ٢٤٧/١٠

(٢) المنتظم ٢٦٦/١٠

المقوقس أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم جواري منهن أم إبراهيم وواحدة وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي جهم بن حذيفة وواحدة وهبها لحسان بن ثابت فولدت مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم. وكان أحب الناس إليه حتى مات فوجد به وكان سنه يوم مات ستة عشر شهرا، وكانت البغلة والحمار أحب دوابه إليه وسمى البغلة الدلدل، وسمى الحمار يعفورا، وأعجبه العسل، فدعا في عسل بنها بالبركة، وبقيت تلك الثياب حتى كفن في بعضها صلى الله عليه وسلم، وكان اسم أخت مارية قيصر، وقيل: بل كان اسمها سيرين، وقيل: حمنة. وكلم الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان في أن يضع الجزية عن جميع قرية أم إبراهيم لحرمتها ففعل، ووضع الخراج عنهم فلم يكن على أحد منهم خراج، وكان جميع أهل القرية من أهلها وأقربائها فانقطعوا. ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لو بقي إبراهيم ما تركت قبطيا إلا وضعت عنه الجزية " ، وماتت مارية في محرم سنة خمس عشرة بالمدينة. وقال ابن وهب: أخبرني يحيى بن أيوب، وابن لهيعة عن عقيل عن الزهري عن يعقوب بن عبد الله بن المغيرة بن الأخفش عن ابن عمر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " دخل إبليس العراق فقضى حاجته منها، ثم دخل الشام فطردوه حتى دخل جبل شاق، ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عبقريه " حديث صحيح غريب، وقد عاب بعضهم مصر فقال: محاسنها مجلوبة إليها حتى العناصر الأربعة، الماء وهو في النيل مجلوب من الجنوب، والتراب مجلوب في حمل الماء، وإلا فهي رمل محض لا تنبت الزرع، والنار لا يوجد بها شجرها، والهواء لا يهب بها إلا من أحد البحرين، إما من الرومي، وإما من القلزم، وقد زاد هذا في تحامله. وقال كعب الأحبار : الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب أرمينية، ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة والكوفة آمنة من الخراب حتى تكون الملحمة.

ذكر العجائب التي كانت بمصر

من الطلسمات والبرابي ونحو ذلك

ذكر في كتاب عجائب الحكايات وغرائب الماجزيات أنه كان بمصر حجر من جمع كفيه عليه تقيأ جميع ما في جوده. قال القضاعي: ذكر الجاحظ وغيره: أن عجائب الدنيا ثلاثون أعجوبة منها بسائر الدنيا عشر أعجوبات، وهي مسجد دمشق، وكنيسة الرها، وقنطرة سنجر، وقصر غمدان، وكنيسة رومية، وصنم الزيتون، وإيوان كسرى بالمدائن، وبيت الريح بتدمر، والخورنق، والسدير بالحيرة، والثلاثة الأحجار ببعلبك، وذكر أنها بيت المشتري والزهرة، وأنه كان لكل كوكب من السبعة بيت فيها، فتهدمت.

ومنها بمصر عشرون أعجوبة فمن ذلك الهرمان، وهما أطول بناء وأعجبه ليس على وجه الدنيا بناء باليد حجر على حجر أطول منهما،وإذا رأيتهما ظننت أنهما جبلان موضوعان، ولذلك قال بعض من رآهما: ليس من شيء إلا وأنا أرحمه من الدهر إلا الهرمين فإني لأرحم الدهر منهما.

ومن ذلك صنم الهرمين، وهو بلهوية ويقال بلهيت ويقال: إنه طلسم للرمل لئلا يغلب على إبليز الجيزة.

ومن ذلك بربا سمنود، وهو من أعاجيبها وذكر عن أبي عمرو الكندي أنه قال: رأيته وقد خزن فيه بعض عمالها قرظا فرأيت الجمل إذا عناه من بابه بحمله وأراد أن يدخله سقط كل دبيب في القرظ لم يدخل منه شيء إلى البربا، ثم خرب عند

الخمسين والثلثمائة.

ومن ذلك: بربا اخميم عجب من العجائب بما فيه من الصور، وأعاجيب وصور الملوك الذين يملكون مصر، وكان ذو النون الإخميمي يقرأ البرابي، فرأى فيها حكما عظيمة فأفسد أكثرها.

ومن ذلك بربا دندره، وهو بربا عجيب فيه ثمانون ومائة كوة تدخل الشمس كل يوم من كوة منها، ثم الثانية حتى تنتهي إلى آخرها، ثم تكرر راجعة إلى موضع بدائها. ومن ذلك حائط العجوز من العريش إلى أسوان يحيط بأرض مصر شرقا وغربا.". (١)

٢٠٩-"ومن ذلك الإسكندرية وما فيها من العجائب فمن عجائبها المنارة، والسواري، والملعب الذي كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنة، ثم يرمون بكرة فلا تقع في حجر أحد إلا ملك مصر، وحضر عيدا من أعيادهم عمرو بن العاص، فوقعت الكرة في حجره فملك البلد بعد ذلك في الإسلام، ثم يحضر هذا الملعب ألف ألف من الناس فلا يكون فيهم أحد إلا وهو ينظر في وجه صاحبه، ثم إن قرئ كتاب سمعوه جميعا أو لعب نوع من أنواع اللعب رأوه عن آخرهم لا يتطاولون فيه بأكثر من المراتب العلية والسفلية.

ومن عجائبها: المسلتان وهما : جبلان قائمان على سرطانات نحاس في أركانها كل ركن على سرطان، فلو أراد مريد أن يدخل تحتها شيئا حتى يعبره من جانبه الآخر لفعل. ومن عجائبها: عمودا الأعيا، وهما عمودان ملقيان وراء كل عمود منهما جبل حصبا كصبر الجمار بمنى يقبل المعنى التعب النصب بسبع حصيات حتى يلتقي على أحدهما، ثم يرمي وراءه السبع، ويقوم ولا يلتفت ويمضي لطيته فكأنما يحمل حملا لا يحس بشيء من تعبه.

ومن عجائبها: القبة الخضراء وهي: أعجب قبة ملبسة نحاسا كأنه الذهب الإبريز لا يبليه القدم ولا يخلقه الدهر.

ومن عجائبها: منية عقبة وقصر فارس وكنيسة أسفل الأرض، ثم هي مدينة على مدينة ليس على وجه الأرض مدينة بهذه الصفة سواها، ويقال: إنها إرم ذات العماد، سميت بذلك لأن عمدها ورخامها من البدنجا والاصطنيدس المخطط طولا وعرضا.

ومن عجائب مصر أيضا: الجبال التي هي بصعيدها على نيلها وهي ثلاثة أجبل، فمنها جبل الكهف، ويقال: الكف، ومنها الطيلمون، ومنها جبل زماجيز الساحرة. يقال : إن فيه حلقة من الجبل ظاهرة مشرفة على النيل لا يصل إليها أحد يلوح فيها خط مخلوق باسمك اللهم.

ومن عجائبها: شعب البوقيرات بناحية اشمون من أرض الصعيد، وهو شعب في جبل فيه صدع تأتيه البوقيرات في يوم من السنة كان معروفا فتعرض أنفسها على الصدع فكلما أدخل بوقير منها منقاره في الصدع مضى لسبيله، فلا يزال يفعل ذلك حتى يلتقي الصدع على بوقير منها، فتحبسه وتمضي كلها ولا يزال ذلك الذي يحبسه متعلقا حتى يتساقط ويتلاشى.

ومن عجائبها: عين شمس وهي هيكل الشمس وبها العمودان اللذان لم ير أعجب منهما، ولا من شأنهما. طولهما في السماء

---

(١) المواعظ والاعتبار ٣٨/١

نحو من خمسين ذراعا، وهما محمولان على وجه الأرض وفيهما صورة إنسان على دابة، وعلى رأسهما شبه الصومعتين من نحاس، فإذا جاء النيل قطر من رأسهما ماء وتستبينه وتراه منهما واضحا ينبع حتى يجري في أسفلهما فينبت في أصلهما العوسج، وغيره، وإذا حلت الشمس دقيقة من الجدي وهو أقصر يوم في السنة انتهت إلى الجنوبي منها فطلعت عليه على قمة رأسه وهي منتهى الميلين، وخط الاستواء في الواسطة منهما، ثم خطرت بينهما ذاهبة وجائية سائر السنة كذا يقول أهل العلم بذلك. ومن عجائبها : منف، وعجائبها وأصنامها وأبنيتها ودفائنها وكنوزها، وما يذكر فيها أكثر من أن يحصى من آثار الملوك والحكماء، والأنبياء لا يدفع ذلك.

ومن عجائبها: الفرما وهي أكثر عجائبا وأكثر آثارا.

ومن عجائبها: الفيوم.

ومن عجائبها: نيلها. ومن عجائبها: الحجر المعروف بحجر الخل يطفو على الخل، ويسبح فيه كأنه سمكة وكان يوجد بها حجر، إذا أمسكه الإنسان بكلتا يديه تقيأ كل شيء في بطنه، وكان بها خرزة، تجعلها المرأة على حقوها فلا تحبل وكان بها حجرة يوضع على حرف التنور فيتساقط خبزه، وكان يوجد بصعيدها حجارة رخوة تكسر فتتقد كالمصابيح. ومن عجائبها: حوض كان بدلالات تدور من حجارة يركب فيها الواحد والأربعة، ويحركون الماء بشيء فيعبرون من جانب إلى جانب لا يعلم من عمله، فأخذه كافور الإخشيدي إلى مصر فنظر إليه، ثم أخرج من الماء فألقي في البر وكان في أسفله كتابة لا يدري ما هي ثم بطل.

ومن عجائبها: أن بصعيدها ضيعة تعرف بدشنى، فيها سنطة إذا تهددت بالقطع تدبل، وتجتمع وتضمر فيقال لها: قد عفونا عنك، وتركناك فتتراجع، والمشهور وهو الموجود الآن سنطة في الصعيد إذا نزلت اليد عليها دبلت، وإذا رفعت عنها تراجعت وقد حملت إلى مصر، وشوهدت. وبها نوع من الخشب يرسب في الماء كالأبنوس وبها الخشب السنط الذي يوقد منه القدر الكثير في الزمن الطويل فلا يوجد له رماد.". (١)

٢١٠-"عدة كنائس كما هو مذكور في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر الكنائس، فلما كان العشر الأخير من شهر رجب من السنة المذكورة خرج الحاجب والأمير علاء الدين علي بن الكوراني والي القاهرة إلى ناحية شبرى الخيام من ضواحي مصر، فهدمت كنيسة النصارى، وأخذ منها أصبع الشهيد في صندوق وأحضر إلى الملك الصالح، وأحرق بين يديه في الميدان، وذرى رماده في البحر حتى لا يأخذه النصارى، فبطل عيد الشهيد من يومئذ إلى هذا العهد، ولله الحمد والمنة.

ذكر الخلجان التي شقت من النيل

اعلم أن النيل إذا انتهت زيادته فتحت منه خلجان وترع، يتخرق الماء فيها يمينا وشمالا إلى البلاد البعيدة عن مجرى النيل، وأكثر الخلجان والترع والجسور، والأخوار بالوجه البحري. وأما الوجه القبلي: وهو بلاد الصعيد فإن ذلك قليل فيه، وقد ذهبت معالمه ودرست رسومه من هنالك.

---

(١) المواعظ والاعتبار ٣٩/١

والمشهور من الخلجان: خليج منجا، وخليج منف، وخليج المنهى، وخليج أشموم طناح، وخليج سردوس، وخليج الإسكندرية، وخليج دمياط، وخليج القاهرة، وبحر أبي المنجا، والخليج الناصري ظاهر القاهرة.

قال ابن عبد الحكم عن أبي رهم السماعي قال: كانت مصر ذات قناطر، وجسور بتقدير وتدبير حتى إن الماء ليجري تحت منازلها وأفنيتها، فيحبسونه كيف شاءوا، ويرسلونه كيف شاءوا، فذلك قوله تعالى، عما حكى عن قول فرعون : " أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون " الزخرف٥١، ولم يكن يومئذ في الأرض ملك أعظم من ملك مصر، وكانت الجنات بحافتي النيل من أوله إلى آخره في الجانبين معا جميعا مما بين أسوان إلى رشيد، وسبع خلج: خليج الإسكندرية، وخليج سخا، وخليج دمياط، وخليج منف، وخليج الفيوم، وخليج المنهي، وخليج سردوس، جنات متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء، والزرع ما بين الجبلين من أول مصر إلى آخرها مما يبلغه الماء. وكانت جميع أرض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا لما قدروا ودبروا من قناطرها وخلجها وجسورها، فذلك قوله تعالى: "كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم " الدخان٢٦، قال : والمقام الكريم: المنابر، كان بها ألف منبر.

خليج سخا وخليج سخا: حفره ندارس بن صا ابن قبطيم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح وهو : أحد ملوك القبط القدماء الذين ملكوا مصر في الدهر الأول.

قال ابن وصيف شاه: ندارس الملك أول من ملك الأحياز كلها بعد أبيه صا، وصفا له ملك مصر، وكان ندارس محتنكا مجربا ذا أيد وقوة، ومعرفة بالأمور، فأظهر العدل، وأقام الهياكل وأهلها قياما حسنا، ودبر جميع الاحياز. ويقال: إنه الذي حفر خليج سحا وارتفع مال البلد على يده مائة ألف ألف دينار وخمسين ألف ألف دينار، وقصده بعض عمالقة الشام فخرج إليه واستباحه، ودخل فلسطين، وقتل بها خلقا، وسبى بعض حكمائها وأسكنهم مصر، وهابته الملوك وعلى رأس ثلاثين من ملكه طمع السودان من الزنج والنوبة في أرضه، وعادوا وأفسدوا، فجمع الجيوش من أعمال مصر وأعد المراكب، ووجه قائدا يقال له: فلوطس في ثلثمائة ألف، وقائدا آخر في مثلها، ووجه في النيل ثلثمائة سفينة في كل سفينة كاهن يعمل أعجوبة من العجائب، ثم خرج في جيوش كثيرة، فلقي جمع السودان، وكانوا في زهاء ألف ألف فهزمهم، وقتل أكثرهم أبرح قتل، وأسر منهم خلقا وتبعتهم جيوشه حتى وصلوا إلى أرض الفيلة من بلاد الزنج، فأخذوا منها عدة ومن النمور والوحوش وساقوها إلى مصر فذللها وعمل على حدود بلده منارا وزبر عليه مسيره، وظفره الوقت الذي سار فيه، ومات بمصر فدفن في ناووس نقل إليه شيئا كثيرا من أصنام الكواكب، ومن الذهب والجوهر والصيغة والتماثيل، وزبر عليه اسمه وتاريخ هلاكه، وجعل له طلسمات تمنع منه وعهد إلى ابنه ماليق بن ندارس.

خليج سردوس : حفره هامان. قال ابن وصيف شاه طلما بن قومس الملك: جلس على سرير الملك، وحاز جميع ما كان في خزائنهم، وهو الذي تذكر القبط أنه فرعون موسى.

فأما أهل الأثر فيزعمون أنه الوليد بن مصعب، وأنه من العمالقة، وذكروا أن الفراعنة سبعة، وكان طلما فيما حكي عنه: قصيرا طويل اللحية أشهل العينين صغير العين اليسرى في جبينه شامة، وكان أعرج. وزعم قوم: أنه من القبط ونسب أهل

بيته مشهور عندهم.". (١)

٢١١-"وملك بعده ابنه شرياق، ويقال له: سرياق بن توميدون بن تدرسان بن هوصال، وكان كأبيه في علم الكهانة والسحر والطلسمات، فعمل أعمالا عجيبة منها: على باب مدينة أمسوس هيئة بطة من نحاس قائمة على أسطوانة إذا دخل غريب من ناحية من النواحي صفقت بجناحيها، وصرخت فيؤخذ ذلك الغريب، ويكشف أمره حتى يعرف فيما قدم، وشق من النيل نهرا يمر إلى مدائن الغرب وبنى عليه أعلاما ومدنا، ومنتزهات، وسار ملك من بني فراشي بن آدم ويقال: من بني صوانيتي بن آدم خرج من ناحية العراق في أيامه، وغلب على بلاد الشام، وقصد مصر ليأخذ ملكها، فقيل له: إنك لا تقدر عليها لسحر أهلها، فتنكر ودخل في جماعة من خواصه ليكشف حال أهل مصر، فلما وصل إلى أول حد مصر حبسه الموكلون بذلك الحد هو ومن معه، حتى يأمر الملك فيهم بأمره وبعثوا إليه بصفتهم، وكان قد رأى في منامه كأنه على منار عال وكأن طائرا عظيما انقض عليه ليخطفه، فحاد عنه حتى كاد يسقط من المنار، فجاوزه الطائر وسلم منه فانتبه مذعورا.

وقص رؤياه على كبير الكهنة، فقال: يطلبك ملك، ولا يقدر عليك، ونظر في نجومه، فرأى الملك الذي يطلب ملكه قد دخل إلى مصر، وكان ذلك هو الوقت الذي قدم عليه فيه الرسل بصفات الذين وصلوا إلى حد مصر، فأمر بإحضارهم إليه بعدما يطاف بهم على عجائب مصر كلها ليروها، فأوثقوهم وساروا بهم وأوقفوهم على عجائب أرض مصر، وما فيها من الطلسمات حتى بلغوا إلى الإسكندرية، ثم إلى أمسوس، ثم إلى الجنة التي عملها مصرام، كان الملك شرياق مقيما بها، فعندما وصلوا إليها أظهرت السحرة التماثيل العجيبة، فدخلوا عليه وحوله الكهنة، وبين يديه نار لا يصل إليه أحد حتى يخوضها، فمن كان بريئا لم تضره، ومن كان يريد بالملك سوءا أو أضمر له مكروها أخذته النار، فشق القوم في وسط النار واحدا بعد واحد من غير أن تضرهم حتى انتهى الأمر إلى ملك العراق، فعندما دنا من النار أخذته بحرها، فولى هاربا فاتبعوه حتى أخذوه وأوقفوه بين يدي شرياق، فلم يزل به حتى اعترف، فأمر بصلب فصلب على الحصن الذي أخذ منه، ونولي عليه هذا جزاء من طلب ما لا يصل إليه، وعفا عن الباقين فساروا من مصر وتحدثوا بما رأوه **من العجائب**، فانقطع طمع ملوك الأرض عن طلب ملك مصر، ومات شرياق بعدما ملك مصر مائة وثلاثين سنة، فجعل في ناوس ومعه أمواله وطلسم يحفظه ممن يقصده.

وملك بعده ابنه: شهلوق، وكان عالما بالكهانة والطلسمات، فقسم ماء النيل موزونا يصرف إلى كل ناحية قسطها، ورتب الدولة وعمل بيت نار، وهو أول من عبد النار، وعمل بأمسوس عجائب منها: شجرة على أعلى الجبال تقسم بها الرياح التي تمنع من أراد مصر بأذى أو فساد من جني أو إنسي أو سبع أو طائر، وعمل بالمدينة قبة مركبة على سبعة أركان ولها سبعة أبواب على كل ركن باب، وفي وسط القبة قبة من صفر، وفي أعلاها صور الكواكب السبعة، وتحت القبة قبة أخرى معلقة على سبع أساطين، وعلى الباب الأول من القبة: أسد ولبوة من صفر، وهما رابضان، كان ينبح لهما جروا أسود

---

(١) المواعظ والاعتبار ٨٨/١

ويبخرهما بشعره، وعلى الباب الثاني: ثور وبقرة يذبح لهما عجلا وببخرهما بشعره، وعلى الباب الثالث: خنزير وخنزيرة يذبح لهما خنوصا ويبخرهما بشعره، وعلى الباب الرابع: كبش وشاة يذبح لهما سخلة ويبخرهما بشعرها، وعلى الباس الخامس: ثعلب وثعلبة يذبح لهما فرخ ثعلب ويبخرهما بشعره، وعلى الباب السادس: عقاب وأنثاه يذبح لهما فرخ عقاب ويبخرهما بريشه، وعلى الباب السابع: نسر وأنثاه يذبح لهما فرخ نسر ويبخرهما بريشه، ويلطخ كلا منهما بدم ما ذبح له، وتحرق سائر القرابين، ويوضع رمادها تحت عتبات أبواب القبة، وجعل لهذه القبة سدنة يشعلون المصابيح ليلا ونهارا، وقسم الناس بمصر سبع مراتب، لكل مرتبة منهم: باب من أبواب تلك القبة، فكان الخصم إذا تقدم إلى شيء من تلك الصور، وكان ظالما فإنه يلتصق بها ولا يتخلص منها حتى يخرج من الحق الذي عليه، الذكر للذكر، والأنثى للأنثى، فيعرفون بذلك الظالم من المظلوم.". (١)

٢١٢-"وذكروا: أن الأموال التي كانت مع جيرون نفدت كلها في تلك المدينة، ولم تتم، فأمر الراعي أن يخبر الجارية فقالت: إن في المدينة التي خربت ملعبا مستديرا حوله سبعة عمد على رؤوسها تماثيل من صفر قيام، فقرب لكل تمثال منها ثورا سمينا، ولطخ العمود الذي تحته من دم الثور، وبخره بشعر من ذنبه، وشيء من نحاتة قرونه وأظلافه، وقل له: هذا قربانك، فأطلق لي ما عندك، ثم قس من كل عمود إلى الجهة التي يتوجه إليها وجه التمثال، مائة ذراع، واحفر عند امتلاء القمر، واستقامة زحل، فإنك تنتهي بعد خمسين ذراعا إلى بلاطة عظيمة، فلطخها بمرارة الثور، وأقلها فإنك تنزل إلى سرب طوله، خمسون ذراعا في آخره خزانة مقفلة، ومفتاح القفل تحت عتبة الباب، فخذه ولطخ الباب ببقية المرارة ودم الثور وبخره بنحاتة قرونه وأظلافه وشعر ذنبه، وأدخل فإنه يستقبلك صنم في عنقه لوح من صفر مكتوب فيه جميع ما في الخزانة فخذ ما شئت ولا تعترض ميتا تجده ولا ما عليه، وكذلك كل عمود وتمثاله فإنك تجد مثل تلك الخزانة، وهذه نواويس سبعة من الملوك وكنوزهم، فلما سمع ذلك سر به، وامتثله فوجد ما لا يدرك وصفه، ووجد من العجائب شيئا كثيرا، فتم بناء المدينة وبلغ ذلك جورياق، فساءها وكانت قد أرادت إتعابه وهلاكه بالحيلة.

ويقال: إنه وجد فيما وجد درجا من ذهب مختوما فيه مكحلة زبرجد فيها ذرور أخضر، ومعها عرق أحمر من اكتحل من ذلك الذرور بالعرق، وكان أشيب عاد شابا واسود شعره، وأضاء بصره حتى يدرك الروحانيين، ووجد تمثالا من ذهب إذ ظهر غيمت السماء وأمطرت، وتمثال غراب من حجر إذا سئل عن شيء صوت وأجاب عنه، ووجد في كل خزانة عشر أعجوبات.

فلما فرغ من بناء المدينة وجه إلى جورياق يحثها على القدوم إليه، فحملت إليه فرشا فاخرا ليبسطه في المجلس الذي يجلس فيه، وقالت له: اقسم جيشك أثلاثا، فانفذ إلي ثلثه حتى إذا بلغت ثلث الطريق، فانفذ الثلث الآخر، فإذا جرت نصف الطريق، فانفذ الثلث الباقي ليكونوا من ورائي لئلا يراني أحد إذا دخلت عليك، ولا يكون عندك إلا صبية تثق بهم يخدمونك، فإني أوافيك في جوار تكفيك الخدمة، ولا أحتشمهن، ففعل.

---

(١) المواعظ والاعتبار ١/١٦٥

وأقامت تحمل الجهاز إليه والأموال حتى علم بمسيرها فوجه إليها ثلث جيشه، فعملت لهم الأطعمة والأشربة المسمومة، وأنزلهم جواريها وحشمها، وقدموا إليهم الأطعمة والأشربة، والطيب وأنواع اللهو، فلم يصبح منهم أحد حيا، وسارت فلقيها الثلث الآخر، ففعلت به مثل ذلك وهي توجه إليه أنها أنفذت جيشه إلى قصرها ومملكتها يحفظونهما، وسارت حتى دخلت عليه هي وظئرها وجواريها، فنفخت ظئرها في وجهه نفخة بهت إليها، ورشت عليه ما كان معها، فارتعدت أعضاؤه وقال: من ظن أنه يغلب النساء،. فقد كذبته نفسه وغلبته النساء، ثم إنها فصدت عروقه وقالت: دماء الملوك شفاء، وأخذت رأسه ووجهت به إلى قصرها، ونصبته عليه وحولت تلك الأموال إلى مدينة منف، وبنت منارا بالإسكندرية، وزبرت عليه اسمها واسمه، وما فعلت به وتاريخ الوقت.

فلما بلغ خبرها الملوك هابوها وأطاعوها وهادوها، وعملت بمصر عجائب كثيرة، وبنت على حد مصر من ناحية النوبة حصنا، وقنطرة يجري ماء النيل من تحتها، واعتلت فقلدت ابنة عمها زلفى بنت مأمون وماتت.

وقال ابن خرداذبه: إن الإسكندرية بنيت في ثلثمائة سنة، وأن أهلها مكثوا سبعين سنة لا يمشون فيها بالنهار إلا بخرق سود مخافة على أبصارهم من شدة بياض حيطانها ومنارتها العجيبة على سرطان زجاج في البحر، وإنه كان فيها سوى أهلها ستمائة ألف من اليهود خول لأهلها.

وقال ابن وصيف شاه: وكانت العمارة ممتدة في رمال رشيد والإسكندرية إلى برقة فكان الرجل يسير في أرض مصر، فلا يحتاج إلى زاد لكثرة الفواكه والخيرات، ولا يسير إلا في ظلال تستره من حر الشمس، وعمل الملك صا بن قبطيم في تلك الصحاري قصورا، وغرس فيها غروسا وساق إليها من النيل أنهارا فكان يسلك من الجانب الغربي إلى حد الغرب في عمارة متصلة، فلما انقرض أولئك القوم بقيت آثارهم في تلك الصحارى، وخربت تلك المنازل وباد أهلها، ولا يزال من دخل تلك الصحارى يحكي ما رآه فيها من الآثار والعجائب.". [١]

٢١٣-"للمنشآت الجواري عند رؤيته ... كموقع النوم في أجفان ذي أرق

وقال عمر بن أبي عمر الكندي في فضائل مصر: ذكر أهل العلم أن المنارة كانت في وسط الإسكندرية، حتى غلب عليها البحر، فصارت في جوفه، ألا ترى الأبنية والأساسات في البحر إلى الآن عيانا.

وقال عبد الله بن عمر: وعجائب الدنيا أربعة: مرآة كانت معلقة بمنارة الإسكندرية، فكان يجلس الجالس تحتها، فيرى من بالقسطنطينية وبينهما عرض البحر، وذكر الثلاثة. .

ذكر الملعب الذي كان بالإسكندرية

وغيره من العجائب

قال القضاعي: ومن عجائب مصر: الإسكندرية وما بها من العجائب، فمن عجائبها: المنارة، والسواري، والملعب الذي كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنة، ثم يرمون بأكرة، فلا تقع في حجر أحد إلا ملك مصر، وحضر عيدا من أعيادهم،

---

(١) المواعظ والاعتبار ١٨٢/١

عمرو بن العاص، فوقعت الأكرة في حجره، فملك البلد بعد ذلك في الإسلام، ثم حضر هذا الملعب ألف ألف من الناس، فلا يكون فيهم أحد إلا وهو ينظر في وجه صاحبه، ثم إن قرئ كتاب سمعوه جميعا، أو لعب لون من اللعب رأوه عن آخرهم لا يتظالمون فيه بأكثر من مراتب العلية والسفلية.". (١)

٢١٤-"ومن عجائبه: أن زيادته في أنهار مجتمعة، وسائر النواحي والبلدان في مصر وما يليها والصعيد وأسوان وبلد النوبة وعلوة، وما وراء ذلك في زمان واحد، وأكثر ما وقف عليه من هذه الزيادة أنه ربما وجدت مثلا بأسوان، ولا توجد بقوص، ثم تأتي بعد فإذا كثرت الأمطار عندهم واتصلت السيول، علم أنها سنة ري، وإذا قصرت الأمطار علم أنها سنة ظمأ، قال: وأما من طرق بلاد الزنج فإنهم أخبروني عن مسيرهم في بحر الصين إلى بلاد الزنج بالريح الشمالي، مساحلين للجانب الشرقي من جزيرة مصر، حتى ينتهوا إلى موضع يعرف برأس حفري، وهو عندهم آخر جزيرة مصر، فينظرون كوكبا يهتدون به، فيقصدون الغرب، ثم يعودون إلى البحري، ويصير الشمال في وجوههم، حتى يأتوا إلى قبيلة من بلاد الزنج وهي مدينة متملكهم، وتصير قبلتهم للصلاة إلى جدة.

قال: وبعض الأنهار الأربعة يأتي، من بلاد الزنج لأنه يأتي فيه الخشب الزنجي، وسوبة مدينة العلوي شرقي الجزيرة الكبرى التي بين البحرين الأبيض والأخضر في الطرف الشمالي منها عند مجتمعهما، وشرقيها، النهر الذي يجف، ويسكن بطنه، وفيها أبنية حسان ودور واسعة، وكنائس كثيرة الذهب، وبساتين ولها رباط فيه جماعة من المسلمين، ومتملك علوة أكثر مالا من متملك المقرة، وأعظم جيشا، وعنده من الخيل ما ليس عند المقري، وبلده أخصب وأوسع، والنخل والكرم عندهم يسير وأكثر حبوبهم الذرة البيضاء التي مثل الأرز منها، خبزهم ومزرهم واللحم عندهم كثير لكثرة المواشي، والمروج الواسعة العظيمة السعة، حتى أنه لا يوصل إلى الجبل إلا في أيام، وعندهم خيل عتاق، وجمال صهب عراب، ودينهم النصرانية يعاقبة، وأساقفتهم من قبل صاحب الإسكندرية كالنوبة، وكتبهم بالرومية يفسرونها بلسانهم، وهم أقل فهما من النوبة، وملكهم يسترق من شاء من رعيته بجرم، وبغير جرم، ولا ينكرون ذلك عليه، بل يسجدون له ولا يعصون أمره على المكروه الواقع بهم، وينادون الملك يعيش فليكن أمره، وهو يتتوج بالذهب، والذهب كثير في بلده.

ومما في بلده **من العجائب**: أن في الجزيرة الكبرى التي بين البحرين جنسا يعرف: بالكرنينا. لهم أرض واسعة مزروعة من النيل والمطر، فإذا كان وقت الزرع خرج كل واحد منهم بما عنده من البذر، واختط على مقدار ما معه وزرع في أربعة أركان الخطة يسيرا، وجعل البذر في وسطه الخطة وشيئا من المزر، وانصرف عنه فإذا أصبح وجد ما اختط، قد زرع وشرب المزر، فإذا كان وقت الحصاد، حصد يسيرا منه ووضعه في موضع أراده ومعه مزر، وينصرف، فيجد الزرع قد حصد بأسره، وجرن فإذا أراد دراسه وتفريته فعل به كذلك، وربما أراد أحدهم أن ينقي زرعه من الحشيش، فيلفظ بقلع شيء من الزرع فيصبح، وقد قلع جميع الزرع، وهذه الناحية التي فيها ما ذكرته بلدان واسعة مسيرة شهرين في شهرين يزرع جميعها في وقت واحد، وميرة بلد، علوة ومتملكهم من هذه الناحية، فيوجهون المراكب، فتوسق، وربما وقع بينهم حرب.

---

(١) المواعظ والاعتبار ١٩٧/١

قال: وهذه الحكاية صحيحة معروفة مشهورة عند جميع النوبة والعلوة، وكل من يطرق ذلك البلد من تجار المسلمين لا يشكون فيه ولا يرتابون به، ولولا أن اشتهاره وانتشاره مما لا يجوز التواطؤ على مثله، لما ذكرت شيئا منه لشناعته، فأما أهل الناحية، فيزعمون إن الجن تفعل ذلك، وأنها تظهر لبعضهم، وتخدمهم بحجارة ينطاعون لهم بها، وتعمل لهم عجائب، وأن السحاب يطيعهم.". (١)

٢١٥-"هذه المدينة عرفت: بقفطريم بن قبطيم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، وكانت في الدهر الأول، مدينة الإقليم، وإنما بدا خرابها بعد الأربعمائة من تاريخ الهجرة النبوية، وآخر ما كان فيها بعد السبعمائة من سني الهجرة، أربعون مسبكا للسكر، وست معاصر للقصب، ويقال: كان فيها قباب بأعالي دورها، وكانت إشارة من ملك من أهلها عشرة آلاف دينار أن يجعل في داره قبة، وبالقرب منها معدن الزمرذ، ولم يبطل إلا من قريب، فإن قفطريم ولي الملك بعد أبيه قبطيم.

قال ابن وصيف شاه: كان أكبر ولد أبيه، وكان جبارا عظيم الخلق، وهو الذي وضع أساسات الأهرام الدهشورية وغيرها، وهو الذي بنى مدينة دندرة، ومدينة الأصنام، وهلكت عاد بالريح في آخر أيامه، وأثار من المعادن ما لم يثره غيره، وكان يتخذ من الذهب مثل حجر الرحى، ومن الزبرجد مثل الأسطوانة، ومن الإسبادشم في صحراء الغرب كالقلة، وعمل من العجائب شيئا كثيرا.

وبنى منارا عاليا على جبل قفط، يرى منه البحر الشرقي، ووجد هناك معدن زئبق، فعمل منه تمثالا كالعمود لا ينحل، ولا يذوب.

وعمل البركة التي سماها صيادة الطير إذا مر عليها طائر سقط فيها، ولم يقدر على الحركة، حتى يؤخذ، وهذه البركة يقال: إنها هناك إلى الآن، وأما المنار فسقط، وعمل عجائب كثيرة، وفي أيامه أثار عبادة الأصنام التي كان الطوفان غرقها وزين الشيطان أمرها وعبادتها، ويقال: إنه بنى المدائن الداخلة، وعمل فيها عجائب، وبنى غربي النيل، وخلف الواحات الداخلة مدنا عمل فيها عجائب كثيرة، ووكل بها الروحانيين الذين يمنعون منها، فما يستطيع أحد أن يدنو إليها ولا يدخلها، إلا أن يعمل قرابين لأولئك الروحانيين، وأقام قفطريم ملكا أربعمائة وثمانين سنة، وأكثر العجائب عملت في وقته، ووقت ابنه، البودسير، ولذلك كان الصعيد أكثر عجائب من أسفل، لأن حيز قفطريم فيه.

ولما حضر قفطريم الوفاة عمل ناوسا في الجبل الغربي قرب مدينة الكهان في سرب تحت الأرض معقود على آزاج إلى الأرض، ونقر تحت الجبل، دارا واسعة، وجعل دورها خزائن منقورة، وفي سقفها مسارب للرياح، وبلط السرب، وجميع الدار بالمرمر، وجعل في وسط الدار مجلسا على ثمانية أركان مصفحا بالزجاج الملون المسبوك، وجعل في سقفه جواهر تسرج، وجعل في كل ركن من أركان المجلس، تمثالا من الذهب بيده كالبوق الذي يبوق به، وتحت القبة دكة مصفحة بذهب، ولها حواف من زبرجد، وفوق الدكة فرش من حرير، وجعل عليها جسد بعد أن لطخ بالأدوية المجففة، ووضع في جانبه آلات كافور،

---

(١) المواعظ والاعتبار ١/٢٤٢

وسدلت عليه ثياب منسوجة بالذهب، ووجهه مكشوف وعلى رأسه تاج مكلل، وعن جوانب الدكة أربعة تماثيل مجوفات من زجاج مسبوك في صور النساء بأيديهن مراوح من ذهب، وعلى صدره من فوق الثياب، سيف فاخر قائمته من زبرجد، وجعل في تلك الخزائن من الذخائر وسبائك الذهب، والتيجان والجوهر، وبرابي الحكم، وأصناف العقاقير والطلسمات ومصاحف العلوم، ما لا يحصى كثرة، وجعل على باب المجلس: ديكا من ذهب على قاعدة من زجاج أخضر منشور الجناحين، مزبورا عليه آيات مانعة، وجعل على كل مدخل أزج، صورتين من نحاس بأيديهما سيفان، وقدامهما بلاطة، تحتها لوالب من وطئها، ضرباه بأسيافهما، فقتلاه، وفي سقف كل أزج، كرة وعليها الطوخ مدبر يسرج، فيقد طول الزمان، وسد باب الأزج بالأساطين المرصصة، ورصوا على سقفه البلاط العظام، وردموا فوقها الرمال، وزبروا على باب الأزج، هذا المدخل إلى جسد الملك المعظم المهيب الكريم الشديد قفطريم في الأيد والفخر والغلبة والقهر، وأفل نجمه، وبقي ذكره وعلمه، فلا يصل أحد إليه ولا يقدر بحيلة عليه، وذلك بعد سبعمائة وسبعين ودورات مضت من السنين.". (١)

٢١٦-"قيل: سميت باسم قوص بن قفط بن أخميم بن سيفاف بن أشمن بن مصر، قال ابن وصيف شاه: سدان بن عديم، هو الذي بنى الأهرام الدهشورية من الحجارة التي قطعت في زمان أبيه، وعمل مصاحف النيرنجات، وهيكل أرمنت، وعمل في المدائن الداخلة من أنصنا هيكلا، وأقام فيه في أتريب، وهيكلا في شرقي الإسكندرية، وبنى في الجانب الشرقي مدائن، وفي أيامه بنيت قوص العالية، وأسكن فيها قوما من أهل الحكمة، وأهل الصناعات، وكان الحبش والسودان، قد عاثوا في بلده، فأخرج لهم، ابنه منقاوش في جيش عظيم، فقتل منهم، وسبى، واستعبد الذين سباهم، وصار ذلك سبة لهم، واقتطع معدن الذهب من أرضهم، وأقام ذلك السبي يعملون فيه، ويحملون الذهب إليه، وهو أول من أحب الصيد، واتخذ الجوارح، وولد الكلاب السلوقية من الذئاب والكلاب الأهلية، وعمل **من العجائب** والطلسمات لكل فن ما لا يحصى كثرة.

وقال الأدفوي في تاريخ الصعيد: وقوص بجانب قفط، حكى بعض المؤرخين: أنها شرعت في العمارة، وشرعت قفط في الخراب من سنة أربعمائة.

قيل: إنه حضر مرة قاضي قوص، فخرج من أسوان أربعمائة راكب بغلة إلى لقائه.

وفي شهر رمضان سنة اثنتين وستين وستمائة، أحضر إلى الملك الظاهر بيبرس فلوس، وجدت مدفونة بقوص، فأخذ منها فلس، فإذا على أحد وجهيه، صورة ملك واقف، وفي يده اليمنى ميزان، وفي اليسرى سيف، وعلى الوجه الآخر رأس فيه أذن كبيرة، وعين مفتوحة، وبدائر الفلس، كتابة، فقرأها راهب يوناني، فكان تاريخه، إلى وقت قراءته، ألفين وثلثمائة سنة، وفيه أنا غليات الملك ميزان العدل والكرم في يميني لمن أطاع، والسيف في يساري لمن عصى، وفي الوجه الآخر، أنا غليات الملك، أذني مفتوحة لسماع المظلوم، وعيني مفتوحة أنظر بها مصالح ملكي.

وقوص، كثيرة العقارب والسام أبرص، وبها صنف من العقارب القتالات، حتى إنه كان يقال بها أكلة العقرب لأنه كان لا

---

(١) المواعظ والاعتبار ٢٩٢/١

يرجى لمن لسعته حياة، واجتمع بها مرة في يوم صائف على حائط الجامع سبعون سام أبرص صفا واحدا، وكان الواحد من أهلها إذا مشى في الصيف ليلا خارج داره، يأخذ بإحدى يديه مسرجة تضيء له، وبالأخرى مشك من حديد يشك به العقارب، ثم إنها تلاشت بعد سنة ثمانمائة.

فلما كانت الحوادث والمحن، مات بها سبعة عشر ألف إنسان في سنة ست وثمانمائة، وكانت من العمارة بحيث إنه تعطل منها في شراقي البلاد سنة ست وسبعين وسبعمائة، مائة وخمسون مغلقا، والمغلق عندهم بستان من عشرين فدانا فصاعدا، وله ساقية بأربعة وجوه، وذلك سوى ما تعطل مما هو دون ذلك، وهو كثير جدا.

ذكر مدينة أسنا

قال الأدفوي: وذكر أن أسنا في سنة حصل منها، أربعون ألف إردب تمر، واثنا عشر ألف إردب زبيب، وأسنا تشمل على ما يقارب ثلاثة عشر ألف منزل، وقيل: إنه كان بها في وقت سبعون شاعرا.

ذكر مدينة أدفو

ومدينة أدفو يقال بالدال المهملة، ويقال أيضا بالتاء المثناة من فوق. قال الأدفوي: أخبرني الخطيب العدل أبو بكر خطيب أدفو: أن جمارة طرحت، ثلاثة شماريخ في كل شمروخ تمرة واحدة، وأنه قلع الجمارة بأصلها، ووزنها فجاءت خمسة وعشرين درهما، كلها بجريدها وخشبها، وذلك بأدفو.

ولما كان بعد سنة سبعمائة، حفر صناع الطوب، فظهرت صورة شخص من حجر شكل امرأة متربعة على كرسي، وعليها مثال شبكة، وفي ظهرها لوح مكتوب بالقلم اليوناني، رأيتها على هذه الحالة في مدينة أدفو.

إهناس

هي كورة من كور الصعيد يقال: إن عيسى ابن مريم عليه السلام، ولد بها، وإن نخلة مريم عليها السلام التي ذكرت في قوله تعالى: " وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا " مريم٢٥، لم تزل بها إلى آخر أيام بني أمية، والذي عليه الجماهرة أن عيسى عليه السلام إنما ولد بقرية بيت لحم من مدينة بيت المقدس وبإهناس شجر البنج.

ذكر مدينة البهنسا

هذه المدينة في جهة الغرب من النيل بها تعمل الستور البهنسية، وينسج المطرز والمقاطع السلطانية، والمضارب الكبار، والثياب المحبرة، وكان يعمل بها من الستور، ما يبلغ طول الستر الواحد ثلاثين ذراعا، وقيمة الزوج مائتا مثقال ذهب، وإذا صنع بها شيء من الستور والأكسية، والثياب من الصوف أو القطن، فلا بد أن يكون فيها اسم المتخذ له مكتوبا على ذلك مضوا جيلا بعد جيل.". (١)

٢١٧-"قال الحجر اليوسفي: والحجر اليوسفي جدار مبني بالطوب، والجير المعروف عند المتقدمين بالصاروج، وهو الجير والزيت، وبناؤه من جهة الشمال إلى الجنوب، ويتصل من نهايته من الجنوب بجدار بناؤه مثل بنائه على استقامة من

---

(١) المواعظ والاعتبار ٢٩٧/١

الغرب إلى الشرق، ويحصره ميلان منه في نهايته، وطوله مائتا ذراع بذراع العمل، ويتصل بهذا الجدار على طول ثمانين ذراعا منه من جهة الغرب نهاية الجدار الأعظم من الجنوب.

وفائدة بناء الجدار الأعظم رد الماء إذا انتهى إلى حدود اثنتي عشرة ذراعا إلى مدينة الفيوم، وطول ما يتصل منه الجدار الذي من جهة الغرب إلى الشرق، ثم يتصل بالميل، ثم ينخفض من حدود هذا الميل إلى ميل مثله يقابله من جهة الشمال خمسون ذراعا، وبعدما بين هذين الميلين، وهو المنخفض مائة ذراع وعشرة أذرع، ومقدار المنخفض منه، أربعة أذرع، وهذا المنخفض هو الذي يسد بجسر من حشيش يسمى لبشا، وعرض ما يجري عليه الماء، وهو موضع اللبش وما قابله إلى جهة الشرق، أربعون ذراعا، وعليه مسك اللبش الثاني، ويتصل بهذا الميل إلى جهة الشمال، ما طوله ثلثمائة واثنان وسبعون ذراعا، ثم يتصل به على نهاية هذا الطول، جدار يمر على استقامته إلى الحجر مبني بالحجر طوله على استقامته إلى جهة الشرق، مائة ذراع، ثم ينخفض أيضا من حيث يتصل بهذا الجدار ما طوله، عشرون ذراعا، وقدر المنخفض منه ذراعان.

وهذا المنخفض أيضا يسد بجسر حشيش يسمى: اللكبد، وطول بقية الجدار إلى نهايته من جهة الشمال، مائة وستة وثلاثون ذراعا، وقبالة هذا بطوله منه مبلط، وفيه قناطر مبنية بالحجر كانت قديما ترد الماء إلى اليوم من الخليج القديم الذي عنده السدود اليوم، وكان عليها أبواب، وعدتها عشر قناطر قديمة، فيكون جميع ذرع الجدار الأعظم من نهايته، سبعمائة واثنين وسبعين ذراعا بذراع العمل دون الجدار المعترض من الغرب إلى الشرق، ويمر هذا الجدار الأعظم من كلتا جهتيه جميعا، حتى يتصل بالجبل، فتوجد آثاره في القيظ مرورا على غير استقامة، وعرضه مختلف، وكلما انتهى إلى سطحه، قل عرضه، وعرض أعلاه مع الظاهر من أسفله جميعا ستة عشر ذراعا، وفيه منافس يخرج منه الماء، وهي برابخ زجاج ملوثة بشبه المينا وأزرق وسليماني.

وهو من العجائب الحسنة في عظم البناء وإتقانه، لأنه من الأبنية اللاحقة بمنارة الإسكندرية، وبناء الأهرام، فمن معجزته أن النيل يمر عليه من عهد يوسف عليه السلام إلى هذه الغاية، وما تغير عن مستقره، ويدخل الماء من هذا البحر في هذا الزمان إلى مدينة الفيوم من خليجها الأعظم ما بين أرض الضيعتين المعروفتين، بدمونة واللاهون، ومنه شرب هاتين الضيعتين وغيرهما سيحا، ومنه شرب كرومها بالدواليب على أعناق البقر، وإن قصر النيل عن الصعود إلى سوادها، سقيت منه على أعناق البقر وزرعت، وينتهي في الخليج الأعظم إلى خليج يعرف بخليج الأواسي، وليس عليه رسم في سد ولا فتح ولا تعديل، وينتهي إلى الضيعة المعروفة ببياض، فيملأ بركها وغيرها من البرك، وللبرك مقاسم يصل إلى كل مقسم منها لغايته، ومقدار شرب ما عليه، وينتهي إلى الضيعة المعروفة بالأوسية الكبرى، فمنه شربها من مقسمين لها، وبرسمها باب، ومنه يشرب نخلها وشجرها، وعلى هذا الحد طاحونة تعمل بالماء.

ثم ينتهي إلى ثلاثة مقاسم آخرها الضيعة المعروفة بمرطينة منها مقسم لها، ومقسم لقبالات عدة، والمقسم الثالث يسقي أحد أحياء النخل، وبهذا الحي أسواق وبساتين قد خربت، وجميز دائر به، وكان بها بيوت في أقنية النخل، ثم ينتهي إلى حي ثان على ضفة الأول، ثم ينتهي إلى الضيعة المعروفة بالجوبة، فيملأ بركها وينتهي إلى ثلاثة مقاسم في صف، وفوقها خليج معطل ويشرب من هذه المقاسم عدة ضياع، ثم ينتهي الماء من هذا الخليج إلى البطس، وهو نهايته، وعلى الخليج الأعظم بعد هذا

أباليز شربها منه من أفواه لها سيحا، فإذا نضب ماء النيل، نصب على أفواهها برسم صيد السمك شباك.
ثم ينتهي الخليج الأعظم على يمنة من يريد الفيوم إلى خليج يعرف: بخليج سمسطوس. منه شرب سمسطوس وغيرها، وأباليز كثيرة تجاوز الصحراء من المشرق منه، ومن قبليه، وهي ما بين هذا الخليج، وخليج الأواسي. ثم ينتهي الخليج الأعظم أيضا إلى: خليج ذهالة. ومنه شرب عدة ضياع وعليه يزرع الأرز وغيره.". (١)

٢١٨-"وكذا وقع في دولة العجم أيضا، فأول ملوك بني بوبه، عماد الدين أبو علي الحسن بن بويه، والقائم من بعده في السلطنة أخوه حسن بن بويه، وأول ملوك بني سلجوق، طغريل، والقائم من بعده ي السلطنة ابن أخيه البارسلان بن داو بن ميكال بن سلجوق، وأول قائم بدول بني أيوب، السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولما مات اختلف أولاده فانتقل ملك مصر والشام وديار بكر والحجاز واليمن إلى أخيه الملك العادل أبي بكر بن أيوب، واستمر فيهم لى أن انقرضت الدولة الأيوبية، فقام بمملكة مصر المماليك الأتراك، وأول من قام منهم بمصر الملك المعز أيبك، فلما مات لم يفلح ابنه علي فصارت المملكة إلى قطز، وأول من قام بالدلة الجركسية الملك الظاهر برقوق، وانتقلت المملكة من بعد ابنه الملك الناصر فرج إلى الملك المؤيد شيخ المحمودي الظاهري، وقد جمعت في هذه فصلا كبيرا، وقلما تجد الأمر بخلاف ما قلته لك والله عاقبة الأمور.
قال ابن عبد الظاهر: والملك الكامل هو الذي اهتم بعمارتها وعمارة أبراجها، البرج الأحمر وغيره، فكملت في سنة أربع وستمائة، وتحول إليها من دار الوزارة ونقل إليها أولاد العاضد وأقاربه وسجنهم في بيت فيها، فلم يزالوا فيه إلى أن حولوا منه في سنة إحدى وسبعين وستمائة. قال: وفي آخر سنة اثنتين وثمانين وستمائة شرع السلطان الملك المنصور قلاون في عمارة برج عظيم على جانب باب السر الكبير، وبنى علوه مشترفات وقاعات مرخمة لم ير مثلها، وسكنها في صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة، ويقال أن قراقوش كان يستعمل في بناء القلعة والسور خمسين ألف أسير.
البئر التي بالقلعة: هذه البئر **من العجائب**، استنبطها قراقوش. قال ابن عبد الظاهر: وهذه البئر من عجائب الأبنية، تدور البقر من أعلاها فتنقل الماء من نقالة في وسطها، وتدور أبقار في وسطها وتنقل الماء من أسفلها، ولها طريق إلى الماء ينزل البقر إلى معينها في مجاز، وجميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء، وقيل أن أرضها مسامة أرض بركة الفيل وماؤها عذب. سمت من يحكي من المشايخ أنها لما نقرت جاء ماؤها حلوا، فأرد قراقوش أو نوا به الزيادة في مائها، فوسع نقر الجبل فخرجت منه عين مالحة غيرت حلاوتها. وذكر القاضي ناصر الدين شافع بن علي في كتاب عجائب البنيان، أنه ينزل إلى هذه البئر بدرج نحو ثلاثمائة درجة.
صفة القلعة". (٢)

---

(١) المواعظ والاعتبار ٣١١/١

(٢) المواعظ والاعتبار ٣٩٨/٢

٢١٩-"الملك بشخص وجب عليه القتل فأطعمها له فلما أكلها اضطرب ومات فى الحال فلما رأى الملك ذلك أنعم على الشاب بألف دينار وصار لا يتصرف فى شئ من الأمور الا برأى ذلك الشاب .ملك بشخص وجب عليه القتل فأطعمها له فلما أكلها اضطرب ومات فى الحال فلما رأى الملك ذلك أنعم على الشاب بألف دينار وصار لا يتصرف فى شئ من الأمور الا برأى ذلك الشاب .

ذكر أخبار الثلج والرد

قال عباس رضى الله عنهما ان الله تعالى خلق فى السماء جبالا من ثلج وبرد كما أن فى الأرض جبالا من حجر وهو قوله تعالى (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) الآية وفى بعض الاخبار ان الله تعالى خلق ملائكة نصف أبدانهم من ثلج ونصفها من نار فاذا أراد أن ينزل الثلج على مكان أمر تلك الملائكة أن ترفرف بأجنحتها على الثلج فما يسقط الى الأرض ثلج الا برفرفة أجنحة الملائكة قال ابن الجوزى فى بعض مصنفاته ان فى القرن الخامس من الهجرة وقع من السماء بردة وهى قطعة عظيمة فى بعض جهات الغرب فاهتزت لها الأرض وقتلت ما لا يحصى عددهم من البهائم والناس وكان أمرا مهولا .

ذكر أخبار ما بين السماء والأرض

قال كعب الاحبار رضى الله عنه ان بين السماء والأرض سحابا لطيفا وفوقه طيور بيض رؤوسها كرؤوس الخيل ولها ذوائب النساء ولها أجنحة طوال وليس لها فى السماء ملجأ ولا فى الأرض مأوى وانها تبيض وتفرج على السحاب فى الهواء وتقر على السحاب كما تقر الطيور على الماء. ويقرب من ذلك أن الطير المسمى بالحجل يعشش فى الهواء وانه يلقح فى الهواء كما تلقح النخلة من النخيل وانه يأتى الى أعشاش الطير فيأخذ من بيضها ويحضنه فاذا تحرك الفرخ فى البيضة وصار له قوة على الطيران طار حتى يلحق بأمه التى باضته فى الاصل ولا يقيم فى الهواء ويقال ان العقاب لا يسافد أنثاه وان الذى يسافدها من غير جنسه من الطيور نقل ذلك صاحل السكران. قيل ان الحجل يكون فى أسافل الريح والطير المسمى باليعسوب يكون فى أعالى الريح فيلقح منه وقيل فى المعنى

ما أنت الا كالعقاب فأمه ... معلومة وله أب مجهول

ومن العجائب أن فى بلاد الهند مدينة تسمى دكين وبها جبل يرى كله فى نار من غير موقد ويقال ان بذلك الجبل طائرا يسمى السمندل وهو على قدر الرخمة وأنه يعشش فى ذلك الجبل الذى ترى فيه النار ويفرخ فيه ولا يحترق من تلك النار ويقال ان ريشه يعمل منه مناشف فاذا اتسخت ترمى فى النار فتنقى من وسخها ولا تحترق ويعمل من ريشه فتائل للسراج فاذا فرغ الزيت تنطفئ منه الفتيلة ولا تأكلها النار ولو أقامت الى الابد ويقال ان دهن هذا الطير اذا طلى به الانسان بدنه ودخل النار لا تضره فاذا أراد الانسان ابطال عمل ذلك الدهن يطلى فوقه بالخل فانه يفسد الدهن. **ومن العجائب** أن طائرا يسمى السمرمر وهو قدر الزرزور ومن شأنه أنه يهلك الجراد قبل أن يأوى الى عين ماء فى أقصى بلاد العجم فاذا نزل فى بلادهم الجراد أرسلوا فارسين الى تلك العين فيحضران لهم من ماء تلك العين فيعلقونه بين السماء والأرض فاذا أتى الماء الى الأرض التى فيها الجراد يتبعه الطائر المعروف بالسمرمر فيقتل الجراد ويفنيه عن آخره ويقال ما دام ذلك الماء فى الأرض لا يدخل اليها الجراد. ومن شأن هذا الماء أنه اذا كان فى اناء ووضع على الأرض بطل السر الذى به وأما قولهم فى ارسال

فارسين الى تلك العين التى يأوى اليها السمرمر فارسال الفارسين خشية أن يموت أحدهما فيحضر الماء الآخر ويقال ان عين الماء هى التى تسمى السمرمر واليها ينسب ذلك الطير. ومما يؤيد هذا الخبران فى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة أحضر بعض الاعاجم الى الملك الظاهر جقمق. قمقم نحاس مختوما وزعم أن فيه ماء السمرمر فأنعم عليه السلطان بألف دينار فى مقابلة تعبه فعلق الملك الظاهر ذلك القمقم فى سقف الكبير والسمرمر معلق به مدة طويلة فمن يومئذ امتنع الجراد عن مصر. وفى بعض الأخبار ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما أن بين السماء والأرض بحرا من نار وليس لها دخان فيقال ان الجان خلقوا من ذلك البحر ومن الفوائد اللطيفة ما نقله الشعبى فى كتاب العرائس أن الهدهد يرى الماء تحت الأرض كما يرى أحدكم إناه وروى أن اسم الغراب أعور وانما سمى بذلك لأنه يغمض إحدى عينيه من قوة بصره ويقتصر على الأخرى وقد قيل فى المعنى". (١)

٢٢٠-"قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى ان الذى عرف من البحار فى الدنيا تسعة وعشرون بحرا غير ما ظهر من الانهار والعيون فائدة لطيفة فى الفرق بين البحر والنهر قال الجوهرى فى الفرق انما سمى البحر بحرا لاستبحاره وانبساطه وسعته لانه شق فى الارض شقا وفى كلام العرب الشق هو البحر فكانوا يقولون للناقة اذا شقوا أذنها بحيرة وقال الزجاج وكل نهر ذى ماء كثير راكد بحر لكن اذا جرى يقال له نهر كدجلة والفرات والنيل وما أشبه ذلك فيكون الماء اذا اتسع ولم يجر بحرا واذا جرى فهو نهر ويقال للبحر الصغير بحيرة قال ابن الجوزى ان الذى عرف من البحار فى الدنيا تسعة وعشرون بحرا ففى جزيرة الشرق منها ثمانية بحور وفى جزيرة الشمال أحد عشر بحرا وفى جزيرة الجنوب اثنان وفيها من الجزائر المعروفة احدى وسبعون جزيرة وفى جزيرة الشرق ثمان جزائر وفى جزيرة الغرب ست عشرة جزيرة وفى جزيرة الشمال احدى وثلاثون جزيرة وفى جزيرة الجنوب ست عشرة جزيرة وأما البحار الكبار المشهورة فسبعة وهى المحيط أى المحيط بالدنيا ويقال ان مسافته أربعة وعشرون ألف فرسخ وجميع البحار تأخذ منه قال بعض العلماء انما سمى البحر المحيط محيطا لاحاطته بالدنيا ولذا كان الحكيم أرسطاطا ليس يسميه الاكليل لانه حول الارض بمنزلة الاكليل على الرأس وبهذا البحر **من العجائب** ما لايسمع بمثلها ويخرج من هذا البحر ستة بحار كبار أعظمها اثنان وهما اللذان ذكرهما الله تعالى فى القرآن فى قوله عز وجل (مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) أحدهما يخرج من جهة الشرق والآخر من جهة الغرب فاشرقى يقال له الصينى والهندى والفارسي واليمنى والحبشى والغربى يقال له البحر الرومى. وأما ذكر عجائب البحر المحيط فقال ابن الجوزى ان فيه جزائر فيها غنم لا يحصى عددها ولحومها مرة لا تؤكل فيذبح منها أهل الجزائر ويصنعون منها الأنطاع وبهذه الجزائر شجر يطرح شيئا مثل التين ومن شأنه انه اذا أكله المسموم يبرأ من وقته وفى هذه الجزائر حيات عظيمة تبلع الجاموس وفى هذا البحر أسماك كل سمكة مسيرة ثلاثة أيام ويرى فى عينها كالبرق الخاطف وفيه سرطانات عظيمة قدر الجبل وفيه حجر يسمى البهت اذا أمسكه أحد من ذوى الحوائج ودخل على سلطان أو حاكم انعقد لسانه عنه وقضيت حاجته منه وفى هذا البحر عجائب كثيرة وهو بحر مظلم كدر المياه منتن الروائح صعب المسلك لما فيه من الدواب الكواسر وهيجان أمواجه لا

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور ص/٤

يعلم له آخر ولا يقف أحد على صحة أخباره سوى ما عرف من بعض سواحله وما قرب من جزائره اه والبحر الثانى هو البحر الصينى ومخرجه من الشرق وهو كمد اللون ومخرجه من البحر المحيط ومن عجائبه أن به مغاوص اللؤلؤ وبه معدن المرجان فيقال انه ينبت فى قاع البحر كما تنبت الاشجار فى الأرض وتتشعب منه عروق فى الماء وهى لينة مثل عروق الشجر فاذا قلعت تجف فى الهواء ويتجر بها ويحملونها فتصير جامدة وقيل ان الغائصين عليه يعمدون الى شباك من القنب الغليظ ويثقلونها بالحجارة حتى انها تدور بها من أصول الشجرة ثم يجذبونها حتى تنقلع فيخرجونها الى البر ويتركونها حتى تجف ثم يفصلونها قطعا كبارا وصغارا على قدر ما أرادوا وأما أخبار اللؤلؤ فقيل ان الذين يغوصون على اللؤلؤ يعمدون على أخشاب من شجر المقل ويدلونها بحبال من الليف فى أماكن معروفة بمواضع اللؤلؤ ويجعلون فى تلك الأخشاب حجارة سوادا كبارا نحو ستين رطلا. وسبب ذلك أن فى تلك الاماكن من الحيوانات أشياء كثيرة تبتلع الغائصين فتنفر من الحجارة السود. وقيل ان الغائصين اذا رأو شيئا من الحيوانات الكواسر ينبحون عليها كنبح الكلاب فتنفر منهم فعند ذلك يصيدون الصدف ثم ان الغائص يلتقط الصدفة ويضعها فى الوعاء الذى فى صدره فاذا أخرجها الى البراستخرجوا من بطونها اللؤلؤ فمنه صغار ومنه كبار ومن الحكايات الغريبة أن بعض التجار سافر الى مغاوص اللؤلؤ فأنفق جميع ما يملكه للغواصين ولم يطلع له شئ من اللؤلؤ فلم يبق معه شئ فساعدته التجار وأعطوه شيئا للغاطاسين حتى غطسوا له مرة أخرى فلما غطسوا غابوا فى البحر ساعة ثم طلعوا له ببنت من بنات البحر لها ذوائب مثل شعر النساء وهى حسنة الصورة فأخذها ذلك التاجر ومضى بها الى منزله فقعدت عنده ثلاثة أيام لا تأكل ولا تشرب ولا تتكلم فقال لها ذلك التاجر بالاشارة تسيرين الى البحر فأشارت". (١)

٢٢١-"برأسها نعم فأخذها ووضعها فى مركب ودخل بها الى المكان الذى أخرجوها منه فلما رأت الموضع الذى أخذت منه ألقت نفسها الى البحر فلما صارت الى قاع البحر سمع من ذلك المكان ضجيج عظيم فلما أراد أن يرجع بالمركب أمهل ساعة فلم يشعر الا بصدف يرمى فى المركب من البحر فلا زالوا يرمون له من البحر حتى أوسقوا المركب من صدف اللؤلؤ فرجع وهو أغنى التجار وأما ما كان من أخبار بحر الهند وهو البحر الثالث ومخرجه من البحر المحيط أيضا فيمتد من المغرب الى المشرق ويخرج منه أربعة خلجان خليج يمتد خلف أرض الهند ويمشى من حواليها ألفا وسبعمائة ميل وخليج يمتد الى أيلة ويقال ان بهذا الخليج ألفا وثلاثمائة وسبعين جزيرة عامرة بالسكان وانتداده ثمانية آلاف ميل وقيل أكثر من ذلك وعرضه ألفان وسبعمائة ميل وبه **من العجائب** ما لا يحصى. قيل ان من بعض جزائره جزيرة سكانها مثل الوحوش ووجوههم مثل البغال وجسدهم مثل أجساد بنى آدم وبه توجد الدابة التى منها العنبر الخام وقد روى فى بعض الأخبار أن دابة العنبر كانت من أعظم دواب البحر وكان طولها نحو مائة ذراع فصارت تفسد الزرع وتأكل الأشجار فساقها جبرائيل عليه السلام الى البحر المحيط فصارت من دوابه فتطلع الى الجزائر وترعى من الاشجار والأعشاب الطيبة فتقذف من بطنها هذا العنبر الخام فيجدونه فى بعض جزائر هذا البحر وقيل انها تقذف من بطنها فى كل يوم قدر خمسمائة رطل ويوجد فى

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور ص/٩

هذه الجزائر دابة الزباد وهى مثل الهرة والزباد من عرق ابطها ويوجد فى هذه الجزائر العود القمارى وهو من خشب أشجار تلك الجزائر وليس له هناك رائحة طيبة ويوجد فى هذه الجزائر أحجار براقة ولها لمعان يتلألأ نورا وتسمى هذه الاحجار ضحكة الباهت ومن شأن هذه الاحجار انها اذا نظر اليها انسان ضحك فى الحال واستمر يضحك الى أن يموت وفى هذه الجزائر سباع لها قرون طوال ولا يقدر أحد من الناس أن يقابلها فتثب عليه وفيها أفيال عظيمة الخلقة فمنها ما لونه أبيض ومنها ما لونه أسود وفيها النمور والفهود وأشياء كثيرة من الوحوش الكواسر انتهى ما أردناه من ذكر البحار السبعة وذلك على سبيل الاختصار والله سبحانه وتعالى أعلمرأسها نعم فأخذها ووضعها فى مركب ودخل بها الى المكان الذى أخرجوها منه فلما رأت الموضع الذى أخذت منه ألقت نفسها الى البحر فلما صارت الى قاع البحر سمع من ذلك المكان ضجيج عظيم فلما أراد أن يرجع بالمركب أمهل ساعة فلم يشعر الا بصدف يرمى فى المركب من البحر فلا زالوا يرمون له من البحر حتى أوسقوا المركب من صدف اللؤلؤ فرجع وهو أغنى التجار وأما ما كان من أخبار بحر الهند وهو البحر الثالث ومخرجه من البحر المحيط أيضا فيمتد من المغرب الى المشرق ويخرج منه أربعة خلجان خليج يمتد خلف أرض الهند ويمشى من حواليها ألفا وسبعمائة ميل وخليج يمتد الى أيلة ويقال ان بهذا الخليج ألفا وثلاثمائة وسبعين جزيرة عامرة بالسكان وانتداده ثمانية آلاف ميل وقيل أكثر من ذلك وعرضه ألفان وسبعمائة ميل وبه **من العجائب** ما لا يحصى. قيل ان من بعض جزائره جزيرة سكانها مثل الوحوش ووجوههم مثل البغال وجسدهم مثل أجساد بنى آدم وبه توجد الدابة التى منها العنبر الخام وقد روى فى بعض الأخبار أن دابة العنبر كانت من أعظم دواب البحر وكان طولها نحو مائة ذراع فصارت تفسد الزرع وتأكل الأشجار فساقها جبرائيل عليه السلام الى البحر المحيط فصارت من دوابه فتطلع الى الجزائر وترعى من الاشجار والأعشاب الطيبة فتقذف من بطنها هذا العنبر الخام فيجدونه فى بعض جزائر هذا البحر وقيل انها تقذف من بطنها فى كل يوم قدر خمسمائة رطل ويوجد فى هذه الجزائر دابة الزباد وهى مثل الهرة والزباد من عرق ابطها ويوجد فى هذه الجزائر العود القمارى وهو من خشب أشجار تلك الجزائر وليس له هناك رائحة طيبة ويوجد فى هذه الجزائر أحجار براقة ولها لمعان يتلألأ نورا وتسمى هذه الاحجار ضحكة الباهت ومن شأن هذه الاحجار انها اذا نظر اليها انسان ضحك فى الحال واستمر يضحك الى أن يموت وفى هذه الجزائر سباع لها قرون طوال ولا يقدر أحد من الناس أن يقابلها فتثب عليه وفيها أفيال عظيمة الخلقة فمنها ما لونه أبيض ومنها ما لونه أسود وفيها النمور والفهود وأشياء كثيرة من الوحوش الكواسر انتهى ما أردناه من ذكر البحار السبعة وذلك على سبيل". (١)

٢٢٢-"ومن هناك قل نسل الأفيالوالله أعلم بحقيقة الحال ويوجد فى هذه الجزائر شجر حصى اللبان وشجر الآبنوس وفيها أحجار اذا نقعت فى الزيت تضئ مثل الفتيلة ولا يطفأ ذلك. وأما البحر الغربي وهو البحر الرابع فامتداده من البحر المحيط أيضا وهذا البحر لا يعرف منه الا ما ظهر من جهة الغرب وينتهى الى بلاد الحبشة والى خلف بلاد رومية وهو صعب المسلك لا يعرف له منتهى وفى بعض جزائره أشخاص متوحشة تسمى الغيلان وهى تقرب من شكل بنى آدم ولا

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور ص/١١

تظهر الا بالليل وتهلك كل من تراه واذا جرى الواحد منهم فلا تلحقه الخيل الغائرة ولا يؤثر فيه وقع السهام ويتناثر من فمه مثل شرار النار واذا طلع عليه النهار يختفى فى مغارة هناك الى ان يدخل الليل وفى بعض جزائره يقطين عظيم الخلقة قيل انه يعمل من نصف اليقطينة مركب صغير يعدون فيها الى البر وفى هذه الجزيرة حيات عظيمة الخلقة لها ذوائب شعر وهى تسبح فى البحر وتسد ما بين البرين فاذا أشرقت الشمس وثبت عليها لكى تبتلعها وكذلك اذا غربت وفى هذا البحر أمم على صور مختلفة ما على شكل بنى آدم من رجال ونساء فمنهم من رأسه أقرع وله ذقن بيضاء يسمونه شيخ البحر وفيه مثل شكل الكلب والخنزير والقط والفرس والحمار والبقر والغنم وغير ذلك كما في البر من الحيوانات وتزيد على البر من الأجناس. قال بعض الحكماء ان حيوان البحر اذا أقام فى البر هلك وحيوان البراذا اقام في البحر هلك. وسبب ذلك أن الله تعالى خلق حيوان البحر لا رئة له لان بها يقع النفس فلا اقامة له فى البر . قال كعب الاحبار خلق الله ثمانين ألف أمة وجعل نصفها فى البحر ونصفها فى البر وهم على صور مختلفة وفى هذا البحر جزائر ينبت فيها قضبان لها لون كلون الذهب فاذا طلعت عليه الشمس صار له لمعان فلا يستطيع أحد أن ينظر اليه. وأما البحر الرومي وهو البحر الخامس ومادته من البحر المحيط أيضا، ويمتد من أعلى افريقية والشام و يتصل بطرطوس وهو خمسة آلاف ميل . وعرضه سبعمائة وستون ميلا وفيه جزائر عامرة يسكنها أمم من بنى الأصفر وغيرهم وفيه كثير **من العجائب**. قيل ان فى بعض جزائره تطلع دابة فى كل سنه من البحر تشبه البقرة وفيها روح تقيم ساعة فى البر ثم تموت فتصير قطعة زفت فيبيعها أهل تلك الجزيرة للافرنج فيطلون بها تلك المراكب. ونقل الباشورى فى بعض مصنفاته أن ملكا من ملوك اليونان قصد أن يحفر خليجا من البحر الغربي الى البحر الشرقي ويرفع البرزخ من بينهما . وكانت جزيرة الاندلس وبلاد البرابرة ينبت فيها شجر الجميز وكانت تلك الأرض وخمة يسكنها أقوام من اليونان وكان بتلك الأرض الطائر المعروف بالفقعس وهو طائر حسن الصوت اذا سمعه انسان غلب عليه شدة الطرب فيموت السامع من وقته : وكان هذا الطائر اذا حان موته حسن صوته قبل أن يموت بسبعة أيام فلا يمكن أحدا أن يسمع صوته الا يموت ويقال ان عامل الموسيقا كان من الفلاسفة فأراد أن يسمع صوت الفقعس وهو فى شدة صياحه فخشى على نفسه أن يموت من الطرب فسد أذنيه سدا محكما ثم قرب اليه وجعل يفتح اذنيه شيئا فشيئا ثم استكمل فتح الاذنين فى ثلاثة أيام الى أن وصل الى سماعه رتبة بعد رتبة . وقيل ان ذلك الطائر هو وأفراخه غرقوا لمهاجم الماء على تلك الأرض فلم يبق له وجود بعد ذلك. ويقال ان الملك الذى أجرى ماء هذا الخليج حفرزقاقا طوله ثمانية عشر ميلا فى عرض اثنى عشر ميلا وبنى بجانبه عضادتين وعقد عليهما قنطرة فلما فتح البرزخ من البحر الغربي فتح منه قدرا يسيرا من ثقب فى جبل كان حاجزا بين تلك الأرض والبحر فلما دخل الماء فى ذلك الثقب كان ماء البحر الغربي أعلى من تلك الارض فلما ساح الماء غطى تلك العضادتين والقنطرة وساق قدامه بلادا كثيرة . وأما نهر العرجاء ويسمى أيضا نهر أبي بطرس وهو شمال مدينة الرملة ومجراه نحو اثنى عشر ميلا ومنبعه من تحت جبل الخليل عليه السلام وينتهى حتى يصب فى البحر الرومي. وأما نهر الاردن وهو نهر الغور المسمى بالشريعة وينتهى الى بحيرة طبرية وقد عد الدجلة أيضا من جملة الأنهار وأنها تجري من بلاد الروم الى أعلى آمد وحصن كيفا والموصل وتكريت وبغداد وواسط والبصرة وتنتهى الى بحر فارس. وأما نهر حماة وحمص المسمى بالعاصى فانه يججر من جهه الجنوب الى الشمال وهو بخلاف غيره من الانهار فأنه

لا يسقى منه الارض الا بالنواعير ومنه فرقة". (١)

٢٢٣-"العجائب أن ببلاد سمرقند جبلا فيه أعجوبة وهى مغارة يدخلها الناس ويمشون تحت الأرض مقدار ساعة فيجدون الفضاء وفى ذلك المكان بحيرة عذبة الماء وحول تلك البحيرة أناس قاطنون وفى ذلك المكان مسجد وكنيسة فاذا كان الداخل مسلما أتوا به الى المسجد وان كان نصرانيا أتوا به الى الكنيسة وفى ذلك المكان مغارة فيها جماعة موتى قد صاروا جلودا على عظام وهم على هيئتهم لم يتغير من محاسنهم شى وعليهم أقبية من القطن وكفوفهم مفتوحة كأنهم يصافحون بها من أتى اليهم وعلى رؤسهم عمائم وهم قيام وظهورهم الى حائط المغارة فمنهم جماعة على وجوههم أثر ضرب بالسيوف وفى أجسادهم أثر الطعن بالرماح وفيهم الطويل والقصير والابيض والاسمر وهناك تابوت فيه امرأة وعلى صدرها صبى صغير وحلمة ثديها فى فمه وهناك سرير وعليه اثنا عشر رجلا وهم نيام على ظهورهم وبينهم صبى مخضبة بالحناء يداه ورجلاه ولم يثبت لهؤلاء القوم خبر ولم يعلموا من أى طائفة هم فمن الناس من يقول انهم من شهداء المسلمين قتلوا فى زمن عيسى ابن مريم عليه السلام ومنهم من يقول انهم قتلوا فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذكر أهل تلك الناحية أن فى كل سنة يكسوهم الاثواب من القطن ويحلقون رؤسهم ويقلمون أظافرهم وهم عظام عليها جلود ولا أرواح فيها. وأما جبل كورة رسم من أعمال الشرق ففيه أعجوبتان وهما أن فيه غارا اذا دخل فيه انسان وجد فى ذلك الغار حزمة من الحطب فيها قضبان عددها خمسة عشر قضيبا لا يعلم من أى الاخشاب هى فاذا أخذ تلك الحزمة انسان وخرج بها من الغار سقطت أخرى غيرها فى الحال فهى على ذلك لا تنقطع على ممر الزمان ولو تكرر أخذها فى النهار مرارا سقط بدل ما أخذ. والاعجوبة الأخرى أن به مغارة أخرى فيها عظم ميت وهو واقف فى المغارة فيأتى اليه انسان فيضعه على الأرض ممدودا ثم يلتفت فيراه واقفا كما كان أولا ثم يخرج به من المغارة ويبعد به عن ذلك المكان مسافة بعيدة ويضعه فى البرية ملقى على الأرض ثم يسوق فرسه مشوارا واحدا ويجئ الى تلك المغارة فيجده قدسبقه الى تلك المغارة وهو واقف كما كان فيها أولاد أهل تلك الناحية يسمونه الشهيد اه ذلك وأما جبال مكة فمنها جبل حراء وجبل ثور الذي به الغار وجبل ثبيرو وجبل مفرح الذي بالمدينة وجبل حنين وجبل عرفات وجبل المنحنى وغير ذلك من الجبال. **ومن العجائب** أن جبلا بمدينة آمد فيه صدع من أولج سيفه فيه ثم قبض عليه بجميع يديه يضطرب السيف ويرتعد صاحب السيف ولو كان صاحب السيف أشد الناس قوة. وأما جبل قافونا فمبدؤه من كثف السد الذي على يأجوج ومأجوج وينتهي ألى أرض الصين. وأما جبل المجرد فهو عند بحر الظللمات ومن عجائبه أن به أناسا أعينهم فى مناكبهم وأفواههم في صدورهم وليس لهم أكل سوى السمك ويقال ان عندهم بذلك الجبل بذرا اذا بذروه عنهدهم ينبت حملامثل الخرفان فاذا بلغ النبت وجدوه بذلك الحمل روحا فاذا صار له شهران خرجت الروح منه فاذا ذبحوه وأكلوه لم يجدوا فيه طعم اللحم وليس فيه دسم . وصفة الخروف عندهم يكون على قدر القط وليس على جسده صوف . وأما جبل بكر سقانا فمبدؤه من خلف بلاد التكرور وهذا الجبل يأوى اليه الوحوش الكواسر مثل السبع والكركند. وأما جبل اللكان فبأرض دمشق ومبدؤه من مكة أو المدينة وهذا الجبل

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور ص/١٥

يسمى هناك مفرح ثم يمتد من هناك حتى يتصل بدمشق ويسمى بدمشق جبل لبنان وجبل الثلج ويمتد هذا الى انطاكية والمصيص ويصل الى بحيرة طبرستان عند باب الايوان ويمتد منه طرف الى صفدو والمتصل منه بدمشق والمطل عليها يسمى بجبل قيسون ثم يتصل الى بعلبك ويسمى هناك بجبل لبنان ثم يمتد الى طرابلس والى حصن الاكراد ويتصل الى حمص من غربيها ويسمى في تلك الجهة بجبل اللكان ولا يزال هذا الجبل يمتد الى أن يتصل بجبال الروم ويقال ان هذا الجبل يأوى اليه القاتم وهو شئ يشبه الفيران يتربى فى الثلج فيصيدونه بالشرك ونقل صاحب المبدأ أن ببعض نواحي دمشق جبلا لطيفا ينبت فيه نبات يشبه الريحان اذا وقف عنده انسان ونظر اليه وأنشد هذين البيتين يتمايل هذا النبات كتمايل من حصل له طرب يذكر حبيبه وهما هذان البيتانلعجائب أن ببلاد سمرقند جبلا فيه أعجوبة وهى مغارة يدخلها الناس ويمشون تحت الأرض مقدار ساعة فيجدون الفضاء وفى ذلك المكان بحيرة عذبة الماء وحول تلك البحيرة أناس قاطنون وفى ذلك". (١)

٢٢٤-"المكان مسجد وكنيسة فاذا كان الداخل مسلما أتوا به الى المسجد وان كان نصرانيا أتوا به الى الكنيسة وفى ذلك المكان مغارة فيها جماعة موتى قد صاروا جلودا على عظام وهم على هيئتهم لم يتغير من محاسنهم شى وعليهم أقبية من القطن وكفوفهم مفتوحة كأنهم يصافحون بها من أتى اليهم وعلى رؤسهم عمائم وهم قيام وظهورهم الى حائط المغارة فمنهم جماعة على وجوههم أثر ضرب بالسيوف وفى أجسادهم أثر الطعن بالرماح وفيهم الطويل والقصير والابيض والاسمر وهناك تابوت فيه امرأة وعلى صدرها صبى صغير وحلمة ثديها فى فمه وهناك سرير وعليه اثنا عشر رجلا وهم نيام على ظهورهم وبينهم صبى مخضبة بالحناء يداه ورجلاه ولم يثبت لهؤلاء القوم خبر ولم يعلموا من أى طائفة هم فمن الناس من يقول انهم من شهداء المسلمين قتلوا فى زمن عيسى ابن مريم عليه السلام ومنهم من يقول انهم قتلوا فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذكر أهل تلك الناحية أن فى كل سنة يكسونهم الاثواب من القطن ويحلقون رؤسهم ويقلمون أظافرهم وهم عظام عليها جلود ولا أرواح فيها. وأما جبل كورة رسم من أعمال الشرق ففيه أعجوبتان وهما أن فيه غارا اذا دخل فيه انسان وجد فى ذلك الغار حزمة من الحطب فيها قضبان عددها خمسة عشر قضيبا لا يعلم من أى الاخشاب هى فاذا أخذ تلك الحزمة انسان وخرج بها من الغار سقطت أخرى غيرها فى الحال فهى على ذلك لا تنقطع على مر الزمان ولو تكرر أخذها فى النهار مرارا سقط بدل ما أخذ. والاعجوبة الأخرى أن به مغارة أخرى فيها عظم ميت وهو واقف فى المغارة فيأتى اليه انسان فيضعه على الأرض ممدودا ثم يلتفت فيراه واقفا كما كان أولا ثم يخرج به من المغارة ويبعد به عن ذلك المكان مسافة بعيدة ويضعه فى البرية ملقى على الأرض ثم يسوق فرسه مشوارا واحدا ويجئ الى تلك المغارة فيجده قدسبقه الى تلك المغارة وهو واقف كما كان فيها أولاد أهل تلك الناحية يسمونه الشهيد اه ذلك وأما جبال مكة فمنها جبل حراء وجبل ثور الذي به الغار وجبل ثبيرو وجبل مفرح الذي بالمدينة وجبل حنين وجبل عرفات وجبل المنحنى وغير ذلك من الجبال. **ومن العجائب** أن جبلا بمدينة آمد فيه صدع من أولج سيفه فيه ثم قبض عليه بجميع يديه يضطرب السيف ويرتعد صاحب السيف ولو كان صاحب السيف أشد الناس قوة. وأما جبل قافونا فمبدؤه من كثف السد الذي

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور ص/٢٢

على يأجوج ومأجوج وينتهي ألى أرض الصين. وأما جبل المجرد فهو عند بحر الظللمات ومن عجائبه أن به أناسا أعينهم فى مناكبهم وأفواههم في صدورهم وليس لهم أكل سوى السمك ويقال ان عندهم بذلك الجبل بذرا اذا بذروه عنهدهم ينبت حملامثل الخرفان فاذا بلغ النبت وجدوه بذلك الحمل روحا فاذا صار له شهران خرجت الروح منه فاذا ذبحوه وأكلوه لم يجدوا فيه طعم اللحم وليس فيه دسم . وصفة الخروف عندهم يكون على قدر القط وليس على جسده صوف . وأما جبل بكر سقانا فمبدؤه من خلف بلاد التكرور وهذا الجبل يأوى اليه الوحوش الكواسر مثل السبع والكركند. وأما جبل اللكان فبأرض دمشق ومبدؤه من مكة أو المدينة وهذا الجبل يسمى هناك مفرح ثم يمتد من هناك حتى يتصل بدمشق ويسمى بدمشق جبل لبنان وجبل الثلج ويمتد هذا الى انطاكية والمصيص ويصل الى بحيرة طبرستان عند باب الايوان ويمتد منه طرف الى صفدو والمتصل منه بدمشق والمطل عليها يسمى بجبل قيسون ثم يتصل الى بعلبك ويسمى هناك بجبل لبنان ثم يمتد الى طرابلس والى حصن الاكراد ويتصل الى حمص من غربيها ويسمى في تلك الجهة بجبل اللكان ولا يزال هذا الجبل يمتد الى أن يتصل بجبال الروم ويقال ان هذا الجبل يأوى اليه القاتم وهو شئ يشبه الفيران يتربى فى الثلج فيصيدونه بالشرك ونقل صاحب المبدأ أن ببعض نواحي دمشق جبلا لطيفا ينبت فيه نبات يشبه الريحان اذا وقف عنده انسان ونظر اليه وأنشد هذين البيتين يتمايل هذا النبات كتمايل من حصل له طرب يذكر حبيبه وهما هذان البيتانلمكان مسجد وكنيسة فاذا كان الداخل مسلما أتوا به الى المسجد وان كان نصرانيا أتوا به الى الكنيسة وفى ذلك المكان مغارة فيها جماعة موتى قد صاروا جلودا على عظام وهم على هيئتهم لم يتغير من محاسنهم شى وعليهم أقبية من القطن وكفوفهم مفتوحة كأنهم يصافحون بها من أتى اليهم وعلى رؤسهم عمائم وهم قيام وظهورهم الى حائط المغارة فمنهم جماعة على وجوههم أثر ضرب بالسيوف وفى أجسادهم أثر الطعن بالرماح وفيهم الطويل والقصير والابيض والاسمر وهناك تابوت فيه امرأة وعلى صدرها صبى صغير وحلمة ثديها فى فمه وهناك سرير وعليه اثنا عشر رجلا وهم نيام على ظهورهم وبينهم صبى مخضبة بالحناء يداه ورجلاه ولم يثبت لهؤلاء القوم خبر ولم يعلموا من أى طائفة هم فمن الناس من يقول انهم من شهداء المسلمين قتلوا فى زمن عيسى ابن مريم عليه السلام ومنهم من يقول انهم قتلوا فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذكر أهل تلك الناحية أن فى كل سنة يكسونهم الاثواب من القطن ويحلقون رؤسهم ويقلمون أظافرهم وهم عظام عليها جلود ولا أرواح فيها. وأما جبل كورة رسم من أعمال الشرق ففيه أعجوبتان وهما أن فيه غارا اذا دخل فيه انسان وجد فى ذلك الغار حزمة من الحطب فيها قضبان عددها خمسة عشر قضيبا لا يعلم من أى الاخشاب هى فاذا أخذ تلك الحزمة انسان وخرج بها من الغار سقطت أخرى غيرها فى الحال فهى على ذلك لا تنقطع على ممر الزمان ولو تكرر أخذها فى النهار مرارا سقط بدل ما أخذ. والاعجوبة الأخرى أن به مغارة أخرى فيها عظم ميت وهو واقف فى المغارة فيأتى اليه انسان فيضعه على الأرض ممدودا ثم يلتفت فيراه واقفا كما كان أولا ثم يخرج به من المغارة ويبعد به عن ذلك المكان مسافة بعيدة ويضعه فى البرية ملقى على الأرض ثم يسوق فرسه مشوارا واحدا ويجئ الى تلك المغارة فيجده قدسبقه الى تلك المغارة وهو واقف كما كان فيها أولاد أهل تلك الناحية يسمونه الشهيد اه ذلك وأما جبال مكة فمنها جبل حراء وجبل ثور الذي به الغار وجبل ثبيرو وجبل مفرح الذي بالمدينة وجبل حنين وجبل عرفات وجبل المنحنى وغير ذلك من الجبال. **ومن العجائب** أن جبلا بمدينة آمد فيه صدع من

أولج سيفه فيه ثم قبض عليه بجميع يديه يضطرب السيف ويرتعد صاحب السيف ولو كان صاحب السيف أشد الناس قوة. وأما جبل قافونا فمبدؤه من كثف السد الذي على يأجوج ومأجوج وينتهي ألى أرض الصين. وأما جبل المجرد فهو عند بحر الظللمات ومن عجائبه أن به أناسا أعينهم فى مناكبهم وأفواههم في صدورهم وليس لهم أكل سوى السمك ويقال ان عندهم بذلك الجبل بذرا اذا بذروه عنهدهم ينبت حملامثل الخرفان فاذا بلغ النبت وجدوه بذلك الحمل روحا فاذا صار له شهران خرجت الروح منه فاذا ذبحوه وأكلوه لم يجدوا فيه طعم اللحم وليس فيه دسم . وصفة الخروف عندهم يكون على قدر القط وليس على جسده صوف . وأما جبل بكر سقانا فمبدؤه من خلف بلاد التكرور وهذا الجبل يأوى اليه الوحوش الكواسر مثل السبع والكركند. وأما جبل اللكان فبأرض دمشق ومبدؤه من مكة أو المدينة وهذا الجبل يسمى هناك مفرح ثم يمتد من هناك حتى يتصل بدمشق ويسمى بدمشق جبل لبنان وجبل الثلج ويمتد هذا الى انطاكية والمصيص ويصل الى بحيرة طبرستان عند باب الايوان ويمتد منه طرف الى صفدو والمتصل منه بدمشق والمطل عليها يسمى بجبل قيسون ثم يتصل الى بعلبك ويسمى هناك بجبل لبنان ثم يمتد الى طرابلس والى حصن الاكراد ويتصل الى حمص من غربيها ويسمى في تلك الجهة بجبل اللكان ولا يزال هذا الجبل يمتد الى أن يتصل بجبال الروم ويقال ان هذا الجبل يأوى اليه القاتم وهو شئ يشبه الفيران يتربى فى الثلج فيصيدونه بالشرك ونقل صاحب المبدأ أن ببعض نواحي دمشق جبلا لطيفا ينبت فيه نبات يشبه الريحان اذا وقف عنده انسان ونظر اليه وأنشد هذين البيتين يتمايل هذا النبات كتمايل من حصل له طرب يذكر حبيبه وهما هذان البيتان". (١)

٢٢٥-"قيل ان الناس يقصدونه وقت القائلة في شدة الحر وليس في الجو هواء ويذكرون عنده هذين البيتين فيرون من التمايل وإن لم ينشده فهو ساكن لا يتحرك وهذا **من العجائب** وأعجب من هذه الحكاية ماذكره وصيف شاه فى اخبار مصر أن بنواحي الصعيد شجرة اذا وضع أحد يدة عليها وقال يا شجرة العباس جاءك الناس تجمع أوراقها وتشرع فى الذبول واذا قال لها عفوانا عنك ترجع الى ما كانت عليه من الحسن والنضارة وهذه الشجرة تشبه شجرة السنط مستديرة الأوراق بهية المنظر . وأما جبل طور سيناء فقيل هو بالقرب من عقبة ايليا ويقال ان به قبر هارون أخي موسى عليهما السلام. وجبل من جهات الصعيد فيه عدة جبال كبار وصغار يوجد فيها مقاطع الرخام السماقى واللازوردي والفستقي والابيض والكهرماني ويقال في البهنسا جبل فيه مغاور يوجد فيها الزمرد الديابى . قال المسعودى ليس فى الدنيا يوجد معدن الزمرد الديابى الا بمصر فى نواحي البهنسا ولم يزل هذا المعدن يوجد هناك الى أوائل قرن المائة السابعة ثم انقطع وجوده من هناك وأما الجنادل فهما جبلان صغيران والنيل يشق بينهما فيسمع له هناك دوى عظيم وذلك المكان لا تسلكه المراكب الكبار وهو الفارق بين سفن الحبشة وسفن المسلمين ويعرف بالجنادل والصخور كما تقدم ذكره. وأما جبل الطير فهو بصعيد مصر فى ضيعة يقال لها أشمون مطل على بحر النيل وفيه أعجوبة لم يسمع بمثلها فى سائر البلدان وذلك أنه فى آخر فصل الربيع فى يوم معلوم من السنة تأتى اليه طيور كثيرة هى بلق سود الرقاب مطوقات بالبياض وفى أصواتها بحة واذا طارت

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور ص/٢٣

ملأت الآفاق ويقال لها طيور البح فيصعدون مكانا فى هذا الجبل فينفرد منا طائر فيضرب بمنقاره فى ذلك المكان فان تعلق منقارة فى ذلك الشعب وقبض عليه تفرقت عنه بقيه الطيور وان لم يتعلق ذلك الطير تقدم غيره بمنقاره فان تعلق والا تأخر ويتقدم غيره فلا يزال يتقدم واحد بعد واحد حتى يتعلق واحد فأن تعلق نفرت الطيور كلها وذهبت الى حال سبيلها فلا يزال ذلك الطائر معلقا بمنقاره حتى يموت ويضمحل فيقع على الأرض وهذا دأب تلك الطيور فى كل سنة وهذه الواقعة مشهورة فى تلك البلاد وحكى أنه فى بعض السنين تعلق طائر بمنقاره ثم سقط فلما رأته الطيور جعلت تضربه بمناقيرها وتسوقه الى أن جاء الى الشعب وضربه بمنقاره فتعلق كا كان حتى مات وهذه **من العجائب**. وقيل اذا كانت السنة مخصبة جيدة يتعلق اثنان واذا كانت متوسطة يتعلق واحد واذا كانت مجدبة لم يتعلق شئ. وأما جبل المقطم فان أوله بالمشرق من نواحي بلاد الصين ويمر من بلاد التتر حتى يأتى الى مدينة فرغانة والى جبال التيم ويتصل بجبال القلزم من جهة أخرى قال بعض العلماء انما سمى بالمقطم لأن المقطم مأخوذ من القطم وهو القطع لأنه مقطوع من النبات والأشجار فلذلك سمى المقطم وروى عن الامام الليث بن سعد رضى الله عنه أنه قال لما قدم عمرو بن العاص الى مصر عند فتحها فلما فتحها سار يوما الى سفح الجبل المقطم وكان صحبته المقوقس عزيز القبط صاحب مصر فقال له عمرو بن العاص ما بال جبلكم هذا أقرع ليس به أشجار ولا نبات فقال له المقوقس ان فى كتبنا القديمة أنه كان أكثر الجبال نباتا وأشجارا فلما كانت الليلة التى ناجى موسى ربه فيها أوحى الله الى الجبال انى مكلم نبيا من الانبياء على واحد منكم فعند ذلك شمخت الجبال كلها الا جبل بيت المقدس فانه تصاغر فأوحى الله الية لم فعلت ذلك فقال اعظاما واجلالا لك يا رب فأمر الله تعالى الجبال أن تمده مما عليها من الاشجار فجاد له الجبل المقطم بجميع ما كان عليه من الاشجار والنبات وكان أكثر الجبال أشجارا ونباتا فأوحى الله تعالى اليه انى معوضك على فعلك وودك بغرس الجنة وهم المؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. ويروى أن كعب الاحبار رضى الله عنه قال لرجل من أصحابه يريد التوجه الى مصر فإذا جئت الى بيت المقدس فاصحب لى معك شيئا من تراب الجبل المقطم ففعل الرجل ذلك فلما دفع اليه تراب المقطم وضعه فى جراب وجعله عنده وأوصاه أنه اذا مات بفرش ذلك التراب فى قبره للتبرك فلما مات وضعوا التراب فى قبره وأما الجبل الاحمر فانه متصل بالجبل المقطم مطل على القاهرة من شرقيها ويعرف بالجبل اليحموم واليحموم عند العرب الأسود وقال الكندي ان بمصر ثلاثة جبال صغارا تسمى الشرف أحدهما الذى وضعت عليه". (١)

٢٢٦-"قال القضاعى ان من البلدان العجيبة مدينة رومية. قيل أن دورها عشرون فرسخا وعليها ثمانية أسوار من الحجارة الصوان المانع وهى على جبل داخل البحر المالح وهو محيط بها ويقال أن الجن بنتها لسليمان بن داود عليهما السلام وحول هذه المدينة خندق من النحاس عمقه أربعون ذراعا وعرضه مثل ذلك وعليه ألواح من نحاس كهيئة الطوارق طول كل لوح خمسون ذارعا وعرضه عشرون ذراعا فى غلظ ذراعين وجعلوا من أول هذه المدينة الى أخرها أعمدة من النحاس الاصفر وعلى تلك الأعمدة مجراة من النحاس قدر الخليج يجرى فيها الماء وبهذه المدينة أربعمائة منارة من الذهب الاحمر

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور ص/٢٥

طول كل منارة مائة ذراع وهى حول الكنيسة الكبيرة وبها مكان مربع وعليه درابزين من الذهب ويقولون ان به ملكا من الملائكة مقيما فى ذلك المكان لا يبرح عنه أبدا وبها جثة بطرس وبولص من جوارى عيسى ابن مريم عليهم السلام وهما فى توابيت من ذهب معلقة بسلاسل من فضة فى هذه الكنيسة وقد كان حولها ألف ومائتا كنيسة يسكنها الرهبان فى مواضع بها لهذه الكنيسة ثمانية وعشرون بابا وهى مصفحة بصفائح الذهب والفضة وفى دوائرها ألف شباك من النحاس الأصفر خارجا عن الابواب الآبنوس وفيها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام وهى من الزمرد الأخضر وطولها ذراعان وعرضها ذراع وهى محمولة على أثنى عشر تمثالا من الذهب بأعين من الياقوت الأحمر وهى تتقد كالشمس وأما صفة هذه المدينة فأسواقها وشوارعها مبلطة بالرخام الابيض وبها حجارة مكتوب عليها بقلم العبراني فاذا جعلوا تحتها قمحا طحنته بدوران سريع فيصير دقيقا فاذا فرغ القمح بطلت حركتها. وبها أيضا **من العجائب** فى ليلة الشعانين ينفتح فى الكنيسة الكبرى كوة فيخرج منها تراب أبيض ولا يزال يخرج الى الصباح فاذا طلع الفجر انقطع التراب ومن خاصية هذا التراب أنه ينفع للملسوع فيفرقونه للاجر فاذا بيع بطل نفعه وكان بها **من العجائب** صخرة من رخام أخضر عليها كتابة بالقلم القديم فمن أراد أن يعلم حال الغائب أو المسافر أو الباقى يجئ الى تلك الصخرة وينام عليها فيرى فى منامه جميع ما يكون من حال الغائب وغيره. وكان بها **من العجائب** حجر اذا وضع عليه الانسان يده تقايأ كل ما في جوفه فما دامت موضوعه فهو يتقايأ فأن لم يرفع يده عند كفايته خرجت أمعاؤه فيموت. وكان بها **من العجائب** شجرة من نحاس أصفر وعليها هيئة طائر من نحاس فاذا كان أوان الزيتون صفر ذلك الطائر النحاسي صفيرا عاليا فيأتى اليه زرزور فى الدنيا وفى كل رجل من رجليه زيتونه وفى منقارة زيتونه فيضعونه على سطح الكنيسة الكبرى فتجمع الرهبان من ذلك الزيتون شيئا كثيرا فيعصرونه ويخرجون زيته فيكفيهم من العام للعام وقيدوا وأكلا. وقيل كانوا اذا ادخروا فيها الغلال دهرا طويلا لا تتغير لانها مبنية فى مكان معتدل جدا غير وخيم وأما أخبار مدينة الاسكندرية فقال المسعودى هذه المدينة من أعظم مدائن الدنيا قد بنيت بعد الطوفان على يد مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ثم خرجت بعد ذلك فبنتها الملكة رقود ثم خربت بعد ذلك فبناها الاسكندر ذو القرنين فعرفت به. قال ابن الحكم فى أخبار مصر بناها الاسكندر بن قلتش المقدونى وكان من اليونان وقيل بناها شداد بن عاد والأقوال فى ذلك كثيرة وقال بعض المفسرين ان الاسكندرية هى ارم ذات العماد التى ذكرت فى القرآن العظيم وقيل انها بنيت فى ثلاثمائة سنة وسكنت ثلاثمائة سنة وخربت ثلاثمائة سنة وقال ابن وصيف شاه بنيت الاسكندرية ثلاث طبقات بعضها فوق بعض وهى اثنا عشر فرسخا في مثل ذلك وأقام لبنائها ألف صانع وعمل فيها مسارب بقناطر تتصل الى بحر النيل قال ابن الحكم لما أرادوا أن يبنوا أساس الاسكندرية كان يخرج اليهم من البحر صورعلى صفة السباع والذئاب والكلاب والخنازير وغير ذلك فيهدمون تحت الليل ما تبنيه الرجال بالنهار فلما أعيا الملوك ذلك حضر اليهم بعض الحكماء وعمل أشباه تلك الصور التى تطلع من البحر فلما خرجت تلك الصور رأت مثل صورها مقابلها فهربت منها ولم تعد بعد ذلك قال ابن عبد الحكم أقامت الاسكندرية سبعين سنة لا يقدر أحد أن يدخلها الا وعلى عينيه شعرية أو خرقة زرقاء من شدة بياض حيطانها فانها كانت تخطف الابصار وكان لا يوقد بها سراج فى الليالي

المقمرة وكانت عمارتها ممتدة من رمال رشيد الى برقة ويسير المركب". [١]

٢٢٧-"قال أين وصيف شاه في أعلى هذه المنارة قبة من نحاس أصفر منصوب فوقها مرآه من معادن شتى وقيل كانت من الحديد الصيني وقيل كانت من زجاج مدبر بالحكمة وكان قدرها خمسة أشباروقيل سبعة أشبار وهى على كرسي من نحاس مدبر بالحكمة وكانوا ينظرون فيها كل ساعة الى من يخرخ من بلاد الروم من مسافة تعجز عنها الأبصار فيستعدون لذلك فان كان العدو مدركهم يديرون تلك المرآة مقابل الشمس ويستقبلون بها سفن العدو فيقع شعاعها على السفن فتحترق عن آخرها فيهلك كل من فيها وان أراد أهل تلك المدينة أن يعلموا غيرهم من نواحيهم بعدوهم ينتشروا فى أعلاا المنارة أعلاما فيعلم أهل تلك النواحي بالعو فيستعدون للقتال أيضا قال ولم تزل المنارة على هذه الحالة حتى جاء عمرو بن العاص فأخرج له جماعة كتابا مكتوبا فيه أن أموال الاسكندر تحت هذه المنارة وحسنوا لعمرو بن العاص هدمها وأخد الاموال من تحتها ثم يعيدها الى ما كانت عليه وكذلك فطمع فى ذلك وقلع المرآة وهدم من المنارة ثلثها فلم يجد شيئا فعلم أن ذلك دسيسة لهدم المنارة ليبطل عمل المرآة والصنم وغيرها من المنافع لهم والمضرة للعدو فطلب الذين أشاروا عليه بهدمها فوجدهم قد هربوا وتمت حيلتهم على عمرو بن العاص وكان أصل هذه الحيلة من الروم ثم انه بنى المنارة ثانيا ونصب عليها المرآة كما كانت فبطل عملها الذى كانت عليه من الرؤية والاحراق واستقرت المنارة قائمة فى الهواء بغير منفعة الى تسع وسبعين ومائة من الهجرة فوقعت زلزلة عظيمة فسقط رأس المنارة فلما أستولى أحمد بن طولون على مصر بنى فى أعلى المنارة قبة من الخشب واستقرت على ذلك الى زمان الظاهر بيبرس البندقدارى فسقطت تلك القبة فبناها وجعل فى أعلى المنارة مسجدا وذلك فى سنة ثلاث وسبعين وستمائة واستقرت على ذلك الى اثنين وسبعمائة من دولة الناصر محمد بن قلاوون فوقعت فى أيامه زلزلة عظيمة فسقطت المنارة عن أخرها ونسخ أمرها من يومئذ.

ذكر أخبار عمود السوارى

قال القضاعي. **ومن العجائب** عمود السوارى الذى بثغر الاسكندرية وهو من الحجر الصوان وارتفاعه سبعون ذراعا ودوره خمسة أذرع ونصف وكان هذا العمود من جملة سبعة أعمدة وكان فوقها رواق يقال له بيت الحكمة فلما كان أيام سليمان بن داود عليهما السلام هدم ذلك البيت وجعله مسجدا للعبادة وكان حول ذلك الرواق سبعمائة عمود يسمونه الملعب يجتمعون تحت تلك العمد في يوم معلوم من السنة ويرمون بينهم الكرة فلا تقع فى حجر أحد منهم والذي تقع فى حجره يكون ملكا فى مصر ولو بعد حين فحضر في بعض أعيادهم عمرو بن العاص فوقعت الكرة فى حجره فملك مصر بعد ذلك في زمن الاسلام وكان يحضر فى ذلك الملعب ألف ألف أنسان من الاقباط وغيرهم من سائر الاجناس. وقيل لما وقعت الكرة في حجر عمرو بن العاص تعجب كل من كان حاضرا وقالوا من أين لهذا الاعرابي أن يصير ملك مصر بيده فلا زالت ارادة الله تعالى الى أن صاروا الى مصر والاسكندرية من أعمال مصر وقد قال القائل

يقولون المنارة والسوارى ... وأهل للعوامد والبناء

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور ص/٢٧

ويفتخرون في حمق وجهل ... بملتهم وحاصله هواء

قال المسعودى ان أهل الاسكندرية ينسبون الى الشح والبخل الزائد وتطول فيها الاعمار كذلك قرية مريوط ووادي فرغانة بالغرب. وسبب ذلك قربها من النيل وظهور ريح الصبا فيها ذلك يعالج أبدانهم ويرقق طبائعهم ويرفع هممهم وقيل فيهم

نزيل اسكندرية ليس بقرى ... بغير الماء أو نعت السوارى

وذكر البحر والامواج فيه ... ووصف مراكب الروم الكبار

فلا يطمع نزيلهم بخير ... فما فيها لذاك الحرف قاربوقال

اسكندرية كربة. وجمر نار تسعر. ان قيل ثغر أبيض. قلت ولكن أبخر

ذكر أخبار صنم الاهرام". (١)

٢٢٨-"وقال القضاعي ومن عجائب مصر الصنم الذي عند الهرمين بالجيزة ويسمى بالهوية ويعرف بأبي الهول عند أهل مصر فيقال انه طلسم لدفع الرمل لئلا يغلب على أهل الجيزة وقال هذا الصنم من الحجر الكذان لا يظهر من سوى رأسه وبقيته مدفونه فى الرمل ويقال طوله سبعون ذراعا وفى وجهه دهان يلمع له رونق كأنه يضحك تبسما وكان فى مقابلته صنم مثله في مصر عند قصر الشمع وهو من الصوان المانع ويقولون انه طلسم بمنع الماء عن بر مصر وكل من الصنمين مستقبل المشرق وبقى صنم قصر الشمع الى سنة احدى عشرة وسبعمائة ثم قطعة الملك الناصر محمد بن قلاوون وصنع منه أعتابا وقواعد لما بنى الجامع الجديد على بحر النيل ولم يبق لهذا الصنم أثر وبقى أبو الهول الى يومنا هذا وهو موجود عند **الاهرام.ومن العجائب** أن قرية من أعمال أسوان وهي شرقي النيل ولها سور وأبواب وهي قرية خراب وعلى أحد أبوابها جميزة كبيرة فاذا كان أيام الشتاء يرون في كل يوم قبل طلوع الشمس أناسا غير جنس بنى لأدم يدخلون تلك القرية ويخرجون منها فاذا دخل الناس تلك القرية لم يروا فيها أحدا من الذين كانوا يدخلون اليها ويخرجون منها وهذه الواقعة مشهورة عند أهل تلك الناحية. **ومن العجائب** أن ببلاد الهند ضيعة يقال عنها كتان وبها عمود من نحاس اصفر وعليه صفة طائر من نحاس فاذا كان يوم عاشوراء نشر ذلك الطائر جناحيه ومد منقاره فيفيض منه ماء يعم تلك القرية ويسقي زروعهم وبساتينهم ويملأ صهاريجهم وذلك يكفيهم من العام الى العام وهذا دأب ذلك الطائر فى كل سنة . ويقرب من ذلك أنه كان ببلاد الاندلس فرس من نحاس وعليها راكب من نحاس فاذا دخلت الأشهر الحرم هطل من تلك الفرس الماء الغزير حتى يعم أرضهم وبساتينهم وآبارهم فاذا مضت الأشهر الحرم انقطع ذلك الماء وهو يكفيهم من العام الى العام. وم، أعجب **العجائب** أن حكيما من الحكماء في بعض مدائن بابل صنع حوضا من رخام أبيض وعليه كتابة بالقلم القديم فتجتمع أهل تلك المدينة ويأتي كل منهم بشراب فيفرغه في ذلك الحوض فتختلط الأشربة كلها في بعضها البعض حتى تصير شيئا واحدا ثم يقف الساقي على ذلك الحوض ويسقى فلا يطلع لكل واحد في قدحه الا من الشراب الذي أتى به وصبه في الحوض.

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور ص/٢٩

ومن العجائب أنه كان ببيت المقدس كلب من الخشب اذمر به ساحر نبح عليه ذلك الكلب الخشب ويسلب منه عمل السحر ويقال أن بعض السحرة رمي ذلك الكلب بسهم ليقتله فعاد السهم على راميه فقتله. **ومن العجائب** أنه بمدينة أبهر طلسم للبعوض فلا يدخلها البعوض فكان اذا أخرج أحد يده من السور الى خارج المدينة وقع عليها البعوض واذا أدخلها أرتفع عنها البعوض ولا يدخل الى داخل السور. **ومن العجائب** أن في بلاد الشرق ضيعة وبهادير يقال له دير الخنافس ففي يوم معلوم من السنة يمتلئ الدير والأرض التي حوله بالخنافس وهي تشبه سوس الخشب فتمشي الناس عليها لكثرتها فاذا أنقضى ذلك اليوم لم ير من تلك الخنافس شئ وقد أحتال بعض الناس على هذه الخنافس وأدخل منها شيئا في القناني وختم عليها بشمع فلما انقضى ذلك اليوم ولم يجد في القناني شيئا والشمع بحالة مختوم. **ومن العجائب** أن بلاد الهند مدينة تسمى دكين وبها أقوام يعبدون النار ففي يوم معلوم من السنة يأتى شخص أو أكثر من أهل تلك المدينة ويقرب نفسه الى النار فتوقد له النار بزيادة فاذا تسعرت النار طرح ذلك الشخص نفسه فيها فيكون له غليان عظيم يخرج له دخان قتيم فاذا كان اليوم الثاني يظهر من تلك النار شخص على هيئة المحروق فيسلم على أصحابه فيسألونه عن حالة فيخبرهم أنه في رياض الجنة ويرغبهم في أن يلقوا أنفسهم في النارثم يختفي عنهم وذلك الشخص الذي يظهر لهم أنما هو شيطان من الجن موكل بتلك النار وقد جعله الله لضلال هذه الطائفة. **ومن العجائب** أن ببلاد الصين مدينة يقال لها جلسق فيها رجال على صفة النسناس لا يتكلمون الا بالإشارة ولهم أيد طوال تصل الى أقدامهم عند الوقوف ولهم وثوب نحو عشرة أذرع في الهواء ولم يأو هذا الجنس إلا في البساتين ويسكن على الاشجار وينفر من الناس ويتناكحون ويتناسلون في البساتين ولهم احليل طويل يصل الى أفخاذهم وهم عراة الاجسام وفيهم الابيض والاسود ونساؤهم على هئيتهم فى الشكل. **ومن العجائب** أن بمدينة اذربيجان واديا وبه دود أحمر يظهر في زمن الربيع يسمونه القرمز فيلتقطونه ويطبخونه". (١)

٢٢٩-"ويصنعون منه اللون الذي يسمونه الارجواني وكان ابتداء وجود هذا الدود في أوائل قرن المائة الرابعة وذلك ان راعيا كان يرعى غنمه فدخل الى ذلك الوادي ليرعى به الغنم فرأى كلب الراعي دودة فأكلها فبقى على خرطومه من دمها فأخذ الراعي صوفه ومسح بها ذلك الدم فأنصبغت الصوفة بالحمرة فلما دخل المدينة شاع خبره بما وقع له في ذلك الوادي فأتوه وجمعوا من ذلك الدود وخلطوا معه شيئا من القرمز وطبخوه فجاء من أحسن الالوان وهم يصبغون منه الآن. **ومن العجائب** أنه كان بمدينة حمص حجر أبيض وعليه صورة عقرب فاذا لدغ انسانا عقرب أخذ طينا وألصقه على تلك الصورة فاذا جف ووقع أخذه واذا به بالماء وشرب منه الملسوع فيبرأ من ساعته وذاك طلسم العقارب. **ومن العجائب** أن ببلاد الصين كنيسة كبيرة ولها سبعة أبواب فيها قبة عالية وفي وسط تلك القبة جوهرة قدر بيضة الدجاجة وهي معلقة تضئ منها تلك القبة وقد جاء جماعة كثيرون ليأخذوا تلك الجوهرة فكان اذا دنا أحد منها على مقدار عشرة أذرع خرميتا وان احتال عليها بشئ من الآلات الطوال كالرمح أو غيره انعكست حيلته فليس اليها سبيل وقد قصدها ملوك كثيرة فلم تتم

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور ص/٣٠

لهم حيلة على أخذها. **ومن العجائب** أن أهل قريتين قتلوا بالسيف عن أخرهم بسبب قطرة عسل. وسبب ذلك أن رجلا نحالا في القرية أخذ ظرفا من العسل ليبيعه في قرية أخرى فجاء الى زيات وفتح الظرف ليريه العسل فقطرت من العسل على الارض فانقض عليها زنبور فخطفته قطة فخطف القطة كلب وكانت القطة للزيات والكلب للعسال فلما رأى الزيات أن الكلب افترس القطة ضرب الزيات الكلب فقتله فلما رأى العسال كلبه قد قتل ضرب الزيات فقتله فلما رأى ولد الزيات أن أباه قتل ضرب العسال فقتله فلما سمع أهل القريتين بقتل الرجلين لبسوا عدة حربهم ولا زالوا يقتتلون حتى فنوا تحت السيف عن آخرهم وكان سبب قطرة من عسل كما قيل. ومعظم النار من مستصغر الشرر. لطيفة متنزهات الارض أربعة سغد سمرقند وشعب بوان ونهر الابلة وغوطة دمشق. أما سغد سمرقند فهو نهر تحف به شجرة مثمرة بالفواكة والازهار وهي مشتبكة بعضها ببعض ممتدة مقدار اثني عشر فرسخا في مثلها. وأما شعب بوان فهو من نواحي نيسابور وهي مقدار فرسخين وفيها أنهار متدفقه وأشجار مثمرة طيبة. وأما نهر الابله فهو من أعمال البصرة وهو على أربعة فراسخ منها ومن جوانبه الاشجار الطيبة الثمار. وأما غوطة دمشق فمقدارها ثلاثون ميلا وعرضها خمسة عشر ميلا وهي مشتبكة بالأشجار كأنها بستان واحد لا تكاد الشمس تقع على الارض فيها وثمارها طيبة لم تكن في غيرها قال الشاعرصنعون منه اللون الذي يسمونه الارجواني وكان ابتداء وجود هذا الدود في أوائل قرن المائة الرابعة وذلك ان راعيا كان يرعى غنمه فدخل الى ذلك الوادي ليرعى به الغنم فرأى كلب الراعي دودة فأكلها فبقى على خرطومه من دمها فأخذ الراعي صوفه ومسح بها ذلك الدم فأنصبغت الصوفة بالحمرة فلما دخل المدينة شاع خبره بما وقع له في ذلك الوادي فأتوه وجمعوا من ذلك الدود وخلطوا معه شيئا من القرمز وطبخوه فجاء من أحسن الالوان وهم يصبغون منه الآن. **ومن العجائب** أنه كان بمدينة حمص حجر أبيض وعليه صورة عقرب فاذا لدغ انسانا عقرب أخذ طينا وألصقه على تلك الصورة فاذا جف ووقع أخذه واذا به بالماء وشرب منه الملسوع فيبرأ من ساعته وذاك طلسم العقارب. **ومن العجائب** أن ببلاد الصين كنيسة كبيرة ولها سبعة أبواب فيها قبة عالية وفي وسط تلك القبة جوهرة قدر بيضة الدجاجة وهي معلقة تضئ منها تلك القبة وقد جاء جماعة كثيرون ليأخذوا تلك الجوهرة فكان اذا دنا أحد منها على مقدار عشرة أذرع خرميتا وان احتال عليها بشئ من الآلات الطوال كالرمح أو غيره انعكست حيلته فليس اليها سبيل وقد قصدها ملوك كثيرة فلم تتم لهم حيلة على أخذها. **ومن العجائب** أن أهل قريتين قتلوا بالسيف عن أخرهم بسبب قطرة عسل. وسبب ذلك أن رجلا نحالا في القرية أخذ ظرفا من العسل ليبيعه في قرية أخرى فجاء الى زيات وفتح الظرف ليريه العسل فقطرت من العسل على الارض فانقض عليها زنبور فخطفته قطة فخطف القطة كلب وكانت القطة للزيات والكلب للعسال فلما رأى الزيات أن الكلب افترس القطة ضرب الزيات الكلب فقتله فلما رأى العسال كلبه قد قتل ضرب الزيات فقتله فلما رأى ولد الزيات أن أباه قتل ضرب العسال فقتله فلما". (١)

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور ص/٣١

٢٣٠-"ثم أن الله تعالى أظهر أدم الى الوجود فكان طوله ستين ذراعا وجعل فيه ثلثمائة وستين عرقا وما ئتين وأربعين عصبا واثني عشر مفصلا وفي رأسه سبع منافذ وجعل له اليدين والرجلين وغير ذلك وأتم خلقه فتبارك الله أحسن الخالقين. وقال أبو موسى الاشعري لما خلق الله فرج آدم قال هذا أمانتى عندك فلا تضعها الا في حقها قال ابن عباس رضى الله عنهما خلق الله تعالى ثلاثة بيده الأول آدم والثاني شجرة طوبي والالواح المكتوبة فيها التوراة واليد عبارة عن القدرة انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون قال ولما كان آدم عليه السلام صلصالا كالخلية كان ابليس اللعين يمر عليه ويضرب بيده على بطن آدم فمن تلك الضربة صار مكانها السرة فكانت السرة علامة من ضرب ابليس وأن سبب ضرب أبليس ليعلم أهو مجوف أم صامد فلما رآه مجوفا دخل الى باطنه فاطلع على جميع أعضائه ظاهرا وباطنا وعلى عروقه الا قلبه فأنه لم يطلع عليه أحد غير الله تعالى ومنع ابليس عن القلب لأنه بيت الرب ولهذا يقال ان الشيطان يجري مجرى الدم قال فلما أراد الله تعالى أن ينفخ في أدم الروح أمرها بأن تدخل اليه من رأسه ولذلك سمي الرأس يافوخا ويروى أن الروح امتنعت من الدخول الى أدم فقالت يا رب كيف أدخل الى مكان مظلم فناداها جل وعلا ثلاث مرات وهي تأبى فدخلت في جسده كرها فأوحى الله اليها لو دخلت طائعه لخرجت طائعة ولكن سبق لك في علمى من الأزل أن تدخلى كرها وتخرجي كرها فلما دخلت الروح الى دماغه استدارت فيه مائة عام ثم نزلت على عينيه فأبصرتا فنظر إلى جسده وهو صلصال كالفخار ثم نزلت الى منخريه فشم الهواء فتنفس فعطس فنزلت الروح الى فمه ولسانه فألهمه الله حمده فقال الحمد لله رب العالمين فقال الله له يرحمك ربك يا أدم وهذا لك ولذريتك ولذلك سن تشميت العاطس وروى لما حمد الله آدم قال تعالى لهذا خلقتك يا آدم ثم نزلت الروح الى صدره وأضلاعه وبطنه فصار آدم ينظر إلى الروح وهي تنتقل وكلما انتقلت الى عضو يصير لحما وعظما وروحا ودما فلما بلغت الروح الى ركبته أخذ يعالج القيام فلم يقدر عليه فقال الله تعالى (خلق الأنسان من عجل) فلما عمت الروح سائر جسده قام وتحرك وتمايل وقد تمت خلقته بأذن الله من يحي العظام وهي رميم قال الحافظ اسماعيل السدى قرأت في الانجيل أشياء كثيرة فمنها أن عدد ساعات الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة يتنفس فيها ابن آدم ثلاثين ألف نفس في كل ساعة ألف ومائتان وخمسون نفسا واعتبار ذلك من الغرائب. قال العزيزي ان الروح دخلت في جسد آدم يوم الجمعة وقد مضى من النهار سبع ساعات وهي من ساعات الأخرة ثم ان الله تعالى ألبسه من الجنة حلة خضراء من السندس وألبسه تاجا من الذهب مرصعا بالجواهر وله أربعة أركان في كل ركن منه درة عظيمة ضوؤها على ضوء الشمس وختمه بخاتم الكرامة ومنطقة بمنطقة الرضوان وسروله بسروال من السندس الأخضر ثم ظهر في جبهته نور ساطع كشعاع الشمس وهو نور محمد صلى الله علية وسلم ثم أن الله أمر الملائكة أن تحمل على أكتافها ويطوفوا به في السموات السبع فحملته الملائكة فطافوا به مقدار مائة عام حتى رأى ما فيها **من العجائب** ثم أمر الله تعالى أن ينصب له منبر من الذهب وعلمه الأسماء كلها وهي قوله تعالى(وعلم آدم الأسماء كلها) الآية ثم أن آدم صعد المنبر وبيده قضيب من النور وذلك يوم الجمعة عند زوال الشمس فانتصب قائما وجمع الله له جميع الملائكة فقال آدم السلام عليكم يا ملائكة ربي ورحمة الله وبركاته فقالت الملائكة وعليك السلام يا صفوة الله ورحمته وبركاته فقال الله يا آدم هذه تحيه لك ولأولادك الى يوم القيامة فلما خطب آدم قال الحمد لله فصارت سنة في الخطبة فأول من خطب على المنبر آدم في يوم الجمعة ثم ان الله

تعالى عرض الأسماء كلها على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فقالت الملائكة سبحانك لا علم لنا ألا ما علمتنا فقال الله تعالى يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم أني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون قال وهب بن منبه أول من أفشى السلام آدم وفي بعض الأخبار ما أفشى السلام قوم الا أمنوا من العذاب والنقمة ثم قالت الملائكة إلهنا هل خلقت خلقا أفضل منا فقال الله تعالى أنا الذي خلقته بيدي وقلت له كن فكان ثم ان". (١)

٢٣١-"قيل ان بلوقيا الاسرائيلي طاف في الأرض فمر بالبحر الثاني فرأى جبلا فيه كهف فدخل في ذلك الكهف فرأى سريرا من الذهب وعليه رجل ملقى على قفاه ويده على صدره والأخرى على بطنه وهو كالنائم وفي أصبعه خاتم عليه أربعة أسطر ورأى عند رأسه تنينين عظيمين فأراد بلوقيا أن يأخذ الخاتم من أصبعه فقام إليه التنينان وصعدت من أفواههما النار وسمع قائلا يقول ويلك يا بلوقيا أتجسر على نبي الله سليمان وتنزع خاتمه من أصبعه فخرج بلوقيا مرعوبا. قال الثعلبي أوحى الله إلى داود عليه السلام أن يتخذ في بيت المقدس مسجدا فشرع في بنائه ومات قبل أن يستكمله فلما توفي داود أوصى ابنه أن يتمه فجمع سليمان الأنس والجن وقسم عليهما الأعمال في البناء والسقوف والرخام ثم أنه جعل فيه اثني عشر رباطا وأنزل كل سبط في رباط وأمر الجن أن يأتوه بمعادن الذهب والفضة والرخام الملون ومعادن الحديد والنحاس والخشب وغير ذلك ثم جعل في وسط المسجد قبة وجعل فيها عمودا أحمر من الذهب يتلألأ كالشمس فتستضئ به المسافرون في الليل وجعل تحت القبة اصطبلا لدوابه ووضع فيه المعالف لخيوله وهى باقية الى الآن تزار وجعل طول ذلك المسجد سبعمائة ذراع بذراع العمل وجعل عرضه أربعمائة وخمسين ذراعا ثم سقفه بخشب الساج وصفحع بالذهب والفضة ووضع فيه الجواهر واليواقيت من سائر المعادن وجعل فوق ذلك السقف ألواحا من الرصاص لأجل حفظه من الأمطار وفرش أرض المسجد بالرخام الملون فلم يكن يومئذ أحسن منه بناء فلما فرغ من بنائه صنع لجنوده وليمه حافلة. قال السدي وكان بهذا المسجد **من العجائب** لوح من الرخام الأبيض اذا نظر فيه إنسان وكان ولد زنا أسود وجهه فيفتضح بين الناس وكان به عصا من الآبنوس اذا مسها أحد وكان من أولاد الأنبياء لم تضره واذا مسها أحد وكان من نسل غير الأنبياء احترقت يده وكان كلب من الخشب اذا مر به من كان عنده شئ من علم السحر نبح عليه فيعلم الناس أنه ساحر ويسلب منه علم السحر وكان فى المسجد باب اذا دخل منه ظالم ضاق عليه ذلك الباب حتى يتوب وكان بهذا المسجد السلسلة المتقدم ذكرها وكان به عجائب كثيرة لا يسمع بمثلها. قال العزيزي أقام سليمان في بناء هذا المسجد أربعين سنة وكان فيه من البنائين سبعون ألف بناء ومن الحجارين ثمانون ألفا وكان له في كل ليلة ألف رطل دمشقي من الزيت برسم القناديل. قال كعب الأحبار كان يجئ لهذا المسجد من البلاد كل سنة ستمائة قنطار من الذهب والفضة لا سيما من بلاد الروم وروي في بعض الأخبار أن صخرة ببيت المقدس يخرج من تحتها ماء عذب من سائر البحار العذبة ثم تتفرق في الأرض وفيه دفن كثير من الأنبياء ولم يزل هذا المسجد عامرا حتى ظهر بختنصر وخرب البلاد فخربه في جمله ما خربه. قال الثوري لما

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور ص/٣٦

خرب بختنصر المسجد حمل منه ألف جمل من الذهب والفضة والجواهر أنتهى.
ذكر بختنصر البابلي". (١)

٢٣٢-"قال الثعلبي كان في زمن بنى اسرائيل رجل يقال له ايشا وكان من علماء بنى اسرائيل وكان يقرأ في الكتب القديمة فمر فيها على نعت محمد النبى صلى الله عليه وسلم فجمع ذلك كله في صحيفة وخباها عنده في صندوق وقفل عليها قفلا وخبأ مفتاحه في مكان غنى عنه وكان له ولد صغير يقال له بلوقيا فلما مات أبو بلوقيا أوصى ابنه بأن يقضي في بنى اسرائيل من بعده فلما كان في بعض الأوقات اذ رأى بلوقيا الصندوق فوجده مقفولا فسأل أمه فقالت لا أدري ما فيه ولا أعلم اين مفتاحه ثم أن بلوقيا كسر القفل وفتح الصندوق فرأى الصحيفة المكتوب فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين وأن الجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها هو أمته فلما قرأ الصحيفة أخرجها لعلماء بنى اسرائيل فلما سمعوا بنعت محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لبلوقيا كيف كان أبوك يعلم ذلك ولم تخبرنا فو الله لولاك لأحرقنا قبره لأجل أنه كتم علينا خبر سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ثم أن بلوقيا ودع أمه وقال يا أماه أنى قد وجدت أنه سيبعث نبى آخر الزمان وأنى مسافر ولا أرجع حتى أقف على أخباره فقالت أمه بلغك الله مناك وسار من مصر في طلب محمد صلى الله عليه وسلم وطاف البلاد من المشرق إلى المغرب حتى وصل إلى البحر السابع ورأى العجائب الكثيرة التي لم يرها غيره من الناس فمن جمله ما رأى في جزائر البحر جزيرة فيها حيات كأمثال البخاتي الكبار وهن يقلن لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال لهم بلوقيا السلام عليكم فقالت له الحيات ما سمعنا قط بمثل هذا فقال هذه سنة آدم فقالوا ممن أنت فقال من بنى اسرائيل فقالوا لا نعرف آدم ولا بنى اسرائيل فقال لهم بلوقيا وكيف عرفتم محمدا فقالوا نحن منذ خلقنا الله تعالى على هذه الصفة أمرنا بذلك ونحن من حيات جهنم فقال لهم بلوقيا وكيف أخبار جهنم فقالوا سوداء منتنة تتنفس في كل سنة مرتين مرة في الصيف فذلك الحر من نفسها ومرة في الشتاء فذلك البرد من نفسها ثم أن بلوقيا دخل إلى جزيرة أخرى فرأى فيها حيات أعظم مما رأى أولا كأمثال جذوع النخل ورأى بينهن حيه صفراء ان مشت مشي حولها الحيات فلما رأين بلوقيا قلن له من أنت فقال أنا بلوقيا من بنى اسرائيل فقلن ما سمعنا بهذا الكلام من قبل وأنا موكلة بجميع الحيات التي في الدنيا ولولاى لشردت على بنى إسرائيل وقتلتهم في يوم واحد فمضى بلوقيا إلى أن وصل إلى البحر السابع فرأى من العجائب ما يطول شرحة فمن جملة ما رأى جزيرة فيها نخيل من ذهب اذا طلعت عليه الشمس يصير لها لمعان كالبرق فلا تستطيع الأبصار رؤيته من شدة بريقه وفي هذه الجزيرة أشجار عظيم حملها فمد يده إلى حمل بعض الأشجار فنادته إليك عنى يا خاطئ فتأخر وجلس واذا هو بجماعة نزلوا من السماء وبأيديهم سيوف مسلولة فلما رأوا بلوقيا قالوا له كيف وصلت إلى هذا المكان فقال لهم أنا من بنى اسرائيل واسمي بلوقيا ومن تكونون أنتم قالوا نحن قوم من الجن المؤمنين كنا فى السماء فأنزلنا الله إلى الأرض وأمرنا أن نقاتل كفار الجن في الأرض فنحن نقاتلهم فتركهم بلوقيا ومضي فاذا هو بملك عظيم الخلقة واقف ويده اليمنى في المشرق والأخرى في المغرب وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فتقدم اليه وسلم عليه فقال

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور ص/٨٧

له من أنت قال بلوقيا أنا رجل من بني اسرائيل خرجت في طلب خاتم النبيين فقال له بلوقيا ومن أنت قال أنا الملك الموكل بظلمة الليل وضوء النهار فقال له بلوقيا ما هذان السطران اللذان فى جبينك قال مكتوب فيهما زيادة الليل والنهار وقصرهما فما أمسك الليل الا بقدر معلوم وتقدم بلوقيا واذا بملك عظيم الخلقة وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فسلم عليه فرد عليه السلام فسأله بلوقيا عما هو فيه فقال أنا ملك موكل بالريح وبالبحر فلا أخرج الريح إلا بإذن من الله وانى ماسكه بيمينى وماسك البحر بشمالى ولولا ذلك لهلك جميع من فى الأرض فتركه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى جبل قاف واذا هو من ياقوتة خضراء وقد أحاط بالدنيا جميعها فمن شعاع ذلك ترى سماء الدنيا زرقاء وقد وكل الله تعالى بهذا الجبل ملكا فاذا أراد الله أن يزلزل جانبا من الأرض أمر ذلك الملك أن يحرك العرق الذى يتصل بذلك الجانب الى جبل قاف فتصير الزلزلة واذا أراد الله خسف قرية أذن الله لذلك الملك أن يقطع عرقها من". (١)

٢٣٣-"الأرض فتخسف فقال بلوقيا لذلك الملك وما وراء هذا الجبل قال أربعون ألف مدينة غير مدائن الدنيا وهى من ذهب وفضة وليس يغشاها ليل ولا نهار وسكان تلك المدائن ملائكة يسبحون الله لا يفترون قال بلوقيا وما وراء تلك المدن قال سبعون ألف حجاب كل حجاب قدر الدنيا ولا يعلم ما وراء تلك الحجب إلا الله تعالى فتركه ومضى حتى انتهى الى جبل فوجد فيه ملائكة على هيئة الغزلان فسلم عليهم فردوا عليه السلام فقال لهم من أنتم قالوا نحن ملائكة من ملائكة الله نعبد الله ههنا منذ خلقنا فسألهم عن جبل يقابلهم عظيم وهو يلمع كالشمس فقالوا هذا جبل الدنيا من ذهب وجميع معادن الذهب التى فى الأرض ممتدة منه ثم تركهم ومضى حتى انتهى الى بحر عظيم وفيه حوتان عظيمان فسلم عليهما فردا عليه السلام وقالا له من أنت ياخلق الله قال أنا بلوقيا من بنى اسرائيل جئت فى طلب محمد خاتم النبيين هل عنكم ما تطعمونى فأخرجوا له من غيب الله رغيفا فأكله فلم يجع بعد ذلك ثم انتهى الى جزيرة فرأى فيها طيرا عظيم الخلقة حسن الهيئة وفيه ما يدهش العقول من حسن تركيبه وهو على شجرة وتحت الشجرة مائدة موضوعة وعليها سمكة مشوية فدنا من الطائر وسلم عليه وقال له من أنت قال أنا ملك من ملائكة الجنة أرسلنى الله بهذه المائدة الى آدم وحواء حين اجتمعا على جبل عرفات فأكلا منها ثم أمرنى الله أن أضعها هنا وأقف عندها الى يوم القيامة وأمرنى أن أطعم منها كل من جاء هنا فأكل منها بلوقيا ولم ينقص منها شئ وهى على حالها فسأله عن حالها فقال الطائر ان طعام الدنيا ينقص ويتغير بالمكث وأما طعام الجنة فلا ينقص ولا يتغير فقال له بلوقيا هل يأكل من هذه أحد فقال نعم ان الخضر أبا العباس يأتى أحيانا فيأكل ثم يذهب فلما سمع ذلك بلوقيا قام ليظفر بالخضر ويجتمع معه ويسأله فبينما هو ذات يوم جالس واذا بالخضر عليه السلام قد أقبل عليه ثياب بيض فقام اليه بلوقيا وسلم عليه فرد عليه السلام فقال بلوقيا يأبا العباس خرجت فى طلب نبى آخر الزمان حتى انتهيت إلى هذا المكان فمكثت لقدومك لتخبرنى فقال له يابلوقيا إن نبى آخر الزمان لم يظهر فى هذا الأوان ولم تدركه الآن يابلوقيا أتدرى كم بينك وبين أمك قال لا أعلم قال مسيرة خمسين عاما أتحب أن أضعك عند أمك فقلت نعم قال غمض عينيك فغمضتهما فلم أشعر إلا وأمى بجانبى ففتحت عينى وسلمت على أمى وقلت لها من جاء بى

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور ص/٩١

اليك يأمى فقالت رأيت طائرا أبيض قد وضعك وذهب سريعا فقص على أمه قصته وخرج الى بنى اسرائيل وسلم عليهم وسلموا عليه وسألوه عن حاله فى غيبته فأخبرهم فجعلوا يكتبون عنه جميع ما رأى **من العجائب** مدة أربعين سنة فلم يحصوا ما عنده مما رأى قيل انه عاش نحوا من ألف سنة والله أعلمطض فتخسف فقال بلوقيا لذلك الملك وما وراء هذا الجبل قال أربعون ألف مدينة غير مدائن الدنيا وهى من ذهب وفضة وليس يغشاها ليل ولا نهار وسكان تلك المدائن ملائكة يسبحون الله لا يفترون قال بلوقيا وما وراء تلك المدن قال سبعون ألف حجاب كل حجاب قدر الدنيا ولا يعلم ما وراء تلك الحجب إلا الله تعالى فتركه ومضى حتى انتهى الى جبل فوجد فيه ملائكة على هيئة الغزلان فسلم عليهم فردوا عليه السلام فقال لهم من أنتم قالوا نحن ملائكة من ملائكة الله نعبد الله ههنا منذ خلقنا فسألهم عن جبل يقابلهم عظيم وهو يلمع كالشمس فقالوا هذا جبل الدنيا من ذهب وجميع معادن الذهب التى فى الأرض ممتدة منه ثم تركهم ومضى حتى انتهى الى بحر عظيم وفيه حوتان عظيمان فسلم عليهما فردا عليه السلام وقالا له من أنت ياخلق الله قال أنا بلوقيا من بنى اسرائيل جئت فى طلب محمد خاتم النبيين هل عنكم ما تطعمونى فأخرجوا له من غيب الله رغيفا فأكله فلم يجع بعد ذلك ثم انتهى الى جزيرة فرأى فيها طيرا عظيم الخلقة حسن الهيئة وفيه ما يدهش العقول من حسن تركيبه وهو على شجرة وتحت الشجرة مائدة موضوعة وعليها سمكة مشوية فدنا من الطائر وسلم عليه وقال له من أنت قال أنا ملك من ملائكة الجنة أرسلنى الله بهذه المائدة الى آدم وحواء حين اجتمعا على جبل عرفات فأكلا منها ثم أمرنى الله أن أضعها هنا وأقف عندها الى يوم القيامة وأمرنى أن أطعم منها كل من جاء هنا فأكل منها بلوقيا ولم ينقص منها شئ وهى على حالها فسأله عن حالها فقال الطائر ان طعام الدنيا ينقص ويتغير". (١)

٢٣٤-"بالمكث وأما طعام الجنة فلا ينقص ولا يتغير فقال له بلوقيا هل يأكل من هذه أحد فقال نعم ان الخضر أبا العباس يأتى أحيانا فيأكل ثم يذهب فلما سمع ذلك بلوقيا قام ليظفر بالخضر ويجتمع معه ويسأله فبينما هو ذات يوم جالس واذا بالخضر عليه السلام قد أقبل عليه ثياب بيض فقام اليه بلوقيا وسلم عليه فرد عليه السلام فقال بلوقيا يأبا العباس خرجت فى طلب نبى آخر الزمان حتى انتهيت إلى هذا المكان فمكثت لقدومك لتخبرنى فقال له يابلوقيا إن نبى آخر الزمان لم يظهر فى هذا الأوان ولم تدركه الآن يابلوقيا أتدرى كم بينك وبين أمك قال لا أعلم قال مسيرة خمسين عاما أتحب أن أضعك عند أمك فقلت نعم قال غمض عينيك فغمضتهما فلم أشعر إلا وأمى بجانبى ففتحت عينى وسلمت على أمى وقلت لها من جاء بى اليك يأمى فقالت رأيت طائرا أبيض قد وضعك وذهب سريعا فقص على أمه قصته وخرج الى بنى اسرائيل وسلم عليهم وسلموا عليه وسألوه عن حاله فى غيبته فأخبرهم فجعلوا يكتبون عنه جميع ما رأى **من العجائب** مدة أربعين سنة فلم يحصوا ما عنده مما رأى قيل انه عاش نحوا من ألف سنة والله أعلملمكث وأما طعام الجنة فلا ينقص ولا يتغير فقال له بلوقيا هل يأكل من هذه أحد فقال نعم ان الخضر أبا العباس يأتى أحيانا فيأكل ثم يذهب فلما سمع ذلك بلوقيا قام ليظفر بالخضر ويجتمع معه ويسأله فبينما هو ذات يوم جالس واذا بالخضر عليه السلام قد أقبل عليه ثياب بيض

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور ص/٩٢

فقام اليه بلوقيا وسلم عليه فرد عليه السلام فقال بلوقيا يأبا العباس خرجت فى طلب نبى آخر الزمان حتى انتهيت إلى هذا المكان فمكثت لقدومك لتخبرنى فقال له يابلوقيا إن نبى آخر الزمان لم يظهر فى هذا الأوان ولم تدركه الآن يابلوقيا أتدرى كم بينك وبين أمك قال لا أعلم قال مسيرة خمسين عاما أتحب أن أضعك عند أمك فقلت نعم قال غمض عينيك فغمضتهما فلم أشعر إلا وأمى بجانبى ففتحت عينى وسلمت على أمى وقلت لها من جاء بى اليك يأمى فقالت رأيت طائرا أبيض قد وضعك وذهب سريعا فقص على أمه قصته وخرج الى بنى اسرائيل وسلم عليهم وسلموا عليه وسألوه عن حاله فى غيبته فأخبرهم فجعلوا يكتبون عنه جميع ما رأى **من العجائب** مدة أربعين سنة فلم يحصوا ما عنده مما رأى قيل انه عاش نحوا من ألف سنة والله أعلم

ذكر قصة اسكندر ذى القرنين". (١)

٢٣٥-"انتهى ذو القرنين الى الظلمة لاح له قصر من نحاس أصفر طوله فرسخ وعرضه فرسخ وله باب من حديد فنزل عن فرسه ودخل القصر فرأى طائرا أبيض قدر البختى فدنا منه وسلم عليه فأنطقه الله فرد عليه السلام وقال أما كفاك ما فعلت حتى جئت الى هذا المكان فقال له ذو القرنين انى سائلك عن أشياء فأخبرنى عنها فقال سل ما بدا لك فقال ما وراء هذه الظلمة قال جبل قاف فقال الطائر وانى سائلك عن أشياء فقال ذو القرنين قل ما بدا لك فقال الطائر هل فشا فيكم الزنا وشرب الخمر قال نعم فانتفض ذلك الطائر وصار ملء القصر وصار له صوت كالرعد القاصف ثم قال هل فشا فيكم الربا وشهادة الزور قال نعم فانتفض الطائر وفعل كالاول ثم قال هل كثر فيكم البناء المزخرف قال نعم فانتفض وفعل مثل الاول حتى سد ما بين الخافقين ففزع منه ذو القرنين ثم قال الطائر هل ترك الناس شهادة أن لا إله إلا الله قال لا فانضم قليلا ثم قال هل ترك الناس صلاة الفريضة قال لا فانضم قليلا ثم قال هل ترك الناس الغسل من الجنابة قال لا فانضم قليلا حتى عاد مثل ما كان عليه أولا ثم قال يا اسكندر اصعد على ظهر هذا القصر وانظر ما فوقه فلما صعد واذا هو بشخص حسن المنظر قائم على أقدامه شاخص الى السماء وفى فمه بوق من نور فلما رأى ذا القرنين قال له من أنت قال أنا ذو القرنين قال أما كفاك ما فعلت فى الأرض حتى وصلت الى هذا المكان فقال اسكندر من أنت أيها الشخص المبارك قال أنا اسرافيل صاحب الصور فقال مالى أراك شاخصا قال أنتظر أمر ربى متى يأذن لى فى النفخ ثم ان اسرافيل أخذ حجرا من بين يديه ودفعه الى ذى القرنين وقال خذ هذا الحجر فان شبع هذا الحجر شبعت وان جاع جعت فأخذه ذو القرنين ورجع حتى وصل الى جنده الذين تركهم خارج الظلمة فأخذ يحدث جنوده عما رأى **من العجائب** ثم ان ذا القرنين جمع العلماء الذين كانوا فى عصره وأخرج لهم ذلك الحجر الذى أعطاه له صاحب الصور فوضعوه فى كفة ميزان ووضعوا حجرا قدره فى الكفة الاخرى ثم رفعوا الميزان فمال الحجر الذى أعطاه له صاحب الصور فما زالوا يضعون حجرا بعد حجر حتى وضعوا ألف حجر وذلك الحجر يميل فقال العلماء قد انقطع علمنا دون هذا الحجر فأحضر ذو القرنين الخضر وسأله عن ذلك فأخذ الخضر كفا من تراب ووضعه مقابل الحجر فى الميزان ثم رفعه فاستوى التراب مع الحجر الذى

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور ص/٩٣

أعطاه له صاحب الصور فقال العلماء هذا من العلم الذى لم نبلغه نحن ولا أمثالنا فقال الخضر هذا مثل ضربه لك صاحب الصور فان الله قد ملكك البلاد وحكمك فى العباد وأعطاك ملكا كبيرا وأنت لا تقنع ولا تشبع دون أن تكون فى التراب فعند ذلك بكى ذو القرنين ومن اللطائف عند أهل الظرف والظرائف قال أبو الفرج الاصبهانى لما رجع ذو القرنين من المشرق والمغرب توجه الى بلاد الصين فحاصر مدينتها أشد محاصرة فلما أشرف على أخذها نزل اليه ملك الصين تحت الليل ولم يعرف أحد أنه ملك الصين ولكن قال أنا رسول ملك الصين فلما وصل الى الحجاب أخبرهم أنه رسول ملك الصين ويريد الدخول على الاسكندر فأعلموا الاسكندر به وأدخلوه عليه فلما دخل سلم ووقف بين يديه فقال له تكلم فقال انى مأمور أن لا أتكلم إلا فى خلوة ففتشه الرسل خوفا من أن يكون معه سلاح أو مكيدة فوجدوه خاليا من ذلك فتقرب الى الملك الاسكندر وقال له سرا أيها الملك اعلم أنى ملك الصين بنفسى ولست برسوله وقد حضرت بين يديك لعلمى أنك رجل عاقل عارف صالح مأمون الغائلة فان كان قصدك قتلى فها أنا بين يديك وأغنيك عن القتال وان كان قصدك المال فاطلب ولا تعجز فانى مجيبك فيما تطلب فقال الاسكندر خاطرت بنفسك فقال أيها الملك أنا بين أمرين اما أن تقتلنى فيقيم أهل مملكتى غيرى ويحاربوك وان تركتنى فديت بلادى بما تريد وتنسب الى الجميل فلما سمع ذو القرنين ذلك أطرق مليا متفكرا وعلم أن ملك الصين من ذوى العقول ثم انه رفع رأسه وقال أريد منك خراج مملكتك ثلاث سنين كوامل معجلا ثم بعد ذلك تعطى فى كل سنة نصف الخراج فقال ملك الصين وهل تطلب غير ذلك شيئا قال لا فقال قد أجبتك الى ذلك فقال الاسكندر كيف يكون حال رعيتك بعد هذا المال المعجل فقال أعطيك من عندى ولم أكلف رعيتى الى التعجيل والله على ما نقول وكيل فخرج ملك الصين شاكرا فلما طلع النهار وأقبل ملك الصين بعشائره حتى سد ما بين المشرق والمغرب وأحاطوا". (١)

٢٣٦-"كانوا يكتبون أسماء كل من كان فى السفينة فى ورق ويلقونها فى الماء فكل من غاصت ورقته فى الماء فهو المطلوب. والسبب أن السفينة اذا لم تسر يعلم أن فى ركابها رجلا مذنبا فيرمونه فى الماء فتخلص السفينة باذن الله تعالى فلما وقعت القرعة على يونس قام على قدميه ولف جسده فى عباءة وشد وسطه وتقدم الى جانب السفينة وهم أن يلقى نفسه فرأى الأمواج تضطرب فتحول الى الجانب الآخر فرأى أيضا الأمواج تضطرب فتحير يونس فى أمره فأوحى الله تعالى الى الملك الموكل بالحيتان بأن ادفع الحوت الفلانى فانى جعلت جوفه سجنا ليونس بن متى فأحضر الملك ذلك الحوت وقال له سر الى يونس فادركه قبل أن يصل الماء فما زال ذلك الحوت يخرق البحار الى أن وصل الى السفينة فرمى يونس نفسه فالتقمه ذلك الحوت قال كعب الاحبار كان يونس فى آخر السفينة فلما هم يونس أن يرمى نفسه هم الحوت أن يلتقمه ففزع يونس فناداه الحوت ما هذا الفزع يا يونس وأنت المطلوب من بين القوم. فلما سمع يونس كلام الحوت رمى نفسه فى فم الحوت فلما صار فى جوفه قال يونس آه وأغمى عليه فأوحى الله الى الحوت أنى لم أجعل يونس لك رزقا ولا طعاما وانما جعلتك له حرزا فلا تخدش له لحما ولا تمزق له جلدا ثم ابتلع الحوت الذى التقم يونس حوت آخر أعظم منه فى الخلقة ثم

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور ص/١٠٢

ان يونس قام فى بطن الحوت على قدميه وقال إلهى لأسجدن لك فى مكان لم يسجد لك فى مثله ملك مقرب ولا نبى مرسل فصار يونس يسجد على كبد الحوت. قال كعب الاحبار ان جلد الحوت رق ليونس حتى كان ينظر منه ما فى البحار **من العجائب** من حيوانات البحر وعظم أسماكه وغير ذلك فطاف به الحوت فى البحار السبعة ورأى غرائبها وما فيها من الملائكة الموكلين بالبحر وكان يونس يسبح فى بطن الحوت فلما سمعته الملائكة يسبح فى بطن الحوت قالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا لم نسمعه قبل ذلك فأوحى الله تعالى اليهم هذا صوت عبدى يونس عصانى فسجنته فى بطن الحوت فلما سمعوا ذلك سجدوا لله أجمعون وهو قوله تعالى (فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) وقوله تعالى (فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قوله تعالى فنادى فى الظلمات هى ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت. وكان اسم ذلك الحوت النون فسمى يونس ذا النون. قال كعب الاحبار أمر الله تعالى الحوت أن يقذف يونس من بطنه فى تلك الساعة فقذفه من بطنه فى الحال فى المكان الذى أخذه منه فلما دنا الحوت ليقذف يونس أتاه جبرائيل عليه السلام ودنا من فم الحوت وقال السلام عليك يا يونس رب العزة يقرئك السلام فقال يونس مرحبا بصوت كنت أخشى أن لا أسمعه أبدا فقال جبرائيل للحوت اقذف يونس من بطنك باذن الله فقذفه من بطنه فجعل لفقده ويقول لا أوحش الله منك يا يونس ومن تسبيحك فخرج من بطنه مثل الفرخ الذى لا ريش له ووقع شعره وذاب جسده ولان عظمه من حرارة بطن الحوت قال الشعبي ومجاهد مكث يونس فى بطن الحوت أربعين يوما وفى رواية مكث ثلاثة أيام وذلك قوله تعالى (لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين) قال كعب الاحبار لما خرج يونس من بطن الحوت خرج عريانا فأنبت الله عليه شجرة من يقطين كالقبة لها أربعة أبواب تخرج منها الرياح قال ابن عباس هى شجرة اليقطين يعنى القرع قال كعب الاحبار ان الشجرة حملت فى ذلك اليوم اثنين وثلاثين صنفا من الفواكه لا يشبه بعضها بعضا وأنبع الله فى أصلها عينا أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأرسل الله اليه غزالة تدر من ثديها لبنا يتغذى به. قال السدى ان الغزالة التى أرضعت يونس عليه السلام جعل الله قرونها وأظفارها فى لون الذهب. قال الثعلبى ان ببلاد البجة من أعلى الصعيد دابة تشبه الغزلان ولها قرون كلون الذهب وكذلك أظفارها وهى قليلة البقاء اذا صيدت لا تعيش أكثر من ثلاثة أيام فذكر أنها من الغزالة التى تغذى بلبنها يونس عليه السلام قال كعب الاحبار فألقى الله على يونس النوم فنام تحت تلك الشجرة فلما انتبه من نومه فلم يجد الشجرة ولا العين ولا الغزالة وكان يستأنس بها فخزن على ذلك فأوحى الله اليه أن لا تحزن يا يونس ولكن امض الى أهل نينوى فانهم قد آمنوا بى أقم". (١)

٢٣٧-"وأخذنا نسير ونمور وننجد بين الأمواج ونغور، ونصبح ونمسي ليس إلا السماء والبحور، إلى أن اشتدت علينا الرياح الغربية وتحكمت فينا المياه البحرية فتقهقرنا بسبب ذلك إلى أن أشرفنا على مرسى طبرق من مراسي برقة المشئومة فدخلناه يوم السبت التاسع لذي قعدة من العام المذكور فنزل به من الأصحاب من قدر الله في سفره من البر نزوله

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور ص/١١٤

ونظمت في ذلك ساعة وصوله ودخوله:

يا ليلة جمعت بمرسى طبرق ... أجلى صباحك عن نوى وتفرق

ألفت بين مفرق ومجمع ... وجمعت بين مغرب ومشرق

ضحك الفراق لنا وقد عبس الدجا ... فبكيت فيه بدمعي المتدفق

قد مزق الإصباح ثوبك مثل ما ... مزقت ثوب الصبر كل ممزق

ورمى سوادك من بياض صباحه ... بمثال ما صنع الفراق بمفرق

أبدا بحلكته بياضا ناصعا ... فأعاد دهمته شيات الأبلق

وتبسم الزنجي فيه تعجبا ... من قسوة البين الذي لم يرفق

أكثرت يا جفني البكاء لبينهم ... لا تخشى من أقلال دمع أنفق

ولقد رهنت القلب فيهم فانثنوا ... وبقيت رهن صبابة وتشوق

نهضوا وما نفضوا المواثق أن هم ... شرحوا شهور المستهام الموثق

بانوا فيها بان اللوى هل بلغوا ... مني السلام إلى النقاء والأبرق

راحوا فراح تصبري من راحتي ... يا راحتي روحي أمام الأينق

مروا فحلو العيش مر بعدهم ... وحللت حالي مركب أو زورق

وقفوا لتوديعي ففاضت أدمعي ... أسفا وغاضت بالزفير المحرق

ومن العجائب أن دمعي أحمر ... والجفن يسبح في الغدير الأزرق

يا راحلين لأرض أندلس إذا ... جزتم على بان الكثيب المونق

وبدت لكم تلك الربا الخضر التي ... تهدي الشذا من عرفها المستنشق

عوجوا على تلك الديار وقبلوا ... جدرانها بتلطف وتملق

وقفوا هناك على المتيم وقفة ... تذر الهوى في قلب من لم يعشق

وصفوا لذياك الفريق تفرقي ... منكم وتقديري لدمعي المطلق

قولوا تركناه وقد أخذ الهوى ... منه اعتداء أخذ من لم يشفق

وعلى تحول حالتيه فإنه ... باق على حفظ المودة ما بقي

يهوى لقاءكم ويأبى دهره ... وأصدعه الأكباد إن لم نلتق

وأقمنا به ننظر تأتي الريح، ونعاني من أهل برقة ألم الوجد وعظيم التبريح إلى أن أقمنا به مدة، ورأينا الأمر لا يزداد إلا شدة فرفعنا الشراع للرجوع وسرنا ولا كرامة للسلوة ولا للهجوع.

وإذا أتاك من الأمور مقدر ... ففررت منه فنحوه تتوجه

وخرجنا من المرسى المذكورة يوم السبت السادس عشر لذي قعدة المذكور، فنزلنا به للإقامة. وحمدنا الله تعالى على السلامة،

ثم حللت من المدينة بالمدرسة السراجية ساكنا وقد نال مني نصب البحر ظاهرا وباطنا، وعدت لعادتي من الاجتماع بالفضلاء، والانتفاع بالعلماء:

كأن لم يكن بين ولم تك فرقة ... إذا كان من بعد الفراق تلاقي

ولما نزلنا بالمدرسة السراجية الحافلة، وجمعت فيها بين الفريضة والنافلة، صادف نزولي بها قدوم مدرسها الأكبر وإمامها الأشهر، الشيخ الفقيه العالم مفتي المسلمين شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن الشيخ الفقيه الصالح شرف الدين أبي الروح عيسى بن أبي الحسن علي بن أبي الحسن اسم كنيته ابن أبي العلاء عبد الله الكناني الشافعي الشامي ثم الإسكندري نفع الله تعالى به وافى من سفر كان أبطأ فيه، ثم أسرع به إلى الحظ الذي يقرب الأمل النازح ويدنيه، فحللناها حلول الهائم المجد، في وصل الحبيب المسعد، ومنشدين)ويجمعنا شتى على غير موعد(واستقررت منها بمسكن مجاور لمسكنه، حيث مأوى تدريسه، وخزانة كتبه، فكان فيه جاري بيت بيت، والمهدي لوجاري حتى الخل والزيت، فسقاني حتى أروي كل ظمأ وجواد وأحلني من مبرته وفؤاد، ووالى من إتحافه، وضروب ألطافه، ما حسبتني به مفطوما يعلل على الفطام، ورأيت الأماني مجنوبة إلي في الخطام:

وحسن طعم العيش حتى أعاده ... ألذ من الإغفاء في عقب السهد". (١)

٢٣٨-"وفي هذه السنة أعني سنة تسع وسبعين ومائتين توفي أحمد المعتضد بالله ابن جعفر المتوكل بن المعتصم لإحدى عشرة بقيت من رجب ببغداد وكان قد شرب على الشط وتعشى وأكثر من الشراب والأكل فمات ليلا وأحضر المعتضد القضاة وأعيان الناس فنظروا إليه وحمل إلى سرمن رأى فدفن بها وكان عمر المعتمد خمسين سنة وستة أشهر وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وستة أيام .

وكان قد تحكم عليه في خلافته أخوه الموفق وضيق عليه حتى إنه احتاج إلى ثلاثمائة دينار فلم يجدها في ذلك الوقت فقال : أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قل ممتنعا عليه وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا وما من ذاك شيء في يديه

خلافة أبي العباس أحمد المعتضد بالله

وهو سادس عشرهم وفي صبيحة الليلة التي مات فيها المعتمد بويع لأبي العباس أحمد المعتضد بالله بن الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل .

وفي هذه السنة توفي نصر بن أحمد الساماني فقام بما كان إليه من العمل بما وراء النهر أخوه إسماعيل ابن احمد بن أسد بن سامان .

وفي هذه السنة قدم الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص من مصر بهدايا عظيمة من خمارويه بن أحمد بن طولون صاحب مصر بسبب تزويج المعتضد بنت خمارويه .

وفيها توفي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سودة الترمذي السلمي بترمذ في رجب وكان إماما حافظا له تصانيف حسنة

---

(١) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق ص/١٠٨

منها الجامع الكبير في الحديث وكان ضريرا وهو عن أئمة الحديث المشهورين الذين يقتدى بهم في علم الحديث وهو تلميذ محمد بن إسماعيل البخاري وشاركه في بعض شيوخه مثل قتيبة بن سعيد وعلي بن حجر .

ثم دخلت سنة ثمانين ومائتين

فيها توفي جعفر بن المعتمد وهو الذي كان لقبه المفوض وخلعه

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائتين

فيها سار المعتضد إلى ماردين فهرب صاحبها حمدان وخلى ابنه بها فقابله المعتضد فسلمها إليه .

وفيها دخل طغج بن جف وكان عاملا على دمشق من طرسوس إلى بلاد الروم من قبل خمارويه وفتح وسبى .". (١)

٢٣٩-"وفيها توفي إبراهيم بن عثمان بن محمد الغزي عند قلعة بلخ ودفن فيها وهو من أهل غزة ومولده سنة إحدى وأربعين وأربعمائة وهو من الشعراء المجيدين فمن قصائده المشهورة قصيدته التي مدح فيها الترك التي أولها : ومنها : في فتية من جيوش الترك ما تركت للرعد كراتهم صوتا ولا صيتا قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة حسنا وإن قوتلوا كانوا عفاريتا ثم ترك الغزي قول الشعر وغسل كثيرا منه وقال : قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة باب البواعث والدواعي مغلق خلت البلاد فلا كريم يرتجى منه النوال ولا مليح يعشق **ومن العجائب** أنه لا يشترى ويخان فيه مع الكساد ويسرق

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة

فيها أسر دبيس بن صدقة وسبب ذلك مسيره من العراق إلى صرخد لأن صرخد كان صاحبها خصيا وكانت له سرية فتوفي الخصي في هذه السنة واستولت سريته على قلعة صرخد وما فيها وعلمت أنه لا يتم لها ذلك إن لم تتصل برجل يحميها فأرسلت إلى دبيس ابن صدقة تستدعيه للتزوج به وتسلم إليه صرخد وما فيها من مال وغيره .

فسار دبيس من العراق إليها فضل به الأدلاء بنواحي دمشق فنزل بناس من كلب كانوا شرقي الغوطة فأخذوه وحملوه إلى تاج الملوك توري بن طغتكين صاحب دمشق في شعبان من هذه السنة فحبسه توري وسمع عماد الدين زنكي بأسر دبيس فأرسل إلى توري يطلبه ويبذل له إطلاق ولده سونج ومن معه من الأمراء الذين غدر بهم زنكي وقبضهم .

كما تقدم ذكره .

فأجاب توري إلى ذلك وأفرج زنكي عن المذكورين وتسلم دبيس فأيقن دبيس بالهلاك لأنه كان كثير الوقيعة في عماد الدين زنكي ففعل معه الزنكي بخلاف ما كان يظن وأحسن إلى دبيس وحمل إليه الأموال والسلاح والدواب وقدمه على نفسه ولم يزل دبيس مع عماد الدين زنكي حتى انحدر معه إلى العراق على ما سنذكره إن شاء الله تعالى وسمع الخليفة المسترشد بقبض دبيس فأرسل يطلبه مع سديد الدولة ابن الأنباري وأبي بكر بن بشر الجزري .

---

(١) تاريخ أبي الفداء ٤٢٠/١

". (١)

٢٤٠-"وفي هذه السنة أعني سنة ست وخمسين وستمائة في ليلة السبت السادس والعشرين من جمادى الأولى توفي الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر ابن أيوب بظاهر دمشق في قرية يقال لها البويضا ومولده سنة ثلاث وستمائة فكان عمره نحو ثلاث وخمسين سنة وكنا قد ذكرنا أخباره في سنة خمس وخمسين وأنه توجه إلى تيه بني إسرائيل وصار مع عرب تلك البلاد وبلغ المغيث صاحب الكرك وصوله إلى تلك الجهة فخشي منه وأرسل إليه فقبض عليه وحمله إلى بلد الشوبك وأمر بحفر مطمورة ليحبسه فيها وبقي الملك الناصر المذكور ممسوكا والمطمورة تحفر قدامه ليحبس فيها فبينما هو على تلك الحال إذ ورد رسول الخليفة المستعصم يطلبه من بغداد لما قصده التتر ليقدمه على بعض العساكر لملتقى التتر فلما ورد رسول الخليفة إلى دمشق جهزوه إلى المغيث صاحب الكرك ووصل الرسول إلى موضع الملك الناصر قبل أن يتم المطمورة فأخذه وسار به إلى جهة دمشق فبلغ الرسول استيلاء التتر على بغداد وقتل الخليفة فتركه الرسول ومضى لشأنه فسار الناصر داود إلى البويضا وهي قرية شرقي دمشق وأقام بها ولحق الناس في الشام في تلك المدة طاعون مات منه الناصر داود المذكور في التاريخ المذكور وخرج الملك الناصر يوسف صاحب دمشق إلى البويضا وأظهر عليه الحزن والتأسف ونقله ودفنه بالصالحية في تربة والده المعظم وكان الناصر داود فاضلا ناظما ناثرا وقرأ العلوم العقلية على الشيخ شمس الدين عبد الحميد الخسروشاهي تلميذ الإمام فخر الدين الرازي وللناصر داود المذكور أشعار جيدة قد تقدم ذكر بعضها ومن شعره أيضا : عيون عن السحر المبين تبين لها عند تحريك القلوب سكون تصول ببيض وهي سود فرندها ذبول فتور والمجفون جفون وله أيضا : طوفي وقلبي قاتل وشهيد ودمي على خديك منه شهود أما وحبك لست أضمر سلوة عن صبوتي ودع الفؤاد يبيد مني بطيفك بعد ما منع الكرى عن ناظري البعد والتسهيد **ومن العجائب** أن قلبك". (٢)

٢٤١-"وفي جمادى الأولى من هذه السنة وردت الأخبار من ناحية العراق بوصول السلطان ركن الدنيا والدين محمد بن ملك شاه إلى بغداد وانفاذ كتبه إلى سائر البلاد معلما فيها بما هو عليه من قوة العزم على قصد الجهاد والأمر لظهير الدين أتابك بالمقام بحيث هو إلى حين ترد العساكر إلى الشام وينضاف إليها ويدبر أمرها لأنه كان تابع كتبه بالاستصراخ والاستنجاد على الكفرة الأضداد فعرضت عوائق عن ذاك عاقت وموانع عن المراد صدت وطالت مدة الانتظار وتزايد طمع الكفار بتأخر العساكر السلطانية فحملت ظهير الدين أتابك الحمية الاسلامية والعزيمة التركية على التأهب للمسير بنفسه إلى بغداد لخدمة الدار العزيزة النبوية المستظهرية والمواقف السلطانية الغياثية والمثول بها والشكوى لما نزل بالمسلمين في الأعمال إليها من تملك البلاد وقتل الرجال وسبي النساء والأطفال وحديثهم بينهم بالطمع في الامتداد إلى تملك الأعمال الجزرية والعراقية. وتأهب للمسير واستصحب معه فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس وخواص أصحابه وما أمكنه من

---

(١) تاريخ أبي الفداء ٢٠٨/٢

(٢) تاريخ أبي الفداء ١٧/٣

الخيول العربية السبق وطرف مصر من أجناس اللباس وما يصلح لتلك الجهات من التحف والهدايا من كل فن له قيمة وافرة وتوجه في البرية على طريق السماوة فاستناب في دمشق ولده تاج الملوك بوري ووصاه بما يجب عمله من استعمال اليقظة في الذب والحماية واحسان السيرة في الرعية والمغالطة للافرنج والثبات على الموادعة المستقرة معهم إلى حين العود. فلما سار وحصل في الوادي المعروف بوادي المياه من البرية وافى الخبر بما شاع من المرجفين ببغداد من الحديث بتقليد السلطان بلاد الشام لامراء عين عليهم ووقعت الاشارة في ذلك إليهم فأحدث هذا الخبر وحشة أوجبت عوده من طريقه واعتمد على فخر الملك بن عمار ومن عول عليه من ثقاته في الاتمام إلى بغداد بما صحبه من التحف والهدايا والمناب عنه في انهاء ما دعاه إلى العود من طريقه. فوص فخر الملك إلى بغداد بما صحبه فصادف من الابتهاج بمقدمه والتأسف على عود أتابك ولم يصل ويشاهد ما زاد على الأمل وظهور بطلان تلك الأراجيف بالمحال الذي لا حقيقة له وتواصلت الأجوبة عن ذلك بما سر النفوس وشرح الصدور والاعتذار من إشاعة المحال وأكاذيب الأخبار. وقد كان ظهير الدين أتابك في عوده من وادي المياه قد اتصل به أن كمشتكين الخادم التاجي الوالي ببعلبك قد أرسل الافرنج بالتماس المصافاة منهم وبعثهم على شن الغارات على الأطراف وأنه قد سير أخاه بايتكين الخادم التاجي إلى السلطان للتوصل بالمحال إلى افساد الحال فحين سمع ظهير الدين هذا الخبر ونفوذه ندب جماعة من العسكر وقرر معهم المصير إلى المسالك والطرقات التي لا بد من عبوره فيها لمسلكه وحمله إليه فلم يقف لبايتكين المذكور على خبر. وسار ظهير الدين في العسكر من طريقه وكتب إلى ولده تاج الملوك يأمره بالخروج في العسكر إلى بعلبك والنزول عليها فسارع إلى امتثال أمره وسار إليها ونزل عليها على غفلة من أهلها غرة ممن بها ثم أرسل الخادم المذكور يلتمس منه الدخول في الطاعة وتسليم الموضع إليه ويحذره من الاستمرار على المخالفة والعصيان ويخوفه الاقامة على ما يفضي إلى سفك الدماء وبالغ في الأعذار له والانذار فلم يجب إلى المراد والايثار وأصر على الخلف والانكار. ووافى عقيب ذلك ظهير الدين في العسكر ومن جمعه من الرجالة وزحف إلى بعلبك مقابلا لها ونصب عليها المنجيق وشرع في عمل آلة الحرب والنقوب لقصد الأماكن المستضعفة منها لانتهاز الفرصة فيها وترامى إليه من أحداث أهلها وأجنادها جماعة أحسن إليهم وخلع عليهم وزحف إلى سورها وقاتل من عليه فقتل جماعة منهم فحين شاهدوا الجد في القتال والصبر على النزال جنحوا إلى الدخول في الطاعة والتمس الخادم الاقالة وبذل تسليم البلد والحصن على شرط اشترطه واقطاع عينه وطلب بعض المقدمين للحديث معه والتوفق لنفسه فنفذ إليه الأمير بلتاش لمحله من الدولة فتقررت الحال على ما اقترحه وسلم البلد والحصن الذي هو غاية في المنعة والحصانة **ومن العجائب** والقلاع المشهورة وخرج إليه وجرى على عادته الجميلة في الصفح عمن أساء إليه وأظهر العصيان عليه وعوضه عن بعلبك حصن صرخد وهو مشهور بالحصانة والمنعة أيضا وعاد إليه ما كان قبض عنه من ملك واقطاع وعاد إلى دمشق. وسلم ظهير الدين أتابك بعلبك إلى". (١)

---

(١) تاريخ أبي يعلى ص/١٠٠

٢٤٢-" ديواني على مائة ألف مرتزق ما فيهم أسوأ حالا مني ، وكان قد بويع له بالعهد بعد المفوض بن المعتمد فبويع بعد موته لابنه أبي العباس بن المعتضد بولاية العهد بعد المفوض واجتمع إليه أصحاب أبيه وجهاته .   وفيها : تحرك بسواد الكوفة قوم يسمون ' القرامطة ' ، دعاهم إلى دينه شخص اسمه كرمينه وتفسيره بالنبطية : حمرة العين ثم خفف فقيل : قرمط ، فأجابه من السواد والبادية قوم ليس لهم عقل ولا دين ، وأخرج لهم كتابا بعض ما فيه : بسم الله الرحمن الرحيم يقول الفرج بن عثمان من قرية نصرانة إنه داعية المسيح وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهدي وهو أحمد بن محمد بن الحنفية وهو جبريل وإن المسيح تصور في جسم إنسان وقال ، إنك الداعية وإنك الناقة وإنك الدابة وإنك يحيى بن زكريا وإنك روح القدس ، وعرفه أن الصلاة أربع ركعات ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها ، وأن الأذان في كل صلاة أن يقول المؤذن : الله أكبر ثلاث مرات ، أشهد أن لا إله إلا الله مرتين أشهد أن آدم رسول الله ، أشهد أن نوحا رسول الله ، أشهد أن إبراهيم رسول الله أشهد ان عيسى رسول الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله ، والقبلة بيت المقدس .   قلت : وفي تاريخ ابن المهذب المعري : أن قرمطا المذكور أول ظهوره كان في سنة أربع وستين ومائتين وأنه إنما سمي قرمطا لأنه كان قصيرا وخطوه متقاربا لقصر رجليه ، وإن قرمطا أظهر الزهد والورع وتسوق به على الناس مكيدة وخبثا ، وزعم القرامطة أنهم يدعون إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، انتهى . ثم صدر من القرامطة ما لم يصدر من الكفار كما ستقف عليه في مواضع ، والله أعلم .   ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائتين : فيها خلع المعتمد ابنه جعفرا المفوض من ولاية العهد وجعل المعتضد ابن أخيه ولي العهد بعده .   وفيها : توفي المعتمد على الله أحمد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب ببغداد أكثر من الشراب والأكل على الشط فمات ليلا ، وأحضر المعتضد القضاة والأعيان فرأوه ، ونقل إلى سامراء فدفن بها وعمره خمسون سنة وستة أشهر وخلافته ثلاث وعشرون سنة وستة أيام . ومن شعره لما تحكم على أمره أخوه الموفق حتى احتاج إلى ثلثمائة دينار فلم يجدها : (أليس من العجائب أن مثلي ** يرى ما قل ممتنعا عليه) (وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ** وما من ذاك شيء في يده)   (أخبار المعتضد بالله أحمد)   وصبيحة وفاة المعتمد بويع للمعتضد بالله أبي العباس أحمد سادس عشرهم ابن الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل .

." (١)

٢٤٣-" وخمسة أشهر وخمسة عشر يوما ، وعمره أربع وثلاثون سنة ، وهو العاشر من ولد المهدي ، وهو العاشر من الخلفاء العلويين ، ولما قتل لم يكن له ولد فولي ابن عمه الحافظ عبد المجيد بن أبي القاسم بن المستنصر صورة نائب عسى أن يظهر للآمر حمل واستوزر أبا علي أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي فتغلب على الحافظ ونقل ما بالقصر إلى داره واستمر كذلك إلى أن قتل أبو علي كما سيأتي .   وفيها : كان الرصد بالدار السلطانية شرقي بغداد ، تولاه البديع

---

(١) تاريخ ابن الوردي ٢٣٣/١

الأسطرلابي ولم يتم . وفيها : ملك السلطان مسعود قلعة ألموت . وفيها توفي إبراهيم بن عثمان بن محمد الغزي ، ودفن ببلخ ، وهو من غزة ، ومولده سنة إحدى وأربعين ، وهو من الشعراء المجيدين ، له قصيدة في مدح الترك منها : (أمط عن الدرر الزهر اليواقيتا ** واجعل لحج تلاقينا مواقيتا) (في فتية من جيوش الترك ما تركت ** للرعد كراتهم صوتا ولا صيتا) (قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة ** حسنا وإن قوتلوا كانوا عفاريتا) ثم ترك الشعر وقال : (قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة ** باب البواعث والدواعي مغلق) (خلت البلاد فلا كريم يرتجى ** منه النوال ولا مليح يعشق) (ومن العجائب أنه لا يشترى ** ويخان فيه مع الكساد ويسرق) قلت : وله وقد كبر وضعف : (طول حياة ما لها طائل ** نغض عندي كل ما يشتهى) (أصبحت مثل الطفل في ضعفه ** تناسب المبدأ والمنتهى) ولله قوله : (خذ ما صفا لك فالحياة غرور ** والدهر يعدل تارة ويجور) (هو مذنب وعلاك من حسناته **كالنار محرقة وفيها النور) (بادر فإن الوقت سيف قاطع ** والعمر جيش والشباب أمير) وقوله : (قالوا نزلت فقلت الدهر أقسم بي ** لا وجه للرفع في المجرور بالقسم) وقوله : (أما الخيال فما قبلت منه فما ** بل كان حظي من إلمامه ألما) (وافى عبوسا فما استوفيت رؤيته ** باللحظ حتى تلاه الفجر مبتسما) والله أعلم . ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة ' أسر دبيس بن صدقة ' : سببه مسيره من

---

(١) ."

٢٤٤-" (فلم أر فيما ساءني غير شامت ** ولم أر فيما سرني غير حاسد) وله : (أعيناي كفا عن فؤادي فإنه ** من البغي سعى اثنين في قتل واحد) قلت : كان ينوب عن القضاة تارة بتستر ، وتارة بعسكر مكرم وفي ذلك يقول : (ومن النوائب انني ** في مثل هذا الشغل نائب) (ومن العجائب أن لي ** صبرا على هذي العجائب) وأرجان تخفف راؤها وتشدد . وله ، ويروي للغزي مما يقرأ طردا وعكسا . (مودته تدوم لكل هول ** وهل كل مودته تدوم) والله أعلم . وفيها : توفي القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي بمراكش ، ومولده بسبتة سنة ست وسبعين وأربعمائة ، أحد الأئمة الحفاظ المحدثين الأدباء ، وتآليفه وأشعاره شاهدة بذلك . وله : الإكمال شرح مسلم . ومشارق الأنوار في غريب الحديث . قلت : وله الشفاء استقضى بسبتة طويلا فحمد ، ثم ولي غرناطة فلم تطل مدته . ومن شعره : (انظر إلى الزرع وجاماته ** تحكي وقد ماست أمام الرياح) (كتيبة خضراء مهزومة ** شقائق النعمان فيها جراح) والله أعلم . ثم دخلت سنة خمس وأربعين وخمسمائة : فيها في المحرم أخذت العرب الحجاج بين مكة والمدينة فلم يسلم منهم إلا القليل . وفيها : حصر نور الدين قلعة أفامية وتسلمها من الفرنج وحصنها بالرجال والذخائر . قلت : وفي ذلك يقول أبو الحسين بن منير الطرابلسي : (أنشرت يا محمود ملة أحمد ** من بعد ما شمل البلى آثارها) (أدركت ثأرك في البغاة وكنت ** يا مختار أمة أحمد مختارها) والله أعلم . وفيها : حاصر الأذفونش صاحب طليطلة

---

(١) تاريخ ابن الوردي ٢/٣٥

قرطبة ثلاثة أشهر ولم يملكها . وفيها : مات علي بن دبيس بن صدقة صاحب الحلة . ثم دخلت سنة ست وأربعين وخمسمائة : وفيها من الله تعالى على نور الدين بأسر جوسلين ، وكان من أشجع الفرنج ، وهزم نور الدين مرة ، وأسر وقتل في أصحابه حتى أخذ سلاح نور الدين وأرسله إلى مسعود بن فلج أرسلان صاحب قونية وآقسرا ، وقال : هذا سلاح زوج ابنتك ، وسآتيك بعده بما هو أعظم منه ، فبذل نور الدين الوعود فيه ، فأسره

". (١)

٢٤٥-" وفيها سار الكامل من مصر واسترجع حران والرها من يد كيقباذ ، وأرسل نواب كيقباذ مقيدين إلى مصر ، فاستقبح ذلك منه ثم قدم دمشق وأقام عند أخيه الأشرف حتى خرجت السنة . وفيها : توفي شرف الدين محمد بن نصر بن عنين الزرعي شاعر مفلق ، هجاء له مقراض الأعراض ما سلم بدمشق منه كبير ، ونفاه صلاح الدين إلى اليمن فمدح صاحبها طغتكين بن أيوب فحصل له منه أموال إتجر بها إلى مصر وصاحبها العزيز عثمان بن صلاح الدين وأخذت بها زكاة تجارته فقال : (ما كل من يسمى بالعزيز لها ** أهلا ولا كل برق سحبه غدق) (بين العزيزين بون في فعالهما ** هذاك يعطى وهذا يأخذ الصدقة) قلت : وطاف ابن عنين بلاد الشام والعراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان وغزنة وخوارزم وما وراء النهر واليمن والهند . وكتب من الهند إلى أخيه بدمشق هذين البيتين ، والثاني منهما لأبي العلاء المعري : (سامحت كتبك في القطيعة عالما ** أن الصحيفة لم تجد من حامل) (وعذرت طيفك في الجفاء لأنه ** يسري فيصبح دوننا بمراحل) ومات صلاح الدين وملك العادل دمشق في عيبته فقدم دمشق وكتب إلى العادل يستأذنه في دخولها : (ماذا على طيف الأحبة لو سرى ** وعليهم لو سامحوني بالكرى) ووصف منتزهات دمشق ثم قال : (فارقتها لا عن رضى وهجرتها ** لا عن قلى ورحلت لا متحيرا) (أسعى لرزق في البلاد مشتت ** ومن العجائب أن يكون مقترا) (وأصون وجه مدائحي متقنعا ** وأكف ذيل مطامعي متسترا) (أشكو إليك نوى تمادى عمرها ** حتى حسبت اليوم منها أشهرا) (لا عيشتي تصفو ولا رسم الهوى ** يعفو ولا جفني يصافحه الكرى) (ومن العجائب أن يقتل بظلكم **كل الورى ونبذت وحدي بالعرا) وولي الوزارة بدمشق في آخر دولة المعظم ، ومدة ولاية ابنه الناصر ولما ملكها الأشرف انفصل ولم يباشر بعدها خدمة ، ودفن بمسجد أنشأه بأرض المزة بكسر الميم ، والله أعلم . ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وستمائة : فيها عاد الكامل إلى مصر . وفيها : في ربيع الأول توفي الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب بحلب وعمره ثلاث وعشرون سنة وشهور وملك بعده ابنه الناصر يوسف ، وعمره نحو سبع سنين ، ودبره شمس الدين لؤلؤ وعز الدين عمر بن مجلى وجمال الدولة اقبال الخاتوني والمرجع إلى أم العزيز ضيفة خاتون بنت العادل .

---

(١) تاريخ ابن الوردي ٤٩/٢

". (١)

٢٤٦-" (عيون عن السحر المبين تبين ** لها عند تحريك القلوب سكون) (تصول ببيض وهي سود فرندها ** ذبول فتور والجفون جفون) (إذا ما رأت قلبا خليا من الهوى ** تقول له كن مغرما فيكون) ومنه : (ومن العجائب أن قلبك لم يلن ** لي والحديد ألانه داود) وكتب إلى ابن عبد السلام وقد أغارت الفرنج على نابلس في أيام الصالح أيوب صاحب مصر : (أيا ليت أمي أيم طول عمرها ** فلم يقضها ربي لمولى ولا بعل) (ويا ليتها لما قضاها لسيد ** لبيب أريب طيب الفرع والأصل) (قضاها من اللاتي خلقن عواقرا ** فما بشرت يوما بأنثى ولا فحل) (ويا ليتها لما غدت بي حاملا ** أصيبت بما اجتنت عليه من الحمل) (ويا ليتني لما ولدت وأصبحت ** تشد إلي الشذقميات بالرحل) (لحقت بأسلافي فكنت ضجيعهم ** ولم أر في الإسلام ما فيه من خل) قلت : وذكرت بهذا قولي وقد رأيت دار والدي رحمه الله تعالى بالمعرة بعد وفاته وهو : (ترى عدوا دعا علينا ** بدعوة صادفت نفاذا) (خلت ديار الحبيب منه ** يا ليتني مت قبل هذا) وقولي : (دهرنا أضحى ضنينا ** باللقا حتى ضنينا) (يا ديار الخير عودي ** واجمعينا اجمعينا) والله أعلم . وفيها : في ذي القعدة توفيت الصاحبة غازية خاتون بنت السلطان الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بقلعة حماه . ولدت من المظفر محمود ثلاث بنين ، مات عمر منهم صغيرا وبقي المنصور محمد والأفضل علي والد المؤلف رحمهما الله تعالى وثلاث بنات ، توفيت الكبرى منهن ملكة خاتون قبل والدتها بقليل ، وتوفيت الصغرى دنيا خاتون بعد أخيها المنصور ، وكان عند الصاحبة زهد وعبادة ، وحفظت الملك لابنها المنصور حتى كبر . وفيها : بعد بغداد قصد التتر ميافارقين وصاحبها الكامل محمد بن المظفر غازي بن العادل أبي بكر بن أيوب ، فصبر أهل ميافارقين مع الكامل على الجوع حتى كان ما سيذكر ، الكامل وهذا ملكها بعد أبيه سنة اثنتين وأربعين وستمائة . وفيها : اشتد الوباء بالشام وخصوصا بدمشق حتى عز مغسلو الموتى .

". (٢)

٢٤٧-"الروسية التي كان مبدأها في الاقليم السادس في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء الخامس منه وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الجزء بقية أرض بلغر التي كان مبدأها في الاقليم السادس وفي الناحية الشرقية الشمالية من الجزء السادس منه وفي وسط هذه القطعة من أرض بلغر منعطف نهر أثل القطعة الاولى إلى الجنوب

كما مرو في آخر هذا الجزء السادس من شماله جبل قوقيا متصل من غربه إلى شرقه وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في غربه بقية أرض يخناك من أمم الترك وكان مبدأها من الناحية الشمالية الشرقية من الجزء السادس قبله وفي الناحية الجنوبية

---

(١) تاريخ ابن الوردي ٢/١٦٠

(٢) تاريخ ابن الوردي ٢/١٩٣

الغربية من هذا الجزء ويخرج إلى الاقليم السادس من فوقه وفي الناحية الشرقية بقية أرض سحرب ثم بقية الارض المنتنة إلى آخر الجزء شرقا وفي آخر الجزء من جهة الشمال جبل قوقيا المحيط متصلا من غربه إلى شرقه.

وفي الجزء الثامن من هذا الاقليم في الجنوبية الغربية منه متصل الارض المنتنة وفي شرقها الارض المحفورة وهي **من العجائب** خرق عظيم في الارض بعيد المهوى فسيح الافطار ممتنع الوصول إلى قعره يستدل على عمرانه بالدخان في النهار والنيران في الليل تضئ وتخفى وربما رئي فيها نهر يشقها من الجنوب إلى الشمال وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء البلاد الخراب المتاخمة للسد وفي آخر الشمال منه جبل قوقيا متصلا من الشرق إلى الغرب وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد خفشاخ وهم قفجق يجوزها جبل قوقيا حين ينعطف من شماله عنه البحر المحيط ويذهب في وسطه إلى الجنوب بانحراف إلى الشرق فيخرج في الجزء التاسع من الاقليم السادس ويمر معترضا فيه وفي وسطه هنالك سد ياجوج وماجوج وقد ذكرناه وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء أرض ياجوج وراء جبل قوقيا على البحر قليلة العرض مستطيلة أحاطت به من شرقه وشماله.

والجزء العاشر غمر البحر جميعه.

هذا آخر الكلام على الجغرافيا وأقاليمها السبعة وفي خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات للعالمين". (١)

٢٤٨-"واتصل بالسلطان أبي عنان وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى **من العجائب** بممالك الارض وأكثرما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتي من أحواله بما يستغربه السامعون مثل أن ملك الهند إذا خرج إلى السفر أحصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم رزق ستة أشهر تدفع لهم من عطائه وأنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة إلى صحراء البلد ويطوفون به وينصب أمامه في ذلك الحقل منجنيقات على الظهر ترمى بها شكائر الدراهم والدنانير على الناس إلى أن يدخل إيوانه وأمثال هذه الحكايات فتناجى الناس بتكذيبه ولقيت أيامئذ وزير السلطان فارس بن وردار البعيد الصيت ففاوضته في هذا الشأن وأريته إنكار أخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال لي الوزير فارس إياك أن تستنكر مثل هذا من أحوال الدول بما أنك لم تره فتكون كابن الوزير الناشئ في السجن وذلك أن وزيرا اعتقله سلطانه ومكث في السجن سنين ربي فيها ابنه في ذلك المجلس فلما أدرك وعقل سأل عن اللحمان التي كان يتغذى بها فقال له أبوه هذا لحم الغنم فقال وما الغنم فيصفها له أبوه بشياتها ونعوتها فيقول يا أبت تراها مثل الفار فينكر عليه ويقول أين الغنم من الفأر وكذا في لحم الابل والبقر إذ لم يعاين في محبسه من الحيوانات إلا الفار فيحسبها كلها أبناء جنس الفأر ولهذا كثيرا ما يعتري الناس في الاخبار كما يعتريهم الوسواس في الزيادة عند قصد الاغراب كما قدمناه أول الكتاب فليرجع

الانسان إلى أصوله وليكن مهيمنا على نفسه ومميزا بين طبيعة الممكن والممتنع بصريح عقله ومستقيم فطرته فما دخل في نطاق الامكان قبله وما خرج عنه رفضه وليس مرادنا الا مكان العقلي المطلق فإن نطاقه أوسع شئ فلا يفرض حدا بين

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٨١/١

الواقعات وإنما مرادنا الا مكان بحسب المادة التي للشئ فانا إذا نظرنا أصل الشئ وجنسه وصنفه ومقدار عظمه وقوته أجرينا الحكم من نسبة ذلك على أحواله وحكمنا بالامتناع على ما خرج من نطاقه وقل رب زدني علما وأنت أرحم الراحمين والله سبحانه وتعالى أعلم". (١)

٢٤٩-"مقدم لضروريته على العلوم والصنائع وهي متأخرة عن الضروري وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأنق فيها حينئذ واستجادة ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة وأما العمران البدوي أو القليل فلا يحتاج من الصنائع إلا

البسيط خاصة المستعمل في الضروريات من نجار أو حداد أو خياط أو حائك أو جزار وإذا وجدت هذه بعد فلا توجد فيه كاملة ولا مستجادة وإنما يوجد منها بمقدار الضرورة إذ هي كلها وسائل إلى غيرها وليست مقصودة لذاتها وإذا زخر بحر العمران وطلبت فيه الكمالات كان من جملتها التأنق في الصنائع واستجادتها فكملت بجميع متمماتها وتزايدت صنائع أخرى معها مما تدعو إليه عوائد الترف وأحواله من جزار ودباغ وخراز وصائغ وأمثال ذلك وقد تنتهي هذه الاصناف إذا استجر العمران إلى أن يوجد منها كثير من الكمالات والتأنق فيها في الغاية وتكون من وجوه المعاش في المصر لمنتحلها بل تكون فائدتها من أعظم فوائد الاعمال لما يدعو إليه الترف في المدينة مثل الدهان والصفار والحمامي والطباخ والشماع والهراس ومعلم الغناء والرقص وقرع الطبول على التوقيع ومثل الوراقين الذين يعانون صناعة انتساخ الكتب وتجليدها وتصحيحها فإن هذه الصناعة إنما يدعو إليها الترف في المدينة من الاشتغال بالامور الفكرية وأمثال ذلك وقد تخرج عن الحد إذا كان العمران خارجا عن الحد كما بلغنا عن أهل مصر أن فيهم من يعلم الطيور العجم والحمر الانسية ويتخيل أشياء **من العجائب** بإيهام قلب الاعيان وتعليم الحداء والرقص والمشي على الخيوط في الهواء ورفع الاثقال من الحيوان والحجارة وغير ذلك من الصنائع التي لا توجد عندنا بالمغرب لان عمران أمصاره لم يبلغ عمران مصر والقاهرة أدام الله عمرانها بالمسلمين الفصل الثامن عشر في ان رسوخ الصنائع في الامصار انما هو برسوخ الحضارة وطول امده والسبب في ذلك ظاهر وهو أن هذه كلها عوائد للعمران والاوان والعوائد إنما ترسخ بكثرة التكرار وطول الامد فتستحكم صبغة ذلك وترسخ في الاجيال وإذا استحكمت الصبغة عسر نزعها ولهذا نجد في الامصار التي كانت استجرت في". (٢)

٢٥٠-"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء العشرون الصفحة ٣٢

وأما الموفق فبعث إلى إسحاق بخلع وأموال، وأقطعه ضياع القواد الذين كانوا مع المعتمد. وقال الصولي: كان المعتمد قد ضجر من أخيه الموفق، فكاتب ابن طولون واتفقا فذكر الحكاية. وقال المعتمد:

(أليس **من العجائب** أن مثلي .... يرى ما قل ممتنعا عليه)

---

(١) تاريخ ابن خلدون ١٨٢/١

(٢) تاريخ ابن خلدون ٤٠١/١

(وتوكل باسمه الدنيا جميعا .... وما من ذاك شيء في يديه)

٤ (تلقيت ذي الوزارتين وذي السيفين)

ولقب الموفق صاعدا: ذا الوزارتين، ولقب ابن كنداج: ذا السيفين. وأقام صاعد في خدمة المعتمد، ولكن ليس للمعتمد حل ولا ربط.

٤ (مصادرة ابن طولون للقاضي بكار بن قتيبة)

ولما بلغ ابن طولون ذلك جمع القضاة والأعيان وقال: قد نكث الموفق أبو أحمد بأمير المؤمنين فاخلعوه من العهد. فخلعوه إلا القاضي بكار بن قتيبة فقال: أنت أوردت علي كتابا من المعتمد بولاية العهد، فأورد علي كتابا آخر منه بخلعه. فقال: إنه محجور عليه ومقهور. فقال: لا أدري. فقال ابن طولون: أغرك الناس بقولهم: ما في الدنيا مثل بكار أنت شيخ قد خرفت. وحبسه وقيده، وأخذ منه جميع عطاياه من سنين، فكان عشرة الآف". [١]

٢٥١-"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء السادس والثلاثون الصفحة ٩٢

ومن شعره:

(قالوا: تركت الشعر قلت: ضرورة .... باب الدواعي والبواعث مغلق)

(خلت الديار فلا كريم يرتجى منه .... النوال، ولا مليح يعشق)

(**ومن العجائب** أنه لا يشترى .... ومع الكساد يخان فيه ويسرق)

وله:

(أإحتمال خد يوم وجرة، أم جيد .... أم اللحظ فيما غازلتك المها الغيد)

(سفرن فقال الصبح: لست بسفير .... ومسن، فقال البان: ما في املود)

(وخوطي المهتز أمكن وصلها .... وطرف رقيت الحي بالنوم مصفود)

(لك النوم تحت السجف والطيب والحلى، .... ولي عزماتي والعلندات والبيد)

(فقالت: أمط عنك القريض وذكره، .... فما لك في نظم القصائد تجويد)

---

(١) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ٣٢/٢٠

وله:

(طول حياة ما لها طائل .... نقص عندي كلما يشتهى)

(أصبحت مثل الطفل في ضعفه .... تشابه المبتدأ والمنتهى)

(فلا تلم سمعي وإن خانني، .... إن الثمانين وبلغتها)

وله:

(بجمع جفنيك بين البرء والسقم .... لا تسفكي من دموعي بالفراق دمي)

". (١)

٢٥٢-"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء السابع والثلاثون الصفحة ١٧٩

وله:

(رثى لي وقد ساويته في نحوله .... خيالي لما لم يكن لي راحم)

(فدلس بي حتى طرقت مكانه .... وأوهمت إلفي أنه بي حالم)

(وبتنا ولم يشعر بنا الناس ليلة .... أنا ساهر في جفنه، وهو نائم)

وله، وقد ناب عن القاضي ناصر الدين عبد القاهر بن محمد بتستر، وعسكر مكرم:

(ومن النوائب أنني .... في مثل هذا الشغل نائب)

(**ومن العجائب** أن لي .... صبرا على هذي العجائب)

وله:

(أحب المرء ظاهره جميل .... لصاحبه وباطنه سليم)

(مودته تدوم لكل هول .... وهل كل مودته تدوم)

وله:

(وهل دفعت الى الهموم تنوبني .... منها ثلاث شدائد، جمعن لي)

(أسف على ماضي الزمان، وحيرة .... في الحال، وخشية المستقبل)

---

(١) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ٩٢/٣٦

(ما إن وصلت الى زمان آخر .... إلا بكيت على الزمان الأول)

وله:

(حيث انتهيت من الهجران لي فقف .... ومن وراء دمي بيض الظبا فخف)

(يا عابثا بعدات الوصل يخلفها .... حتى إذا جاء ميعاد الفراق يفي)

(اعدل كفاتن قد منك معتدل .... واعطف كمائل غصن منك منعطف)

(ويا عذولي ومن يصغي الى عذل .... إذا رنا أحور العينين لا تقف)

". (١)

٢٥٣-"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء الثامن والثلاثون الصفحة ١٧٤

وذكر أبو طالب عبد الرحمن بن محمد بن عبد السميع الهاشمي في كتاب المناقب العباسية المقتفي، فقال: كانت أيامه نضرة بالعدل، زهرة بفعل الخيرات، وكان على قدم من العبادة قبل إفضاء الأمر إليه ومعه.) وكان في أول عمره متشاغلا بالدين، ونسخ ربعات وقرأ القرآن إلى أن قال: ولم ير مع سماحته ولين جانبه ورأفته بعد المعتصم خليفة في شهامته وصرامته وشجاعته، مع ما خص به من زهده وورعه وعبادته. ولم تزل جيوشه منصورة حيث يممت. قال ابن الجوزي: مات بالتراقي، وقيل: دمل في عنقه، فتولي ليلة الأحد ثاني ربيع الأول، عن ست وستين سنة إلا ثمانية وعشرين يوما. قال: **ومن العجائب** أنه وافق أباه في علة التراقي، وماتا جميعا في ربيع الأول. وتقدم موت شاه محمد على موت المقتفي بثلاثة أشهر، وكذلك المستظهر مات قبله السلطان محمد بن ملكشاه بثلاثة أشهر. ومات المقتفي بعد الغرق بسنة، وكذلك القائم مات بعد الغرق بسنة. وكان من سلاطين دولته السلطان سنجر صاحب خراسان، والسلطان نور الدين صاحب الشام. واستوزر عون الدين يحيى بن هبيرة. وكان هو الذي قام بحشمة الدولة العباسية، وقطع عنها أطماع الملوك السلجوقية وغيرهم من المتغلبين. ومن". (٢)

٢٥٤-"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء الحادي والأربعون الصفحة ٣٢٨

قصد بلاد الملاحدة، وهي قلاع حصينة، منيعة كبيرة، يقال إنها ممتدة إلى أطراف الهند. وقد حكم على الملاحدة بعد صباح ابنه محمد، ثم بعده الحسن بن محمد بن صباح المذكور، فرأى الحسن من الحزم أن يتظاهر بالإسلام، وذلك في سنة سبع

---

(١) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ١٧٩/٣٧

(٢) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ١٧٤/٣٨

وستمائة، فادعى أنه رأى عليا عليه السلام في النوم يأمره أن يعيد شعار الإسلام من الصلاة، والصيام، والأذان، وتحريم الخمر. ثم قص المنام على أصحابه وقال: أليس الدين لي قالوا: فتارة أرفع التكاليف، وتارة أضعها. قالوا: سمعا وطاعة. فكتب بذلك إلى بغداد والنواحي، واجتمع بمن جاوره من الملوك، وأدخل بلاده القراءة، والفقهاء، والمؤذنين، واستخدم في ركابه أهل قزوين. وذلك **من العجائب**. وجاء رسوله ونائبه في صحبة رسول الخليفة إلى الملك الظاهر إلى حلب، بأن يقتل النائب الأول ويقيم هذا النائب له على قلاعهم التي بالشام. فأنفق عليهم الظاهر وأكرمهم، وخلصوا بإظهار الإسلام من يد خوارزم شاه. رجعنا إلى أخبار سنان. كان أعرج لحجر وقع عليه من الزلزلة الكائنة في دولة نور الدين. فاجتمع إليه محبوه، على ما ذكر الموفق عبد اللطيف، لكي يقتلوه. فقال لهم. ولم تقتلوني. قالوا: لترجع إلينا صحيحا، فإنا نكره أن يكون فينا أعرج. فشكرهم ودعا لهم، وقال: اصبروا علي، فليس هذا وقته. ولاطفهم. ولما أراد أن يحلهم من الإسلام، ويسقط عنهم التكاليف لأمر جاءه من". (١)

٢٥٥-"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء الثاني والأربعون الصفحة ٢٩٩

(من للجدال إذا الشفاه تقلصت .... وتأخر القرم الهزبر المصقع)

(من للدياجي قائما ديجورها .... يتلو الكتاب بمقلة لا تهجع)
(

(أجمال دين محمد مات التقي .... والعلم بعدك واستجم المجمع)

(يا قبره جادتك كل غمامة .... هطالة بركابه لا تقلع)

(فيك الصلاة مع الصلات فته به .... وانظر به بارئك ماذا يصنع)

(يا أحمدا خذ أحمد الثاني الذي .... ما زال عنك مدافعا لا يرجع)

(أقسمت لو كشف الغطاء لرأيتم .... وفد الملائك حوله يتسرعوا)

(ومحمد يبكي عليه وآله .... خير البرية البطين الأنزع)

في أبيات. **ومن العجائب** أنا كنا يومئذ بعد انقضاء العزاء عند القبر، وإذا بخالي محيي الدين يوسف قد صعد من الشط، وخلفه تابوت، فقلنا: ترى من مات في الدار وإذا بها خاتون والدة محيي الدين، وعهدي بها ليلة الجمعة في عافية، وهي

---

(١) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ٤١/٣٢٨

قائمة، فكان بين موتهما يوم وليلة. وعد الناس ذلك من كراماته، لأنه كان مغرى بحبها. وخلف من الوليد عليا، هو الذي أخذ مصنفات والده وباعها بيع العبيد، ومن يزيد. ولما أحدر والده إلى واسط تحيل على كتبه بالليل، وأخذ منها ما أراد، وباعها ولا بثمن المداد. وكان أبوه قد هجره منذ سنين، فلما امتحن صار إلبا عليه. مات أبوه ولم يشهد موته. وخلف محيي الدين يوسف، وكان قد ولد سنة ثمانين وخمسمائة، وسمع الكثير، وتفقه، وناظر، ووعظ تحت ترب والدة الخليفة، وقامت بأمره". (١)

٢٥٦-"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء الثاني والأربعون الصفحة ٣٢٠

فقال له: دام علا العماد. وذلك مما يقرأ مقلوبا صحيحا. قال ابن خلكان: ولم يزل العماد على مكانته إلى أن توفي السلطان صلاح الدين، فاختلت أحواله، ولم يجد في وجهه بابا مفتوحا. فلزم بيته وأقبل على تصانيفه. وأله: معناه بالعربي العقاب، وهو بفتح الهمزة، وضم اللام، وسكون الهاء. وقيل إن العقاب جميعه أنثى، وإن الذي يسافده طائر من غير جنسه، وقيل: إن الثعلب هو الذي يسافده، وهذا **من العجائب**. قال ابن عنين في ابن سودة:

(ما أنت إلا كالعقاب فأمه .... معروفة وله أب مجهول)

وقال الموفق عبد اللطيف: حكى لي العماد من فلق فيه، قال: طلبني كمال الدين لنيابته في ديوان الإنشاء، فقلت: لا أعرف الكتابة. فقال: إنما أريد منك أن تثبت ما جيري فتخبرني به. فصرت أرى الكتب تكتب إلى الأطراف، فقلت لنفسيك لو طلب مني أن أكتب مثل هذا ماذا أكنت أصنع فأخذت أحفظ الكتب وأحاكيها، وأروض نفسي فيها. فكتبت كتبا إلى بغداد، ولا أطلع عليها أحدا. فقال كمال الدين يوما: ليتنا وجدنا من يكتب إلى بغداد ويريحنا. فقلت: أنا أكتب إن رضيت. فكتبت وعرضت عليه، فأعجبه فاستكتبني، فلما توجه أسد الدين إلى مصر في المرة الثالثة صحبته. قال الموفق: وكان فقهه على طريقة أسعد الميهني، ومدرسته تحت القلعة. ويوم يدرس تتسابق الفقهاء لسماع كلامه وحسن نكته. وكان بطيء". (٢)

٢٥٧-"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء الخامس والأربعون الصفحة ١٧

٤ (انخساف القمر)

وفي هذه السنة انخسف القمر مرتين.)

٤ (برد ماء عين القيارة)

وفيها برد ماء عين القيارة حتى كان السابح يجد البرد، فتركوها، وهي معروفة بحرارة الماء، بحيث إن السابح فيها يجد الكرب. وكان بردها في هذه السنة **من العجائب**.

---

(١) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ٢٩٩/٤٢

(٢) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ٣٢٠/٤٢

٤ (كثرة الحيوانات)

وفيها كثرت الذئاب، والخنازير، والحيات، وقتل كثير منها.

٤ (القحط والجراد بالموصل)

وفيها كان قحط وجراد كثير بالموصل. جاء برد كبار أفسد الزرع والمواشي، قيل: كان وزن البردة مائتي درهم، وقيل: رطلا بالموصلي.

٤ (وفاة الظاهر بأمر الله)

وفي رجب توفي أمير المؤمنين الظاهر بأملا الله وكانت خلافته تسعة أشهر ونصفا.". [(١)]

٢٥٨-"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء الخامس والأربعون الصفحة ٤١٣

(جنحوا إلى قول الوشاة وأعرضوا .... والله يعلم أن ذلك مفترى)

(يا معرضا عني بغير جناية .... إلا لما اختلق الحسود وزورا)

منها:

(فارقها لا عن رضا وهجرتها .... لا عن قلى ورحلت لا متخيرا)

(أشكو إليك نوى تمادى عمرها .... حتى حسبت اليوم منها أشهرا)

(**ومن العجائب** أن يقيل بظلكم .... كل الورى ونبذت وحدي بالعرا)

(لا عيشتي تصفو ولا رسم الهوى .... يعفو ولا جفني يصافحه الكرا)

) وله:

(مال ابن مازة دونه لعفاته .... خرط القتادة وامتطاء الفرقد)

(مال لزوم الجمع يمنع صرفه .... في راحة مثل المنادى المفرد)

وقال أبو حفص ابن الحاجب: اشتغل بطرف من الفقه على القطب النيسابوري، والكمال الشهرزوري. وقرأ الأدب على أبي الثناء محمود بن رسلان، وذكر أنه سمع ببغداد من منوجهر بن تركانشاه راوي لمقامات. واشتغل بالري على ابن الخطيب. وكانت أدواته في الأدب كاملة. ذو نوادر للخاصة والعامة، وله الشعر الرائق، كان أوحد عصره في نظمه ونثره، يخرج جده معرض المزح، وقاد الخاطر على كبر السن. أقامه الملك المعظم مقام نفسه في ديوانه، وكان محمود الولاية، كثير النصفة،

---

(١) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ١٧/٤٥

مكفوف اليد عن أموال الناس مع عظم الهيبة، إلا أنه في الآخر ظهر منه سوء اعتقاد، وطعن على السلف، واستهتار بالشريعة، وكثر عسفه وظلمه، وترك الصلاة، وسب الأنبياء، ولم يزل يتناول الخمر إلى قبل وفاته بقليل. توفي في العشرين من ربيع الأول سنة ثلاثين. قلت: وله ترجمة في تاريخ ابن النجار وقال: نظر في الديوان بدمشق مدة ولم تحمد سيرته، فعزل ولزم بيته عاجزا عن الحركة لعلو سنه. وهو من أملح أهل زمانه شعرا، وأحلاهم قولا وأرشقهم رصفا، ظريف". (١)

٢٥٩-"تاريخ الإسلام للذهبي الجزء التاسع والأربعون الصفحة ٥٨

[القبض على جماعة أمراء بمصر]

ثم سار السلطان بالجيش حتى أشرف على عكا، ورجع ودخل مصر في ثالث عشر ذي الحجة. ونابه في هذه السفرة فوق ثمانمائة ألف دينار. فلما دخل قبض على هؤلاء الأمراء الكبار: الحلبي، والمحمدي، وإيدغدي الحاجبي، والمساح، وبيدغان، وطوطج، لأنه بلغه عنهم أنهم هموا بالفتك به.

[السيل بمكة المكرمة]

ومن عجيب الاتفاق أن مكة جاء بها زيادة وسيل عرمرم، بحيث أن الماء بلغ إلى فوق الحجر الأسود.

[نقصان المياه وإبطال الطواحين]

ومن العجائب أن مياه دمشق والعاصي والفرات قلت ونقصت نقصا مجحفا، حتى هلك شيء كثير من الأشجار، وبطلت الطواحين، وعملت طواحين بمدارات. وكانت الفواكه في هذه السنة قليلة.

[تعيينات في مدارس دمشق]

ومما جرى في هذه السنة وقبلها وبعدها تولي القاضي نجم الدين ابن سني. الدولة تدريس الأمينية، والقاضي عز الدين ابن الصائغ تدريس العادلية، وأخوه". (٢)

٢٦٠-" قالا وقال رجل لخالد ما أكثر الروم وأقل المسلمين فقال خالد ما أقل الروم وأكثر المسلمين إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال والله لوددت أن الأشقر براء من توجيه وأنهم أضعفوا في العدد وكان فرسه قد حفي في مسيره قالا فأمر خالد عكرمة والقعقاع وكانا على مجنبتي القلب فأنشبا التقال وارتجز القعقاع وقال ... يا ليتني ألقاك في الطراد ... قبل اعترام الجحفل الوراد ... وأنت في حلبتك الوراد ...

وقال عكرمة ... قد علمت بهكنة الجواري ... أني على مكرمة أحامي ...

---

(١) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ٤١٣/٤٥

(٢) تاريخ الإسلام للإمام الذهبي ٥٨/٤٩

فنشب القتال والتحم الناس وتطارد الفرسان فإنهم على ذلك إذ قدم البريد من المدينة فأخذته الخيول وسألوه الخبر فلم يخبرهم إلا بسلامة وأخبرهم عن أمداد وإنما جاء بموت أبي بكر رحمه الله وتأمير أبي عبيدة فأبلغوه خالدا فأخبره خبر أبي بكر أسره إليه وأخبره بالذي أخبر به الجند قال أحسنت فقف وأخذ الكتاب وجعله في كنانته وخاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر له أمر الجند فوقف محمية بن زنيم مع خالد وهو الرسول وخرج جرجة حتى كان بين الصفين ونادى ليخرج إلي خالد فخرج إليه خالد وأقام أبا عبيدة مكانه فوافقه بين الصفين حتى اختلفت أعناق دابتيهما وقد أمن أحدهما صاحبه فقال جرجة يا خالد أصدقني ولا تكذبني فإن الحر لا يكذب ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه فلا تسله على قوم إلا هزمتهم قال لا قال فبم سميت سيف الله قال إن الله عز و جل بعث فينا نبيه صلى الله عليه و سلم فدعانا فنفرنا عنه ونأينا عنه جميعا ثم إن بعضنا صدقه وتابعه وبعضنا باعده وكذبه فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه فقال أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين ودعا لي بالنصر فسميت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين قال صدقتني ثم أعاد عليه جرجة يا خالد أخبرني إلام تدعوني قال إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله والإقرار بما جاء به من عند الله قال فمن لم يجبكم قال فالجزية ونمنعهم قال فإن لم يعطها قال نؤذنه بحرب ثم نقاتله قال فما منزلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم قال منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا ثم أعاد عليه جرجة هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل مالكم من الأجر والذخر قال نعم وأفضل قال وكيف يساويكم وقد سبقتموه قال إنا دخلنا في هذا الأمر وبايعنا نبينا صلى الله عليه و سلم وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتب ويرينا الآيات وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا قال جرجة بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألفني قال بالله لقد صدقتك وما بي إليك ولا إلى أحد منكم وحشة وإن الله لولي ما سألت عنه فقال صدقتني وقلب الترس ومال مع خالد وقال علمني الإسلام فمال به خالد إلى فسطاطه فشن عليه قربة من ماء ثم صلى ركعتين وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حملة فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية عليهم عكرمة والحارث بن هشام ". (١)

٢٦١-" بعد سنة ثلاثين وثمانمئة رحمه الله تعالى ونفع به

ومنهم الشيخ شجاع الدين عمر بن محمد بن حسن كانت الرياسة لعمه الشيخ عفيف الدين المقدم الذكر وكان هذا مشتغلا بالتجارة في زمان عمه فلما توفي عمه ترك ذلك واعتكف واجتهد بالذكر والدعاء والتلاوة .

وأخبرني القاضي جمال الدين محمد بن داود الوحصي أنه حكى له الشيخ شجاع الدين أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في آخر عمره وأنه استجار به من النار ولزمه قال فدعا له بدعاء كثير وقبل يده ثم توفي قريب سنة أربعين وثمانمئة

---

(١) تاريخ الأمم والرسل والملوك- الطبري ٢/٣٣٧

ومن المتوفين بجبل صبر الشيخ عفيف الدين عبد الله بن عثمان المشهور جفيقة كان عابدا زاهدا مجتهدا بأفعال الخير وظهرت له كرامات منها دعاؤه على من منعه إجراء الماء إلى المكان الذي هو فيه فاستجاب الله دعاءه ولم أتحقق تاريخ وفاته

ومن المتوفين هنالك الحاج الصالح جمال الدين محمد بن الحسين الخراساني هو من العباد والزهاد والطوافين في البلدان للحج والعمرة وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ودخل القدس ورأى **من العجائب** أنواعا ولما وفد اليمن لم يكن له مكان يستقر به بل دأبه التنقل من مكان إلى مكان وظهرت له كرامات وكان لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى والتلاوة قاعدا وماشيا وفي سفر وحضر إلا نادرا كمحادثة صديق ونحو ذلك

ولما قربت وفاته اعتكف ببعض المساجد بجبل صبر نحو ثلاث سنين مجتهدا بالذكر والدعاء مع الخشوع والخضوع ثم توفي سنة خمسين وثمانمئة أو قبلها بقليل رحمه الله تعالى ونفع به

ومن المتوفين بعبدان القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن أحمد الخطيب

أخبرت أنه كان فقيها وأنه تولى القضاء بعبدان وما والاها وسار فيهم سيرة مرضية

". (١)

٢٦٢-"وأشير عليه بالإقامة فأبى وخرج إلى البركة فسئل في الرجوع فلم ينثن وصدقت عزيمته فلم يرض إلا الوفود إلى الله فأحرز إن شاء الله تعالى بركة قوله ﴿ ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ﴾ ثم يدركه الموت ﴿ فقد وقع أجره على الله ﴾ وما رواه البيهقي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال & قال رسول الله من خرج حاجا فمات كتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة & ولما مات إشتد تأسف الناس عليه خاصهم وعامهم كان من العلماء العاملين وله مصنفات في الفقه وأصوله وله كرامات ومكاشفات ومات أكبر أولاده محمد ليلة الجمعة رابع عشر شوال سنة ست وسبعين وثمانمائة فكان بينهما سنتان إلا يوما **ومن العجائب** إتفاقهما في اليوم والشهر

ذو القعدة ثانية ورد السيد علاء الدين القصري من مصر بسبب النظر في أمر القضاة ونزل عند شهاب الدين بن حجر الأصم في منزله قبالة البادرائية وهرع إليهم الناس

ثامنه ورد مرسوم بعزل عبد القادر أخو الدوادار من الحسبة بالسيد صدر الدين بن عجلان فامتنع السيد من الدخول في ذلك

وفيه ورد مرسوم على يد خاصكي بتولية ناصر الدين محمد الأكرمي أستادار الأغوار فامتنع ورفع إلى القلعة وإستمر يومين ثم أطلق ودخل في ذلك قهرا ولا بأس به لكنهم أخذوا في التنكية عليه والله المدبر

---

(١) تاريخ البريهي ص/٢٥٢

". (١)

٢٦٣-"

شوال فيه إنتهت المدرسة التي عمرها القاضي الشافعي الخيضري داخل باب الجابية قريبا من منزله ملاصقة لبيت ابن عطاء وأصله مسجد كان هناك صغيرا فوسعه وأحدث فيه خلاوي ومياه وميضأة ومنافع وجعل لها مرتبين عدة من المشتغلين بالعلم وعدة من الذين يقرأون القرآن تبين ذلك في = كتاب وقفه سابع عشره توجه الحاج الشامي وأميرهم محمد مبارك الحاجب الكبير وأمير الركب الحلبي تنبك الجلباني تاسع عشره ليلا حصلت زيادة في نهر بردا عظيمة هدمت بيوتا كثيرة وهدمت الإيوان الذي جدده الشيخ عماد الدين إسماعيل خطيب السقيفة بمنزله الذي خارج باب توما **ومن العجائب** أنه كان عندهم تلك الليلة جماعة في ضيافة مستكثرة من الرجال نحو ثلاثين رجلا بائتين في هذا الإيوان إلا أنهم سهروا وكان عندهم قراء ومنشدون وذكروا مدة طويلة وفي أواخر الليل عندما قصدوا أن يناموا في المكان وأحضرت إليهم الفرش واللحف ماج الإيوان فقاموا في الحال هربوا فلما صاروا في أرضية البحرة وقع الإيوان بجملته لكن الله سلمهم

ذو القعدة

ذو الحجة خامسه توجه كاتبه إلى القاهرة فدخل إلى بيت المقدس تاسعه وإلى بلد الخليل ثالث عشره وإلى القاهرة رابع عشريه وسبب سفري واقعة سيأتي الكلام عنها إن شاء الله تعالى خامس عشره توفي

". (٢)

٢٦٤-" المنتصر بالله محمد بن المتوكل بن المعتصم ٢٤٧هـ. ٢٤٨هـ

المنتصر بالله : محمد أبو جعفر و قيل : أبو عبد الله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد أمه أم ولد رومية اسمها حبشية و كان مليح الوجه أسمر أعين أقنى ربعة جسيما بطينا مليحا مهيبا وافر العقل راغبا في الخير قليل الظلم محسنا إلى العلويين و صولا لهم أزال عن آل أبي طالب ما كانوا فيه من الخوف و المحنة بمنعهم من زيارة قبر الحسين ورد على آل الحسين فدك فقال يزيد المهلبي في ذلك :

(و لقد بررت الطالبية بعد ما ... ذموا زمانا بعدها و زمانا)

(و رددت ألفة هاشم فرأيتهم ... بعد العداوة بينهم إخوانا)

بويع له بعد قتل أبيه في شوال سنة سبع و أربعين و مائتين فخلع أخويه المعتز و المؤيد من ولاية العهد الذي عقده لهما المتوكل بعده و أظهر العدل و الإنصاف في الرعية فمالت إليه القلوب مع شدة هيبتهم له و كان كريما حليما

---

(١) تاريخ البصروي ص/٤٧

(٢) تاريخ البصروي ص/٦٢

و من كلامه : لذة العفو أعذب من لذة التشفي و أقبح أفعال المقتدر الانتقام

و لما ولي صار يسب الأتراك و يقول : هؤلاء قتلة الخلفاء فعملوا عليه و هموا به فعجزوا عنه لأنه كان مهيبا شجاعا فطنا متحرزا فتحيلوا إلى أن دسوا إلى طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار في مرضه فأشار بفصده ثم فصده بريشة مسمومة فمات و يقال : إن ابن طيفور نسي ذلك و مرض فأمر غلامه ففصده بتلك الريشة فمات أيضا و قيل : بل سم في كمثراة و قيل : مات بالخوانيق و لما احتضر قال : يا أماه ذهبت مني الدنيا و الآخرة عاجلت أبي فعوجلت

مات في خامس ربيع الآخر سنة ثمان و أربعين عن ست و عشرين سنة أو دونها فلم يمتع بالخلافة إلا أشهرا معدودة دون ستة أشهر و قيل : إنه جلس في بعض الأيام للهو و قد استخرج من خزائن أبيه فرشا فأمر بفرشها في المجلس فرأى في بعض البسط دائرة فيها فارس و عليه تاج و حوله كتابة فاريسية فطلب من يقرأ ذلك فأحضر رجل فنظره فقطب فقال : ما هذه ؟ قال : لا معنى لها فألح عليه فقال : أنا شيرويه ابن كسرى بن هرمز قتلت أبي فلم أتمتع بالملك إلا ستة أشهر فتغير وجه المنتصر و أمر بإحراق البساط و كان منسوجا بالذهب

و في لطائف المعارف للثعالبي : أعرق الخلفاء في الخلافة المنتصر فإنه هو و آباؤه الخمسة خلفاء و كذلك أخواه المعتز و المعتمد

قلت : أعرق منه المستعصم الذي قتله التتار فإن آباءه الثمانية خلفاء

قال الثعالبي : و **من العجائب** أن أعرق الأكاسرة في الملك ـ و هو شيرويه ـ قتل أباه فلم يعش بعده إلا ستة أشهر و أعرق الخلفاء في الخلافة ـ و هو المنتصر ـ قتل أباه فلم يمتع بعده سوى ستة أشهر ". (١)

٢٦٥-" المعتمد على الله أحمد بن المتوكل بن المعتصم أبو العباس ٢٥٦ هـ ـ ٢٧٩ هـ

المعتمد على الله أبو العباس ـ و قيل : أبو جعفر ـ أحمد بن المتوكل بن المعتصم ابن الرشيد ولد سنة تسع و عشرين و مائتين أمه رومية اسمها فتيان و لما قتل المهتدي و كان المعتمد محبوسا بالجوسق فأخرجوه و بايعوه ثم إنه استعمل أخاه الموفق طلحة على المشرق و صير ابنه جعفرا ولي عهده و ولاه مصر و المغرب و لقبه المفوض إلى الله و انهمك المعتمد في اللهو و اللذات واشتغل عن الرعية فكرهه الناس و أحبوا أخاه طلحة

و في أيامه دخلت الزنج البصرة و أعمالها و أخربوها و بذلوا السيف و أحرقوا و خربوا و سبوا و جرى بينهم و بين عسكره عدة وقعات و أمير عسكره في أكثرها الموفق أخوه و أعقب ذلك الوباء الذي لا يكاد يتخلف عن الملاحم بالعراق فمات خلق لا يحصون ثم أعقبه هدات و زلازل فمات تحت الردم ألوف من الناس و استمر القتال مع الزنج من حين تولى المعتمد سنة ست و خمسين إلى سنة سبعين فقتل فيه رأس الزنج لعنه الله و اسمه بهبوذ و كان ادعى أنه أرسل إلى الخلق فرد الرسالة و أنه مطلع على المغيبات

---

(١) تاريخ الخلفاء ص/٣١٠

و ذكر الصولي أنه قتل من المسلمين ألف ألف و خمسمائة ألف آدمي و قتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة ألف و كان له منبر في مدينته يصعد عليه و يسب عثمان و عليا و معاوية و طلحة و الزبير و عائشة رضي الله عنهم

و كان ينادي على المرأة العلوية في عسكره بدرهمين و ثلاثة و كان عند الواحد من الزنج العشر من العلويات يطؤهن و يستخدمهن

و لما قتل هذا الخبيث دخل برأسه بغداد على رمح و عملت قباب الزينة و ضج الناس بالدعاء للموفق و مدحه الشعراء و كان يوما مشهودا و أمن الناس و تراجعوا الى المدن التي أخذها و هي كثيرة كواسط و رامهرمز

و في سنة ستين من أيامه وقع غلاء مفرط بالحجاز و العراق و بلغ كر الحنطة في بغداد مائة و خمسين دينارا و فيها أخذت الروم بلد لؤلؤة

و في سنة إحدى و ستين بايع المعتمد بولاية العهد بعده لابنه المفوض إلى الله جعفر ثم من بعده لأخيه الموفق طلحة و ولى ولده المغرب و الشام و الجزيرة و أرمنية و ولى أخاه المشرق و العراق و بغداد و الحجاز و اليمن و فارس و أصبهان و الري و خراسان و طبرستان و سجستان و السند و عقد لكل منها لواءين : أبيض و أسود و شرط إن حدث به حدث أن الأمر لأخيه إن لم يكن ابنه جعفر قد بلغ و كتب العهد و أنفذه مع قاضي القضاء ابن أبي الشوارب ليعلقه في الكعبة

و في سن ست و ستين وصلت عساكر الروم إلى ديار بكر ففتكوا و هرب أهل الجزيرة و الموصل و فيها وثبت الأعراب على كسوة الكعبة فانتهبوها

و في سنة سبع و ستين استولى أحمد بن عبد الله الحجابي على خرسان و كرمان و سجستان و عزم على قصد العراق و ضرب السكة باسمه و على الوجه الآخر اسم المعتمد و هذا محل الغرابة ثم إنه آخر السنة قتله غلمانه فكفى الله شره

و في سنة تسع و ستين اشتد تخيل المعتمد من أخيه الموفق فإنه كان خرج عليه في سنة أربع و ستين ثم اصطلحا فلما استد تخيله منه هذا العام كاتب المعتمد ابن طولون نائبه بمصر و اتفقا على أمر فخرج ابن طولون حتى قدم دمشق و خرج المعتمد من سامرا على وجه التنزه و قصده دمشق فلما بلغ ذلك الموفق كتب إلى إسحاق بن كنداج ليرده فركب ابن كنداج من نصيبين إلى المعتمد فلقيه بين الموصل و الحديثة فقال : يا أمير المؤمنين أخوك في وجه العدو و أنت تخرج عن مستقرك و دار ملكك و متى صح هذا عنده رجع عن مقاومة الخارجي فيغلب عدوك على ديار آباك في كلمات أخر ثم وكل بالمعتمد جماعة و رسم على طائفة من خواصه ثم بعث إلى المعتمد يقول : ما هذا بمقام فارجع فقال المعتمد : فاحلف لي أنك تنحدر معي و لا تسلمني فحلف له و انحدر إلى سامرا فتلقاه صاعد بن مخلد كاتب الموفق فسلمه إسحاق إليه فأنزل في دار أحمد بن الخصيب و منعه من نزول دار الخلافة و وكل به خمسمائة رجل يمنعون من الدخول إليه و لما بلغ الموفق ذلك بعث إلى إسحاق بخلع و أموال و أقطعه ضياع القواد الذين كانوا مع المعتمد و لقبه ذا السندين و لقب صاعدا ذا الوزارتين و أقام صاعد في خدمة المعتمد و لكن ليس للمعتمد حل و لا ربط و قال المعتمد في ذلك

(أليس **من العجائب** أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه ؟)
(و تؤخذ باسمه الدنيا جميعا ... و ما من ذاك شيء في يديه)
(إليه تحمل الأموال طرا ... و يمنع بعض ما يجبى إليه)

و هو أول خليفة قهر و حجر عليه و وكل به ثم أدخل المعتمد واسط و لما بلغ ابن طولون ذلك جمع الفقهاء و القضاة و الأعيان و قال : قد نكث الموفق بأمير المؤمنين فاخلعوه من العهد فخلعوه إلا القاضي بكار بن قتيبة فإنه قال : أنت أوردت علي من المعتمد كتابا بولايته العهد فأورد علي كتابا آخر منه بخلعه فقال إنه محجور عليه و مقهور فقال : لا أدري فقال ابن طولون : غرك الناس بقولهم في الدنيا مثل بكار أنت شيخ قد خرقت و حبسه و قيده و أخذ منه جميع عطاياه من سنين فكانت عشرة آلاف دينار فقيل : إنها وجدت في بيت بكار بختمها و بلغ الموفق ذلك فأمر بلعن ابن طولون على المنابر

ثم في شعبان من سنة سبعين أعيد المعتمد إلى سامرا و دخل بغداد و محمد بن طاهر بين يديه بالحربة و الجيش في خدمته كأنه لم يحجر عليه و مات بن طولون في هذه السنة فولى الموفق ابنه أبا العباس أعماله و جهزه إلى مصر في جنود العراق و كان خمارويه ابن أحمد بن طولون أقام على ولايات أبيه بعده فوقع بينه و بين أبي العباس بن الموفق وقعة عظيمة بحيث جرت الأرض من الدماء و كان النصر للمصريين

و في السنة انبثق ببغداد في نهر عيسى بثق فجاء الماء إلى الكرخ فهدم سبعة آلاف دار

و فيها نازلت الروم طرسوس في مائة ألف فكانت النصرة للمسلمين و غنموا مالا يحصى و كان فتحا عظيما عديم المثل

و فيها ظهرت دعوة المهدي عبيد الله بن عبيد جد بني عبيد خلفاء المصريين الروافض في اليمن و أقام على ذلك إلى سنة ثمان و سبعين فحج تلك السنة و اجتمع بقبيلة من كتامة فأعجبهم حاله فصحبهم إلى مصر و رأى منهم طاعة و قوة فصحبهم إلى المغرب فكان ذلك أول شأن المهدي

و في سنة سنة إحدى و سبعين قال الصولي : و لي هارون بن إبراهيم الهاشمي الحسبة فأمر أهل بغداد أن يتعاملوا بالفلوس فتعاملوا بها على كره ثم تركوها

و في سنة ثمان و سبعين غار نيل مصر فلم يبق منه شيء و غلت الأسعار و فيها مات الموفق و استراح منه المعتمد

و فيها ظهرت القرامطة بالكوفة و هم نوع من الملاحدة يدعون أنه لا غسل من الجنابة و أن الخمر حلال و يزيدون في أذانهم [و أن محمد ابن الحنيفة رسول الله] و أن الصوم في السنة يومان : يوم النيروز و يوم المهرجان و أن الحج و القبلة إلى بيت المقدس و أشياء أخرى و نفق قولهم على الجهال و أهل البر و تعب الناس بهم

و في سنة تسع و سبعين ضعف أمر المعتمد جدا لتمكن أبي العباس بن الموفق من الأمور و طاعة الجيش له فجلس المعتمد مجلسا عاما و أشهد فيه على نفسه أنه خلع ولده المفوض من ولاية العهد و بايع لأبي العباس و لقبه المعتضد و

أمر المعتضد في هذه السنة أن لا يقعد في الطريق منجم و لا قصاص و استحلف الوارقين أن لا يبيعوا كتب الفلاسفة و الجدل

و مات المعتمد بعد أشهر من هذه السنة فجأه فقيل : إنه سم و قيل : بل نام فغم في بساط و ذلك ليلة الاثنين لإحدى عشرة بقيت من رجب و كانت خلافته ثلاثا و عشرين سنة إلا أنه كان مقهورا مع أخيه الموفق لاستلائه على الأمور و مات و هو كالمحجور عليه من بعض الوجوه من جهة المعتضد أيضا

و ممن مات في أيامه من الأعلام : البخاري و مسلم و أبو داود و الترمذي و ابن ماجة و الربيع الجيزي و الربيع المرادي و المزني و يونس بن عبد الأعلى و الزبير بن بكار و أبو الفضل الرياشي و محمد بن يحيى الذهلي و حجاج بن يوسف الشاعر و العجلي الحافظ و قاضي القضاة ابن أبي الشوارب و السوسي المقرئ و عمر بن شبة و أبو زرعة الرازي و محمد بن عبد الله بن عبد الحكم و القاضي بكار و داود الظاهري و ابن دارة و بقي بن مخلد و ابن قتيبة و أبو الحاتم الرازي و آخرون و من قول عبد الله بن المعتز في المعتمد يمدحه :

(يا خير من تزجى المطي له ... و يمر حبل العهد موثقه)

(أضحى عنان الملك مقتسرا ... بيديك تحسبه و تطلقه)

(فاحكم لك الدنيا و ساكنها ... ما طاش سهم أنت موفقه)

و من شعر المعتمد لما حجر عليه :

(أصبحت لا أملك دفعا لما ... أسام من خسف و من ذلة)

(تمضي أمور الناس دوني و لا ... يشعرني في ذكرها قلتي)

(إذا اشتهيت الشيء و لوا به ... عني و قالوا : ههنا علتي)

قال الصولي : كان له وراق يكتب شعره بماء الذهب

و رثاه أبو سعيد الحسن بن سعيد النيسابوري بقوله :

(لقد قر طرف الزمان النكد ... و كان سخيا كليلا رمد)

(و بلغت الحادثات المنى ... بموت إمام الهدى المعتمد)

(و لم يبق لي حذر بعده ... فدون المصائب فلتجهد) ". (١)

٢٦٦-" المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد بالله ٥٦٦ هـ. ٥٧٥ هـ

المستضيء بأمر الله : الحسن أبو محمد بن المستنجد بالله ولد سنة ست و ثلاثين و خمسمائة و أمه أم ولد أرمنية اسمها غضة بويع له بالخلافة يوم موت أبيه

---

(١) تاريخ الخلفاء ص/٣١٦

قال ابن الجوزي : فنادى برفع المكوس ورد المظالم و أظهر من العدل و الكرم ما لم نره في أعمارنا و فرق ملا عظيما على الهاشميين و العلويين و العلماء و المدارس و الربط و كان دائم البذل للمال ليس له عنده وقع ذا حلم و أناة و رأفة و لما استخلف خلع على أرباب الدولة و غيرهم فحكى خياط المخزن أنه فصل ألفا و ثلثمائة قباء إبر سيم و خطب له على المنابر بغداد و نثرت الدنانير كما جرت العادة و ولي روح بن الحديثي القضاء و أمر سبعة عشر مملوكا و للحيص بيص فيه :

(يا إمام الهدى علوت على الجو ... د بمال و فضة و نضال)

(فوهبت الأعمار و الأمن و البلد ... دان في ساعة مضت من نهار)

(فماذا يثني عليك و قد جا ... وزت فضل البحور و الأمطار)

(إنما أنت معجز مستقل ... خارق للعقول و الأفكار)

(جمعت نفسك الشريفة بالبأ ... س و بالجود بين ماء و نار)

قال ابن الجوزي : و احتجب المستضيء عن أكثر الناس فلم يركب إلا مع الخدم و لا يدخل عليه غيرهم

و في خلافته انقضت دولة بني عبيد و خطب له بمصر و ضربت السكة باسمه و جاء البشير بذلك فعلقت الأسواق ببغداد و عملت القباب و صنفت كتابا سميته [النصر على مصر] هذا كلام ابن الجوزي

و قال الذهبي : في أيامه ضعف الرفض ببغداد و وهى و أمن الناس و رزق سعادة عظيمة في خلافته و خطب له باليمن و برقة و توزر و مصر إلى أسوان و دانت الملوك بطاعته و ذلك سنة سبع و ستين

و قال العماد الكاتب : استفتح السلطان صلاح الدين بن أيوب سنة سبع بجامع مصر كل طاعة و سمع و هو إقامة الخطبة في الجمعة الأولى منها بمصر لبني العباس و عفت البدعة و صفت الشرعة و أقيمت الخطبة العباسية في الجمعة الثانية بالقاهرة و أعقب ذلك موت العاضد في يوم عاشوراء و تسلم صلاح الدين القصر بما فيه من الذخائر و النفائس بحيث استمر البيع فيه عشر سنين غير ما اصطفاه صلاح الدين لنفسه و سير السلطان نور الدين بهذه البشارة شهاب الدين المطهر ابن العلامة شرف الدين ابن أبي عصرون إلى بغداد و أمرني بإنشاء بشارة عامة تقرأ في سائر بلاد الإسلام

فأنشأت بشارة أولها : الحمد لله معلي الحق و معلنه و موهي الباطل و موهنه و منها : و لم يبق بتلك البلاد منبر إلا و قد أقيمت عليه الخطبة لمولانا الإمام المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين و تمهدت جوامع الجمع و تهدمت صوامع البدع . إلى أن قال : و طالما مرت عليها الحقب الخوالي و بقيت مائتين و ثمان سنين ممنوة بدعوة المبطلين مملوءة بحزب الشياطين فملكنا الله تلك البلاد و مكن لنا في الأرض و أقدرنا على ما كنا نؤمله من إزالة الإلحاد و الرفض

و تقدمنا إلى من استنبناه أن يقيم الدعوة العباسية هنالك و يورد الأدعياء و دعاة الإلحاد بها المهالك

و للعماد قصيدة في ذلك منها :

(قد خطبنا للمستضيء بمصر ... نائب المصطفى إمام العصر)

(و خذلنا لنصره العضد العا ... ضد و القاصر الذي بالقصر)

(و تركنا الدعي يدعوا ثبورا ... و هو تحت حجر و حصر)

و أرسل الخليفة في جواب البشارة الخلع و التشريفات لنور الدين و صلاح الدين و أعلاما و بنودا للخطباء بمصر و سير للعماد الكاتب خلعة و مائة دينار فعمل قصيدة أخرى منها :

(أدالت بمصر لداعي الهدا ... ة و انتقمت من دعي اليهود)

و قال ابن لأثير : السبب في إقامة الخطبة العباسية بمصر أن صلاح الدين يوسف بن أيوب لما ثبت قدمه و ضعف أمر العاضد كتب إليه نور الدين محمود بن زنكي يأمره بذلك فاعتذر بالخوف من وثوب المصريين فلم يضع إلى قوله و أرسل إليه يلزمه بذلك و اتفق أن العاضد مرض فاستشار صلاح الدين أمراءه فمنهم من وافق و منهم من خاف و كان قد دخل مصر أعجمي يعرف بالأمير العالم فلما ما هم فيه من الإحجام قال : أنا أبتدئ بها فلما كان أول جمعة من المحرم صعد المنبر قبل الخطيب و دعا للمستضيئ فلم ينكر ذلك أحد فلما كان الجمعة الثانية أمر صلاح الدين الخطباء بقطع خطبة العاضد ففعل ذلك و لم ينتطح فيها عنزان . و العاضد شديد المرض . فتوفي في يوم عاشوراء

و في سنة تسع و ستين أرسل نور الدين الخليفة بتقادم و تحف منها حمار مخطط و ثوب عتابي و خرج الخلق للفرجة عليه و كان فيهم رجل عتابي كثير الدعاوي و هو بليد ناقص الفضيلة فقال رجل : إن كان قد بعث إلينا حمار عتابي فنحن عندنا عتابي حمار

و فيها وقع برد بالسواد كالنارنج هدم الدور و قتل جماعة و كثيرا من المواشي و زادت دجلة زيادة عظيمة بحيث عرفت بغداد و صليت خارج الجمعة خارج السور و زادت الفرات أيضا و أهلكت قرى و مزارع و ابتهل الخلق إلى الله تعالى و **من العجائب** أن هذا الماء على هذه الصفة و دجيل قد هلكت مزارعه بالعطش

و فيها مات السلطان نور الدين . و كان صاحب دمشق . و ابنه الملك الصالح إسماعيل . و هو صبي . فتحركت الفرنج بالسواحل فصولحوا بمال و هودنوا

و فيها أراد جماعة من شيعة العبيديين و محبيهم إقامة الدعوة و ردها إلى آل العاضد و وافقهم جماعة من أمراء صلاح الدين فاطلع صلاح الدين على ذلك فصلبهم بين القصرين

و في سنة اثنتين و سبعين أمر صلاح الدين ببناء السور الأعظم المحيط بمصر و القاهرة و جعل على بنائه الأمير بهاء الدين قراقوش

قال ابن الأثير : دورة تسعة و عشرون ألف ذراع و ثلثمائة ذراع بالهاشمي

و فيها أمر بإنشاء قلعة بجبل المقطم . و هي التي صارت دار السلطنة . و لم تتم إلا في أيام السلطان الملك الكامل ابن أخي صلاح الدين و هو أول من سكنها

و فيها بنى صلاح الدين تربة الإمام الشافعي

و في سنة أربع و سبعين هبت ببغداد ريح شديدة نصف الليل و ظهرت أعمدة مثل النار في أطراف السماء و استغاث الناس استغاثة شديدة و بقي الأمر على ذلك إلى السحر

و في سنة خمس و سبعين مات الخليفة المستضيء في سلخ شوال و عهد إلى ابنه أحمد

و ممن مات أيام المستضيء من الأعلام : ابن الخشاب النحوي و ملك النحاة أبو نزار الحسن بن صافي و الحافظ أبو العلاء الهمذاني و ناصح الدين بن الدهان النحوي و الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر من حفدة الشافعي و الحيض بيص الشاعر و الحافظ أبو بكر بن خير و آخرون ". (١)

٢٦٧-"""""""" صفحة رقم ٣٣٣ """"""

الفصل التاسع

: حكم زيارة رسول الله وكيفيتها (صلى الله عليه وسلم) وفضلها وكيفيتها وكيفية زيارة ضجيعيه رضي الله عنهما وكيفية السلام عليه (صلى الله عليه وسلم) حال الزيارة والسلام على ضجيعيه والتوسل به إلى الله عز وجل وإثبات حياته وبقاء حرمته (صلى الله عليه وسلم) بعد وفاته وذكر ما روى في الحجرة الشريفة من العجائب وشوهد فيها من الغرائب .". (٢)

٢٦٨-"(من الطويل)

خليلي ما تحت السماء بنية تماثل في بنيانها هرمي مصر

بناء يخاف الدهر منه وكل ما على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر

تنزه طرفي في بديع بنائها ولم يتنزه في المراد بها فكري

... وقال ظافر الحداد (رحمه الله١) : (من الوافر)

تأمل هيئة الأهرام وانظر وبينهما أبو الهول العجيب

كعمار يبتن على رحيل لمحبوبين بينهما رقيب

وماء النيل بينهما دموع وصوت الريح عندهما نحيب

ودونهما المقطم وهو يحكي ركاب الركب أنزلها اللغوب

/ وظاهر سجن يوسف مثل صب تخلف وهو محزون كئيب ٦ب

... وقال ابن الساعاتي (رحمه الله٢) : (من الكامل)

ومن العجائب والعجائب جمة جاءت عن الإكثار والإسهاب

هرمان قد هرم الزمان وأدبرت أيامه وتزيد حسن شباب

لله أي بنية أزلية تبغي السماء بأطول الأسباب

وكأنما وقفت وقوف تبلد أسفا على الأيام والأحقاب

---

(١) تاريخ الخلفاء ص/٣٨٤

(٢) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ص/٣٣٣

كتمت عن الأيام فصل خطابها وغدت تشير به إلى الألباب

رحمه الله______________

(رحمه الله١) ظافر الحداد : ؟ - ٥٢٩ هـ / ؟ - ١١٣٤ م

ظافر بن القاسم بن منصور الجذامي أبو نصر الحداد. شاعر، من أهل الإسكندرية،كان حدادا. له (ديوان شعر - ط)، ومنه في الفاتيكان (١٧٧١ عربي) نسخة جميلة متقنة وفي خزانة الرباط (٩٨٠د) مخطوطة ثانية مرتبة على الحروف. توفي بمصر. الموسوعة الشعرية .

(رحمه الله٢) ابن الساعاتي : ٥٥٣ - ٦٠٤ هـ / ١١٥٨ - ١٢٠٧ م

علي بن محمد بن رستم بن هردوز، أبو الحسن، بهاء الدين بن الساعاتي. شاعر مشهور، خراساني الأصل، ولد ونشأ في دمشق. وكان أبوه يعمل الساعات بها. قال ابن قاضي شهبة: برع أبو الحسن في الشعر، ومدح الملوك، وتعانى الجندية وسكن مصر. وتوفي بالقاهرة. وأخوه الطبيب ابن الساعاتي (٦١٨ هـ ١٢٢١ م) له: (مقطعات النيل- خ)، (ديوان شعر- ط) في مجلدين. الموسوعة الشعرية .". (١)

٢٦٩-"جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا " ؛ وألح علينا هو وقاضي اسكندرية لنتوجه إلى ضيافته في بلدته رشيد، وأكد ذلك بأنواع التاكيد. وأما قاضي دمنهور فإنه جاهل لم يدر مقامه، ولما تم الكشف والتحرير، تقدم على الفقير، وكتب أمامه، فصبرت عليه حتى اتم، ثم تأملت ما رقم، فكان الذي كتبه ما قرأته: من الداعي إلى الملك القفور، محمد القاضي بدمنهور. فقلت له: ما هذا إلا جهل شهير، بل والعياذ بالله تعالى خطا كبير، فأن الغفور بالغين لا بالقاف، ولو رأى ذلك حضرة الباشا لعلم ما هناك بلا خلاف. ثم لما رقم على الحكم والمثال، علامة القبول والامتثال، كتب ما صورته: امتثلت إلى أمر الشريف محمد المولى بدمنهور. فقلت له: وقد أخطأت أيضا في هذا الإمضاء من ثلاثة أوجه وتجاوزت حدا، الأول: جعلك الفعل متعديا بالى وهو بنفسه يتعدى، والثاني اضافتك الأمر إلى الشريف، ولا يخفى على عاقل أن الواجب التوصيف، والثالث بقاء اسمك مفلتا بلا سبب ولا رابط، ولا علاقة ولا ضابط، إلى غير ذلك **من العجائب** والنوادر والغرائب، سبحان الله تعالى. وعلى قولهم الشيء بالشيء يذكر فقد ذكرنا عبارات قاضي دمنهور ما وقفنا عليه هذه الايام لقاض في مدينة الفيوم من كتابته امتثال على مثل الحكم المذكور، صورته: " لما ورد الأمر الشريف من الباب العلية، والعتبة العالية الهنية، قد نظرت ووقفت وامتثلت بالسمع والطاعة، الفقير أحمد بن مولانا علي العربية، القاضي بمحروسة فيوم المحمية، عفى عنهما الكافي الصمدية " . فلما تأملت هذه العبارات طفح علي الطرب وطاف، وأذكرتني، وما كنت ناسيا، قضايا بالقاف. وعجبت من هذه السجعات المطربة، وحكمت بأن هذه ليست غلا من تلك متشعبة، وقضيت من ذلك غاية العجب، وتأسفت على نقص حظ أبناء العرب. وأما قاضي اسكندرية، فأنه في غاية ما يكون من الأوصاف المرضية، وقد أطلعني على مكتوب بخط فخر الموالي المعتبرين عبد الرحمن جلبي أفندي يتضمن وصوله إلى القسطنطينية، وأن جميع

(١) تحفة الكرام في أخبار الأهرام للسيوطي ص/١٣

الموالي أتوا للسلام على حضرته العلية، وأنه توجه حين وصوله للسلام على حضرة مولانا المفتي أدام الله تعالى أيامه، وأطال بقاءه وخلد أعوامه. وتوجه ثاني يوم دخوله إلى حضرة الوزير الأكرم وذكر عنده من أوصافكم الكريمة ما شهده وسمعه من أفواه العالم فزاد اعتقاده في حضرتكم، وسره ما سمع من حسن سيرتكم، وأن برويز أفندي اجتمع بعد ذلك بيوم بحضرة الوزير – خلد الله تعالى أيام سعادته وحفظ جنابه الخطير – فذكر له شكره عبد الرحمن أفندي ممنكم، وما بلغه من الاوصاف الجميلة عنكم، فزاده ذلك ميلا إلى مولانا واعتقادا فيه، وقال: سبحان الله تعالى، الولد سر أبيه. ثم أن مولانا حامد أفندي وبرويز أفندي توجها إلى بيت عبد الرحمن جلبي بعد مجلس السلام، وشكراه على مدحه لجنابكم – حرسه الله تعالى بعينه التي لا تنام – بعد تقبيل اليد الشريفة ثانيا والسلام في المبدأ والختام.". (١)

٢٧٠-"وكتب مراسلا بعض أحبابه

ولما بان من أهواه عني ... فقد تصبري وعدمت رشدي

وواصلت السهاد لفرط شوقي ... وأجريت الدموع لعظم وجدي

وعللت الفؤاد فقال دعني ... فما التعليل والتسويف مجدي

ومالي من دواء غير قربي ... لمن أهواه في فرح وسعد

وإن طال المطال عدمت روحي ... وعز عليك يا مولاي فقدي

وإن وافيتني من غير مطل ... غنمت الأجر واستبقيت ودي

ومن نثره في خطبة ديوانه رحمه الله تعالى قوله: لما كان لكل إنسان عين من الشعر إن حركها فارت، وإن تركها غارت، وكنت قد حركت عين شعري، فبضت بقطرات قليلة، رجوت أن تكون لتذكاري فيما يأتي وسيلة، وإن كان الشعر ليس بمزية يحق بها الافتخار، فليس هو في حد ذاته منقصة توجب الاحتقار، حيث جاء بنص الكتاب مدح بعض الشعراء وذم البعض، وقد تدور عليه الأحكام الأربعة بحسب الإبرام والنقض، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه مدح فأجاز، وأمر بهجو قوم هجوه بضرب من الأرجاز، فقال اهج بإحسان، نصرك الله يا حسان، وقد ورد في مدح الشعر والشعراء، من الأحاديث والأخبار ما يفوت درجة الاستقصاء، وقد قال بعضهم الشعر ديوان العرب وبه عرفت الأنساب. وقال سيدي عمر بن الوردي المعري رحمه الله تعالى:

انظم الشعر ولازم مذهبي ... فاطراح الرفد في الدنيا أقل

وكان في هذا الزمان قد كسد سوقه، ويبست عروقه، ونضب ماؤه، وسكن هواؤه، وانفقدت دواعيه، وخسر بائعه وشاريه، حتى حق لأهله أن يتمثلوا بقول ابن المعتز رحمه الله:

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة ... باب الدواعي والبواعث مغلق

خلت الديار فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق

---

(١) حادي الأظعان النجدية إلى الديار المصرية ص/٢١

ومن العجائب أنه لا يشترى ... ومع الكساد يخان فيه ويسرق

هذا وإن الشعر لا يخلو من تشحيذ الأذهان، وترقيق الطباع وتسلية الأخدان، ولم يزل صاحبه منتصفا من الزمان، مستعينا على طوارق الحدثان، وكنت منذ ميزت، وجدت والدي حفظه الله تعالى أوحد هذا العصر، في صنعة القريض والشعر، لكنه غير مكثار منه لشغله بالفتوى والتعليم، إذ هو فيهما مرجع أهل الإقليم، فصرت في حالة التعلم أخبط في ذلك، وأقتحم تلك المفاوز والمسالك، إلى أن نظمت ما يقرأ في سن اثني عشر، وقفوت في ذلك من أهل هذه الصناعة الأثر، وإن كان شعري لا يحق له أن يكتب ولا أن يقرأ، لكني أردت أن يكون لي جمعه في هذه الوريقات فيما يأتي ذكرا، والمرجو من الناظر إليه من الإخوان والسادات، أن يغض طرفا عما يجده فيه من الهفوات، وأن يصلح منه ما هو قابل للإصلاح، فالحر لا يزال صفاح، وإلا فمن أين للإنسان أن يستكمل جميع الأوصاف، وقد يتلافى المرء قصوره بالاعتراف، ورتبت ديواني هذا على مقدمة وأربعة أبواب، إلى آخر ما قال ديوان لطيف، يشهد لمنشئه بالمقام العالي المنيف.

ومن كلامه هذا الموشح الذي مدح به السيد الأعظم صلى الله عليه وسلم

شادن تاه على بدر السما ... وتحلى برداء سندس

وببيض اللحظ والسمر حمى ... خمر ريق في ثغير ألعس

دور

يا لقومي من مجيري من رشا ... مستطيل الحكم في أهل الغرام

لم يدع فيهم صحيحا مذ نشا ... غير مطعون بخيزور القوام

وله الألباب حقا والحشا ... عشقا من قبل أن يخلق سام

ووجودي فيه أضحى عدما ... مذ بأنواع الكمالات كسى

وغدا الخد شقيقا عندما ... عندما سل سيوف النرجس

لذ لي خلع عذاري في هوى ... من سبا الألباب في سود الحدق

مسدلا ليلا طويلا قد هوى ... وله الفرق تراءى كالفلق

وعلى وجنته خالا حوى ... أمن المسك له الباري خلق

بهرمان الخد حاذى عنما ... طاب هذا محتدا في مغرس

ما لعمري ذاك من طين وما ... هو نور جاءنا في ملبس

دور

إن قلبي لحبيبي قد صبا ... وعلى مائدة الحب طفل

لم أزل مستنشقا ريح الصبا ... حيث من دار اللوالي قد وصل". (١)

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ١/ ١٧١

٢٧١-"يا حسنها من حلية ... تزري بأطواق الذهب

أهدى لئالئها لنا ... بحر خضم في الأدب

أمثلثات قويدر ... سعدا لمن لك قد كتب

قد كاد فني أن يهيم ... بحسن طبعك من عجب

أبدى محاسنها لنا ... بالطبع في الشهر الأصب

الأسعد المولى الذي ... زبد الفنون قد انتخب

ذو الهمة العليا التي ... منها المعارف تكتسب

رحم الإله له أبا ... هو للفضائل خير أب

يا حبذا من عارف ... كل مآثره أحب

يا طالما عن قاصديه ... أزاح بأساء الكرب

وأراحهم مما ألم ... من المشقة والتعب

للحمد والشكر اجتنى ... ولموجب الذم اجتنب

وله غير هذه من التآليف، وجميل التصانيف. ومن أشعاره الفائقة، وأفكاره الرائقة، قصيدته التي مطلعها:

يا طالب النصح خذ مني محبرة ... تلقى إليها على الرغم المقاليد

عروسة من بنات الفكر قد كسيت ... ملاحة ولها في الخد توريد

كأنها وهي بالأمثال ناطقة ... طير لها في صميم القلب تغريد

احفظ لسانك من لغط ومن غلط ... كل البلاء بهذا العضو مرصود

واحذر من الناس لا تركن إلى أحد ... فالخل في مثل هذا العصر مفقود

بواطن الناس في ذا الدهر قد فسدت ... فالشر طبع لهم والخير تقليد

هذا زمان لقد سادت أراذله ... قلنا لهم هذه أيامكم سودوا

وهي قصيدة طويلة، وله قصيدة ثانية، أرسلها إلى بعض الناس أولها:

يا من له خلق كنفحة عنبر ... بالله كف سهام لومك عن بري

وله أيضا قصيدة قال في براعة استهلالها:

لو كان أمر فؤادي دائما بيدي ... لما وضعت يدي اليمنى على كبدي

وله مزدودة جميلة متداولة مشهورة. وله غير ذلك من القصائد الطنانة، والمقاطيع الرنانة:

تلك آثارنا تدل علينا ... فانظروا بعدنا إلى الآثار

ومات ولم يدون شعره في ديوان، كما جرت بذلك عادة الشعراء من غابر الأزمان، ومع اشتغاله بالعلم ليلا ونهارا، كان يشتغل بالتجارة متعففا عما في أيدي الناس سرا وجهارا، ولم يزل في زيادة نعم مع كمال الاحترام، رفيع القدر بين الخاص والعام، حتى انتقل إلى دار السلام، في شهر رمضان سنة ألف ومائتين واثنتين وستين.

ومن العجائب أن محمود أفندي الساعاتي الشاعر المصري المشهور قبل وفاة المترجم بثلاث ليال، رأى في منامه أن الشيخ المترجم توفي، وكان ذلك في مرض موته فانتبه قائلا:

رحمة الله على حسن قويدر ... فحسب هذه الجملة فكانت تاريخا

للسنة التي وقعت فيها الرؤيا. ثم توفي المترجم بعد ذلك بثلاث ليال، فكانت تاريخا أيضا لوفاته. ثم إن محمود أفندي المرقوم أشار إلى ذلك في قصيدته الطنانة، التي رثى بها المترجم المرقوم بقوله:

بكت عيون العلا وانحطت الرتب ... ومزقت شملها من حزنها الكتب

ونكست رأسها الأقلام باكية ... على القراطيس لما ناحت الخطب

وكيف لا وسماء العلم كنت بها ... بدرا تماما فحالت دونك الحجب

يا شمس فضل فدتك الشهب قاطبة ... إذ عنك لا أنجم تغني ولا شهب

لما أصابك لا قوس ولا وتر ... سهم المنية كاد الكون ينقلب

ما حيلة العبد والأقدار جارية ... العمر يوهب والأيام تنتهب

لو افتدتك المنايا عندما فتكت ... بخيرنا لفدتك العجم والعرب

سقى ضريحك غيث العفو منسجما ... ولا ارتوت بعدك الأغصان والعذب

ولا استهلت عيون القطر باكية ... إلا عليك وإن حلت بك النوب

أمست لفقدك عين العلم سائلة ... ترجو الشفاء وأنى ينجح الطلب

بكت عليك السما والأرض واضطربت ... كأنما نالها من حزنها طرب". (١)

٢٧٢-"حكاية: اتفق جماعة من أهل أشبونة، وهم ثمانية أنفس وكلهم بنو عم، فأنشئوا مركبا كبيرا وحملوا فيه من الزاد والماء ما يكفيهم مدة طويلة وركبوا متن هذا البحر ليعرفوا ما في نهايته ويروا ما فيه **من العجائب**، وتحالفوا أنهم لا يرجعون أبدا حتى ينتهوا إلى البر الغربي أو يموتوا. فساروا فيه ملججين أحد عشر يوما، فدخلوا إلى بحر غليظ عظيم الموج كدر الريح مظلم المتن والقعر كثير القروش، فأيقنوا بالهلاك والعطب، فرجعوا مع البحر في الجنوب اثني عشر يوما فدخلوا جزيرة الغنم وفيها من الأغنام ما لا يحصي عددها إلا الله تبارك وتعالى، وليس بها آدمي ولا بشر، ولا لها صاحب، فنهضوا إلى الجزيرة وذبحوا من ذلك الغنم وأصلحوه وأرادوا الأكل فوجدوا لحومها مرة لا تؤكل: فأخذوا من جلودها ما أمكنهم، ووجدوا بها عين ماء فملئوا منها وسافروا مع الجنوب اثني عشر يوما آخر، فوافوا جزيرة وبها عمارة فقصدوها، فلم يشعروا إلا وقد أحاط بهم زوارق، بها قوم موكلون بها، فقبضوا عليهم وحملوهم إلى الجزيرة فدخلوا إلى مدينة على ضفة البحر وأنزلوهم بدار، ورأوا بتلك الجزيرة والمدينة رجالا شقر الألوان طوال القدود، ولنسائهم جمال مفرط خارج عن الوصف، فتركوهم في الدار ثلاثة أيام. ثم دخل عليهم في اليوم الرابع إنسان ترجمان وكلمهم بالعربي وسألهم عن حالهم فأخبروه بخبرهم، فأحضروا

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ٢٣٧/١

إلى ملكهم فأخبره الترجمان بما أخبروه من حالهم، فضحك الملك منهم وقال للترجمان: قل لهم إني وجهت من عندي قوما في هذا البحر ليأتوني بخبر ما فيه **من العجائب**، فساروا مغربين شهرا حتى انقطع عنهم الضوء وصاروا في مثل الليل المظلم، فرجعوا من غير فائدة، ووعدهم الملك خيرا. وأقاموا عنده حتى هبت ريحهم فبعثهم مع قوم من أصحابه في زورق وكتفوهم وعصبوا أعينهم وسافروا بهم مدة لا يعلمون كم هي، ثم تركوهم على الساحل وانصرفوا. فلما سمعوا كلام الناس صاحوا فأقبلوا إليهم وحلوا عن أعينهم وقطعوا كتافهم، وأخبروهم بخبر الجماعة، فقال لهم الناس: هل تدرون كم بينكم وبين أرضكم ؟ قالوا: لا قالوا: فوق شهر. فرجعوا إلى بلدهم. ولهم في أشبونة حارة مشهورة تسمى حارة المغرورين إلى الآن.

ومالقة: وهي مدينة كبيرة واسعة الأقطار عامرة الديار، قد استدار بها من جميع جهاتها ونواحيها شجر التين المنسوب إلى زيد، وهو أحسن التين لونا وأكبره جرما وأنعمه شحما وأحلاه طعما، حتى إنه يقال ليس في الدنيا مدينة عظيمة محيط بها سور من حلاوة. عرض السور يوم للمسافرين إلى مالقة، ويحمل منها التين إلى سائر الأقاليم حتى إلى الهند والصين، وهو مسافة سنة لحسنه وحلاوته وعدم تسويسه ونقاء صحته. ولها ربضان عامران: ربض عام للناس وربض للبساتين. وشرب أهلها من الآبار، وبينها وبين قرطبة حصون عظيمة.

ومن أقاليم جزيرة الأندلس إقليم السيارات ومن مدنه المشهورة غرناطة وهي مدينة محدثة. وما كان هناك مدينة مقصودة إلا البيرة فخربت وانتقل أهلها إلى غرناطة. وحسن الصنهاجي هو الذي مدنها وبنى قصبتها وأسوارها ثم زاد في عمارتها ابنه باديس بعده، وهي مدينة يشقها نهر الثلج المسمى سيدل وبدؤه من جبل سمكير، والثلج بهذا الجبل لا يبرح.". (١)

٢٧٣-"أرض الجلالقة: وهي شمالي الأندلس؛ وهي أرض واسعة؛ وبها أمم لا تحصى كثرة، ومدن عظيمة وقرى عامرة. والغالب على أهلها الجهل والحمق. ومن زيهم أنهم لا يغسلون ثيابهم أبدا بل يلبسونها وسخة إلى أن تبلى؛ ويدخل أحدهم بيت الآخر بغير إذنه، وهم مهملون في أديانهم كالبهائم بل أضل.

أرض الباشقرد: وهي بلاد الألمان وبلاد الإفرنجة؛ وهي أرض كبيرة واسعة وبها مدن.

أرض الكرج: وهي مجاورة لأرض خلاط، آخذها إلى الخليج القسطنطيني، ممتدة إلى نحو الشمال وهي أرض واسعة، وبها مدن عظيمة وبلاد كثيرة وجبال شاهقة وقلاع منيعة وأرضهم في غاية الخصب والبركة؛ وبيت الملك عندهم محفوظ يرثه الرجال والنساء.

أرض الروم: وهو إقليم واسع الأقطار فسيح الديار، وبه مدن عامرة وضياع ورساتيق وأشجار وفواكه وثمار؛ وبه الخير الغامر والخصب الوافر؛ وكلها على جانبي البحر القسطنطيني ومن جهة بلاد الأرمن، له أحد عشر عملا، منها عمل حربية وفيه خمسة حصون، وعمل العصاة وفيه ثلاثة حصون، وعمل الأرسيق وفيه خمسة عشر حصنا، وعمل الأفشين وفيه أربعة حصون وعمل حرسنون وفيه أربعون حصنا، وعمل البلقان وفيه ستة عشر حصنا. وهذه الأرض كانت في القديم بلاد اليونان فغلبت الروم عليها؛ ومن جملة أعمالها عمل كرميان وفيه عشرة حصون، وعمل الفنادق وفيه ثمانية عشر حصنا.

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص/١١

وبلاد الروم أيضا مائة جزيرة كلها في البحر، وكلها عامرة آهلة. ومن مدن الروم المشهورة قسطنطينية وهي مثلثة الشكل، منها جانبان في البحر وجانب في البر وفيه باب الذهب. وطول هذه المدينة تسعة أميال وعليها سور حصين ارتفاعه واحد وعشرون ذراعا، ويحيط به سور آخر يسمى الفصيل، ارتفاعه عشرة أذرع، لها مائة باب أكبرها الباب المصمت وهو مموه بالذهب، وبها القصر وهو من عجائب الدنيا وذلك أن فيه بديرون وهو كالدهليز إلى القصر، وهو زقاق يمشى فيه بين صفين من صور مفرغة من نحاس بديع الصنعة على صور الآدميين والخيل والفيلة والسباع وغير ذلك، وهي أكبر من الأشكال الموضوعة على أمثالها. وبالقصر وما دار به ضروب **من العجائب**.

وفي المدينة منارة موثقة بالحديد والرصاص إذا هبت الريح مالت يمينا وشمالا وخلفا وأماما من أصلها، ويوضع الخزف تحتها فتطحنه كالهباء. وفيها أيضا منارة من نحاس قد قلبت قطعة واحدة وليس لها باب، وبها أيضا منارة قريبة من مارستانها قد ألبست جميعها من نحاس أصفر كالذهب محكم الصنعة والتخريم، وعليها قصر قسطنطين باني القسطنطينية، على قبره صورة فرس من نحاس، وعلى الفرس شخص على صورة قسطنطين وهو راكب وقوائم الفرس محكمة بالرصاص ما عدا يده اليمنى فهي موقوفة في الجو؛ وقد فتح كفه يشير نحو بلاد المسلمين، ويده اليسرى فيها كرة. وهذه المنارة ترى على مسيرة يوم في البحر، ونصف يوم في البر. ويقولون إن في يده طلسما يمنع العدو. وقيل إن على الكرة مكتوبا بالرومي: ملكت الدنيا حتى بقيت في يدي مثل هذه الكرة، وخرجت منها هكذا لا أملك منها شيئا؛ وبها منارة في سوق استبرين من الرخام الأبيض من رأسها إلى أسفلها صور مبنية ودار يزينها قطعة واحدة من النحاس، وبها طلسم إذا طلع الإنسان عليها نظر. إلى سائر المدينة، وبها قنطرة وهي من عجائب الدنيا سعتها يعجز الواصف عن ذكرها حتى يخرج الواصف إلى حد التكذيب، وبها من النقوش ما لا يحده وصف.". (١)

٢٧٤-"ورئيس تلك الحصون يركب في كل جمعة في كبكبة عظيمة حتى يأتي الباب، وبأيديهم مرزبات من حديد فيضربون بها على ذلك الباب، فتدوي تلك الأرض ليسمع من خلف الباب من يأجوج ومأجوج، فيعلمون أن هناك حفظة وحراسا. وبعد ضرب الباب ينصتون بآذانهم مستمعين فيسمعون من وراء الباب دويا كدوي الرعد.

وبقرب هذا السد حصن طوله عشرة أذرع في عشرة، ومع هذا الباب من الجانبين حصنان كل واحد منهما مائة ذراع في مائة ذراع. وبين هذين الحصنين عين ماء عذب. وفي أحد الحصنين بقية من آلات البناء، وهي قدور من حديد ومغارف من حديد، وهي فوق دكك مرتفعة، وعلى كل دكة أربع قدور وهي أكبر من قدور الصابون. وهناك أيضا بقايا من اللبن الحديد وقد لصق بعضها ببعض من الصدأ، طول كل لبنة ذراع ونصف في عرض ذراع وارتفاع شبرين. وأما الباب المذكور والدروند الذي في أعلاه، والقفل، فكأنما فرغ الصانع من عمله الآن، وهي غير صدئة ولا بالية، قد دهنت بأدهان الحكمة المانعة من الصدأ.

قال سلام الترجمان: سألت من هناك هل رأيتم قط أحدا منهم ؟ فأخبروا أنهم رأوا منهم عددا كثيرا فوق شرفات السد،

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص/٣٧

فهبت بهم ريح عاصف فرمت منهم ثلاثة، كل واحد منهم طوله دون ثلاثة أشبار، ولهم مخاليب موضع الأظفار، وأنياب وأضراس كالسباع، وإذا أكلوا بها يسمع لأكلهم حركة قوية، ولهم أذنان عظيمتان يفترشون الواحدة ويلتحفون الأخرى.
فكتب سلام هذه الصفات كلها في كتاب ورجع إلى الخليفة الواثق بالله.
وقد ذكر بعض أهل العلم أن يأجوج ومأجوج يرزقون التنين، يقذفه عليهم السحاب فيأكلونه، وإنما يقذف عليهم ذلك في أيام الربيع في كل عام، فإذا تأخر ذلك عن وقته المعهود استمطروه كما يستمطر الناس الغيث. وحكى صاحب كتاب العجائب أن في داخل بلاد يأجوج ومأجوج نهرا يسمى المسهر لا يعرف له قعر، وإذا تقاتلوا وأسر بعضهم طرحوا الأسرى في ذلك النهر فيرون عند ذلك طيورا عظاما تخرج إلى من يطرح في ذلك النهر من كهوف هناك في جانبي الوادي، فتخطفهم قبل أن يصلوا إلى الماء وترتفع بهم إلى تلك الكهوف فتأكلهم هناك. ويقال إن بهذا الوادي نارا تتأجج طول الزمان بقدرة الله تعالى وليس وراء يأجوج ومأجوج إلا المحيط والله سبحانه وتعالى أعلم: " وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر " . " ويخلق ما لا تعلمون، وعلى الله قصد السبيل " .
انتهى فصل البلدان والأقطار ولنسرع الآن في ذكر الجبال والبحار والجزائر والآبار وما بها **من العجائب** للاعتبار.
فصل في
المحيط وعجائبه
اعلم أن المحيط هو البحر الأعظم الذي منه مادة سائر البحار المتصلة والمنقطعة وهو بحر لا يعرف له ساحل ولا يعلم عمقه إلا الله عز وجل، والبحار على وجه الأرض خلجان منه. وفي هذا البحر عرش إبليس لعنه الله وفيه مدائن تطفو على وجه الماء وفيها أهلها من الجن في مقابلة الربع الخراب من الأرض، وفيه حصون وفيه قصور على وجه الماء طافية ثم تغيب، وتظهر فيه الصور العجيبة والأشكال الغريبة، ثم تغيب في الماء وفيه الأصنام التي وضعها أبرهة ذو المنار الحميري، قائمة على وجه البحر وهي ثلاثة أصنام: أحدها أخضر، وهو يومئ بيده كأنه يخاطب من ركب البحر يأمره بالرجوع، والصنم الثاني أحمر كأنه يشير إلى نفسه ويخاطب من ركب هذا البحر أن يقف عنده ولا يجاوزه. والصنم الثالث أبيض يومئ بأصبعه إلى البحر: من جاء وجاوز هذا المكان هلك. وعلى صدر كل صنم مكتوب بالأسود: هذا وضعه أبرهة ذو المنار تبع الحميري لسيدته الشمس تقربا غليها. وفي البحر ينبت شجر المرجان كسائر الأشجار في الأرض، وفيه من الجزائر المسكونة والخالية ما لا يعلمه إلا الله تعالى.". (١)

٢٧٥-"فسار الإسكندر إلى المدينة وأمر بالثورين فسلخا وحشا جلودهما زفتا وكبريتا وزرنيخا وكلسا ونفطا وزئبقا، وجعل مع ذلك كلاليب من حديد وأقامهما في المكان المعهود، فجاء التنين من الغد إليهما على العادة فابتلعها، فأضرمت النار في جوفه وتعلقت الكلاليب بأحشائه، وسرى الزئبق في جسده ورجع مضطربا إلى مقره. فانتظروه من الغد فلم يأت ولم يخرج، فذهبوا إليه فإذا هو ميت وقد فتح فاه كأوسع قنطرة وأعلاها. ففرحوا وشكروا سعي الإسكندر إليهم وحملوا إليه

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص/٤٣

هدايا عجيبة منها دابة عجيبة يقال لها المعراج مثل الأرنب، أصفر اللون وعلى رأسه قرن واحد أسود لم يرها شيء من السباع الضواري والوحوش الكاسرة إلا هرب منها.

جزيرة قلهات: وهي جزيرة كبيرة وبها خلق مثل خلق الإنسان، إلا أن وجوههم وجوه الدواب يغوصون في البحر فيخرجون ما يقدرون عليه من الدواب البحرية فيأكلونها.

جزيرة الأخوين الساحرين: أحدهما شرهام والآخر شبرام، وكانا بهذه الجزيرة يقطعان الطريق على التجار، فمسخا حجرين قائمين في البحر، وعمرت الجزيرة بعدهما.

جزيرة الطيور: ويقال إن فيها جنسا من الطيور في هيئة العقبان، حمر ذوات مخاليب تصيد دواب البحر. وبهذه الجزيرة ثمر يشبه التين، أكله ينفع من جميع السموم. حكى الجواليقي أن ملكا من ملوك فرنجة أخبر بذلك فوجه إليها مركبا ليجلب له من ذلك الثمر ويصاد له من تلك الطيور، لأنه كان عالما بمنافع تلك الطيور ودمها وأعضائها ومرائرها، فانكسرت المركب في البحر وهلكت السفينة ومن فيها ولم بعد إليه أحد.

جزيرة الصاصيل: طولها خمسة عشر يوما في عرض عشرة. وكان بها ثلاث مدن مسكونه عامرة وكان التجار يسيرون إليها ويشترون منها الأغنام والأحجار الملونة المثمنة، فوقع الشر بين أهلها حتى فني غالبهم وبقي منهم قليل، فانتقلوا إلى بلاد الروم.

جزيرة لاقة: وهي جزيرة كبيرة وبها شجر العود كالحطب وليس له هناك قيمة ولا رائحة حتى يخرج من تلك الأرض فيكتسب الرائحة؛ وكانت عامرة مسكونة والآن قد خرجت فيها حيات كبار وتغلبت على أرضها فخربت بمثل ذلك.

جزيرة ثورية: بها أشجار وأنهار ولكنها خالية الديار، وبهذا البحر دواب عظيمة مختلفة الأشكال هائلة المنظر، يقال إن السمكة يمر رأسها كالجبل العظيم الشامخ ثم يمر ذنبها بعد مدة، ويقال إن مسافة ما بين رأسها وذنبها أربعة أشهر.

بحر الصين وجزائره وما به من العجائب والغرائب: ويسمى هذا البحر بأسماء عديدة: بحر الصين وبحر الهند صنجي، وهو متصل بالمحيط من المشرق: وليس على وجه الأرض بحر أكبر منه إلا المحيط، وهو كثير الموج عظيم الاضطراب بعيد القعر، فيه المد والجزر، كما في بحر فارس؛ ويستدل على هيجان هذا البحر بأن يطفو السمك على وجهه قبل هيجانه بيوم واحد، ويستدل على سكونه ببيض طائر معروف يبيض على وجه الماء في مجتمع القذى، وهو طائر لا يأوي الأرض أبدا ولا يعرف إلا لجة البحر، في هذا البحر مغاص اللؤلؤ يطلع منه الحب الجيد الذي لا قيمة له، وفي هذا البحر من الجزائر ما لا يعلمه إلا الله عددا إلا أن بعضها مشهور يصل إليه الناس، قيل إن فيه اثني عشر ألف جزيرة عامرة مسكونة وبها عدة ملوك، وفي بعض جزائره ينبت الذهب ويكثر في بعض السنين ويقل في بعضها كالنبات.

فمن جزائره جزيرة زانج وتشمل جزائر كثيرة في آخر حدود الصين وأقصى بلاد الهند، عامرة خصبة ليس فيها خراب، يسافرون فيها بلا ماء ولا زاد لكثرة الخصب والعمارة، وهي نحو مائة فرسخ.

قال محمد بن زكريا: وملك هذه الجزيرة يسمى المهراج، وله جباية تقطع في كل يوم ثلاثمائة من من الذهب، في كل من ستمائة درهم فيتحصل له في كل يوم ما يزيد على مائة ألف مثقال وخمسة وعشرين ألف مثقال، يتخذ منها لبنا ويطرحه

في البحر وهو خزانته.". (١)

٢٧٦-"جزيرة التمسح: وهي جزيرة بها قوم أذنابهم كالكلاب وأبدانهم كأبدان الإنسان، ولهم ملك منهم.
جزيرة أطوران: وهي كبيرة وبها أنواع من القردة كالحمر عظما، وبها الكركند الكثير. ذكر أن مراكب الإسكندر وصلت إليهم وإلى جزيرة أخرى بها قوم على أشكال أبدان الإنسان، ووجوههم ورؤوسهم كالسباع، فلما قربوا منهم غابوا عن أبصارهم ولم يعلموا كيف ذهبوا ؟.

جزيرة النساء: وهي جزيرة عظيمة وليس بها رجل أصلا. ذكروا أنهن يلقحن ويحملن من الريح ويلدن نساء مثلهن. وقيل إن بأرض تلك الجزيرة نوعا من الشجر فيأكلن منه فيحملن وإن الذهب في أرضها عروق كعروق الخيزران، وترابها كله ذهب ولا التفات للنساء إلى ذلك.

وذكر بعضهم أن رجلا ساقه الله إلى تلك الجزيرة فأردن قتله فرحمته امرأة منهن وحملته على خشبة وسيبته في البحر فلعبت به الأمواج فرمته في بعض بلاد الصين فأخبر ملك تلك الجزيرة بما رأى من النساء وكثرة الذهب، فوجه مراكب ورجالا معه فأقاموا زمنا طويلا في البحر يطوفون على تلك الجزيرة فلم يقعوا لها على أثر.

جزيرة سرنديب: وهي جزائرة كثيرة، وفي هذه الجزائر مدن كثيرة، وفيها الجبل الذي أهبط عليه آدم عليه السلام، ويسمى جبل الراهون وعليه أثر قدم آدم عليه السلام؛ وعلى القدم نور لماع يخطف البصر. وأسفل هذا الجبل توجد سائر الأحجار الثمينة النفيسة. ولهذه الجزائر بحر فيه مغاص اللؤلؤ الفاخر ويجلب منها الدر والياقوت والسنباذج والألماس والبلور وجميع أنواع العطر؛ وتسافر المراكب فيها الشهر والشهرين بين غياض ورياض. ولملك هذه الجزائر صنم من الذهب مكلل بالجواهر وليس عند أحد من الملوك ما عنده من الدر والجواهر النفيسة لأن أصنافها كلها في بلاده وجباله، ويحمل إليه الخمس من كل ما يوجد ويستخرج من عراق العجم وفارس، ويقال إن بهذه الجزائر مساكن وقبابا بيضا تلوح للناس من بعد فإذا قربوا منها تباعدت حتى ييأسوا منها.

وأما عجائب هذا البحر: فمنها ما ذكروا أنه إذا كثرت أمواجه ظهرت أشخاص سود طول كل واحد منهم أربعة أشبار كأنهم أولاد الأحابيش، يصعدون إلى المراكب من غير ضرورة ولا أذى، وظهورهم يدل على خروج ريح مهلك يسمى الخب.

وحكي أيضا أنهم يرون في هذا البحر طائرا يطير وهو من نور لا يستطيع أحد النظر إليه، فإذا ارتفع على صاري المركب سكنت الريح وهدأت أمواج البحر وهو دليل السلامة، ويفقدونه ولا يعلمون أين يذهب ؟.

ومن العجائب: أن طائرا في هذا البحر يسمى خرشنة أكبر من الحمام، ذكر في كتاب تحفة الغرائب أن هذا الطائر إذا طار يأتي طائر آخر يقال له كركر ويطير فاتحا فاه يتوقع ذرق خرشنة ليقع في فيه فيأكله، وليس له قوت سواه ولا يذرق خرشنة هذا إلا وهو طائر.

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص/٤٦

ومنها دابة المسك البحري، وهي دابة تخرج من البحر كل سنة في وقت معلوم بكثرة عظيمة، فتصاد وتذبح فيوجد المسك في سرتها كالدم، وهذا المسك هو أفخر الأنواع غير أنه في مكانه وبلده لا ريح له أبدا، فإذا خرج من حد بلاده ظهر ريحه وكلما بعد زاد ريحه.

ومنها دابة تسمى ملكان تستوطن جزيرة هناك لها رؤوس كثيرة ووجوه مختلفة وأنياب معلقة ولها جناحات وهي تأكل دواب البحر، وقيل إنا تصادف برسم مراكب الملوك إذا ركب الملك قادوها أمام موكبه وألبسوها الجلال الحرير ويزينونها.

ومنها سمكة تزيد على خمسمائة ذراع توجد عند جزيرة واق واق المذكورة، إذا رفعت جناحها كانت كالجبل العظيم، يخاف على السفن منها، فإذا رأوها صاحوا وضربوا الطبول وأضرموا المكاحل النفطية حتى تهرب عنهم.

ومنها سلاحف كبار استدارة كل سلحفاة أربعون ذراعا بذراعهم، تبيض كل واحدة ألف بيضة وظهرها الدبل الفاخر، وأهل اليمن يتخذون من ظهورها قصعا كبارا وجفانا هائلة لغسلهم ومأكلهم.

ومنها سمكة تسمى سيلان تقعد على البر يومين حتى تموت، فإذا جعلت في القدر وكان رأس القدر مغطى نضجت واستوت، وإن كان رأس القدر مكشوفا طارت منه وتختفي فلا يعلم أين تذهب.

ومنها سمكة تسمى الأطم ووجهها كوجه الخنزير، ولها فرج كفرج المرأة، ولها مكان الفلوس شعر، وهي طبقة لحم وطبقة شحم، ويرغبون في أكلها لطيب لحمها.

ومنها سرطانات قدر كل واحد كالترس الصغير، يخرج من الماء بسرعة، فإذا سار في البر انعقد حجرا في الحال.". (١)

٢٧٧-"جزيرة سرندوسة: وهي كبيرة عامرة، بها أشجار وأنهار وثمار، وعند أهلها من الذهب ما لا يكيف: فماعونهم ذهب، وآنيتهم ذهب، وقدورهم ذهب، وخوابيهم ذهب، وسلاحهم ذهب، ولهم ملك يدفع لهم كل من يقصدهم أو يقصد الخروج من عندهم بشيء من ذلك. وعجائب هذا البحر كثيرة: وذكر أن العنبر الخالص ينبت في قعر هذا البحر كما ينبت القطن في الأرض، فإذا اضطرب البحر قذف به، وربما أكل منه الحوت العظيم الجرم فيموت فيطفو على وجه الماء في اليوم الثالث فيجذبه أهل المراكب بالكلاليب إلى الساحل فيأخذون العنبر من جوفه.

وملكان: نوع من السمك يطفو على وجه البحر في ثالث عشر كانون الثاني، يدل ذلك على خروج ريح يضطرب لها البحر حتى يصل الاضطراب إلى بحر فارس، ويشتد هيجانه ويتكدر لونه وتنعقد ظلمته بعد طفو هذا السمك بيوم واحد.

ومنها الأمشور: وهو سمك يأتي بالبصرة في وقت معين، فيبقى مدة شهرين وينقطع فلا يعود إلا في ذلك الوقت بعينه من العام القابل.

والجراف: أيضا سمك وأوانه مثل أوانه وانقطاعه.

ومنها: حيوان يعرف بالتنين شر من الكوسج، طوله كالنخلة السحوق، أحمر العينين كريه المنظر، له أنياب كأسنة الرماح، يقهر الحيوانات كلها حتى الكوسج.

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص/٥٠

ومنها: سمكة خضراء أطول من ذراع؛ لها خرطوم طويل عظيم كالمنشار تضرب به من عارضها فتقده؛ وفي هذا البحر دردور صغير.

حكى القزويني: أن رجلا من أصفهان ركبته ديون كثيرة ففارق أصفهان وركب هذا البحر صدفة مع تجار فتلاطمت بهم الأمواج حتى حلوا في الدردور ببحر فارس، فقال التجار للرئيس: هل تعرف لنا سبيلا إلى الخلاص فنسعى فيه ؟ فقال: إن سمح أحدكم بنفسه تخلصنا. فقال الرجل الأصفهاني المديون في نفسه: كلنا في موقف الهلاك وأنا قد كرهت الحياة وسئمت البقاء.

وكان في السفينة جمع من التجار الأصفهانيين، فقال الرجل لهم: هل تحلفون لي بوفاء ديوني وخلاص روحي وأقديكم بروحي وأوثركم بحياتي وتحسنون إلى عيالي ما استطعتم ؟ فحلفوا له على ذلك وفوق ما شرط، فقال الأصفهاني للرئيس: ما تأمرني أن أفعل فقد سلمت نفسي لله طلبا لخلاصكم إن شاء الله تعالى، فقال له الرئيس: آمرك أن تقف ثلاثة أيام على ساحل هذا البحر وتضرب على هذا الدهل ليلا ونهارا ولا تفتر عن الضرب أبدا، قلت: أفعل إن شاء الله تعالى. فأعطوني من الماء والزاد ما أمكن.

قال الأصفهاني فأخذت الدهل والماء والزاد وتوجهوا بي نحو الجزيرة وأنزلوني بساحلها فأخذت وشرعت في ضرب الدهل فتحركت المياه وجرى المركب وأنا أنظر إليهم حتى غاب المركب عن بصري، فجعلت أطوف في تلك الجزيرة وإذا أنا بشجرة عظيمة وعليها شبه سطح فلما كان الليل وإذا بهدة عظيمة فنظرت فإذا طائر عظيم في الخلقة قد سقط على ذلك السطح الذي في الشجرة فاختفيت خوفا منه، فلما كان الفجر انتفض بجناحيه وطار، فلما كان الليل جاء أيضا وحط مكانه الذي حط فيه البارحة فدنوت منه فلم يتعرض لي بسوء ولا التفت إلي أصلا وطار عند الصباح.

فلما كان ثالث ليلة وجاء الطائر على عادته وقعد مكانه جئت حتى قعدت عنده من غير خوف ولا دهشة إلى أن نفض جناحيه فتعلقت بإحدى رجليه بكلتا يدي فطار بي إلى أن ارتفع النهار، فنظرت إلى تحتي فلم أر إلا لجة ماء البحر فكدت أن أترك رجله وأرمي بنفسي من شدة ما لقيت من التعب، فتصبرت زمانا، وإذا بالقرى والعمارة تحتي ففرحت وذهب ما كان بي من الشدة، فلما دنا الطائر من الأرض رميت نفسي على صبرة تبن في بيدر، وطار الطائر فاجتمع الناس حولي وتعجبوا مني وحملوني إلى رئيسهم وأحضروا لي من يفهم كلامي، فأخبرتهم قصتي فتبركوا بي وأكرموني وأمروا لي بمال وأقمت عندهم أياما.

فخرجت يوما لأتفرج وإذا أنا بالمركب الذي كنت فيه قد أرسى؛ فلما رأوني أسرعوا إلي وسألوني عن أمري فأخبرتهم فحملوني إلى أهلي وأقاموا لي بالمال وفوق الشرط، فعدت بخير وغنى وسلامة.

فصل في

بحر القلزم

وجزائره وما به **من العجائب**

وهذا البحر شعبة من بحر الهند، جنوبيه بلاد بربر والحبشة؛ وعلى ساحله الشرقي بلاد العرب وعلى ساحله الغربي بلاد

اليمن. والقلزم اسم لمدينة على ساحله؛ وهو البحر الذي غرق فيه فرعون؛ وهو بحر مظلم موحش لا خير فيه باطنا ولا ظاهرا؛ وفي هذا البحر جزائر كثيرة وغالبها غير مسكونة ولا مسلوكة.". (١)

٢٧٨-"وذكروا أن سيحون وجيحون والنيل والفرات كلها تخرج من قبة من زبرجدة خضراء من جبل عال هناك وتسلك على البحر المظلم، وهي أحلى من العسل وأذكى رائحة من المسك ولكنها تتغير بتغير المجاري، وليس في الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال ويمد في شدة الحر حتى تنقص له الأنهار كلها، ويزيد بترتيب وينقص بترتيب، غير النيل. وسبب مده أن الله تعالى يبعث إليه الريح الشمالي فيقلب عليه البحر المالح فيصير كالسكر له فيزيد حتى يعم البلاد فإذا بلغ حد الري بعث الله عليه ريح الجنوب فأخرجته إلى البحر. ولما كان زمن يوسف عليه السلام اتخذ بمصر مقياسا يعرف به مقدار الزيادة والنقصان فإذا زاد على قدر الكفاية يستبشرون بخصب البلاد، وهو عمود قائم في وسط بركة على شاطئ النيل ولها طريق يدخل إليها منها الماء وعلى ذلك العمود خطوط معروفة بالأصابع والأذرع. وكانت كفايتهم في ذلك الوقت أربعة عشر ذراعا، فإذا استوى الماء كما ذكرنا في الخلجان والوهاد يملأ جميع أرض مصر، فإذا استوفت الأرض ريها انكشفت تربتها وزرع عليها أصناف الزرع وتكتفي بتلك الشربة الواحدة. وليس في الدنيا نهر يشبهه إلا نهر الملتان وهو نهر السند. شعر في المعنى:

إن مصرا لأطيب الأرض طرا ... ليس في حسنها البديع التباس

وإذا قستها بأرض سواها ... كان بيني وبينك المقياس

وحكي أن رجلا من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام يسمى جيادا لما دخل مصر ورأى عجائبها آلى على نفسه أن لا يفارق ساحل النيل إلى منتهاه أو يموت. فسار ثلاثين سنة في العامر وثلاثين سنة في الخراب حتى انتهى إلى بحر أخضر فرأى النيل يشق ذلك البحر؛ وأنه ركب دابة هناك سخرها الله له فعدت به زمانا طويلا وأنه وقع في أرض من حديد، جبالها وأشجارها من حديد. ثم وقع في أرض من نحاس، جبالها وأشجارها نحاس. ثم وقع في أرض من فضة جبالها وأشجارها فضة. ثم وقع في أرض من ذهب جبالها وأشجارها ذهب. وأنه انتهى في مسيره إلى سور مرتفع من ذهب، وفيه قبة عالية من ذهب ولها أربعة أبواب، والماء ينحدر من ذلك السور ويستقر في تلك القبة ثم يخرج من الأبواب الأربعة، فمنها ثلاثة تغيض في الأرض، والرابع يجري على وجه الأرض وهو النيل، والثلاثة سيحون وجيحون والفرات، وأنه أتاه ملك حسن الهيئة، فقال له: السلام عليك يا جايد، هذه الجنة. ثم قال له: إنه سيأتيك رزق من الجنة فلا تؤثر عليه شيئا من الدنيا.

فبينما هو كذلك إذ أتاه عنقود من العنب فيه ثلاثة ألوان: لون كاللؤلؤ ولون كالزبرجد الأخضر ولون كالياقوت الأحمر. فقال له الملك: يا جايد هذا من حصرم الجنة، فأخذه جايد ورجع، فرأى شيخا تحت شجرة من تفاح فحدثه وآنسه وقال له: يا جايد ألا تأكل من هذا التفاح ؟ فقال: إن معي طعاما من الجنة وإني لمستغن عن تفاحك. فقال له: صدقت يا

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص/٥٦

جايد، إني لأعلم أنه من الجنة، وأعلم من أتاك به وهو أخي، وهذا التفاح أيضا من الجنة. ولم يزل به ذلك الشيخ حتى أكل من التفاح وحين عض على التفاحة رأى ذلك الملك وهو يعض على أصبعه؛ ثم قال له: أتعرف هذا الشيخ ؟ قال: لا، قال: هو والله الذي أخرج أباك آدم من الجنة، ولو قنعت بالعنقود الذي معك لأكل منه أهل الدنيا ما بقيت الدنيا ولم ينفد، وهو الآن مجهودك إلى مكانك. قال: فبكى جايد وندم وسار حتى دخل مصر وجعل يحدث الناس بما رأى في مسيره **من العجائب.**

بحيرة تنيس: قيل إنها كانت جنات عظيمة وبساتين، وكانت مقسومة بين ملكين أخوين من ولد إتريب بن مصر. وكان أحدهما مؤمنا والآخر كافرا، فأنفق المؤمن ماله في وجوه البر والخير حتى إنه با ع حصته في الجنات والبساتين إلى أخيه الكافر، فزاد فيها ألفا من الجنات والبساتين وأجرى خلالها أنهارا عذبة، فاحتاج أخوه المؤمن إلى ما في يده؛ فمنعه وسبه وجعل يفتخر عليه بماله ويقول له: أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا. فقال له أخوه المؤمن: إني ما أراك شاكرا الله تعالى ويوشك أن ينتزعها منك. فقال: هذا كلام لا أسمعه، ومن ينتزع مني ذلك ؟ فدعا المؤمن عليه فجاء البحر وأغرق ذلك كله في ليلة واحدة حتى صارت كأن لم تكن.". (١)

٢٧٩-"خواص أجزاء حمار الوحش: مخه يسحق بدهن الزنبق ويطلى به البهق يزول. مرارته قال ابن سينا: إنها تقلع القوباء من الجسم. لحمه مدقوقا ينفع النقرس طلاء مع دهن الورد. شحمه جيد للكلف طلاء. حافره يتخذ خاتما ويعلق على أصحاب الجنون والصرع في رأس الشهر يزول عنهم ذلك. ويكتحل به محرقا ينفع من ظلمة العين والغشاوة. روثة يرمي في تنور الخباز يسقط جميع أقراصه. وإذا سحق وخلط ببياض البيض وانتشقه المرعوف انقطع عنه الرعاف. والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصل في حيوانات النعم

خواص أجزاء الإبل: ليس للبعير مرارة وإنما على كبده شيء يشبهها وهي جلدة فيها لعاب يكتحل به فينفع من الغشاء العتيق، ويطلى به الرقبة فينفع من الخوانيق. كبده إذا داوم على أكله نفع من نزول الماء في العين. شحمه متى وضع في موضع هربت منه الحيات. سنامه يداب ويطلى به البواسير يسكن وجعه. كرشه فيه غدة إذا أخرجت منه استحجرت، وإذا سحقت بالخل ابيضت، وهي من أنفع الأشياء للسموم القاتلة. عظمه يسحق ويذاب بالزيت ويطلى به رأس المصروع يزول صرعه. شعره يشد على الفخذ الأيسر يمنع سلس البول ويشد على فخذ الصبي الذي يبول في الفراش يزول عنه. وبره يذر على الأنف محرقا يحبس الرعاف والدم السائل من الجراحات، كذلك إذا ذر عليها. لبنها نافع من السموم كلها والمضمضة به تنفع الأسنان المتآكلة ويزيل صفرة الوجه أكلا وطلاء. بعره قال ابن سينا: يقطع الرعاف ويزيل أثر الجدري ويقطع الثآليل.

خواص البقر: قرنه يحرق ويجعل في طعام صاحب حمى الربع تزول عنه. ويشرب في شيء من الأشربة يزيد في الباه ويقوي

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص/٦٦

القضيب ويشده ويورث الإنعاظ وينفخ به في منخر الرعف ينقطع دمه. قرناه يحرقان حتى يصيرا رمادا ويذاب بالخل ويطلى به موضع البرص مستقبلا به الشمس فإنه يزول. مخه طريا يذاب بدهن ويقطر في الأذن الوجعة يسكن وجعها. لسان الثور الأسود يجفف ويسحق ويمزج به حماض الأترج ويستف منه مقدار مثقال فلا يخاصم أحدا إلا غلبه وألزمه.

مرارته ببزر الجرجير وبزر الفجل ومائه يعرض للنار ليقوي ويشتد ويطلى به الكلف فإنه يزول إذ لزم ذلك. ويخلط بمرارته ورق الغبيراء مدقوقا وتتحمل منه المرأة فإنها تحمل. وفي مرارته حجر قدر عدسة تجعل في ماء الشهدانج وماء الفرفخ، ويستعط منه صاحب الصرع يزول صرعه، وتطلى الشجرة بمرارة البقرة لا يتولد فيها الدود، وتخلط مرارة البقر ببعر الفأر ويتحمل بها صاحب القولنج يزول في الحال. مرارة البقرة السوداء يكتحل بها من به ظلمة العين يحتد بصره؛ وإذا أردت أن ترى عجبا فخذ جرة من فخار وادفنها في الأرض إلى عنقها واطل باطنها بشحم البقر فإنه لا يبقي في ذلك الموضع شيء من البراغيث حتى يدخل فيها.

خصية العجل تجفف وتشرب مسحوقة بشراب تهيج الباه وتعين على الجماع إعانة عظيمة. قضيبه يجفف ويسحق ويرمى على البيض النيمبرشت ويطعم منه فإنه يزيد في الباه. كعبه يحرق ويدلك به السن يبيضها ويذهب وسخها. لبنه يزيل صفرة الوجه. وإذا شرب مخيضا نفع البواسير. سمنه يطلى به لسع العقرب يبرأ لوقته. والعتيق منه نافع للجراحات. دمه يطلى به الورم يسكن وجعه. قال بلنياس: بول الثور يخلط مع بول الإنسان ويوضع على أصابع اليدين والرجلين يذهب بحمى الربع وقلما يحتاج إلى ثلاث مرات. وهذا **من العجائب**. أخثاء البقر يضمد بها لسعة الزنبور تسكنها.

خواص أجزاء بقر الوحش: مخه يطعم منه صاحب الفالج ينفعه نفعا بينا. قرنه من استصحبه معه نفرت منه السباع ويدخن به في البيت فتهرب من ريحه الحيات. رماده يذر منه على السن المتآكلة يسكن الوجع. دمه ترياق للسموم كلها. شعره يبخر به البيت يهرب منه الفأر.

خواص أجزاء الجاموس: الدودة التي في دماغه إذا علقت على أحد لا ينام ما دامت معه. لحمه يولد القمل. شحمه يذاب بالملح الأندراني ويطلى به على الكلف والنمش والجرب والبرص يزيله.". (١)

٢٨٠-"وردعني صروف الدهر حين طغت ... لها وقائع من أيامها الحمس
يهمى نداه إذا استصحبت ديمته ... كأنني قلت يا أمواهه انبجسي
لبيك يارئ آمالي التي ظمئت ... ويحسن الصنع عندي والزمان مسى
لبيك فالعبد ما حالت مودته ... عما عهدت ولا عاهدته فنسى
تفديك نفسي وأبكار القريض وما ... مقدار نفسي وما أهديه من نفسي
أنت الذي رشني إذ خصني زمني ... بالأمس وأبيسى والدهر مفترسي
غرستني فاجتنيت الحمد من مدحي ... وليس يجني ثماري غير مغترسي

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص/٩١

٧٥ – ب فدم دوام الثريا فهي خالدةوطأ بنعليك أرقاب العدى ودس
فتلك قوم متى عاينت أوجههم ... بكيت فاغتسلت عيني من النجس
وانقطع إليه الشيخ شمس الدين عبد الحميد الخسرو شاهى تلميذ فخر الدين الرازي فوصل إليه منه أموال جمة وكذلك كل من انتمى إليه استفاد من ماله ومن علمه فكانوا معه كما قيل فأخذ من ماله ومن أدبه ومن نظمه رحمه الله أعني الملك الناصر داود رحمه الله تعالى.
لما بدا في مروزى قبائه ... وعليه من درب النضار تبهرج
مثلته قمرا عليه سحابة ... مزرورة فيها البروق ترجرج
وله أيضا:
إلى كم أخفى الوجد والدمع بائح ... وكم ارتجى صبرا وصبري نازح
خلعت عناني وانطلقت مع الصبي ... وشمرت عن ساق الهوى لا أبارح
وبي ظبية كحلاء قلبي كنا سها ... لذا جنحت منى إليها الجوانح
ولو لم يكن ظبيا نفارا ومقلة ... وجيدا لما تاقت إليها الجوارح
على لين غصن البان منها مخايل ... وشمس الضحى منها عليها ملامح
ولولا سناها ما تألق بارق ... ولولا هواها ما ترنم صادح
حننت إليها والغزام يحثنى ... وقد ساقني شوق إليها يكافح
ولما أتاني طيفها يخبر الهوى ... ويوهمني بالكر أني مصالح
تذكرت ربع الأنس عن أيمن الحمى ... وأغصان بان دونه تتناوح
فكادت بظهر النفس من فرط شوقها ... إلى عالم فيه النفوس سوانح
مقربة الأرواح في عالم البقا ... مقربة من ربها لا تبارح
يطاف عليهم من رحيق ختامه ... من المسك ما تحييك منه الروائح
جنان عليهم دانيات قطافها ... وفي ظلها ما لا تمنى القرائح
هنالك من لم يأته فهو خاسر ... ومن حل فيه فهو لا شك رابح
وقال:
زار الحبيب وذيل الليل منسدل ... فانجاب عن وجهه داجى غياهبه
فقال لي صاحبي والضوء قد رفعت ... يداه من ليلنا مرخى جلا ببه
أما ترى الضوء في ليل المحاق لقد ... جاء الزمان بضرب من عجائبه
فقلت يا عاذلا من نور طلعته ... أما ترى البدر يبدو في عقاربه
وقال:
لئن عاينت عيناي أعلام جلق ... وبان من القصر المشيد قبابه

تيقنت أن البين قد بان والنوى ... نأى شحطها والعيش عاد شبابه

- ٧٦ ب - وقال:

طرفي وقلبي قاتل وشهيد ... ودمعي على خديك منه شهيد

يا أيها الرشأ الذي لحظاته ... كم دونهن صوارم وأسود

من لي بطيفك بعد ما منع الكر ... عن ناظري البعد والتسهيد

أما وحبك لست أضمر سلوة ... عن صبوتي ودع الفؤاد يئيد

والذ مالا قيت فيك منيتي ... وأقل ما بالنفس فيك أجود

ومن العجائب أن قلبك لم يلن ... لي والحديد الآنه داود

وقال:

ما استصرخ الصبر قلبي وهو مذعور ... إلا وقد سلبته الأعين الحور

ولا سبأ عن خاطري جفن له غنج ... إلا وصارمه بالسحر مشهور

أفدي التي صيرت قلبي بها دنفا ... فرق السوالف يلقى وهو مأسور". (١)

٢٨١-"وفيها فارق الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري الملك الناصر من دمشق مهاجرا إلى مصر إلى خدمة الملك المظفر سيف الدين قطز فلما وصل إلى غزة اتفق هو والشهرزورية وتزوج منهم وبعث الأمير علاء الدين طيبرس الوزيري إلى الملك المظفر لتحليفه له فأجابه المظفر إلى ما طلبه منه واقترحه عليه فسار إليه ودخل القاهرة يوم السبت ثاني وعشرين ربيع الأول سنة ثمان وخمسين فركب المظفر للقائه وأنزله في دار الوزارة وأقطعه قصبة قيلوب لخاصته وأشار عليه بملاقاة التتار وقوي جأشه وحرك عزائمه وحرضه على التوجه للقائهم وتكفل له بحصول الظفر من تلقائه فخرج يوم الأثنين خامس عشر شعبان بجميع عساكر مصر مع ما انضاف إليهم من العرب وغيرهم لقصد التتار الذين بالشام فلما وصل إلى مرج عكا أتصل بكتبغانوين مقدم عسكر التتر بالشام خروج الملك المظفر وكان في بلد حمص فتوجه إلى الغور وبعث الملك المظفر للأمير ركن الدين البندقداري في عسكر ليتجسس خبر التتر فلما وقعت عينه عليهم كتب إلى الملك المظفر ليعلمه بوصولهم ثم أنتهز الفرصة في مناوشتهم ليكون له اليد البيضاء عند الإسلام فلم يزل يستدرجهم تارة بالأقبال وتارة بالإحجام حتى وافى بهم إلى الملك المظفر على عين جالوت فكانت الوقعة التي أيد الله بها المسلمين على التتر وأخذ بها منهم ثأر أهل الوبر والمدر وحاق بهم مكر السيف وحكم فيهم الحتف بالحيف وقتلوهم وأخذوهم ومعهم ملكهم كتبغانوين فقتل وأخذ رأسه وأسر أبنه وكانت الوقعة بين المسلمين والتتر على عين جالوت يوم الجمعة خامس وعشرين من شهر رمضان المعظم ووصل الخبر إلى دمشق في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان فانهزم بتلك الليلة من كان بدمشق من التتار وأيل سبان نائب الملك وأتباعهم وتبعهم الناس وأهل الضياع ينهبونهم يقتلون من ظفروا به فلله الحمد والشكر وجرد الملك المظفر خلف التتر

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٥٧/١

الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري فتبعهم إلى حمص وقتل وأسر منهم خلقا كثيرا ورجع إلى دمشق ودخل السلطان الملك المظفر إلى دمشق يوم الأحد رابع شوال فأقام بها إلى أن خرج منها طالبا للديار المصرية ووصل إلى دمشق إلى خدمة الملك المظفر الملك الأشرف صاحب حمص والملك المنصور صاحب حماة فأنعم عليهما وأكرمهما غاية الإكرام وممن قتل بعد المعركة الملك السعيد حسن بن الملك العزيز عثمان ابن العادل صاحب الصبيبة وبانياس بقي محبوسا بقلاع الشام بعد موت الملك الصالح أيوب وابنه المعظم توران شاه وكسرت الفرنج بالديار المصرية سنين كثيرة آخرها بقلعة البيرة على الفرات فلما وصل التتر إليها أخرجوه وصار معهم ثم قدم مع مقدمهم كتبغانوين إلى دمشق وحضر فتح قلعتها وتسلم بلاده فلما قدم العسكر المصري في هذه الكرة قاتل مع التتار فلما وقعت الكسرة عليهم جاء إلى الملك المظفر فلم يقبله وقال له لولا الكسرة ما جئت إلي وأمر به فقتل ووصل كتاب السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز إلى دمشق من طبرية تاريخه يوم الأحد السابع والعشرين من شهر رمضان وهو أول كتاب وصل منه إلى أهل دمشق يخبرهم بهذه الكسرة الميمونة العظيمة وبوصوله إليهم بعدها.

ومن العجائب أن التتار كسروا وأهلكوا بأبناء جنسهم من الترك وعمل الشيخ شهاب الدين أبو شامة في ذلك شعرا:

غلب التتار على البلاد فجاءهم ... من مصر تركي يجود بنفسه

بالشام بددهم وفرق شملهم ... ولكل شيء آفة من جنسه

ولبعض شعراء دمشق أيضا:

هلك الكفر في الشآم جميعا ... واستجد الإسلام بعد دحوضه

بالمليك المظفر الملك الأر ... وع سيف الإسلام عند نهوضه

ملك جاءنا بعزم وحزم ... فاعتززنا بسمره وبيضه

أوجب الله شكر ذاك علينا ... دائما مثل واجبات فروضه". (١)

٢٨٢-"وهي **من العجائب** المذكورة على مر الدهور. وللناس فيها كلام كثير، وخوض في شأنها، وأولية بنائها. ويزعمون أن العلوم التي ظهرت قبل الطوفان أخذت من هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى ويسمون اخنوخ وهو ادريس عليه السلام. وأنه أول من تكلم في الحركات الفلكية، والجواهر العلوية، وأول من بنى الهياكل، ومجد الله تعالى فيها، وأنه أنذر الناس بالطوفان، وخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع فبنى الأهرام والبرابي وصور فيها جميع الصنائع والآلات، ورسم العلوم فيها لتبقى مخلدة. ويقال: إن دار العلم والملك بمصر مدينة منف ، وهي على بريد من الفسطاط. فلما بنيت الإسكندرية انتقل الناس إليها، وصارت دار العلم والملك. إلى أن أتى الإسلام فاختط عمرو بن العاص رضي الله عنه مدينة الفسطاط، فهي قاعدة مصر إلى هذا العهد. والأهرام بناء بالحجر الصلد المنحوت، متناهي السمو مستدير متسع الأسفل، ضيق الأعلى كالشكل المخروط ولا أبواب لها، ولا تعلم كيفية بنائها. ومما يذكر في شأنها أن ملكا من ملوك مصر قبل

---

(١) ذيل مرآة الزمان ١/١٣٩

الطوفان رأى رؤيا هالته، وأوجبت عنده أنه بنى تلك الأهرام بالجانب الغربي من النيل، لتكون مستودعا للعلوم، ولجثث العلوم، ولجثث الملوك، وأنه سأل المنجمين هل يفتح منها موضع، فأخبروه أنها تفتح من الجانب الشمالي، وعينوا له الموضع الذي تفتح منه، ومبلغ الإنفاق في فتحه. فأمر أن يجعل بذلك الموضع من المال قدر ما أخبروه أنه ينفق في فتحه، واشتد في البناء، فأتمه في ستين سنة. كتب عليها بنينا هذه الأهرام في ستين سنة فليهدمها من يريد ذلك في ستمائة سنة، فإن الهدم أيسر من البناء. فلما أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين المأمون أراد هدمها، فأشار عليه بعض مشايخ مصر أن لا يفعل فلج في ذلك، وأمر أن تفتح من الجانب الشمالي فكانوا يوقدون عليها النار، ثم يرشونها بالخل، ويرمونها بالمنجنيق، حتى فتحت الثلمة التي بها إلى اليوم، ووجدوا بإزاء النقب مالا أمر أمير المؤمنين بوزنه فحصر ما أنفق في النقب، فوجدهما سواء. فطال عجبه من ذلك ووجدوا عرض الحائط عشرين ذراعا.

ذكر سلطان مصر

وكان سلطان مصر على عهد دخولي إليها الملك الناصر أبا الفتح محمد بن المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي. وكان قلاوون يعرف بالألفي لأن الملك الصالح اشتراه بألف دينار ذهبا وأصله من قفجق. وللملك الناصر رحمه الله السيرة الكريمة والفضائل العظيمة. وكفاه شرفا انتماؤه لخدمة الحرمين الشريفين، وما يفعله في كل سنة من أفعال البر التي تعين الحجاج من الجمال التي تحمل الزاد والماء للمنقطعين والضعفاء، وتحمل من تأخر أو ضعف عن المشي في الدربين المصري والشامي. وبنى زاوية عظيمة بسرياقص خارج القاهرة. لكن الزاوية التي بناها مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين وكهف الفقراء والمساكين، خليفة الله في أرضه القائم من الجهاد بنفله وفرضه أبو عنان أيد الله أمره، وأظهره، وسنى له الفتح المبين ويسره، بخارج حضرته العلية المدينة البيضاء حرسها الله لا نظير لها في المعمور، في إتقان الوضع وحسن البناء والنقش في الجص، بحيث لا يقدر أهل المشرق على مثله. وسيأتي ذكر ما عمره أيده الله من المدارس والمرستان والزوايا ببلاده حرسها الله وحفظها بدوام ملكه. ذكر بعض أمراء مصر". [١]

٢٨٣-"ومدين ظفار في صحراء لا قرية بها ولا عمالة لها، والسوق خارج المدينة بربض يعرف بالحرجاء، وهي من أقذر الأسواق وأشدها نتنا وأكثرها ذبابا، لكثرة ما يباع فيها من الثمرات والسمك. وأكثر سمكها النوع المعروف بالسردين، وهو بها في النهاية من السمن. **ومن العجائب** أن دوابهم إنما علفها من هذا السردين وكذلك غنمهم. ولم أر ذلك في سواها. وأكثر باعتها الخدم، وهن يلبسن السواد. وزرع أهلها الذرة، وهم يسقونها من آبار بعيدة الماء. وكيفية سقيهم أنهم يصنعون دلوا كبيرة، ويجعلون لها حبالا كثيرة، ويتحزم بكل حبل عبد أو خادم، ويجرون الدلو على عود كبير مرتفع عن البئر، ويصبونها في صهريج يسقون منه. ولهم قمح يسمونه العلس وهو في الحقيقة نوع من السلت، والأرز يجلب إليهم من بلاد الهند، وهو أكثر طعامهم. ودراهم هذه المدينة من النحاس والقصدير، ولا تنفق في سواها. وهم أهل تجارة لا عيش لهم إلا منها، ومن عاداتهم أنه إذا وصل مركب من الهند أو غيرها خرج عبيد السلطان إلى الساحل، وصعدوا في صنبوق إلى المركب،

---

(١) رحلة ابن بطوطة ص/١٧

ومعهم الكسوة الكاملة لصاحب المركب أو وكيله، وللربان وهو الرئيس، وللكراني وهو كاتب المركب، ويؤتى إليهم بثلاثة أفراس فيركبونها، وتضرب أمامهم الأطبال والأبواق من ساحل البحر إلى دار السلطان فيسلمون على الوزير وأمير الجند، وتبعث الضيافة لكل من بالمركب ثلاثا، وبعد الثلاث يأكلون بدار السلطان.

وهم يفعلون ذلك استجلابا لأصحاب المراكب. وهم أهل تواضع وحسن أخلاق وفضيلة ومحبة للغرباء، ولباسهم القطن، وهو يجلب إليهم من بلاد الهند.ويشدون الفوط في أوساطهم عوضا عن السروال، وأكثرهم يشد فوطة في وسطه، ويجعل فوق ظهره أخرى من شدة الحر، ويغتسلون مرات في اليوم.

وهي كثير ة المساجد. ولهم في كل مسجد مطاهر كثيرة معدة للاغتسال. ويصنع بها ثياب من الحرير والقطن والكتان حسان جدا.

والغالب على أهلها رجالا ونساء المرض المعروف بداء الفيل، وهو انتفاخ القدمين. وأكثر رجالهم مبتلون بالأدر والعياذ بالله ومن عوايدم الحسنة التصافح في المسجد إثر صلاة الصبح والعصر، يستند أهل الصف الأول إلى القبلة، ويصافحهم الذين يلونهم. وكذلك يفعلون بعد صلاة الجمعة، يتصافحون أجمعون. ومن خواص هذه المدينة وعجائبها أنه لا يقصدها أحد بسوء إلا عاد عليه مكروه، وحيل بينه وبينها.

وذكر لي أن السلطان قطب الدين تمتهن بن طوران شاه صاحب هرمز نازلها مرة من البر والبحر، فأرسل الله سبحانه عليه ريحا عاصفا كسرت مراكبه ورجع عن حصارها وصالح ملكها. وكذلك ذكر أن الملك المجاهد سلطان اليمن عين ابن عم له بعسكر كبير، برسم انتزاعها من يد ملكها، وهو أيضا ابن عمه، فلما خرج ذلك الأمير من داره سقط عليه حائط وعلى جماعة من أصحابه فهلكوا جميعا. ورجع الملك عن رأيه وترك حصارها وطلبها. ومن الغرائب أن أهل هذه المدينة أشبه الناس بأهل المغرب في شؤونهم. نزلت بدار الخطيب بمسجدها الأعظم، وهو عيسى بن علي، كبير القدر كريم النفس. فكان له جوار مسميات بأسماء خدام المغرب، إحداهن اسمها بخيتة والأخرى زاد المال. ولم أسمع هذه الأسماء في بلد سواها. وأكثر أهلها رؤوسهم مكشوفة، لا يجعلون عليها العمائم. وفي كل دار من دورهم سجادة الخوص، معلقة في البيت، يصلي عليها صاحب البيت، كما يفعل أهل المغرب. وأكلهم الذرة. وهذا التشابه كله مما يقوي القول بأن صنهاجة وسواهم من قبائل المغرب أصلهم من حمير. وبقرب من هذه المدينة بين بساتينها زاوية الشيخ الصالح العابد أبي محمد بن أبي بكر بن عيسى، من أهل ظفار. وهذه الزاوية معظمة عندهم، يأتون إليها غدوا وعيشا، ويستجيرون بها. فإذا دخلها المستجير لم يقدر السلطان عليه. رأيت بها شخصا ذكر لي أن له بها مدة سنين مستجيرا لم يتعرض له السلطان.". (١)

٢٨٤-"كنت يوما عند السلطان أبي محمد بن نبهان فأتته امرأة صغيرة السن حسنة الصورة بادية الوجه، فوقفت بين يديه وقالت له: يا أبا محمد طغا الشيطان في رأسي. فقال لها: اذهبي واطردي الشيطان. فقالت له: لا أستطيع وأنا في جوارك يا أبا محمد. فقال لها: اذهبي فافعلي ما شئت. فذكر لي لما انصرفت عنه أن هذه ومن فعل مثل فعلها تكون في

---

(١) رحلة ابن بطوطة ص/١٢٣

جوار السلطان، وتذهب للفساد، ولا يقدر أبوها ولا ذوو قرابتها أن يغيروا عليها، وإن قتلوها قتلوا بها، لأنها في جوار السلطان. ثم سافرت من بلاد عمان إلى بلاد هرمز، وهرمز مدينة على ساحل البحر، وتسمى أيضا موغ أستان، وتقابلها في البحر هرمز الجديدة، وبينهما في البحر ثلاثة فراسخ. ووصلنا إلى هرمز الجديدة، وهي جزيرة مدينتها تسمى جرون " بفتح الجيم والراء وآخرها نون " ، وهي مدينة حسنة كبيرة لها أسواق حافلة، وهي مرسى الهند والسند، ومنها تحمل سلع الهند إلى العراقين وفارس وخراسان. وهذه المدينة سكنى السلطان، والجزيرة التي فيها المدينة مسيرة يوم، وأكثرها سباخ وجبال ملح، وهو الملح الداراني، ومنه يصنعون الأواني المزينة والمنارات التي يضعون السرج عليها. وطعامهم السمك والتمر المجلوب إليهم من البصرة وعمان. ويقولون بلسانهم: خرما وما هي لوت بادشاهي، معناه بالعربي التمر والسمك طعام الملوك. وللماء في الجزيرة قيمة، وبها عيون ماء وصهاريج مصنوعة، يجتمع فيها ماء المطر. وهي على بعد من المدينة، ويأتون إليها بالقرب فيملأونها ويرفعونها على ظهورهم إلى البحر، يوسقونها في القوارب ويأتون بها إلى المدينة. ورأيت **من العجائب** عند باب الجامع فيما بينه وبين السوق رأس سمكة كأنه رابية وعيناه كأنهما بابان، فترى الناس يدخلون في إحداهما، ويخرجون من الأخرى. ولقيت بهذه المدينة الشيخ الصالح السائح أبا الحسن الأقطاراني، وأصله من بلاد الروم، فأضافني وزارني وألبسني ثوبا، وأعطاني كمر الصحبة، وهو يحتبي به، فيعين الجالس، فيكون كأنه مستند. وأكثر فقراء العجم يتقلدونه. وعلى ستة أميال من هذه المدينة مزار ينسب إلى الخضر والياس عليهما السلام. يذكر أنهما يصليان فيه، وظهرت له بركات وبراهين. وهنالك زاوية يسكنها أحد المشايخ يخدم بها الوارد والصادر، وأقمنا عنده يوما، وقصدنا من هنالك زيارة رجل صالح منقطع في آخر هذه الجزيرة، قد نحت غارا لسكناه. فيه زاوية ومجلس ودار صغيرة له. فيها جارية وله عبيد خارج الغار يرعون بقرا له وغنما. وكان هذا الرجل من كبار التجار فحج البيت وقطع العلائق وانقطع هنالك للعبادة، ودفع ماله لرجل من إخوانه يتجر له به. وبتنا عنده ليلة، فأحسن القرى وأجمل، رضي الله تعالى عنه، وسيمة الخير والعبادة لائحة عليه.
ذكر سلطان هرمز". (١)

٢٨٥-"وسلطانها خضر بك ابن يونس بك، وجدناه عند وصولنا إليها عليلا، فدخلنا عليه بداره، وهو في فراش المرض، فكلمنا بألطف كلام وأحسنه وودعناه، وبعث الينا بإحسان. وسافرنا إلى بلدة بردور " وضبط اسمها بضم الباء الموحدة وإسكان الراء وضم الدال المهمل وواو وراء " ، وهي بلدة صغير كثيرة البساتين والأنهار، ولها قلعة في رأس جبل شاهق نزلنا بدار خطيبها، واجتمعت الأخية، وأرادوا نزولنا عندهم فأبى عليهم الخطيب، فصنعوا لنا ضيافة في بستان لأحدهم وذهبوا بنا إليها فكان **من العجائب** إظهارهم السرور بنا، والاستبشار والفرح، وهم لا يعرفون لساننا، ونحن لا نعرف لسانهم، ولا ترجمان فيما بيننا. وأقمنا عندهم يوما وانصرفنا ثم سافرنا من هذه البلدة إلى بلدة سبرنا " وضبط اسمها بفتح السين المهمل والباء الموحدة وإسكان الراء وفتح التاء المعلوة والف " وهي بلدة حسنة العمارة والأسواق كثيرة البساتين والأنهار، لها قلعة في جبل شامخ وصلنا إليها بالعشي، ونزلنا عند قاضيها وسافرنا منها إلى مدينة أكريدور " وضبط اسمها

---

(١) رحلة ابن بطوطة ص/١٣٠

بفتح الهمزة وسكون الكاف وكسر الراء وياء مد ودال مهمل مضموم وواو مد وراء " مدينة عظيمة كثيرة العمارة حسنة الأسواق ذات أنهار وبساتين، ولها بحيرة عذبة الماء يسافر المركب فيها يومين إلى أقشهر وبقشهر وغيرهما من البلاد والقرى، ونزلنا منها بمدرسة تقابل الجامع الأعظم بها المدرس العام الحاج المجاور الفاضل مصلح الدين قرأ بالديار المصرية والشام وسكن بالعراق. وهو فصيح اللسان حسن البيان، أطروفة من طرف الزمان، أكرمنا غاية الإكرام وقام بحقنا أحسن قيام.
ذكر سلطان أكريدور
وسلطانها أبو إسحاق بك ابن الدندار بك، من كبار سلاطين تلك البلاد، سكن ديار مصر أيام أبيه وحج، وله سيرة حسنة، ومن عادته أنه يأتي كل يوم إلى صلاة العصر بالمسجد الجامع، فإذا قضيت صلاة العصر استند إلى جدار القبلة، وقعد القراء بين يديه على مصطبة خشب عالية، فقرأوا سورة الفتح والملك وعم بأصوات حسان فعالة في النفوس تخشع لها القلوب وتقشعر الجلود وتدمع العيون، ثم ينصرف إلى داره. وأظلنا عنده شهر رمضان فكان يقعد في كل يوم ليلة منه على فراش لاصق بالأرض من غير سرير، ويستند إلى مخدة كبيرة، ويجلس الفقيه مصلح الدين إلى جانبه، وأجلس إلى جانب الفقيه ويلينا أرباب دولته أمراء حضرته ثم يؤتى بالطعام، فيكون أول ما يفطر عليه ثريد في قحفة صغيرة، عليه العدس مسقي بالسمن والسكر، ويقدمون الثريد تبركا، ويقولون أن النبي صلى الله عليه وسلم فضله على سائر الطعام فنحن نبدأ به لتفضيل النبي له ثم يؤتى بسائر الأطعمة وهكذا فعلهم في جميع ليالي رمضان.
وتوفي في بعض تلك الأيام ولد السلطان، فلم يزيدوا على بكاء الرحمة، كما يفعله أهل مصر والشام، خلافا لما قدمناه من فعل أهل اللور حين مات ولد سلطانهم فلما دفن أقام السلطان والطلبة ثلاثة أيام يخرجون إلى قبره بعد صلاة الصبح. وثاني يوم من دفنه خرجت مع الناس فرآني السلطان ماشيا برجلي، فبعث لي بفرس واعتذر، فلما وصلت المدرسة بعثت الفرس فرده وقال: إنما أعطيته عطية لا عارية، وبعث إلي بكسوة ودراهم فانصرفنا إلى مدينة قل حصار " وضبط اسمها بضم الكاف وإسكان اللام ثم حاء مهمل مكسور وصاد مهمل وآخره راء " مدينة صغيرة بها المياه من كل جانب، قد نبت فيها القصب، فلا طريق لها إلا طريق كالجسر مهيأ بين القصب والمياه، لا يسع إلا فارسا واحدا، والمدينة على تل في وسط المياه منيعة لا يقدر عليها ونزلنا بزاوية أحد الفتيان الأخية بها.
ذكر سلطان قل حصار". (١)

٢٨٦-"حكاية ومكرمة لهذا القاضي والأمير
صليت في بعض أيام الجمع على عادتي بمسجد أبي حفص، فقال لي: إن الامير أمر لك بخمسمائة درهم، وأمر أن يصنع لك دعوة ينفق فيها خمسمائة درهم أخرى. يحضرها المشايخ والفقهاء والوجوه. فلما أمر بذلك قلت له: أيها الأمير تصنع دعوة يأكل من حضرها لقمة أو لقمتين، لو جعلت له جميع المال كان أحسن له للنفع. فقال: أفعل ذلك. وقد أمر لك بالألف كاملة، ثم بعثها الأمير صحبة إمامه شمس الدين السنجري في خريطة يحملها غلامه، وصرفها من الذهب المغربي

(١) رحلة ابن بطوطة ص/١٣٨

ثلاثمائة دينار. زوكنت قد اشتريت ذلك اليوم فرسا أدهم اللون بخمسة وثلاثين دينارا دراهم، وركبته في ذهابي الى المسجد، فما اعطيت ثمنه إلا من تلك الألف. وتكاثرت عندي الخيل بعد ذلك، حتى انتهت إلى عدد لا أذكره خيفة مكذب يكذب به، ولم تزل حالي في الزيادة حتى دخلت أرض الهند. وكانت عندي خيل كثيرة،، لكني كنت أفضل هذا الفرس وأوثره وأربطه امام الخيل. وبقي عندي إلى انقضاء ثلاث سنين. ولما هلك تغيرت حالي، وبعثت إلي الخاتون جيجا أغا امرأة القاضي مائة دينار دراهم. وصنعت لي أختها ترابك زوجة الأمير دعوة جمعت لها الفقهاء ووجوه المدينة بزاويتها التي بنتها، وفيها الطعام للوارد والصادر، وبعثت إلي بفروة سمور وفرس جيد، وهي من أفضل النساء وأصلحهن وأكرمهن جزاها الله خيرا.

حكاية

ولما انفصلت من الدعوة التي صنعت لي هذه الخاتون وخرجت عن الزاوية، تعرضت لي بالباب امرأة عليها ثياب دنسة، وعلى رأسها مقنعة، ومعها نسوة لا أذكر عددهن. فسلمت علي، فرددت عليها السلام، ولم أقف معها ولا التفت إليها. فلما خرجت أدركني بعض الناس وقال لي: إن المرأة التي سلمت عليك هي الخاتون. فخجلت عند ذلك، وأردت الرجوع إليها فوجدتها قد انصرفت. فأبلغت إليها السلام مع بعض خدامها واعتذرت عما كان مني لعدم معرفتي بها.

ذكر بطيخ خوارزم

وبطيخ خوارزم لا نظير له في بلاد الدنيا شرقا ولا غربا، إلا ما كان من بطيخ بخارى، ويليه بطيخ أصفهان، وقشره أخضر، وباطنه أحمر. وهو صادق الحلاوة، وفيه صلابة. **ومن العجائب** أنه يقدد وييبس في الشمس. ويجعل في القواصر، كما يصنع عندنا بالشريحة وبالتين المالقي. ويحمل من خوارزم إلى أقصى بلاد الهند والصين. وليس في جميع الفواكه اليابسة أطيب منه. وكنت أيام إقامتي بدهلي من بلاد الهند متى قدم المسافرون بعثت من يشتري لي منهم قديد البطيخ. وكان ملك الهند إذا أتي اليه بشيء منه بعث إلي به لما يعلم من محبتي فيه. ومن عادته أن يطرف الغرباء بفواكه بلادهم؛ ويتفقدهم بذلك. حكاية". (١)

٢٨٧-"قال ابن جزي: لم يزل الملوك الأقدمون تتفاخر بقتل الآساد وهزائم الأعادي، ومولانا أيده الله كان قتل الأسد أهون عليه من قتل الشاة على الأسد، فإنه لما خرج الأسد على الجيش بوادي النجارين من المعمورة بحوز سلا، وتحامته الأبطال، وفرت أماه الفرسان والرجال، برز إليه مولانا أيده الله غير محتفل به، ولا متهيب منه، فطعنه بالرمح ما بين عينيه طعنة خر بها صريعا لليدين وللفم. وأما هزائم الأعادي فإنها اتفقت للملوك بثبوت جيوشهم وإقدام فرسانهم، فيكون حظ الملوك الثبوت والتحريض على القتال. وأما مولانا أيده الله فإنه أقدم على عدوه منفردا بنفسه الكريمة، بعد علمه بفرار الناس، وتحققه أنه لم يبق معه من يقاتل. فعند ذلك وقع الرعب في قلوب الأعداء، وانهزموا أمامه. فكان **من العجائب** فرار الأمم أمام واحد. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والعاقبة للمتقين، وما هو إلا ثمرة ما يمتاز به أعلى مقامه من التوكل

---

(١) رحلة ابن بطوطة ص/١٧٩

على الله والتفويض إليه. وأما اشتغاله بالعلم فها هو أيده الله تعالى يعقد مجالس العلم في كل يوم بعد صلاة الصبح، ويحضر لذلك أعلام الفقهاء ونجباء الطلبة بمسجد قصره الكريم، فيقرأ بين يديه تفسير القرآن العظيم، وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، وفروع مذهب مالك رضي الله عنه، وكتب المتصوفة. وفي كل علم منها. له القدح المعلى، يجلو مشكلاته بنور فهمه، ويلقى نكته الرائقة من حفظه. وهذا شأن الأئمة المهتدين والخلفاء الراشدين.
ولم أر من ملوك الدنيا من باغت عنايته بالعلم إلى هذه النهاية. فقد رأيت ملك الهند يتذاكر بين يديه بعد صلاة الصبح في العلوم المعقولات خاصة، ورأيت ملك الجاوة يتذاكر بين يديه بعد صلاة الجمعة في الفروع على مذهب الشافعي، وكنت أعجب من ملازمة ملك تركستان لصلاتي العشاء الآخرة والصبح في الجماعة، حتى رأيت ملازمة مولانا، أيده الله، في الصلوات كلها في الجماعة وقيام رمضان: " والله يختص برحمته من يشاء " .
قال ابن جزي: لو أن عالما ليس له شغل إلا بالعلم ليلا ونهارا، لم يكن يصل إلى أدنى مراتب مولانا أيده الله في العلوم، مع اشتغاله بأمور الأمة، وتدبيره لسياسة الأقاليم النائية، ومباشرته من حال ملكه مالم يباشره أحد من الملوك، ونظره بنفسه في شكايات المظلومين. ومع ذلك كله فلا تقع بمجلسه الكريم مسألة علم في أي علم كان، إلا جلا مشكلها، وباحث في دقائقها، واستخرج غوامضها، واستدرك على علماء مجلسه ما فاتهم من مغلقاتها. ثم سما أيده الله إلى العلم الشريف التصوفي، ففهم إشارات القوم، وتخلق بأخلاقهم. وظهرت آثار ذلك في تواضعه مع رفعته، وشفقته على رعيته، ورفقه في أمره كله. وأعطى للآداب حظا جزيلا من نفسه، فاستعمل أحسنها منزعا، وأعظمها موقعا، وصارت عنه الرسالة الكريمة والقصيدة اللتان بعثهما إلى الروضة الشريفة المقدسة الطاهرة، روضة سيد المرسلين وشفيع المذنبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكتبهما بخط يده الذي يخجل الروض حسنا.
وذلك شيء لم يتعاط أحد من ملوك الزمان إنشاءه، ولا رام إدراكه. ومن تأمل التوقيعات الصادرة عنه أيده الله تعالى، وأحاط علما بحصولها، لاح له فضل ما وهب الله لمولانا من البلاغة التي فطره عليها، وجمع له بين الطبيعي والمكتسب منها. وأما صدقاته الجارية، وما أمر به من عمارة الزوايا بجميع بلاده لإطعام الطعام للوارد والصادر، فذلك ما لم يفعله أحد من الملوك، غير السلطان أتابك أحمد. وقد زاد عليه مولانا أيده الله بالتصدق على المساكين بالطعام كل يوم والتصدق بالزرع على المتسترين من أهل البيوت.". (١)

٢٨٨-"وكنا في تلك الأيام نتقدم أمام القافلة، فإذا وجدنا مكانا يصلح للرعي رعينا الدواب به. ولم نزل كذلك حتى ضاع في الصحراء رجل يعرف بابن زيري، فلم أتقدم بعد ذلك، ولا تأخرت. وكان ابن زيري وقعت بينه وبين ابن خاله، ويعرف بابن عدي منازعة ومشاتمة، فتأخر عن الرفقة، فضل. فلما نزل الناس، لم يظهر له خبر. فأشرت على ابن خاله بأن يكتري من مسوفة، من يقص أثره لعله يجده فأبى، وانتدب في اليوم الثاني رجل من مسوفة دون أجرة لطلبه، فوجد أثره، وهو يسلك الجادة طورا، ويخرج عنها تارة، ولم يقع له على خبر. ولقد لقينا قافلة في طريقنا، فأخبرونا أن بعض رجال انقطعوا

(١) رحلة ابن بطوطة ص/٣٣٢

عنهم. فوجدنا أحدهم ميتا تحت شجيرة من أشجار الرمل، وعليه ثيابه، وفي يده سوط. وكان الماء على نحو ميل منه. ثم وصلنا إلى تاسرهلا " بفتح التاء المثناة والسين المهمل والراء وسكون الهاء " ، وهي احساء ماء، تنزل القوافل عليها، ويقيمون ثلاثة أيام. فيستريحون ويصلحون أسقيتهم ويملأونها بالماء ويخيطون عليها التلاليس خوف الريح، ومن هنالك يبعث التكشيف.

ذكر التكشيف

التكشيف اسم لكل رجل من مسوفة يكتريه أهل القافلة، فيتقدم إلى أيوالاتن يكتب الناس إلى أصحابهم بها، ليكتروا لهم الدور، ويخرجون للقائهم بالماء، مسيرة أربع. ومن لم يكن له صاحب بأيوالاتن، كتب إلى من شهر بالفضل من التجار بها، فيشاركه في ذلك. وربما هلك التكشيف في هذه الصحراء، فلا يعلم أهل أيوالاتن بالقافلة، فيهلك أهلها، أو الكثير منهم. وتلك الصحراء كثيرة الشياطين، فإن كان التكشيف منفردا لعبت به، واستهوته حتى يضل عن قصده فيهلك، إذ لا طريق يظهر بها ولا أثر، إنما هي رمال تسفيها الريح، فترى جبالا من الرمل في مكان، ثم تراها قد انتقلت إلى سواه، والدليل هنالك من كثر تردده، وكان له قلب ذكي. ورأيت **من العجائب** أن الدليل الذي كان لنا هو أعور العين الواحدة، مريض الثانية، وهو أعرف الناس بالطريق. واكترينا التكشيف في هذه السفرة بمائة مثقال من الذهب، وهو من مسوفة. وفي ليلة اليوم السابع رأينا نيران الذين خرجوا للقائنا، فاستبشرنا بذلك. وهذه الصحراء منيرة مشرقة، ينشرح الصدر فيها، وتطيب النفس. وهي آمنة من السراق. والبقر الوحشية بها كثيرا، يأتي القطيع منها حتى يقرب من الناس فيصطادونه بالكلاب والنشاب. لكن لحمها يولد أكله العطش، فيتحاماه كثير من الناس لذلك. **ومن العجائب** أن هذه البقرة إذا قتلت، وجد في كروشها الماء. ولقد رأيت أهل مسوفة يعصرون الكرش منها، ويشربون الماء الذي فيه. والحيات أيضا بهذه الصحراء كثيرة.

حكاية". (١)

٢٨٩-"ولقينا هذا الرجل الخبوشاني المذكور تبركا بدعائه لأنه قد كان ذكر لنا أمره بالأندلس. فألفيناه في مسجده بالقاهرة وفي البيت الذي يسكنه داخل المسجد المذكور، وهو بيت ضيق الفناء، فدعا لنا، وانصرفنا ولم نلق من رجال مصر سواه. مشهد المزني صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه، مشهد أشهب صاحب مالك رضي الله عنه، مشهد عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك رضي الله عنهما، مشهد أصبغ صاحب مالك رضي الله عنهما، مشهد القاضي عبد الوهاب رضي الله عنه، مشهد عبد الله بن عبد الحكم ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم رضي الله عنهما، مشهد الفقيه الواعظ الزاهد أبي الحسن الدينوري رضي الله عنه، مشهد بنان العابد رضي الله عنه، مشهد الرجل الصالح العابد الزاهد المعروف بصاحب الإبريق، وقصته عجيبة في الكرامة، مشهد أبي مسلم الخولاني رضي الله عنه، مشهد المرأة الصالحة المعروفة بالعيناء رضي الله عنها، مشهد الروذباري رضي الله عنه، مشهد محمد بن مسعود بن محمد بن هارون الرشيد المعروف بالسبتي رضي

---

(١) رحلة ابن بطوطة ص/٣٣٩

الله عنه، مشهد الرجل الصالح مقبل الحبشي رضي الله عنه، مشهد ذي النون بن إبراهيم المصري رضي الله عنه، مشهد القاضي الأنباري، قبر الناطبق الذي سمع عند وضعه في لحده يقول: اللهم أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين، رضي الله عنه، مشهد العروس ولها أثر من الكرامة في حال جلوتها على زوجها لم يسمع أعجب منه، مشهد الصامت الذي يحكى عنه انه لم يتكلم أربعين سنة، مشهد العصافيري، مشهد عبد العزيز بن أحمد بن الحسن الخوارزمي، مشهد الفقيه الواعظ الأفضل الجوهري ومشاهد أصحابه بازائه رضي الله عنهم أجمعين، مشهد شقران شيخ ذي النون المصري، مشهد الرجل الصالح المعروف بالأقطع المغربي، مشهد المقرىء ورش، مشهد الطبري، مشهد شيبان الراعي.

والمشاهد الكريمة بها أكثر من أن تضبط بالتقييد أو تتحصل بالإحصاء وإنما ذكرنا منها ما أمكنتنا مشاهدته.

وبقبلة القرافة المذكورة بسيط متسع يعرف بموضع قبور الشهداء، وهم الذين استشهدوا مع سارية رضي الله عن جميعهم. والبسيط المذكور مسنم كله للعيان على مثال أسنمة القبور دون بناء. ومن العجب أن القرافة المذكورة كلها مساجد مبنية ومشاهد معمورة يأوي إليها الغرباء والعلماء والصلحاء والفقراء، والإجراء على كل موضع منها متصل من قبل السلطان في كل شهر، والمدارس التي بمصر والقاهرة كذلك، وحقق عندنا أن الإجراء على ذلك كله نيف على آلفي دينار مصرية في الشهر، وامع الخطبة اليوم، يأخذ الخطيب فيها مأخذ سني يجمع فيها الدعاء للصحابة، رضي الله عنهم، وللتابعين ومن سواهم ولأمهات المؤمنين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم، ولعميه الكريمين حمزة والعباس، رضي الله عنهما، ويلطف الوعظ ويرقق التذكير حتى تخشع القلوب القاسية وتتفجر العيون الجامدة. ويأتي للخطبة لابسا السواد على رسم العباسية. وصفة لباسه بردة سوداء عليها طيلسان شرب أسود، وهو الذي يسمى بالغرب الإحرام، وعمامة سوداء، متقلدا سيفا. وعند صعوده المنبر يضرب بنعل سيفه المنبر في أول ارتقائه ضربة يسمع بها الحاضرين كأنها إيذان بالإنصات، وفي توسطه أخرى، وفي انتهاء صعوده ثالثة. ثم يسلم على الحاضرين يمينا وشمالا ويقف بين رايتين سواد وين فيهما تجزيع بياض قد ركزنا في أعلى المنبر.

ودعاؤه في هذا التاريخ للإمام العباسي أبي العباس أحمد الناصر لدين الله ابن الإمام أبي محمد الحسن المستضيء بالله ابن الإمام أبي المظفر يوسف المستنجد بالله، ثم لمحيي دولته أبي المظفر يوسف بن أيوب صلاح الدين، ثم لأخيه ولي عهده أبي بكر سيف الدين.

قلعة القاهرة

وشاهدنا أيضا بنيان القلعة وهو حصن يتصل بالقاهرة حصين المنعة، يريد السلطان أن يتخذه موضع سكناه، ويمد سوره حتى ينتظم بالمدينتين مصر والقاهرة. والسخرون في هذا البنيان والمتولون لجميع امتهاناته ومؤونته العظيمة كنشر الرخام ونحت الصحور العظام وحفر الخندق المحدق بسور الحصن المذكور وهو خندق ينقر بالمعاول نقرا في الصخر عجبا **من العجائب** الباقية الآثار، العلوج الاسارى من الروم، وعددهم لا يحصى كثرة، ولا سبيل أن يمتهن في ذلك البنيان أحد سواهم.". (١)

---

(١) رحلة ابن جبير ص/٧

٢٩٠-"ولما كان بعد قراءة الكتاب وإيصال الهدايا بثلاثة أيام بعث إلي وقد كان بلغه أمر الأربعة آلاف دينار وما كان من حيلة النصراني في تأخيرها وكان خبرها في الكتاب فلما دخلت إليه أمرني بالجلوس فجلست ورمى إلي كتاب أمير المؤمنين فقال: من جاء بهذا الكتاب قلت: أنا ثم رمى إلي كتاب الوزير فقال: وهذا أيضا قلت: أنا قال: فالمال الذي ذكر فيهما ما فعل به قلت: تعذر جمعه وضاق الوقت وخشينا فوت الدخول فتركناه ليلحق بنا فقال: إنما جئتم بأجمعكم وأنفق عليكم مولاي ما أنفق لحمل هذا المال إلي حتى أبني به حصنا يمنعني من اليهود الذين قد استعبدوني فأما الهدية فغلامي قد كان يحسن أن يجيء بها قلت: هو كذلك إلا أنا قد اجتهدنا فقال للترجمان: قل له أنا لا أعرف هؤلاء إنما أعرفك أنت وذلك أن هؤلاء قوم عجم ولو علم الأستاذ أيده الله أنهم يبلغون ما تبلغ ما بعث بك حتى تحفظ علي وتقرأ كتابي وتسمع جوابي ولست أطالب غيرك بدرهم فاخرج من المال فهو أصلح لك فانصرفت من بين يديه مذعورا مغموما وكان رجلا له منظر وهيبة بدين عريض كأنما يتكلم من خابية فخرجت من عنده وجمعت أصحابي وعرفتهم ما جرى بيني وبينه وقلت: لهم من هذا حذرت.

وكان مؤذنه يثني الإقامة إذا أذن فقلت له: إن مولاك أمير المؤمنين يفرد في داره الإقامة فقال للمؤذن: اقبل ما يقوله لك ولا تخالفه فأقام المؤذن على ذلك أياما وهو يسألني عن المال ويناظرني فيه وأنا أويسه منه وأحتج فيه فلما يئس منه تقدم إلى المؤذن أن يثني الإقامة ففعل وأراد بذلك أن يجعله طريقا إلى مناظرتي فلما سمعت تثنيته للإقامة نهيته وصحت عليه فعرف الملك فأحضرني وأحضر أصحابي فلما اجتمعنا قال الترجمان: قل له يعنيني ما يقول في مؤذنين افرد أحدهما وثنى الآخر ثم صلى كل واحد منهما بقوم أتجوز الصلاة أم لا قلت: الصلاة جائزة فقال: باختلاف أم بإجماع قلت: بإجماع قال: قل له فما يقول في رجل دفع إلى قوم مالا لا قوام ضعفى محاصرين مستعبدين فخانوه فقلت: هذا لا يجوز وهؤلاء قوم سوء قال: باختلاف أم بإجماع قلت: بإجماع فقال للترجمان: قل له: تعلم أن الخليفة أطال الله بقاءه لو بعث إلي جيشا كان يقدر علي قلت: لا قال: فأمير خراسان قلت: لا قال: أليس لبعد المسافة وكثرة من بيننا من قبائل الكفار قلت: بلى قال: قل له فوالله إني لبمكاني البعيد الذي تراني فيه وإني لخائف من مولاي أمير المؤمنين وذلك أني أخاف أن يبلغه عني شيء يكرهه فيدعو علي فأهلك بمكاني وهو في مملكته وبيني وبينه البلدان الشاسعة وأنتم تأكلون خبزه وتلبسون ثيابه وترونه في كل وقت خنتموه في مقدار رسالة بعثكم بها إلي إلى قوم ضعفى وخنتم المسلمين لا أقبل منكم أمر ديني حتى يجيئني من ينصح لي فيما يقول فإذا جاءني إنسان بهذه الصورة قبلت منه فألجمنا وما أحرنا جوابا وانصرفنا من عنده.

قال: فكان بعد هذا القول يؤثرني ويقربني ويباعد أصحابي ويسميني أبا بكر الصديق.

ورأيت في بلده **من العجائب** ما لا أحصيها كثرة من ذلك: أن أول ليلة بتناها في بلده رأيت قبل مغيب الشمس بساعة قياسية أفق السماء وقد احمرت احمرارا شديدا وسمعت في الجو أصواتا شديدة وهمهمة عالية فرفعت رأسي فإذا غيم أحمر مثل النار قريب مني وإذا تلك الهمهمة والأصوات منه وإذا فيه أمثال الناس والدواب وإذا في أيدي الأشباح التي فيه تشبه الناس رماح وسيوف أتبينها وأتخيلها وإذا قطعة أخرى مثلها أرى فيها أيضا رجالا ودواب وسلاحا فأقبلت هذه القطعة تحمل على هذه كما تحمل الكتيبة على الكتيبة ففزعنا من ذلك وأقبلنا على التضرع والدعاء وهم يضحكون منا ويتعجبون من فعلنا.

قال: وكنا ننظر إلى القطعة إلى القطعة تحمل على القطعة فتختلطان جميعا ساعة ثم تفترقان فما زال الأمر كذلك ساعة من الليل ثم غابتا فسألنا الملك عن ذلك فزعم أن أجداده كانوا يقولون: إن هؤلاء من مؤمني الجن وكفارهم وهم يقتتلون في كل عشية وأنهم ما عدموا هذا مذ كانوا في كل ليلة.". (١)

٢٩١-"""""""" صفحة رقم ٢٦٢ """"""

في من يضرب رقابكم كلكم ههنا . فقالوا : " نحن مماليكك وبحكمك " . وأخذوا ذلك منه بطريق المزاح ، وتضرعوا له حتى أخرجهم .

وكان فيهم مالك بن سالم صاحب قلعة جعبر فلما نزل سار عن حلب وتركها خوفا على نفسه .

وخاف منه لؤلؤ اليايا فقتله بفراشه بالمركز بقلعة حلب ، في شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وخمسمائة ، وساعده على ذلك قراجا التركي وغيره .

سلطان شاه

ولزم لؤلؤ اليايا قلعة حلب وشمس الخواص في العسكر ، ونصب لؤلؤ أخا له صغيرا عمره ست سنين ، واسمه سلطان شاه بن رضوان ، وتولى لؤلؤ تدبير مملكته ، وجرى على قاعدته في سوء التدبير .

وكاتب لؤلؤ ومقدمو حلب أتابك طغتكين وغيره يستدعونهم إلى حلب لدفع الفرنج عنها فلم يجب أحد منهم إلى ذلك .

ومن العجائب أن يخطب الملوك لحلب فلا يوجد من يرغب فيها ، ولا يمكنه ذب الفرنج عنها ، وكان السبب في ذلك أن المقدمين كانوا يريدون بقاء الفرنج ليثبت عليهم ما هم فيه .

وقل الربيع ببلد حلب لاستيلاء الفرنج على أكثر بلدها والخوف على باقيه ، وقلت الأموال واحتيج إليها لصرفها إلى الجند ، فباع لؤلؤ قرى كثيرة من بلد حلب ، وكان المتولي بيعها القاضي أبا غانم محمد بن هبة الله بن أبي جرادة قاضي حلب ، ولولو يتولى صرف أثمانها في مصالح القلعة والجند والبلد .

حلب بين لؤلؤ والزلازل

وقبض لؤلؤ على الوزير أبي الفضل بن الموصول ، واستأصل ماله ، وسار إلى القلعة فأقام عند مالك بن سالم ، واستوزر أبا الرجاء بن السرطان الرحبي مدة ، ثم صادره وضربه ، وطلب أبا الفضل بن الموصول فأعاده إلى الوزارة بحلب .". (٢)

٢٩٢-"وأنشدني النامي لابن عبد الرحمن الهاشمي في دير إسحاق:

وافق أخاك تجده خير رفيق ... إن كنت لست عن الصبا بمفيق

وإذا مررت بدير إسحاق فقل ... جادتك غر سحائب وبروق

---

(١) رحلة ابن فضلان ص/٨

(٢) زبدة الحلب من تاريخ حلب ص/٢٦٢

دير يشبه ماؤه بهوائه ... وهواؤه بملاءة المعشوق

وكأن عيشي كان في أفيائه ... درك المنى في كاشحي ورفيقي - ٢ - (١)

دير رمانين (٢) بين حلب وأنطاكية يشرف على بقعة سرمدا في أحسن موضع وأنزهه، وفيه يقول الواله:

ألف المقام بدير رمانينا ... للروض إلفا والمدام خدينا

والكأس والإبريق يعمل دهره ... ويداه تجني الورد والنسرينا

يغدو إذا الناقوس أيقظه على ... عذراء أوطنت الدنان سنينا

بكر إذا ما الهم عاين كاسها ... يوما رأى فيما يرى السكينا

ومن العجائب مسكة ترضى بأن ... تختار قارا في اللباس وطينا

ويطارح الطنبور طول حياته ... حتى كأن عليه فيه يمينا

" إن الذين غدوا بلبك غادروا ... وشلا بعينك لا يزال معينا "

هانت على طرباته عذاله ... لما اشترى الدنيا وبا ع الدنيا

عمر هو البلد الحرام فكم ترى ... فيه الندى والتين والزيتونا - ٣ - (٣)

[دير القائم الأقصى]:

---

(١) بغية الطلب ٩: ٢٥٨.

(٢) ياقوت ٢: ٦٦٢ وقال: يعرف أيضا بدير السابان وهو دير حسن كبير وأورد البيتين الأولين من قصيدة الواله.

(٣) بغية الطلب ٩: ٢٦٩.". [1]

٢٩٣-"وحكى عبد الله بن خرداذبة أنه رأى هذين البيتين عند الحضرمي وراق المعتمد، وقد كتب الحضرمي: أنشدنيهما المعتمد لنفسه.

وكان المكتفي أخرج إلينا مدارج مكتوبة بالذهب، فكان فيها من شعر المعتمد على الله الموزون:

طال والله عذابي ... واهتمامي واكتئابي

لغزال من بني الأص؟ ... فر لا يعنيه ما بي

أنا مغرى بهواه ... وهو مغرى باجتنابي

فإذا ما قلت صلني ... كان " لا " منه جوابي ووجدت أيضا من الموزون:

عمل الحب بفرقة ... فبقلبي منه حرقة

إنما يستروح الص؟ ... ب إذا أظهر عشقه وبعد هذا أبيات لا نظام لها.

---

(١) شذرات من كتب مفقودة في التاريخ ٢/٣٨٤

وحدثنا محمد بن يحيى بن أبي عباد قال: طلب المعتمد ثلاثمائة دينار يصل بها عريب وقد حضرت مجلسه، فلم يجدها، فطلب مائتين فلم يجدها، وكان قد أمر أن يطرح لها تكاء فأبت، فكان يجعل تحت ركبتها أترجتان من الأترج الكبار وربما قورتا، وجعل فيهما دنانير، قال: فبلغني أنه لما لم يجد الدنانير قال شعرا:

أليس **من العجائب** أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه

إليه تحمل الأموال طرا ... ويمنع بعض ما يجبى إليه وكان المعتمد من أسمح الناس، قال له القاسم بن زرزر المغني: يا سيدي إلى جانب ضيعتي ضيعة لا تصلح إلا بها تباع بسبعة آلاف دينار، وما عندي من ثمنها إلا ألفي دينار، أحضروني خمسة آلاف دينار، فجيء بها، فدفعها إليه فاشترى الضيعة، فسأله بعد أيام عنها فعرفه شراءها فقال: ما أحب أن يكون لك". (١)

٢٩٤-"كان في سنة ست وتسعين وأربعمائة، وهو كان **من العجائب** الثلاث: جب الكلب ونهر الذهب وقلعة حلب، فأما النهر فهو ماء يجري إلى أن ينتهي إلى مواضع في الجبول وغيرها من القرى، فيسكبونها ويجرون إليها السواقي فإذا دخل تلك المساكب جمد بإذن الله وصار ملحا أبيض في بياض الثلج فيباع منه بالأموال الخطيرة، ولذلك سمي نهر الذهب.". (٢)

٢٩٥-"ومن مدينة الأشبونة كان خروج المغرورين في ركوب بحر الظلمات ليعرفوا ما فيه وإلى أين انتهاؤه، ولهم بأشبونة موضع بقرب الحمة منسوب إليهم يعرف بدرب المغرورين، وذلك أن ثمانية رجال، كلهم أبناء عم، اجتمعوا فابتغوا مركبا وأدخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر، ثم دخلوا البحر في أول طاروس الريح الشرقية، فجروا بها نحوا من إحدى عشر يوما؛ فوصلوا إلى بحر غليظ الموج، كدر الروائح، كثير التروش، قليل الضوء، فأيقنوا بالتلف، فردوا قلعهم في اليد الأخرى، وجروا في البحر في ناحية اثنى عشر يوما؛ فخرجوا إلى جزية الغنم، وفيها من الغنم مالا يأخذه عدو لا تحصيل، وهي سلوحة لا ناظر لها ولا راع، فقصدوا الجزيرة ونزلوها فوجدوا عين بماء جارية، عليها شجرة تين برى، فأخذوا من تلك الغنيم فذبحوها فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحد على أكلها، فأخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب اثنى عشر يوما إلى أن لا حت لهم جزيرة، فنظروا فيها إلى عمارة وحرث، فقصدوا إليها ليروا ما فيها، فما كان إلا غير بعيد حتى أحيط بهم في زوارق، فأخذوا وحملوا إلى مدينة على ضفة البحر، فأنزلوا بها في دار، فرأوا بها رجالا شقرا زعرا، شعورهم سبطة، وهم طوال القدود، ولنسائهم جمال عجيب، فاعتقلوا في بيت ثلاثة أيام ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربي، فسألهم عن حالهم، وفيم جاؤوا، وأين بلادهم فأخبروه بكل خبرهم فوعدهم خيرا، وأعلمهم أنه ترجمان؛ فلما كان في اليوم

---

(١) شذرات من كتب مفقودة في التاريخ ٤١٨/٢

(٢) شذرات من كتب مفقودة في التاريخ ٤٦٨/٢

الثاني من ذلك اليوم أحضروا بين يدي الملك، فسألهم عما سألهم عنه الترجمان فأخبروه بما أخبروا به الترجمان بالأمس، وأنهم اقتحموا البحر ليروا ما فيه **من العجائب**، وليقفوا على نهايته، فلما علم الملك ذلك ضحك وقال للترجمان: أخبر القوم أن أبي أمر قوما من عبيده بركوب هذا البحر، وأنهم جروا في عرضه شهرا إلى أن انقطع عنهم الضوء وانصرفوا من غير فائدة تجدي، ثم وعدهم خيرا، وصرفوا إلى موضع حبسهم، إلى أن بدأ جرى الريح الغربية؛ فعمر بهم زورق وعصبت عيونهم وجرى بهم في البحر برهة من الدهر.

قال القوم: قدرنا أنه جرى بنا ثلاثة أيام بلياليها، حتى جئ بنا إلى البر، فأخرجنا وكتفنا إلى خلف، وتركنا بالساحل إلى أن تضاحى النهار، وطلعت الشمس، ونحن في ضنك وسوء حال من شدة الكتاف، حتى سمعنا ضوضاء وأصوات ناس فصحنا بجملتنا، فأقبل القوم إلينا فوجدونا بتلك الحال السيئة؛ فحلوا أو ثاقنا وسألونا فأخبرناهم بخبرنا، وكانوا برابر، فقال لنا أحدهم: أتعلمون كم بينكم وبين بلدكم؟ فقلنا: لا، فقال: مسيرة شهرين! فقال زعيم القوم: واأسفى! فسمى المكان إلى اليوم آسفي، وهو المرسى الذي في أقصى المغرب.

إشبيلية

مدينة بالأندلس جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثلاثة أيام، ومن الأميال ثمانون. وهي مدينة قديمة أزلية، يذكر أهل العلم باللسان اللطيني أن أصل تسميتها إشبالى معناه المدينة المنبسطة، ويقال إن الذي بناها يوليش القيصر، وإنه أول من تسمى قيصر، وكان سبب بنائه إياها أنه لما دخل الأندلس ووصل إلى مكانها أعجبه كرم ساحته، وطيب أرضه، وجبله المعروف بالشرف. فردم على النهر الأكبر مكانا، وأقام فيه المدينة وأحدق عليها بأسوار من صخر، وبنى في وسط المدينة قصبتين متقنتين عجيبتى الشأن، تعرفان بالأخوين، وجعلها أم قواعد الأندلس، واشتق لها اسما من اسمه ومن اسم رومية فسماها رومية يوليش؛ ويقال إن إشبانيا اسم خاص ببلد إشبيلية الذي كان ينزله إشبان بن طيطش وباسمه سميت الأندلس إشبانيا، ولم تزل معظمة عند العجم من ذلك الوقت، وقد كان منها رجال ولوا قيادة العجم العظمى والمملكة بمدينة رومية، وروى ابن وضاح أن المرأة التي قتلت يحيى بن زكرياء عليه السلام من إشبيلية من قرية طالقة.

وهي كبيرة عامرة لها أسوار حصينة، وأسواقها عامرة، وخلقها كثير، وأهلها مياسير، وجل تجارتهم الزيت يتجهزون به إلى المشرق والمغرب برا وبحرا فيجتمع هذا الزيت من الشرف، وهو مسافة أربعين ميلا كلها في ظل شجر الزيتون والتين، أوله مدينة إشبيلية، وآخره مدينة لبلة، وسعته اثنا عشر ميلا، وفيه ثمانية آلاف قرية عامرة بالحمامات والديار الحسنة، وبين الشرف وإشبيلية ثلاثة أميال.". (١)

٢٩٦-"في وسط الإقليم الخامس، هواؤها غليظ لشدة بردها، ومصيفها معتدل، وهي بلاد كثيرة الفاكهة، وغزيرة الأنهار المنبعثة من ذوب الثلج، ومدائنها متقنة الأسوار، محكمة البناء، وآخر حدودها البحر الشأمى بقبليها، والبحر المحيط بجوفيها، وتتصل ببلاد رومة أيضا من ناحية القبلة، وتتصل أيضا من ناحية الجوف ببلاد الصقالبة، بينهما شعراء ملتفة

---

(١) صفة جزيرة الأندلس ص/٨

مسيرة الأيام الكثيرة، وتتصل في الشرق بالصقالبة أيضا، وتتصل في الغرب بالبشكنش، وتتمادى أعمال إفرنجة في الطول والعرض مسيرة شهرين في شهرين، ويحجز بين بلاد الصقالبة من الجوف والشرق الجبل المعترض بين البحرين فيتمادى بلاد الإفرنج مع ساحل البحر الشأمي حتى يلزق بجزيرة رومة وبلاد لنقبرذية، ويتمادى مع الجبل المعترض في الجوف إلى البحر المحيط، ويتصل بالصقالبة بلاد المجوس المعروفين بالأنقاش؛ وسيوف إفرنجة تفوق سيوف الهند، ومنها يرد الرقيق من بلاد الصقالبة، ولا يكاد يرى ببلاد إفرنجة زمن ولا ذو عاهة، والزنى في غير ذوات الأزواج عند الإفرنج غير منكر، وإذا حلف أميرهم أو كبيرهم حانثا استهانوه، ولم يزالوا يعيرونه بذلك، وأبناء الأشراف عندهم يسترضعون في الأباعد، ولا يعرف الا بن أبويه حتى يعقل، وإذا عقل رد إليهما، فيراهما كالسيدين ويكون لهما كالعبد.

وكانت مملكتهم مجتمعة، وأمرهم ملتئما حتى ثار على رجل من ملوكهم يسمى قارله قومس مع ملك يقال له ردبيرت، وذلك في عهد الإمام عبد الله، فحشد له قارله، وزحف بعضهما على بعض فقتله قارله، وأسر أصحاب ردبيرت قارله فمكث عندهم أسيرا أربعة أعوام ثم هلك بأيديهم، فافترق ملكهم واقتسم؛ والإفرنجة من ولد يافت هم والجلالقة والصقالبة واللواكبرد، والإشبان والترك والخزر وبرجان وآلان ويأجوج ومأجوج؛ والإفرنجة تدين بدين النصرانية، وبرأي الملكية منهم ودار ملكهم آلان لوذون وهي مدينة عظيمة، ولهم من المدائن نحو من خمسين ومائة مدينة، وقد كانت مملكتهم قبل ظهور الإسلام بإفريقية وجزيرة صقلية وجزيرة إقريطش؛ والإفرنجة أكثر هذه الأمة عدة وأحسنهم انقيادا لملوكهم وأكثرهم مددا، وأول ملوكهم قلودية، وهو أول من تنصر وكانوا مجوسا، فنصرته امرأته واسمها قلوطلد.

ويحكى أن موسى بن نصير لما غزا الأندلس أراد أن يخرق ما بقى عليه من بلاد إفرنجة، وفتح الأرض الكبيرة حتى يتصل بالناس إلى الشأم مؤملا أن يتخذ مخترقة تلك الأرض طريقا مهيعا يسلكه أهل الأندلس في مسيرهم ومجيئهم من الشرق إليه على البر لا يركبون بحرا، وأنه أوغل في بلاد إفرنجة حتى انتهى إلى مفازة كبيرة وأرض سهلة ذات آثار، فأصاب فيها ضمنا عظيما قائما كالسارية مكتوبة فيه بالنقر كتابة عربية قرئت فإذا هي: يا بني إسماعيل انتهيتم فارجعوا ! فهاله ذلك وقال: ما كتب هذا إلا بمعنى! وشاور أصحابه في الإعراض عنه وجوازه إلى ما وراءه، فاختلفوا عليه، فأخذ برأي جمهورهم وانصرف بالناس وقد أشرفوا على قطع البلاد وتقصى الغاية.

أقش

مدينة هي كانت قاعدة الجليقيين، بينها وبين ليوزدال ثلاثون ميلا، وكانت أقش قبل هذا منسوبة إلى غرسية بن لب، وهي مبنية بالصخر المربع الكبير، وهي على نهر كبير يدخل منه المجوس بمراكبهم إليهم، وفي المدينة حمة غزية الماء، واسعة الفضاء، يستحم أهلها في جنباتها على بعد من عنصرها لشدة سخونته.

أقليش

مدينة لها حصن في ثغر الأندلس، وهي قاعدة كور شنتبرية، وهي محدثة ، بناها الفتح بن موسى بن ذى النون، وفيها كانت ثورته وظهوره في سنة ١٦٠، ثم اختار أقليش دارا وقرارا، فبناها ومدنها، وهي على نهر منبعث من عين عالية على رأس المدينة، فيعم جميعها، ومنه ماء حمامها؛ **ومن العجائب** البلاط الأوسط من مسجد جامع أقليش فإن طول كل جائزة من

جوائزه مائة شبر وإحدى عشر شبرا، وهي مربعة منحوتة مستوية الأطراف.

أقيانس

هو اسم لبحر الظلمات، ويقال له البحر الأخضر، والمحيط الذي لا يدرك له غاية، ولا يحاط بمقداره، ولا فيه حيوان، وهو الذي يخرج منه البحر الرومي الذي هو بحر الشأم ومصر والغرب والأندلس، فإنه خليج يخرج من هذا البحر". (١)

٢٩٧-"وسبب مدحه له بهذه القصيدة أنه كان مستعملا بغرناطة في الدولة اللمتونية، فحكى أنه انكسر عليه مال جليل يبلغ عشرة آلاف دينار، فقبض عليه، وأشخص منكوبا إلى مراكش، فلما بلغ الموكلون به مدينة سلا، وبها يومئذ بنو القاسم المعروفون ببنى عشرة، رباب السماح، وأرباب الأمداح، قال هذه القصيدة يمدح القاضي أبا الحسن منهم، ويستجير به، وسأل إيصالها إليه، فبادر عند الوقوف عليها إلى المخاطبة بتضمن المال وتحمله، وسؤال الصفح عنه والإبقاء عليه بإعادته على عمله، فصار جوابه الإسعاف والإسعاد، وعاد ابن الوكيل إلى غرناطة.

يابسة

جزيرة تلى جزيرة ميورقة، ويقال لهذه الجزيرة ولمنورقة بالنون، بنتا جزيرة ميورقة.

وهي جزيرة حسنة كثيرة الكروم والأعناب، وبها مدينة حسنة صغيرة متحضرة، وأقرب بر إليها مدينة دانية، بينهما مجرى والمجرى مائة ميل، وفي شرقي يابسة جزيرة ميورقة بينهما مجرى.

وبجزيرة يابسة عشرة مراس، وبها أنهار جارية، وقرى كثيرة، وعمائر متصلة، وأرضها ينبت الصنوبر الجيد العود للإنشاء وعدة المراكب، وبها ملاحة لا ينفد ملحها، ويتصل بها في القبلة جزيرتان، بينهما وبينها مجازات تسمى الأبواب.

يبورة

مدينة بالأندلس بينها وبين مدينة القصرين مرحلتان.

ينشتة

حصن من حصون الأندلس، على نحو مرحلتين من جنجالة التي تعمل فيها البسط.

وإليها ينسب أبو العباس الينشتى صاحب سبتة، كان قيامه فيها سنتة ٦٣٠، ويلقب بالموفق وكان أمره بها مستقيما برا وبحرا، يخاف ويمدح ويقصد ويخاطبه الملوك من البلاد إلى أن غتر ب " ... " بن مسعود الكومى من جهة الزهد واطراح الدنيا، فكان إذا ورد سبتة يكرمه " ويغزله " و السماع ويتبرك به، ويستريح إليه، وهو في أثناء ذلك يعلم القلوب المائلة إليه، والقلوب المتغيرة عليه، ويتأمل الأماكن التي يدخل منها إلى إفساد دولته وإعادتها إلى بني عبد المؤمن، حتى اطلع من ذلك على المطلب، وظفر بالغرض، ولم يشعره الينشتى المغتر بزهده حتى نثر عليه سلكه، وابتز منه ملكه؛ فصبحه بمثل راغية البكر، وجاء مع جيش من قبل الملك الرشيد عبد الواحد، فخرج جنده القليل ورجاله وعامة أهل سبتة فحمل عليهم الجيش حملة فقد فيها من السبتيين نحو ستمائة، وتخاذل الباقون فهلك عليه الأهل والولد ما وثب عليه الينشتى، وكان له ولدان

---

(١) صفة جزيرة الأندلس ص/١١

فاختفى الأكبر محمد فكان خلوصه إلى البحر، ثم حبسه بجاية، ثم وصوله بالإسكندرية ولحوقه باليمن وموت أبيه فيقال إن وباء جارفا كان بحضرة مراكش أهلك الجميع من الغرباء؛ وقيل إنه و الولد هلكا بشربة لبن؛ واستمرت بسبتة دولة الرشيد عبد الواحد إلى آخر أيامه.

وكان أبو العباس هذا سلك الأدباء وهو يقول وقد رآه على فرس عتيق وعليه ثياب ملوكية وتكنفته الرجال بالرماح وبجانبيه الحجاب: ذا العار بن العابر يريد أن يحكى بني عبد المؤمن! فمازال العار من لا يحكى بني عبد المؤمن؟ ثم خلى سبيله فلم يصبح المراكشى إلا في طريق مراكش.

وكان من جهة أخرى في نهاية من الغيرة على الملك، بلغه أن طلحة بن الشرقي من أقارب بني عبد المؤمن قد قال: لو كان في سبته رجل ما ملكها هذا! وأشار إليه فأحضره وقال: زعمت ألا بسبتة رجل؟ وأنا أكذبك! احملوه وغرقوه في اللجة! فحمل في زورق وغرق.

انتهى

ما تضمنه كتاب الروض المعطار من صفة الجزيرة الأندلسية وذكر كورها وثغورها ومدنها وأقاليمها، والبلاد النصرانية المصاقبة لها وما اشتهر بها **من العجائب** والآثار، والوقائع والأخبار.". (١)

٢٩٨-"له: نسب حمير.

١٨٠ - ابن حمويه

زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيي بن حمويه نسابة أخباري. م سنة ٣٤٨ هـ.

١٨١ - المكاولي

أبو العباس عبد الله بن إسحاق بن سلام المكاولي البغدادي م سنة ٣٤٩ هـ.

له: كتاب الأخبار والأنساب والسير.

١٨٢ - الحسين بن جعفر بن الحسين بن جعفر

المعروف بابن خداع النسابة. م بعد سنة ٣٥٠هـ.

له: كتاب النسب.

١٨٣ - ابن برية

أبو جعفر عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن عيسى ابن المنصور أبي جعفر. في طبقة الواثق في النسب. م سنة ٣٥٠هـ.

١٨٤ - الحوزي

محمد بن إبراهيم بن عمران النحوي من حوز فارس. م سنة ٣٥٤ هـ.

كان من الأدباء المنقرين، علامة في معرفة الأنساب وعلم القرآن.

---

(١) صفة جزيرة الأندلس ص/٦٩

١٨٥ – ابن أبان القرطبي

محمد بن أبان اللخمي أبو عبد الله القرطبي الأندلسي.

كان عالما باللغة حافظا للأخبار والأنساب. م سنة ٣٥٤ هـ رحمه الله تعالى.

١٨٦ – أبو عمر الكندي

محمد بن يوسف بن يعقوب من بني كنده مؤرخ له علم بالحديث والأنساب. م بعد سنة ٣٥٥ هـ. وهو صاحب كتاب: الولاة والقضاة.

١٨٧ – أبو الفرج الأصبهاني

علي بن الحسين بن مروان بن الحكم. م سنة ٣٥٦ هـ صاحب كتاب الأغاني العلامة النسابة الأخباري الحفظة.

قال ياقوت: لم أره وبودي لو رأيته.

وقال الذهبي: **ومن العجائب** أنه مرواني يتشيع.

١ – كتاب جمهرة النسب.

٢ – كتاب نسب بني عبد شمس.

٣ – كتاب نسب بني شيبان.

٤ – كتاب نسب المهالبة. لكونه كان منقطعا إلى الوزير المهلبي.

٥ – كتاب نسب بني تغلب.

٦ – التعديل والإنتصاف في مآثر العرب وأمثالها.

٧ – نسب بني كلاب.

٨ – مقاتل الطالبيين. مطبوع.

١٨٨ – مطرف بن عيسى بن لبيب بن محمد بن مطرف الغساني الإلبيري الغرناطي م سنة ٣٥٦ هـ. رحمه الله تعالى.

له: أنساب العرب النازلين في إلبيرة وأخبارهم.

١٨٩ – كردوس

الحسن بن علي بن نصر الطوسي الحافظ. م سنة ٣٥٨ هـ. سمع من الزبير كتاب النسب بالحجاز.

قال الحاكم: يتكلمون في روايته لكتاب النسب للزبير بن بكار.

وقد قرء عليه: كتاب النسب بطوس وكان يعرف بصاحب الزبير.

وقيل مات سنة ٣١٢ هـ رحمه الله تعالى. والله أعلم وفيها أرخه أبن العماد في: الشذرات.

١٩٠ – أبومحمد الحسن بن محمد بن يحيي العلوي

م سنة ٣٥٨ هـ. ويعرف بابن أخي طاهر العلوي. ترجمه الخطيب وقال: صاحب كتاب النسب.

وكذا عزاه ابن كثير في : تاريخه.

والمعروف أن الكتاب لجده: يحيى بن الحسن. م سنة ٢٧٧ هـ.
تقدم. وأن الحسن هذا رواية لكتاب جده. فهل لكل منهما كتاب في النسب أم وهم الخطيب بنسبته الكتاب إلى الحفيد كلاهما محتمل وليس ثمة أدلة تسند البت بالرأي والله أعلم.

١٩١ – محمد بن عمران الجوري النحوي الأديب

كان علامة في الأنساب وعلم القرآن. م سنة ٣٥٩ هـ رحمه الله تعالى.

١٩٢ – المحاسبي

أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري. صوفي. متكلم. فقيه محدث. م سنة ٣٦١ هـ رحمه الله تعالى.

له: كتاب النسب.

١٩٣ – محمد بن أسد الخشني القيرواني أبو عبد الله الحافظ

نزيل قرطبة. م سنة ٣٦١ هـ رحمه الله تعالى.

له: كتاب النسب.

١٩٤ – الماسرجسي

أبوعلي الحسين بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن المحدث النيسابوري الحافظ. م سنة ٣٦٥ هـ رحمه الله تعالى.

له: كتاب القبائل.

١٩٥ – الحكم بن عبد الرحمن بن محمد

أمير المؤمنين بالأندلس أبوالعاص، المستنصر بالله بن الناصر الأموي المرواني. م سنة ٣٦٦ هـ رحمه الله تعالى.

قال الذهبي: " ولقد ضاقت خزائنه بالكتب إلى أن صارت إليه وآثرها على لذات الملوك، فغزر علمه، ودق نظره، وكان له يد بيضاء في معرفة الرجال، والأنساب، والأخبار وقلما نجد له كتابا إلا وله فيه قراءة ونظر، من أي فن كان، ويكتب فيه نسب المؤلف، ومولده ووفاته ويأتي من ذلك بغرائب لا تكاد توجد " أه.

له: أنساب الطالبيبن والعلويين القادمين من المغرب.

١٩٦ – ابن أم شيبان

محمد بن صالح بن عليالعباسي المطلبي. م سنة ٣٦٩ هـ رحمه الله تعالى.

له: كتاب في النسب. قال عنه ابن حزم:". [١]

٢٩٩–" وفخاخ ينصبونها ليصيدوا بها اسمعيل بك

---

(١) طبقات النسابين ص/١٥

وفي أواخره وصلت مكاتبة من الديار الحجازية عن الشريف سرور ووكلاء التجار خطابا للامراء والعلماء بسبب منع غلال الحرمين وغلال المتجر وحضور المراكب مصبرة بالاتربة والشكوى من زيادة المكوسات عن الحد فلما حضرت قرىء بعضها وتغوفل عنها وبقي الامر على ذلك

رجع لخبر العجلة التي لها رأسان

وهو انه لما أرسل ابراهيم بك ولده مرزوق بك غلاما صغيرا لمصالحة الامير مراد بك واعطاه هدية ومن جملتها بقرة وخلفها عجلة برأسين وحضر بهما الى مصر وشاع خبرها فذهبت بصحبة أخينا وصديقنا مولانا السيد اسمعيل الوهبي الشهير بالخشاب فوصلنا الى بيت ام مرزوق بك الذى بحارة عابدين ودخلنا الى اسطبل مع بعض السواس فرأينا بقرة مصفرة اللون مبياض وابنتها خلفها سوداء ولها رأسان كاملتا الاعضاء وهي تأكل بفم احدى الرأسين وتشتر بفم الرأس الثانية فتعجبنا من عجيب صنع الله وبديع خلقته فكانت من العجائب الغريبة المؤرخة

من مات في هذه السنة من أعيان الناس

مات الشيخ الفقيه الصالح المشارك الشيخ درويش بن محمد بن محمد ابن عبد السلام البوتيجي الحنفي نزيل مصر حضر دروس كل من الشيخ محمد ابي السعود والشيخ سليمان المنصورى والشيخ محمد الدلجي وغيرهم وتميز في معرفة فروع الفقه وافتى ودرس وكان انسانا حسنا لا بأس به توفي في هذه السنة

ومات العمدة العلامة والرحلة الفهامة المفوه المتكلم المتفقه النحوى الاصولي الشيخ عبد الله بن أحمد المعروف باللبان الشافعي الازهرى احد ". (١)

٣٠٠-" من الحوادث في هذه الأيام

وقوع الموت الذريع في الابقار حتى صارت تتساقط في الطرقات ومات لابن بسيوني غازي بناحية سنديون خاصة مائة وستون ثورا وقس على ذلك

وفي عاشره طلب الباشا حوضا ليعمله حنفية فأخبره الحاضرون وعرفوه بالحوض الذي تحت الكبش المعروف بالحوض المرصود فأمر بأحضاره فأرسلوا إليه الرجال والحمالين وأرادوا رفعه من مكانه فأزدحمت عليه الناس من الرجال والنساء لما تسامعوا بذلك لينظروا ما شاع وثبت في أذهانهم من ان تحته كنزا وهو مرصود على شيء من العجائب او نحو ذلك وان الباشا يريد الكشف عن امره فلما حصل ذلك الازدحام ووجده الحمالون ثقيلا جدا وهم لا يعرفون صناعة جر الاثقال وحركوه عن مكانه يسيرا وبلغ الباشا ما حصل من ازدحام العامة امر بتركه فتركوه ومضوا فذهب العامة في أكاذيبهم كل مذهب فمنهم من يقول انهم لما حركوه وأرادوا جره رجع بنفسه ثانيا ومنهم من يقول غير ذلك من السخافات

وفي يوم الثلاثاء سادس عشرة وصل نيف وثلاثون رأسا من قتلى القبليين فألقوهم عند باب القلعة بالرميلة على سرير من جريد النخل وأبقوهم ثلاثة ايام ثم دفنوهم ووجد فيهم راس عزوز كتخدا عزبان

---

(١) عجائب الآثار ٥٨٤/١

وفي ذلك اليوم امر الباشا بشنق رجلين من الغيطانية تشاجرا مع طائفة من العسكر وضرباهم وأخذا سلاحهم ورفعت الشكوى إلى الباشا فأمر بشنق الغيطانية ظلما على الشجرة التي عند القنطرة فيما بين طريق مصر القديمة وطريق الناصرية

وفي يوم الاثنين ثاني عشرينه نظر أصحاب الدرك عدة هجانة مرت من ناحية الجبل معهم أمتعة وثياب مرسلة إلى القبالي من نسائهم فركبوا ". (١)

٣٠١-" في شئ وكان له معهم سياسة غريبة ومعرفة بأحوالهم وطبائعهم فكانما هو مربي فيهم او ابن خليفتهم او صاحب رسالتهم يقومون ويقعدون لامره مع انه يصادرهم في اموالهم وجمالهم ومواشيهم ويحبسهم ويطلقهم ويقتل منهم ومع ذلك لاينفرون منه وقد تزوج كثيرا من بناتهم فالتي تعجبه يبقيها حتى يقضي وطره منها والتي لا توافق مزاجه يسرحها الى اهلها ولم يبق في عصمته غير واحدة وهي التي أعجبته فمات عنها فلما بلغ العرب موته اجتمعت بنات العرب وصرن يندبنه بكلام عجيب تناقلته ارباب المغاني يغنون به على آلات اللهو المطربة وركبوا عليه ادوارا وقوافي وغير ذلك والعجب منه رحمه الله انه لما كان في دولتهم السابقة وينزل في كل سنة الى شرقية بلبيس ويتحكم في عربانها ويسومهم العذاب بالقبض عليهم ووضعهم في الزناجير ويتعاون على البعض منهم بالبعض الآخر وياخذ منهم الاموال والخيول والاباعر والاغنام ويفرض عليهم الفرض الزائدة ويمنعهم من التسلط على فلاحي البلاد ثم انه لما رجع من بلاد الانكليز وتعصب عليه البرديسي والعسكر واحاطوا به من كل جانب فاختفى منهم وهرب الى الوادي عند عشيبة البدوي فآواه واخفاه وكتم امره والبرديسي ومن معه يبالغون في الفحص والتفتيش وبذل الاموال والرغائب لمن يدل عليه او يآتي به فلم يطمعوا في شئ من ذلك ولم يفشوا سره وقيدوا بالطرق الموصلة له انفارا منهم تحرس الطريق من طارق يأتي على حين غفلة وهذا **من العجائب** حتى كان كثير من الناس يقولون انه يسخرهم او معه سر يسخرهم به فلما مات تفرق الجميع ولم يجتمعوا على احد بعده وذهبوا الى اماكنهم وبعضهم طلب من الباشا الامان واما مماليكه واتباعه فلم يفلحوا بعده وذهبوا الى الامراء القبليين فوجدوا طباعهم متنافرة عنهم ولم يحصل بينهم التئام ولا صفا كدر الفريقين من الآخر فانعزلوا عنهم الى أن جرى ما جرى من صلحهم مع الباشا واوقع بهم ما سيتلى عليك بعد أن شاء الله تعالى وبعد موت المترجم بنحوا الاربعين يوما وصلت نجدة الانكليز ". (٢)

٣٠٢-"حكاية: اتفق جماعة من أهل أشبونة، وهم ثمانية أنفس وكلهم بنو عم، فأنشئوا مركبا كبيرا وحملوا فيه من الزاد والماء ما يكفيهم مدة طويلة وركبوا متن هذا البحر ليعرفوا ما في نهايته ويروا ما فيه **من العجائب**، وتحالفوا أنهم لا يرجعون أبدا حتى ينتهوا إلى البر الغربي أو يموتوا. فساروا فيه ملججين أحد عشر يوما، فدخلوا إلى بحر غليظ عظيم الموج

---

(١) عجائب الآثار ٢/ ١٨

(٢) عجائب الآثار ٣/ ١٦٩

كدر الريح مظلم المتن والقعر كثير القروش، فأيقنوا بالهلاك والعطب، فرجعوا مع البحر في الجنوب اثني عشر يوما فدخلوا جزيرة الغنم وفيها من الأغنام ما لا يحصي عددها إلا الله تبارك وتعالى، وليس بها آدمي ولا بشر، ولا لها صاحب، فنهضوا إلى الجزيرة وذبحوا من ذلك الغنم وأصلحوه وأرادوا الأكل فوجدوا لحومها مرة لا تؤكل: فأخذوا من جلودها ما أمكنهم، ووجدوا بها عين ماء فملئوا منها وسافروا مع الجنوب اثني عشر يوما آخر، فوافوا جزيرة وبها عمارة فقصدوها، فلم يشعروا إلا وقد أحاط بهم زوارق، بها قوم موكلون بها، فقبضوا عليهم وحملوهم إلى الجزيرة فدخلوا إلى مدينة على ضفة البحر وأنزلوهم بدار، ورأوا بتلك الجزيرة والمدينة رجالا شقر الألوان طوال القدود، ولنسائهم جمال مفرط خارج عن الوصف، فتركوهم في الدار ثلاثة أيام. ثم دخل عليهم في اليوم الرابع إنسان ترجمان وكلمهم بالعربي وسألهم عن حالهم فأخبروه بخبرهم، فأحضروا إلى ملكهم فأخبره الترجمان(١) بما أخبروه من حالهم، فضحك الملك منهم وقال للترجمان: قل لهم إني وجهت من عندي قوما في هذا البحر ليأتوني بخبر ما فيه **من العجائب**، فساروا مغربين شهرا حتى انقطع عنهم الضوء وصاروا في مثل الليل المظلم، فرجعوا من غير فائدة، ووعدهم الملك خيرا. وأقاموا عنده حتى هبت ريحهم فبعثهم مع قوم من أصحابه في زورق وكتفوهم وعصبوا أعينهم وسافروا بهم مدة لا يعلمون كم هي، ثم

---

(١) الترجمان : المفسر للسان والذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة الى أخرى (اللسان ١ / ٤٢٦) .". [١]

٣٠٣-"وببلاد الروم أيضا مائة جزيرة كلها في البحر، وكلها عامرة آهلة. ومن مدن الروم المشهورة قسطنطينية وهي مثلثة الشكل، منها جانبان في البحر وجانب في البر وفيه باب الذهب. وطول هذه المدينة تسعة أميال وعليها سور حصين ارتفاعه واحد وعشرون ذراعا، ويحيط به سور آخر يسمى الفصيل، ارتفاعه عشرة أذرع، لها مائة باب أكبرها الباب المصمت وهو مموه بالذهب، وبها القصر وهو من عجائب الدنيا وذلك أن فيه بديرون وهو كالدهليز(١) إلى القصر، وهو زقاق يمشى فيه بين صفين من صور مفرغة من نحاس بديع الصنعة على صور الآدميين والخيل والفيلة والسباع وغير ذلك، وهي أكبر من الأشكال الموضوعة على أمثالها. وبالقصر وما دار به ضروب **من العجائب**.

---

(١) الدهليز : مسلك طويل ضيق غالبا ما يكون سري .". [٢]

٣٠٤-"فقال ذلك المباشر، لمن في ذلك المكان حاضر، يا للعجيبة، والقضية الغريبة، رجل لم يغسل وجهه ثلاثة أيام " يرشد الناس إلى معالم الإسلام فقال ذلك العابد الزاهد أو رجل هو من يتم ثلاثة أيام " بوضوء واحد، ولكن تعال أيها الجاحد، قف مكانك، وثبت جنانك، ولا تكن ممن أنكر وتولى، وانظر إلى عروس الكعبة كيف تجلى، فنظر ذلك الذي

---

(١) عجائب البلدان من خلال مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص/٢٣

(٢) عجائب البلدان من خلال مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص/١٤٩

أنكر، فإذا الكعبة أمامه تتبختر، ثم التفتوا إلى الشيخ ففقدوه، وطلبوه أرضا وسماء فلم يجدوه وهذا المسجد فيه شيء عجب، عدة اسطوانات من خشب، من جملتها سارية شمخت ارتفاعا، نحو من خمسة عشر ذراعا، وغلظ جسمها وبدنها، فلا يقدر الرجل " على أن " يحتضنها، وباقي السواري بها قد حطن، قيل إنها شجرة قطن، ولها خاصية عجيبة ظريفة غريبة من كان به وجع الضرس يضع عليه مقدار حبة من خشب ذلك البرس، فإنه ينفعه، ويسكن في الحال وجعه، جربته فصح، ويسأل من يدعي رؤية سمرقند عما رأى فيها **من العجائب**، وشاهده من علامات الطرائف والغرائب، فإن أخبر برؤية هذه السارية الفائقة، كانت رؤياه صادقة، واعتد له بصدق الكلام، وإلا كانت رؤيته أضغاث أحلام

فصل

سمرقند ليس فيها كيل ولا صاع يصان، ولا يجري على جنس المكيلات فيها بالكيل حسبان، وإنما معرفة حساب ذلك عندهم بالميزان، ورطل سمرقند أربعون أوقية، كل أوقية بالمثاقيل مائة، فيكون رطلهم أربعة آلاف مثقال، كل مثقال درهم ونصف من غير زيادة ولا إخلال، فعلى هذا رطلهم بالدمشقي عشرة أرطال حكى لي مولانا محمود الحافظ المحرق الخوارزمي، ولقب بالمحرق لأن سهام ترجيعاته كانت تصيب حبات الحشاشات إذ ترمى، ويفوق رنات أوتارها نحو آذان القلوب فتصمى ولا تنمى، فإن صدعت من القلوب حجرا، تطاير من اقتداحها في الأرواح شررا، فيحرق برناته الأرواح، ويشعل بنغماته الأشباح قال استصحبني تيمور في بعض أسفاره، فكنت ملازم خدمته في ليله ونهاره، فنزلت عساكره على حصن تحاصره، وضرب خيمته على مكان عال، ليشرف منه على القتال، ويتفرج في صنع الرجال، ففي بعض الزمان، حضرت عنده أنا ورجلان، وكان قد حصل له حمى، أورثته كربا وغما، وكانت سماء النزال ذات حبك واحتباك، ورماح القتال في التواء واشتباك فأراد أن يطالع أحوالهم، ويشاهد أفعالهم، وأفرطت شهوته في ذلك إلى العيمة فقال احملوني إلى باب الخيمة، فدخل ذلك الرجلان تحت إبطيه، وأوقفاه بباب الخيمة وأنا بين يديه، فجعل يشاهد حربهم، ويتميز طعنهم وضربهم، ثم أراد أن يأمرهم بشيء، فقال لي يا محمود إلي فأسرعت إلى يده، ودخلت تحت عضده، فأرسل أحد الرجلين إلى عسكره يأمرهم بما عن " له " من عجره وبجره فكأنه لم يبر عليلا، ولم يرو غليلا، فقال لنا دعاني، وعلى الأرض ضعاني، فوضعاه فسقط كأنه رمة بالية، أو لحمة على بارية، ثم أرسل ذلك الرجل الآخر إليهم، وأمرهم بما اقتضته آراؤه، وأكد عليهم، فبقيت أنا وهو وحدنا، ولم يبق أحد عندنا، فقال لي يا مولانا محمود، انظر إلى ضعف بنيتي، وقلة حيلتي، لا يد لي تقبض، ولا رجل تركض، لو رماني الناس هلكت، ولو تركوني وحالي ارتبكت، لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا، ولا أجلب خيرا ولا أدفع شرا ثم تأمل كيف سخر الله تعالى لي العباد، ويسر لي فتح مغلقات البلاد، وملأ برعبي الخافقين، وأطار هيبتي في المغربين والمشرقين، وأذل لي الملوك والجبابرة، وأهان بين يدي كل الأكاسرة والقياصرة، وهل هذه الأفعال إلا أفعاله، وهذه الأعمال إلا أعماله؟ ومن هو أنا غير سطيح ذي فاقة، لا باب لي في الدخول إلى هذه الأفعال ولا طاقة، ثم بكى وأبكاني، حتى ملأت بالدموع أرداني، فانظر إلى هذا الوبر كيف سلك بهذا القول مسلك القائلين بالجبر، وأنشدوا فيه " بالفارسي بيتين وهما "

ينم تنى ملك جهانرا كرفت ... حشم كشا قدرت يزدان ببين

باي نه وتخت بزير قدم ... دست نه وملك بزير نكين

ترجمته فقلت دوبيت

قد أظهر قدرة بخافي حكمه ... من ملك شقى الدنا في قسمه

لا كف له والملك في خاتمه ... لا رجل له والتخت موطئ قدمه

فصل". (١)

٣٠٥-"(١) كان ولا يزال يسميه أهل نجد بالامام. ووقائع هذه الأيام مبسوطة في تاريخ العراق بين احتلالين وهناك وسمعنا البحث فيها عن تكون هذه الأسرة المالكة ونطاق نفوذها وعلاقاتها بوقائع العراق.

(١) هذا المؤرخ يتحامل على آل سعود ولا يهمنا إلا ما يوضح الوقائع العشائرية. فلا نشاركه في تحامله ونقل النص أمانة. وأشرنا بهذا هنا ليعلم القاريء ان ابن سند كتب ارضاء لولاة بغداد والحكومة العثمانية وكانوا اعداء ابن سعود إذ ذاك.

(٢) ان محمدا هو الجد الأعلى ولكن البدو يسمون بأشهر أجدادهم المعروفين وإلا فان محمدا لم يكن جده القريب... وهذا أساس تكون الفخذ أو البيت كما مر.

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد ص٨٧ ج١.

(٢) خرفان جمع نقد.

(٣) لم تكن خيانة وانما هناك قربى منعت من الحرب... وسنوضح هذه القربى عند ذكر قبائل عنزة.

(٤) مطالع السعود ص١٤٩.

(١) من الجرباء مسلط آخر قتل سنة ١١٠٢هـ، أو ١١٠٣هـ. " عنوان المجد في تاريخ نجد ص١٠٧ " .

(١) هو مطلق.

(٢) المملة.

(٣) الجواليب.

(٤) نطعن، نفرح، نتنومس بها.

(٥) تسايس في الحل، تبصر.

(١) وذرية ابراهيم بك هذا لم تزل في الحلة ويقال لهم آل عبد الجليل ابن سلطان ويسمون الآن " آل محمد نوري باشا " .

(٢) راجع ما كتبته عن آل الشاوي في لغة العرب.

(١) هذه القبيلة قحطانية في نجد والزعم بأنها مضرية غير صحيح... وتتفرع إلى فروع عديدة. وجاء عنها في كتاب عشائر العرب للبسام ما نصه: " طائفة طافت أخبارها، ورويت آثارها، ملكت مقاليد المجد، وأدركته بالهزل والجد، يحمدهم الطارق، ويحذرهم السارق، أعلوا منار الفضل وشادوه، وأنصفوا الضعيف على القوي حتى أسادوه، أخلاقهم حميدة، وآراءهم سديدة... " . ص٣٧ وفروعها مذكورة في قلب جزيرة العرب.

---

(١) عجائب المقدور في أخبار تيمور ص/١٢١

(٢) مطالع السعود ص١١٩.

(١) المطالع ص١٥٧ وعلي باشا هو المعروف بالكتخدا.

(٢) ص ١٢٢ من المطالع.

(١) بنو ثعل من قبائل طييء.

(١) مطالع السعود ص١٥٧ – ١٥٨، وعمر رمضان في حوادث سنة ١٢٣١هـ.

(٢) مطالع السعود ص١٥٩.

(٣) عنوان المجد ج١ ص١٥٩.

(١) ضبطه ابن سند بفتح الصاد وهو في الأصل الممتنع من الجبال، واللينة من القسي، والصخرة الملساء المرتفعة... فسمي به. (ص٢٦٤ مطالع السعود).

(٢) عشائر سورية.

(١) ص٢١٢.

(٢) المطالع ص٢٦٦.

(١) التفصيل في تاريخ العراق.

(٢) تاريخ لطفي ج٤ ص١١٢.

(١) هذه الآثار والممتلكات والنفائس في قصر الملك وفي غيره قد نشرت الآن للعموم وصار يراها كل احد وفيها من العجائب والغرائب الشيء العظيم، شاهدتها سنة ١٣٥٣هـ – ١٩٣٤م في تموز وايلول منها وقد خلت الديار من مالكيها السابقين فلا نرى إلا آثارهم...

(٢) مختصر عثمان بن سند – مخطوطة الآلوسي على الهامش.

(١) ورد في ص١٣٣ ان فارس بن محمد سهوا. هو ابن صفوق.

(٢) وهذا من التواريخ المهمة كان قد قدمه تقريرا لحكومته عن سياحته وهو في الحقيقة من الآثار المهمة لمعرفة العراق في هذه الأيام التي كتب عنها.

(٣) راجع ص٢٤.

(٤) قال: قدمت لي القهوة فصبوا فنجانا ثم آخر وهكذا فظننت اني سوف اضطر ان اشرب ما في الدلة فالتفت الى الشيخ فارس فامره ان قد اكتفي...!! ولم يعلم ان العرب يصبون لضيفهم القهوة حتى يقول "كفي " ...

(١) اخو شاهه هو الهادي.

(١) العشائر السورية.

(١) ص٥٢ – ٢.

(١) السيافة بطن من بطونهم.

(١) القربة، أو رواية الماء المعروفة.

(٢) لياغداله، لو يغدو له. وهنا تختزل اللفظة ويحذف منها بعض الحروف وهذا يكاد يكون مطردا عندهم ومثله (اليارجب) لو يركب...

(١) العفاريت بطن من شمر على ما سيذكر.

(٢) الوادي.

(١) عكاب وحيال الغواجي رؤساء ولد سليمان من الفدعان من عنزة.

(١) ص ٤٠ - ١ (١) التفصيل في تاريخ العراق قسم حكومة المماليك (١) ابو نواف محمد العبد الكريم من رؤساء آل محمد. يقول: ان الناقة المسماة رمحه قد فتلنا عقالها، ويا ايها النذير خبر محمد العبد الكريم بان الدنيا دلوها دائب في عمله ولكن (فنه) اوامره القاسية لا تمضي علينا، ونحن خطونا على ما هو المطلوب، نمضي على الطريق الصعب ولا نبالي.

(١) عشائر العرب ص ٣٩ - ١.

(١) جمهرة اللغات: مخطوط له.". [١]

٣٠٦-"في يد ساق له رضاب ... كالشهد لكن جناه أعذب

الملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى بن السلطان الملك العادل أبي بكر ابن أيوب.

توفى في هذه السنة بظاهر دمشق في قرية يقال لها البويضاء، ومولده سنة ثلاث وستمائة، وكان عمره نحو ثلاث وخمسين سنة، وقد ذكرنا أحواله وما جرى عليه في السنين الماضية، وكان أصاب الناس في الشام في تلك المدة وباء مات فيه الناصر داود، وخرج الملك الناصر يوسف صاحب دمشق إلى البويضاء، وأظهر عليه الحزن والأسف، ونقله ودفنه بالصالحية في تربة والده الملك المعظم.

وكان الناصر داود فاضلا، ناظما، ناثرا، وقرأ العلوم العقلية عل الشيخ شمس الدين الخسرو شاهى تلميذ الإمام فخر الدين الرازى، وكان حنفى المذهب مثل والده.

وله أشعار حيدة، فمنها قوله:

عيون عن السحر المبين تبين ... لها عند تحريك القلوب سكون

تصول ببيض وهى سود فرندها ... ذبول فتور والجفون جفون

إذا ما رأت قلبا خليا من الهوى ... تقول له كن مغرما فيكون

وله أيضا:

طرفى وقلبى قاتل وشهيد ... ودمى على خديك منه شهود

أما وحبك لا أضمر سلوة ... عن صبوتى ودع الفؤاد يبيد

---

(١) عشائر العراق ص/١٣١

منى بطيفك بعد ما منع الكرى ... عن ناظرى البعد والتسهيد

ومن العجائب أن قلبك لم يلن ... لي والحديد ألانه داود

وقال أبو شامة: وكان الملك الناصر داود سلطان دمشق بعد أبليه نحوا من سنة، ثم اقتصر له على الكرك وأعماله، ثم سلب ذلك كله وصار متنقلا في البلاد موكلا عليه، وتارة في البراري إلى أن مات موكلا عليه بالبويضاء، وهى قرية قبلى دمشق، كانت تكون لعمه مجير الدين بن العادل وحمل منها، فصلى عليه عند باب النصر، ودفن بجبل قاسيون عند أبيه بالمقبرة المعظمية بدير مران، وخلف أولادا كثيرة.

الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل.

توفى في شعبان من هذه السنة، عن ثمانين سنة، وقد ملك الموصل نحوا من خمسين سنة.

وكان ذا عقل ودهاء مكر، لم يزل يعمل على أولاد أستاذه، وزالت الدولة الأتابكية عن الموصل، وقد ذكرنا مسيره إلى هلاون اللعين، فمكث بعد مرجعه بالموصل أياما يسيرة، ثم مات ودفن بمدرسته البدرية بالموصل، فتأسف الناس عليه لحسن سيرته وجودته وعدله.

وقد جمع له الشيخ عز الدين بن الأثير كتابه بالمسمى بالكامل في التاريخ، فأجازه عليه وأحسن إليه، وكان يعطى لبعض الشعراء ألف دينار وغيرها.

وقام في الملك بعده ولده الصالح إسماعيل.

وقد كان بدر الدين لؤلؤ أرمنيا اشتراه رجل خياط، ثم صار إلى الملك نور الدين أرسلان بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى بن آقسنقر الأتابكى صاحب الموصل، وكان مليح الصورة فحظى عنده، وتقدم في دولته إلى أن صارت الكلمة دائرة عليه، والوفود من سائر جهات ملكهم إليه، ثم أنه أخنى على أولاد أستاذة فقتلهم غيلة، واحدا بعد واحد، إلى أن لم يبق معه أحد منهم، فاستقل بالمملكة حينئذ، وصفت له الأمور وراقت.

وكان يبعث في كل سنة إلى مشهد على رضى الله عند قنديلا زنته ألف دينار.

وكان قد بلغ من العمر فوق ثمانين سنة، فكأنه شاب حسن الشباب من نضارة وجهه وحسن شكله، وكانت العامة تلقبه بقضيب الذهب، وكان ذا همة عالية، وداهية، شديد المكر، بعيد الغور.

وقال بيبرس: واستقر بعده ولده الملك الصالح إسماعيل، وأما ولده علاء الدين على فإنه فارق أخاه وحضر إلى الشام، وكان منهما ما نذكره، إن شاء الله تعالى: بيجو: ويقال له باجو أيضا، مقدم التتار.

هلك في هذه السنة. ويقال: إن هلاون نقم عليه لما بلغه من إضمار الخلاف، وإنه قصد التأخر عنه لما استدعاه، وأراد الإنفراد ببلاد الروم، فلما فرغ هلاون من فتوح بغداد وبلاد ا لعراق دس إليه سما، فشربه فمات.

وقيل: إنه كان أسلم قبل موته، ولما احتضر أوصى بأن يغسل ويدفن على عادة المسلمين.". [١]

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ص/٤٨

٣٠٧-"بالشام بددهم وفرق شملهم ... ولكل شيء آفة من جنسه

دار كاس المنون لما مزجنا ... عين جالوت بالدما للسقاة

يا لها جمعة غدا الكفر فيها ... مسجدا للسيوف لا للصلاة

وقال شهاب الدين أبو شامة:

غلب التتار على البلاد فجاءهم ... فيه ولى جيش الطغاة البغاة

دار كاس المنون لما مزجنا ... عين جالوت بالدما للسقاة

ثم أعطى الملك المظفر قطز دستورا للملك المنصور صاحب حماة، فقدم الملك المنصور وأخوه الملك الأفصل ووصلا إلى حماة، ولما استقر الملك المنصور بحماة قبض على جماعة كانوا مع التتار فاعتقلهم.

وهنأ الشيخ شرف الدين شيخ الشيوخ الملك المنصور بهذا النصر العظيم وبعود المعرة بقصيدة منها قوله:

رعت العدى فضمنت تل عروشها ... ولقيتها فأخذت تل جيوشها

نازلت أملاك التتار فأنزلت ... عن فحلها قسرا وعن اكديشها

فغدا لسيفك في رقاب كماتها ... حصد المناجل في يبيس حشيشها

فقت الملوك ببذل ما تحويه إذ ... ختمت خزائنها على منقوشها

ومنها:

وطويت عن مصر فسيح مراحل ... ما بين بركتها وبين عريشها

حتى حفظت على العباد بلادها ... من رومها الأقصى إلى أحبوشها

فرشت حماة لوطىء نعلك خدها ... فوطيت عين الشمس من مفروشها

وضربت سكتها التي أخلصتها ... عما يشوب النقد من مغشوشها

وكذا المعرة إذ ملكت قيادها ... دهشت سرورا سار في مدهوشها

لا زالت تنعش بالنوال فقيرها ... وتنال أقصى الأجر من منعوشها

طربت برجعتها إليك كأنما ... سكرت بخمرة جاشها أوجيشها

ذكر أحكام الملك المظفر في دمشق

ولما استقر ركابه الشريف في دمشق، جهز عسكرا إلى حلب لحفظها، ورتب علاء الدين بن صاحب الموصل نائب السلطنة بحلب، ورتب بدمشق الأمير علم الدين سنجر الحلبي الصالحي نائبا، وأمر لنجم الدين أبي الهيجاء بن خشتر بن الكردى أن يقيم بدمشق مع النائب، وأقر الملك المنصور ناصر الدين محمد صاحب حماة بها على حاله، كما ذكرنا، وحضر إليه الملك الأشرف صاحب حمص، فأقبل عليه وأقره بما بيده ولم يؤاخذه، ورتب شمس الدين أقوش، البرلى العزيزى أميرا بالسواحل وغزة، ورتب معه جماعة من العزيزية، وكان شمس الدين أقوش المذكور من مماليك العزيز محمد صاحب حلب، وكان مع الملك النصار، ولما هرب الناصر من قطيه، على ما ذكرنا، سار شمس الدين أقوش المذكور مع العساكر إلى مصر، فأحسن إليه الملك المظفر وولاه الآن السواحل وغزة.

وقال ابن كثير: كان علم الدين سنجر الحلبي المذكور أتابكا لعلي بن المعز أيبك، وابن صاحب الموصل هو الملك السعيد بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وكان قد وصل إلى الملك الناصر يوسف صاحب الشام، ودخل مع العسكر إلى مصر، وصار مع المظفر قطز، ففوض إليه نيابة السلطنة بحلب، وكان سببه أن أخاه الملك الصالح إسماعيل بن لؤلؤ كان تولى المصول بعد أبيه، فولاه حلب ليكاتبه أخوه بأخبار التتار، ولما استقر في نيابة حلب سار سيرة ردية، وكان دأبه التحيل على أخذ مال الرعية.

ونظر المظفر في أحوال البلاد، وحسم مواد الفساد، وجدد الإقطاعات بمناشيره.

ذكر ما فعل أهل دمشق عند ورود البشارة

بكسر التتار على عين جالوت على يد السلطان الملك المظفر رحمه الله

قال أبو شامة: جاءنا كتاب قطز من طبرية بتاريخ الأحد السابع والعشرين من رمضان من هذه السنة، وهو أول كتاب ورد منه إلى أهل دمشق يخبرهم بهذه الكسرة الميمونة وبوصوله إليهم بعدها.

قال: **ومن العجائب** أن التتار كسروا وهلكوا بأبناء جنسهم من الترك، وقلت في ذلك:

غلب التتار على البلاد فجاءهم ... من مصر تركي يجود بنفسه

بالشام أهلكهم وبدد شملهم ... ولكل شيء آفة من جنسه". (١)

٣٠٨-"لما جرى ما جرى من انهزام الجيش السلطاني وصل السلطان الناصر إلى القاهرة وصحبته الأمير سيف الدين سلار، والأمير ركن الدين الأستادار، والأمير سيف الدين بكتمر أمير جاندار، ومن يلوذ به، وطلعوا القلعة في العشر الأخير من ربيع الآخر.

وقال صاحب النزهة: وكان ذلك اليوم يوم الأربعاء بكرة النهار الثاني عشر من ربيع الآخر، وكان المصاف الكائن بينهم يوم الأربعاء الثامن والعشرين من ربيع الأول بين الصلوتين، وتواردت بعده الأمراء المتأخرون والأجناد المنقطعون، وآخر من حضر كان أمير سلاح والطباخي وتغريل الأيغاني وهم الذين كانوا سافروا على الساحل وحملوا العسكر، وحملوا من وجدوه من المنقطعين، ووقع عند وصولهم في قلوب الخلق توجع كثير وأسف وبكاء، وأقاموا المأتم على من فقد، وأقاموا أياما في الحزن والنياح على من فقد من الأمراء إلى أن منعوا من جهة السلطنة.

وقال بيبرس في تاريخه: وصل الأمير سيف الدين بلبان السلحدار المنصوري المعروف بالطباخي نائب السلطنة بالمملكة الحلبية وصحبته العسكر الحلبي، وكان عبورهم على جانب الساحل من جهة طرابلس، وصادفوا المضيق، وقاسوا مشقة عظيمة من وعر الطريق، وخرج عليهم الجبلية ونهبوا منهم جماعة وقتلوا جماعة، ووصل الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب السلطنة بالشام ومعه العسكر الدمشقي، والأمير سيف الدين كراي المنصوري نائب السلطنة بصفد وصحبته العسكر الصفدي، وحضر بعدهم الأمير زين الدين كتبغا المنصوري من صرخد، وعبر في طريقه بالكرك وترك بها عائلته وأولاده،

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ص/٦٢

وأقبلت العساكر السلطانية واجتمعوا بالقاهرة.

وقال صاحب النزهة: الأمير زين الدين كتبغا هذا قد كان تولى السلطنة وتلقب بالملك العادل كما تقدم ذكره، ثم لما خلعوه ولوه نيابة صرخد، فلما دخل العدو البلاد ووصل السلطان الناصر والأمراء إلى دمشق تكلموا في أمر حضوره، فلم يعجب الأمراء حضوره وسيروا إليه، فطلبوا مماليكه وعرفوه أنهم أعفوه من الحضور ليحفظ قلعته، فسير إليهم جماعة من مماليكه، فحضروا المصاف، فلما اتفق ما اتفق، نزل من صرخد وسافر على البريد إلى مصر، وكان يجلس مع الأمير سيف الدين سلار والأمير ركن الدين بيبرس ويأخذ المرملة ويرمل على العلامات التي يكتبها نائب السلطان فكان سلار يسأله أن يعفيه من ذلك، وكان كتبغا يحلف أن لا بد أن يفعله، فكانت الناس إذا رأوا ذلك يتعجبون من صنع الله تعالى وعظمة قدرته أن سلار وغيره من الأمراء الكبار وأصحاب الوظائف كانوا في خدمة كتبغا وهو سلطان يتخدمون له ويتضرعون إليه في الأمور، ثم قلب الله ذلك حتى صار كتبغا في خدمة سلار الذي هو أمير وليس بسلطان، ويرمل على ما يكتبه من العلامات، ويسأله في أشغال كثيرة سؤال مملوك مخدومه، وهذا من غرائب الزمان وعجائب الدهر، فسبحان المعز والمذل.

ومن العجائب أن كتبغا هذا عرضوا عليه جوشنا في أيام دولته وقد أعطى فيه بيبرس الجاشنكير أربعة آلاف درهم، فلما رآه كتبغا قال للدلال: كم جاب هذا الجوشن؟ قال: يا خوند أربعة آلاف درهم على بيبرس الجاشنكير. قال: وهذا يصلح لذاك الخرياطي؟ فأخذه ووزن ثمنه، ومرت الأيام إلى أن اتفق لكتبغا ما اتفق ونفي إلى الشام ووقعت الحوطة على جميع حواصله، ووجد ذلك الجوشن في حاصله، فأخذه لاجين، ثم انتقل بالعطاء من يد إلى يد حتى وقع في يد بيبرس فعرفه وأخذه، وجعله في حاصله إلى أن اتفق حضور كتبغا بعد هذه الوقعة، ولما اجتمع بالأمراء أراد بيبرس ينكي كتبغا، فأرسل من يحضر بالجوشن المذكور، فلما حضر به قام بيبرس ولبسه، والأمراء كلهم حاضرون وكتبغا فيهم، ثم نظر بيبرس إلى كتبغا وقال: يا أمير إش تقول؟ يصلح لي هذا الجوشن فألبسه أم لا؟ فنظر إليه كتبغا ولم يعلم ما في نفس بيبرس مما قصده من إنكائه. فقال: والله يا أمير هذا كأنه قد فصل لك، ولو لبسه غيرك ما لاق به، فنظر بيبرس إلى الأمراء وتغامزوا، وعلم كل منهم ما قصده بيبرس فيما فعله، وهذا الذي اتفق لكتبغا لم يسمع في دولة من الدول، فسبحان الفعال لما يريد.

ذكر ما دبر السلطان وأمراء دولته بعد قدومهم". (١)

٣٠٩-"وتوفي اليبرودي بدمشق في أربعمائة، ودفن في كنيسة اليعاقبة بها عند باب توما، حدثني الشيخ مهذب الدين عبد الرحيم بن علي عن موفق الدين أسعد بن الياس بن المطران قال حدثني خالي، قال حدثني أبي، قال حدثني عبد الله بن رجا بن يعقوب، قال حدثني ابن الكتاني، وهو إذ ذاك متصرف في أعمال السلطان يومئذ بدمشق، قال بلغني أن أبا الفرج جورجس بن يوحنا اليبرودي لما توفي ظهر في تركته ثلثمائة مقطع رومي مجوم لباب واحد وخمسمائة قطعة فضة ألطفها ثلثمائة درهم، قال موفق الدين بن المطران وليس ذلك بكثير لأن الشخص متى تحققت أعماله وصفت نيته، وطلب الحق، وعامل الصحيح، واجتهد في معرفة صناعته كان حقا على الله تعالى أن يرزقه، ومتى كان بالضد عاش فقيرا ومات يائسا،

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ص/٣٦٨

ولليبرودي من الكتب مقالة في أن الفرخ أبرد من الفروج، نقض كلام ابن الموفقي في المسائل ترددت فيما بينهم في النبض.

جابر بن منصور السكري

من أهل موصل، وكان مسلما دينا، عالما بصناعة الطب، من أكبر المتميزين فيها، وكان قد لحق أحمد بن أبي الأشعث وقرأ عليه، ثم لازم محمد ابن ثواب تلميذ ابن أبي الأشعث وقرأ عليه، وذلك في نحو سنة ستين وثلثمائة، واشتهر بصناعة الطب وأعمالها، وعمر وكان أكثر مقامه بمدينة الموصل، وإنما ابنه ظافر انتقل إلى الشام وأقام بها.

ظافر بن جابر السكري

هو أبو حكيم ظافر بن جابر بن منصور السكري، كان مسلما فاضلا في الصناعة الطبية، متقنا للعلوم الحكمية، متحليا بالفضائل وعلم الأدب، محبا للاشتغال والتضلع بالعلوم، وكان قد لقي أبا الفرج بن الطيب ببغداد، واجتمع به، واشتغل معه، وكان ظافر بن جابر قد عمر مثل أبيه، وكان موجودا في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة وهو موصلي، وإنما انتقل من الموصل إلى مدينة حلب، وأقام بحلب إلى آخر عمره، ومن خلفه جماعة مشتغلين بصناعة الطب ومقامهم بحلب.

ومن شعره

ما زلت أعلم أولا في أول ... حتى علمت بأنني لا علم لي

ومن العجائب أن أكون جاهلا ... من حيث كوني أنني لا أجهل

ولظافر بن جابر من الكتب مقالة في أن الحيوان يموت مع أن الغذاء يخلف عوض ما يتحلل منه.

موهوب بن الظافر

هو أبو الفضل موهوب بن ظافر بن جابر بن منصور السكري، كان فاضلا أيضا في صناعة الطب، مشهورا متميزا وكان مقيما بمدينة حلب، ولموهوب بن ظافر من الكتب اختصار كتاب المسائل لحنين بن إسحق.

جابر بن موهوب

هو جابر بن موهوب بن ظافر بن جابر بن منصور السكري، كان أيضا مشهورا في صناعة الطب خبيرا بها، وأقام بحلب.

أبو الحكم

هو الشيخ الأديب الحكيم أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي الأندلسي المربي، كان فاضلا في العلوم الحكمية، متقنا للصناعة الطبية، متعينا في الأدب، مشهورا بالشعر، وكان حسن النادرة، كثير المداعبة، محبا للهو والخلاعة، وكثير من شعره يوجد مراثي في أقوام كانوا في زمانه أحياء، وإنما قصد بذلك اللعب والمجون، وكان محبا للشراب مدمنا له، ويعاني الخيال، وكان إذا طرب يخرج في الخيال ويغني له

يا صياد النحلة جاك العمل ... قم اخرج من بكرة هات العسل

وكان يعرف الموسيقا، ويلعب بالعود، ويجلس على دكان في جيرون للطب، ومسكنه في دار الحجارة باللبادين، وله مدائح كثيرة في بني الصوفي الذين كانوا رؤساء دمشق، والمتحكمين فيها، وذلك في أيام مجير الدين أبق بن محمد بن بوري بن أتابك طغتكين، وسافر أبو الحكم إلى بغداد والبصرة وعاد إلى دمشق، وأقام بها إلى حين وفاته، وتوفي رحمه الله لساعتين

خلتا من ليلة الأربعاء سادس ذي القعدة سنة تسع وأربعين وخمسمائة بدمشق، وقال أبو الفضل بن الملحي، وكتب بها إلى أبي الحكم في أثناء كتاب كتبه إليه شاكرا لفعله

إذا ما جزى الله امرءا بفعاله ... فجازى الأخ البر الحكيم أبا الحكم

هو الفيلسوف الفرد والفاضل الذي ... أقر له بالحكمة العرب والعجم

يدبر تدبير المسيح مريضه فلو ... راءه أبقراط زلت به القدم

فينتاشني من قبضة الدهر بعدما ... ألم بأنواع من الضر والألم". (١)

٣١٠-"""""""" صفحة رقم ٢٨٨ """"""

لا أرى زاجرا عن الفحش فيكم . . . بل حمارا عن أهله مشغولا

قبح الله من ثنى بلعن . . . وارث الصانع الجبان الجهولا

من يضر الأدنى ويعجز عن ض . . . ر الأعادي ومن يخون الخيلا

يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو . . . ثم لا يرزأ العدو قتيلا

قد رأينا مكان أمك أذ تم . . . نع من درة اللقوح الفصيلا

و هذه الأبيات يقال أنها للنابغة الذبياني من قصيدة هجا بها النعمان لما خافه فهرب منه إلى ملوك غسان بالشام فكان عندهم زمانا ، وقد نسبة إلى عبد قيس بن خفاف البرجمي ، وإلى مرة بن ربيعة بن قريح السعدي ، وحملها بعضهم على بعض .

خبر الذبيحين

فكيف تقام أنساب ٨٦ هؤلاء على ما ترى فيها **من العجائب** بنسب يرجع إلى إبراهيم ، وهو خيرة الله من خلقه ، وإلى أسماعيل وهو أكبر ولده به كانت البشارة الأولى ، وهو الذبيح بالدليل القاهر الذي لا يمكن دفعه ، وإن كان قد قيل إن الذبيح إسحاق عليهم السلام جميعا . وجاء في ذلك روايات ، فما روي في ذلك إن إبراهيم عليه السلام لما أذن للناس بالحج". (٢)

٣١١-"أولاد علي الأطهر ابن زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما من الحسن الأفطس وحده. وقيل: صار أفطس لأنه عطس في قرار المكين، وهذا **من العجائب**، أمه أم ولد، ولا عقب لعلي الأطهر من الذكور والإناث سوى الحسن الأفطس. وللسيد الحسن الأفطس أعقاب، وهذا تفصيل أولاده: وأم الحسن المكفوف ابن الحسن الأفطس وأم أخيه الحسين جويرية بنت خالد بن أبي بكر بن عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب.

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص/٤٠٦

(٢) كتاب المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ٢٨٨/١

وزيد وعلي ومحمد وعمر وحسنة وأم كلثوم وخديجة وفاطمة من أم ولد اسمها عابدة.
وزينب وأم عبد الله من أم سعيد بنت محمد بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف.
ذكر الشيخ أبو القاسم البرزهي في كتاب المحامد أنه ذكر أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في مقاتل الطالبين أن هارون الرشيد دعا الحسن بن الحسن الأفطس إلى بغداد، قال: بلغني أنك تجمع الزيدية وتدعوهم إلى نفسك، فقال يا أمير المؤمنين ما أنا من هذه الطبقة، أنا شاب نشأت بالمدينة أتصيد بالبزاة والبواشيق في الصحاري، ما هممت بغير ذلك قط.
قال هارون الرشيد: صدقت لكني أنزلك دارا وأوكل بك رجلا، ولا يحجب من يدخل عليك، وإن أردت أن تلعب بالطيور فافعل.
فقال هذا السيد: يا أمير المؤمنين نشدتك بالله في دمي، فو الله أو فعلت ذلك لذهب عقلي، فلم يقبل الرشيد ذلك وحبسه.
فانفذ ذلك السيد إلى هارون الرشيد رقعة فيها كل كلام قبيح وكل شتم شنيع، فلما قرأها هارون طرحها وقال: ضاق صدر هذا الفتى، فهو يتعرض لقتله، وما يحملني فعله وقوله على قتله.
ثم دعى جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي وأمره أن يحوله إلى داره ويوسع عليه، ففعل جعفر ذلك، فلما كان يوم النيروز قدمه جعفر وضرب عنقه وغسل رأسه وجعله في منديل وأهداه إلى الرشيد مع الهدايا.
فلما نظر الرشيد إلى الرأس اقشعر جلده وقال: ويحك لم فعلت هذا؟ فقال: لما كتب إلى أمير المؤمنين من الكلام القبيح، فقال: ويحك قتلك إياه بغير إذني أعظم من فعله، ثم أمره بغسله وتكفينه، وصلى عليه ودفنه في مقابر قريش.
بعد ذلك بأيام قلائل تغير عنده أحوال آل برمك، وأمر بقتل جعفر بن يحيى، وقال المسرور الخادم له: يقول الرشيد أقتلك قصاصا عن ابن عمي.
وفي سائر الكتب أن ذلك السيد هو أبو محمد عبد الله بن الحسن الأفطس، ولم تكن هذه الحادثة للحسن المكفوف. والأصح أن المقتول عبد الله بن الحسن الأفطس، والله أعلم.
لمحمد بن الحسن الأفطس أم كلثوم، أمها زينب بنت سليمان بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب.
فصل
أعقاب الحسن الأفطس
تفاصيل ذلك العقب من الحسن الأفطس بن علي بن زين العابدين رضي الله عنه.
زيد كراش، وعلي الخرزي، وعمر برطلة، والحسن المكفوف، والحسين بن الحسن الأفطس، مع الحسين بن علي صاحب الفخ متقلدا سيفين يضرب بهما.
العقب من زيد كراش ابن الحسن الأفطس: محمد، والحسين، والحسن، وعيسى، ويحيى أولاد الأمهات.
قال النسابون: انقرض أعقاب زيد بن الحسن الأفطس. والله تعالى أعلم.
العقب من علي الخرزي ابن الحسن الأفطس: علي بن علي، أمه عائشة بنت يحيى بن مروان بن عروة بن الزبير بن العوام.
والحسين، قيل: له محمد بن إسماعيل بن محمد بن علي بن الحسين بن علي الخرزي ابن الحسن الأفطس. وإبراهيم.

العقب من علي بن علي الخرزي ابن الحسن الأفطس: أبو علي محمد الخرزي، وإبراهيم في صح، أمهما حبيبة بنت عمر بن الحسن الأفطس.

العقب من أبي علي محمد بن علي بن علي الخرزي ابن الحسن الأفطس: محمد، وأحمد، وجعفر، وعلي، لم ير لمحمد عقب.

العقب من علي بن محمد بن علي بن علي الخرزي ابن الحسن الأفطس.

ومن أحمد بن علي بن محمد بن علي بن علي الخرزي ابن الحسن الأفطس، أبو محمد الحسين ببغداد في محلة الكرخ وكف بصره، وله بالكرخ أولاد، وهو أبو محمد الحسين بن أحمد بن علي بن محمد بن علي بن علي الخرزي ابن الحسن الأفطس ابن علي الأطهر ابن زين العابدين رضي الله عنه.

العقب من جعفر بن محمد بن علي بن علي الخرزي ابن الحسن الأفطس: الحسين، وهو الحسين بن جعفر بن محمد بن علي بن علي الخرزي ابن الحسن الأفطس.

العقب من الحسين: محمد سراهنك فحسب.". (١)

٣١٢-"فقالت أخته: قل لأخي أرني حنطتك كما هي، فبعث الأمير قاسم أنموذجا من الحنطة إليها، فعركتها بأناملها كما يعرك الرحى الصغيرة والحب، وبعثتها إلى أخيها وقالت للرسول: بلغ إلى أخي أن حنطتك فاسدة قد أكلتها العثة والسوس، فضحك الأمير قاسم وقال: هي والله أختي وأن العصا من العصبية، وبعث إليها من الحنطة ما سد يلثمه حاجتها.

ومن العجائب أن واحدا من الأتراك العراقية يقال له الأمير سولة فر من حصر العراق وقصد مكة، وهزم الأمير قاسم بن محمد، وكان سيف الأمير قاسم سبعة منا، ولم يكن مع الترك إلا أربعمائة فارس، لكن الأمير قاسم بن محمد انهزم وانتقل إلى حدود الطائف، واستولى الترك على إمارة مكة وحدودها أربعة أشهر.

ثم عاد الأمير قاسم بن محمد إلى مكة عود الليث إلى الأجمة وعرف ما وراء الأكمة، وحارب الترك في حدود جدة، وانهزم التركي وأفلت والحص الذبب، وقصد بلاد اليمن وكان يعير على مخالفيها حتى قتل.

ومن منظوم الأمير قاسم ما أوردته في كتاب دمية القصر وقد أنشد في ذلك أخو شمس المعالي أبو محمد شميلة ابن محمد بن هاشم:

مذكر روح الصبا ونسيمها ... منازل أنس قد نعمت بها دهرا

فها أنا ذا صادفت منذرا ... فمن مبدل من شيء لي عمرا

والعقب من الأمير قاسم فليتة، وقال في أولاد الأمير قاسم الشريف طيبون الحسني من قصيدة فيها:

ألا ليتني عبد لا ولاد قاسم ... ينادون يا طيبون رد الركابيا

وهو الذي قام مقام أبيه.

والعقب من الأمير فليتة: الأمير هاشم، والأمير يحي، والأمير عبد الله، والأمير عيسى، فباهت الأمير يحيي والأمير عبد الله

---

(١) لباب الأنساب والألقاب والأعقاب ص/٤٤

للقتال، وجمعا الجيوش من القبائل، وحمل على الأمير هاشم بنو هذيل وهم يرتجزون ويقولون:
نحن بني هذيل لا تفر ... حتى يرى جماجما نخر
فدخل الأمير هاشم المسجد وطاف بالبيت، وقام بإزاء الباب وقال: إلهي وسيدي ومولاي إن كنت أولى بحفظ مصالح الرعايا وخدمة بيتك من إخواني فانصرني عليهما، وإن كنت بخلاف ذلك فانصرهما علي، وبالغ وألح في الدعاء، وعاهد الله أن لا يظلم أحدا ولا يعصي الله في الحرم.
وخرج من الحرم وصال على أعمامه فانهزموا، وذهب الأمير يحيى إلى المدينة، والأمير عبد الله إلى الطائف، ووفى الأمير هاشم بما وعد.
وكان الأمير هاشم أبيض سمينا، وكانت أمه أم ولد، وقام مقامه ابنه الأمير قاسم، ثم أذعجه دار الإمارة عمه الأمير عيسى، وتمكن في مكة سنة ست وخمسين وخمسمائة، وذهب الأمير قاسم إلى السراة وجبال الصالحية وقتل بعد ذلك رحمه الله.
سادات الطائف
السيد آدم بن علي بن محمد بن زيد بن عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحسن المكفوف ويقال: الينبعي ابن علي بن الحسن المثلث ابن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهما.
وهؤلاء من أولاد الحسن المثلث، وهو العالم بالأنساب، ومعه كتب من هذا الفن.
وقد انتقل مع ابنه السيد أبي الحسن علي من الطائف إلى بحر آباد جوين. وأخوته نوح بن علي، وأبو طالب بن علي، والحسن بن علي.
وللسيد نوح: محمد. وللسيد أبو طالب: علي. وللسيد حسن شرفشاه، وقد أخذه قطاع الطريق في ملك الفتن وفقؤوا عينيه، والسيد شرفشاه الآن في الاحياء أعمى.
نسب قضاة مكة
حرسها الله تعالى
وهم سادات القاضي بها في زماننا: السيد القاضي الشريف زين الشرف قاضي الحرمين أبو جعفر محمد بن أحمد بن ميمون المنقذي المناقذة، قيل لهم ذلك لأنه قد وقعت في المدينة فتنة، وكان لجدهم فيها دار، فالتجأ الناس إلى تلك الدار، فأنقذهم صاحبها من تلك الفتنة، فلقب مولاه بالمنقذ، وأولاده يعرفون بالمناقذة والمنقذين.
العقب من إسماعيل المنقذي ابن جعفر بن عبد الله بن الحسين الأصغر: أبو جعفر محمد، والقاسم صاحب خليص له عقب، وعلي له عقب، والحسين له عقب بطبرستان، وطاهر له عقب بطبرستان في صح، وعبد الله، وحمزة، وإبراهيم دخان في صح، والحسن بين الشك واليقين أمه أم ولد، أمهم صفية بنت القاسم بن عبد الله بن الحسين الأصغر.
أنساب أمير المدينة

حرسها الله وأشرافها". (١)

٣١٣-"والعقب من مهدي بن الحسن بن الحسين بن علي بن أحمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما: عبد العظيم، والحسن سراهنك، والحسين ميركا، وأحمد سيدي، أمهم بنت أبي الحسن السيلقي.

والعقب من سراهنك الحسن بن مهدي بن الحسن بن الحسين بن علي بن أحمد بن علي بن إسماعيل حالب الحجارة: علي بن الحسن، وسيلقي، وأبو محمد المطهر، ومانكديم، وعزيز أمهم عامية وبنات، بنت منهن أم السيد حسينك جدة السيد علي بن الحسينك.

وكان السيد سراهنك شيخا معمرا محترما، رآه السيد أبو الغنائم في نيشابور وكتب أسامي أولاده. ومن زيد بن الحسن سراهنك مسطور في كتاب أبي الغنائم.

والعقب من السيد أبي محمد المطهر بن الحسن سراهنك: السيد النقي، والسيد الإمام شرف القضاة والسادة ناصح الدين.

والعقب من السيد النقي الحسن بن المطهر بن الحسن سراهنك: رضي الدين زيد، وشمس الدين علي النسابة، والسيد الرئيس محمد، وصفية، ونازنين.

توفي السيد النقي في سنة سبع وخمسمائة وقبره على درب سانزوار على جانب الغربي.

والعقب من رضي الدين زيد: السيد العالم الزاهد كمال الدين يحيى، والسيد علاء الدين علاء السادة الحسين، أمهم علوية بنت السيد الرئيس أبي عبد الله الزبارة، وتوفي رضي الدين زيد في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة.

والعقب من السيد يحيى: السيد محمد، ولد في يوم السبت الثامن من ربيع الآخر سنة خمسين وخمسمائة، وبنات، أمهم بنت الفقيه محمد بن أبي القاسم التديلي، وهم من أولاد تديل بن علي ورقاء الخزاعي، ونسبهم معروف، ومنهم الأئمة والقضاة والحكام والزهاد والأزكياء.

والسيد الحسن بن زيد مات ليلة الخميس الثامن عشر من شعبان سنة تسع وأربعين وخمسمائة، ولم يبق منه عقب. والعقب من علاء السادة الحسين.

والعقب من السيد الرئيس الإمام نسابة خراسان شمس الدين علي بن الحسن بن المطهر بن الحسن سراهنك: الحسن الأكبر، وحسام الدين الحسين، أمهما زهراء بنت السيد الإمام محمد بن مانكديم، والحسن الصغير.

ومن العجائب التي لم يوجد مثل ذلك في الأنساب أن شمس الدين اسمه علي، وابنه الأكبر الحسن بن علي، وابنه الأوسط الحسين بن علي، وأمهما الزهراء، وجدتهما خديجة وصهر شمس الدين محمد. وهذا نادر لم يوجد في الأنساب مثل ذلك، إلا في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومات السيد الحسن في شهور سنة ثمان وأربعين وخمسمائة في الوباء العام الذي كان بناحية بيهق.

---

(١) لباب الأنساب والألقاب والأعقاب ص/٥٩

والعقب من الحسن الأكبر بن شمس الدين: في محمد وبنات، أمهم علوية وهي ستي خاتونك بنت الأمير السيد أبي البركات محمد بن الحسين بن أبي عبد الله الجوزي النيشابوري.

والعقب من السيد حسام الدين الحسين في ولده محمد، أمه بنت السيد الإمام علي بن الفضل بن أبي طاهر الأصغر وبنت، أمها أم أولاد أخيه. ومات السيد الرئيس حسام الدين في حدود سانزوار في شهور سنة أربع وخمسين وخمسمائة.

والعقب من السيد محمد بن السيد النقي الحسن بن المطهر بن الحسن سراهنك: الأمير السيد الرئيس فخر الدين الحسن وبنات، أمهم علوية وهي ستي حرة الزاهدة والعفيفة بنت السيد السعيد الناصح الدين الحسين بن المطهر بن الحسن سراهنك.

والعقب من الرئيس فخر الدين لحسن بن مهدي بن الحسن بن المطهر بن الحسن سراهنك: أبو القاسم المطهر، أمه بنت السيد الإمام الرئيس بدر الدين علي بن الحسين بن المطهر. وأم أولاد السيد النقي الحسن بن المطهر بن الحسن سراهنك بنت الشيخ الزكي الحسين الورادي.

والعقب من السيد الإمام ناصح الدين شرف القضاة والعترة الحسين بن المطهر: في الأمير السيد الرئيس الإمام الزاهد الحاجي بدر الدين ظهير الإسلام سيد الحاج والحرمين علي، والسيدة الزاهدة العفيفة حرة، أمهما بنت الشيخ الحسين بن أبي الحسين بن أبي الحسن المستوفي المويلي.

وولد الأمير السيد الإمام الرئيس الزاهد الحاجي بدر الدين علي في شعبان سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، ومات والده بالري في سنة أربع وتسعين وأربعمائة، ومات بدر الدين علي فجأة في محرم سنة تسع وخمسين وخمسمائة.

والعقب من السيد الإمام الرئيس الزاهد الحاجي بدر الدين: في السيد الشهيد تاج الدين الحسين، وبنت في حبالة فخر الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن المطهر.". (١)

٣١٤-"والعقب من شرف شاه: زيد، ومحمد. وللحسن ابنان وابنتان. وقيل أيضا: أبو طالب والله أعلم.

آل ابن علي بن أبي طالب

رضي الله عنه

من أولاد جعفر الملك: أبو الفتوح عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن حمزة بن القاسم بن عقيل بن جعفر بن عبد الله بن جعفر الملك ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومحمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن علي بن حمزة بن عون بن أميرك بن حمزة بن إسماعيل بن كفل بن جعفر الملك.

وفي الديلم: محمد بن الحسين بن علي بن إسماعيل بن كفل بن جعفر الملك.

وفي دستجرد: عمر بن أبي بكر بن أبي القاسم بن بسد بن أبي القاسم بن زيد بن سراهنك بن أميرك بن جعفر القوهي ابن محمد بن هارون بن جعفر الملك.

---

(١) لباب الأنساب والألقاب والأعقاب ص/٩٢

أنساب سادات طخراستان وخلم

السيد الأجل أبو علي أحمد بن المطهر بن علي بن المطهر بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

والسيد المختار بن الحسين بن المطهر بن أحمد بن محمد بن عبد الله.

وبرهان الدين علي بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن الحسين بن أحمد.

وفي خلم: الأمير السيد شمس الدين بدر السادة إبراهيم بن مؤيد الدين ذي الفخرين محمد بن أحمد بن المطهر بن أحمد.

ومن أقاربهم: جلال السادة محمد بن أبي جعفر بن أحمد بن المطهر.

ومنتخب الدين علي بن أبي جعفر بن أحمد بن المطهر.

نسب سادات بيهق

السيد الزاهد ناصر العريضي، هو السيد الزاهد الورع ناصر بن طاهر بن أبي إبراهيم بن القاسم بن السيد المسن طاهر بن علي بن جعفر بن الحسن بن عيسى بن محمد بن علي العريضي ابن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

العقب من عيسى بن محمد بن علي. السيد عبيد الله الأهوازي ابن محمد بن عيسى بن علي بن جعفر بن الحسن كان يسكن نيسابور. ولطاهر بن علي بن جعفر: السيد علي، والسيد مانكديم، والسيد أبو القاسم.

والعقب من السيد مانكديم: محمد قتله مجنون من مجانين بيهق في شهور سنة ثمان وعشرين وخمسمائة.

والعقب من محمد بن مانكديم: طالب، وعلي، وأمير سيد.

والعقب من السيد أبي القاسم العريضي: أبو إبراهيم، والسيد الإمام أميرك، وكان فقيها واعظا يعظ الناس ويعقد المجلس في مسجد البقالين في نيسابور. وأم السيد بن طاهر العريضي مليكة بكرية.

والعقب من السيد إبراهيم بن أبي القاسم العريضي: طاهر، وعلي. وأم أبي إبراهيم بن أبي القاسم العريضي وأم طاهر وأم علي علويات.

والعقب من السيد طاهر بن أبي إبراهيم بن أبي القاسم العريضي: الزاهد ناصر، والسيد علي.

والعقب من السيد ناصر بن طاهر: ناصر وقد درج، وزهراء أمهما ماه ستي بنت السيد ناصر بن أبي القاسم بن أبي الفتوح.

ومن العجائب أن السيد أبا القاسم العريضي مع ابنه أبي إبراهيم وحافده طاهر ماتوا في عشرة أيام رحمهم الله وأقر عين والدهم المصطفى صلى الله عليه وآله بهم يوم القيامة.

نسب تاج الدين يحيى بن محمد

قال السيد الزاهد النسابة أبو عبد الله النيسابوري: أبوه السيد محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أحمد بن الحسن المحترق ابن أبي عبد الله محمد بن الحسن بن إبراهيم بن علي بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

تقرير هذا النسب: العقب من عبيد الله الأعرج ابن الحسين الأصغر: أبو علي عبيد الله، وإبراهيم، ومحمد، والحسين، والحسن.

والعقب من إبراهيم بن علي بن عبيد الله بن الحسين الأصغر: محمد، والحسن، والحسين، وعلي. أم الحسن أم ولد.

والعقب من الحسن بن إبراهيم بن علي بن عبيد الله بن الحسين الأصغر: الحسين، إبراهيم، ومحمد وعلي.

والعقب بن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن علي بن عبيد الله: محمد، وجعفر، وأحمد، والحسن المحترق.

والعقب من الحسن المحترق بن محمد بن الحسن بن إبراهيم بن علي: محمد، وأحمد.

والعقب من أحمد بن الحسن المحترق ابن أبي عبد الله محمد بن الحسن بن إبراهيم بن علي بن عبيد الله بن الحسين الأصغر: علي، وحمزة، ومحمد، وعبد الله.

والعقب من علي بن أحمد بن الحسن المحترق: الحسين.". (١)

٣١٥-"وعندما مات جنكيز خان حدثت بعض الصراعات بين أتباعه، وانتهى الأمر إلى تقسيم مملكة التتار الواسعة إلى أجزاء عدة، وما يهمنا الآن من هذه الأجزاء جزآن؛ أما الجزء الأول فهو الذي يضم منغوليا والتركستان الشرقية، وكان على رأسه "أريق بوقا"، وهو من أسرة أوكيتاي المغولي، وهذا الجزء يضم دولة التركستان الشرقية بكاملها، وقد تحسنت علاقة التتر بالمسلمين مع مرور الوقت، بل وصل الأمر إلى أن اعتنق أحد زعمائهم وهو "طرما تشيبرين" الإسلام، وبالتالي دخلت أعداد كبيرة من المغول في دين الإسلام، وهو **من العجائب** في التاريخ حيث يدخل المحتلون القاهرون في دين المستضعفين المهزومين، وهذه عظمة الإسلام وقوة حجته، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون! وكان هذا التحول إلى الإسلام في سنة ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م.

وبالمناسبة فهذه ليست المرة الأولى التي يدخل فيها المغول إلى الإسلام، فقد دخل قبل ذلك أحد زعمائهم الكبار وهو بركة خان إلى الإسلام، وأسلمت معه قبيلته المعروفة بالقبيلة الذهبية، وكانوا يعيشون في منطقة القوقاز في وسط آسيا.

مسلمو الصين وأسرتا قوبيلاي". (٢)

٣١٦-"معدا للماء، به ثلاثة من الأزيار المالقي، ما رأيت ولا سمعت بمثلها ولا بحسنها، قد صفت ثلاثتها إلى جانب بعضها البعض بهذا المكان المعد لشرب الماء بدهليز هذه القصبة، كل زير منها كالفخار أو الخابية الكبيرة بهذه البلاد، لكنها ليست كالنواعير، واسعة الأفواه، بل ضيقتها بأعناق كالأزيار لا الخوابي، وهي بديعة الصنعة، غريبة النقوش **من العجائب** والنوادر، ومن جنسها في هذه البلاد لكن لا قدرها في العظم وحسن الصنعة زير بالسبيل الذي تجاه بركة الناصرية

---

(١) لباب الأنساب والألقاب والأعقاب ص/١١٣

(٢) مجزرة تركستان الشرقية-فلسطين الشرق ص/١٢١

بالقرب من زاوية أبو(١) شامة،

(١) الصواب: »أبي«.". [1]

٣١٧-"عليه السلام، وهو في قرية قرب الخليل. وقد اكتفى العياشي بزيارة المكانين بالعين »تأثما من دخول متعبد النصارى ولضيق الوقت«(١). أما قبر موسى عليه السلام، فبينه وبين القدس نحو نصف مرحلة، ناحية المشرق؛ وقد أروه ما يحاذيه من الأمكنة، عندا صعدوا الطور، وأخبروه أن المسافة إليه مخيفة للغاية، وأنه لا يمكن الوصول إليه إلا بقوة ومنعة، بالرغم من أنه كان كثير الشوق إلى ما هنالك **من العجائب**. وقد تحدث العياشي عن بعض ما يرويه الناس عن ذلك المكان، وقال إنه لم يرد خبر صحيح عنه،

(١) ... المصدر نفسه، ج ٢، ص. ٣١٨.". [2]

٣١٨-"فيها توفي أبو محمد مسلم بن معمر بن ناصح الدهلي الأديب بأصبهان.

ست وخمسين وثلاث مائة

فيها أقامت الرافضة المآتم على الحسين على العادة المارة في هذه السنوات.

وفيها توفي السلطان معز الدولة أحمد بن بويه الديلمي، وكان في صباه يخطب، وأبوه يصيد السمك، فما زال يترقى في مراقي الدنيا إلى أن ملك بغداد نيفا وعشرين سنة، ومات بالإسهال وكان حازما سائسا مهيبا رافضيا عالما، وقيل أنه رجع في مرضه عن الرفض، وندم على الظلم، وهو عم عضد الدولة وعماد الدولة وركن الدولة، وسيأتي ذكرهم بعد إن شاء الله تعالى.

وفيها توفي أبو محمد المغفلي بفتح الغين المعجمة والفاء المشددة أحمد بن عبد الله الهروي، أحد الأئمة. قال الحاكم: كان إمام أهل خراسان بلا مدافعة، وكان فوق الوزراء، وكانوا يصدرون عن رأيه.

وفيها توفي أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي النحوي الأخباري، صاحب التصانيف، ونزيل الأندلس بقرطبة، في ربيع الآخر. أخذ الأدب عن ابن كبريت وابن الأنباري، وسمع من أبي يعلى الموصلي والبغوي وطبقتهما، وألف كتاب البارع في اللغة، في خمسة آلاف ورقة، لكن لم يتمه.

وفيها توفي صاحب كتاب الأغاني أبو الفرج علي بن الحسين القرشي الأموي المرواني، الأصبهاني الأصل، البغدادي المنشأ، الكاتب الأخباري. كان أديبا نسابة علامة شاعرا، كثير التصانيف وقال بعض المؤرخين: **ومن العجائب** أنه مرواني شيعي

(١) مجلة التاريخ العربي ص/١٣٢١٨

(٢) مجلة التاريخ العربي ص/١٣٣٢٧

وكان عالما بأيام الناس والأنساب والسير روى عن كثير من العلماء.
قال التنوخي: كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث المسندة ما لم أر قط من يحفظ مثله، ويحفظ دون ذلك من علوم أخرى. منها: اللغة والنحو والخرافات والسير والمغازي، ومن آلة المنادمة شيئا كثيرا، مثل علم الجوارح والبيطرة والطب والنجوم والأشربة وغير ذلك. وله شعر يجمع إتقان العلماء وإحسان الظرفاء الشعراء. وله المصنفات المستملحة، منها كتاب الأغاني الذي وقع الاتفاق عليه أنه لم يعمل في باب مثله، يقال أنه جمعه في خمسين سنة، وحمله إلى سيف الدولة بن حمدان، فأعطاه ألف دينار واعتذر إليه.
وحكي، عن الصاحب بن عباد أنه كان يستصحب في أسفاره وتنقلاته، حمل ثلاثين جملا من كتب الأدب ليطالعها، فلما وصل إليه كتاب الأغاني لم يكن بعده يستصحب سوأه، مستغنيا به عنها. ومنها "كتاب القيان " ، و "كتاب الإماء الشواعر " ، و "كتاب الدرايات " ، و "كتاب دعوة التجار " ، و "كتاب مجرد الأغاني " ، و "كتاب الألحانات وأدب الغرباء " ، وكتب صنفها لبني أمية ملوك أندلس وسيرها إليهم سرا. منها كتاب نسب بني عبد شمس " و "كتاب أيام العرب " ، ألف وسبع مائة يوم و "كتاب التعديل والانتصاف " في مآثر العرب ومثالبها، و "كتاب جمهرة النسب " ، و "كتاب نسب بني شيبان " ، و "كتاب نسب المهالبة " ، و "كتاب نسب بني تغلب ونسب بني كلاب " ، و "كتاب المغنين الغلمان " وغير ذلك. وكان منقطعا إلى الوزير المهلبي، وله فيه مدائح، من قوله قوله:
ولما انتجعنا لائذين بظله ... أعان، وما عنا، ومن وما منا
وردنا عليه معترين فراشنا ... وزدنا نداه مجدبين فأخصبنا
وله فيه من قصيدة يهنىء فيها بمولود جاءه من سرية رومية:
أسعد بمولود أتاك مباركا ... كالبدر أشرق جنح ليل مقمر
سعد لوقت سعاد جاءت به ... أم حصان من بنات الأصفر
متبجج في ذر ولي شرف الورى ... بين المهلب منتماه وقيصر
شمس الضحى قرنت إلى بدر الدجى ... حتى إذا اجتمعا أتت بالمشتري
وأشعاره كثيرة، ومحاسنه شهيرة، وكانت ولادته سنة أربع وثمانين ومائتين.". (١)

٣١٩-"فيها سار صلاح الدين فافتتح حران وسروج وسنجار ونصيبين والرقة والبصرة،ونازل الموصل، ولم يظفر بها لحصانتها، ثم جاء رسول الخليفة يأمره بالترحل عنها، فرحل عنها، ورجع، فأخذ عز الدين مسعود، وعوضه بسنجار.وفيها لبس لباس الفتوة الناصر لدين الله من شيخ الفتوة عبد الجبار، وابتهج بذلك،وبقي يلبس الملوك. وفيها بعث صلاح الدين أخاه سيف الإسلام طغتكين بذلك - بالطاء المهملة والغين المعجمة والمثناة من فوق قبل الكاف ومن تحت بعدها ثم النون - على مملكة اليمن، فدخلها وتسلمها من نواب أخيه.وفيها توفي أبو الكرم هبة الله بن علي الأنصاري الخزرجي المصري

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان ٣٥٩/١

المعروف بالبوصيري، كان أديبا كاتبا، له سماعات عالية وروايات تفرد بها، والحق الأصاغر بالأكابر في علو الإسناد،ولم يكن في آخر عصره في درجته مثله. سمع بقراءته جماعة من الكبار، ورحل إليه الطلاب من الأمصار. قال الذهبي.وفيها توفي أحمد بن الرفاعي الزاهد القدوة أبو العباس بن علي بن يحيى كان أبوه قد نزل بالبطائح، بالعراق بقرية أم عبيدة، فتزوج بأخت الشيخ منصور الزاهد، فولدت له الشيخ أحمد في سنة خمس مائة، وتفقه قليلا على مذهب الشافعي،وكان إليه المنتهى في التواضع والقناعة ولين الكلمة، والذل والانكسار والازراء على نفسه، وسلامة الباطن. ولكن أصحابه فيهم الجيد والرديء، وقد كثر الزغل فيهم، وتجددت لهم أحوال شيطانية من دخول النيران والركوب على السباع واللعب بالحيات، وهذا ما عرفه الشيخ والأصلحاء أصحابه – فنعوذ بالله من الشيطان.قلت: هذه ترجمة الذهبي عليه في كتابه الموسوم بالعبر، ولم يزد على هذا، وهذا من العجائب في اقتصاره على هذا في ذكر شيخ الشيوخ الذي ملأت شهرته بالمشارق والمغارب، تاج العارفين،وإمام المعرفين، ذي الأنوار الزاهرة، والكرامات القاهرة، والمقامات العلية والأحوال السنية، والبركات العامة، والفضائل الشهيرة بين الخاصة والعامة: أحمد بن أبي الحسن الرفاعي. وقد ذكرت شيئا من كراماته ومحاسنه في كتابي الموسوم بروض الرياحين، وفي كتاب الموسوم بالأطراف، وهو كما ترجم عليه بعض العلماء الفضلاء المعتقدين في المشايخ والفقراء حيث قال فيه: هو من أجل العارفين وعظماء المحققين وصدور المقربين، صاحب المقامات العلية والأحوال السنية، والأفعال الخارقة. والأنفاس الصادقة، والفتح المؤنق والكشف المشرق، والقلب الأنور والسر الأظهر والقدر الأكبر،والمعارف الباهرة والحقائق الظاهرة،واللطائف الشريفة والهمم المنيفة، والقدم الراسخ في التصريف الناقد،والباع الطويل في أحكام الولاية،خرق الله على يديه العوائد، وقلب له الأعيان، وأظهر العجائب، فله مجلس القرب في الحضرة الشريفة، ورفيع المقام والقبول العظيم عند الخاص والعام، عطرت بذكره الآفاق والأقطار،ولاح منه نور الفلاح، واستطار صيته في الوجود استطارة النار بالرياح.قلت: ومن كراماته ما روى ابن أخته الشيخ الجليل أبو الحسن علي قال: كنت يوما جالسا عند باب خلوة خالي الشيخ أحمد رضي الله تعالى عنه، وليس فيها غيره، وسمعت عنده حسا، فنظرت فإذا عنده رجل ما رأيته قبل، فتحدثا طويلا، ثم خرج الرجل من كوة في حائط الخلوة ومر في الهوى كالبرق الخاطف، فدخلت على خالي وقلت له: من الرجل؟فقال له: أو رأيته؟. قلت: نعم، قال: هو الرجل الذي يحفظ الله – عز وجل – به قطر البحر المحيط، وهو أحد الأربعة الخواص، إلا أنه هجر منذ ثلاث وهو لا يعلم. فقلت له: يا سيدي؛ما سبب هجره؟قال: إنه مقيم بجزيرة في البحر المحيط، ومنذ ثلاث ليال أمطرت جزيرته حتى سالت أوديتها، فخطر في نفسه: لو كان هذا المطر في العمران، ثم استغفر الله تعالى، فهجر بسبب اعتراضه. فقلت له: أعلمته؟قال: لا، إني استحييت منه، فقلت له:لو أذنت لي لأعلمته، فقال: أو تفعل ذلك؟ قلت: نعم، فقال: رنق، فرنقت، ثم سمعت صوتا: يا علي، ارفع رأسك، فرفعت رأسي من رنقي، فإذا أنا بجزيرة في البحر المحيط فتحيرت في أمري، وقمت أمشي فيها فإذا بذلك الرجل، فسلمت عليه وأخبرته، فقال:ناشدتك الله ألا فعلت ما أقول لك، قلت: نعم،قال: ضع خرقتي في عنقي، واسحبني على وجهي، وناد علي، هذا جزاء من تعرض على الله سبحانه. قال: فوضعت الخرقة في عنقه وهممت بسحبه، وإذا هاتف يقول: يا علي، دعه فقد ضجت عليه ملائكة السماء باكية

عليه وسائلة فيه، وقد رضي". [١]

٣٢٠-"وطاف بلاد من الشام والعراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان وغزنة وخوارزم وما وراء النهر، ثم دخل الهند واليمن وملكها يومئذ سيف الإسلام أخو صلاح الدين، وأقام بها مدة، ثم رجع إلى طريق الحجاز والديار المصرية، وعاد إلى دمشق، وكان يتردد منها إلى البلاد، ويعود إليها، قال: ولقد رأيته بمدينة إربل، وقد وصل إليها رسولا عن الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك صاحب دمشق، وأقام بها قليلا، ثم سافر وكتب من بلاد الهند إلى أخيه بدمشق هذين البيتين، والثاني منهما لأبي العلاء المعري، استعمله مضمنا، وكان أحق به وهما:

سامحت كتبك في العطيفة عالما ... إن الصحيفة لم تجد من حامل

وعذرت طيفك في الخفاء لأنه ... يسري ويصبح دوننا بمراحل

قال ابن خلكان: لله دره، فما أحسن من وقع له هذا التضمين، ولما مات السلطان صلاح الدين وملك الملك العادل دمشق كان غائبا منفيا عنها، فسار متوجها إليها، وكتب إلى الملك قصيدة يصفه فيها ويستأذنه في الدخول، ويذكر ما قاساه في الغربة، وأحسن في كل الاحسان في المعاني اللطائف، واستعطفه أبلغ الاستعطاف أولها.

ماذا على طيف الأحبة لو سرى ... وعليهم لو ساعدوني بالكرى

ولما فرغ من وصفها قال مشيرا إلى نفيه منها:

فارقتها لاعن رضا وهجرتها ... ل اعن قلى، ورحلت لا متحيرا

أسعى لرزق في البلاد مشتت ... **ومن العجائب** أن يكون مقترا

وأصون وجه مدائحي متقنعا ... واكف ذيل مطامعي مقترا

ومنها يشكو الغربة، وما قاساه فيها:

أشكو إليك نوى تمادى عمرها ... حتى حسبت اليوم منها أشهرا

إلا عيشتي يصفو ولا رسم الهوى ... يعفو، ولا جفني يصافحه الكري

أضحي عن الأخرى المرتع ممحلا ... وأبيت عن ورد النمير منفرا

ومن العجائب أن يقبل ظلكم ... كل الورى، ونبذت وحدي بالعرا

قوله: النمير قال في ديوان الأدب: هو الماء الجاري الزاكي في الماشية عذبا كان أو غير عذب، وهو بفتح النون وكسر الميم وسكون المثناة من تحت في آخره راء.

قال ابن خلكان: هذه القصيدة من أحسن الشعر. قال: فهي عندي خير من قصيدة ابن عمار الأندلسي، وهي على وزنها التي أولها أدب الزجاجة، فالنسيم قد انبرى، فلما وقف عليها الملك الأعدل أذن في الدخول إلى دمشق، فلما دخلها، قال:

هجوت الأكابر في جلق ... ورعت الوضيع بسب الرفيع

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان ٢/٩٠

أخرجت منها، ولكنني ... رجعت على رغم أنف الجميع

ويعني بجلق بكسر الجيم واللام وتشديدها وبعدها قاف اسم مكان في الشام، وربما قيل: إنه لقب لدمشق، والله أعلم، قال: وكان له في عمل الألغاز وحلها اليد الطولى، ولم يكن له غرض في جمع شعره وتدوينه، وقد جمع له بعض أهل دمشق ديوانا صغيرا لا يبلغ عشر نظمه، وفيه أشياء ليست له، وكان من أطرف الناس، وله بيت عجيب من قصيدة يذكر بها أسفاره وتوجهه إلى جهة الشرق وهو:

أشقق قلب الشرق حتى كأنني ... أفتش عن سودائه عن سنا الفجر

قال: وقد رأيته في المنام ينشد أبياتا. وأعجبني منها بيت، فرددته في النوم واستيقظت، وقد علق بخاطري وهو:

البيت لا يحسن إنشاده ... إلا إذا أحسن من شاده

وهذا البيت غير موجود في شعره، وكان وافر الحرمة عند الملوك، وتولى الوزارة بدمشق في آخر دولة الملك المعظم، وانفصل منها لما تملكها الملك الأشرف وأقام في بيته، ولم يباشر بعدها خدمة.

. وكانت ولادته بدمشق يوم الاثنين، ووفاته فيها يوم الاثنين، وعاش نحوا من ثمانين

سنة إحدى وثلاثين وست مائة

فيها سار الملك الكامل. بجيوش عظيمة ليأخذ الروم وقدم بين يديه جيشا فهزمهم صاحب الروم، وأسر صاحب حماة، ومقدم الجيش صواب الخادم فرد الكامل. وفيها تسلطن بدر الدين لؤلؤ بالموصل.". (١)

٣٢١-"قد قدمنا فيما سلف من هذا الكتاب ذكرنا لأغراضه، فلنذكر الآن جملا من كمية أبوابه على حسب مراتبها فيه، واستحقاقها منه، لكي يقرب تناولها على مريدها.

فأول ذلك ذكر المبدأ، وشأن الخليقة، وذرء البرية من آدم إلى إبراهيم عليهما الصلاة والسلام. ذكر قصة إبراهيم عليه السلام، ومن تلا عصره من الأنبياء والملوك من بني إسرائيل.

ذكر ملك أرخبعم بن سليمان بن داود، ومن تلا عصره من ملوك بني إسرائيل، وجمل من أخبار الأنبياء والملوك من بني إسرائيل.

ذكر أهل الفترة ممن كان بين المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم ذكر جمل من أخبار الهند وأربابها، ومدد ممالكها، وسيرها وآرائها في عبادتها.

ذكر الأرض والبحار، ومبادئ الأنهار والجبال، والأقاليم السبعة وما والاها من الكواكب وغير ذلك.

ذكر جمل من الأخبار عن انتقال البحار، وجمل من أخبار الأنهار الكبار .ذكر الأخبار عن البحر الحبشي، وما قيل في مقداره وتشعبه وخلجانه.

ذكر تنازع الناس في المد والجزر، وجوامع ما قيل في ذلك.

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان ١٦٥/٢

ذكر البحر الرومي، ووصف ما قيل في طوله وعرضه وابتدائه وانتهائه.

ذكر بحر نيطس، وبحر مايطس، وخليج القسطنطينية.

ذكر بحر الباب والأبواب والخزر وخرجان، وجملة من الأخبار عن ترتيب جميع البحار.

ذكر ملوك الصين والترك، وتفرق ولد عامور، وأخبار الصين وملوكهم، وجوامع من سيرهم وسياساتهم وغير ذلك.

ذكر جمل من الأخبار عن البحار، وما فيها وما حولها **من العجائب** والأمم، ومراتب الملوك، وغير ذلك.

ذكر جبل القبج، وأخبار الأمم من اللان والسرير والخزر، وأنواع من الترك والبلغر، وأخبار الباب والأبواب، ومن حولهم من الملوك والأمم.

ذكر ملوك السريانيين.

ذكر ملوك الموصل وينوى، وهم الصوريون.

ذكر ملوك بابل من النبط وغيرهم، وهم الكلدانيون.

ذكر ملوك الفرس الأولى وسيرها، وجوامح من أخبارها.

ذكر ملوك الطوائف الأشعانيين، وهم بين الفرس الأولى والثانية.

ذكر أنساب فارس، وما قاله الناس في ذلك.

ذكر ملوك الساسانية، وهم الفرس الثانية، وسيرهم، وجوامع من أ أخبارهم.

ذكر ملوك اليونانيين وأخبارهم، وما قال الناس في بدء أنسابهم.

ذكر جوامع من أخبار حرب الإسكندر بأرض الهند.

ذكر ملوك اليونانيين بعد الإسكندر.

ذكر الروم وما للناس في بدء أنسابهم، وأحد ملوكهم، وتاريخ سنيهم، وجوامع من سيرهم.

ذكر ملوك الروم المتنصرة، وهم ملوك القسطنطينية، ولمع مما كان في أعصارهم.

ذكر ملوك الروم بعد ظهور الإسلام، إلى أرمينوس، وهو الملك في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة.

ذكر مصر، ونيلها، وأخبارها، وبنائها، وعجائبها، وأخبار ملوكها.

ذكر أخبار الإسكندرية، وبنائها، وملوكها وعجائبها، وما لحق بهذا الباب.

ذكر السودان، وأنسابهم واختلاف أجناسهم وأنواعهم، وتباينهم في ديارهم، وأخبار ملوكهم.

ذكر الصقالبة، ومساكنهم، وأخبار ملوكهم، وتفرق أجناسهم.

ذكر الإفرنجة والجلالقة وملوكهما، وجوامع من أخبارهما وسيرهما وحروبهما مع أهل الأندلس.

ذكر النو كبرد وملوكها، والأخبار عن مساكنها ذكر عاد وملوكها، ولمع من أخبارها، وما قيل في طول أ عما رهم.

ذكر ثمود وملوكها، وصالح نبيها عليه السلام، ولمع من أخبارها.

ذكر مكة وأخبارها، وبناء البيت، ومن تداوله من جرهم وغيرهم، وما لحق بهذا الباب.

ذكر جوامع من الأخبار في وصف الأرض والبلدان، وحنين النفوس إلى الأوطان.
ذكر تنازع الناس في المعنى الذي من أجله سمي اليمن يمنا، والشام شاما، العراق، والحجاز.
ذكر اليمن وأنسابها، وما قاله الناس في ذلك.
ذكر اليمن وملوكها من التبابعة وغيرها، وسيرها، ومقادير سنيها.
ذكر ملوك الحيرة من اليمن وغيرهم، وأخبارهم.
ذكر ملوك الشام من اليمن من غسان وغيرهم، وما كان من أخبارهم.
ذكر البوادي من العرب، وغيرهم من الأمم، وعلة سكناها البدو، وأكراد الجبال، وأنسابهم، وجمل من أخبارهم، وغير ذلك مما اتصل بهذا الباب.
ذكر ديانات العرب، وآرائها في الجاهلية، وتفرقها في البلاد، وأخبار أصحاب الذيل، وأمر الأحابيش، وغيرهم، وعبد المطلب، وغير ذلك مما يلحق بهذا الباب.". (١)

٣٢٢-"ذكر ما ذهب إليه العرب في النفوس والهام والصفر، وأخبارها في ذلك.
ذكر أقاويل العرب في التغؤل والغيلان، وما قاله غيرهم من الناس في ذلك، وغير ذلك مما لحق بهذا الباب واتصل بهذه المعاني.
ذكر أقاويل الناس في الهواتف والجان، من العرب وغيرهم ممن أثبت ذلك ونفاه.
ذكر ما ذهب إليه العرب من القيافة والعيافة والزجر والسانح والبارح، وغير ذلك.
ذكر الكهانة وصفتها، وما قاله الناس في ذلك من أخبارها، وحد الناطقة وغيرها من النفوس، وما قيل فيما يراه النائم، وما اتصل بهذا الباب.
ذكر جمل من أخبار الكهان، وسيل العرم بأرض سبأ ومأرب، وتفرق الأزد في البلدان وسكناهم في البلاد.
ذكرسني العرب والعجم، وشهورها، وما اتفق منها وما اختلف.
ذكر شهور القبط والسريانيين، والخلاف في أسمائها، وجمل من التاريخ، وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى.
ذكر شهور السريانيين، ووصف موافقتها لشهور الروم، وعدد أيام السنة، ومعرفة الأنواء.
ذكر شهور الفرس، وما اتصل بذلك.
ذكر أيام الفرس، وما اتصل بذلك.
ذكر سني العرب وشهورها وتسمية أيامها ولياليها.
ذكر قول العرب في ليالي الشهور القمرية، وغير ذلك مما اتصل بهذا المعنى.
ذكر القول في تأثير النيرين في هذا العالم، وجمل مما قيل في ذلك مما اتصل بهذا الباب.

---

(١) مروج الذهب ٦/١

ذكر أرباع العالم والطبائع والأهوية، وما خص به كل جزء منه، منه الشرقي والغربي واليمني والجنوبي، وغير ذلك من سلطان الكواكب.

ذكر البيوت المعظمة، والهياكل المشرفة، وبيوت النيران والأصنام، وعبادات الهند، وذكر الكواكب، وغير ذلك من عجائب العالم.

ذكر البيوت المعظمة عند اليونانيين، ووصفها.

ذكر البيوت المعظمة عند الصقالبة، ووصفها.

ذكر البيوت المعظمة عند أوائل الروم، ووصفها.

ذكر بيوت معظمة وهياكل مشرفة للصابئة من الحرانيين، وغيرها،وما فيها **من العجائب** والأخبار وغيرها.

ذكر الأخبار عن بيوت النيران، وكيفية بنائها، وأخبار المجوس فيها،وما لحق ببنائها.

ذكر جامع تاريخ العالم من بدئه إلى مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وما اتصل بهذا الباب من العلوم.

ذكر مولد النبي صلى الله عليه وسلم، ونسبه، وغيرذلك مما لحق بهذا الباب.

ذكر مبعثه عليه الصلاة والسلام، وما كان في ذلك إلى هجرته صلى الله عليه وسلم .

ذكر هجرته، وجوامع مما كان في أيامه إلى وفاته صلى الله عليه وسلم ذكر الأخبار عن أمور وأحو ال كانت من مولده إلى حين وفاته صلى الله عليه وسلم ذكر ما بدىء به عليه الصلاة والسلام من الكلام، مما لم يحفظ قبله عن أحد من الأنام .

ذكر خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ونسبه، ولمع من أخباره وسيره.

ذكر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ونسبه، ولمع من أخباره وسيره.

ذكر خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ونسبه، ولمع من أخباره وسيره.

ذكر خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ونسبه، ولمع من أخباره وسيره. ونسب إخوته وأخواته.

ذكر الأخبار عن يوم الجمل وبدئه، وما كان فيه من الحروب، وغيرذلك.

ذكر جوامع مما كان بين أهل العراق وأهل الشام بصفين.

ذكر الحكمين، وبدء التحكيم.

ذكر حروبه رضي الله عنه مع أهل النهروان، وهم الشراة، ومالحق بهذا الباب.

ذكرمقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ذكر لمع من كلامه، وزهده، وما لحق بهذا المعنى من أخباره.

ذكرخلافة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولمع من أخباره وسيره.

ذكر أيام معاوية بن أبي سفيان، ولمع من أخباره وسيره، ونوادر من بعض أخباره.

ذكر جمل من أخلاق معاوية وسياسته، وطرف من عيون أخباره.

ذكر الصحابة ومدحهم، وعلي بن أبي طالب والعباس رضي الله كنهم، وفضلهم.

ذكر أيام يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.
ذكر مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ومن قتل من أهل بيته وشيعته. ذكر أسماء ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
ذكر لمع من أخبار يزيد بن معاوية وسيره، ونوادر من بعض أفعاله، وما كان منه في الحرة وغيرها.
ذكر أيام معاوية بن يزيد، ومروان بن الحكم، والمختار بن أبي عبيد، وعبد الله بن الزبير، ولمع من أخبارهم وسيرهم، وبعض ما كان في أيامهم.". (١)

٣٢٣-"وقد ذكر غيرجالينوس في طرب السودان، وغلبة الفرح عليهم، وماخص به الزنج من ذلك دون سائر السودان في أكثار من الطرب أمورا قد ذكرناها فيما سلف من كتبنا.ولقد كان طاوس اليماني صاحب عبد الله بن عباس لا يأكل من ذبيحة الزنجي، ويقول: إنه عبد مشوه الخلقة.
وبلغنا أن أبا العباس الراضي بالله ابن المقتدر بالله كان لا يتناول شيئامن أسود، ويقول: إنه عبد مشوه خلقه؟ فلست أدري أقلد طاوسا في مذهبه أم لضرب من الآراء والنحل.وقد صنف عمرو بن بحر الجاحظ كتابا في فخر السودان ومناظرتهم مع البيضان .
من عادات الهنود
والهند لا تملك الملك عليها حتى يبلغ من عمره أربعين سنة، ولا تكاد ملوكهم تظهر لعوامهم إلا في كل برهة من الزمان معلومة، ويكون ظهورها للنظر في أمور الرعية؟ لأن في نظر العوام عندها إلى ملوكها خرقاً لهيبتها، واستخفافا بحقها، والرياسات عند هؤلاء لا تجوز إلا بالتخير، ووضع الأشياء مواضعها من مراتب السياسة.قال المسعودي: ورأيت في بلاد سرنديب وهي جزيرة من جزائر البحر أن الملك من ملوكهم إذا مات صير على عجلة قريبة من الأرض صغيرة البكرة معدة لهذا المعنى، وشعره ينجر على الأرض، وامرأة بيدها مكنسة تحثو التراب على رأسه: وتنادي: أيها الناس، هذا ملككم بالأمس قد ملككم وجاز فيكم حكمه، وقد صار أمره إلى ما ترون من ترك الدنيا، وقبض روحه ملك الموت، والحي القديم الذي لا يموت، فلا تغتروا بالحياة بعده، وتقول كلاما هذا معناه من الترهيب والتزهيد في هذا العالم، ويطاف به كذلك في جميع شوارع المدينة، ثم يفصل أربع قطع، وقد هيىء له الصندل والكافر وسائر أنواع الطيب، فيحرق بالنار، وينر رماده في الرياح، وكذا فعل أكثر أهل الهند بملوكهم وخواصهم لغرض يذكرونه، ونهج يتيممونه في المستقل من الزمان، والملك مقصور على أهل بيت لا ينتقل عنهم إلى غيرهم، وكذلك بيت الوزراء والقضاة وسائر أهل المراتب لا تغير ولا تبدل.والهند تمنع من شرب الشرإب، ويعنفن شاربه، لا على طريق التدين، ولكن تنزها عن أن يوردوا على عقولهم ما يغشيها، ويزيلها عما ضعت له فيهم، وإذا صح عندهم عن ملك من ملوكهم شربه استحق الخلع عن ملكه؟ إذ كان لا يتأتى له التدبير والسياسة مع الاختلاط، وربما يسمعون السماع والملاهي، ولهم ضروب من الآلات مطربة تفعل في الناس أفعالا مرتبة من ضحك وبكاء

---

(١) مروج الذهب ١/٧

وربما يسقون الجواري فيطربن بحضرتهم، فتطرب الرجال لطرب الجواري.وللهند سياسات كثيرة قد أتينا على ذكر كثير منها ومن أخبارهم وسيرهم في كتابنا أخبار الزمان وفي الكتاب الأوسط، وإنما نذكر في هذا الكتاب لمعا.
وأعظم ملوك الهند في وقتنا هذا البلهري صاحب مدينة المانكير، وأكثرملوك الهند تتوخه في صلواتها نحوه، وتصلي لرسله إذا وردوا عليهم، وتلي مملكة البلهري ممالك كثيرة للهند. ومنهم ملوك في الجبال لا بحر لهم مثل الراي صاحب القشمير وملك الطافن وغير ذلك من ملوكهم أعني ملوك الهند ومنهم من بملكه بر وبحر فأما البلهري فإن بين ديار ملكه وبين البحر مسيرة ثمانين فرسخا سندية، والفرسخ ثمانية أميال، وله جيوش وفيلة لا تمرك كثرتها، وأكثر جيوشه رجالة؟ لأن دار ملكه بين الجبال، ويساويه من ملوك الهند ممن لا بحر له بؤورة صاحب مدينة القنوج، وهذا الاسم سمة لكل ملك يلي هذه المملكة، وله جيوش مرتبة على الشمال والجنوب والصبا والدبور ؟ لأنه في كل وجه من هذه الوجوه يلقى ملكا محارباً له.
وسنذكر جملا من أخبار ملوك السند والهند وغيرهم من ملوك الأرض فيما يرد من هذا الكتاب، عند ذكرنا البحار وما فيها وما حولها من العجائب والأمم ومراتب الملوك وغير ذلك، وإن كنا قد أسلفنا ذلك فيما تقدم من كتبنا، والله أعلم.
ذكر الأرض والبحار ومبادىء الأنهار والجبال
والأقاليم السبعة وما والاها من الكواكب وترتيب الأفلاك، وغير ذلك
وصف الأرض". (١)

٣٢٤-"وصف مدينة حمدان
قال المسعودي: وأخبرني أبو زيد الحسن بن يزيد السيرافي بالبصرةوكان قد قطنها وانتقل عن سيراف، وذلك في سنة ثلاث وثلثمائة، وأبو زيد هذا هو ابن عمر بن زيد بن محمد بن مزد بن ساسياد السيرافي، وكان الحسن بن يزيد من أهل التحصيل والتمييزأنه سأل ابن هبار هذا القرشي عن مدينة حمدان التي بها الملك وصفتها، فذكر سعتها، وكثرة أهلها، وأنها مقسومة على قسمين يفصل بينهما شارع عظيم طويل عريض، فالملك ووزيره وقاضي القضاة وجنوده وخصيانه، وجميع أسبابه في الشق الأيمن منه مما يلي المشرق لا يخالطهم أحد من العامة، وليس فيه شيء من الأسواق، بل أنهار في سككهم مطردة، وأشجار عليها منتظمة، ومنازل فسيحة، وفي الشق الأيسر مما يلي المغرب الرعية والتجار والميرة والأسواق فإذا وضح النهار رأيت فيها قهارمة الملك وغلمانه وغلمان وزرائه ووكلائهم ما بين راكب وراجل قد دخلوا إلى الشق الذي فيه العامة والتجار، فأخفا بضائعهم وحوائجهم، ثم انصرفا فلا يعود واحد منهم إلى هذا الشق إلا في اليوم الثاني، وأن هذه البلدان فيها كل نزهة وغيضة حسنة، وأنها مطردة إلا النخل فإنه معدوم عندهم.
مهارة أهل الصين
وأما أهل الصين فمن أحنق خلق الله كفا بنقش وصنعة وكل عمل لا يتقدمهم فيه أحد من سائر الأمم، والرجل منهم يصنع بيده ما يقدرأن غيره يعجز عنه؛ فيقصد به باب الملك يلتمس الجزاء على لطيف ما ابتدع، فيأمر الملك بنصبه على بابه من

---

(١) مروج الذهب ١/ ٣٠

وقته ذلك إلى سنة، فإن لم يخرج أحد فيه غيبا أجاز صانعه وأدخله في جملة صناعه، وإن أخرج أحد فيه عيبا طرحه ولم يجزه، وأن رجلا منهم صورسنبلة سقط عليها عصفرفي ثوب حرير، لا يشك الناظر إليها أنها سنبلة سقط عليها عصفر، فبقي الثوب مدة، وأنه اجتاز به رجل أحدب، فعاب العمل، فأدخل إلى الملك وأحضر صاحب العمل، فسأل الأحدب عن العيب، فقال: المتعارف عند الناس جميعا أنه لا يقع عصفر على سنبلة إلا أمالها، وصور هذا المصورالسنبلة فنصبها قائمة لاميل فيها، وأثبت العصفر فقها منتصبا، فأخطأ، فصدق الأحدب، ولم يثب صاحبها بشيء، وقصدهم بهذاوشبهه الرياضة لمن يعمل هذه الأشياء؟ ليضطرهم ذلك إلى شدة الاحتراز والحذر وإعمال الفكرفيما يصنعه كل واحد منهم بيده.ولأهل الصين أخبار عظيمة عجيبة، ولبلادهم أخبار ظريفة سنورد فيمايرد من هذا الكتاب جملا منها وإن كنا قد أتينا على سائر الأخبار من ذلك في كتابنا أخبار الزمان في الأمم الماضية والممالك الدائرة وذكرنا في الكتاب الأوسط جملا لم نتعرض لذكرها في كتاب أخبار الزمان وربما ذكرنا في هذا الكتاب ما لم يتقدم ذكره في ذينك الكتابين، والله أعلم.

ذكر جمل من الأخبار عن البحار

وما فيها وما حولها **من العجائب** والأمم، ومراتب الملوك وأخبار الأندلس ومعادن الطيب وأصوله وعدد أنواعه وغير ذلك قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب جملآ من ترتيب البحار المتصلة والمنفصلة، فلنذكر الان في هذا الباب جملا من أخبار ما اتصل بنا من البحر الحبشي والممالك والملوك، وجملا من ترتيبها، وغير ذلك من أنواع العجائب.

اضطراب بحر فارس وبحر الهند وهدوئهما". (١)

٣٢٥-"وقد ذكر فو العناية بأخبار العالم أن أرض الحبشة وسائر السودان كلها مسيرة سبع سنين، وأن أرض مصرجزء واحد من ستين جزءا من ض السودان، وأن أرض السودان جزء وأحد من الأرض كلها، وأن الأرض كلها مسيرة خمسمائة سنة: ثلث عمران مسكون مأهول، وثلث براري غير مسكون، وثلث بحار، وتتصل أقاصي السودان العراة بآخر بلاد ولدإدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام من أرض المغرب، وهي بلاد تلمسان وتاهرت وبلاد فاس ثم السوس الأدنى، وبينه وبين بلاد القيروان نحو ألفي ميل وثلثمائة ميل، وبين السوس الأدنى والسوس الأقصى من المسافة نحو من عشرين يوماعمائر متصلة إلى أن تتصل ببوادي الرمل والقصر الأسود، ثم يتصل ذلك بمفاوز الرمل التي فيها المدينة المعروفة بمدين النحاس وقباب الرصاص التي سار إليها موسى بن نصير في أيام عبد الملك بن مروان ورأى فيها ما رأى **من العجائب**، وقد ذكر ذلك في كتاب يتداوله الناس، وقد قيل: إن ذلك في مفاوز تتصل ببلاد الأندلس، وهي الأرض الكبيرة، وقد كان ميمون بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الفارسي وهو إباضي المذهب، وهو الذي أنشأ في ذلك البلد مذهب الخوارج، وقد قيل: إنهم من بقايا الأشبان عمر تلك الديار، وكانت له حروب مع الطالبيين، وقد ذكرنا فيما يرد من هذا الكتاب تنازع الناس في الأشبان، ومن قال: إنهم من الفرس ناقلة من بلاد أصبهان.

بلاد المغرب

---

(١) مروج الذهب ٥٩/١

وفي هذا الصقع من بلاد المغرب خلق من الصفرية الخوارج،لهم مدن ممدودة مثل مدينة ثرغية، وفيها معدن كبيرمن الفضة، وهو مما يلي الجنوب ويتصل ببلاد الحبشة، والحرب بينهم سجال، وقد ذكرنا في كتابنا أخبار الزمان خبر المغرب ومدنها، ومن سكنها من الخوارج الإباضية والصفرية، ومن سكن المغرب من المعتزلة، وما بينهم وبين الخوارج من الحروب، وذكرنا خبر ابن الأغلب التميي وتوليه المنصور له على المغرب، ومقامه ببلاد إفريقية وغيرها من أرض المغرب وما كان من أمره في أيام الرشيد، وتداول ولده ببلاد إفريقية وغيرها إلى أن انتهى الأمر إلى أبي نصر زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن سالم بن سوادة، فأخرجه عنها أبو عبد الله المحتسب الصوفي الداعية لصاحب المهدية حين ظهر في كتأمة وغيرها من أجيال البربر، وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين في أيام المقتدر، ومسيره إلى الرافقة، وكان هذا المخسب من مدينة رامهرمز من كور الأهواز.

ملوك العالم:

ونعود إلى ذكر مراتب الملوك ونسق ما بقي من الممالك على البحر الحبشي الذي شرعنا في وصفه ومن عليه، فنقول:". (١)

٣٢٦-"ملك الزنج وفليمي، ملك اللان كركنداج، ملك الحيرة من بني نصر النعمانية والمناذرة، ملك جبال طبرستان كان يدعقارن والجبل معروف به وبولده في هذا الوقت، ملك الهند البلهرا، ملك القنوج من ملوك السند بؤورة وهذا اسم كل سك يلي القنوج، وهنا مدينة يقال لها بؤورة باسم ملوكهم، وقد صارت اليوم في حيز الإسلام، وهي من أعمال المولتان، ومن هذه المدينة يخرج أحد الأنهار التي إذا اجتمعت كانت نهرمهران السند الذي زعم الجاحظ أنه من النيل، وزعم غيره أنه من جيحون خراسان، وبؤورة هذا الذي هو ملك القنوج هو ضد البلهرا ملك الهند، وملك القندهار من ملوك السند وجبالها، يدعى ححج، وهو اسم الأعم، ومن بلاده يخرج النهر المعروف برائد وهو أحد الأنهار الخمسة التي منها مهران السند والقندهار يعرف ببلاد الرهبوط، ونهر من الخمسة يخرج من بلاد السند وجبالها يعرف ببهاطل ويجتاز بلاد الرهبوط وهي بلاد القندهار، والنهر الرابع يخرج من بلاد كابل وجبالها وهي تخوم السند مما يلي بسط وغزنين وزرعون والرخج وبلاد الدوار مما يلي بلاد سجستان، ونهر من الخمسة يخرج من بلاد قشمير، وملك قشميريعرف بالراني، هذا الاسم الأعم لسائر ملوكهم، وقشمير هذه من ممالك السند وجبالها هملكة عظيمة حصينة يحتوي ملكها على مدن وضياع على نحومن ستين ألفا إلى سبعين ألفا، لا سبيل لأحد من الناس على بلده إلا من وجه واحد، ويغلق على جميع ما ذكره من ملكه باب واحد، لأن ذلك في جبال شوامخ منيعة لا سبيل للرجال أن يتسلقوا عليها، ولا للوحش أن يلحق بعلوها، ولا يلحقها إلا الطير، وما لا جبل فيه فأودية وعرة وأشجار وغياض وأنهار ذات منعة من شدة الأنصباب والجريان، وما ذكرنا من منعة ذلك البلد فمشهور في أرض خراسان وغيرها من البلاد، وذلك أحد عجائب الدنيا.

القنوج

---

(١) مروج الذهب ٦٩/١

فأما ملك بؤورة وهو ملك القنوج فإن مسافة مملكته تكون نحوا من عشرين ومائة فرسخ في مثلها فراسخ سندية الفرسخ ثمانية أميال بهذا الميل، وهو الملك الذي قدمنا ذكره فيما سلف أن له من الجيوش أربعة على مهاب الرياح الأربع، كل جيش منها سبعمائة ألف، وقيل: تسعمائة ألف وقيل: تسعة آلاف ألف فيحارب بجيش الشمال صاحب المولتان ومن معه في تلك الثغور من المسلمين، ويحارب بجيش الجنوب البلهرا ملك المانكير، وبالجيوش الباقية من يلقاه في كل وجه من الملوك، ويقال: إن ملكه يحيط في مقدار ما ذكرناه من المسافة من المدن والقرى والضياع مما يدركه الإحصاء والعدد بألف ألف وثمانمائة ألف قرية بين أنهار وشجر وجبال ومروج، وهو قليل الفيلة من بين الملوك، ورسمه لحربه ألفا فيل حربية تقاتل، وذلك أن الفيل إذا كان فارها ممارسا شجاعا وكان راكبه فارسا وفي خرطومه القرطل وهو نوع من السيوف وخرطومه مغشى بالزرد والحديد، وعليه تجافيف قد أحاطت سائر جسده من القرن والحديد، وكان حوله خمسمائة راجل يمنعونه ويحرزونه من ورائه، حارب ستة آلاف فارس، وقام بها، وأدناها إذا كان معه خمسمائة راجل، كر على خمسة آلاف فارس، ودخل وخرج وصال عليها كالرجال علىالفرس، وهذا رسم فيلتها في سائر حروبها.

المولتان

فأما صاحب المولتان فقد قلنا: إن الملك في ولد سأمة بن لؤي بن غالب، وهوف جيوش ومنعة، وهو ثغر من ثغور المسلمين الكبار، وحول ثغر المولتان من ضياعه وقراه عشرون ومائة ألف قرية مما يقع عليه الإحصاء والعد، وفيه على ما ذكرنا الصنم المعروف بالمولتان، يقصده السند والهند من أقاصي بلادهم بالنفر والأموال والجواهر والعود وأنواع الطيب، ويحج إليه الألوف من الناس، وأكثر أموال صاحب المولتان مما يحمل إلى هذا الصنم من العود القماري الخالص الذي يبلغ ثمن الأوقية منه مائة دينار، وإذا ختم بالخاتم أثر فيه كما يؤثر في الشمع، وغير ذلك **من العجائب** التي تحمل إليه، وإذا نزلت الملوك من الكفار على المولتان وعجز المسلمون عن حربهم هددوهم بكسرهذا الصنم وتعويره، فترحل الجيوش عنهم عند ذلك، وكان دخولي إلى بلاد المولتان بعد الثلاثمائة، والملك بها أبو اللهاب المنبه بن أسد القرشي.

المنصورة". (١)

٣٢٧-"قدمنا فيما سلف من الكتاب عند ذكرنا لأخبار جبل القبخ والباب، وكان لأنوشروان خبر مع ملوك الخزر إلى أن تأتى له هذا البناء، وقيل: إنه بنر ذلك بالرهبة وإذعان من هناك من الأمم له.وانصرف أنوشروان إلى العراق، ووفدت عليه رسل الملوك وهداياها والوفود من الممالك، وكان فيمن وفد إليه رسول لملك الروم قيصر بهدايا وألطاف، فنظر الرسول إلى إيوانه وحسن بنيانه واعوجاج في ميدانه. فقال: كان يحتاج هذا الصحن أن يكون مربعا، فقيل له: إن عجوز لها منزل من جانب الأعوجاج منه، وإن الملك أرادها على بيعه. وأرغبها، فأبت، فلم يكرهها الملك، وبقي الاعوجاج من ذلك على ما ترى، فقال الرومي: هذا الاعوجاج الان أحسن من الاستواء.وسار أنوشروان في بلاده، ودار مملكته، فأحكم البنيان، وشيد القلاع والحصون، ورتب الرجال وغدر بقيصر، فسار نحو الجزيرة، فافتتح ما هنالك من المدن، وانتهى إلى الفرات

---

(١) مروج الذهب ١/ ٧٠

فعبر إلى الشام فافتتح بها المدن، وكان مما افتتح بلاد حلب وقنسرين وحمص وفامية، وهي بين أنطاكية وحمص، وسار إلى أنطاكية وحاصرها، وفيها ابن أخت لقيصر فافتتحها، وافتتح مدينة عظيمة كثيرة العمران عجيبة البنيان كانت في ساحل أنطاكية رسومها بينة إلى هذه الغاية، وأثرها قائم، تدعى سلوقية، وأقبل يفتتح المدائن بالشام وأرض الروم، ويغنم الغنائم والجواهر والأموال وبذل السيف، وبث عساكره وسراياه، فهادنه قيصر، وحمل إليه الخراج والجزية، فقبل ذلك منه، ونقل من الشام المرمر والرخام وأنواع الفسيفساء والأحجار، والفسيفساء: هي شيء يطبخ من الزجاج والأحجار ذو بهجة وألوان يدخل فيما فرش من الأرض والبنيان كالفصوص، ومنه على هيئة الجامات شاف، وحمل ذلك إلى العراق، فبنى مدينة نحو المدائن وسماها برومية، وجعل بيانها وما داخل سورها بما ذكرنا من أنواع الأحجار، يحكي بذلك أنطاكية وغيرها من المدن في الشام، وهذه المدينة سورها من طين قائم إلى هذا الوقت خراب، وباق يعرف بما ذكرنا، وزوجه خاقان ملك الترك بابنته وابنة أخيه، وهادنته ملوك السند والهند والشمال والجنوب وسائر الممالك، وحملت إليه الهدايا، ووفدت إليه الوفود خوفا من صولته وكثرة جنوده وعظم مملكته، ولما ظهرمن فعله بالممالك، وقتله الملوك، وانقياده إلى العدل، وكتب إليه ملك الصين: من فغفور ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر، الذي يجري في قصره نهران يسقيان العود والكافور الذي توجد رائحته على فرسخين، والذي تخدمه بنات ألف ملك، والذي في مربطه ألف فيل أبيض إلى أخبه كسرى أنو شروان، وأهدى إليه فرسا من در منضدا، عينا الفارس والفرس من ياقوت أحمر، وقائم سيفه من زمرد منضد بالجوهر، وثوب حرير صيني عسجدي فيه صورة الملك جالسا في أيوانه، وعليه حليته وتاجه، وعلى رأسه الخدم، وبأيديهم المذاب، والصورة منسوجة بالذهب، وأرض الثوب لازورد، في سفط من ذهب، تحمله جارية تغيب في شعرها، تتلألأ جمالا، وغير ما ذكرنا من عجائب ما يحمل من أرض الصين وتهديه الملوك إلى أكفائها، وكتب إليه ملك الهند: من ملك الهند، وعظيم أراكنه المشرق وصاحب قصر الذهب وأبواب الياقوت والدر. إلى أخيه ملك فارس وصاحب التاج والراية كسرى أنو شروان، وأهدى إليه ألف من من عود هندي يذوب في النار كالشمع، ويختم عليه كما يختم على الشمع فتبين فيه الكتابة، وجاما من الياقوت الأحمر فتحه شبر مملوءا درا، وعشرة أمنان كافور كالفستق وأكبر من ذلك، وجارية طولها سبعة أذرع تضرب أشفار عينيها خدها، وكأن بين أجفانها لمعان الرق من بياض مقلتيها مع صفاء لونها ودقة تخطيطها وإتقان تشكيلها مقرونة الحاجبين لها ضفائر تجرها وفرشا من جلود الحيات ألين من الحرير وأحسن من الوشي، وكان كتابه في لحاء الشجر المعروف بالكاذي، مكتوب بالذهب الأحمر، وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين، وهو نوع من النبات عجيب ذو لون حسن وريح طيب، لحاؤه أرق من الورق الصيني، تتكاتب فيه ملوك الصين والهند.وورد عليه وهو في عسكره محاربا لبعض أعدائه كتاب ملك التبت:من خاقان ملك تبت ومشارق الأرض المتاخمة للصين والهند إلى أخيه المحمود في السيرة والقدر، ملك المملكة المتوسطة للأقاليم السبعة. وأهدى إليه أنواعا من العجائب التي تحمل من أرض تبت منها مائة جوشن تبتية، ومائة قطعة تجافيف، ومائة ترس تبتية". (١)

---

(١) مروج الذهب ١/١١٦

٣٢٨-"قال المسعودي: وأشد ما على الأندلس من الأمم المحاربة لهم الجلالقة، كما أن الإفرنجة حرب لهم، غير أن الجلالقة أشد بأسا، وقد كان لعبد الرحمن بن محمد صاحب الأندلس في هذا الوقت وزير من ولد أمية يقال له أحمد بن إسحاق فقبض عليه عبد الرحمن لأمر كان منه استحق عليه في الشريعة العقوبة، فقتله عبد الرحمن، وكان للوزير أخ يقال له أمية في مدينة من ثغور الأندلس، يقال لها شنترين، فلما نمي إليه ما فعل بأخيه عصى على عبد الرحمن؛افصار في حيزرذمير ملك الجلالقة، فأعانه على المسلمين، ودله على عوراتهم، ثم خرج أمية في بعض الأيام من المدينة يتصيد في بعض منتزهاتها، فغلب على المدينة بعض غلمانه ومنعوه من الدخول إليها، وكتبوا إلى عبد الرحمن، ومضى أمية بن إسحاق أخو الوزير المقتول إلى رذمير، فاصطفاه، واستوزره، وصيره في جملته، وغزا عبد الرحمن صاحب الأندلس سمورة مملكة الجلالقة المتقدمة صفة بنيانها وأسوارها في باب جمل الأخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والأمم ومراتب الملوك وأخبار الأندلس وغير ذلك، وكان عبد الرحمن في مائة ألف أو يزيدون، فكانت الواقعة بينه وبين رذمير ملك الجلالقة في شوال سنة سبع وعشرين وثلثمائة بعد الكسوف الذي كان في هذا الشهر بثلاثة أيام، وكانت للمسلمين عليهم، ثم أنابوا بعد أن حوصروا وأولجو إلى المدينة فقتلوا من المسلمين – بعد عبورهم الخندق – خمسين ألفا، وقيل: إن الذي منع رذمير من طلب من نجا من المسلمين أمية بن إسحاق، وخوفه الكمين، ورغبه فيما كان في معسكر المسلمين من الأموال والعدد والخزائن، ولولا ذلك لأتى على جميع المسلمين، ثم إن أمية بعد ذلك استأمن إلى عبد الرحمن، وتخلص من رذمير، فقبله عبد الرحمن أحسن قبول، وقد كان عبد الرحمن صاحب الأندلس بعد هذه الواقعة تجهز عساكر مع عدة من قواده إلى الجلالقة، وكانت لهم معهم حروب هلك فيها من الجلالقة ضعف ما قتل من المسلمين في الوقعة الأولى، وكانت للمسلمين عليهم إلى هذه الغاية، ورذمير ملك الجلالقة إلى هذا الوقت – وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة – وكان قبله على الملك أردون وكان قبل أردون أذبوشن، والجلالقة والإفرنجة تدين بدين النصرانية على رأى الملكية.

ذكر النوكبرد وملوكها

نسبهم ومساكنهم

وقد تقدم ذكرنا للنوكبرد، وأنهم من ولد يافث بن نوح، وبلادهم متصلة بالمغرب، ومحلهم الجدي، ولهم جزائر كثيرة فيها أمم من الناس، وهم ذوو بأس شديد ومنعة، ولهم مدن كثيرة يجمعهم ملك واحد، وأسماء ملوكهم في سائر الأعصار أدنكبس والمدينة العظمى من مدنهم ودار مملكتهم هي يست، ويخترقها نهر عظيم، وهي جانبان، وهذا النهر أحد أنهار العالم الموصوفة بالكبر والعجائب يقال له سايبط، قد ذكره جماعة ممن عني بهذا المعنى ممن تقدم، وكان المسلمون ممن جاورهم من بلاد الأندلس والمغرب غلبوهم على مدن كثيرة من مدنهم مثل مدينة باري ومدينة طارنيو ومدينة شبرامة وغيرها من مدنهم الكبار. ثم إن النوكبرد أنابوا ورجعوا على من كان في تلك المدن من المسلمين فأخرجوهم عنها بعد حرب طويل، وما ذكرنا من المدن في وقتنا هذا – وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة – في أيدي النوكبرد.

قال المسعودي: ومن ذكرنا من الجلالقة والإفرنجة والصقالبة والنوكبرد وغيرها من الأمم فديارهم متقاربة، والأكثر منهم حرب لأهل الأندلس، وصاحب الأندلس في هذا الوقت ذومنعة وقوة عظيمة على ما قدمنا من نسبه وأخباره، وقد كان عبد

الرحمن بن معاوية بن هشام سار إلى الأندلس في أول دولة بني العباس، وله أخبار كثيرة في كيفية وصوله إلى الأندلس، ودار مملكة الأندلس قرطبة على ما ذكرنا، ولهم مدن كثيرة وعمائر متصلة واسعة، وثغور في أطراف أرضهم، وربما يجتمع عليهم من جاورهم من الأمم من ولد يافث من الجلالقة وبرجان والإفرنجة وغيرها من الألسن وصاحب الأندلسى في هذا الوقت يركب في مائة ألف، وهو ذو منعة بالرجال والمال والكراع والعدد، والله أعلم.

ذكر عاد وملوكها

؟عاد الأولى". (١)

٣٢٩-"قال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي رحمه الله: قد ذكرنا فيما سلف من هذا الكتاب أنواعا من الأخبار، وفنونا من العلم من أخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والملوك وسيرها، والأمم وأخبارها وأخبار الأرض والبحار، وما فيها **من العجائب** والآثار، وما اتصل بذلك، ليستدل به على ما سلف من كتبنا، ومدخلا إلى ما تقدم من تصنيفنا في أنواع العلوم مما قدمنا ذكره، ولم نترك نوعا من العلوم، ولا فنا من الأخبار، ولا طريفا من الآثار، إلا أوردناه في هذا الكتاب مفصلا، أو ذكرناه مجملا، أو أشرنا إليه بضرب من الإشارات، أو لوحنا إليه بفحوى من العبارات، من أخبار العجم والعرب والكوائن والأحداث في سائر الأمم، فمن حرف شيئا من معنى هذا الكتاب، أو أزال ركنا من مبناه، أو طمس واضحة من معانيه، أو لبس شاهرة من تراجمه، أو غيره، أو بدله، أو انتحله، أو اختصره، أو نسبة إلى غيرنا، أو أضافه إلى سوانا، أو أسقط منه ذكرنا، فوافاه من غضب الله وسرعة نقمته وفوادح بلاياه ما يعجز عنه صبره، ويحار له فكره، وجعله الله مثلة للعالمين، وعبرة للمعتبرين، وآية للمتوسمين، وسلبه الله ما أعطاه، وحال بينه وبين ما أنعم به عليه من قوة ونعمة مبدع السموات والأرض، من أي الملل كان أو الآراء، إنه على كل شيء قدير، وقد جعلنا هذا التخويف في أول كتابنا هذا وآخره، وكذلك نقول في سائر ما تقدم من تصنيفنا، ونظمناه من تأليفنا، فليراقب امرؤ ربه، وليحاذر منقلبه، فالمدة يسيرة، والمسافة قصيرة، وإلى الله المصير.

معذرة المؤلف

وقد قدمنا الاعتذار فيما سلف من هذا الكتاب من سهو إن عرض، أو تصحيف أو تغيير من الكاتب إن وقع، ولما قد دفعنا إليه، من الأسفار المتواترة، والحركة المتصلة: تارة مشرقين، وتارة مغربين، وطورا متيامنين، وطورا متشائمين، وما يلحقنا من سهو الإنسانية، ويصحبنا من عجز البشرية، عن بلوغ الغاية، وتقصي النهاية، ولو كان لا يؤلف كتابا إلا من حوى جميع العلوم إذا ما ألف أحد كتابا، ولا أتى له تصنيف؛ لأن الله عز وجل يقول: " وفوق كل ذي علم عليم " جعلنا الله ممن يؤثر طاعته، ويوفق لرشده، ونسأله أن يمحو بخير شرا، وبجد هزلا، ثم يعي علينا بعد ذلك بعفوه، ويتغمدنا بفضله، إنه

---

(١) مروج الذهب ١٨٣/١

جواد منان، لا إله إلا هو رب العرش العظيم وصلى الله على سيد الأنام محمد وعلى آله الطاهرين وسلم تسليما.". [١]

٣٣٠-"يأخذ أحدهما مشرقا ويستدير في بحيرة بين كوكورة المذكورة وبين محالان جاي، شمالي كوكورة وجنوبي محالان جاي. ثم يخرج مشرقا إلى بحيرة أخرى يتبحر بها غربي مدينة زافون. ثم يخرج متشاملا شمالا بغرب، على غربي أرض الملح السواخة. ثم تتشعب منه شعبة تأخذ جنوبا إلى مدينة أوذغست وتستمر سائرة نهرا مادا إلى مدينة فاس. فيصب في البحر الشامي.

وثانيهما ينصب آخذا إلى الشمال على مدينة القيروان إلى أن ينصب في البحر الشامي.

ومن ذلك نهر يخرج من الجبل الفاصل بين فاس وسجلماسة مارا بين أسفي والمزمة حتى يصب في البحر الشامي، شرقي طنجة.

ومن ذلك أنهار ثلاثة تصب من الجبل المشبه بفردة صولجان: تجري من جنوب سجلماسة، واحدا بعد واحد. وتصب الثلاثة مفرقة في البحر المحيط.

ومن ذلك نهر ينصب من الجبل المشبه بتعنيقة لا معلقة بالخط المغربي " لا " وراء خط الاستواء. يصب في المحيط. وقد تقدم ذكر بعض هذه الأنهار، في ضمن ذكر الجبال. وذلك جميعه منقول من خط الرسم.

والربع الثالث

من هذه الأرباع المقسومة وهو الغربي الآخذ إلى الشمال، به ما يذكر من الأنهار: فمن ذلك، مما هو بجزيرة الأندلس نهر إشبيلية، ينصب من الجبل الفاصل بينها وبين قرطبة، وينصب في البحر الشامي. وهو من أحسن الأنهار وأجلها، محفوف بالبساتين والدور والقصور. ومضت فيه " أيام ملك المسلمين لها " أوقات مسرة ولهو.

وحكى الفتح بن خاقان، قال: " ركب عبد الجليل بن وهبون، وأبو الحسن غلام البكري من إشبيلية في ليلة أظلم من قلب الكافر، وأشد سوادا من طرف الظبي النافر؛ ومعهما غلام وضيء قد أطلع وجهه البدر ليلة تمامه، على غصن بان من قوامه؛ وبين أيديهم شمعتان قد أزرتا بنجوم السماء، ومزقتا رداء الظلماء، وموهتا بذهب نورهما لجين الماء. فقال عبد الجليل ارتجالا:

كأنمن الشمعتان إذ سمتا ... خدا غلام محسن الغيد

وفي حشا النهر من شعاعها ... طريق نار الهوى إلى كبدي

وقال غلام البكري:

أحبب بمنظر ليلة ليلاء ... تجنى بها اللذات فوق الماء

في زورق يزهى بغرة أغيد ... يختال مثل البانة الغيناء

قرنت يداه الشمعتين بوجهه ... كالبدرين بين النسر والجوزاء

---

(١) مروج الذهب ٢/٢١٦

والتاح فوق الماء ضوء منهما ... كالبرق يخفق في غمام سماء

قلت: ومن هذا النهر أخذت إشبيلية، فقال بعضهم " لسب إشبيلية عقربها، وساورها أرقمها " . يريد بالعقرب شرفها المطل، وهو عقربي الشكا، بالأرقم نهرها. قالوا: وهو **من العجائب**.

وحكى ابن ظافر، قال: " ركب " الأستاذ " ابو محمد بن صارة " مع أصحاب له " في نهر أشبيلية في عشية سال أصيلها على لجين الماء عقيانا، وطارت زواريقها في سماء اللهو عقبانا؛ وأبدى نسيمها من الأمواج " سررا وأعكانا؛ في زورق يجول جولان الطرف، ويسود اسوداد الطرف " . فقال بديها:

تأمل حالنا والجو طلق ... محياة، وقد طفل المساء

وقد جالت بنا عذراء حبلى ... تجاذب مرطها ريح رخاء

بنهر كالسجنجل كوثري ... تعبس وجهها فيه السماء

ولما وقف عليها ابن خفاجة، استحسنها واستظرفها واستطابها، فقال يعارضها، على وزنها ورويها وطريقها:

ألا يا حبذا ضحك الحميا ... بحانتها، وقد عبس المساء

وأدهم من جياد الماء نهد ... تنازع حبله ريح رخاء

إذا بدت الكواكب فيه غرقى ... رأيت الأرض تجذبها السماء

ونهر سرقسطة. وهو نهر جليل كبير متسع الجوانب.". (١)

٣٣١-" وإنا مورثون كما ورثنا عن الآباء أن متنا بنينا وقال الإصمعي سمعت الرشيد يقول نظرنا فإذا كل ذهب وفضة على وجه الأرض لا يبلغ ثمن نخل البصرة

وقال أبو حاتم **ومن العجائب** وهو مما أكرم الله به الإسلام أن النخل لا يوجد إلا في بلاد الإسلام البتة مع أن بلاد الهند والحبش والنوبة بلاد حارة خلقة بوجود النخل فيها وقال ابن أبي عيينة يتشوق البصرة فإن أشك من ليلي بجرجان طوله فقد كنت أشكو منه بالبصرة القصر فيا نفس قد بدلت بؤسا بنعمة ويا عين قد بدلت من قرة عبر ويا حبذاك السائلي فيم فكرتي وهمي ألا في البصرة الهم والفكر فيا حبذا ظهر الحزيز وبطنه ويا حسن واديه إذا ماؤه زخر ويا حبذا نهر الأبلة منظرا إذا مد في إبانه الماء أو جزر ويا حسن تلك الجاريات إذا غدت مع الماء تجري مصعدات وتنحدر فيا ندمي إذ ليس تغني ندامتي ويا حذري إذ ليس ينفعني الحذر وقائلة ماذا نبا بك عنهم فقلت لها لا علم لي فاسألي القدر وقال الجاحظ بالبصرة ثلاث أعجوبات ليست في غيرها من البلدان منها أن عدد المد والجزر في جميع الدهر شيء واحد فيقبل عند حاجتهم إليه ويرتد عند استغنائهم عنه ثم لا يبطيء عنها إلا بقدر هضمها واستمرائها وجماحها واستراحتها لا يقتلها غطسا ولا غرقا ولا يغبها ظمأ ولا عطشا يجيء على حساب معلوم وتدبير منظوم وحدود ثابتة وعادة قائمة يزيدها القمر في امتلائه كما يزيدها في نقصانه فلا يخفى عن أهل الغلات متى يتخلفون ومتى يذهبون ويرجعون بعد أن يعرفوا موضع القمر وكم

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ص/١٩

مضى من الشهر فهي آية وأعجوبة ومفخر وأحدوثة لا يخافون المحل ولا يخشون الحطمة قلت أنا كلام الجاحظ هذا لا يفهمه إلا من شاهد الجزر والمد وقد شاهدته في ثماني سفرات لي إلى البصرة ثم إلى كيش ذاهبا وراجعا ويحتاج إلى بيان يعرفه من لم يشاهده وهو أن دجلة والفرات يختلطان قرب البصرة ويصيران نهرا عظيما يجري من ناحية الشمال إلى ناحية الجنوب فهذا يسمونه جزرا ثم يرجع من الجنوب إلى الشمال ويسمونه مدا يفعل ذلك في كل يوم وليلة مرتين فإذا جزر نقص نقصانا كثيرا بينا بحيث لو قيس لكان الذي نقص مقدار ما يبقى وأكثر وليست زيادته متناسبة بل يزيد في أول كل شهر ووسطه أكثر من سائره وذاك أنه إذا انتهى في أول الشهر إلى غايته في الزيادة وسقى المواضع العالية والأراضي القاصية أخذ يمد كل يوم وليلة أنقص من اليوم الذي قبله وينتهي غاية نقص زيادته في آخر يوم من الأسبوع الأول من الشهر ثم يمد في كل يوم أكثر من مده في اليوم الذي قبله حتى ينتهي غاية زيادة مدة في نصف الشهر ثم يأخذ في النقص إلى آخر الأسبوع ثم في الزيادة في آخر الشهر هكذا أبدا لا يختلف ولا يخل بهذا القانون ولا يتغير عن هذا الاستمرار قال الجاحظ والأعجوبة الثانية ادعاء أهل أنطاكية وأهل حمص وجميع بلاد الفراعنة ". (١)

٣٣٢-" المقتدر بالله أمير المؤمنين فقال كيف يجوز أن يقال فقلت يذكر اسمك واسم أبيك فقال إن أبي كان كافرا وأنا أيضا ما أحب أن يذكر اسمي إذا كان الذي سماني به كافرا ولكن ما اسم مولاي أمير المؤمنين فقلت جعفر قال فيجوز أن أتسمى باسمه قلت نعم فقال قد جعلت اسمي جعفرا واسم أبي عبد الله وتقدم إلى الخطيب بذلك ة فكان يخطب اللهم أصلح عبدك جعفر بن عبد الله أمير بلغار مولى أمير المؤمنين قال ورأيت في بلده **من العجائب** ما لا أحصيها كثرة من ذلك أن أول ليلة بتناها في بلده رأيت قبل مغيب الشمس بساعة أفق السماء وقد احمر احمرارا شديدا وسمعت في الجو أصواتا عالية وهمهمة فرفعت رأسي فإذا غيم أحمر مثل النار قريب مني فإذا تلك الهمهمة والأصوات منه وإذا فيه أمثال الناس والدواب وإذا في أيدي الأشباح التي فيه قسي ورماح وسيوف وأتبينها وأتخيلها وإذا قطعة أخرى مثلها أرى فيها رجالا وسلاحا ودواب فأقبلت هذه القطعة على هذه كما تحمل الكتيبة على الكتيبة ففزعنا من هذه وأقبلنا على التضرع والدعاء وأهل البلد يضحكون منا ويتعجبون من فعلنا قال وكنا ننظر إلى القطعة تحمل على القطعة فتختلطان جميعا ساعة ثم تفترقان فما زال الأمر كذلك إلى قطعة من الليل ثم غابتا فسألنا الملك عن ذلك فزعم أن أجداده كانوا يقولون هؤلاء من مؤمني الجن وكفارهم يقتتلون كل عشية وأنهم ما عدموا هذا منذ كانوا في كل ليلة

قال ودخلت أنا وخياط كان للملك من أهل بغداد قبتي لنتحدث فتحدثنا بمقدار ما يقر الإنسان نصف ساعة ونحن ننتظر أذان العشاء فإذا بالأذان فخرجنا من القبة وقد طلع الفجر فقلت للمؤذن أي شيء أذنت قال الفجر قلت فعشاء الأخيرة قال نصليها مع المغرب قلت فالليل قال كما ترى وقد كان أقصر من هذا وقد أخذ الآن في الطول وذكر أنه منذ شهر ما نام الليل خوفا من أن تفوته صلاة الصبح وذلك أن الإنسان يجعل القدر على النار وقت المغرب ثم يصلي الغداة وما آن لها أن تنضج قال ورأيت النهار عندهم طويلا جدا وإذا أنه يطول عندهم مدة من السنة ويقصر الليل ثم

---

(١) معجم البلدان ١/٤٣٩

يطول الليل ويقصر النهار فلما كانت الليلة الثانية جلست فلم أر فيها من الكواكب إلا عددا يسيرا ظننت أنها فوق الخمسة عشر كوكبا متفرقة وإذا الشفق الأحمر الذي قبل المغرب لا يغيب بتة وإذا الليل قليل الظلمة يعرف الرجل الرجل فيه من أكثر من غلوة سهم قال والقمر إنما يطلع في أرجاء السماء ساعة ثم يطلع الفجر فيغيب القمر قال وحدثني الملك أن وراء بلده بمسيرة ثلاثة أشهر قوما يقال لهم ويسو الليل عندهم أقل من ساعة قال ورأيت البلد عند طلوع الشمس يحمر كل شيء ينظر الإنسان فيه من الأرض والجبال وكل شيء ينظر الإنسان إليه حين تطلع الشمس كأنها غمامة كبرى فلا تزال احمرة كذلك حتى تتكبد السماء

وعرفني أهل البلد أنه إذا كان الشتاء عاد الليل في طول النهار وعاد النهار في قصر الليل حتى إن الرجل منا ليخرج إلى نهر يقال له إتل بيننا وبينه أقل من مسافة فرسخ وقت الفجر فلا يبلغه إلى العتمة إلى وقت طلوع الكواكب كلها حتى تطبق السماء ورأيتهم يتبركون بعواء الكلب جدا ويقولون تأتي عليهم سنة خصب وبركة وسلامة

ورأيت الحيات عندهم كثيرة حتى إن الغصن من الشجر ليلتف عليه عشر منها وأكثر ولا يقتلونها ولا ". (١)

٣٣٣-" ذلك السم منه فإنه يعود طالبا لموضعه فإن لم يبادره بقطعه من أوله وإلا قتله وهو **من العجائب** وهم يجعلون منه قليلا في رأس السهم ويتوارون في بعض الأشجار فإذا مرت بهم سباع الوحوش كالفيل والكركدن والزراف والنمر يرشقونه بذلك السهم فإذا خالط دمه مات لوقته فيأخذون من الفيل أنيابه ومن الكركدن قرونه ومن الزراف والنمر جلده والله أعلم

زيلوش من قرى الرملة بفلسطين ينسب إليها أبو القاسم هبة الله بن نعمة بن الحسين بن السري الكناني الزيلوشي روى عن محمد بن عبد الله بن الحسن البصري روى عنه السلفي وفي تاريخ دمشق إبراهيم بن محمد بن أحمد أبو إسحاق القيسي المعلم الفقيه أصله من زيلوش قرية من قرى الرملة كان جنديا ثم ترك ذلك وتعلم القرآن والفقه وسمع الحديث من أبي المعالي وأبي طاهر الحنائي وأبي محمد بن الأكفاني والفقيهين أبي الحسن علي بن المسلم ونصر الله بن محمد وعبد الكريم بن حمزة وطاهر بن سهل وغيرهم من مشايخنا وقرأ القرآن على ابن الوحشي سمع من المسلم المقري وحدث ببعض مسموعاته وكان ثقة مستورا توفي في الحادي عشر من رجب سنة ٣٥٥ بدمشق

زيمران بفتح أوله وسكون ثانيه وضم ميمه وراء مهملة وآخره نون يجوز أن يكون فيعلان من الزمرة وهي الجماعة من الناس أو من الزمر وهو القليل الشعر والقليل المروءة أو من الزمار بالكسر وهو صوت النعام وهو موضع

زيمر بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الميم وراء واشتقاقه كالذي قبله وهو موضع في جبال طيء يذكر مع بلطة ويضاف إليها قال امرؤ القيس وكنت إذا ما خفت يوما ظلامة فإن لها شعبا ببلطة زيمرا

الزيمة قرية بوادي نخلة من أرض مكة فيها يقول محمد بن إبراهيم بن قربة شاعر عصري مرتعي من بلاد نخلة في الصي ف بأكناف سولة والزيمه

---

(١) معجم البلدان ٤٨٧/١

زئنة بكسر أوله وهمز ثانيه وقد لا يهمز واشتقاقه من الزينة معروف فأما من همزه فلا أعرفه إلا أن يقال كلب زئني وهو القصير والظاهر أنه غير مهموز قال الأصمعي قال لي بعض بني عقيل جميع خفاجة يجتمعون ببيشة وزينة وهما واديان أما بيشة فتصب من اليمن وأما زينة فتصب من السراة سراة تهامة وقال ابن الفقيه طوله عشرون يوما في نجد وأعلاه في السراة ويسمى عقيق تمرة وقيل الذي فيه عقيق تمرة هو زبية بتقديم الباء الموحدة والله أعلم بالصواب
س ". (١)

٣٣٤-" الأقذار إلا أنها مع ذلك عذبة الماء صحيحة الهواء كثيرة الخيرات تجري في وسطها القنوات وقد شيبت بالأقذار وأصلح مياههم القناة التي تجيء من خويم وآبارهم قريبة القعر والجبال منها قريبة قالوا **ومن العجائب** شجرة تفاح بشيراز نصفها حلو في غاية الحلاوة ونصفها حامض في غاية الحموضة وقد بنى سورها وأحكمها الملك ابن كاليجار سلطان الدولة بن بويه في سنة ٣٤٦ وفرغ منه في سنة ٤٤٠ فكان طوله اثني عشر ألف ذراع وعرض حائطه ثمانية أذرع وجعل لها أحد عشر بابا وقد نسب إلى شيراز جماعة كثيرة من العلماء في كل فن منهم أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف بن عبد الله الفيروز ابادي ثم الشيرازي إمام عصره زهدا وعلما وورعا تفقه على جماعة منهم القاضي أبو الطيب الطاهر بن عبد الله الطبري وأبو عبد الله محمد بن عبد الله البيضاوي وأبو حاتم القزويني وغيرهم ودرس أكثر من ثلاثين سنة وأفتى قريبا من خمسين سنة وسمع الحديث من أبي بكر البرقاني وغيره ومات ببغداد في جمادى الآخرة سنة ٧٤٦ وصلى عليه المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين ومن المحدثين الحسن بن عثمان بن حماد ابن حسان بن عبد الرحمن بن يزيد القاضي أبو حسان الزبادي الشيرازي كان فاضلا بارعا شقة ولي قضاء الشرقية للمتوكل وصنف تاريخا وكانا قد سمع محمد بن إدريس الشافعي وإسماعيل بن علية ووكيع ابن الجراح روى عنه جماعة ومات سنة ٢٧٢ قاله الطبري ومن الزهاد أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي شيخ الصوفية ببلاد فارس وواحد الطريقة في وقته كان من أعلم المشايخ بالعلوم الظاهرة صحب رويما وأبا العباس بن عطاء وطاهرا المقدسي وصار من أكابرهم توفي بشيراز سنة ١٧٣ عن نحو مائة وأربع سنين وخرج مع جنازته المسلمون واليهود والنصارى ومن الحفاظ أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن موسى الحافظ الشيرازي أبو بكر روى عن أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي وأبي سهل بشر بن أحمد الأسفراييني وأبي أحمد محمد بن محمد بن إسحاق الحافظ وغيرهم من مشايخ خراسان والجبل والعراق وكان مكثرا روى عنه أبو طاهر بن سلمة وأبو الفضل بن غيلان وأبو بكر الزنجاني وخلق غيرهم وكان صدوقا ثقة حافظا يحسن علم الحديث جيدا جدا سكن همذان سنين ثم خرج منها إلى شيراز سنة ٤٠٤ وعاش بها سنين وأخبرت أنه مات بها سنة ١١٤ وله كتاب في ألقاب الناس قال ذلك شيرويه وأحمد بن منصور بن محمد بن عباس الشيرازي الحافظ من الرحالين المكثرين قال الحاكم كان صوفيا رحالا في طلب الحديث من المكثرين من السماع والجمع ورد علينا نيسابور سنة ٨٣٣ وأقام عندنا سنين وكنت أرى معه مصنفات كثيرة في الشيوخ والأبواب رأيت به الثوري وشعبة في

---

(١) معجم البلدان ٣/١٦٥

ذلك الوقت ورحل إلى العراق والشام وانصرف إلى بلده شيراز وصار في القبول عندهم بحيث يضرب به المثل ومات بها في شعبان سنة ٢٨٣

سيرجان بالكسر وبعد الراء جيم وآخره نون وما أظنها إلا سيرجان قصبة كرمان فإن كانت غيرها فقد أبهم علي أمرها قال العمراني شيرجان موضع ولم يزد والشير في اللغة الفارسية بمعنين يكون اللبن الحليب ويكون الأسد

شير بكسر أوله وسكون ثانيه وراء مهملة وهي لفظة مشتركة في كلام الفرس يسمون الأسد شير ويسمون الحليب شير وهي المذكورة بعدها ". (١)

٣٣٥-" سقيا لصنعاء لا أرى بلدا أوطنه الموطنون يشبهها خفضا ولينا ولا كبهجتها أرغد أرض عيشا وأرفهها يعرف صنعاء من أقام بها أعذى بلاد عذا وأنزهها ما أنس لا أنس ما فجعت به يوما بنسا إبلها تجهجهها فصاح بالبين ساجع لغب وجاهرت بالشمات أمهها ضعضع ركني فراق ناعمة في ناعمات تصان أوجهها كأنها فضة مموهة أحسن تمويهها مموهها نفس ببين الأحباب والهة وشحط ألافها يولهها نفى عزائي وهاج لي حزني والنفس طوع الهوى ينفهها كم دون صنعاء سملقا جددا ينبو بمن رامها معوهها أرض بها العين والظباء معا فوضى مطافيلها وولها كيف بها كيف وهي نازحة مشبه تيهها ومهمهها وبنى أبرهة بصنعاء القليس وأخذ الناس بالحج إليه وبناه بناء عجيبا وقد ذكر في موضعه وقدم يزيد ابن عمرو بن الصعق صنعاء ورأى أهلها وما فيها **من العجائب** فلما انصرف قيل له كيف رأيت صنعاء فقال ومن ير صنعاء الجنود وأهلها وجنود حمير قاطنين وحميرا يعلم بأن العيش قسم بينهم حلبوا الصفاء فأنهلوا ما كدرا ويرى مقامات عليها بهجة يأرجن هنديا ومسكا أذفرا ويروى عن مكحول أنه قال أربع من مدن الجنة مكة والمدينة وإيلياء ودمشق وأربع من مدن النار أنطاكية والطوانة وقسطنطينية وصنعاء وقال أبو عبيد وكان زياد بن منقذ العدوي نزل صنعاء فاستوبأها وكان منزله بنجد في وادي أشي فقال يتشوق بلاده لا حبذا أنت من صنعاء من بلد ولا شعوب هوى مني ولا نقم وحبذا حين تمسي الريح باردة وادى أشي وفتيان به هضم مخدمون كرام في مجالسهم وفي الرحال إذا صحبتهم خدم الواسعون أذا ما جر غيرهم على العشيرة والكافون ما جرموا ليست عليهم إذا يغدون أردية إلا جياد قسي النبع واللجم لم ألق بعدهم قوما فأخبرهم إلا يزيدهم حبا إلي هم يا ليت شعري عن جنبي مكشحة وحيث تبنى من الحناءة الأطم عن الأشاءة هل زالت مخارمها وهل تغير من آرامها إرم ". (٢)

٣٣٦-" جوالقات ويحمل فإن أخذته على عقبة من تلك العقاب مسماة معروفة نخر وتهافت وتكلس جسمه فصار ذريرة وسمي قمحة وإن أسلك به على غير تلك العقبة لم يزل على حاله قصبا صلبا وأنابيب وكعابا صلبة لا ينتفع به ولا يصلح إلا للوقود وهذا **من العجائب** الفردة وقال ابن الفقيه يوجد على حافات نهر نهاوند طين أسود للختم وهو أجود

---

(١) معجم البلدان ٣/٣٨١

(٢) معجم البلدان ٣/٤٢٧

ما يكون من الطين وأشده سوادا وتعلكا يزعم أهل الناحية أن السراطين تخرجه من جوف النهر وتلقيه إلى حافاته ويقولون إنهم لو حفروا في قرار النهر ما حفروا أو في جوانبه ما وجدوا إلا ما تخرجه السراطين قال وحدثني رجل من أهل الأدب قال رأيت بنهاوند فتى من الكتاب وهو كالساهي فقلت له ما حالك فقال يا طول ليلي بنهاوند مفكرا في البث والوجد فمرة آخذ من منية لا تجلب الخير ولا تجدي ومرة أشدو بصوت إذا غنيته صدع لي كبدي قد جالت الأيام بي جولة فصرت منها ببروجرد كأنني في خانها مصحف مستوحش من يد مرتد الحمد لله على كل ما قدر من قبل ومن بعد وبين همذان ونهاوند أربعة عشر فرسخا من همذان إلى زوذراور سبعة فراسخ وجمع الفرس جموعها بنهاوند قيل مائة وخمسون ألف فارس وقدم عليهم الفيروزان وبلغ ذلك المسلمين فأنفذ عمر عليهم الجيوش وعليهم النعمان بن مقرن فواقعهم فقتل أول قتيل فأخذ حذيفة بن اليمان رايته وصار الفتح وذلك أول سنة ٩١ لسبع سنين من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل كانت سنة ٠٢ والأول أثبت فلم يقم للفرس بعد هذه الوقعة قائم فسماها المسلمون فتح الفتوح فقال القعقاع بن عمرو المخزومي رمى الله من ذم العشيرة سادرا بداهية تبيض منها المقادم فدع عنك لومي لا تلمني فإنني أحوط حريمي والعدو الموائم فنحن وردنا في نهاوند موردا صدرنا به والجمع حران واجم وقال أيضا وسائل نهاوندا بنا كيف وقعنا وقد أثخنتها في الحروب النوائب وقال أيضا ونحن حبسنا في نهاوند خيلنا لشد ليال أنتجت للأعاجم فنحن لهم بينا وعصل سجلها غداة نهاوند لإحدى العظائم ملأنا شعابا في نهاوند منهم رجالا وخيلا أضرمت بالضرائم وراكضهن الفيرزان على الصفا فلم ينجه منا انفساح المخارم

نهبان بالفتح فعلان من النهب قال عرام نهبان يقابلان القدسين وهما جبلان بتهامة يقال لهما نهب الأسفل ونهب الأعلى وهما لمزينة وبني ليث فيهما شقص ونباتهما العرعر والأثرار وهو شجر يتخذ منه القطران كما يتخذ من العرعر وبه قرظ وهما جبلان ". (١)

٣٣٧-""""""""" صفحة رقم ١٨٥ """""""

تقدم ، وضوعف المأخوذ بسبب خط بعض من مات ، فإنه أضاف الكلفة إلى المأخوذ ولم يفردها ، فأفردوا كلفة ثانة ، على كل خمسة أشرفية أشرفي ، ومن أمر الرمية على أهل محلة مصلى العيدين ، لكونه رجل من الزعر ضرب رجلا شريرا ، يعرف بخدا الفيلة اللبان . . . . إلى نائب الشام ، فربما ينعم عليه بها أيضا ، فدخل معهم في اليوم لمذكور في أبهة حافلة ، ولم تخرج الناس والصبيان في هذا اليوم ، خوفا من المناداة التي أمر النائب بها ؛ ونزل الباش بقصر السلطان الملك الظاهر بالمرجة . وفي عشية اليوم المذكور ضرب النائب مهمندار ، الذي كان حبسه عقيب خلعة أتت على يديه من مصر ، ضربا مبرحا ، قيل اتهم بشيء من الأشياء المضرة نقلت إليه عنه ؛ ثم أمر بقلبه فصلب وقت الغروب ، وله حريم وأولاد صغار ، ولكن قيل عنه إنه جريء ، قليل الحساب للعواقب . وفي يوم الأحد مستهل ذي الحجة منها ، أخبر الموقع جمال الدين بن كريم الدين ، أن سامري النائب أخبره ، أن النائب قصروه نفقته كل يوم ألف دينار ، ومن الشعير ثلاثون غرارة

---

(١) معجم البلدان ٣١٤/٥

، ومن اللحم عشرون قنطارا ، ومن الدجاج عدة مائة ، ومن الأوز عشرون ، ومن الخرفان الهميس عشره ، وأنه على كرم كثير . وفي يوم الاثنين ثانيه أوكب النائب في الميدان الأخضر ، ومعه الباش بعسكره المصري على العادة ؛ ثم أتوا إلى المقعد الجديد بالاصطبل وحضر القضاة ، وأحضر كتابا ، وأظهر أنه من السلطان الملك الأشرف قانصوه خمسائة ، وأنه حي باق ، ونودي له بالسلطنة ، وفرح الحاضرون وتخلقوا ، ودقت البشائر لذلك ، وسيأتي أن السلطان جان بلاط تسلطن بمصر في هذا اليوم ، وربما يكون في هذه الساعة ، وهو **من العجائب** ؛ وخلع النائب قصروه في هذه الساعة على قانصوه اليحياوي نائب صفد ، وعلى خير بك بنيابة غزة . وفي يوم الجمعة سادسه حضر النائب خطبة الجمعة ، وقد أخليت له المقصورة ، وعين في الخطبة مولانا السلطان الملك الأشرف ، يعني قانصوه خمسمائة ، والنائب يسمع ، فلما فرغ من الصلاة ، بلغني أن بعض المماليك المصرية هدد الخطيب ، وقال له : أنت شيخ يقتدى بك في الدين ، وتقلد في الكذب . ثم عقيب الصلاة بعد وصول النائب منزله ، شاع بدمشق أنه". (١)

٣٣٨-"""""""" صفحة رقم ١٩٢ """"""

وظيفة نظر الجيش ، عوضا عن الخواجا بن النيربي ، وولاه أيضا وظيفة عداد الغنم ، ووظيفة النظر على وقف الملك الأشرف قايتباي بالشام ، فهن أربع وظائف ؛ ثم في آخر النهار المذكور نودي بأن وظيفة نظر الجيش لمحب الدين الأسلمي ، لا للأمير يلباي المذكور ، وهذا **من العجائب** . وفي يوم الأحد ثالث عشريه اشتهر بدمشق وفاة نور الدين بن الصابوني ، ناظر الخواص الشريفة بمصر ، في أوائل رمضان ، وأنه تولى مكانه فيها علاء الدين ابن الإمام ، وأن السلطان عزل صلاح الدين بن الجعيان من كتابة السر التي وليها قريبا عن ابن مزهر زين الدين ، وتولاها ابن أجا الحنفي الحلبي ؛ وأن وظيفة كتابة الخزانة الشريفة ، التي هي من قديم مع بيت الجيعان إلى الآن ، عزل عنها صلاح الدين المذكور ، وتولاها أبو المنصور ديوان آقبردي كان ، ثم ديوان هذا السلطان . وأن ابن يوسف قاضي المالكية بدمشق ، الذي كان قد عزل عنها في خامس عشري رجب منها ، بشمس الدين الطولقي ، قد أعيد إليها ، وعزل الطولقي منها ، وذلك في تاسع عشر رمضان ، وأنه لم يعط للسلطان شيئا غير قراءة الفاتحة على قاعدة قراء المغاربة ، وأن السلطان قال لكاتب السر : ونختصر الفاتحة أيضا ، وأنه أرسل ليستناب في الحكم عنه الشهاب الطرابلسي ، وأنه تصالح مع شيخ المالكية عبد النبي ، الذي كان سافر للشكوى عليه . وفي يوم الاثنين ثامن شوال منها ، دخل من مصر إلى دمشق الأمير يلباي الأينالي المؤيدي ، بالأربعة وظائف المتقدم ذكرها ، وتلقاه النائب وأرباب الدولة على العادة . وفي صبحة يوم الجمعة ثاني عشره ، وهو آخر نيسان ، دخل جماعة من مصر بغتة ، بسرعة إلى دمشق ، وصحبتهم مملوك بمراسيم شريفة ، ومطالعات بالأخبار ، بأن السلطان العادل حوصر يوم سابع عشري رمضان ، ثم طلع الأمير الدوادار الكبير قانصوه الغوري ، وأن العادل فقد ، وأنه يوم العيد بويع بالسلطنة بعده لفقده ، وأنه لقب بالسلطان الملك الأشرف . وصحبتهم أيضا مرسومان شريفان ، أحدهما لأهل القلعة بالحرص عليها ، وتحصينها ، وإطلاق الأمراء المقبوض عليهم بها ، وأن يستمروا بدمشق حتى يرد عليهم ما يعتمدونه ؛ والمرسوم الثاني لملك

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ص/١٨٥

الأمراء دولتباي ، ففي الحال أظهر الذلة ، ولا قوة إلا بالله ، وطلبوا منه". (١)

٣٣٩-"""""""" صفحة رقم ٣٦٥ """""""

القبيبات ولد قط ذكر من دبره ثلاثة أولاد على شبهه وقط ، في بيت أحمد بن أبي مهدي الدلال في الأطلس ، بسوق الدراع ، وأن شاهد ذلك نحو الخميس إنسانا ، واستمروا ساعة في الحياة ، ثم ماتوا ، وهذا **من العجائب** . وفي يوم الاثنين تاسع جمادى الآخرة منها ، نودي بدمشق ، بأمر النائب والقاضي الرومي ، بأن يجتمع القضاة والعلماء والصلحاء غدا ، بكرة الثلاثاء ، تحت قبة نسر الجامع الأموي ، فظن العوام سوءا في سبب الاجتماع ، ففي البكرة المذكورة حضر القضاة الثمانية المنفصلون والمتجددون وغيرهم إلى الجامع المذكور ، وجلسوا تجاه محراب الحنفية ، خلا هؤلاء القضاة ، فجلسوا تجاه المقصورة ، وفرقت ربعة الجامع عليهم ، فقرأوا فيها ساعة ، ثم تفرقوا ، ولم يحضر زين العابدين القاضي الرومي ، ولا شهاب الدين بن يخشى النائب ، بل ولا أحد من الأروام . وأما الذين جلسوا تجاه محارب الحنفية ، فصعد على الكرسي هناك الشيخ بركات بن الكيال الواعظ ، وعمل مجلس وعظ فيما يتعلق بالعدد ، استطرادا علىالكلام على قوله تعالى : ' وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ' . ثم أخبر ثلاثة أنفس وهم : الطحينة المؤقت ، ومحمد الطواقي ، ومحمد المدني ، أنهم رأوا النبي (صلى الله عليه وسلم) في المنام ، وأمرهم أن يذهبوا إلى بركات المذكور ، ويأمروه بجمع الناس وأن يقرأوا ويدعوا للسلطان المظفر سليم خان بن عثمان ، ثم يتوجهوا بعد ذلك إلى عند الشيخ محمد بن عراق بالصالحية ، ويقرأوا أيضا ويدعوا للسلطان المذكور . فتوجه بركات المذكور إلى الصالحية ، فلم يجد ابن عراق فيها ، فأرسل إليه إلى قرية برزة ، وكان قد قطن بها قريبا ، فلم يأت : وغلب على رأي العقلاء أن هذه الرؤيا مصطنعة من ابن الكيال ، وأنه بذل للرائين دراهم في مقابلة ذلك . وفي يوم الجمعة ثالث عشره ، وهو ثالث تموز ، عقب صلاتها بالجامع الأموي ، صلي غائبة على محدث مكة ومؤرخها الأصيل ، عز الدين عبد العزيز بن فهد ، والد أخينا المحب أبي الفضل محمد المدعو جار الله ، الذي سافر من دمشق يوم السبت سابعه ، لما سمع بوفاة". (٢)

٣٤٠-"و في الجزء السادس من الناحية الغربية الجنوبية متصل بلاد القمانية و في وسط الناحية بحيرة عثور عذبة تنجلب إليها الأنهار من الجبال في النواحي الشرقية و هي جامدة دائما لشدة البرد إلا قليلا في زمن الصيف و في شرق بلاد القمانية بلاد الروسية التي كان مبدؤها في الإقليم السادس في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء الخامس منه و في الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الجزء بقية أرض بلغار التي كان مبدؤها في الإقليم السادس و في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء السادس منه و في وسط هذه القطعة من أرض بلغار منعطف نهر أثل القطعة الأولى إلى الجنوب كما مر و في آخر هذا الجزء السادس من شماله جبل قوقيا متصل من غربه إلى شرقه و في الجزء السابع من هذا الإقليم في غربه بقية أرض

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ص/١٩٢

(٢) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ص/٣٦٥

يخناك من أمم الترك و كان من مبدؤها من الناحية الشمالية الشرقية من الجزء السادس قبله و في الناحية الجنوبية الغربية من هذا الجزء و يخرج إلى الإقليم السادس من فوقه و في الناحية الشرقية بقية أرض سحرب ثم بقية الأرض المنتنة إلى آخر الجزء شرقا و في آخر الجزء من جهة الشمال جبل قوقيا المحيط متصلا من غربه إلى شرقه. و في الجزء الثامن من هذا الإقليم في الجنوبية الغربية منه متصل الأرض المنتنة و في شرقها الأرض المحفورة و هي **من العجائب** خرق عظيم في الأرض بعيد المهوى فسيح الأقطار ممتنع الوصول إلى قعره يستدل على عمرانه بالدخان في النهار و النيران في الليل تضيء و تخفى و ربما رئي فيها نهر يشقها من الجنوب إلى الشمال و في الناحية الشرقية من هذا الجزء البلاد الخراب المتاخمة للسد و في آخر الشمال منه جبل قوقيا متصلا من الشرق إلى الغرب و في الجزء التاسع من هذا الإقليم في الجانب الغربي منه بلاد خفشاخ و هم قفجق يجوزها جبل قوقيا حين ينعطف من شماله عند البحر المحيط و يذهب في وسطه إلى الجنوب بانحراف إلى الشرق فيخرج في الجزء التاسع من الإقليم السادس و يمر". (١)

٣٤١-"و ذلك أنه ورد بالمغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة كان رحل منذ عشرين سنة قبلها إلى المشرق و تقلب في بلاد العراق و اليمن و الهند و دخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند و هو السلطان محمد شاه و اتصل بملكها لذلك العهد و هو فيروزجوه و كان له منه مكان و استعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله ثم انقلب إلى المغرب و اتصل بالسلطان أبي عنان و كان يحدث عن شأن رحلته و ما رأى **من العجائب** بممالك الأرض و أكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند و يأتي من أحواله بما يستغربه السامعون مثل أن ملك الهند إذا خرج إلى السفر أحصى أهل مدينته من الرجال و النساء و الولدان و فرض لهم رزق ستة أشهر تدفع لهم من عطائه و أنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة إلى صحراء البلد و يطوفون به و ينصب أمامه في ذلك الحقل منجنيقات على الظهر ترمى بها شكائر الدراهم و الدنانير على الناس إلى أن يدخل إيوانه و أمثال هذه الحكايات فتناحى الناس بتكذيبه و لقيت أيامئذ وزير السلطان فارس بن وردار البعيد الصيت ففاوضته في هذا الشأن و أريته إنكار أخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه.". (٢)

٣٤٢-"الحد كما بلغنا عن أهل مصر أن فيهم من يعلم الطيور العجم و الحمر الإنسية و يتخيل أشياء **من العجائب** بإيهام قلب الأعيان و تعليم الحداء و الرقص و المشي على الخيوط في الهواء و رفع الأثقال من الحيوان و الحجارة و غير ذلك من الصنائع التي لا توجد عندنا بالمغرب. لأن عمران أمصاره لم يبلغ عمران مصر و القاهرة. أدام الله عمرانها بالمسلمين. و الله الحكيم العليم.

---

(١) مقدمة ابن خلدون ١١٣/١

(٢) مقدمة ابن خلدون ٢٤٢/١

الفصل الثامن عشر في أن رسوخ الصنائع في الأمصار إنما هو برسوخ الحضارة و طول أمده". [1]

٣٤٣-" المدرسة الظاهرية الجوانية

داخل بابي الفرج والفراديس بينهما جوار الجامع وشمالي باب البريد وقبلي الاقباليتين والجاروخية وشرقي العادلية الكبرى باباهما متواجهان يفصل بينهما الطريق كانت دارا للعقيقي فاشتراها من تركته أيوب والد صلاح الدين فكانت دارة

قال ابن كثير وفي سنة ست وسبعين وستمائة شرع في بناء الدار التي تعرف بدار العقيقي تجاه العادلية لتجعل مدرسة وتربة للملك الظاهر ولم تكن من قبل إلا دارا للعقيقي وهي المجاورة لحمام العقيقي وأسس أساس التربة في خامس جمادى الآخرة وأسست المدرسة أيضا وجعلت على الحنفية والشافعية

وفي كلام ابن شهبة ما يشير إلى أن الملك الظاهر بيبرس هو الذي أنشأها وجعلها دار حديث ومدرسة وهو مخالف لما ذكره في آخر كلامه فانه قال أن هذه المدرسة إنشاء الملك السعيد ابن الملك الظاهر أنشأها بعد موت أبيه بيبرس بعد أن سمع خبر موت أبيه وكان قد تقدم موته وبقي مدة بقلعه دمشق إلى أن حضر السعيد إلى دمشق فاشترى دار العقيقي ثم انشأ التربة فبين أول كلامه وآخره مخالفة والذي يظهر أن الباني لها السعيد لا أبوه وكان بناؤها سنة تسعين وستمائة وقد درس بها جماعة من الفضلاء منهم اليونيني وأبو حفص عمر الفارقي الدمشقي وعلاء الدين ابن بنت الاعز ثم الصفي الهندي ثم ابن الزملكاني ثم الجمال القلانسي ثم ابن قاضي الزبداني ثم محمد بن الشهيد ثم أفاضل يطول تعدادهم

أقول أن هذه المدرسة باقية إلى الآن وهي مشهورة معروفة وبابها بناؤه **من العجائب** يدخل منه إلى ساحتها فيكون عن يمين الداخل التربة الظاهرية وهي في قبة شاهقة في الهواء وجدرانها من الرخام الأبيض والأسود مزخرفة بالفسيفساء وفي سنة ست وعشرين وثلاثمائة وألف غيرت بلاطتها وبركتها الكبيرة وأبدل ذلك بطراز لطيف وبالجملة فلم يبق في داخلها من البناء الأول إلا الجهة القبلية وأما الباقي فقد غير وجعل مدرسة لصغار الطلبة سميت باسم نموذج الترقي وفي سنة ست وتسعين ومائتين وألف كان المرحوم مدحت باشا واليا على سورية فاهتم بإنشاء المكاتب ثم علم أن دمشق كان بها ما لا يعد من خزائن الكتب الموقوفة على المشتغلين بالعلم فمدت إليها أيدي المختلسين بالنهب والبيع حتى لم يبق مها إلا النذر القليل فخاف على

". [2]

٣٤٤-"ومن جزيرة الصنف إلى مدينة لوقين ثلاث مراحل وهي أول مراقي الصين وبها طرز الديباج والحرير الصيني ومنها يخرج إلى جميع الجهات وبها يعمل الغضار الصيني ومنها يتجهز به أيضا إلى سائر البلاد المتصلة بها والمتباعدة عنها

---

(١) مقدمة ابن خلدون ٢/ ٤٠

(٢) منادمة الأطلال ص/١١٩

وبها أرز وحبوب ونارجيل وقصب ولباس أهلها الفوط وهم يجالسون التجار ويداخلون الناس ولهم همم عالية ونفوس أبية ويستعملون أنواع الطيب أكثر من سائر بلاد الهند.

ومن مدينة لوقين إلى مدينة خانافو مسيرة أربعة أيام في البحر وعشرين يوما في البر وهي أعظم مراقي الصين وبها ملك مهاب له مملكة شامخة وفيلة كثيرة وأجناد وأسلحة وأهلها يأكلون الأرز والألبان والنارجيل وقصب السكر والمقل وهي على خور تطلع فيه المراكب مسافة شهرين إلى مدينة باجه وهي مدينة البغبوغ والبغبوغ هو ملك الصين بأجمعها وإلى مدينته ينتهي مسافروا بلاد الغرب وبها جميع الفواكه والبقول والحنطة والشعير والأرز ولا يوجد بجميع بلاد الهند والصين عنب ولا تين البتة وإنما يوجد عندهم ثمار شجر يسمى الشكي والبركي وأكثر ما يكونان ببلاد الفلفل وهو شجر له ساق غليظة وورق شبيه بورق الكرنب أخضر ما هو وله ثمر طول الثمرة أربعة أشبار مستدير شبيه بالدلاع له قشرة حمراء وفي جوفها حب مثل حب البلوط يشوى في النار ويؤكل مثل ما يؤكل القسطل وطعمهما سواء ولحم هذا الثمر إذا أكل وجد له آكله طعما شهيا لذيذا يجتمع فيه طيب التفاح وطيب الكمثرى وبعض طعم الموز والمقل وهو ثمر بديع الصفة شهي الطعم وهو أجل ما يؤكل ببلاد الهند وقد يوجد ببلاد الهند نبات يسمى العنبا وهو شجر كبير يشبه شجر الجوز وودقه كودقه وله ثمر مثل ثمر المقل حلو إذا عقد في أوله ويجمع في ذلك الحين فيعمل بالخل فيكون طعمه كطعم الزيتون سواء وهو عندهم أيضا من الكوامخ الشهية ومن مدننة خانفو إلى مدينة خانكو مسيرة ثمانية أيام وسنذكرها في موضعها من الجزء العاشر بعد هذا بيمن الله وعونه.

ومن مدينة الصنف الساحلية إلى جزيرة شامل أربعة أيام وهي في آخر البحر الصنفي معمورة القطر مجتمعة الأهل وفيها حنطة وأرز وموز كثير وقصب سكر وبها سمك كبير العظم لذيذ الطعم يغني آكله عن أكل اللحم ومن جزيرة شامل إلى جزيرة عاشورا أربعة أيام وهي جزيرة قليلة العامر وأرضها أرض حرشاء كثيرة العقارب والأفاعي وجبالها متصلة ومنها إلى جزيرة ملاي يوم خفيف وهي جزيرة كبيرة ممتدة من المغرب إلى المشرق وفيها مدينة يسكنها ملك الجرز ودراهمه فضة تسمى بالدراهم الطاطرية وله أجناد وفيلة ومراكب كثيرة وفيها موز ونارجيل وأرز وقصب وهذه الجزيرة فيما يزعم أهلها أنها تتصل بالبحر الزفتي من آخر الصين وقد يوجد في هذا البحر المسمى بحر الصنف أنواع من الحيتان وضروب من السمك وجمل **من العجائب** يستدلون بها على السلامة أو العطب وسنذكر أكثر ذلك فيما يلي آخر هذا الجزء من الإقليم الثاني ونأتي منه بما ذكره المتجولون ونقله المسافرون واتفقت عليه أقاويل الناقلين حسب الطاقة ومبلغ الجهد بحول الله سبحانه وعونه وتأييده.

نجز الجزء التاسع من الإقليم الأول والحمد لله ويتلوه الجزء العاشر منه إن شاء الله.

الجزء العاشر إن هذا الجزء العاشر من الإقليم الأول وهو نهاية المعمور من جهة المشرق ولا يعلم أحد ما خلفه تضمن البحر الصيني المسمى بحر صنخى ومن الناس من يسميه بحر الصنف ورأسه ومبدؤه من البحر المحيط المسمى هناك البحر الزفتي لأن ماءه كدر وريحه عاصفة والظلمة لا تزال واقعة عليه في أكثر الأوقات ويتصل هذا البحر الزفتي بالبحر المحيط المتصل ببلاد ياجوج وماجوج إلى ما تحتها مما يلي الأرض الحالية في جهة الشمال ويتصل ببحر الظلمات المتصل أيضا بجهة المغرب

كما قد رسمناه ويتصل هذا البحر أيضا من جهة الجنوب على جزائر الواق واق وبحر الحيات إلى البحر المحيط بالأرض في جهة الجنوب كما قد حكيناه وجئنا به مرسوما بحول الله ومعونته.

وهذا البحر عاصف الرياح كثير الأمطار وريحه بحرية تجري ستة أشهر دائما ثم تنقلب إلى ريح أخرى وفيه عدة جزائر فمنها ما يصل إلى التجار ومنها ما لا يصلون إليها لتعذر السلوك وهول البحر وتقلب الرياح وتوحش أهلها وانقطاعهم عن مجاورة الأمم المعلومة.". (١)

٣٤٥-"وبأرض خوزستان مياه جارية وأودية غزيرة وأنهار سائلة وأكبر أنهارها نهر تستر ويسمى دجيل الأهواز وهو نهر عجيب منبعه من جبال من ناحية اللور وعليه الشاذروان الذي أمر بعمله سابور الملك وهو **من العجائب** المشهورة وذلك أنه بنى أمام تستر من الضفتين بنيانا وثيقا عاليا وأقام في صدر مجرى الماء سدا موثقا بالحجر العظيم والعمد الحجازية حتى ساواه مع ضفتي بنائه وارتدع به الماء حتى صار بإزاء تستر وذلك أن تستر في نشز من الأرض عال والماء مرتدع بين يديها ويجري هذا النهر من وراء عسكر مكرم ويمر بالأهواز حتى ينتهي إلى نهر السمرة إلى حصن مهدي ويقع هناك في البحر ويخرج من نهر تستر نهر يسمى نهر المسرقان فيمر مغربا حتى ينتهي إلى مدينة عسكر مكرم وعليه هناك جسر كبير نحو من عشرين سفينة وتجري فيه السفن الكبار ويتصل بالأهواز وبين عسكر مكرم والأهواز ثلاثون ميلا في الماء فإذا كان الماء في المد وزيادته في أول الشهر عبر هناك بالمراكب وإن كان الجزر لم يمكن المراكب السير فيه لأن الماء به يجف ولا يبقى منه إلا عدد منقطعة عن اتصال الجري وهذا النهر لا يضيع من مائه شيء وإنما يتصرف كله في سقي الأرضين هناك تسقى به غلات القصب وضروب الحبوب والنخل والبساتين وسائر المزارع المعمورة ويجري في جنوب خوزستان نهر طاب وهو الحد المميز بين خوزستان وفارس وجميع مياه خوزستان كلها تتألف وتنصب في البحر عند حصن مهروبان وبضفة حصن مهدي وليس بأرض خوزستان بحر إلا ما ينتهي إليها عن زاوية من حد مهروبان إلى قرب سليمانان بحذاء عبادان وهو شيء يسير من بر فارس وأرض خوزستان كلها سهول وأرضها رمل وليس بها شيء من الجبال إلا ما كان بنواحي تستر وبالجملة إنها كلها سهول وفجاج غير عالية.

ومدينة المسرقان مدينة عامرة بأهلها والصادرون عنها والواردون عليها كثير ولهم معايش وأرزاق كثيرة وأكثر شجرهم النخل وفيها الرطب الموصوف المسمى الطن إذا أكله الإنسان وشرب عليه ماء المسرقان وجد عليه رائحة الخمر سواء وعندهم من الحنطة والشعير الشيء الكثير وسائر أنواع الحبوب موجودة بها وأكثر الحبوب عندهم الأرز وهم يطحنونه ويتخذون منه خبزا يأكلونه ويفضلونه على الحنطة وبالمسرقان من غلات القصب الشيء الكثير الذي يفوق ما بسائر الآفاق من ذلك.

والسوس مدينة جليلة حاضرة بكل خير جامعة لكل فضل وأهلها أخلاط وهي من بلاد السكر يصنع بها منه كل شيء كثير ويتجهز به إلى كل الآفاق ويصل فاضله إلى أقصى خراسان وينسب إليها ويصنع بها من الخز العتيق كل جليلة وبها فواكه كثيرة.

---

(١) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ص/٢٥

ومدينة عسكر مكرم مدينة كبيرة حسنة على نهر المسرقان ولها جسر قدمنا وصفه وهي عامرة بالتجار وأخلاط الناس وبها أسواق وأرزاق وصناعات ولها مزارع متصلة وبها صنف من العقارب على قدر ورقة الأنجذان وصفرتها تسمى الجرارة إذا لسبت أحدا مات لحينه وقل ما يسلم من لسبته وبين عسكر مكرم وتستر مرحلة ومن عسكر مكرم إلى رام هرمز مرحلتان وهي مدينة عامرة جليلة وبها أسواق ومتاجر ويصنع بها من ثياب الإبريسم ما يحمل إلى كثير من المواضع وكذلك من مدينة عسكر مكرم إلى الدورق نحو أربع مراحل ومن الدورق إلى الأهواز أربع مراحل خفاف.

والدورق مدينة عامرة بأهلها وبها من أخلاط الناس جمل ومتاجرها كثيرة وتسمى مدينة الرستاق وبغربيها مدينة باسيان على مرحلتين منها.

وباسيان مدينة وسطة في الكبر عامرة يشقها نهر فيصير نصفين وهي فرجة حسنه من داخلها وخارجها وبين باسيان وحصن مهدي مرحلتان غربا.". (١)

٣٤٦-"قال صاحب التيجان: "كان قد غزا الهند قبل الرائش من ملوكهم أربعة: سبأ، وحمير، وواثل، والسكسك. وأبقوا عليهم خراجا يحملونه إلى اليمن. فلما ولي الرائش، وجاءته هدايا الهند، رأى فيها **من العجائب** واللطائف ما حمله على غزو الهند، فوصل إليها، وبنى فيها مدينة سماها: الرائش". قال: "وهي مدينة الهند العظمى التي تسميها الهند: الرائد، وبها ملكهم إلى اليوم".

"وأوقع بالسند، ودوخ أذربيجان وأرمينية، وقابلته ملوك الأرض بما يقابل به الملوك العظماء، وكتب على صخور في الأقطار ما سنح لخاطره، فكان من ذلك:

يا جازعا أرض خراسان ... ملجحا في أرض تركان

ومنه: إن الرائش ذا مراثد، سيد الأوابد، بلغ من الدنيا أمله، وبقي ينتظر أجله.

ثم نزل غمدان، ومات عن مائة عام وخمسة وأربعين عاما".

ابنه ذو القرنين الصعب بن الرائش

حكى صاحب التيجان عن وهب بن منبه أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: حدثوا عن حمير فإن في أحاديثها عجائب، ومن أعجبها حديث ذي القرنين.

وقد اختلف فيه اختلافا كثيرا: فقيل: كان نبيا، وقيل كان ملكا إلا أنه كان صالحا مصدعا له بلطف الله، وقيل: كان من العرب، وقيل: كان من العجم. ثم اختلف في أي العجم كان، فتجاذبته الأمم لعلو ذكره كل أمة تدعي أنه منها.

والاعتماد في شأنه على ما ذكره صاحب التيجان، قال: "سئل ابن عباس رضي الله عنه عن ذي القرنين من هو؟ فقال: من حمير، وهو الصعب بن ذي مراثد الذي مكنه الله في الأرض، وأتاه من كل شيء سببا، فبلغ قرني الشمس، وداس الأرض، وبني السد على يأجوج ومأجوج. قيل له: فالإسكندر؟ قال: كان رجلا روميا صالحا حكيما بنى على البحر منارا،

---

(١) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ص/١٢٧

ودوخ المغرب، وبنى فيه المدن والمصانع". وقد فخرت التبابعة بأن جدهما ذو القرنين، وذكرت ذلك في أشعارها.". [1]

"قاع

برية بين عمان وحضرموت، **من العجائب** أن التاجر يمر بها إلى عمان بسلعته ليبيعها، فيسمع في تلك البرية: فلان بن فلان معه سلعة تساوي كذا دينارا أو درهما! فيدخل عمان لم يزد على ذلك شيء أصلا، والله الموفق.

قلعة الشرف

قلعة حصينة باليمن قرب زبيد لا يمكن استخلاصها قهرا لأنها بين جبال لا يوصل إليها إلا في مضيق لا يسمع إلا رجلا واحدا مسيرة يوم وبعض يوم، ودونه غياض، أوى إليه علي بن المهدي الحميري المستولي على زبيد سنة خمسين وخمسمائة. والله الموفق.

كاكدم

مدينة بأقصى المغرب جنوبي البحر متاخمة لبلاد السودان، منها صناع أسلحة.
منها الرماح والدرق اللمطية من جلد حيوان يقال له اللمط، لا يوجد إلا هناك، وهو شبه الظباء أبيض اللون، إلا أنه أعظم خلقا، يدبغ جلده في بلادهم باللبن وقشر بيض النعام سنة كاملة، لا يعمل فيه الحديد أصلا، إن ضرب بالسيوف نسبت عنه، وإن أصابه خدش أو بتر يبل بالماء ويمسح باليد فيزول عنه، يتخذ منه الدرق والجواشن قيمة كل واحد منها ثلاثون دينارا، وحكى الفقيه علي الجنحاني: انه مر بقرب كاكدم بل عال، والناس يقولون من صعد هذا التل اختطفه الجن، وعنده مدينة النحاس التي اشتهر ذكرها، وسيأتي ذكرها في موضعه إن شاء الله تعالى.." [2]
"نازلة يطمع فيهم، ويخرجون المال إذا قمروا من غير اكتراث فتتوق نفس الغريب أن يلعب معهم، فكلما جلس لا يتركونه يقوم ومعه شيء حتى سراويله، وربما استرهنوا نفسه ومنعوه من الذهاب، حتى يأتي أصحابه ويؤدوا عنه ويخلصوه.

القيروان

مدينة عظيمة بافريقية، مصرت في أيام معاوية، وذلك انه لما ولي عقبة بن نافع القرشي افريقية ذهب إليها وفتحها وأسلم على يده كثير من البربر، فجمع عقبة أصحابه وقال: ان أهل افريقية قوم إذا غصبهم السيف أسلموا، وإذا رجع المسلمون عنهم عادوا إلى دينهم، ولست أرى نزول المسلمين بين أظهرهم رأيا، لكن رأيت أن أبني ههنا مدينة يسكنها المسلمون.
فجاؤوا إلى موضع القيروان، وهي أجمة عظيمة وغيضة لا تشقها الحيات من تشابك شجرها، فقالوا: هذه غيضة كثيرة السباع والهوام، وكان عقبة مستجاب الدعوة فجمع من كان في عسكره من الصحابة، وكانوا ثمانية عشر نفسا، ونادى:

---

(١) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ص/٣٥
(٢) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٥٨

أيتها السباع والحشرات، نحن أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ارحلوا عنا فإنا نازلون فمن وجدناه بعد قتلناه! فرأى الناس ذلك اليوم عجبا لم يروه قبل ذلك، وكان السبع يحمل أشباله، والذئب اجراءه، والحية أولادها وهي خارجة سربا سربا، فحمل ذلك كثيرا من البربر على الإسلام. ثم بنى المدينة فاستقامت في سنة خمس وخمسين. ذكر الجيهاني ان بالقيروان أسطوانتين لا يردى جوهرهما ما هو، وهما تترشحان ماء كل يوم جمعة قبل طلوع الشمس، وموضع العجب كونه يوم الجمعة. وقد قيل: ان ملوك الروم طلبوهما بثمن بالغ، فقال أهل القيروان: لا نخرج أعجوبة **من العجائب** من بيت الله إلى بيت الشيطان!." (١)

"ويتخذون منها ماء لطيفا في آنية زجاج ويجمعونه بجد واجتهاد عظيم، فيحصل في العام نحو مائتي رطل بالمصري. وهناك رجل نصراني يطبخه بصناعة يعرفها لا يطلع عليها أحد، ويصفي منها الدهن، وقد اجتهد الملوك أن يعلمهم فأبى وقال: لو قتلت ما علمت أحدا ما بقي لي عقب.

قال الحاكي: شربت من هذه البئر وهي عذبة فيها نوع دهنية لطيفة، وقد استأذن الملك الكامل أباه الملك العادل أن يزرع شيئا من شجر البلسان، فأذن له، فغرم غرامات وزرعه فلم ينجح ولا حصل منه دهن البتة، فسأل أباه أن يجري لها ساقية من البئر المذكورة، فأذن له ففعل وأنجح، فعلموا أن ذلك من خاصية البئر. وليس في جميع الدنيا موضع ينبت شجر البلسان وينجع دهنه إلا هناك، ورأى رجل من أهل الحجاز شجر البلسان فقال: انه شجر البشام بعينه إلا أنا ما علمنا استخراج الدهن منه.

معرة النعمان

بليدة بين حلب وحماة، كثيرة التين والزيتون. ينسب إليها أبو العلاء أحمد ابن عبد الله المعري الضرير المشهور بالذكاء. ومن عجيب ما ذكر عنه أنه أخذ حمصة وقال: هذا يشبه رأس البازي! وهذا تشبيه عجيب من أولي الأبصار فضلا عن الأكمه، وقد ذكر البعير عنده أنه حيوان يحمل حملا ثقيلا فينهض به فقال: ينبغي أن تكون رقبته طويلة ليمتد نفسه فتقدر على النهوض به! وكان له سرير يجلس عليه فجعلوا في غيبته تحت قوائمه أربعة دراهم، تحت كل قائمة درهما، فقال: ان الأرض قد ارتفعت عن مكانها شيئا يسيرا والسماء نزلت! **ومن العجائب** انه مع ذكائه اختفت عليه الموجودات التي ليست بمجسمة كالجواهر الروحانية، فاعتقد ان كل موجود يكون مجسما حتى قال:

قالوا: إله لنا قديم! ... قلت لهم: هكذا يقول." (٢)

"وكان بيده إلى أن مات. وانقطع السبيل إليه إلى هذه الغاية.

ومن العجائب ما ذكره ابن الفقيه انه إلى جانب هذا الطاق شبيه بالدكان، إذا لطخ بعذرة أو شيء من الأقذار ارتفعت في الحال سحابة فمطرت عليه حتى تغسله وتنظفه، وان ذلك مشهور عندهم لا يتمارى فيه اثنان.

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٢٤٢

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٢٧٢

حلوان

مدينة بين همذان وبغداد. كانت عامرة طيبة والآن خراب، وتينها ورمانها في غاية الطيب، لم يوجد في شيء من البلاد مثلهما. وفي حواليها عدة عيون كبريتية ينتفع بها من عدة أدواء. وكان بها نخلتان مشهورتان على طريق السابلة، وصل إليهما مطيع بن اياس فقال:

أسعداني يا نخلتي حلوان ... وابكيا لي من ريب هذا الزمان

واعلما أن ريبه لم يزل ... يفرق بين الألافي والجيران

واسعداني وأيقنا أن نحسا ... سوف يأتيكما فتفترقان!

حكى المدائني أن المنصور اجتاز عليهما، وكان إحداهما على الطريق ضيقت على الأحمال والثقال، فأمر بقطعها فأنشد قول مطيع فقال: والله لا كنت ذلك النحس! ثم اجتاز المهدي بهما واستطاب الموضع، ودعا لحسنه المغنية وقال لها: أما ترين طيب هذا الموضع؟ غنيني بحياتي! فغنت:

أيا نخلتي وادي بوانة حبذا ... إذا نام حراس النخيل جناكما!

فقال لها: أحسنت! لقد هممت بقطع هاتين النخلتين فمنعتني. فقالت: أعيذك بالله أن تكون نحسهما! وأنشدت قول مطيع، ثم اجتاز بهما الرشيد عند خروجه إلى خراسان وقد هاج به الدم بحلوان، فأشار عليه الطبيب بأكل الجمار، فطلب ذلك من دهقان حلوان فقال: ليست أرضنا أرض نخل لكن." (١)

"كنكور

بليدة بين همذان وقرميسين في فضاء واسع، طيبة الهواء عذبة الماء صحيحة التربة كثيرة الخيرات والثمرات. ولذلك اتخذها كسرى ابرويز مسكنا، وأمر أن يبنى له قصر لا يكون لأحد من الملوك مثله. فاتخذ للقصر أساسا مائة ذراع في مائة ذراع في ارتفاع عشرين ذراعا، يراه الناظر كأنه حجر واحد، لا يظهر فيه أثر الدرز، وبنى فيه ايوانات وجواسق وخزائن على اسطوانات حجرية تحير الناظر في صنعته وحسن نقوشه.

قال صاحب عجائب الأخبار: إذا أردت أن ترى عجبا **من العجائب** فانظر إلى أسطوانات هذا القصر إلى رؤوسها وأسافلها، وتعجب من تسخير الحجر الصلد لهؤلاء الصناع.

وحكي انه لما حضر عند كسرى فغفور ملك الصين وخاقان ملك الترك وداهر ملك الهند وقيصر ملك الروم أحضرهم في هذا القصر ليبصروا عجائبه وقوة ملك بانيه، وصنعة صناعه وعجزهم عن بناء مثله.

وذكر أن المسلمين لما وصلوا إليها في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، سرقت دوابهم في ذلك المكان فسموه قصر اللصوص. وحكي انه لما قتل كسرى ابرويز بقي من هذا القصر بقية؛ قال الحاكي: نظرت إلى بعض أساطينها نحت أكثرها

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٣٥٧

وهندم، وبقي أقلها على حاله، فسألت عنها فذكروا انه لما قتل ابرويز انصرف الصناع عنها وتركوها ثم طلبوهم لإتمامها، فما كانت تعمل آلتهم فيها، ولا اهتدت فكرتهم إليها، فعلموا أن تيسير ذلك كان بهمة كسرى ابرويز.." (١)

"انقلبت حجرا أحمر، وصبرة التبن انقلبت حجرا أبيض اللون. وحولها تماثيل حجرية تشبه تماثيل الحيوانات من الإنسان والبهائم، لكنها تغيرت وفنيت بطول الوقت، وبقرب قيصرية جبل فيه من الحيات ما لا يحصى، إلا أنها لا تخرج منه لطلسم عمله الحكماء، فلا يخرج منه شيء البتة.

كش

مدينة بقرب سمرقند حصينة. لها قهندز وربض؛ قال الاصطخري: مدينة كش ثلاثة فراسخ في مثلها جرومية تدرك بها الثمار أسرع من سائر بلاد ما وراء النهر، غير أنها وبيئة، وعماراتها حسنة جدا.

وفي عامة دورها الماء الجاري والبستان. بها شوك الترنجبين يحمل منها إلى البلاد كلها. وفي جبالها العقاقير الكثيرة. ومنها يرتفع الملح المستحجر.

ومن مفاخرها أبو إسحق الكشي المشهور بالجود والكرم. **ومن العجائب** ما حكي عنه أن بعض أصدقائه شكا إليه سوء حاله وكثرة ديونه، فسأله أبو إسحق عن مقدار دينه ووزن في الحال وقال: اصرف هذا في دينك! ثم وزن مثلها وقال: اصرف هذا في مصالحة شأنك! وجعل يعتذر إليه اعتذار المذنب. فلما ذهب الرجل بكى بكاء شديدا، فسئل عن بكائه فقال: بكائي على غفلتي عن حال صديقي حتى افتقر إلى رفع الحال إلي والوقوف موقف السؤال.

كند

من قرى خجند بما وراء النهر، يقال لها كند باذام، وباذام هو اللوز لأن بها لوزا كثيرا. بها اللوز الفريك، وهو لوز عجيب ينقشر إذا فرك باليد.." (٢)

"مغانجة

مدينة عظيمة جدا، بعضها مسكون والباقي مزروع. وهي بأرض الفرنج على نهر يسمى رين. وهي كثيرة القمح والشعير والسلت والكروم والفواكه. بها دراهم من ضرب سمرقند في سنة إحدى واثنتين وثلاث مائة، عليها اسم صاحب السكة وتاريخ الضرب؛ قال الطرطوشي: أحسب أنه ضرب نصر بن أحمد الساماني.

ومن العجائب أن بها العقاقير التي لا توجد إلا بأقصى الشرق، وانها من أقصى الغرب كالفلفل والزنجبيل والقرنفل والسنبل والقسط والخاولنجان، فإنها تجلب من بلاد الهند وإنها موجودة بها مع الكثرة.

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٤٤٨

(٢) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٥٥٤

نيقية

قال ابن الهروي: إنها من أعمال استنبول. وهي المدينة التي اجتمع بها آباء الملة المسيحية، فكانوا ثلاثمائة وثمانية عشر. آباء يزعمون أن المسيح كان معهم في هذا المجمع، وهو أول الجامع لهذه الملة، وبه أظهروا الأمانة التي هي أصل دينهم. وفي بيعتها صور هؤلاء، وصورة المسيح على كراسيهم. وفي طريق هذه المدينة تل على رأسه قبر أبي محمد البطال. والله الموفق.." (١)

"خراسان فان ابا زيد [١] جعلها اقليمين وهو امام في هذا العلم بخاصة في إقليمه فلا عيب علينا ان جعلناها جانبين [٢] ، فان قال فلم خالفته بعد ما نصبته اماما فصيرت خراسان [٣] إقليما واحدا قيل له لنا في هذا جوابان أحدهما انا لم نحب ان نفرق مملكة آل سامان [٤] إذ المشهور في الإسلام ٥ انهم ملوك خراسان وانما دار ملكهم في هيطل [٥] والجواب الثاني ان ابا عبد الله الجيهانى أيضا امام في هذا العلم وهو لم يفرق خراسان فقولنا من جهة يوافقهما ومن جهة يخالف، وهذه صورة جزيرة العرب [٦] وقد جعلناه اربع [٧] كور جليلة واربع نواح نفيسة والكور [٨] أولها الحجاز ثم اليمن ثم عمان ثم هجر والنواحي الأحقاف والأشجار [٩] اليمامة

---

[١] . فالفارسىC

[٢] إقليما على حدة وهيطل آخر وهو أحد الائمة في.C هذا العلم وذكر لي من لقيه انه كان فقيها فيهما حاكما

[٣] فجعلت.C خراسان وهيطل

[٤] . ساسانC

[٥] والاستحسان عند addens:بهيطل) .C عندنا (l.في هذا العلم أصل مقدم وهو أحد القياسين

[:Cprohis٦] وابن جراذبه (خرداذبه (l.وابن الفقيه كانوا أيضا ائمة في هذا العلم ولم يفرق أحد منهم إقليم المشرق فحملنا مقالة الفارسى على انهما جانبين (جانبان (l.ومقالة من ذكرنا على انه إقليم واحد الا ترى انه لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رفع يديه حذاء منكبيه وروى حذاء أذنيه استحسن فقهاؤنا ان يرفع رفعا يجمع فيه القولين ويستعمل فيه الخبرين، فان قال طريقتك التي ابتدعتها تخالف طرائق جميع من ذكرت قيل له انما خالفناهم في البيان وفي أشياء غلطوا فيها ولو كانت كتبهم شافية وحكاياتهم كلها صحيحة ولأوساط الناس في تأليفهم فائدة ما تكلفنا ما تكلفناه ولكنى ما رايتهم زادوا على المسالك والممالك والأشكال وشيء من العجائب وعلم النجوم، واما إقليم المغرب فانا قسمناه على إقليم المشرق والمعنى الجامع بينهما ان كل واحد منهما أحد طرفي الإسلام في الطول وغاية لسراج الدنيا وبالله تعالى التوفيق. InB etCse٣٧(p.) –،وهذا مثال هذا الإقليم وشكله غاية جهدنا كما ترىiturmappaArabiae.

[٧] . وقد جعلنا هذا الإقليم سبعC

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ، زكريا ص/٦٠٨

[٨] نفيسة.Addidi فاما الكور فالحجاز Cenimhabet, Coniectura والكورexCet

[٩] . مهرة Idest.." (١)

"مائتان [١] وأربعون رطلا والقفيز ربعها والمكوك ربع القفيز وأرطالهم بغدادية وفرقهم بغدادي ستة وثلاثون رطلا [٢] ولغتهم لغة حسنة اصح من لغة الشام لانهم عرب أحسنها [٣] الموصلية وهم أحسن وجوها وهي اصح هواء من سائر الإقليم [٤] وقد جمعت أكثر القبائل أكثرهم حارثيون ولهم مشاهد ثم بسواد الموصل مسجد يونس وآثاره عند نونوى القديمة [٥] موضع يسمى تل توبة على رأسه مسجد ودور للمجاورين بنته جميلة ابنة ناصر الدولة [٦] وأوقفت عليه اوقافا جليلة يزعمون ان سبع زورات يعدلن حجة يقصد ليالي الجمع وهو الموضع الذي خرج اليه قوم يونس لما أيقنوا بالعذاب [٧] وعلى نصف فرسخ منه [٨] عين يونس وبظاهر [٩] بلد عين يزعمون ان يونس خرج منها [٨] يستشفى بمائها من البرص وثم له مسجد [١٠] وموضع شجرة اليقطين، على فرسخ من ميافارقين دير توما فيه جسد قائم [١١] يزعمون انه من الحواريين يابس، رباط ذي القرنين على طريق الرحاب حصين عامر تحته كهف [١٢] الظلمات التي دخلها ذو القرنين وحرص مسلمة بن عبد الملك في دخولها واستعد المشاغل والشموع فانطفت ورجع **ومن العجائب** بنصيبين عين ينبع [١٣] منها كلس ابيض يستعملونه كما يستعمل في الحمامات والدور [١٤] ، بأرض الموصل دير الكلب يحمل اليه من عضه كلب عقور فيقيم عند رهبانه خمسين يوما فيبرأ باذن الله تعالى، وبهذا الرستاق [١٥] عين من شرب منها مات بعد ثلاثة أيام، على بريد [١٦] من الموصل قرية باعشيقا [١٧] بها نبت من قلعه وبه بواسير أو خنازير سقطت عنه فان بعث من به هاتان العلتان رجلا بدرهم

.vitiummanifestum [١] اثنان C

[٢] . وفرقهم بغداذيه

[٣] أصح من.C لغة بغداذ وأحسن من لسان الشام لان ديار العرب أصحها

[٤] وهواءهم) .c أكثرهم (pro عامتهم et جمع etinseqq.أصح من سائر الأقاليم

[٥] وبه مشاهد.C مسجد يونس بسواد الموصل

[٦] . ووقفت Com.;deindehabet

addit. [٧] فتابوا فيه

[٨Com. [

[٩] . مدينة Caddit

[١٠] . مسجده C

appellaturaJaqut.HicCinserit [١١] دير مر توما.Monasterium رجل addit انه etpost يابس

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٦٨

[١٢] . بابC

[١٣] . الكلس) .MoxB ينبع (B نبعC

[١٤] . وبأرض et في الابنيةC

[١٥] . الرساتيقC

[١٦] . ١٥ بن ٤٧٢ بن. Cf.Jaqut١ بريدين

[١٧] . باعشيقا B." (١)

"من السكر ناطقا ويصنعون زلابية في الشتاء من العجين غير مشبكة وعلى أكثر هذه الرسوم أهل مصر وعلى اقلها أهل العراق واقور وبه معادن حديد في جبال بيروت وبحلب مغرة جيدة وبعمان دونها [١] وبه جبال حمر يسمى ترابها السمقة وهو تراب رخو [٢] وجبال بيض تسمى الحوارة [٣] فيه ادنى صلابة يبيض به السوف [٤] ويطين به السطوح [١] وبفلسطين مقاطع حجارة بيض ومعدن للرخام [٥] ببيت جبريل وبالاغوار معادن كبريت وغيره، ويرتفع من البحيرة المقلوبة ملح منثور، وخير العسل ما رعى السعتر بإيليا وجبل عاملة وأجود المري ما عمل باريحاء [١] وقد ذكرنا أكثر المشاهد في عنوان الإقليم وان ذكرنا مواضعها [٦] طال الكتاب غير ان أكثرها بإيليا ثم بسائر فلسطين ثم بالاردن ومياه [٧] هذا الإقليم جيدة الا ماء بانياس فإنه يطلق وماء صور يحصر وماء بيسان ثقيل ونعوذ بالله من صغر [١] وماء بيت الرام [٨] ولا ترى اخف من ماء اريحاء [١] وماء الرملة مري وماء نابلس خشن وفي ماء دمشق وإيليا ادنى خشونة وفي الهواء ادنى يبوسة [٩] وفيه عدة من الأنهار تقلب في بحر الروم الا بردي فإنه يشق أسفل قصبة دمشق فيسقى الكورة وقد شق منه شعب يتدور في أعلى القصبة ثم ينقسم قسمين بعض يتبحر نحو البادية وبعض ينحدر فيلقى نهر الاردن ونهر الاردن ينحدر من خلف بانياس فيتبحر بإزاء قدس ثم ينحدر الى طبرية ويشق [١٠] البحيرة ثم ينحدر في الاغوار الى البحيرة المقلوبة وهي مالحة جدا وحشة مقلوبة منتنة فيها جبال وليس فيها أمواج كثيرة [١١] ، وبحر الروم يم على طرفه الغربي وبحر الصين يمس طرفه الجنوبي وبإزاء صور تقع جزيرة قبرص يقال انها اثنا [١٢] عشر يوما كلها مدن عامرة وللمسلمين فيها رفق وسعة لكثرة ما يحمل منها من الخيرات والثياب [١١] والآلات وهي لمن غلب، المسافة اليها في البحر إقلاع يوم وليلة ثم الى بلد الروم مثل ذلك

[.Com١]

[٢] . تسما السمقهCtantum

,. Cf.JaqutII ٣٥٤, ٦ seqq. [٣] حوار S.حوار

[٤] . المموفB

[٥] . الرخامB

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/١٤٦

[٦] . في مواضعها منهC

وهراة [٧] sic.C

[٨] (الواو B) apudJaqut. بيت رامةdifferrevidetura

[٩] . **ومن العجائب** omississeqq.ad ويحتاج ماء دمشق ويليا الى الدسمC

وهوB [١٠niecturaemendavi. [.

[١١Bsinepunctis. [

[١٢] . اثنى B." (١)

"**ومن العجائب** بإيليا مغارة بظاهر البلد عظيمة سمعت [١] بعض العلماء وقرأت في بعض الكتب انها تنفذ [٢] الى قوم موسى وما صح لي ذلك وانها [٣] مقاطع للحجارة وفيها طرق يدخل فيها [٤] بالمشاعل، بين فلسطين والحجاز [٥] الحجارة التي رمى بها قوم لوط على طريق الحجاج [٦] مخططة صغار وكبار، بطبرية عين تغلي تعم أكثر حمامات البلد وقد شق الى كل حمام منها نهر [٧] فبخاره يحمى البيوت فلا [٨] يحتاج الى وقيد وفي البيت الأول ماء بارد يمزج [٩] مقدار ما يتطهرون [١٠] به ومطاهرهم من ذلك الماء وفي هذه الكورة ماء مسخن [١١] يسمى الحمة [١٢] حار من اغتسل فيه ثلاثة أيام ثم اغتسل في ماء [١٣] آخر بارد وبه جرب أو قروح أو ناسور [١٤] أو اى علة تكون برأ باذن الله وسمعت الطبرانيين [١٥] يذكرون انه كان عليها بما يدور بيوت [١٦] كل بيت لعلة فكل من به تلك العلة واغتسل فيه برأ [١٧] الى وقت أرسطاطاليس [١٨] ثم سال ملك ذلك الزمان هدم [١٩] هذه البيوت لئلا يستغنوا [٢٠] عن الأطباء وصحت لي هذه الحكاية [٢١] لان كل من دخله من أصحاب العلل وجب [٢٢] ان يخوض الماء كله ليوافق موضع شفائه [٢٣] ، وبحيرة صغر [٢٤] اعجوبة يقلب فيها نهر الاردن ونهر الشراة فلا يحيل [٢٥] فيها ويقال انها لا تغرق سريعا [٢٦] وان احتقن بمائها أشفى من علل كثيرة ولها موسم في شهر آب [٢٧] يذهب اليها الأحدث وأصحاب العلل، وفي جبال الشراة أيضا

---

[١] . منCadd.

ubiterradeglu, ligivideturlocus –[٢] تنفذ ،C ينفذ.of.Qoran, ٢٨tivitQarun ٧٦vs -

B٨١.

[٣] . ولكنهاC

[٤] . طريق– فيهC

[٥] . بين الرملة وويلهC

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/١٨٤

[٦Com. [

[٧] اجرى منها الى كل حمام نهر.C فبحاره تحمى habetetdeinde الى pro وكل.B بتوته

[٨] يحتاج etdeinde ولاB

[٩] . يمرجC

[١٠] . يتغسلونC

[١١] . متجسدC

[١٢] . الحمىC

et [١٣] بماء.C بقربة add اخرpost

[١٤] . بلسورrou, SicBetC

.Bom. [١٥] الله تعالى وسمعتهم.C يذكرون

, JaqutIII.Cf.Com١٠٥ ,٤] .seq١٦]

[١٧] اغتسل فيه برء من.C تلك العلة

[١٨] . استطاليسC

[١٩] . هذه.Com.عنB

[٢٠] . يستغنونC

[٢١] . وصح لي هذاC

[٢٢] . لا ينفعه دونC

[٢٣] وبرستاق etaddit:شفاء علته.C مآب حمة اخر (اخرى (l.

[٢٤] . صغرىB

[٢٥] . يحمل.B ذلك

[٢٦] . وان pro وما.Deinde لا تغرق وليسها لها موجCprohis

[٢٧] يوم.C النصف من آب نفعه من علل عدة ولها ذلك اليوم موسم." (١)

"حمة [١] ، ينزل على [٢] ، فلسطين في كل ليلة الندى في الصيف إذا هبت الجنوب حتى [٣] يجرى منه مزاريب المسجد الأقصى [٤] ، ابو رياح [٥] حمص طلسم جعل للعقارب ومن أخذ طينا وطبعه [٦] عليه نفع من لذغ [٧] العقارب باذن الله تعالى فالعمل [٨] للطبع لا للطين، مدن سليمان عم بعلبك وتدمر [٩] من العجائب وقبة [١٠] الصخرة وجامع دمشق ومينا صور وعكا من العجائب [١١] ووضع هذا الإقليم ظريف هو اربعة صفوف فالصف [١٢]

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/١٨٥

الأول يلي بحر الروم وهو السهل رمال منعقدة ممتزجة [١٣] يقع فيه من البلدان الرملة وجميع مدن السواحل [١٤] والصف الثاني الجبل [١٥] مشجر ذو قرى وعيون ومزارع يقع [١٦] فيه من البلدان بيت جبريل وإيليا [١٧] ونابلس واللجون وكابل [٤] وقدس والبقاع وانطاكية [١٨] الصف الثالث الاغوار ذات قرى وانهار ونخيل ومزارع ونيل يقع فيه من البلدان ويلة وتبوك [٤] وصغر واريحاء وبيسان وطبرية [١٩] وبانياس والصف الرابع سيف البادية وهي [٤] جبال عالية باردة معتدلة مع البادية [٤] ذات قرى وعيون وأشجار يقع فيه [٢٠] من البلدان مآب وعمان وأذرعات ودمشق وحمص [٤] وتدمر وحلب [٤] ، وتقع الجبال الفاضلة مثل جبل زيتا وصديقا ولبنان وو اللكام في الصف الثاني وسرة الأرض المقدسة في الجبال المطلة على الساحل [٢١] وكنت يوما في مجلس ابى محمد الميكالى رئيس نيسابور وقد حضر الفقهاء للمناظرة فسئل ابو

[١LaecinCdesunt. [

[٢] . النداء ،C الندا.MoxB إيليا.DeindeC الىB

[٣] . (مزاريبه (B مرازيب ethabet منهBhaecom.MoxCom.

[٤Com. [

، [٥utdicitEdrIsI] يدور مع الريح كيف دارت.menindehabetquod١٦, ١٥٦etnostersuprap.

[٦] . فطبعهC

[٧] . يقع من لدعB

.[٨C] والعمل

[٩] تدمرBtantum.

[١٠] . وفيهB

[١١] لبيت المقدس طلسم Caddit:لئلا تلدغ الحيات خلف منبر بيت المقدس رخامة فيه كتابة خلفه (خلقة .chron, BerunI.Cf٣٩٨ ,٥ l) .seq.محمد رسول الله واخرى بسم الله الرحمن الرحيم

[١٢] . الصفC

[١٣] . ورمال- وممتزجةC

[١٤] . الساحلC

.[١٥Deinde] جبل.C مسحرB

[١٦] . ويقعC

[١٧] . ايلياBhicetsemelinfra

[١٨] وفيه Caddit vid.Djih.Numa:جبل صديقا.De جبل لبنان وجبل اللكام وجبل زيتا وصديقا٥٥٩ ،١١ .etinfra

[١٩] . ووادي كنعانCaddit

[٢٠] . فيهاB

[quodinseruicoll.s.Chaecom. ٢١] في الصف الثاني om.وصرة et الفاصلة B." (١)

"اليوم ألوانا ويمنع السلطان من حمل ذلك الى البلدان الا ما يخفى عنهم [١] ربما بلغ الثوب عشرة آلاف دينار، باصقلية جبل تفور منه النار اربعة أشهر في كل عشر سنين مرة وسائر الأوقات يدخن حوله ثلوج متلبدة الا موضع الدخان، بمدينة إيكجا [٢] عيون تخرج أوقات الصلاة ثم تغور فان قصدها رجل [٣] كان قد قتل نفسا بغير حق لم يخرج له شيء [٤] ، فان قال قائل انك تركت كثيرا من العجائب [٥] في هذا الإقليم لم تذكرها [٦] قيل له انما تركنا ما ذكره من قبلنا في تصانيفهم ومن مفاخر كتابنا الاعراض عما ذكره غيرنا وأوحش شيء في كتبهم ضد ما ذكرنا الا ترى انك إذا نظرت في كتاب الجيهانى وجدته قد احتوى على جميع أصل ابن خرداذبه [٧] وبناه عليه وإذا نظرت في كتاب ابن الفقيه فكأنما أنت ناظر في كتاب الجاحظ والزيج الأعظم وإذا نظرت في كتابنا وجدته تسبح وحده يتيما في نظمه ولو وجدنا رخصة في ترك جمع هذا الأصل ما اشتغلنا به ولكن لما بلغنا الله تعالى أقاصي الإسلام وأرانا أسبابه وألهمنا قسمته وجب ان ننهى ذلك الى كافة المسلمين ألا ترى الى قوله تعالى [٨] قل سيروا في الأرض ٦: ١١، أفلم يسيروا في الأرض فينظروا ١٢: ١٠٩ وفيما نذكر [٩] عبرة لمن اعتبر وفوائد لمن سافر [١٠] واما ارض السودان فإنها تتاخم هذا الإقليم ومصر من قبل الجنوب وهي بلدان مقفرة [١١] واسعة شاقة [١٢] وهم أجناس كثيرة وفي [١٣] جبالهم عامة ما يكون في جبال المسلمين من الفواكه غير ان أكثرهم [١٤] لا يذوقونه ولهم فواكه اخر واغذية واطعمة وحشائش لا توجد عندنا ولا تعامل بينهم بالذهب والفضة

---

[١] ربما بلغ الثوب من ألف الى احدى (أحد .l)عشر ألف.Com.,seddeindehabet:درهم ويمنع السلطان من حمله

[٢] . وهي ؟.InBsequitur ايكحا ؟C، ايكحاح؟B

[٣] . كانBom.DeindeCom.

[٤] . (يخرج B مخرج ماء C

[٥] قد تركت C.عجائبا كثيرة

[٦] . وغيره لم تدركهاC

[٧] . خرداذB

[٨, [١١vs. ٦etalibi.Qoran. ١٠٩vs. ١٢

[٩] .؟ يذكر؟B

[١٠] انما نترك ما ذكر Cprohisomnibus:وارض السودان يتاخم.Deinde أهل التصانيف قبلنا ونذكر ما تركوه أو

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/١٨٦

غلطوا فيه. عله بتخومcumannot.marg.

[١١] . قفرةC

..Cf.cumhisIst.٤٠. [١٢] شافهB

[١٣] . كثير فيC

[١٤] . انهم C." (١)

"ومن العجائب بنيسابور جبل ترابه اسود مثل الانقاس [١] به يكتبون الرسائل وما يجرى مجراها ويختمون الكتب وجبال بحيطل ونيسابور يقطعون منها الملح كما يقطع الحجر وبه [٢] شجر لها ثمر إذا شق خرج منه حيوان له اجنحة [٣] يطير وماء مازل [٤] ومسجد رجاء وطاحونة ابن ... [٥] وايوان ابى مسلم وطواحين الريح بسجستان وبوشنج وحصن زرنج من العجائب بسرخس موضع يقصده طير في يوم من السنة فيطرح نفسه فيه ويجمع الناس منه شيئا كثيرا وبمزدوران [٦] كهف لا يعلم له منتهى [٧] وبه مشاهد قبر علي الرضى بطوس قد بنى عليه حصن فيه دور وسوق وقد بنى عليه عميد الدولة [٨] فائق مسجدا ما بخراسان أحسن [٩] منه وعلى [١٠] فرسخ من سرخس قبر ابن عم له [١١] قد بنى عليه [١٢] مشهد، على فرسخين من مرو رباط فيه قبر صغير قالوا هو قبر راس الحسين بن علي رضي الله عنه [١٣] ، بطبس قبر صحابيين [١٤] ، وبحافة جيحون رباط ذي القرنين يقابله من الشرق رباط [١٥] ذي الكفل يقال انه كان يجر بينهما سلسلة [١٣] ، بطرف نسا رباط افراوة [١٦] وبإزاء أبيورد [١٧] رباط كوفن [١٨] وقد بنى خلفها ابو القاسم الميكالى

[()] طاهر قال انما اخترت نيسابور على مرو لثلاث لان هواءها أطيب وأهلها اوطأ. والمعمرين بها كثير

[١] . الانقاص,C Bsinepunctis

[٢] الى السلاطين ومن دونهم وآخر يقطع.C منه الملح كما تقطع الحجارة وبها

[٣] . فراشC

[٤] . وما نازلB

InB. [٥] طاحونة بر habet (Vid.infra) lacuna.C

[٦] في etinmarg.وبمروذران.B؟ الأصل وبمزذوران

[٧] برستاق سرخس موضع تأتيه الطير في وقت Cprohis:من السنة فتطرح أنفسها فيه ولا تأتي الا في ذلك الوقت، بمزدوران كهف لا يمكن أحد (أحدا .l) ان يدخله وفيه حكايات، بسجستان وبوشنج ارحية تديرها. الريح ولتلك الرمال عجائب، وحصن زرنج وطاحونة بر وماء مازل من العجائب

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٢٤١

[٨] . الأمير addit فائق.Cpost فايقBhaecom.Deindehabet
[٩] . اظرفC
[١٠] . نصفCadd.
[١١] . عم الرضىC
[١٢] . بنا Cutsaepe بنى.Pro أيضاCadd.
[١٣CoM. [
[١٤] . وبطبس التمر قبر صحابى. يقال له مالكC
[١٥] . ورباطC
B. [١٦] على (sic) رباط افرو
[١٧] . ولا بيوردC
[١٨] . ولهما فضائل Caddit:." (١)

"بسطام قبر ابى يزيد وبنواحي الخزر رباطات فاضلة **ومن العجائب** بطبرستان دويبة صغيرة لها ألف قائمة [١] أصغر من الجرادة وأدق من الدودة إذا تحركت تختالها [٢] امواجا تظهر من [٣] عناقيد العنب ودويبة اخرى لها جناحان كجناحى السنونية [٤] على عظم الثعلب تقضم الثمار قضما ولهم اسماك مثل فلق الجميز واجتزت يوما في سوق السماكين بجرجان فرأيت رأسا على قدر راس الثور فقيل لي هي راس سمكة [٥] ، بنواحي جرجان بئر تظهر [٦] فيه شجرة كل سنة ثم تغيب [٧] وقد احتال بعض السلاطين [٨] وشدها بالسلاسل الغليظة ففكتها وكسرتها وغابت ولسان قومس وجرجان متقاربان يستعملون الهاء يقولون هاده وهاكن وله [٩] حلاوة ولسان [١٠] طبرستان مقارب له [١١] الا ان فيه عجلة ولسان الديلم مخالف منغلق والجيل يستعملون الخاء [١٢] ولسان الخزر شديد الانغلاق وفي ألوانهم [١٣] أهل قومس ابتلاء [١٤] والديلم حسان اللحى والوجوه أيضا ولهم طلل [١٥] وفي أهل جرجان نحافة [١٦] أهل طبرستان أحسن وأصفى [١٧] ، وفي الخزر مشابه من الصقالبة وأكثر أسامي [١٨] أهل جرجان ابو صادق وابو الربيع وابو نعيم وأهل طبرستان ابو حامد [١٩] ورسمهم بجرجان ان التذكير للفقهاء وأهل الروايات [٢٠] ولا يكثرون التطالس [٢١] وللديلم رسوم عجيبة لا يزوجون الى غيرهم وكنت في بعض الخانات [٢٢] فإذا بصبية تعدو ورجل شاهر سيفه يعدو خلفها يروم قتلها فقلت ما فعلت حتى استوجبت القتل قال انها زوجت الى غيرنا

---

[١] . وهيCaddit
[٢] . تظنهاC, Bsinepunctis
[٣] . فيC

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٣٣٣

[٤] . السنونة , Qazwini II ١٢, ٢٤٣ -FaqIh cf.Ibnal ,B٣٦٣. الثعلب الطيارllaturhaecbestia

[٥] . عظيمةCprohis

[٦] . شجوه etmox دمر يظهرB

[٧] . يغيبB

C. [٨] الأمراء عليها

[٩Csinecop. [

[١٠] . أهلCadd.

[١١] . يقاربهC

[١٢] . الحآB

[١٣Clac. [

[١٤] . ابتلاB

[١٥] أحسن وأبدانهم أجسم وابهى.Cprohis:ظلل.B من غيرهم الا الديلم فإنهم حسان حداد ولحا وطلل

[١٦] . وصفرةCadd.

. icverohabetlocum١٠, ٣٧١ seqq.C [١٧] وأكثر ceterisomissisad، أفضل وأحسن

[١٨] . وعامة كنىC

[١٩] وكذلك أهل نيسابور وأهل مرو وسرخس ابو.Caddit:العباس

[٢٠] ورسومهم المذكورن بجرجان بلا مستملى لانهم (الا انهم.sive) C فقهاء وغيرهم بالضد

[٢١] . التطلسC

[٢٢] . الحمامات B." (١)

"بحيرتان إحداهما بأرمية طولها نحو اربعة أيام سير [١] الدواب تقطع باقلاع يوم وليلة وبارمينية اخرى تعرف ببحيرة أرجيح [٢] وبها تجارات [٣] يحمل من برذعة الإبريسم الكثير ومن باب الأبواب ثياب الكتان والرقيق والزعفران والبغال [٤] الجياد ومن دبيل ثياب الصوف والبسط والوسائد والأنماط والتكك الرفيعة، ومن برذعة الستور [٥] ويقع اليه البغال الجياد ويقوم ببرذعة يوم الأحد سوق يسمى الكركي يجتمع اليه أهل الكورة والنواحي حتى ان أحدهم يقول يوم السبت ويوم الكركي ويوم الاثنين يباع فيه. [٦] الإبريسم والثياب ولا نظير لتككهم ومحفورياتهم وقرمزهم وانماطهم وصبغهم وفاكهة تسمى الزوقال [٧] وقسبويه وسمك يقال له الطريخ [٨] ولهم تين وشاه بلوط في غاية الجودة [٩] **ومن العجائب** الباب [١٠] وهو حصن على ما ذكرنا من صور وعكا بسلسلة قد بنى من الصخر وجعل ملاطه [١١] الرصاص، بتفليس [١٢] حمامات على ما ذكرنا في طبرية [١٣] بلا وقيد، جبل الحارث متعال على [١٤] الإسلام لا يمكن أحدا صعوده [١٥]

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٣٦٨

يقال انه مع الحويرث من [١٦] جبال الطائف وانه كان على نهر الرس ألف مدينة هي [١٧] الآن تحتهما، بجامع أردبيل حجر كبير لو ضربت عليه المرازب ما عملت فيه [١٨] وقع من السماء على مسافة من البلد ثم حمل الى الجامع وسمعت ظريفا [١٩] الخادم يقول بينا [٢٠] نحن نسير بقرب [٢١] أردبيل إذا بشيء [٢٢] ينزل من السماء كالدرقة العظيمة حتى وقع الى [٢٣] الأرض فإذا به حجر فيجوز ان يكون هذا وهو على مثال مصقلة الصباغين دقيق الطرفين [٢٤] ، على مرحلة من موقان [٢٥] قلعة عظيمة تسمى الحسرة فوقها بيوت وقصور فيها ذهب عظيم صور

---

[١] . سيقC

[٢] . ارجيش.Pro ارجيح ،C ارجيحB

[٣] . والتجاراتC

B: [٤] النعالhicetdeinde

[٥] . السيورC

[٦] . ببضائعهم منC

ut [٧] الروقال..١٨٢edidiIst B٩, ,ipsitamicissimus .czuqalappellatur

وتسبوبهRosen.DeindeB

[.Com٨]

[٩] . الجودC

[١٠] . باب الأبوابC

[١١] . ملاطB

[١٢] . وبتفليسC

[١٣] . بطبريةC

[١٤] . جبالCadd

C. [١٥] ان يصعده

[١٦] . ٤ بن ١٨٤ بن.Cf.JaqutII في B

[١٧] . وهنC

[١٨] . شيئاCadd.

[١٩] . ظريف ،C طريفB

[٢٠] . بينماC

[٢١] . على قربG

[٢٢] . فإذا شيءC

[٢٣] . علىC

[٢٤] . الاترنجةC

[٢٥] . نوقان C." (١)

"أصفهان ويمد على تخوم الإقليم الى ارجان وعليه السكة تعبر على قناطر غير مرة [١] ، ونهر شيرين ونهر الشاذكان ونهر درخيد [٢] ونهر خوبذان [٣] ونهر رتين [٤] ونهر إخشين ونهر سكان [٥] ونهر جرسيق [٦] ونهر الكر ونهر فرواب ونهر تيرزة [٧] هذه امهات الأنهار [٨] واما البحيرات فخمس بحيرة البختكان [٩] نحو عشرين فرسخا مالحة بكورة إصطخر وبحيرة دشت أرزن بكورة سابور عشرة فراسخ عذبة ربما جفت وعامة سمك شيراز منها [١٠] وبحيرة كازرون عشرة فراسخ مالحة منشعبة فيها صيد ومنافع [١٠] وبحيرة الجنكان [١١] نحو اثنى عشر فرسخا يعملون في اطرافها الملح بكورة أردشيرخره [١٠] وبحيرة الباشفوية [١٢] ثمانية فراسخ مالحة عليها بردى وآجام، واما بحر الصين فإنه يمد على تخوم الإقليم الجنوبية كلها [١٣] وبه من احياء الأكراد ثلاثة وثلاثون الكرمانية الرامانية مدثر حى محمد ابن بشر الثعلبية [١٤] البندامهرية حى محمد بن إسحاق الصباحية [١٥] الاسحاقية الادركانية السهركية الطهمادهنية [١٦] الزبادية [١٧] الشهروية المهركية البنداقية [١٨] الخسروية الزنجية الصفرية [١٩] المباركية استامهرية [٢٠] الشاهونية الفراتية السلمونية [٢١] الصيرية الازاددختية [٢٢] المطلبية المالية الشاكانية [٢٣] الجليلية وهم خمس مائة بيت [٢٤] واما القلاع فباصطخر [٢٥] قلعة عظيمة سعة

---

[١] الى سينين (سينيز (l.ثم يقلب في التخوم عليه عدة من Cprohis:القناطر وهذا الإقليم كثير القناطر منها قنطرة ابى طالب من الجبل الى الجبل. وقنطرة عضد الدولة **من العجائب**

[٢] . درحيد C، درجيدB

[٣] خاوندان..Cf.supraadp ٤٣٥ a.B خاويذانC

..٩٩EdidiutapudIst]٤[رش ١٢٠et .١٨٠etIbnH ١٩١et BetC.

[.٥Bom]

[٦] . حرسين C، حرسنB

..٩٩Vid.I ١٨٠metIbnH] Bet.٧o] برزةC

[٨] . وغيرهنC

[٩] . البحكانBetC

[.١٠Chaecom]

[.١١Bsinepunctis]

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٣٨٠

Ist، [١٢] الباسفريه C، الباشفريه.B الباسفهوية ١٢٢

[١٣] . مالحات وبحيرة دشت ارزن عذبةCprohis:

Ist..١١٤ [١٤] النفيسية sedcodL، البقيلية

[١٥] . الصاحبيهB

[١٦] . الطهادهنيهB

[١٧] . الزداديهB

[١٨] . البندافيهB

[١٩] . الصقريهB

[٢٠] . القراثيه et السهاويبه.Deinde اسباصهريه.B المزانيةCod.Ist.L

[٢١] . السلمويةB

[٢٢] . المطبيه et الارادذحيهB

[٢٣] الساكانية.Trianominadesunt.B الحليليهet

[٢٤Chaecomnisom. [

[٢٥] . والقلاع بإصطخر C." (١)

"من قطع الطريق والقتل قال قلت من فعل هذا استوجب من الله المقت والعذاب الأليم في الآخرة قال فتنفس الصعداء وانقلب على الأرض وقد اصفر وجهه ثم أعتقني مع جماعة، وسمعت جماعة من التجار يقولون ان عندهم انهم لا يظفرون الا بأموال لا تزكى ويرون ان ما يأخذونه حق لهم واجب والجبال أعظمها وأمنعها كركسكوه اليه ينسب [١] ما واجه الرى من هذه المفازة وليس هو بالكبير غير انه منقطع المرتقى ذو [٢] معاطف ومكامن ومخابي خفية، ويليه فيما ذكرناه [٣] سياه كوه وهو دونه في الكبر غير انه منيع [٣] ويقع طريق [٤] الرى بينهما عند قصر الجص وثم جوف [٣] وبها [٥] **من العجائب** على فرسخين من راس الماء نحو [٦] خراسان حجارة سود صغار نحو اربعة فراسخ، عند قبر الحاجى نحو بارسك [٧] حصى صغار بعضها في لون الكافور بياضا وبعضها في لون الزجاج خضرة، بين خراسان وكرمان صورة لوز وتفاح وعدس وباقلى من حجارة وصورة عدة من الناس [٨] وقصر عجيب فيه تماثيل وعقود دقيقة وهو اعجوبة لم أر مثله [٩]

[١Bom. [

[٢] . وأعظم جبل فيها وامنعه كركسكوه واليه ينسب مفازة C الرى وليس بالكبير ولكنه متقطع ممتنع يكون أسفله نحو (نحوا l.من فرسخين به ماء يسمى مابيده (ماء بنده l.وسطه ميدان وفي جوانبه مياه عدة ضعيفة. وهو شديد السلوك

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٤٤٦

صعب المرتقى له

[٣Com. [

[٤] . وطريقC

[٥] . وفيهاC

[٦] . عندC

[٧inmappa [، دارسك.scriptioneviarum مادسك ،C داسك.B دارديل

[٨] . أناس كثيرC

[٩] عند الجرمق تلال سود.Hicaddit:هائلة C وقد وضعنا.viaruminChaecest:يزعمون انها رماد نار إبراهيم عم طرقها المعروفة اربعة هن امهات وذكرنا ما لا بد منه من البنيات (البينات .cod)أولها طريق أصفهان ثم طريق فارس ثم طريق كرمان ثم طريق السند كلها تخرج الى كور خراسان والى الدامغان والى الجبال فاما ظريف أصفهان فإنها الى الرى والى نيسابور واما طريق فارس فإنها الى نيسابور والى قوهستان والى الدامغان ولها بنيات (cod.s.p.) عدة واما طريق السند فإنها الى نيسابور والى قوهستان ولها شعبة الى هراة واما طريق كرمان فإنها الى خراسان والى سجستان (كرمان .cod)وهي نائية (نادمه .cod)ولا يخرج الى السند الا من سجستان ولا." (١)

"القسم ورأيت في صدر الأبيات في نهاية الحسن، تقدمت فيها كل من وصف ما وصفت، وخاصة بيت البهار لتشبيهه شيئين فيه. وقد تأملت البيت الأخير وأنفذت إليك في هذا الوقت ما تبنى به المنهدم من حالك، إلى أن تنجلي الهبوة التي نحن فيها إن شاء الله. ومع الرقعة صرة ديباج مختومة بخاتم راغب الخادم، فيها ثلاثمائة دينار.

وتنكر الساجية والحجرية للوزير، بعد أن صالحوا الخرشني، ورجع الجميع إلى منازلهم، وانحدر الوزير إلى دار السلطان بأرزاقهم، فعرفهم أن لا مال عنده، فوثبوا به وقبضوا عليه، والسلطان يراهم. فوثب ودخل وأمر راغبا يتسلم الوزير ويكون في يده، وأن لا تجري جناية عليه. ونهب الناس داره ودار ابنه الملاصقة لداره، وطرحوا فيها النار، ونهب جماعة من كتابه.

وأحضر أبو علي عبد الرحمن بن عيسى في هذا اليوم، فولى الوزارة وهو يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة من جمادى الأولى بعد أن عرض السلطان الوزارة على علي بن عيسى واستعفاه فأعفاه.

وكان **من العجائب** المشهورة أن دار ابن مقلة أحرقت في مثل اليوم الذي أمر فيه بإحراق دار سليمان بن الحسن بباب محول، وفي مثل ذلك الشهر بينهما حول كامل، وظهر في عشية هذا اليوم سليمان ابن الحسن والخصيبي." (٢)

"كما لا يمكنني أن أجزم بأن الذي اختصره غير المسعودي، وعلى أية حال فقد وجدنا التسمية على صدر النسخة الخطية المحفوظة بباريس، والتي صورت عنها النسخة التي في المكتبة الملكية.

كما وجدت التسمية على صدر النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة تيمور باشا،

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم المقدسي البشاري ص/٤٩٠

(٢) أخبار الراضي بالله والمتقي لله = تاريخ الدولة العباسية الصولي ص/٨١

وفي كلتا النسختين يضاف الكتاب إلى المسعودي.

وأيا ما كان الكتاب للمسعودي أو غيره، فالكتاب فيه أشياء غريبة وأخبار طريفة تفيدنا كثيرا في معرفة التاريخ القديم بوجه عام والمصريين بوجه خاص، ولو أن العلم الحديث يقفنا منها موقف الريبة والشك.

وسيجد القارئ فيه لذة لا تعدلها لذة، وسيمضي في قراءته دون كد ولا ملل،، وسيعاود قراءته بعد ذلك مرات، وهو بلا ريب منته إلى إحدى ثمرتين: الاولى – أن الانسان فيما مضى وتصرم من الاجيال كان أقدر منه في هذه الحياة العصرية، وأن السحر والكهانة لعبا دورا كبيرا في غابر الاحقاب، وأن القدماء وصلوا في العلم بهما إلى غاية تتقاصر دونها أقصى الغايات.

الثمرة الثانية – أن قدماء المؤرخين كانوا ذوي خيال واسع، قصاصين بارعين قادرين على أن يجسموا الخيال، ويلبسوه ثوبا من الحقيقة محكم النسج.

وسيقف القراء منه على أن ما بلغه المصريون من الصناعة وعمارة الارض والفنون والعلوم والحكمة والبصر بالكيمياء لم تبلغه أمة من الامم، وسيجدون فيه **من العجائب** التي أقامها المصريون بالهندسة أو السحر أعاجيب أدناها الاهرام هذه التي أفنت العصور، ولم تبلها العصور.

وسيعلمون ان ليست هذه الاهرام وحدها التي أقامها القدماء آيات شاهدة لهم بالقوة والايد واتساق الملك الجبروت.." (١)

"والحيوان [البهيمي والوحشي وغيره] (١) ، وله خلقت اللذات جميعا، وعمل بهذه جميع الأعمال.

وله المنطق والضحك، والفكر الفطنة، واختراعات الأشياء، وله خاطب الباري عزوجل، وعليه وقع الأمر والنهي والإنسان هو الذي استنبط الأشياء وجمع العلوم، وعمل الآلات، وأثار المعادن، وأخرج ما في قعور البحار، وسخر له كل شئ.

ومن العجائب خلق النسناس وهو كمثل نصف الانسان بيد واحدة ورجل واحدة، ويثب وثبا ويعدو عدوا شديدا، وكان ببلاد اليمن، وربما كان ببلاد العجم، والعرب تصيده و تأكله.

وفي بعض أخبارهم أن سيارة وقعوا في أرض كثيرة النسانس، فصادوا واحدا وذبحوه وطبخوه وكان سمينا، فلما جلسوا يأكلونه قال أحدهم: لقد كان هذا النسناس سمينا، فقال نسناس آخر، قد اختفى في شجرة بالقرب منهم: إنه كان يأكل السرو فلذلك سمن، فنبههم على نفسه فأخذوه وذبحوه.

فقال آخر من شجرة أخرى، قد اختفى فيها عنهم: لو كان عاقلا صمت ولم ينطق، فاخذوه وذبحوه.

فناداهم نسناس آخر تخبأ في بعض خروق الأرض: إني قد احسنت فلم أتكلم فأخذوه وذبحوه، وكان لهم فيها قوت.

وقيل إنه يغتذي بالثمار والنبات، ويصبر على العطش.

وقيل إن في شرقي القلزم مما يلي في البحر أمة متولدة من صنف من السباع وبني آدم، وجوهها عراض كثيرة الشعر مثل وجوه السباع، وعيونها مدورة بصاصة، وأنيابها بارزة طوال، وآذانها طوال، وأبدانها كأبدان الناس إلا

---

(١) أخبار الزمان المسعودي ص/١٥

١) عن ت.

(*)."(١)

"وروي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " مر بي جبريل عليه السلام ليلة أسري بي عليهم فدعوتهم إلى الله تعالى فأجابوني فمحسنهم مع محسنكم ومسيئهم مع مسيئكم ".

روى وهب بن منبه بإسناد له عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " إن لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم الدنيا منها عالم واحد، وما العمران في الدنيا إلا كخردلة في كف أحدكم ".

وقال بعض أهل الاثمر فيما رواه: إن الله عزوجل دابة في مرج من مروجه، والمرج في غامض علمه رزقها في كل يوم، مثل رزق العالم بأسره.

سبحان القادر على كل شئ.

ذكر البحر المحيط وما فيه **من العجائب**

ويقال إن فيه عرش إبليس لعنه الله فوق البحر المظلم يتشبه بالباري عز وجل (١) ، ويحمله نفر من الأبالسة والعفاريت العظام لحمله، ويحيط به عفاريت من الجن الذين هم في طاعته فمنهم من في لججه لا يفارقه، ومنهم من يتصرف عن أمره، وإنه لا يزول مرتبته إلا إلى من يطمع في فتنته أو عبد صالح يريد

كيده، والباقون من أعوانه الذين يسعون إلى الناس ويضلونهم، وسجنه في جزيرة منه يحبس فيه من خالفه من الجن والشياطين.

وفيه هيكل سليمان النبي عليه السلام، وفيه جسده وهو قصر عجيب في

١) العبارة: يتشبه بالباري عزوجل محيت من ب، وقد أثبتناها كما في ت.." (٢)

"وتذكر البراهة (١) أن عليه قدم آدم عليه السلام مغموسة وهي سبعون (٢) ذراعا وأن على هذا الجبل مثل البرق ليلا ونهارا فلا يمكن أحد من النظر إليه، وأن آدم عليه السلام خطا فيه إلى البحر خطوة واحدة، وهي على مسيرة يومين، وحوله ألوان الياقوت والاشياء (٣) كلها وعليه أصناف العطر والأفاويه، ودواب المسك.

وارضه السنبادج، وفي أوديته الماس، وفي أنهاره البلور، وحوله في البحر غوص اللؤلؤ.

ويتصل بها جزيرة الرامي، والرامي مدينة بالهند، وبها الكركند، وفيها البقم، وعروقه دواء من السم لساعته، وقد جربه البحريون من سم الأفاعي والحيات

وبها جواميس لا أذناب لها، وناس عراة في غياض لا يفهم كلامهم، وهم متوحشون من الناس، وطول الواحد منهم أربعة أشبار، وللرجل منهم فرج صغير، وكذلك المرأة.

(١) أخبار الزمان المسعودي ص/٣٨

(٢) أخبار الزمان المسعودي ص/٤١

وشعورهم زغب احمر، ويتسلقون على الشجر من غير أن يستعينوا بأيديهم، وهم يلحقون المراكب سباحة وهم في سرعة الريح يبيعون العنبر بالحديد، ويحملونه في أفواههم، وبقرب من هؤلاء قوم سود، وشعورهم مفلفلة، يأكلون الناس أحياء إذا ظفروا بهم يشرحوهم تشريحا، ولهم فيها جبل طينه فضة، إذا أصابته النار ذاب ويتصل بها ارض الكافور، وهو شجر نبت بها ظل الشجرة منها مائة إنسان واكثر، تثقب الشجرة فيسيل منها ماء يملأ عدة جرار، ثم يكون ذلك ماء الكافور، والكافور صمغ يخرج على اغصانها قطعا، ثم وخشبها ابيض خفيف وفي هذه الجزيرة عجائب كثيرة بحريات، وأطيار عجيبة، وغير ذلك **من العجائب** وجزيرة كله وهي جزيرة كبيرة يسكنها الهند، وفيها معدن الرصاص

---

١) ب: في البراهنة.

٢) في ب: سبعين.

٣) الذي في ب: وللاشباه.

(*)."[١]

"وشبهه في ذلك اليوم في صحيفة، وتطوى وتودع في خزائن الملك فعلى ذلك جرت أمورهم.

وكان الملك إذا حزبه (١) أمر بجمعهم بخارج مصر، ويصطف لهم الناس بخارج المدينة ثم يقدمون ركبانا، يتقدم بعضهم بعضا، ويضرب بين أيديهم بطبل الاجتماع، فيدخل كل واحد منهم بأعجوبة، فمنهم من يعلو وجهه نور مثل نور الشمس فلا يقدر أحدهم النظر اليه، ومنهم من يكون على

يديه جوهر أخضر واحمر على ثوب من ذهب منسوج، ومنهم من يكون راكبا على أسد متوشحا بحيات عظام ومنهم من تكون عليه قبة من نور أو جوهر في صنوف **من العجائب** الكثيرة، إلا أن كل واحد إنما يصنع ما يدل عليه كوكبه الذي يعبده، فاذا دخلوا على الملك قالوا أرادنا الملك الامر كذا، وأضمر الملك كذا، والصواب فيه كذا.

* * * وكان بمصر القديمة واسمها أمسوس ملك كاهن يقال له عيقام من ولد عرباق (٢) ابن آدم فتحكي أهل مصر عنه حكايات كثيرة تخرج عن العقل.

وكان قبل الطوفان وقد رأى في علمه كون الطوفان، فأمر الشياطين الذين تطيعه أن يبنوا له مكانا خلف خط الاستواء، بحيث لا يلحقه شئ من الآفات، فبنوا له القصر الذي [على] سفح جبل القمر، وهو قصر النحاس الذي فيه التماثيل من النحاس، وهي خمسة وثمانون تمثالا، يخرج ماء النيل من حلوقها، وينصب الى بطحاء مصر.

فلما عمل له ذلك القصر أحب أن يراه قبل أن يسكنه، فجلس في قبة،

---

١) في ب: إذا أحزبه، وفي ت: إذا جربه، والصواب ما ذكرناه.

---

(١) أخبار الزمان المسعودي ص/٥٨

٢) في ب: عراب.

(*)."[١]

"وحملته الشياطين على أعناقها اليه، فلما رآه ورأى حكمة بنائه، وزخرفة حيطانه، وما فيها من النقوش وصور الأفلاك، وغير ذلك **من العجائب**، وكانت المصابيح تسرج فيه، وتنصب فيه موائد يوجد عليها من كل الأطعمة، ولا يرون من يعملها، وكذلك لا إنس به.

وفي وسط القصر بركة من ماء جامد الظاهر ترى حركته من وراء ما جمد منه، وأشياء كثيرة من هذا المعنى، وإن كانت تنبو عنها العقول.

فاعجبه ما رأى ورجع الى مصر فاستخلف ابنه عرباق (١) وأوصاه بما يوجب له الملك وولده على مكانه، ورجع هو الى ذلك القصر، وأقام به حتى هلك هناك.

واليه تعزى مصاحف القبط، التي فيها تواريخهم.

قونية الكاهنة

وفي مصاحف القبط أنها كانت تجلس على عرش من نار، فاذا ما احتكم إليها الرجل، وكان صادقا شق (٢) على النار حتى وصل اليها ولم تضره.

وكانت تتصور عليهم في أشكال كثيرة من الصور، إذا شاءت (٣) ثم بنت لنفسها قصرا واحتجبت فيه عن الناس، وجعلت حيطانه من نحاس مجوفة، وكتبت على كل أنبوب فيها من الفنون التي يتحاكم اليها فيه فكان الذي يتحاكم اليها يأتي إلى الأنبوب الذي كتب عليه ذلك الفن، فيتكلم بما يريده، ويسأل ذلك ما قصد له بصوت خافض غير عال، فاذا فرغ من

---

١) في ت: عريان.

٢) في ت: خاض النار.

٣) ت: كيف شاءت.

أخبار الزمان م (٩) (*)."[٢]

"يعرف بها مقدار النيل الذي عند جبل القمر وعمل للشمس [هناك] (١)

هيكلين (٢) .

وتحكي القبط عنه حكايات كثيرة، تخرج عن العادة، وتنكرها العقول، فكان يخفى عن الانسان فلا يرونه وهو معهم، وهو الذي بنى الاشمون.

ويقال إنها مدينة في شرقي مصر كان طولها اثني عشر مبلا وجعل عليها حصنا بنى فيه قصرا عظيما [يقال إنه بنى أنصنا

---

(١) أخبار الزمان المسعودي ص/١٢٨

(٢) أخبار الزمان المسعودي ص/١٢٩

واتخذ فيها] الاعلام والملاعب.

واتخذ في سفح الجبل مدينة يقال لها طهراطيس (٣) وجعل فيها **من العجائب** شيئا كثيرا، وجعل لها أربعة ابواب من كل جهة باب واحد، وجعل على الباب الشرقي صورة عقاب وعلى الباب الغربي صورة نسر (٤) وعلى الباب الجنوبي صورة اسد وعلى الباب الشمالي صورة كلب وملك (٥) فيها الروحانيات وكانت تنطق إذا قصد اليها القاصد ولا يصل احد إلى الدخول فيها دون استئذان الموكلين بها وغرس فيها شجرة تحمل كل صنف من الفواكه.

وبنى منارا طوله ثمانون ذراعا وعلى رأسه قبة تتلون في كل يوم لونا حتى تنقضي سبعة أيام بسبعة الوان ثم تعود إلى اللون الاول وتكسي المدينة ذلك اللون وجعل حول ذلك موضع ماء فيه سمك كثير، وجعل حول المدينة طلسمات من كل صنف تدفع عن اهلها المضار.

وكانت أيضا تسمى مدينة البوسق (٦) باسم الشجرة المنصوبة فيها.

---

١) زيادة عن ت.

٢) في ب: هيكلين.

وفي ت: هيكلا.

٣) في ت: وعمل في الجبل الشرقي مدينة، ويقال لها أو طبراطليش.

٤) في ت: صورة ثور.

٥) في ت: واسكن.

٦) في ت: اليوس.

(*)."[١]

"وجعل على باب كل مدينة طلسما، يمنع دخولها في صور مختلفة، لا يشبه بعضها بعضا.

وملأ كل مدينة بالجوهر النفيس والزبرجد الخطير والذهب والفضة، والكبريت الأحمر، واكسير الصنعة، وصنوف الادوية المؤلفة، والسموم الفاتكة، وعلم كل باب منها بعلامة تعرف بها.

وانفذ إليها خازنا تحت الأرض وجعلها من تحت جلجلة، وهي مدينته التي عمل فيها الجنة.

وبين كل مدينة من تلك المدن الثلاث عشرون ميلا، وبين الثلاث سبعة أميال.

وكان له من مدينته الى هذه المدائن اسراب تحت الأرض يصل منها اليها، وكذلك من بعضها الى بعض.

وصفات هذه المدائن وعجائبها في كل قرية بمصر على تلك الحجارة، وفي جميع مصاحفهم القديمة، وأكثر ذكرها في هياكل الكواكب خاصة، وقرئ في مصحف لبعض الكهان القدماء ذكر بقراوش الملك بكل ما ذكرناه، وأنه عمل مع ما ذكرناه عجائب كثيرة أزالتها الطوفان وركب هذه الرمال لزوال طلسماتها، فأقام بقراوش ملكا مائة سنة وسبع سنين، ثم مات فعمل

---

(١) أخبار الزمان المسعودي ص/١٣٣

له ناووس، وجعل معه **من العجائب** ما يطول ذكره.

وولى بعده ابنه مصرام الملك بن بقراوس، فبنى للشمس هيكلا من المرمر وموهه بالذهب، وجعل في وسط الهيكل كالفرس من جوهر أزرق عليه صورة الشمس من ذهب أحمر، وأرخي عليه وعليها حلل الحرير الملون، وأمر أن يوقد عليها بطيب الريحان، وجعل في الهيكل قنديلا من الزجاج." (١)

"وكان ذلك الملك آخر من دخلها منهم.

فلما دنا من النار أخذته فولى هاربا فأتى به سرباق فسأله عن أمره وتوعده فأقر فأمر بقتله، وحمله الى الحصن الذي أخذ به فصلب هناك من جهة الشأم على اسطوانة عظيمة من حجر وزبر عليها هذا فلان بن فلان المتغلب على الشأم أضمر غائلة للملك وطلب ما لم يصل إليه تعديا منه عليه وظلما له فعوقب بهذا.

وأمر باطلاق الباقين.

وقيل لهم قد وجب عليكم القتل، لصحبتكم لمن أراد

الفساد في الأرض.

ولكن الملك بفضله عفا عنكم وأمر أن تخرجوا من بلاده، ولا تعدوا إليها أبدا فخرجوا هاربين.

مسرورين بالسلامة فكانوا لا يمرون بأحد إلا حدثوه بما رأوا **من العجائب**.

فانقطعت اطماع الملوك في الوصول الى مصر والتعرض لها.

وعملت في وقت سرباق عجائب كثيرة.

منها أنه عمل عرباق في مدينته بطة من نحاس قائمة على اسطوانة، فاذا دخل الغريب من ناحية من النواحي أو باب من الأبواب صفقت بجناحيها، وصرخت فيؤخذ [الداخل] ويكشف عن أمره ومقصده، وشق الى مدائن الغرب نهرا من النيل، وبنى على عبريه منازل واعلاما، وغرس فيها غروسا يتنزه عليها، وملكهم مائة سنة وثلاثين سنة.

وملكهم بعده ابنه سهلون بن سرياق، وكان سهلون عالما منجما كاهنا، فأفاض العدل وقسم ماء النيل قسما موزونا، صرف الى كل ناحية قسطا، ورتب الدولة وجعلها على سبع طبقات.

(الطبقة الأولى) الملك وولده وأهل بيته ومن يلي عدله، ورأس الكهان، والوزير الاكبر، وصاحب خاتم الملك، وصاحب خزائنه.

(والطبقة الثانية) مراتب العمال والمتولين لجباية الأموال، والأشراف على النفقات في أمر المملكة، ومصالح البلاد والعمارات، وقسمة المياه.." (٢)

"فانتبه سهلون، وجعل يتفكر فيما رأى وتعجب منه وعزم أن ينفذ ما أمره به، فمشى إلى الجبل وحمل الطائرين معه وامتثل ما أمره به أبوه إلى أن وقف حذاء المرأة فسلم عليها، فقالت له أتعرفني؟ قال لا، لأني ما رأيتك قبل وقتي هذا، قالت

---

(١) أخبار الزمان المسعودي ص/١٤١

(٢) أخبار الزمان المسعودي ص/١٥١

له: أنا صورة النار المعبودة في الأمم الخالية، وقد أردت أن تحيي ذكري، وتتخذ لي بيتا وتوقد لي فيه نارا دائمة، بقدر واحدة، وتتخذ لي عيدا في كل سنة تحضره أنت وقومك، فانك تتخذ بذلك عندي أنلك بها شرفا الى شرفك، وملكا إلى ملكك، وامنع عنك وعن قومك من يطلبك ويعمل الحيلة عليك، وأدلك على كنوز جدك مصرام.

فضمن لها أن يفعل ذلك فدلته على الكنوز التي كنزها جده تحت المدائن المعلقة وكيف يصير اليها، وكيف يمتنع من الأرواح الموكلة بها وما ينجيه منها.

فلما فرغ مما أراده من ذلك، قال لها فكيف لي بأن أراك في الأوقات التي أريد وأحتاج أن أسألك عما يطرأ من الأمور فأسير اليك؟ قالت له اما هذا المكان فلا تقربه بعد وقتك هذا، ولكن إذا احببت ان تراني فدخن في الوقت الذي علمته لك بكذا وكذا، اشياء ذكرتها له: منها عظام ما يقربه من القرابين والذبائح، وصموغ الأشجار.

فاني اتخيل لك واخبرك بكل حق وباطل يكون في بلدك.

فلما سمع ذلك منها سر به سرورا عظيما، وغابت الصور، وظهرت الافعى، وخرج هاربا، فلما نجا جعل على الكوة سدا ولم يؤخر ما فعلته به.

وأخرج كنوز جده وعمل بأمسوس وغيرها **من العجائب** ما يطول به الذكر، فمنها القبة المركبة على سبعة أركان، في بعض مصاحف القبط أن هذه القبة يقال لها قبة القضاء.." (١)

"وعلم أنه لا يجوز لبعضهم ظلم بعض، مع تلك الصورة، فلم تزل تلك الصورة باقية إلى أن أزالها الطوفان مع ما أزال من اعمالهم وعجائبهم.

وعملت في وقت سهلون اعمال كثيرة، وكتب سيرته وما ابتدعه **من العجائب** في مصحف، وعمل ادوية وعقاقير كثيرة وتماثيل متحركات.

وأمر ان يحمل ذلك كله مع المصحف الذي كتب فيه سيرته ومع كنوزه وذخائره إلى ناووسه الذي يجعل فيه إذا مات، وهو قد عمله في الجانب الغربي ووضع فيه غرائب وحكمة، فلما مات عمل فيه ذلك.

وملك بعد ابنه سوريد بن سهلون الملك، وحزن عليه هو وأهل مملكته ورعيته، حزنا عظيما لم يحزن على ملك قبله، وكان ملكه مائة وتسعا وتسعين سنة.

وأقام دولته ورعيته عند ناووسه شهرا ينوحون ويبكون، وأقاموا في ناووسه خدمة يخدمون أموره وسدنة يحفظون ما يجب حفظه منه، وجلس ابنه على سرير الملك، واقتفى سيرة أبيه في العدل والصلاح وعمارة الأرض، وسياسة الناس والانصاف بينهم، والأخذ لهم من نفسه وأهل بيته.

وهو أول من جبى الخراج بمصر، وألزم أهل الصناعات على اقدارهم، وأول من أمر بالانفاق على المرضى والزمنى من خزائنه وبنى المنارات، ونصب الاعلام والطلسمات والهياكل، وحسن عمارتها على أحسن ما تقدم لسواه، فأحبه الناس وحمدوا

---

(١) أخبار الزمان المسعودي ص/١٥٤

أمره، وعمل مرآة من أخلاط كثيرة، كان ينظر اليها فيرى الاقاليم، وما أخصب منها وما أجدب، وكلما يحدث فيها.
وكانت على منارة من نحاس في وسط مدينة أمسوس.
وتقول القبط إنه عملها لمصر خاصة، وكان يرى فيها جميع من يقصدها من." (١)

"أجسادهم مصاحفهم كتبوها في ورق الذهب، ذكروا فيها جميع ما كان وما يكون وما قد عملوه **من العجائب**، وجعل في الحيطان من كل جانب كما تدور أصناما تعمل بأيديها جميع الصناعات، على مراتبها وأقدارها وصفة كل صنعة وعلاجها، وما يصلح لها.
وكتب مزبورا على الصور جميع علاجات الأشياء كلها، وعلم النواميس، وعلم كل علم ثم جعل فيها أموال الكواكب التي أهديت إليها، وأموال الكهنة وقدر ذلك لا يحصى عددا ولا وزنا.
وجعل لكل هرم منها خازنا، فصاحب الهرم الشرقي صنم مجزع من جزع أسد وأبيض له عينان مفتوحتان براقتان، وهو جالس على كرسي، ومعه شبه الحربة إذا نظر اليه ناظر سمع من جهته صوت يكاد ينزع قلبه فيهيم على وجهه ويختلس عقله، ولا يكاد يفارقه الهم حتى يموت منه.
وجعل خازن الهرم الغربي صنما من حجر صوان مجزعا واقفا معه شبه الحربة على رأسه حية مطوقة، من قرب منه وثبت اليه من ناحية قصده، فتطوقت على عنقه فقتلته ثم عادت إلى رأس الصنم.
وجعل خازن الهرم الملون صنما صغيرا من حجر البهت على قاعدة منه قائما، من نظر إليه اجتذبه الصنم حتى يلصق به، فلا يفارقه حتى يموت.
فلما فرغ من ذلك ضمدها بالأرواح الروحانية، وذبح لها الذبائح لتمنع من أنفسها من أراد الوصول إليها، إلا من قرب لها وعمل لها باعمال الوصول.
وذكرت القبط أن عليها كتابا منقوشا تفسيره بالعربية " أنا سوريد الملك الملك، بنيت هذه الأهرام في وقت كذا من الزمان، وأتممت بنيانها في ست سنين، فمن أتى بعدي، وزعم أنه ملك مثلي فليهدمها في ستين سنة، وقد
علم أن الهدم أيسر من البنيان، وإني قد كسوتها بالديباج فليكسها من أتى بعدي حصيرا! "." (٢)

"عظيم الخلق، وهو الذي وضع أسرار الأهرام بالدهشور وغيرها، ليعمل ما عمله الأولون، وهو الذي بنى مدينة زرنده.
وهلكت عاد بالريح في آخر أيامه، وأثار من المعادن ما لم يثره أحد، وكان يجد الذهب على قدر الرحى والزبرجد مثل الاسطوانة، وغرس الا سارح في صحراء الغرب مثل النخلة.
وعمل **من العجائب** كثيرا، وعمل منارا عاليا في جبل قفط يرى منه البحر الشرقي، ووجد هنالك معادن زئبق فعمل منه بركة عظيمة، فقيل إنها هناك الى اليوم.

---

(١) أخبار الزمان المسعودي ص/١٥٧
(٢) أخبار الزمان المسعودي ص/١٦٤

وفي زمانه أثار ابليس وأعوانه الأصنام التي كان الطوفان أغرقها، وزينوا أمرها وعبادتها.

ويقال ان قفطويم بنى المدائن الداخلة، وعمل فيها عجائبا، منها الماء الملفوف القائم كالعمود ولا ينحل ولا يذوب ويسمى فلطيس، وصيادة الطير (١) اذا نصبها ومر عليها الطير سقط فيها ولم يقدر أن يبرح منها حتى يؤخذ.

وعمل بها أيضا عمودا من نحاس عليه صورة طائر، فاذا قرب الوحش والأسد والحيات من المدينة صفر ذلك الطائر صفيرا عاليا، فترجع تلك الدواب هاربة.

وكان للمدينة أربعة أبواب جعل لها أربعة أصنام، على كل باب صنم من نحاس لا يعبر غريب الا ألقى عليه النوم والسبات، فينام عند الباب فلا يبرح نائما حتى يأتيه أهل تلك المدينة، فينفخوا في وجهه فيقوم، فان لم يفعلوا ذلك لم يزل نائما حتى يهلك.

وعمل منارا لطيفا من زجاج ملون على قاعدة من نحاس، وعلى رأس المنارة

---

١) في ق: والبركة التي تسمى فلسطين أي صيادة الطير، لا يمر عليها طير الا سقط فيها.

(*)."(١)

"حل هذا الموضع بجسده وبقي ذكره وعلمه فلا يوصل اليه، ولا يقدر عليه بحيلة إلا بعد مدد ودورات تمضي من السنين ".

وملك بعده ابنه البودشير (١) الملك فتجبر وتكبر، وعمل بالسحر، واحتجب عن العيون، وقد كان أعمامه صابي وأبريت ملوكا على مواضعهم، إلا أنه كان أكبرهم سنا، فلذلك أذعنوا له.

فيقال إنه أرسل إلى هرمس المصري فبعثه الى جبل القمر الذي يخرج النيل من تحته، حتى عمل له هناك هيكلا للتماثيل من نحاس، وعمل البطيحة التي ينصب عليها ماء النيل.

ويقال انه هو الذي عدل جنبي النيل، وقد كان يفيض في بعض مواضع وربما انقطع في مواضع، وأمره البودشير أن يسير مغربا لينظر ما هناك، فوقع إلى أرض واسعة متخرقة بالمياه والعيون كثيرة العشب، فبنى بها منائر ومتنزهات واقام بها، وحول البودشير جماعة من أهل بيته، فعمروا تلك النواحي وبنوا فيها حتى صارت أرضا عامرة كلها، وأقاموا بذلك مدة كبيرة، وخالطهم البربر ونكح بعضهم في بعض.

ثم أنهم تحاسدوا وتباغوا وكانت بينهم حروب افنتهم، فحينئذ خرب البلد وباد أهله الا بقية منازل تسمى الواحات.

ويقال إنه عمل في وقته كثيرا **من العجائب**، فمنها قبة لها أربعة أركان في كل واحد منها كوة يخرج منها دخان ملتف (٢) في ألوان شتى في يوم معلوم في السنة من أول سنتهم.

فاذا خرج الدخان أخضر دل على العمارة والخصب وحسن الزرع وصلاح النبات، وإن خرج الدخان أبيض دل على الجدب وقلة الخيرات، وإن خرج

---

(١) أخبار الزمان المسعودي ص/١٨٤

١) في ق: البودسير.

وفي ب: في هذا الموضع فقط البودشيم.

٢) في ق: ملفف.

(*)."[1]

"عظيم اليهم فقتل منهم وسبا، وكل من سباه استعبده فصار ذلك سنة فيهم.

واقتطع معدن الذهب، وأقام فيه من سباه منهم يعملون الذهب ويحملونه اليه، وألزم المقام معهم من يحرسهم من جيشه.

وهو أول من احب الصيد واتخذ الجوارح وولد الكلاب السلوقية من الذئاب والكلاب الأهلية، وعمل البيطرة وجميع ما يعالج به الدواب، وعمل من العجائب والطلاسم لكل شئ ما لا يحصى كثرة.

وجمع التماسيح في بركة في ناحية اسيوط بطلسم لها، وكانت تنصب اليها من النيل انصبابا فيقتلها، ويستعمل جميع جلودها في السفن وغيرها، ويدخل لحومها وشحومها في الاغذية ومؤلفات العقاقير.

والقبط تحكي انه عمل بمصر اثنتي عشرة اعجوبة وطلسما، ولم يعمل في بلد

ما عمل فيها ولا تهيأ ذلك له، وقد بقيت آثار أكثرها قائمة بعد خرابها وأفساد معالمها.

واقام شدات بن عديم تسعين سنة ملكا، وخرج فطرد صيدا فاكب به فرسه في هوة فقتله.

وفي بعض كتبهم أنه أخذ بعض خدمه، وقد خالفه في أمر من الأمور، فألقاه من اعلى الجبل الى اسفله فتقطع ثم ندم على ذلك من فعله، ورأى انه سيصيبه مثل ذلك، وكان يتوقى ان يصعد جبلا، وأوصى ان اصابه شئ ان يجعل ناووسه في الموضع الذي يلحقه فيه ما يلحقه، وان يزبر عليه " ليس ينبغي لذي القدرة ان يخرج عن الواجب، وان لا يفعل ما لا يجوز له فعله، وهذا ناووس شدات بن عديم بن قفطويم الملك، عمل ما لا يحل فكوفئ عليه ".

ولما هلك عمل سرب في سفح الجبل عليه قبة على مجلس قد صفح بالفضة." [2]

"القصور وغرس الأجنة وأقام المنائر ونصب الأعلام وبنى المدن وأكثر فيها من العجائب.

والقبط تزعم ان خبر اشمون كان اكثر الأخبار ذكرا وعجائبا وسحرا.

منها أنه بنى مدينة في سفح الجبل سماها أفطراطس وجعل لها أربعة أبواب جعل على الشرقي صورة عقاب، وعلى الغربي صورة ثور، وعلى الجنوبي صورة كلب، وعلى الشمالي صورة أسد.

وأسكن الكهنة بسحرهم في تلك الصور روحانية، وكانت تنطق إذا قصدها القاصد الغريب، ولا يقدر على الدخول إليها إلا بإذن الموكلين بها، وجعل فيها شجرة تثمر كل لون من الفاكهة.

وجعل فيها منارا طوله ثمانون ذراعا، على رأسه قبة تتلون كل يوم لونا حتى تمضي سبعة أيام بسبعة الوان، ثم تعود إلى اللون

---

(١) أخبار الزمان المسعودي ص/١٨٧

(٢) أخبار الزمان المسعودي ص/١٩٦

الاول.

وكانت تلك الألوان تكسو المدينة لونا شعاعيا، وأجرى حول ذلك المنار ماء ساقه من النيل وجعل في ذلك الماء سمكا من كل لون.

وجعل حول المدينة طلسمات رؤسها رؤس القرود وأبدانها أبدان الناس، كل منها لدفع مضرة واجتلاب منفعة.

ودفن تحت كل صنم من الأصنام المبنية الأربعة على أبوابها صنفا من الكنوز ولكل واحد منها قربان وبخور، وكلام يوصل به اليه، وأسكن فيها السحرة.

وبنى بالقرب منها مدينة تعرف في كتبهم ذات العجائب في وسطها قبة عليها أبدا مثل السحابة تمطر مطرا خفيفا شتاء وصيفا، وتحت كل قبة مطهرة فيها ماء أخضر يتداوى به من كل داء فيبريه.." (١)

"لدينهم بسبب رؤيا رآها، ووجدوا من الأموال والجواهر وأصناف الذهب والتماثيل ما لا يحصى كثرة، ولا يعرف له قيمة.

ووجدوا صورة كاهن لهم كانوا يتعبدونها، وهي من زبرجد أخضر على قائمة من حجر البسد، ووجدوا صورة روحاني من ذهب ورأسه من جوهر أحمر وله جناحان من در، وفي يديه مصحف فيه كثير من علوم مصر في دفتين من ذهب مرصعتين بذهب ملون.

ووجدوا مطهرة من ياقوت أزرق على قاعدة من زجاج أخضر مسبوك، وفيها فضلة من الماء الدافع للأسقام.

ووجدوا فرسا من فضة من عزم عليه بعزائمه ودخنه بدخنه وركبه طار به فيما زعموا.

ووجدوا غير ذلك من العجائب والآلات التي يستعملها السحرة والأصنام التي يتخذونها، فجمعوا من ذلك ما خف حمله وثقل ثمنه، وأوقروا به دوابهم من جميع العجائب والتماثيل وغرائب ما كان فيها من الأشكال، وحملوا جميعه إلى الملك، وحمل الرجل الذي وجد حيا، ووصلوا بذلك كله إلى الملك، فابتهج بذلك وحمد الله تعالى على ما أولاه، وسر الناس.

وبهت منه كهنة مصر، ولم يعرفوا أصله، فوجه الملك دوابا وعسكرا

ونهض معهم من شاء من العامة بأشمون ومصر، فنقلوا جميع ما كان تبقى في المدينة من شئ له خطر، فصار بأيدي الناس منه شئ كثير، واستغنى فيها كثير من مساكين العامة وسوقتهم وسيق منه إلى الملك شئ كثير جدا.

وصار الموضع بعد ذلك زمانا طويلا مطلبا لمن أمكنه المسير اليه، وقل من مشى اليه ورجع خائبا.." (٢)

"وقد ذكرنا: أن أهل طبرستان لا تتزوج الجارية منهم حتى يستظهر بها حولا كاملا محرما ثم يقدم بها فيخطبها إلى أهلها ثم يتزوج بها، ويزعمون مع ذلك أنهم يجدونها بكرا، وقد عانقها في إزار واحد سنة تامة وهو لا يستظهر بها، ويحتمل وحشة الاغتراب، وانقطاع الأسباب إلا من عشق غالب. ولا يجوز أن تؤاتيه الجارية إلا وبها شبه الذي به. وإن من أعجب

---

(١) أخبار الزمان المسعودي ص/٢٠٤

(٢) أخبار الزمان المسعودي ص/٢٢٢

العجب أن يمكثا متعانقين في لحاف واحد ثم يحتجزان عن الزنا تكرما وتحرجا! وهذا التكرم عند علوج طبرستان **من العجائب**.

ومن قول سهيل بن هارون: ثلاثة من المجانين وإن كانوا عقلاء: الغضبان، والعزبان، والسكران. فقال له أبو عبيد الله الخليع: والمنعظ يا أبو عمرو؟ فقال: والمنعظ. وضحك وأنشد:

وما شر الثلاثة أم عمرو ... بصاحبك الذي لا تصحبينا

قال الأصمعي: كان فتى من ثقيف شديد الحياء، كريما أديبا، فبينا هو جالس، إذ مرت به امرأة من أجمل النساء فلم يتمالك أن قام من الحياء من مجلسه ليعلم من هي، وأين تريد. وقد كلف بها واشتد عشقه لها، فاتبعها حتى دخلت منزل أخيه فإذا هي امرأته، فضاق به الأمر ولم يدر ما يصنع، وكتم شأنه، وجعل ما به يزداد كل يوم حتى." (١)

"لا تدمع عينه ولا عين واحدة من عياله.

وأهل طبرستان لا يتزوج الرجل الجارية منهن حتى يستبطن بها حولا محرما ثم يقدم بها فيخطبها إلى أهلها ويتزوجها، ثم يزعمون مع ذلك أنه يجدها بكرا، وقد عانقها في إزار واحد سنة كاملة وهو لا يستبطن بها، ويحتمل وحشة الاغتراب، وانقطاع الأسباب. وإن من أعجب العجب أن يمكثا متعانقين في لحاف واحد يحتجران عن ألذ الأمور تكرما. وهذا التكرم عند علوج طبرستان **من العجائب**.

قال معاوية، رضي الله عنه: ثلاث خصال من السؤدد، الصلع، واندماج البطن، وترك الإفراط في الغيرة.

ولما نزل قيس بن زهير ببعض العرب قال لهم: أني غيور، وأنا فخور، وأنا أنف، ولكن لا أغار حتى أرى، ولا أفخر حتى افعل، ولا آنف حتى أضام. فعابوه بقوله لا أغار حتى أرى ويظن به إنما عني رؤية السبب لا رؤية المرافقة.

وعابوا معاوية أيضا بقوله هذا ونسبوه إلى قلة الغيرة وما أرى في قوله وترك الإفراط في الغيرة عيبا لأن الإفراط المجاوز للحق ولمقدار المصلحة وظلم الخليلة العفيفة والحرمة الكريمة غير لائق.

وعاب الناس قول هدبة بن خشرم حيث يقول:." (٢)

"قال الشاعر:

ومن العجائب والعجائب جمة ... قرب الحبيب وما إليه وصول

كالعيس في البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

---

(١) أخبار النساء لابن الجوزي ابن الجوزي ص/٤٨

(٢) أخبار النساء لابن الجوزي ابن الجوزي ص/٨٥

فهل من عودة إلى الإسلام، تزكي السرائر، وتبني الأخلاق، وتصلنا بالقرآن الكريم، وتشعرنا بشرف الانتماء إلى محمد ودينه، وضرورة العمل بدعوته وسنة خلفائه الراشدين، أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر أصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين، ونكون حلقه موصولة في دعم رسالة الحبيب – صلى الله عليه وسلم – التي استوعبت الزمن كله.

وقبل الحديث عن المصادر والمراجع التي تعاملت معها، لابد من الاعتراف بأن هذا الجهد، لولا توفيق الله سبحانه وتعالى، ثم جهود علماء أهل السنة وطلاب العلم، ممن ساروا على منهجهم، ما استطعت أن أبحر في هذا البحر العميق، ولذلك أقرر بأنني استفدت من الرسائل العلمية التي طبعت والتي لم تنشر، من حيث المادة والمنهج، والحكم على الروايات، والرجوع إلى المصادر الحديثة، والتاريخية وغيرها مع محاولة التطوير والاستفادة من جهود الآخرين في البناء، وأخص بالذكر الدكتور أكرم ضياء العمري الذي أشرف وناقش الكثير من هذه الرسائل في هذا المجال، فقد استفدت من كتبه، كالسيرة النبوية الصحيحة، وعصر الخلافة الراشدة، ومن الرسائل التي أشرف عليها، كرسالة الدكتور يحي اليحيي «الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري جمعا وتوثيقا» ورسالة الأستاذ عبد العزيز المقبل في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه من خلال كتب السنة والتاريخ دراسة نقدية للرويات باستثناء حروب الردة، ورسالة الدكتور عبد العزيز بن محمد الفريح في تحقيق كتاب «محض الصواب في." (١)

"سوق صنعاء:

صنعاء أطيب بلاد اليمن، بل جنة جزيرة العرب كلها، هي مضرب الأمثال في طيب الهواء واعتداله وحسن العيش. قال ياقوت: "صنعاء قصبة اليمن وأحسن بلادها، تشبه بدمشق لكثرة فواكهها وتدفق مياهها، وليس بجميع اليمن أكبر ولا أكثر مرافق وأهلا من صنعاء. وهي من الاعتدال في الهواء بحيث لا يتحول الإنسان من مكان طول عمره صيفا ولا شتاء، وتتقارب بها ساعات الشتاء والصيف، وغاية ساعات النهار بها اثنتا عشرة ساعة وإحدى وخمسون دقيقة١.طيبة الهواء، كثيرة الماء. قدم يزيد بن الصعق صنعاء ورأى أهلها وما فيها **من العجائب**، فلما انصرف قيل له: كيف رأيت صنعاء؟ فقال:

ومن ير صنعاء الجنود أهلها ... وجنود حمير قاطنين، وحميرا

يعلم بأن العيش قسم بينهم ... جلبوا الصفاء فأنهلوا، ما كدرا

ويرى مقامات عليها بهجة ... يأرجن هنديا ومسكا أذفرا".

وليس من الغريب أن نسمع يمنيا كالهمداني يشيد بذكرها فيقول:

---

١ الإكليل ٨/ ١٢.." (٢)

---

(١) أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه علي محمد الصلابي ٢١/١

(٢) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام سعيد الأفغاني ص/٢٧١

"يخاطب غلاما أمرد.

أيها الأمرد المولع بالهجر أفق ما كذا سبيل الرشاد

فكأني بحسن وجهك قد ألب ... س في عارضيك ثوب حداد

وكأني بعاشقيك وقد بد ... لت فيهم من خلطة ببعاد

حين تنبو العيون عنك كما ين ... قبض السمع عن حديث معاد

فاغتنم قبل أن تصير إلى كا ... ن وتضحي في جملة الأضداد

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثني أحمد بن علي الأنباري قال كنا في مجلس يزيد بن محمد المهلبي بسر من رأي فجري ذكر أبي العبر فجعلوا يذكرون حماقاته وسقوطه فقلت ليزيد كيف كان عندك. فقد رأيته؟ فقال ما كان إلا أديبا فاضلا ولكنه رأى الحماقة أنفق وأنفع له فتحامق، فقلت له أنشدك أبياتا له أنشدنيها فانظر لو أراد دعبل فأنه أهجى أهل زماننا أن يقول في معناها ما قدر على أن يزيد على ما قال، قال أنشدنيها فأنشدته قوله

رأيت **من العجائب** قاضيين ... هما أحدوثة في الخافقين

هما اقتسما العمى نصفين فذا ... كما اقتسما قضاء الجانبين

هما فأل الزمان بهلك يحيي ... إذا افتتح القضاء بأعورين

وتحسب منهما من هز رأسا ... لينظر في مواريث ودين." (١)

"وقلت لهارون اذهبا فتظاهرا ... على المرء فرعون الذي كان طاغيا

وقولا له هل أنت سويت هذه ... بلا وتد حتى اطمأنت كما هيا

وقولا له هل أنت رفعت هذه ... بلا عمد أرفق إذن بك بانيا

وقولا له هل أنت سويت وسطها ... منيرا إذا ما جنه الليل ساريا

وقولا من أخرج الشمس بكرة ... فأصبح ما مست من الأرض ضاحيا

وقولا له من أنبت الحب في الثرى ... فأصبح منه البقل يهتز رابيا

فأصبح منه حبه في رؤوسه ... ففي ذاك آيات لمن كان واعيا

- ٥ -

خصائص شعره

أولا، من حيث الأسلوب والألفاظ

يعد أمية من أكبر شعراء القرى العربية على قلة الشعر فيهم، غير أن الذي أزرى بشعره في نظر بعض النقاد حتى أسقطوا الاحتجاج به كثرة استعماله للتدخيل من العبرية والسريانية في شعره، كما أنكروا عليه حق التعريب لشدة مخالطته للأعاجم وإن كان عربيا صريحا، كما أنكروه على عدي لإدخاله الكثير من ألفاظ الفرس في شعره. قال ابن قتيبة: "واني بألفاظ كثيرة

---

(١) أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم الصولي ص/٣٣٠

لا تعرفها العرب وكان يأخذها من الكتب، منها قوله: وخان أمانة الديك الغراب. ومنها قوله: قمر وساهور يسيل ويغمد". وزعم أهل الكتاب أن الساهور غلاف القمر يدخل فيه إذا انكسف. وعلماؤنا لا يرون شعره حجة.. وكان أمية يسمي الله في بعض أشعاره "السلطيط" وفي بعضها "التغرور"، وربما اقتبسهما من الحبشية أو صاغهما على صيغ تلك اللغة، فالأحباش يسمون الله في اللغة الأمحرية "أغزابهم" فلعلها كانت قبلا أقرب إلى "التغرور".

ومهما كان فإن في أساليب أمية بل وفي معانيه أشياء لم تكن العرب تعرفها، ولاشك أنه قرأها في بعض الكتب فأدخلها في شعره، وكان أمية يسمي السماء صاقورة وحاقورة. وكان قلق اللفظ سخيف النسج نابي القافية. كل هذا إنما كان في شعر أمية الديني. أما شعره الغير الديني فأرى عليه طلاقة الأسلوب وسهولة اللفظ وعذوبة العبارة وحلاوتها ورقتها وطلاوة البيان. كما في مدائحه لابن جدعان وقصيدته في ابنه وسواهما.

ثانيا، من حيث المعاني والأخيلة

انصرفت قريحة أمية إلى المعاني الدينية فاشتهر بها أمره، واصطبغ بها شعره، فوصف الله عز وجل وذكر الحشر والحساب والجنة والنار والملائكة كما ذكر خلق الأرض والسموات. قال ابن سلام: "وكان أمية كثير العجائب في شعره، يذكر فيه خلق السموات والأرض، ويذكر الملائكة، ويذكر من ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء.

ونظم حوادث التوراة كخراب سدوهم وقصة إسحاق وإبراهيم، وأدخل في الشعر معاني لم يألفها الشعراء، ولم يعرفها العرب، فكان مذهب أمية في شعره غير معهود في عصره، وكان سببا في أن ينحله العلماء ما جاء على شاكلة تلك المعاني من الشعر ولم يعرفوا قائله، مما كان له أثره في عدم عناية الأدباء والرواة والنقاد بشعره، وإهمالهم له. ويقول الحجاج: "ذهب قوم يعرفون شعر أمية وكذلك اندراس الكلام".

وذكر كثيرا **من العجائب** والقصص الخيالية والأساطير الخرافية وخلق العالم وفنائه وأحوال الآخرة وصفات الخالق والخشوع له. مما يتخلله شيء من الحكم والأمثال.

ولا شك أن شعر أمية الذي لم يصطبغ بصبغته الدينية يخلو من هذه السمات ويسير الشاعر فيه على نهج الشعراء الجاهليين، من صدق المعنى وبساطته وسذاجته، مع تلون الثقافة فيه إلى حد ما، لثقافة أمية الواسعة. ومع البعد عن الخيال الكاذب والمبالغة المفرطة فيه.

ويأخذ في شعره الكوني والديني من أساليب ومعاني وروح القرآن الكريم كما في قوله من قصيدة:

عند ذي العرش يعرضون عليه ... يعلم الجهل والكلام الخفيا

يوم نأتيه وهو رب رحيم ... إنه كان وعده مأتيا

يوم نأتيه مثل ما قال فردا ... لم يذر فيه راشدا وغويا

أسعيد سعادة أنا أرجو ... أم مهان بما كسبت شقيا

رب كلا حتمته وارد النا ... ر كتابا حتمته مقضيا

إذ لا يتأتى أن يحمل ذلك على المصادفة والاتفاق، ولا على أنه أخذه مما قرأ من الكتب.
ولا شك أن ثقافة أمية الواسعة جعلته يستمد معانيه وأفكاره وأخيلته من كثير من الثقافات والمصادر.

ثالثا، من حيث أغراض الشعر وفنونه
ويمكننا أن نقسم شعر أمية إلى قسمين:
(أ) شعره في غير الدين." (١)

"له، وكان أعجوبة في جذب الناس إليه وإقامتهم عنده وانقطاعهم عن أهلهم خصوصا المرد فإنه كان لا يحضر عنده أحد منهم ثم يستطيع أحد من أهله أن يستعيده، وممن اتفق له معه ذلك من أصحابنا الشيخ بدر الدين محمد بن إبراهيم البشتكي الشاعر المشهور فيما أخبرني به، وكان يكثر الثناء عليه، وذكر لي أنه نسخ له شيئا كثيرا خصوصا من تصانيف محيي الدين ابن العربي، وكان منقطعا إليه إلى أن مات. واتفق **من العجائب** ما حكاه لي الشيخ نجم الدين البالسي أنه لما مات حضر جنازته في جملة خلق كثير فهو في أثناء دفنه وإذا باللاحد قد خرج من القبر أمرد جميل الصورة إلى الغاية فاشتغل الناس أو غالبهم بالنظر إليه وقضوا العجب من استمرار ملازمة هذا الجنس للشيخ حتى حين دفنه، ومات في ذي الحجة، أرخه ابن دقماق ليلة الأحد خامس ذي القعدة.
محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن السراج الزبيدي الحنفي، أحد الفضلاء، يكنى أبا يزيد، مات عن ثلاث وخمسين سنة.
محمد بن عبد الكريم بن محمد بن صالح بن هاشم الحلبي، ظهير الدين أبو محمد بن العجمي، سمع صحيح البخاري وسنن ابن ماجه والبعث لابن أبي داود من سنقر الزيني، وسمع مشيخة ابن شاذان من بيبرس العديمي، وسمع من غيرهما وحدث، مات في خامس عشر المحرم عن ثمانين سنة، لأن مولده كان سنة أربع وتسعين وستمائة، سمع منه شيخنا العراقي وأرخه، وسمع منه أيضا ابن عساكر وأبو إسحاق سبط بن العجمي وهو أقدم شيخ له، والبرهان آخر من روى عنه وآخرون، وطلب بنفسه، كتب الطباق والأجزاء ونسخ كثيرا من الكتب بالأجرة، وكان يسترزق من الشهادة، فإذا طلب منه الإسماع طلب الأجرة لما يفوته من الشهادة بقدر ما يكفيه من القوت.." (٢)

"الملك الأشرف، وزادت مروءته وعظمت همته وشاع خيره وبره، وكان **من العجائب** أنه مع فرط كرمه في غاية البخل على الطعام حتى قال لي القاضي كريم الدين بن عبد العزيز ناظر الجيش عنه إنه سمعه يقول: إذا رأيت شخصا يأكل طعامي أظن أنه يضربني بسكين هذا أو معناه هذا مع بذله الآلاف، قرأت بخط ابن القطان وأجازنيه أنه بلغت مرتباته لأهل الخير في الشهر ثلاثة آلاف، وكان كثير الظرف واللطف والنوادر.
قلت: لم ألق أحدا ممن لقيه إلا ويحكي عنه في المروءة والجود ما لا يحكيه الآخر حتى من لم يكن بينه وبينه معرفة، وفي الجملة فكان من محاسن الدنيا مع الدين والصيانة وقرأت بخط القاضي تقي الدين الزبيري وأجازنيه أنه كان أول أمره شاهدا عند

---

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين الأعلم الشنتمري ص/٩٦

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ١/٥٠

ابن البابا، وكان عالما بالتفسير ودرس فيه بالمنصورية، وعمل على التسهيل شرحا، وأول ما ولي نظر البيوت ثم نظر الجيش، ولما تجهز السلطان إلى الحج كان هو وعك من أول شعبان واستمر فجهز ولده تقي الدين عبد الرحمن في خدمة السلطان فاستراح هو من الفتنة التي وقعت، ثم مات بعد قليل في ثاني عشر ذي الحجة.

موسى بن فياض بن موسى بن فياض بن عبد العزيز النابلسي أبو البركات الحنبلي، ولد قبل القرن واشتغل ببلاده ثم قدم دمشق، وسمع من عيسى المطعم ويحيى بن سعد وغيرهما، وولي قضاء حلب سنة ثمان وأربعين وسبعمائة واستمر بها نيفا وعشرين سنة، وهو أول حنبلي قضى بها استقلالا، مات في ذي القعدة بعد أن أعرض عن الحكم في سنة أربع وسبعين، واستقر ولده أحمد مكانه وانقطع هو للعبادة.

ومات فيها من الأمراء: محمود شاه بن دنيا، وكان قد ولد على فراش الملك الناصر وأراد الصالح إسماعيل أن يستلحقه فلم يتم ذلك.

ومحمد بن مختار،." (١)

"وكانت سلامته من القطع **من العجائب**، وفي ذلك يقول بدر الدين بن الصاحب مضمنا وكان بلغه أنه عثر فسقط فانلكسرت يده:

قالوا بأن يد القماح قد كسرت ... فأعلنت أختها بالويل والغير.

تأخر القطع عنها وهي سارقة ... فجاءها الكسر يستقصي عن الخير.

وقد اهتدم ذلك برمته من البيتين السائرين في تاريخ ابن خلكان:

إن العماد بن جبريل أخا علم ... له يد أصبحت مذمومة الأثر.

تأخر القطع إلى آخره.

وفيها في جمادى الأولى حضرت رسل حسين بن أويس صاحب بغداد وتبريز إلى برقوق، وهم: قاضي البلد الشيخ زين الدين علي بن عبد الله بن سليمان بن الشامي المعري المقانعي الآمدي الشافعي، وشرف الدين عطاء بن الحسين الواسطي الوزير، وشمس الدين محمد بن أحمد البرادعي، فأكرموا غاية الغكرام، وذكر المقانعي أنه غرم على سفرته عشرة آلاف دينار وأنه جاء في مائة عليقة، وكان يكثر الثناء على أهل الشام وتردد الكبار للسلام عليهم حتى القضاة، ورتب لهم برقوق رواتب كثيرة، وطلبهم عنده مرة ومد لهم سماطا حافلا، وكان تسفيرهم في العشر الآخر من رجب.

وفيها كانت الوقعة بالتركمان وزعيمهم ابن دلغادر، أوقع بهم العسكر الشامي ومعهم نائب حلب ونائب دمشق في جمادى الأولى، فانكسروا كسرة شنيعة وقتل منهم جماعة، ثم رجع العسكر التركماني فهزموا العسكر، وجرح نائب ملطية منطاش وتمرزق الجيش، ووقع التركمان في النهب، وقتل جوبان الجركسي، وكان من قدمائهم، له ذكر في الحوادث سنة خمسين وسبعمائة، وكان من أتباع الفخر إياس، وولي نيابة حمص ثم قلعة دمشق ثم الحجوبية بحلب.." (٢)

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ١٤٨/١

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٢٣٧/١

"واستقر الشيخ سراج الدين ابن الملقن في تدريس قبة الصالح وشهاب الدين النحريري في النظر عليه مكانه أيضا، وفيه خرج أهل دمشق للاستسقاء لما كان أصابهم من الغلاء فلما رجعوا وجدوا ابن النشو فرجموه حتى مات، وكان يحتكر الغلال بالجاه وراح دمه هدرا، وكان ابن النشو هذا يقال له ناصر محمد متولي شد المراكز وولي إمرة طبلخاناه، وكان أصله سمسارا فلما تأمر صار يحتكر ولا يبيع أحد شيئ من الحبوب إلا بعد مراجعته، وكان قتله والنائب في الصيد، فلما رجع كوتب من عند السلطان بتتبع من فعل ذلك وتوسيطه، فحصل لكثير من الشاميين أذى وكتبوا فيه محضرا بما يبدو من المذكور من الفجور وكلمات الكفر والجور المفرط والظلم الظاهر، فلطف النائب القضية حتى أعفى الناس من ذلك.

وفي رجب شرع يلبغا السالمي في تجديد عمارة الأقمر فأقام منارته وعمل فيه فسقية وجدد فيه خطبة في رابع رمضان.

وفي ثامن شعبان الموافق الحادي عشر بشنس أمطرت السماء برعد وبرق حتى صارت القاهرة خوضا فكان **من العجائب** ودام ذلك في ليالي متعددة، وقد وقع مثل ذلك بل أعظم منه في مثل زمانه في سنة سبع عشرة وثمانمائة في سلطنة الملك المؤيد، وفي شعبان صرف قديد من نيابة الإسكندرية إلى القدس بطالا." (١)

"رزق الله بن فضل الله بن يونس القبطي تاج الدين ابن أبي الكرم ويقال له عند الرزاق - أول ما باشر ديوان النائب ثم ولي نظر الجيش بدمشق - فباشرها مدة وعزل في أثناء ذلك بسبب تغير الدول وكان رئيسا محتشما كثير المداراة إلى الناس والعصبية لمن يقصده، مات في رجب.

عائشة بنت محمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد ابن عبد الهادي ابن يوسف بن محمد بن قدامة، المقدسي الأصل أبوها الصالحية، ولدت سنة أربع وعشرين وسبعمائة، وأحضرت في الرابعة على الحجاز سنة ست وعشرين، وسمعت عليه أربعي الطائي وأربعي الحجار وغير ذلك، وأسمعت صحيح مسلم على جماعة من أصحاب ابن عبد الدائم ومعظم السيرة على عبد القادر بن الملوك، وشاركت أختها فاطمة في كثير من المسموعات والمجازات وتفردت، وممن أجاز لها إبراهيم بن صالح بن العجمي من حلب، والشيخ شرف الدين البارزي من حماة، والبرهان الجعبري من بلد الخليل، وعبد الله بن محمد بن يوسف من نابلس، وتفردت بالسماع من الحجار ومن جماعة، وسمع منها الرحالة فأكثروا، وكانت سهلة في الإسماع سهلة الجانب، **ومن العجائب** أن ست الوزراء كانت آخر من حدثت عن ابن الزبيدي بالسماع ثم كانت عائشة آخر من حدثت عن صاحبه الحجار بالسماع وبين وفاتهما مائة سنة، ماتت في ربيع الأول.

عبد الله بن محمد بن أحمد بن قاسم، العمراني الحرازي المكين عفيف الدين، ابن القاضي تقي الدين ابن الشيخ شهاب الدين، عني بالعلم وتنبه في الفقه، ومات بمكة وله بضع وستون سنة.." (٢)

"- وكان بعيدا عن النصارى ومتزوجا من غيرهم، وهي علامة حسن إسلام القبطي، وكان يكثر فعل الخير والصدقة مع الانهماك في اللذة، وحدث في وزارته الوباء فلم يشاحح أحدا في وراثة وكثر الدعاء له، وكان عارفا بالمباشرة ويحب أهل العلم، وكان شديد الوطأة على العامة إلا أنه باشر الوزارة برفق لم يعهد مثله، وكان موصوفا بالدهاء وجودة الكتابة.

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ١/٥٢٧

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٣/٢٥

عبد الوهاب بن محمد بن أحمد بن أبي بكر، الحنفي القاضي أمين الدين بن القاضي شمس الدين الطرابلسي نزيل القاهرة، ولد سنة ٧٧٤ واشتغل في حياة أبيه وولي القضاء مستقلا بعد موت الملطي فباشره بعفة ومهابة، وكان مشكور السيرة إلا أنه كان متعصبا لمذهبه مع إظهار محبة للآثار عاريا من أكثر الفنون إلا استحضار شيء يسير من الفقه، وقد عزل عن القضاء بكمال الدين ابن العديم، ولزم منزله مدة طويلة، ثم تنبه بصحبة جمال الدين فتقرر بعنايته في القضاء ومشيخة الشيخونية، ثم زال ذلك عنه في الدولة المؤيدية، وانتزعت من أخي وظيفة إفتاء دار العدل فقررت لابن سفري ثم لابن الجيتي، واستمر أمين الدين خاملا حتى مات بالطاعون في خامس عشري ربيع الأول.

ومن العجائب أن ناصر الدين بن العديم أوصى في مرض موته بمبلغ كثير يصرف لتقي الدين ابن الجيتي الحنفي ليسعى به في قضاء الحنفية لئلا يليه ابن الطرابلسي قبل موت ابن العديم وكذلك ابن الجيتي.

علي بن الحسين بن علي بن سلامة، الدمشقي تفقه على الشيخ عماد الدين الحسباني وغيره، وكانت له مشاركة في الأدب ونظم الشعر الوسط، ودرس في دمشق، ومات سنة ٨٢٩.." (١)

"ثلاثين سنة، وهي ريح هائلة عاصفة سوداء مظلمة، فانتشرت حتى غطت الأهرام والجيزة والبحرواشتدت حتى ظن كل أحد أنها تقتلع الأبيات والأماكن، فدامت تلك الليلة ويوم الأربعاء إلى العصر، وكانت سببا في هيف الزرع بالوجه القبلي وغلاء سعر القمح.

وفي ربيع الآخر قدم أخو رميثة بن محمد بن عجلان يخطبان إمرة مكة عوضا عن عمهما حسن بن عجلان ظنا منهما طرد القياس في عقيل ومقبل، فانعكس عليهما الأمر فقبض عليهما وحبسا، وقرر قرقماش الشعباني وعلى بن عنان في إمرة مكة وسافرا معا. وفيه وصل تاني بك البجاسي نائب حلب فسلم على السلطان، وهرع الناس للسلام عليه، ثم خلع عليه وأعيد إلى إمرته وتوجه ثالث جمادى الأولى. وفيه وقع بين نائب دمشق وقاضيها الشافعي نجم الدين ابن حجي تشاجر وادعى أن القاضي أشار عزل نفسه، وتولد من ذلك شر كبير سيأتي ذكره، وورد الخبر بأن الجراد وقع بالمدينة فأفسد الزرع بها وجرد الخوص من النخل، وقاسوا منه شدة عظيمة.

وفي أوائل ما نقلت الشمس إلى الثور بعد أن اشتد الحر جدا عاد البرد الشديد حتى كان نظير الذي كان والشمس في برج القوس وهذا **من العجائب**، وبعد يومين أمطرت السماء مطرا غزيرا في معظم الليل، واستمر البرد قدر أسبوع.

وفي اليوم الثامن عشر من حلول الشمس الثور أمطرت السماء مطرا شديدا غزيزا، واستمر إلى أن أكثر الوحل في الطرقات كأعظم ما يكون في الشتاء مع الرعد الكثير والبرق، وقد تلف بذلك ما في المقائي من الزروع والنبات شيء كثير، وغلا." (٢)

"**ومن العجائب** أن المذكور جرت له في سلطنة الظاهر جقمق في سنة ست وثلاثين مناقشة مع القاضي أدت إلى أن بعض الأكابر حط عليه فبالغ فأمر السلطان بنفيه، فلما حصل بالإسكندرية أغلظ للنائب فأنزلوه في مركب تسير إلى

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ١١١/٣

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٣٠٢/٣

الغرب ورئيسها إفرنجي، فوصل كتاب بالشفاعة فيه، وإعفائه من التغريب، فعوق النائب قراءة الكتاب إلى أن تحقق أن المركب سارت به، فقرأ الكتاب وأعاد الجواب بفوات الأمر؛ ثم لم نطلع له على خبر إلى أن سطرت هذه الأحرف في شعبان سنة سبع وأربعين ثمانمائة، وجزم جماعة بأنه أعدم، ولم يلبث القاضي بعده إلا يسيرا وهلك.

وفي رجب حضر الأستادار من الصعيد وحضر صحبته شيء كثير من الأبقار والأغنام، فجمع الجزارين والقيطامين وغيرهم لمشتراها، فاجتمع جمع كثير في مركب فغرقت بهم، فلم يسلم منهم إلا القليل، وذلك في مبادئ زيادة النيل؛ وكان الطاعون بالشام حتى قيل إن جملة من مات في أيام يسيرة زيادة على خمسين ألفا، ووقع الطاعون بدمياط فمات عدد كثير من الرقيق والأطفال.

وفي رجب شكا نائب الشام من ابن حجي قاضي الشافعية ونسبه إلى أمور معضلة، فأمر بالكشف عليه. فندب لذلك بعض الجند وصحبته شمس الدين محمد الأنصاري المدعو أبا شامة الدمشقي الذي كان أمين الحكم عنده، فنقم عليه أمورا فعزله، فتوجه إلى القاهرة فأقام بها يغض من ابن حجي ويذكر مساويه عند الأمراء وغيرهم، فلما وقعت هذه الكائنة ذكر بعضهم للسلطان أن أبا شامة يعرف مساوي ابن حجي، فسفره ليكشف عليه." (١)

"سنة ثلاثين وثمانمائة

أولها السبت ففي الثامن منه خلع على نجم الدين بن حجي بقضاء الشام عالى قاعدته وصرف الشريف شهاب الدين فأقام قليلا، ثم أمر السلطان بسفره إلى الشام بطالا، فأول شيء صنعه ابن حجي أنه قرب أبا أسامة الذي كان أثبت عليه المال الجزيل فيما مضى ظلما وعدوانا فأحسن إليه، ثم استدعى منه أن يثبت على الشريف نظير ما أثبت عليه، فأجابه إلى ذلك فبادر وفعل، وطولع السلطان بذلك فألزم الشريف بما ثبت عليه وعد ذلك **من العجائب**، واشتهر أبو أسامة بالأحكام الباطلة، واستعاذ كل مسلم من شره لجرأته على الأمور الفظيعة، فخشى عاقبة ذلك فتحزل إلى القاهرة فسكنها مدة، ثم أخرج منها بعد لا بارك الله فيه. وكان صرف الشريف من وظيفة القضاء مما يعد من الخوارق، فإنه لم يكن بقي أحد من أهل الدولة له مال إلا وتعصب له أن يستمر، فعاكس السلطان الجميع.

وفي المحرم نودي على أهل الذمة أن يصغروا عمائمهم وأن لا يدخلوا الحمامات مع المسلمين ومن دخل منهم فليكن في عنقه جلجل أو طوق حديد إلى أشياء كثيرة اخترعها المحتسب تبعا لغيره، فضجوا من ذلك ورفعوا أمرهم إلى السلطان، فأحضر القضاة في ثالث عشر المحرم وسألهم ما يجب عليهم! فتقر الحال أن لا يدخلوا الحمام إلا بخيط في رقبة ويكون فيه خاتم من حديد أو رصاص، وأن لا يتعرض لعمائمهم الملونة كبرت أو صغرت، وأن نساءهم يتميزن من النساء المسلمات بشيء يكون قدر الكف أو أصغر من لون عمائم رجالهن؛ فصنع ذلك وكتب على أكابرهم والتزموا به.

وفيها صرف خشرم عن إمرة المدينة وأعيد عجلان.

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٣/٣٠٤

وفي ذي الحجة منع من البيع في داخل المسجد الحرام، ومن نصب الصواوين داخله، ومن نقل المنبر عند خطبة الجمعة من مكانه بجانب المقام إلى ظهر الكعبة.." (١)

"مبرحا، حتى أن بعض الأمراء وهو اخو السلطان قام ليشفع فيه، فضربه معه فضربا معا، ثم أمر بإحراق الحشيش والمنع من زرعها. وفيها نقض ابن الركاعنة طاعة أبي فارس صاحب تونس، فسار إليه واجتمع به عبد الواحد بن أبي حمو وهو عمه، ففر ابن الركاعنة، وأقام أبو فارس عبد الواحد المذكور في ملك تلمسان وفاس ورجع – وكانما سيأتي ذكره سنة ثلاث وثلاثين.

وفي السابع من رجب استقر كمال الدين ابن البارزي في كتابة السر بدمشق عوضا عن حسين السامري بحكم وفاته وكان له منذ عزل من نظر الجيش مقيما؟ بالقاهرة سبع سنين، واستقر شهاب الدين ابن نقيب الأشراف بدمشق في نظر الجيش عوضا عن حسين أيضا، وكان جمعهما.

وفي عاشره استقر عز الدين بن عبد السلام بن داود بن عثمان المقدسي في تدريس الصلاحية بالقدس عوضا عن الشيخ شمس الدين البرماوي بحكم وفاته، واتفق في هذه السنة **من العجائب** أن الفول نزل عليه الصقيع بالصعيد فافسده وهو أخضر، شرق كثيرمن الأراضي فلم يزرع، وأكلت الدودة مواضع مزدرعة، فكانت هذه الأمور الثلاثة في العادة ينشأ عنها الغلاء، وانضاف إلى ذلك نزول النيل بسرعة، فزرعوا في شدة الحر، ثم تسلطت الدودة مع ذلك، فتحرك السعر قليلا ثم لم يرتفع لشئ من الغلة رأس، وتمادى الأمر على ما كان حتى جاء المغل الجديد، ثم غلا السعر في أيام زيادة النيل فزاد سعر كل إردب مائة درهم، وانحلت الأسعار بعد وفاء النيل، وكان ببلاد الصعيد الأعلى وباء شديد ومرض حاد ومات بسببه خلائق في رجب وشعبان، واستمر إلى ... وفي سادس عشر شوال نودي بأبطال المعاملة بالدراهم البندقية واللنكية، وأخرجت الدنانير الأشرفية، ونودي أن يكون بمائتين خمسة وعشرون، وأبطلت المعاملة بالأفلورية.." (٢)

"وفي يوم الأربعاء توجه القاضي المستقر إلى مصر على العادة، وكان استقر في نقابة الحكم بشخص يقال له حسن الأميوطي وكان رسولا في الحكم، فنقم عليه شيء فصار يتوكل في المحاكمات، ثم اتصل بالقاضي المستقر، فلما كان هذا اليوم طلع إلى القلعة ومعه شيء من الذهب الموعود به فخلع عليه قباء بطراز، فاستمر لابسه وهو راكب قدام القاضي من مصر إلى القاهرة في الشارع، وتعجب الناس من ذلك. وفيه نزلت صاعقة بجدة فأتلفت شيئا كثيرا، ووقع حريق وهلك نحو المائة نفس، وتلف لبعض التجار مال كثير، **ومن العجائب** أن البضاعة المتعلقة بالسلطان سالمة، ويقال إن غالب الأبنية المتجددة في جدة احترقت واحترق أيضا مركبان بما فيهما من البضاعة، ووقعت وقعة بين القواد وجانبك شاد جدة فجرح عدة، ثم أصلح بينهم من كان أمير مكة، وفي العشر الأخير منه موافقا لأوائل بشنس من اشهر القبط زاد النيل زيادة كثيرة وشاهدت المقياس واعتبرته فوجدت الماء في نصف الذراع الثامن هذا وقد بقي للأمد المعتاد أكثر من أربعين يوما.

وفي السابع عشر منه طيف بالمحمل وخرج الحاج وفي الظن أنهم قليل، فاجتمع في بركة الجب خلائق بحيث أنهم صاروا ثلاثة

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٣/٣٨٢

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٣/٤٠٦

ركوب. الأول ولد الدويدار الكبير وأمير المحمل غرس الدين خليل الذي كان أمير الإسكندرية، وتوجه جمع كثير من الركبين صحبة جماعة من الخاصكية، وسافر الأول يوم الأحد.." (١)

"معه ولم يسلم غيره، ثم ظهر أنه لم يكن لذلك صحة، ووصلت هديته إلى السلطان بعد أيام فيها مائة – شاش وأشياء كثيرة من تحف الهند واليمن والحبشة –، فقبلها وخلع على قاصده.

وفي يوم الأربعاء السابع والعشرين منه وهو الموافق – للرابع من مسري أوفى النيل ستة عشر ذراعا وإصبعين، وكسر الخليج في صبيحة يوم الخميس، وباشر ذلك الأمير ناصر الدين محمد ولد السلطان، وصحبته حاجب الحجاب وجمع يسير، وكان يوما مشهودا، وكانت الزيادة في هذه السنة **من العجائب**، فإنه ابتدئ في العشرين من المحرم فكان يزيد قليلا قليلا إلى يوم السبت السادس عشر من صفر، فزاد ثمانية ثم زاد اثني عشر إصبعا، ثم زاد في خمسة أيام ثمانين إصبعا، في يوم ثلاثين، وفي يوم عشرين، وفي ثلاثة أيام كل يوم عشرة، وفي يوم سبعة عشر أيضا، فنودي خمسة يوم الوفاء خمسة عشر تعليق الستة عشر وإصبعين فوقها.

وفيها كائنة إبراهيم ابن خطيب القدس وقاضيه جمال الدين بن جماعة، رفع فيه إلى السلطان أنه زور عليه مرسوما بمرتب، فأحضر إلى القدس وصرف أبوه عن القضاء وحوقق على ذلك –، وجرى لصهره قاضي الحنفية ابن الديري من البؤس وتغير الخاطر ما لا يعبر عنه، وبالغ السلطان في الإنكار على كاتب السر بسبب ذلك.

وفي الأربعاء تاسعه عقد مجلس بالصالحية بسبب شخص قرمي اسمه علي ابن أخي قطلو خجا، حضره القضاة الثلاثة وغاب الحنبلي لضعفه، وكان المذكور رفع أمره إلى السلطان أنه وقع في حق نبينا صلى الله عليه وسلم بكلام فاحش، وأن بعض العوام أنكر عليه فكثر اللغط، فخلصه منهم شهاب الدين ابن عبيد الله الحنفي نائب الحكم، فأنكر السلطان عليه ذلك في يوم الأحد أول يوم ن الشهر عند التهنئة، فاعتذر بأنه خشي عليه من العوام أن يقتلوه، فأكد السلطان عليه في تحصيله، ثم اتفق أن بعض الحجاب." (٢)

"وأما صالح بن علي،

ويكنى أبا الفضل، فهو المتوجه الى مصر لمحاربة مروان ابن محمد وعلي مقدمته عامر بن إسماعيل المسلي، فقتل مروان وفتح مصر، ولم يحل عن طاعة أبي العباس ولا مال إلى عبد الله بن علي، وقدم معه ابن لهيعة والليث بن سعد.

(٥٧٥) وكان قد أخذ خصيا لمروان فدلهم على البرد والقعب والمخضب [١] والقضيب.

ويقال: إن البرد لم يكن فيما دل عليه.

وحدثني عبيد الله بن عبد العزيز [٢] من ولد صالح بن علي قال: لما أتي صالح برأس مروان وأمر بأن ينتف [٣] وينفض [٤] انقطع لسانه فتناوله هر، فقال صالح:

ماذا ترينا الأيام **من العجائب**، هذا لسان مروان في فم هر. وقال الشاعر:

---

(١) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٤/٥١

(٢) إنباء الغمر بأبناء العمر ابن حجر العسقلاني ٤/١٥٤

قد فتح الله مصرا عنوة لكم ... واهلك الفاجر الجعدي إذ ظلما

فلاك مقوله هر يجره ... وكان ربك من ذي الكفر منتقما

وإنما قيل لمروان «الجعدي» لأنه نسب إلى الجعد بن درهم معلمه وأليفه، والجعد بن درهم مولى لسويد بن غفلة الجعفي. ويقال، إنه مولى لآل مروان، وكان زنديقا أو دهريا فقيل لهشام بن عبد الملك: أن الجعد كافر، وشهد عليه أن ميمون بن مهران وعظه فقال: لشاة قياد أحب إلي مما تدين به، فقال له:

قتلك الله وهو قاتلك.

ويقال إن ميمون بن مهران شهد عليه، فطلبه فهرب إلى حران، ثم إنه ظفر به فحمل إلى هشام فأخرجه [٥] من الشام والجزيرة إلى العراق، وكتب إلى خالد بن عبد الله القسري يأمره بحبسه، فلم يزل محبوسا حينا ثم رفعت امرأته إلى هشام قصة في أمره، فقال هشام: أو حي هو؟ قالوا: نعم، فكتب إلى خالد يلومه على حبسه ويعزم عليه أن يقتله. فقال خالد في يوم أضحى بعد فراغه من خطبته: ايها

---

[١] ط: المخصب.

[٢] ط: عبد الله بن العزيز.

[٣] د: ينقف.

[٤] م: ينقض.

[٥] م: واخرجه.." (١)

"تنبيه، قال بعض علماء هذا الفن: إذا أتيت في التورية بلازم لكل من المعنيين فتكافئا ولم يترجح أحدهما على الآخر فكأنك لم تذكر شيئا من اللازمين، وصار المعنى القريب والمعنى البعيد بذلك في درجة واحدة فتلحق هذه التورية بالمجردة، وتعد منها قسما ثانيا وتصير مجردة بهذا الاعتبار.

كقول ابن الوردي:

قالت إذا كنت تهوى ... وصلي وتخشى نفوري

صف ورد خدي وإلا ... أجور ناديت جوري

فقوله: ورد خدي، يلائم أن يراد بقوله: جوري، اسم نوع من الورد، وهو المعنى المورى وهو المقصود. وقوله: وإلا أجور يلائم لأن يراد به فعل الأمر المستند إلى ضمير الواحدة، وهو المعنى القريب المورى به.

والنوع الثاني وهي المرشحة.

هي التي تجامع ملائما للمعنى المورى به إما قبل التورية أو بعده فهي قسمان: الأول ما جامع قبل التورية، كقوله تعالى "والسماء بنيناها بأيد" فإنه أراد (بأيد) معناها البعيد، أعنى القدرة، وقد قرن بها ما يلائم المعنى القريب، أعنى الجارحة، وهو

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري البلاذري ٤/١٠٠

قوله (بنيناها) هكذا قاله غير واحد، لكن قال السبكي في عروس الأفراح: وفيه نظر، لأن قوله تعالى (بأيد) له معنيان ... إلى آخره من الحواشي. انتهى.

وألطف تورية وقعت من هذا النوع المتقدم، قول يحيى بن منصور من شعراء الحماسة:

وجدنا أبانا كان حل ببلدة ... سوى بين قيس قيس عيلان والفزر

فلما نأت عنا العشيرة كلها ... أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر

فلما أسلمتنا عند يوم كريهة ... ولا نحن أغضينا الجفون على وتر

فإن لفظ (أغضينا) قبل (الجفون) رشحه للتورية، ورجحه في الظاهر لإرادة إغماض جفون العيون على إغماض السيوف، بمعنى إغمادها، لأن السيف إذا أغمد انطبق عليه، وإذا جرد انفتح للخلاء الحاصل بين الدفتين، لكن دل سياق كلامه على إرادة أنهم لا يغمدون سيوفهم ولهم وتر عند أحد.

وقول الآخر:

حملناهم طرا على الدهم بعدما ... خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

الشاهد في الدهم، فإنه يحتمل الخيل الدهم وهو المعنى القريب المورى به، وقد تقدم لازمه المرشح له وهو لفظ الحمل، لأنه من لوازم الخيل، ويحتمل القيود وهو المعنى البعدي المورى عنه وهو المراد، لأنه أراد تقييد العدى، الثاني ما جامع ملائما بعد التورية.

كقول الصاحب عطاء الملك في امرأة اسمها شجر:

يا حبذا شجر وطيب نسيمها ... لو أنها تسقى بماء واحد

الشاهد في شجر، فإنه يحتمل ماله ساق من النبات وهو المعنى المورى به، وقد رشحه بعد التورية بما يلائمه وهو طيب النسيم والسقي بماء واحد ويحتمل اسم المرأة وهو المعنى المورى عنه وهو المقصود.

النوع الثالث وهي المبينة.

هي التي تجامع ملائما للمعنى البعيد المورى عنه إما قبلها أو بعدها، فهي أيضا قسمان. الأول، ما جامع ملائما قبل التورية.

كقول شيخ الشيوخ بحماة:

قالوا أما في جلق نزهة ... تنسيك من أنت به مغرى

يا عاذلي دونك من لحظة ... سهما ومن عارضه سطرا (ى)

الشاهد هنا في السهم وسطرى، فإن المعنى المورى عنه هما الموضعان المشهوران من منتزهات دمشق، وقد جامعا ما يلائمهما قبلهما وهو ذكر النزهة، وإما المعنى القريب فسهم اللحظ، وسطر العارض. الثاني، ما جامع ملائما بعد التورية.

كقول ابن سناء الملك:

أما والله لولا خوف سخطك ... لهان علي ما ألقى برهطك

ملكت الخافقين فتهت عجبا ... وليس هما سوى قلبي وقرطك

فإنه أراد بالخافقين قلبه وقرط محبوبته، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه، وقد بينه بالنص عليه في المصراع الأخير. ويحتمل

أن يريد المشرق والمغرب، وهذا هو المعنى القريب المورى به.

والنوع الرابع وهي المهيأة.

هي التي تفتقر إلى ذكر شيء يهيئها لاحتمال المعنيين، أما قبلها، أو بعدها، وإلا لم تتهيأ التورية، أو تكون بلفظين أو أكثر لولا كل منها لم تتهيأ التورية في الآخر. فهي بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام.

الأول، ما تهيأت بلفظ قبلها.

كقول الشيخ أحمد ابن عيسى المرشدي في شداد ناقة لشريف مكة المشرفة. والشداد في عرف أهل الحجاز: الرحل.

أفق الشداد بدت به ... شمس الخلافة والهلال

ومن العجائب جمعه ... ليث الشرافة والغزال." [(١)]

"لجود قاضي القضاة أشكو ... عجزي عن الحلو في صيامي

والقطر أرجو ولا عجيب ... للقطر يرجى من الغمام

ومن لطائف مجون أبي الحسين الجزار قوله:

تزوج الشيخ أبي شيخة ... ليس لها عقل ولا ذهن

لو برزت صورتها في الدجى ... ما جسرت تبصرها الجن

كأنها في فرشها رمة ... وشعرها من حولها قطن

وقائل قل لي ما سنها ... فقلت ما في فمها من سن

وقوله يمدح رئيسا اسمه علي:

أقول لفقري مرحبا لتيقني ... بأن عليا بالمكارم قاتله

وقوله في مطلع قصيدة:

يمضي الزمان وأنت هاجر ... أو ما لهذا الهجر آخر

يا من تحكم في القلوب ... بحاجب منه وناظر

مولاي لا تنس المحب فإن ... ه لهواك ذاكر

وإذا رقدت منعما ... فاذكر شقيا فيك ساهر

شتان ما بيني وبينك ... في الهوى لو كنت عاذر

النار في كبدي وظلم ... ك بارد والجفن فاتر

وممن علا في التورية مقامه، وتحلى بدررها نظامه، ناصر الدين حسن بن النقيب فمن بدايع تغزلاته قوله:

وما لي سوى عين نظرت لحسنها ... وذاك لجهلي بالعيون وغرتي

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٣٥٩

وقالوا به في الحب عين ونظرة ... لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتي

ومن لطائفه قوله:

أنت طوقتني صنيعا وأسمع ... تك شكرا كلاهما ما يضيع

فإذا ما شجاك سجعي فإني ... أنا ذاك المطوق المسموع

وقوله:

أبيات شعرك كالقصور ... ولا قصور بها يعوق

ومن العجائب لفظها ... حر ومعناها رقيق

وقوله:

جودوا لنسجع بالمدي ... ح على علاكم سرمدا

فالطير أحسن ما يغر ... د عندما يقع الندا

ومن لطائف الحكيم شمس الدين بن دانيال قوله:

يا سائلي عن حرفتي في الورى ... وضيعتي فيهم وإفلاسي

ما حال من درهم إنفاقه ... يأخذه من أعين الناس

وقوله:

ما عاينت عيناي في عطلتي ... أقل من حظي ومن بختي

قد بعت عبدي وحماري معا ... وصرت لا فوقي ولا تحتي

ومن بدائع القاضي محي الدين بن عبد الظاهر قوله:

لقد قال كعب في النبي قصيدة ... وقلنا عسى في فضلها نتشارك

فإن شملتنا بالجوائز رحمة ... كرحمة كعب فهو كعب مبارك

وقوله:

شكرا لنسمة أرضكم ... كم بلغت عني تحية

لا غرو إن حفظت أحا ... ديث الهوى فهي الذكية

وهذه النكتة أخذها الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال:

يا طيب نشر هب لي من نحوكم ... فأثار كامن لوعتي وتهتكي

أهدى تحيتكم وأشبه لطفكم ... وروى شذاكم إن ذا نشر ذكي

وأشار إلى هذه السرقة الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة بقوله: -ولم يخرج عما نحن فيه من التورية-

إن ابن أبيك لم تزل سرقاته ... تأتي بكل قبيحة وقبيح

نسب المعاني في النسيب لنفسه ... جهلا فراح كلامه في الريح

لا تسلني عن أول العشق أني ... أنا فيه قديم هجر وهجره

من دموعي ومن جبينك أرخ ... ت غراما بمستهل وغره

لكن تعقبه بعضهم، بان المستهل في البيت بكسر الهاء، لأنه يناسب الدموع، والمستهل الذي يؤرخ به إنما هو بفتح الهاء، من قولهم: استهل الهلال، ببناء الفعل لما لم يسم فاعله، فقولهم، كتب لمستهل شهر كذا؛ أي لوقت استهلاله، فلا تصح التورية في مستهل.

وقال البدر الدماميني في شرح التسهيل: فإن قلت: فهل له من وجه؟ قلت: يمكن أن يجعل المستهل اسم فاعل من قولهم: استهل الهلال، بمعنى تبين -ذكره في الصحاح- فيكون المراد بالمستهل بكسر الهاء، الهلال المتبين، ويصير حاصل قولهم: كتب لمستهل شهر كذا، بمثابة قولك: كتب لهلال كذا، أي وقت هلاله على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه والمراد بوقت الهلال وقت ظهوره، وهذا غاية ما يظهر فيه.

وقد زاحمه الشيخ جمال الدين بن نباتة على هذه التورية فقال:

أخط سؤالي بالرقاع ولا أرى ... جفاءك يا هذا بوصلك ينسخ

ويذبح جفني بالدموع وماله ... سوى الشهر بعد الشهر في البعد يسلخ

ترى هل لعامي من جبينك غرة ... بها لا بدمعي المستهل يؤرخ

لئن أشبهت منك الغصون معاطفا ... لقد أصبحت أيضا تنبيه وتشمخ." (١)

"وأحسن اتفاق وقع في هذا النوع، ما اتفق للشيخ شمس الدين بن الكوفي الواعظ في الوزير مؤيد الدين بن العلقمي حيث قال:

يا عصبية الإسلام نوحي والطمي ... حزنا على ما حل بالمستعصم

دست الوزارة كان قبل أوانه ... لابن الفرات فصار لابن العلقمي

فاتفق له أن المذكورين وزيران، وأن المورى نهران معروفان، مع المطابقة بين الفرات العذب والعلقم المر.

ومنه قول الملك الأفضل علي بن السلطان صلاح الدين يوسف لما تعصب عليه عمه أبو بكر وأخوه عثمان، فكتب إلى الإمام الناصر صاحب بغداد:

مولاي إن أبا بكر وصاحبه ... عثمان قد غضبا بالسيف حق علي

وهو الذي كان قد ولاه والده ... عليهما فاستقام الأمر حين ولي

فخالفاه وحلا عقد بيعته ... والأمر بينهما والنص فيه جلي

فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقي ... من الأواخر ما لاقى من الأول

فاتفق له قضية طابقتها أسماء من كانت قضيتهم كقضيته حسب اعتقاده، ولما وصل كتابه إلى الإمام الناصر كتب إليه:

وافى كتابك يا بن يوسف معلنا ... بالحق يخبر أن أصلك طاهر

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٣٦٣

غصبوا عليا حقه إذ لم يكن ... بعد النبي له بيثرب ناصر

فاصبر فإن غدا عليه حسابهم ... وابشر فناصرك الإمام الناصر

وكتب إليه ابن عنين من الهند قصيدة يقول فيها (وفيه شاهد لما نحن فيه أيضا) :

هيهات أن آتي دمشق وملكها ... يعزي إلى غير المليك الأفضل

ومن العجائب أن يقوم بها أبو ... بكر وقد علم الوصية في علي

مهلا أبا حسن فتلك سحابة ... صيفية عما قليل تنجلي

وبيت بديعية الصفي قوله:

محمد واسمه بالاتفاق له ... وصف يشاكله في اسمه العلم

وبيت بديعية ابن حجة قوله: ووصفه لابنه قد جاء تسمية=فانه حسن حسب اتفاقهم قال في شرحه: اتفاق هذا البيت في لفظي (حسن وحسن) وهو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أشار إلى ولده الحسن عليه السلام وقال: إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظمتين.

وبيت بديعية الطبري قوله:

من اسم جد أبيه وصف ساعده ... وذاك هاشم الأعدا باتفاقهم (كذا)

وبيت بديعيتي هو:

ما زال آباؤه بالحمد مذ عرفوا ... فكان أحمدهم وفق اتفاقهم

الاتفاق فيه اشتراك لفظي أحمد، الذي هو علم له صلى الله عليه وآله وأحمد هو اسم تفضيل. فإن قلت: العلم لا يضاف لأن شرط الإضافة الحقيقية تنكير المضاف، قلت قد يضاف العلم إذا جرد عن التعريف، بان يجعل واحدا من جملة من سمي بذلك اللفظ كقوله:

علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم ... بأبيض ماضي الشفرتين يماني

وبيت المقري قوله:

الرسل أحمد أوصافا وأحمدهم ... في الوصف أحمدنا فاشكر يد النعم

ومن الاتفاق أني اتفقت والشيخ في هذا الاتفاق من قبل أن أقف على بيته هذا.

الجمع مع التفريق

ضياؤه الشمس في تفريق جمع دجى ... وقدره الشمس لم تدرك ولم ترم

هذا النوع عبارة عن أن يدخل المتكلم شيئين في معنى واحد، ثم يفرق جهتي الإدخال كقوله تعالى "يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى" أدخل النفسين في حكم التوفي، ثم فرق بين جهتي التوفي بالحكم بالإمساك والإرسال، أي الله يتوفى الأنفس التي تقبض، والنفس التي لا تقبض، فيمسك الأولى ويرسل الأخرى.

ومن أمثلته في الشعر قول مروان بن أبي حفصة:

تشابه يوماه علينا فأشكلا ... فما نحن ندري أي يوميه أفضل

أيوم نداه الغمر أم يوم بأسه ... وما منهما إلا أغر محجل

فإنه أدخل يوميه في التشابه والإشكال، ثم فرق بينهما، فجعل أحدهما للبذل والسماحة، والثاني للنجدة والشجاعة.

وقول البحتري:

ولما التقيا والنقا موعد لنا ... تعجب رائي الدر حسنا ولاقطه

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ... ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

فجمع المرئي من الدر والملقوط منه في كونهما متعجبا منهما، ثم فرق بينهما، فجعل الأول مجلوا عند الابتسام وهو ثغره، وجعل الثاني مسقطا عند المحادثة وهو حديثه.

وقول الفخر عيسى:

تشابه دمعانا غداة فراقنا ... مشابهة في قصة دون قصة." (١)

"تعالى العادة به فيه من حدوث حر وبرد، وجزر ومد، وتبدل خصب وجدب، ورخاء عيش وبؤس، ومن ظهور نبات وأوان لقاح، أو ولاد وصبوب أمطار وهبوب أرواح لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تعلموا من النجوم ما تعرفون به ساعات الليل والنهار، وهداية الطرق والسبل» فقدر أكثر الناس أن الزمان لا يكون غيرها ولا يعدوها إلى ما سواها، ولهذا الذي تبينته، أو أشرت إليه ذكر أبو الهذيل بعد تحديد الزمان الليل والنهار هما الأوقات لا غير.

واعلم أن الذين زعموا أن الزمان شيء غير الليل والنهار، وغير دوران الفلك وليس بجسم ولا عرض، ثم قالوا: لا يجوز أن يخلق الله شيئا إلا في وقت ولا يفنى الوقت، فيقع أفعال لا في أوقات لأنه لو فني الوقت لم يصح تقدم بعضها على بعض ولا تأخر بعضها عن بعض، ولم يتبين ذلك فيها، وهذا محال قولهم داخل في أقوال الذين يقولون: إن الزمان والمكان المطلقين، ويعرب عنهما عند التحقيق بالدهر والخلاء جوهران قائمان بأنفسهما، والكلام عليهم يجيء بعد تنويع فرقهم وبيان طرقهم فنقول: بالله الحول والقوة من زعم أن الأزلي أكثر من واحد أربع فرق:

الأولى: الذين يقولون هما اثنان الفاعل والمادة فقط ويعني بالمادة الهيولى.

الثانية: الذين يدعون أن الأزلي ثلاثة الفاعل والمادة والخلاء.

الثالثة: الذين يدعون أنه الفاعل والمادة والخلاء والمدة.

الرابعة: الفرقة التي زعيمهم محمد بن زكريا، المتطبب لأنه زاد عليهم النفس الناطقة، فبلغ عدد الأزلي خمسة بهذيانه.

وشرح مذهبهم أنه لم يزل خمسة أشياء، اثنان منها حيان فاعلان وهما: الباري والنفس، وواحد منفعل غير حي وهو الهيولى الذي منه كونت جميع الأجسام الموجودة، واثنان لا حيان ولا فاعلان ولا منفعلان وهما الخلاء والمادة، إلى خرافات لا تطيق اليد بيانها بالخط، ولا اللسان تحصيلها باللفظ، ولا القلب تمثيلها بالوهم، فمما يزعمه أن الباري تام الحكمة لا يلحقه سهو ولا غفلة، وتفيض منه الحياة كفيض النور عن قرصة الشمس، وهو العقل التام المحض، والنفس تفيض منه الحياة كفيض

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم الحسني ص/٣٩٢

النور، وهي مترجحة بين الجهل والعقل كالرجل يسهو تارة، ويصحو أخرى، وذلك لأنها إذا نظرت نحو الباري الذي هو عقل محض غفلت وأفقت، وإذا نظرت نحو الهيولى التي هي جهل محض غفلت وسهت، وأقول متعجبا لولا الكرى لم يحلم وهذا كما قال غيري، أليس **من العجائب** هذيانه في القدماء الخمسة، وما يعتقده من وجود العالم لحدوث العلة وما يدعيه من وجود الجوهرين الأزليين أعني الخلاء والمدة لا فعل لهما ولا انفعال، فلولا خذلان الله إياه، وإلا." [1]

"واحات مصر، وقد طبعت هذه الرحلة سنة "١٨٥١م" في باريس، مع ترجمة فرنسية وعلق عليها "سديليو" بمقالة في المجلة الأسيوية، وفي الخطط التوفيقية قطعة منها في وصف الواحات، نقتطف منها طرفا لنقف على أسلوبه، قال:

"ثم جيء بالمطي فحملتنا وخرجنا في مهمة حتى وصلنا إلى الخارجة في عشية اليوم الخامس، فوجدناها قد دار بها النخيل دورة الخلخال بالساق، والتفاف يد العاشق على معطاف المشعوق للعناق، وفيها من الثمر ما تشتيه الأنفس وتلذ الأعين، مع رخص الأسعار وحسن تلك الثمار.... ثم سافرنا يومين ونزلنا في ثالثهما بلدا يقال له: "بولاق" هو من الساكن في أملاق، قد درست معالم أكثرها، وتصدع بناء أقومها وأشهرها، **ومن العجائب** أن نخلها في غاية القصر، وهو حامل للثمر، لا يتكلف جانيه للقيام، بل يتناول منه وهو في حالة النيام، وليس به من الشجر إلا ما قل، وهو بعض أثل وعبل٢.

ومما يذكر التونسي في رحلة أنه قد ورد على أبيه بمصر من أخيه لابيه، بسنار خاطب يفيد أن والده توفي وترك طائفة من الكتب سرقت، وبقي بعد مدة في عسر وضيق يد، ثم يقول التونسي:

"وتركني ابن سبع قد ختمت القرآن أول مرة، ووصلت في العود إلى آخر آل عمران، وكان لي أخ ابن أربع سنين، وترك لنا نفقة ستة أشهر، فمكثنا سنة باعت والدتي فيها أشياء كثيرة من نحاس وحلي، ثم يقول: وبينما أنا متحير في طلب المعاش؛ إذ بلغني أن قافلة وردت من دارفور، وكان قد بلغنا قبل ذلك أن والدي توجه من سنار إليها في صحبة أخيه، فتوجهت إليها لأسأل عن أبي، فلقيت رجلا من أهل القافلة، مسنا ذا هيبة ووقار، يسمى: "السيد أحمد البدوي" فقبلت يده، ووقفت أمامه، فقال لي: ما تريد؟ فقلت أسأل عن غائب

---

١ – الأثل: شجر واحدته أثلة، جمعه أثلاث وأثول.

العبل: محركة الطرفاء وشبهه.." [2]

"وقد ازدحمت بفنائه ضروب الأمم، وتواصلت إليه ملوك العرب والعجم، وهاجروا نحو بابه راجين مهطعين، وأموا ظله لاجئين إليه منقطعين ولقد ورد منهم اثنان متباعدا الأفقين، متباينا المنطقين وهما ملكا غانة وفرغانة، فأزال من قلب كل منهما أحقاده على الدهر وأضغانه، فاعتبروا يا أولي الأبصار كيف أحسن حتى إلى الدهر فأصلح القلوب له، وجعل ذلك من شكر الله على ما قمصه إياه وسربله. وهذا إشارة إلى القدرة التي خص بها، والعظمة التي استقر في أشرف منصبها. وإذا تأملنا ما سفر فيه البيان وتبرج، وأسفر به صبح الإبداع وتبلج، وأخرجت منه الضمائر جواهر كانت مستترة، ونظمت

---

(١) الأزمنة والأمكنة المرزوقي ص/١٠٦

(٢) الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة محمد كامل الفقي ١/١١٩

به الخواطر عقودا ما زالت منتثرة؛ وجدنا ضروبا من الأقوال متسعة، وأصنافا من المدح متشعبة متنوعة، تدعو الناظر المحرر، والمتأمل المتصور، والعامل بفريضة العدل تعرضا لجزائه، والمناضل عن الحق رغبة في انتسابه إليه واعتزائه، إلى القول إن كل لسان انطلق في أيامه بخدمة ملوكية فما قصد غير مدحه، وكل بيان انبعث في أوصاف حقيقة فما أراد سوى تفصيل ذلك وشرحه، فلله در أبي نواس إذ يقول:

وإن جرت الألفاظ يوما بمدحه ... لغيرك إنسانا فأنت (الذي نعني)

وما أحسن قول ابن الرومي:

إن أسرق الشعراء شعرهم ... فجزاء ما سرقوا من المجد

سرقوك مجدك وهو مدخر ... من قبل أن تلقى إلى المهد

وكسوه قوما لا يليق بهم ... من ماجد وسط ومن وغد

فرددت حقك غير معتذر ... منهم إلى حر ولا عبد

فعمدنا إلى هذا الباب ذاكرين منه أنموذجا لنظائره، واقتصرنا عليه إذ لا طمع لنا في ذكر سائره، واعتمدنا على ما لم يبتذله الاشتهار، وقصدنا ما لم يكن للألسن به استهتار، واجتهدنا في إيراد ما لم تخلق الأسماع جدته، وخدمنا بما لم تسلب الرواية رواءه وهجته. وقد يأتي في تضاعيفه ما ليس من شرطه حسب ما يوجبه تفرع التصنيف، ويقضي به تشعب التأليف. وسمينا ذلك رد المظالم لأنه حق لمولانا.

وقد حليت على غير أكفائه عروسه، وأديرت على غير شربه كؤوسه، فافتضت أسماعهم أبكاره، وشربت أفهامهم عقاره. وهذا ظلم من ناظمه وقائله، وتعد من سامعه وقابله.

ومن أقسام سيرته الشريفة العدل في إعادة الحقوق إلى أربابها، واستخلاصها من دار ذلها واغترابها. فاستعملنا بعض سيرته في وصفه، ورجونا الله بذلك في دفع المكروه عنا وصرفه، والله يسعدها ويوفقنا وعليه توكلنا ومعتمدنا.

وهذه بداية الكتاب: قال محمد بن عيسى:

ملك الورى والندى والبأس أنصله ... هندية وعطاياه هنيدات

وبدر سبع وسبع تستنير به الس ... بع الأقاليم والسبع السماوات

ومن قصد بهذين البيتين وما يجاريهما صفة مولانا فكأنه لقول الحق إنما تلا قرآنا، وهما على الحقيقة كغيرهما من المدائح الشريفة لأنهما لما كان مآلهما إلى العرض بالمقام الأعظم – ثبت الله سلطانه – وكانا يشتملان على بعض صفاته صارا كلتاهما من خدم شعراء المجلس العالي وعفاته. وهذا حكم باب المآل، ونهاية التصانيف للأقوال. قال الله عز وجل: (إني أراني أعصر خمرا) والخمر لا يعصر، وإنما يعصر العنب، لكنه لما كان المآل إلى الخمر سمي المعصور خمرا.

ومثله قوله تعالى: (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) وإنما التقطوه ليكون لهم سرورا وولدا، لكنه لما كان مآله إلى العداوة جعل علمه للالتقاط.

قال عبد الله بن محمد بن سنان بن سعيد الخفاجي الحلبي:

لا يدعي الفصحاء فيك غريبة ... والبيض تنثر والأسنة تنظم

إن أحسنوا حنك الثناء فإنها ... نطقت بمدحك قبل أن يتكلموا

عجبا لوجهك كيف بارق بشره ... تهمي سحائبه ولا يتغيم

=ومن العجائب أن بيض سيوفه=تبكي دما وكأنها تتبسم فأما الأول فمن مليح التورية وقد أتى بها في قوله:

وصفوا بياض يد الكليم بمعجز ... فيه وكم لك من يد بيضاء

واستطرفوا إحياء عيسى ميتا ... فردا وجودك باعث الفقراء

وقال:

من القوم صال الدهر إلا عليهم ... وصالوا ببيض الهند حتى على الدهر

أشد احتقارا بالردى من حسامه ... وأدنى إلى سر الأعادي على الذعر

له خلق في المحل غيث وفي الصبا ... نسيم وفي جنح الدجى غرة البدر

وقد استعمل تركيب هذا البيت في موضع آخر فقال:." (١)

"تظلم ما تحويه فيك فلم يغث ... وقد جعلت في راحتيك المظالم

ومن عجب أن تظلم المال وحده ... ولم يبق في أيامك الغر ظالم

وقوله أيضا:

يا عادلا في كل ما هو فاعل ... ما بال كفك في اللهى لا تعدل؟

تبقى أحاديث القتيل بسيفه ... فكأنما يحيي به من يقتل

وهذا البيت من قول ابن نباتة:

تبقى بهم أخبار من غلبوا ... فكأنهم أحيوا وقد قتلوا

وقال أبو الطيب:

وأن دما أجريته بك فاخر ... وأن فؤادا رعته لك حامد

وقال مهيار:

ويستطيل القرن لاقى الردى ... بهم وما في الموت من طائل

ويشرف السيف بما شامه ... ويفخر المقتول بالقاتل

ومن باب ظلم المال قول الآخر وذكر الخيل:

ما أوردوها قط إلا أصدرت ... جرحى الصدور سليمة الأكفال

وإذا انجلت عنهم دياجير الوغى ... عدلوا بفتكهم إلى الأموال

ووصفه الخيل من قول الرضي: (فجعت بمنصلت) يعرف للقنا=أعناقها ويحصن الأكفالا وهو مأخوذ من قول الببغاء:

يلقى الطعان بصدر منه ليس له ... ظهر وهادي جواد ماله كفل

---

(١) الأفضليات علي بن منجب ص/٩

وقال محمد بن عثمان في وصف قصر، وهو بصفات مباني مولانا أليق، وأرجه في أرجائها أعطر وأعبق:

هو جنة الدنيا تبوأ نزلها ... ملك جبلته التقى والدين

راس بحيث النون إلا أنه ... سام فقبته بحيث النون

فكأنما الرحمن عجله له ... ليرى بما قد كان ما سيكون

وكأن بانيه سنمار فما ... يعدوه تحسين ولا تحصين

وجزاؤه فيه خلاف جزائه ... شتان ما الإحياء والتحيين

ومحمد بن عثمان من المكثرين المبدعين، والمتصرفين التوسعين، ومن مليح تشبيهاته:

والسمر من قلب القلوب مواتح ... وكأنها موصولة الأشطان

والنبل في حلق الدلاص كأنها ... وبل الحيا في مائج الغدران

وقوله أيضا:

وفويق ذاك الماء من شهب القنا ... حبب ومن خضر الصوارم عرمض

أهواهم وإن استمر قلاهم ... **ومن العجائب** أن يحب المبغض

وقوله في وصف هام المصلين:

وقد تلم بها الغربان واقعة ... كأنها فوق مخلوقاتها لم

وقال:

تكاد تغنى إذا شاهدت معتركا ... عن أن يسل حسام أو يراق دم

وما اجتدى الموت نفسا (من نفوسهم) ... إلا وسيفك كعب الجود أو هرم

وهذا من القول المعجب، والنظم المطرب، والبيت الأول قول مهيار:

ألق السلاح فقد غنيت سعادة ... عن حمله واضرب بجدك واطعن

وإذا أردت بأن تفل كتيبة ... لاقيتها فتسم فيها واكتن

وقال الآخر:

أدل بجمعه فكفاك جد ... يفل سعوده الجيش اللهاما

ضربناه بذكرك وهو لفظ ... فكان القلب واليد والحساما

وقال:

وما خيلاء الخيل فيها سجية ... ولكنها لما امتطيت توائه

فنصرك أيا ما سلكت مساير ... وفتحك أيا ما اتجهت مواجه

وقال في وصف هذه القصيدة:

ففي أنفس الحساد منها هزاهز ... وفي ألسن النقاد منها زهازه

وهذا من العكس الذي يطرب له السامع، وتقل فيه المطالع، ومن بديعه قول ابن جاخ:

وتحت البراقع مقلوبها ... تدب على ورد خد ند

تسالم من وطئت خده ... وتلسع قلب الشجي الأبعد

وللنيلي أحد شعراء اليتيمة:

إذا دهاك الوداع فاصبر ... ولا يروعنك البعاد

وانتظر العود عن قريب ... فإن قلب الوداع عادوا

وقد أخذه ابن أبي وهب فقال:

قالوا تدانيت من وداعهم ... ولم نر الصبر عنك مغلوبا

فقلت للعلم إنني بغد ... أسمع لفظ الوداع مقلوبا

ومن ضروب العكس قول البحتري:

ولم ير يوما قادرا غير صافح ... ولا صافحا عن زلة غير قادر

وقول الآخر - وهو على دولاب -:

عبدك يا عبدون في نعمة ... صافية أذيالها ضافية

نديمتي جارية ساقية ... ونزهتي ساقية جارية

وعلى ذكر الدولاب فلم أسمع فيه أحسن من قول السلامي

وكأنما الدولاب ضل طريقه ... فتراه ليس يزول وهو يطوف

وقال أبو الطيب سالكا مذهب البحتري:

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ... ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وقال ابن حيوس:." (١)

"وهذا عكس ما اتفق لأبي تمام مع الكميت، لأنه أخذ معنى نصف بيت من شعره، فأورده في بيتين. قال أبو تمام:

وطول مقام المرء في الحي مخلق ... لديباجتيه فاغترب تتجدد

فإني رأيت الشمس زيدت محبة ... إلى الناس إذ ليست عليهم بسرمد

والذي للكميت:

ولو لم تغب شمس النهار لملت

وللمعري:

السمهرية ليس يشرف قدرها ... حتى يسافر لدنها عن غابه

والعضب لا يشفي امرأ من ثأره ... إلا بفقد نجاده وقرابه

---

(١) الأفضليات علي بن منجب ص/١٤

ولابن حيوس: كالمسك يزداد قدرا حين يغترب فأما قول مهيار:

ما اجتزن بالآذان كن مفاتحا ... وعلى قلوب عداكم أقفالا

فكل من بيتي حبيب وابن حيوس أصنع منه؛ وذلك أنهما جعلا الأقفال للشيء الذي كانت عليه مفاتيح، ومهيار جعل المفاتيح والأقفال لغيرين. ووصف ابن حيوس السيوف بأنها مفاتح البلاد أوقع موصف مهيار الأبيات بأنها مفاتح الآذان.

وقد ذكر أبو تمام المفتاح في غير موضع من شعره، فمن ذلك قوله:

للجود باب في الأنام ولم تزل ... مذ كنت مفتاحا لذاك الباب

وقد قال بعض المعترضين عليه: أتى إلى ممدوحه نجعله مفتاحا، فهلا قال كما قال ابن الرومي:

قبل أنامله فلسن أناملا ... لكنهن مفاتح الأرزاق

فقيل له: لا تعجبن من هذا؛ فقد جعل ربه كذلك بقوله:

والله مفتاح باب المقفل الأشب

وعلى ذكر الأقفال وفتحها فقد أحسن الناشئ في قوله يصف اليويو:

مملك لنفوس الطير ينسفها ... نسفا فيقبض أجساما وأرواحا

كأنما أقفلت بالأهب أنفسها ... فكان بالكف للأقفال فتاحا

وقال ابن حيوس متصرفا في المعنى المقدم ذكره:

وبهم زلزلت بمن قارعوا الأر ... ض وهم أمنها من الزلزال

وكرره فقال:

تتزلزل الدنيا إذا غضبوا فإن ... بلغوا الرضى أمنت من الزلزال

وقال فيما يقارب هذا المعنى:

ثغور العدى إن رمتموهن كالفلا ... وكل فلاة رمتم منعها ثغر

وقال:

أخفت الآمنين سطى فلما ... عفوت غدوت أمن الخائفينا

ولأبي نصر المنازي:

لقد عرض الحمام لنا بسجع ... إذا أصغى له ركب تلاحى

شجى قلب الخلي فقال: غنى ... وبرح بالشجي فقال: ناحا

ومن مليح ما في هذه الأبيات:

ضعيف الصبر فيك وإن تقاوى ... وسكران الفؤاد وإن تصاحى

كذاك بنو الهوى سكرى صحاة ... كأحداق المها مرضى صحاحا

فأما قول ابن الرومي:

عيني لعينك حين تنظر مقتل ... لكن عينك سهم حتف مرسل

ومن العجائب أن شيئا واحدا ... هو منك سهم وهو مني مقتل

فليس من هذا الباب إلا أن فيه نوعا من مجانسته، وضربا من مناسبته، وهو من بديع ما ابتكره، وغريب ما اخترعه.

وكذلك قوله في وصف القوس:

توددت حتى لم أجد متوددا ... وأمللت أقلامي عتابا مرددا

كأني استدني بك ابن حنية ... إذا النزع أدناه من الصدر أبعدا

وقوله أيضا فيها:

تشكي المحب وتلقى الدهر شاكية ... كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان

وقد أحسن ابن حيوس في قوله:

أرى كل معوج المودة يصطفى ... لديكم ويلقى حتفه من تقوما

حتى الناس من قبل القسي لتقتنى ... وثقف منآد القنا ليحطما

على أن صدر البيت الثاني مأخوذ من قول كشاجم في وصفها: قد قومت للرمي بالتعويج إلا أنه أحكم الأخذ والتركيب، وتصرف التصرف البديع الغريب، وقد اقتضت الأبيات في القوس ذكر الحكاية العجيبة في إتقان الصناعة في الرماية عنها، وهي أن راميين عرض لهما أسد، فقال أحدهما للآخر: اكفني عينه اليمنى أكفك اليسرى، فرمياه عن يد، فأعمياه وسلما.

ولبعض الأندلسيين:

تقوس بعد طول العمر ظهري ... وداستني الليالي أي دوس

فأمشي والعصا تمشي أمامي ... كأن قوامها وتر لقوسي

وعلى ذكر التشبيه فمن غريبه قول الآخر:

وألزمته ألحاظ طرف يحبه ... فليس بمرتد ولا بمغمض

إلى أن ثنت عيني الشمول كأنني ... ألاحظه سكرا بأجفان مبغض

من المدح الذي قلت أمثاله، وعزت أشباهه، وعدمت له النظائر، وعقمت عنه الخواطر قول حسن بن عبد الصمد:

سبقت مكارمه مواعده فلم ... يوسم بإنجاز ولا بمطال

وقاله:." (١)

"ولم أر مثل الدمع ماء إذا جرى ... تلهب منه في الأصابع نار

فجعل الماء علة النار، وأن جريانه سبب لتلهبها.

وقد أحسن الصاحب غاية الإحسان في قوله:

لا تحسبن دموعي البض غير دمي ... وإنما نفسي نار تصعد (...)

ولابن عباد أحد سلاطين الأندلس:

---

(١) الأفضليات علي بن منجب ص/٣٠

نار وماء صميم القلب أصلهما ... متى حوى القلب نيرانا وطو (فانا)

ضدان ألف هذا الدهر بينهما ... لقد تلون في الدهر ألوا (نا)

وأما قول القاسم:

وجاركم في حرم ... ووفركم في حرب

فمعنى متداول أيضا. ومن مليح ما قيل فيه:

لك العرض المباح لمن بغاه ... من العافين والعرض المصون

وجارك ضد مالك منذ أما ... محلك، ذا يعز، وذا يهين

وعلى ذكر قاسم، فللقاضي الرشيد محمد بن قاسم - وكتب به إلى صديق له كانت جاريته تزور داره، فجاءت على عادتها، وسألها أهله أن تقيم عندهم - فاستزار مولاها بقوله:

سيدة الروم رام عترتها ... مقامها عندهم إلى العتمه

فكن صلاة العشاء زائرنا ... والنون للجمع ليس للعظمه

ولقد ملح ابن قاسم وتظرف، كما تنوع قاسم وتصرف.

الغزالي:

حلت عقارب صدغه في خده ... قمرا فجل بها عن التشبيه

قد كنت أعهده يحل ببرجها ... **فمن العجائب**: كيف حلت فيه؟!

ولما أنشد المملوك هذين البيتين ابن مكنسة عمل بديها:

قلت ... إذ ذرفن الدلا

ل على خده الشعر

هذه آية بها ... ظهر الحسن واشتهر

ما رئي قبل صدغه ... عقرب حلت القمر

وعلى ذكر القمر والعقرب فقد أحسن ابن المغربي في قوله - وقد لسبت العقرب جارية كان يهواها -:

كم تستحم العين فيك بمائها ... حتى كأن بها جنون المذهب

إن كان نالك مؤلم من عقرب ... فالبدر ممتحن ببرج العقرب

وبرج العقرب: هبوط القمر. وقد جاء في الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نهى عن السفر إذا كان القمر في برج العقرب.

ولمحمود بن القاضي الموفق:

لام العواذل مغرما ... في حب ملهية وقينه

ولو أنهن رأين تأ ... ثير الغرام به وقينه

وهذا تجنيس لفظي خطي تركيب، فأما الخط واللفظ فواضحان، وأما التركيب فالكلمتان في عدته متساويتا، وذلك أن الواو في الأولى عاطفة، وهي في الثانية من أصل الكلمة، والنون في الأولى من أصل الكلمة، وفي الثانية ضمير جماعة المؤنث، فأما الهاء فهي في الأولى تاء التأنيث المبدلة هاء في الخط والوقف، وفي الثانية ضمير المفعول الذي هو المغرم.

وهو يكثر من استعمال هذه الطريقة، وهي من أحسن ضروب التجنيس، فمن ذلك قوله:

وقد كان رأيك ركني الذي ... عليه اعتمادي وها قد وهى

ومن هذه الأبيات:

ترى الشمس يسمو بها أوجها ... إذا قابلت منهم أوجها

والمملوك يختم هذا الجزء ببعض ما لهذا المملوك محمود من الخدم الشريفة، تحريا للصدق الذي لا يشوبه إفك، وعملا بقول الله – عز من قائل –: (ختامه مسك) فمن ذلك قوله من قصيدة:

لي مهجة جفناك قد فتناها ... وبغى العدو أذاتها فتناهى

ما كان أفتاها بوصلي رحمة ... فمن الذي بقطيعتي أفتاها؟

آها لما صنع الهوى بل واها ... فيه تلذ نفوسنا بلواها

ندية الأردان يفعم نشرها ... فكأنه أوصاف شاهنشاها

هادي الدعاة الأفضل الملك الذي ... فخر الزمان بما أتاه وتاها

قد كان عدم العدل أقنط أنفسا ... فجعلتها تقوى على تقواها

وقوله من قصيدة أخرى:

إني لأشكر بدر الخدر حين بدا ... وقد تقارب حيانا فحيانا

يرضي الهوى والتقى والعاذلات فما ... ينفك يجمع إحصانا وإحسانا

إن طالما أوضعت في الغي راحلتي ... فقد حمانيه وصف الأفضل الآنا

سيف الإمام الذي فخر الملوك بأن ... غدت تعفر في ناديه تيجانا

يقري العيون جمالا والعفاة جدى ... ملء الأماني والجانين غفرانا

أغليت قيمة هذا النظم فارتفعت ... وكان كلا على الأذهان إذ هانا

فما يجوز زمان أنت مالكه ... ولا يروعنا ما دمت ترعانا." (١)

"نظمه المولد فقال: [من الطويل]

تضاحك منا دهرنا فرحا بنا ... وعلمنا التمويه لو نتعلم

شريف زغاوي، وقاض مخنكر ... وأعمش كحال، وأعمى منجم

زغاوة: صنف من السودان.

---

(١) الأفضليات علي بن منجب ص/٥٢

وقال آخر: [من الكامل]

جس الطبيب يدي ليعلم علتي ... فإذا الطبيب له كحالي حال

وإذا يداوي صحتي بسقامه ... **ومن العجائب** أعمش كحال «١»

[٣٠ ظ] ١٠٤٢- عجائب الأرض أربع: منارة إسكندرية، وقنطرة صنجة، وجامع دمشق، وكنيسة الرها.

١٠٤٣- أربعة تذهب الغم وتسليه: الماء والشراب، «٢» والبستان، والوجه الحسن.

قال المولد في مثله: [من مجزوء الرجز]

[١٠٤٢]- في الأصل: قنطرة طنجة وهو تحريف، وصنجة نهر بين ديار مضر، وديار بكر، ويقالله: سنجة أيضا.." [١]

"مثل العامل يعمل أعمال البر

مثل العامل الذي يعمل أعمال البر على طريق الثواب والعقاب مثل نهر اجتمع في موضع فيه من البردي والحطب وأصول الأباء ونحوها فخاض فيه إنسان ففي كل موضع وصلت يده يقع في يده شيء من تلك الأشياء وبعضها على ظهره ورأسه وبطنه فيخرج من النهر متلوثا بها

فأهل الغفلة يجمعون حركات الجوارح بأعمال البر وليس لهم من ذلك إلا الظاهر في مقاصدهم ونياتهم إلا الثواب الذي وعد الله لعماله بذلك فعلى قدر طهارتهم وصدقهم يثابون من الجنة أجور عمالتهم وتعب أجسادهم وتلك الطاعة تنال من أنوار الإيمان وتلك نيات أنوار الإيمان الذي اعتقدوه فقط

فأما أهل الانتباه فيعملون الأعمال عبودة لله عارفين موقنين عالمين بالله فمثلهم كمثل من يغوص في البحر والأنهار فيضرب بيده في غوصه فبلغ في يده جوهرة لا يحيط بثمنها علم من نفاستها وصفائها فهم يدخلون في الطاعات بحركات الجوارح ولكن في قلوبهم **من العجائب** ما تعجب الملائكة إذا رفعت إلى الله تلك الحركات في حشوها من الأنوار ما يملأ الأفق الأعلى

وأهل الغفلة حشو حركاتهم في الطاعات أنوار نياتهم." [٢]

"ثم إن المنتصر كان إذا جلس للشرب مع قتلة أبيه يعربد عليهم ويقول: أنتم قتلتم أبي فيقولون: قتله من قتله، نحن ما ندري. ثم إنهم اجتمعوا وتشاوروا وقالوا:

ما نلقى من هذا الرجل خيرا وإن أمكنه فرصة أهلكنا بأسرنا فتعالوا نعاجله قبل أن يعاجلنا. فاجتمع رأيهم على أن بذلوا لجبرائيل «٣٠٠» بن بختيشوع الطبيب مالا وقالوا له:

إن المنتصر معول على الفصد في هذا الفصل فأفصده بمبضع مسموم ولك هذا المال.

---

(١) الأمثال المولدة الخُوَارِزْمي، أبو بكر ص/٢٥٣

(٢) الأمثال من الكتاب والسنة الترمذي، الحكيم ص/٢٨٨

فأخذ المال منهم وفصده بمبضع مسموم فمات وذلك في يوم السبت لأربع خلون من ربيع الآخر [٥٣ ب] سنة ثمان وأربعين ومائتين «٣٠١» ودفن بالجوسق، وصلى عليه أحمد بن [محمد بن] المعتصم «٣٠٢» ، وكان له خمس وعشرون سنة.

وكان القاضي في أيامه جعفر بن عبد الواحد الهاشمي «٣٠٣» ، وواليه على خراسان الذي كان في زمن أبيه طاهر بن عبد الله بن طاهر. وعلى شرطته ببغداد أخوه محمد ابن عبد الله بن طاهر.

ومن العجائب أن جبرائيل بن بختيشوع احتاج إلى الفصد فاستدعى فاصدا ليفصده فأخرج الفاصد مبضعا ما ارتضاه فقال: أنا أعطيك مبضعا تفصدني به وأخرج دست المباضع الذي له وفتحه وأعطاه ذلك المبضع الذي فصد به المنتصر بعينه وهو لا يعلم أنه هو ففصده به فمات من ساعته «٣٠٤» .." (١)

"وأخذ بيده ورقاه وأوقفه معه على الكرسي ثم قال الخليفة: ومنصور بن محمد، يعني عميد المملك، فصعد أيضا ووقف معهما. ثم قال القائم بأمر الله لرئيس الرؤساء:

يا علي قل لركن الدين: أمير المؤمنين! [٩٥ ب] حامد لسعيك شاكر على فعلك معتد بخدمتك، أنس بقربك وقد ولاك جميع ما ولاه الله من بلاده ورده إليه من أمر عباده فاتق الله تعالى في ما ولاك واعرف نعمته عندك، فقبل الأرض ودعا وقال: أنا عبد أمير المؤمنين ووليه. ثم أسبلت السبنية وجيء بالخلع وأفيضت عليه وهي سبعة أقبية سود بزيق واحد وعمامة مسكية وتاج مرصع فيه قطعتان ياقوت كبار حول كل قطعة خمس عشرة حبة كبار، وسور وطوق وكان شيخا قد بلغ السبعين «٥٧٤» ، وكان أقرع فأثقله الطوق والسواران وكان يعانيهما بجهد جهيد.

وأمر الخليفة له بثلاثة ألوية: أحدها لواء الحمد أسود مكتب بالذهب والآخران أحمران بكتابة صفراء. وكتب له عهد بولاية الدنيا بأسرها وخوطب فيه ب «شاهنشاه ملك المشرق والمغرب» وأمره الخليفة بالتوجه نحو البساسيري. وكانت هديته للخليفة في ذلك اليوم خمسين غلاما أتراكا على خيول بسيوف ومناطق محلاة وعشرين رأسا من الدواب والآلات مصاغة مرصعة قومت بخمسين ألف دينار، وخمس مائة ثوب أنواعا من كل جنس، وخرج من فوره وسار نحو البساسيري. وكان البساسيري بالرحبة.

وحين سار ركن الدين متوجها إلى صوب الرحبة ومعه أخوه إبراهيم ينال، وهو أخوه لأمه، وصله الخبر في بعض الطريق بأن إبراهيم كاتب البساسيري وصاحب مسر فاستشعر منه ركن الدين واستشعر هو أيضا. ولما قربوا من البساسيري وصاحب مسر فاستشعر منه ركن الدين واستشعر هو أيضا. ولما قربوا من البساسيري وتوعدوا للقتال [٩٦ أ] عاد إبراهيم ينال إلى وراء طالبا صوب العراق ومعه نصف العسكر فتجبنت قلوب الباقين وعاد ركن الدين منهزما من غير حرب ولكن خوفا من أخيه أن يسابقه إلى همذان ويدخلها ويستولى على المملكة. وكان **من العجائب** أن ركن الدين سار من نصيبين إلى

---

(١) الإنباء في تاريخ الخلفاء ابن العمراني ص/١٢٢

همذان في ثمانية أيام ودخلها قبل أخيه إبراهيم بعد ما عطبت خيله وتقطع أصحابه. وحين دخلها كان في نفر قليل، وأدركه إبراهيم فاحتمى ركن الدين بالبلد فحاصره إبراهيم.." (١)

"ثم إن السلطان ركن الدين قصد أخاه بقزوين وظفر به وقتله. ووصل إليه في تلك الأيام ابن أخيه من خراسان وهو محمد بن داود بن ميكائيل وهو المعروف بألب أرسلان وجعله ولى عهده.

ولم يكن بعد فراغه من أمر إبراهيم شغل إلا قصد العراق، فتوجه إلى بغداد ونفذ إلى مهارش يطلب الخليفة فسار مهارش في خدمة الخليفة إلى صوب بغداد، والتقوا كلهم على ماء النهروان.

وحين أحس البساسيري بوصولهم وكان والى بغداد من قبل المستنصر هرب إلى حلة نور الدين دبيس بن علي بن مزيد. وخرج كل من كان ببغداد من صغير وكبير إلى النهروان لتلقي الخليفة والسلطان وخلا البلد في تلك الليلة وهي ليلة الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة إحدى وخمسين [وأربع مائة] . ولما كان وقت إسفار الصبح ركب القائم بأمر الله وركن الدين بين يديه وعلى رأسه الغاشية وجماعة الأمراء والقواد والعساكر وأهل البلد كلهم رجالة وكان يوما مشهودا، وذلك لأنه لم يكن فارسا سوى الخليفة والباقون [٩٨ ب] كلهم رجالة مشاة. ثم إن الخليفة قال لركن الدين: اركب يا أبا طالب، فقبل الأرض وما ركب، فقال له ثانيا: اركب يا أمير الجيش، فقبل الأرض ولم يركب، فقال ثالثا: اركب يا ركن الدين، فقبل الأرض وركب. وحين قربوا من البلد عاد وترجل وأخذ الغاشية على رأسه إلى أن دخل الخليفة الدار، وحين وصل إلى باب الحرم التفت إليه وقال: ارجع يا ركن الدين شكر الله سعيك ورسوله- صلى الله عليه وسلم- وأمير المؤمنين، وعاد ونزل بدار عضد الدولة، التي هي اليوم دار المملكة «٥٨١» .

ومن العجائب أن دخول البساسيري إلى بغداد وإخراج الخليفة من داره كان في هذا اليوم من شهر ذي القعدة وهو اليوم الذي دخل فيه.

وفي اليوم الثاني من الدخول رتب الحشم في الدار والحواشي والحراس والبوابون على العادة وعاد من كان بعد منهم أو استتر وفرشت الدواوين وجلس الكتاب على." (٢)

"الأسقف وبالساحة السماوية مفروشة بالبلاط السليماني الذي رؤيته **من العجائب** لكبره وهيئته وبجوار قبر الخليل عليه السلام من داخل البناء المعقود سفل الأرض مغارة تعرف بالسرادب بداخلها باب لطيف ينتهي إلى المنبر وقد نزل إليه بعض الخدام من مدة قريبة نحو السنة لسبب أوجب ذلك وهو إن شخصا معتوه من الفقراء سقط فيه فنزل إليه جماعة من الخدام ودخلوا من هذا الباب فانتهى بهم الحال إلى المنبر تحت القبة التي عل عمد الرخام بجوار بيت الخطابة وأخبرني الذي نزل أنه عاين سلما من حجر عدته خمسة عشر درجة مبني عند آخر هذا المغارة من جهة القبلة وقد سد بالبناء من آخره فالظاهر إن هذا الباب كان عند المنبر منه يتوصل إلى السراداب وبظاهر السور السور السليماني من جهة الشرق مسجد في غاية الحسن وبين السور السليماني وهذا المسجد الدهليز وهو معقود مستطيل عليه الآبهة والوقار والذي عمر هذا

---

(١) الإنباء في تاريخ الخلفاء ابن العمراني ص/١٩٢

(٢) الإنباء في تاريخ الخلفاء ابن العمراني ص/١٩٦

الدهليز والمسجد الأمير أبو سعيد سنجر الجاولي ناظر الحرمين الشريفين ونائب السلطنة فعرف هذا المسجد بالجاولية وهو **من العجائب** قطع في جبل ويقال إنه كان مقبرة يهود عل هذا الجبل فقطعه الجاولي وجوفه وبنى السقف عليه القبة وهو مرتفع عل اثني عشر سارية قائمة فيوسطه وقرش أرض المسجد حيطانه وسوارية بالرخام وعمل شبابيك حديد على آخره من جهة الغرب وهذا لمسجد طوله من البلة بشام ثلاثة وأربعون ذراعا وعرضه شرقا بغرب خمسة وعشرون ذراعا بذراع العمل وكان الابتداء في عمارة هذا المسجد في ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وانتهت العمارة في ربيع الآخر سنة عشرين وسبعمائة في دولة الملك ناصر محمد بن قلاوون ومكتوب في حائطه أن سنجر عمر ذلك من خالص ماله ولم ينفق شيئا من مال الحرمين الشريفين وبجوار المسجد الجاولي من جهة القبلة المطبخ الذي يعمل فيه الدشيشة." (١)

"فيستحب أن يدعو الزائر وغيره بهذا الدعاء إذا دخل من باب الصخرة وكذلك من باب المسجد **ومن العجائب** التي ببيت المقدس السلسلة التي جعلها سليمان بن داود عليهما السلام معلقه من السماء إلى الأرض شرقي الصخرة مكان قبة السلسلة الموجودة الآن وفيها يقول الشاعر

(لقد مض الوحي ومات العلا ... وارتفع الجود مع السلسلة) وكانت هذه السلسلة لا يأتيها رجلان إلا نالها المحق منهما ومن كان مبطلا ارتفعت عنه فلم ينلها وملخص حكايتها مع اختلاف فيه أن رجلا يهوديا كان قد استودعه رجل مائة دينار فلما طلب الرجل وديعته جحد ذلك اليهودي فترافعا إلى ذلك المقام عند السلسلة فأخذ اليهودي بمكره ودهائه فسبك تلك الدنانير وحفر جوف عصاه وجعلها فيها فلما أتى ذلك المقام دفع العصا إلى صاحب الدنانير وقبض عل السلسلة ثم حلف بالله لقد أعطاه دنانيره ثم دفع إليه صاحب الدنانير العصا وأقبل حتى أخذ السلسلة فحلف إنه لم يأخذها منه ومس كلاهما السلسلة فعجب الناس من ذلك فارتفعت السلسلة من ذلك اليوم لخبث الطويات وحكي غير ذلك وجعل سليمان عليه السلام تحت الأرض بركة وجعل فيها ماء وجعل عل وجه ذلك الماء بساطا ومجلس رجل جليل أو قاض جليل فمن كان على الباطل إذا وقع في ذلك الماء غرق ومن كان عل الحق لم يغرق **ومن العجائب** التي كانت أيضا فيبيت المقدس في الزمان الأول ما حكاه صاحب مثير الغرام أن الضحاك بن قيس صنع به **العجائب** الأولى إنه صنع به في ذلك الزمان نارا عظيمة اللهب فمن عصى الله في تلك الليلة أحرقته تلك النار حين ينظر إليها والثانية من رمى بيت المقدس بنشابة رجعت النشابة إليه." (٢)

"(نزول المائدة) وأنزل الله عليه المائدة وأوحى إليه الإنجيل وكان عيسى عليه السلام يلبس الصوف والشعر ويأكل من نبات الأرض وربما تقوت من غزل أمه وكان الحوارين الذين اتبعوه اثني عشر رجلا وهم شمعون الصفا وبطرس وأخوه أندراوس ويعقوب بن ريدى وفيلبس وبرطولومادس واندريوس ومرقص ويوحنا ولوقا وتوما ومتى وهؤلاء الذين سألوه نزول المائدة فلما سألوه ذلك قام عيس فألق الصوف عنه ولبس الشعر ووضع يمينه عل شماله ووضعها عل صدره وصف بين

---

(١) الأنس الجليل أَبُو اليُمْن العُلَيْمي ٦٢/١

(٢) الأنس الجليل أَبُو اليُمْن العُلَيْمي ١٢٤/١

قدميه وألصق الكعب بالكعب وبالإبهام بالإبهام وخفض رأسه خاشعا ثم أرسل بالبكاء حتى سالت الدموع على لحيته وجعلت تقطر عل صدره وقال (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وأخرنا – أي تكون عطية منك لنا وعلام بيننا وبينك ارزقنا عليها طعاما نأكله – وأنت خير الرازقين) فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وغمامة تحتها وهم ينظرون إليها منقضة في الهواء وعيس عليه السلام يبكي ويقول اللهم إجعلنا لك من الشاكرين اللهم إجعلها رحم ولا تجعلها عذابا إلهي كم أسألك **من العجائب** فتعطيني اللهم إني أعوذ بك أن يكون إنزالها غضبا ورجزا اللهم إجعلها عاقبة وسلامة ولا تجعلها فتنة ولا مثلة حتى استقرت بين عيسى عليه السلام ساجدا لله تعالى وخر الحواريون معه فبلغ اليهود ذلك فأقبلوا عنوا وكفرا ينظرون فرأوا أمرا عجبا فإذا منديل مغطى عل السفرة وجاء عيسى وجلس وهو يقول من أجرؤنا وأوثقنا بنفسه وأخشانا عند ربه فليكشف عن هذه لآية حتى ننظر ونأكل ونسمي باسم ربنا." (١)

"وأتقن وبقرب منه بناء مدينة نابلس فهذه المدن الثلاث بناءها متقن لكونها في الجبل والحجارة فيها كثيرة متيسرة وأما رؤية بيت المقدس من بعد **فمن العجائب** المشهورة في نورانيتها وحسن منظرها من جهة الشرق اذا كان الانسان على جبل طور زيتا وكذلك من جهة القبلة وأما من جهة الغرب والشمال فلا يرى منها من بعد إلا القليل لمواراة الجبال لها فإن بيت المقدس وبلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام في جبال كثيرة الأوعار والأحجار والسير فيها مشق والمسافة فيها بعيدة فإن الجبال المحيطة بالبلدتين مسافتها تقريبا ثلاثة أيام طولا ومثلها عرضا بسير الأثقال ولكن اذا من الله على قاصد الزيارة بالوصول الى المسجد الأقصى الشريف والى المقام الشريف الخليلي فمن حين رؤيته لتلك الأماكن المشرفة يحصل له من الانس والبهجة ما لا يكاد يوصف ويسلو ما حصل له من المشقة والنصب وقد أنشد الحافظ ابن حجر عند قدومه لزيارة بيت المقدس في معنى ذلك الى البيت المقدس جئت أرجو (١) جنان الخلد نزلا من كريم قطعنا في محبته عقابا وما بعد العقاب سوى النعيم (٢) وأما الأبواب التي للمدينة فأولها من جهة القبلة باب حارة المغاربة وباب صهيون المعروف الآن بباب حارة اليهود ومن جهة الغرب باب سر صغير لصق دير الأرمن وباب المحراب وهو المسمى الآن بباب الخليل وروى المشرف بسنده عن علي بن سلامة قال سمعت أبي يقول سمعت ان باب لد الذي جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقتل عليه عيسى بن مريم " ع " الدجال ليس هو باب الكنيسة التي عند الرملة وإنما هو باب داود الغربي الذي عند محراب داود ويسمى باب لد وباب يعرف بباب الرحبة ومن جهة الشمال باب دير السرب وباب العامود وباب الداعية المتوصل منه الى حارة نبي زيد وباب الساهرة ومن جهة الشرق باب الاسباط." (٢)

"يفور الماء منها حتى يصير كالنهر الجاري ويسيح الى مسافة بعيدة ويستمر على هذه الحالة عدة أيام كالشهر ونحوه وهو **من العجائب** وكان في بيت المقدس ست برك عملها حزقيل أحد ملوك بني اسرائيل منها ثلاثة في المدينة بركة بني اسرائيل وبركة سليمان وبركة عياض وثلاثة خارج المدينة بركة ماملا وبركتا المرجيع جعل ذلك خزائن للماء لأهل بيت المقدس

---

(١) الأنس الجليل أَبُو اليُمْن العُلَيْمي ١٦٢/١

(٢) الأنس الجليل أَبُو اليُمْن العُلَيْمي ٥٦/٢

قلت اما بركة بني اسرائيل فهي موجودة مشهورة وهي شمالي المسجد الأقصى بلصق سورة بين باب الأسباط وباب حطة ومنظرها مهول وهي **من العجائب** وأما بركة سليمان وبركة عياض فلا أعرفهما ولم اطلع على شيء يدل عليهما ولكن بداخل القدس بركتان أحداهما بخط مرزبان وهي لجمع الماء المتحصل لحمام علاء الدين البصير وهي بجواره والثانية بحارة النصارى لجمع الماء المتحصل لحمام البترك وقف الخانقاه الصلاحية فيحتمل انهما البركتان المذكورتان والله أعلم وأما بركة ماملا فهي موجودة مشهورة وهي التي في وسط مقبرة ما ملا وأما بركتا المرجيع منها بالقرب من قرية ارطاس وهما موجودتان ينتفع بهما في خزن الماء الواصل من قناة السيل الى القدس الشريف ومسافتهما عن القدس نحو نصف بريد والله اعلم وسبب تسمية مكانهما بالمرجيع ان سيدنا يوسف عليه السلام لما أخذه اخوته والقوه في الجب مروا به على قبر امه وهو بالقرب من المرجيع فلما رأى قبرها وهم طالعون ألقى نفسه عن الناقة وقال يا أماه ارفعي رأسك وانظري ما حل بولدك من البلاء وفقدوه فرجعوا فسمي المرجيع من ذلك اليوم فلما رجعوا لطموا وجهه وحملوه والقوه في الجب كما هو مشهور في القصة والله أعلم وبظاهر مدينة القدس الشريف من كل جهة كروم بها من أنواع الفواكه من العنب والتين والتفاح وغيره وأحسن الأماكن أرض تعرف بالبقعة ظاهر القدس الشريف من جهة الغرب الى جهة القبلة وقف الملك صلاح الدين على خانقاه." (١)

"تسمى الساهرة واصل الساهرة الفلاة ووجه الأرض وقيل الأرض العريضة البسيطة والساهرة عند العرب الأرض التي تبعث سالكها على السهر للسرى فيها لينجو منها ومعنى الساهرة ارض لا ينامون عليها ويسهرون قلت وهذا البقيع المعروف بالساهرة ظاهر مدينة القدس الشريف من جهة الشمال وبه مقبرة يدفن فيها موتى المسلمين وبها جماعة من الصالحين والمقبرة مرتفعة على جبل عال (الأدهمية) وسفل هذا الجبل كهف **من العجائب** وهو زاوية للفقراء الأدهمية داخل تحت هذا الجبل في صخرة عظيمة وتسمى مغارة الكتان والمقبرة التي هي الساهرة علو سقف هذه المغارة بحيث أنه لو أمكن حفر القبور من اسفلها لنفذ الى الكهف الذي هو زاوية الأدهمية ولكن المسافة بعيدة فإن الصخرة سمكة ضخمة جدا ويلغز في هذا بأن يقال احياء تحت أموات وهذا لأمر مشاهد عيانا وقد عمر هذه الزاوية الأمير منجك نائب الشام ووقف عليها هو وغيره من اهل الخير وفيها قبور جماعة من الصالحين وعليها الأنس والوقار (مغارة الكتان) ومقابل الساهرة من جهة القبلة تحت سور المدينة الشمالي مغارة كبيرة مستطيلة وتسمى مغارة الكتان أيضا يقال إنها تصل الى تحت الصخرة الشريفة ودخلها جماعة وحكوا عنها أشياء من الأمور المهولة وأما ما بظاهر بيت المقدس من المقابرة والمغائر المعدة لدفن أموات المسلمين فأولها مقبرة باب الرحمة وهي بجوار سور المسجد الشرقي فوق وادي جهنم وهي مأنوسة لقربها من المسجد وهي أقرب الترب الى المدينة وفيها قبر شداد ابن أوس الانصاري مشهور وغيره من العلماء والصالحين وقد جدد فيها تربة." (٢)

"واشتغل وأعاد بالصلاحية وحدث وروى عنه الرحالون وولي الخطابة بالمسجد الأقصى مشاركا لغيره في سنة إحدى وعشرين وثمانمائة وكان حبرا متواضعا توفي في رابع عشر رجب سنة تسع وستين وثمانمائة ودفن بالقلندرية بماملا رحمه الله

---

(١) الأنس الجليل أَبُو اليُمْن العُلَيْمي ٢/٥٩

(٢) الأنس الجليل أَبُو اليُمْن العُلَيْمي ٢/٦٣

الحافظ العلامة شيخ الاسلام شهاب الدين المكنى بأبي العباس أحمد بن عبد الله الكناني الشافعي الواعظ نزيل القدس الشريف مولده بقرية مجدل حمامة بالقرب من عسقلان من أعمال غزة في اوائل سنة تسع وثمانمائة ونشأ بها ثم استوطن بيت المقدس واشتغل بالعلم ففتح عليه وانتمى الى الشيخ شهاب الدين ابن أرسلان وهو الذي كناه واشتهر بكنيته دأب وحصل في ابتداء أمره وفضل وتميز وصار من أعيان الفقهاء والمعيدين بالمدرسة الصلاحية وجلس للوعظ فاشتهر أمره حتى قيل عنه ابن الجوزي زمانه وأما حفظه فكان **من العجائب** وكتابته على الفتوى نهاية في الحسن وفصاحته وطلاقة لسانه لا يجارى فيهما ولي الخطابة بالمسجد الأقصى الشريف عوضا عن شهاب الدين أحمد بن القرقشندي وباشر عنه ولده قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد قاضي الرملة وخطب في يوم الجمعة سابع رمضان سنة تسع وستين وثمانمائة فلم يتم له ذلك وعزل بعد مدة يسيرة بالخطيب علاء الدين القرقشندي ثم توجه الشيخ ابو العباس الى القاهرة لضرورة له فدخل الحمام فوقع وكسر فخذه ومرض إلى أن مات في يوم الاربعاء سادس عشري جمادي الاخرة سنة سبعين وثمانمائة ودفن بالقرافة رحمه الله الخطيب علاء الدين أبو الحسن علي بن الشيخ شرف الدين عبد الرحيم القرقشندي الشافعي مولده في سنة اربع وثمانمائة استقر في نصف وظيفة الخطابة بالمسجد الأقصى وهو النصف الذي كان بيد أخيه الخطيب شهاب الدين احمد واستمر بيده إلى أن توفي وكان من المعيدين بالمدرسة الصلاحية توفي." (١)

"الشيخ القدوة أبو حفص عمر بن نجم الدين يعقوب البغدادي ثم المقدسي المعروف بالمجرد ولد ببغداد سنة اثنتي عشرة وسبعمائة وسمع البخاري بدمشق سنة ست وعشرين وأقام ببلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام في سنة خمس وسبعين وسبعمائة وبنى به زاوية في غاية الحسن بناء ومنظرا وبنى اماكن بأعلاها ورتب فيها من يتعلم القرآن وأجرى لهم المعاليم وكان اذا قرأ القرآن عنده أحد يخيره بين الاقامة عنده بشرط أن يشتغل بالعلم ويعطيه كتابا أو يذهب الى بلدة أخرى ولا يدع أحدا يقعد عنده بطالا وكان في فعل الخير **من العجائب** لا يقصد في حاجة إلا قضاها ويضيف من يقصده بما حضر عنده وكان يوجد عنده من الماكولات اطيبها وكان شيخا طويلا يلبس على رأسه قبعا من غير عمامة توفي في ذي الحجة سنة خمس وتسعين وسبعمائة ودفن بزاويته ببلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام وقد وهم بعض المؤرخين فيه فظنه الشيخ عمر المجرد واقف زاوية المغاربة بالقدس لاشتراكهما في الاسم والشهرة وليس كذلك فإن صاحب زاوية المغاربة بالقدس الشريف الشيخ عمر بن عبد الله بن عبد النبي المغربي المصمودي المجرد وتاريخ وقفه لزاويته في ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعمائة قبل مولد الشيخ عمر صاحب هذه الترجمة بتسع سنين ولما توفي الشيخ عمر المجرد صاحب الزاوية ببلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام كان قد فوض أمر زاويته الى الشيخ العلامة جمال الدين عبد الله المراكشي الهنتاني المالكي في خامس شهر جمادي الآولى سنة خمس وتسعين وسبعمائة وأقام بها وفعل من كل حسنة وجميل ثم في العشر الأول من شهر ربيع الأول سنة ست وثمانمائة قرر الشيخ جمال الدين المذكور ولديه محمد وأحمد في المشيخة بالزاوية والتصرف فيها وكتب مستندا بذلك عليه خط شيخ الاسلام شهاب الدين أحمد بن الهائم والشيخ خليفة المالكي." (٢)

---

(١) الأنس الجليل أَبُو اليُمْن العُلَيْمي ١٤١/٢

(٢) الأنس الجليل أَبُو اليُمْن العُلَيْمي ١٦٣/٢

"الديري في ربيع الأول سنة ثمان وسبعين فدخل القاضي جمال الدين الى القدس وهو متوعك فأقام اربعة عشر يوما وتوفي – كما تقدم في ترجمته – واعيد القاضي خير الدين الى وظيفة القضاء في شهر جمادي الأولى ووصل اليه التوقيع الشريف والبس خلعة السلطان في محراب المسجد الأقصى ومشى الناس في خدمته الى منزله بباب الحديد وذلك في أوائل جمادي الآخرة واستمر نحو تسعة أشهر ثم عزل بقاضي القضاة شمس الدين أخي القاضي جمال الدين ووصل المرسوم بذلك في سلخ صفر سنة تسع وسبعين وثمانمائة فتنزه عن القضاء ولم يتكلم فيه بعد ذلك وانقطع في منزله للعبادة والاشتغال بالعلم وقراءة القرآن والحديث وانتهت اليه رياسة مذهب ابي حنيفة بالقدس وتصدر للافتاء والتدريس وحج الى بيت الله الحرام وعظم أمره عند الناس وصار له الهيبة والوقار ودرس بالمعظمية نيابة ونسخ بخطه الكثير من المصاحف الشريفة والبخاري وكتب الحديث والفقه وغري ذلك وكان في سرعة الكتابة والملازمة لها **من العجائب** وعمل طريقة في المصحف الشريف لم يسبق اليها في مقابلة الأحرف وهي أنه إذ كان أول حرف من أول سطر من الصحيفة الفا يكون أول حرف من أول السطر الأخير منها كذلك وأول السطر الثاني مثلا واوا فيكون الذي يقابله قبل السطر الأخير كذلك وهلم جرا واحرف المقابلة كتبها بالأحمر ويكون أول الصفحة أول الآية وآخر الصفحة آخر الآية وكل جزء في كراس كامل فيكون المصحف ثلاثين كراسا لا يزيد ولا ينقص وهذه الطريقة **من العجائب** وفي الحقيقة هي طريقة في غاية المشقة وقد سهلها الله له فعملها في اسرع وقت وهو تيسير من قبل الله تعال وقد اشتهر هذا المصحف بهذه الطريقة بخطه في غالب المملكة حتى وصل الى الحجاز والعراق والروم وله ربعة شريفة بالحرم الشريف النبوي على ساكنه افضل الصلاة والسلام وكان خيرا متواضعا حسن اللفظ والشكل منور الشيبة وعنده تودد." (١)

"واستقر بعده في القدس الأمير صارم الدين قطلو مملوك عز الدين فرخشاه ابن شاهنشاه بن أيوب الأمير الاسفهلار عز الدين سعيد السعداء أبو عمرو عثمان بن علي بن عبد الله الزنجيلي كان متوليا على القدس الشريف وهو الذي عمر قبة المعراج بصحن الصخرة الشريفة في سنة سبع وتسعين وخمسمائة وتقدم ذكر ذلك الأمير حسام الدين ابو سعيد عثمان بن عبد الله العظمي متولي القدس الشريف وهو الذي تولى عمارة قبة النحوية بصحن الصخرة الشريفة بأمر الملك المعظم عيسى في سنة أربع وستمائة الأمير رشيد الدين فرج بن عبد الله المعظمي متولي بلد الخليل عليه السلام في زمن الملك المعظم عيسى وهو الذي تولى عمارة المنارة بمقام السيد يونس عليه السلام بقرية جلجول في شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة الأمير الكبير علاء الدين الأعمى هو أيدغدى بن عبد الله الصالحي النجمي كان من أكابر الأمراء فلما أضر أقام بالقدس الشريف وولي نظره فعمره وثمره وكان ناظر الحرمين في أيام الظاهر بيبرس الى أيام المنصور قلاوون وكان مهيبا لا تخالف مراسيمه وهو الذي بنى المطهرة قريبا من المسجد الشريف النبوي فانتفع الناس بها في الوضوء وتيسيره أثابه الله تعالى وانشأ بالقدس الشريف رباطا بباب الناظر وآثارا حسنة وبلط صحن الصخرة الشريفة وعمر المغلق ببلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام على باب المسجد الشريف الذي بداخله الافران والطواحين وهو مكان **من العجائب** يغلق عليه باب

---

(١)<الأنس الجليل أَبُو اليُمْن العُلَيْمي ٢/٤٠

واحد والحاصل الذي يوضع فيه القمح والشعير علوه وكان سماط الخليل عليه الصلاة والسلام في كل يوم خميس كيالج قمحا وكيلجة عدسا فما مات إلا والسماط في كل يوم غرارتان قمحا وهذا يعد من حسن سيرته وطيب أيامه وكان يباشر الأمور بنفسه وله حرمة وافرة توفي في شهر شوال سنة ثلاث وتسعين وستمائة ودفن برباطه بباب الناظر بالقدس." (١)

"وفيها في جمادي الآخرة عزل القاضي كمال الدين النابلسي الحنبلي من قضاء الحنابلة بالقدس الشريف والرملة ونابلس عزله القاضي زين الدين بن مزهر كاتب السر الشريف وهو بمنزلة قانون صحبة السلطان ووقع في عزله ما لم يقع لغيره فإن العادة جرت إذا عزل القاضي يكتب مرسوم السلطان أو مطالعة القاضي كاتب السر بعزله وهذا القاضي إنما ثبت عزله ببينة شهدت عند القاضي فتح الدين ابي الفتح بن الاسيل الشافعي على القاضي كاتب السر انه عزله من القضاء فصرح القاضي الشافعي بثبوت عزله وكان الحنبلي غائبا بالقاهرة لأنه توجه اليها من جمادي الأولى وكتب القاضي الشافعي الى نائبه بالرملة انه يمنع نائب الحنبلي بها من الحكم بمقتضى ثبوت عزل مستخلفه وفيها في يوم الاحد حادي عشري رجب توفي الأمير غرس الدين خليل ابن ابي والي احد أعيان بيت المقدس وكان رئيسا كريما وفيه الخير والاحسان الى الخاص والعام وكان الناس يترددون اليه من الاعيان وغيرهم ويأكلون على سماطة في كل وقت وكان يطعم من عرف ومن لم يعرف في جميع السنة وأما في شهر مضان **فمن العجائب** في إطعام الطعام وكان ذلك عن طيب نفس منه لا يتكره من ذلك بل يفرح له وكان قد اعتراه السمن وتزايد حتى كان لا يستطيع القيام إلا بمشقة وكان من محاسن بيت المقدس ومن أعظم محاسنه مع ما هو عليه من هذه المناقب الحسنة سلامة الناس من يده ولسانه ولم يبق بعده من هو في معناه ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة فيها في شهر ربيع الأول توجه المباشرون بالقدس الشريف الى القاهرة المحروسة بمرسوم شريف ورد في ذلك وأقاموا بمشهد الحسين بالقاهرة في ترسيم القاضي علاء الدين ابن الصابوني وكيل المقام الشريف ثم افرج عنهم وعادوا الى القدس وفيها طلب الأمير ناصر الدين محمد بن أيوب نائب القدس الشريف بسبب ما وقع عليه من الشكوى للسلطان ثم خلع عليه بالاستمرار وعاد الى محل." (٢)

"الشريف ومن جهة الغرب شباكان مطلان على السلم المتوصل منه الى المدرسة وبالايوان المذكور من جهة الشرق ثلاثة شبابيك مطلة على المسجد الى جهة صحن الصخرة الشريفة ويقابلها ثلاث شبابيك على صحن المدرسة والايوان الشمالي به شباكان مطلان على المسجد الشريف من جهة الشمال وشباكان من جهة الشرق والايوان الشرقي وهو الطارمة به ثلاث قناطر على عمودين من الرخام وعلوها قمريات من الزجاج والافرنجي في غاية البهجة والاتقان ويقابله الايوان الغربي وبه شباك مطل على صحن المدرسة مفروش ارض جميع ذلك بالرخام الملون وحيطان ذلك مستدير عليها الرخام والسقف على جميع ذلك من الخشب المدهون بورق الذهب واللازورد وهو في غاية الاحكام والاتقان والارتفاع وبجوار الايوان الشمالي بيت معقود يدخل اليه من الدركاه – المتقدم ذكرها – باب عن يسرة الداخل وهو مفروش الارض بالرخام الملون وحيطانه مستدير عليها الرخام به شباكان مطلان على الايوان الشمالي من المدرسة وعلى ظاهر هذا البيت طبقة

---

(١) الأنس الجليل أَبُو اليُمْن العُلَيْمي ٢/٢٧٠

(٢) الأنس الجليل أَبُو اليُمْن العُلَيْمي ٢/٣٢٠

لطيفة بها شباك مطل على داخل المدرسة وشباك مطل على الساحة السماوية وبالساحة المذكورة – وهي السماوية – باب يدخل منه الى سا حة اخرى بها الخلاوي المعقودة والمتوضأ والمنافع مركب جميع ذلك على الايوانين القبلي والشرقي وغيرهما من المدرسة البلدية وبالمدرسة المشار اليها من آلات البسط والقناديل ما هو في غاية الحسن مما لا يوجد في غيرها وعلى ظاهرها الرصاص المحكم كظاهر المسجد الاقصى الشريف ومن أعظم محاسنها كونها في هذه البقعة الشريفة ولو بنيت في غير هذا المحل لم يكن عليها الرونق الموجود عليها ببنائها فإن الناس كانوا يقولون قديما مسجد بيت المقدس به جوهرتان هما قبة الجامع الأقصى وقبة الصخرة الشريفة قلت وهذه المدرسة صارت جوهرة ثالثة فإنها **من العجائب** في حسن المنظر ولطف الهيئة والله الموفق." (١)

"ثم حضر الخاصكي الى القدس الشريف للزيارة ودخل بخلعة السلطان في شهر رمضان وحضر عيدالفطر بالقدس وتوجه لزيارة سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام ثم توجه الى مدينة غزة ليقيم بها لانتظار الجواب الوارد عليه من المراسيم الشريفة فلما كان العشر الثالث من شهر شوال ورد مرسوم السلطان الى شيخ الاسلام الكمالي بن ابي شريف الشافعي ومرسوم شريف مطلق لقضاة غزة والقدس الشريف يعلمهم انه لما جهز الأمير قانصوه باقر الخاصكي لكشف هذه الاجوبة وتحريرها وكتابة محضر بقضاة غزة والقدس بما يتضح به الحق وان كلا من النائبين كتب محضرا بما يختاره ولم يتضح للمسامع الشريفة الحق في ذلك وان المرسوم الشريف الوارد على يد الخاصكي انما برز بكتابة محضر واحد لامحضرين وبرز أمر السلطان ان شيخ الاسلام الكمالي ابن ابي شريف يتوجه بنفسه وصحبته قضاة القدس الشريف والرملة الى مدينة غزة المحروسة ويجتمعون مع قضاة غزة وتحرر هذه الواقعة من اولها إلى آخرها ويكتب محضر شرعي بما يتضح به الحق وإن لم يحرر ذلك تبرز المراسيم الشريفة لقضاة غزة والقدس بالزامهم بالقيام للخزائن الشريفة بعشرة آلاف دينار مؤرخ المرسوم الشريف في ثالث عشر شوال فعند ذلك قابل شيخ الاسلام الكمالي وقضاة القدس الشريف أمر السلطان بالسمع والطاعة وتوجهوا الى الرملة وسار منها مع من تيسر من قضاتها الى مدينة غزة وهذه الواقعة **من العجائب** لأن شيخ الاسلام رجل عظيم الشأن وهو بركة الوجود وعالم المملكة وهو شيخ كبير سنة نحو الثمانين وبنيته ضعيفة والسفر يشق عليه فكلف الى مالا طاقة لديه في زمن الحر الشديد بسبب واقعة حدثت من العرب المفسدين المحاربين للدين لا إسلام لهم ولا إيمان ولما توجه من القدس الشريف حمل في محارة على جمل وكان لا يركب الفرس إلا قليلا لضعف بدنه فقدم الى مدينة غزة في عشية يوم الخميس مستهل ذي القعدة ونزل بالجامع المنسوب لمولانا السلطان الملك الأشرف واصبح يوم الجمعة فحضر." (٢)

"وصار حجة بين الأنام في سائر ممالك الاسلام ومن اعظم محاسنه التي شكرت له في الدنيا ويرفع الله بها درجاته في الآخرة ما فعله في القبة المستجدة عند دير صهيون وقيامه في هدمها بعد أن صارت كنيسة محدثة في دار الاسلام في بيت الله المقدس وقيامه في منع النصارى من انتزاع القبو المجارو لدير صهيون المشهور أن به قبر سيدنا داود عليه السلام بعد بقائه في ايدي المسلمين مدة طويلة وبنى قبلة فيه لجهة الكعبة المشرفة – كما تقدم ذكر ذلك مفصلا في حوادث سنة خمس

---

(١) الأنس الجليل أَبُو اليُمْن العُلَيْمي ٢/٣٢٩

(٢) الأنس الجليل أَبُو اليُمْن العُلَيْمي ٢/٣٧٦

وسنة ست وتسعين وثمانمائة وغير ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيامه على حكام الشرطة ومنعهم من الظلم ومواجهتهم بالكلام الزاجر لهم وفي شهر شوال سنة تسعمائة ورد عليه مرسوم شريف بأن يكون متكلما على الخانقاه الصلاحية بالقدس الشريف ينظر في أمرها وعمل مصالحها فحضرها في عشية يوم الاثنين سادس شوال وجلس بالمجمع مع الصوفية في مجلس الشيخ وحصل للخانقاه وأهلها الجمال بحضوره ثم بعد فراغ الحضور جلس على تفرقة الخبز على مشايخها وتصرف فيها باجازة الوقف وانلظر في أمره وشرع في عمارة الخانقاه واصلاح ما اختل من نظامها واضيف اليه التكلم على المدرسة الجوهرية وغيرها لما هو معلوم من ديانته وورعه واجتهاده في لعل الخيرات وإزالة المنكرات وأما سمته وهيبته **فمن العجائب** في الابهة والنورانية رؤيته تذكر السلف الصالح ومن رآه علم انه من العلماء العاملين برؤية شكله وإن لم يكن يعرفه وأما خطه وعبارته في الفتوى فنهاية في الحسن وبالجملة فمحاسنه أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وهو اعظم من أن ينبه مثلي على فضله ولو ذكرت حقه في الترجمة لطال الفصل فإن مناقبه وذكر مشايخه يحتمل الأفراد بالتأليف والمراد هنا الاختصار ومن تصانيفه الاسعاد شرح الارشاد في الفقه والدرر اللوامع بتحرير." (١)

"ابن غنام بن [طلق بن-[١]] معاوية الكاتب النخعي الكوفي، كاتب شريك القاضي، كوفى، يروى عن شريك وقيس، روى عنه محمد بن عبد الله بن نمير وأبو كريب والأشج وإسرائيل وحجاج بن عمران السدوسي الكاتب، وكان كاتب بكار بن قتيبة القاضي بمصر، من أهل مصر، يروى عن سليمان بن داود الشاذكوني، روى عنه أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني وسعيد بن عبدوس بن أبي زيدون الرملي الكاتب، من أهل الرملة، كان كاتب محمد بن يوسف الفريابي، نزيل قيسارية، روى عنه [٢] ، قال ابن أبي حاتم: كتبت عنه بالرملة، وهو صدوق.

٣٣٥٧- الكاجرى

هذه النسبة إلى قرية من قرى نسف يقال لها «كاجر» على فرسخين منها، خرج منها جماعة من المحدثين والأئمة، سمعت السيد أبا بكر أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسيني [٣] ببخارا يقول:

قال بعضهم:

ومن العجائب والبدائع جملة [٤] ... في مجلس السلطان عيسى الكاجرى.

ومن هذه القرية أبو أحمد محمد بن جعفر بن [محمد بن] عصمة الكاجرى، سمع أبا سهل هارون بن أحمد الأستراباذي وأبا جعفر محمد بن عبد الله

---

[١] من م وغيرها.

[٢] أي روى عن الفريابي، راجع الجرح والتعديل ج ٢ ق ١ ص ٥٣.

---

(١) الأنس الجليل أَبُو اليُمْن العُلَيْمي ٢/٣٨١

[٣] في م «بن الحسين» .

[٤] في م «جمة» .." (١)

"الرؤيا عجبا من العجائب، وسمع الحديث، ذكره ابن يونس، توفى بتنيس، وحمل منها ميتا في سنة اثنتين وثلاثمائة

وأبو محمد عبد الغنى بن عبد العزيز ابن سلام العسال الفقيه، يروى عن ابن وهب وابن عيينة، وكان فقيها عالما [١] ، توفى في المحرم سنة أربع وخمسين ومائتين وابن ابنه أبو محمد عبد الغنى بن محمد بن عبد الغنى بن عبد العزيز العسال، سمع من أبيه وغيره، مات في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة [٢]- قاله ابن يونس والإمام أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن محمد [٣] بن سليمان ابن عبد الله العسال، من أهل أصبهان، ولى القضاء بها خليفة لعبد الرحمن ابن أحمد الطبري، إمام كبير، جليل القدر، أحد أئمة الحديث فهما وإتقانا وأمانة، قال أبو عبد الله بن مندة: طفت الدنيا شرقا وغربا فلم أر مثل أبي أحمد العسال، قرأت على قبره بأصبهان، وله تصانيف كثيرة، يروى الحديث عن محمد بن أيوب الرازي وإبراهيم بن زهير [٤] الحلواني والحسن بن على السري وبكر بن سهل الدمياطي وجماعة كثيرة سواهم، وكانت له رحلة إلى العراق والشام وديار مصر، روى عنه الحافظان أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني وأبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، وتوفى

---

[١] م: «عاقلا» وهو الأوفق.

[٢] في م «٣٣٦» .

[٣] زيد في م «بن محمد» .

[٤] من م واللباب وغيرهما، وفي الأصل «ومحمد بن إبراهيم بن زهير» .." (٢)

"القسم «١» ورأيت الأوصاف فى صدر الأبيات فى نهاية الحسن، تقدمت فيها كل من وصف ما وصفت، وخاصة بيت البهار لتشبيه شيئين فيه. وقد تأملت البيت الأخير وأنفذت إليك فى هذا الوقت ما تبنى به المنهدم من حالك، إلى أن تنجلى الهبوة التى نحن فيها إن شاء الله. ومع الرقعة صرة ديباج مختومة بخاتم راغب الخادم، فيها ثلاثمائة دينار.

وتنكر الساجية والحجرية للوزير، بعد أن صالحوا الخرشنى، ورجع الجميع إلى منازلهم. وانحدر الوزير إلى دار السلطان بأرزاقهم، فعرفهم أن لا مال عنده، فوثبوا به وقبضوا عليه، والسلطان يراهم.

فوثب ودخل وأمر راغبا أن يتسلم الوزير ويكون فى يده، وأن لا تجرى جناية عليه. ونهب الناس داره ودار ابنه الملاصقة لداره، وطرحوا فيها النار، ونهب جماعة من كتابه.

وأحضر أبو على عبد الرحمن بن عيسى فى هذا اليوم، فولى الوزارة وهو يوم الإثنين لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى بعد أن عرض السلطان الوزارة على على بن عيسى واستعفاه فأعفاه وكان من العجائب المشهورة أن دار ابن مقلة أحرقت

---

(١) الأنساب للسمعاني السمعاني، عبد الكريم ٨/١١

(٢) الأنساب للسمعاني السمعاني، عبد الكريم ٢٩٢/٩

فى مثل اليوم الذى أمر فيه بإحراق دار سليمان بن الحسن بباب محول، وفى مثل ذلك الشهر بينهما حول كامل، وظهر فى عشية هذا اليوم سليمان ابن الحسن والخصيبى.." (١)

"يخاطب غلاما أمرد

ايها الأمرد المولع بالهج ... ر أفق ما كذا سبيل الرشاد

فكأنى بحسن وجهك قد ألب ... س فى عارضيك ثوب حداد

وكأنى بعاشقيك وقد بد ... لت فيهم من خلطة ببعاد

حين تنبو العيون عنك كما ين ... قبض السمع عن حديث معاد

فاغتنم قبل أن تصير إلى كا ... ن وتضحى فى جملة الأضداد

أخبرنى الحسن بن على قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال حدثنى أحمد بن على الانبارى قال كنا فى مجلس يزيد بن محمد المهلبى بسر من رأى فجرى ذكر ابى العبر فجعلوا يذكرون حماقاته وسقوطه فقلت ليزيد كيف كان عندك. فقد رأيته؟ فقال ما كان الا أديبا فاضلا ولكنه رأى الحماقة أنفق وانفع له فتحامق، فقلت له انشدك أبياتا له أنشدنيها فانظر لو أراد دعبل فأنه أهجى أهل زماننا أن يقول فى معناها ما قدر على أن يزيد على ما قال، قال أنشدنيها فأنشدته قوله

رأيت **من العجائب** قاضيين ... هما أحدوثة فى الخافقين

هما اقتسما العمى نصفين فذا ... كما اقتسما قضاء الجانبين

هما فأل الزمان بهلك يحيى ... إذا افتتح القضاء بأعورين

وتحسب منهما من هز رأسا ... لينظر فى مواريث ودين." (٢)

"وابتدأت بمكة شرفها الله تعالى، وما يجب ذكره من وصف حرمها، وأسماء الجبال المحيطة بها، وذكر أرباضها، ووصف المسجد الحرام بحسب الوسع، وذرع الكعبة من خارج، ووصفها من داخل. ووصفت الصفا والمروة، وعرفة ومزدلفة، ومنى وجبل الرحمة، مع شريعة إبراهيم عليه السلام وصفة بطن محسر إلى غير ذلك من المناسك، وصفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة. ووصفت منبره عليه السلام، ووصفت عدد أبواب المسجد، وجميع ما فيه من العمد «ا» وعدد ما فيه من القناديل، ووصف روضته عليه السلام. ثم وصفت بقية المدينة، وروضة عثمان رضى الله عنه ووصفت مسجد قبا، وقبور الشهداء «ب» بأحد رحمة الله عليهم تبركا بذلك وتيمنا بالاستفتاح به.

ثم عدت إلى بلاد مصر وما فيها **من العجائب**، ووصفت نيل مصر وعدد أمياله، من وسطه إلى موقعه، وذكرت بناء الأهرامات والبرابى «ج» ومن بناها، وصورتها وطولها وعرضها وما صنع فيها **من العجائب**؛ وذكرت من عمرها من الملوك قبل الطوفان وما نزل بها بهذا الطوفان؛ وذكرت فتحها فى أيام سيدنا عمر «د» بن الخطاب رضى الله عنه. ثم عدت إلى

---

(١) الأوراق قسم أخبار الشعراء الصولي ٨١/٢

(٢) الأوراق قسم أخبار الشعراء الصولي ٣٣٠/٣

مدينة الإسكندرية، ووصفت بناءها وصفة منارها وصفة المرآة التى كانت بها وبناءها وتداول الملوك عليها.

ثم ذكرت بلاد إفريقية وما فيها **من العجائب**، ووصفت مدينة قرطاجنة وآثارها وعجائبها، ووصفت البلاد الى آخر بلاد المغرب. وقسمت أقطارها قسمين، ورتبتها صنفين: فمنها الصحراوية أو ما قاربها، والساحلية وما يليها.

ولم أذكر شيئا مما سقته إلا ما كاد ينعقد على أكثره الإجماع، ويتفق عليه العيان والسماع، وللمولى أدام الله تأييده ووصل سعوده، أن يقدر عبده فيما أورده، ويحقق فيما رجاه أمله ومعتمده، فإنه وإن كان قد أنفذ وسعه فى الاختيار، وتوسط بين الإقلال والإكثار، حرى بالاحسان." (١)

"ذكر بلاد مصر وما فيها **من العجائب** «١»

بلاد مصر فى أول الإقليم الرابع، لها من البروج الجوزاء، ومن النجوم عطارد «٢» . وهى من أسوان إلى الإسكندرية، وخصبها وزرعها وفواكهها كثير جدا، يسقى جميعا بالنيل «ا» . والنيل من عجائب العالم لا يعرف له منبع من تحت جبل القمر «٣» ، وراء خط الاستواء بتسع درجات ونصف درجة، يخرج من ١٢ عينا هنالك، يجتمع فى بحيرتين هناك كالبطائح «٤» ، ثم ينبعث من كل بطحة ٣ أنهار، منها نيل مصر وغيره من الأنهار الكبار التى يأتى ذكرها إن شاء الله تعالى. وذلك فى البلاد المحترقة الجنوبية التى لا يكون فيها نبات ولا حيوان، لقرب الشمس من ذلك الموضع «٥» .." (٢)

"فارتعد، ولا يقدر على إمساكه ولو كان أشد الناس. وإذا أحد بحجارة هذا الجبل سكين أو سيف لا يؤثر فيه حديد أبدا، وجذب الإبر والمسال أشد جذبا من المغنطيس، ولا يبطل الثوم عمله كما يبطل المغنطيس. وحجر الجبل نفسه لا يجذب الحديد، فإن حد عليه الحديد، جذب ذلك الحديد «١» ؛ وهذا **من العجائب**.

ويقال إن نيل مصر يجرى على وجه الأرض ٧٠٠ فرسخ، ويجرى فى غير عمران مسيرة ٤ أشهر، وفى بلاد السودان مسيرة شهرين، وفى بلاد مصر «ا» مسيرة شهر، من أسوا نإلى أن يصب فى البحر بحلق رشيد بشرقى الإسكندرية «٢» . وذكر هورشيش الرومى «٣» فى تاريخه أن منبعه إلى موقعه ٩٩٠٨٣٠ ميلا «٤» . والنيل مخالف لكل نهر من أنهار الأرض: لأن كل نهر يستقبل الجنوب، والنيل يستقبل الشمال، فهو مخالف لجميع أنهار الدنيا؛ وعلة ذلك أن منبعه من الجنوب؛ قال الشاعر:

بلاد مصر شأنها عجيب ... ونيلها تجرى به الجنوب «٥»

قيل وليس فى الدنيا نهر يسمى بحرا ويما غير النيل؛ قال الله تعالى: «فإذا خفت." (٣)

"فعجبت من ذلك. وشاع خبرها حتى اتصل ببعض الولاة فوجه إلى فأخذها منى.

وكان فى هذه البرابى عجائب من الطلاسم فى قبور شتى قد درس أكثرها، وتهدم أكثر البرابى. وأما الأهرام فهى باقية على

(١) الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٣

(٢) الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٤٥

(٣) الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٤٧

حالها ما اختل منها شيء؛ فيقال إن كل ما تهدم من هذه الهياكل وتغير، مثل بربى بوصير «١» وبربى سمنود وغير ذلك من الهياكل، أن المنجمين تركوا الاستقصاء فى أخذ الطالع وتصحيحه فى وقت وضع الأساس، وكذلك ما بقى منها فلقرب الطالع من الصحيح. ولا شك أن الذين بنوا هذه البرابى كانوا على بعد من الملوك، ولم يكونوا بحضرتهم ولا تحت نظرهم، فيستقصوا النظر كما اتفق فى بناء الأهرام، وكان بالقرب من صاحب مصر فكان يتفقدها. والبرابى أكثر إنما هى فى الكور. قيل ولكل بربى من هذه البرابى خاصة ومنفعة فى الموضع الذي يكون فيه وما والى جهته؛ وأهل تلك الديار لا يشكون أنه لما هدم بربى سمنود، وحملت حجارته إلى أشتوم دمياط «٢» ، أن اليوم الذي فرغ فيه من هدم الحائط الغربى، دخل حباسة الإسكندرية وخربها «٣» ، وكثرت الرمال فى أسباب البحر بها حتى انقطع النيل عنها فى شهور الصيف، وكان يمر عليها صيفا وشتاء؛ وقلت زكاة الزرع وكثر الفأر فيه والجراد والفساد الذي لم يعهد قبل ذلك. **ومن العجائب** المذكورة بأرض مصر فى قرية يقال لها بدرسانة «ا» ، كنيسة قديمة للروم فيها بيت يصعد إليه فى نيف وعشرين مرقى، وهناك سرير عليه صبى ميت، وتحت السرير صورة ثور عظيم من زجاج فى جوفه باطية زجاج فيها أنبوبة نحاس موضوع فيها فتيل كتان، ويصب عليه يسير زيت فما تلبث أن تمتلىء." (١)

"الباطية من الزيت حتى يفيض إلى جوف الثور، فيأخذ قيم الكنيسة ذلك الزيت دائما، فيسرج منه قناديل الكنيسة كلها، ولا ينقطع نماؤه وزيادته على مرور الدهور والأيام. فإن أزيل الصبى الميت، طفيت النار ولم يفض الزيت، فإذا أعيد عاد الزيت إلى ما كان عليه. وقد سار إلى هذه الكنيسة جماعة من الناس رأوا ذلك وأفرغوا الباطية ثم أسرجوها بيسير من الزيت، ففاضت وبدا منها ما ذكرنا.

ثم نرجع إلى ذكر الملك شونDين «١» .

قال فلما هلك الملك شوندين بعد أن ملك ١٣٥ سنة ودفن فى الهرم الغربى، ملك بعده ابنه قمناوش وكان جبارا فظلم وجار وسفك الدماء واغتصب النساء؛ واستخرج كثيرا من الكنوز، فبنى بها قصور الذهب والفضة ورصعها بالجواهر الغالية، وعمل بركا فصب فيها الجواهر وأرسل عليها الماء، وفعل من مثل هذه الأشياء ما لم يفعل غيره من الملوك؛ واستجهل من مضى من آبائه، واستعبد الناس واستخف بالهياكل. فلما هلك ملك بعده ابنه فترك الظلم وتحبب إلى الناس، وطلب العلم «ا» وأعاد الهياكل كل إلى ما كانت عليه فى أزمان أجداده، وجمع المنجمين والكهان، وعملت فى أيامه **من العجائب** والغرائب ما كانت تعمل فى أيام آبائه «٢» ؛ وملك مدة ولم يكن له ولد. وطلب النسل من ٣٠٠ امرأة، فلم يقدر عليه لأن أرحام النساء عقمت فى أيامه. وفى وقته شاع خبر نوح عم. قال فلما لم يكن له ولد ولا أخ، خاف على ذهاب ملكه فأشرك فى أمره فرعان، وكان من بنى عمه، وكان أحد الجبابرة ففتح البلاد وقهر الأمم؛ فوافقته امرأة من نساء الملك على أن يقتل الملك ويلى الملك ففعل، واحتوى على المملكة فتجبر وعلا وقهر. وأصل الفراعنة مشتقة منه ومن اسمه «٣» .." (٢)

---

(١) الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٦٣

(٢) الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٦٤

"لنفسه قبل موته سربا تحت الأرض معقودا على آزاج فى الجبل الغربى.

وجعل فيه من الذخائر والغرائب والتماثيل، ومن الطلسمات والعجائب التي يطول وصفها، كما كان فى نواويس آبائه.

قال، فما زال هؤلاء الملوك من ذرية. مصر بن ينصر يتوارثون الملك خلف عن سلف، إلى أن كان منهم ملك يسمى عديم، وكان عاقلا عالما، وهو أول من صلب. وكان سبب ذلك أن امرأة ورجلا زنيا فى أيامه، فأمر بهما فصلبا على منارين بناهما لهما، وجعل ظهر كل واحد منهما إلى ظهر الآخر، وطلاهما بأطلية مانعة لفناء جثتيهما، وزبر على المنارين اسماهما وما فعلا، وتاريخ الوقت الذي عمل بهما ذلك فيه؛ فانتهى الناس فى أيامه عن الزنا. وناووس عديم هذا من أعاجيب الدنيا، وهو فى صحراء قفط «ا» على وجه الأرض، وهو قبة عظيمة من زجاج أخضر براق، معقودة على ثمانية آزاج، قدر قطرها «ب» ١٠٠ ذراع وارتفاعها فى الهواء ١٠٠ ذراع، يخضر بخضرتها ما حولها من الأرض وعلى رأس القبة طائر من الذهب منشور الجناحين موشح بجوهر نفيس، وهو طلسم تلك القبة؛ يمنع الوصول إليها وإلى ما فيها. وذكر أن قوما قصدوا ذلك الناووس فى صحراء قفط، ورأوا القبة وعاينوا ما فيها، وأقاموا عليها أياما لا يقدرون عليها؛ وكانوا منها على قدر ٨ أذرع، وكانوا إذا قصدوها «ج» دارت القبة على يمينهم وشمالهم. وذكروا أنهم عاينوا ما فيها من العجائب، وأنهم رأوا الملك وهو على سرير من ذهب، مشبك عليه ثياب منسوجة بالذهب منظمة بنفيس الجواهر، وهو مكشوف الوجه، فقدروا وجهه بذراع ونصف، وقدروا طول بدنه ب ١٠ أذرع، وله لحية كبيرة. وفى جانب القبة ١٧٠ مصحفا من مصاحف الحكمة، وفيها ٧ موائد على كل مائدة أوانيها: فمنها مائدة در رمانى وآنيتها منها، ومنها مائدة ذهب أحمر يختطف الأبصار وهو الذهب الذي يعمل منه تيجان الملوك وآنية المائدة منها، ومنها مائدة من حجر الشمس المضيء وآنيتها منها، ومائدة من الزبرجد الذي إذا نظرت إليه الأفاعى سالت عيونها، ومنها مائدة كبريت أحمر مدبر على ما ذكروه من تدبيره فى مصاحف حكمتهم وآنيتها منها، ومائدة ملح أبيض براق «د» يكاد نوره أن يخطف الأبصار." (١)

"وآنيتها منها، ومنها مائدة زئبق معقود وحافاتها وقوائمها زئبق أصفر معقود وآنيتها من زئبق أحمر معقود. وقيل وجعل معه فى القبة جواهر عظيمة، وأوانى من الفضة المدبرة، وجعل حوله سبعة أسياف صاعقية وسبعة كاهنية، وفى القبة معه تماثيل أفراس من ذهب، وعليها سروج من ذهب، وعدة توابيت مملوءة بالدنانير التي ضربها وصور عليها صورته. وفى تلك القبة أشياء من العجائب والغرائب يطول وصفها «١» .

وقيل إنه ملك من ذرية هؤلاء الملوك ملك يسمى ساوس، وهو أول من عبد البقر. وقيل إن السبب فى ذلك أنه اعتل بعلة يئس فيها من نفسه، وأنه رأى فى منامه صورة روحانى عظيم الخلق يخاطبه ويقول له: لا يخرجك من علتك إلا عبادة البقر، لأن الطالع كان حلوله بك فى صورة ثور. فأمر ذلك الملك بأخذ ثور أبلق حسن الصورة، فبنى له مجلسا فى وسط قصره عليه قبة مذهبة، ووكل به سادنا، وكان يبخره له ويطيبه. وكان يعبده سرا من أهل مملكته، فبرأ من علته وعاد إلى أحسن حاله. وقال آخرون وكان السبب فى ذلك أن هذا الملك كان يتفقد بلاده ويطوف عليها؛ وهو أول من عملت له العجل،

---

(١) الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٦٧

وعملت عليها قباب من خشب مذهبة وفرشت بالفرش.

وكانت البقر تجره فيطوف على جميع بلاده، فإذا مر بالمكان الخرب أمر بعمارته.

فقيل إنه نظر ذات يوم إلى ثور من تلك البقر التى كانت تجر تلك العجلة التى كان فيها الملك، وكان ثورا أبلقا حسن الهيئة، فأعجبه فأمر بإزالته من جر العجلة وسوقه بين يديه، وجعل عليه حللا من فاخر الديباج. فتفرد به يوما ينظر إليه، فبينما هو قائم بين يديه خاطبه الثور فقال له: لو رفعتنى أيها الملك كفيتك جميع أمورك، وأعنتك على ما تريد، وقويتك على ملك وأزلت عنك جميع عللك.

فارتاع الملك من كلامه، وأمر به حينئذ وغسل وطيب وبنى له هيكلا، وأمر بعبادته. وكان فى ذلك الثور آية أنه لا يروث ولا يبول ولا يأكل إلا أطراف ورق الشجر مرة واحدة فى الشهر. قال فافتتن الناس به، وصار ذلك أصلا لعبادة البقر بأرض مصر. وصار ذلك الثور يعبد مدة ثم إن ذلك الثور أمرهم أن يصنعوا صورة مثل صورته من ذهب مجوفة، ويؤخذ من رأسه شعرات ومن ذنبه ومن تحت قرونه ومن أظلافه ويجعل فى ذلك التمثال. وعرفهم أنه لاحق." (١)

"ومدينة الاسكندرية أعظم مدن مصر؛ وبلاد مصر كلها فيها **من العجائب** والغرائب ما يعجز عنه الواصفون. ذكر أن أحمد بن طولون كان صاحب مصرفى سنة نيف ومائتين وكان مولعا بمعرفة هذه الآثار القديمة **والعجائب** «١» ، فذكر له أن رجلا من الأقباط بأرض الصعيد، وهى من أعالى بلاد مصر، له «ا» نحو ١٣٠ سنة، وهو ممن عنى من لدن حداثته بالعلم والإشراف على الآراء وانتحل من مذاهب المتفلسفين وغيرهم، وأنه علامة بالممالك والملوك ومعرفة بهيئة الأفلاك والنجوم؛ وكان نصرانيا على مذهب اليعاقبة. فبعث ابن طولون إليه قائدا من قواده فحمله إليه فى النيل مكرما؛ وكان الشيخ قد انفرد عن الناس فى بنيان قد اتخذه وسكن فى أعلاه، وكان قد رأى الرابع عشر من ولده. فلما وصل إلى أحمد بن طولون أكرمه وأبره وأسكنه بعض مقاصيره ومهد له موضع جلوسه وحمل إليه لذيذ المأكل والمشرب، فأبى الشيخ أن يتغذى أو يلبس إلا ما حمل مع نفسه من كعك وسويق ونحوها، وقال هذه بنية قوامها بما ترون من الغذاء والملبس فإن أنتم سمتمونى النقل على العادة كان ذلك سبب انحلال البنية ويفوتكم منى ما تطلبونه، فتركه ابن طولون وما يريده. ثم أحضره مجلسه مع أهل الدراية من أصحابه وخواص مجلسه وصرف إليه همته وغرضه؛ فلما سأله عن بحيرة تنيس ودمياط المتقدم ذكرهما، قال كان موضع البحيرة أرضا لم يكن بديار مصر مثلها لطيب التربة وذكاء الربيع؛ وكانت جنات متصلة ولم يكن بمصر كورة يقال إنها تشبه الفيوم إلا هى وحدها، وكانت أكثر فاكهة منه؛ وكان الماء ينحدر إلى قرى موضع البحيرة صيفا وشتاء يسقون منه متى شاءوا، وفضلة الماء تصب فى البحيرة. وكان بين العريش وقبرص طريق مسلوكة فى يبس، وبينهما اليوم مسير طويل فى البحر، فلما كان قبل استفتاح المسلمين بلاد مصر ب ١٠٠ سنة طما ماء البحر وزاد فأغرق القرى التى كانت فى موضع البحيرة، وما كان منها فى البقاع المرتفعة فهى باقية إلى الآن قد أحاط بها الماء. وقال وعند هذه الزيادة التى زادها ماء البحر، طغى الماء على القنطرة التى كانت بين بلاد الأندلس وبين." (٢)

---

(١) الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٦٨

(٢) الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/١٠٢

"ذكر بلاد إفريقية وما فيها **من العجائب** وذكر البلاد الساحلية منها والصحراوية وذكر ما فيها من الآثار مدينة أطرابلس «١»

فأول مدن إفريقية على الساحل مدينة أطرابلس. وهى مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر، والبحر يضرب فى سورها» ، وسورها من حجر جليل من صنعة الأولين. وقيل إن تفسير أطرابلس ٣ مدن، وقيل مدينة أياس «ب» .

وبها سوق حافلة وحمامات «ج» كثيرة وبساتين فى شرقها، وهى كثيرة الفواكه جمة الخيرات، وأكثر أهلها تجار يسافرون برا وبحرا، ولهم سمح فى تجاراتهم، وهم أحسن الناس معاملة ضد أهل سرت. وداخل سورها بئر يعرف ببئر أبى الكنود، يقال إنه من شرب منه يحمق فهم يعيرون به؛ يقال للرجل منهم إذا أتى بما يلام عليه «د» : لا عتب عليك لأنك شربت من بئر «ر» أبى الكنود.

ومن أطرابلس إلى نفوسة ٣ أيام، وطرف هذا الجبل الخارج فى البحر هو طرف أو ثان، ما بين أطرابلس والإسكندرية، وهو الطرف الذي إذا عدته المراكب استبشرت بالسلامة. وهذه المدينة تعد من بلاد إفريقية، وسنذكر ما ورد فيها من الآثار والله المستعان «س» .

قال الناظر كان فى مدينة أطرابلس المذكورة رجل غزى اسمه قراقوش «ص» «٢» استند إلى ذروة «ط» هذا الأمر العزيز- أيد الله دوامه-." (١)

"مدينة بونة «١» : مدينة قديمة من بناء الأول وفيها آثار كثيرة؛ وهى على ربوة مشرفة على فحوصها وقراها «ا» ؛ وهى من أنزه البلاد وأكثرها لبنا ولحما وعسلا وحوتا. والبحر يضرب فى سورها، وفيها بئر على ضفة البحر منقورة فى حجر صلد، ماؤها أعذب ماء وأنفقه؛ ومنها يشرب أكثر أهلها لعذوبة مائها. وبغرب هذه المدينة ماء سائح يسقى بساتينها وأرضها؛ وموضع جناتها منتزه حسن مشرف على البحر. ويطل «ب» على مدينة بونة جبل زغوغ وهو كثير الثلج والبرد، **ومن العجائب** أن فيه مسجدا قديما لا ينزل عليه شيء من ذلك الثلج؛ فإذا عم الثلج الجبل كله رأيت المسجد فى وسطه كأنه شامة. وبغربى مدينة بونة بركة فى دورها نحو ١٠ أميال، وفيها سمك كثير جليل. وفيها طائر يعرف بالكيكل ويسمى بالحواص «٢» ، وهو يعشش على وجه الماء ويفرخ، فإن أحس بحيوان أو إنسان يروم أخذه، رفع عشه بفراخه برجليه حتى يصيره فى وسط البركة حيث يأمن. وهو طائر حسن وهو الذي يسمى بمصر بالخواص، ويتخذ بمصر من جلوده ثياب للينها وجمالها؛ وتباع بالأثمان الغالية. ومرسى مدينة بونة يسمى مرسى الأزقاق، وهو من المراسى المشهورة «ج» . وبونة فى جون «د» من البحر يسمى جون الأزقاق، وهو صعب، وفيه عطب مركب القيطانى ومركب الفخرى ومراكب كثيرة.

مدينة القل «٣» : مدينة قديمة فيها آثار كثيرة للأول من الروم؛ وهى على ضفة البحر، وهى مرسى مدينة القسطنطنية. وهى كثيرة الفواكه والخيرات والعنب فيها كثير، وفيها تفاح جليل؛ ولها نظر وجباية عظيمة «ر» وهى برية بحرية.." (٢)

---

(١) الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/١١٠

(٢) الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/١٢٧

"قال الناظر: وعندها هزم الخليفة أبو يوسف رضى الله عنه الشقى الميورقى بظهر مدينة حامة مطماطة المذكورة، فر الشقى منهز ما بخديعة الذهن آخذا على هذه السباخ، فتبعه الموحدون أعزهم الله، سالكين أثره قاصين خبره حتى أشرفوا على مدينة توزر، فلقوه قد توغل فى صحرائها. وخاطب الخليفة رضى الله عنه بلاد المغرب معلما بذلك. فمن فصل من الرسالة «١» : « ... نهض الموحدون- أعزهم الله- من قابس- كلأها الله- آخذين على صحرائها وقاصدين إلى البلاد الجريدية من ورائها على طرق لا عهد لها بالعساكر، ولا علم فيها لعابر، ولا منفذ أمامها لوارد ولا صادر، بحيث منقطع التراب، ومتصل القفر اليباب، ولا ماء ينبع فى الأرض ولا يستقر من صوب السحاب «ا» ، وإن سلوكها لمن العجائب العجاب «ب» ، وآيات هذا الأمر «ج» الميسر للطلاب ... » .

وآخر بلاد الجريد مدينة درجين «د» «٢» : وهى مدينة قديمة بقرب نفطة، وهى مدينة كبيرة وفيها تصنع الكسى الدرجينى، وهو يشبه السجلماسى فى ثوبه ولونه، ولكنه دونه فى الجودة. وبالقرب منه بلد سوف، ولا يعرف خلفه عمران ولا حيوان إلا جبال من رمل يصاد فيها الفنك الذي لا يوجد لجلده نظير فى الدنيا. وأهل تلك البلاد يخبرون أن قوما أرادوا معرفة ما وراء قسطيلية مثل توزر وغيرها، فأستعدوا بالأزودة والمياه، وذهبوا فى تلك الصحارى والرمال أياما، فلم يروا أثرا لعمران وهلك أكثرهم فى تلك الرمال. قال الناظر: ركب هذه الرمال، وشق صحراءها هذا الشقى فى حين طلب الموحدين له، أيام إقامة أمير المؤمنين على قفصة، وإنما نبه على ركوبها ما تعوده أيام كونه مع أبيه بميورقة، فإن من أفعال عدو الله ركوب ظهر اللجج طول النهار، فإذا أقبل العشى طلب أهل البر للفرضه. وكذلك فعل الشقى." (١)

"وعند الجزر يوصل إليها بالقدم، ويوجد فيها العنبر الكثير؛ وأكثر معاش أهلها من لحوم السلاحف فهى أكثر شئ فى ذلك الموضع وهى مفرطة العظم، ربما دخل الرجل فى محار ظهورها يتصيد فى البحر كالقارب. وفى هذه الجزيرة أغنام كثيرة ومواشى، وهى منتهى المراكب وآخر مراسى المغرب. ومن مدينة نول إلى هذه الجزيرة على البر، لا تفارق السواحل، مسيرة شهرين فى أرض محجرة أكثرها صفاء تنبو عنها المعاول، ويكل فيها الحديد «ا» ، وإنما يشرب من يمر على ذلك الطريق من حفر يحفرونها عند جزر «ب» البحر فينبع ماء عذبا وهو من العجائب. وإذا مات للمارين بهذه الطريق ميت لا يمكنهم مواراته بالتراب لصلابة الأرض وامتناعها من الحفر، فيسترونه بالحطام والحشيش أو يقذفونه فى البحر.

وبين صحراء لمتونة وبلاد السودان «ج» ، مدينة أودغست «١» .

وهى مدينة عظيمة آهلة فيها أمم لا تحصى ولها بساتين كثيرة ونخل كثير، ويزرعون فيها القمح بالحفر بالفؤوس ويسقونه بالدلاء «د» ، وكذلك يسقون بساتينهم، وإنما يأكل عندهم القمح الملوك وأهل اليسار منهم، وسائر أهلها يأكلون الذرة. والمقاتى تجود عندهم كثيرا، والبقر والغنم عندهم أكثر شئ وأرخصه:

تشترى فى أودغست ١٠ أكباش بدينار وأكثر من ذلك، وهم أرباب نعم جزيلة وأموال جليلة ولهم أسواق حافلة عامرة الدهر كله، لا يكاد يسمع الإنسان فيها صوت جليسه لكثرة غوغاء الناس، وتجارتهم إنما هى بالتبر وليس عندهم فضة.

---

(١) الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/١٥٩

وبمدينة أودغست مبان حسنة ومنازل رفيعة وأهلها أخلاط من جميع الأمصار، وقد استوطنوها لكثرة خيرها، ونفاق أسواقها وتجارتها. وحريم أودغست لا يوجد مثله فى بلد، يجلب منها جوار حسان بيض الألوان مائسات القدود، لطاف ضخام الأرداف واسعات الأكتاف ضيقات الفروج، المستمتع باحداهن كأنما يستمتع ببكر أبدا، من غير أن ينكسر لإحداهن ثدى طول عمرها.." (١)

"قال ابن اليسع وما خرجت أنا من مراكش في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة إلا وهذا البستان الذي غرسه عبد المؤمن يبلغ مبيع زيتونه وفواكهه ثلاثين ألف دينار مؤمنية على رخص الفاكهة بمراكش اه ولعل المنصور جدد معالم المسرة بعد اندراسها وأفاض سجال الحياة على ميت غراسها وكان المنصور يفتخر بالبديع كثيرا وينوه بقدره وفي ذلك يقول أبو فارس الفشتالي

(هذا البديع يعز شبه بدائع ... أبدعتهن به فجاء غريبا)

(أضنى الغزالة حسنه حسدا له ... أبدى عليها للأصيل شحوبا)

(وانقضت الزهر المنيرة إذ رأت ... زهر الرياض به ينور عجيبا)

(شيدتهن مصانعا وصنائعا ... أنجزن وعدك للعلا المرقوبا)

(وجريت في كل الفخار لغاية ... أدركتهن وما مسست لغوبا)

(فانعم بملكك دام فيه مؤبدا ... تجني به فنن النعيم رطيبا)

ولما أكمل المنصور البديع وفرغ من تنميق بردته وتطريز حلته صنع مهرجانا عظيما ودعا الأعيان والأكابر فقدم لهم من ضروب الأطعمة وصنوف الموائد وأفرغ عليهم من العطايا ومنحهم من الجوائز ما لم يعهد منه قبل ذلك وكان ممن دخل في غمار الناس رجل من البهاليل ممن كانت له شهرة بالصلاح في الوقت فقال له المنصور مباسطا كيف رأيت دارنا هذه يا فلان فقال له إذا هدمت كانت كدية كبيرة من التراب فوجم لها المنصور وتطير منها وتحكى هذه الحكاية عن غير المنصور فالله أعلم

قال اليفرني وقد ظهر مصداق ذلك على يد السلطان المظفر المولى إسماعيل بن الشريف فإنه أمر بهدمه سنة تسع عشرة ومائة وألف لموجب يطول شرحه فهدمت معالمه ومحيت مراسمه وفرق ما كان به من جموع الإنس وعاد حصيدا كأن لم يغن بالأمس حتى صار مرعى للكلاب والمواشي ووكرا للصدى والبوم وحق على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه **ومن العجائب** أنه لم يبق بلد من بلاد المغرب إلا ودخله شيء من أنقاض البديع ولقد تذكرت بهذا ما حكاه بعض مؤرخي الأندلس أن." (٢)

"أريحية الأدب وكتب له أخوه مولاي الشريف في صدر كتاب بعث به إليه ما خاطب به سيف الدولة بن حمدان أخاه ناصر الدولة

---

(١) الاستبصار فى عجائب الامصار مؤلف: الاستبصار في عجائب الأمصار ص/٢١٥

(٢) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ١٤٣/٥

(رضيت لك العليا وإن كنت أهلها ... وقلت لهم بيني وبين أخي فرق)

(أما كنت ترضى أن أكون مصليا ... إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق)

فاقترح المولى محمد على الشيخ أبي عبد الله المسناوي أن ينوب عنه في الجواب لأنه كان في جملة الوافدين عليه حينئذ فقال رحمه الله

(بلى قد رضيت أن تكون مجليا ... ويتلو نداكم في العلا من له السبق)

(ومالي لا أرضى لك المجد كله ... وأنت شقيق النفس إن عرف الحق)

(ولكن ذوو الضغن انتحوا ذات بيننا ... فغادرنا إفسادهم وبها رفق)

وفي هذا التاريخ أعني سنة سبع عشرة ومائة وألف انتزع النجليز جبل طارق من يد الإصبنيول حاصره ثلاثة أيام برا وبحرا في جند يسير فملكه لاشتغال الإصبنيول يومئذ عنه بأمر الفتنة التي حدثت في ملكه ولما ملكه النجليز عظم ذلك على أجناس الفرنج خصوصا الإصبنيول والفرنسيس ورأوا أن النجليز قد ملك عليهم باب أوروبا ولذا حاصروه مرارا فلم يحصلوا منه على طائل واستمر في يده إلى الآن

ولما دخلت سنة تسع عشرة ومائة وألف ورد الخبر بموت المولى زيدان ابن السلطان بتارودانت وحمل في تابوت إلى مكناسة فدفن ليلا إلى جانب أخيه المولى محمد العالم

وفي هذه السنة أمر السلطان بهدم قصر البديع الذي بناه المنصور السعدي بقصبة مراكش وقد تقدم الكلام عليه قال اليفرني في النزهة **ومن العجائب** أنه لم يبق بلد من بلاد المغرب إلا ودخله شيء من أنقاض البديع اه

ثم دخلت سنة عشرين ومائة وألف فيها افتتح الترك مدينة وهران وكانت بيد الإصبنيول مدة فردها الله على المسلمين يومئذ وفيها أمر السلطان بقراءة حديث الإنصات يوم الجمعة عند خروج الخطيب وجلوسه على المنبر." (١)

"مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم قال العبد الفقير إلى رحمة ربه، المستغفر من خطيئته وذنبه على بن أبي بكر الهروى- غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين:

الحمد لله حق حمده، وصلاته على خير خلقه محمد النبي الأمى وآله وصحبه وشرف وكرم، أما بعد، فإنه سألنى بعض الإخوان الصالحين والخلان الناصحين أن أذكر له ما زرته من الزيارات، وما شهدته **من العجائب** والأبنية والعمارات، وما رأيته من الأصنام، والآثار والطلسمات فى الربع المسكون والقطر المعمور، ووقع الامتناع إلى أن حصل لى الاجتماع برسول وفد من الديوان العزيز- شرفه الله وعظمه- وتبركنا بزيارته واستسعدنا برؤيته إذ كان قدومه من دار السلام، وقبة الإسلام، ومقر الإمام عليه السلام وذكر الشيخ الرسول زيارات زارها بالشام وأرض بعلبك، وذكر بعض الحاضرين قبور بعض الأنبياء عليهم السلام وقد اختلف فى صحة ذلك.

---

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أحمد بن خالد الناصري ٩٣/٧

فوقع ابتداء ذكر الزيارات من مدينة حلب، وكان الواجب أن نبتدئ بذكر مدينة السلام- حرسها الله تعالى- إذ بها إمام المسلمين، وخليفة الموحدين، وأمير المؤمنين، وابن عم سيد المرسلين، الإمام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين بن الإمام المستضىء بأمر الله بن الإمام المستنجد بالله بن الإمام المقتفى لأمر الله بن الإمام المستظهر بالله بن الإمام المقتدى بالله بن الإمام محمد الذخيرة بن الإمام القائم بالله بن الإمام القادر بالله بن الإمام المقتدر بالله بن الإمام المعتضد بالله بن الإمام الموفق بالله بن الإمام المتوكل على الله بن الإمام المعتصم بالله بن الإمام الرشيد بالله بن الإمام المهدى بن الإمام المنصور بن الإمام محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم- صلوات الله عليهم- الذي رفع المظالم، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وأقام حدود الله، وأحيا سنة رسول الله، وعمر الشريعة وأظهر الصنيعة- وفقه الله لطاعته وبلغه نهاية آماله من دنياه وآخرته، بمحمد وآله وعترته- إلا أننا أخرنا ذكر زيارات مدينة السلام." (١)

"وتسعون ذراعا، دائر أسفلها مربعا مائة وستون ذراعا، طول الأقصى من القبلة إلى الشمال مائة وثمانية وأربعون ذراعا.

وتحت الأقصى إصطبل كان لدواب سليمان بن داود، كما ذكروا، به حجارة هائلة ومعالف الدواب إلى الآن، وهناك مغارة يقال: بها مهد عيسى بن مريم عليه السلام، وشمالى الأقصى بركة بنى إسرائيل يقال: إن بختنصر ملأها من رءوسهم.

وبالقدس كنيسة اليعاقبة:

بها بئر يقال: إن المسيح اغتسل منها وآمنت السامرية على يده عندها ويزورونها ويعتقدون بها، وبالقدس برج داود عليه السلام، ومحرابه المذكور فى القرآن العزيز.

وبظاهر القدس من الزيارات عين سلوان:

ماؤها مثل ماء زمزم، وهى تخرج من تحت قبة الصخرة وتظهر بالوادى قبلى البلد،

وكنيسة السليق

يقال: إن المسيح عليه السلام منها رفع إلى السماء،

وكنيسة صهيون

يقال: إن المائدة نزلت على عيسى بن مريم والحواريين بها.

وادى جهنم:

به قبر مريم أم عيسى عليه السلام، ينزل إليه فى ست وثلاثين درجة، وبه من العمد المانع والرخام تحت القبة ستة عشر عامودا من الرخام، ثمانية حمر وثمانية خضر، وله أربعة أبواب، على كل باب ستة عمد من الرخام المانع، وبها كنيسة، وهى الآن مشهد لإبراهيم الخليل عليه السلام، وبها من الآثار والعمد شىء كثير وصنعة عجيبة.

وبالجبل مقام رابعة العدوية وقبرها، والصحيح أن قبر رابعة العدوية فى البصرة، وسيأتى ذكرها فى رحلة العراق، وإنما هذه رابعة التى بالجبل هى زوجة أحمد بن أبى الحوارى، وبه مواضع مباركة وقبور بعض الصالحين والتابعين رضى الله عنهم إلا أنها

---

(١) الاشارات الى معرفة الزيارات الهَرَوي، أبو الحسن ص/١٣

لا تعرف لاستيلاء الفرنج على البلاد، وخلف السور من الشرق قبر شداد بن أوس الخزرجي وذى الأصابع التميمى، وقيل: قبر شداد بفلسطين، والله أعلم.

وأما زيارات الملة المسيحية فأعظمها

كنيسة قمامة

وعمارتها **من العجائب** المذكورة ولا بد عند ذكر الآثار صفة هيكلها وجميع ما فيها، ولهم فيها المقبرة التى يسمونها القيامة وذلك أنهم يعتقدون أن المسيح قامت قيامته فى ذلك الموضع، والصحيح أن." (١)

"ذكر مصر القديمة

التى كان بها يوسف الصديق عليه السلام، بها قبة زليخة، وبها السجن الذي سجن يوسف عليه السلام به، وبها مشهد يعقوب عليه السلام، وبها الأهرام التى خزن يوسف الصديق القمح بها، وبها **من العجائب** والآثار البيت الأخضر الذي كان لفرعون، وهو من عجائب الدنيا وهو حجر أخضر مانع وعليه كتابة بالقلم القديم وهو قطعة واحدة سقفه وأرضه وحيطانه، ولقد ذرعت طوله وعرضه وارتفاعه، وإنما كتبى غرقت وأخذت وشذ عنى حقيقة ذلك، وهذا البيت فى وسط قصر أبيض قد كان مرخما وهناك أصنام هائلة وصورة فرعون، ونذكر جميع ذلك فى كتاب العجائب إن شاء الله تعالى.

طغاش:

وقبلى مصر من الجانب الشرقى قرية أظن اسمها طغاش، شرقيها مرقب موسى بن عمران عليه السلام وبه كان مقيما على البحر وبين الجبين به مسجد من سلف وله حكاية.

أسكر:

بلدة بها ولد موسى بن عمران عليه السلام وداره بها وموضع ولادته تزار من الأطراف «١» .

بلاد الصعيد

مدينة إتفيح:

أول بلاد الصعيد قبليها مقام موسى وموضع قدميه «٢» .

منية ابن خصيب:

بلدة قبليها مقام إبراهيم عليه السلام من الجانب الشرقى «٣» ، وفى البر الشرقى قبالة المنية قرية تعرف بطهنة عندها بلد يقال له: عين شمس به آثار عجيبة، وليست عين شمس التى عند المطرية، ومن بحريها جبل الطير ويقال: الطيلمون، وهو من عجائب الدنيا، وذلك أن الطيور تجتمع إليه فى كل سنة وهى طيور يقال لها: بوقير، وفى رأس هذا الجبل ثقب صغير والجبل مطل من ناحية البحر ولا يبقى طير إلا ويدخل منقاره." (٢)

---

(١) الاشارات الى معرفة الزيارات الهَرَوي، أبو الحسن ص/٣٣

(٢) الاشارات الى معرفة الزيارات الهَرَوي، أبو الحسن ص/٤٢

"رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الموضع فقال: اعملوا هاهنا مسجدا، فقلت: يا رسول الله أنا مبتلى وما يصدقونى، فالتفت إلى شخص إلى جانبه وقال: يا على خذ بيده، فمد يده إلى فقمت كما ترونى» .

سمنية:

بليدة بها قبر موسى بن شعيب «١» .

الطريق من دمياط إلى رشيد

البرلس «٢» :

موضع به اثنا عشر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثغر الإسكندرية

بها جبانة يقال لها جبانة وعلا، بها قبر المقداد بن الأسود الكندى، وقد زرناه بالرقة، وسيأتى ذكره، والصحيح أنه بالمدينة، وبها قبر أرمياء النبي عليه السلام بالديماس، وبها مسجد المواريث يزار، ومسجد سارية، والجامع القديم، ذكروا أن الجامع عمارة الصحابة رضى الله عنهم، وبها من المساجد والمعابد ما لا رأيته بغيرها، وذكر لى ابن منقذ أن فيها اثنى عشر ألف مسجد، فسألت القاضى الكاتب عن ذلك فقال: «إن الملك العزيز عثمان كشف ذلك فوجدوا بها عشرين ألف مسجد» وأنا فما عددتها والله أعلم بصحة ذلك.

ومن عجائب الخليج، إذا زاد النيل تبقى هذه المدينة كأنها قارورة قد وضعت على الماء ولا يبقى فيها دار إلا ويدخل الماء الذي يحتاج إليه من زيادة الماء، والطبقة التى تحت المدينة تمشى فيها كما تمشى فى الشوارع، وهى ثلاث طبقات، وعمارتها على هيئة رقعة الشطرنج، وبها المنارة، وقيل: إنها كانت فى المدينة، وإن المدينة كانت سبع محجات فأكلها البحر، ولم يبق منها غير محجة واحدة، وكانت من موضع يعرف بأبى صير إلى أبى قير، ويقال: إن قبر الإسكندر بالمنارة مع أرسطاطاليس، والله أعلم بذلك.

يقول مؤلف هذا الكتاب على بن أبى بكر الهروى: إنما ذكروا منارة الإسكندرية من العجائب لما كان بها المرآة التى ذكروا أن المراكب إذا أقلعت من مسيرة أيام تظهر صورها." (١)

"فيها فيستعدوا للقائها، وقيل: إنها كانت تحرق المراكب، وهذا يمكن عمله، فإن المرآة إذا سامتت شعاع الشمس أحرقت لا سيما ويعضدها البحر، فإن شعاع الشمس من صقال المرآة وضوء الماء ولمعانه تحرق ولا شك فيه، قيل: كانت المرآة ستين ذراعا وطول المنارة ثلاثمائة ذراع، والله أعلم.

وإنما المنارة اليوم ليست من العجائب إنما هى على هيئة مثال برج على ساحل البحر على هيئة المرقب، بل المنائر العجيبة بمدينة القسطنطانية، منها منارة موثوقة بالرصاص والحديد فى البضرم، وهو الميدان «١» ، إذا هبت الرياح تميلها شرقا وغربا وقبلة وشمالا من أصل كرسيها، ويدخل الناس الخزف والجوز تحتها فتطحنه «٢» .

---

(١) الاشارات الى معرفة الزيارات الهَرَوي، أبو الحسن ص/٤٧

ومنارة أيضا فى هذا الموضع من النحاس قد قلبت قطعة واحدة إلا أنها لا يدخل إليها «٣» .

ومنارة قريبة من البيمارستان قد ألبست النحاس جميعها، وعليها قبر قسطنطين، وعلى قبره صورة فرس من النحاس وعلى الفرس صورته، وهو راكب على الفرس وقوائم الفرس محكمة بالرصاص على الصخر ما عدا يده اليمنى فإنها سائبة فى الهواء كأنه سائر، وقسطنطين على ظهره ويده اليمنى مرتفعة فى الجو، وقد فتح كفه وهو يشير نحو بلاد الإسلام، ويده اليسرى فيها كرة، وهذه المنارة تبين عن مسيرة بعض يوم للراكب فى البحر، وقد اختلفت أقاويل الناس فيها فمنهم من يقول: «فى يده طلسم يمنع العدو أن يقصد البلد» ومنهم من يقول: «بل على الكرة مكتوب: ملكت الدنيا حتى بقيت فى يدى مثل هذه الكرة وخرجت منها هكذا لا أملك شيئا» «٤» والله أعلم.

ومنارة فى سوق استبرين من الرخام الأبيض ومن أرضها إلى رأسها صور منبتة نابتة من جسمها أعجب صنعة تكون، ودرابزينها من النحاس قطعة واحدة، وبها طلسم إذا طلع الإنسان عليها يقع نظره على المدينة بأسرها، وسأذكر فى كتاب العجائب صفة هذه المنائر." (١)

"وجل على بالعافية، وأحسن هذا القائد إلى وكتب معى كتبا إلى السلطان تحثه على أخذ هذه الجزيرة، وغرق المركب عند خروجى من هذه الجزيرة وركبت مع قوم من الروم إلى جزيرة قبرس.

جزيرة قبرس

ورأيت بجزيرة قبرس مكتوبا على حجر ما هذه صورته: بعد البسملة وسورة الإخلاص: «هذا قبر عروة بن ثابت، توفى فى شهر رمضان سنة تسع وعشرين للهجرة» وهذا الحجر مبنى فى حائط الكنيسة الشرقية، وبها قبر أم حرام ابنة ملحان، أخت أم سليم رضى الله عنهما، والله أعلم.

مدينة القسطنطانية

فى جانب سورها قبر أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه خالد ابن زيد، ولما قتل دفنه المسلمون وقالوا للروم: «هذا من كبار أصحاب نبينا، فو الله إن نبش لا دق بناقوس فى أرض العرب أبدا» .

وبها الجامع الذي بناه مسلمة بن عبد الملك والتابعون رضى الله عنهم، وبه قبر رجل من ولد الحسين رضى الله عنه، وبها الأصنام النحاس والرخام والعمد والطلسمات العجيبة والمنائر التى تقدم ذكرها والآثار التى ليس فى ربع المسلمين مثلها.

وبها أيا صوفيا وهى الكنيسة العظمى عندهم، ويقولون: بها ملك من الملائكة مقيم بها، وقد عملوا دائر مكانه دارابزين من الذهب، وله حكاية عجيبة نذكرها فى موضعها، وسأذكر ترتيب هذه الكنيسة وهيكلها وارتفاعها وأبوابها وعلوها وطولها وعرضها والعمد التى بها وعجائب هذه المدينة وأوضاعها وصفة السمك الذي بها وباب الذهب والأبرجة والرخام والأفيلة النحاس وجميع ما بها **من العجائب** والآثار والأصنام التى فى البضرم وما فعل الملك مانويل معى من الخير والإحسان فى كتاب العجائب إن شاء الله تعالى، وهذه المدينة هى أكبر من اسمها، فالله تعالى يجعلها دار الإسلام بمنه وكرمه إن شاء

---

(١) الاشارات الى معرفة الزيارات الهَرَوي، أبو الحسن ص/٤٨

الله تعالى.

مدينة صالونيك:

يقصدها الروم والفرنج ويزورونها.

مدينة رومية الكبرى:

بها بطرس وشمعون الصفا وبولص من حوارى المسيح عليه." (١)

"بيوتهم وما يدخرون للغد وخلق لهم من الطين كهيئة الطير ثم سألوه المائدة قال قوم فنزل عليهم وأكلوا منها ثم كفروا بها فمسخوا خنازير وكان الحسن يقول سألوا المائدة فلما قيل فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ٥: ١١٥ استعفوا فلم ينزل ومن نازعته نفسه في الإشراف على اختلاف الناس في هذه الأشياء وخوضهم فيها فلينظر كتاب المعاني فإني قد جمعت فيه ما وجدت إلا ما شذ قالوا و [لما] بلغ جالينوس الطبيب خبر عيسى وما يفعل **من العجائب** قصده لينظر ما عنده فمات قبل أن يصل إليه ويقال أنه آمن به [٩٧] قالوا ولما رأوا الآيات **والعجائب** من عيسى عم رمته اليهود بالسحر ونسبوه إلى غير رشده وخرجوا في طلبه فوجدوه قد اكتمن في غار ومعه أمه وجماعة من الحواريين فاستخرجوه وجعلوا يلطمون وجهه وينتفون شعره ويقولون إنك إن كنت نبيا فادع ربك يمنعك ثم جعلوا على رأسه إكليلا من الشوك وفي قول اليهود والنصارى قتلوه وصلبوه ثم إن النصارى يقولون بعد ذلك رفع الله روحه إلى السماء ومنهم من يقول صلبوا الهيكل وعرج الروح وهو الله عز وجل وقال لي." (٢)

"ثم ملك افراسياب التركي

فعاث وأفسد وخرب الديار وعور الأنهار وقال قوم ملك الساعون في هلاك البرية سعيا أن ينشا له خلق جديد فقد طال مكثهم قالوا وحبس المطر عن الناس والحيوان ثم ملك رجل لم يكن من أهل بيت الملك يقال له زر بن طهماسب فطرد افراسياب [١] وألحقه ببلاده ثم ملك كيقباد من ولد افريذون مائة سنة ثم ملك كيكاوس ابن كايونة بن كيقباذ وهو الذي سار إلى حمير لقتالهم فأسروه وحطوه في جب وأطبقوا عليه حجرا فيه ثقبه يطرح له كل يوم شيء من الطعام وكانت سعدى بنت ملك حمير تلاطفه وتطعمه [٢] إلى أن خرج رستم من سجستان لنصرته فاستنقذه ويذكرون في صفته **من العجائب**،،

قصة رستم كيف استنقذ كيكاوس من وثاق حمير

زعموا أن كيكاوس كان مظفرا مصنوعا له في كل حال فخطر منه الإطلاع إلى السماء ثقة منه بما كان الله أتاه من العز والظفر خطرة ضلال فبنى الصرح الذي ببابل وصعده فغضب الله عليه وتخلى

---

(١) الاشارات الى معرفة الزيارات الهَرَوي، أبو الحسن ص/٥٣

(٢) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ١٢٥/٣

[١] . افراستانMs.

[٢] . وكان من ملكه مائة وعشرين Enmarge." (١)

"وتتاخم سجستان بلدي الرور [١] والرخج وبست وهذه النواحي تتاخم أرض غزنة وقد ظهر في نواح يقال لها خشباجي معدن الذهب يحفرون الآبار ويخرجون من التراب الذهب وظهر هذا في سنة تسعين وثلاثمائة وزيد هذا الفصل في هذا الكتاب لأنه **من العجائب** ثم يرتفع إلى فنجهير وهي معادن الفضة إلى اندراب وبذخشان ووخان ثم يتصاعد إلى تبت ومن تبت إلى المشرق [F ١٢٤ v] وفي شمال تبت والرخج الغور وهي جبال شامخة يخرقها نهر زرنج وفي جنوبها أرض السند،

الجبل

وهي من شرقى العراق وغربى خراسان أدناها إلى العراق حلوان ثم قرماسين ثم الدينور ثم همذان ونهاوند يسمى ماء البصرة وفي شمال هذه النواحي اذربيجان وفي جنوبها ماسبذان [٢] والسيروان ومدينة مهرجان قذق [٣] وهذه المدن بين العراق والأهواز والجبل وما يلي أرض فارس من الجبل الكرج وأصبهان وما بينها آخر عمل الجبل مما يلي خراسان الري وقزوين

---

[١] . الدوارMS.

[٢] . ماسندانMS.

[٣] . فوق MS.." (٢)

"أهل بلخ [و] باميان وجوزجان الهند وأهل خراسان عدوهم الترك وعدو أهل مكران البارج وخاشت [١] وثغرهم تيز وأهل زرنج وبست الغور وكثير من الثغور قد تباعد عنها العدو وأسلموا مثل قزوين أسلمت الديلم ومثل ويسكرد [٢] أسلمت راشت والتحرز من المسلمين أولى من غيرهم،،،

ذكر ما يحكى من عجائب الأرض وأهلها

قد ذكر في الكتب أن عجائب الدنيا [F ١٢٧ r] أربع شجر الزرزور ومنارة [٣] الاسكندرية وكنيسة الرها ومسجد دمشق **ومن العجائب** الهرمان بمصر ارتفاعهما في السماء أربع مائة وخمسون ذراعا في الخراط مكتوب عليهما من ادعى قوة فليهدمهما فإن الهدم أسهل من البناء ومنها قنطرة بختن معقودة من رأس جبل إلى جبل عقدها أهل الصين في الدهر ومنها جبل تبت يقال له جبل السم إذا مر به الناس أخذ بأنفاسهم فمنهم من يموت ومنهم من ينغل [٤] لسانه

---

[١] . وحاشبMS.

[٢] . ويشجردCorr.marg.:

---

(١) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ١٤٧/٣

(٢) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ٧٨/٤

[٣] . والمنارةMS.

[٤] . ينعل MS.." (١)

"وأسرعوا يتلقونه وكان ذلك يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من شهر ربيع الأول فيما روى ابن إسحاق حين اشتد الضحى وكادت الشمس تعتدل وكان الزبير بن العوام لقيه في الطريق [F١٤١ vo] مقبل من الشأم فطرح على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابا بيضا فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بقبا في ظل نخلة وهي قرية بني عمرو بن عوف،،،

في ذكر اختلاف الناس في هذا الفصل

أعلم أن ما كان في هذه الأخبار من المعجزات فكلها مصدقة مقبولة إذا صحت الرواية والنقل أو شهد لها نص القرآن والدلالة عليها كذهاب قوائم فرس سراقة في الأرض وكإنزال شاة أم معبد اللبن بعد يبسها وكأخذ الله بأبصار الفتكة عن نبيه وككلام ابليس في دار الندوة وكخبر المعراج والمسرى وقصة الروم والجن ولحس الأرضة الصحيفة ونزول جبريل بالوحي وتظليل الغمام والطير له في سفره وإخبار بحيرا وعداس وورقة بأمره وما ذكر **من العجائب** في مولده في ظئره حليمة من نزول اللبن في ضرعها وفي ضرع شاتها وغير ذلك مما يوصف ويحكى مع ما ذكر من هذه الخصال كلها داخل في حد الجواز والإمكان بعد أن كنا مجيزين للممتنع." (٢)

"وروى أن ظبية كلمته وكذلك الناضح وشاة القصاب وأنشدت قصيدة منسوبة إلى قطرب النحوي يذكر فيها عدة معجزات ويقول فيها [طويل]

فمنها كلام الذئب للرجل الذي ... رأى الذئب في أغنامه يتردد

عجبت لأخذ الشاة مني رزقتها ... وهذا رسول الله يؤدي وتجحد

فخلى عن الشاة التي كان ضمها ... فأقبل للإسلام يسعى ويحفد

قالوا ومر بغنم لعبد القيس وهم يسمونها [١] في وجوهها فنهاهم وأمرهم بالوسم في الآذان ووسم شاة منها فبقيت تلك السمة في أولادها إلى اليوم وفيها يقول

وشاة لعبد القيس مد بأذنها ... فلاحت سمات منه تبقى وتخلد

كأن على أولادها منه ميسما ... يدين على أولادها حين تولد

وشاة أم معبد **من العجائب** وأمرها مشهور شائع وكذلك الشاة المصلية المسمومة التي أهدتها إليه امرأة سلام بن مشكم اليهودية فأخذ منها فلاكها ولم يسغها وقال إن هذا العظم يخبرني أنه

---

(١) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ٩٢/٤

(٢) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ١٧٣/٤

(sic) . [١] يسموها MS.." (١)

"ولهذا تسرع المراكب في سيرها من القرم إلى بحر الروم وتبطئ إذا جاءت من الإسكندرية إلى القرم لاستقبالها جريان الماء.

وهذا **من العجائب** في الدنيا فإن كل ماء جار فهو حلو إلا هذا وكل بحر راكد فهو ملح أجاج إلا ما يذكر عن بحر الخزر وهو بحر جرجان وبحر طبرستان أن فيه قطعة كبيرة ماء حلوا فراتا على ما أخبر به المسافرون عنه.

قال أهل الهيئة وهو بحر مستدير الشكل إلى الطول ما هو * وقيل إنه مثلث كالقلع وليس هو متصلا بشئ من البحر المحيط بل منفرد وحده، وطوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة وقيل أكثر من ذلك والله أعلم.

ومن ذلك البحر الذي يخرج منه المد والجزر عند البصرة وفي بلاد المغرب نظيره أيضا يتزايد الماء من أول الشهر ولا يزال في زيادة إلى تمام الليلة الرابعة عشر منه وهو المد * ثم يشرع في النقص وهو الجزر إلى آخر الشهر * وقد ذكروا تحديد هذه البحار ومبتداها ومنتهاها وذكروا ما في الأرض من البحيرات المجتمعة من الأنهار وغيرها من السيول وهي البطائح * وذكروا ما في الأرض من الأنهار المشهورة الكبار، وذكروا ابتداءها وانتهاءها ولسنا بصدد بسط ذلك والتطويل فيه وإنما نتكلم على ما يتعلق بالأنهار الوارد ذكرها في الحديث.

وقد قال الله تعالى: (الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر

دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار) ففي الصحيحين من طريق قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر سدرة المنتهى قال فإذا يخرج من أصلها نهران باطنان ونهران ظاهران.

فأما الباطنان ففي الجنة وأما الظهران فالنيل والفرات * وفي لفظ في البخاري وعنصرهما أي مادتهما أو شكلهما وعلى صفتهما ونعتهما وليس في الدنيا مما في الجنة الاسماوية وفي صحيح مسلم من حديث عبيد الله بن عمر عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة ".

وقال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير ويزيد أنبأنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " فجرت أربعة أنهار من الجنة الفرات والنيل وسيحان وجيحان " وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

وكأن المراد والله أعلم من هذا أن هذه الأنهار تشبه أنهار الجنة في صفائها وعذوبتها وجريانها ومن جنس تلك في هذه الصفات ونحوها كما قال في الحديث الآخر الذي رواه الترمذي وصححه من طريق سعيد بن عامر عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم " أي تشبه ثمر

---

(١) البدء والتاريخ المقدسي، المطهر بن طاهر ٣٦/٥

الجنة لا أنها مجتناة من الجنة، فإن الحس يشهد بخلاف ذلك فتعين أن المراد غيره وكذا قوله صلى الله عليه وسلم " الحمى من فيح جهنم." (١)

"نعم العبد إنه أواب) وقد استعمل كثير من الفقهاء هذه الرخصة في باب الأيمان والنذور وتوسع آخرون فيها حتى وضعوا كتاب الحيل في الخلاص من الأيمان وصدروه بهذه الآية الكريمة وأتوا فيه بأشياء **من العجائب** والغرائب * وسنذكر طرفا من ذلك في كتاب الأحكام عند الوصول إليه إن شاء الله تعالى.

وقد ذكر ابن جرير وغيره من علماء التاريخ أن أيوب عليه السلام لما توفي كان عمره ثلاثا وتسعين سنة.

وقيل إنه عاش أكثر من ذلك.

وقد روى ليث عن مجاهد ما معناه أن الله يحتج يوم القيامة بسليمان عليه السلام على الأغنياء وبيوسف عليه السلام على الأرقاء وبأيوب عليه السلام على أهل البلاء رواه ابن عساكر بمعناه وأنه أوصى إلى ولده حومل وقام بالأمر بعده ولده بشر بن أيوب وهو الذي يزعم كثير من الناس أنه ذو الكفل فالله أعلم.

ومات ابنه هذا وكان نبيا فيما

يزعمون وكان عمره من السنين خمسا وسبعين * ولنذكر ههنا قصة ذي الكفل إذ قال بعضهم إنه ابن أيوب عليهما السلام.

قصة ذي الكفل (١) الذي زعم قوم إنه ابن أيوب

قال الله تعالى بعد قصة أيوب في سورة الأنبياء (وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين.

وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين) [الانبياء: ٨٥ - ٨٦] وقال تعالى بعد قصة أيوب أيضا في سورة ص (واذكر عبادنا إبراهيم واسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار.

إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار.

وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار.

واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار) [ص ٤٥ - ٤٨] فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقرونا مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي عليه من ربه الصلاة والسلام وهذا هو المشهور.

وقد زعم آخرون أنه لم يكن نبيا وإنما كان رجلا صالحا وحكما مقسطا عادلا * وتوقف ابن جرير في ذلك فالله أعلم.

وروى ابن جرير وابن أبي نجيح عن مجاهد أنه لم يكن نبيا وإنما كان رجلا صالحا وكان قد تكفل لبني قومه أن يكفيه امرهم ويقتضي بينهم بالعدل فسمى ذا الكفل.

وروى ان جرير وابن أبي حاتم من طريق داود بن أبي هند عن مجاهد أنه قال لما كبر اليسع قال: لو أني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل، فجمع الناس فقال: من يتقبل لي

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٢٧/١

(١) قال الزجاج: الكفل في اللغة الكساء الذي يجعل على عجز البعير، والكفل أيضا النصيب.
[*]."(١)

"ومعين، وهذه صفة غريبة الشكل، وهي أنها ربوة وهو المكان المرتفع من الأرض الذي أعلاه مستو يقر عليه وارتفاعه متسع، ومع علوه فيه عيون الماء معين، وهو الجاري السارح على وجه الأرض فقيل المراد المكان الذي ولدت فيه المسيح وهو نخلة بيت المقدس ولهذا (ناداها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا) (١) وهو النهر الصغير في قول جمهور السلف.

وعن ابن عباس بإسناد جيد أنها أنهار دمشق فلعله أراد تشبيه ذلك المكان بأنهار دمشق.

وقيل ذلك بمصر كما زعمه من زعمه من أهل الكتاب ومن تلقاه عنهم والله أعلم، وقيل هي الرملة.

وقال إسحاق بن بشر قال لنا إدريس عن جده وهب بن منبه، قال إن عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة أمره الله أن يرجع من بلاد مصر إلى بيت إيليا قال فقدم عليه يوسف ابن خال أمه فحملهما على حمار حتى جاء بهما إلى إيليا وأقام بها حتى أحدث الله له الإنجيل وعلمه التوراة وأعطاه إحياء الموتى وإبراء الأسقام والعلم بالغيوب مما يدخرون في بيوتهم وتحدث الناس بقدومه وفزعوا لما كان يأتي **من العجائب**، فجعلوا يعجبون منه فدعاهم إلى الله ففشا فيهم أمره.

بيان نزول الكتب الأربعة ومواقيتها

قال أبو زرعة الدمشقي: حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني معاوية بن صالح عمن حدثه قال: " أنزلت التوراة على موسى في ست ليال خلون من شهر رمضان.

ونزل الزبور على داود في انثتي عشر ليلة خلت من شهر رمضان.

وذلك بعد التوراة بأربعمائة سنة واثنتين وثمانين سنة.

وأنزل الإنجيل على عيسى بن مريم في ثمانية عشر ليلة خلت من رمضان بعد الزبور بألف عام
وخمسين عاما وأنزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في أربع وعشرين من شهر رمضان وقد ذكرنا في التفسير عند قوله: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) [البقرة: ١٨٥] الأحاديث الواردة في ذلك وفيها أن الإنجيل أنزل على عيسى بن مريم عليه السلام في ثماني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان.

وذكر ابن جرير في تاريخه (٢) أنه أنزل عليه وهو ابن ثلاثين سنة ومكث حتى رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وقال إسحاق بن بشر وأنبأنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة ومقاتل، عن قتادة، عن عبد الرحمن بن آدم، عن أبي هريرة قال: أوحى الله عزوجل إلى عيسى بن مريم: يا عيسى جد في أمري ولا تهن واسمع وأطع يابن الطاهرة البكر البتول: إنك من غير فحل وأنا خلقتك آية للعالمين، إياي فاعبد، وعلي فتوكل خذ الكتاب بقوة، فسر لأهل السريانية بلغ من بين يديك: أني أنا الحق الحي القائم (٣) الذي لا أزول صدقوا

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٢٥٩/١

(١) سورة مريم الآية ٢٤ بلفظ: فناداها.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٢١.

(٣) العبارة في البيهقي: إني أنا الله الحي القيوم.

[*]."(١)

"ورسوله والإقرار بما جاء به من عند الله عز وجل.

قال: فمن لم يجيكم؟ قال: فالجزية ونمنعهم.

قال: فإن لم يعطها قال: نؤذنه بالحرب ثم نقاتله.

قال: فما منزلة من يجيكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟ قال منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا.

قال جرجة: فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر؟ قال: نعم وأفضل.

قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ فقال خالد: إنا قبلنا هذا الأمر عنوة (١) وبايعنا نبينا وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا **من العجائب** والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا؟ فقال جرجة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني؟ قال: تالله لقد صدقتك (٢) وإن الله ولي ما سألت عنه.

فعند ذلك قلب جرجة الترس ومال مع خالد وقال: علمني الإسلام، فمال به خالد إلى فسطاطه فسن (٣) عليه قربة من ماء ثم صلى به ركعتين.

وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حملة فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية عليهم عكرمة بن أبي جهل والحرث بن هشام.

فركب خالد وجرجة معه والروم خلال المسلمين، فتنادى الناس وثابوا وتراجعت الروم إلى مواقفهم وزحف خالد بالمسلمين حتى تصافحوا بالسيوف فضرب فيهم خالد وجرجة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب.

وصلى المسلمون صلاة الظهر وصلاة العصر إيماء، وأصيب جرجة رحمه الله ولم يصل لله إلا تلك الركعتين مع خالد رضي الله عنهما.

وضعضعت الروم عند ذلك.

ثم نهد خالد بالقلب حتى صار في وسط خيول الروم، فعند ذلك هربت خيالتهم، وأسندت بهم في تلك الصحراء، وأفرج المسلمون بخيولهم حتى ذهبوا.

وأخر الناس صلاتي العشاءين حتى استقر الفتح، وعمد خالد إلى رحل الروم وهم الرجالة ففصلوهم عن آخرهم حتى صاروا

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٢/٩٢

كأنهم حائط قد هدم ثم تبعوا من فر من الخيالة واقتحم خالد عليهم خندقهم، وجاء الروم في ظلام الليل إلى الواقوصة (٤) ، فجعل الذين تسلسلوا وقيدوا بعضهم ببعض إذا سقط واحد منهم سقط الذين معه.
قال ابن جرير وغيره: فسقط فيها وقتل عندها مائة ألف وعشرون ألفا سوى من قتل في المعركة.
وقد قاتل نساء المسلمين في هذا اليوم (٥) وقتلوا خلقا كثيرا من الروم، وكن يضربن من

(١) في الطبري: إنا دخلنا في هذا الأمر.
(٢) زاد الطبري: وما بي إليك ولا إلى أحد منكم وحشة ... (٣) في الطبري: فش.
(٤) في فتوح الواقدي: الياقوصة.
(٥) ومنهن: خولة بنت الازور وخولة بنت ثعلبة الانصارية وكعوب بنت مالك بن عاصم وسلمى بنت هاشم ونعم بنت فياض وهند بنت عتبة بن ربيعة ولبنى بنت جرير الحميرية وعفيرة بنت غفار وسعيدة بنت عاصم الخولاني.
(*)."[١]

"قد أدبرت وآذنت بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإن المضمار اليوم وغدا السباق، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل (١) ، فمن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خاب عمله، ألا فاعملوا لله في الرغبة كما تعملون له في الرهبة، ألا وإنه لم أر كالجنة نام طالبها، ولم أر كالنار نام هاربها (٢) ، وإنه من لم ينفعه الحق ضره بالباطل، ومن لم يستقم به الهدى حاد به الضلال، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن، وذللتم على الزاد، ألا أيها الناس إنما الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق، يحكم فيها ملك قادر، ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم.
أيها الناس: أحسنوا في أعماركم تحفظوا في أعقابكم، فإن الله وعد جنته من أطاعه، وأوعد ناره من عصاه.
إنها نار لا يهدأ زفيرها، ولا يفك أسيرها، ولا يجبر كسيرها، حرها شديد، وقعرها بعيد، وماؤها صديد، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل.
وفي رواية فإن اتباع الهوى يصد عن الحق، وإن طول الأمل ينسي الآخرة.
وعن عاصم بن ضمرة قال: ذم رجل الدنيا عند علي فقال علي: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاة لمن فهم عنها، ودار غنا وزاد لمن تزود منها، ومهبط وحي الله، ومصلى ملائكته، ومسجد أنبيائه، ومتجر أوليائه، ربحوا فيها الرحمة، واكتسبوا فيها الجنة، فمن ذا يذمها وقد آذنت بغيلها، ونادت بفراقها، وشابت بشرورها السرور، وببلائها الرغبة فيها والحرص عليها ترغيبا وترهيبا، فيا أيها الذام للدنيا المعلل نفسه بالأماني متى خدعتك الدنيا أو متى اشتدمت إليك؟ أبمصارع آبائك في البلا؟ أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى؟ كم مرضت بيديك، وعللت بكفيك، ممن تطلب له الشفاء، وتستوصف له الأطباء،

[١] البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٧/٧

لا يغني عنه دواؤك، ولا ينفعه بكاؤك.

وقال سفيان الثوري والأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري.

قال: جاء رجل إلى علي فأطراه - وكان يبغض عليا - فقال له: لست كما تقول، وأنا فوق ما في نفسك.

وروى ابن عساكر أن رجلا قال لعلي: ثبتك الله قال: على صدرك.

وقال ابن أبي الدنيا: حدثنا إسحاق بن إسماعيل ثنا سفيان بن عيينة عن أبي حمزة، عن يحيى بن عقيل، عن يحيى بن يعمر، قال قال علي: إن الأمر ينزل إلى السماء كقطر المطر لكل نفس ما كتب الله لها من زيادة أو نقصان في نفس أو أهل أو مال، فمن رأى نقصا في نفسه أو أهله أو ماله، ورأى لغيره عثرة فلا يكونن ذلك له فتنة، فإن المسلم ما لم يعش دناه يظهر تخشعا لها

إذا ذكرت، ويغري به لئام الناس، كالبائس العالم ينتظر أول فورة من قداحه توجب له المغنم، وتدفع عنه المغرم فكذلك المسلم البرئ من الخيانة بين إحدى الحسنيين، إذا ما دعا الله، فما عند

---

(١) بعدها في النهج شرح محمد عبده ص ١٢٥: فمن عمل في أيام أمله قبل حضور أجله نفعه عمله.

ولم يضرره أجله.

(٢) قال شارح النهج محمد عبده: **من العجائب** الذي لم ير له مثيل أن ينام طالب الجنة في عظمها واستكمال أسباب السعادة فيها، وأن ينام الهارب من النار في هولها واستجماعها أسباب الشقاء.

(*)."[1]

"النفيسة ما يقوم بعشرين (١) ألف دينار، ثم صولح على ستة عشر ألف ألف درهم.

كان ابن أبي دؤاد قد أصابه الفالج كما ذكرنا.

ثم نفى أهله من سامرا إلى بغداد مهانين، قال ابن جرير فقال في ذلك أبو العتاهية: لو كنت في الرأي منسوبا إلى رشد * وكان عزمك عزما فيه توفيق لكان في الفقه شغل لو قنعت به * عن أن تقول كتاب الله مخلوق ماذا عليك وأصل الدين يجمعهم * ما كان في الفرع لولا الجهل والموق وفي عيد الفطر منها أمر المتوكل بإنزال جثة أحمد بن نصر الخزاعي والجمع بين رأسه وجسده وأن يسلم إلى أوليائه، ففرح الناس بذلك فرحا شديدا، واجتمع في جنازته خلق كثير جدا، وجعلوا يتمسحون بها وبأعواد نعشه، وكان يوما مشهودا.

ثم أتوا إلى الجذع الذي صلب عليه فجعلوا يتمسحون به، وأرهج العامة بذلك فرحا وسرورا، فكتب المتوكل إلى نائبه يأمره بردعهم عن تعاطي مثل هذا وعن المغالاة في البشر، ثم كتب المتوكل إلى الآفاق بالمنع من الكلام في مسألة الكلام والكف عن القول بخلق القرآن، وأن من تعلم علم الكلام لو تكلم فيه فالمطبق مأواه إلى أن يموت.

وأمر

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٨/٨

الناس أن لا يشتغل أحد إلا بالكتاب والسنة لا غير، ثم أظهر إكرام الإمام أحمد بن حنبل واستدعاه من بغداد إليه، فاجتمع به فأكرمه وأمر له بجائزة سنية فلم يقبلها، وخلع عليه خلعة سنية من ملابسه فاستحيا منه أحمد كثيرا فلبسها إلى الموضع الذي كان نازلا فيه ثم نزعها نزعا عنيفا وهو يبكي رحمه الله تعالى.

وجعل المتوكل في كل يوم يرسل إليه من طعامه الخاص ويظن أنه يأكل منه، وكان أحمد لا يأكل لهم طعاما بل كان صائما مواصلا طاويا تلك الأيام، لأنه لم يتيسر له شئ يرضى أكله، ولكن كان ابنه صالح وعبد الله يقبلان تلك الجوائز وهو لا يشعر بشئ من ذلك، ولولا أنهم أسرعوا الأوبة إلى بغداد لخشي على أحمد أن يموت جوعا، وارتفعت السنة جدا في أيام المتوكل عفا الله عنه، وكان لا يولي أحدا إلا بعد مشورة الإمام أحمد، وكان ولاية يحيى بن أكثم قضاء القضاة موضع ابن أبي دؤاد عن مشورته، وقد كان يحيى بن أكثم هذا من أئمة السنة، وعلماء الناس، ومن المعظمين للفقه والحديث واتباع الأثر، وكان قد ولى من جهته حيان بن بشر قضاء الشرقية، وسوار بن عبد الله قضاء الجانب الغربي، وكان كلاهما أعورا.

فقال في ذلك بعض أصحاب (٢) ابن أبي دؤاد: رأيت **من العجائب** قاضيين * هما أحدوثة في الخافقين هما اقتسما العمى نصفين قدا *كما اقتسما قضاء الجانبين ويحسب منهما من هز رأسا * لينظر في مواريث ودين

---

(١) في مروج الذهب ٤ / ١١١: أربعين ألف دينار: ولم يذكر مصالحته له.

(٢) وهو الجماز كما في الطبري وابن الاثير.

(*)."[1]

"وفي رجب منها كانت وفاة المعتمد على الله ليلة الإثنين لتسع عشرة ليلة خلت منه.

ترجمة المعتمد على الله

هو أمير المؤمنين المعتمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد واسمه أحمد بن جعفر بن محمد بن هارون الرشيد مكث في الخلافة ثلاثا وعشرين سنة وستة أيام (١) ، وكان عمره يوم مات خمسين سنة وأشهرا (٢) ، وكان أسن من أخيه الموفق بستة أشهر، وتأخر بعده أقل من سنة، ولم يكن إليه مع أخيه شئ من الأمر حتى أن المعتمد طلب في بعض الأيام ثلاثمائة دينار فلم يصل إليها فقال الشاعر في ذلك: **ومن العجائب** في الخلافة أن * ترى ما قل ممتنعا عليه وتؤخذ الدنا باسمه جميعا * وما ذاك شئ في يديه إليه تحمل الأموال طرا * ويمنع بعض ما يجبى إليه (٣) كان المعتمد أول خليفة انتقل من سامرا إلى بغداد ثم لم يعد إليها أحد من الخلفاء، بل جعلوا إقامتهم ببغداد، وكان سبب هلاكه في ما ذكره ابن الأثير أنه شرب في تلك الليلة شرابا كثيرا وتعشى عشاء كثيرا، وكان وقت وفاته في القصر الحسيني من بغداد، وحين مات أحضر المعتضد القضاة والأعيان وأشهدهم أنه مات حتف أنفه، ثم غسل وكفن وصلي عليه ثم حمل فدفن بسامرا.

وفي صبيحة العزاء بويع للمعتضد وفيها توفي:

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٤٨/١٠

البلاذري المؤرخ

واسمه أحمد بن يحيى بن جابر بن داود أبو الحسن ويقال أبو جعفر ويقال أبو بكر البغدادي البلاذري صاحب التاريخ المنسوب إليه، سمع هشام بن عمار وأبا عبيد القاسم بن سلام، وأبا الربيع الزهراني وجماعة، وعنه يحيى بن النديم وأحمد بن عمار وأبو يوسف يعقوب بن نعيم بن قرقارة الأزدي.

قال ابن عساكر: كان أديبا ظهرت له كتب جياد، ومدح المأمون بمدائح، وجالس المتوكل، وتوفي أيام المعتمد، وحصل له هوس ووسواس في آخر عمره، وروى عنه ابن عساكر قال قال لي محمود الوراق: قل من الشعر ما يبقى لك ذكره، ويزول عنك إثمه فقلت عند ذلك: استعدي يا نفس للموت واسعي * لنجاة فالحازم المستعد

---

(١) في ابن الاثير: وستة أشهر.

وقال المسعودي: ثلاثا وعشرين سنة.

(٢) في مروج الذهب ٤ / ٢٢٦: ثمان وأربعين سنة.

(٣) الابيات في كامل ابن الاثير باختلاف ٧ / ٤٥٥ (*) .." [(١)]

"إني على العهد لم أنقض مودتهم * فليت شعري لطول العهد ما فعلوا فقال رجل من البغضاء الذين معي: ماتوا.

فقال الشاب: إذا أموت، فقال إن شئت.

فتمطى واستند إلى سارية عنده ومات وما برحنا حتى دفناه رحمه الله.

ومات المبرد وقد جاوز السبعين.

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائتين فيها وقع تسلم آمد من ابن الشيخ في ربيع الآخر ووصل كتاب هارون بن أحمد بن طولون من مصر إلى المعتضد وهو مخيم بآمد أن يسلم إليه قنسرين والعواصم على أن يقره على إمارة الديار المصرية، فأجابه إلى ذلك، ثم ترحل عن آمد قاصدا العراق وأمر بهدم سور آمد فهدم البعض ولم يقدر على ذلك، فقال ابن المعتز يهنئه بفتح آمد: اسلم أمير المؤمنين ودم * في غبطة وليهنك النصر فلرب حادثة نهضت لها * متقدما فتأخر الدهر ليث فرائسه الليوث * فما بيض من دمها له ظفر ولما رجع الخليفة إلى بغداد جاءته هدية عمرو بن الليث من نيسابور فكان وصولها بغداد يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة، وكان مبلغها ما قيمته أربعة آلاف ألف درهم خارجا عن الدواب وسروج وسلاح وغير ذلك.

وفيها تحارب إسماعيل بن أحمد الساماني وعمرو بن الليث، وذلك أن عمرو بن الليث لما قتل رافع بن هرثمة وبعث برأسه إلى الخليفة سأل منه أن يعطيه ما وراء النهر مضافا إلى ما بيده من ولاية خراسان، فأجابه إلى ذلك فانزعج لذلك إسماعيل بن أحمد الساماني نائب ما وراء النهر، وكتب إليه: إنك قد وليت دنيا عريضة فاقتنع بها عن ما في يدي من هذه البلاد.

فلم يقبل فأقبل إليه إسماعيل في جيوش عظيمة جدا فالتقيا عند بلخ فهزم أصحاب عمرو، وأسر عمرو، فلما جئ به إلى

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٧٥/١١

إسماعيل بن أحمد قام إليه وقبل بين عينيه وغسل وجهه وخلع عليه وأمنه وكتب إلى الخليفة في أمره، ويذكر أن أهل تلك البلاد قد ملوا وضجروا من ولايته عليهم، فجاء كتاب الخليفة بأن يتسلم حواصله وأمواله فسلبه إياها، فآل به الحال بعد أن كان مطبخه يحمل على ستمائة جمل إلى القيد والسجن.

ومن العجائب أن عمرا كان معه خمسون ألف مقاتل لم يصب أحد منهم ولا

أسر سواه وحده، وهذا جزاء من غلب عليه الطمع، وقاده الحرص حتى أوقعه في ذل الفقر، وهذه سنة الله في كل طامع فيما ليس له، وفي كل طالب للزيادة في الدنيا.

ظهور أبي سعيد الجنابي رأس القرامطة وهم أخبث من الزنج وأشد فسادا كان ظهوره في جمادى الآخرة من هذه السنة بنواحي البصرة (١) ، فالتف عليه من الأعراب

---

(١) في الطبري ١١ / ٣٦٤ وابن الاثير ٧ / ٤٩٣: بالبحرين (*) .." (١)

"كثيرة في الأسطول، وكانت بين المسلمين والمشركين وقعة عظيمة صبر فيها الفريقان من أول النهار إلى العصر، ثم قتل أمير الروم منويل، وفرت الروم وانهزموا هزيمة قبيحة فقتل المسلمون منهم خلقا كثيرا وسقط الفرنج في واد من الماء عميق فغرق أكثرهم وركب الباقون في المراكب، فبعث الأمير أحمد صاحب صقلية في آثارهم مراكب أخر فقتلوا أكثرهم في البحر أيضا، وغنموا في هذه الغزوة كثيرا من الأموال والحيوانات والأمتعة والأسلحة، فكان في جملة ذلك سيف مكتوب عليه: هذا سيف هندي زنته مائة وسبعون مثقالا، طالما قوتل به بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعثوا به في جملة تحف إلى المعز الفاطمي إلى إفريقية.

وفيها قصدت القرامطة مدينة طبرية ليأخذوها من يد الإخشيد صاحب مصر والشام، وطلبوا من سيف الدولة أن يمدهم بحديد يتخذون منه سلاحا، فقلع لهم أبواب الرقة - وكانت من حديد صامت - وأخذ لهم من حديد الناس حتى أخذ أواقي الباعة والأسواق، وأرسل بذلك كله إليهم، فأرسلوا إليه يقولون اكتفينا وفيها طلب معز الدولة من الخليفة أن يأذن له في دخول دار الخلافة ليتفرج فيها فأذن له فدخلها، فبعث الخليفة خادمه وصاحبه معه فطافوا بها وهو مسرع خائف، ثم خرج منها وقد خاف من غائلة ذلك وخشي أن يقتل في دهاليزها، فتصدق بعشرة آلاف لما خرج شكرا لله على سلامته، وازداد حبا في الخليفة المطيع من يومئذ، وكان في جملة ما رأى فيها **من العجائب** صنم من نحاس على صورة امرأة حسناء جدا، وحولها أصنام صغار في هيئة الخدم لها كان قد أتي بها في زمن المقتدر فأقيمت هناك ليتفرج عليها الجواري والنساء، فهم معز الدولة أن يطلبه من الخليفة ثم ارتأى فترك ذلك.

وفي ذي الحجة منها خرج رجل بالكوفة فادعى أنه علوي، وكان يتبرقع فسمي المتبرقع وغلظت فتنته وبعد صيته، وذلك في غيبة معز الدولة عن بغداد واشتغاله بأمر الموصل كما تقدم، فا

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٩٢/١١

رجع إلى بغداد اختفى المتبرقع وذهب في البلاد فلم ينتج له أمر بعد ذلك.
ومن توفي فيها من الأعيان..بكار بن أحمد ابن بكار بن بيان بن بكار بن درستويه بن عيسى المقري، روى الحديث عن عبد الله بن أحمد وعنه أبو الحسن الحماني، وكان ثقة أقرأ القرآن أزيد من ستين سنة رحمه الله.
توفي في ربيع الأول منها وقد جاوز السبعين وقارب الثمانين، ودفن بمقبرة الخيزران عند قبر أبي حنيفة.
أبو إسحاق الجهمي ولد سنة خمسين ومائتين، وسمع الحديث وكان إذا سئل أن يحدث يقسم أن لا يحدث حتى يجاوز المائة فأبر الله قسمه وجاوزها فأسمع.
توفي عن مائة سنة وثلاثين سنة رحمه الله.." (١)

"الملك من يده، فأرسل إليه سرية حافلة من الجنود فكسرهم الحسن بن عمر بن شاهين، وكاد أن يتلفهم بالكلية حتى أرسل إليه عضد الدولة فصالحه على مال يحمله إليه في كل سنة، وهذا **من العجائب** الغريبة.
وفي صفر قبض على الشريف أبي أحمد الحسن بن موسى الموسوي نقيب الطالبيين، وقد كان أمير الحج مدة سنين، اتهم بأنه يفشي الأسرار وأن عز الدولة أودع عنده عقدا ثمينا، ووجدوا كتابا بخطه في إفشاء الأسرار فأنكر أنه خطه وكان مزورا عليه، واعترف بالعقد فأخذ منه وعزل عن النقابة وولوا غيره، وكان مظلوما.
وفي هذا الشهر أيضا عزل عضد الدولة قاضي القضاة أبا محمد بن معروف وولى غيره (١) وفي شعبان منها ورد البريد من مصر إلى عضد الدولة بمراسلات كثيرة فرد الجواب بما مضمونه صدق النية وحسن الطوية، ثم سأل عضد الدولة من الطائع أن يجدد عليه الخلع والجواهر، وأن يزيد في إنشائه تاج الدولة، فأجابه إلى ذلك، وخلع عليه من أنواع الملابس ما لم يتمكن معه من تقبيل الأرض بين يدي الخليفة، وفوض إليه ما وراء بابه من الأمور ومصالح المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وحضر ذلك أعيان الناس، وكان يوما مشهودا.
وأرسل في رمضان إلى الأعراب من بني شيبان وغيرهم فعقرهم وكسرهم، وكان أميرهم منبه بن محمد الأسدي متحصنا بعين التمر مدة نيف وثلاثين سنة.
فأخذ ديارهم وأموالهم.
وفي يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي القعدة تزوج الطائع لله بنت عضد الدولة الكبرى، وعقد العقد بحضرة الأعيان على صداق مبلغه مائة ألف دينار، وكان وكيل عضد الدولة الشيخ أبا
الحسين بن أحمد الفارسي النحوي، صاحب الإيضاح والتكملة، وكان الذي خطب خط القاضي أبو على الحسن بن علي التنوخي.
قال ابن الأثير: وفيها جدد عضد الدولة عم ومحاسنها، وجدد المساجد والمشاهد، وأجرى على الفقهاء الارزاق، على الأئمة من الفقهاء والمحدثين والأطباء والحساب وغيرهم، وأطلق الصلات لأرباب البيوتات والشرف، وألزم أصحاب الأملاك بعمارة بيوتهم ودورهم، ومهد الطرقات وأطلق المكوس وأصلح الطريق للحجاج من بغداد إلى مكة، وأرسل الصدقات للمجاورين

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٢٨٧/١١

بالحرمين.

قال: وأذن لوزيره نصر بن هارون - وكان نصرانيا - بعمارة البيع والأديرة وأطلق الأموال لفقرائهم.

وفيها توفي حسنويه بن حسين الكردي، وكان قد استحوذ على نواحي البلاد الدينور وهمدان ونهاوند مدة خمسين سنة، وكان حسن السيرة كثير الصدقة بالحرمين وغيرهما، فلما توفي اختلف أولاده (٢) من بعده وتمزق شملهم، وتمكن عضد الدولة من أكثر بلادهم، وقويت شوكته في ذلك الارض.

---

(١) في الكامل ٨ / ٧١٠: استعمل على قضاء القضاة أبا سعد بشر بن الحسين وهو شيخ كبير، وكان مقيما بفارس واستناب على القضاء ببغداد.

(٢) بعضهم انحاز إلى فخر الدولة وبعضهم إلى عضد الدولة، وهم أبو العلاء، وعبد الرزاق، وأبو النجم بدر، وعاصم وأبو عدنان وبختيار وعبد الملك (الكامل ٨ / ٧٠٦) (*) .." [1]

"والغيب أحيانا يلو * ح كأنه ثوب ممسك وكأن تجعيد الريا * ح لدجلة ثوب مفرك وكأن نشر المسك * ينفخ في النسيم إذا تحرك وكأنما المنثور مصفر * الذرى ذهب مسبك والنور يبسم في الريا * ض فإن نظرت إليه سرك شارطت نفسي أن أقو * م بحقها والشرط أملك حتى تولى الليل من * هزما وجاء الصبح يضحك وذا الفتى لو أنه * في طيب العيش يترك والدهر يحسب عمره * فإذا أتاه الشيب فذلك أبو علي بن سينا الطبيب الفيلسوف، الحسين (١) بن عبد الله بن سينا الرئيس، كان بارعا في الطب في زمانه، كان أبوه من أهل بلخ، وانتقل إلى بخارى، واشتغل بها فقرأ القرآن وأتقنه، وهو ابن عشر سنين، وأتقن الحساب والجبر والمقابلة وإقليدس والمجسطي، ثم اشتغل على أبي عبد الله الناتلي الحكيم، فبرع فيه وفاق أهل زمانه في ذلك، وتردد الناس إليه واشتغلوا عليه، وهو ابن ست عشرة سنة،

وعالج بعض الملوك السامانية، وهو الأمير نوح بن نصر، فأعطاه جائزة سنية، وحكمه في خزانة كتبه، فرأى فيها **من العجائب** والمحاسن مالا يوجد في غيرها، فيقال إنه عزا بعض تلك الكتب إلى نفسه، وله في الإلهيات والطبيعيات كتب كثيرة، قال ابن خلكان: له نحو من مائة مصنف، صغار وكبار، منها القانون، والشفا، والنجاة، والاشارات، وسلامان، وإنسان، وحي بن يقظان، وغير ذلك.

قال وكان من فلاسفة الإسلام، وأورد له من الأشعار قصيدته في نفسه (٢) التي يقول فيها: هبطت إليك من المقام (٣) الا رفع * ورقاء ذات تعزز وتمنع محجوبة عن كل مقلة عارف * وهي التي سفرت ولم تتبرقع وصلت على كره إليك وربما * كرهت فراقك وهي ذات تفجع وهي قصيدة طويلة وله:

---

(١) من الوافي ووفيات الاعيان ومختصر أخبار البشر، وفي الاصل والجواهر المضية: " الحسن " تحريف.

(٢) في الوافي والوفيات: في النفس.

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٣٥/١١

(٣) في الوافي ١٢ / ٤٠٧ والوفيات ٢ / ١٦٠: من المحل.

(*)."[١]

"تتش مع أبيه حين قتل، فسار إلى دمشق فملكها، وكان نائب أبيه عليها الأمير ساوتكين، واستوزر أبا القاسم الخوارزمي، وملك عبد الله بن تتش مدينة حلب، ودبر أمر مملكته جناح الدولة بن اتكين، ورضوان بن تتش صاحب مدينة حماه، وإليه تنسب بنو رضوان بها.

وفي يوم الجمعة التاسع عشر من ربيع الأول منها خطب لولي العهد أبي المنصور الفضل بن المستظهر، ولقب بذخيرة الدين.

وفي ربيع الآخر خرج الوزير ابن جهير فاختط سورا على الحريم، وأذن للعوام في العمل والتفرج فأظهروا منكرات كثيرة، وسخافات عقول ضعيفة، وعملوا أشياء منكرة، فبعث إليه ابن عقيل رقعة فيها كلام غليظ، وإنكار بغيض.

وفي مضان خرج السلطان بركيارق فعدا عليه فداوي، فلم يتمكن منه، فمسك فعوقب فأقر على آخرين فلم يقرا فقتل الثلاثة.

وجاء الطواشي من جهة الخليفة مهنئا به بالسلامة.

وفي ذي القعدة منها خرج أبو حامد الغزالي من بغداد متوجها إلى بيت المقدس تاركا لتدريس النظامية، زاهدا في الدنيا، لا بسا خشن الثياب بعد ناعمها، وناب عنه أخوه في التدريس ثم حج في السنة التالية ثم رجع إلى بلده، وقد صنف كتاب الإحياء في هذه المدة، وكان يجتمع إليه الخلق الكثير كل يوم في الرباط فيسمعونه.

وفي يوم عرفة خلع على القاضي أبي الفرج عبد الرحمن بن هبة الله بن البستي، ولقب بشرف القضاة، ورد إلى ولاية القضاء بالحريم وغيره.

وفيها اصطلح أهل الكرخ من الرافضة والسنة مع بقية المحال، وتزاوروا وتواصلوا وتواكلوا، وكان هذا **من العجائب**، وفيها قتل أحمد بن خاقان صاحب سمرقند، وسببه أنه شهد عليه بالزندقة فخنق وولي مكانه ابن عمه مسعود.

وفيها دخل الأتراك إفريقية وغدروا بيحيي بن تميم بن المعز بن باديس، وقبضوا عليه، وملكوا بلاده وقتلوا خلقا، بعد ما جرت بينه وبينهم حروب شديدة، وكان مقدمهم رجل يقال له: شاه ملك، وكان من أولاد بعض أمراء المشرق، فقدم مصر وخدم بها ثم هرب إلى المغرب، ومعه جماعة ففعل ما ذكر.

ولم يحج أحد من أهل العراق فيها.

وممن توفي فيها من الأعيان ... الحسن (١) بن أحمد بن خيرون أبو الفضل المعروف بابن الباقلاني، سمع الكثير، وكتب عنه الخطيب، وكانت له معرفة جيدة، وهو من الثقات، وقبله الدامغاني، ثم صار أمينا له، ثم ولي إشراف خزانة الغلات.

توفي في رجب عن ثنتين وثمانين سنة.

---

(١) كذا بالاصل.

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٥٣/١٢

وذكروه باسم: أحمد بن الحسن وترجمته في الوافي رقم ٢٨٢٣، المنتظم ٩ / ٨٧ تذكرة الحفاظ ص ١٢٠٧ العبر للذهبي ٣ / ٣١٩ ميزان الاعتدال ١ / ٤٣ شذرات الذهب ٣ / ٣٨٣.

كامل ابن الاثير ١٠ / ٢٥٣.

(*)."(١)

"واختيار الله في، قال أبوه: فعلمت أنه لم يوفق لهذا الكلام إلا وقد اختير للحظوة والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة

قال ابن الجوزي في المنتظم: في هذه السنة حكم جهلة المنجمين إنه سيكون في هذه السنة طوفان قريب من طوفان نوح، وشاع الكلام بذلك بين العوام وخافوا، فاستدعى الخليفة المستظهر ابن عشبون (١) المنجم فسأله عن هذا الكلام فقال: إن طوفان نوح كان في زمن اجتمع في بحر الحوت الطوالع السبعة (٢) ، والآن فقد اجتمع فيه ستة ولم يجتمع معها زحل، فلا بد من وقوع طوفان في بعض البلاد، والأقرب أنها بغداد.

فتقدم الخليفة إلى وزيره بإصلاح المسيلات والمواضع التي يخشى انفجار الماء منها، وجعل الناس ينتظرون، فجاء الخبر بأن الحجاج حصلوا بوادي المناقب (٣) بعد نخلة فأتاهم سيل عظيم، فما نجا منهم إلا من تعلق برؤوس الجبال، وأخذ المال الجمال والرجال والرحال، فخلع الخليفة على ذلك المنجم وأجرى له جارية.

وفيها ملك الأمير قوام الدولة أبو سعيد كربوقا مدينة الموصل، وقتل شرف الدولة محمد بن مسلم بن قريش، وغرقه بعد حصار تسعة أشهر.

وفيها ملك تميم بن المعز المغربي مدينة قابس وأخرج منها أخاه عمر، فقال خطيب سوسة في ذلك أبياتا: ضحك الزمان وكان يلقى عابسا * لما فتحت بحد سيفك قابسا

وأتيتها بكرا وما أمهرتها * إلا قنا وصوارما وفوارسا الله يعلم ما جنيت ثمارها * إلا وكان أبوك قبلا غارسا (٤) من كان في زرق الأسنة خاطبا *كانت له قلل البلاد عرائسا وفي صفر منها درس الشيخ أبو عبد الله الطبري بالنظامية، ولاه إياها فخر الملك بن نظام الملك وزير بركيارق.

وفيها أغارت خفاجة على بلاد سيف الدولة صدقة بن مزيد بن منصور بن دبيس وقصدوا مشهد الحسين بالحائر، وتظاهروا فيه بالمنكرات والفساد، فكبسهم فيه الأمير صدقة المذكور، فقتل منهم خلقا كثيرا عند الضريح.

ومن العجائب أن أحدهم ألقى نفسه وفرسه من فوق السور فسلم وسلمت فرسه.

وحج بالناس الأمير خمارتكين الحسناني.

---

(١) في الكامل: عيسون.

(٢) وهي: الشمس والقمر والمشتري والزهرة والمريخ وعطارد وزحل.

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٨٣/١٢

(٣) في الكامل: بوادي المياقت.

(٤) في الكامل: ما حويت ثمارها ... قبل الغارسا.

(*)."(١)

"في فتية من جيوش الترك ما تركت * للرعد كراتهم صوتا ولا صيتا قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة * حسنا وإن قوتلوا كانوا عفاريتا وله: ليت الذي بالعشق دونك خصني * يا ظالمي قسم المحبة بيننا ألقى الهزبر فلا أخاف وثوبه * ويروعني نظر الغزال إذا دنا وله:

إنما هذه الحياة متاع * والسفيه الغوي من يصطفيها ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التي أنت فيها وله أيضا: قالوا: هجرت الشعر قلت: ضرورة * باب الدواعي والبواعث مغلق خلت الديار فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق ومن العجائب (١) أنه لا يشترى * ويخان فيه مع الكساد ويسرق كانت وفاته في هذه السنة ببلاد بلخ ودفن بها.

ومما أنشده ابن خلكان له: إشارة منك تكفينا وأحسن ما * رد السلام غداة البين بالعنم حتى إذا طاح عنها المرط من دهش * وانحل بالضم سلك (٢) العقد في الظلم تبسمت فأضاء الليل (٣) فالتقطت * حبات منتثر في ضوء منتظم الحسين بن محمد ابن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبد الله بن سليمان ابن وهب الدباس أبو عبد الله الشاعر المعروف البارع، قرأ القراءات وسمع الحديث، وكان عارفا بالنحو واللغة والأدب، وله شعر حسن، توفي في هذه السنة وقد جاوز الثمانين.

محمد بن سعدون بن مرجا أبو عامر العبدري القرشي الحافظ، أصله من بيروقة (٤) من بلاد المغرب وبغداد، وسمع بها

---

(١) في الوافي: ومن الرزية.

(٢) في الوافي: عقد السلك.

(٣) في الوافي: الجو.

(٤) في الوافي ٣ / ٩٣: ميورقة.

تقدم شرحها.

(*)."(٢)

"عبد الواحد بن أحمد ابن محمد بن حمزة، أبو جعفر الثقفي، قاضي قضاة بغداد، وليها بعد أبي الحسن الدامغاني في أول هذه السنة، وكان قاضيا بالكوفة قبل ذلك، توفي في ذي الحجة منها وقد ناهز الثمانين، وولي بعده ابنه جعفر.

والفائز صاحب مصر، وقيماز تقدما في الحوادث.

محمد بن يحيى ابن علي بن مسلم أبو عبد الله الزبيدي، ولد بمدينة زبيد باليمن سنة ثمانين (١) تقريبا، وقدم بغداد سنة تسع

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٨٧/١٢

(٢) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٢٤٩/١٢

وخمسمائة، فوعظ وكانت له معرفة بالنحو والأدب، وكان صبورا على الفقر لا يشكو حاله إلى أحد، وكانت له أحوال صالحة رحمه الله، والله سبحانه أعلم.

ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة فيها قتل السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه، وكان عنده استهزاء وقلة مبالاة بالدين، مدمن شرب الخمر في رمضان، فثار عليه مدبر مملكته يزديار (٣) الخادم فقتله، وبايع بعده السلطان أرسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه.

وفيها قتل الملك الصالح فارس الدين أبو الغارات طلائع بن رزيك الأرمني، وزير العاضد صاحب مصر، ووالد زوجته، وكان قد حجر على العاضد

لصغره واستحوذ على الأمور والحاشية، ووزر بعده ولده رزيك، ولقب بالعادل، وقد كان أبوه الصالح كريما أديبا، يحب أهل العلم ويحسن إليهم، كان من خيار الملوك والوزراء، وقد امتدحه غير واحد من الشعراء.

قال ابن خلكان: كان أولا متوليا بمنية بني الخصيب، ثم آل به الحال إلى أن صار وزير العاضد والفائز قبله، ثم قام في الوزارة بعده ولده العادل رزيك بن طلائع، فلم يزل فيها حتى انتزعها منه شاور كما سيأتي.

قال: والصالح هذا هو باني الجامع عند بابا زويلة ظاهر القاهرة، قال: **ومن العجائب** أنه ولي الوزارة في تاسع عشر شهر ونقل من دار الوزارة إلى القرافة في تاسع عشر شهر، وزالت دولتهم في تاسع عشر شهر آخر.

قال ومن شعره ما رواه عنه زين الدين علي بن نجا الحنبلي (٣) :

---

(١) كذا بالاصل، ولعله سنة ٤٨٠ هـ.

(٢) في الكامل: كردبازو.

(٣) الابيات في ديوانه ص ٥٧.

(*)."[١]

"أصحابه إلى الناصر ليقتلوه فلم يظفر منه بشئ، بل قتلوا بعض الأمراء، ثم ظهر عليهم فقتلوا عن آخرهم، فراسلوا عند ذلك القومص صاحب طرابلس الفرنجي، ووعدوه بأموال جزيلة إن هو

رحل عنهم الناصر، وكان هذا القومص قد أسره نور الدين وهو معتقل عنده مدة عشر سنين، ثم افتدى نفسه بمائة ألف دينار (١) وألف أسير من المسلمين، وكان لا ينساها لنور الدين، بل قصد لحمص ليأخذها فركب إليه السلطان الناصر، وقد أرسل السلطان إلى بلده طرابلس سرية فقتلوا وأسروا وغنموا، فلما اقترب الناصر منه نكص على عقبيه راجعا إلى بلده، ورأى أنه قد أجابهم إلى ما أرادوا منه، فلما فصل الناصر إلى حمص لم يكن قد أخذ قلعتها فتصدى لأخذها، فنصب عليها المنجنيقات فأخذها قسرا وملكها قهرا، ثم كر راجعا إلى حلب، فأناله الله في هذه الكرة ما طلب، فلما نزل بها كتب إليهم القاضي الفاضل على لسان السلطان كتابا بليغا فصيحا فائقا رائقا، على يدي الخطيب شمس الدين يقول فيه: " فإذا قضى

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٠٣/١٢

التسليم حق اللقا، فاستدعى الإخلاص جهد الدعا، فليعد وليعد حوادث ماكان حديثا يفترى، وجواري أمور إن قال فيها كثيرا فأكثر منه ما قد جرى، ويشرح صدر منها لعله يشرح منها صدرا، وليوضح الأحوال المستبشرة (٢) فإن الله لا يعبد سرا.

ومن العجائب أن تسير غرائب * في الأرض لم يعلم بها المأمول كالعيس أقتل ما يكون لها الصدى * والماء فوق ظهورها محمول فإنا كنا نقتبس النار بأكفنا، وغيرنا يستنير، ونستنبط الماء بأيدينا وسوانا يستمير، ونلتقي (٣) السهام بنحورنا وغيرنا يعتمد التصوير، [ونصافح الصفاح بصدورنا وغيرنا يدعي التصدير، ولا بد] (٤) تسترد بضاعتنا بموقف العدل الذي يرد به المغصوب ونظهر طاعتنا فتأخذ بحظ [الألسن] (٥) كما أخذ بحظ القلوب، وكان أول أمرنا إنا كنا في الشام نفتح الفتوح بمباشرتنا أنفسنا، ونجاهد الكفار متقدمين بعساكرنا، ونحن ووالدنا وعمنا، فأي مدينة فتحت أو أي معقل للعدو أو عسكر أو مصاف (٦) للإسلام معه ضرب [ولم نكن فيه] (٧) ؟ فما يجهل أحد صنعنا، ولا يجحد عدونا أن يصطلي

---

(١) في الكامل وأبي شامة: وخمسين ألف دينار.

(٢) في الروضتين ١ / ٢ / ٦١٦: المستسرة.

(٣) في أبي شامة: نلقى.

(٤) ما بين معكوفين من الروضتين ١ / ٢ / ٦١٦.

وقد سقطت من الاصل وفيه بعد " التصوير، والابدان " وهو تحريف.

(٥) من الروضتين ١ / ٢ / ٦١٦.

وبعدها كما أخذنا بحظ القلوب، وما كان العائق إلا أنا كنا ننتظر ابتداء من الجانب الشريف بالنعمة، يضاهي ابتداءنا بالخدمة، وإنجابا للحق، يشاكل إنجابنا للسبق.

(٦) المصاف: جمع مصف، وهو الموقف في الحرب والاصطفاف للقتال.

(٧) من الروضتين.

(*)."[١]

"يقال لها الطيبانية إلى جانب أم الصالح مقتولا مذبوحا، وقد أخذت من عنده أموال من المدرسة المذكورة ولم يطلع على فاعل ذلك، وكان البواب رجلا صالحا مشكورا رحمه الله.

ترجمة الشيخ شمس الدين بن قيم الجوزية

وفي ليلة الخميس ثالث عشر رجب وقت أذان العشاء توفي صاحبنا الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد ين أبي بكر بن أيوب الزرعي، إمام الجوزية، وابن قيمها، وصلي عليه بعد صلاة الظهر من الغد بالجامع الأموي، ودفن عند والدته بمقابر

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٥٦/١٢

الباب الصغير رحمه الله.
ولد في سنة إحدى وتسعين وستمائة وسمع الحديث واشتغل بالعلم، وبرع في العلوم المتعددة، لا سيما علم التفسير والحديث والأصلين، ولما عاد الشيخ تقي الدين بن تيمية من الديار المصرية في سنة ثنتي عشرة وسبعمائة لازمه إلى أن مات الشيخ فأخذ عنه علما جما، مع ما سلف له من الاشتغال، فصار فريدا في بابه في فنون كثيرة، مع كثرة الطلب ليلا ونهارا، وكثرة الابتهال.
وكان حسن القراءة والخلق، كثير التودد لا يحسد أحدا ولا يؤذيه، ولا يستعيبه ولا يحقد على أحد، وكنت من أصحب الناس له وأحب إليه، ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصلاة يطليها جدا ويمد ركوعها وسجودها، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان، فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك رحمه الله، وله من التصانيف الكبار والصغار شئ كثير، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا، واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف، وبالجملة كان قليل النصير في مجموعه وأموره وأحواله، والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة، سامحه الله ورحمه، وقد كان متصديا للإفتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين بن تيمية، وجرت بسببها فصول يطول بسطها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره، وقد كانت جنازته حافلة رحمه الله، شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة، وتزاحم الناس على حمل نعشه، وكمل له من العمر ستون سنة رحمه الله.
وفي يوم الاثنين ثاني عشر شهر شعبان ذكر الدرس بالصدرية شرف الدين عبد الله بن الشيخ الإمام العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية عوضا عن أبيه رحمه الله فأفاد وأجاد، وسرد طرفا صالحا في فضل العلم وأهله، انتهى والله تعالى أعلم.
ومن العجائب والغرائب التي لم يتفق مثلها ولم يقع من نحو مائتي سنة وأكثر، أنه بطل الوقيد بجامع دمشق في ليلة النصف من شعبان، فلم يزد في وقيده قنديل واحد على عادة لياليه في سائر السنة ولله الحمد والمنة.
وفرح أهل العلم بذلك، وأهل الديانة، وشكر الله تعالى على تبطيل هذه البدعة الشنعاء، التي كان يتولد بسببها شرور كثيرة بالبلد، والاستيجار بالجامع الأموي، وكان ذلك بمرسوم السلطان الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون خلد الله ملكه." (١)

"وفي صبيحة يوم السبت رابع رجب ضرب نائب السلطنة جماعة من أهل قبر عاتكة أساؤوا الأدب على النائب ومماليكه، بسبب جامع للخطبة جدد بناحيتهم، فأراد بعض الفقراء أن يأخذ ذلك الجامع ويجعله زاوية للرقاصين، فحكم القاضي الحنبلي بجعله جامعا قد نصب فيه منبر، وقد قدم شيخ الفقراء على يديه مرسوم شريف بتسليمه إليه، فأنفت أنفس أهل تلك الناحية من عوده زاوية بعد ما كان جامعا، وأعظموا ذلك، فتكلم بعضهم بكلام سئ، فاستحضر نائب السلطنة طائفة منهم وضربهم بالمقارع بين يديه، ونودي عليهم في البلد، فأراد بعض العامة إنكارا لذلك، وحدد ميعاد حديث يقرأ بعد المغرب تحت قبة النسر على الكرسي الذي يقرأ عليه المصحف، رتبه أحد أولاد القاضي عماد الدين بن الشيرازي، وحدث فيه الشيخ عماد الدين بن السراج، واجتمع عنده خلق كثير وجم غفير، وقرأ في السيرة النبوية من خطي، وذلك في

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ١٤/٢٧٠

العشر الأول من هذا الشهر.

أعجوبة من العجائب وحضر شاب عجمي من بلاد التبريز وخراسان يزعم أنه يحفظ البخاري ومسلما وجامع المسانيد والكشاف للزمخشري وغير ذلك من محاضيرها، في فنون أخر، فلما كان يوم الأربعاء سلخ شهر رجب قرأ في الجامع الأموي بالحائط الشمالي منه، عند باب الكلاسة من أول صحيح البخاري إلى أثناء كتاب العلم منه، من حفظه وأنا أقابل عليه من نسخة بيدي، فأدى جيدا، غير أنه يصحف بعضا من الكلمات لعجم فيه، وربما لحن أيضا في بعض الأحيان، واجتمع خلق كثير من العامة والخاصة وجماعة من المحدثين، فأعجب ذلك جماعة كثيرين، وقال آخرون منهم إن سرد بقية الكتاب على هذا المنوال لعظيم جدا، فاجتمعنا في اليوم الثاني وهو مستهل شعبان في المكان المذكور، وحضر قاضي القضاة الشافعي وجماعة من الفضلاء، واجتمع العامة محدقين فقرأ على العادة غير أنه لم يطول كأول يوم، وسقط عليه بعض الأحاديث، وصحف ولحن في بعض الألفاظ، ثم جاء القاضيان الحنفي والمالكي فقرأ بحضرتهما أيضا بعض الشيء، هذا والعامة محتفون به متعجبون من أمره، ومنهم من يتقرب بتقبيل يديه، وفرح بكتابتي له بالسماع على الإجازة، وقال: أنا ما خرجت من بلادي إلا إلى القصد إليك، وأن تجيزني، وذكرك في بلادنا مشهور، ثم رجع إلى مصر ليلة الجمعة وقد كارمه القضاة والاعيان بشئ من الدراهم يقارب الألف.

عزل الأمير علي عن نيابة دمشق في يوم الأحد حادي عشر شعبان ورد البريد من الديار المصرية وعلى يديه مرسوم شريف." (١)

"وفي يوم الأحد ثالثه قدم قاضيا الحنفية والحنابلة بحلب والخطيب بها والشيخ شهاب الدين الأذرعي، والشيخ زين الدين الباريني (١) وآخرون معهم، فنزلوا بالمدرسة الإقبالية وهم وقاضي قضاتهم الشافعي، وهو كمال الدين المصري مطلوبون إلى الديار المصرية، فتحرر ما ذكروه عن قاضيهم وما نقموه عليه من السيرة فيما يذكرون في المواقف الشريفة بمصر، وتوجهوا إلى الديار المصرية يوم السبت عاشره.

وفي يوم الخميس قدم الأمير زين الدين زبالة نائب القلعة من الديار المصرية على البريد في تجمل عظيم هائل، وتلقاه الناس بالشموع في أثناء الطريق، ونزل بدار الذهب، وراح الناس للسلام عليه وتهنئته بالعود إلى نيابة القلعة، على عادته، وهذه ثالث مرة وليها لأنه مشكور السيرة فيها، وله فيها سعي محمود في أوقات متعددة.

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين صلى نائب السلطنة والقاضيان الشافعي والحنفي وكاتب السر وجماعة من الأمراء والأعيان بالمقصورة وقرئ كتاب السلطان على السدة بوضع مكس الغنم إلى كل رأس بدرهمين، فتضاعفت الأدعية لولي الأمر، ولمن كان السبب في ذلك.

غريبة من الغرائب وعجيبة من العجائب وقد كثرت المياه في هذا الشهر وزادت الأنهار زيادة كثيرة جدا، بحيث إنه فاض الماء في سوق الخيل من نهر بردى حتى عم جميع العرصة المعروفة بموقف الموكب، بحيث إنه أجريت فيه المراكب بالكلك، وركبت فيه المارة من جانب إلى جانب، واستمر ذلك جمعا متعددة، وامتنع نائب السلطنة والجيش من الوقوف هناك، وربما

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٣٦/١٤

وقف نائب السلطنة بعض الأيام تحت الطارمة تجاه

باب الإسطبل السلطاني، وهذا أمر لم يعهد مثله ولا رأيته قط في مدة عمري، وقد سقطت بسبب ذلك بنايات ودور كثيرة، وتعطلت طواحين كثيرة غمرها الماء.

وفي ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى توفي الصدر شمس الدين عبد الرحمن بن الشيخ عز الدين بن منجى التنوخي بعد العشاء الآخرة، وصلي عليه بجامع دمشق بعد صلاة الظهر، ودفن بالسفح.

وفي صبيحة هذا اليوم توفي الشيخ ناصر الدين محمد بن أحمد القونوي الحنفي، خطيب جامع يلبغا، وصلي عليه عقيب صلاة الظهر أيضا، ودفن بالصوفية، وقد باشر عوضه الخطابة والإمامة قاضي القضاة كمال الدين الكفري الحنفي.

وفي عصر هذا اليوم توفي القاضي علاء الدين بن القاضي شرف الدين بن القاضي شمس الدين بن الشهاب محمود الحلبي، أحد

---

(١) الباريني نسبة إلى بارين قرية من قرى حماة، وهي بين حماه وحلب.

وهو زين الدين أبو حفص عمر بن عيسى بن عمر الشافعي، كان مولده سنة ٧٠١ هـ ومات في هذه السنة ٧٦٤ هـ في شوال منها ودفن بحلب خارج باب المقام (شذرات الذهب ٦ / ٢٠٢) .." [١]

"ثم يمتد شرقا ويصير جنوبي الأرض. وفيه هناك جزائر الزابج وعلى سواحله خراب كثير ثم يمتد شرقا وشمالا حتى يتصل ببحر الصين والهند ثم يمتد شرقا حتى يسامت نهاية الأرض الشرقية المكشوفة. وهناك بلاد الصين. ثم ينعطف في شرق الصين إلى جهة الشمال حتى يجاوز بلاد الصين ويسامت سد يأجوج ومأجوج. ثم ينعطف ويستدير على أراضى غير معلومة الأحوال ثم يمتد مغربا في شمال الأرض ويسامت بلاد الروس ويتجاوزها ويعطف مغربا وجنوبا ويستدير على الأرض ويعود إلى جهة الغرب وينبثق من الغربي إلى متن الأرض الزقاق الذي ينتهي أقصاه إلى أطراف الشام من الغرب ثم يأخذ في بلاد الروم حتى يتصل بالقسطنطينية وغيرها من بلادهم وينبعث من المحيط الشرقي بحار أخر فيها جزائر كثيرة، حتى إنه يقال إن في بحر الهند ألف جزيرة وسبعمائة جزيرة فيها مدن وعمارات سوى الجزائر العاطلة ويقال لها البحر الأخضر فشرقيه بحر الصين وغربيه بحر اليمن وشماله بحر الهند وجنوبيه غير معلوم وذكروا أن بين بحر الهند وبحر الصين جبالا فاصلة بينهما وفيها فجاج يسلك المراكب بينها يسيرها لهم الذي خلقها كما جعل مثلها في البر أيضا قال الله تعالى؟ وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بكم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلكم تهتدون ٢١: ٣١؟ وقد ذكر بطليموس أحد ملوك الهند في كتابه المسمى بالمجسطي الذي عرب في زمان المأمون، وهو أصل هذه العلوم أن البحار المتفجرة من المحيط الغربي والشرقي والجنوبي والشمالي كثيرة جدا. فمنها ما هو واحد، ولكن يسمى بحسب البلاد المتاخمة له. فمن ذلك بحر القلزم. والقلزم قرية على ساحله قريب من أيلة. وبحر فارس وبحر الخزر وبحر ورنك وبحر الروم وبحر بنطش وبحر الأزرق، مدينة على ساحله وهو بحر القرم أيضا ويتضايق حتى يصب في بحر الروم عند جنوبي القسطنطينية وهو خليج القسطنطينية، ولهذا تسرع المراكب في

---

(١) البداية والنهاية ط إحياء التراث ابن كثير ٣٤٢/١٤

سيرها من القرم إلى بحر الروم وتبطئ إذا جاءت من الإسكندرية إلى القرم لاستقبالها جريان الماء. وهذا **من العجائب** في الدنيا فإن كل ماء جار فهو حلو إلا هذا وكل بحر راكد فهو ملح أجاج إلا ما يذكر عن بحر الخزر وهو بحر جرجان وبحر طبرستان أن فيه قطعة كبيرة ماء حلوا فراتا على ما أخبر به المسافرون عنه.

قال أهل الهيئة وهو بحر مستدير الشكل إلى الطول ما هو وقيل إنه مثلث كالقلع وليس هو متصلا بشيء من البحر المحيط بل منفرد وحده، وطوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة وقيل أكثر من ذلك والله أعلم.

ومن ذلك البحر الذي يخرج منه المد والجزر عند البصرة وفي بلاد المغرب نظيره أيضا يتزايد الماء من أول الشهر ولا يزال في زيادة إلى تمام الليلة الرابعة عشر منه وهو المد ثم يشرع في النقص وهو الجزر إلى آخر الشهر وقد ذكروا تحديد هذه البحار ومبتداها ومنتهاها وذكروا ما في الأرض." (١)

"وأتوا فيه بأشياء **من العجائب** والغرائب وسنذكر طرفا من ذلك في كتاب الأحكام عند الوصول إليه إن شاء الله تعالى.

وقد ذكر ابن جرير وغيره من علماء التاريخ أن أيوب عليه السلام لما توفي كان عمره ثلاثا وتسعين سنة. وقيل إنه عاش أكثر من ذلك. وقد روى ليث عن مجاهد ما معناه أن الله يحتج يوم القيامة بسليمان عليه السلام على الأغنياء وبيوسف عليه السلام على الأرقاء وبأيوب عليه السلام على أهل البلاء رواه ابن عساكر بمعناه وأنه أوصى إلى ولده حومل وقام بالأمر بعده ولده بشر بن أيوب وهو الذي يزعم كثير من الناس أنه ذو الكفل فالله أعلم. ومات ابنه هذا وكان نبيا فيما يزعمون وكان عمره من السنين خمسا وسبعين ولنذكر هاهنا قصة ذي الكفل إذ قال بعضهم إنه ابن أيوب عليهما السلام وهذه

قصة ذي الكفل

الذي زعم قوم أنه ابن أيوب قال الله تعالى بعد قصة أيوب في سورة الأنبياء وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين. وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين ٢١: ٨٥- ٨٦ وقال تعالى بعد قصة أيوب أيضا في سورة ص واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار. إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار. وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار. واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار ٣٨: ٤٥- ٤٨ فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقرونا مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي عليه من ربه الصلاة والسلام وهذا هو المشهور. وقد زعم آخرون أنه لم يكن نبيا وإنما كان رجلا صالحا وحكما مقسطا عادلا وتوقف ابن جرير في ذلك فالله أعلم وروى ابن جرير وابن أبي نجيح عن مجاهد أنه لم يكن نبيا وإنما كان رجلا صالحا وكان قد تكفل لبني قومه أن يكفيه أمرهم ويقضي بينهم بالعدل فسمي ذا الكفل. وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق داود بن أبي هند عن مجاهد أنه قال لما كبر اليسع قال لو أني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يعمل فجمع الناس فقال من يتقبل لي بثلاث أستخلفه. يصوم النهار ويقوم الليل

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٢٥/١

ولا يغضب. قال فقام رجل تزدريه العين فقال أنا فقال أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب قال نعم. قال فردهم ذلك اليوم وقال مثلها اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا. فاستخلفه قال فجعل إبليس يقول للشياطين عليكم بفلان فأعياهم ذلك فقال دعوني وإياه فأتاه في صورة شيخ كبير فقير وأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا قال شيخ كبير مظلوم قال فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه فقال إن بيني وبين قومي خصومة وإنهم ظلموني وفعلوا بى وفعلوا حتى حضر الرواح وذهبت القائلة وقال إذا رحت فأتنى آخذ." (١)

"فحبسه في يوم السبت لثلاث خلون من ربيع الآخر، وأمر بمصادرته فحمل مائة ألف وعشرين ألف دينار، ومن الجواهر النفيسة ما يقوم بعشرين ألف دينار، ثم صولح على ستة عشر ألف ألف درهم. وكان ابن أبي دؤاد قد أصابه الفالج كما ذكرنا، ثم نفى أهله من سامرا إلى بغداد مهانين قال ابن جرير فقال في ذلك أبو العتاهية:

لو كنت في الرأي منسوبا إلى رشد ... وكان عزمك عزما فيه توفيق

لكان في الفقه شغل لو قنعت به ... عن أن تقول كتاب الله مخلوق

ماذا عليك وأصل الدين يجمعهم ... ما كان في الفرع لولا الجهل والموق

وفي عيد الفطر منها أمر المتوكل بإنزال جثة أحمد بن نصر الخزاعي والجمع بين رأسه وجسده وأن يسلم إلى أوليائه، ففرح الناس بذلك فرحا شديدا، واجتمع في جنازته خلق كثير جدا، وجعلوا يتمسحون بها وبأعواد نعشه، وكان يوما مشهودا. ثم أتوا إلى الجذع الذي صلب عليه فجعلوا يتمسحون به، وأرهج العامة بذلك فرحا وسرورا، فكتب المتوكل إلى نائبه يأمره بردعهم عن تعاطى مثل هذا وعن المغالاة في البشر، ثم كتب المتوكل إلى الآفاق بالمنع من الكلام في مسألة الكلام والكف عن القول بخلق القرآن، وأن من تعلم علم الكلام لو تكلم فيه فالمطبق مأواه إلى أن يموت. وأمر الناس أن لا يشتغل أحد إلا بالكتاب والسنة لا غير، ثم أظهر إكرام الإمام أحمد بن حنبل واستدعاه من بغداد إليه، فاجتمع به فأكرمه وأمر له بجائزة سنية فلم يقبلها، وخلع عليه خلعة سنية من ملابسه فاستحيا منه أحمد كثيرا فلبسها إلى الموضع الذي كان نازلا فيه ثم نزعها نزعا عنيفا وهو يبكي رحمه الله تعالى. وجعل المتوكل في كل يوم يرسل إليه من طعامه الخاص ويظن أنه يأكل منه، وكان أحمد لا يأكل لهم طعاما بل كان صائما مواصلا طاويا تلك الأيام، لأنه لم يتيسر له شيء يرضى أكله، ولكن كان ابنه صالح وعبد الله يقبلان تلك الجوائز وهو لا يشعر بشيء من ذلك، ولولا أنهم أسرعوا الأوبة إلى بغداد لخشي على أحمد أن يموت جوعا، وارتفعت السنة جدا في أيام المتوكل عفا الله عنه، وكان لا يولي أحدا إلا بعد مشورة الامام أحمد، وكان ولاية يحيى بن أكثم قضاء القضاة موضع ابن أبى دؤاد عن مشورته، وقد كان يحيى بن أكثم هذا من أئمة السنة، وعلماء الناس، ومن المعظمين للفقه والحديث واتباع الأثر، وكان قد ولى من جهته حبان بن بشر قضاء الشرقية، وسوار ابن عبد الله قضاء الجانب الغربي، وكان كلاهما أعورا. فقال في ذلك بعض أصحاب ابن أبي دؤاد:

رأيت **من العجائب** قاضيين ... هما أحدوثة في الخافقين

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٢٢٥/١

هما اقتسما العمى نصفين قدا ... كما اقتسما قضاء الجانبين

ويحسب منهما من هز رأسا ... لينظر في مواريث ودين." (١)

"أبي العباس المعتضد سلطان الإسلام. وفيها وقعت حروب بين هارون الشاري وبين بني شيبان في أرض الموصل وقد بسط ذلك ابن الأثير في كامله وفي رجب منها كانت وفاة المعتمد على الله ليلة الإثنين لتسع عشرة ليلة خلت منه.

وهذه ترجمته

هو أمير المؤمنين المعتمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد واسمه أحمد بن جعفر بن محمد بن هارون الرشيد مكث في الخلافة ثلاثا وعشرين سنة وستة أيام، وكان عمره يوم مات خمسين سنة وأشهرا، وكان أسن من أخيه الموفق بستة أشهر، وتأخر بعده أقل من سنة، ولم يكن إليه مع أخيه شيء من الأمر حتى أن المعتمد طلب في بعض الأيام ثلاثمائة دينار فلم يصل إليها فقال الشاعر في ذلك:

ومن العجائب في الخلافة أن ... ترى ما قل ممتنعا عليه

وتؤخذ الدنيا باسمه جميعا ... وما ذاك شيء في يديه

إليه تحمل الأموال طرا ... ويمنع بعض ما يجبى إليه

كان المعتمد أول خليفة انتقل من سامرا إلى بغداد ثم لم يعد إليها أحد من الخلفاء، بل جعلوا إقامتهم ببغداد، وكان سبب هلاكه في ما ذكره ابن الأثير أنه شرب في تلك الليلة شرابا كثيرا وتعشى عشاء كثيرا، وكان وقت وفاته في القصر الحسيني من بغداد، وحين مات أحضر المعتضد القضاة والأعيان وأشهدهم أنه مات حتف أنفه، ثم غسل وكفن وصلي عليه ثم حمل فدفن بسامراء. وفي صبيحة العزاء بويع للمعتضد

وفيها توفي. البلاذري المؤرخ أحد المشاهير

واسمه أحمد بن يحيى بن جابر بن داود أبو الحسن ويقال أبو جعفر ويقال أبو بكر البغدادي البلاذري صاحب التاريخ المنسوب إليه، سمع هشام بن عمار وأبا عبيد القاسم بن سلام، وأبا الربيع الزهراني وجماعة، وعنه يحيى بن النديم وأحمد بن عمار وأبو يوسف يعقوب بن نعيم بن قرقارة الأزدي. قال ابن عساكر: كان أديبا ظهرت له كتب جياد، ومدح المأمون بمدائح، وجالس المتوكل، وتوفي أيام المعتمد، وحصل له هوس ووسواس في آخر عمره، وروى عنه ابن عساكر قال قال لي محمود الوراق: قل من الشعر ما يبقى لك ذكره، ويزول عنك إثمه فقلت عند ذلك:

استعدي يا نفس للموت واسعي ... لنجاة فالحازم المستعد

إنما أنت مستعيرة وسوف ... تردين والعواري ترد

أنت تسهين والحوادث لا ... تسهو وتلهين والمنايا تعد

أي ملك في الأرض وأي حظ ... لامرئ حظه من الأرض لحد." (٢)

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٣١٦/١٠

(٢) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٦٥/١١

"البلاد. فلم يقبل فأقبل إليه إسماعيل في جيوش عظيمة، جدا فالتقيا عند بلخ فهزم أصحاب عمرو، وأسر عمرو، فلما جيء به إلى إسماعيل بن أحمد قام إليه وقبل بين عينيه وغسل وجهه وخلع عليه وأمنه وكتب إلى الخليفة في أمره، ويذكر أن أهل تلك البلاد قد ملوا وضجروا من ولايته عليهم، فجاء كتاب الخليفة بأن يتسلم حواصله وأمواله فسلبه إياها، فآل به الحال بعد أن كان مطبخه يحمل على ستمائة جمل إلى القيد والسجن. [**ومن العجائب** أن عمرا كان معه خمسون ألف مقاتل لم يصب أحد منهم ولا أسر سواه وحده، وهذا جزاء من غلب عليه الطمع، وقاده الحرص حتى أوقعه في ذل الفقر، وهذه سنة الله في كل طامع فيما ليس له، وفي كل طالب للزيادة في الدنيا] [١]

ظهور أبي سعيد الجنابي رأس القرامطة قبحهم الله ولعنهم

«وهذا أخبث من الزنج وأشد فسادا» كان ظهوره في جمادى الآخرة من هذه السنة بنواحي البصرة، فالتف عليه من الأعراب وغيرهم بشر كثير، وقويت شوكته جدا، وقتل من حوله من أهل القرى، ثم صار إلى القطيف قريبا من البصرة، ورام دخولها فكتب الخليفة المعتضد إلى نائبها يأمره بتحصين سورها، فعمروه وجدوا معالمه بنحو من أربعة آلاف دينار، فامتنعت من القرامطة بسبب ذلك. وتغلب أبو سعيد الجنابي ومن معه من القرامطة على هجر وما حولها من البلاد، وأكثروا في الأرض الفساد. وكان أصل أبي سعيد الجنابي هذا أنه كان سمسارا في الطعام يبيعه ويحسب للناس الأثمان، فقدم رجل به يقال له يحيى بن المهدي في سنة إحدى وثمانين ومائتين فدعا أهل القطيف إلى بيعة المهدي، فاستجاب له رجل يقال له علي بن العلاء بن حمدان الزيادي، وساعده في الدعوة إلى المهدي، وجمع الشيعة الذين كانوا بالقطيف فاستجابوا له، وكان في جملة من استجاب أبو سعيد الجنابي هذا قبحه الله، ثم تغلب على أمرهم وأظهر فيهم القرمطة فاستجابوا له والتفوا عليه، فتأمر عليهم وصار هو المشار إليه فيهم. وأصله من بلدة هناك يقال لها جنابة، وسيأتي ما يكون من أمره وأمر أصحابه. قال في المنتظم: ومن عجائب ما وقع من الحوادث في هذه السنة. ثم روى بسنده أن امرأة تقدمت إلى قاضي الري فادعت على زوجها بصداقها خمسمائة دينار فأنكره فجاءت ببينة تشهد لها به، فقالوا: نريد أن تسفر لنا عن وجهها حتى نعلم أنها الزوجة أم لا، فلما صمموا على ذلك قال الزوج: لا تفعلوا هي صادقة فيما تدعيه، فأقر بما ادعت ليصون زوجته عن النظر إلى وجهها. فقالت المرأة حين عرفت ذلك منه وأنه إنما أقر ليصون وجهها عن النظر: هو في حل من صداقي عليه في الدنيا والآخرة

وممن توفي فيها من الأعيان

المشاهير أحمد بن عيسى أبو سعيد الخراز فيما ذكره شيخنا الذهبي.

---

[١] زيادة من نسخة أخرى من الأستانة.." (١)

"رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعثوا به في جملة تحف إلى المعز الفاطمي إلى إفريقية. وفيها قصدت القرامطة مدينة طبرية ليأخذوها من يد الإخشيد صاحب مضر والشام، وطلبوا من سيف الدولة أن يمدهم بحديد يتخذون منه سلاحا،

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٨١/١١

فقلع لهم أبواب الرقة- وكانت من حديد صامت- وأخذ لهم من حديد الناس حتى أخذ أواقي الباعة والأسواق، وأرسل بذلك كله إليهم، فأرسلوا إليه يقولون اكتفينا. وفيها طلب معز الدولة من الخليفة أن يأذن له في دخول دار الخلافة ليتفرج فيها فأذن له فدخلها، فبعث الخليفة خادمه وصاحبه معه فطافوا بها وهو مسرع خائف، ثم خرج منها وقد خاف من غائلة ذلك وخشي أن يقتل في دهاليزها، فتصدق بعشرة آلاف لما خرج شكرا لله على سلامته، وازداد حبا في الخليفة المطيع من يومئذ، وكان في جملة ما رأى فيها **من العجائب** صنم من نحاس على صورة امرأة حسناء جدا، وحولها أصنام صغار في هيئة الخدم لها كان قد أتى بها في زمن المقتدر فأقيمت هناك ليتفرج عليها الجواري والنساء، فهم معز الدولة أن يطلبه من الخليفة ثم ارتأى فترك ذلك.

وفي ذي الحجة منها خرج رجل بالكوفة فادعى أنه علوي، وكان يتبرقع فسمي المتبرقع وغلظت فتنته وبعد صيته، وذلك في غيبة معز الدولة عن بغداد واشتغاله بأمر الموصل كما تقدم، فلما رجع إلى بغداد اختفى المتبرقع وذهب في البلاد فلم ينتج له أمر بعد ذلك.

وممن توفي فيها من الأعيان

بكار بن أحمد

ابن بكار بن بيان بن بكار بن درستويه بن عيسى المقري، روى الحديث عن عبد الله بن أحمد وعنه أبو الحسن الحماني، وكان ثقة أقرأ القرآن أزيد من ستين سنة رحمه الله. توفي في ربيع الأول منها وقد جاوز السبعين وقارب الثمانين، ودفن بمقبرة الخيزران عند قبر أبي حنيفة.

أبو إسحاق الجهمي

ولد سنة خمسين ومائتين، وسمع الحديث وكان إذا سئل أن يحدث يقسم أن لا يحدث حتى يجاوز المائة فأبر الله قسمه وجاوزها فأسمع. توفي عن مائة سنة وثلاثين سنة رحمه الله.

ثم دخلت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة

في عاشر المحرم منها عملت الشيعة مأتمهم وبدعتهم على ما تقدم قبل، وغلقت الأسواق وعلقت المسوح، وخرجت النساء سافرات ناشرات شعورهن، ينحن ويلطمن وجوههن في الأسواق والأزقة على الحسين، وهذا تكلف لا حاجة إليه في الإسلام، ولو كان هذا أمرا محمودا لفعله خير القرون وصدر هذه الأمة وخيرتها وهم أولى به (لو كان خيرا ما سبقونا إليه) ٤٦ : ١١ وأهل السنة يقتدون ولا يبتدعون، ثم تسلطت أهل السنة على الروافض فكبسوا مسجدهم مسجد براثا الذي هو عش الروافض وقتلوا بعض من كان فيه من القومة. وفيها في رجب منها جاء ملك الروم بجيش كثيف إلى." (١)

"ثم دخلت سنة تسع وستين وثلاثمائة

في المحرم منها توفي الأمير عمر بن شاهين صاحب بلاد البطيحة منذ أربعين سنة، تغلب عليها وعجز عنه الأمراء والملوك والخلفاء، وبعثوا إليه الجنود والسرايا والجيوش غيره مرة، فكل ذلك يفلها ويكسرها، وكل ما له في تمكن وزيادة وقوة، ومكث

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٢٥٤/١١

كذلك هذه المدة، ومع هذا كله مات على فراشه حتف أنفه، فلا نامت أعين الجبناء. وقام بالأمر من بعده ولده الحسن فرام عضد الدولة أن ينتزع الملك من يده، فأرسل إليه سرية حافلة من الجنود فكسرهم الحسن بن عمر بن شاهين، وكاد أن يتلفهم بالكلية حتى أرسل إليه عضد الدولة فصالحه على مال يحمله إليه في كل سنة، وهذا **من العجائب** الغريبة. وفي صفر قبض على الشريف أبي أحمد الحسن بن موسى الموسوي نقيب الطالبيين، وقد كان أمير الحج مدة سنين، اتهم بأنه يفشي الأسرار وأن عز الدولة أودع عنده عقدا ثمينا، ووجدوا كتابا بخطه في إفشاء الأسرار فأنكر أنه خطه وكان مزورا عليه، واعترف بالعقد فأخذ منه وعزل عن النقابة وولوا غيره، وكان مظلوما. وفي هذا الشهر أيضا عزل عضد الدولة قاضي القضاة أبا محمد بن معروف، وولى غيره وفي شعبان منها ورد البريد من مصر إلى عضد الدولة بمراسلات كثيرة فرد الجواب بما مضمونه صدق النية وحسن الطوية ثم سأل عضد الدولة من الطائع أن يجدد عليه الخلع والجواهر، وأن يزيد في إنشائه تاج الدولة، فأجابه إلى ذلك، وخلع عليه من أنواع الملابس ما لم يتمكن معه من تقبيل الأرض بين يدي الخليفة، وفوض إليه ما وراء بابه من الأمور ومصالح المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وحضر ذلك أعيان الناس، وكان يوما مشهودا. وأرسل في رمضان إلى الأعراب من بني شيبان وغيرهم فعقرهم وكسرهم، وكان أميرهم منبه ابن محمد الأسدي متحصنا بعين التمر مدة نيف وثلاثين سنة، فأخذ ديارهم وأموالهم.

وفي يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي القعدة تزوج الطائع لله بنت عضد الدولة الكبرى، وعقد العقد بحضرة الأعيان على صداق مبلغه مائة ألف دينار، وكان وكيل عضد الدولة الشيخ أبا على الحسين بن أحمد الفارسي النحوي، صاحب الإيضاح والتكملة، وكان الذي خطب خطبة العقد القاضي أبو على الحسن بن على التنوخي. قال ابن الأثير: وفيها جدد عضد الدولة عمارة بغداد ومحاسنها، وجدد المساجد والمشاهد، وأجرى على الفقهاء الأرزاق وعلى الأئمة من الفقهاء والمحدثين والأطباء والحساب وغيرهم، وأطلق الصلات لأرباب البيوتات والشرف، وألزم أصحاب الأملاك بعمارة بيوتهم ودورهم، ومهد الطرقات وأطلق المكوس وأصلح الطريق للحجاج من بغداد إلى مكة، وأرسل الصدقات للمجاورين بالحرمين. قال: وأذن لوزيره نصر بن هارون- وكان نصرانيا- بعمارة البيع والأديرة وأطلق الأموال لفقرائهم.." (١)

"الآخرة

هبة الله بن الحسن

أبو الحسين المعروف بالحاجب، كان من أهل الفضل والأدب والدين، وله شعر حسن، فمنه قوله:

يا ليلة سلك الزمان ... في طيبها كل مسلك

إذ ترتقي روحي المسرة ... مدركا ما ليس يدرك

والبدر قد فضح الزمان ... وسره فيه مهتك

وكأنما زهر النجوم ... بلمعها شعل تحرك

والغيب أحيانا يلو ... ح كأنه ثوب ممسك

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٢٩٥/١١

وكأن تجعيد الرياح ... لدجلة ثوب مفرك

وكان نشر المسك ... ينفح في النسيم إذا تحرك

وكأنما المنثور مصفر ... الذرى ذهب مسبك

والنور يبسم في الرياض ... فإن نظرت إليه سرك

شارطت نفسي أن أقو ... م بحقها والشرط أملك

حتى تولى الليل منهزما ... وجاء الصبح يضحك

وذا الفتى لو أنه ... في طيب العيش يترك

والدهر يحسب عمره ... فإذا أتاه الشيب فذلك

أبو علي بن سينا

الطبيب الفيلسوف، الحسن بن عبد الله بن سينا الرئيس، كان بارعا في الطب في زمانه، كان أبوه من أهل بلخ، وانتقل إلى بخارى، واشتغل بها فقرأ القرآن وأتقنه، وهو ابن عشر سنين، وأتقن الحساب والجبر والمقابلة وإقليدس والمجسطي، ثم اشتغل على أبي عبد الله الناتلي الحكيم، فبرع فيه وفاق أهل زمانه في ذلك، وتردد الناس إليه واشتغلوا عليه، وهو ابن ست عشرة سنة، وعالج بعض الملوك السامانية، وهو الأمير نوح بن نصر، فأعطاه جائزة سنية، وحكمه في خزانة كتبه، فرأى فيها **من العجائب** والمحاسن ما لا يوجد في غيرها، فيقال إنه عزا بعض تلك الكتب إلى نفسه، وله في الإلهيات والطبيعات كتب كثيرة، قال ابن خلكان: له نحو من مائة مصنف، صغار وكبار، منها القانون، والشفا، والنجاة، والإشارات، وسلامان، وإنسان، وحي بن يقظان، وغير ذلك. قال وكان من فلاسفة الإسلام، أورد له من الأشعار قصيدته في نفسه التي يقول فيها:

هبطت إليك من المقام الأرفع ... ورقاء ذات تعزز وتمنع

محجوبة عن كل مقلة عارف ... وهي التي سفرت ولم تتبرقع." (١)

"واستوزر أبا القاسم الخوارزمي، وملك عبد الله بن تتش مدينة حلب، ودبر أمر مملكته جناح الدولة ابن اتكين، ورضوان بن تتش صاحب مدينة حماه، وإليه تنسب بنو رضوان بها. وفي يوم الجمعة التاسع عشر من ربيع الأول منها خطب لولي العهد أبي المنصور الفضل بن المستظهر، ولقب بذخيرة الدين. وفي ربيع الآخر خرج الوزير ابن جهير فاختط سورا على الحريم، وأذن للعوام في العمل والتفرج فأظهروا منكرات كثيرة، وسخافات عقول ضعيفة، وعملوا أشياء منكرة، فبعث إليه ابن عقيل رقعة فيها كلام غليظ، وإنكار بغيض. وفي رمضان خرج السلطان بركيارق فعدا عليه فداوي، فلم يتمكن منه، فمسك فعوقب فأقر على آخرين فلم يقرا فقتل الثلاثة. وجاء الطواشي من جهة الخليفة مهنئا له بالسلامة. وفي ذي القعدة منها خرج أبو حامد الغزالي من بغداد متوجها إلى بيت المقدس تاركا لتدريس النظامية، زاهدا في الدنيا، لابسا خشن الثياب بعد ناعمها، وناب عنه أخوه في التدريس ثم حج في السنة التالية ثم رجع إلى بلده، وقد صنف كتاب الإحياء في هذه

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٤٢/١٢

المدة، وكان يجتمع إليه الخلق الكثير كل يوم في الرباط فيسمعونه. وفي يوم عرفة خلع على القاضي أبي الفرج عبد الرحمن بن هبة الله بن البستي، ولقب بشرف القضاة، ورد إلى ولاية القضاء بالحريم وغيره. وفيها اصطلح أهل الكرخ من الرافضة والسنة مع بقية المحال، وتزاوروا وتواصلوا وتواكلوا، وكان هذا **من العجائب**، وفيها قتل أحمد بن خاقان صاحب سمرقند، وسببه أنه شهد عليه بالزندقة فخنق وولي مكانه ابن عمه مسعود. وفيها دخل الأتراك إفريقية وغدروا بيحيي بن تميم بن المعز بن باديس، وقبضوا عليه، وملكوا بلاده وقتلوا خلقا، بعد ما جرت بينه وبينهم حروب شديدة، وكان مقدمهم رجل يقال له شاه ملك، وكان من أولاد بعض أمراء المشرق، فقدم مصر وخدم بها ثم هرب إلى المغرب، ومعه جماعة ففعل ما ذكر. ولم يحج أحد من أهل العراق فيها.

ومن توفي فيها من الأعيان

الحسن بن أحمد بن خيرون

أبو الفضل المعروف بابن الباقلاني، سمع الكثير، وكتب عنه الخطيب، وكانت له معرفة جيدة، وهو من الثقات، وقبله الدامغاني، ثم صار أمينا له، ثم ولي إشراف خزانة الغلات. توفي في رجب عن ثنتين وثمانين سنة.

تتش أبو المظفر

تاج الدولة بن ألب أرسلان، صاحب دمشق وغيرها من البلاد، وقد تزوج امرأة على ابن أخيه بركيارق بن ملك شاه، ولكن قدر الله وماتت، وقد قال المتنبي:

ولله سر في علاك وإنما ... كلام العدي ضرب من الهذيان

قال ابن خلكان: كان صاحب البلاد الشرقية فاستنجده أتسز في محاربة أمير الجيوش من جهة صاحب مصر، فلما قدم دمشق لنجدته وخرج إليه أتسز، أمر بمسكه وقتله، واستحوذ هو على دمشق." (١)

"فقتل منهم خلقا كثيرا عند الضريح. **ومن العجائب** أن أحدهم ألقى نفسه وفرسه من فوق السور فسلم وسلمت فرسه. وحج بالناس الأمير خمارتكين الحسناتي.

ومن توفي فيها من الأعيان

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله

أخو أبي حكيم الخيري، وخير: إحدى بلاد فارس، سمع الحديث وتفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وكانت له معرفة بالفرائض والأدب واللغة، وله مصنفات، وكان مرضي الطريقة، وكان يكتب المصاحف بالأجرة، فبينما هو ذات يوم يكتب وضع القلم من يده واستند وقال: والله لئن كان هذا موتا إنه لطيب، ثم مات.

عبد المحسن بن علي بن أحمد الشنجي

التاجر، ويعرف بابن شهداء مكة، بغدادي، سمع الحديث الكثير، ورحل وأكثر عن الخطيب وهو بصور، وهو الذي حمله

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٤٩/١٢

إلى العراق، فلهذا أهدى إليه الخطيب تاريخ بغداد بخطه، وقد روى عنه في مصنفاته، وكان يسميه عبد الله، وكان ثقة.

عبد الملك بن إبراهيم

ابن أحمد أبو الفضل المعروف بالهمداني، تفقه على الماوردي، وكانت له يد طولى في العلوم الشرعية والحساب وغير ذلك، وكان يحفظ غريب الحديث لأبي عبيد والمجمل لابن فارس، وكان عفيفا زاهدا، طلبه المقتدي ليوليه قاضي القضاة فأبى أشد الإباء، واعتذر له بالعجز وعلو السن، وكان ظريفا لطيفا، كان يقول: كان أبي إذا أراد أن يؤدبني أخذ العصا بيده ثم يقول: نويت أن أضرب ولدي تأديبا كما أمر الله، ثم يضربني. قال: وإلى أن ينوي ويتمم النية كنت أهرب. توفي في رجب منها ودفن عند قبر ابن شريح.

حمد بن أحمد بن عبد الباقي بن منصور

أبو بكر الدقاق، ويعرف بابن الحاضنة، كان معروفا بالإفادة وجودة القراءة وحسن الخط وصحة النقل، جمع بين علم القراءات والحديث، وأكثر عن الخطيب وأصحاب المخلص. قال: لما غرقت بغداد غرقت داري وكتبي فلم يبق لي شيء، فاحتجت إلى النسخ فكتبت صحيح مسلم في تلك السنة سبع مرات، فنمت فرأيت ذات ليلة كأن القيامة قد قامت وقائل يقول أين ابن الحاضنة؟ فجئت فأدخلت الجنة فلما دخلتها استلقيت على قفاي ووضعت إحدى رجلي على الأخرى وقلت: استرحت من النسخ، ثم استيقظت والقلم في يدي والنسخ بين يدي.

أبو المظفر السمعاني

منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد، أبو المظفر السمعاني، الحافظ، من أهل مرو، تفقه أولا على أبيه في مذهب أبي حنيفة، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي فأخذ عن أبي إسحاق وابن." (١)

"ونصفا، وكان هو العاشر من ولد عبيد الله المهدي، ولما قتل تغلب على الديار المصرية غلام من غلمانه أرمني فاستحوذ على الأمور ثلاثة أيام حتى حضر أبو علي أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي فأقام الخليفة الحافظ أبا الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم بن المستنصر، وله من العمر ثمان وخمسون سنة، ولما أقامه استحوذ على الأمور دونه وحصره في مجلسه، لا يدع أحدا يدخل إليه إلا من يريد هو، ونقل الأموال من القصر إلى داره، ولم يبق للحافظ سوى الاسم فقط.

وممن توفي فيها من الأعيان

إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد

أبو إسحاق الكلبي من أهل غزة، جاوز الثمانين، وله شعر جيد في الأتراك. فمنه:

في فتية من جيوش الترك ما تركت ... للرعد كراتهم صوتا ولا صيتا

قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة ... حسنا وإن قوتلوا كانوا عفاريتا

وله

ليت الذي بالعشق دونك خصني ... يا ظالمي قسم المحبة بيننا

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٥٣/١٢

ألقى الهزبر فلا أخاف وثوبه ... ويرو عنى نظر الغزال إذا دنا

وله

إنما هذه الحياة متاع ... والسفيه الغوي من يصطفيها

ما مضى فات والمؤمل غيب ... ولك الساعة التي أنت فيها

وله أيضا:

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة ... باب الدواعي والبواعث مغلق

خلت الديار فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب أنه لا يشترى ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق

كانت وفاته في هذه السنة ببلاد بلخ ودفن بها. ومما أنشده ابن خلكان له:

إشارة منك تكفينا وأحسن ما ... رد السلام غداة البين بالعنم

حتى إذا طاح عنها المرط من دهش ... وانحل بالضم سلك العقد في الظلم

تبسمت فأضاء الليل فالتقطت ... حبات منتثر في ضوء منتظم

الحسين بن محمد

ابن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب الدباس أبو عبد الله الشاعر المعروف بالبارع، قرأ القراءات وسمع الحديث، وكان عارفا بالنحو واللغة والأدب، وله شعر حسن، توفي في هذه السنة وقد جاوز الثمانين.

محمد بن سعدون بن مرجا

أبو عامر العبدري القرشي الحافظ، أصله من بيروقة من بلاد المغرب وبغداد، وسمع بها على طراد الزينبي والحميدي وغير واحد، وكانت له معرفة جيدة بالحديث، وكان يذهب في الفروع مذهب." (١)

"كريما أديبا، يحب أهل العلم ويحسن إليهم، كان من خيار الملوك والوزراء، وقد امتدحه غير واحد من الشعراء. قال ابن خلكان: كان أولا متوليا بمنية بنى الخصيب، ثم آل به الحال إلى أن صار وزير العاضد والفائز قبله، ثم قام في الوزارة بعده ولده العادل رزيك بن طلائع، فلم يزل فيها حتى انتزعها منه شاور كما سيأتي. قال: والصالح هذا هو باني الجامع عند باب زويلة ظاهر القاهرة، قال: **ومن العجائب** أنه ولي الوزارة في تاسع عشر شهر ونقل من دار الوزارة إلى القرافة في تاسع عشر شهر، وزالت دولتهم في تاسع عشر شهر آخر. قال ومن شعره ما رواه عنه زين الدين على بن نجا الحنبلي

مشيبك قد محى صنع الشباب ... وحل الباز في وكر الغراب

تنام ومقلة الحدثان يقظى ... وما ناب النوائب عنك ناب

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٢٠١/١٢

وكيف نفاد عمرك وهو كنز ... وقد أنفقت منه بلا حساب

وله

كم ذا يرينا الدهر من أحداثه ... عبرا وفينا الصد والإعراض

ننسى الممات وليس يجري ذكره ... فينا فتذكرنا به الأمراض

ومن شعره أيضا قوله:

أبى الله إلا أن يدوم لنا الدهر ... ويخدمنا في ملكنا العز والنصر

علمنا بأن المال تفنى ألوفه ... ويبقى لنا من بعده الأجر والذكر

خلطنا الندى بالبأس حتى كأننا ... سحاب لديه البرق والرعد والقطر

وله أيضا وهو مما نظمه قبل موته بثلاث ليال:

[نحن في غفلة ونوم وللموت ... عيون يقظانة لا تنام

]

قد رحلنا إلى الحمام سنينا ... ليت شعري متى يكون الحمام؟

ثم قتله غلمان العاضد في النهار غيلة وله إحدى وستون سنة، وخلع على ولده العادل بالوزارة ورثاه عمارة التميمي بقصائد حسان، ولما نقل إلى تربته بالقرافة سار العاضد معه حتى وصل إلى قبره فدفنه في التابوت. قال ابن خلكان: فعمل الفقيه عمارة في التابوت قصيدة فجار فيها في قوله:

وكأنه تابوت موسى أودعت ... في جانبيه سكينة ووقار

وفيها كانت وقعة عظيمة بين بنى خفاجة وأهل الكوفة، فقتلوا من أهل الكوفة خلقا، منهم الأمير قيصر وجرحوا أمير الحاج برغش جراحات، فنهض إليهم وزير الخلافة عون الدين بن هبيرة، فتبعهم حتى أوغل خلفهم في البرية في جيش كثيف، فبعثوا يطلبون العفو. وفيها ولي مكة الشريف عيسى بن قاسم بن أبي هاشم، وقيل قاسم، بن أبى فليتة بن قاسم بن أبي هاشم. وفيها أمر الخليفة بإزالة الدكاكين التي تضيق الطرقات، وأن لا يجلس أحد من الباعة في عرض الطريق،." (١)

"ولم يشتغل بقلعتها، ثم سار إلى حماة فتسلمها من صاحبها عز الدين بن جبريل، وسأله أن يكون سفيره بينه وبين الحلبيين، فأجابه إلى ذلك، فسار إليهم فحذرهم بأس صلاح الدين فلم يلتفتوا إليه، بل أمروا بسجنه واعتقاله، فأبطأ الجواب على السلطان، فكتب إليهم كتابا بليغا يلومهم فيه على ما هم فيه من الاختلاف، وعدم الائتلاف، فردوا عليه أسوأ جواب، فأرسل إليهم يذكرهم أيامه وأيام أبيه وعمه في خدمة نور الدين في المواقف المحمودة التي يشهد لهم بها أهل الدين، ثم سار إلى حلب فنزل على جبل جوشن، ثم نودي في أهل حلب بالحضور في ميدان باب العراق، فاجتمعوا فأشرف عليهم ابن الملك نور الدين فتودد إليهم وتباكى لديهم وحرضهم على قتال صلاح الدين، وذلك عن إشارة الأمراء المقدمين، فأجابه أهل البلد بوجوب طاعته على كل أحد، وشرط عليه الروافض منهم أن يعاد الأذان بحي على خير العمل، وأن يذكر في

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٢٤٤/١٢

الأسواق، وأن يكون لهم في الجامع الجانب الشرقي، وأن يذكر أسماء الأئمة الاثني عشر بين يدي الجنائز، وأن يكبروا على الجنازة خمسا، وأن تكون عقود أنكحتهم إلى الشريف أبي طاهر بن أبي المكارم حمزة بن زاهر الحسيني، فأجيبوا إلى ذلك كله، فأذن بالجامع وسائر البلد بحي على خير العمل، وعجز أهل البلد عن مقاومة الناصر، وأعملوا في كيده كل خاطر، فأرسلوا أولا إلى شيبان صاحب الحسبة فأرسل نفرا من أصحابه إلى الناصر ليقتلوه فلم يظفر منه بشيء، بل قتلوا بعض الأمراء، ثم ظهر عليهم فقتلوا عن آخرهم، فراسلوا عند ذلك القومص صاحب طرابلس الفرنجي، ووعدوه بأموال جزيلة إن هو رحل عنهم الناصر، وكان هذا القومص قد أسره نور الدين وهو معتقل عنده مدة عشر سنين، ثم افتدى نفسه بمائة ألف دينار وألف أسير من المسلمين، وكان لا ينساها لنور الدين، بل قصد لحمص ليأخذها فركب إليه السلطان الناصر، وقد أرسل السلطان إلى بلده طرابلس سرية فقتلوا وأسروا وغنموا، فلما اقترب الناصر منه نكص على عقبيه راجعا إلى بلده، ورأى أنه قد أجابهم إلى ما أرادوا منه، فلما فصل الناصر إلى حمص لم يكن قد أخذ قلعتها فتصدى لأخذها، فنصب عليها المنجنيقات فأخذها قسرا وملكها قهرا، ثم كر راجعا إلى حلب، فأناله الله في هذه الكرة ما طلب، فلما نزل بها كتب إليهم القاضي الفاضل على لسان السلطان كتابا بليغا فصيحا فائقا رائقا، على يدي الخطيب شمس الدين يقول فيه: «فإذا قضى التسليم حق اللقاء فاستدعى الإخلاص جهد الدعا، فليعد وليعد حوادث ما كان حديثا يفترى، وحواري أمور إن قال فيها كثيرا فأكثر منه ما قد جرى، ويشرح صدر منها لعله يشرح منها صدرا، وليوضح الأحوال المستبشرة فان الله لا يعبد سرا.

ومن العجائب أن تسير غرائب ... في الأرض لم يعلم بها المأمول

كالعيس أقتل ما يكون لها الصدى ... والماء فوق ظهورها محمول." (١)

"الناس إليه، ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جدا ويمد ركوعها وسجودها، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان، فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك رحمه الله، وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا، واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف، وبالجملة كان قليل النظير في مجموعه وأموره وأحواله، والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة، سامحه الله ورحمه، وقد كان متصديا للإفتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقى الدين ابن تيمية، وجرت بسببها فصول يطول بسطها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره، وقد كانت جنازته حافلة رحمه الله، شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة، وتزاحم الناس على حمل نعشه، وكمل له من العمر ستون سنة رحمه الله.

وفي يوم الاثنين ثاني عشر شهر شعبان ذكر الدرس بالصدرية شرف الدين عبد الله بن الشيخ الإمام العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية عوضا عن أبيه رحمه الله فأفاد وأجاد، وسرد طرفا صالحا في فضل العلم وأهله، انتهى والله تعالى أعلم.

ومن العجائب والغرائب التي لم يتفق مثلها ولم يقع من نحو مائتي سنة وأكثر، أنه بطل الوقيد بجامع دمشق في ليلة النصف من شعبان، فلم يزد في وقيده قنديل واحد على عادة لياليه في سائر السنة ولله الحمد والمنة. وفرح أهل العلم بذلك، وأهل

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٢٨٩/١٢

الديانة، وشكروا الله تعالى على تبطيل هذه البدعة الشنعاء، التي كان يتولد بسببها شرور كثيرة بالبلد، والاستيجار بالجامع الأموي، وكان ذلك بمرسوم السلطان الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون خلد الله ملكه، وشيد أركانه وكان الساعي لذلك بالديار المصرية الأمير حسام الدين أبو بكر بن النجيبي بيض الله وجهه، وقد كان مقيما في هذا الحين بالديار المصرية، وقد كنت رأيت عنده فتيا عليها خط الشيخ تقى الدين بن تيمية، والشيخ كمال الدين بن الزملكاني، وغيرهما في إبطال هذه البدعة، فأنفذ الله ذلك ولله الحمد والمنة. وقد كانت هذه البدعة قد استقرت بين أظهر الناس من نحو سنة خمسين وأربعمائة وإلى زماننا هذا، وكم سعى فيها من فقيه وقاض ومفت وعالم وعابد وأمير وزاهد ونائب سلطنة وغيرهم ولم ييسر الله ذلك إلا في عامنا هذا، والمسئول من الله إطالة عمر هذا السلطان، ليعلم الجهلة الذين استقر في أذهانهم إذا أبطل هذا الوقيد في عام يموت سلطان الوقت، وكان هذا لا حقيقة له ولا دليل عليه إلا مجرد الوهم والخيال.

وفي مستهل شهر رمضان اتفق أمر غريب لم يتفق مثله من مدة متطاولة، فيما يتعلق بالفقهاء والمدارس، وهو أنه كان قد توفي ابن الناصح الحنبلي بالصالحية، وكان بيده نصف تدريس الضاحية." (١)

"أخر، قدم بها من الديار المصرية، فانتشر الخبر في هذا اليوم بإجلاس قاضي القضاة شمس الدين الكفري الحنفي، فوق قاضي القضاة المالكية، لكن لم يحضر في هذا اليوم، وذلك بعد ما قد أمر بإجلاس المالكي فوقه.

وفي ثاني رجب توفي القاضي الإمام العالم شمس الدين بن مفلح المقدسي الحنبلي، نائب مشيخة قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن محمد المقدسي الحنبلي، وزوج ابنته، وله منها سبعة أولاد ذكور وإناث، وكان بارعا فاضلا متفننا في علوم كثيرة، ولا سيما علم الفروع، كان غاية في نقل مذهب الإمام أحمد، وجمع مصنفات كثيرة منها كتاب المقنع نحوا من ثلاثين مجلدا كما أخبرني بذلك عنه قاضي القضاة جمال الدين، وعلق على محفوظه أحكام الشيخ مجد الدين بن تيمية مجلدين، وله غير ذلك من الفوائد والتعليقات رحمه الله، توفي عن نحو خمسين سنة، وصلي عليه بعد الظهر من يوم الخميس ثاني الشهر بالجامع المظفري، ودفن بمقبرة الشيخ الموفق، وكانت له جنازة حافلة حضرها القضاة كلهم، وخلق من الأعيان رحمه الله وأكرم مثواه.

وفي صبيحة يوم السبت رابع رجب ضرب نائب السلطنة جماعة من أهل قبر عاتكة أساءوا الأدب على النائب ومماليكه، بسبب جامع للخطبة جدد بناحيتهم، فأراد بعض الفقراء أن يأخذ ذلك الجامع ويجعله زاوية للرقاصين، فحكم القاضي الحنبلي بجعله جامعا قد نصب فيه منبر، وقد قدم شيخ الفقراء على يديه مرسوم شريف بتسليمه إليه، فأنفت أنفس أهل تلك الناحية من عوده زاوية بعد ما كان جامعا، وأعظموا ذلك، فتكلم بعضهم بكلام سيئ، فاستحضر نائب السلطنة طائفة منهم وضربهم بالمقارع بين يديه، ونودي عليهم في البلد، فأراد بعض العامة إنكارا لذلك، وحدد ميعاد حديث يقرأ بعد المغرب تحت قبة النسر على الكرسي الذي يقرأ عليه المصحف، رتبه أحد أولاد القاضي عماد الدين بن الشيرازي، وحدث فيه الشيخ عماد الدين بن السراج، واجتمع عنده خلق كثير وجم غفير، وقرأ في السيرة النبوية من خطي، وذلك في العشر الأول من هذا الشهر.

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٢٣٥/١٤

أعجوبة من العجائب

وحضر شاب عجمي من بلاد تبريز وخراسان يزعم أنه يحفظ البخاري ومسلما وجامع المسانيد والكشاف للزمخشري وغير ذلك من محاضيرها، في فنون أخر، فلما كان يوم الأربعاء سلخ شهر رجب قرأ في الجامع الأموي بالحائط الشمالي منه، عند باب الكلاسة من أول صحيح البخاري إلى أثناء كتاب العلم منه، من حفظه وأنا أقابل عليه من نسخة بيدي، فأدى جيدا، غير أنه يصحف بعضا من الكلمات لعجمة فيه، وربما لحن أيضا في بعض الأحيان، واجتمع خلق كثير من العامة والخاصة وجماعة من المحدثين، فأعجب ذلك جماعة كثيرين، وقال آخرون منهم إن سرد بقية." (١)

"قطب الدين محمد بن الحسن الحاكم بحمص، جاء إلى دمشق لتلقي أخي زوجته قاضي القضاة تاج الدين السبكي الشافعي، فتمرض من مدة ثم كانت وفاته بدمشق، فصلي عليه بالجامع كما ذكرنا، وخارج باب الفرج، ثم صعدوا به إلى سفح جبل قاسيون، وقد جاوز الثمانين بسنتين، وقد حدث وروى شيئا يسيرا رحمه الله.

وفي يوم الأحد ثالثه قدم قاضيا الحنفية والحنابلة بحلب والخطيب بها والشيخ شهاب الدين الأذرعي، والشيخ زين الدين الباريني وآخرون معهم، فنزلوا بالمدرسة الإقبالية وهم وقاضي قضاتهم الشافعي، وهو كمال الدين المصري مطلوبون إلى الديار المصرية، فتحرر ما ذكروه عن قاضيهم وما نقموه عليه من السيرة السيئة فيما يذكرون في المواقف الشريفة بمصر، وتوجهوا إلى الديار المصرية يوم السبت عاشره.

وفي يوم الخميس قدم الأمير زين الدين زبالة نائب القلعة من الديار المصرية على البريد في تجمل عظيم هائل، وتلقاه الناس بالشموع في أثناء الطريق، ونزل بدار الذهب، وراح الناس للسلام عليه وتهنئته بالعود إلى نيابة القلعة، على عادته، وهذه ثالث مرة وليها لأنه مشكور السيرة فيها، وله فيها سعي محمود في أوقات متعددة.

وفي يوم الخميس الحادي والعشرين صلى نائب السلطنة والقاضيان الشافعي والحنفي وكاتب السر وجماعة من الأمراء والأعيان بالمقصورة وقرئ كتاب السلطان على السدة بوضع مكس الغنم إلى كل رأس بدرهمين، فتضاعفت الأدعية لولي الأمر، ولمن كان السبب في ذلك.

غريبة من الغرائب وعجيبة من العجائب

وقد كثرت المياه في هذا الشهر وزادت الأنهار زيادة كثيرة جدا، بحيث إنه فاض الماء في سوق الخيل من نهر بردى حتى عم جميع العرصة المعروفة بموقف الموكب، بحيث إنه أجريت فيه المراكب بالكلك، وركبت فيه المارة من جانب إلى جانب، واستمر ذلك جمعا متعددة، وامتنع نائب السلطنة والجيش من الوقوف هناك، وربما وقف نائب السلطنة بعض الأيام تحت الطارمة تجاه باب الإسطبل السلطاني، وهذا أمر لم يعهد مثله ولا رأيته قط في مدة عمري، وقد سقطت بسبب ذلك بنايات ودور كثيرة، وتعطلت طواحين كثيرة غمرها الماء.

وفي ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى توفي الصدر شمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ عز الدين بن منجى التنوخي

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٢٩٤/١٤

بعد العشاء الآخرة، وصلي عليه بجامع دمشق بعد صلاة الظهر، ودفن بالسفح. وفي صبيحة هذا اليوم توفي الشيخ ناصر الدين محمد بن أحمد القونوي الحنفي، خطيب جامع يلبغا، وصلي عليه عقيب صلاة الظهر أيضا، ودفن بالصوفية، وقد باشر عوضه الخطابة والإمامة." (١)

"لا يسأل ولا يتمادى [١] وهكذا روى بن عدي من حديث إسماعيل بن عياش عن إسماعيل بن يحي عن ابن أبي مليكة عمن حدثه عن ابن مسعود وعن مسعد بن كدام عن عطية عن أبي سعيد رفع الحديث في دخول عيسى إلى الكتاب وتعليمه المعلم معنى حروف أبي جاد وهو مطول لا يفرح به ثم قال ابن عدي وهذا الحديث باطل بهذا الإسناد لا يرويه غير إسماعيل وروى ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة قال كان عبد الله بن عمر يقول (كان عيسى بن مريم وهو غلام يلعب مع الصبيان فكان يقول لأحدهم تريد أن أخبرك ما خبأت لك أمك فيقول نعم فيقول خبأت لك كذا وكذا فيذهب الغلام منهم إلى أمه فيقول لها أطعميني ما خبأت لي فتقول وأي شيء خبأت لك فيقول كذا وكذا فتقول له من أخبرك فيقول عيسى بن مريم فقالوا والله لئن تركتم هؤلاء الصبيان مع ابن مريم ليفسدنهم فجمعوهم في بيت وأغلقوا عليهم فخرج عيسى يلتمسهم فلم يجدهم فسمع ضوضاءهم في بيت فسأل عنهم فقالوا إنما هؤلاء قردة وخنازير فقال اللهم كذلك فكانوا كذلك رواه ابن عساكر.

وقال إسحاق بن بشر عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال وكان عيسى يرى **العجائب** في صباه إلهاما من الله ففشا ذلك في اليهود وترعرع عيسى فهممت به بنو إسرائيل فخافت أمه عليه فأوحى الله إلى أمه أن تنطلق به إلى أرض مصر فذلك قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ٢٣: ٥٠ وقد اختلف السلف والمفسرون في المراد بهذه الربوة التي ذكر الله من صفتها أنها ذات قرار ومعين وهذه صفة غريبة الشكل وهي أنها ربوة وهو المكان المرتفع من الأرض الذي أعلاه مستو يقر عليه وارتفاعه متسع ومع علوه فيه عيون الماء معين وهو الجاري السارح على وجه الأرض فقيل المراد المكان الذي ولدت فيه المسيح وهو نخلة بيت المقدس ولهذا (ناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا) ١٩: ٢٤ وهو النهر الصغير في قول جمهور السلف وعن ابن عباس بإسناد جيد أنها أنهار دمشق فلعله أراد تشبيه ذلك المكان بأنهار دمشق وقيل ذلك بمصر كما زعمه من زعمه من أهل الكتاب ومن تلقاه عنهم والله أعلم. وقيل هي الرملة. وقال إسحاق بن بشر قال لنا إدريس عن جده وهب بن منبه قال إن عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة أمر الله أن يرجع من بلاد مصر إلى بيت إيليا قال فقدم عليه يوسف بن خال أمه فحملهما على حمار حتى جاء بهما إلى إيليا وأقام بها حتى أحدث الله له الإنجيل وعلمه التوراة وأعطاه إحياء الموتى وإبراء الأسقام والعلم بالغيوب مما يدخرون في بيوتهم وتحدث الناس بقدومه وفزعوا لما كان يأتي **من العجائب** فجعلوا يعجبون منه فدعاهم الى الله ففشا فيهم أمره.

---

[١] قوله يتمادى كذا بالنسخة الحلبية وفي النسخة المصرية (ولا يتمارى)." (٢)

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٤/٣٠٠

(٢) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ٢/٧٧

"سيوف الله سله الله على المشركين. ودعا لي بالنصر، فسميت سيف الله بذلك فأنا من أشد المسلمين على المشركين. فقال جرجة: يا خالد إلى ما تدعون؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله والإقرار بما جاء به من عند الله عز وجل. قال: فمن لم يجبكم؟ قال: فالجزية ونمنعهم. قال: فإن لم يعطها قال: نؤذنه بالحرب ثم نقاتله. قال: فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟ قال منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا. قال جرجة: فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر؟ قال: نعم وأفضل. قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ فقال خالد: إنا قبلنا هذا الأمر عنوة وبايعنا نبينا وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا **من العجائب** والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا؟ فقال جرجة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني؟ قال: تالله لقد صدقتك وإن الله ولي ما سألت عنه. فعند ذلك قلب جرجة الترس ومال مع خالد وقال: علمني الإسلام، فمال به خالد إلى فسطاطه فسن عليه قربة من ماء ثم صلى به ركعتين. وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حملة فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية عليهم عكرمة بن أبي جهل والحرث بن هشام. فركب خالد وجرجة معه والروم خلال المسلمين، فتنادى الناس وثابوا وتراجعت الروم إلى مواقفهم وزحف خالد بالمسلمين حتى تصافحوا بالسيوف فضرب فيهم خالد وجرجة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب. وصلى المسلمون صلاة الظهر وصلاة العصر إيماء، وأصيب جرجة رحمه الله ولم يصل لله إلا تلك الركعتين مع خالد رضي الله عنهما. وضعضعت الروم عند ذلك. ثم نهد خالد بالقلب حتى صار في وسط خيول الروم، فعند ذلك هربت خيالتهم، وأسندت بهم في تلك الصحراء، وأفرج المسلمون بخيولهم حتى ذهبوا. وأخر الناس صلاتي العشاءين حتى استقر الفتح، وعمد خالد إلى رحل الروم وهم الرجالة ففصلوهم عن آخرهم حتى صاروا كأنهم حائط قد هدم ثم تبعوا من فر من الخيالة واقتحم خالد عليهم خندقهم، وجاء الروم في ظلام الليل إلى الواقوصة، فجعل الذين تسلسلوا وقيدوا بعضهم ببعض إذا سقط واحد منهم سقط الذين معه. قال ابن جرير وغيره: فسقط فيها وقتل عندها مائة ألف وعشرون ألفا سوى من قتل في المعركة. وقد قاتل نساء المسلمين في هذا اليوم وقتلوا خلقا كثيرا من الروم، وكن يضربن من انهزم من المسلمين ويقلن:

أين تذهبون وتدعوننا للعلوج؟ فإذا زجرنهم لا يملك أحد نفسه حتى يرجع إلى القتال.

قال وتجلل القيقلان وأشراف من قومه من الروم ببرانسهم وقالوا: إذا لم نقدر على نصر دين." (١)

"قال الله تعالى: ﴿وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون﴾ [الأنبياء: ٣١] . وقد ذكر بطليموس أحد ملوك الهند في كتابه المسمى بالمجسطي الذي عرب في زمان المأمون، وهو أصل هذه العلوم أن البحار المتفجرة من المحيط الغربي، والشرقي والجنوبي، والشمالي كثيرة جدا فمنها ما هو واحد، ولكن يسمى بحسب البلاد المتاخمة له فمن ذلك بحر القلزم، والقلزم قرية على ساحله قريب من أيلة، وبحر فارس، وبحر الخزر، وبحر ورنك، وبحر الروم، وبحر بنطش، وبحر الأزرق مدينة على ساحله، وهو بحر القرم أيضا، ويتضايق حتى يصب في بحر الروم عند جنوبي

---

(١) البداية والنهاية ط الفكر ابن كثير ١٣/٧

القسطنطينية، وهو خليج القسطنطينية ؛ ولهذا تسرع المراكب في سيرها من القرم إلى بحر الروم، وتبطيء إذا جاءت من الإسكندرية إلى القرم لاستقبالها جريان الماء، وهذا من العجائب في الدنيا فإن كل ماء جار فهو حلو إلا هذا، وكل بحر راكد فهو ملح أجاج إلا ما يذكر عن بحر الخزر وهو بحر جرجان، وبحر طبرستان أن فيه قطعة كبيرة ماء حلوا فراتا على ما أخبر به المسافرون عنه. قال أهل الهيئة: وهو بحر مستدير الشكل إلى الطول ما هو. وقيل: إنه مثلث كالقلع وليس هو متصلا بشيء من البحر المحيط بل منفرد وحده، وطوله ثمانمائة ميل، وعرضه ستمائة. وقيل: أكثر من ذلك، والله أعلم.." (١)

"وقال الضحاك، عن ابن عباس: رد الله إليها شبابها وزادها حتى ولدت له ستة وعشرين ولدا ذكرا.

وعاش أيوب بعد ذلك سبعين سنة بأرض الروم على دين الحنيفية، ثم غيروا بعده دين إبراهيم. وقوله: ﴿خذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب﴾ [ص: ٤٤] . هذه رخصة من الله تعالى لعبده ورسوله أيوب عليه السلام فيما كان من حلفه ليضربن امرأته مائة سوط. فقيل: حلفه ذلك لبيعها ضفائرها. وقيل: لأنه اعترضها الشيطان في صورة طبيب يصف لها دواء لأيوب، فأتته فأخبرته، فعرف أنه الشيطان فحلف ليضربنها مائة سوط، فلما عافاه الله عز وجل أفتاه أن يأخذ ضغثا، وهو كالعثكال الذي يجمع الشماريخ فيجمعها كلها ويضربها به ضربة واحدة، ويكون هذا منزلا منزلة الضرب بمائة سوط، ويبر ولا يحنث. وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله، وأطاعه، ولا سيما في حق امرأته الصابرة المحتسبة المكابدة الصديقة البارة الراشدة رضي الله عنها؛ ولهذا عقب الله هذه الرخصة، وعللها بقوله: ﴿إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب﴾ [ص: ٤٤] . وقد استعمل كثير من الفقهاء هذه الرخصة في باب الأيمان والنذور، وتوسع آخرون فيها حتى وضعوا كتاب الحيل في الخلاص من الأيمان، وصدروه بهذه الآية الكريمة، وأتوا فيه بأشياء من العجائب والغرائب، وسنذكر طرفا من ذلك في كتاب الأحكام عند الوصول إليه إن شاء الله تعالى.

وقد ذكر ابن جرير، وغيره من علماء التاريخ أن أيوب عليه السلام." (٢)

"ومع علوه، فيه عين من الماء معين ؛ وهو الجاري السارح على وجه الأرض، فقيل: المراد المكان الذي ولدت فيه المسيح. وهو محلة بيت المقدس ولهذا ﴿فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا﴾ [مريم: ٢٤] وهو النهر الصغير، في قول جمهور السلف.

وعن ابن عباس بإسناد جيد، أنها أنهار دمشق. فلعله أراد تشبيه ذلك المكان بأنهار دمشق. وقيل: ذلك بمصر. كما زعمه من زعمه من أهل الكتاب ومن تلقاه عنهم. والله أعلم. وقيل: هي الرملة.

وقال إسحاق بن بشر: قال لنا إدريس، عن جده وهب بن منبه، قال: إن عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة، أمره الله أن يرجع من بلاد مصر إلى بيت إيليا. قال: فقدم عليه يوسف ابن خال أمه، فحملهما على حمار، حتى جاء بهما إلى إيليا وأقام بها حتى أحدث الله له الإنجيل، وعلمه التوراة، وأعطاه إحياء الموتى، وإبراء الأسقام، والعلم بالغيوب مما يدخرون في

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١/٥٥

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١/٥١٤

بيوتهم، وتحدث الناس بقدومه، وفزعوا لما كان يأتي **من العجائب**، فجعلوا يعجبون منه، فدعاهم إلى الله ففشا فيهم أمره.." (١)

"على أحد إلا هزمتهم؟ قال: لا. قال: فبم سميت سيف الله؟ قال: إن الله بعث فينا نبيه صلى الله عليه وسلم، فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعا، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه، وبعضنا كذبه وباعده، فكنت فيمن كذبه وباعده، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه، فقال لي: «أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين» . ودعا لي بالنصر، فسميت سيف الله بذلك، فأنا من أشد المسلمين على المشركين. فقال جرجة: يا خالد، إلام تدعون؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله، عز وجل. قال: فمن لم يجبكم؟ قال: فالجزية ونمنعهم. قال: فإن لم يعطها؟ قال: نؤذنه بالحرب ثم نقاتله. قال: فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا. قال جرجة: فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر؟ قال: نعم، وأفضل. قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ فقال خالد: إنا دخلنا في هذا الأمر وبايعنا نبينا صلى الله عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء، ويخبرنا بالكتب ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا **من العجائب** والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا. فقال جرجة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني؟ قال: بالله لقد صدقتك، وإن." (٢)

"والفلسفة والجدل بين الناس، وذلك بهمة أبي العباس المعتضد سلطان الإسلام.

وفي هذه السنة وقعت حروب بين هارون الشاري وبين بني شيبان في أرض الموصل وقد بسط ذلك ابن الأثير في كامله.

وفي رجب منها كانت وفاة المعتمد على الله ليلة الإثنين لتسع عشرة ليلة خلت منه وهذه ترجمته.

هو أمير المؤمنين المعتمد على الله ابن المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد واسمه أحمد بن جعفر بن محمد بن هارون الرشيد بن المهدي محمد بن عبد الله أبي جعفر المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس استمرت أيامه في الخلافة ثلاثا وعشرين سنة وستة أيام وكان عمره يوم مات خمسين سنة وستة أشهر وكان أسن من أخيه أبي أحمد الموفق بستة أشهر وتأخر بعده أقل من سنة ولم يكن إليه من الأمر شيء وإنما كان الأمر كله فيما يتعلق بتدبير الخلافة إلى الموفق، وقد اتفق أن المعتمد طلب في بعض الأيام ثلاثمائة دينار فلم يحصل له، فقال في ذلك:

أليس **من العجائب** أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه." (٣)

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٤٧١/٢

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٥٦٣/٩

(٣) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٦٤٣/١٤

"فانزعج لذلك إسماعيل بن أحمد الساماني نائب ما وراء النهر وكتب إليه: إنك قد وليت دنيا عريضة فاقتنع بها عن ما في يدي من هذه البلاد. فلم يقبل فأقبل إليه إسماعيل بن أحمد الساماني في جيوش عظيمة جدا فالتقيا عند بلخ فهزم أصحاب عمرو وأسر عمرو بن الليث فلما جيء به إلى إسماعيل بن أحمد قام إليه وقبل بين عينيه وغسل وجهه وخلع عليه وأمنه وكتب إلى الخليفة في أمره ويذكر أن أهل تلك البلاد قد ملوه وضجروا من ولايته عليهم فجاء كتاب الخليفة بأن يتسلم حواصله وأمواله فسلبه إياها فآل به الحال بعد أن كان مطبخه يحمل على ستمائة جمل إلى القيد والسجن. **ومن العجائب** أن عمرا كان معه خمسون ألف مقاتل لم يصب أحد منهم ولا أسر سواه.

ظهور أبي سعيد الجنابي رأس القرامطة، قبحهم الله ولعنهم

وهم أخبث من الزنج وأشد فسادا كان ظهوره في جمادى الآخرة من هذه السنة بنواحي البصرة فالتف عليه من الأعراب وغيرهم بشر كثير وقويت شوكته جدا وقتل من حوله من أهل القرى، ثم صار إلى القطيف قريبا من البصرة ورام دخولها فكتب الخليفة المعتضد إلى نائبها يأمره بتحصين سورها فعمروه وجددوا معالمه بنحو من أربعة آلاف دينار، فامتنعت البصرة من القرامطة بسبب ذلك، وتغلب أبو سعيد الجنابي ومن معه من القرامطة على هجر وما حولها من البلاد وأكثروا في الأرض الفساد.." (١)

"بذلك كله إليهم حتى قالوا: اكتفينا.

وفيها طلب معز الدولة من الخليفة المطيع لله أن يأذن له في دخول دار الخلافة ليتفرج فيها، فأذن له فدخلها، فبعث خادمه وحاجبه معه، فطافوا معه فيها، وهو مسرع خائف، ثم خرج وقد خاف من غائلة ذلك، وخشي أن يقتل في بعض الدهاليز، فتصدق بعشرة آلاف لما خرج شكرا لله على سلامته، وازداد حبا في الخليفة المطيع لله من يومئذ، فكان في جملة ما رأى **من العجائب** بها صنم من نحاس على صورة امرأة حسناء جدا، وحولها أصنام صغار في هيئة الخدم لها، كان قد أتي به في زمن المقتدر، فأقيم هناك ليتفرج عليه الجواري والنساء، فهم المعز أن يطلبه من الخليفة، ثم ارتأى فترك ذلك.

وفي ذي الحجة منها خرج رجل بالكوفة، فادعى أنه علوي، وكان يتبرقع فسمي المبرقع، وغلظت قضيته وبعد صيته، وذلك في غيبة معز الدولة عن بغداد واشتغاله بأمر الموصل وناصر الدولة بن حمدان، فلما توطدت الأمور وعاد إلى بغداد اختفى المبرقع، وذهب في البلاد، فلم يفتح له أمر بعد ذلك.

[من توفي فيها من الأعيان]

وممن توفي فيها من الأعيان:

بكار بن أحمد بن بكار بن بنان بن بكار بن زياد بن درستويه،." (٢)

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٦٨٣/١٤

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٢٦٧/١٥

"[ثم دخلت سنة تسع وستين وثلاثمائة]

[ما وقع فيها من الأحداث]

في المحرم منها توفي الأمير عمران بن شاهين صاحب بلاد البطيحة منذ أربعين سنة، تغلب عليها، وعجز عنه الأمراء والملوك والخلفاء، وبعثت إليه الجنود والسرايا والجيوش غير مرة، فكل ذلك يفلها ويكسرها، وكل ما له في تمكن وقوة، ومكث كذلك هذه المدة كلها، ومع هذا كله مات على فراشه حتف أنفه - فلا نامت أعين الجبناء - وقام بالأمر من بعده ولده الحسن، فرام عضد الدولة أن ينتزع الملك من يده، فأرسل إليه سرية فيها خلق من الجنود، فكسرهم الحسن بن عمران بن شاهين وردهم خائبين، وكاد أن يتلفهم بالكلية حتى أرسل إليه عضد الدولة، فصالحه على مال يرسله إليه كل سنة، وأخذوها من عضد الدولة، وهذا **من العجائب** الغريبة.

وفي صفر قبض على الشريف أبي أحمد الحسين بن موسى الموسوي نقيب الطالبيين، واتهم بأنه يفشي الأسرار، وأن عز الدولة أودع عنده عقدا ثمينا، وأتي بكتاب أنه خطه في إفشاء الأسرار، فأنكر أنه خطه، وكان مزورا عليه." (١)

"واه الفتى لو أنه ... في ظل طيب العيش يترك

والدهر يحسب عمره ... فإذا أتاه الشيب فذلك

وكانت وفاته في رمضان من هذه السنة، رحمه الله تعالى.

أبو علي بن سينا، الطبيب الفيلسوف، الحسين بن عبد الله بن سينا

الشيخ الرئيس، الذي كان نادرة في زمانه، كان أبوه من أهل بلخ وانتقل إلى بخارى، واشتغل بها ابن سينا فقرأ القرآن، وأتقن علومه وهو ابن عشر، وأتقن الحساب والجبر والمقابلة و " إقليدس " و " المجسطي "، ثم اشتغل على أبي عبد الله الناتلي الحكيم، فبرع فيه، وفاق أهل زمانه، وتردد الناس إليه، واشتغلوا عليه، وهو ابن ست عشرة سنة، وقد عالج بعض الملوك السامانية، وهو الأمير نوح بن نصر، فأعطاه جائزة سنية، وحكمه في خزانة كتبه، فرأى فيها **من العجائب**، فيقال: إنه عزا بعض تلك الكتب إلى نفسه. وله في الإلهيات والطبيعيات كتب كثيرة.." (٢)

"المحال وتزاوروا وتواكلوا وتشاربوا، وكان هذا **من العجائب**، وفيها قتل أحمد خان صاحب سمرقند، وسببه أنه شهد عليه بالزندقة فخنق وولي مكانه ابن عمه مسعود

وفيها دخل الأتراك إفريقية وغدروا بيحيى بن تميم بن المعز بن باديس، وقبضوا عليه وملكوا بلاده وقتلوا خلقا، بعدما جرت بينهم وبينه حروب شديدة وكان مقدمهم رجل يقال له: شاه ملك وكان من أولاد بعض أمراء المشرق، فقدم مصر وخدم بها ثم هرب إلى المغرب ففعل ما ذكرنا، ولم يحج أحد من أهل العراق في هذه السنة.

[من توفي فيها من الأعيان]

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٥/٣٩٦

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٥/٦٦٧

ومن توفي فيها من الأعيان:

أحمد بن الحسن بن أحمد بن خيرون، أبو الفضل المعروف بابن الباقلاني سمع الكثير، وكتب عنه الخطيب، وكانت له معرفة جيدة وهو من الثقات، وشهد عند أبي عبد الله الدامغاني، ثم صار أمينا له، ثم ولي إشراف خزانة الغلات. توفي في رجب عن ثنتين وثمانين سنة.

تتش أبو المظفر

تاج الدولة بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، صاحب دمشق وغيرها من البلاد، وقد كان تروج أمره على ابن." (١)

"وفيها أغارت خفاجة على بلاد سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس وقصدوا مشهد الحسين بالحائر، فتظاهروا فيه بالمنكرات والفساد، فكبسهم فيه الأمير صدقة المذكور، فقتل منهم خلقا كثيرا حتى عند الضريح، **ومن العجائب** أن أحدهم ألقى نفسه وفرسه من فوق السور فسلم وسلمت فرسه.

وحج بالناس في هذه السنة الأمير خمارتكين الحسناني.

[من توفي فيها من الأعيان]

ومن توفي فيها من الأعيان:

عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله أبو حكيم الخبري: وخبر إحدى بلاد فارس، سمع الحديث وتفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وكانت له معرفة بالفرائض والأدب واللغة وله مصنفات، وكان مرضي الطريقة وكان يكتب المصاحف بالأجرة، فبينما هو ذات يوم يكتب وضع." (٢)

"وله:

إنما هذه الحياة متاع ... والسفيه الغوي من يصطفيها

ما مضى فات والمؤمل غيب ... ولك الساعة التي أنت فيها

وله أيضا:

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة ... باب البواعث والدواعي مغلق

خلت البلاد فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب أنه لا يشترى ... ويخان فيه من الكساد ويسرق

ومما أنشده ابن خلكان في الوفيات من شعره الرائق قوله:

إشارة منك تكفينا وأحسن ما ... رد السلام غداة البين بالعنم

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٤٨/١٦

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٥٧/١٦

حتى إذا طاح عنها المرط من دهش ... وانحل بالضم سلك العقد في الظلم

تبسمت فأضاء الليل فالتقطت ... حبات منتثر في ضوء منتظم

كانت وفاته في هذه السنة ببلاد بلخ، ودفن فيها.

الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب الدباس

أبو." (١)

"فيها حتى انتزعها شاور، كما سيأتي. قال: والصالح هذا هو باني الجامع عند باب زويلة ظاهر القاهرة. قال: **ومن العجائب** أنه ولي الوزارة في تاسع عشر شهر، وقتل من تاسع عشر شهر، ونقل من دار الوزارة إلى القرافة في تاسع عشر شهر آخر، وزالت دولتهم في تاسع عشر شهر آخر. قال: ومن شعره ما رواه عنه الواعظ زين الدين علي بن نجا الحنبلي، وهو قوله

مشيبك قد نضا صبغ الشباب ... وحل الباز في وكر الغراب

تنام ومقلة الحدثان يقظى ... وما ناب النوائب عنك ناب

وكيف بقاء عمرك وهو كنز ... وقد أنفقت منه بلا حساب

وقوله:

كم ذا يرينا الدهر من أحداثه ... عبرا وفينا الصد والإعراض

ننسى الممات وليس يجري ذكره ... فينا فتذكرنا به الأمراض

ومن شعره الجيد أيضا قوله:

أبى الله إلا أن يدوم لنا الدهر ... ويخدمنا في ملكنا العز والنصر

علمنا بأن المال تفنى ألوفه ... ويبقى لنا من بعده الأجر والذكر

خلطنا الندى بالبأس حتى كأننا ... سحاب لديه البرق والرعد والقطر

وله أيضا، وهو مما نظمه قبل موته بثلاث ليال:." (٢)

"ولا ينزع عن ذلك، رحمه الله، وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا، واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف، وبالجملة كان قليل النظير، بل عديم النظير في مجموعه، وأموره، وأحواله، والغالب عليه الخير والأخلاق الصالحة، سامحه الله ورحمه، وقد كان متصديا للإفتاء بمسألة الطلاق التي اختارها الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وجرت له بسببها فصول يطول بسطها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي وغيره، وقد كانت جنازته حافلة رحمه الله، شهدها القضاة، والأعيان، والصالحون من الخاصة والعامة، وتزاحم الناس على حمل

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٢٨٦/١٦

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٤٠٠/١٦

نعشه، وكمل له من العمر ستون سنة، رحمه الله.

وفي يوم الاثنين ثاني عشر شهر شعبان ذكر الدرس بالصدرية شرف الدين عبد الله ابن الشيخ الإمام العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية، عوضا عن أبيه - رحمه الله - فأفاد، وأجاد، وسرد طرفا صالحا في فضل العلم وأهله.

ومن العجائب والغرائب التي لم يتفق مثلها، ولم يقع من نحو مائتي سنة وأكثر، أنه بطل الوقيد بجامع دمشق في ليلة النصف من شعبان، فلم يزد في وقيده قنديل واحد على عادة لياليه في سائر السنة، ولله الحمد والمنة، وفرح أهل العلم بذلك، وأهل الديانة، وشكروا الله تعالى على تبطيل هذه البدعة الشنيعة،." (١)

"قبر عاتكة أساءوا الأدب على النائب ومماليكه، بسبب جامع للخطبة جدد بناحيتهم، فأراد بعض الفقراء أن يأخذ ذلك الجامع، ويجعله زاوية للرقاصين، فحكم القاضي الحنبلي بجعله جامعا قد نصب فيه منبر، وقد قدم شيخ من الفقراء على يديه مرسوم شريف بتسليمه إليه، فأنفت أنفس أهل تلك الناحية من عوده زاوية بعد ما كان جامعا، وأعظموا ذلك، فتكلم بعضهم بكلام سيئ فاستحضر نائب السلطنة طائفة منهم، وضربهم بالمقارع بين يديه، ونودي عليهم في البلد، فأراد بعض العامة إنكارا لذلك، وحدد ميعاد حديث يقرأ بعد المغرب تحت قبة النسر على الكرسي الذي يقرأ عليه المصحف، رتبه أحد أولاد القاضي عماد الدين بن الشيرازي، وحدث فيه الشيخ عماد الدين بن السراج، واجتمع عنده خلق كثير، وجم غفير، وقرأ في السيرة النبوية من خطي، وذلك في العشر الأول من هذا الشهر.

[أعجوبة **من العجائب**]

وحضر شاب عجمي من بلاد تبريز وخراسان يزعم أنه يحفظ " البخاري "، و " مسلما "، و " جامع المسانيد "، و " الكشاف " للزمخشري، وغير ذلك من." (٢)

"القلعة على عادته، وهذه ثالث مرة وليها؛ لأنه مشكور السيرة فيها، وله فيها سعي محمود في أوقات متعددة.

وفي يوم الخميس حادي عشره صلى نائب السلطنة والقاضيان الشافعي والحنفي، وكاتب السر، وجماعة من الأمراء، والأعيان - بالمقصورة، وقرئ كتاب السلطان على السدة بوضع مكس الغنم إلى كل رأس بدرهمين، فتضاعفت الأدعية لولي الأمر، ولمن كان السبب في ذلك.

[غريبة من الغرائب]

، وعجيبة **من العجائب**

وقد كثرت المياه في هذا الشهر، وزادت الأنهار زيادة كثيرة جدا، بحيث إنه فاض الماء في سوق الخيل من نهر بردى حتى عم جميع العرصة المعروفة بموقف الموكب، بحيث إنه أجريت فيه المراكب بالكرا، وركبت فيه المارة من جانب إلى جانب، واستمر

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٥٢٤/١٨

(٢) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ٦٥٨/١٨

ذلك جمعا متعددة، وامتنع نائب السلطنة والجيش من الوقوف هناك، وربما وقف نائب السلطنة بعض الأيام تحت الطارمة تجاه باب الإسطبل السلطاني، وهذا أمر لم يعهد مثله، ولا رأيته قط في مدة عمري، وقد سقطت بسبب ذلك بنايات ودور كثيرة، وتعطلت طواحين كثيرة غمرها الماء.

وفي ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى توفي الصدر شمس الدين." (١)

"المعنى: أنه أصاب موضعا يضيف إليه فيه أي: يميل إليه؛ لأن أهله قد فارقوه، ومضيف محال؛ لأن البلد لا يضيف، ولأن الزمان لا يحتاج؛ وإنما المعنى أن الزمان مال عليك فأصاب موضع محل ومنزل.

وقال "من الكامل":

يا سهم كيف يفيق من سكر الهوى ... حران يصبح بالفراق ويغبق

عمري لقد نصح الزمان وإنه ... لمن العجائب ناصح لا يشفق١

نصح الزمان: أي أدبك بما يريك من غيره واختلافه، والزمان لا يشفق على أحد؛ لأنه يأتي على الإنسان بما يقضي عليه، فقال: "من العجائب أن ينصحك الدهر وهو لا يشفق".

وقال "من الطويل":

كلوا الصبر غضا واشربوه فإنكم ... أثرتم بعير الظلم والظلم بارك

من يأتك المقدار لا تك٢ هالكا ... ولكن زمان غال مثلك هالك٣

وقال العباس بن الأحنف "من البسيط":

ولي جفون جفاها النوم فاتصلت ... أعجاز دمع بأعناق الدم والسرب٤

وهذا وأمثاله من الاستعارة مما عيب من الشعر والكلام؛ وإنما نخبر بالقليل ليعرف فيتجنب.

قال المهلب٥ لرجل من الأزد: متى أنت؟ قال: أكلت من

---

١ الصبوح: الشراب بالغداة، ضد الغبوق وهو الشراب بالعشي.

٢ في رواية: لا تدع.

٣ أثار الشيء: أنهضه من مقامه. برك البعير: أي أناخ. المقدار: القدر. غال الشيء: اغتاله.

٤ أعجاز: جمع عجز وهو مؤخر الشيء. العنق: جمعها أعناق وهي أول الشيء؛ لأن العنق من أول ما يرى من الإنسان. دم سرب: أي سائل متدفق.

٥ سيد أهل العراق نشأ بالبصرة وولى إمارتها لمصعب وصمد لقتال الأزارقة تسعة عشر عاما، وولي خراسان عام ٧٩هـ، ومات فيها عام ٨٣هـ.." (٢)

---

(١) البداية والنهاية ط هجر ابن كثير ١٨/٦٧٣

(٢) البديع في البديع لابن المعتز ابن المعتز ص/١٠٥

"الجمال، كما أن الفصاحة تعفي على القبح؛ وقال، قال النبي صلى الله عليه وسلم للعباس عمه وسمع منه كلاما فصيحا: بارك الله عز وجل لك يا عم في جمالك، أي في فصاحتك. قال: وكذلك الحديث الحسن تقبله النفس أولا وتكرهه معادا؛ قال: وأقول أيضا: كما أن الألحان أشرف المنطق كذلك نفس الطروب والمستخف لها أشرف النفوس.

وقال أيضا: كتبت إلى صديق لي: الكامل المجزوء

إن كنت تنكر أن في ال ... ألحان فائدة ونفعا

فأنظر إلى الإبل التي ... هي ويك أغلظ منك طبعا

تصغي لأصوات الحدا ... ة فتقطع الفلوات قطعا

ومن العجائب أنهم ... يظمونها خمسا وربعا

فإذا توردت الحيا ... ض وحاولت في الماء كرعا

وتشوفت للصوت من ... حاد تصيخ إليه سمعا

ذهلت عن الماء الذي ... تلتذه بردا ونقعا." (١)

"[مقدمة الكتاب]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله أجمعين الطاهرين.

هذا بقية القول في العراق والبصرة وأخبار دار فتحها والوقت الذي بنيت فيه، وما فيها **من العجائب**، والقول في الأبلة. والقول في البطائح. والقول في واسط. والقول في النبط والخوز. والقول في بغداد وأخبار كور دجلة. والقول في سر من رأى. القول في خراج الدنيا وما كان يحمل إلى بيت السلطان من بلد إلى بلد. القول في الأهواز وفارس ومدنها. القول في قرميسين وأخبار شبريز. القول في همذان وعجائبها. القول في نهاوند وإصبهان وقم وعجائبها. القول في الري ودنباوند وأخبار بيوراسف. القول في قزوين وأبهر وزنجان وطبرستان. القول في خراسان ومدنها وأخبارها. القول في الترك وأخبارهم وقبائلهم وشرائعهم. ذكرنا أضيف (؟) إلى ما صنفه أحمد بن محمد الهمذاني في آخر كتابه رسالتين كتبهما إلينا أبو دلف مسعود (كذا) بن المهلهل. () في إحداهما أخبار الترك والصين بمشاهدته ذلك. والأخرى أشياء رآها وشاهدها () وأضفنا إليه كتابا جمعه أحمد بن فضلان بن راشد بن حماد مولى محمد بن سليمان الهاشمي في أخبار الترك والخزر والروس والصقالبة والباشغرد مما وقف عليه ونظر إليه. لأن المقتدر بالله أنفذه إلى بلد الصقالبة في سنة تسع وثلاثمائة باستدعاء ملكهم ذلك () والإسلام. فحدث بجميع ما شاهده في هذه البلدان () . [١ ب] .

نص ما هو مكتوب على الصفحة التي تلي صفحة العنوان. والفراغات إما كلمات مطموسة أو غير مقروءة.." (٢)

---

(١) البصائر والذخائر أبو حيّان التوحيدي ١١٠/٢

(٢) البلدان لابن الفقيه ابن الفَقيه ص/٥٥

"مصر بوادي مهران وهو وادي السند ومن هناك أتاه. وبمصر **من العجائب** الفرس الذي يكون في النيل يأكل التماسيح وغيره من الدواب ويربي هذا الفرس إذا كان فلوا في البيوت مع النساء والصبيان وفي سنه شفاء من وجع المعدة. والنوبة والحبشة تتعالج به لأنهم يأكلون الأطعمة الغليظة فيشرفون على الموت من وجع المعدة فيأخذون سن هذا ويتعالجون به فيبرؤون وأعفاجه تبرئ من الجنون الذي يأخذ في الأهلة. ومن عجائب النيل دابة تسمى ذا القرن تكون في النيل على أنفها مثل السيف الحاد تقطع الصخرة إذا ضربتها وربما قتلت به الفيل.

وأهل مصر يعدون النيل من أحد عجائبهم وذلك أنه مخالف لجميع الأودية التي عليها ضبع العالم وكل سرب ومغيض فإنما استقباله من ناحية الشمال وليس النيل كذلك لأن مجراه من ناحية الجنوب وليست التماسيح في شيء من هذه الأودية المعروفة لا ترى بالفرات ولا دجلة ولا سيحان ولا جيحان ولا نهر بلخ، ولا فيها من الفساد والدواب الخبيثة، وشرب أهل مصر في البواقيل «١» ،

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : «تغور المياه كلها وترجع إلى أماكنها، إلا نهر الأردن ونيل مصر والحجرات وعرفات ومنا» .

وقال ابن الكلبي: إذا طلع العيوق غارت المياه كلها ونقصت إلا نيل مصر، ويمتد النيل لسبع من أيار. وقال عبد الله بن عمرو: نيل مصر سيد الأنهار، سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب، فإذا أراد الله أن يجريه أمر كل نهر أن يمده، فأمدته الأنهار بمائها، فإذا فجر الله به الأرض عيونا وانتهى من جريته إلى ما أراد الله، أوحى الله عز وجل إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره، وفي الخبر أربعة أنهار من الجنة: النيل، والفرات، وسيحان، وجيحان.

وقال بعضهم: النيل يخرج من خلف خط الاستواء من بحيرتين يقال لهما بحيرتا النيل، وهو يطيف أرض الحبشة ويجيء فيمر بين بحر القلزم- وهو بحر الفرما- وبين المفازة، فيجيء فيصب بدمياط، ويخرج إلى البحر الرومي المغربي، ودمياط على البحر الرومي المغربي. وقال أبو الخطاب: قال المشتري ابن الأسود: غزوت بلاد أنبية عشرين غزاة، من السوس الأقصى، فرأيت النيل بينه وبين البحر الأجاج." (١)

"إبراهيم بن الأغلب عامله على إفريقية، فخرج حتى وصل إلى وليلة، وذكر أنه متطبب وأنه من أوليائهم، فاطمأن إليه إدريس وأنس به، فشكا إليه إدريس علة في أسنانه، فأعطاه سنونا مسموما ليلا، وأمره أن يستن به عند طلوع الفجر، وهرب من الليل، فلما طلع الفجر استن إدريس بالسنون فقتله وطلب الشماخ فلم يظفر به، وقدم على إبراهيم بن الأغلب فأخبره بما كان منه، ولحقت الأخبار بعد مقدمه بموته فكتب بذلك إلى الرشيد فولى الشماخ بريد مصر، ثم ملك من بعد إدريس ابنه، وإلى هذه الغاية هي ثابتة في ولده.

وفي يدي محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أمية ما وراء بحر الأندلس، وفي يديه قرطبة وبينها وبين الساحل مسيرة خمس ليال، ومن ساحل قرطبة إلى أربونة آخر الأندلس مما يلي فرنجة ألف ميل، وطليطلة وبها كان ينزل الملك، ومن طليطلة إلى قرطبة عشرون ليلة، وللأندلس أربعون

---

(١) البلدان لابن الفقيه ابن الفَقيه ص/١٢٠

مدينة، ويجاور الأندلس فرنجة وما والاها من بلاد الشرك، والأندلس مسيرة أكثر من شهر في شهر، وهي خصبة كثيرة الخير والفواكه ومما يلي الشمال والروم فرنجة، والأندلس افتتحها طارق بن زياد وموسى بن نصير، فأصاب بها مائدة سليمان (عليه السلام) فيها جواهر لم ير خلق مثلها فقطع طارق قائمة من قوائم المائدة وصير مكانها أخرى لا تشبهها، فلما قدموا بها على الوليد بن عبد الملك وكان موسى وجهها إليه فقال طارق: أنا أصبتها فكذبه موسى فقال طارق للوليد: ادع بالمائدة فنظر إلى قائمته فإذا هي لا تشبه القوائم، فقال طارق: سله عنها، فسأله فقال: كذا أصبتها فأخرج طارق إليه القائمة فصدقه الوليد وقومت المائدة مائتي ألف دينار.

ومن العجائب بيتان وجدا بالأندلس عند فتحها في مدينة الملوك، في أحدهما عدد تيجان لملوكها، وفي هذا البيت وجد مائدة سليمان بن داود (عليه السلام) ، وعلى البيت الآخر أربعة وعشرون قفلا، كلما ملك منهم ملك زاد عليه قفلا، ولا يدرون ما في البيت حتى ملك لدريق، وهو آخر ملوكهم فقال: لا بد أن أعرف ما في هذا البيت، وتوهم أن فيه مالا، فاجتمعت الأساقفة والشمامسة." (١)

"**ومن العجائب** بفارس شجرة تفاح بشيراز، نصف التفاحة حلو في نهاية الحلاوة ونصفها حامض في غاية الحموضة. وليس بفارس كلها من هذا النوع إلا هذه الشجرة الواحدة.

ولهم سابور وفيها الأدهان الكثيرة ومن [٩٢ ب] دخلها لم يزل يشم ريحا طيبة حتى يخرج منها، وذلك لكثرة رياحينها وأنوارها وبساتينها.

١٨/٢ ولهم جور وبها يعمل الماورد الجوري وهو النهاية من الماورد.

ولهم الثياب السينيزية «١» والجنابية والنوزية والسابورية. وهم أحذق الناس باتخاذ المرايا والمجامع وغير ذلك من الآلات الحديد.

وقال الأصمعي: حشوش الدنيا ثلاثة: عمان والأبلة وسيراف.." (٢)

"سليمان بن قيراط وشريكه إلى المهدي يعرفانه ما قد اجتمع في أيديهم من الأغنام والمواشي والدواب التي في المروج والحيطان. فوجه إليهما جيشا وأمرهما ببناء حصن يأويان إليه مع الأغنام والمواشي والدواب. فبنيا مدينة سيسر وحصناها وأسكناها الناس. ٦٧/٢ ثم ضم السلطان إليه رستاقا من الدينور يقال له ما ينمرج ورستاقا آخر يقال له الجوذمة من آذربيجان من كورة برزة [١٢٤ ب] وولاها عاملا مفردا. فلم يزل على ذلك إلى أيام الرشيد. فإن الصعاليك كثروا بهذه الناحية وزاد أمرهم. وكان حصن سيسر قد تشعث. فعرف الرشيد ذلك. فأمر ببناءها وتحصينها ورتب فيها ألف رجل [من أصحاب خاقان الحارثي السغدي- وفيها اليوم قوم من أولادهم] «١» . فلما كان في آخر أيام الرشيد تغلب مرة بن أبي مرة العجلي عليها، فحاول عثمان الأودي مغالبته فلم يقدر عليه [وعلى ما كان في يده من آذربيجان] «٢» . ولم يزل مرة بن أبي مرة يؤدي الخراج عن سيسر في أيام الأمين على مقاطعة معلومة إلى أن وقعت الفتنة فمنع ما قوطع عليه. فلما

---

(١) البلدان لابن الفقيه ابن الفَقيه ص/١٣٤

(٢) البلدان لابن الفقيه ابن الفَقيه ص/٤١٢

استقر الأمر للمأمون أخذت من مرة وأخرجت عن يده وجعلت في ضياع الخلافة.

ومن العجائب التي بهمذان:

أسد من حجر على باب المدينة يقال إنه طلسم للبرد من عمل بليناس صاحب الطلسمات حين وجهه قباد الأكبر لما أراد أن يطلسم آفات البلاد. ويقال إن الفارس كان يغرق بفرسه في الثلج بهمذان لكثرة ثلوجها وبردها. [فعمل بها الأسد وهي صورة أسد عظيم من حجارة بحذاء أروند جبلها المطل عليها] «٣» ٦٨/٢ قل ثلجها وصلح أمرها.

وعمل أيضا على يمين الأسد طلسما للحيات فقلت. وآخر للعقارب فنقصت وآخر للغرق فأمنوه. وآخر للبراغيث فهي قليلة جدا بهمذان.." (١)

"وذهبت الصناعات ولما تغرب أحد ولا سافر إنسان ولتركوا التهادي فيما بينهم ولذهب الشرى والبيع والأخذ والإعطاء. إلا أن الله جل وتقدس أعطى كل صقع نوعا من الخيرات لم يعطه الصقع الآخر ليسافر هذا إلى بلد هذا، فيحمل متاع أرضه. وهذا إلى مدينة هذا فيحمل عجائب مدينته.

وقيل في قول الله عز وجل وقدر فيها أقواتها

أنه أراد بها جعله في بلد دون بلد، مثل الكاغذ بسمرقند ٨٣/٢ والقرطاس بمصر.

ولذلك خص بلاد الهند بأنواع الطيب والجواهر واليواقيت وأشباه اليواقيت وغير ذلك من الأحجار المثمنة. ولهم أصناف الطيب كالعود والعنبر والكافور والقرنفل والخولنجان والدارصيني وغير ذلك من أنواع الطيب. ولهم الصندل والتوتياء والهليلج وأنواع كثيرة لو ذكرناها لطال بها الخطب ولخرج الكتاب من الغرض الذي قصدناه. ولهم القثاء والخيزران والبقم والصندل الأحمر والأبيض، ولهم الساج والفلفل. وفي بلادهم الطواويس والفيلة والكركدن.

وقد خص الله أهل الصين بإحكام الصناعات وأعطاهم منها ما لم يعط أحدا، فلهم الحرير الصيني والغضائر الصيني والسروج الصيني وغير ذلك من الآلات المحكمة العجيبة الصنعة المتقنة العمل. ولهم أيضا مسك إلا أنه ليس بجيد. وقالوا إنما يتغير في البحر لطول المسافة.

ثم الروم وما قد خصهم الله به من العلوم والآداب وما قد أعطوا من الهندسة والفلسفة والحذق بالأبنية والمصانع واتخاذ الحصون وعقد القناطر والجسور وعمل الكيمياء والكساء الرومي والفرفير والبزيون. وفي بلادهم الميعة والمصطكى.

ثم النوبة وما قد خصوا به من جودة الرمي وما قد انفرد به بلدهم **من العجائب**. ولهم الخيل العجيبة والنجب التي تسبق الخيل. ولهم الكلاب التي تقاتل الأسد.

وكذلك البجة وفي بلدهم معدن الزبرجد ومعدن الذهب، وزيهم زي العرب كأنهم من رجال اليمن.." (٢)

---

(١) البلدان لابن الفقيه ابن الفَقِيه ص/٤٩٦

(٢) البلدان لابن الفقيه ابن الفَقِيه ص/٥١٢

"رومية، والتمساح، والرعاد، والسقنقور، وذات الحوافر وغير ذلك من العجائب التي لا تحصى [١٣٢ ب] فتبارك الله أحسن الخالقين.

منارة ذات الحوافر

وكان سنب بناء (ذات الحوافر) بهمذان وهي منارة عالية في رستاق يقال له ونجر بقرية يقال لها أسفجين.

٧٨/٢ وكان السبب في بنائها، أن شابور بن أردشير قال له منجموه إن ملك هذا سيزول وإنك ستشقى أعواما كثيرة حتى تبلغ إلى حد الفقر والمسكنة، ثم يعود إليك الملك. قال: وما علامة رجوعه؟ قالوا: إذا أكلت من خبز الذهب على مائدة حديد، فذاك علامة رجوع ملكك. فاختر أن يكون ذلك في شبيبتك أو في كبرك.

قال فاختار أن يكون في شبيبته. وحدوا له في ذلك حدا، فلما بلغ الحد اعتزل ملكه ترفعه أرض وتخفضه أخرى إلى أن صار إلى هذه القرية، فتنكر وآجر نفسه من عظيم القرية. وكان معه جراب فيه تاجه وثيابه، فأودعه الرجل الذي آجره نفسه.

فكان يحرث له نهارا ويسقي زرعه ليلا. فإذا فرغ من سقي الزرع طرد الوحش عن الزرع حتى يصبح. فبقي على ذلك سنة. فرأى الرجل منه حذقا ونشاطا وأمانة في كل ما يأمره به. فرغب فيه الرجل واسترجحه فزوجه بعض بناته. فلما حولها إليه كان شابور يعتزلها ولا يقربها. فلما أتى لذلك شهر، شكت إلى أبيها فاختلعها منه.

[وبقي شابور يعمل عنده. فلما كان بعد حول آخر سأله أن يتزوج ابنته الوسطى ووصف له جمالها وكمالها وعقلها فتزوجها. فلما حولها إليه كان شابور أيضا معتزلا لها ولا يقربها. فلما تم لها شهر سألها أبوها عن حالها مع زوجها فاختلعها منه] «١»

.

فلما كان حول آخر وهو الثالث، سأله أن يتزوج ابنته الصغيرة. ووصف له جمالها وعقلها وكمالها. فتزوجها، فلما حولت إليه، كان شابور معتزلا لها لا." (١)

"المحيط عبد الحميد الرعبطي المعروف بابن مغيث؛ وكان قد رفع إليه رافع أن جليقية من ناحية البحر المحيط لا سور لها، وأن أهلها لا يمتنعون من جيش إن غشيهم من تلك الناحية. فلما كملت المراكب بالإنشاء، قدم عبد الحميد بن مغيث عليها. فلما دخل البحر، تقطعت المراكب كلها وتفرقت، ولم يجتمع بعضها إلى بعض. ونجا ابن مغيث.

وفي سنة ٢٦٧، التاثت الحصون المبتناة برية وتاكرنا وجهة الجزيرة. وفيها، ابتدأ شر اللعين عمر بن حفصون، الذي أعيى الخلفاء أمره، وطالت في الدنيا فتنته، وعظم شره؛ فقام في هذه السنة على الأمير محمد بناحية رية. فتقدم إليه عامر بن عامر؛ فانهزم عامر وأسلم قبته؛ فأخذها ابن حفصون، وهو أول رواق ضربه؛ فاستكن إليه أهل الشر. وعزل الأمير عامرا عن كورة رية، وولاها عبد العزيز بن عباس؛ فهادنه ابن حفصون، وسكنت الحال بينهما. ثم عزل عبد العزيز، وتحرك ابن حفصون، وعاد إلى ما كان عليه من الشر. وخرج هاشم بن عبد العزيز إلى كورة رية يطلب كل من كشف وجهه في الفتنة وأظهر الخلاف، وأخذ رهائن أهل تاكرنا على إعطاء الطاعة.

---

(١) البلدان لابن الفقيه ابن الفَقِيه ص/٥١٨

ومن العجائب في هذا العام، ما ذكره الرازي وغيره. قالا: زلزلت الأرض بقرطبة زلزالا شديدا، وهاجت ريح عند صلاة المغرب؛ فأثارت سحابا فيه ظلمات ورعد وبرق؛ فصعق ستة نفر، وانقلبوا على ظهورهم، مات اثنان؛ وخر جميع الناس سجدا إلا الإمام، فإنه ثبت قائما؛ وكان الرجلان اللذان ماتا أقرب الناس إلى الإمام؛ فاحترق شعر أحدهما واسود وجهه وشقه الأيسر؛ والآخر ظهر بشقه الأيمن سواد؛ والأربعة الصرعى مكثوا حتى فرغ الإمام؛ فسئلوا عما أحسوا؛ فقالوا: (أحسسنا نارا كأنها الموج الثقيل.) ووجد أهل المسجد رائحة النار، ولم يوجد للصاعقة أثر في سقف ولا حائط. واهتزت لهذا." (١)

"وبينه إلا في الاسم وحده في تصدير الكتب عنه، حتى تنامت حاله في الجلالة، وبلغ غاية العز والقدرة.

قال حيان بن خلف: وقرأت في بعض الكتب أن محمد بن أبي عامر، لما حجب هشاما عن الناس واستبد بالأمر دونه، ظهرت فيهم بقرطبة أقوال معرضة أفشوا بينهم فيها أبياتا فاحشة. فمن ذلك ما قيل على لسان هشام الخليفة في شكواه لهم (وافر) :

أليس من العجائب أن ... يرى ما قل ممتنعا عليه

وتملك باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شئ في يديه

ومما قيل في تقديم هشام، وهو صغير لم يبلغ الحلم، وفي قاضيه ابن السليم (سريع) :

اقترب الوعد وحان الهلاك ... وكل ما تكرهه قد أتاك

خليفة يحضر في مكتب ... وأمه حبلى وقاض يناك

يريد بذلك شغف أم هشام بابن أبي عامر، لأنها كانت تتهم به، وهي أوصلته إلى حيث وصل من الحال التي لم يتمكن لأحد قبله ولا بعده مثلها؛ فسلب هشاما ملكه وجنده وماله.

وفي سنة ٣٧٢، قتل جعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن الأندلسي؛ وذلك أن المنصور عزم – بزعمه – على إكرام جعفر المذكور ليلة الأحد لثلاث خلون من شعبان من السنة، مكرا منه، وحيلة لقتله؛ فانتخبه ساقي المجلس بكأس؛ فقال له ابن أبي عامر: (اسقها أعز الناس علي) . فأمسك الساقي حيرة لكثرة من ضم المجلس من العلية؛ فزجره ابن أبي عامر وقال: (ناولها الوزير أبا أحمد! عليك لهنة الله!) فقام جعفر؛ فتناولها على قدمه، واستخفه الطرب حتى قام يرقص؛ فلم يبق أحد بالمجلس إلا فعل كنعله، وأميلت إليه الكؤوس." (٢)

"غلام، فما رأيت ملكا ولا سوقة كان أفسح منه أخلاقا، ولا أقل ضربا وشتما لملك يمين، وكان ربما دعا الغلام من غلمانه لبعض ما يحتاج إليه فيسمع نداءه فلا يجيبه، قال: فسمعته يوما يقول للربيع: ما أدري كيف أصلح غلماني وخدمي؟ أصوت للواحد منهم أصواتا فلا يجيبني وأنا أعلم أنه قد سمع. قال: يا أمير المؤمنين، لنت لهم غاية اللين فلو غلظت عليهم بعض الغلظة استقاموا. فقال:

---

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ابن عذاري المراكشي ١٠٤/٢

(٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ابن عذاري المراكشي ٢٨٠/٢

ابغني سوطا ومسمارا، فأتاه بهما فعلق السوط تجاه مجلسه فكان إذا صاح بالخادم وافاه عشرون في لحظة، فقال: قاتل الله القائل: [من الكامل المجزوء] .

العبد يقرع بالعصا ... والحر تكفيه الملامه

[١١٦٠]- قال الفضل بن يحيى لرجل استبطأ عدة الرشيد، وكان من أهل بيته: إنما شغل عنك أمير المؤمنين حقوق أهل الطاعة دونك، ولو فرغ منهم إليك لم يؤثر من دونك عليك، فقام أبوه يحيى فقبل رأسه.

[١١٦١]- كان المعتضد بالله من ساسة الخلفاء وذوي التدبير، وسمي السفاح الثاني لأنه جدد الدولة العباسية بعد دروسها، وولي بعد المعتمد عمه وكان مستضعفا حتى أنه طلب ما يراعي به مغنية عنده، فلم يعط وقصرت يده عنه فقال: [من الوافر]

.

أليس **من العجائب** أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه

وكان تؤخذ جواريه غصبا فلا يقدر على الامتناع وليس هذا موضع أخباره. فلما ولي المعتضد لم يجد في بيت المال غير سبعة وعشرين درهما زائفة،

[١١٦١] تولى الخلافة (٢٧٩- ٢٨٩) ، وقارن ما ذكره هنا بما في تاريخ الخلفاء: ٣٩٩ وخلاصة الذهب المسبوك: ٢٣٥ وابن الكازروني: ١٦٤- ١٦٥ وابن العمراني: ١٤٠، وبيتا المعتمد في تاريخ الخلفاء: ٣٩٤.." (١)

"مسلمة أن أفضل الاقتصاد ما كان بعد الجدة، وأفضل العفو ما كان بعد القدرة، وأفضل اللين ما كان بعد الولاية.

«١٤١» - معد بن الحسين [١] بن خيارة الفارسي المغربي: [من البسيط]

تضيق في عيني الدنيا ويعجبني ... في فسحة الجو تصعيدي وتصويبي

كأنني حامل رحلي على فلك ... تسري به عزماتي وهو يسري بي

«١٤٢» - ابن ميخائيل المغربي: [من الكامل]

ومن العجائب أن ترى مستصغرا ... لملمة من لا يرى مستعظما

يقتاده الأمل القريب فينثني ... عنه إلى الأمل البعيد تقدما

ما بين أفئدة المنون مطنبا ... أطنابه وعلى الحتوف مخيما

وابن المهامة إن أراد يقوده ... عزم يقود به الجديل وشدقما

يستن من مجهولها في هبوة ... لو شقها السمع الأزل تندما

«١٤٣» - ومن الحمية والأنف ما رواه أبو رياش يسنده إلى رجل من كندة كوفي قال: كنت أجالس شريحا وهو قاض

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٤٥٢/١

لأمير المؤمنين علي عليه السلام، فإني لفي مجلسه ذات يوم إذا أقبل رجل جيدر صعل الرأس ناتىء

---

[١] ر: حسن؛ م: حسين.." (١)

"وضجيعك العضب الذي لا ينتضى ... وخليطك الزور الذي لا يبرح

واعلم بأن البيت إن أوطنته ... سجن وطول الهم غل يجرح

أأخي لا تك مضغة مزؤودة [١] ... تنساغ لينة القياد وتسرح

ألا أبيت وأنت من جمراتها ... **ومن العجائب** جمرة لا تلفح

كن شوكة يعيي انتفاش شباتها ... أو حمضة يشجى بها المتملح

وانفض يديك من الثراء فكم مضى ... من دون ثروته البخيل المصلح

يبقى لوارثه كرائم ماله ... ولقد يرقع عيشه ويرقح

قد ينتج المرء العشار بجده ... وسواه يعتام الفحول ويلقح

---

[١] ر: مزرودة.." (٢)

"إذا غدا المهدي في قومه ... أو راح في آل الرسول الغضاب

بدا لك المعروف في وجهه ... كالظلم يجري في ثنايا الكعاب

وقال أبو العتاهية

ولربما حذر الفتى ... ما لبيس ينجى من حذر

كالمتقي قطر السحا ... ب وحوله في الأرض بحر

وقال آخر المنسرح

حورف عبد العزيز في أتنه ... وفي براذينه وفي هجنه

برذون عبد العزيز مضطرب ال ... خلق يجل الفلان عن ثمنه

كأنه والسياط تأخذه ... أخو وقار أغضى على إحنه

وقال أبو النجم

يدنو من الجدول مثل الجدول ... يقذف في حنجره كالمرجل

كان صوت جرعه المستعجل ... جندلة دهديتها في جندل

وقال ذو الرمة

---

(١) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٧٣/٢

(٢) التذكرة الحمدونية ابن حمدون ٢١٧/٥

فداوين من أجوافهن حرارة ... بجزع كأثباج القطا المتتابع

وقال آخر المتقارب

فأوصيكم بطعان الكماة ... فقد تعلمون بأن لا خلودا

وضرب الجماجم ضر الأص ... م حنظل شابة يجني هبيدا

الأصم إذا ضرب لم يسمع فهو يشد الضرب والهبيد حب الحنظل وقال ابن الرومي

العين ما تنفك من نظر ... والنفس لا تنفك من طر

ومحاسن الأشياء فيك معا ... فملالتيك ملالتي بصرى

متعات وجهك في بديهتها ... جدد وفي أعقابها الأخر

وكأن وجهك من تجدده ... متنقل للعين في صور

وله المنسرح

لا شيء إلا وفيه أحسنه ... فالعين منه إليك تنتقل

فوائد العين منه طارفه ... كأنما أخرياتها الأول

وله أيضا

طرفي لطرفك حين تنظر مقتل ... لكن طرفك سهم حتف مرسل

ومن العجائب أن معنى واحدا ... هو منك سهم وهو مني مقتل

وله أيضا

وهبت له عيني الهجوعا ... فأثابها منه الدموعا

ظبي كأن بخصره ... من ضمره ظمأ وجوعا

وقال بلعاء بن قيس

رأتني صريع الخمر يوما فسؤتها ... وللشاربيها المدمنيها مصارع

معي كل مسترخي النجاد كأنه ... إذا ما بدا من أخمص الرجل ظالع

وقال ابن الرومي في موت محمد بن عبد الله بن طاهر

مات الأمير ومات بدر سمائنا ... هذا يودعنا وهذا يكسف

قمر رأى قمرا يجود بنفسه ... فبكى أخاه أخ مواس منصف

وقال جعيفران الموسوس في مواجرين

كأنهم والعيش تعلوهم ... وقد علت للقوم أنفاس

يبادر للخرج موقوفة ... لما أتاهم إذنهم داسوا

وقال ابن الرومي في عبيد الله بن سليمان

تغنون عن كل تقريظ بفضلكم ... غنى الظباء عن التكحيل بالكحل

تلوح في دولة الإسلام دولتكم ... كأنها ملة الإسلام في الملل

وقال آخر

أمسى يجود بنفسه وكأنه ... قمر تغشاه الدجى بكسوف

ومشى البلى في جسمه فكأنه ... ورد قطيف مؤذن بجفوف

وأحسن أبو الهندي في قوله

سقيت أبا المطرح إذ أتاني ... وذو الرعثات منتصب يصيح

شرابا يهرب الذبان عنه ... وبلثغ حين يشربه الفصيح

وقال ابن المعتز يصف غيثا

يكسو البلاد قميصا من زخارفه ... كأنه فوق جسم الأرض مزرور

ظلت جآذره غرقى مصرعة ... كأنها لؤلؤ في الأفق منثور

ونحوه قول ابن الرومي يصف الشيب

كأن سناني حين وافاه كوكب ... أصيب به قطع من المزن أقهد

أشرفت جليس جارية جعفر بن يحيى على صبيان البرامكة وهم يلعبون فقلت

كأنهم مع بني الغوغاء في عدد ... در ومخشلب في الأرض منثور

وكان الجماز يتعشق جارية بالبصرة وكان يغلبه عليها خادم بالبصرة من خدم السلطان يقال له سنان فقال الجماز المضارع

ما للبغيض سنان ... وللظباء الملاح

أليس زان خصي ... غاز بغير سلاح

وفيه يقول المجتث

ظبي سنان شريكي ... فيه فبئس الشريك

فلا ينيك سنان ... ولم يدعني أنيك

وفيها يقول المجتث

ما كنت أحسب طغيا ... ن تعشق الدهر غيري." (١)

"الشعراء وله تواليف في فنون شاهدة بفهمه ودالة على سعة علمه وقد أوردت في تأليفي المترجم بتحفة القادم كثيرا من شعره وكتب إلي أبو عمر بن عات أن أبا الحسن بن المفضل أنشده بالإسكندرية قال أنشدنا عبد الله بن يوسف القضاعي قال أنشدني أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي قال أنشدني أبو محمد التكريتي من تلامذة أبي حامد الغزالي لأبي حامد هذا ولم أسمعه من غيره ولا ذكر له أبو الصلت في الحديقة غيره

---

(١) التشبيهات لابن أبي عون ابن أبي عون ص/٨٩

(حلت عقارب صدغه في خده ... قمرا يجل بها عن التشبيه)

(ولقد عهدناه يحل ببرجها ... **فمن العجائب** كيف حلت فيه) // الكامل //

توفي سنة عشرين وخمسمائة أو بعدها بيسير وهو من أبناء الستين أفادني أكثر خبره بعض أصحابنا عن أبي عبد الله بن عبد الخالق الخطيب بالمنستير من أعمال المهدية

باب أصبغ

٥٤١ - اصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء مولى الوليد بن عبد الملك بن مروان والد قاسم بن أصبغ من أهل قرطبة وأصله من بيانة عملها سمع الحديث ببلده وروى عن يحيي بن يحيي وغيره ولم يزل يختلف إلى المشرق تاجرا حتى ضعف وكان خيرا دينا كثير الجهاد والرباط دائبا على ذلك إلى أن توفي في جمادى الأولى سنة ثلاث مائة ذكر خبره الحكم المستنصر بالله وفيه يسير عن غيره وقال ابن حيان توفي سنة إحدى وثلاث مائة

٥٤٢ - أصبغ بن عنبسة اللخمي من أهل قرطبة يعرف بالباجي كان عنده علم بالعربية وبصر باللغة ورواية للشعر وأدب سعيد بن أبي القاسم خال الناصر عبد الرحمن بن محمد ذكره الرازي

٥٤٣ - أصبغ بن ناصح المددي من أهل قرطبة يكنى أبا القاسم ويعرف بالمجذر." [١]

"طبيب يداوي الناس وهو مريض

يا طبيب طب لنفسك.

ومن العجائب أعمش كحال

ابن الرومي:

غلط الطبيب إصابة المقدار

المتنبي:

وربما صحت الأجسام بالعلل

الصنوبري:

وللسقاط أمثال فمنها ... تمثلهم لدى الشيء المريب

إذا ما كنت ذا بول صحيح ... ألا فاضرب به وجه الطبيب

غيره:

إن الطبيب بطبه ودوائه ... لا يستطيع دفاع محذور أتى

ما للطبيب يموت بالداء الذي ... قد كان يبرى مثله فيما مضى

ذهب المداوي والمداوى والذي ... جلب الدواء وباعه ومن اشترى

---

(١) التكملة لكتاب الصلة ابن الأبار ١٦٩/١

آخر:

كم من عليل قد تخطاه الردى ... فنجا ومات طبيبه والعود." (١)

"آخر:

ومن حق من يمسي مع العور أن يرى ... وإن لم تخنه عينه متعاورا

ومن للعور بالحول. **ومن العجائب** أعمش كحال، وأعمى منجم. أوقح من أعمى.

سمعت أعمى قال في مجلس: ... يا قوم ما أوجع فقد البصر

فقال من بينهم أعور: ... يا سادتي عندي نصف الخبر

كيف يرجو الحياء منه صديق ... ومكان الحياء منه خراب

ليس العمى ألا ترى شيئا، ولكن العمى ألا ترى مميزا بين الصواب والخطأ. أعمى يدلس نفسه في العور. إن جئت أرضا أهلها كلهم عور، فغمض عينك الواحدة. آخر:

وربتما ابتهج الأعمى بحالته ... لأنه قد نجا من طيرة العور

ما يتمثل به من ذكر الملائكة

لا يقاس الملائكة بالحدادين. خطه خط الملائكة لأن خطها غير واضح، وأجود الخط أبينه. وصف الجماز بعض البخلاء فقال: لا يحضر مائدته إلا أكرم الخلق وألامه، يعني الملائكة والذباب.." (٢)

"بعض الملوك السالفة كتب على قصب وطرحه في موضع مغيضه فظهر بنهر كرمان وقد شاهدناه وهو نهر حسن وللفرس فيه أشعار كثيرة، وليس في هذه البحيرة المنتنة ذو روح من سمك ولا غيره، ومنها يخرج الحمر الذي يسمي قفر اليهود يطلى على المناجل ويكسح به الكروم ليؤمن من الدود عليها، ولغير ذلك من العلاجات، ولمخرجه منها وما يظهر من الصوت وعلى أي صورة يظهر اخبار عجيبة وفيها وحولها يوجد الحجر الأصفر المعروف باليهودي المحزز على شكل البطيخ وخطوطه وذكر ابقراط وجالينوس وغيرهما انه يفتت الحصى المتولد في الكلى دون المثانة إذا برد وسقى وليس فيما عرف من معمور الأرض بحيرة لا يتكون ذو روح فيها الا هذه البحيرة وبحيرة كبوذان وهي على بعض يوم من مدينة أرمية وبلاد المراغة وغيرهما من بلاد آذربيجان، وهي أعظم وأغزر وامر وأملح لا يتكون ذو روح فيها أيضا وهي مضافة الى قرية في جزيرة في وسطها تعرف بكبوذان يسكنها ملاحو المراكب التي يركب فيها في هذه البحيرة، وتصب اليها انهار كثيرة ومياه من بلاد آذربيجان وغيرها، لم يعرض أحد ممن ذكرنا لوصفها وقد صنف احمد بن الطيب السرخسي صاحب يعقوب بن إسحاق الكندي كتابا حسنا في المسالك والممالك والبحار والأنهار وأخبار البلدان وغيرها، وكذلك ابو عبد الله محمد بن احمد الجيهاني وزير نصر بن احمد بن إسماعيل بن احمد بن أسد صاحب خراسان، ألف كتابا في صفة العالم وأخباره وما فيه

---

(١) التمثيل والمحاضرة الثعالبي، أبو منصور ص/١٨٢

(٢) التمثيل والمحاضرة الثعالبي، أبو منصور ص/٣٢٤

من العجائب والمدن والأمصار والبحار والأنهار والأمم ومساكنهم وغير ذلك من الاخبار العجيبة والقصص الظريفة، وابو القاسم عبيد الله بن." (١)

"ذكر ما أدركه الإحصاء من ملوك الطوائف وهي الطبقة الرابعة من ملوك الفرس وجملة ما ملكوا من السنين كانت ملوك الطوائف نحوا من مائة ملك فرس ونبط وعرب، من حد بلاد أثور وهي الموصل إلى أقصى بلاد الأعاجم، وكان المعظمين منهم والذين ينقاد الباقون اليهم الأشغانيون، وهم من ولد أشغان بن أش الجبار بن سياوخش ابن كيقاوس الملك، وكانوا ينزلون في الشتاء العراق وفي الصيف الشيز من بلاد آذربيجان، وفيها الى هذا الوقت آثار عجيبة من البنيان والصور، بأنواع الاصباغ العجيبة من صور الأفلاك والنجوم والعالم وما فيه من بر وبحر وعامر ومعدن وخراب ونبات وحيوان وغير ذلك **من العجائب** ولهم فيها بيت نار معظم عند سائر طبقات الفرس يقال له «آذرخش» و «آذر» أحد أسماء النار بالفارسية و «الخش» الطيب وكان الملك من ملوك الفرس إذا ملك زاره ماشيا تعظيما له، وتنذر له النذور، وتحمل اليه التحف والأموال، وغير ذلك، من البلاد كالماهات، وأرض الجبال ولم يعد من ملوك الطوائف في التواريخ والسير الا الأشغانيون لما ذكرنا من عظم شأنهم واتساق ملكهم وكان أول من يعد منهم أشك بن أشك بن اردوان بن اشغان بن أش الجبار بن سياوخش بن كيقاوس الملك، ملك عشر سنين، وسابور بن أشك ستين سنة، وجوذرز بن أشك عشر سنين، بيزن بن سابور احدى وعشرين سنة جوذرز بن بيزن تسع عشرة سنة، نرسى بين بيزن أربعين سنة، هرمز بن." (٢)

"والمتصل منها والمنفصل، وما فيها وحولها **من العجائب**، وما كان من الأرض برا فصار بحرا، وبحرا فصار برا على مرور الأزمان وكرور الدهور وعلة ذلك وسببه الفلكي والطبيعي، والأنهار ومبادئها ونهاياتها وأخبار الأمم الداثرة والممالك البائدة، وجامع تاريخ العالم والأنبياء والملوك من آدم إلى نبينا صلى الله عليه وسلم ومولده ومبعثه وهجرته ومغازيه وسراياه وسواربه الى وفاته والخلفاء والملوك من بعده وكتابهم ووزرائهم والغرر من اخبارهم، وما كان من الكوائن والاحداث والحروب في أيامهم الى سنة ٣٤٥ في خلافة المطيع، وهو مجزأ على ثلاثمائة وخمسة وستين جزءا، فإذا اجتمع كانت سمته كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) وإذا افترق كان كل جزء منه كتابا قائما بنفسه مضافا إلى ما اشتمل عليه وأفرد له

ذكر ملوك اليونانيين ومدة ما ملكوا من السنين

عدة ملوك اليونانيين من فيلبس أبي الإسكندر الى قلوبطرة آخرهم ستة عشر ملكا وجملة ما ملكوا من السنين مائتا سنة وثلاث وتسعون سنة وثمانية عشر يوما، وذلك موجود في قانون ثاون الإسكندراني وغيره وقد ذهب قوم ممن عنى باخبار سير الملوك وتواريخ الأمم الى أن عدة ما ملكوا من السنين ثلاثمائة سنة وثلاث سنين وقيل في عدة ملوكهم ومدة سنيهم

---

(١) التنبيه والإشراف المسعودي ص/٦٥

(٢) التنبيه والإشراف المسعودي ص/٨٣

أكثر من ذلك وأقل، غير أن الأشهر ما ذكرناه وكان أول من يعد من ملوك اليونانيين في التاريخ المقدم للحنفاء والقوانين والزيجات في النجوم وغيرها فيلبس ابو الإسكندر ملك سبع سنين." (١)

"حكيمة ولها كتب في الرقية وغيرها، وليس ابطلميوس القلوذى صاحب كتاب المجسطي وغيره من الكتب من هؤلاء البطلميوسين ولم يكن ملكا وقد بينا ذلك في كتاب أخبار ملوك الروم الأولى فيما يرد من هذا الكتاب في ملك أنطونيوس بيوس مجملا وفيما تقدمه من الكتب مشروحا وأتينا في كتاب (فنون المعارف، وما جرى في الدهور السوالف) على أخبار اليونانيين وأنسابهم وآرائهم وديارهم والتنازع في بدء أنسابهم ومن قال انهم من ولد يونان بن يافث بن نوح، ومن قال بل هو يونان بن ارعوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، ومن قال بل هو يونان بن عابر أخو قحطان بن عابر ومن ذهب إلى أنهم من ولد أليفز بن العيص بن إسحاق ابن إبراهيم وانهم اخوة الروم وغير ذلك من الأقاويل وكيفية غلبة الروم عليهم ودخولهم في جملتهم حتى زال اسمهم وانقطع ذكرهم ونسب الجميع إلى الروم بغلبة أوغسطس الملك عليهم عند خروجه من رومية ومسيره إلى الشأم ومصر وتنازع الناس في الفلاسفة كفيثاغورس وثاليس وانباذقليس والرواقيين وأصحاب الاصطوان وأميروس وأرسيلاوس وسقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وثاوفرسطس وثامسطيوس وأبقراط وجالينوس وغيرهم من الفلاسفة والأطباء أروم هم أم يونانيون وما ذكرنا من الشواهد من كتبهم انهم يونانيون، وقول من قال إنهم روم وسير ملوكهم وحروبهم وأخبار الإسكندر وسيره ومسيره في مشارق الأرض ومغاربها، وما وطئ من الممالك، ولقي من الملوك، وبنى من المدن، ورأى **من العجائب** وأخبار الردم وهو سد يأجوج ومأجوج وما كان بينه وبين معلمه أرسطاطاليس بن نيقوماخس، صاحب كتب المنطق وغيرها، وتفسير «أرسطاطاليس» الغداء التام وقيل تام الفضيلة لأن أرسطو هو الفضيلة، وطاليس تام، وتفسير «نيقوماخس» قاهر الخصم من الرسائل والمكاتبات في." (٢)

"التأويل في وقتنا هذا فيه كلام طويل يطول ذكره، فكان من إبراهيم الى خروج بنى إسرائيل من مصر خمسمائة وسبع وستون سنة، ومن الطوفان الى خروجهم ثلاثة آلاف وثمانمائة وخمس وثلاثون سنة، ثم ارخوا بإخراب نصر أورشلم وهي بيت المقدس وسبيهم الى بابل، وكان من ابتداء ملك بخت نصر الى ظهور الإسرائيليين وسبيهم احدى وثلاثون سنة واربعة وثلاثون يوما، ومن ملك داود الى سبى بابل وأربعمائة سنة وسبع وسبعون سنة، ومن خروج بنى إسرائيل من مصر الى سبيهم ألف وثلاث وثمانون سنة، ومن إبراهيم الى سبيهم ألف وخمسمائة وتسعون سنة، ومن فالغ بن عابر الى سبيهم ألفان ومائة واحدى وثلاثون سنة، ومن الطوفان الى سبيهم ألفان وستمائة واثنتان وستون ومن آدم الى سبيهم اربعة آلاف وتسعمائة وثماني عشرة سنة، وكان مقامهم ببابل سبعين سنة الى أن ردهم بهمن بن إسفنديار بن كيبشتاسب بن كيلهراسب الى أورشلم، وامر بعمارتهما والإسرائيليون وكثير من الناس يسمونه كورش، وغير ذلك من الكوائن التي كانت فيهم وكذلك أرخت النصارى من مولد المسيح وغير ذلك من أحواله وأما الهند والصين ومن وافقهم من الأمم ممن قال بقدم العالم وأزليته فيأبون كون الطوفان عم جميع الأرض وما ذكر من تبلبل الألسن، وتواريخهم موضوعة على سوالف ملوكهم وأحداث عظيمة

---

(١) التنبيه والإشراف المسعودي ص/٩٧

(٢) التنبيه والإشراف المسعودي ص/١٠٠

كانت في أيامهم يبعد علينا في هذا الكتاب وصفها، وقد قدمنا فيما سلف من كتبنا شرحها وبأعالي الهند ومشارقها البيت المعروف ببيت الذهب بدء تاريخهم بعد ظهور البد الأول فيهم وهو اثنا عشر ألف عام مضروبة في ثلاثة وثلاثين ألف عام وهو البيت الذي دخله الإسكندر بن فيلبس الملك حين قتل فور ملكهم، وكتب بخبره الى أرسطاطاليس وما شاهد منه **من العجائب**، فأجابه أرسطاطاليس." (١)

"بالرسالة المعروفة برسائل بيت الذهب التي أولها:

الى الإسكندر ملك ملوك الأمم من عبده أرسطاطاليس، أما بعد، كتبت الى تذكر الذي أعجبك من بنيان بيت الذهب بالهند، وما ذكرت أنك رأيت فيه **من العجائب** والبنيان الشامخ المزخرف بأنواع الجوهر، وما يونق العين من الذهب الأحمر، حتى قد بهر العيون منظره وسار في الأمم ذكره، وقد كتبت إليك أيها الملك أصونك لمعرفتك بالأمور السابقة العليا والأرضية السفلى، ان يعجبك شيء صنعته الأيدي المنينة بالحكمة في الأيام القصيرة، ومدة الزمان اليسيرة، ولكنى أرضى لك أيها الملك أن ترفع نظرك الى ما فوقك وتحتك وعن يمينك وعن شمالك من السماء والصخور والجبال والبحور، وما في ذلك **من العجائب** الغامضة والمصانع الظاهرة والبنيان الشامخ الذي لا ينحته الحديد ولا يثلمه المجانيق، ولا يعمله الأجساد المخلخلة الضعيفة في المدة المنقطعة- ثم مر في إتمام الرسالة في وصف الأرضين والبحار والأفلاك والنجوم والآثار العلوية وغير ذلك مما يحدث في الجو مما قد ذكرناه مع رسائل أرسطاطاليس الى الإسكندر في السياسات الديانية والملوكية وغير ذلك في كتاب (فنون المعارف، وما جرى في الدهور السوالف) وهذه الرسالة مستفيضة في أيدي الناس وكانت العرب قبل ظهور الإسلام تؤرخ بتواريخ كثيرة، فأما حمير وكهلان ابنا سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بأرض اليمن، فإنهم كانوا يؤرخون بملوكهم السالفة من التبابعة وغيرهم، كملك تبع الأكبر وتبع الأصغر وتبع ذي الأذعار وتبع ذي المنار. وأرخوا بنار صوران وهي نار كانت تظهر ببعض الحرار من أقاصى بلاد اليمن أحدها حر والتي يقال إن الحبرين اللذين قدم بهما تبع أبو كرب من المدينة إلى اليمن حاكما أهل اليمن إليها، وكان ذلك سبب تهود كثير من أهل اليمن وذلك مشهور في أخبارهم، وأرخوا بعث شعيب بن مهذم وملك ذي." (٢)

"يوما، وتوفى مستهل ربيع الأول سنة ٣٠٠.

فولى بعده ابن ابنه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان الى وقتنا هذا وهو سنة ٣٤٥ خمسا وأربعين سنة، وبلده عامر، والعدل فيه شامل ولم يكن فيمن سمينا من آبائه ممن ملك الأندلس أحد يسمى بإمرة المؤمنين وكانوا يسمون «بنى الخلائف» الى أن ملك هو فخوطب بها، وصدرت عنه الكتب بذلك ووردت، وخطب له به على المنابر، وجعل ولاية العهد بعده لابنه الحكم بن عبد الرحمن دون سائر اخوته، لما تخيل فيه من النجابة، وتبين من اضطلاعه بالملك وقيامه به قال المسعودي وقد ذكرنا في الأخبار

---

(١) التنبيه والإشراف المسعودي ص/١٧١

(٢) التنبيه والإشراف المسعودي ص/١٧٢

المعروفة (بالمسعوديات) التي نسبت إلينا وفي كتاب (وصل المجالس) جملا من أخبار من سمينا من ولاة الأندلس وسياستهم وحروبهم مع من يجاورهم من الجلالقة والجاسقس والوشكنش وقرمانيش وغوطس وغيرهم من الافرنجية برا وبحرا.

وما كان من الأندلس من الحروب والفتن مذ افتحها طارق مولى موسى ابن نصير في سنة ٩٢ في أيام الوليد بن عبد الملك إلى وقتنا هذا، وعبور طارق مولى موسى اليها، وقتله لذريق ملك الاشبان الذين كانوا بالأندلس، وعبور موسى بن نصير بعده، وما لقي من الأمم، وشاهد **من العجائب** وخبر المائدة الذهب، والبيت الذي كان فيه تيجان ملوكهم السالفة.

وذكرنا في كتاب (فنون المعارف وما جرى في الدهور السوالف) ما كان ببلاد إفريقية من الحروب والوقائع والزحوف منذ افتتحت، وخبر موسى بن نصير، ومن بها كان بعده من الأمراء الى أن أفضى أمر تملكها في أيام الرشيد." (١)

"وصفنا كثيرة، وأما حاجز فموضع معروف، قال الأعشى:

شاقك من قتلة أطلالها ... فالشط فالقف إلى حاجر

وخص بني إسرائيل بهذا لما مضت فيهم من الأعاجيب، كما خص البحر بما فيه **من العجائب**، وأرخص في التحدث عنهم مع اتقاء الحرج بالكذب فيه، وقوله: ولا حرج، يتجه فيه تأويلان، إحداهما: أن يكون خبرا محضا في معناه ولفظه، كأنه لما ذكر بني إسرائيل وكانت فيهم أعاجيب وكان كثير من الناس ينبو سمعه عنها، فيكون هذا مقطعة لمن عنده علم منها أن يحدث الناس بها، فربما أدى هذا إلى دروس الحكمة، وانقطاع مواد الفائدة، وانسداد طريق إعمال الفكرة، وإغلاق أبواب الاتعاظ والعبرة، وكأنه قال: ليس في تحدثكم بما علمتموه من ذلك حرج.

والتأويل الثاني: أن يكون المعنى في هذا: النهي فكأنه قال: ولا تحرجوا بأن تتحدثوا بما قد تبين لكم الكذب فيه محققين له أو غارين أحدا به، فهذا اللفظ على هذا الوجه لفظه لفظ الخبر وفائدته النهي من جهة المعنى، ولفظ النهي لا يأتي إلا متعلقا بفعل مستقبل، فإذا قيل: ولا تحرجوا فهو صريح اللفظ بالنهي، فإذا قيل: ولا حرج جاز أن يكون خبرا محضا معنى ولفظا، وجاز أن يكون لفظه لفظ الخبر في بنيته، ومعناه النهي لقصد المخاطب وإرادته، دون صورة اللفظ وصيغته، ونصب الحرج في هذا الموضع هو الوجه على ما يقتضيه المعنى الذي يسميه البصريون النفي ويسميه الكوفيون التبرئة، وهو على قول الخليل مبني يضارع المعرب، وعلى قول سيبويه معرب يضارع المبني، ولو رفع ونون لكان وجها قد عرف واستعمل كما قال الشاعر:

من صد عن نيرانها ... فأنا ابن قيس لا براح

وقولهم: لا حول ولا قوة إلا بالله، للعرب فيه خمسة مذاهب: لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا حول ولا قوة، ولا حول ولا قوة، ولا حول ولا قوة، ولا حول ولا قوة.

وقال الله تعالى: " فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج " هذه قراءة شبيه ونافع وعاصم وحمزة والكسائي في آخرين، وقرئ: فلا رفث ولا فسوق ولا جدال، وهي قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي، وقرئ: فلا رفث ولا فسوق ولا

---

(١) التنبيه والإشراف المسعودي ص/٢٨٨

جدال " وهي قراءة مجاهد وابن كثير وأبي عمرو وعدد غيرهم، وقد قرأ بعضهم ولا جدال مثل دراك ومناع، رويت هذه القراءة عن عبد الله بن أبي إسحاق، واختلف في علل إعراب هذه القراءات، وفي علة فرق في الإعراب بين بعضهما وبعض اختلاف يطول شرحه، وليس هذا موضع ذكره، ونحن مستقصو القول فيه عند انتهائنا إليه من كتابنا المسمى البيان الموجز في علم القرآن المعجز وفي كتابنا في القراءات، وكتابنا في عللها وتفصيل وجوهها.

وقوله: " من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " قد أتت الرواية بهذا اللفظ وما." (١)

"كيف يكون الداء دواء والسقم شفاء؟ فإن هذا قد يوجد معنى ويستعمل لفظا، وقد ظهر لعامة الناس وخاصتهم أن الداء المسمى خمار العارض عن الشراب المسكر يشفى منه شرب شيء مما تولد الخمار عنه، كما قال الشاعر:

وصرعة مخمور رفعت بقرقف ... وقد صرعتني قبل ذلك قرقف

فقام يداوي صرعتي متعطفا ... وكنت عليه قبلها أتعطف

يموت ويحيا تارة بعد تارة ... وتتلفنا هذي المدام وتخلف

إذا ما تسلقنا من الكأس سلوة ... تقاضى الكرى منها الذي نتسلف

وقال آخر:

تداويت من ليلى بليلي من الهوى ... كما يتداوى شارب الخمر بالخمر

وقال أبو نواس:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء ... وداوني بالتي كانت هي الداء

أخذه من قول الأعشى:

وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها

لكي يعلم الناس أني امرؤ ... أتيت المعيشة من بابها

وقال جرير:

يرمين من خلل الستور بأعين ... فيها السقام وبرء كل سقيم

وكنت في الحداثة أنشأت كلمة مسمطة على نحو قصيدة مدرك الشيباني في عمرو النصراني فكان مما ذكرته في كلمتي هذه عند صفة عين إنسان نعته ونسبت الكلمة به:

سقم أوى أحسن عين تطرف ... تقوى به والقلوب تضعف

كالسم في الأفعى تقي وتحتف ... تحيا به وبالنفوس تتلف

ثم قلت:

دواء من أقصده بسقمه ... تكراره نحو مرامي سهمه

كالأفعوان يشتفى من سمه ... بشرب درياق كربه لحمه

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/١٣

وقلت أيضا من كلمته:

وشفائي بسقم مقلة ظبي ... قد قلبي منه بأحسن قد

سقمها لي شفاء دائي إذا ... جادت وداء إذا تصدت لصد

وأنا أستغفر الله من مساكنة ما يشغل عن عبادته، ومما يضارع ما وصفنا في هذا الفصل من وجه، قول ابن الرومي:

عيني لعينك تبصر مقتل ... لكن عينك سهم حتف مرسل

ومن العجائب أن معنى واحدا ... هو منك سهم وهو مني مقتل." (١)

"ثم دخل فخرج عليهم شراب فيه إناء مثل الذي كان يخرج في كلي يوم ومثلاه معه، فشربوا حتى رووا ثم دخل فالتأمت الأرض، فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال: ما يعجلنا؟ هذا طعام وشراب وقد علمنا سمتنا من الأرض، امكث إلى العشاء فمكثا فخرج إليهما في العشاء من الطعام والشراب مثل الذي خرج أول النهار، فقال أحدهما لصاحبه: امكث حتى نصبح، فمكثا فلما أصبحا خرج إليهما مثل ذلك، ثم ركبا فانطلقا، فأما أحدهما فلزم باب الملك حتى كان من خاصته، وأما الآخر فأقبل على تجارته وعمله، وكان ذلك الملك لا يكذب أحد في زمانه من أهل مملكته كذبة تعرف إلا صلبه، فبينما هو ليلة في السمر فحدثوا ما رأوا من العجائب أنشأ ذلك الرجل يحدث، فقال: لأحدثنك أيها لملك بحديث ما سمعت بأعجب منه قط، فحدثه بحديث الرجل الذي رأى من أمره، قال الملك: ما سمعت بكذب قط أعظم من هذا، والله لتأتيني على ما قلت ببينة وإلا صلبتك، فقال: بينتي فلان، فقال: رضا ائتوني به، فلما أتاه، قال الملك: إن هذا حدثني أنكما مررتما برجل كان من أمره كذا وكذا، قال له الرجل: أيها الملك: أو لست تعلم أن هذا كذب، وهذا مما لا يكون، ولو أني حدثتك بهذا لكان عليك من الحق أن تصلبني، قال: صدقت وبررت، فأدخل الذي كتم في خاصته وسمره وأمر بالآخر فصلب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " فأما الذي كتم عليه فقد أكرمه الله في الدنيا وهو مكرمه في الآخرة " ثم نظر بكر بن عبد الله المزني إلى ثمامة بن عبد الله بن أنس فقال: يا أبا المثنى: أسمعت جدك أنسا يحدث هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم.

بدء أمر الخضر عليه السلام

حدثنا أبو بكر بن أبي داود، قال: حدثنا حسين بن علي بن مهران، قال: حدثنا عامر بن فرات، عن أسباط، عن السدي، قال: كان ملك وكان له ابن يقال له الخضر، وإلياس أخوه - أو كما قال - فقال إلياس للملك: إنك قد كبرت وابنك الخضر ليس يدخل في ملكك، فلو زوجته ليكون ولده ملكا بعدك؟ فقال: يا بني تزوج، فقال: لا أريد، قال: لا بد لك، قال: فزوجني، فزوجه امرأة بكرا، فقال لها الخضر: إنه لا حاجة لي في النساء فإن شئت عبدت الله عز وجل معي فأنت في طعام الملك ونفقته، وإن شئت طلقتك، قالت: بل أعبد الله معك، قال: فلا تظهري سري فإنك إن حفظت سري حفظك الله، وإن أظهرت عليه أهلك أهلكك الله، فكانت معه سنة لم تلد، فدعاها الملك فقال: أنت شابة وابني شاب فأين الولد

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٣٠

وأنت من نساء ولد؟ فقالت: إنما الولد بأمر الله تعالى، فدعا الخضر فقال: أين الولد يا بني، فقال: الولد بأمر الله تعالى، فقيل للملك: لعل هذه المرأة عقيم لا تلد، فزوجه امرأة قد ولدت، فقال للخضر: طلق هذه، قال: لا تفرق بيني وبينها فقد اغتبطت بها، فقال: لا بد، فطلقها، ثم زوجه ثيبا، قد ولدت، فقال لها." (١)

"ويقال في هذا بسابس.

كلمات حكيمة

حدثنا محمد بن الحسن بن دريد، أنبأنا أبو حاتم، عن العتبي، عن أبيه قال: كان رجل من حنظلة يقول: إنه لينبغي لك أن يدلك عقلك على ترك القول في أخيك، ففيه خلال ثلاث: أما واحدة فلعلك أن تذكره بما هو فيك، أو لعلك تذكره بأمر قد عافاك الله منه، فما هذا جزاء العافية أن تجحد الشكر عليها.

أو لعلك تذكره بما فيك أعظم منه، فذلك أشد استحكاما لمقته إياك، أما كنت تسمع: ارحم أخاك وأحمد الذي عافاك.

عجيبة **من العجائب** الزاغ أبو عجوة

حدثنا الحسين بن القاسم الكوكبي، قال: حدثني أبو علي محرز ابن أحمد الكاتب، قال: حدثني أبو علي محرز ابن أحمد الكاتب، قال: حدثني محمد بن مسلم السعدي، قال: وجه إلي يحيى بن أكثم يوما فصرت إليه، فإذا عن يمينه قمطر مجلدة، فجلست فقال لي: افتح هذا القمطر، ففتحها فإذا شيء قد خرج منها، رأسه رأس إنسان، وهو من سرته إلى أسفل خلقة " زاغ "، وفي ظهره وصدره سلعتان، فكبرت وهللت وفزعت، ويحيى يضحك، فقال لي بلسان فصيح طلق ذلق:

أنا الزاغ أبو عجوه ... أنا ابن الليث واللبوه

أحب الراح والريحا ... ن والنشوة والقهوة

فلا عدوى يدي تخشى ... ولا تحذر لي سطوه

ولي أشياء تستطرف ... بيوم العرس والدعوة

فمنها سلعة في الظه ... ر لا تسترها الفروة

وأما السلعة الأخرى ... فلو كان لها عروة

لما شك جميع النا ... س فيها أنها ركوة

ثم قال: يا كهل! أنشدني شعرا غزلا: فقال لي يحيى: قد أنشدك الزاغ فأنشده، فأنشدته:

أغرك أن أذنبت ثم تتابعت ... ذنوب فلم أهجرك ثم ذنوب

وأكثرت حتى قلت ليس بصارمي ... وقد يصرم الإنسان وهو حبيب

فصاح: زاغ زاغ زاغ، ثم طار، ثم سقط في القمطر، فقلت ليحيى: أعز الله القاضي، وعاشق أيضا؟! فضحك، قلت: أيها

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٥٨

القاضي: ماهذا؟ قال: هو ما تراه، وجه به صاحب اليمن إلى أمير المؤمنين، وما رآه بعد وكتب كتابا لم أفضضه، وأظن أنه ذكر في الكتاب." (١)

"إلا من سفه نفسه ": فقال: أبيت، يا حرسي! اضرب عنقه، فانطلق به فأنشأ يقول:

سبحان رب قد يرى ويسمع ... وقد مضى في علمه ما تصنع

ولو يشا في ساعة بل أسرع ... فيرسلن عليك نارا تسطع

فيترك السرير منك بلقع

فضربت عنقه.

من طرائف القضاة

حدثنا جعفر بن أحمد بن جعفر النهرواني، قال: حدثني أبي، عمن حدثه، قال: ولي يحيى بن أكثم إسماعيل بن سماعة القضاء بغربي بغداد، وولى سوار بن عبد الله شرقيها، وكانا أعورين، فكتب فيه محمد بن راشد الكاتب:

رأيت من العجائب قاضيين ... هما أحدوثة في الخافقين

هما فال الزمان بهلك يحيى ... إذ افتتح القضاء بأعورين

فلو جمع العمى يوما بأفق ... لكانا للزمانة خلتين

ةتحسب منهما من هز رأسا ... لينظر بزاله من فرد عين

وكان يحيى بن أكثم أعور.

من رسائل العتابي

حدثنا الحسين بن المزربان النحوي، قال: حدثني محمد بن العباس اليزيدي، قال: حدثني أبو جعفر محمد بن صدقة النحوي، قال: كتب العتابي إلى داود بن يزيد بن المهلب: أما بعد، فإني امرؤ في خلتان: حصر مقيد بالحياء، وعزة نفس شبيهة بالجفاء، ولم أزل أرغب بنفسي في صحبة غطارفة الرجال، وأبناء ذوي الفعال، فوردت العسكر فرفع إلي أقوام منهم من يرتاش حاله، ولا يشرف إلا بماله، ومنهم من أنحل أديمه، ولم يصل قديمه، في طبات شتى يضيق عنهم المدح، ويتسع فيهم الذم، ورأيت وجوه القبائل تصدر عنك بأنواع الفضائل في حمل الديات، وفضل الهبات، ورأيتك من نبعة أصلها الكرم، وأغصانها الهمم، تثمر الحمد، وترقع المجد، فحططت رحلي بفنائك وشددت عراه بأطناب وفائك، وقلت في ذلك

داود خير فتى يعاذ بركنه ... ملك يجير من الزمان القاسي

كم من يد لك أصبحت مشهورة ... بيضاء تجلو ظلمة الإبلاس

فلقلما تلقاه إلا واقفا ... متحرما بين الندى والباس

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٢٢٧

حدثنا أبي، قال: حدثنا أبو أحمد الختلي، قال: أخبرنا أبو حفص – يعني النسائي –." (١)

"(رحى شد ما يفني الرجال بطحنها ... وليس لها قطب سوى الطعن والضرب)

(ألم أجلب الجيش العرمرم نحوكم ... وصيرتكم في ما علمتم من الكرب)

(وإني ملي أن أكدر ما صفا ... لكم بعد هذا في البلاد من الشرب)

(فإن يك عن أوطانكم عمر نأى ... فإن أمير المؤمنين على قرب)

وله في وفادته على مراكش سنة أربع وستين يهنيء بعيد الفطر من قصيدة طويلة

(تحن إليكم وافدات المواسم ... فتهدى إلى كفيكم ثغر باسم)

(ومنهن عيد الفطر جاء مسلما ... عليك فحيا منك أفضل طاعم)

(ومن قبله وافي الصيام بشهره ... على خير أواب وأفضل صائم)

يقول فيها

(تقبلت أخلاق الكهولة ناشئا ... فلم تدر يوما ما مناط التمائم)

(ولو لم تشأ وطء التراب بإخمس ... لسرت على هام الملوك الخضارم)

وله وقد أحضر لمعاينة قتل أسد هائل المنظر يصفه من كلمة

(جهم المحيا إن تبسم هبته ... **ومن العجائب** هيبة المتبسم)

(ويقال كل الصيد في جوف الفرا ... وأرى الفراء لديه بعض المطعم)

(وكأنما هو ناظر عن زئبق ... وكأنما هو كاشر عن مخدم)

(وكأن لبدته بقية فروة ... قصرت على طول الزمان الأقدم)

(لما تمرد في العرينة فتحت ... أبوابها فانساب مثل الأرقم)

(وعلا زئير منه حتى خلته ... كالفحل يهدر عند شول هيم)." (٢)

"٥ –.

(واشرح لكل ملمة صدرا وخذ ... بالحزم في بهم الأمور وشمر)

٦ –.

(وإذا أتيت ندي قوم فالقهم ... باسم السلام ورد بخير واصدر)

٧ –.

---

(١) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي المعافى بن زكريا ص/٣٤٦

(٢) الحلة السيراء ابن الأبار ٢/٢٦١

(واخزن لسانك واحترز من لفظه ... واحذر بوادر غيه ثم احذر)

٨ -.

(واصفح عن العوراء إن قلت وعد ... بالحلم منك على السفيه المعور)

٩ -.

(وكل المسيء إلى إساءته ولا ... تتعقب الباغي ببغي تنصر)

١٠ -. ... وادفع بكظم الغيظ آفة غيه ... فإن استخفك مرة فاستغفر)

١١ -.

(لا تشعرن بعيب من لا بسته ... فتذيعه ولعيب نفسك فاشعر)

١٢ -.

(كم عائب قد عاب ظاه ر خلة ... أمثالها فيه وإن لم تظهر)

١٣ -.

(ومن العجائب والعجائب جمة ... أن يلهج الأعمى بعيب الأعور)

١٤ -.

(لا تلفين ذا غيبة متحسا ... متظنيا تقضى بما لم تخبر)." (١)

"٢٢١ دير متى: على جبل شامخ، شرقي الموصل، وهذا الجبل يدعى جبل متى. من استشرفه نظر إلى رستاق نينوى والمرج. وهو حسن البناء، وبيته منقورة في الصخر ورهبانه كثيرون، يجتمعون على الطعام، وهم مائة راهب، يجتمعون في بيت الصيف، أو بيت الشتاء، وهما بيتان منقوران في صخرة عظيمة. الواحد منها يسع جميع الرهبان.

وفي كل بيت عشرون مائدة منقورة في الصخر، وفي كل منها قبالة برفوف، وباب يغلق عليها، وفي كل قبالة آلة المائدة التي تقابلها من غضارة وطوفرية وسكرجه، لا تختلط آلة هذه بآلة تلك. ولرأس الدير مائدة لطيفة على دكان لطيف في صدر البيت، يجلس عليها وحده، وحجرها ملصق بالأرض، وكل هذا من العجائب.

وإذا جلس رجل في صحن الدير رأى مدينة الموصل. وبين الدير وبينها سبعة فراسخ.

وكتب على حائط دهليز في الدير:

يا دير متى سقت أطلالك الديم ... وأنهل فيك على سكانك الرهم

فما شفى غلتي ماء على ظمأ ... كما شفى حر قلبي ماؤك الشبم

ولن يحلك ذو يأس، به سقم ... إلا تحلل عنه اليأس والسقم

٢٢٢ دير المحرق: هذا الدير على رأس جبل في الصعيد الأدنى، غربي النيل بمصر. وهو دير مليح نزه، حسن العمارة.

---

(١) الحماسة المغربية الجرّاوي ١٢٧٥/٢

والنصارى هناك يعظمونه، ويسافرون إليه من النواحي ويزعمون أن المسيح عليه السلام نزل به لما ورد مصر وأنه أقام فيه أياما.

٢٢٣ دير المحلى: بشاطئ جيحان، من الثغر الشامي، بقرب المصيصة.

وهو دير نزه، حسن، مشرف على رياض نضرة، وأزهار وبساتين مثمرة، يسقيها نهر جيحان.

قيل في هذا الدير أشعار كثيرة، منها قول ابن أبي زرعة الدمشقي:

دير محلى، محلة الطرب ... وصحنه صحن روضة الأدب

والماء والخمر فيه قد سكبا ... للضيف من فضة ومن ذهب

٢٢٤ دير محمد: من نواحي دمشق بالغوطة، منسوب إلى محمد بن الوليد الأموي.

قال الحافظ أبو القاسم: هو محمد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاصي بن أمية الأموي، أمه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان وكان عمر بن عبد العزيز يراه أهلا للخلافة. وإليه تنسب المحمديات التي فوق الأرزة.

ودير محمد الذي عند المنيحة، من إقليم بيت الآبار.

وتزوج محمد بن الوليد هذا ابنة عمه يزيد بن عبد الملك.

٢٢٥ دير مخزاق: من أعمال خوزستان.

٢٢٦ دير مديان: قال الشابشتي: هذا الدير على نهر (كرخايا) ببغداد. وكرخايا نهر يشق من المحمول الكبير، ويمر على العباسية، ويشق الكرخ، ويصب في دجلة، وكان قديما عامرا، والماء فيه جاريا، ثم انطم، وانقطعت جريته بالبثوق التي انفتحت في الفرات.

وهو دير حسن، نزه يقصده الناس وأهل اللهو لما حوله من بساتين. وفيه يقول الحسين بن الضحاك:

حث المدام، فإن الكأس مترعة ... بما يهيج دواعي الشوق أحيانا

إني طربت لرهبان مجاوبة ... بالقدس، بعد هدو الليل رهبانا

فاستنفرت شجنا مني ذكرت به ... كرخ العراق وأحزانا، وأشجانا

فقلت والدمع من عيني منحدر ... والشوق يقدح في الأحشاء نيرانا

يا دير مديان، لا عريت من سكن ... ما هجت من سقم، يا دير مديانا

هل عند قسك من علم فيخبرني ... أن كيف يسعد وجه الصبر من بانا

سقيا ورعيا (لكرخايا) وساكنها ... بين الجنينة والروحاء من كانا

وروى غير الشابشتي هذا الشعر في دير مران، والصواب ما كتبته هنا، والله تعالى أعلم.

٢٢٧ دير مران: بلفظ التثنية للمر، المضموم الميم، وبفتح رائه.

قال الخالدي: هذا الدير بالقرب من دمشق، على تل مشرف على مزارع زعفران، ورياض حسنة. وهو مبني بالجص، وأكثر فرشه بالبلاط الملون، وهو دير متسع كبير، وفيه رهبان كثيرون، وبداخل هيكله صورة دقيقة المعاني، عجيبة.

وفيه يقول أبو بكر الصنوبري:

أمر بدير مران، فأحيا ... وأجعل بيت لهوي بيت لهيا

ويبرد غلتي بردى فسقيا ... لأيام على بردى ورعيا

ولي في باب جيرون ظباء ... أعاطيها الهوى ظبيا فظبيا

ونعم الدار داريا، ففيها ... حلالي العيش حتى صار أريا." (١)

"مردى١ والرشيد العطار ولم يحدث قال الذهبي وكان إماما جليلا وافر الحرمة حسن السيرة مليح الصورة تام الشكل مهيأ وقال الشيخ تاج الدين اشتغل في الفقه اشتغالا يسيرا ثم ولي استيفاء الأوقاف وحصل جملة ثم اتصل بأمير يعرف بالشمس فتعصب له وأخذ له تدريس الأمينية بعد أن طلب أن يكون فقيها بها في أيام القاضي نجم الدين فامتنع نجم الدين من ذلك وكان قليل الحظ من العلم ولكنه قادر على دخول على أسباب الدنيا مرض بالفالج مدة وفي المحرم سنة تسعين قدم شمس الدين إبراهيم بن سني الدولة إلى دمشق ومعه توقيع بالأمينية وعلم عليه ملك الأمراء وذكر التدريس ثم طلب إلى دار السعادة ومنعت وسلمت الأمينية لابن الزملكاني وبطل التوقيع السلطاني حكاه الشيخ تاج الدين ثم باشرها ابن الزملكاني إلى أن توفي في شهر ربيع الآخر سنة تسعين وستمائة.

فائدة: قال الشيخ تاج الدين الفزاري في سنة خمس وثمانين وستمائة: من الوقائع العجيبة الغريبة في هذه السنة ان العلاء ابن الزملكاني نظر في كتاب وقف المدرسة الأمينية فزعم أن القيسرية التي إلى جانب المدرسة لا يحل إكراؤها ويجب أن يسكنها الفقراء بغير أجرة فأبطل جملة من الكراء كل شهر ثم اقتضى رأيه ونظره أن الدرس يذكر كل يوم حتى يوم الجمعة والثلاثاء وذكر الدرس بعد العيد بثلاثة أيام واستمر في الدرس يوم الثلاثاء وهذا **من العجائب** التي لم تعهد ولم يعترض عليه معترض في ذلك كذا بخط الشيخ تقي الدين الأسدي على ظهر كراسة فيها ذكر الأمينية ثم درس بها في حال مرضه وبعده ولده الشيخ الإمام العلامة بقية أعيان الشافعية كمال الدين أبو المعالي محمد مولده في شوال سنة سبع وستين وستمائة وتفقه على الشيخ تاج الدين الفزاري وغيره قال ابن كثير في سنة تسعين وستمائة: وهو

---

١ شذرات الذهب ٥: ٢٨٣.." (٢)

"وظباء يتلون سفرا من الان ... جيل، باكرن، سحرة قربانا

لابسات من المسوح ثيابا ... جعل الله تحتها أغصانا

خفرات حتى إذا دارت الكأ ... س، كشفن النحور والصلبانا

رق حتى حسبته خد من أب ... دلني من وصاله هجرانا

وللمعتمد:

يا طول ليلي بفم الصلح ... أتبعت خسراني بالربح

---

(١) الخزل والدأل بين الدور والدارات والديرة الحموي، ياقوت ص/٥١

(٢) الدارس في تاريخ المدارس النعيمي ١/١٤٥

لهفي على دهر لنا قد مضى ... بالقصر والقاطول والشلح

بالدير بالعلث ورهبانه ... بين الشعانين إلى الدنح

وكان للمعتمد شعر جيد وشعر غير موزون، وربما قال الأبيات، فيصح بعضها ويفسد باقيها. وكان يعطيه المغنين، فيعملون عليه ألحانا، فيغيب عيبه في التقطيع والألحان، إلا على خاصة الناس.

قالت بدعة: كان المعتمد يوجه شعره إلى عريب لتصوغ له الألحان. فكانت تقول: ويلي! كم أغني في حروف ألف، با، تا، ثا؟ قال الصولي: أنشدني عبد الله بن المعتز من شعره الموزون:

الحمد لله ربي ... ملكت مالك قلبي

فصرت مولى لملكي ... وصار مولى لحبي

ومن شعره، لما أكثر الموفق نقله، من مكان إلى مكان:

ألفت التباعد والغربه ... ففي كل يوم أطا تربه

وفي كل يوم أرى حادثا ... يؤدي إلى كبدي كربه

أمر الزمان لنا طعمه ... فما إن نرى ساعة عذبه

وهذا شعر جيد صحيح في معناه.

ومن شعره الموزون:

بليت بشادن كالبدر حسنا ... يعذبني بأنواع الجفاء

ولي عينان دمعهما غزير ... ونومهما أقل من الوفاء

وذكر الصولي، إن المكتفي أخرج إليهم مدارج مكتوبة بالذهب من شعر المعتمد. فكان فيها من الموزون:

طال والله عذابي ... واهتمامي واكتئابي

بغزال من بني الأص ... فر لا يعنيه ما بي

أنا مغرى بهواه ... وهو مغرى باجتنابي

وإذا ما قلت: صلني ... كان لا منه جوابي

وكان فيها أيضا:

عجل الحب بفرقه ... فبقلبي منه حرقه

مالك بالحب رقي ... وأنا ملك رقه

إنما يستروح الصب ... إذا أظهر عشقه

وللمعتمد، شعر غنت فيه شارية، في طريقة الرمل:

تأنيت بالحب دهرا طويلا ... فلم أر في الحب يوما سرورا

ومما غنت فيه من شعره:

يا نفس، ويحك ما لك ... أني لأنكر حالك

وله:

أصبحت لا أملك دفعا لما ... أسام من خسف ومن ذله

تمضي أمور الناس دوني ولا ... يشعر بي في ذكرها قله

إذا اشتهيت الشيء ولوا به ... عني، وقالوا: ها هنا عله

قال: طلب المعتمد ثلثمائة دينار، يصل بها عريبا، وقد حضرت عنده، فلم توجد! فطلب مائتي دينار، فلم توجد..! فبكى، وقال

أليس من العجائب أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه؟

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه!

إليه تحمل الأموال طرا ... ويمنع بعض ما يجبى إليه!

وكان، لما فوض الأمور إلى أخيه أبي أحمد، واستروح إلى كفايته للقيام بها، وتفريغه للهو والشرب واللعب، وترك النظر في شيء من أمر المملكة أو المسئلة عنه، طمع أبو أحمد، واستبد بالأمر، وغلب على المملكة. ورام المعتمد بعد ذلك تغيير الحال، فعزه وأعوزه وامتنع عليه وطمع الناس جميعا فيه، إذ رأوه مغلوبا على أمره، ورأوا لا ضر ولا نفع في يده.." (١)

"درية الحصباء كا ... فورية فيها المشارف

ثم انبرت سحا كبا ... كية بأربعة ذوارف

ولأبي نواس، يذكر أيامه بالسدير:

عدن لي بالدير أيام قصف ... وسرور مع الندامى وعزف

وعيون الظباء ترنو إلينا ... منعمات بكل بر ولطف

ورخيم الخطا يكاد من الر ... قة يدمي أدميه كل طرف

حل منه الصليب في موضع الجي ... د فقد خصه على كل إلف

قد أدرنا رحى النعيم ثلاثا ... ووصلنا النعيم كفا بكف

قال: ولما نزل الرشيد الحيرة، وقت منصرفه من الحج، ركب جعفر بن يحيى إلى السدير، فطافه ونظر إلى بنائه. ثم وقعت عينه على كتاب في أعلاه فأمر من صعد إلى الموضع فقرأه. فقال في نفسه: قد جعلته فألا لما أخافه من الرشيد. فقرىء، فإذا هو:

إن بني المنذر عام انقضوا ... بحيث شاد البيعة الراهب

أضحوا ولا يرجوهم راغب ... يوما ولا يرهبهم راهب

وأصبحوا أكلا لدود الثرى ... وانقطع المطلوب والطالب

فحزن جعفر لذلك وصار ينشد الأبيات ويقول: ذهب والله أمرنا! ومن هذه الأبنية: المسقطات. وهو قصر فيه آزاج

---

(١) الديارات للشابشتي الشابشتي ص/٢٢

مستطيلة مسقطة شرقي الحيرة على طريق الحاج. ثم القصر. ثم كوة البقال. ثم قصر العدسيين. ثم الأقصى الأبيض. ثم قصر بني بقيلة. وكان هذا القصر لعبد المسيح بن بقيلة الغساني. وإنما سمي بقيلة، لأنه خرج يوما على قومه في حلتين خضراوين قد اتزر بإحداهما واشتمل بالأخرى، فقال قومه: ما هو إلا بقيلة. فسمي بذلك.

وعبد المسيح هذا، هو ابن أخت سطيح الكاهن. وكان كسرى أنفذه إلى سطيح بسبب الرؤيا التي رآها. فجاءه وهو يجود بنفسه، فقال: أصم أم يسمع غطريف اليمن، في أبيات. ففتح سطيح عينه وقال: عبد المسيح، على جمل مشيح جاء إلى سطيح، وقد أوفى على الضريح، من قبل ملك بني ساسان، لارتجاس الايوان، وخمود النيران، ورؤيا الموبذان. والخبر مشهور تركناه لشهرته.

فلما نزل خالد بن الوليد الحيرة، خرج إليه عبد المسيح، فقال له خالد: من أين أقصى أثرك؟ قال: من صلب أبي! قال: ما عن هذا سألتك! قال: ولا أجبت إلا عما سألت عنه! قال: ما أنتم؟ قال: عرب استنبطنا! قال: فما بال هذه الحصون؟ قال: بنيناها نتحرز بها من الجاهل إلى أن يجيء العاقل فيردعه! قال: أتعقل؟ قال: نعم، وأقيد! قال: فما سنك؟ قال: عظم! قال: كم أتى عليك؟ قال: لوى أتى علي شيء لقتلني! قال: كم مضى من عمرك؟ قال: أربعمائة سنة! قال: فما رأيت **من العجائب؟** قال: رأيت السفن وهي ترفيء في هذا الموضع، ورأيت المرأة وهي تخرج من الحيرة إلى الشام بمغزلها في يدها ومكتلها على رأسها لا يروعها أحد، وهي الآن خراب يباب، وذلك دأب الله في خلقه.

وكان في يده شيء يقلبه. قال خالد: ما هذا الذي في يدك؟ قال: سم ساعة! قال: وما تصنع به؟: قال: إن أعطيتني ما أحب وإلا قتلت نفسي به. ولم أكن أول من أدخل الذل على قومه وساق إليهم ما يكرهون. قال خالد هلمه إلي. فناوله إياه، فطرحه في فيه، وقال: بسم الله، وازدرده. فأخذته غشية، ثم أفاق، كأنما نشط من عقال. فرجع عبد المسيح إلى قومه فقال: جئتكم من عند رجل شرب سم ساعة وما ضره. وحمل إليه مالا صالحه عليه، وانصرف عنهم.

ومن بعده: دار عون، ثم قبة عصر كذا وهي ما يلي النجف. فهذه قصور الحيرة الباقية الآن.

قبة الشتيق

وهي من الأبنية القديمة بالحيرة، على طريق الحاج. وبإزائها قباب يقال لها الشكورة، جميعها للنصارى. فيخرجون يوم عيدهم من الشكورة إلى القبة، في أحسن زي، عليهم الصلبان، بأيديهم المجامر، والشمامسة والقسان معهم يقدسون على نغم واحد، متفق في الألحان، ويتبعهم خلق كثير من متطربي المسلمين وأهل البطالة، إلى أن يبلغوا قبة الشتيق. فيتقربون ويتعمدون، ثم يعودون بمثل تلك الحال. فهو منظر مليح.

ولبعض الشعراء فيه:

والعذارى مشددي الزناني ... ر عليهن كل حلي وثيق

يتمشين من قباب الشعاني ... ن إلى صحن قبة الشتيق

يا خليلي فلا تعنفني يوم ... ترى اللهو فيه بالتحقيق

ولبكر بن خارجة:." (١)

"[٣٢- رد هاشم على مفاخرة امية بالنساء]

وأما ما ذكرتم من أمر عاتكة بنت يزيد بن معاوية، فإنا نذكر فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي سيدة نساء العالمين، وأمها خديجة سيدة نساء العالمين، وبعلها علي بن أبي طالب سيد المسلمين كافة، وابن عمها جعفر ذو الجناحين وذو الهجرتين، وابناها حسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وجدهما أبو طالب بن عبد المطلب أشد الناس عارضة وشكيمة وأجودهم رأيا وأشهمهم نفسا وأمنعهم لما وراء ظهره، منع النبي صلى الله عليه وسلم من جميع قريش ثم بني هاشم وبني المطلب، ثم منع بني إخوته من بني أخوته من بني مخزوم الذين أسلموا، وهو أحد الذين سادوا مع الإقلال. وهو مع هذا شاعر خطيب. ومن يطيق أن يفاخر بني أبي طالب وأمهم فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي، وهي التي ربى رسول الله في حجرها وكان يدعوها: أمي، ونزل في قبرها وكان يوجب حقها كما يوجب حق الأم؟ من يستطيع أن يسامي رجالا ولدهم هاشم مرتين من قبل أبيهم ومن قبل أمهم؟

قالوا: ومن العجائب أنها ولدت أربعة كل منهم أسن من الآخر بعشر سنين:

طالب وعقيل وجعفر وعلي. ومن الذي يعد من قريش أو من غيرهم ما يعده الطالبيون عشرة في نسق كل واحد منهم عالم زاهد ناسك شجاع جواد طاهر زاك؟ فمنهم خلفاء، ومنهم مرشحون، ابن ابن ابن ابن هكذا إلى عشرة.

وهم: الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي. وهذا لم يتفق لبيت من بيوت العرب ولا من بيوت العجم.

قالوا: فإن فخرتم بأن منكم اثنتين من أمهات المؤمنين: أم حبيبة بنت أبي سفيان وزينب بنت جحش، فزينب امرأة من بني أسد بن خزيمة ادعيتموها بالحلف لا بالولادة؟ وفينا رجل ولدته أمان من أمهات المؤمنين: محمد بن عبد الله بن الحسن المحض. ولدته خديجة أم المؤمنين، وأم سلمة أم المؤمنين، وولدته مع ذلك فاطمة بنت الحسين بن علي، وفاطمة سيدة نساء العالمين ابنة رسول." (٢)

"حرف الهمزة

آمد

مدينة من كور الجزيرة من أعمال الموصل والجزيرة ما بين دجلة والموصل، وآمد بمقربة من ميافارقين فتحها عياض بن غنم بعد قتال على مثل صلح الرها، فإنه لما أتى الرها خرج إليه أهلها فقاتلوه فهزمهم المسلمون حتى ألجأوهم إلى المدينة فطلبوا الأمان والصلح، فأجابهم عياض إليه وكتب لهم (١) : " بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عياض بن غنم لأسقف الرها إنكم إن فتحتم لي باب المدينة على أن تؤدوا لي عن كل رجل منكم دينارا أو مد قمح فأنتم آمنون على أنفسكم

---

(١) الديارات للشابشتي الشابشتي ص/٥٨

(٢) الرسائل السياسية الجاحظ ص/٤٥٣

وأموالكم ومن تبعكم، عليكم ارشاد الضال وإصلاح الجسور والطرق ونصيحة المسلمين شهد الله وكفى بالله شهيدا ".
فعلى مثل هذا الصلح صالح أهل آمد وأهل ميافارقين وكفر توثا بعد قتال أيضا على مثل صلح الرها.
ومدينة آمد كبيرة حصينة على جبل في غربي دجلة وهي كثيرة الشجر والجبل عليها مطل نحو مائة قامة وعليها سور بحجارة الأرحى السود، ولها داخل سورها مياه جارية ومطاحن على عيون تطرد وأشجار وبساتين، وبينها وبين ميافارقين مرحلتان، ولها أربعة أبواب: باب التل وباب الماء وباب الجبل وباب الروم، وفي شمالها سوران، وفي قبليها برج كبير يسمى برج الزينة، وعلى باب الروم برجان، وقصبة السلطان في شرقها. والمدينة مستعلية على شرف، وهي أكبر من ميافارقين، وداخل آمد عين ثرة. وتأتيها دجلة من شمالها وتخرج من شرقيها، وبساتينها غربا وقبلة عنها إلى دجلة، وفي صحن جامعها أوتاد حديد قائمة معترضة من بلاط إلى بلاط ارتفاع الظاهر منها فوق الأرض ذراعان قد عقد بها كلها سلسلتان من حديد يذكر أهلها أن السرج كانت تقد عليها في سالف الأزمان.
ومن العجائب (٢) جبل بآمد فيه صدع فمن انتضى سيفه وأولجه فيه وهو قابض عليه اضطرب السيف في يده وارتعد هو ولو كان أشد الناس وأعجوبة أخرى أنه من حد بذلك الجبل سكينا أو سيفا وحمله على الابر والمسال جذبها أكبر من جذب المغنيطس، والحجر نفسه لا يجذب الحديد ولو بقي يحد عليه مائة عام لكانت تلك القوة فيه قائمة، وهو أقوى من حجر المغنيطس لأن الثوم يذهب قوة المغنيطس، وهذا مثل الذي بحوز مورور من الأندلس من أعمال قرطبة، وأخبر من حد به سيفا في الحجر مكانه من الجبل وقد تقادم عهده فوجده يجذب من تحت غمده وتعلق الابر بالغمد، وذكر صاحب هذا السيف أنه قد صقله مرارا فما زالت تلك القوة فيه.
ومن آمد إلى ميافارقين خمسة فراسخ. وفي سنة (٣) ست وثمانين ومائتين نزل المعتضد أمير المؤمنين خليفة بغداد على آمد بعد وفاة أحمد بن عيسى بن الشيخ وقد تحصن بها ولده محمد بن أحمد بن عيسى، فبث جيوشه حولها وحاصرها، فحدث شعلة بن شهاب اليشكري قال: وجهني المعتضد إلى محمد بن أحمد بن عيسى بن الشيخ لأخذ الحجة عليه، قال: فلما صرت إليه واتصل الخبر بأم الشريف أرسلت إلي فقالت: يا ابن شهاب، كيف خلفت أمير المؤمنين؟ فقلت: خلفته والله ملكا جزلا وحكما عدلا أمارا بالمعروف فعالا للخير متعززا على الباطل متذللا للحق لا تأخذه في الله لومة لائم، قال: فقالت لي: هو والله أهل ذاك ومستحقه ومستوجبه، وكيف لا يكون كذلك وهو ظل الله الممدود على بلاده، والخليفة المؤتمن على عباده، أعز به دينه وأحيا به سنته

---

(١) فتوح البلدان: ١٠٦.
(٢) ابن الفقيه: ٦٧، ١٣٤.
(٣) المروج ٨: ١٣٤، والمنتظم ٦: ١٦.." [1]

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٣

"سليمان عليه السلام وهو على نحو فراسخ من اصطخر، وهو بنيان عجيب وهيكل عظيم وفي أعلاه صور محكمة من الصخر من الخيل وسائر الحيوان، يحيط بذلك كله سور عليه صور الأشخاص يزعم من جاور هذه المواضع أنها صور الأنبياء، وفي جوف هذا الهيكل الريح غير خارجة منه في ليل ولا نهار لها هبوب وحفيف يذكر من هناك أن سليمان عليه السلام حبس الريح فيه وأنه كان يتغدى ببعلبك من الشام ويقيل بتدمر ثم يتعشى بهذا المسجد، فقال يوما للريح: تيامني أو تياسري، فسارت إلى أرض فيها قصر أبيض فسارع من كان مع سليمان عليه السلام، فدخلوا القصر فإذا ليس فيه أحد يسألونه عن حال القصر وعن الباني له وإذا على القصر نسر واقع، فقال سليمان عليه السلام للنسر: من بنى هذا القصر؟ فقال النسر: يا نبي الله لا أدري من بناه وأنا عليه مذ ثمانمائة عام، هكذا أصبته، فسارع بعض من كان مع سليمان عليه السلام فكتب على القصر:

غدونا من قرى اصطخ؟ ... ر للقصر فقلناه

فمن يسأل عن القصر ... فمبنيا وجدناه

يقاس المرء بالمرء ... إذا ما هو ماشاه

فلا تصحب أخا الجهل ... وإياك وإياه

فكم من جاهل أردى ... حليما حين آخاه ونقل من خط أبي بكر ابن عروة أن سليمان عليه السلام رأى يوما في الصحراء بناء فأمر الريح فأمت به ذلك البناء فإذا قصر مبني من النحاس عليه شرفات وله سبعة أبواب على كل باب سبعة أقفال، فقرأ كتبا على حيطان القصر فوقع على المفاتيح فاحتفر فأخرجها وفتح القصر فإذا عتبة الباب من الذهب الأحمر وعليها كتابة باللازورد: من برجيس رحلنا، وبالقصر قلنا ومن يسأل عن القصر فمبنيا وجدنا فقال: لا إله إلا الله إن هذا لأمر عجب، رحل هؤلاء من برجيس غدوة ولحقتهم القائلة هنا وبين برجيس وهذا الموضع مسافة طويلة. ثم دخل فأصاب فيه مقاصير كثيرة فأقبل يفتح وينظر ما فيها **من العجائب**، ثم إنه فتح مقصورة فأصاب فيها رجلا مدرجا في أكفانه على سرير من الحديد الصيني طوله أربعون ذراعا ملقى على قمحدوته، فوضع يده على صدره فصار رمادا من طول ما أتى عليه من الأزمنة والدهور، فقال: لا إله إلا الله لكأن هذا الشخص لم يعمر في الدنيا قط، وإذا بحربة من ذهب مركوزة عن يمين السرير، وعن شماله أخرى مكتوب في إحداهما:

إنما الدنيا ساعة ويوم، ... ورقدة بينهما ونوم، ... يعيش قوم ويموت قوم، ... والدهر يمضي ما عليه لوم. ... وفي الأخرى: ملكنا وقدرنا، وقهرنا وتركنا ... وقضى الموت علينا، بعد هذا فذهبنا ... وإذا بلوح من ذهب مكتوب فيه:

إذا الحادثات بلغن المدى ... وكادت لهن تذوب المهج

وحل البلاء وبان العزاء ... فعند التناهي يكون الفرج وإذا تحت السرير مائدة من الحديد الصيني عليها ملح جريش وعليها مكتوب: أكل على هذه المائدة سبعون ألف ملك أعور سوى الأصحاء والبصراء وسوى الراقد على هذا السرير، ثم خرج من القصر وأصحابه، ورد مفاتيحه إلى موضعها، فإذا نداء من قبل الله عز وجل: يا سليمان إنما كانت المسئلة قبل أن يعطيك الله الملك ألا ينبغي لأحد من بعدك فأما من كان قبلك فبلغ أكثر من ذلك.

وذكر الطبري (١) أن فتح اصطخر الأخير كان سنة ثمان وعشرين وسط إمارة عثمان رضي الله عنه على يد الحكم بن أبي العاص، فأما فتحها الأول (٢) ففي أيام عمر رضي الله عنه قصدها عثمان بن أبي العاص فالتقى هو وأهلها بجور فاقتتلوا ما شاء الله تعالى ثم فتح الله عز وجل على المسلمين حور واصطخر ودعاهم عثمان إلى الجزية فأذعنوا، وجمع عثمان ما أفاء الله فخمسه وبعث بالخمس إلى عمر رضي الله عنه وقسم الباقي في الناس وعف الجند

---

(١) الطبري ١: ٢٨٢٧، ٢٦٩٨.

(٢) الطبري ١: ٢٦٢٦.." (١)

"وقرارا فبناها ومدنها وهي على نهر منبعث من عين على رأس المدينة فيعم جميعها ومنه ماء حمامها **ومن العجائب** البلاط الأوسط من مسجد جامع اقليش فإن طول كل جائزة من جوائزه مائة شبر وأحد عشر شبرا وهي مربعة منحوتة مستوية الأطراف.

اقليبيا (١)

مدينة كبيرة قديمة على ساحل البحر بأقصى جزيرة شريك قبلي مدينة تونس إلا أنها خربت ولم يبق منها الآن إلا قلعتها في قنة جبل وبقية سورها القائم على الساحل ظاهر اليوم وبينه وبين القلعة مسافة، وهي على نظر واسع وعمل كبير وعمارات عريضة وجبايات واسعة، والسفن تقصدها للميرة ولها مرسى، وجبل ادار قريب منها.

أقش (٢)

مدينة هي كانت قاعدة الجليقيين بينها وبين ليوزذال ثلاثون ميلا، وكانت أقش قبل هذا منسوبة إلى غرسية بن لب، وهي مبنية بالصخر المربع الكبير، وهي على نهر كبير يدخل منه المجوس بمراكبهم إليهم، وفي المدينة حمة غزيرة الماء واسعة الفضاء يستحم أهلها في جنباتها على بعد من عنصرها لشدة سخونته.

اقيانس (٣)

هو اسم لبحر الظلمات ويقال له البحر الأخضر والمحيط الذي لا يدرك له غاية ولا يحاط بمقداره ولا فيه حيوان، وهو الذي يخرج منه البحر الرومي الذي هو بحر الشام ومصر والمغرب والأندلس، فإنه خليج يخرج من هذا البحر وقد خاطر بنفسه خشخاش من الأندلس، وكان من فتيان قرطبة، في جماعة من أحداثها فركبوا مراكب استعدوها ودخلوا هذا البحر وغابوا فيه مدة ثم أتوا بغنائم واسعة وأخبار مشهورة.

وإنما يركب من هذا البحر ما يلي المغرب والشمال وذلك من أقاصي بلاد السودان إلى برطانية وهي الجزيرة العظمى التي في أقصى الشمال، وفيه ست جزائر تقابل بلاد السودان تسمى الخالدات ثم لا يعرف أحد ما بعد ذلك، وستأتي إن شاء الله تعالى حكاية أخرى عمن دخل هذا البحر أطول من هذه في موضعها في ذكر الأشبونة.

اسكر (٤)

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٤٤

قرية من أعمال مصر، ويقال إنها القرية التي ولد فيها موسى بن عمران عليه السلام قال حسين بن الاسكري المصري (٥) : كنت في جلاس تميم بن أبي تميم ومن يخف عليه جدا قال: فأرسل إلى بغداد فابتيعت له جارية رائقة فائقة الغناء، فلما وصلت إليه دعا جلساءه وكنت فيهم ثم مدت الستارة وأمر بالغناء فغنت:

وبدا له من بعدما اندمل الهوى ... برق تألق موهنا لمعانه

يبدو كحاشية الرداء ودونه ... صعب الذرى متمنع أركانه

وبدا لينظر كيف لاح فلم يطق ... نظرا إليه وصده سجانه

فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه ... والماء ما سحت به أجفانه فطرب الأمير تميم ومن حضره، ثم غنت:

سيسليك عما فات دولة مفضل ... أوائله محمودة وأواخره

ثنى الله عطفيه وألف شخصه ... على البر مذ شدت عليه مآزره قال: فطرب تميم أشد من الأول، ثم غنت:

أستودع الله في بغداد لي قمرا ... بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه قال: فاشتد طرب تميم وأفرط جدا ثم قال لها: تمني ما شئت فقالت: أتمنى عافية الأمير وسعادته، فقال: والله لا بد لك من التمني، قالت: على الوفاء أيها الأمير بما أتمنى قال: نعم،

---

(١) اقليبية (بالتاء المربوطة) عند البكري: ٤٥ والإدريسي (د) : ١٢٥.

(٢) بروفنسال: ٢٨ والترجمة: ٣٥، ويبدو من وصف المؤلف لهذه المدينة أنها تقابل (Lugo) البلدة الرئيسية في مقاطعة جلقية، وكانت في القديم تسمى (Lucus Augusti) وربما قرئت ((لقش)) .

(٣) بروفنسال: ٢٨ والترجمة: ٣٦، والبكري (مخ) : ٣٤.

(٤) ترد بالشين ((أشكر)) في بعض المصادر.

(٥) جذوة المقتبس: ٦٦ والمطرب: ٦٢.." [١]

"والكمثرى والتين والرمان وضروب الفواكه حاشا شجر التوت، من غير غراسة ولا اعتمال.

اشبونة (١)

بالأندلس من كور باجة المختلطة بها، وهي مدينة على طريق العساكر فإن الطريق من باجة إلى الأشبونة يعترض مدينة الأشبونة، والأشبونة بغربي باجة، وهي مدينة قديمة على سيف البحر تتكسر أمواجه في سورها واسمها قودية، وسورها رائق البنيان بديع الشان، وبابها الغربي قد عقدت عليه حنايا فوق حنايا على عمد من رخام مثبتة على حجارة من رخام، وهو أكبر أبوابها، ولها باب غربي أيضا يعرف بباب الخوخة مشرف على سرح فسيح يشقه جدولا ماء يصبان في البحر، ولها باب قبلي يسمى باب البحر تدخل أمواج البحر فيه عند مده وترتفع في سوره ثلاث قيم، وباب شرقي يعرف بباب الحمة، والحمة على مقربة منه ومن البحر بمائين: ماء حار وماء بارد، فإذا مد البحر واراهما، وباب شرقي أيضا يعرف بباب المقبرة.

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٢

والمدينة (٢) في ذاتها حسنة ممتدة مع النهر لها سور وقصبة منيعة، والأشبونة على نحر البحر المظلم، وعلى ضفة البحر من جنوبه قبالة مدينة الأشبونة حصن المعدن ويسمى بذلك لأن عند هيجان البحر يقذف بالذهب التبر هناك، فإذا كان الشتاء قصد إلى هذا الحصن أهل تلك البلاد فيخدمون المعدن الذي به إلى انقضاء الشتاء، وهو من عجائب الأرض.

ومن مدينة الأشبونة كان خروج المغررين في ركوب بحر الظلمات ليعرفوا ما فيه وإلى أين انتهاؤه، ولهم باشبونة موضع بقرب الحمة منسوب إليهم يعرف بدرب المغررين، وذلك أن ثمانية رجال كلهم أبناء عم اجتمعوا فابتنوا مركبا وادخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر، ثم دخلوا البحر في أول طاروس الريح الشرقية فجروا بها نحوا من أحد عشر يوما، فوصلوا إلى بحر غليظ الموج كدر الروائح كثير التروش قليل الضوء، فأيقنوا بالتلف فردوا قلعهم في اليد الأخرى وجروا في البحر في ناحية الجنوب اثني عشر يوما، فخرجوا إلى جزيرة الغنم، وفيها من الغنم ما لا يأخذه عد ولا تحصيل، وهي سارحة لا ناظر لها ولا راعي فقصدوا الجزيرة ونزلوها فوجدوا عين ماء جارية عليها شجرة تين بري، فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحد على أكلها فأخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب اثني عشر يوما إلى أن لاحت لهم جزيرة فنظروا فيها إلى عمارة وحرث، فقصدوا إليها ليروا ما فيها فما كان إلا غير بعيد حتى أحيط بهم في زوارق فأخذوا وحملوا في مركبهم إلى مدينة على ضفة البحر فأنزلوا بها في دار فرأوا بها رجالا شقرا زعرا شعورهم سبطة وهم طوال القدود، لنسائهم جمال عجيب، فاعتقلوا في بيت ثلاثة أيام ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربي، فسألهم عن حالهم وفيم جاءوا وأين بلادهم، فأخبروه بكل خبرهم فوعدهم خيرا وأعلمهم أنه ترجمان، فلما كان في اليوم الثاني من ذلك اليوم احضروا بين يدي الملك فسألهم عما سألهم عنه الترجمان، فأخبروه بما أخبر به الترجمان بالأمس وأنهم اقتحموا البحر ليروا ما فيه **من العجائب** وليقفوا على نهايته، فلما علم الملك ذلك ضحك وقال للترجمان: أخبر القوم أن أبي أمر قوما من عبيده يركبون هذا البحر وأنهم جروا في عرضه شهرا إلى أن انقطع عنهم الضوء وانصرفوا من غير فائدة تجدي، ثم وعدهم خيرا وصرفوا إلى موضع حبسهم إلى أن بدأ جري الريح الغربية فعمر بهم زورقا وعصبت أعينهم وجرى بهم في البحر برهة من الدهر، قال القوم: قدرنا أنه جرى بنا ثلاثة أيام بلياليها حتى جاء بنا إلى البر فأخرجنا وكتفنا إلى خلف وتركنا بالساحل إلى أن تضاحى النهار وطلعت الشمس ونحن في ضنك وسوء حال من شدة الكتاف حتى سمعنا ضوضاء وأصوات ناس فصحنا بجملتنا، فأقبل القوم إلينا فوجدونا بتلك الحال السيئة، فحلوا وثاقنا وسألونا فأخبرناهم بخبرنا وكانوا برابر، فقال لنا أحدهم: أتعلمون كم بينكم وبين بلدكم؟ فقلنا: لا، فقال: مسيرة شهرين، فقال زعيم القوم: وا أسفي، فسمي المكان إلى اليوم اسفي، وهو المرسى الذي في أقصى المغرب.

الأهواز (٣)

مدينة متصلة بالجبل، فتحها حرقوص بن زهير السعدي في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والأهواز هي خوزستان وهي رام هرمز، وبين الأهواز وأصبهان خمسة وأربعون فرسخا، قالوا: ومن أقام بالأهواز حولا ثم تفقد عقله فإنه يجد فيه نقصا بينا. وقصبة الأهواز تغلب كل من نزل بها من الأشراف إلى طبائع أهلها، ولا يوجد بها أحد له وجنة حمراء،

---

(١) بروفنسال: ١٦ والترجمة: ٢٢ (Lisbonne) .

(٢) من هنا عن الإدريسي (د) : ١٨٤.

(٣) انظر آثار البلاد: ١٥٢، وياقوت: ((الأهواز)) ، ولطائف المعارف: ١٧٥.." [١]

"إلا ميتا فقبره ببرذعة وقال أبو قدامة القشيري: كنا مع يزيد بن مزيد بأرمينية فإذا صائح في الليل يصيح: يا يزيد بن مزيد، قال: فأتي به يزيد فقال له: ما حملك على هذا الصياح؟ قال: نفقت دابتي ونفدت نفقتي وسمعت قول الشاعر:

إذا قيل من للمجد والجود والندى ... فناد بصوت يا يزيد بن مزيد فأمر له بفرس أبلق كان معجبا به وبمائة دينار.

برغش (١)

في بلاد الروم بالقرب من مدينة ليون، وهي مدينة كبيرة يفصلها نهر، ولكل جزء منها سور والأغلب على الجزء الواحد منها اليهود، وهي حصينة منيعة ذات أسوار وتجار وعدد وأموال وهي رصيف للقاصد والمتحول (٢) ، وهي كثيرة الكروم ولها رساتيق وأقاليم معمورة.

برشك (٣)

بين تنس وبرشك في الساحل ستة وثلاثون ميلا، وبرشك مدينة صغيرة على تل وعليها سور تراب وهي على ضفة البحر، وشرب أهلها من عيون وماؤها عذب، وبها فواكه وجملة مزارع وحنطة كثيرة وشعير، ومنها إلى شرشال (٤) عشرون ميلا وكان طاغية صقلية (٥) أخذها واستولى عليها.

برلي

جزيرة في بحر الهند فيها الكافور الذي ليس في الدنيا مثله يكون في الشجرة الواحدة منه عشرة أجناس ينساب كل عرق منها بجنس منه، وكافور هذه الجزيرة يحمل إلى الصين، قالوا: ويلي هذه الجزيرة ستة آلاف جزيرة لا يحيط علما بما فيها إلا خالقها منها جزيرة بروان (٦) يخرج منها مائتا مركب محاربة وهم أهل بأس ونجدة وشجاعة وشدة يقاتلون من يليهم لاستحلالهم البنات والأخوات، ومنها جزيرة تسمى سواكن يحارب أهلها ملك قمار وشريرة وفنصور (٧) ، وأخذوا مرة سفينة كبيرة للمسلمين في ناحية كله وسبوا من فيها من الرجال والنساء ثم أتوا بهم بعد أعوام إلى بلاد جاوه وهم منهم على مسيرة ستين يوما فأخبروا أولئك النسوة أنهم لم يعترضوا منهم واحدة، ووجدوا الأبكار منهم بخواتيمهم (٨) .

بريانة (٩)

بالأندلس بقرب عقبة أنيشة، وهي مدينة جليلة عامرة كثيرة الخصب والأشجار والكروم، وهي في مستو من الأرض وبينها وبين البحر ثلاثة أميال، وهي قريبة من بلنسية.

برشانة (١٠)

بالأندلس أيضا وهي حصن على مجتمع نهرين وهو من أمنع الحصون مكانا وأوثقها بنيانا وأكثرها عمارة.

بريسا (١١)

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٦١

في بلاد السودان على النيل وهي كثيرة الخيرات بها معدن للذهب عظيم مشهور في بلاد السودان، **ومن العجائب** أن في هذه المدينة معزى قصارا وعندهم شجر معلوم تحتك هذه المعزى إليها فتلقح من غير ذكر ويذبحون ذكران المعز ويستحيون الإناث لاستغنائهم عن الفحل، حدث بذلك من دخل بلادهم من ثقات التجار وهذا مثل ما حكاه المسعودي عن جزيرة النساء. وليس على بريسا سور وأهلها تجار يتجولون وأهلها كالقرية الحاضرة وهم طاعة للتكروري.

برطاس (١٢)

بلاد برطاس ويقال بلاد برداس فيما بين الخزر وبلغار، بينها وبين الخزر مسيرة خمسة عشر يوما، وهي طاعة لملك الخزر ليس لهم ملك سواه إلا أن لهم في كل محلة حاكما يتحاكمون إليه فيما نابهم، وهم حرب لبلغار والبجاناكية ودينهم شبيه بدين الغزية، ولهم أرض واسعة سهلة كبيرة وأرضهم مسيرة نصف شهر في مثلها، وينتهي عددهم نحو عشرة آلاف فارس،

---

(١) نزهة المشتاق: ٢٣١ والمؤلف ينقل عنه، وابن حوقل: ٢٩٠، وبروفنسال: ٤٤ والترجمة: ٥٥ (Burgos) .

(٢) نزهة المشتاق: والمتجول.

(٣) الإدريسي (د/ ب) : ٨٨/ ٦١.

(٤) في الأصلين: شوشال.

(٥) يعني الملك رجار النورماندي.

(٦) ص: بروادة.

(٧) ص: وسيعور، ع: يسعور غير معجمة الياء.

(٨) كذا بضمير الجمع المذكر.

(٩) الإدريسي (د) : ١٩١، وبروفنسال: ٤٤، والترجمة: ٥٦ (Buriana) .

(١٠) بروفنسال: ٤٢، والترجمة: ٥٣ (Purchena) .

(١١) ذكر الإدريسي (د/ ب: ٢، ٤/ ٣، ٥) بريسي وقال: ومدينة بريسي على النيل، مدينة صغيرة لا سور لها غير أنها كالقرية الحاضرة، وأهلها تجار متجولون وهم في طاعة التكروري، وفي ص ع: برسنا أو (برسني) .

(١٢) تشترك هذه المادة مع ما ورد في نزهة المشتاق: ٣٠٩، والكرخي: ١٣٠، ١٣١، وياقوت (عن الكرخي) ، ولكن ما ورد فيها من تفصيلات يشير إلى أن المؤلف ينقل عن مصدر آخر، والنظر أيضا: ابن حوقل: ٣٣٣، ٣٣٥، وتقع برطاس على روافد الفولجا.." [1]

"بورى (١) :

في أسفل الديار المصرية، في سنة عشر وستمائة وصل العدو إليها بشوانيه فسباها كما فعل في قره، وكان حلق رشيد قد حرس بالقطائع المصرية فعدل عنها إلى هذا المكان.

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٨٨

بونة (٢) :

من بلاد إفريقية قريبة من فحص قل وهي مدينة قديمة من بناء الأول وبها آثار كثيرة، وهي على ساحل البحر في نشز من الأرض مشرف على البحر وعلى فحوصها وقراها، وهي من أنزه البلاد وأكثرها لبنا ولحما وعسلا وحوتا، والبحر يضرب في سورها وفيها بئر على ضفة البحر منقورة في حجر صلد وماؤها أعذب ماء وأنقعه (٣) منها يشرب أكثر أهلها لعذوبته، وبغربي هذه المدينة ماء سائح يسقي بساتينها وأرضها، وموضع جناتها متنزه حسن مشرف على البحر، ويطل على بونة جبل زغوغ وهو كثير الثلج والبرد، وببونة مساجد وأسواق وحمام، وهي ذات ثمر وزرع، وقد سورت بونة بعد الخمسين والأربعمائة. **ومن العجائب** أن في هذا الجبل مسجدا لا ينزل عليه من ذلك الثلج شيء وإن عم الجبل كله. وأكثر لحمان أهل بونة البقر إلا أنها يصح بها السودان ويسقم البيضان. وحول بونة قبائل كثيرة من البربر مصمودة وأوربة وغيرهما، وأكثر تجارها أندلسيون. ومستخلص بونة غير جباية بيت المال عشرون ألف دينار.

وبغربي مدينة بونة بركة في دورها نحو عشرة أميال فيها سمك جليل كثير، وفيها طائر يعرف بالكيكل وهو يعشش على وجه الماء ويفرخ، فإن أحس بحيوان في البر أو إنسان يروم أخذه أخذ عشه بفراخه برجليه حتى يصير في وسط البركة حيث يأمن، وهو طائر حسن وهو الذي يسمى بمصر الغطاس (٤) ، وتتخذ مصر من جلوده الفراء لأمنها (٥) وجمالها وتباع بالأثمان الغالية. ومرسى بونة من المراسي المشهورة، وبونة في جون من البحر يسمى جون الأزقاق وهو صغير ربما عطبت فيه المراكب، وتسمى بونة بلد العناب لكثرة العناب فيها، ومنه خشب سقوفهم ووقودهم ومنه جميع ما يتصرفون فيه.

وفي بونة دفن ملك إفريقية الأمير الأجل أبو زكريا ابن الشيخ الأجل المجاهد أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص رحمه الله (٦) وإنه كان تحرك من حضرته تونس في تاسع صفر من سنة سبع وأربعين وستمائة ومعه ولي عهده ابنه أبو عبد الله محمد المستنصر بالله أمير المؤمنين فلما انتهى إلى قسنطينة مرض بها المرض الذي توفي منه وكان أبل منه وطمع له في البرء، وكتب بذلك إلى تونس وتوجه إليه منها الطلبة وغيرهم يهنئونه بالبرء من مرضه وقالت الشعراء في ذلك ثم عاوده مرضه فمات منه ليلة يوم الجمعة التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وستمائة وصلي عليه عصر يوم الجمعة فقرر أخوه أبو عبد الله اللحياني الولاية لابنه المستنصر فبايعه الناس هناك بيعة مجددة ثم جهز إلى روضته وحمل إلى بونة فدفن بجامعها بازاء قبر الشيخ الصالح الولي أبي مروان الفحصلي وهو ابن تسع وأربعين سنة وفي ذلك قال أبو عمرو عثمان بن عربية (٧) :

ليت شعري عن الخليفة يحيى ... وإلى ليت يستريح الحزين

قفل الجيش سالمين ويحيى ... بالمصلى من بونة مدفون وقيل في ذلك من المراثي والأقوال المبكية نظما ونثرا ما لا يسعه المختصر.

البونت (٨) :

هي قرية من أعمال بلنسية ينسب إليها صاحب الوثائق المجموعة عبد الله بن فتوح بن عبد الواحد (٩) .

بونية (١٠) :

هي قاعدة مدن لنقبردية، وهي مدينة مبنية بالحجر والآجر والكلس كبيرة جدا كثيرة الأهل تنفجر داخلها العيون وهي على

نهر يجتمع تحتها بمقدار نصف ميل بنهر آخر، وفي هذه المدينة قصر حسن على بابه صورة فارس من نحاس متناهية

---

(١) خطط المقريزي ١: ١٨١ - ١٨٢، واليعقوبي: ٣٣٨ (بورة) وكذلك الإدريسي (د) : ١٥٧، وقاموس رمزي ١: ١٧٦.

(٢) الاستبصار: ١٢٧، والبكري: ٥٤، والإدريسي (د/ ب) : ١١٦/ ٨٥.

(٣) ع: وامنعه؛ ص: وامتعه، الاستبصار: وأنفقه.

(٤) الاستبصار: الخواص.

(٥) الاستبصار: للينها، وهي غير واضحة في ص.

(٦) انظر الفارسية ١٠٧ - ١١٤، وتاريخ الدولتين: ٢٤، والبيان المغرب ٣: ٣٩٣ (تطوان) .

(٧) هو أبو عمرو عثمان بن عتيق به عثمان القيسي المعروف بابن عربية، ولد بالمهدية سنة ٦٠٠ وتوفي بتبرسق سنة ٦٥٩ (رحلة التجاني ٣٧٥ - ٣٧٩) .

(٨) ص ع، البونة؛ بروفنسال: ٥٦، والترجمة: ٧١.

(٩) ترجمة في الصلة؛ ٢٧١، وكانت وفاته سنة ٤٦٢.

(١٠) كذا في ع: وفي ص: بوية، ولعل الصواب: بوبيه، وهي التي ترد عنه الإدريسي باسم بابيه (Pavia) ، وقد كانت هذه المدينة عاصمة اللمبارديين (لنقبردية) .." [1]

"خلية (١) :

هما جزيرتان في أرض جزيرة صقلية في ناحية مسيني وهما جزيرتا البركان، واحدة كبيرة والأخرى صغيرة، وفي هاتين الجزيرتين تتقد النار أبدا، فيرى لهب النار بالليل ودخانه بالنهار، **ومن العجائب** أن النار في إحدى الجزيرتين حديثة ولم تكن بها قبل وأنها ضعفت في الأخرى مذ ذاك، وهاتان الجزيرتان وما يليهما تسمى جزائر أوليا، سميت باسم أولين (٢) الذي ذكرت الفلاسفة الجاهلية أنه كان أميرا في تلك الجزائر وكان يعلم أهلها بما يجد في الرياح لتجارب حفظها فاتخذوه إلها.

خليج القسطنطينية (٣) :

من السواحل الشامية يأخذ من بحر مايطس (٤) وبحر نيطس ويجري الماء فيه جريا ويصب إلى بحر الشام، ومسافة هذا الخليج ثلثمائة وخمسون ميلا، وقيل أقل من ذلك، وعرضه في الموضع الذي يأخذ من بحر مايطس نحو من عشرة أميال، وهناك عمائر ومدينة للروم تدعى مسناة تمنع من يرد من ذلك البحر من مراكب الروس وغيرها، ثم يضيق هذا الخليج عند القسطنطينية فيصير عرضه، وهو موضع العبور من الجانب الشرقي إلى الجانب الغربي الذي فيه القسطنطينية، نحوا من أربعة أميال، وعليه العمائر، وينتهي إلى الموضع المعروف بأندلس. وهنالك جبال وعين ماء كبيرة ماؤها موصوف تعرف بعين مسلمة بن عبد الملك وكان نزوله عليها حين حاصر قسطنطينية، وأتته مراكب المسلمين، وفم هذا الخليج مما يلي بحر الشام

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/١١٥

ومنتهى مصبه يضيق، وهناك برج يمنع من فيه لمن يرد من مراكب المسلمين في الوقت الذي كانت للمسلمين فيه مراكب تغزو إلى الروم. وأما الآن (٥) فمراكب الروم تغزو بلاد الإسلام، قال المسعودي: وأخبرني أبو عمير علي بن أحمد بن عبد الباقي الأزدي وهو من أهل التحصيل، أنه حين عبر إلى القسطنطينية في هذا الخليج، حين دخل لإقامة الهدنة والفداء، كان يتبين جرية هذا الماء وبرده مما يلي بحر مايطس وربما يتبين في الماء الذي مما يلي بحر الشام فيجده فاترا، وهذا يدل على اتصال ماء هذين البحرين وأنه قد دخل من بحر الروم إلى هذا الخليج أيضا. قال المسعودي: وسمعت غير واحد من أهل التحصيل ممن غزا غزاة سلوقية مع غلام زرافة، وقد كانوا دخلوا إلى خليج القسطنطينية وساروا فيه مسافة بعيدة، أنهم وجدوا الماء في هذا الخليج يقل في أوقات من الليل والنهار ويكثر كالجزر والمد، وعليه المدن والعمائر، فلما أحسوا بنقصان الماء بادروا بالخروج منه إلى البر الرومي، وإن في مدخله من بحر الروم مدينة تقرب من فم الخليج، والخليج يطيف بالقسطنطينية من جهتين مما يلي الشرق ومما يلي الشمال.

غدير خم (٦) :

بازاء الجحفة، وتقدم ذكره في الجحفة، وقال أبو عبيدة: خم بئر احتفرها عبد شمس بالبطحاء بعد (٧) بئره العجول.

الخندق:

قبل وصولك إلى المدينة المكرمة من جهة المغرب بمقدار غلوة تلقى الخندق الشهير الذي صنعه النبي صلى الله عليه وسلم عند تحزب الأحزاب.

وكانت (٨) وقعة الخندق في شوال بعد أحد بسنة لما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير خرج من اليهود سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب وكنانة بن الربيع النضريون، وهوذة بن قيس وأبو عمار الوائليان، في نفر من بني النضير وبني وائل، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قدموا مكة على قريش، فاستعدوهم واستنصروهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم إلى حربه وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه، فهم الذين أنزل الله فيهم: " ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا، أولئك

---

(١) ع: خليبة، وعند رتزيتانو: الخالية، وفي نص اضطراب إذ لابد أن يذكر اسم جزيرتين من الجزر التي سماها من بعد جزائر أوليا (Aeolia) باسم ملك الرياح والعواصف (Aeolus) وهي سبع جزر صغيرة بين صقلية وإيطاليا: Euonymos' Hiera' Lipara' Phonicusa' Ericusa' Didyme' Strongyle. وليس فيها اسم مقارب لما ذكره المؤلف.

(٢) لعل صوابه: أولس (Aeolus) .

(٣) مروج الذهب ٢: ٣١٦.

(٤) ص ع: مانطس.

(٥) يعني زمن المسعودي.

(٦) معجم ما استعجم ٢: ٥١٠.

(٧) معجم البكري: عند.

(٨) ابن هشام ٢: ٢١٤.." (١)

"رمتك قيل بما فيها وما ظلمت ... ورامها قبلك الفجفاجة الصلف وسمرقند وخوارزم كور منقطعة من خراسان ومما وراء النهر، وتحيط بها المفاوز من كل جانب، وحدها يتصل بحدود الغزية مما يلي الشمال والمغرب، وحد جنوبها من شرقيها بلاد خراسان وما وراء النهر، وهي ناحية عريضة وخطة واسعة ومدن كثيرة، وهي آخر عمائر عمل جيحون وليس بعدها عليه عمارة حتى يقع ماء النهر في البحيرة، ومدينتها في الجانب الشمالي من جيحون، ولها من الجنوب مدينة كبيرة تسمى الجرجانية وهي أكبر مدينة بخوارزم بعد قصبتها قيل، وهي متجر الغزية ومنها تخرج القوافل إلى جرجان وكانت تخرج إلى الخزر على مر الأيام وإلى خراسان، وكانت قصبة الجرجانية تعرف باللغة الخوارزمية كاث وكانت أرباضا (١) وطولها نحو ميل في مثله فابتنوا غيرها من ورائها، وهي الجرجانية اليوم، وقيل مدينة خوارزم.

وخوارزم (٢) مدينة حصينة كثيرة الطعام والفواكه، والخواص من أهلها قيام على أنفسهم بالمروءة الظاهرة، وهم أكثر أهل خراسان سفرا، وليس بخراسان مدينة إلا وفيها منهم جمع كبير، ولغتهم ممتازة من لغة أهل خراسان، وزيهم القراطق والقلانس المعوجة، وخلقهم لا يخفى بين أهل خراسان ولهم بأس على الغربة ومنعة، وترتفع من خوارزم ثياب القطن والصوف وأمتعة كثيرة، وليس بخوارزم معادن، ويقع إليهم رقيق الصقلب والخزر وما والاها من رقيق الأتراك، ويقع إليهم الأوبار من الفنك والسمور والثعالب (٣) والخزوز وغير ذلك. وعرض نهر خوارزم عند المدينة فرسخان، وأول حدود خوارزم مما يلي ارموني بلد يسمى الطاهرية تجد فيها العمارة على جانبي جيحون ونهر جيحون ربما جمد في الشتاء حتى تعبر عليه الأثقال والأحمال والجمال ومن ناحية خوارزم يشتد في جموده، ومن مدن خوارزم غزنة وغيرها، وهم مياسير وأهل مروءة ظاهرة.

ونزل الططر على خوارزم في سنة ثمان عشرة وستمائة فأقاموا على مدينة الجرجانية قاعدة خوارزم شاه، قالوا: ومرو ونيسابور وبلخ، مع عظم كل واحدة منها، مجموعها يقصر عن الجرجانية بانفرادها فإنها كانت سرير السلطان الأعظم صاحب الأقاليم السلطانية ورب العساكر الكثيفة، وكان بها يومئذ عسكر جليل وأمراء مشهورون إلى أن ملك الططر المدينة وقتلوا فيها كل ذي روح، والخبر مستوفى في ذكر الجرجانية.

خوزستان (٤) :

في أرض عبادان في شرقي موضع دجلة، وهي بلاد كبيرة وعمل فسيح وماؤها صحيح، وهي سهلة الأرجاء كثيرة المياه، وبلادها عامرة، وقاعدة بلادها الأهواز، ومن بلادها عسكر مكرم وتستر وجنداسابور ورامهرمز وغيرها.

وبأرض خوزستان مياه جارية وأودية غزيرة وأنهار سائلة، وأكبر أنهارها نهر تستر، ويسمى دجيل الأهواز، وهو نهر عجيب منبعه من جبال هنالك وعليه الشاذروان الذي أمر بعمله سابور الملك، وهو **من العجائب** المشهورة فإنه بناء أمام تستر

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٢٢١

وثيق عال أقيم في صدر الماء سدا وثيقا بالحجر والعمد، فارتدع به الماء حتى صار أمام تستر، لأن تستر في نشز من الأرض عال والماء، مرتدع بين يديها، ويجري هذا النهر من وراء عسكر مكرم وعليه هناك جسر كبير وتجري فيه السفن الكبار ويتصل بالأهواز. وبين عسكر مكرم والأهواز ثلاثون ميلا ولا يضيع شيء من ماء هذا النهر إنما يتصرف كله في سقي الأرض وغلات القصب وضروب الحبوب والنخيل والبساتين والمزارع، وفيه المد والجزر، وأهل خوزستان يتكلمون بالفارسية والعربية ولسان آخر يستعملونه بينهم، وزيهم زي أهل العراق يلبسون القمص والطيالسة والعمائم، وفي أنفسهم وطباعهم الشر والتنافس بعضهم على بعض وفي ألوانهم صفرة وسمرة.

الخورنق (٥) :

تفسيره الموضع الذي يأكل فيه الملك ويشرب، والنجف: البساتين والمتنزهات التي يشرف الخورنق عليها، والخورنق بظهر الكوفة، وهو قصر النعمان بظهر الحيرة، قال عدي بن زيد:

وتفكر رب الخورنق إذ أش ... رف يوما وللهدى تفكير

---

(١) ص ع: أرباضها.

(٢) كذا ورد، ولعل (خوارزم) مكررة.

(٣) سقط من ع.

(٤) قارن بالكرخي: ٦٢، وابن حوقل: ٢٢٨.

(٥) معجم ما استعجم ٢: ٥١٥.." (١)

"الجوزجان مدينة يقال لها موريان وإلى فرياب ينسب محمد بن يوسف الفريابي صاحب التفسير وشيخ البخاري.

الفرماء (١) :

وقد تقصر، مدينة تلقاء مصر.

وهي أول (٢) مدن مصر من جهة الشمال، وبها أخلاط من الناس، وبينها وبين البحر الأخضر ثلاثة أميال.

وهي مدينة (٣) كبيرة قديمة أزلية فيها آثار عجيبة تدل على أنها كانت دار مملكة، ويقال إن الذي بناها هو الفرما الملك. ووجه ابن المدبر لما وصل مصر إلى الفرما لهدم أبواب رخام بها في شرقي الحصن احتاج أن يعمل منه فرشا في داره، فمنعه من ذلك أهل الفرما، وخرجوا إلى رسله بالسلاح وقالوا: هذه الأبواب التي ذكرها الله تعالى في كتابه على لسان يعقوب عليه السلام " يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ".

ومن العجائب أن نخل الفرماء يثمر حين ينقطع البسر والرطب من جميع البلاد، فيكون رطب نخل الفرماء في كانون الأول، حين تلد النخل في كل مكان، فلا ينقطع أربعة أشهر، ولا يوجد هذا في بلد من البلاد سوى الفرماء، وهو تمر كبير، في وزن التمرة عشرون درهما وطولها فتر.

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٢٢٥

الفرات (٤) :

أحد الأنهار الستة الكبار المشهورة وهي النيل ودجلة والفرات ومهران السند وجنجون (٥) الهند وخمدان (٦) الصين وجيحون خراسان.

ويخرج الفرات من داخل بلاد الروم ومن جبال متصلة بقالي قلا من ثغور ارمينية ثم يمر في بلاد الروم، ويمتد حتى يصير إلى ملطية حتى يكون منها على ميلين، ثم يمتد إلى سميساط فيحمل من هناك السفن إلى بغداد ثم يمتد من سميساط (٧) مارا في جهة الجنوب مائلا مع الشرق إلى ساحل جرجان كذا ثم إلى الرافقة ويجتاز بالرقة إلى قرقيسيا، وهناك يصب في نهر الخابور إلى عانة إلى هيت إلى الأنبار، ومن هناك ينزل نهر عيسى إلى بغداد، ثم يصير خلجانا أربعة وتتفرق في البطائح.

وفي الخبر النبوي من حديث مسلم: " لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو به ". وفي طريق آخر: " يوشك أن يحسر الفرات عن كنز من ذهب " الحديث.

وقد أحسن النابغة الذبياني في وصف حال الفرات في قوله يذكر ممدوحه:

فما الفرات إذا هب الرياح له ... ترمي غواربه العبرين بالزبد

يمده كل واد مترع لجب ... فيه ركام من الينبوت والخضد

يظل من خوفه الملاح معتصما ... بالخيزرانة بعد الأين والنجد

يوما بأجود منه سيب نافلة ... ولا يحول عطاء اليوم دون غد وعبر المسلمون، في الفتح الأول، الفرات إلى المدائن لمحاصرتها، ويأتي ذلك إن شاء الله تعالى مشروحا في ذكر المدائن.

وفي السنة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى، وذلك سنة سبع زاد الفرات ودجلة زيادة لم ير مثلها، واتسعت بثوق عظام حملت السكور والمسنيات وطلب الماء الوهاد، فجهد أبرويز أن يردها ويقيم شاذرواناتها، فغلب الماء وطمى على العمارات، فغرق الكور والسطوح. وشغلت الأعاجم بحرب العرب فطمى الماء وزاد فلما ولي معاوية عبد الله بن دراج مولاه العراق غلب الماء بالمسنيات والسكور، واستخرج به من الأرض ما بلغت عليه خمسة عشر ألف ألف، واستخرج الحجاج أيام الوليد ما غمر الماء من أرض البطيحة نحو خمسين فرسخا في مثلها.

---

(١) معجم ما استعجم ٣: ١٠٢٢.

(٢) اليعقوبي: ٣٣٠، والخطط ١: ٢١١.

(٣) الاستبصار: ٨٩.

(٤) في وصف الفرات انظر ابن رسته: ٩٣، والتنبيه والإشراف: ٥١، وياقوت (الفرات) .

(٥) ص ع: وجيحون؛ وهو جنجس (الكنج) .

(٦) ص ع: ويعنون.

(٧) ص: شمشاط.." [١]

"مما يلي البر وفيه باب الذهب، وهي التي تلي الشمال، وطولها من الباب الشرقي إلى الباب الغربي ثمانية وعشرون ميلا، ولها حيطان من حجارة، وبينهما فضاء تسعون ذراعا، وعرض السور الداخل اثنتا عشرة ذراعا، وسمكه اثنتان وسبعون ذراعا، وعرض السور الخارج ثمان أذرع، وسمكه اثنتان وأربعون ذراعا وفيما بين السورين نهر يسمى قسطنطيانوس، وهو مغطى ببلاط نحاس، طول كل بلاطة ست وأربعون ذراعا وعدة ما فيه من البلاطات اثنتان وأربعون ألف بلاطة، وعمق النهر اثنتان وأربعون ذراعا، وفيما بين باب الذهب، وهو باب مضبب بالحديد، أعمدة بالذهب، وطوله إحدى وعشرون ذراعا، وبين باب الملك اثنا عشر ميلا ولها من الأبواب نحو مائة باب أكبرها باب الذهب، وليس يدرى مثلها في الكبر قطر إلا قطر رومة.

وبها القصر (١) الشائع ذكره شماخة بناء واتساع قطر وحسن ترتيب، وفيه البذرون (٢) الذي يتوصل منه إلى القصر، وهو من عجائب الدنيا فإنه ملعب وزقاق يمشى فيه بين سطرين من صور مفرغة من النحاس البديع الصناعات، منها على صور الأدميين وضروب الخيل والسباع إلى ما سوى ذلك من الأشكال، وبالقصر وبما دار به ضروب **من العجائب** المصنوعات، ودون الخليج من جهة بلاد الأرمن أحد عشر عملا.

ودور قصر الملك فرسخ يحيط به سور منيف، وله ثلاثة أبواب، والذي يظهر يوم الشعانين من صلب الذهب أحد وعشرون ألف صليب، ومن صلب الحديد والنحاس المنقوشة المموهة بالذهب عشرة آلاف ومائتان، ومن المصاحف التي تقرأ في الكنيسة، رقومها من ذهب مكتوبة بالذهب والفضة، ستة آلاف وأربعمائة، وفيها من الشمامسة ومن تجري عليه الأرزاق ثمانية وأربعون ألفا لا ينقص عددهم، كلما مات أحدهم أقاموا مكانه آخر، ووضع قسطنطين في أعلى هذه الكنيسة آلة مطلسمة، وهو زرزور من نحاس إذا كان وقت الزيتون حشر إليها كل زرزور هناك، فيأتيها الزرزور بثلاث زيتونات اثنتان في مخلبيه وثالثة في منقاره فيضعها عنده ثم ينصرف غاديا، ولا يزال ذلك دأبه طوال أمد الزيتون.

فإذا أراد (٣) الملك الخروج إلى هذه الكنيسة العظمى فرش له في طريقه من باب القصر إلى الكنيسة حصر، من فوق الحصر ضروب الرياحين الطيبة، وتزين دور المدينة يمنة ويسرة بالديباج وضروب ثياب الحرير، ثم يخرج بين يديه عشرة آلاف شيخ مشاة، عليهم كلهم ديباج أبيض، ثم يخرج بعدهم عشرة آلاف خادم، عليهم ديباج لون السماء، في أيديهم الطبرزينات الملبسة بالذهب، ثم يخرج بعد ذلك خمسة آلاف من فتيان الصقالبة عليهم ملحم خراساني أبيض، بأيديهم كلهم صلبان الذهب، ثم يخرج من بعدهم عشرة آلاف غلام أتراك وخزر، عليهم أقبية مذهبة، وبأيديهم رماح وأترسة ملبسة بالذهب، ثم يخرج بعدهم مائة بطريق، عليهم ثياب منسوجة بالذهب، في يد كل واحد منهم قضيب من ذهب ثم يخرج مائة غلام عليهم ثياب مشهورة مرصعة باللؤلؤ، يحملون تابوتا من ذهب، فيه كسوة الملك لصلاته، ثم يخرج رجل بين يديه يسكت الناس، ثم يخرج شيخ بيده طشت وإبريق من ذهب مرصعان بالدر والياقوت، ثم يخرج الملك ماشيا وعليه ثياب من ابريسم منسوجة

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٤٣٩

بالجوهر كلها، وخفه مرصع بالدر والياقوت، وفي يد الملك حقة من ذهب فيها تراب، فكلما خطا خطوتين يقول له الوزير بلسانهم كلاما معناه: اذكر الموت والبلى، فإذا قال له ذلك وقف الملك وفتح الحق ونزل إلى التراب وقبله وبكى، يسير كذلك حتى ينتهي إلى باب الكنيسة فيقدم الرجل الطشت والإبريق، فيغسل الملك يده ويقول للوزير: إني بريء من دماء الناس كلهم والله لا يسألني عن دمائهم وإني قد جعلتها في عنقك، ويخلع ثيابه التي عليه على وزيره ويقول له: دن بالحق، ويأمر فيدار به على أسواق القسطنطينية، ويقال له: دن بالحق، كما قال له الملك. ويلبس الملك الثياب التي يدخل بها الكنيسة ويأمر بإدخال أسارى المسلمين الكنيسة، فينظرون إلى تلك الزينة فينادون: أطال الله بقاء الملك سنين كثيرة، ويقولون ذلك ثلاث مرات. ويساق خلف الملك ثلاثة من الخيل تقاد، وقال بعضهم: إنها لا تكون إلا شهبا، ويقال إنها من نسل خيل كانت للإسكندر توارثها ملوك اليونانية وملوك الروم لما غلبوا على المملكة، عليها سروج قرابيسها من الزمرد الأخضر والياقوت الأحمر، وتلك السروج وألبابها وما اتصل بها مرصع من الحجارة وأجلتها من الديباج المرصع بالدر والياقوت، فيدخلونها الكنيسة

---

(١) النقل مستمر عن نزهة المشتاق.

(٢) ص ع: البذبدون (دون اعجام في ع) ، وفي نزهة المشتاق صورة الكلمة نفسها ((البدندون)) والبذرون كما هو عند ابن خرداذبه وابن رسته يقابل الهيودروم (Hippodrome) .

(٣) متابع للبكري (ح) : ١٩٦ وأصله عند ابن رستة: ١٢٣.." (١)

"ويصب في نهر مهران السند، والغالب على أهل الملتان أنهم مسلمون، والحكم فيهم لأهل الإسلام، ورئيسهم مسلم.

مليانة (١) :

مدينة في أحواز أشير من أرض المغرب بين تنس والمسيلة وبقرب نهر شلف، وهي مدينة رومية فيها آثار، وهي ذات أشجار وأنهار تطحن عليها الأرحاء، جددها زيري بن مناد وأسكنها ابنه بلكين، وهي عامرة ومشرفة على جميع ذلك الفحص الذي فيه بنو واريفن وغيرهم، وهي عامرة آهلة، ولها آبار عذبة وسوق جامعة.

وبقعتها كريمة (٢) ومزارعها خصيبة، ونهرها يسقي أكثر مزارعها وجناتها، ولها أرحاء على نهرها، ولأقاليمها حظ من سقي شلف، وعلى ثلاثة أميال (٣) منها جبل وانشريس (٤) .

وعلى مليانة لقي أبو بكر ابن الصابوني الشاعر (٥) السلطان أبا زكريا ملك إفريقية، كان هاجر إليه من الأندلس وركب البحر، وخرج في ساحل الغرب الأوسط، ولقي عسكر السلطان على مليانة فنظم قصيدة وتعرض بها في جهة خيام خدام السلطنة، **فمن العجائب** أن لحظه السلطان بعينه فقال للحاجب: إن صدق ظني فذاك الشخص الذي من صفته كذا الناظر إلى جهتنا هو ابن الصابوني الشاعر، فسر إليه برفق واسأله، فإن كان هو ومعه قصيدة فيحضر بها وينشدها، فكان الأمر على ما قدر السلطان، وحضر وأنشد قصيدة أولها:

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٤٨٢

الله جارك في حل ومرتحل ... يا معليا ملة الإسلام في الملل

فسرت والسعد يدعوني وينشدني ... إن السعادة في مليانة فمل فلما أتمها أمر بإنزاله، وأنعم عليه بخمسمائة دينار، وصحب العسكر إلى حضرة تونس.

ملل (٦) :

بينها وبين المدينة النبوية ثمانية عشر ميلا، وهي بطريق مكة وفيها آثار، وهي قليلة الأهل، ماؤها من الآبار، وكان كثير عزة يقول: إنما سميت ملل لتملل الناس بها، وكان الناس لا يبلغونها حتى يملوا، وقال جعفر بن الزبير يرثي ابنا له مات بملل:

أهاجك بين من حبيب قد ارتحل ... نعم ففؤادي هائم القلب مختبل

أحزني على ماء العشيرة والهوى ... على ملل يا لهف نفسي على ملل

فتى السن كهل الحلم يهتز للندى ... أمر من الدفلى وأحلى من العسل

ممطور (٧) :

جبل على مرحلة من القيروان نزله بعض الأمراء الداخلين لإفريقية فأصابه المطر فقال إن جبلنا هذا لممطور، فغلب عليه هذا الاسم.

منبج (٨) :

بناحية قنسرين ومن كورها، وهي مدينة كبيرة، وبينها وبين الفرات مرحلة، وعليها سوران، وهي من بناء الروم الأول وفيها أسواق عامرة وتجارات دائرة وغلات وأرزاق.

ويحف (٩) بغربيها وشرقيها بساتين ملتفة الأشجار مختلفة الثمار، والماء يطرد بها ويتخلل جميع نواحيها، وأرضها كريمة وأسواقها فسيحة، ودكاكينها وحوانيتها كأنها الخانات والمخازن اتساعا وكبرا، وكانت من مدن الروم العتيقة، ولهم بها من البناء آثار تدل على عظيم اعتنائهم بها، ولها قلعة حصينة، وأهلها أهل خير وفضل، ومعاملاتهم صحيحة وأحوالهم مستقيمة. ومنبج أيضا بناحية عمان.

---

(١) البكري: ٦٩، وقارن بالاستبصار: ١٧١، وياقوت (مليانة) ، وآثار البلاد: ٢٧٣، ورحلة العبدري: ٢٤.

(٢) الإدريسي (د/ ب) : ٨٤/ ٨٥.

(٣) الإدريسي: أيام.

(٤) ص ع: وانشراس.

(٥) اختصار القدح: ٦٩، والمغرب ١: ٢٣، والوافي ٢: ٩، والفوات ٢: ٢٠٩، وقد أورد ابن سعيد هذه القصة ملخصة.

(٦) انظر معجم ما استعجم ٤: ١٢٥٦، وياقوت (ملل) ، والمغانم المطابة: ٣٩١.

(٧) رحلة التجاني: ٣٢، والقائل هو معاوية بن حديج.

(٨) نزهة المشتاق: ١٩٧، وانظر ياقوت (منبج) ، وآثار البلاد: ٢٧٤، والكرخي: ٤٦، وابن حوقل: ١٦٦.
(٩) رحلة ابن جبير: ٢٤٨.." [1]

"نول لمطة (١) :

من بلاد السوس الأقصى بالمغرب، بينها وبين وادي السوس الأقصى ثلاث مراحل، ومنها إلى البحر ثلاثة أيام، وبينها وبين سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة وفيها جزولة ولمطة. ومدينة نول إحدى مدن الإسلام، وهي مدينة كبيرة في أول الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط، وعليه قبائل لمطة ولمتونة، ومن مدينة نول إلى وادي درعة نحو ثلاث مراحل، وإنما سميت نول لمطة لأن قبيل لمطة يسكنونها، وماؤها جار، وهي آخر بلاد السوس، ومن أراد الدخول من وادي درعة إلى بلاد السودان، غانة وغيرها، فيمشي من وادي درعة نحو خمس مراحل إلى وادي تركى (٢) ، وهو أول الصحراء ثم يسير في جبال وعرة في طريق قد فتحت في حجر صلد بالنار والخل من عمل الأول ويزعم قوم أن ملوك بني أمية فتحوها، وهذه الطريق من إحدى عجائب العالم ومنها إلى جبل يسمى جبل الحديد ومن هذا الجبل يدخل إلى بلاد لمتونة، وأكثر لمتونة إنما هم رحالة لا يستقر بهم موضع، ولا يعرفون الحرث ولا الزرع ولا الخبز، وإنما لهم الأنعام الكثيرة فعيشهم من لبنها ولحمها، فهم يجففون اللحم ويطبخونه ويصبون عليه الشحم المذاب أو السمن ويأكلونه ويشربون عليه اللبن قد غنوا به عن الماء، فيبقى الرجل منهم الأشهر لا يشرب ماء ولا يأكل خبزا، وربما نفذ عمره ولا يأكل خبزا ولا يعرفه، وصحتهم مع ذلك متمكنة، وربما مرت بهم القوافل فيتحفون ملوكهم ورؤساءهم بالخبز والدقيق.

وببلادهم (٣) يكون اللمط الذي تعمل من جلوده الدرق فلا شيء أبدع منها ولا أصلب ظهرا، وبها يقاتل أهل المغرب لحصانتها وخفة محملها، وتصنع بهذه المدينة السروج وأقتاب الإبل، وتباع بها الأكسية السفسارية والبرانس التي يباع الواحد منها بخمسين دينارا، والبقر والغنم عندهم كثيرة، والألبان والسمن، وإليها يلجأ أهل تلك الجهات في مهم حوائجهم.

وهذا الحيوان (٤) المسمى باللمط دابة دون البقر لها قرون رقاق حادة تكون لذكرانها وإناثها، وكلما كبر هذا الحيوان طال قرنه حتى يكون أزيد من أربعة أشبار، وأجود الدرق وأغلاها ثمنا ما عمل من جلود الإناث المسنات التي قد طالت قرونها لكبر سنها حتى منعت الفحل أن يعلوها. وببلادهم أيضا الفنك كثير، ومن عندهم تحمل جلودها إلى جميع البلاد، وعندهم الكباش الدمانية، وهي على خلقة الضأن إلا أنها أعظم وشعرها كشعر المعز لا صوف عليها، وهي من أحسن الغنم خلقا وألوانا. والريحان في بلاد الصحراء وفي بلاد السوس عزيز لأن بلادهم لا تنبته، وهو عندهم من أطيب الطيب.

ومن عجائب (٥) هذه الصحراء أن بها معدن ملح تحفر عنه الأرض كما تحفر عن سائر المعادن، ويوجد الملح تحت قامتين أو دونهما من وجه الأرض فيقطع كما تقطع الحجارة وعلى هذا المعدن حصن مبني بالحجارة المخرجة من المعدن وجميع ما فيه من بيوت وغرف ومساكن إنما هو مبني بحجارة الملح، وبهذا الملح يتجهز إلى بلاد السودان، غانة وغيرها، وله غلة عظيمة، وبإزاء معدن الملح الماء العذب الطيب أخبر بذلك من عاينه.

ومن مدينة نول إلى وليلي وهو موضع على شاطئ البحر المحيط بالقرب منه جزيرة في البحر لا يوصل إليها إذا مد البحر

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٤٧

إلا في المراكب، وعند الجزر يوصل إليها على القدم، ويوجد فيها العنبر كثيرا، وأكثر معاش أهلها من لحوم السلاحف، وهي أكثر شيء في ذلك الموضع وهي مفرطة العظم وربما دخل الرجل في محار ظهورها يصيد في البحر كالقارب، وفي هذه الجزيرة أغنام كثيرة ومواش، وهي منتهى المراكب وآخر مراسي المغرب، ومن مدينة نول إلى هذه الجزيرة على البر لا يفارق الساحل مسيرة شهرين في أرض محجرة تنبو عنها المعاول ويكل فيها الحديد، وإنما يشرب من يمر على ذلك الطريق من حفر يحفرونها عند جزر البحر فتنبع ماء عذبا، وهو **من العجائب**، وإذا مات للمارين بهذا الطريق ميت لم يمكنهم مواراته بالتراب لصلابة الأرض وامتناعها عن الحفر فيسترونه بالحطام والحشيش ويقذفونه في البحر.

النوبهار (٦) :

هو بيت نار بناه منوشهر الهندي بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر وكان من يلي سدانته تعظمه الملوك وتنقاد إليه وتحمل إليه الأموال، وسمة المتولي بسدانته برمك، وسميت

---

(١) بدأ المادة بالنقل عن البكري: ١٦١، ثم عن الاستبصار: ٢١٣، ثم الإدريسي (د) : ٥٩.

(٢) البكري ١٦٣: تارجا.

(٣) عن الاستبصار ثم عن البكري.

(٤) عاد إلى النقل عن الاستبصار.

(٥) لا يزال النقل عن الاستبصار مستمرا.

(٦) قارن بياقوت (النوبهار) .." [١]

"وأكثر مخافة أن تنكسر، فتهب الريح المذكورة فيصيرون بقدرة الله تعالى حتى تنجو أو تتلف، كيف ما شاء الله عز وجل، وعندهم علامة للخلاص إذا قضى الله تعالى بذلك، وهي أن يرى أهل المراكب على صاريهم طائرا ذهبي اللون كأنه شعلة نار، فإذا رأوه علموا أنه من علامات النجاة، تواترت الأخبار بذلك، وهي **من العجائب**.

وملوك الهند (١) والصين ترغب في ارتفاع ظهور الفيلة وتزيد في أثمانها الذهب الكثير، وأرفعها تسع أذرع، وقد يوجد في موضع معلوم عندهم عشر أذرع وإحدى عشرة ذراعا.

ومملكة الهند (٢) عند جميع ملوك الكفار، بإجماع منهم، مملكة الحكمة، والحكمة من الهند مبدؤها. وزعموا أنهم أول من ضم المملكة ونصبوا لها ملكا، وأولهم البرهمن الأكبر، وهو الذي أظهر الحكمة وطبع السيوف وآلات الحرب وصور الأفلاك والبروج، وجعل ذلك كتابة قريبة للعقول وأثبته في الأفهام، وأشار إلى المبدأ الأول، وذلك هو كتاب " السند هند " أي دهر الدهور، ومنه فرعت الكتب، المجسطي وغيره.

وأعظم (٣) ملوك الهند البلهرا ومعناه ملك الملوك. والهند سبعة أجناس أحدها الساكهرية (٤) ، وهم الأشراف منهم،

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٨٤

والملك فيهم لا يكون في غيرهم، وجميع أجناسهم يسجدون له عند اللقاء وهم لا يسجدون لأحد، ثم البراهمة، وهم عباد الهند ولباسهم جلود النمور، وهم يعبدون الأصنام توسلا إلى الله تعالى.
ولأهل الهند (٥) اثنتان وأربعون ملة، فمنهم من يثبت الخالق وينفي الرسل، ومنهم من ينفي الكل، ومنهم من يعبد النار ويحرق نفسه، ومنهم من يعبد الشمس ويسجد لها ويعتقد أنها الخالقة المدبرة لهذا العالم، ومنهم من يعبد الشجر، ومنهم من يعبد الثعابين يحظرونها بحظائر ويطعمونها أرزاقا، وهم يتوسلون بها، ومنهم من لا يتعب نفسه بعبادة شيء وينكر الكل.
هنين (٦) :
مدينة بالمغرب جليلة على البحر، وشمالها تلمسان، وهي بقرب ندرومة.
الهولاة:
جزيرة في البحر من جزر قمار، سكانها الهند، وليس بها متجر ولا سوق.
هيت (٧) :
مدينة بين الرحبة وبغداد، وهي على شاطئ الفرات، والهيت الهوة، وسميت هيت لأنها في هوة، وهي الأرض المنخفضة، وقيل سميت باسم بانيها هيت بن البلندى ملك من ولد مدين بن إبراهيم عليه السلام.
وهي (٨) في غربي الفرات، وعليها حصن، وهي من أعمر البلاد. وبأرض هيت عيون تسيل بالقار.
وفي مطلع قصيدة للمعري:
هات الحديث عن الزوراء أو هيتا ... ومن مدينة هيت محمد بن أبي العز بن جميل محيي الدين، ولاه الخليفة الناصر صدقة المخزن، بيته مشهور بهيت، توفي سنة عشر وستمائة له في فرس أحمر محجل الأربع:
ومحجل للحسن منه حلة ... من أجلها فتنت به الأبصار
لما أتى والبرق يعثر خلفه ... خلعت عليه ثيابها الأنوار
إن قلت نار فالدخان بعرفه ... يقضي بما حكمت به النظار
أو قلت فيه جنة فانظر له ... قد فجرت من تحته الأنهار وكان فتح (١٠) هيت على يد عمر بن مالك بن عتبة بن نوفل،

---

(١) عن ابن خرداذبه: ٦٧ وعنه نزهة المشتاق: ٣٤.
(٢) مروج الذهب ١: ١٤٨ وما بعدها، وقارن بطبقات صاعد: ١١، وقد نقل مؤلف الترجمانة: ٤٨٢ بعض هذه المادة.
(٣) الإدريسي (ق) : ٢٢، ٢٣ (OG: ٩٥) .
(٤) ص ع: الشاكهرية.
(٥) الإدريسي (ق) : ٣٤ (OG: ٩٦) .
(٦) انظر الإدريسي (د/ ب) : ١٧٢/ ١١٢، والبكري: ٨٠ وياقوت.
(٧) معجم ما استعجم ٤: ١٣٥٧، وقارن بياقوت.

(٨) نزهة المشتاق: ١٩٨.

(١٠) الطبري ١: ٢٤٧٩.." [1]

"وهل كنت إلا معمدا قانط الهوى ... أسر فلما قاده الشوق أعلنا

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلبي خاليا فتمكنا

ولعمري إن هذا لمن نفيس الكلام غير أن في البيت ضعفا وذلك أنه جعل سبب تمكن الهوى من قلبه أنه صادفه خاليا لم يسبقه إليه غيره وليست هذه من أحوال أهل التمام إذ كل من صادف محلا لا يدافع عنه لم يتعذر عليه طريق التمكن منه.

وقد قال بعض أهل هذا العصر:

وقد كان يسبي القلب في كل ليلة ... ثمانون بل تسعون نفسا وأرجح

يهيم بهذا ثم يعشق غيره ... ويسلاهم من فوره حين يصبح

وكان فؤادي صاحيا قبل حبكم ... وكان بحب الخلق يلهو ويمزح

فلما دعا قلبي هواك أجابه ... فلست أراه عن ودادك يبرح

رميت بهجر منك إن كنت كاذبا ... وإن كنت في الدنيا بغيرك أفرح

وإن كان شيء في البلاد بأسرها ... إذا غبت عن عيني عندي يملح

فإن شئت واصلني وإن شئت لم تصل ... فلست أرى قلبي لغيرك يصلح

فالمحبة ما دامت لهوا ونظرا فهي عذبة المبتدأ سريعة الانقضاء فإذا وقعت مرتبة على التمام في المصافاة تعذرت قدرة القلب على هواه فحينئذ تضل أفهام المتميزين وتبطل حيل المتفلسفين.

وفي نحو ذلك يقول بعض الظرفاء:

طوى شجنا في الصدر فالدمع ناشره ... فإن أنت لم تعذره فالشوق عاذره

هوى عذبت منه موارد بدره ... فلما نمى أعيت عليه مصادره

وأنشدني أبو العباس أحمد بن يحيى لامرأة من قيس:

وما كيس في الناس يحمد رأيه ... فيوجد إلا وهو في الحب أحمق

وما من فتى ما ذاق بؤس معيشة ... فيعشق إلا ذاقها حين يعشق

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير:

ورمى الهوى منا القلوب بأسهم ... رمي الكماة مقاتل الأعداء

ومن العجائب قتله لكرامنا ... وشدادنا بمكائد الضعفاء

وقال أبو دلف:

الحرب تضحك عن كري وإقدامي ... والخيل تعرف آثاري وأقدامي

---

(١) الروض المعطار في خبر الأقطار الحميري، ابن عبد المنعم ص/٥٩٧

سيفي مدامي وريحاني مثقفة ... وهمتي مقة التقصيم للهام
وقد تجرد لي بالحسن منفردا ... أمضى وأشجع مني يوم إقدامي
سلت لواحظه سيف السقام على ... جسمي فأصبح جسمي ربع أسقام
وقال آخر:
ألا قاتل الله الهوى كيف يقتل ... وكيف بأكباد المحبين يفعل
فلا تعذلني في هواي فإنني ... أرى سورة الأبطال في الحب تبطل
وقال آخر:
الحب يترك من أحب مدلها ... حيران أو يقضي عليه فيسرع
الحب أهونه شديد فادح ... يهن القوي من الرجال فيصرع
من كان ذا حزم وعزم في الهوى ... وشجاعة فالحب منه أشجع
وقال النابغة الذبياني:
لو أنها عرضت لأشمط راهب ... يدعو الإله صرورة متعبد
لرنا لبهجتها وحسن حديثها ... ولخاله رشدا وإن لم يرشد
أسع البلاد إذا أتيتك زائرا ... وإذا هجرتك ضاق عني مقعدي
وأنشدتني أعرابية بالبادية:
تبصر خليلي هل ترى بين وائش ... وبين أحي من ظعائن كالأثل
ظعائن يسلبن الفتى الغر عقله ... وذا الأهل حتى لا يبالي بالأهل
وقال آخر:
أروح ولم أحدث لليلى زيارة ... لبئس إذا راعي المودة والوصل
تراب لأهلي لا ولا نعمة لهم ... لشد إذن ما قد تعبدني أهلي
وقال ماني:
مكتئب ذو كبد حرى ... تبكي عليه مقلة عبرى
يرفع يمناه إلى ربه ... يدعو وفوق الكبد اليسرى
يبقى إذا كلمته باهتا ... ونفسه مما به سكرى
تحسبه مستمعا ناصتا ... وقلبه في أمة أخرى
وقال غيره وهو مجنون بني عامر:." (١)

---

(١) الزهرة ابن داود الظاهري ص/٧

"الله يعلم ما تركت قتالهم ... حتى علوا فرسي بأشقر مزبد

وعلمت أني إن أقاتل واحدا ... أقتل ولا يضرر عدوي مشهدي

فصددت عنهم والأحبة فيهم ... رصدا لهم بعقاب يوم مرصد

ومن العجائب أن يعير حسان أحدا بالفرار من اللقاء، ومكانه من الجبن المكان الذي لا يجهله من روى الأشعار، وعلم طرفا من الأخبار.

وبلغني أنه كان يهاجي قيس بن الخطيم وكان فيما هجاه به قوله:

فلا تجزعن يا قيس وأربع فإنما ... قصاراك أن تلقى فألقى محمدا

فلما بلغ هذا البيت قيسا قال: هذا حسان بن ثابت. قالوا: نعم، قال: لم يكن هذا كلامه يوم انهزم من أول السطح إلى آخره، ومن آخره إلى أوله.

وقال جرير يعير الفرزدق بنبو السيف عن قطع العلج الذي ضربه:

بسيف أبي رعوان سيف مجاشع ... ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الأمام فأرعشت ... يداك وقالوا مرهف غير صارم

فقال الفرزدق يجيبه ويعتذر من ذلك:

فهل ضربة الرومي جاعلة لكم ... أبا عن كليب أو أبا مثل دارم

فلا نقتل الأسرى ولكن نفكهم ... إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

وقال أيضا:

وما نبا السيف من جبن ولا دهش ... عند الأمام ولكن أخر القدر

ولو ضربت على عمد مقلده ... لخر جثمانه ما فوقه شعر

وما يعجل نفسا قبل ميتتها ... جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر

وقال أيضا:

فإن يك سيف خان أو قدر أبى ... لتأخير نفس حتفها غير شاهد

وقال الطرماح:

لا عز نصر امرئ أمسى له فرس ... على تميم يريد النصر من أحد

لو كان ورد تميم ثم قيل لها ... حوض النبي عليه الأزد لم ترد

لو أنزل الله وحيا أن يعذبها ... إن لم تعد لقتال الأزد لم تعد

وقال أيضا:

نبئت تيما محتذي حرب طيئ ... تباركت يا رب الخطوب الأوائل

وما خلقت تيم وزيد مناتها ... وضبة إلا بعد خلق القبائل

لقد زادني حبا إلي تقبضي ... بغيض إلى كل امرئ غير طائل

إذا ما رآني قطع الطرف بينه ... وبيني فعل العارف المتجاهل

ملأت عليه الأرض حتى كأنها ... من الضيق في عينيه كفة حابل

وقال آخر:

لحا الله أهزلنا جاره ... وأسمننا حين نشتو فصالا

والأمنا عند غب اللقا ... ء إذا ما دعوتك عما وخالا

وأجبنا أسوة في اللقا ... ء إذا ما السيوف علون القلالا

وقال الفرزدق:

كأني على ذي الطبي عين بصيرة ... مفقدة أو منظر هو ناظره

يحاذر حتى يحسب الناس كلهم ... من الظن لا تخفى عليهم سرائره

وقال آخر:

كأن بلاد الله وهي عريضة ... على الخائف المطلوب كفة حابل

يؤدي إليه أن كل ثنية ... تيممها ترميه منها بقاتل

وقال آخر:

أسد علي وفي الحروب نعامة ... ربداء تفزع من صفير الصافر

هلا برزت إلى الغزالة في الوغى ... بل كان قلبك في جناحي طائر

صدعت غزالة قلبه بفوارس ... تركت مناظره كأمس الدابر

وقال آخر:

جهلا علينا وجبنا عن عدوكم ... لبئست الخلتان الجهل والجبن

إذا رأوا خلة طاروا بها فرحا ... مني وما علموا من صالح دفنوا

وقال أبو تمام:

لو لم تراجعهم لراجعهم ... ما في صدورهم من الأوجال

قد أترعت منها الجوانح رهبة ... بطلت لديها سورة الأبطال

لم يكس شخص فيئه حتى رمى ... وقت الزوال نعيمهم بزوال

برزت بهم هفوات علمهم وقد ... يردي الجمال تعسف الجمال

وكأنما احتالت عليه نفسه ... إذ لم تنله حيلة المحتال

ترك الأحبة ساليا لا ناسيا ... عذر النسي خلاف عذر السالي
ما زال مغلوب العزيمة سادرا ... حتى غدا في القيد والأغلال." (١)

"ليت شعري أليس وجود مائة كتاب بدارك في الأقل خيرا من وجود كذا وكذا قصبة للتبغ وكذا وكذا أركيلة. مع أن ثمن المائة كتاب لا يوازي ثمن ثلاث قطع من الكهرباء. أليس وجود مطبعة في بلادك أولى من هذه الطيالس الكشميرية وتلك الفراء السمورية وهذه الآنية النفيسة والحلي الفاخر. فإن الإنسان إذا نظر إلى الحلي لا يستفيد منه شيئا لا لبدنه ولا لرأسه. وغاية فرحه به إنما هو الشهر الذي اشتراه فيه فإذا مضت عليه أشهر استوى عنده وسقط المتاع فلم يبق منه ما يسره من وجوده سوى بيعه. فأما الكتاب فأنه كلما مرت عليه السنون زادت قيمته وكثرت منافعه. أو ليس إطلاعك على التاريخ والجغرافية وآداب الناس زينة لك بين إخوانك ومعارفك تفوق على زينة الجواهر أليس تعليم اهلك وذويك شيئا من ذلك ومن قواعد لازمة لحفظ الصحة من كتب الطب يكسبك عند الله أجرا ويؤمنك من مضار كثيرة تتطرق إليهم لجهلهم بها. فإن قلت إنه ليس عند الإفرنج مختصة بالنساء والأولاد يؤلفها الرجال الفاضلون المهذبون. فلم تشتري من الإفرنج الخز والمتاع ولاتشتري منهم العلم والحكمة والآداب. ثم إنك مهما بالغت في أن تبرقع زوجتك عن رؤية الدنيا فلن تستطيع أن تخفيها عن قلبها. فإن المرأة حيثما كانت وكيفما كانت هي بنت الدنيا وأمها وأختها وضرتها، لا تقل لي أن المرأة إذا كانت شريرة لا يصلحها الكتاب بل يزيدها شرة، وإذا كانت صالحة فما من حاجة إليه، فإني أقول إن المرأة كانت أولا بنتا قبل أن صارت امرأة. وإن الرجل كان من قبل ولدا. ولا ينكر أحد أن التعليم على صغر كالنقر في الحجر. وإنك إذا ربيت ولدك في العلم والمعارف والفضائل والمحامد يربون على ما ربيتهم عليه. وتكون قد أديت ما فرضه الله عليك من تأديبهم. فتفارقهم بعد العمر الطويل وخاطرك مجبور وبالك رخي مطمئن. فلم يبق لك إلا أن تقول أن أبي لم يعلمني وكذا جدي لم يعلم أبي وإني بهما أقتدي. فأقول لك أن الدنيا في عهد المرحومين جدك وأبيك لم تكن كما هي الآن. إذ لم يكن في عصرهما سفن النار ودروب الحديد التي تقرب البعيد، وتجدد العهيد. وتصل المقطوع. وتبذل الممنوع. ولم يكن يلزم الإنسان في ذلك الوقت أن يتعلم لغات كثيرة فكان كل من يقول خوش كلدي صفا كلدي يقال فيه إنه يصلح لأن يكون ترجمانا في باب همايون. وكل من كان يكتب خطا دون خطي هذا الذي سودت به هذا الكتاب، لا الذي تقرأه الآن فإني بريء من هذه الحروف، كان يقال عنه إنه كاتب ماهر يصلح لأن يكون منشئ ديوان فأما الآن فهيهات.

هذا الفارياق حين نوى السفر من الجزيرة إلى بلاد الإنكليز كان بعض الناس يقول له أنك سائر إلى بلاد لا تطلع عليها الشمس. وبعضهم يقول إلى أرض لا ينبت فيها القمح ولا البقول. ولا يوجد فيها من المأكول إلا اللحم والقلقاس. وبعض يقول إني أخاف عليك أن تفقد فيها رئتك لعدم الهواء. وبعضهم يقول أمعاك لعدم الأكل. وبعضهم صدرك أو عضوا آخر غيره. فلما سار إليها وجد الشمس شمسا والهواء هواء. والماء ماء. والرجال رجالا والنساء نساء. والديار مأهولة والمدن معمورة. والأرض محروثة أريضة كثيرة الصوى والأعلام. خضلة الغياض والربض والآجام. ناضرة المروج. زاهية الحقول. غضة البقول. فلو إنه سمع لأولئك الناس لفاته رؤية ذلك اجمع. فإن خشيت أن تفوتك هناك لذة الاركيلة ولذة تكبيس الرجلين

---

(١) الزهرة ابن داود الظاهري ص/١٨٦

قبل الرقاد. فاعلم إن ما ترى هناك **من العجائب** ينسيك هذا النعيم. ويلهيك عما ألفته في مقامك الكريم. كيف ترضى لنفسك أن تفارق هذه الدنيا ولم ترها وأنت قادر على ذلك. وقد قال أبو الطيب المتنبي

ولم أر في عيوب الناس شيئا ... كنقص القادرين على التمام." [١]

"(وربما فارق الإنسان مهجته ... - يوم الوغى غير قال خشية العار)

(من راقب الناس مات غما ... - _ وفاز باللذة الجسور)

(إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصدا ... - _ ندمت على التفريط في زمن البذر)

(إذا مر بي يوم ولم أتخذ يدا ... - _ ولم أستفد علما فما ذاك من عمري)

(إذا ذهب الحمار بأم عمرو ... - _ فلا رجعت ولا رجع الحمار)

(ومن عاش في الدنيا فلا بد أن يرى ... - _ من العيش ما يصفو وما يتكدر)

(ومن يصنع المعروف في غير أهله ... - _ يلاقي كما لاقى مجير أم عامر)

(**ومن العجائب** **والعجائب** جمة ... - _ أن يلهج الأعمى بعيب الأعور)

(لا تجزعن لحادث فلربما ... - _ كان العسير به فصار يسيرا)

(وليس كثيرا ألف خل وصاحب ... - _ وإن عدوا واحدا لكثير)

(تداويت عن ليلى بليلى من الهوى ... - _ كما يتداوى شارب الخمر بالخمر)

(بضاعة ما اشتراها غير بائعها ... - _ بئس البضاعة والمشري والشاري)

(إن الأمور إذا بدت لزوالها ... - _ فعلامة الإدبار فيها تظهر)

---

(١) الساق على الساق في ما هو الفارياق الشدياق ص/٢١١

(وإن حياة المرء بعد عدوه ... – ــ وإن كان يوما واحدا لكثير)." [1]

"ليكون حاصلا على الكمال ومراعاة المطابقة فى كل الأحوال.

التخلص الثامن

هو أنه لما فرغ مما ذكره عاد إلى سؤال المشركين ثانيا عند معاينة الأهوال فى يوم الجزاء بقوله: وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون (٩٢) من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون (٩٣)

[الشعراء:

٩٢– ٩٣] وإنما أورده على جهة التوبيخ والاستهزاء وأنهم لا ينصرونكم فى دفع السوء عنكم، ولا ينتصرون فى دفع ما يخصهم أنفسهم بحال، ثم وصف حالهم فى النار بقوله «فكبكبوا» أى الآلهة والغاوون، والكبكبة تكرير الكب، لأنه إذا ألقى فى النار فإنه يكب فيها مرة بعد مرة حتى يستقر فى قعرها، فجعل تكرير اللفظ دلالة على تكرير المعنى على جهة المطابقة، اللهم أجرنا من عذابك برحمتك الواسعة.

التخلص التاسع

هو أنه لما فرغ من ذلك خرج إلى حكاية ما يقول أهل النار فى النار من الخصومة الناشئة بينهم، وإظهار الحسرة والندامة المفرطة على ما كان منهم من عبادة غير الله ومساواته بمن لا يساويه، وانقطاع ما فى أيديهم من شفاعة شافع أو صداقة صديق كما يكون للمؤمنين، فإن شفعاءهم الملائكة والأنبياء، وأصدقاؤهم هم أهل الإيمان والتقوى، فأما الكفار فلا شيء لهم من ذلك، فعند هذا تعظم الحسرات وتنقطع الأفئدة حسرة وإياسا عن النفع والخلاص عما هم فيه.

التخلص العاشر

هو أنه لما فرغ من ذلك خرج إلى ذكر تمنيهم الرجعة إلى الدنيا بقوله «فلو أن لنا كرة» فننزع عما كنا عليه من عبادة غير الله وسلوك طريق التقوى، والكون من جملة المؤمنين فى ذلك، و «لو» ههنا بمعنى ليت فلا تفتقر إلى جواب مقدر وجوابها فتكون، أو تكون باقية على بابها، وجوابها يحذف كثيرا وتقديره فلو رجعنا لفعلنا كيت وكيت من الأفعال الصالحة، فانظر إلى هذه الآية الشريفة كيف اشتملت على هذه التخلصات اللطيفة مع ما حازته **من العجائب** الحسان والأسرار ذوات الأفنان. والعجب من الغانمى حيث أنكر التخلص أن يكون واقعا فى كتاب الله تعالى، وما ذاك إلا من أجل اشتغاله بفن الشعر والكتابة عن الاطلاع إلى أسرار كتاب الله تعالى، وهو أظهر من أن يحتاج إلى طلب وعناية." [2]

"الجبال وما تضمنته **من العجائب** العظيمة من أجل أنهم إذا قعدوا فى البرارى وبطون الأودية، لا يأمنون التخطف لهذه الأنعام والنفوس والأموال، فأشار إليها لما فيها من التحفظ على أموالهم ونفوسهم، بارتفاعها وكونها شوامخ لا يوصل إليها لعلوها وارتفاعها، فعقب بها ذكر السماء، لما أشرنا إليه، ووجه آخر وهو أنها لما كانت فى غاية الارتفاع والسمو

---

(١) السحر الحلال في الحكم والأمثال أحمد الهاشمي ص/٦٦

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المُؤَيَّد العلوي ٢/١٧٧

أشبهت السماء فى علوها وارتفاعها، فلهذا عقبها بها، ثم أردفها بذكر الأرض، ومنبها على ما لهم فيها من المعاش والاستقرار بأنواع الارتفاقات التى لا يعلم تفاصيلها إلا الله تعالى من الأرزاق والثمار والفواكه والمعادن ومجارى العيون والأمواه، وغير ذلك، فأشار الله تعالى إلى هذه العجائب الأربعة، لما كانت من أعظم الآيات الباهرة، وقد عددنا هذه فى عطف المفردات نظرا إلى عطف المجرورات بعضها على بعض وكان ما بعدها منفصلا عنها، فهذا هو الذى حسن منه، والأقرب أن يكون من الجمل، لأن ما تقدم من المجرورات هو متعلق بالجمل بعدها، فلهذا كان معدودا من الجمل، الآية الثانية ذكرها فى سورة آل عمران وهى قوله تعالى: زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث

[آل عمران: ١٤] فانظر إلى عجائب هذه الآية ولطافة معناها فى تقديم بعضها على بعض، فلما كانت الآية مسوقة من أجل تزيين المشتهيات فى أفئدة بنى آدم واستيلائها عليها قدم ما هو الأدخل فى ذلك، فصدرها بذكر النساء، تنبيها على أن لا مشتهى يغلب على العقول مثلهن على القلوب من توقان النفوس إليهن وعن هذا قال صلى الله عليه وسلم: ما رأيت أغلب لذوى العقول من النساء، وعن إبليس: ما نصبت فخا أثبت فى نفسى من فخ أنصبه بامرأة، وفى هذا دلالة على استيلائهن على العقول، لأنهن أدخل فى المشتهيات، ثم عقبه بذكر البنين لما كانوا مما يلى النساء فى الرقة والرحمة والشفقة والحنو، مع المشاكلة فى الخلقة والصورة، ثم أردف ذلك بالأموال الذهبية والفضية، لما يحصل فيها من اللذة والسرور والاطمئنان وانشراح الصدور بها والاستطالة والقوة، كما يحصل بالأبناء، ولكن الأولاد أدخل فرحا وأشد محبة، وأكثر بهم رحمة ورأفة، وقوله: «القناطير المقنطرة» مبالغة فى وصفها، كما." (١)

"وعبد الخالق بن أبي الحسن بن علي أبو محمد السقطي المعدل، ببغداد، روى عن محمد بن غالب تمتام، وجماعة.

وسنقة، أبو عمرو عثمان بن محمد البغدادي بن السقطي، سمع الكديمي، وإسماعيل القاضي، ومات في آخر السنة، وله سبع وثمانون سنة.

وصاحب الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين الأموي الأصبهاني، الكاتب الأخباري، روى عن مطين فمن بعده، وكان أديبا نسابة علامة شاعرا، كثير التصانيف، **ومن العجائب** أنه مرواني يتشيع، توفي في ذي الحجة، عن ثلاث وسبعين سنة.

وفيها سيف الدولة، على بن عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي الجزري، صاحب الشام، بحلب، في صفر، وله بضع وخمسون سنة، وكان بطلا شجاعات كثير الجهاد، جيد الرأي، عارفا بالأدب والشعر جوادا ممدحا، مات بالفالج، وقيل بعسر البول، وكان قد جمع من الغبار الذي أصابه في الغزوات، ما جاء منه لبنة بقدر الكف، وأوصى أن يوضع خده إذا دفن عليهما، وتملك حلب بعده، ابنه سعد الدولة خمسا وعشرين سنة.

وفيها في جمادى الأولى، وقيل في العام الآتي، كافور أبو المسك." (٢)

---

(١) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز المُؤَيَّد العلوي ١٧٣/٣

(٢) العبر في خبر من غبر الذهبي، شمس الدين ٩٨/٢

"لئن خرجت إليك لأدقن ساقيك! فقال ابن المقفع للسائل: أنت والله لو علمت من صدق وعيده ما علمت من صدق موعوده، لم تراده كلمة ولا وقفت طرفة عين! مر برقبة بن مصقلة رجل زاهد غليظ الرقبة، فقال: هذا رجل زاهد والعلامات فيه بخلاف ذلك. فقال له رجل: أكلمه بذلك أصلحك الله! لئلا يكون غيبة؟ قال:

كلمه حتى يكون نميمة! قال شريك بن عبد الله القاضي: سبع **من العجائب**: عمياء منتقبة «١» ، وسوداء مختضبة، وخصي له امرأة، ومخنث يؤم قوما، وشيعي أشعري، ونخعي مرجي، وعربي أشقر، ثم قال شريك: من المحال عربي أشقر.

قالوا: كانت في أبي عمرو وضرار بن عمرو ثلاثة من المحال: كان كوفيا معتزلا، وكان من بني عبد الله بن غطفان ويرى رأي الشعوبية، ومحال أن يكون عربي شعوبيا، ومات وهو ابن سبعين سنة ...

وقيل لشريح القاضي: أيهما أطيب: اللوزينق أو الجوزينق «٢» ؟ فقال: لا أحكم على غائب! وسأل رجل عمر بن قيس عن الحصاة من حصى المسجد يجدها الإنسان في ثوبه أو خفه أو جبهته! فقال له: ارم بها. فقال الرجل: زعموا أنها تصيح حتى ترد إلى المسجد. قال: دعها تصبح حتى ينشق حلقها! قال الرجل: أولها حلق؟ قال: فمن أين تصيح؟

وسئل عامر الشعبي عن المسجد الخراب أيجامع فيه؟ قال: نعم ويخرأ فيه؟

الأصمعي قال: ولي رجل قضاء الأهواز، فأبطأت عليه أرزاقه وليس عنده ما يضحي به ولا ما ينفق؛ فشكا ذلك إلى امرأته، وأخبرها ما هو فيه من الضيق، وأنه." (١)

"وفي سنة ثلاث وأربعين استقر السلطان في بلاده ولبست البيوت وعملت الفرحات سبعة أيام وأنفق السلطان على العسكر المنصور نفقة أربعة اشهر. ووقع مطر عظيم عام في يوم التاسع عشر من الشهر المذكور فدفع الوادي زبيد في آخر ذلك اليوم دفعة عظيمة فوصل السيل قربة المسلب من وادي زبيد بعد صلاة المغرب فاحتمل معظم القرية. وسال في السيل من سكانها نحو من مائة وخمسين نفسا ما بين رجل وامرأة وصغير وكبير وهلك من البقر والغنم والحمير شيء كثير ولم يبق من البيوت المسكونة إلا شيء يسير. وافتقر يومئذ كثير من أهلها. وانتقل أهل القرية من موضعهم إلى موضعهم اليوم وهو قبلي القرية القديمة.

وفي هذه السنة توفي الفقيه الصالح إبراهيم بن مهنا بن محمد بن مهنا وكان فقيها ورعا ناسكا وكان مولده سنة تسع وثمانين وستمائة وهو أحد الفقهاء المدرسين على مذهب الإمام أبي حنيفة. واستمر مدرسا في المدرسة الدعاسية بزبيد. وكان ذا مروءة وخلق حسن توفي في أثناء السنة المذكورة وقيل أن وفاته كانت في سنة سبع وأربعين والله اعلم رحمه الله تعالى.

وفيها توفي الفقيه الفاضل أبو محمد عبد الله بن عبد الوهاب وكان فقيها فاضلا تفه بذي السفال على الفقيه صالح بن عمرو على ابن أخيه محمد ابن عبد الرحمن. وولى قضاء صعدة مدة ثم عاد إلى تعز وجعل له رزقا في جامع المهجم فأقام بها إلى أن توفي في سنة ثلاث وأربعين رحمه الله تعالى.

وفي سنة أربع وأربعين خالف الملك المؤيد على أبيه في شهر رمضان وكان إقطاعه الجثة فاستولى على مدينة المهجم فجرد إليه السلطان العساكر صحبة القاضي موفق الدين ثم جرد الأمير سيف الدين طغي الخراساني في عشر آخر.

---

(١) العقد الفريد ابن عبد ربه الأندلسي ١٤٠/٨

وفي هذه السنة حط السلطان في عساكره على جبل شورق وارتفع منه في النصف من المحرم.

وفيها ظهرت عجيبة **من العجائب** وذلك أن جارية يقال لها غناء من بيت الأمير بدر الدين محمد بن الفخر وضعت ولد أربعة اشهر وجهه وجه جدي وله." (١)

"وما عليها من الحمل والركبان. فحقق الذين هلكوا من الآدميين فكانوا تسعة عشر نفسا ما بين صغير وكبير ورجل وامرأة. ومن جملة من سال به السيل سليمان الخنبوق أحد الجمالة المتكررين في تلك الطريق. وكان ثقة حسن السيرة رحمه الله تعالى. وقيل أن الذين هلكوا نحو من خمسة وعشرين نفسا والله أعلم.

قال علي بن الحسن الخزرجي وأخبرني الأمير نجم الدين محمد بن إبراهيم الشرف عمن أخبره ممن حضر القضية إنه كان وصول السيل وانقطاعه عنا في سويعة يسيرة. ثم انقطع السيل وكأنه لم يكن وقد هلك من هلك وسلم من سلم قال وكان الأمر فيما بين صلاتي الظهر والعصر والله أعلم.

وفي يوم الخميس الخامس عشر من الشهر المذكور ارتفع السلطان من البحر إلى النخل ثم ارتفع يوم الجمعة. وكان دخوله زبيد يوم السبت السابع عشر من الشهر المذكور.

وفي ذلك اليوم دخل الصندوق زبيد وارتفع رسم النخل فأقام السلطان في زبيد إلى يوم العشرين من الشهر المذكور.

ثم جرد عسكرا لأهل الحنكة خيلا ورجلا فأوقعوا بأهل الحنكة وقتلوا منهم جماعة ونهبوا القرية وظن أهل القرية إن السلطان داهمهم فولوا هاربين. فلما ظهر لهم إنها جريدة من العسكر عطفوا على العسكر. ولزموا الطرق فقتل من الغز جماعة. ومن الرجل آخرين. فعزم على غزوهم والمحطة عليهم فلم يساعده الوقت لكثرة الأمطار والرياح الشديدة فتقدم إلى تعز صبح يوم الاثنين السادس والعشرين من الشهر المذكور فأقام في حيس أياما ثم تقدم إلى تعز فدخلها يوم الثلاثاء الرابع من ذي الحجة.

قال علي بن الحسن الخزرجي ومما ظهر في هذه السنة **من العجائب** إن راعيا من رعاة الغنم خرج يرعى غنمه في ناحية صنعاء في جبل يقال له مدبج. فبينما الغنم ترعى إذ نفرت منهن شاة فنزلت في حيد هنالك وهي تتبع الحشيش من مكان إلى مكان ذلك الحيد حتى بعدت عن الغنم على نحو من أربعين قامة فنزل بعدها." (٢)

"ومعاني أبي نواس واختراعاته كثيرة.

وأكثر المولدين معاني وتوليدا فيما ذكره العلماء أبو تمام، غير أن القاسم بن مهرويه قد زعم أن جميع ما لأبي تمام من المعاني ثلاثه: أحدها قوله:

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود

والثاني قوله:

بني مالك، قد نبهت خامل الثرى ... قبور لكم مستشرقات المعالم

---

(١) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية علي بن الحسن الخزرجي ٢/٧٠

(٢) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية علي بن الحسن الخزرجي ٢/٢٤٠

غوامض قيد الكلف من متناول ... وفيها علا لا يرتقي بالسلالم

والثالث قوله:

يأبى على التصريد إلا نائلا ... إن لم يكن محضا قراحا يمذق

نزرا كما استكرهت عائر نفحة ... من فأرة المسك التي لم تفتق

وأنا أقول: إن أكثر الشعراء اختراعا ابن الرومي، وسيأتي برهان ذلك في الكتاب الذي شرطت تأليفه إن شاء الله سبحانه..

ولا بد ها ههنا من نبذ يسيرة أشغل بها الموضع: منها قوله:

عيني لعينك حين تنظر مقتل ... لكن لحظتك سهم حتف مرسل

ومن العجائب أن معنى واحدا ... هو منك سهم وهو مني مقتل

وقوله في عتاب:

توددت حتى لم أدع متوددا ... وأفنيت أقلامي عتابا مرددا

كأني أستدعي بك ابن حنية ... إذا النزع أدناه من الصدر أبعدا

وقوله في أبيات يتغزل فيها، وإن كان قد كرر المعنى:

نظرت فأقصدت الفؤاد بلحظها ... ثم انثنت عنه فظل يهيم

فالموت إن نظرت وإن هي أعرضت ... وقع السهام ونزعهن أليم." (١)

"السباع فأكلتهما. فقال نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله كأن هذا حديث خرافة. فقال: إن خرافة كان رجلا من عذرة سبته الجن فكان فيهم زمانا يسمع ويرى. ثم رجع إلى الناس فكان يحدثهم بما رأى في الجن **من العجائب**. فكان الناس إذا سمعوا حديثا عجبا قالوا: كأن هذا حديث خرافة.

وذكر إسماعيل بن أبن الوراق قال: حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن عبد الرحمن قال: سألت أبي عن حديث خرافة وعن كثرة ذكر الناس له، فقال: إن له حديثا عجبا. ثم قال: بلغني أن عائشة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: يا نبي الله حدثني بحديث خرافة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: رحم الله خرافة. إنه كان رجلا صالحا، وأنه أخبرني أنه خرج ذات ليلة في بعض حاجاته، فبينا هو يسير إذ لقيه ثلاثة نفر من الجن فأسروه. أو قال: فسبوه. فقال واحد منهم: نعفو عنه. وقال آخر: نقتله. وقال آخر: نستعبده. فبينما هم يتشاورون في أمره إذ ورد عليهم رجل، فقال: السلام عليكم. فقالوا: وعليك السلام. قال: ما أنتم؟ قالوا: نفر من الجن أسرنا هذا، فنحن نتشاور في أمره. فقال: إن حدثتكم بحديث عجب فهل تشركونني فيه؟ قالوا: نعم. قال: إني كنت رجلا من الله بخير، وكانت لله علي نعمة فزالت وركبني دين، فخرجت هاربا. فبينا أنا أسير إذ أصابني عطش شديد فصرت إلى بئر، فنزلت لأشرب فصاح بي صائح من البئر: مه. فخرجت ولم أشرب. فغلبني العطش فعدت. فصاح مه: فخرجت ولم أشرب. ثم عدت الثالثة فشربت ولم

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ابن رشيق القيرواني ٢/٢٤٤

ألتفت إلى الصوت، فقال قائل من البئر: اللهم إن كان رجلا فحوله امرأة، وإن كانت امرأة فحولها رجلا. فإذا أنا امرأة. فأتيت مدينة قد سماها، نسي زياد اسمها، فتزوجني رجل فولدت له ولدين. ثم إن نفسي تاقت إلى الرجوع إلى منزلي وبلدي، فمررت بالبئر التي شربت منها فنزلت لأشرب، فصاح بي كما صاح في المرة الأولى فلم ألتفت إلى الصوت وشربت. فقال: اللهم إن كان رجلا فحوله امرأة، وإن كانت امرأة فحولها." (١)

"على البر المتصل برومية وبلاد الفرنج والأندلس، والروم تسميها استنبول، يعني مدينة الملك.

ولعشرين سنة مضت من ملكه كان السنهودس الأول بمدينة نيقية من بلاد الروم، ومعناه الاجتماع، فيه ألفان وثمانية وأربعون أسقفا، فاختار منهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا متفقين غير مختلفين، فحرموا آريوس الإسكندراني الذي يضاف إليه الآريوسية من النصارى، ووضع شرائع النصرانية بعد أن لم تكن، وكان رئيس هذا المجمع بطرق الإسكندرية.

وفي السنة السابعة من ملكه سارت أمه هيلانى الرهاوية، كان أبوه سباها من الرهاء، فأولدها هذا الملك، فسارت إلى البيت المقدس وأخرجت الخشبة التي تزعم النصارى أن المسيح صلب عليها، وجعلت ذلك اليوم عيدا، فهو عيد الصليب، وبنت الكنيسة المعروفة بقمامة، وتسمى القيامة، وهي إلى وقتنا هذا يحجها أنواع النصارى.

وقيل: كان مسيرها بعد ذلك لأن ابنها دان النصرانية في قول بعضهم بعد عشرين سنة من ملكه. وفي السنة الحادية والعشرين من ملكه طبق جميع مماليكه بالبيع هو وأمه، منها: كنيسة حمص، وكنيسة الرهاء، وهي **من العجائب**.

ثم ملك بعده قسطنطين أنطاكية أربعا وعشرين سنة بعهد من أبيه إليه وسلم إليه القسطنطينية، وإلى أخيه قسطنس أنطاكية، والشام، ومصر، والجزيرة، وإلى أخيه قسطوس رومية وما يليها من بلاد الفرنج والصقالبة، وأخذ عليهما المواثيق بالانقياد لأخيهما قسطنطين.

ثم ملك بعده يوليانوس ابن أخيه سنتين، وكان يدين بمذهب الصابئين ويخفي ذلك. فلما ملك أظهرها وخرب البيع وقتل النصارى، وهو الذي سار إلى العراق أيام." (٢)

"سنة من ملكه كان السنهودس الثالث بمدينة أفسس، وحضر هذا المجمع مائتا أسقف، وكان سببه ما ظهر من نسطورس بطرق القسطنطينية، وهو رأس النسطورية من النصارى، من مخالفة مذهبهم فلعنوه ونفوه، فسار إلى صعيد مصر فأقام ببلاد إخميم، ومات بقرية يقال لها سيصلح، وكثر أتباعه، وصار بسبب ذلك بينهم وبين مخالفيهم حرب وقتال، ثم دثرت مقالته إلى أن أحياها برصوما مطران نصيبين قديما.

ومن العجائب أن الشهرستاني مصنف كتاب: " نهاية الإقدام في الأصول "، ومصنف كتاب: " الملل والنحل "، في ذكر المذاهب والآراء القديمة والجديدة، ذكر فيه أن نسطور كان أيام المأمون، وهذا تفرد به، ولا أعلم له في ذلك موافقا.

ثم ملك بعده مرقيان ست سنين، وفي أول سنة من ملكه كان السنهودس الرابع على تسقرس بطرق القسطنطينية، اجتمع فيه ثلاثمائة وثلاثون أسقفا، وفي هذا المجمع خالفت اليعقوبية سائر النصارى.

---

(١) الفاخر المفضل بن سلمة ص/١٦٩

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ١/٢٩٩

ثم ملك ليون ست عشرة سنة، ثم ملك ليون الصغير سنة، وكان يعقوبي المذهب، ثم ملك زينون سبع سنين، وكان يعقوبيا، فزهد في الملك فاستخلف ابنا له." (١)

"أهل الكوفة كان يبيع الرمان فاحتز رأسه، فأخذه عامر فبعث به إلى أبي عون، وبعثه أبو عون إلى صالح.

فلما وصل إليه أمر أن يقص لسانه، فانقطع لسانه، فأخذه هر، فقال صالح: ماذا ترينا الأيام **من العجائب** والعبر! هذا لسان مروان قد أخذه هر.

وقال شاعر:

قد فتح الله مصرا عنوة لكم ... وأهلك الفاجر الجعدي إذ ظلما

فلاك مقوله هر يجرره ... وكان ربك من ذي الكفر منتقما

وسيره صالح إلى أبي العباس السفاح.

وكان قتله لليلتين بقيتا من ذي الحجة، ورجع صالح إلى الشام، وخلف أبا عون بمصر وسلم إليه السلاح والأموال والرقيق.

ولما وصل الرأس إلى السفاح كان بالكوفة، فلما رآه سجد ثم رفع رأسه فقال: الحمد لله الذي أظهرني عليك وأظفرني بك، ولم يبق ثأري قبلك، وقبل رهطك أعداء الدين! وتمثل:

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ... ولا دماؤهم للغيظ ترويني

ولما قتل مروان هرب ابناه عبد الله وعبيد الله إلى أرض الحبشة، فلقوا من الحبشة بلاء، قاتلهم الحبشة فقتل عبيد الله ونجا عبد الله في عدة ممن معه، فبقي إلى خلافة المهدي، فأخذه نصر بنمحمد بن الأشعث، عامل فلسطين، فبعث به إلى المهدي.

ولما قتل مروان قصد عامر الكنيسة التي فيها حرم مروان، وكان قد وكل بهن خادما، وأمره أن يقتلهن بعده، فأخذه عامر وأخذ نساء مروان وبناته، فسيرهن إلى صالح بن علي بن عبد الله بن عباس.

فلما دخلن عليه تكلمت ابنة مروان الكبرى، فقالت: يا عم أمير." (٢)

"[ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائة]

- ١٨٢

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائة

في هذه السنة بايع الرشيد لعبد الله المأمون بولاية العهد بعد الأمين، وولاه خراسان وما يتصل بها إلى همذان، ولقبه المأمون، وسلمه إلى جعفر بن يحيى.

(وهذا **من العجائب**، فإن الرشيد قد رأى ما صنع أبوه وجده المنصور بعيسى بن موسى، حتى خلع نفسه من ولاية العهد، وما صنع أخوه الهادي ليخلع نفسه من العهد، فلو لم يعاجله الموت لخلعه، ثم هو يبايع للمأمون بعد الأمين، وحبك الشيء

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٣٠١/١

(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٠/٥

يعمي ويصم) .
وفيها حملت ابنة خاقان ملك الخزر إلى الفضل بن يحيى، فماتت ببرذعة، فرجع من معها إلى أبيها فأخبروه أنها قتلت غيلة، فتجهز إلى بلاد الإسلام.
وغزا الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح، فبلغ أفسوس، مدينة أصحاب الكهف.." (١)
"ذكر عدة حوادث
في هذه السنة في جمادى الأولى، أقيمت الجمعة في الجامع الذي بناه فخر الدولة بن المطلب بقصر المأمون غربي بغداد.
وفيها أمر صلاح الدين ببناء المدرسة التي على قبر الشافعي - رضي الله عنه - بمصر، وعمل بالقاهرة بيمارستان، ووقف عليهما الوقوف العظيمة الكبيرة.
وفيها رأيت بالموصل خروفين ببطن واحد ورأسين ورقبتين وظهرين وثماني قوائم كأنهما خروفان ببطن واحد، وجه أحدهما إلى وجه الآخر، وهذا **من العجائب**.
وفيها انقض كوكب أضاءت له الأرض إضاءة كثيرة، وسمع له صوت عظيم وبقي أثره في السماء مقدار ساعة وذهب.
[الوفيات] وفيها توفي تاج الدين أبو علي الحسن بن عبد الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء أخو الوزير عضد الدين وزير الخليفة.
وفيها، في المحرم، توفي القاضي كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري، قاضي دمشق وجميع الشام، وإليه الوقوف بها والديوان، وكان جوادا فاضلا رئيسا ذا عقل ومعرفة في تدبير الدول - رحمه الله ورضي عنه -.." (٢)
"فأوغر بهذه الأسباب صدور أهله وإخوته، فلما كان هذه السنة في شعبان نزل بأرض المعشوق، وركب في بعض الأيام ومعه إخوته وغيرهم من أصحابه، فلما انفرد عن أصحابه ضربه أخوه علي بن مقلد بالسيف فسقط إلى الأرض، فنزل إخوته إليه فقتلوه.
وفيها تجهز غياث الدين خسرو شاه صاحب مدينة الروم، إلى مدينة طرابزون، وحصر صاحبها لأنه كان قد خرج عن طاعته، فضيق عليه، فانقطعت لذلك الطرق من بلاد الروم، والروس، وقفجاق وغيرها، برا وبحرا، ولم يخرج منهم أحد إلى بلاد غياث الدين، فدخل بذلك ضرر عظيم على الناس، لأنهم كانوا يتجرون معهم، ويدخلون بلادهم. ويقصدهم التجار من الشام، والعراق، والموصل، والجزيرة وغيرها، فاجتمع منهم بمدينة سيواس خلق كثير، فحيث لم ينفتح الطريق تأذوا أذى كثيرا، فكان السعيد منهم من عاد إلى رأس ماله.
وفيها تزوج أبو بكر بن البهلوان، صاحب أذربيجان وأران بابنة ملك الكرج، وسبب ذلك أن الكرج تابعت الغارات منهم على بلاده لما رأوا من عجزه وانهماكه في الشرب واللعب وما جانسهما، وإعراضه عن تدبير الملك وحفظ البلاد، فلما رأى هو أيضا ذلك، ولم يكن عنده من الحمية والأنفة من هذه المناحس، ما يترك ما هو مصر عليه، وأنه لا يقدر على الذب

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٣٢٧/٥
(٢) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٤٢٧/٩

عن البلاد [بالسيف] ، عدل إلى الذب عنها بأيره، فخطب ابنة ملكهم، فتزوجها، فكف الكرج عن النهب والإغارة والقتل، فكان كما قيل: أغمد سيفه، وسل أيره.

وفيها حمل إلى إربل خروف وجهه صورة آدمي وبدنه بدن خروف، وكان هذا **من العجائب]** .

[الوفيات]

وفيها توفي القاضي أبو حامد محمد بن محمد المانداي الواسطي بها.

وفيها، في شوال، توفي فخر الدين مبارك شاه بن الحسن المرورذي، وكان حسن الشعر بالفارسية والعربية، وله منزلة عظيمة عند غياث الدين الكبير صاحب." (١)

"لابن أبي عيينة

وقال ابن أبي عيينة:

ما راح يوم على حي ولا ابتكرا ... إلا رأى عبرة فيه إن اعتبرا

ولا أنت ساعة في الدهر فانصرمت١ ... حتى تؤثر في في قوم لها أثرا

إن الليالي والأيام أنفسها ... عن غير أنفسها لم تكتم الخيرا

فأخذ هذا المعنى حبيب بن أوس الطائي وجمعه في ألفاظ يسيرة فقال:

عمري لقد نصح الزمان إنه ... **لمن العجائب** ناصح لا يشفق

فزاد بقوله: ناصح لا يشفق على قول ابن أبي عيينة شيئا طريفا، وهكذا يفعل الحاذق بالكلام. ولو قال قائل: إن أقرب ما تأخذ منه أبو العتاهية:

ليعلمن الناس إن التقى ... والبر كانا خير ما يذخر

من قول خليل بن أحمد:

قال أبو الحسن: زعم النسابون أنهم لا يعرفون أنهم منذ وقت النبي صلى الله وعليه وسلم إلى الوقت الذي ولد فيه احمد أبو الخليل أحدا سمي بأحمد غيره.

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ... ذخرا يكون كصالح إلى الأعمال٢

لكان قد قال قولا.

وقال العباس بن الفرح:

أملي من دونه أجلي ... فمتى أفضي إلى إملي

---

(١) الكامل في التاريخ ابن الأثير، أبو الحسن ٢٣٨/١٠

١ زيادات ر: "فانصرفت" أشبه للمطابقة، والمشهور "انصرفت".

٢ كذا نسبته في الأصول والمشهور أن البيت للأخطل، وهو في ديوانه ١٥٨.." [1]

"العباس بن الأحنف

قلبي إلى ما ضرني داعي ... يكثر إعلالي وأوجاعي

كيف احتراسي من عدوي إذا ... كان عدوي بين أضلاعي

لبعض الأعراب

أيذهب عمري هكذا لم أنل به ... مجالس يشفى قرح قلبي من الوجد

وقالوا أتدري أن في الطب راحة ... فعللت نفسي بالدواء فلم يجد

الشيخ محيي الدين ابن عربي

عقد الخلايق في الإله عقايدا ... وأنا اعتقدت جميع ما اعتقده

تاج الدين ابن عمارة

ما نلت من حب من كلفت به ... سوى غراما عليه أو ولها

ومحنتي في هواه دائرة ... آخرها لا يزال أولها

السرمري الرمزي المحدث الحنبلي

ومن العجائب في أسامي ناقل ... الأخبار والآثار للمتأمل

كمسدد مسرهد بن مغربل ... ومعربل بن مطربل بن أرندل وسرندل بن عرندل لو بسملوا ... فيها لظلت رقية للدمل

النووي

وجدت القناعة أصل الغنى ... وصرت بأذيالها متمسك

فلا ذا يراني على بابه ... ولا ذا يراني به منهمك

وعشت غنيا بلا درهم ... أمر على الناس شبه الملك

ابن الوردي في أعورين أحدهما جالس بجنب الآخر:

أعور باليمنى إلى جنبه ... أعور باليسرى قد انضما

فقلت يا قوم انظروا واعجبوا ... من أعورين اكتنفا أعمى

أبو علي سينا

لا أركب البحر أخشى ... علي فيه المعاطب." [2]

---

(١) الكامل في اللغة والأدب محمد بن يزيد المبرد ١٢/٢

(٢) الكشكول البهاء العاملي ٢٣٠/١

"يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد ... وعن أقاح وعن طلع وعن حبب

نعم ما قاله الشيخ الفاضل محمود بن عمر القزويني الخطيب في الإيضاح وأورده العلامة التفتازاني في المطول في بحث الاستعارة العنادية، وهي التي لا يمكن اجتماع طرفيها كما إذا استعير المعدوم للموجود الذي لا غناء في وجوده، وهو هذا ثم الضدان إن كانا قابلين للقوة والضعف كان استعارة اسم الأشد للأضعف أولى، فكل من كان أقل علما أو أضعف قوة كان أولى بأن يستعار له اسم الميت، لكن الأقل علما أولى بذلك من الأقل قوة، لأن الإدراك أقدم من الفعل في كونه خاصة للحيوان لأن أفعاله المختصة به أعني الحركات الإرادية مسبوقة بالإدراك، وإذا كان الإدراك أقدم وأشد اختصاصا به، كان النقصان أشد تبعيدا له من الحياة، وتقريبا إلى ضدها وكذلك في جانب الأشد، فكل من كان أكثر علما كان أولى بأن يقال له إنه حي انتهى كلامه.

من شرح لامية العجم: المعتزلة طائفة من المسلمين يرون أفعال الخير من الله وأفعال الشر من الإنسان وأن الله تعالى يجب عليه رعاية الأصلح للعباد، وأن القرآن مخلوق محدث ليس بقديم، وأن الله تعالى ليس بمرئي يوم القيامة، وأن المؤمن إذا ارتكب الذنب مثل الزنا وشرب الخمر كان في منزلة بين المنزلتين، يعنون بذلك أنه ليس بمؤمن ولا كافر، وأن من دخل النار لم يخرج منها، وأن الأيمان قول وعمل واعتقاد، وأن إعجاز القرآن في الصرف عنه لا أنه في نفسه معجز، ولو لم يصرف العرب عن معارضته لأتوا بما يعارضه، وأن المعدوم شيء، وأن الحسن والقبح عقليان. وأن الله تعالى حي لذاته لا بحياة، وعالم لذاته لا بعلم قادر بذاته لا بقدرة.

قال العلامة التفتازاني ولكون المثل مما فيه غرابة استعير للفظ الحال أو الصفة أو القصة إذا كان لهما شأن عجيب، كقوله تعالى: " مثلهم كمثل الذي استوقد نارا " أي حالهم العجيب الشأن، وكقوله تعالى: " وله المثل الأعلى " أي الصفة العجيبة، وكقوله تعالى: " مثل الجنة التي وعد المتقون " أي فيما قصصنا عليكم **من العجائب** قصة الجنة العجيبة.

قال الصفدي وقد غلطوا الحريري في قوله: فلما در قرن الغزالة طمر طمورا ظهر ظهورا الغزالة وقالوا لا يقال غزالة إلا في الشمس، فإذا أرادوا تأنيث الغزال قالوا ظبية، وإلا فهي اسم للشمس ولا يدخلها الألف واللام في الأكثر.

قرأ بعض المغفلين في بيوت بالرفع، فقال شخص: يا أخي إنما القراءة في بيوت بالجر فقال: يا مغفل إذا كان الله سبحانه وتعالى يقول: " في بيوت أذن الله أن ترفع " تجرها أنت لماذا! ؟ .." (١)

"برزت من المنازل والقباب ... فلم يعسر على أحد حجاب

فمنزلي الفضاء وسقف بيتي ... سماء الله أو قطع السحاب وأنت إذا أردت دخول بيتي ... دخلت مسلما من غير باب

لأني لم أجد مصراع باب ... يكون من السحاب إلى التراب

إسماعيل بن معمر الكوفي القراطيسي الشاعر المجيد البارع كان بيته مألفا للشعراء وكان يجتمع عنده أبو نؤاس وأبو العتاهية ومسلم ونظراؤهم يتفاكهون وعندهم القيان.

ومن شعره

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ١/٢٤٧

لهفي على ساكن شط الفرات ... مر رحبيه على الحياة

ما تنقضي من عجب فكرتي ... من خصلة فرط فيها الولاة

ترك المحبين بلا حاكم ... لم يعقدوا للعاشقين القضاة

وقد أتاني خبر ساءني ... سماعها في السر واسوأتاه

أمثل هذا يبتغي وصلنا ... أما يرى ذا وجهه في المرآة

قال القراطيسي: قلت للعباس ابن حنف: هل قلت في معنى قولي هذا شيئا؟ قال: نعم، ثم أنشدني:

جارية أعجبها حسنها ... ومثلها في الناس لم يخلق

خبرتها أني محب لها ... فأقبلت تضحك من منطقي

والتفتت نحو فتاة لها ... كالرشإ الوسنان في القرطق

قالت لها قولي لهذا الفتى ... انظر إلى وجهك ثم اعشق

القاضي الأرجاني كان نائا للقضاة في بلاد خوزستان ومن شعره:

ومن النوائب أنني ... في مثل هذا الشغل نائب

ومن العجائب أن لي ... صبرا على هذي العجائب

آخر

سهر العيون لغير وجهك باطل ... وبكاؤهن لغير قطعك ضائع." (١)

"باب مدح الدهر

قال بعض الحكماء: الدهر أنصح المؤدبين. وقال آخر: قد وعظنا الدهر لو اتعظنا، ونصحنا لو انتصحنا.

قال الشاعر:

عمري لقد نصح الزمان وصرفه ... **ومن العجائب** ناصح لا يشفق

وقال العتابي «١» : من لم يؤدبه والده أدبه الليل والنهار.

وقال بشار:

إن دهرا يضم شملي بسلمى ... لزمان قد هم بالإحسان

وقال البحتري:

هل الدهر إلا غمرة وانجلاؤها ... وشيكا وإلا ضيقة وانفرادها «٢»

وقال الأخطل:

وإن أمير المؤمنين وفعله ... لكالدهر لا عار بما فعل الدهر «٣»." (٢)

---

(١) الكشكول البهاء العاملي ١٣٦/٢

(٢) اللطائف والظرائف الثعالبي، أبو منصور ص/١٩

"باب ذم الولد

قال بعض حكماء العرب: من سره بنوه، ساءته نفسه. وكان يحيى بن خالد يقول: ما رأى أحد في ولده ما يحب إلا رأى في نفسه ما يكره. وقال ابن الرومي في معناه:

كم من سرور لي بمو ... لود أؤمله يعد

وبأن يهدني الزما ... ن رأيت منته أشد

ومن العجائب أن أسر ... ر بمن يشد بما أهد «١»

وقل ابن المعتز في فصوله: أفقرك الولد أو عاداك. وفي المبهج:

إذا ترعرع الولد ترعرع الوالد.

وقيل لعيسى عليه السلام: هل لك في الولد؟ فقال: ما حاجتي إلى من إن عاش كدني، وإن مات هدني. وقيل لبعض النساك: ما بالك لا تبتغي في ما كتب الله لك؟! قال سمعا لأمر الله، ولا مرحبا بمن إن عاش فتنني، وإن مات أحزنني: يريد قوله تعالى: أنما أموالكم وأولادكم فتنة*

«٢» . وقال حكيم في ذم الأولاد: ملوك صغارا، وأعداء كبارا؛ يريد قوله تعالى: إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم

«٣» . ويقال: من أراد أن يذوق الحلاوة والمرارة فليتخذ ولدا. وينشد لأبي سهل سعيد بن عبد الله التكلي:." [١]

"أخبرنا ابن أبي السرح أن الحجاج أغزى جيشا فظفروا وأن صاحب جيشه كتب إليه: الحمد لله الذي جعل لأوليائه أمام نصره موعدا قوى به قلوبهم وقدم إلى أعدائه بين يدي خذلانه إياهم وعيدا أرعب به مفاصلهم وزعزع معه قلوبهم. فلما بلغ هذا الموضع طوى ما كان نشره من الكتاب ولم يقرأ ما بعده ثم التفت إلى الرسول فقال: غيرنا هذا الكلام المبتدأ به، إن العدو ولى من غير حرب! فقال: صدق الأمير صدق الله ظنه وأصاب أصاب الله رأيه.

قال: وكتب مروان بن محمد إلى عبد الله بن علي يوصيه بحرمة، فكتب إليه عبد الله: يا مائق إن الحق لنا في دمك والحق علينا في حرمك.

وكتب علي، رضوان الله عليه، إلى زياد ابن أبيه: لئن بلغتني عنك خيانة لأشدن عليك شدة أدعك فيها قليل الوفر ثقيل الظهر.

قال: وكتب رجل إلى أبي مسلم حين خرج: أحسن الله لك الصحبة وعصمك بالتقوى وألهمك التوفيق، إن الأرض لله يورثها من عباده من يشاء والعاقبة للمتقين، فسر فيها راغبا إلى الله ورسوله والرضى من هذه الأمة بالكتاب والسنة.

واعلم أن التقوى أس ما تبني عليه أمرك، فإن ضعف الأساس تداعى البنيان ودخل الأعداء من كل مكان، فتألف الأعلام من الرجال وسرواتهم وتصفح عقولهم ومروءاتهم، فكلما ارتضيت رجلا ففره عن عزائم رأيه واصرف نظرك إلى تصرف حاله، وإن وجدته على خلاف ما أنت عليه فلا تعجل بإلقاء أمرك إليه فتدخل الوحشة منك والنفور عنك، لكن اقرعه بالحجة

---

(١) اللطائف والظرائف الثعالبي، أبو منصور ص/١٧٦

في رفق وسقه إلى شرك المحجة في لين حتى يتكشف لك ثوب الظلمة عن النور وتظهر لك وجوه الأمور، فإنه سيكثر أعوانك على الحق ويسهل لك منهاج الطرق. فإذا كثرت العدة من أصحابك وأمكنتك الشدة على أعدائك فحارب الفئة الباغية والأئمة الطاغية الذين أباحوا حمى المسلمين وأجروا عليهم أحكام الفاسقين وقادوهم بجرائر المهن واستذلوهم في البر والبحر.

واعلم أن من عرف الله جل وعز لم ير لأهل البغي جماعة ولا لأئمة الضلالة طاعة. وكلما غلبت على بلدة فامسك عن القتل وأظهر في أهله العدل لتسكن إليك النفوس ويثوب نحوك الناس وينتشر فعلك في الخاصة والعامة فتستدعي أهواءها وتستميل آراءها وتهش إليك من الآفاق نفوس عرانين الكرم ومصابيح الظلم من ذوي الأحساب الكريمة والبيوت القديمة التي شرفها الإسلام وزينها الإيمان لتزرع بذلك لك المحبة في قلوب العباد ويكونوا لك دواعي في نواحي البلاد. تمم الله لك أمرك وأعلى كعبك.

قال: ولما استقامت المملكة لأبرويز وانقضى ما بينه وبين بهرام جوبين أمر أن تكتب تلك الحروب والوقائع إلى منتهاها ففعلت الكتبة ذلك وعرضته على أبرويز فلم يرض صدره. فقال غلام من أولاد الكتاب: إن أمر الملك كتبت صدره. فقال: شأنك.

فتناول القلم وكتب: إن الدهر لم يخل في تارات عقبه وتصرفه ووجوه تنقله في حالات **من العجائب** ولم تنصرم فيه فنونها على طول مداه ولم يزل في تقلب عصريه وصفحات أزمنته وطبقات أحايينه تحدث فيه جلائل الأمور وغرائب الأنباء وتنجم فيه قرون وتعقب فيه أعقاب بعد أسلاف وتعفو آثار، وله في تلونه تصريف أنباء معجبة وأحاديث فيها معتبر وعظة ومختبر، ومن أعاجيب ذلك أمر بهرام بن بهرام ولقبه جوبين، فعرضه على أبرويز فأعجبه ذلك وأمر برفع درجته وتقديمه وتعظيمه.

مساوئ المكاتبات

قال الجاحظ: كتب ابن المراكبي إلى بعض ملوك بغداد: جعلت فداك برحمته.

وقرأت على عنوان كتاب لأبي الحسين السمري: للموت أنا قبله. وقرأت أيضا على عنوان كتاب: إلى ذاك الذي كتب إلي.

وكتب بعضهم إلى ابن له عليل: يا بني اكتب إلي بما تشتهي. فكتب إليه: أشتهي قلنسوة. فكتب إليه: إنما سألتك أن تخبرني بما تشتهي من الغداء.

فكتب إليه: أشتهي دهن خل وزيت. فكتب إليه: أنزل الله عليك الموت فإنك ثقيل! قال: ونقش بشر بن عبد الله على خاتمه: بشر بن عبد الله بالرحمن لا يشرك. فقال أبوه: هذا والله أقبح من الشرك!

محاسن الخطب

قال: خطب خالد بن صفوان خطبة نكاح فقال: الحمد لله جامعا للحمد كله وصلى الله على محمد وآله. أما بعد فقد قلتم ما سمعنا وبذلتم فقبلنا وخطبتم فأنكحنا فبارك الله لنا ولكم.." (١)

---

(١) المحاسن والمساوئ البيهقي، إبراهيم ص/١٩٤

"بعد الامتهان في الرحاب، يقال له باسم الله رئيس الاصحاب، وما مر دجنه، وافسد بهذه الكلمة ذهنه، ألا يغيب له طبق، وتعسا لجارح يبلبله الدبق، فو الله لولا كراهة السخافة، لآتين هنا بأفانين من حديث خرافة، ثم إنه مع تلك الأباطيل، يدعي العفة عن أكل البراطيل [١] ، فليته تناول الحطام، وتعفف عن أعراض الأنام: [مجزوء الرمل]

طرف قدمه ... دهره إذ سكرا

إن صحا الدهر له ... سترى ما سترا

أو ما علم هذا المشلول اليد، المفترق اللسان، أن العرض أثمن من المال عند الإنسان: [الكامل]

التاجر الخياط قاض عندنا ... ولديه تثبت ردة وفسوق

ومن العجائب أن يخيط قلوبنا ... بكماره ولسانه مفتوق [٢]

وكيف عادت حلب تسكن، وفيها هذا الألثغ الألكن: [مخلع البسيط]

يا ساكني مصر ما عهدنا ... منكم سوى رحمة وألفه

فكيف وليتموا علينا ... من لا تصح الصلاة خلفه

راؤه غين، ومنطقه شين، إذا سبح الرب، لا تدري أسبح أم سب: [السريع]

الألثغ الطاغي تولى القضا ... عدمت هذا الألثغ الطاغي

إن سبح الباري حكى سبة ... فقال سبحانك يا باغي

لا يفرق بين المؤنث والمذكر إلا بالفرج، ولا يعرف العربية إلا باللجام والسرج: [مجزوء الهزج]

قليل الفقه لحان ... له في حكمه خبط

قبيح الشكل محتد ... فلا شكل ولا ضبط

لو عقل لاكتفى ببلغته، وصان المنصب عن عار لثغته: [المجتث]

وألثغ يتحرى ... ويصبغ العرض صبغا

إن قيل هل أنت برا ... يقل نعم أنا بغا

من ألم بشكله تألم، ولا سيما إذا تكلم، ولايته هتكة، وعزله مثل الحج إلى مكة: [الكامل]

أضحى يصول على الفصاح بلثغة ... منهوكة مهتوكة تستعظم

---

[١] البراطيل: الرشاوى.

[٢] بكماره: الكمار ما يشد على الثوب كالحزام.." (١)

"وفاة المعتمد

وفي هذه السنة، أعني سنة تسع وسبعين ومائتين، توفي أحمد المعتضد بالله ابن جعفر المتوكل بن المعتصم، لإحدى عشرة

---

(١) المحاضرات والمحاورات السيوطي ص/٢٠٢

بقيت من رجب ببغداد، وكان قد شرب على الشط وتعشى، وأكثر من الشراب والأكل، فمات ليلا، وأحضر المعتضد القضاة وأعيان الناس، فنظروا إليه، وحمل إلى سرمن رأى فدفن بها، وكان عمر المعتمد خمسين سنة وستة أشهر، وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وستة أيام. وكان قد تحكم عليه في خلافته أخوه الموفق، وضيق عليه، حتى إنه احتاج إلى ثلاثمائة دينار فلم يجدها في ذلك الوقت، فقال:

أليس **من العجائب** أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه

خلافة أبي العباس

أحمد المعتضد بالله

وهو سادس عشرهم، وفي صبيحة الليلة التي مات فيها المعتمد، بويع لأبي العباس أحمد المعتضد بالله بن الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل. وفي هذه السنة توفي نصر بن أحمد الساماني، فقام بما كان إليه من العمل بما وراء النهر، أخوه إسماعيل ابن احمد بن أسد بن سامان.

وفي هذه السنة قدم الحسين بن عبد الله المعروف بابن الجصاص من مصر بهدايا عظيمة، من خمارويه بن أحمد بن طولون صاحب مصر، بسبب تزويج المعتضد بنت خمارويه.

وفيها توفي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سودة الترمذي السلمي، بترمذ، في رجب، وكان إماما حافظا له تصانيف حسنة، منها الجامع الكبير في الحديث، وكان ضريرا، وهو عن أئمة الحديث المشهورين، الذين يقتدى بهم في علم الحديث، وهو تلميذ محمد بن إسماعيل البخاري، وشاركه في بعض شيوخه، مثل قتيبة بن سعيد، وعلي بن حجر.

ثم دخلت سنة ثمانين ومائتين فيها توفي جعفر بن المعتمد وهو الذي كان لقبه المفوض، وخلعه أبوه وولى المعتضد على ما ذكرنا.

ثم دخلت سنة إحدى وثمانين ومائتين: فيها سار المعتضد إلى ماردين، فهرب صاحبها حمدان، وخلى ابنه بها، فقابله المعتضد، فسلمها إليه. وفيها دخل طغج بن جف وكان عاملا على دمشق، من طرسوس إلى بلاد الروم، من قبل خمارويه، وفتح وسبى. وفيها توفي عبد الله بن محمد بن أبي عبد الله بن أبي الدنيا، صاحب التصانيف الكثيرة المشهورة.

ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

النيروز المعتضدي فيها أمر المعتضد بافتتاح الخراج في النيروز المعتضدي، للرفق بالناس، وهو في حزيران من شهور الروم، عند كون الشمس في أواخر الجوزاء.." (١)

"**ومن العجائب** أنه لا يشترى ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق

ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة.

---

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ٥٦/٢

فيها أسر دبيس بن صدقة وسبب ذلك مسيره من العراق إلى صرخد، لأن صرخد كان صاحبها خصيا، وكانت له سرية، فتوفي الخصي في هذه السنة، واستولت سريته على قلعة صرخد وما فيها، وعلمت أنه لا يتم لها ذلك إن لم تتصل برجل يحميها، فأرسلت إلى دبيس ابن صدقة تستدعيه للتزوج به، وتسلم إليه صرخد وما فيها من مال وغيره.

فسار دبيس من العراق إليها، فضل به الأدلاء بنواحي دمشق، فنزل بناس من كلب كانوا شرقي الغوطة، فأخذوه وحملوه إلى تاج الملوك توري بن طغتكين صاحب دمشق، في شعبان من هذه السنة، فحبسه توري، وسمع عماد الدين زنكي بأسر دبيس، فأرسل إلى توري يطلبه، ويبذل له إطلاق ولده سونج ومن معه من الأمراء الذين غدر بهم زنكي وقبضهم. كما تقدم ذكره.

فأجاب توري إلى ذلك، وأفرج زنكي عن المذكورين، وتسلم دبيس، فأيقن دبيس بالهلاك، لأنه كان كثير الوقيعة في عماد الدين زنكي، ففعل معه الزنكي بخلاف ما كان يظن، وأحسن إلى دبيس، وحمل إليه الأموال والسلاح والدواب، وقدمه على نفسه، ولم يزل دبيس مع عماد الدين زنكي حتى انحدر معه إلى العراق على ما سنذكره إن شاء الله تعالى، وسمع الخليفة المسترشد بقبض دبيس، فأرسل يطلبه مع سديد الدولة ابن الأنباري، وأبي بكر بن بشر الجزري. فأمسكهما عماد الدين زنكي، وسجن ابن الأنباري، ووقع منه في حق ابن بشر مكروه قوي، ثم شفع المسترشد في ابن الأنباري فأطلقه.

ذكر وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود في هذه السنة في شوال، توفي السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود ابن ميكائيل بن سلجوق بهمدان. فأقعد وزيره أبو القاسم النساباذي. ابنه داود بن محمود في السلطنة، وصار أتابكه أقسنقر الأحمديلي. وكان عمر السلطان محمود لما توفي، نحو سبع وعشرين سنة، وكانت ولايته السلطنة اثنتي عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما، وكان حليما عاقلا يسمع المكروه ولا يعاقب عليه، مع قدرته عليه.

ذكر غير ذلك

في هذه السنة وثب الباطنية على تاج الملوك توري بن طغتكين صاحب دمشق. فجرحوه جرحين، برئ أحدهما وبقي الآخر ينسر عليه، إلا أنه يجلس للناس ويركب على ضعف فيه. وفيها توفي حماد بن مسلم الرحبي الرياشي الزاهد المشهور، صاحب الكرامات، وسمع الحديث، وله أصحاب وتلاميذ كثيرة، وكان أبو الفرج ابن الجوزي يذمه ويثلبه.

ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة فيها قتل أبو علي بن الفضل بن بدر الجمالي، وزير الحافظ لدين الله العلوي. وكان أبو علي المذكور قد حجر على الحافظ، وقطع." (١)

"وله أيضا:

طوفي وقلبي قاتل وشهيد ... ودمي على خديك منه شهود

أما وحبك لست أضمر سلوة ... عن صبوتي ودع الفؤاد يبيد

مني بطيفك بعد ما منع الكرى ... عن ناظري البعد والتسهيد

---

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ٥/٣

ومن العجائب أن قلبك لم يلن ... لي والحديد ألانه داود

ومما كتب به في أثناء مكاتبته إلى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، وكان قد أغارت الفرنج على نابلس في أيام الملك الصالح أيوب صاحب مصر:

أيا ليت أمي أيم طول عمرها ... فلم يقضها ربي لمولى ولا بعل

ويا ليتها لما قضاها لسيد ... لبيب أريب طيب الفرع والأصل

قضاها من اللاتي خلقن عواقرا ... فما بشرت يوما بأنثى ولا فحل

ويا ليتها لما غدت بي حاملا ... أصيبت بما احتفت عليه من الحمل

ويا ليتني لما ولدت وأصبحت تشد إلي الشدقيات بالرحل

لحقت بأسلافي فكنت ضجيعهم ... ولم أر في الإسلام ما فيه من خل

ذكر وفاة الصاحبة غازية خاتون

والدة الملك المنصور صاحب حماة:

وفي هذه السنة في ذي القعدة، توفيت الصاحبة غازية خاتون، بنت السلطان الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، بقلعة حماة، رحمها الله تعالى. وكان قدومها إلى حماة في سنة تسع وعشرين وستمائة، وولد لها من الملك المظفر محمود صاحب حماة، ثلاث بنين، مات أحدهم صغيرا، وكان اسمه عمر، وبقي الملك المنصور محمد صاحب حماة، وأخوه والد الملك الأفضل علي، وولد لها منه ثلاث بنات أيضا، فتوفيت الكبرى منهن، وكان اسمها ملكة خاتون، قبل وفاة والدتها بقليل، وتوفيت الصغرى، وهي دنيا خاتون، بعد وفاة أخيها الملك المنصور، وسنذكر وفاة الباقين في مواضعها إن شاء الله تعالى. وكانت الصاحبة غازية خاتون المذكورة، من أحسن النساء سيرة، وزهدا، وعبادة وحفظت الملك لولدها الملك المنصور حتى كبر، وسلمته إليه قبل وفاتها، رحمها الله تعالى.

ذكر غير ذلك من الحوادث

في هذه السنة، قصدت التتر ميافارقين بعد استيلائهم على بغداد، وكان صاحب ميافارقين حينئذ، الملك الكامل محمد ابن الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وكان قد ملكها بعد وفاة أبيه في سنة اثنتين وأربعين وستمائة،." (١)

"" القاضي الجليس أمين الدين المصري ": له في المرقص:

ومن عجب أن الصوارم والقنا ... يحضن دماء والسيوف ذكور

وأعجب من ذا أنها في اكفهم ... تأجج نارا والأكف بحور

---

(١) المختصر في أخبار البشر أبو الفداء ٣/١٩٦

" صنهاج ": له في المرقص قوله وقد زلزلت الأرض بمصر في أيام الحاكم:

بالحاكم العدل أضحى الدين معتليا ... نجل الهدى وسليل السادة الصلحا

ما زلزلت مصر من كيد يراد بها ... وإنما رقصت من عدله فرحا

" هاشم بن إلياس المصري ": له في المرقص:

كأن بياض البدر من خلف نخلة ... بياض بنان في إخضرار نقوش

وقوله:

وكأنما المريخ بين نجومه ... ياقوتة في لؤلؤ متبدد

" إبن ملنسة ": له في المرقص قوله:

والسكر في وجنته وطرفه ... يفتح وردا ويغض نرجسا

وقوله:

إبريقنا عاكف على قدح ... تخاله الم ترضع اولدا

أو عايد من بني المجوس إذا ... توهم الكأس شعلة سجدا

" أبو والطاهر بن دواس الكاتمي ": له في المرقص:

لما رأيت البياض حين بدا ... في أسود الشعر صحت وأحزاني

هذا وحق الاله أحسبه ... أول خيط سدى من الكفن

" يعقوب بن كاس اليهود وزير العزيز ": له في المرقص قوله وقد سبق طيره طير العزيز:

قل لأمير المؤمنين الذي ... له العلا والمثل الثاقب

طائرك السابق لكنه ... لم يأت إلا وله حاجب

" الموفق أبو الحجاج بن محمد صاحب ديوان المكاتبات ": له في المرقص قوله في الشمعة:

وصعدة لدنه كالتبر بفتق في ... جنح الظلام إذا ما أبرزت فلقا

تدنو فيخترق برد الليل لهذمها ... وإن نأت رتق الأظلام ما فتقا

وتستهل بماء عند وقدتها ... كما تألق برق الغيث وأندفقا

كالصب لونا ودمعا والتظا وضنى ... وطاعة وسهادا دائما وشقا

والحب حسنا ولينا وأستوا وشذا ... وبهجة وطروفا وأجتنا ولقا

" أبو على الأنصاري: " له في المرقص قوله في خيمة نصبها الأفضل:

ما كان يخطر في الأفكار قبلك أن ... تسمو علوا على أفق السها الخيم

حتى أتيت بها شماء شاهقة ... في مارن الدهر من تيه بها شمم

والطير قد لزمت فيها مواضعها ... لما تحقق منها أنها خدم

أخيلها خيلك اللاتي تغير بها ... فليس تنزع عنها الحزم واللجم

كأنها جنة والساكنون بها ... لا يستطيل على أعمارهم هرم

أن أنبتت أرضها زهرا فلا عجب ... وقد هممت فوقها من كفك الديم

" القاضي أبو الفتح بن قادوس ": له في المرقص:

وكلما رام نظما في معاتبتي ... سددت فاه نظم اللثم والقبل

وبات بدر تمام الحسن معتنقي ... والشمس من فلك الكاسات لم تفل

فبت منه أرى النار التي سجدت ... لها المجوس من الإبريق تسجد لي

" أحمد بن مفرج ": له في المرقص قوله في وصف الغيث:

ومن العجائب أن أتى من نسجه ... وخيوطه بيض بساط أخضر

أرض وافق وكلا ببلاغة ... فالزهر ينظم والسحائب تنثر

" إبن عباد الإسكندراني ": له في المرقص:

كأنه شمسة من فضة حرست ... خوف الوقوع بمسمار من الذهب

" إبراهيم بن شعيب المصري ": له في المرقص:

يا ذا الذي ينفق أمواله ... في حب هذا الأسمر الفائق

ما الذهب الصامت مستنكرا ... إنفاقه في الذهب الناطق

" عبد الله بن الطباخ ": له في المرقص قوله في أحدب:

قصرت أخادعه وغاب قذاله ... فكأنه مترقب أن يصفعا

وكأنه قد ذاق أول صفعة ... وأحس ثانية لها تجمعا

" ظافر الحداد الإسكندراني ": له في المرقص قوله:

ونفر صبح الشيب ليل شبيبتي ... كذا عادني في الصبح مع من أحبه

وقوله:

وكأنما الدولاب يزمر كلما ... غنت وأصوات الضفادع شيز

وكأنما القمري ينشد مصرعا ... من كل بيت والسيمام يجيز." (١)

"والطريق المتياسر

من لؤلؤة الى وادى الطرفاء، ثم الى هرقلة، ثم الى زبرلة، ثم الى سدرية، ثم الى برغوث، ثم الى الاحساء، ثم الى قونية، ثم تدخل وادى ذمارى الى قرية دقلياس، ثم الى قرية البرج، ثم الى ماس قومس، ثم تأتى العلمين، ثم تصير الى قريات قطية، ثم تصير الى ايلمى، ثم تصير الى درولية وهى مجمع العساكر للعرب وللروم، ثم الى حصن عرندسى، ثم الى قرية افرسوس، ثم الى باسلاقين وملاجنة وهى اصطبلات الملك وموضع ثقله وميرته، ثم الى بحيرة نيقية، ثم تنحدر منه الى نقمودية، ثم الى

---

(١) المرقصات والمطربات ابن سعيد المغربي ص/٣٠

المعابر، ثم الى الارن؟ ة وهى بلاد الملك

ومن اراد عمورية من درب السلامة

فعلى لؤلؤة، ثم الى نهر الطرفاء، ثم الى خربة فارطة، ثم الى حصن قنة، ثم الى (٩٧) ع؟ قرسون، ثم الى ح؟ ر فر؟؟ ه الاعلى، ثم تأتى بلاد الهدى، ثم تأتى؟؟؟؟ وقرية تدعى فارطة، ثم تأتى عبرة ك؟ اص، ثم تأتى لاطة، ثم تأتى عمورية

صفة رومية وما فيها **من العجائب**

لها ثلثة جوانب منها الشرقى والجنوبى والغربى فى الجر والجانب الشمالى يلى البر وطولها من الباب الشرقى الى الباب الغربى." (١)

"يحمل منها شعلة لم تتقد، وانه ليس بسقلية النمل الكبار الذي يسمى فرسانا ولا فى بلاد قرطبة قردة لكثرة السباع بها وفى بلاد الروم على بحر الخزر بلاد تدعى المستطلة المطر بها دائم الشتاء والصيف لا يقدر اهلها على دياس زروعهم وتذريتها وانما يجمعونها فى البيوت فى السنبل فيخرجون منها بقدر حاجتهم فيفركونه بالايدى (١٣٢) ثم يطحن ويخبز، وفى بلادهم بزاة كثيرة فى كثرة الغربان عندنا انما هى اقاطيع وليس يقدرون مع كثرتها على اتخاذ الدجاج واهل الحجاز واليمن يمطرون الصيف كله ويخصبون فى الشتاء فمطر صنعاء وما والاها حزيران وتموز وآب وبعض ايلول من الزوال الى المغرب يلقى الرجل الرجل نصف النهار فيكلمه فيقول عجل قبل الغيث لانه لا بد من المطر فى هذه الايام **ومن العجائب** بيتان وجدا بالاندلس عند فتحها فى مدينة الملوك ففتح احد البيتين وهو بيت الملوك فوجد فيه اربعة وعشرون تاجا عدة ملوكهم لا يدرى ما قيمة التاج منها وعلى كل تاج اسم صاحبه ومبلغ سنه وكم ملك من السنين ووجد فى هذا البيت مائدة سليمان بن داوود عليهما السلام، ووجد على البيت الآخر اربعة." (٢)

"نزل وحط سرجه اذا اولئك البراذين خرجوا من المرعى مع ما قد توالد فيما بينهم سوى التى نتجن امهارا فعادوا الى العين باجمعهم ولم يخرج منها دابة الى هذا الوقت (١٥٣) ولا ظهر فبقى جنس البراذين الخطلانية منها، وحدثنى هذا المحدث عن تاجر يسمى عبد الله الشخشى انسان معروف ببلخ ونواحيها بانه اشترى دابة منها طولها فى السماء ثلث اذرع بذراع السوداء وعرضها ذراع ايضا

ومما روى **من العجائب**

ان مدينة تسمى كس بمسيرة يومين من سمرقند بينهما عقبة كبيرة مرتفعة وان وراء كس جبال الثلج يتبين ثلج كل عام حتى لو ان انسانا حديد البصر تهيأ له ان يعد ثلج اعوام الماضية من كل عام وبين كل ثلج عام خط احمر مغبر من ايام المصيف لعجز عن ذلك وبذلك الثلج دود كبار بيض كالفيل فاذا انحدرت من ...

؟ مد حتى ... سو..؟ حرج منها الماء الكثير ويمتد بما يذوب من الثلوج ويقع الى جبال تسمى جبال.........

---

(١) المسالك والممالك لابن خرداذبة ابن خرداذبه ص/١١٣

(٢) المسالك والممالك لابن خرداذبة ابن خرداذبه ص/١٥٦

الجبال عين كبيرة تسمى هشتادان در فيخرج منها ماء كثير ويسمى بسمرقند نهر جيرت وهو نهر بخارا وحدثني محدث انه بدى له الى تلك الناحية حاجة فخرج اليها وله ثم صديق فسأله عن عجائب هذه العين فاخبره ان فيها سكان." (١)

"٣١١ وزعم صاحب كتاب العجائب أن بحر هركند يليه بحر يقال له ذانجد «١» وبينهما ألف وسبعمائة جزيرة. قال: [وفي] هذه الجزائر يكون العنبر الرفيع الدسم تكون القطعة منه مثل البيت. وفي كتاب الطيب الذي ألفه إبراهيم بن الهنيري «٢» ، أن أحمد بن حفص العطار قال: كنت جالسا في مجلس أبي إسحاق وهو يصفي «٣» عنبرا قد أذابه وأخرج ما كان فيه من الحشيش الذي حلقه مناقير الطير، فسألني فقلت: هذه مناقير الطير التي تأكل العنبر إذا راثته دوابه. فضحك أبو إسحاق وقال: هذا قول تقوله العامة، ما خلق الله دابة تروث العنبر وما العنبر إلا شيء يكون في قعر البحر. ولقد عني الرشيد بالمسألة عن العنبر وأصله وأمر حماد الزبيري بالمسألة عنه، فكتب إليه أن جماعة من عدن أعلموه أنه يخرج من عيون في قعر البحر تقتلعه الرياح بالأمواج الصعبة فيطفو على الماء وتقذفه الموج بالساحل كما أن بأرض هيت عيون تسيل بالقار وبأرض الروم عين الزفت الرومي.

قال: وآخر هذه الجزائر «٤» سرنديب، وقد تقدم ذكر ما فيها.

٣١٢ قال: وهذا البحر ربما أظلته السحاب ثلاثين يوما لا تصحى ولا يسكن وابلها، فلا يظهر فيه حيوان ويلوذ بقعر البحر. قال: ويخرج من هذا البحر إلى بحر الصنف الذي في جزائره مملكة المهراج، وهناك يكون العود النفيس، وهي جزائر لا يحصى ما فيها من العجائب ولا يحاط بها لكثرتها.

وفيها يكون جميع أفاويه «٥» الطيب والعطر. ويقال إن في هذا البحر قصرا." (٢)

"الصين صاحب قصور الدر والجوهر الذي يجري في قصره نهران يسقيان العود والكافور الذي توجد رائحته على فرسخين، والذي تحته ابنة ألف ملك وتخدمه بنات ألف ملك، والذي في مربطه ألف فيل أبيض، إلى أخيه كسرى أنو شروان. وأهدى إليه فارسا على فرس من ذهب منضدا بالجوهر عينا الفارس والفرس ياقوت أحمر وقائم سيفه من زبرجد، وثوب حرير صيني عسجدي «١» فيه صورة الملك الفارسي جالسا في إيوانه «٢» وعليه حليته وتاجه على رأسه والخدم على رأسه بأيديهم المذاب، والصورة «٣» منسوجة بالذهب، وأرض الثوب لازورد، في سفط من ذهب تحمله جارية تغيب في شعرها تتلألأ جمالا.

وكتب إليه ملك الهند: من ملك الهند وعظيم المشرق وصاحب قصر الذهب وأبواب الياقوت إلى أخيه ملك فارس صاحب التاج والراية. وأهدى إليه ألف رطل من عود هندي يذوب في النار كالشمع ويختم عليه كما يختم على الشمع، وجاما من الياقوت الأحمر فسحته «٤» شبر مملوءا درا، وعشرة أمنان «٥» كافور كالفستق وأكبر من ذلك، وجارية طولها سبعة أذرع كأن بين أجفانها لمع البرق لها ضفائر تجرها، وفرشا من جلود الحيات ألين من الحرير وأحسن من الوشي. وكان كتابه على لحاء الشجر المعروف بالكاذي مكتوب بالذهب الأحمر، وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين، لحاؤه أرق من [الورق]

---

(١) المسالك والممالك لابن خرداذبة ابن خرداذبه ص/١٨١

(٢) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢١٤/١

الصيني ذو لونين عجيبين لا زوردي ورائحته عجيبة، فكانت تكتب فيه ملوكهم.

وكتب إليه ملك التبت: من خاقان ملك التبت ومشارق الأرض إلى أخيه المحمود السيرة، ملك المملكة المتوسطة للأقاليم السبعة. وأهدى إليه أنواعا **من العجائب**، منها مائة جوشن تبتية ومائة تجفاف وأربعة آلاف من من المسك الخزائني في نوافجه.." (١)

"فيها **من العجائب**. وفيها قوم من الأشبان عمروا تلك الديار. والوصول إليها ممتنع، بل لا سبيل إليها. والله أعلم.

ذكر ممالك السودان

٥١٩ صار ولد كوش بن كنعان نحو المغرب حتى قطعوا نيل مصر، ثم افترقوا فصارت منهم طائفة إلى المشرق وطائفة إلى المغرب، فمن المشرق النوبة والبجاة والزنج والحبشة، فمن المغرب الزغاوة والمفافوا «١» ومركة «٢» وكوكو وغانة «٣» وغيرهم من أنواع الأحابيش والزنج، أصناف منهم مكير «٤» وبربر، وهم غير البربر [الذين في بلاد المغرب] «٥» والمشكر «٦» وغيرهم.

وبحر السودان والزنج والأحابيش وغيرهم وهو عن يمين الهند.

٥٢٠ وقطعت الزنج دون الأحابيش الخليج المنفصل من أعلى النيل الذي يصب إلى بحر الزنج، فسكنت في ذلك الصقع واتصلت مساكنهم [إلى بلاد سفالة واتخذها الزنج] «٧» دار مملكة، وسمة ملكهم وفليمي، وهو ملك ملوك سائر الزنوج ومعناه ابن الرب، تعالى الرب عن قولهم علوا كبيرا، ومعناه أنه اختاره لملكهم والعدل فيهم، فمتى جار الملك عندهم أو حاد عن الحق قتلوه وحرموا عقبه الملك. ويزعمون أنه إذا فعل ذلك ملك فقد بطل أن يكون ابن الرب الذي هو ملك السماء والأرض. ويركب وفليمي في ثلاثمائة." (٢)

"آبار ثلاث عند قلعة مينا من إقليم سرقوسة يخرج منها في وقت معلوم من السنة زيت النفط، وذلك في شهر شباط وشهرين بعده. [وينزل من البر على درك ويرقى على درك آخر، ويخمر الرجل الذي يدخل البئر رأسه ويسد مسام أنفه، وإن تنفس في أسفل البئر هلك من ساعته، وما أخرج منه وضع في قصار فيعلو الدهن منه] «١» ٨١٥ وذكر [بعض] المؤرخين أن جزيرة صقلية كان يسكنها في قديم الدهر أمة مهملة تأكل الناس، ويقال إنه كان فيها جنس من المسوخ بعين واحدة «٢» في وسط جباههم يسمون حقلوفس. ولم تزل صقلية على قديم الدهر كثيرة الفتن والحروب، وفي السنة التي بويع فيها علي بن أبي طالب رضي الله عنه صار قسطنطين بن هرقل في ألفي «٣» مركب يريد بلاد المسلمين، فسلط الله تعالى عليهم عاصفا من الريح فأغرقهم «٤» ، فنجا بنفسه «٥» قسطنطين، فلما أتى صقلية صنعوا له حماما ودخله وقتلوه فيه. ولصقلية مدن كثيرة ونهران يطردان من عين واحدة يقال لأحدهما أوطشوم وللآخر القارم.

٨١٦ وبصقلية «٦» جزيرتا البركان الواحدة كبيرة والأخرى صغيرة، وفي هاتين الجزيرتين تتقد النار أبدا، فيرى فيهما «٧» لهب النار بالليل ودخانه بالنهار.

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢٨٧/١

(٢) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٣٢٠/١

ومن العجائب أن النار في إحدى الجزيرتين حديثة ولم تكن بها من قبل.

وهاتان الجزيرتان وما يليهما «٨» تسمى جزائر «٩» أوليا، سميت باسم (أوليس بن يكيو) «١٠» الذي ذكرت فلاسفة الجاهلية أنه كان أميرا لتلك الجزائر وكان." (١)

"مصر فقال: ثلثها كلاب وثلثها تراب وثلثها دواب. قال: وأين الناس؟

قال: في الثلث الأول. وفي بعض الروايات أن الدجال «١» يخرج من موضع يقال له قوس. والحسد في أهل مصر كثير والجهل عليهم غالب. وقال علي بن الحسن العراقي «٢» : صلى علي بن أحمد بن أبي شيخمة العيد سنة «٣» اثنتين وثلاثمائة بجامع عمرو «٤» ، ولم يكن يصلي فيه العيد قبل ذلك، فخطب خطبة العيد في فتر نظرا، فكان مما قال (أو حدثوا عنه) «٥» : اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مشركون. فقال شاعرهم [سريع] :

وقام في العيد لنا خاطب ... يحضض الناس على الكفر

فأمر أمير مصر بضربه، فكلم فيه وتشفع «٦» له حتى تركه. وأهل مصر يشبه بعضهم بعضا في الأبدان والأخلاق، وكذلك الصقالبة يشبه بعضهم بعضا.

٨٤٩ **ومن العجائب** بأرض مصر: في قرية منها يقال لها بدرسانة القرى «٧» كنيسة للروم «٨» فيها بيت يصعد إليه الناس نيفا وعشرين مرقاة، وهناك سرير عليه صبي ميت، وتحت السرير صورة ثور عظيم من رخام وفي جوفه باطية زجاج فيها أنبوبة نحاس، (توضع فيها فتل) «٩» كتان ويصب عليه يسير من الزيت ويشعل، فلا يلبث أن تمتلئ «١٠» الباطية وتفيض إلى جوف الثور، فيأخذ قيم الكنيسة ذلك الزيت فيسرج به دائما لا ينقطع نماؤه وزيادته، فإن أزيل الصبي الميت طفئت تلك النار ولم يفض الزيت. وقد صار إلى هذا الموضع جماعة من الناس ونظروا إليه وفرغوا الباطية، ثم أسر جوها بيسير من الزيت، ففاضت وبدا منها ما ذكرنا. ويذكرون أن المرأة إذا اتهمت نفسها بحمل." (٢)

"لكل كوكب سبع سنين، فإذا بلغ هذه المنزلة سمي ناظرا وكان يجلس (مع الملك في مرتبته) «١» ويصدر الملك عن رأيه ولا يعصي له أمرا. وكان من رسمهم أن يدخل إلى الملك كل يوم فيجلس إلى جانبه ويدخل الكهنة ومعهم أصحاب الصناعات، فيقفون حذاء الناظرين. وكل واحد من الكهنة منفرد بكوكبه يخدمه لا يتعداه إلى سواه ويسمى عبد كوكب كذا. فيقول الناظر للكاهن: أين صاحبك؟ فيقول: في البرج الفلاني في درجة كذا ودقيقة كذا. فإذا عرف مستقر الكواكب «٢» من جميع خدمتها قال للملك: ينبغي أن يصنع اليوم بنيان كذا ويوجه جيش إلى مكان كذا ويأكل الملك في وقت كذا، وجميع ما يراه له «٣» صلاحا في دقيق أموره وجليلها. والكاتب قائم يكتب جميع ما يقوله الناظرون مما يتفقون على إمضائه وتصريف فعله، ثم يلتفتون إلى أصحاب الصناعات فيقولون: انقش أنت صورة كذا وكذا على حجر كذا، وصور أنت تمثالا كذا واغرس أنت كذا، حتى يأتوا على جميع الأعمال، فيخرجون إلى دار الحكمة ويضعون أيديهم في تلك الأعمال.

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ١/٤٨٤

(٢) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ١/٥٠٦

ويستعمل الملك جميع ما يقوله الناظرون ويؤرخ ذلك اليوم في الصحيفة «٤» وتطوى وتودع خزائنه. فعلى ذلك جرت «٥» أمورهم، وكان الملك إذا حزنه «٦» أمر أو هم (به هم أضمره) «٧» جمعهم خارج منف واصطف لهم الناس في الشوارع والطرقات، ثم يمرون ركبانا يقدم بعضهم بعضا فيدخل كل واحد منهم بأعجوبة، فمنهم من يعلو وجهه نور مثل نور الشمس ولا يقدر أحد (أن ينظر إليه) «٨» ، ومنهم من يدخل راكبا أسدا، ومنهم من يتوشح بثعابين عظام، ومنهم من يكون عليه قبة من نور، في صنوف **من العجائب** كثيرة إلا أن كل واحد منهم إنما يصنع ما يدل عليه كوكبه. فإذا دخلوا على الملك قالوا: أرادنا الملك لكذا والصواب فيه «٩» كذا.." (١)

"في جرن من حجارة وينصب في الهيكل وينصب تمثاله عليه، ويكون ذلك وزحل في شرفه والشمس مسعودة تنظر إليه من تثليث والقمر زائد، وتنقش على التمثال علامات الكواكب السبعة، ففعلوا ذلك «١» . وعملت صورة الثور من ذهب وكللت بأصناف الجواهر وصنعوا سائر «٢» ما أمرهم به في الوقت الذي حده لهم. فكانت تلك الصورة تخبرهم **بالعجائب** وما يحدث وقتا وقتا وتجيبهم عن جميع ما يسألونه، وعظم أمر ذلك التمثال ونذرت له النذور وقربت له القرابين وقصده الناس من الآفاق، وكان يخبرهم بما يريدون.

٩٥٤ وبنى في صحراء الغرب مدينة يقال لها ديماس، وقد جاز بها قوم ضلوا الطريق، فسمعوا بها عزيف الجن. ورأوا ضوء نيرانهم. وأقام مناوش ملكا تسعا وثلاثين سنة وعهد إلى ابنه مرنيش، وكان مضعفا لم يعمل في وقته أعجوبة، وبقي ملكا احدى عشرة سنة.

٩٥٥ وانتقل الملك إلى أشمون بن قفطيم أخي قفطويم، وكان ينزل الأشمونين «٣» سماها باسمه، وكان طولها اثني عشر ميلا في مثلها، ونقل إليها أهله وولده.

وهو اتخذ الملاعب بأنصنا، وبنى البهنسا وغيرها من المدن وأكثر فيها «٤» **من العجائب**. والقبط تقول إنه أكثر ملوكهم أعجوبة وسحرا وأطول ملوكهم مدة، ملك ثمانمائة سنة (وثلاثين سنة) «٥» ، وانتزع قوم عاد الملك منه بعد ستمائة سنة «٦» (من ملكه) «٧» ، فاستوبؤوا «٨» بلده وانتقلوا الى الدثنية من." (٢)

"الله بن طاهر في عرضه. وكان عمرو ولى قيسا الفضاء. واختط عبادة بن الصامت الى جانب دار ابن رمانة وأنت تريد الى سوق الحمام. (واختط خارجة «١» بن حذافة غربي المسجد الى اصحاب الحناء وأصحاب السويق) «٢» . واختط عبد الرحمان بن عديس الدار البيضاء ومروان بن الحكم بناها بناءها «٣» اليوم لما ولي مصر سنة ستين. واختط ثقيف في ركن المسجد الشرقي الى السراجين. واختط أبو ذر ومن معه من غفار من زقاق القناديل راجعا الى قصر ابن جبر الى سوق بربر.

١٠٠٦ واختط كعب بن يسار بن ضنة- وهو ابن بنت خالد بن سنان العبسي التي قال لها (رسول الله) «٤» - صلى

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٥٢٤/١

(٢) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٥٧٥/٢

الله عليه وسلم -: ابنة نبي ضيعه قومه- الدار المعروفة بدار النخلة في طرف زقاق القناديل، وكان يقال لزقاق القناديل زقاق الأشراف لأن عمرو بن العاص كان في طرفه وفي الطرف الآخر كعب بن يسار، وبينهما دار أبي ذر وزكريا بن الجهم وعبد الرحمان بن شرحبيل وغيرهم من الأشراف.

واختط كعب بن عدي القيسارية، فلما «٥» أراد عمر بن عبد العزيز بناءها اشتراها منهم وخط لهم دارهم التي في بني وائل. والحمام الذي يعرف اليوم «٦» بحمام أبي مرة كان خطة لرجل من تنوخ. فسأله إياه عبد العزيز بن مروان فوهبها له فبناه حماما لزبان ابنه وبزبان «٧» كان يعرف، وفيه يقول الشاعر يصف صنم رخام «٨» كان فيه على خلقة المرأة [كامل] :

من كان في نفسه للبيض منزلة ... فليأت أبيض في حمام زبان

لا روح فيه ولا شفر يقلبه ... لكنه صنم في خلق إنسان

في أبيات وكسر هذا الصنم وكان عجبا **من العجائب** «٩» حين أمر يزيد بن عبد." (١)

"ذكر مدينة بونة «١»

١٢٠٣ مدينة بونة مدينة أولية «٢» وهي مدينة أقشتين «٣» العالم بدين النصرانية، وهي على ساحل البحر في نشر من الأرض منيع مطل على مدينة سبوس، وتسمى اليوم مدينة زاوي، وبينها وبين المدينة الحديثة نحو ثلاثة أميال، ولها مساجد وأسواق وحمام، وهي ذات ثمر وزرع، وقد سورت بونة الحديثة بعد الخمسين وأربعمائة. وفي بونة الحديثة بئر على ضفة البحر منقورة في حجر صلد تسمى بئر النشرة منها يشرب أكثر أهلها. وبغربي هذه المدينة ماء سائح يسقي بساتينها وهو منتزه «٤» حسن. ويطل على بونة جبل زغوغ وهو كثير الثلج والبرد. **ومن العجائب** أن فيه مسجدا لا ينزل عليه شيء من ذلك الثلج وإن عم الجبل كله. ومدينة بونة (قرية بحرية) «٥» كثيرة اللحم واللبن والحوت والعسل وأكثر لحمانهم البقر. إلا أنها يصح بها السودان ويسقم البيضان «٦» . وحول بونة قبائل كثيرة من البربر مصمودة وأوربة «٧» وغيرهما، وأكثر تجارها أندلسيون. ومستخلص بونة غير جباية بيت المال عشرون ألف دينار.

١٢٠٤ وبشرقي مدينة بونة مدينة مرسى الخرز فيه المرجان، وهي مدينة قد أحاط بها البحر إلا مسلكا لطيفا ربما قطعه البحر في الشتاء، عليها سور وبها سوق." (٢)

"١٤٩٥ فمن جوفي الأندلس وغربيه البحر المحيط، وفي قبليه البحر الشامي وهو البحر المعروف ببحر تيران، ومعناه الذي يشق دائرة الأرض. وفي شرقيه منحرفا إلى الجوف يسيرا بلد البشكنش آخذا مع نهر أبره إلى بلد شنت مرية. وذكر بطليموس «١» أن قلوباطرة «٢» فتحت في الجبل الحاجز بين الأندلس وإفرنجة طريقا بالحديد والنار والخل، وكان فعلها ذلك **من العجائب**.

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٦٠٤/٢

(٢) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٧١٧/٢

ذكر فضل الأندلس وغريب أخبارها.

١٤٩٦ والأندلس شامية في طيبها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عظيم جباياتها «٣» ، صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع سواحلها. فيها آثار عظيمة (للأول من اليونانيين) «٤» أهل الحكمة وحاملي الفلسفة. وكان من ملوكهم (الذين أثروا) «٥» الآثار بالأندلس هرقلش، وله الأثر في الصنم بجزيرة قادس وصنم جليقية والآخر «٦» في مدينة «٧» طركونة الذي لا نظير له.." (١)

"والتحف، وما أشبه ذلك. (الباب الخامس والخمسون) في العمل والكسب والصناعات والحرف، والعجز والتواني وما أشبه ذلك. (الباب السادس والخمسون) في شكوى الزمان وانقلابه بأهله، والصبر على المكاره، والتسلي عن نوائب الدهر، وفيه ثلاثة فصول. (الباب السابع والخمسون) فيما جاء في اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة، والسرور بعد الحزن، ونحو ذلك. (الباب الثامن والخمسون) في ذكر العبيد والإماء والخدم، وفيه فصلان.

(الباب التاسع والخمسون) في أخبار العرب، وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب أمرهم. (الباب الستون) في الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والفأل والطيرة والفراسة والنوم والرؤيا. (الباب الحادي والستون) في الحيل والخدائع المتوصل بها إلى بلوغ المقاصد، والتيقظ والتبصر، ونحو ذلك. (الباب الثاني والستون) في ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات، مرتبا على حروف المعجم.

(الباب الثالث والستون) في ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم. (الباب الرابع والستون) في خلق الجان وصفاتهم

(الباب الخامس والستون) في ذكر البحار وما فيها **من العجائب**، وذكر الأنهار والآبار، وفيه فصول.

(الباب السادس والستون) في ذكر عجائب الأرض وما فيها من الجبال والبلدان وغرائب البنيان، وفيه فصول. (الباب السابع والستون) في ذكر المعادن والأحجار وخواصها.

(الباب الثامن والستون) في ذكر الأصوات والألحان وذكر الغناء واختلاف الناس، ومن كرهه واستحسنه. (الباب التاسع والستون) في ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم، ونوادر الجلساء في مجالس الخلفاء. (الباب السبعون) في ذكر القينات والأغاني.

(الباب الحادي والسبعون) في ذكر العشق ومن بلي به، والافتخار به والعفاف، وأخبار من مات بالعشق، وما في معنى ذلك، وفيه فصول. (الباب الثاني والسبعون) في ذكر رقائق الشعر والمواليا والدوبيت، وكان وكان، والموشحات، والزجل، والقومة، والألغاز، ومدح الأسماء والصفات، وفيه فصول. (الباب الثالث والسبعون) في ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن، وما يمدح وما يذم من عشرتهن، وفيه فصول، (الباب الرابع والسبعون) في ذم الخمر وتحريمها والنهي عنها. (الباب الخامس والسبعون) في المزاح والنهي عنه، وما جاء في الترخيص فيه، والبسط والتنعم، وفيه فصول. (الباب السادس والسبعون) في النوادر والحكايات، وفيه فصول. (الباب السابع والسبعون) في الدعاء وآدابه وشروطه، وفيه فصول.

(الباب الثامن والسبعون) في القضاء والقدر وأحكامهما والتوكل على الله تعالى. (الباب التاسع والسبعون) في التوبة وشروطها والندم والاستغفار. (الباب الثمانون) في ذكر الأمراض والعلل والطب والدواء، والسنة والعيادة وثوابها، وما أشبه ذلك، وفيه

---

(١) المسالك والممالك للبكري أبو عبيد البكري ٢/٨٩٤

فصول. (الباب الحادي والثمانون) في ذكر الموت وما يتصل به من القبر وأحواله.
(الباب الثاني والثمانون) في الصبر والتأسي والتعازي والمراثي ونحو ذلك وفيه فصول (الباب الثالث والثمانون) في ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها، ونحو ذلك. (الباب الرابع والثمانون) في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخر الأبواب، ختمتها بالصلاة على سيد العباد. أرجو بذلك شفاعته صلى الله عليه وسلم يوم المعاد.." (١)

"ومنهم من له خرطوم وذنب، ومنهم من له قرون وحوافر، وغير ذلك من الأنواع قال: فعند ذلك تعجب نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام من هذه الأشكال، وسجد شكرا لله تعالى، وقال: إلهي ألبسني هيبة من عندك، وجعل يسألهم عن طباعهم، وعن طعامهم وشرابهم، وهم يجيبونه، ثم فرقهم في الصنائع: من قطع الصخور والأحجار والأشجار والغوص في البحار، وأبنية الحصون، وفي استخراج المعادن والجواهر. قال الله تعالى: هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ٣٩ «١» .

ونكتفي من ذلك بهذا القدر اليسير، والله المسؤول في تيسير كل عسير، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب الخامس والستون في ذكر البحار وما فيها **من العجائب** وذكر الأنهار والآبار

وفيه فصول

الفصل الأول في ذكر البحار

روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: لما أراد الله تعالى أن يخلق الماء خلق ياقوتة خضراء لا يعلم طولها وعرضها إلا الله سبحانه وتعالى، ثم نظر إليها بعين الهيبة، فذابت وصارت ماء فاضطرب الماء، فخلق الريح ووضع عليها الماء، ثم خلق العرش ووضعه على متن الماء وعليه قوله تعالى: وكان عرشه على الماء «٢» .

واعلم أن بحر الظلمات «٣» لا يدخله شمس ولا قمر، وإن بحر الهند خليج منه «٤» ، وبحر اللاذقية خليج منه «٥» ، وبحر الصين خليج منه، وبحر الروم خليج منه «٦» ، وبحر فارس خليج منه «٧» ، وكل هذه البحار التي ذكرتها أصلها من البحر الأسود الذي يقال له البحر المحيط «٨» ، وأما بحر الخزر «٩» وبحر خوارزم «١٠» ، وبحر أرمينية «١١» ، والبحر الذي عند مدينة النحاس، وغير ذلك من البحار الصغار فهي منقطعة عن البحر الأسود «١٢» ، ولذلك ليس فيها جزر ولا مد.

وقيل سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الجزر والمد، فقال: هو ملك عال قائم بين البحرين إن وضع رجله في البحر حصل له المد، وإذا رفعها حصل له الجزر «١٣» .

وقيل: إنما سمي البحر الأسود لأن ماءه في رأى العين كالحبر الأسود، فإن أخذ منه الإنسان في يده شيئا رآه أبيضا صافيا إلا أنه أمر من الصبر مالح شديد الملوحة، فإذا صار ذلك الماء في بحر الروم تراه أخضر كالزنجار، والله تعالى يعلم لأي شيء

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٩

ذلك.

وكذلك يرى في بحر الهند خليج أحمر كالدم، وبحر أصفر كالذهب، وخليج أبيض كاللبن تتغير هذه الألوان في هذه المواضع، والماء في نفسه أبيض صاف، وقيل: إن تغير الماء بلون الأرض.

وأما ما يخرج من البحر

من السمك وغيره فقد روي عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ساحل البحر، وأمر علينا أبا عبيدة رضي الله تعالى عنه نتلقى عير قريش، وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره، فكان أبو عبيدة يعطينا تمرة تمرة نمصها ثم نشرب عليها الماء، فتكفينا يومنا إلى الليل، فأشرفنا على ساحل البحر، فرأينا شيئا كهيئة الكثيب الضخم، فأتيناه، فإذا هو دابة من دواب البحر تدعى العنبر «١٤» ، فأقمنا شهرا نأكل منها، ونحن ثلاثمائة حتى سمنا، ولقد رأيتنا نغترف من الدهن الذي في وقب عينيها بالقلال، ونقطع منه القطعة كالثور، ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم في وقب عينها، وأخذ." (١)

"يدان «١» يعرف بالسمك اليهودي، وذلك أنه إذا غابت الشمس ليلة السبت يخرج من البحر، ويلقي نفسه في البر ولا يتحرك، ولا يأكل، ولو قتل، ولا يدخل البحر حتى تغيب الشمس ليلة الأحد، فيحنئذ يدخل البحر ولا تلحقه السفن لخفته وقوته وجلده يتخذ منه نعل لصاحب النقرس، فلا يجد له ألما ما دام ذلك الجلد عليه، وهو **من العجائب**.

وقيل: إن في بحر الروم سمكا طويلا طول السمكة مائة ذراع، وأكثر، وله أنياب كأنياب الفيل تؤخذ وتباع في بلاد الروم، وتحمل إلى سائر البلاد، وهي أحسن، وأقوى من أنياب الفيل «٢» ، وإذا شق الناب منها يظهر فيه نقوش عجيبة، ويسمونه الجوهر، ويتخذون منه نصبا للسكاكين، وهو مع قوته وحسن لونه ثقيل الوزن كالرصاص.

وفي البحر أيضا سمك يسمى الرعاد إذا دخل في شبكة، فكل من جر تلك الشبكة أو وضع يده عليها أو على حبل من حبالها تأخذه الرعدة حتى لا يملك من نفسه شيئا كما يرعد صاحب الحمى، فإذا رفع يده زالت عنه الرعدة، فإن أعادها عادت إليه الرعدة «٣» ، وهذا أيضا **من العجائب**، فسبحان الله جلت قدرته.

وقال صاحب تحفة الألباب: حدثني الشيخ أبو العباس الحجازي قال: حدثني رجل يعرف بالهاروني من ولد هارون الرشيد أنه ركب سفينة في بحر الهند، فرأى طاووسا قد خرج من البحر أحسن من طاووس البر وأجمل ألوانا. قال: فكبر بالحسنة فجعل يسبح وينظر لنفسه، وينشر أجنحته، وينظر إلى ذنبه ساعة، ثم غاص في البحر «٤» .

وفي البحر دابة يقال لها: الدرفين «٥» تنجي الغريق لأنها تدنو منه حتى تضع يده على ظهرها، فيستعين بالإتكاء عليها، ويتعلق بها، فتسبح به حتى ينجيه الله بقدرته، فسبحان من دبر هذا التدبير اللطيف، وأحكم هذه الحكمة البالغة.

وزعموا أن السمك يتجه نحو الغناء والصوت الحسن، ويصبو لسماعه. وربما قيل إن بعض الصيادين يحفرون في البحر حفائر، ثم يجلسون، فيضربون بالمعازف وآلات الطرب، فيجتمع السمك، ويقع في تلك الحفائر.

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٣٨٠

وقيل: إن الدرفين وأنواع السمك إذا سمعت صوت الرعد هربت إلى قعر البحر، وقيل: إن خيل البحر توجد بنيل مصر، وهي صفة خيل البر.

وقيل: إنها تأكل التماسيح وربما خرجت فرعت الزرع، وإذا رأى أهل مصر أثر حوافرها حكموا أن ماء النيل ينتهي في طلوعه إلى ذلك المكان.

وقيل: إن في البحر المحيط شيئا يتراءى كالحصون، فيرتفع على وجه الماء ويظهر منه صور كثيرة، ويغيب، ومن عجيب ما حكي أن فيه جزيرة فيها ثلاث مدن عامرة، وهي كثيرة الأمطار، وأهلها يحصدون زرعها قبل جفافه لقلة طلوع الشمس عندهم ويجعلونه في بيت ويوقدون حوله النيران حتى يجف. وعجائبه لا تحصى، ولا يمكن حصرها.

ويقال: إن الإسكندر لما سار إلى بحر الظلمات مر بجزيرة بها أمة رؤوسهم مثل رؤوس الكلاب يخرج من أفواههم مثل لهب النار، وخرجوا إلى مراكبه، وحاربوه، ثم تخلص منهم وسار، فرأى صورا متلونة بألوان شتى وسمكا طوله مائة ذراع، وأكثر، وأقل، فسبحان الله تعالى ما أكثر عجائب خلقه.

ويقال أنه مر في بعض الجزائر على قصر مصنوع من البلور على قلعة محكمة البناء وحولها قناديل لا تطفأ، ومن جزائر البحر جزيرة القمر «٦» يقال إن بها شجرا طول الشجرة مائتا ذراع، ودور ساقها مائة وعشرون ذراعا، وبها طوائف من السودان عرايا الأبدان يلتحقون بورق الشجر وهو ورق يشبه ورق الموز لكنه أسمك وأعرض وأنعم، ويقال: إن هذه الجزيرة بالقرب من نيل مصر، وإن هذه الأمة التي بها يتمذهبون بمذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه، وهم في غاية اللطافة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالقرب منهم معدن الذهب والياقوت وبها الفيلة البيض وحيوانات مختلفة الأشكال من الوحوش وغيرهما، وبها العود القماري والآبنوس والطواويس، وبها مدن كثيرة.." (١)

"ومنها جزيرة الواق «١» خلف جبل يقال له: اصطفيون داخل البحر الجنوبي، ويقال إن هذه الجزيرة كانت ملكتها امرأة، وإن بعض المسافرين وصل إليها ودخلها ورأى هذه الملكة، وهي جالسة على سرير، وعلى رأسها تاج من ذهب وحولها أربعمائة وصيفة كلهن أبكار، وفي هذه الجزيرة **من العجائب** شجر يشبه شجر الجوز، وخيار الشنبر ويحمل حملا كهيئة الإنسان، فإذا انتهى سمع له تصويت يفهم منه واق واق، ثم يسقط، وهذه الجزيرة كثيرة الذهب حتى قيل إن سلاسل خيمهم ومقاود كلابهم وأطواقها من الذهب.

ومنها جزيرة الصين يقال: إن بها ثلاثمائة مدينة ونيفا سوى القرى والأطراف وأبوابها اثنا عشر بابا، وهي جبال في البحر بين كل جبلين فرجة، وهذه الجبال تمر بها المراكب مسيرة سبعة أيام، وإذا جاوزت السفينة الأبواب سارت في ماء عذب حتى تصل إلى الموضع الذي تريده، وفيها من الأودية والأشجار والأنهار ما لا يمكن وصفه، فتبارك الله رب العالمين.

وقيل: إن الاسكندر لما فرغ من بناء سده حمد الله تعالى وأثنى عليه ثم نام، وإذا بحيوان عظيم صعد من البحر إلى أعلى وسد الأفق، فظن من حول الملك أنه يريد ابتلاعهم، ففزعوا، فانتبه، فقال: ما لكم؟ فقالوا له؟ انظر ما حل بنا، فقال: ما كان الله ليأخذ نفسا قبل انقضاء أجلها، وقد منعني من العدو فلا يسلط علي حيوانا من البحر. قال: فإذا بالحيوان قد دنا

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٣٨٢

من الملك، وقال: أيها الملك أنا حيوان من هذا البحر، وقد رأيت هذا السد بني وخرب سبع مرات، ولم يزد على ذلك، ثم غاب في البحر، فتبارك من له هذا الملك العظيم، لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

وقيل: إن بجزيرة النسناس باليمن مدينة بين جبلين وليس لها ماء يدخل فيها إلا من المطر، وطولها نحو ستة فراسخ، وهي حصينة ذات كروم ونخيل، وأشجار، وغير ذلك، وإذا أراد إنسان الدخول فيها حثى على وجهه التراب، فإن أبى إلا الدخول خنق أو صرع، وقيل: إنها معمورة بالجان، وقيل: بخلق من النسناس، ويقال: إنهم من بقايا عاد الذين أهلكهم الله بالريح العقيم، وكل واحد منهم شق إنسان، ونقل عن بعض المسافرين أنه قال: بينما نحن سائرون إذ أقبل علينا الليل فبتنا بواد، فلما أصبح الصباح سمعنا قائلا يقول من الشجرة: يا أبا بجير الصبح قد أسفر، والليل قد أدبر، والقناص قد حضر، فالحذر الحذر. قال: فلما ارتفع النهار أرسلنا كلبين كانا معنا نحو الشجرة، فسمعت صوتا يقول: ناشدتك. قال، فقلت لرفيقي: دعهما. قال: فلما وثقا بنا نزلا هاربين، فتبعهما الكلبان وجدا في الجري، فأمسكا شخصا منهما قال:

فأدركناه وهو يقول:

الويل لي مما به دهاني ... دهري من الهموم والأحزان

قفا قليلا أيها الكلبان ... إلى متى إلي تجريان

قال: فأخذناه ورجعنا، فذبحه رفيقي وشواه، فعفته ولم آكل منه شيئا، فتبارك الله ما أكثر عجائب خلقه. لا إله إلا هو ولا معبود سواه.

الفصل الثاني في ذكر الأنهار والآبار والعيون

قال الله تعالى: ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض

«٢» . وقال المفسرون: هو المطر، ومعنى سلكه أدخله في الأرض، وجعله عيونا ومسايل ومجاري كالعروق في الجسد، فمن الأنهار ما هو من الأمطار المجتمعة، ولهذا ينقطع عند فراغ مادته، ومنها ما ينبع من الأرض، وأطول ما يكون من الأنهار ألف فرسخ، وأقصره عشرة فراسخ إلى اثنين وثلاثة، وبين ذلك، وكلها تبتدىء من الجبال وتنتهي إلى البحار والبطائح، وفي ممرها تسقي المدن والقرى وما فضل منها ينصب في البحر المالح ويختلط به، ولا يمكن استيفاء عددها لكنا نشير إلى بعضها فنقول.

النيل المبارك: ليس في الأنهار أطول منه لأنه مسيرة شهرين في بلاد الإسلام، وشهرين في بلاد النوبة، وأربعة في الخراب، وقيل: إن مسافته من منبعه إلى أن ينصب في البحر الرومي ألف وسبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا. قال ذلك صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر «٣» .." (١)

"الوحيد، وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب، وأخذه بمجامع النفس.

فصل في الصوت الحسن

قال بعض أهل التفسير في قوله تعالى: يزيد في الخلق ما يشاء

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٣٨٣

«١» هو الصوت الحسن، وعن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قال: أتدرون متى كان الحداء؟ قالوا: لا بأبينا أنت وأمنا يا رسول الله. قال: إن أباكم مضر خرج في طلب مال له، فوجد غلاما قد تفرقت إبله، فضربه على يده بالعصا، فعدا الغلام في الوادي وهو يصيح: وايداه، فسمعت الإبل صوته، فعطفت عليه، فقال مضر: لو اشتق من الكلام مثل هذا لكان كلاما تجتمع عليه الإبل، فاشتق الحداء.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه لما أعجبه حسن صوته: لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود، وقيل: إن داود عليه الصلاة والسلام كان يخرج إلى صحراء بيت المقدس يوما في الأسبوع، وتجتمع عليه الخلق، فيقرأ الزبور بتلك القراءة الرخيمة، وكان له جاريتان موصوفتان بالقوة والشدة فكانتا تضبطان جسده ضبطا شديدا خيفة أن تنخلع أوصاله مما كان ينتحب، وكانت الوحوش والطير تجتمع لاستماع قراءته.

قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى: بلغنا أن الله تعالى يقيم داود عليه الصلاة والسلام يوم القيامة عند ساق العرش، فيقول: يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم.

وقال سلام الحادي للمنصور، وكان يضرب المثل بحدائه: مر يا أمير المؤمنين بأن يظمأوا إبلا ثم يوردوها الماء فإني آخذ في الحداء فترفع رؤوسها، وتترك الشرب.

وزعم أهل الطب أن الصوت الحسن يجري في الجسم مجرى الدم في العروق، فيصفو له الدم، وتنمو له النفس ويرتاح له القلب، وتهتز له الجوارح، وتخف له الحركات، ولهذا كرهوا للطفل أن ينام على أثر البكاء، حتى يرقص ويطرب، وزعمت الفلاسفة: أن النغم فصل بقي من النطق لم يقدر اللسان على استخراجه، فاستخرجته الطبيعة بالألحان على الترجيع لا على التقطيع، فلما ظهر عشقته النفس وحنت إليه الروح. ألا ترى إلى أهل الصناعات كلها إذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا بالألحان، واستراحت إليها أنفسهم، وليس من أحد كائنا من كان إلا وهو يطرب من صوت نفسه، ويعجبه طنين رأسه، ولو لم يكن من فضل الصوت الحسن إلا أنه ليس في الأرض لذة تكتسب من مأكل ولا مشرب ولا ملبس ولا صيد إلا وفيها معاناة على البدن، وتعب على الجوارح ما خلا السماع، فإنه لا معاناة فيه على البدن ولا تعب على الجوارح، وقد يتوصل بالألحان الحسان إلى خيري الدنيا والآخرة، فمن ذلك أنها تبعث على مكارم الأخلاق من اصطناع المعروف، وصلة الأرحام، والذب عن الأعراض والتجاوز عن الذنوب، وقد يبكي الرجل بها على خطيئته، ويتذكر نعيم الملكوت، ويمثله في ضميره، ولأهل الرهبانية نغمات، وألحان شجية يمجدون الله تعالى بها، ويبكون على خطاياهم، ويتذكرون نعيم الآخرة.

وكان أبو يوسف القاضي يحضر مجلس الرشيد، وفيه الغناء، فيجعل مكان السرور به بكاء، كأنه يتذكر نعيم الآخرة، وقد تحن القلوب إلى حسن الصوت حتى الطير والبهائم، وكان صاحب الفلاحات يقول: إن النحل أطرب الحيوان كله على الغناء.

قال الشاعر:

والطير قد يسوقه للموت ... إصغاؤه إلى حنين الصوت

وزعموا أن في البحر دواب ربما زمرت أصواتا مطربة، ولحونا مستلذة يأخذ السامعين الغشي من حلاوتها، فاعتنى بها وضعة

الألحان بأن شبهوا بها أغانيهم، فلم يبلغوا، وربما يغشى على سامع الصوت الحسن للطافة وصوله إلى الدماغ وممازجته القلب. ألا ترى إلى الأم كيف تناغي ولدها، فيقبل بسمعه على مناغاتها، ويتلهى عن البكاء، والإبل يزداد نشاطها وقوتها بالحداء، فترفع آذانها وتلتفت يمنة ويسرة، وتتبختر في مشيتها.

وزعموا أن السماكين بنواحي العراق يبنون في جوف الماء حفائر ثم يضربون عندها بأصوات شجية فتجتمع السمك في الحفائر، فيصيدونه وقد نبهت على ذلك في باب ذكر البحار، وما فيها **من العجائب**.

والراعي إذا رفع صوته، ونفخ في يراعته تلقته الغنم بآذانها، وجدت في رعيها، والدابة تعاف الماء، فإذا سمعت الصفير بالغت في الشرب وليس شيء مما يستلذ به أخف مؤنة من السماع.." (١)

"شرخ الشباب بحبكم أفنيته ... والعمر في كلف بكم قضيته «١»

وأنا الذي لو مر بي من نحوكم ... داع وكنت بحفرتي لبيته «٢»

كيف التعرض للسلو وحبكم ... حب بأيام الشباب شريته

لله داء في الفؤاد أجنه ... يزداد نكسا كلما دوايته «٣»

قالوا حبيبك في التجني مسرف ... قاس على العشاق قلت فديته

أأروم من كلفي عليه تخلصا ... لا والذي بطحاء مكة بيته

ولو استطعت بكل إسم في الورى ... من لذة الذكرى به سميته

وللشيخ بدر الدين الدماميني:

سل سيفا من الجفون صقيلا ... مذ تصدى جلاه رحت قتيلا

صح عن جفنه حديث فتور ... وهو ما زال من قديم عليلا

مر أبدى لنا من الخصر ردفا ... فأرانا مع الخفيف ثقيلا «٤»

ذو قوام كأنه الغصن لكن ... بالهوى نحو وصلنا لن يميلا

فكامل الحسن وافر ظل وجدي ... فيه يا عاذلي مديدا طويلا «٥»

فاتك الجفن ذو الجمال كثير ... أتلف العاشقين إلا قليلا

قلت إذ لاح طرفه ولماه ... فاتر اللحظ بكرة وأصيلا

كيف حالي وهل لصب إليه ... من سبيل فقال لي سل سبيلا

وقال آخر:

لو أن قلبك لي يرق ويرحم ... ما بت من ألم الجوى أتألم

ومن العجائب أنني لا سهم لي ... من ناظريك وفي فؤادي أسهم «٦»

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٣٩٢

يا جامع الضدين في وجناته ... ماء يرق عليه نار تضرم
عجبي لطرفك وهو ماض لم يزل ... فعلام يكسر عندما تتكلم
ومن المروءة أن تواصل مدنفا ... والدهر سمح والحوادث نوم «٧»
وقال آخر:
تصدق بوعد إن دمعي سائل ... وزود فؤادي نظرة فهو راحل
فخدك موجود به التبر دائما «٨» ... وحسنك معدوم لديه المماثل «٩»
أيا قمرا من شمس طلعة وجهه ... وظل عذاريه الدجى والأصائل
تنقلت من طرف مع القلب والهوى ... وهاتيك للبدر المنير منازل
جعلتك للتمييز نصبا لخاطري ... فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل
وقال ابن صابر:
قبلت وجنته فألفت جيده ... خجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره ... عرق يحاكي الطل فوق الآس «١٠»
فكأنني استقطرت ورد خدوده ... بتصاعد الزفرات من أنفاسي
وقال آخر:
وغزال كل من شبهه ... بهلال أو ببدر ظلمه." (١)
"وطففت ألثم ثغرها فتحجبت ... وتسترت عني بقلب العقرب
وقال آخر:
ولو مت من كثرة الأشواق وانبدلت ... مدامعي بدم من كثرة السهر
ما اخترت عنك سلوا لا ولا نظرت ... عيني لغير محيا وجهك القمر
إبراهيم بن العباس:
تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضى ... ويسرع قلبي إذ يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وإنما ... هوى كل نفس أين حل حبيبها
وقال النوفلي:
إذا اختلجت عيني رأت من تحبه ... فدام لعيني ما حييت اختلاجها
وما ذقت كأسا مذ علقت بحبها ... فأشربه إلا ودمعي مزاجها
وقال آخر رحمه الله تعالى:
يا ذا الذي زار وما زارا ... كأنه مقتبس نارا

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٤١٨

قام بباب الدار من تيهه ... ما ضره لو دخل الدارا

وقال آخر:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي ... وأبحت مني ظاهري لجليسي

فالكل مني للجليس مؤانس ... وجبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

ابن نباتة:

أناشده الرحمن في جمع شملنا ... فيقسم هذا لا يكون إلى الحشر

إذا ما غدا مثل الحديد فؤاده ... فوالعصر إن العاشقين لفي خسر «١»

أمين الدين بن أبي الوفاء:

يا نازلا مني فؤادا راحلا ... **ومن العجائب** نازلا في راحل

أضرمت قلب متيم أهلكته ... وسكنته والنار مثوى القاتل

وقال آخر:

يا عاذلي في هواه ... إذا بدا كيف أسلو

يمر بي كل وقت ... وكلما مر يحلو

الحاجبي:

ملأت فؤادي من محبة فاتن ... أميل إليه وهو كالظبي رائغ

وقلت لقلبي قم لتعشق شادنا ... سواه فقال القلب ما أنا فارغ

وقال ديك الجن:

ولي كبد حرى ونفس كأنها ... بكف عدو ما يريد سراحها

كأن على قلبي قطاة تذكرت ... على ظمإ وردا فهزت جناحها

وقال عبد الله بن طاهر:

أقام ببلدة ورحلت عنه ... كلانا بعد صاحبه غريب

أقل الناس في الدنيا سرورا ... محب قد نأى عنه الحبيب

وقال آخر:

ما اخترت ترك وداعكم يوم النوى ... والله لا مللا ولا لتجنب

لكن خشيت بأن أموت صبابة ... فيقال أنت قتلته فتقاد بي «٢»

وقال ابن المعتز:

هب لعيني رقادها ... وانف عنها سهادها

وارحم المقلة التي ... كنت فيها سوادها." (١)

"وزيادة عبد الجبار عليه قوله:

ومر في آثارهن مقيدا

وتصدير هذا العجز بقوله: أقيد بالسبق مليح جدا.

ومن مليح أخذه المستحسن قوله من أخرى.

لهم رياض حتوف فالذباب بها ... يشدوهم في الهوادي كلما اقتحموا

بيض يضعن المنايا السود صارخة ... وهي الذكور التي افتضت بها القمم

أخذه من قول أبي نصر عبد العزيز بن نباته السعدي:

ومن العجائب أن بيض سيوفه ... تلد المنايا السود وهي ذكور

إلا أنه زاد عليه، وبعد ما ساواه في المقابلة، بذكر البيض والسود. وذكر الذكورية مع ذكر الوضع الذي ذكره في موضع تلد بقوله: صارخة، إذ من شأن المولود أن يستهل صارخا عند الوضع. وكذلك الواضعة تصرخ أيضا حالة الطلق، فتمم بهذه الزيادة قوله: يضعن المنايا السود.

كما زاد عند ذكر الذكور، وتمم المعنى بقوله: افتضت بها القمم، فجعل سيلان دماء القمم بذكور الصوارم كسيلان دماء العذارى لدى افتضاض ذكور الرجال لها، وهذا من سر الشعر المخزون، وعلمه المكنون. وفي البيت الذي وطأ به نوع من أنواع البديع يسمى التورية، وهو قوله:

لهم رياض حتوف فالذباب بها ... يشدوهم في الهوادي كلما اقتحموا." (٢)

"وأقام ابن تومرت بملالة أشهرا، ثم رحل عنها، وصحبه من أهلها رجل اسمه عبد الواحد، يعرفه المصامدة بعبد الواحد الشرقي، وهو أول من صحبه بعد عبد المؤمن؛ وخرج متوجها إلى المغرب.

وقيل: إنه إنما لقي عبد المؤمن بموضع يعرف بـ فنزارة من بلاد متيجة، وعبد المؤمن يعلم صبيان القرية المذكورة؛ فسأله ابن تومرت صحبته والقراءة عليه وإعانته، بعد أن عرفه بالعلامات كما قد تقدم.

وبهذه القرية له حكاية طريفة؛ وذلك أنه رأى وهو بها في المنام كأنه يأكل مع أمير المسلمين علي بن يوسف في صحفة واحدة؛ قال: ثم زاد أكلي على أكله وأحسست من نفسي شرها إلى الطعام. ولم يزل ذلك بي إلى أن اختطفت الصحفة من بين يديه وانفردت بها! فلما انتبه قص الرؤيا على رجل كان يقرأ عليه، اسمه عبد المنعم بن عشير، يكنى أبا محمد، كان يقرأ عليه؛ فلما أتى على آخرها، قال: يا بني، يا عبد المؤمن، هذه الرؤيا لا ينبغي أن تكون لك؛ إنما هي لرجل ثائر، يثور على أمير المسلمين فيشاركه في بعض بلاده ثم يغلبه بعد ذلك عليها كلها وينفرد بمملكتها!.

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف شهاب الدين الأبشيهي ص/٤٢٩

(٢) المطرب من أشعار أهل المغرب ابن دحية ص/٥٦

واتفق له فيها أيضا **من العجائب** التي تثبت في باب الكلم الموافقة للقدر، أن رجلا من وجوه أصحاب الملك العزيز بن المنصور الصنهاجي صاحب بجاية والقلعة، وجد عليه الملك العزيز، فاشتد خوفه، فهرب منه إلى هذه الضيعة التي كان فيها عبد المؤمن، فكان معه بها يعلم الصبيان. وانتهت حال ذلك الرجل إلى غاية الإقلال. ثم اتفق أن صاحبه رضي عنه، فبلغه ذلك، فسار إلى بجاية فدخل عليه، فسأله: أين كنت في هذه الأيام؟ فأخبره بقصته، وكيف كان الصبيان يحيونه بالكسر! فضحك وقال: الضيعة لك وما والاها! وأمر له بمال ومركب وثياب، فخرج الرجل إلى الضيعة في خيل ورجال معه، وخرج إليه أهلها يتلقونه؛ فأتى الصبيان عبد المؤمن وهو قاعد بفناء المسجد، فقالوا له: أتعرف من هذا الذي اهتزت له هذه الأرض؟ قال: لا! قالوا: هو فلان صاحبك الذي كان يعلمنا معك! فقال: إن كانت حالة فلان انتهت إلى هذا، فلا بد أن أكون أنا غدا أمير المؤمنين! فكان الأمر كما قال، ووافقت كلمته القدر.

وخرج ابن تومرت -كما ذكرنا- متوجها إلى المغرب، حتى أتى مدينة تلمسان، فأقام بمسجد بظاهرها يعرف بـ العباد جاريا على عادته، وكان قد وضع له في

١- الصحفة: إناء من آنية الطعام، الجمع: صحاف.." (١)

".. إليك عن عاشق بكى أسفا ... حبيبه في الهوى وما ظلمه

ظلت جيوش الهوى تقاتله ... مذ نذرت أعين الملاح دمه ...

ومن المسهب مثل ذلك وأنه كان محسنا للشعراء وأن سعيد ابن فرج أخا أبي عمر أهدى له ياسمينا أبيض وأصفر وكتب معه

... مولاي قد أرسلت نحوك تحفة ... بمراد ما أبغيه منك تذكر

من ياسمين كالنجوم تبرجت ... بيضا وصفرا والسماح يعبر ...

فعوضه عنها ملء طبقها دنانير ودراهم وكتب له ... أتاك تعبيري ولما يحل ... مني على أضغاث أحلام

فاجعله رسما دائما قائما ... منك ومني أول العام ...

وانشد له وقد مر أحد الفقهاء فأبصر غلاما فتان الصورة ... أفدي الذي مر بي فمال له ... لحظي ولكن ثنيته غصبا

ما ذاك إلا مخاف منتقد ... فالله يعفو ويغفر الذنبا ...

قال الرقيق في تاريخه كان عبد الله يسمى الزاهد فبايع قوما على قتل والده وأخيه الحكم ولي العهد فسجنه أبوه ثم ذبحه بيده

---

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب عبد الواحد المَرَّاكُشي ص/١٣٨

يوم الأضحى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وقتل أصحابه قال صاحب سفط اللآلئ **ومن العجائب** أن عبد الله كان شافعيا وأخاه عبد العزيز حنفيا والمستنصر مالكيا." (١)

"..كأن عروسا أبدع الله حسنها ... فصير من شرخ الشباب لها عمرا

توبد فيها شعشعابية الضحى ... إذا ضاحك الشمس البحيرة والنهرا

تزاحم أنفاس الرياح بزهرها ... نجوما فلا شيطان يقربها ذعرا

هي الدرة البيضاء من حيث جئتها ... أضاءت ومن للدر أن يشبه البدرا ...

التاج

ملكها في مدة ملوك الطوائف خادمان من الموالي العامرية وهما مبارك ومظفر وكان **من العجائب** اشتراكهما في الملك حتى إنهما لم يمتازا إلا في الحرم خاصة ولا تنافس بينهما وفيهما يقول ابن دراج شاعر الأندلس من قصيدة ... وأظفرت آمالي بقصد مظفر ... وبورك لي في حسن رأي مبارك ...

واشتد أمرهما وحرصهما في الجباية وأضرا بالناس فاستغاثوا إلى الله فهلك مبارك مترديا عن فرسه وضعف مظفر بعده فأخرجه أهل بلنسية فانزوى بشاطبة فأسند أهل بلنسية أمرهم إلى." (٢)

"**ومن العجائب** أن حمـ ... ـير سوف تعلى بالقهور

ويسودها أهل الموا ... شي من نضير أو نضير

يعني النضر بن كنانة، وهو قريش.

ويثيرها المنصور من ... جنبي أزال كالصقور

وهو الإمام المرتجى المـ ... ـذكور من قدم الدهور

وأنه قال:

بمنصور حمير المرتجى ... يعود من الملك ما قد ذهب

ويرجع بالعدل سلطانها ... على الناس في عجمها والعرب

وقالوا: إن المنصور هو لقب القائم المنتظر الذي سيظهر ليعيد ملك حمير المسلوب١.

وذكروا أنه كان في جملة ما قاله من شعر قوله:

واعلم بني بأن كل قبيلة ... ستذل إن نهضت لها قحطان٢

إلى غير ذلك من أشعار نسبت إليه وإلى غيره من التبابعة تتحدث عن حقد القحطانيين على العدنانيين، وعن ألمهم الشديد

---

(١) المغرب في حلى المغرب ابن سعيد المغربي ١٨٨/١

(٢) المغرب في حلى المغرب ابن سعيد المغربي ٢٩٩/٢

لفراق ملكهم وانتقال الحكم منهم إلى المكيين، وقد كانوا من أتباعهم بالأمس. فعللوا أنفسهم بالتحدث عن الماضي، ثم صبروا أنفسهم بالحديث عن ملك سيعود، وعن دولة ستأتي، وعن مهدي يأخذ بالثأر، كالذي يفعله المغلوبون، وجعلوا ذا القرنين الذي ورد اسمه في سورة الكهف منهم٣، فقالوا: هو الهميسع بن عمرو بن زيد بن كهلان، أو الصعب بن عبد الله بن مالك بن زيد بن سدد بن حمير الأصغر، أو تبع الأكبر بن تبع الأقرن، أو تبع الأقرن، وكان مؤمنا عالما عادلا، ملك جميع الأرض وطافها، ومات في شمال بلاد الروم حيث يكون النهار ليلا إذا انتهت الشمس إلى برج الجدي. وقد كان يقول الشعر، وهو الذي بشر

---

١ منتخبات "ص١٠٣".

٢ منتخبات "ص٨٣".

٣ سورة الكهف: ١٨، الآية ٨٣، ٨٦، ٩٤.." (١)

"وكان للملك "النعمان" قصر بالحيرة عرف بـ"القصر الأبيض"، لبياضه، يظهر أن جدرانه كانت مجصصة، فظهرت بيضاء. ويذكر أهل الأخبار أن النعمان، كان عنده دواوين شعر فيها ما مدح به، أو ما مدح به آله. ثم أمر فدفنها في قصره هذا، فلما كان "المختار" قيل له: إن تحت القصر كنزا فأمر به فحفر، فاستخرج الكنز ثم صار إلى آل مروان أو ما صار منه. وكان هذا القصر دار ملكه ومقره في الحيرة، إذ لم يذكروا له قصرا آخر له فيها.

وكان للأكاسرة القصر الأبيض بالمدائن، ذكر أنه كان **من العجائب**، ولم يزل قائما إلى أن نقضه "المكتفي بالله" العباسي في حدود سنة ٢٩٠هـ. وبني بشرفاته أساس التاج الذي بدار الخلافة وبأساسه شرفاته. وقد ذكره البحتري١.

وذكر "الزبيدي"، اسم قصر دعاه "الحيان"٢، زعم أنه "قصر النعمان بن المنذر بن ساوى" بالحيرة٣. فهل قصد بذلك شخصا آخر من أهل الحيرة؟

أم إنه وهم من أوهام عديدة نجدهم في "تاج العروس" في أمور تاريخية، قد يكون المسئول عنها نساخ الكتاب في بعض الأحيان.

ونسب بعض أهل الأخبار إلى "النعمان بن المنذر"ن دارا، قالوا لها: "الزوراء"، ذكروا أن "أبا جعفر المنصور" هدمها٤.

---

١ تاج العروس "٥/ ١٠"، "بيض".

٢ بالفتح.

٣ تاج العروس "١٠/ ٣٢٤"، "الحى".

٤ تاج العروس "٣/ ٢٤٦"، "زور".." (٢)

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ١٥٤/٢

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام جواد علي ٢١٣/٩

"وقال أيضا في مثل هذا الموضع ما يجب إيراده وإن طال الفصل وأسام ذكره إن الحسيات معابر إلى العقليات، ولا بد لنا ما دمنا باحثين عن حقائق العقل ولا نقدر أن نخلص إلى عالمه دفعة واحدة من سبيل نسلكها، ومثل نستصحبها، وشواهد نستنبطها ونثق بها، ولو أمكننا الوصول إلى عرصات القول وبلاده كان التفاتنا إلى الحواس فضلا، لا لأننا متى أخذنا الأمثلة من الحواس فليس يجب أن نتسبب بها كل التسبب، ونطالب بها المعقولات كل المطالب، بل الذي يحكم به الحق ويقتضيه الحزم، أن نأخذ الأمثلة من الحس، فإذا وصلنا إلى العقل حينئذ فارقناها اعتناء عنها مستريحين منها، ومن حرجها واضطرابها، ولما كنا بالحس في أصل الطبيعة لم ننفك منه، ولما كنا بالعقل في أول الجوهر لم نجهل فصله، فلهذا ما اشتغلنا بالحس ولم نقض به، ووصلنا إلى العقل ولم نميز عليه.

وهذا اقتضاه قول عرض في جملة كلامه، وذلك أنه في كل محسوس ظل من المعقول، وليس في كل معقول ظل من الحسن ومتى وجدنا شيئا في الحس فله أثر عند العقل، به وقع التشبيه، وإليه كان التشوق، وبه حدث المقدار، والإنسان متى لم يخلع آثار الحس خلعا، لم يتحل لبوس العقل تحليا، وإنما شق الإقرار بمعرفة حال النفس بعد الموت لأن الحس لم يساعد في تسليم ذلك بشهادة يسكن إليها، وإن كان العقل قد استوضح ذلك بالأمثلة المضروبة في إقامة البينة عليها.

وفي الجملة هذه المسئلة عذراء ضيقة، وعجماء مشكلة، ولكن العقل الذي هو خليفة الله في هذا العالم يجول في هذه المضايق، ويدفع هذه الموانع والعوائق، ولولا هذه العناية المرموقة، والحالة المعشوقة، بهذه الأوائل المشروحة، والأبواب المفتوحة، لكان اليأس يزهق الأرواح ويتلف الأنفس، ولكان العالم بكل ما فيه **من العجائب** والآثار والشواهد لشيء لا حقيقة له، ولا حكمة فيه، وأنه شبيه بالعبث واللعب، وليس له محصول ولا." (١)

"لا أرى زاجرا عن الفحش فيكم ... بل حمارا عن أهله مشغولا

قبح الله من ثنى بلعن ... وارث الصانع الجبان الجهولا

من يضر الأدنى ويعجز عن ض ... ر الأعادي ومن يخون الخيلا

يجمع الجيش ذا الألوف ويغزو ... ثم لا يرزأ العدو قتيلا

قد رأينا مكان أمك أذ تم ... نع من درة اللقوح الفصيلا

وهذه الأبيات يقال أنها للنابغة الذبياني من قصيدة هجا بها النعمان لما خافه فهرب منه إلى ملوك غسان بالشام فكان عندهم زمانا، وقد نسبة إلى عبد قيس بن خفاف البرجمي، والى مرة بن ربيعة بن قريح السعدي، وحملها بعضهم على بعض.

خبر الذبيحين

فكيف تقام أنساب ٨٦ هؤلاء على ما ترى فيها **من العجائب** بنسب يرجع إلى أبراهيم، وهو خيرة الله من خلقه، وإلى أسماعيل وهو أكبر ولده به كانت البشارة الأولى، وهو الذبيح بالدليل القاهر الذي لا يمكن دفعه، وإن كان قد قيل إن

---

(١) المقابسات أبو حيّان التوحيدي ص/١٦٧

الذبيح إسحاق عليهم السلام جميعا. وجاء في ذلك روايات، فما روي في ذلك إن أبراهيم عليه السلام لما أذن للناس بالحج." (١)

"قدمت قدوم البدر بيت سعوده ... وأمرك عال صاعد كصعوده

وقال أيضا: ويروى لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا ... وأسعفنا فيمن نحب ونكرم

فقلت له نعماك فيهم أتمها ... ودع أمرنا إن المهم المقدم

وقال أيضا:

لم يصف الدواء جسمك إلا ... عن صفاء كما يكون الصفاء

فلأعدائك البشاعة منه ... ولك النفع دونهم والشفاء

وقال أيضا:

بدر وشمس ولدا كوكبا ... أقسمت بالله لقد أنجبا

ثلاثة تشرق أنوارها ... لا بدلت من مشرق مغربا

وقال آخر:

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالإياب المسافر

وقال أبو إسحاق الصابئ:

أراني الله أعداءك ... في حال أضاحيكا

وله أيضا:

ومن العجائب أنني هنأته ... وأنا المهنأ فيه بالنعماء

وقال آخر:

ما لسروري بالشك ممتزجا ... حتى كأني أراه في الحلم." (٢)

"وقال آخر:

تلوح نواجزي والكأس تسري ... وأشربها كأني مستطيب

وفوق السر لي جهر ضحوك ... وتحت السر لي جهر كئيب

سأثبت إن تصادمني زماني ... بركنيه كما ثبت النجيب

وأرقب ما تجيء به الليالي ... ففي إتيانه الفرج القريب

وقال آخر:

---

(١) المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية أبو البقاء الحلي ص/٢٨٨

(٢) المنتحل الثعالبي، أبو منصور ص/٢٧

إذا لم يكن للمرء بد من الردى ... فأسهله ما جاء والعيش أنكد

وأصعبه ما جاءه وهو راتع ... تطيف به اللذات والجد مسعد

وقال آخر:

عهدي بشعري وكله غزل ... يرتع فيه السرور والجذل

وقال آخر:

لعمرك ما المكروه إلا ارتقابه ... وأترح مما جاء ما يتوقع

وقال آخر:

ويد البخيل لما استفاد قرارة ... ويد الجواد لما استفاد مسيل

وقال آخر:

ما راح يوم على حي ولا ابتكرا ... إلا رأى عبرة فيه بها اعتبرا

ولا أتت ساعة في الدهر وانصرفت ... حتى تؤثر في أحواله أثرا

وقال آخر:

عمري لقد نصح الزمان وإنه ... لمن العجائب ناصح لا يشفق

وقال آخر:

إني امرؤ قل ما أثني على أحد ... حتى أرى بعض ما يأتي ويذر." (١)

"وقال قتادة: هي عشرة، فزاد: دمشق، وحمص، والأردن، وفلسطين، وقنسرين.

وقال الأصمعي: العراقان البصرة، والكوفة. وسواد البصرة: الأهواز، وفارس.

وسواد الكوفة من كسكر إلى حلوان.

وقد ذكر عن بطليموس الملك أنه أحصى مدن الدنيا في زمانه، فإذا هي أربعة آلاف ومائتا مدينة.

ويقال: بلاد الأندلس مسيرة شهر في مثله يحتوي أربعين مدينة، وبلاد سرنديب مسيرة ثمانين فرسخا في مثلها، وفي بلاد رومية ألف ومائتا كنيسة، وأربعون ألف حمام، وبها سوق للطير فرسخ، ولا يقدر غريب أن يدخلها إلا بدليل، لأن مدخلها دف تقريح، ولا يقف عليها إلا أصلهان، وكذلك عمورية عظيمة، زعموا أن حول سورها ألف عمود ومائتي عمود، وعشرين عمودا فيها رهابين.

وفي القسطنطينية من العجائب سبعة أسوار [١] سمك سورها الكبير إحدى وعشرون ذراعا، وسمك سور الفصيل عشرة أذرع، وسمك الفصيل مما يلي البحر خمسة أذرع، وبينها وبين البحر وجه يكون نحو خمسين ذراعا، في سورها مائة باب.

ومملكة الروم يدخل فيها حدود الصقالبة، ومن جاورهم، والسرير بينه وبين الحزر مسيرة فرسخين. ويقال: كان هذا السرير

---

(١) المنتحل الثعالبي، أبو منصور ص/٢٠٤

لبعض الأكاسرة، وديوان ملك الروم موسوم على مائة ألف رجل، على كل عشرة آلاف بطريق، جزائر الروم خمس: جزيرة قبرص، ودورها مسيرة ستة عشر يوم، وجزيرة أقريطش، ودورها مسيرة خمسة عشر يوما وجزيرة الراهب، وبها يخص الخدم، وجزيرة الفضة، وجزيرة الصقلية، ودورها مسيرة خمسة عشرة يوما، وهي بإزاء أفريقية، والحبشية على بحر القلزم، وبينها وبين المصر مفازة فيها معدن الذهب، ومدينة أصحاب الكهف من عمل الروم، والكهف في جبل بابجلوس، وأما أصحاب الرقيم فبحرية، وهي رستاق بين عمورية وبنتية.

وأما طول بلاد الصين على البحر فمسيرة شهرين بها، وبها ثلاثمائة مدينة كلها عامرة. ويقال ما دخل الصين أحد واشتهى أن يخرج منها سيما بلاد من الصين يدعى الأشبيلا، يكون بها الذهب الكثير.

والهند سبعة أجناس، وهم اثنتان وأربعون ملة، منهم البراهمة.

---

[١] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل، وأضيفت من المرآة ١/ ٧٨.." (١)

"باب ذكر طرف من عجائب ما في الأرض

[١] أنبأنا محمد بن ناصر، قال: أخبرنا عبد الله بن أحمد الكسائي، قال: أخبرنا أبو نصر عبد الوهاب بن عبد الله/ المري، قال: حدثنا عبد الوهاب بن الحسن الكلابي، قال: أخبرنا علي بن محمد بن كاس النخعي، قال: حدثنا خضر بن أبان، قال: حدثنا منصور بن عمار، قال: حدثنا ليث بن سعد، عن عقيل بن خالد، عن شفي بن ماتع، عن عبد الله بن عمرو، قال: **من العجائب** التي وصفت في الدنيا أربع: منارة الإسكندرية، عليها مرآة من حديد يقعد القاعد تحتها قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فيرى من بالقسطنطينية وبينها عرض البحر، وسوداني من نحاس على قضيب من نحاس على الباب الشرقي برومية، فإذا كان أوان الزيتون صفر ذلك السوداني صفرة فلا تبقى سودانية تطير إلا جاءت معها بثلاث زيتونات في رجليها، وزيتونة في منقارها فألقته على ذلك السوداني فيحمله أهل رومية فيعصرون ما يكفيهم لسرجهم وإدامهم إلى العام المقبل.

ورجل من نحاس بأرض اليمن ما بين الشجر مادا يده إلى وراء كأنه يقول: ليس ورائي مذهب ولا مسلك، وهو أرض رجراجة لا تستقر عليها الأقدام، غزاها ذو القرنين في سبعين ألفا، فخرج عليهم نمل كنجاتي، وكانت النملة تخطف الفارس عن سرجه.

وبطة من نحاس بين عمود من نحاس فيما بين الهند والصين بأرض يقال لها كثار، فإذا كان يوم عاشوراء، شربت البطة من الماء حاجتها، ومدت منقارها فيفيض من فيها

---

[١] راجع: مروج الذهب ١/ ٩٧، ١/ ٢٢٢، ٢/ ٣٩٦، ٤٠٩، والروض المعطار ٧٩، وكنز الدرر ١/ ١٨٣، وصورة

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١/١٣٤

الأرض لابن حوقل ٣٣٠/ ٣٣١، ونخبة الدهر ٣٣، ٣٧، وابن خرداذبه ٦٨، والاستبصار ٥٣، ٩٤، وخطط المقريزي ١/ ٣٠ -٤٠.." (١)

"على نفسه، فلما رأى ذلك ذو سرح الملك انصرف بالجمع.

وقد ذكر بعض العلماء في العجائب: أنه بأرض مصر أسطوانتان من بقايا أساطين كانت هناك في رأس كل أسطوانة طوق من نحاس يقطر من إحداهما ماء من تحت الطوق إلى نصف الاسطوانة لا يجاوزه ولا ينقطع قطره ليلا ونهارا وموضعه من الأسطوانة أخضر رطب.

والهرمتان [١] بمصر سمك كل واحد منهما أربعمائة ذراع [٢] طولا في أربعمائة ذراع عرضا كلما ارتفع البناء دق [٣] ، وهما من رخام ومرمر مكتوب عليها طب وسحر وتحت ذلك مكتوب: «إني بنيتها بملكي فمن يدعي قوة في ملكه فليهدمها فإن الهدم أيسر من البناء» .

قال أبو الحسين أحمد بن جعفر: وبلغنا أنهم قدروا فإذا خراج الدنيا مرارا كثيرة لا يقوم بهدمها [٤] .

ويقال إنه ما من بناء بالحجارة أبهى من كنيسة حمص، ولا بناء بالآجر والجص أبهى من إيوان كسرى بالمدائن، ولا منارة أعجب من منارة الإسكندرية، ولا بناء بالحجارة أحكم ولا أبهى من شاذروان تستر لأنها بالصخر وأعمدة الحديد وطاط الرصاص. وأعجب من هذا كله سد ذي القرنين الذي أمده الله لبنائه، وسيأتي ذكره في أخبار ذي القرنين إن شاء الله.

ومن العجائب: [٥] نار بصقلية تجيء بالهند وبالأندلس تشعل في حجارة ولا يمكن أن يوقد منها. وأهل اليمن يمطرون في الصيف، وليس بصقلية نمل.

ومن العجائب: [٦] بيتان وجدا بالأندلس عند فتحها في مدينة الملوك، ففتح أحد

---

[١] في المرآة ١٥/ ١٢١: «والهرمان» .

[٢] في المرآة: «خمسمائة ذراع» .

[٣] في المرآة: «ارتفع البناء دق رأسها حتى يصير يصير مثل مغرس حصير» .

[٤] في المرآة ١/ ١٢١: إنهم قد حسبوا خراج الدنيا مرارا كثيرة لم يف بهدمها.

[٥] مرآة الزمان ١/ ١٢٣.

[٦] مرآة الزمان ١/ ١٢٤.." (٢)

"قال: نعم. فانتفض الطائر انتفاضة ثم انتفخ فبلغ ثلث الحديدة، ثم قال: هل كثرت شهادات الزور في الأرض؟ قال: نعم. فانتفض الطائر ثم انتفخ فبلغ ثلثي الحديدة، ثم قال: يا ذا القرنين: حدثني هل كثرت المعازف في الأرض؟ قال:

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٦٤/١

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٦٦/١

نعم. فانتفض ثم انتفخ فملأ الحديدة وسد ما بين جداري القصر، فاجتث [١] ذو القرنين فرحا، فقال الطائر: هل ترك الناس شهادة أن لا إله إلا الله؟ قال: لا، فانضم الطائر ثلثا ثم قال: هل تركت الصلاة المفروضة؟ قال: لا، فانضم الطائر ثلثا، ثم قال: هل ترك الناس غسل الجنابة، قال: لا، فعاد الطائر كما كان ثم قال: يا ذا القرنين اسلك هذه الدرجة إلى أعلى القصر، فسلكها فإذا سطح وعليه رجل قائم، فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال: من هذا؟ قال: أنا ذو القرنين، قال: يا ذا القرنين أما كفاك ما وراءك حتى وصلت إلي؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا صاحب الصور، وإن الساعة اقتربت وأنا أنتظر أمر ربي أن انفخ فأنفخ. ثم ناوله حجرا، فقال: خذها فإن شبع شبعت وإن جاع جعت، فرجع به إلى أصحابه فوضعوا الحجر في كفه ووضعوا حجرا آخر مقابله، فإذا به يميل، فتركوا آخر كذلك إلى ألف حجر، فمال ذلك الحجر بالكل. فأخذ الخضر [كفا من تراب] [٢] وتركه في إحدى الكفتين وأخذ حجرا من تلك الحجارة فوضعه في الكفة الأخرى وترك معه كفا من تراب فوضعه على الحجر الذي جاء به ذو القرنين، فاستوى في الميزان، فقال الخضر: هذا مثل ضرب لكم إن ابن آدم لا يشبع أبدا دون أن يحثى عليه التراب كما لم يشبع هذا الحجر حتى وضعت عليه التراب. قال: صدقت يا خضر لا جرم، لا طلبت أثرا في البلاد بعد مسيري هذا، فارتحل راجعا حتى إذا كان في وسط الظلمة وطئ الوادي الذي فيه زبرجد، فقال من معه: ما هذا الذي تحتنا؟ فقال ذو القرنين: خذوا منه، فإنه من أخذ ندم ومن ترك ندم. فأخذ قوم وترك قوم، فلما خرجوا من الظلمة إذا هو بزبرجد، فندم الآخذ والتارك. ثم رجع ذو القرنين إلى دومة الجندل وكانت منزله فأقام بها حتى مات [٣] .

---

[١] في المرآة: «ففزع» .

[٢] ما بين المعقوفتين: من هامش الأصل.

[٣] بعد أن نقل سبط بن الجوزي هذا الخبر في المرآة ١/ ٣٣١، قال: «**ومن العجائب** أن جدي رحمه الله ما ذكر في الموضوعات هذه الحكاية، فإنه قد ذكر في الموضوعات والواهية أسماء جماعة فيها مثل." (١)

"ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائتين

فمن الحوادث فيها:

أن المعتضد دخل من متنزهه ببرازالروز إلى بغداد وأمر ببناء قصر في موضع اختاره من براز الروز، فحملت إليه الآلات، وابتدئ بعمله.

وفى شهر ربيع الأول غلظ أمر القرامطة بالبحرين، وأغاروا على نواحي هجر، وقرب بعضهم من نواحي البصرة فوجه [أمير المؤمنين] [١] المعتضد إليهم جيشا.

وفى شهر ربيع الآخر ولى المعتضد عباس بن عمرو الغنوي اليمامة والبحرين، ومحاربة أبي سعيد القرمطي [٢] ، وضم إليه زهاء ألفي رجل، فسار نحو القرامطة فاقتتلوا، فأسر العباس، وقتل أصحابه، فانزعج أهل البصرة وهموا بالجلاء عنها ثم اطلق

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٩٢/١

العباس.

ومن العجائب انه كان مع العباس عشرة آلاف في محاربة أبي سعيد القرمطي فقبض عليهم أبو سعيد فنجا/ العباس وحده وقتل الباقون، وان عمرو بن الليث مضى في خمسين ألفا إلى محاربة إسماعيل بن أحمد، فأخذ [هو] [٣] ونجا الباقون.

ولإحدى عشرة ليلة خلت من رجب، ولي حامد بن العباس الخراج والضياع بفارس، وكانت في يد عمرو بن الليث، ودفعت كتبه بالولاية إلى أخيه أحمد بن

---

[١] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل، ت، ص.

[٢] في ك: «ومحاربة القرمطي» .

[٣] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل، ت.." (١)

"قال أبو بكر الصولي: **ومن العجائب** التي رأيتها أنا كنا نبكر لعيادة القاسم بن عبيد الله كل يوم، فدخلنا يوم الأربعاء الذي توفي فيه إلى داره، فرأينا ابنيه [١] : أبا علي، وأبا جعفر قد خرجا، فقام الناس إليهما، ودنا العباس بن الحسن فقبل يديهما فمات القاسم في بقية اليوم، وخوطب العباس بالوزارة فرأيته بعد العصر [٢] [و] قد صار إلى دار القاسم، فخرج الولدان جميعا، فقبلا يده، وكان الحاصل من ضياع القاسم في كل سنة سبعمائة ألف دينار.

١٩٨٤- محمد بن أحمد بن البراء بن المبارك، أبو الحسن العبدي [٣] :

سمع خلف بن هشام، وعلي بن المديني، وأحمد بن إبراهيم الدورقي، وغيرهم. وكان ثقة صدوقا.

أخبرنا أبو منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، أخبرنا أبو العلاء الواسطي. حدثنا محمد بن أحمد بن حماد الكوفي، حدثنا الحسن بن إسماعيل الكندي، قال: حدثني [٤] أبو جعفر بن البراء، قال: اتصل بعمي أبي الحسن عن القاضي إسماعيل بن إسحاق شيء، فعزم إسماعيل على الركوب إليه، فبادره عمي أبو الحسن بالركوب، فلما دخل عليه أنشأ يقول:

صفحت برغمي عنك صفح ضرورة/ ... [إليك وفي قلبي ندوب من العتب] [٥]

فأجابه إسماعيل [يقول] [٦] :

ولا زال بي شوق إليك مبرح ... يذلل مني كل ممتنع صعب

توفي أبو الحسن بن البراء في شوال هذه السنة.

---

[١] في ص: «التي توفي فيها إلى داره، فرأينا ابنيه» . وفي ك: «الذي توفي فيه فرأينا ابنيه» .

[٢] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت.

[٣] انظر ترجمته في: (تاريخ بغداد ١/ ٢٨١. وشذرات الذهب ٢/ ٢٠٨) .

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٤١١/١٢

[٤] «أخبرنا أبو منصور القزاز ... قال حدثني» هذه العبارة ساقطة من ص.

[٥] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت.

[٦] في ت: «فأجابه عمي» . وما بين المعقوفتين ساقط من ت.." (١)

"فشاهد ما هاله، وكانت الستور ثمانية وثلاثين ألف ستر، والديباج المذهب منها اثنا عشر ألفا وخمسمائة وكانت البسط اثنين وعشرين ألفا، وكان في الدار من الوحش قطعان تأنس بالناس وتأكل من أيديهم، وكان هناك مائة سبع كل سبع بيد سباع، ثم أخرج إلى دار الشجرة، وكانت شجرة في وسط بركة فيها ماء صاف، والشجرة ثمانية عشر غصنا، لكل غصن منها شاخات كثيرة عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة، وأكثر قضبان الشجرة فضة وبعضها مذهب [١] ، وهي تتمايل، ولها ورق مختلف الألوان، وكل [شيء] [٢] من هذه الطيور يصفر، ثم أدخل إلى الفردوس، وكان فيه من الفرش والآلات ما لا يحصى، وفى دهاليزه عشرة آلاف جوشن مذهبة معلقة، ويطول شرح ما شاهد الرسول [٣] **من العجائب**، إلى أن وصل إلى المقتدر وهو جالس على سرير من آبنوس قد فرش بالدبيقي المطرز، وعن يمنة السرير تسعة عقود معلقة، وعن يسرته تسعة أخرى من أفخر الجواهر، يعلو ضوؤها [٤] على ضوء النهار، فلما وصل الرسولان إلى الخليفة وقفا [٥] عنده على نحو مائة ذراع، وعلي بن محمد بن الفرات قائم بين يديه، والترجمان واقف يخاطب ابن الفرات، وابن الفرات يخاطب الخليفة، ثم أخرجا وطيف بهما في الدار حتى أخرجا إلى دجلة، وقد أقيمت على الشطوط الفيلة مزينة والزرافة والسباع والفهود، ثم خلع عليهما وحمل إليهما خمسون [سقروقا في كل سقروق] بدرة عشرة آلاف [٦] درهم.

وورد من مرو كتاب على السلطان أن نفرا عثروا من سور مدينة مرو على نقب،

---

[١] في ك: «وبعضها ذهب» .

[٢] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت.

[٣] في ك: «ويطول شرح ما رأى» .

[٤] في ت: «فغلب ضوؤها» . وفي ك: «يغلب ضوؤها» .

[٥] في ت، ك: «وقف منه» .

[٦] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت. وجاء فيها: «حمل إليهما خمسون بدرة ورقاء في كل بدرة خمسة آلاف درهم» . وفي ك: «سقروقا في كل واحد خمسة آلاف» .." (٢)

"منهم من خلفه ضربة سقط منها إلى الأرض، فقال: أنا الخليفة، فقال البربري: لك أطلب [١] ، وأضجعه فذبحه بالسيف، ورفع رأس المقتدر على سيف، ثم على خشبة، وسلب ثيابه حتى مر به بعض الأكرة [٢] ، فستره بحشيش ثم

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٨/١٣

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٧٥/١٣

حفر له في الموضع، ودفنت جثته دون رأسه [٣] ، وذلك برقة الشماسية [٤] مما يلي قرية يحيى، وكان المقتدر قد أتلف [٥] نيفا وسبعين ألف ألف دينار [٦] ، وذلك أكثر مما جمعه [٧] هارون الرشيد، وحمل رأسه إلى مؤنس، وكان سنه يومئذ ثمانيا وثلاثين سنة وشهرا وخمسة أيام، وكان قتله في الساعة الرابعة يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال هذه السنة، وكانت خلافته أربعا وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما، من جملتها يومان وثلاث ليال خلع فيها من الخلافة ثم أعيد.

قال أبو بكر الصولي: عاش المقتدر في الخلافة أكثر مما عاش الخلفاء قبله، فإن المعمرين من الخلفاء [قبله] [٨] معاوية، وعبد الملك، وهشام، والمنصور، والرشيد، والمأمون، والمعتمد، وزاد هو عليهم [٩] ، ثم كلهم ماتوا على فرشهم، وختم له بالشهادة.

ومن العجائب أنه لم يل الخلافة من اسمه جعفر ويكنى أبا الفضل إلا هو، والمتوكل. وقتل هو يوم الأربعاء، والمتوكل ليلة الأربعاء.

٢٣١١- الحسن بن الربيع، أبو علي البجلي [١٠] :

من أهل الكوفة [١١] . سمع حماد بن زيد، وابن المبارك، وابن إدريس وغيرهم.

---

[١] في ت: «فقال له البريدي لك أطلب» . وفي ك: «فقال له البربري لك الطلب» .

[٢] في ت: «مر به بعض الأكراد» .

[٣] في ت: «ودفنت جسده دون رأسه» .

[٤] في ت: «وذلك بالشماسية» .

[٥] في ك، ت: «وكان المقتدر قد جمع» .

[٦] في ت: «نيفا وتسعين ألف ألف دينار» .

[٧] في ص، ب: «وخلف أكثر مما جمعه» .

[٨] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت.

[٩] في ص، ل: «وزاد عليهم» .

[١٠] انظر ترجمته في: (تاريخ بغداد ٧/ ٣٠٧) .

[١١] «من أهل الكوفة» : ساقطة من ص، ل.." (١)

"ثم دخلت سنة اربع وعشرين وثلاثمائة [١]

فمن الحوادث فيها:

أن الجند أحدقوا بدار الخلافة وضربوا خيمهم فيها وحولها وملكوها، وطولب الراضي بأن يخرج فيصلي بالناس ليراه الناس معهم، فخرج وصلى، وقال في خطبته:

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٣٠٩/١٣

اللهم ان هؤلاء الغلمان بطانتي وظهارتي فمن أراده بسوء فأرده، ومن كادهم بكيد فكده. وقبض الغلمان على الوزير وسألوا الخليفة أن يستوزر غيره، فرد الخيار إليهم، وقالوا: علي بن عيسى، فاستحضره وعرضت عليه الوزارة فأبى وأشار بأخيه أبي علي عبد الرحمن بن عيسى، [فقلد الوزارة وخلع عليه.

واحترقت دار ابن مقلة وحمل إلى دار عبد الرحمن بن عيسى] [٢] ، فضرب حتى صار جسمه كأنه الباذنجان [٣] . [وأخذ خطه بألف ألف دينار، ثم عجز عبد الرحمن بن عيسى] [٤] عن تمشية الأمور، وضاق الحال فاستعفى، فقبض عليه لسبع خلون من رجب، فكانت وزارته خمسين يوما [٥] ، وقلد الوزارة أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخي، ثم عزل، وقلد سليمان بن الحسن وكان هذا كله من عمل الأتراك والغلمان.

ومن العجائب: أن دار ابن مقلة احترقت في مثل اليوم الذي أمر فيه بإحراق دار

---

[١] من هنا تبدأ نسخة بلدية الإسكندرية، ويكون رمزها (س) .

[٢] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت.

[٣] في ت: «حتى صار جسمه كلون الباذنجان» .

[٤] «ابن عيسى» : ساقطة من ص، ل. وما بين المعقوفتين: ساقط من ت.

[٥] في ك، ص، والمطبوعة: «فكانت خمسين يوما» .." (١)

"ثم سأل أهله تسليمه إليهم فنبش وسلم إليهم. فدفنه ابنه أبو الحسين في داره، ثم نبشته زوجته المعروفة بالدينارية ودفنته في دارها.

ومن العجائب أنه تقلد الوزارة ثلاث دفعات، وسافر في عمره [١] ثلاث مرات واحدة إلى الموصل، واثنتين [في النفي] [٢] إلى شيراز، ودفن بعد موته ثلاث مرات في ثلاث مواضع.

٢٤٢٧- محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن بيان [٣] بن سماعة بن فروة بن قطن ابن دعامة، أبو بكر [ابن] [٤] الأنباري:

ولد يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة إحدى وسبعين ومائتين وسمع إسماعيل بن إسحاق القاضي، والكديمي، وثعلبا، وغيرهم. وكان صدوقا فاضلا دينا من أهل السنة، وكان من أعلم الناس بالنحو والأدب، وأكثرهم حفظا له، وصنف كتبا كثيرة في علوم القرآن، وغريب الحديث، وغير ذلك وذكر عنه أنه كان يحفظ ثلاثمائة ألف بيت من الشواهد في القرآن، وكتب عنه وأبوه حي.

أنبأنا محمد بن عبد الباقي، أنبأنا علي [٥] بن أبي على البصري. عن أبيه، قال:

أخبرني غير واحد ممن شاهد أبا بكر ابن الأنباري [أنه كان] [٦] يملي من حفظه لا من

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٣٥٦/١٣

[١] «في عمره» : ساقطة من ل، ص.

[٢] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت.

[٣] في ت: «ابن بشار بن بيان» .

[٤] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت.

وانظر ترجمته في: (البداية والنهاية ١١/ ١٩٦، ووفيات الأعيان ١/ ٥٠٣، ونزهة الألباء ٣٣٠، وشذرات الذهب ٢/ ٣١٥، ٣١٦. وبغية الوعاة ٩١، وتذكرة الحفاظ ٨٤٢، وغاية النهاية ٢/ ٢٣٠، وإنباه الرواة ٢/ ٢٠١، وتاريخ بغداد ٣/ ١٨١، وروضات الجنان ٦٠٨، وطبقات القراء لابن الجزري ٢/ ٢٣٠، وطبقات القراء للذهبي ١/ ٢٢٥، وطبقات النحاة ١/ ١٢٠، والعبر ٢/ ٢١٤، والفهرست ٧٥، ومرآة الجنان ٢/ ٢٩٤، ومعجم الأدباء ٧/ ٣٧، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٦٩، ونزهة الألباء ٢٦٤، والوافي بالوفيات ٤/ ٣٤٤، وطبقات المفسرين للداودي ٥٦٢، وطبقات الحنابلة ٢/ ٦٩، وآداب اللغة ٢/ ١٨٢، وتاريخ بغداد ٣/ ١٨١، ودائرة المعارف الإسلامية ٣/ ٥، والأعلام ٦/ ٣٣٤) .

[٥] في ت: «قال أخبرنا علي» .

[٦] ما بين المعقوفتين: ساقط من ت.." (١)

"فما] [١] تقول في السباع التي لا طعام لها إلا لحوم الحيوان، فإن كان الخالق الذي دبر ذلك فما أنت بأرأف منه، وإن كانت الطبائع المحدثة لذلك، فما أنت بأحذق منها ولا أنقص عملا منك.

قال المصنف رحمه الله: وقد كان يمكنه أن لا يذبح رحمة، فأما ما قد ذبحه غيره فأي رحمة قد بقيت في ترك أكله، وكانت أحواله تدل على اختلاف عقيدته.

وقد حكى/ لنا عن أبي زكريا أنه قال: قال لي المعري: ما الذي تعتقد؟ فقلت ١٢/ ب في نفسي: اليوم أعرف اعتقاده. فقلت: ما أنا إلا شاك. فقال: هكذا [٢] شيخك. وكان ظاهر أمره يدل أنه يميل إلى مذهب البراهمة، فإنهم لا يرون ذبح الحيوان، ويجحدون الرسل وقد رماه جماعة من أهل العلم [٣] بالزندقة والإلحاد، وذلك أمره ظاهر في كلامه وأشعاره، وأنه يرد على الرسل ويعيب الشرائع، ويجحد البعث.

ونقلت من خط أبي الوفاء ابن عقيل أنه قال: **من العجائب** أن المعري أظهر ما أظهر من الكفر البارد الذي لا يبلغ منه مبلغ شبهات الملحدين، بل قصر فيه كل التقصير، وسقط من عيون الكل، ثم اعتذر بأن لقوله باطنا، وأنه مسلم في الباطن، فلا عقل له ولا دين، لأنه تظاهر بالكفر وزعم أنه مسلم في الباطن، وهذا عكس قضايا المنافقين والزنادقة، حيث تظاهروا بالإسلام وأبطنوا الكفر، فهل كان في بلاد الكفار حتى يحتاج إلى أن يبطن الإسلام، فلا أسخف عقلا ممن سلك هذه الطريقة التي هي أخس من طريقة الزنادقة والمنافقين، إذا كان المتدين يطلب نجاة الآخرة، والزنديق يطلب النجاة في الدنيا، وهو جعل نفسه عرضة لإهلاكها [٤] في الدنيا حين طعن في الإسلام في بلاد الإسلام، وأبطن الكفر، وأهلك نفسه في

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٣/٣٩٧

المعاد، فلا عقل له ولا دين.

---

[١] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٢] في ص: «هذا» .

[٣] في ص: «من العلماء» .

[٤] في ص: «إذا كان المتدين يطلب نجاة الآخرة لا هلاكها في الدنيا» .

وفي ت: «إذا كان المتدين يطلب النجاة في الدنيا وقد جعل نفسه عرضة لإهلاكها ... » .." (١)

"دنانير قد أعدها للصدقة فسقط أحدها، فقال ابن رضوان: خذه ولن أقطعك إياه كل سنة ما دمت حيا.

ومن العجائب: ما ذكره هبة الله بن المبارك السقطي قال: توفي الأجل أبو منصور بن يوسف فورث عنه ابناه ثلاثين ألف دينار، فتزوجا بابنتي [١] علي بن جردة، وقد ورثتا عن أبيهما ثلاثين ألف دينار عقارا وعينا فانفق الجماعة ذلك في أيسر زمان، حتى ظل قوم منهم يتكففون [٢] الناس.

٣٣٩٥- أبو جعفر الطوسي

[٣] .

فقيه الشيعة، توفي بمشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

[١] في ص: «فتروجها بابنتين» .

[٢] في الأصل: «مكففون» .

[٣] انظر ترجمته في: (البداية والنهاية ١٢/ ٩٧. وطبقات السبكي ٣/ ٥١. وروضات الجنات للموسوي ٥٨٠. والذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢/ ١٤، ٢٦٩، ٤٨٦، ٣/ ٣٢٨، ٥/ ١٤٥. والأعلام ٦/ ٨٤.

والكامل ٨/ ٣٨٢) .." (٢)

"هذا الطرق/ تغير الهواء بريح الغلات ونتن الأشياء الغريقة، وتولى نقيب النقباء القورج. ٧٨/ ب **ومن العجائب**: أن أسافل دجلة وواسط كانت تغرق من دون هذه الزيادة، فما تجاوز هذا الأمر بغداد، وكان الناس يظنون أن السمك يكثر بهذا الماء، فصار كالمعدوم، وزرع الناس البطيخ والقثاء فداد [١] حتى كان الناس إذا مروا بالقراح أمسكوا على الأنف.

وزاد في هذا الوقت جيحون حتى ذهب ماؤه أربع فراسخ، وتعذر الصناع حتى كان النساء يضربن اللبن.

ودخل في هذه الأيام مؤيد الملك أبو بكر بن نظام الملك لأجل تزوجه بابنة أبي القاسم بن رضوان البيع، ونزل في دار حموه بباب المراتب، فلم يكن للناس طريق إلى تلقيه، فأخذ في نفسه من ذلك، فبعث الخليفة إليه من طيب قلبه، وأقام العذر،

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٣/١٦

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١١٠/١٦

وحمل له خلعا، وأذن له في الركوب بباب المراتب عن سؤال تكرر منه، فلبس الخلع ومضى إلى بيت النوبة، وتلقاه الوزير تلقيا لم تجر به عادة تطييبا لقلبه، وانصرف إلى دار بناها والده مع المدرسة، فمضى الوزير إليه من غد في موكب.

وفي شعبان: وقعت الفتنة بين القلائين والكرخ، وجعلوا يشتمون الشحنة ومن قلده، فعبر إليهم، وقتل منهم وأحرق أماكن.

وفي ليلة الأربعاء سادس عشر ذي الحجة: ظهر في السماء برق كثير في جميع الأوقات، واسودت السماء بالغيم، وهبت بالليل ريح رمت عدة من الستر، / وجاء معها تراب كثير ورمل، وسقط من أعمال البصرة نحو من خمسة آلاف نخلة.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

٣٤٣٣- أحمد بن محمد بن أحمد، أبو الحسن [٢] السمناني القاضي، حمو قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني [٣].

---

[١] في ص: «فدان» .

[٢] في ت: «أبو الحسين» .

[٣] انظر ترجمته في: (البداية والنهاية ١٢/ ١٠٩. والكامل ٨/ ٤٠٤) .." (١)

"٩/ أبعد الإفطار، فأخذ الجارح وأقر على رجلين سجزيين أنهما أعطياه مائة دينار/ ليقتله، فقتل وقررا فاعترفا، فضربا فلم يقرا على من أمرهما بذلك، [وعذبا بأنواع العذاب فلم يذكرا من [١] وضعهما] فترك أحدهما تحت يد الفيل فقال: خلصوني حتى أقر بالحال.

فلما خلى التفت إلى رفيقه فقال له: يا أخي، لا بد من هذه القتلة فلا تفضح أهل سجستان بإفشاء الأسرار، فقتلا وبعث يمن الخادم إلى السلطان مهنئا له بالسلامة.

وفي ذي القعدة: خرج أبو حامد الغزالي من بغداد متوجها إلى بيت المقدس تاركا للتدريس في النظامية، زاهدا في ذلك، لابسا خشن الثياب بعد ناعمها، وناب عنه أخوه في التدريس، وعاد في السنة الثالثة من خروجه وقد صنف كتاب «الإحياء» فكان يجتمع إليه الخلق الكثير كل يوم في الرباط فيسمعونه منه، ثم حج في سنة تسعين، ثم عاد إلى بلده.

وفي يوم عرفة: خلع على القاضي أبي الفرج عبد الوهاب بن هبة الله السيبي، ولقب بشرف القضاة، ورد إليه ولاية القضاء بالحريم وغيره.

وفي هذه السنة: اصطلح أهل الكرخ مع بقية المحال، وتزاوروا وتواكلوا وتشاربوا، وكان هذا **من العجائب**.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

٣٦٤٧- أحمد بن الحسن بن أحمد بن خيرون، أبو الفضل الباقلاوي [٢]:

ولد لثلاث بقين من جمادي الآخرة سنة ست وأربعمائة، وسمع الحديث الكثير وكتبه، وله به معرفة حسنة، روى عنه أبو

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٥٧/١٦

بكر الخطيب، وحدثنا عنه أشياخنا، وكان من الثقات، / وشهد عند أبي عبد الله الدامغاني، ثم صار أمينا له، ثم ولي إشراف خزانة

---

[١] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.

[٢] انظر ترجمته في: (البداية والنهاية ١٢/ ١٤٩، وفيه: «الحسن بن أحمد بن خيرون أبو الفضل، المعروف بالباقلاني» ، وتذكرة الحفاظ ١٢٠٧: ١٢٠٩، وفيهما: «الباقلاني ... ، وشذرات الذهب ٣/ ٣٨٣، والكامل ٨/ ٥٠٧) .." (١)

"ولد سنة اثنتي عشرة وأربعمائة، وسافر الكثير، ووصل إلى بلاد المغرب، وسمع الحديث الكثير من ابن بشران، وابن شاذان، وخلق كثير، وحدثنا عنه أشياخنا. وتوفي في شعبان، ودفن في مقابر الشهداء.

٣٦٨٤- إبراهيم بن مسعود، بن محمود بن سبكتكين

[١] :

قد ذكرنا حالة محمود بن سبكتكين في أيام القادر بالله، ولما مات ملك مكانه ابنه مسعود، ثم أخذ واعتقل، وآل الأمر إلى إبراهيم، فملك. فحكى أبو الحسن الطبري الفقيه الملقب بالكيا قال: أرسلني إليه السلطان بركيارق، فرأيت في مملكته ما لا يتأتى وصفه، فدخلت عليه وهو جالس في طارمة عظيمة بقدر رواق المدرسة النظامية، وباب فضة بيضاء بطول قامة الرجل [٢] وفوق ذلك إلى السقف صفائح الذهب الأحمر، وعلى باب الطارمة الستور التنيسي، وللمكان شعاع يأخذ بالبصر عند طلوع الشمس عليه، وكان تحته سرير ملبس بصفائح الذهب، وحواليه التماثيل المرصعة من الجوهر واليواقيت، فسلمت عليه وتركت بين يديه هدية كانت معي، فقال: نتبرك بما يهديه العلماء. ثم أمر خادمه أن يطوف بي في داره [٣] ، فدخلنا إلى خركاه عظيمة قد ألبست قوائمها من الذهب، وفيها من الجواهر واليواقيت شيء كثير، وفي وسطها سرير من العود الهندي، وتمثال طيور بحركات، إذا جلس الملك صفقت بأجنحتها، إلى غير ذلك **من العجائب**، فلما عدت رويت له الخبر/ عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لمناديل سعد بن معاذ في ٢١/ أالجنة أحسن من هذا [٤] » . فبكى. قال: وبلغني أنه كان لا يبني لنفسه منزلا حتى يبنى لله مسجدا أو مدرسة.

توفي في رجب هذه السنة وقد جاوز السبعين، وملك فيها اثنتين وأربعين سنة.

---

[١] انظر ترجمته في: (البداية والنهاية ١٢/ ١٥٧) .

[٢] «النظامية ... قامة الرجل» : ساقطة من ص.

[٣] في الأصل: «أن يطروني في داره» .

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٨/١٧

[٤] الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه في الأيمان النذور، الباب ٣، حديث ١٣، والمناقب، الباب ٧٢، ومسلم في الصحيح في الفضائل، الباب ٧٠، حديث ٤، ٥، ٦.." (١)

"وله:

إنما هذه الدنيا متاع [١] ... والسفيه الغوي من يصطفيها

ما مضى فات والمؤمل غيب ... ولك الساعة التي أنت فيها

وله من قصيدة:

ليت الذي بالعشق دونك خصني ... يا ظالمي قسم المحبة بيننا

ألقى الهزبر فلا أخاف وثوبه [٢] ... ويروعني نظر الغزال إذا رنا

وله:

وقالوا بع فؤادك حين تهوى ... لعلك تشتري قلبا جديدا

إذا كان القديم هو المصافي ... وخان فكيف ائتمن الجديدا

وترك قول الشعر وغسل كثيرا منه، وقال:

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة ... باب البواعث والدواعي مغلق

خلت البلاد فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب أنه لا يشترى ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق

خرج الغزي من مرو إلى بلخ، فتوفي في الطريق فحمل إلى بلخ فدفن بها، وكان يقول: إني لأرجو أن يعفو الله عني ويرحمني لأني شيخ مسن قد جاوزت السبعين، ولأني من بلد الإمام الشافعي.

وكان موته في هذه السنة حقق الله رجاءه.

٣٩٥٩- الآمر بالله خليفة مصر

: [٣]

١١١/ ب هجم عليه عشرة [غلمان] [٤] من غلمان/ الأفضل الذي كان من قبله فقتلوه في ثاني ذي القعدة من هذه السنة.

---

[١] في ص، ط: «إنما هذه الحياة متاع» .

[٢] في الأصل: «فلا أخاف نيويه» .

[٣] في الأصل: «قال الناسخ: هكذا وجدته ها هنا، وإنما وجدته في غير هذا التاريخ الآمر بأحكام الله، وهو الأليق، والله

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٤٩/١٧

أعلم» . وانظر ترجمته في: (الكامل ٩/ ٢٥٥) .

[٤] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.." (١)

"٤٠٠١- هبة الله بن عبد الله بن أحمد عبد الله، أبو القاسم الواسطي الشروطي

[١] :

من أهل الكرخ، ولد سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة، سمع أبا الغنائم بن المأمون، وأبا الحسين بن المهتدي، وأبا جعفر ابن المسلمة، وأبا بكر الخطيب، وكان ثقة صالحا فاضلا عالما مكثرا مقبلا على ما يعنيه.

توفي في ذي الحجة من هذه السنة.

٤٠٠٢- أم المسترشد بالله

[٢] :

توفيت وقت العتمة ليلة الاثنين تاسع عشر شوال هذه السنة، وأخرجت ليلا فدفنت في الرصافة [٣] .

/ ١٢٧ أومن العجائب أنه نفذ تلك الليلة/ إلى أبي القاسم بن السياف في معنى حاجة لأجل الميتة فنفذ معهم ابنا له صغيرا ليعطيهم حاجتهم، فدخلوا ومعهم نقاط فوقع من النفط في أعدال قطن فاحترقت، وحصل الصبي في الخزانة وحده، وأحاطت به النار فلم يجد محيصا فاحترق.

---

[١] انظر ترجمته في: (شذرات الذهب ٤/ ٨٦، وفيه: «هبة الله بن أحمد الواسطي الشروطي») .

[٢] في ت: «ومن العجائب بالله» وكتب فوق كلمة العجائب (ح) .

وانظر ترجمته في: (البداية والنهاية ١٢/ ٢٠٧، والكامل ٩/ ٢٧٩) .

[٣] في ت: «في الرصافة. أم المسترشد أنه نفذ» . وكتب فوق «المسترشد» (م) .." (٢)

"وعملت عملة عظيمة بباب الأزج أخذ فيها شيء بألوف دنانير، وكانت خبازة تخبز لأولئك القوم، فحدثت ابنها بمالهم الكثير فحدث ذلك الرجل رفقة له من العيارين، فجاءوا في الليل فنقلوا ما في الدار فقالت صاحبة الدار لأمها: لما خرجوا نحمد الله إذ لم يدخلوا العرضي فإن فيه الحبوب والأمتعة، فسمعوا فعادوا ودخلوا وأخذوا ذلك، وقالوا: لا تتهموا أحدا نحن الحماة بالموضع الفلاني، فسمع الجيران ومضوا فأخذ الشحنة أقواما من أولئك فصلبهم على جذوع، ثم أخذ منهم أموالا وحطهم في عافية.

وفي ليلة الثلاثين: لم ير الهلال، وكانت السماء مصحية فأصبح الناس صائمين لتمام ثلاثين يوما، فلما كانت ليلة إحدى وثلاثين لم ير الهلال أيضا وكانت السماء جلية صاحية، ومثل هذا لا يعرف فيما مر من التواريخ.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٥٨/١٧

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٢٩٠/١٧

ومن العجائب أن ثلاثة من العيارين وقفوا في طريق الظفرية ليلا، فمر بهم أبو العز الحمامي فأخذوا ثيابه ثم تطلبوا وأخذ منهم اثنان، فلما كان بعد يومين جاء الثالث [هاربا] [١] من الرجالة، فدخل الحمام الذي فيه أبو العز الذي أخذت ثيابه فخلع الثياب على الفرند وهي قميصان وخشية فرآها الحمامي فعرفها فدخل إليه، وقال له: من أين لك هذه الثياب؟ فأقر أنه أخذها منه تلك الليلة، فنفذ إلى المستخدمين فأخذوه ولم يجدوا كتافا ففتشوا جيبه لعلهم يجدون شيئا من الذهب، فوجدوا حبلا مهيأ للكتاف فكتفوه.

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

٤٠٢٢-[أحمد بن بركة بن يحيى البقال

[٢] :

سمع أبا القاسم بن اليسري وعاصما وغيرها، وكان سماعه صحيحا، وحدث، وتوفي ليلة الأربعاء تاسع عشر شعبان ودفن بالوردية] .

٤٠٢٣- أحمد بن محمد بن ثابت بن الحسن بن علي، أبو سعد الخجندي

[٣] :

---

[١] ما بين المعقوفتين: ساقط من الأصل.

[٢] هذه الترجمة ساقطة من جميع النسخ، وأوردناه من ت.

[٣] في الأصل: «أبو مسعود الحجري» . وانظر ترجمته في: (البداية والنهاية ١٢/ ٢١١، والكامل ٩/ ٣٠٠) .." (١)

"الخليفة مملوكا يقال له قيماز العمادي في جماعة يطلبونهما فهربا ثم انضافا إلى ملك شاه فأدركهم الجوع والوفر فهلك أكثرهم ثم خرج الخليفة في شعبان فبات في ٦١/ أداره/ بالحريم الطاهري ثم سار إلى دجيل فأقام بها أياما ثم عاد إلى بغداد وخرج يوم العيد الموكب بتجمل وزي لم ير مثله من الخيل والتجافيف والأعلام وكثرة الجند والأمراء.

وفي يوم الجمعة العشرين من شوال: وقع ببغداد مطر كان فيه برد مثل البيض وأكبر على صور مختلفة وفيه برد مضرس ودام ساعة وكسر أشياء كثيرة.

وفيها: غرق رجل بنتا له صغيرة، فأخذ وحبس.

قال المصنف: وحججت في هذه السنة فتكلمت في الحرم نوبتين، فلما دخلنا المدينة وزرنا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لنا: إن العرب قد قعدوا على الطريق يرصدون الحاج، فحملنا الدليل على طريق خيبر فرأيت فيها العجائب من الجبال وغيرها [١] .

ذكر من توفي في هذه السنة من الأكابر

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٣٢٤/١٧

٤٢٢٣- أبو إسحاق بن المستظهر، أخو المقتفي لأمر الله
. [٢]
توفي في نصف محرم وحمل إلى الترب بالرصافة ومضى معه الوزير وأرباب الدولة واغتم عليه المقتفي غما كثيرا وجلسوا للعزاء به في بيت النوبة يومين وخرج التوقيع بإقامتهم من العزاء ثم ماتت بعد يومين امه وهي جهة من جهات ٦١/ ب المستظهر/ وحملت إلى الترب ومضى معها الموكب سوى الوزير ودفنت عنده في التربة الجديدة التي أنشأها المقتفي.
٤٢٢٤- عبد الجليل بن محمد بن عبد الواحد الأصفهاني، أبو مسعود [٣] الحافظ.

[١] في ص، ط: «فرأيت فيها من الجبال وغيرها من العجائب» .
[٢] في ت: «ابن المستظهر بالله» .
[٣] في الأصل: «ابن عبد الواحد الاصفرناني» .
وانظر ترجمته في: (شذرات الذهب ٤/ ١٦٧) .." (١)

"مواضع وهدم فيها دور كثيرة وملأ السراديب وانتقل جماعة من الخدم إلى دور في الحريم وامتلأت الصحاري وعبر خلق كثير إلى الكرخ وتقطر السور وانفتحت فيه فتحات وكان الناس يعالجون الفتحة فإذا سدوها انفتحت أخرى وكثر الضجيج والدعاء والابتهال إلى الله سبحانه وتعالى وغلا الخبز وفقد الشوك وأخذ أصحاب السلطان يقاوون القورج ويجتهدون في سده وأقاموا القنا وفي أسافله الحديد في الماء ونقلوا حطبا زائدا عن الحد والماء يغلبهم على جميع ذلك [١] / إلى أن سده سكار [٢] حاذق في سابع شوال. ١٠٣/ أواسكر جانب السور لئلا يتمقطر وأقام الماء خلف السور نحوا من شهر ونصب على الخندق الذي خلف السور جسر يعبر الناس عليه من القرى إلى بغداد.
وجاءت في هذه الأيام أكلاك من الموصل فتاهت في الماء حتى بيع ما عليها بعقوبا بثمن طفيف وأخبر أهلها بما تهدم من المنازل بالأمطار في الموصل وقالوا اتصلت عندنا الأمطار أربعة أشهر فهدمت نحو ألفي دار وكانوا يهدمون الدار إذا خيف وقوعها فهدموا أكثر مما هدم المطر وكانت الدار تقع على ساكنيها فيهلك الكل ثم زادت الفرات زيادة كثيرة وفاضت على سكر عندها يقال له سكر قنين وجاء الماء فأهلك من القرى والمزارع الكثير ثم جاء إلى الجانب الغربي من نهر عيسى والصراة وأسكر أهل دار القز وأهل العتابيين [٣] وباب البصرة والكرخ وباتوا مدة على التلال يحفظون المحال وقد انبسط الماء فراسخ ومر خلف المحال فقلب في الخندق والصراة ونهر عيسى ورمى قطعة من قنطرة باب البصرة.
ومن العجائب أن هذا الماء على هذه الصفة ودجيل قد هلكت مزارعه بالعطش ووقع الموتان في الغنم وكان ما يؤتى به سليما يكون مطعونا حتى بيع الحمل بقيراط ومرض الناس من أكلها ثم غلت الفواكه فبيع كل من من التفاح بنصف دانق وكذلك الكمثرى والخوخ حتى غلا الطين الذي يؤخذ من المقالع وبلغ الآجر كل ألف/ بثلاثة ١٠٣/ أدنانير ونصف.

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٢٦/١٨

[١] «على جميع ذلك» سقطت من ص، ت.

[٢] في الأصل: «شدة شكار» .

[٣] في الأصل: «أهل العباس» .." (١)

"وفي يوم الاثنين خامس عشرين رمضان: تقدم بجلوسي في دار صاحب المخزن فجلست وحضر أمير المؤمنين وأذن للعوام في الدخول فتكلمت بعد العصر إلى المغرب وبتنا في الدار تلك الليلة مع جماعة من الفقهاء فجرت مناظرات إلى نصف الليل.

وفي يوم الجمعة العشرين من شوال: حضرت الصلاة بجامع الرصافة فلم يحضر الخطيب وقاربت العصر فصلى أكثر الناس الظهر وانصرفوا وأقمت مع جماعة ننتظر الخطيب فجاء قبيل العصر فخطب وصلينا وكان السبب في تأخره ان الذي كانت الجمعة نوبته صرف عن الخطابة ولم يعلم نائبه فتأخر فبعثوا إليه من باب البصرة فحضر فاختصر فقرأ ألهاكم التكاثر ١٠٢: ١ [١] وهذا شيء لا يذكر الناس أنه جرى مثله على هذا الوصف.

وفي يوم الجمعة خامس ذي القعدة: أذن في إقامة الجمعة بمسجد في شارع دار الدقيق من الجانب الغربي فأقيمت فيه وقد ذكرنا أنه أذن في إقامة الجمعة بمسجد ابن المأمون في جمادى الأولى **فمن العجائب** تجدد جامعين ببغداد في سنة واحدة] [٢] وفي [يوم الاثنين] [٣] ثامن ذي القعدة [بعد العصر] [٤] هبت ريح شديدة فأثارت ترابا عظيما وأزعجت الناس وبقيت/ كذلك ساعة جيدة ثم ذهبت. ١١٢/ ب واتفق في هذا الشهر أن رجلا أمر بالمعروف فقصده بعض من أمره بخشبة فهرب الآمر فعاد الرجل إلى بيته والخشبة بيده فحين دخل الدار وقع فمات.

ووصل الخبر في ذي القعدة بأن بلادا كثيرة زلزلت وخسف ببعضها وذكر فيها الري وقزوين.

وكتب إلى بعض الوعاظ ان امرأة تقول كان رجل إذا رآني في الطريق مشى إلى جانبي وتعرض لي فقلت له أنا لا أوافق إلا على الحلال فتزوج بي عند الحاكم وقضيت معه مدة مديدة يأتيني كما يأتي الرجل المرأة ثم عظمت بطنه وقال لي قد حبلت فاعملي لي دواء الإسقاط فعملت له فولد وقد حضرت المجلس أنا وهو فما حكمنا؟ فقال الواعظ

[١] سورة: التكاثر الآية: ١.

[٢] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٣] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

[٤] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.." (٢)

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٨/٢٠٧

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١٨/٢٣١

"منه [١] ، ونأينا عنه، ثم بعضنا صدقه وتابعه، وبعضنا باعده وكذبه، فكنت فيمن كذبه وقاتله، ثم إن الله تعالى أخذ بقلوبنا فهدانا به، فتابعناه [٢] . فقال: «أنت سيف من سيوف الله سله على المشركين» ، ودعا لي بالنصر، فسميت سيف الله بذلك، فأنا من أشد المسلمين على المشركين. فقال: صدقتني يا خالد، أخبرني إلام تدعون؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله، قال: فمن لم يجبكم؟ قال: فالجزية، قال: فإن لم يجبكم ويعطها، قال: نؤذنه بحرب، ثم نقاتله، قال: فما منزلة الذي [يدخل فيكم و] يجيبكم إلى هذا الأمر اليوم؟

قال: منزلتنا [واحدة] [٣] قال: هل لمن دخل فيه اليوم مثل ما لكم من الأجر؟ قال: نعم، قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه، قال: إنا دخلنا في هذا الأمر ونبينا حي بين أظهرنا يأتيه خبر السماء، وحق لمن رأى ما رأينا أن يسلم ويتابع [٤] ، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج، فمن دخل في هذا الأمر بنية حقيقية كان أفضل، فقال له: صدقتني، وقلب الترس ومال مع خالد، وقال: علمني الإسلام، فمال به خالد إلى فسطاطه، فشن عليه ماء، ثم صلى به ركعتين، وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد، وهم يرون أنها منه حيلة، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية، عليهم عكرمة والحارث بن هشام.

وركب خالد ومعه جرجة/ وتراجعت الروم إلى مواقفهم فزحف خالد حتى تصافحوا بالسيوف، فضرب فيهم خالد وجرجة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب، ثم أصيب جرجة، ولم يصل صلاة سجد فيها إلا الركعتين [٥] اللتين أسلم عليهما، وصلى الناس الظهر والعصر إيماء، وتضعضع الروم، ونهد خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم [٦] ورجلهم وهربوا، فانفرج المسلمون لهم، فذهبوا في البلاد، وأقبل المسلمون على الرجل ففضوهم، فاقتحموا في خندقهم، فتهافت عشرون ومائة ألف،

---

[١] في الطبري: «فنفرنا عنه» .

[٢] في الأصل: «فبايعناه» ، وما أوردناه من أ، والطبري.

[٣] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصول. وأوردناه من الطبري.

[٤] في الطبري: «ويبايع» .

[٥] في الأصل: «ولم يصل سوى تلك الركعتين» وما نقلناه من الطبري.

[٦] في الأصل: «كان من خيلهم» .." (١)

"إنما مصعب شهاب من الله ... تجلت عن وجهه الظلماء

أخبرنا أبو منصور القزاز، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت، قال: أنبأنا علي بن أبي علي، قال: حدثنا محمد بن عبد الرحمن المخلص، وأحمد بن عبد الله الدوري، قالا: حدثنا أحمد بن سليمان الطوسي، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثنا محمد بن الحسن، عن زافر [١] بن قتيبة، عن الكلبي، قال: قال عبد الملك بن مروان يوما لجلسائه:

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٤/١٢١

من أشجع العرب؟ فقالوا: شبيب بن قطري [٢] ، وفلان وفلان، فقال: إن أشجع العرب لرجل جمع بين سكينة بنت الحسين، وعائشة بنت طلحة، وأمة الحميد بنت عبد الله بن عامر بن كريز، وابنة رباب بن أنيف الكلبي [سيد ضاحية العرب] [٣] وولي العراق خمس سنين، فأصاب ألف ألف، وألف ألف، وألف ألف، وأعطي الأمان فأبى ومشى بسيفه حتى مات، ذاك مصعب بن الزبير، لا من قطع الجسور مرة هاهنا ومرة ها هنا [٤] .

قال المدائني: قتل يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى أو الآخرة سنة إحدى وسبعين، وهو ابن خمس وأربعين، وقيل: خمس وثلاثين.

ومن العجائب: قول عبد الملك بن عمير الليثي: رأيت في قصر الإمارة بالكوفة رأس الحسين رضي الله عنه بين يدي عبيد الله بن زياد، ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار، ثم رأيت رأس المختار/ بين يدي مصعب بن الزبير، ثم رأيت رأس مصعب بين يدي عبد الملك بن مروان.

---

[١] في الأصل ت: «رافيل» والبداية والنهاية: «زفر» وما أوردناه من تاريخ بغداد.

[٢] كذا في الأصول، وفي تاريخ بغداد: «مشبيب، قطري، فلان فلان» . وفي البداية والنهاية ٨/ ٣٤٤: «مشبيب، وقال آخر: قطري بن الفجأة» .

[٣] ما بين المعقوفتين: من تاريخ بغداد، والبداية والنهاية.

[٤] الخبر في تاريخ بغداد ١٣/ ١٠٦، والبداية والنهاية ٨/ ٣٤٤.." (١)

"أن المهلب مر بقوم فأعظموه وسودوه، فقال رجل: ألهذا الأعور تسودون، والله لو خرج إلى السوق ما جاء إلا بألفي درهم. فقال لبعض من معه: أتعرف الرجل؟ قال:

نعم، فلما انتهى إلى منزله أرسل إليه ألفي درهم، وقال: أما أنك لو زدتنا في القيمة لزدناك في العطية.

قال القرشي: وحدثني محمد بن أبي رجاء، قال: أغلظ رجل للمهلب بن أبي صفرة، فسكت، فقيل له: أربا عليك، قال: لم أعرف مساوئه فكرهت أن أبهته بما ليس فيه.

قال علماء السير: انصرف المهلب من وراء النهر يريد مرو، فمرض، فجمع من حضر من ولده، ودعا بسهام فحزمت، فقال: أترونكم كاسريها مجتمعة؟ قالوا: لا، قال: أفترونكم كاسريها متفرقة؟ قالوا: نعم، قال: فهكذا الجماعة، فأوصيكم بتقوى الله عز وجل، وصلة الرحم، وأنهاكم عن القطيعة، واعرفوا لمن يغشاكم حقه، وكفى بغدو الرجل ورواحه إليكم تذكرة له، وآثروا الجود على البخل، وعليكم في الحرب بالأناة والمكيدة فإنها أنفع من الشجاعة، وعليكم بقراءة القرآن وتعلم السنن وآداب الصالحين، وإياكم وكثرة الكلام.

ومات في ذي/ الحجة من هذه السنة بمرالروذ، واستخلف على خراسان ولده يزيد فأقره الحجاج.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ١١٦/٦

ومن العجائب: أنه كان للمهلب ثلاثة أولاد: يزيد، وزياد، ومدرك، ولدوا في سنة واحدة، وقتلوا في سنة واحدة، وأسنانهم واحدة، عاش كل واحد منهم ثمانية وأربعين سنة.

٤٩١- المغيرة بن المهلب: [١]

كان خليفة أبيه على عمله كله، فتوفي في رجب من هذه السنة.

---

[١] البداية والنهاية ٩/ ٤٨.." (١)

"الذي قلت إلا غضبا لله عز وجل ولرسوله، وما كنت لأزرأ عليه شيئا، فقال: شكر الله لك، إلا أنا أهل البيت إذا أنفذنا أمرا لم نعد فيه، فقبلها، وجعل يهجو هشاما وهو في الحبس، فكان مما هجاه به قوله:

أتحبسني بين المدينة والتي ... إليها قلوب الناس يهوى منيبها

يقلب رأسا لم يكن رأس سيد ... وعين له حولاء باد عيوبها

توفي علي بن الحسين بالمدينة في هذه السنة، ودفن بالبقيع، وهو ابن ثمان وخمسين سنة.

ومن العجائب: ثلاثة كانوا في زمان واحد، وهم بنو/ أعمام، كل واحد منهم اسمه علي، ولهم ثلاثة أولاد كل واحد اسمه محمد، والآباء والأبناء علماء أشراف:

علي بن الحسين بن علي، وعلي بن عبد الله بن عباس، وعلي بن عبد الله بن جعفر.

٥٣١- عروة بن الزبير بن العوام، أبو عبد الله: [١]

أمه أسماء بنت أبي بكر. روى عن أبيه، وعن زيد بن ثابت، وأسامة، وأبي أيوب، والنعمان بن بشير، وأبي هريرة، ومعاوية، وابن عمر، وابن عمرو، وابن عباس في آخرين، وكان فقيها فاضلا يسرد الصوم، مات صائما.

أخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي، قال: أخبرنا محمد بن هبة الله الطبري، قال: أخبرنا محمد بن الحسين بن الفضل، قال: حدثنا عبد الله بن جعفر بن درستويه [٢] ، قال: حدثنا يعقوب بن سفيان، قال: حدثني سعيد بن أسد، قال: حدثنا ضمرة، عن ابن شوذب، قال:

كان عروة بن الزبير إذا كان أيام الرطب ثلم حائطه، فيدخل الناس فيأكلون ويحملون، وكان إذا دخله ردد هذه الآية فيه حتى يخرج منه: ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ١٨: ٣٩ [٣] .

---

[١] طبقات ابن سعد ٥/ ١٣٢، وصفة الصفوة ٢/ ٤٧، وحلية الأولياء ٢/ ١٧٦، والتاريخ الكبير ٤/ ١/ ٣٣، والجرح والتعديل ٦/ ٣٩٥.

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٦/٢٤٣

[٢] في الأصل: «درشنونة» خطأ، وما أوردناه من ت.

[٣] سورة: الكهف، الآية: ٣٩.." (١)

"تضاحك عن برد مشرق ... ناجيته من بين جلاسي

فكلما قبلته خفت أن ... يذوب من نيران أنفاسي

فالمعنى المعنى ولكن لأبي الطيب زيادة وهي من تمام الكلام، وهي قوله:) فكنت الذائبا (وهي مليحة يستحق بها الجزالة ما أخذ. وقد أملح أبو تمام في قوله:

ومن العجائب أن يذيب مفاصلي ... من لو جرى نفسي عليه لذابا

وقال المتنبي:

يا حبذا المتحملون وحبذا ... واد لثمت به الغزالة كاعبا

هذا من قول المؤمل:

يا قوم قد زارني شخص سررت به ... زارتني الشمس إلا أنها بشر

فهذا يدخل في قسم المساواة.

وقال المتنبي:

كيف الرجاء من الخطوب تخلصا ... من بعد ما أنشبن في مخالبا

هذا موجود اللفظ والمعنى في قول أبي الرومي:

فقد أنشبت حادثات الخطوب ... مخالبها بي وأنيابها." (٢)

"من قول أبي نواس:

طوى الموت ما بيني وبين محمد ... وليس لما تطوى المنية ناشر

٢٩ - وقوله أيضا:

ومن العجائب ناصح لا يشفق

من قول المخبل:

ولا يعدم الغاوى على الغي لائما ... وإن هو لم يشفق عليه يلوم

٣٠ - وأخذ قوله:

من شرد الإعدام عن أوطانه ... بالبذل حتى استطرف الإعدام

من قول الأعشى:

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ابن الجوزي ٦/٣٣٣

(٢) المنصف للسارق والمسروق منه ابن وكيع التنيسي ص/٥٢٥

هم يطردون الفقر عن جارهم ... حتى يرى كالغصن الناضر

وفي قول أبي تمام زيادة حسنة، وهي قوله: " حتى استطرف الإعدام ".." [١]

"فانظر أشعار أهل الزهد وتأملها، هل ترى فيها من هذا النحو شيئا؟ هيهات؛ هذا مذهب يتقدم كل مذهب.

وقال:

أرى غفلة الأيام إعطاء مانع ... نصيبك أحيانا وحلم سفيه (١)

إذا ما نسبت الحادثات وجدتها ... بنات الزمان أرضعت لبنيه (٢)

متى أرت الدنيا نباهة خامل ... فلا تنتظر إلا خمول نبيه

وقال:

أغشى الخطوب فإما جئن مأربتي ... فيما أسير أو أحكمن تأديبي (٣)

إن تلتمس تمر أخلاف الخطوب وإن ... تلبث مع الدهر تسمع بالأعاجيب (٤)

... وما أحسن ما قال ابن عيينة:

ما راح يوم على حي ولا ابتكرا ... إلا رأى عبرة فيه إن اعتبرا

ولا أتت ساعة في الدهر فانصرمت ... حتى تؤثر في قوم لها أثرا

إن الليالي والأيام أنفسها ... عن عيب أنفسها لم تكتم الخبرا

أنشد المبرد هذه الأبيات (٥)، وذكر أن الطائي أخذ هذا المعنى وجمعه في ألفاظ يسيرة فقال:

عمري لقد نصح الزمان وإنه ... **لمن العجائب** ناصح لا يشفق." [٢]

"وقال:

أروم انتصارا ثم يثني عزيمتي ... تقاي التي تعتاقني وتحرجي

هما حجزا شغبي وكفا شكيمتي ... ولم أتوعر في وسيقة منهج

ولم أسر في أعراض قوم أعزة ... سرى النار شبت في ألاء وعرفج

وقد يتقي قتل الحليم إذا رأى ... ضرورة مدلول على القتل محرج

تهضمني من لو أشاء اهتضامه ... لأدركه تحت الخمول تولجي

ومن عادتي والعجز من غير عادتي ... متى لا أرح من حضرة الذل أدلج

وقال:

ومن العجائب تهمتي لك بعدما ... كنت الصفي لدي والخلصانا

وتوقعي منك الإساءة جاهدا ... والعدل أن أتوقع الإحسانا

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ١٢٢/١

(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٢٤١/٢

وكما يسرك لين مسي راضيا ... فكذاك فاخش خشونتي غضبانا

وقال في الحارثي:

أخاعلة سار الإخاء فأوضعا ... وأوشك باقي الود أن يتقطعا." (١)

"زاد هذا في تحامله. وقال كعب الأحبار: الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب أرمينية، ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة والكوفة آمنة من الخراب حتى تكون الملحمة.

ذكر العجائب التي كانت بمصر من الطلسمات والبرابي ونحو ذلك

ذكر في كتاب عجائب الحكايات وغرائب الماجزيات أنه كان بمصر حجر من جمع كفيه عليه تقيأ جميع ما في جوده. قال القضاعي: ذكر الجاحظ وغيره: أن عجائب الدنيا ثلاثون أعجوبة منها بسائر الدنيا عشر أعجوبات، وهي مسجد دمشق، وكنيسة الرها، وقنطرة سنجر، وقصر غمدان، وكنيسة رومية، وصنم الزيتون، وإيوان كسرى بالمدائن، وبيت الريح بتدمر، والخورنق، والسدير بالحيرة، والثلاثة الأحجار ببعلبك، وذكر أنها بيت المشتري والزهرة، وأنه كان لكل كوكب من السبعة بيت فيها، فتهدمت.

(ومنها بمصر عشرون أعجوبة) فمن ذلك الهرمان، وهما أطول بناء وأعجبه ليس على وجه الدنيا بناء باليد حجر على حجر أطول منهما، وإذا رأيتهما ظننت أنهما جبلان موضوعان، ولذلك قال بعض من رآهما: ليس من شيء إلا وأنا أرحمه من الدهر إلا الهرمين فإني لأرحم الدهر منهما.

ومن ذلك صنم الهرمين، وهو بلهوية ويقال بلهيت «١» ويقال: إنه طلسم للرمل لئلا يغلب على إبليز الجيزة.

ومن ذلك بربا سمنود، وهو من أعاجيبها وذكر عن أبي عمرو الكندي أنه قال: رأيته وقد خزن فيه بعض عمالها قرظا فرأيت الجمل إذا دناه من بابه بحمله وأراد أن يدخله سقط كل دبيب في القرظ لم يدخل منه شيء إلى البربا، ثم خرب عند الخمسين والثلاثمائة.

ومن ذلك: بربا اخميم عجب بما فيه من الصور، وأعاجيب وصور الملوك الذين يملكون مصر، وكان ذو النون الإخميمي يقرأ البرابي، فرأى فيها حكما عظيمة فأفسد أكثرها.

ومن ذلك بربا دندره، وهو بربا عجيب فيه ثمانون ومائة كوة تدخل الشمس كل يوم من كوة منها، ثم الثانية حتى تنتهي إلى آخرها، ثم تكرر راجعة إلى موضع بدائها.

ومن ذلك حائط العجوز من العريش إلى أسوان يحيط بأرض مصر شرقا وغربا.

ومن ذلك الإسكندرية وما فيها من العجائب فمن عجائبها المنارة، والسواري، والملعب الذي كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنة، ثم يرمون بكرة فلا تقع في حجر أحد." (٢)

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري الآمدي، أبو القاسم ٥٦٤/٣

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٥٨/١

"الهياكل وأهلها قياما حسنا، ودبر جميع الأحياز. ويقال: إنه الذي حفر خليج سخا وارتفع مال البلد على يده مائة ألف ألف دينار وخمسين ألف ألف دينار، وقصده بعض عمالقة الشام فخرج إليه واستباحه، ودخل فلسطين، وقتل بها خلقا، وسبى بعض حكمائها وأسكنهم مصر، وهابته الملوك وعلى رأس ثلاثين من ملكه طمع السودان من الزنج والنوبة في أرضه، وعاثوا وأفسدوا، فجمع الجيوش من أعمال مصر وأعد المراكب، ووجه قائدا يقال له: فلوطس في ثلثمائة ألف، وقائدا آخر في مثلها، ووجه في النيل ثلثمائة سفينة في كل سفينة كاهن يعمل أعجوبة **من العجائب**، ثم خرج في جيوش كثيرة، فلقي جمع السودان، وكانوا في زهاء ألف ألف فهزمهم، وقتل أكثرهم أبرح قتل، وأسر منهم خلقا وتبعتهم جيوشه حتى وصلوا إلى أرض الفيلة من بلاد الزنج، فأخذوا منها عدة ومن النمور والوحوش وساقوها إلى مصر فذللها وعمل على حدود بلده منارا وزبر عليه مسيره، وظفره الوقت الذي سار فيه، ومات بمصر فدفن في ناووس نقل إليه شيئا كثيرا من أصنام الكواكب، ومن الذهب والجوهر والصيغة والتماثيل، وزبر عليه اسمه وتاريخ هلاكه، وجعل له طلسمات تمنع منه وعهد إلى ابنه ماليق بن ندارس.

(خليج سردوس) «١» : حفره هامان. قال ابن وصيف شاه طلما بن قومس الملك:

جلس على سرير الملك، وحاز جميع ما كان في خزائنهم، وهو الذي تذكر القبط أنه فرعون موسى.

فأما أهل الأثر فيزعمون أنه الوليد بن مصعب، وأنه من العمالقة، وذكروا أن الفراعنة سبعة، وكان طلما فيما حكي عنه: قصيرا طويل اللحية أشهل العينين صغير العين اليسرى في جبينه شامة، وكان أعرج. وزعم قوم: أنه من القبط ونسب أهل بيته مشهور عندهم.

وذكر آخرون: أنه دخل منف على أتان عليها نطرون جاء ليبيعه، وكانوا قد اضطربوا في تولية الملك فرضوا أن يملكوا عليهم أول من يطرأ من الناس، فلما رأوه ملكوه عليهم، ولما جلس في الملك بذل الأموال، وقرب من أطاعه، وقتل من خالفه فاعتدل أمره، واستخلف هامان، وكان يقرب منه في نسبه، وأثار بعض الكنوز وصرفها في بناء المدائن والعمارات وحفر خلجانا كثيرة.

ويقال: إنه الذي حفر خليج سردوس، وكان كلما عرجه إلى قرية من قرى الحوف حمل إليه أهلها مالا حتى اجتمع من ذلك مال كثير فأمر برده على أهله.

وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن فرعون استعمل هامان على حفر خليج سردوس فلما ابتدأ حفره أتاه أهل كل قرية يسألونه أن يجري." (١)

"النتن، وأطبقت الصورة عليه حتى التحمت وأقيم في هيكل الأصنام، ودفنت كنوزه عنده، وصار يعمل له في كل سنة عيد.

وملك بعده ابنه شرياق، ويقال له: سرياق بن توميدون بن تدرسان بن هوصال، وكان كأبيه في علم الكهانة والسحر والطلسمات، فعمل أعمالا عجيبة منها: على باب مدينة أمسوس هيئة بطة من نحاس قائمة على أسطوانة إذا دخل غريب

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/١٣٣

من ناحية من النواحي صفقت بجناحيها، وصرخت فيؤخذ ذلك الغريب، ويكشف أمره حتى يعرف فيما قدم، وشق من النيل نهرا يمر إلى مدائن الغرب وبنى عليه أعلاما ومدنا، ومنتزهات، وسار ملك من بني فراشي بن آدم ويقال: من بني صوانيتي بن آدم خرج من ناحية العراق في أيامه، وغلب على بلاد الشام، وقصد مصر ليأخذ ملكها، فقيل له: إنك لا تقدر عليها لسحر أهلها، فتنكر ودخل في جماعة من خواصه ليكشف حال أهل مصر، فلما وصل إلى أول حد مصر حبسه الموكلون بذلك الحد هو ومن معه، حتى يأمر الملك فيهم بأمره وبعثوا إليه بصفتهم، وكان قد رأى في منامه كأنه على منار عال وكأن طائرا عظيما انقض عليه ليخطفه، فحاد عنه حتى كاد يسقط من المنار، فجاوزه الطائر وسلم منه فانتبه مذعورا.

وقص رؤياه على كبير الكهنة، فقال: يطلبك ملك، ولا يقدر عليك، ونظر في نجومه، فرأى الملك الذي يطلب ملكه قد دخل إلى مصر، وكان ذلك هو الوقت الذي قدم عليه فيه الرسل بصفات الذين وصلوا إلى حد مصر، فأمر بإحضارهم إليه بعد ما يطاف بهم على عجائب مصر كلها ليروها، فأوثقوهم وساروا بهم وأوقفوهم على عجائب أرض مصر، وما فيها من الطلسمات حتى بلغوا إلى الإسكندرية، ثم إلى أمسوس، ثم إلى الجنة التي عملها مصرام، كان الملك شرياق مقيما بها، فعند ما وصلوا إليها أظهرت السحرة التماثيل العجيبة، فدخلوا عليه وحوله الكهنة، وبين يديه نار لا يصل إليه أحد حتى يخوضها، فمن كان بريئا لم تضره، ومن كان يريد بالملك سوءا أو أضمر له مكروها أخذته النار، فشق القوم في وسط النار واحدا بعد واحد من غير أن تضرهم حتى انتهى الأمر إلى ملك العراق، فعندما دنا من النار أخذته بحرها، فولى هاربا فاتبعوه حتى أخذوه وأوقفوه بين يدي شرياق، فلم يزل به حتى اعترف، فأمر بصلب فصلب على الحصن الذي أخذ منه، ونودي عليه هذا جزاء من طلب ما لا يصل إليه، وعفا عن الباقين فساروا من مصر وتحدثوا بما رأوه **من العجائب**، فانقطع طمع ملوك الأرض عن طلب ملك مصر، ومات شرياق بعد ما ملك مصر مائة وثلاثين سنة، فجعل في ناوس ومعه أمواله وطلسم يحفظه ممن يقصده.

وملك بعده ابنه: شهلوق، وكان عالما بالكهانة والطلسمات، فقسم ماء النيل موزونا يصرف إلى كل ناحية قسطها، ورتب الدولة وعمل بيت نار، وهو أول من عبد النار، وعمل بأمسوس عجائب منها: شجرة على أعلى الجبال تقسم بها الرياح التي تمنع من أراد مصر." (١)

"وذكروا: أن الأموال التي كانت مع جيرون نفدت كلها في تلك المدينة، ولم تتم، فأمر الراعي أن يخبر الجارية فقالت: إن في المدينة التي خربت ملعبا مستديرا حوله سبعة عمد على رؤوسها تماثيل من صفر قيام، فقرب لكل تمثال منها ثورا سمينا، ولطخ العمود الذي تحته من دم الثور، وبخره بشعر من ذنبه، وشيء من نحاتة قرونه وأظلافه، وقل له:

هذا قربانك، فأطلق لي ما عندك، ثم قس من كل عمود إلى الجهة التي يتوجه إليها وجه التمثال، مائة ذراع، واحفر عند امتلاء القمر، واستقامة زحل، فإنك تنتهي بعد خمسين ذراعا إلى بلاطة عظيمة، فلطخها بمرارة الثور، وأقلها فإنك تنزل إلى سرب طوله، خمسون ذراعا في آخره خزانة مقفلة، ومفتاح القفل تحت عتبة الباب، فخذه ولطخ الباب ببقية المرارة ودم الثور

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢٤٨/١

وبخره بنحاتة قرونه وأظلافه وشعر ذنبه، وأدخل فإنه يستقبلك صنم في عنقه لوح من صفر مكتوب فيه جميع ما في الخزانة فخذ ما شئت ولا تعترض ميتا تجده ولا ما عليه، وكذلك كل عمود وتمثاله فإنك تجد مثل تلك الخزانة، وهذه نواويس سبعة من الملوك وكنوزهم، فلما سمع ذلك سر به، وامتثله فوجد ما لا يدرك وصفه، ووجد من العجائب شيئا كثيرا، فتم بناء المدينة وبلغ ذلك جورياق، فساءها وكانت قد أرادت إتعابه وهلاكه بالحيلة.

ويقال: إنه وجد فيما وجد درجا من ذهب مختوما فيه مكحلة زبرجد فيها ذرور أخضر، ومعها عرق أحمر من اكتحل من ذلك الذرور بالعرق، وكان أشيب عاد شابا واسود شعره، وأضاء بصره حتى يدرك الروحانيين، ووجد تمثالا من ذهب إذ ظهر غيمت السماء وأمطرت، وتمثال غراب من حجر إذا سئل عن شيء صوت وأجاب عنه، ووجد في كل خزانة عشر أعجوبات.

فلما فرغ من بناء المدينة وجه إلى جورياق يحثها على القدوم إليه، فحملت إليه فرشا فاخرا ليبسطه في المجلس الذي يجلس فيه، وقالت له: اقسم جيشك أثلاثا، فانفذ إلي ثلثه حتى إذا بلغت ثلث الطريق، فانفذ الثلث الآخر، فإذا جزت نصف الطريق، فانفذ الثلث الباقي ليكونوا من ورائي لئلا يراني أحد إذا دخلت عليك، ولا يكون عندك إلا صبية تثق بهم يخدمونك، فإني أوافيك في جوار تكفيك الخدمة، ولا أحتشمهن، ففعل.

وأقامت تحمل الجهاز إليه والأموال حتى علم بمسيرها فوجه إليها ثلث جيشه، فعملت لهم الأطعمة والأشربة المسمومة، وأنزلهم جواريها وحشمها، وقدموا إليهم الأطعمة والأشربة، والطيب وأنواع اللهو، فلم يصبح منهم أحد حيا، وسارت فلقيها الثلث الآخر، ففعلت به مثل ذلك وهي توجه إليه أنها أنفذت جيشه إلى قصرها ومملكتها يحفظونها، وسارت حتى دخلت عليه هي وظئرها وجواريها، فنفخت ظئرها في وجهه نفخة بهت إليها، ورشت عليه ما كان معها، فارتعدت أعضاؤه وقال: من ظن أنه يغلب النساء، فقد كذبته." (١)

"الأبنية والأساسات في البحر إلى الآن عيانا.

وقال عبد الله بن عمر: وعجائب الدنيا أربعة: مرآة كانت معلقة بمنارة الإسكندرية، فكان يجلس الجالس تحتها، فيرى من بالقسطنطينية وبينهما عرض البحر، وذكر الثلاثة؟!.

ذكر الملعب الذي كان بالإسكندرية وغيره **من العجائب**

قال القضاعي: ومن عجائب مصر: الإسكندرية وما بها **من العجائب**، فمن عجائبها:

المنارة، والسواري، والملعب الذي كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنة، ثم يرمون بأكرة، فلا تقع في حجر أحد إلا ملك مصر، وحضر عيدا من أعيادهم، عمرو بن العاص، فوقعت الأكرة في حجره، فملك البلد بعد ذلك في الإسلام، ثم حضر هذا الملعب ألف ألف من الناس، فلا يكون فيهم أحد إلا وهو ينظر في وجه صاحبه، ثم إن قرىء كتاب سمعوه جميعا، أو لعب لون من اللعب رأوه عن آخرهم لا يتظالمون فيه بأكثر من مراتب العلية والسفلية.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٢٧٣/١

وقال ابن عبد الحكم: فلما كانت سنة ثمان عشرة من الهجرة، وقدم عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، الجابية، خلا به عمرو بن العاص، واستأذنه في المسير إلى مصر، وكان عمرو قد دخل في الجاهلية مصر، وعرف طرقها، ورأى كثرة ما فيها، وكان سبب دخوله إياها أنه قدم إلى بيت المقدس لتجارة في نفر من قريش، فإذا هم بشماس من شمامسة الروم من أهل الإسكندرية، قدم للصلاة في بيت المقدس، فخرج في بعض جبالها يسيح، وكان عمرو يرعى إبله وإبل أصحابه، وكانت رعية الإبل نوبا بينهم، فبينا عمرو يرعى إبله، إذ مر به ذلك الشماس، وقد أصابه عطش شديد في يوم شديد الحر، فوقف على عمرو، فاستسقاه، فسقاه عمرو من قربة له، فشرب حتى روي، ونام الشماس مكانه، وكانت إلى جنب الشماس حيث نام حفرة، فخرجت منها حية عظيمة، فبصر بها عمرو، فنزع لها بسهم فقتلها، فلما استيقظ الشماس نظر إلى حية عظيمة قد أنجاه الله منها، فقال لعمرو: ما هذه؟ فأخبره عمرو أنه رماها، فقتلها، فأقبل إلى عمرو، فقبل رأسه، وقال: قد أحياني الله بك مرتين: مرة من شدة العطش، ومرة من هذه الحية، فما أقدمك هذه البلاد؟

قال: قدمت مع أصحاب لي نطلب الفضل في تجارتنا، فقال له الشماس: وكم تراك ترجو أن تصيب في تجارتك؟ قال: رجائي أن أصيب ما أشتري به بعيرا، فإني لا أملك إلا بعيرين، فآمل أن أصيب بعيرا آخر فتكون ثلاثة أبعرة، فقال له الشماس: أرأيت دية أحدكم بينكم كم هي؟ قال: مائة من الإبل، فقال له الشماس: لسنا أصحاب إبل إنما نحن أصحاب دنانير، قال: تكون ألف دينار، فقال له الشماس: إني رجل غريب في هذه البلاد، وإنما قدمت أصلي في كنيسة بيت المقدس، وأسيح في هذه الجبال شهرا جعلت ذلك نذرا على نفسي، وقد قضيت ذلك، وأنا أريد الرجوع إلى بلادي، فهل لك أن تتبعني إلى بلادي،." (١)

"المكروه الواقع بهم، وينادون الملك يعيش فليكن أمره، وهو يتتوج بالذهب، والذهب كثير في بلده.

ومما في بلده من العجائب: أن في الجزيرة الكبرى التي بين البحرين جنسا يعرف:

بالكرنينا، لهم أرض واسعة مزروعة من النيل والمطر، فإذا كان وقت الزرع خرج كل واحد منهم بما عنده من البذر، واختط على مقدار ما معه وزرع في أربعة أركان الخطة يسيرا، وجعل البذر في وسطه الخطة وشيئا من المزر، وانصرف عنه فإذا أصبح وجد ما اختط، قد زرع وشرب المزر، فإذا كان وقت الحصاد، حصد يسيرا منه ووضعه في موضع أراده ومعه مزر، وينصرف، فيجد الزرع قد حصد بأسره، وجرن فإذا أراد دراسه وتذريته فعل به كذلك، وربما أراد أحدهم أن ينقي زرعه من الحشيش، فيلفظ بقلع شيء من الزرع فيصبح، وقد قلع جميع الزرع، وهذه الناحية التي فيها ما ذكرته بلدان واسعة مسيرة شهرين في شهرين يزرع جميعها في وقت واحد، وميرة بلد، علوة ومتملكهم من هذه الناحية، فيوجهون المراكب، فتوسق، وربما وقع بينهم حرب.

قال: وهذه الحكاية صحيحة معروفة مشهورة عند جميع النوبة والعلوة، وكل من يطرق ذلك البلد من تجار المسلمين لا يشكون فيه ولا يرتابون به، ولولا أن اشتهاره وانتشاره مما لا يجوز التواطؤ على مثله، لما ذكرت شيئا منه لشناعته، فأما أهل الناحية، فيزعمون أن الجن تفعل ذلك، وأنها تظهر لبعضهم، وتخدمهم بحجارة ينطاعون لهم بها، وتعمل لهم عجائب، وأن

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/٢٩٥

السحاب يطيعهم؟!.

قال: ومن عجائب ما حدثني به متملك المقرة للنوبة، أنهم يمطرون في الجبال، ويلتقطون منه للوقت سمكا على وجه الأرض، وسألتهم عن جنسه، فذكروا أنه صغير القدر بأذناب حمر، قال: وقد رأيت جماعة وأجناسا ممن تقدم ذكر أكثرهم يعترفون بالباري سبحانه وتعالى، ويتقربون إليه بالشمس والقمر والكواكب، ومنهم من لا يعرف الباري ويعبد الشمس والنار، ومنهم من يعبد كل ما استحسنه من شجرة أو بهيمة، وذكر أنه رأى رجلا في مجلس عظيم المقرة سأله عن بلده؟ فقال: مسافته إلى النيل ثلاثة أهلة، وسأله عن دينه؟

فقال: ربي وربك الله، ورب الملك، ورب الناس كلهم واحد، وإنه قال له: فأين يكون؟

قال: في السماء وحده، وقال: إنه إذا أبطأ عنهم المطر أو أصابهم الوباء، أو وقع بدوابهم آفة صعدوا الجبل، ودعوا الله، فيجابون للوقت وتقضى حاجتهم قبل أن ينزلوه، وسأله هل أرسل فيكم رسول؟ قال: لا، فذكر له بعثة موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه، وما أبدوا به من المعجزات، فقال: إذا كانوا فعلوا هذا، فقد صدقوا، ثم قال: قد صدقتهم إن كانوا فعلوا.

قال مؤلفه رحمه الله: وقد غلب أولاد، كنز الدولة على النوبة وملكوها (من." [1]

"هناك فساطيطها، ثم بنت قرية، فسميت باسمها.

ذكر مدينة قفط «١» بصعيد مصر

هذه المدينة عرفت: بقفطريم بن قبطيم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، وكانت في الدهر الأول، مدينة الإقليم، وإنما بدا خرابها بعد الأربعمائة من تاريخ الهجرة النبوية، وآخر ما كان فيها بعد السبعمائة من سني الهجرة، أربعون مسبكا للسكر، وست معاصر للقصب، ويقال: كان فيها قباب بأعالي دورها، وكانت إشارة من ملك من أهلها عشرة آلاف دينار أن يجعل في داره قبة، وبالقرب منها معدن الزمرذ، ولم يبطل إلا من قريب، فإن قفطريم ولي الملك بعد أبيه قبطيم.

قال ابن وصيف شاه: كان أكبر ولد أبيه، وكان جبارا عظيم الخلق، وهو الذي وضع أساسات الأهرام الدهشورية وغيرها، وهو الذي بنى مدينة دندرة «٢» ، ومدينة الأصنام، وهلكت عاد بالريح في آخر أيامه، وأثار من المعادن ما لم يثره غيره، وكان يتخذ من الذهب مثل حجر الرحى، ومن الزبرجد مثل الأسطوانة، ومن الإسبادشم في صحراء الغرب كالقلة، وعمل من العجائب شيئا كثيرا.

وبنى منارا عاليا على جبل قفط، يرى منه البحر الشرقي، ووجد هناك معدن زئبق، فعمل منه تمثالا كالعمود لا ينحل، ولا يذوب.

وعمل البركة التي سماها صيادة الطير إذا مر عليها طائر سقط فيها، ولم يقدر على الحركة، حتى يؤخذ، وهذه البركة يقال: إنها هناك إلى الآن، وأما المنار فسقط، وعمل عجائب كثيرة، وفي أيامه أثار عبادة الأصنام التي كان الطوفان غرقها وزين

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ١/ ٣٥٧

الشيطان أمرها وعبادتها، ويقال: إنه بنى المدائن الداخلة، وعمل فيها عجائب، وبنى غربي النيل، وخلف الواحات الداخلة مدنا عمل فيها عجائب كثيرة، ووكل بها الروحانيين الذين يمنعون منها، فما يستطيع أحد أن يدنو إليها ولا يدخلها، إلا أن يعمل قرابين لأولئك الروحانيين، وأقام قفطريم ملكا أربعمائة وثمانين سنة، وأكثر العجائب عملت في وقته، ووقت ابنه، البودسير، ولذلك كان الصعيد أكثر عجائب من أسفل، لأن حيز قفطريم فيه.

ولما حضر قفطريم الوفاة عمل ناوسا في الجبل الغربي قرب مدينة الكهان في سرب تحت الأرض معقود على آزاج إلى الأرض، ونقر تحت الجبل، دارا واسعة، وجعل دورها." (١)

"الذهب من أرضهم، وأقام ذلك السبي يعملون فيه، ويحملون الذهب إليه، وهو أول من أحب الصيد، واتخذ الجوارح، وولد الكلاب السلوقية من الذئاب والكلاب الأهلية، وعمل **من العجائب** والطلسمات لكل فن ما لا يحصى كثرة.

وقال الأدفوي في تاريخ الصعيد: وقوص بجانب قفط، حكى بعض المؤرخين: أنها شرعت في العمارة، وشرعت قفط في الخراب من سنة أربعمائة.

قيل: إنه حضر مرة قاضي قوص، فخرج من أسوان أربعمائة راكب بغلة إلى لقائه.

وفي شهر رمضان سنة اثنتين وستين وستمائة، أحضر إلى الملك الظاهر بيبرس فلوس، وجدت مدفونة بقوص، فأخذ منها فلس، فإذا على أحد وجهيه، صورة ملك واقف، وفي يده اليمنى ميزان، وفي اليسرى سيف، وعلى الوجه الآخر رأس فيه أذن كبيرة، وعين مفتوحة، وبدائر الفلس، كتابة، فقرأها راهب يوناني، فكان تاريخه، إلى وقت قراءته، ألفين وثلثمائة سنة، وفيه أنا غليات الملك ميزان العدل والكرم في يميني لمن أطاع، والسيف في يساري لمن عصى، وفي الوجه الآخر، أنا غليات الملك، أذني مفتوحة لسماع المظلوم، وعيني مفتوحة أنظر بها مصالح ملكي.

وقوص، كثيرة العقارب والسام أبرص، وبها صنف من العقارب القتالات، حتى إنه كان يقال بها أكلة العقرب لأنه كان لا يرجى لمن لسعته حياة، واجتمع بها مرة في يوم صائف على حائط الجامع سبعون سام أبرص صفا واحدا، وكان الواحد من أهلها إذا مشى في الصيف ليلا خارج داره، يأخذ بإحدى يديه مسرجة تضيء له، وبالأخرى مشك من حديد يشك به العقارب، ثم إنها تلاشت بعد سنة ثمانمائة.

فلما كانت الحوادث والمحن، مات بها سبعة عشر ألف إنسان في سنة ست وثمانمائة، وكانت من العمارة بحيث إنه تعطل منها في شراقي البلاد سنة ست وسبعين وسبعمائة، مائة وخمسون مغلقا، والمغلق عندهم بستان من عشرين فدانا فصاعدا، وله ساقية بأربعة وجوه، وذلك سوى ما تعطل مما هو دون ذلك، وهو كثير جدا.

ذكر مدينة أسنا «١»

قال الأدفوي: وذكر أن أسنا في سنة حصل منها، أربعون ألف إردب تمر، واثنا عشر ألف إردب زبيب، وأسنا تشمل على ما يقارب ثلاثة عشر ألف منزل، وقيل: إنه كان بها في وقت سبعون شاعرا.." (٢)

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٤٢٩/١

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٤٣٧/١

"الثاني، ويتصل بهذا الميل إلى جهة الشمال، ما طوله ثلثمائة واثنان وسبعون ذراعا، ثم يتصل به على نهاية هذا الطول، جدار يمر على استقامته إلى الحجر مبني بالحجر طوله على استقامته إلى جهة الشرق، مائة ذراع، ثم ينخفض أيضا من حيث يتصل بهذا الجدار ما طوله، عشرون ذراعا، وقدر المنخفض منه ذراعان.

وهذا المنخفض أيضا يسد بجسر حشيش يسمى: اللكبد، وطول بقية الجدار إلى نهايته من جهة الشمال، مائة وستة وثلاثون ذراعا، وقبالة هذا بطوله منه مبلط، وفيه قناطر مبنية بالحجر كانت قديما ترد الماء إلى اليوم من الخليج القديم الذي عنده السدود اليوم، وكان عليها أبواب، وعدتها عشر قناطر قديمة، فيكون جميع ذرع الجدار الأعظم من نهايته، سبعمائة واثنين وسبعين ذراعا بذراع العمل دون الجدار المعترض من الغرب إلى الشرق، ويمر هذا الجدار الأعظم من كلتا جهتيه جميعا، حتى يتصل بالجبل، فتوجد آثاره في القيظ مرورا على غير استقامة، وعرضه مختلف، وكلما انتهى إلى سطحه، قل عرضه، وعرض أعلاه مع الظاهر من أسفله جميعا ستة عشر ذراعا، وفيه منافس يخرج منه الماء، وهي برابخ زجاج ملوثة بشبه المينا وأزرق وسليماني.

وهو **من العجائب** الحسنة في عظم البناء وإتقانه، لأنه من الأبنية اللاحقة بمنارة الإسكندرية، وبناء الأهرام، فمن معجزته أن النيل يمر عليه من عهد يوسف عليه السلام إلى هذه الغاية، وما تغير عن مستقره، ويدخل الماء من هذا البحر في هذا الزمان إلى مدينة الفيوم من خليجها الأعظم ما بين أرض الضيعتين المعروفتين، بدمونة واللاهون، ومنه شرب هاتين الضيعتين وغيرهما سيحا، ومنه شرب كرومها بالدواليب على أعناق البقر، وإن قصر النيل عن الصعود إلى سوادها، سقيت منه على أعناق البقر وزرعت، وينتهي في الخليج الأعظم إلى خليج يعرف بخليج الأواسي، وليس عليه رسم في سد ولا فتح ولا تعديل، وينتهي إلى الضيعة المعروفة ببياض، فيملأ بركها وغيرها من البرك، وللبرك مقاسم يصل إلى كل مقسم منها لغايته، ومقدار شرب ما عليه، وينتهي إلى الضيعة المعروفة بالأوسية الكبرى «١» ، فمنه شربها من مقسمين لها، وبرسمها باب، ومنه يشرب نخلها وشجرها، وعلى هذا الحد طاحونة تعمل بالماء.

ثم ينتهي إلى ثلاثة مقاسم آخرها الضيعة المعروفة بمرطينة منها مقسم لها، ومقسم لقبالات عدة، والمقسم الثالث يسقي أحد أحياء النخل، وبهذا الحي أسواق وبساتين قد خربت، وجميز دائر به، وكان بها بيوت في أقنية النخل، ثم ينتهي إلى حي ثان على ضفة الأول، ثم ينتهي إلى الضيعة المعروفة بالجوبة، فيملأ بركها وينتهي إلى ثلاثة مقاسم في." (١)

"فصلا كبيرا، وقلما تجد الأمر بخلاف ما قلته لك ولله عاقبة الأمور.

قال ابن عبد الظاهر: والملك الكامل هو الذي اهتم بعمارتها وعمارة أبراجها، البرج الأحمر وغيره، فكملت في سنة أربع وستمائة، وتحول إليها من دار الوزارة ونقل إليها أولاد العاضد وأقاربه وسجنهم في بيت فيها، فلم يزالوا فيه إلى أن حولوا منه في سنة إحدى وسبعين وستمائة. قال: وفي آخر سنة اثنتين وثمانين وسنمائة شرع السلطان الملك المنصور قلاون في عمارة برج عظيم على جانب باب السر الكبير، وبنى علوه مشترفات وقاعات مرخمة لم ير مثلها، وسكنها في صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة، ويقال أن قراقوش كان يستعمل في بناء القلعة والسور خمسين ألف أسير.

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٤٥٩/١

البئر التي بالقلعة: هذه البئر **من العجائب**، استنبطها قراقوش. قال ابن عبد الظاهر:

وهذه البئر من عجائب الأبنية، تدور البقر من أعلاها فتنقل الماء من نقالة في وسطها، وتدور أبقار في وسطها تنقل الماء من أسفلها، ولها طريق إلى الماء ينزل البقر إلى معينها في مجاز، وجميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء، وقيل أن أرضها مسامة أرض بركة الفيل وماؤها عذب. سمعت من يحكي من المشايخ أنها لما نقرت جاء ماؤها حلوا، فأراد قراقوش أو نوا به الزيادة في مائها، فوسع نقر الجبل فخرجت منه عين مالحة غيرت حلاوتها. وذكر القاضي ناصر الدين شافع بن علي في كتاب عجائب البنيان، أنه ينزل إلى هذه البئر بدرج نحو ثلاثمائة درجة.

ذكر صفة القلعة

وصفة قلعة الجبل أنها بناء على نشزعال، يدور بها سور من حجر بأبراج وبدنات حتى تنتهي إلى القصر الأبلق، ثم من هناك تتصل بالدور السلطانية على غير أوضاع أبراج الغلال، ويدخل إلى القلعة من بابين، أحدهما بابها الأعظم المواجه للقاهرة، ويقال له الباب المدرج، وبداخله يجلس والي القلعة، ومن خارجه تدق الخليلية قبل المغرب. والباب الثاني باب القرافة، وبين البابين ساحة فسيحة في جانبها بيوت، وبجانبها القبلي سوق للمآكل، ويتوصل من هذه الساحة إلى دركاه جليلة كان يجلس بها الأمراء حتى يؤذن لهم بالدخول، وفي وسط الدركاه باب القلعة، ويدخل منه في دهليز فسيح إلى ديار وبيوت وإلى الجامع الذي تقام به الجمعة، ويمشي من دهليز باب القلعة في مداخل أبواب إلى رحبة فسيحة في صدرها الإيوان الكبير المعد لجلوس السلطان في يوم المواكب، وإقامة دار العدل. وبجانب هذه الرحبة ديار جليلة، ويمر منها إلى باب القصر الأبلق، وبين يدي باب القصر رحبة دون الأولى يجلس بها خواص الأمراء قبل دخولهم إلى الخدمة الدائمة بالقصر، وكان بجانب هذه الرحبة محاذيا لباب القصر خزانة القصر، ويدخل من باب القصر في دهاليز خمسة إلى قصر عظيم، ويتوصل منه إلى الإيوان الكبير بباب خاص، ويدخل منه." (١)

"وقد أسقطنا من معايب شعره شيئا كثيرا لم نثبته فى رسالتنا هذه، وقصدنا من ذلك.

ما يبهر الحجة، ويفل حد النصرة.

وقال «١١٢» :

كأن به غداة الروع وردا ... وقد وصفت له نفس الشجاع

الورد: اسم «١١٣» من أسماء الحمى، يقال: «رجل مورود» إذا كان محموما.

قال الشاعر:

إذا ذكرتك النفس ظلت كأنما ... عليها من الورد التهامى أفكل

الأفكل: الرعدة، أراد كأن به حمى وقد وصفت له نفس الشجاع يتعالج بها.

ومن العجائب قوله [١٨٨] «١١٤» :

---

(١) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المقريزي ٣/٣٥٧

فدى له مقشعر حين تسأله ... خوف السؤال كأن فى خده وبر «١١٥»

وقوله «١١٦» :

ما زال يهذى بالمكارم والعلا ... حتى ظننا أنه محموم «١١٧»

وقال فى وصف الفرس «١١٨» :

إمليسه إمليده «١١٩» لو علقت ... فى صهوتيه العين لم تتعلق

فسرقه من امرئ القيس حيث يقول «١٢٠» :

متى ما ترق العين فيه تسفل «١٢١»." (١)

"ثم أرسل الملك الظاهر يأمر منصور حاجب غزة بالقبض على حسام الدين حسن بن باكيش نائب غزة، فقبض عليه واستولى على مدينة غزة وقيد ابن باكيش المذكور وبعث به إلى الملك الظاهر، فوافاه بمدينة الرملة «١» فأوقفه بين يديه ووبخه، ثم ضربه بالمقارع، ثم حمله معه إلى غزة فضربه بها أيضا ضربا مبرحا. وكان يوم دخول السلطان الملك الظاهر إلى غزة يوم مستهل صفر من سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة.

وأما أمر الديار المصرية، فإنه أشيع بكسرة الملك الظاهر لمنطاش، يوم رابع عشر المحرم، وهو يوم الوقعة، قاله الشيخ تقي الدين المقريزى- رحمه الله- وهذا شيء **من العجائب**.

وفي هذه الأيام ورد من الفيوم محضر على نائب الغيبة مفتعل بأن حائطا سقط على الأمراء المسجونين بالفيوم، ماتوا تحته، وهم: الأمير تمرباى الحسنى حاجب." (٢)

"ذكر ولاية موسى بن عيسى الثالثة على مصر

قلت: هذه ولاية موسى بن عيسى الهاشمي العباسي الثالثة على مصر، ولاه الرشيد على مصر بعد عزل أخيه عبيد الله بن المهدي على الصلاة؛ فلما ولي موسى من بغداد قدم أمامه ابنه يحيى بن موسى إلى مصر واستخلفه على صلاتها، فقدم يحيى ابن موسى إلى مصر لثلاث خلون من شهر رمضان سنة تسع وسبعين ومائة، ودام بمصر على صلاتها إلى أن قدمها والده موسى بن عيسى في آخر ذي القعدة من سنة تسع وسبعين ومائة المذكورة؛ وسكن المعسكر على العادة وأخذ في إصلاح أمور مصر وأصلح بين قيس ويمن من الحوف، واستمر على إمرة مصر إلى أن صرفه الرشيد عنها بعبيد الله بن المهدي ثانيا في جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائة؛ فكانت ولاية موسى على مصر في هذه المرة الثالثة نحوا من عشرة أشهر.

وخرج من مصر وتوجه إلى بغداد وصار من أكابر أمراء الرشيد، وحج بالناس من بغداد في السنة المذكورة.

وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة مات بعد عوده من الحج وله خمس وخمسون سنة.

وقيل: كانت وفاته في سنة تسع وثمانين ومائة. ولما حج في سنة اثنتين وثمانين ومائة ندبه الرشيد ليقرأ عهد أولاده بالخلافة في مكة والمدينة لأن الرشيد كان بايع في هذه السنة لابنه عبد الله المأمون بولاية العهد بعد أخيه محمد الأمين؛ وولاه خراسان

---

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء المرزباني ص/٣٩٣

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٣٧٢/١١

وما يتصل بها إلى همذان ولقبه بالمأمون وسلمه إلى جعفر بن يحيى. وهذا من العجائب لأن الرشيد رأى ما صنع أبوه وجده المنصور بعيسى بن موسى حتى خلع نفسه من ولاية العهد، ثم ما صنع به أخوه الهادي ليخلع نفسه من العهد، فلو لم يعاجله الموت لخلعه؛ ثم هو بعد ذلك يبايع للمأمون بعد الأمين حتى وقع لهما بعد موته ما فيه عبرة لمن اعتبر.." [١]

"وتركها خرابا يبابا من كثرة الفتن والمصادرات. قلت: وأمر محمد هذا من العجائب، فإنه أراد أخذ ثأر بنى طولون والانتصار لهم غيرة على ما وقع من محمد بن سليمان الكاتب من إفساده الديار المصرية، فوقع منه أيضا أضعاف ما فعله محمد بن سليمان الكاتب، وكان حاله كقول القائل:

رام نفعا وضر من غير قصد ... ومن البر ما يكون عقوقا

ذكر عود عيسى النوشرى إلى مصر

دخلها بعد اختفاء محمد بن على الخلنجى بيومين، وذلك في خامس شهر رجب سنة ثلاث وتسعين ومائتين، ثم دخل فاتك بعساكره إلى مصر في يوم عاشر رجب، وتسلم الخلنجى وأرسله في البحر لست خلون من شعبان ووقع ما حيكناه في ترجمته من قتله وتشهيره «١» . وأما عيسى النوشرى فإنه ابتدأ في أول شهر رمضان بهدم ميدان أحمد بن طولون، وبيعت أنقاضه بأبخس ثمن، وكان هذا الميدان وقصوره من محاسن الدنيا. وقد تقدم ذكر ذلك في عدة أماكن في ترجمة ابن طولون وابنه خمارويه وغير ذلك. ودام فاتك بالديار المصرية إلى النصف من جمادى الأولى سنة أربع وتسعين ومائتين [و] خرج منها إلى العراق. ثم أمر الأمير عيسى النوشرى بنفى المؤنثين من مصر، ومنع النوح والنداء على الجنائز، وأمر بإغلاق المسجد الجامع فيما بين الصلاتين، ثم أمر بفتحه بعد أيام؛ ثم ورد عليه الخبر بموت الخليفة المكتفى بالله على في ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين؛ فلما يمع الجند بموت الخليفة شغبوا على عيسى النوشرى وطلبوا منه مال البيعة بالخلافة للمقتدر جعفر، وظفر النوشرى بجماعة منهم؛ ولما استقر المقتدر في الخلافة أقر عيسى هذا على عمله بمصر.." [٢]

"فيها كان من العجائب أنه وقع الصلح بين أهل السنة والرافضة وصارت كلمتهم واحدة. وسبب ذلك أن أبا محمد النسوى ولى شرطة بغداد وكان فاتكا، فاتفقوا على أنه متى رحل إليهم قتلوه، واجتمعوا وتحالفوا، وأذن بباب البصرة ب «- حى على خير العمل» وقرىء فى الكرخ فضائل الصحابة، ومضى أهل السنة والشيعة إلى مقابر قريش، فعد ذلك من العجائب؛ فإن الفتنة كانت قائمة والدماء تسكب، والملوك والخلفاء يعجزون عن ردهم، حتى ولى هذا الشرطة، فتصالحوا على هذا الأمر اليسير.

فلله الأمر من قبل ومن بعد.

وفيها توفى على بن عمر بن محمد بن الحسن أبو الحسن الزاهد المعروف بابن «١» القزوينى. ولد بالحربية» ببغداد فى المحرم سنة ستين وثلثمائة؛ وكان إماما فاضلا زاهدا، قرأ النحو وسمع الحديث الكثير؛ وكان صاحب كرامات

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٩٨/٢

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ١٥٥/٣

وصلاح، يقصد للزيارة. ومات فى شعبان.

وفيها توفى الأمير قرواش بن المقلد أبو المنيع صاحب الموصل والكوفة والأنبار.

وقرواش بفتح «٣» القاف والراء المهملة والواو وبعد الألف شين معجمة ساكنة.

ومعناه باللغة التركية عبد أسود. وكان قرواش هذا قد خلع عليه الخليفة القادر بالله ولقبه معتمد الدولة. وكان قد جمع بين أختين، فلامه الناس على ذلك؛ فقال لهم: خبرونى، ما الذي نستعمله مما تبيحه الشريعة! فهذا من ذاك. وكان الحاكم بأمر الله استماله فخطب له ببلاده ثم رجع عن ذلك. ولما مات قرواش ولى مكانه." (١)

"بلاد الروم، ثم عاد إلى ديار بكر، ثم إلى جهة حلب وقصد شمس الملك تكين. فلما دخل إليه أتاه أعوانه بوالى قلعة من قلاع شمس الملك، واسم الوالى يوسف الخوارزمى، وقربوه إلى سرير السلطان ألب أرسلان، فأمر ألب أرسلان أن يضرب له أربعة أوتاد وتشد أطرافه الأربعة إليها. فقال يوسف المذكور للسلطان: يا مخنث، مثلى يقتل هذه القتلة! فغضب السلطان وأخذ القوس والنشاب وقال: خلوه، فرماه فأخطأه، ولم يكن يخطئ له سهم قبل ذلك، فأسرع يوسف المذكور وهجم على السلطان على السرير، فنهض السلطان ونزل فعثر وخر على وجهه؛ فوصل يوسف إليه وبرك عليه وضربه بسكين فى خاصرته؛ وقتل يوسف فى الحال، وحمل السلطان فمات بعد أيام يسيرة- وقيل فى يومه- وكان ذلك فى جمادى الآخرة من السنة. وألب أرسلان بفتح الهمزة وسكون اللام وبعدها باء موحدة وبقية الأسم معروف.

وفيها توفى قاوردبك بن داود بن ميكائيل السلجوقى أخو السلطان ألب أرسلان المقدم ذكره. ولما مات أخوه ألب أرسلان نازع ابن أخيه ملكشاه وقاتله، فظفر به ملكشاه بعد حروب وأسره وأمر بقتله؛ فحنقه رجل أرمنى بوترقوس، وتولى سعد الدولة كوهرائين «١» على قتله، وكان ذلك فى شعبان بهمذان. وأمر قاورد بك المذكور **من العجائب**؛ فإنه كان يتمنى موت ألب أرسلان ويتصور أنه يملك الدنيا بعده، فكان هلاكه مقرونا بهلاكه. قلت: وكذلك كان أمر قتلمش مع أخيه طغرلبك عم ألب أرسلان وقاورد بك؛ فإنه كان ينظر فى النجوم ويتحقق أنه يملك بعده، وكان هلاكه أيضا مقرونا بهلاكه.." (٢)

"*** [ما وقع من الحوادث سنة ٥٠٥]

السنة العاشرة من ولاية الآمر منصور على مصر وهى سنة خمس وخمسمائة.

فيها عزل السلطان محمد شاه بن ملكشاه السلجوقى وزيره أحمد بن نظام الملك، وكانت وزارته أربع سنين وأحد عشر شهرا.

وفيها توفى الشيخ الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى الفقيه الشافعى. كان إمام عصره. تفقه على أبي المعالى الجوينى حتى برع فى عدة علوم كثيرة، ودرس وأفتى، وصنف التصانيف المفيدة فى الأصول والفروع، ودرس بالنظامية، ثم ترك ذلك كله ولبس الخام الغليظ، ولازم الصوم وحج وعاد، ثم قدم إلى القدس، وأخذ فى تصنيف كتابه «الإحياء» وتممه بدمشق. وله من المصنفات «البسيط» «والوسيط» «والوجيز» وله غير ذلك. وذكره ابن السمعانى فى

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٤٩/٥

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٩٣/٥

الذيل فقال: ومن شعره:

[الكامل]

حلت عقارب صدغه فى خده ... قمرا يجل بها عن التشبيه

ولقد عهدناه يحل ببرجها ... **ومن العجائب** كيف حلت فيه

وفيها توفى محمود بن على بن المهنأ بن أبى المكارم الفضل بن عبد القاهر أبو سلامة المعرى القائل فى حق المعرة لما استولى عليها الفرنج الأبيات التى مرت فى ترجمة وجيه بن عبد الله فى سنة ثلاث وخمسمائة التى أولها:

[الخفيف]

هذه صاح بلدة قد قضى الل ... ه عليها كما ترى بالخراب

وجد والد محمود هذا الفضل بن عبد القاهر هو القائل:

[البسيط]

ليلى وليلى نفى نومى اختلافهما ... بالطول والطول يا طوبى لو اعتدلا

يجود بالطول ليلى كلما بخلت ... بالطول ليلى وإن جادت به بخلا." (١)

"وفيها (أعنى سنة أربع وعشرين) استوزر بورى بن طغتكين صاحب دمشق المفرج بن الصوفى.

وفيها وصل زنكى بن آق سنقر إلى حلب من الموصل، وقد أظهر أنه على عزم الجهاد؛ وراسل بورى يلتمس منه المعونة على محاربة الفرنج. فأرسل إليه بورى من استحلفه الأيمان المغلظة، واستوثق منه لنفسه ولصاحب حمص وحماة.

وفيها ظهرت بالعراق عقارب طيارة لها أجنحة، وهى ذات شوكتين؛ فقتلت من الأطفال خلقا كثيرا. قاله صاحب مرآة الزمان؛ والعهدة عليه فيما نقلناه عنه.

وفيها توفى إبراهيم بن عثمان بن محمد أبو إسحاق العرى الكلبى الشاعر. مولده بغزة. كان أحد فضلاء الدهر، رحل إلى البلاد وامتدح جماعة من الرؤساء. ومن شعره وأجاد إلى الغاية:

[الكامل]

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة ... باب البواعث والدواعى مغلق

خلت البلاد فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب أنه لا يشترى ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق

وفيها توفى الحسين بن محمد بن عبد الوهاب الإمام البارع أبو عبد الله النحوى، وهو أخو أبى الكرم «١» بن فاخر النحوى لأمه. قرأ بالروايات، وسمع الحديث الكثير، واشتغل باللغة والأدب، وقال الشعر الرائق.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع وأربع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأربع أصابع.." (٢)

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٠٣/٥

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٣٦/٥

"يستأذنه فى الدخول إليها، ويصف دمشق ويذكر ما قاساه فى الغربة؛ وقد أحسن فيها كل الإحسان واستعطفه كل الاستعطاف، وأولها:

ماذا على طيف الأحبة لو سرى ... وعليهم لو سامحونى فى الكرى

ثم وصف دمشق وقال:

فارقتها لا عن رضا وهجرتها ... لا عن قلى ورحلت لا متخيرا

أسعى لرزق فى البلاد مشتت ... ومن العجائب أن يكون مقترا

وأصون وجه مدائحى متقنعا ... وأكف ذيل مطامعى متسترا

ومنها يشكو الغربة:

أشكو إليك نوى تمادى عمرها ... حتى حسبت اليوم منها أشهرا

لا عيشتى تصفو ولا رسم «١» الهوى ... يعفو ولا جفنى يصافحه الكرى

أضحى عن الأحوى المريع محلأ ... وأبيت عن ورد النمير منفرا

ومن «٢» العجائب أن يقيل بظلكم ... كل الورى وأبيت وحدى بالعرا

فلما وقف عليها العادل أذن له فى الدخول إلى دمشق، فلما دخلها قال:

هجوت الأكابر فى جلق «٣» ... ورعت الوضيع بسب الرفيع

وأخرجت منها ولكننى ... رجعت على رغم أنف الجميع

وفيها توفى أبو الخطاب بن دحية المغربى. قال أبو المظفر: كان فى المحدثين مثل ابن عنين فى الشعراء، يثلب علماء المسلمين ويقع فيهم، ويتزيد فى كلامه، فترك الناس الرواية عنه وكذبوه. وكان الكامل مقبلا عليه، فلما انكشف له حاله." (١)

"وركوبهم حتى يتقرب بذلك إلى خواطر العامة. ثم تنكرت المماليك السلطانية على كريم الدين الكبير لتأخر جوامكهم شهرين، وتجمعوا يوم الخميس ثامن عشرين صفر قبل الظهر ووقفوا بباب القصر، وكان السلطان فى الحريم، فلما بلغه ذلك خشى منهم، وبعث إليهم بكتمر الساقى فلم يلفتوا إليه، فخرج السلطان إليهم وقد صاروا نحو ألف وخمسمائة، فعند ما رآهم السلطان سبهم وأهانهم وأخذ العصاة من مقدم المماليك وضرب بها رءوسهم وأكتافهم، وصاح فيهم: اطلعوا مكانكم فعادوا بأجمعهم إلى الطباق، وعدت سلامة السلطان فى هذه الواقعة من العجائب، فإنه خرج إليهم فى جماعة يسيرة من الخدام، وهم غوغاء لا رأس لهم ولا عقل ومعهم السلاح. انتهى.

ثم أمر السلطان للنائب بعرضهم (أعنى المماليك) فعرضهم فى يوم السبت آخر صفر وأخرج منهم مائة وثمانين إلى البلاد الشامية فرقهم على الأمراء، وأخرج بعد ذلك جماعة منهم من الطباق إلى خرائب «١» التتار بقلعة الجبل، وضرب بعضهم «٢» بالمقارع هو وغلامه لكونه شرب الخمر ضربا مبرحا مات منه المملوك بعد يومين.

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٢٩٥/٦

قلت: لا شلت يداه، هذا وأبيك العمل! ثم أنقص السلطان جوامك من بقى من مماليك الطباق، ثم أخرج جماعة من خدام الطباق الطواشية (أعنى مقدمى الطباق) وقطع جوامكهم وأنزلهم من القلعة لكونهم فرطوا فى تربية المماليك.." (١)

"منصوصا بل ذكرت فيه نبذا من الأخبار مختلفة المقاصد، متباينة المراصد، ولم أورد فيه إلا ما أملأه الخاطر، أو رواه من أقيمه في الصدق مقام الناظر، وبالله التوفيق وأشرت فيه إلى النكت العصرية، أي أخبار الوزراء المصرية، ومادام الليل والنهار دائمين، والشمس والقمر دائبين، فالعجائب المتولدة صيود، والتواريخ لها قيود، وما يخلو الإنسان من بداية مهده إلى غاية لحده، من الوقوع إما في حسن أحوال، أو قبح أهوال، وإذا لم تؤرخ النوازل، عفى النسيان آثارها، وطمس الإهمال أنوارها، وتجنبت سجع المتكلفين وفارقت ذله المتخلفين، وأطلقت أعنة الكلام، وسامحت أسنة الأقلام، فلا في سهل الهزالة أنا حاطب، ولا في حزن الجزالة أنا خاطب، وأشرت فيه إلى ما شاهدته **من العجائب** العصرية، في أخبرا الوزراء المصرية، من غير إفراط في أوصافهم، ولا تفريط في إنصافهم، وإن تخلل ذلك شيء ليس منه لا بالغرض، والحديث كما قيل شجون، والجد قد." (٢)

"من ليس يقعده عن سؤدد قدم ... ولا تقوم له في سوءة ساق

وروى أيضا

قال: دخل صاعد اللغوي على بعض أصحابه في مجلس شراب، فملأ الساقي قدحا من إبريق، فتكونت قطرة من الراح في فم الإبريق ووقفت ولم تبرح، فاقترح عليه الحاضرون وصف ذلك، فقال بديها:

وقهوة من فم الإبريق صافية ... كدمع مفجوعة بالإلف معبار

كأن إبريقنا والراح في فمه ... طير تزقق ياقوتا بمنقار

وقد أخذه من قول الشريف أبي البركات علي بن الحسن العلوي:

كأن ريح الروض لما أتت ... فتت علينا مسك عطار

كأنما إبريقنا طائر ... يحمل ياقوتا بمنقار

وذكر ابن بسام أيضا

أن أبا عامر بن شهيد حضر ليلة عند الحاجب بن أبي عامر المظفر بن المنصور بن أبي عامر بقرطبة، فقامت تسقيهم وصيفة صغيرة ظريفة الخلق، ولم تزل تسهر في خدمتهم إلى أن هم جند الليل بالانهزام، وأخذ في تقويض خيام الظلام، وكانت تسمى أسيماء، فعجب الحاضرون من مكابدتها السهر طول ليلها على صغر سنها، فسأله المظفر وصفها، فصنع ارتجالا:

أفدي أسيماء من نديم ... ملازم للكئوس راتب

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ابن تغري بردي ٧٣/٩

(٢) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية عمارة اليمني ص/٦

قد عجبوا في السهاد منها ... وهي لعمري من العجائب

كيف تجافى الرقاد عنها ... فقلت لاترقد الكواكب

وذكر ابن بسام أيضا

أنه كان يوما مع جماعة من الأدباء عند القاضي ابن ذكوان، فجئ بباكورة باقلاء، فقال ابن ذكوان: لا ينفرد بها إلا من وصفها، فقال ابن شهيد: أنا لهما، وارتجل:

إن لآليك أحدثت صلفا ... فاتخذت من زمرد صدفا

تسكن ضراتها البحور وذي ... تسكن للحسن روضة أنفا

هامت بلحف الجبال فاتخذت ... من سندس في جنانها لحفا

شبهتها بالثغور في لطف ... حسبك هذا من زمر من لطفا

حاز ابن ذكوان في مكارمه ... حدود كعب وما به وصفا

قدم در الرياض منتخبا ... منه لأفراس مدحه علفا

أكل ظريف وطعم ذي أدب ... والفول يهواه كل من ظرفا." (١)

"كمثل الذي استوقد نارا﴾ ١ أي: حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا.

وكقوله تعالى: ﴿ولله المثل الأعلى﴾ ٢ أي: الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة، وكقوله تعالى: ﴿مثلهم في التوراة﴾ ٣ أي: صفتهم وشأنهم المتعجب منه٤، وكقوله تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ ٥؛ أي: فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة، ثم أخذ في بيان عجائبها٦، إلى غير ذلك.." (٢)

"وأخذنا نسير ونمور وننجد بين الأمواج ونغور، ونصبح ونمسي ليس إلا السماء والبحور، إلى أن اشتدت علينا الرياح الغربية وتحكمت فينا المياه البحرية فتقهقرنا بسبب ذلك إلى أن أشرفنا على مرسى طبرق من مراسي برقة المشئومة فدخلناه يوم السبت التاسع لذي قعدة من العام المذكور فنزل به من الأصحاب من قدر الله في سفره من البر نزوله ونظمت في ذلك ساعة وصوله ودخوله:

يا ليلة جمعت بمرسى طبرق ... أجلى صباحك عن نوى وتفرق

ألفت بين مفرق ومجمع ... وجمعت بين مغرب ومشرق

ضحك الفراق لنا وقد عبس الدجا ... فبكيت فيه بدمعي المتدفق

قد مزق الإصباح ثوبك مثل ما ... مزقت ثوب الصبر كل ممزق

ورمى سوادك من بياض صباحه ... بمثال ما صنع الفراق بمفرق

أبدا بحلكته بياضا ناصعا ... فأعاد دهمته شيات الأبلق

---

(١) بدائع البدائه ابن ظافر الأزدي ص/١٦٥

(٢) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة عبد المتعال الصعيدي ٥١٩/٣

وتبسم الزنجي فيه تعجبا ... من قسوة البين الذي لم يرفق

أكثرت يا جفني البكاء لبينهم ... لا تخشى من أقلال دمع أنفق

ولقد رهنت القلب فيهم فانثنوا ... وبقيت رهن صبابة وتشوق

نهضوا وما نفضوا المواثق أن هم ... شرحوا شهور المستهام الموثق

بانوا فيها بان اللوى هل بلغوا ... مني السلام إلى النقاء والأبرق

راحوا فراح تصبري من راحتي ... يا راحتي روحي أمام الأينق

مروا فحلو العيش مر بعدهم ... وحللت حالي مركب أو زورق

وقفوا لتوديعي ففاضت أدمعي ... أسفا وغاضت بالزفير المحرق

ومن العجائب أن دمعي أحمر ... والجفن يسبح في الغدير الأزرق

يا راحلين لأرض أندلس إذا ... جزتم على بان الكثيب المونق

وبدت لكم تلك الربا الخضر التي ... تهدي الشذا من عرفها المستنشق

عوجوا على تلك الديار وقبلوا ... جدرانها بتلطف وتملق

وقفوا هناك على المتيم وقفة ... تذر الهوى في قلب من لم يعشق

وصفوا لذياك الفريق تفرقي ... منكم وتقديري لدمعي المطلق

قولوا تركناه وقد أخذ الهوى ... منه اعتداء أخذ من لم يشفق

وعلى تحول حالتيه فإنه ... باق على حفظ المودة ما بقي

يهوى لقاءكم ويأبى دهره ... وأصدعه الأكباد إن لم نلتق

وأقمنا به ننظر تأتي الريح، ونعاني من أهل برقة ألم الوجد وعظيم التبريح إلى أن أقمنا به مدة، ورأينا الأمر لا يزداد إلا شدة فرفعنا الشراع للرجوع وسرنا ولا كرامة للسلوة ولا للهجوع.

وإذا أتاك من الأمور مقدر ... ففررت منه فنحوه تتوجه

وخرجنا من المرسى المذكورة يوم السبت السادس عشر لذي قعدة المذكور، فنزلنا به للإقامة. وحمدنا الله تعالى على السلامة، ثم حللت من المدينة بالمدرسة السراجية ساكنا وقد نال مني نصب البحر ظاهرا وباطنا، وعدت لعادتي من الاجتماع بالفضلاء، والانتفاع بالعلماء:

كأن لم يكن بين ولم تك فرقة ... إذا كان من بعد الفراق تلاقي

ولما نزلنا بالمدرسة السراجية الحافلة، وجمعت فيها بين الفريضة والنافلة، صادف نزولي بها قدوم مدرسها الأكبر وإمامها الأشهر، الشيخ الفقيه العالم مفتي المسلمين شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن الشيخ الفقيه الصالح شرف الدين أبي الروح عيسى بن أبي الحسن علي بن أبي الحسن اسم كنيته ابن أبي العلاء عبد الله الكناني الشافعي الشامي ثم الإسكندري نفع الله تعالى به وافى من سفر كان أبطأ فيه، ثم أسرع به إلى الحظ الذي يقرب الأمل النازح ويدنيه، فحللناها حلول الهائم المجد،

في وصل الحبيب المسعد، ومنشدين) ويجمعنا شتى على غير موعد (واستقررت منها بمسكن مجاور لمسكنه، حيث مأوى تدريسه، وخزانة كتبه، فكان فيه جاري بيت بيت، والمهدي لوجاري حتى الخل والزيت، فسقاني حتى أروي كل ظمأ وجواد وأحلني من مبرته وفؤاد، ووالى من إتحافه، وضروب ألطافه، ما حسبتني به مفطوما يعلل على الفطام، ورأيت الأماني مجنوبة إلى في الخطام:

وحسن طعم العيش حتى أعاده ... ألذ من الإغفاء في عقب السهد." (١)

"وقوله: ﴿فكسونا العظام لحما﴾ أي: حال تحويل الدم غاذيا للعظام لا يكون عنه إلا اللحم والشحم وكل ما يزيد وينقص، وهذا شأن عطارد، تارة يتقدم وتارة يتأخر ويعتدل، وكذا في اللحم البدن، وهذه المرتبة هي التي يكون فيها الإنسان كالنبات، ثم يطول الأمر حتى يشتد، ثم يتم إنسانا يفيض الحياة والحركة بنفخ الروح، فلذلك قال معلما للتعجب والتنزيه عند مشاهدة دقيق هذه الصناعة ﴿ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ وهذا هو الطور السابع الواقع في حيز القمر.

وفي هذه الآية دقائق: "الأولى" عبر في الأول بـ"خلقنا"، لصدقه على الاختراع، وفي الثاني بـ"جعلنا" لصدقه على تحويل المادة، ثم عبر في الثالثة وما بعدها كالأول؛ لأنه أيضا إيجاد ما لم يسبق، "الثانية" مطابقة هذه المراتب لأيام الكواكب المذكورة ومقتضياتها للمناسبة الظاهرة وحكمة الربط الواقع بين العوالم، "الثالثة" قوله: ﴿فكسونا﴾ ؛ وهي إشارة إلى أن اللحم ليس من أصل الخلقة اللازمة للصورة، بل كالثياب المتخذة للزينة والجمال؛ وأن الاعتماد على الأعضاء والنفس خاصة، "الرابعة" قوله تعالى: ﴿ثم أنشأناه﴾ سماه بعد نفخ الروح إنشاء؛ لأنه حينئذ قد تحقق بالصورة الجامعة١، "الخامسة" قوله: ﴿خلقا﴾ ولم يقل إنسانا ولا آدميا ولا بشرا٢؛ لأن النظر فيه حينئذ لما سيفاض عليه من خلع الأسرار الإلهية، فقد آن خروجه من السجن وإلباسه المواهب، فقد يتخلق بالملكيات فيكون خلقا ملكيا قدسيا، أو بالبهيمية فيكون كذلك، أو بالحجرية إلى غير ذلك؛ فلذلك أبهم الأمر وأحاله على اختياره وأمر بتزيهه على هذا الأمر الذي لا يشاركه فيه غيره.

وفي الآية **من العجائب** ما لا يمكن بسطه هنا، وكذلك سائر آيات هذا الكتاب الأقدس: ينبغي أن تفهم على هذا النمط. انتهى كلام الحكيم المفسر.

وأنت لو عرضت ألفاظ هذه الآية على ما انتهى إليه علماء تكوين الأجنة وعلماء التشريح وعلماء الوراثة النفسية، لرأيت فيها دقائق علومهم، كأن هذه الألفاظ إنما خرجت من هذه العلوم نفسها، وكأن كل علم وضع في الآية كلمته الصادقة، فلا تملك بعد هذا أن تجد ختام الآية إلا ما ختمت هي به من هذا التسبيح العظيم ﴿فتبارك الله﴾ !

---

١ قلنا: وقد ثبت أن الجنين أو تخلقه يكون في الإنسان والحيوان على شكل واحد، فتحوله إلى الصورة الإنسانية بعد ذلك هو إنشاؤه خلقا آخر ولا ريب. فتأمل هذا الإعجاز الدقيق العجيب. ولو فسرت الخلق الآخر بظهور آثار الوراثة التي كانت في الخلية لكان قولا جليلا؛ لأن كل مولود يكاد يكون بهذه الوراثة يكون خلقا على حدة. وآخر ما انتهى إليه العلم

---

(١) تاج المفرق في تحلية علماء المشرق خالد البلوي ص/١٠٨

أن هذه الوراثة هي التي تنوع العالم الإنساني وتدفعه في سبيل الأقدار.

٢ لو قال إنسانا، أو آدميا، أو بشرا لوجب أن يكون في كل مخلوق إنسانية صحيحة، أو آدمية من آدم، أو بشرية بالمقابلة من الملكية، وليس كل مخلوق كذلك بل في الناس الأعلى والأسفل، فتأمل.." (١)

"ديواني على مائة ألف مرتزق ما فيهم أسوأ حالا مني، وكان قد بويع له بالعهد بعد المفوض بن المعتمد فبويع بعد موته لابنه أبي العباس بن المعتضد بولاية العهد بعد المفوض واجتمع إليه أصحاب أبيه وجهاته.

وفيها: تحرك بسواد الكوفة قوم يسمون " القرامطة "، دعاهم إلى دينه شخص اسمه كرمينه وتفسيره بالنبطية: حمرة العين ثم خفف فقيل: قرمط، فأجابه من السواد والبادية قوم ليس لهم عقل ولا دين، وأخرج لهم كتابا بعض ما فيه: بسم الله الرحمن الرحيم يقول الفرج بن عثمان من قرية نصرانة إنه داعية المسيح وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهدي وهو أحمد بن محمد بن الحنفية وهو جبريل وإن المسيح تصور في جسم إنسان وقال، إنك الداعية وإنك الناقة وإنك الدابة وإنك يحيى بن زكريا وإنك روح القدس، وعرفه أن الصلاة أربع ركعات ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها، وأن الأذان في كل صلاة أن يقول المؤذن: الله أكبر ثلاث مرات، أشهد أن لا إله إلا الله مرتين أشهد أن آدم رسول الله، أشهد أن نوحا رسول الله، أشهد أن إبراهيم رسول الله أشهد ان عيسى رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله، والقبلة بيت المقدس.

قلت: وفي تاريخ ابن المهذب المعري: أن قرمطا المذكور أول ظهوره كان في سنة أربع وستين ومائتين وأنه إنما سمي قرمطا لأنه كان قصيرا وخطوه متقاربا لقصر رجليه، وإن قرمطا أظهر الزهد والورع وتسوق به على الناس مكيدة وخبثا، وزعم القرامطة أنهم يدعون إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، انتهى. ثم صدر من القرامطة ما لم يصدر من الكفار كما ستقف عليه في مواضع، والله أعلم.

ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائتين: فيها خلع المعتمد ابنه جعفرا المفوض من ولاية العهد وجعل المعتضد ابن أخيه ولي العهد بعده.

وفيها: توفي المعتمد على الله أحمد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب ببغداد أكثر من الشراب والأكل على الشط فمات ليلا، وأحضر المعتضد القضاة والأعيان فرأوه، ونقل إلى سامراء فدفن بها وعمره خمسون سنة وستة أشهر وخلافته ثلاث وعشرون سنة وستة أيام. ومن شعره لما تحكم على أمره أخوه الموفق حتى احتاج إلى ثلثمائة دينار فلم يجدها:

(أليس من العجائب أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه)

(وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يده)

(أخبار المعتضد بالله أحمد)

---

(١) تاريخ آداب العرب الرافعي ، مصطفى صادق ٢/٩٢

وصبيحة وفاة المعتمد بويع للمعتضد بالله أبي العباس أحمد سادس عشرهم ابن الموفق أبي أحمد طلحة بن المتوكل.." [١]

"وخمسة أشهر وخمسة عشر يوما، وعمره أربع وثلاثون سنة، وهو العاشر من ولد المهدي، وهو العاشر من الخلفاء العلويين، ولما قتل لم يكن له ولد فولي ابن عمه الحافظ عبد المجيد بن أبي القاسم بن المستنصر صورة نائب عسى أن يظهر للآمر حمل واستوزر أبا علي أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي فتغلب على الحافظ ونقل ما بالقصر إلى داره واستمر كذلك إلى أن قتل أبو علي كما سيأتي.

وفيها: كان الرصد بالدار السلطانية شرقي بغداد، تولاه البديع الأسطرلابي ولم يتم.

وفيها: ملك السلطان مسعود قلعة ألموت.

وفيها توفي إبراهيم بن عثمان بن محمد الغزي، ودفن ببلخ، وهو من غزة، ومولده سنة إحدى وأربعين، وهو من الشعراء المجيدين، له قصيدة في مدح الترك منها:

(أمط عن الدرر الزهر اليواقيتا ... واجعل لحج تلاقينا مواقيتا)

(في فتية من جيوش الترك ما تركت ... للرعد كراتهم صوتا ولا صيتا)

(قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة ... حسنا وإن قوتلوا كانوا عفاريتا)

ثم ترك الشعر وقال:

(قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة ... باب البواعث والدواعي مغلق)

(خلت البلاد فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق)

(**ومن العجائب** أنه لا يشتري ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق)

قلت: وله وقد كبر وضعف:

(طول حياة ما لها طائل ... نغض عندي كل ما يشتهى)

(أصبحت مثل الطفل في ضعفه ... تناسب المبدأ والمنتهى)

ولله قوله:

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ١/٢٣٣

(خذ ما صفا لك فالحياة غرور ... والدهر يعدل تارة ويجور)

(هو مذنب وعلاك من حسناته ... كالنار محرقة وفيها النور)

(بادر فإن الوقت سيف قاطع ... والعمر جيش والشباب أمير)

وقوله:
(قالوا نزلت فقلت الدهر أقسم بي ... لا وجه للرفع في المجرور بالقسم)

وقوله:
(أما الخيال فما قبلت منه فما ... بل كان حظي من إلمامه ألما)

(وافى عبوسا فما استوفيت رؤيته ... باللحظ حتى تلاه الفجر مبتسما)

والله أعلم.
ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة " أسر دبيس بن صدقة ": سببه مسيره من." [1]
"(فلم أر فيما ساءني غير شامت ... ولم أر فيما سرني غير حاسد)

وله:
(أعيناي كفا عن فؤادي فإنه ... من البغي سعى اثنين في قتل واحد)

قلت: كان ينوب عن القضاة تارة بتستر، وتارة بعسكر مكرم وفي ذلك يقول:
(ومن النوائب انني ... في مثل هذا الشغل نائب)

(**ومن العجائب** أن لي ... صبرا على هذي العجائب)

وأرجان تخفف راؤها وتشدد. وله، ويروي للغزي مما يقرأ طردا وعكسا.
(مودته تدوم لكل هول ... وهل كل مودته تدوم)

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ٣٥/٢

والله أعلم.
وفيها: توفي القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي بمراكش، ومولده بسبته سنة ست وسبعين وأربعمائة، أحد الأئمة الحفاظ المحدثين الأدباء، وتآليفه وأشعاره شاهدة بذلك.
وله: الإكمال شرح مسلم. ومشارق الأنوار في غريب الحديث.
قلت: وله الشفاء استقضى بسبتة طويلا فحمد، ثم ولي غرناطة فلم تطل مدته.
ومن شعره:
(انظر إلى الزرع وجاماته ... تحكي وقد ماست أمام الرياح)

(كتيبة خضراء مهزومة ... شقائق النعمان فيها جراح)

والله أعلم.
ثم دخلت سنة خمس وأربعين وخمسمائة: فيها في المحرم أخذت العرب الحجاج بين مكة والمدينة فلم يسلم منهم إلا القليل.
وفيها: حصر نور الدين قلعة أفامية وتسلمها من الفرنج وحصنها بالرجال والذخائر.
قلت: وفي ذلك يقول أبو الحسين بن منير الطرابلسي:
(أنشرت يا محمود ملة أحمد ... من بعد ما شمل البلى آثارها)

(أدركت ثأرك في البغاة وكنت ... يا مختار أمة أحمد مختارها)

والله أعلم.
وفيها: حاصر الأذفونش صاحب طليطلة قرطبة ثلاثة أشهر ولم يملكها.
وفيها: مات علي بن دبيس بن صدقة صاحب الحلة.
ثم دخلت سنة ست وأربعين وخمسمائة: وفيها من الله تعالى على نور الدين بأسر جوسلين، وكان من أشجع الفرنج، وهزم نور الدين مرة، وأسر وقتل في أصحابه حتى أخذ سلاح نور الدين وأرسله إلى مسعود بن فلج أرسلان صاحب قونية وآقسرا، وقال: هذا سلاح زوج ابنتك، وسآتيك بعده بما هو أعظم منه، فبذل نور الدين الوعود فيه، فأسره." (١)

"وفيها سار الكامل من مصر واسترجع حران والرها من يد كيقباذ، وأرسل نواب كيقباذ مقيدين إلى مصر، فاستقبح ذلك منه ثم قدم دمشق وأقام عند أخيه الأشرف حتى خرجت السنة.
وفيها: توفي شرف الدين محمد بن نصر بن عنين الزرعي شاعر مفلق، هجاء له مقراض الأعراض ما سلم بدمشق منه كبير، ونفاه صلاح الدين إلى اليمن فمدح صاحبها طغتكين بن أيوب فحصل له منه أموال إتجر بها إلى مصر وصاحبها العزيز

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ٤٩/٢

عثمان بن صلاح الدين وأخذت بها زكاة تجارته فقال:
(ما كل من يسمى بالعزيز لها ... أهلا ولا كل برق سحبه غدق)

(بين العزيزين بون في فعالهما ... هذاك يعطى وهذا يأخذ الصدقة)

قلت: وطاف ابن عنين بلاد الشام والعراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان وغزنة وخوارزم وما وراء النهر واليمن والهند.
وكتب من الهند إلى أخيه بدمشق هذين البيتين، والثاني منهما لأبي العلاء المعري:
(سامحت كتبك في القطيعة عالما ... أن الصحيفة لم تجد من حامل)

(وعذرت طيفك في الجفاء لأنه ... يسري فيصبح دوننا بمراحل)

ومات صلاح الدين وملك العادل دمشق في عيبته فقدم دمشق وكتب إلى العادل يستأذنه في دخولها:
(ماذا على طيف الأحبة لو سرى ... وعليهم لو سامحوني بالكرى)

ووصف منتزهات دمشق ثم قال:
(فارقتها لا عن رضى وهجرتها ... لا عن قلى ورحلت لا متحيرا)

(أسعى لرزق في البلاد مشتت ... **ومن العجائب** أن يكون مقترا)

(وأصون وجه مدائحي متقنعا ... وأكف ذيل مطامعي متسترا)

(أشكو إليك نوى تمادى عمرها ... حتى حسبت اليوم منها أشهرا)

(لا عيشتي تصفو ولا رسم الهوى ... يعفو ولا جفني يصافحه الكرى)

(**ومن العجائب** أن يقتل بظلكم ... كل الورى ونبذت وحدي بالعرا)

وولي الوزارة بدمشق في آخر دولة المعظم، ومدة ولاية ابنه الناصر ولما ملكها الأشرف انفصل ولم يباشر بعدها خدمة، ودفن بمسجد أنشأه بأرض المزة بكسر الميم، والله أعلم.
ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وستمائة: فيها عاد الكامل إلى مصر.
وفيها: في ربيع الأول توفي الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب بحلب وعمره ثلاث

وعشرون سنة وشهور وملك بعده ابنه الناصر يوسف، وعمره نحو سبع سنين، ودبره شمس الدين لؤلؤ وعز الدين عمر بن مجلى وجمال الدولة اقبال الخاتوني والمرجع إلى أم العزيز ضيفة خاتون بنت العادل.." [١]

"(عيون عن السحر المبين تبين ... لها عند تحريك القلوب سكون)

(تصول ببيض وهي سود فرندها ... ذبول فتور والجفون جفون)

(إذا ما رأت قلبا خليا من الهوى ... تقول له كن مغرما فيكون)

ومنه:

(**ومن العجائب** أن قلبك لم يلن ... لي والحديد ألانه داود)

وكتب إلى ابن عبد السلام وقد أغارت الفرنج على نابلس في أيام الصالح أيوب صاحب مصر:

(أيا ليت أمي أيم طول عمرها ... فلم يقضها ربي لمولى ولا بعل)

(ويا ليتها لما قضاها لسيد ... لبيب أريب طيب الفرع والأصل)

(قضاها من اللاتي خلقن عواقرا ... فما بشرت يوما بأنثى ولا فحل)

(ويا ليتها لما غدت بي حاملا ... أصيبت بما اجتنت عليه من الحمل)

(ويا ليتني لما ولدت وأصبحت ... تشد إلي الشذقميات بالرحل)

(لحقت بأسلافي فكنت ضجيعهم ... ولم أر في الإسلام ما فيه من خل)

قلت: وذكرت بهذا قولي وقد رأيت دار والدي رحمه الله تعالى بالمعرة بعد وفاته وهو:

(ترى عدوا دعا علينا ... بدعوة صادفت نفاذا)

(خلت ديار الحبيب منه ... يا ليتني مت قبل هذا)

وقولي:

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ٢/١٦٠

(دهرنا أضحى ضنينا ... باللقا حتى ضنينا)

(يا ديار الخير عودي ... واجمعينا اجمعينا)

والله أعلم.

وفيها: في ذي القعدة توفيت الصاحبة غازية خاتون بنت السلطان الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بقلعة حماه. ولدت من المظفر محمود ثلاث بنين، مات عمر منهم صغيرا وبقي المنصور محمد والأفضل علي والد المؤلف رحمهما الله تعالى وثلاث بنات، توفيت الكبرى منهن ملكة خاتون قبل والدتها بقليل، وتوفيت الصغرى دنيا خاتون بعد أخيها المنصور، وكان عند الصاحبة زهد وعبادة، وحفظت الملك لابنها المنصور حتى كبر.

وفيها: بعد بغداد قصد التتر ميافارقين وصاحبها الكامل محمد بن المظفر غازي بن العادل أبي بكر بن أيوب، فصبر أهل ميافارقين مع الكامل على الجوع حتى كان ما سيذكر، الكامل وهذا ملكها بعد أبيه سنة اثنتين وأربعين وستمائة.

وفيها: اشتد الوباء بالشام وخصوصا بدمشق حتى عز مغسلو الموتى.." (١)

"الأرض المنتنة وفي شرقها الأرض المحفورة وهي **من العجائب** خرق عظيم في الأرض بعيد المهوى فسيح الأقطار ممتنع الوصول إلى قعره يستدل على عمرانه بالدخان في النهار والنيران في الليل تضيء وتخفى وربما رئي فيها نهر يشقها من الجنوب إلى الشمال وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء البلاد الخراب المتاخمة للسد وفي آخر الشمال منه جبل قوقيا متصلا من الشرق إلى الغرب وفي الجزء التاسع من هذا الإقليم في الجانب الغربي منه بلاد خفشاخ وهم قفجق يجوزها جبل قوقيا حين ينعطف من شماله عند البحر المحيط ويذهب في وسطه إلى الجنوب بانحراف إلى الشرق فيخرج في الجزء التاسع من الإقليم السادس ويمر معترضا فيه وفي وسطه هنالك سد يأجوج ومأجوج وقد ذكرناه وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء أرض يأجوج وراء جبل قوقيا على البحر قليلة العرض مستطيلة أحاطت به من شرقه وشماله. والجزء العاشر غمر البحر جميعه. هذا آخر الكلام على الجغرافيا وأقاليمها السبعة وفي خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات للعالمين [١]
.

---

[١] جاء في سورة آل عمران الآية ١٩٠ قوله تعالى: «إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ٣: ١٩٠» وقوله تعالى في سورة الروم الآية ٢٢ «ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ٣٠: ٢٢» .." (٢)

---

(١) تاريخ ابن الوردي ابن الوردي الجد، زين الدين ١٩٣/٢

(٢) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ١٠٢/١

"ورأيت في بعض تواريخ الرشيد أن المحمول إلى بيت المال في أيامه سبعة آلاف قنطار وخمسمائة قنطار في كل سنة فاعتبر ذلك في نسب الدول بعضها من بعض ولا تنكرن ما ليس بمعهود عندك ولا في عصرك شيء من أمثاله فتضيق حوصلتك عند ملتقط الممكنات فكثير من الخواص إذا سمعوا أمثال هذه الأخبار عن الدول السالفة بادر بالإنكار وليس ذلك من الصواب فإن أحوال الوجود والعمران متفاوتة ومن أدرك منها رتبة سفلى أو وسطى فلا يحصر المدارك كلها فيها ونحن إذا اعتبرنا ما ينقل لنا عن دولة بني العباس وبني أمية والعبيديين وناسبنا الصحيح من ذلك والذي لا شك فيه بالذي نشاهده من هذه الدول التي هي أقل بالنسبة إليها وجدنا بينها بونا وهو لما بينها من التفاوت في أصل قوتها وعمران ممالكها فالآثار كلها جارية على نسبة الأصل في القوة كما قدمناه ولا يسعنا إنكار ذلك عنها إذ كثير من هذه الأحوال في غاية الشهرة والوضوح بل فيها ما يلحق بالمستفيض والمتواتر وفيها المعاين والمشاهد من آثار البناء وغيره فخذ من الأحوال المنقولة مراتب الدول في قوتها أو ضعفها وضخامتها أو صغرها واعتبر ذلك بما نقصه عليك من هذه الحكاية المستظرفة.
وذلك أنه ورد بالمغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة [١] كان رحل منذ عشرين سنة قبلها إلى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دهلي [٢] حاضرة ملك الهند وهو السلطان محمد شاه واتصل بملكها لذلك العهد وهو فيروزجوه وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله ثم انقلب إلى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى **من العجائب** بممالك الأرض وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتي من

---

[١] كان ابتداء رحلة ابن بطوطة سنة ٧٢٥ وانتهاؤها سنة ٧٥٤ وهي عجيبة ومختصرها ٧ كراريس ١ هـ.
[٢] كذا في جميع النسخ وتعرف اليوم باسم دلهي.." (١)

"أخرى معها مما تدعو إليه عوائد الترف وأحواله من جزار ودباغ وخراز وصائغ وأمثال ذلك. وقد تنتهي هذه الأصناف إذا استبحر العمران إلى أن يوجد فيها كثير من الكمالات والتأنق فيها في الغاية وتكون من وجوه المعاش في المصر لمنتحلها.
بل تكون فائدتها من أعظم فوائد الأعمال لما يدعو إليه الترف في المدينة مثل الدهان والصفار والحمامي والطباخ والشماع [١] والهراس ومعلم الغناء والرقص وقرع الطبول على التوقيع. ومثل الوراقين الذين يعانون صناعة انتساخ الكتب وتجليدها وتصحيحها فإن هذه الصناعة إنما يدعو إليها الترف في المدينة من الاشتغال بالأمور الفكرية وأمثال ذلك. وقد تخرج عن الحد إذا كان العمران خارجا عن الحد كما بلغنا عن أهل مصر أن فيهم من يعلم الطيور العجم والحمر الإنسية ويتخيل أشياء **من العجائب** بإيهام قلب الأعيان وتعليم الحداء والرقص والمشي على الخيوط في الهواء ورفع الأثقال من الحيوان والحجارة وغير ذلك من الصنائع التي لا توجد عندنا بالمغرب. لأن عمران أمصاره لم يبلغ عمران مصر والقاهرة. أدام الله

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٢٢٧/١

عمرانها بالمسلمين. والله الحكيم العليم.

الفصل الثامن عشر في أن رسوخ الصنائع في الأمصار إنما هو برسوخ الحضارة وطول أمده

والسبب في ذلك ظاهر وهو أن هذه كلها عوائد للعمران والأوان [٢] . والعوائد إنما ترسخ بكثرة التكرار وطول الأمد فتستحكم صبغة ذلك وترسخ في الأجيال.

وإذا استحكمت الصبغة عسر نزعها. ولهذا نجد في الأمصار التي كانت استبحرت في الحضارة لما تراجع عمرانها وتناقص بقيت فيها آثار من هذه الصنائع ليست في

---

[١] وفي نسخة أخرى: السفاح.

[٢] وفي نسخة أخرى: الوأم أي البيت الدافئ.." (١)

"أفدي أسيماء من نديم ... ملازم للكؤوس راتب

قد عجبوا في السهاد منها ... وهي لعمري من العجائب

قالوا تجافى الرقاد عنها ... فقلت: لا ترقد الكواكب ومن مدائحه في ابن المظفر:

جمعت بطاعة حبك الأضداد ... وتألف الأفصاح والأعياد

كتب القضاء بأن جدك صاعد ... والصبح رق والظلام مداد ومرت اكثر أيام ابن شهيد وهو في قرطبة، في مناقضات ومماحكات بينه وبين معاصريه من الأدباء والشعراء، فتصدى له من الشعراء خصمه وصديقه ابن الحناط الأعمى الذي كان مغرى بالكيد له، وجرت بينه وبين ابن شهيد " مناقضات في عدة رسائل وقصائد أشرقت أبا عامر بالماء وأخذت عليه بفروج الهواء " (١) ، ومن رسائله التي أنحى فيها على طريقة ابن شهيد في النظم والنثر: " الإسهاب كلفة، والإيجاز حكمة، وخواطر الألباب سهام، يصاب بها اغراض الكلام، وأخونا أبو عامر يسهب نثرا ويطيل نظما، شامخا بأنفه ثانيا من عطفه، متخيلا انه قد أحرز السباق في الآداب، وأوتي فصل الخطاب، فهو يستقصر أساتيذ الأدباء، ويستجهل شيوخ العلماء.

" وابن اللبون إذا ما لز في قرن ... لم يستطع صولة البزل القناعيس (٢) " ومع ذلك فانا نجد ابن الحناط هذا يمدح أبا عامر في قصيدة، منها (٣) :

أما الفراق فلي في يومه فرق ... وقد أرقت له لو ينفع الأرق

أظعانهم عيني التي انهملت ... أم الدموع مع الأظعان تستبق

عاق العقيق عن السلوان واتضحت ... في توضح لي من نهج الهوى طرق بل أن الحناط لما نعي إليه أبو عامر بكى ورثاه بديهة بقوله (٤) :

---

(١) الذخيرة ١/١: ٣٨٣

---

(١) تاريخ ابن خلدون ابن خلدون ٥٠٣/١

(٢) الذخيرة ١/١: ٣٨٥

(٣) الجذوة ٣: ٥٤

(٤) الجذوة: ٥٤ والنفح ٢: ٨١٦." [١]

"وأما الموفق فبعث إلى إسحاق بخلع وأموال، وأقطعه ضياع القواد الذين كانوا مع المعتمد.

وقال الصولي: كان المعتمد قد [ضجر] [١] من أخيه الموفق، فكاتب ابن طولون واتفقا، فذكر الحكاية.

وقال المعتمد:

أليس **من العجائب** أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه؟

وتوكل [٢] باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه [٣] ؟

[تلقيب ذي الوزارتين وذي السيفين]

ولقب الموفق صاعدا: ذا الوزارتين، ولقب ابن كنداج: ذا السيفين [٤] .

وأقام صاعد في خدمة المعتمد، ولكن ليس للمعتمد حل ولا ربط.

[مصادرة ابن طولون للقاضي بكار بن قتيبة]

ولما بلغ ابن طولون ذلك جمع القضاة والأعيان وقال: قد نكث الموفق أبو أحمد بأمير المؤمنين فاخلعوه من العهد. فخلعوه إلا القاضي بكار بن قتيبة [٥] ، فقال: أنت أوردت علي كتابا من المعتمد بولاية العهد، فأورد علي كتابا آخر منه بخلعه.

فقال: إنه محجور عليه ومقهور.

فقال: لا أدري.

فقال ابن طولون: أغرك الناس بقولهم: ما في الدنيا مثل بكار، أنت شيخ قد خرفت. وحبسه وقيده، وأخذ منه جميع عطاياه من سنين، فكان عشرة آلاف

[()] في التاريخ ٧/ ٣٩٤، ٣٩٥، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٥٣، ونهاية الأرب ٢٢/ ٣٣٧، ٣٣٨، والعبر ٢/ ٣٩، ٤٠، ودول الإسلام ١/ ١٦٢، ١٦٣، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٣٩، والبداية والنهاية ١١/ ٤٣، وتاريخ الخلفاء ٣٦٥.

[١] في الأصل بياض، والاستدراك من: الكامل ٧/ ٣٩٤.

[٢] في مآثر الإنافة: «وتؤخذ» ، وكذا في: تاريخ الخلفاء.

[٣] البيتان في: مآثر الإنافة ١/ ٢٥٤، وتاريخ الخلفاء ٣٦٥ وبه زيادة بيت:

إليه تحمل الأموال طرا ... ويمنع بعض ما يجبى إليه

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) إحسان عباس ص/٢٢٤

[٤] تاريخ الطبري ٩/ ٦٢٢، العيون والحدائق ج ٤ ق ١/ ١٠٨ و ١٠٩.

[٥] دول الإسلام ١/ ١٦٣.." (١)

"١٧٩- محمد بن منصور بن محمد [١] .

الوزير عميد الملك، أبو نصر الكندري [٢] ، وزير السلطان طغرلبك.

كان أحد رجال الدهر شهامة وكتابة وكرما [٣] .

قتل بمرورالروذ في ذي الحجة. وكان قد قطع مذاكره ودفنها بخوارزم لأمر وقع له [٤] ، فلما قتلوه حملوا رأسه إلى نيسابور، نسأل الله العافية.

وقد سماه أبو الحسن محمد بن الصابئ في «تاريخه» ، وعلي بن الحسن الباخرزي في «دمية القصر» : منصور بن محمد [٥] .

---

[١] انظر عن (محمد بن منصور) في:

الهفوات النادرة ٧، ٨، ودمية القصر ٢/ ٧٩٦- ٨١٣، والأنساب المتفقة ١٣٢، والمنتظم ٨/ ٢٣٨، ٢٣٩ رقم ٢٩٠ (١٦/ ٩٢، ٩٣ رقم ٣٣٨٥) (في المتوفين سنة ٤٥٧ هـ) ، ومعجم الأدباء ١٣/ ٣٤، ٤٣، وآثار البلاد ٤٤٧، والأنساب ١٠/ ٤٨٢، ٤٨٣، واللباب ٣/ ١١٤، والكامل في التاريخ ١٠/ ٣١- ٣٤، وزبدة التواريخ ٦٧، ٦٨، ومعجم الأدباء ٣٣/ ٤٠- ٤٥ في ترجمة الباخرزي، وتاريخ دولة آل سلجوق ٢٩، ووفيات الأعيان ٥/ ١٣٨، ١٤٣ رقم ٧٠٣، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٨٤، ونهاية الأرب ٢٦/ ٣٠٤، والعبر ٣/ ٢٤٠، ٢٤١، والإعلام بوفيات الأعلام ١٨٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١١٣- ١١٥ رقم ٥٥، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٥٥٧، ٥٥٨، والوافي بالوفيات ٥/ ٧١- ٧٤، وراحة الصدور للراوندي ١٨٦، ١٨٧، والبداية والنهاية ١٢/ ٩٢، ٩٣ وفيه: «منصور بن محمد» ، والنجوم الزاهرة ٥/ ٧٦، وشذرات الذهب ٣/ ٣٠١- ٣٠٤، ومعجم الأنساب والأسرات الحاكمة ٣٣٨.

[٢] الكندري: بضم الكاف وسكون النون وضم الواو وكسر الراء المهملتين. نسبة إلى كندر من أعمال طريثيث ويقال لها: ترشيش، من نواحي نيسابور. (الأنساب ١٠/ ٤٨٢ و ٤٨٣) وقيل إنه ينسب إلى بيع الكندر. (المنتظم) .

[٣] في الأنساب: «له شعر وآثار وحكايات، وكان من رجال الدهر جودا وسخاء، وكفاية، وشهامة، وفضلا، وإفضالا، وأدبا» . (١٠/ ٤٨٣) .

[٤] وقيل إن أعداءه أشاعوا عنه أنه خطب امرأة ملك خوارزم، فخصى نفسه ليخلص من سياسة السلطان. (المنتظم ٨/ ٢٣٨، ٢٣٩ (١٦/ ٩٢) ، الكامل في التاريخ ١٠/ ٣٢، وفيات الأعيان ٥/ ١٤١ وفيه: فعمد إلى لحيته فحلقها ومن العجائب أنه دفنت مذاكيره بخوارزم، وأريق دمه بمرورالروذ، ودفن جسده بقريته كندر، وجمجمته ودماغه بنيسابور، وحشيت سوأته بالتبن ونقلت إلى كرمان، وكان نظام الملك هناك، ودفنت ثم، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر، بعد أن كان رئيس عصره،

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٢/٢٠

(معجم الأدباء ١٣/ ٤٤، وفيات الأعيان ٥/ ١٤٢) .
[٥] قال صدر الدين الحسيني: «وكان علي بن الحسن الباخرزي شريكه في مجلس الإمام الموفق النيسابورى، فتراقى أمر الوزير أبي نصر الكندري، وكان أول عمله حجابة الباب، وكان في مدة السلطنة للسلطان طغرلبك وزيرا متمكنا، فورد عليه الشيخ علي بن الحسن الباخرزي وهو ببغداد في صدر الوزارة في ديوان السلطان، فلما رآه الوزير قال: أنت صاحب «أقبل» ؟ فقال:

نعم. فقال له الوزير: مرحبا وأهلا، فإني تفاءلت بقولك «أقبل» . ثم خلع عليه قبل إنشاده-." (١)

"٥٩- إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين [١] .

السلطان أبو المظفر.

توفي بغزنة في شوال. وكان عادلا، منصفا، شجاعا، جوادا، منقادا إلى الخير، محبوبا إلى الرعية، واسع المملكة [٢] .

عاش أكثر من سبعين سنة.

وتوفي في السلطنة أكثر من أربعين سنة [٣] .

٦٠- أسعد بن علي [٤] .

أبو القاسم الزوزني، الشاعر المشهور.

توفي ليلة الأضحى بنيسابور.

[()] ١٧٤) .
أقول: أي لم يذكر الفوت في الكتاب. لأن ابن نقطة عاد وقال: ذكر أبو سعد السمعاني في (معجم شيوخه) أنه سمع أبا الفتح عبد الرشيد بن النعمان بن عبد الرزاق بن عبد الملك الوالوالجي يذكر أنه سمع من أبي القاسم الخليلي كتاب «شمائل النبي صلى الله عليه وسلم» لأبي عيسى الترمذي ببلخ في سنة إحدى وتسعين وأربعمائة. ومات الشيخ أبو القاسم بعد سماعنا بسبعة أشهر أو ثمانية أشهر.

[١] انظر عن (إبراهيم بن مسعود) في: المنتظم ٩/ ١٠٩، ١١٠ رقم ١٦٣ (١٧/ ٤٩ رقم ٣٦٨٤) ، والكامل في التاريخ ١٠/ ٥، ٦، ١٦٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ١٥٦ رقم ٨٢، والعبر ٣/ ٢٢٥، ودول الإسلام ٢/ ١٠، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٩، وعيون التواريخ (مخطوط) ج ١٣/ ٨٩، ٩٠، والبداية والنهاية ١٢/ ١٥٧، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٦٤.

[٢] وقال ابن الجوزي: حكى أبو الحسن الطبري الفقيه الملقب بالكيا قال: أرسلني إليه السلطان بركياروق، فرأيت في مملكته ما لا يتأتى وصفه، فدخلت عليه وهو جالس في طارقة عظيمة بقدر رواق المدرسة النظامية، وباب فضة بيضاء بطول قامة الرجل وفوق ذلك إلى السقف صفائح الذهب الأحمر، وعلى باب الطارق الستور التنيسي، وللمكان شعاع يأخذ بالبصر عند طلوع الشمس عليه، وكان تحته سرير ملبس بصفائح الذهب، وحواليه التماثيل المرصعة من الجوهر واليواقيت، فسلمت

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٢٢/٣٠

عليه، وتركت بين يديه هدية كانت معي، فقال: نتبرك بما يهديه العلماء. ثم أمر خادمه أن يطوف بي في داره، فدخلنا إلى خركاه عظيمة قد ألبست قوائمها من الذهب، وفيها من الجواهر واليواقيت شيء كثير، وفي وسطها سرير من العود الهندي، وتمثال طيور بحركات، إذا جلس الملك صفقت بأجنحتها، إلى غير ذلك **من العجائب**. فلما عدت رويت له الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا» . فبكى.

قال: وبلغني أنه كان لا يبني لنفسه منزلا حتى يبني لله مسجدا أو مدرسة.

[٣] ملك اثنتين وأربعين سنة كما قال ابن الجوزي. (المنتظم) .

[٤] انظر عن (أسعد بن علي) في: الأنساب ٦/ ٣٢١، والمنتخب من السياق ١٦٦ رقم ٤٠٤.." (١)

"ومن شعره:

قالوا: تركت الشعر [١] قلت: ضرورة ... باب الدواعي [٢] والبواعث مغلق

خلت الديار [٣] فلا كريم يرتجى [٤] منه ... النوال [٥] ، ولا مليح يعشق

ومن العجائب [٦] أنه لا يشترى، ... ومع الكساد يخان فيه [٧] ويسرق [٨]

وله:

أاحتمال خد يوم وجرة، أم جيد ... أم اللحظ فيما غازلتك المها الغيد

سفرن فقال الصبح: لست بسفير ... ومسن، فقال البان: ما في أملود

وخوطية المهتز أمكن وصلها ... وطرف رقيت الحي بالنوم مصفود

لك النوم تحت السجف والطيب والحلى، ... ولى عزماتي والعلندات والبيد

فقالت: أمط عنك القريض وذكره، ... فما لك في نظم القصائد تجويد

وله:

طول حياة ما لها طائل ... نقص عندي كلما يشتهى

أصبحت مثل الطفل في ضعفه ... تشابه المبتدأ والمنتهى

فلا تلم سمعي وإن خانني، ... إن الثمانين وبلغتها

وله:

بجمع جفنيك [٩] بين البرء والسقم ... لا تسفكي من دموعي بالفراق دمي

---

[١] في وفيات الأعيان، والمختصر في أخبار البشر، ومرآة الجنان، وتاريخ ابن الوردي: «قالوا: هجرت السفر» .

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١١٧/٣٤

[٢] في المختصر، وتاريخ ابن الوردي: «باب البواعث والدواعي» .

[٣] في المختصر، وتاريخ ابن الوردي: «خلت البلاد» .

[٤] وفي نزهة الألباء: «لم يبق في الدنيا كريم يرتجى» .

[٥] في المختصر، وتاريخ ابن الوردي، وعيون التواريخ: «نوال» .

[٦] في عيون التواريخ: «ومن الرزية» .

[٧] في نزهة الألباء، ووفيات الأعيان، والمختصر، وتاريخ ابن الوردي، وعيون التواريخ: «ويخان فيه مع الكساد» . وفي مختصر تاريخ دمشق «منه» .

[٨] الأبيات في: نزهة الألباء ٢٨٦، ووفيات الأعيان ١/ ٥٨، ومختصر تاريخ دمشق ٤/ ٨٢، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٤، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٣٦، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٠٩، ومرآة الزمان ج ٨ ق ١/ ١٣٤.

[٩] في عيون التواريخ: «جفنك» .." (١)

"جاد بما يملأ الحقائب لي ... وحدث بالمدح يملأ الحقبا

وكم تصيدته والصبى شركي ... شرب ظبا لحاطمين ظبا

على عذير برده نظمت ... نوادرها حول بدره شهبا

يدق فيه الغمام أسهمه ... فيكتسي من نصالها حسبا

ويعجم الطل ما يحط على صفحته ... مر شمال وصبا

ضروب نقش كأنما خلع الزهر ... عليهن برده طربا

لو كن يتقين ظنهن صفي ... الدولة الأحرف التي كتبا [١]

قال ابن السمعاني: خرج الغزي متوجها من مرو إلى بلخ في سنة أربع وعشرين، فأدركته المنية في الطريق، فحمل إلى بلخ ودفن بها، وله ثلاث وثمانون سنة [٢] .

٤٦- إسماعيل بن الفضل بن أحمد بن محمد بن علي بن الإخشيد [٣] .

---

[١] ومن شعره:

إنما هذه الحياة متاع ... والسفيه الغوي من يصطفيها

ما مضى فات والمؤمل غيب ... ولك الساعة التي أنت فيها

وله من قصيدة:

ليت الذي بالعشق دونك خصني ... يا ظالمي قسم المحبة بيننا

ألقى الهزبر فلا أخاف وثوبه ... ويروعني نظر الغزال إذا رنا

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٩٢/٣٦

وله:

وقالوا بع فؤادك حين تهوى ... لعلك تشتري قلبا جديدا

إذا كان القديم هو المصافي ... وخان فكيف آمن الجديدا؟

وترك قول الشعر وغسل كثيرا منه، وقال:

قالوا: هجرت الشعر. قلت: ضرورة ... باب البواعث والدواعي مغلق

خلت البلاد فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب إنه لا يشترى ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق

(المنتظم) .

[٢] وقال ابن الجوزي: وكان يقول: إني لأرجو أن يعفو الله عني ويرحمني لأني شيخ مسن قد جاوزت السبعين، ولأني من بلد الإمام الشافعي. وكان موته في هذه السنة حقق الله رجاءه (المنتظم) .

[٣] انظر عن (إسماعيل بن الفضل) في: التحبير ١/ ١٠١- ١٠٤ رقم ٢٧، والإعلام بوفيات الأعلام ٢١٤، والمعين في طبقات المحدثين ١٥٣ رقم ١٦٦١، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٥٥٥، ٥٥٦ رقم ٣٢٢، والعبر ٤/ ٥٥، وعيون التواريخ ١٢/ ٢٢٠، ومرآة الجنان." (١)

"

[()]

أبني لست بعالم ما أصنع ... بكم، أأجمع شملكم أم أصدع

ما قطع الأرحام جاهلكم بما ... أبداه، بل كبدي بذلك يقطع

أصبحت أعمى بل أصم بكل ما ... أمسيت انظر منكم أو أسمع

وإذا يئست من الصلاح بفعلكم ... أملت أصلكم الزكي فأطمع

وأقول: جدكم أجل القوم من ... سلجوق تاج الدولة المتورع

أضحى لأمر الله متبعا وإن ... أضحى له كل الخلائق يتبع

وأبوكم من ليس ينكر أنه ... الندب الكمي الألمعي الأروع

زاد الجيوش برأيه وبسيفه ... عن شيزر فتفرقوا وتصدعوا

قد رد عنها القرم والإفرنج و ... الأتراك والأعراب حين تجمعوا

أوصيكم بتقى الذي أعطاكم ... ملكا تذل له الملوك وتخضع

وبحفظ بعضكم لبعض ما غدا ... نجم يعود بأفقه أو يطلع

لا تشمتوا بكم الوشاة وحاذروا ... أقوالهم فهي السمام المنقع

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٦/٩٥

(تاريخ دمشق ١٦/ ٨٩، وفوات الوفيات ١/ ٢٦ (بتحقيق محمد عبد الحميد) ، وعيون التواريخ ١٢/ ٤٣٢، وتهذيب تاريخ دمشق ٦/ ١٨٧) .

وقد صحبه الشاعر أحمد بن منير الطرابلسي وأقام عنده بشيزر مدة، وذكر الأمير أبو الفضل إسماعيل بن سلطان فقال: عمل والدي طستا من فضة، فعمل ابن منير أبياتا كتبت عليه، من جملتها:

أيا صنو مائدة لأكرم مطعم ... مأهولة الأرجاء بالأضياف

جمعت أياديه إلى أيادي الألاف ... بعد البذل للألاف

ومن العجائب راحتي من راحة ... معروفة المعروف بالإتلاف

وأنشده مجد العرب العامري في شيزر سنة ٥٢٤ هـ:

لمعت وأسرار الدجى لم تنشر ... نار كحاشية الرداء الأحمر

فعلمت أن وراءها من عامر ... غيران يفرح بالنزيل المقتر

يا أخت موقدها، وما من موقد ... فوق الثنية والكثيب الأعفر

لسواي عندي من سوامكم قرى ... وقراي قبلة ناظر أو محجر

فارعي- رعاك الله- مسغفة به ... ضيفا، متى يرع يوما يشكر

وافى يؤمك راكبا جنح الدجى ... متقلدا ضوء الصباح المسفر

وهي طويلة. (خريدة القصر ٢/ ١٥٦- ١٦٠) .

وقال الصفدي: كان شجاعا ذا سياسة ورياسة وحزم، فاضلا، شاعرا، روى الحديث، وولي شيزر، وهو شاب، فكان في حكم الكهول وشجاعة الشبان. حكى ابن أخيه أسامة أن أبا عساكر قال لجماعة هو منهم: تعلمون لم صارت آمال الشيوخ أقوى من آمال الشباب؟ قلنا:

لا. قال: لأن الشيوخ أملوا أشياء وطالت أعمارهم فصار لهم إدراك ما أملوا عادة، فلذلك قويت آمالهم.

ومن شعره ما كتب به إلى أخيه أبي سلامة مرشد في معنى مغيض الدمع إلى الأحشاء:

لي مقلة إنسانها غرق ... وحشا بنار الشوق تأتلق." (١)

"وله:

رثى لي وقد ساويته في نحو له ... خيالي لما لم يكن لي راحم

فدلس بي حتى طرقت مكانه ... وأوهمت إلفي أنه بي حالم

وبتنا ولم يشعر بنا الناس ليلة ... أنا ساهر في جفنه، وهو نائم [١]

وله، وقد ناب عن القاضي ناصر الدين عبد القاهر بن محمد بتستر، وعسكر مكرم:

ومن النوائب أنني ... في مثل هذا الشغل نائب

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٤٣/٣٧

ومن العجائب أن لي ... صبرا على هذي العجائب [٢]

وله:

أحب المرء ظاهره جميل ... لصاحبه وباطنه سليم

مودته تدوم لكل هول ... وهل كل مودته تدوم؟ [٣]

وله:

وهل دفعت إلى الهموم تنوبني ... منها ثلاث شدائد، جمعن لي

أسف على ماضي الزمان، وحيرة ... في الحال، وخشية المستقبل

ما إن وصلت إلى زمان آخر ... إلا بكيت على الزمان الأول

وله:

حيث انتهيت من الهجران لي فقف ... ومن وراء دمي بيض الظبا [٤] فخف [٥]

يا عابثا بعدات الوصل يخلفها ... حتى إذا جاء ميعاد الفراق يفي

اعدل كفاتن قد منك معتدل ... واعطف كمائل غصن [٦] منك منعطف

ويا عذولي ومن يصغي إلى عذل ... إذا رنا أحور العينين لا تقف [٧]

---

[١] وفيات الأعيان ١/ ١٥٣، الوافي بالوفيات ٧/ ٣٧٤.

[٢] وفيات الأعيان ١/ ١٥٢، الوافي بالوفيات ٧/ ٣٧٣، ٣٧٤، معاهد التنصيص ٣/ ٤٢.

[٣] وفيات الأعيان ١/ ١٥٤، الوافي بالوفيات ٧/ ٣٧٤.

[٤] في عيون التواريخ: «سمر القنا» .

[٥] في المنتظم: «فجف» .

[٦] في عيون التواريخ: «كسائل صدغ» .

[٧] في عيون التواريخ: «أحور العينين ذو هيف» .." (١)

"وذكر أبو طالب عبد الرحمن بن محمد بن عبد السميع الهاشمي في كتاب «المناقب العباسية» المقتفي، فقال: كانت أيامه نضرة بالعدل، زهرة بفعل الخيرات، وكان على قدم من العبادة قبل إفضاء الأمر إليه ومعه.

وكان في أول عمره متشاغلا بالدين، ونسخ [ربعات] [١] وقرأ القرآن إلى أن قال: ولم ير مع سماحته ولين جانبه ورأفته بعد المعتصم خليفة في شهامته وصرامته وشجاعته، مع ما خص به من زهده وورعه وعبادته. ولم تزل جيوشه منصورة حيث يممت.

قال ابن الجوزي [٢] : مات بالتراقي، وقيل: دمل في عنقه، فتوفي ليلة الأحد ثاني ربيع الأول، عن ست وستين سنة [إلا]

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٧٩/٣٧

[٣] ثمانية وعشرين يوما.

قال: **ومن العجائب** أنه وافق أباه في علة التراقي، وماتا جميعا في ربيع الأول.

وتقدم موت شاه محمد على موت المقتفي بثلاثة أشهر، وكذلك المستظهر مات قبله السلطان محمد بن ملك شاه بثلاثة أشهر. ومات المقتفي بعد الغرق بسنة، وكذلك القائم مات بعد الغرق بسنة [٤] .

وكان من سلاطين دولته السلطان سنجر صاحب خراسان، والسلطان نور الدين صاحب الشام.

واستوزر عون الدين يحيى بن هبيرة. وكان هو الذي قام بحشمة الدولة العباسية، وقطع عنها أطماع الملوك السلجوقية وغيرهم من المتغلبين. ومن

---

[١] في الأصل بياض.

[٢] في المنتظم ١٠/ ١٩٧ (١٨/ ١٤٤) .

[٣] في الأصل: «ست وستين سنة وثمانية» . والتصويب من (المنتظم) .

[٤] زاد ابن الجوزي: قال لنا عفيف الناسخ- وكان رجلا صالحا-: رأيت في المنام قبل دخول سنة خمس وخمسين قائلا يقول: إذا اجتمعت ثلاث خاءات كان آخر خلافته. قلت: خلافة من؟ قال: خلافة المقتفي. قلت: ما معنى اجتماع الخاءات؟ قال: سنة خمس وخمسين وخمسمائة.." (١)

"أبو محمد المروزي، الخياط، الزاهد. من صلحاء مريدي الشيخ يوسف الهمذاني.

قال عبد الرحيم بن السمعاني: كان صالحا، خيرا، ورعا، كثير العبادة، متواضعا، يأكل من الخياطة. حملني أبي إليه في سنة خمس وخمسين عائدا وزائرا، وقرأ عليه حديثين وحكاية.

- حرف الشين-

٢٤٤-[شجاع] [١] .

الفقيه الحنفي.

مدرس مشهد أبي حنيفة ببغداد.

وتفقه عليه جماعة. وتوفي في ذي القعدة.

قاله أبو الفرج بن الجوزي [٢] .

- حرف الصاد-

٢٤٥- صدقة بن الحسين بن أحمد بن محمد بن وزير [٣] .

---

[١] في الأصل بياض. والمستدرك من المنتظم ١٠/ ٢٠٤ رقم ٢٩٥ (١٨/ ١٥٤ رقم ٤٢٤٦) ، والكامل في التاريخ ١١/

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٨/١٧٤

٢٨٩، والبداية والنهاية ١٢/ ٢٤٥، والوافي بالوفيات ١٦/ ١١٢، ١١٣ رقم ١٢٤، والجواهر المضية ٢/ ٢٤٦، ٢٤٧ رقم ٦٤٠، وكتائب أعلام الأخيار، رقم ٣٧٦، والطبقات السنية، رقم ٩٦٦، والفوائد البهية ٨٣.

[٢] وهو قال: جيد الكلام في النظر.

وقال ابن أبي الوفاء القرشي: شجاع بن الحسن بن الفضل البغدادي أبو الغنائم. أحد المبرزين من الفقهاء، مع دين اشتهر به.. تفقه عليه ولده عبد الرحمن بن شجاع. كان عالما بالمذهب والخلاف، متدينا، حسن الطريقة. روى شيئا من الأناشيد عن الشريف أبي طالب الزينبي، والكيا علي بن محمد الهراسي. روى عنه أحمد بن طارق.

أنشد شجاع ما أنشده أبو طالب الزينبي وقد دخل عليه الموفق رسول ملك غزنة:

يا نازحا شط المزار به ... شوقي إليك يزيد عن وصفي

أغفي لكي ألقاك في حلمي ... **ومن العجائب** عاشق يغفي

وكان مولده سنة ٤٧٩ هـ.

[٣] انظر عن (صدقة بن الحسين) في: المنتظم ١٠/ ٢٠٤ رقم ٢٩٦ (١٨/ ١٥٤ رقم ٤٢٤٧) ،." [١]

"قصد بلاد هؤلاء الملاحدة، وهي قلاع حصينة، منيعة، كبيرة، يقال إنها ممتدة إلى أطراف الهند. وقد حكم على الملاحدة بعد صباح ابنه محمد، ثم بعده الحسن بن محمد بن صباح المذكور، فرأى الحسن من الحزم أن يتظاهر بالإسلام، وذلك في سنة سبع وستمائة، فادعى، أنه رأى عليا عليه السلام في النوم يأمره أن يعيد شعار الإسلام من الصلاة، والصيام، والأذان، وتحريم الخمر. ثم قص المنام على أصحابه وقال: أليس الدين لي؟

قالوا: بلى.

قال: فتارة أرفع التكاليف، وتارة أضعها.

قالوا: سمعا وطاعة.

فكتب بذلك إلى بغداد والنواحي، واجتمع بمن جاوره من الملوك، وأدخل بلاده القراء، والفقهاء، والمؤذنين، واستخدم في ركابه أهل قزوين.

وذلك **من العجائب**.

وجاء رسوله ونائبة في صحبة رسول الخليفة إلى الملك الظاهر إلى حلب، بأن يقتل النائب الأول ويقيم هذا النائب له على قلاعهم التي بالشام.

فأنفق عليهم الظاهر وأكرمهم، وخلصوا بإظهار الإسلام من يد خوارزم شاه.

رجعنا إلى أخبار سنان. كان أعرج لحجر وقع عليه من الزلزلة الكائنة في دولة نور الدين. فاجتمع إليه محبوه، على ما ذكر الموفق عبد اللطيف، لكي يقتلوه. فقال لهم: ولم تقتلوني؟.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٣٨/٢٢٥

قالوا: لترجع إلينا صحيحا، فإنا نكره أن يكون فينا أعرج.

فشكرهم ودعا لهم، وقال: اصبروا علي، فليس هذا وقته. ولاطفهم.

ولما أراد أن يحلهم من الإسلام، ويسقط عنهم التكاليف لأمر جاءه من." (١)

"من للجدال إذا الشفاه تقلصت ... وتأخر القرم الهزبر المصقع

من للدياجي قائما ديجورها ... يتلو الكتاب بمقلة لا تهجع

أجمال دين محمد مات التقى ... والعلم بعدك واستجم المجمع

يا قبره جادتك كل غمامة ... هطالة بركابه [١] لا تقلع

فيك الصلاة مع الصلات [٢] فته به ... وانظر به بارئك [٣] ماذا يصنع

يا أحمدا خذ أحمد الثاني الذي ... ما زال عنك مدافعا لا يرجع

أقسمت لو كشف الغطاء لرأيتم ... وفد الملائك حوله يتسرعوا [٤]

ومحمد [٥] يبكي عليه وآله ... خير البرية والبطين الأنزع

في أبيات.

ومن العجائب أنا كنا يومئذ بعد انقضاء العزاء عند القبر، وإذا بخالي محيي الدين يوسف قد صعد من الشط، وخلفه تابوت، فقلنا: ترى من مات في الدار؟ وإذا بها خاتون والدة محيي الدين، وعهدي بها ليلة الجمعة في عافية، وهي قائمة، فكان بين موتهما يوم وليلة. وعد الناس ذلك من كراماته، لأنه كان مغرى بحبها.

وخلف من الوليد عليا، وهو الذي أخذ مصنفات والده وباعها بيع العبيد، ومن يزيد. ولما أحدر والده إلى واسط تحيل على كتبه بالليل، وأخذ منها ما أراد، وباعها ولا بثمن المداد. وكان أبوه قد هجره منذ سنين، فلما امتحن صار إلبا عليه. ومات أبوه ولم يشهد موته.

وخلف محيي الدين يوسف، وكان قد ولد سنة ثمانين وخمسمائة، وسمع الكثير، وتفقه، وناظر، ووعظ تحت تربة والدة الخليفة، وقامت بأمره

---

[١] في مرآة الزمان ٨/ ٥٠١ «ركابه» .

[٢] في الوافي ١٨/ ١٩٤ «الصلاة» ، وكذا في مرآة الزمان.

[٣] في مرآة الزمان ٨/ ٥٠١، والوافي: «يا ويك» .

[٤] في المرآة: «تتسرع» .

[٥] في المرآة: «ومحمدا» .." (٢)

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤١/٣٢٨

(٢) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٢/٢٩٩

"فقال له: دام علا العماد.

وذلك مما يقرأ مقلوبا وصحيحا [١] .

قال ابن خلكان [٢] : ولم يزل العماد على مكانته إلى أن توفي السلطان صلاح الدين، فاختلت أحواله، ولم يجد في وجهه بابا مفتوحا. فلزم بيته وأقبل على تصانيفه.

وأله: معناه بالعربي العقاب، وهو بفتح الهمزة، وضم اللام، وسكون الهاء.

وقيل إن العقاب جميعه أنثى، وإن الذي يسافده طائر من غير جنسه، وقيل: إن الثعلب هو الذي يسافده، وهذا **من العجائب**.

قال ابن عنين في ابن سودة:

ما أنت إلا كالعقاب فأمه ... معروفة وله أب مجهول

وقال الموفق عبد اللطيف: حكى لي العماد من فلق فيه، قال: طلبني كمال الدين لنيابته في ديوان الإنشاء، فقلت: لا أعرف الكتابة. فقال: إنما أريد منك أن تثبت ما يجري فتخبرني به.

فصرت أرى الكتب تكتب إلى الأطراف، فقلت لنفسي: لو طلب مني أن أكتب مثل هذا ماذا أكنت أصنع؟ فأخذت أحفظ الكتب وأحاكيها، وأروض نفسي فيها. فكتبت كتبا إلى بغداد، ولا أطلع عليها أحدا. فقال كمال الدين يوما: ليتنا وجدنا من يكتب إلى بغداد ويريحنا. فقلت: أنا أكتب إن رضيت.

فكتبت وعرضت عليه، فأعجبه فاستكتبني. فلما توجه أسد الدين إلى مصر في المرة الثالثة صحبته.

قال الموفق: وكان فقهه على طريقة أسعد الميهني، ومدرسته تحت القلعة. ويوم يدرس تتسابق الفقهاء لسماع كلامه وحسن نكته. وكان بطيء

---

[١] وفيات الأعيان ٥/ ١٥٠.

[٢] في وفيات الأعيان ٥/ ١٥٢.." (١)

"٤١٧- أحمد بن يوسف بن محمد بن خشيش [١] .

أبو العباس الأزجي، الدقاق.

سمع من: أبي البركات يحيى بن عبد الرحمن الفارقي، وأبي القاسم بن السمرقندي.

٤١٨- إبراهيم بن أحمد بن علي [٢] .

أبو منصور الأسدي، العامري، البصري، القطان.

توفي ببغداد وله ست وسبعون سنة.

سمع بالبصرة من: أبي جعفر الغطريف بن عبد الله، وطلحة بن علي العامري.

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٢/ ٣٢٠

وحدث ببغداد. وكان له فهم ومعرفة ما.

روى عنه: ابن النجار.

٤١٩- إبراهيم بن عبد العزيز بن محمد بن علي بن أبي الفوارس [٣] .

[()]

سقاك يا دارهم ومعهدهم ... كل سحاب مزمجر ماطر

ومنه أيضا:

كم ترشق النكبات نفس عزائمي ... وعلي من جزعي أعد دلاص

ومن العجائب أن كل بلاغة ... جمحت مطاوعتي وحظي عاص

والطير جنس واحد لكنما ... للغاتهن حبسن في الأقفاص

وقال مما يحسن أن يكتب على قبر:

أمرت فلم نقبل لسوء اختيارنا ... وها نحن أسرى في يديك إلهنا

وكانت أماني الحياة تسوقنا ... بتسويفها بالخير حتى إلى هنا

فإن أنت يا رب انتقمت فعادل ... وإن أنت حققت المنى قلنا الهنا

[١] انظر عن (أحمد بن يوسف) في: التكملة لوفيات النقلة ١/ ٤٢٠ رقم ٦٥٦، وتاريخ ابن الدبيثي (باريس ٥٩٢١) ورقة ٢٣٧، وتلخيص مجمع الآداب ٤/ رقم ١٦، والمختصر المحتاج إليه ١/ ٢٢٥.

[٢] انظر عن (إبراهيم بن أحمد) في: التكملة لوفيات النقلة ١/ ٤١٢، ٤١٣ رقم ٦٤٣، وتاريخ ابن الدبيثي (باريس ٥٩٢١) ورقة ٢٤٣، ٢٤٤، وتلخيص مجمع الآداب ٤/ رقم ٥٧٠.

[٣] انظر عن (إبراهيم بن عبد العزيز) في: المختار من تاريخ ابن الجزري ٧٨- ٨٠، والمقفى الكبير للمقريزي ١/ ٢٢٨ رقم ٢٤٨ ولم يذكره الأدفوي في (الطالع السعيد) مع أنه من شرطه.." (١)

"وآخر من روى عنه: الأخوان عيسى وعبد الله ابنا القاهري، والحارث بن مسكين المصري [١] .

[حرف الدال]

٢٨١- داود بن أحمد [٢] بن يحيى.

---

[١] وقال ابن المستوفي: ورد إربل منصرفا عن الأعمال الجليلة بمصر خوفا من الوزير عبد الله بن شكر. أقام بحلب مدة. ثم أتى إربل. اجتمع بأبي الخطاب عمر بن الحسن بن علي ذي النسبين بمنزلي، وأطالا الحديث. أثنى عليه كثيرا وذكر شرفه وشرف أصله، وأكثر من قوله: «يا لله ابن عثمان- على شرف منصبه- يرد إربل. أنشدني له الحسن بن

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٢/٣٣٤

علي بن أبي الساج المصري، وذكر حكاية طويلة:

لا يعجبنك راكب متلبس ... فعساه من علم وعقل مفلس

ومن العجائب أن يكون لجاهل ... فضل اللبيب وقد علاه السندس

إني لأعجب من تعدى طوره ... حتى يضيق علي منه المجلس

وذكر أن أم ابن عثمان شريفة حسينينة.

ذاكرت به الحافظ أبا محمد عبد الرحمن بن عمر الحراني، فكتب لي ترجمته بيده ... أحد من عنى بهذا الشأن وجمعه وتحصيله. له الخط الوافر من البراعة والبلاغة. أعلم من كان في زمانه بالكتابة والترسل- فيما يقال- يكتب الكتاب من آخره إلى أوله ... أنشدنا القاضي أبو القاسم المخزومي لفظا لنفسه في الشيب:

مطايا الليالي بالأنام تسير ... وعارض شيب العارضين نذير

وقد حددت خمسون عاما قطعتها ... بأن الذي من بعدهن يسير

وأبدت لنا الدنيا خفيات مكرها ... وشيطان آمال البقاء غرور

وما غاية الأعمار إلا ذهابها ... وآخرها بعد القصور جفير

وما طيب عيش يرجح المرء بعده ... رميما ومن بعد الرميم نشور

فلا العيش يصفو في الزمان فنجتني ... عجالة نفسي للفناء تصير

ولا القلب مرتاض على الزهد والتقى ... فيطلق من سجن الذنوب أسير

ولولا رجاء العفو من فضل قادر ... لما مر بالمرء المسيء سرور

فبادر فإن الله للتوب قابل ... شديد عقاب للذنوب غفور

(تاريخ إربل) .

وقال صاحب «المغرب» : ولما غض به الصاحب بن شكر وخاف على الوزارة منه، نصب له حبائل العداوة، ففر أمامه، وعاد من إربل إلى القاهرة بعد ما أقام بحلب مدة. فلم يزل يقاسي من عداوة ابن شكر شدة إلى أن حضر يوما مجلسه فصاح عليه ابن شكر في أثناء نزاع وكلام، فخرجت نفسه في ذلك المكان، وكان ذلك من أعجب وقائع الزمان.

[٢] انظر عن (داود بن أحمد) في: تاريخ ابن الدبيثي (باريس ٥٩٢٢) ورقة ٤٧، ٤٨، والتكملة لوفيات." (١)

"انخساف القمر

وفي هذه السنة انخسف القمر مرتين [١] .

برد ماء عين القيارة

وفيها برد ماء عين القيارة [٢] حتى كان السابح يجد البرد، فتركوها، وهي معروفة بحرارة الماء، بحيث إن السابح فيها يجد

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٤/٢٣٧

الكرب. وكان بردها في هذه السنة **من العجائب** [٣] .

كثرة الحيوانات

وفيها كثرت الذئاب، والخنازير، والحيات، وقتل كثير منها [٤] .

القحط والجراد بالموصل

وفيها كان قحط وجراد كثير بالموصل.

وجاء برد كبار أفسد الزرع والمواشي، قيل: كان وزن البردة مائتي درهم، وقيل: رطلا بالموصلي [٥] .

وفاة الظاهر بأمر الله

وفي رجب توفي أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله، وكانت خلافته تسعة أشهر ونصفا [٦] .

---

[١] انظر خبر (الخسوف) في: الكامل ١٢/ ٤٦٦، والمختار من تاريخ ابن الجزري ١٣٠، والعسجد المسبوك ٢/ ٤٢٤، وتاريخ الخميس ٢/ ٤١٣.

[٢] عين القيارة: تحت الموصل، وماؤها معدني حار، يستحم فيه الناس للشفاء من أمراض المفاصل حتى الآن. (معجم البلدان ٤/ ٤١٩) .

[٣] الخبر في: الكامل ١٢/ ٤٦٦، المختار من تاريخ ابن الجزري ١٣٠، والعسجد المسبوك ٢/ ٤٢٤.

[٤] خبر (الحيوانات) في: الكامل ١٢/ ٤٦٦، والمختار من تاريخ ابن الجزري ١٣٠، والعسجد المسبوك ٢/ ٤٢٤.

[٥] خبر (القحط والبرد) في: الكامل ١٢/ ٤٦٦، والمختار من تاريخ ابن الجزري ١٣١.

[٦] ستأتي ترجمة الظاهر بأمر الله ومصادرها في الوفيات برقم (٢٠٠) .." (١)

"جنحوا إلى قول الوشاة وأعرضوا ... والله يعلم أن ذلك مفترى

يا معرضا عني بغير جناية ... إلا لما اختلق الحسود [١] وزورا

منها:

فارقتها لا عن رضا وهجرتها ... لا عن قلى ورحلت لا متخيرا

أشكو إليك نوى تمادى عمرها ... حتى حسبت اليوم منها أشهرا

ومن العجائب أن يقيل بظلكم ... كل الورى ونبذت وحدي بالعرا

لا عيشتي تصفو ولا رسم الهوى ... يعفو ولا جفني يصافحه الكرا

[٢] وله:

مال ابن مازة دونه لعفاته ... خرط القتادة وامتطاء الفرقد

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٧/٤٥

مال لزوم الجمع يمنع صرفه ... في راحة مثل المنادي المفرد

وقال أبو حفص ابن الحاجب: اشتغل بطرف من الفقه على القطب النيسابوري، والكمال الشهرزوري. وقرأ الأدب على أبي الثناء محمود بن رسلان، وذكر أنه سمع ببغداد من منوجهر بن تركانشاه راوي «المقامات» .

واشتغل بالري على ابن الخطيب. وكانت أدواته في الأدب كاملة. ذو نوادر للخاصة والعامة، وله الشعر الرائق، كان أوحد عصره في نظمه ونثره، يخرج جده معرض المزح، وقاد الخاطر على كبر السن. أقامه الملك المعظم مقام نفسه في ديوانه، وكان محمود الولاية، كثير النصفة، مكفوف اليد عن أموال الناس مع عظم الهيبة، إلا أنه في الآخر ظهر منه سوء اعتقاد، وطعن على السلف، واستهتار بالشريعة، وكثر عسفه وظلمه، وترك الصلاة، وسب الأنبياء، ولم يزل يتناول الخمر إلى قبل وفاته بقليل. توفي في العشرين من ربيع الأول سنة ثلاثين.

قلت: وله ترجمة في «تاريخ» ابن النجار» وقال [٣] : نظر في الديوان بدمشق مدة ولم تحمد سيرته، فعزل ولزم بيته عاجزا عن الحركة لعلو سنة.

وهو من أملح أهل زمانه شعرا، وأحلاهم قولا وأرشقهم رصفا، ظريف

---

[١] معجم الأدباء ١٩/ ٨٤.

[٢] الأبيات في ديوان ابن عنين ٣، ووفيات الأعيان ٥/ ١٦، ١٧، ومعجم الأدباء ١٩/ ٨٤- ٨٦.

[٣] قوله في القسم الضائع من تاريخه.." (١)

"[القبض على جماعة أمراء بمصر]

ثم سار السلطان بالجيش حتى أشرف على عكا، ورجع ودخل مصر في ثالث عشر ذي الحجة. ونابه في هذه السفرة فوق ثمانمائة ألف دينار [١] . فلما دخل قبض على هؤلاء الأمراء الكبار: الحلبي، والمحمدي، وأيدغدي الحاجبي، والمساح، وبيدغان، وطوطج، لأنه بلغه عنهم أنهم هموا بالفتك به [٢] .

[السيل بمكة المكرمة]

ومن عجيب الاتفاق أن مكة جاء بها زيادة وسيل عرمرم، بحيث أن الماء بلغ إلى فوق الحجر الأسود [٣] .

[نقصان المياه وإبطال الطواحين]

ومن العجائب أن مياه دمشق والعاصي والفرات قلت ونقصت نقصا مجحفا، حتى هلك شيء كثير من الأشجار، وبطلت الطواحين، وعملت طواحين بمدارات. وكانت الفواكه في هذه السنة قليلة.

[تعيينات في مدارس دمشق]

ومما جرى في هذه السنة وقبلها وبعدها تولي القاضي نجم الدين ابن سني الدولة تدريس الأمينية، والقاضي عز الدين ابن الصائغ تدريس العادلية، وأخوه

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤١٣/٤٥

[()] و «القرين» : حصن من حصون الأرمن، وكان لطائفة يقال لهم الاسبتار، وهو من أمنع الحصون على صفد. (نهاية الأرب ٢٨/ ١٠٣) وقال البرزالي: «وكان بناؤه من الحجر الصلد، وبين كل حجرين عمود حديد ملزوم بالرصاص، فأقاموا في هدمه اثني عشر يوما» (المقتفي ١/ ورقة ٢٤ أ) .

[١] المقتفي للبرزالي ١/ ورقة ٢٤ ب، وعيون التواريخ ٢٠/ ٤٠٣.

[٢] خبر القبض على الأمراء في: المقتفي للبرزالي ١/ ورقة ٢٤ ب. وفيه أنهم كانوا اتفقوا على قبضه بالشقيف، ونهاية الأرب ٣٠/ ١٨٠، والسلوك ج ١ ق ٢/ ٥٩٥، والدرة الزكية ١٦٣، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٢٠، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٦٠، وعيون التواريخ ٢٠/ ٤٠٤.

[٣] لم يذكر الفاسي قاضي مكة هذا الخبر في كتابه (شفاء الغرام) .." (١)

"طار قلبي [١] يوم ساروا فرقا ... وسواء فاض دمعي أو رقا [٢]

جار في سقمي من بعدهم ... كل من في الحي داوى أو رقى [٣]

بعدهم لا ظل وادي المنحنا [٤] ... وكذا بان الحمى لا أورقا [٥]

وكان يحضر حلقة شمس الدين ابن عبد الوهاب جماعة من المذاهب، وكان يقرئ قصيدة ابن الفارض التائية الملقبة بنظم السلوك، ويشرحها، فيبكي بكاء كثيرا.

وكان رقيق القلب، صحب الفقراء مدة، وقد ترجمه صاحبه شمس الدين ابن أبي الفتح بهذا وأكثر.

وحدثني ابن تيمية شيخنا، عن ناصر الدين إمام الناصرية، أنه كان يحضر في حلقة ابن عبد الوهاب، فرآه يشرح في «التائية» لابن الفارض، قال:

فلما رحت أخذني ما قدم وما حدث، وانحرجت وقلت: لأنكرن غدا عليه، وأحط على هذا الكلام.

قال: فلما حضرت وسمعت الشرح لذ لي وحلا، فلما رحت فكرت في الكلام الذي شرحه، وفي الأبيات، فثارت نفسي، وعزمت على الإنكار، فلما حضرت لذ لي أيضا واستغرقني. أصابني ذلك مرتين أو ثلاثا.

[١] في عيون التواريخ ٢١/ ١٢٠ «طار نومي» .

[٢] الصواب: «رقى» .

[٣] في الأصل: «أو رقا» .

[٤] هكذا في الأصل. والصواب: «المنحنى» .

[٥] ومن شعره:

أيها المعرض عني ... جعلت روحي فداكا

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ٤٩/٥٨

كان لي صبر ولكن ... أحسن الله عزاكا

فيه، لا بل في إن دام ... - وحاشاك! - جفاكا

وقوله:

أليس **من العجائب** فرط شوقي ... إلى من ليس يبرح في فؤادي

وتطلبه مدى الأيام عيني ... القريحة وهو منها في السواد." (١)

"وأما الموفق فبعث إلى إسحاق بخلع وأموال، وأقطعه ضياع القواد الذين كانوا مع المعتمد.

وقال الصولي: كان المعتمد قد ضجر من أخيه الموفق، فكاتب ابن طولون واتفقا فذكر الحكاية.

وقال المعتمد:

أليس **من العجائب** أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه؟

وتوكل باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه؟

تلقيت ذي الوزارتين وذي السيفين:

ولقب الموفق صاعدا: ذا الوزارتين، ولقب ابن كنداج: ذا السيفين.

وأقام صاعد في خدمة المعتمد، ولكن ليس للمعتمد حل ولا ربط.

مصادرة ابن طولون للقاضي بكار بن قتيبة:

ولما بلغ ابن طولون ذلك جمع القضاة والأعيان وقال: قد نكث الموفق أبو أحمد بأمير المؤمنين فاخلعوه من العهد. فخلعوه إلا القاضي بكار بن قتيبة؛ فقال: أنت أوردت علي كتابا من المعتمد بولاية العهد، فأورد علي كتابا آخر منه بخلعه.

فقال: إنه محجور عليه ومقهور.

فقال: لا أدري.

فقال ابن طولون: أغرك الناس بقولهم: ما في الدنيا مثل بكار؛ أنت شيخ قد خرفت. وحبسه وقيده، وأخذ منه جميع عطاياه من سنين، فكان عشرة آلاف دينار، فقيل: إنها وجدت في بيت بكار بختمها وحالها.

وبلغ الموفق فأمر بلعنة ابن طولون على المنابر.

سير ابن طولون إلى المصيصة وتراجعه:

وفيها سار ابن طولون إلى المصيصة. وبها يازمان الخادم، فتحصن ونزل ابن طولون بالمرج والبرد شديد. فشق عليه يازمان نهر طرسوس، فغرق المرج وهلك عسكر ابن طولون، فرحل وهو خائف، فخرج أهل طرسوس فنهبوا بقايا عسكره." (٢)

"ومن شعره:

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة ... باب الدواعي والبواعث مغلق

---

(١) تاريخ الإسلام ت تدمري الذهبي، شمس الدين ١٩٨/٥٠

(٢) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ١٩/٢٠

خلت الديار فلا كريم يرتجى منه ... النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب أنه لا يشترى ... ومع الكساد يخان فيه ويسرق

وله:

أإحتمال خد يوم وجرة أم جيد ... أم اللحظ فيما غازلتك المها الغيد

سفرن فقال الصبح لست بسفير ... ومسن فقال البان ما في أملود

وخوطية المهتز أمكن وصلها ... وطرف رقيت الحي بالنوم مصفود

لك النوم تحت السجف والطيب والحلى ... ولى عزماتي والعلندات والبيد

فقالت أمط عنك القريض وذكره ... فما لك في نظم القصائد تجويد

وله:

طول حياة ما لها طائل ... نقص عندي كلما يشتهى

أصبحت مثل الطفل في ضعفه ... تشابه المبتدأ والمنتهى

فلا تلم سمعي وإن خانني ... إن الثمانين وبلغتها

وله:

بجمع جفنيك بين البرء والسقم ... لا تسفكي من دموعي بالفراق دمي

إشارة منك تكفيني وأحسن ما ... رد السلام وغداة البين بالعنم

تعليق قلبي بذات القرط يؤلمه ... فينكر القرط تعليقا بلا ألم

وما نسيت ولا أنسى تجشمها ... ومنسم الجو غفل غير ذي علم

حتى إذا طاح منها المرط من دهش ... وانحل بالضم سلك العود في الظلم

تبسمت فأضاء الجو فالتقطت ... حبات متعثر في ضوء منتظم

وله:

إذا ما قل عقل المرء قلت همومه ... ومن لم يكن ذا مقلة كيف يرمد." (١)

"وأشير عليه بالإقامة فأبى وخرج إلى البركة فسئل في الرجوع فلم ينثن وصدقت عزيمته فلم يرض إلا الوفود إلى الله فأحرز إن شاء الله تعالى بركة قوله ﴿ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله﴾ ثم يدركه الموت ﴿فقد وقع أجره على الله﴾ وما رواه البيهقي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال

قال رسول الله من خرج حاجا فمات كتب له أجر الحاج إلى يوم القيامة

ولما مات إشتد تأسف الناس عليه خاصهم وعامهم كان من العلماء العاملين وله مصنفات في الفقه وأصوله وله كرامات ومكاشفات ومات أكبر أولاده محمد ليلة الجمعة رابع عشر شوال سنة ست وسبعين وثمانمائة فكان بينهما سنتان إلا يوما

---

(١) تاريخ الإسلام ط التوفيقية الذهبي، شمس الدين ٦٣/٣٦

ومن العجائب إتفاقهما في اليوم والشهر

ذو القعدة ثانية ورد السيد علاء الدين القصري من مصر بسبب النظر في أمر القضاة ونزل عند شهاب الدين بن حجر الأصم في منزله قبالة البادرائية وهرع إليهم الناس

ثامنه ورد مرسوم بعزل عبد القادر أخو الدوادار من الحسبة بالسيد صدر الدين بن عجلان فامتنع السيد من الدخول في ذلك

وفيه ورد مرسوم على يد خاصكي بتولية ناصر الدين محمد الأكرمي أستادار الأغوار فامتنع ورفع إلى القلعة وإستمر يومين ثم أطلق ودخل في ذلك قهرا ولا بأس به لكنهم أخذوا في التنكية عليه والله المدبر." (١)

"شوال فيه إنتهت المدرسة التي عمرها القاضي الشافعي الخيضري داخل باب الجابية قريبا من منزله ملاصقة لبيت ابن عطاء وأصله مسجد كان هناك صغيرا فوسعه وأحدث فيه خلاوي ومياه وميضأة ومنافع وجعل لها مرتبين عدة من المشتغلين بالعلم وعدة من الذين يقرأون القرآن تبين ذلك في =كتاب وقفه سابع عشره توجه الحاج الشامي وأميرهم محمد مبارك الحاجب الكبير وأمير الركب الحلبي تنبك الجلباني تاسع عشره ليلا حصلت زيادة في نهر بردا عظيمة هدمت بيوتا كثيرة وهدمت الإيوان الذي جدده الشيخ عماد الدين إسماعيل خطيب السقيفة بمنزله الذي خارج باب توما **ومن العجائب** أنه كان عندهم تلك الليلة جماعة في ضيافة مستكثرة من الرجال نحو ثلاثين رجلا بائتين في هذا الإيوان إلا أنهم سهروا وكان عندهم قراء ومنشدون وذكروا مدة طويلة وفي أواخر الليل عندما قصدوا أن يناموا في المكان وأحضرت إليهم الفرش واللحف ماج الإيوان فقاموا في الحال هربوا فلما صاروا في أرضية البحرة وقع الإيوان بجملته لكن الله سلمهم

ذو القعدة

ذو الحجة خامسه توجه كاتبه إلى القاهرة فدخل إلى بيت المقدس تاسعه وإلى بلد الخليل ثالث عشره وإلى القاهرة رابع عشريه وسبب سفري واقعة سيأتي الكلام عنها إن شاء الله تعالى خامس عشره توفي." (٢)

"وافر العقل، راغبا في الخير، قليل الظلم، محسنا إلى العلويين، وصولا لهم، أزال عن آل أبي طالب ما كانوا فيه من الخوف والمحنة بمنعهم من زيارة قبر الحسين، ورد على آل الحسين فدك، فقال يزيد المهلبي في ذلك:

ولقد بررت الطالبية بعدما ... ذموا زمانا بعدها وزمانا

ورددت ألفة هاشم فرأيتهم ... بعد العداوة بينهم إخوانا

بويع له بعد قتل أبيه في شوال سنة سبع وأربعين ومائتين، فخلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد الذي عقده لهما المتوكل بعده، وأظهر العدل والإنصاف في الرعية، فمالت إليه القلوب مع شدة هيبتهم له، وكان كريما حليما.

ومن كلامه: لذة العفو أعذب من لذة التشفي، وأقبح أفعال المقتدر الانتقام.

ولما ولي صار يسب الأتراك ويقول: هؤلاء قتلة الخلفاء فعملوا عليه، وهموا به، فعجزوا عنه، لأنه كان مهيبا، شجاعا، فطنا،

---

(١) تاريخ البصروي البُصْرَوي ص/٤٧

(٢) تاريخ البصروي البُصْرَوي ص/٦٢

متحرزا، فتحيلوا إلي أن دسوا إليه طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار في مرضه، فأشار بفصده ثم فصده بريشة مسمومة فمات ويقال: إن ابن طيفور نسي ذلك ومرض، فأمر غلامه ففصده بتلك الريشة، فمات أيضا، وقيل: بل سم في كمثراة، وقيل: مات بالخوانيق، ولما احتضر قال: يا أماه ذهبت مني الدنيا والآخرة، عاجلت أبي فعوجلت.

مات في خامس ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين، عن ست وعشرين سنة أو دونها، فلم يتمتع بالخلافة إلا أشهرا معدودة دون ستة أشهر، وقيل: إنه جلس في بعض الأيام للهو، وقد استخرج من خزائن أبيه فرشا، فأمر بفرشها في المجلس، فرأى بعض البسط دائرة فيها فارس وعليه تاج وحوله كتابة فارسية، فطلب من يقرأ ذلك، فأحضر رجل، فنظره فقطب، فقال: ما هذه؟ قال: لا معنى لها، فألح عليه، فقال: أنا شيرويه بن كسرى بن هرمز، قتلت أبي لم أمتمع بالملك إلا ستة أشهر، فتغير وجه المنتصر، وأمر بإحراق البساط وكان منسوجا بالذهب.

وفي لطائف المعارف للثعالي: أعرق الخلفاء في الخلافة المنتصر، فإنه هو وآباؤه الخمسة خلفاء، وكذلك أخواه المعتز والمعتمد.

قلت: أعرق منه المعتصم الذي قتله التتار، فإن أباءه الثمانية خلفاء.

قال الثعالبي: ومن العجائب أن أعرف الأكاسرة في الملك -وهو شيرويه- قتل أباه فلم يعش بعده إلا ستة أشهر، وأعرق الخلفاء في الخلافة -وهو المنتصر- قتل أباه فلم يتمتع بعده سوى ستة أشهر." (١)

"ولقبه ذا السندين: ولقب صاعدا ذا الوزارتين، وأقام صاعد في خدمة المعتمد، ولكن ليس للمعتمد حل ولا ربط وقال المعتمد في ذلك:

أليس من العجائب أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه؟

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه

إليه تحمل الأموال طرا ... ويمنع بعض ما يجبى إليه

وهو أول خليفة قهر وحجر عليه ووكل به، ثم أدخل المعتمد واسط، ولما بلغ ابن طولون ذلك جمع الفقهاء، والقضاة، والأعيان، وقال: قد نكث الموفق بأمير المؤمنين فاخلعوه من العهد، فخلعوه إلا القاضي بكار بن قتيبة فإنه قال: أنت أوردت علي من المعتمد كتابا بولايته العهد فأورد علي كتابا آخر منه بخلعه، فقال: إنه محجور عليه ومقهور، فقال: لا أدري، فقال ابن طولون: غرك الناس بقولهم: ما في الدنيا مثل بكار، أنت شيخ قد خرفت، وحبسه وقيده وأخذ منه جميع عطاياه من سنين، فكانت عشرة آلاف دينار، فقيل: إنها وجدت في بيت بكار بختمها، وبلغ الموفق ذلك، فأمر بلعن ابن طولون على المنابر.

ثم في شعبان من سنة سبعين أعيد المعتمد إلى سامرا ودخل بغداد، ومحمد بن طاهر بين يديه بالحربة والجيش في خدمته كأنه لم يحجر عليه ومات ابن طولون في هذه السنة، فولى الموفق ابنه العباس أعماله، وجهزه إلى مصر في جنود العراق، وكان خمارويه بن أحمد بن طولون أقام على ولايات أبيه بعده، فوقع بينه وبين أبي العباس بن الموفق وقعة عظيمة بحيث

---

(١) تاريخ الخلفاء السيوطي ص/٢٦٠

جرت الأرض من الدماء، وكان النصر للمصريين.

وفي هذه السنة انبثق ببغداد في نهر عيسى بثق، فجاء الماء إلى الكرخ فهدم سبعة آلاف دار.

وفيها نازلت الروم طرسوس في مائة ألف، فكانت النصرة للمسلمين، وغنموا ما لا يحصى، وكان فتحا عظيما عديم المثل.

وفيها ظهرت دعوة المهدي عبيد الله بن عبيد جد بني عبيد خلفاء المصريين الروافض، في اليمن، وأقام على ذلك إلى سنة ثمان وسبعين، فحج تلك السنة واجتمع بقبيلة من كتامة، فأعجبهم حاله، فصحبهم إلى مصر، ورأى منهم طاعة وقوة فصحبهم إلى المغرب، فكان ذلك أول شأن المهدي.

وفي سنة إحدى وسبعين، قال الصولي: ولي هارون بن إبراهيم الهاشمي الحسبة فأمر أهل بغداد أن يتعاملوا بالفلوس، فتعاملوا بها على كره ثم تركوها.

وفي سنة ثمان وسبعين غار نيل مصر، فلم يبق منه شيء، وغلت الأسعار، وفيها مات الموفق، واستراح منه المعتمد.

وفيها ظهرت القرامطة١ بالكوفة وهم نوع من الملاحدة يدعون أنه لا غسل من الجنابة،

---

١ القرامطة: كان ابتداء أمرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة، يظهر الزهد والتقشف ويخسف الخوص، ويأكل من كسبه، ويكثر الصلاة، فكان إذا قعد إليه إنسان ذاكره أمر الدين ==." (١)

"بها، فلما كان أول جمعة من المحرم، صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضيء، فلم ينكر ذلك أحد، فلما كان الجمعة الثانية أمر صلاح الدين الخطباء بقطع خطبة العاضد، ففعل ذلك، ولم ينتطح فيها عنزان -والعاضد شديد المرض، فتوفي في يوم عاشوراء.

وفي سنة تسع وستين أرسل نور الدين إلى الخليفة بتقادم وتحف منها حمار مخطط وثوب عتابي، وخرج الخلق للفرجة عليه، وكان فيهم رجل عتابي كثير الدعاوى، وهو بليد ناقص الفضيلة، فقال رجل: إن كان قد بعث إلينا حمار عتابي فنحن عندنا عتابي حمار.

وفيه وقع برد بالسواد كالنارنج، هدم الدور وقتل جماعة وكثيرا من المواشي، وزادت دجلة زيادة عظيمة بحيث غرقت بغداد وصليت الجمعة خارج السور، وزادت الفرات أيضا وأهلكت قرى ومزارع، وابتهل الخلق إلى الله تعالى، **ومن العجائب** أن هذا الماء على هذه الصفة ودجيل قد هلكت مزارعه بالعطش.

وفيها مات السلطان نور الدين -وكان صاحب دمشق- وابنه الملك الصالح إسماعيل -وهو صبي- فتحركت الفرنج بالسواحل فصولحوا بمال وهودنوا.

وفيها أراد جماعة من شيعة العبيديين ومحبيهم إقامة الدعوة وردها إلى آل العاضد ووافقهم جماعة من أمراء صلاح الدين، فاطلع صلاح الدين على ذلك، فصلبهم بين القصرين.

وفي سنة اثنتين وسبعين أمر صلاح الدين ببناء السور الأعظم المحيط بمصر والقاهرة، وجعل على بنائه الأمير بهاء الدين

---

(١) تاريخ الخلفاء السيوطي ص/٢٦٦

قراقوش.

قال ابن الأثير: دوره تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة ذراع بالهاشمي.

وفيها أمر بإنشاء قلعة بجبل المقطم -وهي التي صارت دار السلطنة- ولم تتم إلا في أيام السلطان الملك الكامل ابن أخي صلاح الدين وهو أول من سكنها. وفيها بنى صلاح الدين تربة الإمام الشافعي.

وفي سنة أربع وسبعين هبت ببغداد ريح شديدة نصف الليل، وظهرت أعمدة مثل النار في أطراف السماء، واستغاث الناس استغاثة شديدة، وبقي الأمر على ذلك إلى السحر.

وفي سنة خمس وسبعين مات الخليفة المستضيء في سلخ شوال، وعهد إلى ابنه أحمد.

وممن مات في أيام المستضيء من الأعلام: ابن الخشاب النحوي، وملك النحاة أبو نزار الحسن بن صافي، والحافظ أبو العلاء الهمذاني، وناصح الدين بن الدهان النحوي، والحافظ الكبير ابن عساكر من حفدة الشافعي، والحيص بيص الشاعر، والحافظ أبو بكر بن خير، وآخرون.." (١)

"فانحدر في سميريه ليله الاثنين لليلة بقيت من شهر رمضان، وتعمد تلك الليلة ان يكون القمر تحت الشعاع، وذلك يختار للأمور المستوره.

فلما وصل الى دار السلطان، لم يصله الراضي واعتقله في حجره، وبعث بابى الحسن سعيد بن سنجلا الى ابن رائق واخبره بما جرى، واظهر للناس حاله رابع عشر شوال، واستفتى الفقهاء في حاله، وعرفهم ما كاتب به بحكم، فيقال ان القاضى أبا الحسين عمر بن محمد افتى بقطع يده، لأنه سعى في الارض فسادا، فامر الراضي باخراجه الى دهليز التسعينى، وحضر فاتك حاجب ابن رائق والقواد، فقطعت يده اليمنى، ورد الى محبسه من دار السلطان، وامر الراضي بمداواته، فكان ينوح على يده ويقول: يد قد خدمت بها الخلفاء ثلاث دفعات، وكتب بها القرآن دفعتين، تقطع كما تقطع أيدي اللصوص! ثم قال: ان المحنة قد تشبثت بي وهي تؤديني الى التلف وتمثل:

إذا ما مات بعضك فابك بعضا ... فان الشيء من بعض قريب

وقطع لسانه لما قرب بحكم الحضره، ومات فدفن في دار السلطان، ثم طلبه اهله فنبش وسلم اليهم، نبشته زوجته الدينارية فدفنته بدارها بغله صافى، فنبش بعد موته ثلاث دفعات فهذا عجب.

ومن العجائب انه وزر لثلاث خلفاء، وابن الفرات وزر لخليفه واحد ثلاث دفعات، وابن مقله وزر ثلاث دفعات لثلاث خلفاء، ودفن بعد موته ثلاث دفنات." (٢)

"فلا تسله على قوم إلا هزمتهم؟ قال: لا، قال: فبم سميت سيف الله؟ قال: إن الله عز وجل بعث فينا نبيه ص، فدعانا فنفرنا عنه ونأينا عنه جميعا ثم إن بعضنا صدقه وتابعه، وبعضنا باعده وكذبه، فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا، فهدانا به، فتابعناه [فقال: أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين!] ودعا لي

---

(١) تاريخ الخلفاء السيوطي ص/٣١٧

(٢) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٣١٥/١١

بالنصر، فسميت سيف الله بذلك، فأنا من أشد المسلمين على المشركين قال صدقتني، ثم أعاد عليه جرجه:
يا خالد، أخبرني الا م تدعوني؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله،
قال: فمن لم يجبكم؟
قال: فالجزية ونمنعهم، قال: فإن لم يعطها، قال: نؤذنه بحرب، ثم نقاتله قال: فما منزلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم؟
قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيعنا، وأولنا وآخرنا.
ثم أعاد عليه جرجة: هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل ما لكم من الأجر والذخر؟ قال: نعم، وأفضل، قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟
قال: إنا دخلنا في هذا الأمر، وبايعنا نبينا ص وهو حي بين أظهرنا، تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتب، ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا، أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا **من العجائب** والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا قال جرجة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألفني! قال: بالله، لقد صدقتك وما بي إليك ولا إلى أحد منكم وحشة، وإن الله لولي ما سألت عنه فقال: صدقتني، وقلب الترس ومال مع خالد، وقال: علمني الإسلام، فمال به خالد إلى فسطاطه، فشن عليه قربة من ماء، ثم صلى ركعتين، وحملت الروم مع." (١)

"مأخوذ من قولهم " الفكر مرآة تريك حسنك من قبيحك ".
وقول ابن أبي عيينة:
إن الليالي والأيام أنفسها ... عن غير أنفسها لم تكتم الخبرا أخذه أبو تمام فقال:
عمري لقد نصح الزمان وانه ... **لمن العجائب** ناصح لا يشفق " فزاد بقوله: ناصح لا يشفق على قول ابن أبي عيينة شيئا طريفا، وهكذا يفعل الحاذق بالكلام " (١) وحسبنا هذا للدلالة على أن المبرد قد شارك في جوانب من الاتجاهات النقدية في عصره، وكان الوقوف عند السرقات من أهم الاتجاهات الناشئة حينئذ.
خلطه بين الشعر والخطابة
غير أنه يبدو لنا أن المبرد كان قد تمثل قواعد " الخطابة " اكثر من تمثله لمبادئ نقد الشعر، فمزج بين الفنين في نقده – كما فعل في رد معاني الشعر إلى أصول من النثر عند حديثه عن السرقة. ومع أن المبرد لن يكون الناقد الوحيد الذي يمزج بين قواعد الصناعتين، فإن وجهته النقدية تدل على انه كان أميل إلى إدراك المفهومات البلاغية، فتراه يتحدث في الشعر عن " الاستعانة "، وأصل الاستعانة أن يعمد المتحدث إلى ألفاظ يتكئ عليها ليتذكر ما بعدها؛ "كنحو ما تسمعه في كثير من كلام العامة قولهم الست تسمع؟ أفهمت؟ أين أنت؟ وما أشبه هذا، وربما تشاغل العيي بفتل إصبعه ومس لحيته " (٢)

---

(١) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري الطبري، أبو جعفر ٣٩٩/٣

ويطبق المبرد هذا

---

(١) الكامل ٢: ١٢، ١٤.

(٢) الكامل ١: ٣٠ - ٣١ وقد أورد الجاحظ لفظ " الاستعانة " في تعريف العتابي للبلاغة (البيان ١: ١١٣) .." [١]

"أصحابه، والشعر الصوفي يمثل استسلام الكلمة لمدلولات جديدة، واتجاه التركيب إلى عدم الدقة لأن التأويل فيه ممكن ميسور، والانسياق المسترسل في المبنى دون حدود صارمة، والحاجة إلى النغمة العذبة، لأن كثيرا من ذلك الشعر كان يغنى في الحلقات.

كساد الشعر في الجملة

وقد كان الشعراء كثيرا ما يذكرون في العصور السابقة " حرفة الأدب "، ويعدون أنفسهم محارفين محدودين؛ وفي القرن الخامس تحدث ابن رشيق عن التكسب بالشعر حديثا يتصل بعصره؛ ولكن الظاهرة في هذين القرنين تجعل للكساد الذي يشكوه الشعراء معنى فنيا إلى جانب المعنى الاجتماعي؛ ولسنا نقلل من أثر المعنى الثاني فإنه يتصل بصميم الأوضاع الاقتصادية التي واجهها الشعراء على مر الزمن، ولكن يبدو ان وراء هذا العامل عاملا آخر هو ضعف أثر الشعر في النفوس، وشعور الشاعر بالهزيمة إذا قاس نفسه إلى غيره من المثقفين: وهذا الإعلان بالكساد نسمعه من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، فعنه عبر أبو إسحاق الغزي (- ٥٢٤) (١) حين قال:

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة ... باب الدواعي والبواعث مغلق

خلت الديار فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب أنه لا يشتري ... ويخان فيه مع الكساد ويشرق وعنه عبر الأعمى التطيلي (- ٢٥٢) وشاح الأندلس بقوله يصور سيادة الفقه واندحار الشعر:

أيا رحمتا للشعر أقوت ربوعه ... على انه للمكرمات مناسك

وللشعراء اليوم ثلث عروشهم ... فلا الفخر مختال ولا العز تامك

فيا دولة الضيم اجملي أو تجاهلي ... فقد أصبحت تلك العرى والعرائك

ويا " قام زيد " اعرضي أو تعارضي ... فقد حال من دون المنى " قال مالك "

---

(١) له ترجمة مطولة في الخريدة (قسم الشام) .." [٢]

"ونصب عليها المنجيق وشرع في عمل آلة الحرب والنقوب لقصد الأماكن المستضعفة منها لانتهاز الفرصة فيها وترامى إليه من أحداث أهلها وأجنادها جماعة أحسن إليهم وخلع عليهم وزحف إلى سورها وقاتل من عليه فقتل جماعة

---

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٩٢

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب إحسان عباس ص/٤٩٥

منهم فحين شاهدوا الجد في القتال والصبر على النزال جنحوا إلى الدخول في الطاعة والتمس الخادم الاقالة وبذل تسليم البلد والحصن على شرط اشترطه واقطاع عينه وطلب بعض المقدمين للحديث معه والتوفق لنفسه فنفذ إليه الأمير بلتاش لمحله من الدولة فتقررت الحال على ما اقترحه وسلم البلد والحصن الذي هو غاية في المنعة والحصانة **ومن العجائب** والقلاع المشهورة وخرج إليه وجرى على عادته الجميلة في الصفح عمن أساء إليه وأظهر العصيان عليه وعوضه عن بعلبك حصن صرخد وهو مشهور بالحصانة والمنعة أيضا وعاد إليه ماكان قبض عنه من ملك واقطاع وعاد إلى دمشق. وسلم ظهير الدين أتابك بعلبك إلى

ولده تاج الملوك بوري فرتب فيها من ثقات أصحابه من اعتمد عليه في حفظها وقرر أحوالها وكانت مدة المقام في منازلتها خمسة وثلاثين يوما وتسلمت في اليوم الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٠٣ وأمر ظهير الدين بإزالة حوادث الظلم عن أهل بعلبك وتسويغ بعض خراج أهلها وأعاد عليهم املاكا كانت قد اغتصبت في قديم الزمان وكثر له الدعاء وتواصل عليه الثناء وعاد منكفيا إلى دمشق. وورد عليه الخبر بعود السلطان من بغداد إلى أصفهان في شوال من السنه تاج الملوك بوري فرتب فيها من ثقات أصحابه من اعتمد عليه في حفظها وقرر أحوالها وكانت مدة المقام في منازلتها خمسة وثلاثين يوما وتسلمت في اليوم الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة ٥٠٣ وأمر ظهير الدين بإزالة حوادث الظلم عن أهل بعلبك وتسويغ بعض خراج أهلها وأعاد عليهم املاكا كانت قد اغتصبت في قديم الزمان وكثر له الدعاء وتواصل." (١)

"وفخاخ ينصبونها ليصيدوا بها إسمعيل بك.

وفي أواخره وصلت مكاتبة من الديار الحجازية عن الشريف سرور ووكلاء التجار خطابا للامراء والعلماء بسبب منع غلال الحرمين وغلال المتجر وحضور المراكب مصبرة بالاتربة والشكوى من زيادة المكوسات عن الحد فلما حضرت قرىء بعضها وتغوفل عنها وبقي الأمر على ذلك.

رجع لخبر العجلة التي لها رأسان.

وهو أنه لما أرسل إبراهيم بك ولده مرزوق بك غلاما صغيرا لمصالحة الأمير مراد بك واعطاه هدية ومن جملتها بقرة وخلفها عجلة برأسين وحضر بهما إلى مصر وشاع خبرها فذهبت بصحبة أخينا وصديقنا مولانا السيد إسمعيل الوهبي الشهير بالخشاب فوصلنا إلى بيت ام مرزوق بك الذى بحارة عابدين ودخلنا إلى اسطبل مع بعض السواس فرأينا بقرة مصفرة اللون مبياض وابنتها خلفها سوداء ولها رأسان كاملتا الاعضاء وهي تأكل بفم أحدى الرأسين وتشتر بفم الرأس الثانية فتعجبنا من عجيب صنع الله وبديع خلقته فكانت **من العجائب** الغريبة المؤرخة.

من مات في هذه السنة من أعيان الناس.

مات الشيخ الفقيه الصالح المشارك الشيخ درويش بن محمد بن محمد ابن عبد السلام البوتيجي الحنفي نزيل مصر حضر دروس كل من الشيخ محمد أبي السعود والشيخ سليمان المنصورى والشيخ محمد الدلجي وغيرهم وتميز في معرفة فروع الفقه

---

(١) تاريخ دمشق لابن القلانسي ابن القلانسي ص/٢٦٧

وافتى ودرس وكان إنسانا حسنا لا بأس به توفي في هذه السنة.

ومات العمدة العلامة والرحلة الفهامة المفوه المتكلم المتفقه النحوى الأصولي الشيخ عبد الله بن أحمد المعروف باللبان الشافعي الأزهرى أحد.." (١)

"من الحوادث في هذه الأيام.

وقوع الموت الذريع في الأبقار حتى صارت تتساقط في الطرقات ومات لابن بسيوني غازي بناحية سنديون خاصة مائة وستون ثورا وقس على ذلك.

وفي عاشره طلب الباشا حوضا ليعمله حنفية فأخبره الحاضرون وعرفوه بالحوض الذي تحت الكبش المعروف بالحوض المرصود فأمر بأحضاره فأرسلوا إليه الرجال والحمالين وأرادوا رفعه من مكانه فأزدحمت عليه الناس من الرجال والنساء لما تسامعوا بذلك لينظروا ما شاع وثبت في أذهانهم من أن تحته كنزا وهو مرصود على شيء **من العجائب** أو نحو ذلك وأن الباشا يريد الكشف عن أمره فلما حصل ذلك الإزدحام ووجده الحمالون ثقيلا جدا وهم لا يعرفون صناعة جر الاثقال وحركوه عن مكانه يسيرا وبلغ الباشا ما حصل من إزدحام العامة أمر بتركه فتركوه ومضوا فذهب العامة في أكاذيبهم كل مذهب فمنهم من يقول: إنهم لما حركوه وأرادوا جره رجع بنفسه ثانيا ومنهم من يقول غير ذلك من السخافات.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشرة وصل نيف وثلاثون رأسا من قتلى القبليين فألقوهم عند باب القلعة بالرميلة على سرير من جريد النخل وأبقوهم ثلاثة أيام ثم دفنوهم ووجد فيهم راس عزوز كتخدا عزبان.

وفي ذلك اليوم أمر الباشا بشنق رجلين من الغيطانية تشاجرا مع طائفة من العسكر وضرباهم وأخذا سلاحهم ورفعت الشكوى إلى الباشا فأمر بشنق الغيطانية ظلما على الشجرة التي عند القنطرة فيما بين طريق مصر القديمة وطريق الناصرية.

وفي يوم الإثنين ثاني عشرينه نظر أصحاب الدرك عدة هجانة مرت من ناحية الجبل معهم أمتعة وثياب مرسلة إلى القبالي من نسائهم فركبوا." (٢)

"في شئ وكان له معهم سياسة غريبة ومعرفة بأحوالهم وطبائعهم فكإنما هو مربي فيهم أو ابن خليفتهم أو صاحب رسالتهم يقومون ويقعدون لامره مع أنه يصادرهم في أموالهم وجمالهم ومواشيهم ويحبسهم ويطلقهم ويقتل منهم ومع ذلك لا ينفرون منه وقد تزوج كثيرا من بناتهم فالتي تعجبه يبقيها حتى يقضي وطره منها والتي لا توافق مزاجه يسرحها إلى أهلها ولم يبق في عصمته غير واحدة وهي التي أعجبته فمات عنها فلما بلغ العرب موته اجتمعت بنات العرب وصرن يندبنه بكلام عجيب تناقلته أرباب المغاني يغنون به على آلات اللهو المطربة وركبوا عليه أدوارا وقوافي وغير ذلك والعجب منه رحمه الله أنه لما كان في دولتهم السابقة وينزل في كل سنة إلى شرقية بلبيس ويتحكم في عربانها ويسومهم العذاب بالقبض عليهم ووضعهم في الزناجير ويتعاون على البعض منهم بالبعض الآخر ويأخذ منهم الأموال والخيول والاباعر والاغنام ويفرض عليهم الفرض الزائدة ويمنعهم من التسلط على فلاحي البلاد ثم أنه لما رجع من بلاد الانكليز وتعصب عليه البرديسي

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ٥٨٤/١

(٢) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ١٨/٢

والعسكر وأحاطوا به من كل جانب فاختفى منهم وهرب إلى الوادي عند عشيبة البدوي فآواه واخفاه وكتم أمره والبرديسي ومن معه يبالغون في الفحص والتفتيش وبذل الأموال والرغائب لمن يدل عليه أو يآتي به فلم يطمعوا في شئ من ذلك ولم يفشوا سره وقيدوا بالطرق الموصلة له انفارا منهم تحرس الطريق من طارق يأتي على حين غفلة وهذا من العجائب حتى كان كثير من الناس يقولون أنه يسخرهم أو معه سر يسخرهم به فلما مات تفرق الجميع ولم يجتمعوا على أحد بعده وذهبوا إلى أماكنهم وبعضهم طلب من الباشا الأمان وأما مماليكه واتباعه فلم يفلحوا بعده وذهبوا إلى الأمراء القبليين فوجدوا طباعهم متنافرة عنهم ولم يحصل بينهم التئام ولا صفا كدر الفريقين من الآخر فانعزلوا عنهم إلى أن جرى ما جرى من صلحهم مع الباشا واوقع بهم ما سيتلى عليك بعد إن شاء الله تعالى وبعد موت المترجم بنحوا الأربعين يوما وصلت نجدة الانكليز. " (١)

"الفصل التاسع

: حكم زيارة رسول الله وكيفيتها صلى الله عليه وسلم وفضلها وكيفيتها وكيفية زيارة ضجيعيه رضي الله عنهما وكيفية السلام عليه صلى الله عليه وسلم حال الزيارة والسلام على ضجيعيه والتوسل به إلى الله عز وجل وإثبات حياته وبقاء حرمته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وذكر ما روى في الحجرة الشريفة من العجائب وشوهد فيها من الغرائب.." (٢)

"تقبيح الولد

قال أكثم بن صيفي: من سره بنوه ساءته نفسه. وقال يحيى بن خالد: ما أحد رأى في ولده ما يحب، إلا رأى في نفسه ما يكره. وقريب من هذا المعنى قول ابن الرومي: كم من سرور لي ... بمولود أؤمله لغد وبأن يهدني الزما ... ن، رأيت منته أشد ومن العجائب أن أسر بمن يسر بأن أهد وقلت في كتاب المبهج: إذا ترعرع الولد تزعزع الوالد. وقال ابن المعتز في فصوله القصار: أفقرك الولد وعاداك. وقيل لعيسى بن مريم عليه السلام: هل لك في الولد، فقال: ما حاجتي إلى من عاش كدني، وإن مات هدني. وقيل لبعض النساك: ما لك لا تبغي ما كتب الله لك. فقال: سمعا لأمر الله سبحانه، ولا مرحبا بمن إن عاش فتنني، وإن مات أحزنني. يريد قوله سبحانه وتعالى: " إنما أموالكم وأولادكم فتنة ". وقال بعض الحكماء في ذم الأولاد: ملوك صغارا، وأعداء كبارا. يريد قوله تعالى: " إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم ". وقال لي أبو محمد عبد الله بن إسماعيل الميكالي: إنما صار ولد الولد أحب إلى الرجل من ولده لصلبه لأن الولد عدوه كما قال الله عز وجل: " إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم "، وولد الولد عدو العدو، وعدو عدوك صديقك في أغلب الحالات. وفي الحديث المرفوع: الولد مبخلة، مجبنة، مجهلة. وكان يقال: من أراد أن يذوق الحلاوة والمرارة في شيء واحد فليتخذ ولدا.." (٣)

---

(١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار الجبرتي ١٦٩/٣

(٢) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ابن الضياء ص/٣٣٣

(٣) تحسين القبيح وتقبيح الحسن الثعالبي، أبو منصور ص/٦٤

"**ومن العجائب** ان الفزاري ويعقوب ربما سمعا من الهندي في الأدوار انه حساب «سدهاند» الكبير وأن حساب «آرجبهد» على جزء من الف جزء منه، فلم يفهما منه حق الفهم وظنا ان آرجبهد هو اسم الجزء، والهند يخرجون هذا الدال فيما بينها وبين الراء، فانتقل الى الراء وصار «آرجبهر» ، ثم صحف من بعدهم وصير الراء الأولة زايا، فإن اعيد الى الهند لم يعرفوه؛ وقد أورد أبو الحسن الأهوازي حركات الكواكب في سنى الارجبهر أي في «جترجوك» ، وأنا أثبتها في جداول كما ذكر فإني اتفرس فيها أنها إملاء ذاك الهندي، فعسى انها على رأي «آرجبهد» ، وبعضها يوافق ما أثبتناه لجترجوك «١» من أدوار «برهمكوبت» ومنها ما يخالفه ويوافق رأي «بلس» ومنها ما يخالفهما وتأمل الجميع يوضح لك: «٢» «٣»." (١)

"وعن عبد الواحد بن زيد قال اشتكيت ألما في ساقي حتى منعني القيام فتحاملت حتى عجزت فجمعت ازاري في المحراب وتوسدته فغفلت وإذا أنا بجارية كأنها جوهرة شفافة وعليها من الملابس ما يبهر العين رؤيته وخلفها جوار كأنهن الأقمار فقالت لبعضهن احتملنه ولا تؤذينه ثم قالت افرشنه ومهدنه وأقبلت تملس على ألمي ثم قالت قم إلى صلاتك بلا أذى فانتبهت كالذي نشط من عقال وعنه من رواية أخرى أنها قالت له أنا لك فجد في طلبك قال فلم أنم بعدها وفي أخرى عنه قال فما أخذتني السنة حتى رأيت شابا وبيده ورقة بيضاء فناولني إياها وإذا فيها:

ينام من شاء على غفلة ... والنوم كالموت فلا تتكل

تنقطع الأعمال فيه كما ... تنقطع الدنيا على المنتقل

وكان كثيرا ما يردد هذه ويقول فرق الموت بين المصلين ولذة الصلاة ويعدد أفعال الخير ولعل الوقائع متعددة.

وعن صاحب المصارع بسنده إلى محمد بن الفرج قال نظرت إلى جارية تباع فقلت بكم هذه قيل بألف دينار فرفعت رأسي إلى السماء وقلت اللهم إنك تعلم أني لا قدرة لي على ذلك وأني لو سألتك إياها لوهبتها لي ولكني أسألك أنفس منها عندك من لا تمرض ولا تسقم ومهرها عندي أن لا أنام ليلا ولا أطعم نهارا ولا أضحك إلى أحد وها أنا مجد في المهر فلم ير بعد ذلك على غير ما قال حتى مات.

وعن رابعة العدوية قالت كان لي ورد في الليل قد اعتدته فمرضت مرضا أعقبني فترة عنه فبينما أنا راقدة إذ نظرت كأني في روضة كثيرة النبات والقصور وجارية تطارد طيرا أخضر تريد أن تأخذه فالتهيت بحسنها عنه وقلت دعيه لأني لم أر أحسن منه فقالت ألا أريك أحسن منه فقلت بلى فأخذت بيدي فأدخلتني إلى بيت يحار فيه البصر من تلألؤ نوره ثم رفع عن بستان وخرج منه وصائف بأيديهن مجامر الند والعنبر فقالت لهن الآخذه بيدي إلى أين فقالوا إلى فلان قد قتل في البحر فقالت ألا تجهزن هذه المرأة فقالوا قد كان لها حظ في ذلك فتركته فانتبهت فزعة ولم أنم بعدها وبقي من هذا الباب بعض حكايات لا تناسب الترجمة ومع ذلك فائدتها قليلة فلذلك أضربنا عنها.

الباب الثاني

في أحوال عشاق الجواري والكواعب

---

(١) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة البيروني ص/٣٢٥

وذكر ما صدر لهم **من العجائب**

وفيه خمسة أقسام الأول فيمن اشتهرت سيرته وظهرت في الحب سريرته قد تقدم في أحوال العشق أنه من الأحوال القديمة حتى ورد فيه ما سمعت من الأخبار والآثار وغالب ما يكون من قبل النساء حتى قال بعض العارفين وأظنه الجنيد كما أن النساء حبائل الشيطان فهن حبائل العرفان إذ قد يتوصل العاقل من عشقهن إلى معرفة مبدعهن لأن المقدمات الصريحة تنتج الأغراض الصحيح وبالحري من أمعن النظر في مخلوق زائل ترقى عند معرفة غايته إلى دائم فاعل وهذا مثل قولهم الرياء قنطرة الاخلاص.

عن ابن عباس قال لما عتقت بريرة وكان زوجها حبشيا وفي رواية اسود وخيرت فاختارت الفسخ جعل يطوف في المدينة باكيا يترضاها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تزوجته فقالت إن أمرتني بذلك فقال لا آمرك ولكني شفيع وقد أخرج القصة البخاري، وفي تتمة ذيل الأماني للقالي عن ابن الأنباري قال دخلت على إبراهيم بن محمد وقد سامته جاريه له البيع فأجابها وكان يحبها فأنشد:

أبت الغداة بوصلها غدار ... فدموع عينك لا تجف غزار

واستبدلت بك صاحبا ومؤانسا ... وكذا الغواني وصلهن معار

وكان ابن عباس يوما جالسا بفناء الكعبة إذ وضع بين يديه شخص قد حمله إلى الكعبة يستشفعون له فكشف عنه فأنشد:

بنا من جوى الأحزان والحب لوعة ... تكاد لها نفس الشفيق تذوب

ولكن ما أبقى حشاشة ما ترى ... على ما ترى عود هناك صليب

فرأى رسما عافيا وحسا خافيا وجسما باليا فمكث أربعين يوما لا يسأل الله بعد صلاته إلا المعافاة من العشق وأخرج ابن عساكر في الأمالي أن هذا المذكور عذري.." (١)

"أتيتك لما ضاق في الأرض مسلكي ... وأنكرت مما قد أصيب به عقلي

ففرج كلاك الله عني فإنني ... لقيت الذي لم يلقه أحد قبلي

وخذ لي هداك الله حقي من الذي ... رماني بسهم كان أهونه قتلي

وكنت أرجى عدله إذا أتيته ... فأكثر ترداي مع الحبس والكبل

فطلقتها من جهد ما قد أصابني ... فهذا أمير المؤمنين من العدل

فاستدناه وقال له ما شأنك، قال تزوجت ابنة عمي وكانت من المبررات في الجمال والحياء، فأنفقت عليها إلى أن أملقت، فرفع أبوها القصة إلى ابن أم الحكم فضيق علي السجن والقيود حتى طلقت كارها، فأعطى أباها عشرة آلاف درهم وتزوج بها فأتيتك مستغيثا بعدلك، فكتب معاوية إليه يغلظ عليه ويأمره بالتخلي عنها، ويقول في آخر الكتاب:

ركبت ذنبا عظيما لست أعرفه ... فاستغفر الله من جور أمرىء زاني

قد كنت تشبه صوفيا له كتب ... من الفرائض أو آيات فرقان

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق داود الأنطاكي ص/٢٥

حتى أتاني الفتى العذري منتحبا ... يشكو إلي بحق غير بهتان

أعطى الإله عهودا لا أخيس بها ... أولا فبرئت من ديني وإيماني

إن أنت راجعتني فيما كتبت به ... لأجعلنك لحما بين عقبان

طلق سعاد وفارقها بمجتمع ... واشهد على ذاك نصر أو ابن ظبيان

فما سمعت كما بلغت من عجب ... ولا فعالك حقا فعل إنسان

فلما وقف عليه، قال وددت لو خلي بيني وبينها سنة، ثم عرضني على السيف ثم طلقها فأخرجها، فلما وصلت إلى معاوية وقد تعجب الناس من حسنها، وقالوا هذه لا تصلح لأعرابي، إنما تكون لأمير المؤمنين فعجب بها ثم استنطقها، فإذ هي فتنة فقال له هل لك عوض عنها، قال نعم إذا بان رأسي عن بدني، ثم أنشد:

لا تجعلني والأمثال تضرب بي ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

أردد سعاد على حران مكتئب ... يمسي ويصبح في هم وتذكار

قد شفه قلق ما مثله قلق ... وأشعر القلب منه أي أشعار

والله والله لا أنسى محبتها ... حتى أغيب في رمس وأحجار

كيف السلو وقد هام الفؤاد بها ... وأصبح القلب عنها غير صبار

فغضب معاوية من ذلك وخيرها بينه وبين ابن أم الحكم وبين ابن عمها، فأنشدت:

هذا وإن أصبح في اطمار ... وكان في نقص من اليسار

أكبر عندي من أبي وجاري ... وصاحب الدرهم والدينار

أخشى إذا غدرت حر النار ... خل سبيلي ما به من عار

لعلنا نرجع للديار ... وإن عسى نظفر بالأوطار

فقال خذها لا بارك الله لك فيها وأمر أن تقيم إلى تمام العدة، فلما انقضت دفعها إليه مع ناقة وعشرة آلاف دينار.

ومنهم ما حكاه في منازل الأحباب عن بعض الحمدونية، قال صحبت المتوكل إلى الشام، وكنت مغرما بالفراديس لظرفها، فحين بلغناها قال المتوكل هل لك في أن تتصفح الكنائس والرياض فتتنزه فيها، فقلت نعم، فأخذ بيدي وجعلنا نستقري الأماكن ونشاهد ما فيها **من العجائب**، وحسن ثياب النصارى، حتى خلوت براهب الكنيسة فجعل الخليفة يسأله عن كل من يمر، حتى أقبلت جارية لم يرمق أحسن منها، وبيدها مجمرة تبخر فسأله عنها فقال هي ابنتي، قال ما اسمها قال شعانين، فقال لها المتوكل يا شعانين اسقني ماء، فقالت يا سيدي ليس هنا إلا ماء الغدران، وأنا لا أستنظفه لك ولو كانت حياتي ترويك لجدت بها، وأسرعت بكوز فضة فأومأ إلي أن أشربه فشربته، ثم قال لها إن هويتك تساعديني، فقالت أنا الآن بإمرتك وأما إذا صدق المحب في المحبة فما أخوفني من الطغيان أما سمعت قول الشاعر:

كنت لي في أوائل الأمر حبا ... ثم لما ملكت صرت عدوا

أين ذاك السرور عند التلاقي ... صار مني تجنبا ونبوأ." (١)

"قالت نعم، ولكن شديد العفاف حسنة الأخلاق والمفاكهة فتحادثنا ساعه وأخذها النوم. فوالله لقد هممت بهجر العفة لما داخلني، ثم راجعت المروءة فلما انتبهت وعزمت على الذهاب سألتها عن الزيارة فذكرت أن لها اخوة شرسة وأب كذلك، ثم مضيت وها أنا كما ترى فقلت ثبت نفسك، فإني موصلك إلى مطلوبك، ثم قمت فشددت على ناقتي وصحبت ألف دينار ومطرف ذو قبة خضراء من أدم، ومضينا حتى نزلنا بالشيخ فأحسن ملقانا فقلت له قد أتيتك خاطبا قال فوق الكفاءة أنت والمرغوب في مثله فقلت لم أخطب إلا لصاحبي هذا هو ابن أختكم فقال الحسيب الكريم ولكن أخيرها بينكما قلت ما أنصفتني فأومأ صاحبي إلى أن أدعه، فقلت افعل فخيرها ففوضت الأمر إلي فحمدت الله فزوجتها من صاحبي وأمهرتها ألفا وكسوت الشيخ المطرف وسألته أن يبني بها من ليلته ففعل وجئته من الغد فقلت كيف كانت ليلتك وكيف وجدت صاحبتك قال أبدت لي كثيرا مما أخفته عني قديما وسألتها عن ذلك فأنشدت:

كتمت الهوى أني رأيتك جازعا ... فقلت فتى بعد التصديق يريد

فإن تطرحني أو تقول فتية ... يضير بها برح الهوى فتعود

فوريت عنما بي وفى الكبد والحشا ... من الوجد برح فاعلمن شديد

ومنهم ما حكاه أسدي وهي **من العجائب** المستلطفة

قالت ضلت لي ابل فطلبتها في قضاعة حتى إذا دهمني الليل أمسيت في بيت تفرست أن كفؤ للضيف فناديت أهله فلبتني امرأة كالشمس جمالا، وقالت انزل على الرحب، وأجلستني عند نار فاصطليت وأتتني بعشاء كثير فأكلت وهي تحادثني وإذا ابل كثيرة قد أقبلت إلى البيت وقد أقبل شخص فبادرت إليه ومعها ولد تلاعبه فتناوله وجعل يلثمه وأنا أظنه عبدا لقباحته حتى جلس إلى جانبها فقال لها ممن الضيف قالت أسدي فعلمت أنه زوجها، فجعلت أتأمل ما بينهما من المباينة ففطن لذلك فقال كأنك تعجب منا قلت إي والله وأي العجب قال أحدثك بوصولها إلي قلت ما أشوقني إلى ذلك قال أعلم إني كنت سابع سبعة أخوة إذا رأيتي ظننتني عبدهم وكانوا يطرحوني للرعي ونحوهن فضل لنا بعير فقالوا امض في طلبه، فقلت ما أنصفتموني فقال أبي اذهب يا لكع وإلا جعلته آخر أيامك وتهددني بالضرب فمضيت وأنا على أسوأ حالة من البرد والجوع، فدفعني المساء إلى عجوز عليها سمة الخير والشرف، وإلى جانبها هذه العزبة، فجعلت تسخر بي وتقول: هل لك إذا نام الناس أن تدخل علي فأتحدث معك فإني لم أر أحسن منك فقلت دعيني من هذا، وأقبل أبوها واخوتها سبعة فناموا بإزاء الخيمة فأغراني الشبع والدفء فدخلت الستر، فلما شعرت بي قالت من تكون؟ قلت الضيف، قالت أخرج لا حياك الله ولا صبحك، فخرجت فزعا، فتلقاني كلبهم يريد أن يأكلني وأنا أرده بعصاي حتى علق بجبة صوف علي فتجاذبنا حتى سقطت أنا وإياه في حفرة لا ماء فيها وكانت الصبية شعرت بذلك فأقبلت حتى إذا بصرت بي قالت: وددت والله أن أجعلها قبرك لولا خشية الضرر، ثم أدلت لي حبلا وقالت لي أرق، فحين قاربت فم الحفرة انهارت من تحت أقدامها، فسقطنا

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق داود الأنطاكي ص/١٠٣

جميعا.

فلما كان الصباح وافتقدوها فلم يجدوها وكان أبوها عارفا بما حصل فأقبلوا بالسيوف والأحجار على قتلنا. فقال أبوها إني لاعرف من ابنتي ما لا ريبة فيه، فأمسكونا وأخرجونا فأقبل علي أبوها فقال أفيك خير لأزوجك بها اتقاء الشهرة، فقلت حين شممت الحياة وهل عندي إلا الخير، فزوجني بها على خمسين بكرة وأمة وعبدا، ورجعت إلى أبي فأخبرته بذلك فأحضرها وأقبلت بها إليهم فأخذوها وبنيت بها وها هي تسمع ما أقول.

ومن الصنف الثاني ما حكى عن علي رضي الله عنه أنه كان له مؤذن شاب وكان عنده جارية، وكان إذا رآها المؤذن يقول لها إني أحبك فأخبرت عليا بذلك فقال لها قولي له وأنا أيضا أحبك، فماذا تريد؟ فقالت له ذلك فقال إذا نصبر حتى يوفينا أجورنا من يوفي الصابرين أجرهم. ومضت وأخبرت عليا فدعا به وزوجه منها.." (١)

"ثم اشتهر أمرهما، فلما شب الغلام طلب الترهب فأجابه أهله بعد جهد إلى دير زنكي وأقام به، وكان سعيد يأتيه ويجلس معه فكره الرهبان ذلك وتوعدوا الغلام بالخروج من الدير فمنعة، أي صارت الرهبان تغلب باب الدير في وجه سعيد إذا أتى.

فلما أيس مضى فأحرق داره وثيابه وخرج عاريا ينشد الأشعار ويطوف بالدير ويبيت في ظله وأن الصنوبري أتاه يوما وقد طال شعره وتشوهت خلقته فعنفه. فقال يا أبا بكر ألا ترى إلى هذا الطائر الذي على شرفة الدير قلت نعم. قال لي اسأله حمل رسالتي إلى عيسى فأبى ثم قال هل عندك لوح قلت نعم، فدفعته إليه فكتب:

بدينك يا حمامة دير زنكي ... وبالانجيل عندك والصليب

قفي وتحملي مني سلاما ... إلى قمر على غصن رطيب

حماه جماعة الرهبان عني ... فقلبي ما يقر من الوجيب

وقالوا رابنا إلمام سعد ... ولا والله ما أنا بالمريب

وقولي سعدك المسكين يشكو ... لهيب جوى أحر من اللهيب

فصله بنظرة لك من بعيد ... إذا ما كنت تمنع من قريب

وإن أك مت فاكتب حول قبري ... محب مات من هجر الحبيب

رقيب واحد تنغيص عيش ... فكيف بمن له الفا رقيب

ولم يزل كذلك حتى وجد عند الدير ميتا فأراد العامل يومئذ وهو العباس بن وكيع البطش بالرهبان وحرق الغلام فافتدوه بمائة ألف درهم وصار الغلام إذا دخل المدينة لزيارة أهله تضربه الصبيان بالأحجار ويقولون له يا قاتل سعيد فانتقل إلى دير سمعان.

ومنهم شرف العلاء علق غلاما نصرانيا فلبس المسوح لأجله وتبعه إلى الكنائس والبيع، وهام به فبلغ ذلك الظاهر بن أيوب فاستحضره، فلما دخل عليه تلقاه بقدح من خمر فشربه وأنشد:

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق داود الأنطاكي ص/١٠٦

جمعت بالكأس شملي ... الله يجمع شملك

بحق رأسك دعني ... حتى أقبل نعلك

وصار على ذلك هائما حتى مات.

ومنهم ما أخرجه ابن الجوزي عن سعيد قال كنت بخان التجار بالبصرة إذا بغلام يصيح وفي يده مدية فاجتمع الناس إليه فأنشد:

يوم الفراق من القيامة أطول ... والموت من ألم التفرق أجمل

قالوا الرحيل فقلت لست براحل ... لكن مهجتي التي تترحل

ثم بقر بطن بمديته فسألته عنه، فقيل عشق غلاما لبعض الملوك فحجب عنه يوما واحدا ففعل هذا.

ومنهم ما حكاه الثوري في روضة القلوب قال كان بحمص مؤدب يقال له ابن الجوزي عشق غلاما وكلف به، فلما علم أبوه بذلك نقله إلى مؤدب آخر عدو له فضعف واشتد غمه، فكتب إلى أبي الغلام يستعطفه فأجابه بأنه إن لم يرجع رفع أمره إلى الحاكم فتغير من وقته وتقايى الدم، وحمل إلى بيته وجاءه الطبيب فأخبر أن كبده تفطرت فمات في الرابع.

ومنهم ما حكاه في ديوان الصبابة وهو نظير العشق المسلسل السابق في الباب الثاني قال عشق شاب بدمشق غلاما، فلما اشتد به وجده قتله فحمل إلى الحاكم فأنكر فهدد بالضرب، فجاء شاب كان يعشقه فقال إن هذا لم يقتل الغلام وإنما أنا قتلته فكتبوا عليه ذلك وخرجوا ليقتلوه فحدث الحاكم بباطن القصة وكان متأدبا فأمسك عن قتله وحبسه لينظر فعزل بعد أيام وكان أول ما حكم الحاكم الجديد أن شنق الشاب المذكور وقال شهاب الدين الحاجبي، كان شابا لطيفا جيد القريحه ذا نثر ونظم **من العجائب** الدالة على أن له اليد الطولى في الأدب، وكان من أولاد الجند عشق شابا من أولاد الحسينية وأفرط في حبه حتى كان لا يصبر عنه ساعة، فمرض الشاب وانقطع فمرض الحاجبي لمرضه فدخل أصحابه عليه ليعودوه، فقال أريد من يوصل هذه الدراهم إلى فلان يعني صاحبه فقيل له قد مات فتغير من وقته واختلط عقله وجعل يقول قد مات، ثم قال احملوني من هنا وألح عليهم فأخذوه من حارة بهاء الدين إلى قناطر السباع فمات بها من يومه والتقت جنازته وجنازة محبوبه فصلى عليهما معا، ومن شعره:

ملأت فؤادي من محبة شادن ... أميل إليه وهو كالظبي رائع

وقلت لقلبي قم لنعشق شادنا ... سواه فقال القلب ما أنا صانع

ومنها:

إن السيوف كلها ... قاطعة إذا انجلت

إلا سيوف لحظه ... إذا تصدت قتلت

ومنها:." (١)

---

(١) تزيين الأسواق في أخبار العشاق داود الأنطاكي ص/١٣٨

"**ومن العجائب** أن الهرة تأكل أولادها فتنسب إلى البر فيقال أبر من هرة والضبة تأكل أولادها فتنسب إلى العقوق فيقال أعق من ضبة ولا يقال اعق من هرة

٦٦٥ – (سن الحسل) من أمثالهم فى التأبيد لا أفعل ذلك أو يسقط سن الحسل وهو ولد الضب وهو لا يسقط له سن أى لا أفعل ذلك أبدا قال الشاعر

(إنك لو عمرت سن الحسل ... أو عمر نوح زمن الفطحل)

(والصخر مبتل كطين الوحل ... كنت رهين هرم أو قتل)

قال الأصمعى سمعت خلفا الأحمر يقول كنت أسأل الأعراب عن زمن الفطحل فتقول هو أيام كان السلام رطبة والعرب تضرب المثل فى الطول بعمر الضب وتعده من الحيوانات الطويلة الأعمار كالحية والنسر فتقول لا أفعل ذاك ولا يكون هذا عمر الضب وسن الحسل وتقول فلان أعمر من الضب

وحكى الزيادى عن الأصمعى أنه قال يبلغ الحسل مائة سنة ثم يسقط سنه فحينئذ يسمى ضبا

٦٦٦ – (فسو الظربان) يضرب به المثل فى النتن والظربان دويبة فوق جرو الكلب كريهة النتن وأنتن خلق الله فسوا وقد عرف ذلك من نفسه فجعله سلاحه كما عرفت الحبارى مافى برازها من السلاح على الصقر كذلك الظربان يدخل على الضب حجره وفيه بيضه وحسوله فيأتى اضيق." (١)

"وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول عجائب الدنيا أربع منارة الإسكندرية عليها مرآة إذا جلس الجالس تحتها رأى من بالقسطنطينية وبينهما عرض البحر وفرس من نحاس بارض الأندلس عليه رجل من نحاس قائلا بيديه كذا باسطا يديه أى ليس خلفى مسلك فلا يطأ ما خلفه أحد إلا ابتلعه الرمل ومنارة من نحاس عليها فارس بأرض عاد فإذا كانت الأشهر الحرم هطل منها الماء فشرب منه الناس وسقوا دوابهم وصبوا فى الحياض فإذا انقضت الأشهر الحرم انقطع ذلك الماء وشجرة من نحاس عليها زرزورة من نحاس بأرض أرمينية رومية إذا كان أوان الزيتون صفرت الزرزورة النحاس فتجىء كل زرزورة من الطيارات بثلاث زيتونات ثنتان فى رجليها وواحدة فى منقارها فتلقيها عند تلك الزرزورة فيجتمع من الزيتون ما يعصر أهل الروم فيكفيهم لإدامهم وسرجهم إلى قابل

ومن الشائع المستفيض أن عجائب الدنيا أربع منارة الإسكندرية وكنيسة الرها ومسجد دمشق وقنطرة سنجة وقد ضرب الصاحب المثل بمنارة الإسكندرية حيث قال

(زادت قرونك يا عمير ... على مساويك الجلية)

(وأقل قرن حزته ... كمنارة الإسكندريه)

٨٦٠ – (كنيسة الرها) إحدى عجائب الدنيا الأربع والرها بلد من عمل حران والكنيسة منسوبة إليه وهى فى جربان من

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الثعالبي، أبو منصور ص/٤١٧

الأرض متخذة على رءوس أعمدة أربعة من الرخام بطيقان معقودة بينها وفيها **من العجائب** والتصاوير والتزاويق والطلسمات والقناديل التى تتقد من غير اتقاد ما يطول ذكره وقد تقدم كلام الجاحظ فى تلك القناديل." (١)

"ونقش عليه لله الأمر من قبل ومن بعد وكتب عنوانه إلى محمد بن عبد الله ونبي الله ورسوله وخاتم النبيين ورسول رب العالمي صلى الله عليه وسلم من تبع الأول الحميري ودفع الكتاب إلى الرجل العالم الذي أبرأه من علته وسار تبع من يثرب حتى وصل إلى بلاد الهند فمات بها وكان من اليوم الذي مات فيه تبع إلى اليوم الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم ألف سنة لا تزيد ولا تنقص وكانت الأنصار الذين نصروا النبي صلى الله عليه وسلم من أولاد أولئك العلماء والحكماء فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سأله أهل القبائل أن ينزل عليهم فكانوا يتعلقون بناقته وهو يقول خلوا الناقة فإنها مأمورة حتى جاءت إلى دار أبي أيوب وكان من أولاد العالم الذي أبرأ تبعا برأيه ثم استشار الأنصار عبد الرحمن بن عوف في إيصال الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولما ظهر خبره قبل أبو ليلى وكان من الأنصار فدفعوا الكتاب إليه وأوصوه بحفظه فأخذ الكتاب وخرج من المدينة على طريق مكة فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في قبيلة بني سليم فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه وقال أنت أبو ليلى قال نعم ومعك كتاب تبع الأول قال نعم فبقي أبو ليلى متفكرا وقال في نفسه إن هذا **من العجائب** ثم قال له أبو ليلى من أنت فإني لست أعرفك وتوهم أنه ساحر وقال في وجهك أثر السحر فقال له بل أنا محمد رسول الله هات الكتاب فأخرجه ودفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم ودفعه إلى علي كرم الله وجهه فقرأه عليه فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم كلام تبع قال مرحبا بالأخ الصالح ثلاث مرات ثم أمر أبا ليلى بالرجوع إلى المدينة ليبشرهم بقدومه عليهم. سول رب العالمي صلى الله عليه وسلم من تبع الأول الحميري ودفع الكتاب إلى الرجل العالم الذي أبرأه من علته وسار تبع من يثرب حتى وصل إلى بلاد الهند فمات بها وكان من اليوم الذي مات فيه تبع إلى اليوم الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم ألف سنة لا تزيد ولا تنقص وكانت الأنصار الذين نصروا النبي صلى الله عليه وسلم من أولاد أولئك العلماء والحكماء فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة سأله أهل القبائل أن ينزل عليهم فكانوا يتعلقون بناقته وهو يقول خلوا الناقة فإنها مأمورة حتى جاءت إلى دار أبي أيوب وكان من أولاد العالم الذي أبرأ تبعا برأيه ثم استشار الأنصار عبد الرحمن بن عوف في إيصال الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولما ظهر خبره قبل أبو ليلى وكان من الأنصار فدفعوا الكتاب إليه وأوصوه بحفظه فأخذ الكتاب وخرج من المدينة على طريق مكة فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في قبيلة بني سليم فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم." (٢)

"فدعاه وقال أنت أبو ليلى قال نعم ومعك كتاب تبع الأول قال نعم فبقي أبو ليلى متفكرا وقال في نفسه إن هذا **من العجائب** ثم قال له أبو ليلى من أنت فإني لست أعرفك وتوهم أنه ساحر وقال في وجهك أثر السحر فقال له بل أنا

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الثعالبي، أبو منصور ص/٥٢٤

(٢) ثمرات الأوراق في المحاضرات الحموي، ابن حجة ٢/١٠

محمد رسول الله هات الكتاب فأخرجه ودفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم ودفعه إلى علي كرم الله وجهه فقرأه عليه فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم كلام تبع قال مرحبا بالأخ الصالح ثلاث مرات ثم أمر أبا ليلى بالرجوع إلى المدينة ليبشرهم بقدومه عليهم.

وقال أبو عبد الله منحمد القرطبي نور الله ضريحه ما ذكرت هذا الخبر وإن كان فيه طول إلا لما احتوى عليه من فضل مكة والمدينة والتصديق بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أيجاده بالف عام.

ومن لطائف ما نقلته من كتاب الاعلام للقرطبي ما أورده من مسند أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل إذا تداينتهم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه إلى آخر الآية إن أول من جحد الدين آدم عليه السلام لأنه لما أراه الله تعالى ذريته رأى فيهم رجلا أزهر ساطع النور فقال يا رب من هذا قال ابنك داود قال يا رب فما عمره قال ستون سنة قال." (١)

"فضائله سور على المجد حائط ... وبالعلم هذا السور أضحى مشرفا

كم حملوا عليه وظنوا في طريق حملتهم نصرا، ونصبوا دست الحرب ولم يعلموا بأنه قد طبخ لهم على كل باب قدرا، فلا وأبيك لو نظرته يوم الحرب قد تصاعد فيه أنفاس الرجال لقلت ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد، وإلى المحاصرين وقد جاؤوا راجلا وفارسا ليشهدوا القتال لقلت وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد، وإلى كواكب الأسنة وقد انتثرت، وإلى قبور الشهداء وهي من تحت أرجل الخيل قد بعثرت، وإلى كر الفوراس وفرها لقلت علمت نفس ما قدمت وأخرتن وإلى نار النفط وقد نفطت من غيضها، وإلى ذكور السيوف وقد وضعت لمنايا السعود وتعذرت من شدة الدماء لكثرة حيضها، **ومن العجائب** أن بيض سيوفهم تلك المنايا السود وهي الذكور وإلى فارس الغبار وقد ركب صهوات الجو ولحق بعنان السماء، وإلى أهداب السهام وقد بكت لما تخضبت بالدماء، وإلى كل هارب سلب عقله وكيف لا وخصمه له، وإلى كل مدفع وما له عند حكم القضاء دافع، وإلى قامات أقلام الخط وقد صار لها في طروس الأجسام مشق، فاستصوبت عند ذلك رأي من قال: عرج ركابك عن دمشق، ونظرت بعد." (٢)

".. سهم يراعى نصله نفاذ

وأسمر الخط لديها قاصر ... لأنها على الحمى فولاذ

قلت ويتعين بعد صف أقلام المنشئين والدواة وصف السكين فإنهم أنشأوا في وصف السيف والقلم وما ألموا بها وهي أحق بذلك من غيرها لقربها من القلم وقد تقدم أن أبا طاهر كمال الدين إسماعيل بن عبد الرزاق الأصفهاني إنفرد برسالة القوس، والشيخ جمال الدين بن نباته إنفرد برسالة السيف والقلم، وقد انفردت برسالة السكين.

وهي يقبل الأرض التي قامت حدود مكارمها، وقطعت عنا مكروه الفقر بمسنون عزائمها، وينهى وصول السكين التي قطع بها أوصال الجفا، وأضافها إلى الأدوية فحصل بها البرء والشفا، وتالله ما غابت إلا بلغت الأقلام من تعثرها إلى الحفا، زرقاء

---

(١) ثمرات الأوراق في المحاضرات الحموي، ابن حجة ١١/٢

(٢) ثمرات الأوراق في المحاضرات الحموي، ابن حجة ١٠٦/٢

وكم شاهدت منها البيض ألوانا خرساء، **ومن العجائب** أن لها لسانا لكل عنوان ما شاهدها موسى إلا سجد في محراب النصاب، وذل بعد ما خضعت له الرؤوس والرقاب، كم أيقظت طرف القلم بعدما خط، وعلى الحقيقة ما رؤي مثلها قط، وكم وجد بها الصاحب في المضايق نفعا، وحكم بصدق محبتها قطعا، ماضية العزم قاطعة السن فيها حدة الشباب من وجهين، لأنها بالناب والنصاب معلمة من الطرفين، أنملة صبح تقمصت بسواد الدجى، ولسان برق إمتد في لهوات الليل، فتنكرت." (١)

"إن تنسمت فيه ينجر جرا ... أو تبسمت منه ينقد قدا

طال ترداده إلى الرفو حتى ... لو بعثناه وحده لتهدى

وكان أبو تمام يقول: أنا ابن قولي:

نقل فؤادك أين شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبدا لأول منزل

وقال الحمدوني في الطيلسان:

ولي طيلسان إن تأملت شخصه ... تيقنت أن الدهر يفنى وينقرض

تصدع حتى قد أمنت انصداعه ... وأظهرت الأيام من عمره الغرض

فلو أن أصحاب الكلام يرونه ... لماروك فيه وادعوا أنه العرض

وقال:

يابن حرب كسوتني طيلسانا ... أمرضته الأوجاع فهو سقيم

فإذا ما لبست قلت سبحا ... نك تحيي العظام وهي رميم

طيلسان له إذا هبت الري ... ح عليه بمنكبي هميم

لو يدب الحولي من ولد الذ ... ر عليه لأندبته الكلوم

وقال:

إن ابن حرب كساني ... ثوبا يطيل الخرافه

أظل أدفع عنه ... وأتقي كل آفه

فقد تعلمت من خش ... يتي عليه الشقافه

من الملح

وقف أبو العيناء على باب صاعد بن مخلد فقيل له: إنه يصلي فانصرف، ثم عاوده، فقيل له: إنه يصلي. فقال: لكل جديد لذة. وكان صاعد نصرانيا ثم ارتقت به الحال أن توزر للموفق بن أحمد بن المتوكل، وكان أخوه المعتمد الخليفة ولم يكن له مع الموفق أمر ولا نهي، وقد قال المعتمد لما ملك عليه أخوه الأمر، أو قيل على لسانه:

---

(١) ثمرات الأوراق في المحاضرات الحموي، ابن حجة ١٢٣/٢

أليس **من العجائب** أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه

ولما أجاب الصولي أبا القاسم بن عبد الله ملك المغرب اقتضى ذكر ولد العباس والخلفاء خليفة خليفة حتى انتهى إلى المعتمد فقال:

ومعتمد من بعدهم وموفق ... يردد من إرث الخلافة ما ذهب

مواز لهم في كل فضل وسؤدد ... وإن لم يكن في العد منهم لمن حسب

ولما احتاج الصولي إلى ذكر الموفق لشهامته وحزامته، وكأن القصيدة إنما أجاب بها على المقتدر بن جعفر بن المعتضد بن الموفق، فلو لم يذكره لانقطع عليه ما أراد.

وكان المعتمد مضعوفا، وكان أمره قبل تمكن الموفق في يد وصيف حتى قال باذنجانة الكاتب:

يا دولة بائرة ... كاسفة ما تبتغي

خليفة مستضعف ... بين وصيف وبغا

يقول ما قالا له ... كما تقول الببغا

ودخل أبو خالد يزيد المهلبي على المعتمد مرات، فأنشده قصائد على الدال؛ فقال: يا يزيد؛ ما أراك تعدو الدال؟ فقال: وكيف أعزك الله يا أمير المؤمنين واسمي يزيد، وأبي محمد وأكنى بأبي خالد، وأنت المعتمد، وتسمى بأحمد، ومن صفاتك السيد والماجد والجواد، فأين أدع الدال؟ وهذا كقول أبي صدقة المدني وقد قيل له: ما أشد إلحافك؟ فقال: تلومونني على ذلك وأنا اسمي مسكين، وكنيتي أبو صدقة، واسم أبي صدقة، واسم امرأتي فاقة.

من طرف أبي العيناء

ووقف أبو العيناء على باب إبراهيم بن رباح فقيل: هو مشغول. فقال: إذا شغل بكأس يمناه، وبحر يسراه، وانتسب إلى أب لا يعرف أباه، لم يحفل بحجاب من أتاه.." (١)

"(أجارتنا إن تسأليني فإنني ... مقيم لعمري ما أقام عسيب)

(كأني وقد أدنوا لحز شفارهم ... من الصبر دامي الصفحتين نكيب)

يعني بعيرا أوحمارا

ثم مات فدفن إلى جنب العسيب وهو جبل بقرب المدينة فقبره هناك معلم

٥٦٠ - قولهم حرا أخاف على جاني الكمأة

يضرب مثلا للرجل يخاف أمرا وغيره أخوف عليه

ومن العجائب أنك تخاف اللص على مالك فتستظهر على حفظه بغلق الأبواب وإقامة الحجاب ورفع الحيطان وترصيص

---

(١) جمع الجواهر في الملح والنوادر الحُصري القيرواني ص/٥٩

البنيان وتنسى الدهر الذي يدرك بلا طلب ويعلق بلا سبب قال الشاعر

(فأخلف وأتلف إنما المال عارة ... فكله مع الدهر الذي هو آكله)

وقال آخر

(فانظر إلى الدهر هل فاتته بغيته ... في مطمح اللسر أو في مسبح النون)

ولآخر

(ألم تدر ان الله فوق المعاقل ...)." [١]

"٦٧٠ - وأحنى من الوالد

من الحنو وهو العطف والرحمة

٦٧١ - وأحلى من الولد

٦٧٢ - وأحكم من لقمان

٦٧٣ - وأحكم من الزرقاء

من الحكمة وهو لقمان بن عاد والزرقاء زرقاء اليمامة وقال النابغة للنعمان

(واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت ... إلى حمام سراع وارد الثمد)

أي كن حكيما مثلها **ومن العجائب** أن الملوك كانوا يخاطبون بمثل هذا الكلام وكانت الزرقاء نظرت إلى حمام طائر عدده ست وستون وعندها حمامة واحدة فقالت

(ليت الحمام ليه ... إلى حمامتيه)

(ونصفه قديه ... ثم الحمام مايه)

فتعجب العرب من صدق نظرها وفطنتها." [٢]

"تلقاكه حال السير أفعى تلتوي ... أو فارس الهيجا أثار العثيرا

أو أكرة أرسلتها ترمي بها ... غرضا فجلت أن ترى حال السرى

أو سبع غاب قد أحس بصائد ... في غابة فعدا عليه وزمجرا

فكأنه المديرون جاء غريمه ... فانسل منه وغاب عن تلك القرى

أو أكنه شهب هوت من أفقها ... أو قبة المنطاد تنبذ بالعرا

لاعجب للنيران إذ يمشي بها ... فمن اللظى تجري الورى كي تحشرا

وقال أحمد بك شوقي يصف الجسر الواصل بين ضفتي البسفور

---

(١) جمهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ١/٣٧٣

(٢) جمهرة الأمثال العسكري، أبو هلال ١/٤٠٥

أمير المؤمنين رأيت جسرا ... أمر على الصراط ولا عليه

له خشب يجوع السوس فيه ... وتمضي الفار لاتأوي إليه

ولا يتكلف المنشار فيه ... سوى مر الفطيم بساعديه

ويبلى فعل من يمشي عليه ... وقبل النعل يدمي أخمصيه

وكم قد جاهد الحيوان فيه ... وخلف في الهزيمة حافريه

وأسمج منه في عيني جباة ... تراهم وسطه وبجانبيه

إذا لاقيت واحدهم تصدى ... كعفريت يشير براحتيه

ويمشي (الصدر) فيه كل يوم ... بموكبه السني وحارسيه

ولكن لا يمر عليه إلا ... كما مرت يداه بعارضيه

ومن عجب هو الجسر المعلى ... على (البسفور) يجمع شاطئيه

يفيد حكومة السلطان مالا ... ويعطيها الغنى من معدنيه

يجود العالمون عليه هذا ... بعشرته وذاك بعشرتيه

وغاية أمره أنا سمعنا ... لسان الحال ينشدنا لديه

(أليس **من العجائب** أن مثلي ... يرى ماقل ممتنعا عليه)

(وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه)." [١]

"واصطلاحا – هي أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان، أحدهما قريب غير مقصود ودلالة الفظ عليه ظارهة، والآخر بعيد مقصود، ودلالة اللفظ عليه خفية، فيتوهم السامع: أنه يريد المعنى القريب، وهو إنما يريد المعنى البعيد بقرينة تشير إليه ولا تظهره، وتستره عن غير المتيقظ الفطن، كقوله تعالى (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) أراد بقوله جرحتم معناه البعيد، وهو ارتكاب الذنوب، ولأجل هذا سميت التورية «إبهاما وتخييلا» وكقول سراج الدين الوراق:

أصون أديم وجهي عن أناس لقاء الموت عندهم الأديب

ورب الشعر عندهم بغيض ولو وافى به لهم «حبيب»

وكقوله – أبيات شعرك كالقصور ولا قصور بها يعوق

ومن العجائب لفظها حر ومعناها «رقيق»

برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على العلات يصطحبان

كأن رقاب الناس قالت لسيفه رفيقك قيسى وأنت يماني (رحمه الله١)

(٢) الاستخدام

---

(١) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب أحمد الهاشمي ٣٥٥/٢

الاستخدام: هو ذكر لفظ مشترك بين معنيين، يراد به أحدهما ثم يعاد عليه ضمير، أو إشارة، بمعناه الآخر، أو يعاد عليه ضميران يراد بثانيهما غير ما يراد بأولهما

فالأول – كقوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أريد أولا بالشهر (الهلال) ثم أعيد عليه الضمير أخيرا بمعنى أيام رمضان.

وكقول معاوية بن مالك.

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وان كانوا غضابا

أراد بالسماء (المطر) وبضميره في «رعيناه» (النبات) (رحمه الله٢)

وكلاهما معنى مجازي

رحمه الله____________

(رحمه الله١) يريد أن كف (شبيب وسيفه متنافران، لا يجتمعان، لأن شبيبا كان قيسيا، والسيف يقال له (يماني) فوري به عن الرجل المنسوب إلى اليمين، ومعلوم ما بين قيس واليمن من التنافر، فظاهر قوله (يماني) أنه رجل منسوب إلى اليمين، ومراده البعيد الدلالة على السيف، لأن كلمة يماني من أسمائه.

(رحمه الله٢) ملخص الاستخدام: هو أن يؤتى بلفظ له معنيان، فيراد به أحدهما، ثم يراد بضميره المعنى الآخر – كقول الشاعر.

... وللغزالة شيء من تلفته ونورها من ضيا خديه مكتسب

أراد الشاعر: بالغزالة الحيوان المعروف، وبضمير (نورها) الغزالة بمعنى الشمس

وكقوله رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره متيم لج في الاشواق خاطره

وكقوله إذا لم أبرقع بالحيا وجه عفتي فلا أشبهته راحتي بالتكرم

ولا كنت ممن يكسر الجفن بالوغى إذا أنا لم أغضضه عن رأى محرم

وقال الآخر في الدعاء، أقر الله عين الأمير وكفاه شرها، وأجرى له عذبها، وأكثر لديه تبرها – وكقول الشاعر:

رحلتم بالغداة فبت شوقا أسائل عنكم في كل ناد

أراعي النجم في سيرى إليكم ويرعاه من البيدا جوادي." (١)

"جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا "؛ وألح علينا هو وقاضي اسكندرية لنتوجه إلى ضيافته في بلدته رشيد، وأكد ذلك بأنواع التاكيد. وأما قاضي دمنهور فإنه جاهل لم يدر مقامه، ولما تم الكشف والتحرير، تقدم على الفقير، وكتب أمامه، فصبرت عليه حتى اتم، ثم تأملت ما رقم، فكان الذي كتبه ما قرأته: من الداعي إلى الملك القفور، محمد القاضي بدمنهور. فقلت له: ما هذا إلا جهل شهير، بل والعياذ بالله تعالى خطا كبير، فأن الغفور بالغين لا بالقاف، ولو رأى ذلك حضرة الباشا لعلم ما هناك بلا خلاف. ثم لما رقم على الحكم والمثال، علامة القبول والامتثال، كتب ما صورته: امتثلت إلى أمر الشريف محمد المولى بدمنهور. فقلت له: وقد أخطأت أيضا في هذا الإمضاء من ثلاثة أوجه وتجاوزت حدا، الأول:

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع أحمد الهاشمي ص/٣٠١

جعلك الفعل متعديا بالى وهو بنفسه يتعدى، والثاني اضافتك الأمر إلى الشريف، ولا يخفى على عاقل أن الواجب التوصيف، والثالث بقاء اسمك مفلتا بلا سبب ولا رابط، ولا علاقة ولا ضابط، إلى غير ذلك **من العجائب** والنوادر والغرائب، سبحان الله تعالى. وعلى قولهم الشيء بالشيء يذكر فقد ذكرتنا عبارات قاضي دمنهور ما وقفنا عليه هذه الايام لقاض في مدينة الفيوم من كتابته امتثال على مثل الحكم المذكور، صورته: " لما ورد الأمر الشريف من الباب العلية، والعتبة العالية الهنية، قد نظرت ووقفت وامتثلت بالسمع والطاعة، الفقير أحمد بن مولانا علي العربية، القاضي بمحروسة فيوم المحمية، عفى عنهما الكافي الصمدية ". فلما تأملت هذه العبارات طفح علي الطرب وطاف، وأذكرتني، وما كنت ناسيا، قضايا بالقاف. وعجبت من هذه السجعات المطربة، وحكمت بأن هذه ليست غلا من تلك متشعبة، وقضيت من ذلك غاية العجب، وتأسفت على نقص حظ أبناء العرب. وأما قاضي اسكندرية، فأنه في غاية ما يكون من الأوصاف المرضية، وقد أطلعني على مكتوب بخط فخر الموالي المعتبرين عبد الرحمن جلبي أفندي يتضمن وصوله إلى القسطنطينية، وأن جميع الموالي أتوا للسلام على حضرته العلية، وأنه توجه حين وصوله للسلام على حضرة مولانا المفتي أدام الله تعالى أيامه، وأطال بقاءه وخلد أعوامه. وتوجه ثاني يوم دخوله إلى حضرة الوزير الأكرم وذكر عنده من أوصافكم الكريمة ما شهده وسمعه من أفواه العالم فزاد اعتقاده في حضرتكم، وسره ما سمع من حسن سيرتكم، وأن برويز أفندي اجتمع بعد ذلك بيوم بحضرة الوزير – خلد الله تعالى أيام سعادته وحفظ جنابه الخطير – فذكر له شكره عبد الرحمن أفندي ممنكم، وما بلغه من الاوصاف الجميلة عنكم، فزاده ذلك ميلا إلى مولانا واعتقادا فيه، وقال: سبحان الله تعالى، الولد سر أبيه. ثم أن مولانا حامد أفندي وبرويز أفندي توجها إلى بيت عبد الرحمن جلبي بعد مجلس السلام، وشكراه على مدحه لجنابكم – حرسه الله تعالى بعينه التي لا تنام – بعد تقبيل اليد الشريفة ثانيا والسلام في المبدأ والختام.." (١)

"حسرت عن الثديين بارزة ... تدعو الإله لفرقة الولد

فأجابها بالنيل يوسعها ... ريا ويشفيها من الكمد

وقال ظافر الحداد:

تأمل هيئة الهرمين وانظر ... وبينهما أبو الهول العجيب (رحمه الله١)

كعمار بيتن على رحيل ... لمحبوبين بينهما رقيب

وماء النيل بينهما دموع ... وصوت الريح عندهما نحيب

ودونهما المقطم وهو يحكي ... ركاب الركب أبركها اللغوب

وظاهر سجن يوسف مثل صب ... تخلف وهو محزون كئيب

وقال ابن الساعاتي:

ومن العجائب، **والعجائب** جمة ... دقت عن الإكثار والإسهاب (رحمه الله٢)

---

(١) حادي الأظعان النجدية إلى الديار المصرية الحموي، محب الدين ص/٢١

هرمان قد هرم الزمان وأدبرت ... أيامه، وتزيد حسن شباب

لله أي بنية أزلية ... تبغي السماء بأطوال الأسباب

وكأنما وقفت وقوف تبلد ... أسفا على الأيام والأحقاب

كتمت على الأسماع فصل خطابها ... وغدت تشير به إلى الألباب

وقال سيف الدين بن حبارة:

لله أي غريبة وعجيبة ... في صنعة الأهرام للألباب (رحمه الله٣)

أخفت عن الأسماع قصة أهلها ... ونضت عن الإبداع كل نقاب (رحمه الله٤)

فكأنما هي كالخيام مقامة ... من غير ما عمد ولا أطناب

رحمه الله____________

(رحمه الله١) بدائع البدائة ١٣٦.

(رحمه الله٢) نهاية الأرب ١: ٣٩١.

(رحمه الله٣) المقريزي ١: ١٩٦، نهاية الأرب ١: ٣٩٢.

(رحمه الله٤) ورد البيت محرفا في الأصول وتصويبه من نهاية الأرب والمقريزي.." [(١)]

"الشام؛ على أنه راغب في الإسلام، فوصل إلى الوليد، وأظهر الإسلام، وأخرج كنوزا ودفائن كانت بالشام؛ مما حمل الوليد على أن صدقه على أن تحت المنارة أموالا ودفائن وأسلحة، دفنها الإسكندر. فجهزه مع جماعة من ثقاته إلى الإسكندرية، فهدم ثلث المنارة، وأزال المرآة، ثم فطن الناس "إلى" أنها مكيدة، فاستشعر ذلك، فهرب في مركب كانت معدة له، ثم بني ما تهدم بالجص والآجر.

قال المسعودي: وطول المنارة في وقتنا هذا -وهو سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة- ثلاثون ذراعا، وكان طولها قديما نحو أربعمائة ذراع، وبناؤها في عصرنا ثلاثة أشكال، فقريب من الثلث مربع "مبني" (رحمه الله١) بالحجارة، ثم بعد ذلك بناء مثمن الشكل مبني بالأجر ومائتان والجص نحو ستين ذراعا، وأعلاها مدور الشكل (رحمه الله٢) .

قال صاحب مباهج الفكر: وكان أحمد بن طولون بنى في أعلاها قبة من خشب، فهدمتها الرياح، فبني مكانها مسجد في أيام الملك الكامل صاحب مصر. ثم إن وجهها البحري تداعى، وكذلك الرصيف الذي بين يديها من جهة البحر، وكادا ينهدمان؛ وذلك أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس، فرمه (رحمه الله٣) وأصلحه. انتهى.

وذكر ابن فضل الله في مسالكه أن هذه المنارة قد خربت وبقيت أثرا بلا عين، وكان هذا وقع في أيام قلاون أو ولده.

وقال ابن المتوج في كتاب إيقاظ المتغفل: **من العجائب** منارة الإسكندرية التي بناها ذو القرنين، كان طولها أكثر من ثلاثمائة ذراع، مبنية بالحجر المنحوت، مربعة الأسفل، وفوق المنارة المربعة منارة مثمنة مبنية بالآجر، وفوق المنارة المثمنة منارة

رحمه الله____________

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٨١/١

(رحمه الله١) من ط.

(رحمه الله٢) انظر مروج الذهب ١: ٣٧٥-٣٧٦ في الكلام على منارة الإسكندرية، ويختلف ما نقله المؤلف هنا عما في هناك اختلافا كثيرا. وانظر نهاية الأرب ١: ٣٥٧.

(رحمه الله٣) كذا في ح، ط، وفي الأصل: "فرم".." [١]

"ببغداد، والطرمذة (رحمه الله١) بسمرقند والعي بالري، والجفاء بنيسابور، والحسن بهراة، والمروءة ببلخ، والبلح بمرو، والعجائب بمصر.

وقال غيره: قراطيس سمرقند لأهل المشرق كقراطيس مصر لأهل المغرب.

وقال القاضي الفاضل: أهل مصر على كثرة عددهم وما ينسب من وفور المال إلى بلدهم، مساكين يعملون في البحر، ومجاهيد يدأبون في البر، **ومن العجائب** شجرة العباس في دندار من صعيد مصر، وهي شجرة متوسطة، وأوراقها قصيرة منبسطة، فإذا قال الإنسان: يا شجرة العباس، جال الناس، تجتمع أوراقها، وتحترق لوقتها.

رحمه الله____________

(رحمه الله١) المطرمذ: الذي يقول ما لا يفعل.." [٢]

"ومن كتاب السجع الجليل فيما جرى من النيل:

وأما البحر الذي بنى عليه عنوان هذه العبودية، فلا تسأل عما جرى منه، وما نقلت الرواة **من العجائب** عنه؛ وذلك أنه عم قدومه بالنفع البلاد، وساوى بين بطون الأودية وظهورها الوهاد. وقدم المفرد مبشرا بوفائه في جمع لا نظير له في الآحاد، واحمرت على ما طلب الغلاء عيونه، وتكفل للمصر بأن يوفي بعد وفائه ديونه، ونزل السعر حين أخذ منه طالع الارتفاع، وأحدق بالقرى فأصبح كأنه سماوات كواكبها الضياع؛ فلم يكن بعد ذلك إلا كلمح البصر أو هو أقرب، حتى عسل (رحمه الله١) في شوارع مصر كما عسل الطريق الثعلب، وجاس خلال ديارها فأصبح على زرائبها المبثوثة بسطة، وأحاط بالمقياس إحاطة الدائرة بالنقطة. ثم علت أمواجه، واشتد اضطرابه، وكاد يمتزج بنهر المجرة الذي الغمام زبده والنجوم حبابه.

وشرق حتى ليس للشرق مشرق ... وغرب حتى ليس للغرب مغرب

إلى أن قال: أما دير الطين فقد ليس سقوف حيطانه، واقتلع أشجار غيطانه، وأتى على ما فيه من حاصل وغلة، وتركه ملقة فكان كما قيل: زاد الطين بلة.

وأما الجيزة فقد طغى الماء على قناطرها وتجسر، ووقع بها القصب من قامته

حين علا عليه الماء وتكسر، فأصبح بعد اخضرار بزته شاحب الإيهاب، ناصل الخضاب، غارقا في قعر ﴿بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب﴾ ، وقطع طريق زاويتها على من بها من المنقطعين والفقراء، وترك الصالح كالصالح

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٩٠/١

(٢) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٣٣٩/٢

يمشي على الماء ﴿فتنادوا مصبحين، أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين، فانطلقوا وهم يتخافتون، أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين﴾ وأدركهم الغرق فأيسوا من الخلاص، ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ فنادوا ﴿ولات حين مناص﴾ ، ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ فانهدت قواهم، واستغاثوا من كثرة الماء بالذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم.

وأما الروضة فقد أحاط بها إحاطة الأكمام بزهره، والكأس بحباب خمره:

فكأنها فيه بساط أخضر ... وكأنه فيها طراز مذهب

رحمه الله________

(رحمه الله١) عسل، أي سار مسرعا.." (١)

"ومن لا يصانع في أمور كثيرة ... يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ... ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره ومن لا يتقي الشتم يشتم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وكائن ترى من صامت لك معجب ... زيادته أو نقصه في التكلم

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عمي

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم

ومن لم يزل يستحمل الناس نفسه ... ولا يغنها يوما من الدهر يسأم

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... ولو رام أسباب السماء بسلم

آخر:

والشيب يبرق في الشباب كأنه ... ليل يصيح بجانبيه نهار

آخر:

وددت بياض السيف يوم لقيني ... مكان بيض الشيب لاح بمفرقي

أخبرني أبو بكر الإصلاحي، قال: أنشدنا أبو بكر العلاف لنفسه في تمني الشيب وكان مخلدا:

إلام وفيم يظلمني شبابي ... ويلبس لمتي حلك الغراب

فيا ابن المعتلين على البرايا ... بعلياء النبوة والكتاب

أبن هل من دواء مستجاد ... لديكم أو دعاء مستجاب

لأبدل من سواد الليل صبحا ... يضيء وادهماما باشهباب

فكافور المشيب لدي أحلى ... وفي العينين من مسك الشباب

وقال آخر:

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة السيوطي ٣٦٤/٢

كأن الشيب والحدثان جريا ... إلى نفس الفتى فرسا سباق

كأن بني أمية لم يكونوا ... ملوكا بالحجاز ولا العراق

فما الدنيا بباقية لحي ... وما حي إلى الدنيا بباق

وقال الأسود بن يعفر:

ومن العجائب لا أبا لك أنني ... ضربت علي الأرض بالأسداد

لا أهتدي فيها لمدفع تلعة ... بين العراق وبين أرض مراد

وقال علي بن القاسم الخوافي صاحب المختصر من العين:

شاع في عارضي هذا المشيب ... فهو الموت والفراق قريب

كل يوم للموت مني نصيب ... وسهام أرمي بها وتصيب

وتفانى أحبتي ولداتي ... والبلايا مع الرزايا تنوب

كل يوم ينعى إلي رفيق ... أو قريب أحبه أو حبيب

وكأن الفناء صب عليهم ... فهم في التراب مرد وشيب

وقال آخر:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا ... أملك رأس البعير إن نفرا

والذئب أخشاه إن خلوت به ... وحدي وأخشى الرياح والمطرا

من بعد ما قوة أسر بها ... أصبحت شيخا أعالج الكبرا

وقال الحسن بن هانئ:

قالوا كبرت فقلت لم تكبر يدي ... من أن تخف إلى فمي بالكاس

وإذا عددت سني كم هي لم أجد ... للشيب عذرا في الحلول براسي

فإذا نزعت عن الغواية فليكن ... لله ذاك النزع لا للناس

آخر:

قالوا: أنينك طول ليلي يسهرنا ... فما الذي تشتكي قلت الثمانينا

أنشدني إبراهيم بن علي الطيفوري:

وقالوا ما أشابك قبل وقت ... فقلت هوى وهجر واكتئاب

ولو أن الغراب اهتم همي ... وفكر فكرتي شاب الغراب

وقال آخر:

كرهت شيبي وكره أن يفارقني ... أعجب بشيء على البغضاء مودود

أما الشباب فمفقود له بدل ... والشيب يذهب مفقودا بمفقود

وقال آخر:

عجبا للشباب كيف تولى ... ولثوب المشيب أي لباس

ليس جود الجواد فضل مال ... إنما الجود للمقل المواسي

وقال بشر بن الحارث:

شيب يلوح كأنما نفضت ... زغبا عليه حمائم بلق

ما كنت أفسق والشباب أخي ... أفحين شبت يجوز لي فسق." (١)

"مشرق الوجه أضاء الغلسا ... كاد لا يبقي لنفسي نفسا

لبس الصوف لكي أنكره ... وبدا لي شاحبا قد عبسا

قلت أهلا وقد عرفناك وذا ... جل سوء لا يشين الفرسا

كل ثوب أنت فيه حسن ... لا يبالي حسن ما لبسا

آخر:

لا تعجبوا من بلى غلالته ... إذ زر كتانه على القمر

وقال مروان بن أبي حفصة:

إن الغواني طالما قتلننا ... بعيونهن وما ودين قتيلا

أردين عروة والمرقش قبله ... وكثيرا قتلنه وجميلا

إن لم أكن ممن قتلن فإنني ... ممن تركن فؤاده متبولا

وقال أبو أحمد اليمامي:

ما ذاق مر الموت قبل مذاقه ... إلا محب غاب عنه حبيب

النار في أحشائه مشبوبة ... والدمع في أجفانه مسكوب

ضدان مختلفان يعتورانه ... ليتم في الدنيا له التعذيب

وقال ابن المعتز:

أقول لصحب ضمت الكأس شملهم ... وداعي صبابات الهوى يترنم

خذوا بنصيب من نعيم ولذة ... فكل وإن طال المدى يتصرم

ألا إن أهنا العيش ما سامحت به ... صروف الليالي والحوادث نوم

آخر:

أقول للقلب وعاتبته ... على التصابي مئتي مره

يا قلب دع عنك طلاب الهوى ... ما كل يوم تسلم الجره

---

(١) حماسة الظرفاء الزَّوْزَني، العبدلكاني ص/٧

وقال نصيب:

إن تسألوا عن قصتي فأنا الذي ... لعب السقام بمهجتي فأعلها

قالوا يسرك أن تزورك في الكرى ... وتبين نفسك عنك قلت ومن لها

أنشدني سليمان بن رحمة بن غانم الأسدي:

ولما تلاقينا جرت من عيوننا ... دموع كففنا غربها بالأصابع

ونلنا سقاطا من حديث كأنها ... جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع

أنشدني قاضي سجستان:

ملكت روحي فأنت تتلفها ... حكمك في قبض مهجتي ماض

والخصم لا ترتجى النجاة له ... يوما إذا كان خصمه القاضي

وقال أبو العباس الأشعث الزوزني:

يا من حمى عيني الكرى وينام ... قتلي بلا جرم عليك حرام

شيبت رأسي قبل حين مشيبه ... **ومن العجائب** أن يشيب غلام

وقال آخر:

يا هلالا يدور في فلك النا ... ورد رفقا بأعين النظاره

قف لنا في الطريق إن لم تزرنا ... وقفة في الطريق نصف زياره

وقال أبو الفضل بن العميد:

قد سباني ابن مجوس ... ي بطرف واحوراره

وجهه قبلة وجهي ... وفؤادي بيت ناره

آخر:

متهود صبغ الهوى لوني له ... وأذاب قلبي في الهوى تذكاره

فكأنني من صفرتي عسليه ... وكأنني من دقتي زناره

فإذا جحدت هواه أو أنكرته ... شهدت علي من الهوى آثاره

وقال بعض القضاة في نصراني:

لولا الحياء وأنني مستور ... والعيب يلحق بالكبير كبير

لحللت بالبيت الذي أنتم به ... ولكان منزلنا هو المهجور

في خياط:

وأعذب من شم ريح الحنا ... ن خيوط تروين من ريقه

في بائع السكر:

يصيح والسكر قدامه ... من يشتري الحلو من الحلو

وقال أبو علي الفلجردي في كاتب مختط:

وقد غره خطان خط بنانه ... وخط عذار كالمداد يلوح

وليس يبالي بالزمان وأهله ... ولا بغراب بالفراق ينوح

أنشدني الحسن بن أبي قابوس:

علقوا اللحم للبزا ... ة على ذروتي عدن

ثم لاموا البزاة أن ... خلعت عندها الرسن

قل لمن لام في الهوى ... نقبوا وجهه الحسن

وقال آخر:

يا قمرا جمشته فتغضبا ... وأظهر إعراضا لنا وتجنبا." (١)

"فإن تمنح تصادفني شكورا ... فإن تمنع فلي رب وصول

وقال آخر:

ماذا أقول لأعدائي إذا سألوا ... ماذا حباك أمير الجيش يعقوب

إن قلت لم يعطني قرت عيونهم ... أو قلت أكرمني قالوا لمكذوب

فأين آثار نعماه عليك أبن ... كذبت إنك محروم ومحروب

فاسمل أبا يوسف بالجود أعينهم ... أشكرك مجتهدا ما حنت النيب

وقال أبو العتاهية:

أثني عليك ولي حال تكذبني ... فيما أقول وأستحيي من الناس

وقلت إن أبا حفص لأكرم من ... يمشي فكذبني في ذاك إفلاسي

وقال آخر لعبد الله بن طاهر:

ماذا أقول إذا سئلت وقيل لي ... ماذا أصبت من الجواد المفضل

إن قلت أعطاني كذبت وإن أقل ... بخل الجواد بماله لم يجمل

فأبن فديتك ما أقول فإنني ... لا بد مخبرهم وإن لم أسأل

فبعث إليه شيئا حضره، وكتب إليه:

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا ... قلا وإن أمهلتنا لم يقلل

فخذ القليل وكن كأنك لم تسل ... ونكون نحن كأننا لم نفعل

وقال بعض الرجاز في المأمون:

---

(١) حماسة الظرفاء الزَّوْزَني، العبدلكاني ص/٢٠

مأمون يا ذا المنن الشريفه

وقائد الكتيبة الكثيفه

وصاحب المرتبة المنيفه

هل لك في أرجوزة لطيفه

أظرف من فقه أبي حنيفه

لا والذي أنت له خليفه

ما ظلمت في أرضنا ضعيفه

أميرنا مؤنته خفيفه

وليس يجبينا سوى الوطيفه

اللص والتاجر في قطيفه

والذئب والنعجة في سقيفه

وقال آخر:

ومن العجائب أن بيض سيوفه ... تلد المنايا السود وهي ذكور

آخر:

أضحى غريبا في مكارمه التي ... يضحي الغريب بهن في الأوطان

أبت في الناس مثل شهرك في الأش ... هر أو مثل ليلة القدر فيه

وقال أبو الحسن العبدلكاني:

أرى كل ملتمس ذروة ... سموت إلى فرعها الأطول

كملتمس نقل ماء الفرا ... ت إلى أبعد الأرض بالمنخل

وقال أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله:

يا صاحبي قف بالمحصب من منى ... واهتف بقاعد خيفها والناهض

إن كان رفضا حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أني رافضي

وقال مسلم بن الوليد الأنصاري صريع الغواني:

ثلاثة تشرق البلاد بهم ... فضل بن يحيي والشمس والقمر

لكن فضلا يفيد نائله ... وفضل فضل يرجى وينظر

والعود يخضر حين يمسسه ... وحيثما مر ينبت الخضر

لولا يد منه بالندى بسطت ... ما ورد الناس لا ولا صدروا

آخر:

أنت في الناس مثل شهرك في الأش ... هر أو مثل ليلة القدر فيه

وقال ابن اللحام:

في كل يوم للأمير فتوح ... تغدو التهاني بينها وتروح

لا تستفيق له بكل صبيحة ... أرواح أعداء بهن تطيح

والله يسعد عبده من قلبه ... أبدا بمضمون الوفاء صحيح

والله يهلك من عصى نوحا كما ... في الدهر أهلك من شكا نوح

فليعتبر بسعوده من كان ذا ... لب فإني للجميع نصيح

وقال آخر:

تناسى سيدي ذكري وعهدي ... وعندي ذكره أبدا جديد

ولا عجب تناسي ذكر عبد ... من المولى إذا كثر العبيد

وأنشدني الداعي بن محمد العلوي أبو البركات:

دام لك العز والبقاء ... ما اختلف الصبح والمساء

أعيادنا فيك ما تقضى ... وكل عبد له انقضاء

الناس أرض بكل أرض ... وأنت من فوقهم سماء

آخر:

زادك الله سرورا ... وتولاك دهورا

أنا أفديك إذا زر ... ت وأفديك مزورا

حيثما كنت من الأر ... ض كسوت الأرض نورا

وقال آخر:

ما على اليوم الذي أقبل في الحسن مزيد." (١)

"عنهم؟ قال ابن أبي دؤاد: نعم.

فأعرض الشيخ عنه وأقبل على الواثق فقال: يا أمير المؤمنين قد قدمت القول: إن أحمد يقل ويصغر ويضعف عن المناظرة، يا أمير المؤمنين إن لم يتسع لك من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم، فلا وسع الله على من لم يتسع له ما اتسع لهم من ذلك. فقال الواثق: نعم إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم فلا وسع الله علينا، اقطعوا قيد الشيخ، فلما قطعوا قيده ضرب الشيخ بيده إلى القيد ليأخذه، فجذبه الحداد إليه فقال الواثق: دع الشيخ ليأخذه فأخذه الشيخ فوضعه في كمه، فقيل للشيخ: لم جاذبت عليه؟ فقال الشيخ: لأني نويت أن أتقدم

---

(١) حماسة الظرفاء الزَّوْزَني، العبدلكاني ص/٤١

إلى من أوصي إليه، إذا أنا مت، أن يجعله بيني وبين كفني، حتى أخاصم به هذا الظالم عند الله يوم القيامة، وأقول: يا رب سل عبدك هذا لم قيدني وروع أهلي وولدي وإخوتي بلا حق أوجب ذلك علي؟ وبكى الشيخ، وبكى الواثق، وبكيت.

ثم سأله الواثق أن يجعله في حل وسعة مما ناله منه، فقال الشيخ، والله يا أمير المؤمنين قد جعلتك في حل وسعة من أول يوم إكراما لرسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ كنت رجلا من أهله.

فقال الواثق: لي إليك حاجة. فقال الشيخ: إن كانت ممكنة فعلت. فقال الواثق: تقيم قبلنا فتنفع بك فتياننا. فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين إن ردك إياي إلى الموضع الذي أخرجني منه هذا الظالم، أنفع لك من مقامي عندك. وأخبرك لم ذلك: أصير إلى أهلي وولدي، فأكف دعاءهم عليك، فقد خلفتهم على ذلك. فقال له الواثق أفتقبل منا صلة تستعين بها على دهرك؟ فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين لا تحل لي، أنا عنها غني وذو ثروة. فقال له: أتسأل حاجة؟ قال: أو تقضيها يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم. قال: تخلي سبيلي إلى السفر الساعة، وتأذن لي. قال: قد أذنت لك. فسلم عليه الشيخ وخرج. قال صالح: فقال المهتدي بالله: فرجعت عن هذه المقالة منذ ذلك اليوم، وأظن أن الواثق بالله، كان رجع عنها من ذلك الوقت، ولي فيها طرق أخرى، وفيها بعض المغايرة فلهذه وقد سبق في ترجمة الواثق ما يدل على رجوعه والله تعالى أعلم.

خلافة أبي القاسم أحمد المعتمد على الله بن المتوكل

ثم قام بالأمر بعده ابن عمه أحمد، المعتمد على الله بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله.

بويع له بالخلافة يوم قتل ابن عمه المهتدي بالله بسر من رأى، وكان له إسم الخلافة ولأخيه الموفق بن المتوكل تدبير الملك ولما مات الموفق، قام بتدبير الملك بعده، ابنه أحمد المعتضد بن الموفق وغلب على عمه المعتمد كما كان أبوه غالبا عليه، فكان المعتمد يطلب الشيء الحقير فلا يناله ولم يكن له سوى الإسم فقال في ذلك:

أليس من العجائب أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه

وتؤخذ بإسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه

قيل: إنه شرب يوما على الشط شرابا كثيرا فتغشى ومات. وقيل: إنه اغتم ومات وهو نائم." (١)

"بأكلهم السرطان، وأهل الشام يعيبون أهل مصر بأكلهم الدنيلس ولم أجد لهم مثلا إلا قول الشاعر:

ومن العجائب والعجائب جمة ... أن يلهج الأعمى بعيب الأعمش

انتهى كلام الأقفهسي، وهو مخالف لما ذكره المؤلف والله أعلم.

الدهانج:

بضم الدال الجمل الضخم ذو السنامين. وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الفاء في الفالج.

الدوبل:

الحمار الصغير الذي لا يكبر وكان الأخطل يلقب به ومنه قول جرير «١» :

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ١٢٩/١

بكى دوبل لا يرقىء الله دمعه ... ألا إنما يبكي من الذل دوبل «٢»

الدود:

جمع دودة وجمع الدود ديدان، والتصغير دويد، وقياسه دويدة وداد الطعام يداد وأداد ودود. إذا وقع فيه السوس قال الراجز:

قد أطعمتني دفلا حوليا ... مسوسا مدودا حجريا

والدود أيضا صغار الدود. ودويد بن زيد عاش أربعمائة وخمسين سنة، وأدرك الإسلام وهو لا يعقل، وارتجز وهو محتضر:

اليوم يبنى لدويد بيته ... لو كان للدهر بلى ابليته

أو كان قربي واحدا كفيته ... يا رب نهب صالح حويته

ورب غيل حسن لويته ... ومعصم مخضب ثنيته

وفي تاريخ «٣» ابن خلكان، إنه سعى بأبي الحسن الهادي، بن محمد الجواد، بن علي الرضا إلى المتوكل بأن في منزله سلاحا وكتبا من شيعته، وأنه يطلب الأمر لنفسه، فبعث المتوكل إليه جماعة فهجموا عليه في منزله فوجدوه على الأرض مستقبل القبلة يقرأ القرآن، فحملوه على حاله إلى المتوكل والمتوكل يشرب، فاعظمه وأجله وقال له: أنشدني فقال: إني قليل الرواية للشعر. فقال له المتوكل: لا بد فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فما أغنتهم القلل

واستنزلوا بعد عز من معاقلهم ... وأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا ... أين الأسرة والتيجان والحلل

فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا ... فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أكلوا." (١)

"وأبو حماد وأبو سليمان، وأبو عقبة، وأبو مدلج، وأبو المنذر، وأبو نبهان وأبو يقظان، وأبو برائل والبرائل الذي يرتفع من ريش الطائر في عنقه، وينفشه الديك للقتال، وقيل: إن للديك خاصة.

ويسمى الأنيس والمؤانس، ومن شأنه أنه لا يحنو على ولده، ولا يألف زوجة واحدة، وهو أبله الطبيعة، وذلك أنه إذا سقط من حائط لم يكن له هداية ترشده إلى دار أهله. وفيه من الخصال الحميدة أنه يسوي بين دجاجه، ولا يؤثر واحدة على واحدة إلا نادرا، وأعظم ما فيه **من العجائب**، معرفة الأوقات الليلية فيقسط أصواته عليها تقسيطا، لا يكاد يغادر منه شيئا سواء طال أو قصر.

ويوالي صياحه قبل الفجر وبعده، فسبحان من هداه لذلك. ولهذا أفتى القاضي حسين والمتولي والرافعي بجواز اعتماد الديك المجرب في أوقات الصلوات. ومن غريب أمره، إذا كانت الديكة بمكان، ودخل عليها ديك غريب سفدته كلها، وقد أجاد أبو بكر الصنوبري في مدحه حيث قال «١» :

مغرد الليل ما يألوك تغريدا ... مل الكرى فهو يدعو الصبح مجهودا

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ١/ ٤٧٣

لما تطرب هز العطف من طرب ... ومد للصوت لما مده الجيدا

كلابس مطرفا مرخ ذوائبه ... تضاحك البيض من اطرافه السودا

حالى المقلد لو قيست قلائده ... بالورد قصر عنها الورد توريدا

وفي تاريخ «٢» ابن خلكان في ترجمة محمد بن معن بن محمد بن صمادح، المنعوت بالمعتصم، من قصيدة مدحه بها أبو القاسم الأسعد بن بليطة في صفة الديك:

كأن أنو شروان أعطاه تاجه ... وناط عليه كف مارية القرطا «٣»

سبى حلة الطاووس حسن لباسه ... ولم يكفه حتى سبى المشية البطا

قال «٤» الجاحظ: ويدخل في الديك الهندي والجلاسي والنبطي والسندي والزنجي، وزعم أهل التجربة أن الديك الأبيض الأفرق من خواصه أن يحفظ الدار التي هو فيها، وزعموا أن الرجل إذا ذبح الديك الأبيض الأفرق، لم يزل ينكب في أهله وماله.

وروى عبد الحق بن قانع بإسناده إلى جابر بن أثوب، بسكون الثاء المثلثة وفتح الواو، وهو أثوب بن عتبة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الديك الأبيض خليلي» . وإسناده لا يثبت. ورواه غيره بلفظ: «الديك الأبيض صديقي وعدو الشيطان، يحرس صاحبه وسبع دور خلفه» . قال: وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقتنيه في البيت والمسجد. وفي التهذيب في ترجمة البزي الراوي عن ابن كثير، وهو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة المكي، وهو ضعيف الحديث، عن الحسن عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الديك الأبيض الأفرق حبيبي وحبيب حبيبي جبريل يحرس بيته وستة عشر بيتا من جيرانه» . وروى الشيخ محب الدين الطبري «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له ديك أبيض وكان الصحابة رضي الله عنهم يسافرون بالديكة لتعرفهم أوقات الصلوات» .." (١)

"ومن السمك نوع يطير على وجه البحر مسافة طويلة ثم ينزل انتهى.

قال ابن التلميذ «١» في تشبيه السمك:

لبسن الجواشن خوف الردى ... عليهن من فوقهن الخوذ

فلما أتيح لها أهلكت ... ببرد النسيم الذي يستلذ

وهو بجملته شره كثير الأكل لبرد مزاج معدته وقربها من فمه وإنه ليس له عنق ولا صوت ولا يدخل إلى جوفه هواء البتة، ولذلك يقول بعضهم: إن السمك لا رئة له، كما أن الفرس لا طحال له، والجمل لا مرارة له، والنعامة لا مخ لها وصغار السمك تحترس من كباره، ولذلك تطلب ماء الشطوط والماء القليل الذي لا يحمل الكبير، وهو شديد الحركة لأن قوته المحركة للإرادة، تجري في مسلك واحد لا ينقسم في عضو خاص، وهذا بعينه موجود في الحيات. ومن السمك ما يتولد بسفاد، ومنه ما يتولد بغيره إما من الطين أو من الرمل، وهو الغالب في أنواعه، والغالب يتولد من العفونات. وبيض السمك ليس له بياض ولا صفرة، وإنما هو لون واحد قال الجاحظ: ومن السمك القواطع والأوابد كما في الطير، فرب سمكة تأتي

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٤٧٨/١

في بعض فصول السنة وتنقطع في بعضها. ومن جملة أنواعه السقنقور، والدلفين، والخرشفلا، والتمساح. وقد تقدم ذكرها في أبوابها ومنها: القرش والعنبر، وسيأتيان في بابيهما، إن شاء الله تعالى ومن أصنافه ما هو على شكل الحيات، وغير ذلك، ومن أنواعه السمكة الرعادة هي صغيرة إذا وقعت في الشبكة والصياد ممسك حبلها، ارتعدت يد الصياد والصيادون يعرفون ذلك فإذا أحسوا بها شدوا حبل الشبكة في وتد أو شجرة حتى تموت السمكة، فإذا ماتت بطلت خاصيتها. وما أحسن قول الشيخ شرف الدين محمد بن حماد بن عبد الله البوصيري «٢» صاحب البردة في الشيخ زين الدين محمد بن الرعاد:

لقد عاب شعري في البرية شاعر ... ومن عاب أشعاري فلا بد أن يهجى «٣»

فشعري بحر لا يرى فيه ضفدع ... ولا يقطع الرعاد يوما له لجا

وأطباء الهند يستعملونها في الأمراض الشديدة الحر، وأما في غير بلاد الهند فلا يمكن استعمالها.

قال ابن سيده: الرعادة إذا قربت من رأس المصروع، وهي حية، نفعته. وإذا علقت المرأة شيئا منها عليها لم يقدر الرجل على فراقها. وفي البحر **من العجائب** ما لا يستطاع حصره، ويكفي في ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حدثوا عن البحر ولا حرج» أي حدثوا عنه حيث لا حرج عليكم في ذلك.

ومن أنواعه: الشيخ اليهودي وسيأتي إن شاء الله تعالى في باب الشين المعجمة.

عجيبة:

حكى القزويني، في عجائب المخلوقات عن عبد الرحمن بن هارون المغربي، قال:." (١)

"الشعو وأم طبلة وأم لوح وأم الهيثم. والعرب تسمى العقاب الكاسر، ويقال لها الخدارية للونها، وهي مؤنثة اللفظ. وقيل: العقاب يقع على الذكر والأنثى. وتمييزه باسم الإشارة. وقال في الكامل: العقاب سيد الطيور والنسر عريفها. والعقاب، قال ابن ظفر: حاد البصر، ولذلك قالت العرب «أبصر من عقاب» «١» . والأنثى منه تسمى لقوة.

قال البطليوسي، في الشرح: قال الخليل: اللقوة واللقوة بالفتح والكسر العقاب السريعة الطيران انتهى. وتسمى العقاب عنقاء مغرب لأنها تأتي من مكان بعيد، وليس هو العنقاء الآتي ذكرها، وبهذا فسر قول أبي العلاء المعري «٢» :

أرى العنقاء تكبر أن تصادا ... فعاند من تطيق له عنادا «٣»

وظن بسائر الاخوان شرا ... ولا تأمن على سر فؤادا

فلو خبرتهم الجوزاء خبري ... لما طلعت مخافة أن تصادا

وكم عين تؤمل أن تراني ... وتفقد عند رؤيتي السوادا

وله من قصيدة قد أبدع فيها «٤» :

فإن كنت تهوى العيش فابغ توسطا ... فعند التناهي يقصر المتطاول

توافي البدور النقص وهي أهلة ... ويدركها النقصان وهي كوامل

وفي المعنى لابن العفيف التلمساني «٥» :

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢/ ٤٠

أيسعدني يا طلعة البدر طالع ... ومن شقوتي خط بخديك نازل

نعم قد تناهى في الجفاء تطاولا ... وعند التناهي يقصر المتطاول

وتقدم أن العقاب، إذا صاحت، تقول: في البعد عن الناس راحة. وهي نوعان عقاب، وزمج فأما العقاب فمنها السود والخوخية والسفع والأبيض والأشقر، ومنها ما يأوي الجبال وما يأوي الصحاري وما يأوي الغياض وما يأوي حول المدن، ويقال: إن ذكورها من طير لطيف الجرم لا يساوي شيئا. وقال ابن خلكان، في آخر ترجمة العماد الكاتب: ويقال إن العقاب جميعه أنثى، وأن الذي يسافده طير آخر من غير جنسه، وقيل: إن الثعلب يسافده. قال: وهذا **من العجائب**.

ولا بن عنين «٦» الشاعر في هجو شخص يقال له ابن سيده:

ما أنت إلا كالعقاب فأمه ... معروفة وله أب مجهول." (١)

"شعر الإمام العلامة حجة الإسلام أبي حامد الغزالي «١» رحمه الله تعالى في التشبيه:

حلت عقارب صدغه من خده ... قمرا يجل به عن التشبيه

ولقد عهدناه يحل ببرجها ... **ومن العجائب** كيف حلت فيه

وقد تقدم ذكر وفاته، وطرف من أخباره في باب الحاء المهملة في الحمام. وقد أجاد أبو المحاسن «٢» يوسف بن الشواء في وصف غلام أرسل أحد صدغيه وعقد الآخر فقال:

أرسل صدغا ولوى قاتلي ... صدغا فأعيا بهما واصفه

فخلت ذا في خده حية ... تسعى وهذا عقربا واقفه

ذا ألف ليست لوصل وذا ... واو ولكن ليست العاطفه

ومن محاسن شعره رحمه الله أيضا:

قالوا: حبيبك قد تضوع نشره ... حتى غدا منه الفضاء معطرا

فأجبتهم والخال يعلو خده ... أو ما ترى النيران تحرق عنبرا

الخواص

: قال صاحب عين الخواص: العقرب إذا رأت الوزغة ماتت ويبست من ساعتها. وقيل: إن العقرب إذا أحرقت ودخن بها البيت، هربت العقارب منه، وإذا طبخت بزيت ووضع على لدغ العقارب سكن الوجع، ورماد العقارب يفتت الحصى. وإن أخذت عقرب وقد بقي من الشهر ثلاثة أيام، وجعلت في إناء، وصب عليها رطل زيت، وسد رأس الإناء، وترك حتى يأخذ الزيت قوتها، ثم ادهن به من به وجع الظهر والفخذين، فإنه ينفعه ويقويه. وإن شرب بزر الخس بشراب أمن شاربه من لسع العقارب، وإن طرحت قطعة من فجل، على قدر لم يدب عليها عقرب إلا ماتت من وقتها. وإذا ديف ورق الخس بدهن، وطلي به على لسعة العقرب أبرأها، وإن طبخت العقرب بسمن البقر، وطلي به موضع لسعتها سكنها من وقته.

---

(١)<حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢/ ١٧٣

وقال ابن السويدي: إذا وضعت العقرب في إناء فخار، وسد رأسه، ثم وضع في تنور إلى أن تصير رمادا وسقي من ذلك الرماد من به الحصى نفعه وفتتها. وإذا بخر البيت بعقرب اجتمعت فيه العقارب، كذا قال أرسطو، وقال غيره: تهرب منه العقارب. وإذا غرزت شوكة العقرب في ثوب إنسان، لم يزل سقيما حتى تزول منه. وإن دقت العقارب وألصقت على لسعتها أبرأتها. وإن وقعت في ماء وشرب منه إنسان وهو لا يعلم، امتلأ جسده قروحا. وإن بخر البيت بزرنيخ أحمر وشحم البقر هربت منه العقارب.." (١)

"العيس:

بكسر العين الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة، واحدها أعيس والأنثى عيساء، ويقال هي كرام الإبل وما أحسن قول الأول:

ومن العجائب والعجائب جمة ... قرب الحبيب وما إليه وصول

كالعيس في البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

وفي حديث سواد بن قارب «وشدت العيس بأحلاسها» .

العيساء:

بفتح العين الأنثى من الجراد، وقد تقدم ما في الجراد في باب الجيم.

العيلام:

والعيلان بفتح العين فيهما الذكر من الضباع وفي الحديث، أن الخليل عليه الصلاة والسلام يريد أن يحمل أباه آزر ليجوز به الصراط فينظر إليه فإذا هو عيلام أمدر، والعيلام ذكر الضباع، والياء والألف زائدتان قاله في نهاية الغريب.

العيثوم:

الضبع عن أبي عبيدة، وقد تقدم قبل ذلك بورقة، وقال الغنوي: والعيثوم الأنثى من الفيلة وأنشد «١» الأخطل:

تركوا أسامة في اللقاء كأنما ... وطئت عليه بخفها العيثوم

العين:

من الألفاظ المشتركة، قال بعض أهل اللغة ممن تكلم على الألفاظ المشتركة: إن العين طائر أصفر البطن والظهر في حد القمري.

العيهل:

الناقة السريعة، قال أبو حاتم: ولا يقال جمل عيهل.

عيجلوف:

كحيزبون اسم النملة المذكورة في القرآن، وسيأتي إن شاء الله تعالى اختلاف العلماء في اسمها في باب النون في لفظ النمل.

ابن عرس:

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ١٩٩/٢

وكنيته أبو الحكم وأبو الوثاب وهي دابة تسمى بالفارسية راسو، وهي بكسر العين وإسكان الراء المهملتين، تجمع على بنات عرس وبني عرس، حكاه الأخفش. قال القزويني: هو حيوان دقيق يعادي الفأر، يدخل جحره ويخرجه، ويعادي التمساح فإن التمساح لا يزال مفتوح الفم، وابن عرس يدخل فيه وينزل جوفه ويأكل أحشاءه ويمزقها، ويخرج ويعادي الحية أيضا، ويقتلها. وإذا مرض يأكل بيض الدجاج فيزول مرضه.

وحكي أن ابن عرس تبع فأرة فصعدت شجرة، فلم يزل يتبعها حتى انتهت إلى رأس الغصن، ولم يبق لها مهرب، فنزلت على ورقة وعضت طرفها، وعلقت نفسها بها، فعند ذلك صاح ابن عرس، فجاءته زوجته فلما انتهت إلى تحت الشجرة، قطع ابن عرس الورقة التي عضتها الفأرة فسقطت فاصطادها ابن عرس التي كانت تحت الشجرة.

وقال عبد اللطيف البغدادي: وأظنه الحيوان المسمى بالدلق، وإنما يختلف لونه ووبره." (١)

"مشروعية ذلك. وقال مالك وأبو حنيفة: لا تقلد الغنم، والظاهر أن الحديث لم يبلغهما.

فرع

: فتح إنسان مراح غنم، فخرجت ليلا ورعت زرعا فإن كان الذي فتحه المالك، ضمن الزرع، وإن كان غير المالك لم يضمن. والفرق أن المالك يلزمه حفظها في الليل فإذا فتح عليها ضمن، وغير المالك لا يلزمه حفظها، فإذا فتح عليها لم يضمن. قاله في البحر وسيأتي في باب الميم، الإشارة إلى إتلاف الماشية.

وأما الأمثال

: فقد تقدم بعضها في باب الجيم، وبعضها في باب الشين المعجمة، وكذلك الخواص وسيأتي طرف منها في المعز في باب الميم، إن شاء الله تعالى.

التعبير

: الغنم في الرؤيا رعية صالحة طائعة، وتدل على الغنيمة والأزواج والأولاد والأملاك والزرع والأشجار الحافلة فالثمار، فذوات الصوف نساء كريمات جميلات ذوات مال وعرض مستور. والشعاري نساء صالحات فقيرات، ذوات عرض مبذول بكشف عوراتهن، خلافا لذوات الصوف فإن عوراتهن مستورة بالألية. قاله ابن المقري.

وقال المقدسي: من رأى أنه يسوق معزا وضأنا، فإنه يلي على عرب وعجم، فإن أخذ من ألبانها وأصوافها فإنه يجبي منهم أموالا، ومن رأى غنما واقفة في مكان، فإنهم رجال يجتمعون في ذلك الموضع، في أمر من الأمور. ومن رأى غنما استقبلته فإنهم أعداء يظفر بهم، ومن رأى شاة تمشي أمامه، وهو يمشي ولا يدركها، تعطلت عليه معيشته، وربما تبع امرأة ولا تحصل له. وألية الغنم مال المرأة، ومن رأى كأنه يجز شعر الغنم فليحذر من الخروج من داره ثلاثة أيام، وقال جاماسب: من رأى قطيع غنم سر دائما. ومن رأى شاة واحدة سر سنة. والنعجة امرأة، فمن ذبح نعجة افتض امرأة مباركة، لقوله تعالى: إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة

«١» ومن رأى أن صورته تحولت على صورة غنمه نال غنيمة.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢٣٢/٢

الغواص:

طائر تسميه أهل مصر الغطاس وهو القرلي الآتي في باب القاف إن شاء الله تعالى.

قال القزويني في الأشكال: هو طائر يوجد بأطراف الأنهار، يغطس في الماء ويصطاد السمك، فيتقوت منه، وكيفية صيده أنه يغوص في الماء منكوسا بقوة شديدة، ويمكث تحت الماء، إلى أن يرى شيئا من السمك فيأخذه، ويصعد به **ومن العجائب** لبثه تحت الماء، ويوجد كثيرا بأرض البصرة انتهى.

قال بعضهم: رأيت غواصا غاص فطلع بسمكة، فغلبه غراب عليها، فأخذها منه، فغاص مرة أخرى وطلع بسمكة أخرى، فأخذها منه الغراب، ثم الثالثة كذلك، فلما اشتغل الغراب بالسمكة. وثب الغواص فأخذ برجل الغراب، وغاص به تحت الماء حتى مات الغراب، ثم خرج هو من الماء.." (١)

"تعرفوه بأربعين سنة فتعجبوا من ذلك وزادهم الله بذلك هدى.

وقال محمد الباقر: كان أصحاب الكهف صياقلة، واسم الكهف حيوم، والقصة طويلة مشهورة في كتاب التفاسير والقصص مطولا ومختصرا، وقد وقفت على جمل من ذلك. فمن ذلك ما ساقه الإمام أبو اسحاق محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي، في كتابه الكشف والبيان في تفسير القرآن، وربما يتكرر شيء مما تقدم، فيما آتي به. قال: قوله «١» تعالى: أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا

يعني ليسوا من أعجب آياتنا، فإن فيم خلقت من السموات والأرض وما فيهن **من العجائب** أعجب منهم. والكهف هو الغار في الجبل.

واختلفوا في الرقيم، فقال وهب: حدثني «٢» النعمان بن بشير الأنصاري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرقيم، قال: إن ثلاثة نفر خرجوا مرتادين لأهليهم، فبينما هم يمشون إذ أصابتهم السماء، فأووا إلى كهف، فانحطت صخرة من الجبل، فانطبقت على باب الكهف، فأوصد عليهم، فقال قائل منهم: اذكروا أيكم عمل عملا حسنا، لعل الله برحمته أن يرحمنا، فقال رجل منهم: إني قد عملت حسنة مرة، كان لي أجراء يعملون عملا لي، استأجرت كل رجل منهم في نهاره بأجرة معلومة، فجاءني رجل منهم ذات يوم وسط النهار، فاستأجرته بشطر أجرة أصحابه، فعمل في بقية نهاره كما عمل رجل منهم في نهاره كله، فرأيت علي من الذمام، أن لا أنقصه عما استأجرت من أصحابه، لما رأيت من جهده في عمله. فقال رجل منهم: أتعطي هذا مثل ما أعطيتني ولم يعمل إلا وسط النهار؟ فقلت: يا عبد الله لم أبخسك شيئا من شرطك، وإنما هو مالي أحكم فيه بما شئت. فغضب وترك أجره فوضعت حقه في جانب من البيت ما شاء الله، ثم مرت بي بعد ذلك بقر فاشتريت له بها فصيلة من البقر، فبلغت ما شاء الله، فمر بي بعد حين رجل شيخ كبير لا أعرفه، فقال لي: إن لي عندك حقا فذكرنيه حتى عرفته، قلت له: إياك أبغي، وهذا حقك وعرضتها عليه جميعا، فقال: يا عبد الله لا تسخر بي إن لم تصدق علي فأعطني حقي! قلت: والله ما أسخر بك إنها لحقك، مالي فيها شيء فدفعتها إليه جميعا. اللهم إن كنت

---

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢/٢٦٢

تعلم أني فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا الحجر، فانصدع الحجر ففرج حتى رأوا وأبصروا.

وقال الآخر: قد عملت حسنة مرة، كان لي فضل، وأصابت الناس شدة، فجاءتني امرأة تطلب مني معروفا، فقلت لها: والله ما هو دون نفسك، فأبت علي وذهبت، ثم رجعت فذكرتني بالله عز وجل، والله مطلع عليها فأبيت عليها وقلت لها: والله ما هو دون نفسك، فأبت علي وذهبت، وذكرت لزوجها فقال لها: أعطيه نفسك وأغيثي عيالك! فرجعت إلي ونشدتني بالله، فأبيت عليها وقلت لها: والله ما هو دون نفسك! فلما رأت ذلك، أسلمت إلي نفسها، فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت من تحتي، فقلت لها: ما شأنك؟ فقالت: إني أخاف الله رب العالمين! فقلت لها: خفته في الشدة ولم أخفه في الرخاء! وتركتها وأعطيتها ما يحق علي بما كشفتها. اللهم إن كنت." (١)

"الكبار – من الصف – أي يوم اليرموك – واستدعى خالد بن الوليد، فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما، فقال جرجة: يا خالد، أخبرني فاصدقني ولا تكذبني، فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله: هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه فلا تسله على أحد إلا هزمتهم؟ قال: لا، قال فبم سميت سيف الله؟ قال: إن الله بعث فينا نبيه فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعا، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه وبعضنا كذبه وباعده، فكنت فيمن كذبه وباعده. ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه. فقال لي: «أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين» ودعا لي بالنصر، فسميت سيف الله بذلك، فأنا من أشد المسلمين على المشركين. فقال جرجة: يا خالد إلام تدعون؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله عز وجل. قال: فمن لم يجبكم؟ قال: فالجزية ونمنعهم. قال: فإن لم يعطها قال: نؤذنه بالحرب ثم نقاتله. قال: فما منزلة من يجيبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا قال جرجة: فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر؟ قال: نعم وأفضل. قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ فقال خالد: إنا قبلنا هذا الأمر عنوة وبايعنا نبينا وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء يخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات؛ وحق لمن رأى ما رينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع؛ وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا **من العجائب** والحجج؛ فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا. فقال جرجة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني؟ قال: تالله لقد صدقتك، وإن الله ولي ما سألت عنه.

فعند ذلك قلب جرجة الترس ومال مع خالد وقال: علمني الإسلام. فمال به خالد إلى فسطاطه فشن عليه قربة من ماء ثم صلى به ركعتين. وحملت الروم مع إنقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حملة، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية عليهم عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام.." (٢)

"" فلما بلغ قوله فيها: وجلا السيول عن الطلول كأنها ... زبر تجد متونها أقلامها سجد الفرزدق، فقيل له: يا أبا فراس ﴿ما هذه السجدة؟ فقال: إنكم تعرفون سجدة القرآن وأنا أعرف سجدة الشعر. وقيل لبشار بن برد: أخبرنا عن

(١) حياة الحيوان الكبرى الدَّمِيري ٢/٣٩٢

(٢) حياة الصحابة محمد يوسف الكاندهلوي ١/٢٥٤

أجود بيت للعرب﴾ فقال: إن تفضيل بيت واحد على سائر شعر العرب لشديد، ولكن أحسن لبيد كل الإحسان في قوله: وأكذب النفس إذا حدثتها ... إن صدق النفس يزرى بالأمل وقال الجاحظ: **من العجائب** أن الأعشى كان في الجاهلية يعتقد مذهب المعتزلة، فيقول: استأثر الله بالوفاء وبال ... حمد وولى الملامة الرجلا ولبيد يذهب مذهب أهل السنة والجماعة، فيقول: " وبإذن الله ريثي وعجل " النمر بن تولت وحميد بن ثور والنابغة الجعدي: إنهم اجتمعوا في الجاهلية على معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم "كفى بالسلامة داء " فتناهبوه بحسن ألفاظهم وكأنما رموا عن قوس واحد، فقال النمر بن تولب: يود الفتى طول السلامة جاهدا ... فكيف ترى طول السلامة يفعل وقال حميد بن ثور: أرى بصري قد رابني بعد صحة ... وحسبك داء أن تصح وتسلما وقال الجعدي: ودعوت ربي بالسلامة جاهدا ... ليصحني فإذا السلامة داء." (١)

"يمكن ركوبه لأحد من صعوبته وظلمة متنه وتعاظم أمواجه وكثرة أهواله وهيجان رياحه وتسلط دوابه. وهذا البحر لا يعلم أحد قعره ولا يعلم ما خلفه إلا الله سبحانه وتعالى، وهو غور المحيط ولم يقف أحد من خبره على الصحة ولا ركبه أحد ملججا أبدا، إنما يمر مع ذيل الساحل لأن به أمواجا كالجبال الشوامخ، ودوي هذا البحر كعظم دوي الرعد لكن أمواجه لا تنكسر، ولو تكسرت لم يركبه أحد، لا ملججا ولا مسوحلا.

حكاية: اتفق جماعة من أهل أشبونة، وهم ثمانية أنفس وكلهم بنو عم، فأنشئوا مركبا كبيرا وحملوا فيه من الزاد والماء ما يكفيهم مدة طويلة وركبوا متن هذا البحر ليعرفوا ما في نهايته ويروا ما فيه **من العجائب**، وتحالفوا أنهم لا يرجعون أبدا حتى ينتهوا إلى البر الغربي أو يموتوا. فساروا فيه ملججين أحد عشر يوما، فدخلوا إلى بحر غليظ عظيم الموج كدر الريح مظلم المتن والقعر كثير القروش، فأيقنوا بالهلاك والعطب، فرجعوا مع البحر في الجنوب اثني عشر يوما فدخلوا جزيرة الغنم وفيها من الأغنام ما لا يحصي عددها إلا الله تبارك وتعالى، وليس بها آدمي ولا بشر، ولا لها صاحب، فنهضوا إلى الجزيرة وذبحوا من ذلك الغنم وأصلحوه وأرادوا الأكل فوجدوا لحومها مرة لا تؤكل: فأخذوا من جلودها ما أمكنهم، ووجدوا بها عين ماء فملئوا منها وسافروا مع الجنوب اثني عشر يوما آخر، فوافوا جزيرة وبها عمارة فقصدوها، فلم يشعروا إلا وقد أحاط بهم زوارق، بها قوم موكلون بها، فقبضوا عليهم وحملوهم إلى الجزيرة فدخلوا إلى مدينة على ضفة البحر وأنزلوهم بدار، ورأوا بتلك الجزيرة والمدينة رجالا شقر الألوان طوال القدود، ولنسائهم جمال مفرط خارج عن الوصف، فتركوهم في الدار ثلاثة أيام. ثم دخل عليهم في اليوم الرابع إنسان ترجمان وكلمهم بالعربي وسألهم عن حالهم فأخبروه بخبرهم، فأحضروا إلى." (٢)

"ملكهم فأخبره الترجمان بما أخبروه من حالهم، فضحك الملك منهم وقال للترجمان: قل لهم إني وجهت من عندي قوما في هذا البحر ليأتوني بخبر ما فيه **من العجائب**، فساروا مغربين شهرا حتى انقطع عنهم الضوء وصاروا في مثل الليل المظلم، فرجعوا من غير فائدة، ووعدهم الملك خيرا. وأقاموا عنده حتى هبت ريحهم فبعثهم مع قوم من أصحابه في زورق وكتفوهم وعصبوا أعينهم وسافروا بهم مدة لا يعلمون كم هي، ثم تركوهم على الساحل وانصرفوا. فلما سمعوا كلام الناس

---

(١) خاص الخاص الثعالبي، أبو منصور ص/١٠١

(٢) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/٦٥

صاحوا فأقبلوا إليهم وحلوا عن أعينهم وقطعوا كتافهم، وأخبروهم بخبر الجماعة، فقال لهم الناس: هل تدرون كم بينكم وبين أرضكم؟ قالوا: لا قالوا: فوق شهر. فرجعوا إلى بلدهم. ولهم في أشبونة حارة مشهورة تسمى حارة المغرورين إلى الآن.." (١)

"وجبال شاهقة وقلاع منيعة وأرضهم في غاية الخصب والبركة؛ وبيت الملك عندهم محفوظ يرثه الرجال والنساء.

أرض الروم: وهو إقليم واسع الأقطار فسيح الديار، وبه مدن عامرة وضياع ورساتيق وأشجار وفواكه وثمار؛ وبه الخير الغامر والخصب الوافر؛ وكلها على جانبي البحر القسطنطيني ومن جهة بلاد الأرمن، له أحد عشر عملا، منها عمل حربية وفيه خمسة حصون، وعمل العصاة وفيه ثلاثة حصون، وعمل الأرسيق وفيه خمسة عشر حصنا، وعمل الأفشين وفيه أربعة حصون وعمل حرسنون وفيه أربعون حصنا، وعمل البلقان وفيه ستة عشر حصنا. وهذه الأرض كانت في القديم بلاد اليونان فغلبت الروم عليها؛ ومن جملة أعمالها عمل كرميان وفيه عشرة حصون، وعمل الفنادق وفيه ثمانية عشر حصنا.

وببلاد الروم أيضا مائة جزيرة كلها في البحر، وكلها عامرة آهلة. ومن مدن الروم المشهورة قسطنطينية وهي مثلثة الشكل، منها جانبان في البحر وجانب في البر وفيه باب الذهب. وطول هذه المدينة تسعة أميال وعليها سور حصين ارتفاعه واحد وعشرون ذراعا، ويحيط به سور آخر يسمى الفصيل، ارتفاعه عشرة أذرع، لها مائة باب أكبرها الباب المصمت وهو مموه بالذهب، وبها القصر وهو من عجائب الدنيا وذلك أن فيه بديرون وهو كالدهليز إلى القصر، وهو زقاق يمشى فيه بين صفين من صور مفرغة من نحاس بديع الصنعة على صور الآدميين والخيل والفيلة والسباع وغير ذلك، وهي أكبر من الأشكال الموضوعة على أمثالها. وبالقصر وما دار به ضروب **من العجائب**.." (٢)

"قال سلام الترجمان: سألت من هناك هل رأيتم قط أحدا منهم؟ فأخبروا أنهم رأوا منهم عددا كثيرا فوق شرفات السد، فهبت بهم ريح عاصف فرمت منهم ثلاثة، كل واحد منهم طوله دون ثلاثة أشبار، ولهم مخاليب موضع الأظفار، وأنياب وأضراس كالسباع، وإذا أكلوا بها يسمع لأكلهم حركة قوية، ولهم أذنان عظيمتان يفترشون الواحدة ويلتحفون الأخرى.

فكتب سلام هذه الصفات كلها في كتاب ورجع إلى الخليفة الواثق بالله.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن يأجوج ومأجوج يرزقون التنين، يقذفه عليهم السحاب فيأكلونه، وإنما يقذف عليهم ذلك في أيام الربيع في كل عام، فإذا تأخر ذلك عن وقته المعهود استمطروه كما يستمطر الناس الغيث. وحكى صاحب كتاب العجائب أن في داخل بلاد يأجوج ومأجوج نهرا يسمى المسهر لا يعرف له قعر، وإذا تقاتلوا وأسر بعضهم طرحوا الأسرى في ذلك النهر فيرون عند ذلك طيورا عظاما تخرج إلى من يطرح في ذلك النهر من كهوف هناك في جانبي الوادي، فتخطفهم قبل أن يصلوا إلى الماء وترتفع بهم إلى تلك الكهوف فتأكلهم هناك. ويقال إن بهذا الوادي نارا تتأجج طول الزمان بقدرة الله تعالى وليس وراء يأجوج ومأجوج إلا المحيط والله سبحانه وتعالى أعلم: " وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/٦٦

(٢) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/١٧١

للبشر ". " ويخلق ما لا تعلمون، وعلى الله قصد السبيل ".

انتهى فصل البلدان والأقطار ولنسرع الآن في ذكر الجبال والبحار والجزائر والآبار وما بها **من العجائب** للاعتبار.." [١]

"الطيور ودمها وأعضائها ومرائرها، فانكسرت المركب في البحر وهلكت السفينة ومن فيها ولم يعد إليه أحد.

جزيرة الصاصيل: طولها خمسة عشر يوما في عرض عشرة. وكان بها ثلاث مدن مسكونه عامرة وكان التجار يسيرون إليها ويشترون منها الأغنام والأحجار الملونة المثمنة، فوقع الشر بين أهلها حتى فني غالبهم وبقي منهم قليل، فانتقلوا إلى بلاد الروم.

جزيرة لاقة: وهي جزيرة كبيرة وبها شجر العود كالحطب وليس له هناك قيمة ولا رائحة حتى يخرج من تلك الأرض فيكتسب الرائحة؛ وكانت عامرة مسكونة والآن قد خرجت فيها حيات كبار وتغلبت على أرضها فخربت بمثل ذلك.

جزيرة ثورية: بها أشجار وأنهار ولكنها خالية الديار، وبهذا البحر دواب عظيمة مختلفة الأشكال هائلة المنظر، يقال إن السمكة يمر رأسها كالجبل العظيم الشامخ ثم يمر ذنبها بعد مدة، ويقال إن مسافة ما بين رأسها وذنبها أربعة أشهر.

بحر الصين وجزائره وما به **من العجائب** والغرائب: ويسمى هذا البحر بأسماء عديدة: بحر الصين وبحر الهند صنجي، وهو متصل بالمحيط من المشرق: وليس على وجه الأرض بحر أكبر منه إلا المحيط، وهو كثير الموج عظيم الاضطراب بعيد القعر، فيه المد والجزر، كما في بحر فارس؛ ويستدل على هيجان هذا البحر بأن يطفو السمك على وجهه قبل هيجانه بيوم واحد، ويستدل على سكونه ببيض طائر معروف يبيض على وجه الماء في مجتمع القذى، وهو طائر لا يأوي الأرض أبدا ولا يعرف إلا لجة البحر، في هذا البحر مغاص اللؤلؤ يطلع منه الحب الجيد الذي لا قيمة له، وفي هذا البحر من الجزائر ما لا يعلمه إلا الله عددا إلا أن بعضها مشهور يصل." [٢]

"المراكب من غير ضرورة ولا أذى، وظهورهم يدل على خروج ريح مهلك يسمى الخب.

وحكي أيضا أنهم يرون في هذا البحر طائرا يطير وهو من نور لا يستطيع أحد النظر إليه، فإذا ارتفع على صاري المركب سكنت الريح وهدأت أمواج البحر وهو دليل السلامة، ويفقدونه ولا يعلمون أين يذهب؟.

ومن العجائب: أن طائرا في هذا البحر يسمى خرشنة أكبر من الحمام، ذكر في كتاب تحفة الغرائب أن هذا الطائر إذا طار يأتي طائر آخر يقال له كركر ويطير فاتحا فاه يتوقع ذرق خرشنة ليقع في فيه فيأكله، وليس له قوت سواه ولا يذرق خرشنة هذا إلا وهو طائر.

ومنها دابة المسك البحري، وهي دابة تخرج من البحر كل سنة في وقت معلوم بكثرة عظيمة، فتصاد وتذبح فيوجد المسك في سرتها كالدم، وهذا المسك هو أفخر الأنواع غير أنه في مكانه وبلده لا ريح له أبدا، فإذا خرج من حد بلاده ظهر ريحه وكلما بعد زاد ريحه.

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/١٨٩

(٢) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/١٩٨

ومنها دابة تسمى ملكان تستوطن جزيرة هناك لها رؤوس كثيرة ووجوه مختلفة وأنياب معلقة ولها جناحات وهي تأكل دواب البحر، وقيل إنا تصادف برسم مراكب الملوك إذا ركب الملك قادوها أمام موكبه وألبسوها الجلال الحرير ويزينونها.

ومنها سمكة تزيد على خمسمائة ذراع توجد عند جزيرة واق واق المذكورة، إذا رفعت جناحها كانت كالجبل العظيم، يخاف على السفن منها، فإذا رأوها صاحوا وضربوا الطبول وأضرموا المكاحل النفطية حتى تهرب عنهم.." (١)

"فصل في بحر القلزم

وجزائره وما به من العجائب

وهذا البحر شعبة من بحر الهند، جنوبيه بلاد بربر والحبشة؛ وعلى ساحله الشرقي بلاد العرب وعلى ساحله الغربي بلاد اليمن. والقلزم اسم لمدينة على ساحله؛ وهو البحر الذي غرق فيه فرعون؛ وهو بحر مظلم موحش لا خير فيه باطنا ولا ظاهرا؛ وفي هذا البحر جزائر كثيرة وغالبها غير مسكونة ولا مسلوكة.

فمن جزائره جزيرة قريبة من أيلة يسكنها قوم يقال لهم بنو حداب؛ ليس لهم زرع ولا ضرع ولا ماء عذب؛ معاشهم من السمك؛ وبيوتهم السفن المكسرة، ويشحذون الماء والخبز ممن يمر بهم من المسافرين؛ وعندهم دوارة في سفح جبل إذا وقع الريح عليها انقسمت قسمين ويلقي المراكب بين شعبين متقابلين فيثور الريح بينهما ويخرج من كليهما متخالفين، فتنقلب المركب بمن فيها؛ وقيل إن هذا الموضع غرق فيه فرعون.

وجزيرة الجساسة: وبها دابة تجس الأخبار وتأتي بها إلى الدجال؛ قال تميم الداري رضي الله عنه؛ وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقد اختطفته الجن من صحن داره؛ ومكث في بلاد الجن وغيرها مدة طويلة ورأى العجائب وقصته طويلة مشهورة؛ قال: وركبنا هذا البحر فأصابتنا ريح عاصف ألجأتنا إلى هذه الجزيرة فإذا نحن بداية استوحشنا منها وقلنا لها: ما أنت؟ قالت: أنا." (٢)

"مجهودك إلى مكانك. قال: فبكى جايد وندم وسار حتى دخل مصر وجعل يحدث الناس بما رأى في مسيره من العجائب.

بحيرة تنيس: قيل إنها كانت جنات عظيمة وبساتين، وكانت مقسومة بين ملكين أخوين من ولد إتريب بن مصر. وكان أحدهما مؤمنا والآخر كافرا، فأنفق المؤمن ماله في وجوه البر والخير حتى إنه با ع حصته في الجنات والبساتين إلى أخيه الكافر، فزاد فيها ألفا من الجنات والبساتين وأجرى خلالها أنهارا عذبة، فاحتاج." (٣)

"ويستعط منه صاحب الصرع يزول صرعه، وتطلى الشجرة بمرارة البقرة لا يتولد فيها الدود، وتخلط مرارة البقر ببعر الفأر ويتحمل بها صاحب القولنج يزول في الحال. مرارة البقرة السوداء يكتحل بها من به ظلمة العين يحتد بصره؛ وإذا

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/٢١٠

(٢) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/٢٢٩

(٣) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/٢٥٩

أردت أن ترى عجبا فخذ جرة من فخار وادفنها في الأرض إلى عنقها واطل باطنها بشحم البقر فإنه لا يبقي في ذلك الموضع شيء من البراغيث حتى يدخل فيها.

خصية العجل تجفف وتشرب مسحوقة بشراب تهيج الباه وتعين على الجماع إعانة عظيمة. قضيبه يجفف ويسحق ويرمى على البيض النيمبرشت ويطعم منه فإنه يزيد في الباه. كعبه يحرق ويدلك به السن يبيضها ويذهب وسخها. لبنه يزيل صفرة الوجه. وإذا شرب مخيضا نفع البواسير. سمنه يطلى به لسع العقرب يبرأ لوقته. والعتيق منه نافع للجراحات. دمه يطلى به الورم يسكن وجعه. قال بلنياس: بول الثور يخلط مع بول الإنسان ويوضع على أصابع اليدين والرجلين يذهب بحمى الربع وقلما يحتاج إلى ثلاث مرات. وهذا من العجائب. أخثاء البقر يضمد بها لسعة الزنبور تسكنها.

خواص أجزاء بقر الوحش: مخه يطعم منه صاحب الفالج ينفعه نفعا بينا. قرنه من استصحبه معه نفرت منه السباع ويدخن به في البيت فتهرب من ريحه الحيات. رماده يذر منه على السن المتآكلة يسكن الوجع. دمه ترياق للسموم كلها. شعره يبخر به البيت يهرب منه الفأر.

خواص أجزاء الجاموس: الدودة التي في دماغه إذا علقت على أحد لا ينام ما دامت معه. لحمه يولد القمل. شحمه يذاب بالملح الأندراني ويطلى به على الكلف والنمش والجرب والبرص يزيله.." (١)

"هذا يقوله الغزي وفي الكرام بقية، والأعراض من اللؤم نقية، وقد ظفر بحاجته من الممدوحين: كعمي العزيز بأصفهان، والصاحب مكرم بكرمان، والقاضي عماد الدين طاهر بشيراز، الذي أمن بجوده طارق الإعواز، وكانت جائزته للغزي وللقاضي الأرجاني وللسيد أبي الرضا وأمثالهم المعتبرين، لكل واحد ألف دينار أحمر على قصيدة واحدة. فما أقول أناف ي زماننا هذا، وقد عدمنا فيه من يفهم، فضلا عمن ينعم. ولقد صدق الغزي في قوله:

قالوا: هجرت الشعر، قلت: ضرورة ... باب الدواعي والبواعث مغلق

خلت الديار فلا كريم يرتجى ... منه النوال، ولا مليح يعشق

ومن العجائب أنه لا يشترى ... ويخان فيه، مع الكساد، ويسرق

الغزي حسن المغزى، وما يعز من المعاني الغر معنى إلا يعزى، يعنى بالمعنى ويحكم منه المبنى، ويودعه اللفظ إيداع الدر الصدف، والبدر السدف. فمن أفراد أبياته التي علت بها راياته، وبهرت آياته، ولم تملل منها غاياته، قوله:

مدحت الورى قبله كاذبا ... وما صدق الصبح حتى كذب

وقوله:

إذا قل عقل المرء قلت همومه ... ومن لم يكن ذا مقلة كيف يرمد

وقوله:

فقد تصقل الضبات وهي كليلة ... ويصدأ حد السيف وهو مهند

---

(١) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ابن الوردي الحفيد، سراج الدين ص/٣٥٣

وقوله:

تسمى بأسماء الشهور، فكفه ... جمادى، وما ضمت عليه المحرم

ورده في معرض أحسن منه، فقال:

أنت جمادى إذا سئلت ندى ... ويوم تدعى إلى العلى رجب

وقوله:

لعل هدوءا في التقلقل كامن ... لأجل سكون الطفل حرك مهده

أعاد هذا المعنى في قصيدة أخرى:

سكون بهز اليعملات اكتسبته ... كما سكن الأطفال هز مهودها

وقوله:

والناس أهدى في القبيح من القطا ... وأضل في الحسنى من الغربان

وهذه وأمثالها كثيرة في شعره، منيرة في تباشير فجره.

وقوله أيضا في الشمع:

إني لأشكو خطوبا لا أعينها ... ليبرأ الناس من لومي ومن عذلي

كالشمع يبكي ولا يدرى أعبرته ... من صحبة النار أم من فرقة العسل

روى بعضهم من حرقة النار أو من فرقة العسل محافظة على التجنيس اللفظي، وأنا أرويه صحبة النار للتطبيق المعنوي.

وسمعت أكثر أشعاره من جماعة من الفضلاء كابن كاهويه وابن فضلويه وسيدنا عبد الرحيم بن الأخوة وغيرهم.

ومن جملة قصائده قصيدته التي أجاز بها المعري في كلمته:

هات الحديث عن الزوراء أو هيتا ... وموقد النار لا تكرى بتكريتا

وقصيدة الغزي:

أمط عن الدرر الزهر اليواقيتا ... واجعل لحج تلاقينا مواقيتا

فثغرك اللؤلؤ المبيض لا الحجر ال ... مسود، لاثمه يطوي السباريتا

واللثم يجحف بالملثوم كرته ... حاشا ثناياك من وصم وحوشيتا

قابلت بالشنب الأجفان مبتسما ... فطاح عن ناظريك السحر منكوتا

فكان فوك اليد البيضاء جآء بها ... موسى، وجفناك هاروتا وماروتا

جمعت ضدين كان الجمع بينهما ... لكل جمع من الألباب تشتيتا

جسما من الماء مشروبا بأعيننا ... يضم قلبا من الأصلاد منحوتا

مسكا حسبت فؤادا صار فيك دما ... فلا يغادر مسحوقا ومفتوتا

لو كان كل دم مسكا لصاك بنا ... ما يخضب السمر والبيض المصاليتا

كباء ذكرك أذكى الطيب رائحة ... سنا محياك رد البدر مبهوتا

فضحت بالجيد الغزلان ملتفتا ... ولم تكن عن صيال الأسد ملفوتا

فهن ينفرن من خوف ومن وجل ... لبعضهن ويسكن الأماريتا

عذرت طيفك في هجري وقلت له ... لو اهتديت سبيلا في الكرى جيتا

أنى، ودونك من سمر القنا أجم ... مر الشجاع بها فانصاع مسؤوتا." (١)

"تعفو السطور إذا تقادم عهدها ... والخلق في رق الحياة سطور

كل يفر من الردى ليفوته ... وله إلى ما فر منه مصير

ومنها:

فانظر لنفسك فالسلامة نهزة ... وزمانها ضافي الجناح يطير

مرآة عيشك بالشباب صقيلة ... وجناح عمرك بالمشيب كسير

والحاضرون بلا حضورك غيب ... والغائبون إذا حضرت حضور

بادر فإن الوقت سيف قاطع ... والعمر جيش والشباب أمير

وعوائق الأيام آية بخلها ... أن يستريح بنفثة مصدور

ومنها:

ملك أقام وما أقام ثناؤه ... ويسير ما فعل الملوك يسير

أعطى الكثير من القليل تفردا ... معطي القليل من الكثير كثير

ومنها:

ومن العجائب أن وفرك قطرة ... ويفيض منه على العفاة بحور

ومنها:

كم وقعة أخمدت موقع بأسها ... والأرض ترجف والسماء تمور

والموت جار والقناة قناته ... ولها بأسماع الكماة خرير

ومنها:

الساترين من الحيآء وجوههم ... والكاشفوها والعجاج ستور

غر إذا ركبوا الجياد حسبتها ... شهبان رجم فوقهن بدور

يتزاحمون على الحمام كأنه ... فرض يفوت نيله التأخير

ومنها في وصف فرس طلبه:

إن شاء هملج بي جواد سابق ... كالنجم يطلع ثاقبا ويغور

قلق العنان كأن فوق تليله ... نمل، وبين سميعتيه صفير

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/ ٢١٠

هو جنة للناظرين إذا مشى ... أما إذا ما جاش فهو سعير

لو قيل ثب، وثبير معترض له ... ليتم حضرك ما ثناه ثبير

سبق الجياد مدى، وواهبه الأنا ... م ندى، فما للسابقين نظير

وأعطاني سديد الدولة ابن الأنباري درجا فيه هذه القصيدة في مدحه بخط الغزي وشعره فلا أرويها إلا عنه، عن الغزي:

سرت أم أوفى عاطلا من فريدها ... فوزعت دمعي بين خدي وجيدها

فباتت تحلى من فرائد عبرتي ... وتحسب جسمي سلك بعض عقودها

مبرقعة نم القيام بقدها ... فلم تخله من برقع من قعودها

ألمت بنا ترنو بألحاظ جؤذر ... مناصلها في القطع دون غمودها

وترفل في وشي إذا اشتاق لمسها ... تظلم من أردافها ونهودها

فبتنا نشاوى من مدامة وصلها ... وبات الكرى الساقي برغم صدودها

فيا عجبا من رؤية مستحيلة ... يحققها تغميض عيني مريدها

خليلي يحكين فعل عيونها ... وأرماحها يسرقن وصف قدودها

ذراني وأوهام المطامع فالمنى ... تقوم نساياها مقام نقودها

ولا تكرها ليان لبنى فإنني ... رأيت اخضرار العيش بين وعودها

ولو حصل الإنجاز لم يبق مطمع ... وجود اشتعال النار داعي خمودها

وكنت امرءا دنياه دون اهتمامه ... فما ذيها في ذوقه كهبيدها

متى جئت موماة تفردت واثقا ... بصحبة عسالين: رمحي وسيدها

طمأنينتي في أن أكون مشردا ... طريد خطوب عز مأوى طريدها

سكون بهز اليعملات اكتسبته ... كما سكن الأطفال هز مهودها

وخير مياه الوجه ما كان راكدا ... وإن أفسد الأمواه طول ركودها

أرى كل رسم للمكارم دارسا ... سلام على أيامها وعهودها." (١)

"بالجد لا بالكد تنتظم المنى ... نرجو الغنى والفقر في طلب الغنى

كل يعوذ بربه من فتنة ... إلا الحريص فسؤله أن يفتنا

يا قلب أنت معذل ومعذب ... لم لا تزال أخا الجوى وأبا الضنا

أفرغ عليك دلاء صبرك وانتصر ... إن السلاح لدفع ضيم يقتنى

صبرا، وإن لم تستطع صبرا فذب ... من فر مما لا يطاق فما ونى

ليت الذي بالعشق دونك خصني ... يا ظالمي قسم المحبة بيننا

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢١٥/٢

أنا في الهوى مثل الخلال مثقف ... ولقد أضرت بي مناسبة القنا

ألقى الهزبر فلا أخاف نيوبه ... ويروعني نظر الغزال إذا رنا

وكذاك في طلب المعيشة شيمتي ... بخلاف من شاهدت من أهل الدنا

لو نلت منزلة السماك مشاركا ... فيها، لأبدلت العزاء من الهنا

لا تقنعن من الأمور بمنسم ... إن السنام بحذف آخره سنا

النقع شبه بالسماء لأن علا ... والغيم من جنس الدخان إذا دنا

والنخل ما ثمراته بقريبة ... ويكون أعذب كل عود مجتنى

أعرب جمالك بالمجاملة التي ... هي نجوة ودع اللسان ليلحنا

فاليوم نمت عن النوائب وانبرت ... همم الوزير تنوب لي فيما عنا

وقنعت باسم مؤمل جاورته ... أدعو لدولته مسرا معلنا

ملك يشير بكفه لا سيفه ... فيرد بالخمس الخميس الأرعنا

ومن العجائب أن صلب نواله ... متحمل ثقل الرجاء وما انحنى

يثني خطوب الدهر عن إقليمه ... قلم جرى يوم الهبات فما انثنى

متردد يسعى لحاجة غيره ... متحمل عن قلب حامله العنا

ذو الدر مفتقر إلى سبحاته ... وعن الجمان بها لحامله غنى

يا من أعار السيف شدة بأسه ... وأطاعه الفلك المدار وأذعنا

أنا من يفضله القبول على الورى ... أما إذا وقع الصدود فمن أنا

ما بعت فيك الخلق حتى زرتهم ... فعلمت أضنك فوقهم متيقنا

ومخافتي أضن لا يكون لرغبتي ... أثر فأبقى لا هناك ولا هنا

قد أرجف الحساد أني غلطة ... كتبت فأصبح كشطها متعينا

والفضل يأنف أن تصيخ لناقص ... حاشا لسمعك أن يشافه بالخنا

لا ترمني رمي القلامة وارم بي ... في مطلب رمي الجمار إلى منى

إني أعوذ بما حويت من العلى ... من أن يخرب في رأيك ما بنى

أيروعني نقد وأنت جعلتني ... أسدا، وأنبت لي رجاؤك برثنا

أعرضت، والغزي أنت غرسته ... فعلام تعرض عن جناه وما جنى

جاءت مديته نكاحا جائزا ... وأتت مودته بلا مهر، زنا

يا آل مكرم، المكارم لم تزل ... مشتقة الأسماء منكم والكنى

نحن النبات وأنتم السحب التي ... تهتز تحت قطارها أرض المنى

فصفاتنا في المدح لائقة بكم ... وصلاتكم في الجود لائقة بنا

لما صفا أدبي تبين مجدكم ... لون المدامة في الزجاج تبينا

يا ابن العلاء وما العلاء مسلما ... لسواك، زد بالشاردات تيمنا." (١)

"وإن نظرت إلى القرطاس في يده ... رأيت كيف نبات الروض في الصحف

وله من قصيدة:

أوطن القلب من هواكم فريق ... ما لصرف النوى عليه طريق

كلما امتد بيننا أمد البين تدانى هواكم الوموق

طول عهدي بكم يضاعف وجدي ... وكذا يفعل الشراب العتيق

حجب الدمع مقلتي، فعداها ... أن ترى ما يروقها ما تريق

وأرى البعد في الصبابة كالقر ... ب فقلبي على الزمان مشوق

ولآلي دموع عيني طواف ... فلماذا غوصهن غريق

لا يرع في يد الفراق زمان ... مر لي من وصالكم مسروق

حيث غصن الشباب غض وريق ... وتحايا المدام عض وريق

وغرامي لا يستدل به الطيف ولا تهتدي إليه البروق

والليالي مثل الغواني إذا أسفرن لم تدر أيها المعشوق

في زمان تضاعفت لعميد الملك في ظله علي الحقوق

ومنها:

لو شهدتم صبابتي لعلمتم ... أن قلبي بحبكم معذوق

أو وقفتم على غلوي فيكم ... قام لي عندكم بذلك سوق

رابني بعدكم زماني فلا الأيام بيض ولا الربيع أنيق

ورأيت الرحيق يجلب همي ... أفحالت عن السرور الرحيق

أسلمتني إلى الأسى، فهي في الكأ ... س رحيق، وفي فؤادي حريق

وبلوت الورى قياسا إليكم ... فاستمرت على قياسي فروق

وتصفحت بعدكم شيم النا ... س وفيها الصريح والممذوق

ومنها:

يعد الدهر باللقاء فيسليني ويروي أخباركم فيشوق

سانحات يكاد يتهم السمع عليها قلب عليكم شفيق

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٢٢٠

ويعاطيني الغرام أفاويق هواكم فما أكاد أفيق

غير أني أهيم شوقا إذا هب نسيم بنشركم مفتوق

قد ملكتم قلبي وسرحتم جسمي فواها أنا الأسير الطليق

وله من قصيدة:

من منصفي من حب ظالم ... والحب فيه الخصم حاكم

ما كنت أدري ما الهوى ... حتى بليت بغير راحم

قاسي الفؤاد يبيت في ... رغد الكرى وأبيت هائم

ومن العجائب أن يرى ... متيقظا في أسر نائم

يا صارمي أو ما كفى ... ما في جفونك من صوارم

لاموا عليك وليس لي ... سمع يعن على اللوائم

لوم الحسود على مظا ... هرة العميد أبي الغنائم

وله:

يا معشر الفتيان ما عندكم ... في حائم ذيد عن الورد

آلى على الخمرة لا ذاقها ... ما عاش إلا زمن الورد

وقد مضى الورد فهل رخصة ... في أن يكون الورد من خد

وله:

من رآني قبلت عين رسولي ... ظن أن الرسول جاء بسولي

إن عينا تأملت ذلك الوجه أحق العيون بالتقبيل

وله في غلام يهودي صيرفي:

في بني الأسباط ظبي ... مالك رق الأسود

يأسر الناس بقد ... وبخد وبجيد

تنبت الأبصار في وجنته ورد الخدود

ملق الوعد متى طالبه اللحظ بجود

كفلت زهرة عينيه بأثمار الوعود

صيرفي في غرامي ... في صروف ونقود

أنا في الدين حنيفي وفي الحب يهودي

وله من قصيدة في مجير الدين آبق وكان صاحب دمشق:

كلما غص هواكم من جفوني ... سكن اللوم اغترارا لسكوني

ووراء الصدر مني لوعة ... شانها ركض دموعي في شؤوني
يا لدمع حار في أجفانه ... أن يسمى بوفي أو خؤون
فلئن دل على وجدي بكم ... فلقد حامى عن السر المصون." (١)

"يا أحيبابنا بجيرون حتى ... ومتى للغرام نهوى فنهوي
أهجرونا إن شئتمو أو صلونا ... قد شربنا من كل مر وحلو

الهاء وقوله:

جنب عن الدنيا إذا جنبت ... عنك بإكبار وتنزيه
فما ترى فيها فتى زاهدا ... إن لم تكن قد زهدت فيه

وقوله في أبي الحكم الطبيب:

لنا طبيب شاعر أشتر ... أراحنا من شخصه الله
ما عاد، في صبحة يوم، فتى ... إلا وفي باقيه رثاه

وقوله:

يا بني الأعراب إن الترك قد جارت بنوها
عقربوا الأصداغ حينا ... ولحيني ثعبنوها

الياء وقوله في طغريل السياف:

أيها السياف هيا ... لا تدع في البيت شيا
داو قرنا صرا ترسا ... للدبابيس مهيا
كم نصحناك وقلنا ... إنتبه ما دمت حيا
كل نحس أنت فيه ... من حراف ابن ثريا

نصر الهيتي الدمشقي

هو نصر بن الحسن، من ضيعة يقال لها الهيت من أعمال حوران من ناحية اللوى. لقيته بدمشق، وتوفي بعد وصولي إليها بسنيات، بعد سنة خمس وستين وخمسمائة.

أنشدني له وحيش، وذكر أن شعره كان سالما نقيا ما عليه غبار:

كيف يرجى معروف قوم من اللؤ ... م غدوا يدخلون في كل فن
لا يرون العلا ولا المجد إلا ... بر علق وقحبة ومغن
يتمنون أضن تحل المسامير بأسماعهم ولا الصوت مني

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢٤٩/٢

وأنشدني له بعض أصدقائي بدمشق:

ما لي أرى قوما يروضون العلا ... وبها عليهم نفرة وإباء

لن يشركونا في القريض، وكلهم ... في بعض ما نأتي به شركاء

زعموا بأن المين في أقوالنا ... ونسوا بأنا في المقال سواء

إن كان خلف القول في أشعارنا ... نقصا فنحن وهم به أكفاء

لا نحن نفعل ما نقول ولا هم ... فإذا نظرت فكلنا شعراء

لكن لنا ولهم على أقوالنا ... بين الأنام مدائح وهجاء

فإذا كذبنا، قيل عنا: أحسنوا ... وإذا هم كذبوا يقال: أساءوا

هذا وإن لنا عيونا ملؤها ... من كل ما نسبوا إليه حياء

والله ما نسجوا على منوالنا ... يوما وإنا منهم برآء

ومن العجائب أن يرونا دونهم ... وهم لنا أرض ونحن سماء

وأنشدني أيضا:

لقد تعجبت النظام من مدح ... أزفها بين منظوم ومنثور

أبكار فكر جلاها منطقي فأتت ... تختال ما بين تهذيب وتحبير

ولا أنال بها رفدا إذا نشرت ... إلا سواد خطوط في مناشير

واخيبة الشعر أهديه إلى نفر ... عليه يجزون مسطورا بمسطور

رفاعهم تملأ الدنيا بما رحبت ... ملأ من المين والبهتان والزور

تطوى وتنشر والأدناس تشملها ... في كف كل سخين العين معرور

كأنها، وعطاياهم مسطرة ... فيها، لفائف ميت غير منشور

أو ما يقلعه البيطار من خرق ... عن كل أعجف غث اللحم معقور

فما لها مشبه في كل مخزية ... إلا مناديل ربات المواخير

لا تطرحها إذا جاءت فإن لها ... نفعا ولكن لترقيع الطنابير

ثم وقعت بيدي مسودات من شعر الهيتي بخطه عند وصولي إلى مصر، مما قاله بها وبالشام، فنقلت منها ما تحسد دررها الدراري، ويعشق إنشآءها المشحون فلك معانيه منشآت الجواري، فمن ذلك قوله من قصيدة في ابن رزيك:

لم تدر ما طعم الكلال ولا الوجا ... لولا تدرعها الظلام إذا سجا." (١)

"أنت الفداء ومن يلوم لشادن ... أنا في هواه مضلل لا أهتدي

يجلو لعينك غرة في طرة ... فيريك أحسن أبيض في أسود

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢٦٨/٢

يسطو على عشاقه من قده ... وجفونه، بمثقف ومهند

قمر يظل الماء في وجناته ... والنار بين ترقرق وتوقد

ومن العجائب أن نارا خالطت ... ماء وأن ضرامها لم يخمد

وكذاك ماء الدمع إن أنضج به ... نار الصبابة والأسى، تتوقد

فصبابتي لما تخف، وأدمعي ... لما تجف، وزفرتي لم تبرد

كم بت أرعى الفرقدين كلاهما ... شعفا بمن يرنو بعيني فرقد

آليت أرقد في هواه، ومن يكن ... ذا لوعة وعلاقة لم يرقد

عل الليالي يكتسين بشاشة ... يوما فتنجز بعد مطل موعدي

إن رق لي بعد القساوة قلبه ... فالماء يقطر من صفاح الجلمد

فأجل لحاظك في محاسن وجهه ... إن تستطع نظرا إليه وردد

تنظر إلى الأنوار بين ممسك ... ومسبج ومنرجس ومورج

فكأنها نور الربيع إذا بدا ... أو حسن خط محمد بن محمد

هذا عماد الدين والدنيا معا ... وملاذ كل مؤمل أو مجتدي

هذا الذي ما أغلقت أبوابه ... من دون مستجد ولا مستنجد

هذا الذي أحيا العلوم وأهلها ... بعد الردى، والعرف إحياء الردي

وأبان منها كل نهج دارس ... درس الرسوم من الديار الهمد

بيضاء حسن ما دجت إلا بدا ... فأضاء مثل الكوكب المتوقد

لو عاش حينئذ فرام تشبها ... عبد الحميد بخطه لم يحمد

يقظ له القلمان في إنشائه ... وحسابه، في مصدر أو مورد

إن حاول الإنشاء يوما ما، فيا ... ناهيك من در هناك منضد

ويضمن اللفظ البديع معانيا ... أشهى من الماء الفرات إلى الصدى

وكأن خط حسابه في طرسه ... شعر تنمنم في عوارض أغيد

لو قلد الدنيا كفاها وحده ... في الحالتين، ولم يرد من مسعد

ولقام منتهضا بكل عظيمة ... فبعلمه في الفقه كل مقتدي

فلو ان أسعد عاش بعد وفاته ... يوما فساجله به لم يسعد

وإذا انبرى للشعر خلت قريضه ... أطواق در في نحور الخرد

شعر ترشفه النفوس كأنه ... لفظ الحبيب مقررا للموعد

أو طيب وصل بعد كره قطيعة ... من ذي انبساط بعد طول تجعد

وإذا تفاخر بالأروم معاشر ... فله العلاء عليهم بالمحتد

مازال يخبر فضله بل نيله ... عن حسن شيمته وطيب المولد

جل الذي أعطاك يا ابن محمد ... في كل فضل باهر طول اليد

أقسمت بالكرم الذي أوتيته ... لولاك ما اتضحت سبيل السؤدد

وكتب إلي أيضا:

ألا قل لمن ذم الزمان جهالة ... وعنفه فيما جناه وفندا

دع العجز وانهض غير وان إلى امرئ ... يكن لك فيما أنت راجيه مسعدا

فإنك لم تبلغ من الدهر طائلا ... وتحمده حتى تزور محمدا." (١)

"هذا وكم لي أراك تنصحه ... فما ثنى من عنانه النصح

لكنه ينطوي على حرق ... لنارها في فؤاده قدح

وكلما زين السلو له ... قال أعندي يحسن القبح

ويا مميتي بالهجر حسبك قد ... أتعبني قصدك الذي تنحو

وكان مزحا هواك أمس فيا ... هولة ما جر ذلك المزح

ومنها في وصف فرس:

ومقرب لو أعرته اللمح بالعي ... ن كبا في غباره اللمح

على الدجى منه مسحة وعلى ... متن الضيا من يمينه مسح

أغر، صافي الأديم أدهم لا ... يخجل إلا من لونه الجنح

كأنما قد جسمه من دجا ال ... ليل ومنوجهه بدا الصبح

قصر عن شأوه الجياد كما ... قصر عن مكرماتك المدح

ومنها في المدح:

كأنني البحتري أنشده ... وهو على عظم شأنه الفتح

فكل مجد لمجده تبع ... وكل طود لطوده سفح

ومنها:

قد كنت خربا للدهر قبل وفي ... أيامه تم بيننا الصلح

ومنها:

فاسلم فأنت السواد من مقلة الد ... هر ومن بيضة العلى المح

وقال من قصيدة:

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٣١٢/٢

سله من سكر الهوى كيف صحا ... فسقى الدمع الجفون القرحا
زاده في الحب وجدا بكم ... لائم لام عليكم ولحا
فاستلذ الهجر واستدنى النوى ... وارتضى السخط وخان النصحا
وسقى الأطلال من أجفانه ... مدمعا لولاكم ما سفحا
لا رعاه الله إن مال إلى ... سلوة بعدكم أو جنحا
وصحيح الشوق مصدوع الحشا ... نطق الدمع به فافتضحا
بات لا يطرقه طيفكم ... رب طيف ضل لما سنحا
وقال من أبيات في وصف كتاب:
حي كتابا فضضت خاتمه ... عن مثل وشي الرياض أو أملح
يا كرم الله وجه كاتبه ... عرض لي بالجفاء أو صرح
شح بألفاظه وخاطره ... بالدر من كل خاطر أسمح
حتى أتاني كتابه فشفا ... كل فؤاد ببينه مقرح

الدال

وقال من قصيدة:
وحق الهوى لا خنت ميثاق عهده ... وإني لأغري من فؤادي بوجده
وخلف الثنايا الغر ما يبرد الجوى ... ويذهب من جمر الغرام بوقده
ومنها:
وحي على الماء النمير طرقته ... وقد مل ساري الليل من طول وخده
فلم تر عيني والخيام كأنما ... تزر على غزلان خبت وأسده
بأصبر من قلبي على فقد صبره ... ومني على فقد الحبيب وبعده
ومنها:
وقد كان مفتونا بمرسل صدغه ... على وجنة كالبدر ليلة سعده
فلما رأت أن ليس في حمص عقرب ... مواشطه أخفين عقرب خده
وقلن لساقيها ودر حبابها ... موكلة أيدي المزاج بنضده:
أأنت أعرت الكأس واضح ثغره ... أم انتثرت فيها فرائد عقده؟
وقال من أخرى:
هذا الفراق وأنت شاهده ... فإلام تكتم ما تكابده
خل السلو لمن يليق به ... وليبدين هواك جاحده

فالبين ما ظهرت علائمه ... والحب ما نطقت شواهده

ومنها:

ولقد رقبت الطيف أسأله ... عنكم فما صدقت مواعده

والمستمر على قطيعته ... في الحب فاسدة عقائده

ومن العجائب أن يزيد به ... داء السقام وأنت عائده." (١)

"كم قد أفضت علي من نعم ... كم قد سترت علي من زلل

إن لم يكن لي ما ألوذ به ... يوم الحساب فإن عفوك لي

وعبد الواحد أبو الهيثم، أخو أبي العلاء وله شعر، منه في الشمعة:

وذات لون كلوني في تغيره ... وأدمع كدموعي في تحدرها

سهرت ليلي وباتت بي مسهدة ... كأن ناظرها في قلب مسهرها

ولعبد الواحد أيضا:

قالوا تراه سلا لأن جفونه ... ضنت عشية بيننا بدموعها

ومن العجائب أن تفيض مدامع ... نار الغرام تشب في ينبوعها

والذين هم من أهل هذا العصر من شرط كتابنا هذا من ولد محمد أخي المعري أبي العلاء أولهم:

القاضي أبو المجد

محمد بن عبد الله بن محمد أبي المجد أخي أبي العلاء بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنور بن أرقم بن أسحم بن النعمان، وهو الساطع وسمي بذلك لجماله، بن عدي بن عبد غطفان بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن تيم اللات، وهو مجتمع تنوخ. وتمام النسب مذكور في نسب أبي يعلى بن أبي حصين فإنهما مجتمعان في داود بن المطهر.

ذكر لي ابن ابنه القاضي أبو اليسر الكاتب أنه كان فاضلا أديبا، فقيها أريبا، نبيها لبيبا، مفتيا على مذهب الشافعي رضي الله عنه قاضيا بالمعرة إلى أن دخلها الفرنج خذلهم الله تعالى في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة فانتقل إلى شيزر وأقام بها مدة، ثم انتقل إلى حماة وأقام بها إلى أن مات في محرم سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة، ومولده سنة أربعين وأربعمائة، وأدرك عم أبيه أبا العلاء، وقرأ عليه أشعاره ومصنفاته وأخبرني أن له ديوان شعر ورسائل.

ومن منثور كلامه: الصنعة محكمة، والمرجمون كثير، والدلائل قائمة على الصانع، والسعادة والشقاء سابقان، والفكرة حسيرة، والعاقل كالجاهل تحت القدر، والحريص تعب، وجماع الخيرات مراقبة الله، والشرع أولى متبع، والخير حميد، والشر وخيم، وأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم من اقتدى بها اهتدى ونجا من الحيرة والضلال، وليس للعرض ثمن يكافيه، والسؤال

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٣٢٥/٢

ثمن النوال، وسعة الأخلاق رحمة من الخلاق، والصبر عون حاضر، والقناعة ثروة لا تنفد، ولتكن لك نفس ترفعك عن دنيات الأمور، وعرض ينجو بك من ذم الناس، وصدق يستريح إليه من يخشى الكذب؛ وحافظ على دينك حفاظ الخيل على موضعها من الأرض، وإياك والجزع على ما فات، والتفريط فيما بقي؛ ودافع ما لا بد منه من غد إلى غد فإن الدهر لا يعتب في فعله، ولا تجمع على من ضيع أمره ولا تمكن فيه الفرص في كل وقت، ولا تدنس المروءة فإنها تجمع أبواب المحاسن وتؤلف بين أشتات الفضائل. من عظمت في نفسه الدنيا صغر عند الله وعند الناس قدره.

ومن شعره ما أنشدنيه أبو اليسر الكاتب لجده هذا أبي المجد:

رأيتك في نومي كأنك معرض ... ملالا، فداويت الملالة بالترك

وأصبحت أبغي شاهدا فعدمته ... فعدت فغلبت اليقين على الشك

وعهدي بصحف الود تنشر بيننا ... فإن طويت فاجعل ختامك بالمسك

لئن كانت الأيام أبلى جديدها ... جديدي، وردت من رحيب إلى ضنك

فما أنا إلا السيف أخلق جفنه ... وليس بمأمون الغرار على الفتك

وأنشدني أيضا له:

وقفت بالدار وقد غيرت ... معالم منها وآثار

فقلت والقلب به لوعة ... تحرقه، والدمع مدرار

أين زمان فيك قضيته ... وأين سكانك يا دار

وأنشدني له بعض أهل المعرة:

جس الطبيب يدي جهلا، فقلت له: ... إليك عني، فإن اليوم بحراني

فقال لي: ما الذي تشكو، فقلت له: ... إني هويت، لجهلي، بعض جيراني

فقام يعجب من جهلي، وقال لهم: ... إنسان سوء فداووه بإنسان." (١)

"لله أمر لا يغالبه ... في الرزق يقدره ويسبغه

فاقنع بأيسر ما به قنع ال ... مجتاز من زاد يبلغه

الناس في الدنيا على سعة ... فعليك ما التقوى تسوغه

الفاء وقوله:

ومرهف الخصر عذب اللفظ ما نظرت ... عيناه إلا إلى صب به كلف

لا يصدق القول في صد ولا صلة ... ولا يدوم على ود ولا شنف

كالظبي لولا الذي بالظبي من خنس ... والبدر لولا الذي بالبدر من كلف

شبهته في اعتدال القد بالألف ... وبالقضيب قضيب البانة القصف

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٣٦٤/٢

وما تجمع نور الأرض في غصن ... ولا أجمت مياه الحسن في ألف

وقوله في التوكل:

لي في التوكل مذهب ... لا أستطيع له خلافا

أرجو القوي ولست أر ... جو من بني الدنيا ضعافا

ما لي رجاء في سوا ... ه إذا الزمان علي حافا

إني جعلت توكلي ... أمني إذا ما القلب خافا

وقوله يرثي أباه:

طرفي من بعدك مطروف ... ودمعه للبين مذروف

يلومني الناس على أنني ... بطول حزني بك مشغوف

والدمع لا يمنع من فيضه ... عذل ولا يردع تعنيف

فليجزع الناس عليه فقد ... أسلمهم للجة السيف

لا ينكر المنكر من بعده ... فيهم ولا يعرف معروف

وقوله:

للوصل بعد الصد فضل، من درى ... كيف الغرام فليس عنه بخاف

وإذا الفتى لم يلق يوما جفوة ... هانت عليه فضيلة الإنصاف

القاف وقوله:

لا تعذلاني في اشتياقي ... ودعا دموعي والمآقي

قد ضاق صدري بالشتا ... ت وعيل صبري بالفراق

وأشد مما بت في ... ه من غرام واشتياق

علمي بأنك تشتكي ... ما بي وتلقى ما ألاقي

وقوله:

لا يزعك العذال عن طلب المج ... د ولا يطبيك عيش أنيق

واركب الليل إن نهى عنه جبن ... فمعاني السرى بنجح حقيق

رب جهل أدنى إلى النجح من حل ... م إذا ما أعانه التوفيق

وقوله:

ولقد لقيت الحادثات فما جرى ... دمعي كما أجراه يوم فراق

وعرفت أيام السرور فلم أجد ... كرجوع مشتاق إلى مشتاق

وقوله:

لا يبلغ المخلوق ما هو طالب ... من أمره إلا بأمر الخالق

ومن العجائب أن ترى متطلبا ... رزقا وتتبع غير أمر الرازق

وقوله:

إن كان طرفي عارما في لحظه ... فلعفتي من غيه إطراق

أو رحت في سمل فليس بعائب ... للبيض أن جفونها أخلاق

ما للزمان يحول دون مطالبي ... ومناقبي في جيده أطواق

إن كان يبغي الدهر إصداقي لها ... وجهي، فوفرها عليه طلاق

والمرء إن نال السعادة أنجحت ... آماله وتيسر المعتاق

ومتى تولى عنه الحظ فإنما ... خفق الركاب وراءه إخفاق

وقوله:

ليت شعري متى يكون التلاقي ... وفراقي لطول هذا الفراق

لست أشكو إليك مثل الذي تش ... كو من الوجد ألسن العشاق

إنما ينجد الفؤاد على الشو ... ق فؤاد خال من الإشتياق

فإذا ما تواقفا يوم بين ... شربا مره بكأس دهاق

الكاف وقوله:." (١)

"تزل بنات الدهر عن صفحاته ... فليس به للحادثات تعلق

تمطى بها ورد كميت وأشهب ... وأحمر وضاح وجون وأبلق

ولما كبت عن شأوها الريح وكلوا ... بجامحها مقلا عسى الريح تلحق

المقلة حصاة تلقيها في الماء تعرف قدره وأظنها ثقلا.

ولم يعيها ما حملته كأنها ... هضاب أقلت ما تحوك الخدرنق

لك الله مولى، حيث مجتمع المنى ... من الخلق أضحى مالك المتفرق

فتحت يدا تعطي الرجاء ودونها ... كما شئت باب دون قذعك مغلق

ومن مزقت كفاه في الحمد ماله ... فليس له بالذم عرض ممزق

إليك مديحا راح فيك، ونشره ... من الروض أذكى بل من الطيب أعبق

أسير أياديك الجسام مقيد ... عليك ثناء وهو في الأرض مطلق

يضوع به النادي نشيدا كأنما ... صفاتك فيه فأر مسك تفتق

ويشدو به الحادي فيرتاح نحوه ... مصيخا إلى ذكراك غرب ومشرق

وفيك أطاعتني القوافي كأنها ... لمدحك تهوى أو لنظمي تعشق

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٣٦٨/٢

وقد كسدت هذي البضاعة برهة ... ولم تك إلا في زمانك تنفق

فلا قلص الظل الذي قد مددته ... ولا انجاب هذا البارق المتألق

وكان هذا الممدوح قد أمر بمد مرس طويل من أعلى داره الجديدة إلى ظاهر البلد وفيه هياكل من الوحش والخيل يتبع بعضها بعضا على ما جرت به العادة من قبل في قلعة حلب في الميلاد وكان ذلك مقاما مشهودا، **ومن العجائب** معدودا.

فقال يصف الحال ويمدحه:

لك أول وجدا ولي بك ثان ... يا ربع بعد تحمل الأظعان

فامزج بلدن ثراك دمعي مبديا ... لك منه نور معالم ومغان

من أسود جون وأصفر فاقع ... من أبيض يقق وأحمر قان

لو مس تربك قبل منشر آدم ... لغدوت أول نشأة الحيوان

ليساجلن الغيث دمعي حقبة ... لأعز صحب في أعز مكان

يا للهوى كم لج فيه مواصلا ... قلبي لمن قد لج في هجراني

قرن التدلل بالتذلل، والرضا ... بالسخط منه، وشدة بليان

شبه الأسود خلائقا وبدائها ... للناس في خلق من الغزلان

فتراه يحرن بعد ما ينقاد لل ... عشاق أو ينقاد بعد حران

فكأنه أحوال إخواني به ... عند التقلب أو صروف زماني

يتخلقون الود إلا أنهم ... خلقوا من البغضاء والشنآن

قد أجلبوا غيظا علي ولم أبل ... بدرا طلعت لحاسدي فعواني

فهم الكتاب لبعض ما في طيه ... ما يستدل عليه بالعنوان

ولقد أمنتهم بواحد عصره الط ... ائي في بذل السماح الثاني

خفت الزمان فمذ حللت ببابه ... جاءت إلي صروفه بأمان

أبدى مناقبه لأحسن وصفها ... فكفيته وأنالني فكفاني

وثنى مكارمه إلي ووجهه ... فاقتادني بالحسن والإحسان

وافى إلى هرم زهير وانتهت ... بالأخطل الدنيا إلى مروان

ولو ابن ثابت نال نيلي لم يفه ... بمدائح ابن الأيهم الغساني

ولقد غدوت أعد منه قرابة ... مت النبي بها إلى سلمان

عزت طرابلس فيالك بلدة ... طالت بمالكها على البلدان

موج بظاهرها وموج باطن ... سبحان محرزها من الطوفان." (١)

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٣٨٩

"إياك أن تصبح الأيام تالية ... من سوء فعلك ما يبقى على الحقب

وذكره أبو الصلت أمية بن عبد العزيز في رسالة له وقال: لم يقبل الأفضل على أحد من الشعراء كإقباله على رجل من أهل معرة النعمان يدعى أبا الحسن علي بن جعفر بن البوين، فإنه أفاض عليه سحائب إحسانه، وادر عليه حلوبة إنعامه، ولقبه بأمين الملك وأدناه واستخلصه، ولم يكن شعره هناك بل متكلفا، ولست أعرف أحدا من أهل تلك البلاد يروي له بيتا واحدا فما فوقه لمنافرة الطباع كلامه، ونبو الأسماع عن طريقته. فأمره الأفضل يوما أن يصف مجلسا عبيت فيه فواكه ورياحين، فقال من مزدوجة طويلة يصف الأترج المصبع:

كأنما أترجه المصبع ... أيدي جناة من زنود تقطع

فغلط ولم يفطن وأساء أدبه ولم يشعر، لأنه قصد مدح الأترج فقفز نفس الملك منه، وصرفها عنه، ولو قصد ذمه لما زاد على ما وصفه من الأيدي المقطوعة من زنودها. والبليغ الحاذق من إذا وصف شيئا أعطاه حقه، ووفاه شرطه، ووصفه بما يناسبه في حالتي مدحه وذمه، ووضع كل شيء مكانه من نثره ونظمه.

وأين هذا الشاعر في أدبه ومعرفته بالصناعة وفطنته من أبي علي حسن بن رشيق حين أمره المعز بن باديس بوصف أترجة مصبعة كانت بين يديه فقال على البديهة:

أترجة سبطة الأطراف ناعمة ... تلقى العيون بحسن غير مبخوس

كأنما بسطت كفا لخالقها ... تدعو بطول بقاء لابن باديس

ومن شعر ابن البوين قوله:

يا من تنافس فيه السمع والبصر ... كما تغاير فيه الشمس والقمر

ومن تحكم في الأرواح فاحتكمت ... أن لا يحكم فيها بعده بشر

وقوله:

من لا يجازي على الإحسان مادحه ... لم يخش هاجيه منه خجلة الندم

إن كنت قد جرت في المدح المعار فقد ... عدلت في الهجو إباء على الكرم

وابتعت كتبا من خزانة القصر بالقاهرة فوجدت مكتوبا بخط ابن البوين على بعضها ما ذكر أنه له فمن ذلك قوله:

الكاتبين بأقلام السيوف على ... هام العدى أسطرا يحمدن من سطرا

الناقطين بخرصان الذوابل من ... حروف ما زبروا ما تخجل الزبرا

وقوله:

فيم التنافس والحياة ذميمة ... والدهر في صدق المواعد مائن

عدم البقاء وعيشة مرضية ... وسلامة من سوء ما هو كائن

لا تأس إن منعتك درة ثديها ... وجفتك، فالمغبون فيها غابن

السابق المعري

أبو اليمن بن أبي مهزول

هو قريب العهد، داني العصر، سافر إلى العراق في زمان ابن جهير، واجتمع بابن الهبارية، وأحسن ما سمعت له قوله في الهجو، أنشدنيه غير واحد:

إلي أرسلت مقال الخنا ... ستحرق النار فم النافخ

أقدمت يا أوقح من أيل ... على ابتلاع الأرقم السالخ

يا حلقة الخاتم يا إبرة ال ... خياط يا محبرة الناسخ

وأنشدني القاضي أبو اليسر الكاتب له بيتين في مرثية عم أبيه وادع من قصيدة:

أبا مسلم لا زلت منا على ذكر ... ولا درست آيات علياك في الدهر

وكنا نعد الصبر للخطب يعتري ... إلى أن أصبنا عند يومك بالصبر

وله في غلام ينظر في مرآة:

وظبي قابل المرآة زهوا ... فأحرق بالصبابة كل نفس

وليس من العجائب أن تأتى ... حريق بين مرآة وشمس

وقوله وقد سافر إلى خراسان:

قالوا تزوج بأرض مرو ... تعيش في غبطة وخير

قلت صدقتم بأي مال ... أعيش فيها وأي أير

وقال يهجو ابن البوين الشاعر:

شعر البويني له روعة ... ليس لها في النقد محصول

مثل حبال الشمس ممدودة ... ما فاتها عرض ولا طول

أبو المعافى بن المهذب

هو سالم بن عبد الجبار بن محمد بن المهذب." (١)

"رجلاي من العجائب البحرية، وسائري من الوحوش البرية، وقد ضجرت من النقع والعصر، والدق والقصر، أصبر على برد الماء، وجلد الصخرة الصماء، ثم المليح، أني أضربها وأصيح، كفعل ذاك الوغيد، أبي سالم بن الجنيد، حين يؤذي الأحرار، ويشتكي الإضرار:

حاسر بالليل حاف ... ودجى الليل لحافي

وأعد الماء غما ... وهو صاف للتصافي

ثم أهتم لما يأتي، إذ كدره يكدر حياتي، وتراني حامل وزر، لشيء طفيف نزر، لا أنادي الأداني، ولا أناغي الأغاني، ولست

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٣٩١

برفيق الفريق، في رشف ريق الإبريق، أصرف بعض الأجرة، في كرى الحجرة، وأنفق بقية الواصل، على الحمر الحواصل، وليس لي سعنة ولا معنة، ولا عافطة ولا نافطة، وقد ضعف ساعدي، وقل مساعدي، أبسط الثياب تارة لتجف، ويسهل حملها وتخف، وطورا تبهظني بثقلها، فلا أقدر على نقلها، إن مشيت أكوس، وإن جلست أنوس، جلدي قد اندبغ، ولوني قد انصبغ، وبصري قد كل، ونظري قد قل، ثم كرب أن يكفر، وأنشد لابن يعفر:

ومن الحوادث لا أبالك أنني ... ضربت علي الأرض بالأسداد

لا أهتدي منها لمدفع تلعة ... بين العذيب وبين أرض مراد

آخذ الثوب كالورق، وأرده كالجلد المحترق، ومن غبار الخان، وسواد الدخان، لا يراد للكسوة، ولا يصلح للرجال ولا للنسوة، بعضه محرق، وبعضه مخرق، سره إعلان، ولابسه عريان، تبصره في غربال، لا في سربال، وبعد فمن أنا من الأستاذين، ورافعي الكواذين، وقد تعرقتني السنون، وتعلقتني المنون، فإلى الله المشتكى، ثم انتحب وبكى، فمسح الآخر عثنونه، وأوضح مكنونه، ونظر إلى صاحبه شزرا، وعاب فعله وأزرى، وقال: يا عجبا لهذه الفليقة، هل تغلبن القوباء الريقة، ويحك بهذا أتيت، هلا حكيت، قبل أن بكيت، ثم أقبل علي وبسمل، ومثل بين يدي وحمدل، وأحسن التحية وجعفل، وقال: اسمع أيها السيد، لا كان المتزيد، أنا رجل زاهد، وهذا بما أقول شاهد، وقد كان عول على الحكاية، فعدل إلى الشكاية، أنا أعرف الشيخ عبيد، وقوام عيشي من الصيد، حداني على هذه الصناعة، رغبتي في القناعة، نظرت إلى الدنيا بعينها، فما اغتررت بمينها، ولا أوثقتني بخداعها، ولا أوبقتني بمتاعها، رأيت قصاراها الفناء، فقلت فيم أقاسي العناء، وكم يا نفس البقاء، وإلام هذا الشقاء، لم لا أعتبر بمن سلف، وأطرح هذه الكلف، وأنظر إلى عراص الحراص، وآثار ذوي الإكثار، ودور الصدور، ومنازل أهل المنازل، ورباع أولي الباع، وذوي الأتباع، الذي صعروا الخدود، فصرعوا في اللحود، وجاروا عن الحدود، فجاوروا الدود، جهلوا فلهجوا بالحطام، ورضعوا فضرعوا بالفطام، عموا فما أنعموا النظر، ومرقوا فما رمقوا العبر، خولوا فتخيلوا المقام، ومولوا فأملوا الدوام، تعادوا على رائقها، فتداعوا ببوائقها، منحتهم، وبنوائبها امتحنتهم، ونطحتهم، وبأنيابها طحنتهم، لبسوا فأبلسوا، وسلبوا ما ألبسوا، نهوا وأمروا، ولهوا وعمروا، بلغوا وغلبوا، وجلبوا وخلبوا، برت بهم ولطفت، ثم كرت عليهم وعطفت، أعارت فأبهجت، ثم أبارت فأنهجت، ترنمت فأطاحت نغماتها، ثم تنمرت فأحاطت نقماتها، كم نكست من سكنت، وكمنت لمن مكنت، كم وهبت ثم نهبت، وأتعبت من أعتبت، وأخمدت من أخدمت، ولكمت من أكرمت، وما رحمت من حرمت، بل أغرمت وأرغمت، فغفلوا حتى أفلوا، وطلعوا حتى عطلوا، وطلبوا حتى بطلوا، فعادت أموالهم وبالا، ولم تغن عنهم قبالا، ثم رغب في الخير وغرب، ورطب حنجوره وطرب، وأنشد أبياتا في الزهد، أحلى من الشهد، بعثني على حفظها، سلامة لفظها وهي:

غريق الذنوب أسير الخطايا ... تنبه فدنياك أم الدنايا

تغر وتعطي ولكنها ... مكدرة تسترد العطايا

وفي كل يوم تسري إليك داء فجسمك نهب الرزايا

أما وعظتك بأحداثها ... وما فعلت بجميع البرايا

ترى المرء في أسر آفاتها ... حبيسا على الهم نصب الرزايا." (١)

"تلميذ ابن سابق، ذكر ابن الزبير في الجنان أنه كان في زمان الحافظ وكان قد أمر الشعراء أن يختصروا في الإنشاد فعمل:

أمرتنا أن نصوغ المدح مختصرالم لا أمرت ندى كفيك يختصر

والله لابد أن تجري سوابقنا ... حتى يبين لها في مدحك الأثر

وقال:

يرق لي العذال حين أبثهم ... دفائن شكوائي بحسن بيان

وأخرس إذ ألقاه عما أريده ... كأني ألقاه بغير لسان

وقال يصف الغيث:

ومن العجائب أن أتى من نسجه ... وخيوطه بيض بساط أخضر

أبو الرضا سالم بن علي بن أبي أسامة

بنو أبي أسامة كانوا أصحاب الديوان في زمان الحافظ وهذا منهم ذكره ابن الزبير في كتاب الجنان، وقال: بنو رياسة وأهل نفاسة ومعدن سماحة ورجاحة، وكان أبو الرضا واسطة عقدهم، وتاج مجدهم، واخترم قبل أن يدوم شعره.

ومن شعره قوله في مركب أوقر خطبا، فغرق، والمركب يعرف بالقرافة:

قرافتي قد غرقت ... وفرقت أيدي سبا

والنار في قلبي لما ... أن عدمت الحطبا

وقوله وقد استدعي إلى مجلس بعض الرؤساء:

سمعا لأمرك عندنا ... يا أيها المولى وطاعه

سأصير لا متأخرا ... إن مد لي في الصبر ساعه

أبو المشرف الجرجاوي

من أهل مصر، وكان في عصرنا الأقرب، ممن أورده أبو الصلت في رسالته. له في هجو قاض، وقد أحسن:

قاض إذا انفصل الخصمان ردهما ... إلى الخصام بحكم غير منفصل

يبدي الزهادة في الدنيا وزخرفها ... جهرا ويقبل سرا بعرة الجمل

مهلل الدهر لا في وقت هيللة ... ويلزم الصمت وقت القول والعمل

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٤٩٥

وما أسميه لكني نعت لكم ... نعتا أدلكم فيه على الرجل

ومن شعره قوله من قصيدة:

لله فيك سرائر لا تعلم ... يمضي بها القدر المتاح ويحكم

نبدا بذكرك في المديح لأنه ... بك يبتدا وبحسن ذكرك يختم

شهدت لك الأعداء أنك باسل ... بطل يهابك في النزال الضيغم

لله درك من كمي معلم ... يخشاه في الحرب الكمي المعلم

هذا هو النصر العزيز لأنه ... نصر حباك به الإله الأعظم

انظر إلي بعين جودك منعما ... يا من هو الملك الجواد المنعم

جعفر بن أبي زيد

مصري، له:

وكم قائل لي سافر إلى ... بلاد العراق تقع في الرخاء

لعمري لقد صدقوا، في الرخاء ... وقعنا، ولكن بتقديم خاء

وله

وما قصدنا بغداد شوقا لأهلها ... ولا خفيت مذ قط أخبارها عنا

ولا أننا اخترنا على مصر بلدة ... سواها، ولكن المقادير ساقتنا

هذه البيات أودعها رسالة عملها في ذم بغداد، وكفاه ذلك دليلا على غباوته وقساوته، وغلظ طبعه، ومرض قلبه.

أبو علي حسن بن زيد بن إسماعيل

الأنصاري

كان من المقدمين في ديوان المكاتبات بمصر. وصفه القاضي الفاضل وأثنى على فضله، وأنه في فنه لم يسمح الدهر بمثله، طرقه حادث الزمان الغائظ فأحفظ عليه حسنا ولد المنبوز بالحافظ، وتقلد حوبته، وضرب رقبته، وذلك بسبب ابن قادوس، عمل بيتين هجا بهما حسن بن الحافظ، ودسهما في رقاع هذا الأنصاري، ثم سعى به إلى المذكور فأخذ، فوجدا معه، وقتل. وله قصيدة في مدح أفضهم يصف خيمة الفرج، يدل إحسانه فيها على أن بحره طامي اللجج، ودره نامي البهج، منها:

مجدا فقد قصرت عن شأوك الأمم ... وأبدت العجز منها هذه الهمم." (١)

"أترى السحاب الجون بات مشوقا ... يبكي النوى ويعاتب التفريقا

فالبرق يلمع في حشاه كأنه ... قلب المحب تلهبا وخفوقا

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر - أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٧٣٩/٢

وله

أرأيت برقا بالأبارق قد بدا ... في أفقه متبسما متوقدا

كيف اكتسى ثوب السحاب ممسكا ... وأحاله شفف الرداء موردا

وكأنما في الجو كأس كلما ... فاتت نمير البرق صاح وعربدا

أو مرهف كشفت مداوس صيقل ... عن متنه صدءا لكي يروي الصدى

كالحب أو دق اللجين يسيل من ... أفق أحالته البوارق عسجدا

وكلؤلؤ للغيث يأخذه الثرى ... فيعيده نبتا يخال زبرجدا

هس مأخوذ من قول ابن أبي الخليل:

ومن العجائب أن أتى من نسجه ... وخيوطه بيض بساط أخضر

وله من قصيدة:

لولا الهوى ما عبرت عبراته ... عن وجدهوتصاعدت زفراته

فرق الفراق أطار حبة قلبه ... فتقطعت بمدى النوى عزماته

من كان وحي الحب بين ضلوعه ... نزلت بفيض دموعه آياته

لا تنكروا حمر الدموع فإنه ... جمر الأسى وتنفسي نفحاته

وله من أخرى:

ذو صلاة موصولة بصلات ... ليله عامر بها ونهاره

سابق في السماح كل جواد ... للعلا لا بحلبة مضماره

وله

طرقتنا غير مختفيه ... غادة بالحسن مرتديه

ووشى طيب النسيم بها ... قبل أن تبدو، فقلت هيه

ثم لما أقبت طلعت ... مثل قرن الشمس معتليه

يا لقومي من لواحظها ... إنها برئي وعلتيه

واصلت ليلى ونفرها ... أن رأت صبحا بوفرتيه

إن صبح الشيب أيقظني ... من كرى عيني وغفلتيه

وحكى عني دجى سفه ... زرت فيه طوف حوبتيه

ونهتني نهية شغلت ... بالعلا همي وهمتيه

وقال:

لا تجلسن بباب من ... يأبى عليك دخول داره

وتقول حاجاتي إليه ... يعوقها إن لم أداره

واتركه واقصد ربه ... تقضى ورب الدار كاره

وله

وأهيف للغصن أعطافه ... وللظباء العين عيناه

شمس الضحى غرته والدجى ... طرته والمسك رياه

قد مزج الخمرة من ريقه ... ببرد كافور ثناياه

ورق ماء الحسن في خده ... ففتح الورد ونداه

وله

رعى الله ريعان الصبا ولياليا ... مضين بعهد للشباب حميد

ليالي أغشى في ليالي ذوائب ... بدور وجوه في غصون قدود

وأشرب خمرا من كؤوس مراشف ... وقطف وردا من رياض خدود

ولولا هوى غزلان رامة لم يكن ... يرى غزلي ذا رقة، ونشيدي

ولكن صحبت الجهل كهلا ويافعا ... وطفلا إلى أن رث فيه جديدي

فعلمني حلو العتاب الذي به ... أذبت دموع الخود بعد جمود

وله يمدح القائد أبا عبد الله الملقب بالمأمون:

ليس الفراق بمستطع ... فدعيه من ذكر الوداع

وعديه ما يحيا به ... من طيب وصل واجتماع

يا وجه مكتمل البدو ... ر وقد معتدل اليراع

بجمال ما تحت الردا ... ء وحسن ما تحت القناع." (١)

"قد قلت إذ قالوا المعظم ... جاءه في الوجه سهم

عجبي لذاك البدر منه ... كيف أثر فيه نجم

وقوله يهجو:

ومشتهر بالبخل غاو بلؤمه ... على يده قفل منيع وأغلاق

إذا زرته يزور مني تبرما ... فلا هو مسرور ولا أنا مشتاق

من الشجر الملعون لا ورق به ... ولا ثمر، عقباه نار وإحراق

وقوله في أحدب:

انظر إلى الأحدب مع عرسه ... وهي على الجبهة مبطوحه

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٧٤٧/٢

كأنه لما علا ظهرها ... فارة نجار على شوحه

وقوله في مدح الأمير عز الدين موسك:

كل الأنام عبيد ... لموسك نجل جكو

لدين أحمد منه ... عز وللذل شرك

في الحرب والسلم منه ... زان البسالة نسك

نوال كفيه بحر ... آمالنا فيه فلك

طيب الثناء عليه ... كأنما هو مسك

در المعاني بمدحي ... فيه له اللفظ سلك

له أقر بعزم ... في الحرب عرب وترك

فسلبه، روح طاغ ... طغى، تحاماه ترك

حسامه لم يفارقه ... إن تجرد سفك

يواصل النصر منه ... لما تزايد بتك

وفي الفرنج سطاه ... ما فاتها قط فتك

يا ماجدا رزق راجيه ... من عطاياه يزكو

لا زلت خير مليك ... به يشرف ملك

ما أسكن الجزم حرفا ... به تحرك فك

وقوله في بعض النحاة:

ما حسد الخاسر للرابح ... ونظرة المذبوح للذابح

أصعب في الأنفس في عصرنا ... من نظرة الممدوح للمادح

هذا وقد أعطاه من مدحه ... تذلل المذنب للصالح

يعطى ولا يشكر بعد الأذى ... فالويل للممنوح والمانح

وقوله في منعوت بالزكي تولى الزكاة:

واحسرتاه على الثقات ... جعل الزكي على الزكاة

وهو الذي لخيانة ... أبدا يعد من الجناة

ومتى تأمل درهما ... في الجو صار من البزاة

وقوله من قصيدة يشكو فيها حاله:

قلم الفصاحة في يدي لكنني ... قد خانني درج الحظوظ الملصق

ومن العجائب أن نفسي وسعت ... في همتي ومجال رزقي ضيق

عار على الأيام خيبة شاعر ... من حظه وهو المجيد المفلق

أنفاسه متفتح نوارها ... لكن على الأرزاق باب مغلق

كثرت محاسنه وقل نظيره ... ونضاره فهو الغني المملق

من فاته النصر العزيز بملتقى ... الفئتين لا يجدي عليه الفيلق

فانظر إلي بعين مجدك نظرة ... فلعل محروم المطامع يرزق

طير الرجاء إلى العلاء محلق ... وأظنه سيعود وهو مخلق

وقوله في غلام مغن اسمه مرتضى:

لمرتضى معبد عبد إذا صدرت ... أصواته عنه في النادي بتغريد

قد غاض طوفان همي حين أسمعني ... ألحانه فاستوى قلبي على الجودي

وقوله يمدح كحالا:

إذا اشتكى الطرف ضرا من تألمه ... نجته من رمد مرد مراوده

يشفيه من بعد ما أشفى على تلف ... إشافه فلسان البرء حامده

وقوله في كحال:

لقد أظهرت من ضدين أمرا ... يحار من التعجب فيه فكر." (١)

"رأت منه عيني منظرين كما رأت ... من الشمس والبدر المنير على الأرض

عشية حياني بورد كأنه ... خدود أضيفت بعضهن إلى بعض

وناولني كأسا كأن مزأجها ... دموعي لما صد عن مقلتي غمضي

وراح وفعل الراح في حركاته ... كفعل نسيم الريح في الغصن الغض

وله في غلام مريض:

وقالوا براه السقم فاعتل جسمه ... عساه يرى في الصبر عن حبه عذرا

إذا كنت أهوى خصره لنحوله ... أأسلوه لما صار أجمعه خصرا

ولأبي طاهر في ورق كاغد أهدي إليه:

أهديت لي ورقا أرق ... من الشراب المستحيل

خلقا تمزقه الخطو ... ط كأنه عرض البخيل

لا بالصبيغ ولا الصقيل ... ولا العريض ولا الطويل

إلا بياضا خلته ... وضحا على جسم نحيل

وقال أبو طاهر:

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٧٦٩/٢

قلت إذ عقرب الدلا ... ل على خده الشعر

هذه آية بها ... ظهر الحسن واشتهر

ما رئي قط قبل ذا ... عقرب حلت القمر

هذا معنى مليح ولكنه سرقه من بيتين أنشدهما رجل للإمام أبي حامد الغزالي رحمه الله:

حلت عقارب صدغه في خده ... قمرا يجل به عن التشبيه

ولقد عهدناه يحل ببرجها ... **فمن العجائب** كيف حلت فيه

وله، نقلت من جنان الجنان لابن الزبير:

مالي وهذا البدر عندي ليله ... الداجي الطويل وعندكم أقماره

يثني اللثام على مراشفه التي ... حظرت علي وعندكم إسفاره

وله

يا من صفا ماء النعيم بوجهه ... كم عيشة كدرتها بصفائه

وزجاجة قابلتها فتبسمت ... عن ثغره ورضابه وسنائه

مزجت فلانت مثلما مزجت بها ... أخلاقه فأطاع بعد إبائه

ما زلت أرشفها ويغضب ريقه ... لما جعلت الخمر من نظرائه

وله

بنفسي خيال زار وهو قريب ... أحقا عليه في المنام رقيب

سرى وغدير الليل طام جمامه ... وللشهب فيه طفوة ورسوب

وقد أعجلته للصباح التفاتة ... فلم تك إلا خفقة وهبوب

ولولاكم لم أرض أن تستقر بي ... زخارف حلم صدقهن كذوب

وكم أنة أيقظتم نفسي بها ... لها بين أحناء الضلوع ندوب

تجاور فيها بين هام وجاحم ... لعيني وقلبي جدول ولهيب

ومنها:

أمستكم ريح الصبا إن نشرها ... إذا هب من تلقائكم ليطيب

ويشفي غليلي أن تمر مريضة ... وبرد غليل بالعليل عجيب

وله

لم أر قبل شعره ووجهه ... ليلا على ضوء الصباح عسعسا

والسكر في وجنته وطرفه ... يفتح وردا ويغض نرجسا

وله

أقول ومجرى النيل بيني وبينكم ... ونار الأسى مشبوبة بضلوعي

تراكم علمتم أنني لو بكيتكم ... على النيل لاستغرقته بدموعي

وله

مدى صبري وإن وصلوا قصير ... وأنجم ليل شوقي ما تغور

وفي أسر الغرام إذا استقلوا ... فؤاد كيفما ساروا يسير

غزال الرمل سالفة وعيا ... ولكن لحظه أسد هصور

وهل سود العيون سوى أسود ... تأمل كيف يفترس الفتور

وقفنا والهواجد مشمسات ... وفي الأحشاء بالهجر الهجير." (١)

"ورب فتى تراع الأسد منه ... يقنص قلبه الرشأ المروع

وقوله:

لهواك في قلبي كريقك في فمي ... غيري يقول: الحب مر المطعم

فأدر علي بمقلتيك كؤوسه ... حتى يدب خماره في أعظمي

إن التلذذ في هواك تلذذ ... لو كان أقتل من ذعاف الأرقم

أحبب بحب لا يثير ملامة ... ملئت بمؤلمه عيون اللوم

شغل النواظر والقلوب ولم يدع ... من لم يسمه من الأنام بميسم

ومن العجائب شغل شيء واحد ... في الحال أمكنه ولم يتقسم

وأقام أزمنة وليس بجوهر ... وجرى وليس بمائع مجرى الدم

يا أيها القمر الذي إنسانه ... يرمي أناسا للعيون بأسهم

لم أبد حبك غير أن جوانحي ... فاضت به فيض الإناء المفعم

لا ذنب لي، علم الذي أسررته ... نظرا ولم أرمق ولم أتكلم

وأمرت بالشكوى إليك وإنما ... ينمي إلى الإنسان ما لم يعلم

ولربما لم تشكني فأماتني ... يأسي فذرني تحت أمر مبهم

وتلافني قبل التلاف فإنني ... من حمير وسيأخذونك في دمي

الطاعنين بكل أسمر داعس ... والضاربين بكل أبيض مخذم

والواردين الصادرين إذا الوغى ... لفحت بجمرتها وجوه الحوم

ولعلهم تسمو بهم هماتهم ... أن يدركوا في الظبي ثأر الضيغم

وزاره نفر من إخوانه فقال فيهم عند تلقيهم بإحسانه:

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/٧٩٠

أهلا وسهلا بكم من سادة نجب ... كالذبل السمر أو كالأنجم الشهب

أجملتم وتفضلتم بزورتكم ... وليس ينكر فضل من ذوي الحسب

أضاء منزلنا من نور أوجهكم ... وطاب من عيشنا ما كان لم يطب

الأديب أبو جعفر الأعمى التطيلي

وصفه بالفهم الفائض، والذهن الدراك لخفيات الغوامض، والبصيرة بأسرار المعاني بعين الإطلاع، والفكرة المستخرجة من معادن الفوائد فرائد الجواهر بيد الاضطلاع. إن فقد المرئيات لفقد ناظره، فقد أبصر مغيبات النكت بناظر خاطره، لم يفز حيا نجحه بالهطول، ولم تعز حياته بالطول، وقد أثبت له كل ما يعجب ويطرب، ويحظى به المستحلي له المستعذب. فمن ذلك قصيدة رثى بها بعض أعيان إشبيلية وقد اغتيل، ولم ير بعده إلا على عويله التعويل، فإنه كان له مفتقدا، وفي فضله معتقدا، وهي من سياراته التي بها الآفاق طنت، وارتاحت أسماع الرفاق إليها وحنت:

خذا حدثاني عن فل وفلان ... لعل يرى باق على الحدثان

وعن دول جسن الديار وأهلها ... فنين وصرف الدهر ليس بفان

وعن خرمي مصر الغداة أمتعا ... بشرخ شباب أم هما هرمان

وعن مخلتي حلوان كيف تناءتا ... ولم تطويا كشحا على شنآن

وطال ثواء الفرقدي بغبطة ... أما علما أن سوف يفترقان

وزايل بين الشعريين تصرف ... من الدهر لا وان ولا متوان

وإن تذهب الشعرى العبور لشأنها ... فإن الغظميضا في بقية شان

وجن سهيل بالثرايا جنونه ... ولكن سلاه كيف يلتقيان

وهيهات من جور القضاء وعدله ... شآمية ألوت بدين يمان

فأجمع عنها آخر الدهر سلوة ... على طمع خلاة للدبران

وأعلن صرف الدهر لابني نويرة ... بيوم ثناء غال كل تداني

وكانا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر لو لم تنصرم لأوان

وهان دم بين الدكادك واللوى ... وما كان في أمثالها بمهان

فضاعت دموع بات يبعثها أسى ... يهيجه قبر بكل مكان

ومال على عبس وذبيان ميلة ... فأودى بمجني عليه وجان

فعوجا على جفر الهباءة عوجة ... لضيعة أعلاق هناك ثماني." (١)

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – أقسام أخرى العماد الأصبهاني ٢/ ٩٣٩

"رجعت إلى خلف لما كبرت ... فعدت كأنك بول الجمل

وله يهجو:

علق تزوج قحبة مشهورة ... خلقت وغيره زوجها لم تخلق

ظلت معشقة وظل مبغضا ... شتان بين مبغض ومعشق

ومن العجائب أنها إن واعدت ... صدقت وإن حلفت له لم تصدق

وله:

يا سالما في بيته ما له ... ويحك ما عرسك بالسالم

الن ... في السرم فدع غيره ... يثغب مثل المطر الدائم." (١)

"كأن له في الأذن عينا بصيرة ... يرى اليوم أشباها تمر بها غدا

أقيد بالسيف الأوابد فوقه ... ولو مر في آثارهن مقيدا

أخذه من قول امرئ القيس وهو أول من قال قيد الأوابد:

وقد أغتدي والطير في وكناته ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل

ومن قول ابن مقبل:

إني أقيد بالمأثور راحلتي ... فلا أبالي وإن كنا على سفر

وقال من قصيدة يصف إبلا:

ضربت لدى الإعناق أعناق الفلا ... بحسام ماء في حشاها مغمد

وهو من قول ابن المعتز:

وأغمدن في الأعناق أسياف لجة ... مصقلة تفرى بهن المفاوز

وقال ابن حمديس من أخرى:

لم رياض حتوف فالذباب بها ... تشدوهم في الهوادي كلما اقتحموا

بيض يضعن المنايا السود صارخة ... وهي الذكور التي افتضت بها الغمم

وهي من شعر أبي نصر ابن نباتة:

ومن العجائب أن بيض سيوفه ... تلد المنايا السود وهي ذكور." (٢)

"وباعث الوجد سحر منك أم حور ... وقاتل الصب عمد منك أم خطأ

وقد هوت بهوى نفسي مها سبأ ... وهل درت مضر من تيمت سبأ

كأن قلبي سليمان وهدهده ... لحظي وبلقيس لبنى والهوى النبأ

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء العراق جـ ٤ المجلد الثاني ٢ العماد الأصبهاني ص/٥٤١

(٢) خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء المغرب والأندلس جـ ٢ العماد الأصبهاني ص/١٩٧

فاعجب لهم وتروا نفسي وما شعروا ... ولا دروا من بعيني ريمهم وجأوا

جلالة لسليمان وملتمح ... ليوسف يوم للنسوان متكأ

ومنها:

تحيد عن أفقك الأملاك مجفلة ... ولا تحوم حيث اللقوة الحدأ

وما صوارمهم إبلا وقد سرحوا ... وليس إفرندها عرا وقد هنئوا

وله:

هم في فؤادك خيموا أو قوضوا ... ومنى جفونك أقبلوا أو أعرضوا

وهم رضاك من الزمان وأهله ... سخطوا كما زعمت وشاتك أم رضوا

أهواهم وإن استمر قلاهم ... **ومن العجائب** أن يحب المبغض." (١)

"ولا عتب على الدهر فيما اقترف إن كان قد ساء فيما مضى فقد أحسن الخلف. واعتذر بما وهب عما سلب، فعفا الله عما سلف. ومما جمع فيه من النظم بين التهنئة والتعزية، قول بعض الشعراء ليزيد بن معاوية لما دفن أباه وجلس للتعزية:

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة ... واشكر حباء الذي بالملك أصفاكا١

لا رزء أصبح في الإسلام نعلمه ... كما رزئت ولا عقبى كعقباكا٢

وقال زكي الدين بن أبي الأصبع: أحسن شعر افتن فيه صاحبه، بالجمع بين التعزية والتهنئة، قول أبي نواس للعباس بن الفضل بن الربيع، يعزيه بالرشيد ويهنيه بالأمين، حيث قال:

تعز أبا العباس عن خير هالك ... بأكرم حي كان أو هو كائن

حوادث أيام تدور صروفها ... لهن مساو مرة ومحاسن

وفي الحي بالميت الذي غيب الثرى ... فلا أنت مغبون ولا الموت غابن٣

ولعمري، إن جمال الدين بن نباتة رحمه الله قال، في تعزية الملك المؤيد صاحب حماة وتهنئة ولده الأفضل بالسلطة بعد أبيه، ما هو أحسن من قول أبي نواس الذي استحسنه ابن أبي الأصبع، وقول من تقدمه. وإن تأخر ابن تباتة فقد تقدم بنباتة، فإنه استطرب في قصيدة مطولة بالجمع بين التهنئة والتعزية إلى آخرها وأتى بمعان منها سلامة الاختراع، والذي يؤدي إليه اجتهاد ذوقي، إن هذه القصيدة **من العجائب** في هذا النوع، وأوردت مطلعها في براعة الاستهلال، لكن تعين إيراده هنا لندخل منه إلى بيوت القصيدة المشتملة على هذا النوع، ليتأيد ما أشرت إليه من غرابة أسلوبها، وهو قوله رحمه الله تعالى:

هناء محا ذاك العزاء المقدما ... فما عبس المحزون حتى تبسما

ثغور ابتسام في ثغور مدامع ... شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما

نرد مجاري الدمع والبشر واضح ... كوابل غيث في ضحى الشم قد همى٤

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر – قسم شعراء المغرب والأندلس جـ ٢ العماد الأصبهاني ص/٢٧٤

سقى الغيث عنا تربة الملك الذي ... عهدنا سجاياه أعز وأكرما

---

١ حباء: تفضيل في العطاء.

٢ رزء: مصيبة.

٣ المغبون: الذي لا يعطى حقه.

٤ همى: هطل.." (١)

"مراسيم المصنف مع سلوك الأدب الذي يذوقه من له فيه أعذب منهل، والله يجمعنا على هذا الشرب لتحلو موارده بالموارده، ولا يحجبنا عن الكلام الذي يحسن السكوت عليه وتتم به الفائدة.

وكتب، بعد ذلك، سيدنا القاضي بدر الدين المشار إليه: وقفت أنا ولا أكاد أثبت نظري لشدة الخجل، وسألت المهلة في وصف هذه الألفاظ، فإذا هي قد جاءت على عجل، قلت: أما المقام الشريف الممدوح عز نصره، ولا زالت تفخر بدولته القاهرة مصره، فملك مد على الرعية جناح العدل، وحمى بيضة الإسلام، وتواردت على تجريح عدالته وتعديل صفاته السنة السيوف والأقلام، وسار على أقوم طريق، فأذكرنا السيرة العمرية، وطلع في سماء الكواكب كالبدر، فقل ما شئت في الطلعة القمرية، ودعا إلى نسك طاعته فلبته في ذلك الموقف النفوس، ونادى على أعدائه منادي الحتف فأرانا كيف يكون الترخيم بخفذ الرءوس، ناهيك بها مناقب سرت القلوب، وسارت ونافست النجوم جواهر الألفاظ في مدحها فغارت، وشملت البرايا بالمن والمنح، وقابلت المسيء بالعفو والصفح، حماها الله تعالى من الغير، وجعل صفاتها الشريفة جمال الكتب والسير.

وأما منشئ السيرة، فماذا أقول وقد رأيت الخطب جليلا، وماذا أصف وقد حملني العجز عبئا ثقيلا، هو كبير أناس، مزمل١ من البلاغة بأنواع وأجناس، يأتم به الهداة كأنه علم، وتروم الأدباء المقايسة به فيقاسون ولكن من شدة الألم، له في الأدب صريمه وشهامه، وفراهة تجريه إلى المقامات الرائقة فلا تستريه سآمه٢، ما هم بتركيب معنى إلا وشرح الصدور بذلك الهم٣، ولا شن فارس فكره غارة إلا وتم منها على بيوت الشعراء ما تم. طالما أظهر برغم أنوف الحسدة في المجالس فضله، وصعبت الآداب على غيره لكنها أصبحت عليه سهله، وعقل غرائب نكته عما سواه فلله ما أبدع عقله، كدر عيش الحلي بما ابتدعه من العجائب، ولا ينكر لمثله تكدير الصفي، واكتفى في ميدان البراعة بجواده فكره الذي جال وهو مكر مفر، وهكذا يكون المكتفي أتى في تاريخه بألفاظ ولو رآها ابن الأثير لتأثر، وابن سعيد لتعثر، وابن بسام لأصيب منها بالقارعة فعبس وتولى، أو الحجازي لرمي منها بالداهية التي هدمت ما بناه، وثقلت عليه حملا، وكتب خطا لو لمحه ابن مقلة لأصيب منه بنظره، أو ابن البواب لهتك ستره، وجاء بأدب لو وازن أحد به الراجح الحلي، لما أقام له وزنا ولا رجحه، ولو تأمل المليحي ملاحة لفظه الذي ما مر

---

١ مزمل: ملتف

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ١٣٩/١

٢ سآمه: ملل.

٣ الهم: البدأ: من هم بالشيء إذا بدأ به.." (١)

"مواصلة بها رحلي كأني ... من الدنيا أريد بها انتقالا

سألن فقلن مقصدنا سعيد ... فكان اسم الأمير لهن فالا١

هذا المخلص أيضا من العجائب، فإن الشيخ أبا العلاء سبكه في قالب التورية والاتفاق البديع، وكان اسم الأمير في فالهم سعيدا، والعرب ما برحوا يتفاءلون بالاسم الحسن ويتطيرون من ضده، ومما استحسن لابن حجاج من المخالص قوله:

ألا يا ماء دجلة لست تدري ... بأني حاسد لك طول عمري

ولو أني استطعت سكرت سكرا ... عليك فلم تكن ماء تجري

فقال الماء قل لي كل هذا ... بم استوجبته يا ليت شعري

فقلت له لأنك كل يوم ... تمر على أبي الفضل بن بشر

تراه ولا أراه وذاك شيء ... يضيق عن احتمالك فيه صبري

قال صاحب المثل السائر، حين أورد هذه الأبيات: ما علمت معنى في هذا المقصد أبدع ولا أعذب ولا أرق ولا أحلى من معنى هذا اللفظ، ويكفي ابن حجاج من الفضيلة أن يكون له مثل هذه الأبيات. قلت: ولعمري إن المخلص والأبيات بكمالها، دون إطناب ابن الأثير في الوصف. ولكن قال زكي الدين بن أبي الأصبع، في كتابه المسمى ب"تحرير التحبير" لما انتهى إلى هذا النوع، أعني حسن التخلص: إذا وصلت إلى ابن حجاج في هذا الباب فإنك تصل إلى ما لا تدركه الألباب، فمن ذلك قوله على طريقته المعهودة منه:

وقد بادلتها فمبالها لي ... بمشورة استها ولها قذالي٢

كما لابن لعميد جميع مدحي ... ودنيا ابن العميد جميعها لي

ومن المخالص الفائقة قول الأستاذ أبي الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب، من قصيدة بائية يمدح بها الأمير سيف الدولة ابن مزيد مطلعها:

هب من زمانك بعض الجد للعب ... واهجر إلى راحة شيئا من التعب

ولم يزل ماشيا على هذا السنن إلى أن قال:

تسعى السقاة علينا بين منتظر ... بلوغ كأس ووثاب بمستلب

كأنما قولنا للبابلي أدر ... سلافة قولنا للمزيدي هب

---

١ فالا: أي يتفاءلون به.

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ١/١٨١

٢ المبال: مكان خروج البول، الإست: مكان خروج فضلات الطعام من الجسم، والأديب الحق يربأ بنفسه وبكتبه، عن ذكر فاحش القول ...." (١)

"ويعجبني في هذا الباب قول ناصر الدين بن المشد:

مسكية الأنفاس تملي الصبا ... عنها حديثا قط لم يملل

جننت لما أن سرى عرفها ... وما نرى من جن بالمندل١

وألطف منه وأكثر نوادر، قول بدر الدين حسن الغزي، الشهير بالزغاري:

سرت من بعيد الدار لي نسمة الصبا ... وقد أصبحت حسرى من السير ضائعه

ومن عرق مبلولة الجيب بالندى ... ومن تعب أنفاسها متتابعه

ومن العجائب في هذا النوع:

حبذا ليلة رأيت دجاها ... زاهيا عطفه بحلة فجر

بشرت باللقاء وهي غراب ... ونفي الفجر حسنها وهي قمري٢

ومن النوادر اللطيفة، في هذا الباب، قول علاء الدين الجويني، صاحب الديوان ببغداد، من دو بيت:

مذ صار مبيتنا بضوء القمر ... والحب نديمنا وصوت الوتر

نادى بفراقنا نسيم سحرا ... ما أبرد ما جاءت نسيم السحر

ومن نادر ما اتفق لي قولي من قصيدة رائية:

ومذ سرت نسمات الثغر باردة ... بدار بأعضاء ذاك الجفن تكسير

قد تقدم تقرير حد ابن أبي الأصبع، في نوع النوادر وتكرر، وهو أن يعمد الشاعر إلى معنى مشهور كثير الاستعمال، فيغرب فيه بزيادة نكتة لم تقع لغيره، ليصير المعنى المستعمل بها غريبا. وقد فهم ما أوردته هنا من تلاعب الشعراء بالنسيم، وما أظهروا فيه من النوادر التي تركت رخيصه غاليا. وتكسير الجفن أيضا ونسبة التكسير إليه أكثر أهل الأدب استعماله في تغزلهم ونسيبهم، ولكن استعارة النسمات الباردة للثغر، وهبوبها على أعضاء ذاك الجفن السقيم، حتى ظهر فيه التكسير، نادرة النوادر في هذا النوع. والله أعلم.

---

١ العرف: الرائحة الطيبة -المندل: العود الطيب الرائحة.

٢ القمري: نوع من الحمام.." (٢)

"ومن لطائف مجونه قوله:

قال لي الواسع صف لي ... مثل ما أعرف وصفك

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٣٣٤/١

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٦/٢

أين باب الخرق قل لي ... قلت باب الخرق خلفك

ومن غرائب النكت قوله:

أبيات شعرك كالقصو ... ر ولا قصور بها يعيق

ومن العجائب لفظها ... حر ومعناها رقيق١

ومن بديع اختراعاته قوله:

قالوا قد احترقت بالنار راحته ... وهي الغمام ومنها الوابل الغدق٢

وقال قوم وما ضلوا وما وهموا ... بأنها النيل قلت النيل يحترق

ومن غريب نكته قوله:

بخالد الأشواق يحيي الدجى ... يعرف هذا العاشق الوامق٣

فخذ حديث الوجد عن جعفر ... من دمع عيني إنه الصادق

ومن بديع تغزله قوله:

يا مالكي ولديك ذلي شافعي ... ما لي سألت فما أجبت سؤالي

فوخدك النعمان إن بليتي ... وشكايتي من جفنك الغزال٤

ومن بديع غزله قوله:

أقول لمن جفنه سيفه ... ولكنه ليس يخشى نبوه٥

تكلف جفنك حمل الفتور ... وأخرج فيه من الضعف قوة

ومن نكته الغريبة قوله:

قلت لسقم الجسم متى وقد ... أفرط بي فرط ضنى واكتئاب

فعلت بي يا سقم ما لم يكن ... تلبس والله عليه الثياب

---

١ الرقيق: العبد، أو من الرقة.

٢ الوابل الغدق: المطر الغزيل.

٣ الوامق: المحب.

٤ النعمان: شقائق النعمان والنعمان بن المنذر الملك. الغزال: والغزالي الفيلسوف.

٥ نبوه: من نبا السيف إذا أخطأ، والسهم طاش ولم يصب.." (١)

"جمع عقيصة وهو ما جمع من الشعر، والمرسل الشعر المسرح، ومراده أن لحية هذا الأنف غزيرة الشعر مسرحة وقال مشيرا إليها:

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، ابن حجة ٦٣/٢

من البق فيها جملة قد تعرضت ... تعرض أثناء الوشاح المفصل١

فيا قبح شعر فوق أنف معرقص ... أثيث كقنو النخلة المتعثكل٢

الأثيث الكثير، والمتعثكل الذي دخل بعضه في بعض لكثرته وتدلى وهكذا قنو النخلة الذي شبه به الصاحب فخر الدين هذا الأنف، ولعمري إن هذا الإيداع من السحر في نقله إلى هذه الصفة الغريبة وقال بعده:

وقالوا اختبا في شعره فكأنه ... كبير أناس في بجاد مزمل

هذا التشبيه بالنسبة إلى كبر الأنف نوع من الغلو، وهو من المخترعات في بابه، فإن امرأ القيس شبه به جبل ثبير فقال:

كأن ثبيرا في عرانين وبله ... كبير أناس في بجاد مزمل

والعرانين جمع عرنين وهو الأنف، والوبل ما عظم من المطر، والبجاد كساء مخطط من الشعر الأبيض والأسود، فنقله الصاحب فخر الدين في إيداعه إلى الأنف، لما فيه من الشعر الأبيض والأسود الذي انتسج في أنفه كالبجاد، ولما اختفى في ذلك الشعر، بكبير أناس في بجاد مزمل أي ملتف، وقد تقدم قولي إنه من المخترعات.

مقلص كلتا الجانبين كأنه ... لدى سمرات الحي ناقف حنظل

وهذا التشبيه أيضا **من العجائب**، فإن هذا الأنف لم يبرح سائلا، فشبهه الصاحب برجل ناقف حنظل، فإن ناقف الحنظل كثير الدمع لشدة حرارته. وقال:

ترى القمل والصيبان في عرصاته ... وقيعانه كأنه حب فلفل٣

وفي جوفه شعر طويل كأنه ... بأرجائه القصوى أنابيش عنصل

فيا لك شعرا فوق أنف معظم ... يلوح كهداب الدمقس المفتل

وكم قلت إذ أرخى ذوائب أنفه ... علي بأنواع الهموم ليبتلي

ألا أيها الليل الطويل ألا انجل ... بصبح وما الإصباح منك بأمثل

---

١ البق: نوع من الحشرات التي تشبه القمل ولكنها أكبر منه.

٢ المعرقص: المجعد كثيرا.

٣ العرصات: واحدتها عرصة وهي ساحة الدار. والقيعان: مفردها قاع: وقاعة الدار ساحتها أيضا.." [(١)]

"على عير بلاده فبادر إليه عزمنا المؤيدي وكسره، وقد أثرنا المقر بهذه البشرى التي عم فضلها برا وبحرا، وحدثناه عن البحر ولا حرج وشرحنا له حالا وصدرا، ليأخذ حظه من هذه البشرى البحرية بالزيادة الوافرة وينشق من طيها نشرا، فقد حملت له من طيبات ذلك النسيم أنفاسا عاطره، والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة لسمعه الكريم ليصير بها في كل وقت مشنفا، ولا برح من نيلنا المبارك وإنعامنا الشريف على كلا الحالين في وفا.

ومما انفردت بإنشائه: رسالة السكين، فإن الشيخ جمال الدين بن نباته سبق إلى رسالة السيف والقلم، وتقدمه أبو طاهر

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، ابن حجة ٣٢٧/٢

إسماعيل بن عبد الرزاق الأصفهاني إلى رسالة القوس. وكتاب الإنشاء لا بد لهم من سكين فقلت: وينهى وصول السكين التي قطع المملوك بها أوصال الجفاء، وأضافها إلى الأدوية فحصل بها البرء والشفاء، وتالله ما غابت إلا وصلت الآلام من تعثرها إلى الجفاء زرقاء١، كم ظهر للبيض منها ألوان، خرساء **ومن العجائب** أنها لسان كل عنوان، ما شاهدها موسى إلا سجد في محراب النصاب، وذل بعد أن خضعت له الرءوس والرقاب. كم أيقظت طرف القلم بعدما خط، وعلى الحقيقة ما رؤي مثلها قط، وكم وجد بها الصاحب في المضائق نفعا، وحكم بحسن صحبتها قطعا، ماضية العزم قاطعة السن فيها حدة الشباب من وجهين؛ لأنها بالناب والنصاب معلمة الطرفين، وأنملة صبح تقمعت بسواد الدجى، فعوذتها بالضحى والليل إذا سجى، ولسان برق امتد في ظلمات الليل، فتنكرت الأشعة الأنجم وما عرف منها سهيل٢، هذا وتقطيعها موزون إذ لم يتجاوز في عروض ضربها الحد، ومعلوم أن السيف والرمح لم يعرفا غير الجزر والمد.

من أجل ذا تدخل في مضائق ليس فيها قط مدخل، وكلما تفعله ترجزه والرمح في تعقيده مطول. إن هجعت بجفنها كانت أمضى من الطيف، وكم لها من خاصة جازت بها الحد على السيف. تنسى حلاوة العسال٣ فلا يظهر لطوله طائل، ويغني عن آله الحرب بإيقاع ضربها الداخل. إن مرت بكلها المحلى تركت المعادن عاطلة، ولم يسمع للحديد في هذه الواقعة مجادلة. شهد الرمح بعدالته أنها أقرب منه إلى الصواب، وحكم لها بصحة ذلك قبل أن يستكمل النصاب. ما طال في رأس القلم شعرة إلا سرحتها بإحسان، ولا طالعت كتابا إلا أزالت غلطه بالكشط من رأس اللسان.

---

١ رزقاء: نافعة.

٢ سهيل: نجم يظهر في أواخر شهر تموز يقولون إن خروجه دليل على نضوج الفواكه وانقضاء القيظ، وفي المثل: إذا طلع سهيل رفع كيل، ووضع كيل يضرب في تبدل الأحكام.

٣ العسال: الرمح. وهو في الأصل الذي يستخرج العسل.." (١)

"**ومن العجائب** قول العيني: أجأ أحد جبلي طيئ وهو مؤنث ومن العرب من لا يهمزه. وكذا هنا للضرورة. انتهى. ولا يخفى أنه لا يتزن البيت إلا بالهمز.)

قال ياقوت في معجم البلدان: أجأ بوزن فعلأ بالتحريك مهموز مقصور والنسبة إليه أجئي بوزن أجعي. وهو علم مرتجل لاسم رجل سمي به الجبل.

-

ويجوز أن يكون منقولا ومعناه الفرار كما حكى بن الأعرابي: أجأ الرجل إذا فر.

قال الزمخشري: أجأ وسلمى: جبلان عن يسار سميراء وقد رأيتهما شاهقان ولم يقل عن يسار القاصد إلى مكة أو المنصرف عنها.

---

(١) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي الحموي، ابن حجة ٢/٤٢٨

وقال أبو عبيد السكوني: أجأ: أحد جبلي طيء وهو غربي فيد إلى أقصى أجأ وإلى القريات من ناحية الشام.
وبين المدينة والجبلين على غير الجادة ثلاث مراحل وبين الجبلين وتيماء جبال ومنها دبر وعرنان وغسل وبني كل جبلين يوم وبين الجبلين وفدك ليلة وبينهما وبين خيبر خمس ليال.." (١)

"قوله: شرد برحلك أي: أبعده وارتحل عني. وقوله: فقد رميت روي بدله: فقد ذكرت به والركب حامله وضمير به وحامله للبرص المذكور. وقوله: شمليلا قال البكري في معجم

ما استعجم: هو بكسر أوله وإسكان ثانيه بعده لام مكسورة على وزن فعليل بلد وانشد هذا البيت. **ومن العجائب** تفسير العيني إياه بالناقة الخفيفة وكأنه يكتب من غير أن يتصور المعنى.

والسبب في هذه الأبيات هو ما رواه الحسن الطوسي في شرح ديوان لبيد والمفضل بن سلمة)

في الفاخر وابن خلف في شرح أبيات سيبويه وقد تداخل كلام كل منهم في الآخر أن وفد بني عامر منهم طفيل بن مالك وعامر بن مالك أتوا النعمان بن المنذر أول ما ملك في أسارى من بني عامر يشترونهم منه ومعهم ناس من بني جعفر ومعهم لبيد وهو غلام صغير فخلفوه في رحالهم ودخلوا على النعمان فوجدوا عنده الربيع بن زياد العبسي وكان نديم النعمان قد غلب على حديثه ومجلسه فجعل الربيع يهزأ بهم ويسخر منهم لعداوة غطفان وهوازن فغاظهم ذلك فرجعوا بحال سيئة فقال لهم لبيد: إنكم تنطلقون بحال حسنة ثم ترجعون وقد ذهب ذاك وتغير. قالوا: خالك وكانت أم لبيد عبسية كلما أقبل علينا بوجهه صده عنا بلسان بليغ مطاع.

فقال لهم لبيد: فما يمنعكم من معارضته قالوا: لحسن منزلته عند النعمان. قال: فانطلقوا بي معكم. فأزمعوا أن يذهبوا به وحلقوا رأسه وألبسوه حلة وغدا معهم فانتهوا إلى النعمان وربيع معه وهما يأكلان طعاما وقيل تمرا وزبدا فقال لبيد: أبيت اللعن وإن رأيت أن تأذن لي في الكلام. فأذن له فأنشد:." (٢)

"وقد وقع العجز شاهدا في الكشاف قال الطيبي: إني لم أظفر بصدره ولا بقائله. وجوائب الأنباء: جمع جائبة من الجواب وهو القطع. قال في الصحاح: يقال هل جاءكم جائبة خبر أي: خبر يجوب الأرض من بلد إلى بلد.

وقوله: سافهونا من السفه وهو ضد الحلم. وصفحا: غعراضا منهم. وذوي حال من)

الواو في عاشوا. والغلواء بضم المعجمة: النشاط ومرح الشباب.

وقوله: لو أبصروا لو للتمني. ورخاء: معطوف على مقام. وتشذرت بالشين والذال المعجمتين قال في الصحاح: يقال: تشذر فلان: إذا تهيأ للقتال وتشذر القوم في الحرب: أي تطاولوا. وأنافت: زادت. وتصلوا: من صلي بالنار صلى من باب تعب: وجد حرها. والصلاء كتاب: حر النار.

وقوله: طلبوا صلحنا الخ هو جواب لما. **ومن العجائب** قول العيني: طلبوا فعل وفاعله مستتر فيه ولات أوان في محل الحال من الصلح.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٨٦/١١

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١١/٤

وقوله: فأجبنا معطوف على طلبوا وأن مصدرية يقال: أجابه بكذا. وقال السيوطي: هي تفسيرية. وحين خبر ليس أي: ليس الحين حين بقاء. والبقاء: اسم من قولهم أبقيت على فلان إبقاء: إذا رحمته وتلطفت به. والمشهور أن الاسم منه البقيا بالضم والبقوى بالفتح.

وقال العيني وتبعه السيوطي: المعنى بقاء الصلح.

وقوله: أبديء الهمزة للاستفهام الإنكاري وبديء بالهمز كبديع وزنا ومعنى. وتقتلوا بالبناء للمفعول وقتلتم بالبناء للفاعل.." (١)

"وهو قمار العرب وتسمى الأزلام. وكان الميسر منقبة في الجاهلية يلعبون به في أيام الجدب والقحط وكان الغالب يفرق ما اخذه على الفقراء. والقافل: الراجع من السفر. والبشائر: جمع بشارة.

وأراد بأهل الله قريشا وكانت العرب تسميهم أهل الله لكونهم أرباب مكة. وبيض: جمع أبيض والبياض لعزته عند العرب لغلبة السمرة عليهم يستعيرونه لحسن الحال والجودة. والحبير بفتح المهملة وكسر الموحدة: ثياب ناعمة كانت تصنع باليمن. وريدة بفتح الراء وسكون المثناة التحتية: بلدة من بلاد اليمن. ومعافر بفتح الميم وكسر الفاء وبينهما عين مهملة: حي من همدان في اليمن إليهم تنسب الثياب المعافرية.

وقوله: مجعجعة اسم فاعل من جعجعت الإبل إذا صوتت والجعجعة

: أصواتها إذا اجتمعت وهي حال من كوم جمع كوماء كصحراء وهي الناقة العظيمة السنام.

وقال ابن السيد وغيره من شراح الشواهد: المجعجعة المصروعة وعليه فهي اسم مفعول. **ومن العجائب** قول العيني هنا: مجعجعة من الجعجعة وهي صوت الرحى. والباقر: اسم لجماعة)

البقر كالجامل لجماعة الجمال.

وقوله: إذا أكلت يوما . الخ الغد منصوب على الظرفية وهو اليوم الذي يلي يومك. ومثلها: حال من زواهق وهي جمع زاهقة وهي السمينة. والزهم: الكثيرات الشحم جمع زهمة بفتح فكسر وكلاهما بالزاي المعجمة. والمخاض: الحوامل من الإبل واحدها خلفة من غير لفظها. والبهازر: جمع بهزرة كحيدرة وهي العظيمة الجسم.." (٢)

"وقتله رجل من بني أسد ففخر المرار بقتله. وبشر هو من بني بكر بن وائل.

وأرخصت البضوعا أي: أرخصت الضربة اللحم على الطير. والبضوع: جمع بضعة ويروى البضيعا وهو اللحم.

وزعم بعض الرواة أنه يريد بالبضوع بضوع نسائه أي: نكاحهن يقول: لما قتلوه سبوا نساءة فنكحوهن بلا مهر. والبضوع: النكاح. والتفسير الأول أعجب إلي.

قال أبو محمد الأعرابي الأسود في فرحة الأديب وقد تقدمت ترجمته في أول الكتاب: ما أكثر ما يرجح ابن السيرافي الرديء على الجيد والزائف على الجائز وذلك أنه مال إلى القول بأن البضوع هنا اللحم ولعمري أنها لو كانت لحوم المعزى والإبل

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٩١/٤

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٢٤٧/٤

لجاز أن يقع عليها الرخص والغلاء وهذه غباوة تامة.

والصواب لما قتلوه عرضوا نساءه للسباء لأنه لم يبق لهن من يحميهن ويذود عنهن. ثم إنه لم يذكر قاتل بشر من أي قبائل بني أسد كان وإذا لم يعرف حقيقة هذا ولم يدر لأي شيء افتخر المرار بذلك.

وقاتله سبع بن الحسحاس الفقعسي ورئيس الجيش بني أسد ذلك اليوم خالد بن نصلة الفقعسي وهذا جد المرار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نضلة. انتهى **ومن العجائب** قول العيني: أراد ببشر بن عمرو وكان قد جرح ولم يعلم جارحه يقول: أنا ابن الذي ترك بشرا بحيث تنتظر الطيور أن تقع عليه إذا مات هذا كلامه.

وليت شعري كيف يفتخر الشاعر بقتيل جهل قاتله فإن قلت: فعلى قول الأسود الأعرابي)

قاتله سبع بن الحسحاس كيف افتخر المرار به مع أنه ليس بأب من آبائه ولا ممن ينتسب إليه قلت: افتخاره بجده خالد بن نضلة فإنه كان أمير الجيش وسبع المذكور كان من أفراد عسكره ومأمورا له والفعل لسبع والاسم لخالد.." (١)

"المسألة الأولى على التكرير كان جائزا فتقول: رأيت عبد الله أمره مستقيما. وقال عدي بن زيد: ذريني إن أمرك لن يطاعا ... ... البيت فنصب الحلم والمضاع على التكرير.

ومثله: ما للجمال مشيها وئيدا فخفض الجمال والمشي على التكرير. فلو قرأ قارئ: وجوههم مسودة على هذا لكان صوابا. انتهى.

وقوله: ذريني خطاب لامرأته أي: اتركيني ودعيني. وجملة: إن حكمك الخ مستأنفة للتعليل.

وروى سيبويه: إن أمرك وهو بمعناه. وجملة: ما ألفيتني الخ معطوفة على الجملة المستأنفة.

وروى العيني: ولا ألفيتني. وألفى بمعنى وجد من أخوات ظن تنصب مفعولين والتاء المكسورة فاعلها والنون نون الوقاية والياء مفعول وحلمي بدل من الياء. وتساهل النحاس في شرح أبيات سيبويه وتبعه ابن السيد في أبيات المعاني فقالا: حلمي بدل من النون والياء.

ومن العجائب قول العيني: حلمي بدل من النون وكأنه أراد أن يتبع النحاس فيسقط من قلمه أو من قلم الناسخ عطف الياء على النون. والحلم بالكسر: العقل.

يقول لها: ذريني من عذلك فإني لا أطيع أمرك ولا وجدتني سفيها مضيع الحلم وعقلي يأمرني بإتلاف مالي في اكتساب الحمد. ومضاعا مفعول ثاني لألفى وهو اسم مفعول من الإضاعة ولا يصح أن يكون كما زعم بعضهم.." (٢)

"**ومن العجائب** قول العيني: كلمة رب دخلت عليها ما الكافة ولكن ما كفتها عن العمل هاهنا وقوله: بسيف متعلق بضربة. صقيل بمعنى مصقول أي: مجلو صفة لسيف.

وطعنة بالجر معطوف على ضربة. ونجلاء: بالنون والجيم. والنجلاء: الواسعة البينة الاتساع من قولهم: عين نجلاء أي: واسعة.

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٢٨٧/٤

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ١٩٣/٥

وهي صفة طعنة وجرها بالكسرة للضرورة.

وقوله: بين بصرى ظرف متعلق بضربة ويقدر مثله لطعنة. وبصرى بضم الموحدة وسكون الصاد المهملة والقصر: بلد قرب الشام هي كرسي حوران كان يقوم فيها سوق للجاهلية.

وقد قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين: مرة مع عمه أبي طالب وأخرى في تجارة لسيدتنا خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها.

وإنما صح إضافة بين إلى بصرى لاشتمالها على متعدد من الأمكنة أي: بين أماكن بصرى ونواحيها.

وروى الشريف الحسيني في حماسته: دون بصرى. ودون هنا بمعنى قبل أو بمعنى خلف.

وقال العيني: بمعنى عند.

والبيت أول أبيات ست لعدي بن الرعلاء الغساني أوردها الأعلم والشريف

الحسيني في حماستيهما. وبعده:

(وغموس تضل فيها يد الآ ... سي ويعيا طبيبها بالدواء)

(فصبرنا النفوس للطعن حتى ... جرت الخيل بيننا في الدماء)

(ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء)

(إنما الميت من يعيش كئيبا ... كاسفا باله قليل الرخاء)." (١)

"وذكر المطري قبل ذلك إنها كانت تأكل كل ما مرت عليه من جبل وحجر ولا تأكل الشجر قال وظهر لي إنه لتحريم النبي صلى الله عليه وسلم شجر المدينة فمنعت من أكل شجرها لوجوب طاعته على كل مخلوق " قلت " صرح القسطلاني بما يرده حيث قال إنها لم تزل مارة على سبيلها وهي تسحق ما والاها وتذيب ما لاقاها من الشجر الأخضر والحصبي وإن طرفها الشرقي آخذ بين الجبال فحالت دونه ثم وقفت وإن طرفها الشامي وهو الذي يلي الحرم اتصل بجبل يقال له وعيرة على قرب من شرقي جبل أحد ومضت في الشظاة التي في طرفها وادي حمزة رضي الله عنه حتى استقرت تجاه حرم النبي صلى الله عليه وسلم فطفئت قال وأخبرني شخص اعتمد عليه إنه عاين حجرا ضخما من حجارة الحرة كان بعضه خارجا عن حد

الحرم فعلقت بما خرج منه فلما وصلت إلى ما دخل منه في الحرم طفئت وخمدت وقال في موضع آخر إنها لما استقبلت الشام سالت إلى أن وصلت إلى موضع يقال له قرين الأرنب بقرب أحد فوقفت وانطفأت قلت وهذا أولى بالاعتماد وأبلغ في الأعجاز ونقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب القاضي سنان ما يؤيده فإنه قال فيه إن سيل هذه النار انحدر مع وادي الشظاة حتى حاذى جبل أحد وكادت النار تقارب حرة العريض ثم سكن قتبرها الذي يلي المدينة وطفئت مما يلي العريض ورجعت تسير في المشرق وكذا قول المؤرخين إنها سالت سيلا ذريعا في واد يكون طوله مقدار أربعة فراسخ وعرضه أربعة أميال وعمقه قامة ونصف وهي تجري على وجه الأرض والصخر يذوب كالآنك ولم يزل يجتمع منه في آخر الوادي عند

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي عبد القادر البغدادي ٥٨٣/٩

منتهى الحرة أي في المشرق حتى قطعت في وسط وادي الشظاة إلى جهة جبل وعيرة فسدت الوادي المذكور بسد عظيم من الحجر المسبوك بالنار قلت وآثار السد موجودة اليوم هناك ويسمى الحبس وقال القسطلاني أخبرني جمع أركن إلى قولهم إنها تركت على الأرض من الحجر ارتفاع رمح طويل على الأرض الأصلية انتهى وأنقطع وادي الشظاة بسبب ذلك وصار السيل يتحبس خلف السد المذكور حتى يصير بحرا مد البصر عرضا وطولا وسيأتي خبر انخراقه في الفصل الثاني من الباب الثامن **ومن العجائب** إن في تلك السنة احترق المسجد النبوي حريقه الأول عقب انطفاء هذه النار وزادت دجلة زيادة عظيمة فغرق أكثر بغداد وتهدمت دار الوزير ثم في السنة التي بعدها وقعت الطامة الكبرى بأخذ التتار لبغداد وقتل الخليفة وأهلها بذل السيف فيهم نيفا وثلاثين يوما وألقيت الكتب تحت أرجل الدواب وبنى منها معالفهم بالمدرسة المستنصرية وخلت بغداد ثم استولى عليها الحريق حتى عم ترب الرصافة مدفن ولاة الخلافة وشوهد على بعض حيطانهافعلقت بما خرج منه فلما وصلت إلى ما دخل منه في الحرم طفئت وخمدت وقال في موضع آخر إنها لما استقبلت الشام سالت إلى أن وصلت إلى موضع يقال له قرين الأرنب بقرب أحد فوقفت وانطفأت قلت وهذا أولى بالاعتماد وأبلغ في الأعجاز." (١)

"وقال القسطلاني أخبرني جمع أركن إلى قولهم إنها تركت على الأرض من الحجر ارتفاع رمح طويل على الأرض الأصلية انتهى وأنقطع وادي الشظاة بسبب ذلك وصار السيل يتحبس خلف السد المذكور حتى يصير بحرا مد البصر عرضا وطولا وسيأتي خبر انخراقه في الفصل الثاني من الباب الثامن **ومن العجائب** إن في تلك السنة احترق المسجد النبوي حريقه الأول عقب انطفاء هذه النار وزادت دجلة زيادة عظيمة فغرق أكثر بغداد وتهدمت دار." (٢)

"٥٥- أبو الطالب الوحيد المصري [١]

أنشدني الشيخ أبو محمد الحمداني قال: أنشدني غرس النعمة «١» له:

ضن الزمان بنية الإخلاص ... عني وجاء بوده المعتاص [٢]

(كامل)

ما سر يوم [٣] منه إلا ساءني ... غده، فأيامي [٤] جروح قصاص

ومن العجائب أن كل بلاغة ... جمحت تطاوعني، وحظي عاص

والطير أجناس تطير وإنما [٥] ... للغاتهن حبسن في الأقفاص

٥٦- ابن بابا [٦]

باب الأدب عليه مفتوح، ودست «٢» الفضل له مطروح، وزند الشعر به مقدوح. قال يمدح الصاحب نظام الملك (حرس الله أيامه) [٧] على باب

---

(١) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٣١٣/١

(٢) خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى السمهودي ٣١٥/١

[١]- في ب ٢ وب ١ ول ٢: الوحيدي.

[٢]-كذا في ب ٢ وب ١ ول ٢، وفي س المتعاصي.

[٣]- في ف ١: يوما.

[٤]- في ح وف ٣: وأيامي.

[٥]- في ل ١: وإنها.

[٦]- في ب ٣ وف ١ ول ١: ابن نسابا.

[٧]- في ب ١: رحمه الله.." (١)

"وأضحت تنافس المدينة الخليفية في الضخامة والرونق.

وفي أوائل سنة ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م)، انتقل محمد بن أبي عامر إلى مدينة الزاهرة، واتخذ له حرسا خاصما من الصقالبة والبربر، وأحاط قصره الجديد بالحراس والحاشية، يرقبون كل حركة وسكنة في الداخل والخارج، وأقفرت بذلك مدينة الزهراء الخليفية، وهجر الوزراء والكبراء قصر الخلافة، وساد الصمت حول مركز الخلافة الشرعي؛ وأنشأ ابن أبي عامر في نفس الوقت حول القصر الخليفي سورا وخندقا، وأحكم غلق أبوابه، ووكل بها من يمنع دخول أي شخص أو نبأ إلى الخليفة دون علمه وإذنه. وبث عيونه على هشام وحاشيته، وأشاع أنه قد فوض إليه النظر في سائر شئون المملكة، لكي يتفرغ لشئون العبادة. وهكذا أهمل شأن الخليفة الفتى، وقطعت سائر علائقه مع الخارج، ولبث محجوبا في أعماق قصره، يغمره الخمول والنسيان (رحمه الله١). ماذا كان موقف صبح إزاء هذا الانقلاب الحاسم في مركز ولدها ومركز الخلافة؟ لاريب أنها كانت بموقفها وتصرفها، أكبر معين لابن أبي عامر على إحداثه، وكان حبها المضطرم لذلك الرجل الذي ملك عليها كل مشاعرها وعقلها، يدفعها دائما إلى مؤازرته والإذعان لرأيه، وكان إعجابها الشديد بمقدرته وتوفيقه يضاعف ثقتها به، ويعميها دائما عن إدراك الغاية الخطيرة التي يسعى إلى تحقيقها، هذا إذا لم نفترض أن تلك البشكنسية المضطرمة الجوانح،كانت تذهب في حبها إلى حد الائتمار بولدها وتضحية حقوقه ومصالحه. والظاهر أن علائقها بابن أبي عامر قد انتهت بالخروج عن كل تحفظ، وغدت فضيحة قصر ذائعة، شهر بها مجتمع قرطبة، وتناولها بلاذع التعليق والهجو، وظهرت بهذه المناسبة قصائد وأناشيد شعبية كثيرة، في التشهير بحجر ابن أبي عامر على هشام وعلائقه بصبح، فمن ذلك ما قيل على لسان هشام في الشكوى من الحجر عليه:

أليس **من العجائب** أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه

وتملك باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه (رحمه الله٢)

ومن ذلك ما قيل في هشام وأمه صبح، وقاضيه ابن السليم:

رحمه الله__________

(رحمه الله١) البيان المغرب ج ٢ ص ٢٩٥ و٢٩٦ و٢٩٧ و٢٩٨، وابن خلدون ج ٤ ص ١٤٨ والحلة السيراء ص ١٤٩،

---

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر الباخرزي ٢٤٣/١

ونفح الطيب ج ١ ص ٢٧٢.

(رحمه الله٢) هذان البيتان ينسبان أيضا إلى المقتدر العباسي.." [(١)]

"للذي يجعل الحرير أريكا ... هكذا يحسن التذلل بالحر

اذا كان الهوى مملوكا

وقال الرشيد وقد عشق ثلاث جوار:

ملك الثلاث الآنسات عناني ... وحللن من قلبي بكل مكان

مالي تطاوعني البرية كلها ... وأطيعهن وهن في عصياني

ما ذاك إلا أن سلطان الهوى ... وبه قوين أعز من سلطاني

وقال المستعين بالله بن الحكم الأموي أحد خلفاء المغرب واجآد:

عجبا يهاب الليث حد سناني ... وأهاب لحظ فواتر الأجفان

وأقارع الأهوال لا متهيبا ... منها سوى الأعراض والهجران

وتملكت نفسي ثلاث كالدمى ... زهر الوجوه نواعم الأبدان

حاكمت فيهن السلو إلى الصبا ... فقضى بسلطان على سلطان

فأبحن من قلبي الحمى وتركنني ... في عز ملكي كالأسير العاني

لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى ... ذل الهوى عز وملك ثاني

ما ضر أني عبدهن صبابة ... وبنو الزمان وهن من عبداني

قلت وكم:

مثله من ملك قاهر وسلطان قادر ... تذل لهيبته الأملاك وتذعن

لسطوته الفتاك هدم الهوى ... أركانه وأذل عزه وسلطانه

فقصر جفنه في الليالي الطوال ... واقعه مع عقله الحسن في أسر

الاعتقال

فقال:

أما يكفيك أنك تملكيني ... وأن الناس كلهم عبيدي

وأنك لو قطعت يدي ورجلي ... لقلت من الرضا أحسنت زيدي

وقيل هما للرشيد وقيل هما للمأمون وقيل هما للمهدي وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان كان السلطان أبو عبد الله محمد بن السلطان الغالب بالله أحد ملوك الأندلس جميلا حسن السياسة متظاهرا بالدين رأيته مرارا بغرناطة وأنشدني شعر وأحضرت عنده إنشاد الشعراء ومن شعره:

---

(١) دولة الإسلام في الأندلس محمد عبد الله عنان ٥٣٦/١

أيا ربة الخدر التي أذهبت نسكي ... على كل حال أنت لا بد لي منك

فأما بذل وهو أليق بالهوى ... وأما بعز وهو أليق بالملك

وقال الملك الأمجد:

من مثلي في عصري ... بستاني في قصري

معشوقي مملوكي ... غني لي من شعري

وقال الملك الظاهر في مملوكه أيبك الجامدار:

أنا مالك مملوك ظبي أغيد ... **ومن العجائب** مالك مملوك

وأنا الفتى وإنني من وصله ... بين البرية معدم صعلوك

ولكم سفكت دما بسيف عنوة ... ودمي بسيف لحاظه مسفوك

وقال الملك الأشرف في مملوكه وكان خازنداره دوبيت:

أفدى قمرا تحار فيه الصفة ... يسخو بدمي وهو أمين ثقة

ماذا عجبا يحفظ مالي ويرى ... روحي تلفت به ولا يلتفت

وبقية ماله من المقاطيع ذكرتها في الباب الأول من نقل الكرام في مدح المقام وذكرت فيه أيضا حكاية محبوبه ابن مملوكه وما بان فيها عنه من حسن السيرة وهي من أغرب ما يحكى عن الملوك وقال الملك تميم:

بالله جد لي بوعد صدق ... وخل هذا الدلال عنكا

ولا تدعني أظل أشكو ... مثل محياك ليس يشكا

وحكي عن المأمون أنه غضب على جاريته عريب المغنية وكان كلفا بها فأعرض عنها وأعرضت عنه ثم أسلمه الغرام وقلقه الشوق حتى أرسل إليها يطلب مراجعتها فلما اجتمعا لم تلتفت إليه وكلمها فلم ترد عليه فأنشأ يقول:

تكلم ليس يوجعك الكلام ... ولا يزري محاسنك السلام

أنا المأمون والملك الهمام ... ولكني بحبك مستهام

يحق عليك أن لاتقتليني ... فيبقى الناس ليس لهم إمام

فقالت له: يا أمير المؤمنين والدك أمير المؤمنين هرون الرشيد أعشق منك حيث يقول ملك الثلاث الآنسات الأبيات المتقدمة وتمام حكايتها ذكرتها في الباب الثاني من السكردان وهي حكاية مليحة جدا ورأى المأمون أيضا يوما غلاما مليحا لأحمد بن يوسف فقال: ما اسمك؟ فقال: فتح. فقال المأمون:

يا فتح يا فاتحا لبلوائي ... ويا عليما بطول شكوائي

الحمد لله لا شريك له ... مولاك عبدي وأنت مولائي

فبلغ ذلك أحمد فوهبه الغلام قلت فكان كما قيل:." (١)

---

(١) ديوان الصبابة ابن أبي حجلة ص/٢٠

"ولقد ذكرتك والعجاج كأنه ... مطل الغنى وسوء عيش المعسر

والسوس بين مجتدل في جندل ... منا وبين مغفر في مغفر

ظننت أني في صباح مسفر ... بضياء وجهك أو مساء مقمر

تعطرت أرض الكفاح كأنها ... فتقت لنا أرض الجلاد بعنبر

وقال أيضا:

لقد ذكرتك والجماجم وقع ... تحت السنابك والأكف تطير

الهام في أفق العجاجة حوم ... فكأنها فوق النسور نسور

فاعتادني من طيب ذكرك نشوة ... وبدت علي بشاشة وسرور

فظننت أني في مجالس لذتي ... والراح تجلى والكؤوس تدور

وقال آخر: وله حكاية مثل حكاية الطغرائي المتقدمة مذكورة في منازل الأحباب:

ولقد ذكرتك والرماح تنوشني ... عند الإمام وساعدي مغلول

ولقد ذكرتك والذي أنا عبده ... والسيف فوق ذؤابتي مسلول

وقال أبو طالب الرفاء:

ولقد ذكرتك والظلام كأنه ... يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

وللناس في هذا البيت كلام وقال الشيخ أثير الدين أبو حيان:

ولقد ذكرتك والبحر الخضم طغت ... أمواجه والورى منه على سفر

في ليلة أسدلت جلبابة ظلمتها ... وغار كوكبها عن أعين البشر

والفلك في وسط الأمواج يحسبها ... عينا وقد أطبقت شفرا على شفر

والروح من حزن راحت وقد وردت ... صدري فيا لك من ورد بلا صدر

هذا وشخصك لا ينفك في خلدي ... وفي فؤادي وفي سمعي وفي بصري

وقلت أنا في رمل طريق مصر إلى الشام من مقامة:

ولقد ذكرتكم برمل روعه ... في قلب كل مشرق ومغرب

وبنو بياضة كالدبي من حولنا ... بسوأدهم سدوا فسيح السبب

والقضيب تبري هام كل مدجج ... من كف أشوس بالحروب مهذب

وأسنة الرماح تلمع في الدجى ... كوميض برق في الدجى متلهب

وعلى العوالي كل نسر واقع ... يفري أديم الليث منه بمخلب

والرعد للأرماح رعد قاصف ... والبحر يهدر كالهزبر الأغلب

والبر بحر بالدما والبحر بر ... بالفرنج وكل كلب أجرب

وعلى السواحل غارة شعواء ما ... فيها لمن يرجو النجا من مهرب

وأنا باوتار القسى كأنني ... فيه أغني بالرباب وزينب

وأقول ليت أحبتي يدرون ما ... أنا فيه من لهو وعيش طيب

وقال مجنون ليلى:

ذكرتك والحجيج له ضجيج ... بمكة والقلوب لها وجيب

فقلت ونحن في بلد حرام ... به لله أخلصت القلوب

أتوب إليك يا رحمن مما ... جنيت فقد تكاثرت الذنوب

فأما عن هوى ليلى وتركي ... زيارتها فإني لا أتوب

وللناس على هذا البيت الأخير كلام وحكى عن ليلى الأخيلية أنها مرت مع زوجها بقبر توبة بن الحمير فقال لها هذا قبر الكذاب الذي قال:

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت ... علي ودوني جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أوزقا ... إليها صدى من جانب القبر صائح

فقالت دعه فقال أقسمت عليك إلا ما دنوت منه فسلمت عليه فأبت فكرر عليها ذلك فلما تقدمت إلى القبر وقالت السلام عليك يا توبة طار من جانب القبر طائر كان هناك وزقا ونفر منه جمل ليلى فوقعت من أعلاه فاندقت عنقها وماتت من وقتها ودفنت إلى جانب توبة وهذا **من العجائب** لأنه وفى لها بما التزمه بعد الموت وقد بلغ الآخر حيث قال:

لو حز بالسيف رأسي لي مودتها ... لمر يهوي سريعا نحوها رأسي

ولو بلى تحت أطباق الثرى جسدي ... لكنت أبلى وما قلبي لكم ناسي

لو يقبض الله روحي صار ذكركم ... روحا أعيش به ما دمت في الناس

وقال آخر:

ولقد ذكرتك والظلام معبس ... وأنا قعيد في البيوت وحيدتي

والجو يصفر من قعودي في الهوا ... ما فيه خل يكون عنيدتي

والبق والناموس حولي عسكر ... يتفاتلون على شريب دميمتي." (١)

"وقلت:

(وذي غنج يأوي إلى فرعه الدجى ... ولكنها عن وجهه تتفرج)

(ففيه ظلام بالصباح معمم ... وفيه صباح بالظلام متوج)

(يروق سليمى منك جعد مسلسل ... ويسليك منها أقحوان مفلج)

(وفرعك من صبغ الشباب ممسك ... وخدك من ماء الجمال مضرج)

(ووجهك مثل الروض يغسله الحيا ... تمشطه أيدي الرياح فيبهج)

---

(١) ديوان الصبابة ابن أبي حجلة ص/٧٨

أبلغ ما قيل في صفة الأصداغ والعذار: فمن بديع ما قيل في الصدغ قول ابن المعتز:

(له طمرة كجناح الغداف ... تلوح على غمرة مقمرة)

(وفي عطفة الصدغ خال له ... كما استلب الصولجان الكره)

وقوله:

(وكأن عقرب صدغه وقفت ... لما دنت من نار وجنته)

وقوله:

(غلالة خده ورد جني ... ونون الصدغ منقوط بخال)

وقلت:

(وكأن دارة صدغه وعذاره ... ألف تقوم تحت نون تعطف)

وقال ديك الجن:

(فقام مختلفا كالبدر مطلقا ... والخشف ملتفتا والغصن منقطفا)

(... رقت غلالة خديه فلو رميا ... باللحظ أو بالمنى بأن يكفا)

(كأن لاما أديرت فوق وجنته ... واختط كاتبها من تحتها ألفا)

وقلت:

(إذا التوى الصدغ فوق وجنته ... رأيت تفاحة بها عضه)

وقلت:

(الغيم بين ممسك ومكفر ... والروض بين مجدد ومدبج)

(فإذا شربت فمن رحيق سلسل ... وإذا رشفت فمن شتيت أفلج)

(من ريق أهيف كالقضيب مخضرا ... أو كف أبلج كالصباح الأبلج)

(فإذا جلا لك غرة في طرة ... ألوى بقلبك أبلج في أدعج)

(فانظر عناق ممسك لمكفر ... يجلوه حسن مفلج ومضرج)

(وإذا تعانق خده وعذاره ... فانظر عناق عقائق وبنفسج)

وقال آخر:

(عجبي لخضرة زعفران عذاره ... ومن العجائب زعفران أخضر)." [1]

"(طفل ولكن أمره عجب ... قد عاد بعد كهولة طفلا)

(قد كان حمل ليلتين فلم ... تر مثله طفلا ولا حملا)

(ومن العجائب أن يعود فتى ... في سبع عشرة ليلة كهلا)

---

(١) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ٢٤٧/١

وقال السري:

(قم يا غلام فهاتها في كأسها ... كالجلنارة في جنى نسرين)

(أو ما رأيت هلال شهرك قد بدا ... في الأفق مثل شعيرة السكين)

جعل الزجاج كأسا ولا يقال كأس إلا إذا كانت مملوءة، ولا أعرفه سبق إلى هذا التشبيه. وقال بعضهم:

(والجو صاف والهلال مشنف ... بالزهرة الزهراء نحو المغرب)

(كصحيفة زرقاء فيها نقطة ... من فضة من تحت نون مذهب)

جعل النقطة تحت النون والعادة أن تكون فوقها. وقلت:

(وللعيد رين للعيون هلاله ... فرمقن منه حاجبا مقرونا)

(يبدو ويبدو النجم فوق جبينه ... وكأن جنح الليل ينقط نونا)

وقد استحسنت للعلوي الأصفهاني قوله:

(لاح الهلال فويق مغربه ... والزهرة الزهراء لم تغب)

(تهوي دوين مغيبها فهوت ... تبكي بدمع غير منسكب)

(فكأنها أسماء باكية ... عند انفصام سوارها الذهب)

ومن البديع قول الآخر:

(لم أنس دجلة والهوى متضرم ... والبدر في أفق السماء مغرب)

(فكأنها فيه رداء أزرق ... وكأنه فيها طراز مذهب)

حق الدجى أن تؤنث لأنها جمع دجية. وقلت:

(كأن الهلال الشهر قطعة دملج ... تلوح على أعضاء معتكر غاس)

(ترى الزهرة الزهراء تهوي وراءه ... كما مر سهم قاصد نحو قرطاس)." (١)

"(لو كنت حرا كما زعمت وقد ... كددتني بالمطال لم أعد)

(لكنني عدت ثم عدت فإن ... عدت إلى مثل هذه فعد)

(قد صرت من سوء ما بليت به ... أكنى أبا الكلب لا أبا الأسد)

وقلت:

(العين تذرف والفؤاد يذوب ... والوجد يحضر والعزاء يغيب)

(ولقلة الكرماء أنت مضيع ... ولكثرة الجهال أنت غريب)

(تالله لم تخطئك أسباب الغنى ... إلا لأنك عاقل وأديب)

(فاصبر فقد عزاك عن درك الغنى ... أن ليس يدركه أغر نجيب)

---

(١) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ٣٤١/١

(عابوا قطوبي ان تعذر مطلبي ... أرأيت بدرا ليس فيه قطوب)

(وشحوب جسمي من مواصلة السرى ... هل من هلال ليس فيه شحوب)

(ولقد يدل على كمال كرامتي ... أني إلى قلب الكريم حبيب)

(ولقد جلا حزني وفرج كربتي ... أن اللئيم لرؤيتي مكروب)

(لا تلعبن فمن ورائك طالب ... **ومن العجائب** لاعب مطلوب)

وقال أبو تمام:

(هب من له شئ يريد حجابه ... ما بال لا شئ عليه حجاب)

(ما زال وسواسي لقلبي خادعا ... حتى رجا مطرا وليس سحاب)

(ما إن سمعت ولا أراني سامعا ... يوما بصحراء عليها باب)

(ما كنت أدري لا دريت بأنه ... يجري بأفنية البيوت سراب)

(فصل فيما قيل في فضل الوعد ومدح الإنجاز)

أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال حدثنا ابن زكريا عن ابن دينار قال حدثنا محمد بن عبيد الله العتبي قال كلم منصور بن زياد يحي بن خالد بن برمك في حاجة لرجل فقال عده عني قضاءها فقال وما يدعوك أعزك الله إلى العدة مع وجود القدرة؟ فقال له يحي هذا قول من لم يعرف موضع الصنائع من القلوب إن الحاجة إذا." (١)

"يطاف عليهم من رحيق ختامه ... من المسك ما تحييك منه الروائح

جنان عليهم دانيات قطافها ... وفي ظلها ما لا تمنى القرائح

هنالك من لم يأته فهو خاسر ... ومن حل فيه فهو لا شك رابح

وقال:

زار الحبيب وذيل الليل منسدل ... فانجاب عن وجهه داجي غياهبه

فقال لي صاحبي والضوء قد رفعت ... يداه من ليلنا مرخى جلا بِه

أما ترى الضوء في ليل المحاق لقد ... جاء الزمان بضرب من عجائبه

فقلت يا عاذلا من نور طلعته ... أما ترى البدر يبدو في عقاربه

وقال:

لئن عاينت عيناي أعلام جلق ... وبان من القصر المشيد قبابه

تيقنت أن البين قد بان والنوى ... نأى شحطها والعيش عاد شبابه

- ٧٦ ب - وقال:

طرفي وقلبي قاتل وشهيد ... ودمعي على خديك منه شهيد

---

(١) ديوان المعاني العسكري، أبو هلال ٢٠٤/٢

يا أيها الرشأ الذي لحظاته ... كم دونهن صوارم وأسود

من لي بطيفك بعد ما منع الكر ... عن ناظري البعد والتسهيد

أما وحبك لست أضمر سلوة ... عن صبوتي ودع الفؤاد يئيد

والذ مالا قيت فيك منيتي ... وأقل ما بالنفس فيك أجود

ومن العجائب أن قلبك لم يلن ... لي والحديد الآنه داود." (١)

"وكسرت الفرنج بالديار المصرية سنين كثيرة آخرها بقلعة البيرة على الفرات فلما وصل التتر إليها أخرجوه وصار معهم ثم قدم مع مقدمهم كتبغانوين إلى دمشق وحضر فتح قلعتها وتسلم بلاده فلما قدم العسكر المصري في هذه الكرة قاتل مع التتار فلما وقعت الكسرة عليهم جاء إلى الملك المظفر فلم يقبله وقال له لولا الكسرة ما جئت إلي وأمر به فقتل ووصل كتاب السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز إلى دمشق من طبرية تاريخه يوم الأحد السابع والعشرين من شهر رمضان وهو أول كتاب وصل منه إلى أهل دمشق يخبرهم بهذه الكسرة الميمونة العظيمة وبوصوله إليهم بعدها.

ومن العجائب أن التتار كسروا وأهلكوا بأبناء جنسهم من الترك وعمل الشيخ شهاب الدين أبو شامة في ذلك شعرا:

غلب التتار على البلاد فجاءهم ... من مصر تركي يجود بنفسه

بالشام بددهم وفرق شملهم ... ولكل شيء آفة من جنسه

ولبعض شعراء دمشق أيضا:

هلك الكفر في الشآم جميعا ... واستجد الإسلام بعد دحوضه

بالمليك المظفر الملك الأر ... وع سيف الإسلام عند نهوضه." (٢)

"والنيل يفترق بعد مسافة من مصر على ثلاثة أقسام «١١٣» ولا يعبر نهر منها إلا في السفن شتاء وصيفا، وأهل كل بلد لهم خلجان تخرج من النيل فإذا مد أترعها ففاضت على المزارع.

ذكر الأهرام والبرابي

وهي **من العجائب** المذكورة على مر الدهور، وللناس فيها كلام كثير وخوض في شأنها، وأولية بنائها ويزعمون أن جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان أخذت عن هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى، ويسمى خنوخ وهو إدريس عليه السلام «١١٤» وأنه أول من تكلم في الحركات الفلكية والجواهر العلوية وأول من بنى الهياكل ومجد الله تعالى فيها وأنه أنذر الناس بالطوفان وخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع فبنى الأهرام والبرابي «١١٥» وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم العلوم فيها لتبقى مخلدة. ويقال إن دار العلم والملك بمصر مدينة (منوف) وهي على بريد من الفسطاط «١١٦» فلما بنيت الاسكندرية انتقل الناس." (٣)

---

(١) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ١٤٩/١

(٢) ذيل مرآة الزمان اليونيني، أبو الفتح ٣٦٧/١

(٣) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ٢٠٩/١

"السمن، **ومن العجائب** أن دوابهم إنما علفها من هذا السردين وكذلك غنمهم «٨٢» ولم أر ذلك في سواها.
وأكثر باعتها الخدم وهن يلبسن السواد، وزرع أهلها الذرة وهم يسقونها من أبار بعيدة الماء وكيفية سقيهم انهم يصنعون دلوا كبيرة ويجعلون لها حبالا كثيرة، ويتحزم بكل حبل عبد أو خادم، ويجرون الدلو على عود كبير مرتفع عن البئر ويصبونها في صهريج يسقون منه، ولهم قمح يسمونه العلس وهو في الحقيقة نوع من السلت، والأرز يجلب إليهم من بلاد الهند وهو أكثر طعامهم، ودراهم هذه المدينة من النحاس والقصدير، ولا تنفق في سواها «٨٣» ، وهم أهل تجارة لا عيش لهم الا منها. ومن عادتهم أنه إذا وصل مركب من بلاد الهند أو غيرها خرج عبيد السلطان إلى الساحل وصعدوا في صنبوق إلى المركب ومعهم الكسوة الكاملة لصاحب المركب أو وكيله وللربان وهو الرئيس وللكراني. وهو كاتب المركب ويؤتى اليهم بثلاثة أفراس فيركبونها وتضرب أمامهم الأطبال والأبواق من ساحل البحر إلى دار السلطان فيسلمون على الوزير وأمير جندار. وتبعث الضيافة لكل من بالمركب ثلاثا وبعد الثلاث يأكلون بدار السلطان وهم يفعلون ذالك استجلابا لأصحاب المراكب، وهم أهل تواضع وحسن أخلاق وفضيلة ومحبة للغرباء ولباسهم القطن، وهو يجلب إليهم من بلاد الهند، ويشدون الفوط في أوساطهم عوض السراول واكثرهم يشد فوطة في وسطه ويجعل فوق ظهره أخرى من شدة الحر ويغتسلون مرات في اليوم وهي كثيرة المساجد، ولهم في كل مسجد مطاهر كثيرة معدة للاغتسال، ويصنع بها ثياب من الحرير والقطن والكتان حسان جدا.
والغالب على أهلها رجالا ونساء المرض المعروف بداء الفيل، وهو انتفاخ القدمين واكثر رجالهم مبتلون بالأدر والعياذ بالله.
ومن عوائدهم الحسنة التصافح في المسجد إثر صلاة الصبح والعصر، يستند أهل الصف الأول إلى القبلة ويصافحهم الذين يلونهم، وكذلك يفعلون بعد صلاة الجمعة يتصافحون أجمعون.." (١)

"حكاية [السلطان المتساهل]

كنت يوما عند هذا السلطان أبي محمد بن نبهان فأتته امرأة صغيرة السن حسنة الصورة بادية الوجه فوقفت بين يديه، وقالت له يا أبا محمد! طغى الشيطان في رأسي، فقال لها اذهبي واطردي الشيطان، فقالت له: لا أستطيع وأنا في جوارك يا أبا محمد، فقال لها: اذهبي فافعلي ما شئت، فذكر لي لما انصرفت عنه أن هذه ومن فعل مثل فعلها تكون في جوار السلطان وتذهب للفساد ولا يقدر أبوها ولا ذو قرابتها أن يغيروا عليها، وإن قتلوها قتلوا بها لأنها في جوار السلطان! ثم سافرت من بلاد عمان إلى بلاد هرمز، وهرمز بلاد على ساحل البحر، وتسمى أيضا موغ استان، وتقابلها في البحر هرمز الجديدة، وبينهما في البحر ثلاثة فراسخ «١٢٠» ، ووصلنا إلى هرمز الجديدة، وهي جزيرة مدينتها تسمى جرون، بفتح الجيم والراء وآخرها نون، وهي مدينة حسنة كبيرة لها أسواق حافلة وهي مرسى الهند والسند، ومنها تحمل سلع الهند إلى العراقين، وفارس وخراسان، وبهذه المدينة سكنى السلطان، والجزيرة التي فيها المدينة مسيرة يوم، وأكثرها سباخ وجبال ملح، وهو الملح الدراني «١٢١» ، ومنه يصنعون الأواني للزينة، والمنارات التي يضعون السرج عليها، وطعامهم السمك والتمر المجلوب اليهم من البصرة، وعمان، ويقولون بلسانهم (خرما وماهي لوت بادشاهي) «١٢٢» معناه بالعربي:

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ١٢٤/٢

التمر والسمك طعام الملوك!! والماء في هذه الجزيرة له قيمة وبها عيون ماء وصهاريج مصنوعة يجتمع فيها ماء المطر، وهي على بعد من المدينة ويأتون إليها بالقرب فيملأونها ويرفعونها على ظهورهم إلى البحر ويوسقونها في القوارب ويأتون بها إلى المدينة، ورأيت **من العجائب** عند باب الجامع فيما بينه وبين السوق رأس سمكة كأنه رابية، وعيناه كأنهما بابان «١٢٣» ، فترى الناس يدخلون من أحدهما ويخرجون من الأخرى!." (١)

"قلنسوة أخرى من الزردخاني «٢٣» ، وسواه حسنة المنظر، وفي وسط مجلسهم شبه مرتبة موضوعة للواردين.

ولما استقر بنا المجلس عندهم أتو بالطعام الكثير والفاكهة والحلواء ثم أخذوا في الغناء والرقص، فراقنا حالهم وطال عجبنا من سماحهم وكرم أنفسهم وانصرفنا عنهم آخر الليل وتركناهم بزاويتهم.

ذكر سلطان أنطاليا

وسلطانها خضر بك بن يوسف بك «٢٤» ، وجدناه عند وصولنا إليها عليلا، فدخلنا عليه بداره وهو في فراش المرض فكلمنا بألطف كلام وأحسنه وودعناه وبعث إلينا بإحسان، وسافرنا إلى بلدة بردور «٢٥» وضبط اسمها بضم الباء الموحدة واسكان الراء وضم الدال المهمل وواو وراء، وهي بلدة صغيرة كثيرة البساتين والأنهار، ولها قلعة في رأس جبل شاهق نزلنا بدار خطيبها واجتمعت الأخية، وأرادوا نزولنا عندهم، فأبى عليهم الخطيب فصنعوا لنا ضيافة في بستان لأحدهم وذهبوا بنا إليها فكان **من العجائب** إظهارهم السرور بنا والاستبشار والفرح. وهم لا يعرفون لساننا ونحن لا نعرف لسانهم ولا ترجمان فيما بيننا، وأقمنا عندهم يوما وانصرفنا.." (٢)

"فرددت عليها السلام، ولم أقف معها ولا التفت إليها، فلما خرجت أدركني بعض الناس، وقال لي: إن المرأة التي سلمت عليك هي الخاتون، فخجلت عند ذلك وأردت الرجوع إليها فوجدتها قد انصرفت فأبلغت إليها السلام مع بعض خدامها واعتذرت عما كان مني لعدم معرفتي لها!

ذكر بطيخ خوارزم

وبطيخ خوارزم لا نظير له في بلاد الدنيا شرقا ولا غربا إلا ما كان من بطيخ بخاري، يليه بطيخ إصفهان، وقشره أخضر، وباطنه أحمر، وهو صادق الحلاوة، وفيه صلابة.

ومن العجائب أنه يقدد وييبس في الشمس ويجعل في القواصر كما يصنع عندنا بالشريحة والتين المالقي «١٩» ، ويحمل من خوارزم إلى أقصى بلاد الهند والصين، وليس في جميع الفواكه اليابسة أطيب منه! وكنت أيام إقامتي بدهلي من الهند متى قدم المسافرون بعثت من يشتري لي منهم قديد البطيخ، وكان ملك الهند إذا أوتي إليه بشيء منه بعث إلي به لما يعلم من محبتي فيه، ومن عادته أنه يطرف الغرباء بفواكه بلادهم ويتفقدهم بذلك.

حكاية [التاجر الكريم]

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ٢/١٤٠

(٢) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ٢/١٦٦

كان قد صحبني من مدينة السرا إلى خوارزم شريف من أهل كربلاء يسمى علي بن منصور، وكان من التجار فكنت أكلفه أن يشتري لي الثياب وسواها، فكان يشتري لي الثوب بعشرة دنانير ويقول اشتريته بثمانية، ويحاسبني بالثمانية ويدفع الدينارين من ماله وأنا لا علم لي بفعله إلى أن تعرفت ذلك على ألسنة الناس، وكان مع ذلك قد أسلفني دنانير فلما وصل إلي إحسان أمير خوارزم رددت إليه ما أسلفنيه، وأردت أن أحسن بعده إليه مكافأة لأفعاله الحسنة، فأبى ذلك وحلف أن لا يفعل، وأردت أن أحسن إلى فتى كان له اسمه كافور فحلف أن لا أفعل، وكان أكرم من لقيته من العراقيين.

وعزم على السفر معي إلى بلاد الهند ثم إن جماعة من أهل بلده وصلوا إلى خوارزم برسم السفر إلى الصين فأخذ في السفر معهم، فقلت له في ذلك، فقال: هؤلاء أهل بلدي." (١)

"«١١١» ، لم أشاهد أحدا أمر بقتله إلا من قتله الشرع في حد من حدود الله تعالى: قصاص أو حرابة، هذا على اتساع المملكة وانفساح البلاد واختلاف الطوائف «١١٢» ، ولم يسمع بمثل ذلك فيما تقدم من الأعصار، ولا فيما تباعد من الأقطار.

وأما شجاعته فقد علم ما كان منه في المواطن الكريمة من الثبات والإقدام مثل يوم قتال بني عبد الوادي «١٠٣» وغيرهم، لقد سمعت خبر ذلك اليوم ببلاد السودان وذكر ذلك عند سلطانهم، فقال: هكذا وإلا فلا! قال ابن جزي، لم يزل الملوك الأقدمون تتفاخر بقتل الآساد وهزائم الاعادي، ومولانا أيده الله كان قتل الأسد عليه أهون من قتل الشاة على الاسد، فإنه لما خرج الأسد على الجيش بوادي النجارين من المعمورة «١٠٤» حوز سلا وتحامته الأبطال وفرت أمامه الفرسان والرجال برز إليه مولانا أيده الله غير محتفل به ولا متهيب منه فطعنه بالرمح ما بين عينيه طعنة خر بها صريعا لليدين والفم «١٠٥» ، وأما هزائم الأعادي فإنما اتفقت للملوك بثبوت جيوشهم وإقدام فرسانهم فيكون حظ الملوك الثبوت والتحريض على القتال، وأما مولانا أيده الله فإنه أقدم على عدوه منفردا بنفسه الكريمة بعد علمه بفرار الناس وتحققه أنه لم يبق معه من يقاتل فعند ذلك وقع الرعب في قلوب الأعداء وانهزموا أمامه فكان **من العجائب** فرار الامم أمام واحد! وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء «١٠٦» ، والعاقبة للمتقين، وما هو إلا ثمرة ما يمتن به، أعلى الله مقامه، من التوكل على الله والتفويض اليه.." (٢)

"وكان له قلب ذكي، ورأيت **من العجائب** أن الدليل الذي كان لنا هو أعور العين الواحدة مريض الثانية وهو أعرف الناس بالطريق «٢٠» ! واكترينا التكشيف في هذه السفرة بمائة مثقال من الذهب، وهو من مسوفة، وفي ليلة اليوم السابع رأينا نيران الذين خرجوا للقائنا فاستبشرنا بذلك، وهذه الصحراء منيرة مشرقة ينشرح الصدر فيها وتطيب النفس، وهي آمنة من السراق، والبقر الوحشية «٢١» بها كثير يأتي القطيع منها حتى يقرب من الناس فيصطادونه بالكلاب والنشاب، لكن لحمها يولد أكله العطش فيتحاماه كثير من الناس لذلك، **ومن العجائب** أن هذه البقرة إذا قتلت وجد

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ١٤/٣

(٢) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ١٩٧/٤

في كروشها الماء «٢٢» ، ولقد رأيت أهل مسوفة يعصرون الكرش منها ويشربون الماء الذي فيه! والحيات أيضا بهذه الصحراء كثيرة.

حكاية [ملاعب الحيات]

وكان في القافلة تاجر تلمساني يعرف بالحاج زيان، ومن عادته أن يقبض على الحيات ويعبث بها، وكنت أنهاه عن ذلك فلا ينتهي، فلما كان ذات يوم أدخل يده في جحر ضب ليخرجه، فوجد مكانه حية فأخذها بيده وأراد الركوب فلسعته في سبابته اليمنى وأصابه وجع شديد فكويت يده وزاد ألمه عشي النهار فنحر جملا وأدخل يده في كرشه وتركها كذلك ليلة ثم تناثر لحم أصبعه فقطعها من الأصل، وأخبرنا اهل مسوفة أن تلك الحية كانت قد شربت الماء قبل لسعه ولو لم تكن شربت لقتلته «٢٣» ! ولما وصل الينا الذين استقبلونا بالماء شربت خيلنا، ودخلنا صحراء شديدة الحر ليست كالتي عهدنا، وكنا نرحل بعد صلاة العصر ونسري الليل كله وننزل عند الصباح،." (١)

"لقد وعدنا أثناء المقدمة وفي غضون التعاليق بالاتيان ببعض الملاحق التي نراها ضرورية لإيضاح بعض النقط الغامضة في الرحلة أو لتكميل المعلومات الذي كانت في النص موجزة مختصرة ...

شهادة ابن خلدون

عن حديث ابن خلدون في المقدمة عما يقوله الناس حول مرويات ابن بطوطة وما أجابه به الوزير ابن ودرار، نسوق ما يلي نقلا عن المقدمة: (طبعة لبنان ١٩٥٦ ص ٣٢٥- ٣٢٧) «ولا تنكرن ما ليس بمعهود عندك ولا في عصرك شيء من أمثاله، فتضيق حوصلتك عند ملتقط الممكنات، فكثير من الخواص إذا سمعوا أمثال هذه الأخبار عن الدول السالفة بادر بالإنكار وليس ذلك من الصواب، فإن أحوال الوجود والعمران متفاوتة، ومن أدرك منها رتبة سفلى أو وسطى فلا يحصر المدارك كلها فيها، ونحن إذا اعتبرنا ما ينقل لنا عن دولة بني العباس وبني أمية والعبيديين، وناسبنا الصحيح من ذلك والذي لا شك فيه بالذي نشاهده من هذه الدول التي هي أقل بالنسبة إليها وجدنا بينها بونا، وهو لما بينها من التفاوت في أصل قوتها وعمران ممالكها فالآثار كلها جارية على نسبة الأصل في القوة كما قدمناه، ولا يسعنا انكار ذلك عنها، إذ كثير من هذه الأحوال في غاية الشهرة والوضوح، بل فيها ما يلحق بالمستفيض والمتواتر، وفيها المعاين والمشاهد من آثار البناء وغيره. فخذ من الأحوال المنقولة مراتب الدول في قوتها أو ضعفها وضخامتها أو صغرها، واعتبر ذلك بما نقصه عليك من هذه الحكاية المستظرفة، وذلك أنه ورد بالمغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة كان رحل منذ عشرين سنة قبلها إلى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند، ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند، وهو السلطان محمد شاه، واتصل بملكها لذلك العهد وهو فيروزجوه «١» ، وكان له منه مكان، واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله، ثم انقلب إلى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى **من العجائب** بممالك الأرض، وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند إذا خرج إلى السفر أحصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان، وفرض لهم رزق ستة أشهر تدفع لهم من عطائه، وأنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ٢٤٣/٤

يبرز فيه الناس كافة إلى صحراء البلد ويطوفون به، وينصب أمامه في ذلك الحفل منجنيقات على الظهر ترمى بها شكائر الدراهم والدنانير على الناس، إلى أن يدخل ايوانه، وأمثال هذه." (١)

"صابرة لا يضجرها سائل، ولا يروعها ثعبان النهر وهي حامل. لا جرم أن قلبها قد تقوى بشراب العود، وجسمها قد صبح ببركة الركوع، والسجود مشتغلة بالتصريف إلا أنها لا تعرف اعتلال العين. عاكفة على التأويب والسرى إلا أنها لا تشكو بالأين. معربة نصبت فعلها وقلبت أكوابها؟ لتحركها وانفتاح ما قبلها. خليلية أعجبها التقطيع، وأظهرت الدائرة التي يخرج منها السريع.

شامخة لها الفلك الثابت العمد، يحل الماء منه بالقوس ثم يحل بالزاوية في الأسد.

جانية على كل روضة غضة، محلية لها من مائها المتلون بأساور من فضة. ماثلة لا تعرف الخوف، ضخمة تدور إلى الشرق وتملأ الجوف. قائمة صرفت وفد النسيم أحسن الصرف.

وسجنت الماء لأنه فر عند الزحف. إلا أنها لا تزال تخرجه فيسير بإقبال النور البديع، ويستحلف ربيعه فلا ينكر يوم دولاب استخلاف الربيع.

سامية حازت أعظم البهاء. وغدت وعليها تاج كسرى تنادم ابن ماء السماء، وربما نقضت النهر لما حازت فضله الظاهر استعلاء. حسنة السرائر. ماؤها في قلبها خاطر من الخواطر. مهتدية إلى الري اهتداء الطيف، غير مكترثة وقد انتحت أكوابها من نحرها بالسيف. مصلحة إذا أييس الأصحاب بينهم الثرى. ممتطية من مائها الأفجر فلا غرو إن جرى. وفيه ضمنت للروض نجاز الوعود، وطلع عليها سعد مولانا أيده الله وهو سعد السعود، فلا غرو أن أرى جريان الماء في العود.

ومن العجائب أن دولابها معظم عند بني مرين وهو عند الوادي، مضيق عليه وهو يجود بأعظم من صوب الغوادي. ويسر الجار الجنب لا سيما إذا قرب الصباح ونادي المنادي.

وكم أظهر في خدمة الصالحين من فعل الأكياس، إلا أنه إذا ذكر له رأس الماء أحب دورانا في الرأس.

راقية إذا شكا الماء بداء الضرع، وإن ارتفع خشبها الذي أمن من الصدع. سقت بمثل الكافر. هو الأرزة مثل المؤمن، وهي خامة الزرع، فلله درها حين أتت من المحاسن بفنون. وكشفت عن مجنون؟ لا يتاح به منجى نون. فروت من سيلها عن المنكدر، ودارت على القطب فعرفته معرفة المختبر. ورأت بالزاوية الابدال. وعرفت المقامات والأحوال، فلو نطقت لقالت: ما النية إلا نيتي، وأنشدت مخاطبة نواعير المصارة: وما شرب العشاق إلا بقنتي.

ولا أعجب منها حين اتحفت بالسقط، وأبهجت بنقطها ولا بد للدوائر من النقط. فهي الطاهرة القلب، المحبوبة القرب، التي تأدب الماء مع أكوابها، ما أتى بيوتها إلا من أبوابها.

وقصد بالزاوية الأخيار، وقيل ذا الجدار وذا الجدار.." (٢)

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ٢٨٥/٤

(٢) رحلة ابن بطوطة ط أكاديمية المملكة المغربية ابن بطوطة ٣٢٠/٤

"الأهرام والبرابي:

وهي **من العجائب** المذكورة على مر الدهور وللناس فيها كلام كثير وخوض في شأنها وأولية بنائها ويزعمون أن العلوم التي ظهرت قبل الطوفان أخذت من هرمس الأول الساكن بصعيد مصر الأعلى ويسمى الخنوج وهو إدريس عليه السلام وأنه أول من تكلم في الحركات الفلكية والجواهر العلوية وأول من بنى الهياكل ومجد الله تعالى وفيها أنه أنذر الناس بالطوفان وخاف ذهاب العلم ودروس الصنائع فبنى الأهرام والبرابي وصور فيها جميع الصنائع والآلات ورسم العلوم فيها لتبقى مخلدة ويقال أن دار العلم والملك بمصر مدينة منف١ وهي على بريد من الفسطاط فلما بنيت الاسكندرية انتقل الناس إليها وصارت دار العلم والملك إلى أن أتى الإسلام فاختط عمرو بن العاص رضي الله عنه مدينة الفسطاط فهي قاعدة مصر إلى هذا العهد والأهرام بناء بالحجر الصلد المنحوت متناهي السمو مستدير متسع الأسفل ضيق الأعلى كالشكل المخروط ولا أبواب لها ولا تعلم كيفية بنائها ومما يذكر في شأنها أن ملكا من ملوك مصر قبل الطوفان رأى رؤيا هالته وأوجبت عنده أنه بنى تلك الأهرام بالجانب الغربي من النيل لتكون مستودعا للعلوم ولجثث الملوك وأنه سأل المنجمين هل يفتح منها موضع فأخبروه أنه تفتح من الجانب الشمالي وعينوا له الموضع الذي تفتح منه ومبلغ الإنفاق في فتحه فأمر أن يجعل بذلك الموضع من المال قدر ما أخبروه أنه ينفق في فتحه واشتد في البناء فأتمه في ستين سنة وكتب عليها بنينا هذه الأهرام في ستين سنة فليهدمها من يريد ذلك في ستمائة سنة فإن الهدم أيسر من البقاء فلما أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين المأمون أراد هدمها فأشار عليه بعض مشايخ مصر أن لا يفعل فلج في ذلك وأمر أن تفتح من الجانب الشمالي فكانوا يوقدون عليها النار ثم يرشونها بالخل ويرمونها بالمنجنيق حتى فتحت الثلمة التي بها إلى اليوم ووجدوا بإزاء النقب مالا أمر أمير المؤمنين بوزنه فحصر ما أنفق في النقب فوجدهما سواء فطال عجبه من ذلك ووجدوا عرض الحائط عشرين ذراعا.

---

١ كانت منف مدينة العلم والمالك بمصر في عهد الدولة القديمة، ثم خلفتها في هذه المكانة مدن أخرى مثل طيبة "الأقصر حاليا" وبعد هذه المدن بنيت الإسكندرية.." (١)

"وركبنا البحر من كلوا إلى مدينة ظفار الحموض١ "وضبط اسمها بفتح الظاء المعجم والفاء وآخره راء مبنية على الكسر" وهي آخر بلاد اليمن على ساحل البحر الهندي ومنها تحمل الخيل العتاق إلى الهند ويقطع البحر فيما بينها وبين الهند مع مساعدة الريح في شهر كامل قد قطعته مرة من قالقوط في بلاد الهند إلى ظفار في ثمانية وعشرين يوما بالريح ولم ينقطع لنا جري بالليل ولا بالنهار وبين ظفار وعدن في البر مسيرة شهر في صحراء، وبينها وبين حضرموت ستة وعشر يوما، وبينها وبين عمان عشرون يوما.

ومدينة ظفار في صحراء لا قرية بها ولا عمالة لها والسوق خارج المدينة بربض يعرف بالحرجاء وهي من أقذر الأسواق وأشدها نتنا وأكثرها ذبابا لكثرة ما يباع بها من الثمرات وأكثر سمكها النوع المعروف بالسردين، وهو بها في النهاية من

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ٢٩/١

السمن. **ومن العجائب** أن دوابهم إنما علفها من هذا السردين وكذلك غنمهم ولم أر ذلك في سواها. وأكثر باعتها الخدم وهن يلبسن السواد. وزرع أهلها الذرة وهم يسقونها من آبار بعيدة الماء وكيفية سقيهم أنهم يصنعون دلوا كبيرة ويجعلون لها حبالا كثيرة ويتحزم بكل حبل عبد أو خادم ويجرون الدلو على عود كبير مرتفع عن البئر ويصبونها في صهريج يسقون منه، ولهم قمح يسمونه العلس وهو في الحقيقة نوع من السلت، والأرز يجلب إليهم من بلاد الهند وهو أكثر طعامهم، ودراهم هذه المدينة من النحاس والقصدير ولا تنفق في سواها وهم أهل تجارة ولا عيش لهم إلا منها. ومن عاداتهم أنه إذا وصل مركب من الهند أو غيرها خرج عبيد السلطان إلى الساحل وصعدوا في صنبوق إلى المركب ومعهم الكسوة الكاملة لصاحب المركب أو وكيله وللربان وهو الرئيس وللكراني وهو كاتب المركب ويؤتى إليهم ثلاثة أفراس فيركبونها وتضرب أمامهم الأطبال والأبواق من ساحل البحر إلى دار السلطان فيسلمون على الوزير وأمير الجند وتبعث الضيافة لكل من بالمركب ثلاثا وبعد الثلاث يأكلون بدار السلطان.

وهم يفعلون ذلك استجلابا لأصحاب المراكب. وهم أهل تواضع وحسن أخلاق وفضيلة ومحبة للغرباء، ولباسهم القطن وهو يجلب إليهم من بلاد

---

١ في إحدى طبعات الكتاب: الحبوضي.." (١)

"وبها عيون ماء وصهاريج مصنوعة، يجتمع فيها ماء المطر. وهي على بعد من المدينة ويأتون إليها بالقرب فيملؤونها ويرفعونها على ظهورهم إلى البحر ويسقونها في القوارب ويأتون بها إلى المدينة. ورأيت **من العجائب** عند باب الجامع فيما بينه وبين السوق رأس سمكة كأنه رابية وعيناه كأنهما بابان فترى الناس يدخلون من إحداهما ويخرجون من الأخرى ولقيت بهذه المدينة الشيخ الصالح السائح أبا الحسن الأقطاراني وأصله من بلاد الروم فأضافني وزارني وألبسني ثوبا وأعطاني كمر الصحبة وهو يحتبي به فيعين الجالس فيكون كأنه مستند وأكثر فقراء العجم يتقلدونه. وعلى ستة أميال من هذه المدينة مزار ينسب إلى الخضر وإلياس عليهما السلام يذكر أنهما كانا يصليان فيه وظهرت له بركات وبراهين. وهنالك زاوية يسكنها أحد المشايخ يخدم بها الوارد والصادر وأقمنا عنده يوما، وقصدنا من هنالك زيارة رجل صالح منقطع في آخر هذه الجزيرة قد نحت غارا لسكناه. فيه زاوية ومجلس ودار صغيرة له. فيها جارية وله عبيد خارج الغار يرعون بقرا له وغنما وكان هذا الرجل من كبار التجار فحج البيت وقطع العلائق وانقطع هنالك للعبادة ودفع ماله لرجل من إخوانه يتجر له به. وبتنا عنده ليلة فأحسن القرى وأجمل رضي الله تعالى عنه وسمة الخير والعبادة لائحة عليه." (٢)

"خبر سلطان انطالية:

كان سلطانها خضر بك بن يونس بك، وجدناه عند وصولنا إليها عليلا ودخلنا عليه بداره وهو في فراش المرض فكلمنا بألطف كلام وأحسنه وودعناه وبعث إلينا بإحسان، وسافرنا إلى بلد بردور "وضبط اسمها بضم الباء الموحدة وإسكان الراء

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ١٩٩/١

(٢) رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ٢١٠/١

وضم الدال المهمل وواو وراء" وهي بلدة صغيرة كثيرة البساتين والأنهار ولها قلعة في رأس جبل شاهق نزلنا بدار خطيبها واجتمعت الأخية وأرادوا نزولنا عندهم فأبى عليهم الخطيب فصنعوا لنا ضيافة في بستان لأحدهم وذهبوا بنا إليها فكان **من العجائب** إظهارهم السرور بنا والاستبشار والفرح وهم لا يعرفون لساننا ونحن لا نعرف لسانهم ولا ترجمان فيما بيننا. وأقمنا عندهم يوما وانصرفنا، ثم سافرنا من هذه البلدة إلى بلدة سبرنا "وضبط اسمها بفتح السين المهمل والباء الموحدة وإسكان الراء وفتح التاء المعلوة وألف" وهي بلدة حسنة العمارة والأسواق كثيرة البساتين والأنهار، لها قلعة في جبل شامخ وصلنا إليها بالعشي، ونزلنا عند قاضيها، وسافرنا منها إلى مدينة أكريدور " وضبط اسمها بفتح الهمزة وسكون الكاف وكسر الراء وياء مد ودال مهمل مضموم وواو مد وراء" مدينة عظيمة كثيرة العمارة حسنة الأسواق ذات أنهار وبساتين، ولها بحيرة عذبة الماء يسافر المركب فيها يومين إلى أقشهر وبقشهر وغيرها من البلاد والقرى، ونزلنا منها بمدرسة تقابل الجامع الأعظم بها المدرس العام الحاج المجاور الفاضل مصلح الدين قرأ بالديار المصرية والشام وسكن بالعراق. وهو فصيح اللسان حسن البيان، أطروفة من طرف الزمان، أكرمنا غاية الإكرام، وقام بحقنا أحسن قيام.." (١)

"فيها النار كما تشتعل في الفحم، ثم إذا صارت رمادا عجنوه بالماء وجففوه بالشمس وطبخوه بها ثانية كذلك حتى يتلاشى.

وفي بعض أيام الجمع صليت على عادتي بمسجد أبي حفص فقال لي أن الأمير أمر لك بخمسمائة درهم وأمر أن يصنع لك دعوة ينفق فيها خمسمائة درهم أخرى يحضرها المشايخ والفقهاء والوجوه فلما أمر بذلك قلت أيها الأمير تصنع دعوة يأكل من حضرها لقمة أو لقمتين لو جعلت له جميع المال كان أحسن له للنفع فقال أفعل ذلك وقد أمر لك بالألف كاملة ثم بعثها الأمير صحبة إمامة شمس الدين السنجري في خريطة يحملها غلامه وصرفها من الذهب المغربي ثلاثمائة دينار. وكنت قد اشتريت ذلك اليوم فرسا أدهم اللون بخمسة وثلاثين دينارا دراهم وركبته في ذهابي إلى المسجد فما أعطيت ثمنه إلا من تلك الألف وتكاثرت عندي الخيل بعد ذلك حتى انتهت إلى عدد لا أذكره خيفة مكذب يكذب به ولم تزل حالي في الزيادة حتى دخلت أرض الهند وكانت عندي خيل كثيرة لكني كنت أفضل هذا الفرس وأوثره وأربطه أمام الخيل وبقي عندي إلى انقضاء ثلاث سنين ولما هلك تغيرت حالي. وبعثت إلي الخاتون جيجا أغا امرأة القاضي مائة دينار دراهم، وصنعت لي أختها ترابك زوجة الأمير دعوة جمعت لها الفقهاء ووجوه المدينة بزاويتها التي بنتها، وفي الطعام للوارد والصادر، وبعثت إلي بفروة سمور وفرس جيد وهي من أفضل النساء وأصلحهن وأكرمهن جزاها الله خيرا.

ولما انفصلت من الدعوة التي صنعت لي هذه الخاتون وخرجت عن الزاوية تعرضت لي بالباب امرأة عليها ثياب دنسة على رأسها مقنعة ومعها نسوة لا أذكر عددهن فسلمت علي فرددت عليها السلام ولم أقف معها ولا التفت إليها فلما خرجت أدركني بعض الناس وقالوا لي أن المرأة التي سلمت علي هي الخاتون فخجلت عند ذلك وأردت الرجوع إليها فوجدتها قد انصرفت فأبلغت إليها السلام مع بعض خدامه واعتذرت عما كان مني لعدم معرفتي بها.

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ١/٢٢٠

وبطيخ خوارزم لا نظير له في بلاد الدنيا شرقا ولا غربا، إلا ما كان من بطيخ بخارى ويليه بطيخ أصفهان وقشره أخضر وباطنه أحمر وهو صادق الحلاوة وفيه صلابة **ومن العجائب** أنه يقدد وييبس في الشمس، ويجعل في." [1]

"أربابها بين يديه. وأما حمله فقد شاهدت منه **العجائب**. فإنه أيده الله عفا عن الكثير ممن تعرض لقتال عساكره والمخالفة عليه وعن أهل الجرائم الكبار التي لا يعفو عن جرائمهم إلا من وثق بربه. وعلم علم اليقين معنى قوله تعالى: ﴿والعافين عن الناس﴾ ١ . قال ابن جزي: من أعجب ما شاهدته من حلم مولانا أيده الله أني منذ قدومي على بابه الكريم في آخر عام ثلاثة وخمسين إلى هذا العهد وهو أوائل عام سبعة وخمسين، لم أشاهد أحدا أمر بقتله إلا من قتلة الشرع في حد من حدود الله تعالى قصاص أو حرابة، وهذا على اتساع المملكة وانفساح البلاد واختلاف الطوائف.

ولم يسمع بمثل ذلك فيما تقدم من الأعصار، ولا فيما تباعد من الأقطار. وأما شجاعته فقد علم ما كان منه في المواطن الكريمة من الثبات والإقدام مثل يوم قتال بني عبد الوادي وغيرهم. ولقد سمعت خبر ذلك اليوم ببلاد السودان، وذكر ذلك عند سلطانهم فقال: هكذا وإلا فلا.

قال ابن جزي: لم يزل الملوك الأقدمون تتفاخر بقتل الآساد وهزائم الأعادي، ومولانا أيده الله كان قتل الأسد عليه أهون من قتل الشاة على الأسد، فإنه لما خرج الأسد على الجيش بوادي النجارين من المعمورة بحوز سلا، وتحامته الأبطال، وفرت أمامه الفرسان والرجال، برز إليه مولانا أيده الله غير محتفل به، ولا متهيب منه فطعنه بالرمح ما بين عينيه طعنة خر بها صريعا لليدين وللفم. وأما هزائم الأعادي فإنما اتفقت للملوك بثبوت جيوشهم وإقدام فرسانهم، فيكون حظ الملوك الثبوت والتحريض على القتال. وأما مولانا أيده الله فإنه أقدم على عدوه منفردا بنفسه الكريمة، بعد علمه بفرار الناس، وتحققه أنه لم يبق معه من يقاتل. فعند ذلك وقع الرعب في قلوب الأعداء، وانهزموا أمامه. فكان **من العجائب** فرار الأمم أمام واحد. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والعاقبة للمتقين، وما هو إلا ثمرة ما يمتن به أعلى الله مقامه من التوكل على الله والتفويض إليه. وأما اشتغاله بالعلم فها هو أيده الله تعالى يعقد مجالس العلم في كل يوم بعد صلاة الصبح، ويحض لذلك أعلام الفقهاء ونجباء الطلبة بمسجد قصره الكريم، فيقرأ بين يديه تفسير القرآن العظيم، وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم،

---

١ آل عمران: ١٣٤.." [2]

"سوط. وكان الماء على نحو ميل منه. ثم وصلنا إلى تاسرهلا "بفتح التاء المثناة والسين المهمل والراء وسكون الهاء"، وهي أحساء ماء تنزل القوافل عليها، ويقيمون ثلاثة أيام. فيستريحون ويصلحون أسقيتهم ويملؤونها بالماء ويخيطون عليها التلاليس خوف الريح، ومن هنالك يبعث التكشيف.

والتكشيف اسم لكل رجل من مسوفة يكتريه أهل القافلة فيتقدم إلى أيوالاتن يكتب الناس إلى أصحابهم بها ليكتروا لهم

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ٢٨١/١

(٢) رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ٥١١/٢

الدور ويخرجون للقائهم بالماء مسيرة أربع. ومن لم يكن له صاحب بأيوالاتن كتب إلى من شهر بالفضل من التجار بها فيشاركه في ذلك. وربما هلك التكشيف في هذه الصحراء فلا يعلم أهل أيوالاتن بالقافلة فيهلك أهلها أو الكثير منهم. وتلك الصحراء كثيرة الشياطين فإن كان التكشيف منفردا لعبت به واستهوته حتى يضل عن قصده فيهلك إذ لا طريق يظهر بها ولا أثر إنما هي رمال تسفيها الريح فترى جبالا من الرمل في مكان ثم تراها قد انتقلت إلى سواه والدليل هنالك من كثر تردده وكان له قلب ذكي. ورأيت **من العجائب** أن الدليل الذي كان لنا هو أعور العين الواحدة مريض الثانية وهو أعرف الناس بالطريق. واكترينا التكشيف في هذه السفرة بمائة مثقال من الذهب وهو من مسوفة. وفي ليلة اليوم السابع رأينا نيران الذين خرجوا للقائنا فاستبشرنا بذلك. وهذه الصحراء منيرة مشرقة ينشرح الصدر فيها وتطيب النفس وهي آمنة من السراق والبقر الوحشية بها كثير يأتي القطيع منها حتى يقرب من الناس فيصطادونه بالكلاب والنشاب لكن لحمها يولد أكله العطش فيتحاماه كثير من الناس لذلك. **ومن العجائب** أن هذه البقر إذا قتلت وجد في كروشها الماء. ولقد رأيت أهل مسوفة يعصرون الكرش منها ويشربون الماء الذي فيه. والحيات أيضا بهذه الصحراء كثير.

وكان في القافلة تاجر تلمساني يعرف بالحاج زيان. ومن عادته أن يقبض على الحيات ويعبث بها وكنت أنهاه عن ذلك فلا ينتهي. فلما كان ذات يوم أدخل يده في جحر ضب ليخرجه فوجد مكانه حية فأخذها بيده. وأراد الركوب فلسعته في سبابته اليمنى وأصابه وجع شديد فكويت يده وزاد ألمه عشي النهار فنحر جملا وأدخل يده في كرشه وتركها كذلك ليلة ثم تناثر لحم أصبعه فقطعها من الأصل. وأخبرنا أهل مسوفة أن تلك الحية كانت قد شربت." (١)

"كنشر الرخام وتحت الصخور العظام وحفر الخندق المحدق بسور الحصن المذكور وهو خندق ينقر بالمعاول نقرا في الصخر عجبا **من العجائب** الباقية الآثار، العلوج الاسارى من الروم، وعددهم لا يحصى كثرة، ولا سبيل أن يمتهن في ذلك البنيان احد سواهم.

وللسلطان أيضا بمواضع أخر بنيان والأعلاج يخدمونه فيه، ومن يمكن استخدامه من المسلمين في مثل هذه المنفعة العامة مرفه عن ذلك كله ولا وظيفة في شيء من ذلك على أحد.

مارستان المجانين

ومما شاهدناه أيضا من مفاخر هذا السلطان المارستان الذي بمدينة القاهرة.

وهو قصر من القصور الرائقة حسنا واتساعا أبرزه لهذه الفضيلة تأجرا واحتسابا وعين قيما من أهل المعرفة وضع لديه خزائن العقاقير ومكنه من استعمال الأشربة واقامتها على اختلاف أنواعها. ووضعت في مقاصير ذلك القصر أسرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسى. وبين يدي ذلك القيم خدمة يتكفلون بتفقد احوال المرضى بكرة وعشية، فيقابلون من الاغذية والاشربة بما يليق بهم.

وبازاء هذا الموضع موضع مقتطع للنساء المرضى. ولهن أيضا من يكفلهن.

---

(١) رحلة ابن بطوطة ط دار الشرق العربي ابن بطوطة ٥٢٤/٢

ويتصل بالموضعين المذكورين موضع آخر متسع الفناء فيه مقاصير عليها شبابيك الحديد اتخذت محابس للمجانين. ولهم أيضا من يتفقد في كل يوم أحوالهم ويقابلها بما يصلح لها. والسلطان يتطلع هذه الاحوال كلها بالبحث والسؤال ويؤكد في الاعتناء بها والمثابرة عليها غاية التأكيد. وبمصر مارستان آخر على مثل ذلك الرسم بعينه.." (١)

"قلعة القاهرة

وشاهدنا أيضا بنان القلعة وهو حصن يتصل بالقاهرة حصين المنعة يريدالسلطان أن يتخذه موضع سكناه ويمد سوره حتى ينتظم بالمدنتين مصر والقاهرة والمسخرون في هذا البنيان والمتولون لجميع امتهاناته ومؤنته العظيمة كنشر الرخام ونحت الصخور العظام وحفر الخندق المحدق بسور الحصن المذكور وهو خندق ينقر بالمعأول نقرا في الصخر عجبا من العجائب الباقية الآثار العلوجا الأسرى من الروم وعددهم لا يحصى كثرة ولا سبيل أن يمتهن في ذلك البنيان أحد سواهم.

وللسلطان أيضا بمواضع أخر بنيان والاعلاج يخدمون فيه ومن يمكن استخدامه من المسلمين في مثل هذه المنفعة العامة مرفه عن ذلك كله ولا وظيفة في شيء من ذلك على أحد.." (٢)

"ولا ينقطع عنه المطر ولا تظهر حيتانه ولا دوابه، ويخرج منه إلى بحر الصنف، وفيه يكون شجر العود وغيره وليس له حد يعرف ورأسه يخرج من قرب الظلمة الشمالية ويمر إلى بلاد الواق واق أيضا، وفيه ملك الجزائر الذي يقال له المهرا، وله من الجزائر والأعمال ما لا يحصى عدده، ولو أراد مركب من مراكب البحر أن يطوف بجزائره لم يطفها في سنين عدة، وهو بحر لا يحصى ما فيه من العجائب ولملكه من جميع الافاوة الطيبة الكافور والعنبر والقرنفل والصندل والجوزة والبسباسة والقاقلا والعود وليس لملك من الملوك ما لملك هذا البحر من أصناف الطيب.." (٣)

"أأشكو نداه بعدما وسع الورى ... ومن ذا يذم الغيث الا مذمم

وما منع الفتح بن خاقان نيله ... ولكنها الاقدار تعطى وتحرم

سيدنا الامير اكال الله بقاه سحاب كله الغيث. ودأبه الغوث ولكنه لم يحي ارضى بمطرة. ولم يبلل لهاتي بقطرة. وهو اعز الله نصره بحر مفعم. فيضه نعم. ولكني عطشان في جواره. محروم من حسن آثاره. كما انه بدر ملك العيون ايناقا. وملا الارضين اشراقا. وموقع نظري من نوره خال. ولعمري انه غير حال. فيا عجبي من العطش في جوار البحر الزاخر. ومن الاظلام في مقابلة البدر الزاهر. وكيف "؟ " شكرة عامة الخلق. وكيف اذم من مدحه لسان الدهر. ومن ذا يذم الغيث الا مذموم. ومن يلوم الشمس الا ملوم. وما خصني الامير بالحرمان. وقد عم الناس بالاحسان ولكن الاقدار تعطى وتحرم. وتنقض وتبرم. ولا يأس من روح الله. ولا بأس مع فضل الله. والسلام " اخرى في قول الشاعر "

ورد العفاة المعطشون فاصدروا ... ريا وطاب لهم لديك المكرع

ووردت بحرك طاميا متدفقا ... فرددت دلوي شنة يتقعقع

---

(١) رحلة ابن جبير ط دار الهلال ابن جبير ص/٢٤

(٢) رحلة ابن جبير ط دار بيروت ابن جبير ص/٢٥

(٣) رحلة السيرافى السيرافي، أبو زيد ص/١١٢

واراك تمطر جانبا عن جانب ... وسماء بيتي من سماحك بلقع

اري العفاة ايد الله سيدنا الامير يقصدون جنابه الرحب. ويردون منهله العذب. فيسعهم عنده المشرع. ويطيب لهم المكرع ويصدرون عنه وقد رووا واروووا ورووا من مكارمه ما رأوا. ووردت فناءه المقصود. وبحره المورود. فحين مددت لحظي إلى الماء الرواء. والقيت دلوي في الدلاء. رد الدلو يابسا يتقعقع واوقعني فيما لم اكن اتوقع. وأراه يمطر الجوانب. ويغيث الاقارب والاجانب. وارضي خالية من قطره. ويدي صفر من بيضه وصغره. وقد تفسد الحال ثم تصلح. ويبخل الجواد ثم يسمح. ومع اليوم غد. ومع السبت احد. والسلام " اخرى في حل قول الآخر "

ابا حسن مالي ومالك من عذر ... بنومك عن امري وشكري مدى عمري

اترضى بأن ارضى وانت ذريعتي ... بغير الرضى من اهل دهري ومن دهري

جعلتك لي بحرا وكفك لجة ... ويظمأ جار البحر في ساحل البحر

ليت شعري ما عذرك يا مولاي في نومك عن امري. وزهدك في استجلاب شكري. ولم ترضى بغير الرضى في اعانتي على دهري. وانت ذريعتي من الورى. وشفيعي إلى الغنى. ومن العجائب انك بحر ملآن. وانا في ساحلك ظمآن. والله المستعان " اخرى في حل قول الآخر "

نواصي المكارم في قبضتك ... وهذا الانام بنو نعمتك

وتلك غصون العلى تنتمي ... إذا ما انتمين إلى نبعتك

فمالي تركت بلا مرتع ... وذا الخلق يرتع في نعمتك

سيدنا اطال الله بقاه قد بلغ من المعالي قاصيها. وملك من المكارم نواصيها. فالمحاسن من آثار ايامه. والانام بنو انعامه. وغصون المجد تتفرع من دوحته الباسقه. ولسان الزمان يخطب بفضائله المتناسقه. والله يديم له اجزل القسم. كما افاض به احسن النعم. وبعد فمالي لا آخذ بنصيب. من جنابه الخصيب. والناس يرتعون في رياض نعمته. ولهم ما يشاؤن من ثمار دولته. وحقوقي تقتضي ان اكون معه في جملة الناجحين في مآربهم. الفائزين بمطالبهم. لا ان تعرض عني الدنيا وهي منقادة لامره. ويتنكر لي الزمان وهو؟؟ يده. وهذه لمعة من الشكوي. تجري مجرى الذكرى. وهي تنفع المؤمنين. وتحتمل من المخلصين. ووراء هاما يحولها شكرا. ويعيد الجفاء برا. ان شاء الله " اخرى في حل قول الآخر "

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جني ... فابعدكن الله من شجرات

" وقول الآخر "

إذا أنت لا دنيا لديك تفيدنا ... ولا أنت ذو دين فنرجوك للدين

وكنت صديقا لا ترجى لنائل ... عملنا صديقا في مثالك من طين

" وقول منصور الفقيه "

إذا بخلت ببري ... ولم انل منك رفدا

وانت مثلي عبد ... ففيم اعبد عبدا

إذا لم تلبسني الشجرة ظلها. ولم تؤتني اكلها. فسلط الله على اصلها قاضبا. واتاح لفرعها حاطبا. وإذا كنت لا ترجى للجدوى. ولا ينتفع بك في امور الدين والدنيا. فما أنت الا روح في محال. بل تمثال من صلصال. وإذا لم انل منك الجاه والرفد. فانت عبد مثلي ولست اعبد العبد والسلام " اخرى في حل قول الشاعر "." (١)

"إذا كنت لا ترجى لدفع ملمة ... ولم يك في الحاجات عندك مطمع

ولا أنت ذو جاه يعاش بجاهه ... ولا أنت يوم الحشر ممن يشفع

فعيشك في الدنيا وموتك واحد ... وعود خلال من وصالك انفع

إذا كنت لا ارجوك لدفع الملمات. وكفايه المهمات. وقضاء الحاجات. ولم يكن لك جاه يمكنني من اظهار ما انويه. والاستظهار على من اناويه. ولم تكن عف الإزار. طاهرا من الاوزار. نقي الساحة من المآثم. برئ الراحة من الجرائم. فيتوصل بالتقرب اليك. والاقتباس مما لديك. إلى اعداد الزاد. ليوم المعاد. فسواء مماتك ومحياك. ولا ابعد الله سواك. فليست تحمد خصلة من خصالك. وعود خلال انفع من وصالك. والسلام على غيرك.

باب

الشكر

" رسالة كأنها عن لسان بعض عبيد الحضرة الجليلة حرسها الله إلى المجلس العالي آنسه الله في حل قول الشاعر "

فلو كان للشكر شخص يبين ... إذا ما تأمله الناظر

لصورته لك حتى تراه ... فتعلم اني امروء شاكر

ولكنه ساكن في الضمير ... يحركه الكلم السائر

شكري لعالي مجلس مولانا الملك السيد المؤيد ولي النعم خوارزم شاه اطال الله بقاه. وادام علاه. ونصر لواه. على نعمه التي أغرقتني واستعبدتني. وملأت يدي وقلبي. شكر الروض للمطر والساري للقمر. بل شكر الظمآن الوارد. للزلال البارد. بل شكر الاسير لمطلقه. والمملوك لمعتقه. فلو كان للشكر شخص يدركه البصر. ويحصله النظر. لصورته فاحسنت تصويره. كما قررته فاحكمت تقريره. حتى يراه مولانا اعز الله نصره بعينه العالية. كما سمعه باذنه الواعية. فيعلم اني شاكر لاياديه المتصلة كاتصال السعود. ذاكر لمننه المنتظمة كانتظام العقود. ولئن سكن الشكر سواء نفسي. وسويداء قلبي. لقد حركه مايسير من كلامي مسير الامثال. ويسري في الآفاق مسرى الخيال. وبالله استعين على النهوض. بالمفروض. من شكر النعمة. وبذل الوسع في الخدمة. انه خير معين وأقوى ظهير " اخرى في حل قول الشاعر "

لا تنكرن لذي النعماء نعمته ... لا يشكر الله من لا يشكر الناسا

" وقول الآخر "

شكرتك ان الشكر لله طاعة ... ومن يشكر المعروف فالله زائده

لكل زمان واحد يقتدى به ... وهذا زمان أنت لا شك واحده

---

(١) رسائل الثعالبي الثعالبي، أبو منصور ص/١٧

" وقول الآخر "

سوى الامير بجوده ايامنا ... فجميعها لجميعنا اعياد

اما حقيقتنا فنحن عبيده ... لكننا في بره أولاد

الشكر أيد الله مولانا الملك السيد خوارزم شاه. طاعة لله. وقيد للنعمة ومفتاح للمزيد. فلأشكرن المنعم ولي النعم ادام الله سلطانه مد كلمي. ولأحمدنه طاقة قلمي. فمن لم يشكر الخلق لم يشكر خالقه. ومن لم يحمد رازقه. ولكل زمان واحد يقتدى في المكارم بخلقه. ويهتدي في المعالي بطرقه. ومولانا ادام الله تأييده واحد زمانه. ومنقطع القرين في اقرانه. ولقد ساوى بين ايامنا بنعمه. وآثار جوده وكرمه. فجميعها جمع مشهوده. واعياد معدوده. ونحن في الحقيقة عبيده حقا. ومماليكه رقا. ولكننا في بره بنا. واشفاقه علينا. ونظره لنا. اعز اولاد لا كرم والد. لازال من المجد بين طريف وتالد. **ومن العجائب** ان يكون الوالد غض الشباب حسن الاقتبال. وعلى مدى بعيد من الاكتهال. وفي اولاده من ألجمه الشيب بلجامه. وقاده بزمامه. وفيهم من جاوز الشباب مراحل وورد من المشيب مناهل. ومنهم ذوو الاسنان العالية. والصحبة للايام الخالية. فاطال الله بقاء مولانا منصورا محظوظا. وبعين عنايته ملحوظا محفوظا. حتى يبلغ أقصى العمر. واعلى الامر. ويملك ما طلعت الشمس عليه. وانتهى هبوب الريح اليه. آمين " اخرى في حل قول الآخر "

لاشكرنك معروفا هممت به ... ان اهتمامك للمعروف معروف

ولا ألومك ان لم يمضه قدر ... فالشيئ بالقدر المحتوم مصروف." (١)

"وقد عزمت يا خالي، أن أستودعك رسالة إلى حضرة هذا الأمير، لتذكر بي ولاة العدل " فإن الذكرى تنفع المؤمنين ". لعل علاوة تحط عن فودى مثقل، ونزعا بالغرب يخفف عن خابط عضه، وراحة ينالها المتعب في النهار والظلم، وعينا تطلق من السجن الدائم فتبصر الوضح؛ فقد بلغ نسيس الحشاشة وافتقر إلى الكلمة رب الكلمة، واضطر عار إلى سحق النمرة، وألجىء مالك النخل الواعد إلى التمرة؛ ولكل ذي عمود نوى. وكذلك جرت عادة الزمن بتغيير الكينة.

فيكون منك الطول بأن تصل تظلمى إلى الحضرة، فلعلي أنصف مع المظلومين. قد ترى ما أنا فيه، لا يطلب بعد عين أثر، ويريك بشر ما أحار مشفر. والسناسن العارية دلت على البأساء المتوارية؛ وما ظنك بدريس الأهدام؟ وكفى برغائها مناديا. إذا " ألحت المهرية فلم يبقى عندها من سير جرية، والتلف أهون من الصلف، وموت لا يجر إلى عار، خير من عيش على رق. وما عبس طائي في وجه الضيف، إلا وقد صفر وعاؤه من كل طعام. اسق رقاش إنها سقاية.

إني مع الذي ألاقيه من قلة الدعة وعنف السياق، يسوسني أجير كسلان إذا سأله الملاك: أأرويته من سويد؟ قال: نعم. أحششته بعد ذلك؟ أأوسعت له من الحسيك؟ أتفقدته من آثار الأبرار؟ قال: أجل، نعم، حوب!. ويحلف " لهم الحذاء لقد فعل، وهو بشهادة الله أكذب من الشيخ الغريب والأخيذ الصبحان، وتوهم المخفق وتخيل الوالدة، والبرق في عام سنة. والله المستعان على ما بطن من أمر وما ظهر.

---

(١) رسائل الثعالبي الثعالبي، أبو منصور ص/١٨

ومن العجائب أنه إذا كان يوم أضحى أو فطر، وهم كل تفل بعطر، واهتم المقتر بإخضام العيلة، وسمح للنصب من البهائم بالراحة، وغسل أطماره كل قهل، وضحك إلى أخيه العابس، ورجوت أني لاشتغال الزراع بصلاتهم في العيد وإصابتهم شيئا مما صنعه الآدميون، أظفر بقسم من الراحة وسهم أنتفع به من الدعة، وإن كان ذلك المرجو أقصر من ظمء الحمار، فإن الظمآن يعتصر بنسيم الريح، والجائع بلوس النواة، ولا أشعر بما في الغيوب. لقد لقى أحد الشركاء في رجل من جيرانه يكرم عليه، فسأله أن يعيرني ولده كي يركب مع الولدان، فأجابه إلى ذلك. فانصرف الرجل إلى ابنه بالحديث، وهو من عرمة الصبيان. فأول ما صنع أن استعار سوطا من بعض الناس، فإن عدم ذلك أخذ قصيدة قصيرة يأمن كسرها عند الضرب.

وبت محدثا نفسي بالخير، حتى إذا كان بين الفجرين قبل أن يضح منهما المستطير، أحسست ببرة الرتاج تقرع على أهل الدار. فقالوا: من؟.

قال: فلان بن فلان " أنجز حر ما وعد. فقالوا: دونك.

فدخل فحلني من المربط، وذهب فركبني بأغباش الليل، ووضع في مرة سوط أو صدر وبيل. فلما فرق بين الشبحين، وانتشر أضوأ الصبحين، وخرج الفتيان على دوابهم، جعل يحثني بالضرب لأحضر كإحضار الخيل الجامة والشواحج المودعة، وهو على ظهري مثوب: ويبك أما تخب؟ ويبك أما تقرب؟ هيهات هيهات! ما باللمعة حبة، ولا في الأرض المجدبة ربة، ولا بالشاجنة رية، ولا عند الراعية مفرية.

وهل ترك سغب من مناص؟ إن العير عجز عن القماص؛ إن الخبب وليته الشبب فهو بوجرة أو السماوة، والتقريب أودعته السمسم فألف الجريب.

حتى إذا اليوم متع وجهد أقصى الرمق، عثرت عثرة فإذا الغلام قد سقط على الأم البرة. فلولا أني خشيت البارىء لوطئت رأسه وطأة متثاقل تلحقه بعاد وثمود. ولكني رهبت العاجل من العقوبة، وهبت أن تكون له أم صالحة فتدعو على ملك الملوك. فقام سليما من صرعته، يعتمد كشحى بوبيله.

ومن العني والعناء ضحك الفتيان والبهائم علي. القوائم كثيرات الوفز، والثبج لا يخلو من عفز. وقد أثر الكدان في العنق أثرا أبيض يظنه من جهل برصا، وليس كذلك. فلو أقمت الشهادة بين يدي قاضي البهائم لما أمنت ألا يقبلها، إن كان يحكم بما في كتاب الدعائم.

وانصرف غير شاكر ولا مشكور. فلما ردني إلى المربط، لم يلبث أن جاء الزارع فحلني للعمل. فيا لك يوما ما أطول! كان عند غيري كإبهام القطاة، وغاداني بحمى نطاة.." (١)

"فإذا انضاف إلى ما ذكر من أخلاق البزاز أنه خزاز، فإنا لله وإنا إليه راجعون! صلان في الثمة وأرقمان في الهشيمة، وشبوتان في سك واحد، وذئبان وقعا في الفريقة. إلا أن البزاز قد يكون غير خزازا والشرة بحالها والشيمة ليست بالمغيرة عن سوئها.

والخزاز قد يكون غير بزاز، فلا يعرف به بأس يؤدي الأمانة ويصدق في الشهادة ويعترف بالحقوق، وتصلح معه المبايعة،

---

(١) رسالة الصاهل والشاحج أبو العلاء المعري ص/٤

ويحكم عليه فيما صنع بأحكام المسلمين.

فإذا كان الرجل بزازا خزازا قزازا، فالمستغاث بالله ممن تجتمع هذه الخلال فيه: أما البز فحدث عظيم، وأما الخز إذا وقع في حين البز فنائبة ينسى البز معها ويغتفره الصالحون عندها، وأما القز فأيسر من الخز، وأصحاب القز قد يكونون صلحاء أخيارا.

ومن العجائب أن كل ملك من بني أمية وبني العباس، كانوا في أول أمورهم قزازين. ولو سمع هذه المقالة بعض موالي قريش لغضب منها وعبد.

وقد علم عالم الأسرار أني لم أدع في ذلك باطلا. ومن غريب الحديث وصحيحه أنه كان " بالكوفة " قز عند القزازين يتكلم ويشرب ويأكل من غذائهم، إلى أن ملوه فطردوه. ولا يعرف أن الخز والبز تكلما قط.

وفي هذه البلاد رجل من أغلظ الناس وأجفاهم بشرة، يحتطب مع المحتطبين ويحمل الجندل إلى أصحاب البناء، يحاك الحجر فلا يدميه.

ويماس الحديد فلا يضره إذا رفق به. ومتى أصاب جلده الخز أدماه. أفليس هذا بعجب، وإنما ألين ثيابه الكرادي الوخشة؟

وقد ذكر أنه كان في الأرض قزازا ما سمع بشر منه: يتعمد أذية المسلمين ويقطع عليهم صلواتهم ويفرح بانهدام المساجد وقطع الزكوات، ويحث على الغيبة ويزين لإمام القوم أن يصلي بهم على غير طهر، ويحسن للقضاء أخذ الرشوة، ويتقدم إلى الولد بعقوق الوالد، ولو سمعني يهود بلدنا جاز أن يظنوني عنيت " القزاز والد منشى بن إبراهيم " وما عنيت ذلك، والذي قصدته لم يمت، وصاحبهم قتل ابنه ومات هو.

ولا أقول في الخياطين إلا خيرا. إلا أن كل خياط وجد في الجوامع والمساجد والطرق، فقتله حلال. وكان في بلدنا قاض دين يجيز أكل لحم الخباز والخبازة، وأن يطبخ باللبن والخل.

وكان في هذا البلد جندي أبح، أقام أربعين سنة يدخل على القضاة والأمراء، وهو في ذلك لا يذوق النوم. وكان ذا وجهين.

وكان ها هنا قصاب يذبح الضأن صغارها وكبارها والأمات منها والأولاد، وما ذبح خروفا قط! ومن زوال الدهر أنه كان في هذه البلدة جندي محارف، فنتجت فرسه خروفا، ونفقت الفرس وبقي الخروف.

وحدثني الثقة أن الجند بخراسان يركبون الخرفان. وأن الظباء في نواحي " البصرة " تلد الجحاش. والناس في الشام يبغضون الأبارين وكذلك في العراق، ولا يرون قتلهم إلا بحق، فأما الأبارة فقتلها مباح في كل الأحيان.

والسنانير إذا كانت في أرض البادية تقلدت بالسيوف ولعبت بالرماح.

وكان في هذه الأرض قاض يحب الفالوذ فكان إذا رقد وضعه قريبا منه، فإذا انتبه في بعض الحندس لمص. وكانت المضيرة إذا حضرت بين يديه كلمته فسمع كلامها الشهود.

وكان بعده قاض آخر يأكل الخناثر ويحتسي الحليب ويستعمل في مطعمه رسل المعز والضأن، ويعجبه ما يحتلب من الجواميس، وما يعلم أنه ذاق لبنا قط!.

وفي البادية راع لا يزال في صيف وشتاء يحمل جحشه في يده ومعه جحشان لا يفارقانه: موقعهما بجنبيه ينام وهما معه،

وينتبه وهما كذلك.

وفي قرية من هذا الإقليم أتان يشهد الثقات أن لها أكثر من ثلاث مائة سنة، وحماران يوفيان على هذه المدة. ولا عجب من أمر الله، قد مرت بنا منذ سنين جارية شهد خلق كثير أن عمرها زائد على ألف سنة.

وكانت في " حمص " عجوز لها دجاجتان أقامتا في تابوت نحوا من ستة أشهر أو سبعة بغير علف ولا ماء، ثم خرجت بهما إلى السوق فباعتهما، ولم ينقص طول الحبس ثمنهما.

وكان في " وادي بطنان " راهب يشرب بول الأسد ولا يشرب بول اللبؤة. وكان في " بالس " خطيب يتطهر ببول العجل والعجلة، وإذا أصاب ثيابه شيء من بول الثور غسله.

وكان ب " الرقة " طبيب يفصد السواعد، ويسقي الأعلاء في بعض العلل ما يخج من السواعد. وإذ اعتل رجل ب " لموصل " استد فرقه من المحموم.

وفي نواحي " نجران " خيل لها قرون.

وفي " دمشق " عجوز ولدت بيضة في عمرها، ثم لم تعد إلى ذلك.." (١)

"نص الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

من الخفيف

يا خليلي من ذؤابة قيس ... في التصابي رياضة الأخلاق

مما أعرف به إخواني، جادتهم الأنواء، وصابتهم السماء، وحلت السحب بأنديتهم أفواه عز إليها، وأهراقت ماء مدامعها بعقوتهم من مآقيها، وروض القطر دارهم ونمقها، واجد أي رسومهم ولا اخلقها، وأصفى مشارعهم ولا رنقها، وملأ حياضهم بنمير الماء وأتاقها.

من الكامل

فسقى ديارك غير مفسدها ... صوب الربيع وديمة تهمي

حتى تبعث بمنازلهم أموات النبات، وتنشر رمم الأزهار الهامدات، وتكتسي من مطارف الروض الوشائع المفوفة، والحبرات، وتجلى عرائس الربيع في ملابسها الفاخرة، وتحدق عيون النرجس الناظرة إلى وجنات الورد الناظرة، فيبتسم ثغر الأقاح وتميل قدود الأغصان من الارتياح، فتصفق الأنهار على الإيقاع، وتتمايل الأزهار راقصة على السماع، وتشرب الخمائل من رضاب الطل سلافة عاصرها المعصرات، وساقيها العيون الهاطلات، وتغرد خطباء الأطيار على منابر الأغصان طربا، فينشر الندى على الزهر لآلئا وحبيا من الخفيف

فكان السماء تجلو عروسا ... وكانا من قطرها في نثار

وإن أضر ما على الإنسان في زمانه، أن يجري جواد نظره مرخيا من عنانه، فقد قيل كم نظرة أوجبت حسرة وكانت حلوة

---

(١) رسالة الصاهل والشاحج أبو العلاء المعري ص/٣٣

فأعقبت عيشة مرة، وطالما أرخى امرؤ زمام طرفة، فعاد بوباله وحتفه، ولهذا أمر بغض الأبصار ونهي عن إرسال النظر في كثير من الأخبار، وجاء شيء من ذلك في الأشعار قال شاعر الحماسة: من الطويل

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتعبتك الناظر

رأيت الذي لا كله أنت قادر ... عليه ولا عن بعضه أنت صابر

فصرح بأن من أرسل طرفه رائدا، كان إلى العنا والتعب قائدا، وغايته أن يرى ما لا يقدر على كثيرة ولا يصبر عن يسيره، فأي حال اصعب من هذه الحال، وهل الرضى بها إلا نوع من الاختلال، قال السيد الرضي: من الوافر

نظرتك نظرة بالخيف كانت ... جلاء العين مني بل قذاها

فاها كيف تجمعنا الليالي ... وآها من تفرقنا وآها

وقوله يدل على غرام سلبه القرار، ووجد اعدمه الاصطبار، فانه قنع لجلاء عينه بنظرة اختلسها سارقا، وعانى قذى واسما إن كان كما يقول عاشقا، وهنا يقول ما يفي الوصل بالصدود ولا يحتمل هذا البخل لأجل ذلك الجود، ليس بسعد عن عامر عوض، ولا بنجد عن رامة بدل، نعم وكم أوقعت العيون القلوب في الحبائل، وكم بات المقتول بها لهجا بحب القاتل،.

من البسيط

فبت ألثم عينيها ومن عجب ... أني أقبل أسيافا سفكن دمي

وقد أجاد من قال، وأوضح هذه الحال: من الكامل

يا قلب عاشقه وسهم جفونه ... من الزم المقتول حب القاتل

ومن أشق الأمور، أنها تؤذي من الطرفين، وكثيرا ما دلت العين على العين، فألقت الناظر من المنظور في الحين.

من الكامل

ومن العجائب أن عضوا واحدا ... هو منك سهم وهو مني مقتل

فلله در هذا الشاعر، إذ عرف الأمر فشرحه، وكان مبهما فعرفه، ومشكلا فأوضحه، بل كان صعبا فذلله، وحزنا فعبده، ومقفلا ففتحه، ومن العجب أن أهل هذا الشان، فعلوا غررا، ونكبوا من الهوى خطرا، ورضوا بان تذهب دماؤهم هدرا، وان لا جناية على المحبوب، ولو رمى محبه بالفوارق وحتى قال قائلهم، أن أحداق الظباء لا تؤخذ بالجرائر.

من الرجز

كيف تعرضت وأنت حازم ... يوم النقا لأعين الجآذر

أما علمت أن أحداق الظباء الغيد لا يؤخذن بالجرائر

فهل هذا إلا قول من سلط على نفسه حكم الحب، ورضي بما لاحظ فيه لذي لب.

من الكامل

ما أنصفته يكون من أعدائها ... في زعمها وتكون من أحبابه

وموجب هذه المقدمة، أني خرجت في بعض أيامي متفرجا، وعلى الرياض الأنيقة معرجا.

من الكامل

والطل ينثر في الرياض دموعه ... والزهر يضحك في خلال بكائه

وتخال أنفاس النسيم عليلة ... عجبا وتشفي الصب من برحائه." (١)

"والصيف ضيعت اللبن، محسنة فهيلي، وابتدئيهن بفعال سبيت. وإذا أرادوا أن يخبروا بأن المرأة كانت تفعل الخير ثم هلكت فانقطع ما كانت تفعله، جاز أن يقولوا: ذهب الخير مع عمرو ابن حممة. وجائز أن يقولوا لمن يحذرونه من قرب النساء: لا تبت من بكري قريبا؛ والبكري أخوك فلا تأمنه. ومثل هذا كثير.

وأما شكواه إلي، فإنني وإياه لكما قيل في المثل: الثكلى تعين الثكلى، وعل ذلك حمل الأصمعي قول أبي داود:

ويصيخ أحيانا كما اس ... تمع المضل دعاء ناشد

كلانا بحمد الله مضل، فعلى من نحمل وعلى من ندل؟ أما المطية فآلية، وأما المزادة فخالية، والركب يفتقر إلى الحصاة، وكلهم بهش للوصاة:

يشكو إلي جملي طرل السرى ... صبر جميل، فكلانا مبتلى

إن اشتكت السمرة سفن العاضد إلى السيالة، فإنها تشكو النازلة إلى شاك، والصدق أفضل من الابتشاك. ولا أرتاب أنه يحفظ قول الفزازي منذ خمسين حجة أو أكثر:

أعيين هلا إذ بلت بحبها ... كنت استعنت بفارغ العقل

أقبلت تبغي الغوث من رجل ... والمستغاث إليه في شغل!

ولا يزل أهل الأدب يشكون الغير في كل جيل، ويخصون من العجائب بسجل سجيل. وهو يعرف الحكاية أن مسلمة بن عبد الملك أوصى لأهل الأدب بجزء من ماله، وقل: إنهم أهل صناعة مجفوة. وأحسب أنهم والحرفة خلقا توأمين، وإنما ينجح بعضهم في ذات الزمين، ثم لا تلبث أن تزل قدمه، ويتفرى بالقدر أدمه. وقد سمع في مصر بقصة أبي الفضل وسعيد،." (٢)

"بيننا من قبائل الكفار؟ قلت: بلى. قال: قل له فو الله إني لبمكاني البعيد الذي تراني فيه وإني لخائف من مولاي أمير المؤمنين، وذلك أني أخاف أن يبلغه عني شيء يكرهه، فيدعو علي فأهلك بمكاني وهو في مملكته وبيني وبينه البلدان الشاسعة، وأنتم تأكلون خبزه وتلبسون ثيابه وترونه في كل وقت ختنموه في مقدار رسالة بعثكم بها إلي، إلى قوم ضعفى، وختنتم المسلمين، لا أقبل منكم أمر ديني حتى يجيئني من ينصح لي فيما يقول فإذا جاءني إنسان بهذه الصورة قبلت منه. فألجمنا «٢٤٨» وما أحرنا جوابا وانصرفنا من عنده.

قال ٢٤»

:

---

(١) رسالة الطيف بهاء الدين الإربلي ص/١

(٢) رسالة الغفران أبو العلاء المعري ص/١٣٠

فكان بعد هذا القول يؤثرني ويقربني ويباعد أصحابي، ويسميني أبا بكر الصديق.

ورأيت في بلده **من العجائب** ما لا أحصيها كثرة، من ذلك: أن أول ليلة بتناها في بلده، رأيت قبل مغيب الشمس بساعة قياسية «٢٥٠» أفق السماء، وقد احمرت احمرارا شديدا، وسمعت في الجو أصواتا شديدة وهمهمة «٢٥١» عالية، فرفعت رأسي، فإذا غيم أحمر مثل النار قريب مني، وإذا تلك الهمهمة والأصوات منه، وإذا فيه أمثال الناس والدواب، وإذا في أيدي الأشباح التي فيه تشبه الناس رماح وسيوف أتبينها وأتخيلها، وإذا قطعة أخرى مثلها أرى فيها أيضا رجالا ودواب وسلاحا، فأقبلت هذه القطعة تحمل على هذه كما تحمل الكتيبة «٢٥٢» على الكتيبة، ففرعنا من ذلك، وأقبلنا على التضرع والدعاء، وهم يضحكون منا ويتعجبون من فعلنا.

قال: وكنا ننظر إلى القطعة تحمل على القطعة، فتختلطان جميعا ساعة ثم تفترقان، فما زال الأمر كذلك ساعة من الليل ثم غابتا، فسألنا الملك عن ذلك فزعم." (١)

"آلاف. أبو العتاهية قرأ يوما قصيدة ومنها:

فاضرب بطرفك حيث ش ... ئت فلن ترى «١» إلا بخيلا

فلامه جماعة وقالوا: أما تستحي؟ تجعل الجميع بخلاء. قال: هذا سهل كذبوني بأحد. علي رضي الله عنه: نعم الناصر الجواب الحاضر. قيل:

بليت به فقيها ذا جدال ... يكابر بالدليل وبالدلال

سألت وصاله والوصل حل ... فقال: نهى النبي عن الوصال

يقال: رب قول أشد من صول. صولة اللسان أنفذ من طعن السنان.

جراحات السنان لها التئام ... ولا يلتام ما جرح اللسان

أبو بكر رضي الله عنه: لين الكلام، من أخلاق الكرام. المعري:

وقد تنطق الأشياء وهي صوامت ... وما كل نطق المخبرين كلام «٢»

وقيل:

لا تحسبن بشاشتي لك عن رضا ... فوحق مجدك إنني أتملق

ولئن نطقت بشكر جودك مفصحا ... فلسان حالي بالشكاية أنطق

أوحد الزمان:

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة ... باب الدواعي والبواعث مغلق «٣»

خلت الديار فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب أنه لا يشترى ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق." (٢)

---

(١) رساله ابن فضلان = رحلة ابن فضلان الى بلاد الترك والروس والصقالبة ابن فضلان ص/٨٢

(٢) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار الأماسي ص/٢٠١

"انفرد عنهم بتدبيره، وطوى عنهم ما هجس بضميره، حتى ركب الخطر الذي يتعذر الخلاص معه، وآثر الطمع، الذي قل ما صارع أحدا إلا صرعه، وانقضت مدة من تعرف ركوبه البحر لم يسمع له خبر، ولا دلت منه عين على أثر، حتى أن حالة التلف أقرب إليه، بحسب ما تدل العوائد عليه، وما كان الله ليظهر لملككم **من العجائب** ما أظهره، وأيد سلطانه في كل موطن ونصره إلا لخبيئة عناية لا يضر معها كيد من كاده، ولا ينجح بسوء أراده. تم المجلد الأول من كتاب " الريحانة "." (١)

"في من يضرب رقابكم كلكم ههنا. فقالوا: " نحن مماليكك وبحكمك ". وأخذوا ذلك منه بطريق المزاح، وتضرعوا له حتى أخرجهم.

وكان فيهم مالك بن سالم صاحب قلعة جعبر فلما نزل سار عن حلب وتركها خوفا على نفسه.

وخاف منه لؤلؤ اليايا فقتله بفراشه بالمركز بقلعة حلب، في شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وخمسمائة، وساعده على ذلك قراجا التركي وغيره.

سلطان شاه

ولزم لؤلؤ اليايا قلعة حلب وشمس الخواص في العسكر، ونصب لؤلؤ أخا له صغيرا عمره ست سنين، واسمه سلطان شاه بن رضوان، وتولى لؤلؤ تدبير مملكته، وجرى على قاعدته في سوء التدبير.

وكاتب لؤلؤ ومقدمو حلب أتابك طغتكين وغيره يستدعونهم إلى حلب لدفع الفرنج عنها فلم يجب أحد منهم إلى ذلك.

ومن العجائب أن يخطب الملوك لحلب فلا يوجد من يرغب فيها، ولا يمكنه ذب الفرنج عنها، وكان السبب في ذلك أن المقدمين كانوا يريدون بقاء الفرنج ليثبت عليهم ما هم فيه.

وقل الربيع ببلد حلب لاستيلاء الفرنج على أكثر بلدها والخوف على باقيه، وقلت الأموال واحتيج إليها لصرفها إلى الجند، فباع لؤلؤ قرى كثيرة من بلد حلب، وكان المتولي بيعها القاضي أبا غانم محمد بن هبة الله بن أبي جرادة قاضي حلب، ولولو يتولى صرف أثمانها في مصالح القلعة والجند والبلد.

حلب بين لؤلؤ والزلازل

وقبض لؤلؤ على الوزير أبي الفضل بن الموصول، واستأصل ماله، وسار إلى القلعة فأقام عند مالك بن سالم، واستوزر أبا الرجاء بن السرطان الرحبي مدة، ثم صادره وضربه، وطلب أبا الفضل بن الموصول فأعاده إلى الوزارة بحلب.." (٢)

"فكنا كحى صبح الغيث أهله ... ولم تنتجع أظعانه وحمائله

أتى جود عبد الله حتى كفت به ... رواحلنا سير الفلاة رواحله

---

(١) ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب لسان الدين بن الخطيب ٥٤٨/١

(٢) زبدة الحلب في تاريخ حلب ابن العديم ص/٢٦٢

[أبو شجاع]

وكانت بنو كلاب ومن والاها من العرب بنواحى الكوفه تجمعوا وعزموا على أخذ الكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، فبعث أبو شجاع عضد الدولة دنير «١» ابن لشكروز فأصلحهما، وكان أبو الطيب المتنبي بها فوصله وبعث إليه خلعا وقاد إليه فرسا بسرج ثقيل، فقال فى قصيدة:

فلو لم يسر سرنا إليه بأنفس ... غرائب يؤثرن الجياد على الأهل

وما أنا ممن يدعى الشوق قلبه ... ويعتل فى ترك الزيارة بالشغل

ولكن رأيت الفضل فى القصد شركة ... فكان لك الفضلان فى القصد والفضل

وليس الذى يتبع الوبل رائدا ... كمن جاءه فى داره رائد الوبل

[الموفق العباسى]

وكان ابن المعتز يمدح أبا أحمد بن المتوكل، ويلقب بالناصر والموفق، وكانت حاله ترامت فى أيام المعتضد إلى غاية لم يبلغها الخليفة، وقد ذكرها الصولى فى قصيدة [لصاحب المغرب] ، فقال وقد اقتص خلفاء بنى العباس من أولهم:

ومعتضد من بعده وموفق ... يردد من إرث الخلافة ما ذهب

مواز لهم فى كل فضل وسؤدد ... وإن لم يكن فى العد منهم لمن حسب «٢»

وقال المعتضد، أو قيل على لسانه، لما غلب الموفق على أمره:

أليس من العجائب أن مثلى ... يرى ما هان ممتنعا عليه

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء فى يديه

وشعر ابن المعتز فيه:." (١)

"ويقل إتلاف النفوس تلفها ... لفوات حظ منك لم يستدرك

أملي يشك وعفوكم متواطئ ... فأصار من متواطئ لمشكك

مالي سواك لمن أمد يد الرجا ... متمسكا يا ملجأ المتمسك!

ومن الاقتباس من علم العروض قول الآخر:

له جيش نصر قد نضى السعد دونه ... صوارم روع لا تلقيها القوانس

إذا ما قوافي الخيل فيه تداركت ... فأبشر بنصر بحره متكاوس!

وقولنا من قصيدة:

سلام طويل الحب فيكم مديده ... فليس بذي نهك وليس بذي شطر

وقولنا أيضا في التغزل:

يا شادنا يصيد أساد غيل ... بقوس صدغين وسهم كحيل

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب الحُصري القيرواني ٨٣١/٣

بم استبحت دمي الحرم في ... قتلي وحرمت وصالي الحليل؟

وقطع سببي من ودا ... دك وذا لا يرضينه الخليل

وفي الخليل التورية وفي الأبيات أنواع أخرى من البديع ظاهرة.

ومن الاقتباس من علم الهيئة قول الغزالي:

يا حسن ليلتنا التي قد زارنا ... فيها فأنجز ما مضى من وعده!

قومت شمس جماله فوجدتها ... في عقرب الصدغ الذي في خده

وقوله أيضا:

حلت عقارب صدغه من خده ... قمرا يجل به عن التشبيه

ولقد عهدناه يحل ببرجها ... **ومن العجائب** كيف حلت فيه!

ومن الاقتباس من علم الهندسة قول أبن جابر:

محيط بشكل الملاحة حسنه ... كأن به أقليدسا يتحدث

فعارضه خط استواء وخاله ... به نقطة والشكل شكل مثلث

ومن الاقتباس من علم الخط قول أبن جابر أيضا:." (١)

"ومنها:

غير أن الربى إلى سبل الأنواء ... أدنى والحظ حظ الوهاد!

ومنها:

كأن شيء غث إذا عاد والمعروف ... غث ما كان غير معاد

وقال أيضا:

وما شيء من الأشياء أمضى ... على المهجات من رأي سديد

وقال أيضا:

لم تنكرين مع الفراق تبلدي ... وبراعة المشتاق أن يتبلدا؟

وقال أيضا:

والسيف أعمى غير أن غراره ... يقظ إذا هاد نحاه لهاد

ومنها:

ومن العجائب شاعر قعدت به ... هماته أوضاع عند جواد

وقال أيضا:

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ٣٢/٢

ما كل من شاء استمرت بالندى ... يده ولا استوطا فراش الجود

وقال أيضا:

وكذا المنايا يطأن بمنسم ... إلا على أعناق أهل الؤدد

وقال أيضا:

لو يعلم الناس علمي بالزمان وما ... عاثت يداه لما ربوا ولا ولدوا!

وقال أبو الطيب أحمد بن الحسن المتنبي:

فما ترجي النفوس من زمن ... أحمد حاليه غير محمود

إن نيوب الزمان تعرفني ... أنا الذي طال عجمها عودي

وفي ما قارع الخطوب وما ... آنسني بالمصائب السود

وقال أيضا من قصيدة:

إذا كنت تخشى العار في كل خلوة ... فلم تتصباك الحسان الخرائد

ومنها:

أهم بشيء والليالي كأنها ... تطاردني عن كونه وأطارد." (١)

"جرب فصح، وهذا مما يدل على ان لهذا القطب وهذا الكوكب خاصية في إحداث الطرب والسرور في الناس، ولذلك ان الزنج لما كانوا متقاربين من مدار سهيل كان فيهم الطرب الشديد.

٦ - الخاصة السادسة:

المرأة التي بها علل الأرحام عن برد ورطوبة إذا قامت وهي تنظر إلى القطب الجنوبي وإلى الكوكبين الصغيرين الذين عن جنبتيه وتنظر إلى سهيل أيضا، إن كانت في موضع تراه، وأومأت بيدها اليمنى إلى القطب فقبضت بكفها وخمس أصابع كأنها تريد أخذ شيء من الهواء، وضمت أصابعها إلى راحتها، ثم أومأت بها إلى فرجها، ثم كررت هذا الفعل سبع مرات في ليلة السبت، ثم تفعل كذلك سبع مرات في سبع ليال آخرهن ليلة الجمعة التي بعد ذلك السبت، وهي تفعل ما ذكرناه في كل مرة تقبض على راحتها بأصابعها الخمس وتقول: أخذت بيدي هذه قوة من القطب الجنوبي وكواكبه الجنوبية، وشفيت به علة رحمي بإذن هذه الجواهر الروحانية المقدسة. فإن هذه العلة تزول عن رحمها. وعلامة ذلك أنها تدخل الحمام بعد أربع ليال من هذا الفعل، وتدخل البيت الحار من بيوت الحمام، وتنظر إلى رحمها تسيل منه رطوبة كريهة الريح، وتفعل ذلك في يوم السبت الثامن من ابتداء عملها وتفعل كذلك في دخول البيت الحار، فإنها ترى مثل تلك الرطوبة قد سالت منها وأكره وأنتن ريحا، وهو **من العجائب** المجربة.

٧ - الخاصة السابعة:

إذا عض الانسان كلب كلب، وأخذ المعضوض قطعة من لبد معمولة ببلاد الترك خاصة. فبلها ببول كلب سليم أسود، ثم

---

(١) زهر الأكم في الأمثال والحكم الحسن اليوسي ٢/٢٥٣

أخذها بيده وقام حيال سهيل والقطب الجنوبي، وأومأ بالليل نحوهما وخاطبهما وقال: هذا اللبد التركي أجعله على موضع هذه العضة التي عضني الكلب، اشفني أيها الكوكب من هذه العضة، اشفني بحق الشمس، ويتكلم بذلك أربع عشرة مرة، وهو يرفع قطعة اللبد باليد اليمنى نحو الكوكب والقطب جميعا، ثم يشد اللبد على موضع العضة، فإنه يسيل من ذلك الموضع بعد ثلاث ساعات من الزمان رطوبة قبيحة المنظر والريح، كأنها ماء اللحم، تضرب إلى السواد، ثم بعده رطوبة بلغمية لزجة، ثم يقلب اللبد ويضعه على العضة مره أخرى إلى تمام ثنتي عشرة ساعة مستوية، فإنه يحصل له الشفاء، وإن عاد الوجع فليعاود ذلك العمل بقطعة أخرى من اللبد غير القطعة الأولى، ويعاود شدها على." (١)

"قد رفعت يدها إلى الله سبحانه وتعالى وهي تقول: اللهم ما أنا أمتك الغريبة، وسائلتك الفقيرة بحيث يرى مكاني، ولا يخفي عليك سوء حالي، وقد هتكت الحاجة حجابي، وكشفت الفاقة نقابي، وقد بذلت لهما وجها كريما عن المسألة، ضعيفا البذلة، طال ستره الحياء وصانه الغناء، وقد حمت عني أكف المخلوقين، وضاقت دوني أنفس المرزوقين، فمن حرمني لم أمله، ومن وصلني وكلته إلى رحمتك يا أرحم الراحمين، فمررت بها وقلت يا جارين من أين أنت؟ فأنشأت تقول:

بعض النساء أبرزها ... الدهر إلى ما ترى وأحوجها

أخرجها م حجاب نعمتها ... وابتزها ملكها، وأزعجها

وطال ما كانت العيون إذا ... ما برزت تستشيف هودجها

ألعزمها مقبل بصفحته ... متهم قد أقام منهجها

إن كان قد ساءها وأحوجها ... فطال ما سرها وأبهجها

الحمد لله رب داهية ... قد ضمن الله أن يفرجها

قيلا لما ملك أردشير بابك البلاد، وحصل في قبضته السبعة أقاليم استدعى صاحبي إيوان شهر، وقال له: أخبرني بما كان لصاحبك من العجائب، فقال كان له ستة أشياء: أحدها بركة عظيمة كبيرة، كان يجلس عليها للشرب، وكان ندماؤه تحضره كل واحد منهم شرابه من داره، فيطرحه في تلك البركة، فتختلط الشربة على تغير ألوانها وطعومها، وأجناسها، فإذا غرفوا، خرج في قدح كل واحد منهم شرابه إلى جهته غير مختلط بشراب سواه.

الثاني: كان له طائر من النحاس على قبته في داره، فكان إذا دخل المدينة غريب صفر ذلك الطائر صفيرا يسمع كل من في المدينة، فيعلمون بدخول الغريب فيؤخذ، ويحضر بين يدي الملك، فيسخره لأي شيء ورد فعلم ذلك.

الثالث: كان له طبل إذا غاب رجل، وأبطأ، خبره ضرب ذلك الطبل، فإذا كان حيا جاء للطبل صوت.

والرابع: كان له مرآة إذا أراد الإنسان يعلم على أي حبال غائبة فيرى فيها خيرا أو شرا، نظر فيرى الغائب على الحالة التي هو عليها.

الخامس: كان له سروة يقف تحتها الفارس، والاثنين إلى الألف فتظلهم، فإذا زاد عن الألف واحد زال الظل عن الكل

---

(١) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس أحمد بن يوسف التيفاشي ص/١٧٠

وصاروا في الشمس.
السادس كانا كبشين عظيمين من حديد على لوح من حديد، بينهما غدير ماء، فإذا اختصم اثنان، أتيا إلى الكبشين فيحمل أحدهما على الظالم، فينطحه فيرمي به إلى الماء فكتب ابن مسرة إلى أبي الفضائل هذه الأبيات: [الكامل]

أسفي عليك، وقد أرقت صبابة ... من ماء وجهك في سؤال بخيل
ووجدت طعم سؤاله من لومه ... مرا كطعم الحنظل المبلول
ولقيت دون طعامه وشرابه ... ردا كحد الصارم المسلول
أقبلت تنشده، وأطرق معرضا ... إطراق دم بذحول
حتى ظننتك قائلا وظننته ... من فرط نخوته ولى قتيل
وكفلت لي عنه بكل كريمة ... ثم انثنيت وأنت شر كفيل
وأتت عليك خلائق حورية ... تأتي إذا ما فاتها بجميل
هلا سألت عن الصناعة أهلها ... فيخبروك بصنعة التطفيل
القوم لا يعشون إلا منزلا ... يغشى العيون دخانه من ميل
قيل لطفيلي: ما بال لونك أصفر؟ فقال: من الفتوة بين العضارتين أخاف أن يكون قد فني الطعام، فيذهب دمي فأصفر.
قال الأصمعي: رأيت شيخا من الأعراب متعلقا بأستار الكعبة، وهو يقول: [الطويل]

أما تستحي يا رزاق الخلق كلهم ... أناجيك عريانا وأنت كريم
أترزق أولاد المجوس وقد عتوا ... وتترك شيخا من سراة تميم
فألقيت القميص والأزر، والمناديل من كل جانب، فجعل يأخذها، ويقول شكرا لمن أخاطبه لا لكم.
قال نصر الجهني: كان لي جار طفيلي، وكان إذا دعيت إلى مدعاة، أو حضرت ملاكا، كرب معي، وجلس حيث أجلس، فيأكل وينصرف، وكان نظيفا عطرا، حسن اللباس، والمركب، وكنت لا أعرف إلا ظاهره، فاتفق لجعفر بن القاسم الهاشمي حق دعاه إليه أشراف أهل البصرة وكبارها.
وكان الأمير، فقلت: إن تبعني هذا الرجل لأخزينه، فلما حضرت تبعني ودخل لدخولي وارتفع إلى حيث أجلست، فلما حضر الطعام، قلت: حدثنا درست عن ابن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله "من دخل دار قوم بغير إذنهم، فكأنما دخل سارقا، وخرج معيرا، وكمن دعي، فلم يجب، فقد عصى الله ورسوله".." (١)
"وفي سيرة الواقدي أنه
تكلم في أوائل ما ولد وذكر ابن سبع في الخصائص إن مهده

---

(١) سفط الملح وزوح الترح ابن الدجاجي ص/٧٣

كان يتحرك بتحريك الملائكة له قال في المواهب قالت حليمة **ومن العجائب** أني ما رأيت له بولا ولا غسلت له وضوءا قط وكانت له طهارة ونظافة وكان له في كل يوم وقت واحد يتوضأ فيه ولا يعود حتى يأتي وقته الآخر من الغد ولم يكن شيء أبغض إليه من أن يرى جسده مكشوفا فكنت إذا كشفت عن جسده يصيح حتى أستره عليه وكان لا يبكي قط ولا يسيء خلقه وروى عن ابن عباس كانت حليمة تحدث أنها أول ما فطمته عليه الصلاة والسلام تكلم فقال الله اكبر كبير وسبحان الله بكرة وأصيلا وفي تاريخ الخميس عن المنتقى قالت حليمة انتبهت ليلة من الليالي فسمعته يتكلم بكلام لم أسمع كلاما قط أحسن منه فقال لا إله إلا الله قدوسا قدوسا نامت العيون والرحمن لا تأخذه سنة ولا نوم وهو أول ما تكلم فكنت أتعجب من ذلك فلما بلغ المنطق لم يمس شيئا إلا قال بسم الله ولم يتناول شيئا بيساره بل بيمينه وكنت قد اجتنبت الزوج إلا إن اغتسلت منه هيبة لرسول الله

حتى تمت له سنتان كاملتان فبينما هو قاعد في حجري ذات يوم إذ مرت به غنيمات فأقبلت شاة من الغنم حتى سجدت له وقبلت رأسه ثم رجعت إلى صواحباتها وكان ينزل عليه كل يوم نور كنور الشمس فيغشاه ثم ينجلي عنه قال العلامة القسطلاني ولما ترعرع

كان يخرج إلى الصبيان وهم يلعبون فيجتنبهم وفي المنتقى كان أخواه من الرضاع يخرجان فيمران بالغلمان فيلعبان معهم فإذا رآهم النبي

اجتنبهم وأخذ بيد أخويه وقال لهما إنا لم نخلق لهذا ولما مضت له سنتان من مولده قالت حليمة فصلته وقدمناه به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما نرى من بركته وكلمنا أمه وقلنا لو تركتيه عندنا حتى يغلط فإنا نخشى عليه وباء مكة ولم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به." (١)

"ومنها عدة شماعدين من النحاس المطلي بالذهب بالحجرة المطهرة وإنشاء عدة من الربط وترميم بعضها مما يقرب عددا إلى العشرين ومنها شراؤه ديار العشرة لاتصالها بقبلي المسجد النبوي والغرض الأعظم من ذلك هدمها ليذهب عين ما فيها من المراحيض والبلاليع وما فيه رائحة كريهة فهدمت جميعها وبقيت بعد هدمها وتعميرهما نافعة لكل خير تجدد بها قابلة للإلحاق بالمسجد النبوي ومنها عمارة تكية باسم والدة السلاطين العظام يعمل فيها في كل يوم للفقراء خبز وطعام ومنها أنه لما بلغه احتياج المطاف الشريف إلى أساطين وعرضوا له أن أساطين المسجد الحرام جميعها بالرخام وعرضوا بتعظيم ذلك وكونها من حجر واحد أمر أن تجعل أعمدة من النحاس فجعلت وقيمتها تعدل وزنها فضة في القياس ومنها منبر عظيم للبيت العتيق الكريم كانت النفقة عليه ثلاثين ألف من الدنانير الذهب الجديد خارجا عما حمل معه من آلات الحديد والفولاذ والرصاص والمؤن العديدة ووصل إلى مكة عام ست وستين وتسعمائة فقال بعض علماء مكة فيه تاريخا أبياتا آخرها بيت التاريخ هو // (من مجزوء الخفيف) //

(لسليمان منبر ... شاهد بالدعا له)

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٣١١/١

ومنها تعمير المدارس التي هى **من العجائب** برسم المدرسين من الأربعة المذاهب كما تقدم ذكره ومنارة عظيمة من جنسهن جنب أولاهن ومنها عمارة مهبط الوحي والأماكن الشريفة ومنها إجراء الماء من الفرات إلى مشهد الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما ومنها بالمسجد الأقصى خيرات لا تحصى ومنها عمارة قبة عظيمة على الصخرة الرفيعة الدرجات وجعل عوض التجصيص ألواح من فخار إزنيق بأنواع النقوش وأجل الكتابات ومنها للمساجد الثلاثة المشرفة المذكورة قدر الكفاية من الحبوب والمرتبات والخبز والطعام والصلة المبرورة ومنها بدار الخلافة العظمى قسطنطينية الكبرى إجراء عين من مسيرة ستة أيام أنفق على ذلك من الأموال ما لا يحصره كتب ولا ثرثرة أقلام." (١)

"المنية وقدم على رب البرية في التاريخ المذكور ببندر جدة وحمله ولده السيد سالم من جدة إلى مكة ووصل به ليلة السبت ودفن صبح اليوم المذكور على أبيه وأخيه في حوطة آل با علوي ولولده مولانا السيد سالم بن أحمد شيحان مؤرخا وفاة أبيه المذكور بعد أن رآه في منامه قوله // (من الكامل) //

(شاهدت في عام الوفاة بليلة ... غراء أحمد قائلا نفسي أحمدي)

(أسكنت جنات النعيم ونعم هي ... نزلا فتاريخ الوفاة تخلدى)

وفيها توفي بين العصرين سابع عشري رجب الشيخ الأمجد الأوحد شهاب الدين أحمد ابن أبي الفتح الحكمي أخذ عنه شيخنا العلامة الشيخ علي بن الجمال الأنصاري المكي وشيخنا الشيخ عبد الله ابن الشيخ سعيد باقشير وغيرهما وله ترجمة طويلة كانت وفاته بالمدينة ودفن بالبقيع وهو في عشر الخمسين نفعنا الله به آمين وفي سنة خمس وأربعين فجر الثلاثاء ثامن ذي العقدة منها توفي السيد أحمد بن محمد الهادي بن عبد الرحمن بن شهاب الدين محتد الجلالة والفخامة مفرد المقالة والشهامة العالم العامل بلا زعامة الحاتم على ناظره القطع له بالفضل السني والكرامة الولي لله بلا ريب ولا نزاع الملزم نفسه النفيسة الطاعة له عز وجل والحضور لديه والانقطاع ولد ب تريم واستوطن مكة ولازم السيد عمر بن عبد الرحيم والشيخ أحمد بن علان وغيرهما واستمر بمكة إلى أن انتقل بها في التاريخ المذكور ودفن بحوطة السادة بني علوي وفيها توفي الشيخ يوسف بن محمد البلقيني بقية الجيل الجليل الذي سلف ونخبة الحائزين بالعلم السيادة والشرف رئيس القراء المجيدين جليس الفقراء إلى الله المنقطعين إذا قرأ القرآن المجيد رتله ترتيلا وحبره تحبيرا وإذا حار بالنعمان اللبيب في مشكل متشابهه قيل له اسأل به خبيرا رحمه الله تعالى وفي سنة ست وأربعين وألف ضحوة يوم الأحد تاسع ذي القعدة الحرام توفي مولانا وسيدنا إمام أهل العرفان ذو السر الباهر والبرهان من مزايا مفاخرة فقد الحصر وبذكر مناقبه يتجمل الزمان والدهر أوحد الأئمة المعتبرين أولي التمكين مرشد الطالبين ومربي السالكين العالم العامل والأستاذ الكامل طاهر الجنان واللسان والأركان مولانا السيد سالم مولانا السيد سالم بن أحمد شيحان وفن في عصر ذلك اليوم على والده وجده بالمعالاة وتاريخ وفاته صار إلى رحمة الله وله ترجمة طويلة عظيمة جليلة - رحمه الله تعالى - وفيها ليلة الخميس ثالث عشر ذي القعدة توفي السيد نعمة الله بن عبد الله بن محيي الدين بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علي بن أحمد بن محمد بن زكريا بن يحيى بن محمد بن عبد الله

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٤/٩٥

بن عبد القادر الجيلاني أحد أكابر الأولياء الذين نالوا الوفا والكرامة الغني بكمال فضله عن إشارة أو علامة سطع نور كمالاته فأخجل النيرين وأشرقت صفاته المضيئة في الخافقين وتواترت كراماته في سائر الآفاق ووقع على ولايته الاتفاق اشتهر فلا يحتاج إلى إطناب في الصفات بما خصه مولاه من أنواع الكمالات ولد بالهند ووصل إلى مكة سنة أربعة عشر وألف وجاور بها ولازم الصمت والمسجد سنين ثم سكن شعب عامر وتزوج وأولد أولادا نجباء أجلاء ثم مرض وأوصى أن يدفن بمحله بشعب عامر المذكور فدفن به وكانت الحمى من أقل خدامه يرسلها إلى من شاء أي مدة شاء ويرفعها متى شاء بإذن الله تعالى مدحه الأجلاء ورثوه بعدة قصائد منهم مولانا وشيخنا الشيخ علي بن الجمال والأديب البارع أحمد الفضل الكثيري وغيرهما وفيها في موسمها يوم الجمعة عشري ذي الحجة الحرام وقعت فتنة كان ابتداؤها قبل صلاة الجمعة سببها أن عبدا لبعض السادة الأشراف ورد بفرس سيده الشمة المعروفة بالبزابيز فوقع هناك بين العبد المذكور وبين شخص من عسكر مصر تزاحم وتدافع فضرب الجندي العبد فضربه العبد وجرحه فلزمه الجندي مع جماعته فانتدب جماعة العبيد ففكوا العبد فثارت الفتنة ولم يكن لصاحب مكة ولا للأمير علم بذلك فاجتمع الجندي مع جماعته بمدرسة السلطان قايتباي واجتمع عسكر صاحب مكة مع العبيد عند منزله فأقبل كل من الفريقين على الآخر فأرسل الشريف جماعة لرد عسكره ونهيهم تسكينا للفتنة وبرز أمير الحاج من المدرسة وبيده عصا لرد عسكره كذلك وسار على قدميه فلما وصل إلى قريب من باب على أبواب المسجد الحرام سمع صوت البندق فرجع ودخل من باب الحريريين ودخل المدرسة من بابها الكائن في المسجد الحرام فبينما هم كذلك إذ نزل من جهة المعلاة نم كان بها من العسكر المصري ومعهم المدافع فجعلوا واحدا منها عند الشمة المذكورة وواحدا عند باب المدرسة القايتبائية فاشتد الكرب على أهل مكة وأرسل في أثناء ذلك مولانا الشريف زيد رحمه الله تعالى إلى أمير الحاج المصري رضوان بك مشيرا عليه بمنع العسكر المصري جماعته وكذا أرسل إلى أمير الحاج الشامي الأمير محمد بك بن فروخ وقتل من العسكر المصري والعسكر الشريفي أشخاص بالبنادق ولم يزل الأمر كذلك حتى أجنهم الليل فانكف الفريقان وركب بعض خدام الشريف رحمه الله تعالى بأمر منه ومعه المناداى بالأمان وأمسى الناس في أمر مريج فلما كانت صبيحة يوم السبت سعى أمير الحاج الشامي الأمير محمد بك المذكور بين الشريف وبين أمير الحاج المصري بالصلح فتعافيا فنادى قبل صلاة الظهر من ذلك اليوم مناديان أحدهما من أمير المصري والثاني من الشامي بالأمان للحجاج وأهل البلد وقدم المصري خروجه من مكة في هذا العام على خلاف العادة فبرز في يوم الثالث والعشرين من ذي الحجة وفي سنة سبع وأربعين وألف قدم شعبان أفندي إلى المدينة المنورة ومعه حجر من الماس محفوف بأحجار مختلعة مكفوف بصفائح الذهب والفضة وهذا الحجر من آثار صدر الدولة العثمانية مصطفى باشا سلحدار فوضع ذلك الحجر تحت الحجرين اللذين وضعهما السلطان أحمد خان وأنعم على أهل المدينة بالصدقة الجليلة وفي ذلك يوم السيد محمد كبريت مادحا مؤرخا // (من الخفيف) //

(زار خير الأنام خير همام ... قد تسمى شعبان وهو ربيع)

(عم جيران أحمد بنوال ... دون ذاك النوال خصب مريع)

(جاء بالجوهر الثمين لطه ... من وزير هو الجناب المنيع)

(مصطفى المجد والندى والمعالي ... وسلحدار نعمة لا تضيع)

(يا له جوهر التسامي وسامى ... بمقام فيه الثناء يضوع)

(عند وجه النبي قد وضعوه ... فغدا وهو مشرق ولموع)

(كان هذا في عام سبع وألف ... وتمام النظام فيه بديع)
قلت هذا في التاريخ لطف إدخال في قوله وتمام النظم فيه لأنه يشير بذلك إلى الميم من لفظ النظام وهي بأربعين فبذلك تم حساب سبع وأربعين وألف وكان إهداء ذينك الحجرين الأولين من حضرة مولانا السلطان أحمد خان مع لوح من فضة كبير مكتوب فيه آيات قرانية في سنة ست وعشرين وألف مركب على الشباك القبلى أمام المواجهة الزائر وفي اللوح أبيات آخرها بيت التاريخ وهو لوح السلطان أحمد أهداه حبا خالصا وفيها توفي العلامة القاضي أحمد بن عيسى المرشدي العمري الحنفي شهاب الفضل الثاقب الشهير الماثر والمناقب من سطع في سماء الأدب نوره وتفتق في رياضه زهره ونوره فامتد البلاغة باعه وشق على من رام أن يشق غباره اتباعه لا تلين قناة فضله لغامز ولا يلمز ادبه المبرأ من العيب لامز
كان تولى القضاء بمكة المشرفة فنال به ما أمله مما طمح بصره إليه واستشرفه
ولما حصل أخوه في قبضة الشريف أحمد بن عبد المطلب ومنى منه بذلك الفادح الذي قهر به وغلب حصل هو أيضا في قبضة القبض والأسر وأردف معه على ذلك الأدهم بالقسر حتى جرع أخوه بذلك الكاس وأنعم عليه بالخلاص بعد الياس فراش الدهر حاله وأعاد منها ما غيره وأحاله
ولم يزل فارغ البال من شواغل البلبال إلى أن انقضت أيامه ووافاه حمامه
فكانت وفاته لخمس خلون من ذي الحجة الحرام من السنة المذكورة
واتفق تاريخ وفاته صدر البيت المشهور
(من شاء بعدك فليمت ... ...)
وله نظم بديع ونثر يفوق أزهار الربيع
ومن نظمه القصيدة الدالية أمتدح فيها شريف مكة الشريف مسعود بن حسن مطلعها من // (البسيط) //
(عوجا قليلا كذا عن أيمن الوادي ... واستوقفا العيس لا يحدو بها الحادي)
منها قوله
(راس الملوك يمين الملك ساعده ... زند المعالي جبين الجحفل البادي)
ومنها

(وصان وسمك في حاش مخالطة ... عن رب غزو تنضاه بأحشاد)

وهي فصيحة بليغة تقدم ذكرها

وله قصيدة في السيد شهوان بن مسعود مطلعها من // (البسيط) //

(فيروزج أم وسام الغادة الرود ... يبدو على سلك در فيه منضود ومنها قوله في المخلص

(صهباء تفعل في الألباب سورتها ... فعل السخاء بشهوان بن مسعود)

وله ما كتبه على شداد مطية الشريف زيد بن محسن رحمهما الله تعالى وهو قوله من // (مجزوء الكامل) //

(أفق الشداد بدت به ... شمس الخلافة والهلال)

(ومن العجائب جمعه ... ليث الشرافة والغزال)

\ وله غير ذلك من غير ذلك رحمه الله تعالى

ثم دخل سنة تسع وأربعين بعد الألف في أثنائها أقبل من الديار الرومية بشير أغا الحبشي الطواشي معه أوامر بمطلق التصرف وخطوط سلطانية بما يريد من التعرف والتحرف فلما بلغ الينبع ورد إليه الخبر بوفاة السلطان مراد بن أحمد خان سلطان الزمان ففاح الخبر بينبع ثم كتمه ليتم له تنفيذ ما أراد وقد كان مولانا الشريف زيد هيأ واختار لبشير أغا عدة أماكن في المدارس والبيوت وأمر بفرشها وكان من نيته مواجهته إلى مر وأرسل بعض خدامه غلى ينبع ليرى ما مع بشير من الخيل والرحل والناس فلما وصل إليها سمع هذا الخبر وتحققه فرجع مسرعا مجدا به إلى مولانا الشريف زيد فلما تحقق مولانا الشريف صحة ذلك مر بتحويل الفرش التي في تلك الأماكن وغلق بعضها فلما قارب بشير مكة خرج إليه مولانا الشريف ولاقاه في الجوخي محل ملاقاة أمراء الحج إذا وصلوا فلما أن لاقاه وقابله وفي بال بشير أن الخبر لم يبلغه وأن يتم له ما أراد من تنفيذ ما شاء على غشاش وغفلة ثم بعد ذلك لا يضره ظهور الخبر فلما تدانيا همز مولانا الشريف زيد رحمه الله تعالى فرسه مقدما على بشير مناكبا له قائلا الله رحمت أيله سلطان مراد ومسح على عينيه بالمنديل باكيا أو متباكيا فسقط في يد بشير ودخل كالأسير

وهذا من جملة سعودات الشريف ذي القدر المنيف

وكان مولانا الشريف رحمه الله قد رأى في المنام كأن شخصا ينشده هذا البيت من // (الطويل) //

(كأن لم يكن أمر وإن كان كائن ... لكان به أمر نفى ذلك الأمر)

فانتبه رحمه الله وكتبه بالسواك على رمل في صحن نحاس خشية النسيان وكانت هذه الرؤيا في الليلة التي أسفر صباحها عن ورود هذا الخبر

واستمر بشير إلى آخر السنة وحج وتوجه صحبة الحاج حيث جاء. فمن اللطاف الخفية لمولانا بما أولاده وكم وكفى بالله

وقد نظم السيد محمد انسي المغربي قصيدة يمدح بها مولانا الشريف زيد رحمه الله ذكر فيها قصة بشير وأورد فيها البيت المذكور وهي هذه من // (الطويل) //

(سلو آل نعم بعدنا أيها السفر ... أعندهم علم بما صنع الدهر)

(تصدى لشت الشمل بيني وبينها ... فمنزلي البطحا ومنزلها القصر)

(رآني ونعمى لاهيين فغالنا ... فشلت يد الدهر الخئون ولا عذر)

(فوالله ما مكر العدو كمكره ... ولكن مكرا صاغه فهو المكر)

(فقولا لأحداث الليالي تمهلي ... ويأيهذا الدهر موعدك الحشر)

(سلام على ذاك الزمان وطيبه ... وعيش مضى فيه وما نبت الشعر)

(وتلك الرياض الباسمات كأن في ... عواتقها من سندس حلل خضر)

(تنضد فيها الأقحوان ونرجس ... كأعين نعم إذ يقابلها الثغر)

(كأن غصون الورد قضب زبرجد ... تخال من الياقوت أعلامه الحمر)

(إذا خطرت في الروض نعم عشية ... تفاوح من فضلات أردانها العطر)

(وإن سحبت أذيالها خلت حية ... إلى الماء تسعى ما لأخمصها إثر)

(كساها الجمال اليوسفي ملابسا ... فأهون ملبوس لها التيه والكبر)

(فكم تخجل الأغصان منها إذا انثنت ... وتغضي حياء من لواحظها البتر)

(لها طرة تكسو الظلام دياجيا ... على غرة إن أسفرت طلع الفجر)

(وصحنان خد أشرقا فكأنما ... مصابيح رهبان أضاء بها الدير)

(وجيد من البلور أبيض ناعم ... كعنق غزال قد تكنفها الذعر)

(ونحر يقول الدر إن به غنى ... عن الحلى لكن مثقال فند به الصبر)

(وحقان من كالكافورتين علاهما ... من الند مثقال فند به الصبر)

(رويدك يا كافور إن قلوبنا ... ضعاف وما كل البلاد هي المصر)

(تبدى بقد باسقا متأودا ... على نقو من رمل يطوف به نهر)

(يكاد يقد الخصر من هيف به ... روادفها لولا الثقافة والهصر)

(لها بشر مثل الحرير ومنطق ... رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر)

(رأتني سقيما ناحلا والها بها ... فأذنت لها عوذ أناملها العشر)

(إذا كنت مطبوبا فلا زلت هكذا ... وان كنت مسحورا فلا برئ السحر)

(فقلت لها والله يا ابنة مالك ... لما شفني إلا القطيعة والهجر)

(رمتنى العيون البابليات أسهما ... فأقصدني منها سهامكم الحمر)

(فقالت وألقت في الحشا من كلامها ... تأجج نار أنت من ملكنا حر)

(فوالله ما أنسى وقد بكرت لنا ... بإبريقها تسعى به القينة البكر)

(تدور بكاسات العقار كأنجم ... إذا طلعت من برجها أفل البدر)

(ندامای نعم والرباب وزينب ... ثلاث شخوص بيننا النظم والنثر)

(على الناى والعود الرخيم وقهوة ... يذكرها دنيا بأقدامنا العصر)

(فتقتص من ألبابنا ورءوسنا ... فلم ندر هل ذاك النعاس أم السكر)

(معتقة من عهد عاد وجرهم ... ومودعها الأدنان لقمان والنسر)

(مشعشعة صفرا كأن حبابها ... على فرش من عسجد نثر الدر)

(إذا فرغت من كأس نعم وأختها ... تشابه من ثغريهما الريق والخمر)

(خلا أن ريق الثغر أشفى لمهجتي ... إذا ذاقه قلبي الشجي خمد الجمر)

(وأنفع درياق لمن قتل الهوى ... فمات ارتشاف الثغر إن سمح الثغر)

(بهذا عرفنا الفرق ما بين كأسها ... وبين مدام الظلم إن أشكل الأمر)

(فوالله ما أسلو هواها على النوى ... بلى إن سلا بذل النوى الملك القسر)

(أبو حسن زيد المحاسن والعلا ... له دون أملاك الورى المجد والفخر)

(إذا ما مشى بين الصفوف تزلزلت ... لهيبته الأقيال والعسكر المجر)

(وترجف ذات الصدع خوفا لبأسه ... فتندك أطواد الممالك والقفر)

(فلو قال البحر المحيط ائت طائعا ... أتاه بإذن الله في الساعة البحر)

(تظل ملوك الأرض خاشعة له ... وما خشعت إلا وفي نفسها أمر)

(كريم متى تنزل بأعتاب داره ... تجد ملكا يزهو به النهي والأمر)

(تجد ملكا يغني الوفود وينجز الوعود ... وأدنى بذله الدهم والشقر)

(على جوده من وجهه ولسانه ... دليلان للوفد البشاشة والبشر)

(فما أحنف حلما وما حاتم ندى ... وما عنتر يوم الحقيقة أو عمرو)

(هو الملك الضحاك يوم نزاله ... إذا ما الجبان الوجه قطبه الكر)

(لقد قر طرف الملك منه لأنه ... لديه النوال الحلو والغضب المر)

(حياة ومر للموالي وللعدى ... لقد جمعا في كفه الجبر والكسر)

(أنخ عنده يا طالب الرزق إن ما ... حواه أنوشروان في عينه نزر)

(ولا تصغ للعذال أذنا وإن وفوا ... بإحسانهم منه فما العبد والحر)

(وهل يستوي عذب فرات مروق ... وملح أجاج لا ولا التبن والتبر)

(فلو سمعت أذن العداة بمجده ... مزاياه لا ستحيت ولكن بها وقر)

(فما قدروا زيد العلا حق قدره ... وماذا عليهم يا ترى لهم الخسر)

(مليك إليه الانتهاء فقيصر ... يقصر عنه بل وكسرى به كسر)

(مليك له عند الإله مكانة ... تبوأها من قبله الياس والخضر)

(مليك له سر خفي كأنما ... يناجيه في الغيب ابن داود والجفر)

(فإن كذبت أعداء زيد فحسبه ... من الشاهد المقبول قصته البكر)

(ليالي إن جاء الخصي وأكثروا ... أقاويل غي ضاق ذرعا بها الصدر)

(فأيقظه من نومه بعد هجعة ... من الليل بيت زاد فخرا به الشعر)

(كأن لم يكن أمر وإن كان كائن ... لكان به أمر نفى ذلك الأمر)

(وفي طي هذا عبرة لأولى النهى ... وذكرى لمن كانت له فطنة تعرو)

(فيا زيد قل للحاسدين تحنطوا ... بغيظكم إن لم يطع \ يعكم الصبر)

(فمجدي كما قد تعلمون مؤثل ... وكل حمام البر يفرسه الصقر)

(من القوم أرباب المكارم والعلا ... ميامين في أيديهم اليسر والعسر)

(مساميح في اللأوا مصابيح في الوغى ... تصالح في مغناهم الخير والشر)

(أسنتهم في كل شرق ومغرب ... إذا وردت زرق وإن صدرت حمر)

(مساعير حرب والقنا متشاجر ... ويوم الندى تبدو جحاجحة غر)

(بني حسن لا أبعد الله داركم ... ولا زال منهلا بأرجائها القطر)

(ولا زال صدر الملك منشرحا بكم ... فعنكم ولاة البيت ينشرح الصدر)

(وصلى على المختار والآل ربنا ... وسلم ما لاح السماكان والغفر)
وفي سنة خمسين وألف يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الأولى توفي الشيخ تاج الدين زكريا بن سلطان النقشبندي بمكة ودفن صبح الخميس في رباطه الشهير برباط تاج في سفح جبل قعقيعان وله ترجمة طويلة
أخذ عنه الشيخ الأمجد أحمد بن إبراهيم بن علان وشيخنا الشيخ عبد الله وأخوه الشيخ محمد ابنا الشيخ سعيد باقشير
وفيها توفي الجمال محمد بن أحمد بن حكيم الملك بالديار الهندية
وفي سنة اثنتين وخمسين وألف ليلة الخميس ثاني عشر صفر منها توفي الشيخ فتح الله النحاس الحلبي الشاعر المجيد والأديب الفريد الذي شاع ذكره وشعره وذاع وجمع بين الإسراع والإبداع
كان من فحول الشعراء في عصره وفريد النثر والنظم في دهره
ورزق حظوة عند أهله وقبولا يعهد مثله لمثله لكنه كان ذا تعاظم في نفسه وتكبر على جنسه ولم يسعفه دهره كعادته في الأدباء فأدركته حرفة الأدب وناداه لسان حاله لا تعجب فإني أبو العجب
مولده بحلب في حدود الألف وصحب المشايخ الكبار وحج وزار
وأقام بالمدينة على مشرفها الصلاة والسلام إلى أن أدركه بها الحمام في التاريخ المذكور ودفن بالبقيع
وقد عني بجمع ما تيسر من شعره مولانا العلامة الفهامة برهان الدين الشيخ إبراهيم ابن المرحوم الشيخ عبد الرحمن بن الخياري المدني فجمعه في ديوان لطيف ومن بديع شعره قوله مادحا النبي
من // (البسيط) //
(وتذكر السفح فانهلت سوافحه ... وليس يخفاك ما تخفي جوانحه)

وفي هذه القصيدة بيت يجفل منه الطبع الذكي ويود أن يكون عند فهمه بليدا أي بليد وإن كان هو عند أدباء العصر بيت القصيد وهو قوله من // (البسيط) //
(وما أقول إذا ما جئت أمدح من ... جبريل خادمه والله مادحه)
وفي سنة ثلاث وخمسين وألف أنشأ مولانا الشريف زيد بن محسن سبيلا وحنفية بمكة المشرفة
فقال مولانا القاضي تاج الدين مؤرخا لعمارتهما من // (السريع) //
(لله تأسيس نما خيره ... وفاز بالتطهير من أم له)

(به سبيل وحنفية ... وسلسبيل فارتشف سلسله)

(له نبا في الفيض مهما روى ... حديثه أورى بما سلسله)

(سالت عطاياه لجينا فمن ... رام نداه نال ما أمله)

(وحيث لم تكتف سؤاله ... فلا يكف البذل إذ أرسله)

(لأن من أسس بنيانه ... غيث الورى في السنة الممحله)

(من نفسه يوم عطاه ترى ... إن وهب الدنيا فقد قل له)

(توجه الله بتاج زها ... بجوهر المجد الذي كلله)

(والله من وافر إحسانه ... أجرى له الأجر الذي أجزله)

(فإن تسل عن ضبط تاريخه ... فخذ جوابا يوضح المسأله)

(أسسه سلطان أم القرى ... زيد يدوم العز والسعد له)
ولما كان أوائل سنة سبع وخمسين طلع الصنجق الكبير صاحب جدة المسمى مصطفى بك غلى وادي الطائف المأنوس لزيارة الحبر سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وطلع بعده الأغا المكرم بشير أغا غلام المرحوم مولانا السلطان مراد خان بن أحمد خان وهذا من مجيئه الثاني سنة ست وخمسين بعد الألف متوليا مشيخة الحرم النبوي فأقام ما شاء الله أن يقيم ثم لما أن كان نازلا إلى مكة طالعا في المحل المعروف بالنقب الأحمر وجه جبل كراء مما يلي الطائف وقد تفرقت عساكره

خلفا وأماما ولم يبق معه سوى السائس وحامل كوز الماء اعترضه رجل عربي كان يتعهده بالإحسان إليه يقال له الجعفري فضربه وهو متجرد للإحرام." (١)

"حقوقهم فيكون عاصي الشرع والسلطان ثم خرج من مكة بعد عصر ذلك اليوم كالهارب // (من البسيط) //

(ألجد في الجد والحرمان في الكسل ...)

وفيها تاسع ربيع الأول ورد أغا من صاحب مصر بقفطان للشريف سعيد وبطلب كرد أحمد المعمار وهذا كرد أحمد كان قد وصل قبل هذه السنة أرسله الوزير الأعظم مصطفى باشا إلى عمارة المسجد الحرام وحده وكانت عمارته في المسجد فرش أروقته بالحجر الشبيكي وعمارته بجدة إجراء عين إليها استمر فيها نحو ثلاث سنوات ابتدأها من المحل المعروف بالقوز وعمر بها أيضا مسجدا ومنارة وحماما ووكالة وسبب طلبه لما غضب على مرسله الوزير الأعظم مصطفى المذكور بسبب الولس الذي نسب إليه مع الكفار على المسلمين وكان هذا كرد أحمد من خواص الوزير المذكور فجاء الأمر لمولانا الشريف سعيد ففى يوم وصل الأغا ختم على بيت كرد أحمد الذى بمكة وركب الأغا من يومه إلى جدة وختم على بيته بها وعلى جميع المال وأحضروا المهندسين فخمنوا العمارة فخمنوا كل ذراع بقرش ريال بعد أن ذرعوا من الابتداء إلى البلد فبلغ كذا وكذا ألف ذراع وكذلك خمنوا ما صرف على فرش المسجد وحسبوا جميع ذلك وكتبوا به حجة شرعية وخرج من مكة إلى جدة في شهر ربيع الآخر فذهب بحرا إلى من طلبه ومما وقع في هذه السنة **من العجائب** أن حرمة من جهة الشبيكه من نساء العرب وضعت كلبا فخافوا الفضيحة فقتلوه ودفنوه وفيها أيضا جاء نجاب من مصر وأخبرني مشافهة أن بالمويلح القرية المعروفة حرمة ولدت ولدا فذهب أبوه إلى جهة السوق فلما رجع قال الولد المولود لوالده العوافي يا باه قضيت حاجتك وتكلم بأشياء كثيرة من ساعته وهذا **من العجائب** التي لم يسمع بمثلها إلا نادرا والقدرة صالحة وبعد ذلك فقد الولد فسبحان القادر على كل شئ وفيها تضرر السادة من غلو سعر الذهب ووصول الأحمر إلى ثمانية حروف." (٢)

"وامتد ملكه على المهانة بتدبير أخيه، ولو شاء خلعه لخلعه.

قال ابن الفرات: كان في خلافته محكوما عليه، حتى إنه احتاج في بعض الأوقات إلى ثلاثمائة دينار فلم يجدها في ذلك الوقت، فقال:

أليس **من العجائب** أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه

إليه تحمل الأموال طرا ... ويمنع بعض ما يجبى إليه

[١] وفيها توفي أحمد بن أبي خيثمة، زهير بن حرب الحافظ ابن الحافظ، أبو بكر النسائي، ثم البغدادي، مصنف «التاريخ الكبير» ، وله أربع وتسعون سنة. سمع أبا نعيم، وعفان، وطبقتهما.

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٤/٤٦٠

(٢) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي العصامي ٤/٥٥٠

قال الدارقطني: ثقة، مأمون.

وفيها إبراهيم بن عبد الله بن عمر العبسي. القصار، الكوفي أبو إسحاق، آخر أصحاب وكيع وفاة.

وفيها جعفر بن محمد بن شاكر الصائغ ببغداد، وله تسعون سنة.

روى عن أبي نعيم وطبقته، وكان زاهدا، عابدا، ثقة، ينفع الناس ويعلمهم الحديث.

وأبو يحي عبد الله بن زكريا بن أبي ميسرة، محدث مكة في جمادى الأولى. روى عن أبي عبد الرحمن المقرئ وطبقته.

وفيها الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي، أبو عيسى، الترمذي الضرير، تلميذ أبي عبد الله البخاري، ومشاركه فيما يرويه في عدة من مشايخه. سمع منه شيخه البخاري وغيره، وكان مبرزا على الأقران، آية في الحفظ والإتقان.

---

[١] في «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٧٨) .." (١)

"سنة سبع وثمانين ومائتين

في المحرم قصدت طيء ركب العراق لتأخذه كعام أول بالمعدن، وكانوا في ثلاثة آلاف، وكان أمير الحاج أبو الأغر، فواقعهم يوما وليلة، والتحم القتال، وجدلت الأبطال، ثم أيد الله الوفد، وقتل رئيس طيء صالح بن مدرك، وجماعة من أشراف قومه، وأسر خلق، وانهزم الباقون. ثم دخل الركب بالأسرى والرؤوس على الرماح.

وفيها سار العباس الغنوي في عسكر [١] ، فالتقى أبا سعيد الجنابي [٢] فأسر العباس وانهزم عسكره، وقيل: بل أسر سائر العسكر، وضربت رقابهم، وأطلق العباس، فجاء وحده إلى المعتضد برسالة الجنابي، أن كف عنا واحفظ حرمتك.

قال ابن الجوزي في «الشذور» : **ومن العجائب** أن المعتضد بعث العباس بن عمر الغنوي في عشرة آلاف إلى حرب القرامطة، فقبض عليهم القرامطة، فنجا العباس وحده، وقتل الباقون.

وفيها غزا المعتضد، وقصد طرسوس، ورد إلى أنطاكية، وحلب.

وفيها سار الأمير بدر، فبيت القرامطة، وقتل منهم مقتلة عظيمة.

---

[١] في «العبر» للذهبي: «في عسكره» .

[٢] قال ياقوت: جنابة بلدة صغيرة من سواحل فارس، ووهم من ذكر بأنها من البحرين. انظر «معجم البلدان» (٢/ ١٦٥- ١٦٦) . وأبو سعيد الجنابي، اسمه «الحسن بن بهرام» وانظر «شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد» للسفاريني (١/ ٢٣٠) طبع المكتب الإسلامي.." (٢)

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٣٢٧/٣

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٣٦٣/٣

"قال الوزير علي بن عيسى: ما هو إلا أن يترك [١] النبيذ خمسة أيام [متتابعة حتى يصح ذهنه] ، وكان ربما يكون في إصابة الرأي كأبيه، وكالمأمون.

ومن العجائب أنه لم يل الخلافة من اسمه جعفر إلا هو والمتوكل، وكلاهما قتل في شوال.

وندم مؤنس على قتله وقال: لنقتلن كلنا، ثم بايعوا القاهر، فصادر بعض خواص المقتدر، وعذب أمه، حتى ماتت معلقة، وبالغ في الظلم، واستوزر ابن مقلة، وكان المقتدر مسرفا مبذرا [ناقص الرأي] [٢] محق الذخائر حتى إنه أعطى بعض جواره الدرة اليتيمة، التي وزنها ثلاثة مثاقيل، ويقال:

إنه ضيع من الذهب ثمانين ألف ألف دينار، وكان في داره عشرة آلاف خصي من الصقالبة، وأهلك نفسه بيده بسوء تدبيره، وخلف عدة أولاد، منهم:

الراضي بالله محمد، والمتقي لله إبراهيم، والأمير إسحاق ولد القادر، والمطيع لله، وذكر طبيبه ثابت بن سنان في «تاريخه» أن المقتدر أتلف نيفا وسبعين ألف ألف دينار.

وفيها توفي الحافظ، محدث الشام، أبو الحسن، أحمد بن عمير [٣] بن يوسف بن موسى بن جوصا [٤] . سمع كثير بن عبيد، وطبقته. وعنه الطبراني، وحمزة الكناني، وأبو علي الحافظ، والحاكم [٥] . حط عليه حمزة الكناني، وأثنى عليه الدارقطني، وجمع وصنف وتبحر في الحديث.

قال أبو علي النيسابوري: كان ركنا من أركان الحديث.

---

[١] في الأصل والمطبوع: «ما هو إلا لا يترك» وهو خطأ، والتصحيح من «تاريخ بغداد» (٧/ ٢١٨) وما بين حاصرتين زيادة منه.

[٢] ما بين حاصرتين سقط من الأصل والمطبوع واستدركته من «العبر» (٢/ ١٨٦) .

[٣] في الأصل والمطبوع: «ابن عمر» وهو تحريف والتصحيح من «العبر» و «سير أعلام النبلاء» .

[٤] «العبر» (٢/ ١٨٦- ١٨٧) وانظر «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ١٥- ٢١) .

[٥] هو أبو أحمد محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق النيسابوري الكرابيسي، ويعرف بالحاكم الكبير، المتوفى سنة (٣٧٨) وسوف ترد ترجمته في ص (٤١٥) من هذا المجلد.." (١)

"وفيها عبد الخالق بن الحسن بن أبي روبا، أبو محمد السقطي، نسبة إلى بيع السقط [١] ، المعدل البغدادي، ببغداد. روى عن محمد بن غالب تمتام وجماعة.

وسنقة [٢] ، أبو عمرو عثمان بن محمد البغدادي السقطي. سمع الكديمي، وإسماعيل القاضي، ومات في آخر السنة، وله سبع وثمانون سنة.

وفيها صاحب الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين الأموي الأصبهاني، الكاتب الأخباري. يروى عن مطين فمن بعده،

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٩٩/٤

وكان أديبا، نسابة، علامة، شاعرا، كثير التصانيف. **ومن العجائب** أنه مرواني يتشيع.

توفي في ذي الحجة عن ثلاث وسبعين سنة. قاله في «العبر» [٣] .

وقال ابن خلكان [٤] : جده مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وهو أصفهاني الأصل بغدادي المنشأ، كان من أعيان أدبائها وأفراد مصنفيها، وروى عن عالم كثير من العلماء يطول تعدادهم، وكان عالما بأيام الناس، والأنساب، والسير.

قال التنوخي: ومن المتشيعين الذين شاهدناهم، أبو الفرج الأصبهاني، كان يحفظ [من] الشعر، والأغاني، والأخبار، والآثار، والأحاديث المسندة، والأدب، والنسب [ما] لم أر قط من يحفظ مثله، ويحفظ دون ذلك من علوم أخر [٥] ، منها اللغة، والنحو، والخرافات [٦] ، والسير، والمغازي، ومن

---

[١] قال السمعاني في «الأنساب» (٧/ ٩١) في شرح السقط: وهي الأشياء الخسيسة كالخرز، والملاعق، وخواتيم الشبة والحديد، وغيرها.

[٢] تحرفت في الأصل والمطبوع إلى «سبعة» والتصحيح من «العبر» و «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٨١) .

[٣] (٢/ ٣١١) .

[٤] في «وفيات الأعيان» (٣/ ٣٠٧- ٣٠٩) .

[٥] في المطبوع: «أخرى» وما جاء في الأصل موافق لما في «وفيات الأعيان» .

[٦] في الأصل والمطبوع: «والحرف» وما أثبتناه من «وفيات الأعيان» ، و «تاريخ بغداد»." (١)

"مخدمه عليه، فعمد إلى لحيته فحلقها، وإلى مذاكيره فجبها، فكان ذلك سبب سلامته من ألب أرسلان.

وقيل: إن السلطان خصاه، ثم إن ألب أرسلان عزله ونقله إلى مرو الروذ وحبسه في داره [١] ، وكان في حجرة تلك الدار عياله، وكانت له بنت واحدة لا غير، فلما أحس بالقتل دخل الحجرة وأخرج كفنه وودع عياله، وأغلق باب الحجرة واغتسل وصلى ركعتين، وأعطى الذي هم بقتله مائة دينار نيسابورية، وقال: حقي عليك أن تكفنني في هذا الثوب الذي غسلته بماء زمزم، وقال لجلاده، قل للوزير نظام الملك: بئس ما فعلت، علمت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان، ومن حفر مهواة وقع فيها، ومن سن [سنة] [٢] سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة [٣] ورضي بقضاء الله المحتوم، وقتل يوم الأربعاء سادس عشري ذي الحجة [٤] وعمره يومئذ نيف وأربعون سنة.

ومن العجائب أنه دفنت مذاكيره بخوارزم، وأريق دمه بمرو الروذ، ودفن جسده بقرية كندر [٥] ، وجمجمته ودماغه بنيسابور، وحشيت جلده [٦] بالتبن، ونقلت إلى كرمان، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر.

وكندر: قرية من قرى طريثيث [٧] من نواحي نيسابور. انتهى ملخصا.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٤/٢٩٢

[١] في «آ» و «ط» : «في دار» والتصحيح من «وفيات الأعيان» .

[٢] لفظة «سنة» سقطت من «آ» و «ط» واستدركتها من «وفيات الأعيان» .

[٣] اقتباس من حديث طويل رواه مسلم رقم (١٠١٧) في الزكاة: باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، والنسائي (٥/ ٧٥ و ٧٦) في الزكاة: باب التحريض على الصدقة من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

[٤] في «وفيات الأعيان» : «وقتل يوم الأحد سادس عشر ذي الحجة» .

[٥] انظر «معجم البلدان» (٤/ ٤٨٢) .

[٦] في «ط» : «جثته» وفي «وفيات الأعيان» : «سوأته» .

[٧] في «آ» و «ط» : «طرثيث» وهو خطأ والتصحيح من «وفيات الأعيان» وانظر «معجم البلدان» (٤/ ٣٣) .." (١)

"لو تخبر الركبان عني حدثوا ... عن مقلة عبرى وقلب موجع

ردي لنا زمن الكثيب فإنه ... زمن متى يرجع وصالك يرجع

لو كنت عالمة بأدنى لوعة ... لرددت أقصى نيلك المسترجع

بل لو قنعت من الغرام بمظهر ... عن مضمر بين الحشا والأضلع

أغنيت إثر تعتب ووصلت غ ... - ب [١] تجنب وبذلت بعد تمنع

ولو انني أنصفت نفسي صنتها ... عن أن أكون كطالب لم ينجع

إني دعوت ندى الكرام فلم يجب ... فلأشكرن ندى أجاب وما دعي

ومن العجائب والعجائب جمة ... شكري بطيء عن ندى متسرع

وله بيت مفرد في شرف الدولة سالم بن قريش:

أنت الذي نفق الثناء بسوقه ... وجرى الندى بعروقه قبل الدم

ولما وصل ابن الخياط الشاعر إلى حلب، كتب لأبي الفتيان المذكور:

لم يبق عندي ما يباع بدرهم ... وكفاك مني منظري عن مخبري

إلا بقية ماء وجه صنتها ... عن أن تباع وقد وجدتك مشتري

فقيل له: لو قال: وأنت نعم المشتري كان أحسن.

وكانت ولادة ابن حيوس يوم السبت سلخ صفر، سنة أربع وسبعين [٢] وثلاثمائة، فيكون عمر تسعة وتسعين سنة [٣]

وهو شيخ ابن الخياط الشاعر المشهور.

وحيوس: بالحاء المهملة، والياء التحتية المشددة، وفي شعراء المغاربة ابن حبوس بالباء الموحدة.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٢٤٦/٥

[١] في «آ» و «ط» : «عقب» وما أثبته من «وفيات الأعيان» .

[٢] في «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٣٧٩) : «توفي سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة» .

[٣] الذي في «العبر» أنه توفي عن ثمانين سنة (ع) .." (١)

"العلم، وبالجملة ما رأى الرجل مثل نفسه. توفي في رابع عشر جمادى الآخرة بالطابران، قصبة بلاد طوس، وله خمس وخمسون سنة.

والغزالي: هو الغزال، وكذا العطاري والخبازي [١] ، على لغة أهل خراسان. قاله في «العبر» [٢] .

وقال الإسنوي في «طبقاته» [٣] : الغزالي إمام باسمه تنشرح الصدور، وتحيا النفوس، وبرسمه تفتخر المحابر وتهتز الطروس، وبسماعه تخشع الأصوات وتخضع الرؤوس.

ولد بطوس، سنة خمسين وأربعمائة، وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في حانوته، فلما احتضر أوصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له صوفي صالح، فعلمهما الخط وأدبهما، ثم نفد منه ما خلفه أبوهما، وتعذر عليه القوت، فقال: لكما أن تلجئا إلى المدرسة، قال الغزالي: فصرنا إلى المدرسة نطلب الفقه لتحصيل القوت، فاشتغل بها مدة ثم ارتحل إلى أبي نصر الإسماعيلي بجرجان، ثم إلى إمام الحرمين بنيسابور، فاشتغل عليه ولازمه، حتى صار أنظر أهل زمانه، وجلس للإقراء في حياة إمامه، وصنف. وكان الإمام في الظاهر يظهر التبجح به، وفي الباطن عنده منه شيء لما يصدر منه من سرعة العبارة وقوة الطبع.

وينسب إليه تصنيفان ليسا له بل وضعا عليه، وهما «السر المكتوم» و «المضنون به على غير أهله» وينسب إليه شعر، فمن ذلك ما نسبه إليه ابن السمعاني في «الذيل» والعماد الأصبهاني في «الخريدة» :

حلت عقارب صدغه في خده ... قمرا فجل به عن التشبيه

ولقد عهدناه يحل ببرجها ... فمن العجائب كيف حلت فيه

---

[١] تصحفت في «آ» إلى «الجنازي» وأثبت لفظ «ط» .

[٢] (٤/ ١٠) .

[٣] انظر «طبقات الشافعية» للإسنوي (٢/ ٢٤٢- ٢٤٥) .." (٢)

"وسمع بها من الفقيه نصر المقدسي، سنة إحدى وثمانين وأربعمائة، ورحل إلى بغداد، وأقام بالمدرسة النظامية سنين كثيرة، ومدح ورثى غير واحد من المدرسين بها وغيرهم، ثم رحل إلى خراسان وامتدح بها جماعة من رؤسائها، وانتشر شعره هناك، وذكر له عدة مقاطيع من الشعر، وأثنى عليه.

انتهى.

وله ديوان شعر اختاره بنفسه وذكر في خطبته أنه ألف بيت.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٣١٤/٥

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ١٩/٦

وقال العماد الكاتب: جاب [١] البلاد، وأكثر النقل والحركات، وتغلغل في أقطار خراسان وكرمان، ولقي الناس، ومدح ناصر الدين مكرم بن العلاء، وزير كرمان بقصيدته البائية التي يقول فيها، ولقد أبدع:

حملنا من الأيام ما لا نطيقه ... كما حمل العظم الكسير العصائبا

ومنها في قصر الليل وهو معنى لطيف:

وليل رجونا أن يدب عذاره ... فما اختط حتى صار بالفجر شائبا

ومن جيد شعره المشهور قوله:

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة ... باب الدواعي والبواعث مغلق

خلت الديار فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب أنه لا يشترى ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق

[٢] ومن شعره وفيه صناعة حسنة:

وخز الأسنة والخضوع لناقص ... أمران في ذوق النهى مران

---

[١] في «آ» : «جال» .

[٢] رواية البيت في «مختصر تاريخ دمشق» (٤/ ٨٢) اختصار وتحقيق الأستاذ الفاضل إبراهيم الصالح، طبع دار الفكر بدمشق:

ومن العجائب أنه لا يشترى ... ومع الكساد يخان فيه ويسرق." (١)

"الإسلام طغتكين بن أيوب، أخو السلطان صلاح الدين- وأقام بها مدة ثم رجع إلى الحجاز والديار المصرية.

ثم قال: ولما مات السلطان صلاح الدين وملك الملك العادل دمشق، كتب إلى الملك العادل قصيدته الرائية يستأذنه في الدخول إليها ويصف دمشق ويذكر ما قاساه في الغربة، ولقد أحسن فيها كل الإحسان، واستعطفه بها أبلغ الاستعطاف، وأولها [١] :

ماذا على طيف الأحبة لو سرى ... وعليهم لو سامحوني بالكرى

ومنها بعد وصف محاسن دمشق قوله [٢] :

فارقتها لا عن رضا وهجرتها ... لا عن قلى ورحلت لا متخيرا

أسعى لرزق في البلاد مشتت [٣] ... **ومن العجائب** [٤] أن يكون مقترا

وأصون وجه مدائحي متقنعا ... وأكف ذيل مطامعي متسترا

ومنها يشكو الغربة وما قاساه [٥] :

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ١١٣/٦

أشكو إليك نوى تمادى عمرها ... حتى حسبت اليوم منها أشهرا

لا عيشتي تصفو ولا رسم الهوى ... يعفو، ولا جفني يصافحه الكرى

أضحى عن الأحوى المريع محلئا [٦] ... وأبيت عن ورد النمير منفرا

ومن العجائب أن يقيل بظلكم ... كل الورى ونبذت وحدي بالعرا

---

[١] انظر «ديوانه» ص (٣) .

[٢] انظر «ديوانه» ص (٥) .

[٣] في «ديوانه» : «مفرق» .

[٤] في «ديوانه» : «ومن البلية» .

[٥] انظر «ديوانه» ص (٨) .

[٦] في «آ» و «ط» : «محولا» وأثبت لفظ «ديوانه» .." (١)

"إن تستبح إبلي لقيطة [١] معشر ... ممن أؤمل غير جأشك مازنا

ومن العجائب كيف يمشي خائفا ... من بات في حرم الخلافة آمنا

ثم توفي بعد ذلك من يومه يوم الخميس ثاني شوال، وتقدير عمره خمسون سنة.

والحاجري: بفتح الحاء المهملة، وبعد الألف جيم مكسورة، وبعدها راء، نسبة إلى حاجر بليدة بالحجاز، لم يبق اليوم منها سوى الآثار، ولم يكن الحاجري منها، بل نسب إليها لكونه استعملها في شعره كثيرا. انتهى ملخصا.

وفيها أبو الفتوح الوثابي محمد بن محمد بن أبي المعالي الأصبهاني [٢] . يروي عن جده كتاب الذكر بسماعه من ابن طبرزد، ويروي عن رجاء بن حامد المعداني، راح تحت السيف في فتنة التتار، وله ثمان وسبعون سنة.

وفيها جامع بن إسماعيل بن غانم بن صائن الدين الأصبهاني الصوفي، المعروف بباله [٣] ، راوي «جزء» لوين عن محمد بن أبي القاسم الصالحاني.

وفيها شمس الدين محمود بن علي بن محمود بن قرقين [٤] الدمشقي، الجندي الأديب الشاعر. روى عن أبي سعد بن أبي عصرون، وتوفي في شوال.

---

[١] في «آ» و «ط» : «ابن اللقيطة» وأثبت لفظ «وفيات الأعيان» مصدر المؤلف.

[٢] انظر «العبر» (٥/ ١٣١) و «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٥٤٤) ضمن ترجمة شيخه رجاء بن حامد المعداني.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العماد الحنبلي ٢٤٨/٧

[٣] انظر «العبر» (٥/ ١٣١- ١٣٢) .

[٤] في «آ» و «ط» : «قرقر» والتصحيح من «العبر» (٥/ ١٣٢) و «تاريخ الإسلام» (٦٤/ ١١٤- ١١٥) .." (١)

"ولد سنة ثلاث وستمائة، وأجاز له المؤيد الطوسي، وسمع ببغداد من القطيعي. وكان حنفيا، فاضلا، مناظرا، ذكيا، بصيرا بالأدب، بديع النظم، كثير المحاسن، ملك دمشق بعد أبيه، ثم أخذها منه عمه الأشرف، فتحول إلى مدينة الكرك فملكها إحدى عشرة سنة، ثم عمل عليه ابنه، وسلمها إلى صاحب مصر الصالح وزالت مملكته. وكان جوادا، ممدحا.

ومن شعره يفضل الجارية على الغلام:

أحب الغادة الحسناء ترنو ... بمقلة جؤذر فيها فتور

ولا أصبو إلى رشأ غرير ... وإن فتن الورى الرشأ الغرير

وأنى يستوي شمس وبدر ... ومنها يستمد ويستنير

وهل تبدو الغزالة في سماء ... فيظهر عندها للبدر نور

وله:

قلبي وطرفك قاتل وشهيد ... ودمي على خديك منه شهود

يا أيها الرشأ الذي لحظاته ... كم دونهن صوارم وأسود

ومن العجائب أن قلبك لم يلن ... لي والحديد ألانه داود

توفي- رحمه الله- بظاهر دمشق، بقرية البويضاء [١] ، ودفن عند والده الملك المعظم في جمادى الأولى، وكانت أمه خوارزمية، عاشت بعده مدة.

وفيها بهاء الدين زهير بن محمد بن علي بن يحيى الصاحب المنشئ أبو الفضل وأبو العلاء الأزدي المهلبي المكي ثم القوصي [٢] الكاتب، له «ديوان» مشهور.

---

[١] قرية بالقرب من دمشق إلى الشرق منها. انظر «غوطة دمشق» للعلامة كرد علي ص (٢١) .

[٢] انظر «وفيات الأعيان» (٢/ ٣٣٢- ٣٣٨) و «العبر» (٥/ ٢٣٠) و «سير أعلام النبلاء» (٢٣/ ٣٥٥- ٣٥٦) و «الإعلام بوفيات الأعلام» ص (٢٧٤) و «عيون التواريخ» (٢٠/ ١٨١-." (٢)

"سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة

فيها ظهر في الشام، وحمص، وحلب، بعد العشاء حمرة عظيمة كأنها الجمر، وصارت في خلال النجوم كالعمد البيض، حتى سدت الأفق، ودام إلى الفجر، وخفي بسببه ضوء القمر، فتباكى الناس وضجوا بالدعاء [١] .

وفي محرمها درس بدمشق بالمدرسة الأمينية تقي الدين علي بن تاج الدين عبد الوهاب السبكي، وهو ابن سبع سنين وهذا

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٢٧٥/٧

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٤٧٦/٧

من العجائب.

وفيها توفي القدوة بدر الدين الحسن بن محمد بن صالح بن محمد بن محمد بن عبد المحسن بن علي المجاور القرشي النابلسي الحنبلي [٢] .

طلب الحديث بنفسه، وسمع من عبد الله بن محمد بن أحمد بنابلس، ومن جماعة، بمصر، والإسكندرية، ودمشق. وولي إفتاء دار العدل بمصر، ودرس بمدرسة السلطان الملك الأشرف، ورحل إلى الثغر، وذكر الذهبي أنه علق عنه، وصنف «البرق الوميض في ثواب العيادة والمريض» و «شمعة الأبرار ونزهة الأبصار» .

وتوفي في رابع عشر جمادى الآخرة.

---

[١] وذكر هذا الخبر أيضا ابن العراقي في «ذيل العبر» (٢/ ٣٠٨- ٣٠٩) والحافظ السخاوي في «الذيل التام على دول الإسلام» الورقة (١٤٩- ١٥٠) من المنسوخ.

[٢] انظر «الوفيات» لابن رافع (٢/ ٣٧٣- ٣٧٤) و «ذيل العبر» لابن العراقي (٢/ ٣١٨- ٣١٩) و «غاية النهاية» (١/ ٢٣١) و «الدرر الكامنة» (٢/ ٣٦- ٣٧) و «النجوم الزاهرة» (١١/ ١١٧) و «المقصد الأرشد» (١/ ٣٣٦) و «الجوهر المنضد» ص (٢٣) و «لحظ الألحاظ» ص (١٥٥) .." (١)

"وفيها نصير الدين أبو المعالي محمد [بن محمد] [١] بن إبراهيم بن أبي بكر [٢] ، هو ابن المؤرخ شمس الدين الجزري.

ولد سنة ثلاث عشرة وسبعمائة، وأسمع من المطعم، والشيرازي، وغيرهما. ثم طلب بنفسه بعد الثلاثين، فقرأ الكتب، وسمع، وكتب الأجزاء، واشتغل بالفقه، وربما كتب على الفتوى، وكان السبكي فمن دونه يرجعون إلى قوله، وولي مباشرة الأيتام. وكان مشكور السيرة، ذا همة عالية.

توفي في جمادى الآخرة.

وفيها محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم الحلبي [٣] ، ناظر الجيش الشافعي.

ولد سنة سبع وتسعين وستمائة، واشتغل ببلاده، ثم قدم القاهرة، ولازم أبا حيان، والتاج التبريزي، وغيرهما. وحفظ «المنهاج» و «الألفية» وبعض «التسهيل» وتلا بالسبع على الصايغ، ومهر في العربية وغيرها، ودرس فيها وفي «الحاوي» . وسمع من الشريف موسى، وست الوزراء، وغيرهما. وحدث وأفاد، وخرج له الياسوفي «مشيخة» . وشرح «التسهيل» إلا قليلا. وشرح «تلخيص المفتاح» شرحا مفيدا. وكانت له في الحساب يد طولى، وولي نظر الجيش، ونظر البيوت، والديوان، وكان عالي الهمة، نافذ الكلمة، كثير البذل والجود والرفد للطلبة والرفق بهم، وكان من العجائب.

قال ابن حجر: إنه مع فرط كرمه في غاية البخل على الطعام.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٣٨٢/٨

وكان كثير الظرف والنوادر، وبلغت مرتباته في الشهر ثلاثة آلاف، وكان من محاسن الدنيا، مع الدين والصيانة.
توفي في ثاني عشر ذي الحجة.

---

[١] ما بين القوسين سقط من «آ» .
[٢] انظر «إنباء الغمر» (١/ ٢٢٤- ٢٢٥) و «الدرر الكامنة» (٤/ ١٥٧) .
[٣] انظر «ذيل العبر» لابن العراقي (٢/ ٤٥٢) و «إنباء الغمر» (١/ ٢٢٥- ٢٢٧) و «الدرر الكامنة» (٤/ ٢٩٠) .." (١)

"الرحالة فأكثروا، وكانت سهلة في الأسماع، سهلة الجانب، **ومن العجائب** أن ست الوزراء كانت آخر من حدثت عن ابن الزبيدي بالسماع، ثم كانت عائشة آخر من حدثت عن صاحبه الحجار بالسماع وبين وفاتيهما مائة سنة.
وفيها عبد القوي بن محمد بن عبد القوي المالكي البجائي المغربي [١] الأصل والمولد والمنشأ، نزيل مكة.
قال ولده قطب الدين أبو الخير، ولد والدي سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ببجاية من بلاد الغرب، ورحل من بلده وعمره ثمان عشرة سنة، وقدم القاهرة، وحج سنة أربع وستين، ثم عاد إلى القاهرة، ثم حج في سنة سبعين، وقطن بمكة إلى أن مات.
وقال الشيخ تقي الدين الفاسي: قدم ديار مصر في شبيبته، فأخذ بها عن الشيخ [يحيى الرهوني، وغيره من علمائها، وسكن الجامع الأزهر، ثم انتقل إلى مكة، وأخذ بها عن الشيخ] موسى المراكشي وغيره، وسمع بها من المناوي، وسعد الدين الإسفرائيني، وغيرهما، ودرس بالحرم الشريف، وأفتى باللفظ تورعا، وكان ذا معرفة بالفقه.
قال ابن حجر: تفقه، وأفاد، ودرس، وأعاد، وأفتى.
وتوفي بمكة في شوال ودفن بالمعلاة.
وفيها فخر الدين عثمان بن إبراهيم بن أحمد الشيخ الإمام البرماوي [٢] الشافعي، شيخ قراء مدرسة الظاهر برقوق.
قال في «المنهل» : كان إماما بارعا في معرفة القراءات، عالما بالفقه

---

[١] ترجمته في «إنباء الغمر» (٧/ ١٣٣) و «الضوء اللامع» (٤/ ٢٣٠) و «نيل الابتهاج» على هامش «الديباج المذهب» ص (١٨٧) و «العقد الثمين» (٥/ ٤٧٢) وما بين الحاصرتين مستدرك منه.
[٢] ترجمته في «إنباء الغمر» (٧/ ١٣٣- ١٣٤) و «الضوء اللامع» (٥/ ١٢٣) و «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤/ ٤٠) و «الدليل الشافي» (١/ ٤٣٨) .." (٢)

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ٤٤٦/٨
(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ابن العِماد الحنبلي ١٧٩/٩

"وأنشدني النامي لابن عبد الرحمن الهاشمي في دير إسحاق:

وافق أخاك تجده خير رفيق ... إن كنت لست عن الصبا بمفيق

وإذا مررت بدير إسحاق فقل ... جادتك غر سحائب وبروق

دير يشبه ماؤه بهوائه ... وهواؤه بملاءة المعشوق

وكأن عيشي كان في أفيائه ... درك المنى في كاشحي ورفيقي - ٢ - (١)

دير رمانين (٢) بين حلب وأنطاكية يشرف على بقعة سرمدا في أحسن موضع وأنزهه، وفيه يقول الواله:

ألف المقام بدير رمانينا ... للروض إلفا والمدام خدينا

والكأس والإبريق يعمل دهره ... ويداه تجني الورد والنسرينا

يغدو إذا الناقوس أيقظه على ... عذراء أوطنت الدنان سنينا

بكر إذا ما الهم عاين كاسها ... يوما رأى فيما يرى السكينا

ومن العجائب مسكة ترضى بأن ... تختار قارا في اللباس وطينا

ويطارح الطنبور طول حياته ... حتى كأن عليه فيه يمينا

" إن الذين غدوا بلبك غادروا ... وشلا بعينك لا يزال معينا "

هانت على طرباته عذاله ... لما اشترى الدنيا وباع الدنيا

عمر هو البلد الحرام فكم ترى ... فيه الندى والتين والزيتونا - ٣ - (٣)

[دير القائم الأقصى] :

---

(١) بغية الطلب ٩: ٢٥٨.

(٢) ياقوت ٢: ٦٦٢ وقال: يعرف أيضا بدير السابان وهو دير حسن كبير وأورد البيتين الأولين من قصيدة الواله.

(٣) بغية الطلب ٩: ٢٦٩.." [١]

"وحكى عبد الله بن خرداذبة أنه رأى هذين البيتين عند الحضرمي وراق المعتمد، وقد كتب الحضرمي: أنشدنيهما المعتمد لنفسه.

وكان المكتفي أخرج إلينا مدارج مكتوبة بالذهب، فكان فيها من شعر المعتمد على الله الموزون:

طال والله عذابي ... واهتمامي واكتئابي

لغزال من بني الأص؟ ... فر لا يعنيه ما بي

أنا مغرى بهواه ... وهو مغرى باجتنابي

فإذا ما قلت صلني ... كان " لا " منه جوابي ووجدت أيضا من الموزون:

---

(١) شذرات من كتب مفقودة في التاريخ إحسان عباس ٣٨٤/٢

عمل الحب بفرقة ... فبقلبي منه حرقة

إنما يستروح الص؟ ... ب إذا أظهر عشقه وبعد هذا أبيات لا نظام لها.

وحدثنا محمد بن يحيي بن أبي عباد قال: طلب المعتمد ثلاثمائة دينار يصل بها عريب وقد حضرت مجلسه، فلم يجدها، فطلب مائتين فلم يجدها، وكان قد أمر أن يطرح لها تكاء فأبت، فكان يجعل تحت ركبتها أترجتان من الأترج الكبار وربما قورتا، وجعل فيهما دنانير، قال: فبلغني أنه لما لم يجد الدنانير قال شعرا:

أليس من العجائب أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه

إليه تحمل الأموال طرا ... ويمنع بعض ما يجبى إليه وكان المعتمد من أسمح الناس، قال له القاسم بن زرزر المغني: يا سيدي إلى جانب ضيعتي ضيعة لا تصلح إلا بها تباع بسبعة آلاف دينار، وما عندي من ثمنها إلا ألفي دينار، أحضروني خمسة آلاف دينار، فجيء بها، فدفعها إليه فاشترى الضيعة، فسأله بعد أيام عنها فعرفه شراءها فقال: ما أحب أن يكون لك." (١)

"كان في سنة ست وتسعين وأربعمائة، وهو كان من العجائب الثلاث: جب الكلب ونهر الذهب وقلعة حلب، فأما النهر فهو ماء يجري إلى أن ينتهي إلى مواضع في الجبول وغيرها من القرى، فيسكبونها ويجرون إليها السواقي فإذا دخل تلك المساكب جمد بإذن الله وصار ملحا أبيض في بياض الثلج فيباع منه بالأموال الخطيرة، ولذلك سمي نهر الذهب.." (٢)

"- المعنى يريد أنه حين كان قريبا منه كان بينهما بعد من جهله لأن الجاهل لا يزاداد علما بالشئ وإن قرب منه

٢٨ - الغريب والنهى جمع نهية وهى العقول لأنها تنهى عن القبح والنهى بكسر النون الغدير المعنى يقول كنت أحسب قبل رؤية كافور أن مقر العقل الدماغ فلما رأيت قلة عقله قلت العقل فى الخصية لأنه لما خصى ذهب عقله فعلمت حينئذ أن العقول فى الخصى

٢٩ - يتعجب مما رأى بمصر من العجائب التى تضحك الناس العقلاء ثم قال لكن ذلك الضحك كالبكاء لأنه فيه الفضيحة

٣٠ - المعنى يريد بالنبطى السوادى وهو أبو الفضل ابن حنزابة وزير كافور وقيل بل يريد أبا بكر المادرانى النسابة يتعجب منه يقول ليس هو من العرب وهو يعلم الناس أنساب العرب

٣١ - المعنى يقول وبمصر أسود عظيم الشفة يشنون عليه بالكذب وهو أنهم يقولون له أنت بدر الدجى والبدر يشتمل على النور والجمال والأسود القبيح الخلقة العظيم الشفة كيف يشبه البدر جعل له مشافر لغلظ شفتيه والمشافر تكون لذوات الخف وإذا وصف الرجل بالغلظ والجفاء جعلوا له مشافر

٣٢ - الغريب الكركدن هو الحمار الهندى وقيل هو بالفارسية كرك وهو طائر عظيم وروى ثعلب عن ابن الأعرابى أن

---

(١) شذرات من كتب مفقودة في التاريخ إحسان عباس ٤١٨/٢

(٢) شذرات من كتب مفقودة في التاريخ إحسان عباس ٤٦٨/٢

الكركدن دابة عظيمة الخلق تحمل الفيل على قرنها المعنى أنه شبهه بالكركدن لعظم خلقه وقلة مغناه والشعر الذى مدحته به هو شعر من وجه رقية من وجه آخر لأنى كنت أرقيه به لأخذ ماله يريد أنه كان يستخرج ماله بنوع رقية وحيلة." [١]

"– المعنى يريد الناعمات اللينات المفاصل القاتلات بالهجر المحييات بالوصل المتدللات على محبيهن بأغرب الدلال والدلال أن يثق الإنسان بمحبة صاحبة فيتجرأ عليه

٤ – الغريب الترائب جمع تريبة وهى محل القلادة من الصدر وقيل ما ولى الترقوتين من الصدر وقيل ما بين الثديين إلى الترقوة المعنى قال أبو الفتح أشرن إلى من بعيد ولم يجهرن بالسلام والتحية خوف الرقباء والوشاة جعل أبو الفتح هذه الإشارة تحية وتسليما وقال الواحدي طلبن أن يقلن نفديك بأنفسنا وخفن الرقيب فنقلن التفدية من القول إلى الإشارة أى أنفسنا تفديك وهو أولى من قول ابن جنى قال ذكر التفدية فى البيت ولم يقل حاولن تسليمى لأن الإشارة بالسلام لا تكون بوضع اليد على الصدر قال وقال ابن فورجه وضع اليد على الصدر لا يكون إشارة بالسلام وإنما أراد وضعن أيديهن فوق ترائبهن تسكينا للقلوب من الوجيب وليس كما قال وصدر البيت ينقض ما قاله انتهى كلامه وما أحسن قول بعضهم ينظر إلى هذا المعنى

(أضحى يجانبني مجانبة العدا ... ويبيت وهو إلى الصباح نديم ...)

(ويمر بى خوف الوشاة ولفظه ... شتم وحشو لحاظه تسليم ...)

١٥ – المعنى شبه أسنانهن لنقائها بالبرد فذكر المشبه به وحذف المشبه يقول

(خفت أذيب ثغورهن فذبت أنا أسفا على فراقهن ...)

ومثله قول الآخر

(ومن العجائب أن يذيب مفاصلى ... من لو جرى نفسى عليه لذابا ...)

ومثله قول الصنوبري

)

(وضاحك عن برد مشرق ... أباحنيه دون جلاسى ...)

(فكلما قبلته خفت أن ... يذوب من نيران أنفاسى ...)." [٢]

"– ١ – هذه القطعة من البسيط والقافية من المتدارك الغريب الحبك جمع حبيكة وهى طرائق النجوم المعنى يقول أو ما ترى ما أراه من العجائب ثم شبه مجلسه لعلو قدره وشرفه بالسماء إلا أنه غير ذى طرائق كطرائق السماء ثم قال

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٤٣/١

(٢) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ١٢٣/١

البيت الثاني

٢ - الغريب الفرقدان نجمان نيران يوصفان بالأخوة ولو أمكنه أن يقول والمصباح أخوه لقال وإنما قال صاحبه فأتى بالجناس وإن كانت الصحبة لا يتعدى وصفها المعنى أنه جعل ابنه فرقدا والمصباح المضئ أخاه وجعله بدرا ومجلسه فلكا وفيه نظر إلى قول على بن الجهم

(كأنه وولاة الأمر تتبعه ... بدر السماء تليه الأنجم الزهر)

قال ابن وكيع هذا التشبيه من قول أبى نواس

(مضى أيلول وارتفع الحرور ... وأذكت نارها الشعرى العبور)

(فقوما فانكحا خمرا خمرا بماء ... فإن نتاج بينهما السرور)

(نتاج لا تدر عليه أم ... بحمل لا تعد له الشهور)

(إذا الكاسات كرتها علينا ... تكون بينها فلك يدور

(تسير نجومه عجلا وريثا ... مشرقة وأحيانا تغور)

(إذا لم يجرهن القطب متنا ... وفى دوراتهن لنا نشور)." (١)

"المضارب جمع مضرب السيف وهو حده وضبته والضرائب جمع الضريبة وهي الشيء المضروب بالسيف يقول تنجلي هذه العجاجة وقد انفلت السيوف حتى كأن حدها الذي يضرب به كان يضرب عليه أي كأنها مضروبات لا ضاربات

طلعن شموسا والغمود مشارق ... لهن وهامات الرجال مغارب

يقول طلعت السيوف من أغمادها كالشموس في بريقها ثم غربت في هام المضروبين فصارت رؤسهم مغارب لها وهذا منقول من قول أبي نواس، طالعات مع السقاة علينا، فإذا ما غربن يغربن فينا،

مصائب شتى جمعت في مصيبة ... ولم يكفها حتى قفتها مصائب

شتى متفرقة وقفتها تبعتها يقول ليست مصيبتنا به واحدة بل هي جماعة لعظمها ولم يكفها ذاك حتى تلتها مصائب باتهامنا في بابه وقول العداة إنا شامتون بموته

رثى أبن أبينا غير ذي رحم له ... فباعدنا عنه ونحن الأقارب

---

(١) شرح ديوان المتنبي للعكبري العكبري، أبو البقاء ٣٧٦/٢

روى الخوارزمي غير ذي رحم لنا أي أبعدنا عن المرثي بأن اتهمنا في موته بالشماتة ونحن أقاربه على الحقيقة

وعرض أنا شامتون بموته ... وإلا فزارت عارضيه القواضب

يروى أخدعيه والعارضان جانبا اللحية والقواضب السيوف يقول عرض في مرثيته بشماتتنا وكان حقه أن يقول عرض بأنا شامتون ولكنه حذف الباء على ارادة الذكر كأنه قال ذكر أنا شامتون بموته وقوله وإلا فزارت يجوز أن يكون من كلام المعرض حكي عنه ما قال كأنه قال هم شامتون بموته وإلا فزارتني السيوف أي قتلت بها أن لم يكن الأمر على ما اقول فيكون هذا تأكديا لما ذكر من شماتتهم ويجوز أن يكون هذا من كلام الذين ينفون الشماتة عن أنفسهم يقول إن لم يكن الأمر على ما ذكر فرمى الله عارضيه بالسيوف فيكون هذا تأكيدا لنفي الشماتة وأن الأمر ليس على ما ذكره

أليس عجيبا أن بين بني أب ... لنجل يهودي تدب العقارب

يقول **من العجائب** أن تدب عقارب يهودي أي نمائمه بين بني أب فيوقع بينهم العداوة يريد هذا الذي كان يمشي بينهم بالنميمة والنجل الولد

ألا إنما كانت وفاة محمد ... دليلا على أن ليس لله غالب

يقول لما لم يقدر على الامتناع من الموت مع أنه كان يغلب جميع الناس دل ذلك على أنه لا غالب لله تعالى وهذا من قول أبي تمام، كفى فقتل محمد لي شاهد، أن العزيز مع القضاء ذليل وقال يمدح الحسين بن اسحاق التنوخي

هو البين حتى ما تأنى الحزائق ... ويا قلب حتى أنت ممن أفارق

هو كناية عن البين والنحويون يسمون ما كان من مثل هذا الاضمار على شريطة التفسير كقوله تعالى قل هو الله أحد وقوله تعالى فإنها لا تعمى الأبصار وكقول الشاعر، هي النفس ما حملتها تتحمل، ومثله كثير والحزائق جمع حزيق وهو الجماعة قال لبيد، كحزيق الحبشين الزجل، يقول هو البين الذي فرق كل شيء حتى لا تتمهل ولا تتأنى الجماعات أن يتفرقوا إذا جرى فيهم حكم البين ثم خاطب قلبه فقال وأنت أيضا على ما لك من علائق القرب ممن أفارقه يعنى أن الأحبة إذا فارقوني ذهب القلب معهم ففارقني وفارقته

وقفنا ومما زاد بثا وقوفنا ... فريقي هوى منا مشوق وشائق

فريقي هوى نصب على الحال من النون والألف في وقوفنا والعامل فيها المصدر يقول وقفنا للوداع ومما زادنا حزنا أنا وقفنا فريقين يجمعهما الهوى منا مشوق وهو العاشق يشوقه الحبيب بعد فراقه وشائق وهو المعشوق يشوق عاشقه وأراد منا مشوق ومنا شائق فحذف خبر الثاني للعلم به كقوله تعالى منها قائم وحصيد وجعل هذه الحالة تزيده بثا لأن فراق الأحبة أشق على القلب من فراق المجاورين والمعارف الذين لا علاقة بينك وبينهم

وقد صارت الأجفان قرحى من البكا ... وصار بهارا في الخدود الشقائض

قرحى بغير تنوين جمع قريح مثل مرضى وجرحى وروى ابن جنى أن المتنبي كان يقول قرحا بالتنوين على أنها جمع قرحة كما أن بهارا جمع بهارة وهي الورد الاصفر والمعنى أن الأجفان قد قرحت وصارت حمرة الخدود صفرة لأجل البين كما قال عبد الصمد بن المعذل، باكرته الحمى وراحت عليه، فكسته حمى الرواح بهارا، لم تشنه لما ألحت ولكن، بدلته بالإحمرار اصفرارا، وقال الطاءي، لم تشن وجهه المليح ولكن، حولت ورد وجنتيه بهارا،

على ذا مضى الناس اجتماع وفرقة ... وميت ومولود وقال ووامق." (١)

"تطيع الحاسدين وأنت مرء ... جعلت فداءه وهم فداءي

قوله جعلت فداءه في موضع الدعاء وجعله وصفا للنكرة والوصف إذا كان جملة يجب أن يكون خبرا يحتمل الصدق والكذب من بين سائر أقسام الكلام فلا يجوز الوصف به ولكنه حمله على المعنى كأنه قال وأنت امرء مستحق لأن أقول له هذا كما قال الراجز، مازلت أسعى معهم وأختبط، حتى إذا جاء الظلام المختلط، جاءوا بضيح هل رأيت الذيب قط، فجعل الاستفهام وصفا كأنه أراد جاءوا بضيح يقول رآه هل رأيت الذيب قط ومعنى البيت أنه ينكر عليه طاعته لحساده بعد أنه يدعو الله بان يجعله فداءه ويجعل الحساد فداء المتنبي

وهاجى نفسه من لم يميز ... كلامي من كلامهم الهراء

الهراء الساقط من الكلام الذي لا خير فيه يقول ترك تمييز كلامي من كلامهم هجاء منك لنفسك

وإن من العجائب أن تراني ... فتعدل بي أقل من الهباء

يقول من العجائب أن تربي وتعرفني ثم تسوي بيني وبين خسيس أقل من اجزاء الهباء في الهواء يعني غيره من الشعراء

وتنكر موتهم وأنا سهيل ... طلعت بموت أولاد الزناء

يقول تنكر موت حسادي وأنا الطالع عليهم بموتهم والعرب تزعم أن سهيلا إذا طلع وقع الوباء في الأرض وكثر الموت يقول فأنا سهيل على أولاد الزني خاصة أي أنهم يموتون حسدا لي وقال أيضا يمدح الحسين بن اسحاق التنوخي

ملام النوى في ظلمها غاية الظلم ... لعل بها مثل الذي بي من السقم

يقول لومي الفراق في تفريقه بيننا وظلمه أيانا بالبعد غاية الظلم منها فلعله يعشقها كعشقي إياها فلذلك يختارها لنفسه ويحول بيني وبينها ويريد بالسقم العشق وهذا كما قال محمد ابن وهيب، وحاربني فيه ريب الزرمان، كأن الزمان له عاشق، وقد قال البحتري، قد بين البين المفرق بينان عشق النوى لربيب ذاك الربرب، ثم حقق ذا المعنى فقال

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/٦٣

فلو لم تغر لم تزو عني لقاءكم ... ولو لم تردكم لم تكن فيكم خصمي
يقول لو كانت النوى لا تغار عليكم لما طوت لقاءكم عني ولما خاصمتني بسببكم

أمنعمة بالعودة الظبية التي ... بغير ولي كان نائلها الوسمييريد بنائلها وصالها وأراد بالوسمي أول ما بدأت به وبالوتي ما بعد ذلك من الوصل يقول أنها بدأت بوصل ثم لم تعد إليه فليتها أنعمت علي برجوعها إلى الوصل مرة أخرى والوسمي أول مطر في السنة والولي الذي يليه وهو منقول من قول ذي الرمة، لني ولية تمرع جنابي فإنني، لوسمي ما أوفيت من ذاك شاكر، والمعنى من قول بشار، قد زرتني زورة في الدهر واحدة، ثنى ولا تجعليها بيضة الديك،
ترشفت فاها سحرة فكأنني ... ترشفت حر الوجد من بارد الظلم
الترشف المص والظلم ماء الأسنان وبريقها وإنما خص السحرة لأن الافواه تتغير عند ذلك وإذا كانت طيبة النكهة في آخر الليل كان امدح لها الا ترى إلى قول امرء القيس، كأن المدام وصوب الغمام، وريح الخزامى ونشر القطر، يعل به برد أنيابها، إذا طرب الطائر المستجر، وقال زهير أيضا، كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت، من طيب الراح لما بعد أ، عتقا، وقال الحارثي، كأن بفيها قهوة بابلية، بماء سماء بعدوهن مزاجها، والعاشق إذا مص ريقها معشوقة زادت نار حبه تلهبا لذلك قال، ترشفت حر الوجد من بارد الظلم،

فتاة تساوى عقدها وكلامها ... ومبسمها الدري في الحسن والنظم
يريد أن كلام من قلادتها ونطقها وثغرها الذي تبسم عنه سواء في الحسن والنظم فهي دربة العقد والكلام والثغر وهذا كقوله، كأن التراقي وشحت بالمباسم، وقدزاد النطق في هذا البيت وقد قال البحتري، فمن لؤلؤ تبديه عند ابتسامها، ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطة، فذكر أيضا شيئين وقد قال المؤمل بن أميل، وإن نطقت در فدر كلامها، ولم أر درا قبلها ينظم الدرا، فذكر شيئا واحدا وأخذ أبو المطاع ابن ناصر الدولة هذا المعنى فقال، ومفارق نفسي الفداء لنفسه، ودعت صبري عنه في توديعه، ورأيت منه مثل لؤلؤ عقده، من ثغره وحديثه ودموعه، وزاد ذكر الدموع على المتنبي

ونكهتها والمندلي وقرقف ... معتقة صهباء في الريح والطعم." (١)
"مضى الليل والفضل الذي لك لا يمضي ... ورؤياك أحلى في العيون من الغمض
ويروى في الجفون وكان يجب أن يقول ولقياك لأن الرؤيا تستعمل في المنام خاصة لكنه ذهب بالرؤيا إلى الرؤية لأنه كان بالليل كقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس لم يرد رؤيا المنام إنما أراد رؤيا اليقظة ولكنه كان بالليل

على أنني طوقت منك بنعمة ... شهيد بها بعضي لغيري على بعضي

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/٦٦

يريد انصرف عنك مع أنك قلدتني نعمة يشهد بها بعضي على بعض أي من نصر إلي استدل بنعمتك علي والمعنى أن القلب أن أنكر نعمتك شهد الجلد بما عليه من الخلعة

سلام الذي فوق السموات عرشه ... تخص به يا خير ماش على الأرض

وقال أيضا وهو يلعب بالشطرنج وقد كثر المطر فقال

ألم تر أيها الملك المرجى ... عجائب ما رأيت من السحاب

تشكي الأرض غيبته إليه ... وترشف ماءه رشف الرضاب

هذا البيت تفسير ما ذكره **من العجائب** يقول الأرض بعطشها تشكو إلى السحاب غيبته عنها وتمص ماءه كما يمص العاشق ريق المحبوب

وأوهم أن في الشطرنج همي ... وفيك تأملي ولك انتصابي

الشطرنج معرب والأحسن كسر الشين ليكون على وزن فعلل كجردحل وقرطعب يقال ما له قرطعبة أي شيء والجردحل من الأبل الضخم وليس في كلام العرب فعلل وقيل أنه معرب من سدرنج يعني أن من اشتغل به ذهب غناؤه باطلا يقول إنما اتأمل في محاسنك لا في الشطرنج وانتصب جالسا لأراك لا للعب

سأمضي والسلام عليك مني ... مغيبي ليلتي وغدا إيابي

وأخذ الشراب من أبي الطيب وأراد الانصراف فلم يقدر على الكلام فقال هذين البيتين وهو لا يدري

نال الذي نلت منه مني ... لله ما تصنع الخمور

وذا انصرافي إلى محلي ... أآذن أيها الأمير

يقول الذي نلت منه بشربه نال مني بتغيير اعضائي والأخذ من عقلي ثم تعجب مما تفعله الخمر وهذا كما قال الطائي، وكأس كمعسول الأماني شربتها، ولكنها أجلت وقد شربت عقلي، إذا اليد نالتها بوتر توترت، على ضغنها ثم استقادت من الرجل، وكما قال ايضا، أفيكم فتى حي فيخبرني عني، بما شربت مشروبة الراح من ذهني وعرض عليه الصحبة في غد فقال

وجدت المدامة غلابة ... تهيج للقلب أشواقه

غلابة تغلب العقل والحزن وتحرك الشوق كما قال البحتري، من قهوة تنسى الهموم وتبعث، الشوق الذي قد ضل في الأحشاء،

تسيء من المرء تأديبه ... ولكن تحسن أخلاقه

أراد بسوء الأدب حركاته المفرطة وقول الخنا والعربدة وبحسن الخلق السماحة

وأنفس ما للفتى لبه ... وذو اللب يكره إنفاقه

اعز ما للانسان عقله والعاقل يكره اخراج العقل من نفسه

وقد مت أمس بها موتة ... وما يشتهي الموت من ذاقه

جعل غلبة السكر عقله كالموت ثم قال ومات مرة لا يشتهي العود إليه وقال يصف لعبة أحضرت المجلس على صورة جارية

وجارية شعرها شطرها ... محكمة نافذ أمرها

يعني أن شعر رأسها طويل قد بلغ نصف بدنها حكمها أهل المجلس واطاعوها فيما تأمرهم لأنها كانت تدور فإذا وقفت بحذاء واحد منهم شرب فأمرها نافذ عليهم

تدور وفي يدها طاقة ... تضمنها مكرها شبرها

كانت قد وضعت في كفها طاقة ريحان أو نرجس كرها لأنها لم تأخذها طوعا

فإن أسكرتنا ففي جهلها ... بما فعلته بنا عذرها

أي أن اسكرتنا بوقوفها حذاءنا فجهلها ما فعلت عذر لها لأنها لا تعلم ما فعلت واديرت فوقفت حذاء أبي الطيب فقال

جارية ما لجسمها روح ... بالقلب من حبها تباريح

يعني أن القلوب تحبها للطف صورتها والتباريح الشدائد

في يدها طاقة تشير بها ... لكل طيب من طيبها ريح

أي كل طيب يستفيد طيب الرائحة منها لأنها أطيب الأشياء ريحا

سأشرب الكاس عن إشارتها ... ودمع عيني في الخد مسفوح

أي إنما يبكي لكراهية الشرب ولكنه لا يمكنه مخالفة اشارتها واديرت فوقفت حذاء بدر رافعة رجلها فقال

يا ذا المعالي ومعدن الأدب ... سيدنا وابن سيد العرب

أنت عليم بكل معجزة ... ولو سألنا سواك لم يجب

أي بكل مسألة معجزة الناس عن بيانها والجواب فيها

أهذه قابلتك راقصة ... أم رفعت رجلها من التعب." (١)

"ففي المرحلة الأولى من حياته ــ حياة القصر ــ يدور مع رأي ولي أمره فيعادي خصومه ويصادق مؤيديه. لذلك نراه يحمل على أحمد عرابي ويعده خائنا:

صغار في الذهاب وفي الإياب ... أهذا كل شأنك يا عرابي؟

وهو يعبر بذلك عن نظرة البلاط إلى عرابي. ويمثل ذلك يواجه (رياض باشا) رئيس الوزارة لأنه أثنى على اللورد كرومر بكلمة أساءت إلى مصر وإلى الخديوي عباس الذي كان شوقي شاعره:

خطبت فكنت خطبا لا خطيبا ... أضيف إلى مصائبنا العظام

لهجت بالاحتلال وما أتاه ... وجرحك منه لو أحسست دامي

ولنستمع إليه يحمل على الأمير حسين واللورد كرومر والشيخ عبد الكريم سلمان بمناسبة سفر كرومر إلى بلاده، وقد خطب هذا في حفلة أقيمت لوداعه فهاجم الخديوي عباسا والمصريين على مسمع من حسين والشيخ دون أن يحركا ساكنا:

لما رحلت عن البلاد تشهدت ... فكأنك الداء العياء رحيلا

أوسعتنا يوم الوداع إهانة ... أدب لعمرك لا يصيب مثيلا

في ملعب للمضحكات مشيد ... مثلت فيه المبكيات فصولا

شهد الحسين عليه لعن أصوله ... وتصدر الأعمى به تطفيلا

جبن أقل وحط من قدريهما ... والمرء إن يجبن يعش مرذولا

ولكن **من العجائب** أن ينسى شوقي إساءة الأمير حسين هذا بعد حين، فيمدحه ويمدح معه الإنكليز، الذين خلعوا سيده عباسا وجاءوا بحسين سلطانا مكانه على مصر. فيعتبر عمل الإنكليز هذا خدمة لمصر وحفظا للوائها، ويشبههم بالمسلمين الأولين ويسميهم الأحرار العادلين:

حلفاؤنا الأحرار ألا إنهم ... أرقى الشعوب عواطفا وميولا

لما خلا وجه البلاد لسيفهم ... ساروا سماحا في البلاد عدولا

وأتوا بكابرها وشيخ ملوكها ... ملكا عليها صالحا مأمولا." (٢)

"قطعة جيدة جعلت شونة «١» للغلال، وأهل إسنا يذكرون أن الفأر لا يدخلها، وإن دخلها مات.

ومن الآثار العجيبة بمصر أيضا مسلتان بعين شمس على القرب من المطرية من ضواحي القاهرة من حجر صوان أحمر محددتا الرأسين. ذكر القضاعي: أن الشمس تطلع على الجنوبية منهما في أقصر يوم في السنة، وعلى الشمالية في أطول يوم في السنة، وتتردد فيما بينهما في بقية السنة. وذكر أنه كان عليهما صومعتان «٢» من نحاس، إذا كان زمن زيادة النيل تقاطر

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي الواحدي ص/١٢٣

(٢) شعر شوقي في ميزان النقد محمد المجذوب ص/٧٧

الماء من أعلاهما إلى أسفلهما، فينبت حولهما العوسج، وما في معناه من الحشيش.

ومن العجائب حائط العجوز، وهو حائط من لبن، بنتها دلوكة ملكة مصر بعد فرعون، من العريش إلى أسوان، دائرة على أراضي مصر من شرقيها وغربيها في لحف جبليها؛ وجعلت بين كل ثلاثة أميال محرسا، وشقت خليجا من النيل إلى جانبها، وآثارها باقية إلى الآن بالجانب الشرقي والجانب الغربي.

المقصد الثاني عشر في ذكر قواعدها المستقرة وهي ثلاث قواعد، قد تقاربت واختلطت حتى صارت كالقاعدة الواحدة.

القاعدة الأولى مدينة الفسطاط

(بفاء مضمومة وسين مهملة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة بعدها ألف ثم طاء ثانية في الآخر) . ويقال فيه فسطاط بإبدال الطاء الأولى تاء وفساط. قال الجوهري:." (١)

"في «مسالك الأبصار» .

ومنها: (صدع) في سور الخوابي «١» من قلاع الدعوة من عمل طرابلس أيضا. إذا لدغ أحد بحية فأتى إلى ذلك الموضع فشاهده بعينه أو أرسل رسوله فشاهده، سلم من تلك اللدغة، ولم يضره السم. إلى غير ذلك **من العجائب** الظاهرة والمندرسة بمرور الزمان عليها.

قال ابن الأثير: وبقرى حلب قرية تسمى براق، يقال إن بها معبدا يقصده أصحاب الأمراض ويبيتون به. فإما أن يرى المريض في منامه من يقول له استعمل كذا وكذا فيبرأ، أو يمسح عليه بيده فيبرأ. قال في تاريخه: وبقرية مبرون من قرى صفد مغارة يظهر فيها الماء في يوم من السنة تجتمع إليه اليهود في ذلك اليوم، ويجلبون منه الماء إلى البلاد البعيدة؛ وبوادي دلسه من عملها عين تعرف بعين الجن تفور لحظة كالنهر ثم تغور حتى لا يبقى فيها ماء، ثم تفور كذلك ليلا ونهارا؛ وبقرية بكوزا من قرى صفد عنب داخل العنبة عنبة أخرى؛ وبقرية عدشيب من قراها بلوط يؤخذ الواحد منه من الشجرة فيوجد حضنها حجر؛ وبقرية عياض تراب الجير إذا عمل منه كوز وسقي فيه الكسير من آدمي أو غيره، جبر عظمه؛ وبالناصرة من أعمالها كنيسة بها عمود إذا اجتمع عنده جماعة وعملوا سماعا عرق العمود حتى يظهر عرقه.

الطرف الثاني في حدوده، وابتداء عمارته، وتسميته شاما؛ وفيه مقصدان

المقصد الأول في حدوده

وقد اختلف في تحديده، فذكر في «التعريف» أن حده من القبلة إلى البر المقفر: تيه بني إسرائيل وبر الحجاز والسماوة إلى مرمى الفرات بالعراق. قال:." (٢)

"آخر: لا أخلى الله من بركاته خلواته، وأعاد من نوامي دعواته، وسوامي درجاته وتوجهاته، ونحو ذلك.

والعنوان الألقاب التي في صدر المكاتبة، والدعاء بالسجعة الأولى من الدعاء باطنه أو نحوها.

وصورة وضعه أن تكتب الألقاب والدعاء والتعريف في سطرين كما تقدم في الباسط كما في هذه الصورة:

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٣/٣٦٦

(٢) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ٤/٧٧

الباسطة، الشريفة، العالية، المولوية، الأميرية، الكبيرية، العالمية، العادلية، الذخرية، السندية، الكاملية، المحسنية، أعز الله تعالى أنصارها أمير حاجب بحماة المحروسة والعلامة «المملوك فلان» بقلم الرقاع في أول الوصل الثالث على القرب من اللصاق.

المرتبة الثالثة– يقبل اليد الشريفة بألقاب الباسطة المتقدمة

، ثم اليد الكريمة، ثم اليد العالية مع حذف الكريمة رتبة بعد رتبة، والألقاب بحالها ويدعى له، ثم يقال والمستمد من محبته كيت وكيت، والله تعالى يؤيده. والحال في اختلاف بعض ألقابها بالنسبة إلى أرباب السيوف وغيرهم على ما تقدم في الباسطة.

(وهذه أدعية لأرباب السيوف في هذه المكاتبة) دعاء من ذلك: يقال بعد استكمال الألقاب: لا زالت مقبلة البنان، مؤملة الإحسان، مفضلة على أنواء السحب بكل لسان، وينهي.

آخر: لا زالت ترد بالسيف صدور الكتائب، وترد الظماة منها موارد السحائب، وتحدث عن البحر وكم في البحر **من العجائب**.

آخر: لا زالت برها مأمونة، وبذها ممنونة، وأيامها تصبح الأعداء بأسنتها الزرق المسنونة.." (١)

"بدرب المغرورين، وذلك أن ثمانية رجال، كلهم أبناء عم، اجتمعوا فابتغوا مركبا وأدخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر، ثم دخلوا البحر في أول طاروس الريح الشرقية، فجروا بها نحوا من إحدى عشر يوما؛ فوصلوا إلى بحر غليظ الموج، كدر الروائح، كثير التروش، قليل الضوء، فأيقنوا بالتلف، فردوا قلعهم في اليد الأخرى، وجروا في البحر في ناحية اثنى عشر يوما؛ فخرجوا إلى جزية الغنم، وفيها من الغنم مالا يأخذه عدو لا تحصيل، وهي سلوحة لا ناظر لها ولا راع، فقصدوا الجزيرة ونزلوها فوجدوا عين بماء جارية، عليها شجرة تين برى، فأخذوا من تلك الغنيم فذبحوها فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحد على أكلها، فأخذوا من جلودها وساروا مع الجنوب اثنى عشر يوما إلى أن لا حت لهم جزيرة، فنظروا فيها إلى عمارة وحرث، فقصدوا إليها ليروا ما فيها، فما كان إلا غير بعيد حتى أحيط بهم في زوارق، فأخذوا وحملوا إلى مدينة على ضفة البحر، فأنزلوا بها في دار، فرأوا بها رجالا شقرا زعرا، شعورهم سبطة، وهم طوال القدود، ولنسائهم جمال عجيب، فاعتقلوا في بيت ثلاثة أيام ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربي، فسألهم عن حالهم، وفيم جاؤوا، وأين بلادهم فأخبروه بكل خبرهم فوعدهم خيرا، وأعلمهم أنه ترجمان؛ فلما كان في اليوم الثاني من ذلك اليوم أحضروا بين يدي الملك، فسألهم عما سألهم عنه الترجمان فأخبروه بما أخبروا به الترجمان بالأمس، وأنهم اقتحموا البحر ليروا ما فيه **من العجائب**، وليقفوا على نهايته، فلما علم الملك ذلك ضحك وقال للترجمان: أخبر القوم أن أبي أمر قوما من عبيده بركوب هذا البحر، وأنهم جروا في عرضه شهرا." (٢)

"أقش

مدينة هي كانت قاعدة الجليقيين، بينها وبين ليوزدال ثلاثون ميلا، وكانت أقش قبل هذا منسوبة إلى غرسية بن لب، وهي

---

(١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء القلقشندي ١٩٤/٨

(٢) صفة جزيرة الأندلس الحميري، ابن عبد المنعم ص/١٧

مبنية بالصخر المربع الكبير، وهي على نهر كبير يدخل منه المجوس بمراكبهم إليهم، وفي المدينة حمة غزية الماء، واسعة الفضاء، يستحم أهلها في جنباتها على بعد من عنصرها لشدة سخونته.

أقليش

مدينة لها حصن في ثغر الأندلس، وهي قاعدة كور شنتبرية، وهي محدثة، بناها الفتح بن موسى بن ذى النون، وفيها كانت ثورته وظهوره في سنة ١٦٠، ثم اختار أقليش دارا وقرارا، فبناها ومدنها، وهي على نهر منبعث من عين عالية على رأس المدينة، فيعم جميعها، ومنه ماء حمامها؛ **ومن العجائب** البلاط الأوسط من مسجد جامع أقليش فإن طول كل جائزة من جوائزه مائة شبر وإحدى عشر شبرا، وهي مربعة منحوتة مستوية الأطراف.

أقيانس

هو اسم لبحر الظلمات، ويقال له البحر الأخضر، والمحيط الذي لا يدرك له غاية، ولا يحاط بمقداره، ولا فيه حيوان، وهو الذي يخرج منه البحر الرومي الذي هو بحر الشأم ومصر والغرب والأندلس، فإنه خليج يخرج من هذا البحر

وقد خاطر بنفسه خشخاش من الأندلس، وكان من فتيان قرطبة، في جماعة من." (١)

"لا يحكى بني عبد المؤمن؟ ثم خلى سبيله فلم يصبح المراكشى إلا في طريق مراكش.

وكان من جهة أخرى في نهاية من الغيرة على الملك، بلغه أن طلحة بن الشرقي من أقارب بني عبد المؤمن قد قال: لو كان في سبته رجل ما ملكها هذا! وأشار إليه فأحضره وقال: زعمت ألا بسبتة رجل؟ وأنا أكذبك! احملوه وغرقوه في اللجة! فحمل في زورق وغرق.

انتهى

ما تضمنه كتاب الروض المعطار من صفة الجزيرة الأندلسية وذكر كورها وثغورها ومدنها وأقاليمها، والبلاد النصرانية المصاقبة لها وما اشتهر بها **من العجائب** والآثار، والوقائع والأخبار.." (٢)

"قراقوش بحراسة هذه الذخائر على خير وجه إلى أن أظفر الله القائد صلاح الدين ومكن له في الأرض (ﷺ١).

- بناء قلعة الجبل: لما رجع القائد صلاح الدين من الشام وشاهد ما أنجزه الأمير بهاء الدين من إنجازات خلال غيابه أظهر فيها الأمير براعة وخبره هندسية واسعة، أمره أن يبني له قلعة تحمى مصر وترك له الخيار في مكانها وحجمها، وقد اختار الأمير بهاء الدين قطعة مرتفعة في جبل المقطم، تشرف على القاهرة كلها، لتكون مكانا للقلعة وباشر بعمارتها عام ٥٧٢هـ وكانت عمارة القلعة، ضمن مجموعة تحصينات وتدابير عسكرية اتخذها الأيوبيون لتأمين مدن مصر كالفسطاط والقاهرة،

---

(١) صفة جزيرة الأندلس الحميري، ابن عبد المنعم ص/٢٨

(٢) صفة جزيرة الأندلس الحميري، ابن عبد المنعم ص/٢٠٠

ولذا حفلت عمارتها في الخارج بالتحصينات والأبراج والبوابات المنيعة، فيما اشتملت منشآتها الداخلية على أبنية سلطانية رفيعة كانت محل إعجاب كل من زارها أو صفها من رحالة ومؤرخين وشيد بناء القلعة على هضبة صخرية مرتفعة مما زاد في صلابتها ومنعتها (رحمه الله٢). ويقول ابن جبير في رحلته: وشاهدنا أيضا بنيان القلعة وهو حصن يتصل بالقاهرة، حصن حصين المنعة يريد السلطان أن يتخذه موضع سكنه، ويمد سوره حتى ينتظم بالمدينتين مصر والقاهرة والمسخرون في هذا البناء والمتولون لجميع امتهاناته ومؤنته العظيمة كنشر الرخام ونحت الصخور والعظام وحفر الخندق المحدق بسور الحصن المذكور، وهو خندق ينقر بالمعاول نقرا في الصخر عجبا **من العجائب** الباقية الآثار ... العلوج الأسارى من الروم عددهم لا يحصى كثرة ولا سبيل أن يمتهن في ذلك البنيان أحد سواهم (رحمه الله٣).

– بئر يوسف: جعل الأمير بهاء الدين داخل القلعة بئرا عجيبا نقر في الصخر نقرا عميقا جدا ولايزال البئر حتى يومنا هذا ويدعى بئر "يوسف" وقد سميت هكذا نسبة إلى يوسف صلاح الدين (رحمه الله٤) وقد ذكر الأستاذ علي باشا مبارك: والبئر المعروفة بالحلزون الموجودة بالقلعة هي من عمل قراقوش في أيام صلاح الدين، عملت لأجل وجود الماء في داخل القلعة بواسطتها إذا حصل لها حصار من عدو (رحمه الله٥).

رحمه الله______________

(رحمه الله١) حكم قراقوش ص ١٩.

(رحمه الله٢) حكم قرقوش ص ٢٢.

(رحمه الله٣) رحلة ابن جبير ص ٥٢.

(رحمه الله٤) حكم قرقوش ص ٢٤.

(رحمه الله٥) المصدر نفسه ص ٢٣ الخطط التوفيقية (١/ ٦٩).." (١)

"حررهم هذا الأمير بنحو ستين ألف أسير، ما بين رجل وإمرأة (رحمه الله١) ومن وقائع حسن معاملة الأسرى ما حصل سنة٥٨٧هـ/١١٩١م حين أحضروا إليه خمسين وأربعين نفرا صليبيا من بيروت، وكان بينهم شيخ طاعن في السن، لم يبق في فمه ضرس، ولدى إحضاره أمام صلاح الدين طلب من الترجمان أن يسأله عن السبب الذي حمله على القدوم في الشرق وهو في هذا العمر، وغيرها من الأسئلة، فأجاب الصليبي الهرم على أسئلة السلطان، فرق له السلطان، ومن عليه وأطلقه وأعاده راكبا على فرس إلى معسكر العدو (رحمه الله٢).

في حين كان صلاح الدين ينتقم من بعض الأسرى شر انتقام، لأنهم ارتكبوا جرائم شنيعة لا تغفر إلا بسفك دمهم، بل والتشهير بهم قبل الشروع بقتلهم (رحمه الله٣)، كما سيأتي بيانه في محله بإذن الله ونجد أن صلاح الدين كان يرى أن من الأفضل الإبقاء على حياة الأسرى للاستفادة من طاقتهم في بعض الأعمال، فحين شرع ببناء حصن القاهرة "قلعة صلاح الدين" سخر هؤلاء الأسرى في القيام بالأعمال الشاقة، كنشر الرخام ونحت الصخور العظام، وحفر الخندق المحدق بسور

____

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس علي محمد الصلابي ص/٣٦٢

الحصن، وكان خندقا ينقر بالمعاول نقرا في الصخر عجبا **من العجائب** ولا سبيل – كما يقول ابن جبير – أن يمتهن في ذلك البنيان سوى العلوج الأسارى من الروم (رحمه الله٤)، وذكر مؤرخ مصري متأخر: أن قراقوش كان يستعمل في بناء القلعة والسور خمسين ألف أسير صليبي (رحمه الله٥).

٥ – المعاهدات بين صلاح الدين والصليبيين: كان أول المعاهدات بين صلاح الدين والصليبيين في مستهل سنة ٥٧١هـ/صيف ١١٧٥م، أي في بداية استقرار صلاح الدين في بلاد الشام، ولا ريب أن ضغط الظروف السياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها، هو الذي دفعه إلى عقد هذه الهدنة مع الصليبيين أيضا، حاجته إلى وقت إضافي لتصفية حسابه مع الجماعات الإسلامية المناوئة له، وكونه القائد الذي ينبغي قيادة الجبهة الإسلامية ضد الصليبيين، إضافة إلى قطع الطريق على الجماعات الإسلامية التي رغبت في التعاون مع الصليبيين على حساب صلاح الدين، لا

رحمه الله____________

(رحمه الله١) المصدر نفسه ص ٢٢٦.

(رحمه الله٢) المصدر نفسه ص ٢٢٧.

(رحمه الله٣) المصدر نفسه ص ٢٢٧.

(رحمه الله٤) الجيش الأيوبي ص ٢٣٧.

(رحمه الله٥) الخطط التوفيقية ص ٧٠، علي مبارك.." [1]

"بعد سنة ثلاثين وثمانمئة رحمه الله تعالى ونفع به

ومنهم الشيخ شجاع الدين عمر بن محمد بن حسن كانت الرياسة لعمه الشيخ عفيف الدين المقدم الذكر وكان هذا مشتغلا بالتجارة في زمان عمه فلما توفي عمه ترك ذلك واعتكف واجتهد بالذكر والدعاء والتلاوة.

وأخبرني القاضي جمال الدين محمد بن داود الوحصي أنه حكى له الشيخ شجاع الدين أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في آخر عمره وأنه استجار به من النار ولزمه قال فدعا له بدعاء كثير وقبل يده ثم توفي قريب سنة أربعين وثمانمئة

ومن المتوفين بجبل صبر الشيخ عفيف الدين عبد الله بن عثمان المشهور جفيقة كان عابدا زاهدا مجتهدا بأفعال الخير وظهرت له كرامات منها دعاؤه على من منعه إجراء الماء إلى المكان الذي هو فيه فاستجاب الله دعاءه ولم أتحقق تاريخ وفاته

ومن المتوفين هنالك الحاج الصالح جمال الدين محمد بن الحسين الخراساني هو من العباد والزهاد والطوافين في البلدان للحج والعمرة وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ودخل القدس ورأى **من العجائب** أنواعا ولما وفد اليمن لم يكن له مكان يستقر به بل دأبه التنقل من مكان إلى مكان وظهرت له كرامات وكان لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى والتلاوة قاعدا وماشيا وفي سفر وحضر إلا نادرا كمحادثة صديق ونحو ذلك

ولما قربت وفاته اعتكف ببعض المساجد بجبل صبر نحو ثلاث سنين مجتهدا بالذكر والدعاء مع الخشوع والخضوع ثم توفي

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس علي محمد الصلابي ص/٣٩٧

سنة خمسين وثمانمئة أو قبلها بقليل رحمه الله تعالى ونفع به

ومن المتوفين بعبدان القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن أحمد الخطيب

أخبرت أنه كان فقيها وأنه تولى القضاء بعبدان وما والاها وسار فيهم سيرة مرضية." (١)

"من جملتها سارية شمخت ارتفاعا، نحو من خمسة عشر ذراعا، وغلظ جسمها وبدنها، فلا يقدر الرجل " على أن يحتضنها، وباقي السواري بها قد حطن، قيل إنها شجرة قطن، ولها خاصية عجيبة ظريفة غريبة من كان به وجع الضرس يضع عليه مقدار حبة من خشب ذلك البرس، فإنه ينفعه، ويسكن في الحال وجعه، جربته فصح، ويسأل من يدعي رؤية سمرقند عما رأى فيها **من العجائب**، وشاهده من علامات الطرائف والغرائب، فإن أخبر برؤية هذه السارية الفائقة، كانت رؤياه صادقة، واعتد له بصدق الكلام، وإلا كانت رؤيته أضغاث أحلام

فصل

سمرقند ليس فيها كيل ولا صاع يصان، ولا يجري على جنس المكيلات فيها بالكيل حسبان، وإنما معرفة حساب ذلك عندهم بالميزان، ورطل سمرقند أربعون أوقية، كل أوقية بالمثاقيل مائة، فيكون رطلهم أربعة آلاف مثقال، كل مثقال درهم ونصف من غير زيادة ولا إخلال، فعلى هذا رطلهم بالدمشقي عشرة أرطال حكى لي مولانا." (٢)

"(١) كان ولا يزال يسميه أهل نجد بالامام. ووقائع هذه الأيام مبسوطة في تاريخ العراق بين احتلالين وهناك وسمعنا البحث فيها عن تكون هذه الأسرة المالكة ونطاق نفوذها وعلاقاتها بوقائع العراق.

(١) هذا المؤرخ يتحامل على آل سعود ولا يهمنا إلا ما يوضح الوقائع العشائرية. فلا نشاركه في تحامله ونقل النص أمانة. وأشرنا بهذا هنا ليعلم القاريء ان ابن سند كتب ارضاء لولاة بغداد والحكومة العثمانية وكانوا اعداء ابن سعود إذ ذاك.

(٢) ان محمدا هو الجد الأعلى ولكن البدو يسمون بأشهر أجدادهم المعروفين وإلا فان محمدا لم يكن جده القريب ... وهذا أساس تكون الفخذ أو البيت كما مر.

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد ص٨٧ ج١.

(٢) خرفان جمع نقد.

(٣) لم تكن خيانة وانما هناك قربى منعت من الحرب ... وسنوضح هذه القربى عند ذكر قبائل عنزة.

(٤) مطالع السعود ص١٤٩.

(١) من الجرباء مسلط آخر قتل سنة ١١٠٢هـ، أو ١١٠٣هـ. " عنوان المجد في تاريخ نجد ص١٠٧ ".

(١) هو مطلق.

(٢) المملة.

---

(١) طبقات صلحاء اليمن = تاريخ البريهي عبد الوهاب البريهي ص/٢٥٢

(٢) عجائب المقدور في أخبار تيمور ابن عربشاه ص/٤٧٢

(٣) الجواليب.

(٤) نطعن، نفرح، نتنومس بها.

(٥) تسايس في الحل، تبصر.

(١) وذرية ابراهيم بك هذا لم تزل في الحلة ويقال لهم آل عبد الجليل ابن سلطان ويسمون الآن " آل محمد نوري باشا ".

(٢) راجع ما كتبته عن آل الشاوي في لغة العرب.

(١) هذه القبيلة قحطانية في نجد والزعم بأنها مضرية غير صحيح ... وتتفرع إلى فروع عديدة. وجاء عنها في كتاب عشائر العرب للبسام ما نصه: " طائفة طافت أخبارها، ورويت آثارها، ملكت مقاليد المجد، وأدركته بالهزل والجد، يحمدهم الطارق، ويحذرهم السارق، أعلوا منار الفضل وشادوه، وأنصفوا الضعيف على القوي حتى أسادوه، أخلاقهم حميدة، وآراءهم سديدة ... ". ص٣٧ وفروعها مذكورة في قلب جزيرة العرب.

(٢) مطالع السعود ص١١٩.

(١) المطالع ص١٥٧ وعلي باشا هو المعروف بالكتخدا.

(٢) ص ١٢٢ من المطالع.

(١) بنو ثعل من قبائل طييء.

(١) مطالع السعود ص١٥٧ - ١٥٨، وعمر رمضان في حوادث سنة ١٢٣١هـ.

(٢) مطالع السعود ص١٥٩.

(٣) عنوان المجد ج١ ص١٥٩.

(١) ضبطه ابن سند بفتح الصاد وهو في الأصل الممتنع من الجبال، واللينة من القسي، والصخرة الملساء المرتفعة ... فسمي به. (ص٢٦٤ مطالع السعود) .

(٢) عشائر سورية.

(١) ص٢١٢.

(٢) المطالع ص٢٦٦.

(١) التفصيل في تاريخ العراق.

(٢) تاريخ لطفي ج٤ ص١١٢.

(١) هذه الآثار والممتلكات والنفائس في قصر الملك وفي غيره قد نشرت الآن للعموم وصار يراها كل احد وفيها **من العجائب** والغرائب الشيء العظيم، شاهدتها سنة ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م في تموز وايلول منها وقد خلت الديار من مالكيها السابقين فلا نرى إلا آثارهم ...

(٢) مختصر عثمان بن سند - مخطوطة الآلوسي على الهامش.

(١) ورد في ص١٣٣ ان فارس بن محمد سهوا. هو ابن صفوق.

(٢) وهذا من التواريخ المهمة كان قد قدمه تقريرا لحكومته عن سياحته وهو في الحقيقة من الآثار المهمة لمعرفة العراق في هذه الأيام التي كتب عنها.

(٣) راجع ص٢٤.

(٤) قال: قدمت لي القهوة فصبوا فنجانا ثم آخر وهكذا فظننت اني سوف اضطر ان اشرب ما في الدلة فالتفت الى الشيخ فارس فامره ان قد اكتفي ... !! ولم يعلم ان العرب يصبون لضيفهم القهوة حتى يقول "كفي " ...

(١) اخو شاهه هو الهادي.

(١) العشائر السورية.

(١) ص٥٢ – ٢.

(١) السيافة بطن من بطونهم.

(١) القربة، أو رواية الماء المعروفة.

(٢) لياغداله، لو يغدو له. وهنا تختزل اللفظة ويحذف منها بعض الحروف وهذا يكاد يكون مطردا عندهم ومثله (اليارجب) لو يركب ...

(١) العفاريت بطن من شمر على ما سيذكر.

(٢) الوادي.

(١) عكاب وحيال الغواجي رؤساء ولد سليمان من الفدعان من عنزة.

(١) ص ٤٠ – ١ (١) التفصيل في تاريخ العراق قسم حكومة المماليك (١) ابو نواف محمد العبد الكريم من رؤساء آل محمد. يقول: ان الناقة المسماة رحمه قد فتلنا عقالها، ويا ايها النذير خبر محمد العبد الكريم بان الدنيا دلوها دائب في عمله ولكن (فنه) اوامره القاسية لا تمضي علينا، ونحن خطونا على ما هو المطلوب، نمضي على الطريق الصعب ولا نبالي.

(١) عشائر العرب ص ٣٩ – ١.

(١) جمهرة اللغات: مخطوط له.." (١)

"في يد ساق له رضاب ... كالشهد لكن جناه أعذب

الملك الناصر داود بن الملك المعظم عيسى بن السلطان الملك العادل أبي بكر ابن أيوب.

توفي في هذه السنة بظاهر دمشق في قرية يقال لها البويضاء، ومولده سنة ثلاث وستمائة، وكان عمره نحو ثلاث وخمسين سنة، وقد ذكرنا أحواله وما جرى عليه في السنين الماضية، وكان أصاب الناس في الشام في تلك المدة وباء مات فيه الناصر داود، وخرج الملك الناصر يوسف صاحب دمشق إلى البويضاء، وأظهر عليه الحزن والأسف، ونقله ودفنه بالصالحية في تربة والده الملك المعظم.

وكان الناصر داود فاضلا، ناظما، ناثرا، وقرأ العلوم العقلية عل الشيخ شمس الدين الخسرو شاهى تلميذ الإمام فخر الدين

---

(١) عشائر العراق عباس العزاوي ص/١٣١

الرازى، وكان حنفى المذهب مثل والده.

وله أشعار جيدة، فمنها قوله:

عيون عن السحر المبين تبين ... لها عند تحريك القلوب سكون

تصول ببيض وهى سود فرندها ... ذبول فتور والجفون جفون

إذا ما رأت قلبا خليا من الهوى ... تقول له كن مغرما فيكون

وله أيضا:

طرفي وقلبي قاتل وشهيد ... ودمى على خديك منه شهود

أما وحبك لا أضمر سلوة ... عن صبوتى ودع الفؤاد يبيد

مني بطيفك بعد ما منع الكرى ... عن ناظرى البعد والتسهيد

ومن العجائب أن قلبك لم يلن ... لي والحديد ألانه داود

وقال أبو شامة: وكان الملك الناصر داود سلطان دمشق بعد أبليه نحوا من سنة، ثم اقتصر له على الكرك وأعماله، ثم سلب ذلك كله وصار متنقلا في البلاد موكلا عليه، وتارة في البراري إلى أن مات موكلا عليه بالبويضاء، وهى قرية قبلى دمشق، كانت تكون لعمه مجير الدين بن العادل وحمل منها، فصلى عليه عند باب النصر، ودفن بجبل قاسيون عند أبيه بالمقبرة المعظمية بدير مران، وخلف أولادا كثيرة.

الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل.

توفي في شعبان من هذه السنة، عن ثمانين سنة، وقد ملك الموصل نحوا من خمسين سنة.

وكان ذا عقل ودهاء مكر، لم يزل يعمل على أولاد أستاذه، وزالت الدولة الأتابكية عن الموصل، وقد ذكرنا مسيره إلى هلاون اللعين، فمكث بعد مرجعه بالموصل أياما يسيرة، ثم مات ودفن بمدرسته البدرية بالموصل، فتأسف الناس عليه لحسن سيرته وجودته وعدله.

وقد جمع له الشيخ عز الدين بن الأثير كتابه بالمسمى بالكامل في التاريخ، فأجازه عليه وأحسن إليه، وكان يعطى لبعض الشعراء ألف دينار وغيرها.

وقام في الملك بعده ولده الصالح إسماعيل.

وقد كان بدر الدين لؤلؤ أرمنيا اشتراه رجل خياط، ثم صار إلى الملك نور الدين أرسلان بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى بن آقسنقر الأتابكى صاحب الموصل، وكان مليح الصورة فحظى عنده، وتقدم في دولته إلى أن صارت الكلمة دائرة عليه، والوفود من سائر جهات ملكهم إليه، ثم أنه أخنى على أولاد أستاذة فقتلهم غيلة، واحدا بعد واحد، إلى أن لم يبق معه أحد منهم، فاستقل بالمملكة حينئذ، وصفت له الأمور وراقت.

وكان يبعث في كل سنة إلى مشهد على رضى الله عند قنديلا زنته ألف دينار.

وكان قد بلغ من العمر فوق ثمانين سنة، فكأنه شاب حسن الشباب من نضارة وجهه وحسن شكله، وكانت العامة تلقبه

بقضيب الذهب، وكان ذا همة عالية، وداهية، شديد المكر، بعيد الغور.
وقال بيبرس: واستقر بعده ولده الملك الصالح إسماعيل، وأما ولده علاء الدين على فإنه فارق أخاه وحضر إلى الشام، وكان منهما ما نذكره، إن شاء الله تعالى: بيجو: ويقال له باجو أيضا، مقدم التتار.
هلك في هذه السنة. ويقال: إن هلاون نقم عليه لما بلغه من إضمار الخلاف، وإنه قصد التأخر عنه لما استدعاه، وأراد الإنفراد ببلاد الروم، فلما فرغ هلاون من فتوح بغداد وبلاد العراق دس إليه سما، فشربه فمات.
وقيل: إنه كان أسلم قبل موته، ولما احتضر أوصى بأن يغسل ويدفن على عادة المسلمين.." (١)

"بالشام بددهم وفرق شملهم ... ولكل شيء آفة من جنسه
دار كاس المنون لما مزجنا ... عين جالوت بالدما للسقاة
يا لها جمعة غدا الكفر فيها ... مسجدا للسيوف لا للصلاة
وقال شهاب الدين أبو شامة:
غلب التتار على البلاد فجاءهم ... فيه ولى جيش الطغاة البغاة
دار كاس المنون لما مزجنا ... عين جالوت بالدما للسقاة
ثم أعطى الملك المظفر قطز دستورا للملك المنصور صاحب حماة، فقدم الملك المنصور وأخوه الملك الأفصل ووصلا إلى حماة، ولما استقر الملك المنصور بحماة قبض على جماعة كانوا مع التتار فاعتقلهم.
وهنأ الشيخ شرف الدين شيخ الشيوخ الملك المنصور بهذا النصر العظيم وبعود المعرة بقصيدة منها قوله:
رعت العدى فضمنت تل عروشها ... ولقيتها فأخذت تل جيوشها
نازلت أملاك التتار فأنزلت ... عن فحلها قسرا وعن اكديشها
فغدا لسيفك في رقاب كماتها ... حصد المناجل في يبيس حشيشها
فقت الملوك ببذل ما تحويه إذ ... ختمت خزائنها على منقوشها
ومنها:
وطويت عن مصر فسيح مراحل ... ما بين بركتها وبين عريشها
حتى حفظت على العباد بلادها ... من رومها الأقصى إلى أحبوشها
فرشت حماة لوطيء نعلك خدها ... فوطيت عين الشمس من مفروشها
وضربت سكتها التي أخلصتها ... عما يشوب النقد من مغشوشها
وكذا المعرة إذ ملكت قيادها ... دهشت سرورا سار في مدهوشها
لا زالت تنعش بالنوال فقيرها ... وتنال أقصى الأجر من منعوشها
طربت برجعتها إليك كأنما ... سكرت بخمرة جاشها أوجيشها

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٤٨

ذكر أحكام الملك المظفر في دمشق

ولما استقر ركابه الشريف في دمشق، جهز عسكرا إلى حلب لحفظها، ورتب علاء الدين بن صاحب الموصل نائب السلطنة بحلب، ورتب بدمشق الأمير علم الدين سنجر الحلبي الصالحي نائبا، وأمر لنجم الدين أبي الهيجاء بن خشتر بن الكردى أن يقيم بدمشق مع النائب، وأقر الملك المنصور ناصر الدين محمد صاحب حماة بها على حاله، كما ذكرنا، وحضر إليه الملك الأشرف صاحب حمص، فأقبل عليه وأقره بما بيده ولم يؤاخذه، ورتب شمس الدين أقوش، البرلى العزيزى أميرا بالسواحل وغزة، ورتب معه جماعة من العزيزية، وكان شمس الدين أقوش المذكور من مماليك العزيز محمد صاحب حلب، وكان مع الملك النصار، ولما هرب الناصر من قطيه، على ما ذكرنا، سار شمس الدين أقوش المذكور مع العساكر إلى مصر، فأحسن إليه الملك المظفر وولاه الآن السواحل وغزة.

وقال ابن كثير: كان علم الدين سنجر الحلبي المذكور أتابكا لعلى بن المعز أيبك، وابن صاحب الموصل هو الملك السعيد بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وكان قد وصل إلى الملك الناصر يوسف صاحب الشام، ودخل مع العسكر إلى مصر، وصار مع المظفر قطز، ففوض إليه نيابة السلطنة بحلب، وكان سببه أن أخاه الملك الصالح إسماعيل بن لؤلؤ كان تولى المصول بعد أبيه، فولاه حلب ليكاتبه أخوه بأخبار التتار، ولما استقر في نيابة حلب سار سيرة ردية، وكان دأبه التحيل على أخذ مال الرعية.

ونظر المظفر في أحوال البلاد، وحسم مواد الفساد، وجدد الإقطاعات بمناشيره.

ذكر ما فعل أهل دمشق عند ورود البشارة

بكسر التتار على عين جالوت على يد السلطان الملك المظفر رحمه الله

قال أبو شامة: جاءنا كتاب قطز من طبرية بتاريخ الأحد السابع والعشرين من رمضان من هذه السنة، وهو أول كتاب ورد منه إلى أهل دمشق يخبرهم بهذه الكسرة الميمونة وبوصوله إليهم بعدها.

قال: **ومن العجائب** أن التتار كسروا وهلكوا بأبناء جنسهم من الترك، وقلت في ذلك:

غلب التتار على البلاد فجاءهم ... من مصر تركى يجود بنفسه

بالشام أهلكهم وبدد شملهم ... ولكل شيء آفة من جنسه." (١)

"لما جرى ما جرى من انهزام الجيش السلطاني وصل السلطان الناصر إلى القاهرة وصحبته الأمير سيف الدين سلار، والأمير ركن الدين الأستادار، والأمير سيف الدين بكتمر أمير جاندار، ومن يلوذ به، وطلعوا القلعة في العشر الأخير من ربيع الآخر.

وقال صاحب النزهة: وكان ذلك اليوم يوم الأربعاء بكرة النهار الثاني عشر من ربيع الآخر، وكان المصاف الكائن بينهم يوم الأربعاء الثامن والعشرين من ربيع الأول بين الصلوتين، وتواردت بعده الأمراء المتأخرون والأجناد المنقطعون، وآخر من حضر كان أمير سلاح والطباخي وتغريل الأيغاني وهم الذين كانوا سافروا على الساحل وحملوا العسكر، وحملوا من وجدوه

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٦٢

من المنقطعين، ووقع عند وصولهم في قلوب الخلق توجع كثير وأسف وبكاء، وأقاموا المأتم على من فقد، وأقاموا أياما في الحزن والنياح على من فقد من الأمراء إلى أن منعوا من جهة السلطنة.
وقال بيبرس في تاريخه: وصل الأمير سيف الدين بلبان السلحدار المنصوري المعروف بالطباخي نائب السلطنة بالمملكة الحلبية وصحبته العسكر الحلبي، وكان عبورهم على جانب الساحل من جهة طرابلس، وصادفوا المضيق، وقاسوا مشقة عظيمة من وعر الطريق، وخرج عليهم الجبلية ونهبوا منهم جماعة وقتلوا جماعة، ووصل الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب السلطنة بالشام ومعه العسكر الدمشقي، والأمير سيف الدين كراي المنصوري نائب السلطنة بصفد وصحبته العسكر الصفدي، وحضر بعدهم الأمير زين الدين كتبغا المنصوري من صرخد، وعبر في طريقه بالكرك وترك بها عائلته وأولاده، وأقبلت العساكر السلطانية واجتمعوا بالقاهرة.
وقال صاحب النزهة: الأمير زين الدين كتبغا هذا قد كان تولى السلطنة وتلقب بالملك العادل كما تقدم ذكره، ثم لما خلعوه ولوه نيابة صرخد، فلما دخل العدو البلاد ووصل السلطان الناصر والأمراء إلى دمشق تكلموا في أمر حضوره، فلم يعجب الأمراء حضوره وسيروا إليه، فطلبوا مماليكه وعرفوه أنهم أعفوه من الحضور ليحفظ قلعته، فسير إليهم جماعة من مماليكه، فحضروا المصاف، فلما اتفق ما اتفق، نزل من صرخد وسافر على البريد إلى مصر، وكان يجلس مع الأمير سيف الدين سلار والأمير ركن الدين بيبرس ويأخذ المرملة ويرمل على العلامات التي يكتبها نائب السلطان فكان سلار يسأله أن يعفيه من ذلك، وكان كتبغا يحلف أن لا بد أن يفعله، فكانت الناس إذا رأوا ذلك يتعجبون من صنع الله تعالى وعظمة قدرته أن سلار وغيره من الأمراء الكبار وأصحاب الوظائف كانوا في خدمة كتبغا وهو سلطان يتخدمون له ويتضرعون إليه في الأمور، ثم قلب الله ذلك حتى صار كتبغا في خدمة سلار الذي هو أمير وليس بسلطان، ويرمل على ما يكتبه من العلامات، ويسأله في أشغال كثيرة سؤال مملوك مخدومه، وهذا من غرائب الزمان وعجائب الدهر، فسبحان المعز والمذل.
ومن العجائب أن كتبغا هذا عرضوا عليه جوشنا في أيام دولته وقد أعطى فيه بيبرس الجاشنكير أربعة آلاف درهم، فلما رآه كتبغا قال للدلال: كم جاب هذا الجوشن؟ قال: يا خوند أربعة آلاف درهم على بيبرس الجاشنكير. قال: وهذا يصلح لذاك الخرياطي؟ فأخذه ووزن ثمنه، ومرت الأيام إلى أن اتفق لكتبغا ما اتفق ونفي إلى الشام ووقعت الحوطة على جميع حواصله، ووجد ذلك الجوشن في حاصله، فأخذه لاجين، ثم انتقل بالعطاء من يد إلى يد حتى وقع في يد بيبرس فعرفه وأخذه، وجعله في حاصله إلى أن اتفق حضور كتبغا بعد هذه الوقعة، ولما اجتمع بالأمراء أراد بيبرس ينكي كتبغا، فأرسل من يحضر بالجوشن المذكور، فلما حضر به قام بيبرس ولبسه، والأمراء كلهم حاضرون وكتبغا فيهم، ثم نظر بيبرس إلى كتبغا وقال: يا أمير إش تقول؟ يصلح لي هذا الجوشن فألبسه أم لا؟ فنظر إليه كتبغا ولم يعلم ما في نفس بيبرس مما قصده من إنكائه. فقال: والله يا أمير هذا كأنه قد فصل لك، ولو لبسه غيرك ما لاق به، فنظر بيبرس إلى الأمراء وتغامزوا، وعلم كل منهم ما قصده بيبرس فيما فعله، وهذا الذي اتفق لكتبغا لم يسمع في دولة من الدول، فسبحان الفعال لما يريد.
ذكر ما دبر السلطان وأمراء دولته بعد قدومهم." (١)

---

(١) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان بدر الدين العيني ص/٣٦٨

"أمثلة الردف:

١ الردف بالألف مع روى ساكن، ومثاله قول شوقي:

قولوا له روحي فداه ... هذا التجني ما مداه؟

أنا لم أقم بصدوده ... حتى يحملني نواه

تجري الأمور لغاية ... إلا عذابي في هواه

سميته بدر الدجى ... **ومن العجائب** لا أراه

٢ الردف بالواو أو الياء مع روي ساكن، ومثاله قول شوقي أيضا مخاطبا نابليون:

قم إلى الأهرام واخشع واطرح ... خيلة الصيد وزهو الفاتحين

وتمهل إنما تمشي إلى ... حرم الدهر ومحراب القرون

يا كثير الصيد للصيد العلا ... قم تأمل كيف صادتك المنون

قم تر الدنيا كم غادرتها ... منزل الغدر وماء الخادعين

وتر الحق عزيزا في القنا ... هينا في العزل المستضعفين

وتر الأمر يدا فوق يد ... وتر الناس ذئابا وضئين

عظة قومي بها أولى وإن ... بعد العهد فهل يعتبرون؟

هذه الأهرام تاريخهم ... كيف من تاريخهم لا يستحون؟

٣ الردف بالألف: والروى محرك، أي مشبع، فيكون بعده وصل. وعلى هذا يكون في القافية ثلاثة مظاهر: ردف وروى ووصل. ومثال ذلك قول أبي فراس الحمداني معاتبا سيف الدولة:." (١)

"الفرق المنحرفة عن الإسلام وتدعي أنه من الزهد الإسلامي، ولهم في ذلك حكايات لا يشك من تأملها أنها لا تمت إلى الإسلام بصلة، ولهم في ذلك وصايا عجيبة وتوجيهات غريبة، فمن أقوالهم:

. من ترك النساء والطعام فلابد له من ظهور كرامة.

. من تزوج فقد أدخل الدنيا بيته، فاحذروا من التزويج.

. لا يبلغ الرجل إلى منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة وأولاده كأنهم أيتام، ويأوي إلى منازل الكلام.

. من تعود أفخاذ النساء لا يفلح.

. ... من تزوج فقد ركن إلى الدنيا (رحمه الله١). إلى غير ذلك **من العجائب** والغرائب وهذا المفهوم يخالف الإسلام دين التوسط والاعتدال، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فمن رغب عن سنتي فليس مني (رحمه الله٢). وجملة القول أن زهد عمر بن عبد العزيز كان مقيدا بالكتاب والسنة وأن كثيرا مما نسب إليه في هذا الباب لا يصح لمخالفته هدى النبي

---

(١) علم العروض والقافية عبد العزيز عتيق ص/١٥٧

صلى الله عليه وسلم، ومن زهد عمر بن عبد العزيز في جمع المال، فقد كان على النقيض ممن يلي منصبا في وقتنا الحاضر فقد كانت غلته حين استخلف أربعين ألف دينار، ثم أصبحت حين توفي أربعمائة دينار، ولو بقي لنقصت (رَحِمَهُ اللَّهُ٣)، حيث لم يرتزق رحمه الله من بيت المسلمين شيئا (رَحِمَهُ اللَّهُ٤)، فقد كان رحمه الله من زهاد زمانه إن لم يك أزهدهم، فكان يقول: إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر، تسر قليلا وتحزن طويلا (رَحِمَهُ اللَّهُ٥). وأخباره في الزهد كثيرة ذكر منها الشيخ أبو حفص عمر بن محمد الخضر المعروف بالملاء حوالي ثمانية وعشرين أثرا (رَحِمَهُ اللَّهُ٦)، لقد وصل عمر بن عبد العزيز إلى مرحلة متقدمة في الزهد والتحلي بصفات الزاهدين، وذلك ما لا يستطيع الوصول إليه أصحاب العيش في الظروف المادية في وقتنا الحاضر، الذي طغت فيه المادة على كل شيء

رَحِمَهُ اللَّهُ____________

(رَحِمَهُ اللَّهُ١) الطبقات للشعراني (١/ ٣٤).

(رَحِمَهُ اللَّهُ٢) فتح الباري على صحيح البخاري (٩/ ١٠٤).

(رَحِمَهُ اللَّهُ٣) حلية الأولياء (٥/ ٢٥٧).

(رَحِمَهُ اللَّهُ٤) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي صـ١٨٦

(رَحِمَهُ اللَّهُ٥) النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر صـ١٥١.

(رَحِمَهُ اللَّهُ٦) الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز (١/ ٣٦٦إلى٣٧٨).." [(١)]

"العماد وفيه قد عرف اختصاصنا من الطاعة والعبودية للدار العزيزة النبوية بما لم يختص به أحد وامتدت اليد منا في إقامة الدعوة الهادية بمصر واليمن والمغرب بما لم تمتد إليه يد وأزلنا من الأقاليم الثلاثة ثلاثة أدعيا وخلفناهم للردى حيث دعوا بلسان الغواية خلفا

ولا خفاء أن مصر إقليم عظيم وبلد كريم بقيت مئتين وخمسين سنة مضيمة وعانت كل هضيمة وعاينت كل عظيمة حتى أنقذها الله عز وجل بنا من عبيد بني عبيد وأطلقها بمطلقات أعنتنا إليها من عناء كل قيد وفيها شيعة القوم وهم غير مأموني الشر إلى اليوم

وطوائف أقاليم الروم والفرنج من البر والبحر بها مطيفة فمن حقها أن يتوفر عسكرها فلو حصل والعياذ بالله فتق لأعضل رتقه واتسع على الراقع خرقه

واحتجنا لحفظ بلاد الشام وثغور الإسلام إلى استصحاب العسكر المصري إليها وله مدة خمس سنين في بيكارها منتقما من كفارها متحملا لمشاقها على غلاء أسعارها

وإنما أحوج إلى ذلك أن بلاد هذا الثغر قد اقتطعت عنه وعساكرها أخذت منه وكانت في تولي نور الدين رحمه الله ثم ذكرها كما سبق ففوضت إليه كما سيأتي

---

(١) عمر بن عبد العزيز معالم التجديد والإصلاح الراشدي على منهاج النبوة علي محمد الصلابي ٧٧/١

وقال ابن الأثير توفي سيف الدين يوم الأحد ثالث صفر سنة ست وسبعين وكان مرضه السل وطال به

قال **ومن العجائب** أن الناس لما خرجوا يستسقون بالموصل سنة." (١)

"وإن **من العجائب** أن تراني ... فتعدل بي أقل من الهباء وقال آخر (١) :

ألام على أخذ القليل وإنما ... أصاحب أقواما أقل من الذر

فإن أنا لم أقبل قليلا حرمته ... ولا بد من شيء يعين على الدهر وقال الأصمعي: قولهم: فلان لا يعوى ولا ينبح أي لا يتعرض لشره، مثل قولهم لا يصطلى بناره، وليس ينبغي على هذا التأويل أن يدخل في هذا الباب.

٥٧ -؟ باب الرجل الذليل يستعين بمثله في الذل

قال أبو عبيد: ومن أمثالهم في العبد " هو العبد زلمة "، ومعناه اللئيم، قال الزبير: زنمة عندي أشبه، لقول الله تعالى ﴿عتل بعد ذلك زنيم﴾ (ن: ١٣) (وهو في القوم وليس منهم) .

ع: قال أبو محمد: يقال هو العبد زلمة وزنمة وزنمة، وزلمة وزلمة. وقال غيره: من قال زلمة يريد قد قد العبد، من قولهم: زلمت القدح إذا بريته، ومن قال: زنمة يريد ما قال الزبير أو يريد أنه موسوم بالذلة من الزنمة التي توسم بها الشاة. وفي كتاب الأصمعي: زلمة معرفة لا تكون نكرة (٢) .

---

(١) أوردها الحميدي في الجذوة: ٣٨٥ ونسبهما للشاعر المصري محمد بن مهران الدفاف.

(٢) كذا، وقال اللحياني: يقال ذلك في النكرة والأمة.." (٢)

"يا أيها الرشا الذي لما بدا ... محيت لديه محاسن الأقمار

ما راح خدك وهو دائرة المنى ... إلا وخالك نقطة البكار

وقال مضمنا

لها وجنة فيها من الخال نقطة ... مداري عنها في الهوى ومدارها

تضوع تحت الخال وجنتها شذى ... لقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

قافية الزاي

مظفر المنبجي

ولرب موشى المحيا باسم ... عن لؤلؤ في خده تطريز

قد أعجمت بالحسن نقطة خاله ... وله عليه أدبه ورموز

---

(١) عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية أبو شامة المقدسي ٦١/٣

(٢) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال أبو عبيد البكري ص/١٨٦

قال المؤلف

دون عطف الصدغ خال ... سلب الصبر وبزه

فغدى قلبي رهينا ... تحت مسمار ورزه

قافية السين

مجير الدين بن تميم

أبدى الذي أعشقه شامة ... تزيد بلبالي ووسواسي

بصحن خد لم يغض ماؤه ... ولم تخضه أعين الناس

نجم الدين بن إسرائيل

ونشوان يجلو من حسن وجهه ... علينا قضيب لين القد مائس

على خده خال من الند أسود ... ولا عجب أن يحرس الثغر حارس

قال المؤلف:

ولقد أقول لمن سباني خاله ... منه بلون حرت في تطويسه

بصري حديد بات يجريه الهوى ... قسرا بخالك فهو مغناطيسه

ومن أبيات له:

والخد مذ خط العذار ومدة ... لم يرضى بالتقليد من إقليدس

ومضت مضارب مقلتيك بخطه ... فقتلت بين مهند ومهندس

ومن العجائب خال خدك في لظى ... والصدغ يرفل في ثياب السندس

وقال في خال على الفم:

إن التجاء القلب إلى معقل ... للصبر ولى وهو معكوس

وخاله يمنعني لثمه ... وكل ثغر منه محروس

وقال:

عاينت في خد تضرج شامة ... في وجه ظبي بالملاحة قد كسي

قصرت في تشبيهها بشرارة ... طفئت وقد وقعت بثوب أطلس

قافية الشين

مليك الحس أحيا في المحيا ... ملوكا في نعيم وانتعاشي

فكسرى في الجفون ووجنتاه ... بها النعمان والخال
عون الدين سليمان

لهيب الخد حين بدا لعيني ... هوى قلبي عليه كالفراش
فأحرقه اللهيب فصار خالا ... وها أثر الدخان على الحواشي
وقال آخر

خاله في صحن خده ... نوره الأبصار يغشى
نقطة قصر عنها الكو ... ن في فص بلخشي
قافية الصاد
قال المؤلف

خلت وقد شف شعر عارضه ... من فوق خال تمت به غصصي
شحرور روض للحسن علقه ... من أبنوس العذار في قفص
قافية الضاد
أبو تمام الحجام

خيلان خدك ردت ... صحيح قلبي مريضا
في [العين سود] ولكن ... ما زلن في القلب بيضا
قال المؤلف

قال: أنهجوا الخال؟ قلت: استمعوا ... بالله ما قد جاء في فيضي
إني قد شبهته للورى ... بخنفساء في دم الحيض
قافية الطاء
التلمساني

له حسن شكل من غواية فاتن ... ومن صورة الخيلان في شكله نقط
فمن مئة خط كما جاء صدغه ... ويقصر عن عطفيه ما كتب الخط
شهاب الدين التلعفري

أمن لحظه أم لفظه أم رضابه ... نميل على أن الثلاثة اسفنط

له خال خد عم بالوجد والأسى ... محبيه هل في قتلهم جاءه خط

ابن تميم

ومهفهف خيلانه وعذاره قد ... جاوزوا حد الجمال وأفرطا

فكأنما كتب العذار بخده ... سطرا بحبات القلوب منقطعا

ابن نفاذة

فتاكة ما سل سيف لحاظها ... إلا ودل الشنفرى وتأبط

صنتم الجمال فصاده من عينها ... والنون حاجبها بخال ينقط

والميم فوها فالحروف تألفت ... مكتوبة والصبر عنها يكشط

قافية الظاء

علي بن مقاتل

ومليح عمه الحس ... ن بخال مثل حظي

وقع البحث عليه ... بينه وبين لفظي

قال هذا [خال] خدي ... قلت: بل ابن أخت لحظي

قال المؤلف

قال لي عاذلي ليثني عناني ... قد تعشقت قاسي القلب فظا

قلت إني شغلت منه بخال ... في نعيم من خده يتلظى

قافية العين

حسن الغزي." (١)

"وطئ من البلاد، ورأى **من العجائب**، وجعل الناسك خلال ذلك يصفق بيديه لينفرني عن السلة، فغضب الضيف وقال: أنا أحدثك وأنت تهزأ بحديثي! فما حملك على أن سألتني؟ فاعتذر إليه الناسك، وقال: إنما أصفق بيدي لأنفر جرذا قد تحيرت في أمره، ولست أضع في البيت شيئا إلا أكله، فقال الضيف: جرذ واحد يفعل ذلك أم جرذان كثيرة؟ فقال الناسك: فما أستطيع له حيلة. قال الضيف: لقد ذكرتني قول الذي قال: لأمر ما باعت هذه المرأة سمسما مقشورا بغير مقشور! قال الناسك: وكيف كان ذلك؟

---

(١) كشف الحال في وصف الخال الصفدي ص/١٥

قال الضيف: نزلت مرة على رجل بمكان كذا، فتعشينا، ثم فرش لي. وانقلب الرجل على فراشه، فسمعته يقول في آخر الليل لامرأته: إني أريد أن أدعو غدا رهطا ليأكلوا عندنا، فاصنعي لهم طعاما. فقالت المرأة: كيف تدعو الناس إلى." [1]

"أولاد علي الأطهر ابن زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما من الحسن الأفطس وحده. وقيل: صار أفطس لأنه عطس في قرار المكين، وهذا **من العجائب**، أمه أم ولد، ولا عقب لعلي الأطهر من الذكور والإناث سوى الحسن الأفطس. وللسيد الحسن الأفطس أعقاب، وهذا تفصيل أولاده: وأم الحسن المكفوف ابن الحسن الأفطس وأم أخيه الحسين جويرية بنت خالد بن أبي بكر بن عبد الله بن عبيد الله بن عمر بن الخطاب.

وزيد وعلي ومحمد وعمر وحسنة وأم كلثوم وخديجة وفاطمة من أم ولد اسمها عابدة.

وزينب وأم عبد الله من أم سعيد بنت محمد بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف.

ذكر الشيخ أبو القاسم البرزهي في كتاب المحامد أنه ذكر أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني في مقاتل الطالبين أن هارون الرشيد دعا الحسن بن الحسن الأفطس إلى بغداد، قال: بلغني أنك تجمع الزيدية وتدعوهم إلى نفسك، فقال يا أمير المؤمنين ما أنا من هذه الطبقة، أنا شاب نشأت بالمدينة أتصيد بالبزاة والبواشيق في الصحاري، ما هممت بغير ذلك قط.

قال هارون الرشيد: صدقت لكني أنزلك دارا وأوكل بك رجلا، ولا يحجب من يدخل عليك، وإن أردت أن تلعب بالطيور فافعل.

فقال هذا السيد: يا أمير المؤمنين نشدتك بالله في دمي، فو الله أو فعلت ذلك لذهب عقلي، فلم يقبل الرشيد ذلك وحبسه.

فانفذ ذلك السيد إلى هارون الرشيد رقعة فيها كل كلام قبيح وكل شتم شنيع، فلما قرأها هارون طرحها وقال: ضاق صدر هذا الفتى، فهو يتعرض لقتله، وما يحملني فعله وقوله على قتله.

ثم دعى جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي وأمره أن يحوله إلى داره ويوسع عليه، ففعل جعفر ذلك، فلما كان يوم النيروز قدمه جعفر وضرب عنقه وغسل رأسه وجعله في منديل وأهداه إلى الرشيد مع الهدايا.

فلما نظر الرشيد إلى الرأس اقشعر جلده وقال: ويحك لم فعلت هذا؟ فقال: لما كتب إلى أمير المؤمنين من الكلام القبيح، فقال: ويحك قتلك إياه بغير إذني أعظم من فعله، ثم أمره بغسله وتكفينه، وصلى عليه ودفنه في مقابر قريش.

بعد ذلك بأيام قلائل تغير عنده أحوال آل برمك، وأمر بقتل جعفر بن يحيى، وقال المسرور الخادم له: يقول الرشيد أقتلك قصاصا عن ابن عمي.

وفي سائر الكتب أن ذلك السيد هو أبو محمد عبد الله بن الحسن الأفطس، ولم تكن هذه الحادثة للحسن المكفوف. والأصح أن المقتول عبد الله بن الحسن الأفطس، والله أعلم.

لمحمد بن الحسن الأفطس أم كلثوم، أمها زينب بنت سليمان بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب.

فصل

---

(١) كليلة ودمنة ابن المقفع ص/١٨٦

أعقاب الحسن الأفطس

تفاصيل ذلك العقب من الحسن الأفطس بن علي بن زين العابدين رضي الله عنه.

زيد كراش، وعلي الخرزي، وعمر برطلة، والحسن المكفوف، والحسين بن الحسن الأفطس، مع الحسين بن علي صاحب الفخ متقلدا سيفين يضرب بهما.

العقب من زيد كراش ابن الحسن الأفطس: محمد، والحسين، والحسن، وعيسى، ويحيى أولاد الأمهات.

قال النسابون: انقرض أعقاب زيد بن الحسن الأفطس. والله تعالى أعلم.

العقب من علي الخرزي ابن الحسن الأفطس: علي بن علي، أمه عائشة بنت يحيى بن مروان بن عروة بن الزبير بن العوام.

والحسين، قيل: له محمد بن إسماعيل بن محمد بن علي بن الحسين بن علي الخرزي ابن الحسن الأفطس. وإبراهيم.

العقب من علي بن علي الخرزي ابن الحسن الأفطس: أبو علي محمد الخرزي، وإبراهيم في صح، أمهما حبيبة بنت عمر بن الحسن الأفطس.

العقب من أبي علي محمد بن علي بن علي الخرزي ابن الحسن الأفطس: محمد، وأحمد، وجعفر، وعلي، لم ير لمحمد عقب.

العقب من علي بن محمد بن علي بن علي الخرزي ابن الحسن الأفطس.

ومن أحمد بن علي بن محمد بن علي بن علي الخرزي ابن الحسن الأفطس، أبو محمد الحسين ببغداد في محلة الكرخ وكف بصره، وله بالكرخ أولاد، وهو أبو محمد الحسين بن أحمد بن علي بن محمد بن علي بن علي الخرزي ابن الحسن الأفطس ابن علي الأطهر ابن زين العابدين رضي الله عنه.

العقب من جعفر بن محمد بن علي بن علي الخرزي ابن الحسن الأفطس: الحسين، وهو الحسين بن جعفر بن محمد بن علي بن علي الخرزي ابن الحسن الأفطس.

العقب من الحسين: محمد سراهنك فحسب.." (١)

"فقالت أخته: قل لأخي أرني حنطتك كما هي، فبعث الأمير قاسم أنموذجا من الحنطة إليها، فعركتها بأناملها كما يعرك الرحى الصغيرة والحب، وبعثتها إلى أخيها وقالت للرسول: بلغ إلى أخي أن حنطتك فاسدة قد أكلتها العثة والسوس، فضحك الأمير قاسم وقال: هي والله أختي وأن العصا من العصبية، وبعث إليها من الحنطة ما سد يلثمه حاجتها.

ومن العجائب أن واحدا من الأتراك العراقية يقال له الأمير سولة فر من حصر العراق وقصد مكة، وهزم الأمير قاسم بن محمد، وكان سيف الأمير قاسم سبعة منا، ولم يكن مع الترك إلا أربعمائة فارس، لكن الأمير قاسم بن محمد انهزم وانتقل إلى حدود الطائف، واستولى الترك على إمارة مكة وحدودها أربعة أشهر.

ثم عاد الأمير قاسم بن محمد إلى مكة عود الليث إلى الأجمة وعرف ما وراء الأكمة، وحارب الترك في حدود جدة، وانهزم التركي وأفلت والحص الذنب، وقصد بلاد اليمن وكان يعير على مخالفيها حتى قتل.

ومن منظوم الأمير قاسم ما أوردته في كتاب دمية القصر وقد أنشد في ذلك أخو شمس المعالي أبو محمد شميلة ابن محمد بن

---

(١) لباب الأنساب والألقاب والأعقاب البيهقي، ظهير الدين ص/٤٤

هاشم:

مذكر روح الصبا ونسيمها ... منازل أنس قد نعمت بها دهرا

فها أنا ذا صادفت منذرا ... فمن مبدل من شيء لي عمرا

والعقب من الأمير قاسم فليتة، وقال في أولاد الأمير قاسم الشريف طيبون الحسني من قصيدة فيها:

ألا ليتني عبد لا ولاد قاسم ... ينادون يا طيبون رد الركابيا

وهو الذي قام مقام أبيه.

والعقب من الأمير فليتة: الأمير هاشم، والأمير يحيى، والأمير عبد الله، والأمير عيسى، فباهت الأمير يحيى والأمير عبد الله للقتال، وجمعا الجيوش من القبائل، وحمل على الأمير هاشم بنو هذيل وهم يرتجزون ويقولون:

نحن بني هذيل لا تفر ... حتى يرى جماجما تخر

فدخل الأمير هاشم المسجد وطاف بالبيت، وقام بإزاء الباب وقال: إلهي وسيدي ومولاي إن كنت أولى بحفظ مصالح الرعايا وخدمة بيتك من إخواني فانصرني عليهما، وإن كنت بخلاف ذلك فانصرهما علي، وبالغ وألح في الدعاء، وعاهد الله أن لا يظلم أحدا ولا يعصي الله في الحرم.

وخرج من الحرم وصال على أعمامه فانهزموا، وذهب الأمير يحيى إلى المدينة، والأمير عبد الله إلى الطائف، ووفى الأمير هاشم بما وعد.

وكان الأمير هاشم أبيض سمينا، وكانت أمه أم ولد، وقام مقامه ابنه الأمير قاسم، ثم أذعجه دار الإمارة عمه الأمير عيسى، وتمكن في مكة سنة ست وخمسين وخمسمائة، وذهب الأمير قاسم إلى السراة وجبال الصالحية وقتل بعد ذلك رحمه الله.

سادات الطائف

السيد آدم بن علي بن محمد بن زيد بن عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن الحسن المكفوف ويقال: الينبعي ابن علي بن الحسن المثلث ابن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهما.

وهؤلاء من أولاد الحسن المثلث، وهو العالم بالأنساب، ومعه كتب من هذا الفن.

وقد انتقل مع ابنه السيد أبي الحسن علي من الطائف إلى بحر آباد جوين. وأخوته نوح بن علي، وأبو طالب بن علي، والحسن بن علي.

وللسيد نوح: محمد. وللسيد أبو طالب: علي. وللسيد حسن شرفشاه، وقد أخذه قطاع الطريق في ملك الفتن وفقؤوا عينيه، والسيد شرفشاه الآن في الاحياء أعمى.

نسب قضاة مكة

حرسها الله تعالى

وهم سادات القاضي بها في زماننا: السيد القاضي الشريف زين الشرف قاضي الحرمين أبو جعفر محمد بن أحمد بن ميمون المنقذي المناقذة، قيل لهم ذلك لأنه قد وقعت في المدينة فتنة، وكان لجدهم فيها دار، فالتجأ الناس إلى تلك الدار، فأنقذهم صاحبها من تلك الفتنة، فلقب مولاه بالمنقذ، وأولاده يعرفون بالمناقذة والمنقذين.

العقب من إسماعيل المنقذي ابن جعفر بن عبد الله بن الحسين الأصغر: أبو جعفر محمد، والقاسم صاحب خليص له عقب، وعلي له عقب، والحسين له عقب بطبرستان، وطاهر له عقب بطبرستان في صح، وعبد الله، وحمزة، وإبراهيم دخان في صح، والحسن بين الشك واليقين أمه أم ولد، أمهم صفية بنت القاسم بن عبد الله بن الحسين الأصغر.

أنساب أمير المدينة

حرسها الله وأشرافها." (١)

"والعقب من مهدي بن الحسن بن الحسين بن علي بن أحمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما: عبد العظيم، والحسن سراهنك، والحسين ميركا، وأحمد سيدي، أمهم بنت أبي الحسن السيلقي.

والعقب من سراهنك الحسن بن مهدي بن الحسن بن الحسين بن علي بن أحمد بن علي بن إسماعيل حالب الحجارة: علي بن الحسن، وسيلقي، وأبو محمد المطهر، ومانكديم، وعزيز أمهم عامية وبنات، بنت منهن أم السيد حسينك جدة السيد علي بن الحسينك.

وكان السيد سراهنك شيخا معمرا محترما، رآه السيد أبو الغنائم في نيشابور وكتب أسامي أولاده. ومن زيد بن الحسن سراهنك مسطور في كتاب أبي الغنائم.

والعقب من السيد أبي محمد المطهر بن الحسن سراهنك: السيد النقي، والسيد الإمام شرف القضاة والسادة ناصح الدين.

والعقب من السيد النقي الحسن بن المطهر بن الحسن سراهنك: رضي الدين زيد، وشمس الدين علي النسابة، والسيد الرئيس محمد، وصفية، ونازنين.

توفي السيد النقي في سنة سبع وخمسمائة وقبره على درب سانزوار على جانب الغربي.

والعقب من رضي الدين زيد: السيد العالم الزاهد كمال الدين يحيى، والسيد علاء الدين علاء السادة الحسين، أمهم علوية بنت السيد الرئيس أبي عبد الله الزبارة، وتوفي رضي الدين زيد في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة.

والعقب من السيد يحيى: السيد محمد، ولد في يوم السبت الثامن من ربيع الآخر سنة خمسين وخمسمائة، وبنات، أمهم بنت الفقيه محمد بن أبي القاسم التديلي، وهم من أولاد تديل بن علي ورقاء الخزاعي، ونسبهم معروف، ومنهم الأئمة والقضاة والحكام والزهاد والأزكياء.

والسيد الحسن بن زيد مات ليلة الخميس الثامن عشر من شعبان سنة تسع وأربعين وخمسمائة، ولم يبق منه عقب. والعقب من علاء السادة الحسين.

والعقب من السيد الرئيس الإمام نسابة خراسان شمس الدين علي بن الحسن بن المطهر بن الحسن سراهنك: الحسن الأكبر، وحسام الدين الحسين، أمهما زهراء بنت السيد الإمام محمد بن مانكديم، والحسن الصغير.

ومن العجائب التي لم يوجد مثل ذلك في الأنساب أن شمس الدين اسمه علي، وابنه الأكبر الحسن بن علي، وابنه الأوسط الحسين بن علي، وأمهما الزهراء، وجدتهما خديجة وصهر شمس الدين محمد. وهذا نادر لم يوجد في الأنساب مثل ذلك،

---

(١) لباب الأنساب والألقاب والأعقاب البيهقي، ظهير الدين ص/٥٩

إلا في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومات السيد الحسن في شهور سنة ثمان وأربعين وخمسمائة في الوباء العام الذي كان بناحية بيهق.

والعقب من الحسن الأكبر بن شمس الدين: في محمد وبنات، أمهم علوية وهي ستي خاتونك بنت الأمير السيد أبي البركات محمد بن الحسين بن أبي عبد الله الجوزي النيشابوري.

والعقب من السيد حسام الدين الحسين في ولده محمد، أمه بنت السيد الإمام علي بن الفضل بن أبي طاهر الأصغر وبنت، أمها أم أولاد أخيه. ومات السيد الرئيس حسام الدين في حدود سانزوار في شهور سنة أربع وخمسين وخمسمائة.

والعقب من السيد محمد بن السيد النقي الحسن بن المطهر بن الحسن سراهنك: الأمير السيد الرئيس فخر الدين الحسن وبنات، أمهم علوية وهي ستي حرة الزاهدة والعفيفة بنت السيد السعيد الناصح الدين الحسين بن المطهر بن الحسن سراهنك.

والعقب من الرئيس فخر الدين لحسن بن مهدي بن الحسن بن المطهر بن الحسن سراهنك: أبو القاسم المطهر، أمه بنت السيد الإمام الرئيس بدر الدين علي بن الحسين بن المطهر. وأم أولاد السيد النقي الحسن بن المطهر بن الحسن سراهنك بنت الشيخ الزكي الحسين الورادي.

والعقب من السيد الإمام ناصح الدين شرف القضاة والعترة الحسين بن المطهر: في الأمير السيد الرئيس الإمام الزاهد الحاجي بدر الدين ظهير الإسلام سيد الحاج والحرمين علي، والسيدة الزاهدة العفيفة حرة، أمهما بنت الشيخ الحسين بن أبي الحسين بن أبي الحسن المستوفي المويلي.

وولد الأمير السيد الإمام الرئيس الزاهد الحاجي بدر الدين علي في شعبان سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، ومات والده بالري في سنة أربع وتسعين وأربعمائة، ومات بدر الدين علي فجأة في محرم سنة تسع وخمسين وخمسمائة.

والعقب من السيد الإمام الرئيس الزاهد الحاجي بدر الدين: في السيد الشهيد تاج الدين الحسين، وبنت في حبالة فخر الدين الحسن بن محمد بن الحسن بن المطهر.." (١)

"والعقب من شرف شاه: زيد، ومحمد. وللحسن ابنان وابنتان. وقيل أيضا: أبو طالب والله أعلم.

آل ابن علي بن أبي طالب

رضي الله عنه

من أولاد جعفر الملك: أبو الفتوح عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن حمزة بن القاسم بن عقيل بن جعفر بن عبد الله بن جعفر الملك ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومحمد بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن علي بن حمزة بن عون بن أميرك بن حمزة بن إسماعيل بن كفل بن جعفر الملك.

وفي الديلم: محمد بن الحسين بن علي بن إسماعيل بن كفل بن جعفر الملك.

وفي دستجرد: عمر بن أبي بكر بن أبي القاسم بن بسد بن أبي القاسم بن زيد بن سراهنك بن أميرك بن جعفر القوهي ابن

---

(١) لباب الأنساب والألقاب والأعقاب البيهقي، ظهير الدين ص/٩٢

محمد بن هارون بن جعفر الملك.

أنساب سادات طخراستان وخلم

السيد الأجل أبو علي أحمد بن المطهر بن علي بن المطهر بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

والسيد المختار بن الحسين بن المطهر بن أحمد بن محمد بن عبد الله.

وبرهان الدين علي بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن الحسين بن أحمد.

وفي خلم: الأمير السيد شمس الدين بدر السادة إبراهيم بن مؤيد الدين ذي الفخرين محمد بن أحمد بن المطهر بن أحمد.

ومن أقاربهم: جلال السادة محمد بن أبي جعفر بن أحمد بن المطهر.

ومنتخب الدين علي بن أبي جعفر بن أحمد بن المطهر.

نسب سادات بيهق

السيد الزاهد ناصر العريضي، هو السيد الزاهد الورع ناصر بن طاهر بن أبي إبراهيم بن القاسم بن السيد المسن طاهر بن علي بن جعفر بن الحسن بن عيسى بن محمد بن علي العريضي ابن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

العقب من عيسى بن محمد بن علي. السيد عبيد الله الأهوازي ابن محمد بن عيسى بن علي بن جعفر بن الحسن كان يسكن نيسابور. ولطاهر بن علي بن جعفر: السيد علي، والسيد مانكديم، والسيد أبو القاسم.

والعقب من السيد مانكديم: محمد قتله مجنون من مجانين بيهق في شهور سنة ثمان وعشرين وخمسمائة.

والعقب من محمد بن مانكديم: طالب، وعلي، وأمير سيد.

والعقب من السيد أبي القاسم العريضي: أبو إبراهيم، والسيد الإمام أميرك، وكان فقيها واعظا يعظ الناس ويعقد المجلس في مسجد البقالين في نيسابور. وأم السيد بن طاهر العريضي مليكة بكرية.

والعقب من السيد إبراهيم بن أبي القاسم العريضي: طاهر، وعلي. وأم أبي إبراهيم بن أبي القاسم العريضي وأم طاهر وأم علي علويات.

والعقب من السيد طاهر بن أبي إبراهيم بن أبي القاسم العريضي: الزاهد ناصر، والسيد علي.

والعقب من السيد ناصر بن طاهر: ناصر وقد درج، وزهراء أمهما ماه ستي بنت السيد ناصر بن أبي القاسم بن أبي الفتوح.

ومن العجائب أن السيد أبا القاسم العريضي مع ابنه أبي إبراهيم وحافده طاهر ماتوا في عشرة أيام رحمهم الله وأقر عين والدهم المصطفى صلى الله عليه وآله بهم يوم القيامة.

نسب تاج الدين يحيى بن محمد

قال السيد الزاهد النسابة أبو عبد الله النيسابوري: أبوه السيد محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أحمد بن الحسن المحترق ابن أبي عبد الله محمد بن الحسن بن إبراهيم بن علي بن عبيد الله بن الحسين الأصغر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي

طالب رضي الله عنهم.

تقرير هذا النسب: العقب من عبيد الله الأعرج ابن الحسين الأصغر: أبو علي عبيد الله، وإبراهيم، ومحمد، والحسين، والحسن.

والعقب من إبراهيم بن علي بن عبيد الله بن الحسين الأصغر: محمد، والحسن، والحسين، وعلي. أم الحسن أم ولد.

والعقب من الحسن بن إبراهيم بن علي بن عبيد الله بن الحسين الأصغر: الحسين، إبراهيم، ومحمد وعلي.

والعقب بن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن علي بن عبيد الله: محمد، وجعفر، وأحمد، والحسن المحترق.

والعقب من الحسن المحترق بن محمد بن الحسن بن إبراهيم بن علي: محمد، وأحمد.

والعقب من أحمد بن الحسن المحترق ابن أبي عبد الله محمد بن الحسن بن إبراهيم بن علي بن عبيد الله بن الحسين الأصغر: علي، وحمزة، ومحمد، وعبد الله.

والعقب من علي بن أحمد بن الحسن المحترق: الحسين.." (١)

"ندية وأصابهما حر الشمس انشقا وجدبا بقوة خلقها الله تعالى فيهما الأجزاء اللطيفة الأرضية من الأرض والمائية من الماء. ثم إن تلك الأجزاء يتراكم بعضها على بعض بواسطة قوى خلقها الله تعالى فيها. حتى يصير الحب نجما بالغا ذا عرق وقضبان وأوراق وأزهار. وحب النوى شجرا عظيما ذا عروق وساق وأغصان وأوراق وثمرة (للقزويني) ٣٢٧ (بطيخ خوارزم) . لا نظير له في بلاد الدنيا شرقا ولا غربا. إلا ما كان من بطيخ بخارى. ويليه بطيخ أصفهان. وقشره أخضر وباطنه أحمر. وهو صادق الحلاوة وفيه صلابة. ومن العجائب أنه يقدد وييبس في الشمس. ويجعل في القواصر. كما يصنع عندنا بالشريحة وبالتين المالقي. ويحمل من خوارزم إلى أقصى بلاد الهند والصين. وليس في جميع الفواكه اليابسة أطيب منه. وكنت أيام إقامتي بدهلي من بلاد الهند متى قدم المسافرون بعثت من يشتري لي منهم قديد البطيخ. وكان ملك الهند إذا أتي إليه بشيء منه بعث إلي به لما يعلم من محبتي له. ومن عادته أنه يطرف الغرباء بفواكه بلادهم ويتفقدهم بذلك (لابن بطوطة) ٣٢٨ (ألتورزي) . ومن غرائب بلاد السودان شجرة طويلة الساق دقيقتها تسمى تورزي تنبت في الرمال. ولها ثمر كبير منتفخ داخله صوف أبيض. تصنع منه الثياب والأكسية. ولا." (٢)

"ويجعلها في مخلاة جلد منوطة بعنقه. فإذا ضاق نفسه حرك الحبل فيحس به الرجل الممسك للحبل على الساحل فيرفعه إلى القارب فتؤخذ منه المخلاة. ويفتح الصدف فيوجد في أجوافها قطع لحم تقطع بحديدة فإذا باشرت الهواء جمدت فصارت جواهر. فيجمع جميعها من صغير وكبير فيأخذ السلطان خمسه والباقي يشتريه التجار الحاضرون بتلك القوارب. وأكثرهم يكون له الدين على الغواصين فيأخذ الجوهر في دينه أو ما وجب له منه (لابن بطوطة) ٣٥٧ (ألرعاد) . إن في البحر سمكا يسمى الرعاد. إذا دخل في شبكة فكل من جر تلك الشبكة أو وضع يده عليها أو على حبل من حبالها. تأخذه الرعدة حتى لا يملك من نفسه شيئا كما يرعد صاحب الحمى. فإذا رفع يده زالت عنه الرعدة. فإن أعادها عادت

---

(١) لباب الأنساب والألقاب والأعقاب البيهقي، ظهير الدين ص/١١٣

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١٧١/١

إليه الرعدة. وهذا أيضا من العجائب. فسبحان الله جلت قدرته ٣٥٨ (ألمرجان) . هو واسطة بين النبات والمعدن. لأنه بتشجره يشبه النبات. وبتحجره يشبه المعدن. ولا يزال لينا في معدنه. فإذا فارقه تحجر وييس. (خواصه النظر فيه يشرح الصدر ويبسط النفس ويفرح القلب. وأنواعه كثيرة أحمر وأزرق وأبيض. وأصله من البحر قيل إنه شجر ينبت. وقيل إنه من حيوانه (للابشيهي)." (١)

"على ساحل البحر وبها قليل نخيل وكروم خصبة. وبينها وبين البحر أكوام رمال تلي بساتينها ولها قلعة صغيرة (لابن بطوطة) ٤١٤ (قبرس) جزيرة بقرب طرسوس دورها مسيرة ستة عشر يوما. قال ابن عمر العذري: يجلب منها اللاذن الجيد ولا يجمع في غيرها. والذي يجمع من الشجر يحمل إلى القسطنطينية لأنه يعادل عود الطيب. وسائر ما يجمع هو الذي يستعمله الناس على وجه الأرض. والزاج القبرسي مشهور كثير المنافع جدا عزيز الوجود أفضل الزاجات كلها. وعن ابن سعيد: طول جزيرة قبرس مائتا ميل من الغرب إلى الشرق. ولها ذنب دقيق في شرقيها ويقرب إلى ساحل الشام. وقال الشريف الإدريسي: دور جزيرة قبرس مائتان وخمسون ميلا.

٤١٥ (قزوين) . بالقرب من أرمينية وهي في فضاء من الأرض. وهي طيبة الهواء كثيرة البساتين وهي مدينتان إحداهما في وسط الأخرى. وهذه المدينة أنشأها سابور ذو الأكتاف وجدد بها هارون الرشيد سورا مانعا وجامعا كبيرا وذلك في سنة أربع وخمسين ومائة. ومن العجائب أن مقصورة هذا الجامع في غاية الارتفاع. وهي على شكل بطيخة ليس لها مثال في الدنيا. ومن العجائب أن بساتين هذه المدينة لا تسقى في السنة إلا مرة واحدة. وإليها ينسب الشيخ زكريا: بن محمد بن محمود القزويني." (٢)

"وأما المملكة الغزاوية ففيها مدينة غزة وهي مدينة حسنة بأرض مستوية وهي كثيرة الفواكه. وفيها من الجوامع والمدارس والعمارات الحسنة ما يورث العجب. وتسمى دهليز الملك. وبها معاملات وقرى وهي مملكة متسعة. وأما مدينة الرملة فليست هي مملكة. وإنما هي إقليم يشتمل على قرى عديدة. وهي مدينة حسنة بها جوامع ومدارس ومزارات. من جملتها الجامع الأبيض عجب من العجائب وأما المملكة الكركية فليست هي من الشام. وهي مملكة بمفردها وتسمى مآب. وهي مدينة حصينة معقل من معاقل الإسلام. بها قلعة ليس لها نظير في الإسلام ولا في الفرنج تسمى حصن الغراب لم تكن فتحت عنوة قط. وإنما فتحها صلاح الدين يوسف بن أيوب بعد فتح القدس في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة. وكانت بيد البرنس أرناط. وكان يتعرض للحجاج والحكاية في ذلك تطول. وملخصها أنه نزل بعسكره نجدة إلى الفرنج على وقعة حطين. وأمكن الله صلاح الدين من جميع ملوك الفرنج وكان من جملتهم البرنس أرناط صاحب الكرك. فحصل الفتوح

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ١٨٧/١

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢١٢/١

بواسطة ذلك واستمرت الشوبك مدة بيد الفرنج إلى أن قدر الله فتحها بسبب عجيب. وذلك أن والدة أرناط تسببت في فتح ذلك لخلاص ولدها وفتح الحصنان وقتل أرناط. والشوبك مضافة إلى الكرك." (١)

"وهي حصينة أيضا. ومسيرة معاملة الكرك من العلى إلى زيزاء مقدار عشرين يوما بسير الإبل. وهي بلد عذبة بها قرى كثيرة ومعاملات والمسلك إليها صعب في منقطعات قليلة الماء حتى إنه إذا وقف أحد على درب من دروبها يمنع الفارس عن المسير. وأوصافها كثيرة اخترتها خوف الإطالة وأما المملكة الصفدية فإنها مملكة متسعة قيل إنها تشتمل على ألف ومائتي قرية ولها عدة معاملات. وأعظم مدنها صفد وهي مدينة متفرقة ثلاث قطع وهي عذية. وبها جوامع ومدارس ومزارات وأماكن حسنة وحمامات وأسواق. وبها قلعة حصينة يقال إنها لا يوجد نظيرها عشر قلاع قد فتحت من قريب. ومدينة عكة كانت حصينة جدا فلما فتحها الملك صلاح الدين أيوب هدم أسوارها. وهي الآن ميناء المملكة الصفدية. ولما هدمها جهز قفلها بمفتاحه وهو حمل فرس إلى سجن قلعة الكرك. وهو بها الآن عجيب من عجائب الدنيا. ومدينة صور وهي الآن خراب. وبالمملكة الصفدية قرى كبار نظيرة المدن كالمينة والناصرة والمعرك وما أشبه ذلك. وقيل إن بالمملكة الصفدية الشقيف وكابول وغيرها سبع قلاع غالبها خراب الآن. وبها المزارات والأماكن المباركة

وأما المملكة الشامية فإنها مملكة متسعة جدا وهي عدة أقاليم ومدن وقلاع. وقد تقدم أن مدينتها العظمى دمشق وهي مدينة حسنة إلى الغاية بها تخت المملكة وهو مغطى ولا يكشف غطاؤه إلا إذا جلس السلطان عليه. وفضائل الشام كثيرة وبها جوامع حسنة ومدارس وأماكن مباركة وشوارع وأسواق وحمامات وبساتين وأنهر وعمائر يتحير الواصف فيها. وبها بيمارستان لم ير مثله في الدنيا قط. وقيل إن البيمارستان المذكور منذ عمر لم تنطفئ فيه النار. وأما جامع بني أمية فهو إحدى العجائب الثلاث. ولقد رأيت في بعض التواريخ أن عجائب الدنيا ثلاث. منارة الإسكندرية وجامع بني أمية وحمام طبرية. وأما الميدان الأخضر وما به من القصور الحسنة فعجيب **من العجائب**. وأما غرائب دمشق فيعجز الواصف عن حصرها. من جملتها الجبهة والربوة والصالحية والسبعة والعنابة. وبها قبر نور الدين محمود بن زنكي وقبر صلاح الدين يوسف بن أيوب. وبدمشق المحروسة سبعة أنهر إذا اجتمعت صارت مثل النيل. وأما ما بها من الفواكه الرطبة والرياحين والأقمشة فمما يطول شرحه. وبها الثلج لا يزال على الجبال صيفا وشتاء وجميع أهلها يشربون منه وينقل منه إلى السلطان وأركان الدولة الشريفة. وأما مدينة حسبان فيها قلعة خربة وإقليمها البلقاء تشتمل على نيف وثلاثمائة قرية بأرض مستوية وهي أيضا ن معاملة دمشق. وأما صرخد فإنها مدينة عجيبة لصعوبتها ولها قلعة حصينة. وأما بانياس فهي مدينة لطيفة يزرع بها الأرز يجلب منها إلى دمشق وغيرها. ولها إقليم بعضه." (٢)

"يعرف بالحولة. تشتمل على مائتي قرية وهي أيضا من معاملات دمشق. وأما حوران فقيل إن بها عدة أقاليم والمستفيض بين الناس أنه نيف عن ألف قرية. بها مدينة اللجا ومدن صغار متفرقة. وهي أيضا من معاملة دمشق. وأما إقليم الغوطة فقيل إنه نيف عن ثلاثمائة قرية وبه مدن صغار وبلدان تشابه المدن. وهي أيضا من معاملة دمشق. وأما إقليم

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢١٨/١

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢١٩/١

نجران فهو عجيب لكثرة أوعاره. وبه عدة بلدان قيل إنها نيف عن مائة وستين قرية. وهي أيضا من معاملة دمشق. وأما الزبداني فهو مقارب مدينة. وله إقليم نيف وخمسون قرية وبه أنهر كثيرة وهو أيضا من معاملة دمشق. وأما السويدية فأصلها مدينة كبيرة وهي الآن غالبها خراب. ولها إقليم يشتمل على ما ينيف عن مائتي قرية وهي أيضا من معاملة دمشق. وأما مدينة بعلبك فإنها مدينة حسنة لها قلعة حصينة بها عمد قيل إن سليمان أمر بعمارتها. وببعلبك جوامع ومدارس وأماكن مباركة وأسواق وحمامات وبساتين وأنهر ما يطول شرحه. ولها إقليم حسن يشتمل على ثلاثمائة وستين قرية. وهي أيضا من معاملة دمشق. وأما حمص فإنها مدينة حسنة وهي تشتمل على سور وقلعة. وقيل إنها مدينة فوق مدينة. وهي عجيبة **من العجائب**. وبها قبر خالد بن الوليد. وبها جوامع ومدارس وأسواق وحمامات. وأما مدينة صيدا فهي ميناء دمشق وهي مدينة لطيفة على شاطئ البحر المحيط ترد." (١)

"على لون هذا الطائر نسجت ثياب تسمى أبا قلمون تجلب من الروم. وعجب هذا الطائر في لونه وشكله (للقزويني)

٤٢٧ (الديك) . أكثر الطيور عجبا بنفسه وهو أبله الطبيعة وعلامته حمرة العرف وغلظ الرقبة وضيق العين وسوادها وحدة المخالب ورفع الصوت. وأعظم ما فيه **من العجائب** معرفة الأوقات الليلية. فيقسط أصواته عليها تقسيطا لا يكاد يغادر منه شيئا سواء طال أو قصر. ويوالي صياحه قبل الفجر وبعده فسبحان من هداه لذلك. قال ابن المعتز يصف ديكا:

بشر بالصبح طائر هتفا ... هاج من الليل بعدما انتصفا

مذكرا بالصباح صاح بنا ... كخاطب فوق منبر وقفا

صفق إما ارتياحة لسنا الفجر وإما على الدجى أسفا

٤٢٨ (الصقر) . أحد أنواع الجوارح الأربعة وهي الصقر والشاهين والعقاب والبازي وتنعت أيضا بالسباع. وهو أصبر على الشدة وأحمل لغليظ الغذاء والأذى وأحسن ألفة وأشد إقداما على جملة الطير من الكركي وغيره. وصده أعجب من جميع الجوارح فإذا أرس صقران على ظبية أو بقر وحش ينزل أحدهما على رأسه ويضرب بجناحه عينه ثم يقوم وينزل الآخر ويفعل مثل ذلك ويشغلانه عن المشي حتى يدركه من يبطش به. ومن العجب أن الصقر مع صغر جثته يثب على الكركي مع ضخامته. (للدميري)." (٢)

"والكبريت والقير وغيرها وأجلها الملح فلو خلت منه بلدة لتسارع الفساد إلى أهلها. ثم لينظر إلى أنواع النبات وأصناف الفواكه المختلفة الأشكال والألوان والطعوم والأرايج تسقى بماء واحد ويفضل بعضها على بعض في الأكل مع اتحاد الأرض والهواء والماء. فتخرج من نواة نخلة بعناقيد الرطب ومن حبه سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة. ثم لينظر إلى أرض البوادي وتشابه أجزائها فإنها إذا نزل القطر عليها اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ثم إلى أشكالها وألوانها وطعومها وروائحها واختلاف طبائعها وكثرة منافعها فلم تنبت من الأرض ورقة إلا وفيها منفعة أو منافع يقف فهم البشر دون إدراكها ثم لينظر إلى أصناف الحيوان وانقسامها إلى ما يطير ويسبح ويمشي وإلى أشكالها وصورها وأخلاقها ليرى

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢٢٠/١

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢٨٢/٢

عجائب تدهش منها العقول بل في البقة أو النمل أو العنكبوت أو النحل فإنها من ضعاف الحيوانات ليرى ما يتحير منه من بنائها البيت وجمعها الغذاء وادخارها لوقت الشتاء وحذقها في هندستها ونصبها الشبكة للصيد وما من حيوان إلا وفيه **من العجائب** ما لا يحصى وغنما سقط التعجب منها للأنس بها بكثرة المشاهدة.

في جرم الشمس ووضعها

٣٤١ وأما الشمس فأعظم الكواكب جرما وأشدها ضوءا ومكانها." (١)

"أهل فارس ومنشأه بالبصرة. وكان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو كان أخذه عن الخليل. ولم يوضع فيه مثل كتابه. قال الجاحظ: أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك ففكرت في شيء أهديه فلم أجد شيئا أشرف من كتاب سيبويه. فقال: والله ما أهديت إلى شيئا أحب إلي منه. وكان يقال بالبصرة: قرأ فلان الكتاب. فيعلم انه كتاب سيبويه. وكان أبو العباس المبرد إذا أراد مريد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه يقول له: هل ركبت البحر. تعظيما لكتاب سيبويه واستصعابا لما فيه. وكان أبو عثمان المازني يقول: من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح. ولما ورد سيبويه إلى بغداد من البصرة والكسائي يومئذ يعلم الأمين بن هارون الرشيد فجمع بينهما وتناظرا. وجرى مجلس يطول شرحه. وزعم الكسائي أن العرب تقول: كنت أظن الزنبور أشد لسعا من النحلة فإذا هو إياها فقال سيبويه: ليس المثل كذا بل: فإذا هو هي: وتشاجرا طويلا واتفقا على مراجعة عربي خالص لا يشوب كلامه شيء من كلام أهل الحضر وكان الأمين شديد العناية بالكسائي لكونه معلمه. فاستدعى عربيا وسأله. فقال كما قال سيبويه. فقال له: نريد أن تقول كما قال الكسائي. فقال: إن لساني لا يطاوعني على ذلك فإنه ما يسبق إلا إلى الصواب. فقرروا معه أن شخصا يقول: قال سيبويه كذا. وقال الكسائي كذا. فالصواب مع من منهما. فيقول العربي: مع الكسائي. فقال: هذا يمكن. ثم عقد لهما المجلس واجتمع أئمة هذا الشأن وحضر العربي وقيل له ذلك فقال: الصواب مع الكسائي وهو كلام العرب. فعلم سيبويه أنهم تحاملوا عليه وتعصبوا للكسائي فخرج من بغداد وقد حمل في نفسه لما جرى عليه وقصد فارس فتوفي بشيراز (ملخص عن نزهة الألباء وابن خانكان)

سياح المسلمين

ابن بطوطة (٧٠٣-٧٧٧هـ) (١٣٠٤-١٣٧٦م)

هو أبو عبد الله بن إبراهيم اللواتي الطنجي الملقب بشمس الدين ابن بطوطة. وهو الذي طاف الأرض معتبرا. وطوى الأمصار مختبرا. وباحث فرق الأمم. وسبر سير العرب والعجم. ثم ألقى عصا التسيار بحاضرة فاس العليا وكان مولده بطنجة سنة ثلاث وسبعمائة. وكان خروجه من موطنه عام خمسة وعشرين وسبعمائة وله من العمر اثنتان وعشرون سنة. فأخذ يتقلب في بلاد العراق ومصر والشام واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند وهو السلطان محمد شاه. واتصل

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٢٥٩/٣

بملكها لذلك العهد وهو فيروزجوه. وكان له منه مكان واستعمله بخطة القضاء بمذهب المالكية في عمله. ثم ساح في الأقطار الصينية والتترية وأواسط أفريقية في بلاد السودان وفي الأندلس. ثم انقلب إلى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان من ملوك بني مرين. وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى **من العجائب** بممالك الأرض. ويأتي من أحواله ما يستغربه السامعون. فغمره أبو عنان من إحسانه الجزيل وامتنانه الحفي الحفيل.." (١)

"من ثقل على صديقه خف على عدوه

من أهان ماله أكرم نفسه

ما أبعد ما فات، وما أقرب ما هو آت

من أدب أولاده أرغم حساده

من يشنؤك كان وزيرا

من كان لك كله كان عليك كله ما نظر لأمرئ مثل نفسى

ما كل بارقة تجود بمائها

ما وعظ امرأ كتجاربه

ما يداوي الأحمق بمثل الإعراض عنه

من أطاع غضبه أضاع أدبه

من وطن نفسه على أمر هان عليه

من دارى الحساد أسفههم

من ترك قول "لا أدري" أصيبت مقاتله

من هاب الرجال تهيبوه

من لم يتغد بدانق تعشى بأربعة دوانق

من دق نظره جل ضرره

من لم يرض بحكم موسى رضي بحكم فرعون

من أكل القلايا صبر على البلايا

من بلغ السبعين اشتكى من غير علة

من لا ذكر له فلا ذكر له

من سل سيف البغي قتل به

من أعجب برأيه ضل، ومن استغنى بعلمه زل

من لم يكن ذئبا أكلته الذئاب

---

(١) مجاني الأدب في حدائق العرب لويس شيخو ٥/٢٨٨

من جعل نفسه عظما أكلته الكلاب

من طلى نفسه بالنخالة أكلته البقر

من دخل مداخل السوء اتهم

من عادى مجدودا فقد عادى الله

من أفشى سرا كثر المستأمرون عليه

ما بقى من ستره إلا ما يشف على ما دونه

ما هو إلا نار المجوس

يضرب لمن لا يحترم أحدا؛ لأنها تحرقهم وإن كانوا يعبدونها -[٣٢٨]-

من سابق الدهر عثر

من غضب من لا شيء رضي بلا شيء

من استحيا من بنت عمه لم يولد له ولد

من لم يذق لحما أعجبته الرئة

من عير عير

من أكل السمين اتخم

من اعتاد البطالة لم يفلح

من اشترى الحمد لم يغبن

من اشترى الدون بالدون رجع إلى بيته وهو مغبون

من تأنى أدرك ما تمنى

من أعطى بصلة أخذ ثومة

من تسمع سمع ما يكره

من رآني فقد رآني ورحلى

من أكثر من شيء عرف به

من ترك الشهوات عاش حرا

من مرضت سريرته ماتت علانيته

من لم يصلحه الطلاء أصلحه الكي

ما ذاق أحد من لحمه إلا انطوى على طوى

منك فاستقرض

من السرور بكاء

من أنفق ولم يحسب هلك ولم يدر

من طفر من وتد إلى وتد دخل أحدهما في استه

من أكل على مائدتين اختنق

ما بقي من اللص أخذه العراف

من كان طباخه أبو جعران ما عسى أن تكون الألوان

من ترك حرفته ترك بخته

من بكى من زمان بكي عليه

من أحسن السؤال علم

من رق وجهه رق علمه

من يدار المشط ينتف لحيته

من يجع يجشع، ومن يسغب يشغب

من أكل للسلطان زبيبة ردها تمرة

من أنت في الرقعة؟

من لم تنفعك حياته فموته عرس

من سعى رعى

من جال نال

من احترف اعتلف

من غلب سلب

من نام رأى الأحلام

من زرع المعروف حصد الشكر

من ضعف عن كسبه اتكل على زاد غيره

من حسن ظنه طاب عيشه

من اتكل على زاد غيره طال جوعه

من حسد من دونه فلا عذر له

من لم يصلحه الخير أصلح الشر -[٣٢٩]-

من تعدى الحق ضاق مذهبه

من جرب المجرب حلت به الندامة

من هانت عليه نفسه فهو على غيره أهون

من لم يحسن إلى نفسه لم يحسن إلى غيره

من أحب شيئا أكثر من ذكره

من اشترى مالا يحتاج إليه با ع ما يحتاج إليه

من طلب الغاية صار بداية

من لم يردك فلا ترده

من عبد الله في خلق الله؟

من الكيس ختم الكيس

مصارمة الجاهل مواصلة العاقل

من لانت كلمته وجبت محبته

من استغنى كرم على أهله

من تلذذ الحج ضرب الجمال

قاله الأعمش.

من اصطنعه السلطان صبغه الشيطان

من يقدر على رد أمس وتطيين عين الشمس؟

من لم تخنه نساؤه تكلم بملء فيه

من رفق رتق، ومن خرق حرق

من كثرة الملاحين غرقت السفينة

من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلا

من عادة السيف أن يستخدم القلم

من دون ذا قتل الوليد

من نكد الدنيا منفعة الهليلج ومضرة اللوزينج

من أحب ولده رحم الأيتام

من تغدى بسوء السيرة تعشى بزوال القدرة

من فعل ما شاء لقى ما ساء

من نام عن عدوه نبهته المكايد

من العجائب أعمش كحال

من فرص اللص ضجة السوق

ما ينفع الكبد يضر الطحال

ما أهون الحرب على النظارة

ما صدنا شيئا والذي كان معنا أفلت

ما ترك الأول للأخر شيئا

ما أحسن الموت إذا حان الأجل

ما كل قول له جواب

ما الحب إلا للحبيب الأول

ما أشبه السفينة بالملاح

ما صنع الله فهو خير

ما فيه حبة ملح للبغيض

ما جمش الورد بمثل العناب

ما أطيب الخمر لولا الخمار

ما حيلة الريح إذا هبت من داخل

ماعدا الفرس فلا حاجة لك إلى السوط -[٣٣٠]-

مع كفره قدرى

ما بي دخول النار وما بي طنز مالك

ما هو إلا بستان - للظريف

ما تحمله الأرض - للثقيل

ملح على جرح

من كتم علما فكأنما جهله

ما أصنع بشمس لا تدفيني؟

ما المرء إلا بدرهميه؟

ما خير لذة فيها وزنها من المكروه؟

مشينا شوط باطل

وهو الضوء الذي يدخل البيت من الكوة

مودة الأباء قرابة في الأبناء

متى فرزنت يا بيدق؟

مطرة في نيسان خير من ألف ساق

مدور الكعب

يضرب في الشؤم.

من الأدب ترك الأدب

يعني بين الإخوان.

المحبوب مسبوب

الموت في الجماعة طيب

المذبوحة لا تألم السلخ

المعجب أبدا مغضب المستقرض من كسبه يأكل

المرء يسعى بجده

الموت حوض مورود

المال ميال

المرأة فراش فاستوثروه

المرأة السوء غل من حديد

المرء حيث يضع نفسه

المملوكة من أذنها تسمن

يضرب لمن يخدع بالكلام الطيب.

ما يومى منك بواحد

أي ما الشر على منك من جهة واحدة

من كان ذا دهن طلا استه

من الحيلة ترك الحيلة

المركوب خير من الراكب

من غاب خاب

ويروى "من غاب خاب حظه"

من المجذاع سبق القزح

من أكل مرقة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد حين (هذا المثل مكرر)

من الظفر بالبغية تعجيل اليأس

من شهوة التمر يمص النوى

من كثر عدوه فليتوقع الصرعة

من خدم الرجال خدم

من سلمت سريرته سلمت علانيته

من لم ينتفع بظنه لم ينتفع بيقنه

من أيقن بالخلف جاد بالعطية -[٣٣١]-

من لم يصبر على كلمة سمع كلمات

من صغر مقتولا فقد صغر قاتله

من جهل أباه فقد جهل

من لم يصن نفسه ابتذله غيره

من لم يركب الأهوال لم ينل الآمال

من لجأ إلى الزمان أسلمه

من لا يكرم نفسه لا يكرم

من غالب الأيام غلب

من عمل دائما أكل نائما

من تلذذ بالكلام تنغص بالجواب.." (١)

"- قالوا: هجرت الشعر قلت ضرورة ... باب الدواعي والبواعث مغلق

- خلت الديار فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق

- **ومن العجائب** أنه لا يشترى ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق

إبراهيم الغزي." (٢)

"وقد أحسن المسهل بن كميت حيث يقول:

إذا نحن خفنا في زمان عدوكم ... وخفناكم إن البلأ لراكد

ذاهب عنه أمره

قيل لرجل زال ملكه: ما كان سبب زوال ملكك؟ فقال: تدبير الأمر بالهوى «١» وتأخير عمل اليوم إلى غد، وقيل ذلك لآخر، فقال: قلة التيقظ واشتغالنا باللذات عن التفرغ وثقتنا بعمالنا حتى ظلموا رعيتنا، فقل دخلنا وبطل عطاء جندنا. فقلت طاعتهم لنا فقصدنا الأعداء فعجزنا عن مدافعتهم.

متولي رئاسة بغير إستحقاق

قال رجل لسعدان: سودك القوم لجهلهم بك، فسيد الجاهلين غير شريف وإن سودوك للفقر إليك فأنت كما قال:

خلت الديار فسدت غير مسود ... ومن الشقاء تفردي بالسودد «٢»

وقال محمد بن يزيد:

ومن انتكاس الأمر أن ... صارت ولاة الأمر ضبه «٣»

وشتم مجنون رجلا فقال له: أتشتمني وأنا سيد قومي؟ فقال المجنون:

وإن بقوم سودوك لفاقة ... إلى سيد لو يظفرون بسيد «٤»

---

(١) مجمع الأمثال الميداني، أبو الفضل ٣٢٧/٢

(٢) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي أحمد قبش ٣١٥/٥

وقال آخر:

وكلام مثلك في الخطو ... ب من العجائب والكبائر «٥»

وصف عسوف في ولايته

حكى رجل ولاية عامل فقال: كان يجبي خراج «٦» الوحش، ويأخذ جزية السمك ويطلب زكاة الملائكة، ويلتمس جمع الريح ويروم القبض على الماء وحصر الحصى وتحصيل الهباء. ولئن كانت النعمة عظمت على قوم خرج عنهم لقد عظمت المصيبة على." (١)

"وقيل: ثلاثة أعمال لم تزل في سفلة الناس: الحياكة والحجامة والدباغة. وقال حبيب بن محمد لمالك بن دينار: لو خيرت في الصناعات ما كنت تختار؟ فقال: أكون حدادا فأرى لفح النار لعلي أتقيها، فقال حبيب: كنت أختار أن أكون حفارا للقبور.

المتولي صناعة تنافيه

قال شريك بن عبد الله: خمسة من الكبائر: عمياء مكتحلة، وسوداء مختضبة وخصي له امرأة، ومخنث يؤم قوما، وإعرابي أشقر. ومن العجائب: منجم أعمى وأطروش صاحب خبر، وعطار أخشم، ومناد أخرس ومؤاجر أصلع، وجندي محفوف الشارب، وكناس متعزز وفيج منقرس ولحياني ينتف لحية كوسج، وديدبان أعمش وحجام قليل الفضول، وإمام أمي وكحال أرمد.

وضرب عبد الله بن أبي بكر ملاحا لم يحسن السباحة، وقال: من العجائب ملاح غير سابح.

المتولي صناعة تليق به

من تمام آلة القاضي أن يكون لحيانيا، والقاص أن يكون أعمى شيخا بعيد الصوت، والزامر أن يكون أسود، والمغني فاره الدابة براق الثوب عظيم الكبر سيء الخلق، والشاعر أن يكون أعرابيا، والداعي إلى الله أن يكون صوفيا. من عمل عمل أبيه كفي نصف المعاش.

أنذال من الصناع متبجح بعضهم على بعض

دعا حجام كناسين يكنسان له كنيفا، فقال أحدهما للآخر: أتدري عند من نعمل؟

قال: لا، قال: نعمل عند حجام، فقال: الحمد لله الذي أعلمنا ذلك قبل أن نشرب من كوزهم أردت والله أن أرمي بكل ما في جوفي. أطلب لي شيئا أشرب به فضرب يده إلى كوز معه في جوف جرة ينقلون فيها الخرء، فمسحه بيده وناوله فشرب منه.

اجتمع كناسان على كنيف، فقال أحدهما: فيه من الخرء قامة، وقال الآخر: قامة وبسطة، فنزع ثوبه وقفز فيه وغاص ثم أخرج رأسه، وقال: تظنني حائكا.

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/٢٢٩

وقع شر بين حجام وحذاء، فقال: أنت تمشط وتسرج، وأنا أحذو وأنت تشق بمبضع، وأنا بمخصف فما فضلك علي؟

ذكر من تولى صناعة دنيئة من الأكابر

قيل: كان طالوت دباغا فآتاه الله الملك على رغم من كره، وكان داود عليه السلام راعى غنم وآتاه الله الملك والحكمة، وموسى راعيا أجيرا لشعيب عليهما السلام، وعيسى عليه السلام صياد سمك وهذا باب يكثر أن يتبع.." (١)

"وقال آخر:

ومن العجائب أن يكون نبيذه ... كدم الذبيح وأمره متظاهر

فتراه ينتظر العشي بشربه ... واليوم منهمل السحائب ماطر

وقال كشاجم:

وأحب أوقات النعيم ... إلي في وقت السحر

أوقات الشرب في الأسبوع

كان الوليد يشرب يوما ويدع يوما، وسليمان يشرب في كل ليلة، وهشام يسكر في كل جمعة، ويزيد بن الوليد يدمن الشرب فكان دهره بين سكر وخمار، وكان المنصور يشرب عشية الثلاثاوات، وكان المأمون يشرب الثلاثاء والمعتصم لا يشرب الخميس ولا الجمعة.

قصد الحانات

من عادتهم: التبجح بقصد الحانات وابتياع الخمر، ولذلك قال طرفة:

متى تبغني في حلقة القوم تلقني ... وإن تلتمسني في الحوانيت تصطد «١»

وبكر أبو الهندي على خمار فاصطبح وسكر ونام، ودخل على الخمار فتيان فرأوه فسألوا عنه الخمار فأخبرهم بمكانه، فقالوا: ألحقنا به فسقاهم حتى ناموا، فلما استيقظ أبو الهندي رآهم فسأله عنهم فأخبره بهم، فقال: ألحقني بهم فأقاموا على ذلك عشرة أيام، فقال أبو الهندي يصف ذلك:

ندامي بعد عاشرة تلاقوا ... تضمهم بكوذبان راح «٢»

رأوني في الشروق على وساد ... يفيض بمهجتي ورد وراح

فقالوا أيها الخمار من ذا ... فقال أخ تخونه صلاح

فقالوا قم فألحقنا وعجل ... به إنا لمصرعه نراح

وحان تنبهي فسألت عنهم ... فقال أتاحهم قدر متاح

فقلت له فسرحني إليهم ... حثيثا والسراح هو النجاح

فما إن زال ذاك الدأب منا ... إلى عشر نفيق ونستباح

وله:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ١/٥٤٠

وصاحب حانوت عشوت لناره ... وقد مالت الجوزاء نحو المغارب «٣»

فقال ألا عجل لنا النقد إننا ... أناس أخذنا بالكرا والضرائب «٤»." (١)

"تصور الدنيا يزيد الغموم

قال الشاعر:

ومن عرف الأيام لم ير خفضها ... نعيما ولم يعدد تصرفها بلوى «١»

الدنيا واعظة

قال أمير المؤمنين: أيها الذام الدنيا بم غرتك؟ بمصارع آبائك تحت الثرى، أم بمضاجع أمهاتك في البلى. كم مرضت بيديك وغسلت بكفيك فلم يغن عنك. وقيل: ما ضمنت الدنيا لأحد المتاع بها، بل نادت فصرخت إنها ميراث الدول وصبابة الأزمنة وأوعية الفجائع ومفرقة الآلات.

وقال عبد الله بن عيينة:

إن الليالي والأيام لو بحثت ... عن عيب أنفسها لم تكتم الخبرا

وقال أبو تمام:

عمري لقد نصح الزمان وأنه ... لمن العجائب ناصح لا يشفق

وقال أبو العتاهية:

نحن في دار تخبرنا ... ببلاء ناطق لسن

قال المسيح عليه السلام: الدنيا مزرعة إبليس وأهلها له حراث. وقيل: كل قتيل يقتص له يوم القيامة إلا قتيل الدنيا يقتص منه.

مدح الدنيا بأنها يتوصل بها إلى الآخرة

ذم رجل الدنيا بحضرة أمير المؤمنين فقال: أسكت فإن الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار غناء لمن تزود منها ودار عافية لمن فهم عنها، مسجد أبينا آدم ومهبط وحيه، متجر أوليائه فاكتسبوا منها الرحمة وادخروا منها الجنة.

وقيل: الدنيا دار تجارة والويل لمن تزود منها الخسارة.

الدنيا محبوبة وإن كانت معيوبة

قال الشعبي: ما أعلم لنا وللدنيا كقول كثير:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة ... لدنيا ولا مقلية إن تقلت «٢»

وقال المأمون: لو نطقت الدنيا لم تصف نفسها بأجود مما قال أبو نواس:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق." (٢)

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٨١١/١

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٤٠٣/٢

"القبج

«١» قال أبو علي البصير في وصفه:

ولابسة ثوبا من الخز أدكنا ... ومن أخضر الديباج رانا ومعجرا

مقلدة في النحر سبحة عنبر ... على أنها لم تلتمس أن تعطرا

لها مقلتا جزع يمان تحملت ... جفونهما من موضع الكحل عصفرا

مطرزة الكمين طرزا تخالها ... بتقويمها من حلكة الليل أسطرا

وقال ابن طباطبا في وصفه في المجلس:

ومسجن يهوى القتال ممنع ... عن قرنه ذي صرخة ودعاء

بادي التململ خلف حائط سجنه ... حب البراز مجيب كل نداء

في مجلس ضنك يود لو أنه ... لاقى مبارزة بجنب فضاء

فقد السلاح فجال أعزل جولة ... ومضى إلى الهيجاء ذا خيلاء

في حلة دكناء قد رفعت له ... من جانبيه بيمنة السيراء «٢»

متشمرا متبخرا متكبرا ... متطوقا بعمامة سوداء

الديك والدجاج

يوصف الديك بالشجاعة والصبر والقوة على السفاد والسياسة للإناث، ويأخذ الحب فيلقيه إلى الأناث، وبه عنى قولهم أسمح من لاقطة. فإذا هرم لم يفعل ذلك وقال ثمامة:

إن ديكة مرو تطرد الدجاج عن الحب لطبع البلدة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الديكة فإنها تدعو إلى الصلاة. وروي عنه أيضا أنه قال: إن مما خلق الله تعالى ديكا عرفه تحت العرش وبراثنه في الأرض السفلى إذا ذهب ثلثا الليل ضرب بجناحيه وقال: سبوح قدوس، فعند ذلك تضرب الديكة أجنحتها وتصيح.

وقيل: إنما لا يطير لأنه اجتمع مع الغراب عند خمار يشربان فأخذا منه خمرا فشرباه فذهب الغراب ليحمل الثمن وترك الديك مرتهنا فعلق الرهن فقصه الخمار **ومن العجائب** ذو ريش أرضي وذو جلد هوائي يعني الديك والخفاش.

قال أعرابي:

دقوع الشوى حمر الصياصي كأنها ... شيوخ من الأعراب حمر المعالم «٣»." [1]

"التصانيف، ونزيل الأندلس بقرطبة، في ربيع الآخر. أخذ الأدب عن ابن كبريت وابن الأنباري، وسمع من أبي يعلى الموصلي والبغوي وطبقتهما، وألف كتاب البارع في اللغة، في خمسة آلاف ورقة، لكن لم يتمه.

وفيها توفي صاحب كتاب الأغاني أبو الفرج علي بن الحسين القرشي الأموي المرواني، الأصبهاني الأصل، البغدادي المنشأ،

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء الراغب الأصفهاني ٢/٧١٥

الكاتب الأخباري. كان أديبا نسابة علامة شاعرا، كثير التصانيف وقال بعض المؤرخين: **ومن العجائب** أنه مرواني شيعي وكان عالما بأيام الناس والأنساب والسير روى عن كثير من العلماء.

قال التنوخي: كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث المسندة ما لم أر قط من يحفظ مثله، ويحفظ دون ذلك من علوم أخرى. منها: اللغة والنحو والخرافات والسير والمغازي، ومن آلة المنادمة شيئا كثيرا، مثل علم الجوارح والبيطرة والطب والنجوم والأشربة وغير ذلك. وله شعر يجمع إتقان العلماء وإحسان الظرفاء الشعراء. وله المصنفات المستملحة، منها كتاب الأغاني الذي وقع الاتفاق عليه أنه لم يعمل في باب مثله، يقال أنه جمعه في خمسين سنة، وحمله إلى سيف الدولة بن حمدان، فأعطاه ألف دينار واعتذر إليه.

وحكي، عن الصاحب بن عباد أنه كان يستصحب في أسفاره وتنقلاته، حمل ثلاثين جملا من كتب الأدب ليطالعها، فلما وصل إليه كتاب الأغاني لم يكن بعده يستصحب سوأه، مستغنيا به عنها. ومنها "كتاب القيان "، و "كتاب الإماء الشواعر "، و "كتاب الدرايات "، و "كتاب دعوة التجار "، و "كتاب مجرد الأغاني "، و "كتاب الألحانات وأدب الغرباء "، وكتب صنفها لبني أمية ملوك أندلس وسيرها إليهم سرا. منها كتاب نسب بني عبد شمس " و "كتاب أيام العرب "، ألف وسبع مائة يوم و "كتاب التعديل والانتصاف " في مآثر العرب ومثالبها، و "كتاب جمهرة النسب "، و "كتاب نسب بني شيبان "، و "كتاب نسب المهالبة "، و "كتاب نسب بني تغلب ونسب بني كلاب "، و "كتاب المغنين الغلمان " وغير ذلك. وكان منقطعا إلى الوزير المهلبي، وله فيه مدائح، من قوله قوله:

ولما انتجعنا لائذين بظله ... أعان، وما عنا، ومن وما منا

وردنا عليه معترين فراشنا ... وزدنا نداه مجدبين فأخصبنا

وله فيه من قصيدة يهنيء فيها بمولود جاءه من سرية رومية:

أسعد بمولود أتاك مباركا ... كالبدر أشرق جنح ليل مقمر." (١)

"ونازل الموصل، ولم يظفر بها لحصانتها، ثم جاء رسول الخليفة يأمره بالترحل عنها، فرحل عنها، ورجع، فأخذ عز الدين مسعود، وعوضه بسنجار. وفيها لبس لباس الفتوة الناصر لدين الله من شيخ الفتوة عبد الجبار، وابتهج بذلك، وبقي يلبس الملوك. وفيها بعث صلاح الدين أخاه سيف الإسلام طغتكين بذلك - بالطاء المهملة والغين المعجمة والمثناة من فوق قبل الكاف ومن تحت بعدها ثم النون - على مملكة اليمن، فدخلها وتسلمها من نواب أخيه. وفيها توفي أبو الكرم هبة الله بن علي الأنصاري الخزرجي المصري المعروف بالبوصيري، كان أديبا كاتبا، له سماعات عالية وروايات تفرد بها، والحق الأصاغر بالأكابر في علو الإسناد، ولم يكن في آخر عصره في درجته مثله. سمع بقراءته جماعة من الكبار، ورحل إليه الطلاب من الأمصار. قال الذهبي. وفيها توفي أحمد بن الرفاعي الزاهد القدوة أبو العباس بن علي بن يحيى كان أبوه قد نزل بالبطائح، بالعراق بقرية أم عبيدة، فتزوج بأخت الشيخ منصور الزاهد، فولدت له الشيخ أحمد في سنة خمس مائة، وتفقه قليلا على مذهب الشافعي، وكان إليه المنتهى في التواضع والقناعة ولين الكلمة، والذل والانكسار والازراء على نفسه،

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٢/٢٧٠

وسلامة الباطن. ولكن أصحابه فيهم الجيد والرديء، وقد كثر الزغل فيهم، وتحدرت لهم أحوال شيطانية من دخول النيران والركوب على السباع واللعب بالحيات، وهذا ما عرفه الشيخ والأصلحاء أصحابه – فنعوذ بالله من الشيطان. قلت: هذه ترجمة الذهبي عليه في كتابه الموسوم بالعبر، ولم يزد على هذا، وهذا **من العجائب** في اقتصاره على هذا في ذكر شيخ الشيوخ الذي ملأت شهرته بالمشارق والمغارب، تاج العارفين، وإمام المعرفين، ذي الأنوار الزاهرة، والكرامات القاهرة، والمقامات العلية والأحوال السنية، والبركات العامة، والفضائل الشهيرة بين الخاصة والعامة: أحمد بن أبي الحسن الرفاعي. وقد ذكرت شيئا من كراماته ومحاسنه في كتابي الموسوم بروض الرياحين، وفي كتاب الموسوم بالأطراف، وهو كما ترجم عليه بعض العلماء الفضلاء المعتقدين في المشايخ والفقراء حيث قال فيه: هو من أجل العارفين وعظماء المحققين وصدور المقربين، صاحب المقامات العلية والأحوال السنية، والأفعال الخارقة. والأنفاس الصادقة، والفتح المؤنق والكشف المشرق، والقلب الأنور والسر الأظهر والقدر الأكبر، والمعارف الباهرة والحقائق الظاهرة، واللطائف الشريفة والهمم." (١)

"فعلام أبعدتم أخا ثقة ... لم يجترم ذنبا ولا سرقا؟

أنفوا المؤذن من بلادكم ... إن كان ينفى كل من صدقا

وطاف بلاد من الشام والعراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان وغزنة وخوارزم وما وراء النهر، ثم دخل الهند واليمن وملكها يومئذ سيف الإسلام أخو صلاح الدين، وأقام بها مدة، ثم رجع إلى طريق الحجاز والديار المصرية، وعاد إلى دمشق، وكان يتردد منها إلى البلاد، ويعود إليها، قال: ولقد رأيته بمدينة إربل، وقد وصل إليها رسولا عن الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك صاحب دمشق، وأقام بها قليلا، ثم سافر وكتب من بلاد الهند إلى أخيه بدمشق هذين البيتين، والثاني منهما لأبي العلاء المعري، استعمله مضمنا، وكان أحق به وهما:

سامحت كتبك في العطيفة عالما ... إن الصحيفة لم تجد من حامل

وعذرت طيفك في الخفاء لأنه ... يسري ويصبح دوننا بمراحل

قال ابن خلكان: لله دره، فما أحسن من وقع له هذا التضمين، ولما مات السلطان صلاح الدين وملك الملك العادل دمشق كان غائبا منفيا عنها، فسار متوجها إليها، وكتب إلى الملك قصيدة يصفه فيها ويستأذنه في الدخول، ويذكر ما قاساه في الغربة، وأحسن في كل الاحسان في المعاني اللطائف، واستعطفه أبلغ الاستعطاف أولها.

ماذا على طيف الأحبة لو سرى ... وعليهم لو ساعدوني بالكرى

ولما فرغ من وصفها قال مشيرا إلى نفيه منها:

فارقتها لاعن رضا وهجرتها ... ل اعن قلى، ورحلت لا متحيرا

أسعى لرزق في البلاد مشتت ... **ومن العجائب** أن يكون مقترا

وأصون وجه مدائحي متقنعا ... واكف ذيل مطامعي مقترا." (٢)

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٣١٠/٣

(٢) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٥٧/٤

"ومنها يشكو الغربة، وما قاساه فيها:

أشكو إليك نوى تمادى عمرها ... حتى حسبت اليوم منها أشهرا

إلا عيشتي يصفو ولا رسم الهوى ... يعفو، ولا جفني يصافحه الكري

أضحي عن الأخرى المرتع ممحلا ... وأبيت عن ورد النمير منفرا

ومن العجائب أن يقبل ظلكم ... كل الورى، ونبذت وحدي بالعرا

قوله: النمير قال في ديوان الأدب: هو الماء الجاري الزاكي في الماشية عذبا كان أو غير عذب، وهو بفتح النون وكسر الميم وسكون المثناة من تحت في آخره راء.

قال ابن خلكان: هذه القصيدة من أحسن الشعر. قال: فهي عندي خير من قصيدة ابن عمار الأندلسي، وهي على وزنها التي أولها أدب الزجاجة، فالنسيم قد انبرى، فلما وقف عليها الملك الأعدل أذن في الدخول إلى دمشق، فلما دخلها، قال:

هجوت الأكابر في جلق ... ورعت الوضيع بسب الرفيع

أخرجت منها، ولكنني ... رجعت على رغم أنف الجميع

ويعني بجلق بكسر الجيم واللام وتشديدها وبعدها قاف اسم مكان في الشام، وربما قيل: إنه لقب لدمشق، والله أعلم، قال: وكان له في عمل الألغاز وحلها اليد الطولى، ولم يكن له غرض في جمع شعره وتدوينه، وقد جمع له بعض أهل دمشق ديوانا صغيرا لا يبلغ عشر نظمه، وفيه أشياء ليست له، وكان من أطرف الناس، وله بيت عجيب من قصيدة يذكر بها أسفاره وتوجهه إلى جهة الشرق وهو:

أشقق قلب الشرق حتى كأنني ... أفتش عن سودائه عن سنا الفجر

قال: وقد رأيته في المنام ينشد أبياتا. وأعجبني منها بيت، فرددته في النوم واستيقظت، وقد علق بخاطري وهو:

البيت لا يحسن إنشاده ... إلا إذا أحسن من شاده

وهذا البيت غير موجود في شعره، وكان وافر الحرمة عند الملوك، وتولى الوزارة بدمشق في آخر دولة الملك المعظم، وانفصل منها لما تملكها الملك الأشرف وأقام في بيته، ولم يباشر بعدها خدمة.

. وكانت ولادته بدمشق يوم الاثنين، ووفاته فيها يوم الاثنين، وعاش نحوا من ثمانين." (١)

"المعدود، [ص ٤١٢] بتأت يعذر به من أحبها، وملك قلبه حبها، أهديت من ملوك الروم إلى الملك العادل، ودنت فأسكت نايها كل مجادل، وكانت حاذقة بالضرب بأنواع الملاهي، مغلبة للمباهي، إلى طيب مجالسة، وإمتاع مؤانسة، وابتداءات مبهتة، وأجوبة مسكتة، وكانت زينة القصر، وجليلة ذلك العصر.

ومن مشاهير أصواتها: [مجزوء الكامل]

أدر المدامة يا نديم ... واطرب فقد رق النسيم

واملأ كؤوسك واسقني ... صفراء صانعها حكيم

---

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ٥٨/٤

من كف أهيف كالقضيب ... كلامه العذب الرخيم

ومن العجائب طرفه ... لي مسقم وهو السقيم

رقت معاقد خصره ... وكأنه جسمي الأليم

دبت عقارب صدغه ... فلذاك عاشقه سليم

والشعر لابن محارب من قصيدة يمدح فيها الصاحب بن شكر، ومنها في المديح:

ومديح مولانا الوزير ... هو الصراط المستقيم

يروى براحته الصدى ... ويرى بطلعته النعيم

وله حديث مكارم ... تروى ومسندها قديم

في كفه القلم الذي ... وجه الزمان به وسيم

وخطابه الحق المبي ... ن وخطبه النبأ العظيم

قبل يديه مبادرا ... فبيمنه يشفى الكليم

وكذلك من أصواتها في شعر الباخرزي: «١» [المتقارب]

أروح وفي القلب مني شجى ... [و] أغدو وفي القلب مني شجن." (١)

"فهو مثل العنين يشتهي الني ... ك ولا يستطيعه إن أتاه

وقوله «١» : [الكامل]

ومن العجائب أنني هنأته ... وأنا المهنا فيه بالنعماء

وقوله «٢» : [الكامل]

يا ذا الذي جعل القطيعة دأبه ... إن القطيعة موضع للريب

إن كان ودك في الطوية كامنا ... فاطلب صديقا عالما بالغيب

وقوله: [الخفيف]

صد عني مستعذبا لعذابي ... وجفاني كعادة الأحباب

كل يوم يروع قلبي بفن ... من تجنيه لم يكن في حسابي

وقوله: [الطويل]

لئن صرت حلس البيت حلف جداره ... فبالأمس مني تستعيذ النجائب

كذاك أبو الأشبال يربض مرصدا ... ولابد من أن يعتدي وهو آئب

وقوله «٣» : [الطويل]

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٠/٦٣٧

تورد دمعي فاستوى ومدامتي ... فمن مثل ما في الكأس عيني تسكب

فو الله ما أدري أبا الخمر أسبلت ... جفوني أم من دمعتي كنت أشرب

وقوله: [السريع]." (١)

"ما سمعنا بمن أحب العطايا ... فاشتهى أن يكون فيها فؤاده

وهجي الحسين بن اسحاق التنوخي على لسانه فكتب إليه يعاتبه فأجابه أبو الطيب بقوله من أبيات: [الوافر]

أتنكر يا ابن اسحاق إخائي ... وتحسب ماء غيري من إنائي «١»

أأنطق فيك هجرا بعد علمي ... بأنك خير من تحت السماء

وهبني قلت هذا الصبح ليل ... أيعمى العالمون عن الضياء

وأن من العجائب أن تراني ... فتعدل بي أقل من الهباء

وتنكر موتهم وأنا سهيل ... طلعت بموت أولاد الزناء

وقوله يخاطب بدر بن عمار حين تخلف عنه: [الكامل]

فاغفر فديتك واحبني من بعدها ... لتخصني بعطية منها أنا «٢»

وانه المشير عليك في بضلة ... فالحر ممتحن بأولاد الزنا

ومكائد السفهاء واقعة بهم ... وعداوة الشعراء بئس المقتنى

غضب الحسود إذا لقيتك راضيا ... رزء أخف علي من أن يوزنا

في الاستعطاف قوله يخاطب سيف الدولة في بني كلاب: [الوافر]

بغيرك راعيا عبث الذئاب ... وغيرك صارما ثلم الضراب «٣»." (٢)

"لا تنس لي نفحاتي وانس لي زللي ... ولا يغرك خلقي واتبع خلقي «١»

فربما ضر خل نافع أبدا ... كالريق يحدث منه عارض الشرق

فإن توافق في معنى بنو زمن ... فإن جل المعاني غير متفق

قد يبعد الشيء من شيء يشابهه ... إن السماء نظير الماء في الزرق

وقوله: [الكامل]

ومن العجائب أن يسير آمل ... مدحا ولم يعلم بها المأمول «٢»

والعيس أقتل ما يكون لها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

وقوله في الوصف والتشبيه والاستعارة: [الوافر]

أعن وخد القلاص كشفت حالا ... ومن عند الظلام طلبت مالا «٣»

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣٧/١٢

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١١١/١٥

ودرا خلت أنجمه عليه ... فهلا خلتهن به ذبالا

وقلت الشمس بالبيداء تبر ... ومثلك من تخيل ثم خالا

ومنها في ذكر الخيل:

نشأن مع النعام بكل دو ... فقد ألفت نتائجها الرئالا

ولما لم يسابقهن شيء ... من الحيوان سابقن الظلالا

٣٣٤/وفي ذكر الخيل أيضا:

ونم بطيفها الساري جواد ... فجنبنا الزيارة والوصالا

وأيقظ بالصهيل الركب حتى ... ظننت صهيله قيلا وقالا

ولولا غيرة من أعوجي ... لبات يرى الغزالة والغزالا." (١)

"إلي أرسلت مقال الخنا ... ستحرق النار فم النافخ «١»

أقدمت يا أوقح من أيل ... على ابتلاع الأرقم السالخ

يا حلقة الخاتم يا إبرة ال ... الخياط يا محبرة الناسخ

ومنه قوله في مليح ينظر في مرآة: [الوافر]

وظبي قابل المرآة زهوا ... فأحرق بالصبابة كل نفس «٢»

وليس **من العجائب** أن تأتى ... حريق بين مرآة وشمس

ومنه قوله يهجو ابن البوين «٣» الشاعر: [السريع]

٣٥٥/شعر البويني له روعة ... ليس لها في النقد محصول «٤»

مثل جبال الشمس ممدودة ... ما فاتها عرض ولا طول

ومنه قوله في رثاء عم أبيه أبي مسلم، وادع من قصيدة: [الطويل]

أبا مسلم لا زلت منا على ذكر ... ولا درست آيات علياك في الدهر «٥»

وكنا نعد الصبر للخطب يعترى ... إلى ان أصبنا عند يومك بالصبر

ومنهم:

٣٢- الوامق المعري «٦»." (٢)

"وقوله: [الكامل]

هذي مناقبكم فهل من طامع ... وصفات مجدكم فهل من طامع «١»

إني دعوت ندى الكرام ولم يجب ... فلأشكرن ندى أجاب وما دعي

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٤٥٢/١٥

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٤٧٥/١٥

ومنه قوله:

فحويت ما لم يجر في خلد المنى ... من سيبه وحصدت ما لم أزرع «٢»

منن وصلن على التداني والنوى ... فجمعن شمل رجائي المتوزع

إن أقترب فنوال كفك موطني ... أو أغترب فإلى جميلك مرجعي

٣٨٣/ومن العجائب والعجائب جمة ... شكر بطيء عن ندى متسرع

ومنه قوله: [الكامل]

وإذا امتطوها في نزال خلتهم ... آساد غاب في ظهور رئال «٣»

ما أوردوها قط إلا أصدرت ... جرحى الصدور سليمة الأكفال

أسد إذا صالوا صقور إن علوا ... ولربما كمنوا كمون صلال

وقوله: [الطويل]

إذا ما أدعينا سلوة عن هواكم ... جرى الدمع منهلا فكذب دعوانا «٤»

هبوا الوصل بالعذال صار قطيعة ... وبعدا فماذا صير الذكر نسيانا «٥»

بنا حب من نرعاه وهو يروعنا ... ونذكره حتى الممات وينسانا." [(١)]

"يحاول رزقه بنفاد رزقي ... ورب جسارة عادت خساره

وإن **من العجائب** أن ناري ... موججة وتلذعني شراره

ومنه قوله: [الطويل]

نشدتك لا تأمن على مضمر الحشا ... مدامع شمل الستر فيها مبدد «١»

وكل حديث يمكن السمع رده ... سوى مستفيض عن جوى القلب يسند

بكينا دما والقاصرات سوافر ... فلاحت خدود كلهن مورد «٢»

٥١٦/وقد وقف الواشون من كل وجنة ... على محضر فيه المدامع تشهد

فجفن محب فيه جرح مضرج ... كجفن حبيب فيه سيف مهند

وقوله: [الخفيف]

فارقونا وكل عين من الحر ... قة قلب وكل جفن وريد «٣»

ومنه قوله: [البسيط]

قد أنكر الناس من دمعي ومن حرقي ... هوى تهادن فيه الماء والنار «٤»

غصن تنزه أن يجنى له ثمر ... من الوصال وهل للبان أثمار

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٥/٥١٠

ومنه قوله: [الكامل المرفل]

يجري الثناء له بسؤدده ... وأخو العنان أحق بالفرس «٥»

والشكر عند المستحق له ... مثل الجنى في كف مغترس." [١]

"فكتب إليه: [الخفيف]

أيها الصاحب الذي زاد عتبا ... لصديق له توهم ميله

دمت يوما وليلة ما افترقنا ... وهل الدهر غير يوم وليله؟

ومنهم:

٣- القاضي أبو عمرو، يحيى بن صاعد بن سيار الهروي، قاضي قضاة هراة «١٣»

حاكم على الكلام، وناجم في أفق الأيام، علم الأدب وقاله، وبلغ به مع العلم كماله. ممن لا يقاس به إذا ندر، ولا ترد القرائح إلا إذا أصدر. ولا يفخر العلماء إلا إذا قاموا لديه. وقد تصدر ولا تجد المدائح لبوسها إلا (٨) مما قدر عليه أو قدر.

قال فيه العماد: «صاحب بديهة، ينظم بسرعة، حلو الشعر لطيفه» «١» قلت:

ومن شعره المنتخب ثمينه، المنتخل من دره ما يزينه، قوله في زرقة العين: «٢» [الكامل]

ما شانها وأبيك زرقة عينها ... بل صار ذلك زائدا في زينها «٣»

كادت أساود شعرها تسطو على ... مهج الورى لولا زمرد عينها

ومنه قوله: «٤» [الكامل]

ومن العجائب أن يمر كلامه ... ومره بالشهد من شفتيه «٥»." [٢]

"قوله: «١» [المتقارب]

هجوت الأكابر في جلق ... ورعت الرفيع بسب الوضيع «٢»

وأخرجت منها ولكنني ... رجعت على رغم أنف الجميع

ومما استعطف به هذه النائبة، حتى لان له قلبها القاسي، وخف عليه حبلها الراسي، قصيدة كتبها إلى الملك العادل، أبي بكر ابن أيوب، منها: «٣» [الكامل]

ما في أبي بكر لمعتقد الهدى ... شك يريب بأنه خير الورى

بين الملوك الغابرين وبينه ... في الفضل ما بين الثريا والثرى

يعفو عن الذنب العظيم تكرما ... ويصد عن قول الخنا متكبرا

وله البنون بكل أرض منهم ... ملك يقود إلى الأعادي عسكرا

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٦٨٠/١٥

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٢٢/١٦

من كل وضاح الجبين تخاله ... بدرا، فإن شهد الوغى فغضنفرا

يعشو إلى نار الوغى شغفا بها ... ويجل أن يعشو إلى نار القرى

متقدم حتى إذا النقع انجلى ... بالبيض عن سبي الحريم تأخرا

يا أيها الملك الذي ما في فضا ... ئله وسؤدده ومحتده مرا

أشكو إليك نوى تمادى عمرها ... حتى حسبت اليوم منها أشهرا

لا عيشتي تصفو ولا رسم الهوى ... يعفو ولا جفني يصافحه الكرى

ومن العجائب أن تفيأ ظلكم ... كل الورى، ونبذت وحدي بالعرا

ثم كانت له من الملك المعظم عيسى، حين أفضى إليه ملكها، مكانة أشرقت عداه، وأشرقت بنداه. وكان لا يفارقه حيث شاد وخيم، ولا يتجهم له وجهه حيث تقشع أو غيم. وولاه بدمشق وظيفة نظر الديوان، فباشرها حتى (٦٧)." [١]

"(٢٧٦) فكنت لهم عليانا ودوني ... إذا ما حاولوا خرط القتاد

وقوله من أخرى كتب بها إلي: [الكامل]

أطروق طيف من خيالك عائد ... يعنى بوسنان اللواحظ هاجد

قطع السماوة بعد هدء قائما ... بالود في حفظ العهود لقاعد

ومن العجائب أن تحس دنوه ... بعد الجفاء لنازح متباعد

أصبو إليه ودون منهل ثغره ... ما دون مورد كل عذب بارد

خفقان ألوية ولمع أسنة ... زرق تفارط في أنامل ذائد

للماء تحت طلا لمى وضاءة ال ... خد المورد تحت فرع وارد

منها:

براق ثغر الجود يشعر نشره ... بالري أشعار الغمام الراعد

وترى السكينة في خفافي عطفه ... كالصفو في ماء الغدير الراكد

يسطو فيبرأ تاج كل مملك ... لسطا يديه من بنان العاقد

وإذا اجتنى للجود ناط يمينه ... بالنيرات إلى يمين القاصد

وتظل تحسده الملوك فإنني ... لأرى الملوك على نداه حواسدي

أطناب عزيه على هام السهى ... موصولة من عزمه بقواعد

يتعثر الخطب المفاجئ بينها ... ويقيل عثرة كل حد صاعد

وقوله مضمنا: [الكامل]

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٠٤/١٦

أفديه أغيد شعره وجبينه ... نور تلألأ في ظلام داجي

والفرق بين الشعر فوق جبينه ... عريان يمشي في الدجى بسراج

وقوله: [الرجز]." (١)

"٤- وقد رضع العصفور منه ثديه ... وما الكرم للعصفور أما ولا أبا

٥- وإن زاد عن هذا تربيت» حبه ... وعبدك لا يختار شيئا مزببا

- ٨٢- وقوله: (كامل)

١- حتى متى أجد الأمير مجبا ... أني أتيت وتارة هو راكب

٤٥/ب

٢- **ومن العجائب** أنه مع عدله ... لي مثل هذا العذر وهو العاتب

- ٨٣- «٢» وقوله: (سريع)

١- عشقت من ريقته قرقف «٣» ... وما له إذ ذاك من شارب

٢- قلندرى «٤» حلقوا حاجبا ... له كنون الخط من حاجب

- ٨٣-." (٢)

"وذكر عنه أنه كان في مجلس من أعلا باب خراسان إذ جاء سهم عائر «١» فسقط بين يديه، فذعر وجعل يقلبه، فاذا بين الريشتين مكتوب:

[الوافر]

أتطمع في الحياة إلى المعاد ... وتحسب أن مالك من نفاد

ستسأل عن ذنوبك والخطايا ... وتسأل بعد ذاك عن العباد

ثم قرأ عند الريشة الثانية:

[البسيط]

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحدث الكدر

ثم قرأ عند الريشة الثالثة:

[البسيط]

هي المقادير تجري في أعنتها ... فاصبر فليس لها صبر على حال

يوما تريك خسيس الناس ترفعه ... إلى السماء ويوما تخفض العالي

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣٩٠/١٦

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٦٨/١٩

وإذا على جنب السهم: رجل من همدان مظلوم في حبسك، فبعث من فوره، ففتش عليه، فوجده، فأنصفه وأزال ظلامته، ولما رأى ما رأى **من العجائب** المنذرة بهلاكه، قال لحاجبه الربيع: إني أتخوف على هذا الأمر، قال له: من يا أمير المؤمنين؟ تعني عيسى بن موسى «٢» وهو معك بالحضرة، فأمرني فيه بأمرك حتى أنفذه، فقال: كلا يا ربيع، رجل ما أعطى الله عهدا إلا وفى به،." (١)

"الموفق «١» أبو أحمد طلحة بن المتوكل الملقب بالناصر قائما بأمر الدولة كلها، قائلا في برد ظلها، والمعتمد ليس له من الأمر شيء، كأنه ميت وهو حي قد وطئه الموفق على أم رأسه، وغلب على ملكه وناسه، وغل يده على ما أشغلها به نكل [في الأصل الكلمة غير معجمة ولعلها النكل بمعنى القيد] جواريه وكاسه، وكان هم الموفق جيوشا يجهزها، وممالك يحرزها، وأمور لا يكنزها، وأعمالا ملوكية يرقم بها السير ويطرزها، وهم المعتمد تنميق بناء وتأنيق غناء، وارتياد روضة غناء، واعتقاد كأس مدام وجارية حسناء، ثم ندم المعتمد حيث لا ينفعه الندم، وعلم أن وجوده كالعدم، فبقي يتنفس تنفس المصدور، ويتأوه تأوه المحرور، ويهم بأمر الحزم لو يستطيعه، ويحاول حالا ولا يجد من يطيعه، وكتب سرا إلى ابن طولون وإلى صاحب أفريقية يشكو إليهما حاله مع أخيه، ثم مع ابن أخيه، ويصف لهم سوء حاله وما هو فيه، فهموا بما حالت بينهم وبينه عوارض القدر وشقة البعد، وكان الموفق لا يفك عنه وثاق حجره، ولا يرفع يد قهره، وذكر ابن الأثير عنه، أنه احتاج إلى ثلاث مائة دينار فلم يجدها، فقال: «٢»

[الوافر]

أليس **من العجائب** أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه." (٢)

"عيون عن السحر المبين يبين ... لها عند تحريك القلوب سكون

تصول ببيض وهي سود حديدها «١» ... ذبول فتور والجفون جفون

إذا ما رأت قلبا خليا من الهوى ... تقول له: كن مغرما فيكون

وله «٢» : (الكامل)

طرفي وقلبي قاتل وشهيد ... ودمي على خديك منه شهود

أما وحبك لست أضمر سلوة ... عن صبوتي [ودعي] «٣» الفؤاد يبيد

مني بطيفك بعد ما منع الكرى ... عن ناظري البعد والتسهيد

ومن العجائب أن قلبك لم يلن ... لي، والحديد ألانه داود

ومما كتبه في أثناء مكاتبته إلى الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وكان قد أغارت الفرنج على نابلس في أيام الصالح أيوب صاحب مصر: (الطويل)

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ١٩٥/٢٤

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٢٥٢/٢٤

(٢٩٧) ألا «٤» ليت أمي أيم طول عمرها ... فلم يقضها ربي لمولى ولا بعل

ويا ليته لما قضاها لسيد ... لبيب أريب طيب الفرع والأصل

قضاها من اللاتي خلقن عواقرا ... فما بشرت يوما بأنثى ولا فحل

ويا ليتها لما غدت بي حاملا ... أصيبت بما احتقت عليه من الحمل

ويا ليتني لما ولدت وأصبحت ... تشد إزاري كنت أرمحت بالرحل «٥»

لحقت بأسلافي فكنت ضجيعهم ... ولم أر في الإسلام بالله «٦» من خل." (١)

"وقوله: [الكامل]

واستخبروا ليلا رعيت شبابه ... ليلا ولم ينصل دجاه شبابي

سهرت كواكبه معي وبعدتم ... أنتم كواكبه وهن صحابي «١»

وقوله: [الكامل]

بيني وبين الذل عز قناعة ... نبذ الحمام إباؤها وتبرضا

وسنان مطرد الكعوب مثقف ... كالصل صرح بالوعيد ونضنضا

إن ضاق مسرح ناقتي بفنائكم ... فزمامها بيدي وما ضاق الفضا «٢»

وقوله: [المديد]

ما على العذال لو نظروا ... ثم لاموا فيك واعتذروا

قمر ضل الأنام به ... ما بهذا يعرف القمر «٣»

وقوله: [الكامل]

ومن العجائب أن بيض سيوفه ... تبكي دما وكأنها تتبسم

فالآن سلمت القلوب إليكم ... وتيقنت أن الخلافة فيكم «٤»

وقوله: [الطويل]

وما أنا بالمشتاق إن قلت بيننا ... طوال العوالي أو طوال السباسب

فما لقلوب العاشقين مزية ... إذا نظرت أفكارها في العواقب

منها:

إذا كان عقل المرء أدنى خلاله ... فما هي إلا ثغرة للمصائب

وكم حبس القمري حسن غنائه ... وقيدت البازي حجن المخالب." (٢)

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣٧٠/٢٧

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٣٧٧/٧

"مجلسه بالكلبة وانتطق، حتى عد من العلامات، وتأكدت الأسباب له بالعلامات.

قال ابن أبي أصيبعة:"كان مسلما فاضلا في الصناعة الطبية، متقنا للعلوم الحكمية، متحليا بالفضائل وعلم الأدب، محبا في الاشتغال والتطلع في العلوم، وكان قد لقي أبا الفرج ابن الطيب ببغداد، واجتمع به واشتغل عليه، ومعه، وكان ظافر بن جابر موجودا في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، وهو موصلي، وإنما انتقل من الموصل إلى مدينة حلب، وأقام بها إلى آخر عمره.

ومن شعره: [الكامل]

ما زلت أعلم أولا في أول ... حتى علمت بأنني لا علم لي

ومن العجائب أن أكون جاهلا ... من حيث كوني أنني لا أجهل

ومنهم:

١٢٢- أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي «١٣»

أبو الحكم، وأخو الحكم.

علم الفضلاء، وعصم أهل الولاء، إلا أنه كان للأعداء سماما، وللإعداء." (١)

"أمين الدولة وابن يغمور في القلعة، وأمروا، ونهوا، فلما جاءت الأخبار المؤكدة بعكس ما طار إليهم به أول الخبر، أمر المعز بقتل ابن يغمور، وشنق أمين الدولة، وإطلاق الكردي، فأطلق الكردي، وقتل ابن يغمور، وشنق أمين الدولة.

قال ابن أبي أصيبعة:" وحكى لي من رآه لما شنق وعليه قندورة «١» عتابي خضراء، وفي رجله سرموزة «٢» . قال: ومن العجائب أن أمين الدولة لما حبس أرسل إلى منجم بمصر كانت له إصابات لا تخرم، وسأله عما كان وما يكون من حاله؟! «٣» ، فأخذ طالع الوقت، ورسمه، ثم قال: يخلص هذا من الحبس، ويخرج منه فرحا مسرورا، ويبقى له أمر مطاع، يمتثل فيه أمره ونهيه. ففرح، فلما جاءه ذلك الخبر ظن أنه يبقى وزيرا بمصر، فتم له ما ذكره المنجم في يوم خروجه، ثم لم يعلم ما يجري له بعده. وكان ذلك في الكتاب مسطورا.

ومنهم:

١٣٩- المهذب الدخوار: أبو محمد عبد الرحيم بن علي بن حامد «١٣»." (٢)

"على طريقة ابن مدرك الشيباني

أخبرنا أبو علي محمد بن الحسين الجازري بقراءتي عليه قال: حدثنا أبو الفرج المعافى بن زكريا قال: كنت في الحداثة أنشأت كلمة مسمطة على نحو قصيدة مدرك الشيباني في عمرو النصراني، فكان مما ذكرته في كلمتي هذه عند صفة عين إنسان ونسيت الكلمة به:

سقم أوى أحسن عين تطرف ... تقوى به وللقلوب تضعف.

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٤٩٩/٩

(٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ابن فضل الله العمري ٥٣١/٩

كاسم في الأفعى بفي من يحصف، ... يحيا به، وللنفوس يتلف.

ثم قلت:

دواء من أقصده بسهمه ... تكراره نحو مرامي سهمه.

كالأفعوان يشتفى من سمه ... بشرب درياق كريه لحمه.

قال المعافى بن زكيرا ولنا أيضا في كلمة:

وسقاني بسقم مقلة ظبي ... قد قلبي منه بأحسن قد.

سقمها لي شفاء دائي، إذا جا ... دت وداء إذا تصدت لصد.

وأنا أستغفر الله تعالى من مساكنة ما يشغل عن عبادته، ومما يضارع ما وصفنا في هذا الفضل من وجه قول ابن الرومي:

عيني لعينك حين تبصر مقتل ... لكن عينك سهم حتف مرسل.

ومن العجائب أن معنى واحدا ... هو منك سهم، وهو مني مقتل.." (١)

"ولم يتمالك الغلام أن شهق أيضا شهقة خر منها ميتا.

قال منصور: فأخذنا في جهازها، وغسلناها وكفناها، وصلينا عليها، ودفناها، رحمهما الله.

الدب المنقطع إلى الله

أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي الخياط قال: حدثنا أبو الحسن علي بن جهضم بمكة قال: حدثنا أحمد بن سالم قال: قال سهل يعني ابن عبد الله: أول ما رأيت **من العجائب** والكرامات أني خرجت يوما إلى موضع خال وطاب لي المقام، وكأني وجدت من قلبي قربة إلى الله، عز وجلن وحضرت الصلاة، وأردت الطهور، وكانت عادتي من صباي أن أجدد الوضوء عند كل صلاة، وكأني اغتممت لفقد الماء، فبينا أنا كذلك إذا دب يمشي على رجليه، كأنه إنسان، ومعه جرة خضراء ممسك بيده عليها.

قال سهل: فلما رأيته من بعيد توهمت أنه آدمي، حتى إذا دنا مني وسلم علي ووضع الجرة بين يدي قال: أبو محمد؟ فجاءني العلم يعترض، وذلك من شريطة الصحة، فقلت في نفسي: هذه الجرة، والماء من أين هو؟ فنطق الدب، وقال: يا سهل! إنا قوم من الوحش قد انقطعنا إلى الله، عز وجل، بعزم التوكل والمحبة، فبينا نحن نتكلم مع أصحابنا في مسألة إذ نودينا: ألا إن سهل بن عبد الله يريد ماء للوضوء، فوضعت هذه الجرة في يدي، وبجنبتي ملكان، حتى دنوت منك فصاب فيها هذا الماء من الهواء، وأنا أسمع خرير الماء.

قال سهل: فغشي علي، فلما أفقت إذا أنا بالجرة موضوعة، ولا علم لي بالدب أين ذهب، وأنا متحسر إذ لم أكلمه، فتوضأت، فلما." (٢)

---

(١) مصارع العشاق السرّاج القارئ ١٣٨/١

(٢) مصارع العشاق السرّاج القارئ ١٩٧/١

"عدنا إليك على رغم العداة فكم ... بتنا نحث الأغاني في معانيك

وكم جلونا عروس الراح مشرقة ... وكم خلونا بمن نختاره فيك

أصبحت بالعين للذات منزلة ... فكل عين لمن عداك تفديك

وقال الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة يهنئ ببناء دار:

ودار علت قدرا على الدور مثلما ... علا ربها بالمكرمات على الورى

مطابقة الأوصاف أما نسيمها ... فصح وأما ماؤها فتكسرا

تكرر فيها النبت دهنا وروضة ... فالله ما أحلا نباتا مكررا

وشيد هارب الفضائل والندى ... فيا حبذا دار القراءة والقرا

تذكره دار النعيم بطيبها ... فيسعى لجنات النعيم كما ترى

لقد زادها في الحسن يوسف فاغتدت ... تباع بمرآها القلوب وتشترا

والمليح في هذا المعنى قول أسجع السلمي:

قصر عليه تحية وسلام ... خلعت عليه جمالها الأيام

أجرى الإمام عليه نهرا منعما ... أعطى القياد وما عليه زمام

ومنها في المديح وأجاد:

وعلى عدوك يا بن عم محمد ... رصدان ضوء الصبح والإظلام

فإذا تنبه رعته وإذا غفا ... سلت عليه سيوفك الأحلام

قلت: الشيء بالشيء يذكر وما أحسن ما ضمن هذه الأبيات الشيخ برهان الدين القيراطي رحمة الله عليه وقال:

ومشرف إن زاد تشريفا ... فقد خلعت عليه جمالها الأيام

هو جامع للحسن إلا أنه ... قصر عليه تحية وسلام

وعلى العدوى من نقشه وطروسه ... رصدان ضوء الصبح والإظلام وقال علي بن الجهم رحمة الله عليه:

وفيه ملك كأن النجو ... م يقضي إليها بأسرارها

تخر الملوك لها سجدا ... إذا ما تجلت لأبصارها

وفوارة نارها في الس؟ ... ؟ماء فليست تقصر عن نارها

ترد على المزن ما أنزلت ... على الأرض من صور أمطارها

نقلت من كتاب رفع الحجب المنشورة على محاسن المقصورة من الجزء الأول تأليف العلامة قاضي الجماعة بحظيرة غرناطة الشريف المرحوم والخطيب بها أبو القاسم محمد ابن أحمد بن محمد الحسيني رحمه الله تعالى وهذا التأليف **من العجائب** المخترعة ألفه شرحا لمقصورة الإمام الأوحد أبي الحسن حازم بن محمد بن حسين بن حازم الأنصاري العرطاحي تغمده الله بالرحمة.

قلت: ذكر العلامة لسان الدين محمد ين الخطيب في تاريخه المسمى بالإحاطة أن مولد الشريف الحسيني سنة سبع وتسعين وستمائة، ووفاته سنة ستين وسبعمائة.

قال الشارح ويتعلق بذكر الهالة ما ذكره أبو عبد الله بكر بن عباس كاتب المنصور وأبي يوسف يعقوب قال كان لأبي بكر بن مجير عادة على المنصور في كل سنة فصادف المنصور في إحدى وفادات فراغه من أحداث المقصورة التي كان أحداثها بجامعه المتصل بقصره في حضرة مراكش وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع لخروجه وتخفض لدخوله وكان جميع من بباب المنصور يومئذ من الشعراء والأدباء قد نظموا أشعارا أنشدوه إياه في ذلك فلم يزيدوا على شكره وتجرئته على الخير فيما جدد من معالم الدين وآثاره ولم يكن فيهم من تصدي إلى وصف الحال حتى قام أبو بكر بن مجير فأنشده قصيدته التي أولها:

أعلمتني ألقي عصا اليسا ... ر في بلدة ليست بدار قرار

واستمر فيها حتى ألم بذكر المقصورة فقال يصفها:

طورا تكون بمن حوته محيطة ... وكأنها سور من الأسوار

وتكون طورا عنهم نجية ... فكأنها سر من الأسرار

وكأنما علمت مقادير الورى ... فتصرفت لهم على مقدار

فإذا أحست بالإمام يزورها ... في قومه قامت إلى الزوار

تبدو فتبدو ثم تخفي بعده ... كتكون الهالات بالأقمار

فطرب المنصور لسماعها وارتاح لاخترعها.

ومن لطيف الشعر بحضرة ملوكهم ما ذكره القاضي شهاب الدين بن فضل الله في كتابه الأبصار في ترجمة مجير الدين ابن تميم.

حكى أن الملك المنصور استدعاه في ليلة غفل رقيبها وحضر ربيبها وسحبت من سود الذوائب ظفائرها وسجنت من بيض الأيام ضرائرها إلى مجلس مزخرف وفواكه لم تخرق وأمامه جدول قد خر ماؤه فتكسر وإن عليه كل بارق وتحسر والكئوس دائره والشموس في أيدي البدو سائرة فلما رأى الجدول وقد أصابته من العين نظرة فتعثر وسقط عقد لؤلؤه وتنثر نظر إليه وقال رحمة الله عليه:." (١)

"وفي هذه النبذة كفاية وعلى الجملة فمحاسن النيل مستكثرة ولو استوعبنا ما للفضلاء في ذلك من النظم والنثر لحفيت من تسطيرها الأقلام وضاقت صدور الأوراق وما أحق هذه المقاطيع أن تسمى مقاطيع النيل.

رجع إلى ما كنا فيه أنشدني من لفظه لنفسه ونقلته من خطه الشيخ الفاضل زين الدين ابن العجمي رحمه الله ملغزا سألتك أعزك الله عن سائل لاحظ له في الصدقة وغن لم يكن متصل النسب بالإشراف كثير الرجفان من غير أن يخاف كم يرد سائله نهرا وعفر وجه فاقده بالتراب قمرا مذكر كثير الحيض لطيف الانبساط سريع الغيض مطلق التصرف وعليه الحجر

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/١٠٩

وطالما قبل العشاء أبدى لنا الفجر يتشعب ويتكسر ويتعوج ويتدور وله خمسون عينا وأكثر يحمل القناطير المقنطرة ويعجز عن حمل إبرة سريع الاستحالة قل ما يثبت على حاله بعيد الغوص ليس له قرارا يعاجل صفاء وراده بالاكدار يسكن في تخوم الغبرا وينم على أحوال أهل السما رقيق القلب على كل عديم وكيف لا وهو الولي الحميم يجود بأفخر الحلى ولا يرد من نداه مؤملا كم عمر سبيلا وقطع طريقا وأخاف سبيلا كم طفا واحترق وأظهر الحقائق وهو كثير الملق كم علا درجا وحط قدر الدقائق وقلع بأصابعه عين كل مارق وكم طهر أمما من أرجاسها وأماط عن أرض رديئ أدناسها وكم درأ عن شيخ خبثا ورفع كهلا وحدثا صقيل يجلو الصدا ويظهر على شدة البرد تجلدا يبلغ فيه بشئ يسير مقاما لا ترقى إليه همة الملك الكبير كم أباح محرما للعباد واكثر الفساد في البلاد وكم رأينا شموسا تجرى لمستقرها فيه وتجنح وتلوح في فلكه وتسبح كم خاص في ذاته خائض مع كثرة سياحته وربما وجد في الجبال رابض قد جمع فيه الخوف والرجا والكدر والصفا **ومن العجائب** انه كافر وكم أعان على العبادة أهل الصلاح وأضاف نزيله بالميتة ولم يخش في ذلك من جناح فسبحان من جمع فيه الأضداد وأرسله رحمة للعباد.

وقال أبو الفضل أحمد بن محمد الخازن فيه:

وخل صفاء زرته بعد هجرة ... فألقيت شخصي في حشاه مصورا

وادعته سرا فأفشاه للورى ... فيا حسن ما أفشى الغداة واظهر

أبو حليف للثريا وأمه ... به حامل في بطن منخفض الثرى

سطح له جسم بغير جوارح ... يبارى الرياح الجاريات إذا جرى

تصافح كفى منه كفا رطيبة ... يخادع عيني كالخيال إذا سرى

تزر عليه الريح ثوبا مفركا ... ويكسوه شهب الليل ثوبا مدثرا

وقال أبو الحسن الباهرزي ملغزا:

لا أحاجي في زمرة الفضلاء ... فير خل خصصته بأخائي

في شبيه البلو رد إلى الماء ... وقد كان قبل عين الماء

ينذر الحر بالهزيمة بردا ... فهو المنذر بن ماء السماء

وأنشدني المقر الاشرف المرحوم أبو عبد الله محمد بن الأنصاري صاحب ديوان الإنشاء بالشام لنفسه حكاية حال:

ضلو عن الورد لما انهم رحلو ... قومي فظلوا حيارى يلهثون ظما

والله أكرمني بالورد دونهم ... فقلت يا ليت قومي يعلمون بما

وعلى ذكر الماء ذكرت ما أنشدنيه من لفظه لنفسه شيخا العلامة أقضى القضاة بدر الدين أبو عبد الله محمد المخزومي المالكي الشهير بالدماميني ملغزا في قرية وكتب به إلى المرحوم الأميني صاحب ديوان الإنشاء على يد مسطرها:

أكاتب سر الملك والفاضل الذي ... ثناه على الأفكار فرض مرتب

ومن فاه في فن البديع بمنطق ... فأمست غويصات المعاني تهذب

تحدث عن سهل رواة كومه ... إذا ما أتاه اللغز يرويه مصعب
فديتك ما ذات أطالعكم بها ... ويبحث في الأسفار عنها ويطلب
تشد وكم في الأرض قارا ما لها ... فصدق إذا ما قيل تملى وتكتب
وما هي في التحقيق رواية وكم ... لها خبر في الذوق يحلو ويعذب
مليحة شكل يألف الحب صبها ... زمانا وفي وقت لها يتجنب
ويبلغ منها للحياض حقيقة ... ولكن رأينا قلبه وهو طيب
يزيد مريدوها إذا ما تصوفت ... ويشكرها أهل الزوايا ويطنبوا
لها أربع لكن بساق رأيتها ... على السعى في الأحياء بالنقع تدأب
وترضع أحيانا وما حان وضعها ... وكم من فتى في حملها راح يرغب
وتحمل ما فيه الحياة لربها ... فيا حبذا منها البسيط المركب." (١)

"وذكر أرسطاطاليس أن ماء البحر الذي يتكون منه اللؤلؤ على ما قدمناه إذا قطر منه في الكف أو غمس فيه بعض أعضاء البدن ألبس ذلك العضو صبغا كالفضة المذابة.

وذكر أيضا أنه من وقف على حل الدر من كباره أو صغاره حتى يصير ماء رجراجا ثم طلى به البياض الذي يكون في الأبدان من البرص من أول طلية يطليها وإن سعط بذلك الماء من به صداع من قبل انتشار أعصاب العيون أذهبه عنه وكان شفاؤه في أول تسعيطة.

قال التيفاشي مما جربته واختبرته ووقفت عليه بالعمل أن حماض الأترج يحل الجوهر إلا أنه يحله خائرا مثل المني لا يعلق بالأجسام إذا طلي عليها والمياه الحادة الطاهرة القوية الحريفة تحله رجراجا يعلق بالأجسام على ما يوجبه القياس في حل الحماض له وقد جربته فصح.

عيوبه: التصديف وعدم الاستقرار والصفرة والانبراص وهو قبيح البياض وخطيه وعدم رونقه وسعة الثقب وصغر الجرم وقلة الوزن.

الأشياء التي تضر بالجوهر: الأدهان جميعها والحموضات بأسرها لاسيما ماء الليمون ووهج النار والعرق والذفر والاحتكاك بالأشياء الخشنة والله أعلم، الذي يجلوه ويذهب وسخه ماء حماض الأترج إلا أنه إذا لح عليه به قشره ونقص وزنه وهو يحله ايضا خاثرا كما ذكر قبل.

محاسن تليق بهذا المكان: قال القاضي السعيد بن سناء الملك من قصيدة فاضلية أولها:
نعم هي سعد أو هي لي قمر سعد ... وصال ولا صد وقرب ولا بعد
يعانقها من دوني العقد وحده ... فيا عجبا يا قوم لم يعلق العقد
هي البدر إلا أنها كله سنا ... هي الغصن إلا أنه كله ورد

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/١٨٠

ولو أبصر النظام جوهر ثغرها ... لما شك فيه أنه الجوهر الفرد

وقال من قصيدة أخرى فاضلية أيضا أولها:

باتت معانقتي ولكن في الكرى ... أترى دري ذاك الرقيب بما جرى

ونعم دري لما رأى في بردتي ... ودعا وشم من الثياب العنبرا

بأبي وأمي من حلمت بذكرها ... لما انتبهت ومذ رقدت تفسرا

ومن العجائب أن ماء رضابها ... حلو ويخرج حين تبسم جوهرا

وله من مرثية أولها:

كجسمك جسمي أصبح اليوم باليا ... ولكن ما بي عاد للناس باديا

يخيل لي أني دعيت إلى الردى ... وأنك عني قد أجبت المناديا

فيا أسفي إذ كنت قبلي ماضيا ... ويا خجلي إذ صرت بعدك باقيا

وغاص فؤادي في بحور همومه ... فألقى إلى جفني الدموع لآليا

وقال ابن الحلاوي جوابا عن رقعة من أبيات:

فإن كان زاهرا فهو صنع سحابة ... وإن كان درا فهو من لجة البحر

وقال صفي الدين الحلي من قصيدة أولها:

ألست ترى ما بالعيون من السقم ... لقد نحل المعنى المدقق من جسمي

وأضعاف ما بي بالخصور من الضنا ... على أنها من ظلمها عصبت قسمي

وما ذاك إلا أن يوم وداعنا ... وقد غفلت عين الرقيب على زعمي

ضممت ضنا جسمي إلى ضعف خصرها ... لجنسية كانت لها علة الضم

فيا من أقامتني خطيبا لوصفها ... أرصع فيه صنعة النثر والنظم

خذي الدر من لفظي وإن شئت نظمه ... وإن عزت سلكا للنظام فها جسمي

وقال ابن سناء الملك من قصيدة أشرفية أولها:

جسمي كما حكم الغرام وحسبها ... أن الغرم يزورني ويغبها

علقت ظبيته وعيشي أخضر ... فرعته ظنا أن عيشي عيشها

ومنها في المدح:

وأرى العقد حسدن ما قد سطرت ... يمناه حتى اصفر منها حبها

ومما ينظم في هذا السلك قول شيخنا العلامة بدر الدين الدماميني من قصيدة أولها:

رضيت فيه بقتل النفس مذ سخطا ... مهفهف سل سيف الجفن واخترطا

ومنها في المديح: ونظمه الدر حسنا قد علا وغلا ... بينا سواه رأينا نظمه سقطا قال ابن منير وأجاد:

لا تخدعنك وجنة محمرة ... رقت ففي الياقوت طبع الجلمد

وقال النور الأسعردي: قد كدت أحرق خده يوم النوى ... بتنفسي لو لم يكن ياقوتا وما أحسن قول أبي الحسن علي بن عبد العزيز الحلبي المعروف بالفكيك يخاطب بعض التجار:

أنا جعفر أنفذت أطلب عمة ... أفاق عليها الدر رونق حسنه

كرقة دين البابلي ولونها ... كطاجنه المبيض في طول قرنه

فأنفذتها بالضد في لون عرضه ... وهمته قصرا وفي سلك ذهنه." (١)

"**ومن العجائب** منارة إسكندرية وهي مبنية بحجارة مهندسة مضيبة بالرصاص على قناطر من زجاج والقناطر على ظهر سرطان من نحاس فيها نحو من ثلثمائة بيت تصعد الدابة بحملها إلى سائر البيوت من داخلها وللبيوت طاقات ينظر منها إلى البحر وبين أهل التاريخ خلاف فيمن بناها فزعم قوم أنها من بناء الإسكندر بن فيلبس المقدوني وزعم آخرون أنها من بناء دلوكاء ملكة مصر ويقال إنه كان على جانبه الشرقي كتابة وأنها نقلت فوجدت بنت هذه المنظرة قرثباء بنت مرسوس اليونانية لترصد الكواكب ويقال إن طولها كان ألف ذراع وفي أعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال قد أشار بسبابته اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الفلك يدور معها حيثما دارت ومنها تمثال وجهه إلى البحر متى صار العدو منهم على نحو من ليلة سمع له صوت هائل تعلم به أهل المدينة طروق العدو ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صوت صوتا مطربا ويقال إنه كان بأعلاها مرآة يرى منها قسطنطينية وبينهما عرض البحر وكلما جهز الروم جيشا رؤى فيها.

وحكى المسعودي أن هذه المنارة كانت في وسط الإسكندرية وأنها تعد من بنيان العالم العجيب بناها بعض البطالمة من ملوك اليونان بعد الإسكندرية لما كان بينهم وبين الروم من الحرب في البر والبحر فجعلوا هذه المنارة مرقبا وجعلوا في أعاليها مرآة من الأحجار المشفة فيكشف بها مراكب العدو إذا أقبلت من رومية على مسافة تعجز الأبصار عن إدراكها فاحتال ملك الروم لما انتفع به المسلمون في مثل ذلك على الوليد بن عبد الملك بأن أنفذ خواصه ومعه جماعة إلى بعض ثغور الشام على أنه راغب في الإسلام وأخرج كنوزا ودفائن كانت في الشام ما حمله على أنه صدقة أن تحت المنارة أموالا وأسلحة دفنها الإسكندر فجهز معه جماعة إلى الإسكندرية فهدم ثلث المنارة وأزال المرآة ثم فطن الناس أنها كانت مكيدة منه واستشعر ذلك فهرب في مركب كانت له معدة ثم بنى ما هدم بالجص والآجر ثم قال المسعودي وطول هذه المنارة اليوم في هذا الوقت الذي وضع فيه هذا الكتاب وهو سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ثلاثون ذراعا وكان طولها قديما نحو من أربعمائة ذراع وبناؤها في عصرنا ثلاثة أشكال فقريب من الثلث مربع مبني بحجارة بيض ثم بعد ذلك مثمن الشكل مبني بالآجر والجص نحو نيف وستين ذراعا وأعلاها مدور الشكل وكان أحمد بن طولون قد بنى في أعلاها قبة من الخشب ثم هدمت وبنى مكانها مسجدا في أيام الملك الكامل صاحب مصر ثم أن وجهها البحري تداعى وكاد أن ينقض فرمم وأصلح وكذلك الرصيف وذلك في أيام الملك الظاهر بيبرس رحمه الله.

قلت ذكرت هنا ما أنشدنيه من لفظه لنفسه ومن خطه المرحوم الوزير فخر الدين ابن مكانس في صاحبه الشيخ سراج

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/٢١٩

الدين القوصي السكندري يداعبه:

يا ذا السراج اشتري أيرى فأنت به ... أولى وذلك للأمر الذي وجبا

سكندري وتدعى بالسراج وذا ... مثل المنار إذا ما قام منتصبا

وأنشدني من لفظه لنفسه سيدنا مولانا المقر المجدي فضل الله ولد المرحوم المشار إليه أولا أدام الله نعمته محاجيا وكتب إلى سيدنا ومولانا أوحد المتكلمين نادرة الدهر المقر الأشرف الأميني كاتب الأسرار الشريفة بدمشق المحروسة أسبغ الله ظلاله:

يا من سمى قدره نحو النجوم علا ... فأوقع الضد قسرا في مهالكه

ما بلدة أن تحاجي في اسمها فطنا ... مصحفا قلت يشكو مكر مالكه

فكتب إليه الجواب الجناب المشار إليه:

أحجية بديعة أن صحفوا ... خمسة أجزاء لها على قدر

وعكسوا باقيها وقدموا ... فإنما هي طفلة كقمر." (١)

"وقال التيفاشي ومما جربه الناس كافة أجل البق الصابون فإنه إذا طلي به المواضع التي بها البق أي موضع كان من جدار أو سرير قتله ولم يعد إليه مادام أثر الصابون فيه قال صاحب الفلاحة البنطية اعلم أن القطران من أعظم شيء يكرهه النمل فمكتى أردت ألا يقرب النمل شيئا فخط حول ذلك خطا من القطران مدوارا فإن النمل لا يقربه وإن طليت به حول حجرة النمل هربن، صدق الحلزون إذا أحرق حتى يصير كلسا أبيض وذر على بيوت النمل هربن فإن اقام به مات جميعه وقال صاحب الفلاحة البنطية أيضا حجر المغناطيس الجاذب للحديد إذا وضع على باب أجحرة النمل لم يخرجن ويهربن إلى تخوم الأرض قال وأهل بلادنا يجعلون في وسط الكدس من الحنطة وغيرها من الحبوب من حجر المغناطيس وغيرها لئلا يدنو منه النمل قال وإذا غطيت إناء فيه عسل أو غيره بصوف أبيض من كبش ولكن منفوشا لم يقربه النمل وكذلك إذا أدرت الصوف حول الإناء من أسفله لم يقربه النمل، القمح المسوس إذا وضع في بيت فيه بق فإن السوس يأتي عليه مجموعة ولا يدع منه بقة واحدة وهذا صحيح مجرب بنفسج إذا قطع قطعا صغارا وجعل عليه قليل عجين فإن الفأر يأكله ولا تستطيع معدته أن تهضمه فيموت عن آخره وهذا مما جرب وصح عند معاشر الناس كافة.

قال الشيخ شهاب الدين بن فضل الله:

وناموس له قرص أليم ... نضوج له ومنه لنا نضوج

ومن عجب تراه العين أنا ... مع الناموس يرتفع الضجيج

وقال الشيخ ابراهيم المعمار في البراغيث:

إن البراغيث اللئام ... قسوا علي فقلت مالي

إلا الخمور لاختمرت ... وقرصوني قلت أبالي

ومن العجائب ما ذكره ابن بدرون في شرح قصيدة بني الأفطس عند ذكر الواثق وجلالته وهيبته فإنه يحكي من هيبتهم له

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/٢٩٧

أنه لما ثقل في علته التي مات فيها خيل إليهم في بعض الأوقات وقد أغمي عليه أنه قضى فدنا منه تركي يقال له ايتاخ ليعلم هل مات أم لا فلما دنا منه فتح عينيه ونظر إلى ايتاخ فرجع القهقري فانتشب طرف سيفه بالباب فاندق وسقط ايتاخ على قفاه لما نظره هيبة له ورعبا داخله من نظره ليصفن العجائب أنه لم تمر ساعة من نظره إلى ايتاخ إلا وقد مات فأخذ وجعل في بيت فما أقام به إلا يسيرا فوجد قد أخرجت الفأرة عينيه فسبحان من لا يزول ملكه المنفرد بالبقاء لا إله إلا هو العلي العظيم وعلى ذكر ابن بدرون فما أحسن قول الصاحب جمال الدين بن مطروح:

لك يا بدرون وجه ... صار عنوان السعادة

لا تخف نقصا ومحقا ... أنت بدر وزيادة

وقريب من هذه الواقعة ما ذكره الثعالبي في لطائف المعارف أنه لما جيء برأس مروان بن محمد إلى عبد الله بن علي أمر بعزله فجاءت هرة قلعت لسانه وجعلت تمضغه فقال عبد الله أو غيره لو لم يرنا الدهر إلا لسان مروان في هذه لكفانا وكان مروان قد عرض بظهر الحيرة سبعين ألف عربي على سبعين ألف عربي ثم قال إذا انقطعت المدة لم تنفع العدة.

نقلت من الطالع السعيد في فضلاء الصعيد تأليف العلامة المحدث البارع كمال الدين جعفر الأدفوي في ترجمة تاج الدين الدسناوي محتد القوصي مولدا ودارا ووفاة محنة الدهر وفريدة العصر فقيه عالم فاضل محدث أديب شاعر كريم الأخلاق طيب الأصول والأعراق فمن نظمه ملغزا في نملة:

يا من إذا ما قاصد أم له ... تم له منه الذي أمله

ومن حوى الفضلين فضل الندى ... وفضل علم للهدى حصله

ما اسم رشيق القد حلو الجنى ... ذو فطنة ممزوجة بالبله

ألمى دقيق الخصر قد زانه ... ردف له يهتز ما أثقله

أو انتمى يعزي لواد غدا ... وارده مستعذبا منهله

حل به أسنى ملوك الورى ... ومن غدا بالفضل والمعد له

إن قلت صف لي حسنه واقتصد ... قلت مجيبا لك ما أجمله

أو قلت صف لي ملكه واقتصر ... قلت أجل جل الذي كمله

أو قلت هل من مسترفد ... قلت وللمسكين والأرملة

تصحيف ما ألغزته مودع ... في النظم فافتح بالذكاء مقتفله

وعكسه أيضا بلغت المنى ... مستودع فيه فما المسألة

القول في طبائع الحيات: وإنما سميت حية لأنها تحوت أي اجتمعت ويطلق على الذكر والأنثى يقال حية ذكر وحية أنثى وهي أصناف كثيرة لا تحصى كما لا تحصى أصناف السمك.." (١)

---

(١) مطالع البدور ومنازل السرور الغزولي ص/٣١٠

"(ومن العجائب والعجائب جمة ... شكر بطيء عن ندى متسرع)

ومن شعره يمدح سابق بن محمود

(يزداد إن قصر الخطى عن غرض ... طولا ويمضي إذا حد الحسام نبا)

(حل السماك وما حلت تمائمه ... عن جيده وحبا العافين منذ حبا)

(حوى من الفضل مولودا بلا طلب ... أضعاف ما أعجز الطلاب مكتسبا)

(طلق المحيا إذا ما زرت مجلسه ... حزت الغنى والعلا والبأس والأدبا) // البسيط //

ومحاسنه كثيرة

وكان أحمد بن محمد الخياط الشاعر قد وصل إلى حلب سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة وبها يومئذ ابن حيوس المذكور فكتب إليه ابن الخياط يقول

(لم يبق عندي ما يباع بدرهم ... وكفاك مني منظري عن مخبري)

(إلا بقية ماء وجه صنتها ... عن أن تباع وأين أين المشتري) // الكامل //

فقال لو قال ونعم أنت المشتري لكان أحسن

وكان مولد ابن حيوس سنة أربع وتسعين وثلثمائة بدمشق وتوفي سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة

وابن حيوس الإشبيلي ذكره ابن فضل الله فقال لا يخف له ضرع خاطر." (١)

"يقول: من كثرة نوائب الدهر لا ندري ما الذي نعاتب منها؛ لكثرة الرزايا فلا ندري أيها نطالب بالوتر فيه، ويجوز أن يريد في الدهر، ويجوز أن يريد فيه موتته أو في هذا الفعل.

مضى من فقدنا صبرنا عند فقده ... وقد كان يعطى الصبر والصبر عازب

يقول: مضى بالموت من فقدنا صبرنا بمصيبته، فقد كانت حياته لعظم صبره، يعطينا الصبر إذا بعد عنا الصبر. والمعنى أنه كان يشجعنا على الحرب ويعلمنا الثبات.

يزور الأعادي في سماء عجاجة ... أسنته في جانبيها الكواكب

يقول: إنه كان يزور الأعداء في سماء العجاجة، وكانت أسنته في جانبي هذه السماء كواكب. شبه الغبار المتراكم بالسماء، وأسنة الممدوح التي تلمع من خلال ذلك الغبار، بالكواكب اللامعة من السماء ومثله للآخر:

نسجت حوافرها سماء فوقها ... جعلت أسنتنا نجوم سمائها

فتسفر عنه والسيوف كأنما ... مضاربها مما انفللن ضرائب

فتسفر: فعل العجاجة، وعنه: أي عن المرثي. والواو في قوله: والسيوف للحال. والمضارب: جمع المضرب، وهو حد السيف. والضرائب: جمع الضريبة وهو الشيء المضروب بالسيف.

يقول: كانت تنجلي هذه العجاجة عن هذا المرثي، ومضارب السيوف كلها منكسرة؛ من كثرة ما قتل بها الأعداء، فكأنها

---

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص أبو الفتح العباسي ٢/٢٨٢

لانفلالها مواضع الضرب.

طلعن شموسا والغمود مشارق ... لهن وهامات الرجال مغارب

طلعن: فعل السيوف. وشموسا: نصب على التمييز. شبهها بالسيوف لما انتضيت من أغمادها.

يقول: مطالع هذه الشموس، الأغماد لظهورها منها، ومغاربها، هامات الرجال؛ لأنها تغيبت فيها فهن يطلعن من مطالعها، وهي الأغماد، ويغربن في مغاربها، وهي الهامات.

مصائب شتى جمعت في مصيبة ... ولم يكفها حتى قضتها مصائب

يقول: ليست هذه مصيبة واحدة، بل هي مصائب متفرقة، جمعت في مصيبة واحدة؛ لأنه كان يموت خلقا كثيرا، فماتوا بموته، ولم يكفها ذلك حتى تبعتها مصائب أخر، وهي أقوال العداة: إنا شامتون بموته، فإن هذه مصيبة انضمت إليها.

رثى ابن أبينا غير ذي رحم له ... فباعدنا منه ونحن الأقارب

رثى: أي رحم، ورق. وغير: فاعله، ومفعوله: ابن أبينا.

يقول: رثى هذا الميت، الذي هو ابن أبينا، من هو غير ذي رحم لنا، بل هو بعيد عنه وعنا، وباعدنا هذا الراثي عن هذا المرثي، ونحن أقاربه وبنو عمه.

وعرض أنا شامتون بموته ... وإلا فزارت عارضيه القواضب

العارضان: جانبا اللحية: وهما العذاران.

يقول: عرض الراثي أنا شامتون بموته، إلا أنه كذب، وزارت السوف عارضيه.

أليس عجيبا أن بين بني أب ... لنجل يهودي تدب العقارب؟!

تدب العقارب: كناية عن النميمة.

يقول: أليس **من العجائب** أن تدب عقارب ولد يهودي، بين بني أب! ووصفه بأنه ابن يهودي لذلته وحقارته. وقيل: أراد بأن اليهود اشتهر عنهم مكاتمة عداوة المسلمين، والمشي بينهم بالسعايات.

ألا إنما كانت وفاة محمد ... دليلا على أن ليس لله غالب

يقول: كانت وفاة محمد، المرثي في عزته ومنعته ومجده، دليلا على أن الله تعالى لا يغلبه أحد. ومثله لأبي تمام:

كفي فقتل محمد لي شاهد ... أن العزيز مع القضاء ذليل

وقال يمدح الحسين بن إسحاق التنوخي

هو البين حتى ما تأنى الحزائق ... ويا قلب حتى أنت ممن أفارق

هو: إضمار للبين، ولم يجر له ذكر، وذلك لتعظيم الأمر ومثله قوله تعالى " قل هو الله أحد " وتأنى أي تثبت، وأصله: تتأنى. والحزائق: جمع الحزنقة وهي الجماعة.

يقول: هو البين المتناهي الذي كنا نحاذره، حتى أن الجماعات لا تقف وتثبت، وحتى أنت يا قلبي من وجد ممن أفارقه في أحبابي. يعني: أن البين بلغ حدا إذ ارتحل القلب فارتحل مع ما ارتحل.

وقفنا ومما زاد بتا وقوفنا ... فريقي هوى منا مشوق وشائق

وقوفنا: فاعل زاد. وقوله: فريقي هوى: نصب على الحال من النون والألف في قوله وقوفنا. يقال: شاقني الشيء، والمشوق: هو العاشق الذي شاقه غيره، والشائق: هو المعشوق؛ لأنه الحامل على الاشتياق فهو شائق، وأنا مشوق.

يقول: وقفت أنا والحبيب للتوديع ومن جملة ما عمنا أنا وقفنا في حال ما كنا عليه، ونحن فرقتان: أحدهما محب مشوق والآخر محبوب يشوق صاحبه، بعد فراقه.." (١)

"أتنكر يا ابن إسحاق إخائي ... وتحسب ماء غيري من إنائي

يقول معاتبا له أتنكر؟!: أي تجحد مؤاخاتي لك، بعد ما عرفتها مني، وتحسب ماء غيري من إنائي، وهو مثل يعني: تحسب ما هجيت به من شعر غيري أنه من شعري فلا تميز بين شعري وشعر غيري؟!

أأنطق فيك هجرا بعد علمي ... بأنك خير من تحت السماء

الهجر: الكلام القبيح.

يقول: أقول فيك فحشا، بعد ما علمت أنك خير من في الأرض وتحت السماء، وروى: أأنطق فيك هجوا.

وأكره من ذباب السيف طعما ... وأمضي في الأمور من القضاء

وأكره: عطف على قوله: خير من تحت السماء.

يقول: أقول فيك فحشا بعد علمي بأنك أكره من حد السيف طعما وأمضى من القضاء في الأمور!!

وما أربت على العشرين سني ... فكيف مللت من طول البقاء؟!

يقول: ما زاد سني على عشرين سنة، فكيف مللت من طول حياتي حتى أهجوك فتقتلني؛ لأني إذا هجوتك لا آمن على نفسي من الهلاك.

وما استغرقت وصفك في مديحي ... فأنقص منه شيئا بالهجاء

يقول: لم استوف مدحي فيك بعد، وما أدركت الغاية فكيف أنقص منه شيئا بالهجاء؟

وهبني قلت: هذا الصبح ليل ... أيعمى العالمون عن الضياء!

معناه: هب أني قلت: إن هذا النهار ليل! أيعمى العالمونعن ضياء هذا النهار؟! وهذا مثل ضربه في أنه هجاه، وذكره مغايرة ليتقبله الناس بمشاهدتهم فضله.

وقالوا: إنه كالنهار الذي لا يخفي ضوء الشمس فيه، ولقالوا: إني عابث في ذلك.

تطيع الحاسدين وأنت مرء ... جعلت فداءه وهم فدائي

أصله: أتطيع، فحذف ألف الاستفهام. وقوله: جعلت فداءه. أخرجه مخرج الدعاء. وهم: يحتمل أن يكون عطفا على التاء من جعلت، الذي هو ضمير المرفوع، فيكون قد عطفه على ضمير المرفوع المتصل من غير توكيد بالمنفصل، وكان حقه أن يقول: جعلت أنا فداءه وهم فدائي. غير أن هاهنا حسن ذلك لوقوع فداءه بين المعطوف والمعطوف عليه، ويحتمل أن

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/٦٣

يكون: وهم فدائي جملة منفصلة عن الجملة الأولى، فيكون هم مبتدأ وفداء خبره فتكون الواو عطفت جملة على جملة، أو يكون للحال.

المعنى: أتطيع الحاسدين الذين كذبوا علي، وتسمع كلامهم في؟ وأنت الرجل! جعلت أنا فداءه والحساد فدائي. يعني: جعلت فداءه لأفضاله علي، فهم فدائي لفضلي عليهم.

ويجوز أن يتم الكلام عند قوله: وأنت مرء يعني أنت رجل مستحق أن توصف بالرجولية فلا ينبغي أن تسمع كلام الحاسدين في، ثم ابتدأ بالدعاء له وعلى الحاسدين. ويجوز أن يكون بعضه متصلا ببعض.

وهاجي نفسه من لم يميز ... كلامي من كلامهم الهراء

يعني: إنما الهاجي نفسه، من لم يميز كلامي من جزالته وحسن موقعه من كلام حسادي، الفاسد الساقط، الذي لا معنى له. لأن تركه الفرق بين كلامي، وكلامهم، ينبيء عن الجهل، والجهل ذم مذموم، فكأنه هجا نفسه.

وإن **من العجائب** أن تراني ... فتعدل بي أقل من الهباء

يقول: إن **من العجائب** أن تراني، وتعرف فضلي وعقلي، ثم تجعلني عديلا إلى من هو أقل من الهباء. يعني: أنه لا وزن له ولا خطر.

وتنكر موتهم وأنا سهيل ... طلعت بموت أولاد الزناء

يقول: أتنكر موت حسادي إذا رأوني؟! وأنا سهيل اليماني الذي بطلوعي تموت أولاد الزناء.

وذلك أن العرب تزعم أن ما نتج من أمهار الخيل، إذا ضرب الفحل أمه من دون إذن صاحبه فإنه يموت إذا طلع سهيل، فكذلك تموت الحساد بسببي.

وقال يمدحه أي الحسين بن إسحاق التنوخي:

ملام النوى في ظلمها غاية الظلم ... لعل بها مثل الذي بي من السقم

الهاء في ظلمها للنوى لأنها مؤنثة، ويجوز أن يكون للمرأة وإن لم يجر لها ذكر وفي بها: للنوى خاصة.

يقول: لومي البعد بتبعيد هذه المرأة عني، واختصاصه بها غاية الظلم له، فلعل به من السقم والعشق مثل ما بي فتعشق هذه المرأة الذي ذهب بها، كما أعشقها أنا. وبين ذلك بقوله:

فلو لم تغر لم تزو عني لقاءكم ... ولو لم تردكم لم تكن فيكم خصمي

يقول: لو لم، تغر النوى علي لم تقتض علي رؤيتكم، ولو لم تكن مريدة لكم؛ لم تكن النوى خصما لي بسببكم.

أمنعمة بالعودة الظبية التي ... بغير ولي كان نائلها الوسمي؟

الوسمي: أول المطر، والولي: الذي يليه.." (١)

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/٦٦

"عن ابن جني قال: سألت المتنبي عن هذا فقال: كان سيف الدولة ترك الركوب مدة لعلة أصابته، فحركته بهذا، فعلى هذا: البيت الأول بيت لهذا المعنى.

يعني أنك موفق الرأي فيما تفعله، ولكن الرأي أن ترجع إلى أمرك الأول من الغزو والقتال.

ينظرن من مقل أدمى أحجتها ... قرع الفوارس بالعسالة الذبل

الأحجة: جمع الحجاج، وهو العظم الذي فوق العين، وفاعل أدمى: قرع الفوارس. ومفعوله: أحجتها. وقرع: قيل مضاف إلى المفعول، ومعناه: قرعك الفوارس. أي أن خيلك ينظرن من عيون قد أدماها قرعك الفوارس بالعسالة: بالرماح اللينة الكثيرة الاضطراب؛ لأنها إذا شرعت للطعن يكون مرها على قرب الحجاج من الفرس. يعني أنها معودة للقتال. وقيل: إنه مضاف إلى الفاعل. أي أن خيلك قد أدمى عيونها طعن الفرسان إياها؛ لأنها تكون مقدمة لا تولى، فالطعن إنما يقع على وجهها.

فلا هجمت بها إلا على ظفر ... ولا وصلت بها إلا إلى أمل

دعاء له بالظفر. يقول: كلما ركبت خيلك وصلت إلى ما ترجوه، وظفرت بما تطلبه والهاء في بها للخيل.

وقال يمدحه ويعتذر عن المسير معه وقد سأله السير معه في الطريق، لما سار لنصرة أخيه ناصر الدولي سنة ٣٣٧:

سر حل حيث تحله النوار ... وأراد فيك مرادك المقدار

النور والنوار واحد. ويجوز أن يكون النوار: جمع نور. وحل: قيل: دعاء بلفظ الخبر، ومعناه: سر، حل النوار حيث تحله. والمقصود: سقاك الله الغيث حيث حللت حتى يحل هناك النوار.

وقيل: إنه خبر على الحقيقة، ومعناه: أنه جعل سقيا. فيقول له: أنت السحاب فإذا حللت ببلد يحصل منك السقى، فيحصل بك النور والزهر.

وأما الصراع الثاني فأولى فيه حمله على الدعاء: معناه أن الأقدار ساعدتك على مرادك، وأرادت كما تريد أنت.

ويجوز حمل المصراع الثاني على الخبر: أي أن الأقدار، لا تريد إلا ما تريد أنت. وفاعل حل: النوار. وفاعل أراد: المقدار.

وإذا ارتحلت فشيعتك سلامة ... حيث اتجهت وديمة مدرار

توجهت: بمعنى اتجهت. والديمة. مطر يدوم أياما في سكون ريح ورعد. ومدرار: قيل متصل المطر. وشيعتك: دعاء، ومعناه حيث قصدت صاحبتك السلامة، وديمة غزيرة تسقي محلك، وتخضب منزلك.

وصدرت أغنم صادر عن مورد ... مرفوعة لقدومك الأبصار

وهذا البيت أيضا دعاء. وقوله: مرفوعة لقدومك الأبصار: إشارة إلى ما يحصل من السرور، لأن الأبصار إنما ترفع عند ذلك.

يقول: إذا رجعت من مقصدك رجعت غانما قد شخصت الأبصار إليك وقوله: أغنم ومرفوعة: نصب على الحال.

وأراك دهرك ما تحاول في العدا ... حتى كأن صروفه أنصار

يقول داعيا له: أراك دهرك من أعدائك ما تريده منهم، حتى تكون صروف الدهر أنصارا لك، ومن جملة أوليائك.

أنت الذي بجح الزمان بذكره ... وتزينت بحديثه الأسمار

بجح: أي افتخر. يقول: إن الزمان يفتخر بذكرك؛ لأن له فضلا على سائر الأزمنة المتقدمة.

وقيل: أراد بالزمان أهله، والأسمار إذا تضمنت حديثك وحديث وقائعك تزينت، إذ فيها **من العجائب** أكثر مما في الأحاديث الموضوعة.

وإذا تنكر فالفناء عقابه ... وإذا عفا فعطاؤه الأعمار

وله وإن وهب الملوك مواهب ... در الملوك لدرها أغبار

الدر: أول ما ينزل من اللبن الكثير. والأغبار: جمع الغبر، وهو البقية بعد الحلب. والهاء في لدرها للمواهب.

يقول: إن عطايا الملوك في جنب إعطائك كالأغبار. يعني أن أقل مواهبك أعظم من مواهب سائر الملوك.

وقيل معناه: أن عطايا الملوك هي بقايا عطاياه، ومعناه أنه أفضل منهم وهم دونه ومحتاجون إليه، وإن صلاتهم من صلاته.

لله قلبك! ما تخاف من الردى ... وتخاف أن يدنوا إليك العار

لله قلبك: أي ما أعجب أمرك! وأعظم أمر قلبك! لما فيه من القوة والشجاعة والهمة التي لا تخاف معها الهلاك! ومع ذلك فأنت تخاف من أن يدنوا إليك العار.

وقيل: ألف الاستفهام محذوفة في الموضعين ومعناه: أما تخاف من الردى؟! وأتخاف من العار؟! وهو دون الردى في الصورة.

وتحيد عن طبع الخلائق كله ... ويحيد عنك الجحفل الجرار

الطبع: قيل هو الدرن. والخلائق الأخلاق ومعناه أنك تميل عن دنس الأخلاق ودنس الطباع.." [(١)]

"الضمير في صواعقه: للغمام، ويزيلهن فعله، والكناية التي هي هن تعود إلى الصواعق كني بالغمام عني سيف الدولة وصواعقه عن إيذائه إياه وبالديم عن عطائه عند غيره.

فيقول: ديم هذا الغمام عند غيري، وصواعقه عندي، فليت صواعقه عند من ديمه عنده، يعني ليته إن ليم يخصني بكرامة لا يقصدني بأذاه، بل يصرف امتنانه إلى من عنده عطاياه، ومثله لآخر:

فلو شاء هذا الدهر أقصر سوءه ... كما أقصرت عنا لهاه ونائله

ومثله للبحتري:

سحاب خطاني جوده وهو مسبل ... وبحر عداني قطره وهو مفعم

وبيت ابن الرومي أقرب إلى أبي الطيب:

أعندي تنقض الصواعق منكما ... وعند ذوي الكفر الحيا والثرى الجعد

والأصل في ذلك قول الحسين بن علي رضي الله عنهما: نال حارها من تولي قارها.

أرى النوى تقتضيني كل مرحلة ... لا تستقل بها الوخادة الرسم

تقتضيني: أي تتقاضاني، وتطالبني، والوخادة الإبل التي تسير الوخد، وهو ضرب سريع من السير، والرسم: جمع رسوم، وهي التي تسير الرسيم، وهو أيضا ضرب من السير، والهاء في بها للمرحلة: أي لا ينهض بها.

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/٢٢٩

يقول: أرى البعد يطالبني بكل مرحلة لا تقطعها الإبل السريعة السير، من طولها، فأظهر لسيف الدولة السير عنه والرحيل. وبينه أيضا فيما يليه.

لئن تركن ضميرا عن ميامننا ... ليحدثن لمن ودعنهم ندم

ضمير: اسم ماء في السماوة وقيل: جبل عن يمين طالب مصر، إذا خرج من الشام قاصدا مصر، والكناية في تركن وميامنها وودعن إلى الوخادة الرسم.

يقول: لئن تركت الإبل الوخادة الرسم ضميرا عن ميامنها، وأخذت بنا طيق مصر، ليحدثن لمن أفارقه ندم. واللام في قوله: ليحدثن جواب قسم محذوف: أي والله ليحدثن. واللام في لئن تركن زائدة دخلت توطئة للام الثانية، وحل جواب القسم محل جواب الشرط.

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ... ألا تفارقهم فالراحلون هم

الراحل: المرتحل.

يقول مخاطبا لنفسه: إذا قدر قوم على ألا يضطروك إلى مفارقتهم والرحيل عنهم، ثم اضطروك إلى ذلك، فهم مخلون بحقك، فيكونون بمنزلة المرتحلين عنك، لرغبتهم عنك، فلا فرق بين رحيلهم عنك، وإلجائهم إياك إلى فراقهم.

شر البلاد بلاد لا صديق بها ... وشر ما يكسب الإنسان ما يصم

ما يصم أي ما يصمه، ومعناه: ما يلحقه الوصم، وهو العيب.

يقول: شر البلاد بلاد لا صديق بها تسكن إليه، ويعينك على ما تريده، ويدفع ما يضرك، وشر كسب يكسبه الإنسان، ما يعاب به، وبذل عرضه بسببه.

وشر ما قنصته راحتي قنص ... شهب البزاة سواء فيه والرخم

البزاة: الشهب البيض، وهي كرامها، والرخم: جمع رخمة، وهي طائر يشبه النسر، تأكل الجيف ولا تصيد، وهي من لئام الطير وقيل: الرخمة: الأنثى من النسور. وروى: اقتنصته وقنصته.

يقول: أنا كالبازي، وشعراؤك كالرخم، فلم سويت في المنزلة بيننا في الجائزة فيبطل فضل البازي فيم يعد لذلك العطاء عندي قدر. ومثله لأبي تمام:

كلاب أغارت في فريسة ضيغم ... طروقا وهام أطمعت صيدا أجدلا

بأي لفظ يقول الشعر زعنفة ... تجوز عندك لا عرب ولا عجم؟!

الزعانف: سقاط الناس، واحدها زعنفة، وأصله من زعنفة الأديم: وهو ما سقط منهن إذا قطع فلا ينتفع به، فشبه به رذال الناس، وقيل: الزعانف: أجنحة السمك، ثم يقال للدعي الملحق بالقوم زعنفة.

يقول: إن شعراءك الذين تسوي بيني وبينهم أدعياء في الشعراء، وإنهم من جملة رذال الناس، ليسوا بأهل للإقبال عليهم؛ لأنهم دخلاء في الشعر، ليسوا من العرب ولا من العجم، فتقبل منهم شعرهم، ويجوز عليك تمويههم.

وقال ابن جني: معناه ليست لهم فصاحة العرب، ولا تسليم العجم، والفصاحة للعرب، فهم فضول رذال.

وقيل: إنه عرض في هذا بالنامي، وكان أخص شعراء سيف الدولة وأنشد أبو الطيب يوما قول النامي:

ومن العجائب أن بيض سيوفه ... تلد المنايا السود وهي ذكور

فاستحسنه.

هذا عتابك إلا أنه مقة ... قد ضمن الدر إلا أنه كلم

العتاب: أدنى الملامة والمقة: المحبة.." (١)

"وهذه الكتب المدونة في هذا الباب التي نقلت منها، ثم نقلت من دواوين العرب والمحدثين وتواريخ أهل الأدب والمحدثين، ومن أفواه الرواة، وتفاريق الكتب، وما شاهدته في أسفاري، وحصلته في تطوافي، أضعاف ذلك، والله الموفق إن شاء الله.

فأما الطبقة الأولى، فأسماء الأماكن في كتبهم مصحفة مغيرة، وفي حيز العدم مصيرة، قد مسخها من نسخها.

وأما الطبقة الثانية فإنها وإن وجدت لها أصول مضبوطة، وبخطوط العلماء منوطة مربوطة، فإنها غير مرتبة، ولشفاء العليل غير مسببة، لشدة الاختصار، وعدم الضبط والانتشار، لأن قصدهم منها تصحيح الألفاظ، لا الإبانة عما عدا ذلك من الأغراض، والبحث عما يعترض فيها من الأعراض، فاستخرت الله تعالى، وجمعت ما شتتوه، وأضفت اليه ما أهملوه، ورتبته على حروف المعجم، ووضعته وضع أهل اللغة المحكم، وأبنت عن كل حرف من الاسم: هل هو ساكن أو مفتوح أو مضموم أو مكسور، وأزلت عنه عوارض الشبه، وجعلته تبرا بعد أن كان من الشبه، ثم أذكر اشتقاقه إن كان عربيا، ومعناه إن أحطت به علما إن كان عجميا، وفي أي إقليم هو وأي شيء طالعه، وما المستولي عليه من الكواكب، ومن بناه، وأي بلد من المشهورات يجاوره، وكم المسافة بينه وبين ما يقاربه، وبماذا اختص من الخصائص، وما ذكر فيه **من العجائب**، وبعض من دفن فيه من الأعيان والصالحين والصحابة والتابعين، ونبذا مما قيل فيه من الأشعار في الحنين إلى الأوطان، الشاهدة على صحة ضبطه والإتقان، وفي أي زمان فتحه المسلمون وكيفية ذلك، ومن كان أميره، وهل فتح صلحا أو عنوة لتعرف حكمه في الفيء والجزية، ومن ملكه في أيامنا هذه.

على أنه ليس هذا الاشتراط بمطاوع لنا في جميع ما نورده، ولا ممكن في قدرة أحد غيرنا، وإنما يجيء على هذا البلدان المشهورة، والأمهات المعمورة، وربما ذكر بعض هذه الشروط دون بعض على حسب ما أدانا إليه الاجتهاد، وملكناه الطلب والارتياد.

واستقصيت لك الفوائد جلها أو كلها، وملكتك عفوا صفوا عقدها وحلها، حتى لقد ذكرت أشياء كثيرة تأباها العقول، وتنفر عنها طباع من له محصول، لبعدها عن العادات المألوفة، وتنافرها عن المشاهدات المعروفة، وإن كان لا يستعظم شيء مع قدرة الخالق وحيل المخلوق، وأنا مرتاب بها نافر عنها متبرىء إلى قارئها من صحتها، لأنني كتبتها حرصا على إحراز الفوائد، وطلبا لتحصيل القلائد منها والفرائد، فإن كانت حقا فقد أخذنا منها بنصيب المصيب، وإن كانت باطلا فلها في الحق شرك ونصيب، لأنني نقلتها كما وجدتها، فأنا صادق في إيرادها كما أوردتها، لتعرف ما قيل في ذلك حقا كان أو

---

(١) معجز أحمد أبو العلاء المعري ص/٢٧٨

باطلا، فإن قائلا لو قال: سمعت زيدا يكذب، لأحببت أن تعرف كيفية كذبه.
وها أئمة الحفاظ الذين هم القدوة في كل زمن، وعليهم الاعتماد في فرائض الشرع والسنن، لم يشترط أكثرهم في مسنده، وهي أحاديث الرسول التي تبتني عليها الأحكام، ويفرق بها بين الحلال والحرام، إيراد الصحيح دون السقيم، ونفي المعوج وإثبات المستقيم، ولم يخرجهم ذلك عن أن يعدوا في أهل الصدق،." (١)

"وإنا مورثون، كما ورثنا ... عن الآباء إن متنا، بنينا

وقال الأصمعي: سمعت الرشيد يقول: نظرنا فإذا كل ذهب وفضة على وجه الأرض لا يبلغ ثمن نخل البصرة. وقال أبو حاتم: **ومن العجائب**، وهو مما أكرم الله به الإسلام، أن النخل لا يوجد إلا في بلاد الإسلام البتة مع أن بلاد الهند والحبش والنوبة بلاد حارة خليقة بوجود النخل فيها، وقال ابن أبي عيينة يتشوق البصرة:

فإن أشك من ليلي بجرجان طوله، ... فقد كنت أشكو منه بالبصرة القصر

فيا نفس قد بدلت بؤسا بنعمة، ... ويا عين قد بدلت من قرة عبر

ويا حبذاك السائلي فيم فكرتي ... وهمي، ألا في البصرة الهم والفكر

فيا حبذا ظهر الحزيز وبطنه، ... ويا حسن واديه، إذا ماؤه زخر

ويا حبذا نهر الأبلة منظرا، ... إذا مد في إبانه الماء أو جزر

ويا حسن تلك الجاريات، إذا غدت ... مع الماء تجري مصعدات وتنحدر

فيا ندمي إذ ليس تغني ندامتي! ... ويا حذري إذ ليس ينفعني الحذر!

وقائلة: ماذا نبا بك عنهم؟ ... فقلت لها: لا علم لي، فاسألي القدر

وقال الجاحظ: بالبصرة ثلاث أعجوبات ليست في غيرها من البلدان، منها: أن عدد المد والجزر في جميع الدهر شيء واحد فيقبل عند حاجتهم إليه ويرتد عند استغنائهم عنه، ثم لا يبطئ عنها إلا بقدر هضمها واستمرائها وجمامها واستراحتها، لا يقتلها غطسا ولا غرقا ولا يغبها ظمأ ولا عطشا، يجيء على حساب معلوم وتدبير منظوم وحدود ثابتة وعادة قائمة، يزيدها القمر في امتلائه كما يزيدها في نقصانه فلا يخفى على أهل الغلات متى يتخلفون ومتى يذهبون ويرجعون بعد أن يعرفوا موضع القمر وكم مضى من الشهر، فهي آية وأعجوبة ومفخر وأحدوثة، لا يخافون المحل ولا يخشون الحطمة، قلت أنا: كلام الجاحظ هذا لا يفهمه إلا من شاهد الجزر والمد، وقد شاهدته في ثماني سفرات لي إلى البصرة ثم إلى كيش ذاهبا وراجعا، ويحتاج إلى بيان يعرفه من لم يشاهده، وهو أن دجلة والفرات يختلطان قرب البصرة ويصيران نهرا عظيما يجري من ناحية الشمال إلى ناحية الجنوب فهذا يسمونه جزرا، ثم يرجع من الجنوب إلى الشمال ويسمونه مدا، يفعل ذلك في كل يوم وليلة مرتين، فإذا جزر نقص نقصانا كثيرا بينا بحيث لو قيس لكان الذي نقص مقدار ما يبقى وأكثر، وليست زيادته متناسبة بل يزيد في أول كل شهر، ووسطه أكثر من سائره، وذاك أنه إذا انتهى في أول الشهر إلى غايته في الزيادة وسقى المواضع العالية والأراضي القاصية أخذ يمد كل يوم وليلة أنقص من اليوم الذي قبله، وينتهي غاية نقص زيادته في آخر يوم

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١٢/١

من الأسبوع الأول من الشهر، ثم يمد في كل يوم أكثر من مده في اليوم الذي قبله حتى ينتهي غاية زيادة مده في نصف الشهر، ثم يأخذ في النقص إلى آخر الأسبوع ثم في الزيادة في آخر الشهر هكذا أبدا لا يختلف ولا يخل بهذا القانون ولا يتغير عن هذا الاستمرار، قال الجاحظ: والأعجوبة الثانية ادعاء أهل أنطاكية وأهل حمص وجميع بلاد الفراعنة." (١)

"المقتدر بالله أمير المؤمنين، فقال: كيف يجوز أن يقال؟ فقلت: يذكر اسمك واسم أبيك، فقال: إن أبي كان كافرا وأنا أيضا ما أحب أن يذكر اسمي إذ كان الذي سماني به كافرا، ولكن ما اسم مولاي أمير المؤمنين؟ فقلت: جعفر، قال: فيجوز أن أتسمى باسمه؟ قلت: نعم، فقال: قد جعلت اسمي جعفرا واسم أبي عبد الله، وتقدم إلى الخطيب بذلك، فكان يخطب: اللهم أصلح عبدك جعفر بن عبد الله أمير بلغار مولى أمير المؤمنين، قال: ورأيت في بلده **من العجائب** ما لا أحصيها كثرة، من ذلك أن أول ليلة بتناها في بلده رأيت قبل مغيب الشمس بساعة أفق السماء وقد احمر احمرارا شديدا وسمعت في الجو أصواتا عالية وهمهمة، فرفعت رأسي فإذا غيم أحمر مثل النار قريب مني، فإذا تلك الهمهمة والأصوات منه وإذا فيه أمثال الناس والدواب وإذا في أيدي الأشباح التي فيه قسي ورماح وسيوف، وأتبينها وأتخيلها وإذا قطعة أخرى مثلها أرى فيها رجالا أيضا وسلاحا ودواب، فأقبلت هذه القطعة على هذه كما تحمل الكتيبة على الكتيبة، ففزعنا من هذه وأقبلنا على التضرع والدعاء وأهل البلد يضحكون منا ويتعجبون من فعلنا، قال: وكنا ننظر إلى القطعة تحمل على القطعة فتختلطان جميعا ساعة ثم تفترقان، فما زال الأمر كذلك إلى قطعة من الليل ثم غابتا، فسألنا الملك عن ذلك فزعم أن أجداده كانوا يقولون هؤلاء من مؤمني الجن وكفارهم يقتتلون كل عشية، وأنهم ما عدموا هذا منذ كانوا في كل ليلة. قال: ودخلت أنا وخياط كان للملك من أهل بغداد قبتي لنتحدث، فتحدثنا بمقدار ما يقر الإنسان نصف ساعة ونحن ننتظر أذان العشاء، فإذا بالأذان فخرجنا من القبة وقد طلع الفجر، فقلت للمؤذن: أي شيء أذنت؟ قال: الفجر، قلت: فعشاء الأخيرة؟ قال: نصليها مع المغرب، قلت: فالليل؟

قال: كما ترى وقد كان أقصر من هذا وقد أخذ الآن في الطول، وذكر أنه منذ شهر ما نام الليل خوفا من أن تفوته صلاة الصبح، وذلك أن الإنسان يجعل القدر على النار وقت المغرب ثم يصلي الغداة وما آن لها أن تنضج، قال: ورأيت النهار عندهم طويلا جدا، وإذا أنه يطول عندهم مدة من السنة ويقصر الليل، ثم يطول الليل ويقصر النهار، فلما كانت الليلة الثانية جلست فلم أر فيها من الكواكب إلا عددا يسيرا ظننت أنها فوق الخمسة عشر كوكبا متفرقة، وإذا الشفق الأحمر الذي قبل المغرب لا يغيب بتة، وإذا الليل قليل الظلمة يعرف الرجل الرجل فيه من أكثر من غلوة سهم، قال: والقمر إنما يطلع في أرجاء السماء ساعة ثم يطلع الفجر فيغيب القمر، قال: وحدثني الملك أن وراء بلده بمسيرة ثلاثة أشهر قوما يقال لهم ويسو، الليل عندهم أقل من ساعة، قال: ورأيت البلد عند طلوع الشمس يحمر كل شيء فيه من الأرض والجبال، وكل شيء ينظر الإنسان إليه حين تطلع الشمس كأنها غمامة كبرى فلا تزال الحمرة كذلك حتى تتكبد السماء. وعرفني أهل البلد أنه إذا كان الشتاء عاد الليل في طول النهار وعاد النهار في قصر الليل، حتى إن الرجل منا ليخرج إلى نهر يقال له إتل بيننا وبينه أقل من مسافة فرسخ وقت الفجر فلا يبلغه إلى العتمة إلى وقت طلوع الكواكب كلها حتى تطبق السماء، ورأيتهم

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١/٤٣٩

يتبركون بعواء الكلب جدا ويقولون: تأتي عليهم سنة خصب وبركة وسلامة.

ورأيت الحيات عندهم كثيرة حتى إن الغصن من الشجر ليلتف عليه عشر منها وأكثر، ولا يقتلونها ولا." (١)

"ذلك السم منه فإنه يعود طالبا لموضعه، فإن لم يبادره بقطعه من أوله وإلا قتله، وهو **من العجائب**، وهم يجعلون منه قليلا في رأس السهم ويتوارون في بعض الأشجار فإذا مرت بهم سباع الوحوش كالفيل والكركدن والزراف والنمر يرشقونه بذلك السهم، فإذا خالط دمه مات لوقته فيأخذون من الفيل أنيابه ومن الكركدن قرونه ومن الزراف والنمر جلده، والله أعلم.

زيلوش:

من قرى الرملة بفلسطين، ينسب إليها أبو القاسم هبة الله بن نعمة بن الحسين بن السري الكناني الزيلوشي، روى عن محمد بن عبد الله بن الحسن البصري، روى عنه السلفي، وفي تاريخ دمشق:

إبراهيم بن محمد بن أحمد أبو إسحاق القيسي المعلم الفقيه، أصله من زيلوش قرية من قرى الرملة، كان جنديا ثم ترك ذلك وتعلم القرآن والفقه، وسمع الحديث من أبي المعالي وأبي طاهر الحنائي وأبي محمد بن الأكفاني والفقيهين أبي الحسن علي بن المسلم ونصر الله بن محمد وعبد الكريم بن حمزة وطاهر بن سهل وغيرهم من مشايخنا، وقرأ القرآن على ابن الوحشي، سمع من المسلم المقري وحدث ببعض مسموعاته، وكان ثقة مستورا، توفي في الحادي عشر من رجب سنة ٥٥٣ بدمشق.

زيمران:

بفتح أوله، وسكون ثانيه، وضم ميمه، وراء مهملة، وآخره نون، يجوز أن يكون فيعلان من الزمرة وهي الجماعة من الناس، أو من الزمر وهو القليل الشعر والقليل المروءة، أو من الزمار، بالكسر، وهو صوت النعام: وهو موضع.

زيمر:

بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح الميم، وراء، واشتقاقه كالذي قبله: وهو موضع في جبال طيء، يذكر مع بلطة ويضاف إليها، قال امرؤ القيس:

وكنت إذا ما خفت يوما ظلامة ... فإن لها شعبا ببلطة زيمرا

الزيمة:

قرية بوادي نخلة من أرض مكة، فيها يقول محمد بن إبراهيم بن قربة شاعر عصري:

مرتعي من بلاد نخلة في الصي ... ف بأكناف سولة والزيمه

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٤٨٧/١

زئنة:

بكسر أوله، وهمز ثانيه، وقد لا يهمز، واشتقاقه من الزينة معروف، فأما من همزه فلا أعرفه، إلا أن يقال: كلب زئني وهو القصير، والظاهر أنه غير مهموز، قال الأصمعي: قال لي بعض بني عقيل جميع خفاجة يجتمعون ببيشة وزينة، وهما واديان، أما بيشة فتصب من اليمن، وأما زينة فتصب من السراة سراة تهامة، وقال ابن الفقيه:

طوله عشرون يوما في نجد وأعلاه في السراة ويسمى عقيق تمرة، وقيل: الذي فيه عقيق تمرة هو زبية، بتقديم الباء الموحدة، والله أعلم بالصواب.." (١)

"الأقذار إلا أنها مع ذلك عذبة الماء صحيحة الهواء كثيرة الخيرات تجري في وسطها القنوات وقد شيبت بالأقذار، وأصلح مياههم القناة التي تجيء من جويم، وآبارهم قريبة القعر، والجبال منها قريبة، قالوا:

ومن العجائب شجرة تفاح بشيراز نصفها حلو في غاية الحلاوة ونصفها حامض في غاية الحموضة، وقد بنى سورها وأحكمها الملك ابن كاليجار سلطان الدولة بن بويه في سنة ٤٣٦، وفرغ منه في سنة ٤٤٠، فكان طوله اثني عشر ألف ذراع وعرض حائطه ثمانية أذرع، وجعل لها أحد عشر بابا، وقد نسب إلى شيراز جماعة كثيرة من العلماء في كل فن، منهم: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف بن عبد الله الفيروزآبادي ثم الشيرازي إمام عصره زهدا وعلما وورعا، تفقه على جماعة، منهم القاضي أبو الطيب الطاهر بن عبد الله الطبري وأبو عبد الله محمد بن عبد الله البيضاوي وأبو حاتم القزويني وغيرهم، ودرس أكثر من ثلاثين سنة، وأفتى قريبا من خمسين سنة، وسمع الحديث من أبي بكر البرقاني وغيره، ومات ببغداد في جمادى الآخرة سنة ٤٧٦، وصلى عليه المقتدي بأمر الله أمير المؤمنين، ومن المحدثين الحسن بن عثمان بن حماد ابن حسان بن عبد الرحمن بن يزيد القاضي أبو حسان الزيادي الشيرازي، كان فاضلا بارعا ثقة، ولي قضاء الشرقية للمتوكل وصنف تاريخا، وكان قد سمع محمد بن إدريس الشافعي وإسماعيل بن علية ووكيع ابن الجراح، روى عنه جماعة، ومات سنة ٢٧٢، قاله الطبري، ومن الزهاد أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي شيخ الصوفية ببلاد فارس وواحد الطريقة في وقته، كان من أعلم المشايخ بالعلوم الظاهرة، صحب رويما وأبا العباس بن عطاء وطاهرا المقدسي وصار من أكابرهم، توفي بشيراز سنة ٣٧١ عن نحو مائة وأربع سنين، وخرج مع جنازته المسلمون واليهود والنصارى، ومن الحفاظ أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن موسى الحافظ الشيرازي أبو بكر، روى عن أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي وأبي سهل بشر بن أحمد الأسفراييني وأبي أحمد محمد بن محمد بن إسحاق الحافظ وغيرهم من مشايخ خراسان والجبل والعراق، وكان مكثرا، روى عنه أبو طاهر بن سلمة وأبو الفضل بن غيلان وأبو بكر الزنجاني وخلق غيرهم، وكان صدوقا ثقة حافظا يحسن علم الحديث جيدا جدا، سكن همذان سنين ثم خرج منها إلى شيراز سنة ٤٠٤ وعاش بها سنين، وأخبرت أنه مات بها سنة ٤١١، وله كتاب في ألقاب الناس، قال ذلك شيرويه، وأحمد بن منصور بن محمد بن عباس الشيرازي الحافظ من الرحالين المكثرين، قال الحاكم: كان صوفيا رحالا في طلب الحديث من المكثرين من السماع والجمع، ورد علينا نيسابور سنة ٣٣٨ وأقام عندنا سنين، وكنت أرى معه مصنفات كثيرة في الشيوخ والأبواب، رأيت به الثوري وشعبة في ذلك الوقت، ورحل إلى العراق

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ١٦٥/٣

والشام وانصرف إلى بلده شيراز وصار في القبول عندهم بحيث يضرب به المثل، ومات بها في شعبان سنة ٣٨٢.

شيرجان:

بالكسر، وبعد الراء جيم، وآخره نون:

وما أظنها إلا سيرجان قصبة كرمان، فإن كانت غيرها فقد أبهم علي أمرها: قال العمراني: شيرجان موضع، ولم يزد، والشير في اللغة الفارسية بمعنيين:

يكون اللبن الحليب ويكون الأسد.

شير:

بكسر أوله، وسكون ثانيه، وراء مهملة، وهي لفظة مشتركة في كلام الفرس، يسمون الأسد شير ويسمون الحليب شير، وهي المذكورة بعدها.." (١)

"سقيا لصنعاء! لا أرى بلدا ... أوطنه الموطنون يشبهها

خفضا ولينا، ولا كبهجتها، ... أرغد أرض عيشا وأرفهها

يعرف صنعاء من أقام بها ... أعذى بلاد عذا وأنزهها

ما أنس لا أنس ما فجعت به ... يوما بنا إبلها تجهجهها

فصاح بالبين ساجع لغب، ... وجاهرت بالشمات أمهها

ضعضع ركني فراق ناعمة ... في ناعمات تصان أوجهها

كأنها فضة مموهة ... أحسن تمويهها مموهها

نفس بين الأحباب والهة، ... وشحط ألافها يولهها

نفى عزائي وهاج لي حزني، ... والنفس طوع الهوى ينفهها

كم دون صنعاء سملقا جددا ... ينبو بمن رامها معوهها

أرض بها العين والظباء معا ... فوضى مطافيلها وولهها

كيف بها، كيف وهي نازحة، ... مشبه تيهها ومهمهها

وبنى أبرهة بصنعاء القليس وأخذ الناس بالحج إليه وبناه بناء عجيبا، وقد ذكر في موضعه، وقدم يزيد ابن عمرو بن الصعق صنعاء ورأى أهلها وما فيها من العجائب، فلما انصرف قيل له: كيف رأيت صنعاء؟ فقال:

ومن ير صنعاء الجنود وأهلها، ... وجنود حمير قاطنين وحميرا

يعلم بأن العيش قسم بينهم، ... حلبوا الصفاء فأنهلوا ما كدرا

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٣٨١/٣

ويرى مقامات عليها بهجة ... يأرجن هنديا ومسكا أذفرا

ويروى عن مكحول أنه قال: أربع من مدن الجنة:

مكة والمدينة وإيلياء ودمشق، وأربع من مدن النار:

أنطاكية والطوانة وقسطنطينية وصنعاء، وقال أبو عبيد: وكان زياد بن منقذ العدوي نزل صنعاء فاستوبأها وكان منزله بنجد في وادي أشي فقال يتشوق بلاده:

لا حبذا أنت يا صنعاء من بلد، ... ولا شعوب هوى مني ولا نقم

وحبذا حين تمسي الريح باردة ... وادي أشي وفتيان به هضم

مخدمون كرام في مجالسهم، ... وفي الرحال إذا صحبتهم خدم

الواسعون إذا ما جر غيرهم ... على العشيرة، والكافون ما جرموا

ليست عليهم إذا يغدون أردية ... إلا جياد قسي النبع واللجم

لم ألق بعدهم قوما فأخبرهم ... إلا يزيدهم حبا إلي هم

يا ليت شعري عن جنبي مكشحة ... وحيث تبنى من الحناءة الأطم

عن الأشاءة هل زالت مخارمها، ... وهل تغير من آرامها إرم؟." (١)

"جوالقات ويحمل فإن أخذته على عقبة من تلك العقاب مسماة معروفة نخر وتهافت وتكلس جسمه فصار ذريرة وسمي قمحة، وإن أسلك به على غير تلك العقبة لم يزل على حاله قصبا صلبا وأنابيب وكعابا صلبة لا ينتفع به ولا يصلح إلا للوقود، وهذا من العجائب الفردة، وقال ابن الفقيه: يوجد على حافات نهر نهاوند طين أسود للختم وهو أجود ما يكون من الطين وأشده سوادا وتعلكا، يزعم أهل الناحية أن السراطين تخرجه من جوف النهر وتلقيه إلى حافاته، ويقولون إنهم لو حفروا في قرار النهر ما حفروا أو في جوانبه ما وجدوا إلا ما تخرجه السراطين، قال: وحدثني رجل من أهل الأدب قال: رأيت بنهاوند فتى من الكتاب وهو كالساهي فقلت له: ما حالك؟ فقال:

يا طول ليلي بنهاوند ... مفكرا في البث والوجد

فمرة آخذ من منية ... لا تجلب الخير ولا تجدي

ومرة أشدو بصوت إذا ... غنيته صدع لي كبدي

قد جالت الأيام بي جولة ... فصرت منها ببروجرد

كأنني في خانها مصحف ... مستوحش في يد مرتد

الحمد لله على كل ما ... قدر من قبل ومن بعد

وبين همذان ونهاوند أربعة عشر فرسخا، من همذان إلى روذراور سبعة فراسخ، وجمع الفرس جموعها بنهاوند قيل مائة وخمسون ألف فارس وقدم عليهم الفيروزان وبلغ ذلك المسلمين فأنفذ عمر عليهم الجيوش وعليهم النعمان بن مقرن فواقعهم فقتل

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٤٢٧/٣

أول قتيل فأخذ حذيفة بن اليمان رايته وصار الفتح، وذلك أول سنة ١٩ لسبع سنين من خلافة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وقيل: كانت سنة ٢٠، والأول أثبت، فلم يقم للفرس بعد هذه الوقعة قائم فسماها المسلمون فتح الفتوح، فقال القعقاع بن عمرو المخزومي:

رمى الله من ذم العشيرة سادرا ... بداهية تبيض منها المقادم

فدع عنك لومي لا تلمني فإنني ... أحوط حريمي والعدو الموائم

فنحن وردنا في نهاوند موردا ... صدرنا به، والجمع حران واجم

وقال أيضا:

وسائل نهاوندا بنا كيف وقعنا ... وقد أثخنتها في الحروب النوائب

وقال أيضا:

ونحن حبسنا في نهاوند خيلنا ... لشد ليال أنتجت للأعاجم

فنحن لهم بينا وعصل سجلها ... غداة نهاوند لإحدى العظائم [١]

ملأنا شعابا في نهاوند منهم ... رجالا وخيلا أضرمت بالضرائم

وراكضهن الفيرزان على الصفا ... فلم ينجه منا انفساح المخارم

نهبان:

بالفتح، فعلان من النهب، قال عرام: نهبان يقابلان القدسين وهما جبلان بتهامة يقال لهما نهب الأسفل ونهب الأعلى وهما لمزينة وبني ليث فيهما شقص ونباتهما العرعر والأثرار، وهو شجر يتخذ منه القطران كما يتخذ من العرعر وبه قرظ، وهما جبلان

---

[١] الشطر الأول غامض المعنى ولعل فيه تحريفا.." (١)

"تقدم، وضوعف المأخوذ بسبب خط بعض من مات، فإنه أضاف الكلفة إلى المأخوذ ولم يفردها، فأفردوا كلفة ثانة، على كل خمسة أشرفية أشرفي، ومن أمر الرمية على أهل محلة مصلى العيدين، لكونه رجل من الزعر ضرب رجلا شريرا، يعرف بخدا الفيلة اللبان....

... إلى نائب الشام، فربما ينعم عليه بها أيضا، فدخل معهم في اليوم لمذكور في أبهة حافلة، ولم تخرج الناس والصبيان في هذا اليوم، خوفا من المناداة التي أمر النائب بها؛ ونزل الباش بقصر السلطان الملك الظاهر بالمرجة.

وفي عشية اليوم المذكور ضرب النائب مهمندار، الذي كان حبسه عقيب خلعة أتت على يديه من مصر، ضربا مبرحا، قيل اتهم بشيء من الأشياء المضرة نقلت إليه عنه؛ ثم أمر بقلبه فصلب وقت الغروب، وله حريم وأولاد صغار، ولكن قيل عنه

---

(١) معجم البلدان الحموي، ياقوت ٣١٤/٥

إنه جريء، قليل الحساب للعواقب.

وفي يوم الأحد مستهل ذي الحجة منها، أخبر الموقع جمال الدين بن كريم الدين، أن سامري النائب أخبره، أن النائب قصروه نفقته كل يوم ألف دينار، ومن الشعير ثلاثون غرارة، ومن اللحم عشرون قنطارا، ومن الدجاج عدة مائة، ومن الأوز عشرون، ومن الخرفان الهميس عشره، وأنه على كرم كثير.

وفي يوم الاثنين ثانيه أوكب النائب في الميدان الأخضر، ومعه الباش بعسكره المصري على العادة؛ ثم أتوا إلى المقعد الجديد بالاصطبل وحضر القضاة، وأحضر كتابا، وأظهر أنه من السلطان الملك الأشرف قانصوه خمسائة، وأنه حي باق، ونودي له بالسلطنة، وفرح الحاضرون وتخلقوا، ودقت البشائر لذلك، وسيأتي أن السلطان جان بلاط تسلطن بمصر في هذا اليوم، وربما يكون في هذه الساعة، وهو **من العجائب**؛ وخلع النائب قصروه في هذه الساعة على قانصوه اليحياوي نائب صفد، وعلى خير بك بنيابة غزة.

وفي يوم الجمعة سادسه حضر النائب خطبة الجمعة، وقد أخليت له المقصورة، وعين في الخطبة مولانا السلطان الملك الأشرف، يعني قانصوه خمسمائة، والنائب يسمع، فلما فرغ من الصلاة، بلغني أن بعض المماليك المصرية هدد الخطيب، وقال له: أنت شيخ يقتدى بك في الدين، وتقلد في الكذب.

ثم عقيب الصلاة بعد وصول النائب منزله، شاع بدمشق أنه." (١)

"وظيفة عداد الغنم، ووظيفة النظر على وقف الملك الأشرف قايتباي بالشام، فهن أربع وظائف؛ ثم في آخر النهار المذكور نودي بأن وظيفة نظر الجيش لمحب الدين الأسلمي، لا للأمير يلباي المذكور، وهذا **من العجائب**.

وفي يوم الأحد ثالث عشريه اشتهر بدمشق وفاة نور الدين بن الصابوني، ناظر الخواص الشريفة بمصر، في أوائل رمضان، وأنه تولى مكانه فيها علاء الدين ابن الإمام، وأن السلطان عزل صلاح الدين بن الجعيان من كتابة السر التي وليها قريبا عن ابن مزهر زين الدين، وتولاها ابن أجا الحنفي الحلبي؛ وأن وظيفة كتابة الخزانة الشريفة، التي هي من قديم مع بيت الجيعان إلى الآن، عزل عنها صلاح الدين المذكور، وتولاها أبو المنصور ديوان آقبردي كان، ثم ديوان هذا السلطان.

وأن ابن يوسف قاضي المالكية بدمشق، الذي كان قد عزل عنها في خامس عشري رجب منها، بشمس الدين الطولقي، قد أعيد إليها، وعزل الطولقي منها، وذلك في تاسع عشر رمضان، وأنه لم يعط للسلطان شيئا غير قراءة الفاتحة على قاعدة قراء المغاربة، وأن السلطان قال لكاتب السر: ونختصر الفاتحة أيضا، وأنه أرسل ليستناب في الحكم عنه الشهاب الطرابلسي، وأنه تصالح مع شيخ المالكية عبد النبي، الذي كان سافر للشكوى عليه.

وفي يوم الاثنين ثامن شوال منها، دخل من مصر إلى دمشق الأمير يلباي الأينالي المؤيدي، بالأربعة وظائف المتقدم ذكرها، وتلقاه النائب وأرباب الدولة على العادة.

وفي صبحة يوم الجمعة ثاني عشره، وهو آخر نيسان، دخل جماعة من مصر بغتة، بسرعة إلى دمشق، وصحبتهم مملوك

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/١٨٥

بمراسيم شريفة، ومطالعات بالأخبار، بأن السلطان العادل حوصر يوم سابع عشري رمضان، ثم طلع الأمير الدوادار الكبير قانصوه الغوري، وأن العادل فقد، وأنه يوم العيد بويع بالسلطنة بعده لفقده، وأنه لقب بالسلطان الملك الأشرف.
وصحبتهم أيضا مرسومان شريفان، أحدهما لأهل القلعة بالحرص عليها، وتحصينها، وإطلاق الأمراء المقبوض عليهم بها، وأن يستمروا بدمشق حتى يرد عليهم ما يعتمدونه؛ والمرسوم الثاني لملك الأمراء دولتباي، ففي الحال أظهر الذلة، ولا قوة إلا بالله، وطلبوا منه." (١)

"القبيبات ولد قط ذكر من دبره ثلاثة أولاد على شبهه وقط، في بيت أحمد بن أبي مهدي الدلال في الأطلس، بسوق الدراع، وأن شاهد ذلك نحو الخميس إنسانا، واستمروا ساعة في الحياة، ثم ماتوا، وهذا **من العجائب**.
وفي يوم الاثنين تاسع جمادى الآخرة منها، نودي بدمشق، بأمر النائب والقاضي الرومي، بأن يجتمع القضاة والعلماء والصلحاء غدا، بكرة الثلاثاء، تحت قبة نسر الجامع الأموي، فظن العوام سوءا في سبب الاجتماع، ففي البكرة المذكورة حضر القضاة الثمانية المنفصلون والمتجددون وغيرهم إلى الجامع المذكور، وجلسوا تجاه محراب الحنفية، خلا هؤلاء القضاة، فجلسوا تجاه المقصورة، وفرقت ربعة الجامع عليهم، فقرأوا فيها ساعة، ثم تفرقوا، ولم يحضر زين العابدين القاضي الرومي، ولا شهاب الدين بن يخشى النائب، بل ولا أحد من الأروام.
وأما الذين جلسوا تجاه محارب الحنفية، فصعد على الكرسي هناك الشيخ بركات بن الكيال الواعظ، وعمل مجلس وعظ فيما يتعلق بالعدد، استطرادا علىالكلام على قوله تعالى: " وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ".
ثم أخبر ثلاثة أنفس وهم: الطحينة المؤقت، ومحمد الطواقي، ومحمد المدني، أنهم رأوا النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، وأمرهم أن يذهبوا إلى بركات المذكور، ويأمروه بجمع الناس وأن يقرأوا ويدعوا للسلطان المظفر سليم خان بن عثمان، ثم يتوجهوا بعد ذلك إلى عند الشيخ محمد بن عراق بالصالحية، ويقرأوا أيضا ويدعوا للسلطان المذكور.
فتوجه بركات المذكور إلى الصالحية، فلم يجد ابن عراق فيها، فأرسل إليه إلى قرية برزة، وكان قد قطن بها قريبا، فلم يأت: وغلب على رأي العقلاء أن هذه الرؤيا مصطنعة من ابن الكيال، وأنه بذل للرائين دراهم في مقابلة ذلك.
وفي يوم الجمعة ثالث عشره، وهو ثالث تموز، عقب صلاتها بالجامع الأموي، صلي غائبة على محدث مكة ومؤرخها الأصيل، عز الدين عبد العزيز بن فهد، والد أخينا المحب أبي الفضل محمد المدعو جار الله، الذي سافر من دمشق يوم السبت سابعه، لما سمع بوفاة." (٢)

"حتى إذا استرفع ما لديه. قلت له: أطرفنا بغريبة من غرائب أسمارك. أو عجيبة من عجائب أسفارك. فقال: لقد بلوت **من العجائب** ما لم يره الراؤون. ولا رواه الراوون. وإن من أعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم. ومصيري الى بابكم. فاستخبرناه عن طرفة مرآه. في مسرح مسراه. فقال: إن مرامي الغربة. لفظتني الى هذه التربة. وأنا ذو مجاعة وبوسى. وجراب

---

(١) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/١٩٢

(٢) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ابن طولون ص/٣٦٥

كفؤاد أم موسى. فنهضت حين سجا الدجى. على ما بي من الوجى. لأرتاد مضيفا. أو أقتاد رغيفا. فساقني حادي السغب. والقضاء المكنى أبا العجب. الى أن وقفت على باب دار. فقلت على بدار:." (١)

"المدرسة الظاهرية الجوانية

داخل بابي الفرج والفراديس بينهما جوار الجامع وشمالي باب البريد وقبلي الاقباليتين والجاروخية وشرقي العادلية الكبرى باباهما متواجهان يفصل بينهما الطريق كانت دارا للعقيقي فاشتراها من تركته أيوب والد صلاح الدين فكانت دارة

قال ابن كثير وفي سنة ست وسبعين وستمائة شرع في بناء الدار التي تعرف بدار العقيقي تجاه العادلية لتجعل مدرسة وتربة للملك الظاهر ولم تكن من قبل إلا دارا للعقيقي وهي المجاورة لحمام العقيقي وأسس أساس التربة في خامس جمادى الآخرة وأسست المدرسة أيضا وجعلت على الحنفية والشافعية

وفي كلام ابن شهبة ما يشير إلى أن الملك الظاهر بيبرس هو الذي أنشأها وجعلها دار حديث ومدرسة وهو مخالف لما ذكره في آخر كلامه فانه قال أن هذه المدرسة إنشاء الملك السعيد ابن الملك الظاهر أنشأها بعد موت أبيه بيبرس بعد أن سمع خبر موت أبيه وكان قد تقدم موته وبقي مدة بقلعه دمشق إلى أن حضر السعيد إلى دمشق فاشترى دار العقيقي ثم انشأ التربة فبين أول كلامه وآخره مخالفة والذي يظهر أن الباني لها السعيد لا أبوه وكان بناؤها سنة تسعين وستمائة وقد درس بها جماعة من الفضلاء منهم اليونيني وأبو حفص عمر الفارقي الدمشقي وعلاء الدين ابن بنت الاعز ثم الصفي الهندي ثم ابن الزملكاني ثم الجمال القلانسي ثم ابن قاضي الزبداني ثم محمد بن الشهيد ثم أفاضل يطول تعدادهم

أقول أن هذه المدرسة باقية إلى الآن وهي مشهورة معروفة وبابها بناؤه **من العجائب** يدخل منه إلى ساحتها فيكون عن يمين الداخل التربة الظاهرية وهي في قبة شاهقة في الهواء وجدرانها من الرخام الأبيض والأسود مزخرفة بالفسيفساء وفي سنة ست وعشرين وثلاثمائة وألف غيرت بلاطتها وبركتها الكبيرة وأبدل ذلك بطراز لطيف وبالجملة فلم يبق في داخلها من البناء الأول إلا الجهة القبلية وأما الباقي فقد غير وجعل مدرسة لصغار الطلبة سميت باسم نموذج الترقي وفي سنة ست وتسعين ومائتين وألف كان المرحوم مدحت باشا واليا على سورية فاهتم بإنشاء المكاتب ثم علم أن دمشق كان بها ما لا يعد من خزائن الكتب الموقوفة على المشتغلين بالعلم فمدت إليها أيدي المختلسين بالنهب والبيع حتى لم يبق مها إلا النذر القليل فخاف على." (٢)

"ولو وجد هذا الحكيم أرسطو في شعر اليونانيين ما يوجد في شعر العرب من كثرة الحكم والأمثال، والاستدلالات واختلاف ضروب الإبداع في فنون الكلام لفظا ومعنى، وتبحرهم في أصناف المعاني وحسن تصرفهم في وضعها ووضع الألفاظ بإزائها، وفي إحكام مبانيها واقتراناتها ولطف التفاتاتهم وتتميماتهم واستطراداتهم، وحسن مآخذهم ومنازعهم وتلاعبهم بالأقاويل المخيلة كيف شاؤا، لزاد على ما وضع من القوانين الشعرية.

---

(١) مقامات الحريري الحريري ص/٥١

(٢) منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ابن بدران ص/١١٩

فإن أبا علي بن سينا قد قال عند فراغه من تلخيص كتابه في الشعر: "هذا هو تلخيص القدر وجد في هذه البلاد من كتاب الشعر للمعلم الأول. وقد بقي منه شطر صالح ولا يبعد أن نجتهد نحن فنبتدع في علم الشعر المطلق وفي علم الشعر، بحسب عادة هذا الزمان، كلاما شديد التحصيل والتفصيل. وأما ها هنا فلنقتصر على هذا المبلغ". انتهى كلام ابن سينا. وفي كلامه إشارة إلى تفخيم علم الشعر، وما أبدت فيه العرب **من العجائب،** وإلى كثرة تفاصيل الكلام في ألفاظه ومعانيه ونظمه وأساليبه، واتساع مجال القول في ذلك.

١٥- إضاءة: وقد ذكرت في هذا الكتاب من تفاصيل هذه الصنعة ما أرجو أنه من جملة ما أشار إليه أبو علي ابن سينا. وقد تركت من ذلك أشياء لم يمكني الكلام فيها لكون بعض أغراض النفس تحث على الانحفار في التأليف وتعجيل الإتمام له، ولأن استقصاء القول في هذه الصناعة محوج إلى إطالة تتخون أزمنة الناظر وتعوقه عما يجب أن يترقى إليه من هذه الصناعة من العلوم النافعة. فإن النظر في أسرار هذه الصناعة مفتاح للنظر في تلك ومرقاة لها. وإنما يجب أن يقتصر في التأليف من هذه الصناعة على ظواهرها ومتوسطاتها، ويمسك عن كثير من خفاياها ودقائقها لأن مرام استقصائها عسير جدا، مضطر إلى الإطالة الكثيرة، ولأن هذه القوانين الظاهرة والمتوسطة أيضا من فهمها وأحكم تصورها وعرفها حق معرفتها أمكنه أن يصير منها إلى خفايا هذه الصنعة ودقائقها، ويعلم كيف الحكم فيما تشعب من فروعها، فيحصل له جميع الصنعة أو أكثرها بطريق مختصر. والله ولي الإرشاد لمن استرشده.

١٦- تنوير: وإنما صح أن تقع الأقاويل الصادقة في الشعر، ولم تصح أن تقع في الخطابة ما لم يعدل بها عن الإقناع إلى التصديق، لأن ما تتقوم به صنعة الخطابة، وهو الإقناع، مناقض للأقاويل الصادقة، إذ الإقناع بعيد من التصديق في الرتبة. والشعر لا يناقض اليقين ما يتقوم به وهو التخييل، فقد يخيل الشيء ويمثل على حقيقته. فلذلك وجب أن يكون في الكلام المخيل صدق وغير صدق. ولا يكون في الكلام المقنع ما لم يعدل به إلى التصديق إلا الظن الغالب خاصة، والظن مناف لليقين.

فالشعر إذن قد تكون مقدماته يقينية ومشهورة ومظنونة. ويفارق البرهان والجدل والخطابة بما فيه من التخييل والمحاكاة، ويختص بالمقدمات المموهة الكذب. فيكون شعرا أيضا ما هذه صفته باعتبار ما فيه من المحاكاة والتخييل، لا من جهة ما هو كاذب، كما لم يكن شعرا من جهة ما هو صدق، بل بما كان فيه أيضا من التخييل. فلاختصاص الشعر باستعمال المحاكاة في المقدمات الكاذبة ما يقصر على النسبة إليه كل كلام مخيل مقدماته كاذبة، فيقال: كلام شعري إذ هو المختص باستعمال المقدمات الكاذبة من حيث يخيل فيها أو بها لا من حيث هي كاذبة. وإن شارك جميع الصنائع في ما اختصت به، وكان له أن يخيل في جميع ذلك، فالتخييل هو المعتبر في صناعته، لا كون الأقاويل صادقة أو كاذبة.

ب- معرف دال على المعرفة بماهية الشعر وحقيقته.

الشعر كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب على النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، بما يتضمن من حسن تخييل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيأة تأليف الكلام،

أو قوة صدقه أو قوة شهرته، أو بمجوع ذلك. وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من إغراب. فإن الاستغراب والتعجب حركة للنفس إذا اقترنت بحركتها الخيالية قوي انفعالها وتأثرها.." (١)

"لقد كنت مأمولا ترجى لمثلها ... فكيف وطوعا أمرك النهي والأمر

وما بي إلى الإلحاح والحرص حاجة ... وقد عرف المبتاع وانفصل السعر

وإني بآمالي لديك مخيم ... وكم في الورى ثاو وآماله سفر

وعندك ما أبغي بقولي تصنعا ... بأيسر ما توليه يستعبد الحر

فلما فرغ من انشادها، قال الامير نصر: والله لو قال عوض قوله: سيخلفها سيضعفها نصر لأضعفتها له، وأعطاه ألف دينار في طبق فضة، وكان الامير نصر سخيا، واسع العطاء. ومن محاسن شعر ابن حيوس القصيدة اللمية التي مدح بها أبا الفضل سابق ابن محمود هو أخو الامير نصر المذكور فمن مديحها قوله:

طالما قلت للمسائل عنكم ... واعتمادي هداية الضلال

أن ترد علم حالهم عن يقين ... فالقهم في مكارم أو نزال

تلق بيض الوجوه سود مثار ... النقع خضر الأكف حمر النصال

قال ابن خالكان: ما احسن هذا التقسيم الذي اتفق له، وقد الم فيها بقول أبي سعيد الرستمي من جملة قصيدة يمدح بها الصاحب بن عباد، وهي من فاخر الشعر وذلك قوله:

من النفر العالين في السلم والوغى ... وأهل المعالي والعوالي وآلها

إذا نزلوا اخضر الثرى من نزولهم ... وان نازلوا احمر القنا من نزالها

ثم قال: هذا والله الشعهر الخالص الذي لا يشوبه من الحشو: وكان ابن حيوس المذكور قد أثرى، وحصلت له نعمة ضخمة من بني مرداس، فبنى دارا بمدينة حلب، وكتب على بابها من شعره:

دار بنيناها وعشنا بها ... في نعمة من آل مرداس

قوم نفوا بؤسي ولم يتركوا ... علي للأيام من باس

قل لبني الدنيا إلا هكذا ... فليصنع الناس مع الناسس

ومن غرر قصائده السائرة قوله:

هو هو ذاك ربع المالكية فاربع ... واسأل مصيفا عافيا عن مربع

واستسق للدمن الخوالي بالحمى ... غر السحائب واعتذر من أدمعي

فلقد فنين أمام دان هاجر ... في قربه ووراء ناء مزمع

لو يخبر الركبان عني حدثوا ... عن مقلة عبرى وقلب نوجع

ردي لنا زمن الكثيب فإنه ... زمن متى يرجع وصالك يرجع

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء القرطاجني ص/٢١

لو كنت عالمة بأدنى لوعتي ... لرددت أقصى نيلك المسترجع

بل لو قنعت من الغرام بمظهر ... عن مضمر بين الحشا والأضلع

أعتبت اثر تعتب ووصلت غب ... تجنب وبذلت بعد تمنع

لو إنني أنصفت نفسي صنتها ... عن أن أكون كطالب لم ينجع

ومنها:

اني دعوت ندى الكرام فلم يجب ... فلأ شكرن ندى أجاب وما دعي

ومن العجائب والعجائب جمة ... شكر بطيء عن ندى متسرع

ومن شعره أيضا:

قفوا في الفلا حيث انتهيتم تذمما ... ولا تفتقوا من جار لما تحكما

أرى كل معوج المودة يصطفى ... لديكم ويلقى حتفه من تقوما

فإن كنتم لم تعدلوا إذا حكمتم ... فلا تعدلوا عن مذهب قد تقدما

حنى الناس من قبل القسي لتقتني ... وثقف منآد القنا ليقوما

وما ظلم الشيب الملم بلمتي ... وان بزني حظي من الظلم واللمى

ومحبوبة عزت وعز نظيرها ... وان أشبهت في الحسن والعفة الدمى

أعنف فيها صبوة قط ما ارعوت ... واسأل عنها معلما ما تكلما

سلي عنه تخبر عن يقين دموعه ... ولا تسألي عن قلبه اين يمما

فقد كان لي عونا على الصبر برهة ... ففارقني أيام فارقتم الحمى

فراق قضى أن لا تأسي بعد أن ... مضى منجدا صبري وأوغلت متهما

وفجعة بين مثل مصرع ملك ... ويقبح بي أن لا أكون متمما

خليلي أن لم تسعداني على الأسى ... فما أنتما مني ولا أنا منكما

وحسنتما لي سلوة وتناسيا ... ولم تذكرا كيف السبيل إليهما

سقى الله أيام الصبا كل هاطل ... ملث إذا ما الغيث أنجم أنجما

وعيشا سرقناه برغم رقيبنا ... وقد مل من طول السهاد فهوما

وكانت ولادته سنة ٣٩٤ ووفاته سنة ٤٧٣ بحلب رحمه الله تعالى: تم الاختيار من شعر ابن حيوس وأخباره، ويليه الاختيار من شعر ابن بختيار وأخباره.

شعر

ابن بختيار." (١)

"فاجمع همومك في هم تؤيده ... بالعزم إن هموم الغل شذان

واقصد بودك خلا ليس من ضلع ... عوجاء فيها بوشك الزيغ إيذان

ومن قوله:

لا تكثرن ملامة العشاق ... فكفاهم بالوجد والأشواق

إن البلاء يطاق غير مضاعف ... فإذا تضاعف كان غير مطاق

أتلومهم للنفع أم لتزيدهم ... باللوم إقلاقا على إقلاق

ما للذي أضحى يلوم أخا هوى ... أمسى صريع مواقع الأحداق

أنى يعنف كل معنوف به ... يثني يديه على حشا خفاق

تهدي الحمامة والغراب لقلبه ... شجوا بساق تارة وبغاق

ويشوقه برق السحاب وإنما ... يعني ببرق المبسم البراق

متصعدا زفراته متحدرا ... عبراته أبدا قريح مآقي

لم يسق فوه من الثغور شفاءه ... فلوجنتيه من المدامع ساق

يبكي الشجي بدمعة مهراقة ... بل بالدماء على دم مهراق

تضحي أحبته تولى سفحه ... عند الفراق وعند كل تلاق

يجزونه طول الجفاء بأنه ... لم يخل من شغف مدر فراق

شهد الوفاء وكل شيء صادق ... إن الجزاء هناك غير وفاق

أصغت إلى العشاق أذني مرة ... ومن الجميل تعاطف العشاق

فشكى الشجي من الخلي ملامة ... وشكى الوفي تلون الذواق

فدع المحب من الملامة إنها ... بئس الدواء لموجع مقلاق

لا تطفئن جوى بلوم إنه ... كالريح تغري النار بالإحراق

وأرى رقى العذال غير نوافع ... لا سيما لمتيم مشتاق

ما للمحب إذا تفاقم داؤه ... غير الحبيب يزوره من راق

أخذ الإله لنا بثأر قلوبنا ... من مفعمات للبريز رشاق

رقت مياه وجوههن لناظر ... وقلوبهن عليه غير رقاق

يهززن أغصان تباعد بالجنى ... وتروق بالأثمار والإيراق

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/١٣٣

ومن البلية منظر ذو فتنة ... نائي المنافع شاغف الأنياق

ومن العجائب إن سمحنا للهوى ... بدمائنا وبخلنا بالأرياق

مزن يمطن الري عن أفواهنا ... ويجدن للأبصار بالإبراق

صيد حرمناه على إغراقنا ... في النزع والحرمان في الإغراق

ومن قوله في شكوى الحال والزمان، واستعطاف بعض الإخوان:

دع اللوم إن اللوم عون النوائب ... ولا تتجاوز فيه حد المتاعب

فما كل من حط الرحال بمخفق ... ولا كل من شد الرحال بكاسب

وفي الشعر كيس والنفوس نفائس ... وليس بكيس بيعها بالرغائب

وما زال مأمول البقاء مفضلا ... على الملك والأرباح دون الحرائب

حضضت على حطبي لناري فلا تدع ... لك الخير تحذيري شرور المحاطب

وأنكرت إشفاقي وليس بمانعي ... ظلابي أن أبقى طلاب المكاسب

ومن يلق ما لاقيت في كل مجتنى ... من الشوك يزهد في الثمار الأطايب

أذاقتني الأسفار ما كره الغنى ... إلي وأغراني برفض المطالب

فأصبحت في أزهد زاهد ... وإن كنت في الإثراء أرغب راغب

حريصا جبانا أشتهي ثم أنتهي ... بلحظي جناب الرزق لحظ المراقب

ومن راح ذا حرص وجبن فإنه ... يرى المدح عارا قبل بذل المثاوب

تنازعني رغب ورهب كلاهما ... قوي وأعيان اطلاع المغايب

فقدمت رجلا رغبة في رغيبة ... وأخرت رجلا رهبة للمعاطب

أخاف على نفسي وأرجو مفازها ... وأستار غيب الله دون العواقب

ألا من يريني غايتي قبل مذهبي ... ومن أين والغايات بعد المذاهب

ومن نكبة لاقيتها بعد نكبة ... رهبت اعتساف الأرض ذات المناكب

وصبري على الإقتار أيسر محملا ... علي من التغرير بعد التجارب

لقيت من البر التباريح بعدما ... لقيت من الحر بعد التجارب

سقيت على ري به مطرة ... شغفت لبغضيها بحب المجادب

ولم أسقها بل سقاها لمكيدتي ... تحامق دهر جد بي كالملاعب

إلى الله أشكو سخف دهري فإنه ... يعابثني مذ كنت غير مطايبي

أبى أن يغيث الأرض حتى إذا ارتمت ... برحيلي أتاها بالغيوث السواكب

سقى الأرض من أجلي فأضحت مزلة ... تمايل صاحيها تمايل شارب

لتعويق سيري أو حوض مطيتي ... وإخصاب مزرو عن المجد ناكب." (١)

"من الجزائر أربع وسيأتي ذكرها فيما بعد.

وعلى كل بحر من جميع البحور التي قدمنا ذكرها بلاد وأمم سنأتي بذكرها مشروحا موضوحا بلدا بلدا وأمة أمة بعون الله سبحانه وفي هذه البحور أيضا أنواع من الحيتان والحيوانات المختلفة الصفات **ومن العجائب** ما سنأتي بأوصافه في مواضع ذكره بعون الله سبحانه.

وإذ قد فرغنا من ذكر هيئة الأرض وقسمتها بأقاليمها وذكر البحار التي وصفنا مباديها وانتهاءاتها وأحوازها وما يلي سواحلها من البلاد والأمم وذلك بالقول الوجيز فلنبدأ الآن بذكر الأقاليم السبعة وما يحتوي عليه من البلاد والأمم و**العجائب** إقليما إقليما وبلدا بلدا ونذكر ما تشتمل عليه ممالكها ونأتي بطرقاتها ومسالكها ومبلغ فراسخها وأميالها ومجاري أنهارها وعلو بحارها وسلوك قفارها كل ذلك مشروحا موضوحا باستقصاء من القول مع الايجاز بغاية الجهد ومبلغ الطاقة وبالله التوفيق ومنه العون وله القوة والحول.

ولما أردنا رسم هذه المدن في الأقاليم ومسالكها وما تحتوي عليه أممها قسمنا طول كل إقليم منها على عشرة أقسام أجزاء مقدرة من الطول والعرض ورسمنا في كل واحد من هذه الأجزاء ما له من المدن والأكوار والعمارات ليرى الناظر في ذلك ما خفي عن عيانه أو لم يبلغه علمه أو لم يمكنه الوصول إليه لتعذر الطرقات واختلاف الأمم فيصح له الخبر بالعيان ومبلغ أعداد هذه المصورات الآتية بعد هذا سبعون مصورة غير النهايتين اللتين إحداهما نهاية المعمور في جهة الجنوب وأكثرها خلاء لشدة الحر وقلة المياه والنهاية الثانية نهاية المعمور في جهة الشمال وأكثرها خلاء لشدة البرد وأيضا بان مع ما ذكرناه وقدمنا وصفه أن الناظر إذا نظر إلى هذه الصفات المصورة." (٢)

"الحيتان وضروب من السمك وجمل **من العجائب** يستدلون بها على السلامة أو العطب وسنذكر أكثر ذلك فيما يلي آخر هذا الجزء من الإقليم الثاني ونأتي منه بما ذكره المتجولون ونقله المسافرون واتفقت عليه أقاويل الناقلين حسب الطاقة ومبلغ الجهد بحول الله سبحانه وعونه وتأييده.

نجز الجزء التاسع من الإقليم الأول والحمد لله ويتلوه الجزء العاشر منه إن شاء الله.." (٣)

"كثيرا ويصل إلى أمكنة لا يصل إليها إلا إلى مثل تلك الليالي من الشهر الآتي وهذا من آيات الله المبصرة في هذا البحر يراه أهل المغرب مشاهدة لا امتراء فيه ويسمى هذا المد فيضا.

وكل ما في بحر الهند والصين من المراكب السفرية صغارا كانت أو كبارا فإنها منشأة من الخشب المحكم نجره وقد حمل أطراف بعضه على بعض وهندم وخرز بالليف وجلفط بالدقيق وشحم البابة والبابة دابة كبيرة تكون في بحر الهند والصين منها ما

---

(١) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار عبد الرحمن بن درهم ص/١٦٧

(٢) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الإدريسي ١/١٣

(٣) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الإدريسي ١/٨٦

يكون طوله نحوا من مائة ذراع في عرض عشرين ذراعا ينبت على سنام ظهرها حجارة صدفية وربما تعرضت للمراكب فكسرتها وحكى أيضا الربانيون أنهم يرشقونها بالسهام فتتنحى عن طريقهم وذكروا أيضا أنهم يتصيدون ما صغر منها فيطبخونها في القدور فيذوب جميع لحمها ويعود شحما مذابا وهذا الدهن مشهور ببلاد اليمن في عدن وغيرها من المدن الساحلية وفي بلاد فارس وساحل عمان وبحر الهند والصين وهو عمدتهم في سد خروق المراكب بعد خرزها **ومن العجائب** التي في بحر الهند والصين مما أخبر به تجار الناحية أن في هذا البحر جبال ومضائق تجري معهما المراكب وربما تطاير من البحر إلى المراكب صبيان صغار مثل صبيان الزنج سوذ طول أحدهم نحو من أربعة أشبار يدورون في المراكب ولا يؤذون أحدا ثم يعودون إلى البحر وهذا عندهم مشهور فإذا رأى هذا أهل المراكب علموا أنها علامة لقدوم الريح التي تسمى ريح الخب وهي ريح خبيثة مخوفة فيستعدون لذلك و يأخذون أهبتهم لقدومها فيخففون الأمتعة عن المراكب ويلقون بها في البحر ويلقون." (١)

"والطيب وكليوان ونهر تيرى ومتوث وبردون وكرخة وأزم وسوق الأربعاء وحصن مهدي على البحر والباسيان وسليمانان.

و بأرض خوزستان مياه جارية وأودية غزيرة وأنهار سائلة وأكبر أنهارها نهر تستر ويسمى دجيل الأهواز وهو نهر عجيب منبعه من جبال من ناحية اللور وعليه الشاذروان الذي أمر بعمله سابور الملك وهو **من العجائب** المشهورة وذلك أنه بنى أمام تستر من الضفتين بنيانا وثيقا عاليا وأقام في صدر مجرى الماء سدا موثقا بالحجر العظيم والعمد الحجازية حتى ساواه مع ضفتي بنائه وارتدع به الماء حتى صار بإزاء تستر وذلك أن تستر في نشز من الأرض عال والماء مرتدع بين يديها ويجري هذا النهر من وراء عسكر مكرم ويمر بالأهواز حتى ينتهي إلى نهر السدرة إلى حصن مهدي ويقع هناك في البحر ويخرج من نهر تستر نهر يسمى بنهر المسرقان فيمر مغربا حتى ينتهي إلى مدينة عسكر مكرم وعليه هناك جسر كبير نحو من عشرين سفينة وتجري فيه السفن الكبار ويتصل بالأهواز وبين عسكر مكرم والأهواز ثلاثون ميلا في الماء فإذا كان الماء في المد وزيادته في أول الشهر عبر هناك بالمراكب وإن كان الجزر لم يمكن المراكب السير فيه لأن الماء به يجف ولا يبقى منه إلا عدد منقطعة عن اتصال الجري وهذا النهر لا يضيع من مائه شيء وإنما يتصرف كله في سقي الأرضين هناك تسقى به غلات القصب وضروب الحبوب والنخل والبساتين وسائر المزارع المعمورة ويجري في." (٢)

"ومراتب غير متناسبة، وشرف أدبه، في شرف طلبه.

ورجاء سيف الدولة الشرف الذي ... يتقاصر التفصيل عن تفصيله

ضمنت تأميلي نداه فرده ... جذلان من سفر الظنون بسوله

وغنيت «١» حين بلغت ورد نواله ... عن ورد ممتنع النوال بخيله

فالغيث يغبطني على إنعامه ... والدهر يحسدني على تأميله

---

(١) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ٩٤/١

(٢) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق الإدريسي ٣٩٣/١

وعلمي بأن أقرب مؤمليه- أيده الله- إليه، وأوجبهم حرمة عليه، أشدهم استزادة لنعمه، وأكثرهم تسحبا على كرمه، بعثني على التقرب إلى قلبه بالسؤال، ومناجاة كرمه بلسان الآمال. [فسألته متقربا «٢» ، وطلبته متسحبا، فإن رأى العادل إلا في ماله، والمقتصد إلا في أفضاله، سيدنا الأمير سيف الدولة أطال الله بقاءه] «٣» .

أن تعلم الأيام موضع عبده ... من عزه ومكانه من رائه

بشواهد الخلع التي يغدو بها ... متطاولا شرفا على نظرائه

فمن العجائب حبس توقيع له ... وموقع التوقيع من شفعائه

فعل إن شاء الله تعالى «٤» .." (١)

"الأسواق بتفصيل أشواق العشاق" أبوابا لكل جملة من هذه الجمل المذكورة، وأتيا بعبائر أنيقة، وأشعار لطيفة، وحكايات رشيقة، هي من عيون الأغيار مستورة، أضربت عنها مخافة الإطالة، وذكرت من أطرافها ما تتم به فائدة هذه الرسالة، يؤخذ منها التراب لطلب الدواء، والتماس الشفاء، ومن رام التفصيل، فعليه بمطالعتها المصححة لداء أهل الأهواء. وأفضل المحبين من استشهد في سبيل الله، وبذل روحه رجاء لقاء الله، ونصوص الكتاب والسنة طافحة بفضائل الشهداء، معروفة عند العلماء بالله تعالى. وأما عشاق الجواري والكواعب، وما لهم **من العجائب**، فهم جمع جم لا يحصى كثرة، ولا يستصقى وفرة. وممن اشتهرت سيرته، وظهرت في الحب سريرته، واحتفل بذكرهم الشعراء في الأشعار، وروي لهم في الكتب صحاح الأخبار وحسان الآثار، فهم: عروة بن قيس، وجميل وصاحبته بثينة، وكثير وصاحبته عزة، وقيس وصاحبته لبنى، والمجنون وصاحبته ليلى، وعروة بن جزام وصاحبته عفراء، وعبد الله بن عجلان وصاحبته هند، وذو الرمة وصاحبته مي، ومالك وصاحبته جنوب، وعبد الله بن علقمة وصاحبته حبيش، ونصيب وصاحبته زينب، والمرقش وصاحبته أسماء، وعتبة بن الحباب وصاحبته ريا، والصمة وصاحبته ريا، وكعب وصاحبته ميلاء، وكم من عاشق جهل اسمه أو اسم محبوبه أو شيء من سيرته أو مآل حقيقته. ومنهم من منعه الزهد والعبادة، من أن." (٢)

"قال صاحب التيجان: "كان قد غزا الهند قبل الرائش من ملوكهم أربعة: سبأ، وحمير، ووائل، والسكسك. وأبقوا عليهم خراجا يحملونه إلى اليمن. فلما ولي الرائش، وجاءته هدايا الهند، رأى فيها **من العجائب** واللطائف ما حمله على غزو الهند، فوصل إليها، وبنى فيها مدينة سماها: الرائش". قال: "وهي مدينة الهند العظمى التي تسميها الهند: الرائد، وبها ملكهم إلى اليوم".

"وأوقع بالسند، ودوخ أذربيجان وأرمينية، وقابلته ملوك الأرض بما يقابل به الملوك العظماء، وكتب على صخور في الأقطار ما سنح لخاطره، فكان من ذلك:

يا جازعا أرض خراسان ... ملجحا في أرض تركان

---

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة التنوخي، المحسن بن علي ٣١١/٢

(٢) نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان صديق حسن خان ص/٣٠

ومنه: إن الرائش ذا مراثد، سيد الأوابد، بلغ من الدنيا أمله، وبقي ينتظر أجله.

ثم نزل غمدان، ومات عن مائة عام وخمسة وأربعين عاما".." (١)

"معللتي بالوعد والموت دونه ... إذا مت ظمآنا فلا نزل القطر

تسائلني من أنت وهي عليمة ... وهل بفتى مثلي على حاله نكر

فقلت كما شاءت وشاء الهوى لها ... قتيلك قالت أيهم فهم كثر

وقالت لقد أزرى بك الدهر بعدنا ... فقلت معاذ الله بل أنت لا الدهر

لابن حامد الغزالي

حلت عقارب صدغه في خده ... قمرا فجل بها عن التشبيه

ولقد عهدناه يحل ببرجها ... **فمن العجائب** كيف حلت فيه

لإبراهيم النقيب

يا تاركا جسدي بغير فؤادي ... أسرفت في الهجران والإبعاد

إن كان يمنعك الزيارة أعين ... فادخل إلي بعلة العواد

إن العيون على القلوب إذا جنت ... كانت بليتها على الأجساد

لأبي تمام

أنت في حل فزدني سقما ... أفن جسمي واجعل الدمعا دما

وارض لي الموت بهجريك فإن ... ألمت نفسي فزدها ألما

محنة العاشق في ذل الهوى ... فإذا استودع سرا كتما

ليس منا من شكا علته ... من شكا ظلم حبيب ظلما

وله

يا لابسا ثوب الملاحة أبه ... فلأنت أولى لابسيه بلبسه

لم يعطك الله الذي أعطاكه ... حتى أضر ببدره وبشمسه

مولاك يا مولاي صاحب لوعة ... في يومه وصبابة في أمسه." (٢)

---

(١) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ابن سعيد المغربي ص/١١١

(٢) نفح الأزهار في منتخبات الأشعار شاكر شقير البتلوني ص/١٦

"يشهد بخبرها ورؤيتها، وهم جم غفير، وهي شجرة زيتون تصنع الورق والنور والثمر في يوم واحد معلوم عندهم من أيام السنة الشمسية.

ومن العجائب السارية التي بغرب الأندلس، ما يزعم (١) الجمهور أن أهل ذلك المكان إذا أحبوا المطر أقاموها فيمطر الله جهتهم.

ومنها صنم قادس، طول ما كان قائما كان يمنع الريح أن تهب في البحر المحيط فلا تستطيع المراكب الكبار على الجري فيه، فلما هدم في أول دولة بني عبد المؤمن صارت السفن تجري فيه.

وبكورة قبرة مغارة ذكرها الرازي وحكى أنه يقال: إنها باب من أبواب الريح لا يدرك لها قعر.

وذكر الرازي أن في جهة قلعة ورد جبلا فيه شق في صخرة داخل كهف فيه فأس حديد متعلق من الشق الذي في الصخرة، تراه العيون وتلمسه اليد، ومن رام إخراجه لم يطق ذلك، وإذا رفعته اليد ارتفع وغاب في شق الصخرة ثم يعود إلى حالته.

وأما ما أورده ابن بشكوال (٢) من الأحاديث والآثار في شأن فضل الأندلس والمغرب فقد ذكرها ابن سعيد في كتابه المغرب، ولم أذكرها أنا، والله أعلم بحقيقة أمرها، وكذلك ما ذكره ابن بشكوال من أن فتح القسطنطينية إنما يكون من قبل الأندلس، قال: وذكره (٣) سيف عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه - والله أعم بصحة ذلك - ولعل المراد بالقسطنطينية رومية، والله أعلم.

قال سيف: وذلك أن عثمان ندب جيشا من القيروان إلى الأندلس، وكتب لهم: أما بعد، فإن فتح القسطنطينية إنما يكون من قبل الأندلس، فإنكم إن

---

(١) سقطت " ما " من ك.

(٢) ما ينقله المقري عن ابن بشكوال إنما هو من كتاب له في تاريخ الأندلس لم يصلنا، وقد وردت هذه الأحاديث في مخطوطة الرباط: ١٠.

(٣) يعني الأخباري " سيف بن عمر " أحد الرواة الذين اعتمدهم الطبري.." [1]

"الهالة الهلال، وكان بقاء هذا الجبل بيد العدو نيفا وعشرين سنة، حاصره السلطان أبو الحسن ستة أشهر، وزاد في تحصينه ابنه السلطان أبو عنان، ولما أجاز السلطان أبو الحسن المذكور إلى الأندلس، واجتمع عليه ابن الأحمر، وقاتلهم الطاغية، هزمهم في وقعة طريف، واستولى على الجزيرة الخضراء، حتى قيض الله من بني الأحمر الغني بالله محمدا الذي كان لسان الدين بن الخطيب وزيره، فاسترجعها وجملة بلاد كجيان وغيرها.

وكانت له في الجهاد مواقف مشهورة، وامتد ملكه واشتد حتى محا دولة سلاطين فاس مما وراء البحر، وملك جبل الفتح، ونصر الله الإسلام على يده، كما ستقف عليه في بعض مكاتبات لسان الدين - رحمه الله - في مواضع من هذا الكتاب،

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢٠٤/١

وسعد هذا الغني بالله **من العجائب**. وبقي ملك الأندلس في عقبه إلى أن أخذ ما بقي من الأندلس العدو الكافر واستولى على حضرة الملك غرناطة أعادها الله للإسلام، كما نبين إن شاء الله، وخلت جزيرة الأندلس من أهل الإسلام، وأبدلت من النور بالظلام، حسبما اقتضته الأقدار النافذة والأحكام (١) ، والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

[شيخ الغزاة أيام بني الأحمر]

قال ابن خلدون (٢) : واتفق بنو الحمر سلاطين غرناطة أن يجعلوا مشيخة الغزاة لواحد يكون من أقارب بني مرين سلاطين المغرب، لأنهم أول من ولي الأندلس عند استيلاء بني عمهم على ملك المغرب لما بينهم من المنافسة،

---

(١) سقطت من ق ط ج.

(٢) في ق: قلت وكان بنو الأحمر (دون ذكر لابن خلدون) . وفي ج: ولقد كان بنو الأحمر ... يجعلون.." [1]

"حبذا تفاحة قد ... أشبهت أوصاف مهدي

بت منها في سرور ... فكأنما قد بت عندي وقوله من قصيدة:

هذا الذي هب الدنيا بأجمعها ... وبعد ذلك يلفى وهو يعتذر

إن هزة المدح فالأموال في بدد ... والغصن ما هز إلا بدد الثمر

[فقلت لما بدا لي حسن منظره ... لكنه زاد إشراقا: هو القمر] (١)

متع لحاظك في وجه بلا ضرر ... إن كان شمسا يداه تحتها مطر وقوله من أبيات:

لي جيرة ضنوا علي وجاروا ... فنبت بي الأوطان والأوطار

ومن العجائب أنني مع جورهم ... ما قر لي بعد الفراق قرار وقوله:

أنا شاعر أهوى التخلي دون ما ... زوج لكيما تخلص الأفكار

لو كنت ذا زوج لكنت منغصا ... في كل حين رزقها أمتار

دعني أرح طول التغرب خاطري ... حتى أعود ويستقر قرار

كم قائل لي ضاع شرخ شبابه ... ما ضيعته بطالة وعقار

إذ لم أزل في العلم أجهد دائما ... حتى تأتت هذه الأبكار

مهما أرم من دون زوج لم أكن ... كلا ورزقي دائما مدرار

وإذا خرجت لفرجة هنيتها ... لا صنعة ضاعت ولا تذكار وقوله من قصيدة:

---

(١) زيادة لم ترد في ج ق ودوزي.." [2]

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤٥٢/١

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢٦٨/٢

"سلسبيل، تنساب مذانبه انسياب الأراقم بكل سبيل، ورياض يحيي النفوس نسيمها العليل، تتبرج لناظريها بنجتلى صقيل، وتناديهم هلموا إلى معرس للحسن ومقيل، قد سئمت أرضها كثرة الما، حتى اشتاقت إلى الظما، فتكاد تناديك بها الصم الصلاب، " اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب " قد أحدقت بها البساتين إحداق الهالة بالقمر، واكتنفتها اكتناف الكمامة للزهر، وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر، فكل موقع لحظة بجهاتها الأربع نظرته اليانعة قيد النظر، ولله صدق القائلين فيها: إن كانت الجنة في الأرض فدمشق لا شك فيها، وإن كانت في السماء فهي بحيث تسامتها وتحاذيها.

قال العلامة ابن جابر الوادي آشي، بعد ذكره وصف ابن جبير لدمشق، ما نصه: ولقد أحسن فيما وصف منها وأجاد وتوق الأنفس للتطلع على صورتها بما أفاد، هذا ولم تكن له بها إقامة، فيعرب عنها بحقيقة علامة، وما وصف ذهبيات أصيلها وقد حان من الشمس غروب، ولا أزمان فصولها المتنوعات، ولا أوقات سرورها المهنئات، ولقد أنصف من قال: ألفيتها كما تصف الألسن، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، انتهى.

رجع إلى كلام ابن جبير فنقول:

ثم ذكر في وصف الجامع (١) أنه من أشهر جوامع الإسلام حسنا، وإتقان بناء، وغرابة صنعة، واحتفال تنميق وتزيين، وشهرته المتعارفة في ذلك تغني عن استغراق الوصف فيه، ومن عجيب شأنه أنه لا تنسج به العنكبوت، ولا تدخله، ولا تلم به الطير المعروفة بالخطاف. ثم مد النفس في وصفه الجامع وما به **من العجائب**، ثم قال بعد عدة أوراق ما نصه (٢) :

وعن يمين الخارج من باب

---

(١) الرحلة: ٢٦١.

(٢) الرحلة: ٢٧٠.." [1]

"حتى ترى وجه الرياض بعارض ... أحوى وفود الدوح أزهر نيرا

تلك المنازل لا ملاعب عالج ... ورمال كاظمة ولا وادي القرى

أرض إذا مرت بها ريح الصبا ... حملت على الأغصان مسكا أذفرا

فارقتها لا عن رضا وهجرتها ... لا عن قلى ورحلت لا متخيرا

أسعى لرزق في البلاد مشتت ... **ومن العجائب** (١) أن يكون مقترا [تعريف بابن عنين]

وابن عنين المذكور كان هجاء، وهو صاحب مقراض الأعراض تجاوز الله تعالى عنه، فمن ذلك قوله (٢) :

أرح من نزح ماء البئر يوما ... فقد أفضى إلى تعب وعي

مر القاضي بوضع يديه فيه ... وقد أضحى كرأس الدولعي يعني أقرع؛ وسبب قوله البيتين أن المعظم أمر بنزح ماء بقلعة

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣٨٧/٢

دمشق، فأعياهم ذلك.

ومن هجوه قوله (٣) :

شكا شعري إلي وقال تهجو ... بمثلي عرض ذا الكلب اللئيم

فقلت له تسل فرب نجم ... هوى في إثر شيطان رجيم وقال فيمن خرج حاجا فسقط عن الهجين فتخلف:

إذا ما ذم فعل النوق يوما ... فإني شاكر فعل النياق

---

(١) الديوان: مفرق، ومن البلية.

(٢) ديوانه: ٢٣٥.

(٣) وردت هذه المقطعات في ديوانه: ١٨٨، ٢٢٧، ٢١٥، ٢٣٥، ١٧٩، ٦٩.." [1]

"قال لي الفقيه أبو عبد الله محمد القسطلاني: دخلت إلى السيد أبي الربيع بقصرسجلماسة، وبين يديه أنطاع عليها رؤوس الخوارج الذين قطعوا الطريق على السفار بين سجلماسة وغانة، وهو ينكت الأرض بقضيب من الآبنوس، ويقول:

ولا غرو أن كانت رؤوس عداته ... جوابا إذا كان السيوف رسائله ومات بعد الستمائة، رحمه الله تعالى، انتهى.

وقال لما هجره أمير المؤمنين يعقوب المنصور، ووافق ذلك أن وفد على حضرة الخلافة مراكش جمع من العرب والغز (١) من بلاد المشرق، ونزلوا بتمرتانسقت ظاهر مراكش، واستأذنوا في وقت الدخول، فكتب إلى المنصور (٢) :

يا كعبة الجود التي حجت لها ... عرب الشآم وغزها والديلم

طوبى لمن أمسى يطوف بها غدا ... ويحل بالبيت الحرام ويحرم

ومن العجائب أن يفوز بنظرة ... من بالشآم ومن بمكة يحرم فعفا عنه، وأحسن إليه، وأمره بالدخول بهم، والتقدم عليهم.

وقال في " المغرب " في حق السيد أبي الربيع المذكور، ما ملخصه (٣) : لم يكن في بني عبد المؤمن مثله في هذا الشأن الذي نحن بصدده، وكان تقدم على مملكتي سجلماسة وبجاية، وكان كاتبا شاعرا أديبا ماهرا، وشعره مدون، وله ألغاز،

---

(١) الغز: فريق من الجيش الذي كان يلتف حول شرف الدين قراقوش وفيه عناصر تركية في الأغلب وردوا المغرب حوالي ٥٨٢ أو التي بعدها، فأكرمهم الخليفة الموحدي وجعل لهم جامكية شهرية لا تختل (انظر المعجب: ٣٦٥ - ٣٦٧) حين رتبهم في جيشه، وقد نوه المنصور بالغز في وصيته حين قال: " وهؤلاء الأغزاز أمرنا لهم بهذه البركة يأخذونها فاتركوها على ما رتبنا وربطنا لأن الموحدين لهم سهام يرجعون إليها وليس للأغزاز سهام " (البيان ٣: ٢٠٨ " ط. تطوان) .

(٢) لم ترد في ديوانه: ١٤٤.

(٣) لم ترد هذه الترجمة في المغرب.." [2]

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٤٠١/٢

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١٠٧/٣

"فقال ابن عمار:

هما فخارتا راح وروح ... تكسرتا فأشقاف (١) وجيفه انتهى.

٢٨ – وذكر ابن بسام ما معناه (٢) أن أبا عامر ابن شهيد حضر ليلة عند الحاجب أبي عامر المظفر ابن المنصور ابن أبي عامر بقرطبة، فقامت تسقيهم وصيفة عجيبة صغيرة الخلق (٣) ، ولم تزل تسهر في خدمتهم إلى أ، هم جند الليل بالانهزام، وأخذ في تقويض خيام الظلام، وكانت تسمى أسيماء، فعجب الحاضرون من مكابدتها السهر طول ليلتها (٤) على صغر سنها، فسأله المظفر وصفها، فصنع ارتجالا:

أفدي أسيماء من نديم ... ملازم للكؤوس راتب

قد عجبوا في السهاد منها ... وهي لعمري **من العجائب**

قالوا: تجافى الرقاد عنها ... فقلت: لا ترقد الكواكب ٢٩ – وحكى ابن بسام (٥) ما معناه أن ابن شهيد المذكور كان يوما مع جماعة من الأدباء عند القاضي ابن ذكوان، فجيء بباكورة باقلا، فقال ابن ذكوران: لا ينفرد بها إلا من وصفها، فقال ابن شهيد: أنا لها، وارتجل:

إن لآليك أحدثت صلفا ... فاتخذت من زمرد صدفا

تسكن ضراتها البحور وذي ... تسكن للحسن روضة أنفا

هامت بلحف الجبال فاتخذت ... من سندس في جنانها لحفا

---

(١) البدائع: فشقفات.

(٢) بدائع البدائه ٢: ٣٢.

(٣) البدائع: وصيفة صغيرة ظريفة الخلق.

(٤) البدائع: ليلها.

(٥) بدائع البدائه ٢: ٣٣؛ وانظر الذخيرة ٤ / ١: ٢٨.." (١)

"الوزير الصحب شمس الدين محمد الجويني حماما متقن الصنعة، حسن البناء، كثير الأضواء، قد احتفت به الأزهار والأشجار، فأدخلني إليه سائسه، وذلك بشفاعة الصاحب بهاء الدين بن الفخر عيسى المنشىء الإربلي، وكان سائس هذا الحمام خادما حبشيا كبير السن والقدر، فطاف بي عليه، وأبصرت مياهه وشبابيكه وأنابيبه المتخذ بعضها من فضة مطلية بالذهب وغير مطلية وبعضها على هيئة طائر إذا خرج منها الماء صوت بأصوات طيبة، ومنها أحواض رخام بديعة الصنعة والمياه تخرج من سائر الأنابيب إلى الأحواض ومن الأحواض إلى بركة حسنة الإتقان، ثم منها إلى البستان، ثم أراني نحو عشر خلوات، كل خلوة صنعتها أحسن من صنعة أختها، ثم انتهى بي إلى خلوة عليها باب مقفل بقفل حديد، ففتحه، ودخل بي إلى دهليز طويل كله مرخم بالرخام الأبيض الساذج، وفي صدر الدهليز خلوة مربعة تسع بالتقريب نحو أربعة أنفس إذا

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢٤٤/٣

كانوا قعودا وتسع اثنين إذا كانوا نياما، ورأيت **من العجائب** في هذه الخلوة أن حيطانها الأربعة مصقولة صقالا لا فرق بينه وبين صقال المرآة، يرى الإنسان سائر بشرته في أي حائط شاء منها، ورأيت أرضها مصورة بفصوص حمر وصفر وخضر ومذهبة وكلها متخذة من بلور مصبوغ بعضه أصفر وبعضه أحمر، فأما الأخضر فيقال إنه حجارة تأتي من الروم، وأما المذهب فزجاج ملبس بالذهب، وتلك الصورة في غاية الحسن والجمال، على هيئات مختلفة في اللون وغيره، وهي ما بين فاعل ومفعول به، إذا نظر المرء إليها تحركت شهوته، وقال لي الخادم السائس: هذا صنع على هذه الصفة لمخدومي، حتى إنه إذا نظر إلى ما يفعله هؤلاء بعضهم مع بعض من المجامعة والتقبيل ووضع أيدي بعضهم على أعجاز بعض تتحرك شهوته سريعا، فيبادر إلى مجامعة من يحبه.

قال الحاكي: وهذه الخلوة دون سائر الخلوات التي دخلت إليها هي مخصوصة بهذا الفعل، إذا أراد الملك شرف الدين هرون الاجتماع في الحمام بمن يهواه من الجواري الحسان والصور الجميلة والنساء الفائقات الحسن لم يجتمع به إلا في هذه." (١)

"١٧٢ - وقال الخطيب الأديب النحوي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الفراء - المذكور قبل هذا بقريب - الضرير، في صبي كان يقرأ عليه النحو اسمه حسن، وهو في غاية الجمال - بعد أن سأله: كيف تقول إذا تعجبت من حسنك فقال أقول: ما أحسني -:

يا حسنا مالك لم تحسن ... إلى نفوس بالهوى متعبه

رقمت بالورد وبالسسوسن ... صفحة خد بالسنا مذهبه

وقد أبى صدغك أن أجتني ... منه وقد ألدغني عقربه

يا حسنه إذ قال ما أحسني ... ويا لذاك اللفظ ما أعذبه

ففوق السهم ولم يخطني ... وإذ رآني ميتا أعجبه

وقال كم عاش وكم حبني ... وحبه إياي قد عذبه

يرحمه الله على أنني ... قتلي له لم أدر ما أوجبه وهذا ابن الفراء من فضلاء المائة السادسة، ذكره ابن غالب في " فرحة الأنفس في فضلاء العصر من الأندلس " وكان شاعرا مجيدا، يعلم بالمرية القرآن والنحو واللغة، وكانت فيه فطنة ولوذعية، وذكاء وألمعية، خرق بها العوائد.

وحكي أن قاضي المرية قبل شهادته في سطل ميزه في حمام باللمس، واختبره في ذلك بحكاية طويلة.

وذكره صفوان في " زاد المسافر " ووصفه بالخطيب.

[رسالة أبي عبد الله ابن الفراء إلى ابن تاشفين]

وجده القاضي أبو عبد الله ابن الفراء مشهور بالصلاح والفضل والزهد، **ومن العجائب** أنه ليس له ترجمة في " المغرب "،

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣/٣٤٩

ولما كتب أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين إلى أهل المرية يطلب منهم المعونة جاوبه بكتابه المشهور الذي يقول فيه: فما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخري عن ذلك، وأن." (١)

"فإذا اعتراه السهو سبح خلفه ... صوت القيان وزنة المزمار ولما بلغ الزبير عنه ذلك وغيره أمر بإحضاره، فقرعه، وقال: ما دعاك إلى هذا فقال: إني لم أر أحق بالهجو منك، ولو علمت ما أنت عليه من المخازي لهجوت نفسك إنصافا، ولم تكلها إلى أحد، فلما سمع الزبير ذلك قامت قيامته، وأمر بقتله.

وأنشد له ابن غالب في " فرحة الأنفس " قوله في حاقة خائط:

وحلقة كشعاع الشمس صافية ... لو قابلت كوكبا في الجو لالتهبا

تأنق القين في إحكام صنعتها ... حتى أفاض على أطرافها الذهبا

كأنها بيضة قد قد قونسها ... وكل جنب لها بالطعن قد ثقبا وقال فيمن يحدث نفسه بالخلافة (١) :

أمير المؤمنين، نداء شيخ ... أفادك من أماليه اللطيفه

تحفظ أن يكون الجذع يوما ... سريرا من أسرتك المنيفه

وأذكر منك مصلوبا فأبكي ... وتضحكني أمانيك السخيفه وهاجى ابن سارة، فقال فيه ابن سارة (٢) :

ومن العجائب أن يكون الأبيض ... بحماره بين السوابق يركض ٣٥٦ - وقال إمام النحاة بالأندلس أبو علي عمر الشلوبين فيمن اسمه قاسم (٣) :

---

(١) مرت الأبيات ص: ٤٦١؛ وقد سقطت من نسخة " م ".

(٢) زاد المسافر: ٦٧.

(٣) القدح: ١٥٣.." (٢)

"يكفيك أنك قد نسي ... ت ولست أنسى ذكركا

ومن العجائب أنني ... أفنى وأكتم سركا

كن كيفما تختاره ... فالحب يبسط عذركا وله:

هل عندكم علم بما فعلت بنا ... تلك الجفون الفاتكات بضعفها

نصحا لكم أن تأمنوها إنها ... سحر النهى ما تبصرون بطرفها ٣٧٣ - ولابنه أبي محمد عبد المولى، وكان ماجنا، لما نعي إليه وهو على الشراب أحد أصحابه مرتجلا:

إنما دنياك أكل ... وشراب وقحاب

ثم من بعد صراخ ... ووداع وتراب وله:

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣/٣٨٦

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٣/٤٩٠

يا نديم اشرب على أف ... ق صقيل وحديقه

واسقني ثم اسقني ث ... م اسقني خمرا وريقه

من غزال تطلع الشم ... س بخديه أنيقه

لا تفوت ساعة من ... كأس خمر وعشيقه

واجتنب ما سخرت جه ... لا له هذي الخليقه

رغبوا في باطل زو ... ر بزهد في الحقيقه

ليس إلا ما تراه ... أنا أدرى بالطريقه قال أبو عمران موسى بن سعيد: قلنا له: ما هذا الاعتقاد الفاسد الذي لا ينبغي لأحد أن يصحبك به فقال: هذا قول لا فعل، وقد قال الله تعالى:." (١)

"٦٩٣ - وقال الوزير ابن عمار، وقد كتب له أبو المطرف ابن الدباغ شافعا لغلام طر له عذار:

أتاني كتابك مستشفعا بوجه أبي الحسن من رده

ومن قبل فضي ختم الكتاب قرأت الشفاعة في خده

٦٩٤ - وقال القاضي الأديب، والفيلسوف الأريب، أبو الوليد الوقشي قاضي طليطلة (١) :

برح بي أن علوم الورى قسمان ما إن فيهما من مزيد

حقيقة يعجز تحصيلها وباطل تحصيله لا يفيد

٦٩٥ - وقال أبو عبد الله ابن الصفار وهو من بيت القضاء والعلم بقرطبة:

لا تحسب الناس سواء متى ما اشتبهوا فالناس أطوار

زانظر إلى الأحجار، في بعضها ماء، وبعض ضمنه نار

وهذا مثل قول غيره (٢) :

الناس كالأرض ومنها هم من خشن الطبع ومن لين

مرو تشكى الرجل منه الوجى وإثمد يجعل في الأعين

ومن نظم ابن الصفار المذكور:

إذا نويت انقطاعا فاعمل حساب الرجوع

٦٩٦ - وقال أبو مروان الجزيري:

ومن العجائب والعجائب جمة أن يلهج الأعمى بعيب الأعور

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٥٠٩/٣

(١) انظر ما تقدم ص: ١٣٧.

(٢) الحصري (التكملة: ٤٣٤) .." [١]

"٦٩٧ - وقال حسان بن المصيصي كاتب بن عباد ملك قلطبة:

لا تأمنن من العدو لبعده إن امرأ القيس اشتكى الطماحا

٦٩٨ - وقال الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن عربي في كتابه الإسفار عن نتائج الأسفار: أنشدني الكاتب أبو عمرو ابن مهيب بإشبيلية أبياتا عملها في حمود بن إبراهيم بن أبي بكر الهرغي، وكان أجمل أهل زمانه، رآه عندنا زائرا وقد خط عذاره، فقلت: يا أبا عمرو، ما تنظر إلى حسن هذا الوجه فعمل الأبيات في ذلك، وهي:

وقالوا العذار جناح الهوى إذا ما استوى طار عن وكره

وليس كذاك فخبرهم قياما بعذري أو عذره

إذا كمل الحسن في وجنة فخاتمه ويك من شعره

قال بعضهم: رأيت آخر الكتاب المذكور بعد فراغه شعرا نسبه إليه، وهو:

يا جاضرا بجماله في خاطري ومحجبا بجلاله عن ناظري

إن غبت عن عيني فإنك نورها وضمير سرك سائر في سائري

ومن العجائب أنني أبدا إلى رؤياك ذو شوق مديد وافر

وع أنني ما كنت قط بمجلس إلا وكنت كنادمي ومسامري

٦٩٩ - وأنشد في الإحاطة لعبد الله الجذامي:

أيا سيدي أشكو لمجدك أنني صددت مرارا عن مثولي بساحتك

شكاة اشتياق أنت حقا طبيبها وما راحتي إلا بتقبيل راحتك

قال: وهو عبد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمد الجذامي، فاضل ملازم." [٢]

"بآية ما قيدتما ألسن الورى ... بذكري فيا ويح الكناني والكندي

فأين بياني أو فأين فصاحتي ... إذا لم أعد ذكر الأكارم أو أبدي

فيا خاطري وف الثناء حقوقه ... وصغه كما قالوا سوار على زند

ولا تلزمني بالتكاسل حجة ... تشبهها نار الحياء على خدي

ثكلت القوافي وهي أبناء خاطري ... وغيبها الإقحام عني في لحد

لئن لم أصغ زهر النجوم قلادة ... وآت ببدر التم واسطة العقد

إلى أن يقول السامعون لرفقتي ... نعم طار ذاك السقط عن ذلك الزند

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمسانى ٣٠٦/٤

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمسانى ٣٠٧/٤

أحيي برياها جناب ابن سالم ... فيقرع فيه الباب في زمن الورد وهي طويلة.

ومن مقطوعاته قوله (١) :

يا قمرا مطلعه أضلعي ... له سواد القلب فيها غسق

وربما استوقد نار الهوى ... فناب فيها لونها عن شفق

ملكتني في دولة من صبا ... وصدتني في شرك من حدق

عندي من حبك ما لو سرت ... في البحر منه شعلة لاحترق وقال:

قد كان لي قلب فلما فارقوا ... سوى جناحا للغرام وطارا

وجرت سحائب للدموع فأوقدت ... بين الجوانح لوعة وأوارا

ومن العجائب أن فيض مدامعي ... ماء، ويثمر في ضلوعي نارا وشعره الرمل والقطر كثرة، فلنختمه بقوله:

قالوا وقد طال بي مدى خطئي ... ولم أزل في تجرمي ساهي:

---

(١) الإحاطة، الورقة: ١٧٥ وفيها أيضا القطعتان التاليتان والرسالة التي تلوهما.." [١]

"لكن مصيرك للنعيم مخلدا ... كان الذي أبقى على الأرماق

ومن العجائب أن يسرى بحر الندى ... طود الهدى يسري على الأعناق

إن يحملوك على الكواهل طالما ... قد كنت محمولا على الأحداق (١)

أو يرفعوك على العواتق طالما ... رفعت ظهر منابر وعتاق

ولئن رحلت إلى الجنان فإننا ... نصلى بنار الوجد والأشواق

لو كنت تشهد حزن من خلفته ... لثنى (٢) عنانك كثرة الإشفاق

إن جن ليل جن من فرط الأسى ... وسوى كلامك ما له من راق

فابعث خيالك في الكرى يبعث به ... ميت السرور لثاكل مشتاق

أغليت يا رزء التصبر مثلما ... أرخصت در الدمع في الآماق

إن يخلف الأرض الغمام فإنني ... أسقي الضريح بدمعي المهراق وكانت وفاة الشريف المذكور سنة إحدى وستين وسبعمائة.

قال ابن الخطيب القسمطيني (٣) في وفياته: وفي هذه السنة - يعني سنة ٧٦١ - توفي شيخنا قاضي الجماعة بغرناطة حرسها الله تعالى أبو القاسم محمد بن أحمد الشريف الحسني، وكتب لي بالإجازة العامة بعد التمتع بمجلسه، وله شعر مدون سماه " جهد المقل " (٤) وله الشرح على الخزرجية في العروض، وأقدم عليها بعد أن عجز الناس عن فكها، وكان إماما في الحديث والفقه والنحو، وهو على

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٦٧/٥

(١) سقط هذا العجز وصدر البيت التالي من ق.

(٢) ص ق: أثني.

(٣) نسبة إلى قسمطينة أو قسنطينة (بالنون) من مدن الجزائر؛ وابن الخطيب القسمطيني هو الإمام العلامة المسند المؤرخ أبو العباس أحمد بن حسن الشهير بابن الخطيب ويعرف أيضا بابن منقذ (توفي سنة ٨١٠) ومن مؤلفاته: كتاب أنس الفقير في ترجمة الشيخ أبي مدين وأصحابه وطبقته (ط. الرباط ١٩٦٥) والوفيات التي جعلها خاتمة على شرحه لقصيدة ابن فرح في مصطلح الحديث. (راجع فهرست الفهارس ٢: ٣٢٣ ونيل الابتهاج: ٥٧ قال: ذكره الونشريسي في وفياته) .

(٤) قال لسان الدين في الإحاطة عند الحديث عن شعر الشريف " واقتنيت منه جزءا خصني به سماه جهد المقل ... ".." (١)

"لله يوم بدار الملك مر به ... **من العجائب** ما لم يجر في خلدي

لاح الخليفة في برج العلا قمرا ... يشاهد الحرب بين الثور والأسد ومن بارع نظمه رحمه الله تعالى قوله:

أبا حسن إن شتت الدهر شملنا ... فليس لود في الفؤاد شتات

وإن حلت عن عهد الإخاء فلم يزل ... لقلبي على حفظ العهود ثبات

وهبني سرت مني إليك إساءة ... ألم تتقدم قبلها حسنات وقوله وهو بحال مرض:

إن يأخذ السقم من جسمي مآخذه ... وأصبح القوم من أمري على خطر

فإن قلبي بحمد الله مرتبط ... بالصبر والشكر والتسليم للقدر

فالمرء في قبضة الأقدار مصرفه ... للبرء والسقم أو للنفع والضرر وحكي أن الفقيه الرحال أبا إسحاق إبراهيم الحاج النميري بقي في خلوته جميع شهر رمضان المعظم من عام سبعة وخمسين وسبعمائة، فلما خرج في يوم عيد الفطر أنشده صهره أبو عبد الله ابن جزي المذكور لنفسه:

ما سرار البدور إلا ثلاث ... فلماذا أرى أسرارك شهرا

تعجلته سرارا لعام ... ثم تبقى في سائر العام بدرا وحكي أنه كتب للرئيس صاحب القلم الأعلى والعلامة بفاس أبي القاسم ابن رضوان يطلب منه شراب سكنجبين، وقصد التحيف بقوله: أحسن زان بيتك نجيب تسر به بر مرضي تصحيفه: أحب شراب سكنجبين شربه برء مرضي، قال: فجاوبني ابن رضوان بقوله: إن برك نفيس، تصحيفه مقلوبا: يشفيك ربنا.

ومن نظم ابن جزي المذكور قوله:." (٢)

"كل علم يكون لمرء شغلا ... بسوى الحق قادح في رشاده

فإذا كان فيه لله حظ ... فهو مما يعده لمعاده قال: فلم ينفصل المجلس حتى دخل علينا الفقيه الأديب أبوعبد الله الجلياني،

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١٩٧/٥

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٥٣١/٥

والبيتان معه، فعرضهما على الشيخ، فأخبره أنه صنعهما البارحة، فقال له كل من في المجلس: أخبرنا بهما الشيخ قبل مجيئك، فكان هذا **من العجائب**.

ولأبي الحجاج المكور تواليف، منها كتاب ملاذ المستعين في بعض خصائص سيد المرسلين أربعون حديثا، وكتاب تخصيص القرب وتحصيل الأرب وقبول الرأي الرشيد في تخميس الوتريات النبوية لابن رشيد وانتشاق النسمات النجدية واتساق النزعات الجدية وغرر الأماني المسفرات في نظم المكفرات، والنفحات الرندية مجموع شعره، وحقائق بركات المنام في مرأى المصطفى خير الأنام والاستشفاء بالعدة والاستشفاع بالعمدة في تخميس البردة وتوجع الراثي في تنوع المراثي واعتلاق السائل بأفضل الوسائل ولمح البهيج ونفح الأريج في ترجيز كلام الشيخ مسائل البيان والتحصيل لتيسير البلوغ لمطالعتها والتوصيل وفهرسة روايته، ورجز ذكر مشايخ أبي عمر الطنجي، وكتاب أرج الأرجاء في مزج الخوف والرجاء، أربعون حديثا في الرجاء والخوف.

وكان رحمه الله تعالى حيا حين ألف لسان الدين الإحاطة رحم الله تعالى الجميع.

ورأيت على ظهر أول ورقة من الريحانة بخط الإمام الكبير الشهير الشيخ إبراهيم الباعوني الدمشقي رحمه الله تعالى ما نصه: قال كاتبه إبراهيم بن أحمد الباعوني - غفر الله ذنوبه - وستر عيوبه، وبلغه من فضله مطلوبه - صاحب كتاب الريحانة، آية من آيات الله سبحانه، لوجه أدبه طلاقه، وللسانه ذلاقة." (١)

"فيصير منها البيت بيتا ثانيا ... للطائفين إليه أي بدار

تغني قلوب القوم عن هدي به ... ودموعهم تكفي لرمي جمار

حييت من دار تكفل سعيها ال ... محمود بالزلفى وعقبى الدار

وضفت عليك من الإله عناية ... ما كر ليل فيك إثر نهار ويعني بالمولى ابنه السلطان أبا سالم ابن السلطان أبي الحسن.

ومن العجائب أن الرئيس عامر بن محمد الذي جرى في هذه الأبيات ذكره كان يؤمل بإيوائه للسلطان أبي الحسن ونصرته له وعدم إخفار ذمته فيه أن ينال من أولاده الملوك بذلك عزا مستطيلا ورياسة زائدة على ما كان فيه، فقضى الله تعالى أن كان حتفه على يد السلطان عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن، إذ نازله بجنوده، وحاصره بمعتقله، حتى استولى عليه وقتله، حسبما استوفى ذلك الشيخ الرئيس قاضي القضاة أبوزيد عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي المغربي نزيل مصر في تاريخه الكبير الذي سماه ب كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر فمن شاء فليراجعه ثمة.

وكان الرئيس أبوثابت عامر بن محمد الهنتاتي المذكور خرج على السلطان عبد العزيز بالسلطان المعتمد على الله أبي الفضل محمد ابن أخي السلطان عبد العزيز المذكور، فكان من قتله ما ذكر، والله غالب على أمره.

ولنرجع إلى ما كنا فيه من نثر لسان الدين ابن الخطيب رحمه الله تعالى عنه، فنقول:

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ١٤٥/٦

٢٣ – ومن كلام لسان الدين رحمه الله تعالى في كتابه أعمال الأعلام ما صورته:

" وفي غرضي إذا من الله تعالى بانفراج الضيقة الوقتية، ومعاودة الأزمان الهنية، والنصبة النقية، أن نصنف في التايخ كتابا مبنيا على التطويل، مستوعبا." (١)

"ذكر ما فى المعمور من البحيرات المالحة المشهورة وما بها **من العجائب**

وفى المعمور بحيرات مالحة:

فالذى اشتهر منها:

بحيرة خوارزم. وشكلها مثلث كالقلع، وليس فى المعمور بحيرة أعظم منها.

يحيط بها أربعمائة فرسخ. يصب فيها نهرا سيحون وجيحون، اللذان فى أرض الهياطلة، وغيرهما من الأنهار العظيمة الجارية فى بلاد الترك. وهى مع ذلك لا تزيد ولا تعذب.

وزعم صاحب كتاب «نزهة المشتاق إلى اختراق الآفاق» أن فى هذه البحيرة حيوانا يظهر على سطحها فى صورة الإنسان يتكلم ثلاث كلمات أو أربعا، بلغة لا تفهم ثم يغوص. وظهوره عندهم يدل على موت ملك من ملوك ذلك الحين.

ومنها بحيرة الطريخ [١] : لسمك صغير يصاد منها ويحمل إلى سائر بلاد أرمينية وأذربيجان. وطولها أربع مراحل، وعرضها مرحلة. يجمع من أطرافها البورق.

والسمك يوجد بها فى زمان مخصوص، يأتيها فى نهر يصب إليها، ويكثر حتى يصاد بالأيدى. فإذا انقضى ذلك الزمان، لا يوجد منه شيء البتة.

---

[١] واسمها فى كتب الجغرافية العربية بحيرة أرجيش، وهذا السمك الذى سميت به، كما فى «القاموس» سمك صغار تعالج بالملح وتؤكل. وقد عرفنا ابن حوقل أنه صغير مقدار الشبر يملح ويحمل الى الجزيرة والموصل والرقة وحران وحلب وسائر الثغور.." (٢)

"وقال أبو الطيب المتنبى:

أين الذى الهرمان من بنيانه؟ ... ما قومه؟ ما يومه؟ ما المصرع؟

تتخلف الآثار عن أصحابها ... حينا، ويدركها الفناء فتتبع.

وقال أمية بن عبد العزيز الأندلسى:

بعيشك هل أبصرت أحسن منظرا ... على طول ما عاينت من هرمى مصر؟

أنافا بأعنان السماء وأشرفا ... على الجو إشراف السماك أو النسر

. وقد وافيا نشزا من الأرض عاليا ... كأنهما ثديان قاما على صدر.

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ت إحسان عباس المقري التلمساني ٢١٩/٦

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٥٠/١

وقال آخر:

انظر إلى الهرمين إذ برزا ... للعين في علو وفى صعد!

وكأنما الأرض العريضة إذ ... ظمئت لفرط الحر والومد.

حسرت عن الثديين بارزة ... تدعو الإله لفرقة الولد.

فأجابها: لبيك! يوسعها ... ريا ويشفيها من الكمد.

وقال ابن الساعاتى:

ومن العجائب، والعجائب جمة ... دقت عن الإكثار والإسهاب.

هرمان قد هرم الزمان وأدبرت ... أيامه، وتزيد حسن شباب.

لله! أى بنية أزلية ... تبغى السماء بأطول الأسباب؟

ولربما وقفت وقوف تبلد ... أسفا على الأيام والأحقاب.

كتمت عن الأسماع فصل خطابها ... وغدت تشير به إلى الألباب.." (١)

"... صحيفة

الباب الخامس:

فى الجبال ٢١٨

ذكر أسماء ما ارتفع من الأرض الى أن يبلغ الجبيل ٢٢٠

ذكر ترتيب أبعاض الجبل ٢٢١

ذكر ترتيب مقادير الحجارة ٢٢٣

ذكر ما يتمثل به مما فيه ذكر الجبال والحجارة ٢٢٦

ذكر شيء مما قيل في وصف الجبال وتشبيهها ٢٢٧

الباب السادس:

فى ذكر البحار والجزائر ٢٢٨

ذكر بحار المعمور من الأرض ٢٢٩

ذكر ما يتفرع من البحر المحيط ٢٣١

ذكر الخلجان التى تخرج من البحر الرومى ٢٣٥

بحر الهند وجزائره ٢٣٧

ذكر خلجان البحر الهندى ٢٤٣

بحر ما نيطش ٢٤٦

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٩١/١

بحر الخزر وجزائره ٢٤٧
ذكر ما في المعمور من المبحيرات المالحة المشهورة وما بها **من العجائب** ٢٥٠
ذكر ما يتمثل به مما فيه ذكر البحر ٢٥٤
ذكر شيء مما قيل في وصف البحر وتشبيهه ٢٥٥
ذكر ىء مما وصف به البحر والسفن ٢٥٦
ذكر ما وصفت به البحار والسفن نثرا ٢٥٨." (١)

"فى كل سبع سنين مرة فيسلب أموالهم؛ فوثب صالح إلى سيف أبيه وسلاحه وخرج يعدو، وإذا هو بالملك جندع وسادات قومه قد اجتمعوا، وقد انتزع الملك منهم أموالهم، وهم لا يستطيعون دفعه عنها لكثرة جموعه؛ فصاح بهم صالح صيحة أزعجتهم، وألقى الله الرعب فى قلوبهم، واستنقذ منهم جميع ما أخذوه من قومه.

فعجب جندع وأصحابه منه، وأقبلوا يقبلون صالحا ويكرمونه؛ فخشى الملك على ملكه أن يعزلوه ويولوا صالح بن كانوه، فهم أن يقتله، ودس إليه جماعة من خواصه فدخلوا منزله، فأيبس الله أيديهم عنه، وأخرس ألسنتهم؛ فعلم الملك أنه معصوم، فبعث يسأله فيهم؛ فدعالهم، فأطلق الله أيديهم والسنتهم، وبقى صالح مكرما معظما فى قومه.

ذكر مبعثه– عليه السلام–

قال: ولما أتى عليه أربعون سنة بعثه الله– عز وجل– رسولا إلى قومه؛ فجاءه جبريل بالوحى عن الله، وأمره أن يدعوهم الى قول لا إله إلا الله*

والإقرار بأن صالحا عبده ورسوله، وترك عبادة الأصنام، وأعلمه بما سيظهر على يديه **من العجائب**.

قال: فأقبل صالح إلى قومه فى يوم عيد لهم وقد نصبوا أصنامهم واجتمعوا على يمينها وشمالها، والملك جندع مشرف عليهم ينظر إليهم وإلى قربانهم؛ فتقدم حتى وقف على الملك وقال: قد علمت نصحى لك أبدا، وقد جئتك رسولا أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنى صالح رسول الله. فقال الملك له: إن قبائل ثمود لا ترضى أن يكون مثلك رسولا إليهم، غير أنى أنظر فيما تقول، فعد إلى غدا.." (٢)

"يونس فيهم ما شاء الله يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الى أن مات الملك وماتت امرأة يونس وولداه جميعا، فاستخلف يونس الراعي على مدينة نينوى وخرج هو وسبعون رجلا من العباد حتى جاء الى جبل يقال له صهيون «١» فكانوا هناك يعبدون الله حق عبادته، حتى مات يونس عليه السلام، ومات العباد الذين صحبوه، فقبروا هناك فى جبل صهيون، رضى الله عنهم ورحمهم.

ذكر خبر بلوقيا وما شاهد **من العجائب**

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٤٢٤/١

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٧٥/١٣

وهذه القصة تشتمل على عجائب كثيرة ووقائع قد ينكرها بعض من يقف عليها لغرابتها وليست بمستنكره بعد أن ثبت فى صحيح البخارى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بلغوا عنى ولو آية «٢» وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار» . ولنأخذ الآن فى سرد القصة.

قال أبو إسحاق الثعلبى رحمه الله تعالى فى كتابه المترجم بيواقيت البيان فى قصص القرآن بسند رفعه عن عبد الله بن سلام قال:." (١)

"الوقت، وكل غريب وعابر سبيل يمر بها ويأكل منها، وأنا أمين الله عليها الى يوم القيامة. فقال بلوقيا: ولا تتغير ولا تنقص! قال: طعام الجنة لا يتغير ولا ينقص. فقال لبلوقيا: كل فأكل حاجته، ثم قال: أيها الطائر، هل معك أحد؟

قال: معى أبو العباس يأتينى أحيانا. قال: ومن أبو العباس؟ قال: الخضر.

فلما ذكر اسمه اذا هو بالخضر عليه السلام قد أقبل عليه ثياب بيض. قال:

فما خطا خطوة إلا نبت الحشيش تحت قدميه. فسلم عليه بلوقيا وسأله عن حاله.

قال بلوقيا: قد طالت غيبتى وأريد أن أرجع الى أمى. قال الخضر: بينك وبينها مسيرة خمسمائة سنة، أنا أردك فى مسيرة خمسمائة شهر. قال الطائر: إن كان بينك وبين أمك مسيرة خمسمائة سنة أنا أردك مسيرة خمسمائة يوم. قال الخضر: أنا أردك إليها فى ساعة ثم قال: غمض عينيك فغمضهما ثم قال له: افتحهما ففتحهما، وإذا هو عند أمه جالس. فسألها: من جاء بى؟ فقالت: جئت على متن طائر أبيض يطير بين السماء والأرض فوضعك قدامى. قال: ثم إن بلوقيا حدث بنى إسرائيل بما رأى **من العجائب** والأخبار، فأثبتوها وكتبوها الى يومنا هذا. فهذا ما كان من حدبث بلوقيا. والله أعلم.." (٢)

"رسالة ربهم، وقال: إن آية ذلك أن تأتيكم الملائكة فى ليلتكم هذه بمغارف فيها نور من نور الله، فكل من تناول مغرفة منها فليلحس النور الذى فيها فإنه يصبح وقد تكلم بلغة القوم الذين بعث إليهم ويصبح وهو على باب مدينتهم. قال:

والليلة التى هبط عيسى فيها هى الليلة التى تدخن فيها النصارى باللبان. قال: فلما فرغ عيسى من وصيته الى الحواريين رفع بعد سبعة أيام، وتوفاه الله تعالى لثلاث ساعات من النهار، ثم كساه الله الريش وألبسه النور، وقطع عنه المطعم والمشرب وصار ملكيا إنسيا. قال وهب: برز عيسى عليه السلام للناس يوم برز وهو ابن ثلاثين سنة، ولبث فيهم فى نبوته وفيما كان الناس يرونه منه **من العجائب** والآيات ثلاث سنين، ورفعه الله وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة. وحكى أبو إسحاق الثعلبى عن أهل التاريخ أن الله تعالى أوحى الى عيسى وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، ورفعه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وتسعين سنة. وقد ورد فى الحديث ما يدل على أنه رفع وله مائة وخمس وعشرون سنة. وسنذكر

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٨٢/١٤

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٩٤/١٤

ذلك إن شاء الله تعالى فى آخر السيرة النبوية على ما تقف إن شاء الله عليه هناك.

ذكر وفاة مريم بنة عمران عليها السلام

قال الكسائى قال كعب: ماتت مريم بنة عمران أم عيسى عليهما السلام قبل رفعه، فدفنها فى مشاريق بيت المقدس. وحكى الثعلبي رحمه الله أنها ماتت بعد رفع عيسى عليهما السلام. وقال فى خبره: إنه لما صلب المشبه بعيسى جاءت مريم ابنة عمران وامرأة كان عيسى دعا لها فأبرأها الله من الجنون يبكيان عند المصلوب، فجاءهما عيسى عليه السلام فقال لهما: على ماذا تبكيان؟ فقالتا عليك. فقال: إن الله تعالى رفعنى فلم يصبنى إلا خير، وإن هذا شىء شبه لهم. ثم قال أيضا فى قصة." (١)

"الجزء الخامس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

[تتمة الفن الخامس في التاريخ]

[تتمة القسم الرابع من الفن الخامس في أخبار الملوك]

[تتمة الباب الثاني من القسم الرابع من الفن الخامس]

ذكر أخبار مصر

ومن ملكها من الملوك قبل الطوفان وبعده، وما بنوه بها من المدن، وما أقاموه من المنارات والأهرام والبرابى وغير ذلك من المبانى، وما وضعوه بها من العجائب والطلسمات والحكم، وما أثاروا من المعادن وما دبروه من الصنعة، وما شقوه وأنبطوه من الأنهار وغير ذلك من عجائبها وأخبارها فأما ملوكها قبل الطوفان فقد ذكرهم إبراهيم بن القاسم الكاتب فى مختصر كتاب العجائب الكبير الذى ألفه إبراهيم بن وصيف شاه. قال: أول من ملك مصر من الملوك قبل الطوفان نقراوس «١» ، ومعناه ملك قومه وعظيمهم. وذلك أن بنى آدم لما بغى بعضهم على بعض وتحاسدوا وتغلب عليهم بنو قابيل تحمل نقراوس «٢» الجبار ابن مصرايم بن براكيل بن زرابيل بن غرناب بن آدم فى نيف وسبعين رجلا من بنى غرناب جبابرة، كلهم يطلبون موضعا ينقطعون فيه من بنى آدم. فلما نزلوا على النيل ورأوا سعة البلد وحسنه أقاموا فيه وبنوا الأبنية، وقالوا: هذا بلد زرع؛ [وبنى نقراوس «٣» مصر] وسماها باسم أبيه مصرايم ثم تركها «٤» . وكان نقراوس." (٢)

"صبية يعلمهم، وهم من أصناف العقيق والجوهر. وفى الخزانة الثانية صورة هرمس [يعنى «١» عطارد] وهو مكب ينظر الى مائدة بين يديه من نوشادر على قوائم كبريت أحمر، وفى وسطها مثل الصحفة من جوهر أحمر فيها دواء أخضر من الصنعة، وصورة عقاب من زمرد أخضر عيناه من ياقوت أصفر، وبين يديه حية من فضة قد لوت ذنبها على رجليه ورفعت رأسها كأنها تريد أن تنفخ عليه، وفى ناحية منها صورة المريخ راكبا على فرس وبيده سيف مسلول من حديد أخضر، وعمود من جوهر أخضر، عليه قبة من ذهب فيها صورة المشترى، وقبة [من أدرك «٢»] على أربعة أعمدة من جزع أزرق

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٤٨/١٤

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١/١٥

فى سقفها صورة الشمس والقمر متحاذبين فى صورة امرأة ورجل كأنهما يتحادثان، وقبة من كبريت أحمر فيها صورة الزهرة على صورة امرأة ممسكة بضفيرتها وتحتها رجل من زبرجد أخضر، فى يده كتاب فيه علم من علومهم كأنه يقرأ فيه عليها «٣» . وجعل فى كل خزانة من بقية الخزائن **من العجائب** ما لا يحد، وعلى باب كل مدينة طلسمات تمنع من دخولها فى صور مختلفة لا يشبه بعضها بعضا، وفى كل مدينة من الجوهر النفيس والذهب والفضة والكبريت الأحمر والتربة الصنعية فى البرانى الملونة، وصنوف الأدوية النفيسة المؤلفة والسموم القاتلة. وعلم كل باب من الأساطين بعلامة يعرف بها يصعد اليها من مسارب تحت الأرض. قال: وجعل بين «٤» هذه المدائن." (١)

"من عمل ذلك. وخرج متنكرا يشق الأمم إلى أن بلغ بابل، ورأى ما عمل الملوك **من العجائب**. وعلم حال ملكها فى الوقت وسيرته ومجارى أموره. ويقال: إن نوحا عليه السلام ولد فى وقته. قال: وولد لهرصال عشرون ولدا، جعل مع كل ولد منهم قاطرا «١» وهو رأس الكهنة. وتزعم القبط أنه بعد مائة وسبع وعشرين سنة من ملكه لزم الهياكل وتعبد للكواكب فأخفته عن أعين الناس. وأقام بنوه على حالهم كل واحد منهم فى قسمه الذى أعطاه إياه يدبره ولا يشركه فيه غيره. وأمور الناس جارية على سداد، فأقاموا كذلك سبع سنين. ثم وقع بين الإخوة تشاجر، واجتمع رأى الكهنة على أن يجعلوا أحدهم ملكا، ويقيم كل واحد منهم فى قسمه. فاجتمعوا فى ذلك اليوم فى دار المملكة، وقام رأس الكهان فتكلم وذكر هرصال وسعادة أيامه وما شملهم فيها من الخير، وأخبر بما رأته الجماعة من تقليد أحدهم الملك. فإن كان هرصال لم يمت ورجع إليهم لم ينكر ما فعلوه لأنهم أرادوا بذلك حفظ ملكه، وإن لم يرجع كان الأمر قد جرى على ما سلف من قيام ملك بعد ملك فاجتمع رأيهم على أكبر ولده وهو:

ندسان «٢» بن هرصال. فملك وسار سيرة أبيه وحمد الناس أمره. وعمل قصرا من خشب ونقشه بأحسن النقوش، وصور فيه صور الكواكب ونجده بالفرش وحمله على الماء وكان يتنزه فيه. فبينما هو فيه إذ زاد النيل زيادة عظيمة وهبت ريح عاصف فانكسر القصر وغرق الملك. وكان قد نفى إخوته إلى المدائن." (٢)

"على الشام، وأراد أن يزحف إلى مصر، فعرف أنه لا يصل اليها لسحر أهلها، فأراد أن يدخلها متنكرا ليقف على أحوالها، فخرج فى نفر حتى بلغ الحصن الذى كانوا بنوه على مصر. فسألهم الحرس الموكلون به عن أمرهم، فعرفوهم أنهم قصدوا بلدهم ليسكنوه، فحبسوهم وطالعوا الملك بخبرهم. وكان الملك قد رأى فى منامه كأنه قائم على منار لهم عال، وكأن طائرا عظيما انقض عليه ليختطفه، فحاد عنه حتى كاد يسقط عن المنارة فجاوزه ولم يضره، فانتبه مرعوبا، وبعث إلى رأس الكهنة فقص عليه رؤياه، فعرفه أن ملكا يطلب ملكه فلا يصل اليه. فنظر فى علمه فرأى أنه قد دخل بلده. فلما وردت الرسل بذكر القوم علم أن الملك فيهم؛ فوجه جماعة من أصحابه فاستوثقوا منهم وحملوهم اليه، وقد كان أمرهم أن يطوفوا بهم فى أعمال مصر كلها ليروا ما فيها من الطلسمات والأصنام المتحركات **والعجائب** المعجزات، فبلغوا بهم إلى الإسكندرية،

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٦/١٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٢/١٥

ثم ساروا بهم إلى أمسوس وطيف بهم على عجائبها. ثم سير بهم إلى الجنة التى عملها مصرام، وكان الملك مقيما بها وأمر السحرة بإظهار التهاويل والتخاييل، فجعلوا يتعجبون مما رأوا الى أن وصلوا الى شرناق الملك والكهنة حوله وقد أظهروا صنوف العجائب، وجعلوا بين يدى الملك نارا عظيمة لا يصل اليه إلا من خاضها ولا تضر إلا من أضمر للملك غائلة، وأمر بدخولها، فشقوها واحدا واحدا لم ينلهم منها أذى، وكان الملك آخرهم، فلما دنا من النار أخذته فولى هاربا. فأتى به شرناق فسأله عن أمره فأقر، فأمر بقتله على أسطوانة عند باب الحصن من ناحية الشام، فقتل وزبر عليه: هذا فلان المتغلب على الشام أضمر غائلة الملك، طلب ما لا يصل اليه فعوقب بهذا. وأمر بإخراج الباقين من بلاده فأخرجوا. وقيل لهم: قد وجب عليكم القتل لصحبتكم من أراد الفساد فى الأرض، ولكن الملك عفا عنكم. فكانوا لا يمرون على أحد إلا حدثوه بما رأوا من العجائب، فانقطعت أطماع الملوك عن." (١)

"قالت: أنا صورة النار المعبودة فى الأمم الخالية، وقد أردت أن تحيي ذكرى وتتخذلى بيتا وتوقد فيه نارا دائمة بقدر واحد، وتتخذ لها عيدا فى كل سنة تحضره أنت وقومك فإنك تتخذ بذلك عندى يدا وتنال به شرفا وملكا الى ملكك، وأمنع عنك وعن بلدك من يطلبك ويعمل الحيلة عليك، وأدلك على كنوز جدك مصرام. فلما سمع ذلك منها ضمن لها أن يفعل، ودلته على الكنوز التى كانت لجده تحت المدائن المعلقة، وكيف يصير إليها ويمتنع من الأرواح الموكلة بها وما يبخرها به. فلما فرغ من ذلك قال لها: كيف لى بأن أراك فى الأوقات وأسألك عما أريده، أأصير اليك فى هذا المكان أو غيره؟ قالت: أما هذا المكان فلا تقدر بعد وقتك هذا عليه؛ لأن الأفعى التى رأيتها فيه قيمته لأن فيه آية تمنع أن يوقف عليها فى وقتنا هذا، ولكن إن أحببت أن ترانى فدخن فى البيت الذى تعمله لى بكذا وكذا: أشياء ذكرتها له، منها: عظام ما يقربه له من القرابين والذبائح والصموغ، فإنى أتخيل لك وأخبرك بكل حق وباطل مما يكون فى بلدك. فلما سمع ذلك منها سر به وغابت عنه، وظهرت الأفعى وخرج هاربا وجعل على الكوة سدا، وعمل ما أمرته به وأخرج كنوز جده.

وعمل من العجائب بأمسوس وغيرها ما يطول شرحه. وعمل القبة المركبة على سبعة أركان، ولها سبعة أبواب، على كل باب صورة معمولة، وكان يقال لها قبة القصر.

وكان السبب فى بنائها أن بعض الكهان جار فى قضية قضى بها؛ وذلك أن بعض العامة أتاه يشكو امرأته- وكان يحبها والمرأة تبغضه- وسأله أن يقومها له، وكانت المرأة من أهل بيت الكاهن، فمالأها على زوجها، وأمره بتخليتها فلم يفعل، فحبسه وشدد عليه، وكان من أهل الصناعات، فاجتمع جماعة من أهل صنعته ممن كان قد عرف حال المرأة معه وأنها له ظالمة وهو لها منصف، فوقفوا على ظلم الكاهن فاستعدوا عليه عند خليفة الملك. فأحضر الكاهن وسأله، فذكر أنه لم يحكم إلا بواجب. فأحضر." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/١٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٨/١٥

"يتكلم على باب الكواكب السبعة، فإني سوف ألقى روحانية الكواكب على تلك الصور فتنطق. وإذا فرغت من ذلك فاجعل لكل مرتبة من المراتب التى قسمتها بابا من تلك الأبواب، وليكن باب الأسد لأهل بيت المملكة، وسائر الأبواب لسائر المراتب. فإذا تقدم الخصمان إلى شىء من تلك الصور التصقت بالظالم وشدت عليه شدا عنيفا يؤلمه حتى يخرج لخصمه من حقه، الذكر للذكر، والأنثى للأنثى، فيعرف بذلك المظلوم من الظالم، ومن كان له قبل أحد حق ودعاه الى تلك الصور فلم يجئ معه فأتاه المظلوم، وقد عرف الصورة ذلك، أقعد الظالم من رجليه وخرس لسانه ولم يتحرك. فاستراح الملك الى تلك الصورة. ولم تزل على ذلك حتى أزالها الطوفان مع ما أزال من أعمالهم وطلسماتهم وعجائبهم. وعملت فى أيام سهلوق أعمال كثيرة، وكتبت سيرته وما عمل من العجائب فى مصحف. وعمل عقاقير كثيرة وتماثيل ومحركات وصنعة، وأمر أن يحمل ذلك كله إلى ناووس عمله لنفسه فى الجبل الغربى ونقل اليه حكمه. وهلك بعد أن ملك تسعا وستين سنة وحمل إلى ناووسه، وأقام أهل المملكة ووجوه المدينة ونساؤهم عند ناووسه شهرا يبكون عليه ويتوجعون عنده، واغتموا عليه غما لم يغتموه على ملك قبله، وأقاموا لناووسه سدنة يخدمونه.

وملك بعده ابنه سوريد بن سهلوق؛ وكان أبوه قد قلده الملك قبل مهلكه، فملك واقتفى سيرة أبيه فى العمارة ومصالح البلد والإنصاف بين الناس والأخذلهم من نفسه وأهل بيته، وعمل الهياكل وبنى المنارات، ونصب الأعلام والطلسمات فأحبه الناس.

وبنى بالصعيد ثلاث مدائن وعمل فيها عجائب كثيرة. وهو أول من جبى الخراج بمصر، وألزم أهل الصناعات على أقدارهم، وأول من أمر بالإنفاق على الزمنى والمرضى من خزائنه. وعمل مرآة من أخلاط كان ينظر منها جميع الأقاليم ما أخصب منها وما أجدب وما حدث فيها، وكانت المرآة على منارة من النحاس وسط مدينة أمسوس،." (١)

"سبع سنين، ومعنى القاطرون جامع العلوم. والمرتبة الثانية لمن يعبد ستة من الكواكب وهم اللاحقون بالدرجة الأولى. ثم يسمون صاحب الخمسة وما دونها كل واحد باسم، فجعل فى كل ناحية من الهرم مرتبة من هذه المراتب، فأجسادهم هناك وما عملوه من العجائب. وجعل فى الحيطان «١» من كل جانب مما يدور أصناما [تعمل «٢»] بأيديها جميع الصنائع على مراتبها وأقدارها، وصفة كل صنعة وعلاجها وما يصلح لها، وكذلك أصحاب النواميس ومن عالج شيئا من الأشياء وجعل فيها أموال الكواكب التى أهديت إليها الكواكب وأموال الكهنة. وجعل لكل هرم منها خادما؛ فخازن «٣» الهرم الشرقى صنم من جزع أسود [مجزع بأسود] وأبيض له عينان مفتوحتان [براقتان، وهو] جالس على كرسى، ومعه شبيه بالحربة، إذا نظر إليه الناظر سمع من جهته صوتا كالرعد يكاد يفزع قلبه، فيهيم على وجهه ويختلس عقله، ولا يكاد يفارق الهرم حتى يموت فيه. وجعل خازن الهرم الآخر من حجر الصوان المجزع، معه شبيه بالحربة، وعلى رأسه حية تطوق «٤» بها، من قرب منه وثبت عليه من ناحيته وتطوقت فى عنقه فقتلته [ثم تعود إلى مكانها] . وجعل خازن الهرم الثالث صنما صغيرا

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٠/١٥

من حجر البهتة «٥» على قاعدتيه، من نظر إليه اجتذبه إليه حتى يلتصق به فلا يفارقه حتى يموت. فلما فرغ من ذلك حصنها «٦» بالأرواح وذبح لها." (١)

"فى البرج الفلانى فى الدرجة الفلانية فى دقيقة كذا، ويسأل الآخر حتى إذا عرف مستقر الكواكب قال للملك: ينبغى لك أن تعمل اليوم كذا، وتضع بنيان كذا، وتوجه جيشا إلى ناحية كذا، وتجامع فى وقت كذا، وتأكل فى وقت كذا، وجميع ما يراه صلاحا له فى أموره كلها؛ والكاتب قائم يكتب جميع ما يقوله القاطر، ثم يلتفت إلى أهل الصناعات فيقول: انقش أنت صورة كذا على حجر كذا، واغرس أنت كذا، واصنع أنت كذا، حتى يمر على أهل الصناعات؛ فيخرجون إلى دار الحكمة ويضعون أيديهم فى تلك الأعمال، ويستعمل الملك جميع ما يأمره القاطر. ويشرح ذلك اليوم فى الصحيفة وتطوى وتودع فى خزانة الملك، فعلى ذلك كانت تجرى أمورهم.

وكان الملك إذا نابه أمر جمعهم واصطف الناس لهم فى شارع المدينة، ثم يدخلون ركبانا يقدم بعضهم بعضا، ويضرب بين أيديهم بطبل الاجتماع، فيدخل كل واحد منهم بأعجوبة: فمنهم من يعلو وجهه نور كنور الشمس فلا يقدر أحد على النظر إليه، ومنهم من يكون عليه بدنة «١» جوهر أخضر أو أحمر أو من ذهب منسوج. ومنهم من يدخل راكبا أسدا متوشحا بحيات عظام. ومنهم من تكون عليه قبة من نور أو من جوهر فى صنوف **من العجائب** كثيرة. ويصنع كل واحد منهم ما يدله عليه كوكبه الذى يعبده؛ فإذا دخلوا على الملك قالوا: أرادنا الملك لأمر كذا وقد علمنا، أو أضمر الملك كذا والصواب فيه كذا. فكانوا مع ملوكهم على هذه الحال حتى ملك فرعان فأبعدهم. وكان فليمون «٢» رئيس الكهان، فرأى فيما يرى النائم كأن مدينة أمسوس قد انقلبت بأهلها، وكأن الأصنام." (٢)

"وكان يجر من الذهب مثل حجر الرحى، ومن الزبرجد كالأسطوانة، ومن الأسبادشم فى صحراء الغرب كالقلة. وعمل **من العجائب** شيئا كثيرا. وبنى منارا عاليا على جبل قفط يرى من البحر الشرقى، ووجد هناك معدن زئبق فعمل منه بركة كبيرة، فيقال إنها هناك الى الآن؛ وأما المنار فسقط. وعمل عجائب كثيرة. ويقال: إنه بنى المدائن الداخلة وعمل فيها عجائب كثيرة، منها: الماء الملفوف القائم كالعمود لا ينحل ولا يذوب، والبركة التى تسمى فلسطين، أى صيادة الطير، إذا مر عليها الطير سقط فيها ولم يمكنه أن يبرح حتى يؤخذ. وعمل أيضا عمودا من نحاس عليه صورة طائر إذا قربت الأسد والحيات والأشياء المضرة من تلك المدينة صفر صفيرا عاليا فترجع تلك الدواب هاربة. وكان على أربعة أبواب هذه المدينة أربعة أصنام من نحاس لا يقرب منها غريب إلا ألقى عليه النوم والسبات، فينام عندها ولا يستيقظ حتى يأتيه أهل المدينة وينفخون فى وجهه فيقوم، وإن لم يفعلوا ذلك لم يزل نائما عند الأصنام حتى يهلك. وعمل منارا لطيفا من زجاج ملون على قاعدة من نحاس، وعلى رأس المنارة صورة صنم من أخلاط كثيرة، وفى يده كالقوس كأنه يرمى عنها، فإن عاينه غريب وقف فى موضعه لم يبرح حتى ينجيه أهل المدينة. وكان ذلك الصنم يتوجه إلى مهب الرياح الأربع من نفسه.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٦/١٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٤١/١٥

قال وقيل: إن هذا الصنم على حالته إلى الآن، وإن الناس تحاموا تلك المدينة على كثرة ما فيها من الكنوز والعجائب الظاهرة خوفا من ذلك الصنم أن تقع عين الإنسان عليه فلا يزال قائما حتى يتلف. قال: وكان بعض الملوك عمل على قلعه فما أمكنه، وهلك لذلك خلق كثير. ويقال: إنه عمل فى بعض المدن الداخلة مرآة من أخلاط ترى جميع ما يسأل الإنسان عنه وهى غربى البلد. قال: وعمل خلف الواحات الداخلة مدنا عمل فيها عجائب كثيرة." (١)

"السبي يعملون فيه ويحملون الذهب إليه؛ وهو أول من أحب الصيد واتخذ الجوارح، وولد الكلاب السلوقية من الذئاب والكلاب الأهلية، وعمل البيطرة وما تعالج به الدواب، وعمل من العجائب والطلسمات لكل فن ما لا يحصى كثرة، وجمع التماسيح، بطلسم عمله لها، إلى بركة بناحية أسيوط فكانت تنصب إليها من النيل انصبابا فتقتلها، وتستعمل جلودها فى السفن وغيرها، وتستعمل لحومها فى الأدوية والعقاقير المؤلفة. قال: وبعض القبط يحكى أنه عمل بمصر اثنتى عشرة ألف أعجوبة وطلسما، ولم يعمل فى بلد كما عمل فيها ولا تهيأ لأهله ما تهيأ لهم من ذلك.

قال: وأقام شداث فى الملك تسعين سنة وخرج يطرد «١» فأكب فرسه فى وهدة فقتله. وفى بعض كتبهم: أنه أخذ بعض خدمه، وقد خالفه فى أمر من الأمور، فأمر بطرحه من أعلى الجبل إلى أسفل فطرح فتقطع جسده، وندم على فعله ذلك فرأى فى منامه أنه سيصيبه مثل ذلك فكان يتوقاه، وآلى على نفسه ألا يعلو جبلا، وأوصى إن أصابه شيء أن يجعل ناووسه فى الموضع الذى يلحقه فيه ما يلحقه، ويزبر عليه: ليس ينبغى لذى القدرة أن يخرج عن الواجب ويفعل ما لا يجوز له فعله، وهذا ناووس شداث بن عديم بن قفطريم الملك، عمل ما لا يحل له فكوفئ عليه بمثله.

قال: ولما هلك عمل له سرب فى سفح الجبل فيه قبة على مجلس قد صفح بالفضة وجعل فيه على سرير ملكه، وجعل معه من الأموال والجواهر والتماثيل وأصناف الحكم والمصاحف شيء كثير. وكان له أربعمائة وأربعون سنة.

وملك بعده ابنه منقاوش «٢» بن شداث؛ فملك بحزم وحنكة وأظهر مصاحف الحكم وأمر بالنظر فيها، وأن ينسخ منها لهم بخط العامة ليفهموها، ورد الكهنة إلى." (٢)

"وهو الذى هدمه. ويقال: إن تدارس الملك هذا هو الذى حفر خليج سخا، وارتفع مال البلد فى أيامه مائة ألف ألف [دينار «١»] وخمسين ألف [ألف «٢»] دينار. وقصده بعض عمالقة الشأم فخرج إليه واستباحه ودخل إلى فلسطين فقتل منها خلقا كثيرا وسبى بعض حكمائها وأسكنهم مصر وهابته الملوك.

قال: وعلى رأس ثلاثين سنة من ملكه طمع السودان من الزنج والنوبة فى أرضه فعاثوا وأفسدوا، فأمر بجمع الجيوش وأعد المراكب ووجه قائدا من قواده يقال له: بلوطس فى ثلاثمائة ألف، وقائدا آخر فى مثلها، ووجه فى البحر «٣» ثلاثمائة سفينة فى كل سفينة كاهن يعمل أعجوبة من العجائب [ثم خرج فى جيوش كثيرة، فلقى جموع السودان «٤»] وكانوا فى زهاء ألف ألف فهزموهم، وقتلوا أكثرهم أبرح قتل، وأسر منهم خلقا كثيرا، وتبعهم حتى وصل إلى أرض الفيلة من بلاد الزنج

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/٤٧

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/٦٣

«٥» فأخذ منها عدة من النمور والوحش وذللها وساقها معه إلى مصر. وعمل على حدود بلده منارات وزبر عليها مسيره وظفره والوقت الذى سار فيه. ولما وصل إلى مصر اعتل ورأى رؤيا تدل على موته، فعمل لنفسه ناووسا ونقل إليه شيئا كثيرا من أصنام الكواكب والذهب والجوهر والصنعة والتماثيل وهلك؛ فحمل إليه وزبر عليه اسمه وتاريخ الوقت الذى هلك فيه، وجعل عليه طلسما تمنع منه.

وعهد إلى ابنه ماليق بن تدارس؛ فملك بعد أبيه. وكان غلاما كريما حسن الوجه، مجربا، مخالفا لأبيه وأهل بلده فى عبادة الكواكب والبقر.." (١)

"حتى يعلموا علم هؤلاء القوم، فأتوا المدينة فوجدوا حصنها قد سقط وقد هلكوا بأجمعهم واحترقوا واسودت وجوههم؛ ووجدوا الأصنام منكسة على وجوهها، وأموالهم ظاهرة بين أيديهم، فطرقوا المدينة فلم يجدوا فيها غير رجل واحد كان مخالفا لهم بسبب رؤيا رآها؛ ووجدوا من الأموال والجواهر وأصنام الذهب والتماثيل ما لا يحصى ولا تعرف له قيمة، ووجدوا صورة كاهن لهم من زبرجد أخضر على قائمة من حجر الأسباد شم؛ ووجدوا صورة روحانى من ذهب، ورأسه من جوهر أحمر، وله جناحان من در، وفى يده مصحف فيه كثير من علومهم فى دفتين مرصعتين بجوهر ملون؛ ووجدوا مطهرة من ياقوت أزرق على قاعدة من زجاج أخضر مسبوك، وفيها فضلة من الماء الدافع لأسقامهم، وفرسا من فضة من عزم عليه بعزائمه ودخنه بدخنة وركبه طار به فيما يزعمون، وغير ذلك **من العجائب** والأصنام؛ فحملوا من ذلك ما قدروا عليه من الأموال والجواهر، وسأل الملك ذلك الرجل: ما أعجب ما رأيت من أعمالهم؟ فقال: نعم أخبرك أيها الملك؛ إنه قصدهم بعض ملوك البربر، وكان جبارا من أهل بيت سحر، فجاء بالجموع الكثيرة وتخاييل هائلة، فأغلق أهل مدينتنا حصنهم ولجأوا إلى أصنامهم يخضعون لها ويتضرعون إليها، وكان لهم كاهن عظيم الشأن، فسار إليه رؤساؤهم وشكوا اليه مادهمهم من عدوهم، فأتى إلى بركة عظيمة بعيدة القعر كانوا يشربون منها، فجلس على حافتها وأحاط رؤساء الكهنة بها وزمزم على ماء البركة، فلم يزل كذلك حتى فار الماء وفاض، وخرجت من وسطه نار تتأجج، وظهر من وسطها وجه كدارة الشمس وعلى صورتها وضوئها، فخر الجماعة وسجدوا لذلك الوجه، وتجللهم نور؛ وجعل يعظم حتى ملأ البركة، وصعد حتى خرق سقف القبة، ثم ارتفع إلى رأسها وسمعته يقول: قد كفيتكم شر عدوكم، وأمرهم أن يأخذوا دوابهم ففعلوا." (٢)

"القفل تحت عتبة الباب فخذه ولطخ الباب ببقية مرارة الثور ودمه وبخره بنحاتة قرونه وأظلافه وشعره، وادخل الباب بعد أن تخرج الرياح التى فيه، فإنه يستقبلك صنم فى عنقه لوح من صفر معلق مكتوب فيه جميع ما فى الخزانة من مال وجوهر وتمثال وأعجوبة، فخذ منه ما شئت ولا تتعرض لميت تجده ولا لما عليه؛ وكذلك فافعل بكل عمود وتمثاله؛ فإنك تجد فى تلك الخزائن نواويس سبعة من الملوك وكنوزهم. فلما سمع ذلك سر به وفعله فوجد ما لا يدرك وصفه، ووجد **من العجائب** شيئا كثيرا؛ فتم بناء المدينة. واتصل ذلك بحوريا فساءها؛ وإنما كانت أرادت إتعابه وهلاكه بالحيلة عليه. فيقال:

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/٩٤

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٥/٩٨

إنه فيما وجد **من العجائب** درج ذهب مختوم بطين ذهب فيه مكحلة زبرجد فيها ذرور أخضر ومعها عرق جوهر أحمر، من اكتحل من ذلك الذرور وكان أشيب عاد شابا واسود شعره وأضاء بصره حتى يدرك النظر إلى أصناف الروحانيين، ووجد تمثال من الذهب إذا أظهر غيمت السماء وأمطرت، وتمثال غراب من حجر إذا سئل عن شيء صوت وأجاب عنه. ويقال:

إنه كان فى كل خزانة عشر أعجوبات.

قال: فلما فرغ جيرون من بناء المدينة وجه إليها يعلمها ذلك ويحثها على القدوم، فحملت إليه فرشا فاخرة وقالت: ابسطها فى المجلس الذى تجلس فيه، وأقسم جيشك أثلاثا وأنفذ إلى ثلثه، حتى إذا بلغت ثلث الطريق فأنفذ إلى الثلث الآخر، فإذا جزت نصف الطريق فأنفذ إلى الثلث الباقى، ويكونون من ورائى لئلا يرانى أحد إذا دخلت عليك، ولا يكن عندك إلا صبية تثق بهم يخدمونك فإنى أوافيك فى جوار تكفيك الخدمة ولا أحتشمهن؛ ففعل. وأقامت تحمل إليه الجهاز والأموال حتى علم بمسيرها ووجه إليها ثلث جيشه فعملت لهم الأطعمة والأشربة المسمومة، فلما أتوها استنزلهم جواريها وحشمها وأقبلوا عليهم بتلك الأطعمة والأشربة والطيب والكساء." (١)

"قال ابن إسحاق: واستشار الأنصار عبد الرحمن بن عوف فى إيصال الكتاب الى النبى صلى الله عليه وسلم لما ظهر خبره قبل هجرته، فأشار عبد الرحمن أن يدفعوه الى رجل ثقة، فاختاروا رجلا يقال له أبو ليلى وكان من الأنصار، فدفعوا الكتاب إليه وأوصوه بحفظه، فأخذ الكتاب وخرج من المدينة على طريق مكة، فوجد النبى صلى الله عليه وسلم فى قبيلة من بنى سليم، فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعاه وقال: أنت أبو ليلى؟ فقال: نعم، قال: معك كتاب تبع الأول؟ قال: نعم، فبقى الرجل متفكرا، وقال فى نفسه: إن هذا **من العجائب**، ثم قال له أبو ليلى: من أنت، فإنى لست أعرفك؟ إن فى وجهك أثر السحر، وتوهم أنه ساحر، فقال له:

بل أنا محمد رسول الله، هات الكتاب، فأخرجه ودفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم ودفعه الى على كرم الله وجهه، فقرأه عليه، فلما سمع النبى صلى الله عليه وسلم كلام تبع قال: مرحبا بالأخ الصالح ثلاث مرات، ثم أمر أبا ليلى بالرجوع الى المدينة، فرجع وبشر القوم بقدوم النبى صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك ما روى أن أبا كرب تبان بن أسعد ملك اليمن «١» أحد التبابعة

لما قصد بلاد الشرق «٢» ، جعل طريقه على يثرب، فلم يهج أهلها، وخلف بين أظهرهم ابنا له، فقتل غيلة، فقدمها وهو مجمع لإخرابها واستئصال أهلها وقطع نخلها، فجمع له أهل المدينة ورئيسهم يومئذ عمرو بن طلة أحد بنى النجار؛ وهو عمرو بن معاوية بن عمرو بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن النجار، وطلة أمه؛ وهى بنت عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة «٣» .." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١١١/١٥

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٢٨/١٦

"جزية موتى القبط على أحيائهم. فسأل عمر عراك بن مالك، فقال عراك: ما سمعت لهم بعهد ولا عقد [١] .

فكتب عمر بن عبد العزيز إلى حيان، أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم.

وعن عبد الله بن بكير قال: خرج أبو سلمة بن عبد الرحمن يريد الإسكندرية فى سفينة، فاحتاج إلى رجل يجذف به، فسخر رجلا من القبط، فكلم فى ذلك فقال: إنهم بمنزلة العبيد إن احتجت إليهم.

وعن ابن شهاب أنه قال: كان فتح مصر، بعضها بعهد وذمة، وبعضها عنوة، فجعلها عمر بن الخطاب جميعا ذمة، وحملهم على ذلك، ومضى ذلك فيهم إلى اليوم.

ذكر أخبار الاسكندرية وبنائها وما اتفق فى ذلك من الأعاجيب

لما رأيت جماعة من المؤرخين اقتصروا فى أخبار الإسكندرية عند ذكرهم لفتوحها على ما ذكرت أو نحوه، ومنهم من اختصر ذلك، واقتصر على مجرد الفتح، ولم يتعرضوا إلى ما سواه من أخبارها، آثرت أن أضم إلى ما شرحته من أخبار فتحها ذكر أخبار بنائها، وسببه وما شاهدوه بأبنيتها **من العجائب**، وكيف تحيل على وضعها حتى تمت، ودفع ظلمة الضرر عن سكانها لما ادلهمت، لأن مثل هذا الثغر العظيم الذى شاع فى الآفاق ذكره واشتهر، وحمد

---

[١] بعدها فى ابن عبد الحكم: «إنما أخذوا عنون بمنزلة العبيد» .." (١)

"من التجأ إليه ممن نبت به الغربة وعاقبة السفر، وحقق باختياره صدق الخبر عنه وتيقن الخبر، لا يقتصر فيه على هذه النبذة التى ذكرناها، واللمعة التى أوردناها؛ بل يتعين بسط القول فيه، وأن يتكلم المؤلف إذا انتهى إليه بملء فيه. وربما اعترض على معترض لم يطالع مجموع ما ألفت، ولا وقف على جملة ما صنفت، فيقول: كيف اقتصر على فتوح مصر على مجرده وهى أصل بلاده، وقاعدة عباده، وبسط القول فى الإسكندرية وهى على الحقيقة من مضافاتها، وولاية من جملة ولاياتها! وقد تجول فيه خيل الاعتراض، ويعدل عن الانشراح إلى الانقباض، ويتوهم أن ذلك عن عجز أو قصر، وإن بسط العذر فيقول: عن ملال وضجر. وليس الأمر- ولله الحمد- كذلك؛ لأنا ذكرنا أخبار مصر فى كتابنا هذا فى أربعة مواضع سلفت منه، فذكرنا خصائصها وما فضلت به على غيرها فى الباب الثانى من القسم الخامس من الفن الأول، وكل ذلك فى السفر الأول من كتابنا فى خصائص البلاد، وذكرنا أخبار نيلها فى الباب السابع من القسم الرابع من الفن الأول فى الأنهار، وذكرنا أخبار ما بها من المبانى القديمة والآثار العظيمة، فى الباب الثالث من القسم الخامس من الفن الأول.

وذكرنا أخبار من ملكها من ملوك الأمم قبل الطوفان وبعده، وما بنوه بها من المدن، وما أقاموه من المنارات والأهرام والبرابى وغير ذلك من المبانى، وما وضعوه بها **من العجائب** والطلسمات والحكم، وما أثاروا من المعادن وما دبروه من الصنعة وما شقوه وأنبطوه من الأنهار، وغير ذلك من أخبارها وعجائبها، وذلك فى الباب الثانى." (٢)

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣١١/١٩

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣١٢/١٩

"وقال الناشئ الأصغر:

لك صدغ كأنما ... نونه نون كاتب.

يلدغ الناس إذ تعق ... رب لدغ العقارب.

وقال الصاحب بن عباد:

يا شادنا في وجهه عقرب ... ما يستجيب الدهر للراقى.

يسلم خداه على لدغها، ... ولدغها في كبدى باقى!

وقال عمر المطوعى:

بنفسى من تمت محاسن وجهه! ... فما هو إلا البدر عند تمام.

وأرسل صدغا فوق خد كأنه ... جناح غراب فوق طوق حمام.

وقال آخر:

حلت بمقارب صدغه في خده ... قمرا، فجل بها عن التشبيه!

ولقد عهدناه يحل ببرجها ... **فمن العجائب** كيف جلت فيه؟

وقال العماد الأصبهانى:

وإذا بدا لك صدغه في وجهه، ... أبصرته قمرا بدا في العقرب!

وقال أبو الفتح كشاجم:

ومنعن ورد خدودهن فلم نطق ... قطفا لها لعقارب الأصداغ!

ومما وصفت به الخدود والوجنات، فمن ذلك ما ورد على لفظ التذكير.

قال أبو الفتح كشاجم:

غدا، وغدا تورد وجنتيه ... لعين محبه يصف الرياضا.." (١)

"وفيها نودى بمدينة السلام ألا يقعد على الطريق ولا بالمسجد الجامع قاض ولا منجم ولا زاجر، وحلف الوراقون ألا يبيعوا كتب الكلام والجدل.

ذكر وفاة المعتمد على الله وشيء من أخباره

كانت وفاته ببغداد ليلة الإثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رجب سنة تسع وسبعين ومائتين، وكان قد شرب على الشط بالجسر يوم الأحد شرابا كثيرا فمات ليلا، وأحضر المعتضد القضاة وأعيان الناس، فنظروا إليه وحمل إلى سامرا فدفن بها، وكان عمره خمسين سنة وستة أشهر، وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وستة أيام، وكان فى خلافته محكوما عليه، ضيق عليه أخوه الموفق حتى إنه احتاج فى بعض الأوقات إلى ثلاثمائة دينار فلم يجدها، فقال:

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٧٤/٢

أليس من العجائب أن مثلى ... يرى ما قل ممتنعا عليه

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شىء فى يديه

إليه تحمل الأموال طرا ... ويمنع بعض ما يجبى إليه

وهو أول من انتقل من الخلفاء من سامرا، ولم يعد إليها بعده خليفة.

وكان طويل القد واللحية واسع العينين مقبلا على اللذات، مشغولا عن الرعية مضطرب الأحوال. وكان نقش خاتمه: السعيد من وعظ بغيره.

أولاده: عبد العزيز وجعفر ومحمد وإسحاق. وزراؤه: عبيد الله بن يحيى ابن خاقان ثم سليمان بن وهب ثم الحسن بن مخلد ثم صاعد بن مخلد أخوه ثم أبو الصقر إسماعيل بن بلبل. حجابه: موسى بن بغا ثم جعفر بن غانم بن على الجهشيارى. قضاته: الحسن بن أبى الشوارب ثم أخوه على بن محمد.

الأمراء بمصر: أحمد بن طولون ثم ابنه خمارويه. قضاتها: بكار بن قتيبة." (١)

"قيل إنه الحاجب، ثم حملا إلى دار الوزير فرأيا أكثر من ذلك ولم يشكا أنه الخليفة فقيل إنه الوزير.

قال: وزينت دار الخلافة، وطيف بهما فيها فشاهدا ما هالهما، وكانت الستور ثمانية وثلاثين ألف ستر من الديباج، المذهبة منها اثنا عشر ألفا وخمسمائة، وكانت البسط والنخاخ «١» اثنين وعشرين ألفا وكان فى الدار من الوحش قطعان تأنس بالناس وتأكل من أيديهم، وكان هناك مائة سبع كل سبع بيد سباع.

ثم أخرجا إلى دار الشجرة، وكانت شجرة فى وسط بركة فيها ماء صاف، والشجرة/ ثمانية عشر غصنا لكل غصن منها شاخات كثيرة عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة.

وأكثر قضبان الشجرة فضة وبعضها مذهبة وهى تتمايل، وبها ورق مختلف الألوان، وكل من هذه الطيور تصفر. ثم أدخلا إلى الفردوس، وكان فيه من الفراش والآلات ما لا يحصى، وفى دهاليزه عشرة آلاف جوشن «٢» مذهبة معلقة قال: ويطول شرح ما شاهدا من العجائب إلى أن وصلا إلى المقتدر وهو جالس على سرير أبنوس قد فرش بالديبقى المطرز وعن يمنة السرير تسعة عقود معلقة وعن يسرته تسعة أخرى من أفخر الجواهر يضىء ضوؤها على ضوء النهار." (٢)

"وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأسر من الداوية «١» مائة فارس، وأدخلهم القدس منكسة أعلامهم. وأقام بنابلس. فكتب إليه على جناح طائر يعلمه بالخبر، فجاء يوم السبت إلى عالقين. فاحتاط على الخزائن، وصبر أباه العادل وكتم موته، وجعله فى محفة «٢» ، وعنده خادم يروح عليه، ورفع طرف سجاف المحفة وأظهر أنه مريض. ودخلوا به إلى دمشق فى يوم الأحد، والناس يشيرون إلى من بالمحفة بالخدمة والسلام، والخادم يومىء إلى جهة السلطان، كأنه يخبره بمن يسلم عليه، ودخلوا به إلى قلعة دمشق.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٤٥/٢٢

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٥٠/٢٣

قال الشيخ شهاب الدين أبو شامة، وشمس الدين أبو المظفر سبط ابن الجوزى، فى تاريخهما: **ومن العجائب** أنهم طلبوا له كفنا فلم يقدروا عليه، فأخذوا عمامة النجيب الفقيه ابن فارس فكفنوه بها، وأخرجوا قطنا من مخدة فلفوه به، ولم يقدروا على ما يحفرون به، فسرق كريم فأسا من الخندق فحفروا له به. ودفن بقلعة دمشق، إلى أن بنى له القبة المجاورة لمدرسته، فنقل إليها فى سنة تسع عشرة وستمائة. وحصل لابنه الملك المعظم وهم، فلما دفن السلطان قام قائما، وشق ثيابه ولطم على رأسه ووجهه.." (١)

"ولما مات الملك الناصر صلاح الدين، وملك الملك العادل دمشق، سار متوجها إلى الشام. وكتب إلى الملك العادل قصيدته الرائية، واستأذنه فى الدخول إلى دمشق. ووصفها وصف ما قاسى فى الغربة، ولما فرغ من وصف دمشق وأنهارها وبساتينها ومستنزهاتها، قال فى قصيدته:

فارقتها لا عن رضى، وهجرتها ... لا عن قلى، ورحلت لا متخيرا

أسعى لرزق فى البلاد مشتت ... **ومن العجائب** أن يكون مقترا

وأصون وجه مدائحى متقنعا ... وأكف ذيل مطامعى متسترا

جاء منها فى شكوى الغربة، وما قاساه منها:

أشكو إليك نوى، تمادى عمرها ... حتى حسبت اليوم منها أشهرا

لا عيشتى تصفو ولا رسم الهوى ... يعفو، ولا جفنى يصافحه الكرى

أضحى عن الأخوى المريع محلا «١» ... وأبيت عن ورد النمير «٢» منفرا

ومن العجائب أن تفيأ ظلكم ... كل الورى، ونبذت وحدى بالعرا

فلما وقف العادل على هذه القصيدة، أذن له فى الدخول إلى دمشق، فدخلها.." (٢)

"واستهلت سنة [٩٣] ست عشرة وسبعمائة بيوم الجمعة

فى هذه السنة فى يوم السبت الثالث والعشرين من المحرم الموافق للثانى والعشرين من برمودة من شهور القبط بعد العصر سمع بالقاهرة هدة عظيمة تشبه الصاعقة ورعد وبرق، ووقع مطر كثير وبرد على قلعة الجبل والقاهرة وضواحيها ولم يكن مثل ذلك بمصر، وقع مطر كثير بمدينة بلبيس حتى خرب كثيرا من البنيان بها، وكان ذلك كله فى مضى ساعة ونصف ساعة.

وفى هذه السنة فوض قضاة القضاء الحنابلة

بدمشق إلى شمس الدين أبى عبد الله محمد ابن الشيخ الصالح محمد بن مسلم بن مالك ابن مزروع [١] الحنبلى أعاد الله من بركته ووصل إليه بتقليد القضاء من الأبواب السلطانية فى يوم السبت ثامن صفر، وقرئ بجامع دمشق بحضور القضاة والأعيان، وخرج القاضى شمس الدين المذكور من الجامع ماشيا إلى دار السعادة، فسلم على نائب السلطنة ثم نزع الخلعة

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٨٣/٢٩

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ١٩٥/٢٩

السلطانية وتوجه إلى جبل الصالحية، وجلس للحكم فى سابع عشر صفر وما غير هيئته ولا عادته فى مشيه وحمل حاجته، ويجلس للحكم على مئزر غير مبسوط، بل يضعه [٢] بيده ويجلس عليه، ويكتب فى محبرة زجاج، ويحمل نعله بيده فيضعه على مكان، وإذا قام من مجلس الحكم حمله بيده أيضا حتى يصل إلى آخر الإيوان فيلقيه ويلبسه، هكذا أخبرنى من أثق بأخباره، واستمر على ذلك، وهذه عادة السلف.

ذكر حادثة السيول والأمطار [٣] ببلاد الشام وما أثر [٤] ما وقع **من العجائب** التى لم تعهد

وفى هذه السنة فى أوائل صفر وقع بالشام مطر عظيم على جبال قارا [٥] وبعلبك، وعلى مدينة حمص والمناصفات، وامتد إلى بلاد حماه، وحلب، وسقط مع المطر برد كبار، البردة منها قدر النارنجة وأكثر منها وأصغر، ووزن بعضها بعد يومين أو ثلاثة فكان وزن البردة ثلاث أواقى [٦] بالشامى، وجرى من ذلك

---

[١] انظر ترجمته فى ذيول العبر ص ١٤١، ١٤٩، والبداية والنهاية ١٤: ١٢٦، والدرر الكامنة ٤: ٢٥٨، وشذرات الذهب ٦: ٧٣، وقد توفى فى سنة ٧٢٦ هـ.

[٢] كذا فى ك، وف. وفى ص «بل نصفه فى يده» .

[٣] فى ص «ذكر حادثة الأمطار والسيول» بالتقديم والتأخير.

[٤] كذا فى ك، وف. وفى ص «وما أمل» .

[٥] جبال قارا وبعلبك تقع فى الطريق بين حمص ودمشق (معجم البلدان) .

[٦] كذا فى الأصول.." (١)

"ذكر حادثة السيول والأمطار ببلاد الشام وما أثر ما وقع **من العجائب** التى لم تعهد ٢٣٣

ذكر تفويض إمرة العرب بالشام للأمير شجاع الدين فضل ٢٣٣

ذكر وفاة الأمير سيف الدين كستاى ٢٣٦

ذكر تجريد العسكر إلى النوبة وملك عبد الله برشنبوا النوبة ومقتله ٢٣٧

ذكر تجريد العسكر إلى العرب ببرية عيذاب ودخوله إلى بلاد هلنكة وغيرها وعوده ٢٣٩

ذكر الإفراج عن الأمير سيف الدين بكتمر الحسامى الحاجب وإرساله إلى نيابة السلطنة الشريفة بالمملكة الصفدية ٢٤٤

ذكر حادثة السيل ببعلبك ٢٤٩

ذكر حادثة الهواء بالبلاد الحلبية وما حصل بسببه ٢٥١

ذكر توجه السلطان إلى الشام ووصوله إلى الكرك وإفراجه عمن يذكر من الأمراء وعوده ٢٥٣

ذكر خبر النيل المبارك فى هذه السنة ٢٥٤

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٢٣٣/٣٢

ذكر إقرار مصر عن قاضى الحنفية ٢٥٥
ذكر عود رسل السلطان من جهة الملك أزبك ووصول رسله ٢٥٦
ذكر روك المملكة الطرابلسية وما يتصل بذلك من أبطال الجهات المنكرة بها وأخبار النصيرية ٢٥٧
ذكر ظهور رجل ادعى أنه محمد بن الحسن المهدى وقتله ٢٧٧
ذكر إرسال الصاحب أمين الدين إلى نظر المملكة الطرابلسية ٢٨٢
ذكر عزل الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى عن وظيفة الشاد بالديار المصرية ٢٨٣
ذكر إرسال الأمير سيف الدين طوغاى نيابة السلطنة بالمملكة الصفدية والقبض عليه ووفاته ٢٨٣
ذكر إنشاء الجامع بقلعة الجبل ٢٨٥
ذكر وثوب الأمير عز الدين حميضة بن أبى نمى بمكة شرفها الله تعالى ٢٨٥
ذكر حادثه الريح بالجون من طرابلس ٢٨٦." (١)

"لأمر من العلقم إذا عجمها الحكيم؛ وقد أعيت الواصف لعيوبها بظاهر أفعالها، وما تأتى به **من العجائب** أكثر مما يحيط به الواعظ. اللهم أرشدنا للصواب.

وخطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال: أيها الناس، إنكم خلقتم لأمر إن كنتم تصدقون [به [١]] فإنكم حمقى، وإن كنتم تكذبون به إنكم لهلكى [٢] ؛ إنما خلقتم للأبد، ولكنكم من دار الى دار تنقلون. عباد الله، إنكم فى دار لكم فيها من طعامكم غصص، ومن شرابكم شرق، لا تصفو نعمة تسرون بها إلا بفراق أخرى تكرهون فراقها، فاعملوا لما أنتم صائرون إليه خالدون فيه. ثم غلبه البكاء ونزل.

ذكر بيان الزهد وأقسامه وأحكامه

فأما درجاته فقد قال الغزالى رحمه الله: إنما تتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاث:

الأولى وهى السفلى منها: أن يزهد فى الدنيا وهو لها مشته، وقلبه إليها مائل، ونفسه إليها ملتفتة ولكنه يجاهدها ويكفها، وهذا يسمى التزهد، وهو مبدأ الزهد فى حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد. والمتزهد يذيب أولا نفسه ثم كسبه، والزاهد يذيب أولا كسبه ثم يذيب نفسه فى الطاعة لا فى الصبر على ما فارقه. والمتزهد على خطر، فإنه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود إلى الدنيا وإلى الاستراحة بها فى قليل أو كثير.

الثانية: الذى يترك الدنيا طوعا [٣] لاستحقاره إياها بالإضافة إلى ما طمع فيه كالذى يترك درهما لأجل درهمين فإنه لا يشق عليه ذلك وإن كان يحتاج

---

[١] زيادة عن الإحياء.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٣٢/٣٤٠

[٢] الذى فى الإحياء: «وان كنتم تكذبون به فإنكم هلكى» .

[٣] كذا فى الإحياء. وفى الأصل: «طاعة» .." (١)

"ذكر خبر بلقيس وابتداء أمرها ١١١

ذكر خبر ميلاد بلقيس وكيف كان وسبب ملكها ١١٣

ذكر خبر سليمان وبلقيس وسبب زواجه بها ١١٦

ذكر صفة القصر الذى بنته بلقيس وصفة عرشها ١٢٣

ذكر خبر وادى القردة ١٢٤

ذكر خبر الرجل الذى قبض بأرض الهند ١٢٥

ذكر خبر الفتنة وذهاب خاتم سليمان عليه السلام ورجوعه إليه ١٢٥

ذكر عزم سليمان عليه السلام أن يطوف على نسائه ١٣٤

ذكر وفاة بلقيس زوجة سليمان عليه السلام ١٣٤

ذكر خبر وفاة سليمان بن داود عليهما السلام ١٣٥

الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الخامس فى أخبار شعيا وإرميا عليهما السلام وخبر بختنصر وخراب بيت المقدس وعمارته وما يتصل بذلك من خبر عزير وفتنة اليهود ١٤٢

ذكر قصة شعيا عليه السلام ١٤٢

ذكر قصة إرميا عليه السلام ١٤٩

ذكر خبر بختنصر وابتداء أمره وكيف ملك ١٥٣

ذكر خبر بختنصر مع دانيال ١٥٨

ذكر خبر عمارة بيت المقدس بعد أن خربه بختنصر وخبر الذى مر على قرية ١٦٤

الباب الرابع من القسم الثالث من الفن الخامس فى قصة ذى النون يونس ابن متى عليه السلام وخبر بلوقيا ١٧١

ذكر قصة ذى النون يونس بن متى عليه السلام ١٧١

ذكر خبر بلوقيا وما شاهد **من العجائب** ١٨٢." (٢)

"فهرس الجزء الخامس عشر

من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب

.... صفحة

ذكر أخبار مصر ومن ملكها من الملوك قبل الطوفان وبعده، وما بنوه من المدن، وما أقاموه من المنارات والأهرام والبرابى

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري ٥/٢٥٦

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري مقدمةج ١٤/٣

وغير ذلك من المبانى، وما وضعوه بها **من العجائب** والطلسمات والحكم، وما أثاروا من المعادن وما دبروه من الصنعة، وما شقوه وأنبطوه من الأنهار وغير ذلك من عجائبها وأخبارها ١

ملوكها قبل الطوفان ١

ذكر خبر بناء الأهرام وسبب بنائها وشيء من عجائبها ٢٢

ذكر خبر كهان مصر وحالهم مع الملوك ٤٠

ذكر من ملك مصر بعد الطوفان من الملوك ٤٣

ذكر خبر هاروت وماروت ٥٢

ذكر أخبار أشمون ومن ملك من بنيه ٦٩

ذكر أخبار أتريب الملك ٧٥

ذكر أخبار صا بن قبطيم بن مصريم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ٨١

ذكر خبر عون وما فعله فى غيبة الوليد وخبر المدينة التى بناها ١١٥

ذكر عود الوليد إلى مصر وهرب عون الى مدينته ١١٩

ذكر نبذة من أخبار من ملك مصر بعد غرق فرعون ١٣٨." (١)

"الدين قراسنقر نيابة حلب، فسار إليها واستقر بها.

وفي سنة ٦٨٢ كاتب الحكام بقلعة الكحنا قراسنقر نائب حلب وسلموها لعسكره وصارت من أعظم الثغور الإسلامية.

وفي سنة ٦٨٨ جمع تنقرا نائب التتر بملطية جمعا كثيرا وأغار على بلد كركور فجهز إليهم قراسنقر نائب حلب عسكرا وأمراء إلى بلاد الروم فوصلوا قلعة قراسار- وهي من أحصن القلاع- فحاولوها فيسر الله فتحها عليهم، وأخذ النائب بها غرس الدين أسيرا وهو من أعيان أمراء المغل. ثم قصد العسكر قلعة زمطر ففتحوها عنوة وقتلوا من فيها من المقاتلة. **ومن العجائب** أن من سلم من هذه الوقعة من أعيان المغل وهرب التجأ إلى ملطية فنزلوا بدار كبيرة فسقطت عليهم فماتوا تحت الردم.

وفي سنة ٦٩٠ كملت عمارة القلعة وكان قد شرع قراسنقر بعمارتها في أيام السلطان الملك المنصور فتمت في أيام الملك الأشرف فكتب اسمه عليها، وكان خربها هولاكو سنة ٦٥٨ فلبثت خرابا نحو ثلاث وثلاثين سنة.

انقراض دولة الصليبيين من سوريا وفلسطين:

وفي هذه السنة أعني سنة ٦٩٠ فتح الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور قلاوون مدينة عكا وأخذها من الصليبيين. وغنم منها ما لا يكاد يحصى. وقد ضعف أمر الصليبيين الذين هم بساحل سوريا فأخلوا صيدا وبيروت وصور وغيرها مما كان باقيا في أيديهم. وبذلك انتهت دولتهم من سوريا وسواحلها بعد أن كادوا يستولون على مصر.

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب النويري مقدمةج ١٥/١

وصول الملك الأشرف إلى حلب وفتحه قلعة الروم:

وفي سنة ٦٩١ وصل إلى حلب الملك الأشرف صاحب مصر ومعه جيش كبير من العساكر قاصدا فتح قلعة الروم من الأرمن. فسار إليها ونازلها ونصب عليها المجانيق ودام الحصار عليها حتى فتحت بالسيف يوم السبت حادي عشر رجب، وقتل من أهلها وسبى من ذراريها عدة كثيرة، واعتصم كتاغيكوس خليفة الأرمن فيها وغيره في القلعة، ثم طلبوا الأمان فأمنهم على أرواحهم خاصة وأن يكونوا أسرى عن آخرهم، ورتب السلطان علم الدين سنجر لتحصينها وإصلاحها وعاد إلى دمشق. وفي مرور السلطان من حلب عزل نائبها قراسنقر المنصوري وولى مكانه سيف الدين بلبان المعروف بالطباخ، وكان نائب الفتوحات ومقامه بحصن الأكراد، فولى مكانه عز الدين أيبك الخزندار المنصوري. وفي." (١)

"على الأرض تستطير الأرانب فزعا؛ فينفرن إلى أجحارهن ويتهاربن، وما كانت أبيات الشعر في ذهني إلا أرانب. أنتم لا تعرفون أن من كان حصيفا ثبيتا مثلي، كان دقيق الحس؛ ومن كان فدما غبيا مثل هذا، كان بليد الحس غليظا كثيفا؛ فإذا أنا استشعرت البرد رأيتني قد سافرت إلى القطب الشمالي؛ أما هذا المجنون فهو إذا استشعر بردا سافر إلى عباءته أو لحافه ... إذ هو لا يعرف جغرافيا، ولا يدري ما طحاها.

قلت: هذا منك أظرف من نادرة أبي الحارث. قال: وما نادرة أبي الحارث؟ وهل هو نابغة؟

قلت: جلس يتغدى مع الرشيد وعيسى بن جعفر، فأتي بخوان عليه ثلاثة أرغفة، فأكل أبو الحارث رغيفه قبلهما، والرشيد ملك عظيم، لا يأكل أكل الجائع، وإنما هو التشعيث من هنا وهناك؛ فكان رغيفه لا يزال باقيا؛ فصاح أبو الحارث فجأة: يا غلام، فرسي. ففزع الرشيد وقال: ويلك ما لك؟ قال: أريد أن أركب إلى هذا الرغيف الذي بين يديك ...

قال "النابغة": ولكن فرقا بين أبي الحارث وبين "نابغة القرن العشرين"، فإن **من العجائب** أني ربما نظرت إلى الرجل وهو يأكل فأجد الشبع، حتى كأنه يأكل ببطني لا ببطنه، ولكن **من العجائب** أن هذا لا يتفق لي أبدا حين أكون جائعا ... أما هذا المجنون الذي أمامنا، فربما أبصر الحمار على ظهره الحمل، فيشعر كأن الحمل على ظهره هو لا على ظهر الحمار.

قال الآخر: "مما حفظناه" أنه سرق لأعرابي حمار، فقيل له أسرق حمارك؟ قال: نعم، وأحمد الله. فقيل له: على ماذا تحمده؟ قال: على أني لم أكن عليه حين سرق ... فأنا إذا رأيت حمارا مثقل الظهر، حمدت الله على أن الحمل لم يكن علي، لا كما يقول هذا. ثم دق برجله دقات ...

فاستشاط "النابغة" وقال: أسمعتم كيف يقول إني مجنون، ثم لا يكتفي بهذا بل يقول إني حمار على ظهره الحمل؟

قلت: ينبغي أن تتكافا، وهذا لا يعيبك منه ولا يعيبه منك، فإن من تواضع "النوابغ" أن يشعروا ببؤس الحيوان، فإذا شعروا ببؤسه دخلتهم الرقة له، فإذا دخلتهم الرقة صار خيال الحمل حملا على قلوبهم الرقيقة؛ وقد يصنعون أكثر من ذلك: حكى الجاحظ عن ثمامة قال: كان "نابغة" يأتي ساقية لنا سحرا؛ فلا يزال." (٢)

---

(١) نهر الذهب في تاريخ حلب كامِل الغَزّي ١٤٠/٣

(٢) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ٢٩٦/٢

"وفائدته من جماله؛ فإذا خلا من هذه الصناعة التحق بغيره، وعاد بابا من الاستعمال بعد أن كان بابا من التأثير؛ وصار الفرق بين حاليه كالفرق بين الفاكهة؛ إذ هي باب من النبات، وبين الفاكهة إذ هي باب من الخمر؛ ولهذا كان الأصل في الأدب البيان والأسلوب في جميع لغات الفكر الإنساني، لأنه كذلك في طبيعة النفس الإنسانية.

فالغرض الأول للأدب المبين أن يخلق للنفس دنيا المعاني الملائمة لتلك النزعة الثابتة فيها إلى المجهول وإلى مجاز الحقيقة، وأن يلقي الأسرار في الأمور المكشوفة بما يتخيل فيها، ويرد القليل من الحياة كثيرا وافيا بما يضاعف من معانيه، ويترك الماضي منها ثابتا قارا بما يخلد من وصفه، ويجعل المؤلم منها لذا خفيفا بما يثبت فيه من العاطفة والمملول ممتعا حلوا بما يكشف فيه من الجمال والحكمة؛ ومدار ذلك كله على إيتاء النفس لذة المجهور التي هي في نفسها لذة مجهولة أيضا؛ فإن هذه النفس طلعة متقلبة، لا تبتغي مجهولا صرفا ولا معلوما صرفا، كأنها مدركة بفطرتها أن ليس في الكون صريح مطلق ولا خفي مطلق؛ وإنما تبتغي حالة ملائمة بين هذين، يثور فيها قلق أو يسكن منها قلق.

وأشواق النفس هي مادة الأدب؛ فليس يكون أدبا إلا إذا وضع المعنى في الحياة التي ليس لها معنى، أو كان متصلا بسر هذه الحياة فيكشف عنه أو يومئ إليه من قريب، أو غير للنفس هذه الحياة تغييرا يجيء طباقا لغرضها وأشواقها؛ فإنه كما يرحل الإنسان من جو إلى جو غيره، ينقله الأدب من حياته التي لا تختلف إلى حياة أخرى فيها شعورها ولذتها وإن لم يكن لها مكان ولا زمان؛ حياة كملت فيها أشواق النفس؛ لأن فيها اللذات والآلام بغير ضرورات ولا تكاليف؛ ولعمري ما جاءت الجنة والنار في الأديان عبثا؛ فإن خالق النفس بما ركبه فيها **من العجائب**، لا يحكم العقل أنه قد أتم خلقها إلا بخلق الجنة والنار معها؛ إذ هما الصورتان الدائمتان المتكافئتان لأشواقها الخالدة إن هي استقامت مسددة أو انعكست حائلة.

وقد صح عندي أن النفس لا تتحقق من حريتها ولا تنطلق انطلاقتها الخالدة فتحس وحدة الشعور ووحدة الكمال الأسمى إلا في ساعات وفترات تنسل فيها من زمنها وعيشها ونقائضها واضطرابها إلى "منطقة حياد" خارجة وراء الزمان والمكان؛ فإذا هبطتها النفس فكأنما انتقلت إلى الجنة واستروحت الخلد؛ وهذه المنطقة السحرية لا تكون إلا في أربعة: حبيب فاتن معشوق أعطي قوة سحر النفس، فهي تنسى به؛ وصديق محبوب وفي أوتي قوة جذب النفس، فهي تنسى." (١)

"النذر الحادثة في عام النار والذي يليه

ومن العجائب أن في السنة التي ظهرت فيها هذه النار احترق المسجد الشريف النبوي بعد انطفائها كما سيأتي، وزادت دجلة زيادة عظيمة فغرق أكثر بغداد وتهدمت دار الوزير، وكان ذلك إنذارا لهم، وليتهم اتعظوا.

ثم في أول السنة التي تلي هذه السنة وقعت الطامة الكبرى، وهي أخذ التتار لبغداد وقتل الخليفة المستعصم وبعده المسلمون، وبذل السيف ببغداد نيفا وثلاثين يوما، وأخرجت الكتب فألقيت تحت أرجل الدواب، وشوهد بالمدرسة المستنصرية معالف الدواب مبنية بالكتب موضع اللبن «١» ، وخلت بغداد من أهلها، واستولى عليها الحريق على ما ذكره سعيد الذهلي،

---

(١) وحي القلم الرافعي ، مصطفى صادق ١٩١/٣

واحترقت دار الخلافة، وعم الحريق أكثر الأماكن حتى القصور البرانية وترب الرصافة مدفن ولاة الخلافة، وشوهد على بعض حيطان منها مكتوب:

إن ترد عبرة فهذا بنو ... العباس دارت عليهم الدائرات

استبيح الحريم إذ قتل الأحي ... اء منهم وأحرق الأموات

ثم كثر الموت والفناء ببغداد، وطوى بساط الخلافة منها من ذلك الزمان، فلله الخلق والأمر!

وقد نظم بعضهم خروج هذه النار وغرق بغداد، وأصلحه أبو شامة منبها على أن الأمرين في سنة بقوله:

سبحان من أصبحت مشيئته ... جارية في الورى بمقدار

في سنة أغرق العراق، وقد ... أحرق أرض الحجاز بالنار

بعض ما يناسب هذه النار

قال المجد: ومما يناسب هذه النار ويضاهيها ما حكاه ابن جبير أنه رأى من أخبره أن في بحر رومية جزيرتين يخرج منهما النار دائما، قال: وأبصرنا الدخان صاعدا منهما، وتظهر بالليل نار حمراء ذات ألسن تصعد في الجو، قال: وأعلمنا أن خروجها من جبلين يصعد منهما نفس ناري شديد، وربما قذف فيها الحجر فتلقى به مسودا إلى الهواء بقوة ذلك النفس، وتمنعه من الانتهاء إلى القعر، قال: وأما الجبل الشامخ الذي بالجزيرة المعروف بجبل النار فشأنه أيضا عجيب، وذلك أن نارا تخرج منه في بعض السنين كالسيل

---

(١) اللبن: المضروب من الطين النيئ يا بنى به دون أن يطبخ.." (١)

"فوجدوا النار في ثمانية مواضع، فأطفؤوا ذلك، ثم رأوا أن مادة هذه النار لا تنقطع إلا بتنظيف الردم، فاجتمعت الآراء على ذلك بعد توقف تام من نائب الناظر، وعينوا لتعاطيه من يثقون به من الخدام والفقهاء والفقراء، وكان الصواب المبادرة لذلك أولا، ولكن على كل خير مانع، ولا يدري أحد أسرار ما الله في عباده صانع، ولما نظفوا ذلك وجدوا حلية الصندوق المجعول في جهة الرأس الشريف وجانبا من الكسوة وبعض البسط سالما لسقوط الردم عليه، ووجدوا القناديل التي كان التخوف في تنظيف ذلك المحل لأجلها، وأداروا على الحجرة الشريفة جدارا من الآجر في موضع المقصورة المحترقة، وجعلوا فيها شبابيك وطاقات وأبوابا، وقام بمصروف ذلك بعض النساء المباركات وغيرها، وسامح البناؤون بنصف أجرهم مع توفر المصروف بحاصل المسجد الشريف، وأحضرت تلك المرأة أيضا وغيرها كسوة للحجرة الشريفة من القماش الأبيض فجعلت عليها.

وفي ذلك كله عبرة تامة وموعظة عامة لأولي الأبصار، وهو منذر بأمر عظيم، ولهذا اختص به هذا المحل المنسوب إلى النذير صلى الله عليه وسلم، وقد ثبت أن أعمال الأمة تعرض عليه صلى الله عليه وسلم، فلما ساءت منا الأعمال المعروضة

---

(١) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى السمهودي ١٢٢/١

ناسب ذلك الإنذار بإظهار عنوان النار المجازي بها في موضع عرضها، ولم أزل في وجل مما يعقب ذلك حيث لم يحصل الاتعاظ والانزجار، وقد قال تعالى: وما نرسل بالآيات إلا تخويفا [الإسراء: ٥٩] ، وقال تعالى: ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون [الزمر: ١٦] وكأن لسان القدرة ينادي: ألا تتعظون بما ترون وتسمعون؟ ألا تنتهون وتنزجرون؟ ألا ترون إلى هذا المحل الشريف مع عظيم نسبته وعلو رتبته ومكانته لما تلوث باثاركم معشر المذنبين، وتدنس بأقذاركم كافة الغافلين، أرسلت عليه بحرا من النار السماوية تطهره من تلك الآثار، وتزجركم عن التمادي على الإصرار، وموالاة اتباع الأوزار، وتشهد بصائركم عموم القدرة، فترسلون من الأبصار سوابق العبرة، تأسفا على ما اجترحتموه قبل هذه العبرة، فمن لم ينته بهذا الزاجر الفعلي عن إصراره، ولم يقتبس من هذه النار العظيمة قبسا يهتدي بأنواره، فلينظر فيما حدث عقيب حريق المسجد القديم، ويتفكر في ضعفه عن احتمال العذاب الأليم، حمانا الله من ذلك، وسلك بنا أجمعين أحسن المسالك.

ومن العجائب أنه لم يتأت إخراج ردم هذا الحريق بعد نقله لمؤخر المسجد حتى حضر الحجاج من سائر الآفاق للزيارة، وشاهدوا هذه العبرة العظيمة، ورأوا ما اجتمع من الردم كالآكام والتلول الجسيمة، ثم قبيل دخول الحاج مكة بالقعدة الحرام من العام الثاني أرسل الله سيلا عظيما بمكة المشرفة ملأ ما بين الجبلين وعلا جدار أبواب المعلى، ودخل جوف الكعبة الشريفة، وارتفع فيها أزيد من قامة وهدم دورا كثيرة يقال إنها تزيد على ألفي دار،." (١)

"السابع: ما قدمناه من الظفر بمسجد بئر السقيا بالمدينة.

الثامن: أن المجد نقل عن الواقدي في ترجمة بقع أنه بضم الموحدة من السقيا التي بنقب بني دينار، وسنبين في نقب بني دينار أنه الطريق التي في الحرة الغربية إلى العقيق.

وأما قول المجد «إنه لم يكن عند هذه البئر بيوت في وقت، ولم ينقل ذلك» **فمن العجائب**؛ إذ من تأمل ما حول البئر المذكورة وما قرب منها علم أنه كان هناك قرى كثيرة متصلة، فضلا عن بيوت، كما يشهد به آثار الأساسات ونقض العمارات، وليت شعري أين هو من مسجد السقيا الذي أهمله تبعا لغيره ومن الله بوجوده بسبب التأمل في تلك الأساسات وآثار العمارات؟ ولما كشف التراب عن محله وجدنا من بنائه ومحرابه نحو نصف ذراع، وهو مجاور لهذه البئر كما سبق، وما ذكره من أن الاستعذاب من السقيا إنما كان لما استوخموا آبار المدينة فمردود، بل هو طلب الماء العذب، وأيضا أنهم لم يستوخموا كل آبارها.

وفي الصحيح في قصة مجيئه صلى الله عليه وسلم إلى أبي الهيثم بن التيهان قول زوجته «خرج يستعذب لنا الماء» ورواية الواقدي المتقدمة مصرحة بوقوع الاستعذاب من بئر مالك بن النضر والد أنس، وكانت بدار أنس كما تقدم بيانه، كما سيأتي في بئر غرس الاستعذاب منها أيضا. ثم لو سلمنا أن المراد من حديث أبي داود في الاستعذاب العين التي ذكرها قتيبة فهو محمول على أنه كان يستعذب له صلى الله عليه وسلم منها، إذا نزل قربها في سفر حجه ونحوه، أما استعذابه منها إلى المدينة فلا أراه وقع أصلا، والله أعلم.

---

(١) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى السمهودي ١٧٨/٢

بئر العقبة: - بالعين المهملة، ثم القاف- قال المجد: ذكرها رزين العبدري في آبار المدينة، وقال: هي التي أدلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر أرجلهم فيها، ولم يعين لها موضعا، والمعروف أن هذه القصة إنما كانت في بئر أريس، اه.

والذي رأيته في كتاب رزين في تعداد الآبار المعروفة بالمدينة ما لفظه: وبئر العين سقط فيها الخاتم، وبئر القف التي أدلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر أرجلهم فيها، انتهى. وقد قدمنا في بئر أريس ما يقتضي تعدد الواقعة.

بئر أبي عتبة: - بلفظ واحد العنب- قال ابن سيد الناس في خبر نقله عن ابن سعد في غزوة بدر، ما لفظه: وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكره على بئر أبي عنبة، وهي على ميل من المدينة، فعرض أصحابه، ورد من استصغره، اه.

وهذا مستند ما نقله المطري في الكلام على بئر السقيا حيث قال بعد ذكر عرض جيش بدر بالسقيا: ونقل الحافظ ابن عبد الغني المقدسي أنه عرض جيشه على بئر أبي عنبة بالحرة فوق هذه البئر أي السقيا، إلى المغرب، ونقل أنها على ميل من المدينة.

قلت: ولعل العرض وقع أولا عند مرورهم بالسقيا، ثم لما ضرب عسكره على هذه." (١)

١-"نهوض بالخطوب إذا اعترته ... فراما هبة السيف البتوك

عشيق الملك جاء بلا كتاب ... يرجى الوصل منه ولا ألوك

فمن للبخل يمسك ما حواه ... فما هو بالبخيل ولا المسوك

أجل الناس آراه وعلما ... مقال ليس يقرن بالأفوك

وما أحياه من سنن تعفت ... فدار صلا حها دور الدموك

ركوب للمنابر سار قصدا ... إليها وهي حائرة السلوك

فذكرنا مقال منه فصل ... مقال المصطفى بحرى تبوك

فأطلع منه شمس الملك سعدا ... وكانت نحسة بشفا الدلوك

لأعتمدن سير المدح فيه ... بإرقال يبر على الرتوك

أحوك من القصائد وشي مدح ... تفضله على الوشي المحوك

لقد فتك الزمان بسوء حالي ... فأنقذني من الزمن الفتوك

فتأخر الجواب عني بيومين، ثم وافت رقعة يقول فيها قد استحسنت الشعر غاية الإستحسان، ورأيتك تكلفت فيه ما لا يجب عليك من لزوم الواو في أرداف القافية ورأيت المدح مليحا قد وقع كله في القسم ورأيت في صدر الأبيات في نهاية الحسن، تقدمت فيها كل من وصف ما وصفت، وخاصة بيت البهار لتشبيهه شيئين فيه. وقد تأملت البيت الأخير وأنفذت إليك في هذا الوقت ما تبنى به المنهدم من حالك، إلى أن تنجلي الهبوة التي نحن فيها إن شاء الله. ومع الرقعة صرة ديباج مختومة بخاتم راغب الخادم، فيها ثلاثمائة دينار.

---

(١) وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى السمهودي ١٤٢/٣

وتنكر الساجية والحجرية للوزير، بعد أن صالحوا الخرشني، ورجع الجميع إلى منازلهم، وانحدر الوزير إلى دار السلطان بأرزاقهم، فعرفهم أن لا مال عنده، فوثبوا به وقبضوا عليه، والسلطان يراهم. فوثب ودخل وأمر راغبا يتسلم الوزير ويكون في يده، وأن لا تجري جناية عليه. ونهب الناس داره ودار ابنه الملاصقة لداره، وطرحوا فيها النار، ونهب جماعة من كتابه.

وأحضر أبو علي عبد الرحمن بن عيسى في هذا اليوم، فولي الوزارة وهو يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة من جمادى الأولى بعد أن عرض السلطان الوزارة على علي بن عيسى واستعفاه فأعفاه.

وكان **من العجائب** المشهورة أن دار ابن مقلة أحرقت في مثل اليوم الذي أمر فيه بإحراق دار سليمان بن الحسن بباب محول، وفي مثل ذلك الشهر بينهما حول كامل، وظهر في عشية هذا اليوم سليمان ابن الحسن والخصيبي واستوحش الخرشني الساجية والحجرية. وتحول فنزل دار الحسن بن هارون، وشغل عن العامة فعاثوا، ثم صار إليه جماعة من الحجرية فحلفوا له أنه واحد منهم فرضي ورجع إلى داره وكتب على حيطان ابن مقلة:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها وحين تصفو الليالي يحدث الكدر

وتحته صنع بدارك مثل ما صنعت بدار سليمان.

وحول ابن مقلة إلى دار الوزير أبي عبد الرحمن، فأحسن إليه وسلمه إلى هنكر وما كرد ليكون في أيديهما، ويناظره سليمان في الأموال بحضرتهما في يوم الأحد لثمان ليال بقين من جمادى الأولى في دار النوشري بقرب الحبس.

واتصل بالسلطان أن أبا الفتح بن ياقوت قد حبب جماعة محمد الأولياء وحملهم على الفتك بالخليفة والبيعة لأخيه عبد الواحد، فقبض عليه بين يدي الخليفة، وثب به الخدم وحبسوه في حجرة لأربع ليال بقين من جمادى الأولى. وصرف الخرشني عن شرطة بغداد لليلتين بقيتا من جمادى الأولى، وولوا كاجو الجانب الغربي، وجعل الجانب الشرقي إلى أبي الفتح تتج الحجري وأخيه أبي الفوارس سخرباس شركة بينهما.". (١)

٢-"الفضل بن محمد بن عبد الحميد بن واسع أبو برزة الجبلي عالم بصناعة الحساب مقدم فيها مقصود لأجلها مصنف في ذلك كتبا مفيدة منها. كتاب المعاملات. كتاب المساحة.

الفضل بن نوبخت أبو سهل الفارسي الأصل مذكور مشهور من أئمة المتكلمين وذكر في كتب المتكلمين واستوفي نسبه من ذكره كمحمد بن إسحاق النديم وأبي عبد الله المرزباني وكان في زمن هارون الرشيد وولاه القيام بخزانة كتب الحكمة وكان ينقل من الفارسي إلى العربي ما يجده من كتب الحكمة الفارسية ومعوله في علمه وكتبه على كتب الفرس وله من التصنيف كتاب البهطمان في المواليد. كتاب الفأل النجومي. كتاب المواليد مفرد. كتاب التشبيه والتمثيل. كتاب المنتحل من أقاويل المنجمين في الأخبار والمسائل والمواليد وغيرها.

فرات بن شحناثا اليهودي طبيب فاضل كامل في وقته متقدم العهد ومات تياذوق الطبيب يرفعه على تلاميذه وكان قد

---

(١) أخبار الراضي بالله والمتقي لله ص/٣٠

شاخ وكبر وخدم الحجاج بن يوسف وهو حدث وصحب في آخر عمره عيسى بن موسى العباسي ولي العهد في أيام المنصور وكان يشاوره في كل أموره ويعجبه عقله ورأيه وصواب قصده وقد مرت قطعة من رأيه ومشورته عليه في ترجمة موسى بن إسرائيل الكوفي اقتضى ذلك الموضع ذكرها ومات فرات هذا في أيام المنصور وكان عيسى بن موسى يتذكره بعد وفاته كلما وقع له شيء من الأمور التي كان ينذره بوقوعها ويقول أبا فرات سقى عهدك كأنك كنت شاهدا يومنا هذا.

الفتح بن نجبة الاصطرلابي مقيم ببغداد فاضل في عمل الآلات الفلكية منفرد في وقته بعمل الاصطرلاب وإحكامه وإجادة صنعته إلى أن كان لا يعرف إلا بالاصطرلابي وتوفي في ليلة يوم الأربعاء السادس من جمادى الأولى سنة خمس وأربعمائة.

فرخانشاه بن نضير بن فرخانشاه المنجم هذا أعجمي نزل بغداد في الأيام الديلمية وكان خبيرا بصناعة النجامة متكلما في علم حدثاتها توفي ببغداد لأربع بقين من جمادى الأولى سنة سبع وستين وثلاثمائة كذا ذكر هلال بن المحسن في كتابه.

فرفوريوس الصوري من أهل مدينة صور من ساحل الشام وقيل كان اسمه أمونيوس وغير وكان بعد زمن جالينوس وله النباهة في علم الفلسفة والتقدم في معرفة كلام أرسطوطاليس وقد فسر من كتبه ما ذكرناه في ترجمة أرسطوطاليس شكوا إليه ذلك من الأماكن النازحة عنه وذكروا سبب الخلل الداخل عليهم ففهم ذلك وقال كلام الحكيم يحتاج إلى مقدمة قصر عن فهمها طلبة زماننا لفساد أذهانهم وشرع في تصنيف كتاب ايساغوجي فأخذ عنه وأضيف إلى كتب أرسطوطاليس وجعل أولا لها وسار مسير الشمس إلى يومنا هذا.

فمن تصانيفه. كتاب ايساغوجي. كتاب المدخل إلى القياسات الحملية نقله أبو عثمان الدمشقي. كتابان له إلى أن أتابوا. كتاب الرد لبخيوش في العقل والمعقول تسع مقالات يوجد سريانيا. كتاب أخبار الفلاسفة وجدت منه المقالة الرابعة بالسرياني. كتاب لاسطقسات مقالة يوجد بالسرياني.

فلوطرخس كان فيلسوفا مذكورا في عصره يعلم جزءا متوفرا من هذا الشأن وله تصانيف مذكورة بين فرق الحكماء منها. كتاب الآراء الطبيعية يحتوي على آراء الفلاسفة في الأمور الطبيعية خمس مقالات. كتاب الغضب. كتاب فيما دل عليه مدارة العدو والانتفاع به. كتاب الرياضة نقله قسطا مقالة. كتاب في النفس مقالة.

فلوطرخس آخر غير الأول كان فيلسوفا في وقته مصنفا متفننا صنف كتاب الأنهار وخواصها وما فيها **من العجائب** والجبال وغير ذلك.

فلوطين هذا الرجل كان حكيما مقيما ببلاد يونان له ذكر وشرح شيئا من كتب أرسطوطاليس وذكره المترجمون في هذا النوع في جملة الشارحين لكتبه وخرج شيء من تصانيفه من الرومي إلى السرياني ولا أعلم أن شيئا منها خرج إلى العربي والله أعلم.". (١)

٣-"١٢٧/٢

أبدل الدهر وما ... الدهر علينا بشفيق

---

(١) أخبار العلماء بأخيار الحكماء ص/١٠٩

من عبيد الله ذي الأيد ... ي وذي الرأي الرشيق

حكما يخلط في المجد ...س من عي وموق

يا أبا الهيثم ما كنـ ... ـت لهذا بخليق

لا ولا أنت لما حمـ ... ـت منه بمطيق

أنت في المجلس كالكر ... كي ذي الرأس الخفوق

وقال:

إن كنت للسخطة عاقبتنا ... يا خالد فهو أشد العقاب

يا عجبا من خالد كيف لا ... يخطيء فينا مرة بالصواب

أصم أعمى عن طريق الهدى ... قد ضرب البول عليه الحجاب

كان قضاء الناس فيما مضى ... من رحمة الله وهذا عذاب

قال: أبو بكر وكيع: وكان خالد تائها جاهلا بالقضاء.

أخبرني عبد الله الحسن، عن النميري، عن محمد بن عبيد الله بن حماد، عن عبد الوهاب الثقفي، قال: قال لي: محمد بن سليمان الأموي: ما يكون من هذا الجاهل **من العجائب** ؟ قال: فقلت له: إن هذا ينسى، فوكل به من يحفظه ويكتبه ويحصيه عليه، قال: فوكل به جماعة يكتبون عجائبه التي يحكم بها، فكان مما حفظوا عنه أنه شهد عنده رجل عدله، وثلاثة لا يعرفهم،فقال:العدل يبقى بمكانه، والثلاثة برجل آخر عدل،، فحكم بشهادتهم.

وكان نهى الذراع أن يذرعوا إلا بخاتم يدفعه إليهم،ويأذن في ذلك،فأتاه عاصم بن عبيد الله بن الوادع الكلابي، وهو أبو عمرو بن عاصم الكلابي المحدث بسورجي قد كسح له أرضا، فقال: أصلحك الله، إن هذا كسح لي". (١)

٤-"ثم قال: ومن غير السلطانيات مما بز فيه سبقا وتبريزا وعرضه على نقدة البيان فرأت منه كل مذهبة خلصت إبريزا مرثيته للقاضي المعظم الشريف أبي القاسم الحسني من شيوخه أنجزها الوعد السابق في المقدمة بها:

أغرى سراة الحي بالإطراق ... نبأ أصم مسامع الآفاق

أمسى به ليل الحوادث داجيا ... والصبح أصبح كاسف الإشراق

فجع الجميع بواحد جمعت له ... شتى العلا ومكارم الأخلاق

هبوا لحكمكم الرصين فإنه ... صرف القضاء فما له من واق

نفش الزمان بصرفه في صفحة: ... كل جماع مؤذن بفراق

ماذا ترجى من زمانك بعدما ... علق الفناء بأنفس الأعلاق

من تحسد السبع الطباق علاءه ... عالوا عليه في الثرى بطباق

---

(١) أخبار القضاة ٢/١٢٧

إن المنايا للبرايا غاية ... سبق الكرام لخصلها بسباق

لما حسبنا أن تحول أبؤسا ... كشفت عوان حروبها عن ساق

ما كان إلا البدر طال سراره ... حتى رمته يد الردى بمحاق

أنف المقام مع الفناء نزاهة ... فنوى الرحيل إلى مقام باقي

عدم الموقف في مرافقة الدنا ... فثنى الركاب إلى الرفيق الباقي

أسفا على ذلك الجلال تقلصت ... أفياؤه وعهدن خير رواق

يا آمري بالصبر عيل تصبري ... دنى عدتك لواعج الأشواق

وذر اليراع تشي بدمع مدادها ... وشى القريض يروق في الوراق

يا حسرتي للعلم أقفر ربعه ... والعدل جرد أجمل الأطواق

ركدت رياح المعلوات لفقدها ... كسدت به الآداب بعد نفاق

كم من غوامض قد صدعت بفهمها ... خفيت مداركها على الحذاق

كم قاعد في البيد فوق قعوده ... قعدت به الآمال دون لحاق

لمن الركائب بعدك تنتضي ... ما بين شأم ترتمي وعراق

تفلى الفلا بمناسم مفلولة ... تسم الحصى بنجيعها الرقراق

كانت إذا اشتكت الوجى وتوقفت ... يهفو نسيم ثنائك الخفاق

فإذا تنسمت الثناء أمامها ... مدت لها الأعناق في الإعناق

يا مزجي البدن القلاص خوافقا ... رفقا بها فالسعي في إخفاق

مات الذي ورث العلا عن معشر ... ورثوا تراث المجد باستحقاق

رفعت لهم رايات كل جلالة ... فتميزوا في حلبة السباق

علم الهدة وقطب أعلام الورى ... حرم العفاة لمجتني الأرزاق

رقث سجاياه وراقت مجتلى ... كالشمس في بعد وفي إشراق

كالزهر في لألائه والبدر في ... عليائه والزهر في الإبراق

مهما مدحت سواه قيد وصفه ... وصفاته حمد على الإطلاق

يا وارثا نسب النبوة جامعا ... في العلم والأخلاق والأعراق

يا بن الرسول وإنها لوسيلة ... يرقى بها أوج المصاعد راقي

ورد الكتاب بفضلهكم وكمالكم ... فكفى ثناء الواحد الخلاق

مولاي إني في علاك مقصر ... قد ضاق علم النجوم نطاقي

ومن الذي يحصى مناقب فضلكم ... عد الحصى والرمل غير مطاق

يهني قبورا زرتها فلقد ثوت ... منا مصون جوانح وحداق

خط الردى منها سطورا نصها: ... لا بد أنك للفناء ملاق

ولحق ترجمة الكتاب وصدره ... وفوائد المكتوب في الألحاق

كم من سراة في القبور كأنهم ... في بطنها در ثوى بحقاق

قل للسحاب اسحب ذيولك نحوه ... والعب بصارم برقك الخفاق

أودي الذي غيث العباد بكفه ... يزري بواكف غيثك الغيداق

إن كان صوبك بالمياه فدرها ... در يروض ما حل الإملاق

بشر كثير قد نعموا لما نعى ... قاضي القضاة وغاب في الأطباق

ألبستهم ثوب الكرامة ضافيا ... وأرحت من كد ومن إرهاق

يتفيئون ظلال جاهك كلما ... لفحت سموم الخطب بالإحراق

عدموا المواقف في فراقك وانطوى ... عنهم بساط الرفق والإرفاق

رفعوا سريرك خافضين رءوسهم ... ما منهم إلا حليف سياق

لكن مصيرك للنعيم مخلدا ... كان الذي أبق على الأرماق

ومن العجائب أن يرى بحر الندى ... طود الهدى يسري على الأعناق

إن يحملوك على الكواهل طالما ... قد كنت محمولا على الأحداق

أو يرفعوك على العواتق طالما ... رفعت ظهر منابر وعتاق". (١)

٥-"وعادتها ألا توسط عندها ... فإما سماء أو تخوم تراب

فلا ترج من دنياك ودا وإن يكن ... فما هو إلا مثل ظل سحاب

ومثال الحزم كل الحزم إلا اجتنابها ... فأشقى الورى من تصطفي وتحابي

أبيت لها ما دام شخصي أن ترى ... تمر ببابي أو تطور جنابي

فكم عطلت من أربع وملاعب ... وكم فرحت من أسرة وصحاب

وكم عفرت حاسر ومدجج ... وكم أثكلت من معصر وكعاب

إليك بني الدنا نصيحة مشفق ... عليكم بصير بالأمور نقاب

طويل مراس الدهر جزل مماحك ... عريض مجال الهم حلس ركاب

تأتت له الأوهام أدهم سابقا ... وغصت به الأيام أشهب كابي

ولا تحسبوا أني على الدهر عاتب ... فأعظم ما بي منه أيسر مابي

وما أسفي إلا شباب خلعته ... وشيب أبى إلا نصول خضاب

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ص/١٦٤

وعمر مضى لم أحل منه بطائل ... سوى ما حلا من لوعة وتصابي

ليالي شيطاني على الغي قادر ... وأعذب ما عندي أليم عذاب

عكسنا قضايانا على حكم عادنا ... وما عكسها عند النهى بصواب

على المصطفى المختار أزكى تحيني ... فتلك التي أعتد يوم حسابي

فتلك عتادي أو ثناء أصوغه ... كدر سحاب أو كدر سخاب

و من مشهور نظم أبي خميس رحمه الله تعالى:

عجبا لها أيذوق طعم وصالها ... من ليس يأمل أن يمر ببابها

وأنا الفقير إلى تعلة ساعة ... منها وتمنعني زكاة جمالها

كم ذاد عن عيني الكرى متألق ... يبدو ويخفي في خفي مطالها

يسمو له بدر الدجى متضاءلا ... كتضائل الحسناء في أسمالها

وأين السبيل يجيء يقبس نارها ... ليلا فتمنحني عقيلة مالها

يعتادني في النوم طيف خيالها ... فتصبني ألحاظها بنبالها

كم ليلة جاءت به فكأنما ... زفت على ذكاء وقت زوالها

أسرى فعطلها وعطل شهبها ... بأبي شذا المعطار من معطارها

وسواد طرته كجنح ظلامها ... وبياض غرته كضوء هلالها

دعني أشم بالوهم أدنى لمعة ... من ثغرها وأشم مسكة خالها

ما راد طرفي حقيقة خدها ... إلا لفتنتة بحسن دلالها

أ نسيب شعري رق مثل نسيمها ... فشمول راحك مثل ريح شمالها

وأنقل أحاديث الهوى وأشرح غريب لغاتها واذكر ثقات رجالها

وإذا مررت برامة فتوق من ... أطلائها وتمس في أطلالها

وانصب لغزلها حبالة قانص ... ودع الكرى شر كالصيد غزالها

وأسل جداولها بفيض دموعها ... وانضح جوانحا بفضل سجالها

أنا من بقية معشر عركتهم ... هذى النوى عرك الرحى بثفاله

أكرم بها فئة أريق نجيعها ... بغيا فراق العين حسن مألها

حلت مدامة وصلها وحلت لهم ... فإن انتشوا فبحلوها وحلالها

بلغت بهرمس غاية ما نالها ... أحد وناء لها لبعد منالها

وعدت على سقراط سورة كأسها ... فهرق ما في الدن من جريالها

وسرت إلى فارات منها نفحة ... قدسية جاءت بنخبة آلها

ليصوغ من ألحانه في حانها ... ما سوغ القسيس من أرمالها

وتغلغلت في سهر ورد فأسهرت ... عينا يؤرقها طوق خيالها

فخبا شهاب الدين لما أشرفت ... وخوى فلم يثبت لنور جلالها

ما جن مثل جنونه أحد ولا ... سمحت يد بيضا بمثل نوالها

وبدت على الشوذى منها نشوة ... ما لاح منها غير لمعة آلها

بطلت حقيقته وحالت حاله ... فيما يعبر عن حقيقة حالها

هذى صبابتهم ترق صبابة ... فيروق شاربها صفاء زلالها

اعلم أبا الفضل بن يحيى أنني ... من بعدها أحرى على آمالها

فإذا رأيت مدلها مثلي فخذ ... في عذله إن كنت من عذالها

لا تعجبن لما ترى من شأنها ... في حلها إن كان أو ترحالها

فصلاحها بفسادها ونعيمها ... بعذابها ورشدها بضلالها

ومن العجائب أن اقيم ببلدة ... يوما وأسلم من أذى جهالها

شغلوا بدنياهم أما شغلتهم ... عني فكم ضيعت من اشغالها

حجبوا بجهلهم فإن لاحت لهم ... شمس الهدى عشوا بضوء ذبالها

وإن انتسبت فإنني من دوحة ... يتفيأ الإنسان برد ظلالها". (١)

٦-"نوارة عندما راقتبدوحتها ... أهوت إلى الترب من بين النواوير

جار الذبول عليها بعدما ملأت ... معاطس الدهر من طيب وتعطير

وسيف بأس الخطب أغمده ... صرف الحوادث فيها بعد تكسير

ثضى فوافق شهر الصيام مرتحلا ... ووافق الشهر في فضل وتطهير

واختاره خاطب الخطب الملم به ... للصهر كفئاً فأمضى العقد للحور

فسار للحين مسرورا وخلفا ... للحزن فاعجب لمجزون بمسرور

نادته أنجشة الأحزان يوم حدا ... أظعان فلبي رفقا بالقوارير

فالوجد والدمع من الحزن قد اقتسما ... قلبي وجفني بمنظوم ومنثور

فالقلب بالغيظ في تصعيد مستعر ... والجفن بالفيض في تصويب ممطور

وساق الخطاب يشدو الحاملين به ... يسوقهم سوق حادي العير للعير

وللملائك في آفاقها زجل ... قد شيعته بتهليل وتكبير

أثنى المصاب على شيخ الجزيرة في ... عقد وحل وتقديم وتأخير

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ص/٢١٢

ز خي طويلة جدا منها:
مقدمات الليالي طالما فضحت ... نتائج الغدر منها كل مغرور
جمع السلامة معدوم الوجود بها ... وكم بها للردى من جمع تكسير
وعامل الموت فيد أحصى مهنديه ... منازل العمر عدا دون تكسير
والأرض طرس وهذا الخلق أحرفه ... والحرف ما بين ننحو ومبتور
والدهر بالأفعال يظهراها ... طورا ويعجم منها كل مسطور
وإنما الخلق أسماء تعاورها ... إعرابه بين مرفوع ومجرور
وكلهم في مدى الأعمار تحسبهم ... كحالها بين ممدود ومقصور
والموت مثل عروضي يقطع من ... أبياتهم كل موزون ومكسور
يا من يؤمل أن يبقى وقد نفضت ... أيدي المقادير من إبرام تقدير
هذي الحقيقة لا ما حدثتك به ... آمال نفسك عن دنياك من زور
لا تخدعنك الليالي إن فتنتها ... كادت فكادت ترينا كل محذور
كم بادرت بعبوس الخطب من ملك ... قد بات بالبشر وضاح الأسارير
سائل كسرى مليك الفرس هل تركت ... له المنايا جناحا غير مكسور
وانزلا بصنعاء في قصر ذي يزن ... تلمم بقصر على الأغيار مقصور
اعبر على حيرة النعمان معتبر ... تعبر بأطلال نعمى ذات تغيير
وأين من كان سجن الجن في يده ... والإس والجن في قهر وتسخير
وأين مخترق الدنيا بعزمته ... يطوى البلاد بها طي الطوامير
بادروا فليس باب الرجل باد يحس به ... منهم وأفناهم ريب الدهارير
هو القضاء أبا بكر أصبت به ... فاصبر وسلم تسليم مأجور
والله يحرس دنياكم ويدفع عن ... سامي معاليك أنواع المحاذير
و حكي أن المتصم يحيى بن الناصر بن المنصور الموحدي ضرب بظاهر مراكش قبة حمراء فبادر إليها العرب والنصارى من عسكر عمه المأمون فقطعوا أطنابها فسقطت فقال في ذلك أبو عمرو هذا من قصيدة:
انظر إلى القبة الحمراء ساقطة ... لما رأت مضر الحمراء عن كثب
من كان أولى بها إن كنت ذا بصر ... لعجم أو معدن العليا من العرب
ونما سجدت لما سمت وغدت ... فوق الضلال وكانت أعجب العجب
و من رائق نظم أبي عمرو قوله:
هب النسيم ضحى ففاح المندل ... وتأرجت منه الصبا والشمال
أسرى عليلا فاستحث إلى الصبا ... صبا بأنفاس الصبا بتعلل

يهوى العذير وساكنيه ومن له ... لو كان يدنو منه ذاك المبزل

ما شام برقا بالفضا إلا انبرى ... شوقا على جمر الغضى بتمليل

والبرق في نقع السحائب سيفه ... سيف الكمى إذا يكر ويحمل

فكأن ذاك البرق واش قد مشى ... بنميمة والرعد لاح يعذل

وأنا الفداء لجيرة نزلوا الحمى ... وحمى القلوب هو الحمى والمنزل

وتحلوا يوم الفراق وإنما ... بقلوبنا يوم الفراق تحملوا

قبسوا ومن قلب المعذب موقد ... وردوا ومن جفن المعنى منهل

ما ضرهم إذ أعرضوا لو عرضوا ... للوصل أو ذكروا العهود فأقبلوا

حملوا الجمال على الجمال كأنما ... أفلاكها منها الأهلة تكمل

أبدت لنا حلي الطلى وتبسمت ... زهرا فراق مقلد ومقبل

ومن العجائب أن أهيم بجنة ... حلت بقلبي هو نار تشعل". (١)

٧-"الثالث - هشام بن إسماعيل المذكور هنا هو ثالث آباء أبي هشام، محمد بن سلمة لبفقيه المدني، صاحب مالك. قال الشيرازي: وكان مالك إذا دخل على الرشيد دخل رجلين من بني مخزوم: المغيرة عن يمينه وابن مسلمة عن يساره.

و هشام هذا هو الذي نسب إليه مدينة هشام المذكور في الوضوء والظهار والذي يذكر عنه ذكر عهدة الرقيق في خطبته وانظر شدة إنكار ابن العربي اعتبار مدينة في آية الظهار في أحكامه تطالع. انتهى ما ألفيت بخط الوانشريش.

و قد سنح لي أن ما ذكره الشيخ ابن غازي عن ابن رشد من أن طرد سعيد بن المسيب عمر بن عبد العزيز إنما كان في خلافته لا يتم إلا على الول بأن وفاته أعني سعيدا كانت على رأس المائة أو بعدها وأما على قول الأكثر إنه بعد التسعين بسنة أو سنتين أو أربع فلا يصح قطعا فتديره.

و **من العجائب** إغفال الشيخين : ابن غازي والوانشريشي له. وإلى الله منتهى العلم.

و لنرجع إلى تكميل كلام الشيخ ابن غازي في التأليف المذكور ونصه: أما برد فليس عند معظم قدركم أكثر من أنه مولى سعيد كما أن زيد بن حارثة وسفينة وأبا رافع وشقران: مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلال بن رباح مولى أبي بكر ويرفأ مولى عمر بن الخطاب وحمران مولى عثمان بن عفان ونافع مولى ابن عمر وكريب وعكرمة البربري موليا ابن عباس مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنهم. وقد صرح بذلك الحافظ أبو نعيم قائلا في ترجمة سعيد من الحلية عن برد مولى سعيد ابن المسيب: ما نوي للصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد. انتهى.

و لم أجد عند أبي جعف العقيلي ولا عند أبي يحي الباجي ولا عند ابن أبي أحد عشر الذي جمع بينهم من اسمه برد وذلك

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ص/٢٣٢

والله أعلم لأحد وجهين: إما أنه لم يتكلم فيخ أحد بجرح أو لكونه لا رواية له. ولا يعترض هذا بوقوعه في سند الحلية المتقدم إذ ليس بمرفوع. وقد ذكروا بعض من اسمه بريد وبريدة لوقوعهما في أسانيد المرفوع وتكلم بعض الأئمة فيهما ببعض الجرح وبالله العصمة لا رب غيره.

و أبو عبد الله بن أبي أحد عشر المذكر: هو من أهل المرية وقد عده صاحب بغية الراغب في أشياخه وعرف به تعريف كافيا.

٢ – و أما أبو طالب فليس عند معظم منصبكم في شأن غير ما تضمنته الصحاح من قوله آخر كلامه عند الموت: " على ملة عبد المطلب " وحديث الضحضاح الذي يغلي منه دماغه وقوله: " لولا أن تعيرني النساء على المغازل لأقررت بها عينك " وما نزل فيه من قوله تعالى:)ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم(وقوله سبحانه:)إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء(وقوله جل وعلى في أحد التأويلين: " و هم ينهون عنه وينأون عنه " . وأنشد في في تفسيرها الثعلبي والزمخشري له يخاطب رسول ليس صلى الله عليه وسلم :

و الله لن يصلوا إليك بجمهم ... حتى أوسد في التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... و ابشر بذاك وقر منه عيونا

و دعوتني وزعمت أنك ناصح ... و لقد صدقت وكنت ثم أمينا

و عرضت دينا لا محال أنه ... من خير أدينا البرية دينا

لولا الملامة أو حذاري سبة ... لوجتني سمحا بذاك مبينا

و قد فسر اللطيب في فتوح الغيب غريبها.

و بحسب ما تقرر من حاله أورد علماؤنا القاضي أو الفضل عياض وغيره السؤال على قوله عليه السلام : " لعله تنفعه شفاعتي " مع قوله تعالى:)فما تنفعهم شفاعة الشافعين(وانفصلوا عنه بما في كريم علم سيدنا.

و أما عبد المطلب الذي قلده من أهل الفترة وللقاضي أبي بكر بن العربي في كتاب الناسخ والمنسوخ كلام مليح على أهل الفترة عند قوله تعالى:)إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عيهم ولا هم يحزنون(.

و قد حدث محبكم غير واحد عن الشيخ سيدي أبي محمد عبد الله العبدوسي أنه كان يلهج بحديث وقف عليه في بعض الكتب غير واحد عن الشيخ سيدي أبي محمد أن الله عز وجل بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه حتى آمنا به صلى الله عليه وسلم إكراها لنبيه عليه السلام وكان العبدوسي يستحسنه ويسر به كثيرا.

و قد أنشدني بعض أصحابنا للنميري السلوى:". [١]

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ص/٢٦٠

٨-"إن توافقن فالجبال الرواسي ... أو تسابقن فالغيوث الحثائث

و المواضي كأنها قد أعيرت ... حدة الذهن منه عند المباحث

هي نار محرقات الأعادي ... و هي ماء مطهرات الخبائث

فيردن بالوغى ذكورا عطاشا ... ثم يصدرن ناهلات طوامث

من معاليه قد رأينا عيانا ... كل فضل ينصه من يحادث

خلق كالنسيم مر سحيرا ... بالأزاهير في البطاح الدمائث

في سبيل الإله يقضي ويدني ... و يوالي في ذاته ويناكث

شرف الملك منه سام وحام ... فقدته سام وحام ويافث

حاكها من بنات كسرى بكرا ... ليس يسموها من الناس طامث

ذات لفظ لا يعتريه اختلال ... و معان لا تنتحيها المباحث

ذوو فريض أبقوا بقايا ... كنت دون الورى لهن الوارث

من تقتادها فهي هذي ... عرضة البحث فليكن جد باحث

إن السلطان أبا عنان أطل من برج يشاهد الحرب على ما جرت به عادة الملوك فقال ابن جزي هذا في وصف الحال ما يكاد تعد معارضته من قبيل المحال وهو:

لله يوم بدار الملك مر به ... **من العجائب** ما لم يجر في خلد

لاح الخليفة في برج العلا قمرا ... يشاهد الحرب بين الثور والأسد

و من بارع نظمه رحمه الله تعالى:

أبا حسن إن شتت الدهر شملنا ... فليس لود بالفؤاد شتات

و إن حلت عن عهد الإخاء فلم أزل ... لقلبي على حفظ العهود ثبات

و هبني سرت مني إليك إساءة ... ألم تتقدم قبلها حسنات

و هو الذي ألف رحلة ابن بطوطة حسبما هو معلوم.

قال ابن الأحمر: ومن بارع نظمه رحمه الله تعالى قوله وهو بحال مرض:

إن يأخذ السقم من جسمي مآخذه ... و أصبح القوم من أمري على خطر

فإن قلبي بحمد الله مرتبط ... بالصبر والشكر والتسليم للقدر

فالمرء في قبضة الأقدار مصرفه ... للبرء والسقم أو للنفع والضرر

و حكى لي غير واحد أن الفقيه الكاتب القاضي الحاج الرحال إسحاق ابن الحاج النميري بقي في خلوته جميع شهر رمضان المعظم من عام سبعة وخمسين وسبع مائة فلما خرج يوم عيد الفطر أنشده سيدي أبو عبد الله بن جزي المذكور لنفسه يخاطبه:

ما سرار البدور إلا ثلاث ... فلماذا أرى سرارك شهرا
أتعجلته سرورا لعام ... ثم تبقي في سائر العام بدرا
و حكى أنه كتب رحمه الله للرئيس الكاتب أبي القاسم بن رضوان يطلب منه شراب سكنجبين وقصد التصحيف بقوله:
أحسن زان بيتك نجيب تسر به برء مرضى.
تصحيفه: أحب شراب سكنجبين شربه برء مرضى.
قال فجاوبه ابن رضوان بقوله:إن برء نفيس تصحيفه مقلوبا: يشفيك ربنا.
و تذكرت بهذا ما وقع للرئيس ابن الجياب فإنه أهدى له الفقيه ابن قطبة رمانا ثم دخل عليه عائدا فلما رآه قال له: يا فقيه نعم بالهدنة زمانك أراد: نعمت الهدية رمانك. وكان هذا قبل موته من مرضه بيسير وهو مما يدل على ثقوب ذهنه حتى قرب الموت سامحه الله وغفر له.
و من نظم أبي عبد الله بن جزي المذكور قوله:
رعي الله عهدا بالمرية لا أرى ... له أبدا ما عشت في الناس بالناسي
و كيف ترى بالله صحبة معشر ... مجاهد بعض منهم وابن عباس
و من ذلك قوله رحمه الله في الزاوية التي أنشأها أبو عنان وهو مكتوب عليها إلى قرب هذا التاريخ:
هذا محل الفضل والإيثار ... و الرفق بالسكان والزوار
دار على الإحسان شيدت والتقى ... فجزاؤها الحسنى وعقبى الدار
هي ملجأ للواردين ومورد ... لابن السبيل وكل ركب ساري
آثار مولانا الخليفة فارس ... أكرم بها في المجد من آثار
لا زال منصورا اللواء مظفرا ... ماضي العزائم سامي المقدار
بنيت على يد عبدهم وخديم با ... بهم العلي محمد بن جدار
في عام أربعة وخمسين انقضت ... من بعد سبع مئين في الأعصار
و من بديع نظمه رحمه الله قوله:
و ما أنسى الأحبة حين بانوا ... تخوض مطيهم بحر الدموع
و قالوا اليوم منزلنا الحنايا ... فقلت نعم ولكن من ضلوعي
و قوله رحمه الله:
و رب يهودي أتى متطببا ... ليأخذ ثارات اليهود من الناس". (١)

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ص/٣٠١

٩-"(١) إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهاده ولم يزل على حاله إلى أن توجه إلى مصر فطعن بها وتردى برداء تربها وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الاثنين ثامن شهر رجب الفرد سنة أربع وستين وسبع مئة كان هذا عز الدين أصغر من أخيه بدر الدين كان يعمل بيده عدة صنائع ويعاني التصوير ويصنع ذلك ولم يكن في ذلك مجيدا كما جود نجارة العود فإنه نجز للأمير سيف الدين طقطاي الدوادار عودا كان عجبا **من العجائب** وكان يلعب بالعود ووقفني مرة على مصنف وضعه في الموسيقى وكان قد دخل بعد وفاة أخيه بدر الدين إلى ديوان الإنشاء بدمشق وأقام به في قلة محصول من معلومه وتأخره إلى أن قطع الناس في أيام الوزير فخر الدين بن قروينه وكان في جملة من قطع ثم إنه يستكتب في الديوان على كتب القصص بغير معلوم وفي أيام القاضي جمال الدين بن الأثير منع من ذلك فساءت حاله وتوجه في صحبة شمس الدين بن أبي السفاح إلى مصر فطعن في يوم والثاني وتوفي رحمه الله تعالى وكان يكتب مقاربا وينظم كذلك الحسين بن عمر ابن محمد بن صبرة مؤنث صبر الأمير عز الدين ﷺ". (٢)

١٠-"(٣) ومنه في مليح خطائي فقال لي العذول أراك تبكي فقلت له بكيت على خطائي وقلت أراد التورية بالخطأ مهموزا مقصورا ضد الصواب عن الخطائي وهو المليح التركي الخطائي وهو ممدود مهموز فما قعدت معه التورية وكذلك استعمله جمال الدين بن نباتة فقال وهو من المادة الأولى في الخطأ وسوء الاستعمال هذا الكلام على الفصيح الذي هو المشهور عند أهل العلم وأما اللغة المرذولة المرجوحة الضعيفة التي هي غير فصحى فذاك بمعزل عن الانتقاد ومما قلت أنا في مليح خطائي أحببت من ترك الخطا ذا قامة فضحت غصون البان لما أن خطا إياكم وجفونه فأنا الذي سهم أصاب حشاه من عين الخطا وقلت أيضا يا قلب لا تقدم على سحر الجفون إذا سطا **ومن العجائب** أنه أضحى يصح مع الخطا ومن نظم بدر الدين الدشناوي موشح ﷺ". (٤)

١١-"(٥) العلماء وسلف الفضلاء أشعري العقيدة لا يقدر أحد على أن يكيده وكان يصحب أكابر الشافعية ومن فيه ذكاء أو ألمعية ولم يزل على حاله إلى أن فترت من الباردي حركاته واستولت عليه سكناته وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد خامس جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق ومولده سنة ثلاث وسبعين وست مئة وكان يدرس بالشرابيشية وقلت أنا فيه من بعد صدر الدين صدري ضاق بل قد ذاق فرط جوى وحزن زائد **ومن العجائب** أن قلبي يلتظي بالنار من حزني لأجل الباردي سليمان بن عبد الرحمن ابن علي بن عبد الرحمن الشيخ الإمام العالم نجم الدين

---

(١) ٢٨١

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر - موافق - محقق ٢/٢٨١

(٣) ٣٨٠

(٤) أعيان العصر وأعوان النصر - موافق - محقق ٢/٣٨٠

(٥) ٤٤٤

أبو المحامد النهرماوي بالنون والهاء والراء والميم والألف والواو الحنبلي قاضي القضاة ببغداد قال الحافظ نجم الدين الدهلي سمع ببغداد جميع الأربعين الطائية على ﷺ". (١)

١٢-"(٢) يدي وشرح الدريدية في مجلدين من أربعة ملكتها بخطه وقد أخرجتها عن يدي لما وقعت على أشياء في الشواهد ضبطها بخطه على غير الصواب وله المقامة الشهابية وضعها للقاضي شهاب الدين بن الخويي ملكتها بخطه مشروحة ومن شعره إن جزت بالموكب يوما فلا تسأل عن السيارة الكنس فثم آرام على ضمر لله ما تفعل بالأنفس بأحمر هذا وذا أصفر وأخضر هذا وذا سندسي فقل لذي الهيئة يا ذا الذي ينقل ما ينقل عن هرمسي قولك هذا خطأ باطل أما ترى الأقمار في الأطلس قلت أخذه من سيف الدين بن قزل المشد ونقصه لأنه قال زعم الأوائل أنما تبدو الذوائب للكواكب وتوهموا الفلك المعظ م أطلسا ما فيه ثاقب أتراهم لم ينظروا ما في الزمان **من العجائب** كم من هلال قد غدا في أطلس وله ذوائب وأنشدني من لفظه القاضي شهاب الدين أحمد بن عز الدين الفارقي الموقع قال ﷺ". (٣)

١٣-"باب العين والسين العسال: بفتح العين وتشديد السين المهملتين.

هذه اللفظة لمن يبيع العسل ويشتاره، والمشهور بهذه النسبة.

أبو عبد الله محمد بن موسى العسال، نيسابوري فقيه زاهد، يعد من أقران يحي بن يحيى، سمع ابن عيينة، وهشيما، وابن المبارك، والنضر بن شميل.

روى عنه أحمد بن حرب، وأيوب بن الحسن، ومشايخ عصره.

وأبو جعفر أحمد بن إسحاق بن واضح بن عبد الصمد بن واضح العسال مولى قريش، توفي في صفر سنة أربع وثمانين ومائتين، يروي عن سعيد بن أسد بن موسى وغيره.

قاله ابن يونس.

وأبو بكر بن عبد الوارث بن حرب بن عيسى الاسواني العسال، دعوتهم في موالي عثمان بن عفان، حدث عن محمد بن رمح التجيبي، وعيسى بن حماد بن زغبة وغيرهما.

روى عنه أبو القاسم الطبراني، وأبو بكر بن المقرئ، وأبو أحمد بن عدي وغيرهم، توفي بمصر في جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين ومائتين.

وأبو علي الحسن بن محمد بن أحمد العسال المصري، وكان في تفسير الرؤيا عجبا **من العجائب**، وسمع الحديث.

ذكره ابن يونس.

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر - موافق - محقق ٢/٤٤٤

(٢) ٣٩٨

(٣) أعيان العصر وأعوان النصر - موافق - محقق ٤/٣٩٨

توفي بتنيس وحمل منها ميتا في سنة اثنتين وثلاثمائة.
وأبو محمد عبد الغني بن عبد العزيز بن سلام العسال الفقيه، يروي عن ابن وهب، وابن عيينة، كان فقيها عاقلا، توفي في المحرم سنة أربع وخمسين ومائتين.
وابن ابنه أبو محمد عبد الغني بن محمد بن عبد الغني بن عبد العزيز العسال سمع من أبيه وغيره، ومات سنة تسع وثلاثين ومائتين.
قاله ابن يونس.
والامام أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن محمد بن محمد بن سليمان بن عبد الله العسال، من أهل أصبهان، ولي القضاء بها خليفة لعبد الرحمن بن أحمد الطبري، إمام كبير جليل القدر أحد أئمة الحديث فهما وإتقانا وأمانة.
قال أبو عبد الله بن". (١)

١٤-"وأبو كريب، والاشج، وإسرائيل.
وحجاج بن عمران السدوسي الكاتب، كان كاتب بكار بن قتيبة القاضي بمصر، من أهل مصر.
يروي عن سليمان بن داود الشاذكوني.
روى عنه أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني.
وسعيد بن عبدوس بن أبي زيدون الرملي الكاتب، من أهل الرملة، كان محمد بن يوسف الفريابي، نزيل قيسارية، روى عنه.
قال ابن أبي حاتم: كتبت عنه بالرملة، وهو صدوق.
الكاجري (١): هذه النسبة إلى قرية من قرى نسف، يقال لها: كاجر، على فرسخين منها.
خرج منها جماعة من المحدثين والائمة، سمعت السيد أبا بكر أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسيني، ببخارى، يقول: قال بعضهم:
ومن العجائب والبدائع جمة * في مجلس السلطان عيسى الكاجري ومن هذه القرية: أبو أحمد محمد بن جعفر بن محمد بن عصمة الكاجري.
سمع أبا سهل هارون بن أحمد الاستراباذي، وأبا جعفر محمد بن عبد الله الفقيه الهندواني، وأبا الفوارس أحمد بن محمد بن جمعة النسفي، وجماعة.
روى عنه أبو العباس المستغفري.
ومات في رجب، سنة إحدى عشرة وأربعمائة.
وأبو سلمة أحمد بن محمد بن عيسى بن سليمان بن داود الكاجري.
سمع الليث بن نصر الكاجري.

---

(١) الأنساب للسمعاني ٤/١٨٩

روى عنه أبو تراب إسماعيل بن طاهر النسفي، ولم يسمع منه أحد سواه.
ومات يوم الجمعة، بعد الصلاة، ودفن يوم السبت، لليلتين بقيتا من المحرم، سنة عشر وأربعمائة.
وأبو محمد عبد الرحمن بن الليث بن نصر بن يونس بن إبراهيم بن ثابت الكاجري، يروي عن أبيه، ومحمد بن طالب بن زكريا، وعبد المؤمن بن خلف، النسفيين.
روى عنه أبو جعفر عبد الملك بن عبد الله الخزاعي الهروي، وغيره.
الكاجغري: بفتح الكاف والجيم الساكنة بينهما الالف والغين المعجمة المفتوحة وفي

---

(١) ضبط ابن الاثير النسبة، فقال: " بالكاف المفتوحة وبعد الالف جيم ثم راء ".
[*]". (١)

١٥-"(وحين تعاطيت الفنون ونيلها *** تبين لى أن الفنون جنون) قلت ولم يذكر في هذه الترجمة جميع مصنفات صاحبها بل أهمل منها التلويح وهو من أجل مصنفاته وأهمل منها شرح الرسالة الشمسية وهو ايضا من أجلها وبالجملة فصاحب الترجمة متفرد بعلومه في القرن الثامن لم يكن له في أهله نظير فيها وله من الحظ والشهرة والصيت في أهل عصره فمن بعدهم مالا يلحق به غيره ومصنفاته قد طارت في حياته إلى جميع البلدان وتنافس الناس في تحصيلها ومع هذا فلم يذكره ابن حجر في الدرر الكامنة في أهل الماءة الثامنة مع أنه يتعرض لذكره في بعض تراجم شيوخه او تلامذته وتارة يذكر شيئا من مصنفاته عند ترجمة من درس فيها أو طلبها فإهمال ترجمته **من العجائب** المفصحة عن نقص البشر وكان صاحب الترجمة قد اتصل بالسلطان الكبير الطاغية الشهير تيمورلنك المتقدم ذكره وجرت بينه وبين السيد الشريف الجرجانى المتقدم ذكره مناظرة في مجلس السلطان المذكور في مسئلة كون ارادة الإنتقام سببا للغضب أو الغضب سببا لإرادة الإنتقام فصاحب الترجمة يقول بالأول والشريف يقول بالثانى قال الشيخ منصور الكازرونى والحق في جانب الشريف وجرت بينهما ايضا المناظرة المشهورة في قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) ويقال بأنه حكم بأن الحق في ذلك مع الشريف فاغتم صاحب الترجمة ومات كمدا والله أعلم". (٢)

١٦-" الشعراء وله تواليف في فنون شاهدة بفهمه ودالة على سعة علمه وقد أوردت في تأليفي المترجم بتحفة القادم كثيرا من شعره وكتب إلي أبو عمر بن عات أن أبا الحسن بن المفضل أنشده بالاسكندرية قال أنشدنا عبد الله بن يوسف القضاعي قال أنشدني أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي قال أنشدني أبو محمد التكريتي من تلامذة أبي حامد الغزالي لأبي حامد هذا ولم أسمعه من غيره ولا ذكر له أبو الصلت في الحديقة غيره

---

(١) الأنساب للسمعاني ٩/٥
(٢) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٢/٢٩٦

(حلت عقارب صدغه في خده ٪ قمرا يجل بها عن التشبيه)

(ولقد عهدناه يحل ببرجها ٪ **فمن العجائب** كيف حلت فيه) (١)

توفي سنة عشرين وخمسمائة أو بعدها بيسير وهو من أبناء الستين أفادني أكثر خبره بعض أصحابنا عن أبي عبد الله بن عبد الخالق الخطيب بالمنستير من أعمال المهدية & باب اصبغ &

٥٤١ أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء مولى الوليد بن عبد الملك بن مروان والد قاسم بن أصبغ من أهل قرطبة وأصله من بيانه عملها سمع الحديث ببلده وروى عن يحيي بن يحيي وغيره ولم يزل يختلف إلى المشرق تاجرا حتى ضعف وكان خيرا دينا كثير الجهاد والرباط دائبا على ذلك إلى أن توفي في جمادى الأولى سنة ثلاث مائة ذكر خبره الحكم المستنصر بالله وفيه يسير عن غيره وقال ابن حيان توفي سنة إحدى وثلاث مائة

٥٤٢ أصبغ بن عنبسة اللخمي من أهل قرطبة يعرف بالباجي كان عنده علم بالعربية وبصر باللغة ورواية للشعر وأدب سعيد بن أبي القاسم خال الناصر عبد الرحمن بن محمد ذكره الرازي

٥٤٣ أصبغ بن ناصح المددي من أهل قرطبة يكنى أبا القاسم ويعرف بالمجذر

---

١ – الكامل

". (١)

١٧–" وقد ظهر للناس دلائل ذلك

ومنهم علي بن محمد الجندي اصله من بلدي الجند ثم صار الى تعز فتفقه بها ثم ترتب معيدا بالشمسية ثم نقله ابن الاديب الى تدريس الغرابية وهو عليه الى الآن فيه دين وفقه لائق وبشاشة للأصحاب وأنس ومنهم أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي المقري ابن محمد بن مسعود الجعفري نسبا الاصابي بلدا كان جده على المقري من كبار أصحاب أبي بكر الجناحي وأما هذا يوسف فأخذ بالقراءات السبع بزبيد عن المقري يوسف بن المهلهل وعن احمد بن يوسف الريمي واخذ النحو عن ابناء افلح ثم طلع الجبل فتفقه بجماعة من اهل تعز فاخذ عن ابن جبريل وابن المقري مقدمي الذكر وعن غيرهما من فقهاء تعز وصحبته فارتضيت صحبته ودينه ونزاهة فضله وفقهه ورتبه الناصر في الاشرفية مدرسة ابيه مدرسا بتعز ثم نقله الى مدرسة عمته المقدم ذكرها ثم نقله عنها الى مدرسة زبيد المنسوبة الى دار الدملوة فهو عليها الى الآن ولم يزل مجتهدا في العلم الى عصرنا سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة

ومنهم أبو بكر بن موسى الزيلعي فقيه فاضل درس بالنجاحية ثم خودع ونقل إلى مدرسة المظفرية بقرية المحاريب وله يد جيدة بالفقه وعليه سيماء الصلاح ويذكر ببركة التدريس وهو نائب الحاكم بذي عدينة وله مروة وشرف نفس وصلاح قرأ علي المقامات والدريدية وتذاكرنا تاريخ المولد وإذا تقريبا من سبعين وستمائة ولقد أخبرني مرة وقد ورد علينا

---

(١) التكملة لكتاب الصلة ١/١٦٩

الجند لبعض حوائجه أنه سمع الفقيه الصالح علي بن أحمد أحد فقهاء الحبشة وصلحائها وزهادها وقد تذاكر هو وخاله اسمه عمر بن داود وقد سأله عما رآه في عمره **من العجائب** فقال دخلت يوما على مريض فوجدت عند راسه شيئا يشبه جرذ وهو ينظر إلى وجه المريض

". (١)

١٨-"٪ تروم الملوك ندى جعفر ٪ ولا يصنعون كما يصنع ٪ ٪ وليس بأوسعهم في الغنى ٪ ولكن معروفه أوسع ٪

وخمدت نار فارس أي مع إيقاد خدامها لها أي كتب له صاحب فارس إن بيوت النار خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت أي غارت بحيرة ساوة أي بحيث صارت يابسة كأن لم يكن بها شيء من الماء مع شدة إتساعها أي كتب له بذلك عامله باليمن وإلى هذا يشير صاحب الأصل بقوله ٪ لمولده إيوان كسرى تشققت ٪ مبانيه وانحطت عليه شؤونه ٪ ٪ لمولده خرت على شرفاته ٪ فلا شرف للفرس يبقى حصينه ٪ ٪ لمولده نيران فارس أخمدت ٪ فنورهم إخماده كان حينه ٪ ٪ لمولده غاضت بحيرة ساوة ٪ وأعقب ذاك المد جور يشينه ٪ ٪ كأن لم يكن بالأمس ريا لناهل ٪ وورد العين المستهام معينه ٪

وإلى ذلك أيضا يشير صاحب الهمزية رحمه الله بقوله ٪ وتداعى إيوان كسرى ولولا ٪ آية منك ما تداعى البناء ٪ ٪ وغدا كل بيت نار وفيه ٪ كربة من خمودها وبلاء ٪ ٪ وعيون للفرس غارت فهل كا ٪ ن لنيرانهم بها إطفاء ٪

أي **ومن العجائب** التي ظهرت ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم إنهدام إيوان كسرى أنوشروان الذي كان يجلس به مع أرباب مملكته وكان من أعاجيب الدنيا سعة وبناء وإحكاما ولولا وجود علامة صادرة عنك إلى الوجود ما تهدم هذا البناء العجيب الإحكام

ومن ذلك أيضا أنه صار تلك الليلة كل واحد من بيوت نار فارس التي كانوا يعبدونها خامدة نيرانه والحال أن في ذلك البيت غما وبلاء عظيما من أجل سكون لهب تلك النيران التي كانوا يعبدونها في وقت واحد

ومن ذلك أيضا غور ماء عيون الفرس في الأرض حتى لم يبق منها قطرة وحينئذ يستفهم توبيخا وتقريعا لهم فيقال هل تلك المياه التي غارت كان بها إطفاء لتلك النيران ويقال في جوابه لا بل إطفاؤها إنما هو لوجود هذا النبي العظيم وظهوره

ورأى الموبذان أي القاضي الكبير وفي كلام ابن المحدث هو خادم النار الكبير

". (٢)

---

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك ٢/١٥٠

(٢) السيرة الحلبية ١/١١٩

١٩-"اعطي لسانا وشفتين وله قوة مودعة في الزائدتين الناتئتين ماض ذو الثلاثة بمضارع مقرون لا يأمن الكسر وان قارن النون وضع لانشاء المدح او الذم دخل تحت الابهام وهو على جسم نام متحرك في بعض الاحيان جوهر يقوم به الاعراض من الالوان فتى ذو حال كلما احال لايخلو كلامه عن القيل والقال بشواة ربما تضرب وحوصلتها ملئة علقت كثير التغرب في عين حمئة اعجب به ملاعب ظله اذ عبر ما لم يبلله القطر لم ينتظر واذا انبت ريشه لا يتمكن من المطار الى ان يحصل خبر صليب العود قوي العصب لا يأوي الا الى ظل ذي ثلاث شعب مخيف لا يخلو من النقش في الاسفار مستخف بالليل وسارب بالنهار **ومن العجائب** انه كليم مقوال وفي فيه جار سيال مرسال قارة يقربها الحمال فتسيل بقطع عروقها في الحال ملك صاحب الغار يقال له ذو المنار وهو جائع غريق بعسطش بانف شامخ وأذن شرقاء رعوم ذو ناب له خرطوم وله في وصف السيف

فيا سائلي عن اصل ذلك النصل استمع لما يتلى عليك في هذا الفصل انه نص قاطع وبرهان ساطع ذو النون ذهب مغاضبا فالتقمه الحوت فنادى في ظلمة فاحمة فنبذناه وانبتنا عليه شجرة قائمة ذو القرنين بقبضته الشرق والغرب وله اليد الطولى في كل ضرب من الحرب سلطان مصري فاتح الشامات قاهر القروم قهرمان دمشقي مالك رقاب العجم والروم عضد الدولة رونق الملة فتح لاوليائه ومقت لاعدائه طالما ابعد نفسه عن نيام فانام تحت ظله الانام في شجرة النسب فناري اما في العصب قناري كرماني ينشرح ما في متنه من المأثور ويسمع اثناء محادثته باللؤلؤ المنثور اشراقي بجلائه الطبع وصفائه الحميم وقد كان في شرحه من المشائين بنميم خرجت من منكبيه الأفعيان فكأنه ضحاك ناسب ان ينسب الى تيمور حيث انه سفاك حديد اللسان في تبيانه ومن لسانه علو شانه صبيح الصلب عارضه مصقول ناحل قد يعرض له ذات الجنب وهو مسلول تارة وهو من اصحاب اليمين يتلألؤ وجهه البريق بانوار مشرقة مصرما ومرة تلقاه وهو من اصحاب الشمال الذين اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اسمه خليل وكنيته

". (١)

٢٠-"علي بن أحمد بن يوسف السيد العلاء أبو الحسن بن العلامي الشهابي أبي العباس. الرومي ثم المقدسي الحنفي. ممن أخذ عني أشياء وكتبت له إجازة.

علي بن أحمد نور الدين الأزهري الحنفي الأسمر. مضى فيمن جده خليفة.

علي بن أحمد نور الدين القجطوخي ثم القاهري الأزهري المالكي المقرئ أحد الشهود الجالسين تجاه حانوت المجهزين بالقرب من الجوانية ويعرف بين أهل بلده بابن فليفل. ولد تقريبا سنة تسع وثلاثين وثمانمائة بقوج طوخ من الغربية غربي طنتدا ونشأ بها فحفظ القرآن ثم تحول إلى الأزهر فجاور به وقرأ الرسالة والشاطبيتين وغيرها واشتغل في الفقه وغيره قليلا وتنزل في سعيد السعداء وغيرها، واعتنى بالقراءات فأخذها عن عبد الغني الهيثمي والزين جعفر وناصر الدين الأخميمي حتى أتقن السبع بل

---

(١) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص/٤٨٠

وأخذ عن السنهوري وأجيز، وحج وجاور وسافر عيداب وغيرها وكان لا بأس به ممن يتكسب بالشهادة حتى مات في ربيع الأول سنة اثنتين رحمه الله.

علي بن أحمد الموفق بن سالم. فيمن جده محمد بن سالم.

علي بن أحمد المصري ثم الشامي الشافعي الأشعري ويعرف بابن صدقة. ولد سنة تسعين وسبعمائة وأخذ الفقه عن الولي العراقي والتقي بن قاضي شهبة وحضر دروس العلاء البخاري وبرع وصنف معالم الأحكام في الفقه والكوكب الوهاج في شرح المنهاج وأسرار العبادات والقربة إلى رب البريات والجمع المنتخب في الوعظ والخطب أثنى عليه الدوماطي بالتواضع والتودد وكرم النفس مات في.

علي بن أحمد الزيادي – بالتشديد نسبة لمحلة زياد بالغربية، وهو والد محمد وأحمد وعزيزة وأحمد صوفية سعيد السعداء. مات سنة ثمان وأربعين وكان خيرا.

علي بن أحمد الشيبي العراقي. فيمن جده علي بن محمد بن علي بن عيسى.

علي بن أحمد الصنعاني اليماني. قال شيخنا في معجمه لقيته بالمهجم فأنشدني قصيدة رثى بها البرهان المحلي ومدح في آخرها ابنة الشهاب أولها:

هي المنايا فلا تبقي على أحد ... لا والد مشفق بر ولا ولد

قال: **ومن العجائب** أن الشهاب مات في تلك السنة أعني سنة ست فمات الوالد والولد.

علي بن أحمد الطناني ثم القاهري الغزولي. قرأ القرآن وجوده على الوالد وأقبل على التكسب في سوق الغزل وغيره وتمول ولا سيما بالمعاملات مع التقلل من المصروف وقد حج كثيرا. ومات في العشر الأخير من ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وهو سائر بطريق الحجاز قبل الوصول إلى رابغ ودفن بها وتفرقت أمواله حتى أوقافه فلم تصرف فيما عينها له وقد كان جعل النظر فيها إلي فما التفت لذلك؛ وكان كثير التلاوة محافظا على الجماعة وزيارة الصالحين وحسنت حاله كثيرا قبيل موته سامحه الله ورحمه وإيانا.

علي بن أحمد الوزروالي المغربي كان صالحا. مات في صفر سنة ثمان وستين. أرخه لي بعض المغاربة.

علي بن أحمد اليمني من أهل أبيات حسين ويلقب بالأزرق. كان كثير العناية بالفقه وجمع فيه كتابا كبيرا. مات في سنة تسع. أرخه شيخنا في أنبائه والظاهر أنه غير الصنعاني الماضي قريبا.

علي بن إدريس العلاء الرومي العلائي ثم القاهري الحنفي جد البدر محمد بن البدر أحمد الآتي. مات في شعبان سنة اثنتين وسبعين عن بضع وسبعين وكان ممن قدم من الروم شابا فاشتغل عن ابن القباني والبدر بن العيني والطبقة في الفقه وأصله والعربية وتنزل في المؤيدية أول ما فتحت ثم لما قدم الكافياجي لزمه في ذلك حتى مات بحيث نزله في التربة الأشرفية. وحج غير مرة وكان الظاهر جقمق يسعفه في ذلك ودرس ببعض الأماكن من نواحي النيابة وكان طارح التكلف خيرا فاضلا. أفادنيه حفيده. علي بن الأرزق. في ابن أبي بكر بن خليفة.

علي بن إسحاق بن محمد بن حسن بن محمد بن مصلح بن عمر بن عبد العزيز بن حجي العلاء التميمي الخليلي الشافعي

والد أحمد وعبد الرحمن. ولد سنة ثلاث وستين وسبعمائة واشتغل وأخذ عن البلقيني وابن الملقن وغيرها وأذنا له بالإفتاء والتدريس وسمع على العراقي والتنوخي وطائفة، وولي قضاء القدس وكذا الخليل وأعاد بالصلاحية أيام قضائه بالقدس بل ناب في القضاء بالقاهرة وكان عالما فاضلا جيدا حسن السيرة والملتقى. مات في سنة ثلاثين بالخليل رحمه الله وإيانا.". (١)

٢١-"علي بن حسن بن علي بن محمد بن جعفر العلاء السلماني القريري من قرى حوران. ولد في ذي الحجة سنة ثلاث وستين وسبعمائة وقدم من بلده في سنة سبع وسبعين واشتغل بعمل السكر ثم قرأ القرآن بحلقة إبراهيم الصوفي وسمع الحديث ثم اشتغل بالبادرائية على الشرف بن الشريشي والزهري والقرشي وأخذ عن الشرف الغزي والملكاوي وأكثر عنه بخصوصه وحصل له وظائف ثم بعد الفتنة افتقر وساءت حالته وذهب إلى طرابلس وصفد وناب في الحكم بأعمالها ثم عاد إلى دمشق، وحج غير مرة وجلس في دكان يتجر في الثياب ثم مع الشهود بباب الشامية إلى أن مات وكذا جلس مدة للإقراء وكتب على الفتاوى وأم بالشامية البرانية وكان يقرأ في المحراب جيدا وللناس فيه اعتقاد كبير، ولم نجد له سماعا على قدر سنه نعم سمع على الكمال أحمد بن علي بن عبد الحق بعض الاستيعاب لابن عبد البر وقال ابن اللبودي أنه سمع من جماعة وحدث سمع منه الفضلاء، ومات في شوال سنة اثنتين وأربعين بدمشق ودفن بمقبرة باب الفراديس. أرخه ابن اللبودي وغيره.

علي بن حسن بن علي بن معين العلاء السنباطي الأصل القاهري الماضي أبوه ويعرف بابن إمام المؤيد. ممن انتمى العلاء بن الصابوني ناظر الخاص وصار يتكلم له في أشياء كالمواريث للحاج وتكرر سفره لذلك وكذا تكرر دخوله الشام له مع عقل وأدب وقد خالطني في السفر لمكة بل رافقني من بطن مر إليها سنة ست وتسعين ثم بلغني أنه استقر في نظر الطور.

علي بن الحسن بن علي نور الدين الدهشوري ممن سمع مني بالقاهرة علي بن حسن بن علي المحلي الهيثمي ثم القاهري القصير خادم الشيخ محمد بن صالح الآتي بين الفقراء ونحوهم بكاتم السر. لازمخدمة المشار إليه وتردد إلى الأكابر وتنزل في بعض الجهات وسمع على بعض الشيوخ بقراءتي بل سمع مني في الإملاء وغيره.

علي بن حسن بن علي الغمري المراكبي أبوه ويعرف بابن خروب. ممن حفظ المنهاج وعرض علي في جملة من الجماعة، وحج واشتغل قليلا عند الأمين ابن النجار ثم الحليبي وأهدي إليه فولاه الزيني زكريا قضاء منية غمر شركة لفارس ثم لغيره وعد من العجائب.

علي بن حسن بن عمر التلواني. هكذا ساق شيخنا نسبه في تاريخه وصوابه علي بن عمر بن حسن بن حسين وسيأتي.

علي بن حسن بن قاسم بن علي بن أحمد بن الخواجا نور الدين ابن عم الخواجا بدر الدين الملقب بالطاهر الماضي وكذا يلقب هو بها الصعدي اليماني ثم المكي. ولد في أوائل القرن بينبع في قدوم أبويه من القاهرة إلى مكة ونشأ ببلاده وولي في أيام الظاهر يحيى بعض الولايات بزبيد وغيرها وقدم مكة وعمر بها دارا. مات في صفر سنة سبع وخمسين بمكة. أرخه ابن فهد.

---

(١) الضوء اللامع ٣/٤١

علي بن حسن بن محمد بن قاسم بن علي بن أحمد نور الدين بن الخواجا بدر الدين الطاهر الماضي وأخو الجمال محمد الآتي وهو أكبر. ولد سنة ثمان وثلاثين أو في التي قبلها ونشأ فقرأ القرآن عند الشهاب الشوايطي ثم ابن عطيف وصلى به على العادة مرة بعد أخرى ولا أستبعد أن يكون هو وأخوه سمعا على التقي بن فهد وأبي الفتح المراغي وغيرهما وأجاز لهما جماعة باستدعاء ابن فهد ولكنهما لم يتوجها لشيء من هذا، وكان في ظل أبيه وسافر إلى القاهرة في سنة خمس وتسعين مطلوبا فتكلف لعشرة آلاف دينار استدان أكثرها فيما قبل ورجع فدام منكسرا. ومات في أوائل صفر سنة تسع وتسعين عقب أخيه بيسير جدا، وكان كثير التلاوة والطواف والجماعة حتى الظهر الذي قل اعتناء كثيرين من أهل مكة لشهوده جماعة فيما بلغني مع ينتمي للشيخ عبد المعطي مع تقلل كبير وتظلم من أخيه. علي بن حسن الحاضري يأتي في ابن حسين بن علي.

علي بن حسين بن إبراهيم الدمشقي ويعرف بالغزاوي. ممن سمع مني بمكة.". (١)

٢٢-"دعني أقلعها فامتنع أشد امتناع فلم يلتفت لذلك بل أمر بإلقائه على الأرض غصبا وربطت سنه بخيط حرير مبروم ثم ديس برجل على صدره بحيث لا يتمكن من الحركة وجبذ سنه فانقلع وانتشرت الدماء فانشرح الزيني وكل من هناك غير ملتفت لتضمنه لزوم الدية إلى غير ذلك مما تقدم عنوانه، وكان مع قلة بضاعته في العلم بل عدمها وكونه عريض الدعوى من دواهي العالم، حتى أنه ربما غطى دهاؤه وحسن تأتيه في الكلام على مخدومه جهله بحيث يساء من عنده من فضلاء مجلسه كيحيى بن العطار بذلك وينتدبون لإظهار جهله عند كبيرهم فيسألونه مسائل مشكلة أو غيرها وهو يتخلص منهم بكل طريق ممكن وفي الغالب يقول لهم: حتى نكشف ثم يأتي الزين قاسم الحنفي وكان نزيلا له فيجيبه ويذهب من الغد بالجواب إليهم ووصل علم ذلك للزيني فكان يقول مشيراً لهذا: **من العجائب** أن ابن مفلح عنده كتاب ابن أم قاسم يكشف منه عن كل شيء في الدنيا نحو وفقه وألغاز وغيرها وكان مما سأله عنه يحيى المشار إليه:

نظري فقحة الصبي حلال ... وكذاك اجتماعنا للجماع

يجوز النكاح في الجحر شرعا ... للنسا والشباب بالإجماع

فقال له الزين قاسم: يجوز أن يكون الصبي ممن لم تعتبر عورته عورة أو أن الفقحة راحة الكف كما في القاموس والجماع القدر العظيمة كما في الصحاح على أن لفظة نا هي ضمير المتكلم لا يلزم أن يكون المراد بها المتكلم والصبي بل المتكلم ومن يحل له وطؤها والجحر المغار ويجوز فيه وطء الشباب النساء بشروطه وقال يحيى: ثم نظمت هذه الأبيات وأرسلتها إليه فلم يجب عنها وهي:

قل لمن كان في الورى ذا اطلاع ... واعتراف بالخلف والإجماع

أي عضو من بعض أعضا وضوئي ... قائم سالم من الأوجاع

غسله لا يجوز والمسح أيضا

---

(١) الضوء اللامع ٥٦/٣

وكذا إن عممته ليس يجزي ... لانعدام الشروط والأوضاع

فأبن ذا بقيت في كل خير ... وبلغت المنى بغير دفاع

وذكره شيخنا في أنبائه فقال أنه ولي مشيخة الجامع الجديد بمصر مدة، وكان عارفا بصحبة الرؤساء كثير الخدمة لهم والتودد لأصحابه والإعانة لهم وفيه لبعض الطلبة خير منهم الأتابك جقمق والمحب قاضي الحنابلة والبدر العيني وهو الذي أم بهم عفا الله عنه.

علي بن منصور بن زين العرب الحصفكي ثم المقدسي والد أبي اللطف محمد. كان تاجرا في القماش ذا ثروة مات بالقدس سنة خمس وخمسين وخلف لولده دنيا واسعة.

علي بن موسى بن إبراهيم بن حصن - بمهملتين ونون - بن خضر الدولة القرشي البلفيائي ثم الغزي الشافعي ويعرف بالكتاني بالمثناة؛ ولد سنة سبعين وسبعمائة بقرية بلفيا - بكسر الموحدة والام ثم فاء ساكنة بعدها تحتانية من ريف مصر - ثم انتقل به أبوه إلى غزة فقرأ بها القرآن وحفظ العمدة والمنهاج الفرعي والورقات لإمام الحرمين والملحة وعرضها على جماعة منهم محمد بن طريف بالمهملة مكبر، وأخذ الفقه عنه وعن البرهان بن زقاعة والعلاء ابن نعامة قاضي الشافعية بها وسمع علي الحديث وكذا أخذ عن ابن طريف الأصول، ثم ارتحل إلى القدس فأخذ به النحو عن المحب بن الفاسي والبدر العليمي وغيرهما ولما تحول شيخه ابن زقاعة إلى القاهرة وتوطن بها طلبه من غزة فقدم عليه ولازم خدمته إلى أن مات الشيخ بحيث عرف بخدمته واستقر في خدمة الباسطية بالقاهرة، وحج بأخرة من القاهرة في سنة اثنتين وأربعين وجاور وتلا بالعشر على الزين بن عياش بما تضمنه نظمه في الثلاثة والشاطبية، وكان جيد الذهن ذا نظم كثير وفضيلة ومشاركة في العلوم واستحضار للكثير من علوم شتى مع شجاعة واعتناء بفنون الحرب. مات بالقاهرة في يوم السبت سابع عشر شوال سنة تسع وأربعين بعد أن اختلط من قبيل رمضان سنة ست وصار ملقى لا يعي شيئا رحمه الله وإيانا.". (١)

٢٣-"وأنا وحبك لست أضمر سلوة ... عن صبوتي ودع الفؤاد يبيد

وألذ ما لاقيت منك منيتي ... وأقل ما بالنفس فيك أجود

ومن العجائب أن قلبك لم يلن ... لي والحديد ألانه داود

ومن لطيف شعره، ما كتب به إلى الملك المنصور إبراهيم، صاحب حمص، يستدعيخ إلى مجلس أنس، وذلك لما كانا نازلين ببيسان، حين كانا منفقين على حرب الصالح نجم الدين أيوب، صاحب مصر، وكان ذلك يوم عيد الفطر في زمان الربيع، وهو:

يا ملكا قد جمل العصرا ... وفاق أملاك الورى طرا

وفات في نائله حاتما ... وبت في إقدامه عمرا

وباكر العلياء فافتضها ... وكانت الناهدة البكرا

---

(١) الضوء اللامع ٣/١٦٠

أما ترى الزهر وقد جاءنا ... مستقبلا بالبشر والبشرى
الصيد والنيروز في حالة ... والملك المنصور والنصرا
والأرض قد باهت به واغتدت ... تختال في حلتها الخضر
عبست السحب على نورها ... فراح ثغر النور مفترا
الصوم قد ولى بآلاته ... والفطر باللذات قد كرا
فانهض بلا نطل ولا فترة ... نرتشف المعسولة الخمرا
حيرية قد عتقت حقبة ... فأقبلت تخبر عن كسرى
واستجلها حمراء عانية ... تحسبها في كأسها تبرا
أو ذوب جمر حل في جامد ال ... ماء فألأقى فوقه درا
وبادر اللذات في حينها ... وقم بنا ننتهب العمرا
في روضة أترنجها ببانع ... يلوح في الأغصان مصفرا
كأنه قد لاح في دوحها ... وجه سماء أطلعت زهرا
واسلم ودم في عيشة رغدة ... تبلى على جدتها الدهرا
وقال شهاب الدين التلعفري الشاعر المشهور: اجتمعت ليلة بالملك الناصر داود، على شاطئ البحر بعسقلان، وقد طلع البدر وألقى شعاعه على البحر، فقال الملك الناصر مرتجلا:
يا ليلة قطعت عمر ظلامها ... بمدامة صفراء ذات تأجج
بالساحل النامي روائح نشره ... عن روضه المتضوع المتأرج
واليم زاه قد هدا تياره ... من بعد طول تقلق وتموج
طورا تدغدغه الشمال وتارة ... يكرى فتوقظه بنات الخزرج
والبدر قد ألقى سنا أنواره ... في لجه المتجعد المتدبج
فكأنه إذ قد صفحة متنه ... بشعاعه المتوقد المتوهج
نهر تكون من نضار يانع ... يجري على أرض من الفيروزج
وقال أيضا:
يا راكبا من أعالي الشام يجذبه ... إلى العراقين إدلاج وإسحار
حدثتني عن ربوع طالما قضيت ... للنفس فيها لبانات وأوطار
لدى رياض سقاها المزن ديمته ... وزانها رهر غض ونوار
شح الندى أن يسقيها مجاجته ... فجادها مفعم الشوبوب مدرار
بكت عليها الغوادي وهي ضاحكة ... وراحت الريح فيها وهي معطار
يا حسنها حين زانتها جواسقها ... وأيعنت في أعالي الدوح أثمار

فهي السماء اخضرارا في جوانبها ... كواكب زهر تبدو وأقمار

ومنها:

كرر على نازح شط المزار به ... حديثك العذب لا شطت بك الدار". (١)

٢٤-"ومن شعره لغز في اسم طيبرس:

وما اسم له بعض هو اسم قبيلة ... وتصحيف باقيه تلاقي به العدا

اسم القبيلة: طي، وتصحيف برس: ترس.

وإن قلته عكسا فتصحيف بعضه ... غياث لظمآن تألم بالصدى

وباقيه بالتصحيف طير وعكسه ... لكل الورى علم معين على الردى

اسم الطير: بط. والعلم هو: الطب.

وله في مغن راقص:

يا من غدا الحسن إذ غنى وماس لنا ... مقسما بين أبصار وأسماع

قاسوك بالغصن رقصا والهزار غنا ... وما تقاس بمياس وسجاع

قد تسجع الرق لكن غير ناطقة ... ويرقص الغصن لا في حسن إيقاع

وله أيضا:

لا تسلني عن السلو وسل ما ... صنعت بي لطفا محاسن سلمى

أوقعت بين مقلتي ورقادي ... وسقامي والجسم حربا وسلما

وأورد له الصفدي، في " أعيان العصر " ، قوله في مليح خطائي:

فقال لي العذول أراك تبكي ... فقلت له بكيت على خطائي

واعترض عليه، بأنه أراد التورية بالخطأ، مهموزا مقصورا، ضد الصواب، عن الخطائي، وهو المليح التركي الخطائي، وهو ممدود، فما قعدت معه التورية.

ثم إنه اعترض على الأديب جمال الدين ابن نباتة، حيث استعمل ذلك في شعره.

وأنشد الصلاح لنفسه في ذلك قوله:

أحببت من ترك الخطا ذا قامة ... فضحت غصون البان لما أن خطا

إياكم وجفونه فأنا الذي ... سهم أصاب حشاه من عين الخطا

وقوله أيضا:

يا قلب لا تقدم على ... سحر الجفون إذا سطا

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ص/٢٧٦

ومن العجائب أنه ... أضحى يصح مع الخطا

قلت: ويعجبني إلى الغاية في هذا المعنى قول الأديب المعمار، وإن كان يرد عليه في التورية بالخطأ، ما أورده الصفدي على صاحب الترجمة آنفا، فإن ذلك مما يسامح به غالبا:

أصاب قلبي خطائي ... بلحظه لشقائي

فرحت من عظم وجدي ... أشكو إلى الحكماء

قالوا أصبت بعين ... فقلت من عظم دائي

إن كان هذا صوابا ... فتلك عين الخطائي

وهو لغة.

في هذا المعنى أيضا مع سلامته من الاعتراض السابق، قوله من تائية نظمها في مدح المولى الفاضل أحمد جلبي بن قاضي القضاة حسن بيك بن عبد المحسن، وقد تقدمت في ترجمته:

ظبي من الترك إلا أن أعينه ... مهندات لها بالقلب فتكات

من الخطا ما خطا إلا وداخله ... بالقد عجب وللأغصان شمخات

ما اهتز إلا وبز الناس أنفسهم ... وهكذا شأنهن السمهريات

حذار يا قلب من ألحاظه فلها ... سهام حتف لها بالقلب رشقات

ولا يغرنك ما يخطى وكن يقظا ... ففي سهام الخطا تلفى إصابات

ومن نظم بدر الدين الدشناوي موشح لطيف، منه قوله:

أيا من علي تجنى ... وقد حاز لطف المعنى

اجعل لي من صدودك أمنا

وارحمني وهب لي ... وصلا به أتملى

وكن للمكارم أهلا ... هذا [أهنا] وأحلى

٨٨٥ - زكريا بن يحيى بن يحيى النيسابوري

جد أحمد بن سهل.

كذا في " الجواهر " ، من غير زيادة.

٨٨٦ - زهير بن معاوية بن حديج - بالحاء المهملة المضمومة -

أبو خيثمة، الكوفي

الحافظ، الحجة، محدث الجزيرة، من أصحاب الإمام، رضي الله تعالى عنه.

سمع الأعمش، وطبقته.

وروى عنه القطان، وأبو داود، وأبو نعيم، وأبو جعفر العقيلي، وأحمد بن يونس، ويحيى بن يحيى التميمي، وخلق سواهم.

وكان من علماء الحديث، وكان سفيان يقول: ما بالكوفة مثله.". [(١)]

٢٥-"وكان يقول: كيف تطلبون أن الله تعالى ينبت لكم الزرع أو يدر لكم الضرع، وأنتم تسلون السيوف على أحد من هذه الأمة المحمدية، وتلطخون الحراب من دمائهم، وكان يقول: إذا صدق الفقير في الإقبال على الله تعالى انقلبت له الأضداد فعاد من كان يبغضه يحبه، ومن كان يقاطعه يواصله، ومن كان لا يشتهيه يثني عليه، ولا يصير يكرهه إلا مجرم أو منافق، وكان يقول: ما قطع مريد ورده يوما إلا قطع الله عنه الإمداد ذلك اليوم، واعلم يا ولدي أن طريقتنا هذه طريق تحقيق، وتصديق، وجهد، وعمل، وتنزه، وغض بصر وطهارة يد، وفرج، ولسان فمن خالف شيئا من أفعالها رفضته الطريق طوعا أو كرها، وكان رضي الله عنه يقول: يا حامل القرآن لا تفرح بحمله حتى تنظر هل عملت به أم لا فإن الله عز وجل يقول: " مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا " ، ولا تخرج عن كونك حمارا إلا إن عملت بجميع ما فيه، ولم يكن منه حرف واحد يشهد عليك، وكان يقول: يا أولادي كم غروركم لهو كم لعب كم غي كم هوى كم افتراء كم نكدكم غدركم سهوكم نسيان كم غفلة كم زلة كم إجرام كم زوركم فتوركم، وعظ تسمعون، ولا تتعظون ما أنتم إلا كالأموات، وكان يقول: لو فتح الحق تعالى عن قلوبكم أقفال السدد لاطلعتم على ما في القرآن **من العجائب**، والحكم، والمعاني، والعلوم، واستغنيتم عن النظر في سواه فإن فيه جميع ما رقم في صفحات الوجود قال تعالى: " ما فرطنا في الكتاب من شيء " " الأنعام ٣٨ " ومن فهمه الله تعالى في كتابه أعطاه تأويل كل حرف منه، وما هو، وما معناه، وما سبب كل حرف، وما صفة كل حرف، وعلم المكتوب من الحروف في العلوي، والسفلي، والعرش، والكرسي، والسماء، والماء، والفلك، والهواء، والأرض، والثرى، وكان يقول: إذا كان المقتدي بالشرائع والكتاب واقفا بين الأمر، والنهي كان فتحه حقيقيا حتى يفك به كل مشكل، ويحل به كل طلسم، ويعرف به كل مبهم، وأما إذا كان فتحه حفظ كلام، وترتيب، وصف مقامات فذلك ليس بفتح إنما هو حجاب له عن إدراك الإدراك، وعن مشاهدة علوم الحق وليس من وصف كمن عرف، وحمل، ونطق بلسان العرفان، وكم من حملته العناية حتى شاهد، ومع ذلك فلو سئل عن وصف المقامات ما وصفها، ومقصودي لجميع أولادي أن يكونوا ذائقين لا واصفين، وأن يأخذوا العلوم من معادنها الربانية لا من الصدور، والطروس فإن القوم إنما تكلموا عما ذاقوا وقلوبهم كانت ملآنة بعطاء الله تعالى ومواهبه ففاضت منها قطرات من ماء الحياة التي فيها فانفجرت علومهم عن عين عين عين عن عين عن حاصل ماء الحياة، وأما الوصاف فإنما هو حاك عن حاك عن غيره، وعند التخلق، والفائدة لا يجد نقطة، ولا ذرة من فوق القوم، وينادي عليه هذا الذي قنع بالقشور في دار الغرور، ولقد أدركنا رجالا، وأحدهم يستحي أن يذكر مقاما لم يصل إليه، ولو نشر بالمناشير ما وصفه فيا جميع أولادي إذا سألكم أحد عن التصوف مثلا أو عن المعرفة، والمحبة فلا تجيبوه قط بلسان قالكم حتى يبرز لكم من صدق معاملتكم ما برز للقوم فيكون كلامكم عن حاصل، وعن محصول فإذا قام أحدكم بالأوامر الدينية، وصدق في العمل ترجم لسانه بالفوائد التي أثمرت من صدقه، وكل من ادعى الصدق، والإخلاص، ولم يحصل عنده ثمرة الأدب، والتواضع فهو كاذب، وعمله رياء، وسمعة لا يثمر له إلا الكبر، والعجب،

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ص/٢٨٦

والنفاق، وسوء الأخلاق شاء أم أبى.". (١)

٢٦-" ابن السري روى عن هلال بن العلاء وجماعة وتوفي بمصر

قال يحيى بن علي الطحان تكلموا فيه وعبد الخالق بن الحسن بن علي أبو محمد السقطي المعدل ببغداد روى عن محمد بن غالب تمتام وجماعة وسنقة أبو عمرو عثمان بن محمد البغدادي بن السقطي سمع الكديمي وإسماعيل القاضي ومات في آخر السنة وله سبع وثمانون سنة

وصاحب الأغاني أبو الفرج علي بن الحسين الأموي الأصبهاني الكاتب الأخباري روى عن مطين فمن بعده وكان أديبا نسابة علامة شاعرا كثير التصانيف **من العجائب** أنه مرواني يتشيع توفي في ذي الحجة عن ثلاث وسبعين سنة

وفيها سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي الجزري صاحب الشام بحلب في صفر وله بضع

". (٢)

٢٧-"لا يوجد لدى الباحث أدنى شك أن اسم الكتاب هو "البدء والتاريخ" حيث صرح المقدسي بذلك في مقدمة الكتاب فقال:" وقد وسمت هذا الكتاب بكتاب البدء والتاريخ ".(رحمه الله١) وكذا ذكره أبو منصور الثعالبي،(رحمه الله٢) ومضى على ذلك أكثر الباحثين.(رحمه الله٣) لكن بعض الباحثين ذكره باسم " بدء الخلق والتاريخ ".(رحمه الله٤) ويرى الباحث أن هذا خطأ بلا شك لمخالفته ما سماه به صاحب الكتاب. وقد يعتذر لهم بأنهم قد فسروا كلمة " البدء " فذكروه باسم " بدء الخلق ". والحق أنه اعتذار غير مقبول إذ الأسماء تذكر بنصها لا بمعناها.

ثانيا: وقت تأليف الكتاب

قد أراحنا المقدسي عناء بحث ذلك إذ صرح بأنه ألفه سنة ٣٥٥ هـ٩٦٦ م. حيث قال في مقدمته وهو يعدد موضوعات كتابه "وجمعت ما وجدت في ذكر مبتدأ الخلق، ومنتهاه وما روى عن أمر الخلفاء من لدن قيام الساعة إلى زماننا هذا، وهو سنة ثلاثمائة وخمس وخمسين من هجرة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم "(رحمه الله٥).وقال في موضع آخر "ومن الهجرة إلى يومنا هذا وهو سنة خمس وخمسين وثلاثمائة" (رحمه الله٦).

لكن المقدسي قد بدا له إلحاق بعض الأخبار بالكتاب فيما بعد، حيث قال" وقد ظهر في نواح يقال لها خشباجي معدن الذهب يحفرون الآبار،ويخرجون من التراب الذهب، وظهر هذا في سنة تسعين وثلاثمائة، وزيد هذا الفصل في هذا الكتاب لأنه **من العجائب**" (رحمه الله٧).

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ص/١٧٧

(٢) العبر في خبر من غبر ٢/٣١١

ثالثا: مؤلف الكتاب والتحقيق أنه للمقدسي

رحمه الله____________

(رحمه الله١) البدء والتاريخ، ج١ ص٨.

(رحمه الله٢) غرر أخبار ملوك الفرس، ص٥٠١.

(رحمه الله٣) منهم على سبيل المثال: سركيس، معجم المطبوعات، ص٢٤١، عمر كحالة، معجم المؤلفين، ج٣ ص٨٩١، سزكين، تاريخ التراث العربي، م١ ج٢ ص١٨٧.

(رحمه الله٤) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج٣ ص٦٢، جواد على، موارد تاريخ الطبري، ص١٥١، عبد المنعم ماجد، العصر العباسي الأول، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م، ص٤٠٠.

(رحمه الله٥) البدء والتاريخ، ج١ ص ٦.

(رحمه الله٦) المرجع السابق، ج٢ ص١٥٢.

(رحمه الله٧) المرجع السابق، ج٤ ص ٧٨.". [١]

٢٨-"نثر المقدسي في كتابه عدة غرائب، بل إنه خصص موضعا لها بعنوان " ذكر ما يحكى من عجائب الأرض وأهلها " (رحمه الله١) وهذا يبدو مخالفا لما اشترطه المقدسي في مقدمة كتابه أن يكون"مهذبا من شوائب التزيد، مصفي عن سقاط الغسالات، وخرافات العجائز، وتزاوير القصاص"(رحمه الله٢) لكن مما قد يشفع له انه ذكر عن بعضها أنها من العجائب كما في الموضع سالف الذكر، وصدر ذكر كثير منها بصيغة غير جازمة مثل أن يقول: "وروى"، (رحمه الله٣) "ويقال"، (رحمه الله٤) "وزعم بعض الناس"،(رحمه الله٥)"زعم بعضهم"،(رحمه الله٦) "كما يروى "، (رحمه الله٧) " وزعموا "، (رحمه الله٨) " يذكر من أمره العجائب "(رحمه الله٩) أما ما ذكره بصيغة جازمة فقليل.(رحمه الله١٠) ويجدر التنبيه على أن المقدسي قد ذكر بعض الغرائب التي يقبلها العقل، ومنها ما اعتمده بعض الباحثين، كذكره أن هناك قنطرة معقودة من رأس جبل إلى رأس جبل آخر عقدها أهل الصين في الدهر القديم. (رحمه الله١١)

(٧) الربط بين أحداث ومواقف مختلفة

رحمه الله____________

(رحمه الله١) البدء والتاريخ، ج٤ ص ٩٢.

(رحمه الله٢) المرجع السابق، ج١ ص ٥ – ٦.

(رحمه الله٣) المرجع السابق، ج٢ ص٤٤، ٢٠٢.

(رحمه الله٤) المرجع السابق، ج٢ ص٥٤.

---

(١) المطهر المقدسي ومنهجه التاريخي في كتاب البدء والتاريخ ص/٨٠

(رحمه الله٥) المرجع السابق، ج٢ ص٥٧.

(رحمه الله٦) المرجع السابق، ج٣ ص١٣٧.

(رحمه الله٧) المرجع السابق، ج٣ ص١٤٨.

(رحمه الله٨) المرجع السابق، ج٤ ص٦٠.

(رحمه الله٩) المرجع السابق، ج٣ ص١٣٤.

(رحمه الله١٠) المرجع السابق، ج٦ ص٤٠، ٤١. ج٥ ص١١٩.

(رحمه الله١١) المرجع السابق،ج٤ ص٩٢.وانظر أيضا: متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢ ص٢٤٦-٢٤٧.". [1]

٢٩-"١. وصف الحدث بأنه **من العجائب** كقوله " وذكروا عجائب من أمر خبيب بن عدي.." (رحمه الله١) وقوله عن قصة أصحاب الفيل إنها " من أعجب **العجائب** "(رحمه الله٢)

٢. الوصف بالشهرة حيث قال عن بني الصحابي الجليل وهبان " ويسمون بني وهبان مكلم الذئب إلى اليوم، وهو أمر مشهور "(رحمه الله٣)

٣. الوصف بالعظمة

كوصف المقدسي الانتصار على بابك الخرمي بـ "كان ذلك من أعظم الفتوح "(رحمه الله٤)

٤. الوصف بالبلاء وذلك في قوله عن غزوة أحد "كان يوم بلاء وتمحيص "(رحمه الله٥)

٥. أوصاف متعددة مثل وصف المقدسي للسنين العشرة التي قضاها النبي في المدينة(رحمه الله٦)

٦. المقارنة بين الأحداث المتشابهة

رحمه الله_______________

(رحمه الله١) البدء والتاريخ، ج٤ ص٢١١.

(رحمه الله٢) المرجع السابق، ج٥ ص٤٤.

(رحمه الله٣) المرجع السابق، ج٥ ص٣٥. (ووهبان أو أهبان صحابي جليل روي أنه كان يرعى غنما له فكلمه ذئب، وقد اختلف في اسمه فالأكثر على أنه، وقيل إن اسمه أهبان - ويقال وهبان - بن أوس الأسلمي قديم الإسلام صلى إلى القبلتين ونزل الكوفة ومات بها أهبان بن الأكوع بن عياذ. وقيل: أهبان بن عياذ الخزاعي. وقيل غير ذلك. انظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة،ج١ ص٣٠٨ — ٣٠٩، ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، ج١ ص٢٨٩.)

(رحمه الله٤) البدء والتاريخ، ج٦ ص١١٨. (وبابك الخرمي من أشهر الخارجين على الدولة العباسية، ولد بأذربيجان، وصل

---

(١) المطهر المقدسي ومنهجه التاريخي في كتاب البدء والتاريخ ص/٢٣٣

إلى قيادة الخرمية وهم مجوس إباحيون فاستحل كل شيء، حتى قيل إنه قتل مليون شخص وهزم كثيرا من الجيوش حتى تمكن القائد التركي الأفشين من قتله سنة ٢٢٣هـ. انظر: البدء والتاريخ، ج٦ ص١١٤- ١١٨.)

(رَحِمَهُ اللَّهُ٥) المرجع السابق، ج٤ ص٢٠٢.

(رَحِمَهُ اللَّهُ٦) المرجع السابق، ج٤ ص١٨٠.". [١]

٣٠-"قلت: هذه ولاية موسى بن عيسى الهاشمي العباسي الثالثة على مصر، ولاه الرشيد على مصر بعد عزل أخيه عبيد الله بن المهدي على الصلاة؛ فلما ولي موسى من بغداد قدم أمامه ابنه يحيى بن موسى إلى مصر واستخلفه على صلاتها، فقدم يحيى بن موسى إلى مصر لثلاث خلون من شهر رمضان سنة تسع وسبعين ومائة، ودام بمصر على صلاتها إلى أن قدمها والده موسى بن عيسى في آخر ذي القعدة من سنة تسع وسبعين ومائة المذكورة وسكن العسكر على العادة وأخذ في إصلاح أمور مصر وأصلح بين قيس ويمن من الحوف، واستمر على إمرة مصر إلى أن صرفه الرشيد عنها بعبيد الله بن المهدي ثانيا في جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائة؛ فكانت ولاية موسى على مصر في هذه المرة الثالثة نحوا من عشرة أشهر. وخرج من مصر وتوجه إلى بغداد وصار من أكابر أمراء الرشيد، وحجّ بالناس من بغداد في السنة المذكورة. وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة مات بعد عوده من الحج وله خمس وخمسون سنة. وقيل: كانت وفاته في سنة تسع وثمانين ومائة. ولما حج في سنة اثنتين وثمانين ومائة ندبه الرشيد ليقرأ عهد أولاده بالخلافة في مكة والمدينة لأن الرشيد كان بايع في هذه السنة لابنه عبد الله المأمون بولاية العهد بعد أخيه محمد الأمين؛ وولاه خراسان وما يتصل بها إلى همذان ولقبه بالمأمون وسلمه إلى جعفر بن يحيى. وهذا **من العجائب** لأن الرشيد رأى ما صنع أبوه وجده المنصور بعيسى بن موسى حتى خلع نفسه من ولاية العهد، ثم ماصنع به أخوه الهادي ليخلع نفسه من العهد، فلو لم يعاجله الموت لخلعه؛ ثم هو بعد ذلك يبايع للمأمون بعد الأمين حتى وقع لهما بعد موته ما فيه عبرة لمن اعتبر.

قلت: وهذا البلاء والتدميغ إلى يومنا هذا، فإن كل ملك من الملوك إلى زماننا هذا يخلع ابن الملك الذي قبله ثم يعهد هو لابنه من غير أن يقعد له قاعدة يثبت ملكه بها، بل جل قصده العهد، ويدع الدنيا بعد ذلك تنقلب ظهرا لبطن. وكان أميرا جليلا جوادا ممدحا، تقدم التعريف بأحواله في ولايته الأولى والثانية على مصر من هذا الكتاب.

السنة التي حكم فيها موسى

بن عيسى العباسي على مصر وهي سنة ثمانين ومائة.فيها كانت الزلزلة العظيمة التي سقط منها رأس منارة الإسكندرية.

وفيها تنقل الخليفة الرشيد من بغداد إلى الموصل ثم إلى الرقة فاستوطنها مدة وعمر بها دار الملك واستخلف على بغداد ابنه الأمين محمد بن زبيدة.

وفيها حج بالناس موسى بن عيسى العباسي المعزول عن إمرة مصر المقدم ذكره. وفيها هدم الرشيد سور الموصل لئلا يغلب عليها الخوارج.

---

(١) المطهر المقدسي ومنهجه التاريخي في كتاب البدء والتاريخ ص/٢٧٨

وفيها ولى الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك خراسان وسجستان فولى عليهما جعفر محمد بن الحسن بن قحطبة ثم بعد مدة يسيرة عزل الرشيد جعفرا المذكور وولى عليهما عيسى بن جعفر.

وفيها خرج خراشة الشيباني متحكما بالجزيرة فقتله فسلم بن بكار العقيلي. وفيها خرجت المحمرة، بجرجان؛ هيجهم على الخروج زنديق يقال له: عمرو بن محمد العمري، فقتل عمرو المذكور بأمر الرشيد بمدينة مرو.

وفيها توفي سيبويه إمام النحاة أبو بشر عمرو بن عثمان البصري، أصله فارسي، وطلب الفقه والحديث ثم مال إلى العربية حتى برع فيها وصار أفضل أهل زمانه، وصنف فيها كتابه الكبير الذي لم يصنف مثله، وفي سنة وفاة سيبويه أقوال كثيرة، وقيل: إن مدة عمره كانت اثنتين وثلاثين سنة، وقيل: بل أزيد من أربعين سنة.وفيها توفي عافية بن يزيد بن قيس الكوفي الأزدي، كان من أصحاب أبي حنيفة الذين يجالسونه ثم ولي القضاء، وكان فقيها دينا صالحا.

وفيها توفي المبارك بن سعيد بن مسروق أخو سفيان الثوري، وكنيته أب وعبد الرحمن؛ ولد بالكوفة وسكن بغداد، وكان ثقة دينا كف بصره بأخره.

وفيها توفي هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي الهاشمي أمير الأندلس؛ وليها في سنة ثلاث وسبعين ومائة بعد وفاة أبيه، فكانت مدة ملكه بالأندلس سبع سنين وأياما؛ ومات في صغره وله تسع وثلاثون سنة. وقد تقدم التعريف به : أن عبد الرحمن الداخل دخل المغرب جافلا من بني العباس وملكه وسمي بالداخل.". (١)

٣١-"غلام آخر لمحمد الخلنجي ثم عوقب محمد بن لمجورحتى آستخلص منه الأموال ثم جهز الأمير عيسى النوشري محمدا الخلنجي في البحر إلى أنطاكية فخرجوا منها ودخلوا العراق إلى عند الخليفة ثم بعد ذلك ورد كتاب الخليفة على عيسى النوشري في شهررمضان باستقراره في أعمال مصر جميعا قبليها وبحريها حتى الإسكندرية وإلى النوبة والحجاز. آخر لمحمد الخلنجي ثم عوقب محمد بن لمجورحتى آستخلص منه الأموال ثم جهز الأمير عيسى النوشري محمدا الخلنجي في البحر إلى أنطاكية فخرجوا منها ودخلوا العراق إلى عند الخليفة ثم بعد ذلك ورد كتاب الخليفة على عيسى النوشري في شهررمضان باستقراره في أعمال مصر جميعا قبليها وبحريها حتى الإسكندرية وإلى النوبة والحجاز.

ولاية محمد بن علي الخلنجي

هو محمد بن علي الخلنجي الأمير أبو عبد الله المصري الطولوني ملك الديار المصرية بالسيف وآستولى عليها عنوة من الأمير عيسى بن محمد النوشري وقد مر من ذكره في ترجمة عيسى النوشري ما فيه كفاية عن ذكره هنا ثانيا، غيرأننا نذكره على حدته لكونه ملك مصر وذكره بعض أهل التاريخ في أمراء مصر فلهذا جعلنا له ترجمة مستقلة خوفا من الاعتراض والاستدراك علينا بعدم ذكره ولما ملك محمد بن علي الخلنجي الديار المصرية مهد البلاد ووطن الناس ووضع العطاء وفرض الفروض فجهز الخليفة المكتفي بالله جيشا لقتاله وعليهم أبوالأغر وفي الجيش الأمير أحمدبن كيغلغ وغيره فخرج إليهم محمد بن علي

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١/١٧٣

الخلنجي هذا وقاتلهم في ثالث المحرم من سنة ثلاث وتسعين ومائتين فهزمهم أقبح هزيمة وأسر من جماعة أبي الأغر خلقا كثيرا وعاد أبو الأغر لثمان بقين من المحرم حتى وصل إلى العراق فعظم ذلك على الخليفة المكتفي وجهز إليه العساكر ثانيا صحبة فاتك المعتضدي في البر، وجهز دميانة في البحر فقدم فاتك بجيوشه حتى نزل بالنويرة وقد عظم أمر الخلنجي هذا وأخرج عيسى النوشري عن مصر وأعمالها بأمور وقعت له معه ذكرناها في ترجمة عيسى النوشري ليس لذكرها هنا ثانيا محل ولمابلغ الخلنجي مجيء عسكر العراق ثاني مرة صحبة فاتك، جمع عسكره وخرج إلى باب المدينة وعسكر به وقام بالليل بأربعة آلاف من أصحابه ليبيت فاتكا وأصحابه فضلوا عن الطريق وأصبحوا قبل أن يصلوا إلى النويرة فعلم بهم فاتك فهض أصحابه وآلتقى مع الخلنجي قبل أن يصلوا إلى النويرة فتقاتلا قتالا شديدا آنهزم فيه الخلنجي بعد أن ثبت ساعة بعد فرار أصحابه عنه ودخل إلى مصر وآستتر بها لثلاث خلون من شهر رجب ثم قبض عليه وحبس حسبما ذكرناه في ترجمة النوشري ثم دخل دميانة بالمراكب إلى مصر وأقبل عيسى النوشري من الصعيد ومعه الحسين الماذرائي ومن كان معهما من أصحابهما لخمس خلون من رجب المذكورة وعاد النوشري إلى ما كان عليه من ولاية مصر والحسين الماذرائي على الخراج وزالت دولة محمد بن علي الخلنجي عن مصر بعد أن حكمها سبعة أشهر واثنين وعشرين يوما كل ذلك ذكرناه في ترجمة النوشري ولم نذكره هنا إلا لزيادة الفائده وأيضا لما قدمناه في أول ترجمته ثم إن عيسى النوشري قيد محمد بن علي الخلنجي هذا وجماعة من أصحابه وحملهم في البحر إلى أنطاكية ثم منها في البر إلى العراق إلى حضرة الخليفة فأوقف بين يديه فوبخه ثم نكل به وطيف به وبأصحابه على الجمال، ثم قتل شر قتلة وزالت دولته وروحه بعد أن أفسد أحوال الديار المصرية وتركها خرابا يبابا من كثرة الفتن والمصادرات قلت: وأمر محمد هذا **من العجائب** فإنه أراد أخذ ثأر بني طولون والانتصار لهم غيرة على ما وقع من محمد بن سليمان الكاتب من إفساده الديار المصرية، فوقع منه أيضا أضعاف ما فعله محمد بن سليمان الكاتب وكان حاله كقول القائل: الخفيف،

رام نفعا وضر من غير قصد ... ومن البر ما يكون عقوقا

عود عيسى النوشري إلى مصر

دخلها بعد آختفاء محمد بن علي الخلنجي بيومين وذلك في خامس شهر رجب سنة ثلاث وتسعين ومائتين ثم دخل فاتك بعساكره إلى مصر في يوم عاشر رجب وتسلم الخلنجي وأرسله في البحر لست خلون من شعبان ووقع ماحكيناه في ترجمته من قتله وإشهاره .". (١)

٣٢-"وفيها توفي محمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن إسحاق بن زياد، أبو بكر الأصبهاني التاجر، المعروف بابن ريفة. روى عن الطبراني معجميه الكبير والصغير. وطال عمره، وسار ذكره، وتفرد بأشياء. ذكره أبو زكريا بن منده وقال: الفقيه الأمين. كان أحد وجوه الناس، وافر العقل، كامل الفضل، أحسن الخط، يعرف طرفا من النحو واللغة.

وفيها توفي محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان بن عبد الله بن غيلان بن حكيم، أبو طالب الهمذاني البغدادي البزاز، أخو

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٣٢٢/١

غيلان المقدم ذكره. سمع من أبي بكم الشافعي أحد عشر جزءا معروفة بالغيلانيات، وتفرد في الدنيا عنه. قال أبو بكر الخطيب: كتبنا عنه، وكان صدوقا دينا صالحا.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم أربع أذرع وثلاث وعشرون إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع عشرة إصبعا.

السنة الرابعة عشرة من خلافة المستنصر

وهي سنة إحدى وأربعين وأربعمائة.

فيها كانت فتنة بين أهل السنة والرافضة. قال القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي: أهل الكرخ طائفة نشأت على سب الصحابة، وليس للخلافة عليها أمر. قلت: وعدم أمر الخليفة عليهم لميل بني بويه إليهم في الباطن، فإنهم أيضا من كبار الشيعة، وهم يوم ذلك سلاطين بغداد؛ غير أنهم كانوا لا يظهرون ذلك خوفا على الملك.

وفيها هبت ريح سوداء ببغداد أظلمت الدنيا وقلعت رواشن دار الخلافة ودار المملكة ودور الناس، واقتلعت من الشجر والنخل شيئا كثيرا.

وفيها نزل طغرلبك السلجوقي الري ولم يتحقق موت أبي كاليجار بن بويه، ثم فحص عن ذلك حتى تحقق وفاته.

وفيها دخل السلطان مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد الهند، ووصل إلى الأماكن التي كان وصل إليها جده محمود.

وفيها توفي أحمد بن حمزة بن محمد بن حمزة بن خزيمة، أبو إسماعيل الهروي الصوفي. كان يعرف بعفويه وكان شيخ الصوفية بهراة. سمع الكثير بالعراق والشام. ومات بهراة في شهر رجب.

وفيها توفي محمد بن علي بن عبد الله الصوري الحافظ. ولد بصور سنة ست وسبعين وثلاثمائة وقدم بغداد، وسمع الحديث على كبر السن وعني به. وكان إماما صحيح النقل دقيق الخط صائما قائما لا يفطر إلا في العيدين وأيام التشريق. وكان حسن المحاضرة. وله شعر على طريق القوم؛ فمن ذلك من قصيدة: المجتث.

نعم الأنيس كتاب ... إن خانك الأصحاب

تنال منه فنونا ... تحظى بها وتثاب

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع سواء. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وتسع أصابع.

السنة الخامسة عشرة من خلافة المستنصر

وهي سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة.

فيها كان **من العجائب** أنه وقع الصلح بين أهل السنة والرافضة وصارت كلمتهم واحدة. وسبب ذلك أن أبا محمد النسوي ولي شرطة بغداد وكان فاتكا، فاتفقوا على أنه متى رحل إليهم قتلوه، واجتمعوا وتحالفوا، وأذن بباب البصرة ب حي على خير العمل وقرئ في الكرخ فضائل الصحابة، ومضى أهل السنة والشيعة إلى مقابر قريش، فعد ذلك **من العجائب**، فإن الفتنة كانت قائمة والدماء تسكب، والملوك والخلفاء يعجزون عن ردهم، حتى ولي هذا الشرطة، فتصالحوا على هذا الأمر اليسير. فلله الأمر من قبل ومن بعد.

وفيها توفي علي بن عمر بن محمد بن الحسن، أبو الحسن الزاهد المعروف بابن القزويني. ولد بالحربية ببغداد في المحرم سنة ستين وثلاثمائة؛ وكان إماما فاضلا زاهدا، قرأ النحو وسمع الحديث الكثيرة وكان صاحب كرامات وصلاح، يقصد للزيارة. ومات في شعبان.

وفيها توفي الأمير قرواش بن المقلد، أبو المنيع صاحب الموصل والكوفة والأنبار. وقرواش بفتح القاف والراء المهملة والواو وبعد الألف شين معجمة ساكنة. ومعناه باللغة التركية عبد أسود. وكان قرواش هذا قد خلع عليه الخليفة القادر بالله ولقبه معتمد الدولة. وكان قد جمع بين أختين، فلامه الناس على ذلك؛ فقال لهم: خبروني، ما الذي نستعمله مما تبيحه الشريعة! فهذا من ذاك. وكان الحاكم بأمر الله استماله فخطب له ببلاده ثم رجع عن ذلك. ولما مات قرواش ولي مكانه ابن أخيه قريش بن بدران بن المقلد المقدم ذكره في ترجمة المستنصر أنه كان مع البساسيري. ويأتي ذلك أيضا في محله مختصرا.". (١)

٣٣-"أخوه قاورد بك فلم يتم له أمر. وكان ملكا مطاعا شجاعا. مات وهو أجل ملوك بني سلجوق وأعدلهم في الرعية. وهو الذي أنشأ وزيره نظام الملك. وتولى السلطنة من بعده ولده ملكشاه. ومات ألب أرسلان وعمره أربعون سنة قتيلا؛ وكان سبب موته أنه سار في سنة خمس وستين وأربعمائة في مائتي ألف فارس إلى نحو بلاد الروم، ثم عاد إلى ديار بكر، ثم إلى جهة حلب وقصد شمس الملك تكين. فلما دخل إليه أتاه أعوانه بوالي قلعة من قلاع شمس الملك، واسم الوالي يوسف الخوارزمي، وقربوه إلى سرير السلطان ألب أرسلان، فأمر ألب أرسلان أن يضرب له أربعة أوتاد وتشد أطرافه الأربعة إليها. فقال يوسف المذكور للسلطان: يا مخنث، مثلي يقتل هذه القتلة! فغضب السلطان وأخذ القوس والنشاب وقال: خلوه، فرماه فأخطأه، ولم يكن يخطئ له سهم قبل ذلك، فأسرع يوسف المذكور وهجم على السلطان على السرير، فنهض السلطان ونزل فعثر وخر على وجهه؛ فوصل يوسف إليه وبرك عليه وضربه بسكين في خاصرته؛ وقتل يوسف في الحال، وحمل السلطان فمات بعد أيام يسيرة - وقيل في يومه - وكان ذلك في جمادى الآخرة من السنة. وألب أرسلان بفتح الهمزة وسكون اللام وبعدها باء موحدة وبقية الاسم معروف.

وفيها توفي قاورد بك بن داود بن ميكائيل السلجوقي أخو السلطان ألب أرسلان المقدم ذكره. ولما مات أخوه ألب أرسلان نازع ابن أخيه ملكشاه وقاتله، فظفر به ملكشاه بعد حروب وأسره وأمر بقتله؛ فخنقه رجل أرمني بوتر قوس، وتولى سعد الدولة كوهرائين على قتله، وكان ذلك في شعبان بهمذان. وأمر قاورد بك المذكور **من العجائب**؛ فإنه كان يتمنى موت ألب أرسلان ويتصور أنه يملك الدنيا بعده، فكان هلاكه مقرونا بهلاكه. قلت: وكذلك كان أمر قتلمش مع أخيه طغرلبك عم ألب أرسلان وقاورد بك؛ فإنه كان ينظر في النجوم ويتحقق أنه يملك بعده، وكان هلاكه أيضا مقرونا بهلاكه.

وفيها توفي محمد بن أحمد بن المسلمة، الحافظ أبو جعفر. كان إماما حافظا محدثا عالما. مات ببغداد في جمادى الأولى من السنة.

وفيها توفي علي بن الحسن بن علي بن الفضل، الرئيس أبو منصور الكاتب المعروف بصردر الشاعر المشهور. كان أحد

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٤٩٩/١

نجباء الشعراء في عصره، جمع بين جودة السبك وحسن المعنى. ومن شعره: البسيط.

أكلف القلب أن يهوى وألزمه ... صبرا وذلك جمع بين أضداد

وأكتم الركب أوطاري وأسأله ... حاجات نفسي لقد أتعبت روادي

وله أيضا: الكامل.

لم أبك أن رحل الشباب وإنما ... أبكي لأن يتقارب الميعاد

شعر الفتى أوراقه فإذا ذوى ... جفت على آثاره الأعواد

وله أيضا في جارية سوداء: السريع.

علقتها سوداء مصقولة ... سواد قلبي صفة فيها

ما انكسف البدر على تمه ... ونوره إلا ليحكيها

لأجلها الأزمان أوقاتها ... مؤرخات بلياليها

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ثلاث أذرع وسبع عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وسبع أصابع.

السنة التاسعة والثلاثون من خلافة المستنصر

وهي سنة ست وستين وأربعمائة.

فيها خرج عساكر غزنة وتعرضوا لبلاد السلطان ملكشاه السلجوقي: فخرج إليهم إلياس بن ألب أرسلان أخو ملكشاه، فقاتلهم واستأمن إليه سبعمائة منهم، وانهزم من بقي إلى غزنة، وأوغل خلفهم إلياس. وكان سلطان غزنة يوم ذاك إبراهيم بن مسعود بن سبكتكين. ثم عاد إلياس من الوقعة وقد كفى ملكشاه أمر الغزنوية. ولما وصل إلياس إلى بلخ مات بعدها بثلاثة أيام، وسر أخوه ملكشاه بموته، فإنه كان منحرفا على ملكشاه. فقال له وزيره نظام الملك: لا تظهر الشماتة واقعد في العزاء؛ ففعل وأظهر الحزن عليه.

وفيها بنى حسان بن مسمار الكلبي قلعة صرخد، وكتب على بابها: أمر بعمارة هذا الحصن المبارك الأمير الأجل مقدم العرب عز الدين فخر الدولة عدو أمير المؤمنين يعني المستنصر صاحب مصر وذكر عليها اسمه ونسبه.". (١)

٣٤-"وفيها توفي الأمير قطب الدين سكمان بن أرتق - المقدم ذكره - صاحب ديار بكر. عاد من الرهاء مريضا في محفة حتى وصل ميافارقين فمات بها. وحمل تابوته من ميافارقين إلى أخلاط فدفن به. وكان ملكا عادلا مجاهدا. وأبوه أرتق مات بالقدس. ونجم الدين إيلغازي بن أرتق أخو سكمان المذكور هو الذي ولي بعده. توجه إيلغازي المذكور إلى السلطان محمد شاه السلجوقي، فولاه شحنكية العراق سصارى أرمن عوضا عن أخيه سكمان، ثم أخذ منه ماردين في سنة ثمان وخمسمائة، وميافارقين في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة، ثم أخذ منه حلب أيضا. ولسكمان هذا وقائع مع الفرنج كثيرة ومواقف. رحمه الله.

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٣/٢

وفيها توفي علي بن محمد بن علي، الشيخ الإمام العلامة الفقيه العالم المشهور بالكيا الهراسي الشافعي العجمي. لقبه عماد الذين. كان من أهل طبرستان وخرج إلى نيسابور، وتفقه على أبي المعالي الخويني، وقدم بغداد ودرس بالنظامية ووعظ وذكر مذهب الأشعري، فرجم وثارت الفتن، واتهم بمذهب الباطنية. فأراد السلطان قتله، فمنعه الخليفة المستظهر بالله وشهد له بالبراءة. وكانت وفاته في يوم الخميس غرة المحرم، ودفن عند الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وحضر لدفنه الشيخ أبو طالب الزينبي وقاضي القضاة أبو الحسن الدامغاني – وكانا مقدمي طائفة الساعة الحنفية – فوقف أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الدامغاني متمثلا بهذا البيت: الوافر

وما تغني النوادب والبواكي ... وقد أصبحت مثل حديث أمس

وأنشد الزينبي أيضا متمثلا بهذا البيت: الكامل

عقم النساء فما يلدن شبيهه ... إن النساء بمثله عقم

ولما مات رثاه أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان الغزي الشاعر المشهور ارتجالا بقصيدة أولها: البسيط

هي الحوادث لا تبقي ولا تذر ... ما للبرية من محتومها وزر

لو كان ينجي علو من بوائقها ... لم تكسف الشمس بل لم يخسف القمر

والكيا: بكسر الكاف وفتح الياء المثناة من تحتها وبعدها ألف. والهراسي معروف. والكيا بلغة الأعجام: الكبير القدر.

وفيها توفي أبو يعلى حمزة بن محمد الزينبي أخو الإمام العالم طراد. مات في شهر رجب وله سبع وتسعون سنة.

وفيها توفي الشيخ الإمام المقرئ أبو الحسين يحيى بن علي بن الفرج الخشاب بمصر. كان عالم مصر ومقرئها.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم ست أذرع وثلاث أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأربع أصابع.

السنة العاشرة من خلافة الآمر منصور

وهي سنة خمس وخمسمائة.

فيها عزل السلطان محمد شاه بن ملكشاه السلجوقي وزيره أحمد بن نظام الملك، وكانت وزارته أربع سنين وأحد عشر شهرا.

وفيها توفي الشيخ الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الألوسي الفقيه الشافعي. كان إمام عصره. تفقه على أبي المعالي الجويني حتى برع في عدة علوم كثيرة، ودرس وأفتى، وصنف التصانيف المفيدة في الأصول والفروع، ودرس بالنظامية، ثم ترك ذلك كله ولبس الخام الغليظ، ولازم الصوم وحج وعاد؛ ثم قدم إلى القدس، وأخذ في تصنيف كتابه الإحياء وتممه بدمشق. وله من المصنفات البسيط والوسيط والوجيز وله غير ذلك. وذكره ابن السمعاني في النيل فقال: ومن شعره: الكامل

حلت عقارب صدغه في خده ... قمرا يجل بها عن التشبيه

ولقد عهدناه يحل ببرجها ... ومن العجائب كيف حلت فيه

وفيها توفي محمود بن علي بن المهنأ بن أبي المكارم الفضل بن عبد القاهر، أبو سلامة المعري القائل في حق المعرة لما استولى عليها الفرنج الأبيات التي مرت في ترجمة وجيه بن عبد الله في سنة ثلاث وخمسمائة التي أولها: الخفيف

هذه صاح بلدة قد قضى الل ... ه عليها كما ترى بالخراب

وجد والد محمود هذا الفضل بن عبد القاهر هو القائل: البسيط

ليلي وليلى نفى نومي اختلافهما ... بالطول والطول يا طوبى لو اعتدلا

يجود بالطول ليلى كلما بخلت ... بالطول ليلى وإن جادت به بخلا". (١)

٣٥-"وهي السنة التي قتل فيها الآمر صاحب الترجمة، حسب ما ذكرناه مفصلا في ترجمته أولا.

وفيها أعني سنة أربع وعشرين استوزر بوري بن طغتكين صاحب دمشق المفرج بن الصوفي.

وفيها وصل زنكي بن آق سنقر إلى حلب من الموصل، وقد أظهر أنه على عزم الجهاد؛ وراسل بوري يلتمس منه المعونة على محاربة الفرنج. فأرسل إليه بوري من استحلفه الإيمان المغلظة، واستوثق منه لنفسه ولصاحب حمص وحماة.

وفيها ظهرت بالعراق عقارب طيارة لها أجنحة، وهي ذات شوكتين؛ فقتلت من الأطفال خلقا كثيرا. قاله صاحب مرآة الزمان؛ والعهدة عليه فيما نقلناه عنه.

وفيها توفي إبراهيم بن عثمان بن محمد، أبو إسحاق العري الكلبي الشاعر. مولده بغزة. كان أحد فضلاء الدهر، رحل إلى البلاد وامتدح جماعة من الرؤساء. ومن شعره وأجاد إلى الغاية: الكامل

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة ... باب البواعث والدواعي مغلق

خلت البلاد فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب أنه لا يشترى ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق

وفيها توفي الحسين بن محمد بن عبد الوهاب، الإمام البارع أبو عبد الله النحوي؛ وهو أخو أبي الكرم بن فاخر النحوي لأمه. قرأ بالروايات، وسمع الحديث الكثير، واشتغل باللغة والأدب، وقال الشعر الرائق.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم سبع أذرع وأربع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وأربع أصابع.

خلافة الحافظ لدين الله على مصر

الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد ابن الأمير أبي القاسم محمد ابن الخليفة المستنصر بالله معد ابن الظاهر بالله علي ابن الحاكم بأمر الله منصور ابن العزيز بالله نزار ابن المعز لدين الله معد ابن المنصور إسماعيل ابن القائم محمد ابن المهدي عبيد الله، العبيدي الفاطمي المصري، الثامن من خلفاء مصر من بني عبيد، والحادي عشر منهم ممن ولي من آبائه بالمغرب، وهم ثلاثة: المهدي والقائم والمنصور. وأول من ولي من آبائه بالقاهرة المعز لدين الله؛ فلهذا قلنا: هو الثامن من خلفاء مصر، والحادي عشر منهم ممن ولي بالمغرب.

وولي الحافظ الخلافة بمصر بعد قتل ابن عمه الآمر أبي علي منصور، على ما يأتي بيانه من أقوال كثيرة. ولم يكن من خلفاء مصر من أبوه غير خليفة سواه والعاضد الآتي ذكره. ولقبوه الحافظ لدين الله، ووزر له أبو علي أحمد بن الأفضل ولقب أمير

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢/٥١

الجيوش، فأحسن إلى الناس وعاملهم بالخير وأعاد لهم مصادراتهم. وكان قبل ولاية الحافظ هذا اضطرب أمر الديار المصرية؛ لأن الآمر قتل ولم يخلف ولدا ذكرا، وترك امرأة حاملا، فماج أهل مصر وقالوا: لا يموت أحد من أهل هذا البيت إلا ويخلف ولدا ذكرا منصوصا عليه الإمامة. وكان الآمر قد نص على الحمل قبل موته؛ فوضعت الحامل بنتا، فعدلوا إلى الحافظ هذا، وانقطع النسل من الآمر وأولاده. وهذا مذهب طائفة من الشيعة المصريين؛ فإن الإمامة عندهم من المستنصر إلى نزار الذي قتل بعد واقعة الإسكندرية.

وقال صاحب مرآة الزمان: ولما استمر الحافظ في خلافة مصر، ضعف أمره مع وزيره أبي علي أحمد بن الأفضل أمير الجيوش وقوي شوكة الوزير المذكور، وخطب للمنتظر المهدي، وأسقط من الأذان حي على خير العمل ودعا الوزير المذكور لنفسه على المنابر بناصر إمام الحق، هادي العصاة إلى اتباع الحق؛ مولى الأمم، ومالك فضيلتي السيف والقلم. فلم يزل كذلك حتى قتل الوزير المذكور، على ما يأتي ذكره.

وقال ابن خلكان: وهذا الحافظ كان كثير المرض بعلة القولنج، فعمل له شيرماه الديلمي وقيل موسى النصراني طبل القولنج الذي كان في خزائنهم. ولما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب مصر كسر في أيامه، وقصته مشهورة. وأخبرني حفيد شيرماه المذكور أن جده ركب هذا الطبل من المعادن السبعة، والكواكب السبعة في إشرافها، وكل واحد منها في وقته. وكان من خاصته إذا ضربه أحد خرج الريح من مخرجه. ولهذه الخاصية كان ينفع من القولنج. انتهى كلام ابن خلكان. قلت: ونذكر سبب كسر هذا الطبل في ترجمة السلطان صلاح الدين عند استقلاله بمملكة مصر.". (١)

٣٦-"وخرجوا يعني الفرنج إلى عكا وتجمعوا على الغور، فنزل العادل قبالتهم على بيسان، وخفي عليه أن ينزل على عقبة أفيق، وكانوا قد هدموا قلعة كوكب، وكانت ظهرهم، ولم يقبل من الجواسيس ما أخبروه بما عزم عليه الفرنج من الغارة، فاغتر بما عودته المقادير من طول السلامة، فغشيت الفرنج عسكره على غرة، وكان قد آوى إليه خلق من البلاد يعتصمون به، فركب مجدا؛ وماج الفرنج في أثره حتى وصل دمشق على شفا وهم؛ فدخل إليها فمنعه المعتمد وشجعه، وقال له: المصلحة أن تقيم بظاهر دمشق. وأما الفرنج فاعتقدوا أن هزيمته مكيدة فرجعوا من قرب دمشق بعد ما عادوا في البلاد قتلا وأسرا وعادوا إلى بلادهم؛ وقصدوا دمياط في البحر فنازلوها.

وكان قد عرض له قبل ذلك ضعف وصار يعتريه ورم الأنثيين. فلما هزته الحيل على خلاف العادة ودخله الرعب، لم يبق إلا مدة يسيرة ومات بظاهر دمشق. وكان مع حرصه يهين المال عند الشدائد غاية الإهانة ببذله. وشرع في بناء قلعة دمشق فقسم أرضها على أمرائه وأولاده، وكان الحفارون يحفرون الخندق ويقطعون الحجارة، فخرج من تحته خرزة بئر فيها ماء معين. قال: ودعا مرة فقال: الفهم حاسبني حسابا يسيرا؛ فقال له رجل ماجن من خواصه: يا مولانا، إن الله قد يسر حسابك؛ قال: ويلك! وكيف ذلك؛ قال: إذا حاسبك قل له: المال كله في قلعة جعبر لم أفرط فيه في قليل ولا كثير. وكانت خزائنه بالكرك ثم نقلها إلى قلعة جعبر وبها ولده الملك الحافظ، فسول له بعض أصحابه الطمع فيها، فأتاها الملك العادل ونقل ما

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٦٢/٢

فيها إلى قلعة دمشق، فحصلت في قبضة ولده الملك المعظم عيسى، فلم ينازعه فيها إخوته؛ وقيل: إن الذي سول للحافظ الطمع والعصيان هو المعظم ففعل ذلك الحافظ، وكانت مكيدة من المعظم حتى رجع إليه المال " . انتهى كلام الموفق باختصار.

وقال أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزأوغلي في تاريخه: " سألته عن مولده فقال: فتوح الرها يعني سنة تسع وثلاثين وخمسمائة " – وهذا نقل آخر في مولده – قال: وقد ذكرنا أحواله في السنين إلى أن استقر له الملك وامتد من بلاد الكرج إلى همذان والجزيرة والشام ومصر والحجاز ومكة والمدينة واليمن إلى حضرموت؛ وكان ثبتا خليقا بالملك حسن التدبير، حليما صفوحا مدبرا للملك على وجه الرضا، عادلا مجاهدا دينا عفيفا متصدقا، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، طفر جميع ولاياته من الخمور والخواطيء والقمار والمكوس والمظالم. وكان الحاصل من هذه الجهات بدمشق على الخصوص مائة ألف دينار، فأبطل الجميع لله تعالى. وكان واليه على دمشق المبارز والمعتمد، أعانه المبارز على ذلك، أقام رجالا على عقاب قاسيون وجبل الثلج وحوالي دمشق بالجامكية والجراية يحرمون أحدا يدخل دمشق بمنكر. بلغني أن بعض المغاني دخلت على العادل في عرس فقال لها: أين كنت. فقالت: ما قدرت أجيء حتى وفيت ما علي للضامن. فقال: وأي ضامن؛ قالت ضامن القيان، فقامت عليه القيامة، وطلب المعتمد وعمل به ما لا يليق، وقال: والله لئن عاد بلغني مثل هذا لأفعلن ولأصنعن. ولقد فعل العادل في غلاء مصر عقيب موت العزيز ما لم يفعله غيره؛ كان يخرج في الليل بنفسه ويفرق الأموال في ذوي البيوتات والمساكين، وكفن تلك الأيام من ماله ثلاثمائة ألف من الغرباء، وكان إذا مرض أو تشوش مزاجه خلع جميع ما عليه رباعه حتى فرسه وتصدق به.

قال أبو المظفر: وقد ذكرنا وصول شيخ الشيوخ إليه بخبر برج دمياط، وأنه انزعج وأقام مريضا إلى يوم الجمعة سابع أو ثامن جمادى الآخرة وتوفي بعالقين. وكان المعظم قد كسر الفرنج على القيمون يوم الخميس خامس جمادى الآخرة، وقيل يوم الأربعاء. ولما توفي العادل لم يعلم بموته غير كريم الذين الخلاطي، فأرسل الطير إلى نابلس إلى المعظم، فجاء يوم السبت إلى عالقين فاحتاط على الخزائن، وصبر العادل وجعله في محفة وعنده خادم يروح عليه وقد رفع طرف سجافها وأظهر أنه مريض؛ ودخلوا به دمشق يوم الأحد والناس يسلمون على الخادم، وهو يومئ إلى ناحية العادل ويرد السلام؛ ودخلوا به القلعة وكتموا موته؛ **وأمن العجائب** أنهم، طلبوا له كفنا فلم يقدروا عليه، فأخذوا عمامة الفقيه ابن فارس فكفنوه بها، وأخرجوا قطنا من مخدة فلفوه به، وصلى عليه وزيره، ابن فارس ودفنوه في القلعة.". (١)

٣٧-"فارقتها لا عن رضا وهجرتها ... لا عن قلى ورحلت لا متخيرا

أسعى لرزق في البلاد مشتت ... **ومن العجائب** أن يكون مقترا

وأصون وجه مدائحي متقنعا ... وأكف ذيل مطامعي متسترا

ومنها يشكو الغربة:

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٧٣/٢

أشكو إليك نوى تمادى عمرها ... حتى حسبت اليوم منها أشهرا

لا عيشتي تصفو ولا رسم الهوى ... يعفو ولا جفني يصافحه الكرى

أضحي عن الأحوى المريع محلأ ... وأبيت عن ورد النمير منفرا

ومن العجائب أن يقيل بظلكم ... كل الورى وأبيت وحدي بالعرا

فلما وقف عليها العادل أذن له في الدخول إلى دمشق، ففما دخلها قال:

هجوت الأكابر في جلق ... ورعت الوضيع بسب الرفيع

وأخرجت منها ولكنني ... رجعت على رغم أنف الجميع

وفيها توفي أبو الخطاب بن دحية المغربي. قال أبو المظفر: كان في المحدثين مثل ابن عنين في الشعراء، يثلب علماء المسلمين ويقع فيهم، ويتزيد في كلامه، فترك الناس الرواية عنه وكذبوه. وكان الكامل مقبلا عليه، فلما انكشف له حاله أعرض عنه، وأخذ منه دار الحديث وأهانه، فمات في شهر ربيع الأول بالقاهرة ودفن بقرافة مصر.

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة، قال: وفيها توفي الجمال أبو حمزة أحمد بن عمر بن الشيخ أبي عمر المقدسي. وعفيف الدين علي بن عبد الصمد بن الرماح المصري المقرئ النحوي. وأبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة القلانسي الصوفي في شهر ربيع الآخر، وقد جاوز التسعين. والعلامة أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي البلنسي المعروف بابن دحية في شهر ربيع الأول عن سبع وثمانين سنة. والفخر محمد بن إبراهيم بن مسلم الإربلي الصوفي بإربل في شوال أو شهر رمضان. وقاضي القضاة عماد الدين أبو صالح نصر بن عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلي الحنبلي في شوال.

أمر النيل في هذه السنة: الماء القديم خمس أذرع وسبع عشرة إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وإصبعان.

السنة التاسعة عشرة من سلطنة الملك الكامل

محمد بن العادل أبي بكر ابن أيوب على مصر وهي سنة أربع وثلاثين وستمائة.

فيها نزلت التتار على إربل وحاصرتها مدة حتى أخذوها عنوة، وقتلوا كل من فيها وسبوا وفضحوا البنات، وصارت الآبار والدور قبورا للناس. وكان أيدكين مملوك الخليفة بالقلعة فقاتلهم، فنقبوا القلعة وجعلوا لها سردابا وطرقا، وقلت عندهم المياه حتى مات بعضهم عطشا، فلم يبق سوى أخذها؛ فرحلوا عنها في ذي الحجة، وقد عجزوا عن حمل ما أخذوا من الأموال والغنائم.

وفيها استخدم الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل - صاحب الترجمة - الخوارزمية أصحاب جلال الدين، فانضموا عليه وانفصلوا من الروم؛ وسر والده الملك الكامل بذلك.

وفيها بدت الوحشة بين الأخوين، وسببها أن الأشرف طلب من الكامل الرقة وقال: الشرق كله صار له، وأنا أركب كل يوم في خدمته، فتكون الرقة برسم عليق دوابي، فأبى الكامل وأغلظ في الجواب، فوقعت الوحشة بينهم بسبب ذلك.

وفيها توفي الناصح عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الحنبلي؛ ولد بدمشق ونشأ بها، وتفقه ووعظ وصنف ودرس بمدرسة ربيعة خاتون. ومات في غرة المحرم.

وفيها توفي السلطان الملك العزيز محمد ابن السلطان الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب. كان صاحب حلب، وليها بعد وفاة أبيه الظاهر. ومولده في ذي الحجة سنة تسع أو عشر وستمائة. وتوفي والده وهو طفل، فنشأ تحت حجر شهاب الدين الخادم، فرتب شهاب الدين أموره أحسن ترتيب إلى سنة تسع وعشرين وستمائة. استقل الملك العزيز هذا بالأمر إلى أن توفي بحلب في شهر ربيع الأول. وكان حسن الصورة كريما عفيفا، ولم يبلغ أربعا وعشرين سنة. ودفن بقلعة حلب، وإليه تنسب المماليك العزيزية الآتي ذكرهم في عدة أماكن. وفيها توفي كيقباذ السلطان علاء الدين صاحب الروم. كان عاقلا شجاعا مقداما جوادا، وهو الذي كسر الخوارزمي وكسر الكامل واستولى على بلاد الشرق. وكان الملك العادل زوجه ابنته فأولدها أولادا؛ وكان عادلا منصفا مهيبا، ما وقف له مظلوم إلا وكشف ظلامته، وكانت وفاته في شوال.". (١)

٣٨-"وفي الحال وقع الصوت بحريق أماكن بجوار. مع أحمد بن طولون، وبوقوع الحريق في القلعة، وفي بيت بيبرس الأحمدي بحارة بهاء الدين قراقوش، وبفندق طرنطاي خارج باب البحر، فدهش السلطان وكان هذا الفندق برسم تجار الزيت الوارد من الشام، فعمت النار كل مات، حتى العمد الرخام وكانت ستة عشر عمودا، طول كل عمود ست أذرع بالعمل، ودوره نحو ذراعين فصارت كلها جيرا، وتلف فيه لتاجر واحد ماقيمته تسعون ألف درهم، وقبض فيه على ثلاثة نصارى ومعهم فتائل النفط آعترفوا أنهم فعلوا ذلك.

فلما كان يوم السبت تاسع عشرين جمادى الأولى المذكور ركب السطان إلى الميدان فوجد نحو العشرين ألفا من العامة في طريقه قد صبغوا خرقا بالأزرق والأصفر، وعملوا في الأزرق صلبانا بيضاء ورفعوها على الجريدة وصاحوا صيحة واحدة: لا دين إلا دين الإسلام نصر الله دين محمد بن عبد الله يا ملك الناصر، يا سلطان الإسلام، أنصرنا على أهل الكفر، ولا تنصر النصارى. فخشع السلطان والأمراء وتوجه إلى الميدان وقد آشتغل سره وركبت العامة أوسوار الميدان ورفعوا الخرق الزرق وهم يصيحون: " لا دين إلا دين الإسلام " . فخاف السلطان الفتنة ورجع إلى مداراتهم، وتقدم إلى الحاجب أن يخرج فينادي: من وجد نصرانيا فدمه وماله حلال، فلما سمعوا النداء صرخوا صوتا واحدا: نصرك الله فارتجت الأرض.

ثم نودي عقيب ذلك بالقاهرة ومصر: من وجد نصرانيا بعمامة بيضاء حل دمه " وكتب مرسوم بلبس النصارى العمائم الزرق، وألا يركبوا فرسا ولا بغلا ولا يدخلوا الحمام إلا بجرس في أعناقهم، ولا يتزيوا بزي المسلمين، هم ونساؤهم وأولادهم ورسم للأمراء بإخراج النصارى من دواوينهم ودواوين السلطان، وكتب بذلك إلى سائر الأعمال. وغلقت الكنائس والأديرة، وتجرأت العامة على النصارى حيث وجدوهم ضربوهم وعروهم، فلم يتجاسر نصراني أن يخرج من بيته، ولم يتحدث في أمر اليهود، فكان النصراني إذا عن له أمر يتزيا بزي اليهود فيلبس عمامة صفراء يكتريها من يهودي ليخرج في حاجته. وآتفق أن بعض كتاب النصارى حضر إلى يهودي له عليه مبلغ كبير ليأخذ منه شيئا، فأمسكه اليهودي وصاح: أنا بالله وبالمسلمين، فخاف النصراني وقال له: " أبرأت ذمتك وكتب له خطه بالبراءة وفر. واحتاج عدة من النصارى إلى إظهارهم الإسلام،

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢١٤/٢

فأسلم السني ابن ست بهجة، الكاتب وغيره، واعترف بعضهم على راهب دير الخندق أنه كان ينفق المال في عمل النفط للحريق ومعه أربعة، فأخذوا وسمروا. وانبسطت عند ذلك السنة الأمراء في كريم الدين أكرم الصغير، وحصلت مفاوضة بين الأمير قطلوبغا الفخري وبين بكتمر الساقي بسبب كريم الدين الكبير، لأن بكتمر كان يعتني به وبالدواوين، وكان الفخري يضع منه، ومنهم.

قلت: ولأجل هذا راح كريم الدين الكبير، من الدنيا على أقبح وجه وأخرب الله دياره بعد ذلك بقليل.

واستمر الفخري على رتبته بعد سنين عديدة. قال: وصار مع كل من الأميرين جماعة وبلغ السلطان ذلك، وأن الأمراء تترقب وقوع فتنة وصار السلطان إذا ركب إلى الميدان لا يرى في طريقه أحدا من العامة لكثرة خوفهم أن يبطش السلطان بهم فلم يعجبه ذلك، ونادى بخروج الناس للفرجة على الميدان ولهم الأمان والاطمئنان، فخرجوا على عادتهم. ثم لما كانت ليلة الأحد ثاني عشريه، وقع الحريق بالقاهرة واشتد أمره إلى أن طفىء.

وسافر كريم الدين الكبير إلى الإسكندرية وشدد على النصارى في لبسهم وركوبهم حتى يتقرب بذلك إلى خواطر العامة. ثم تنكرت المماليك السلطانية على كريم الدين الكبير لتأخر جوامكهم شهرين، وتجمعوا يوم الخميس ثامن عشرين صفر قبل الظهر ووقفوا بباب القصر. وكان السلطان في الحريم، فلما بلغه ذلك خشي منهم، وبعث إليهم بكتمر الساقي فلم يلتفتوا إليه فخرج السلطان إليهم وقد صاروا نحو ألف وخمسمائة، فعندما رآهم السلطان سبهم وأهانهم وأخذ العصا من مقدم المماليك وضرب بها رؤوسهم وأكتافهم، وصاح فيهم: اطلعوا مكانكم فعادوا بأجمعهم إلى الطباق، وعدت سلامة السلطان في هذه الواقعة **من العجائب**، فإنه خرج إليهم في جماعة يسيرة من الخدام، وهم غوغاء لارأس لهم ولاعقل ومعهم السلاح. انتهى.". (١)

٣٩-"ثم أرسل الملك الظاهر يأمر منصور حاجب غزة بالقبض على حسام الدين حسن بن باكيش نائب غزة، فقبض عليه واستولى على مدينة غزة وقيد ابن باكيش المذكور وبعث به إلى الملك الظاهر، فوافاه بمدينة الرملة فأوقفه بين يديه ووبخه، ثم ضربه بالمقارع، ثم حمله معه إلى غزة فضربه بها أيضا ضربا مبرحا. وكان يوم دخول السلطان الملك الظاهر إلى غزة يوم مستهل صفر من سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة.

وأما الديار المصرية، فإنه أشيع بكسرة الملك الظاهر لمنطاش، يوم رابع عشر المحرم، وهو يوم الوقعة، قاله الشيخ تقي الدين المقريزي - رحمه الله - وهذا شيء **من العجائب**.

وفي هذه الأيام ورد من الفيوم محضر على نائب الغيبة مفتعل بأن حائطا سقط على الأمراء المسجونين بالفيوم، ماتوا تحته، وهم: الأمير تمرباي الحسني حاجب الحجاب، وقرابغا الأبو بكري أحد مقدمي الألوف، وطوغاي تمر الجركتمري أحد أمراء الألوف أيضا، ويونس الإسعردي الرماح الظاهري، وقازان السيفي، وتنكز العثماني، وأردبغا العثماني، وعيسى التركماني.

قال المقريزي: هذا والكتب المزورة ترد على أهل مصر في كل قليل، بأن السلطان الملك المنصور انتصر على الملك الظاهر

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢/٤٩٥

برقوق، وملك الشام، وأن الظاهر هرب، فدقت البشائر لذلك أياما، ولم يمش ذلك على أعيان الناس، مع أن الفتنة لم تزل قائمة في هذه المدة بين الأمير صراي تمر نائب الغيبة وبين الأمير تكا الأشرفي المقيم بقلعة الجبل، وكل منهما يحترز من الآخر.

وأتفق مع ذلك أن الأمراء والمماليك الظاهرية الذين سجنوا بخزانة الخاص من القلعة زرعوا بصلا في قصريتين فخار وسقوهما، فنجب بصل إحدى القصريتين ولم ينجب الآخر، فرفعوا القصرية التي لم ينجب بصلها، فإذا هي مثقوبة من أسفلها وتحتها خلو، فما زالوا به حتى اتسع وأفضى بهم إلى سرداب مشوا فيه حتى صعد بهم إلى طبقة الأشرفية من قصور القلعة القديمة، وكان منطاش سد بابها الذي ينزل منه إلى الإسطبل السلطاني فعاد الذين مشوا وأعلموا أصحابهم، فقاموا بأجمعهم وهم نحو الخمسمائة رجل ومشوا فيه ليلة الخميس ثاني صفر، وقد عملوا عليهم الأمير بطا الطولوتمري الظاهري رأسا، وحاولوا باب الأشرفية حتى فتحوه، فثار بهم الحراس الموكلون بحفظ الباب، وضربوا مملوكا يقال له تمربغا فقتلوه، وكان ابتدأ بالخروج، فبادر بطا بعده ليخرج فضربه الحارس ضربة كما ضرب تمربغا قبله، سقط منها بطا إلى الأرض، ثم قام وضرب بقيده الرجل الحارس ضربة كما ضربه فصرعه، وخرج البقية. وصرخوا المماليك: ياتكا يا منصورا وجعلوا قيودهم سلاحهم، يقاتلون بها. وقصدوا الإسطبل السلطاني، فانتبه صراي تمر، فسمع صياحهم تكا يا منصور، فلم يشك أن تكا ركب عليه ليأخذه بغتة، لما كان بينهما من التخاصم. وقوي خوفه، فنهض في الحال ونزل من الإسطبل من باب السلسلة، وتوجه إلى بيت الأمير قطلوبغا الحاجب، وكان قريبا من الإسطبل بالرميلة وملك بطا ورفقته الإسطبل، واحتوى على جميع ما كان فيه من قماش صراي تمر وخيله وسلاحه، وقبض على المنطاشية، وأفرج عن المحبوسين من الظاهرية، وأخذ الخيول التي كانت هناك. وأمر في الوقت بحق الكوسات، فدقت في الوقت نحو ثلث الليل الأول فاستمروا على ذلك إلى أن أصبحوا يوم الخميس. وندم صراي تمر على نزوله من الإسطبل، ولبس هو وقطلوبغا الحاجب آلة الحرب، وأرسلوا إلى تكا بأن يقاتل المماليك الظاهرية من أعلى القلعة، وهم يقاتلونهم من تحت، فرمى تكا عليهم من الرفرف والقصر، وساعده الأمير مقبل أمير سلاح ودمرداش القشتمري بمن معه من مماليكهم والمماليك المقيمين بالقلعة، فقاتلهم المماليك الظاهرية. وتسامعت المماليك الظاهرية البطالة ومن كان مختفيا منهم، فجاؤوهم من كل مكان، وكذلك المماليك اليلبغاوية، وغيرهم من حواشي الملك الظاهر برقوق، ومن حواشي يلبغا الناصري وغيره من الأمراء الممسوكين، وكبسوا سجن الديلم، وأخرجوا من كان به محبوسا من المماليك وغيرهم. ثم بعثوا إلى خزانة شمائل فكسروا بابها وأخرجوا من كان بها أيضا من المماليك اليلبغاوية والظاهرية وغيرهم، ثم فعلوا ذلك بحبس الرحبة، فقوي أمر بطا ورفقته وكثر جمعهم، فخاف حسين بن الكوراني وهرب واختفى.". (١)

٤٠-"" تنبيه " قلت ربما انه يشكل ما صدر منهم في مثل ذلك على بعض الأغبياء ميل اكثر الناس بالطبع إلى الفسق والفجور وينظرون إلى هنات وقعت من بعض من ينسب إلى العلم، أو ما وقع لبعض أهل الله تعالى كأحمد الغزالي والشيخ العارف علي وفاء والشيخ العارف عبد الرحمن باهرمز وتلميذه الفقيه عمر بامخزمة والشيخ جبرائيل الهتار وغيرهم

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٣/٣١٥

نفع الله بهم فيظنون أن الأمر سواء وليس كذلك، فما كان يقع من ذلك للناس فهو شقوة في حقهم وأكثرهم لا يكترث بما يصدر منه من العصيان ولا يندم على ذلك وما كان يقع ممن ينسب إلى العلم فهو دعوة لان المقام لا يعطى ذلك وهو أيضا لا ترضي بهذه الحالة وإنما تكون وقعت منه هفوة كعقوق الوالدين أو التكبر على خلق الله تعالي والنظر إليهم بعين الاحتقار والعياذ بالله فعوقب بمثل ذلك وما كان نسب من ذلك إلى بعض أهل الله فهو إنما هو لصيانتهم أهل العصيان وذلك لكمال شفقتهم على خلق الله تعالي كما هو معلوم، وقد يكون لله مراد في حق شخص معين منهم من يريد الله أن ينقله من تلك الحالة ويرقيه ألي مراتب الأولياء، وربما غلب على ذلك الولي بعض الأحوال القوية فخشي على عقله أن يذهب أو جسمه أن يتلف فاراد تعديل لطافة الحال بكثافتهم والله اعلم. ولا بدما نذكر نبذة تتعلق بقطر حضرموت وحده ووجه تسميته وأقوال العلماء في ذلك وما اختص به **من العجائب** والفضائل خصوصا بلدة تريم تيمنا بذكرها وتتميما للفائدة إذ كثير ممن ذكر في هذا التاريخ مات بهذه البلدة المباركة وبعضهم مات بغيرها مثل شبام ودوعان من بلاد حضرموت". (١)

٤١-"قلت: وحكى الشيخ محيي الدين بن عربي رحمه الله تعالى في كتابه الفتوحات المكية عن بعض شيوخه: إن امرأة من بنات الملوك ممن كان الناس ينتفعون بها، وكان لها اعتقاد في هذا الشيخ فتوجهت إليه ليدخل عليها والملك الذي هو زوجها عندها فقام إليه ثم نظر إليها وهي في النزع فقال الشيخ أدركوها قبل أن تقضي. فقال له الملك: بماذا ؟ فقال: بديتها اشتروها فجيء إليه بديتها كاملة فتوقف النزع والكرب الذي كانت فه، وفتحت عينها وسلمت على الشيخ. فقال لها الشيخ: لا بأس عليك، وكان ثم دقيقة بعد أن حل الموت لا يمكن أن يرجع خائبا له من أثر ونحن قد أخذناك من يده وهو يطالبنا بحقه فلا ينصرف إلا بروح مقبوضة وأنت إذا عشت انتفع بك الناس، وأنت عظيمة القدر فلا نفديك إلا بعظيم عندي من هذا الموت، ولي بنت هي أحب البنات الي أنا أفديك بها ثم رد وجهه إلى ملك الموت وقال: لا بد من روح ترجع بها إلى ربك هذه بنتي تعلم محبتي فيها خذ روحها بدلا من هذه الروح فإني قد اشتريتها من الحق وباعني إياها وابنتي جعلك حق مجيئك، ثم قام وخرج إلى بيته، وقال لابنته وما بها بأس: يا بنية هبيني نفسك فإنك لا تقومي للناس مقام زينب بنت أمير خذها فماتت من وقتها انتهى. ولما ابتنى القاضي حسين بيته وجعل فيه التخريجة قال صلاح الدين القرشي في ذلك أبيات منها:

ما عرش بلقيس وما مقداره ... ما تخت كسرى والذي مثله

أنا نادر والحكم لي ولمالكي ... **ومن العجائب** نادر والحكم له

وله أيضا تاريخ بيت أنشأه القاضي:

شرف العلى لك منزل ... يا بدر فيه فاحلل

فالسعد قال مؤرخا ... " للبدر أشرف منزل "

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر ص/٣٤

ولما ولي قضاء المدينة الشريفة. قال الأديب مامية الانقشاري في تاريخ ذلك العام:

طيبة مذ طابت بحسام الأحكام ... كم ظلوم خوفا بات يخفي ريبه

والرعايا لما شكروا من عدل ... قلت في عدله دام قاضي طيبه

ومدحه بعضهم بأبيات. منها:

إنسان عين إنسان من ... سادوا وشادوا المكرمات الطوال

من جوده والعزم أو حلمه ... أو نسب أو شرف أو خصال

كالبحر والسيف ووسع العطا ... والشمس والبدر وماء الزلال

لولا الذي كلمه اختاره ... وزاده في المجد ما لاينال

ما كان قد صيره ناظرا عدلا ... على البيت العديم المثال

والحرمين البالغين النهى ... أنعم بها مرتبة لا تزال

وهو الحسين الحسني الذي ... فاق الورى في الجود نسل الرجال

وكتب إليه بعضهم يهنئه بقدوم رجب:

يا حسينا يا شريفا ... في علاه لا يشارك

عش ودم وهن بشهر ... من فتى وافا جوارك

ذاته قد أرخته ... " رجب شهر مبارك "

ومن شعره وقد أهدى إليه القطب الحنفي سمكا:

يا أيها القطب الذي ... بوجوده دار الفلك

لو لم تكن بحر الندى ... ما جاءنا منك السمك

وفيها: توفي العالم الفاضل المفتي الشيخ قطب الدين الحنفي المكي النهروالي نسبة إلى نهرواله من أعمال الهند بمكة المشرفة وكان من الأعيان المذكورين والفضلاء المشهورين مجللا محترما. ومن شعره هذه القصيدة:

بسيف الحجى عند اهتزاز النوائب ... تقلدت فاستغنيت عن كل قاضب

وجردت من رأسي الشديد عزائما ... أفل بها حد السيوف الغواضب

ولي همة أسمو بصارم عزمها ... إذا السيف قد اعيي صدور الكتائب

وما فاتني فضل أردت اقتناؤه ... وما غربت عني صعاب المطالب

وكم خطب العلياء غيري ولم ينل ... ونلت لأني كنت أكرم خاطب

ولو شئت أدنت لي رقاب كثيرة ... ولكن رأيت الدهر أغر صاحب

فما الدهر إلا مقبل مع ساعة ... ولا العمر مع طول المدى غير ناهب

وما الناس إلا حاسد ومعاند ... ولا الدهر إلا راجع في المواهب

وما شاد بنيان العلى متهور ... ولا ساد من لم يفتكر في العواقب". [(١)]

٤٢-"ومن العجائب أن المشايخ الثلاثة هو وأخواه الشيخ عبد الله، والشيخ عبد القادر كانوا كلهم أهل فضل وعلم، وكل واحد من الثلاثة مات قبل الآخر بعشر سنين فكان أولهم موتا الشيخ عبد الله وآخرهم صاحب الترجمة رحمهم الله تعالى آمين.

" غريبة " ذكر شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في معجمه أن الأئمة الثلاثة وهو العراقي، والبلقيني، وابن الملقن، كانوا أعجوبة هذا العصر على رأس القرن الأول في معرفة الحديث وفنونه، والثاني في التوسع في معرفة مذهب الشافعي، والثالث في كثرة التصانيف قال: ومن العجائب أن كل واحد من الثلاثة ولد قبل الآخر بسنة ومات قبله بسنة فأولهم ابن الملقن، ثم البلقيني، ثم العراقي، وحكى بعض الفقراء الصالحين قال: سمعت الشيخ أبا السعادات الفاكهي رحمه الله يقول: أسمع العلامة القاضي ابن أبي عقامة اليمني قول المعري قابله الله بعدله:

إذا ما ذكرنا آدما وفعاله ... وتزويجه بنيته بابنته في الدنا

علمنا بأن الخلق من أصل زنية ... وأن جميع الناس من عنصر الزنا

وقال مجيبا له ورادا عليه:

لعمرك أن القول فيك لصادق ... وتكذب في الباقين من شط أودنا

كذلك اقرار الفتى لازم له ... وفي غيره لغو بذا جاء شرعنا

قلت وللمعري أيضا

يد بخمس مئين عسجد وديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار

فقال الشريف الرضي رادا عليه:

صيانة النفس أغلتها وأرخصها ... خيانة المال فانظر حكمة الباري

وله أيضا وهو مما يدل على عدم إيمانه بالبعث والنشور قبحه الله:

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة ... وحق لسكان البسيطة أن يبكوا

تحطمنا الأيام حتى كأننا ... زجاج ولكن لا يعاد له سبك

ورد عليه الإمام محمد بن عتيق التميمي قال:

كذبت وبيت الله حلفه صادق ... سيسبكنا بعد الثوى من له الملك

ونرجع أجساما صحاحا سليمة ... تعارف في الفردوس ما عند ناشك

وفي عجائب البلدان للقزويني قال: وذكر أنه في آخر عمره تاب عن أمثال هذه واستغفر وحسن إسلامه. قال المجد الفيروز أبادي صاحب القاموس في كتابه البلغة في تاريخ أئمة اللغة: والناس فيه فرقتان فمنهم من يكفره ويزعم أنه كان زنديقا،

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر ص/١٨٨

ومنهم من هو بضد ذلك وفي ظاهر أشعاره زندقة كثيرة على أن في شعره ما يدل على التوحيد الصريح والاعتقاد الصحيح كقوله:

خلق الناس للبقاء فضلت ... أمة يحسبونها للنفاد

إنما ينقلون من دار أعمال ... إلى دار شقوة أو رشاد

وذكر عنه أنه املأ المحكم والمخصص من صدره. وفي عجائب البلدان أنه كان سرير يجلس عليه فجعلوا في غيبته تحت قوائمه أربعة دراهم تحت كل قائمة درهما فقال: أن الأرض قد ارتفعت عن مكانها شيئا يسيرا، أو السماء نزلت قال: ومن العجب أنه مع ذكائه اختفت عليه الموجودات التي ليست مجسمة كالجواهر الروحانية فاعتقد أن كل موجود يكون مجسما قلت: ولا عجب لأن الهداية والضلال ليسا إلا بتوفيق الله وهدايته أو خذلانه وعدم رعايته وأن غير العاقل قد يلهم كثيرا مما يحرمه العاقل قال الله تعالى " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء " " من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له " ولعمري أن العقول التي لم تستضيء بنور الشرع هي عقول أضلها باريها وقضى عليها بالشقاء قاضيها رزقنا الله تعالى متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم شريعته وجعلنا من خيار أمته وانصار ملته بمنه وكرمه آمين. وما أحسن قول البوصيري رحمه الله:

رب إن الهدى هداك وآياتك ... نور تهدي بها من تشاء

كم رأينا ما ليس يعقل قد ... الهم ما ليس يلهم العقلاء

ووجدت في بعض التعاليق بخط صاحبنا العلامة الشيخ أحمد بن علي البسكري: ان الشيخ عبد النافع ابن الشيخ أحمد ابن عراق دعى الشيخ أبا السعادات الفاكهي إلى ضيافة مع صاحب له يسمى بابن المجد، وكتب إليه في الاستدعاء هذين البيتين:

أبا السعادات وابن المجد خادمكم ... أخو التضرع عبد النافع الداعي". (١)

٤٣-"وفوض إليه الوزير تدريس النظامية وعظمت حشمته ببغداد حتى علت على الأمراء والكبار وأعجب به أهل العراق ثم أنه ترك جميع ما كان فيه في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربع مائة وسلك طريق التزهد والانقطاع وحج فلما رجع توجه إلى الشام فأقام في مدينة دمشق مدة يذكر الدروس في زاوية الجامع المعروفة الآن به في الجانب الغربي ثم توجه إلى القدس واجتهد في العبادة وزيارة المشاهد والمواضع المعظمة ثم قصد مصر وأقام بالاسكندرية مدة ويقال أنه عزم منها على ركوب البحر للاجتماع بالأمير يوسف ابن تاشفين صاحب مراكش لما بلغه منه من محبة أهل العلم والإقبال عليهم فبلغه نعى المذكور فعاد إلى وطنه بطوس وصنف بها كتبا نافعة ثم عاد إلى نيسابور وألزم بتدريس النظامية بعد معاودات ثم ترك ذلك وأقام بوطنه واتخذ خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره ووزع أوقاته على وظائف الخير من ختم القرآن ومجالسة أهل القولب، وأما مصنفاته فمنها كتاب أحياء علوم الدين وهو من أجل الكتب وأعظمها حتى قيل فيه أنه

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر ص/٢٠١

لو ذهبت كتب الإسلام وبقي الأحياء لأغنى عما ذهب وأول ما دخل إلى الغرب أنكروا فيه أشياء وصنفوا عليه الإملاء في الرد على الأحياء قال الشيخ جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي: قد جمعت أغلاط الكتاب وسميته أعلام الأحياء بأغلاط الأحياء وأشرت إلى بعض الأرض في كتابي تلبيس إبليس، وقال سبطه أبو المظفر: وضعه على مذاهب الصوفية وترك فيه قانون الفقه كما ذكر في مجاهدة النفس إن رجلا أراد محو جاهه فدخل الحمام فلبس ثياب غيره ثم لبس ثيابه فوقها وخرج يمشي على مهل حتى لحقوه فأخذوها منه فسمى سارق الحمام وذكر مثل هذا على سبيل التعليم للمريدين وهذا قبيح لإنه متى كان للحام حافظ وسرق منه سراق قطع ثم لا يحل لمسلم أن يتعرض لمر يؤثم الاس به ف يحقه وذكر أن رجلا اشترى لحما فرأى في نفسه أنه يستحيي من حمله إلى بيته فعلقه في عنقه وهذا في غاية القبح ومثله كثير انتهى، وأكروا عليه ما فيه من الأحاديث التي لم يصح ومثل هذا يجوز في الترغيب والترهيب والكتاب غاية في النفاسة وكان الإمام فخر الدين يقول: كان الله جمع العلوم في قبة وأطلع الغزالي عليها أو كما قال، ومن مصنفاته البسيط والوسيط وهو عديم النظير في بابه من حسن ترتيبه وعليه العمدة الآن في إلقاء الدروس والوجيز والخلاصة هذه الأربع في الفقه قال بعضهم فيها:

هدب المذهب حبر ... أحسن الله خلاصه

ببسيط ووسيط ... ووجيز وخلاصه

ويقال أنه قيل له ما علمت شيئا أخذت الفقه من كلام شيخك في نهاية المطلب والتسمية لكتبك من الواحدي ويقال أن نهاية المطلب لإمام الحرمين كانت زبر حديد فجعلها الغزالي زبر خشب، ومن مصنفاته المستصفى في أصول الفقه والمنخول واللباب وبداية الهداية وكيمياء السعادة والمآخذ والتحصين والمعتقد والجام العوام والرد على الباطنية ومقاصد الفلاسفة وتهافت الفلاسفة وجواهر القرآن والغاية القصوى وفضائح الأباحية وغور الدور والمنتخل في علم الجدل ومعيار العلم والمضنون به على غير أهله وشرح الأسماء الحسنى ومشكاة الأنوار والمنقذ من الضلال والقسطاس المستقيم وحقيقة القولين

وأورد ابن السمعاني من نظمه قوله:

حلت عقارب صدغه من وجهه ... قمرا فجل به عن التشبيه

ولقد عهدناه يحل ببرجها ... ومن العجائب كيف حلت فيه

وأورد له العماد الكاتب في الخريدة قوله:

هبني صوت كما ترون بزعمكم ... وحظيت منه بلثم خد أزهر

إني اعتزلت فلا تلوموا أنه ... أضحى يقابلني بوجه أشعري

وأورد له ابن النجار:

فقهاؤنا كذبالة النبراس ... هي في الحريق وضوءها للناس

خبر ذميم تحت رايق منظر ... كالفضة البيضاء تحت نحاس

وكانت ولادته في سنة خمسين وأربع مائة وقيل سنة إحدى وخمسين بالطابران وتوفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمس مائة بالطابران ورثاه أبو المظفر محمد الأبيوردي بأبيا فائية منها:

مضى وأعظم مفقود فجعت به ... من لا نظير له في يخلفه

وتمثل الإمام اسماعيل الحاكمي بعد وفاته بقول أبي تمام الطائي:". (١)

٤٤-"وكان ابن أبي عون أحد أتباعه وهو الفاضل الذي له التصانيف المليحة مثل مثل الشهاب والأجوبة المسكنة وهو من أعيان الكتاب وضرب ابن أبي عون بالسياط ثم ضرب عنقه وأحرق وكان ذلك في سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة.وشلمغان بالشين المعجمة المفتوحة وسكون اللام وفتح الميم والغين المعجمة وبعدها ألف بعدها نون.

دندن الكاتب محمد بن علي أبو علي يعرف بدندن بدالين ونونين.

كاتب يهجو الكتاب.قال في محمد بن عبد الملك بن الزيات لما أوقع به المتوكل:

ألم تر أن الله أيد دينه ... وأوقع بالزيات لما تجبرا

وكم قائل والدمع يسبق قوله ... به لا بظبي بالصريمة أعفرا

عليك سلام لم توفره نية ... كذلك شيء قد تولى فأدبرا

مبرمان النحوي محمد بن علي بن إسماعيل أبو بكر العسكري مصنف شرح سيبويه ولم يتمه.

لقبه المبرد مبرمان لكثرة سؤاله وملازمته له أفاد بالأهواز مدة وكان دني النفس مهينا يلح بالطلب من تلامذته كان إذا أراد الحضور إلى منزله ركب في طبلية حمال من غير عجز به وربما بال على الحمال فيصيح ذلك الحمال فيقول له:احسب أنك حملت رأس غنم،وربما كان يتنقل بالتمر ويحذف الطلبة بالنوى.

أخذ عنه الكبار مثل السيرافي وأبي علي الفارسي ولع كتاب العيون وكتاب علل النحو وشرح سيبويه ول يتم وكتاب التلقين وشرح شواهد سيبويه كتاب المجاري لطيف كتاب صفة شكر المنعم.

توفي سنة ست وعشرين وثلاث مائة.

الوزير ابن مقلة محمد بن علي بن الحسن بن مقلة الوزير ابو علي صاحب الخط المنسوب.

ولي بعض أعمال فارس وتنقلت به الأعمال والأحوال حتى وزر للمقتدر سنة ست عشرة فقبض عليه بعد عامين وعاقبه وصادره ونفاه إلى فارس ثم استوزره القاهر بالله ونكبه ثم وزر للراضي قليلا وأمسكه سنة أربع وعشرين وضرب بالسياط وعلق وصودر وأخذ خطه بألف ألف دينار ثم تخلص.

ثم إن ابن رائق المقدم ذكره لما تمكن احتاط على ضياعه وأملاكه فكتب ابن مقلة إلى الراضي أنه إن مكن من ابن رائق خلص منه ثلاثة آلاف ألف دينار فأجابه فلما حضر إليه حبسه واطلع ابن رائق على الخبر فقطع يده وحبسه فندم الراضي وداواه فكان ينوح ويبكي على يده ويقول:كتبت بها القرآن وخدمت بها الخلفاء تقطع مثل اللصوص،وكان يشد القلم على يده ويكتب فأخذ يراسل الراضي ويطمعه في الأموال فلما قرب بحكم أحد خواص ابن رائق من بغداد أمر ابن رائق بقطع لسان ابن مقلة فقطع ولحقه ذرب ومات في السجن سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة ومولده سنة اثنتين وسبعين ومائتين.

---

(١) الوافي بالوفيات ١/١٢٠

وقال أبو الحسن ثابت بن قرة الطبيب:كنت إدخل إليه السجن فيشكو إلي فأعزيه وأقول:هذا انتهاء المكروه وخاتمة القطوع،فينشدني:

إذا ما مات بعضك فابك بعضا ... فإن البعض من بعض قريب

ومن شعره في يده:

ما سئمت الحياة لكن توثقت بأيمانهم فبانت يميني

بعت ديني لهم بدنياي حتى ... حرموني دنياهم بعد ديني

ولقد حطت ما استطعت بجهدي ... حفظ أرواحهم فما حفظوني

ليس بعد اليمين لذة عيش ... يا حياتي بانت يميني فبيني

ومن شعره:

وإذا رأيت فتى بأعلى رتبة ... في شامخ من عزه المتنع

قالت لي النفس العروف بقدرها ... ما كان أولاني بهذا الموضع

ومن شعره:

لست ذا ذلة إذا عضني الدهر ولا شامخا إذا واتاني

أنا نارق في مرتقى نفس الحا ... سد ماء جار مع الإخوان

وابن مقلة هذا أول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين إلى هذه الصورة.

وممن مدحه من الشعراء ابن الرومي الشاعر وله فيه قصيدة التي منها:

كذا قضى الله للأقلام مذ بريت ... أن السيوف لها مذ أرهفت خدم

وفيه قال الشاعر:

وقالوا العزل للوزراء حيض ... لحاه الله من حيض بغيض

ولكن الوزير أبا علي ... من اللائي يئسن من المحيض

ومن العجائب أن الوزير ابن مقلة تقلد الوزارة ثلاث مرات وسافر في عمره ثلاث مرات واحدة إلى الموصل واثنتين في النفي إلى شيراز ودفن بعد موته ثلاث مرات في ثلاثة مواضع.

ومن شعره:

أحببت شكوى العين من أجلها ... لأنها تستر وجدي بها". [(١)]

٤٥-"والعجب أن ألب رسلان ونظام الملك ماتا مقتولين، **ومن العجائب** أن آلات التناسل من الكندري مدفونة بخوارزم ودمه مصبوب بمرو الروذ وجسده مقبور بقرية كندر من طريثيث وجمجمته ودماغه مدفونان بنيسابور وسوأته محشوة

---

(١) الوافي بالوفيات ١/٤٨٨

بالتبن نقلت إلى كرمان ودفنت هناك، وفي ذلك يقول الباخرزي:
مفرقا في الأرض أجزاؤه ... بين قرى شتى وبلدان
جب بخوارزم مذاكيره ... طغرل ذاك الملك الفاني
ومص مرو الروذ من جيده ... معصفرا يخضبها قان
والشخص في كندر مستبطن ... وراء أرماس وأكفان
ورأسه طار فلهفي على ... مجثمه في خير جثمان
فلوا بنيسابور مضمونه ... وقحفه الخالي بكرمان
والحكم للجبار فيما مضى ... وكل يوم هو في شان
ابن منصور النسوي
محمد بن منصور النسوي عميد خراسان، ورد بغداذ زمن طغرلبك وبنى مدرسة ووقفها على أبي بكر ابن أبي المظفر السمعاني وأولاده، قال ابن الجوزي في المرآة: فهم فيها إلى هلم جرا، وبنى مدرسة بنيسابور وفيها تربته، وكان كثير الخيرات والصدقات محسنا إلى الرعية توفي سنة أربع وتسعين وأربع مائة.
أبو بكر والد الحافظ السمعاني
محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار الإمام أبو بكر ابن العلامة أبي المظفر التميمي السمعاني والد الحافظ أبي سعد، نشأ في عبادة وتحصيل وحظي في الأدب وثمرته نظما ونثرا وبرع في الفقه وزاد على أقرانه بعلم الحديث والرجال والأنساب والتواريخ والوعظ، توفي سنة تسع وخمس مائة وسيأتي ذكر والده في حرف الميم في مكانه إن شاء الله تعالى، من شعره قوله:
فيا ليت أني النور من كل ناظر ... فيبصر بي من كان وجهك مبصرا
وأني كنت الذهن من كل خاطر ... فيفكر بي من كان فيك مفكرا
ومنه قوله:
فلأبعثن على العيون لغيرتي ... عينا أراك بها مع الأبصار
ولأنزلن من القلوب مكامنا ... كيما أفوز بلذة الأفكار
ولأسرين مع النسيم إذا سرى ... حتى أمر عليك في الأسحار
ولأفرشن الخد من فوق الثرى ... فأقي به نعليك كل غبار
كلا فعلت فما انتفعت بحيلة ... عجزت مجالسنا عن الأقدار
والد ابن المنير
محمد بن منصور بن أبي القاسم بن مختار القاضي الجليل أبو المعالي ابن المنير الجذامي الجروي الإسكندراني المعدل، أجاز له الإمام الناصر وكتب عنه الطلبة وهو والد زين الدين وناصر الدين، توفي سنة ست وخمسين وست مائة.
شمس الدين الحاضري
محمد بن منصور بن موسى الشيخ شمس الدين أبو عبد الله الحاضري الحلبي المقرئ النحوي، قرأ القراءات على الكمال

الضرير والشيخ علي الدهان والعربية على ابن مالك جمال الدين، وله تصدير في الجامع وكان متوسطا في النحو والقراءات، توفي سنة سبع مائة، والحاضري بالحاء المهملة وبين الألف والراء ضاد معجمة.

بدر الدين ابن الجوهري

محمد بن منصور بن إبراهيم بن منصور الإمام العالم الصدر الصاحب بدر الدين الجوهري نزيل مصر، ولد سنة اثنتين وخمسين وسمع من إبراهيم ابن خليل بحلب، ومن الكمال العباسي وابن عزون وابن عبد الوارث والنجيب وعدة بمصر، وتلا بالروايات على الصفي خليل، وتفقه وشارك في فضائل، وكان ينطوي على دين وعبادة وخير وله جلالة وصورة كبيرة ذكر للوزارة وكان له خلق حاد، حدث بدمشق ومصر، وتوفي سنة تسع عشرة وسبع مائة.

القباري

محمد بن منصور الشيخ أبو القاسم القباري، يأتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف القاف في ذكر القاسم.

ابن منصور موقع غزة". (١)

٤٦-"بغزال من بني الأص ... فر لا يعنيه ما بي

أنا مغرى بهواه ... وهو مغرى بعذابي

فإذا ما قلت صلني ... كان لا منه جوابي

ومن شعره وقد نقله الموفق من مكان إلى مكان:

ألفت التباعد والغربه ... ففي كل يوم لنا تربه

وفي كل يوم أرى حادثا ... يؤدي إلى كبدي كربه

أمر الزمان لنا طعمه ... فما إن أرى ساعة عذبه

ومن شعره أيضا:

بليت بشادن كالبدر حسنا ... يعذبني بأنواع الجفاء

ولي عينان دمعهما غزير ... ونومهما أعز من الوفاء

وأطربته يوما مغنية فأمر لها بتبر يسير فلم ينجز لها فقال:

أليس **من العجائب** أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه

وتؤكل باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه

المعتز بالله

أحمد بن جعفر أمير المؤمنين المعتز بالله، فتقدم ذكره في محمد بن جعفر فليطلب هناك في المحمدين.

الكاتب الأزجي

---

(١) الوافي بالوفيات ٢/١١٦

أحمد بن حنبل بن الحسن بن جميل الشيباني أبو منصور الكاتب الأزجي، كان أديبا فاضلا، أنشأ المقامات العشرين نظما ونثرا رواها عنه ولده يوسف، توفي سنة سبع وسبعين وخمس مائة، من شعره في بستان:

سقتها الجنوب بكأس الغيوم ... فقضبانها مائلات سكارى

وللطل إذ ذاك فوق الغصون ... بقايا تساقط منها ثمارا

كأن بقاياه فوق الشقي ... ق دمع الصبى في خدود العذارى

فإن مر عنها نسيم الشمال ... فأحداقها ناظرات حيارى

وإن فتقتها أكف الصبى ... ظننت الجواري يفتقن فارا

قلت: شعر متوسط.

المروزي

أحمد بن جميل المروزي، وثقه ابن معين، وتوفي سنة ثلاثين ومائتين.

المصيصي

أحمد بن جناب المصيصي، قال صالح جزرة: صدوق، وروى عنه مسلم وأبو داود والنسائي، وتوفي سنة ثلاثين ومائتين.

الحنفي الكوفي

أحمد بن جواس الحنفي الكوفي، روى عنه مسلم وأبو داود، وتوفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

الطويل

أحمد بن حاتم الطويل، وثقه الدارقطني، توفي سنة سبع وعشرين ومائتين.

الباهلي أبو نصر اللغوي

أحمد بن حاتم أبو نصر الباهلي صاحب الأصمعي، روى عن الأصمعي كتبه وقيل إنه كان ابن أخت الأصمعي، وكان أبو جعفر ابن باسويه ينكره، وروى عن أبي عبيدة وأبي زيد وأقام ببغداذ وربما حكى الشيء بعد الشيء عن أبي عمرو الشيباني، وله من التصانيف: كتاب الشجر والنبات. كتاب اللبإ واللبن. كتاب الإبل. كتاب أبيات المعاني. اشتقاق الأسماء. الزرع والنخل. الخيل. الطير. الجراد. كتاب ما يلحن في العامة. حدث المرزباني عن أبي عمر الزاهد قال: قال ثعلب: دخلت على يعقوب بن السكيت وهو يعمل إصلاح المنطق فقال: يا أبا العباس رغبت عن كتابي، فقلت له: كتابك كبير وأنا عملت الفصيح للصبيان، ثم قال: صر معي إلى أبي نصر صاحب الأصمعي فقد سألته عن بيت شعر فأجابني جوابا لم أرضه وأعيده عليه،فقلت: لا تفعل فإنه عنده أجوبة وقد أجابك ببعضها، فلما دخلنا عليه سأله عن البيت فقال له: يا مؤاجر أنت وهذا، وأنا قربتك حتى رموني بك، عندي عشرون جوابا في هذا، فخجل من ذلك وخرجنا فقلت له: لا مقام لك هنا اخرج من سر من رأى واكتب إلي بما تحتاج إليه لأسأل عنه وأعرفك إياه. وأقدمه الخصيب بن أسلم إلى أصبهان فجاء بعد سنة عشرين ومائتين ومعه مصنفات الأصمعي وأشعار شعراء الجاهلية والإسلام ثم تأهب للحج وأودع كتبه لمحمد بن العباس مؤدب أولاد عبد الله بن الحسن فأنسخها الناس، فلما عاد من الحج علم بذلك وقامت قيامته ودخل إلى عبد الله بن الحسن وذكر له أمره فجمع له من أهل البلد عشرة آلاف درهم.

ابن أبي كامل

أحمد بن حاتم بن إبراهيم بن زاذان فروخ الرازي ابن أبي كامل أبو العباس مولى بني هاشم أصله من فارس، وكان أديبا ظريفا مفننا في الأدب وهو خال أولاد أبي الحسن علي بن يحي المنجم، وكان أحمد صديق عبد الصمد ابن المعذل ولعبد الصمد فيه مديح حسن،وأورد المرزبان في المعجم لأحمد المذكور:

لا أرى فيمن أرى شبها ... لك غير البدر في الظلم". (١)

٤٧-"أحمد بن محمد بن الحسين بن علي الشيرازي الحاجي أبو بكر بن أبي عبد الله. هو القاضي ناصح الدين الأرجاني بتشديد الراء والجيم المفتوحة كان أحد أفاضل الزمان، لطيف العبارة غواصا على المعاني، إذا ظفر على المعنى لا يدع فيه لمن بعده فضلا، كامل الأوصاف، قال أبو القاسم هبة الله بن الفضل الشاعر: كان الغزي صاحب معنى لا لفظ، وكان الأبيوردي صاحب لفظ لا معنى،وكان القاضي أبو بكر الأرجاني قد جمعهما، أعني اللفظ والمعنى. قال ابن الخشاب: الأمر كما قال: أشعارهم تصدق هذا الحكم إذا تؤملت. كان في عنفوان شبابه بالمدرسة النظامية بأصبهان ولم يزل نائب القاضي بعسكر مكرم وهو مبجل مكرم وهو من سمع وروى. ومن شعره:

ومن النوائب أنني ... في مثل هذا الشغل نائب

ومن العجائب أن لي ... صبرا على هذي العجائب

وكان فقيها شاعرا ولذلك قال:

أنا أفقه الشعراء غير مدافع ... في العصر لا بل أشعر الفقهاء

وقدم بغداذ مرات ومدح الإمام المستظهر وسديد الدين ابن الأنباري والعزيز عم العماد الكاتب، ومن شعره وهو غريب:

رثى لي وقد ساويته في نحوله ... خيالي لما لم يكن لي راحم

فدلس بي حتى طرقت مكانه ... وأوهمت إلفي أنه بي حالم

وبتنا ولم يشعر بنا الناس ليلة ... أنا ساهر في جفنه وهو نائم

ومنه والثاني منه يقرأ مقلوبا:

أحب المرء ظاهره جميل ... لصاحبه وباطنه سليم

مودته تدوم لكل هول ... وهل كل مودته تدوم

ومن قصائده الطنانة:

سهام نواظر تصمي الرمايا ... وهن من الحواجب في حنايا

ومن عجب سهام لم تفارق ... حناياها وقد أصمت حشايا

نهيتك أن تناضلها فإني ... رميت فلم يصب سهمي سوايا

---

(١) الوافي بالوفيات ٢/٣١٩

جعلت طليعتي طرفي سفاها ... فدل على مقاتلي الخفايا

وهل يحمى حريم من عدو ... إذا ما الجيش خانته الرمايا

ويوم عرضت جيش الصبر حتى ... أشن به على وجدي سرايا

هززن من القدود لنا رماحا ... فخلينا القلوب لها درايا

وأبكى العين شتى من عيون ... فكان سوى مدامعي البكايا

ولي نفس إذا ما امتد شوقا ... أطار القلب من حرق شظايا

ودمع ينصر الواشين ظلما ... ويظهر من سرائري الخبايا

ومحتكم على العشاق جورا ... وأين من الدمى عدل القضايا

يريك بوجنتيه الورد غضا ... ونور الأقحوان من الثنايا

تأمل منه تحت الصدغ خالا ... لتلعم كم خبايا في الزوايا

ولا تلم المتيم في هواه ... فلوم العاشقين من الخطايا

خطبت وصاله الممنوع حتى ... أثرت به على قلبي بلايا

فأرق مقلتي وجدا وشوقا ... وعذب مهجتي هجرا ونايا

وأتعب سائري إذ رق قلبي ... وفي ضعف الملوك أذى الرعايا

تغنم صحبتي يا صاح إني ... نزعت عن الصبا إلا بقايا

وخالف من تنسك من رجال ... لقوك بأكبد الإبل الأبايا

ولا تسلك سوى طرقي فإني ... أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

وقم نأخذ من اللذات حظا ... فإنا سوف تدركنا المنايا

وساعد زمرة ركنوا إليها ... فآبوا بالنهاب وبالسبايا

وأهد إلى الوزير المدح يجعل ... لك المرباع منها والصفايا

وقل للسائرين إلى ذراه ... ألستم خير من ركب المطايا

قلت: لا يخفى على من له ذوق حسن هذا التضمين الذي في هذه الأبيات. وله قصيدة يصف فيها الشمعة أحسن فيها كل الإحسان كل الإحسان وقد استغرق سائر الصفات ولم يكد يخلي لمن بعده فضلا كما فعل ابن الرومي في قصيدته القافية في وصف السوداء، وقصيدة الأرجاني:

نمت بأسرار ليل كان يخفيها ... وأطلعت قلبها للناس من فيها". (١)

---

(١) الوافي بالوفيات ٩/٣

٤٨-"الشيب عيب ولكن عينه قلعت ... بالشين من شدة فيه وتعذيب
والشيب شين ولكن نونه حذفت ... بباء بعد عن اللذات والطيب
ومنه:
يا من يعذب قلبه في صورة ... سوداء مظلمة كفحم النار
أتعبت نفسك في سواد مظلم ... إن السواد يضر بالأبصار
وإذا عدلت عن البياض وحسنه ... ما ذا تؤمل في سواد القار
ومنه:
نحن نسعى والسعي غير مفيد ... إن أراد الإله منع المغانم
وإذا ما الإله قدر شيئا ... جاء سعيا إلى الفتى وهو نائم
أحمد بن المؤمل
الشاعر
أحمد بن المؤمل بن الحسن بن السعيد بن أحمد بن المؤمل ينتهي إلى ذي الإصبع العدواني، أبو العباس الشاعر البغداذي. كان أديبا فاضلا له نثر جيد ونظم مليح، مدح جماعة وهجاهم؛ سمع عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي وعبد الله بن علي بن أحمد الخياط المقرىء ومحمد بن عمر بن يوسف الأرموي وغيرهم؛ وحدث باليسير. توفي بواسط سنة ثمان وتسعين وخمسمائة لأنه نفي إلى واسط فأقام بها إلى أن مات. ومن شعره:
وقائلة أراك أخا هموم ... فقل لي ما دهاك من البلايا
فقلت لها دهاني فاندبيني ... وقوفي وسط معترك المنايا
ومنه أيضا:
هاجر معي إن رحمتني هاجر ... واسترض عني زماني الهاجر
وقف على منزل كلفت به ... بين ربى رامة إلى حاجر
منها:
يقبل ذو الوجد عن مقاصده ... فيها فهديه نشرها العاطر
تبكي رباها لفقد ساكنها ... حزنا ويفتر روضها الزاهر
منازل اللهو لا عداك حيا ... يؤنس من طيب ربعك النافر
سقاك يا دراهم ومعهدهم ... كل سحاب مزمجر ماطر
ومنه أيضا:
كم ترشق النكبات نفس عزائمي ... وعلي من جزع أعد دلاص
ومن العجائب أن كل بلاغة ... جمحت مطاوعتي وحظي عاص

والطير جنس واحد لكنما ... للغاتهن حبسن في الأقفاص

قلت: أخذه من الآخر وقصر عنه

الصعو يرتع في الرياض وإنما ... حبس الهزار لأنه يترنم

وقال مما يحسن أن يكتب على قبر:

أمرت فلم نقبل لسوء اختيارنا ... وها نحن أسرى في يديك إلهنا

وكانت أماني الحياة تسوقنا ... بتسويقها بالخير حتى إلى هنا

فإن أنت يارب انتقمت فعادل ... وإن أنت حققت المنى فلنا الهنا

الحافظ أبو الفضل المخرمي

أحمد بن ملاعب بن حيان أبو الفضل المخرمي الحافظ. كان صدوقا بصيرا بالحديث عالي الرواية. توفي سنة خمس وسبعين ومائتين.

نجم الدين القوصي

أحمد بن ناشىء بن عبد الله، القاضي نجم الدين القوصي. قرأ القراءات على أبيه وسمع من ابن المقير ومن أصحاب السلفي وسمع منه عبد الغفار بن عبد الكافي السعدي والخطيب فتح الدين عبد الرحمن وجماعة بقوص، وقرأ الفقه على مجد الدين القشيري. وكان من أهل الخير، وناب في الحكم بقوص وباشر التوقيع للقضاة. توفي سنة سبع وثمانين وستمائة: من شعره لما منع السفر من عيذاب ثم أذن له:

يا ثغر عيذاب ابتسم ... صدر الطريق قد انشرح

تالله لو وزن النب ... ي بكل مخلوق رجح

ومنه:

لقد كان في الدنيا شيوخ صوالح ... إذا دهم الناس الدواهي ترسلوا

مفرح منهم في البلاد وشيخنا ... أبونا أبو الحجاج ذاك المبجل

وشيخ شيوخ الأرض كان بأرضنا ... أبو الحسن الصباغ ذاك المدلل

وللشيخ مجد الدين كان انتسابنا ... فذاك الذي ينحل صوما وينحل

فإن كانت الدنيا من الكل أقفرت ... ولم يبق فيها للخلائق موئل

فجاه رسول الله باق مؤبد ... وجاه رسول الله يكفي ويفضل

الشريف الحنفي". (١)

---

(١) الوافي بالوفيات ٩٢/٣

٤٩-"فتغيروا لما رأوني نائيا ... وعن التصرف قد صرفت عناني

دعهم وعادتهم فلم أر مثلهم ... إلا مجرد صورة الإنسان

واغسل يديك من الزمان وأهله ... بالطين والصابون والأشنان

قلت: شعر منحط.

بهاء الدين السنجاري الشافعي

أسعد بن يحيى بن موسى بن منصور بن عبد العزيز بن وهب بن وهبان بن سوار بن عبد الله ابن رفيع بن ربيعة بن هبان السلمي السنجاري الفقيه الشافعي بهاء الدين، كان فقيها تكلم في الخلاف إلا أنه غلب عليه الشعر واشتهر به، وخدم به الملوك وأخذ جوائزهم وطاف بالبلاد ومدح الأكابر. ومن شعره قصيدة مدح بها القاضي كمال الدين الشهرزوري، أولها من الكامل:

وهواك ما خطر السلو بباله ... ولأنت أعلم في الغرام بحاله

ومتى وشى واش إليك بأنه ... سال هواك فذاك من عذاله

أو ليس للكلف المعنى شاهد ... من حاله يغنيك عن تسأله؟

جد دت ثوب سقامه وهتكت ست ... ر غرامه وصرمت حبل وصاله

منها من الكامل:

كتب العذار على صحيفة خده ... نونا وأعجمها بنقطة خاله

فسواد طرته كليل صدوده ... وبياض غرته كيوم وصاله

فكفاه عين كماله في نفسه ... وكفى كمال الدين عين كماله

ومن شعره أيضا من الكامل:

ومهفهف حلو الشمائل فاتر ال ... ألحاظ فيه طاعة وعقوق

وقف الرحيق على مراشف ثغره ... فجرى به من خده راووق

سدت محاسنه على عشاقه ... سبل السلو فما إليه طريق

ومنه أيضا من السريع:

هبت نسيمات الصبا سحرة ... ففاح منها العنبر الأشهب

فقلت إذ مرت بوادي الغضا: ... من أين هذا النفس الطيب؟

قال جمال الدين عبد الرحمن بن السنينيرة الواسطي الشاعر وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى: رافقني البهاء السنجاري في بعض الأسفار من سنجار إلى رأس عين فنزلنا في الطريق في مكان، وكان له غلام اسمه إبراهيم وكان يأنس به، فأبعد عنا الغلام فقام يطلبه وناداه: يا إبراهيم، يا إبراهيم! مرارا، فلم يسمع نداءه لبعده عنا؛ وكان ذلك الموضع له صدا، فلما قال: يا إبراهيم! أجابه الصدا: يا إبراهيم! فقعد ساعة ثم أنشدني من الطويل:

بنفسي حبيب جار وهو مجاور ... بعيد عن الأبصار وهو قريب

يجيب صدا الوادي إذا ما دعوته ... على أنه صخر وليس يجيب

وكان بينه وبين صاحب له مودة أكيدة، ثم جرى بينهما عتاب وانقطع ذلك الصاحب عنه، فسير إليه يعتبه لانقطاعه، فكتب إليه بيتي الحريري وهما في المقامات من الخفيف:

لا تزر من تحب في كل شهر ... غير يوم ولا تزده عليه

فاجتلاء الهلال في الشهر يوم ... ثم لا تنظر العيون إليه

فكتب إليه بهاء الدين من نظمه من الوافر:

إذا حققت من خل ودادا ... فزره ولا تخف منه ملالا

وكن كالشمس تطلع كل يوم ... ولا تك في زيارته هلالا

ومن شعره أيضا من السريع:

لله أيامي على رامة ... وطيب أوقاتي على حاجر

تكاد للسرعة في مرها ... أولها يعثر بالآخر

قلت: أخذه من قول الأول من البسيط:

يا ليلة كاد من تقاصرها ... يعثر فيها العشاء بالسحر

ومن شعره من مجزوء الكامل:

ومن العجائب أنني ... في لج بحر الجود راكب

وأموت من ظمإ ول ... كن عادة البحر **العجائب**

قلت: يشبه قول الناصر داود في قصيدته التي مدح بها الإمام المستنصر بالله وكان قد حجبه لأجل عمه الكامل من الطويل:

وبي ظمأ رؤياك منهل ريه ... ولا غرو أن تصفو لدي مشاربه

ومن عجب أني لدى البحر واقف ... وأشكو الظما والبحر جم عجائبه

ولبهاء الدين السنجاري أبيات خمرية منها قوله من البسيط:". (١)

٥٠-"بالساحل النامي روائح نشره ... عن روضه المتضوع المتأرج

واليم زاه قد جرى تياره ... من بعد طول تقلق وتموج

طورا يدغدغه النسيم وتارة ... يكرى فتوقظه بنات الخزرج

والبدر قد ألقى سنا أنواره ... في لجه المتجعد المتدبج

فكأنه إذ قدصفحة متنه ... بشعاعه المتوقد المتوهج

نهر تكون من نضار يانع ... يجري على أرض من الفيروزج

---

(١) الوافي بالوفيات ١٨٣/٣

فكتب إليه ابن بصاقة: وأما الأبيات الجيمية الجمة المعاني، المحكمة المباني، المعوذة بالسبع المثاني فإنها حسنة النظام بعيدة المرام، متقدمة على شعر الجاهلية ومن عاصرها في الإسلام. قد أخذت بمجامع القلوب في الإبداع واستولت على المحاسن، فهي نزهة الأبصار والأسماع، ولعبت بالعقول لعب الشمول. إلا أن تلك خرقاء وهذه صناع. فإذا اعتبرت ألفاظها كانت درا منظوما، وإذا اختبرت معانيها كانت رحيقا مختوما. جلت بعلوها عن المعاني المطروقة والمعاني المسروقة، ودلت بعلوها أنها من نظم الملوك لا السوقة. فلو وجدها ابن المعتز لألقى زورقه الفضة في نهرها، وألقى حمولته العنبر في بحرها، وألفى تشبيهاته بأسرها في أسرها. ولو لقيها ابن حمدان لاغتم في قوس الغمام وانبرى بري السهام وتعطى من أذيال غلائله المصبغة بذيل الظلام. ولو سمعها امرؤ القيس لعلم أن فكرته قاصرة وكرته خاسرة، وأيقن أن وحوشه غير مكسورة وأن عقابه غير كاسرة. فأين الجزع الذي لم يثقب من الدر الذي قد تنظم؟ وأين ذلك الحشف البالي من هذا الشرف العالي؟ والله تعالى يكفي الخاطر الذي سمح بها عين الكمال الشحيحة ويشفي القلوب العليلة بما روته هذه الأبيات الصحيحة. ومن شعر الملك الناصر: من الخفيف

صبحاني بوجهه القمري ... وأصبحاني بالسلسبيل الروي

بدر ليل يسعى بشمس نهار ... فشهي يتنابنا بشهي

وأعجبا لاجتماع شمس وبدر ... في سنائي سنا كمال بهي

منها:

إن تبدت بوجهها ذهبيا ... قلت: هذا من وجهه الفضي

منها:

يا ولوعا بالنبل أصميت قلبي ... بسهام من لحظك البابلي

رشقته من حاجبيك سهام ... منبضات أحسن بها من قسي

ومن شعره: من الكامل

لو عاينت عيناك حسن معذبي ... ما لمتني ولكنت أول من عذر

عين الرشا قد القنا ردف النقا ... شعر الدجى شمس الضحى وجه القمر

قلت: كذا نقلته من خط موثوق به، والظاهر أنه: نور الضحى، وإلا فشمس الضحى ما له معنى. ومما نسب إلى الناصر داود وهو غاية: من الخفيف

بأبي أهيف إذا رمت منه ... لثم ثغر يصدني عن مرامي

قد حمى خده بسور عذار ... مقلتاه أضحت عليه مرامي

ونسب إليه أيضا: من الطويل

تراخيت عني حين جد بي الهوى ... وجربت صبري عندما نفذ الصبر

فلو عاينت عيناك في الليل حالتي ... وقد هزني شوق وأقلقني فكر

رأيت سليما في ثياب مسلم ... ومستشعرا قد ضم شرسوفه الشعر

ومن شعره: من الطويل

إذا عاينت عيناي أعلام جلق ... وبان من القصر المشيد قبابه

تيقنت أن البين قد بان والنوى ... نأى شخصها والعيش عاش شبابه

ومنه: من الكامل

طرفي وقلبي قاتل وشهيد ... ودمي على خديك منه شهود

يا أيها الرشأ الذي لحظاته ... كم دونهن صوارم وأسود

من لي بطيفك بعد ما منع الكرى ... عن ناظري البعد والتسهيد

وأما وحبك لست أضمر توبة ... عن صبوتي ودع الفؤاد يبيد

وألذ ما لاقيت فيك منيتي ... وأقل ما بالنفس فيك أجود

ومن العجائب أن قلبك لم يلن ... لي والحديد ألانه داود". (١)

٥١-"ورد إلى تونس وقد مات صاحبها فملكوه سنة إحدى عشرة ولقب القائم بأمر الله. وله نظم وفضائل. ثم سافر إلى طرابلس سنة ثمان عشرة. فوثب على تونس قرابته أبو بكر. فسار اللحياني إلى الإسكندرية سنة إحدى وعشرين وقد رفض الملك. وكان جدهم من أكبر أصحاب ابن تومرت وكان اللحياني قد أسقط ذكر المهدي المعصوم من الخطبة. وكان جد أبيه قد ملك المغرب وذلك في دولة الظاهرية ودامت دولته إلى سنة ست وسبعين وكان شهما ذا جبروت. وتسلطن بعده ابنه الواثق بالله يحيى ثم خلع بعد سنتين وأشهر وتملك المجاهد إبراهيم فبقي أربعة أعوام ثم توثب عليه الدعي أحمد بن مرزوق البخائي الذي زعم أنه ولد الواثق وتم ذلك له لأن المجاهد قتل الفضل بن الواثق سرا فقال: هذا أنا هو الفضل. وتملك عامين وقام عليه أبو حفص أخو المشاهد فهرب الدعي ثم أسر وهلك تحت السياط بعد اعترافه أنه دعي. فتملك أبو حفص ثلاثة عشر عاما وأحسن السيرة ثم مات سنة أربع وتسعين وقام أبو عصيدة محمد بن الوثق فتملك خمس عشرة وكان صالحا مشكورا.

وأما اللحياني فإنه استوطن الإسكندرية حتى مات في التاريخ المذكور أولا وكان مبخلا ومن شعره......

زكري

بدر الدين التونسي الدشناوي

زكري بن يحيى بن هارون بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن عبد الله بن بدر الدين الدشناوي مولدا التونسي محتدا. كان فقيها أديبا له نظم حدث بشيء منه. روى عنه الشيخ الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس وزين الدين عمر بن الحسن بن حبيب وغيرهما.

توفي بالقاهرة سنة......... وسبع مائة ظنا.

---

(١) الوافي بالوفيات ٤/٤١٥

أنشدني الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس قال: أنشدني لغزا لنفسه وهو في طيبرس: من الطويل

وما اسم له بعض هو اسم قبيلة ... وتصحيف باقية تلاقي به العدى

وإن قلته عكسا فتصحيف بعضه ... غياث الظمآن تألم بالصدى

وباقية بالتصحيف طير وعكسه ... لكل الورى علم معين على الردى

ومن شعره في راقص: من البسيط

يا من غدا الحسن إذا غنى وماس لنا ... مقسم بين أبصار وأسماع

قاسوك بالغصن رطبا والهزار غنا ... وما تقاس بمياس وسجاع

قد تسجع الورق لكن غير داخلة ... ويرقص البان بل في غير إيقاع

ومنه: من الخفيف

لا تسلني عن السلو وسل ما ... صنعت بي لطفا محاسن سلمى

أوقعت بين مقلتي ورقادي ... وسقامي والجسم حربا وسلما

ومنه فيمليح خطائي: من الوافر

فقال لي العذول: علام تبكي؟ ... فقلت له بكيت على خطائي

قلت: أراد التورية بالخطأ مهموزا مقصورا ضد الصواب عن الخطائي وهو المليح التركي الخطائي وهو ممدود مهموز فما قعدت معه التورية. وكذا استعمله جمال الدين ابن نباتة فقال: من المتقارب

عذولي خذ لك عين الصواب ... ودع في الهوى لي عين الخطا

وهومن المادة الأولى في الخطأ وسوء الاستعمال.

ومما قلته أنا في مليح خطائي: من الكامل

أحببت من ترك الخطا ذا قامة ... فضحت غصون البان لما أن خطا

اياكم وجفونه فأنا الذي ... سهم أصاب حشاه من عين الخطا

وقلت في المادة: من مجزوء الكامل

يا قلب لا تقدم على ... سحر الجفون إذا سطا

ومن العجائب أنه ... أضحى يصح مع الخطا

ومن نظم بدر الدين زكري المذكور من موشح أورده كمال الدين جعفر الأدفوي

أيا من علي تجنى ... وقد حاز لطف المعنى

أجعل لي من صدودك أمنا

وارحمني وهب لي ... وصلا به أتملى

وكن للمكارم أهلا ... هذا أهنا و أحلى

الشيخ زكي الدين الشافعي

زكري بن يوسف هو الشيخ الإمام المفتي زكي الدين زكري الشافعي. قرأ عليه جماعة من الطلبة وتوفي رحمه االله تعالى سنة اثنتين وعشرين وسبع مائة.

ابن البيلقاني المتكلم

زكي بن الحسن بن عمر أبو أحمد البيلقاني الشافعي المتكلم.". (١)

٥٢-"أبغي شفاء تدلهي من دله ... ومتى يرق مدلل لمدله

كم آهة لي في هواه وأنة ... لو كان ينفعني عليه تأوهي

ومآرب في وصله لو أنها ... تقضى لكانت عند مبسمه الشهي

يا مفردا بالحسن إنك منته ... فيه كما أنا في الصبابة منته

قد لام فيك معاشر أفأنتهي ... باللوم عن حب الحياة وأنت هي

أبكي لديه فإن أحس بلوعة ... وتشهق أوما بطرف مقهقه

أنا من محاسنه وحالي عنده ... حيران بني تفكري وتفكهي

ضدان قد جمعا بلفظ واحد ... لي في هواه بمعنيين موجه

لأجردن من اصطباري عزمة ... ما ربها في محفل بمسفه

أو لست رب فضائل لو حاز أد ... ناها وما أزهى بها غيري زهي

شهدت لها الأعداء واستشفت بها ... عينا حسود بالغباوة أكمه

أنا عبد من علم الزمان بعجزه ... عن أن يجيء له بند مشبه

عبد لعز الدين ذي الشرف الذي ... دل الملوك لعزه فرخشه

ونقلت منه، قال: أنشدني لنفسه في ذم النجامة والنجمين من البسيط:

يا طالب الرزق بالتقويم تصنعه ... جداولا ذات تقسيم وتوجيه

وتدعي سفها أن النجوم لها ... فعل بتأثيرها في الخلق تقضيه

خفض عليك فما عند المنجم في ... تقويمه غير تخييل وتمويه

لولا حساب وتأريخ وضعتهما ... فيه لكان هراء كل ما فيه

ونقلت منه، قال: أنشدتني لنفسه في ذمهم أيضا من البسيط:

يهذي المنجم في أحكامه أبدا ... ومن يصدقه في الحكمي يشبهه

لكن رموز حساب يستدل بها ... ما ينبغي أننا فيها نسفهه

---

(١) الوافي بالوفيات ٤٨٢/٤

ونقلت منه، قال: أنشدني لنفسه في ذمهم أيضا من السريع:

وناجم في علم تقويمه ... بالحل والتسيير نجامه

يزعم جهلا أنه بارع ... محرر أحكام أحكامه

يهدي لأقوام تقاويمه ... ليجتدي من رفد أقوامه

النصف من آذار ميقاته ... عند انتهاء الدور من عامه

حسابه الرمز وتأريخه ... مختصر في حسن إتمامه

لكنه أصدق أحكامه ... أكذب من أضعاث أحلامه

من شك في صحة تكذيبه ... فالشك في صحة إسلامه

ومن شعره أيضا من الطويل:

لبست من الأعمار تسعين حجة ... وعندي رجاء بالزيادة مولع

وقد أقبلت إحدى وتسعون بعدها ... ونفسي في خمس وست تطلع

ولا غرو إن آتى هنيدة سالما ... فقد يدرك الإنسان ما يتوقع

وقد كان في عصري رجال عرفتهم ... حبوها وبالآمال فيها تمتعوا

وما عاف قبلي عاقل طول عمره ... ولا لامه في ذاك للعقل موضع

أبو محمد الموسوي

زيد بن الحسن أبو محمد الموسوي. أورد له ابن النجار قوله من الكامل:

ما زلت أعلم أولا في أول ... حتى ظننت بأنني لا علم لي

ومن العجائب أن كوني جاهلا ... من حيث كوني أنني لم أجهل

أخون علي الرضا". [(١)]

٥٣-"سوار بن أبي شراعة أحمد بن محمد بن شراعة، هو أبو الفياض؛ شاعر مطبوع اتصل بأبي العباس ابن الفرات وتوفي بعد الثلاثمائة. وهو الذي يقول ابن الرومي فيه:

ومن العجائب يا أبا فياض ... تبديلك الإقبال بالإعراض

ومن شعر سوار:

اعجب لرأي فتى قد بات ذا أمل ... بين المنية والبلوى بمعترك

يا سوأتي لامرئ قد شاب مفرقه ... مسترخي الباع بين الهزل والضحك

أدركت دنيا وأرجو نيل آخرة ... والبر أفضل ما أدركت من درك

---

(١) الوافي بالوفيات ١٣/٥

أبو عمارة الرملي

سوار بن عمارة، أبو عمارة الرملي؛ عن رجاء بن أبي سلمة والسري بن يحيى وابن عيينة، وعنه أبو عمير بن محمد وموسى بن سهل ومحمد بن خلف العسقلاني وزياد بن أيوب وأبو زرعة الدمشقي. قال أبو حاتم: أدركته ولم أسمع منه، وهو صدوق، توفي سنة أربع عشرة أو خمس عشرة ومائتين.

الألقاب

ابن السواق: أحمد بن علي؛ وأخوه حمزة بن علي.

ابن السواملي جمال الدين: إبراهيم بن محمد.

سوتاي

النوين

سوتاي – بضم السين المهملة وسكون الواو وبعدها تاء ثالثة الحروف وبعدها ألف ممدودة وياء آخر الحروف – هو النوين الحاكم على ديار بكر بمجموعها؛ نزل بتومانه بعد وفان النوين ابل تاصميش، واستمر حاكما من أوائل دولة أولجايتو سلطان إلى أواخر دولة ابنه السلطان بوسعيد، وتوفي سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة في مدينة بلد، وهي مدينة خراب بالقرب من الموصل كان ينزلها في مشتاه كل سنة، ثم حمل من بلد إلى الموصل ودفن بتربة بناها داخل الموصل على دجلة. وقد عمر حتى جاوز المائة لأنه حكى عن نفسه أنه حضر واقعة بغداد مع هولاكو، وكان بالغا، ورأى أربع بطون من ولده، وولد ولده، وولد ولد ولده، وأولادهم، حتى أنهم أنافوا على الأربعين ذكورا وإناثا. وأكبر ولده بارنباي ثم طغاي؛ وكان أقطجيا لأبغا والأقطجي بمنزلة أمير آخور. وكان رئيسا في نفسه، ذا عزم وحزم وتدبير وحسن سياسة، تحبه الرعية ويدعون له، ولم يزل معظما عند ملوك المغل. أضر قبل موته بسنوات، ومرض مدة ثلاثة أشهر وتوفي. ولما عدى قراسنقر والأفرم وبهادر الزردكاش الفرات وصاروا في مملكة المغل نزلوا عند سوتاي فأضافهم وأكرمهم وضرب لهم خاما كان قد كسبه من المسلمين في واقعة غازان، فنظروا إلى الخام وهم تحته فوجدوا فيه ألقاب السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون، وكانوا قد هربوا منه، فقال بعض مماليك الأفرم لهم: إذا كان الله تعالى قد جعل هذا الرجل فوقكم فما عسى تصنعون أنتم في بلاد أعدائه، واسمه على رؤوسكم؟ ! فسبوه وقال الأفرم: صدق لكم. ولما توفي سوتاي حكم مكانه علي باشا خال بوسعيد وجرت له حروب كثيرة مع طغاي بن سوتاي، وسوف يأتي ذكر طغاي في مكانه من حرف الطاء.

سودة

أم المؤمنين رضي الله عنها

سودة بنت زمعة بن قيس، أم المؤمنين، القرشية العامرية؛ تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خديجة، انفردت بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع سنين لا يشاركها فيه امرأة ولا سرية، وهي من سادات النساء، توفيت في خلافة عمر بن الخطاب، وروى لها البخاري وأبو داود والنسائي وقال الواقدي: الثبت عندنا أنها توفيت سنة أربع وخمسين، وقال قتادة وأبو عبدة وعقيل عن ابن شهاب أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج سودة قبل عائشة، وقيل تزوجها بعدها، وقيل تزوجها قبل العقد على عائشة، ولا خلاف أنه لم يتزوجها إلا بعد خديجة. وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم

تحت ابن عم لها يقال له السكران بن عمرو - وقد تقدم ذكره - وكانت امرأة ثقيلة ثبطة، وأسنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم بطلاقها فقالت له: لا تطلقني وأنت في حل من شأني. فإنما أريد أن أحشد في أزواجك، وإني قد وهبت يومي لعائشة، وإني لا أريد ما يريده النساء، فأمسكها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها، وفيها نزلت " وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا " .

سودة بنت مسرح

سودة بنت مسرح؛ صحابية روي عنها حديث واحد بإسناد مجهول أنها كانت قابلة لفاطمة حين وضعت الحسن ولفته في خرقة صفراء، فنزعها عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولفه في خرقة بيضاء وتفل فيه وسماه الحسن.

سودي

نائب حلب". (١)

٥٤-"أبو شاكر بن أبي سليمان، الحكيم موفق الدين ابن أبي سليمان؛ كان متقنا لعلم الطب والعلاج، مكينا في الدولة، قرأ الطب على أخيه أبي سعيد بن أبي سليمان، وتميز بعد ذلك واشتهر ذكره، وكان العادل قد جعله في خدمة ولده الملك الكامل، فحظي عنده وتمكن ونال في دولته الحظ الوافر، وكانت له ضياع وإقطاعات، ولم يزل يفتقده أبدا بالهبات الوافرة؛ وكان العادل يعتمد عليه، ويدخل جميع قلاعه وهو راكب مثل قلعة الكرك وقلعة جعبر والرها ودمشق والقاهرة مع صحبة جسمه؛ ولما سكن الكامل بقصر القاهرة أسكنه عنده فيه. وكان العادل ساكنا بدار الوزارة، ثم إنه ركب يوما على بغلة النوبة التي له وخرج إلى بين القصرين فركب فرسا آخر وسر بغلته التي كان راكبها إلى دار الحكيم وأمره بركوبه عليها وخروجه من القصر راكبا، ولم يزل واقفا ببين القصرين إلى أن وصل إليه فأخذ بيده وجعل يتحدث معه إلى دار الوزارة، وسائر الأمراء يمشون بين يدي الملك الكامل.

وللعضد ابن منقذ في أبي شاكر:

رأيت الحكيم أبا شاكر ... كثير المحبين والشاكر

خليفة بقراط في عصرنا ... وثانيه في علمه الباهر

توفي بالقاهرة سنة ثلاث عشرة وستمائة ودفن بدير الخندق عند القرافة.

شامية

بنت البكري

شامية أمة الحق بنت المحدث أبي علي الحسن بن محمد بن أبي الفتوح البكري؛ شيخة مسندة معمرة متفردة، روت عن حنبل وابن طبرزد وعبد الجليل ابن مندويه وجدها وجماعة، روى عنها الدمياطي والحارثي وابن الزراد وابن البرزالي وخلق، وحدثت بدمشق ومصر وشيزر، وبها توفيت سنة خمس وثمانين وستمائة.

---

(١) الوافي بالوفيات ١٧٦/٥

الألقاب

أبو شامة: الشيخ شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم.

أبو شامة: الأمير بدر الدين بيليك.

شاه

حاجب المستظهر

شاه بن مهمندار الفارسي من أهل جيلان؛ كان من حجاب الإمام المستظهر بالله، وكان أديبا شاعرا، روى عنه السلفي؛ ومن شعره:

أما السلو فمستحيل ... والليل بعدكم طويل

ما حلت عما تعلمو ... ن ورب مشتاق يحول

يا من ذللت لحبه ... والحب صاحبه ذليل

أمسى هواك كأنه ... ظل الخليفة لا يزول

ومنه:

كنا نؤمل للمعارف دولة ... فلعلنا بزمانهم نحظى

حتى إذا صاروا ذوي رتب ... لم يمنحوا لمؤمل لحظا

حرموه واحتجوا بقولهم ... لسنا نرى لمحبنا حظا

منعوا الندى أيام قدرتهم ... والجاه حتى استثقلوا اللفظا

وعظتهم الأيام في من قبلهم ... لو أنهم ممن يعي وعظا

قلت: شعر جيد، والتخلص في المقطوع الأول في غاية الحسن.

أبو الفوارس الزاهد

شاه بن شجاع، أبو الفوارس الكرماني الزاهد؛ كان من أولاد الملكوك فنزهد وصحب أبا تراب النخشبي، وتوفي قبل الثلاثمائة.

أبو علي المنجم

شاهمان بن محمد بن أحمد، أبو علي المنجم؛ كان له معرفة بعلم النجوم، وكان أديبا يقول الشعر؛ توفي سنة أربع وستين وخمسمائة، ومن شعره:

ومن العجائب أنهم لما رأوا ... أني لهم من بعد صفو هاجر

ضربوا من الأمثال لي مثلا جرى ... مستحسنا هو في البرية سائر

لا ترم في بئر شربت زلالها ... آجرة فيقال إنك غادر

فأجبتهم إني إذا عاينتها ... وزلالها من بعد صفو كادر

عطلتها وحفرت أخرى غيرها ... وطممتها بتراب ما أنا حافر

الألقاب

الشاه بوري الواعظ: اسمه محمد بن عبد الله.

الملك الأفضل". [١]

٥٥-"زالت ليالي بني رزيك وانصرمت ... والحمد والشكر منها غير منصرم

ومنها:

ولو شكرت لياليهم محافظة ... لعهدها لم يكن بالعهد من قدم

ولو فتحت فمي يوما بدمهم ... لم يرض فضلك إلا أن يسد فمي

فشكره شاور وأمراؤه على وفائه لهم. وفي شاور يقول عمارة اليمني:

ونصرت في الأولى بضرب زلزل ال ... أقدام وهي شديدة الإقدام

ونصرت في الأخرى بضرب صادق ... أضحى يطير به غراب الهام

أدركت ثأرا وارتجعت وزارة ... نزعا بسيفك من يدي ضرغام

وفيه يقول أيضا:

وزير تمنته الوزارة أولا ... وثانية عفوا بغير طلاب

فخانته في الأولى بطانة ولده ... ورب حبيب في قميص حباب

وجاءته تبغي الصلح ثاني مرة ... ولم ترض إلا بعد ضرب رقاب

قيل إن شاور أدرك ثأره في يوم الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة، فكان بينهما تسعة أشهر؛ قال عمارة: وقلت في ذلك:

نزعت ملكك من رجال نازعوا ... فيه وكنت به أحق وأقعدا

جذبوا رداءك غاصبين فلم تزل ... حتى كسوت القوم أردية الردى

فبردت قلبك من حرارة حرقة ... أمرت نسيم الليل أن لا يبردا

تاريخ هذا نلته في مثله ... يوما بيوم عبرة لمن اهتدى

حملت به الأيام تسعة أشهر ... حتى بلغن له جمادى مولدا

ولما عاد شيركوه إلى الديار المصرية استصحب صلاح الدين يوسف ابن أخيه معه، وخرج شاور إلى شيركوه في موكبه، فلم يتجاسر عليه إلا صلاح الدين، فإنه تلقاه وسار إلى جانبه وأخذ بتلابيبه وأمر العسكر بقصد أصحابه، ففروا ونهبهم العسكر، وأنزل شاور في خيمة مفردة، وفي الحال جاء توقيع على يد خادم خاص من جهة العاضد يقول: لا بد من رأسه، جريا على عاداتهم مع وزرائهم، فحز رأسه وأنفذ إليه، فسير العاضد إلى أسد الدين شيركوه خلع الوزارة، ودخل القصر

---

(١) الوافي بالوفيات ١٨٨/٥

وترتب وزيرا، وظهرت السنة بموت شاور وولاية شيركوه. ولما قتل شاور هرب ابناه الكامل شجاع بن شاور والطاري الملقب بالمعظم إلى قصر العاضد، وكأنما نزلا من القصر في قبر، ولو أنهما لحقا بشيركوه لكان أقرب لسلامتهما، لأنه ما هان عليه قتل شاور، فلما كان يوم الإثنين رابع جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وخمسمائة أمر العاضد بقتل ولدي شاور المذكورين وطيف برؤوسهما.

شبابة

أبو عمرو الفزاري

شبابة بن سوار، أبو عمرو الفزاري مولاهم المدائني؛ عن ابن ذئب ويونس بن أبي إسحاق وشعبة وإسرائيل وحريز بن عثمان وعبد الله بن العلاء ابن زبر وطائفة؛ وروى عنه أحمد وابن راهويه وابن المديني وابن معين وأحمد ابن الفرات والحسن الحلواني وأبو خيثمة ومحمد بن عاصم الثقفي وعباس الدوري وخلق. قال ابن المديني وغيره: كان يرى الإرجاء، وقال أحمد العجلي، قيل لشبابة: أليس الإيمان قولا وعملا؟ قال: إذ قال فقد عمل؛ وقال أبو زرعة: رجع شبابة عن الإرجاء؛ وتوفي سنة ست ومائتين، وروى له الجماعة.

الألقاب

شبطون المالكي: اسمه زياد بن عبد الرحمن.

شبل

المقرئ صاحب ابن كثير

شبل بن عباد المقرئ المكي صاحب ابن كثير؛ وثقه أحمد بن حنبل وغيره، وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة، وروى له البخاري وأبو داود والنسائي.

أبو الهجام الشاعر

شبل بن الخضر بن هبة الله بن أبي الهجام الطائي، أبو الهجام ابن ألي البركات الشاعر ابن الشاعر؛ تقدم ذكر والده في حرف الخاء؛ مدح شبل الخليفة والوزراء والأعيان، وذكره العماد الكاتب في خريدة القصر، وتوفي سنة تسعين وخمسمائة، وكان متدينا حسن الطريقة، ومن شعره:

أبغير حبكم يطيب غرامي ... كلا وأنتم صحتي وسقامي

أحبابنا هل وقفة نشكو بها ... ألم الهوى ونفض كل ختام

ومن العجائب أن سمحت بمهجتي ... لغريرة بخلت برد سلامي

وكأن غصن أراكة ميادة ... خضراء قد طلت بماء غمام

وكأن ظبيا من ظباء صريمة ... ترعى منابت عبهر وثمام

منها:

أصبو إليك وللوقار زواجر ... تقتادني عن صبوة بزمام". [1]

٥٦-"وجه زان ... قدا كعود الزان

والإخوان ... في اللوم لي خوان

والعينان ... لما جفا عينان

جسم راح يدميه لمس الراح ... لما لاح لم أحتفل باللاح

يا فتاك ... بالقتل من أفتاك

ما أسراك ... نيلا إلى أسراك

ما أحلاك ... سبحان من حلاك

ما أنساك ... وجها وما أسناك

كالمصباح نور بلا صباح ... كم أرتاح للقرب ما يرتاح

أغلى لي ... موتي بأغلالي

أوصى لي ... نيران أوصالي

بلبالي ... أولى ببلبالي

يا حالي ... انظر إلى حالي

ها قد ساح من مقلتي سحاح ... ذو إفضاح بسرنا فضاح

قلبي مال ... فيه إلى الآمال

مالي حال ... يا قوم لما حال

لما غال ... قلبي وصبري غال

لولا الخال ... ما كنت إلا خال

ذا المزاح ما زحته ما زاح ... الإصلاح أن أترك الإصلاح

فتح الدين الحلبي الأرفادي

ظافر بن أبي غانم بن سيف بن طي بن محمد بن سالم، فتح الدين أبو الفتح الحلبي الأرفادي الطائي، أخبرني الشيخ أثير الدين أبو حيان قال: كان المذكور بالقاهرة، وله نظم منه قوله:

ولقد ظننت بأننا ما نلتقي ... حتى رأيتك في المنام مضاجعي

فوقعت في نومي لوجهك ساجدا ... ونثرت في فرحي عليك مدامعي

زين الدين العدوي

---

(١) الوافي بالوفيات ١٩٠/٥

ظافر بن محمد بن صالح بن ثابت الأنصاري الجوجري المحتد العدوي – نسبة إلى فقراء الشيخ عدي – يعرف بالطناني – نسبة إلى طنان، وهي بلدة بالديار المصرية بها ولد – وينعت بزين الدين، قال الشيخ أثير الدين أبو حيان، وسمعته من لفظه: هذا المذكور كان رجلا فقيرا كثير الانبساط يظهر الحرف، ويذكر عنه بعض من خالطه صلاحا وديانة وينسب له كرامة، ورأيته بدمياط، وله نظم كثير، من ذلك قوله:

تميس فتخجل الأغصان منها ... وتزري في التلفت بالغزال

ونحسب بالإزار بأن تغطت ... وقد أبدت به شكل الجمال

سلوها لم تغطي البدر عمدا ... وتسمح للنواظر بالهلال

ولم تصلي الحشا بالعتب نارا ... وفي ألفاظها برد الزلال

ولم فضحت بمعصمها اعتصامي ... وأطبقت العقيق على اللآلي

ويبدي حالها أمرا عجيبا ... ظهورا في خفاء مثل حالي

فإن حاكت بوفر الردف وجدي ... فقد حاكى بها الخصر انتحالي

حلال في الغرام بها عذابي ... كما عذب اللمى منها حلالي

السكري الموصلي الطبيب

ظافر بن جابر بن منصور، هو أبو حكيم السكري؛ كان مسلما فاضلا في الطب متقنا للحكمة متحليا بالفضائل وعلم الأدب محبا للاشتغال والنظر في العلوم الحكيمة، وكان قد لقي أبا الفرج ابن الطيب ببغداد واجتمع به واشتغل عليه، وهو موصلي، كان حيا سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، ثم إنه سكن بحلب إلى آخر عمره. ومن شعره:

مازلت أعلم أولا في أول ... حتى علمت بأنني لا علم لي

ومن العجائب أن كوني جاهلا ... من حيث كوني أنني لم أجهل

وله مقالة تقول أن الحيوان يموت مع أن الغذاء يخلف عوض ما يتحلل.

أبو بكر المحترمي

ظافر الفقيه، أبو بكر المحترمي، من شعره في الأمير حسن بن يحيي أمير مكة:

أهدت إليك على البعاد سلامها ... مستصبحا صاد الصلاة ولامها

وتخيرتك من البرية ملجأ ... نفس أبت من لا يرى إكرامها

منها:". (١)

٥٧-"عبد الرحمن بن حرملة الأسلمي، قال النسائي: ليس به بأس، وضعفه القطان، ولينه البخاري. وقال أبو حاتم: لا يحتج به. وتوفي سنة خمس وأربعين ومائة، وروى له مسلم والأربعة.

---

(١) الوافي بالوفيات ٥/٣٠٧

عبد الرحمن بن حسان

عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري، يقال إنه أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وله رواية عن أبيه، وأمه شيرين القبطية أخت مارية. توفي في حدود السبعين للهجرة. ذكره الشيخ شمس الدين في من توفي في حدود السبعين، ثم ذكره في من مات في سنة أربع ومائة.

أبو محمد البندنيجي

عبد الرحمن بن الحسن بن علي بن بصلا، أبو محمد الصوفي البندنيجي البغداذي، تفقه للشافعي وقرأ الأدب، وكان من أعيان المتصوفة وفيه فضل وله نظم. سمع أحمد بن المقرب الكرخي، ويحيى بن ثابت بن بندار وغيرهما، وتوفي سنة ست وعشرين وست مائة. ومن شعره: الكامل

ورد الكتاب من الحبيب فسرني ... لما قرأت سطوره وفهمته

ووضعته فوق الجفون وحقكم ... يا سادتي فرحا به ولثمته

كتب أناملكم كتابا أودعت ... سر الهوى في طيه فعلمته

فختامه مسك وفي أرجائه ... أرج به تحيي النفوس شممته

أبو القاسم الهمذاني

عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عبيد الأسدي، أبو القاسم الهمذاني. روى عن إبراهيم بن ديزيل، ويحيى بن عبد الله الكرابيسي، ومحمد بن الضريس، وتكلموا في سماعه من ابن ديزيل. وروى عنه ابن مندة، والحاكم، وأحمد بن موسى بن مردويه، وأبو بكر بن لال، ومحمد ابن أحمد بن الحسين المحاملي، وأبو علي بن شاذان وآخرون. ورماه القاسم ابن أبي صالح بالكذب. وتوفي سنة اثنتين وخمسين وثلاث مائة.

الحافظ أبو سعد النيسابوري

عبد الرحمن بن الحسن بن عليك بضم العين وتشديد الياء آخر الحروف وبعدها كاف ابن الحسين الحافظ، أبو سعد النيسابوري، ثقة حافظ مشهور نبيل مصنف بصير بالفن حسن المذاكرة، توفي سنة إحدى وثلاثين وأربع مائة.

عبد الرحمن القبابي

عبد الرحمن بن الحسين الفقيه الإمام القدوة الرباني بركة المسلمين نجم الدين اللخمي المصري القبابي، والقباب قرية بناحية دمياط. تفقه لأحمد، وكان زكي النفس ثخين الورع ذا حظ من صدق وعزم، وتأله وقناعة. حدث بشيء يسير عن عيسى المطعم وتحول من مصر بأهله وترك المدارس وانزوى بحمص، ثم فتح له فاخوريا، وكان ينته المشتري على عيوب الشربة، ثم تحول إلى حماه فعرف به ملكها فأقبل عليه واشتهر أمره وقصد بالزيارة.

مولده سنة ثمان وستين وست مائة، وتوفي بحماة سنة أربع وثلاثين وسبع مائة وحمل على الرؤوس. وقبره الآن بحماه يزار.

القرمسيني

عبد الرحمن بن أبي الحسن، هو القاضي صدر الدين بن محيي الدين القرمسيني الإسكندري، من بيت رئاسة وحشمة، تقدم ذكر أخيه أحمد في مكانه في الأحمدين. ولأبي الحسين الجزار فيه أمداح جيدة. وتولى نظر جهات من الديار المصرية، منها

نظر الإسكندرية، وكان وجيها عند الكامل. ومن أمداح الجزار فيه قوله وقد عصر بعض أعدائه: الكامل

والعصر إن عداك في العصر ... وقد انتهوا لبداية الحشر

ظلموا فما أبقوا لهم وزرا ... ينجي ولا سلموا من الوزر

ظهروا لنورك وهو شمس ضحى ... فتضاءلوا كتضاؤل البدر

مكروا وقد مكر الإله بهم ... شتان بين المكر والمكر

دعهم فلا برح التغابن من ... حسد يواصلهم إلى الحشر

وأنشد إذا ما زرت تربتهم ... متمكنا في السر والجهر

ماتوا بغيظهم وما ظفروا ... بمدادهم واضيعة العمر

ومن العجائب كونهم جهلوا ... أن العلوم وديعة الصدر

لولا أخاف الله قلت لمن ... يروي مديحك أثل يا مقري

لله درك كل ممتدح ... بعلاك قد ضاهى أبا ذر

وقوله من قصيدة: السريع

واحر قلباه وللعين في ... خديه من حسنهما جنتان

في صدغه الآس وفي خده إلى ... ورد وفي مبسمه الأقحوان

له من الصدر مكان وللص ... در من العلياء أعلى مكان". (١)

٥٨-"يا أيها القمر الذي لم يخل من ... يهواه من لاح عليه يلوم

إن العذول على هواك أعده ... من حاسدي ولا أقول رحيم

فإلام أحمل ثقل هجرك والهوى ... والهجر حامل ثقله مرحوم

وإلى متى أرعى النجوم تعللا ... حتى كأني للنجوم نديم

ومن العجائب أن قلبي يشتكي ... شوقا إليك وأنت فيه مقيم

قلت: شعر جيد.

الدسكري الشافعي

عبد الواحد بن أحمد بن الحسين بن الحصين الدسكري. أبو سعد الشافعي. تفقه على الشيخ أبي إسحاق، وولي النظر في المخزن. وكان محمودا في ولايته مفضلا على أهل العلم، مقبلا على من يرد منهم من الغرباء. حج وأنفق بالحرمين مالا صالحا على المجاورين. وحكي أن الحجاج عطشوا فسألوه أن يستسقي لهم فتقدم وقال: اللهم إنك تعلم أن هذا بدن لم يعصك قط في لذة! ، ثم استسقى فسقي الناس! وسمع من الحسن بن علي بن محمد بن المذهب، والحسن بن علي الجوهري، ومحمد

---

(١) الوافي بالوفيات ٦٦/٦

بن الحسين الخازري وغيرهم. وحدث باليسير.
وتوفي سنة ست وثمانين وأربعماية.
قاضي قضاة بغداد الثقفي
عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن أحمد الثقفي. أبو جعفر. من أهل الكوفة. قدم بغداد، وتولى القضاء بالكوفة، وعزل ثم أعيد. ثم ولاه الزينبي القضاء بباب الأزج وطريق خراسان، ومدينة المنصور. ثم ولي قضاء بغداد سنة خمس وخمسين وخمس ماية للإمام المستنجد، فأقام قاضيا إلى أن عزل علي بن أحمد الدامغاني عن قضاء القضاة، ثم قلد ما كان إليه من قضاء القضاة، فأقام يسيرا وتوفي. وكان محمود السيرة، حسن الطريقة، سديد الأفعال، متدينا.
سمع بالكوفة من والده ومن أبي البقاء المعمر بن محمد بن علي بن علي الحبال، وأبي الغنائم محمد بن علي بن ميمون النرسي وغيرهم. وسمع ببغداد من ابن البطر والحسين بن طلحة النعالي، وأحمد بن خيرون وغيرهم.
مولده سنة تسع وسبعين وأربع ماية. وتوفي في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وخمس ماية.
وكان مليح المحاورة، فصيح العبارة، حسن الخط، يحفظ التاريخ.
أبو عمر المليحي الهروي
عبد الواحد بن أحمد ابن أبي القاسم بن محمد بن داود ابن أبي حاتم. أبو عمر المليحي بالحاء المهملة؛ الهروي. من أهل الأدب والحديث. أخذ عن أبي عبيد الهروي صاحب الغريبين.
وتوفي سنة ثلاث وستين وأربع ماية.
صنف كتبا منها: كتاب الروضة جمع فيه ألف حديث صحيح، وألف حديث غريب؛ وألف حكاية، وألف بيت شعر؛ وكتاب الرد على أبي عبيد في غريب القرآن.
الرشيد صاحب المغرب
عبد الواحد بن إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الملقب بالرشيد، ابن أبي العلاء المأمون، صاحب المغرب، وأمير المؤمنين به. ولي الأمر سنة ثلاثين وست ماية بعد أبيه، وكان أبوه قد قطع خطبة المهدي ابن تومرت، فأعاد الرشيد ذكرها، واستمال بها قلوب جماعة وبقي كذلك إلى أن توفي غريقا في صهريج بستان له بمراكش سنة أربعين وست ماية، وكتموا موته شهرا، وولي بعده أخوه السعيد علي بن إدريس. قيل إنه صنع له مركبا في قصره ينزل فيه هو وإماؤه يقذفن به فانقلب بهن فغرقوا. وقد تقدم ذكر والده المأمون أبي العلاء إدريس في حرف الهمزة، مكانه. وسيأتي ذكر السعيد علي بن إدريس في مكانه.
القاضي الروياني الشافعي
عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد أبو المحاسن الروياني الطبري، الشافعي، فخر الإسلام. القاضي. أحد الأئمة الأعلام. له الجاه العريض، والقبول التام. سمع جماعة. وروى عنه السلفي وجماعة. تفقه ببخارى مدة، وبرع في المذهب حتى أنه كان يقول: لو احترقت كتب الشافعي كنت أميلها من حفظي! وله في المذهب مصنفات ما سبق إليها؛ منها: كتاب بحر المذهب وهو من أطول كتب الشافعية؛ وكتاب مناصيص الشافعي؛ وكتاب الكافي؛ وكتاب حلية المؤمن. وصنف في

الأصول والخلاف. وكان قاضي طبرستان.
قتل بسبب تعصبه في الدين يوم الجمعة حادي عشر المحرم سنة اثنتين وخمسماية. وكان مولده في ذي الحجة سنة خمس عشرة وأربع ماية. قتله الملاحدة في الجامع بعد أن فرغ من الإملاء.
وكان نظام الملك كثير التعظيم له، وبنى بآمل طبرستان مدرسة.
أبو الفتح الباقرحي الشافعي". (١)

٥٩-"وأصبح الحبل حبل الدين منتشرا ... وأدرج العلم والطوسي في كفن
من لم يكن مثله في سالف الزمن ... ولم يكن مثله في غابر الزمن
ابن الشبيه العلوي علي بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو القاسم العلوي المعروف بابن الشبيه. سمع محمد بن المظفر، وكتب عنه علي بن أحمد الحافظ. وكان دينا حسن الاعتقاد يورق بالأجرة، ويأكل من كسب يده، ويواسي الفقراء. مولده سنة ستين وثلاث مائة وتوفي سنة إحدى وأربعين وأربع مائة. وكان خطه مليحا، وقد رأيت بخطه رقعة مليحة بقلم النسخ.
ابن أبي الطيب النيسابوري علي بن عبد الله بن أحمد النيسابوري المعروف بابن أبي الطيب. كانت له معرفة تامة بالقرآن وتفسيره. توفي سنة ثمان وخمسين وأربع مائة، ومولده بنيسابور، وموطنه سانزوار وبها توفي. عمل له أبو القاسم علي بن محمد بن الحسين بن عمرو مدرسة باسمه في محلة إسفريين سنة عشر وأربعمائة، وكان تلميذه. وله كتاب التفسير الكبير ثلاثون مجلدا، والتفسير الأوسط أحد عشر مجلدا، والأصغر ثلاث مجلدات. وكان يملي ذلك من حفظه، ولما مات لم يوجد في خزانة كتبه إلا أربع مجلدات، أحدها فقهي والآخر أدبي ومجلدان في التاريخ. وحمل إلى السلطان محمود بن سبكتكين سنة أربع عشرة وأربعمائة. فلما دخل عليه جلس بغير إذن وشرع في رواية خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم بغير أمر، فقال السلطان لغلام: يا غلام، ده رأسه، فلكمه على رأسه لكمة كانت سببا لطرشه، ثم إن السلطان عرف منزلته من الدين والعلم والورع فاعتذر إليه وأمر له بمال فلم يقبله وقال: لا حاجة لي به، فإن استطعت أن ترد علي ما أخذت مني قبلته وهو سمعي، فقال السلطان: إن للملك صولة، وهو مفتقر إلى السياسة، ورأيتك قد تعديت الواجب، فجرى مني ما جرى، وأحب أن تجعلني في جل. فقال: الله بيني وبينك بالمرصاد، إنما أحضرتني لسماع الوعظ وأخبار الرسول والخشوع، لا لإقامة قوانين الملك واستعمال السياسة، فإن ذلك مما يتعلق بالملوك لا بالعلماء. فخجل السلطان وجذب إليه وعانقه. وله ديوان شعر منه قوله: من الكامل
فلك الأفاضل أرض نيسابور ... مرسى الأنام وليس مرسى بور
دعيت أبو شهر البلاد لأنها ... قطب وسائرها رسوم السور
هي قبة الإسلام نائرة الصوى ... فكأنها الأقمار في الديجور

---
(١) الوافي بالوفيات ٢٧٣/٦

من تلق منهم تلقه بمهابة ... زقت عليه بفضله الموفور

لهم الأوامر والنواهي كلها ... ومدى سواهم رتبة المأمور

ابن موهب الجذامي علي بن عبد الله بن موهب الجذامي أبو الحسن، روى عن ابن عبد البر وغيره، وتوفي سنة اثنتين وثلاثين وخمس مائة، ومولده سنة إحدى وأربعين وأربع مائة. وله مؤلف عظيم في تفسير القرآن.

أبو الحسن الهروي علي بن عبد الله بن محمد بن الهيضم الهروي الإمام الفاضل. ذكره أبو الحسن البيهقي في كتاب الوشاح وأثنى عليه، وله تصانيف منها: كتاب مفتاح البلاغة، كتاب البسملة، كتاب نهج الرشاد، كتاب عقود الجواهر، كتاب لطائف النكت، كتاب تصفية القلوب، وديوان شعره ومنه: من الكامل

ضحك الربيع لعبرة الأنداء ... **ومن العجائب** ضاحك ببكاء

خرجت له نحو الشتاء كتيبة ... ذعرت مواكبه عن الصحراء

ركبت فوارسه الهواء فجردت ... سيفا جلا جيش الدجى بضياء

رق الربيع لها فأرسل نحوها ... بشرى نعيم في نسيم هواء

والغصن قرط أذنه بدراهم ... مضروبة من فضة بيضاء

والروض ألبس حلة موشية ... أحسن بها من صنعة الأنداء

قضبان نبل أخرجت ذهبا لنا ... أعجب بها من صيرف معطاء

وشقائق النعمان تشبه صارخا ... متظلما متشحطا بدماء

والزعفران كأنما فرشت به ... ديباجة نسجت من القمراء

ساءلتها: هلا برزت لناظر ... صب كئيب هائم ببكاء

فأبت وآلت لا يحل نقابها ... إلا مجير الدولة الغراء

قلت: شعر متوسط ابن أبي جرادة العقيلي". (١)

٦٠-"حكى أن والده العلامة أبو الفرج دخل يوما إلى الطهارة وترك منشفة كان فيها ستة دنانير مربوطة، فتناول عليشة الذهب. فلما خرج والده افتقد الذهب، فوجده قد ذهب، ونظر إلى ابنه فوجده ناعسا يخط فقال له: والك عليشة هذا الذهب كان بنج، فانتبه وقال: لا والله إلا شش.

السمنجاني الحديثي الشافعي علي بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن بابويه أبو الحسن السمنجاني الحديثي، من حديثه الموصل. تفقه ببخارا على أبي سهل الأبيوردي، وسمع منه ومن إبراهيم بن علي الطيوري، ومحمد بن عبد العزيز القنطري ومحمد بن أحمد البرقي، وسكن أصبهان. وكان من أعيان فقهاء الشافعية. تخرج عليه جماعة، وكان كثير العبادة دائم التلاوة والذكر، توفي سنة اثنتين وخمس مائة، وكان صلبا في مذهبه.

---

(١) الوافي بالوفيات ٦/٤٢٥

أبو الخطاب ابن الجراح الشافعي علي بن عبد الرحمن بن هرون بن عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح الكاتب، أبو الخطاب ابن أبي علي. كان من أعيان القراء، صنف في القراءات كتابا، ونظم في القراءات قصيدة سماها: المسعدة، وكان يؤم بالمقتدي بالله ثم بالمستظهر. وكان شافعي المذهب. قرأ بالروايات على الحسن بن علي بن الصقر الكاتب، ومحمد بن عمر بن بكير النجار، وأحمد بن مسرور بن عبد الوهاب الخباز وغيرهم. وسمع من جماعة، وكان إماما في اللغة، ويكتب خطا حسنا. ولد سنة تسع وأربع مائة، وتوفي ببغداد سنة سبع وتسعين وأربع مائة، ومن شعره: من البسيط

لا ينسينك ميعادا مننت به ... تقادم العهد فالميعاد ميثاق

وافتح بلطفك باب النجح مجتهدا ... ففي الأنام مفاتيح وأغلاق

تزكو الصنيعة عندي إن مننت بها ... كما زكت منك أخلاق وأعراق

أبو العلاء السوسي اللغوي علي بن عبد الرحمن الخراز السوسي أبو العلاء اللغوي من سوس خوزستان. قال ياقوت: من أهل الأدب واللغة. سمع المحاملي أبا عبد الله. روى عنه أبو نصر السجزي الحافظ، ولا أعلم من حاله غير هذا.

إبن يونس الحافظ صاحب الزيج علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري. سمع وروى، قال الشيخ شمس الدين: لا تحل الرواية عنه، لأنه صنف الزنج للحاكم في أربع مجلدات. توفي سنة تسع وتسعين وثلاث مائة فجأة. قلت: وقال ابن خلكان: بسط القول فيه والعمل، وما أقصر فيه، حرره ولم أر في الأزياج مثله ولا أطول فيها منه على كثرتها. وذكر أن الذي أمره بعمله العزيز، فابتدأه له. وكان مختصا بعلم النجوم متصرفا في سائر العلوم، بارعا في الشعر. وخلف ولدا متخلفا، باع كتبه وجميع تصانيفه بالأرطال في الصابونيين. وكان قد أفنى عمره في الرصد والتسيير للمواليد. وكان يقف للكواكب.

قال المسبحي: أخبرني أبو الحسن المنجم الطبراني أنه طلع معه إلى الجبل المقطم، وقد وقف للزهرة، فنزع ثوبه وعمامته، ولبس ثوبا نساويا أحمر ومقنعة حمراء، وتقنع بها، وأخرج عودا فضرب به، والبخور بين يديه، فكان عجبا من العجائب. وكان أبله مغفلا، يعتم على طرطور طويل ويجعل رداءه فوق العمامة. وكان طويلا فإذا ركب ضحك الناس منه. ومع هذه الحالة كانت له إصابة بديعة غريبة في النجامة، لا يشاركه فيها غيره. وكان أحد الشهود، عدله القاضي أبو عبد الله محمد بن النعمان سنة ثمانين وثلاث مائة. وكان يضرب بالعود على سبيل التأدب. قال الحاكم صاحب مصر: دخل يوما إلي ومداسه في يده، فقبل الأرض وجلس، وترك المداس إلى جانبه، وأنا أراه وأراها، وهو بالقرب مني، فلما أراد الانصراف قبل الأرض وقدم مداسه ولبسه وانصرف. ومن شعره: من الطويل

أحمل نشر الريح عند هبوبه ... رسالة مشتاق لوجه حبيبه

بنفسي من تحيا النفوس بقربه ... ومن طابت الدنيا به وبطيبه

وجدد وجدي طائف منه في الكرى ... سرى موهنا في خفية من رقيبه

لعمري لقد عطلت كأسي بعده ... وغيبتها عني لبعد مغيبه

قلت: شعر جيد.

ابن عليك علي بن عبد الرحمن بن الحسن بن عليك بفتح العين وكسر اللام وتشديد الياء آخر الحروف وبعدها كاف. أبو القاسم النيسابوري. كان فاضلا عالما من أولاد المحدثين. تنقل في البلاد وسمع وحدث، وتوفي سنة ثمان وستين وأربع مائة. ابن أبي البشر الصقلي". (١)

٦١-"علي بن عثمان بن يوسف بن عبد الوهاب الرئيس علاء الدين ابن العدل شرف الدين الدمشقي التغلبي الكاتب ابن السايق بالياء آخر الحروف بعد الألف والله أعلم. شيخ جليل بديع الخط، له فضل وأدب وشعر. نسخ كتبا كثيرة، روى عن الرشيد بن مسلمة، وكان متخليا منقطعفا عن الناس، حصل له صمم. وكان إذا حدث يكتب له في الأرض أو في الهواء فيعرف. وتوفي سنة ثمان وتسعين وست مائة، ومن شعره: أمين الدين السليماني علي بن عثمان بن علي بن سليمان أمين الدين السليماني الإربلي الصوفي الشاعر. كان من أعيان شعراء الملك الناصر بن العزيز. كان جنديا فتصوف وصار فقيرا، توفي بالفيوم وهو في معترك المنايا سنة سبعين وست مائة، ومن شعره: من الكامل

قتل المحب بهجركم من حلله ... يقضي وعقد وصالكم ما انحل له؟

إن تطلبوا لغناكم عن وصله ... بدلا فذاك لفقره لا بد له

مزقتم أفراحه وجمعتم ... ذل الغرام له وذل المسأله

ولهان قد سكنت إليكم روحه ... وغدت بأنواع الغرام مقلقله

هو كالذي في سقمه هل عائد ... من نحوكم يحيي به هل من صله؟

أعلمتم فعل الجوى في قلبه ... متعديا فله دموع مهمله

وصرفتموه منكرا بسقامه ... فردا فعرف حاله لام الوله

ما كان أول عاشق جذب الهوى ... بعنانه وسطا عليه فذلله

يشكو الفراق إلى فريق لم يزل ... لهم وعود بالوعيد مؤوله

ومرنح الأعطاف من خمر الصبا ... كم قلب صب بالصبابة بلبله؟

قابلته بالبدر ليلة تمه ... فتأملوا بدر السماء ومخجله

فالقوس حاجبه وفي وجناته ... مريخه والشعر منه سنبله

ومن العجائب أنه لمحبه ... يهوى الخلاف وليس يعرف مسألة

لو أنه الكشاف عن لمع الهوى ... لرأى مفصل ذا الغرام ومجمله

أو لو رأى إيضاح نور حبيبه ... جعل الوصال لعاشقيه تكمله

هب أن واو الصدغ عاملة له ... عطف القلوب فقده من أعمله

ما غاب معنى من بديع جماله ... إلا تذكره الضمير ومثله

---

(١) الوافي بالوفيات ٦/٤٣٠

لله كم أعنى محلا بالجوى ... قفرا وآهل ربع صبر أمحله

يا أهل ودي حل دين وعودكم ... فتأملوا كتب السقام مسجله

حتام تحي في أكاذيب المنى ... نفس غدت بعسى وعل معلله؟

قلت: ولشهاب الدين التلعفري قصيدة في هذه المادة والوزن والروي، وهي: من الكامل

هذا العدول عليكم ما لي وله ... أنا قد رضيت بذا الغرام وذا الوله؟

شرط المحبة أن كل متيم ... صب يطيع هواه يعصي عذله

وأخذتموني حين سار بحبكم ... مثلي ومثلي سره لن يبذله

ما أعربت والله عن وجدي بكم ... وصبابتي إلا دموعي المهمله

جزتم مداكم في قطيعتكم فلا ... عطف لعائدكم يرام ولا صله

أألومكم في هجركم وصدودكم؟ ... ما هذه في الحب منكم أوله

قسما بكم قد حرت مما أشتكي ... حسبي الدجى فعدمته ما أطوله

ليلي كيوم الحشر معنى إن يكن ... لا ليل ذاك له فذا لا صبح له

يا سائلي من بعدكم عن حالتي ... ترك الجواب جواب هذي المسأله

عندي جوى يذر الفصيح مبلدا ... فاترك مفصله ودونك مجمله

القلب ليس من الصحاح فيرتجى ... إصلاحه والعين سحب مثقله

حالي إذا حدثت لا لمع ولا ... جمل إيضاحي لها من تكمله

يا راحلين وفي أكله عيسهم ... رشأ عليه حشا المحب مقلقله

قمر له في القلب أو في الطرف أو ... في النثرة الحصداء أشرف منزله". (١)

٦٢-"لك صورة ذل الجمال لحسنها ... تقضي بجور في النفوس وتحكم

ومن العجائب أن طرفك مشعر ... سقما وأنت بسقمه لا تعلم

ومنه:

ولما وقفنا للوداع ودوننا ... عيون ترامى بالظنون ضميرها

أماطت عن الشمس المنيرة برقعا ... فغيبنا عن أعين الناس نورها

قلت: شعر جيد طبقة.

القاضي الأكرم ابن القفطي الوزير جمال الدين

علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد بن موسى، ينتهي إلى بكر بن وائل، وزير حال، القاضي الأكرم الوزير جمال

---

(١) الوافي بالوفيات ٦/٤٥٥

الدين، أبو الحسن القفطي، أحد الكتاب المشهورين المبرزين. وكان أبوه القاضي الأشرف كاتبا أيضا، وأمه امرأة بادية من العرب من قضاعة، وأمها جارية حبشية. ولد بقفط من الصعيد الأعلى بالديار المصرية، وأقام بحلب، وكان يقوم بعلوم من اللغة والنحو والفقه والحديث وعلوم القرآن والأصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل. ولد سنة ثمان وستين وخمس مائة، وتوفي سنة ست وأربعين وست مائة. وكان صدرا محتشما كامل السؤدد، جمع من الكتب ما لا يوصف، وقصد بها من الآفاق، وكان لا يحب من الدنيا سواها، ولم يكن له دار ولا زوجة؛ وأوصى بكتبه للناصر صاحب حلب، وكانت تساوي خمسين ألف دينار، وله حكايات غريبة في غرامه بالكتب. وهو أخو المؤيد القفطي. ووفاته في شهر رمضان.

وقال ياقوت: أنشدني لنفسه بحلب في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وست مائة:

ضدان عندي قصرا همتي ... وجه حيي ولسان وقاح

إن رمت أمرا خانني ذو الحيا ... ومقولي يطمعني في النجاح

فأنثني في حيرة منهما ... لي مخلب ماض وما من جناح

شبه جبان فر من معرك ... خوفا وفي يمناه عضب الكفاح

قال: وأنشدني له أيضا:

شيخ لنا يعزى إلى منذر ... مستقبح الأخلاق والعين

من عجب الدهر فحدث به ... بفرد عين ولسانين

قال: وأنشدني:

إذا وجفت منك الخيول لغارة ... فلا مانع إلا الذي منع العهد

نزلت بأنطاكية غير حافل ... بقلة جند إذ جميع الورى جند

فكم أهيف جادته هيف رماحكم ... وكم ناهد أودى بها فرس نهد

لئن حل فيها ثعلب الغدر لاون ... فسحقا له قد جاءه الأسد الورد

وكان قد اغتر اللعين بلينكم ... وأعظم نار حيث لا لهب يبدو

جنى النحل مغترا وفي النحل آية ... فطورا له سم وطورا له شهد

تمدك أجناد الملوك تقربا ... وجند السخين العين جزر ولا مد

تهن بها بكرا خطبت ملاكها ... فأعطت يد المخطوب وانتظم العقد

فجيشك مهر والبنود حموله ... وأسهمكم نثر وسمر القنا نقد

وله من التصانيف: كتاب الضاد والظاء وهو ما اشتبه في اللفظ واختلف في الخط، كتاب الدر الثمين في أخبار المتيمين، كتاب من ألوت الأيام عليه فرفعته ثم ألوت عليه فوضعته، كتاب أخبار المصنفين وما صنفوه، كتاب أخبار النحويين، كبير، كتاب تاريخ مصر من ابتدائها إلى أيام صلاح الدين، ست مجلدات، كتاب تاريخ المغرب، كتاب تاريخ اليمن، كتاب المحلى في استيعاب وجوه كلا، كتاب إصلاح خلل الصحاح للجوهري، كتاب الكلام على الموطأ، ولم يتم، كتاب الكلام على صحيح البخاري، لم يتم، كتاب تاريخ محمود بن سبكتكين وبنيه، كتاب تاريخ السلجوقية، كتاب الإيناس في أخبار آل

مرداس، كتاب الرد على النصارى وذكر مجامعهم، كتاب مشيخة الكندي زيد بن الحسن، كتاب نهزة الخاطر ونزهة الناظر في أحاسن ما نقل من ظهور الكتب.

قال ابن سعيد المغربي: نظم الوزير المذكور بيتين في جارية اشتراها، وهما:

تبدت فهذا البدر من كلف بها ... وحقك مثلي في دجى الليل حائر". [1]

٦٣-"وكان صحيح العقيدة، عنده علم وأدب، يحب العلماء ويحترمهم. وله في الجهاد مع أبيه مشاهد معروفة وآثار جميلة، ووقف أوقافا جليلة على قبة الصخرة وغيرها.

ولشعراء عصره فيه أمداح طائلة وقصائد هائلة، مثل ابن الساعاتي، وابن سناء الملك، وغيرهما.

فمن قول ابن سناء الملك فيه من جملة قصيدة:

ملك اسمه علي ولكن ... كيده في حروبه كيد عمرو

ليس ينفك بين فتك وفتح ... حين يختال بين نصل ونصر

وجهه البدر في الحروب ولا تع ... جب إذا كان يومه يوم بدر

ومنه من قصيدة أخرى:

حسبي علي ندى حسبي علي هدى ... حسبي علي جدا حسبي علي علا

حسبي أبو حسن في كل نائبة ... يستفرغ الحول أو يستفرغ الحيلا

حمدت آخر أيامي بخدمته ... ولست أحمد من أيامي الأولا

ذكري به سار حالي عنده عظمت ... قدري به جل مقداري لديه علا

ومن قول ابن الساعاتي فيه يمدحه:

وزرت مصرا بغاب من قنا وظبى ... قلت له شامخات المدن والقلل

سكنتها حين سكنت البلاد بها ... جمعا وثقف ذاك الزيغ والخطل

فللقلوب اللواتي طالما وجبت ... بها سكون وللدنيا بها زجل

نهارها بك أسحار مقدسة ... جميعها والليالي كلها أصل

حلأت عنها وحليت الزمان بها ... فاليوم لا عطب يخشى ولا عطل

حيث السحاب بنود والقسي لها ... رعد وللنبل فيها عارض هطل

فعلت ما سر حتى لا مثال له ... وقلت ما سار حتى إنه مثل

ما غلق البحر فيما ظن راكبه ... وإنما هز من أعطافه الجذل

يرتاح عند أخيه حين جاوره ... فالشمل مجتمع والحبل متصل

---

(١) الوافي بالوفيات ١٠٧/٧

قال الشيخ شمس الدين: كان فيه تشيع، ولم يكن في الملوك مثله، قلما عاقب على ذنب، كثير العفو والحلم. وقال كمال الدين بن العديم: لم يكن متشيعا، وإنما قال هذا الشعر لموافقة الحال، وتقربا إلى الإمام الناصر، إذ كان منسوبا إلى التشيع. انتهى. قلت: ولما تعصب أخوه العزيز عليه، وعمه العادل، قال:

ذي سنة بين الأنام قديمة ... أبدا أبو بكر يجور على علي

وكتب إلى الإمام الناصر:

مولاي إن أبا بكر وصاحبه ... عثمان قد غصبا بالسيف حق علي

وهو الذي كان قد ولاه والده ... عليهما واستقام الأمر حين ولي

فخالفاه وحلا عقد بيعته ... والأمر بينهما والنص فيه جلي

فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقي ... من الأواخر ما لاقى من الأول

فجاء جواب الناصر من إنشاء ابن زبادة، وفيه:

وافى كتابك يا ابن يوسف معلنا ... بالحق يخبر أن أصلك طاهر

غصبوا عليا حقه إذ لم يكن ... بعد النبي له بيثرب ناصر

فاصبر فإن غدا علي جزاءهم ... وابشر فناصرك الإمام الناصر

وفي ذلك يقول شرف الدين بن عنين من قصيدة كتبها إلى أخيه من الهند:

هيهات آتي دمشق وملكها ... يعزى إلى غير المليك الأفضل

ومن العجائب أن يقوم بها أبو ... بكر وقد علم الوصية في علي

مهلا أبا حسن فتلك سحابة ... صيفية عما قليل تنجلي

ومن شعر الأفضل:

قل لمن في العذار أطنب جهلا ... ويباهي بوصفه ويغالي

لم يكن في الجنان يفقد في الول ... دان لو كان من صفات الجمال

ومنه:

وقبلت خدا للحبيب موردا ... بروحي أفدي منه خدا موردا

فمن حر أنفاسي علا فوق خده ... دخان فخالوه عذارا مزردا

ومنه:". (١)

٦٤-"وإذا أبيت وكأس الراح مائلة ... كفي حبابا وطرفي فيه أحبابا

سقاه كالدمع إلا ما يؤثره ... فإنه منع الإجداء أجدابا

---

(١) الوافي بالوفيات ١٠٩/٧

وجر فيه كأنفاسي غلائله ... شذا يقول له الإطناب أطنابا

قفا لأعتب دهرا لان ثم عسى ... عساه يعقب هذا العتب أعتابا

واستنزلا بلطيف من عتابكما ... قلبا طواه على الأحقاد أحقابا

لله ما ضمت الأحداج من قمر ... أرخى ذوائب عنهن الدجى ذابا

أغمض اللحظ عنه حين ينظر عن ... جفن هو النصل إرهافا وإرهابا

وربما زارني زورا وشق إلى ... وصلي حجابا يراعيه وحجابا

ما كنت اسكر طرفي من مدام كرى ... لو لم يحرم على الأصحاء أصحابا

يا من إذا وفى استوفى الحشاشة لا ... عدمت حاليك إعطاء وإعطابا

وقال:

هب للقلوب من العيون ملاذ ... ولها على مكنونها استحواذ

هيهات ما سلت شفار لواحظ ... إلا تثنت والقلوب جذاذ

لا ترسل سهام لحظك جاهدا ... إن المنية سيرها أغداد

ومن العجائب أن خدي مجدب ... وعليه من سيل الدموع رذاذ

يا راميا كبدي بنبل جفونه ... خفض عليك فإنها أفلاذ

ومليحة الأوصاف حسنها الصبا ... والتيه لا ديباجها والاذ

في طرفها الأحوى تأنق بابل ... نفاث سحر في الحشا نفاذ

رقت جفونا فهي ماء دافق ... وقست فؤادا دونه الفولاذ

وقال:

دعته المثاني وادعته المثالث ... فها هو للندمان والكاس ثالث

وقارف قبل الموت والبعث قرقفا ... يعاجله منها مميت وباعث

وكان الهوى أبقى عليه صبابة ... من اللب وافاها من الكاس وارث

فقام إلى أم الخبائث إنها ... بها أبدا تصفو النفوس الخبائث

وأحيا بروح الراح جسم زجاجة ... على يده منها قديم وحادث

وقد قال للصهباء إني حالف ... فقالت له الصهباء إنك حانث

وما العيش إلا للذي هو ماكث ... على غيه أو الذي هو ناكث

فيا راحلا أبلغ أخلاي باللوى ... وإن رجعوا أني على العهد لابث

لمن كلل مدت حوام حوامل ... فمادت بها عيس رواغ رواغث

هناك ولا نعمان قضب موائس ... وثم ولا يبرين كثب عثائث

دمي للدمى إن لم أرعها برحلة ... نديمي بها الدأماء أو فالدمائث
ربيعة فتك لم تلدني مكدم ... عتيبة حرب لم يلدني حارث
لي النافثات السحر في عقد النهى ... فما هي إلا العاقدات النوافث
وقال:
ألحق بنفسج فجري وردتي شفق ... كافورة الصبح فتت مسكة الغسق
وقد عطل الأفق من أسماط أنجمه ... فاعقد بخمرك فينا حلية الأفق
قم هات جامك شمسا عند مصطبح ... وخل كاسك نجما عند مغتبق
وأقسم لكل زمان ما يليق به ... فإن للزند حليا ليس للعنق
هب النسيم وهب الريم فاشتركا ... في نكهة من نسيم الروضة العبق
واسترقصتني كاسترقاص حاملها ... مخضرة الورق في مخضرة الورق
وبت بالكاس أغنى الناس كلهم ... فالخمر من عسجد والماء من ورق
كم وردت وجنات الصرف في قدح ... فتحت بالمزج ما تعلوه من حدق
يسعى بها رشأ عيناه مذ رمقت ... لم يبق في ولا فيها سوى الرمق". (١)

٦٥-"لها ناظر يا حيرة الظبي إذ يرى ... به كحلا ناداه يا خجلة الكحل
وأثقلها الحسن الذي قد تكاثرت ... ملاحته حتى تثنت من الثقل
وإني لأبكي وهي تبكي تطربا ... جعلتك من هذا التطرب في حل
إذا استحسنوا في وردة دمعة الحيا ... فما نظروا في خدها دمعة الدل
وإن فمي مغرى بفيها لأنه ... رحيم به أن الفطام أخو الثكل
ووصل تولى أدمج الدهر ذكره ... كما أدمجت في منطق ألف الوصل
تقضى فجسمي في أواخر من ضنى ... عليه وعقلي في عقائل من خبل
سأمنع عيني كلما يمنع البكا ... عليه وأسلي القلب عن كل ما يسلي
وأغلق باب العشق عني فإنني ... جهلت إلى أن صار بابا بلا قفل
فبدر الدجى أشهى إلي من الخنا ... وأقبح في عين الكريم من البخل
ومن عرف ألأيام مثلي فإنه ... يعيش بلا حب ويحيا بلا خل
وقال أيضا:
ليل الحمى بات بدري فيك معتنقي ... وبات بدرك مرميا على الطرق

(١) الوافي بالوفيات ٧/٣١٠

شتان ما بين بدر صيغ من ذهب ... وذاك بدري وبدر صيغ من يهق

زار الحبيب وبدر التم في كمد ... باد عليه وغصن البان في قلق

يمشي على خد من يهوى وأدمعه ... تهمي فسبحان منجيه من الغرق

وقبل ذا كان طيفا من تكبره ... فإن سرى كان مسراه على الحدق

وبات باللثم تحت الختم مبسمه ... والصدر بالضم تحت القفل والغلق

وعفت طيفي لما جاء سيده ... يا عين عفي طريق الطيف بالأرق

يا عاذلي فيه أما خده فند ... كما تراه وأما ثغره فنقي

وما جفونك تلويها على سهري ... ولا ضلوعك تطويها على حرقي

تريدني خارجيا عن محبته ... أني وبيعة ذاك الحسن في عنقي

يا صاحب الحسن لا تعجل بفرقتنا ... فما رمقتك إلا آخر الرمق

وساترا لي عينيه بارحته ... ليت الضنى لي مسروقا من السرق

ونكهة لك تحيي نفس ناشقها ... بمسترق من الفردوس مسترق

جاء الغرام وهذا الحسن في قرن ... والغيث يهمي ونور الدين في طلق

وقال:

باتت معانقتي ولكن في الكرى ... أترى درى ذاك الرقيب بما جرى

ونعم درى لما رأى في بردتي ... ردعا وشم من الثياب العنبرا

طيف تخطى الهول حتى يشتري ... بيت الحشا وقد اشترى وقد اجترا

ما زار إلا في نهار جبينه ... فأقول سار ولا أقول له سرى

بأبي وأمي من حلمت بذكرها ... لما انتبهت ومذ رقدت تفسرا

علقتها بيضاء سمراء اللمى ... أسمعت في الدنيا بأبيض أسمرا

ومن العجائب أن ماء رضابها ... حلو ويخرج حين تبسم جوهرا

إني لأعشقها وما أبصرتها ... فالشمس يمنع نورها أن تبصرا

أيروعني في كل وقت نهدها ... فغذا اعتنقنا خفت أن يتكسرا

أشكو إليها رقتي لترق لي ... فتقول تطمع بي وأنت كما ترى

وإذا بكيت دما تقول شمت بي ... يوم النوى فصبغت دمعك أحمرا

من شاء يمنحها الغرام فدونه ... هذي خلائقها بتخيير الشرا". (١)

---

(١) الوافي بالوفيات ٣٨١/٧

٦٦-"جنح الغزال إلى قتال جوانحي ... فغدوت أجنح منه لما أن جنح

ومن العجائب أنه لما رمى ... بسهامه قتل الفؤاد وما جرح

ولمى صقيل من مراشف أهيف ... لو شئت أمسحه بلثمى لا تمسح

كالليل إلا أنه لما دجا ... والمسك إلا أنه لما نفح

قبلته وقبلت أمر صبابتي ... ونصحت نفسي في قطيعة من نصح

ورشفت ريقته على رغم الطلا ... من كأس مرشفه على رغم القدح

ورقيقة الخصرين كل منهما ... بسقامه لا بالوشاح قد اتشح

في لحظها السحر الحلال قد استحى ... وبخدها الورد الجني قد انفتح

عضت أناملها علي تدللا ... فأرت رضيع الطلع مع طفل البلح

ثغر يريك الأحوان به شفى ... وقت الظهيرة أو يريك به قلح

لي سبحة من جوهر في ثغرها ... ففضلت سائر من يسبح بالسبح

لم لا تصالح قبلتي يا خدها ... والماء فيك مع اللهيب قد اصطلح

كم يعذلون ولست أسمع منهم ... فأنا وهم مثل ألأصم مع الأبح

ليس العذول عليك إنسانا هذى ... إن العذول عليك كلب قد نبح

ولقد سألت القلب بعض تصبر ... يسخو علي به فشح وما رشح

لم تعده بالبخل إذ سكنت به ... فلطالما سمحت وقلبي ما سمح

بعدت علي فضاق صدري بعدها ... وذكرت عود أبي علي فانشرح

وقال في مليح مرض:

حكيت جسمي نحولا ... فهل تعشقت حسنك

وكان جفنك مضنى ... فصرت كلك جفنك

وزادك السقم حسنا ... والله إنك إنك

وقال في بادهنج:

وبادهنج ع لا بناء ... لكنه قد هوى هواء

دام عليل النسيم فيه ... كأنه يطلب الدواء

وقال:

بدت لي ثوب كوجهي أصفر ... علته بمنديل كقلبي أسود

فأبصر منها الطرف مردود عسجد ... على طرف منه بقية إثمد

وقال يذم خالا:

يا من غدت تختال من خالها ... وخالها يقضي بتهجينها
كإنما خدك تفاحة ... وخالها نقطة تعيينها
وقال:
لا تلومي العذال من أجل عذلي ... وابسطي عذرهم جميعا وعذري
أنا والله أقتضي منهم العذ ... ل لعلمي بأنه فيك يغري
وقال:
عروسكم يا أيها الشرب طالق ... وإن فتنت من حسنها كل مجتل
دفعت لها عقلي ومالي معجلا ... فقال وجنات النعيم مؤجلي
وقال:
إنه مال وملا ... وأتى الطيف وسلا
عاطلا حتى لقد عا ... د من اللثم محلى
كنت تقبيلي الطي ... ف كمن قبل ظلا
وقال:
رغبت في الجنة لما بدا ... أنموذج الجنة من شكله
فصرت من حرصي على سبهه ... في البعث لا ألوي على وصله
فانظر إلى ما جره حسنه ... من توبة تقبح عن مثله
وقال:
أهواه كالظبي في حسن وفي غيد ... لا بل هو الليث في بأس وفي جلد
فلو تراه وكأس الراح في فمه ... أبصرت كيف تحل الشمس في الأسد
وقال:
علمت شيئا ما زال خير عمل ... ونلت أمرا ما زال ملء أمل
قبلت خصرا لمن أحب فما ... دار عليه سوى ثلاث قبل
وقال:
يا عاطل الجيد إلا من محاسنه ... طلت فيك الحشا إلا من الحزن". (١)

٦٧-" محمد بن عبد الله الصوفي الكازروني الشيخ بهاء الدين قدم مصر فصحب الشيخ أحمد الحريري صاحب الشيخ ياقوت تلميذ أبي العباس المرسي وانقطع بعده في المشتهى من الروضة وكان الناس يترددون إليه ويعتقدونه وكان الشيخ

(١) الوافي بالوفيات ٣٨٣/٧

أكمل الدين كثير التعظيم له وكان أعجوبة في جذب الناس إليه وإقامتهم عنده وانقطاعهم عن أهلهم خصوصا المرد فإنه كان لا يحضر عنده أحد منهم ثم يستطيع أحد من أهله أن يستعيده وممن اتفق له معه ذلك من أصحابنا الشيخ بدر الدين محمد بن إبراهيم البشتكي الشاعر المشهور فيما أخبرني به وكان يكثر الثناء عليه وذكر لي أنه نسخ له شيئا كثيرا خصوصا من تصانيف محيي الدين ابن العربي وكان منقطعا إليه إلى أن مات . واتفق **من العجائب** ما حكاه لي الشيخ نجم الدين البالسي أنه لما مات حضر جنازته في جملة خلق كثير فهو في أثناء دفنه وإذا باللاحد قد خرج من القبر أمرد جميل الصورة إلى الغاية فاشتغل الناس أو غالبهم بالنظر إليه وقضوا العجب من استمرار ملازمة هذا الجنس للشيخ حتى حين دفنه ومات في ذي الحجة أرخه ابن دقماق ليلة الأحد خامس ذي القعدة

محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن السراج الزبيدي الحنفي أحد الفضلاء يكنى أبا يزيد مات عن ثلاث وخمسين سنة

محمد بن عبد الكريم بن محمد بن صالح بن هاشم الحلبي ظهير الدين أبو محمد بن العجمي سمع صحيح البخاري وسنن ابن ماجه والبعث لابن أبي داود من سنقر الزيني وسمع مشيخة ابن شاذان من بيبرس العديمي وسمع من غيرهما وحدث مات في خامس عشر المحرم عن ثمانين سنة لأن مولده كان سنة أربع وتسعين وستمائة سمع منه شيخنا العراقي وأرخه وسمع منه أيضا ابن عساكر وأبو إسحاق سبط بن العجمي وهو أقدم شيخ له والبرهان آخر من روى عنه وآخرون وطلب بنفسه كتب الطباق والأجزاء ونسخ كثيرا من الكتب بالأجرة وكان يسترزق من الشهادة فإذا طلب منه الإسماع طلب الأجرة لما يفوته من الشهادة بقدر ما يكفيه من القوت

محمد بن عثمان بن موسى بن علي بن الأقرب الحلبي الحنفي شمس الدين بن فخر الدين كان فاضلا متواضعا درس بالأتابكية والقليجية مات في سنة نيف وستين ذكره ابن حبيب . قال ابن كثير : كان من أحاسن الناس وفيه حشمة ورئاسة وإحسان . وأخوه شهاب الدين أحمد كان فاضلا رحل إلى مصر واشتغل بها ومهر في المعقول وولي قضاء عينتاب وأخوهما علاء الدين تلذ للقوام الأبزاري ومهر في الفتوى

محمد بن علي بن أحمد السمرقندي بن العطار نزيل دمشق كان زاهدا عابدا دينا عالما ملازما للعلم والعمل أثنى عليه ابن كثير ووصفه بالجمع بين العلم والعبادة وكان يؤثر على نفسه حتى بقميصه ويغضب في إزالة المنكر لله وكان حسن الفهم للعلم على عجمة فيه وكان يعظ على كرسي وتحصل له حال في تلك الحالة

محمد بن علي بن إسماعيل الزواري سمع الصحيح من وزيرة والحجار وحدث به مات في أوائل السنة عن خمس وسبعين قتيلا

محمد بن عوض بن عبد الخالق بن عبد المنعم البكري الفقيه ناصر الدين الشافعي ولد سنة سبعمائة واشتغل كثيرا وولي تدريس الفيوم مدة طويلة وكان عارفا بالأصلين والفقه والعربية والهيئة وصنف تصانيف مفيدة وهو والد صاحبنا نور الدين البكري المعروف بابن قبيلة مات بدهروط في شهر رمضان وهو يصلي الصبح . ورأيت بخط ابن القطان وأخبرنيه إجازة قال : سمعت الشيخ يحي الجزولي المالكي يقول سمعت الشيخ شهاب الدين بن عبد الوارث البكري يقول : كان بيني

وبين الشيخ ناصر الدين وقفة فرأيت النبي صلى الله عليه و سلم في المنام فقال لي : اصطلح مع محمد البكري فسافرت في البر واصطلحت معه قلت : واتفق أن ماتا في شهر واحد

محمد بن محمد بن أحمد بن الصفي الدمشقي ناصر الدين بن العتال الحنفي الحاسب كانت لأبيه رواية عن الحافظ الضياء ونشأ هو في طلب العلم فسمع الحديث وتمهر في الفقه واشتغل وبرع في الحساب وأتقن المساحة إلى أن صار إليه المنتهى في ذلك والمرجع إليه عند الاختلاف ولم يكن في دمشق من يدانيه في ذلك وكان يقصد للاشتغال عليه فيه ثم إنه ترك ذلك بأخرة وأقبل على التلاوة وكان مأذونا له بالإفتاء ولوالده رواية عن الحافظ الضياء ومات هو سنة أربع وسبعين ومن شعره وهو نازل : ". (١)

٦٨-" محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم الحلبي الأصل محب الدين ناظر الجيش ولد في سنة سبع وتسعين وستمائة واشتغل ببلاده ثم قدم القاهرة ولازم أبا حيان والتاج التبريزي والبرهان الرشيدي وغيرهم وحفظ المنهاج والألفية وبعض التسهيل وتلا بالسبع على الصائغ ومهر في العربية وغيرها ودرس فيها وفي الحاوي وكان قد سمع من الشريف موسى ومن الشيخ علي بن هارون والشيخ نصر المنبجي وست الوزراء وغيرهم وحدث وأفاد وخرج له الياسوفي مشيخة وشرح التسهيل إلا قليلا واعتنى بالأجوبة الجيدة عن اعتراضات أبي حيان وشرح تلخيص المفتاح شرحا مفيدا ودرس بالمنصورية في التفسير بعد الرشيدي وكانت له في الحساب يد طولى ثم ولي نظر الجيش وكان في أول أمره مقلا وأول مبا باشر عند الأمير حنكلي بن البابا ناظر ديوان ثم ولي ديوان منكلي بغا الفخري ثم ولي نظر البيوت في دولة السلطان حسن ثم ولي نظر الجيوش في سنة تسع وخمسين ورفع يلبغا منزلته وعظم قدره وكان عالي الهمة نافذ الكلمة كثير البذل والجود والرفد للطلبة والرفق بهم والمبالغة في السعي في قضاء حوائجهم وتزايدت مرتبته عند الملك الأشرف وزادت مروءته وعظمت همته وشاع خيره وبره وكان **من العجائب** أنه مع فرط كرمه في غاية البخل على الطعام حتى قال لي القاضي كريم الدين بن عبد العزيز ناظر الجيش عنه إنه سمعه يقول : إذا رأيت شخصا يأكل طعامي أظن أنه يضربني بسكين هذا أو معناه هذا مع بذله الآلاف قرأت بخط ابن القطان وأجازنيه أنه بلغت مرتباته لأهل الخير في الشهر ثلاثة آلاف وكان كثير الظرف واللطف والنوادر

قلت : لم ألق أحدا ممن لقيه إلا ويحكي عنه في المروءة والجود ما لا يحكيه الآخر حتى من لم يكن بينه وبينه معرفة وفي الجملة فكان من محاسن الدنيا مع الدين والصيانة وقرأت بخط القاضي تقي الدين الزبيري وأجازنيه أنه كان أول أمره شاهدا عند ابن البابا وكان عالما بالتفسير ودرس فيه بالمنصورية وعمل على التسهيل شرحا وأول ما ولي نظر البيوت ثم نظر الجيش ولما تجهز السلطان إلى الحج كان هو وعك من أول شعبان واستمر فجهز ولده تقي الدين عبد الرحمن في خدمة السلطان فاستراح هو من الفتنة التي وقعت ثم مات بعد قليل في ثاني عشر ذي الحجة

---

(١) انباء الغمر ص/١٧

موسى بن فياض بن موسى بن فياض بن عبد العزيز النابلسي أبو البركات الحنبلي ولد قبل القرن واشتغل ببلاده ثم قدم دمشق وسمع من عيسى المطعم ويحيى بن سعد وغيرهما وولي قضاء حلب سنة ثمان وأربعين وسبعمائة واستمر بها نيفا وعشرين سنة وهو أول حنبلي قضى بها استقلالا مات في ذي القعدة بعد أن أعرض عن الحكم في سنة أربع وسبعين واستقر ولده أحمد مكانه وانقطع هو للعبادة

ومات فيها من الأمراء : محمود شاه بن دنيا وكان قد ولد على فراش الملك الناصر وأراد الصالح إسماعيل أن يستلحقه فلم يتم ذلك

ومحمد بن مختار ومحمد بن قماري ومختص الملقب شادروان وخوند الحجازية صاحبة المدرسة برحبة العيد

يوسف بن الحاج أحمد بن سليمان بن فرنج الصالحي جمال الدين الطحان الحنبلي أخذ عن ابن قاضي الجبل وشمس الدين بن مفلح وغيرهما وسمع وحدث ودرس وأفاد مع الدين والورع والانجماع وكان نبيها سريع الإدرام حسن الإيراد وكان يرتفق من شهادة الجرائد وكان محبوبا إلى الناس مات في شوال

يوسف بن عبد الله بن علي بن حاتم بن محمد بن يوسف البعلي بن الحبال الدمشقي سمع من التاج عبد الخالق السيرة لابن هشام وتفرد بها عنه مات في رجب وله ثمان وتسعون سنة لأنه ولد في صفر سنة ثمانين وسمع أيضا من الحسين اليونيني وأخيه القطب وابن أبي الفتح والتاج الفزاري

أبو عبد الله القاري المالكي المغربي أحد الفضلاء ناب في الحكم ومات بالإسكندرية

سنة تسع وسبعين وسبعمائة ". (١)

٦٩-" وفيها ولي صلاح الدين خليل بن عبد المعطي حسبة مصر بعد أن سعى أن يكون نقيبا عند الحنفية فلم يجب . وفي جمادى الأولى خرج نظر الأوقاف عن القاضي برهان الدين بن جماعة ووليه فخر الدين إياس الحاجب واستقر سودون الشيخوني حاجبا كبيرا بعد علي بن قشتمر ومات أمير سلاح علان فأعطى أنس والد برقوق تقدمته

وفيها استقر شهاب الدبن ابن أبي الرضي الشافعي في قضاء حلب بعد موت المعري

وفيها جردت العساكر إلى الشام بسبب التركمان ومقدم العساكر يونس دوادار برقوق فكسروا التركمان على مرعش وقتل منهم خلق كثير وذلك من ابتداء جمادى الأولى إلى شعبان بعد أن فر خليل بن دلغادر وأخوته وهم كانوا السبب في هذه الحركة لأنهم كانوا جمعوا جموعا كثيرة فوصلوا إلى العمق وإلى تيزين وخاف أهل حلب منهم وكاتب اينال اليوسفي فجردت العساكر من دمشق ومن جميع المماليك ومشوا على التركمان من حلب إلى عينتاب ثم إلى مرعش ثم إلى أبلستين ثم إلى ملطية والتركمان تفر منهم وتتحصن بالجبال المنيعة إلى أن وصل هزمهم إلى أطراف بلاد الروم ولما بلغ العسكر في نهب ما قدروا عليه وانتهوا إلى ملطية كاتبوا بذلك فأذن لهم في الرجوع

---

(١) انباء الغمر ص/٥٢

وفيها كانت حلب الوقعة بين العسكر الحلبي والتركمان فانكسر العسكر ثم وقع بهم نائب حلب اشقتمر وانتصف منهم ثم لما توجه يونس الدوادار إلى الشام بسلطنة الصالح أمر العسكر الشامي بالتوجه إلى غزو التركمان فجمعوا العربان والجند وتوجهوا إلى جهة حلب فخرجوا في ربيع الآخر فلما كان في ثامن جمادى الأولى وهم بمرعش هبط جماعة من التركمان عليهم من مكان عال فوقع بينهم وبين شرف الدين الهدباني ومن معه من الأكراد وعرب بني كلاب مقتلة فانكسر التركمان وجرح الهدباني وأسر ثم أفلت . ثم وقعت الوقعة الكبرى في حادي عشرة فاستظهر الترك وانكسر التركمان وانهزموا أقبح هزيمة بعد أن قاسى العسكر شدة في سلوك المضايق والأوعار وشدة البرد وأما كبير التركمان سولى بن دلغادر فنجا وقطع الفرات إلى خرت برت وانتهبت العسكر من التركمان شيئا كثيرا وأرسل خليل بن دلغادر ومن معه يطلبون الأمان

وفيها فتحت مدينة دوركي واستقر في إمرتها إبراهيم بن محمد بن شهري

وفي رجب نفي مأمور الحاجب ثم أعطي نيابة حماة عوضا عن طشتمر الشعباني

وفي رمضان أحضر يلبغا الناصري إلى مصر واستقر أمير سلاح رأس الميسرة واستقر جركس الخليلي مشير الدولة ثم في شوال قرر في نيابة حلب عوضا عن أينال اليوسفي واستقر يونس الدوادار بأمرة يلبغا وأمر الوزير أن لا يتكلم في شيء إلا بعد مراجعته

وفي جمادى الأولى عقد الجسر بحجارة مقنطرة على نهر بردى عند جامع يلبغا وكان قبل ذلك خشبا عمله الطنبغا دوادار قزدمر ثم عمل نظيره مقابه على نهر الخندق وحصل به رفق كبير

وفيها في ذي الحجة شاع أن ابن قرنميط وكان رأس ميسرة بالقاهرة وقد فعل ما لا يحصى فجاء تائبا إلى زاوية الشيخ إسماعيل الأنبابي فبلغ برقوق فأرسل حسين الكوراني إليه فقبض عليه وعلى اثنين من أتباعه فسلخوا وحشوا تبنا وعلقوا بباب زويلة

وفي حادي عشر ذي الحجة وسط قرط رحابا أمير العرب وثلاثة معه وعلقت رؤوسهم بباب زويلة

وفيها ارتفع السعر بالحجاز حتى بلغت الغرارة أربعمائة درهم

وفيها كائنة ابن القماح البزاز بقيسارية جركس وكان قد تعامل هو والبواب فصار يفتح له القيسارية بالليل ويغلق عليه فيفتح حوانيت الناس ويأخذ منها ما يريد إلى أن كثر ذلك وافتضح فعثروا عليه فأمسك وضرب بالمقارع هو وولده وسجنا بخزانة شمائل وكانت سلامته من القطع من العجائب وفي ذلك يقول بدر الدين بن الصاحب مضمنا وكان بلغه أنه عثر فسقط فانلكسرت يده :

قالوا بأن يد القماح قد كسرت ... فأعلنت أختها بالويل والغير

تأخر القطع عنها وهي سارقة ... فجاءها الكسر يستقصي عن الخبر

وقد اهتدم ذلك برمته من البيتين السائرين في تاريخ ابن خلكان :

إن العماد بن جبريل أخا علم ... له يد أصبحت مذمومة الأثر

تأخر القطع إلى آخره ". (١)

٧٠-" وفي ثامن شعبان الموافق الحادي عشر بشنس أمطرت السماء برعد وبرق حتى صارت القاهرة خوضا فكان **من العجائب** ودام ذلك في ليالي متعددة وقد وقع مثل ذلك بل أعظم منه في مثل زمانه في سنة سبع عشرة وثمانمائة في سلطنة الملك المؤيد وفي شعبان صرف قديد من نيابة الإسكندرية إلى القدس بطالا واستقر شيخ المحمودي وهو الذي ولي السلطنة بعد ذلك في أقطاع صرغتمش وهي تقدمة واستقر طغنجي في أقطاع شيخ واستقر يشبك العثماني الذي دبر المملكة بعد ذلك أمير طبلخاناه عوضا عن صلاح الدين تنكز وأمر صلاح الدين بالإقامة بالإسكندرية بطالا ثم شفع فيه فتوجه إلى دمشق واستقر علاء الدين الطبلاوي مكانه في استادارية الذخيرة والأملاك

وفي أواخر شعبان استقر شعبان بن داود الآثاري في حسبة مصر عوضا عن شيخه نور الدين البكري وكان يوقع بين يديه وفي رمضان استقر يلبغا المجنون الأحمدي الذي كان كاشف الوجه القبلي في الاستادارية عوضا عن قطلوبك

وفي أوائل شوال توجه تمربغا المنجكي حاجب الميسرة على البريد للإصلاح بين التركمان وفيه اعتقل عنان أمير مكة وأولاد عمه مبارك ابن رميثة وابن عطية وجماز وهبة أمير المدينة بالإسكندرية وفيه وصل تاج الدين ابن أبي شاكرمن بلاد الروم وكان فر إليها فأقام قليلا ثم رجع فأسره الفرنج فاشتراه شخص شوبكي وأحضره إلى مصر فسأله السلطان عن سبب هروبه فذكر أنه خاف من سعد الدين ابن البقري فعفا عنه وأمره بلزوم بيته

وفي هذه السنة أمطرت السماء في حادي عشر بشنس من الأشهر القبطية مطرا غزيرا برعد وبرق ودام ذلك في ليالي متعددة وأوفى النيل عاشر مسرى وانتهت الزيادة إلى خمسة عشر من مسرى

وفيها نازل جماعة من أصحاب تمرلنك ارزنكان وهي بين المملكة الشامية والمملكة الرومية فأمر السلطان تمربغا المنجكي بالخروج إلى الشام لتجريد العساكر إلى أزركان

وفيها غضب بكلمش أمير سلاح على دويداره مهنا بمرافعة موقعه صفي الدين الدميري فصادره وصرفه واستقر كريم الدين ابن مكانس ناظر ديوانه وأحمد بن قايماز استاداره فآل الأمر إلى أن غضب بكلمش على موقعه المذكور فضربه بالمقارع فمات تحت الضرب

وفي العشرين من شوال رافع جماعة من صوفية الخانقاه القوصونية شيخهم تاج الدين الميموني وكان استقر فيها بعد جده لأمه نور الدين الهوريني ورموه بعظائم وفواحش فأمر السلطان بعزله من المشيخة المذكورة فعزل منها ومن نيابة الحكم واستقر في المشيخة الشيخ شمس الدين ابينا التركماني الحنفي وفي يوم الجمعة ثامن شوال الموافق لعاشر مسرى زاد النيل في يوم واحد ستة وستين أصبعا وكسر فيه الخليج ثم انتهت زيادته إلى خمسة عشر من عشرين

وفي العشرين من ذي القعدة قتل الأمير أبو بكر بن الأحدب أمير عرب عرك شرف الخصوص من الوجه القبلي واستقر عوضه في إمرة العرب أخوه عثمان

---

(١) انباء الغمر ص/٨٦

وفي أوائل ذي الحجة توعك السلطان إلى يوم عرفة فعوفي

وفيها وقع الرخاء بالمدينة الشريفة حتى بيع اللحم كل رطل مصري بنصف درهم

وفيها توجهت إلى اليمن من طريق الطور فركبت البحر في ذي القعدة فوصلت إليها في السنة المقبلة

وفيها أعيد علاء الدين ابن البقاء إلى قضاء الشافعية بدمشق وطلب سري الدين إلى القاهرة ليستقر في القضاء بها فمات قبل أن يلي كما تقدم شرحه

ذكر من مات

في سنة تسع وتسعين وسبعمائة من الأعيان

إبراهيم بن عبد الله الحلبي الصوفي الملقن كان يذكر أنه كان بتفليس سنة غازان رجلا وعمر إلى هذه الغاية وقدم دمشق وهو كبير فأقرا القرآن بالجامع وصارت له حلقة مشهورة يقال إنه قرأ عليه اكثر من ألف ممن اسمه محمد خاصة وكان الفتوح ترد عليه فيفرقها في أهل حلقته وكان أول من يدخل الجامع وآخر من يخرج منه واستسقوا به مرة بدمشق وكان شيخا طوالا كامل البنية وافر الهمة كثير الأكل ومات في شعبان وكانت جنازته حافلة جدا ويقال أنه عاش مائة وعشرين سنة ". (١)

٧١-" عائشة بنت محمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد ابن عبد الهادي ابن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الأصل أبوها الصالحية ولدت سنة أربع وعشرين وسبعمائة وأحضرت في الرابعة على الحجاز سنة ست وعشرين وسمعت عليه أربعي الطائي وأربعي الحجار وغير ذلك وأسمعت صحيح مسلم على جماعة من أصحاب ابن عبد الدائم ومعظم السيرة على عبد القادر بن الملوك وشاركت أختها فاطمة في كثير من المسموعات والمجازات وتفردت وممن أجاز لها إبراهيم بن صالح بن العجمي من حلب والشيخ شرف الدين البارزي من حماة والبرهان الجعبري من بلد الخليل وعبد الله بن محمد بن يوسف من نابلس وتفردت بالسماع من الحجار ومن جماعة وسمع منها الرحالة فأكثروا وكانت سهلة في الإسماع سهلة الجانب **ومن العجائب** أن ست الوزراء كانت آخر من حدثت عن ابن الزبيدي بالسماع ثم كانت عائشة آخر من حدثت عن صاحبه الحجار بالسماع وبين وفاتهما مائة سنة ماتت في ربيع الأول

عبد الله بن محمد بن أحمد بن قاسم العمراني الحرازي المكين عفيف الدين ابن القاضي تقي الدين ابن الشيخ شهاب الدين عني بالعلم وتنبه في الفقه ومات بمكة وله بضع وستون سنة

عبد القوي بن محمد بن عبد القوي البجائي المغربي المالكي الفقيه نزيل مكة تفقه وأفاد ودرس وأعاد وأفتى وكان خيرا دينا مات في شوال وقد جاوز الستين

عثمان بن إبراهيم بن أحمد بن فخر الدين البرماوي اشتغل كثيرا ومهر في القراآت وولي تدريس الظاهرية فيها بعد الشيخ فخر الدين إمام الجامع الأزهر وكان نبيها في العربية وسمع الحديث كثيرا ورافقنا في بعض ذلك واستملى بعض مجالس

---

(١) انباء الغمر ص/١٩٩

عند شيخنا العراقي وناب في الحكم مات فجأة عند خروجه من الحمام في تاسع عشر شعبان ولم يكمل الخمسين وكان أبوه قد عمر فاستقبله بعشر ستين

العجل بن نعير بن حيار بن مهنا يقال اسمه يوسف بن محمد ولد بعد الثمانين ونشأ في حجر أبيه ثم لما بلغ العشرين فارقه ومال مع جكم ولما وقع بين جكم وبين ابن صاحب الباز حضر نعير في نصر ابن صاحب الباز والباز وابنه مع جكم فلما كسر جكم نعيرا وأسره أحضر ابنه العجل فقبل يده وأعرض عنه وذلك سنة ثمان ثم هرب العجل من جكم فقرر جكم في إمرة العرب فضل بن علي بن نعير ثم حاصر العجل حماة فجاء نوروز من دمشق فأوقع به وكسره ونهب له شيء كثير ثم اتصل العجل بشيخ وحضر معه حصار حماة ونوروز بها فلما ولي شيخ نيابة حلب فر منه العجل فخرج شيخ إلى تل السلطان لمنع العجل من قسم إقطاعات العرب وقسمها هو ثم إن نوروز تصالح مع العجل ورد عليه إقطاعه بعد قتل الناصر ثم لما ولي نوروز يشبك بن أزدمر حلب وطردوه عنها واختاروا دمرداش وكان بقلعة الروم بطالا حضر نوروز إلى حلب فهرب دمرداش وقرر نوروز بحلب طوخ فلما رجع نوروز طرق دمرداش – حلب بغتة فاستنجد طوخ بالعجل فحضر فرحل دمرداش ثم فهم طوخ من العجل عدم المناصحة واتفق أن العجل طلبه لضيافة عملها له فتعلل فركب العجل إلى طوخ في نحو العشرة أنفس فلاقاه طوخ في نحو العشرين فلما التقيا وتصافحا أمسك طوخ يد العجل وأشار إلى بعض أتباعه فقتله وذلك في تاسع عشر ربيع الأول ويقال إنه كان حينئذ سكرانا وكان شهما فتاكا محبا للخمر شديد السطوة والجرأة فلما قتل من أغضبه بغير موجب قتل وبقتله انكسرت شوكة آل مهنا

على بن عبد الله المصري نور الدين القرافي الحنفي ناب في الحكم ومهر في ذلك وشارك في مذهبه مات في رمضان

علي بن محمد بن محمد الدمشقي . صدر الدين ابن أمين ابن الأدمي الحنفي ولد سنة سبعين واشتغل بالأدب ونظر في الفقه وكتب الخط الحسن وناب في الحكم وولي كتابة السر ونظر الجيش بدمشق واشتغل بالقضاء بدمشق ثم بالقاهرة وجمع له القضاء والحسبة في دولة المؤيد كما تقدم وقد أصيب مرارا وامتحن ودخل القاهرة مع المؤيد فقيرا جدا حتى أنه احتاج إلى نزر يسير اقترضه من بعض أصحابه ولما مات خلف من المال جملة مستكثرة وكان لا يتصون ولا يتعفف – سامحه الله مات في رمضان بعلة الصرع القولنجي وبها مات أبوه ومن نظمه ما أنشدني لنفسه وكنت قد اقترحت عليه أن يعمل على نمط قولي

نسيمكم ينعشني والدجى ... طال فمن لي بمجيء الصباح

ويا صباح الوجه فارقتكم ... فشبت هما إذ فقدت الصباح ". (١)

٧٢–" عبد الوهاب بن عبد الله ويدعى ماجد بن موسى بن أبي شاكر أحمد ابن أبي الفرج بن إبراهيم بن سعيد الدولة القبطي الوزير تقي الدين بن فخر الدين بن تاج الدين بن علم الدين يعرف بالنسبة لجده فيقال له ولكل من آل بيته : ابن أبي شاكر ولد سنة سبعين أو في التي بعدها ونشأ في حجر السعادة وتنقل في المباشرات إلى أن باشر نظر الديوان

---

(١) انباء الغمر ص/٤١١

المفرد في آخر الدولة الظاهرية واستمر بيده إلى أن مات وباشر استادارية الأملاك والذخائر والمشاجرات والأوقاف وعظم عن الناصر بحسن مباشرته ثم ولي نظر الخاص بعد موت مجد الدين بن الهيصم ثم قبض عليه في جمادى الأولى سنة ست عشرة وصودر على أربعين ألف دينار باع فيها موجوده وبقي في الترسيم بشباك الظاهرية الجديدة يستجدي من كل من يمر به من الأعيان حتى حصل مالا له صورة وأفرج عنه وأعيد إلى مباشرة الذخيرة والأملاك ثم قرر في الوزارة بعد صرف تاج الدين ابن الهيصم فباشرها مباشرة حسنة وشكره الناس كلهم فلم تطل مدته حتى مات بعد تسعة أشهر من وزارته في حادي عشر شوال أو ذي القعدة - وكان بعيدا عن النصارى ومتزوجا من غيرهم وهي علامة حسن إسلام القبطي وكان يكثر فعل الخير والصدقة مع الانهماك في اللذة وحدث في وزارته الوباء فلم يشاحح أحدا في وراثة وكثر الدعاء له وكان عارفا بالمباشرة ويحب أهل العلم وكان شديد الوطأة على العامة إلا أنه باشر الوزارة برفق لم يعهد مثله وكان موصوفا بالدهاء وجودة الكتابة

عبد الوهاب بن محمد بن أحمد بن أبي بكر الحنفي القاضي أمين الدين بن القاضي شمس الدين الطرابلسي نزيل القاهرة ولد سنة ٧٧٤ واشتغل في حياة أبيه وولي القضاء مستقلا بعد موت الملطي فباشره بعفة ومهابة وكان مشكور السيرة إلا أنه كان متعصبا لمذهبه مع إظهار محبة للآثار عاريا من أكثر الفنون إلا استحضار شيء يسير من الفقه وقد عزل عن القضاء بكمال الدين ابن العديم ولزم منزله مدة طويلة ثم تنبه بصحبة جمال الدين فتقرر بعنايته في القضاء ومشيخة الشيخونية ثم زال ذلك عنه في الدولة المؤيدية وانتزعت من أخي وظيفة إفتاء دار العدل فقررت لابن سفري ثم لابن الجيتي واستمر أمين الدين خاملا حتى مات بالطاعون في خامس عشري ربيع الأول

ومن العجائب أن ناصر الدين بن العديم أوصى في مرض موته بمبلغ كثير يصرف لتقي الدين ابن الجيتي الحنفي ليسعى به في قضاء الحنفية لئلا يليه ابن الطرابلسي قبل موت ابن العديم وكذلك ابن الجيتي

علي بن الحسين بن علي بن سلامة الدمشقي تفقه على الشيخ عماد الدين الحسباني وغيره وكانت له مشاركة في الأدب ونظم الشعر الوسط ودرس في دمشق ومات سنة ٨٢٩

علي بن عيسى بن محمد علاء الدين أبو الحسن بن أبي مهدي الفهري البسطي اشتغل ببلاده ثم حج ودخل الشام ونزل بحلب على قاضيها الجمال النحريري وقرأ بحلب التسهيل وعمل المواعيد بالجامع - وكان يذكر في المجلس نحو سبعمائة سطر يرتبها أولا ثم يلقيها ويطرزها بفوائد ومناسبات ثم رحل إلى الروم وعظم قدره ببرصا وكان فاضلا ذكيا أديبا يعمل المواعيد بالجامع فذكر لي - الشيخ برهان الدين المحدث أنه كان يرتبه يوم الأربعاء فيبلغ سبعمائة سطر وينظره يوم الخميس ويلقيه يوم الجمعة سردا وذكر لي - أنه أنشده لابن الحباب الغرناطي اللغز المشهور في السمك

كتبتم رموزا ولم تكتبوا ... كهذا الذي سبيله واضحه

قال : وأنشدني عنه أناشيد ثم دخل الروم فسكنها وحصل له ثروة ثم دخل القرم وكثر ماله واستمر هناك إلى أن مات في هذا السنة

علي بن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة بن محمد بن ناصر الحسيني أبو الحسن والد المحدث الشهير الشريف شمس الدين مات أبوه سنة خمس وستين وسبعمائة وهو صغير فحفظ القرآن والتنبيه وقرأ على ابن السلار وابن اللبان ومهر في ذلك حتى صار شيخ الإقراء بالقرمية . وكتب الخط المنسوب وجلس مع الشهود مدة ووقع وكان عين البلد في ذلك وولي نقابة الأشراف مدة يسيرة وولي نظر الأوصياء أيضا ؛ مات في شوال ". (١)

٧٣-" وفي رابع عشري شهر ربيع الآخر هبت ريح برقة تحمل ترابا أصفر إلى الحمرة وذلك قبل غروب الشمس فاحمر الأفق جدا بحيث صار من لا يدري السبب يظن أن بجواره حريقا وصارت البيوت كلها ملأى ترابا ناعما جدا يدخل في الأنوف وفي جميع الأمتعة ثم لما تكاملت غيبوبة الشفق أسود الأفق وعصفت الريح وكانت مقلقة فلو قدر أنها كانت تصل إلى الأرض لكان أمرا مهولا وكثر ضجيج الناس في الأسواق والبيوت بالذكر والدعاء والاستغفار إلى أن لطف الله تعالى بادرار المطر فتحولت الريح جنوبية باردة ولم تهب هذه الريح منذ ثلاثين سنة وهي ريح هائلة عاصفة سوداء مظلمة فانتشرت حتى غطت الأهرام والجيزة والبحرواشتدت حتى ظن كل أحد أنها تقتلع الأبيات والأماكن فدامت تلك الليلة ويوم الأربعاء إلى العصر وكانت سببا في هيف الزرع بالوجه القبلي وغلاء سعر القمح

وفي ربيع الآخر قدم أخو رميثة بن محمد بن عجلان يخطبان إمرة مكة عوضا عن عمهما حسن بن عجلان ظنا منهما طرد القياس في عقيل ومقبل فانعكس عليهما الأمر فقبض عليهما وحبسا وقرر قرقماش الشعباني وعلى بن عنان في إمرة مكة وسافرا معا . وفيه وصل تاني بك البجاسي نائب حلب فسلم على السلطان وهرع الناس للسلام عليه ثم خلع عليه وأعيد إلى إمرته وتوجه ثالث جمادى الأولى . وفيه وقع بين نائب دمشق وقاضيها الشافعي نجم الدين ابن حجي تشاجر وادعى أن القاضي أشار عزل نفسه وتولد من ذلك شر كبير سيأتي ذكره وورد الخبر بأن الجراد وقع بالمدينة فأفسد الزرع بها وجرد الخوص من النخل وقاسوا منه شدة عظيمة

وفي أوائل ما نقلت الشمس إلى الثور بعد أن اشتد الحر جدا عاد البرد الشديد حتى كان نظير الذي كان والشمس في برج القوس وهذا **من العجائب** وبعد يومين أمطرت السماء مطرا غزيرا في معظم الليل واستمر البرد قدر أسبوع

وفي اليوم الثامن عشر من حلول الشمس الثور أمطرت السماء مطرا شديدا غزيزا واستمر إلى أن أكثر الوحل في الطرقات كأعظم ما يكون في الشتاء مع الرعد الكثير والبرق وقد تلف بذلك ما في المقائي من الزروع والنبات شيء كثير وغلا السعر بسبب ذلك ويقال إنها أمطرت بمدينة المحلة من البرد الكبار ما يتعجب منه وهبت ريح شديدة بمدينة أنبابة فهدمت بسببها بيوت كثيرة وقلعت أصول نخل وشجر

وفيه كائنة سرور المغربي المالكي كان قدم من تونس إلى الإسكندرية وصار يذكر الناس ويقع في حق بعض الرؤساء فتعصبوا عليه ومنعه نائب الحكم من الكلام فدخل القاهرة فسعى في عزل القاضي فتعصب كاتب السر للقاضي فخرج

---

(١) انباء الغمر ص/٤٤٢

سرور إلى الحج ثم عاد فرفع إلى السلطان أنه رأى النبي صلى الله عليه و سلم في المنام وبين يديه خمسة أنفس مسلسلين رأسهم كاتب السر ابن الكويز وأنه مد يده إلى عيني ابن الكويز ففقاهما وقال له : أفسدت شريعتي !

وسعى في عزل الناظر والقاضي فأمر بإحضارهما فأما الناظر فذب عنه صهره ناظر الخاص وأما القاضي فحضر وصودر على مال وكتب سرور لبعض أصحابه بالإسكندرية كتابا يخبر فيه أن النائب والناظر والقاضي عزلوا بسبب كلامه فيهم فبلغ ذلك النائب فكاتب السلطان في أمره وحط عليه فتعصب له بعض الأكابر فأمر السلطان بنفي سرور من الإسكندرية فوكل به بالقاهرة وأخرج مهانا إلى الإسكندرية ثم أنزل في مركب إلى الغرب فتوجه إليها فوصل إلى صاحب تونس وأخذ منه كتابا بالشفاعة فيه فلما وصل إلى الإسكندرية قبض عليه النائب وسجنه وألزمه بالعود إلى الغرب فاتفق أن الذي كان أرسل إلى الإسكندرية يحفظها من الفرنج كما سأذكره بعد لما حصل الأمن من الفرنج قرر نائبها وهو آقبغا التمرازي وصرف النائب الذي كان بها وهو أسندمر النوري وخلص سرور من الشدة بذلك وافرج عنه وأرسل النائب الكتاب الذي استصحبه إلى السلطان فسكن الأمر خصوصا بعد موت ابن الكويز ". [1]

٧٤-" **ومن العجائب** أن المذكور جرت له في سلطنة الظاهر جقمق في سنة ست وثلاثين مناقشة مع القاضي أدت إلى أن بعض الأكابر حط عليه فبالغ فأمر السلطان بنفيه فلما حصل بالإسكندرية أغلظ للنائب فأنزلوه في مركب تسير إلى الغرب ورئيسها إفرنجي فوصل كتاب بالشفاعة فيه وإعفائه من التغريب فعوق النائب قراءة الكتاب إلى أن تحقق أن المركب سارت به فقرأ الكتاب وأعاد الجواب بفوات الأمر ؛ ثم لم نطلع له على خبر إلى أن سطرت هذه الأحرف في شعبان سنة سبع وأربعين ثمانمائة وجزم جماعة بأنه أعدم ولم يلبث القاضي بعده إلا يسيرا وهلك

وفي رجب حضر الأستادار من الصعيد وحضر صحبته شيء كثير من الأبقار والأغنام فجمع الجزارين والقيطامين وغيرهم لمشتراها فاجتمع جمع كثير في مركب فغرقت بهم فلم يسلم منهم إلا القليل وذلك في مبادئ زيادة النيل ؛ وكان الطاعون بالشام حتى قيل إن جملة من مات في أيام يسيرة زيادة على خمسين ألفا ووقع الطاعون بدمياط فمات عدد كثير من الرقيق والأطفال

وفي رجب شكا نائب الشام من ابن حجي قاضي الشافعية ونسبه إلى أمور معضلة فأمر بالكشف عليه . فندب لذلك بعض الجند وصحبته شمس الدين محمد الأنصاري المدعو أبا شامة الدمشقي الذي كان أمين الحكم عنده فنقم عليه أمورا فعزله فتوجه إلى القاهرة فأقام بها يغض من ابن حجي ويذكر مساويه عند الأمراء وغيرهم فلما وقعت هذه الكائنة ذكر بعضهم للسلطان أن أبا شامة يعرف مساوي ابن حجي فسفره ليكشف عليه وكان السبب في تغير نائب الشام عليه أنه كان بدمشق خمارات عليها ضمان للنائب فركب القاضي وأمر بإغلاقها . فشق ذلك على النائب وأحضر الضامن وخلع عليه ونادى له بالاستمرار فنفر الناس من ذلك واجتمع عند بيت القاضي من لا يحصى كثرة فركب القاضي والناس معه فكسروا أواني الخمر وأراقوها فغضب النائب من ذلك ورفع إلى السلطان أن القاضي يقيم من يشهد بأن فلانا الذي

---

(١) انباء الغمر ص/٥١٤

مات عن غير وارث له وارث فيثبت ذلك ويتسلم المال وأنه حصل عنده من هذه الجهة أموال كثيرة ممن ليس له وارث إلا بيت المال فتغيظ السلطان من ذلك فلما وصل الأمر بالكشف عليه بالغ النائب في نكايته ومكن عدوه منه وأقدم أبو شامة فسجل على نفسه أنه ثبت عنده أن في جهة القاضي نجم الدين ابن حجي لبيت المال عشرين ألف دينار وحكم بذلك ووصل حكمه بالقاضي الحنفي فنفذه وطولع السلطان بذلك فكتب باستخلاص ذلك من ابن حجي فقدر الله تعالى في غضون ذلك موت النائب وانفرج الهم عن القاضي وكتب توقيعه من القاهرة باستمراره وغرم في ذلك مالا كثيرا

وفي هذه السنة ابتدئ بعمارى المدرسة الأشرفية بالحريرين بجوار الوارقين وأخذت الدور التي هناك وغالبها أوقاف فتحيل في إبطالها بوجوه من الحيل وتولى القيام في تعميرها ناظر الجيش عبد الباسط وفيه رفع إلى الدوادار الكبير سودون من عبد الرحمن أن القاضي جمال الدين الطنبذي المعروف بابن عرب حكم محاكمة غير مرضية فأمر القاضي الشافعي بأن يعزله واقام في بيته بعد أن أهين بحضرة الدوادار وعزل القاضي عقب ذلك من النواب اثني عشر نفسا ثم لم يفد ذلك حتى أمر أن لا يزيد على عشرة نواب فعزل الجميع وانتقى عشرى أكثرهم أقاربه واصهاره فكثر كلام المنفصلين فيه واتفق أن القاضي المالكي كانت عنده محاكمة فأرسل الدوادار طلبها وطلب نقيبه الجلال القزويني فامتنع فأغلظ الدوادار القول فعزل القاضي نفسه ثم أعيد بشرط أن يعزل نقيبه المذكور فصرفه وأمر أن يقتصر من نوابه على ستة أنفس وأن يقتصر الحنفي على ثمانية وأن يقتصر الحنبلي على أربعة ؛ فأطاعوا كلهم إلا الحنبلي فلم يصرح بعزل أحد من نوابه وكانوا ثمانية

وفيه حضر مملوك أيتمش الخضري وزعم أن بالمحلة كنزا فيه مائة ألف إردب دنانير فسلمه السلطان للأستادار فكشف عن الأمر فلم يوجد لما قاله صحة وشهد فيه بأنه خفيف العقل

وفيها رام نائب الشام من متروك شيخ العرب بالشام أن يحضر إلى طاعته فامتنع وبذل له مالا فأبى وقصده بالمحاربة ففر فأعجزه تحصيله وفسد الدرب بسبب ذلك وكانت الطرق آمنة

وفي سادس شعبان مات تاني نائب الشام واستقر عوضه تاني بك البجارسي نقلا من نيابة حلب إلى نيابة الشام ". (١)

٧٥-" محمد بن أحمد بن ظهيرة بن أحمد بن عطية بن ظهيرة المخزومي المكي الشافعي ابن عم الشيخ جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة يلقب كمال الدين ويكنى أبا الفضل ولد في شهر ربيع الآخر سنة ست وخمسين وسمع من عز الدين ابن جماعة والشيخ خليل المالكي والموفق الحنبلي وابن عبد المعطي وناب في الخطابة وحدث وأضر بأخرة ؛ ومات في صفر

محمد بن محمد بن أبي القاسم أبو عبد الله الرخاجي أحد مشايخ الصوفية بزبيد كان قد تقدم عند الأشرف إسماعيل ثم عند ولده الناصر وكان يلازمه وينادمه ويحضر معه جميع ما يصنعه من خير وشر من غير تعرض لإنكار وكان حسن الوساطة ؛ مات في رابع عشر ذي القعدة وله ست وسبعون سنة

---

(١) انباء الغمر ص/٥١٥

يوسف بن خالد بن أيوب القاضي جمال الدين الحسفاوي الشافعي نشأ بحلب وقرأ في الفقه على ابن أبي الرضى وقرأ عليه القراآت ثم سافر إلى ماردين فأخذ عن زين الدين سربجا وولي قضاء ملطية مدة ثم دخل القاهرة ولي قضاء حلب ثم قضاء طرابلس ثم كتابة السر بصفد وكان حسن الشكل فائق الخط قوي النظم ؛ مات بطرابلس في ثالث عشر المحرم سنة ثلاثين وثمانمائة

أولها السبت ففي الثامن منه خلع على نجم الدين بن حجي بقضاء الشام عالى قاعدته وصرف الشريف شهاب الدين فأقام قليلا ثم أمر السلطان بسفره إلى الشام بطالا فأول شيء صنعه ابن حجي أنه قرب أبا أسامة الذي كان أثبت عليه المال الجزيل فيما مضى ظلما وعدوانا فأحسن إليه ثم استدعى منه أن يثبت على الشريف نظير ما أثبت عليه فأجابه إلى ذلك فبادر وفعل وطولع السلطان بذلك فألزم الشريف بما ثبت عليه وعد ذلك **من العجائب** واشتهر أبو أسامة بالأحكام الباطلة واستعاذ كل مسلم من شره لجرأته على الأمور الفظيعة فخشى عاقبة ذلك فتحزل إلى القاهرة فسكنها مدة ثم أخرج منها بعد لا بارك الله فيه . وكان صرف الشريف من وظيفة القضاء مما يعد من الخوارق فإنه لم يكن بقي أحد من أهل الدولة له مال إلا وتعصب له أن يستمر فعاكس السلطان الجميع

وفي المحرم نودي على أهل الذمة أن يصغروا عمائمهم وأن لا يدخلوا الحمامات مع المسلمين ومن دخل منهم فليكن في عنقه جلجل أو طوق حديد إلى أشياء كثيرة اخترعها المحتسب تبعا لغيره فضجوا من ذلك ورفعوا أمرهم إلى السلطان فأحضر القضاة في ثالث عشر المحرم وسألهم ما يجب عليهم !

فتقر الحال أن لا يدخلوا الحمام إلا بخيط في رقبة ويكون فيه خاتم من حديد أو رصاص وأن لا يتعرض لعمائمهم الملونة كبرت أو صغرت وأن نساءهم يتميزن من النساء المسلمات بشيء يكون قدر الكف أو أصغر من لون عمائم رجالهن ؛ فصنع ذلك وكتب على أكابرهم والتزموا به

وفيها صرف خشرم عن إمرة المدينة وأعيد عجلان

وفي ذي الحجة منع من البيع في داخل المسجد الحرام ومن نصب الصواوين داخله ومن نقل المنبر عند خطبة الجمعة من مكانه بجانب المقام إلى ظهر الكعبة

وفي أواخر شعبان تكلمت مع السلطان في أن لا يطفأ القناديل في رمضان إلا قبيل طلوع الفجر لما يحصل للناس من الإجحاف ممن ينام ثم يستيقظ عطشان فلا يجد القناديل تقد فيظن أن الأكل والشرب حرم وليس كذلك فوافق السلطان على ذلك ثم عقد لذلك مجلس فاتفق من حضر على أنه يترتب على ذلك أن يغلط من كان يعرف العادة المستمرة فيبطل صومه فتوقف الأمر واستمرت العادة – ولله الأمر

وفي هذه السنة صرف أبو السعادات محمد بن أبي البركات محمد بن أبي السعود ابن ظهيرة عن قضاء مكة واستقر الجمال محمد بن علي الشيبي ولما حج مع الناس استقر في مباشرة الحكم وأمر بسد أبواب الحرم كلها إلا أربعة أبواب فحصل للناس بذلك مشقة شديدة فكان ما سنذكره

وفيها وصلت من الهند من صاحب بنجالة هدايا جليلة لجماعة من الناس خصوصا الشيخ علاء الدين محمد بن محمد بن محمد البخاري ثم الهندي نزيل القاهرة ووصلت أيضا هدايا من صاحب الهند

وفي العشر الأخير من شعبان انكشفت رأس بعض المماليك وهو يلعب بالرمح فظهر أنه أقرع فضحكوا منه . فسأل السلطان أن يقرره شاد القرعان فكتب له مرسوم بذلك فكان يدور على الناس فمن ظن به أنه أقرع كشف رأسه فإن وجده أقرع أخذ منه ثلاثة دراهم فضة وثلثا ثم اضمحل أمره بعد قليل ". (١)

٧٦-" وفي خامس ذي الحجة قبض على أزبك الدويدار واستقر مكانه اركماس الظاهري واستقر تمراز الذي كان نائب غزة في وظيفة اركماس راس النوبة الكبير ووصل في هذه السنة المحمل من العراق بعد أن انقطع عشر سنين أو اكثر . جهزه في هذه السنة حسين بن علاء الدولة ابن أحمد بن أويس أمير الحلة ومغيرة بن سقم أمير العرب ووقف الحاج يومين للاختلاف في الهلال

وفي ذي الحجة انحط سعرالقمح بعد أن كان بلغ أربعمائة إلى ثلاثمائة وخمسين ثم انحط بعد ذلك أيضا وفتحت الشؤن السلطانية وغيرها وبيع منها فحصل الاتساع وكان السعر بلغ مائتين وعشرين والتبن مائة وثمانين كل حمل ثم أنحط إلى أربعين درهما كل حمل

وفي ثامن رمضان استقر قانصوه النوروزي في نيابة طرسوس وكان أمير عشرة وأضيف إقطاعه إلى الديوان المفرد وفي جمادى الآخرة قرر طرباي في نيابة طرابلس وكان قد أذن له أن يقيم بالقدس بطالا فتحول من ثم إلى طرابلس واستمر في إمرتها إلى

وفي شهر ربيع الآخر أفرج عن جنبوس الفرنجي صاحب قبرس على فدي مبلغه مائة ألف دينار وأن يطلق عندهم من أسرى المسلمين وجهز إلى الإسكندرية وفيه قدم مركبان من فرنج الكتيلان لأخذ الإسكندرية بغتة فوجدوا أهلها قد أيقظهم متولي قبرس بهم فلم يحصل لهم مقصود

وفيه أمر السلطان بإراقة الخمور فتتبعت من عند كل من يتعاناها من المسلمين وأهل الذمة وشدد في ذلك وكتب به إلى البلاد الشامية وغيرها وكتب إلى الإسكندرية بإلزام الفرنج بإعادة ما جلبوه من الخمور إلى بلادهم واتفق في دمياط أن بعض الفقهاء أراق خمرا فعارضه بعض الخاصكية وأهانه فبلغ ذلك السلطان فأمر بضرب ذلك الخاصكي ضربا مبرحا حتى أن بعض الأمراء وهو اخو السلطان قام ليشفع فيه فضربه معه فضربا معا ثم أمر بإحراق الحشيش والمنع من زرعها . وفيها نقض ابن الركاعنة طاعة أبي فارس صاحب تونس فسار إليه واجتمع به عبد الواحد بن أبي حمو وهو عمه ففر ابن الركاعنة وأقام أبو فارس عبد الواحد المذكور في ملك تلمسان وفاس ورجع - وكانما سيأتي ذكره سنة ثلاث وثلاثين

---

(١) انباء الغمر ص/٥٤٦

وفي السابع من رجب استقر كمال الدين ابن البارزي في كتابة السر بدمشق عوضا عن حسين السامري بحكم وفاته وكان له منذ عزل من نظر الجيش مقيما بالقاهرة سبع سنين واستقر شهاب الدين ابن نقيب الأشراف بدمشق في نظر الجيش عوضا عن حسين أيضا وكان جمعهما

وفي عاشره استقر عز الدين بن عبد السلام بن داود بن عثمان المقدسي في تدريس الصلاحية بالقدس عوضا عن الشيخ شمس الدين البرماوي بحكم وفاته واتفق في هذه السنة **من العجائب** أن الفول نزل عليه الصقيع بالصعيد فافسده وهو أخضر شرق كثيرمن الأراضي فلم يزرع وأكلت الدودة مواضع مزدرعة فكانت هذه الأمور الثلاثة في العادة ينشأ عنها الغلاء وانضاف إلى ذلك نزول النيل بسرعة فزرعوا في شدة الحر ثم تسلطت الدودة مع ذلك فتحرك السعر قليلا ثم لم يرتفع لشئ من الغلة رأس وتمادى الأمر على ما كان حتى جاء المغل الجديد ثم غلا السعر في أيام زيادة النيل فزاد سعر كل إردب مائة درهم وانحلت الأسعار بعد وفاء النيل وكان ببلاد الصعيد الأعلى وباء شديد ومرض حاد ومات بسببه خلائق في رجب وشعبان واستمر إلى... وفي سادس عشر شوال نودي بأبطال المعاملة بالدراهم البندقية واللنكية وأخرجت الدنانير الأشرفية ونودي أن يكون بمائتين خمسة وعشرون وأبطلت المعاملة بالأفلورية

وفي السادس من ذي الحجة قبض على أزبك الدويدار الكبير واستقر عوضه أركماس رأس نوبة النوب واستقر في وظيفته تمران الذي كان نائب غزة –

وفيها استقر جوهر القنقباى خازندار ثانيا ثم بعد قليل استقر عوضا عن خشقدم خازندار كبيرا واستقر خشقدم زماما بعد موت الزمام

وفي سابع عشر ذي الحجة استقر التاج الوالي مهمندارا عوضا عن خرز فاجتمعت له عدة وظائف : ولاية القاهرة والحجوبية وشد الدواوين والمهمندارية مع استمراره في مجالسة السلطان ومنادمته

ذكر من مات

في سنة ٨٣١ من الأعيان

إبراهيم بن عبد الله الشامي الملقب خرز قدم مع المؤيد فولاه المهمندارية بعد ابن لاقي ومات وقد ولى ولاية القاهرة ومات في العشر الأخير من ذي القعدة ". (١)

٧٧–" وفي يوم السبت طلب شرف الدين أبو بكر بن إسحاق الملطي شيخ الشيخونية علاء الدين علي بن موسى الرومي لمجلس الحكم وادعى عليه أنه كفره بمجلس الحديث بحضرة السلطان والعلماء في يوم الاثنين ثامن عشرة ونسب أنه قال : الوجوب والإيجاب متحدان بالذات مختلفان بالاعتبار فأنكر الرومي ذلك فخرج الملطي على البيان ثم عقد مجلس بحضرة السلطان في القصر يوم الاثنين خامس عشريه فتنازعا قليلا فقام الحنفي فأصلح بينهما وذكر أن ذلك بإشارة السلطان

(١) انباء الغمر ص/٥٥٦

وانفصل الأمر على ذلك فرفع الرومي إلى السلطان أن الرسل الذي طلبوه إلى اشرع أنزلوه عن فرسه وجروه على الأرض وقطعوا فرجيته وأحضروه وحوله نحو من مائتي نفر من العامة يصيحون عليه يا رافضي !

كفرت فأمر بإحضارهم فأحضر منهم اثنان فضربا بحضرته ثم أطلقا وانفصل الأمر على ذلك وذلك يوم الأربعاء سابع عشرية وافتتح القاضي علم الدين البلقيني بالسعي فدس الحمصي الذي صرف عن قضاء الشام وحضر إلى القاهرة ليسعى في العود فكتب قصة يطلب فيها تولية قضاء الشافعية بمصر وكتابة السر بها أو نظر الجيش بالشام فقال قائل : لأي معنى عزل عن الشام فقال بعض من رتب في القول : إذا وعد هذا ببذل الكثير فغيره يبذل ذلك ويستقر وهو أحمق منه وهو كان صاحب الوظيفة فأصغى السلطان لذلك ثم بدا له فترك القول في ذلك حتى انسلخ شهر رمضان

وفي أول شوال جدد الساعي للقاضي علم الدين السؤال فأمر السلطان بعض الخاصكية أن يتكلم مع كاتبه في بذل شيء فامتنع فلما كان في يوم الخميس خامسه صرف كاتبه عن القضاء واستقر القاضي علم الدين البلقيني وفي يوم السبت السابع منه رسم بعقد مجلس بعلماء الحنفية بسبب شرط الشيخونية فأحضرت أربعة كتب وهي الهداية والبزدوي والمفتاح والكشاف وذكر السلطان للجماعة أن بعض الفقهاء قال له إنه لم يبق أحد يعرف يقرر هذه الكتب فوقع بينهم الكلام وبدر القاضي الشافعي فقال : يا مولانا السلطان !

هؤلاء الجماعة هم أعيان العلماء وليس في الدنيا مثلهم وما منم إلا من يعرف – يقرر هذه الكتب فمن ادعى خلاف ذلك فليحضر حتى نسمع كلامه ونرده عليه فأعجب السلطان ذلك وانفصل المجلس على أن القائل هو الحنفي فلما لم يجب عن ذلك كلمة وظهر منه الرجوع عن ذلك ظهر للسلطان أنه تكلم يعرض لأجل الرومي ففصل الأمر وانقضى المجلس

وفي يوم الأربعاء توجه القاضي المستقر إلى مصر على العادة وكان استقر في نقابة الحكم بشخص يقال له حسن الأميوطي وكان رسولا في الحكم فنقم عليه شيء فصار يتوكل في المحاكمات ثم اتصل بالقاضي المستقر فلما كان هذا اليوم طلع إلى القلعة ومعه شيء من الذهب الموعود به فخلع عليه قباء بطراز فاستمر لابسه وهو راكب قدام القاضي من مصر إلى القاهرة في الشارع وتعجب الناس من ذلك . وفيه نزلت صاعقة بجدة فأتلفت شيئا كثيرا ووقع حريق وهلك نحو المائة نفس وتلف لبعض التجار مال كثير **ومن العجائب** أن البضاعة المتعلقة بالسلطان سالمة ويقال إن غالب الأبنية المتجددة في جدة احترقت واحترق أيضا مركبان بما فيهما من البضاعة ووقعت وقعة بين القواد وجانبك شاد جدة فجرح عدة ثم أصلح بينهم من كان أمير مكة وفي العشر الأخير منه موافقا لأوائل بشنس من اشهر القبط زاد النيل زيادة كثيرة وشاهدت المقياس واعتبرته فوجدت الماء في نصف الذراع الثامن هذا وقد بقي للأمد المعتاد أكثر من أربعين يوما

وفي السابع عشر منه طيف بالمحمل وخرج الحاج وفي الظن أنهم قليل فاجتمع في بركة الجب خلائق بحيث أنهم صاروا ثلاثة ركوب . الأول ولد الدويدار الكبير وأمير المحمل غرس الدين خليل الذي كان أمير الإسكندرية وتوجه جمع كثير من الركبين صحبة جماعة من الخاصكية وسافر الأول يوم الأحد . وفي ثالث عشري شوال قتل شخص كان نصرانيا فأسلم ثم ارتد فعرض عليه الإسلام فامتنع فقتل

وفي آخر شوال أحضر شخص ثلاث شعرات ذكر أن تاجرا أوصى أن يدفع ذلك للسلطان ومات بحلب فاستدعى النائب والقضاة وسلمها لهم ففرح بها – السلطان وأراد أن يبني لها زاوية ويتركها فيها لتزار كما يزار الآثار التي بمصر ثم ". (١)

٧٨-" شهر صفر الأغر – أوله الجمعة ذكرنا أن ابن الميلق خطب وذكروه فيمن تولى القضاء وبلغ ذلك صالح – ابن البلقيني فضاق صدره وعيل صبره واشتد سعيه فلم يجب لشيء وتعين الونائي وفصلت خلعته يوم السبت ثم في أثناء يوم السبت طلب السلطان شهود التركة وفوض لنائب القلعة أن يباشر المحاسبة بين الوصي ورفيقه بحضرة الشهود وبحضرة شخص يقال له جمال الدين عبد الله الحلبي التاجر وكان هو الذي وصل الوصي حتى ذكر للسلطان ما ذكر وكررت المحاسبة ووقعت المحاققة والمشاححة إلى أن ظهر لنائب الغيبة دغل الوصي وتزيده في القول وافتراءه ما كان افترى فدخل بالمحاسبة إلى السلطان وظهرت براءة القاضي والذي أقامه وذلك وقت أذان المغرب ؛ فلما كان صبيحة الأحد أمر بإطلاق نائب الحكم والذي أقامه القاضي واتفق أن كلمه ولده الأمير ناصر الدين محمد فيما يتعلق بالقاضي وجبر خاطره فيما وقع فيه من الافتراء فأذن له فبطل أمر – الونائي وفصلت للقاضي جبة سمور ولبسها صبيحة الاثنين وكان يوما مشهودا

وفي أوائله وصل عبد الباسط إلى القدس سالما وكان أرجف بأنه اصيب جميع من معه ولم يسلم غيره ثم ظهر أنه لم يكن لذلك صحة ووصلت هديته إلى السلطان بعد أيام فيها مائة – شاش وأشياء كثيرة من تحف الهند واليمن والحبشة – فقبلها وخلع على قاصده

وفي يوم الأربعاء السابع والعشرين منه وهو الموافق – للرابع من مسري أوفى النيل ستة عشر ذراعا وإصبعين وكسر الخليج في صبيحة يوم الخميس وباشر ذلك الأمير ناصر الدين محمد ولد السلطان وصحبته حاجب الحجاب وجمع يسير وكان يوما مشهودا وكانت الزيادة في هذه السنة **من العجائب** فإنه ابتدئ في العشرين من المحرم فكان يزيد قليلا قليلا إلى يوم السبت السادس عشر من صفر فزاد ثمانية ثم زاد اثني عشر إصبعا ثم زاد في خمسة أيام ثمانين إصبعا في يوم ثلاثين وفي يوم عشرين وفي ثلاثة أيام كل يوم عشرة وفي يوم سبعة عشر أيضا فنودي خمسة يوم الوفاء خمسة عشر تعليق الستة عشر وإصبعين فوقها

وفيها كائنة إبراهيم ابن خطيب القدس وقاضيه جمال الدين بن جماعة رفع فيه إلى السلطان أنه زور عليه مرسوما بمرتب فأحضر إلى القدس وصرف أبوه عن القضاء وحوقق على ذلك – وجرى لصهره قاضي الحنفية ابن الديري من البؤس وتغير الخاطر ما لا يعبر عنه وبالغ السلطان في الإنكار على كاتب السر بسبب ذلك ". (٢)

---

(١) انباء الغمر ص/٦٣٥

(٢) انباء الغمر ص/٦٧٥

٧٩-"وبدير سمعان من قرى معرة النعمان، ويقال أيضا دير النقيره لأن إلى جانبها قرية يقال لها النقيرة قبر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في حائر صغير وإلى جانبه من خلف ظهره قبر الشيخ أبي زكرى يحيى بن المنصور، وكان أحد أولياء الله تعالى، وله كرامات ظاهرة، وكان قد أقام في المسجد الذي بهذه القرية يعبد الله تعالى حتى أدركه أله، فدفن في الحائر إلى جانب عمر رضي الله عنهما، وسنذكره إن شاء الله تعالى في كتابنا هذا.

وبأنطاكية قبر حبيب النجار مؤمن آل ياسين، وزرت قبره بها. وبها قبر عون بن أورميا النبي، وقبر عوذ بن سام بن نوح النبي عليهما السلام، وقد ذكرناهما في باب قبل هذا.

وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن داود بن عثمان الدربندي بحبرى في مشهد الخليل عليه السلام قال: أخبرنا أبو محمد القاسم بن علي بن الحسن الشافعي قال: أنبأنا أبو سعد عمار بن طاهر بن عمار بن إسماعيل الهمذاني قال: أخبرنا أبو القاسم مكي بن عبد السلام بن الحسن بن القاسم بن محمد الرميلي المقدسي قال: أخبرني الشيخ أبو الحسن علي بن الخضر بن سليمان بن سعيد السلمي الدمشقي إجازة، شافهني بها قال: أخبرنا أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله الحافظ الرازي قال: حدثنا أبو يعقوب إسحق بن إبراهيم الأذرعي قال: حدثنا محمد بن الخضر عن هشام بن خالد عن الوليد بن مسلم عن سعيد - يعني - بن عبد العزيز عن مكحول عن كعب قال: بطرسوس من قبور الأنبياء عشرة، وبالمصيصة خمسة، وبسواحل الشام من قبور الأنبياء ألف قبر، وبأنطاكية قبر حبيب النجار، وذكر تمام الحديث.

وقد ذكرنا فيما تقدم في فضل أنطاكية حديثا مسندا مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن فيها التوراة، وعصا موسى، ورضراض الألواح، ومائدة سليمان بن داود في غار من غيرانها؛ وفي حديث آخر عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: وفيها جبل، وفي ذلك الجبل غار، وفي ذلك الغار عصا موسى صلى الله عليه وسلم وشيء من ألواحه، ومائدة سليمان، ومحبرة إدريس، ومنطقة شعيب، وبردا نوح.

وقد ذكرنا فيما نقلناه عن الحسن بن أحمد المهلبي في وصفها، وبها كنيسة القسيان وهي كنيسة جليلة، ويقال إن بها كف يحيى بن زكرياء عليه السلام.

وقرأت بخط أبي عمرو الطرسوسي قاضي المعرة قال: قبر أبي معاوية الأسود بطرسوس، بباب الجهاد في الطريق الآخذ إلى الميدان يمنة السائر، بإزاء قبة ابن الأغلب، ما فارقه الزوار مدة عمارة طرسوس تبركا به وتيمنا بالدعاء بحضرته؛ وقال أبو عمرو سمعت عدة من شيوخ طرسوس يقولون ما صدق أحد نيته في حاجة لله عز وجل فيها رضا، فتوسل ودعا عند قبر أبي معاوية إلا أجابه الله عز وجل.

وبعرب سوس، وقيل إنها آخر حدود الشام في جبل بانجلوس من غربي عرب سوس، الكهف الذي كان فه أصحاب الكهف، ولبثوا فيه ثلاثمائه سنين، وزرت المكان عند دخولي إلى بلاد الروم، وهو مكان حسن كثير الزوار، وهو كما وصفه الله تعالى في كتابه. " وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال " . والكهف يدخل إليه الإنسان حبوا لا يمكن الماشي أن يمشي فهي قائما لقصر سقفه، وبني عليه مشهد عظيم بالحجر، وجعل له سور، ووقف عليه للزوار، وقد ذكرنا عرب سوس فيما تقدم.

قال لي علي بن أبي بكر الهروي مدينة الرصافة بها قبور جماعة من الصحابة والتابعين لا أعرف أسمائهم.

وقال: مدينة بالس بها مشهد علي بن أبي طالب عليه السلام، وبها مشهد الطرح، وبها مشهد الحجر، يقال إن رأس الحسين عليه السلام وضع عليه عندما عبروا بالسبي والله أعلم.

باب في

ذكر ما بحلب وأعمالها من العجائب

والخواص والطلسمات والغرائب

حدثني والدي رحمه الله قال: لم يكن البق يوجد في مدينة حلب ولا يعهد منه شيء، إلى أن اتفق عمارة في بعض أسوارها، ففتح فيها طاقة أفضت إلى مغارة كانت مسدودة، فخرج منها بق عظيم عند فتحها، أظنها في ناحية قلعة الشريف، فحدث البق فيها من ذلك اليوم.

قال: وقيل بأنه كان الانسان إذا أخرج يده من داخل السور إلى خارجه سقط البق على يده، فإذا أعادها إلى داخل السور إرتفع.". (١)

٨٠-"وأخبرني والدي رحمه الله وجماعة من مشايخ حلب، يأثره الخلف عن السلف، أن العمود الحجر المعروف بعمود العسر، بالقرب من الأسفريس بمدينة حلب، ينفع من عسر البول، وإذا أصاب الإنسان، أو الدابة عسر البول أتوا به إليه وأداروا به حوله، فيزول ما به، وذكروا أن هذا مجرب، والناس يعرفون ذلك إلى زمننا هذا ويستعملونه فيفيد، والمحله التي هذا العمود بها تعرف بعمود العسر.

وفي قرى حلب في الناحية الشرقية وتعرف بالحبل خربة تعرف بجبب الكلب، وهي إلى جانب قبثان الحبل كان بها بئر ينفع المكلوب؛ وأخبرني والدي رحمه الله فيما يأثره عن سلفه أن هذا البئر كان ينفع من عضه الكلب الكلب، فيأ من المعضوض من الكلب بالنظر في تلك البئر والشرب منها.

قال والدي رحمه الله: وبطلت منفعة البئر بأن امرأة ألقت فيها خرقة حيض، فبطل تأثيرها، وهذا متداول عند أهل حلب، يأثره الخلف عن السلف، وإنما بطلت منفعه البئر في حدود الخمسمائه.

ونقلت من خط أبي الحسن علي بن مرشد بن علي بن منقذ في تاريخه الموسوم بالبداية والنهاية قال: سنة خمس وأربعين وأربعمائه فيها كلبت الذئاب والكلاب وأتلفت أكثر الناس.

قال أبي: قال لي جدك رحمه الله كان أبي أبو المتوج قد دخل إلى حلب وتركني عند جدي الصوفي أتفرج بسرمين، وكنت لا أعرف لي والدا سواه لغيبة أبي عند الأمراء والملوك، فقال: يا علي إحذر أن تخرج وحدك فإن الكلاب الكلبة كثير، فاتفق أنني خرجت مع أصحابي وغلماني فقيض لي كلب فرعشني، فدخلت غير طيب النفس، وذلك بعد العصر والزمان الصفري في التشارين، فمضى من خبر جدي الحسن الصوفي العجلي، فركب فرسه، وأخذ دلوا للسموط وأخذني، ومضى يخب ويناقل وأنا معه إلى أن أتى بي جب الكلب شمالي حلب فسقاني منه، وغسل يدي ورجلي ووجهي، وقال: إقلع ثيابك،

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ١٣٣/١

فقلت: الله الله إن خلعت ثيابي في هذا البرد مت، فقال: وليت مت واسترحت يا فاعل يا صانع، فاستقى أربعين دلوا وصبها علي، وقال: تطلع في الجب، وكانت آية الجب إن نفع المرعوش أبصر النجوم في الجب، وإن لم ينفعه سمع نبيح الكلاب، فقال: ما ترى؟ فقلت أرى النجوم في الماء، فقال: الحمد لله، وركب، وأخذني فبات في سرمين، ولكن بعد تهور الليل.

قال: يقول جدك: فوالله بعد تمام الإسبوع بلت ثلاث كلاب مصورة بأذنابها ورؤوسها.

قال: ولم يزل هذا الجب يتداوى به الناس إلى أن ملك حلب رضوان الملك ابن تاج الدولة، فعول على توسيع فمه، وكان ضيقا عليه أربعة أعمدة، تمنع أن ينزل فيه، فقال: نعمله يكون الإنسان ينزل إليه، ولا يقلب عليه، فقيل له: إن هذه الطلسمات لا يجب أن تتغير عن كيفياتها، فلم يقبل ففتحه فزال عنه ما كان يزيل الأذى، وكان يقال إن ذلك كان في سنة ست وتسعين وأربع مائه، وهو كان **من العجائب** الثلاث: جب الكلب، ونهر الذهب، وقلعة حلب، فأما النهر فهو ماء يجري إلى أن ينتهي إلى مواضع في الجبول وغيرها من القرى، فيسكبونها ويجرون إليها السواقي، فإذا دخل تلك المساكب جمد بإذن الله، وصار ملحا أبيض في بياض الثلج، فيباع منه بالأموال الخطيرة، ولذلك سمي نهر الذهب.

قلت: وهذا علي بن منقذ صاحب هذه الواقعة هو الأمير سديد الملك أبو الحسن علي بن أبي المتوج مقلد بن منقذ الكناني الذي فتح شيزر واشتراها من الأسقف بمال بذله له على ما ذكرناه في الباب المتقدم في ذكر شيزر، وكان من الرجال العقلاء، والأمراء العلماء، والأدباء الشعراء، وجده المذكور لأمه هو الحسن بن عجل المعروف بالصوفي، وبنو الصوفي الذين تولوا رئاسة دمشق كانوا من نسله، وكان الصوفي يسكن سرمين، وسيأتي ذكرهما في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

قرأت في كتاب الربيع تأليف غرس النعمة أبي الحسن محمد بن هلال بن المحسن ابن إبراهيم بن هلال الصابي، وأخبرنا به عبد اللطيف بن يوسف إجازة عن أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن البططي عن أبي عبد الله الحميدي قال: أخبرنا غرس النعمة أبو الحسن قال: وحدثني أبو عبد الله بن الأسكافي كاتب البساسيري في سنة إحدى وخمسين وأربعمائه قال: احترق بحلب عاما أول برج من أبراج سورها، وحكى ذلك للمستنصر بالله صاحب مصر خادم كان له بحلب، فقال له: إن كنت صادقا ففي هذه السنة يخطب لنا بالعراق، وذاك عندنا في كتبنا دليل على ما قلناه.". (١)

٨١-"وقال أبو بكر الصولي: حدثنا عون بن محمد قال: قتل المهتدي يوم حارب الأتراك جماعة بيده، ورأوا من شجاعته وبأسه ما لم يروه من أحد قط، فلما صار في أيديهم أرادوه على الخلع فأبى، وسمع الضجة، فقال: ما هذا؟ قيل جاءوا بأحمد بن المتوكل للخلافة، فقال: أحمد هذا هو ابن فتيان؟ قالوا: نعم، قال: ويل لهم، فهلا أتوا بأبي عيسى أخيه، فإنه كان أقرب لهم إلى الله عز اسمه، وأنفع للمسلمين.

قال: وأوقع الأتراك البيعة لأحمد بن المتوكل على الله وسموه المعتمد، وذلك في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين، ولم يخلع المهتدي نفسه فقتلوه، وقيل مات من سهم وضربة كانابه، وصلى عليه جعفر ابن عبد

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ١٣٥/١

الواحد الهاشمي.
قال أبو بكر الصولي: وكان المعتمد جهيرا فصيحا صيتا إذا خطب أسمع أقصى الناس، وكان يمثل بينه وبين المستعين بالسخاء فيقال: ما ولي لبني العباس أسخى منهما، وكان جيد التدبير فهما بالأمور، جليلا في قلوب الناس، فلما جرى عليه ما جرى من تفويضه أمره، وغلب على رأيه، نقصت حاله عند الناس؛ وكان يحب الشعر ويشتهيه، ولم يكن له طبع يزنه به، فكان ربما وقع له الموزون، وربما لم يتزن فيغني المعنى في الشعر الذي هو عنه موزون ويعملون ألحانا عليه فيرى أنه جيد لما غني فيه، وليس كل مغن يفهم التقطيع والقسمة، ولا يغني إلا بشعر صحيح.
قال الصولي: أنشدني عبد الله بن المعتز للمعتمد مما وزنه صحيح:
الحمد لله ربي ... ملكت مالك قلبي
فصرت مولى لملكي ... وصار مولى لحبي
قال: وهو القائل لما أكثر الناصر لدين الله نقله من مكان إلى مكان:
ألفت التباعد والغربه ... ففي كل يوم أطأ تربه
وفي كل يوم أرى حادثا ... يؤدي إلى كبدي كربه
أمر الزمان لنا طعمه ... فما لي ترى ساعة عذبه
قال: ومما قاله، وأنشدنيه جماعة، وبعض الناس ينحله إلى غيره لما في نفوسهم مما كان يقع له في الوزن:
بليت بشادن كالبدر حسنا ... يعذبني بأنواع الجفاء
ولي عينان دمعهما غزير ... ونومهما أعز من الوفاء
قال الصولي: وحكى عبد الله بن خرداذبه أنه رأى هذين البيتين بخط الحضرمي وراق المعتمد، وقد كتب الحضرمي: أنشدنيهما المعتمد لنفسه.
قرأت في كتاب معجم الشعراء لأبي عبيد الله المرزباني: المعتمد على الله أبو العباس أحمد بن جعفر المتوكل على الله كان يقول الشعر المكسور، ويكتب له بالذهب، ويغني فيه المغنون وذكر له هذين البيتين والأبيات التي قبلها.
أنبأنا ابن المقير عن ابن ناصر عن أبي القاسم البندار عن أبي أحمد المقرىء قال: أخبرنا الصولي - إجازة - قال: وكان المكتفي أخرج إلينا مدارج مكتوبة بالذهب، فكان فيها من شعر المعتمد على الله الموزون:
طال والله عذابي ... واهتمامي واكتئابي
لغزال من بني الأصفر ... لا يعنيه ما بي
أنا مغرى بهواه ... وهو مغرى باجتنابي
فإذا ما قلت صلني ... كان لا منه جوابي
قال الصولي: ووجدت أيضا من الموزون:
عجل الحب بفرفه ... فبقلبي منه حرقه
مالك بالحب رقي ... وأنا أملك رقه

إنما يستروح الصب ... إذا أظهر عشقه

وبعد هذا أبيات لا نظام لها.

وقال الصولي: حدثنا محمد بن يحي بن أبي عباد قال: طلب المعتمد ثلاثمائة دينار يصل بها عريب وقد حضرت مجلسه فلم يجدها، فطلب مائتين فلم يجدها، وكان قد أمر أن يطرح لها تكاء فأبت، فكان يجعل تحت ركبتها أترجتان من الأتراج الكبار وربما قورتا، وجعل فيها دنانير؛ قال: فبلغني أنه لما لم يجد الدنانير قال شعرا:

أليس **من العجائب** أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه

إلي تحمل الأموال طرا ... ويمنع بعض ما يجبى إليه". (١)

٨٢-"أنشدنا سديد الدين أبو محمد مكي بن المسلم قال: أنشدنا الأمير نشو الدولة أبو الفضل أحمد بن عبد الرحمن بن المبارك بن الحسن بن نفاذة السلمي الدمشقي لنفسه:

سفرت عن جبينها الوضاح ... فأرتنا في الليل ضوء الصباح

قلت لما زارت على غير وعد ... تتهادى كالغصن تحت الرياح:

مرحبا بالتي أبادت همومي ... وغمومي وأبدأت أفراحي

أيها اللائمي على حبها ... أقصر فما أنت فيه من نصاحي

مقلة الظبي سالف الريم قد ال ... غصن خد الشقيق ثغر الأقاحي

أنشدني شهاب الدين أبو المحامد اسماعيل بن حامد القوصي: أنشدني الشيخ الرئيس الأديب الفاضل البارع نشء الدولة بدر الدين أبو الفضل أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن المبارك بن الحسن بن نفاذة السلمي متغزلا على حرف الهمزة.

يا ساكنا في مهجتي تتبوأ ... لم لا ترق لأدمع لا ترقأ

لي منك جفن لا يجف وثقل هـ ... م لا يخف ومضجع لا يهدأ

هل ما تمزق من فؤادي بالجفا ... يا هاجري بيدي وصالك يرفأ

ومدلل أنا في هواه مذلل ... منه ومني مالك وموطأ

ثمل المعاطف قده متأود ... بالغصن يزري إذ يهز ويهزأ

بلحاظه قلبي جريح مثخن ... فالوصل يأسو والتجني ينكأ

سبحان خالقه ومبدع حسنه ... والله يخلق ما يشاء ويذرأ

كالليل شعرا غاسقا والصبح وج ... ها شارقا أنواره تتلألأ

في ثغره حانية عانية ... تسبى العقول بها وليست تسبأ

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ١/١٨٠

سفك الدماء وطرفه سيافه ... وبه على أجرائها يتجرأ

متمرض الأجفان قلبي مذ جفا ... متمرض وكلاهما لا يبرأ

صبري لدائرة الصبابة نقطة ... تسمى وليس ترى ولا تتجزأ

يحظى به غيري وأحرم وده ... وسواي يروى بالوصال وأظمأ

قال لنا أبو المحامد القوصي: وأنشدني لنفسه متغزلا على حرف الذال المعجمة:

رسل اللحاظ إلى الخواطر تنفذ ... وسهامها في كل قلب تنفذ

ومن العجائب وهي تصمي مهجتي ... أني بوقع سهامها أتلذذ

إن السهام لتخطىء المرمى سوى ... سهم بأهداب الجفون مقذذ

وبمهجتي صاح يعربد لحظه ... تيها علي فطرفه متنبذ

رشأيصيد بحسنه مهج الوربوعلى العقول بسحره يستحوذ

تحوي القلوب بخفة وصناعة ... أجفانه فاللحظ منه مشعبذ

سحر به فتن الأنام فحق ... هاروت الإمام لجفنه يتتلمذ

مقبول شخص بالعيون مقبل ... ميهوب حسن بالأماني يجبذ

ميعاده مثل السراب ووصله ... بالقول لا بالفعل فهو مطرمذ

من طبع أهل الشام قاس قلبه ... لكنه في دله يتبغذذ

يا نظرة قد أعقبتني حسرة ... طرفي جنا فعلام قلبي يؤخذ

وجدي به طول الزمان مجدد ... والقلب منه بالصدود مجذذ

والحزن مرد في هواه مردد ... والخد من مطر الدموع مرذذ

وأنشدنا أبو المحامد القوصي قال: وأنشدني رحمه الله لنفسه متغزلا على حرف الزاي:

أعانوا على القلب الجريح وأجهزوا ... وسفك دمي ظلما أباحوا وجوزوا

هم رحلوا صبري غداة رحيلهم ... وسرى بوجدي أبرزوا يوم برزوا

وكنت كنزت الدمع ذخرا لبينهم ... فأنفقت يوم البين ما كنت أكنز

يعز وقد بانوا علي فراقهم ... ويعزب صبري والتجلد يعوز

وكانوا حياتي فارقوني ففارقت ... فها أنا حي في ثياب مجنز

وبي حب من لا الود يطلب عنده ... ولا الوصل مرجو ولا الوعد منجز

لدائرة الأبصار من حول وجهه ... إذا ما بدا من نقطة الخال مركز

له غصن قد بالملاحة مزهر ... وديباج خد بالعذار مطرز". (١)

٨٣-"ثم الأسد اباذي، أبو المعالي القاضي، قدم حلب سنة تسع وخمسين وخمسمائة وسمع بها أبا بكر محمد بن علي بن ياسر الحياني، والخطيب أبا طاهر هاشم أحمد بن هاشم خطيب حلب، والفقيه الإمام شرف الدين أبا سعد عبد الله بن محمد ابن أبي عصرون، وأبا الفتح عمرو بن علي بن محمد بن حموية.

وحدثني شيخنا أبو الحجاج يوسف بن عبيد السلمي البرجيني أن أسعد النهاوندي هذا حدث عن بعض شيوخه وقال لي: سمعت منه، وذكر لي أن له تصنيفا في أدب الصوفية.

ثم وقفت أنا على هذا التصنيف بعد ذلك، فوجدته يشتمل على آداب الصوفية ومقالتهم في الحال والمقام، وما يلزم المريد عنه متابعة الشيخ، والإمام وما عليه من الأوراد، وبوبه ستين بابا، روى فيه عن أبي الوقت عبد الأول بن شعيب السجزي وعن أبي سعد بن أبي عصرون، وسماه منية الخواص وغنية طالبي الخلاص، وحدث به بحلب بخانكاة القصر في شهر رجب من سنة سبعين وخمسمائة وتوفي بعد ذلك رحمه الله.

أسعد بن علي بن عبد القادر بن المهنا: أبو الماجد المعري المعروف بالبليغ، من معاصري أبي العلاء أحمد بن عبد الله ابن سليمان، وكان شاعرا مجيدا.

روى عنه أبو المكارم علوي بن عبد القاهر بن المهنا المعري.

وقع إلي من شعره ٣٧ - و أبيات يرثي بها أبا المجد بن سليمان أخا أبي العلاء وهي:

جليل رزءنا فيه جليل ... عليه لكل عائلة عويل

فأكثر ما استطعت الوجد فيه ... ولا تقلل فمشبهه قليل

أضيق بحمل الخطب ذرعا ... على أني لكل أسى حمول

ولو قصد التناصف كان أولى ... من العبرات أرواح تسيل

منها:

إذا أعطتك دنياك الأماني ... فقد أعطتك هما لا يزول

تقضي العمر فيه وما تقضي ... عليه الوجد والحزن الطويل

قرأت في كتاب نزهة الناظر تأليف القاضي كمال الدين عبد القاهر بن علوي ابن المهنا، قاضي معرة مصرين قال: وأنشدني - يعني أثير الدين أبا منصور محمد ابن علي بن عبد اللطيف - للبليغ، وكان قد خرج مع أقوام من أهل حلب إلى الفرجة ببعاذين والعافية فتعب، فعمل:

يا فرجة ما مر بي مثلها عدو ... ت فيها العيشة الراضي

زرت بعاذين ولكنني عد ... ت في العافية العافية

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ٣٢١/١

أسعد بن عمار بن سعد بن عمار بن علي: أبو المعالي الخلاطي ثم الموصلي، الملقب بالربيب، سمع محمد بن سعد الله بن نصر بن الدجاجي الواعظ، وأبا الوقت عبد الأول بن شعيب السجزي، وبرهان الدين إبراهيم بن المظفر بن إبراهيم ٣٧ – ظ المعروف بابن البرني.

وشاهدت سماع الربيب أسعد بن عمار على جزء من حديث أبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين على محمود بن سعد الله بن الدجاجي في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، وقد حدث به عنه موفق الدين أبو العباس أحمد بن أبي القاسم بن أحمد القيسي الاسكندري في سنة أربع وعشرين وستمائة.

روى لنا عنه أبو المحامد إسماعيل بن حامد شيئا من شعر غيره خرجه عنه في معجم شيوخه.

أخبرنا أبو المحامد القوصي قال: أنشدني الأمير الأجل بهاء الدين ربيب الدولة أبو المعالي أسعد بن عمار بن سعد بن عمار أبياتا قيلت في أبي أيوب سليمان بن محمد المورياني وزير أبي جعفر المنصور لما نكبه المنصور وأشار هذا الشاعر في أبياته إلى قتل أخيه السفاح لأبي سلمة حفص بن سليمان الخلال رحمه الله:

قد رأيت الملوك تحسد من قد ... قلدوه أزمة التدبير

إذا ما لأوا له الأمر والنهى ... رموه من عرفهم بنكير

شرب الكاس بعد حفص سليما ... ن ودارت عليه دوائر التدبير

أسوأ الحالين حالا لديهم ... من تسمي بين الورى بالوزير

قال القوصي: **ومن العجائب** والغرائب أنني بعد مفارقتي له من الموصل، وهو في عزه ونفاذ حكمه مخافة وهيبة، وارتسام رسمه، لم أصل إلى مدينة حران حتى بلغني أن أتابك الموصل نولا الدين قد فبل قول أعداؤه في فساد أحواله، وأنه قبض عليه ونكبه واستأصل جميع أمواله وحبسه بالموصل إلى أن توفي رحمه الله في اعتقاله. وكان انشاده في شعبان.". (١)

٨٤-"أجد الحياة مريرة ما لم أكن ... أنا في الحياة كما أحب وأنتم

يا ليتني فارقت مذ فارقتكم ... روحي وبنت إلى البلى مذ بنتم

فالوجد بعدكم علي محلل ... والصبر بعدكم علي محرم

أبكي وتند بي القوافي حين لا ... خل يرق ولا نسيب يرحم

وتهيج نار الشوق بين جوانحي ... فكأنما بين الصفاق جهنم

فأبيت من حر الصبابة والأسى ... في جذوة لا أستطيع أهوم

وإذا ذكرت أبا الكرام تقطعت ... كبدي وبرح بي نزاع مؤلم

ولقد أحن إلى أبي الفضل الذي ... عيني تسح دما عليه وتسجم

فيلوم في جزعي أبي ويلومني ... عمي ولومهما أعق وألوم

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ٦٩/٢

أمعنفي بملامة لتحرقي ... أسلوهم هيهات أن أسلوهم

أبني أبي والأكرمين متى دعوا ... للمكرمات وللندى فهم هم

هل مسعد أشكو إليه وإنما ... أشكو صروف الدهر لا أشكوهم

ذاد الكرى عن مقلتي خيالكم ... فالنوم أقلع والسهاد مخيم

بخل الزمان بكم علي فبان بي ... عنكم وساعدة القضاء المبرم

أتراه يسمح بالوصال فاشتكي ... وأبث ما لاقيت منه إليكم

إن خف وبلكم وشط مزاركم ... فخليفتي رب السماء عليكم

كنا نذم من الزمان حميده ... قدما فكيف الآن وهو مذمم

في كل يوم من الزمان نكبة ... تعتادني ختلا ويوم أيوم

تقضي حوادثه علي بجورها ... وصروفها أنى تشاء وتحكم

حظ خصصت به وجد نازل ... بي في الحضيض وجانب متهضم

ومن العجائب أنني عاينته ... فيما جناه فأعقبتني الصيلم

لا تسألي يا عز عما نابني ... فمن الحديث محدث ومكتم

كفي كفاك ولا أبا لك أنني ... أصبحت والأعداء في تحكموا

ملقى بدار مذلة مستوطنا ... سجنا أسام الخسف فيه وأظلم

لا ناصر لي ألتجي بفنائه ... أنى انتصرت ولا ولي مكرم

أمسي وأصبح في الحديد مكبلا ... من غير ما جرم كأني مجرم

متقمصا ثوب الأسى قد بزني ... ثوب التصبر والتأسي أدهم

قيد ثقيل قد يراني حمله ... وجوى أكابده، وسجن مظلم

سيان فيه ليلنا ونهارنا ... وحياتنا ماذيها والعلقم

ولذاك أيسر من مقالة حاسد ... يسدي التمائم بالمحال ويبرم

قل للمريق دماءنا كف الأذى ... عنا فحسبك سعيك المتقدم

ألزمتنا جرما ولما نجنه ... ظلما فصار لزوم ما لا يلزم

أمحمد أدعوك حين اظلني ... خطب يجل عن الخطوب ويعظم

ما خلت أنك تاركي تنتاشني ... طلس الذئاب وأنت أنت الضيغم

وتنوشني سمر الرماح ولا أرى ... بيضا تسل ولا قنى تتحطم

يا خال لا تقطع أواصر بيننا ... واحلم فمثلك من يعق فيحلم

واعطف على الأطفال عطفة والد ... حدب فإنك أمهم وأبوهم

واذكر لهم ما ليس ينسى مثله ... فلأنت من نسيان ذلك أكرم

احفظ لهم ما ليس يجهل حقه ... ذمم مؤكدة وعقد محكم

ذكر من كنيته أبو منصور

أبو منصور بن بابا الحلبي:

شاعر ناثر مجيد فيهما جميعا من اهل حلب، كان متصلا بخدمة الوزير أبي نصر بن النحاس واستخدمه في بعض الجهات بحلب وذكره أبو الطيب الباخرزي في كتاب دمية القصر فقال: ابن بابا، باب الأدب عليه مفتوح، ودستور الفضل له مطروح، وزند الشعر به مقدوح، قال يمدح الصاحب نظام الملك على باب قنسرين من الشام سنة ثلاث وستين وأربعمائة، ح.

باب قنسرين باب مدينة حلب وبظاهره كان نزول السلطان ومعه نظام الملك:

يمينك أندى العارضين سحابا ... وعزمك أمضى الصارمين ذبابا". (١)

٨٥-"وقيل المخترز الشاعر، وهو لقب، واسمه عبد الله بن محمد، ويلقب أيضا الأحوص، وينسب إلى ذفافة بن عبد العزيز العبسي، وكان يصحب بعض بني صالح بن علي بحلب، وقد ذكرناه، وذكرنا شيئا من شعره.

وتزوج علوة الكراعة التي كان البحتري يشبب بها في شعره فهجاه البحتري.

المستهام الحلبي:

كنيته أبو الحسين، وقد تقدم ذكره.

المشتهي الحلبي:

شاعر مجيد، تقدم ذكره.

الممتع المعري:

اسمه أحمد بن خلف الشاعر، تقدم ذكره.

المعوج الأنطاكي:

كنيته أبو بكر، تقدم ذكره في الكنى.

النون

النابغة الجعدي:

واسمه حبان، وقيل قيس، وقد تقدم ذكره.

الناشئ الصغير:

شاعر متكلم، واسمه علي بن عبد الله بن وصيف، وقد ذكرناه.

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ٤/٣٩١

النامي المصيصي:

الشاعر، اسمه أحمد بن محمد، كان من شعراء سيف الدولة بحلب، وقد قدمنا ذكره.

النامي اليشكري العراقي:

واسمه محمد بن عيسى، كان من شعراء سعد الدولة أبي المعالي شريف بن سيف الدولة، وقد ذكرناه.

؟الناظر المعري:

شاعر من أهل المعرة، واسمه مهنا بن علوي، وقد تقدم ذكره.

الواو

الواله:

شاعر متقدم العصر، لا يعرف اسمه، وكان من أهل الشام، وله أبيات في دير رمانين، من جبل سمعان من أعمال حلب، والقرية تعرف الآن في زمننا بتر مانين.

قرأت في كتاب الديرة تأليف أبي الحسن الشمشاطي قال: دير رمانين بين حلب وأنطاكية يشرف على بقعة سرمدا في أحسن موضع وأنزهه، وفيه يقول الواله:

ألف المقام بدير رمانينا ... للروض إلفا والمدام خدينا

والكاس والإبريق يعمل دهره ... ويداه تجنى الورد والنسرينا

يغدو إذا الناقوس أيقظه على ... عذراء أوطنت الدنان سنينا

بكر إذا ما الهم عاين كاسها ... يوما رأى في ما يرى السكينا

ومن العجائب مسكة ترضى بأن ... يختار قارا في اللباس وطينا

ويطارح الطنبور طول حياته ... حتى كأن عليه فيه يمينا

إن الذين غدوا بلبك غادروا ... وشلا بعينك لا يزال معينا

هانت على طرباته عذاله ... لما اشترى الدنيا وبا ع الدينا

عمر هو البلد الحرام فكم ترى ... فيه الندى والتين والزيتونا

الوامق المعري:

شاعر تقدم ذكره، والوامق لقب له.

نقلت من خط الشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي: وكان بمعرة النعمان شاعر يعرف بالوامق موصوف بالخلاعة والمجون، فكان ينظم أشعارا في حائك واسكاف وصانع ومن يجري مجراهم، ويستعمل ألفاظ تلك الصناعة ومعانيها في ذلك الشعر، فمما يروى له في غلام إسكاف قوله:

إن سن بالهجران شفرته ... ليقد قلبي قد مجتهد

فلأصبرن كصبر تختجه ... متمسكا بمحلل العقد

الوأواء الحلبي النحوي:

وهو أبو الفرج عبد القاهر بن عبيد الله الفراش، وكان نحويا شاعرا فاضلا، قرأ على الطليطلي النحوي، وأبي عبد الله الأصبهاني صاحب أبي العلاء، وقد ذكرناه فيما تقدم.

الوصاف:

صاحب المخصرة، شاعر كان بحلب في أيام سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان، ودخل إليه بحلب وامتدحه مع الواصلي والصقري.

وقع إلي جزء من تاريخ جمعة أبو إسحق بن حبيب السقطي، صاحب كتاب الرديف فقرأت فيه في حوادث سنة ست وأربعين وثلاثمائة: وفيها كان قدوم المهلبي الوزير إلى البصرة من الأهواز في يوم الأربعاء سلخ شهر ربيع الأول، فنزل بني يشكر، ثم دخل معه من الجيش، فنزل الأبلة، فمدحه بها المعروف بالوصاف صاحب المخصرة:

قريب هوى الحسناء والوصل ... شاسع ممنعة قربها البعد مانع

تقل البعير المستقل إذا مشى بها ... ولها الإنسان بالماء جارع

وحورية أودعتها القلب والحجى ... وروحي فلم تردد علي الودائع

يقول فيها:

أنا الشاعر الوصاف أولعت بالعلى ... فمجدي محفوظ ومالي ضائع

ومخصرتي شمس النهار وبدرها ... أضاء لكفي والنجوم الطوالع

رفعت بشعري الشعر يا بن محمد ... وأنت وزير للوزارة رافع". (١)

٨٦-"قال ابن حجر: ولد سنة سبع وتسعين وتسعمائة، واشتغل ببلاده، ثم قدم القاهرة، ولازم أبا حيان والجلال القزويني والتاج التبريزي وغيرهم. وتلا بالسبع على التقى الصائغ، ومهر في العربية وغيرها، ودرس فيها وفي الحاوي، وسمع الحديث من الحجار ووزيره، وجماعة وحدث وأفاد، وخرج له الياسوفي مشيخة، ودرس بالمنصورية في التفسير، وكان له في الحساب يد طولى، ثم ولى نظر الجيش وغيره، ورفع قدره. وكان على الهمة، نافذ الكلمة، كثير البذل والجود. **ومن العجائب** انه مع فرط كرمه وبذله الآلاف في غاية البخل على الطعام، حتى كان يقول: إذا رأيت شخصا يأكل طعامي أظن أنه يضربني بسكين. وبالجملة كان من محاسن الدنيا، مع الدين والصيانة واللطف والظرف. شرح التلخيص، والتسهيل إلا قليلا، واعتنى بالأجوبة الجيدة عن اعتراضات أبي حيان. ومات في ثاني عشر ذي الحجة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة.

٥٠٩ - محمد بن يوسف بن احمد الهاشمي اللوشي الأصل المالقي أبو عبد الله. يعرف بالطنجالي

قال ابن الزبير: محدث فاضل، نحوي ورع، زاهد، لازم ابن عطية، وانتفع به، وتخلق بكثير من خلقه، وأبا الحسن الغافقي. وسمع أيضا من أبي علي الزندي وأبي القاسم بن الطيلسان وجماعة، وكان يحترف صناعة التوثيق، من أبدع أهل زمانه، ومن

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ٤/٤٢٥

أهل الفضل والدين، لا يأكل إلا من كسبه، أو مما يعلم أصله، ويجيب إلى الوليمة، ولا يأكل منها.

وجلس بعد موت شيخه أبي محمد الباهلي في قبلة الجامع الكبير بمقابلة يتكلم على صحيح البخاري. ومات سنة ثلاث وخمسين وستمائة عن نحو خمسين سنة.

٥١٠ - محمد بن يوسف بن حبيش-بفتح الهاء- أبو بكر الأديب العالم البارع النحوي

من شيوخ أبي حيان. كان حيا بتونس سنة تسع وسبعين وستمائة. ومن شعره:

يا من خلقناه لمحض وفاقنا

والنفس تغريه بطول عنادنا

أعرضت عنا واعترضت قضاءنا

فمتى يصح لك ادعاء ودادنا

سلم لنا في حكمنا من حكمة

فمرادنا منك الرضا بمرادنا

وله:". (١)

٨٧-" . ٪ (لا يعجبنك راكب متلبس ٪ فعساه عن علم وعقل مفلس) ٪ . ٪ (**ومن العجائب** أن يكون لجاهل ٪ فضل اللبيب وقد علاه السندس) ٪ . ٪ (إني لأعجب من تعدى طوره ٪ حتى يضيق علي منه المجلس) ٪ . وذكر أن ام أبن عثمان شريفة حسينية (ت) | | ذاكرت به الحافظ أبا محمد عبد الرحمن بن عمر الحراني ، فكتب لي ترجمته بيده ، هي : ' حمزة بن علي بن عثمان بن يوسف ، أبو القاسم بن أبي الحسن القرشي المخزومي / المصري ؛ الملقب بالقاضي الأشرف ، الحافظ ، أحد من عنى بهذا الشأن (ث) وجمعه وتحصيله . له الحظ الوافر من البراعة والبلاغة . أعلم من كان في زمانه بالكتابة والترسل - فيما يقال - يكتب الكتاب من آخره إلى أوله . سئل عن مولده ، فقال : في شعبان سنة سبع وأربعين وخمسمائة بمصر . سمع الحديث من أبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي ، وأبي الطاهر بن عوف (ج) ، وأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي اليابس (ح) العثماني ، والمرو (خ) بن علي بن المشرف ، وعبد الوهاب بن محمد بن عبد الله بن حماد الصنهاجي ، وعبد الواحد بن عسكر المخزومي (د) ، وأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن

---

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ٢٠٩/١

الحضرمي ، وبدر بن عبد الله الخداداذي بالاسكندرية ، وبمصر أباه وأبا محمد عبد الله بن عبد الجبار بن بري النحوي ، وابن الرحبي ، وأبا الحسن علي بن الأصبهاني المعروف بالكاملي ، وأبا عبد الله محمد بن المحل بن علي ، وإسماعيل بن قاسم الزيات وأبا القاسم هبة الله بن علي الأنصاري (ذ) ، وأبا عبد الله محمد بن حامد الارتاحي ، وأبا اسحق إبراهيم بن منصور الدمياطي ، وأبا البقاء عمر بن عبد العزيز ، القاري وغيرهم ممن يكثر ذكره . وبدمشق أبا المعالي (ر) عبد الله بن عبد الرحمن ابن صابر ، وأبا محمد عبد الرحمن بن المسلم (ز) وغيرهما (س) بدمشق . ولم يزل في الاشتغال بالعلم إلى حين وفاته – رحمه الله – توفي في .

". (١)

٨٨-"ومن عجيب ذاكرته أنه إذا أتاه أحد من الأسرة المالكة في بعض الأحيان، ودار الحديث عن الأسرة وأوائلها أخذ سماحته يسرد أن فلانا هو ابن فلان، وأن أمه فلانة، وأخته فلانة، وتوفيت في عام كذا وكذا.

وربما قال لمن يزوره منهم: خالتك فلانة، وعمتك فلانة، وهذا يرجع إلى كذا وكذا إلخ.

حتى إن بعضهم يقول: أنت أعلم بأسرتنا منا.

وكان × يحفظ أسماء الأسرة المالكة، وتاريخ ميلادهم، ويراجع ما كتبه عنهم في بعض الأحيان، ويحفظ الأشقاء من الأمراء أبناء الملك عبدالعزيز، ويعرف الأخوة لأب، وأخوال كل منهم، وله عناية خاصة بذلك.

وكذلك يعتني بآل الشيخ، ويعرف كبارهم، والسابقين منهم؛ لاسيما العلماء منهم؛ حيث يوليهم اهتماما كبيرا.

ومن لطائف ذاكرة سماحة الشيخ أنه إذا أراد البحث في عدالة رجل من رجال الحديث ومعرفة حاله، وما قيل فيه _ قال: الذي أعرفه أن صاحب التقريب قال: صدوق، أو قال: ثقة، أو قال: يخطئ، ولكن من باب التأكد.

وعند البحث يكون كلام الشيخ مطابقا لما في الكتاب في الأغلب.

ولهذا إذا رأيت سماحة الشيخ يتكلم في الحديث ظننت أنه لا يعلم غيره؛ لما كان عليه من حفظ للمتون والأسانيد، والرجال، والصحيح، والضعيف، والموضوع+.

ويواصل الشيخ محمد الموسى حديثه عن ذاكرة سماحة الشيخ فيقول: **=ومن العجائب** في ذلك؛ أنه في يوم من الأيام أهدى صاحب السمو الملكي الأمير سعود ابن فهد إلى سماحة الشيخ جهاز كمبيوتر قد خزن فيه جميع ما في الصحيحين، والسنن والمسانيد.

وعندما حضر المختص؛ لإطلاع سماحته على نظام الجهاز، وكيفية استخراج الحديث المراد، والبحث عنه، وفي كم رواية ورد، وفي أي الأبواب يوجد _ سأل سماحته عن بعض الأحاديث في كم رواية ورد؟ وفي أي الأبواب؟ فجعل المختص يبحث عن بعض الأحاديث والشيخ يسأل ويقول: صحيح، وفي بعضها يقول الشيخ: بل ورد بلفظ كذا وكذا، ورواه

(١) تاريخ اربل ص/٢٩٤

فلان.". (١)

٨٩-"إلا أن الأمر كان بعكس ذلك تماما، حيث كان دأبه الصبر، والرضا، وقوة التحمل، واستواء الطرائق، ولزوم الاعتدال في جميع الأحوال.

رابعا: همته العالية: **من العجائب** في سيرة سماحة الإمام عبدالعزيز ابن باز همته العالية المتجددة، التي تزكو وتتسامى مع تقدمه في العمر.

وإذا أردت الحديث عن همته فإنك تحار؛ فبأي شيء تبدأ، وعن أي مجال تتحدث؟

ذلك أن همته العالية لا تقتصر على مجال معين، أو عمل محدد، بل هي شاملة لشتى الأعمال التي يقوم بها؛ فهمته العالية تتجلى في قراءة الكتب؛ فهو لا يمل قراءتها، بل كثيرا ما يشرع في قراءة كتب مطولة لا يخطر بالبال أن يتمها؛ لما يرى من كثرة أعماله.

وما هي إلا مدة ثم يتم قراءتها.

وتتجلى همته في الاطلاع على المعاملات، والتوجيه بما يلزم؛ فلا يمل ولا يكل من كثرة ما يعرض عليه.

وتتجلى في العبادة، وتطبيق السنة في شتى شؤونه.

وتتجلى في زكاء نفسه، وطهارتها، وترفعها عن السفاسف، والمحقرات.

ومن كان ذا نفس ترى الأرض جولة ... فلا بد يوما للسماوات يرتقي

وتتجلى في سخائه، وجوده، وكرمه، في شتى صور السخاء، والجود والكرم.

وتتجلى في اغتنام الأوقات، والقيام بالمشروعات والأعمال العظيمة، التي تقف دونها عقبات، إلى غير ذلك من مجالات همته.

وعلو همته التي دلت على ... صغر الكبير وقلة المستكثر

وإن الذي يعمل معه، ويرافقه ليعجب أشد العجب مما يراه من همته×.

وإنك لترى الإعياء يبلغ مبلغه بمن يرافقون سماحته، ويعملون معه مع أنهم في قوتهم ونشاطهم، ومع أنهم مجموعة يتعاقبون العمل، ويتناوبون على القراءة عليه، ومرافقته، ومع أنهم يجدون متعة ولذة في العمل معه، ومع أنهم متفرغون له، ومع أن سماحته كبير في السن، ويقوم بأعمال متنوعة كثيرة.

ومع ذلك كله تجد أن سماحة الشيخ يقوم بالأعمال العظيمة بمنتهى اليسر، والسهولة، والسرور، والسكينة، يستوي بذلك حاله في السفر، أو الحضر، أو الصحة، أو المرض.". (٢)

---

(١) تراجم لتسعة من العلماء ص/٣٤١

(٢) تراجم لتسعة من العلماء ص/٣٤٤

٩٠-"قال: وأراد والدي أن يعلمني في الأزهر لكن لم أستمر وآثرت المدارس ألأميري على الأزهر، وكنت أجلس في مجالس الوعاظ بالقرية وآخذ منهم، وكنت أسأل أبي عن بعض المسائل الفقهية وكان أزهريا، وكنت لا أقرأ إلا في العطلة الصيفية لأنني كنت أنشغل قبل ذلك بالدراسة . وبدأت الاجتهاد في الطلب بعد انتهائي من المرحلة الثانوية.

عجيبة **من العجائب:** قال الشيخ: أنفع شيء للجد في الطلب هو الخوف. فلما علمت أن القرآن فرض على الكفاية أقسمت بالله تعالى أيمانا مغلظة أن أحفظ القرآن في شهر !!! وبالفعل استعنت بالله تعالى وبدأت أحفظ حتى رزقني الله به في شهر كما نويت فأبر الله يميني ولم أحنث. قال: وأذكر أنني ذهبت إلى مسجد الاستقامة بالجيزة، وكنت أسكن هناك فمكثت فيه أربع ساعات فحفظت الجزء الأول من سورة البقرة!!!

هيهات أن يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

قال الشيخ: وكنت أقرأ في رياض الصالحين وهو عند أبي وكنت أقرأ في الفقه لتصحيح العبادة وقرأت نيل الأوطار والقول المفيد في حكم الاجتهاد والتقليد للشوكاني، وذلك من أجل أنني علمت أن الاجتهاد واجب على البعض لوجوب إتباع الدليل فمن ثم قرأت فيه. قلت: فكان الخوف هو الدافع على كل خير والله الموفق للصواب.

الشيخ في الجامعة:

لقد أصبحت الجامعة منفذا لكثير من الشرور حتى هم المرء أن يبحث عن من يفتيه بحرمتها، لكن الرجال يثبتون جدارتهم في كل مكان والمحنة تميز الناس والله المستعان.

قال الشيخ: كنت أعتقد أن الجامعة مكان معصية من أجل الخلطة وغيرها ولكن ما بد، ففكرت في ذلك فعزمت على أن أدخل المحاضرة آخر الطلبة وكنت أقعد في المدرج القريب من الباب؛ لأكون أول طالب يخرج من المدرج وهكذا حتى انتهيت من الجامعة، قلت: يا لله العجب فإن هناك من الدعاوي التي تحض الطلبة على مصاحبة الفتيات المتبرجات من أجل الدعوة – زعموا-!!!!". (١)

٩١-"الشيخ أحمد الأحمدي المصري العارف بالله تعالى المرشد المعروف بالسيحى ذكره أحمد العجمي في مشيهته قال في ترجمته تلا القرآن على محقق عصره الشيخ أحمد بن شيخ الشيوخ عبد الحق النباطى ولزمه وأخذ عنه وأخذ عن علماء عصره العلوم الشرعية وكان في عداد طبقة المشايخ الكبار بل أكبر منهم حالا ومقالا وكانوا كلهم يعظمونه ويوقرونه ويتبركون به ثم ارتحل من مصر بإشارة بعض أرباب الأحوال فطاف البلاد البعيدة على قدم التجريد والمجاهدة والتوكل ودخل بغداد والكوفة والبصرة وما وراء تلك النواحي ثم عاد إلى مصر فابتنى مسجدا بجوار مشهد الشهداء بالمنوفية وأقام فيه لاقراء الناس القرآن فانتفع به خلائق لا يحصون وكل يجئ إلى مصر في كل عام مرة يجلس أحيانا بجامع الأزهر وأحيانا بمدرسة السيوفية والناس يزدحمون عليه ثم يعود إلى مسجده هذا دأبه مدة حياته وكانت وفاته سنة ثلاث وأربعين وألف ودفن بمسجده وضريحه يزار رحمه الله تعالى أحمد المغربي القيرواني الحنفي المعروف بصاحب السعادة أحد أعاجيب الزمان ونوادره كان في

---

(١) ترجمة الشيخ عطاء بن عبدا للطيف من طلبة العلم بمصر ص/٢٧

مبدأ أمره خرج من بلاده وهو متقن لمعارف وأفانين كثيرة فيه فضل وأدب فوصل إلى الروم واختلط بأدبائها ولم يزل مقيما بها حتى صار مستوفيا ببلاد اليمن ورحل إليها فصادف بها حاكمها حيدر باشا فانخرط في سلك ندمائه ولم يزل عنده في مكانة سامية حتى وقف على جملة من هزلياته فتفرعته وعرض فيه إلى جانب السلطان فعزل وسافر إلى الروم فولى الحكومة بمدينة مرعش وبعد ما صرف عنها حط به الدهر إلى أن بقى منفرد إلا يملك من حطام الدنيا إلا ما عليه من الثياب وورد دمشق أقام بها مدة أخبرني من كان له وقوف على حاله أنه كان فاسد الرأى كثير الازراء بنفسه ومن عجيب أطواره أنه كان يلبس ثوبا من الليف البراسي سوى أكمامه فكان يصنعها من الكتان الرفيع الفاخر وكان له تاسومتان أحداهما عتيقة يلبسها في أغلب أوقاته وأخرى جيدة يصطحبها داخل كيس معلق في حزامة إذا أراد الدخول على أحد من الأعيان أحمد المقرى صحبة أكيدة فلما قدم المقرى دمشق كان لا يفارقه بسببه اتحد مع علماء دمشق منهم أحمد الشاهينى ولما رحل المقرى من دمشق أقام هو بها فتغير عليه الشاهينى ووقع بينه وبينه منافسات كثيرة فصنع فيه الشاهينى رسالة وبعث بها إلى المقرى وهي عجيبة في بابها فلذا أوردتها برمتها وهي يا مولاى وحياتك العزيزة عندي وشرف طبعك الذي استأثر بمجموع شكرى وحمدى أنني لم أنقم على هذا الرجل الملقب بصاحب السعادة إلا لما يدعيه من الحلاوه وإنما هو معدن الشقاوة والغباوه ولا رواء ولا طلاوه وإني كما قال أبو الطيب

ولا سلمت فوقك للثريا ... ولا سلمت فوقك للسماء

وبعد فلست أرضى للسيد أن يكون أبا إسحاق الذي جعله الشاعر ثالث القمرين ومعزز النيرين في قوله

ثلاثة تشرق الدنيا بهجتها ... شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر

حتى يأتى هذا الحلفى الشقى المتلقف من الأفواه مما حفظناه ونسيناه فيدعى المساواة لمولاى ومولاه لا والله لا أسلم له دعواه حتى أراه نابذا وراء دنياه مستقبلا بوجهه أخراه معلقا بالعيوق يمناه وبالثريا يسراه وهيهات أن ينب المقعد إلى السموات وهل تستطيع اليد الشلاء أن تتناول عقد الجواز مع كمال التخلف والهوينا كما قلت

ومن العجائب جمة ... أن يدرك المسبوق شأو السابق

أعجوبة لكنها محجوبة حرية بالسؤال جديرة بالاحتفال قل ما هيه فإنما هي داهيه واستملها وابحث عنها حتى أتحفك بطرف منها ثم اعلم أنها حجيا بين الناس يحاجى بها عن شخص ممقوت في شكل النسسناس ورى النسبة والهيئة سخيف الذهاب والجيئة ما درى البخل طوسى النجار أشعبى الطبع سلمى الأخبار ساساني الانتساب في حمل الجراب واقتحام المحراب للرياء لا للثواب ذو طيلسان كطيلسان ابن حرب وشهرة طنانة لم يسبقه إليها إلا ابن وهب أحرص من النمل وألح من الخنفساء كأنه لما يتلون فيه من الملابس الخشنة في تشكله الحرباء غنى في صورة فقير متكبر وهو بين الناس حقير يدعى الكياسى وهو رقيع ويرفع نفسه الخسيسة وهو وضيع لا أوضع منه إلا اللوم ولا أقبح شكلا منه إلا البوم كأنه لحطيئة حين نظر المرآه فرأى من القبح ما ليس في غيره يراه فقال

أرى لي وجها قبح الله شكله ... فقبح من وجه وقبح حامله". [١]

٩٢-"الشيخ بكار بن عمران الحيبى المولد الدمشقي الولى العريان المستغرق صاحب الحال الباهر والكشف الصريح الذي لا يتخلف واتفق أهل عصره على ولايته وتفوقه وله كرامات كثيرة حدث بعض الثقات قال أخبرني الشيخ العارف بالهل محمد القشاشي نزيل مكة ونحن بها في سابع ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وألف أن الشيخ بكرا كان عنده في ذلك اليوم وأخبره أن الوزير الأعظم قره مصطفى باشا قتل وجاء خاتم الوزارة إلى نائب الشام محمد باشا سبط رستم باشا قال فشككت في هذا الخبر فلما وافيت دمشق تحققته فظهر لي أن ختم الوزارة كان وصل إلى الشام في اليوم الذي أخبرني فيه القشاشي بالخبر وسألت عن الشيخ بكار هل فارق الشام فقيل لي لم نره فارقها منذ زمان طويل وكان كثير من الحجاج يشاهدونه في الموقف واقفا بعرفة وذكر عنه أنه لما قدم المولى محمود المعروف بقره جلبي زاده إلى دمشق قاضيا لمكة زاره الشيخ بكار بمنزلة الذي نزل فيه ولبس صوفه ووضع له الوسادة وأمره بالنوم وأخذ يورد كلاما مضمونه صريح في توليته قضاء دمشق وأنه لا يذهب إلى مكة فاتفق في ذلك اليوم أنه جاءه الأمر بتوليته قضاء دمشق وصرفه عن مكة وعلى كل حال فصلاحة وولايته مما أطبقت عليها أهل دمشق وكانت وفاته في سنة سبع وستين وألف ودفن بمقبرة الفراديس المعرفة بتربة الغرباء وكانت جنازته حافلة جدا لم يتخلف عنها أحد وقبره الآن معروف يزار ويتبرك به ومما قبل في تاريخ وفاته

ما غدا بكار فرد الواصلين ... نازلا في ظل رب العالمين

فجنان الخلد نادت فرحة ... مرحبا أهلا بفخر القادمين

طبت بكار أبها أرمخ وقل ... ادخلوها بسلام آمنين

والرحيبى بضم الراء وفتح الحاء وسكون الياء المثناة من تحت ثم بعدها باء موحدة نسبة إلى قرية الرحيبة من ضواحى دمشق بالقرب من منزلة القطيفة بكر البغدادي تقدم ذكره ضمن ترجمة الحافظ أحمد الوزير وعلينا هنا أن نعرف أصله فنقول هو رومى الأصل سكن بغداد وصار من أكابر عسكرها وتغلب عليها وانبسطت يده على مملكتها حتى صار إذا جاءت وزراؤها من قبل السلاطين آل عثمان متولين عليها ما ينفذ من حكمهم إلا ما تفذه وهو الذي ادخل الشاه بغداد كما ذكرته مفصلا في ترجمة الحافظ وقتله الشاه وولده محمد شر قتلة وكان قتلهما في سنة اثنتين وثلاثين ألف برهان الدين بن محمد الهنسي الدمشقي بشقلبها من ذوى البيوت بدمشق الدين خرج منهم علماء وفضلاء وتقدم ابن عمه أحمد الخطي وسيأتي أبو أحمد يحيى وهذا برهان الدين نشأ مبدأ أمره يبيع الحرير بحانوت قرب باب العنبر انيين من أبواب جامع بنى أمية ثم نما حاله وأثرى فيرحل إلى الروم وعام مدرسا بالمدرسة السليمية وعد ذلك من العجائب ولم يطل أمره بها وأخذها عنه المولى يوسف ابن أبي الفتح أمام السلطان فتوجه إلى الروم ثانيا وولى ضاء سيدا ولما عزل عنها استقر بدمشق وبقى يعامل الفلاحين واشتهر بالربا وبلغ فيه مبلغا ليس وراء غاية وكان إذا استحق ماله على الدائن يغلظ عليه في طلبه ويقول لا سبيل إلا أن تعطينى مالي أو تشقلبه وهذه عبارة جارية على السن العوام يقولون شقلب ماله أي رايح فيه مرة ثانية فكان منهم

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ٢٣٥/١

من يعطيه ماله ومنهم من يرابحه وبذلك عرف بشقلها وجمع كتما نفسية واملاكا وعقارات وامتحن مرات فكان قضاة دمشق يهينونه كثيرا وهو لا يعبأ بذلك وكان قرب داره قناة ماء فأخرجها إلى الشارع وعمرها وكان ذلك في سنة ثمان وعشرين وألف فقال العمادى الفتى مؤرخا بناءها وهو من الوتواريخ العجيبة وهو قوله

لبرهان قناة قد بناها ... وشقلها فتلك له سمات

فشقلب واحد في العد واحسب ... وأرخها مشقلبة قناة

قلت قد اعتبر التاء المربوطة في قناة هاء وهي مستعملة عند الأدباء كذلك كما في المقامات الحريرية وكانت وفاته سنة اثنتين وتسعين وألف ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان قدس الله سره العزيز". (١)

٩٣-"فادعى أن بيت الغزى أبدع لما فيه من الصنائع كالطباق بين السمر والبيض ورد العجز على الصدر واللف والنشر ومراعاة النظير وادعى أنه يجوز أن يراد بالعين فيه الرئيس وبالحاجب من تبعه وحجابه والمعنى رماحنا وسيوفنا نالت الحاجب والمحجوب والرئيس والمرؤوس وهو مشتمل على التورية والاستعارة أيضا وهذا مما خلا عنه البيت الأول مع ما فيه من الافتخار بقتال أعدائهم الثابتين لا المنهزمين فإنه لا يفتخر بمثله ولذا يعاب البيت الأول وإن ذكر صاحب إيضاح المعاني أنه أبلغ لاشتماله على زيادة معنى وهو الإشارة إلى انهزامه وأطال وأسهب وبعد وقرب والحق ما ذهب إليه صاحب الإيضاح خطيب المعاني فإن بيت النباتي أحلى لما فيه من التشبيه البديع لجعل أثر الطعنة المستدير عينا وشطبة السيف فوقها حاجبا والأغراب بجعل الظهر محل العين والحاجب وأما انهزامهم فلا يدل على عدم شجاعتهم حتى يخل بالفخر فإن الشجاع ينهزم ممن هو أشجع منه ولذا قيل الفرار مما لا يطاق من سنن الأنبياء كما فر موسى حين هم به القبط وأما ما ذكره من معنى العين والحاجب فسخيف وتخيل ضعيف على أن جعل العين والحاجب بمعنى الرئيس والمرؤوس **فمن العجائب** وما ذكره من النقد عليه نقله ابن الشحنة في أماليه عن الشريف المرتضى وقال إنه عيب عليه قوله في ظهورهم وقال لو قال في صدورهم كان أمدح لأن الطعن والضرب في الصدر أدل على الإقدام والشجاعة للطاعن والضارب والمطعون والمضروب لأن الرجل إذا وصف قرينه بالإقدام مع ظهور عليه كان أمدح من وصفه بالانهزام فلذا قال أبو تمام

حرام على أرماحنا طعن مدبر ... وتندق في أعلا الصدور صدور

وقد عرفت جوابه مما تقدم فتذكر انتهى وأخبار عبد الحق وآثاره كثيرة وفي الذي أوردناه له كفاية وكانت ولادته في سنة اثنتين وستين وتسعمائة وأقعد بالفالج نحو سنتين ثم توفي في نهار الأحد خامس عشر شهر رمضان وقت الغداة من سنة عشرين وألف ودفن بمقبرة باب الصغير عند قبر أبيه وضع على قبره تابوت من دون قبر أبيه وبينه وبين والده في الوفاة أحد وعشرون يوما وقال ولده القاضي إسماعيل المقدم ذكره يرثيه بهذه الأبيات وفيها تاريخ وفاته

طرف تقرح من دم متدفق ... وحشا تجرح من جوى وتحرق

وأسى تجمع لم يكن بمجمع ... لشتات شمل لم يكن بمفرق

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ٢٨٥/١

خطب لقد صدع الجفا منه ومن ... بين أتى من غير وعد مطبق
ذهب الذي كانت سحائب فضله ... تهمى بروض بالعلوم معبق
مولى مكارمه إذا ما جمعت ... فاقت على سح السحاب المغدق
وإذا غدا ليل المباحث مظلما ... كالشمس صيره بفهم مخرق
وإذا تعقد مشكل لك حله ... بيدى إمام في العلوم محقق
قد حاز فضلا في ميادين العلى ... والعلم حتى أنه لم يسبق
جاد الزمان بع فعاد بجوده ... بخلا وكان كبارق متألق
هيهات أت يأتي الزمان بعالم ... يحكيه في حسن الصفات مدقق
ما حيلتي والدهر لم يك مسعفي ... وقضى علي بلوعة وتفرق
يا ليت يوما كان فيه ذهابه ... لا كان بل ليت النوى لم يخلق
بل ليت بدر الأفق لم يك طالعا ... وكذا الغزالة ليتها لم تشرق
كنا نصول به على كيد العدا ... ويكون ذخرا للشدائد لو بقى
لكنه حم القضا وتقطعت ... أيدي الرجا منا بين موبق
فيحق للعينين تبكي بعده ... بدم غزير لا بدمع مطلق
ويحق للقلب السليم بأنه ... يفنى عليه من الفراق المقلق
ويحق للدهر الخؤون بكاؤه ... ويحق للشبان شيب المفرق
قد كان غصنا بالتهاني مورقا ... فذوي وفات كأنه لم يورق
أعماله كالمسك قام عبيرها ... ختمت برضوان الإله المعبق
لما توفى بالرضى أرخته ... قد مات قطب عالم في جلق". (١)

٩٤-"يقول الصبر للزفرات مهلا ... وقال اللاعج الأسفي هيا
ولما لم أجد لي عنه بدا ... صبرت تكلفا بعد اللتيا
ومالتيا بتصغير لها من ... رزية هالك أحرى لتيا
ومهما رام قلبي الصبر كيما ... أناب كواه عند الوجد كيا
فكيف يلام ذي حزن على من ... يميز في الصبا رشدا وغيا
وكم يوم ملأت بما أرى من ... مخايل فيك صالحة يديا
فلا زالت ركاب الشكر تطوى ال ... قضا لله ذي الملكوت طيا

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ١٦/٢

وأولها يحط لديه وقرا ... وآحرها نحمل من لديا

ثم لم أشعر إلا بكتاب إلى الإمام من عبد الحميد المترجم بالأبيات فعجبت من توارد الخاطر على التمثل ثم ذكرت قضيته لهذه الأبيات وهي أنه لما مات ابن الإمام شرف الدين المسمى بعبد القيوم وكان من سادات العترة ولم يبلغ عمره إلا إحدى عشرة سنة ونصفا وقد كان يجاري العلماء وقبره في القبة قبلي الحراف من أعمال صنعاء مشهور مزور ومما يروى أنه حضر في مسجد الحسحوش بالحراف والعلماء يخوضون في مسئلة البهائم إذا تم سؤالها وحسابها أين تصير فذكروا المقالات ولم يذكروا أشهرها وأحسنها وهو أن الله تعالى يخلق لهن رحبة في الجنة فلما كثر الخوض قال السيد عبد القيوم وما يشكل عليكم من أمرهن لعل الله يخلق لهن رحبة يتنعمن فيها فأعجب الحاضرون بذلك وكتبوه عنه ولما مات عبد القيوم المذكور أنشد والده هذه القصيدة وأكثرها من شعر الأمير صلاح الدين الأربلي وفيها بيت مشهور متقدم على الأمير صلاح الدين وهو

حمدت الله ربي يا بنيا فإن أصله حمدت الله ربي يا عليا

مما قاله بعض الناس في أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه وهذه الألف في قوله يا عليا ألف الندبة فلما أخرج الإمام القصيدة أخرج السيد العلامة عبد الله بن القاسم العلوي القصيدة أيضا فاتفقت خواطرهما وذلك **من العجائب** انتهى كلامه ولم يذكر وفاة عبد الحميد بل ذكر أنه مدفون بالسودة عند بابها القبلي لكن سياق كلامه يقتضى إن وفاته تأخرت إلى ما بعد الخمسين وألف عبد الحميد بن عبد الله بن إبراهيم السندي الفاروقي الحنفي نزيل مكة المكرمة الشيخ الجليل الحميد الخصال الجميل الفعال كان صاحب معارف وفنون أصله من أرض السند الاقليم الشهير ونشأ فيه على فضل عظيم ورحل إلى الحرمين وصحب كثيرا من العلماء الأفاضل وأخذ عن جمع منهم الشيخ عبد الرحمن أبو الفضل زين الدين تلميذ الحافظ ابن حجر العسقلاني ومنهم أخوه وكان وافر الصلاح وحصل له بمكة جاه واسع وصيت شاسع وكان صوفي الأخلاق كثير الخوف خشن العيش حسن العشرة ولم يزل بمكة إلى أن توفي وكانت وفاته سنة تسع بعد الألف وعمره نحو تسعين سنة ودفن بالمعلاة بجنب قبر أخيه ومدة إقامته بمكة تسع سنين عبد الحي بن أبي بكر المعروف بطرز الريحان البعلي الأصل الدمشقي المولد الحنفي الأديب الشاعر الجيد الطريقة كان في عصرنا هذا الأخير من أرق من عرفناه طبعا وألطفهم شعرا وله قريحة سيالة وفكرة نقادة وكان عاشقا ولوعا بالجمال يتفانى صبابة وعشقا وتأخذه حيرة الغرام فيسكر وجدا وشغفا وكان سهل الألفاظ في شعره رشيق التأدية قرأ على أبيه وعلى قريبهم الشيخ محمد السليمي وأخذ عن عبد الباقي الحنبلي وأحمد القلعي وتأدب بأبي بكر القطان المشهور بغصين البان وكتب الكثير بخطه وكان حسن الخط صحيح الضبط وكان يحفظ بعض مقامات الحريري وبها تقوى على ضبط اللغة وكان يعرف اللغة معرفة جيدة وحفظ من الأشعار شيئا كثيرا وتجرد مدة عن هيئته ودخل في هيئة الدراويش السواح فطاف البلاد ودخل الروم ومصر وحلب واستقر بدمشق آخرا وتزوج بها ثم انعزل في خلوة بالمدرسة العزيزية وقد عاشرته مدة فرأيته من أكمل الناس يمشي في العشرة على قدم واحدة ويتودد ويحسن المجاملة وكان مع خلاعته وتولعه بالحب عف الازار دينا مثابرا على الطاعة وله تهجدات وأوراد وخشية من الله تعالى وحج آخر عمره فرجع متنسكا تاركا للدنيا متقشفا وبالجملة فقد كان رحمه الله تعالى من خلص الأقوام وقد جمع لنفسه ديوانا

رأيته بخطه وانتقيت منه أطايبه فمنذ لك قصيدته التي عارض بها قصيدة أبي فراس الحمداني التي أولها". [١]

٩٥-"عبد الرحمن بن علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الله الحديلي بن محمد بن حسن الطويل بن محمد بن عبد الله بن الفقيه أحمد بن عبد الرحمن بن علوي بن محمد صاحب مرباط عرف كسلفه بباحسن الحديلي صاحب القاره أحد فضلاء اليمن المشهورين قال الشلي ولد بمدينة تريم وتفقه بها وأخذ التصوف عن جماعة وغلبت عليه فنون الأدب فكان لا يشار بها إلا إليه وكان جيد البديهة حلو النادرة سريع الجواب وهو في ذلك **من العجائب** وكان يسأل عن المسائل المعمية فيكتب الجواب باللفظ الفصيح والسجع اللطيف قال وكنت وقفت على بعض أجوبته في الصغر ولم أظفر الآن بشيء منها ولا أحفظ الآن من تلك الأجوبة إلا قوله لجعفر الصادق لما قال نصف اسمي في ثلاثة أرباعه رجع وله رسائل فائقة وأشعار مستعذبة وانتفع به كثير وكان له اعتناء بنظم العارف بالله تعالى الشيخ عمر بن عبد بامخرمة فجمع منه مجلدات وكان يوضح مشكلاته ويبين ما دق منه وكان هو وإمام العلوم السيد عبد الله بن محمد بروم في ذلك الزمان فرسى رهان فكانا عيني ذلك العصر وأقام بالقرية المسماة بالقاره وصدقاته دارة على الفقراء وكان كثير الإحسان جم النوال وكانت وفاته في سنة سبع وثلاثين وألف ودفن بقرية القاره رحمه الله تعالى عبد الرحمن بن علي بن موسى بن خضر الخياري الشافعي نزيل المدينة المنورة وخطيبها ومحدثها الإمام الكبير الجليل الشأن المشهور في الآفاق أخذ بمصر عن الجلة من المشايخ وشيوخه كثيرون منهم النور الزيادي وهو أجلهم ومنهم أبو بكر الشنواني وأحمد الغنيمي والشيخ محمد الخفاجي ومن في طبقتهم من علماء ذلك العصر وأجازوه وشهدوا له بالفضل وتصدر للإقراء بجامع الأزهر ولازمه جمع من أكابر الشيوخ وأخذوا عنه العلم منهم النور الشبراملسي وكان يثني عليه كثيرا ويطرز درسه بذكره ويشير إلى جلالة قدره وكان هو والشيخ علي الحلبي صاحب السيرة كفرسى رهان وفارسي ميدان وكانا إذا مرا في الأزهر يقال أقبل السعد والسيد ثم هاجر إلى المدينة المنور وسكنها بإذن من النبي صلى الله عليه وسلم وحكى ذلك الشهاب البشبيشي وكان وصوله إليها في أواسط المحرم سنة تسع وعشرين وألف وانتفع به أهلها للأخذ عنه والتلقي منه وكان لد يد طولى في جميع الفنون مع السكينة والوقار ويقال أنه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيانا واتفق له أنه ختم كتابا في الحديث وشرع في الدعاء ثم وقف منتصبا رافعا يديه كالمؤمن على الدعاء فقام أهل الدرس من طلبة وغيرهم ثم طال وقوفه بحيث أن بعضهم تعب من الوقوف وذهب وبقي الواقفون متعجبون منه وهو مطرق وكأنه في غير شعوره فبعد ختمه الدعاء قال له بعض أخصائه من تلامذته ما هذا الوقوف يا سيدي فإنه لم يعهد لك مثله فقال والله ما وقفت إلا وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا يدعو لنا فاستمريت منتظرا حتى فرغ من دعائه وهذه من كراماته وذكره الخفاجي في كتبه الخبايا فقال في وصفه دوحة الزمان بسام طليق وعوده بستان وريق فاضل جمع الفضل فهو منتهى الجموع وكامل كماله كثمار الجنة غير مقطوع ولا ممنوع شقيق روحي وصديقها وريحان مسرتي وشقيقها

ونفس بأعقاب الأمور بصيرة ... لها من طباع الغيب حاد وقائد

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ٢/٢٤

يلوح من بشره نور الفلاح ومن سكينته وقار الصلاح كأن الله جمع له المناقب فاختار منها وانتقى ورأى أن أحسنها وأكرمها التقي له في الفنون يد بيضاء وفي الأدب سجية سمحة خضراء ولما علم أن الله أوصى بالجار رحل لطيبة الطيبة وسكن في جوار النبي المختار فدخل روضة من رياض الجنة في جناته وإذا أنعم الله بنعمة على عبده في حياته لا يسلبها بعد مماته فكتبت له متشوقا للقائه وملتمسا لصالح دعائه

يا نسيما من نحو طيبة ساري ... مهديا عطر رندها والعرار

من ربا نشره بعنبر شحر ... في حشا جونة الفتى العطار

خذ فؤادي فذاك مجمر شوق ... وغرامي بمضمر الوجد داري

موقد فيه عنبر من مديحي ... لحبيب المهيمن المختار

لمقام بمقتضاه بليغ ... لا يوفى بلاغة الأسرار

ولمن في ذراه من كل جار ... حاز خفضا لعيشه بالجوار

فهم خزرجي وأوسي وإن لم ... يسعف الدهر بالمنى أنصاري". (١)

٩٦-"فسر واستبشر وعلم صدق رؤياه التي أمر فيها بزيارته واغتنامها لقرب أجله وكان أول من رآه عند دخولها بالصفة التي رآه عليها في منامه فأكب عليه يقبل أقدامه ويبكي ويسأله الدعاء ثم أسر برؤياه إلى بعض أولاده أظنه عبد الحفيظ وأقام مدة سمع فيها شيئا من العلوم وحضر مجالس العلماء وأظنه شهد دفنه والصلاة عليه ومنها ما ذكره حفيده العلامة الناصر بن عبد الحفيظ من قائل يقول في المنام لم يبق من عمر جدك عبد الله غير تسع وعشرين ليلة وكان كما قال ومنها ما رآه بعض السادة قبل موته نم أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيده ذاهبا به نحو الموضع الذي فيه ضريحه بالإشغاف ثم إلى المدينة وإلى هذا أشار ولده القاضي عبد الحفيظ بقوله ورأى تقي البيت ومنها الكرامة الشهيرة من بلوغه إلى قريب مكة على مرحلة أو مرحلتين وكان يتخلف عن القافلة للصلاة ويلحق بها على حمار موصوف بسرعة المشي فأبطأ في بعض الأيام عن اللحوق بالقافلة ركونا منه على ما جرت عادته به فركب حماره فلم يقدر على المشي البتة فلما علم تعذر مشيه وفوت القافلة وعدم معرفته بالطريق تحير وصلى ركعتين ودعا الله تعالى وأقبل على التلاوة فإذا برجل أخضر اللون حسن القامة ينحط عن جبل قريب منه ويسرع المشي نحوه فحياه باسمه وقال أبطأت عن القافلة فاقف أثري وحمل ما معه من أشياء يستصحبها فوقع في نفسه انقطاعه عن الناس وأن هذا رجل لا يدري من هو فالتفت إليه متبسما وأخبره بما وقع في نفسه فاطمأن وما زال يحدثه حتى بلغ به بركة ما جن في مكة وأخذ له ماء اغتسل به وأعلمه بالحرم الشريف والطريق إليه بعد أن أحرم من الميقات وقال إن لقيتني بعد ذلك وإلا فأنا أستودع الله تعالى دينك وأمانتك وخواتيم عملك وودعه ومضى ولم يره بعد ذلك وكان من العجائب مصادفة الحمار على أحسن أحواله بعد مدة في موضع الانقطاع انتهى وكانت ترد إليه كتب العلماء في عصره لاستيضاح المشكلات في كل فن من جميع الجهات وبينه وبين العلامة محمد بن أحمد الرومي

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ٤٨/٢

الحنفي والعلامة سعد الدين وأخيه علي ابني الحسين المسوري مكاتبات ومحاورات طويلة ذكرها ابن أبي الرجال في تاريخه وكانت وفاته في ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وألف بالشجعة وقبره بالإشعاف بها وكان عمره ثمانية وسبعين سنة ورثاه بعد موته جماعة عظام وكان من جملتهم ولده القاضي عبد الحفيظ فقال يرثيه بقصيدة مطلعها واستبشر وعلم صدق رؤياه التي أمر فيها بزيارته واغتنامها لقرب أجله وكان أول من رآه عند دخولها بالصفة التي رآه عليها في منامه فأكب عليه يقبل أقدامه ويبكي ويسأله الدعاء ثم أسر برؤياه إلى بعض أولاده أظنه عبد الحفيظ وأقام مدة سمع فيها شيئا من العلوم وحضر مجالس العلماء وأظنه شهد دفنه والصلاة عليه ومنها ما ذكره حفيده العلامة الناصر بن عبد الحفيظ من قائل يقول في المنام لم يبق من عمر جدك عبد الله غير تسع وعشرين ليلة وكان كما قال ومنها ما رآه بعض السادة قبل موته نم أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيده ذاهبا به نحو الموضع الذي فيه ضريحه بالإشغاف ثم إلى المدينة وإلى هذا أشار ولده القاضي عبد الحفيظ بقوله ورأى تقي البيت ومنها الكرامة الشهيرة من بلوغه إلى قريب مكة على مرحلة أو مرحلتين وكان يتخلف عن القافلة للصلاة ويلحق بها على حمار موصوف بسرعة المشي فأبطأ في بعض الأيام عن اللحوق بالقافلة ركونا منه على ما جرت عادته به فركب حماره فلم يقدر على المشي البتة فلما علم تعذر مشيه وفوت القافلة وعدم معرفته بالطريق تحير وصلى ركعتين ودعا الله تعالى وأقبل على التلاوة فإذا برجل أخضر اللون حسن القامة ينحط عن جبل قريب منه ويسرع المشي نحوه فحياه باسمه وقال أبطأت عن القافلة فاقف أثري وحمل ما معه من أشياء يستصحبها فوقع في نفسه انقطاعه عن الناس وأن هذا رجل لا يدري من هو فالتفت إليه متبسما وأخبره بما وقع في نفسه فاطمأن وما زال يحدثه حتى بلغ به بركة ما جن في مكة وأخذ له ماء اغتسل به وأعلمه بالحرم الشريف والطريق إليه بعد أن أحرم من الميقات وقال إن لقيتني بعد ذلك وإلا فأنا أستودع الله تعالى دينك وأمانتك وخواتيم عملك وودعه ومضى ولم يره بعد ذلك وكان **من العجائب** مصادفة الحمار على أحسن أحواله بعد مدة في موضع الانقطاع انتهى وكانت ترد إليه كتب العلماء في عصره لاستيضاح المشكلات في كل فن من جميع الجهات وبينه وبين العلامة محمد بن أحمد الرومي الحنفي والعلامة سعد الدين وأخيه علي ابني الحسين المسوري مكاتبات ومحاورات طويلة ذكرها ابن أبي الرجال في تاريخه وكانت وفاته في ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وألف بالشجعة وقبره بالإشعاف بها وكان عمره ثمانية وسبعين سنة ورثاه بعد موته جماعة عظام وكان من جملتهم ولده القاضي عبد الحفيظ فقال يرثيه بقصيدة مطلعها". (١)

٩٧-"يا غيث يا وكاف يا سحاح جد ... متعطفا مترددا بهناء

قبرا على الإشعاف جل ضريحه ... مستوطنا علامة العلماء

بالسفخ من جبل العروس ومربع الشرف التي فاقت على الأنحاء

بدر منير للأنام إذا هم ... في ليلة من جهلهم ظلماء

أقلامه مثل الأسنة في الوغى ... والحبر أفضل من دم الشهداء

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ١٥١/٢

إن الذي دفنوه بين ظهورهم ... متبركين به من السعداء

كان الزمان إذا بدا بقبيحه ... وبدا له ولي على استحياء

إن مشكل في أي فن قد بدا ... أبدى ظهورا فيه بعد خفاء

سبعين فنا حازها في صدره ... لله ذلك سيد الكملاء

يا تبره وافقت بحرا زاخرا ... هذا لعمري أعجب الأشياء

ورأيت من ملأ البلاد بعلمه ... من مكة الغرا إلى صنعاء

لكن وسعت العلم إذ هو ميت ... لو كان حيا ضاق كل فضاء

ووفاته ثلم لدين محمد ... ومعاشر الأشراف والرؤساء

ما كل سال بعد موت نظيره ... إلا شبيه بهيمة عمياء

وإذا بدا مني سلو فهو من ... حمدي على السراء والضراء

يأيها الرجل الذي بهر الورى ... علما وحلما فائق النظراء

أبقيت ذكرا للمهلا طيبا ... يا طيب الآباء والأبناء

وتركت علما نافعا فينا وفي ... أهل الزمان زماننا الأحياء

فجزاك ربك ما جزى أحبابه الأخبار عنا أفضل الأجزاء

ومن العجائب أن رأيت محمدا ... في عامك الماضي أتى بوفاء

ورآك في ثوبي منامك هاجعا ... فوقاك عن برد بخير وقاء

ورأى فتى للشافعي أنه ... أضحى النبي الهادي من الرفقاء

ورأى تقي فاطمي أنه ... صلى عليه الله كل مساء

ماض بك السهل الرحيب بنفسه ... نحو المدينة طيبة الفيحاء

فسررت ثم خشيت فرقتك التي ... هي عندنا من أعظم البلواء

لله درك يا حمام الأيك كم ... أحسنت حفظا عهدة الآباء

إني نظيرك في وفائي بعده ... أيضا وفي حزني وبعض بكائي

لكن تسلينا بموت محمد ... صلى عليه طيب الأسماء

والآل ما طلعت شموس علومه ... تنصب في الآفاق والأنحاء

السيد عبد الله بن علوي باذنجان علوي أحد أولياء حضرموت ذكره الشلي وقال في ترجمته ولد بظفار في أوائل سنة تسع وتسعين وتسعمائة ونشأ بها وكان أميا لا يقرأ وله سيرة حميدة مرضية صحب شيخنا السيد عقيل باعمر وانتفع به وفاضت عليه بركات أنفاسه ورأى بعض السادة الأخيار في المنام كأنه جالس وعنده بعض الصالحين فقال ذلك الصالح من أراد أن ينظر إلي ولي فلينظر إلى هذا وأشار إلى صاحب الترجمة ومن كراماته أنه كان إذا أذاه أحد أصيب إما في حال أو مآل وقال

مرة في رجل وقد أذاه يقتل فقتل بعد مدة يسيرة فلما قتل قال ما أحد يستوفي به قصاصا ولا دية فكان الأمر كما قال ومنها أن امرأة أتت إلى زرع له وأخذت منه حمولة قصب على رأسها وبقيت قائمة فكأنها لا تستطيع المشي ثم بعد ساعة جاء صاحب الترجمة وهي لا تعرفه فقال لها اذهبي لئلا يراك صاحب الزرع يعني نفسه وكانت وفاته في سنة اثنتين وستين وألف.". (١)

٩٨-"عبد الوهاب بن رجب المنعوت تاج الدين الحموي الشافعي نزيل دمشق الأديب النحوي المشهور ورد دمشق مع عمه حسن واشتغل بها على جدي أبي الفدا النابلسي والقاضي محب الدين وعلي العمادي الحنفي والشمس المنقاري وغيرهم لكنه بجدي القاضي أكثر اختصاصا وكان معيد دروسه وبرع في الفنون إلا أنه غلب عليه علم العربية حتى صار فيه من الراسخين ولعله كان أنحى أهل عصره ودرس ببقعة في الجامع الأموي وانتفع به كثير من الفضلاء وكان من خيار الناس وهو من بيت كبير بحماة نم جملة أقاربهم أولاد الأعوج أمراء حماة وكان التاج صاحب الترجمة مشتغلا بخويصة نفسه لا يشتغل غالبا إلا بما ينفعه يأتي كل يوم إلى الجامع ويصلي الظهر ويجلي للإقراء إلى أن يفرغ ويذهب إلى بيته في جوار المدرسة الصابونية خارج باب النصر وهو ممتحن بأمرين غريبين الأول أنه إذا أتلف الحكام من المجرمين أحدا وأشهروه فإنه يتبع ذلك الرجل ولا يزال تابعا له إلى المكان الذي يقتل فيه فيقف في أقرب مكان منه إلى أن يشاهد صورة قتله ويستمر واقفا إلى انتهاء الأمر وهذه عادته دائما وسئل عن سبب هذا الأمر فقال أقصد بذلك تأديب نفسي به وزجرها بمشاهدة ذلك الثاني أنه كان متهالكا على لعب الشطرنج في دكاكين باب الجابية يجلس في بعض الدكاكين ويلعب من أراد ويكشف رأسه ويضع العمامة إلى جانبه ولا يزال يلعب إلى أن تغرب الشمس في غالب الأوقات وبالجملة فإنه كان من محاسن الأيام وكان وفاته في سنة خمس عشرة وألف.

عبد الوهاب بن سعيد بن عبد الله بن مسعود الحميري الحوالي ذكره ابن أبي الرجاء في تاريخه وقال في وصفه كان عالما مجتهدا من بيت شهير بالعلم معمور بالفضل نسبهم إلى ذي حوال فهم وآل يعفر والفقهاء آل الأكوع في نسب واحد وكان من فضلاء وقته ويسمى الصنعاني نسبة إلى أمه وكان متعلقا بالسياحة دمث الأخلاق كريم السجايا وله مكارم وآداب وكان يأتي إلى ذيبين للتنزه أيام الخريف فيجتمع به الفضلاء ويتم لهم به الأنس وكان جميل الثياب حسن الهيئة ويقال أنه يعرف السيميا ولما اعتقل بكوكبان ظهر هذا منه فإنه كان يخرج من السجن ويضع ثيابه عند أهل السجن ويغيب اليوم واليومين ثم يرجع ويفارقهم من محل وعر لا يمكن النفوذ منه وله صناعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مما يدل على ذلك ما اشتهر عنه أنه طلع إلى بعض جبال ذيبين فوجد في بعض الكهوف امرأة تبكي وعندها رجل رقيب عليها فسألها عن شأنها وما سبب بكائها فأخبرته أنها امرأة محتشمة ليست من ذوات الريب وأنه اتفق بها نحو ثمانية من العتاة العصاة فاغتصبوها نفسها وأمروا ذلك الرجل رقيبا بحفظها وعزموا ليأتوا بما يليق بمعصيتهم من لحم يسرقونه ونحو ذلك فلما أطال معها الحديث جاء ذلك الرقيب واستنكر الخطاب فقال القاضي المذكور له يا مكين ترضى لنفسك بهذه الحال الدنية والحال

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ١٥٢/٢

العلية تمكنك قال وما هي قال أزوجك هذه المرأة وتكون لك خاصة قال الرجل وهذا يتم قال نعم فقعد له بغير شهود فلما وصل أصحاب ذلك الرجل لقيهم وقال لهم هذه صارت زوجتي بحكم القاضي فلا يقربها أحد فمنعهم ونزل القاضي وعقد له عقدا جديدا وكان يزورها كل سنة وكان مع هذا الحلم الكثير بينه وبين العلامة إبراهيم بن مسعود وحشة وذلك **من العجائب** وقد روي أنه صلح أمرهما وتراضيا وتوفي بالظهرين هجرتهم المعروفة بحجة في تاسع عشرى رجب سنة ثمان عشرة وألف وقبره إلى جنب السيد الفاضل شرف الدين بن محمد الحميري من جهة القبلة ورثاه السيد العلامة علي بن صلاح العبالي فقال

عين جودي بدمعك الهتان ... واندبي ما جدا عظيم الشان

فاضل اطلق الدنا وتخلى ... عالم عامل بكل مكان

لم يدع بغية من الفضل إلا ... نالها بالسباق طلق العنان

يا له من مبرز في علوم ... ما حواها سواه من إنسان

فلفقدانه ثوت بفؤادي ... لوعة دونها لظى النيران

آه أضحى الأنام عميا عليه ... لا يرون الضيا من الضبعان

رحم الله تربة ابن سعيد ... وسقى من لديه بالهتان

وتغشى ضريحه بصلاة ... أنه كان طيب الأردان". (١)

٩٩-"محمد بن بركات بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن السقاف الحضرمي المعروف جده بكريشة أحد أولياء زمنه وأصفياء وقته وله الكرامات الجمة والمناقب العظيمة ذكره الشلي في تاريخه المرتب على السنين وقال في ترجمته ولد بمدينة تريم ونشأ بها وصحب جماعة من أكابر العارفين ثم حصلت له جذبة وربما حصلت منه أمور ممنوعة في ظاهر الشرع كاتلاف الأموال بالنار ورميها في البحر بلا سبب ظاهر وكان لا يقيم ببلد سنة كاملة بل ينتقل في البلدان فرحل إلى الهند والحبشة والسواحل واليمن والحجاز وكان يتردد إلى مكة وكان قاضيها ورئيسها والقاضي حسين المشهور وكان يحبه ويعتقده وأملكه على ابنته وكان كل حاكم يأتي إلى اليمن تصرف في أهلها لا سيما ولاتها وحكامها تصرف الملاك وكان كل حاكم يأتي إلى اليمن يكون تحت أمره المطلق والمقيد ويستبد بالأمر على خدمة وخاصته وكانوا يعطونه من الأموال والجواهر والملابس الفاخرة والخيل وإلا متعة مالا يحصى كثرة وكان عظيم الهيبة عل جماعته وربما أنكر عليه إنه إذا جاء وقت الصلاة أمرهم بها ولا يصلي بل يغيب عنهم وكل من أنكر عليه حاله إذا اجتمع به زال عنه ذلك وكان لا يجتمع إلا بآحاد الناس وكان قليل الشطح وكانت الملوك والسلاطين تعتقده وتعظمه وإذا كتب لأحد في شيء لا يستطاع رده وبالجملة فقد كان من عجائب الدنيا وله كرامات خارقة كما أخبر من شاهدها من الثقات منها إنه يأخذ من التراب والمدر والحجر ويعطيه من يشاء من أصحابه فيجده نقدا أو سكرا أو حلوى على حسب ما طلبه منه ذلك الشخص قال الشلي

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ١٧٨/٢

وهذه الكرامة سمعتها من جماعة من أهل مكة ومن أهل حضرموت شاهدوها ومنها إن حاكم اليمن أتي إلى بيته لزيادة بخيله فأكرمهم وقال له خادمه ليس عند ناشئ من البخور فأدخل يده تحت ثيابه وأخرج قطعه عنبر وقال بخرهم بهذا ومنها إنه اشترى بقرة ولم يكن عند شيء من ثمنها فاستمهل صاحبها فامتنع فضرب صاحب الترجمة قرن البقرة ضربات على عدد ثمن البقرة فتناثر منه قدر ثمنها أخبرني بهاتين الكرامتين السيد عبدروس بن حسين البار ومنها ما أخبرني خادمه عبد الله بن كليب قال أرسلني السيد إلى السلطان عبد الله بن عمر الكثيري يستشفع في رجل فامتنع وقال هذا رجل لنا عليه أموال وفعل أفعالا قبيحة قال فأخبرت سيدي فسكت وإذا بالسلطان يدق الباب ففتح له فاعتذر واستغفر وقال أصابتني ريح في بطني كادت أن تهلكني فمسح بيده على بطنه فعوفي لوقته ومنه أنه لما سافر إلى المدينة نزل خارجها ولم يدخلها وخرج له أكابرها ووقع في نفس شيخ الحرم شيء على السيد من عدم دخوله وساء ظنه به فدخل تلك الليلة الحجرة الشريفة فوجد صاحب الترجمة عند القبر الشريف داخل الحجرة فبهت واستعظم ذلك فلما أصبح خرج إليه معتذرا فكاشفه السيد وقال أتظن أن هذه الجدران تحجبنا وله غير ذلك من الكرامات ثم رحل إلى بندر المخا واستقر فيه إلى أن مات وكانت وفاته في سنة ثمان وأربعين وألف ودفن خارج العمر أن وعمل على قبره عريش من القضبان وقبره معروف يزار ويتبرك به ومن أساء الأدب عنده عوجل بالعقوبة إلا أن يبادر بالاستغفار والتوبة ووقع لبعض العجم إنه أساء الأدب في حضرته فنهاه الخادم فلم ينته فتزحلقت رجله وصار يتحرك كالطير المذبوح ومات لوقته.

محمد بن بركات بن مفرج الشهير بالكوافي الحمصي الدمشقي الشافعي كان من العلماء الصلحاء قدم إلى دمشق في أيام كهولته وقطن بالمدرسة الطيبة بمحلة القيمرية مدة أربعين سنة وأخذ عن أجلاء العلماء واشتغل على جماعة من أهل العلم منهم الشيخ محمد بن عبد الله الخباز المعروف بالبطنيني فقرأ عليه القرآن والفقه وغيرهما ورحل إلى مصر خمس مرات وأخذ عن علمائها وكان صوفي المشرب قادري الطريقة وكان أعيان دمشق يذهبون إليه ويقصدون زيارته والتبرك به واستمر مقيما بالمدرسة المذكورة هذه المدة لا يخرج إلا لصلاة الجمعة أو لأمر مهم وكان يقرئ القرآن والنحو وغيرهما وكتب بخطه الكثير من الكتب هو تلاميذه واتفق له **من العجائب** إنه أقرأ النحو وسمع القرآن وكتب الفقه في آن واحد ومن عجائبه إنه كان يكتب صحيفة من الورق بغطة قلم واحدة وختم القرآن ختمتين وثمن ختمة في يوم واحد وكان ينظم الشعر فمن شعره قوله في التوسل:

رباه رباه أنت الله معتمدي ... في كل حال إذا حالت بي الحال". (١)

١٠٠-"نحن البراة الشهب في أفق العلي ... تعتولها العنقاء بالأعناق

ويصفق الطاوس من عجب بنا ... ويغرد القمري للعشاق

ولنا الشوارد فالجوارح بعضها ... والبعض هن سواجع الأوراق

فتشان أقوام وأقوام بها ... تزهو كزهو الورق بالأطواق

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ٣٦٩/٢

فمن العجائب وهي عندي جمة ... عتبي على زاغ بغير خلاق

ومن استحالات الزمان وقبحه ... وصفي وطاوط مالها من واق

رخم سوانحها بوارح عائف ... تحكي العقاعق أولعت بشقاق

وأسلم ودم في نعمة لبدية ... أبدية تبقي ومجدك باقي

ما غردت ورق الحمام فهيجت ... وجد الكريم ولا عج الأشواق

فلأنت فينا نعمة بل رحمة ... يا أحمد المحمود باستحقاق

وفي إيراد هذه القصيدة غنية عن ذكر ما هجي به ومن أحاسن شعره قوله من قصيدة:

سقي الخزاما باللوى والأقاح ... من عارض أبلج سجل النواح

حتى تراها وهي مخضلة ... تغص ريا بالزلال القراح

معاهدا للأنس كانت وهل ... لي وقفة بين جنوب البطاح

أيام في قوس الصبا منزع ... وللملاهي غدوة أو رواح

والظبية الأدماء لي منية ... وحبذا مرض العيون الصحاح

لم أنس يوم الطلح إذ ودعت ... وأدمت القلب بغير الجراح

يا وقفة لم يبق فيها النوى ... إلا ظنونا ليس فيها نجاح

يا قلب خذني عن طريق الهوى ... ففي مناجاة المعالي ارتياح

فالراح والراحة ذل الفتى ... والعز في شرب ضريب اللقاح

ومن شعره قوله في دولاب الماء:

ودولاب روض قد شجانا أنينه ... وحرك منا لوعة ضمنها حب

ولكنه في بحر عشق جهالة ... يدور على قلب وليس له قلب

وله غير ذلك وكانت ولادته بالصالحية في سنة ست بعد الألف وتوفي في ختام ذي الحجة سنة ست وسبعين وألف ودفن بزاويتهم بسفح قاسيون ومن غريب خبره أنه تمرض ببستان يعرف بالجور تحت جوزة فيه ومات ثمة.

محمد بن حسين الملا بن ناصر بن حسن بن محمد بن ناصر بن الشيخ القطب الرباني شهاب الدين الأشقر العقيلي المشهور المعروف قبره بمدينة حماه الحموي الحنفي الفاضل البارع المفنن كان له صحة فهم وذكاء ومشاركة جيدة في علوم متعددة وطيب محاورة وصدق لهجة ولد بحماة وبها نشأ ولازم والده في العلوم العقلية والنقلية وتخرج به وأخذ عن خاله الخطيب أحمد بن يحي علو ما متعددة وتأدب بهما ولما جارت حكام ذلك الأقليم على أهله هاجر غالبهم إلى دمشق فكان ممن هاجر مع والده وأهله وتوطن دمشق سنين عديدة ورحل إلى مصر وأخذ بها عن شيوخها كالعلامة عامر الشبراوي والشيخ سلطان المزاحي والشمس البابلي ولازم في الفقه حسن الشرنبلالي وعمر الدفري وغيرهما من فقهاء الحنفية وأجازوه وكتب بخطه كتبا كثيرة وتكرر تردده إلى مصر لطلب الرزق بالتجارة على عادة أسلافه المارة وجاور بالحرمين سنين كثيرة ورحل إلى اليمن

مرتين ثم تدير مصر وأقام بها على الاشتغال وهو خال صاحبنا الفاضل الأديب الأريب مصطفى بن فتح الله شقيق والدته كفله بعد موت أبيه ورباه وبه تخرج كثيرا وقرأ عليه طرفا من العربية وذكر إن له شعرا كثيرا قال لكن لمن يحضرني منه إلا قوله في غلام اسمه عذيبي:

قد مسني قلق في وسط ساعية ... والبين يجري دموعي وهي تجري بي

من عشق ذي هيف حلوا للمي غنج ... أزوره خافيا والصبح يغري بي

أشكو إلى الله من ممشوق قامته ... وريق ثغر عذيبي فيه تعذيبي

وكانت ولادته في سنة أربع وعشرين وألف وتوفي بمصر يوم الجمعة تاسع جمادى الأولى سنة أربع وتسعين وألف ودفن بمقبرة المجاورين رحمه الله تعالى.". (١)

١٠١-"وقتل عند ذلك آمنهم وأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم بل هي أصبحت مضمحلة لا ترى ولم يذروا منها عينا ولا أثرا بحيث لم يبق منها إلا بعض المواضع ولم يتركوا منها إلا الثلاث الأثافي والديار البلاقع ولم يبق من أهلها إلا من كان طفلا أو صارخة تصرخ صراخ الثكلى وكان بقي لهم من رزقهم بعض باق فنهب العسكر ذلك الباقي ولم يتركوا لهم شيئا يأكلونه فكادت أرواحهم من الجوع ترقى إلى التراقي وصار حالهم إلى أسوأ الأحوال وناهيك بالجرح على قرب الاندمال وقد نقل أنه قتل في جملة أولئك جمع من الأشراف الأفاضل وجماعة من العلماء الأكامل وكان ذلك فعلا صادرا من غير رأي صائب وأمرا يمجه الطبع ويحكم العقل بأنه أمر محذور العواقب وكان الكف عن هذا الفعل أولى وأحرى وإن صدر من بعض مجهول جرم فلا تزر وازرة وزر أخرى ثم اتفق بمقتضى الحكمة الإلهية والأوامر الربانية أن الوزير مرض عقيب ذلك الفعل من غير تأخير واستمر أربعة أيام والتحق بالعليم الخبير وخرج من تبريز وهو يعالج سكرات الموت وانتقل بالوفاة بعد خروجه منها بيوم من غير فوت انتهى ما لزم إيراده عود إلى ما يتم به من صاحب التاريخ مراده وكان قبل وفاته نصب سنان باشا حاكما وإنه قائما مقامه فلما توفي رحل سنان باشا بالعساكر فاعترضهم العدو يمينا وشمالا ووقع بينهم مناوشة فلما وصلوا إلى حدود المملكة العثمانية أمام قلعة سلماس هجم حمزة ميرزا ابن شاه محمد خدا بنده صاحب عراق العجم في نحو ثلاثين ألف راكب فوقع بين العسكرين قتال كثيرا انجلى الحرب عن هزيمة الأعجام بعد أن حصد غالبهم بالسيف فلما دخلوا مدينة وان شقوا بطن الوزير عثمان باشا وحشوه بالطيب وبعثوا جسده إلى مدينة آمد فدفنوه بها وكان الوزير المذكور رأى مناما وهو بمدينة تبريز أنه كان راكبا فرسا أبيض فألقاه الفرس إلى الأرض وسقطت عمامته عن رأسه فعرف أنه يموت من مرضه الذي اعتراه فأوصى بما أراد وكان من الشجاعة في جانب عظيم وكان تولى عدة صناجق في ابتداء حاله ثم صار أمير الأمراء ببلاد الحبشة فسار حتى انتهى إلى تخوم أرض الحبشة فرأى مكانا ينبت الذهب فيه في سفح جبل كما ينبت القصب فوصل إلى إقليم القرود وتقاتل معهم مرات عديدة فكان النصر له وفي سنة أربع وتسعين وتسعمائة جهز السلطان صاحب الترجمة فرهاد باشا الوزير مع عساكر عظيمة إلى بلاد العجم فوصلوا إلى تبريز وحصنوا قلعتها ورمموا سورها

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ٤٠٦/٢

وكانت السباهية حاصروها مرارا عديدة وقربوا من أخذها ثم بنى بين وان وتبريز قلعتين وشحنهما بالرجال والسلاح ولم يزل الوزير المذكور يشتي ببلاد الروم ويرجع في الصيف إلى بلاد العجم حتى مهد البلاد التي أخذت من الكرج وبنى قلعة كوري ووصل إلى بلاد قره باغ وكنجه وابتنى هناك حصنا على كنجه وحصنا على بردعه وقاتل صاحب قره باغ محمد خان فكسره وغنم أمواله وعاد إلى بلاد الروم وقد وقع فتح بلاد شروان في هذه السنة **ومن العجائب** التي وقعت في هذه السنة أنه في خامس صفر منها ولد بحارة بلاط من قسطنطينية بدار رجل يقال له الحاج خضر مولود له لحية بيضاء طويلة وليس له عينان ولا فم وعلى حاجبه أو جبينه ثؤلول قدر الباقلا وأذناه في عنقه وحين ولد سطع له نور وبقي إلى أن مات من يومه ولما مات ذهب ذلك النور وجيء به إلى مجلس قاضي استانبول ورآه الناس وسجل بالسجل وبعث بصورة الواقعة للأمصار وفي سنة سبع وتسعين وردت أوامر إلى الأقطار بأنه ظهر بمدينة مراكش من المغرب ثلاثة أنفار أحدهم اسمه يحيى بن يحيى وهو لابس ثوبا من ليف النخل وفي صدره مرآة وهو راكب جملا ويقول لا إله إلا الله ويقول الجمل محمد رسول الله وإنه يقول للجدار انهدم بأمر الله فينهدم ويقول كن جدارا كما كنت بإذن الله فيكون جدارا عامرا وإن الثلاثة تفرقوا واحدا إلى الشام وآخر إلى مصر وآخر إلى قسطنطينية وإن الثلاثة يجتمعون بالشام وإن المهدي يتلاقى معهم بالشام ومعنم محضر نائب القاضي على قاضي طرابلس الغرب وخطوط العلماء وغيرهم وإن البندق والسهام والسيوف لا تؤثر في واحد منهم ولما اتصل بعلم السلطان مراد أمرهم أرسل إلى بلاد الغرب أن لا يعتبروا شيئا من ذلك وكذلك إلى مصر والشام وصح هذا الخبر وثبت وفي نهار الثلاثاء ثالث وعشري شهر ربيع الآخر سنة إحدى بعد الألف وقعت الفتنة بإسلامبول وذلك أن العساكر من طائفة". (١)

١٠٢-"سكروا بخمر الشوق حتى أظهروا ... ما في ضمائرهم من الأسرار

في جمعهم لم تلق إلا ماسكا ... قدحا من الإبريز والبلار

والحوض فيه مجالس ملكية ... والورد كالسلطان في الأنوار

لعب الشمول بهم فحركهم كما ... لعب الشمول بزمرة الشطار

وقوله وهو معنى جيد

كأن ور خده عقار ... شربتها حتى بدا البلار

والبلار لغة في البلور رأيته في استعمال المولدين منهم المعتمد بن عباد على ما ذكره الفتح في قلائد العقيان

جاءتك ليلا في ثياب نهار ... من نورها وغلالة البلار

والشرب في بيته كناية عن التقبل زالت به الحمرة فبدا البياض ومن لطائفه أيضا قوله

مجلة حمراء جاءت وقد ... تفوح بالعنبر أذيالها

حليتها لعل وياقوتة ... صيغ من العسجد خلخالها

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ١٥٠/٣

ومن إنشائه الباهر ما كتبه على كتاب في الطب اسمه مغني الشفا يا له من روضة شحاريرها أقلام المادحين من النحارير وألحان سواجعها ما سمع لدى التحرير من الصرير غصونها أورقت ولكن بصحائف كأنها مملوءة باللطائف أطباق وأثمرت والعجب أن منابت ثمارها بطون الأوراق من وقف عليها وتوقف فيما قلته من الوصف العاري عن المراء فلاشك أنه مبتلى بداء الترك وليس له دواء ولما أجلت نظري في ربوة حسنها وبهجتها ونشقت شذاريا حينها وشممت عرف نفحتها وعاينت مجالس أنسها وقضيت منها العجب وحرك مني سطور طروسها ما يحدثه القانون من الطرب توجهت بمجامع قلبي إليها وقلت مؤثرا موجزا القول في الثناء عليها هذه الأبيات وهي قولي

يا روضة في رباها ... دوح غدا سجع طيره

مغني الشفاه ومغن ... عن الشفاء وغيره

وكانت ولادته في سنة تسع وتسعين وتسعمائة وتوفي في ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وألف ودفن عند والده بمدرسته المعروفة به وقال المولى محمد عصمتي مؤرخا وفاته بقوله

مفتي الورى يحيى به ... سما العلى وحية

لما مضى موليا ... عن هذه الدنية

سمعت من جهزه ... بأحسن التحية

يقول تاريخا له ... في جنة علية

يحيى بن زكريا المعصراني من أولاد نامر القدسي كان فقيها نحويا يقري بالخلوة النجوية بطرف سطح الصخرة القبلي حكى بعض طلبته أنه كان يدرس في الجامع الصغير في آخر أمره بين المغرب والعشاء فكان آخر عهده أنه وقف على حديث من دان نفسه وعمل لما بعد الموت اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة وصلى العشاء بقوله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه وكان آخر عهده من دخول المسجد وأوصى بجميع كتبه إلى طلبته وكانت وفاته في سنة ثلاث وثمانين وألف يحيى بن عبد الملك بن جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين الاسفرايني الأصل المكي المولد الفاضل الأديب الشاعر ذكره ابن معصوم فقال في وصفه أديب منفسح الخطا وأريب مأمون العثار والخطا له في الأدب المقام المحمود والطبع الذي ما شان سلسال قريحته جمود وقد وقفت له على تأليف سماه أنموذج النجباء من معاشرة الأدباء تكلم فيه شارحا قول القائل

حاشا شمائلك اللطيفة أن ترى ... عونا علي مع الزمان القاسي

غير أنه لم يعرف قائله فقال ولعمري إنه وإن جهل بانيه فهو من البيوت التي أذن الله أن تسكن فما اللفظ إلا بمعانيه وإن كان قائله ألكن ثم قال وهذا البيت مما يكثر الاستشهاد به أهل الآداب في محاضرة الأصدقاء والأحباب وهو من أربعة أبيات معمرة بلطيف العتاب مبرورة بصدق المنطق واقتضاء الصواب محاسنها غرر في أجياد القصائد والمعاني البديعة بها صلة ومفرداتها عائد تشرق شموس التهذيب في سماء بلاغتها وترشف الأسماع على الطرب من ريق سلافتها فما أحقها بقول القائل

أبيات شعر كالقصور ... ولا قصور بها يليق

ومن العجائب لفظها ... حر ومعناه رقيق

وهي

إني لأعجب من صدودك والجفا ... من بعد ذاك القرب والإيناس

حاشا شمائلك اللطيفة أن ترى ... عونا علي مع الزمان القاسي

أو ثغرك الصافي يرد حشاشة ... تشكو لهيبا من لظى أنفاسي". (١)

١٠٣-"أنشدني القاضي أبو جعفر البحائي، رحمة الله عليه، قال: أنشدني القاضي حمد بن محمد التوزي لوزير عزيز مصر الملقب بالمهذب في مدح المرتضى الموسوي البغدادي من قصيدة يقول فيها:

تختال بين السمر وهي شواجر ... هل يفزعن أسد العرين عرين؟

أبو الطالب الوحيد المصري

أنشدني الشيخ أبو محمد الحمداني قال: أنشدني غرس النعمة له:

ضن الزمان بنية الإخلاص ... عني وجاء بوده المعتاض

ما سر يوم منه إلا ساءني ... غده، فأيامي جروح قصاص

ومن العجائب أن كل بلاغة ... جمحت تطاوعني، وحظي عاص

والطير أجناس تطير وإنما ... للغاتهن حبسن في الأقفاص

ابن بابا

باب الأدب عليه مفتوح، ودست الفضل له مطروح، وزند الشعر به مقدوح. قال يمدح الصاحب نظام الملك حرس الله أيامه على باب قنسرين من الشام سنة ثلاث وستين وأربعمائة

يمينك أندى العارضين سحابا ... وعزمك أمضى الصارمين ذبابا

وأنت أعم الناس طولا وسؤددا ... واطيبهم جرثومة ونصابا

وأسرعهم في النائبات إغاثة ... وأمرعهم يوم العطاء جنابا

شهادة بر لا تحابي بمثلها ... ألا ربما كان السحاب يحابي

يقولون: إن المزن يحكيك صوبه ... مجاملة، ها قد شهدت وغابا

وكم أزمة عم البرية برسها، ... فهل ناب فيها عن نداك منابا؟

همت ذهبا فيها يداك عليهم ... وضنت يداه أن ترش ذهابا

ولو كان للأسياف عزمك، ما نبت ... ولا ناط بالخصر النجاد قرابا

وما زلت ترضي الله في نصر دينه ... بمألكة نزجي الأسود غضابا

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ٣/٢٢٦

إذا طويت كانت وغى وقساطلا ... وإن نشرت كانت ظبى وحرابا

وما حملت غير السيوف رسالة ... ولا طلبت غير الرؤوس جوابا

قد اخترطت أيدي الخلافة منكم ... سيوفا على هام العداة غضابا

ومن بات عن قوس السعادة راميا ... نحور أعاديه رمى فأصابا

دعاك على شحط المزار ابن صالح ... فلم ترض إلا أن تكون جوابا

غدا طالبا في ظل ملكك عيشة ... فوافاه أحظى الوافدين طلابا

وكان إلى نيل السلامة سلما ... لنا وإلى باب السعادة بابا

هو الجد فليمس الفتى في ظلاله ... فلو أخطأ المجدود قيل: أصابا

سقى حلبا من جود كفك ماطر ... إذا لم تصب فيها المواطر صابا

سموت بها نحو السماء كأنما ... ضربت عليها بالنجوم قبابا

فإن ناسبت منها الصقور فطالما ... رفعت عليها باللواء عقابا

قلت: لله دره في الجمع بين الصقر والعقاب بهذا المعنى المقرطيس لهدف الصواب:

بحق توليت الخلافة معتقا ... برأيك من رق الخلاف رقابا

نظمت، نظام الملك، منثور مجدها ... عقودا على لباتها وسخابا

وجليت يا شمس الكفاة غياهبا ... برأي غدا في النائبات شهابا

غصبت على المجد الرجال فسدتهم ... غلابا ومنهم من يسود خلابا

وأطلعت سحبا من بنانك ثرة ... تفيض عليهم نائلا وعقابا

وسهلت من بؤس الليالي شدائدا ... وذللت من شوس الخطوب صعابا

أعدت إلى الدنيا نضارة حسنها ... وأبدلتها بعد المشيب شبابا

عبد الله بن جابر

من مداح الصاحب نظام الملك، حرس الله دولته، وقد صقل صفائح ثنائه بالشام، كما تصقل ثغور الغواني بالبشام. فمما بلغني من مدائحه النظامية قوله:

أرياك وافى أم صبا وشمال ... تأرج منها يمنة وشمال؟". (١)

١٠٤-"وأنشدنا عبد الواحد بن ابراهيم بن الحصين لنفسه:

ماهب من أرض العراق نسيم الا دعاني للغرام غريم فالام ويل تلوم جهلا بالهوى قصر فافراط (١) الملامة لوم أنى يحل العذل من سمعي وفي قلبي لتكرار الكلام كلوم يا أيها القمر الذي لم يخل من هواه من لاح عليه يلوم ان العذول على هواك أعده

(١) دمية القصر وعصرة أهل العصر ص/٣٥

من حاسدي ولا أقول رحيم فالام أحمل ثقل هجرك والهوى والهجر حامل ثقله مرحوم والى متى أرعى النجوم تعللا حتى كأني للنجوم نديم **ومن العجائب** ان قلبي يشتكي شوقا اليك وأنت فيه مقيم توفي أبو منصور بن الحسين (٢) في يوم السبت سلخ جمادى الاولى سنة ست وثلاثين وستمائة، ودفن من الغد بباب حرب، وكان مولده في سنة احدى وستين وخمسمائة بالموصل.

٩٨ – عبد الواحد بن ابراهيم بن محمد، أبو طالب المعدل العكبري، يعرف بابن أبي سهل: حدث عن أبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم المقرئ.

٩٩ – عبد الواحد بن ابراهيم، أبو القاسم الخلال: من أهل النهروان.

حدث عن أبي عمرو عثمان بن أحمد بن السماك، روى عنه أبو ذر عبد بن أحمد الهروي في معجم شيوخه.

أنبأنا أحمد بن طارق قال: أنبأنا أحمد بن محمد الهاشمي، أنبأنا اسماعيل بن عبد العزيز العكي، أنبأنا هياج بن عبيد الحطيني، أنبأنا أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد الهروي قال: أنبأنا عبد الواحد بن ابراهيم أبو القاسم الخلال – أرجو أن لا يكون به بأس – * هامش * (١) في الاصل: (فصر فافرط).

(٢) (بن الحصين).". (١)

١٠٥–"ليعود جوك في المنازل الس * – اوي ومنتجع الفطين الاهل وعلى الكثيب مجمر من نبهه *كالبدر من حسن وليس بآفل حجبوه بالبيض الفواصل ما دروا * من حسنة وسيوفهم كالفاصل رشأ كان لحافظه مطرودة * قدمت بها عرضا وجنبه باسل فكأن سحر بلاغة في لفظه * أخذ يعقدها نوافث نابل عوفيتموا **ومن العجائب** مغرم * يدعو غراما بالشفاء لقاتل سمعت ابا عبد الله الواسطي يقول: سألت ابا منصور بن ابى سالم عن مولده، فقال: ولدت ببغداد في يوم الاثنين ثاني عشرى شوال سنة ثلاث وستين وخمسمائة بباب الازج.

٧٦٨ – على بن الحسن بن عنتر بن ثابت، أبو الحسن النحوي، المعروف بالشميم (١): من أهل الحلة السيفية كان أديبا فاضلا مبرزا في علم اللغة والنحو، وله مصنفات كثيرة في ذلك، وله إنشاد وخطب ومقامات ونظم ونثر كثير جيد، لكنه كان أحمق قليل الدين رقيعا، يستهزئ بالناس ولا يحترم أحدا، ولا يعتقد ان في الدنيا مثله وكان ولا يكون ابدا، قدم بغداد في صباه، وأقام بها مدة يقرأ الادب على ابى محمد بن الخشاب وغيره حتى برع في ذلك، ثم إنه سافر الى بلاد الجزيرة والشام، فورد حلب ودمشق وغيرها من البلاد ومدح الملوك، ثم انه دخل ديار بكر، وكان يتردد ما بينها وبين الموصل وما والاها من بلاد الجزيرة، ويقرأ الناس عليه ويستفيدون منه الى أن علت سنه وأدركه أحله بالموصل عن تسعين سنة أو ما قاربها، ويحكى عنه حكايات عجيبة في رقاعته وقلة ديانته وفساد عقيدته نعوذ بالله من ذلك.

سمعت القاضى اب القاسم عمر بن أحمد العقيلي بحلب يقول: سمعت محمد بن يوسف بن الخضر الحنفي يقول: كان الشميم النحوي يبقي أياما لا يأكل إلا التراب، فكل ما يلقيه من الرجيع يابسا قليل الرطوبة ليس بمنتن فيحطه في جيبه،

---

(١) ذيل تاريخ بغداد ١/١١٠

فكل من دخل إليه يخرجه من جيبه ويشمه إياه ويقول: انظروا الى ما ألقيه وشموا رائحته فانني قد تجوهرت ! فلذلك دعى بالشميم.

---

(١) انظر: وفيات الاعيان ٣ / ٢٦.
ومعجم الاباء ١٣ / ٥٠.
والاعلام ٥ / ٨٣.
(*)."[١]

١٠٦-"٧٨٧ - على بن الحسن، أبو طاهر، المعروف بابن الحمامي: كان أديبا فاضلا شاعرا مليح الشعر، وكان يخدم ملوك بنى نوبة ويترسل منهم الى الاطراف، روى عنه القاضى أبو تمام الواسطي وابو الحسن بن الصابى وابو الحسن بن نصر شيئا من شعره.
أنبانا أبو بكر الجيلي عن محمد بن ناصر، أنبانا أبو عبد الله الحميدى بقراءتي عليه أنشدنا القاضى أبو تمام على بن محمد بن الحسن الواسطي، أنشدنا أبو طاهر على بن الحسن بن الحمامي لنفسه: اصطلح الناس على البخل * ونافقوا في القول والفعل لو سئلوا الرد لنطنوا به * إذ سرعة الرد من البذل قرأت على محمد بن محمد بن الحسن عن محمد بن عبد الباقي أن محمد بن ابى نصر اخبره انبانا أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن بن الصابئ، حدثني والدى، حدثني أبو طاهر على بن الحسن الحمامي لما هرب أبو القاسم المغربي من مصر كتب الى الحاكم بالله: وأنت - وحسبي أنت - تعلم أن لي * لسانا أمام المجد يبنى ويهدم وليس حليما من ييأس يمينه * فيرضى ولكن من يعض فيحكم انبانا عبد الوهاب بن على الامين عن محمد بن عبد الباقي الانصاري قال: كتب الى أبو غالب محمد بن احمد بن بشران الواسطي، انبانا أبو الحسن، أنشدنا أبو الحسن محمد بن على بن نصر الكاتب، أنشدنا أبو طاهر على بن الحسن المعروف بابن الحمامى صديقنا لنفسه قوله (١):
يا غادرا ضمن المودة والوفا * وأحل من بعد الضمان محلتي
أصببتني حتى عرفت صبابتي * وسررتني حتى بلوت سريرتي ثم انطويت على الجفاء ولو أرى * ما قد رأى لطويت عنك طويتي **ومن العجائب** والعجائب جمة * أني رأيت منيتي من منيتي

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الاصل، (ب).
(*)."[٢]

---

(١) ذيل تاريخ بغداد ٣/٢٠٢
(٢) ذيل تاريخ بغداد ٣/٢١٥

١٠٧-"قال: وحكى لي بعض أصحابنا، قال: دخل بعض الناس على صدقة، وإلى جانبه مركن، وعليه خرقة مبلولة، قد اجتمع عليها الذباب، فقال له: ما هذا المركن. قال: فيه حلوى السكر يابسة، قد نقعتها في الماء لتلين، وأقدر على أكلها لذهاب أسناني، وأعجبك أنه لما كانت لي أسنان صحاح قوية لم يقدرني القدر على التمر، فلما كبرت، وذهبت أسناني، رزقت هذه الحلوى اليابسة، لأزداد بنظري إليها، وعجزي عن أكلها حسرة، فكان الناس ينسبونه بهذا الكلام، وبما كان يعلم من العلوم القديمة إلى أشياء، لعله بريء منها.

قلت: يشير بذلك ابن النجار إلى الشيخ أبي الفرج بن الجوزي، فإنه حط عليه في تاريخه حطا بليغا، وذكر له أشعارا رديئة، تتضمن الحيرة والشك، وكلمات تتضمن الاعتراض على الأقدار، وقال: هذا من جنس اعتراضات ابن الراوندي، ونسبه أيضا إلى تعاطي فواحش، وإلى المسألة من غير حاجة، وأنه خلف ثلاثمائة دينار.

وقال: لما كثر عثوري على هذا منه، وعجز تأويلي له، هجرته سنين، ولم أصل عليه حين مات والشيخ أبو الفرج رحمه الله ثقة فيما ينقل وإذا لبث أو اشتهر عن أحد مثل هذه الأمور، فهاجره وذامه معيب فيما يفعل.

وقال ابن القطيعي: كان بينه وبين ابن الجوزي مباينة شديدة وكل واحد يقول في صاحبه مقالة، الله أعلم بها.

قال!: سمعت الوزير بن يونس - ومجلسه حفل بالعلماء - يثني على صدقة، وينكر على ابن الجوزي قدحه فيه، بقوله: صليت إلى جانب صدقة، فما سمعته يقرأ. وقال: الواجب أن يسمع نفسه، لا من إلى جانبه، وأين حضور قلب ابن الجوزي من سماع قراءة غيره؟ ثم من جعل همته إلى تتبع شخص، إلى هذا الحد في الصلاة، دل بفعله على عداوته، والله يغفر لهما.

قلت: هذا من أسهل ما أنكره ابن الجوزي عليه، ثم إنه قال: كنت أتأمله إذا قام إلى الصلاة، فأكون في أوقات إلى جانبه، فلا أرى شفتيه تتحرك أصلا، لم يقل: لم أسمعه يقرأ.

وأما الفتيا التي عرفه الوزير بسببها، فقد ذكرها ياقوت الحموي في كتابه قال: جرى بين الوزير أبي الفرج ابن رئيس الرؤساء وزير المستضيء مسألة في العلم: هل هو واحد، أم أكثر. وكان عنده جماعة من أهل العلم، كابن الجوزي وغيره، فسألهم عن ذلك؟ فكل كتب بخطه: إن العلم واحد، فلما فرغوا، قال: ترى ههنا من هو قيم بهذا العلم غير هؤلاء. فقال له بعض الحاضرين: ههنا رجل يعرف بصدقة الناسخ، يعرف هذا الفن معرفة لا مزيد عليها، فنفذ بالفتوى، وفيها خطوط الفقهاء، وقال: انظر في هذه، وقل ما عندك، فلما وقف عليها فكر طويلا، متعجبا من اتفاقهم على ما لا أصل له، ثم أخذ القلم، وكتب: العلم علمان: علم غريزي، وعلم مكتسب.

فأما الغريزي: فهو الذي يدرك على الفور، من غير فكرة، كقولنا: واحد وواحد، فهذا يعلم ضرورة أنه اثنان.

وعلم مكتسب: وهو ما يدرك بالطلب، والفكرة والبحث، أو كلاما هذا معناه، وأنفذ الخط إلى الوزير. فلما وقف عليه، أعجب به، وقال: أين يكون هذا الرجل؟ فعرف حاله وفقره، فاستدعاه إليه، وتلقاه بالبشر، وخلع عليه خلعة حسنة، وأعطاه أربعين دينارا، ففرح فرحا عظيما، وقال: يا مولاي، قد حضر لي بيتان. قال: أنشدهما، فقال:

ومن العجائب والعجائب جمة ... شكر بطيء عن ندى متسرع

ولقد دعوت ندى سواك فلم يجب ... فلأشكرن ندى أجاب وما دعى

فاستحسن ذلك، وما زال يره إلى أن مات، سامحه الله.

توفي صدقة يوم السبت ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، وصلى عليه من الغد برحبة الجامع، ودفن بباب حرب.

وقيل: إنه توفي يوم الأحد، رابع عشر.

وذكر ابن الجوزي عمن حدثه: أنه رئي له منامات غير صالحة، وأنه عريان، وأنه أخبر عن نفسه أنه مسجون مضيق عليه، وأنه لم يغفر له، فالله تعالى يسامحه ويتجاوز عنه.". (١)

١٠٨-"قلت: وأنبأني أبو الربيع علي بن عبد الصمد بن أحمد بن أبي الجيش عن أبيه قال: قال عفيف الدين معتوق القليوبي: رأيت فيما يرى النائم قائلا يقول:

لعمرك قد أوذي وعطل منبر ... وأعيي على المستفهمين جواب

قال: فانتبهت من نومي، فقلت: ترى أي شيء قد جرى. فجاءنا الخبر وقت العصر بموت الشيخ ابن الجوزي، فقلت:

ولم يبق من يرجى لإيضاح مشكل ... وأصبح ربع العلم وهو خراب

ثم قال أبو المظفر: أصبحنا عملنا عزاه، وتكلمت فيه، وحضر خلق عظيم، وأنشد القادري العلوي:

الدهر عن طمع يغر ويخدع ... وزخارف الدنيا آلدنية تطمع

وأعنة الآمال يطلقها الرجى ... طمعا وأسياف المنية تقطع

والموت آت، والحياة مريرة ... والناس بعضهم لبعض يتبع

واعلم بأنك عن قليل صائر ... خبرا فكن خبرا بخير يسمع

لعلا أبي الفرج الذي بعد التقى ... والعلم يوم حواه هذا المجمع

خبر، عليه الشرع أصبح والها ... ذا مقلة حرا عليه تدمع

من للفتاوى المشكلات وحلها ... من ذا لخرق الشرع يوما يرفع؟

من للمنابر أن يقوم خطيبها ... ولرد مسألة يقول فيسمع؟

من للجدال إذا الشفاه تقلصت ... وتأخر القوم الهزبر المصقع؟

من للدياجي قائما ديجورها ... يتلو الكتاب بمقلة لا تهجع

أجمال دين محمد، مات التقى ... والعلم بعدك، واستحم المجمع

يا قبره جادتك كل غمامة ... هطالة ركانة لا تقلع

قيل الصلاة مع الصلاة فته به ... وانظر به يا رمل ماذا يصنع

يا أحمد أخذ أحمد الثاني الذي ... ما زال عندك مدافعا لا يرجع

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ص/١٣٩

أقسمت لو كشف الغطا لرأيتم ... وفد الملائك حوله تتسرع

ومحمد يبكي عليه واله ... خير البرية والبطين الأنزع

وذكر تمام القصيدة.

قال: **ومن العجائب**: أنا كنا جلوسا عند قبره بعد انفضاض العزاء، وإذا بخالي محي الدين يوسف قد صعد من الشط، وخلفه تابوت، فعجبنا وقلنا: ترى من مات في الدار. وإذا بها خاتون أم ولد جدي، والدة محيي الدين، وعهدي بها في ليلة الجمعة التي مات فيها جدي في عافية، قائمة ليس بها مرض، فكان بين موتها وموته يوم وليلة، وعد الناس ذلك من كراماته لأنه كان مغري بها في حال حياته، وأوصى جدي أن يكتب على قبره:

يا كثير العفو عمن كثر الذنب لديه ... جاءك المذنب يرجو الصفح عن جرم يديه

أنا ضيف وجزاء الضيف إحسان إليه

فرحمه الله تعالى وغفر له، ورحم سائر علماء المسلمين.

قال أبو المظفر: وكان له من الأولاد الذكور ثلاثة، أولهم: أبو بكر عبد العزيز. وهو كبر أولاده، تفقه على مذهب أحمد. وسمع أبا الوقت، وابن ناصر، والأرموي، وجماعة من مشايخ والده.

وسافر إلى الموصل، ووعظ، وحصل له القبول التام، فيقال: إن بني الشهرزوري حسدوه، فدسوا إليه من سقاه السم، فمات بالموصل سنة أربع وخمسين في حياة والده.

والثاني: أبو القاسم علي. كتب الكثير. وسمع من ابن البطي وغيره. وكانت طريقته غير مرضية، وهجره أبوه سنين. توفي سنة ثلاثين وستمائة. وله ثمانون سنة.

وأبو محمد يوسف، أستاذ دار المستعصم. وسنذكره إن شاء الله في موضعه من هذا الكتاب.

ومما يذكر من مناقب الشيخ أبي الفرج: ما ذكره هو في تاريخه في ترجمة مرجان الخادم. وكان قد قرأ القران وشيئا من الفقه، وتزهد. وله مكانة عند الخليفة، إلا أنه كان يتعصب على الحنابلة فوق الحد، حتى إن الوزير ابن هبيرة عمل بمكة حطيما يصلي فيه إمام الحنابلة فمضى مرجان وقلعه من غير إذن الخليفة.

قال أبو الفرج: وناصبني دون الكل، وبلغني: أنه كان يقول: مقصودي قلع المذهب. فلما مات الوزير ابن هبيرة سعى إلى الخليفة، فقال: عنده كتب من كتب الوزير، فقال الخليفة: هذا محال فإن فلانا كان عند أحد عشر دينارا لأبي حكيم، وكان حشريا، فما فعل فيها شيئا، حتى طالعنا. قال: فنصرني الله عليه ودفع شره.". (١)

١٠٩-"وأما الفتيا التي عرفه الوزير بسببها، فقد ذكرها ياقوت الحموي في كتابه قال: جرى بين الوزير أبي الفرج ابن رئيس الرؤساء وزير المستضيء مسألة في العلم: هل هو واحد، أم أكثر. وكان عنده جماعة من أهل العلم، كابن الجوزي وغيره، فسألهم عن ذلك؟ فكل كتب بخطه: إن العلم واحد، فلما فرغوا، قال: ترى ههنا من هو قيم بهذا العلم غير هؤلاء.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ص/١٧٦

فقال له بعض الحاضرين: ههنا رجل يعرف بصدقة الناسخ، يعرف هذا الفن معرفة لا مزيد عليها، فنفذ بالفتوى، وفيها خطوط الفقهاء، وقال: انظر في هذه، وقل ما عندك، فلما وقف عليها فكر طويلا، متعجبا من اتفاقهم على ما لا أصل له، ثم أخذ القلم، وكتب: العلم علمان: علم غريزي، وعلم مكتسب.

فأما الغريزي: فهو الذي يدرك على الفور، من غير فكرة، كقولنا: واحد وواحد، فهذا يعلم ضرورة أنه اثنان.

وعلم مكتسب: وهو ما يدرك بالطلب، والفكرة والبحث، أو كلاما هذا معناه، وأنفذ الخط إلى الوزير. فلما وقف عليه، أعجب به، وقال: أين يكون هذا الرجل؟ فعرف حاله وفقره، فاستدعاه إليه، وتلقاه بالبشر، وخلع عليه خلعة حسنة، وأعطاه أربعين دينارا، ففرح فرحا عظيما، وقال: يا مولاي، قد حضر لي بيتان. قال: أنشدهما، فقال:

ومن العجائب والعجائب جمة

شكر بطيء عن ندى متسرع

ولقد دعوت ندى سواك فلم يجب

فلأشكرن ندى أجاب وما دعى

فاستحسن ذلك، وما زال يبره إلى أن مات، سامحه الله.

توفي صدقة يوم السبت ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، وصلى عليه من الغد برحبة الجامع، ودفن بباب حرب.

وقيل: إنه توفي يوم الأحد، رابع عشر.

وذكر ابن الجوزي عمن حدثه: أنه رئي له منامات غير صالحة، وأنه عريان، وأنه أخبر عن نفسه أنه مسجون مضيق عليه، وأنه لم يغفر له، فالله تعالى يسامحه ويتجاوز عنه.". (١)

١١٠-"قال: **ومن العجائب**: أنا كنا جلوسا عند قبره بعد انفضاض العزاء، وإذا بخالي محي الدين يوسف قد صعد من الشط، وخلفه تابوت، فعجبنا وقلنا: ترى من مات في الدار. وإذا بها خاتون أم ولد جدي، والدة محيي الدين، وعهدي بها في ليلة الجمعة التي مات فيها جدي في عافية، قائمة ليس بها مرض، فكان بين موتها وموته يوم وليلة، وعد الناس ذلك من كراماته لأنه كان مغري بها في حال حياته، وأوصى جدي أن يكتب على قبره:

يا كثير العفو عمن كثر الذنب لديه

جاءك المذنب يرجو الصفح عن جرم يديه

أنا ضيف وجزاء الضيف إحسان إليه

فرحمه الله تعالى وغفر له، ورحم سائر علماء المسلمين.

قال أبو المظفر: وكان له من الأولاد الذكور ثلاثة، أولهم: أبو بكر عبد العزيز. وهو كبر أولاده، تفقه على مذهب أحمد.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ٣٠٧/١

وسمع أبا الوقت، وابن ناصر، والأرموي، وجماعة من مشايخ والده.
وسافر إلى الموصل، ووعظ، وحصل له القبول التام، فيقال: إن بني الشهرزوري حسدوه، فدسوا إليه من سقاه السم، فمات بالموصل سنة أربع وخمسين في حياة والده.
والثاني: أبو القاسم علي. كتب الكثير. وسمع من ابن البطي وغيره. وكانت طريقته غير مرضية، وهجره أبوه سنين.
توفي سنة ثلاثين وستمائة. وله ثمانون سنة.
وأبو محمد يوسف، أستاذ دار المستعصم. وسنذكره إن شاء الله في موضعه من هذا الكتاب.
ومما يذكر من مناقب الشيخ أبي الفرج: ما ذكره هو في تاريخه في ترجمة مرجان الخادم. وكان قد قرأ القران وشيئا من الفقه، وتزهد. وله مكانة عند الخليفة، إلا أنه كان يتعصب على الحنابلة فوق الحد، حتى إن الوزير ابن هبيرة عمل بمكة حطيما يصلي فيه إمام الحنابلة فمضى مرجان وقلعه من غير إذن الخليفة.". (١)

١١١-"فصندوق اليمين بطون حوا ... وصندوق الشمال هو القبور
وليس له، فإني رأيته منسوبا للشيخ ابن عربي، وهو معنى مشهور، ولكنه تصرف فيه فاستعار عباءة، ورد ديباجة.
وأصله من قول الآخر:
رأيت خيال الظل أكبر عبرة ... لمن هو في علم الحقيقة راقي
شخوص وأشكال تمر وتنقض ... وتفنى سريعا والمحرك باقي
ومنه ولد ابن الوردي في الحمام قوله:
وما أشبه الحمام بالموت لامرئ ... تبصر لكن أين من يتبصر
يجرد من أمواله ولباسه ... ويبقى من كل ذلك مئزر
ومما قلته فيه:
إن يكن يحكي خيال الظل في ... فعله دهر لنا يبدي العبر
فعساه عن قريب مظهرا ... صورا أحسن من هذي الصور
وقلت أيضا:
هي الدنيا خيال الظل تحكي ... يحركها القضاء كما يقدر
ولولا الستر ممدود عليه ... من الغفلات ما ألهى وما سر
زين الدين الإشعافي
فاضل لين العود ماجد الأعراق، حلو الشمائل عذب الأخلاق، له آثار على أكف القبول مرفوعة، وكلمات كثمرات الجنان غير مقطوعة ولا ممنوعة.

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ٣٨٨/١

صحبني وهو يقطف نور التحصيل، وللفضل إلى معاليه انتظار وتأميل، فتجاذبنا أهداب المذاكرة، وجررنا ذيول المناشدة والمحاورة.

فمما أنشدنيه من شعره قوله:

كتبت وأفكاري وحقك مزقت ... كما قد بدت في الحب كل ممزق

ولو حم لي التوفيق كنت تركته ... ولكنني أصبحت عير موفق

إذا قيل أشقى من بات ذا هوى ... فلا تنكرن هذا المقل وصدق

وهذا كقول الآخر:

سألتها عن فؤادي أين مسكنه ... فإنه ضل عني عند مسراها

قالت لدي قلوب جمة جمعت ... فأيها أنت تعني قلت أشقاها

أبو بكر الجوهري الشامي

شاعر عذب الكلمات، حسن الذات والسمات، عرائس أفكاره صباح، وجوهري نفثاته صحاح.

ورد إلى مصر مرتديا حلل الشباب، مطرزة بطراز أخلاقه العذاب، متعاطيا للتجارة، صارفا لها نقد عمره.

إذا كان رأس المال عمرك فاحترس ... عليه من الإنفاق في غير واجب

فمن جواهر كلماته الصحاح، التي هي أرق من نفس الصبا في الصباح، وقوله في مليح اسمه داود، ورقيب اسمه عمرو:

أفدي غزالا بوجنته ... مع عارض شبه واو العطف ممدود

كأنما الخال فوق الخد يحرسه ... حذار سرقة عمرو واو داود

ولابن لولؤ فيمن اسمه داود:

قد كنت جلدا في الخطوب إذا عرت ... لا تزدهيني الغانيات الغيد

وعهدت قلبي من حديد في الحشا ... فألانه بجفونه داود

وللملك الناصر في داود:

منى بطيفك بعد ما منع الكرى ... عن ناظري البعد والتسهد

ومن العجائب أن قلبك لم يلن ... لي والحديد ألانه داود

ومما قلته فيما قاله:

وحاسد يرسم في صحفه ... فضلى ويخفى الذكر إذ يطرأ

فأسمى لديه واو عمرو لذا ... يكتب في الخط ولا يقرا

وأصله قول أبي نواس:

أيها المدعي سليما سفاها ... لست منها ولا قلامة ظفر

إنما أنت من سليم كواو ... ألحقت في الهجاء ظلما بعمرو

والسماء والطارق، وما أدراك ما الطارق، هو في ميدان الفضل وحلبة الشهباء سابق، وأي سابق، وعصره كان مسك ختامها، وسحر لياليها وأصيل أيامها، نورت حدائقها بغوادي شمائله، وتحلى معصم مجدها بسوار فضائله.". [١]

١١٢-"خلقنا بأطراف القنا في ظهورهم ... عيونا لها وقع السيوف حواجب

وتابعة أبو إسحاق إبراهيم الغزي، فقال:

خلقنا لهم في كل عين وحاجب ... بسمر القنا والبيض عينا وحاجبا

وهنا لنا فائدة نفيسة، وهي ان من أهل المعاني من ادعى أن بيت الغزي أبدع، لما فيه من الطباق بين السمر والبيض، ورد العجز على الصدر، واللف والنشر، ومراعاة النظير.

وادعى انه يجوز أن يراد بالعين فيه الرئيس، وبالحاجب من يتبعه وحجابه، والمعنى أن رماحنا وسيوفنا نالت الحاجب والمحجوب، والرئيس والمرءوس، مع اشتماله على التورية والاستعارة، وهو جمعيه مما خلا عنه البيت الأول، مع ما فيه من الافتخار بقتال الأعداء الثابتين، دون المنهزمين، ف انه لا يفتخر بمثله.

وبهذا عيب البيت الثاني أيضا، وان ذكر صاحب)إيضاح المعاني(انه ابلغ لاشتماله على زيادة معنى، وهو الإشارة إلى انهزامهم، وأطال فيه وأسهب، وبعد وقرب.

والحق ما ذهب إليه خطيب المعاني، فان الفضل للمتقدم، وبيت النباتي، أحلى لما فيه من التشبيه البديع، بجعل اثر الطعنة المستديرة)من الرمح(عينا، وشطبة السيف فوقها حاجبا، والأغراب بجعل الظهر محل العين والحاجب.

وأما انهزامهم فلا يدل على عدم شجاعتهم، حتى يخل بالفخر؛ فان الشجاع ينهزم ممن هو أشجع منه، ولهذا قالوا:)الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين(كما فر موسى حين هم به القبط.

وما ذكره من معنى العين والحاجب سخيف، وتخيل ضعيف،)مع أن جعل الضرب في العين والحاجب **من العجائب(.**

وقد مر لي ما نحوت فيه نحو ابن نباتة بعينه وحاجبه، وهو:

وتنظره في قلبي الصب أعين ... عليها لمحنى الضلوع حواجب

وما ذكر من النقد عليه نقله ابن الشجري في)أمياله(عن الشريف المرتضى، وقال: انه عاب عليه قوله:)بظهورهم(وقال: لو قال:)بصدورهم(كان امدح؛ لان الطعن والضرب في الصدور أدل على الإقدام والشجاعة للطاعن والضارب، والمطعون والمضروب، لان الرجال إذا وصف قرنه بالإقدام مع ظهوره عليه، كان امدح من وصفه بالانهزام، كما قال أبو تمام:

حرام على أرماحنا طعن مدبر ... وتندق في أعلى الصدور صدورها

ولذا قال بعض المحققين: القول بان قد للتكثير في قوله:

---

(١) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا ص/٤٨

قد أترك القرن مصفرا أنامله ... كأن أثوابه مجت بفرصاد

لمناسبة مقام المدح، من قصور الفهم.

رحلة المؤلف إلى حلب

ثم لم أزل أتوكا على البيضاء والصفراء، وأقيل تحت قباب الخضراء والزرقاء، حتى قذفتني لهوات المهامة إلى حلب الشهباء، والناس بين مقوض وراحل، وما هذه الأيام إلا عقب ومراحل، إذ ذهب الذين يعاش في أكنافهم كل مذهب، وبقيت في خلف كجلد الأجرب، إن تركته أذى جسدك، وان حككته أدميته ولوثت يدك.

على أنني من بعد ذلك كله ... ولله مني الحمد عرضى أملس

فألقيت فيها عصا التسيار، عن كاهل العزائم، لما تفتحت بها عن زهرة المسرة خضر الكمائم، فإذا هي روضة مخضرة الأفنان، أو قطعة من الفردوس أهدتها لنا الجنان.

وكأنما الخضراء من طرب بها ... نثرت كواكبها على الأغصان

ولها حصن كأنه وكر لنسر السماء، أو هامة معممة)بسحابة د كناء(.

أرضها مفروشة بديباج نبت مرصع بالزهور، وحيطانها مجللة بستائر البهاء والنور.

نسيمها أعطر من عرف شميمها، وأهلها الطف وارق من نسيمها، من كل فاضل ملئت بالفضل ثيابه، وما جد قد حشى بالكرم أهابه، وأديب رقت شمائله.

فلولا البرد يمسكه لسالا وعذبت كلماته ورسائله.

فأرشفنا على ظماء زلالا فكان ممن لمعت بوارق بشره، وباحت خواطر نسيم لطفه بأسرار نشره، الفاضل الكامل، المرتدي بحبر الشمائل، العاكف في حرم الافادة، الطالع نجمه من أفق السعادة:

أبو الوفاء بن عمر بن عبد الوهاب الشافعي، العرضي الحلبي

فلقيني منه حبر مجيد، وأديب يضع القلادة في الجيد.". (١)

١١٣-"قد غر بعضهم الاهمال يحسبه ... عفوا فعاد لاتلاف وافساد

فذدتهم عن حمي البيت الحرام وهم ... من السلاسل في أطواق أجياد

كأنهم عند رفع الزند أيديهم ... يدعون حيا لمولانا بامداد

وما ارعووا فشهرت السيف محتسبا ... يا برد حرهم في حر أكباد

غادرتهم جزرا في كل منجدل ... كان أثوابه مجت بفرصاد

وأثمر السدر من أجسادهم ثمرا ... حلوا بأفواه أجداث وألحاد

سعيت سعيا جنينا من خمائله ... نور الأمان لأرواح بأجساد

---

(١) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا ص/٧٥

فكم بمكة من داع ومبتهل ... ومن محب ومن مثن ومن فادي

وعاد كل عصي مصلحا وغدت ... أيامنا بالهنا أيام أعياد

وقاد كل قصى ذله وهلا ... وكان من قبل صعبا غير منقاد

نفى لذيذ الكرى عنهم تذكرهم ... وقائعا لك بين الخرج والوادي

أباح سرحك أن يرعى منازلهم ... مهملا كل معوج ومنآدي

من كل أبيض قد صلت مضاربه ... لما ترقي خطيبا منبر الهادي

وكل أسمر نظام الكلا وله ... إلى العدا طفرة النظام مياد

وصان وسمك في حاش مخالطة ... عن رب غزو تنضاه بأحساد

أسكنت قلبهم رعبا تذكره ... ينسى الشفوق الموالي ذكر أولاد

أقبلتهم كل مرقال وسابحة ... يسرعن عدوا إلى الأعدا بأطواد

من كل شهم إلى الأعداء منتسب ... بسادة قادة للخيل أجواد

فهاك يا ابن رسول الله مدحة من ... أورت قريحته من بعد إخماد

فأحكمت فيك نظما كله غرر ... ما أحرزت مثله أقيال بغداد

أضحت قوافيه والاحسان يشرحها ... روض البديع لأرصاد بمرصاد

ترويه عني الثريا وهي هازية ... بالأصمعي وما يروى وحماد

وتستحث مطايا الزهران ركدت ... كأنها إبل يحدو بها الحادي

وتوقظ الركب ميلا من خمار كرى ... والليل من طول تدآب السرى هادي

أمتك تشفع إذلالا لمنشئها ... فأقبل تذللها يا نسل أمجاد

وأسبل الستر صفحا أن بدا خلل ... تهتك به ستر أعداء وحساد

وقل تقرب إلينا تستعز بنا ... ماحق مثلك أن يقصي بابعاد

لا زلت يا عز آل البيت في دعة ... تحف منهم بأنصار وأنجاد

مسعود جد سعيد الفال طالعه ... سعد السعود ملقي كل إسعاد

بحق طه وسبطيه وأمهما ... والمرتضى والمثنى الطهر والهادي

صلى عليهم إله العرش ما سجعت ... قمرية أو شدا في أيكة شادي

وهذه القصيدة تجارت في مضمار معارضتها أدباء العصر. فمنهم من نكص على عقبيه ومنهم من فاز بالنصر. وسيأتي بعض أخواتها مثبتا في محله إن شاء الله تعالى ومن شعره أيضا قوله في شداد ناقة الشريف المذكور وكتب عليه وفي كل من البيتين تورية لطيفة

أفق الشداد بدت به ... شمس الخلافة والهلال

ومن العجائب جمعه ... ليث الشرافة والغزال

وقوله وهو معنى مبتكر

ألا أنظر إلي هذا الصفاء لبركة ... تقول لمن قد غاب عنها من الصحب

لئن غبت عن عيني وكدرت مشربي ... تأمل تجد تمثال شخصك في قلبي

وقوله يستدعي جماعة من الفضلاء وهم بجبل النور الكائن بالمعلاة وهو بمنى

عليكم من محب حشوا ضلعه ... ود أرق إلى الظامي من النطف

تحية يرتضيها الفضل إن نفحت ... أربت على نفحات الروضة الأنف

حواكم الجبل العالي بكم شرفا ... على المعالي التي تعلو على الشرف". (١)

١١٤-"إذا كنتم في صحة وسلامة ... فما نحن إلا فيهما نتقلب

ومن مشهور شعره قوله في علم العروض وقد أجاد في التورية

إن العروض لبحر ... تعوم فيه الخواطر

وكل من عام فيه ... دارت عليه الدوائر

وقرأت بخط السيد محمد كبريت السابق الذكر ما نصه أنشد في إجازة لنفسه النفيسة سيدي العفيف عبد الله بن الخطيب الياس. سلما من المكروه والباس.

يا سيدي قم لي ولا ... من غير أن أخشى العتب

كيلا يقال مقصر ... فأكون فيه أنا السبب

فقلت وإن لم يبلغ الظالع شأو الظليع

لم لا أقوم لسيدي ... من غير أن أخشى العتب

وهو الذي قامت له ... بثنائها عليا الرتب

وقلت في المعنى من بحر الحبب

أقوم على الرأس مهما بدا ... جمالك لا لاجتناب العتب

ولم لا أقوم وأنت الذي ... لعلياه قامت كرام الرتب

انتهى ولبعضهم في المعنى

قيامي والعزيز إليك فرض ... وترك الفرض ما لا يستقيم

فهل أحد له عقل ولب ... ومعرفة يراك ولا يقوم

وما الطف قول بعضهم معتذرا عن عدم القيام

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ص/٥٣

علة سميت ثمانين عاما ... منعتني للاصدقاء القياما

فإذا عمروا تمهد عذري ... عندهم بالذي ذكرت وقاما

ذكرت بهذا ما حكاه أرباب السير عن الصاحب اسمعيل بن عباد رحمه الله تعالى أنه لما كان ببغداد وقصد القاضي أبا السائب عتبة بن عبيد لقضاء حقه فتثاقل في القيام له وتحقز تحقزا أراه به ضعف حركته وقصور نهضته فأخذ الصاحب بضبعه وأقامه وقال نعين القاضي على حقوق اخوانه فخجل القاضي واعتذر إليه. وبخط السيد محمد كبريت كتبت إلى سدته العلية يعني الخطيب المذكور

يا أيها المولى الذي فاق الورى ... ببيان منطقه البديع الزين

هات افتنا في زيد المخفوض في ... ما قام إلا زيد المسكين

فكتب مجيبا.

يا من بشمس علومه زال الكرى ... فغدا بمصباح الهدى كالعين

إني أقول جوابكم وبي الجوى ... في فرد بيت زان في العينين

زيد تصور جره باضافة ... للال وهو العهد للاثنين

الشيخ شرف الدين يحيى بن عبد الملك العصامي

سبق ذكر والده في الفصل الأول. وهذا فاضل عليه في الفضل المعول. لما توفي والده بالمدينة المنورة اختار هو وأخوه الاقامة في تلك الدار. ورجحا جوار رسول الله صلى الله عليه وآله فجرا ذيل الخفض من العيش بذلك الجوار. والطبع الذي ما شان سلسال قريحته جمود. وناهيك بعصامي النفس والجد. وفاضل جد في كسب الفضائل فساعده على نيلها الحظ والجد. وقد وقفت له على تأليف سماه انموذج النجبا من معشارة الأدبا. تكلم فيه شارحا لقول الشاعر

حاشا شمائلك اللطيفة أن ترى ... عونا علي مع الزمان القاسي

غير أنه لم يعرف قائله فقال لعمري أنه وإن جهل بانيه من البيوت التي أذن الله أن ستكن. فما اللفظ إلا بمعانيه وإن كان قائله الكن. ثم قال وهذا البيت مما يكثر الاستشهاد به أهل الآداب في محاضرة الأصدقاء والأحباب وهو من أربعة أبيات معمورة بلطيف العتاب. وتنزيه شمائل الانجاب. مبرورة بصدق المنطق واقتضاء الصواب. محاسنها غرر في جياد القصائد. ولمعاني البديع بها صلة ومن مفرداتها عائد. تشرق شموس التهذيب في سماء بلاغتها. وترشف الأسماع على الطرب من رقيق سلافتها. فما أحقها بقول القائل

أبيات شعر كالقصور ... ولا قصور بها يليق

ومن العجائب لفظها ... حر ومعناها رقيق

وهي

إني لأعجب من صدودك والجفا ... من بعد ذاك القرب والايناسي

حاشي شمائلك اللطيفة أن ترى ... عونا علي مع الزمان القاسي

أو ثغرك الصافي يرد حشاشة ... تشكو لهيبا من لظى أنفاسي

تالله ما هذي فعالك في الهوى ... لكن حظوظ قسمت في الناس". [١]

١١٥-"وقال الشيخ أبو الحسن علي بن محمد الشمعة الدمشقي

أحمامة الوادي بشرقي الغضا ... قد طاب مغناكي ولذ لمسمعي

ورميت في قلبي تباريح الجوى ... إن كنت مسعدة الكئيب فرجعي

إنا تقاسمنا الغضا فغصونه ... لك معهد يسق بسح الأدمع

وظلاله لي موطن وزهوره ... في راحتيك وجره في أضلعي

وقال الشيخ سعيد بن أحمد المقدسي الأصل الدمشقي الصالحي

أحمامة الوادي بشرقي الغضا ... هل أنت من مرأى سعاد بمسمع

فلقد تركت موسدا فرش الضنا ... إن كنت مسعدة الكئيب فرجعي

إنا تقاسمنا الغضا فغصونه ... تلك اليوانع جيدات المطلع

ذات النضارة يا حمام لأنه ... في راحتيك وجمره في أضلعي

وقال الشيخ نور الدين علي بن خالد الصفدي

أحمامة الوادي بشرقي الغضا ... ما بين ذات المضى والأجرع

أنسيت قولي إذا ضر بي النوى ... إن كنت مسعدة الكئيب فرجعي

إنا تقاسمنا الغضا فغصونه ... تزهو وتسقى من سحائب أدمعي

ولقد حبوتك إذ جعلت أراكه ... في راحتيك وجمره في أضلعي

وقال السيد عبد الفتاح بن مصطفى مغيزل الدمشقي

أحمامة الوادي بشرقي الغضا ... أشجاك ما أشجى فقد الأربع

إني ليسعدني البكاء من الجوى ... إن كنت مسعدة الكئيب فرجعي

إنا تقاسمنا الغضا فغصونه ... لك موطن وقتادة في مضجعي

وشذاه تحمله الصبا وخضابه ... في راحتيك وجمره في أضلعي

وقال الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي الباقي

أحمامة الوادي بشرقي الغضا ... هلا تذكرت اللقا بالأجرع

فبحقه عودي بغربي الحمى ... إن كنت مسعدة الكئيب فرجعي

إنا تقاسمنا الغضا فغصونه ... ماست بك لك ناره في مدمعي

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ص/١٦١

ما تعجبين فقد غدت أفنانه ... في راحتيك وجمره في أضلعي

وقال الشيخ محيي الدين يحيى بن يحيى العطار الدمشقي

أحمامة الوادي بشرقي الغضا ... هل شمت مثلي من كئيب مولع

ذي محنة قد غاب عنه الفه ... إن كنت مسعدة الكئيب فرجعي

إنا تقاسمنا الغضا فغصونه ... تزهو وتلهى كل صب موجع

ومن العجائب كونه هو دائما ... في راحتيك وجمره في أضلعي

وقال الشيخ محمد كمال الدين بن محمد بن محمد الدمشقي الشهير كأسلافه بالغزى الشافعي

أحمامة الوادي بشرقي الغضا ... تشدو بندب الألف بين الأجرع

إني المشوق وإن ما بك نابني ... إن كنت مسعدة الكئيب فرجعي

إنا تقاسمنا الغضا فغصونه ... اللاتي ذهت بعبيرها المتضوع

هي طبق ما حكم الغرام بحالتي ... في راحتيك وجمره في أضلعي

وقال مخمسا

لما برا جسمي السقام وامرضا ... ورأيت من أهواه عني أعرضا

ناديت من قلب تصبره انقضى ... أحمامة الوادي بشرقي الغضا

إن كنت مسعدة الكئيب فرجعي

فلعل ما بي قد ألم بلينه ... تلحينك المستعذبات فنونه

يكفيك منه الآن ما سيينه ... إنا تقاسمنا الغضا فغصونه

في راحتيك وحمره في أضلعي

أبو بكر المورّوي". [(١)]

١١٦-"من أخجل الكرماء لما جاءهم ... متحديا بمفاخر لن تسبقا

فأذهب لحضرته الشريفة ضارعا ... وأهد السلام وقل مقالا مونقا

يا سيد الرسل الكرام ومن غدا ... لجنابه السامي نشد الأينقا

يا راحم الضعفاء نظرة رحمة ... لمعذب مضني الفؤاد تشوقا

يرجوك فضلا أن تمن ترحما ... بشفاعة محو ذنوبا سبقا

فالعبد في سجن الآثام مقيد ... إن الكريم إذا تفضل أطلقا

أنت الملاذ إذا الذنوب تراكمت ... والغوث أنت إذا رجانا أخفقا

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ٢٨/١

أنجد لعبد قد تملك قلبه ... حب الجناب وعمره ما أعتقا
هاجت له الأشواق جمرة لوعة ... في قلبه فقضت بسقم أحرقا
ما حال يوما عن غرام صادق ... لا والذي قدما تفرد بالبقا
إن كان يوما بالديار مخلفا ... فالقلب منه حيث أنتم أوثقا
أو كان قيده القضاء بجسمه ... فالشوق قد وافى لنحوك مطلقا
فاشفع لعبدك كي يزورك سيدي ... ويرى ضريحا بالرسالة مشرقا
حيث القبول لوافد بآثامه ... والعفو عن جان أتى متملقا
من لي بلثم تراب ذياك الحمى ... أو أن أكون لعرفه متنشقا
تلك المشاهدان يفزجان بها ... يلق النجاح مع السماح محققا
مثوى حبيب قد ثوى في مهجتي ... ومقام ذي الشرف الرفيع المنتقي
هو غيثنا وغياثنا بل غوثنا ... من كل خطب في القيامة أحدقا
من جاء بالفرقان نورا ساطعا ... وغدا الوجود بهديه متآلقا
يا هاديا وافى بأوضح منهج ... لولاك ما عرف السبيل إلى التقى
يا ملجأ المسكين عند كروبه ... يا منجيا من هول ذنب أقلقا
يا من به طابت معالم طيبة ... وتمسكت منه بطيب أعبقا
أنت الذي ما زلت ترب نبوة ... من منذ كونك الآله وخلقا
العبد من خوف الجناية مشفق ... وبذيل جاهك يا شفيع تعلقا
صلى عليك الله ما ركب سرى ... نحو الحجاز وقاصدا أرض النقا
والآل والصحب الذين بحبهم ... ترجى النجاة بيوم هول أو بقا
وعلى الخصوص السيد الصديق من ... أضحى به نور الهداية مشرقا
ورفيقه الليث الغضنفر غوثنا ... من رأيه نص التلاوة وافقا
والصهر عثمان بن عفان الذي ... حاز الحياء مع المهابة والتقى
والشهم حيدرة الحروب مدينة ال ... علم الذي حاز السناء الأسبقا
فعليهم مني السلام محلقا ... نحو الحجاز وبالعبير مخلقا
ما سارت الركبان نحو تهامة ... يحدو بها حادي الغرام مشوقا
وله أيضا
قمر تبدى فوق غصن قوام ... ورنا يصول بناظر الآرام
وغدا لقوسي حاجبيه زاويا ... يرمي بها نحو الورى بسهام
فتكت نصول لحاظه بقلوبنا ... فعلى الدوام تصول وهي دوامي

نحن المرامي والسهام لحاظه ... ومن العجائب أنهن مرامي

في لفظه أو لحظه لعقولنا ... خمر وسحر ما هما بحرام

ملك الجمال بحسنه وبهائه ... وبغنج لحظيه ولين قوام

ليت الزمان به لشملي جامع ... لندوم في وصل مدى الأيام

جعلت له مني الحشاشة موطنا ... لما جفاني منه طيب منامي

فعلام يطنب لائمي في حبه ... والوجد وجدي والغرام غرامي

ريح الصبا زوري حماه وبلغي ... عني السلام وعرضي بسقامي

واستقبلي وجها غدا من حسنه ... قمر الدجى متسترا بغمام

واستجلي خالا في مقبل مبسم ... أضحى لكنز الدر مسك ختام". (١)

١١٧-"فلما فرغوا من الأكل، قالوا: ما سميته؟ قال: سميته محمدا. قالوا: رغبت عن أسماء آبائه؟ قال: أردت أن يكون محمودا في السماء لله، وفي الأرض لخلقه، فحقق الله رجاءه.

ولما ولدته أمه آمنة، أرضعته ثلاثة أيام، ثم أرضعته ثويبة الأسلمية جارية عمه أبي لهب أياما قبل قدوم حليمة من قبيلتها، ثم أرضعته حليمة كما تقدم.

روى أنه أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم ثمان نسوة غير أمه: ثويبة، وحليمة، وخولة بنت المنذر، وأم أيمن، وامرأة سعدية غير حليمة، وثلاث نسوة من سليم اسم كل واحدة عاتكة، وهو المراد من قوله صلى الله عليه وسلم: أنا ابن العواتك من سليم؛ كذا قاله الإمام السهيلي ناقلا له عن بعض العلماء؛ لكن المشهور: أن العواتك المشار إليهن في الحديث المذكور: عاتكة بنت هلال بن فاح بن ذكوان السلمية، وهي أم عبد مناف جده، والثانية: عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان السلمية - أيضا - وهي أم هاشم بن عبد مناف، والثالثة: عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال بن فالح بن ذكوان، وهي أم وهب أبي أمه آمنة؛ فهي جدته أم أبي آمنة. فالأولى عمته، والثانية والثالثة عمته، وبنو سليم يفتخرون بهذه الولادة.

وكانت أخته من الرضاعة تحضنه وترقصه فتقول: من الرجز

هذا أخ لي لم تلده أمي ... وليس من نسل أبي وعمي

فديته من مخول معم ... فأنمه اللهم فيما تنمي

وأخرج البيهقي، والخطيب البغدادي، وابن عساكر، عن العباس بن عبد المطلب، قال: قلت: يا رسول الله، دعاني للدخول في دينك أمارة لنبوتك؛ رأيتك في المهد تناغي القمر، وتشير إليه بإصبعك، فحيث أشرت إليه مال، فقال صلى الله عليه وسلم: إني كنت أحدثه ويحدثني، ويلهيني عن البكاء، وأسمع وجبته حين يسجد تحت العرش.

وفي سيرة الواقدي: أنه صلى الله عليه وسلم تكلم في أوائل ما ولد، وذكر ابن سبع في الخصائص أن مهده صلى الله عليه

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ٧٤/٢

وسلم كان يتحرك بتحريك الملائكة له.

قال في المواهب: قالت حليمة: **ومن العجائب** أني ما رأيت له بولا، ولا غسلت له وضوءا قط، وكانت له طهارة ونظافة، وكان له في كل يوم وقت واحد يتوضأ فيه ولا يعود حتى يأتي وقته الآخر من الغد، ولم يكن شيء أبغض إليه من أن يرى جسده مكشوفا، فكنت إذا كشفت عن جسده يصيح حتى أستره عليه، وكان لا يبكي قط، ولا يسيء خلقه.

وروى عن ابن عباس: كانت حليمة تحدث أنها أول ما فطمته – عليه الصلاة والسلام – تكلم، فقال: الله أكبر كبيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا.

وفي تاريخ الخميس، عن المنتقي: قالت حليمة: انتبهت ليلة من الليالي، فسمعته يتكلم بكلام لم أسمع كلاما قط أحسن منه، فقال: لا إله إلا الله قدوسا قدوسا، نامت العيون والرحمن لا تأخذه سنة ولا نوم، وهو أول ما تكلم، فكنت أتعجب من ذلك، فلما بلغ المنطق، لم يمس شيئا إلا قال: بسم الله، ولم يتناول شيئا بيساره بل بيمينه، وكنت قد اجتنبت الزوج إلا إن اغتسلت منه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمت له سنتان كاملتان، فبينما هو قاعد في حجري ذات يوم إذ مرت به غنيمات، فأقبلت شاة من الغنم حتى سجدت له، وقبلت رأسه، ثم رجعت إلى صواحباتها. وكان ينزل عليه كل يوم نور كنور الشمس فيغشاه ثم ينجلي عنه.

قال العلامة القسطلاني: ولما ترعرع صلى الله عليه وسلم كان يخرج إلى الصبيان، وهم يلعبون فيجتنبهم.

وفي المنتقى: كان أخواه من الرضاع يخرجان فيمران بالغلمان فيلعبان معهم، فإذا رآهم النبي صلى الله عليه وسلم، اجتنبهم، وأخذ بيد أخويه، وقال لهما: إنا لم نخلق لهذا.

ولما مضت له سنتان من مولده، قالت حليمة: فصلته، وقدمنا به على أمه، ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما نرى من بركته. وكلمنا أمه، وقلنا: لو تركتيه عندنا حتى يغلظ، فإنا نخشى عليه وباء مكة، ولم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به، فوالله إنه لبعد مقدمنا بشهرين أو بثلاثة أشهر مع أخيه من الرضاع خلف بيوتنا؛ إذ أتانا أخوه يشتد فقال: يا أماه، ذلك أخي القرشي قد جاء رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه. قالت حليمة: فخرجت أنا وأخوه وأبوه نشتد نحوه فوجدناه قائما منتقعا لونه، فاعتنقه أبوه، وقال: أي بني، ما شأنك؟ قلت: هذه هي المرة الأولى من مرات شق صدره الشريف؛ كما سيأتي.". (١)

١١٨-"وفيها: توفي العلامة القاضي أحمد بن عيسى المرشدي العمري الحنفي، شهاب الفضل الثاقب، الشهير الماثر والمناقب، من سطع في سماء الأدب نوره، وتفتق في رياضه زهره ونوره، فامتد في البلاغة باعه، وشق على من رام أن يشق غباره اتباعه، لا تلين قناة فضله لغامز، ولا يلمز ادبه المبرأ من العيب لامز.

كان تولى القضاء بمكة المشرفة، فنال به ما أمله مما طمح بصره إليه واستشرفه. ولما حصل أخوه في قبضة الشريف أحمد بن عبد المطلب، ومنى منه بذلك الفادح الذي قهر به وغلب، حصل هو أيضا في قبضة القبض والأسر، وأردف معه على

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ١٢٩/١

ذلك الأدهم بالقسر، حتى جرع أخوه بذلك الكاس، وأنعم عليه بالخلاص بعد الياس. فراش الدهر حاله، وأعاد منها ما غيره وأحاله.

ولم يزل! فارغ البال، من شواغل البلبال، إلى أن انقضت أيامه، ووافاه حمامه.

فكانت وفاته لخمس خلون من ذي الحجة الحرام من السنة المذكورة.

واتفق تاريخ وفاته صدر البيت المشهور:

من شاء بعدك فليمت ... .

وله نظم بديع، ونثر يفوق أزهار الربيع.

من نظمه القصيدة الدالية أمتدح فيها شريف مكة الشريف مسعود بن حسن مطلعها: من البسيط:

عوجا قليلا كذا عن أيمن الوادي ... واستوقفا العيس لايحدو بها الحادي

منها قوله:

راس الملوك يمين الملك ساعده ... زند المعالي جبين الجحفل البادي

ومنها:

وصان وسمك في حاش مخالطة ... عن رب غزو تنضاه بأحشاد

وهي قصيدة بليغة تقدم ذكرها.

وله قصيدة في السيد شهوان بن مسعود مطلعها: من البسيط:

فيروزج أم وسام الغادة الرود ... يبدو على سلك در فيه منضود

ومنها قوله في المخلص:

صهباء تفعل في الألباب سورتها ... فعل السخاء بشهوان بن مسعود

وله ما كتبه على شداد مطية الشريف زيد بن محسن – رحمهما الله تعالى – وهو قوله: من مجزوء الكامل:

أفق الشداد بدت به ... شمس الخلافة والهلال

ومن العجائب جمعه ... ليث الشرافة والغزال

وله غير ذلك من غير ذلك – رحمه الله تعالى – .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين بعد الألف، في أثنائها أقبل من الديار الرومية بشير أغا الحبشي الطواشي، معه أوامر بمطلق التصرف، وخطوط سلطانية بما يريد من التعرف والتحرف. فلما بلغ الينبع ورد إليه الخبر بوفاة السلطان مراد بن أحمد خان سلطان الزمان، ففاح الخبر بينبع، ثم كتمه بشير ليتم له تنفيذ ما أراد، وقد كان مولانا الشريف زيد هيأ واختار لبشير أغا عدة أماكن من المدارس والبيوت، وأمر بفرشها، وكان من نيته مواجهته إلى مر، وأرسل بعض خدامه إلى ينبع ليرى ما مع بشير من الخيل والرحل والناس، فلما وصل إليها سمع هذا الخبر وتحققه فرجع مسرعا مجدا به إلى مولانا الشريف زيد، فلما تحقق مولانا الشريف صحة ذلك أمر بتحويل الفرش التي في تلك الأماكن، وغلق بعضها، فلما قارب بشير مكة خرج إليه

مولانا الشريف، ولاقاه في الجوخي محل ملاقاة أمراء الحج إذا وصلوا، فلما أن لاقاه وقابله، وفي بال بشير أن الخبر لم يبلغه، وأن يتم له ما أراد من تنفيذ ما شاء على غشاش وغفلة، ثم بعد ذلك لا يضره ظهور الخبر، فلما تدانيا همز مولانا الشريف زيد – رحمه الله تعالى – فرسه مقدما على بشير مناكبا له قائلا: الله رحمت أيله سلطان مراد، ومسح على عينيه بالمنديل باكيا أو متباكيا، فسقط في يد بشير، ودخل بشير كالأسير.

وهذا من جملة سعودات الشريف في القدر المنيف.

وكان مولانا الشريف رحمه الله قد رأى في المنام كأن شخصا ينشده هذا البيت: من الطويل:

كأن لم يكن أمر وإن كان كائن ... لكان به أمر نفى ذلك الأمر

فانتبه رحمه الله، وكتبه بالسواك على رمل في صحن نحاس خشية النسيان، وكانت هذه الرؤيا في الليلة التي أسفر صباحها عن ورود هذا الخبر.

واستمر بشير إلى آخر السنة، وحج وتوجه صحبة الحاج حيث جاء.

فمن الألطاف الخفية لمولانا بما أولاه، وكم، وكفى بالله.

وقد نظم السيد محمد الآنسي المغربي قصيدة يمدح بها مولانا الشريف زيد رحمه الله ذكر فيها قصة بشير، وأورد فيها البيت المذكور وهي هذه: من الطويل:". [١]

١١٩-"وفيها تاسع ربيع الأول: ورد أغا من صاحب مصر بقفطان للشريف سعيد، وبطلب كرد أحمد المعمار، وهذا كرد أحمد كان قد وصل قبل هذه السنة، أرسله الوزير الأعظم مصطفى باشا إلى عمارة المسجد الحرام وحده، وكانت عمارته في المسجد فرش أروقته بالحجر الشبيكي، وعمارته بجدة إجراء عين إليها استمر فيها نحو ثلاث سنوات ابتدأها من المحل المعروف بالقوز، وعمر بها أيضا مسجدا ومنارة وحماما ووكالة.

وسبب طلبه لما غضب على مرسله الوزير الأعظم مصطفى المذكور بسبب الولس الذي نسب إليه مع الكفار على المسلمين، وكان هذا كرد أحمد من خواص الوزير المذكور، فجاء الأمر لمولانا الشريف سعيد.

ففي يوم وصول الأغا ختم على بيت كرد أحمد الفى بمكة، وركب الأغا من يومه إلى جدة وختم على بيته بها وعلى جميع المال وأحضروا المهندسين فخمنوا العمارة فخمنوا كل ذراع بقرش ريال بعد أن ذرعوا من الابتداء إلى البلد فبلغ كذا وكذا ألف ذراع، وكذلك خمنوا ما صرف على فرش المسجد، وحسبوا جميع ذلك وكتبوا به حجة شرعية، وخرج من مكة إلى جدة في شهر ربيع الآخر فذهب إلى من طلبه.

ومما وقع في هذه السنة **من العجائب**: أن حرمة من جهة الشبيكه من نساء العرب وضعت كلبا فخافوا الفضيحة فقتلوه ودفنوه.

وفيها أيضا: جاء نجاب من مصر، وأخبرني مشافهة أن بالمويلح القرية المعروفة حرمة ولدت ولدا، فذهب أبوه إلى جهة

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ٢٧/٣

السوق، فلما رجع قال الولد المولود لوالده: العوافي يا باه قضيت حاجتك، وتكلم بأشياء كثيرة من ساعته. وهذا من العجائب التي لم يسمع بمثلها إلا نادرا والقدرة صالحة، وبعد ذلك فقد الولد فسبحان القادر على كل شيء.

وفيها: تضرر السادة من غلو سعر الذهب، ووصول الأحمر إلى ثمانية حروف وربع، وبسببه غلت الأسعار، فطلبوا من الشريف أن ينادى بنزول سعره إلى أربعة حروف؛ لتنزل أسعار المسعرات إلى النصف من كل شيء، فأجابهم إلى ذلك، فتعب من ذلك صاحب جدة أحمد باشا وعساكر مصر حين أرسل لهم الشريف بمثل ذلك، وامتنع من النداء عليه إلا بسبعة حروف، وكان ذلك عشري جمادى الأولى. ثم إن عسكر مصر شكوا إلى الشريف سعيد أن هذا ضرورة علينا، فنسأل الفضل أن تجعلوه بستة حروف ونصف لا علينا ولا على السادة الأشراف خلاف، فأمر الشريف سعيد بالنداء بذلك والفسح به، فلما سمعوا السادة الأشراف بموافقة الشريف سعيد للأتراك فيما طلبوه تعبوا، واجتمعوا في بيت السيد مبارك الحارث؛ لأنه هو أول من تكلم في ذلك الشأن.

ثم ركبوا إلى السيد غالب بن زامل وكان بالأبطح، وأخبروه بمخالفة الشريف هواهم واتباعه هوى الأتراك، فأتى مولانا السيد غالب ومولانا السيد محمد بن حمود، ومولانا السيد أحمد بن سعيد بن شنبر، فقالوا للسيد مبارك وبقية الأشراف القائمين في هذا الأمر: إن البلاد للشريف، وإن الأمر له في المعاملة وغيرها، ولستم شركاء للشريف في الأحكام بل في المدخول، فحجوهم بذلك.

وفيها في شهر ربيع الآخر: وجد رجل من أبناء المدينة، يقال له: محمد بن عمار الصعيدي بالمسجد النبوي بعد أن فتش المسجد، وأغلق فأخرجه الخدام، ثم لما كان من أعمال شيء من الليل وجدوه أيضا تجاه القبر الشريف يقرأ في مصحف، فأخرجوه من المسجد.

ولما كان ليلة الجمعة وقت التذكير دخلوا لإيقاد قناديل الحجرة الشريفة، فوجدوه فيها داخلا تحت الستر نصفه ونصفه الآخر خارجا، فتقدموا إليه وأخرجوه، وأتوا به إلى شيخ الحرم، وأخبروه بما وقع فوضعه في بعض المخازن، وأغلق الباب وعلى الباب حرس، ثم فتحوا الباب بعد ساعة فلم يجدوه، فسألوا عنه فإذا هو في بيته عند والده، وأهله، والله أعلم بحقيقة حاله.

وفيها يوم الثلاثاء سابع عشر رمضان منها: عدا بعض أولاد الصاغة بمكة على أخيه فضربه جنبية عمدا فقتله – رحمه الله تعالى – ودخل على السيد حسن بن كالب، فدخل به على أخيه مولانا الشريف أحمد متع الله بحياته، فبذل لأبويه الدية فامتنعا وسمحا عفوا، فألزمه بسكنى بندر جدة فهو فيها.

وفيها ليلة الخميس سابع عشري رمضان منها: كانت وفاة الحرة الطاهرة والدره الثمينة الفاخرة السيدة الشريفة عمرة بنت سلطان الحرمين مولانا المرحوم الشريف زيد – تغمدها الله برحمته، وأسكنها فسيح جنته – ودفنت صبيحة ذلك اليوم. وكانت جنازتها حافلة.". (١)

---

(١) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ٣/٧٤

١٢٠-"يأمرني بردك.
فقال: أنت غلامي أو غلامه ؟ قال: كلنا غلمانك ما أطعت الله، وقد عصيت بخروجك وتسليطك عدوك على المسلمين.
ثم قام، ووكل به جماعة، ثم انه بعث إليه يطلب منه ابن خاقان وجماعة ليناظرهم، فبعث بهم، فقال لهم: ما جنى أحد على الامام والاسلام جنايتكم.
أخرجتموه من دار ملكه في عدة يسيرة، وهذا هارون الشاري بإزائكم في جمع كثير، فلو ظفر بالخليفة، لكان عارا على الاسلام، ثم رسم أيضا عليهم، وأمر المعتمد بالرجوع، فقال: فاحلف لي أنك تنحدر معي ولا تسلمني، فحلف، وانحدر إلى سامراء.
فتلقاه كاتب الموفق صاعد، فأنزله في دار أحمد بن الخصيب، ومنعه من نزول دار الخلافة، ووكل به خمس مئة نفس، ومنع من أن يجتمع به أحد.
وبعث الموفق إلى ابن كنداج بخلع وذهب عظيم.
قال الصولي: تحيل المعتمد من أخيه، فكاتب ابن طولون.
ومما قال: أليس **من العجائب** أن مثلي * يرى ما قل ممتنعا عليه وتؤكل باسمه الدنيا جميعا * وما من ذاك شئ في يديه (١) ؟ ! ولقب الموفق صاعد بن مخلد ذا الوزراتين، ولقب ابن كنداج ذا السيفين.
فلما علم ابن طولون جمع الاعيان، وقال: قد نكث الموفق بأمير المؤمنين، فاخلعوه من العهد فخلعوه سوى القاضي بكار بن قتيبة.
فقال

---

(١) البيتان في " فوات الوفيات " ١ / ٦٦، و " الوافي بالوفيات " ٦ / ٢٩٣، و " تاريخ السيوطي ": ٣٦٥ وبعدهما: إليه تحمل الاموال طرا * ويمنع بعض ما يجبى إليه وسيوردهما المصنف أيضا في ص: ٦٠٢ من هذا الجزء.
(*)."[١]

١٢١-"قل له: شيخ فإن وعليل مدنف، والملتقى قريب، والقاضي الله عز وجل.
فأبلغها الرسول أحمد، فأطرق، ثم أقبل يكرر ذلك على نفسه، ثم أمر بنقله من السجن إلى دار اكتريت له، وفيها كان يحدث، فلما مات الملك قيل لابي بكرة: انصرف إلى منزلك، فقال: هذه الدار بأجرة، وقد صلحت لي، فأقام بها (١).
قال الطحاوي: فأقام بها بعد أحمد أربعين يوما ومات.
قلت: كان ولي العهد الموفق قد استبد بالامور، وضيق على أخيه الخليفة المعتمد.
قال الصولي: تخيل المعتمد من أخيه، فكاتب أحمد بن طولون، واتفقا، وقال المعتمد: أليس **من العجائب** أن مثلي * يرى

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/٥٤٨

ما قل ممتنعا عليه وتؤكل باسمه الدنيا جميعا * وما من ذاك شئ في يديه ؟ ! ! (٢) فبلغنا أن ابن طولون جمع العلماء والاعيان، وقال: قد نكث الموفق أبو أحمد بأمير المؤمنين، فاخلعوه من العهد فخلعوه، إلا بكار بن قتيبة.

وقال: أنت أوردت علي كتاب المعتمد بتوليته العهد، فهات كتابا آخر منه بخلعه.

قال: إنه محجور عليه ومقهور ؟ قال: لا أدري.

فقال له: غرك الناس بقولهم: ما في الدنيا مثل بكار، أنت قد خرفت وقيده وحبسه، وأخذ منه جميع عطائه من سنين، فكان عشرة آلاف دينار، فقيل: إنما وجدت بختومها وحالها.

وبلغ ذلك الموفق، فأمر بلعن ابن طولون على المنابر.

---

(١) " وفيات الاعيان " ١ / ٢٩١، و " النجوم الزاهرة " ٣ / ١٨ (٢) سبق تخريج البيتين في ص: ٥٤٨ من هذا الجزء. (*)".[1]

١٢٢-"نال دنيا ورتبة من الحاكم.

وكان رافضيا منجما، ردئ الاعتقاد.

له كتاب " التنجيم والاصابات " في عشر مجلدات، وكتاب " الديانات " في اثني عشر مجلدا، وكتاب " الشعر " ثلاث مجلدات، وكتاب " أصناف الجماع " ثلاث مجلدات، وكتاب " التاريخ " (١)، وأشياء (٢).

مات في ربيع الآخر، سنة عشرين وأربع مئة، وله أربع وخمسون سنة (٣).

وله يد طولى في الشعر (٤) والادب والاخبار.

وكان أبوه (٥) من الاعيان، مات سنة أربع مئة عن سن عالية.

---

(١) نقل ابن خلكان عن المسبحي قوله في هذا الكتاب: وهو أخبار مصر ومن حلها من الولاة والامراء والائمة والخلفاء، وما بها **من العجائب** والابنية، واختلاف أصناف الاطعمة، وذكر نيلها، وأحوال من حل بها من الشعراء، وأخبار المغنين ومجالس القضاة والحاكم والمعدلين والادباء والمتغزلين وغيرهم.

قال ابن خلكان: وهو ثلاثة عشر ألف ورقة.

وقال حاجي خليفة: وهو كبير في اثني عشر مجلدا، واختصره تقي الدين الفاسي، وذيل عليه محمد بن علي بن الميسر.

ويوجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة في الاسكوريال ثان ٥٤٣: ٢.

(٢) انظر بعض تصانيفه في " وفيات الاعيان " ٤ / ٣٧٧، ٣٧٨، و " الوافي بالوفيات " ٤ / ٨، و " هدية العارفين " ٢ / ٦٣، ٦٤.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦٠٢/١٢

(٣) وولادته في عاشر رجب سنة ست وستين وثلاث مئة.

" وفيات الاعيان " ٤ / ٣٧٩.

(٤) ومن شعره يرثي أم ولده: ألا في سبيل الله قلب تقطعا * وفادحة لم تبق للعين مدمعا

أصبرا وقد حل الثرى من أوده * فلله هم ما أشد وأوجعا فيا ليتني للموت قدمت قبلها * وإلا فليت الموت أذهبنا معا انظر

" وفيات الاعيان " ٤ / ٣٧٨، و " الوافي " ٤ / ٨.

(٥) انظر ترجمته في " وفيات الاعيان " ٤ / ٣٧٩.

(*)".[1]

١٢٣-"وكان يتوقد ذكاء، وكان بحر معارف، وكنز فضائل، لم يكن له في زمانه نظير على بدعته، وعلق كتاب " الفنون "، وهو أزيد من أربع مئة مجلد، حشد فيه كل ما كان يجري له مع الفضلاء والتلامذة، وما يسنح له من الدقائق والغوامض، وما يسمعه **من العجائب** والحوادث (١).

= كإضافة البيت، والناقة، وهذا قول نفاة الصفات من الجهمية، والمعتزلة، ومن وافقهم، حتى ابن عقيل، وابن الجوزي وأمثالهما إذا مالوا إلى قول المعتزلة سلكوا هذا المسلك، وقالوا: هذه آيات الاضافات لا آيات الصفات، كما ذكر ذلك ابن عقيل في كتابه المسمى " نفي التشبيه وإثبات التنزيه " وذكره ابن الجوزي في " منهاج الوصول " وغيره، وهذا قول بن حزم وأمثاله ممن وافقوا الجهمية على نفي الصفات وإن كانوا من المنتسبين إلى الحديث والسنة.

وقال الحافظ ابن رجب في " ذيل الطبقات ": ١ / ١٤٤: إن أصحابنا كانوا ينقمون على ابن عقيل تردده إلى ابن الوليد وابن التبان شيخي المعتزلة، وكان يقرأ عليهما في السر علم الكلام، ويظهر منه في بعض الاحيان نوع انحراف عن السنة وتأول لبعض الصفات، ولم يزل فيه بعض ذلك إلى أن مات رحمه الله.

وقال الحافظ ابن كثير في " البداية ": ١٢ / ١٨٤: وكان يجتمع بجميع العلماء من كل مذهب، فربما لامه أصحابه، فلا يلوي عليهم، فلهذا برز على أقرانه، وساد أهل زمانه،

في فنون كثيرة، مع صيانة وديانة، وحسن صورة، وكثرة اشتغال.

وقال الحافظ ابن حجر في " اللسان ": ٤ / ٢٤٣: وهذا الرجل من كبار الائمة، نعم كان معتزليا، ثم أشهد على نفسه أنه تاب عن ذلك، وصحت توبته، ثم صنف في الرد عليهم، وقد أثنى عليه أهل عصره ومن بعدهم، وأطراه ابن الجوزي، وعول على كلامه في أكثر تصانيفه.

(١) قال الحافظ ابن رجب: وأكبر تصانيفه الفنون، وهو كتاب كبير جدا، فيه فوائد كثيرة جليلة، في الوعظ، والتفسير، والفقه، والاصلين، والنحو، واللغة، والشعر، والتاريخ، والحكايات، وفيه مناظراته ومجالسه التي وقعت له، وخواطره، ونتائج

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٦٢/١٧

فكره قيدها فيه.

وقال ابن الجوزي: وهذا الكتاب مئتا مجلد، وقع لي منه نحو من مئة وخمسين مجلدا، وقال سبطه في مرآة الزمان: ٨ / ١٥١: واختصر منه جدي عشر مجلدات فرقها في تصانيفه، وقد طالعت منه في بغداد في وقف المأمونية نحوا من سبعين، وفيه حكايات ومناظرات، وغرائب وعجائب وأشعار.

وقال عبد الرزاق الرسعني في تفسيره: قال لي أبو البقاء اللغوي: سمعت الشيخ أبا حكيم النهرواني يقول: وقفت على السفر الرابع بعد الثلاث مئة من كتاب الفنون، وقال الامام الذهبي في " تاريخ الاسلام ": حدثني من رأى منه = (*)".[1]

١٢٤-"وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون الختمات، بالشمع والقناديل، ورآه في تلك الليلة المحدث أحمد بن سلمان السكر (١) في النوم، وهو على

منبر من ياقوت، وهو جالس في مقعد صدق والملائكة بين يديه (٢).

وأصبحنا يوم السبت عملنا العزاء، وتكلمت فيه، وحضر خلق عظيم، وعملت فيه المراثي (٣)، **ومن العجائب** أنا كنا بعد انقضاء العزاء يوم السبت عند قبره، وإذا بخالي محيي الدين قد صعد من الشط، وخلفه تابوت، فقلنا: نرى من مات، وإذا بها خاتون أم محيي الدين، وعهدي بها ليلة وفاة جدي في عافية، فعد الناس هذا من كراماته، لانه كان مغرى بها.

وأوصى جده أن يكتب على قبره: يا كثير العفو عمن *كثر الذنب لديه جاءك المذنب يرجوا ال.

* صفح عن جرم يديه أنا ضيف وجزاء ال.

* ضيف إحسان إليه أخبرنا عبد الحافظ (٤) بن بدران، أخبرنا الامام موفق الدين عبد الله بن أحمد، حدثنا أبو الفرج عبد الرحمان بن علي، أخبرنا يحيى بن ثابت، أخبرنا أبي، حدثنا أبو بكر البرقاني، أخبرنا أحمد بن إبراهيم، أخبرنا ابن عبد الكريم الوزان، حدثنا الحسن بن علي الازدي، حدثنا علي بن

السبط بالمجازفة في غير موضع من كتبه.

(١) توفي سنة ٦٠١.

(٢) تمام الخبر: والحق سبحانه حاضر يسمع كلامه.

(٣) لم يقل السبط (وعملت فيه المراثي) لكنه أورد قصيدة في رثائه للناصر العلوي الموسوي من أهل مشهد موسى بن جعفر عليهما السلام، وهي المعروفة بالكاظمية.

(٤) عماد الدين أبو محمد عبد الحافظ بن بدران بن شبل بن طرخان النابلسي الحنبلي الزاهد شيخ الذهبي المتوفى سنة ٩٨ ذكره الذهبي في (معجم شيوخه): ١ / الورقة: ٧٠، وفي وفيات سنة ٦٩٨ من (تاريخ الاسلام) (أيا صوفيا ٣٠١٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤٤٥/١٩

(*)".(١)

١٢٥-"وفي السنة خرج المعتمد من سامراء ليلحق لصاحب مصر أحمد بن طولون، وكان بدمشق، فبلغ ذلك الموفق، فأغرى بأخيه إسحاق بن كنداج، فلقي المعتمد بين الموصل والحديثة، وقال: يا أمير المؤمنين! ما هذا؟ فأخوك في وجه العدو وأنت تخرج من مقر عزك! ومتى علم بهذا ترك مقاومة عدوك، وتغلب الخارجي على ديار آبائك.

وهذا كتاب أخيك يأمرني بردك.

فقال: أنت غلامي أو غلامه؟

قال: كلنا غلمانك ما أطعت الله، وقد عصيت بخروجك وتسليطك عدوك على المسلمين. (٥٤٨/١٢)

ثم قام، ووكل به جماعة، ثم إنه بعث إليه يطلب منه ابن خاقان وجماعة ليناظرهم، فبعث بهم، فقال لهم: ما جنى أحد على الإمام والإسلام جنايتكم، أخرجتموه من دار ملكه في عدة يسيرة، وهذا هارون الشاري بإزائكم في جمع كثير، فلو ظفر بالخليفة، لكان عارا على الإسلام، ثم رسم أيضا عليهم، وأمر المعتمد بالرجوع، فقال: فاحلف لي أنك تنحدر معي ولا تسلمني، فحلف، وانحدر إلى سامراء.

فتلقاه كاتب الموفق صاعد، فأنزله في دار أحمد بن الخصيب، ومنعه من نزول دار الخلافة، ووكل به خمس مائة نفس، ومنع من أن يجتمع به أحد.

وبعث الموفق إلى ابن كنداج بخلع وذهب عظيم.

قال الصولي: تخيل المعتمد من أخيه، فكاتب ابن طولون.

ومما قال:

أليس **من العجائب** أن مثلي * يرى ما قل ممتنعا عليه

وتؤكل باسمه الدنيا جميعا * وما من ذاك شيء في يديه؟! (٥٤٩/١٢)

". (٢)

١٢٦-"قال الصولي: تخيل المعتمد من أخيه، فكاتب أحمد بن طولون، واتفقا، وقال المعتمد:

أليس **من العجائب** أن مثلي * يرى ما قل ممتنعا عليه

وتؤكل باسمه الدنيا جميعا * وما من ذاك شيء في يديه؟!

فبلغنا أن ابن طولون جمع العلماء والأعيان، وقال: قد نكث الموفق أبو أحمد بأمير المؤمنين، فاخلعوه من العهد. فخلعوه، إلا بكار بن قتيبة.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٨٠/٢١

(٢) سير أعلام النبلاء [مشكول + موافق للمطبوع] ٥٣/٢٤

وقال: أنت أوردت علي كتاب المعتمد بتوليته العهد، فهات كتابا آخر منه بخلعه.
قال: إنه محجور عليه ومقهور؟
قال: لا أدري.
فقال له: غرك الناس بقولهم: ما في الدنيا مثل بكار، أنت قد خرفت وقيده وحبسه، وأخذ منه جميع عطائه من سنين، فكان عشرة آلاف دينار، فقيل: إنها وجدت بختومها وحالها.
وبلغ ذلك الموفق، فأمر بلعن ابن طولون على المنابر. (١٢/٦٠٣)
ونقل القاضي ابن خلكان: أن ابن طولون كان ينفذ إلى بكار في العام ألف دينار، سوى المقرر له، فيتركها بختمها، فلما دعاه إلى خلع الموفق، طالبه بجملة المال، فحمله إليه بختومه ثمانية عشر كيسا، فاستحيا ابن طولون عند ذلك، ثم أمره أن يسلم القضاء إلى محمد بن شاذان الجوهري، ففعل، واستخلفه، وكان يحدث من طاقة السجن، لأن أصحاب الحديث طلبوا ذلك من أحمد، فأذن لهم على هذه الصورة.
قال ابن خلكان: وكان بكار تاليا للقرآن، بكاء، صالحا، دينا، وقبره مشهور قد عرف باستجابة الدعاء عنده.
". (١)

١٢٧-"٢٥٩ - ابن عقيل أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد
الإمام، العلامة، البحر، شيخ الحنابلة، أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي، الظفري، الحنبلي، المتكلم، صاحب التصانيف، كان يسكن الظفرية، ومسجده بها مشهور.(١٩/٤٤٤)
ولد:سنة إحدى وثلاثين وأربع مائة.
وسمع:أبا بكر بن بشران، وأبا الفتح بن شيطا، وأبا محمد الجوهري، والحسن بن غالب المقرئ، والقاضي أبا يعلى بن الفراء، وتفقه عليه.
وتلا بالعشر على:أبي الفتح بن شيطا.
وأخذ العربية عن:أبي القاسم بن برهان.
وأخذ علم العقليات عن شيخي الاعتزال:أبي علي بن الوليد، وأبي القاسم بن التبان صاحبي أبي الحسين البصري، فانحرف عن السنة.(١٩/٤٤٥)
وكان يتوقد ذكاء، وكان بحر معارف، وكنز فضائل، لم يكن له في زمانه نظير على بدعته، وعلق كتاب(الفنون)، وهو أزيد من أربع مائة مجلد، حشد فيه كل ما كان يجري له مع الفضلاء والتلامذة، وما يسنح له من الدقائق والغوامض، وما يسمعه

(١) سير أعلام النبلاء [مشكول + موافق للمطبوع] ٢٤/١٠٨

من العجائب والحوادث.(١٩/٤٤٦)". [١]

١٢٨-"وما وصل إلى حفرته من الكفن إلا قليل- كذا قال- والعهدة عليه، وأنزل في الحفرة، والمؤذن يقول: الله أكبر، وحزن عليه الخلق، وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون الختمات، بالشمع والقناديل، ورآه في تلك الليلة المحدث أحمد بن سلمان السكر في النوم، وهو على منبر من ياقوت، وهو جالس في مقعد صدق والملائكة بين يديه. (٢١/٣٨٠)

وأصبحنا يوم السبت عملنا العزاء، وتكلمت فيه، وحضر خلق عظيم، وعملت فيه المراثي، ومن العجائب أنا كنا بعد انقضاء العزاء يوم السبت عند قبره، وإذا بخالي محيي الدين قد صعد من الشط، وخلفه تابوت، فقلنا: نرى من مات، وإذا بها خاتون أم محيي الدين، وعهدي بها ليلة وفاة جدي في عافية، فعد الناس هذا من كراماته، لأنه كان مغرى بها.

وأوصى جده أن يكتب على قبره:

يا كثير العفو عمن*كثر الذنب لديه

جاءك المذنب يرجو الـ*صفح عن جرم يديه

أنا ضيف، وجزاء الـ*ضيف إحسان إليه (٢١/٣٨١)

." [٢]

١٢٩-"الحديث على جواز تلاوة القرآن وأخذ أجر عليه لإسماع الناس التلاوة أو القرآن ، الاستدلال بها على هذا لا يجوز ولا يصح وهو من تحريف الكلم عن مواضعه وهذا من فوائد هذا الحديث إلى جانب الفائدة الجليلة التي بينها النبي(بين بها منزلة القرآن ومكانته من غيره من القربات ، بل مكانتها من سائر القرآن ، هذا بيان لجانب آخر من جوانب فضيلة سورة الفاتحة وأن من فضيلتها أنها جعلت فرضا في كل ركعة من ركعات الصلاة بخلاف السورة التي بعدها فإنها من سنن الصلاة ، لو تركها الإنسان تكون صلاته صحيحة أما الفاتحة فلو تركها فصلاته باطلة والقرآن كله خير وفضله على كلام البشر كفضل الله على عباده .

وأسأل الله جل شأنه أن يبصرنا بديننا وأن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وأن يجعله غذاء لأرواحنا وأن يجعله مصدر تشريعنا – يستميل إليه حتى لا نحكم سواه وسوى سنة رسول الله (فإن من أخذ بهما أخذ بالحق وكان على بينة وبصيرة من أمر دينه مع ربه ومع المخلوقات وكان حبيبا لله في الدنيا والآخرة سعيدا في دنياه وفي آخرته .

والحمد لله رب العالمين .

من وحي قصص القرآن الكريم

قصة يوسف عليه الصلاة والسلام

---

(١) سير أعلام النبلاء [مشكول + موافق للمطبوع] ٣٧/٤١٥

(٢) سير أعلام النبلاء [مشكول + موافق للمطبوع] ٤١/٣٥٥

بين سبحانه لرسوله محمد (في كثير من قصص القرآن الطريقة المثلى التي يثبت بها رسالته ويحاج بها أمته . وأرشده إلى كون ذلك القصص آية بينة توجب عليهم أن يستجيبوا لما دعاهم إليه من التصديق برسالته والإيمان بسائر ما جاءهم به من عند الله .

من ذلك قصة يوسف عليه الصلاة والسلام . إن هذه القصة فيها كثير **من العجائب** والعبر والعظات والأحكام والأخلاق وألوان الابتلاء والامتحان والفضل والإحسان . والذي أقصد إليه من مباحثها أمرين لمزيد اتصالهما بما أنا بصدد الكلام عنه ، الأول : كيف كانت هذه القصة معجزة لرسول الله محمد (. الثاني : كيف كانت هذه القصة دليلا على أن الله يعد رسله في حياتهم الأولى قبل الرسالة لتحمل أعبائها حين إرسالهم إلى أممهم .". (١)

١٣٠-"الحديث على جواز تلاوة القرآن وأخذ أجر عليه لإسماع الناس التلاوة أو القرآن ، الاستدلال بها على هذا لا يجوز ولا يصح وهو من تحريف الكلم عن مواضعه وهذا من فوائد هذا الحديث إلى جانب الفائدة الجليلة التي بينها النبي(بين بها منزلة القرآن ومكانته من غيره من القربات ، بل مكانتها من سائر القرآن ، هذا بيان لجانب آخر من جوانب فضيلة سورة الفاتحة وأن من فضيلتها أنها جعلت فرضا في كل ركعة من ركعات الصلاة بخلاف السورة التي بعدها فإنها من سنن الصلاة ، لو تركها الإنسان تكون صلاته صحيحة أما الفاتحة فلو تركها فصلاته باطلة والقرآن كله خير وفضله على كلام البشر كفضل الله على عباده .

وأسأل الله جل شأنه أن يبصرنا بديننا وأن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وأن يجعله غذاء لأرواحنا وأن يجعله مصدر تشريعنا - يستميل إليه حتى لا نحكم سواه وسوى سنة رسول الله (فإن من أخذ بهما أخذ بالحق وكان على بينة وبصيرة من أمر دينه مع ربه ومع المخلوقات وكان حبيبا لله في الدنيا والآخرة سعيدا في دنياه وفي آخرته .

والحمد لله رب العالمين .

من وحي قصص القرآن الكريم

قصة يوسف عليه الصلاة والسلام

بين سبحانه لرسوله محمد (في كثير من قصص القرآن الطريقة المثلى التي يثبت بها رسالته ويحاج بها أمته . وأرشده إلى كون ذلك القصص آية بينة توجب عليهم أن يستجيبوا لما دعاهم إليه من التصديق برسالته والإيمان بسائر ما جاءهم به من عند الله .

من ذلك قصة يوسف عليه الصلاة والسلام . إن هذه القصة فيها كثير **من العجائب** والعبر والعظات والأحكام والأخلاق وألوان الابتلاء والامتحان والفضل والإحسان . والذي أقصد إليه من مباحثها أمرين لمزيد اتصالهما بما أنا بصدد الكلام عنه ، الأول : كيف كانت هذه القصة معجزة لرسول الله محمد (. الثاني : كيف كانت هذه القصة دليلا على أن الله يعد

---

(١) سيرة حياة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ١/١١٧

رسله في حياتهم الأولى قبل الرسالة لتحمل أعبائها حين إرسالهم إلى أممهم .". [1]

١٣١-"١٧٤ والشهود فلم يروا به أثرا وكان منهمكا في اللذات فاستولى أخوه على المملكة وحجر عليه في بعض الأشياء فاستصحب المعتضد الحال بعد أبيه وعن أحمد ابن يزيد قال كنا عند المعتمد وكان كثير العربدة إذا سكر فذكر حكاية قاله في العبر وامتد ملكه على المهانة يتدبر أخيه ولو شاء خلعه لخلعه قال ابن الفرات كان في خلافته محكوما عليه حتى إنه احتاج ف ي بعض الأوقات إلى ثلثمائة دينار فلم يجدها في ذلك الوقت فقال (اليس **من العجائب** أن مثلي * يرى ماقل ممتنعا عليه) (وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا * وما من ذاك شيء في يديه) (إليه تحمل الأموال طرا * ويمنع بعض ما يجي إليه) وفيها توفي أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب الحافظ أبو بكر النسائي ثم البغدادي مصنف التاريخ الكبير وله أربع وتسعون سنة سمع أبا نعيم وعفان وطبقتهما قال الدارقطني ثقة المأمون وفيها إبراهيم بن عبد الله بن عمر العبسي القصار الكفوي أبو إسحق آخر أصحاب وكيع وفاة وفيها جعفر بن محمد بن شاكر الصائغ ببغداد وله تسعون سنة روى عن أبي نعيم وطبقته وكان زاهدا عابدا ثقة ينفع الناس ويعلمهم الحديث وأبو يحي عبد الله بن زكريا بن أبي ميسرة محمد مكة في جمادى الأولى روى عن أبي عبد الرحمن المقرى وطبقته وفيها الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي أبو عيسى الترمذي الضرير تلميذ أبي عبد الله البخاري ومشاركه فيما يرويه في عدة من مشايخه سمع منه شيخه البخاري وغيره وكان مبرزا على الأقران آية ي الحفظ والإتقان قال ابن خلكان أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة". [2]

١٣٢-"١٩٥ قال ابن الجوزي في الشذور **ومن العجائب** أن المعتضد بعث العباس بن عمر الغنوى في عشرة آلاف إلى حرب القرامطة فقبض عليهم القرامطة فنجا العباس وحدث وقتل الباقون وفيها غزا المعتضد وقصد طرسوس إلى أنطاكية وحلب وفيها سار الأمير بدر فبيت القرامطة وقتل منهم مقتلة عظيمة وفيها وفي الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل الشيباني البصري الحافظ قاضي أصبهان وصاحب المصنفات وهو في عشر التسعين في ربيع الآخر سمع من جده لأمه موسى بن إسمعيل وأبي الوليد الطيالسي وطبقتهما وكان إماما فقيها ظاهريا صالحا ورعا بير القدر صاحب مناقب قال السخاوي في طبقاته أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل ورد أصبهان وسكنها وولى القضاء بعد وفاة صالح بن أ حمد بن حنبل وكان من الصيانة والعفة بمحل عجيب رؤى في النوم بعد موته بقليل فقيل ل ما فعل الله بك قال يؤنسني ربي قال الرائي فشهقت شهقة وانتبهت وقال ذهبت كتبي فأمليت من ظهر قلبي خمسين أف حديث وقيل له أيها القاضي بلغنا أن ثلاثة نفر كانوا بالبادية وهم يلقمون الرمل فقال واحد من القوم أنك قادر على أن تطعمنا خبيصا على لون هذا الرمل فأذاهم بأعرابي وبيده طبق فسلم عليهم ووضع بين أيدهم طبقا عليه خبيص حار فقال ابن أبي عاصم قد كان ذاك وكان

(١) سيرة حياة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ٣٨٦/١

(٢) شذرات الذهب - ابن العماد ١٧٣/٢

الثلاثة عثمان بن صخر الزاهد استاذ أبي تراب النخشبي وأبو بتراب وأحمد بن عمرو وأي صاحب الترجمة وهو الذي دعا وقالبو موسى المديني دمع بين العلم والفهم والحفظ والزهد والعبادة والفقه من أهل البصرة قدم أصبهان وصحب جماع من النساك منهم أبو تراب النخشبي وسافر معه وقد عمر وكان فقيها ظاهري ألم ذهب وصنف الرد على داود الظاهري وكان بعد ما دخل في القضاء إذا سئل عن مسئلة". (١)

١٣٣-"٢٨٤ ابن ياقوت اتق الله ولا تسلم بغداد بلا حرب فلما أصبحوا ركب في موكبه وعليه البردة وبيده القضيب والقراءة والمصاحف حوله والوزير خفه فشق بغداد إلى الشماسية وأقبل مونس في جيشه وشرع القتال فوقف المقتدر على تل ثم جاء إليه ابن ياقوت وأبو العلاء بن حمدان فقالا تقدم فأبى فألحوا عليه فتقدم وهم يستدرجونه حتى صار في وسط المصاف في طائفة قليلة فانكشف جيش مونس الخادم البربر فجاء علي بن بليق فترجل وقال مولاي أمير المؤمنين وقبل الأرض وقيل رماه بحربة وحز رأسه بالسيف وحمل على رمح ثم سلب ما عليه وبقي مهتوك العورة حتى ستر بالحشيش ثم حفر له حفرة فطم وعفا أثره وذلك لثلاث بقين من شوال وهو ابن الفضل جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل ابن المعتصم العباسي وفي أيامه اضمحلت دولة الخلافة العباسية وصغرت وسمع أمير الأندلس بذلك فقال أنا أولى بإمرة المؤمنين فلقب نفسه أمير المؤمنين الناصر لدين عبد الرحمن وبقي في الخلافة إلى سنة خمسين وثلثمائة ولا شك أن حرمته ودولته كانت أمتن من دولة المقتدر ومن بعده وقد خلع المقتدر مرتين وأعيد وكان ربعة جميل الصورة أبيض مشربا حمرة أسرع الشيب إلى عارضيه وعاش ثمانيا وثلاثين سنة وكانت خلافته خمسا وعشرين سنة إلا أياما وكان جيد العقل والرأي لكنه كان يؤثر اللعب والشهوات غير ناهض بأعباء الخلافة كانت أمه وخالته والقهرمانة يدخلن في الأمور والكبار والولايات والحل والعقد قال الوزير علي بن عيسى ما هو إلا لا يترك النبيذ خمسة أيام وكان ربما يكون في إصابة الرأي كأبيه وكالمأمون **ومن العجائب** أنه لم يل الخلافة من اسمه جعفر إلا هو والمتوكل وكلاهما قتل في شوال وندم". (٢)

١٣٤-"١٩ وفيها الرفاء علي حامد بن محمد الهروي الواعظ المحدث بهراة في رمضان روى عن عثمان الدارمي والكديمي وطبقتهما وكان ثقة صاحب حديث وفيها الرافعي أبو الفضل العباس بن محمد بن نصر بن السرى روى عن هلال ابن العلاء وجماعة وتوفي بمصر قال يحي بن علي الطحان تكلموا فيه وفيها عبد الخالق بن الحسن بن أبي روبا أبو محمد السقطي نسبة إلى بيع السقط المعدل البغدادي ببغداد روى عن محمد بن غالب تمتام وجماعة وسبقه أبو عمر وعثمان بن محمد البغدادي السقطي سمع الكديمي وإسماعيل القاضي ومات في آخر السنة وله سبع وثمانون سنة وفيها صاحب الأغاني أبو الفرج علي بن الحسين الأموي الأصبهاني الكاتب الإخباري يروى عن مطين فمن بعده وكان وكان أديبا نسابة علامة شاعرا كثير التصانيف **ومن العجائب** أنه مرواني يتشيع توفي في ذي الحجة عن ثلاث وسبعين سنة قاله في العبر

---

(١) شذرات الذهب - ابن العماد ٢/١٩٤

(٢) شذرات الذهب - ابن العماد ٢/٢٨١

وقال ابن خلكان جده مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وهو أصفهاني الأصل بغدادي المنشأ كان من أعيان أدبائها وأفراد مصنفيها وروى عن عالم كثير من العلماء يطول تعدادهم وكان عالما بأيام الناس والأنساب والسير قال التنوخي ومن المتشيعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصبهاني كان يحفظ الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث المسندة والأدب والنسب لم أر قط من يحفظ مثله ويحفظ دون ذلك من علوم أخرى منها اللغة والنحو والحرف والسير والمغازي ومن آلة المنادمة شيئا كثيرا مثل علم الجوارح والبيطرة وشيء من الطب والنجوم والأشربة وغير ذلك وله شعر يجمع إتقان العلماء وإحسان ظرفاء الشعراء وله المصنفات المستملحة منها كتاب الأغاني الذي وقع الاتفاق على أنه لم يعمل في بابه مثله يقال أنه جمعه في خمسين سنة وحمله إلى سيف الدولة بن حمدان فأعطاه ألف دينار واعتذر إليه وحكى عن الصاحب بن عباد أنه كان في أسفاره يستصحب حمل ثلاثين جملا من كتب الأدب ليطلعها فلما وصل إليه كتاب الأغاني لم يكن". (١)

١٣٥-"٣٠٣ (لم يشبهوا الإنسان إلا انهم * متكونون من الحما المسنون) (نجس العيون فان رأتهم مقلتي * طهرتها ونزحت ماء جفوني) (أنا أن هم حسبوا الذخائر دونهم * وهم إذا عدوا الفضائل دوني) (لا يشمت الحساد أن مطامعي * عادت إلى بصفقة المغبون) (لا يستدير البدر إلا بعدما * أبصرته في الضيم كالعرجون) (فإذا عميد الملك حلى ربعه * ظفرا بفأل الطائر الميمون) وهي طويلة طنانة آخرها (شهدت علاه أن عنصر ذاته * مسك وعنصر غيره من طين) ولما قام بالمملكة ألب أرسلان أقره على حاله وزاد في إكرامه ورتبته ثم أنه سيره إلى خوارزم شاه ليخطب له ابنته فارجف اعداؤه انه خطبها لنفسه وشاع ذلك بن الناس فبلغ عميد الملك العبر تغير قلب مخدومه عليه فعمد إلى لحيته فحلقها والى مذاكيره فجبها فكان ذلك سبب سلامته من ألب أرسلان وقيل أن السلطان خصاه ثم أن الب ارسلان عزله ونقله إلى مرو الروذ وحبسه في دار وكان في حجرة تلك عياله وكانت له بنت واحدة لا غير فلما احس بالقتل دخل الحجرة وأخرج كفنه وودع عياله وأغلق باب الحجرة وأغتسل وصلى ركعتين وأعطى الذي هم بقتله مائة دينار نيسابورية وقال حقي عليك أن تكفنني في هذا الثوب الذي غسلته في ماء زمزم وقال لجلاده قل للوزير نظام الملك بئس ما فعلت علمت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ومن حفر مهواة وقع فيها ومن سن سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ورضى بقضاء الله المحتوم وقتل يوم الأربعاء سادس عشرى ذي الحجة وعمره يومئذ نيف وأرعون سنة **ومن العجائب** انه دفنت مذاكيره بخوارزم وأريق دمه بمرو الروذ ودفن جسده بقرية كندر وجمجمته ودماغه بنيسابور وحشيت جثته بالتبن ونقلت إلى كرمان وفي ذلك عبرة لمن اعتبروا كندر قرية من قرى". (٢)

١٣٦-"٣٤٤ (لو تخبر الركبان عني حدثوا * عن مقلة عبري وقلب موجع) (ردى لنا زمن الكثيب فأنه * زمن متى يرجع وصالك يرجع) (لو كنت عالمة بأدنى لوعة * لرددت أقصى نيلك المسترجع) (بل لو قنعت من الغرام بمظهر

---

(١) شذرات الذهب - ابن العماد ١٩/٣

(٢) شذرات الذهب - ابن العماد ٣٠٢/٣

* عن مضمر بين الحشا والأضلع) (أغنيت أثر تعتب ووصلت عقب تجنب وبذلت بعد تمنع *) (ولو إنني أنصفت نفسي صنتها * عن أن أكون كطالب لم ينجع) (إني دعوت ندى الكرام فلم يجب * فلأشكرن ندى أجاب وما دعى) (ومن العجائب والعجائب جمة * شكرى بطئ عن ندى متسرع) وله بيت مفرد في شرف الدولة سالم بن قريش (أنت الذي نفق الثناء بسوقه * وجرى الندى بعروقه قبل الدم) ولما وصل ابن الخياط الشاعر إلى حلب كتب لأبي الفتيان المذكور (لم يبق عندي ما يباع بدرهم *كفاك مني منظري عن مخبري) (إلا بقية ماء وجه صنتها * عن أن تباع وقد وجدتك مشتري) (فقيل له لو قال وأنت نعم المشتري كان أحسن وكانت ولادة ابن حيوس يوم السبت سلخ صفر سنة أربع وسبعين وثلثمائة فيكون عمر تسعة وتسعين سنة وهو شيخ ابن الخياط الشاعر المشهور وحيوس بالحاء المهملة والياء التحتية المشددة وفي شعراء المغاربة ابن حبوس بالباء الموحدة سنة أربع وسبعين وأربعمائة فيها توفي أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي القرطبي بالمرية في رجب عن إحدى وسبعين سنة روى عن يونس بن عبد الله نب مغيث ومكى بن أبي طالب وجاوز ثلاثة أعوام ولازم أبا ذر الهروي وكان يمضي معه إلى السراة ثم رحل إلى بغداد والى دمشق وروى عن عبد الرحمن". (١)

١٣٧-"١١ سنة والغزالي هو الغزال وكذا العطاري والخبازي على لغة أهل خراسان قاله في العبر وقال الأسنوي في طبقاته الغزالي إمام باسمه تنشرح الصدور وتحيا النفوس وبرسمه تفتخر المحابر وتهتز الطروس وبسماعه تخشع الأصوات وتخضع الرؤس ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في حانوته فلما احتضر أوصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له صوفي صالح فعلمهما الخط وأدبهما ثم نفذ منه ما خلفه أبوهما وتعذر عليه القوت فقال لكما أن تلجآ إلى المدرسة قال الغزالي فصرنا إلى المدرسة نطلب الفقه لتحصيل القوت فاشتغل بها مدة ثم ارتحل إلى أبي نصر الإسماعيلي بجرجان ثم إلى إمام الحرمين بنيسابور فاشتغل عليه ولازمه حتى صار أنظر أهل زمانه وجلس للإقراء في حياة إمامه وصنف وكان الإمام في الظاهر يظهر التبجح به وفي الباطن عنده منه شيء لما يصدر منه من سرعة العبارة وقوة الطبع وينسب إليه تصنيفان ليساله بل وضعا عليه وهما السر المكتوم والمضنون به على غير أهله وينسب إليه شعر فمن ذلك ما نسبه إليه ابن السمعاني في الذيل والعماد الأصبهاني في الخريدة) حلت عقارب صدغه في خده * قمرا فجل به عن التشبيه)) ولقد عهدناه يحل ببرجها * فمن العجائب كيف حلت فيه) وأنشد العماد له أيضا) هبني صبوت كما ترون بزعمكم * وحظيت منه بلثم ثغر أزهر)) إني اعتزلت فلا تلوموا أنه * أضحى يقابلني بوجه أشعري) فلما مات إمامه خرج إلى العسكر وحضر مجلس نظام الملك وكان مجلسه محط رحال العلماء ومقصد الأئمة والفصحاء فوقع للغزالي أمور تقتضي علو شأنه من ملاقاة الأئمة ومجاراة الخصوم اللد ومناظرة الفحول ومناطحة الكبار فأقبل عليه نظام الملك وحل منه محلا عظيما

---

(١) شذرات الذهب - ابن العماد ٣/٣٤٣

فعظمت". (١)

١٣٨-"٦٨ الشعر وأثنى عليه انتهى وله ديوان شعر اختاره بنفسه وذكر في خطبته أنه ألف بيت وقال العماد الكاتب جاب البلاد وأكثر النقل والحركات وتغلغل في أقطار خراسان وكرمان ولقي الناس ومدح ناصر الدين مكرم بن العلاء وزير كرمان بقصيدته البائية التي يقول فيها ولقد أبدع) حملنا من الأيام ما لا نطيقه *كما حمل العظم الكسير العصائبا) ومنها في قصر الليل وهو معنى لطيف) وليل رجونا أن يدب عذاره * فما اختط حتى صار بالفجر شائبا) ومن جيد شعره المشهور قوله) قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة * باب الدواعي والبواعث مغلق)) خلت الديار فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق)) **ومن العجائب** أنه لا يشتري * ويخان فيه مع الكساد ويسرق) ومن شعره وفيه صناعة حسنة) وخز الأسنة والخضوع لناقص * أمران في ذوق النهى مران)) والرأي أن يختار فيما دونه * المران وخز أسنة المران) وله) وجف الناس حتى لو بكينا * تعذر ما تبل به الجفون)) فما يندي لممدوح بنان * ولا يندى لمهجو جبين) ولد الغزي هذا بغزة هاشم سنة إحدى وأربعين وأربعمائة وتوفي ما بين مرو وبلخ من بلاد خراسان ونقل إلى بلخ ودفن بها ونقل عنه أنه كان يقول لما حضرته الوفاة أرجو أن يغفر لي ربي لثلاثة أشياء كوني من بلد الإمام الشافعي وأني شيخ كبير وأني غريب رحمه الله تعالى وحقق رجاءه وفيها الإخشيد إسماعيل بن الفضل الأصبهاني السراج التاجر قرأ القرآن على جماعة وروى الكثير من ابن عبد الرحيم وأبي القاسم بن أبي بكر". (٢)

١٣٩-"١٤٢ (أسعى لرزق في البلاد مشتت * **ومن العجائب** أن يكون مقترا) (وأصون وجه مدائحي متقنعا * وأكف ذيل مطامعي متسترا) ومنها يشكو الغربة وما قاساه (أشكو إليك نوى تمادى عمرها * حتى حسبت اليوم منها أشهرا) (لا عيشتي تصفو ولا رسم الهوى * يعفو ولا جفني يصافحه الكرى) (أضحى عن الأحوى المريع محولا * وأبيت عن ورد النمير منفرا) (**ومن العجائب** أن يقيل بظلكم *كل الورى ونبذت وحدي بالعرا) وهذه القصيدة من أحسن الشعر وهي عندي خير من قصيدة ابن عمار الأندلسي التي أولها (أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى *) فلما وقف عليها الملك العادل أذن له في الدخول إلى دمشق فلما دخلها قال (هجوت الأكابر في جلق * ورعت الوضيع بسب الرفيع) (وأخرجت منها ولكنني * رجعت على رغم أنف الجميع) وكان له في عمل الألغاز وحلها اليد الطولى ومتى كتب إليه شيء منها حله في وقتة وكتب الجواب أحسن من السؤال نظما ولم يكن له غرض في جمع شعره فلهذا لم يدونه فهو يوجد مقاطيع بأيدي الناس وقد جمع له بعض أهل دمشق ديوانا صغيرا لا يبلغ عشر ماله من النظم ومع هذا ففيه أشياء ليست له وكان من أظرف الناس وأخفهم روحا وأحسنهم مجونا وله بيت عجيب من جملة قصيدة يصف فيها توجهه إلى المشرق وهو (أشقق قلب الشرق حتى كأنني * أفتش في سودائه عن سنا الفجر) وكان وافر الحرمة عند الملوك وتولى الوزارة بدمشق في

(١) شذرات الذهب - ابن العماد ٤/١٠

(٢) شذرات الذهب - ابن العماد ٤/٦٧

آخر دولة الملك المعظم ومدة ولاية الملك الناصر بن المعظم وانفصل منها لما ملكها الملك الأشرف ولم يباشر بعدها خدمة وتوفي عشية نهار الإثنين العشرين من شهر ربيع الأول ودفن من الغد بمسجده الذي أنشأه بأرض المزة وقيل بتربة". (١)

١٤٠-"١٥٧ أكيدة فكتب إليه من الموصل في صدر كتاب وكان الأخ باربل (الله يعلم ما أبقى سوى رمق * مني فراقك يا من قربه أمل) (فابعث كتابك واستودع تعزية * فربما مت شوقا قبل ما يصل) وكنت قد خرجت من أربل في أواخر شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة وهو معتقل بقلعتها لأمر يطول شرحه بعد أن كان حبس بقلعة خفتيد كان ثم نقل منها وله في ذلك أشعار منها قوله ومنها (قيد أكابده وسجن ضيق * يا رب شاب من الهموم المفرق) (يا برق إن جئت الديار بأربل * وعلا عليك من التداني رونق) (بلغ تحية نازح حسراته * أبدا بأذيال الصبا تتعلق) (قل يا حبيب لك الفداء أسيركم * من كل مشتاق إليكم أشوق) (والله ما سرت الصبا نجدية * إلا وكدت بدمع عيني أشرق) وبلغني بعد ذلك أنه خرج من الإعتقال واتصل بخدمة الملك المعظم مظفر الدين صاحب أربل وتقدم عنده وغير لباسه وتزيا بزي الصوفية فلما توفي مظفر الدين سافر من أربل ثم عاد إليها وقد صارت في مملكة أمير المؤمنين المستنصر بالله ونائبه بها الأمير شمس الدين أبو الفضائل باتكين وكان وراءه من يقصده فاتفق أنه خرج من بيته يوما قبل الظهر فوثب عليه شخص وضربه بسكين فأخرج حشوته فكتب في تلك الحال إلى باتكين المذكور وهو يكابد الموت (أشكوك يا ملك البسيطة حالة * لم تبق رعبا في عضوا ساكنا) (أن يستبح ابن اللقيطة معشر * ممن أؤمل غير جأشك مازنا) (**ومن العجائب** كيف يمشي خائفا * من بات في حرم الخلافة آمنا) ثم توفي بعد ذلك من يومه يوم الخميس ثاني شوال وتقدي رعمره خمسون سنة". (٢)

١٤١-"٢٧٥ ابن نباتة وديوان المتنبي ومقامات الحريري وكان يعرف اللغة ويقرئها توفي في ثاني ذي العقدة وفيها العماد داود بن عمر بن يوسف أبو المعالي الزبيدي المقدسي الشافعي الدمشقي الأباري خطيب بيت الآبار ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة وسمع من الخشوعي والقسم وطائفة وكان فصيحا خطيبا بليغا لا يكاد يسمع موعظة أحد إلا يبكي ولي خطابة دمشق وتدريس الغزالية بعد ابن عبد السلام ثم عزل بعد ست سنين وعاد إلى خطابة القرية وبها توفي في شعبان ودفن هناك وفيها الملك الناصر داود بن المعظم بن العادل صاحب الكرك صلاح الدين أبو المفاخر ولد سنة ثلاث وستمائة وأجاز له المؤيد الطوسي وسمع ببغداد من القطيعي وكان حنفيا فاضلا مناظرا ذكيا بصيرا بالأدب بديع النظم كثير المحاسن ملك دمشق بعد أبيه ثم أخذها منه عمه الأشرف فتحول إلى مدينة الكرك فملكها إحدى عشرة سنة ثم عمل عليه ابنه وسلمها إلى صاحب مصر الصالح وزالت مملكته وكان جوادا ممدحا ومن شعره يفضل الجارية على الغلام (أحب الغادة الحسناء ترنو * بمقلة جؤذر فيها فتور) (ولا أصبو إلى رشأ غرير * وإن فتن الورى الرشأ الغرير) (وأنى يستوي شمس وبدر

---

(١) شذرات الذهب - ابن العماد ١٤١/٥

(٢) شذرات الذهب - ابن العماد ١٥٦/٥

* ومنها يستمد ويستنير) (وهل تبدو الغزالة في سماء * فيظهر عندها للبدر نور) وله (قلبي وطرفك قاتل وشهيد * ودمي على خديك منه شهود) (يا أيها الرشأ الذي لحظاته *كم دونهن صوارم وأسود) (**ومن العجائب** أن قلبك لم يلن * لي والحديد ألانه داود) توفي رحمه الله بظاهر دمشق بقرية البويضاء ودفن عند والده الملك المعظم في جمادى الأولى وكانت أمه خوارزمية عاشت بعده مدة". (١)

١٤٢-"ودرس وأفتى وحدث بالركنية وعمره خمس عشرة سنة في حياة جده لأمه تقي الدين السبكي وناب في الحكم لخاله تاج الدين ثم ولي قضاء العسكر ولما ولي خاله بهاء الدين قضاء
٢٢٣ الشام كان هو الذي يباشر عنه القضاء والشيخ بهاء الدين لا يباشر شيئا في الغالب ودرس بالشاميتين الجوانية أصالة والبرانية نيابة عن خاله تاج الدين قال ابن كثير وكان ينوب عن خاله في الخطابة وكان حسن الخطابة كثير الأدب والحشمة متوددا إلى الناس وهم مجمعون على محبته شابا حسن الشكالة توفي بالقدس في شوال ودفن بمقابر باب الرحمة سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة فيها ظهر في الشام وحمص وحلب بعد العشاء حمرة عظيمة كأنها الجمر وصارت في خلال النجوم كالعمد البيض حتى سدت الأفق ودام إلى الفجر وخفي بسببه ضوء القمر فتباكى الناس وضجوا بالدعاء وفي محرمها درس بدمشق بالمدرسة الأمينية تقي الدين علي بن تاج الدين عبد الوهاب السبكي وهو ابن سبع سنين وهذا **من العجائب** وفيها توفي القدوة بدر الدين الحسن بن محمد بن صالح بن محمد بن محمد بن عبد المحسن بن علي المجاور القرشي النابلسي الحنبلي طلب الحديث بنفسه وسمع من عبد الله بن محمد بن أحمد بنابلس ومن جماعة بمصر والأسكندرية ودمشق وولي إفتاء دار العدل بمصر ودرس بمدرسة السلطان الملك الأشرف ورحل إلى الثغر وذكر الذهبي أنه علق عنه وصنف البرق الوميض في ثواب العيادة والمريض وشمعة الأبرار ونزهة الأبصار وتوفي في رابع عشر جمادى الآخرة وفيها جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن إبراهيم القرشي الأموي الأسنوي المصري الشافعي الإمام العلامة منقح الألفاظ ومحقق المعاني ولد بأسنا في رجب سنة أربع وسبعمائة وقدم القاهرة سنة إحدى وعشرين وسمع الحديث واشتغل بأنواع العلوم وأخذ الفقه عن الزنكلوني والسنباطي والسبكي والقزويني والوجيزي وغيرهم والنحو عن أبي حيان والعلوم العقلية عن القونوي والتستري وغيرهما وانتصب". (٢)

١٤٣-"٢٥٩ المطعم والشيرازي وغيرهما ثم طلب بنفسه بعد الثلاثين فقرأ الكتب وسمع وكتب الأجزاء واشتغل بالفقه وربما كتب على الفتوى وكان السبكي فمن دونه يرجعون إلى قوله وولي مباشرة الأيتام وكان مشكور السيرة ذا همة عالية توفي في جمادى الآخرة وفيها محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدايم الحلبي ناظر الجيش الشافعي ولد سنة سبع وتسعين وستمائة واشتغل ببلاده ثم قدم القاهرة ولازم أبا حيان والتاج التبريزي وغيرهما وحفظ المنهاج والألفية وبعض

---

(١) شذرات الذهب - ابن العماد ٥/٢٧٤

(٢) شذرات الذهب - ابن العماد ٦/٢٢٢

التسهيل وتلا بالسبع على الصايغ ومهر في العربية وغيرها ودرس فيها وفي الحاوي وسمع من الشريف موسى وست الوزراء وغيرهما وحدث وأفاد وخرج له الياسوف مشيخة وشرح التسهيل إلا قليلا وشرح تلخيص المفتاح شرحا مفيدا وكانت له في الحساب يد طولى وولي نظر الجيش ونظر البيوت والديوان وكان عالي الهمة نافذ الكلمة كثير البذل والجود والرفد للطلبة والرفق بهم وكان **من العجائب** قال ابن حجر أنه مع فرط كرمه في غاية البخل على الطعام وكان كثير الظرف والنوادر وبلغت مرتباته في الشهر ثلاثة آلاف وكان من محاسن الدنيا مع الدين والصيانة توفي في ثاني عشر ذي الحجة وفيها قاضي القضاة شرف الدين أبو البركات موسى بن فياض بن عبد العزيز بن فياض الحنبلي الفندقي النابلسي الشيخ الإمام الحبر سمع من جماعة منهم أبو بكر بن عبد الدايم وعيسى المطعم وحدث وباشر حاكما رابعا ولي قضاء حلب سنة ثمان وأربعين وهو أول من ولي قضاء قضاة الحنابلة بها وكان طارحا للتكلف جزيل الديانة والتعفف مقبلا على العبادة وأجاز لجماعة منهم الشيخ شهاب الدين بن حجي توفي في ذي القعدة بحلب وفيها جمال الدين يوسف بن أحمد بن سليمان المعروف بابن الطحان الحنبلي الشيخ الإمام الأوحد ذو الفنون قال شيخ الإسلام بن مفلح كان بارعا في الأصول أخذه عن الشيخ شهاب الدين الأخميمي وأخذ العربية عن العنائي وتفقه في المذهب على ابن مفلح صاحب الفروع وغيره وكان بارعا". (١)

١٤٤-"١٢١ يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الأصل أبوها الصالحية الحنبلية المذهب المحدثة محدثة دمشق ولدت سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وحضرت في أوائل الرابعة من عمرها جميع صحيح البخاري على مسند الآفاق الحجار وروت عن خلق وروى عنها لحافظ ابن حجر وقرأ عليها كتبا عديدة وكانت في آخر عمرها أسند أهل زمانها مكثرة سماعا وشيوخا قاله العلموي في طبقات الحنابلة وتوفيت في أحد الربيعين ودفنت بالصالحية قال ابن حجر تفردت بالسماع من الحجار ومن جماعة وسمع منها الرحالة فأكثروا وكانت سهلة في الأسماع سهلة الجانب **ومن العجائب** أن ست الوزراء كانت آخر من حدثت عن ابن الزبيدي بالسماع ثم كانت عائشة آخر من حدثت عن صاحبه الحجار بالسماع وبين وفاتيهما مائة سنة وفيها عبد القوي بن محمد بن عبد القوي المالكي البجائي المغربي الأصل والمولد والمنشأ نزيل مكة قال ولده قطب الدين أبو الخير ولد والدي سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ببجاية من بلاد الغرب ورحل من بلده وعمره ثمان عشرة سنة وقدم القاهرة وحج سنة أربع وستين ثم عاد إلى القاهرة ثم حج في سنة سبعين وقطن بمكة إلى أن مات وقال الشيخ تقي الدين الفاسي قدم ديار مصر في شبيبته فأخذ بها عن الشيخ موسى المراكشي وغيره وسمع بها من المناوي وسعد الدين الأسفراييني وغيرهما ودرس بالحرم الشريف وأفتى باللفظ تورعا وكان ذا معرفة بالفقه قال ابن حجر تفقه وأفاد ودرس وأعاد وأفتى وتوفي بمكة في شوال ودفن بالمعلاة وفيها فخر الدين عثمان بن إبراهيم بن أحمد الشيخ الإمام البرماوي الشافعي شيخ قراء مدرسة الظاهر برقوق قال في المنهل كان إماما بارعا في". (٢)

---

(١) شذرات الذهب - ابن العماد ٢٥٨/٦

(٢) شذرات الذهب - ابن العماد ١٢٠/٧

١٤٥-" والشهود فلم يروا به أثرا وكان منهمكا في اللذات فاستولى أخوه على المملكة وحجر عليه في بعض الأشياء فاستصحب المعتضد الحال بعد أبيه وعن أحمد ابن يزيد قال كنا عند المعتمد وكان كثير العربدة إذا سكر فذكر حكاية قاله في العبر وامتد ملكه على المهانة بتدبير أخيه ولو شاء خلعه لخلعه قال ابن الفرات كان في خلافته محكوما عليه حتى إنه احتاج في بعض الأوقات إلى ثلثمائة دينار فلم يجدها في ذلك الوقت فقال

(اليس **من العجائب** أن مثلي ** يرى ماقل ممتنعا عليه)

(وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ** وما من ذاك شيء في يديه)

(إليه تحمل الأموال طرا ** ويمنع بعض ما يجبي إليه)

وفيها توفي أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب الحافظ بن الحافظ أبو بكر النسائي ثم البغدادي مصنف التاريخ الكبير وله أربع وتسعون سنة سمع أبا نعيم وعفان وطبقتهما قال الدارقطني ثقة مأمون

وفيها إبراهيم بن عبد الله بن عمر العبسي القصار الكوفي أبو إسحق آخر أصحاب وكيع وفاة

وفيها جعفر بن محمد بن شاكر الصائغ ببغداد وله تسعون سنة روى عن أبي نعيم وطبقته وكان زاهدا عابدا ثقة ينفع الناس ويعلمهم الحديث

وأبو يحيى عبد الله بن زكريا بن أبي ميسرة محمد مكة في جمادى الأولى روى عن أبي عبد الرحمن المقرى وطبقته

وفيها الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي أبو عيسى الترمذي الضرير تلميذ أبي عبد الله البخاري ومشاركه فيما يرويه في عدة من مشايخه سمع منه شيخه البخاري وغيره وكان مبرزا على الأقران آية في الحفظ والإتقان قال ابن خلكان أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة

." (١)

١٤٦-" قال ابن الجوزي في الشذور **ومن العجائب** أن المعتضد بعث العباس بن عمر الغنوى في عشرة آلاف إلى حرب القرامطة فقبض عليهم القرامطة فنجا العباس وحده وقتل الباقون

وفيها غزا المعتضد وقصد طرسوس ورد إلى أنطاكية وحلب

وفيها سار الأمير بدر فبيت القرامطة وقتل منهم مقتلة عظيمة

وفيها وفي الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل الشيباني البصري الحافظ قاضي أصبهان وصاحب المصنفات وهو في عشر التسعين في ربيع الآخر سمع من جده لأمه موسى بن إسمعيل وأبي الوليد الطيالسي وطبقتهما وكان إماما فقيها ظاهريا صالحا ورعا كبير القدر صاحب مناقب قال السخاوي في طبقاته أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل ورد أصبهان وسكنها وولى القضاء بعد وفاة صالح بن أ حمد بن حنبل وكان من الصيانة والعفة بمحل عجيب رؤى في النوم

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس ١٧٤/٢

بعد موته بقليل فقيل له ما فعل الله بك قال يؤنسني ربي قال الرائي فشهقت شهقة وانتبهت وقال ذهبت كتبي فأمليت من ظهر قلبي خمسين ألف حديث وقيل له أيها القاضي بلغنا أن ثلاثة نفر كانوا بالبادية وهم يلقمون الرمل فقال واحد من القوم أنك قادر على أن تطعمنا خبيصا على لون هذا الرمل فأذاهم بأعرابي وبيده طبق فسلم عليهم ووضع بين أيديهم طبقا عليه خبيص حار فقال ابن أبي عاصم قد كان ذاك وكان الثلاثة عثمان بن صخر الزاهد استاذ أبي تراب النخشبي وأبو تراب وأحمد بن عمرو وأي صاحب الترجمة وهو الذي دعا وقال بو موسى المديني جمع بين العلم والفهم والحفظ والزهد والعبادة والفقه من أهل البصرة قدم أصبهان وصحب جماعة من النساك منهم أبو تراب النخشبي وسافر معه وقد عمر وكان فقيها ظاهري المذهب وصنف في الرد على داود الظاهري وكان بعد ما دخل في القضاء إذا سئل عن مسألة

". (١)

١٤٧-" ابن ياقوت اتق الله ولا تسلم بغداد بلا حرب فلما أصبحوا ركب في موكبه وعليه البردة وبيده القضيب والقراء والمصاحف حوله والوزير خلفه فشق بغداد إلى الشماسية وأقبل مونس في جيشه وشرع القتال فوقف المقتدر على تل ثم جاء إليه ابن ياقوت وأبو العلاء بن حمدان فقالا تقدم فأبى فألحوا عليه فتقدم وهم يستدرجونه حتى صار في وسط المصاف في طائفة قليلة فانكشف أصحابه وأسر منهم جماعة وابلي ابن ياقوت وهرون بن غريب بلاء حسنا وكان معظم جيش مونس الخادم البربر فجاء علي بن بليق فترجل وقال مولاي أمير المؤمنين وقبل الأرض فعطف جماعة إلى نحو المقتدر فضربه رجل من خلفه ضربة سقط إلى الأرض وقيل رماه بحربة وحز رأسه بالسيف وحمل على رمح ثم سلب ما عليه وبقي مهتوك العورة حتى ستر بالحشيش ثم حفر له حفرة فطم وعفا أثره وذلك لثلاث بقين من شوال

وهو ابو الفضل جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل ابن المعتصم العباسي وفي أيامه اضمحلت دولة الخلافة العباسية وصغرت وسمع أمير الأندلس بذلك فقال أنا أولى بإمرة المؤمنين فلقب نفسه أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبد الرحمن وبقي في الخلافة إلى سنة خمسين وثلثمائة ولا شك أن حرمته ودولته كانت أمتن من دولة المقتدر ومن بعده وقد خلع المقتدر مرتين وأعيد وكان ربعة جميل الصورة أبيض مشربا حمرة أسرع الشيب إلى عارضيه وعاش ثمانيا وثلاثين سنة وكانت خلافته خمسا وعشرين سنة إلا أياما وكان جيد العقل والرأي لكنه كان يؤثر اللعب والشهوات غير ناهض بأعباء الخلافة كانت أمه وخالته والقهرمانة يدخلن في الأمور الكبار والولايات والحل والعقد قال الوزير علي بن عيسى ما هو إلا لا يترك النبيذ خمسة أيام وكان ربما يكون في إصابة الرأي كأبيه وكالمأمون **ومن العجائب** أنه لم يل الخلافة من اسمه جعفر إلا هو والمتوكل وكلاهما قتل في شوال وندم

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس ٢/١٩٥

". (١)

"١٤٨-

وفيها الرفاء أبو علي حامد بن محمد الهروي الواعظ المحدث بهراة في رمضان روى عن عثمان الدارمي والكديمي وطبقتهما وكان ثقة صاحب حديث

وفيها الرافعي أبو الفضل العباس بن محمد بن نصر بن السرى روى عن هلال ابن العلاء وجماعة وتوفي بمصر قال يحيى بن علي الطحان تكلموا فيه

وفيها عبد الخالق بن الحسن بن أبي روبا أبو محمد السقطي نسبة إلى بيع السقط المعدل البغدادي ببغداد روى عن محمد بن غالب تمتام وجماعة

وسبقه أبو عمر وعثمان بن محمد البغدادي السقطي سمع الكديمي وإسماعيل القاضي ومات في آخر السنة السنة وله سبع وثمانون سنة

وفيها صاحب الأغاني أبو الفرج علي بن الحسين الأموي الأصبهاني الكاتب الإخباري يروي عن مطين فمن بعده وكان أديبا نسابة علامة شاعرا كثير التصانيف **ومن العجائب** أنه مرواني يتشيع

توفي في ذي الحجة عن ثلاث وسبعين سنة قاله في العبر وقال ابن خلكان جده مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وهو أصفهاني الأصل بغدادي المنشأ كان من أعيان أدبائها وأفراد مصنفيها وروى عن عالم كثير من العلماء يطول تعدادهم وكان عالما بأيام الناس والأنساب والسير قال التنوخي ومن المتشيعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصبهاني كان يحفظ الشعر والأغاني والأخبار والآثار والأحاديث المسندة والأدب والنسب لم أر قط من يحفظ مثله ويحفظ دون ذلك من علوم أخرى منها اللغة والنحو والحرف والسير والمغازي ومن آلة المنادمة شيئا كثيرا مثل علم الجوارح والبيطرة وشيء من الطب والنجوم والأشربة وغير ذلك وله شعر يجمع إتقان العلماء وإحسان ظرفاء الشعراء وله المصنفات المستملحة منها كتاب الأغاني الذي وقع الاتفاق على أنه لم يعمل في بابه مثله يقال أنه جمعه في خمسين سنة وحمله إلى سيف الدولة بن حمدان فأعطاه ألف دينار واعتذر إليه وحكى عن الصاحب بن عباد أنه كان في أسفاره يستصحب حمل ثلاثين جملا من كتب الأدب ليطالعها فلما وصل إليه كتاب الأغاني لم يكن

". (٢)

"١٤٩-

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس ٢/٢٨٤

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ مفهرس ٣/١٩

(لم يشبهوا الإنسان إلا انهم ** متكونون من الحما المسنون)

(نجس العيون فان رأتهم مقلتي ** طهرتها ونزحت ماء جفوني)

(أنا أن هم حسبوا الذخائر دونهم ** وهم إذا عدوا الفضائل دوني)

(لا يشمت الحساد أن مطامعي ** عادت إلى بصفقة المغبون)

(لا يستدير البدر إلا بعدما ** أبصرته في الضيم كالعرجون)

(فإذا عميد الملك حلى ربعه ** ظفرا بفأل الطائر الميمون)

وهي طويلة طنانة آخرها

(شهدت علاه أن عنصر ذاته ** مسك وعنصر غيره من طين)

ولما قام بالمملكة ألب أرسلان أقره على حاله وزاد في إكرامه ورتبته ثم أنه سيره إلى خوارزم شاه ليخطب له ابنته فارجف اعداؤه انه خطبها لنفسه وشاع ذلك بين الناس فبلغ عميد الملك الخبر فخاف تغير قلب مخدومه عليه فعمد إلى لحيته فحلقها والى مذاكيره فجبها فكان ذلك سبب سلامته من ألب أرسلان وقيل أن السلطان خصاه ثم أن الب ارسلان عزله ونقله إلى مرو الروذ وحبسه في دار وكان في حجرة تلك الدار عياله وكانت له بنت واحدة لا غير فلما احس بالقتل دخل الحجرة وأخرج كفنه وودع عياله وأغلق باب الحجرة وأغتسل وصلى ركعتين وأعطى الذي هم بقتله مائة دينار نيسابورية وقال حقي عليك أن تكفنني في هذا الثوب الذي غسلته بماء زمزم وقال لجلاده قل للوزير نظام الملك بئس ما فعلت علمت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ومن حفر مهواة وقع فيها ومن سن سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ورضى بقضاء الله المحتوم وقتل يوم الأربعاء سادس عشرى ذي الحجة وعمره يومئذ نيف وأربعون سنة **ومن العجائب** انه دفنت مذاكيره بخوارزم وأريق دمه بمرو الروذ ودفن جسده بقرية كندر وجمجمته ودماغه بنيسابور وحشيت جثته بالتبن ونقلت إلى كرمان وفي ذلك عبرة لمن اعتبروا كندر قرية من قرى

." (١)

"١٥٠-

(لو تخبر الركبان عني حدثوا ** عن مقلة عبري وقلب موجع)

(ردى لنا زمن الكثيب فأنه ** زمن متى يرجع وصالك يرجع)

(لو كنت عالمة بأدنى لوعة ** لرددت أقصى نيلك المسترجع)

(بل لو قنعت من الغرام بمظهر ** عن مضمر بين الحشا والأضلع)

(أغنيت أثر تعتب ووصلت عقب تجنب وبذلت بعد تمنع **)

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس ٣/٣٠٣

(ولو إنني أنصفت نفسي صنتها ** عن أن أكون كطالب لم ينجع)

(إني دعوت ندى الكرام فلم يجب ** فلأشكرن ندى أجاب وما دعى)

(**ومن العجائب** والعجائب جمة ** شكرى بطئ عن ندى متسرع)

وله بيت مفرد في شرف الدولة سالم بن قريش

(أنت الذي نفق الثناء بسوقه ** وجرى الندى بعروقه قبل الدم)

ولما وصل ابن الخياط الشاعر إلى حلب كتب لأبي الفتيان المذكور

(لم يبق عندي ما يباع بدرهم **كفاك مني منظري عن مخبري)

(إلا بقية ماء وجه صنتها ** عن أن تباع وقد وجدتك مشتري)

(فقيل له لو قال وأنت نعم المشتري كان أحسن وكانت ولادة ابن حيوس يوم السبت سلخ صفر سنة أربع وسبعين وثلثمائة فيكون عمر تسعة وتسعين سنة وهو شيخ ابن الخياط الشاعر المشهور وحيوس بالحاء المهملة والياء التحتية المشددة وفي شعراء المغاربة ابن حبوس بالباء الموحدة سنة أربع وسبعين وأربعمائة

فيها توفي أبو الوليد الباجي سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي القرطبي بالمرية في رجب عن إحدى وسبعين سنة روى عن يونس بن عبد الله بن مغيث ومكى بن أبي طالب وجاور ثلاثة أعوام ولازم أبا ذر الهروي وكان يمضي معه إلى السراة ثم رحل إلى بغداد والى دمشق وروى عن عبد الرحمن

___

". (١)

١٥١-" سنة

والغزالي هو الغزال وكذا العطاري والخبازي على لغة أهل خراسان قاله في العبر وقال الأسنوي في طبقاته الغزالي إمام باسمه تنشرح الصدور وتحيا النفوس وبرسمه تفتخر المحابر وتهتز الطروس وبسماعه تخشع الأصوات وتخضع الرؤس ولد بطوس سنة خمسين وأربعمائة وكان والده يغزل الصوف ويبيعه في حانوته فلما احتضر أوصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له صوفي صالح فعلمهما الخط وأدبهما ثم نفد منه ما خلفه أبوهما وتعذر عليه القوت فقال لكما أن تلجآ إلى المدرسة قال الغزالي فصرنا إلى المدرسة نطلب الفقه لتحصيل القوت فاشتغل بها مدة ثم ارتحل إلى أبي نصر الإسماعيلي بجرجان ثم إلى إمام الحرمين بنيسابور فاشتغل عليه ولازمه حتى صار أنظر أهل زمانه وجلس للإقراء في حياة إمامه وصنف وكان الإمام في الظاهر يظهر التبجح به وفي الباطن عنده منه شيء لما يصدر منه من سرعة العبارة وقوة الطبع وينسب إليه تصنيفان ليساله بل وضعا عليه وهما السر المكتوم والمضنون به على غير أهله وينسب إليه شعر فمن ذلك ما نسبه إليه ابن السمعاني في الذيل والعماد الأصبهاني في الخريدة

___

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس ٣٤٤/٣

(حلت عقارب صدغه في خده ** قمرا فجل به عن التشبيه)

(ولقد عهدناه يحل ببرجها ** فمن العجائب كيف حلت فيه)

وأنشد العماد له أيضا

(هبني صبوت كما ترون بزعمكم ** وحظيت منه بلثم ثغر أزهر)

(إني اعتزلت فلا تلوموا أنه ** أضحى يقابلني بوجه أشعري)

فلما مات إمامه خرج إلى العسكر وحضر مجلس نظام الملك وكان مجلسه محط رحال العلماء ومقصد الأئمة والفصحاء فوقع للغزالي أمور تقتضي علو شأنه من ملاقاة الأئمة ومجاراة الخصوم اللد ومناظرة الفحول ومناطحة الكبار فأقبل عليه نظام الملك وحل منه محلا عظيما فعظمت

". (١)

"-١٥٢

الشعر وأثني عليه

انتهى

وله ديوان شعر اختاره بنفسه وذكر في خطبته أنه ألف بيت وقال العماد الكاتب جاب البلاد وأكثر النقل والحركات وتغلغل في أقطار خراسان وكرمان ولقي الناس ومدح ناصر الدين مكرم بن العلاء وزير كرمان بقصيدته البائية التي يقول فيها ولقد أبدع

(حملنا من الأيام ما لا نطيقه **كما حمل العظم الكسير العصائبا)

ومنها في قصر الليل وهو معنى لطيف

(وليل رجونا أن يدب عذاره ** فما اختط حتى صار بالفجر شائبا)

ومن جيد شعره المشهور قوله

(قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة ** باب الدواعي والبواعث مغلق)

(خلت الديار فلا كريم يرتجي ** منه النوال ولا مليح يعشق)

(ومن العجائب أنه لا يشتري ** ويخان فيه مع الكساد ويسرق)

ومن شعره وفيه صناعة حسنة

(وخز الأسنة والخضوع لناقص ** أمران في ذوق النهى مران)

(والرأي أن يختار فيما دونه ** المران وخز أسنة المران)

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس ٤/١١

وله

(وجف الناس حتى لو بكينا ** تعذر ما تبل به الجفون)

(فما يندي لممدوح بنان ** ولا يندى لمهجو جبين)

ولد الغزي هذا بغزة هاشم سنة إحدى وأربعين وأربعمائة وتوفي ما بين مرو وبلخ من بلاد خراسان ونقل إلى بلخ ودفن بها ونقل عنه أنه كان يقول لما حضرته الوفاة أرجو أن يغفر لي ربي لثلاثة أشياء كوني من بلد الإمام الشافعي وأني شيخ كبير وأني غريب رحمه الله تعالى وحقق رجاءه

وفيها الإخشيد إسماعيل بن الفضل الأصبهاني السراج التاجر قرأ القرآن على جماعة وروى الكثير عن ابن عبد الرحيم وأبي القاسم بن أبي بكر

". (١)

"١٥٣-

(أسعى لرزق في البلاد مشتت ** ومن العجائب أن يكون مقترا)

(وأصون وجه مدائحي متقنعا ** وأكف ذيل مطامعي متسترا)

ومنها يشكو الغربة وما قاساه

(أشكو إليك نوى تمادى عمرها ** حتى حسبت اليوم منها أشهرا)

(لا عيشتي تصفو ولا رسم الهوى ** يعفو ولا جفني يصافحه الكرى)

(أضحى عن الأحوى المريع محولا ** وأبيت عن ورد النمير منفرا)

(ومن العجائب أن يقيل بظلكم **كل الورى ونبذت وحدي بالعرا)

وهذه القصيدة من أحسن الشعر وهي عندي خير من قصيدة ابن عمار الأندلسي التي أولها

(أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى **) فلما وقف عليها الملك العادل أذن له في الدخول إلى دمشق فلما دخلها قال

(هجوت الأكابر في جلق ** ورعت الوضيع بسب الرفيع)

(وأخرجت منها ولكنني ** رجعت على رغم أنف الجميع)

وكان له في عمل الألغاز وحلها اليد الطولى ومتى كتب إليه شيء منها حله في وقتة وكتب الجواب أحسن من السؤال نظما ولم يكن له غرض في جمع شعره فلهذا لم يدونه فهو يوجد مقاطيع بأيدي الناس وقد جمع له بعض أهل دمشق

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس ٤/ ٦٨

ديوانا صغيرا لا يبلغ عشر ماله من النظم ومع هذا ففيه أشياء ليست له وكان من أظرف الناس وأخفهم روحا وأحسنهم مجونا وله بيت عجيب من جملة قصيدة يصف فيها توجهه إلى المشرق وهو

(أشقق قلب الشرق حتى كأنني ** أفتش في سودائه عن سنا الفجر)

وكان وافر الحرمة عند الملوك وتولى الوزارة بدمشق في آخر دولة الملك المعظم ومدة ولاية الملك الناصر بن المعظم وانفصل منها لما ملكها الملك الأشرف ولم يباشر بعدها خدمة وتوفى عشية نهار الإثنين العشرين من شهر ربيع الأول ودفن من الغد بمسجده الذي أنشأه بأرض المزة وقيل بتربة

". (١)

١٥٤-" أكيدة فكتب إليه من الموصل في صدر كتاب وكان الأخ باربل

(الله يعلم ما أبقى سوى رمق ** مني فراقك يا من قربه أمل)

(فابعث كتابك واستودعه تعزية ** فربما مت شوقا قبل ما يصل)

وكنت قد خرجت من أربل في أواخر شهر رمضان سنة ست وعشرين وستمائة وهو معتقل بقلعتها لأمر يطول شرحه بعد أن كان حبس بقلعة خفتيدكان ثم نقل منها وله في ذلك أشعار منها قوله

ومنها

(قيد أكابده وسجن ضيق ** يا رب شاب من الهموم المفرق)

(يا برق إن جئت الديار بأربل ** وعلا عليك من التداني رونق)

(بلغ تحية نازح حسراته ** أبدا بأذيال الصبا تتعلق)

(قل يا حبيب لك الفداء أسيركم ** من كل مشتاق إليكم أشوق)

(والله ما سرت الصبا نجدية ** إلا وكدت بدمع عيني أشرق)

وبلغني بعد ذلك أنه خرج من الإعتقال واتصل بخدمة الملك المعظم مظفر الدين صاحب أربل وتقدم عنده وغير لباسه وتزيا بزي الصوفية فلما توفي مظفر الدين سافر من أربل ثم عاد إليها وقد صارت في مملكة أمير المؤمنين المستنصر بالله ونائبه بها الأمير شمس الدين أبو الفضائل باتكين وكان وراءه من يقصده فاتفق أنه خرج من بيته يوما قبل الظهر فوثب عليه شخص وضربه بسكين فأخرج حشوته فكتب في تلك الحال إلى باتكين المذكور وهو يكابد الموت

(أشكوك يا ملك البسيطة حالة ** لم تبق رعبا في عضوا ساكنا)

(أن يستبح ابن اللقيطة معشر ** ممن أؤمل غير جأشك مازنا)

(**ومن العجائب** كيف يمشي خائفا ** من بات في حرم الخلافة آمنا)

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس ١٤٢/٥

ثم توفي بعد ذلك من يومه يوم الخميس ثاني شوال وتقدير عمره خمسون سنة

". (١)

١٥٥-" ابن نباتة وديوان المتنبي ومقامات الحريري وكان يعرف اللغة ويقرئها توفي في ثاني ذي القعدة وفيها العماد داود بن عمر بن يوسف أبو المعالي الزبيدي المقدسي الشافعي الدمشقي الأباري خطيب بيت الآبار ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة وسمع من الخشوعي والقسم وطائفة وكان فصيحا خطيبا بليغا لا يكاد يسمع موعظة أحد إلا يبكي ولي خطابة دمشق وتدريس الغزالية بعد ابن عبد السلام ثم عزل بعد ست سنين وعاد إلى خطابة القرية وبها توفي في شعبان ودفن هناك وفيها الملك الناصر داود بن المعظم بن العادل صاحب الكرك صلاح الدين أبو المفاخر ولد سنة ثلاث وستمائة وأجاز له المؤيد الطوسي وسمع ببغداد من القطيعي وكان حنفيا فاضلا مناظرا ذكيا بصيرا بالأدب بديع النظم كثير المحاسن ملك دمشق بعد أبيه ثم أخذها منه عمه الأشرف فتحول إلى مدينة الكرك فملكها إحدى عشرة سنة ثم عمل عليه ابنه وسلمها إلى صاحب مصر الصالح وزالت مملكته وكان جوادا ممدحا ومن شعره يفضل الجارية على الغلام

(أحب الغادة الحسناء ترنو ** بمقلة جؤذر فيها فتور)

(ولا أصبو إلى رشأ غرير ** وإن فتن الورى الرشأ الغرير)

(وأنى يستوي شمس وبدر ** ومنها يستمد ويستنير)

(وهل تبدو الغزالة في سماء ** فيظهر عندها للبدر نور)

وله

(قلبي وطرفك قاتل وشهيد ** ودمي على خديك منه شهود)

(يا أيها الرشأ الذي لحظاته **كم دونهن صوارم وأسود)

(**ومن العجائب** أن قلبك لم يلن ** لي والحديد ألانه داود)

توفي رحمه الله بظاهر دمشق بقرية البويضاء ودفن عند والده الملك المعظم في جمادى الأولى وكانت أمه خوارزمية عاشت بعده مدة

". (٢)

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس ١٥٧/٥

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس ٢٧٥/٥

١٥٦-" الشام كان هو الذي يباشر عنه القضاء والشيخ بهاء الدين لا يباشر شيئا في الغالب ودرس بالشاميتين الجوانية أصالة والبرانية نيابة عن خاله تاج الدين قال ابن كثير وكان ينوب عن خاله في الخطابة وكان حسن الخطابة كثير الأدب والحشمة متوددا إلى الناس وهم مجمعون على محبته شابا حسن الشكالة توفي بالقدس في شوال ودفن بمقابر باب الرحمة سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة

فيها ظهر في الشام وحمص وحلب بعد العشاء حمرة عظيمة كأنها الجمر وصارت في خلال النجوم كالعمد البيض حتى سدت الأفق ودام إلى الفجر وخفي بسببه ضوء القمر فتباكى الناس وضجوا بالدعاء وفي محرمها درس بدمشق بالمدرسة الأمينية تقي الدين علي بن تاج الدين عبد الوهاب السبكي وهو ابن سبع سنين وهذا **من العجائب** وفيها توفي القدوة بدر الدين الحسن بن محمد بن صالح بن محمد بن محمد بن عبد المحسن بن علي المجاور القرشي النابلسي الحنبلي طلب الحديث بنفسه وسمع من عبد الله بن محمد بن أحمد بنابلس ومن جماعة بمصر والأسكندرية ودمشق وولي إفتاء دار العدل بمصر ودرس بمدرسة السلطان الملك الأشرف ورحل إلى الثغر وذكر الذهبي أنه علق عنه وصنف البرق الوميض في ثواب العيادة والمريض وشمعة الأبرار ونزهة الأبصار وتوفي في رابع عشر جمادى الآخرة وفيها جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن إبراهيم القرشي الأموي الأسنوي المصري الشافعي الإمام العلامة منقح الألفاظ ومحقق المعاني ولد بأسنا في رجب سنة أربع وسبعمائة وقدم القاهرة سنة إحدى وعشرين وسمع الحديث واشتغل بأنواع العلوم وأخذ الفقه عن الزنكلوني والسنباطي والسبكي والقزويني والوجيزي وغيرهم والنحو عن أبي حيان والعلوم العقلية عن القونوي والتستري وغيرهما وانتصب للإقراء والإفادة من سنة سبع وعشرين

(١) ."

١٥٧-" المطعم والشيرازي وغيرهما ثم طلب بنفسه بعد الثلاثين فقرأ الكتب وسمع وكتب الأجزاء واشتغل بالفقه وربما كتب على الفتوى وكان السبكي فمن دونه يرجعون إلى قوله وولي مباشرة الأيتام وكان مشكور السيرة ذا همة عالية توفي في جمادى الآخرة

وفيها محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدايم الحلبي ناظر الجيش الشافعي ولد سنة سبع وتسعين وستمائة واشتغل ببلاده ثم قدم القاهرة ولازم أبا حيان والتاج التبريزي وغيرهما وحفظ المنهاج والألفية وبعض التسهيل وتلا بالسبع على الصايغ ومهر في العربية وغيرها ودرس فيها وفي الحاوي وسمع من الشريف موسى وست الوزراء وغيرهما وحدث وأفاد وخرج له الياسوفي مشيخة وشرح التسهيل إلا قليلا وشرح تلخيص المفتاح شرحا مفيدا وكانت له في الحساب يد طولى وولي نظر الجيش ونظر البيوت والديوان وكان عالي الهمة نافذ الكلمة كثير البذل والجود والرفد للطلبة والرفق بهم وكان **من العجائب** قال ابن حجر أنه مع فرط كرمه في غاية البخل على الطعام وكان كثير الظرف والنوادر وبلغت مرتباته في الشهر

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس ٦/٢٢٣

ثلاثة آلاف وكان من محاسن الدنيا مع الدين والصيانة توفي في ثاني عشر ذي الحجة وفيها قاضي القضاة شرف الدين أبو البركات موسى بن فياض بن عبد العزيز بن فياض الحنبلي الفندقي النابلسي الشيخ الإمام الحبر سمع من جماعة منهم أبو بكر بن عبد الدايم وعيسى المطعم وحدث وباشر حاكما رابعا ولي قضاء حلب سنة ثمان وأربعين وهو أول من ولي قضاء قضاة الحنابلة بها وكان طارحا للتكلف جزيل الديانة والتعفف مقبلا على العبادة وأجاز لجماعة منهم الشيخ شهاب الدين بن حجي توفي في ذي القعدة بحلب

وفيها جمال الدين يوسف بن أحمد بن سليمان المعروف بابن الطحان الحنبلي الشيخ الإمام الأوحد ذو الفنون قال شيخ الإسلام بن مفلح كان بارعا في الأصول أخذه عن الشيخ شهاب الدين الأخميمي وأخذ العربية عن العنائي وتفقه في المذهب على ابن مفلح صاحب الفروع وغيره وكان بارعا في المعاني والبيان صحيح

". (١)

١٥٨-" يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الأصل أبوها الصالحية الحنبلية المذهب المحدثة محدثة دمشق ولدت سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وحضرت في أوائل الرابعة من عمرها جميع صحيح البخاري على مسند الآفاق الحجار وروت عن خلق وروى عنها الحافظ ابن حجر وقرأ عليها كتبا عديدة وكانت في آخر عمرها أسند أهل زمانها مكثرة سماعا وشيوخا قاله العلموي في طبقات الحنابلة وتوفيت في أحد الربيعين ودفنت بالصالحية قال ابن حجر تفردت بالسماع من الحجار ومن جماعة وسمع منها الرحالة فأكثروا وكانت سهلة في الأسماع سهلة الجانب **ومن العجائب** أن ست الوزراء كانت آخر من حدثت عن ابن الزبيدي بالسماع ثم كانت عائشة آخر من حدثت عن صاحبه الحجار بالسماع وبين وفاتيهما مائة سنة

وفيها عبد القوي بن محمد بن عبد القوي المالكي البجائي المغربي الأصل والمولد والمنشأ نزيل مكة قال ولده قطب الدين أبو الخير ولد والدي سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ببجاية من بلاد الغرب ورحل من بلده وعمره ثمان عشرة سنة وقدم القاهرة وحج سنة أربع وستين ثم عاد إلى القاهرة ثم حج في سنة سبعين وقطن بمكة إلى أن مات وقال الشيخ تقي الدين الفاسي قدم ديار مصر في شبيبته فأخذ بها عن الشيخ موسى المراكشي وغيره وسمع بها من المناوي وسعد الدين الأسفراييني وغيرهما ودرس بالحرم الشريف وأفتى باللفظ تورعا وكان ذا معرفة بالفقه قال ابن حجر تفقه وأفاد ودرس وأعاد وأفتى وتوفي بمكة في شوال ودفن بالمعلاة

وفيها فخر الدين عثمان بن إبراهيم بن أحمد الشيخ الإمام البرماوي الشافعي شيخ قراء مدرسة الظاهر برقوق قال في المنهل كان إماما بارعا في

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب. مفهرس ٢٥٩/٦

". (١)

١٥٩-"بناء قلعة الجبل : لما رجع القائد صلاح الدين من الشام وشاهد ما أنجزه الأمير بهاء الدين من إنجازات خلال غيابه أظهر فيها الأمير براعة وخبره هندسية واسعة، أمره أن يبني له قلعة تحمى مصر وترك له الخيار في مكانها وحجمها، وقد اختار الأمير بهاء الدين قطعة مرتفعة في جبل المقطم، تشرف على القاهرة كلها، لتكون مكانا للقلعة وباشر بعمارتها عام ٥٧٢هـ وكانت عمارة القلعة، ضمن مجموعة تحصينات وتدابير عسكرية اتخذها الأيوبيون لتأمين مدن مصر كالفسطاط والقاهرة، ولذا حفلت عمارتها في الخارج بالتحصينات والأبراج والبوابات المنيعة، فيما اشتملت منشآتها الداخلية على أبنية سلطانية رفيعة كانت محل إعجاب كل من زارها أو صفها من رحالة ومؤرخين وشيد بناء القلعة على هضبة صخرية مرتفعة مما زاد في صلابتها ومنعتها (١) . ويقول ابن جبير في رحلته : وشاهدنا أيضا بنيان القلعة وهو حصن يتصل بالقاهرة، حصن حصين المنعة يريد السلطان أن يتخذه موضع سكنه، ويمد سوره حتى ينتظم بالمدينتين مصر والقاهرة والمسخرون في هذا البناء والمتولون لجميع امتهاناته ومؤنته العظيمة كنشر الرخام ونحت الصخور والعظام وحفر الخندق المحدق بسور الحصن المذكور، وهو خندق ينقر بالمعاول نقرا في الصخر عجبا من العجائب الباقية الآثار ... العلوج الأسارى من الروم عددهم لا يحصى كثرة ولا سبيل أن يمتهن في ذلك البنيان أحد سواهم (٢) .

(١) حكم قرقوش ص ٢٢.
(٢) رحلة ابن جبير ص ٥٢.". (٢)

١٦٠-"الرخام ونحت الصخور العظام، وحفر الخندق المحدق بسور الحصن، وكان خندقا ينقر بالمعاول نقرا في الصخر عجبا من العجائب ولا سبيل -كما يقول ابن جبير - أن يمتهن في ذلك البنيان سوى العلوج الأسارى من الروم (١) ، وذكر مؤرخ مصري متأخر: أن قراقوش كان يستعمل في بناء القلعة والسور خمسين ألف أسير صليبي (٢).
المعاهدات بين صلاح الدين والصليبيين: كان أول المعاهدات بين صلاح الدين والصليبيين في مستهل سنة ٥٧١هـ/صيف ١١٧٥م، أي في بداية استقرار صلاح الدين في بلاد الشام، ولا ريب أن ضغط الظروف السياسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها، هو الذي دفعه إلى عقد هذه الهدنة مع الصليبيين أيضا، حاجته إلى وقت إضافي لتصفية حسابه مع الجماعات الإسلامية المناوئة له، وكونه القائد الذي ينبغي قيادة الجبهة الإسلامية ضد الصليبيين، إضافة إلى قطع الطريق على الجماعات الإسلامية التي رغبت في التعاون مع الصليبيين على حساب صلاح الدين، لاسيما أتابكة الموصل وحلب (٣) وهذه الأسباب جميعا دفعت السلطان والصليبيين إلى إيقاف القتال وقيام فترة سلم بينهما، وحين تم عقد الهدنة، أمر السلطان

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب . مفهرس ١٢١/٧
(٢) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس ٢٧/٢

العساكر المصرية بالعودة إلى مصر، نظرا لانتفاء الحاجة إلى وجوده في الشام بالإضافة إلى صعوبة الوضع الاقتصادي في الشام – كما قلنا – وكذلك حاجة مصر إلى جندها في موسم الحصاد، فيذكر العماد أن السلطان أذن لعسكر مصر بالانصراف والإقامة في مصر " ريثما يستوعب المغل " (٤) ، والواقع أن صلاح الدين لم يعقد هذه الهدنة أو غيرها إلا وهو حذر من الصليبيين مخافة أن ينقضوها، كما حدث فعلا، فكان يتخذ لنفسه الحيطة من الشروط والبنود التي تقيد العدو، وتمنعه من القيام بالعدوان وكذلك لم يكن يلقى السلاح، ويركن إلى السلم مع عدو محتل،

---

(١) الجيش الأيوبي ص ٢٣٧.

(٢) الخطط التوفيقية ص ٧٠، علي مبارك.

(٣) كتاب الروضتين نقلا عن الجيش الأيوبي ص٢٣٨.

(٤) سنا البرق (١/١٩٥) الجيش الأيوبي ص ٢٣٩.". [١]

"-١٦١

٦٦٥ شاذان ذكره الخاصي فى فتاواه وذكر عنه أن المرأة إذا ارتدت لم تبن من زوجها وذكر عنه فى القنية فى مجوسي أسلم وتحته أخته لا تبين قال وكذا عن أبي نصر الدبوسي

٦٦٦ شاذان بن إبراهيم من اختياره أن الغسل يجب بخروج المني كيف ما كان ولم يعتبر الدفق والشهوة

٦٦٧ شجاع بن الحسن بن الفضل البغدادي أبو الغنائم أحد المبرزين من الفقهاء مع دين اشتهر به وكان يدرس بمشهد الأمام تفقه عليه ولده عبد الرحمن ابن شجاع كان عالما بالمذاهب والخلاف متدينا حسن الطريقة وروى شيئا من الأناشيد عن الشريف أبي طالب الزينبي والكيا علي بن محمد الهراسي روى عنه أحمد بن طارق قال ابن النجار قرأت على أحمد بن محمد بن عمر عن القاضي أبي المحاسن عمر بن علي القرشي أنشدني أبو الغنائم شجاع بن الحسن بن الفضب الحنفي أنشدني أبو طالب الحسين بن محمد الزينبي وقد دخل عليه الموفق رسول ملك غزنة ** يا نازحا شط المزاربه ** شوقي إليك يزيد عن وصفي ** ** أغفى لكي ألقاك فى حلمي ** **ومن العجائب** عاشق يغفي ** قال ابن النجار ذكر لي أبو الحسن بن القطيعي أنه سمع بعض رفقائه يذكرانه سأل الفقيه شجاعا الحنفي عن مولده فقال فى سنة تسع وسبعين وأربع مائة قال وأنبأنا أبو البركات عن أبي الفرج صدقة بن الحسين بن الحداد الفقيه قال سنة سبع وخمسين وخمس مائة فى يوم الخميس حادي عشر ذي القعدة مات شجاع الفقيه الحنفي المدرس بمشهد أبي حنيفة ودفن مما يلي القبة جار المشهد كان كبيرا و يأتي ولده رحمه الله تعالى

---

(١) صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس ٧٨/٢

". (١)

١٦٢-" شعر ** عجبا لقدك ما ترنح مائلا ** إلا وقد سلب الغصون شمائلا ** ** ولسقم جفنك كيف صح بكسرة ** فيه وأصبح باللواحظ نابلا ** ** ولناظر حاز الولاية فاغتدى ** من غير عدل للمعاطف عاملا ** ** وإذا علمت بأن ثغرك منهل ** فى روضة فعلام تحرم سائلا ** ** فى بحر خدك راح صدغك زورقا ** ولحسنه مد الغذار سلاسلا ** ** وأظن موج الحسن يقذف عنبرا ** أضحى له بيت السوالف ساحلا ** ** **ومن العجائب** أن سائل أدمعي ** قد جاء يستجدي عذارك سائلا ** ومن شعره أيضا ** سقى الله أيام الحمى ما يسرها ** وخصك يا عصر الشبيبة بالرضى ** ** ففيك عرفت العيش غضا مطاوعا ** ولكنه لما انقضى عصرك انقضى **

٤٨٥ محمود بن عبد الله بن محمد بن يوسف الغزي الأصل الرومي المولد المصري الدار المؤذن المعروف بابن العجمي أبو الثناء ويعرف بالملثم قدم مصر فى حدود سنة سبعين وخمس مائة وسمع بها من أبي الحسين علي بن هبة الله بن عبد الصمد الأصبهاني وأبي القاسم هبة الله بن علي الأنصاري وأجاز له أبو طاهر السلفي وحصل أصولا وكتبا كثيرة وحدث وسمع منه الحافظ المنذري وقال سألته عن مولده فقال فى ربيع الأول سنة خمس وأربعين وخمس مائة بأقصرا من بلاد الروم وتوفي يوم الخيمس من ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وست مائة ودفن من الغد بسفح المقطم وتقدم ابنه محمد بن محمود

٤٨٦ محمود بن عبيد الله بن صاعد بن أحمد بن محمد الطايكاني الحارثي شيخ الإسلام من أهل مرو قال ابن النجار سألته عن مولده فقال فى ذي الحجة سنة

". (٢)

١٦٣-"""""" صفحة رقم ٤٦ """""

شيخه الإسنوي قديما شرح المنهاج ثم صنف تخريج أحاديث الرافعي ورد علينا دمشق في سنة سبعين طالبا لسماع الحديث فاعتنى به القاضي تاج الدين لما ورد عليه وكتب له على مؤلفه وأرسله إلى الشيخ عماد الدين بن كثير فكتب له أيضا وإنما استعان بكتاب القاضي عز الدين ابن جماعة ثم كتب بعد ذلك كتبا عديدة والمصريون ينسبونه إلى سرقة تصانيفه فإنه ما كان يستحضر شيئا ولا يحقق علما ويؤلف المؤلفات الكثيرة على معنى النسخ من كتب الناس وقال غيره كان فريد الدهر في كثرة التواليف وحسنها وعبارته حسنة وكان منقطعا عن الناس جدا وكان من أعذب الناس ألفاظا وأحسنهم خلقا وأجملهم صورة كثير المروءة والإحسان والتواضع وكان موسعا عليه كثير الكتب جدا ثم احترق غالبها قبل موته توفي في ربيع الأول سنة أربع وثمانمائة ودفن بحوش الصوفية خارج باب النصر **ومن العجائب** أن المشايخ الثلاثة هو والبلقيني والعراقي كانوا

---

(١) طبقات الحنفية ١/٢٥٥

(٢) طبقات الحنفية ٢/١٥٩

أعجوبة هذا العصر على رأس القرن الشيخ في التوسع في معرفة مذهب الشافعي وابن الملقن في كثرة التصانيف والعراقي في معرفة الحديث وفنونه وكل من الثلاثة ولد قبل الآخر بسنة ومات قبله بسنة ومن تصانيفه تخريج أحاديث الرافعي سماه البدر المنير في ست مجلدات واختصره في نحو عشرة سماه الخلاصة ثم اختصره في تصنيف لطيف وسماه المنتقى وتخريج أحاديث المهذب وتخريج أحاديث الوسيط شرح العمدة سماه الإعلام بفوائد عمدة الأحكام وهو من أحسن". (١)

١٦٤-"""""" صفحة رقم ٤٨ """"

شاب ودرس وأفتى وولي إفتاء دار العدل وتدريس الشيخونية والمنصورية ثم ولي قضاء القاهرة استقلالا أربع مرات نحو خمس سنين في مدة إحدى عشرة سنة ونصف قال الحافظ شهاب الدين ابن حجر أمتع الله ببقائه وكتب شيئا على جامع المختصرات وخرج أحاديث المصابيح وتكلم على مواضع منه وحدث وحضرت بعض المجالسين عليه وكان كثير التودد إلى الناس مهابا شهما معظما عند الخاص والعام له صورة كبيرة وحشمة بالغة وكلمة نافذة ويسار ظاهر وكان منذ نشأ يسلك طريق برهان الدين ابن جماعة في التعاظم ثم الان جانبه بعد الاستقلال وكانت له عناية بتحصيل الكتب النفيسة فحصل منها شيئا كثيرا عرفت بعده وكان يهاب الملك الظاهر فلما مات أمن على نفسه وتحقق أنهم لا يقدمون على عزله لما تقرر له في القلوب من المهابة فسافر مع العسكر إلى قتال تنم فازدادت حرمته وعظم فوق ما في نفسه ثم سافر معهم إلى قتال اللنك فانعكس الأمر وأسر وأهين جدا وسافروا به وهو في قيد فغرق في نهر الزاب في شوال سنة ثلاث وثمانمائة بعد أن قاسى أهوالا **ومن العجائب** أنه كان يهاب ركوب البحر فكان لا يتوجه إلى منزلهم بالروضة بجانب المقياس أيام زيادة النيل خشية من ركوب البحر فاتفق أنه لم يمت إلا غريقا رحمه الله تعالى". (٢)

١٦٥-"""" صفحة رقم ٤٤٤ """

علم الهداية لسيدنا منصوبا وأجرى جواد البيان فى ميدان الإحسان فكان بحرا يعبوبا وقدح زناد الفكر ورمى بناره شيطان البدعة فأمسى منكوبا فلابد للمملوك أن يتبع الأثر ويقضى تلك الحقوق وينصر أبا الروح كما ينصر أبا الجسد فكلاهما محرم العقوق ويسرق وقتا لذلك السبب وإن كانت الموانع تقوم والعوائق تعوق ويقطعه عن أمثاله وأشغاله **ومن العجائب** أن يقطع المسروق

٢٢٤ على بن الحسن بن محمد بن حمدويه بن سنجان

بفتح السين المهملة وإسكان النون بعدها جيم ثم ألف ثم نون كذا ضبطه ابن الصلاح بخطه السنجانى

القاضى أبو الحسن المروزى

قال الحاكم كان أحد فقهاء الشافعيين

---

(١) طبقات الشافعية . لابن قاضى شهبة ٤/٤٦

(٢) طبقات الشافعية . لابن قاضى شهبة ٤/٤٨

سمع أبا الموجه محمد بن عمرو الفزارى وأقرانه بمرو

وبالعراق يوسف بن يعقوب القاضى وأقرانه

روى عنه مشايخنا الحكاية بعد الحكاية ولم يبلغ التحديث

ورد نيسابور قاضيا بها سنة ست عشرة وثلاثمائة". (١)

١٦٦-"""" صفحة رقم ٢٢٣ """

أخبرنا علي بن الفضل الحافظ أنشدني أبو محمد عبد الله بن يوسف الأندي أنشدني أمية بن أبي الصلت أنشدني أبو محمد التكريتي أنشدني أبو حامد الغزالي لنفسه

حلت عقارب صدغه من خده

قمرا فجل بها عن التشبيه

ولقد عهدناه يحل ببرجها

ومن العجائب كيف حلت فيه

ومما أنشد فيه أنشد أبو حفص عمرو بن عبد العزيز بن عبيد بن يوسف الطرابلسي لنفسه

هذب المذهب حبر

أحسن الله خلاصه

ببسيط ووسيط

ووجيز وخلاصه

وقال أبو المظفر الأبيوردي يرثيه

بكى على حجة الإسلام حين ثوى

من كل حي عظيم القدر أشرفه

فما لمن يمتري في الله عبرته

على أبي حامد لاح يعنفه

تلك الرزية تستوهي قوي جلدي

فالطرف تسهره والدمع تنزفه". (٢)

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى . موافق للمطبوع ٣/٤٤٤

(٢) طبقات الشافعية الكبرى . موافق للمطبوع ٦/٢٢٣

١٦٧-"""" صفحة رقم ١٨٣ """"

وأتى فظل صريع هذاك اللمى

عطشا وعاد قتيل هاتيك الملح

جنح الغزال إلى قتال جوانحي

فغدوت أجنح منه لما أن جنح

ومن العجائب أنه لما رمى

بسهامه قتل الفؤاد وما جرح

ولمى صقيل في مراشف شادن

لو شئت أمسحه بلثمي لانمسح

ومنها

قبلته وقبلت أمر صبابتي

ونصحت نفسي في قطيعة من نصح

ورشفت ريقته على رغم الطلا

من كأس مرشفه على غيظ القدح

ومنها

لي سبحة من جوهر في ثغرها

ففضلت سائر من يسبح بالسبح

لم لا تصالح قبلتي يا خدها

والماء فيك مع اللهيب قد اصطلح

كم يعذلون ولست أسمع قولهم

وأنا وهم مثل الأصم مع الأبح

ليس العذول عليك إنسانا هذى

إن العذول عليك كلب قد نبح

ومنها

أضحت على مهيار قبلي ناشزا

إذ قال عن محبوبه فيها بطح". (١)

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى. موافق للمطبوع ٩/١٨٣

١٦٨-"""" صفحة رقم ٢٢٨ """

فيا حبذا برق بأرض مسرة

ونفحة ريح من هناك انتقالها

عقدت على حبي لذكرك عقدة

عسير على مر الزمان انحلالها

وقال

ألا إن بنت الكرم أغلي مهرها

فيا خسر من أضحى لذلك باذلا

تزوج بالعقل المكرم عاجلا

وبالنار والغسلين والمهل آجلا

وقال

بعض أخلاي صار ميتا

وبعضهم في البلاء غائب

وبعضهم حاضر ولكن

يحصى ويقصى ولا يقارب

وصرت بين الورى وحيدا

فلا قريب ولا مناسب

فلا تلمني على اكتئابي

سرور مثلي من العجائب

وقال

قد جرحتنا يد أيامنا

وليس غير الله من آسي

فلا ترج الناس في حاجة

ليسوا بأهل لسوى الياس". (١)

١٦٩-" بن عساكر وابن السمعاني

ومن العجائب أنه اعتقل لسانه في آخر عمره عن الكلام إلا عن الذكر فكان يتكلم بآي القرآن

(١) طبقات الشافعية الكبرى . موافق للمطبوع ٩/٢٢٨

وكانت وفاته في شهر جمادي الآخرة سنة أربع عشرة وخمسمائة

١٩٥ – محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن هبيرة أبو الرضى النسفي ثم البغدادي

كان صالحا فاضلا خبيرا ومؤلفا بالتفسير والنحو والأدب حدث عن طراد وابن البطر روى عنه أبو محمد بن الخشاب النحوي وغيره

وتوفي في شهر المحرم سنة عشر وخمسمائة

٣٤ أ – ذكره ابن النجار ". (١)

١٧٠–" طبقات المفسرين

عبد الرحيم بن أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن أبو نصر القشيري النيسابوري

قال عبد الغافر : هو إمام الأئمة وحبر الأمة وبحر العلوم رباه والده واعتنى به حتى برع في النظم والنثر واستوفى الحظ الأوفى من علم التفسير والأصول ثم لازم إمام الحرمين حتى أحكم عليه المذهب والخلاف والأصول

وسمع الحديث من أبيه و أبي عثمان الصابوني و ابن النقور و أبي القاسم الزنجاني وجماعة وحدث بالكثير

روى عنه سبطه أبو سعد عبد الله بن عمر الصفار و أبو الفتوح الطائي وبالإجازة ابن عساكر و ابن السمعاني

ومن العجائب أنه اعتقل لسانه في آخر عمره عن الكلام إلا عن الذكر فكان يتكلم بآي القرآن

مات في جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وخمسمائة وهو في عشر الثمانين ". (٢)

١٧١–"يمكن أن تأخذ صورتها التي أخذتها بالفعل، إلا أن تكون صادرة عن أمة ممتلئة بهذا الدين حتى أعماقها، حريصة عليه، مؤمنة به، راغبة فيه، راغبة في نشره في آفاق الأرض، فالقوة وحدها لا تفسر ما حدث في هذه الحركة **من العجائب**، فكم استخدمت القوى الطاغية في الأرض قوتها للتوسع في الأرض، فلم تصنع ما صنعته الحركة الإسلامية. إن السيف، يمكن أن يفتح الأرض،ولكنه لا يفتح القلوب، والذي حدث في حركة الفتح الإسلامي لم يكن مجرد التوسع في الأرض، إنما كان فتح القلوب لتعتنق الإسلام، وكان . في كثير من الأقطار اتخاذ لغة الدين لغة رسمية، ونسيان الشعوب المفتوحة ما كانت تستعمله من قبل من اللغات، حتى الذين بقوا على دينهم بغير إكراه لو لم يكن الفاتحون مسلمين حقا، بمعنى الإيمان بهذا، وممارسته في عالم الواقع والتمكن منه عقيدة وسلكا وحركة، ما حدثت هذه العجائب في الفتح الإسلامي وأمر آخر يتعلق بهذه القوة ذاتها إنها في غالب الأحيان لم تكن هي الأكبر عددا وعدة وخبرة حربية...، إنما كان العدد والعدة والخبرة في الجانب الآخر، جانب الذين انهزموا أمام قوة المسلمين، فلو لم يكن هناك عنصر آخر غير مادي . في جانب الفاتحين ما تمكنوا من التغلب على أعدائهم الذين يفوقونهم في فنون الحرب، كما يفوقونهم في العدد والعدة سواء،

---

(١) طبقات المفسرين – الأدنروي ص/١٥٧

(٢) طبقات المفسرين – السيوطي ص/٥٥

ذلك العنصر هو العقيدة الحية التي تملأ القلوب وهذه هي الدلالة التي نركز عليها هنا في وجه الدعاوي التي تقول إن انحرافات بني أمية قضت على هذا الدين وهو بعد في المهد وتلك نقطة ينبغي أن نقف عندها طويلا حتى نقومها في نفوس الدارسين، ينبغي أن نلغي من حسهم ذلك الإيحاء الخبيث بأن الإسلام قد انتهى بعد الخلافة الراشدة ولم يعد له وجود، ويكون ذلك بعرض الواقع الإسلامي بأمانة كاملة ودقة كذلك .. وسيتبين لنا بالحساب، حساب مجموع الانحرافات ومجموع الاستقامات أن الحصيلة المتبقية ضخمة جدا رغم وجود الانحراف. ويكون هذا بالتالي فرصة". (١)

١٧٢-". من تزوج فقد ركن إلى الدنيا(١). إلى غير ذلك **من العجائب** والغرائب وهذا المفهوم يخالف الإسلام دين التوسط والاعتدال، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فمن رغب عن سنتي فليس مني(٢). وجملة القول أن زهد عمر بن عبد العزيز كان مقيدا بالكتاب والسنة وأن كثيرا مما نسب إليه في هذا الباب لا يصح لمخالفته هدى النبي صلى الله عليه وسلم، ومن زهد عمر بن عبد العزيز في جمع المال، فقد كان على النقيض ممن يلي منصبا في وقتنا الحاضر فقد كانت غلته حين استخلف أربعين ألف دينار، ثم أصبحت حين توفي أربعمائة دينار، ولو بقي لنقصت(٣)، حيث لم يرتزق رحمه الله من بيت المسلمين شيئا(٤)، فقد كان رحمه الله من زهاد زمانه إن لم يك أزهدهم، فكان يقول: إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر، تسر قليلا وتحزن طويلا(٥). وأخباره في الزهد كثيرة ذكر منها الشيخ أبو حفص عمر بن محمد الخضر المعروف بالملاء حوالي ثمانية وعشرين أثرا(٦)، لقد وصل عمر بن عبد العزيز إلى مرحلة متقدمة في الزهد والتحلي بصفات الزاهدين، وذلك ما لا يستطيع الوصول إليه أصحاب العيش في الظروف المادية في وقتنا الحاضر، الذي طغت فيه المادة على كل شيء في الحياة، وأصبح الناس يقيسون بعضهم البعض بما يملك من الدنيا وحطامها، حسبنا من قادة وزعماء هذا العصر المادي إن لم يتصفوا بصفة الزهد، على أقل تقدير، أن يكفوا أنفسهم عن الطمع، والجشع، وأن يسعوا إلى الكسب الحلال وأن يعملوا على قهر رغباتهم الدنيوية، لينالوا ما تاقت إليه نفس عمر بن عبد العزيز إلى ما هو أسمى من الدنيا.. إلى جنات النعيم(٧)

---

(١) الطبقات للشعراني (٣٤/١) .

(٢) فتح الباري على صحيح البخاري (١٠٤/٩) .

(٣) حلية الأولياء (٢٥٧/٥) .

(٤) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص١٨٦

(٥) النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر ص١٥١ .

(٦) الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز (٣٦٦/١إلى٣٧٨) .

---

(١) عمر بن عبد العزيز معالم الإصلاح والتجديد ٢٢/٢

(٧) النموذج الإداري المستخلص من إدارة عمر صـ١٥١ ."[(١)]

١٧٣-"أليس **من العجائب** أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه

وتؤكل باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه ٢٨ (١)

الناصر لدين الله

أحمد بن الحسن أمير المؤمنين الإمام الناصر لدين الله، أبو العباس ابن الإمام المستنصر؛ ولد يوم الاثنين عاشر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، وبويع له في أول ذي القعدة سنة خمس وسبعين، وتوفي سلخ رمضان سنة اثنتين وعشرين وستمائة، فكانت خلافته سبعا (٢) وأربعين سنة.

وكان أبيض اللون تركي الوجه مليح العينين أنور الوجه (٣) ، خفيف العارضين، أشقر، رقيق المحاسن؛ نقش خاتمه رجائي من الله عفوه. ولم يل (٤) الخلافة أطول مدة منه؛ وكان شابا مرحا عنده منعة (٥) الشباب، يشق الدروب والأسواق أكثر الليل، والناس يتهيبون لقاءه، وظهر التشيع في أيامه ثم انطفا، وظهر التسنن المفرط ثم زال، وظهرت الفتوة والبندق والحمام الهادي، وتفنن الناس في ذلك، وألبس الملك العادل وأولاده سراويلات الفتوة، وكذلك للملك شهاب الدين الغوري صاحب غزنة وملك الهند وجميع الملوك الذين كانوا في أيامه،

---

(١) انظر كتب التاريخ العامة؛ والروحي: ٦٨ والفخري: ٢٨٥ وتاريخ الخلفاء: ٤٨٠ ومرآة الزمان: ٦٣٥ والوافي ٦: ٣١٠ ونكت الهميان: ٩٣ والمنهل الصافي ١: ٢٦٤، ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة.

(٢) ص: سبع.

(٣) الوافي: الجبهة.

(٤) ص: يلي.

(٥) الوافي: ميعة."[(٢)]

١٧٤-"لو عاينت عيناك حسن معذبي ... ما لمتني ولكنت أول من عذر

عين الرشا قد ردف النقا ... شعر الدجى شمس الضحى وجه القمر ومما ينسب إليه وهو غاية:

بأبي أهيف إذا رمت منه ... لثم ثغر يصدني عن مرامي

قد حمى خده بسور عذار ... مقلتاه أضحت عليه مرامي وله أيضا:

تراخيت عني حين جد بي الهوى ... وجربت صبري عندما نفد الصبر

---

(١) عمر بن عبد العزيز معالم الإصلاح والتجديد ٣/٣٤٩

(٢) فوات الوفيات ١/٦٦

فلو عاينت عيناك في الليل حالتي ... وقد هزني شوقي وأقلقني الفكر

رأيت سليما في ثياب مسلم ... ومستشعرا قد ضم شرسوفه الشعر وله:

إذا عاينت عيناي أعلام جلق ... وبانت من القصر المشيد قبابه

تيقنت أن البين قد بان والنوى ... نأى شحطها والعيش عاد شبابه وله أيضا:

طرفي وقلبي قاتل وشهيد ... ودمي على خديك منه شهود

يا أيها الرشأ الذي لحظاته ... كم دونهن صوارم وأسود

من لي بطيفك بعدما منع الكرى ... عن ناظري البعد والتسهيد

وأما وحبك لست أضمر توبة ... عن صبوتي ودع الفؤاد يبيد

وألذ ما لاقيت فيك منيتي ... وأقل ما بالنفس فيك أجود

ومن العجائب أن قلبك لم يلن ... لي والحديد ألانه داود وعلى الجملة إنه لم يكن مسعود الحركات، لأنه قضى عمره في أسوأ حال، مشردا (١) عن الأوطان معكوس المقاصد، وقيل: إنه كان إذا دخل في الشراب

---

(١) ص: مشرد.". (١)

١٧٥-"أحبابنا هل وقفة نشكو بها ... ألم الهوى ونفض كل ختام

ومن العجائب أن سمحت بمهجتي ... لغريرة بخلت برد سلامي

هيفاء حرمت الوصال فلم رأت ... دمي الحرام السفك غير حرام منها:

أصبو إليك وللوقار زواجر ... تقتادني عن صبوة بزمام

وتقول لي ما المجد شرب مدامة ... وسماع غانية ووصل غلام

واعلم بأن الفضل ليس بنافع ... حتى يناط بجرأة الإقدام

والشعر ما لم يأت فيه فصاحة ... فكأنه ضرب من البرسام

والمدح في غير الوزير محمد ... ذي الفضل مأثمة من الآثام وقال أيضا:

أتانا يرينا من مقبله رصفا ... غزال سقانا الخمر من فمه صرفا

من الهيف خط الحسن في نور وجهه ... حروف جمال لا أقيس بها حرفا

فعرق نوني حاجبيه براعة ... وصف بحذق سين طرته صفا

أتى يحتذي لي القضيب قوامه ... ولم يعتمد ليا لوعدي ولا خلفا

تأود غصنا ناضر (١) العطف ناعما ... فبت أفديه وأسأله عطفا

---

(١) فوات الوفيات ١/٤٢٧

ولما (٢) جنيت الورد من وجناته ... تغنمتها لثما وأحللتها قطفا

بدا بدر تم وانثنى خيزرانة ... وماج كثيبا أهيلا ورنا خشفا

وعاطيته مشمولة بابلية ... يرى لسنا لألاء بارقها خطفا

فراح ولون الراح يصبغ كفه ... ووجنته الحمراء من لونها أصفى

---

(١) ص: ناظر.

(٢) ص: وما.". [١]

١٧٦-"هجم الصباح على الدجى بحسامه ... فظننت أن الصبح من عشاقه وأورد له أيضا:

ما هب من أرض العراق نسيم ... إلا دعاني للغرام غريم

فإلام ويك تلوم جهلا بالهوى ... قصر فإفراط الملامة لوم

أنى يحل العذل من سمعي وفي ... قلبي لتكرار الكلام كلوم؟

يا أيها القمر الذي لم يخل من ... يهواه من لاح عليه يلوم (١)

إن العذول على هواك أعده ... من حاسدي ولا أقول رحيم

فإلام أحمل ثقل هجرك والهوى ... والهجر حامل ثقله مرحوم

وإلى متى أرعى النجوم تعللا ... حتى كأني للنجوم نديم

ومن العجائب أن قلبي يشتكي ... شوقا إليك وأنت فيه مقيم ٣١١ (٢)

ابن برهان النحوي

عبد الواحد بن علي بن عمر بن إسحاق بن إبراهيم بن برهان، أبو القاسم الأسدي العكبري النحوي، صاحب العربية واللغة والتواريخ وأيام العرب؛ قرأ على عبد السلام البصري، وكان أول أمره منجما فصار نحويا، وكان

---

(١) سقط هذا البيت من المطبوعة.

(٢) الزركشي: ٢٠٢ والبداية والنهاية ١٢: ٣١٧ وتاريخ ابن الأثير وتاريخ الإسلام (وفيات ٤٥٦) وانظر ابن خلكان ٣: ٤٤٣ - ٤٤٤، ٥: ٣٥٩ ودمية القصر: ٣٠٩ (ط. اللباخ) والشذرات ٣: ٢٩٧ ولسان الميزان ٤: ٨٢ ومرآة الجنان ٣: ٧٨ وميزان الاعتدال ٢: ٦٧٥ والنجوم الزاهرة ٤: ٧٥ ونزهة الألباء: ٢٤٣.". [٢]

---

(١) فوات الوفيات ٢/٩٧

(٢) فوات الوفيات ٢/٤١٤

١٧٧-"فكم صافحتني من (١) مناها يد المنى ... وكم هب عرف اللهو في عرفاتها

عهدت بها أصنام حسن عهدتي ... هوى عبد عزاها وعبد مناتها

أهل بأشواقي إليها وأتقي ... شرائعها في الحب حق تقاتها وله أيضا:

هم في ضميرك خيموا أو قوضوا ... ومنى جفونك أقبلوا أم أعرضوا

وهم رضاك من الزمان وأهله ... سخطوا كما زعمت وشاتك أو رضوا

أهواكم وإن استمر قلاهم ... **ومن العجائب** أن يحب المبغض وله أيضا:

وقد هوت بهوى نفسي مها سبإ ... فهل درت (٢) مضر من تيمت سبأ

كأن قلبي سليمان وهدهده ... طرفي وبلقيس ليلى والهوى النبأ ٤٢٥ (٣)

ابن الصابوني الإشبيلي

محمد بن أحمد ابن الصابوني الصدفي، من أهل إشبيلية؛ قال ابن الأزبار: ذهبت البدائع (٤) بذهابه، وختمت الأندلس شعراءها به، ذهب إلى المشرق فتوفي بالإسكندرية وهو طالب مصر سنة أربع " وثلاثين " (٥) وستمائة.

---

(١) الوافي: في.

(٢) في المطبوعة: فهددت.

(٣) الوافي ٢: ٩٩ والزركشي: ٢٦٢ والبدر السافر: ٧٦ والمقتضب من التحفة: ١٦١ واختصار القدح: ٦٩ والمغرب ١: ٢٦٣ وصفحات متفرقة من نفح الطيب.

(٤) في المطبوعة: الآداب، والتصويب عن الوافي والزركشي.

(٥) زيادة من المقتضب؛ ولم ترد في الوافي أيضا؛ وفي البدر السافر: سنة أربع وقيل ست وثلاثين وستمائة.". [١]

١٧٨-"أن ينقضي المجلس، فلا يخرج (١) منه حتى يغرم درهمين.

ومن شعره الصالح:

أيها الأمرد المولع بالهج ... ر أفق ما كذا سبيل الرشاد

فكأني بحسن وجهك قد أل ... بس في عارضيك ثوب حداد

وكأني بعاشقيك وقد أب ... دلت فيهم من خلطة ببعاد

حيث تغضي العيون عنك كما ين ... قبض السمع من حديث معاد

فاغتنم قبل أن تصير إلى كا ... ن وتضحي من جملة الأضداد وقال أيضا:

رأيت **من العجائب** قاضيين ... هما أحدوثة في الخافقين

---

(١) فوات الوفيات ٣/٢٨٤

هما اقتسما العمى نصفين عمدا ... كما اقتسما قضاء الجانبين

هما فأل الزمان بهلك (٢) يحيى ... إذ افتتح القضاء بأعورين

وتحسب منهما من هز رأسا ... لينظر في مواريث ودين

كأنك قد جعلت عليه دنا ... فتحت بزاله من فرد عين وكان المتوكل يرمي به في المنجنيق إلى البركة، فإذا علا في الهواء يقول: الطريق، جاءكم المنجنيق، حتى يقع في البركة، فيطرح عليه الشباك ويصطاد، ويخرج وهو يقول: ويأمر بي ذا الملك " فيطرحوني في البرك " ويصطادني بالشبك، كأني بعض السمك، ويضحك لي هك هك.

قال بعضهم: رأيته ببعض آجام سامرا وهو عريان لا يواريه شيء، على يده اليمنى باشق وبيده اليسرى قوس، وعلى رأسه قطعة رثة من حبل (٣)

---

(١) زاد بعدها في المطبوعة: أحد.

(٢) المطبوعة: الدمار بملك؛ ولا معنى له.

(٣) المطبوعة: رقة حبك.". (١)

١٧٩-"قولك هذا خطل (١) باطل ... أما ترى الأقمار في الأطلس أخذ هذا المعنى من سيف الدين المشد ونقضه فإنه قال:

زعم الأوائل أنما ... تبدو الذوائب للكواكب وتوهموا الفلك المعظ م أطلسا ما فيه ثاقب

أتراهم لم ينظروا ... ما في الزمان **من العجائب**

كم من هلال قد بدا ... في أطلس وله ذوائب وقال وهو بمصر يتشوق إلى دمشق:

لي نحو ربعك دائما يا جلق ... شوق أكاد به جوى أتمزق

وهمول دمع من جوى بأضالع ... ذا مغرق عيني وهذا محرق

أشتاق منك منازلا لم أنسها ... أني وقلبي في ربوعك موثق

طلل به خلقي تكون أولا ... وبه عرفت بكل ما أتخلق

وقف عليه لدى التأسف والبكا ... قلبي الأسير ودمع عيني المطلق

أدمشق لا بعدت ديارك عن فتى ... أبدا إليك بكله يتشوق

أنفقت في ناديك أيام الصبا ... حبا وذاك أعز شيء ينفق

ورحلت عنك ولي إليك تلفت ... ولكل جمع صدعة وتفرق

فاعتضت عن أنسي بظلك وحشة ... منها وهي جلدي وشاب المفرق

---

(١) فوات الوفيات ٣/٣٠٠

فلبست ثوب الشيب وهو مشهر ... وخلعت (٢) ثوب الشرخ وهو معتق

ولكم أسكن عنك قلبا طامعا ... بوعود قربك وهو شوقا يخفق

ولكم أحدث عنك من لاقيته ... وجميع من سمع الحديث يصدق

والأرض في عرض وطول دائما ... لم يحو مثلك غربها والمشرق

لله وادي النيربين (٣) وظله ... لا الرقمتان ورامة والأبرق

---

(١) المطبوعة: خطأ.

(٢) الوافي: ونزعت.

(٣) المطبوعة: النيرين؛ وهو خطأ.". [1]

١٨٠-"حلقوك تقبيحا لحسنك رغبة ... فازداد وجهك بهجة وضياء

كالخمر فك ختامها فتشعشعت ... كالمشع قط ذباله فأضاء ومن شعر السابق المعري:

وأغيد واجه المرآة زهوا ... فحرق بالصبابة كل نفس

وليس من العجائب أن تأتي ... حريق بين مرآة وشمس وقال أيضا:

ولقد عصيت عواذلي وأطعته ... رشأ يقتل عاشقيه ولا يدي

ولقد عصيت شوك (١) اللوم فيه مسامعي ... فبما جنت من ورد وجنته الندي وقال أيضا:

وراح أزاحت ظلام الدجى ... فأبدى الفراش إليها فطارا

رآها (٢) توقد في كأسها ... فيممها يحسب النور نارا

وما زلت أشربها قهوة ... تميت الظلام وتحيي النهارا وقال أيضا:

حلمت عن السفيه فزاد بغيا ... وعاد فكفه سفهي عليه

وفعل الخير من شيمي ولكن ... أتيت الشر مدفوعا إليه قال محب الدين ابن النجار: قال لنا أبو عبد الله " ابن " (٣)

الملحي: كنت عند السابق قبل موته فقال لي: قد وصف صديقنا أبو نصر ابن الحكيم (٤)

---

(١) المطبوعة: شر؛ والتصويب عن الوافي.

(٢) المطبوعة: يراها.

(٣) زيادة من الوافي.

---

(١) فوات الوفيات ٣/٣٢٧

(٤) الوافي: حليم.". [1]

١٨١-"٥١٥ - (١)

تاج الدين الصرخدي

محمود بن عابد (٢) بن حسين بن محمد، الشيخ تاج الدين أبو (٣) الثنا التميمي الصرخدي النحوي الشاعر المشهور الحنفي؛ ولد بصرخد سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، وتوفي بدمشق سنة أربع وسبعين وستمائة، وكان فقيها صالحا، نحويا بارعا، شاعرا محسنا ماهرا، متفننا خيرا متواضعا دمث الأخلاق، كبير القدر وافر الحرمة. وكان سكنه بالمدرسة النورية؛ ومن شعره قوله:

عجبا لقدك ما ترنح مائلا ... إلا وقد سلب الغصون شمائلا

ولسقم جفنك كيف صح بكسرة ... فيه وأصبح باللواحظ نابلا

ولناظر حاز الولاية فاغتدى ... من غير عزل للمعاطف عاملا

وإذا علمت بأن ثغرك منهل ... في روضة فعلام تحرم نائلا

في بحر خدك راح صدغك زورقا ... فلحبسه مد العذار سلاسلا

وأظن موج الحسن يقذف عنبرا ... أضحى له نبت السوالف ساحلا

ومن العجائب أن سائل أدمعي ... قد جاء يستجدي عذارك سائلا وقال أيضا:

ما للفؤاد إذا ذكرتك يخفق ... والدمع من عيني يسح ويدفق

---

(١) الزركشي: ٣٢٦ وعبر الذهبي ٥: ٣٠٢ والشذرات ٥: ٣٤٤ وقال الزركشي: ((ووقفت على المفصل للزمخشري وعليه خط الإمام زين الدين ابن معطي النحوي وذكر أن الصرخدي هذا قرأه عليه قراءة بحث وإتقان عظيم))؛ وأكثر هذه الترجمة لم يرد في المطبوعة.

(٢) ص: عايد، ولا إعجام عند الزركشي.

(٣) ص: أبي.". [2]

١٨٢-" روى الحديث فقال : دخلت على جابر بن عبد الله بمكة فوجدته جالسا يصلي بأصحابه العصر وهو جالس قال : فنظرت حتى سلم ؛ قال : قلت : غفر الله لك أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه و سلم تصلي بهم وأنت جالس ! قال : أنا مريض فجلست وأمرتهم أن يجلسوا فيصلوا معي إني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول

---

(١) فوات الوفيات ٣٤٨/٣

(٢) فوات الوفيات ١٢١/٤

: " ما صلى رجل العتمة في جماعة ثم صلى بعدها ما بدا له ثم أوتر قبل أن يريم إلا كانت تلك الليلة كأنه لقي ليلة القدر في الإجابة " . وسمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " الإمام جنة فإن صلى قائما فصلوا قياما وإن صلى جالسا فصلوا جلوسا "

قال : كنا ننادي في بيوتنا للصلاة ونجمع لأهلنا

وروى عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه و سلم سمع رجلا يقول : اللهم إني أسألك بأن لم الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام أسألك الجنة وأعوذ بك من النار فقال النبي صلى الله عليه و سلم : " لقد كان يدعو الله باسمه الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطي "

وقال : " شهدت عمر يعني ابن عبد العزيز ومحمد بن قيس يحدثه فرأيت عمر يبكي حتى اختلفت أضلاعه "

وسئل عنه أبو زرعة فقال : مدني أنصاري زرقي ثقة

إبراهيم بن عتيق بن حبيب

أبو إسحاق العبسي أخو عبد السلام ويقال : السلمي مولاهم

ويقال : إن جده كان نصرانيا من أهل حرستا فأسلم على يدي رجل من بني سليم وداره بدمشق بناحية باب السلامة

روى عن مروان بن محمد الدمشقي بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر إلا مع محرم من أهلها "

وعن منبه بن عثمان اللخمي بسنده عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤوا بالعشاء "

قال عمرو بن دحيم : سألته عن مولده فقال : سنة سبع وثمانين ومئة

قال ابن أبي حاتم : سمعنا منه وهو صدوق

إبراهيم بن عثمان بن سعيد بن المثنى

أبو إسحاق المصري الأزرق الخشاب سمع بمصر ودمشق ورحل إلى العراق

توفي في رمضان سنة ثلاث وثلاثمئة وكان صالح الحديث

إبراهيم بن عثمان بن عبد الله بن عبيد ا

بن أحمد بن الهيثم أبو إسحاق البهراني الحوراني حدث ببصرى سنة أربع عشرة وأربعمئة وحدث بقصيدة في مناسك الحج

إبراهيم بن عثمان بن محمد

أبو القاسم ويقال : أبو مدين ويقال : أبو إسحاق . الكلبي الغزي

شاعر محسن دخل دمشق وسمع بها سنة إحدى وثمانين وأربعمئة . ثم رحل إلى خراسان وامتدح بها جماعة من رؤسائها وانتشر شعره هناك

وكان مولده في سنة إحدى وأربعين وأربعمئة

فمن شعره : من المتقارب

هوى يستلذ كحك الجرب ... وشوق يصيبك منه النصب

تذكرت مربعنا في دمشق ... ومصطافنا بحوالي حلب

وصحبة قوم إذا استنهضوا ... فضرب السيوف لديهم ضرب

وقوله : من الكامل

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة ... باب الدواعي والبواعث مغلق

خلت الديار فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب أنه لا يشترى ... ومع الكساد يخان منه ويسرق

وقال يرثي الشيخ الغمام أبا الحسن الطبري المعروف بالكيا الفقيه ارتجالا : من البسيط

هي الحوادث لا تبقي ولا تذر ... ما للبرية من محتومها وزر

لو كان ينجي علو من بوائقها ... لم تكف الشمس بل لم يخسف القمر

قل للجبان الذي أمسى على حذر ... من الحمام متى رد الردى الحذر

بكى على شمسه الإسلام إذ أفلت ... بأدمع قل في تشبيهها المطر

حبر عهدناه طلق الوجه مبتسما ... والبشر أحسن ما يلقى به البشر

لئن طوته المنايا تحت أخمصها ... فعلمه الجم في الآفاق منتشر

سقى ثراك عماد الدين كل ضحى ... صافي الغمام ملث الودق منهمر

عند الورى من أسى ألفيته خبر ... فهل أتاك من استيحاشهم خبر ". (١)

١٨٣-" وذكر الواقدي : أن البلاء كان بمقتل الجراح على المسلمين عظيما فبكي عليه في كل جند من أجناد العرب ومصر من أمصار المسلمين

حدث إسماعيل بن عبيد الله مولى الحارث بن هشام قال : قدمت علينا امرأة يمانية عليها ثياب اليمن فقالت : هل تعرفون أبا المقدام رجاء بن حيوة ؟ قلنا : نعم . قالت : رأيت رجلا في النوم فقال : أنا أبو المقدام رجاء بن حيوة فقلت : ألم تمت ؟ قال : بلى ولكن نودي في أهل الجنة أن يتلقوا روح الجراح بن عبد الله الحكمي وذلك قبل أن يأتيهم نعي الجراح فكتبوا الوقت فجاءهم أن الجراح قد قتل يومئذ بأرمينية جاشت عليه الخزر فقتلوه

قال أبو مسهر : قال الجراح يوم قتل لأصحابه : أيها القواد وأمراء الأجناد فيم اهتمامكم ؟ ! غدوتم أمراء وتروحون شهداء اللهم اذ رفعت عنا النصر فلا تحرمنا الصبر والأجر ثم قال :

---

(١) مختصر تاريخ دمشق - مفهرس ص/٤٧٤

لم يبق إلا حسبي وكفني ... وصارم تلذه يميني

وقاتل حتى قتل

وأنشد أبو مسهر للفرزدق من أبيات :

لقد صبر الجراح حتى مشت به ... إلى رحمة الله السيوف الصوارم

جرجة بن عبد الله الرومي

أسلم على يدي خالد بن الوليد يوم اليرموك وحسن إسلامه وقاتل الروم فاستشهد في يومه . وكان قائدا من قواد الروم وخرج يوم اليرموك حتى كان بين الصفين ونادى : ليخرج إلي خالد فخرج إليه خالد وأقام أبا عبيدة مكانه فوافقه بين الصفين حتى اختلفت أعناق دابتيهما وقد أمن أحدهما صاحبه فقال جرجة : يا خالد اصدقني ولا تكذبني فان الحر لا يكذب ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه فلا تسله على جند أبدا إلا هزمتهم ؟ فقال : لا . قال : فبم سميت سيف الله ؟ فقال : إن الله عز و جل بعث فينا نبيه صلى الله عليه و سلم فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعا ثم إن بعضنا صدقه وتابعه وبعضنا كذبه وباعده فلما ناوأنا كنا على ذلك فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله ثم إن الله عز و جل أخذ بقلوبنا ونواصينا إليه فهدانا به فتابعناه فقال : أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين . قال : صدقتني . ثم أعاد عليه جرجة : يا خالد أخبرني إلام تدعون ؟ فقال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله والإقرار بما جاء من عند الله . قال : فمن لم يجبكم ؟ قال : فالجزية ونمنعكم . قال : فمن لم يعط هذا ؟ قال : نؤذنه بحرب ثم نقاتله . قال : فما منزلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم ؟ قال : منزلتنا واحدة فيما افترض الله عز و جل علينا شريفنا ووضيعنا أولنا وآخرنا . ثم أعاد عليه جرجة : يا خالد هل لمن دخل فيكم اليوم مثل مالكم من الأجر والذخر ؟ قال : نعم وأفضل . قال : وكيف يساوى بكم وقد سبقتموه ؟ فقال : إنا دخلنا في هذا الأمر وبايعنا نبينا صلى الله عليه و سلم وهو حي بين أظهرنا تأتينا أخبار السماء ويخبرنا بالكتب ويرينا الآيات وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا **من العجائب** فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا منزلة . قال جرجة بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألفني ؟ فقال : بالله لقد صدقتك ومالي إليك ولا إلى أحد منكم وحشة وإن الله لولي ما سألت عنه . فقال : صدقتني وقلب الترس ومال مع خالد وقال : علمني الإسلام فمال به خالد إلى فسطاطه فشن عليه قربة ثم صلى به ركعتين

وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها حملة فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية عليهم عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام وركب خالد ومعه جرجة والروم خلال المسلمين فتنادى الناس وثابوا وتراجعت الروم إلى مواقفهم فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسيوف فضرب فيهم خالدا وجرجة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب ثم أصيب جرجة ولم يصل صلاة سجد فيها إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما

جرول بن أوس بن جؤية

ويقال : جرول بن مالك بن جؤية بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض ابن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر - أبو مليكة العبسي المعروف بالحطيئة : ". (١)

١٨٤-" بلغنا " والله أعلم " عن صفة كرسي سليمان بن داود بحكمته أنه صنع دفوف الكرسي من عظام الفيلة وفصصها بالدر وبالياقوت والزبرجد واللؤلؤ صنعت صنعة لم يصنع مثلها من مضى ولا صنعها من بقي بعده ثم جعل له ست درجات بعضها فوق بعض وجعل بين كل درجتين شبرا وجعل كل درجة منها مفصصة بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ وحفف الكرسي من جانبيه كليهما بنخل من ذهب وعناقيدها ياقوت وزبرجد ولؤلؤ وجعل رؤوس النخل من أحد جانبي الكرسي طواويس من ذهب وجعل من جانبه الآخر سورا من ذهب مقابلة للطواويس وجعل عن يمين الدرجة الأولى شجرة صنوبر من ذهب وعن يسارها أسدا من ذهب وعلى رؤوس الأسدين عمودا من زبرجد ومن جانبي الأسدين شجرتين كلتاهما كرم من ذهب معرشتين فأظلتا الكرسي كله بتعريشها وورقها وفوق أعلى درج الكرسي أسدين عظيمين من ذهب مجوفين محشوين مسكا وعنبرا فإذا أراد سليمان بن داود الملك أن يصعد على كرسيه استدار الأسدان كما يستدير المنجنون فينفخان ما في أجوافهما من الطيب ومن جانبي الكرسي منبران من ذهب أحدهما مجلس خليفة سليمان والآخر مجلس الأحبار والقضاة وسبعين منبرا من ذهب لسبعين قاضيا من أحبار بني إسرائيل وعلمائهم وكهولهم من كل جانب من الكرسي خمسة وثلاثون منبرا فإذا أراد الملك أن يصعد إلى كرسيه وضع قدميه على الدرجة الأولى من الكرسي استدار الكرسي كما يستدير المنجنون فيبسط الأسد يده اليمنى والنسر جناحه الأيسر فيتكئ سليمان عليها إلى الدرجة التي تليها وكذلك تصنع الأسد والنسور من كل درجة إلى درجة حتى يستوي إلى أعلى الكرسي فإذا استوى سليمان على كرسيه جالسا أخذ التنين العظيم تاج الملك فوضعه على راس سليمان وكان الذي يستدير بالكرسي وما فيه من العجائب تنين عظيم حتى تمر الأسود والنسور والطواويس التي على الدرجة السفلى إلى أعلى الكرسي فيظلون من فوق رأس سليمان وهو جالس على الكرسي فينضحون ما في أجوافها من الطيب على رأس سليمان وكانت حمامة على عمود جوهر تأخذ التوراة حتى تجعلها في يد سليمان فيقرأها على الناس فإذا جلس سليمان على كرسيه للقضاء وجلس قضاة بني إسرائيل على كراسيها عن يمينه وشماله جانبي الكرسي فدخلت الشهود للشهادات استدار منجنون الكرسي فيزأر الأسد وتخفق النسور بأجنحتها وترجع الطواويس لترعب قلوب الشهود أن لا يشهدوا بالزور ويقول الشهود عندما يرون من العجائب وما دخلهم من الرعب : لا نشهد إلا بالحق فإنا إن نشهد بالزور يهلك العالم فلم يكن مثل كرسي سليمان في الأولين ولا يكون مثله في الآخرين

فلما قبض الله سليمان وجاء بخت نصر فأخذ ذلك الكرسي فحمله معه إلى أنطاكية فأراد أن يصعد فيه ليقعد عليه ولم يكن له علم كيف يصعد فيه فلما وضع قدمه على الدرجة الأولى ولم تصب موضعها رفع الأسد يده اليمنى فكسر ساق بخت نصر الأيسر فعرج فلم يزل بخت نصر يعرج منها حتى مات ثم بعث الله ملكا من ملوك فارس يقال له : كارس

---

(١) مختصر تاريخ دمشق - مفهرس ص/٧٦١

بن سورس ويقال الفرريا بن يساريا فحمل الكرسي من بابل حتى رده إلى بيت المقدس فوضعوه تحت الصخرة فلم يقعد أحد على كرسي سليمان من بعده ولم يقدر عليه منذ وضع تحت الصخرة

فذلك ما يذكر من حديث الكرسي وما فيه **من العجائب**

قال إسحاق بن بشر : وكان سليمان إذا ركب يسمع حفيف قبته من اثني عشر ميلا فلا يبقى غلام ولا جارية ولا رجل ولا امرأة إلا وهم متشوفون ينظرون إلى مركب سليمان ويتعجبون . فبينا سليمان في مسيره بهذه الحال وقد اشرفوا عليه من كل جانب غذ مر على رجل من بين إسرائيل يعمل بالمسحاة في حرث له يقال له : مرعبدا فقال مرعبدا ولم يرفع طرفه إليه : لقد أوتي آل داود ملكا عظيما ثم أقبل على مسحاته فلم يلتفت له ولم ينظر إليه والناس متشوفون من كل جانب فلما رأى سليمان ذلك رفع رأسه فنظر إلى الطير فوقفن فإذا وقفت الطير تركت الشياطين الأركان وتجيء الريح فتحمل له البيت بقدرة الله . فلما نظر سليمان إلى العابد وهو مرعبدا قطع به فقال : والله ما هذا إلا رجل في قلبه إيمان ومعرفة ليس في قلب أحد

قال عبد الله بن عمر : قال لنا النبي صلى الله عليه و سلم : " إن الله لينظر إلى الكافر ولا ينظر إلى المزهي ولقد حملت سليمان بن داود الريح وهو متكئ فأعجب واختال بنفسه فطرح على الأرض ". (١)

١٨٥-" من بين مستلق على جنبه ... وآخر يسأل عما به

يريد تمزيقا لأثوابه ... من فرح منه بأحبابه

عاجله السكر فأضحى لقى ... وكفه في ثني جلبابه

وقال :

أكل وميض بارقة كذوب ... أما في الدهر شيء لايريب

تشابهت الطباع فلا دنيء ... يحن إلى الثناء ولاحسيب

وقال : من البسيط

يا من تشابه منه الخلق والخلق ... أما في الدهر شيء لا يريب

تشابهت الطباع فلا دنيء ... يحن إلى الثناء ولا حسيب

وقال : من البسيط

يا من تشابه منه الخلق والخلق ... فما تسافر إلا نحوه الحدق

توريد دمعي من خديك مختلس ... وسقم جسمي من جفنيك مسترق

لم يبق لي رمق أشكو إليك به ... وإنما يشتكي من به رمق

وقال : من المنسرح

---

(١) مختصر تاريخ دمشق - مفهرس ص/١٣٨٧

يا مكمدي دعني أمت كمدا ... أو جد بعبدك مثلما وجدا

وزعمت أن البين منك غدا ... هدد بهذا من يعيش غدا

وقال :

أستودع الله قوما ماذكرتهم ... إلا وضعت يدي لهفا على كبدي

تبدلوا وتبدلنا وأخسرنا ... من ابتغى عوضا يسلي فلم يجد

طمعت ثم رأيت اليأس أجمل بي ... تنزها فخصمت الشوق بالجلد

وقال : من الكامل

يانازحا شط المزار به ... شوقي إليك يجل عن وصفي

أغفي لكي ألقاك في حلمي ... **ومن العجائب** عاشق يغفي

قال الخطيب : توفي أبو الفرج الببغاء في ليلة السبت لثلاث بقين من شعبان سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة

عبد الواحد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق

أبو يوسف الطبري روى عن غيلان بن محمد بسنده عن سعد القرظ أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يخطب الناس في الحرب وهو متوكىء على قوسه

عبد الواحد

لم ينسب عن محمد بن سوقة قال : سمعت عبد الواحد الدمشقي قال : رأيت أبا الدرداء يحدث الناس ويفتيهم وولده إلى جنبه وأهل بيته جلوس في جانب يتحدثون . فقيل : ما بال الناس يرغبون فيما عنك من العلم وأهل بيتك جلوس لاهين ؟ قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " أزهد الناس في الأنبياء وأشدهم عليهم الأقربون " وذلك فيما أنزل الله عز و جل : " وأنذر عشيرتك الأقربين " إلى آخر الآية ثم قال : " أزهد الناس في العالم أهله حتى يفارقهم " عن عبد الواحد الدمشقي قال : مر أبو هريرة حتى قام على أهل مجلس فقال : ألا أحدثكم عن نبي الله صلى الله عليه و سلم حديثا غير كذب ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " ألا أحدثكم بما يدخلكم الجنة ؟ " قالوا : بلى قال : " ضرب السيف وطعام الضيف واهتمام بمواقيت الصلاة وإسباغ الطهور في الليلة القرة وإطعام الطعام على حبه "

عبد الوارث بن الحسن بن عمر القرشي

يعرف بابن الترجمان البيساني من أهل بيسان . قدم دمشق روى عن عبد الله بن يزيد المقرىء بسنده عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " لاتجالسوا أهل القدر ولاتفاتحوهم " وروى عن عطاء بن همام الكندي بسنده عن عمر بن حريث قال : مرض أبو بكر فصلى بالناس ثم أقبل عيهم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنا لم نألكم نصحا سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : " يخرج الدجال من قبل المشرق ومعه قوم وجوههم

كالمجان " وعن سفيان الثوري بسنده عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " يأتي على الناس زمان أفضل أهل ذلك الزمان كل خفيف الحاذ " قيل : يا رسول الله ومن خفيف الحاذ ؟ قال : قليل العيال "

قال ابن ماكولا : البيساني : أوله باء معجمة بواحدة ثم ياء معجمة باثنتين من تحتها ثم سين مهملة

عبد الوارث بن عبد الغني بن علي

ابن يوسف بن عاصم أبو محمد المغربي التونسي المالكي الأصولي الزاهد كان عالما بعلم الكلام بصيرا به حسن الاعتقاد له قدم في العبادة . قدم دمشق غير مرة وكان يتردد منها إلى حمص وحلب ويرجع إليها وكان له أصحاب ومريدون

روى الحافظ ابن عساكر أبياتا من إنشاده في علم الأصول وقال : توفي أبو محمد عبد الوارث بن عبد الغني سنة خمسين وخمسمائة بحلب على ما بلغني ". (١)

١٨٦-" فكان عيسى يري العجائب في صباه إلهاما من الله تعالى ففشا ذلك في اليهود وترعرع عيسى فهمت به بنو إسرائيل فخافت أمه عليه فأوحى الله إليها أن تنطلق به إلى أرض مصر فذلك قوله عز و جل : " وجعلنا ابن مريم وأمه آية " فسئل ابن عباس : ألا كان آيتان وهما اثنان ؟ فقال : إنما قال آية لأن عيسى من أمه ولم يكن من أب لم يشاركها في عيسى أحد فصار آية واحدة " وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين " قال : يعني أرض مصر

قال وهب : ولما بلغ عيسى ثلاث عشرة سنة أمره الله تعالى أن يرجع من مصر إلى بيت إيلياء فقدم عليه يوسف ابن خال أمه فحملهما على حمار حتى جاء بهما إلى إيلياء وأقامهما حتى أحدث الله تعالى له الإنجيل وعلمه التوراة وأعطاه إحياء الموتى وإبراء الأسقام والعلم بالغيوب بما يدخرون في بيوتهم ؛ وتحدث الناس بقدومه وفزعوا لما كان يأتي **من العجائب** وجعلوا منه فدعاهم إلى الله ففشا فيهم أمره

وعن عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله الجنة على ما كان من عمل

زاد في آخر : وأن الساعة آتية لا ريب فيها

سئل الأوزاعي عن رجل قال لامرأته : أنت طالق ثلاثا بتة أن لم أكن من أهل الجنة ؟ فقال الأوزاعي : لا يفرق بينه وبين امرأته ؛ حدثني عمير بن هانئ عن جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبده ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه أدخله الله الجنة على ما كان منه فلا يفرق بينهما بالشك لما جاء من هذا الحديث

وفي رواية : أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء

---

(١) مختصر تاريخ دمشق - مفهرس ص/٢٠٩٩

وعن يعلى بن شداد عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : ليخرجن الله بشفاعة عيسى بن مريم من جهنم مثل أهل الجنة

أنزلت التوراة على موسى صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم في ست ليالي خلون من شهر رمضان ؛ ونزل الزبور على داود صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم في اثنتي عشرة خلت من شهر رمضان وذلك بعد التوراة بأربع مئة سنة واثنتين وثمانين سنة ؛ وأنزل الإنجيل على عيسى بن مريم صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم في ثمان عشرة ليلة خلت من شهر رمضان بعد الزبور بألف عام وخمسين عاما ؛ وأنزل القرآن على النبي صلى الله عليه و سلم في أربع وعشرين من شهر رمضان

وعن أبي هريرة قال : ". (١)

١٨٧-" أنه قال في المائدة التي أنزلها الله على عيسى قال : لما سأل الحواريون عيسى - وذلك أنهم حين سألوه - قالوا : تريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا للذي رأينا **من العجائب** ونكون عليها من الشاهدين . قال : فقام عيسى فألقى عنه الصوف ولبس جبة من شعر ولحافا من شعر ثم وضع يمينه على شماله وصف قدميه وألصق كعب قدميه مع الآخر وسى بين إبهاميه وطأطأ رأسه خاشعا لله عز و جل فأرسل عينيه بالبكاء حتى سالت الدموع على لحيته وصدره وهو يدعو الله ويتضرع ثم قال : " اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا " يعني تكون لنا عظة " وآية منك " يقول : علامة بيننا وبينك " وارزقنا " عليها طعاما نأكله وارزقنا " وأنت خير الرازقين " فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وأخرى من تحتها توهي منقضة في الهواء والناس ينظرون إليها ! فأوحى الله تعالى : يا عيسى هذه المائدة فمن كفر بعد ذلك " منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين " . فبلغ عيسى قومه فقالوا : نعم فقال الله : يا عيسى إن كفروا أخذتهم بالشرط . ونزلت المائدة وعيسى يبكي ويقول : إلهي اجعل رحمة ولا تجعلها عذابا ! كم أسألك **من العجائب** " فتعطني إلهي أعوذ بك أن يكون نزولها عذابا ورجزا وأسألك أن تجعلها عافية وسلامة ولا تجعلها مثلة ولا فتنة . فما زال " يدعو ويتضرع حتى استقرت بين يدي عيسى والناس حوله " يجدون ريح " طيبها لم يجدوا ريحا قط أطيب منها فخر عيسى ساجدا وسجد الحواريون معه

وبلغ ذلك اليهود . فأقبلوا مغمومين مكروبين فنظروا إلى أمر معجب فإذا سفرة مغطاة بمنديل فرفع عيسى راسه واستوى قاعدا فقال : لننظر من كان خيرنا وأوثقنا بنفسه وأحسننا عملا عند ربه فليكشف عن هذه الآية حتى ننظر إليها ونأكل منها ونحمد الله عليها ؛ فقال الحواريون : أنت أولانا وأحقنا يا روح الله ! فقام عيسى فتوضأ وضوءا حسنا وصلى صلاة حسنة ودعا دعاء كثيرا وبكى بكاء طويلا ثم جلس عند السفرة ثم قال : بسم الله خير الرازقين وكشف المنديل فإذا سمكة مشوية وليس عليها فلوس ولا فيها شوك يسيل السمن منها سيلانا وقد نذد حولها من ألوان البقول إلا الكراث وخل عند رأسها وملح عند ذنبها وخمسة أرغفة على كل رغيف زيتون وخمس رمانات وتميرات فقال شمعون وهو رأس الحواريين :

---

(١) مختصر تاريخ دمشق - مفهرس ص/٢٧٠١

يا روح الله وكلمته ! أمن طعام الدنيا أو من طعتم الآخرة ؟ فقال عيسى : ما أخوفني عليكم أن تعاقبوا ! فقال : لا وإله بني إسرائيل ما أردت بما سألتك عنه سوءا فقال عيسى : نزلت وما عليها من السماء وليس شيء منها من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة وهي مما ابتدعه الله بالقدرة البالغة فقال : كن فكان فقال : كلوا مما سألتم واذكروا اسم الله عليه واحمدوا إلهكم واشكروه يزدكم فإنه القادر على ما يشاء إذا يشاء فقال الحواريون : يا روح الله ! كن أنت أول من يأكل منها ثم نأكل منها فقال عيسى : معاذ الله بل يأكل منها الذي سألها وطلبها ". [1]

١٨٨-"[2] حتى يستوي إلى أعلى الكرسي فإذا استوى سليمان على كرسيه جالسا أخذ التنين العظيم تاج الملك فوضعه على راس سليمان وكان الذي يستدير بالكرسي وما فيه **من العجائب** تنين عظيم حتى تمر الأسود والنسور والطواويس التي على الدرجة السفلى إلى أعلى الكرسي فيظلون من فوق رأس سليمان وهو جالس على الكرسي فينضحون ما في أجوافها من الطيب على رأس سليمان وكانت حمامة على عمود جوهر تأخذ التوراة حتى تجعلها في يد سليمان فيقرأها على الناس فإذا جلس سليمان على كرسيه للقضاء وجلس قضاة بني إسرائيل على كراسيها عن يمينه وشماله جانبي الكرسي فدخلت الشهود للشهادات استدار منجنون الكرسي فيزأر الأسد وتخفق النسور بأجنحتها وترجع الطواويس لترعب قلوب الشهود أن لا يشهدوا بالزور ويقول الشهود عندما يرون **من العجائب** وما دخلهم من الرعب لا نشهد إلا بالحق فإنا إن نشهد بالزور يهلك العالم فلم يكن مثل كرسي سليمان في الأولين ولا يكون مثله في الآخرين فلما قبض الله سليمان وجاء بخت نصر فأخذ ذلك الكرسي فحمله معه إلى أنطاكية فأراد أن يصعد فيه ليقعد عليه ولم يكن له علم كيف يصعد فيه فلما وضع قدمه على الدرجة الأولى ولم تصب موضعها رفع الأسد يده اليمنى فكسر ساق بخت نصر الأيسر فعرج فلم يزل بخت نصر يعرج منها حتى مات ثم بعث الله ملكا من ملوك فارس يقال له كارس بن سورس ويقال الفرريا بن يساريا فحمل الكرسي من بابل حتى رده إلى بيت المقدس فوضعوه تحت الصخرة فلم يقعد أحد على كرسي سليمان من بعده ولم يقدر عليه منذ وضع تحت الصخرة فذلك ما يذكر من حديث الكرسي وما فيه **من العجائب** قال إسحاق بن بشر وكان سليمان إذا ركب يسمع حفيف قبته من اثني عشر ميلا فلا يبقى غلام ولا جارية ولا رجل ولا امرأة إلا وهم متشوفون ينظرون إلى مركب سليمان ويتعجبون فبينا سليمان في مسيره بهذه الحال وقد اشرفوا عليه من كل جانب غذ مر ﷺ". [3]

١٨٩-"[4] وقال أستودع الله قوما ماذكرتهم إلا وضعت يدي لهفا على كبدي تبدلوا وتبدلنا وأخسرنا من ابتغى عوضا يسلي فلم يجد طمعت ثم رأيت اليأس أجمل بي تنزها فخصمت الشوق بالجلد وقال من الكامل يانازحا شط المزار

---

(١) مختصر تاريخ دمشق - مفهرس ص/٢٧٠٩

(٢) ١٤٢

(٣) مختصر تاريخ دمشق - موافق ومحقق ١٤٢/١٠

(٤) ٢٦٧

به شوقي إليك يجل عن وصفي أغفي لكي ألقاك في حلمي **ومن العجائب** عاشق يغفي قال الخطيب توفي أبو الفرج الببغاء في ليلة السبت لثلاث بقين من شعبان سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة عبد الواحد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق أبو يوسف الطبري روى عن غيلان بن محمد بسنده عن سعد القرظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب الناس في الحرب وهو متوكىء على قوسه عبد الواحد لم ينسب عن محمد بن سوقة قال سمعت عبد الواحد الدمشقي قال رأيت أبا الدرداء يحدث الناس ويفتيهم وولده إلى جنبه وأهل بيته جلوس في جانب يتحدثون فقيل ما بال الناس يرغبون فيما عنك من العلم وأهل بيتك جلوس ﷺ". [(١)]

١٩٠-"[(٢)] وعن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت المائدة من السماء خبز ولحم وأمروا أن لا يخبؤوا ولا يدخروا ولا يرفعوا لغد فخانوا وادخروا وخبؤوا فمسخوا قردة وخنازير وعن سلمان أنه قال في المائدة التي أنزلها الله على عيسى قال لما سأل الحواريون عيسى وذلك أنهم حين سألوه قالوا تريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا للذي رأينا **من العجائب** ونكون عليها من الشاهدين قال فقام عيسى فألقى عنه الصوف ولبس جبة من شعر ولحافا من شعر ثم وضع يمينه على شماله وصف قدميه وألصق كعب قدميه مع الآخر وسى بين إبهاميه وطأطأ رأسه خاشعا لله عز وجل فأرسل عينيه بالبكاء حتى سالت الدموع على لحيته وصدره وهو يدعو الله ويتضرع ثم قال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا يعني تكون لنا عظة وآية منك يقول علامة بيننا وبينك وارزقنا عليها طعاما نأكله وارزقنا وأنت خير الرازقين فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وأخرى من تحتها توهي منقضة في الهواء والناس ينظرون إليها فأوحى الله تعالى يا عيسى هذه المائدة فمن كفر بعد ذلك منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فبلغ عيسى قومه فقالوا نعم فقال الله يا عيسى إن كفروا أخذتهم بالشرط ونزلت المائدة وعيسى يبكي ويقول إلهي اجعل رحمة ولا تجعلها عذابا كم أسألك **من العجائب** فتعطني إلهي أعوذ بك أن يكون نزولها عذابا ورجزا وأسألك أن تجعلها عافية وسلامة ولا تجعلها مثلة ولا فتنة فما زال يدعو ويتضرع حتى استقرت بين يدي عيسى والناس حوله يجدون ريح طيبها لم يجدوا ريحا قط أطيب منها فخر عيسى ساجدا وسجد الحواريون معه ﷺ". [(٣)]

١٩١-"[(٤)] إبراهيم بن عثمان بن عبد الله بن عبيد ا بن أحمد بن الهيثم أبو إسحاق البهراني الحوراني حدث ببصرى سنة أربع عشرة وأربعمئة وحدث بقصيدة في مناسك الحج إبراهيم بن عثمان بن محمد أبو القاسم ويقال أبو مدين ويقال أبو إسحاق الكلبي الغزي شاعر محسن دخل دمشق وسمع بها سنة إحدى وثمانين وأربعمئة ثم رحل إلى خراسان وامتدح بها

---

(١) مختصر تاريخ دمشق - موافق ومحقق ٢٦٧/١٥

(٢) ١٠٧

(٣) مختصر تاريخ دمشق - موافق ومحقق ١٠٧/٢٠

(٤) ٨٢

جماعة من رؤسائها وانتشر شعره هناك وكان مولده في سنة إحدى وأربعين وأربعمئة فمن شعره من المتقارب هوى يستلذ كحك الجرب وشوق يصيبك منه النصب تذكرت مربعنا في دمشق ومصطافنا بحوالي حلب وصحبة قوم إذا استنهضوا فضرب السيوف لديهم ضرب وقوله من الكامل قالوا تركت الشعر قلت ضرورة باب الدواعي والبواعث مغلق خلت الديار فلا كريم يرتجى منه النوال ولا مليح يعشق **ومن العجائب** أنه لا يشترى ومع الكساد يخان منه ويسرق وقال يرثي الشيخ الغمام أبا الحسن الطبري المعروف بالكيا الفقيه ارتجالا من البسيط ﷺ". (١)

١٩٢-"(٢) قال فما منزلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم قال منزلتنا واحدة فيما افترض الله عز وجل علينا شريفنا ووضيعنا أولنا وآخرنا ثم أعاد عليه جرجة يا خالد هل لمن دخل فيكم اليوم مثل مالكم من الأجر والذخر قال نعم وأفضل قال وكيف يساوى بكم وقد سبقتموه فقال إنا دخلنا في هذا الأمر وبايعنا نبينا صلى الله عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا تأتينا أخبار السماء ويخبرنا بالكتب ويرينا الآيات وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا **من العجائب** فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا منزلة قال جرجة بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألفني فقال بالله لقد صدقتك ومالي إليك ولا إلى أحد منكم وحشة وإن الله لولي ما سألت عنه فقال صدقتني وقلب الترس ومال مع خالد وقال علمني الإسلام فمال به خالد إلى فسطاطه فشن عليه قربة ثم صلى به ركعتين وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها حملة فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية عليهم عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام وركب خالد ومعه جرجة والروم خلال المسلمين فتنادى الناس وثابوا وتراجعت الروم إلى مواقفهم فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسيوف فضرب فيهم خالدا وجرجة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب ثم أصيب جرجة ولم يصل صلاة سجد فيها إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما جرول بن أوس بن جؤية ويقال جرول بن مالك بن جؤية بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض ابن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر أبو مليكة العبسي المعروف بالحطيئة والحطيئة يهمز ولا يهمز فمن همزه جعله تصغير الحطأة وهي الضربة باليد ومن لم يهمزه جعله من الحطأة وهي القملة الصغيرة شبه بها لقصره وقربه من الأرض وكان جوالا في الآفاق يمتدح الأماثل ويستجديهم ﷺ". (٣)

١٩٣-"وحدث جحظة قال: دخلت، وأنا في بقايا علة، على كاتب، قال ابن بشران، على هارون ابن عريب الخالي، فقدم إلينا مضيرة عصبان، فأمعنت منها، فقال: - جعلت فداك - أنت عليل، وبدنك نحيل، والعصب ثقيل، واللبن يستحيل، فثقلت له: والعظيم اعلجليل، المفضل المنيل، لا تركت منها كثيرا ولا قليلا، وحسبنا الله ونعم الوكيل،

---

(١) مختصر تاريخ دمشق - موافق ومحقق ٨٢/٤

(٢) ٢٠

(٣) مختصر تاريخ دمشق - موافق ومحقق ٢٠/٦

فغضب علي فضربني عشرين مقرعة، فقلت:

ولي صاحب لا قدس الله روحه ... وكان من الخيرات غير قريب

أكلت عصيدا عنده في مضيرة ... فيالك من يوم علي عصيب

قال: ودخلت إليه يوما آخر، فقدم إلي لوزينجا لها أيام وقد حمضت، فأخذت أمعن في أكلها، فقال لي: إن اللوزينج إذا كان بالجوز أبشم وإذا كان باللوز أتخم، فقلت: نعم يا سيدي إذا كانت لوزينجا، وأما إذا كانت مصوصا فلا! وحدث عبد الله بن المعتز، قال: عربد ابن أبي العلاء على جحظة بحضرتي، فأمرت بتنحية جحظة إلى أن رضي أحمد، فكتب إلي جحة:

أليس **من العجائب** أن مثلي ... يقام لأحمد بن أبي العلاء

ولي نفس أبت إلا ارتفاعا ... فأضحت كالسماء على السماء

لقد غضب الزمان على أناس ... فأبلاهم بأولاد الزناء

في تاريخ دمشق قال جحظة: سلمت على بعض الرساء وكان مبخلا، فلما أردت الانصراف قال لي. يا أبا الحسن، إيش يقول في قطائف تأتيه؟ ولم يكن له بذلك عادة؟ فقلت: ما آبى ذلك، فأحضر لي جاما فيه قطائف، قد خمت فأرجفت فيها، وصادفت مني سغبة، وهو ينظر إلي شزرا، فقال لي: يا أبا الحسن، إن القطائف إذا كانت بجوز أتخمتك، وإذا كانت بلوز أبشمتك، قال: فقلت: هذا إذا كانت قطائف، أما إذا كانت مصوصا فلا. وعملت لوقتي هذه الأبيات:

دعاني صديق لي لأكل القطائف ... فأمعنت فيها آمنا غير خائف

فقال، وقد أوجعت بالأكل قلبه ... رويك، مهلا، فهي إحدى المتالف

فقلت له: ما إن سمعنا بهالك ... ينادى عليه: يا قتيل القطائف

قال عبد الله بن المعتز: كتب إلي جحظة في يوم مطير: انصرفت من عندك - جعلني الله فداك - وقد كنا عقدنا موعدا للقاء، ومنعني من المصير إليك ما نحن فيه من انقطاع شريان الغمام، فتفضل ببسط العذر لعبدك، إن شاء الله.

ومن شعر جحظة:

وليل في جوانبه حران ... فليس لطول مدته انقضاء

عدمت مطالع الإصباح فيه ... كأن الصبح جود أو وفاء

وله أيضا:

رحلتم فكم من أنة بعد زفرة ... مبينة للناس شوقي إليكم

وقد كنت أعتقت الجفون من البكا ... فقد ردها في الرق حزني عليكم

وحدث أبو الفرج الإصبهاني قال: دعاني محمد بن الشار يوما، ودعا جحظة، وأطال حبس الطعام جدا، وجاع جحظة، فأخذ دواة وبياضا وكتب:

مالي وللشار وأولاده ... لا قدس الوالد والوالده

قد حفظا القرآن واستعملوا ... ما فيه إلا سورة المائده

ورمى بها إلي، فقرأتها، ودفعتها إلى ابن الشار، فقرأها، ووثب مسرعا، فقدم المائدة، فقاطعه جحظة، فكان يجهد جهده أن يجيئه فلا يفعل، فإذا عاتبناه قال: والله حتى يحفظ تلك السورة.

وله أيضا:

يطول علي الليل حتى أمله ... فأجلس والنوم في غفلة عني

فلا أنا بالراضي من الدهر فعله ... ولا الدهر يرضى بالذي ناله مني

قال أبو علي: حدثني أبو القاسم الحسين بن علي البغدادي، وكان أبوه ينادم ابن الحواري، ثم نادم اليزيديين بالبصرة، وأقام بها سنين، قال: كان جحظة خسيف الدين، وكان لا يصوم شهر رمضان، وكان يأكل سرا، فكان عند أبي يوما في شهر رمضان مسلما، فأجلسته، فلما كان نصف النهار سرق من الدار رغيفا، ودخل المستراح، وجلس على المقعدة، واتفق أن دخل أبي فرآه فاستعظم ذلك وقال: ما هذا يا أبا الحسن؟ فقال: أفت لبنات وردان ما يأكلون، فقد رحمتهم من الجوع:

ومن شعر جحظة:

إن كنت ترغب في الزيا ... رة عند أوقات لزياره

فدع الشتيمة للغلا ... م إذا دنت من الغضاره

ومن مطبوع شعر جحظة:

وإذا جفاني صاحب ... لم أستجز ما عشت قطعه". (١)

١٩٤-"كان سليمان بن أحمد بن سليمان جده، قاضي المعرة، ولي القضاء بحمص، وبها مات سنة تسعين ومائتين، ثم ولي القضاء بعده بها ولده أبو بكر محمد، عم أبي العلاء وفيه يقول الصنوبري الشاعر:

بأبي يا بن سليمان ... سدت تنوخا

وهم السادة شبا ... نا لعمري وشيوخا

أدرك البغية من أض ... حى بناديك منيخا

واردا عندك نيلا ... وفراتا وبليخا

واجدا منك متى است ... صرخ للمجد صريخا

في زمان غادر اله ... مات في الناس مسوخا

ثم بعده أخوه، أبو محمد عبد الله، والد أبي العلاء ولعبد الله شعر في مرثية والده:

إن كان أصبح من أهواه مطرحا ... بباب حمص فما حزني بمطرح

لو بان أيسر ما أخفيه من جزع ... لمات أكثر أعدائي من الفرح

وتوفي عبد الله بحمص سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ومنهم أبو المجد، محمد بن عبد الله أخو أبي العلاء، وكان أسن من أبي

---

(١) معجم الأدباء ٨٩/١

العلاء، وله أيضا شعر، منه في الزهد:

كرم المهيمن منتهى أملي ... لا نيتي أجر ولا عملي

يا مفضلا جلت فواضله ... عن بغيتي حتى انقضى أجلي

كم قد أفضت علي من نعم ... كم قد سترت علي من زلل

إن لم يكن لي ما ألوذ به ... يوم الحساب فإن عفوك لي

ومنهم عبد الواحد، أبو الهيثم أخو أبي العلاء القائل في الشمعة:

وذات لون كلوني في تغيره ... وأدمع كدموعي في تحدرها

سهرت ليلي وباتت لي مسهرة ... كأن ناظرها في قلب مسهرها

وله أيضا:

قالوا تراه سلا لأن جفونه ... ضنت عشية بيننا بدموعها

ومن العجائب أن يفيض مدامع ... نار الغرام تشب في ينبوعها

هؤلاء من حضرني، ممن كان قبل أبي العلاء وفي زمانه، وقد تأخر عن زمانه من أهله من كان عالما فاضلا، وأنا ذاكرهم ههنا ليجيئوا على نسق واحد، فمنهم القاضي أبو المجد، محمد بن عبيد الله، وأبو المجد الثاني هو أخو أبي العلاء، وذكره العماد في الخريدة، فقال: ذكر لي ابنه القاضي أبو اليسر الكاتب، أنه كان فاضلا أديبا، فقيها على مذهب الشافعي، أريبا مفتيا خطيبا، أدرك عم أبيه أبا العلاء، وروى عنه مصنفاته وأشعاره، وولي القضاء بالمعرة إلى أن دخلها الفرنج – خذلهم الله – في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، فانتقل إلى شيزر وأقام بها مدة، ثم انتقل إلى حماة فأقام بها إلى أن مات، في محرم سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة، ومولده سنة أربعين وأربعمائة وله ديوان ورسائل، ومن شعره:

رأيتك في نومي كأنك معرض ... ملالا فداويت الملالة بالترك

وأصبحت أبغي شاهدا فعدمته ... فعدت فغلبت اليقين على الشك

وعهدي بصحف الود تنشر بيننا ... فإن طويت فاجعل ختامك بالمسك

لئن كانت الأيام أبلى جديدها ... جديدي وردت من رحيب إلى ضنك

فما أنا إلا السيف أخلق جفنه ... وليس بمأمون الفرند على الفتك

قال: وأنشدني بعض أهل المعرة:

جس الطبيب يدي جهلا فقلت له ... إليك عني فإن اليوم بحراني

فقال لي ما الذي تشكو؟ فقلت له ... إني هويت بجهلي بعض نجيراني

فقام يعجب من قولي وقال لهم ... إنسان سوء فداووه بإنسان

قال: وأنشدني مؤيد الدولة، أسامة بن منقذ قال: أنشدني القاضي أبو المجد المعري لنفسه:

وقائلة رأت شيبا علاني ... عهدتك في قميص صبا بديع

فقلت فهل ترين سوى هشيم ... إذا جاوزت أيام الربيع

قال الأمير أسامة: ولما فارق أهله بالمعرة وبقي منفردا، وكان له غلام اسمه شعيا قال:

زمان غاض أهل الفضل فيه ... فسقيا للحمام به ورعيا

أسارى بين أتراك وروم ... وفقد أحبة وفراق شعيا

قال: وقد سبقه إلى هذا المعنى الوزير المغربي، فإنه لما تغيرت عليه الوزارة وتغرب، كان معه غلام اسمه داهر فقال:

كفى حزنا أني مقيم ببلدة ... يعللني بعد الأحبة داهر". (١)

١٩٥-"ولو قبلت أرواحنا عنك فدية ... لجدنا بها عند الفداء وقلت

قال أبو حيان: كان ابن عباد يأتى بالسجع فى أثر كلامه، مع روية طويلة، وأنفاس مديدة، وحشرجة صدر، وانتفاخ منخريه، والتواء شدقيه، وتعويج عنقه، واللعب بشاربه وعنفقته، فلو رأيته يقرر المسائل على هذه الأمثلة العجيبة، والبيان الشافي، لرأيت عجبا **من العجائب**، وضربا من الغرائب.

وقال لى يوما الشابي وقد خرجنا من مجلس الصاحب: كيف رأيت مولانا الصاحب اليوم مع هذا التغرير، وإظهاره البلاغة الحسنة بين الناس، فقلت: السكوت عن مثله إحدى الحسنيين، وأحرق الحاتين، ولكن نعوذ بالله ممن يوين له الشيطان عمله، ويزخرف له قوله. قال لي: كأنه لم يخلق هذا الرجل إلا غيظا لأكباد الأحرار، وشفاء لسقم الأنذال، - لحى الله دهرا آل بنا إليه - ، وأنزلنا عليه، وأحوجنا إلى مقاساته، وألجأنا إلى مجالسته، وأنشد يقول:

يا من تبرمت الدنيا بطلعته ... كما تبرمت الأجفان بالرمد

يمشي على الأرض مجتازا فأحسبه ... من بغض طلعته يمشي على كبدي

لو كان في الأرض جزء من سماجته ... لم يقدم الموت إشفاقا على أحد

قال أبو حيان: قال لي الشابي: أهدي ابن عباد إلى صاحبه وقت ورودهما إلى الأهواز دينارا من ضربه، وزنه ألف مثقال! وكتابته:

وأحمر يحكي الشمس شكلا وصورة ... فأسماؤه مشتقة من صفاته

فإن قيل دينار فقد صدق اسمه ... وإن قيل ألف كان بعض سماته

بديع فلم يطبع على الدهر مثله ... ولا ضربت أضرابه لسراته

وصار إلى شاهانشاه انتسابه ... على أنه مستصغر لعفاته

تفاءلت أن يبقى سنين كوزنه ... لتستمتع الدنيا بطول حياته

تأنق فيه عبده وابن عبده ... وغرس أياديه وكافي كفاته

فقال: أرأيت أكذب منه حيث قال؟. " فلم يطبع على الدهر مثله " ما كان في الدنيا من خدم ملكا بألف دينار، ثم قال:

---

(١) معجم الأدباء ١/ ١١٤

" وكافي كفاته " والله لو كتبت امرأة بمثله إلى زوجها، لكان سمجا قبيحا، فكيف إلى فخر الدولة!! ما أحسن ما كفاه أمر أبي العلاء النصراني حين هزمه بعدد قليل، بعد أن كان في جيش عرمرم ثقيل، ولكن الدنيا حمقاء خرقاء، لا تميل إلا إلى مثلها، لو كتب المطهر أو نصر بن هارون، أو أحد وزراء عضد الدولة إليه بشيء من ذلك، لأحرقه بالنار والنفط، ومن كتاب الروزنامجة: قال الصاحب: ما زال أحداث بغداد يذكروني بابن شمعون المتصوف، وكلامه على الناس في مكان الشبلي، فجمعت يوما في المدينة، وعلى طيلسان ومصمته، ووقعت عليه، وقد لبس فوطة قصب، وقعد على كرسي ساج، بوجه حسن، ولفظ عذب، فرأيته يقطع مسائله بهوس يطيله ويسهب فيه، فقلت: لا بد من أن أسأله عما أقطع به، وابتدرت فقلت: يا شيخ، ما تقول في قد سيكونيات العلم، إذا وقعت قبل التوهم، فورد عليه ما لم يسمع به، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال: لم أؤخر إجابتك عجزا عن مسألتك بل لأعطشك إلى الجواب، وأخذ في ضرب من الهذيان، فلما سكت قلت: هذا بعد التوهم، وإنما سألتك قبله إلى أن ضجر، فانصرفت عنه.

قرأت بمصر في نسخة باليتمية للثعالبي، عليها خط يعقوب بن أحمد، بن محمد بالقراءة عليه، يرويها عن مؤلفها الثعالبي، فوجدت فيها زوائد، لا أعرفها فى النسخ المشهورة بأيدي الناس، منها: حدثني عرف بن الحسين، الهمذاني التميمي قال: كنت يوما فى خزانة الخلع للصاحب، فرأيت في ثبت الحسبانات لكاتبها - وكان صديقي - مبلغ عمائم الخز، التي صارت فى تلك الشتوة، في خلع العلويين والفقهاء والشعراء، سوى ما صار فيها في خلع الخدم والحاشية، ثمانمائة وعشرين، قال: وكان يعجبه الخز ويأمر بالاستكثار منه في داره، فنظر أبو القاسم الزعفراني يوما، إلى جميع ما فيها من الخدم والحاشية، عليهم الخزوز الملونة الفاخرة، فاعتزل ناحية وأخذ يكتب شيئا، فسأل الصاحب عنه فقيل له: إنه في مجلس كذا يكتب، فقال: علي به، فاستمهل الزعفراني ريثما يتم مكتوبه، فأعجله الصاحب، وأمر أن يؤخذا ما في يده من الدرج، فقام الزعفراني إليه، وقال: - أيد الله الصاحب - :

إسمعه ممن قال تزدد به ... عجبا فحسن الورد في أعضائه". (١)

١٩٦-"ومن العجائب أن فيض مدامعي ... ماء يمر وفي ضلوعي نارا

وقال في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

تحية الله وطيب السلام ... على رسول الله خير الأنام

على الذي فتح باب الهدى ... وقال للناس ادخلوها بسلام

بدر الهدى سحب الندى والجدا ... وما عسى أن يتنامى الكلام

تحية تهزأ أنفاسها ... بالمسك لا أرضى بمسك الختام

تخصه مني ولا تنثني ... عن آله الصيد السراة الكرام

وقدرهم أرفع لكنني ... لم ألف أعلى لفظة من كرام

---

(١) معجم الأدباء ٢٧٢/١

وقال:

أحمي الهوى قلبه وأوقد ... فهو على أن يموت أوقد

وقال عنه العذول سال ... قلده الله ما تقلد

وباللوى شادن عليه ... جيد غزال ووجه فرقد

أسكره ريقه بخمر ... حتى انثني قده وعربد

لا تعجبوا لانهزام صبري ... فجيش أجفانه مؤيد

أنا له كالذي تمنى ... عبد نعم عبده وأزيد

له على امتثال أمر ... ولي عليه الجفاء والصد

إن سلمت عينه لقتلي ... صلى فؤادي على محمد

وقال:

يا قمرا مطلعه أضلعي ... له سواد القلب فيها غسق

وربما استوقد نار الهوى ... فناب فيها لونها عن شفق

ملكتني بدولة من صبا ... وصدتني بشرك من حدق

عندي من حبك ما لو سرت ... في البحر منه شعلة لاحترق

وقال:

يقولون لي لما ركبت بطالتي ... ركوب فتى جم الغواية معتدي

أعندك ما ترجو الخلاص به غدا ... فقلت نعم عندي شفاعة أحمد؟

باب الضاد

الضحاك بن سليمان

ابن سالم بن دهاية أبو الأزهر المرئي الأوسي منسوب إلى امرئ القيس بن مالك، نزل بغداد وله معرفة بالنحو واللغة، وله شعر جيد. مات سنة سبع وأربعين وخمسمائة. ومن شعره.

ما أنعم الله على عبده ... بنعمة أوفى من المافيه

وكل من عوفي في جسمه ... فإنه في عيشة راضيه

والمال حلو حسن جيد ... على الفتى لكنه عاريه

وأسعد العالم بالمال من ... أعطاه للآخرة الباقية

ما أحسن الدنيا ولكنها ... مع حسنها غدارة فانيه

الضحاك بن مخلد

ابن مسلم أبو عاصم النبيل لشيباني البصري الحافظ الثبت النحوي اللغوي، كان إماما في الحديث، سمع من جعفر الصادق وابن جريج والأوزاعي وابن أبي عروبة. وأخرج له البخاري في صحيحه وأجمعوا على توثيقه. قيل له يحيى بن سعيد يتكلم

فيك، فقال: لست بحي ولا ميت إذا لم أذكر، مات أبو عاصم سنة اثنتي عشرة ومائتين.

الضحاك بن مزاحم

أبو القاسم البلخي المفسر المحدث النحوي. كان يؤدب الأطفال فيقال: كان في مكتبه ثلاثة آلاف صبي وكان يطوف عليهم على حمار. لقى الضحاك ابن عباس وأبا هريرة، وأخذ عن سعيد بن جبير التفسير، وكان عبد الملك بن ميسرة يقول: لم يلق الضحاك ابن عباس وإنما لقي سعيد بن جبير بالري فأخذ عنه التفسير. وقال شعبة: قلت لمشاش هل سمع الضحاك من ابن عباس؟ قال: ما رآه قط. ووثقه أحمد بن حنبل وابن معين وأبو زرعة، وضعفه يحي بن سعيد، مات الضحاك سنة خمس ومائة وقيل ست ومائة.

باب الطاء

طالب بن عثمان بن محمد

ابو أحمد بن أبي غالب الأزدي النحوي البصري. أخذ عن أبي بكر بن الأنباري، وكان بارعا في العربية عارفا باللغة وكف بصره في آخر عمره، ولد سنة تسع عشرة وثلاثمائة. توفي في خلافة القادر بالله سنة ست وتسعين وثلاثمائة.

طالب بن محمد بن قشيط

أبو أحمد المعروف بابن السراج النحوي. كان عارفا بالعربية قيما بها، أخذ عن أبي بكر بن الأنباري. وله مختصر في النحو وكتاب عيون الأخبار وفنون الأشعار. مات سنة إحدى وأربعمائة.

طاهر بن أحمد". (١)

١٩٧-"هبت على صبا تكاد تقول ... إني إليك من الحبيب رسول

سكرى تجشمت الربى لتزورني ... من علتي وهبوبها تعليل

فاستحسنوها وقالوا: تغير شعره ورق طبعه، ومن شعره:

حمل العصا للمبتلى ... بالشيب عنوان البلى

وصف المسافر إنه ... ألقى العصا كي ينزلا

فعلى القياس سبيل من ... حمل العصا إن يرحلا

وذكر أبو الحسن بن أبي القاسم زيد البيهقي في كتاب مشارب التجارب، وأخبار الوزير أبي نصر الكندري – وكندر قرية من أعمال طريثيث – قال: كان الشيخ على بن الحسن الباخرزي شريكه في مجلس الإفادة من الإمام الموفق النيسابوري في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، فجاءه الشيخ على بن الحسن فقال مداعبا:

أقبل من كندر مسيخرة ... للنحس في وجهه علامات

يحضر دور الأمير وهو فتى ... موضع أمثاله الخرابات

---

(١) معجم الأدباء ٤٩١/١

فهو جحيم ودبره سعة ... كجنة عرضها السموات

قال: وكان أول عمل الكندري حجبة الباب ثم تمكن في أيام السلطان طغرلبك وصار وزيرا محكما تمكن أيام السلطان طغرلبك وصار وزيرا محكما فورد عليه الشيخ على بن الحسن وهو ببغداد في صدر الوزارة في ديوان السلطان، فلما رآه الوزير قال له: أنت صاحب أقبل؟ فقال له: نعم، فقال الوزير: مرحبا وأهلا فإني قد تفاءلت بقولك أقبل، ثم خلع عليه قبل إنشاده وقال له: عد غدا وأنشد، فعاد في اليوم الثاني وأنشد هذه القصيدة:

أقوت معاهدهم بشط الوادى ... فبقيت مقتولا وشط الوادى

وسكرت من خمر الفراق ورقصت ... عيني الدموع على غناء الحادي

ومنها:

في ليلة من هجره شتوية ... ممدودة مخضوبة بمداد

عقمت بميلاد الصباح وإنها ... في الامتداد كليلة الميلاد

ومنها:

غر الأعادي منه رونق بشره ... وأفادهم بردا على الأكباد

هيهات لايخدعهم إيماضه ... فالغيظ تحت تبسم الأساد

فالبهو منه بالبهاء موشح ... والسرح منه مورق الأعواد

وإذا شياطين الضلال تمردوا ... خلاهم قرناء في الأصفاد

فلما فرغ من إنشاد هذه القصيدة قال عميد الملك لأمراء العرب: لنا مثله في العجم، فهل لكم مثله في العرب؟ ثم أمر له بألف دينار مغربية قال: وكان السلطان طغرلبك قد بعث وزيره الكندري وكيلا في العقد على بنت خوارزمشاه فوقع إرجاف ورفع إلى السلطان إن عميد الملك زوجها من نفسه وخان، وكان من أمرهما ماكان، فتغير رأس السلطان عليه فحلق عميد الملك لحيته وجب مذاكيره حتى سلم من سياسة السلطان، فمدحه الشيخ على بن الحسن بهذا النقصان وما سبقه بهذا المعنى أحد حيث قال:

قالوا محا السلطان عنه بعدكم ... سمة الفحول وكان قرما صائلا

قلت اسكتوا فالآن زاد فحولة ... لما اغتدى عن إنثييه عاطلا

فالفحل يأنف إن يسمى بعضه ... إنثى لذلك جذه مستأصلا

ولما قتل السلطان البرسلان الوزير أبا نصر الكندري قال الباخرزي يخاطب السلطان:

وعمك أدناه وأعلى محله ... وبوأه من ملكه كنفا رحبا

قضى كل مولى منكم حق عبده ... فخوله الدنيا وخولته العقبى

قال المؤلف: وهذا المعنى لطيف ومقصد ظريف، فلله در الشعراء وقرائحهم والأدباء ومنائحهم قال البيهقي: **ومن العجائب** إن الآت تناسل الكندري مدفونة بخوارزم، ودمه مصبوب بمرو الروذ، وجسده مقبور بقرية كندر من طريثيث، وجمجمته

ودماغه مدفونان بنيسابور، وشواته محشوة بالتبن وقد نقلت إلى كرمان فدفنت هناك. وقال على بن الحسن الباخرزي في ذلك:

مفترقا في الأرض أجزاؤه ... بين قرى شتى وبلدان

جب خوارزم مذاكيره ... طغرلبك ذاك الملك الفاني

ومص مرو الروذ من جيده ... معصفرا يخضبها قاني

فالشخص في كندر مستبطن ... وراء أرما س وأكفان

ورأسه طار ولهفى على ... مجثمه في خير جثمان

خلوا بنيسابور مضمونه ... وقحفه الخالي بكرمان". (١)

١٩٨-"حدثني محمد بن حامد بن محمد بن جبريل بن محمد بن منعة بن مالك الموصلي الفقيه فخر الدين بمرو في سنة خمس عشرة وستمائة، في ربيع الأول منها قال: لما ورد شميم الحلي إلى الموصل بلغني فضله فقصدته لأقتبس من علومه، فدخلت عليه فجرى أمري على ماهو معروف به من قلة الاحتفال بكل أحد، وجرت خطوب ومذاكرات إلى إن قال: **ومن العجائب** استحسان الناس قول عمرو بن كلثوم:

مشعشعة كان الحص فيها ... إذا ما الماء خالطها خرينا

- كذا قال تهكما - إلا قال كما قلت:

وسالت نطاف الراح في الراح فاغتدى الس ... سماح إلى راحاتنا فسخينا

ثم أخرج رقعة من تحت مصلاه وقال لي: ما معنى قولي: قلب شطر أعاديك حظ من كفر أياديك؟ فقلت: أكتبها وأفسرها؟ فقال: اكتب، فكتبتها وقلت نعم: شطر أعاديك: ديك وقلبه: كيد، أردت إن الكيد حظ من كفر أياديك، فقال: أحسنت، وكان ذلك سبب إقباله على بعد ما تقدم من إهماله إياي، وأنشدني أبو حامد المذكور قال: أنشدني أبو الحسن على بن الحسن بن عنتر الحلي لنفسه:

أقيلي عثرة الشاكي أقيلي ... فسولى في سماع نثا رسولى

وإن لم تأذني بفكاك أسري ... فدليني على صبر جميل

حدثني الأمدي الفقيه قال: بلغني إنه لما قدم الحلي إلى الموصل إنثال إليه الناس يزورونه، وأراد نقيب الموصل - وهو ذو الجلالة المشهورة بحيث لا يخفى أمره على أحد - زيارته فقيل له: إنه لا يعبأ بأحد ولا يقوم من مجلسه لزائر أبدا، فجاءه رجل وعرفه ما يجب من احترام النقيب لحسبه ونسبه وعلو منزلته من الملوك، فلم يرد جوابا، وجاءه النقيب ودخل وجرى على عادته من ترك الاحتفال له ولم يقم عن مجلسه، فجلس النقيب ساعة ثم انصرف مغضبا، فعاتبه ذلك الرجل الذي كان أشار عليه بإكرامه، فلم يرد عليه جوابا، فلما كان من الغد جاءه وفي يد الحلي كسرة خبز يابسة وهو يعض من جنبها

---

(١) معجم الأدباء ٤٢/٢

ويأكل، فلما دخل الرجل عليه قال له: بسم الله، فقال له: وأي شيء هاهنا حتى آكل؟ فقال له: يا رقيع من يقنع من الدنيا بهذه الكسرة اليابسة لأي معنى يذل للناس مع غناه عنهم واحتياجهم إليه.

حدثني الفقيه قال: بلغني إن الحلي قدم إلى أسعرت فتسامع به أهلها فقصدوه من كل فج، وكان فيهم رجل شاعر فأنشده الرجل شعرا استجاده الحلي فقال لقائله: إني أرفع هذا الشعر عن طبقتك، فإن كنت في دعواك صادقا فقل في معناه الآن شيئا آخر، ففكر ساعة فقال:

وماكل وقت فيه يسمح خاطري ... بنظم قريض يقتضي لفظه معنى

ولم يبح الشرع المبين تيمما ... بترب وبحر الأرض في ساحة معنا

فقال له الحلي: ويحك اسجد، ويلك اسجد، فإن هذا موضع من مواضع سجدات الشعر، وأنا أعرف الناس بها. ومما سمعته من قلق فيه وهو من إنشاء خطبة له وهي:". (١)

١٩٩-"المعروف بابن أبي الطيب، مولده بنيسابور، وموطنه قصبة سابزوار، وكان له معرفة تامة بالقران وبتفسيره، مات في ثامن شوال سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، ودفن في مقبرة سابزوار، وقد عمل أبو القاسم علي بن محمد أبن الحسين بن عمرو من دهاقين وميمولان مدرسة باسمه في محلة اسفريس في رمضان سنة عشر وأربعمائة، وأثرها إلى الآن باق، وكان له تلاميذ كثيرة منهم أبو القاسم علي بن محمد بن الحسن بن عمرو وغيره، وله عدة تصانيف في تفسير القران المجيد منها: كتاب التفسير الكبير في ثلاثين مجلدا، وكتاب التفسير الأوسط أحد عشر مجلدا، وكتاب التفسير الصغير ثلاث مجلدات. وكان يملي ذلك من حفظه، ولما مات رحمه الله لم يوجد في خزانة كتبه إلا أربع مجلدات، أحدها فقهي، وآخر أدبي، ومجلدان في التاريخ، ودفن في مقبرة سابزوار، وعنده دعوة مستجابة مجربة، وحمل في سنة أربع عشرة وأربعمائة إلى السلطان محمود بن سبكتكين، فلما دخل عليه جلس بغير إذن وشرع في رواية خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم بغير أمر من السلطان، فقال السلطان لغلام: يا غلام ده رأسه، فلكمه على رأسه لكمة كانت سببا إلى قلة سمعه وطرشه، ثم عرف السلطان منزلته من الدين والعلم والنزاهة والورع فاعتذر إليه وأمر له بمال فلم يقبله وقال: لاحاجة لى في المال، فإن استطعت أن ترد على ماأخذته مني قبلته وهو سمعي، فقال له السلطان: أيها الرجل، إن للملك صولة وهو مفتقر إلى السياسة، ورأيتك قد تعديت الواجب فجرى مني ماجرى، والآن فأحب أن تجعلني في حل. فقال: الله بيني وبينك بالمرصاد، ثم قال له: إنما أحضرتني لسماع الواعظ وأخبار الرسول والخشوع، لالإقامة قوانين الملك واستعمال السياسة، فإن ذلك يتعلق بالملوك وأمثالهم لابالعلماء، فخجل السلطان وجبذ برأسه إليه وعانقه. ومن كلامه في خطبة التفسير: الزمان زمان سفهاء السفل، والقران قران انقلاب النحل والفضل في أبنائه فضول، وطلوع التمييز فيهم أفول، والدين دين، والدنيا عين، وإن تحلى أحدهم بالعلوم، وادعى أنه في الخصوص من العموم، فغايته أن يقرأ القران وهو غافل عن معانيه، ويتحلى بالفضل وهو لايدانيه، ويجمع الأحاديث والأخبار، وهو فيها مثل الحمار يحمل الأسفار. وله ديوان شعر ومن شعره في دمية القصر:

---

(١) معجم الأدباء ٤٦/٢

فلك الأفاضل أرض نيسابور ... مرسى الأنام وليس مرسى بور

دعيت أبرشهر البلاد لأنها ... قطب وسائرها رسوم السور

هي قبة الإسلام نائرة الصوى ... فكأنها الأقمار في الديجور

من تلق منهم تلقه بمهابة ... زفت عليه بفضله الموفور

لهم الأوامر والنواهي كلها ... ومدى سواهم رتبة المأمور

نقلت جميع ذلك من تاريخ بيهق لأبي الحسن بن أبي القاسم البيهقي مصنف كتاب وشاح الدمية.

علي بن عبد الله بن محمد بن الهيصم

الهروي الإمام صدر الإسلام مات - انقطع في الأصل - ذكره أبو الحسن البيهقي في كتاب الوشاح فقال: قد بلغ من العلم أطوريه، فلا فضل إلا وهو منسوب إليه، ورست بالفصاحة قواعده، واشتد بالزهادة ساعده، وقد اختلفت مدة مديدة إليه، وقرأت ماشئت من دقائق العلوم عليه، ووجدته حالا عقود المشكلات، فاتق رتوق المعضلات، ولعمري إنه - رحمه الله - كشف عن العلوم نقابها، ورفع عن الحقائق حجابها، فلم يكن في عصره فاضل إلا وقد اغترف من بحاره، واقتبس من أنواره، وتصانيفه كثيرة، وسعيه مشهور، وسعى الناظر فيه مشكور، ومن تصانيفه: كتاب مفتاح البلاغة، كتاب البسملة، كتاب نهج الرشاد، كتاب عقود الجواهر، كتاب لطائف النكت، كتاب تصفية القلوب، كتاب ديوان شعره، ومن منظومه:

ضحك الربيع بعبرة الأنداء ... ومن العجائب ضاحك ببكاء

خرجت له نحو الشتاء كتيبة ... ذعرت مواكبه عن الصحراء

ركبت فوارسه الهواء فجردت ... سيف جلا جيش الدجى بضياء

رق الربيع لها فأرسل نحوها ... بشرى بغيم في نسيم هواء

والغصن قرط أذنه بدراهم ... مضروبة من فضة بيضاء

والروض ألبس حلة موشية ... أحسن بها من صنعة الأنداء

قضبان نخل أخرجت ذهبا لنا ... أعجب بها من صيرف معطاء". (١)

٢٠٠-"يكنى أبا الحسن، قال أبو عبد الله الخالع: هو من أهل بغداد وممن نادم المهلبي ونفق عليه، وكانت له محاضرة حسنة وبضاعة في الأدب صالحة، وطبقة في الشعر جيدة، يذهب مذهب النامي في التطبيق والتجنيس وطلب الصنعة، وكان بكثرة نوادره ومزاحه مستطابا متقبلا، وكان حسن اليسار جميل الزي يلبس الدراعة، وخلف لما مات ما يزيد على مائة ألف درهم، وكانت وفاته في أيام شرف الدولة بن عضد الدولة، ومنزله في مكة العجمي من الزبيدية بالجانب الغربي من مدينة السلام، وخلف ابنة وزوجة فأحبت امرأته أحد بني المنجم وزوجت ابنتها به، فأنفقت المال عليه وماتت الزوجة ولازمته أمها تخدمه كما تخدم المنقطعات.

---

(١) معجم الأدباء ٢/٨٥

قال: وكان ابن البقال بخيلا جشعا وكان يتلقاني في أيام عضد الدولة فيقول: يا سيدي ما عندك من حديث الشعراء؟ فأقول: قد أمر لهم بمال ولك بجائزة سنية منها كذا وكذا، ومنها كذا وكذا، وأكثر عليه فيقول:

منى إن تكن حقا تكن أحسن المنى ... وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا

ولقيني مرة والسلامي معي فسألني عن مثل ذلك فأجبته بمثل الجواب المقدم ذكره، فقال له السلامي: يكذب، والله ما أمر إلا بقطع أيديهم وأرجلهم، فقال: حوالينا الصدود ولا علينا. وأنشد الخالع لابن البقال يعاتب بعض أصدقائه:

وإني في استعطاف رأي محمد ... علي ومدي نحو معروفه يدي

لكالمبتغي من بعد تسعين حجةتقمصها رجع الشباب المجدد

سأشكو اعتداء منك لولاه ما درت ... صروف الليالي في الهوى كيف تعتدي

فلله قلبي حين أدعو إلى الهوى ... وأعلم حقا أنه غير مهتدي

وله:

ولما وقفنا للوداع ودوننا ... عيون ترامى بالظنون ضميرها

أماطت عن الشمس المنيرة برقعا ... فغيبنا عن أعين الناس نورها

وله:

يا مذنبا ويقول إني مذنب ... ما إن سمعت بظالم يتظلم

لك صورة ذل الجمال لحسنها ... تقضي بجور في النفوس وتحكم

ومن العجائب أن طرفك مشعر ... سقما وأنت بسقمه لا تعلم

وله:

يا طرفها هب لطرفي لذة الوسن ... واستبق ما لا يفل الثوب من بدن

حاشاك في من الشكوى وإن ذهبت ... عيني من الدمع أو قلبي من الحزن

ولا أقول ولو أتلفتني أسفا ... يا ليت ما كان من حبيك لم يكن

وله:

لئن كان طرفي فاز منك بنظرة ... لقد عاد طرفي بالبلاء على قلبي

جعلت الهوى ذنبي فإن كنت مذنبا ... به فإليك العذر من ذلك الذنب

ولما رأيت البعد منك مقربي ... تباعدت كي أحظى على البعد بالقرب

محمد لا تجمع إلى الهجر غدرة ... فحسبي الذي بي من فراقك يا حسبي

وله يمدح المهلبي:

أنوار أنت كما دعيت نوار؟ ... لم تقض منك قضاءها الأوطار

يا لحظة لحظ الحمام معيدها ... ما كان منك لناظر إنظار

وإذا تساقطك الحديث تخاله ... كأسا عليك من العقار تدار

إني ذكرتك والغرام مواصل ... نفسا عليك يهيجه التذكار

متوقد منه الضمير كأنما ... نيرانه من وجنتيك تعار

هو في الجفون إذا مرته زفرة ... ماء يمور وفي الجوانح نار

ولرب ليل من ذراك خماره ... للنجم فيه من الغمام خمار

قد قلت حين طلعت فيه كبدره ... أرأيت كيف تشابه الأقمار؟

يا صاحبي قفا بنجد عبرة ... حيث الدموع إذا ابتدرن بدار

في منزل لبست بما لبس البلى ... مني المشيب عذائر وعذار

ولئن محتك يد الخطوب فما امحى ... لهوى ديارك في الفؤاد ديار

ولربما اهتزت ربوعك بالندى ... وتنفست بنسيمك الأسحار

ومنها في المدح:

وإذا بدا يوم الكريهة ضاحكا ... فهناك تسكب دمعها الأعمار

حتى إذا بصروا بعقد لوائه ... عقدت مهابتها به الأسرار

في شرب هيجاء إذا اصطبحوا القنا ... فالطعن سكر والحمام خمار". (١)

٢٠١-"فاحسم عناد ذوي العناد بجحفل ... كالليل فيه من الصفاح نهار

جند على جرد أمام صدورها ... صدر عليه من اليقين صدار

قد بايع الإخلاص بيعة نصرة ... ولكل هادي أمة أنصار

وإذا الملوك تثاقلت عن غاية ... فأرادها خفت به الأقدار

محمد بن نصر الله بن الحسين

بن عنين الدمشقي الأنصاري، أصله من الكوفة من الخطة المعروفة بمسجد بني النجار، وولد بدمشق يوم الاثنين تاسع شعبان سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وهو من أفاضل العصر لغوي أديب شاعر مجيد، نشأ بدمشق وأخذ عن الحافظ أبي القاسم بن عساكر وغيره وهو يستحضر كتاب الجمهرة لابن دريد، وبرع في الشعر وحل الألغاز، ورحل إلى العراق والجزيرة وخراسان وأذربيجان وخوارزم، ودخل الهند ورحل إلى اليمن ومنها إلى الحجاز ثم إلى مصر ثم رجع إلى دمشق وهو مولع بالهجو، وله في ذلك قصيدة طويلة سماها مقراض الأعراض، ويقال: إنه يخل بالصلاة ويصل ابنة العنقود، ورماه أبو الفتح بن الحاجب بالزندقة والله أعلم بصحة ذلك.

ولما كان بخوارزم حضر يوما درس الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي المعروف بابن خطيب الري وكان يوما باردا سقط

---

(١) معجم الأدباء ١٩٤/٢

فيه الثلج، فبينما الشيخ يلقي الدرس إذا سقطت حمامة بالقرب منه ووراءها طير من الجوارح يطاردها، فلما صارت بين الناس خاف الجارح وطار، ولم تقدر الحمامة على النهوض مما لحقها من الخوف والبرد، فرق لها الإمام فخر الدين وأخذها بيده وحنى عليها، فأنشده ابن عنين مرتجلا:

يا ابن الكرام المطعمين إذا اشتووا ... في يوم مسغبة وثلج خاشف

العاصمين إذا النفوس تطايرت ... بين الصوارم والوشيج الراعف

من نبأ الورقاء أن محلكم ... حرم وأنك ملجأ للخائف؟

وفدت عليك وقد تدانى حتفها ... فحبوتها ببقائها المستأنف

لو أنها تحبى بمال لانثنت ... من راحتيك بنائل متضاعف

جاءت سليمان الزمان بشكوها ... والموت يلمع من جناحي خاطف

قرم يطاردها فلما استأمنت ... بجنابه ولى بقلب واجف

وله من قصيدة كتب بها إلى العادل يشكو الغربة والشوق إلى الشام:

ماذا على طيف الأحبة لو سرى ... وعلهم لو سامحوني بالكرى

جنحوا إلى قول الوشاة وأعرضوا ... والله يعلم أن ذلك مفترى

يا معرضا عني بغير جناية ... إلا لما نقل العذول وزورا

هبني أسأت كما تقول وتفتري ... وأتيت في حبيك شيئا منكرا

ما بعد بعدك والصدود عقوبة ... يا هاجري ما آن لي أن تغفرا؟

لا تجمعن على عتبك والنوى ... حسب المحب عقوبة أن يهجرا

عبء الصدود أخف من عبء النوى ... لو كان لي في الحب أن أتخيرا

فسقى دمشق ووادييها والحمى ... متواصل الإرهام منفصم العرى

حتى ترى وجه الرياض بعارض ... أحوى وفود الدوح أبيض أزهرا

تلك المنازل لا ملاعب عالج ... ورمال كاظمة ولاوادي القرى

أرض إذا مرت بها ريح الصبا ... حملت على الأغصان مسكا أذفرا

فارقتها لا عن رضا وهجرتها ... لا عن قلى ورحلت لا متخيرا

أسعى لرزق في البلاد مشتت ... **ومن العجائب** أن يكون مقترا

وأصون وجه مدائحي متقنعا ... وأكف ذيل مطامعي متسترا

ومنها في الشكوى والدخول إلى المديح:

أشكو إليك نوى تمادى عمرها ... حتى حسبت اليوم منها أشهرا

لا عيشي تصفو ولا رسم الهوى ... يعفو ولا جفني يصافحه الكرى

أضحى عن الربع المريع محولا ... وأبيت عن ورد النمير منفرا

ومن العجائب أن يقيل بظلكم ... كل الورى ونبذت وحدي بالعرا

وأول قصيدته المسماة مقراض الأعراض قوله:

أضالع تنطوي على كرب ... ومقلة مستهلة الغرب". (١)

٢٠٢-"٢ انظر: مجلة المنار (٩/ ٩٢٩.٩٣٠ و ١٢/ ٦٩٩)، ورسالة التوحيد (ص:٢٠٠.٢٠٢) بالحاشية ط. المنار، وقد قلده أبو رية: أضواء (ص:٣٩ و٥٥ و٨٦.٨٧ و٣٦٨ و٣٩٢) ط. دار المعارف. مصر الرابعة.

٣ انظر: مجلة المنار (١٢/ ٦٩٩).

*** ١٣٦ ***

وهي السنة "التي يجب أن تكون أصل القدوة" ١، وهي "ما كان عليه هو وخاصة أصحابه عملا وسيرة فلا تتوقف على الأحاديث القولية" ٢. ويقول: "فالسنة لا يراد بها إلا السيرة والطريقة المتبعة عنه صلى الله عليه وسلم بالعمل..." ٣.

ويفرق الشيخ رشيد بين اصطلاحي السنة والحديث: "فإن السنة سيرته صلى الله عليه وسلم وتعرف من الصحابة بالعمل وبالإخبار كنحو "من السنة كذا" كما كانوا يقولون، والتحديث نقل كلامه كما هو المتبادر، وإن اصطلح المحدثون بعد ذلك على تسمية كل كلام فيه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حديثا وسنة" ٤. ثم ينعى على المحدثين ذلك فيقول: "**ومن العجائب** أن يغبى ٥ بعض المحدثين أحيانا عن الفرق بين السنة والحديث في عرف الصحابة الموافق لأصل اللغة فيحملوا السنة على اصطلاحهم الذي أحدثوه بعد ذلك..." ٦، ولكن ما مصير هذا العدد الكبير من الأحاديث التي تبدأ بـ "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم"؟ يجيب الشيخ رشيد على ذلك بقوله: "وأما الأحاديث التي لم يجر عليها عمل جماعة المسلمين والسواد الأعظم من أهل الصدر الأول، ولا كتبها الراشدون ولا غيرهم من الصحابة ولا دعوا إليها، وإنما انفرد بها بعض الذين صرفوا همتهم إلى جمع الروايات وحفظ الأخبار والآثار ففيها تفصيل ملخصه أنه لا يجب على كل مكلف البحث عنها ولكن في معرفتها مزيد علم، ومن عرف شيئا منها وصح عنده متنا وسندا بلا معارض أقوى منه وجب عليه أن يقبله ويهتدي به..." ٧.

ويقول في موضع آخر: "وليعلم القارئ أن هذا البحث الأصولي

----

١ نفس المصدر (١٠/ ٨٥٢).

٢ نفس المصدر والصفحة.

٣ نفس المصدر (١٠/ ٨٥٣).

---

(١) معجم الأدباء ٢/ ٤٤٦

٤ نفس المصدر والصفحة.". [(١)]

٢٠٣-"**ومن العجائب** أنه لا يشترى

ويخان فيه مع الكساد ويسرق

ومنها:

يلغى الكرى فيما يحاول صيده

إلا الخيال فمن حبائله الكريم

إلى غير ذلك.

وكان أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الطبري الأديب يقول غير مرة في المذاكرة إذا استحسن شيئا من شعر نفسه: هذا يشبه شعر الغزي قال ابن السمعاني: وخرج أبو إسحاق الغزي من مرو إلى بلخ، فأدركته المنية في الطريق، وحمل إلى بلخ، ودفن بها. وكان يقول: أرجو أن يغفر الله عز وجل لي ويرحمني، لأني شيخ مسن جاوزت التسعين، ولأني من بلد الإمام الشافعي محمد بن إدريس - يعني من غزة.

وتوفي سنة أربع وعشرين وخمسمائة، في خلافة المسترشد بالله تعالى.

أبو الفضائل بن الخاضبة

وأما أبو الفضائل بن أبي بكر، ابن الخاضبة، فإنه كان من أولاد المحدثين وكان له معرفة باللغة والحديث، وكان حسن الكلام على الأحاديث، حسن الخط.

ويحكى أنه لم يكن له طريقة جميلة.

وولد يوم الاثنين لثلاث ليال خلون من رجب سنة أربع وثمانين وأربعمائة وتوفي ليلة الأحد، سلخ شهر رمضان، سنة ست وعشرين وخمسمائة، في خلافة المسترشد بالله تعالى.

أبو طاهر الأصبهاني

وأما أبو طاهر إسماعيل بن محمد الوثابي الأصفهاني، فإنه كان له معرفة تامة بالأدب، ولم يكن بأصفهان في صنع الشعر والترسل أفضل منه.

قال ابن السمعاني: سمعت الناس يقولون: إنه كان يخل بالصلوات الفرض، والله تعالى أعلم بصحة ذلك.

وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، في خلافة المقتفي لأمر الله تعالى.

---

(١) منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ص/١١٣

أبو الفضل الميداني". (١)

٢٠٤-"سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وإن كثرت منه علي الجرائم

وما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثل مقاوم

فأما الذي فوقي فأعرف فضله ... وأتبع فيه الحق والحق لازم

وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا ... تفضلت إن الفضل بالعز حاكم

وأما الذي دوني فإن قال: صنت عن ... إجابته عرضي وإن لام لائم

وقال: قدمت من عمان ورأيي رأي الصفرية، فجلست إلى أيوب بن أبي تميمة السختياني، فسمعته يقول: إذا أردت أن تعلم علم أستاذك فجالس غيره! فظننت أنه يعنيني، فلزمته فنفعني الله به.

قال يونس: قلت للخليل: مابال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنهم بنو أم واحدة وعلي بن أبي طالب عليه السلام كأنه ابن علة؟ فقال: من أين لك هذا السؤال؟ قلت: أريد أن تجيبني! فقال: على أن تكتم علي مادمت حيا! قلت: أجل! فقال: تقدمهم إسلاما وبذهم شرفا وفاقهم علما ورجحهم حلما وكثرهم زهدا وأنجدهم شجاعة، فحسدوه، والناس إلى أمثالهم وأشكالهم أميل منهم إلى من فاقهم وكثرهم ورجحهم.

وقال ابن سلام: لم يكن في العرب أذكى من الخليل بعد الصحابة ولا في العجم أذكى من أبن المقفع ولا اجمع من حماد بن زيد. - وقد ضربت الشعراء الأمثال في أشعارهم بالخليل، قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي يهجو الأصمعي " من الوافر " :

أليس **من العجائب** أن قردا ... أصيمع باهليا يستطيل

ويزعم أنه قد كان يفتي ... أبا عمرو ويسأله الخليل

وقال خالد النجار يهجو التوزي " من الكامل " :

يا من يزيد تمقتا ... وتباغضا في كل لحظه

والله لو كنت الخليل ... لما روينا عنك لفظة

وقيل لابن المقفع: كيف رأيت الخليل؟ قال: رأيت رجلا عقله أكثر من علمه. وقيل للخليل: كيف رأيت ابن المقفع؟ قال: رأيت رجلا علمه اكثر من عقله. قال المغيرة بن محمد: صدقا، ادى عقل الخليل إلى أن مات ازهد الناس، وجهل أبن المقفع إلى ان قتل. وذلك أنه كتب كتابا لعبد الله بن علي إلى المنصور، فقال فيه ما كان مستغنيا أن يقوله، كتب: ومتى غدر أمير المؤنين بعمه عبد الله بن علي فنساؤه طوالق ودوابه حبيس وعبيده أحرار والمسلمون منه في حل من بيعته. فأشتد ذلك على المنصور جدا وخاصة أمر البيعة، فكتب إلى سفيان بن معاوية المهلبي - وهو امير البصرة من قبله - أن اقتل ابن المقفع! فقتله.

---

(١) نزهة الألباء ص/١٦٧

وقال الخليل يمدح كتابي عيسى بن عمر في النحو " من الرمل "
بطل النحو الذي جمعتم ... غير ما احدث عيسى بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامع ... وهما للناس شمس وقمر
وعن عيسى اخذ الخليل النحو، وأخذ عن الخليل جماعة لم يكن فيهم مثل سيبويه، وهو اعلم الناس بعد الخليل، فألف كتابه الذي سماه الناس قرآن النحو، وعقد أبوابه بلفظه ولفظ الخليل.
قال النضر بن شميل: كان اصحاب الشعر يمرون بالخليل فيتكلمون النحو، فقال الخليل: لا بد لهم من اصل. فوضع العروض، فخلا في بيت ووضع بين يديه طستا، فجعل يقرعه بعود ويقول: فأعلن مستفعلن فعولن. قال: فسمعه أخوه فخرج الى المسجد فقال: إن اخي قد أصابه جنون! فأدخلهم على الخليل وهو يضرب الطست، فقالوا: يا أبا عبد الرحمن، مال؟ اصابك شئ؟ أتحب أن نعالجك؟ قال: وما اك؟ قالوا: أخوك يزعم انك قد خولطت. فأنشأ يقول:
لو كنت تعلم ما أقول عذرتني ... او كنت أجهل ما تقول عذلتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتني ... وعلمت أنك جاهل فعذرتكا
دخل أعرابي مسجد البصرة فطاف على الخلق وسمع ما يقولون حتى صار إلى حلقة الخليل، فسمعهم يتذاكرون النحو والشعر حتى افضوا إلى دقيق النحو والعروض، فقام عنهم وقال:
ما زال أحدهم في النحو يعجبني ... حتى تعاطوا كلام الزنج والروم
حتى سمعت كلاما لست اعرفه ... كأنه زجل الغربان والبوم
رفضت نحوهم والله يعصمني ... من التقحم في تلك الحراثيم". (١)

٢٠٥-"ابن عمر بن عبد الله الأشهبي، الكلبي، الغزي الشاعر المشهور.
شاعر محسن، ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق، فقال: دخل دمشق وسمع بها من الفقيه نصر المقدسي، سنة إحدى وثمانين وأربعمائة، ورحل إلى بغداد وأقام بالمدرسة النظامية سنين كثيرة، ومدح ورثى غير واحد من المدرسين بها وغيرهم، ثم رحل (١) إلى خراسان وامتدح بها جماعة من رؤسائها، وانتشر شعره هناك، وذكر له عدة مقاطيع من الشعر، وأثنى عليه. انتهى كلام الحافظ.
وله ديوان شعر اختاره لنفسه، وذكر في خطبته أنه ألف بيت.
وذكره العماد الكاتب في الخريدة، وأثنى عليه، وقال: إنه جاب البلاد وتغرب، وأكثر النقل والحركات، وتغلغل في أقطار خراسان وكرمان، ولقي الناس، ومدح ناصر الدين مكرم بن العلاء وزير كرمان بقصيدته البائية التي يقول فيها، ولقد أبدع فيه (٢) :
حملنا من الأيام ما لا نطيقه ... كما حمل العظم الكسير العصائبا ومنها في قصر الليل، وهو معنى لطيف:

---

(١) نور القبس ص/٢١

وليل رجونا أن يدب عذاره ... فما اختط حتى صار بالفجر (٣) شائبا وهي قصيدة طويلة.

ومن جيد شعره المشهور:

قالوا هجرت الشعر، قلت ضرورة ... باب الدواعي والبواعث مغلق

خلت الديار فلا (٤) كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب أنه لا يشترى (٥) ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق

---

(١) أ هـ : دخل.

(٢) الخريدة: ١١.

(٣) هـ : بالصبح؛ وما أثبتناه مطابق لما في الخريدة.

(٤) د: لم يبق في الدنيا.

(٥) أ: ومن العجائب أن تراه كاسدا.". [1]

٢٠٦-"بالمدرسة النظامية بأصبهان، وشعره من آخر عهد نظام الملك، منذ سنة نيف وثمانين وأربعمائة، إلى آخرعهده، وهو سنة أربع وأربعين وخمسمائة، ولم يزل نائب القاضي بعسكر مكرم، وهو مبجل مكرم، وشعره كثير والذي جمع منه لا يكون عشره، ولما وافيت عسكر مكرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة لقيت بها ولده محمدا رئيس الدين أعارني إضبارة كبيرة من شعر والده.

منبت شجرته أرجان، وموطن أسرته تستر وعسكر مكرم من خوزستان، وهو وإن كان في العجم مولده، فمن العرب محتده، سلفه القديم من الأنصار، لم يسمح بنظيره سالف الأعصار، أوسي الأس خزرجيه، قسي النطق إياديه، فارسي القلم وفارس ميدانه، وسلمان برهانه، من أبناء فارس الذين نالوا العلم المتعلق بالثريا، جمع بين العذوبة والطيب في الري والريا. انتهى كلام العماد.

قلت: ونقلت من ديوانه أنه كان ينوب في القضاء ببلاد خوزستان، تارة بتستر وتارة بعسكر مكرم، مرة عن قاضيها ناصر الدين أبي محمد عبد القاهر بن محمد، ومن بعده عن عماد الدين أبي العلاء رجاء، وفي ذلك يقول:

ومن النوائب أنني ... في مثل هذا الشغل نائب

ومن العجائب أن لي ... صبرا على هذي العجائب وكان فقيها شاعرا، وفي ذلك يقول:

أنا أشعر الفقهاء غير مدافع ... في العصر، أو أنا أفقه الشعراء

شعري إذا ماقلت دونه الورى ... بالطبع لا بتكلف الإلقاء

كالصوت في قلل الجبال إذا علا ... للسمع هاج تجاوب الأصداء ومن شعره أيضا:

---

(١) وفيات الأعيان ١/٥٨

شاور سواك إذا نابتك نائبة ... يوما وإن كانت من أهل المشورات

فالعين تلقى كفاحا ما دنا ونأى ... ولا ترى نفسها إلا بمرآة ومن شعره أيضا:". [(١)]

٢٠٧-"**ومن العجائب** أنني ... في لج بحر الجود راكب

وأموت من ظمإ ول ... كن عادة البحر **العجائب** وله أشياء حسنة.

وكانت ولادته سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وتوفي في أوائل سنة اثنتين وعشرين وستمائة بسنجار، رحمه الله تعالى.

٩٣ - (١)

المزني صاحب الشافعي

أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق المزني صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه؛ هو من أهل مصر، وكان زاهدا عالما مجتهدا محجاجا غواصا على المعاني الدقيقة، وهو غمام الشافعيين واعرفهم بطرقه وفتاويه وما ينقله عنه، صنف كتبا كثيرة في مذهب الإمام الشافعي، منها الجامع الصغير ومختصر المختصر والمنثور والمسائل المعتبرة والترغيب في العلم وكتاب الوثائق وغير ذلك، وقال الشافعي رضي الله عنه في حقه: المزني ناصر مذهبي (٢) . وكان إذا فرغ من مسألة وأودعها مختصره قام إلى المحراب وصلى ركعتين شكرا لله تعالى. وقال أبو العباس أحمد بن سريج: يخرج مختصر المزني من الدنيا عذراء لم تفض، وهو أصل الكتب المصنفة في مذهب الشافعي رضي الله عنه، وعلى مثاله رتبوا ولكلامه فسروا وشرحوا.

ولما ولي القاضي بكار بن قتيبة الآتي ذكره إن شاء الله تعالى القضاء بمصر

---

(١) ترجمة المزني في طبقات السبكي ١: ٢٣٨ وقال أنه ولد سنة ١٧٥.

(٢) من أقوال الشافعي فيه: لو ناظر الشيطان لغلبه.". [(٢)]

٢٠٨-"وأخرج رأسه لأمراء الدولة (١) .

ومن العجائب أن الصالح ولي الوزارة في التاسع عشرن وقتل في التاسع عشر، ونقل تابوته في التاسع عشر، وزالت دولتهم في التاسع عشر.

ورزيك: بضم الراء وتشديد الزاي المكسورة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها كاف.

(٧٣) وكانت (٢) ولادة زين الدين الواعظ (٣) المذكور سنة ثمان وخمسمائة بدمشق، ونشأ لها وقدم بغداد مرارا، وصاهر أبا الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد البلنسي الأنصاري الأندلسي (٤) على ابنته أم عبد الكريم فاطمة، وانتقل

---

(١) وفيات الأعيان ١/١٥٢

(٢) وفيات الأعيان ١/٢١٧

قبل وفاته إلى مصر، وحدث بها، وتوفي يوم الأربعاء ثامن رمضان سنة تسع وتسعين وخمسمائة بمصر، وهو المعروف بابن نجية، رحمه الله تعالى.

---

(١) وأما ولده العادل... الدولة: لم ترد هذه الفقرة في م.

(٢) من هنا إلى آخر الترجمة لم يرد فيم.

(٣) ترجمة زين الدين علي بن إبراهيم الواعظ في ذيل الروضتين: ٣٤ وذيل ابن رجب ١: ٤٣٦، وفي إحدى رحلاته إلى بغداد (سنة ٥٦٤) كان رسولا عن نور الدين زنكي، وهناك تعرف إلى سعد الخير البلنسي وصاهره على ابنته فاطمة ونقلها معه إلى مصر، وانتقلت كتب سعد الخير إليه، وكان انتقاله إلى مصر من قبل دولة صلاح الدين، وهناك كان يعظ بجامع القرافة، وكان صلاح الدين يسميه عمرو بن العاص لصواب رأيه، وهو الذي أنهى إلى صلاح الدين خبر مؤامرة عمارة اليمني ورفاقهإعادة الدولة الفاطمية، ولما فتح صلاح الدين القدس كان معه.

(٤) أندلسي رحالة وصل الصين وقاسى المشقات، وتتلمذ ببغداد للغزالي، وسكنها بعد أن استقر فترة بأصبهان وتوفي سنة ٥٤١ (ترجمته في التكملة: رقم ٢٠١١ والذي والتكملة ٤: ١٦ ونفح الطيب ٢: ٦٣٢، رقم: ٢٥٥).". [1]

٢٠٩-"المستنصر بالله ونائبه بها الأمير شمس الدين أبو الفضائل باتكين، فأقام مديدة، وكان وراه من يقصده، فاتفق أن خرج يوما من بيته قبل الظهر، فوثب عليه شخص وضربه بسكين فأخرج حشوته، فكتب في تلك الحال إلى بآتكين المذكور وهو يكابد الموت:

أشكوك يا ملك البسيطة حالة ... لم تبق رعبا (١) في عضوا ساكنا

إن تستبح إبلي لقيطة معشر ... ممن أومل غير جأشك مازنا (٢)

ومن العجائب كيف يمسي (٣) خائفا ... من بات في حرم الخلافة آمنا (٤) ثم توفي بعد ذلك من يومه في يوم الخميس ثاني شوال سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، ودفن في مقبرة باب الميدان، رحمه الله تعالى، وتقدير عمره خمسون سنة.

(١٤٤) وباتكين المذكور كان أرمني الجنس، وهو مملوك أم الخليفة الإمام الناصر لدين الله، ولما أخذ التتر إربل في الدفعة الأولى في أواخر سنة أربع وثلاثين وستمائة رجع إلى بغداد ومات بها يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شوال سنة أربعين وستمائة، ودفن بالشونيزية.

والحاجري: بفتح الحاء المهملة وبعد الألف جيم مكسورة وبعدها راء، هذه النسبة إلى حاجر، وكانت بليدة (٥) بالحجاز ولم يبق منها اليوم سوى الآثار، ولم يكن الحاجري منها، بل لكونه استعملها في شعره كثيرا نسب إليها، وهو إربلي الأصل والمولد والمنشأ، ولما غلبت عليه هذه النسبة وعرف بها واشتهرت بحيث صارت كالعلم عليه عمل في ذلك دوبيت، وهو : (٦)

---

(١) وفيات الأعيان ٢/٥٣٠

لو كنت كفيت من هواك البينا ... ما بات يحاكي دمع عيني عينا

---

(١) كتب في المسودة " روعا " وضبب عليها وكتب " رعبا " .

(٢) يشير إلى قول الحماسي:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي ... بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا (٣) س: يصبح؛ ل: يمشي.

(٤) كان قد كتب في المسودة: يا للعجائب كيف يصبح خائفا، ثم ضرب عليه ووضع ما أثبتناه.

(٥) ل: بلدة.

(٦) ر: وهو هذا.". [١]

٢١٠-"سنة ثلاث وخمسمائة (١) ، وله المنحول والمنتحل في علم الجدل وله تهافت الفلاسفة ومحك النظر ومعيار العلم والمقاصد والمضنون به على غير أهله والمقصد الأقصى (٢) في شرح أسماء الله الحسنى ومشكاة الأنوار والمنقذ من الضلال وحقيقة القولين وكتبه كثيرة وكلها نافعة.

ثم ألزم بالعود إلى نيسابور والتدريس بها بالمدرسة النظامية، فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودات، ثم ترك ذلك وعاد إلى بيته في وطنه، واتخذ خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره، ووزع أوقاته على وظائف الخير: من ختم القرآن ومجالسة أهل القلوب والقعود للتدريس، إلى أن انتقل إلى ربه. ويروى له شعر، فمن ذلك ما نسبه إليه الحافظ أبو سعد السمعاني في الذيل وهو قوله:

حلت عقارب صدغه في خده ... قمرا فجل بها عن التشبيه

ولقد عهدناه يحل ببرجها ... **فمن العجائب** كيف حلت فيه ورأيت هذين البيتين في موضع آخر لغيره والله أعلم. ونسب إليه العماد الأصبهاني في " الخريدة " (٣) هذين البيتين، وهما:

هبني صبوت كما ترون بزعمكم ... وحظيت منه بلثم خد أزهر

إني اعتزلت فلا تلوموا إنه ... أضحى يقابلني بوجه أشعر(ي) ونسب إليه البيتين اللذين قبلهما.

وكانت ولادته سنة خمسين وأربعمائة، وقيل سنة إحدى وخمسين بالطابران (٤) ، وتوفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة بالطابران (٥) ،

---

(١) فرغ... وخمسمائة: سقط من النسخ جميعا.

(٢) ن: الأسنى.

(٣) ل ن بر: في كتاب الخريدة.

---

(١) وفيات الأعيان ٣/٥٠٤

(٤) بالطابران زيادة من ر والمختار.

(٥) ل ن لي س ت بر: بطوس.". (١)

٢١١-"٦٥٣ - (١)

المسبحي

بالأمير المختار عز الملك محمد بن أبي القاسم عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عبد العزيز، المعروف بالمسبحي الكاتب، الحراني الأصل المصري المولد، صاحب التاريخ المشور وغيره من المصنفات؛ كانت فيه فضائل ولديه معارف، ورزق حظوة في التصانيف، وكان على زي الأجناد، واتصل بخدمة الحاكم بن العزيز العبيدي صاحب مصر ونال منه سعادة، وذكر في تاريخه أن أول تصرفه في خدمة الحاكم صاحب مصر كان في سنة ثمان وتسعين وثلثمائة، وذكر فيه أيضا: أنه تقلد القيس (٢) والبهنسا من أعمال الصعيد، ثم تولى ديوان الترتيب، وله مع الحاكم مجالس ومحاضرات حسبما يشهد بها (٣) تاريخه الكبير.

وجمع مقدار ثلاثين مصنفا، منها: التاريخ المذكور الذي قال في حقه " التاريخ الجليل قدره الذي يستغني بمضمونه عن غيره من الكتب الواردة في معانيه، وهو أخبار مصر ومن حلها من الولاة والأمراء والأئمة والخلفاء،وما بها **من العجائب** والأبنية واختلاف أصناف الأطعمة، وذكر نيلها، وأحوال من حل بها إلى الوقت الذي كتبنا فيه تعليق هذه الترجمة، وأشعار الشعراء وأخبار المغنين (٤) وجالس القضاة والحكام والمعدلين والأدباء والمعتزلين وغيرهم "

---

(١) ترجمته في اللباب: (المسبحي) والوافي ٤: ٧ والمغرب (قسم مصر) ١: ٢٦٤ والنجوم الزاهرة ٤: ٢٧١ وعبر الذهبي ٣: ١٣٩ والشذرات ٣: ٢١٥ وحسن المحاضرة ١: ٢٤٨ وتاج العروس: (سبح)؛ وقد اقتصر صاحب المختار من هذه الترجمة على إيراد مرثيته في والده؛ وبهذه الترجمة تبدأ نسخة المجمع العلمي ببغداد ورمزها (مج).

(٢) غير معجمة في لي ل ت ر بر وانظر ابن دقماق ٥: ٤؛ ن: الفشن، وقد وردت عند ابن دقماق أيضا، وهي والقيس من القرى الاطفيحية؛ ق: المقيس، وبالهامش: الفيوم.

(٣) ت ل بر من لي مج: به.

(٤) ل ن لي: المفتين؛ ق: المفتيين.". (٢)

٢١٢-"هو ذلك ربع المالكية فاربع ... واسأل مصيفا عافيا عن مربع

واستق للدمن الخوالي بالحمى ... غر السحائب واعتذر عن أدمعي

---

(١) وفيات الأعيان ٤/٢١٨

(٢) وفيات الأعيان ٤/٣٧٧

فلقد فنين أمام دان هاجر ... في قربه، ووراء ناء مزمع

لو يخبر الركبان عني حدثوا ... عن مقلة عبرى وقلب موجع

ردي لنا زمن الكثيب فإنه ... زمن متى يرجع وصالك يرجع

لو كنت عالمة بأدنى لوعتي ... لرددت أقصى نيلك المسترجع

بل لو قنعت من الغرام بمظهر ... عن مضمر بين الحشى والأضلع أعتبت إثر تعتب، ووصلت غب تجنب، وبذلت بعد تمنع ...

ولو أنني أنصفت نفسي صنتها ... عن أن اكون كطالب لم ينجح ومنها:

إني دعوت ندى الكرام فلم يجب ... فلأشكرن ندى أجاب وما دعي

ومن العجائب، والعجائب جمة، ... شكر بطيء عن ندى متسرع ومن شعره أيضا (١) :

قفوا في القلى حيث انتهيتم تذمما ... ولا تقتفوا من جار لما تحكما

أرى كل معوج المودة يصطفى ... لديكم ويلقى حتفه من تقوما

فإن كنتم لم تعدلوا إذ حكمتم ... فلا تعدلوا عن مذهب قد تقدما

حنى الناس من قبل القسي لتقنى ... وثقف منآد القنا ليقوما

وما ظلم الشيب الملم بلمتي ... وإن بزني حظي من الظلم واللمى

ومحجوبة عزت وعز نظيرها ... وإن أشبهت في الحسن والعفة والدمى

أعنف فيها صبوة قط ما ارعوت ... وأسأل عنها معلما ما تكلما

سلي عنه تخبر عن يقين (٢) دموعه ... ولا تسألي عن قلبه أين يمما

---

(١) ديوانه ٢: ٥٩٨.

(٢) ق: باليقين.". (١)

٢١٣-"والمعري أخذا هذا المعنى من دعبل بن علي الخزاعي الشاعر - المقدم ذكره (١) - فإنه كان قد هجا الخليفة المعتصم بالله بن هارون الرشيد، فطلبه، فهرب من العراق إلى الديار المصرية وسكن بأسوان (٢) في آخر بلادها، وقال في ذلك (٣) :

وإن امرءا أضحت مطارح سهمه ... بأسوان لم يترك من الحزم معلما

حللت محلا يحسر الطرف دونه ... ويعجز عنه الطيف أن يتجشما وقد خرجنا عن المقصود ولكن ساق الكلام بعضه بعضا (٤) .

---

(١) وفيات الأعيان ٤٤٢/٤

ولما مات السلطان صلاح الدين وملك الملك العادل دمشق كان غائبا في السفرة التي نفي فيها، فسار متوجها إلى دمشق، وكتب إلى الملك العادل قصيدته الرائية يستأذنه في الدخول إليها ويصف دمشق ويذكر ما قاساه في الغربة، ولقد أحسن فيها كل الإحسان واستعطفه أبلغ استعطاف (٥) ، وأولها (٦) :

ماذا على طيف الأحبة لو سرى ... وعليهم لو سامحوني بالكرى ووصف في أوائلها دمشق وبساتينها وأنهارها ومستلزماتها (٧) ، ولما فرغ من وصف دمشق قال مشيرا إلى النفي منها:

فارقها لا عن رضا، وهجرتها ... لا عن قلى، ورحلت لا متخيرا

أسعى لرزق في البلاد مشتت ... **ومن العجائب** أن يكون مقترا

وأصون وجه مدائحي متقنعا ... وأكف ذيل مطامعي متسترا

---

(١) ج ٢: ٢٦٦.

(٢) زيادة من المختار.

(٣) ديوان دعبل: ١٣٩.

(٤) وقد كرر... بعضا: سقط من بر ت س من.

(٥) من ر ق بر: الاستعطاف.

(٦) ديوانه: ٣.

(٧) بر: وموضع مستنزهاتها.". [1]

٢١٤-"ومنا يشكو الغربة وما قاساه فيها:

أشكو إليك نوى تمادي عمرها ... حتى حسبت اليوم منها أشهرا

لا عيشتي تصفو، ولا رسم الهوى ... يعفو، ولا جفني يصافحه الكرى

أضحي عن الأحوى المريع محلا (١) ... وأبيت عن ورد النمير منفرا

ومن العجائب أن يقبل ظلكم (٢) ... كل الورى، ونبذت وحدي بالعرا وهذه القصيدة من أحسن الشعر، وعندي هي خير من قصيدة أبي بكر ابن عمار الأندلسي التي أولها - وهي على وزنها ورويها وقد تقدم ذكر شيء منها في ترجمته - :

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى ... فلما وقف عليه الملك العادل أذن له في الدخول إلى دمشق، فلما دخلها قال (٣) :

هجوت الأكابر في جلق ... ورعت الوضيع بسب الرفيع

وأخرجت منها ولكني ... رجعت على رغم أنف الجميع وكان له في عمل الألغاز وحلا اليد الطولى، فمن كتب إليه بشيء منها حله في وقته وكتب الجواب أحسن من السؤال (٤) نظما. ولم يكن له غرض في جمع شعره، فلذلك لم يدونه، فهو

---

(١) وفيات الأعيان ٥/١٦

يوجد مقاطيع في أيدي الناس، وقد جمع له بعض أهل دمشق ديوانا صغيرا لا يبلغ عشر ما له من النظم، ومع هذا ففيه أشياء ليست له.

وكان من أظرف الناس وأخفهم روحا وأحسنهم مجونا، وله بيت عجيب من جملة قصيدة يذكر فيها أسفاره ويصف توجهه إلى جهة الشرق، وهو (٥) :

---

(١) ق ن: محولا، ر: محللا.

(٢) ق: يقيل بظلكم.

(٣) ديوانه: ٩٤.

(٤) ر: أحسن ما يكون.

(٥) ر: وهو قوله، انظر ديوانه: ٢٩.". [١]

٢١٥-"قلت اسكتوا فالآن زاد فحولة ... لما اغتدى من أنثييه عاطلا

فالفحل يأنف أن يسمى بعضه ... أنثى، لذلك جذه مستاصلا وهذا من المعاني الغريبة البديعة.

ثم إن ألب أرسلان عزله من الوزارة في المحرم من سنة ست وخمسين وأربعمائة لسبب يطول شرحه، وفوض الوزارة إلى نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي المقدم ذكره.وحبس عميد الملك بنيسابور في دار عميد خراسان، ثم نقله إلى مرو الروذ وحبسه في داره، فكان في حجرة تلك الدار عياله، وكانت له بنت واحدة لا غير، فلما أحس بالقتل دخل الحجرة وأخرج كفنه وودع عياله وأغلق باب الحجرة واغتسل وصلى ركعتين، وأعطى الذي هم بقتله مائة دينار نيسابورية وقال: حقي عليك أن تكفنني في هذا الثوب الذي غسلته بماء زمزم، وقال لجلاده: قل للوزير نظام الملك: بئس ما فعلت، علمت الأتراك قتل الوزراء، وأصحاب الديوان، ومن حفر مهواة وقع فيها، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة؛ ورضي بقضاء الله المحتوم.

وقتل يوم الأحد سادس عشر ذي الحجة سنة خمس وخمسين وأربعمائة وعمره يومئذ نيف وأربعون سنة، فعمل في ذلك الباخرزي الشاعر المذكور مخاطبا للسلطان ألب أرسلان.

وعمك أدناه وأعلى محله ... وبوأه من ملكه كنفا رحبا

قضى كل مولى منكما حق عبده ... فخوله الدنيا وخولته العقبى **ومن العجائب** أنه دفنت مذاكيره بخوارزم، واريق دمه بمرو الروذ، ودفن جسده بقريته كندر، وجمجمته ودماغه بنيسابور، وحشيت سوأته بالتين ونقلت إلى كرمان، وكان نظام الملك هناك، ودفنت ثم، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر، بعد أن كان رئيس عصره، رحمه الله تعالى.

والكندري: بضم الكاف وسكون النون وضم الدال المهملة وبعدها راء، هذه النسبة إلى كندر، وهي قرية من قرى طريثيت

---

(١) وفيات الأعيان ٥/١٧

- بضم الطاء المهملة وفتح". (١)

٢١٦-"العباس والناس، فلما وقف للدعاء قال: اللهم إنا كنا إذا قحطنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك اليوم بعم نبينا فاسقنا، فسقوا. وأما الوي فهو المطر الذي يأتي بعد الوسمي، وسمي وليا لأنه يلي الوسمي، والوسمي: مطر الربيع الأول، وسمي بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات، وهو منسوب إلى الوسم، وقد جمعها المتنبي في بيت واحد وهو:

أمنعمة بالعود الظبية التي ... بغير ولي كان نائلها الوسمي يعني أنه لم تكن لزيارتها الأولى ثانية:

ولم يزل العماد الكاتب على مكانته ورفعة منزلته إلى أن توفي السلطان صلاح الدين، رحمه الله تعالى، فاختلت أحواله وتعطلت أوصاله، ولم يجد في وجهه بابا مفتوحا، فلزم بيته وأقبل على الاشتغال بالتصانيف، وقد ساق في أوائل " البرق الشامي " طرفا من ذلك. وتقد في ترجمة ابن التعاويذي ما دار بينهما في طلب الفروة والرسالة والقصيدة وجوابهما.

وكانت ولادته يوم الاثنين ثاني جمادى الآخرة، وقيل في شعبان، سنة تسع عشرة وخمسمائة بأصبهان. وتوفي يوم الاثنين مستهل شهر رمضان المعظم سنة سبع وتسعين وخمسمائة بدمشق، ودفن في مقابر الصوفية خارج باب النصر، رحمه الله تعالى.

أخبرني بعض الرؤساء ممن كان ملازمه في مدة مرضه أنه كان إذا دخل عليه أحد يعوده أنشده:

أنا ضيف بربعكم ... أين أين المضيف

أنكرتني معارفي ... مات من كنت أعرف وأله: بفتح الهمزة وضم اللام وسكون الهاء، وهو اسم عجمي معناه بالعربي العقاب، وهو الطائر المعروف، وقد قيل إن العقاب لا يوجد فيه ذكر بل جميعه أنثى، وإن الذي يسافده طائر آخر من غير جنسه، وقيل إن الثعلب يسافده، وهذا **من العجائب**.

ولابن عنين الشاعر المقدم ذكره في هجو شخص يقال له ابن سيده:". (٢)

٢١٧-"والده أيضا في حرف الحاء - وتحت ذلك مكتوب:

يا قصر ما فعل الألى ... ضربت قبابهم بعقرك

أخنى الزمان عليهم ... وطواهم بطويل نشرك

واها لقاصر عمر من ... يختال فيك وطول عمرك وتحته مكتوب " وكتب المقل بن المسيب بن رافع بخطه فيسنة ثمان وثمانين وثلثمائة " - قلت: وهذا الكاتب هو المقلد المذكور صاحب هذه الترجمة - وتحت ذلك مكتوب:

يا قصر ما صنع الكرا ... م الساكنون قديم عصرك

عاصرتهم فبذذتهم ... وشأوتهم طرا بصبرك

---

(١) وفيات الأعيان ٥/١٤٢

(٢) وفيات الأعيان ٥/١٥٢

ولقد أثار تفجعي ... يا ابن المسيب رقم سطرك

وعلمت أني لاحق ... بك دائب في قفو أثرك وتحته مكتوب " وكتب قرواش بن المقلد بن المسيب بخطه في سنة إحدى وأربعمائة " قال الراوي: فعجبت من ذلك، وقلت لقرواش: الساعة كتبت هذا فقال: نعم، ولقد هممت بهدم القصر فإنه مشؤم قد دفن الجماعة، فدعوت له بالسلامة وانصرفت، ورحلت بعد ثلاثة أيام، ولم يهدم القصر.

(٢٥٩) وهذا العباس بن عمرو الغنوي من أهل تل بن سيار الذي بين الرقة ورأس عين بالقرب من حصن مسلمة بن عبد الملك بن مروان الحكمي، وكان يتولى اليمامة والبحرين، وسيره المعتضد بالله لحرب القرامطة في أول أمرهم، فقاتلوه وكسروه وأسروه، ثم أطلقوا فرجع إلى المعتضد ودخل بغداد ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة مضت من شهر رمضان سنة سبع وثمانين ومائتين. وقال أبو عبد الله العظيمي الحلبي في تاريخه الصغير: مات العباس بن عمرو الغنوي في سنة خمسين وثلثمائة، **ومن العجائب** أنه توجه إليهم في عشرة آلاف، فقتل الجميع وسلم وحده، وعمرو بن الليث الصفار حارب إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان". [١]

٢١٨-"العاشقين، يلوح من خلالها شقائق قد شابه اشتقاق الهوى بالعليل (١) ، فشابه شفتي غادتين دنتا للتقبيل، وربما اشتبه على التحرير بائتلاف الخمر (٢) ، وقد انتابه رشاش القطر، ويريه (٣) بهارا يبهر ناضره، فيرتاح إليه ناظره، كأنه صنوج من العسجد، أو دنانير من الإبريز تنقد (٤) ، ويتخلل ذلك أقحوان تخاله ثغر المعشوق إذا عض خد عاشق، فلله درها من نزهة رامق ولون وامق، وجملة أمرها أنها كانت أنوذج الجنة بلا مين، فيها ما تشتهي النفس وتلذ العين قد اشتملت عليها المكارم، وارجحنت في أرجائها الخيرات الفائضة للعالم، فكم فيها من حبر راقت حبره، ومن إمام توجت حياة الإسلام سيره، آثار علومهم على صفحات الدهر مكتوبة، وفضائلهم في محاسن الدنيا والدين محسوبة، وإلى كل قطرة مجلوبة، فما من متين (٥) علم وقويم رأي إلا ومن شرقهم مطلعه، ولا من مغربة فضل إلا وعندهم مغربه وإليهم منزعه، وما نشأ من كرم أخلاق بلا اختلاق إلا وجدته فيهم، ولا أعراق (٦) في طيب أعراق إلا اجتليته من معانيهم، أطفالهم رجال، وشبابهم أبطال، مشايخهم أبدال، شواهد مناقبهم باهرة، ودلائل مجدهم ظاهرة، ومن العجب العجاب (٧) أن سلطانهم المالك، هان عليه ترك تلك الممالك، وقال لتفسه الهوى لك، وإلا فأنت في الهوالك، وأجفل إجفال الرال، وطفق إذا رأى غير شيء ظنه رجلا بل رجال (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين) لكنه عز وجل لم يورثها قوما آخرين، تنزيها لأولئك الأبرار عن مقام المجرمين، بل ابتلاهم فوجدهم شاكرين، وبلاهم فألفاهم صابرين، فألحقهم بالشهداء الأبرار، ورفعهم إلى درجات

---

(١) ر: العليل.

(٢) ع ق: بائتلاق الجمر.

---

(١) وفيات الأعيان ٥/٢٦٢

(٣) ق ع ن: ويريك.

(٤) ع ن ق ص: تبرق.

(٥) ن بر من: مبين.

(٦) ن ر: إغراق.

(٧) ن: **ومن العجائب."**. [(١)]

٢١٩-"ص ٤٢ السطر: ١٢ المسودة: يسك؛ ر: يشك.

السطر: ١٥ المسودة ر: وهم من بيت.

٤٣ - السطر: ٨ بر: وكان هارون الرشيد.

٤٤ - السطر: ٤ المسودة ر س بر: ومن رقيق شعره قوله.

٤٦ - السطر: ١٤ بر: مخرج.

٤٨ - السطر: ٧ بر: قلبي أرق عليك.

السطر: ١٠ المسودة ر بر: صاحب كتاب الإمامة.

٥٢ - السطر: ١٣ المسودة ر بر س: وهاجت حقده.

٥٤ - السطر: ٥ المسودة بر ر س: بهمز آخره.

السطر: ١٣ المسودة ر بر س: له ديوان.

السطر: ١٥ س: وأدب.

٥٦ - السطر: ١١ المسودة ر بر س: ما للعذار وكان.

٥٧ - السطر: ٤ المسودة ر بر س: كأنني غيلان.

السطر: ١٦ المسودة بر س: إفرنجة.

٥٨ - السطر: ٢٠ س ر: **ومن العجائب** أن تراه كاسدا.

٥٩ - السطر: ٩ المسودة بر: ما تبل.

السطر: ١٢ بر: يستملحه الأدباء ويستظرفونه.

٦٠ - السطر: ١ بر: طالعي الميمون.

٦٤ - السطر: ١٩ المسودة ر: شعيرات سود.

السطر: ٢٢ المسودة ر س بر: وتوفي.

٦٦ - السطر: ٤ المسودة س بر: في كتاب الطبقات في حقه.

---

(١) وفيات الأعيان ١٣٥/٦

السطر: ٥ المسودة س ر بر: وولي القضاء.

السطر: ١٩ المسودة س ر بر: إن الله تعالى بعث.

٦٧ – السطر: ١ المسودة س ر بر: فأظهر كل سنة.

السطر: ٢ المسودة س ر بر: ومن الله تعالى على رأس الثلثمائة بك.

السطر: ٦ المسودة: في حجرة؛ بر: بحجرته.

السطر: ١٨ المسودة ر بر: عجميا.

٦٨ – السطر: ٩ المسودة ر بر: تولى القضاء بها.

السطر: ١٠ المسودة ر بر: وأدركته خشية ورقة.". (١)

٢٢٠-"شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا. قال جرجة: فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر؟ قال: نعم وأفضل. قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ فقال خالد: إن قبلنا هذا الأمر عنوة وبايعنا نبينا وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا.
فقال جرجة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني؟ قال: تالله لقد صدقتك، وأن الله ولي ما سألت عنه، فعند ذلك قلب جرجة الترس ومال مع خالد، وقال: علمني الإسلام فمال به خالد إلى فسطاطه فسن عليه قربة من ماء ثم صلى به ركعتين، وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد وهم يرون أنها منه حملة فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية عليهم عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام (رحمه الله١).

ميسرة الروم تحمل على ميمنة المسلمين:

تقدمت صفوف الروم وأقبلت كقطع الليل للقيام بهجوم عام على الجيش الإسلامي، وحملت ميسرتهم على ميمنة المسلمين فانكشف قلب الجيش الإسلامي من ناحية الميمنة، واستطاع الروم إحداث ثغرة في صفوف المسلمين والتسلل إلى مؤخرتهم، فصاح معاذ بن جبل: يا عباد الله المسلمين إن هؤلاء شدوا للشد عليكم، ولا والله لا يردهم إلا صدق اللقاء والصبر في البلاء، ثم نزل عن فرسه وقال: من أراد أن يأخذ فرسي ويقاتل عليه فليأخذه، وآثر بذلك أن يقاتل راجلا مع المشاة. (رحمه الله٢) وثبتت قبائل الأزد ومذحج وحضرموت وخولان حتى صدوا أعداء الله، ثم ركبهم من الروم أمثال الجبال فزال المسلمون من الميمنة إلى القلب، وانكشف طائفة من الناس إلى العسكر، وثبت سور من المسلمين عظيم يقاتلون تحت راياتهم، ثم تنادوا فتراجعوا حتى نهنهوا من أمامهم من الروم وأشغلوهم عن اتباع من انكشف من الناس، واستقبل النساء من انهزم من سرعان الناس يضربنهم بالخشب والحجارة، فتراجعوا إلى مواقفهم (رحمه الله٣).

رحمه الله________

---

(١) وفيات الأعيان ٧/٣٦١

(رَحِمَهُ اللَّهُ١) البداية والنهاية: ٧/ ١٣.
(رَحِمَهُ اللَّهُ٢) العمليات التعرضية والدفاعية، ص ١٦٩.
(رَحِمَهُ اللَّهُ٣) فتوح الشام للأزدي، ص ٢٢٢.". (١)

٢٢١-"٨٩ - إبراهيم بن عثمان بن محمد، أبو إسحاق، وقيل أبو مدين الكلبي الغزي، الشاعر المشهور. [المتوفى: ٥٢٤ هـ]

أحد فضلاء الدهر، ومن يضرب به المثل في صناعة الشعر، ذو الخاطر -[٣٩٤]- الوقاد، والقريحة الجيدة، تنقل في البلدان، ومدح الأعيان، وهجا جماعة، ودور في الجبال، وخراسان، وسار شعره، وقد سمع بدمشق من الفقيه نصر سنة إحدى وثمانين وأربعمائة.

قال ابن النجار: هو إبراهيم بن عثمان بن عياش بن محمد بن عمر بن عبد الله الأشهبي الكلبي، ثم قال: هكذا رأيت نسبه بخط محمد بن طرخان التركي، روى ببغداد كثيرا من شعره، وعنه من أهلها: محمد بن جعفر بن عقيل البصري، ومحمد بن علي بن المعوج، وعبد الرحيم بن أحمد ابن الأخوة، وروى السلفي عنه، وروى أيضا عن يوسف بن عبد العزيز الميورقي، عنه.

ومن شعره:

أغيد للعين حين ترمقه ... سلامة في خلالها عطب

واخضر في وجنتيه خطمها ... بحافة الماء ينبت العشب

يدير فينا بخده قدحا ... يجتمع الماء فيه واللهب

قلت: وقيل: هو إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد، أقام بالنظامية ببغداد سنين كثيرة، وله ديوان شعر مختار نحو ألفي بيت.

وقال العماد في " الخريدة ": مدح ناصر الدين مكرم بن العلاء وزير كرمان بهذه القصيدة التي يقول فيها:

حملنا من الأيام ما لا نطيقه ... كما حمل العظم الكسير العصائبا

وليل رجونا أن يدب عذاره ... فما اختط حتى صار بالصبح شائبا

قال ابن السمعاني: ما اتفق أني سمعت منه شيئا، وكان ضنينا بشعره، إلا أنه اتفق له الخروج من مرو إلى بلخ، فباع قريبا من عشرة أرطال من مسودات شعره من بعض القلانسيين، ليفسدها في القلانس، فاشتراها منه بعض أصدقائي، وحملها إلي، فرأيت شعرا أدهشت من حسنه وجودة صنعته، فبيضت منه أكثر من خمسة آلاف بيت، ولد سنة إحدى وأربعين وأربعمائة.

وقال ابن نقطة في " استدراكه " على الأمير: حدثنا أبو المعالي محمد -[٣٩٥]- ابن أبي الفرج البغدادي، قال: حدثني سعد بن الحسن التوراني الحراني الشاعر، قال: كنا نسمع على إبراهيم الغزي ديوانه، فاختلف رجلان في إعراب بيت، فقال:

---

(١) الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق ص/٣٦٧

قوموا، فوالله لا أسمعت بقيته، ولأبيعن ورقه للعطارين يصرون فيه الحوائج.

ومن شعره:

قالوا: تركت الشعر قلت: ضرورة ... باب الدواعي والبواعث مغلق

خلت الديار فلا كريم يرتجى ... منه النوال، ولا مليح يعشق

ومن العجائب أنه لا يشترى ... ومع الكساد يخان فيه ويسرق

وله:

أأضماك خد يوم وجرة، أم جيد ... أم اللحظ فيما غازلتك المها الغيد

سفرن فقال الصبح: لست بمسفر ... ومسن، فقال البان: ما في أملود

وخوطية المهتز أمكن وصلها ... وطرف رقيب الحي بالنوم مصفود

فأنشدتها من عزب شعري قصيدة ... وشبهها المعنى الذي هو مقصود

لك النوم تحت السجف والطيب والحلى، ... ولى عزماتي والعلندات والبيد

فقالت: أمط عنك القريض وذكره، ... فما لك في نظم القصائد تجويد

وله:

طول حياة ما لها طائل ... نغص عندي كلما يشتهى

أصبحت مثل الطفل في ضعفه ... تشابه المبدأ والمنتهى

فلا تلم سمعي وإن خانني، ... إن الثمانين وبلغتها

وله:

بجمع جفنيك بين البرء والسقم ... لا تسفكي من دموعي بالفراق دمي

إشارة منك تكفيني، وأحسن ما ... رد السلام غداة البين بالعنم

تعليق قلبي بذات القرط يؤلمه ... فليشكر القرط تعليقا بلا ألم

وما نسيت، ولا أنسى تجشمها ... ومنسم الجو غفل، غير ذي علم

حتى إذا طاح عنها المرط من دهش ... وانحل بالضم سلك العقد في الظلم

تبسمت فأضاء الجو، فالتقطت ... حبات منتثر في ضوء منتظم -[٣٩٦]-

وله:

إذا قل عقل المرء قلت همومه ... ومن لم يكن ذا مقلة كيف يرمد؟

وقد تصقل الضبات وهي كليلة ... ويصدأ حد السيف وهو مهند

وله:

إني لأشكو خطوبا لا أعينها ... ليبرأ الناس من لومي ومن عذلي

كالشمع يبكي ولا يدرى، أعبرته ... من صحبة النار، أو من فرقة العسل

وله القصيدة السائرة:

أمط عن الدرر الزهر اليواقيتا ... واجعل لحج تلاقينا مواقيتا

فثغرك اللؤلؤ المبيض لا الحجر الـ ... ـمسود طالبه يطوي السباريتا

لنا بذكراك أذكى الطيب رائحة ... ونور وجهك رد البدر مبهوتا

منها:

وفتية من كماه الترك ما تركت ... للرعد كباتهم صوتا ولا صيتا

قوم إذا قوبلوا كانت ملائكة ... حسنا، وإن قوتلوا كانوا عفاريتا

مدت إلى النهب أيديهم وأعينهم، ... وزادهم قلق الأخلاق تثبيتا

ومن شعره:

طفقت تقول أسيرة الكلل ... لك ناظر أهدى فؤادك لي

وأراك رائد مهمة قذف ... ما عاقها القمران عن زحل

من ضنها بالطيف توعدنا ... جود النساء يعد في البخل

استغفر الله المركب في أسل ... القدود لهاذم المقل

فاسنن عليك دلاص تسلية ... فاللحظ يبطل حيلة البطل

بك من جواري السرب نازلة ... بالحسن بين مراكز الأسل

بدوية الحلل افتتنت بها ... لما بدت حضرية الحلل

يا دمية سفكت دمي عبثا ... وأنا ابن بجدة حومة الوهل

ما ضفت قوما تبجحين بهم ... إلا وكان نزالهم نزلي

ومن السفاهة مقت ذي مقة ... ومن العناء عتاب ذي ملل -[٣٩٧]-

وله من قصيدة:

ورب خطب حللت عقدته ... بمنزل لا تحل فيه حبا

ومالك جبت نحوه ظلما ... فزرته مشرق المنى شحبا

جاد بما يملأ الحقائب لي ... وجدت بالشعر يملأ الحقبا

وكم تصيدت والصبى شركي ... سرب ظباء لحاظهن ظبا

على غدير بروضة نظمت ... نوارها حول بدره شهبا

يدق فيه الغمام أسهمه ... فيكتسي من نصالها حببا

ويعجم الطل ما يخط على ... صفحته مر شمال وصبا

ضروب نقش كأنما خلع الز ... هر عليهن برده طربا

لو كن يبقين ظنهن صفي ... الدولة الأحرف التي كتبا

وخرج إلى المديح.

قال ابن السمعاني: خرج الغزي متوجها من مرو إلى بلخ في سنة أربع وعشرين، فأدركته المنية في الطريق، فحمل إلى بلخ ودفن بها، وله ثلاث وثمانون سنة.". (١)

٢٢٢-"١٩٦ - أحمد بن محمد بن الحسين، القاضي أبو بكر الأرجاني، ناصح الدين، [المتوفى: ٥٤٤ هـ]

قاضي تستر، وصاحب الديوان المشهور. -[٨٤٦]-

كان شاعر عصره، مدح أمير المؤمنين المسترشد بالله، وسمع من أبي بكر بن ماجة الأبهري حديث لوين.

روى عنه جماعة منهم: أبو بكر محمد بن القاسم بن المظفر ابن الشهرزوري، وعبد الرحيم بن أحمد ابن الإخوة، وابن الخشاب النحوي، ومنوجهر بن تركانشاه، ويحيى بن زبادة الكاتب.

وأصله شيرازي، وكان في عنفوان شبابه بالمدرسة النظامية بأصبهان، وناب في القضاء بعسكر مكرم، والذي جمع من شعره لا يكون العشر منه.

قال العماد في الخريدة: لما وافيت عسكر مكرم لقيت بها ولده رئيس الدين محمدا، فأعارني ضبارة كبيرة من شعر والده، منبت شجرته أرجان، ومواطن أسرته تستر، وعسكر مكرم من خوزستان، وهو وإن كان في العجم مولده، فمن العرب محتده، سلفه القديم من الأنصار، لم يسمح بنظيره سالف الأعصار، أوسي الأس خزرجيه، قسي النطق إياديه، فارسي القلم، وفارس ميدانه، وسلمان برهانه، من أبناء فارس، الذين نالوا العلم المعلق بالثريا، جمع بين العذوبة والطيب في الري والريا.

وللأرجاني:

أنا أشعر الفقهاء غير مدافع ... في العصر، أو أنا أفقه الشعراء

شعري إذا ما قلت دونه الورى ... بالطبع لا بتكلف الإلقاء

كالصوت في ظلل الجبال إذا علا ... للسمع هاج تجاوب الأصداء

وله:

شاور سواك إذا نابتك نائبة ... يوما، وإن كنت من أهل المشورات

فالعين تنظر منها ما دنا ونأى ... ولا ترى نفسها إلا بمرآة

وله: -[٨٤٧]-

ولما بلوت الناس أطلب عندهم ... أخا ثقة عند اعتراض الشدائد

تطلعت في حالي رخاء وشدة ... وناديت في الأحياء: هل من مساعد؟

فلم أر فيما ساءني غير شامت ... ولم أر فيما سرني غير حاسد

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ٣٩٣/١١

تمتعتما يا ناظري بنظرة ... وأورتما قلبي أمر الموارد

أعيني كفا عن فؤادي فإنه ... من البغي سعي اثنين في قتل واحد

وله يمدح خطير الملك محمد بن الحسين وزير السلطان محمد السلجوقي:

طلعت نجوم الدين فوق الفرقد ... بمحمد، ومحمد، ومحمد

بنبينا الهادي وسلطان الورى ... ووزيره المولى الكريم المحتد

سعدان للأفلاك يكتنفانها ... والدين يكنفه ثلاثة أسعد

بكتاب ذا، وبسيف ذا، وبرأي ذا ... نظمت أمور الدين بعد تبدد

فالمعجزات لمقتد، والباترات ... لمعتد، والمكرمات لمجتدي

لله در زمانه من ماجد ... ملك أغر من المكارم أصيد

وله:

ما جبت آفاق البلاد مطوفا ... إلا وأنتم في الورى متطلبي

سعيي إليكم في الحقيقة، والذي ... تجدون عنكم فهو سعي الدهر بي

أنحوكم ويرد وجهي القهقرى ... عنكم فسيري مثل سير الكوكب

فالقصد نحو المشرق الأقصى لكم ... والسير رأي العين نحو المغرب

وله:

رثى لي وقد ساويته في نحوله ... خيالي لما لم يكن لي راحم

فدلس بي حتى طرقت مكانه ... وأوهمت إلفي أنه بي حالم

وبتنا ولم يشعر بنا الناس ليلة ... أنا ساهر في جفنه، وهو نائم

وقد ناب عن القاضي ناصر الدين عبد القاهر بن محمد بتستر، وعسكر مكرم، فقال:

ومن النوائب أنني ... في مثل هذا الشغل نائب

ومن العجائب أن لي ... صبرا على هذي العجائب -[٨٤٨]-

وله:

أحب المرء ظاهره جميل ... لصاحبه وباطنه سليم

مودته تدوم لكل هول ... وهل كل مودته تدوم؟

وله:

ولقد دفعت إلى الهموم تنوبني ... منها ثلاث شدائد، جمعن لي

أسف على ماضي الزمان، وحيرة ... في الحال منه، وخشية المستقبل

ما إن وصلت إلى زمان آخر ... إلا بكيت على الزمان الأول

وله:

حيث انتهيت من الهجران لي فقف ... ومن وراء دمي بيض الظبا فخف

يا عابثا بعدات الوصل يخلفها ... حتى إذا جاء ميعاد الفراق يفي

اعدل كفاتن قد منك معتدل ... واعطف كمائل غصن منك منعطف

ويا عذولي ومن يصغي إلى عذلي ... إذا رنا أحور العينين لا تقف

تلوم قلبي إن أصماه وناظره ... فيم اعتراضك بين السهم والهدف

سلوا عقائل هذا الحي أي دم ... للأعين النجل عند الأعين الذرف

يستوصفون لساني عن محبتهم ... وأنت أصدق، يا دمعي، لهم فصف

ليست دموعي لنار الشوق مطفئة ... وكيف؟ والماء باد واللهيب خفي

لم أنس يوم رحيل الحي موقفنا ... والعيس تطلع أولاها على شرف

وفي المحامل تخفى كل آنسة ... إن ينكشف سجفها للشمس تنكسف

تبين عن معصم بالوهم ملتزم ... منها، وعن مبسم باللحظ مرتشف

في ذمة الله ذاك الركب إنهم ... ساروا وفيهم حياة المغرم الدنف

فإن أعش بعدهم فردا فواعجبا ... وإن أمت هكذا وجدا فيا أسفي

وله من أبيات:

قلبي وشعري أبدا للورى ... يصبح كل وحماه مباح

ذا لملوك العصر فيما أرى ... نهب، وهذا لوجوه الملاح -[٨٤٩]-

الحسن للحسناء مستجمع ... والحظ لا متع عند القباح

وله:

قف يا خيال وإن تساوينا ضنا ... أنا منك أولى بالزيارة مهنا

نافست طيفي في خيالي ليلة ... في أن يزور العامرية أينا

فسريت أعتجر الظلام إلى الحمى ... ولقد عناني من أميمة ما عنا

وعقلت راحلتي بفضل زمامها ... لما رأيت خيامهم بالمنحنى

لما طرقت الحي قالت خيفة ... لا أنت إن علم الغيور ولا أنا

فدنوت طوع مقالها متخفيا ... ورأيت خطب القوم عندي أهونا

حتى رفعت عن المليحة سجفها ... يا صاحبي فلو أن عينك بيننا

سترت محياها مخافة فتنتي ... بنقابها عني، فكانت أفتنا

وتجردت أعطافها من زينة ... عمدا، فكان لها التجرد أزينا

وتكاملت حسنا ولو قرنت لنا ... بالحسن إحسانا لكانت أحسنا

قسما بما زار الحجيج وما سعوا ... زمرا، وما نحروا على وادي منى
ما اعتاد قلبي ذكر من سكن الحمى ... إلا استطار ومل صدري مسكنا
وله:
لو كنت أجهل ما علمت، لسرني ... جهلي، كما قد ساءني ما أعلم
كالصعو يرتع في الرياض، وإنما ... حبس الهزار لأنه يترنم
وله:
سهام نواظر تصمي الرمايا ... وهن من الحواجب في حنايا
ومن عجب سهام لم تفارق ... حناياها وقد جرحت حشايا
نهيتك أن تناضلها فإني ... رميت فلم يصب قلبي سوايا
جعلت طليعتي طرفي سفاها ... فدل على مقاتلي الخفايا
وهل يحمى حريم من عدو ... إذا ما الجيش خانته الربايا
هززن من القدود لنا رماحا ... فخلينا القلوب لها ردايا
ولي نفس إذا ما امتد شوقا ... أطار القلب من حرق شظايا -[٨٥٠]-
ومحتكم على العشاق جورا ... وأين من الدمى عدل القضايا
يريك بوجنتيه الورد غضا ... ونور الأقحوان من الثنايا
تأمل منه تحت الصدغ خالا ... لتعلم كم خبايا في الزوايا
ولا تلم المتيم في هواه ... فعذل العاشقين من الخطايا
توفي الأرجاني بتستر في شهر ربيع الأول، وأرجان: بليدة من كور الأهواز، مشددة الراء، ضبطها صاحب الصحاح، واستعملها المتنبي مخففة في قوله:
أرجان أيتها الجياد، فإنه ... عزمي الذي يذر الوشيج مكسرا". (١)

٢٢٣-"١٧٦ - محمد المقتفي لأمر الله، أمير المؤمنين أبو عبد الله ابن المستظهر بالله أحمد ابن المقتدي بالله عبد الله ابن الأمير محمد ابن القائم بأمر الله عبد الله ابن القادر بالله أحمد بن إسحاق ابن المقتدر بالله جعفر ابن المعتضد الهاشمي العباسي، رضي الله عنه. [المتوفى: ٥٥٥ هـ]
من سروات الخلفاء، كان عالما، دينا، شجاعا، حليما، دمث الأخلاق، كامل السؤدد، خليقا للإمامة، قليل المثل في الأئمة عليهم السلام، لا يجري في دولته أمر وإن صغر إلا بتوقيعه. وكتب في خلافته ثلاث ربعات منها ربعة نفذت إلى بلاد فارس.

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ٨٤٥/١١

ووزر له علي بن طراد الزينبي، ثم أبو نصر بن جهير، ثم أبو القاسم علي بن صدقة، ثم أبو المظفر يحيى بن هبيرة. وحجبه أبو المعالي ابن الصاحب، ثم كامل بن مسافر، ثم أبو غالب ابن المعوج، ثم أبو الفتح بن الصيقل، ثم أبو القاسم علي ابن الصاحب.

وكان آدم، مجدور الوجه، مليح الشيبة، له هيبة عظيمة، وأمه حبشية.

ولد سنة تسع وثمانين وأربعمائة في الثاني والعشرين من ربيع الأول، وبويع بالخلافة في السادس عشر من ذي القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة، وقد جاوز الأربعين. وسمع من مؤدبه أبي البركات بن أبي الفرج ابن السيبي.

قال ابن السمعاني: وأظن أنه سمع " جزء ابن عرفة " من أبي القاسم بن بيان، مع أخيه المسترشد بالله، واتفق أني كتبت قصة إليه، وسألته الإنعام بالأحاديث، والإذن في السماع منه، فأنعم وفتش على الجزء ونفذه إلي على يد شيخنا أبي منصور ابن الجواليقي، وكان يؤم به الصلوات، فخرجت من بغداد قبل أن أسمعه منه، غير أني سمعته من ابن الجواليقي، وكان قد قرأه عليه: حدثنا أبو منصور، قال: أخبرنا المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين، قال: أخبرنا أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب، قال: أخبرنا أبو محمد الصريفيني، قال: أخبرنا المخلص، قال: أخبرنا إسماعيل الوراق، قال: حدثنا حفص بن عمرو الربالي، قال: حدثنا أبو سحيم، قال: حدثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أنس -[٩٩]- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الناس إلا شحا، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ".

قلت: أخبرناه أبو المعالي الهمذاني، قال: أخبرنا أبو علي ابن الجواليقي، قال: أخبرنا أبو المظفر يحيى بن محمد الوزير قال: قرأت على مولانا المقتفي لأمر الله سنة اثنتين وخمسين: حدثكم السيبي، فذكره. وأجازه لنا جماعة سمعوه من الكندي، قال: أخبرنا أبو الفتح عبد الله ابن البيضاوي، قال: أخبرنا أبو محمد بن هزارمرد الصريفيني، فذكره.

وقد جدد المقتفي بابا للكعبة، واتخذ من العتيق تابوتا لدفنه. وكان محمود السيرة، مشكور الدولة، يرجع إلى دين، وعقل، وفضل، ورأي، وسياسة؛ جدد معالم الإمامة، ومهد رسوم الخلافة، وباشر الأمور بنفسه، وغزا غير مرة في جنوده، وامتدت أيامه.

وذكر أبو طالب عبد الرحمن بن محمد بن عبد السميع الهاشمي في كتاب " المناقب العباسية " المقتفي، فقال: كانت أيامه نضرة بالعدل، زهرة بفعل الخيرات، وكان على قدم من العبادة قبل إفضاء الأمر إليه ومعه. وكان في أول عمره متشاغلا بالدين، ونسخ العلوم وقراءة القرآن. إلى أن قال: لم ير مع سماحته ولين جانبه ورأفته بعد المعتصم خليفة في شهامته وصرامته وشجاعته، مع ما خص به من زهده وورعه وعبادته. ولم تزل جيوشه منصورة حيث يممت.

قال ابن الجوزي: مات بالتراقي، وقيل: دمل كان في عنقه، فتوفي ليلة الأحد ثاني ربيع الأول، عن ست وستين سنة إلا ثمانية وعشرين يوما. قال: ومن العجائب أنه وافق أباه في علة التراقي، وماتا جميعا في ربيع الأول. وتقدم موت شاه محمد على موت المقتفي بثلاثة أشهر، وكذلك المستظهر مات قبله السلطان محمد بن ملكشاه بثلاثة أشهر. ومات المقتفي بعد الغرق -[١٠٠]- بسنة، وكذلك القائم مات بعد الغرق بسنة.

وكان من سلاطين دولته السلطان سنجر صاحب خراسان، والسلطان نور الدين صاحب الشام.

واستوزر عون الدين يحيى بن هبيرة. وكان هو الذي أقام حشمة الدولة العباسية، وقطع عنها أطماع الملوك السلجوقية وغيرهم من المتغلبين.

ومن أيام المقتفي عادت بغداد والعراق إلى يد الخلفاء، ولم يبق لهم فيها منازع. وقبل ذلك لعل من دولة المقتدر إلى وقته كان الحكم للمتغلبين من الملوك، وليس للخليفة معهم إلا اسم الخلافة.

وكان رضي الله عنه كريما، جوادا، محبا للحديث وسماعه، معتنيا بالعلم، مكرما لأهله. وبويع بعده ولده أبو المظفر يوسف بن محمد، ولقب بالمستنجد بالله.". (١)

٢٢٤-"-سنة تسع وستين وخمسمائة

في المحرم وقع حريق بالظفرية، فاحترقت مواضع كثيرة.

قال ابن الجوزي: وجلست يوم عاشوراء في جامع المنصور، فحزر الجميع بمائة ألف. كذا قال.

قال: وسألني في ربيع الأول أهل الحربية أن أعمل عندهم مجلسا، فوعدتهم ليلة، فانقلبت بغداد وعبر أهلها، وتلقيت بشموع حزرت بألف شمعة، وما رأيت البرية إلا مملوءة بالضوء، وكان أمرا مفرطا، فلو قال قائل: إن الخلق كانوا ثلاثمائة ألف لما أبعد.

وفي رجب وصل ابن الشهرزوري بتحف وتقادم للخليفة من نور الدين، وفيها حمار مخطط كثوب عتابي، وخرج الخلق للفرجة عليه وكان فيهم رجل عتابي كثير الدعاوى، وهو بليد ناقص الفضيلة، فقال رجل: إن كان قد بعث إلينا حمار عتابي، فنحن عندنا عتابي حمار.

وفيها ولي أبو الخير القزويني تدريس النظامية ببغداد.

وخرج ابن أخي شملة التركماني، ويعرف بابن سنكة، وأخذ قلعة -[٢٣٣]- بنواحي باذرايا ليتخذها عونا له على الإغارة، فسارت لقتاله العساكر، فالتقوا، فطحن الميمنة، ثم حمي القتال وظفروا به، وجيء برأسه إلى بغداد.

وفيها وقع برد بالسواد هدم الدور، وقتل جماعة وكثيرا من المواشي؛ وقال ابن الجوزي: فحدثني الثقة أنهم وزنوا بردة فكانت سبعة أرطال. قال: وكان عامته كالنارنج.

وفي رمضان زادت دجلة زيادة عظيمة على كل زيادة تقدمت منذ بنيت بغداد بذراع وكسر، وخرج الناس إلى الصحراء، وأيسوا من البلد، وضجوا إلى الله بالبكاء، وانهدمت دور كثيرة بمرة، وكان آية من الآيات، وهلكت قرى ومزارع لا تحصى، ونصب يوم الجمعة منبر خارج السور، وصلى الخطيب بالناس هناك.

وفي الجمعة الأخرى جمعوا بمسجد التوثة، ودام الغرق أياما، وكثر الابتهال إلى الله، وبقي الخلق والأمراء كلما سدوا بثقا وتعبوا عليه غلبهم الماء وخربه، أو انفتح آخر غيره.

وجاءت أمطار هائلة بالموصل، ودامت أربعة أشهر حتى تهدم بها نحو ألفي دار، وهلك خلق تحت الردم، وزادت الفرات

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ٩٨/١٢

زيادة كبيرة، وفاضت حتى أهلكت قرى ومزارع. **ومن العجائب** أن هذا الماء على هذه الصفة، ودجيل قد هلكت مزارعه بالعطش.

وتوفي السلطان نور الدين فتجدد بحلب بعد موته اختلاف بين السنة والرافضة، فقتل من الطائفتين خلق، ونهب ظاهر البلد.

وكان مما قدم به ابن الشهرزوري من البشارة فتح اليمن، وكسر الفرنج مرة ثانية، ومقدمهم الدوقش، وكان أسيرا عند نور الدين، أسره نوبة حارم، ففداه بخمسة وخمسين ألف دينار وخمسمائة ثوب أطلس، وفي كتابه يقول: " ولم ينج من عشرة آلاف غير عشرة حمر مستنفرة، فرت من قسورة ".

وذكر ابن الأثير أن صلاح الدين لما استولى على مصر وأراد أن -[٢٣٤]- يستبد بالأمر خاف من نور الدين، وعرف أنه ربما يقصده ويأخذ منه مصر، فشرع هو وأهل بيته في تحصيل مملكة تكون لهم ملجأ إن قصدهم، فجهز أخاه تورانشاه إلى النوبة فافتتح منها. فلما عاد تجهز إلى اليمن بقصد عبد النبي صاحب زبيد وطرده عن اليمن، وحسن لهم ذلك عمارة اليمني، فسار في أكمل الهيبة والأهبة فلم يثبت له أهل زبيد، وانهزموا، فعمد العسكر إلى سور زبيد، ونصبوا السلالم وطلعوا، فأسروا عبد النبي وزوجته الحرة، وكانت صالحة كثيرة الصدقة، فعذبوا عبد النبي، واستخرجوا منه أموالا كثيرة، ثم سار تورانشاه إلى عدن، وهي لياسر، فهزموه وأسروه. ثم سار فافتتح حصون اليمن، وهي قلعة تعز وقلعة الجند، واستناب بعدن عز الدين عثمان ابن الزنجبيلي، وبزبيد سيف الدولة مبارك بن منقذ، زاد أبو المظفر السبط فقال: يقال إنه افتتح ثمانين حصنا ومدينة، وقتل عبد النبي بن مهدي.

وذكر ابن أبي طيئ قال: في هذه السنة وصل الموفق ابن القيسراني إلى مصر رسولا من نور الدين، فاجتمع بصلاح الدين وأنهى إليه رسالة، وطالبه بحساب جميع ما حصله من ارتفاع البلاد فشق ذلك عليه، وأراد شق العصا ثم ثاب، وأمر النواب بالحساب، ثم عرضه على ابن القيسراني، وأراه جرائد الأجناد بالإقطاع. ثم أرسل معه هدية على يد الفقيه عيسى، وهي ختمة بخط ابن البواب، وختمه بخط مهلهل، وختمه بخط الحاكم البغدادي، وربعة مكتوبة بالذهب بخط يانس، وربعة عشرة أجزاء بخط راشد، وثلاثة أحجار بلخش، وست قصبات زمرد، وقطعة ياقوت وزن سبعة مثاقيل، وحجر أزرق ستة مثاقيل، ومائة عقد جوهر وزنها ثمانمائة وسبعة وخمسون مثقالا، وخمسون قارورة دهن بلسان، وعشرون قطعة بلور، وأربع عشرة قطعة جزع، وإبريق يشم، وطست يشم، وصحون صيني، وزبادي أربعون، وكرتان عود قماري وزن إحداهما ثلاثون رطلا بالمصري، والأخرى أحد وعشرون، ومائة ثوب أطلس، وأربعة وعشرون -[٢٣٥]- بقيارا مذهبة، وخمسون ثوبا حرير، وحلة فلفلي مذهب، وحلة مرايش صفراء، وغير ذلك من القماش قيمتها مائتان وخمسة وعشرون ألف دينار، وعدة من الخيل والغلمان والجواري والسلاح، ولم تصل إلى نور الدين؛ لأنه مات، فمنها ما أعيد ومنها ما استهلك، لأن الفقيه عيسى وابن القيسراني وضعا عليها من نهبها واستبدا بأكثرها. وقيل: ردت كلها إلى صلاح الدين، وكان معها خمسة أحمال مالا.

وتحركت الفرنج بالسواحل، وكان بدمشق الملك الصالح إسماعيل ابن السلطان نور الدين، صبي عمره عشر سنين أو أكثر، فاستنجد بصلاح الدين صاحب مصر. وبلغ صلاح الدين نزول الملاعين على بانياس، فصالحهم الأمراء وأهل دمشق،

وهادنوهم على مال وأسارى يطلقون. فكتب إلى جماعة يوبخهم، فكتب إلى الشيخ شرف الدين ابن أبي عصرون يخبره أنه لما أتاه كتاب الملك الصالح تجهز للجهاد وخرج، وسار أربع مراحل، فجاءه الخبر بالهدنة المؤذنة بذل الإسلام، من رفع القطيعة، وإطلاق الأسارى، وسيدنا المسيح أول من جرد لسانه الذي تغمد له السيوف وتجرد. وكتب في ذي الحجة من السنة.

مصرع الذين سعوا في إعادة دولة بني عبيد

كانت دولة العاضد وذويه لذيذة لأناس، وهم يتقلبون في نعيمها، فأخروا وأبعدوا، فذكر جمال الدين بن واصل وغيره أن في سنة تسع وستين أراد جماعة من شيعة العبيديين ومحبيهم إقامة الدعوة وردها إلى العاضد، فكان منهم عمارة اليمني وعبد الصمد الكاتب والقاضي هبة الله ابن كامل وداعي الدعاة ابن عبد القوي وغيرهم من الجند والأعيان والحاشية، ووافقهم على ذلك جماعة من أمراء صلاح الدين، وعينوا الخليفة والوزير، وتقاسموا الدور؛ واتفق رأيهم على استدعاء الفرنج من صقلية والشام يقصدون مصر ليشغلوا صلاح الدين بهم ويخلو لهم الوقت، ليتم أمرهم ومكرهم، -[٢٣٦]- وقال لهم عمارة اليمني: أنا قد أبعدت أخاه تورانشاه إلى اليمن خوفا من أن يسد مسده، وقرروا الأمور، وكاد أمرهم أن يتم، وأبى الله إلا أن يتم نوره، فأدخلوا في الشورى الواعظ زين الدين علي بن نجا، فأظهر لهم أنه معهم، ثم جاء إلى صلاح الدين فأخبره، وطلب من صلاح الدين ما لابن كامل من الحواصل والعقار، فبذل له، وأمره بمخالطتهم وتعريف شأنهم، فصار يعلمه بكل متجدد. فجاء رسول ملك الفرنج بالساحل إلى صلاح الدين بهدية ورسالة، وفي الباطن إليهم. وأتى الخبر إلى صلاح الدين من أرض الفرنج بجلية الحال، فوضع صلاح الدين على الرسول بعض من يثق إليه من النصارى، فداخل الرسول فأخبره بحقيقة الأمر.

وقيل: إن عبد الصمد الكاتب كان يلقى القاضي الفاضل بخضوع زائد، فلقيه يوما فلم يلتفت إليه، فقال القاضي الفاضل: ما هذا إلا لسبب. فأحضر ابن نجا الواعظ وأخبره الحال، وطلب منه كشف الأمر، فأخبره بأمرهم، فبعثه إلى صلاح الدين فأوضح له الأمر، فطلب صلاح الدين الجماعة، وقررهم فأقروا؛ وكان بين عمارة وبين الفاضل عداوة، فلما أراد صلاح الدين صلبه تقدم الفاضل وشفع فيه، فظن عمارة أنه يحثه على هلاكه، فنادي: يا مولانا، لا تسمع منه في حقي. فغضب القاضي الفاضل وخرج، فقال صلاح الدين: إنما كان يشفع فيك. فندم، وأخرج ليصلب، فطلب أن يمروا به على مجلس القاضي الفاضل، فاجتازوا به عليه فأغلق بابه، فقال عمارة:

عبد الرحيم قد احتجب ... إن الخلاص من العجب

ثم صلب هو والجماعة بين القصرين، وذلك في ثاني رمضان، وأفنى بعد ذلك من بقي منهم.

قال العماد الكاتب: وكان منهم داعي الدعاة ابن عبد القوي، وكان عارفا بخبايا القصر وكنوزه، فباد ولم يسمح بإبدائها. وأما الذين نافقوا على صلاح الدين من جنده فلم يعرض لهم، ولا أعلمهم بأنه علم بهم. وكان ممن صلب القاضي العويريس؛ فحكى القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز أن قاضي -[٢٣٧]- القضاة عوريس رأى عيسى ابن مريم كأنه أخرج له رأسه من السماء، فقال له العوريس: الصلب حق؟ فقال له ابن مريم: نعم. فعبرها العابر وقال: صاحب هذه الرؤيا يصلب لأن المسيح معصوم، ولا يمكن أن يكون ذلك راجعا إليه، لأن الله تعالى نص لنا أنه لم يصلب، فبقي أن يكون راجعا للرائي.

وجاء الكتاب إلى دمشق بقصة هؤلاء يوم موت نور الدين رحمه الله، وكانوا أيضا قد كاتبوا سنانا وأهل الحصون يستعينون بهم.
فلما كان في السادس والعشرين من ذي الحجة وصل أصطول الفرنج من صقلية، فنازلوا الإسكندرية بغتة، فجاءوا بناء على مراسلة الذين صلبوا، وكان معهم ألف وخمسمائة فرس، وعدتهم ثلاثون ألف مقاتل من بين فارس وراجل، وكان معهم مائتا شيني وست سفن كبار وأربعون مركبا، وبرز لحربهم أهل الثغر، فحملوا على المسلمين حملة أوصلتهم إلى السور، ففقد من المسلمين فوق المائتين، فلما أصبحوا زحفوا على الإسكندرية، ونصبوا ثلاث دبابات بكباشها، وهي كالأبراج، وثلاثة مجانيق تضرب بحجارة سود، استصحبوها من صقلية، فزحفوا إلى أن قاربوا السور، فرأى الفرنج من شجاعة أهل الإسكندرية ما راعهم. وبعثت بطاقة إلى الملك صلاح الدين وهو نازل على فاقوس، فاستنهض الجيش وبادروا، واستمر القتال.
وفي اليوم الثالث فتح المسلمون باب البلد، وكبسوا الفرنج على غفلة، وحرقوا الدبابات، وصدقوا اللقاء، ودام القتال إلى العصر، ونزل من الله النصر، واستحر بالفرنج القتل. ورد المسلمون إلى البلد لأجل الصلاة، ثم كبروا عند المغرب، وهاجموا الفرنج في خيامهم، فتسلموها بما حوت، وقتلوا من الرجالة ما لا يوصف. واقتحم المسلمون البحر، فغرقوا المراكب وحرقوها، وهربت باقي المراكب، وصار العدو بين أسير وقتيل وغريق، واحتمى ثلاثمائة فارس في رأس تل فأخذوا أسرى، وغنم المسلمون غنيمة عظيمة، فلله الحمد كثيرا. -[٢٣٨]-
وفي آخر السنة هلك مري ملك الفرنج لا رحمه الله، وهو الذي حاصر القاهرة وأشرف على أخذها.
ولما بلغ صلاح الدين سوء تدبير الأمراء في دولة ابن نور الدين كتب إليهم ونهاهم عن ذلك. فكتب إليه ابن المقدم يردعه عن هذه العزيمة، ويقول له:
" لا يقال عنك إنك طمعت في بيت من غرسك، ورباك وأسسك، وأصفى مشربك، وأضوى ملبسك، وفي دست ملك مصر أجلسك، فما يليق بحالك غير فضلك وإفضالك ". فكتب إليه صلاح الدين: إنه لا يؤثر للإسلام وأهله إلا ما جمع شملهم، وألف كلمتهم، وللبيت الأتابكي، أعلاه الله تعالى، إلا ما حفظ أصله وفرعه، فالوفاء إنما يكون بعد الوفاة، ونحن في واد، والظانون بنا ظن السوء في واد.
وفيها وعظ الطوسي بالتاجية من بغداد، فقال: ابن ملجم لم يكفر بقتله عليا رضي الله عنه، فجاءه الآجر من كل ناحية، وثارت عليه الشيعة، ولولا الغلمان الذين حوله لقتل. ولما هم الميعاد الآخر بالجلوس، تجمعوا ومعهم قوارير النفط ليحرقوه، فلم يحضر، فأحرقوا منبره، وأحضره نقيب النقباء وسبه، فقال: أنت نائب الديوان، وأنا نائب الرحمن. فقال: بل أنت نائب الشيطان. وأمر به فسحب ونفي، فذهب إلى مصر وعظم بها، ولقبه: الشهاب الطوسي.". (١)

٢٢٥-"٣٤٢ - سنان بن سلمان بن محمد، أبو الحسن البصري، [المتوفى: ٥٨٩ هـ]
كبير الإسماعيلية وصاحب الدعوة النزارية.

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ١٢/٢٣٢

كان أديبا، فاضلا، عاقلا عارفا بالفلسفة وشيء من الكلام والشعر والأخبار.

تفسير الدعوة النزارية

وكانت في حدود الثمانين وأربعمائة فيما أحسب، وهي نسبة إلى نزار بن المستنصر بالله معد ابن الظاهر علي ابن الحاكم العبيدي.

وكان نزار قد بايع له أبوه، وبث له الدعاة في البلاد بذلك، منهم صباح صاحب الدعوة. وكان صباح ذا سمت، وذلق، وإظهار نسك، وله أتباع من جنسه، فدخل الشام والسواحل، فلم يتم له مراد، فتوجه إلى بلاد العجم، وتكلم مع أهل الجبال والغتم الجهلة من تلك الأراضي، فقصد قلعة الموت، وهي قلعة حصينة، أهلها ضعاف العقول، فقراء، وفيهم قوة وشجاعة.

فقال لهم: نحن قوم زهاد نعبد الله في هذا الجبل، ونشتري منكم نصف القلعة بسبعة آلاف دينار، فباعوه إياها، وأقام بها. فلما قوي استولى على الجميع. وبلغت عدة أصحابه ثلاثمائة ونيفا.

واتصل بملك تلك الناحية: إن هاهنا قوما يفسدون عقائد الناس، وهم في تزيد، ونخاف من غائلتهم. فنهد إليهم، ونزل عليهم، وأقبل على سكره ولذاته. فقال رجل من قوم صباح اسمه علي اليعقوبي: أي شيء يكون لي عندكم إن أنا كفيتكم مؤونة هذا العدو؟ قالوا: يكون لك عندنا ذكران. أي: نذكرك في تسابيحنا.

قال: رضيت. فأمرهم بالنزول من القلعة ليلا، وقسمهم أرباعا في نواحي العسكر، ورتب معهم طبولا وقال: إذا سمعتم الصياح فاضربوا الطبول، ثم انتهز علي اليعقوبي الفرصة من غرة الملك، وهجم عليه فقتله، وصاح أصحابه، فقتل الخواص عليا، وضرب أولئك بالطبول، فأرجفوا الجيش، فهجوا على وجوههم، وتركوا الخيام بما فيها، فنقل الجميع إلى القلعة، وصار لهم أموال وأعتاد، واستفحل أمرهم. -[٨٧٢]-

وأما نزار، فإن عمته خافت منه، فعاهدت أعيان الدولة على أن تولي أخاه الآمر، وله ست سنين؛ وخاف نزار فهرب إلى الإسكندرية، وجرت له أمور، ثم قتل بالإسكندرية. وصار أهل الألموت يدعون إلى نزار، فأخذوا قلعة أخرى، وتسرع أهل الجبل من الأعاجم إلى الدخول في دعوتهم، وباينوا المصريين لكونهم قتلوا نزارا. وبنوا قلعة ثالثة، واتسع بلاؤهم وبلادهم، وأظهروا شغل الهجوم بالسكين التي سنها لهم علي اليعقوبي، فارتاع منهم الملوك، وصانعوهم بالتحف والأموال.

ثم بعثوا داعيا من دعاتهم في حدود الخمسمائة أو بعدها إلى الشام، يعرف بأبي محمد، فجرت له أمور، إلى أن ملك قلاعا من بلد جبل السماق، كانت في يد النصيرية. وقام بعده سنان هذا؛ وكان شهما، مهيبا، وله فحولية، وذكاء، وغور. وكان لا يرى إلا ناسكا، أو ذاكرا، أو متخشعا، أو واعظا، كان يجلس على حجر، ويتكلم كأنه حجر، لا يتحرك منه إلا لسانه، حتى اعتقد جهالهم فيه الإلهية. وحصل كتبا كثيرة.

وأما صباح فإنه قرر عند أصحابه أن الإمام هو نزار. فلما طال انتظارهم له، وتقاضيهم به قال: إنه بين أعداء، والبلاد شاسعة، ولا يمكنه السلوك، وقد عزم أن يختفي في بطن حامل، ويجيء سالما، ويستأنف الولادة. فرضوا بذلك – اللهم ثبت علينا عقولنا وديننا وإيماننا – ثم إنه أحضر جارية مصرية قد أحبلها وقال: إنه قد اختفى في بطن هذه، فأخذوا يعظمونها، ويتخشعون لرؤيتها، ويرتقبون الإمام المنتظر أن يخرج منها، فولدت ولدا، فسماه حسنا.

فلما تسلطن خوارزم شاه محمد بن تكش، واتسع ملكه، وفخم أمره، قصد بلاد هؤلاء الملاحدة، وهي قلاع حصينة، منيعة كبيرة، يقال: إنها ممتدة إلى أطراف الهند.

وقد حكم على الملاحدة بعد صباح ابنه محمد، ثم بعده الحسن بن محمد بن صباح المذكور، فرأى الحسن من الحزم أن يتظاهر بالإسلام، وذلك في سنة سبع وستمائة، فادعى أنه رأى عليا عليه السلام في النوم يأمره أن يعيد شعار الإسلام من الصلاة والصيام، والأذان، وتحريم الخمر. ثم قص المنام على أصحابه وقال: أليس الدين لي؟ قالوا: بلى. قال: فتارة أرفع التكاليف، -[٨٧٣]- وتارة أضعها.

قالوا: سمعا وطاعة.

فكتب بذلك إلى بغداد والنواحي، واجتمع بمن جاوره من الملوك، وأدخل بلاده القراء، والفقهاء، والمؤذنين، واستخدم في ركابه أهل قزوين. وذلك **من العجائب**.

وجاء رسوله ونائبه في صحبة رسول الخليفة إلى الملك الظاهر إلى حلب، بأن يقتل النائب الأول ويقيم هذا النائب له على قلاعهم التي بالشام. فأنفق عليهم الظاهر وأكرمهم، وخلصوا بإظهار الإسلام من يد خوارزم شاه.

رجعنا إلى أخبار سنان. كان أعرج لحجر وقع عليه من الزلزلة الكائنة في دولة نور الدين. فاجتمع إليه محبوه، على ما ذكر الموفق عبد اللطيف، لكي يقتلوه. فقال لهم. ولم تقتلوني؟.

قالوا: لترجع إلينا صحيحا، فإنا نكره أن يكون فينا أعرج.

فشكرهم ودعا لهم، وقال: اصبروا علي، فليس هذا وقته. ولاطفهم. ولما أراد أن يحلهم من الإسلام، ويسقط عنهم التكاليف لأمر جاءه من الألموت على عهد إلكيا محمد، نزل إلى مقثأة في شهر رمضان، فأكل منها، فأكلوا معه، واستمر أمرهم على ذلك.

وأول قدوم سنان كان إلى حلب، فذكر سعد الدين عبد الكريم، رسول الإسماعيلية، قال: حكى سنان صاحب الدعوة قال: لما وردت الشام اجتزت بحلب، فصليت العصر بمشهد علي بظاهر باب الجنان، وثم شيخ مسن، فسألته: من أين يكون الشيخ؟ قال: من صبيان حلب.

وقال الصاحب كمال الدين في " تاريخ حلب ": أخبرني شيخ أدرك سنانا أن سنانا كان من أهل البصرة، وكان يعلم الصبيان، وأنه مر وهو طالع إلى الحصون على حمار حين ولاه إياها صاحب الألموت، فمر بإقميناس، فأراد أهلها أخذ حماره، فبعد جهد تركوه، وبلغ من أمره ما بلغ. وكان يظهر لهم التنسك حتى انقادوا له، فأحضرهم يوما وأوصاهم، وقال: عليكم بالصفاء بعضكم لبعض، ولا يمنعن أحدكم أخاه شيئا هو له. فنزلوا إلى جبل السماق وقالوا: قد أمرنا بالصفاء، وأن لا يمنع أحدنا صاحبه شيئا هو له. فأخذ هذا زوجة هذا، وهذا بنت هذا سفاحا، وسموا أنفسهم " الصفاة ". فاستدعاهم -[٨٧٤]- سنان إلى الحصون، وقتل منهم مقتلة عظيمة.

قال الصاحب كمال الدين: وتمكن في الحصون، وانقادوا له ما لم ينقادوا لغيره، وتمكن. وأخبرني علي ابن الهواري أن الملك صلاح الدين سير إليه رسولا، وفي رسالته تهديد، فقال للرسول: سأريك الرجال الذين ألقاه بهم. وأشار إلى جماعة من

أصحابه بأن يلقوا أنفسهم من أعلى الحصن، فألقوا نفوسهم فهلكوا.
قال: وبلغني أنه أحل لهم وطء أمهاتهم، وأخواتهم، وبناتهم، وأسقط عنهم صوم رمضان.
قال: وقرأت بخط أبي غالب بن الحصين في " تاريخه ": وفيه يعني محرم سنة تسع وثمانين، هلك سنان صاحب دار الدعوة النزارية بالشام بحصن الكهف. وكان رجلا عظيما، خفي الكيد، بعيد الهمة، عظيم المخاريق، ذا قدرة على الإغواء، وخديعة القلوب، وكتمان السر، واستخدام الطغام والغفلة في أغراضه الفاسدة. وأصله من قرية من قرى البصرة، وتعرف بعقر السدف. خدم رؤساء الإسماعيلية بالألموت، وراض نفسه بعلوم الفلسفة. وقرأ كثيرا من كتب الجدل والمغالطة، و " رسائل " إخوان الصفا وما شاكلها من الفلسفة الإقناعية المشوقة غير المبرهنة.
بنى بالشام حصونا لهذه الطائفة، بعضها مستجدة، وبعضها كانت قديمة، فاحتال في تحصيلها وتحصينها، وتوعير مسالكها. وسالمته الأنام، وخافته الملوك من أجل هجوم أصحابه عليهم. ودام له الأمر بالشام نيفا وثلاثين سنة. وسير إليه داعي دعاتهم من ألموت جماعة في عدة مرار ليقتلوه خوفا من استبداده عليه بالرياسة، فكان سنان يقتلهم، وبعضهم يخدعه سنان، ويثنيه عما سير لأجله.
قال كمال الدين: وقرأت بخط الحسين بن علي بن الفضل الرازي في " تاريخه " قال: حدثني الحاجب معين الدين مودود أنه حضر عند الإسماعيلية سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة، وأنه خلا بسنان، وسأله عن سبب كونه في هذا المكان، فقال: إنني نشأت بالبصرة، وكان والدي من مقدميها. فوقع هذا الحديث في قلبي، فجرى لي مع إخوتي أمر أحوجني إلى الانصراف عنهم، فخرجت بغير زاد ولا ركوب، فتوصلت حتى بلغت الألموت، فدخلتها وبها -[٨٧٥]- إلكيا محمد متحكم، وكان له ابنان سماهما: الحسن، والحسين، فأقعدني معهما في المكتب، وكان يبرني برهما، ويساويني بهما. وبقيت حتى مات وولي بعده ابنه الحسن، فأنفذني إلى الشام.
قال: فخرجت مثل خروجي من البصرة، فلم أقارب بلدا إلا في القليل. وكان قد أمرني بأوامر، وحملني رسائل. فدخلت الموصل، ونزلت مسجد التمارين، وسرت من هناك إلى الرقة، وكان معي رسالة إلى بعض الرفاق بها، فأديت الرسالة، فزودني، واكترى لي بهيمة إلى حلب. ولقيت آخر أوصلت إليه رسالة، فاكترى لي بهيمة، وأنفذني إلى الكهف. وكان الأمر أن أقيم بهذا الحصن. فأقمت حتى توفي الشيخ أبو محمد في الجبل، وكان صاحب الأمر، فتولى بعده الأخواجة علي بن مسعود بغير نص، إلا باتفاق بعض الجماعة. ثم اتفق الرئيس أبو منصور بن أحمد ابن الشيخ أبي محمد، والرئيس فهد، فأنفذوا من قتله، وبقي الأمر شورى، فجاء الأمر من الألموت بقتل قاتله، وإطلاق فهد، ومعه وصية، وأمر أن يقرأها على الجماعة، وهذه نسخة المكتوب: " هذا عهد عهدناه إلى الرئيس ناصر الدين سنان، وأمرناه بقراءته على سائر الرفاق والإخوان، أعاذكم الله جميع الإخوان من اختلاف الآراء، واتباع الأهواء، إذ ذاك فتنة الأولين، وبلاء الآخرين، وفيه عبرة للمعتبرين، من تبرأ من أعداء الله، وأعداء وليه ودينه، عليه موالاة أولياء الله، والاتحاد بالوحدة سنة جوامع الكلم، كلمة الله والتوحيد والإخلاص، لا إله إلا الله، عروة الله الوثقى، وحبله المتين، ألا فتمسكوا به، واعتصموا عباد الله الصالحين، فيه صلاح الأولين، وفلاح الآخرين. أجمعوا آراءكم لتعليم شخص معين بنص من الله ووليه. فتلقوا ما يلقيه إليكم من أوامره ونواهيه بقبول، فلا ورب العالمين لا تؤمنون حتى تحكموه فيما شجر بينكم، ثم لا تجدوا في أنفسكم حرجا مما قضى، وتسلموا تسليما. فذلك الاتحاد

به بالوحدة التي هي آية الحق، المنجية من المهالك، المؤدية إلى السعادة السرمدية، إذ الكثرة علامة الباطل، المؤدية إلى الشقاوة المخزية، والعياذ بالله من زواله، وبالواحد من آلهة شتى، -[٨٧٦]- وبالوحدة من الكثرة، وبالنص والتعليم من الأدواء والأهواء المختلفة، وبالحق من الباطل، وبالآخرة الباقية من الدنيا الملعونة، الملعون ما فيها، إلا ما أريد به وجه الله، ليكون علمكم وعملكم خالصا لوجهه الكريم. يا قوم إنما دنياكم ملعبة لأهلها، فتزودوا منها للأخرى، وخير الزاد التقوى ".

إلى أن قال: أطيعوا أميركم ولو كان عبدا حبشيا، ولا تزكوا أنفسكم ".

قال كمال الدين: وكتب سنان إلى سابق الدين صاحب شيزر يعزيه عن أخيه شمس الدين صاحب قلعة جعبر:

إن المنايا لا يطأن بمنسم ... إلا على أكتاف أهل السؤدد

فلئن صبرت فأنت سيد معشر ... صبروا وإن تجزع فغير مفند

هذا التناصر باللسان ولو أتى ... غير الحمام أتاك نصري باليد

وهي لأبي تمام.

وقال: ذكر أن سنانا كتب إلى نور الدين محمود بن زنكي، والصحيح أنه إلى صلاح الدين:

يا ذا الذي بقراع السيف هددنا ... لا قام مصرع جنبي حين تصرعه

قام الحمام إلى البازي يهدده ... واستيقظت لأسود البر أضبعه

أضحي يسد فم الأفعي بإصبعه ... يكفيه ما قد تلاقي منه أصبعه

وقفنا على تفصيله وجمله، وعلمنا ما هددنا به من قوله وعمله، ويا لله العجب من ذبابة تطن في أذن فيل، وبعوضة تعد في التماثيل، ولقد قالها قوم من قبلك آخرون، فدمرنا عليهم وما كان لهم ناصرون، أللحق تدحضون، وللباطل تنصرون؟! وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. ولئن صدر قولك في قطع رأسي، وقلعك لقلاعي من الجبال الرواسي، فتلك أماني كاذبة، وخيالات غير صائبة، فإن الجواهر لا تزول بالأعراض، كما أن الأرواح لا تضمحل بالأمراض. وإن عدنا إلى الظواهر، وعدلنا عن البواطن، فلنا في رسول الله أسوة حسنة: " ما أوذي نبي ما أوذيت ". وقد علمتم ما جرى على عترته -[٨٧٧]- وشيعته، والحال ما حال، والأمر ما زال، ولله الأمر في الآخرة والأولى. وقد علمتم ظاهر حالنا، وكيفية رجالنا، وما يتمنونه من الفوت، ويتقربون به إلى حياض الموت، وفي المثل: أو للبط تهدد بالشط؟ فهيئ للبلايا أسبابا، وتدرع للرزايا جلبابا، فلأظهرن عليك منك، وتكون كالباحث عن حتفه بظلفه، وما ذلك على الله بعزيز، فإذا وقفت على كتابنا هذا، فكن لأمرنا بالمرصاد، ومن حالك على اقتصاد، واقرأ أول " النحل " وآخر " ص ".

وقال كمال الدين: حدثني النجم محمد بن إسرائيل قال: أخبرني المنتجب بن دفتر خوان قال: أرسلني صلاح الدين إلى سنان زعيم الإسماعيلية حين وثبوا على صلاح الدين للمرة الثالثة بدمشق، ونعى القطب النيسابوري، وأرسل معي تهديدا وتخويفا، فلم يجبه، بل كتب على طرة كتاب صلاح الدين، وقال لنا: هذا جوابكم:

جاء الغراب إلى البازي يهدده ... ونبهت لصراع الأسد أضبعه

يا من يهددني بالسيف خذه وقم ... لا قام مصرع جنبي حين تصرعه

يا من يسد فم الأفعى بإصبعه ... يكفيه ما لقيت من ذاك إصبعه

ثم قال: إن صاحبك يحكم على ظواهر جنده، وأنا أحكم على بواطن جندي، ودليله ما تشاهد الآن. ثم دعا عشرة من صبيان القاعة، وكان على حصنه المنيف، فاستخرج سكينا وألقاها إلى الخندق، وقال: من أراد هذه فليلق نفسه خلفها. فتبادروا جميعا وثبا خلفها، فتقطعوا. فعدنا إلى السلطان صلاح الدين وعرفناه، فصالحه.

وذكر الشيخ قطب الدين في " تاريخه " أن سنانا سير إلى صلاح الدين رحمه الله رسولا، وأمره أن لا يؤدي رسالته إلا خلوة، ففتشه صلاح الدين، فلم يجد معه ما يخافه، فأخلى له المجلس، إلا نفرا يسيرا، فامتنع من أداء الرسالة حتى يخرجوا، فأخرجهم كلهم، سوى مملوكين، فقال: هات رسالتك. فقال: أمرت أن لا أقولها إلا في خلوة. فقال: هذان ما يخرجان، فإن أردت تذكر رسالتك، وإلا قم: قال: فلم لا يخرج هذان؟ قال: لأنهما مثل أولادي. -[٨٧٨]-

فالتفت الرسول إليهما، وقال لهما: إذا أمرتكما عن مخدومي بقتل هذا السلطان تقتلانه؟ قالا: نعم. وجذبا سيفيهما. فبهت السلطان، وخرج الرسول وأخذهما معه. وجنح صلاح الدين إلى الصلح والدخول في مراضيه.

قلت: هذه حكاية مرسلة، والله أعلم بصحتها.

وقال كمال الدين: أنشدني بهاء الدين الحسن بن إبراهيم ابن الخشاب، قال أنشدني شيخ من الإسماعيلية، قال: أنشدني سنان لنفسه:

ما أكثر الناس وما أقلهم ... وما أقل في القليل النجبا

ليتهم إذ لم يكونوا خلقوا ... مهذبين صحبوا مهذبا

قال: وقرأت على ظهر كتاب لسنان صاحب الدعوة:

ألجأني الدهر إلى معشر ... ما فيهم للخير مستمع

إن حدثوا لم يفهموا سامعا ... أو حدثوا مجوا ولم يسمعوا

تقدمي أخرني فيهم ... من ذنبه الإحسان ما يصنع؟". (١)

٢٢٦-"٣٧٥ - عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادى بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة، الحافظ العلامة جمال الدين، أبو الفرج ابن الجوزي، القرشي، التيمي البكري، البغدادي، الحنبلي، الواعظ، [المتوفى: ٥٩٧ هـ]-[١١٠١]-

صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم من التفسير، والحديث، والفقه، والوعظ، والزهد، والتاريخ، والطب، وغير ذلك. ولد تقريبا سنة ثمان أو سنة عشر وخمس مائة، وعرف جدهم بالجوزي لجوزة في وسط داره بواسط، ولم يكن بواسط جوزة سواها.

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ٨٧١/١٢

وأول سماعه سنة ست عشرة وخمس مائة، وسمع بعد ذلك في سنة عشرين وخمس مائة وبعدها، فسمع من ابن الحصين، وعلي بن عبد الواحد الدينوري، والحسين بن محمد البارع، وأبي السعادات أحمد بن أحمد المتوكلي، وأبي سعد إسماعيل بن أبي صالح المؤذن، وأبي الحسن علي ابن الزاغوني الفقيه، وأبي غالب ابن البناء، وأخيه يحيى، وأبي بكر محمد بن الحسين المزرفي، وهبة الله ابن الطبر، وقاضي المرستان، وأبي غالب محمد بن الحسن الماوردي، وخطب إصبهان أبي القاسم عبد الله بن محمد الراوي عن ابن شمة، وأبي السعود أحمد بن المجلي، وأبي منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز، وعلي بن أحمد بن الموحد، وأبي القاسم ابن السمرقندي، وابن ناصر، وأبي الوقت، وخرج لنفسه مشيخة عن سبعة وثمانين نفسا، وكتب بخطه ما لا يوصف، ووعظ وهو صغير جدا.

قرأ الوعظ على الشريف أبي القاسم علي بن يعلى بن عوض العلوي الهروي، وأبي الحسن ابن الزاغوني، وتفقه على أبي بكر أحمد بن محمد الدينوري، وتخرج في الحديث بابن ناصر، وقرأ الأدب على أبي منصور موهوب ابن الجواليقي.

روى عنه ابنه محيي الدين يوسف، وسبطه شمس الدين يوسف الواعظ، والحافظ عبد الغني، والشيخ الموفق، والبهاء عبد الرحمن، والضياء محمد، وابن خليل، والدبيثي، وابن النجار، واليلداني، والزين ابن عبد الدائم، -[١١٠٢]- والنجيب عبد اللطيف، وخلق سواهم، وبالإجازة: الشيخ شمس الدين عبد الرحمن، وأحمد بن أبي الخير، والعز عبد العزيز ابن الصيقل، وقطب الدين أحمد بن عبد السلام العصروني، وتقي الدين إسماعيل بن أبي اليسر، والخضر بن عبد الله بن حمويه، والفخر علي ابن البخاري.

وكان الذي حرص على تسميعه وأفاده الحافظ ابن ناصر، وقرا القرآن على أبي محمد سبط الخياط.

وكان فريد عصره في الوعظ، وهو آخر من حدث عن الدينوري والمتوكلي.

ومن تصانيفه:

كتاب المغني في علم القرآن، كتاب زاد المسير في علم التفسير، تذكرة الأريب في شرح الغريب، مجلد، نزهة النواظر في الوجوه والنظائر، مجلد، كتاب عيون علوم القرآن، هو كتاب فنون الأفنان، مجلد، كتاب الناسخ والمنسوخ، كتاب منهاج الوصول إلى علم الأصول، كتاب نفي التشبيه، كتاب جامع المسانيد، في سبع مجلدات، كتاب الحدائق، مجلدان، كتاب نفي النقل، كتاب المجتبى، كتاب النزهة، كتاب عيون الحكايات، مجلدان، كتاب التحقيق في أحاديث التعليق، مجلدان، كتاب كشف مشكل الصحيحين، أربع مجلدات، كتاب الموضوعات، كتاب الأحاديث الرائقة، كتاب الضعفاء، كتاب تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التواريخ والسير، كتاب المنتظم في أخبار الملوك والأمم، كتاب شذور العقود في تاريخ العهود، كتاب مناقب بغداد، كتاب المذهب في المذهب، كتاب الانتصار في مسائل الخلاف، كتاب الدلائل في مشهور المسائل، مجلدان، كتاب اليواقيت في الخطب الوعظية، كتاب المنتخب، كتاب نسيم السحر، كتاب لباب زين القصص، كتاب المدهش، كتاب في فضائل أخيار النساء، كتاب المختار في أخبار -[١١٠٣]- الأخيار، كتاب صفة الصفوة، كتاب مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن، كتاب المقعد المقيم، كتاب تبصرة المبتدئ، كتاب تحفة الواعظ، كتاب ذم الهوى، كتاب تلبيس إبليس، مجلدان، كتاب صيد الخاطر، ثلاث مجلدات، كتاب الأذكياء، كتاب الحمقى والمغفلين، كتاب المنافع في الطب، كتاب الشيب والخضاب، كتاب روضة الناقل، كتاب تقويم اللسان، كتاب منهاج الإصابة في محبة الصحابة، كتاب صبا نجد،

كتاب المزعج، كتاب الملهب، كتاب المطرب، كتاب منتهى المشتهى، كتاب فنون الألباب، كتاب الظرفاء والمتحابين، كتاب تقريب الطريق الأبعد في فضل مقبرة أحمد، كتاب النور في فضائل الأيام والشهور، كتاب العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، مجلدان، كتاب أسباب البداية لأرباب الهداية، مجلدان.

كتاب سلوة الأحزان، كتاب ياقوتة المواعظ، كتاب منهاج القاصدين، مجلدان، كتاب اللطائف، كتاب واسطات العقود، كتاب الخواتيم، كتاب المجالس اليوسفية، كتاب المحادثة، كتاب إيقاظ الوسنان، كتاب نسيم الرياض، كتاب الثبات عند الممات، كتاب الوفا بفضائل المصطفى، كتاب مناقب أبي بكر، كتاب مناقب علي، كتاب المعاد، كتاب مناقب عمر، كتاب مناقب عمر بن عبد العزيز، كتاب مناقب سعيد بن المسيب، كتاب مناقب الحسن البصري، كتاب مناقب إبراهيم بن أدهم، كتاب مناقب الفضيل، كتاب مناقب أحمد، كتاب مناقب الشافعي، كتاب مناقب معروف، كتاب مناقب الثوري، كتاب مناقب بشر، كتاب مناقب رابعة، كتاب العزلة، كتاب مرافق الموافق، كتاب الرياضة، كتاب النصر على مصر، كتاب كان وكان في الوعظ، كتاب خطب اللآلئ على الحروف، كتاب الناسخ والمنسوخ في الحديث، كتاب مواسم العمر، وتصانيف أخر لا يحضرني ذكرها. -[١١٠٤]-

وجعفر في أجداده هو الجوزي، منسوب إلى فرضة من فرض البصرة يقال: لها جوزة، وفرضة النهر ثلمته، وفرضه البحر محط السفن.

وتوفي والد أبي الفرج أبو الحسن وله ثلاث سنين، وكانت له عمة صالحة، وكان أهله تجارا في النحاس، ولهذا كتب في بعض السماعات اسمه عبد الرحمن الصفار، فلما ترعرع حملته عمته إلى ابن ناصر فاعتنى به، وقد رزق القبول في الوعظ، وحضر مجلسه الخلفاء، والوزراء والكبار، وأقل ما كان يحضر مجلس ألوف، وقيل: إنه حضر مجلسه في بعض الأوقات مائة ألف، وهذا لا أعتقده أنا، على أنه قد قال: هو ذلك، وقال غير مرة: إن مجلسه حزر بمائة ألف.

قال سبطه شمس الدين أبو المظفر: سمعته يقول على المنبر في آخر عمره: كتبت بإصبعي هاتين ألفي مجلدة، وتاب على يدي مائة ألف، وأسلم على يدي عشرون ألف يهودي ونصراني.

قال: وكان يجلس بجامع القصر، والرصافة، والمنصور، وباب بدر، وتربة أم الخليفة، وكان يختم القرآن في كل أسبوع ولا يخرج من بيته إلا إلى الجمعة أو المجلس.

ثم قال: ذكر ما وقع إلي من أسامي مصنفاته كتاب المغني أحد وثمانون جزءا بخطه، إلا إنه لم يبيضه ولم يشتهر، كتاب زاد المسير، أربع مجلدات، فذكر عامة ما ذكرناه، وزاد عليه أيضا أشياء منها: كتاب درة الإكليل في التاريخ، أربع مجلدات، كتاب الفاخر في أيام الإمام الناصر، مجلد، كتاب المصباح المضيء بفضائل المستضيء، مجلد، كتاب الفجر النوري، كتاب المجد الصلاحي، مجلد، كتاب شذور العقود، مجلد. قال: ومن علم العربية: فضائل العرب، مجلد، كتاب الأمثال، مجلد، كتاب تقويم اللسان، جزءان، كتاب لغة الفقه، جزءان، كتاب ملح الأحاديث، جزءان. قال: وكتاب المنفعة في المذاهب الأربعة، مجلدان، كتاب منهاج القاصدين، مجلدان، كتاب إحكام الأسفار بأحكام الأشعار، مجلدان، كتاب -[١١٠٥]- " المختار من الأشعار " عشر مجلدات، كتاب التبصرة في الوعظ، ثلاث مجلدات، كتاب المنتخب في الوعظ، مجلدان، كتاب رؤوس القوارير، مجلدان. إلى أن قال: فمجموع تصانيفه مائتان ونيف وخمسون كتابا.

ومن كلامه في مجالس وعظه: عقارب المنايا تلسع، وخدران جسم الأمل يمنع الإحساس، وماء الحياة في إناء العمر يرشح بالأنفاس.

وقال لبعض الولاة: أذكر عند القدرة عدل الله فيك، وعند العقوبة، قدرة الله عليك، وإياك أن تشفي غيظك بسقم دينك.

وقال لصاحب: أنت في أوسع العذر من التأخير عني لثقتي بك، وفي أضيقه من شوقي إليك.

وقال له قائل: ما نمت البارحة من شوقي إلى المجلس، قال: لأنك تريد أن تتفرج، وإنما ينبغي أن لا تنام الليلة لأجل ما سمعت.

وقال: لا تسمع ممن يقول الجوهر والعرض، والاسم والمسمى، والتلاوة والمتلو؛ لأنه شيء لا تحيط به أوهام العوام، بل قل: آمنت بما جاء من عند الله، وبما صح عن رسول الله.

وقام إليه رجل فقال: يا سيدي نشتهي منك تتكلم بكلمة ننقلها عنك، أيما أفضل: أبو بكر أو علي؟ فقال له: اقعد، فقعد ثم قام وأعاد قوله، فأجلسه، ثم قام فقال له: اجلس فأنت أفضل من كل أحد.

وسأله آخر، وكان التشيع تلك المدة ظاهرا: أيما أفضل، أبو بكر أو علي؟ فقال: أفضلهما من كانت ابنته تحته، ورمى بالكلمة في أودية الاحتمال، ورضي كل من الشيعة والسنة بهذا الجواب المدهش.

وقرأ بين يديه قارئان فأطربا الجمع، فأنشد:

ألا يا حمامي بطن نعمان هجتما ... علي الهوى لما ترنتما ليا

ألا أيها القمريتان تجاوبا ... بلحنيكما ثم اسجعا لي علانيا

وقال له قائل: أيما أفضل أسبح أو أستغفر؟ قال: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور.

وقال في قوله عليه السلام: " أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين ": -[١١٠٦]- إنما طالت أعمار القدماء لطول البادية، فلما شارف الركب بلد الإقامة قيل حثوا المطي.

وقال: من قنع طاب عيشه، ومن طمع طال طيشه.

قال: ووعظ الخليفة فقال: يا أمير المؤمنين، إن تكلمت، خفت منك، وأن سكت، خفت عليك، فأنا أقدم خوفي عليك على خوفي منك، إن قول القائل: اتق الله خير من قول القائل: أنتم أهل بيت مغفور لكم.

وقال يوما: أهل البدع يقولون: ما في السماء أحد، ولا في المصحف قرآن، ولا في القبر نبي، ثلاث عورات لكم.

وقال في قوله: ﴿أليس لي ملك مصر﴾: يفتخر فرعون بنهر، ما أجراه، ما أجراه، وقال وقد طرب الجمع: فهمتم فهمتم.

قال: وقد ذكر العماد الكاتب جدي في " الخريدة "، وأنشد له هذه الأبيات:

يود حسودي أن يرى لي زلة ... إذا ما رأى الزلات جاءت أكاذيب

أرد على خصمي وليس بقادر ... على رد قولي، فهو موت وتعذيب

ترى أوجه الحساد صفرا لرؤيتي ... فإن فهت عادت وهي سود غرابيب

قال: وقال أيضا:

يا صاحبي إن كنت لي أو معي ... فعج إلى وادي الحمى نرتع

وسل عن الوادي وسكانه ... وانشد فؤادي في ربا لعلع
جئ كثيب الرمل رمل الحمى ... وقف وسلم لي على المجمع
واسمع حديثا قد روته الصبا ... تسنده عن بانه الأجرع
وابك فما في العين من فضلة ... ونب فدتك النفس عن مدمعي
وانزل على الشيخ بواديهم ... واشمم عشيب البلد البلقع -[١١٠٧]-
رفقا بنضو قد براه الأسى ... يا عاذلي لو كان قلبي معي
لهفي على طيب ليال خلت ... عودي تعودي مدنفا قد نعي
إذا تذكرت زمانا مضى ... فويح أجفاني من أدمعي

وقد نالته محنة في أواخر عمره، وذلك أنهم وشوا إلى الخليفة الناصر به بأمر اختلف في حقيقته، وذلك في الصيف، فبينا هو جالس في داره في السرداب يكتب، جاءه من أسمعه غليظ الكلام وشتمه، وختم على كتبه وداره، وشتت عياله، فلما كان في أول الليل حملوه في سفينة، وأحدروه إلى واسط، فأقام خمسة أيام ما أكل طعاما، وهو يومئذ ابن ثمانين سنة، فلما وصل إلى واسط أنزل في دار وحبس بها، وجعل عليها بواب، وكان يخدم نفسه، ويغسل ثوبه، ويطبخ، ويستقي الماء من البئر، فبقي كذلك خمس سنين، ولم يدخل فيها حماما.

وكان من جملة أسباب القضية أن الوزير ابن يونس قبض عليه، فتتبع ابن القصاب أصحاب ابن يونس، وكان الركن عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلي المتهم بسوء العقيدة واصلا عند ابن القصاب، فقال له: أين أنت عن ابن الجوزي، فهو من أكبر أصحاب ابن يونس، وأعطاه مدرسة جدي، وأحرقت كتبي بمشورته، وهو ناصبي من أولاد أبي بكر، وكان ابن القصاب شيعيا خبيثا، فكتب إلى الخليفة، وساعده جماعة، ولبسوا على الخليفة، فأمر بتسليمه إلى الركن عبد السلام، فجاء إلى باب الأزج إلى دار ابن الجوزي، ودخل وأسمعه غليظ المقال كما ذكرنا، وأنزل في سفينة، ونزل معه الركن لا غير، وعلى ابن الجوزي غلالة بلا سراويل، وعلى رأسه تخفيفه، فأحدر إلى واسط، وكان ناظرها العميد أحد الشيعة، فقال له الركن: حرسك الله، مكني من عدوي لأرميه في المطمورة، فعز على العميد وزبره وقال: يا زنديق أرميه بقولك؟ هات خط الخليفة، والله لو كان من أهل مذهبي لبذلت روحي ومالي في خدمته، فعاد الركن إلى بغداد، وكان بين ابن يونس الوزير وبين أولاد الشيخ عبد القادر عداوة قديمة، فلما ولي الوزارة، ثم أستاذية الدار بدد شملهم، وبعث ببعضهم إلى مطامير واسط، فماتوا بها، وأهين الركن بإحراق كتبه النجومية. -[١١٠٨]-

وكان السبب في خلاص ابن الجوزي أن ابنه محيي الدين يوسف ترعرع وقرأ الوعظ، وطلع صبيا ذكيا، فوعظ، وتكلمت أم الخليفة في خلاص ابن الجوزي فأطلق، وعاد إلى بغداد، وكان يقول: قرأت بواسط مدة مقامي بها كل يوم ختمة، ما قرأت فيها سورة يوسف من حزني على ولدي يوسف وشوقي إليه، وكان يكتب إلى بغداد أشعارا كثيرة.

وذكره شيخنا ابن البزوري، فأطنب في وصفه، وقال: فأصبح في مذهبه إماما يشار إليه، ويعقد الخنصر في وقته عليه، ودرس بمدرسة ابن الشمحل، ودرس بالمدرسة المنسوبة إلى الجهة بنفشا المستضيئية، ودرس بمدرسة الشيخ عبد القادر، وبنى لنفسه مدرسة بدرب دينار، ووقف عليها كتبه، برع في العلوم، وتفرد بالمنثور والمنظوم، وفاق على أدباء مصره، وعلا على فضلاء

دهره، له التصانيف العديدة، سئل عن عددها فقال: زيادة على ثلاث مائة وأربعين مصنفا، منها ما هو عشرون مجلدا، ومنها ما هو كراس واحد، ولم يترك فنا من الفنون إلا وله فيه مصنف، كان أوحد زمانه، وما أظن الزمان يسمح بمثله، ومن مؤلفاته كتاب المنتظم، وكتابنا ذيل عليه.

قال: وكان إذا وعظ اختلس القلوب، وشققت النفوس دون الجيوب.

إلى أن قال: توفي ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان، وصلى عليه الخلق العظيم الخارج عن الحد، وشيعوه إلى مقبرة باب حرب، وكان يوما شديد الحر، فأفطر من حره خلق كثير، وأوصى أن يكتب على قبره:

يا كثير الصفح عمن ... كثر الذنب لديه

جاءك المذنب يرجو ال ... عفو عن جرم يديه

أنا ضيف وجزاء الضي ... ف إحسان إليه

وقال سبطه أبو المظفر: جلس رحمه الله يوم السبت سابع رمضان تحت تربة أم الخليفة المجاورة لمعروف الكرخي، وكنت حاضرا، وأنشد أبياتا قطع عليها المجلس، وهي: -[١١٠٩]-

الله أسال أن يطول مدتي ... وأنال بالأنعام ما في نيتي

لي همة في العلم ما من مثلها ... وهي التي جنت النحول هي التي

كم كان لي من مجلس لو شبهت ... حالاته لتشبهت بالجنة

في أبيات.

ونزل، فمرض خمسة أيام، وتوفي ليلة الجمعة بين العشاءين في الثالث عشر من رمضان في داره بقطفتا. وحدثتني والدتي أنها سمعته يقول قبل موته: أيش أعمل بطواويس، يرددها، قد جبتم لي هذه الطواويس، وحضر غسله شيخنا ضياء الدين ابن سكينة، وضياء الدين ابن الحبير وقت السحر، واجتمع أهل بغداد، وغلقت الأسواق، وشددنا التابوت بالحبال، وسلمناه إلى الناس، فذهبوا به إلى تحت التربة، مكان جلوسه، فصلى عليه ابنه علي اتفاقا؛ لأن الأعيان لم يقدروا على الوصول إليه، ثم صلوا عليه بجامع المنصور، وكان يوما مشهودا، لم يصل إلى حفرته بمقبرة أحمد بن حنبل إلى وقت صلاة الجمعة، وكان في تموز، فأفطر خلق، ورموا نفوسهم في الماء.

قال: وما وصل إلى حفرته من الكفن إلا قليل.

قلت: وهذا من مجازفة أبي المظفر.

قال: ونزل في حفرته والمؤذن يقول: الله أكبر، وحزن الناس وبكوا عليه بكاء كثيرا وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون الختمات بالقناديل والشمع، ورآه في تلك الليلة المحدث أحمد بن سلمان الحربي الملقب بالسكر -[١١١٠]- على منبر من ياقوت مرصع بالجوهر، والملائكة جلوس بين يديه والحق سبحانه وتعالى حاضر، يسمع كلامه، وأصبحنا عملنا عزاءه، وتكلمت يومئذ، وحضر خلق عظيم، وقام عبد القادر العلوي، وأنشد هذه القصيدة:

الدهر عن طمع يغر ويخدع ... وزخارف الدنيا الدنية تطمع

وأعنة الآمال يطلقها الرجا ... طمعا وأسياف المنية تقطع

والموت آت والحياة مريرة ... والناس بعضهم لبعض يتبع

واعلم بأنك عن قليل صائر ... خبرا فكن خبرا لخير يسمع

لعلا أبي الفرج الذي بعد التقى ... والعلم يوم حواه هذا المضجع

حبر عليه الشرع أصبح والها ... ذا مقلة حرى عليه تدمع

من للفتاوى المشكلات وحلها ... من ذا لخرق الشرع يوما يرقع

من للمنابر أن يقوم خطيبها ... ولرد مسألة يقول فيسمع

من للجدال إذا الشفاه تقلصت ... وتأخر القرم الهزبر المصقع

من للدياجي قائما ديجورها ... يتلو الكتاب بمقلة لا تهجع

أجمال دين محمد مات التقى ... والعلم بعدك واستحم المجمع

يا قبره جادتك كل غمامة ... هطالة ركانة لا تقلع

فيك الصلاة مع الصلات فته به ... وانظر به باريك ماذا يصنع

يا أحمدا خذ أحمد الثاني الذي ... ما زال عنك مدافعا لا يرجع

أقسمت لو كشف الغطاء لرأيتم ... وفد الملائك حوله يتسرعوا

ومحمد يبكي عليه وآله ... خير البرية والبطين الأنزع

في أبيات.

ومن العجائب أنا كنا يومئذ بعد انقضاء العزاء عند القبر، وإذا بخالي محيي الدين يوسف قد صعد من الشط، وخلفه تابوت، فقلنا: ترى من مات في الدار؟ وإذا بها خاتون والدة محيي الدين، وعهدي بها ليلة الجمعة في عافية، وهي قائمة، فكان بين موتهما يوم وليلة، وعد الناس ذلك من كراماته؛ لأنه كان مغرى بها محبا.

وخلف من الولد عليا، وهو الذي أخذ مصنفات والده وباعها بيع العبيد، ومن يزيد، ولما أحدر والده إلى واسط تحيل علي كتبه بالليل، وأخذ منها ما -[١١١١]- أراد، وباعها ولا بثمن المداد، وكان أبوه قد هجره منذ سنين، فلما امتحن صار إلبا عليه، ومات أبوه ولم يشهد موته. وخلف محيي الدين يوسف، وكان قد ولد سنة ثمانين وخمس مائة، وسمع الكثير، وتفقه، وناظر، ووعظ تحت تربة والدة الخليفة، وقامت بأمره أحسن قيام، وولي حسبة بغداد سنة أربع وستمائة، ثم ترسل عن الخلفاء، وتقلبت به الأحوال حتى بلغ أشرف مآل إلى سنة أربعين وستمائة، ثم ولي أستاذ دارية الخلافة.

وكان لجدي ولد اسمه عبد العزيز، وهو أكبر أولاده، سمع معه من ابن ناصر، وأبي الوقت، والأرموي، وسافر إلى الموصل، فوعظ بها سنة بضع خمسين، وحصل له القبول التام، ومات بها شابا، وكان له بنات منهن أمي رابعة، وشرف النساء، وزينب، وجوهرة، وست العلماء الكبرى، وست العلماء الصغرى.

قلت: ومع تبحر ابن الجوزي في العلوم، وكثرة اطلاعه، وسعة دائرته، لم يكن مبرزا في علم من العلوم، وذلك شأن كل من فرق نفسه في بحور العلم، ومع أنه كان مبرزا في التفسير، والوعظ، والتاريخ، ومتوسطا في المذهب، متوسطا في الحديث، له

اطلاع تام على متونه، وأما الكلام على صحيحه وسقيمه، فما له فيه ذوق المحدثين، ولا نقد الحفاظ المبرزين، فإنه كثير الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة، مع كونه كثير السياق لتلك الأحاديث في الموضوعات، والتحقيق أنه لا ينبغي الاحتجاج بها، ولا ذكرها في الموضوعات، وربما ذكر في الموضوعات أحاديث حسانا قوية.

ونقلت من خط السيف أحمد ابن المجد، قال: صنف ابن الجوزي كتاب الموضوعات، فأصاب في ذكره أحاديث شنيعة مخالفة للنقل والعقل، ومما لم يصب فيه إطلاق الوضع على أحاديث بكلام بعض الناس في أحد رواتها، كقوله: فلان ضعيف، أو ليس بالقوي، أو لين، وليس ذلك الحديث مما يشهد القلب ببطلانه، ولا فيه مخالفة ولا معارضة لكتاب ولا سنة ولا إجماع، ولا حجة بإنه موضوع، سوى كلام ذلك الرجل في راوية، وهذا عدوان ومجازفة، وقد كان أحمد بن حنبل يقدم الحديث الضعيف على القياس. -[١١١٢]-

قال: فمن ذلك أنه أورد حديث محمد بن حمير السليحي، عن محمد بن زياد الألهاني، عن أبي أمامة في فضل قراءة آية الكرسي في الصلوات الخمس، وهو: " من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت "، وجعله في الموضوعات، لقول يعقوب بن سفيان محمد بن حمير ليس بالقوي، ومحمد هذا قد روى البخاري في " صحيحه "، عن رجل، عنه، وقد قال ابن معين: إنه ثقة، وقال أحمد بن حنبل: ما علمت إلا خيرا.

قال السيف: وهو كثير الوهم جدا، فإن في مشيخته مع صغرها وهم في مواضع، قال في الحديث التاسع وهو " اهتزاز العرش ": أخرجه البخاري، عن محمد بن المثنى، عن الفضل بن هشام، عن الأعمش. قلت: والفضل إنما هو ابن مساور رواه عن أبي عوانة، عن الأعمش، لا عن الأعمش نفسه. والحادي والعشرين، قال: أخرجه البخاري، عن ابن منير، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، وإنما يرويه ابن منير، عن أبي النضر، عن عبد الرحمن، والسادس والعشرين فيه: أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد الأثرم، وإنما هو محمد بن أحمد، والثاني والثلاثين، قال: أخرجه البخاري، عن الأويسي، عن إبراهيم بن سعد، عن الزهري، وإنما هو عن ابن سعد، عن صالح، عن الزهري، وفي التاسع والأربعين: حدثنا قتيبة، قال: أخبرنا خالد بن إسماعيل، وإنما هو حاتم بن إسماعيل، وفي الثاني والسبعين: أخبرنا أبو الفتح محمد بن علي العشاري، وإنما هو أبو طالب محمد بن علي بن الفتح، وفي الرابع -[١١١٣]- والثمانين: عن حميد بن هلال، عن عفان بن كاهل، وإنما هو هصان، وفي الحديث الثاني: أخرجه البخاري، عن أحمد بن أبي إياس، وإنما هو آدم، قال لنا شيخنا أبو عبد الله الحافظ: كتبت المشيخة من فرع، فإذا فيها أحمد، فاستنكرته، فراجعت الأصل، فإذا هو أيضا على الخطأ، وذكر وفيات بعض شيوخه وقد خولف كيحيى بن ثابت، وابن خضير، وابن المقرب، وهذه عدة عيوب في كراريس قليلة، وسمعت أبا بكر محمد بن عبد الغني ابن نقطة، يقول: قيل لأبي محمد بن الأخضر: ألا تجيب ابن الجوزي عن بعض أوهامه؟ قال: إنما يتتبع على من قل غلطه، فأما هذا فأوهامه كثيرة، أو نحو هذا.

قلت: وذلك لأنه كان كثير التأليف في كل فن فيصنف الشيء ويلقيه، ويتكل على حفظه.

قال السيف: ما رأيت أحدا يعتمد عليه في دينه وعلمه وعقله راضيا عنه، قال جدي رحمه الله: كان أبو المظفر بن حمدي أحد العدول، والمشار إليهم ببغداد ينكر على ابن الجوزي كثيرا كلمات يخالف فيها السنة.

قال السيف: وعاتبه الشيخ أبو الفتح ابن المني في بعض هذه الأشياء التي حكيناها عنه، ولما بان تخليطه أخيرا رجع عنه

أعيان أصحابنا الحنابلة، وأصحابه وأتباعه، سمعت أبا بكر ابن نقطة في غالب ظني يقول: كان ابن الجوزي يقول: أخاف شخصين: أبا المظفر بن حمدي، وأبا القاسم ابن الفراء، فإنهما كانا لهما كلمة مسموعة، وكان الشيخ أبو إسحاق العلثي يكاتبه وينكر عليه، سمعت بعضهم ببغداد أنه جاءه منه كتاب يذمه فيه، ويعتب عليه ما يتكلم به في السنة.

قلت: وكلامه في السنة مضطرب، تراه في وقت سنيا، وفي وقت متجهما محرفا للنصوص، والله يرحمه ويغفر له.

وقرأت بخط الحافظ ابن نقطة قال: حدثني أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن الحاكم بواسط قال: لما انحدر الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي إلى واسط قرأ على أبي بكر ابن الباقلاني بكتاب الأرشاد لأجل ابنه، وقرأ معه ابنه يوسف.

وقال الموفق عبد اللطيف: كان ابن الجوزي لطيف الصورة، حلو -[١١١٤]- الشمائل، رخيم النغمة، موزون الحركات والنغمات، لذيذ المفاكهة، يحضر مجلسه مائة ألف أو يزيدون، ولا يضيع من زمانه شيئا، يكتب في اليوم أربعة كراريس، ويرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلدا إلى ستين.

وله في كل علم مشاركة، لكنه في التفسير من الأعيان، وفي الحديث من الحفاظ، وفي التواريخ من المتوسعين، ولديه فقه كاف، وأما السجع الوعظي فله فيه ملكة قوية، إن ارتجل أجاد، وإن روى أبدع، وله في الطب كتاب اللقط، مجلدان، وله تصانيف كثيرة، وكان يراعي حفظ صحته، وتلطيف مزاجه، وما يفيد عقله قوة، وذهنه حدة أكثر مما يراعي قوة بدنه ونيل لذته، جل غذائه الفراريج والمزورات، ويعتاض عن الفاكهة بالأشربة والمعجونات، ولباسه أفضل لباس، الأبيض الناعم المطيب، ونشأ يتيما على العفاف والصلاح، وله ذهن وقاد، وجواب حاضر، ومجون لطيف، ومداعبات حلوة، وكانت سيرته في منزله المواظبة على القراءة والكتابة، ولا ينفك من جارية حسناء في أحسن زي، لا تلهيه عما هو فيه، بل تعينه عليه وتقويه.

وقرأت بخط الموقاني أن أبا الفرج كان قد شرب حب البلاذر - على ما قيل - فسقطت لحيته، فكانت قصيرة جدا، وكان يخضبها بالسواد إلى أن مات.

ثم عظمه وبالغ في وصفه، ثم قال: ومع هذا فهو كثير الغلط فيما يصنفه، فإنه كان يصنف الكتاب ولا يعتبره رحمه الله وتجاوز عنه.". (١)

٢٢٧-"٤٠١ - محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن أله، الإمام العلامة، المنشئ، البليغ، الوزير، عماد الدين، أبو عبد الله الإصبهاني، الكاتب، المعروف قديما بابن أخي العزيز. [المتوفى: ٥٩٧ هـ]

ولد بإصبهان سنة تسع عشرة وخمس مائة، وقدم بغداد وهو ابن عشرين سنة أو نحوها.

ونزل بالنظامية، وتفقه وبرع في الفقه على أبي منصور سعيد -[١١٢٢]- ابن الرزاز، وأتقن الخلاف، والنحو، والأدب، وسمع من ابن الرزاز، وأبي منصور بن خيرون، وأبي الحسن علي بن عبد السلام، والمبارك بن علي السمذي، وأبي بكر بن

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ١٢/١١٠٠

الأشقر، وأبي القاسم علي ابن الصباغ، وطائفة، وأجاز له أبو القاسم بن الحصين، وأبو عبد الله الفراوي، ورجع إلى إصبهان سنة ثلاث وأربعين، وقد برع في العلوم، فسمع بها، وقرأ الخلاف على أبي المعالي الوركاني، ومحمد بن عبد اللطيف الخجندي، ثم عاد إلى بغداد، وتعانى الكتابة والتصرف، وسمع بالثغر من السلفي، وغيره.

روى عنه ابن خليل، والشهاب القوصي، والخطير فتوح بن نوح الخويي، والعز عبد العزيز بن عثمان الإربلي، والشرف محمد بن إبراهيم بن علي الأنصاري، والتاج القرطبي، وآخرون، وبالإجازة أحمد بن أبي الخير، وغيره.

وأله اسم فارسي معناه العقاب.

ذكره ابن خلكان، وقال: كان شافعيا، تفقه بالنظامية، وأتقن الخلاف وفنون الأدب، وله من الشعر والرسائل ما هو مشهور، ولما مهر تعلق بالوزير عون الدين يحيى بن هبيرة ببغداد، فولاه نظر البصرة، ثم نظر واسط، فلما توفي الوزير ضعف أمره، فانتقل إلى دمشق فقدمها في سنة اثنتين وستين وخمس مائة، فتعرف بمدبر الدولة القاضي كمال الدين الشهرزوري، واتصل بطريقه بالأمير نجم الدين أيوب والد صلاح الدين، وكان يعرف عمه العزيز من قلعة تكريت، فأحسن إليه، ثم استخدمه كمال الدين عند نور الدين في كتابة الإنشاء، قال العماد: وبقيت متحيرا في الدخول فيما ليس من شأني، ولا تقدمت لي به دربة، فجبن عنها في الابتداء، فلما باشرها هانت عليه، وصار منه ما صار، وكان ينشئ بالعجمية أيضا، وترقت منزلته عند السلطان نور الدين، وأطلعه على سره، وسيره رسولا إلى بغداد في أيام المستنجد، وفوض إليه تدريس المدرسة المعروفة بالعمادية بدمشق في سنة سبع وستين، ثم رتبه في أشراف الديوان في سنة ثمان، فلما توفي نور الدين وقام ولده ضويق من الذين حوله وخوف، إلى أن ترك ما هو فيه، وسافر إلى العراق، فلما وصل -[١١٢٣]- إلى الموصل مرض، ثم بلغه خروج السلطان صلاح الدين من مصر لأخذ دمشق، فعاد إلى الشام في سنة سبعين، وصلاح الدين نازل على حلب، فقصده ومدحه، ولزم ركابه، وهو مستمر على عطلته، إلى أن استكتبه واعتمد عليه، وقرب منه حتى صار يضاهي الوزراء.

وكان القاضي الفاضل ينقطع عن خدمة السلطان على مصالح الديار المصرية، فيقوم العماد مقامه.

وله من المصنفات كتاب خريدة القصر وجريدة العصر، جعله ذيلا على زينة الدهر لأبي المعالي سعد بن علي الحظيري، وزينة الدهر ذيل على دمية القصر وعصرة أهل العصر للباخرزي، والدمية ذيل على يتيمة الدهر للثعالبي، واليتيمة ذيل على كتاب البارع لهارون بن علي المنجم، فذكر العماد في كتابه الشعراء الذين كانوا بعد المائة الخامسة إلى سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة، وجمع شعراء العراق، والعجم، والشام والجزيرة، ومصر، والمغرب، وهو في عشر مجلدات.

وله كتاب البرق الشامي في سبع مجلدات، وإنما سماه البرق الشامي لأنه شبه أوقاته في الأيام النورية والصلاحية بالبرق الخاطف لطيبها وسرعة انقضائها، وصنف كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي في مجلدين، وصنف كتاب السيل والذيل، وصنف كتاب نصرة الفترة وعصرة الفطرة في أخبار بني سلجوق ودولتهم، وله ديوان رسائل كبير، وديوان شعر في أربع مجلدات، وديوان جميعه دوبيت، وهو صغير.

وكان بينه وبين القاضي الفاضل مخاطبات ومحاورات ومكاتبات، قال مرة للفاضل: سر فلا كبا بك الفرس، فقال له: دام علا العماد، وذلك مما يقرأ مقلوبا وصحيحا.

قال ابن خلكان: ولم يزل العماد على مكانته إلى أن توفي السلطان صلاح الدين، فاختلت أحواله، ولم يجد في وجهه بابا

مفتوحا، فلزم بيته وأقبل على تصانيفه، وأله: معناه بالعربي العقاب، وهو بفتح الهمزة، وضم اللام، وسكون الهاء، وقيل: إن العقاب جميعه أنثى، وإن الذي يسافده طائر من غير جنسه، وقيل: إن الثعلب هو الذي يسافده، وهذا من العجائب، قال ابن عنين في ابن سيده: -[١١٢٤]-

ما أنت إلا كالعقاب فأمه ... معروفة وله أب مجهول

وقال الموفق عبد اللطيف: حكى لي العماد من فلق فيه، قال: طلبني كمال الدين لنيابته في ديوان الإنشاء، فقلت: لا أعرف الكتابة، فقال: إنما أريد منك أن تثبت ما يجرى فتخبرني به، فصرت أرى الكتب تكتب إلى الأطراف، فقلت لنفسي: لو طلب مني أن أكتب مثل هذا ماذا كنت أصنع؟ فأخذت أحفظ الكتب وأحاكيها، وأروض نفسي فيها، فكتبت كتبا إلى بغداد، ولا أطلع عليها أحدا، فقال كمال الدين يوما: ليتنا وجدنا من يكتب إلى بغداد ويريحنا، فقلت: أنا أكتب إن رضيت، فكتبت وعرضت عليه، فأعجبه فاستكتبني، فلما توجه أسد الدين إلى مصر في المرة الثالثة صحبته.

قال الموفق: وكان فقهه على طريقة أسعد الميهني، ومدرسته تحت القلعة، ويوم يدرس تتسابق الفقهاء لسماع كلامه وحسن نكته، وكان بطيء الكتابة، ولكن دائم العمل، وله توسع في اللغة، ولا سعة عنده في النحو، وتوفي بعدما قاسى مهانات ابن شكر، وكان فريد عصره نظما نثرا، وقد رأيته في مجلس ابن شكر مزحوما في أخريات الناس.

وقال زكي الدين المنذري: كان جامعا للفضائل: الفقه، الأدب، والشعر الجيد، وله اليد البيضاء في النثر والنظم، وصنف تصانيف مفيدة.

قال: وللسلطان الملك الناصر معه من الإغضاء والتجاوز والبسط وحسن الخلق ما يتعجب من وقوع مثله من مثله، توفي في مستهل رمضان بدمشق، ودفن بمقابر الصوفية.

أنبأنا أحمد بن سلامة، عن محمد بن محمد الكاتب، قال: أخبرنا علي بن عبد السيد، قال: أخبرنا أبو محمد الصريفيني، قال: أخبرنا ابن حبابة، قال: حدثنا أبو القاسم البغوي، قال: حدثنا علي بن الجعد، قال: أخبرنا شعبة، عن أبي ذبيان، واسمه خليفة بن كعب، قال: سمعت ابن الزبير يقول:: لا تلبسوا نساءكم الحرير، فإني سمعت عمر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: -[١١٢٥]- من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، رواه البخاري، عن علي بن الجعد مثله.

ومن شعره في قصيدة:

يا مالكا رق قلبي ... أراك ما لك رقه

ها مهجتي لك خذها ... فإنها مستحقه

فدتك نفسي برفق ... فما أطيق المشقه

ويا رشيقا أتتني ... من سهم عينيه رشقه

لصارم الجفن منه ... في مهجتي ألف مشقه

وخصره مثل معنى ... بلاغي فيه دقه

وله:

كتبت والقلب بين الشوق والكمد ... والعين مطروفة بالدمع والسهد

وفي الحشى لفحة للوجد محرقة ... متى تجد نفحة من أرضكم تقد

يا رائدا وهو سار في الظلام سنا ... وطالبا في الهجير الورد وهو صد

ها مهجتي فاقتبس من نارها ضرما ... ومقلتي فاغترف من مائها ورد

يا من هو الروح بل روح الحياة ... ولا بقاء بعد فراق الروح للجسد

حاولت نقض عهود صنتها ولكم ... أردت في الحب سلوانا ولم أرد

واها لحاضرة في القلب غائبة ... عن ناظري من هواها ما خلا جلدي

قوية البطش باللحظ الضعيف وبالخصـ ... ـر النحيف وكل مضعف جسدي

لا غرو إن سحرت قلبي بمقلتها ... نفاثة بفنون السحر في العقد

بالطرف في كحل، بالعطف في ميل ... بالخد في خجل، بالقد في ميد

بالراح مرتشفا، بالورد مقتطفا ... بالغصن منعطفا، بالثغر كالبرد

لا جلت يوما ولا أبصرت من شغف ... ضلالتي في الهوى إلا من الرشد

وله:

كالنجم حين هدا كالدهر حين عدا ... كالصبح حين بدا كالعضب حين برا

في الحكم طود علا، في الحلم بحر نهى ... في الجود غيث ندا، في البأس ليث شرا -[١١٢٦]-

أنبأني ابن البزوري قال: العماد هو إمام البلغاء، وشمس الشعراء، وقطب رحا الفضلاء، أشرقت أشعة فضائله وأنارت، وأنجدت الركبان بأخباره وأغارت، في الفصاحة قس دهره، وفي البلاغة سحبان عصره، فاق الأنام طرا نظما ونثرا، وفي رسائله المعاني الأبكار المخجلة الرياض عند إشراق النوار.

ومن شعره:

قضى عمره في الهجر شوقا إلى الوصل ... وأبلاه من ذكر الأحبة ما يبلي

وكان خلي القلب من لوعة الهوى ... فأصبح من برح الصبابة في شغل

وأطربه اللاحي بذكر حبيبه ... فآلى عليه أن يزيد من العذل

وما كنت مفتون الفؤاد وإنما ... علي فتوني دله فاتن الدل

نحولي ممن شد عقد نطاقه ... على ناحل واه من الخصر منحل

إذا رام للصد القيام أبت له ... روادفه إلا المقام على وصلي". (١)

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ١١٢١/١٢

٢٢٨-"-سنة ثلاث وعشرين وستمائة

فيها قدم محيي الدين يوسف ابن الجوزي بالخلع والتقاليد من الظاهر بأمر الله إلى المعظم والكامل والأشرف.

قال أبو المظفر سبط الجوزي: قال لي المعظم: قال لي خالك: المصلحة رجوعك من هذا الخارجي - يعني: جلال الدين - إلى إخوتك، ونصلح بينكم، وكان المعظم قد بعث مملوكه إيدكين إلى السلطان جلال الدين، فرحله من تفليس وأنزله على خلاط، والأشرف حينئذ بحران، قال: فقلت لخالك: إذا رجعت عن جلال الدين، وقصدني إخوتي تنجدوني؟ قال: نعم، قلت: ما لكم عادة تنجدون أحدا هذه كتب الخليفة عندنا ونحن على دمياط، ونحن نكتب إليه نستصرخ به ونقول: أنجدونا، فيجيء الجواب بأن قد كتبنا إلى ملوك الجزيرة، ولم يفعلوا، وقد اتفق إخوتي علي، وقد أنزلت الخوارزمي على خلاط، إن قصدني الأشرف منعه الخوارزمي، وإن قصدني الكامل كان في له.

وفيها قدم الأشرف دمشق، وأطاع المعظم، وسأله أن يسأل جلال الدين أن يرحل عن خلاط، وكان قد أقام عليها أربعين يوما، فبعث المعظم، فرحل الخوارزمي عن خلاط، وكان المعظم يلبس خلعة الخوارزمي، ويركب فرسه، وإذا حادث الأشرف، حلف برأس خوارزم شاه جلال الدين، فيتألم الأشرف، وتوجه خالي إلى الملك الكامل.

وقال ابن الأثير: في جمادى الآخرة جاء جلال الدين الخبر أن نائبه بكرمان قد عصى عليه، وطمع في تملك ناحيته؛ لاشتغال السلطان بحرب الكرج وبعده، فسار السلطان جلال الدين يطوي الأرض إلى كرمان، وقدم بين يديه رسولا إلى متولي كرمان بالخلع ليطمنه، فلما جاءه الرسول، علم أن ذلك مكيدة لخبرته بجلال الدين، فتحول إلى قلعة منيعة، وتحصن، وأرسل يقول: -[٦٣٨]- أنا العبد المملوك، ولما سمعت بمسيرك إلى البلاد أخليتها لك، ولو علمت أنك تبقي علي؛ لحضرت إلى الخدمة، فلما عرف جلال الدين، علم أنه لا يمكنه أخذ ما بيده من الحصون؛ لأنه يحتاج إلى تعب وحصار، فنزل بقرب إصبهان، وأرسل إليه الخلع، وأقره على ولايته، فبينما هو كذلك، إذ وصل الخبر من تفليس بأن عسكر الأشرف الذي بخلاط قد هزموا بعض عسكره، فساق كعادته يطوي المراحل حتى نازل مدينة منازكرد في آخر السنة، ثم رحل من جمعته، فنازل خلاط، فقاتل أهلها قتالا شديدا، ووصل عسكره إلى السور، وقتل خلق من الفريقين، ثم زحف ثانيا وثالثا، وعظمت نكاية عسكره في أهل خلاط، ودخلوا الربض، وشرعوا في السبي والنهب، فلما رأى ذلك أهل خلاط تناخوا، وأخرجوهم، ثم أقام يحاصرها، حتى كثر البرد والثلج، فرحل عندما بلغه إفساد التركمان في بلاد أذربيجان، وجد في السير، فلم يرعهم إلا والجيوش قد أحاطت بهم، فأخذتهم السيوف، وكثر فيهم النهب، والسبي.

وفي شعبان سار علاء الدين كيقباذ ملك الروم، فأخذ عدة حصون للملك المسعود صاحب آمد.

وفيها جمع البرنس صاحب أنطاكية جموعه، وقصد الأرمن، فمات ملك الأرمن قبل وصوله، ولم يخلف ولدا ذكرا، فملك الأرمن بنته عليهم، وزوجوها بابن البرنس، وسكن عندهم، ثم ندمت الأرمن، وخافوا أن تستولي الفرنج على قلاعهم وبلادهم، فقبضوا على ابن البرنس وسجنوه، فسار أبوه لحربهم، فلم يحصل له غرض فرجع.

قال ابن الأثير: وفيها اصطاد صديق لنا أرنبا ولها أنثيان وذكر، وله فرج أنثى، فلما شقوا بطنه رأوا فيه جروين، سمعت هذا منه ومن جماعة كانوا معه، وقالوا: ما زلنا نسمع أن الأرنب تكون سنة ذكرا، وسنة أنثى، ولا -[٦٣٩]- نصدق، فلما رأينا هذا، علمنا أنه قد حمل وهو أنثى، وأنقضت السنة فصار ذكرا، ويحتمل أن يكون خنثى.

قال ابن الأثير: وكنت بالجزيرة ولنا جار له بنت، اسمها صفية، فبقيت كذلك نحو خمس عشرة سنة، وإذا قد طلع لها ذكر رجل، ونبتت لحيته، فكان له فرج امرأة وذكر رجل.

قال: وفيها ذبح إنسان بالموصل رأس غنم، فإذا لحمه ورأسه ومعلاقه مر شديد المرارة، وهذا شيء لم يسمع بمثله.

وفي ذي الحجة زلزلت الموصل، وغيرها، وخرب أكثر شهرزور، لا سيما القلعة، فإنها أجحفت بها، وبقيت الزلزلة تتردد عليهم نيفا وثلاثين يوما، وخرب أكثر قرى تلك الناحية.

وفي هذه السنة انخسف القمر مرتين.

وفيها برد ماء عين القيارة حتى كان السابح يجد البرد، فتركوها، وهي معروفة بحرارة الماء، بحيث إن السابح فيها يجد الكرب، وكان بردها في هذه السنة **من العجائب**.

وفيها كثرت الذئاب، والخنازير، والحيات، وقتل كثير منها.

وفيها كان قحط وجراد كثير بالموصل، وجاء برد كبار أفسد الزرع والمواشي، قيل: كان وزن البردة مائتي درهم، وقيل: رطلا بالموصلي.

وفي رجب توفي أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله، وكانت خلافته تسعة أشهر ونصفا.

وبويع ابنه الأكبر أبو جعفر المستنصر بالله، فبايعه جميع إخوته وبنو عمه.

قال ابن الساعي: حضرت بيعته العامة، فلما رفعت الستارة، شاهدته وقد كمل الله صورته ومعناه، وعمره إذ ذاك خمس وثلاثون سنة، وكان أبيض مشربا حمرة، أزج الحاجبين، أدعج العينين، سهل الخدين، أقنى، رحب -[٦٤٠]- الصدر، عليه قميص أبيض، وبقيار أبيض مسكن، عليه طرحة قصب بيضاء، ولم يزل جالسا إلى أن أذن الظهر ثم جلس أن أذن الظهر، ثم جلس كذلك يوم الأحد ويوم الإثنين، وأحضر بين يدي الشباك شمس الدين أحمد ابن الناقد، وقاضي القضاة أبو صالح الجيلي، فرقيا المنبر، فقال الوزير مؤيد الدين القمي لقاضي القضاة: أمير المؤمنين قد وكل أبا الأزهر أحمد هذا وكالة جامعة في كل ما يتجدد من بيع وإقرار وعتق وابتياع.

فقال القاضي: أهكذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: نعم، فقال القاضي: وليتني يا أمير المؤمنين ما ولاني والدك رحمة الله عليه؟ فقال: نعم، وليتك ما ولاك والدي، فنزلا، وأثبت القاضي الوكالة بعلمه.

وفي شعبان قدم الصاحب ضياء الدين نصر الله ابن الأثير رسولا عن صاحب الموصل بدر الدين، فأورد الرسالة وهذه نسختها: ما ليل والنهار لا يعتذران وقد عظم حادثهما، وما للشمس والقمر لا ينكسفان وقد فقد ثالثهما.

فيا وحشة الدنيا وكانت أنيسة ... ووحدة من فيها لمصرع واحد

وهو سيدنا، ومولانا، الإمام الظاهر أمير المؤمنين، الذي جعلت ولايته رحمة للعالمين، واختير من أرومة النبي صلى الله عليه وسلم؛ الذي هو سيد ولد آدم، ثم ذكر فصلا.

قال ابن الساعي: وخلعت الخلع، فبلغني أن عدتها ثلاثة آلاف خلعة وخمسمائة ونيف وسبعون خلعة، وركب الخليفة ظاهرا لصلاة الجمعة بجامع القصر، وركب ظاهرا يوم الاثنين الآتي في دجلة بأبهة الخلافة، ثم ركب والناس كافة مشاة، ووراءه

الشمسة، والألوية المذهبة، والقصع تضرب وراء السلاحية، فقصد السرادق الذي ضرب له، ونزل به ساعة، ثم ركب وعاد في طريقه.

وفيها التقى جلال الدين ملك الخوارزمية الكرج، وكانوا في جمع عظيم إلى الغاية، فكسرهم، وأمر عسكره، أن لا يبقوا على أحد، فتتبعوا المنهزمين، -[٦٤١]- ولم يزالوا يستقصون في طلب الكرج إلى أن كادوا يفنونهم. ثم نازل تفليس وأخذها عنوة؛ وكانت دار ملك الكرج، وقد أخذوها من المسلمين من سنة خمس عشرة وخمسمائة، وخربوا البلاد، وقهروا العباد، فاستأصلهم الله في هذا الوقت، " ولكل أجل كتاب ".". (١)

٢٢٩-"٦١٦ - محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسن بن عنين الأديب الرئيس شرف الدين أبو المحاسن الأنصاري الكوفي الأصل الزرعي المنشأ الدمشقي الشاعر، [المتوفى: ٦٣٠ هـ]

صاحب " الديوان " المشهور.

ولد بدمشق في سنة تسع وأربعين وخمسمائة. وسمع من الحافظ أبي القاسم ابن عساكر.

وكان شاعرا محسنا، رقيق الشعر، بديع الهجو. ولم يكن في عصره آخر مثله بالشام. طوف وجال في العراق، وخراسان، وما وراء النهر، والهند، ومصر في التجارة. ومدح الملوك والوزراء، وهجا الصدور والكبراء، وكان غزير المادة من الأدب، مطلعا على أشعار العرب، ومن نظمه:

وصلت منك رقعة أسأمتني ... وثنت صبري الجميل ملولا

كنهار المصيف ثقلا وكربا ... وليالي الشتاء بردا وطولا

وله:

وما حيوان يتقي الناس بطشه ... على أنه واهي القوى واهن البطش

إذا ضعفوا نصف اسمه كان طائرا ... وإن كرروا ما فيه كان من الوحش

يعني: العقرب.

وله:

وصاحب قال في معاتبتي ... وظن أن الملال من قبلي

قلبك قد كان شافعي أبدا ... يا مالكي كيف صرت معتزلي

فقلت إذ لج في معاتبتي ... ظلما وضاقت عن عذره حيلي

خدك ذا الأشعري حنفني ... فقال ذا أحمد الحوادث لي

قال ابن خلكان: بلغني أنه كان يستحضر " الجمهرة " لابن دريد. وله -[٩٤٠]- قصيدة طويلة هجا فيها خلقا من رؤساء دمشق وسماها " مقراض الأعراض " ونفاه صلاح الدين على ذلك. فقال:

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ٦٣٧/١٣

فعلام أبعدتم أخا ثقة ... لم يجترم ذنبا ولا سرقا

أنفوا المؤذن من بلادكم ... إن كان ينفى كل من صدقا

ودخل اليمن، ومدح صاحبها سيف الإسلام طغتكين أخا الملك صلاح الدين. ثم قدم مصر. ورأيته بإربل، وقدمها رسولا من الملك المعظم عيسى. وكان وافر الحرمة، ظريفا، من أخف الناس روحا. ولي الوزارة في آخر دولة المعظم ومدة سلطنة ولده الناصر بدمشق. ولما تملك الملك العادل، بعث إليه بقصيدة يستأذنه في الدخول إلى دمشق ويستعطفه، وهي:

ماذا على طيف الأحبة لو سرى ... وعليهم لو سامحوني بالكرى

جنحوا إلى قول الوشاة وأعرضوا ... والله يعلم أن ذلك مفترى

يا معرضا عني بغير جناية ... إلا لما اختلق الحسود وزورا

منها:

فارقتها لا عن رضا وهجرتها ... لا عن قلى ورحلت لا متخيرا

أشكو إليك نوى تمادى عمرها ... حتى حسبت اليوم منها أشهرا

ومن العجائب أن يقيل بظلكم ... كل الورى ونبذت وحدي بالعرا

لا عيشتي تصفو ولا رسم الهوى ... يعفو ولا جفني يصافحه الكرا

وله:

مال ابن مازة دونه لعفاته ... خرط القتادة وامتطاء الفرقد

مال لزوم الجمع يمنع صرفه ... في راحة مثل منادى المفرد

وقال أبو حفص بن الحاجب: اشتغل بطرف من الفقه على القطب النيسابوري، والكمال الشهرزوري. وقرأ الأدب على أبي الثناء محمود بن رسلان، وذكر أنه سمع ببغداد من منوجهر بن تركانشاه راوي " المقامات ". واشتغل بالري على ابن الخطيب. وكانت أدواته في الأدب كاملة. ذو نوادر للخاصة والعامة، وله الشعر الرائق، كان أوحد عصره في نظمه ونثره، يخرج -[٩٤١]- جدة معرض المزح، وقاد الخاطر على كبر السن. أقامه الملك المعظم مقام نفسه في ديوانه، كان محمود الولاية، كثير النصفة، مكفوف اليد عن أموال الناس مع عظم الهيبة، إلا أنه في الآخر ظهر منه سوء اعتقاد، وطعن على السلف، واستهتار بالشريعة، وكثر عسفه وظلمه، وترك الصلاة، وسب الأنبياء، ولم يزل يتناول الخمر إلى قبل وفاته بقليل. توفي في العشرين من ربيع الأول سنة ثلاثين.

قلت: وله ترجمة في " تاريخ ابن النجار " وقال: نظر في الديوان بدمشق مدة ولم تحمد سيرته، فعزل ولزم بيته عاجزا عن الحركة لعلو سنة. وهو من أملح أهل زمانه شعرا، وأحلاهم قولا وأرشقهم رصفا، ظريف العشرة، ضحوك السن، طيب الأخلاق، مقبول الشخص، من محاسن الزمان.". (١)

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ٩٣٩/١٣

٢٣٠-"-سنة تسع وستين وستمائة

في صفر توجه السلطان من مصر في بعض العسكر إلى عسقلان، فهدم بقية سورها المهمل من الأيام الصلاحية.

وورد عليه الخبر بأن عسكر ابن أخي بركة كسر عسكر أبغا.

ثم بلغه أن أهل عكا ضربوا رقاب جماعة من الأسارى، فأخذ أعيان من عنده من الأسرى فغرقهم في النيل، وكانوا مائة.

وفيها قبض السلطان على الملك العزيز ابن صاحب الكرك الملك المغيث.

وكان من كبار الأمراء بالقاهرة، فقبض عليه وعلى جماعة عزموا على سلطنته.

وفي جمادى الأولى ورد الخبر أن أبا نمي محمد بن أبي سعد بن علي بن قتادة أمير مكة تواقع هو وعمه إدريس، فاستظهر إدريس عليه وتفرد بإمرة مكة. -[٢٨]-

فذهب أبو نمي إلى ينبع، فاستنجد بصاحبها، وجمع وقصد مكة، فالتقيا، فحمل أبو نمي على عمه فطعنه رماه، ونزل فذبحه واستبد بإمرة مكة.

وفي جمادى الآخرة خرج السلطان بالجيش لقصد حصن الأكراد، فبدأ بالإغارة على اللاذقية، والمرقب، ومرقية، وتلك النواحي، وافتتح في ذلك صافيثا، والمجدل، ثم نزل على حصن الأكراد في تاسع عشر رجب، ونصبت المجانيق والستائر، وللحصن ثلاثة أسوار فأخذت الباشورة بعد يومين وأخذت الباشورة الثانية في سابع شعبان، وفتحت الثالثة الملاصقة للقلعة في نصف شعبان، وكان المحاصر لها الملك السعيد، وبيليك الخزندار، وبيسري الصالحي، ودخلوا البلد بالسيف، فأسروا من فيه من الجبلية والفلاحين، ثم أطلقهم السلطان وتسلم القلعة في الخامس والعشرين من شعبان بالأمان وترحل أهلها إلى طرابلس، ثم رتب الأفرم لعمارة الحصن، وصيرت الكنيسة جامعا.

وطلب صاحب أنطرسوس المهادنة، وبعث بمفاتيحها إلى السلطان، فصالحه على نصف ما يتحصل منها، وجعل عندهم نائبا وجاءت رسل صاحب المرقب، فصالحهم على النصف أيضا، وقررت الهدنة عشر سنين، وعشرة أشهر، وعشرة أيام.

ثم نزل السلطان على حصن ابن عكار، ونصبت المجانيق، ثم تسلمها بالأمان، وهي قلعة في واد بين جبال.

ثم خيم في رابع شوال على طرابلس، فسير إليه صاحبها يسأل عن سبب قصده، فقال: لأرعى زرعكم وأخرب بلادكم، ثم أعود لحصاركم، فبعث إليه يستعطفه، ثم هادنه عشر سنين.

وفي شوال جاء دمشق سيل عظيم مهول هدم البيوت، وأخذ النزال من الحجاج الروميين بين النهرين وجمالهم، وغرق جماعة، وذهب للناس شيء كثير، وكان ذلك بالنهار والشمس طالعة، والمشمش قد شرع، فغلقت أبواب المدينة، وطغى الماء وارتفع حتى بلغ أحد عشر ذراعا، وارتفع عند باب الفرج ثمانية أذرع، وكادت دمشق أن تغرق، وسدت الزيادة الأنهار بطين أصفر، ودخل الماء إلى البلد، وخرب خان ابن المقدم، وطلع الماء فوق أسطحة كثيرة -[٢٩]-

عند جسر باب توما، حتى بلغني أنه وجد فوق سطح سمكة ميتة، واصطادوا السمك من رواء العادلية عند دار ابن يغمور، وتحدثت العوام أن الذين هلكوا بالزيادة والردم فوق الألفين، ووجد في بساتين مرتفعة سمك في النقع إذا رأى الشخص ارتفاع تلك الأماكن زاد تعجبه، وحدثني رجل أن أهل الوادي الشرقي وجدوا جملا ميتا فوق أصل سفرجل، وضج الخلق بالبكاء والاستغاثة بالله، وكان يوما مشهودا وأشرف الناس على التلف، ثم لطف الله ورحم الناس وتناقص الماء، ولو ثبت ساعة

أخرى أو ارتفع ذراعا آخر لغرقت نصف دمشق.

ولبعضهم:

لقد أظهر الجبار بعض اقتداره ... فأرسل بحرا طاميا من بحاره

وأرعدها حتى توافت مياهها ... مطنبة محفوفة بازدجاره

وأهلك فيه خلقه وعبيده ... فأضحوا وهم غرقى بأقصى قراره

فكم من شباب مع نساء وصبية ... وكم من دواب قد صلين بناره

فسبحان من أبدى عجائب صنعه ... وأزعج كل الخلق عند ابتداره

وعاد بلطف منه عفوا ومنة ... فنسأله الزلفى غدا في جواره

وفي شوال قبل يوم الزيادة الموصوفة جاء الشيخ خضر شيخ السلطان إلى كنيسة اليهود، ومعه أمراء وأعيان والوالي، وأخرجوا اليهود منها يوم سبتهم وآذوهم، وقرأ القرآن بها غير واحد، ثم غنى المغنون، ورقص الناس بحضرة الشيخ خضر، وكان يوما عجيبا، ونهب كل ما فيها، وعمل الشيخ ثاني يوم بسيسة عظيمة بالسمن والعسل، وازدحم الخلق حتى ديست بالرجلين في الكنيسة، وفضلت ورميت في نهر قلوط. واتخذ الشيخ خضر الكنيسة زاوية له، وكان صاحب كشف وأحوال شيطانية، وجرى ما لا ينبغي، وسيأتي ذكر خضر في سنة ست وسبعين.

وجاء السلطان بالجيش في نصف شوال بعد الزيادة بيومين إلى دمشق، ولطف الله بهم إذ تأخروا عن الزيادة، وإلا كانت غرقت نصف الجيش وأكثر، فعزل السلطان ابن خلكان من القضاء بابن الصائغ، ثم سار بعد عشرة أيام، فنزل على القرين، ونصب عليها المجانيق، وصدق أهلها في القتال، ودام -[٣٠]-

الحصار جمعتين، ثم أخذت بالأمان وهدمت، وكانت من أمنع الحصون.

ثم سار السلطان بالجيش حتى أشرف على عكا، ورجع ودخل مصر في ثالث عشر ذي الحجة، ونابه في هذه السفرة فوق ثمانمائة ألف دينار، فلما دخل قبض على هؤلاء الأمراء الكبار: الحلبي، والمحمدي، وإيدغدي الحاجبي، والمساح، وبيدغان، وطرطح؛ لأنه بلغه عنهم أنهم هموا بالفتك به.

ومن عجيب الاتفاق أن مكة جاء بها زيادة وسيل عرمرم، بحيث أن الماء بلغ إلى فوق الحجر الأسود.

ومن العجائب أن مياه دمشق والعاصي والفرات قلت ونقصت نقصا مجحفا، حتى هلك شيء من الأشجار وبطلت الطواحين، وعملت طواحين بمدارات، وكانت الفواكة في هذه السنة قليلة.

ومما جرى في هذه السنة وقبلها وبعدها تولي القاضي نجم الدين ابن سني الدولة تدريس الأمينية، والقاضي عز الدين ابن الصائغ تدريس العادلية، وأخوه عماد الدين تدريس العذراوية، ورشيد الدين الفارقي الناصرية، والبرهان المراغي الركنية، والعز بن عبد الحق الأسدية، وتاج الدين عبد الرحمن المجاهدية، وأخوه شرف الدين الصارمية، والبهاء ابن النحاس القليجية، وابن عمه مجير الدين الريحانية، والوجيه ابن منجى المسمارية، والتقي التركماني المعظمية، والشمس ابن الكمال الضيائية، والعز عمر الأربلي الجاروخية، وشرف الدين ابن المقدسي العادلية الصغيرة.

وجهز السلطان وهو منازل حصن الأكراد سبعة عشر شينيا في البحر، عليها الرئيس ناصر الدين رئيس مصر، والهواري رئيس الإسكندرية، وعلوي رئيس دمياط، والجمال بن حسون مقدم على الجميع، لكونه بلغه أن صاحب قبرس قدم عكا، فاغتنم السلطان الفرصة وبعث هؤلاء إلى قبرس، فوصلوها ليلا، فهاجت عليهم ريح طردتهم عن المرسى وألقت بعض الشواني على بعض، فتحطمت وتكسر منها أحد عشر شينيا، وأسر من فيها من المقاتلة والبحارة، وكانوا نحوا من ألف وثمانمائة، وسلم ناصر الدين وابن حسون في الشواني السالمة. -[٣١]-

قال الشيخ قطب الدين: وفي ذي الحجة أمر السلطان بإراقة الخمور في بلاده، والوعيد على من يعصرها بالقتل، فأريق ما لا يحصر، وكان ضمان ذلك في ديار مصر خاصة ألف دينار في كل يوم.

قال: وفيها نزلت الفرنج على تونس انتصارا لأهل جنوة بسبب ما أخذ من أموالهم، فنازلها الفرنسيس في أربعمائة ألف منها: ستة وعشرون ألف فارس، وفيهم جماعة ملوك، ومجموع عده مراكبهم أربعمائة مركب، وقاتلتهم البربر والعربان والعوام فقتل ولد الفرنسيس.

وقيل إن الفرنسيس مات ولم يبق عندهم ملك يحكم عليهم، وطلبت الفرنج الصلح، فوقع الصلح على رد مال أهل جنوة.". (١)

٢٣١-"-سنة تسع وستين ومائتين

فيها توفي: أحمد بن عبد الحميد الحارثي، وحذيفة بن غياث، وإبراهيم بن منقذ الخولاني، وعبد الله بن حماد الآملي، ومحمد بن إبراهيم، أبو حمزة الصوفي، وأبو فروة يزيد بن محمد بن يزيد بن سنان.

وفي المحرم انكسفت الشمس والقمر.

وفيها قطعت الأعراب الطريق على الحجاج، فأخذت خمسمائة جمل بأحمالها.

وفيها وثب خلف الفرغاني على يازمان خادم الفتح بن خاقان، فحبسه بالثغر فوثب أهل الثغر فخلصوه، وهموا بقتل خلف، فهرب إلى دمشق، ولعنوا ابن طولون على منابر الثغر، فسار أحمد بن طولون من مصر حتى نزل أذنة، وقد تحصن بها يازمان الخادم، وفعل ذلك أهل طرسوس، فأقام ابن طولون مدة على أذنة، فلم يظفر بها بطائل، فعاد إلى دمشق.

وفيها افتتح لؤلؤ قرقيسياء عنوة، وأخذها من ابن صفوان العقيلي، وسلمها إلى أحمد بن مالك بن طوق. -[٢٥٢]-

وفيها دخل الموفق مدينة الخبيث عنوة. وكان الخبيث عند قتل بهبوذ أخذ تركته وأمواله، وضرب أقاربه بالسياط، ففسدت نيات خواصه لذلك، فعبر الموفق المدينة ونادى بالأمان فتسارع إليه أصحاب بهبوذ، فأحسن إليهم، ثم دخل المدينة بعد حرب شديد، وقصد الدار التي سماها الخبيث جامعا، فقاتل أصحابه دونه أشد قتال، حتى قتل منهم خلق، ثم هدم أصحاب الموفق في الدار، وهو يبذل الأموال في الجند لينصحوا، فهدموها وأتوا بالمنبر الذي للخبيث، ففرح وخرج إلى مدينته بعد أن نهب خزائن الخبيث، وأحرق الأسواق والدور. وذلك في جمادى الأولى. ورمي يومئذ الموفق بسهم فجرحه، ثم إنه أصبح على

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ٢٧/١٥

القتال، فزاد عليه الألم بالحركة، وخيف عليه، وخافوا قوة الخبيث عليهم، وأشاروا عليه بالرحيل إلى بغداد، فأبى وتصبر حتى عوفي وعاد لحرب الخبيث، وقد رم الخبيث ما وهى من مدينته.

وفي نصف جمادى الأولى شخص المعتمد من سر من رأى يريد اللحاق بابن طولون لأمر تقرر بينهما.

قال أحمد بن يوسف الكاتب: خرج أحمد بن طولون من مصر، وحمل معه ابنه العباس معتقلا، فقدم دمشق، وخرج المعتمد من سامراء على وجه التنزه، وقصده دمشق لاتفاق جرى بينه وبين ابن طولون، فلما بلغ ذلك الموفق كتب إلى إسحاق بن كنداج يقول: متى استولى ابن طولون على المعتمد لم يبق منكم معشر الموالي اثنان فاجتهد في رده. وكان ابن كنداج في نصيبين في أربعة آلاف، فصار إلى الموصل، فوجد حراقات المعتمد وقواده بموضع يقال له الدواليب، فوكل بهم هناك، وسار فلقي المعتمد بين الموصل والحديثة، فخرج إليه نحرير الخادم، وسلم عليه واستأذن فأذن له، فدخل ابن كنداج ومعه ابنه محمد وجماعة يسيرة، فسلم ووقف، وقال: يا إسحاق لم منعت الحشم من الدخول إلى الموصل؟ وكان بين يديه أحمد بن خاقان وخطارمش، فقال: يا أمير المؤمنين أخوك في وجه العدو، وأنت تخرج عن مستقرك ودار ملكك، ومتى صح عنده هذا رجع عن مقاومة الخارجي، فيغلب عدوك على دار آبائك. وهذا كتاب أخيك يأمرنا بردك. فقال: أنت غلامي أو غلامه؟ فقال: كلنا غلمانك ما -[٢٥٣]- أطعت الله، فإذا عصيته فلا طاعة لك وقد عصيت الله فيما فعلت من خروجك، وتسليط عدوك على المسلمين ثم خرج من المضرب ووكل به جماعة. ثم بعث إلى المعتمد يطلب ابن خاقان وخطارمش وتينك ليناظرهم. فبعث بهم إليه فقال: ما جنى أحد على الإسلام والخليفة ما جنيتم، أخرجتموه من دار ملكه في عدة يسيرة، وهارون الشاري بإزائكم في جمع كبير؟ فلو حضركم وأخذ الخليفة لكان عارا وسبة على الإسلام. ثم رسم عليهم، وبعث إلى الخليفة يقول: ما هذا بمقام، فارجع. فقال المعتمد: فاحلف لي أنك تنحدر معي ولا تسلمني. فحلف له، وانحدر إلى سامراء، فتلقاه صاعد بن مخلد كاتب الموفق، فسلمه إسحاق إليه، فأنزله في دار أحمد بن الخصيب، ومنعه من نزول دار الخلافة، ووكل به خمسمائة رجل يمنعون من الدخول إليه.

وأما الموفق فبعث إلى إسحاق بخلع وأموال، وأقطعه ضياع القواد الذين كانوا مع المعتمد.

وقال الصولي: كان المعتمد قد تخيل من أخيه الموفق، فكاتب ابن طولون واتفقا فذكر الحكاية كما تقدم.

وقال المعتمد:

أليس من العجائب أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه؟

وتوكل باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه؟

ولقب الموفق صاعدا: ذا الوزارتين، ولقب ابن كنداج: ذا السيفين.

وأقام صاعد في خدمة المعتمد، ولكن ليس للمعتمد حل ولا ربط.

ولما بلغ ابن طولون ذلك جمع القضاة والأعيان وقال: قد نكث الموفق أبو أحمد بأمير المؤمنين فاخلعوه من العهد. فخلعوه إلا القاضي بكار بن قتيبة؛ فإنه قال: أنت أوردت علي كتابا من المعتمد بولايته العهد، فأورد علي كتابا آخر منه بخلعه. فقال: إنه محجور عليه ومقهور. فقال: لا أدري. فقال ابن طولون: غرك الناس بقولهم: ما في الدنيا مثل بكار؛ أنت شيخ

قد خرفت. وحبسه وقيده، وأخذ منه جميع عطاياه من سنين، فكان عشرة آلاف دينار، فقيل: إنها وجدت في بيت بكار بختمها وحالها. وبلغ -[٢٥٤]- الموفق فأمر بلعنة ابن طولون على المنابر.

وفيها سار ابن طولون إلى المصيصة. وبها يازمان الخادم، فتحصن ونزل ابن طولون بالمرج والبرد شديد. فشق عليه يازمان نهر طرسوس، فغرق المرج وهلك غالب عسكر ابن طولون، فرحل وهو خائف، وخرج أهل طرسوس، فنهبوا بقايا عسكره، ومرض في طريقه مرضته التي مات فيها مغبونا. وولي الموفق إسحاق بن كنداج المغرب كله والعراق كله، وما كان بيد أحمد بن طولون.

وفيها عبر الموفق إلى الخبيث وأحرق قطعة من البلد، وجرح ابن الخبيث وكاد يتلف.

وفي شوال كانت بين الموفق والخبيث وقعة عظيمة. ولما رأى الخبيث أن الميرة قد انقطعت عنه وصعب أمره، وقل عنده الشيء، حتى كان أحدهم إذا وقع بامرأة أو صبي ذبحه وأكله. وكان الخبيث لا يعاقب من يفعل ذلك لكن يحبسه. ثم إن الموفق أحرق عامة البلد وقصر الإمارة، وخافت الزنج، فقاتلوا قتالا شديدا، ثم انهزموا، وعبر الخبيث إلى الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب، واستأمن إلى الموفق جماعة من القواد أصحاب الخبيث وخاصته، وفتحوا سجنا كبيرا كان للخبيث فيه خلق من عساكر المسلمين وأصحاب الموفق، فأطلقوهم.

وفي ذي القعدة دخل المعتمد إلى واسط.

وفيه سارت السفن والسماريات وجيوش الموفق على ترتيب لم ير مثله كثرة وأهبة، فلما رأى الخبيث ذلك بهره وزال عقله. وزحف الجيش نحو الخبيث، فالتقاهم في جيشه، والتحم القتال، وحمل الموفق وابنه والخواص، فهزموا الزنج، وقتلوا منهم مقتلة هائلة، وأسروا خلقا، فضربت أعناقهم. وقصد الموفق دار الخبيث، وقد التجأ إليها، وانتخب أنجاد أصحابه ليدافعوا عنها، فلما لم يغنوا عنه شيئا أسلمها، وتفرق عنه أصحابه، ونهبت داره وحرمه وأولاده، فهرب الخبيث نحو دار المهلبي قائده. وأتي بحريمه وذريته فكان عددهم أكثر من مائة، فأمر الموفق بحملهم إلى الموفقية وأحسن إليهم، وأمر بإحراق دار الخبيث. وكان عنده نساء علويات وحرائر قد استباحهن، وجاءه منهن أولاد. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.". (١)

٢٣٢-"البخاري المذكور، وهذا السند عال وقد روى عنه الأندلسيون ببجاية، لقصور سندهم عن هذا السند. روى عنه أبو بكر ابن محرز، فإن سند أبي بكر في البخاري، سند قاصر عن هذا السند، وهذا السند أعلى منه، وهو من أعلى الأسانيد ومن أحسن ما تلقى، وذكر الشيخ الصالح أبو عبد الله ابن القائد القصار رحمه الله، قال حضرت مع السيدين الصالحين، العالمين العاملين، أبي زكريا الزواوي، وأبي الحسن بن أبي نصر فتح بن عبد الله، نفع الله بهما ورضي عنهما، في عام خمسة وستمائة مجلسا، سأل فيه الشيخ أبو زكرياء الشيخ أبا الحسن عن رحلته إلى المشرق، وما رأى من الغرائب وما شاهد من العجائب، فقال له: حضرت بعض دروس العلم في عام اثنين وستمائة مع حفيد من حفدة سلالة الشيخ الطاهر المبارك عمار المعمر بما سبق له من بركة دعاء النبي، صلى الله عليه وسلم، ورغبت منه يرينيه لأتبرك به ففعل، ودخلت

---

(١) تاريخ الإسلام ت بشار ٦/٢٥١

معه إليه، رضي الله عنه، فوجدته في مهد ملفوفا بقطن وعيناه تتقدان كأنهما اليواقيت، ولحيته كحلاء وقد تجددت بعد سقوطها، فسلمت عليه فرد علي فقال له حفيده: يا جداه هذا طالب من المغرب يقرأ معي، ورغب مني أن يراك ويتبرك بك وتدعو له، قال: فدعا لي رضي الله عنه بصوت خفي مفهوم سمعته، وقلت له يا سيدي، أنت رأيت سيد الأولين والآخرين محمدا صلى الله عليه وسلم، فعساك تحدثني أرويه عنك وأرويه، فقال نعم، كان سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم يوصينا أن نكثر من القرآن بسور قلائل من". (١)

٢٣٣-"وأما ما بأيدي الناس من كتبنا في طريق الحقائق فمنها. (٣٥) كتاب التدبيرات الإلهية في إصلاح المملكة الإنسانية: حذوت فيه حذو أرسطو في كتاب سر الأسرار الذي ألفه للأسكندر، وبسبب ذلك الكتاب وضعت هذا السر إلى أخينا أبي محمد عبد الله بن الأستاذ المورورزي في ذلك. و (٣٦) كتاب سبب تعلق النفس بالجسم وما تقاسي من الألم عند فراقه بالموت. و (٣٧) كتاب إنزال الغيوب على مراتب القلوب فيما لنا من سجع وشعر. و (٣٨) كتاب الإسرا إلى المقام الأسرى. و (٣٩) كتاب مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية. و (٤٠) كتاب الجلي. و (٤١) كتاب المنهج السديد في ترتيب أحوال الإمام البسطامي أبي يزيد رضي الله عنه. و (٤٢) كتاب مفتاح أقفال الإلهام الوحيد، وإيضاح إشكال إعلام المريد في شرح أحوال الإمام البسطامي أبي يزيد رضي الله عنه. أمرني الحق تعالى بشرحها في النوم بساحل سبتة ببلاد المغرب، فقمت مبادرا قبيل الفجر، وكان لي ناسخان فأمليت عليهما وكتبا فما طلعت الشمس حتى تقيد منه كراستان. و (٤٣) كتاب أنس المنقطعين برب العالمين: وضعته لنفسي ولغيري. و (٤٤) كتاب الموعظة الحسنة مثله. و (٤٥) كتاب البغية في اختصار كتاب الحلية لأبي نعيم الحافظ مثله. وضعته في حق نفسي [٣ - ب]. و (٤٦) كتاب الدرة الفاخرة في ذكر من انتفعت به في طريق الآخرة. و (٤٧) كتاب المبادئ والغايات فيما تحوي عليه حروف المعجم **من العجائب** والآيات. و (٤٨) كتاب مواقع النجوم ومطالع أهله الأسرار والعلوم. و (٤٩) كتاب الانزالات الوجودية من الخزائن الجودية. و (٥٠) كتاب حلية الابدال وما يظهر عليها من المعارف والأحوال: وهو كتاب ساعة وضعته بالطائف بدرب أبي أمية: تكلمت فيه على الجوع والصمت والسهر والخلوة. و (٥١) كتاب أنوار الفجر في معرفة المقامات والعاملين على الأجر وعلى غير الأجر. وإنما سميته بهذا لأني لا أقيد منه حرفا إلا في وقت الفجر إلى أن يكاد يبدو حاجب الشمس. و (٥٢) كتاب الفتوحات المكية، وهو كتاب كبير في مجلدات مما فتح به علي في مكة،". (٢)

٢٣٤-"٦١٥٥ - (ز): قراد.

عن شعبة.

وعنه عباس الدوري.

---

(١) عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ص/١٤٠

(٢) عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ص/١٦٧

وقع في الدارقطني خبر بهذا الإسناد وقال فيه: قراد شيخ من المصريين مجهول ، كذا في بعض النسخ ، وهو **من العجائب!**!
فإن قرادا هذا هو أبو نوح واسمه عبد الرحمن بن غزوان وهو مشهور من رجال التهذيب، ولا أظن مثله يخفى على الدارقطني.".
(١)

٢٣٥-"٧٠٨٦ - (ز): محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن الربيع بن محمد بن علي بن عبد الصمد أبو حامد القيسي الغرناطي.

رحل وسمع بمصر من أبي صادق المديني والرازي وببغداد من أبي العز بن كادش ، سمع منه أبو عبد الله الحسين بن المبارك الزبيدي ، وكتب عنه أبو الفضل بن شافع وأبو المحاسن القرشي، وغيرهم.

وكان شيخا فاضلا صنف كتابا في العجائب التي شاهدها ببلاد المغرب ومن شعره:

تكتب العلم وتلقي في سفط ... ثم لا تحفظ لا تفلح قط

إنما يفلح من يحفظه ... بعد فهم وتوق من غلط

وقال السلفي: سمع علي وبقراءتي كثيرا ، ثم سافر واتصل بي أنه مقيم بباب الأبواب.

وقال أبو المواهب بن صصرى: ذكر أبو حامد أنه ولد سنة ثلاث وسبعين وأربع مئة، وتوفي بدمشق سنة خمس وستين وخمس مئة وقد جاوز التسعين ، وكان يحكي حكايات **من العجائب** التي رآها في بلاده ، الله أعلم بصحتها وأما سماعه فصحيح. -[٣٠٢]-

وقال يوسف بن أحمد الحافظ: بلغني أن أبا القاسم بن عساكر تكلم في الغرناطي وما علمته إلا أمينا.

وقال ابن عساكر في تاريخه: كان كثير الدعاوي فذكر أنه رأى عجائب في بلاد شتى تستحيل في العقل لما يحكى عنه من الكذب.

وقال القطب: رأيت كتابه سماه تحفة الألباب.". (٢)

٢٣٦-"٧١٢٧ - (ز): محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن يزيد بن أبي السكن الجبائي أبو علي.

رأس المعتزلة وكبيرهم ومن انتهت إليه رياستهم.

أخذ، عن أبي يعقوب الشحام، وغيره.

وكان من رأيه تقديم أبي بكر على عمر وعثمان والوقف، عن أبي بكر وعلي.

توفي سنة ثلاث وثلاث مئة، وله ثمان وستون سنة.

وذكر النديم له سبعين تصنيفا منها: الرد على الأشعري في الرؤية وهو **من العجائب** لأن الأشعري كان من تلامذته ثم

---

(١) لسان الميزان ت أبي غدة ٣٩١/٦

(٢) لسان الميزان ت أبي غدة ٣٠١/٧

خالفه وصنف في الرد عليه فنقض هو بعض تصانيفه وله الرد على أبي الحسين الخياط والصالحي والجاحظ والنظام والبرذعي، وغيرهم من المعتزلة في ما خالفهم فيه.". [1]

٢٣٧-"الراشدي (ق ١٣هـ / ق ١٩م)

محمد العربي بن أويس بن محمد الغريس الراشدي: باحث، له اشتغال بالفقه والتاريخ. عاصر الاحتلال الفرنسي للجزائر فوصف ذلك في كتاباته. من آثاره "زهر البساتين في بيان الاسم الأعظم بالادلة والبراهين" (﵀١)
الرحموني (١١٥٢ - ١٢٤٢هـ / ١٧٣٩ - ١٨٢٦م.)

محمد الصالح بن سليمان بن محمد بن محمد بن أبي القاسم الطالب الرحموني العيسوي الزواوي: أديب، نحوي، مشارك في بعض العلوم، نسبته الى أولاد رحمون من شرفاء العش في "مشدالة". تعلم بتونس، وعاد، فدرس في جبل بني عيسى في جبل جرجرة. توفي عن نحو ٩٠ سنة. من آثاره "ميزان اللباب في قواعد البناء والإعراب" و"الدليل على الآجرومية" و"شرح على الأزهرية" و"المحتاج في شرح محاني السراج" للأخضري، و"رياض السعود في ما لله **من العجائب** والحدود" و"شرح البردة" و "شرح السلم" في المنطق. (﵀٢)

﵀ ______________

(﵀١) أوراق جزائرية.

(﵀٢) تعريف الخلف ٢: ٥٢٢ وشجرة النور ٣٨٢ والتحفة المرضية ٨٠ والاعلام ٧: ٢٣ ومعجم المؤلفين ١٠: ٨٣.". [2]

٢٣٨-"رسالة الشهور في الحقائق على طريقة علم

الحروف .... احمد بن علي البوني ٤٧
الرسالة اللامية .... أحمد بن علي البوني ٤٧
الرسالة النونية في الحقيقة الانسانية .... احمد بن علي البوني ٤٧
رسالة الهدهد .... ابن ابي حجلة (المستدرك)
رسالة القصد الى الله .... طاهر بن زيان القسنطيني ٢٩٢
رسائل اخوانيات .... عبد الرحمن رستم ١٤٧
رسائل في علم الخط .... طاهر الجزائري ١٠١

---

(١) لسان الميزان ت أبي غدة ٣٢٤/٧

(٢) معجم أعلام الجزائر ص/١٤٦

الرسائل الفائقة .... الحسن بن رشيق ١٥٠

رسائل في علم الميقات .... صالح بن احمد الجزائري ١٠٠

الرسم في قواعد الخط العربي .... محمد بن يوسف اطفيش ١٩

رصيف الازهار .... مالك حداد ٢٨١

رفع الاشكال .... الحسن بن رشيق ١٥٠

رفع العنا عن طالب الغنى .... احمد بن قاسم البوني ٤٩

رفع الغلط عن المخمس الخالي الوسط .... احمد بن محمد المقري ٣٠٩

الرمز الكفيل بذكر عقائد أهل الدليل .... شعيب التلمساني ٦٩

الروض الأريض في علم القريض .... احمد النقاوسي

روضة الآس العاطرة الانفاس في ذكر من لقيته

من أعلام مراكش وفاس .... احمد بن محمد (المقري) ٣٠٩

الروض البهيج في مسألة الخليج .... (ابن مرزوق الحفيد) ٢٩٠

الروضة .... (ابن مرزوق الحفيد) ٢٩٠

روضة الاريب في شرح التهذيب .... (ابن مرزوق الحفيد) ٢٩٠

روضة الانوار ونزهة الاخيار .... عبد الرحمن الثعالبي ٩٠

الروضة الموشية في شعراء المهدية .... الحسن بن رشيق ١٥٠

الروض البهيج بالنظر في امور العزوبة والتزويج .... مصطفى العنابي ٢٤٥

روضة النسرين في مناقب الاربعة الصالحين .... ابن صعد ١٩٥

رياض الانس .... عبد الرحمن الثعالبي ٩٠

رياض السعود في ما لله **من العجائب** والحدود .... محمد الصالح الرحموني ١٤٦

رياض الصالحين .... عبد الرحمن الثعالبي ٩٠

ريحانة الحبوب في عمل السطوح والجيوب .... محمد بن علي السنوسي ١٧٩

حرف الزاء

زاد المسير الى دار المصير .... احمد بن قاسم البوني .... ٤٩". [1]

---

(١) معجم أعلام الجزائر ص/٣٩٠

٢٣٩-"رقم الترجمة/ ٢١ «أحمد بن علي» (رحمه الله١) ت ٨٤٥ هـ

هو: أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم، أبو الحسن بن عبد الصمد بن تميم، القاهري، قال «ابن حجر» إنه رأى بخطه ما يدل على أن مولده كان في سنة ست وستين وسبعمائة بالقاهرة. ونشأ بها نشأة حسنة، وحفظ القرآن، وأخذ العلم عن جماعة من خيرة العلماء، أمثال «الآمدي والبلقيني والعراقي والهيثمي» وغير ذلك، فقد وجد بخطه أن كبار شيوخه بلغت ستمائة نفس.

حبب إلى «أحمد بن علي» الرحلة إلى بعض العواصم العربية والإسلامية من أجل التزود من العلم كما هي عادة خيرة العلماء، فرحل إلى مكة، وحج واعتمر، وسمع من علمائها، ثم رحل إلى الشام وسمع الكثيرين من شيوخها، ولقي الكبار، وجالس الأئمة، وتفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة ثم بعد فترة من الزمن تحول شافعيا، ودرس فقه الإمام الشافعي رضي الله عنه، ثم دخل دمشق مرارا، مع ولده «الناصر» وتولى بها التدريس، ثم أعرض عن جميع ذلك. وبعد هذه الجولة الواسعة التي طوف فيها الكثير من المدن عاد إلى القاهرة، وأقام بها، وعكف على الاشتغال بالتاريخ حتى اشتهر به، وبعد فيه صيته، وصارت له فيه جملة تصانيف مثل: «الخطط والآثار للقاهرة» وهو من أحسن الكتب وأنفعها، وفيه الكثير **من العجائب** والمواعظ.

ومن مؤلفاته: «درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة» ذكر فيه من عاصره، وكتاب «إمتاع الأسماع بما للرسول صلى الله عليه وسلم من الأبناء والحفدة والمتاع»، و «عقد جواهر الأسفاط في ملوك مصر والفسطاط»، و «الإلمام فيما

رحمه الله________________

(رحمه الله١) انظر ترجمته في البدر الطالع ج ١، ص ٧٩. ورقم الترجمة ٤٦.". (١)

٢٤٠-"إعجاز البيان في تفسير أم القرآن ، ص : ٣١١

أحدهما : عزة المقام في نفسه لأنه من النادر وجدان من يناسب الحق في شؤونه ، بحيث يسره كل ما يفعله الحق وكأنه هو فاعله والمختار له بقصد معين. وغير ذلك مما لا يمكن التصريح به.

والأمر الآخر : كون « ١ » الطريق إلى تحصيل هذا المقام مجهولا « ٢ » ، ولما كان الإنسان لا يخلو نفسا واحدا عن طلب يقوم به لأمر ما ، والطلب وصف لازم لحقيقته لا ينفك عنه ، فليجعل متعلق طلبه مجهولا غير معين إلا من جهة واحدة ، وهو أن يكون متعلق طلبه ما شاء الحق إحداثه في العالم وفي نفسه أو « ٣ » غيره ، فما رآه أو سمعه أو وجده في نفسه أو عامله به أحد ، فليكن ذلك عين مطلوبه المجهول قد عينه له الوقوع ، فيكون قد وفى حقيقة كونه طالبا ، ويحصل له اللذة بكل واقع منه أو فيه أو في غيره أو من غيره.

فإن اقتضى ذلك الواقع التغير تغير لطلب الحق منه التغير ، فهو طالب الواقع ، والتغير « ٤ » هو الواقع ، ليس « ٥ » بمقهور فيه ولا مغضوب عليه ، بل ملتذ في تغيره ، كما هو ملتذ في الموجد « ٦ » للتغيير ، وما ثم طريق إلى

____

(١) معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ ٦٢/٢

تحصيل هذا المقام إلا ما ذكر ، فافهم.

وما رأيت بعد الشيخ رضي الله عنه من قارب هذا إلا شيخا « ٧ » واحدا اجتمعت به في المسجد الأقصى ، ثم في موضع آخر ، هو من أكبر من لقيت ، أعرف له **من العجائب** ما لا يقبله أكثر العقول. صحبته وشاهدت من بركاته في نفسي وفي ذوقي غرائب رضي الله عنه.

---

(١). ق : يكون.

(٢). ق ، ه : مجهول.

(٣). ق : أو في.

(٤). ه : التغيره.

(٥). ه : وليس.

(٦). ه : الموجب.

(٧). ق : شخصا.". [1]

٢٤١-"(١٤) - إن هؤلاء الكفرة المعاندين يطلبون أن تنزل عليهم الملائكة ليؤمنوا لك ، ولكنهم لن يؤمنوا ، حتى إننا لو فتحنا عليهم بابا من أبواب السماء فظلوا يصعدون في ذلك الباب فيرون من في السماء من الملائكة ، وما فيها **من العجائب** لما صدقوا بذلك .

يعرجون - يصعدون فيرون الملائكة **والعجائب** .". [2]

٢٤٢-"﴿ لآية ﴾

(٦٧) - وفي هذه القصة ، وما فيها **من العجائب** ، والنصر ، والتأييد لعباد الله المؤمنين ، لدلالة واضحة وحجة قاطعة على قدرة الله تعالى ، وعلى صدق موسى ، ولكن أكثرهم لم يؤمنوا مع أنهم رأوا بأعينهم هذه الآيات العظام الباهرة .". [3]

٢٤٣-"والتفكر في القرآن نوعان: تفكر فيه ليقع على مراد الرب، وتفكر في معاني ما دعا عباده إلى التفكر فيه، وإذا تأملت ما دعا سبحانه عباده إلى التفكر فيه أوقعك على العلم به وبأسمائه وصفاته، ورحمته، وإحسانه، وبره ورضاه،

---

(١) إعجاز البيان في تفسير أم القرآن نسخة معدلة ص/٣١١

(٢) أيسر التفاسير لأسعد حومد ص/١٨١٧

(٣) أيسر التفاسير لأسعد حومد ص/٢٨٨١

وغضبه وثوابه وعقابه، فبهذا تعرف إلى عباده وندبهم إلى التفكر في آياته، ونذكر لذلك أمثلة مما ذكرها الله سبحانه في كتابه ليستدل بها على غيره، فمن ذلك خلق الإنسان، وقد ندب سبحانه إلى التفكر فيه، والنظر في غير موضع من كتابه، كقوله تعالى: ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ ، وقال: ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ﴾ الآية، وقال: ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ إلى آخر السورة، وساق آيات أخرى.

ثم قال: وهذا كثير في القرآن يدعو إلى العبد إلى النظر والفكر في مبدئ خلقه ووسطه وآخره، إذ نفسه وخلقه من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه، وفيها من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه وهو غافل عنه معرض عن التفكر فيه، ولو فكر في نفسه لزجره ما يعلم من عجائب خلقه.". [1]

٢٤٤-"وقوله تعالى: ﴿ ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا ﴾ ذلك أنه جاهل لا يعرف مصائر الأمور وعواقبها، فيدعو في حال ضجره وغضبه على نفسه وأولاده وأهله وماله بما لا يحب أن يستجاب له فيه كما يدعو لنفسه بالخير، بأن يرزقه ويهب له أولادا ويعافيه، ولو استجيب له في دعائه بالشر لهلك، ولكن الله من لطفه بعباده لا يستجيب له في ذلك، كما قال تعالى: ﴿ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم ﴾ ، وفي الحديث: «لا تدعوا على أنفسكم ولا على أموالكم أن توافقوا من الله ساعة إجابة يستجيب فيها».

وقوله جل وعلا: ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا ﴾ لما ذكر جل وعلا دلائل التوحيد والنبوة أكدها بدليل آخر من عجائب صنعه وبدائع خلقه، فقال: ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ﴾ وذلك لما فيهما من الإضاءة والإظلام مع تعاقبهما وسائر ما اشتملا عليه من العجائب التي تحار في وصفها الأفهام.

ومعنى كونهما آيتين أنهما يدلان على وجود الصانع وقدرته وحكمته ورحمته ودليلين للخلق على مصالح الدين والدنيا، فلا تتم مصالح الدنيا إلا بهما، قال تعالى: وهو الذي جعل الليل والنهار فيه قولان للعلماء: أحدهما: أن آية الليل: القمر ومحوها ما في بعض القمر من الإسوداد.

وإلى هذا ذهب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابن عباس في آخرين، والثاني: أن آية الليل محيث بالظلمة التي جعلت ملازمة لليل، فنسب المحو إلى الظلمة إذ كانت تمحو الأنوار وتبطلها.". [2]

٢٤٥-"ولما سمع البشارة هزه الفرح فقال : يا ﴿رب أنى يكون لي غلام﴾ أي : من أين يكون لي غلام ؟ ! قاله استعظاما أو تعجبا أو استفهاما عن كيفية حدوثه. هل مع كبر السن والعقم ، أو مع زوالهما. ﴿وقد بلغني الكبر﴾ ، وكان

---

(١) الأنوار الساطعات لآيات جامعات ١٤٦/١

(٢) الأنوار الساطعات لآيات جامعات ٣/٣

له تسع وتسعون سنة ، وقيل : مائة وعشرون ، ﴿وامرأتي عاقر﴾ لا تلد ، ولم يقل : عاقرة ، لأنه وصف خاص بالنساء.
قال له جبريل : ﴿كذلك الله يفعل ما يشاء﴾ **من العجائب** والخوارق ، فيخلق الولد من العاقر والشيخ الفاني ، أو الأمر كذلك ، أي : كما أخبرتك ، ثم استأنف : ﴿الله يفعل ما يشاء﴾.
ولما تحقق بالبشارة طلب العلامة ، فقال : ﴿رب اجعل لي آية﴾ أعرف بها حمل المرأة ، لاستقبله بالبشاشة والشكر ، ﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام﴾ أي : لا تقدر على كلام الناس ثلاثا ، فحبس لسانه عن الكلام دون الذكر والشكر ، ليخلص المدة للذكر والشكر ، ﴿إلا رمزا﴾ بيد أورأس أو حاجب أو عين. ﴿واذكر ربك كثيرا﴾ في هذه المدة التي حبست فيها عن الكلام ، وهو يبين الغرض من الحبس عن الكلام. وتقييد الأمر بالكثرة يدل على أنه لا يفيد التكرار. ﴿وسبح بالعشي﴾ أي : من الزوال إلى الغروب ، أو من العصر إلى جزء الليل ، ﴿والإبكار﴾ ؛ من الفجر إلى الضحى ، وقيل : كانت صلاتهم ركعتين في الفجر وركعتين في المغرب ، ويؤيد هذا قوله تعالى في الآية الأخرى : ﴿فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا﴾ [مريم : ١١]. والله تعالى أعلم.
". (١)

٢٤٦-"﴿إن هو إلا نذير مبين﴾ أي : بين الإنذار واضح أمره ، لا يخفى على ناظر. ﴿أو لم ينظروا﴾ نظر استدلال ﴿في ملكوت السماوات والأرض﴾ أي : في عظمتهما وما اشتملتا عليه **من العجائب** ، ﴿وما خلق الله من شيء﴾ أي : وينظروا فيما خلق الله من شيء من الأجناس التي لا يمكن حصرها ، لتدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها ، وعظم شأن مالكها ومتولي أمرها ، ليظهر لهم صحة ما يدعوهم إليه.
﴿وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾ أي : أو لم ينظروا أيضا في اقتراب أجلهم وتوقع حلول الموت بهم ، فيسارعوا إلى طلب الحق ، والتوجه إلى ما ينجيهم من عذابه ، قبل مفاجأة الموت ونزول العذاب. ﴿فبأي حديث بعده﴾ أي : بعد القرآن ، ﴿يؤمنون﴾ إن لم يؤمنوا به ، وهو النهاية في البيان ؟ كأنه إخبار عنهم بالطبع على القلوب والتصميم على الكفر ، بعد إلزام الحجة والإرشاد إلى النظر ، وقيل : هو متعلق بقوله : ﴿وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾ ؛ كأنه قيل : لعل أجلهم قد اقترب ، فما لهم لا يبادرون بالإيمان
٤٢٢
بالقرآن ، وماذا ينتظرون بعد وضوحه ؟ وإن لم يؤمنوا به فبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به ؟ !.. قاله البيضاوي.
ثم بين أن أمرهم بيده ، فقال : ﴿من يضلل الله فلا هادي له﴾ أصلا ، ولا يقدر أحد عليه ، ﴿ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ : يتحيرون. ومن قرأ بالياء فمناسب لقوله : ﴿من يضلل﴾ ، ومن جزمه فعطف على محل : ﴿فلا هادي له﴾ ؛ لأنه جواب الشرط.
جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٢٢

---

(١) البحر المديد. موافق للمطبوع ١/٤٢٠

". (١)

٢٤٧-"يقول الحق جل جلاله : ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ ؛ هم قوم ثمود ، والحجر : واديهم الذي يسكنونه ، وهو بين المدينة والشام ، كذبوا صالحا عليه السلام ، ومن كذب واحدا من الرسل فكأنما كذب الجميع ؛ لأنهم جاؤوا بأمر متفق عليه ، وهو التوحيد أو يراد به الجنس ، كما تقول : فلان يركب الخيل ، وإنما يركب فرسا واحدا ، أو يراد به صالح ومن معه من المؤمنين ؛ لموافقتهم له فيما يدعو له. ﴿وآتيناهم آياتنا﴾ يعني : الناقة ، وما كان فيها **من العجائب** ، كسقيها وشربها ودرها ، أو ما نزل على نبيهم من الكتب ، أو ما نصب لهم من الأدلة. ﴿فكانوا عنها معرضين﴾ : لم ينظروا فيها ، ولم يعتنوا بأمرها.
﴿وكانوا ينحتون﴾ : يصنعون ، والنحت : النقر بالمعاول في الحجر والعود وشبهه ، فكانوا يتخذون ﴿من الجبال﴾ ؛ بالنقر فيها ، ﴿بيوتا﴾ يسكنونها ﴿آمنين﴾ من الانهدام ، ونقب اللصوص ، وتخريب الأعداء ؛ لوثوقها. أو من العذاب ؛ لفرط غفلتهم ، أو حسبانهم أن الجبال تحميهم منه. ﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين﴾ : داخلين في وقت الصباح ، ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ من بناء البيوت الوثيقة ، واستكثار الأموال والعدد.
الإشارة : من علامة الغفلة عن الله : الإنكار على أولياء الله ، والإعراض عما خصهم الله تعالى به من الآيات وخوارق العادات ، كالعلوم اللدنية والمواهب القدسية ، وكمال المعرفة ، والرسوخ في اليقين ، وشهود رب العالمين مع الأشغال بعمارة هذه الدار ، ونسيان دار القرار ؛ كأنه أمن من الموت ؛ من شدة الاغترار. وسبب ذلك : عدم التفكر
٤٠٩
والاعتبار.
جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٠٩
". (٢)

٢٤٨-"قلت : ﴿وما﴾ : استفهامية ، مبتدأ ، و ﴿تلك﴾ : خبر ، أو بالعكس ، فما : خبر ، وتلك : مبتدأ ، وهو أوفق بالجواب. و ﴿بيمينك﴾ : متعلق بالاستقرار ؛ حالا ، أي : وما تلك قارة أو مأخوذة بيمينك ، والعامل معنى الإشارة. وقيل : ﴿تلك﴾ : موصولة ، أي : وما التي هي بيمينك ، والاستفهام هنا : إيقاظ وتنبيه له عليه السلام على مما سيبدو له **من العجائب** ، وتكرير النداء ؛ لزيادة التأنيس والتنبيه.
يقول الحق جل جلاله : ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ ، إنما سأله ؛ ليريه عظيم ما يفعل بها ؛ من قلبها حية ، فمعنى السؤال : تقريره على أنها عصي ، ليتبين له الفرق بين حالها قبل قلبها وبعده ، وقيل : إنما سأله ليؤنسه وينبسط معه ،

---

(١) البحر المديد . موافق للمطبوع ٥٨٣/٢

(٢) البحر المديد . موافق للمطبوع ٥٧٢/٣

فأجابه بقوله : ﴿هي عصاي﴾ ، نسبها لنفسه تحقيقا لوجه كونها بيمينه ، روي أنها كانت عصا آدم عليه السلام ، فأعطاها له شعيب ، حين قدمه لرعي غنمه ، على ما يأتي في سورة القصص. وكان في رأسها شعبتان ، وفي أسفلها سنان ، واسمها نبعة ، في قول مقاتل.

﴿أتوكأ عليها﴾ أي : أعتمد عليها إذا مشيت ، وعند الإعياء ، والوقوف على رأس قطيع الغنم ، ﴿وأهش﴾ أي : أخبط ﴿بها﴾ الورق من الشجر ؛ ليسقط ﴿على غنمي﴾ فتأكله. وقرئ بالسين ، وهو زجر الغنم ، تقول العرب : هس هس ، في زجرها ، وعداه بعلى ؛ لتضمنه معنى الإقبال والتوجه. ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ أي : حاجات أخرى من هذا الباب. قال ابن عباس : كان موسى عليه السلام يحمل عليها زاده وسقاءه ، فجعلت تأتيه وتحرسه ، ويضرب بها الأرض فتخرج ما يأكل يومه ، ويركز بها فيخرج الماء ، فإذا رفعها ذهب ، وكان يرد بها عن غنمه ونعمه الهوام بإذن الله ، وإذا ظهر له عدو حاربت وناضلت عنه ، وإذا أراد الاستسقاء من البئر أدلاها ، فطالت على طول البئر وصارت شعبتاها كالدول فيستقي بها ، وكان يظهر على شعبتيها كالشمعتين بالليل

٢٦٨

فيستضيء بها ، وإذا اشتهى ثمرة ركزها فتغصنت غصن تلك الشجرة ، وأورقت وأثمرت. فهذه المآرب.

". (١)

٢٤٩-"وقوله تعالى : ﴿لعلهم يهتدون﴾ أي : إلى البلاد المقصودة بتلك السبل ، أو إلى مصالحهم ومهماتهم. ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا﴾ من السقوط ، كقوله : ﴿ويمسك السمآء أن تقع على الأرض إلا بإذنه﴾ [الحج : ٦٥] ، أو من الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم ، أو من استراق السمع بالشهب ، كما قال : ﴿وحفظا من كل شيطان مارد﴾ [الصافات : ٧]. ﴿وهم﴾ أي : الكفار ﴿عن آياتها﴾ أي : عن الأدلة التي فيها ، كالشمس والقمر والنجوم ، وغير ذلك مما فيها **من العجائب** الدالة على وحدانيته تعالى وقدرته وحكمته ، التي بعضها محسوس ، وبعضها معلوم بالبحث في علمي الطبيعة والهيئة ، ﴿معرضون﴾ لا يتدبرون فيها ، فيقفون على ما هم عليه من الكفر والضلال ، فيؤمنون.

﴾

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣٤١

وهو الذي خلق الليل﴾ لتسكنوا فيه ، ﴿والنهار﴾ لتتصرفوا فيه ، ﴿والشمس﴾ لتكون سراج النهار ، ﴿والقمر﴾ ليكون سراج الليل ، وهذا بيان لبعض تلك الآيات التي هم عنها معرضون. وقوله : ﴿كل﴾ أي : كلهم ، والمراد : جنس الطوالع ، ﴿في فلك يسبحون﴾ أي : يسيرون سير العائم في الماء. عن ابن عباس رضي الله عنه : الفلك السماء ، وقيل : موج مكفوف تحت السماء ، يجري فيه الشمس والقمر والنجوم. وجمهور

٣٤٢

---

(١) البحر المديد . موافق للمطبوع ٤/٣٨٨

أهل الهيئة أن الفلك : جسم مستدير ، وأنهن تسعة ، وهل هي السماوات السبع ، فيكون الكرسي ثامنا ، والعرش تاسعا ، أو غيرهن ، فتكون تحت السماوات أو فوقها ؟ قولان لهم. والمراد هنا : الجنس ، كقولك : كساهم الأمير حلة ، أي : حلة حلة ، وجعل الضمير واو العقلاء ؛ لأن السباحة حالهم.

". (١)

٢٥٠-"(وتأمل (٢ وان هذا الإيماء بعد ذكر القصص كيف الحق من كذب رسول الله

!! من العرب وغهصم وممن) (٣!ا) قص ذكره من المكذبة، وتأمل (إفتتاح (٥!ؤ) ذكر الأشقياء بقصة إبليس وختمها بقصة العام وكلاهما ممن كفر على علم، وفي ذلك أعظم موعظة، قال الله تعالى أثر ذلك "من يهد الله فهو المنتدى... الآية" (الآعر(ف: ١٧٨ (فبدأ) (و؟ ان الاستجمابة لنبيه بذكر ما أنعم به عليه وعلى من استجواب له فقال تعالى: "المص كتمان أنزل إليك " آية: أ-٢) فأشار إلى فعمته بأنزال الكتاب الذ!ط جعله هدى للمتقين، وأشار هنا إلى ما يحمله وعلى) (٦ وان التسلية وشرح الصدور بما حوى (٧!ا) **من العجائب** والقصص مع كونه هدى ونورا فقال لافتا يكن في صدرك حرج منه " أي أنه قد تضمن مما احلناك عليه ما يرفع الحرج ويسلي النفوس لتنذر به؟ أنذر من قبلك ممن نقص خبر من الرسل ولتستن في إنذارك ودعائك وصبك بسنتهم وليتأيهر المؤمنون.

ثم أمر عباده بالاتباع لما أنزله فقال: لا اتبعوا ما أنزل إليكم من دولكم كل

بآية: ٣) فإن هلاك من فقص عليكم خ!! من الأم إنما كان لعدم الاتباع والركون إلى أوليائهم من شيامن الجن والإنس، ثم اتبع وتعالى) (٨ وان ذلك بقصة آدم عليه السلام ليتبين لعباده ما جرت ربه) (٩؟ ان سنته فيهم من تسلط الشيطان وكيده و(نه عدو لهم !!يابنط آدم لا يفتننكم الشيطان؟ أخرج أبويكم من الجنة كل بآية: ٢٧) موقع في قصة آدم هنا ما لم يقع في قصة البقرة من بسط ما أجل هناك، كتصرف اللعين بالحسد، وتصور خطبته وبخلقه من النار وطلبه) (٤٦٠)

(٢ و ١). (٣ و ١). (١٣٤). (و؟١). (٦ و ١). (١؟٧). (١٣٨). (١؟٩). (١٦٠).

فتأمل.

: بمن.

: سانحة. من.

: جرى. : ساقطة.

: ماقطة.

: لحلقه من الناري!لبة.

---

(١) البحر المديد ـ موافق للمطبوع ٤/٥٠٦

-٢١٣-". (١)

٢٥١-"تقدم، وإنما أفردت على حدتها ولم تنسق على قصص الرسل مع لأممهم) (ى ى في سورة و(حدة لفارقة مضمونها تلك القصص، وألا ترى) (٢١٦) أن تلك قصص إرسال من تقدم ذكرهم عليهم السلام كيفية تلقط قومهم لهم وإهلاك مكذبيهم، أما هذه القصة فحاصلها فرج بعد شدة، وتعريف بحسن عاقبة الصبر، فإنه تعالى امتحن يعقوب عليه السلام بفقد ابنيه وبصرف وشباب بنيه، ويمتحن يوسف عليه السلام بالجب والبيع وامرأة العزيز وفقد الأب والأخوة والسجن، ثم امتحن جمعهم بشمول الضرر وقلة ذات اليد لامسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوفأ لنا الكيل به (١ يس: ٨٨) ثم تدركهم الله بالفهم وجع كلهم ورد بصر أبيهم و("ول ف قلوبهم ورفع ما نزغ به الشيطان، وخلاص يوسف عليه والصلاة) (٢١٧) والسلام من كيد من كاده واكتنافه بالعصمة وبراعته عند الملك، وكل ذلك مما أعقبه جيل الصبر، وجلالة اليقين في حسن تلقط الأقدار بالتفويض والتسليم على توالي الأفتحان وطول الدم، ثم انجر في أثناء هذه القصة الجليلة إثابة امرأة العزيز ورجوعها إلى الحق وشهادتها ليوسف عليه السلام بما منحه الله من النزاهة عن كل ما يشين، ثم استخلاص العزيز إياه إلى ما أنجز في هذه القصة الجليلة **من العجائب** والعبر، !!لقد كان في ة ص ص !! عدة لأولي الشباب كل (١ يس: ١١١). فقد انفردت هذه القصة بنفسها و/ تناسب ما ذكر من. قصص نوح وهوديصاع ولوط وشعيب ومخيمى عليهم السلام، وما جرى من أممهئم، فلهذا فضلت عنهم (٢١٨). وقدأشار في (٢١٣) أ: أنهم.

(٢١٦). أ: الأخرى.

(٢١٧) . نقطة من: ب.

(٢١٨). يقول الشيخ عبد الله بن الصدد عن ! بل كر قصة يوسف في صورة مستقلة يكلدم تكملها كسائر القصص القرآني: أن هذه القصة نزلت بسبب سجل جمع "لقد كان ليوسف! و(خ!ته آيات للسائلين كل يدلك يقتض أن نأيها كلها في موضع و(حديلو أخرشء منها إلى صورة أخرى كان الجيب أرياف بالسؤال يذلك غص جائز،". (٢)

٢٥٢-"دقائق ما أوجده من جليل صنعه و(قتداره فقال: "الله يعلم ما تحمل كل أنثى..... الآيات إلى قوله "وما لكم من دونه من لال " (٨- ا أن ثم خوف عباده و(نذرهم ورغبهم "هو الذي يريكم البق خوفا وطمعا الآيات، (١٣ وما بعدها) وكل ذلك ر(جع إلى ما أودع سبحانه في السماوات والأرض وما بينهما من الآيات، وفي ذلك مما آمط السورة. ونبه تعالى على الآية الكبرى والمعجزة العظمى فقال: "ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموقف" لآية: ٣١) والماد لكان هذا القرآن) (٨م ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثير (" والنساء: ٨٢)، والتنبيه بعظيم هذه الآيات مناسب لمقتضى السورة من التنبيه بما أودع تعالى من الآيات في السماو(ت والأرض، وكأنه جل وتعالى

---

(١) البرهان في تفسير سور القرآن ص/٢٥١

(٢) البرهان في تفسير سور القرآن ص/٢٧٣

لما بين لهم عظيم ما أودع في السماو(ت والأرض وما بينهما من الآيات وبسط ذلك وأوضحه أردف ذلك بآية أخرى جامعة للآيات ومتسعة للاعتبار(ت فقال تعالى: !!ولو أن قرآنا سيرت به الجبال " فهو من نحو!!ان في السموات والأرض لآيات للمؤمنين (الجاثية: ٣)، "وفي أنفسكهه) والذاريات: ٢١)، أي لو فكرتم في آيات السماو(ت والأرض لاقلتكم كفتكم في بيان الطريق إليه، ولو فكرتم في أنفسكم وما أوح تعالى فيكم **من العجائب** !تفيغ، ومن عرف نفسه عرف ربه) .(٢٣٩)

(٨ ر ٢

(٢٣٩)

)."· (١)

٢٥٣-"سورة م!يم (٣٣٧)

لما قال تعالى: هـ!أم حسبت أن أصحاب الكهف والمقيم كانت من آياتنا

عجبا، والكهف: ٩) ثم أورد خاصم وخر الرجلين موسى والخضر (عليهما السلام) (٨ ر ٣)، وقصة ذي القرنين، اتبع سبحانه ذلك (٣٩ رد بقصص تضمنت **من العجائب** ما هو أشد عجبا و(خفى سببا فافتتح سورة مريم بيحيي بن زكريا وبضارة زكريا به بعد الشيخوخة وقطع الرجاء وعقر الزوج حتى سأل زكريا ى صتة!هـ، ومتعجبا!!أفى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقر(وقد بحث من الكبر عتيا" لآية: ٨) فأجابه (اللهم (٣٠٠) تعالى بأن ذلك عليه هين وأنه يجعل ذلك آية للناس وأمر هذا أعجب من القصص المتقدمة فكأن قد قيل: أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والمقيم كانو(من آياتنا عجبا نحن نخبرك بخهصم ونخهك بما هو أعجب وأغرب وأوضح أية وهو قصة لزكريا في ابنه يحيى) (اهـ ٣) عليهممالم السلام، وقصة عيسى وعليه السلام في كينونته بغير أب ليعلم أن الأسباب في الحقيقة لا يتوقف

(٧ روس. أمي مكية بإجماع، حمد قرأ جعفر ابن أر طالب طرفا مها في حفرة النجاح عندما تابعهم القرشيون إلى الحبشة!ر(دو(ايذاعمم بعد غهق! بدر والانتقام منم فبكى النجاض!ي يمن معه من الأساقفة حتى اخضليا لحاهم كمال:. أن هذايالذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة. انظر: سعد ابن هشام ا لم ٣٥٩.

ايجه مكاسبها لسورة الكهف اشكالها على نحو ما اشتملت عليه من أعاجيب القصص كقصة لامة يحمى

جمصة لمدة عيسى علما السلام يمر ما بينه المؤلف أيضا بيان.

(٣٣٨). أ: ساقطة.

(٣٣٩). ب: ذلك شبانه.

(٣٤٠). ب: ساقطة.

---

(١) البرهان في تفسير سور القرآن ص/٢٨١

(٣٤١). ب: يحي في ابنه زكريا.

- ٢٥١-". (١)

٢٥٤-"سورة الذا!بارز ٦٣٧)

لما ذكر سبحانه المو(عد (٦؟٨) الأخر(وية في سورة لاق كل وعظيم ظل الأحمرال

من لدن قوله: "وجاءت سكرة الموت بالحق إلى آخر السورة، بآية: ٩ ا-٤٥) ثم اتبع سبحانه ذلك بالقسم على صحة وقوعه وصدقه فقال تعالى: "والذاريات ذروا إلى قوله إنما توعدون لصادق وأن الدين لو(قهه) (الآيات: أ-٦) والدين إلجاء/ أي أنهم سيجازون على ما كان منهم ويوفون قسط أعمالهم "ولا (٩ ر ٦) تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون " لإبراهيم: ٤٢) (!انمالم نملي لهم ليزدادوا إثما" وآل عمر(ن: ١٧٨)، ولما أقمتم تعالى على صدق وعده ووقوع الجز(ء أعقب ذلك بتكذيبهم بالماء و(زدرائهم فقال: "يسألون (٦٦٠) أيان يوم الديغ) بآية: ١٢) ثم ذكر تعالى حال الفريقين و(نتهاء الطريقين إلى قوله: "وفي الأرض آيات للموقنن " لآية: ٢٠) فوبخ تعالى من لم يعمل فكره ولا بسط نظره فيما أوح سبحانه في العالم من العجائب، وأعقب بأشهر إشارات إلى أحمل (٦٦١) الأم وما أعقبهم تكذيبهم وكل هذا تنبيه لبسط النظر إلى قوله تعالى: "ومن كل ش!طء وخلقنا

(٦٥٧) هذه السورة الكريمة مكية في قول جميع الأئمة، يتجه ارتباطها بسالفتها أن سورة لازمه عندما عرضت لعلم الله عز وجل لما تكنه الضصائر! فيه السرائر، وأن الله عزيجل سيبعئهم !كلاسبهم بعد أن يكن قد صارو(رفاتا!!رابا، استهجنت هذا !!ئر واستغربت تمضية البعث بعد الموت إحدى القضايا التي نفر منها الكفار نفور(شديدا فجات

هذه السورة عقب تلك لتقيم الدلائل على قدرة الله عزيجل في خلقهم وبعثهم بما يلمسونه ويشاهد!!ه فابتدأت بقوله تعاقى: !!والذاريات د!و(، !! ي الرياح !!ذا قسم لافالحاملات قمر(، يمط السحب، لافالجا!يات سرا، يلي السفن !!فالمقسمات أملاكه وهي الملائكة، !!إن الدين لواقههه، أي الحساب والجزء الذي سيكون قطعا بعد الموت، فمن يسر هذه الخلوقات،- وأنتم كونها تتم ثم تنشأ من جديد- لقادر على!كلادتكم أحياء لعد موتكم..". (٢)

٢٥٥-"بسط الدلالات، وإيضاح البينات من يعذر إليهم زيادة في الاطلاع فأنبأ تعالى أن هذا رحمة فقال: "الرحمن علم القرآن " (الرحمان: ان ثم إذا تأملت سورة القمر وجدت خطابها وأعذارها خاصا ببنط آدم، بمشركي العرب منهم فقط (٤) فاتبعت بسورة الرحمن تنبيها للثقلين واعذاراً إليهم وتقريرا للجنس على ما أودع الله تعالى في العالم من العجائب والرإهين الساطعة فتكرر فيها التقرير والتنبيه بقوله تعالى: "فبأي آل ربكما تكذبان " خطابا للجنسين وإعذارا للثقلين فبان اتصالها بسورة القمر أشد البيان.

---

(١) البرهان في تفسير سور القرآن ص/٣١٢

(٢) البرهان في تفسير سور القرآن ص/٤١٥

سورة الواقعة (!هـ ٧٨)
لما تقدم الأعذار في السورتين المتقدمتين والتقرير على عظيم البر مهين ؤإعلم
في آخر سورة القمر أن كل واقع في العد/ فبقضائه سبحانه وقدره: "إنا كل ش!طء خلقناه بقدر. (القمر:٤٣) "وكل شكطء فعلوه في الزبر" والقمر: ٥٢) ؤاعلمهم سبحانه في الواقعة بانقسامهم الأخروي فافتتح بذكر الساعة (!اذا وقعت الواقعة إلى قوله كنغ أزواجا ثلاثة كل (الو(قعة: أ-٧) فتجردت هذه السورة للتعريف بأح!الهم

(٣) عبا (٧١٣)
ذات مضطربة في اليزيه
هذه السورة مكية، حمد ولد في فضلها أحاديث كندة منها ما رو(٥ أبو عبيد في فضائله والبيهقي في الشعر عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه يسلم قال من قرأ سورة البقعة/ تصبه فاقة أبدا. يدا حفرت ابن مرعي الوفاة قيل له ما تركت لبناتلث قال تركت لهن سورة الواقعة ا!التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزئي: ٢/٨٧، وروح العافي: ٢٧/ إ١١.
يوجه مناسبتها لما قبلها أن سورة الرحمن لما!فاضت في ذكر الجنان يما أعد الله يدها من الخط ست تشوقت". [1]

٢٥٦-"الفاعل وهذا شبه فيه السبب الذي هو بمعنى الباعث بالسبب الذي يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم وكلاهما يطلق عليه سبب.
ومن العجائب أنهم يسلمون أن أفعال الله تعالى لا تخلو عن الثمرة والحكمة ويمنعون أن تكون تلك الحكم عللا وأغراضا مع أن ثمرة فعل الفاعل العالم بكل شيء لا تخلو من أن تكون غرضا لأنها تكون داعيا للفعل ضرورة تحقق علم الفاعل وإرادته. ولم أدر أي حرج نظروا إليه حين منعوا تعليل أفعال الله تعالى وأغراضها.
ويترجح عندي أن هاته المسألة اقتضاها طرد الأصول في المناظرة فإن الأشاعرة لما أنكروا وجوب فعل الصلاح والأصلح أورد عليهم المعتزلة أو قدروا هم في أنفسهم أن يورد عليهم أن الله تعالى لا يفعل شيئا إلا لغرض وحكمة ولا تكون الأغراض إلا المصالح فالتزموا أن أفعال الله تعالى لا تناط بالأغراض ولا يعبر عنها بالعلل وينبئ عن هذا أنهم لما ذكروا هذه المسألة ذكروا في أدلتهم الإحسان للغير ورعي المصلحة.
وهنالك سبب آخر لفرض المسألة وهو التنزه عن وصف أفعال الله تعالى بما يوهم المنفعة له أو لغيره وكلاهما باطل لأنه لا ينتفع بأفعاله ولأن الغير قد لا يكون فعل الله بالنسبة إليه منفعة.
وهذا وقد نقل أبو إسحاق الشاطبي في الموافقات عن جمهور الفقهاء والمتكلمين أن أحكام الله تعالى معللة بالمصالح ودرء المفاسد وقد جمع الأقوال الشيخ ابن عرفة في تفسيره فقال هذا هو تعليل أفعال الله تعالى وفيه خلاف وأما أحكامه فمعللة.
الفائدة الثانية: أخذوا من قوله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ أن أصل استعمال الأشياء فيما يراد له

---
(١) البرهان في تفسير سور القرآن ص/٤٣٧

من أنواع الاستعمال هو الإباحة حتى يدل دليل على عدمها لأنه جعل ما في الأرض مخلوقا لأجلنا وامتن بذلك علينا وبذلك قال الإمام الرازي والبيضاوي وصاحب الكشاف ونسب إلى المعتزلة وجماعة من الشافعية والحنفية منهم الكرخي ونسب إلى الشافعي. وذهب المالكية وجمهور الحنفية والمعتزلة في نقل ابن عرفة إلى أن الأصل في الأشياء الوقف ولم يروا الآية دليلا قال ابن العربي في أحكامه إنما ذكر الله تعالى هذه الآية في معرض الدلالة والتنبيه على طريق العلم والقدرة وتصريف المخلوقات بمقتضى التقدير والإتقان بالعلم إلخ.

والحق أن الآية مجملة قصد منها التنبيه على قدرة الخالق بخلق ما في الأرض وأنه". [١]

٢٥٧-"لا خلاف في إثباته على الجملة دون تفصيل، وما عداها من الأوهام والمزاعم هو شيء لا أثر له وذلك كل عمل لا مباشرة له بذات من يراد سحره ويكون غائبا عنه فيدعى أنه يؤثر فيه، وهذا مثل رسم أشكال يعبر عنها بالطلاسم، أو عقد خيوط والنفث عليها برقيات معينة تتضمن الاستنجاد بالكواكب أو بأسماء الشياطين والجن وآلهة الأقدميين، وكذا كتابة اسم المسحور في أشكال. أو وضع صورته أو بعض ثيابه وعلائقه وتوجيه كلام إليها بزعم أنه يؤثر ذلك في حقيقة ذات المسحور، أو يستعملون إشارات خاصة نحو جهته أو نحو بلده وهو ما يسمونه بالأرصاد وذكر أبو بكر ابن العربي في القبس أن قريشا لما أشار النبي صلى الله عليه وسلم بأصبعه في التشهد قالوا هذا محمد يسحر الناس، أو جمع أجزاء معينة وضم بعضها إلى بعض مع نية أن ذلك الرسم أو الجمع لتأثير شخص معين بضر أو خير أو محبة أو بغضة أو مرض أو سلامة، ولا سيما إذا قرن باسم المسحور وصورته أو بطالع ميلاده، فذلك كله من التوهمات وليس على تأثيرها دليل من العقل ولا من الطبع ولا ما يثبته من الشرع، وقد انحصرت أدلة إثبات الحقائق في هذه الأدلة، **ومن العجائب** أن الفخر في التفسير حاول إثباته بما ليس بمقنع.

وقد تمسك جماعة لإثبات تأثير هذا النوع من السحر بما روى في الصحيحين عن قول عائشة أن لبيد بن الأعصم سحر النبي صلى الله عليه وسلم ورؤيا النبي صلى الله عليه وسلم أن ملكين أخبراه بذلك السحر، وفي النسائي عن زيد بن أرقم مثله مختصرا، وينبغي التثبت في عباراته ثم في تأويله، ولا شك أن لبيدا حاول أن يسحر النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان اليهود سحرة في المدينة وأن الله أطلع رسوله على ما فعله لبيد لتكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم في أبطال سحر لبيد وليعلم اليهود أنه نبي لا تلحقه أضرارهم وكما لم يؤثر سحر السحرة على موسى كذلك لم يؤثر سحر لبيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما عرض للنبي صلى الله عليه وسلم عارض جسدي شفاه الله منه فصادف أن كان مقارنا لما عمله لبيد بن الأعصم من محاولة سحره وكانت رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم إنباء من الله له بما صنع لبيد، والعبارة عن صورة تلك الرؤيا كانت مجملة فإن الرأي رموز ولم يرد في الخبر تعبير ما اشتملت عليه فلا تكون أصلا لتفصيل القصة.

ثم إن لتأثير هاته الأسباب أو الأصول الثلاثة شروطا وأحوالا بعضها في ذات الساحر وبعضها في ذات المسحور، فيلزم في الساحر أن يكون مفرط الذكاء منقطعا لتجديد المحاولات السحرية جسورا قوي الإرادة كتوما للسر قليل الاضطراب

---

(١) التحرير والتنوير ١/٣٧٥

للحوادث سالم البنية مرتاض الفكر خفي الكيد والحيلة، ولذلك كان غالب السحرة رجالا ولكن كان". (١)

٢٥٨-"والآية أيضا صريحة في أنه لم يحصل الشرطان معا: البلوغ والرشد، لا يدفع المال للمحجور. واتفق على ذلك عامة علماء الإسلام، فمن لم يكن رشيدا بعد بلوغه يستمر عله الحجر، ولم يخالف في ذلك إلا أبو حنيفة. قال: ينتظر سبع سنين بعد البلوغ فإن لم يؤنس منه الرشد أطلق من الحجر. وهذا يخالف مقتضى الشرط من قوله تعالى ﴿فإن آنستم منهم رشدا﴾ لأن أبا حنيفة لا يعتبر مفهوم الشرط،وهو أيضا يخالف القياس إذ ليس الحجر إلا لأجل السفه وسوء التصرف فأي أثر للبلوغ لولا أنه مظنة الرشد، وإذا لم يحصل مع البلوغ فما أثر سبع السنين في تمام رشده.
ودلت الآية بحم القياس على أن من طرأ عليه السفه وهو بالغ أو أختل عقله لأجل مرض في فكره، أو لأجل خرف م شدة الكبر، أنه يحجر عليه إذ علة التحجير ثابتة، وخالف في ذلك أيضا أبو حنيفة. قال: لا حجر على بالغ.
وحمك الآية شامل للذكور والإناث بطريق التغلب: فالأنثى اليتيمة إذا بلغت رشيدة دفع مالها إليها.
والتنكير في قوله ﴿رشدا﴾ تنكير النوعية، ومهناه إرادة نوع الماهية لأن المواهي العقلية متحدة لا أفراد لها، وإنما أفرادها اعتبارية باعتبار تعدد المحال أو تعدد المتعلقات، فرشد غير رشد عمرو، والرشد في المال غير الرشد في سياسة الأمة، وفي الدعوة إلى الحق، قال تعالى ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾ [هود:٩٧]، وقال عن قوم شعيب ﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ [هود:٨٧]. وماهية الرشد هي انتظام الفكر وصدور الأفعال على نحوه بانتظام، وقد علم السامعون أن المراد هنا الرشد في التصرف المالي، فالمراد من النوعية نحو المراد من الجنس، ولذلك ساوى المعرف بلام الجنس النكرة، **فمن العجائب** توهم الجصاص أن في تنكير رشدا دليلا لأبي حنيفة في عدم اشتراط حسن التصرف واكتفائه بالبلوغ، بدعوى أن الله رشدا ما وهو صادق بالعقل إذ العقل رشد في الجملة، ولم يشترط الرشد كله. وهذا ضعف في العربية، وكيف يمكن العموم في المواهي العقلية المحضة مع أنها لا أفراد لها. وقد أضيفت الأموال هنا إلى ضمير اليتامى: لأنها قوي اختصاصها بهم عندما صاروا رشداء فصار تصرفهم فيها لا يخاف منه إضاعا ما للقرابة ولعموم الأمة من الحق في الأموال.
وقوله ﴿ولا تأكلوها إسرافا﴾ عطف على ﴿وابتلوا اليتامى﴾ باعتبار ما اتصل به من الكلام في قوله ﴿فإن آنستم منهم رشدا﴾ الخ وهو تأكيد للنهي عن أكل أموال اليتامى". (٢)

٢٥٩-"أن يلم المؤمن بها، ولذلك اختلف السلف في تعيين الكبائر. فعن علي: هي سبع: الإشراك بالله، وقتل النفس، وقذف المحصنات، وأكل مال اليتيم، والفرار يوم الزحف، والتعرب بعد الهجرة. واستدل لجميعها بما في القرآن من أدلة جازم النهي عنها. وفي حديث البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم "اتقوا السبع الموبقات.." فذكر التي ذكرها علي إلا أنه جعل السحر عوض التعرب. وقال عبد الله بن عمر: هي تسع بزيادة الإلحاد في المسجد الحرام، وعقوق الوالدين.

---

(١) التحرير والتنوير ٦١٦/١

(٢) التحرير والتنوير ٣٣/٤

وقال ابن مسعود: هي ما نهى عنه من أول سورة النساء إلى هنا. وعن ابن عباس: كل ما ورد عليه وعيد نار أو عذاب أو لعنة فهو كبيرة. وعن ابن عباس: الكبائر ما نهى الله عنه كتابة. وأحسن ضبط الكبيرة قول إمام الحرمين: هي كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين وبضعف ديانته. ومن السلف من قال: الذنوب كلها سواء إن كانت عن عمد. وعن أبي إسحاق الإسفرائيني أن الذنوب كلها سواء مطلقا، ونفى الصغائر. وهذان القولان واهيان لأن الأدلة شاهدة بتقسيم الذنوب إلى قسمين، ولأن ما تشتمل عليه الذنوب من المفاسد متفاوت أيضا، وفي الأحاديث الصحيحة إثبات نوع الكبائر وأكبر الكبائر.

ويترتب على إثبات الكبائر والصغائر أحكام تكليفية: منها المخاطبة بتجنب الكبيرة تجنبا شديدا، ومنها وجوب التوبة منها عند اقترافها، ومنها أن ترك الكبائر يعتبر توبة من الصغائر، ومنها سلب العدالة عن مرتكب الكبائر، ومنها نقص حكم القاضي المتلبس بها، ومنها جواز هجران المتجاهر بها، ومنها تغيير المنكر على المتلبس بها. وتترتب عليها مسائل في أصول الدين: منها تكفير مرتكب الكبيرة عند طائفة من الخوارج، التي تفرق بين المعاصي الكبائر والصغائر، واعتباره منزلة بين الكفر والإسلام عند المعتزلة، خلافا لجمهور علماء الإسلام. **فمن العجائب** أن يقول قائل: إن الله لم يميز الكبائر عن الصغائر ليكون ذلك زاجرا للناس عن الإقدام على كل ذنب، ونظير ذلك إخفاء الصلاة الوسطى في الصلوات، وليلة القدر في ليالي رمضان، وساعة الإجابة في ساعات الجمعة، هكذا حكاه الفخر في التفسير، وقد تبين ذهول هذا القائل، وذهول ليفخر عن رده، لأن الأشياء التي نظروا بها ترجع إلى فضائل الأعمال التي لا يتعلق بها تكليف، فإخفاؤها يقصد منه الترغيب في توخي مظانها ليكثر الناس من فعل الخير، ولكن إخفاء الأمر المكلف به إيقاع في الضلالة، فلا يقع ذلك من الشارع.

والمدخل بفتح الميم اسم مكان الدخول، ويجوز أن يكون مصدرا ميما.". (١)

٢٦٠-"على سبيل الفرض، أي لو قاله واحد منهم مع العلم بأنهم لا يقولونه لأجل ما تقرر من شدة خشيتهم. فالمقصود من هذا الشرط التعريض بالذين ادعوا لهم الإلهية بأنهم ادعوا لهم ما لا يرضونه ولا يقولونه، وأنهم ادعوا ما يوجب لقائله نار جهنم على حد ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ .

وعدل عن "إن" الشرطية إلى "من" الشرطية للدلالة على العموم مع الإيجاز. وأدخل اسم الإشارة في جواب الشرط لتحقيق التعليق بنسبته الشرط لأداته للدلالة على جدارة مضمون الجزاء بمن ثبت له مضمون الشرط، وفي هذا إبطال لدعوى عامة النصارى إلهية عيسى عليه السلام وأنهم يقولون عليه ما لم يقله. ثم صرح بما اقتضاه التعريض فقال تعالى: ﴿كذلك نجزي الظالمين﴾ أي مثل ذلك الجزاء وهو جهنم يجزي المثبتين لله شريكا. والظلم: الشرك.

[٣٠] ﴿أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾ .

﴿أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما﴾

---

(١) التحرير والتنوير ٤/١٠٣

قرأ الجمهور ﴿أولم﴾ بواو بعد الهمزة وهي واو العطف، فالجملة معطوفة عطف الاستدلال على الخلق الثاني بالخلق الأول وما فيه **من العجائب**. وقرأ ابن كثير ﴿ألم ير﴾ بدون واو عطف. قال أبو شامة: ولم تثبت الواو في مصاحف أهل مكة. قلت: معناه أنها لم تثبت في المصحف الذي أرسل به عثمان إلى مكة فالتزم قراء مكة رواية عدم الواو إلى أن قرأ بها ابن كثير، وأهملت غير قراءته.

والاستفهام على كلتا القراءتين إنكاري، توجه الإنكار على إهمالهم للنظر.

والرؤية تحتمل أن تكون بصرية وأن تكون علمية. والاستفهام صالح لأن يتوجه إلى كلتيهما لأن إهمال النظر في المشاهدات الدالة على علم ما ينقذ علمه من التورط في العقائد الضالة حقيق بالإنكار، وإنكار أعمال الفكر في دلالة الأشياء على لوازمها حتى لا يقع أحد في الضلال جدير أيضا بالإنكار أو بالتقرير المشوب بإنكار كما سنفصله.

والرتق: الاتصال والتلاصق بين أجزاء الشيء.

والفتق: ضده وهو الانفصال والتباعد بين الأجزاء.". (١)

٢٦١-"يتوصلوا به إلى معرفة عظمة الله وتوقع عقابه لأن الدلالة على ذلك قائمة بأنفسهم وهل التصرف فيهم بالعقاب والإثابة إلا دون التصرف فيهم بالكون والفساد.

والأطوار: جمع طور بفتح فسكون، والطور: التارة، وهي المرة من الأفعال أو من الزمان، فأريد من الأطوار هنا ما يحصل في المرات والأزمان من أحوال مختلفة، لأنه لا يقصد من تعدد المرات والأزمان إلا تعدد ما يحصل فيها، فهو تعدد بالنوع لا بالتكرار كقول النابغة:

فإن أفاق لقد طالت عمايته ... والمرء يخلق طورا بعد أطوار

وانتصب ﴿أطوارا﴾ على الحال من ضمير المخاطبين، أي تطور خلقهم لأن ﴿أطوارا﴾ صار في تأويل أحوالا في أطوار.

[١٥-١٦] ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا، وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا﴾ .

إن كان هذا من حكاية كلام نوح عليه السلام لقومه كما جرى عليه كلام المفسرين، كان تخلصا من التوبيخ والتعريض إلى الاستدلال عليهم بآثار وجود الله ووحدانيته وقدرته، مما في أنفسهم من الدلائل، إلى ما في العالم منها، لما علمت من إيذان قوله: ﴿وقد خلقكم أطوارا﴾ [نوح:١٤] من تذكير بالنعمة وإقامة للحجة، فتخلص منه لذكر حجة أخرى فمان قد نبههم على النظر في أنفسهم أولا لأنها أقرب ما يحسونه ويشعرون به ثم على النظر في العالم وما سوي فيه **من العجائب** الشاهدة على الخالق العليم القدير.

وإن كان من خطاب الله تعالى للأمة وهو ما يسمح به سياق السورة من الاعتبار بأحوال الأمم الماضية المساوية لأحوال المشركين كان هذا الكلام اعتراضا للمناسبة.

والهمزة في ﴿ألم تروا﴾ للاستفهام التقريري مكنى به عن الإنكار عن عدم العلم بدلائل ما يرونه.

---

(١) التحرير والتنوير ٣٩/١٧

والرؤيا بصرية. ويجوز أن تكون علمية أي ألم تعلموا فيدخل فيه المرئي من ذلك. وانتصب ﴿كيف﴾ على المفعول به ل ﴿تروا﴾ ، ف ﴿كيف﴾ هنا مجردة عن الاستفهام متمحضة للدلالة على الكيفية، أي الحالة.
والمعنى: ألستم ترون هيئة وحالة خلق الله السماوات.". (١)

٢٦٢-"وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ومنها إثبات الوحدانية ألا ترى أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال فما أغنت عنهم آلهتهم اللاتي يدعون من دون الله من شيء ومنها الاعتبار في قدرة الله وشدة عقابه لمن كفر ومنها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه له بالتأسي بمن تقدم من الأنبياء كقوله ولقد كذبت رسل من قبلك ومنها تسليته عليه السلام ووعده بالنصر كما نصر الأنبياء الذين من قبله ومنها تخويف الكفار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفار الذين من قبلهم إلى غير ذلك مما احتوت عليه أخبار الأنبياء **من العجائب** والمواعظ واحتجاج الأنبياء وردهم على الكفار وغير ذلك فلما كانت أخبار الأنبياء تفيد فوائد كثيرة ذكرت في مواضع كثيرة ولكل مقام مقال الباب الرابع في فنون العلم التي تتعلق بالقرآن اعلم أن الكلام على القرآن يستدعي الكلام في اثني عشر فنا من العلوم وهي التفسير والقراءات والأحكام والنسخ والحديث والقصص والتصوف وأصول الدين وأصول الفقه واللغة والنحو والبيان فأما التفسير فهو المقصود بنفسه وسائر هذه الفنون أدوات تعين عليه أو تتعلق به أو تتفرع منه ومعنى التفسير شرح القرآن وبيان معناه والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو نجواه واعلم أن التفسير منه متفق عليه ومختلف فيه ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع الأول اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعنى فهذا عده كثير من المؤلفين خلافا وليس في الحقيقة بخلاف لاتفاق معناه وجعلناه نحن قولا واحدا وعبرنا عنه بأحد عبارات المتقدمين أو بما يقرب منها ... ٧". (٢)

٢٦٣-" ٥١ إشارة إلى حياة القتيل واستدلال بها على الإحياء للبعث وقبله محذوف لا بد منه تقديره ففعلوا ذلك فقام القتيل فائدة استدل المالكية بهذه القصة على قبول قول المقتول فلان قتلني وهو ضعيف لأن هذا المقتول قام بعد موته ومعاينة الآخرة وقصته معجزة للنبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فلا يتأتى أن يكذب المقتول بخلاف غيره واستدلوا ايضا بها على أن القاتل لا يرث ولا دليل فيها على ذلك قست قلوبكم خطابا لبني إسرائيل من بعد ذلك أي بعد إحياء القتيل وما جرى في القصة **من العجائب** وذلك بيان لقبح قسوة قلوبهم بعد ما رأوا تلك الآيات أو أشد عطف على موضع الكاف أو خبر ابتداء أي هي أشد وأو هنا إما للإيهام أو للتخيير كأن من علم حالها مخير بين أن يشبهها بالحجارة أو بما هو أشد قسوة كالحديد أو التفضيل أي فهم أقسى مع أن فعل القسوة ينبني منه أفعل لكون أشد أدل على فرط القسوة وإن من الحجارة الآية تفضيل الحجارة على قلوبهم يهبط أي يتردى من علو إلى أسفل والخشية عبارة عن انقيادها وقيل حقيقة وأن كل حجر يهبط فمن خشية الله أفتطمعون خطاب للمؤمنين أن يؤمنوا يعني اليهود وتعدى

---

(١) التحرير والتنوير ١٨٧/٢٩

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ١٠/١

باللام لما تضمن معنى الانقياد فريق منهم السبعون الذي يسمع كلام الله على الطور ثم حرفوه وقيل بنو إسرائيل حرفوا التوراة من بعد ما عقلوه وهم يعلمون بيان لقبح حالهم قالوا آمنا قالها رجل ادعى الإسلام من اليهود وقيل قالوها ليدخلوا إلى المؤمنين ويسمعوا إلى أخبارهم أتحدثونهم توبيخ بما فتح الله عليكم فيه ثلاثة أوجه بما حكم عليهم من العقوبات وبما في كتبهم من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وبما فتح الله عليهم من الفتح والإنعام وكل وجه حجة عليهم ولذلك قالوا ليحاجوكم به عند ربكم قيل في الآخرة وقيل أي في حكم ربكم وما أنزل في كتابه فعنده بمعنى حكمه أفلا تعقلون من بقية كلامهم توبيخا لقولهم ولا يعلمون ". (١)

٢٦٤-"١٤٨ سكرتهم يعمهون) الضمير لقوم لوط وسكرتهم ضلالهم وجهلهم ويعمهون أي يتحيرون فأخذتهم الصيحة أي صيحة جبريل وهي أخذه لهم مشرقين أي داخلين في الشروق وهو وقت بزوغ الشمس وقد تقدم تفسير ما بعد هذا من قصتهم في هود للمتوسمين أي للمتفرسين ومنه فراسة المؤمن وقيل للمعتبرين وحقيقة التوسم النظر إلى السيمة وإنها لبسبيل مقيم أي بطريق ثابت يراه الناس والضمير للمدينة المهلكة وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين أصحاب الأيكة قوم شعيب والأيكة الغيضة من الشجر لما كفروا أضرمها الله عليهم نارا وإنهما لبإمام مبين الضمير في إنهما قيل إنه لمدينة قوم لوط وقوم شعيب فالإمام على هذا الطريق أي إنهما بطريق واضح يراه الناس وقيل الضمير للوط وشعيب أي إنهما على طريق من الشرع واضح والأول أظهر أصحاب الحجر هم ثمود قوم صالح والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين ذكره بالجمع وإنما كذبوا واحدا منهم وفي ذلك تأويلان أحدهما أن من كذب واحدا من الأنبياء لزمه تكذيب الجميع لأنهم جاءوا بأمر متفق من التوحيد والثاني أنه أراد الجنس كقولك فلانا يركب الخيل وإن لم يركب إلا فرسا واحدا وآتيناهم آياتنا يعني الناقة وما كان فيها **من العجائب**

وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا النحت النقر بالمعاويل وشبهها في الحجر والعود وشبه ذلك وكانوا ينقرون بيوتهم في الجبال آمنين يعني آمنين من تهدم بيوتهم لوثاقتها وقيل آمنين من عذاب الله إلا بالحق يعني أنها لم تخلق عبثا فاصفح الصفح الجميل قيل إن الصفح الجميل هو الذي ليس معه عقاب ولا عتاب وفي الآية مهادنة للكفار منسوخة بالسيف ولقد آتيناك سبعا من المثاني يعني أم القرآن لأنها سبع آيات وقيل يعني السور السبع الطوال وهي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال مع براءة والأول أرجح لوروده في الحديث والمثاني مشتق من التثنية وهي". (٢)

٢٦٥-"إلى السموات السبع ليلة فرضت الصلوات الخمس ولقي الأنبياء في السموات الذي باركنا حوله صفة للمسجد الأقصى والبركة حوله بوجهين أحدهما ما كان فيه وفي نواحيه من الأنبياء والآخر كثرة ما فيه من الزروع والأشجار التي خص الله بها الشام لنريه من آياتنا أي لنري محمدا صلى الله عليه وسلم تلك الليلة **من العجائب** فإنه رأى السموات

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٩٧/١

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٦٣/٢

والجنة والنار وسدرة المنتهى والملائكة والأنبياء وكلمه الله تعالى حسبما ورد في أحاديث الإسراء وهي في مصنفات الحديث فأغنى ذلك عن ذكرها هنا وجعلناه هدى يحتمل أن يعود الضمير على الكتاب أو على موسى ألا تتخذوا من دوني وكيلا أي ... ٣٦٣". [١]

٢٦٦-"زاغ بصر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عما رآه من العجائب بل أثبتها وتيقنها وما طغى أي ما تجاوز ما رأى إلى غيره لقد رأى من آيات ربه الكبرى يعني ما رأى ليلة الإسراء من السموات والجنة والنار والملائكة والأنبياء وغير ذلك ويحتمل أن تكون الكبرى مفعولا أو نعتا لآيات ربه والمعنى يختلف على ذلك أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى هذه أوثان كانت تعبد من دون الله فخاطب الله من كان يعبدها من العرب على وجه التوبيخ لهم وقال ابن عطية الرؤيا هنا رؤية العين لأن الأوثان المذكورة أجرام مرئية فأما اللات فصنم كان بالطائف وقيل كان بالكعبة وأما العزى فكانت صخرة بالطائف وقيل شجرة فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها تدعو بالويل فضربها بالسيف حتى قتلها وقيل كانت بيتا تعظمه العرب وأصل لفظ العزى مؤنثة الأعز وأما مناة فصخرة كانت لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة وكانت أعظم هذه الأوثان قال ابن عطية ولذلك قال تعالى الثالثة الأخرى فأكدها بهاتين الصفتين وقال الزمخشري الأخرى ذم وتحقير أي المتأخرة ... ٦٧٠". [٢]

٢٦٧-"١٩٦ موضوعة) قد ذكرنا أكواب ومعنى موضوعة حاضرة معدة بشرابها وفي قوله مرفوعة وموضوعة مطابقة ونمارق جمع نمرقة وهي الوسادة وزرابي هي بسط فاخرة وقيل هي الطنافس واحدها زربية مبثوثة أي متفرقة وذلك عبارة عن كثرتها وقيل مبسوطة أفلا ينظرون إلى الإبل حض على النظر في خلقتها لما فيها من العجائب في قوتها وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف وصبرها على العطش وكثرة المنافع التي فيها من الركوب والحمل عليها وأكل لحومها وشرب ألبانها وأبوالها وغير ذلك وقيل أراد بالإبل السحاب وهذا بعيد وإنما حمل قائلة عليه مناسبتها للسماء والأرض والجبال والصحيح أن المراد الحيوان المعروف وإنما ذكره لما فيه من العجائب ولاعتناء العرب به إذ كانت معايشهم في الغالب منه وهو أكثر المواشي في بلادهم لست عليهم بمصيطر أي قاهر متسلط وهذا من المنسوخ بالسيف إلا من تولى استثناء منقطع معناه لكن من تولى وكفر فيعذبه الله وقيل هو استثناء من مفعول فذكر والمعنى ذكر كل أحد إلا من تولى حتى يئست منه فهو على هذا متصل وقيل هو استثناء من قوله لست عليهم بمسيطر أي لا تسلط إلا على من تولى وكفر وهو على هذا متصل ولا نسخ فيه إذ لا موادعة فيه وهذا بعيد لأن السورة مكية والموادعة بمكة ثابتة إن إلينا إيابهم أي رجعوهم والآية تهديد

سورة الفجر

والفجر

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٩٨/٢

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٩٧/٣

أقسم الله تعالى بالفجر وهو الطالع كل يوم كما أقسم بالصبح وقيل أراد صلاة الفجر وقيل أراد النهار كله وقيل فجر يوم الجمعة وقيل فجر يوم النحر وقيل فجر ذي الحجة ولا دليل على هذه التخصيصات وقيل أراد انفجار العيون من الحجارة وهذا بعيد والأول أظهر وأشهر وليال عشر هي عشر ذي الحجة عند الجمهور وقيل العشر الأول من المحرم وفيها عاشوراء وقيل العشر الأواخر من رمضان وقيل العشر الأول منه والشفع والوتر روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة وروى عنه". (١)

٢٦٨-"٢٠٨ سورة العلق

(نزل صدرها بغار حراء وهو أول ما نزل من القرآن حسبما ورد عن عائشة في الحديث الذي ذكرناه في أول الكتاب اقرأ باسم ربك فيه وجهان أحدهما أن معناه اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك أو متبركا باسم ربك وموضع باسم ربك نصب على الحال ولذا كان تقديره مفتتحا فيحتمل أن يريد ابتدإ القراءة بقول بسم الله الرحمن الرحيم أو يريد الابتداء باسم الله مطلقا والوجه الثاني أن معناه اقرأ هذا اللفظ وهو باسم ربك الذي خلق فيكون باسم ربك مفعولا وهو المقروء الذي خلق حذف المفعول لقصد العموم كأنه قال الذي خلق كل شئ ثم خصص خلقة الإنسان لما فيه من العجائب والعبر ويحتمل أنه أراد الذي خلق الإنسان كما قال الرحمن علم القرآن خلق الإنسان ثم فسره بقوله خلق الإنسان من علق والعلق جمع علقة وهي النطفة من الدم والمراد بالإنسان هنا جنس بني آدم ولذلك جمع العلق لما أراد الجماعة بخلاف قوله فإنا خلقناكم من نطفة ثم من علقة لأنه أراد كل واحد على حدته ولم يدخل آدم في الإنسان هنا لأنه لم يخلق من علقة وإنما خلق من طين اقرأ وربك الأكرم كرر الأمر بالقراءة تأكيدا والواو للحال والمقصود تأنيس النبي صلى الله عليه وسلم كأنه يقول افعل ما أمرت به فإن ربك كريم وصيغة أفعل للمبالغة الذي علم بالقلم هذا تفسير للأكرم فدل على أن نعمة التعليم أكبر نعمة وخص من التعليمات الكتابة بالقلم لما فيها من تخليد العلوم ومصالح الدين والدنيا وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم يحتمل أن يريد بهذا التعليم الكتابة لأن الإنسان لم يكن يعلمها في أول أمره أو يريد التعليم لكل شئ على الإطلاق وقيل إن الإنسان هنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والأظهر أنه جنس الإنسان على العموم كلا إن الإنسان ليطغى نزل هذا وما بعده إلى آخر السورة في أبي جهل بعد نزول صدرها بمدة وذلك أنه كان يطغى بكثرة ماله ويبالغ". (٢)

٢٦٩-"السورة السابقة ... التعريف بسور القرآن الكريم ... سورة - ١٣ / ١١٤ - ... السورة التالية

سورة الرعد ١٣/١١٤

سبب التسمية :

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٣/٣١٧

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى ٣/٣٤١

سميت " سورة الرعد " لتلك الظاهرة الكونية العجيبة التي تتجلى فيها قدرة الله وسلطانه فالماء جعله الله سبب الحياة و أنزله بقدرته من السحاب والسحاب جمع الله فيه بين الرحمة والعذاب فهو يحمل المطر ويحمل الصواعق وفي الماء الإحياء وفي الصواعق الإفناء وجمع النقيضين **من العجائب** كما قال القائل جمع النقيضين من أسرار قدرته هذا السحاب به ماء و به نار فما أجل وأعظم قدرة الله .

التعريف بالسورة :

١) مدنية .

٢) من المثاني .

٣) عدد آياتها ٤٣. آية .

٤)ترتيبها الثالثة عشرة .

٥)نزلت بعد سورة " محمد ".

٦) تبدأ بحروف مقطعة " المر " ،ا لسورة بها سجدة في الآية ١٥ ، الجزء " ١٣ " .

٧)الحزب " ٢٥ ، ٢٦ " ، الربع " ٣،٤،٥،٦ " .

محور مواضيع السورة :

سورة الرعد من السور المدنية التي تتناول المقاصد الأساسية للسور المدنية من تقرير الوحدانية والرسالة والبعث والجزاء ودفع الشبه التي يثيرها المشركون .

سبب نزول السورة :". [١]

٢٧٠-"الثمار والزروع والأزاهير وصنوف النبات ، وما ذرأ في الأرض من دواب برية وبحرية مختلفة الأشكال والألوان والمنافع ، وما فيها من جبال وسهول وثروات معدنية ، وما في البحر **من العجائب** ، وهو مع ذلك مذلل للسالكين ، يحمل سفنهم ، ويجري بها برفق بتسخير العلي القدير العليم الذي لا إله غيره ، ولا رب سواه : وفي الأرض آيات للموقنين. وفي أنفسكم أفلا تبصرون [الذاريات ٥١/ ٢١- ٢٠].

فالنظر في ذلك يرشد إلى وجود الخالق ، ويدعو إلى التصديق بالرسل ، والإيمان بالقرآن والوحي المخبر عن هذه الآيات العظام.

ولكن ما تغني وما تفيد وما تنفع أي لن تغني هذه الآيات أي الدلالات الكونية والقرآنية والرسل المنذرون أو الإنذارات قوما لا يتوقع إيمانهم كما ذكر في (الكشاف) وهم الذين لا يعقلون ، أي لا ينظرون في تلك الآيات. وقال القرطبي : عمن سبق له في علم الله أنه لا يؤمن. وقيل : ما استفهامية والتقدير :

أي شيء تغني.

---

(١) التعريف بسور القرآن الكريم ص/١

والمعنى على الاستفهام : أي شيء تغني الآيات السماوية والأرضية والرسل بآياتها وحججها وبراهينها الدالة على صدقها لقوم لا يؤمنون بالله ورسله ، ولم يستخدموا عقولهم فيما خلقت من أجله ؟ وقوله : وما تغني ... عن قوم أي لا تفيدهم شيئا ، أو أي شيء تغني الآيات وهي الدلائل ، والظاهر أن ما للنفي ، ويجوز أن تكون استفهاما « ١ » .

فهل ينتظرون .. يحذر الله المشركين قائلا : فهل ينتظر هؤلاء المكذبون لك يا محمد من النقمة والعذاب إلا مثل وقائع الأمم الماضية المكذبة لرسلهم ، من نزول العذاب بهم ؟ وهي وقائع الله في قوم نوح وعاد وثمود

---

(١) البحر المحيط : ٥/ ١٩٤

ج ١١ ، ص : ٢٧٨". (١)

٢٧١-"ج ١٣ ، ص : ٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الرعد

مدنية وهي ثلاث وأربعون آية.

تسميتها :

سميت سورة الرعد ، للكلام فيها عن الرعد والبرق والصواعق وإنزال المطر من السحاب : هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا ، وينشئ السحاب الثقال. ويسبح الرعد بحمده ، والملائكة من خيفته ، ويرسل الصواعق [الرعد ١٣/ ١٢- ١٣] والمطر أو الماء سبب للحياة : حياة الأنفس البشرية والحيوان والنبات ، والصواعق قد تكون سببا للإفناء ، وذلك مناقض للماء الذي هو رحمة ، والجمع بين النقيضين **من العجائب**.

ناسبتها لما قبلها :

هناك تناسب بين سورة الرعد وسورة يوسف في الموضوع والمقاصد ووصف القرآن ، أما الموضوع فكلاهما تضمنتا الحديث عن قصص الأنبياء مع أقوامهم ، وكيف نجى الله المؤمنين المتقين وأهلك الكافرين ، وأما المقاصد فكل من السورتين لإثبات توحيد الإله ووجوده ، ففي سورة يوسف : أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار. وفي سورة الرعد : الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها .. [٢- ٤]. قل : من رب السماوات والأرض قل : الله [١٦] ، وفيهما من الأدلة على وجود الصانع الحكيم وكمال قدرته وعلمه ووحدانيته الشيء الكثير ، ففي سورة يوسف : وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها ، وهم عنها معرضون. وفي سورة الرعد آيات دالة على

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ٢٨١/١١

ج ١٣ ، ص : ٩٧". [١]

٢٧٢-"و الدلائل الأرضية سبعة : بسط الأرض ، الجبال الثوابت ، إنبات النباتات ، الإمداد بالأرزاق من الخزائن ، إرسال الرياح لواقح ، الإحياء والإماتة للحيوانات ، خلق الإنسان.

التفسير والبيان :

ووالله لقد أوجدنا في السماء نجوما عظاما من الكواكب الثوابت والسيارات ، وزيناها لمن تأمل النظر فيها وكرره ، فيما يرى **من العجائب** الظاهرة ، والآيات الباهرة ، التي يحار الناظر فيها ، كقوله تعالى : إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب [الصافات ٣٧/ ٦] وقوله تعالى : تبارك الذي جعل في السماء بروجا [الفرقان ٢٥/ ٦١].

وقال جماعة : البروج : هي منازل الشمس والقمر.

وحفظناها .. أي ومنعنا الاقتراب من السماء كل شيطان رجيم ، كما قال في آية أخرى : وحفظا من كل شيطان مارد [الصافات ٣٧/ ٧] والرجيم :

المرجوم ، أي المقذوف بالشهب ، أو المرمي بالقول القبيح ، أو الملعون المطرود.

إلا من استرق .. استثناء منقطع ، أي لكن من استرق السمع ، أو أراد استراق شيء من علم الغيب الذي يتحدث به الملائكة ، لحقه وأتبعه بشهاب مبين ، أي بجزء منفصل من الكوكب ، وهو نار مشتعلة ، فأحرقه. والشهاب :

شعلة نار ساطع ، ويسمى الكوكب شهابا ، كما قال في آية أخرى وأنا كنا نقعد

ج ١٤ ، ص : ٢٣

منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا

[الجن ٧٢/ ٩] وقال تعالى : ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح ، وجعلناها رجوما للشياطين [الملك ٦٧/ ٥].". [٢]

٢٧٣-"مبصرة آية بينة واضحة ، أو ذات إبصار لمن يتأملها ويفكر فيها. فظلموا بها فكفروا بها فأهلكوا ، أو فظلموا أنفسهم بسبب عقرها. وما نرسل بالآيات المعجزات أو الآيات المقترحة. إلا تخويفا للعباد من نزول العذاب المستأصل ، فيؤمنوا.

وإذ قلنا واذكر إذ قلنا. أحاط بالناس علما وقدرة ، والمراد أنهم في قبضته وتحت قدرته ، فبلغهم الرسالة ولا تخف أحدا ، فهو يعصمك منهم ، ولا يستطيعون إيصال الأذى إليك إلا بإذننا. الرؤيا التي أريناك عيانا ليلة الإسراء ، والرؤيا : هي ما عاينه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الإسراء **من العجائب** ، والمراد بها هنا خلافا للغالب : الرؤية البصرية ، قال ابن عباس : « هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة أسري به » ، ولو كانت رؤيا منام ، لما كانت فتنة

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ٩٣/١٣

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ٢٠/١٤

للناس ، ولما ارتد بعضهم عن الإسلام. إلا فتنة للناس أهل مكة ، إذ كذبوا بها ، وارتد بعضهم ، لما أخبرهم بها. والشجرة الملعونة في القرآن وهي شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم ، جعلناها فتنة لهم ، إذ قالوا : النار تحرق الشجر ، فكيف تنبته ؟ ونخوفهم بها. فما يزيدهم تخويفنا.

إلا طغيانا الطغيان : تجاوز الحد في الفجور والضلال.

سبب النزول :

نزول الآية (٥٦) :

قل : ادعوا الذين : أخرج البخاري وغيره عن ابن مسعود قال : كان

ج ١٥ ، ص : ١٠٦

ناس من الإنس يعبدون ناسا من الجن ، فأسلم الجنيون ، واستمسك الآخرون بعبادتهم ، فأنزل الله : قل : ادعوا الذين زعمتم من دونه الآية.

وروي أنه لما أصاب القحط قريشا ، وشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أنزل الله هذه الآية.

نزول الآية (٥٩) :

وما منعنا أن نرسل بالآيات : ". [١]

٢٧٤-"سلوه عن ثلاث : عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم ، فإن حديثهم عجب ، وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان نبؤه ، وسلوه عن الروح وما هو ؟ فإن أخبركم فهو نبي ، وإلا فهو متقول ، فلما قدم النضر وصاحبه مكة قالا : قد جئناكم بفصل ما بيننا وبين محمد ، وأخبروا بما قاله اليهود ، فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسألوه ،

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أخبركم بما سألتم عنه غدا ، ولم يستثن- لم يقل : إن شاء الله-

فانصرفوا عنه ، ومكث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم- فيما يذكرون- خمس عشرة ليلة ، حتى أرجف أهل مكة به ، وقالوا : وعدنا محمد غدا ، واليوم خمس عشرة ليلة ، فشق عليه ذلك ، ثم جاءه جبريل من عند الله بسورة أصحاب الكهف ، وفيها معاتبة الله إياه على حزنه عليهم ، وفيها خبر أولئك الفتية ، وخبر الرجل الطواف « ١ » .

نزول الآية (٢(٤) : ولا تقولن لشيء ..

أخرج ابن جرير عن الضحاك ، وابن مردويه عن ابن عباس قال : حلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم على يمين ، فمضى له أربعون ليلة ، فأنزل الله : ولا تقولن لشيء .. الآية.

المناسبة :

بعد أن ذكر الله تعالى أنه جعل الزينة على ظهر الأرض ، وفي ذلك **من العجائب** والإبداع ما يفوق القصص وغرائبها ،

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ١٠٨/١٥

أبان أن قصة أهل الكهف ليست

---

(١) تفسير الرازي : ٢١/ ٨٣ ، تفسير الألوسي : ١٥/ ٢١٦ [.....]

ج ١٥ ، ص : ٢١٦

بالعجب وحدها من بين آياتنا ، وأنها أقل عجبا من تزيين الأرض بالنبات ، والحيوان والبشر ، والشجر والأنهار وغير ذلك.

التفسير والبيان :

إجمال القصة :

هذا هو الخبر اليقين عن قصة أصحاب الكهف الذين بقوا أحياء ثلاث مائة وتسع سنوات في حال سبات (نوم) وهي **من العجائب** التي أشارت إليها الكتب السالفة.". [١]

٢٧٥-"و ما تلك بيمينك يا موسى (١٧) قال هي عصاي أتوكؤا عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى (١٨) قال ألقها يا موسى (١٩) فألقاها فإذا هي حية تسعى (٢٠) قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى (٢١)

ج ١٦ ، ص : ١٩٦

الإعراب :

وما تلك بيمينك ما : مبتدأ ، وتلك : خبره ، وبيمينك : في موضع نصب على الحال ، أي ما تلك كائنة بيمينك ، مثل : وسار بأهله أي سار غير منفرد.

سنعيدها سيرتها الأولى سيرتها منصوب ب سنعيدها بتقدير حذف حرف جر ، أي : سنعيدها إلى سيرتها ، فحذف حرف الجر ، فاتصل الفعل به فنصبه ، أي منصوب بنزع الخافض.

البلاغة :

قال : هي عصاي ، أتوكؤا عليها ، وأهش بها على غنمي إطناب ، وكان مقتضى الجواب :

هي عصاي ، ولكنه استرسل في الجواب ، تلذذا بالخطاب.

المفردات اللغوية :

وما تلك ؟ استفهام يتضمن تنبيها لما يريه فيها **من العجائب** يا موسى تكرار لزيادة الاستئناس والتنبيه أتوكؤا أعتمد عليها في المشي إذا عييت ، أو عند الوقوف على رأس القطيع ونحو ذلك وأهش بها على غنمي وأخبط ورق الشجر بها على رؤوس غنمي ، ليسقط ، فتأكله مآرب منافع وحاجات أخر ، جمع مأربه ، كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام.

حية ثعبان عظيم لآية أخرى ، والحية في الأصل : تطلق على الصغير والكبير والذكر والأنثى. والثعبان : العظيم من الحيات

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ١٥/٢٢٨

، والجان : الصغير منها تسعى تمشي على بطنها سريعا خذها سريعا بأن يدخل يده في فمها فتعود عصا ولا تخف لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر ، خاف وهرب منها سيرتها الأولى أي إلى حالتها الأولى وهي كونها عصا.
المناسبة : ". (١)

٢٧٦-"و أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون : أوحى الله إلى موسى أن يسير ليلا باتجاه البحر مع قومه بني إسرائيل ، ففعل موسى ، وقد أخبره الله أن فرعون وقومه سيتبعونهم ، حتى إذا تبعوهم مصبحين ، تقدموا عليهم ولم يدركوهم قبل وصولهم إلى البحر ، فيدخلون فيه ، ثم يلحقهم في مسالكهم فرعون وجنده ، فيطبقه عليهم ويغرقهم.
وكانت إقامة بني إسرائيل في مصر ٤٣٠ سنة ، وليلة الخروج هي عيد الفصح عندهم إلى الأبد. وكان عددهم كما روي عن ابن عباس ست مائة ألف ماش من الرجال.
فأرسل فرعون في المدائن حاشرين أي فلما أصبح فرعون وقومه وعلم بخروج بني إسرائيل ، غاظه ذلك واشتد غضبه على بني إسرائيل ، فأرسل سريعا في مدائن مصر من يحشر الجند كالنقباء والحجاب.
واستخدم فرعون أسلوب التعبئة المعنوية لتحريض قومه على الخروج معه ، فوصف بني إسرائيل بثلاث صفات :
١
ى ومن معه أجمعين ، ثم أغرقنا الآخرين
أي أنجينا موسى وبني إسرائيل ومن اتبعهم على دينهم ، فلم يهلك منهم أحد ، وأغرق فرعون وجنوده ، ولم يبق منهم أحد.
إن في ذلك لآية أي إن في هذه القصة وما فيها **من العجائب** لعبرة وعظة وآية دالة على قدرة الله تعالى وعلى صدق موسى عليه السلام ، وعلى إنجاء عباد الله المؤمنين وإهلاك الكافرين.
وما كان أكثرهم مؤمنين أي ولم يؤمن أكثر من بقي في مصر من القبط ، وكذلك لم يؤمن أكثر بني إسرائيل ، فإن هذه المعجزة تحمل على الإيمان ، ومع ذلك كذب بنو إسرائيل ، واتخذوا العجل إلها ، وقالوا : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة.
وفي هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عما أغمه وأحزنه من تكذيب قومه ، مع قيام
ج ١٩ ، ص : ١٦١
الأدلة والمعجزات على الإيمان بالله والرسل.". (٢)

٢٧٧-"إما ظرف ، وإما حرف وبنيت على الفتح لأنها قد تكون ظرفا أحيانا ، وكانت الحركة فتحة لأنها أخف الحركات ، فإن سكنت العين فهو حرف لا غير.
البلاغة :

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ١٦/٢٠١
(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ١٩/١٦١

تقوم من مقامك وسلمت مع سليمان

فيهما جناس الاشتقاق.

كأنه هو تشبيه مرسل مجمل ، أي كأنه عرشي في الهيئة.

قبل أن يرتد إليك طرفك استعارة ، استعار رجوع الطرف للسرعة في الإتيان بالعرش ، مشبها السرعة بالتقاء الجفنين الذي هو ارتداد الطرف. ومثله وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أهتدي لا يهتدون بينهما طباق السلب.

المفردات اللغوية :

أيكم يأتيني بعرشها العرش : سرير الملك ، أراد بذلك أن يريها بعض ما خصه الله به **من العجائب** الدالة على عظيم القدرة ، وصدقه في دعوى النبوة ، ويختبر عقلها بعد التمويه على العرش ، فينظر أتعرفه أم تنكره مسلمين منقادين طائعين عفريت من الجن خبيث مارد قوي شديد قبل أن تقوم من مقامك مجلسك للقضاء ، وكان من الغداة إلى نصف النهار عليه على حمله لقوي أمين لقادر مؤتمن على ما فيه من الجواهر وغيرها ، لا أنقص منه شيئا ولا أبدله.

قال سليمان : أريد أسرع من ذلك قال الذي عنده علم من الكتاب المنزل هو آصف بن برخيا وزيره ، كان صديقا يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ، وهو المشهور. وقيل : إنه الخضر عليه السلام ، وقيل : هو جبريل عليه السلام ، وقيل : هو ملك أيد الله تعالى به سليمان ، وقيل :

إنه سليمان نفسه ، قال الرازي : وهو الأقرب.". (١)

٢٧٨-"و في الأرض آيات أي في كرة الأرض من الجبال والبحار والأشجار والثمار والمعادن والنبات والإنس والجن والحيوان وغير ذلك دلائل على قدرة الله تعالى ووحدانيته. للموقنين الموحدين الذين أيقنوا بالله ، وسلكوا الطريق الموصل إلى رضوان الله. وفي أنفسكم أي في تركيب أنفسكم وخلقكم **من العجائب** آيات أيضا. أفلا تبصرون تنظرون نظرة متأمل معتبر ، يستدل بذلك على الصانع وقدرته. وفي السماء رزقكم أي في السحاب أسباب الرزق وهو المطر الذي ينشأ عنه النبات الذي هو رزق مسبب عن المطر. وما توعدون أي والذي توعدونه من الخير والشر والثواب والعقاب. إنه لحق أي ما توعدون حق ثابت. مثل ما أنكم تنطقون أي مثل نطقكم ، فكما أنه لا شك في أنكم تنطقون ، لا شك في تحقق ذلك.

سبب نزول الآية (١٩) :

وفي أموالهم ... : أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الحنفية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية ، فأصابوا وغنموا ، فجاء قوم بعد ما فرغوا- لم يشهدوا الغنيمة- ، فنزلت : وفي أموالهم حق للسائل والمحروم.

قال ابن كثير : وهذا يقتضي أن هذه الآية مدنية ، وليس كذلك ، بل هي مكية

ج ٢٧ ، ص : ١٥

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ٣١٠/١٩

شاملة لما بعدها « ١ » . قال ابن عباس : إنه حق سوى الزكاة يصل به رحما ، أو يقري به ضيفا ، أو يحمل به كلا ، أو يغني محروما. وقال ابن العربي : لأن السورة مكية ، وفرضت الزكاة بالمدينة.

المناسبة :

بعد أن حكى الله تعالى حال الفجار الأشقياء الذين كذبوا بالبعث ، وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وعبدوا مع الله إلها آخر من وثن أو صنم ، أراد تعالى أن يبين حال المؤمنين الأتقياء وأوصافهم وجزاءهم في الآخرة.

التفسير والبيان : ". [1]

٢٧٩-"أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون هذا رد على إنكار الخالق الواحد ، فهل وجدوا من غير موجد ، أم هم أوجدوا أنفسهم ؟ وإذا كان الأمران منتفيين بشهادة العقل والحس والواقع وبإقرارهم ، فالله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا.

أم خلقوا السماوات والأرض ، بل لا يوقنون وهل خلقوا السموات والأرض وما فيهما **من العجائب** والغرائب وأسباب الحياة والمعيشة ؟ إنهم في الواقع لا يستطيعون ادعاء ذلك ، والحقيقة أن عدم إيقانهم من قولهم بأن الله هو الخالق هو الذي حملهم على التكذيب وإنكار رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ لو أيقنوا حقا بأن الله هو الخالق ما أعرضوا عن عبادته.

أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون أي هل هم يملكون خزائن الله من النبوة والرزق وغيرهما ، فيتصرفوا فيها كيف شاؤوا ، أم هم المسلطون على المخلوقات يدبرون أمرها كيف يشاءون ؟ الواقع أن الأمر ليس كذلك ، بل الله عز وجل هو المالك المتصرف الفعال لما يريد.

أم لهم سلم يستمعون فيه ، فليأت مستمعهم بسلطان مبين أي بل أيقولون : إن لهم سلما منصوبا إلى السماء يصعدون به ، أي مرقاة إلى الملأ الأعلى ، ويستمعون فيه كلام الملائكة وما يوحى إليهم ، ويطلعون على علم الغيب ؟

فليأت مستمعهم إليهم على صحة ما هم فيه بحجة ظاهرة واضحة ، كما أتى محمد صلى الله عليه وسلم بالبرهان الدال على صدقه. الواقع ليس لهم سبيل إلى ذلك ، فليس لهم دليل ولا حجة على ما يقولون.

ج ٢٧ ، ص : ٨١

و بعد الرد على إنكار الألوهية ، رد الله تعالى على من قال : الملائكة بنات الله ، فقال : ". [2]

٢٨٠-"ج ٢٩ ، ص : ٥

[الجزء التاسع والعشرون]

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ١١/٢٧

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ٨٠/٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الملك ، أو : تبارك

مكية ، وهي ثلاثون آية.

تسميتها :

سميت سورة الملك لافتتاحها بتقديس وتعظيم الله نفسه الذي بيده الملك- ملك السموات والأرض ، وله وحده مطلق السلطان ، والتصرف في الأكوان كيفما يشاء ، يحيي ويميت ، ويعز ويذل ، ويغني ويفقر ، ويعطي ويمنع. وتسمى السورة أيضا « الواقية » و « المنجية » لأنها تقي وتنجي من عذاب القبر وتشفع لصاحبها كما سأبين. وكان ابن عباس يسميها « المجادلة » لأنها تجادل عن قارئها في القبر.

مناسبتها لما قبلها :

وجه تعلق هذه السورة بما قبلها من وجهين :

١- وجه عام : وهو أن هذه السورة تؤكد مضمون السورة السابقة في جملتها ، فالسورة المتقدمة تبين مدى قدرة الله وهيمنته وتأييده لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم في مواجهة احتمال ظهور تآمر امرأتين ضعيفتين من نسائه عليه ، وهذه السورة توضح بصيغة عامة أن بيد الله ملك السموات والأرض ومن فيهن ، وأنه القدير على كل شي ء.

ج ٢٩ ، ص : ٦ ٢- وجه خاص : وهو أنه تعالى ذكر في أواخر « التحريم » مثالين فريدين متمثلين بامرأتي نوح ولوط للكافرين ، وبامرأة فرعون المؤمنة ، ومريم العذراء البتول للمؤمنين ، وهذه السورة تدل على إحاطة علم الله تعالى وتدبيره وإظهاره في خلقه ما يشاء **من العجائب** والغرائب ، فإن كفر امرأتي نوح ولوط لم يمنع اتصالهما بنبيين كريمين ، وإيمان امرأة فرعون ، لم يضر به اتصالها بفرعون الطاغية الجبار العنيد ، كما لم يزعزع إيمان مريم حملها غير المعهود بعيسى عليه السلام.

ما اشتملت عليه السورة :". (١)

٢٨١-"إن في خلق الخلق : التقدير والترتيب الدال على النظام والإتقان. السماوات كل ما علاك مما تراه في الأعلى. والأرض ما تعيش عليه ، وهو بشكل كروي ، كوكب دائر غير ثابت وخلق السماوات والأرض : إيجادهما من غير مثال سابق ، ويشمل كل ما فيهما **من العجائب**.

اختلاف الليل والنهار تعاقبهما ومجيء كل منهما خلف الآخر ، مع زيادة ونقصان بحسب الفصول والموقع الجغرافي من الكرة الأرضية. لآيات لأدلة على وجود الله وقدرته ووحدانيته.

لأولي الألباب لذوي العقول. وعلى جنوبهم مضطجعين ، أي في كل حال. وعن ابن عباس : يصلون كذلك حسب الطاقة. ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ليستدلوا به على قدرة صانعهما. ربنا يقولون : ربنا. باطلا عبثا لا فائدة منه ، بل دليلا على قدرتك.

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ٢٩/١

سبحانك تنزيها لك عن العبث وعما لا يليق بك.
أخزيته أهنته. وما للظالمين الكافرين ، وضع الظاهر موضع المضمر إشعارا بتخصيص الخزي بهم. من أنصار من زائدة ، أي مؤيدين يمنعونهم من عذاب الله تعالى.
فاغفر لنا ذنوبنا استر معاصينا ، واحدها ذنب : وهو مخالفة الأوامر والنواهي الشرعية.
وكفر عنا سيئاتنا غط إساءاتنا ، أي الصغائر أو أنواع التقصير في حقوق العباد ، فلا تظهرها بالعقاب عليها.
وتوفنا أمتنا أي اقبض أرواحنا. مع الأبرار في جملة الأخيار المحسنين أعمالهم وهم الأنبياء والصالحون.
وآتنا أعطنا. على رسلك أي على ألسنة رسلك من الرحمة والفضل.
ويلاحظ أن سؤال الناس تلك الأمور هو أن يجعلهم من مستحقيه ، وتكرار : ربنا مبالغة في التضرع. الميعاد الوعد بالبعث والجزاء.
ج ٤ ، ص : ٢٠٥". (١)

٢٨٢-"المقدمة بقلم الدكتور
عبد الله بن عبد المحسن التركي
وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد "سابقا"
المشرف على إعداد "التفسير الميسر" بسم الله الرحمن الرحيم
إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.
﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران : ١٠٢]
﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ [النساء : ١]
﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]
أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثه بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.
إن من نعم الله على عباده، وتمام حجته على خلقه أن تكون آيات النبوة وبراهين الرسالة الخاتمة العامة لجميع الثقلين، خالدة معلومة لكل الخلق، فكان إنزال الله - تعالى - كتابه العظيم: ﴿ تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ [النحل: ٨٩] ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ [الشعراء : ١٩٥] على قلب خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا ورسولنا محمد صلى

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج ٤/٢١٦

الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين، معجزة ظاهرة، وحجة قاطعة، في استمراره وحفظه وإعجازه وهدايته، والتعبد بتلاوته وسماعه، والافتقار إلى هدايته، وتعاهد الإيمان به: اعتقادا وقولا وعملا.

فالقرآن العظيم، آية باقية على وجه الدهر، ومعجزة خالدة، من جهة فصاحة لفظه، وبلاغة نظمه وأسلوبه، ودقة أحكامه وأوامره ونواهيه، وبيان أسماء الله وصفاته، ودلائله اليقينية، وبراهينه العقلية، في أمثاله المضروبة، وإخباره بالغيب، وتحدي الثقلين بالإتيان بمثله، وغير ذلك **من العجائب** الخارقة للعادة.

تولى الله -سبحانه- حفظه، فقال: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [الحجر: ٩]

حفظه الله من أن تزيد فيه الشياطين باطلا أو تنقص منه حقا، فلم يزل محفوظا في الصدور مكتوبا في السطور.

﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ [فصلت: ٤٢]

ونفى عنه التبديل والتحريف، فقال تعالى: ﴿ وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ﴾ [الأنعام : ١١٥]

ووفق الله -سبحانه- أهل ملة الإسلام ليكونوا حفاظا له يتناقلونه بالتواتر، فحفظوه في الصدور، وقرؤوه بالألسن، وكتبوه في المصاحف كما أنزل.

وبهذا يرتبط استمرار الرسالة الإسلامية وأبديتها، وختمها وعمومها، باستمرار معجزتها -القرآن الكريم- وختمه للكتب، وعمومه للثقلين.

والقرآن العظيم أنزل هداية للخلق إلى السعادة في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ [النحل : ٨٩] ودلالة على صدق رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم في رسالته ونبوته، وأن ما جاء به حق من عند ربه سبحانه وتعالى.

فالقرآن عصمة لكل مسلم، وبه نجاحه وفلاحه، وقيام دينه ودنياه، وسعادته في أولاه وأخراه، بتثبيت التوحيد وسائر أركان الإسلام في قلبه، وتزكية نفسه بأخلاق القرآن، وإعداده فردا صالحا في أمته.

فكل إنسان مفتقر إلى هدايته، وتطهير النفس به من أرجاس الشرك وأدران المعاصي، وتعاهد الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وذلك بتلاوته، والعمل به، والاتعاظ بمواعظه: ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ [الزمر : ٢٣]

﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ﴾[الأنفال : ٢]". (١)

---

(١) التفسير الميسر ١/١

٢٨٣-"ج ٢ ، ص : ٣٩٨

لا يتكلمون بما يفيدهم ، ولا يسمعون ما يلذ لهم ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا مأواهم جهنم التي وقودها الناس والحجارة كلما أكلت جلودهم ولحومهم وعظامهم وأفنتها وسكن لهيبها بدلوا جلودا ولحما وعظما غيرها فرجعت ملتهبة شديدة الالتهاب ، وكانوا يستبعدون إعادة الحياة بعد الممات فكان جزاؤهم النار أن تعاد أجسامهم مرة ثانية ليذوقوا ويعرفوا قدرة الملك الجبار.

ذلك جزاءهم بسبب كفرهم ، وقولهم : أإذا كنا عظاما نخرة وصار جسمنا رفاتا ترابا تعود إلينا الحياة ؟ ونبعث من جديد لنحاسب على أعمالنا إن هذا لعجيب.

يا عجبا لهم!! أعموا ولم يروا أن الله خلقهم وخلق السموات وما فيها ، والأرضين وما فيها من العجائب قادر على أن يخلق مثلهم أأنتم أشد خلقا أم السماء [سورة النازعات الآية ٢٧]. وقد جعل لهم أجلا لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون ، ومع هذا كله فقد أبى الظالمون إلا كفورا وجحودا ، وإنكارا للبعث.

قل لهم : لو تملكون خزائن رحمة الله الرحمن الرحيم لبخلتم بها ، وأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا بخيلا.

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

فما بالكم تطلبون آيات بعد هذه الآيات! وأنتم لا تقومون بواجب الشكر لله الذي أنعم عليكم بكافة النعم إن الإنسان لربه لكنود [سورة العاديات آية ٦].

تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم [سورة الإسراء (١٧) : الآيات ١٠١ الى ١٠٩]

ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسئل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا (١٠١) قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا (١٠٢) فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا (١٠٣) وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا (١٠٤) وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا (١٠٥)

وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا (١٠٦) قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا (١٠٧) ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا (١٠٨) ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا (١٠٩)". [١]

٢٨٤-"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ٢ ، ص : ٣٧٠

قوله - تعالى - ولله ملك السماوات والأرض والله على كل شيء قدير أى له وحده - سبحانه - ملك السموات والأرض بما فيهما ، فهو وحده صاحب السلطان القاهر في هذا العالم يتصرف فيه كيفما يشاء ويختار : إيجادا وإعداما ، وإحياء وإماتة ، وتعذيبا وإثابة ، وهو - سبحانه - على كل شيء قدير ، لا يعجزه أمر ، ولا يدفع عقابه دافع ، ولا يمنع عقابه

---

(١) التفسير الواضح . موافقا للمطبوع ٣٩٨/٢

مانع ، فعليكم أيها الناس أن تطيعوه وأن تحذروا غضبه ونقمته.

وبعد أن بين – سبحانه – أن ملك السموات والأرض بقبضته ، أشار – سبحانه – إلى ما فيهما من عبر وعظات فقال : إن في خلق السماوات والأرض ، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب.

أى : إن في إيجاد السموات والأرض على هذا النحو البديع ، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب وبحار وزروع وأشجار ... وفي إيجاد الليل والنهار على تلك الحالة المتعاقبة ، وفي اختلافهما طولا وقصرا .. وفي كل ذلك لأمارات واضحة ، وأدلة ساطعة ، لأصحاب العقول السليمة على وحدانية الله – تعالى – وعظيم قدرته ، وباهر حكمته.

وصدرت الجملة الكريمة بحرف « إن » للاهتمام بالخبر ، وللاعتناء بتحقيق مضمون الجملة.

أى إن في إيجاد السموات والأرض وإنشائهما على ما هما عليه من العجائب ، وما اشتملتا عليه من البدائع ، وفي اختلاف الليل والنهار ... إن في كل ذلك من العبر والعظات ما يحمل كل عاقل على الاعتراف بوحدانية الله ، وكمال قدرته وحكمته.

والمراد بأولى الألباب : أصحاب العقول السليمة ، والأفكار المستقيمة ، لأن لب الشيء هو خلاصته وصفوته.

ولقد قال الزمخشري في صفة أولى الألباب : « هم الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ، ولا ينظرون إليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطرة. وفي الحكم : املأ عينيك من زينة هذه الكواكب ، وأجلهما في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها ، متدبرا في حكمة مدبرها قبل أن يسافر بك القدر ، ويحال بينك وبين النظر » « ١ ».

---

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٣٤٨.". [1]

٢٨٥-"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ١٥ ، ص : ٣١١

معتدلة ، متناسبة الأعضاء ، فالتسوية ترجع إلى عدم النقصان في الأعضاء ، والتعديل يرجع إلى عدم التخالف فيها وهذا ، باعتبار الأصل في خلق الإنسان ، فلا عبرة بوجود ما يخالف ذلك في قلة من أفراد الإنسان.

والمعنى : يا أيها الإنسان ، أى شيء خدعك وجرأك على معصية ربك الكريم ... الذي من مظاهر كرمه أنه خلقك فسواك بأن جعل أعضاءك سوية سليمة. مهيأة لا لاكتساب منافعها على حسب ما تقتضيه حكمة خالقك فعدلك أى : فعدل أعضاءك بأن جعلها متناسقة متوازنة بعضها مع بعض ، فلم يجعل – مثلا – إحدى يديك طويلة والأخرى قصيرة. ولم يجعل – مثلا – جانبا من جسدك أبيض ، والأخر أسود.

ومن مظاهر قدرته وكرمه – أيضا – أنه – سبحانه – ركبك ووضعك في أى صورة من الصور المتنوعة التي اقتضتها مشيئته وحكمته.

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٢/٣٧٠

فقوله : في أي صورة متعلق بركبك. و« ما » مزيدة ، و« شاء » صفة لصورة.

ولم يعطف « ركبك » على ما قبله بالفاء ، كما عطف ما قبله بها ، لأنه بيان لقوله :

فعدلك. والتقدير : فعدلك بأن ركبك في أى صورة من الصور التي شاءها لك ، وهي صورة فيها ما فيها **من العجائب** والأسرار ، فضلا عن أنها أحسن صورة وأكملها ، كما قال – تعالى – : لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم.

فالمقصود من الآيات الكريمة ، تذكير الإنسان بفضل ربه – تعالى – عليه ، وحضه على طاعته وشكره ، وتوبيخه على تقصيره وجحوده ، وتهديده بسوء المصير إذا ما استمر في غفلته وغروره.

قال بعض العلماء : إن خلق الإنسان على هذه الصورة الجميلة السوية المعتدلة ، الكاملة الشكل والوظيفة. أمر يستحق التدبر الطويل ، والشكر العميق. والأدب الجم لربه الكريم الذي أكرمه بهذه الخلقة.

وهناك مؤلفات كاملة في وصف كمال التكوين الإنسان العضوى ودقته وإحكامه.

كاكتمال التكوين الجسدى ، والعضلى ، والجلدى ، والهضمى ، والدموي والعظمى ، والتنفسى ، والتناسلى ، والعصبي ... للإنسان.

وإن جزءا من أذن الإنسان « الأذن الوسطى » لهو سلسلة من نحو أربعة آلاف جزئية دقيقة معقدة ، متدرجة بنظام بالغ الدقة في الحجم والشكل.

ومركز حاسة الإبصار في العين التي تحتوى على مائة وثلاثين مليونا من مستقبلات الضوء ، ". (١)

٢٨٦-"فأشار إلى حالات التكوين التي بها صار المزاج مزاجا مناسبا؛ حتى انبعثت فيه الحياة، ثم بدوام انتظام ذلك المزاج تدوم الحياة، وباختلاله تزول الحياة، وذلك الاختلال هو المعبر عنه بالفساد.

ومن أعظم الاختلال فيه اختلال الروح الحيواني، وهو الدم إذا اختلت دورته فعرض له فساد، وبعروض حالة توقف عمل المزاج، وتعطل آثاره يصير الحي شبيها بالميت كحالة المغمى عليه، وحالة العضو المفلوج، فإذا انقطع عمل المزاج فذلك الموت، فالموت عدم، والحياة ملكة، وكلاهما موجود مخلوق قال _تعالى_: [الذي خلق الموت والحياة] في سورة الملك. ١/٣٧٦_٣٧٧

٣٠_ **ومن العجائب** أنهم يسلمون أن أفعال الله _تعالى_ لا تخلو عن الثمرة، والحكمة، ويمنعون أن تكون تلك الحكم عللا وأغراضا، مع أن ثمرة فعل الفاعل العالم بكل شيء لا تخلو من أن تكون غرضا؛ لأنها تكون داعيا للفعل ضرورة تحقق علم الفاعل وإرادته، ولم أدر أي حرج نظروا إليه حين منعوا تعليل أفعال الله _تعالى_ وأغراضها.

ويترجح عندي أن هاته المسألة اقتضاها طرد الأصول في المناظرة؛ فإن الأشاعرة لما أنكروا وجوب فعل الصلاح، والأصلح أورد عليهم المعتزلة، أو قدروا هم في أنفسهم أن يورد عليهم أن الله _تعالى_ لا يفعل شيئا إلا لغرض، وحكمة، ولا تكون الأغراض إلا المصالح؛ فالتزموا أن أفعال الله _تعالى_ لا تناط بالأغراض، ولا يعبر عنها بالعلل.

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ١٥/٣١١

وينبئ عن هذا أنهم لما ذكروا هذه المسألة ذكروا في أدلتهم الإحسان للغير ورعي المصلحة، وهنالك سبب آخر لفرض المسألة، وهو التنزه عن وصف أفعال الله ـتعالىـ بما يوهم المنفعة له، أو لغيره وكلاهما باطل؛ لأنه لا ينتفع بأفعاله، ولأن الغير قد لا يكون فعل الله بالنسبة إليه منفعة.". (١)

٢٨٧-"وتترتب عليها مسائل في أصول الدين منها: تكفير مرتكب الكبيرة عند طائفة من الخوارج التي تفرق بين المعاصي الكبائر والصغائر، واعتباره منزلة بين الكفر والإسلام عند المعتزلة، خلافا لجمهور علماء الإسلام.

فمن العجائب أن يقول قائل: إن الله لم يميز الكبائر عن الصغائر؛ ليكون ذلك زاجرا للناس عن الإقدام على كل ذنب، ونظير ذلك إخفاء الصلاة الوسطى في الصلوات، وليلة القدر في ليالي رمضان، وساعة الإجابة في ساعات الجمعة، هكذا حكاه الفخر في التفسير.

وقد تبين ذهول هذا القائل، وذهول الفخر عن رده؛ لأن الأشياء التي نظروا بها ترجع إلى فضائل الأعمال التي لا يتعلق بها تكليف؛ فإخفاؤها يقصد منه الترغيب في توخي مظانها؛ ليكثر الناس من فعل الخير، ولكن إخفاء الأمر المكلف به إيقاع في الضلالة فلا يقع ذلك من الشارع. ٢٧/٥

٩ـ والتيمم من خصائص شريعة الإسلام كما في حديث جابر أن النبي" قال: =أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي فذكر منها وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا+.

والتيمم بدل جعله الشرع عن الطهارة، ولم أر لأحد من العلماء بيانا في حكمة جعل التيمم عوضا عن الطهارة بالماء، وكان ذلك من همي زمنا طويلا وقت الطلب ثم انفتح لي حكمة ذلك.

وأحسب أن حكمة تشريعه تقرير لزوم الطهارة في نفوس المؤمنين، وتقرير حرمة الصلاة، وترفيع شأنها في نفوسهم؛ فلم تترك لهم حالة يعدون فيها أنفسهم مصلين بدون طهارة؛ تعظيما لمناجاة الله ـتعالىـ فلذلك شرع لهم عملا يشبه الإيماء إلى الطهارة؛ ليستشعروا أنفسهم متطهرين، وجعل ذلك بمباشرة اليدين صعيد الأرض التي هي منبع الماء، ولأن التراب مستعمل في تطهير الآنية ونحوها، ينظفون به ما علق لهم من الأقذار في ثيابهم وأبدانهم وماعونهم.

وما الاستجمار إلا ضرب من ذلك، مع ما في ذلك من تجديد طلب الماء لفاقده، وتذكيره بأنه مطالب به عند زوال مانعه.". (٢)

٢٨٨-"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ٢ ، ص : ٢٤٨

أ ليس الله القدير العليم بكاف عبده المتوكل عليه المفوض امره اليه ليكفيه ما ينفعه ويكف عنه ما يضره وهم من جهلهم بالله وبكمال علمه وقدرته يخوفونك يا أكمل الرسل يعنى قريشا بالذين أى بأصنامهم الذين يدعونهم آلهة من دونه سبحانه

---

(١) التقريب لتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ص/١٢٧

(٢) التقريب لتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ص/٢٠٧

جهلا وعنادا ويقولون لك على سبيل النصح لا تذكر آلهتنا بسوء فانا نخاف عليك ان يخبلوك ويفسدوا عقلك وما ذلك الا من نهاية جهلهم بالله وغوايتهم عن طريق توحيده وبالجملة من يضلل الله بمقتضى قهره وجلاله فما له من هاد
و من يهد الله فما له من مضل إذ هو سبحانه فاعل على الإطلاق بالاختيار والاستحقاق لا يجرى في ملكه الا ما يشاء أليس الله العليم القدير بعزيز غالب على امره ذي انتقام شديد على من أراد انتقامه من أعدائه. ثم أشار سبحانه إلى توضيح دلائل توحيده تعريضا على المشركين وتسجيلا على غوايتهم وغباوتهم فقال مخاطبا لحبيبه
و لئن سألتهم يا أكمل الرسل يعنى كفار قريش من خلق السماوات والأرض أى العلويات والسفليات وما بينهما من الممتزجات ومن أوجدها وأحدثها واظهر ما فيها **من العجائب** والغرائب ليقولن البتة الله المتفرد بالخلق والإيجاد المتوحد بالالوهية والربوبية إذ لا يسع لهم العدول عنه لغاية ظهوره قل لهم يا أكمل الرسل بعد ما سمعت قولهم هذا إلزاما وتبكيتا أفرأيتم وابصرتم عيانا او سمعتم بيانا ما تدعون من دون الله أى من هؤلاء المعبودات الباطلة التي أنتم تدعونها آلهة سوى الله شركاء معه في أخص أوصافه الهم قوة المقاومة وقدرة المخاصمة معه سبحانه مثلا إن أرادني الله وجرى حكمه على ان يمسني بضر هل هن أى آلهتكم هذه كاشفات ضره سبحانه عنى على سبيل المعارضة أو أرادني الله برحمة فائضة من عنده على هل هن ممسكات رحمته حيث يمنعونها عني ويدفعون وصولها إلى وبعد ما بهتوا وسكتوا عند سماع هذه المقالة نادمين قل لهم يا أكمل الرسل كلاما ناشئا عن محض التوحيد واليقين خاليا عن امارات الريب والتخمين حسبي الله الواحد الأحد الكافي لمهام عموم الأنام الرقيب عليهم في جميع حالاتهم إذ عليه لا على غيره من الوسائل والأسباب العادية يتوكل المتوكلون المؤمنون المفوضون أمورهم كلها اليه حيث يتخذونه وكيلا ويعتقدونه كافيا وكفيلا
قل لهم أيضا على سبيل التوبيخ والتهديد يا قوم اعملوا على مكانتكم أى على حالكم وشأنكم ما شئتم من الأعمال إني عامل أيضا على مكانتي وحالي ما شئت فسوف تعلمون مآل ما تعملون وغايته واعلموا ان
من يأتيه منا ومنكم عذاب يخزيه ويرديه في الدنيا وهو دليل على انه يحل عليه ويلحق به في الآخرة عذاب مقيم دائم مؤبد مخلد فتربصوا حتى يأتى الله بامره ونحن نتربص ايضا. ثم قال سبحانه على وجه العظة والتأديب لحبيبه صلى الله عليه وسلم إنا من مقام عظيم جودنا قد أنزلنا عليك يا أكمل الرسل الكتاب الجامع المشتمل على عموم مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم لتكون أنت هاديا للناس بالحق مبلغا لهم جميع ما فيه من الوعد والوعيد فمن اهتدى ووفق على قبول ما فيه من الأوامر والنواهي فلنفسه أى نفع هدايته واهتدائه عائد إلى نفسه ومن ضل أيضا فإنما يضل عليها ويلحق وبال ضلالها كذلك وبعد ما وضح الأمر لديك لا تتعب نفسك في هدايتهم إذ ما أنت عليهم بوكيل ضمين لهدايتهم وتكميلهم بل ما عليك الا البلاغ وعلينا الحساب وكيف لا يكون حساب العباد على الله ولا يكون في قبضة". (١)

٢٨٩-"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ٢ ، ص : ٣٤٦

البعث الذي جاء صلى الله عليه وسلم لتبيينه وللانذار بما فيه من انواع العقبات والعقوبات وبالجملة فهم بمقتضى أحلامهم

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ٢٤٨/٢

السخيفة مغمورون في أمر مريج مضطرب مخلوط حيث يلتبس عليهم حقيته صلى الله عليه وسلم وحقية عموم ما جاء به لذلك يترددون في شأنه ويقولون تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة كاهن وتارة مجنون مخبط يتكلم بكلام المجانين إلى غير ذلك من المفتريات الباطلة

أ فلم ينظروا ولم يتفكروا ولم يتفطنوا حين أنكروا البعث والحشر إلى السماء المطبقة المعلقة فوقهم كيف بنيناها ورفعناها بلا اعمدة وأساطين وكيف زيناها بالكواكب المتفاوتة في الإضاءة والتنوير وما لها من فروج نتو وفتوق بل قد خلقناها ملساء متوازية السطوح متلاصقة الطباق

و لم ينظروا أيصا إلى الأرض ولم يتدبروا فيها كيف مددناها ومهدناها بكمال قدرتنا وحكمتنا وألقينا فيها وعليها رواسي جبالا ثوابت شامخات وأنبتنا فيها من كل زوجصنف من انواع النباتات بهيج حسن كريم تبهج عيون الناظرين وتسر قلوبهم وبالجملة ما خلقنا عموم ما خلقنا **من العجائب** والغرائب الا لتكون

تبصرة وذكرى أى عظة وعبرة دالة على كمال قدرتنا ومتانة حكمنا وحكمتنا لكل عبد منيب رجاع إلينا متوجه نحونا بكمال التبتل والتفويض ليتذكر بها ويتفطن منها على كمال اقتدارنا واختيارنا في خلق عموم مرادتنا ومقدوراتنا ومن جملتها حشر الأموات وبعثهم من قبورهم احياء

و كيف يسع لأولئك الحمقى الهالكين في تيه العناد والجحود انكار قدرتنا على البعث والإعادة مع انا قد نزلنا من جانب السماء ماء مباركا كثير الخير والبركة فأنبتنا به بعد انزاله وتنزيله على الأرض اليابسة الميتة جنات أى حدائق ذات بهجة وبهاء ونزاهة وصفاء ولا سيما حب الحصيد من البر والشعير وسائر الحبوب المحصورة للتقوت والتعيش

و قد أنبتنا به خصوصا النخل وجعلناها باسقات طوالا متحملات لها طلع ثمر ذو عنقود نضيد منضود منضد بعضه فوق بعض من غاية كثرته وكثافته وانما انبتناها لتكون

رزقا للعباد يرزقون بها ويواظبون على شكر منعمها ومبدعها وبالجملة قد أحيينا به أى بالماء المنزل من جانب السماء بلدة ميتا يابسة جدبة لا كلأ فيها ولا ماء كذلك الخروج أى خروجهم من قبورهم احياء بقدرتنا مثل ذلك فمن اين ينكرون وأنى يستبعدون أولئك الحمقى الجاهلون الجاحدون بقدرة العليم الحكيم وليس هذا التكذيب والإنكار ببدع من هؤلاء المكذبين المنكرين يا أكمل الرسل بل قد

كذبت قبلهم مثل تكذيبهم وانكارهم قوم نوح أخاك نوحا صلى الله عليه وسلم حين بعث إليهم وانذرهم ونهاهم عماهم عليه من الكفر والجحود والخروج عن مقتضى الحدود وكذلك كذبت أصحاب الرس وهو بئر كانوا يسكنون حوله أخاك حنظلة بن صفوان عليه السلام وكذا قد كذبت ثمود أخاك صالحا عليه السلام فعقروا الناقة المقترحة

و عاد أخاك هودا عليه السلام وقد كذب فرعون وملاؤه أخاك موسى الكليم وإخوان لوط أخاك لوطا عليه السلام سماهم إخوانه لأنهم اصهاره

و كذبت أيصا أصحاب الأيكة أخاك شعيبا عليه السلام وكذبت قوم تبع وهو تبع الحميرى واسمه اسعد ابو كريب علماءهم وأئمتهم المصلحين لمفاسدهم وبالجملة كل منهم قد كذب الرسل المبعوثين إليهم لهدايتهم وإرشادهم فحق أى قد حل ولحق

عليهم وعيد الموعود لهم بتكذيبهم وإصرارهم". [1]

٢٩٠-"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ٢ ، ص : ٣٥٢

انصرافهم عن الحق واهله مغمورون في غمرة غفلة عظيمة وجهل متناه ساهون عن الله وقدر ألوهيته وحقوق ربوبيته ومن كمال غفلتهم وشدة عمهم وسكرتهم

يسئلون على سبيل التهكم والاستهزاء أيان يوم الدين أى متى يوم الجزاء والقيامة يا محمد وفي أى آن يأتينا عذاب الساعة وأهوالها قال الله تعالى سبحانه في جوابهم

يوم هم على النار يفتنون أى يأتى عليهم العذاب والجزاء في يوم هم يحرقون فيه في النار ويطرحون عليها صاغرين مهانين ويقول لهم الموكلون حين طرحهم فيها توبيخا وتقريعا

ذوقوا أيها المجرمون المسرفون فتنتكم التي أنتم تستعجلون بها في دار الدنيا على سبيل الاستهزاء والمراء وبالجملة هذا الذي وقعتم فيه وحبستم عليه الآن من العذاب قد كنتم به تستعجلون أنتم في سالف الزمان على سبيل الإنكار والاستكبار. ثم قال سبحانه على مقتضى سنته المستمرة في كتابه

إن المتقين الممتثلين بأوامر الله المجتنبين عن نواهيه الموردة في كتبه الجارية على ألسنة رسله الحافظين لنفوسهم عن الإفراط في الرخص والمباحات وكيف عن تفريط المحظورات والمحرمات المتلذذون باللذات الروحانية متمكنون في جنات العلم والعين والحق وعيون جاريات من الحكم والمعارف اللدنية المستخرجة من ينابيع قلوبهم المترشحة إليها من بحر الوجود على مقتضى الجود الإلهي حسب استعداداتهم الفائضة لهم من لدنه سبحانه

آخذين ما آتاهم واعطاهم ربهم تفضلا عليهم وتكريما على وجه الرضاء بجميع ما جرى عليهم من مقتضيات القضاء إنهم كانوا قبل ذلك الفضل واللطف في النشأة الأولى محسنين الأدب مع الله ورسله ومع خلص عباده عاكفين ببابه متوجهين نحو جنابه في عموم أوقاتهم وحالاتهم ومن جملة إحسانهم انهم قد

كانوا في دار الدنيا قليلا من الليل ما يهجعون أى يرقدون قليلا من ساعات الليل وذلك أيضا بسبب ان لا يعرض لهم الكلال العائق من مواظبة الطاعات ومداومة العبادات

و هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم وخشوعهم بالأسحار المعدة للتوجه والاستغفار هم يستغفرون دائما كأنهم يرون أنفسهم قاصرة عن رعاية حقوق العبودية على ما ينبغي ويليق بجناب الألوهية لذلك يبالغون في الانابة والاستغفار

و مع ذلك قد كان في أموالهم وأرزاقهم المسوقة لهم من قبل الحق حق حظ ونصيب مفروض مفروز مقدر مخرج هم يوجبونه على أنفسهم للسائل السائر في سبيل الله المتعرض للسؤال مقدار ما يحتاج اليه والمحروم المتعفف عن ذل السؤال المتمكن في زاوية التوكل والتفويض. ثم أشار سبحانه إلى حيطة وحدته الذاتية وشمولها على عموم ما ظهر وبطن في الآفاق والأنفس بالاستقلال والانفراد والى سر سريان هويته الذاتية على ذرائر الكائنات تنبيها للمريد المستبصر وايقاظا عن سنة الغفلة

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ٣٤٦/٢

ونعاس النسيان فقال

و في الأرض أى عالم المسببات والقوابل والاستعدادات المعبر عنها بالآفاق المعدة لظهور آثار القدرة الكاملة الإلهية عليها **من العجائب** والغرائب المتفرعة عن كمال العلم الحضوري الإلهي ووفور الحكمة المتقنة آيات دلائل واضحات وشواهد لائحات دالة على قدرة الصانع الحكيم ووحدة ذاته واختياره في عموم تصرفاته واستقلاله في مطلق حكمه ومصالحه للموقنين المنكشفين باليقين العلمي والعيني والحقي بل

و في أنفسكم أيصا أيها المستبصرون المستكشفون عن سرائر الألوهية واسرار الربوبية شواهد ظاهرة تشهد على حقية الحق وتوحده في ظهوره ووجوده أفلا تبصرون أيها المجبولون على فطرة". (١)

٢٩١-"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ٢ ، ص : ٣٦٣

الفؤاد

اى فؤاده صلى الله عليه وسلم الذي هو من مقتضيات عالم اللاهوت المتمكن في قلوب ذوى العناية واولى الألباب على وجه الوديعة من قبل الحق ما رأى وشهد حين وصوله ولحوقه بالأفق الأعلى اللاهوتى

أ تنكرون انكشافه وشهوده صلى الله عليه وسلم أيها المحجوبون المحرومون عن وجد الوجود وذوق الشهود فتمارونه وتجادلون معه على سبيل المكابرة والمراء على ما يرى يعلم وينكشف له من الذوقيات والوجدانيات التي قد تأبى عنها عقولكم وتعمى بصائركم وأبصاركم ولا يمكن القاؤها وكشفنا إياها لكم وكيف تنكرون وتستبعدون منه صلى الله عليه وسلم أمثال هذا

و الله لقد رآه ما رأى من الشهودات التي تدهش منها عقول العقلاء وتتحير عندها اوهامهم وخيالاتهم نزلة أخرى مرة قبل عروجه ووصوله إلى الأفق الأعلى والمقام الأدنى الذي هو اليقين الحقي وتلك النزلة الاخرى والوقعة العظمى

عند سدرة المنتهى التي ينتهى إليها ودونها اليقين العلمي والعيني إذ

عندها جنة المأوى التي يأوى إليها ارباب العناية شوقا إلى لقاء الله ألا وهو موعد الرؤية والعيان ومقام التوحيد والعرفان الموعود على اهل العيان عند الحق المنان

إذ يغشى السدرة المعهودة أى يغطى الموعد الموعود ويحيط به ما يغشى ويستر من السبحات الجلالية ومن التجليات الإلهية المتشعشعة حسب الشئون المتجددة المحيرة للعيون النواظر من ارباب المحبة والولاء الوالهين بمطالعة وجه الله الكريم وبالجملة ما زاغ البصر أى ما مال وما انحرف بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تعاقب التجليات الإلهية وترادف شئوناته الغيبية وتجدد تطوراته الجمالية والجلالية وتشعشع شمس ذاته حسب أسمائه وصفاته العلية عن شهود وحدة ذاته ولم يشغله صلى الله عليه وسلم شي ء منها عن استغراقه صلى الله عليه وسلم بمطالعة وجه الله الكريم وما طغى وما مال وما انحرف بصره وقت رؤيته ونظره او ما خرج نفسه صلى الله عليه وسلم عند رؤية ما رأى **من العجائب** عن ربقة الرقية وعروة المربوبية أصلا بل قد التزم وتمكن حينئذ بقيام ما لزم من آداب العبودية ولوازم الإطاعة والانقياد اكثر مما التزمها قبل انكشافه والله

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ٢/٣٥٢

لقد رأى صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء من آيات ربه الكبرى التي هي من آيات ربه الذي رباه على رؤية آياته الكبرى ما لا يراه احد من المكاشفين ولا ملك مقرب ولا نبي مرسل من بنى نوعه

أ تنكرون أيها الجاهلون الجاحدون بوحدة الحق عز شأنه وجل برهانه وبانكشاف حبيبه صلى الله عليه وسلم بوحدته وبلوازم ألوهيته وربوبيته وبرسالته من عنده سبحانه إلى عموم بريته وكافة خليقته ليرشدهم إلى الايمان بالله والى توحيده فرأيتم أثبتم وأخذتم الأصنام العاطلة الباطلة شركاء لله مشاركين معه في ألوهيته وربوبيته يعنى الأولى اللات والثانية العزى

و مناة الثالثة الأخرى مع ان هؤلاء الهلكى ما هي الا جمادات لا شعور لها ولا يصدر شي ء منها وأعظم من ذلك انكم قد أثبتم له سبحانه الأولاد بل أخسها وأدونها

أ لكم الذكر الأشرف الأكرم أيها الحمقى العمى المفرطون وله سبحانه مع كمال تنزهه عن نقيصة اتخاذ الولد المترتب على القوة الشهوية الأنثى المرذولة المستهجنة عندكم والله

تلك القسمة التي قد جئتم بها أنتم مع استحالتها في حقه سبحانه إذا قسمة ضيزى أى فلو فرض في شأنه سبحانه على سبيل فرض المحال الأولاد لكانت قسمتكم هذه قسمة عوجاء جائرة مائلة عن العدالة منحرفة عن جادة الاعتدال إذ أنتم أيها الحمقى تستنكفون عن الأنثى وتثبتونها لله المنزه عن الأهل والولد المقدس عن مطلق امارات الحدوث وعلامات النقصان وبالجملة

إن هي". (١)

٢٩٢-"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ٢ ، ص : ٤٦٥

و عند قيام الطامة الكبرى

بلى نحن نقدر على إعادته وجمع عظامه وتسوية جميع أعضائه على الوجه الذي كان عليه من قبل بل نحن كما كنا في النشأة الأولى نكون قادرين على أن نسوي بنانه أى سلاماه ورؤس أصابعه في النشأة الاخرى خص البنان بالذكر لان جمع اجزائها أصعب من أجزاء سائر الجسد لاشتمالها على دقائق العظام ورقائق العروق والاعصاب والغضاريف والرباطات المعينة على القبض والبسط والأخذ والبطش ولصعوبة الاطلاع على اجزائها قد عجز الأطباء عن تشريحها وبالجملة انا نقدر على جمعها مع صعوبتها فكيف بجمع غيرها

بل يريد الإنسان المركب من الجهل والنسيان بظنه الباطل وحسبانه الزاهق الزائل ليفجر أمامه أى يدوم ويمضى دائما على الفجور والفسوق والخروج عن مقتضى الحدود الإلهية فيما يستقبله من الزمان كما كان عليها فيما مضى لذلك

يسئل سؤال انكار واستبعاد أيان متى يقوم واى آن يقع يوم القيامة أى يوم تبلى السرائر وتكشف الستائر فيها بين لي أيها المدعى وقت وقوعه حتى اكف وامنع نفسي عن الفجور وأتوب عنها ثقة ويقينا وانما قال ما قال على سبيل الاستهزاء والتهكم وكيف يستهزئ ويصر على الإنكار ذلك المستهزئ المسرف المصر

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ٣٦٣/٢

فإذا برق وتحير البصر أى حاسة عالم الناسوت وجاسوس عالم الطبيعة والهيولى حين ظهور طلائع عالم اللاهوت وبروز مقدماته واماراته فزعا وهولا ودهشا مما يرى من العجائب والغرائب الموعودة التي كان ينكر ويكذب بها في دار الدنيا وبقعة الإمكان وعرصة الزمان والمكان

و مع ذلك خسف القمر أى قد ذهب ضوء الوجود الإضافي المستعار وانمحى نوره واشرف على الأفول في أفق العدم

و جمع الشمس أى ظهر نور الوجود المطلق المستغنى عن عموم المظاهر والمجالى والقمر أى اندرج ضوء الوجود المستعار الإضافي المنعكس من الشمس الحقيقية فيها واندمج وصار كما كان بحيث لم يبق كون ولون ولا بين ولا بون وبعد رجوع الكل إليها وانطماسها فيها وانقهارها دونها

يقول الإنسان المنعزل عن اليقين والعرفان يومئذ أين المفر والملجأ حتى افر اليه والجأ نحوه

كلا وحاشا ان يكون له حينئذ ملجأ ومفر في الوجود حتى يطلبه ويصل اليه إذ لا وزر أى لا حصن ولا حرز ولا مخلص ولا ملجأ يومئذ بل في عموم الأوقات والأزمان عند العارف غير الحق إذ لا شي ء في الوجود سواه فثبت انه

إلى ربك

يا أكمل الرسل والى كنف حفظه وجواره يومئذ المستقر

اى لا مفر ولا مقر يومئذ لعموم العباد الا عنده سبحانه إذ لا مرجع لهم سواه وبعد رجوع الكل اليه سبحانه وحضوره عنده

ينبؤا

و يخبر الإنسان يومئذ بما قدم

من الأعمال الصالحة وأتى بها

و

بما أخر

منها ولم يأت بها وتركها بل قد أتى بأضدادها على التفصيل بلا فوت شي ء منها

بل

لا حاجة حينئذ إلى الأنباء والاخبار عما صدر عنه وجرى عليه إذ الإنسان

له حينئذ على نفسه

و بما صدر عنه من الأعمال الصالحة والطالحة بصيرة

كاملة وبينة واضحة موضحة إذ يشهد له او عليه جوارحه وأركانه التي قد اقترف بها ما اقترف من الحسنات والسيئات ولو

ألقى

حينئذ معاذيره

اى جميع ما يعتذر به من الاعذار الكاذبة لم يسمع مع حضور الشهود العدول التي هي أعضاءه وجوارحه بل يعامل معه بمقتضى ما يحاسب عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر. ثم لما استعجل رسول الله صلى الله عليه وسلم بادر بالتقاط الوحى

من في جبرائيل عليه السلام إلى حيث سبق عليه بالتلفظ خوفا من ان ينفلت منه شي ء نهى سبحانه حبيبه صلى الله عليه وسلم عن". (١)

٢٩٣-"" صفحة رقم ١٠٩ "

مقاتل والبراء : أحاط بالناس يعني أهل مكة أي أنها ستفتح لك .

) وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس (.

قال قوم : هي رؤيا عين وهو ما أرى النبي (صلى الله عليه وسلم) ليلة المعراج **من العجائب** والآيات فكان ذلك فتنة للناس ، فقوم أنكروا وكذبوا ، وقوم ارتدوا ، وقوم صدقوا ، والعرب تقول : (رأيت بعيني) رؤية ورؤيا وعلى هذا يحمل حديث معاوية أنه كان إذا سئل عن مسرى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : كانت رؤيا من الله صادقة أي (رؤيا عيان) أرى الله نبيه (صلى الله عليه وسلم) وماذكرنا من تأويل الآية ، قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وأبي مالك وقتادة ومجاهد والضحاك وابن زيد وابن جريج وعطية وعكرمة وعطية عن ابن عباس .

وقال آخرون : هي ما أرى الله نبيه (صلى الله عليه وسلم) ليلة أسرى بروحه دون بدنه فلما قصها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على أصحابه (. . . . .) من أصحاب المسلمين وطعن فيها ناس من المنافقين . وهو ماروى جرير بن حازم عن أبي رجاء العطاردي ، يحدث عن سمرة بن جندب قال : كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا صلى الغداة أستقبل الناس (بوجهه) فقال : (هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا) ؟ فإن كان أحدا رأي تلك الليلة رؤيا قصها عليه فيقول فيها ماشاء الله أن يقول فسألنا يوما . فقال : (هل رأى منكم أحد الليلة رؤيا) ، قلنا : لا ، قال : (لكني أتاني الليلة آيتان فقالا لي : إنطلق فإنطلقت معهما فأخرجاني إلى أرض مستوية فإذا رجل مستلقي على قفاه ورجل قائم بيده صخرة فشدخ بها رأسه (فيتبع) الحجر فإذا ذهب يأخذه عاد رأسه كما كان فهو يصنع به مثل ذلك ، فقلت : ما هذا ؟ قالا : إنطلق فانطلقت معهما فأتينا على رجل مستلق لقفاه يرمش عينه ، فإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد فإذا هو يأخذ أحد شقي وجهه فيشر شر شدقه إلى قفاه وعينه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ذلك فما يفرغ من ذلك حتى يصبح ذلك الجانب كما كان ثم يعود إليه ، فقلت لهما : سبحان الله ما هذا ؟ قالا لي : إنطلق فانطلقت معهما فأتيا على بيت مبني مثل بناء التنور أعلاه ضيق (وأسفله واسع) يوقد فيه النار فأطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب من أسفل (ضجوا) ، قلت لهما : ما هؤلاء ؟

قالا لي : إنطلق فانطلقنا فأتينا على نهر من دم أحمر وإذا في البحر سابح يسبح فإذا على شاطىء النهر رجل عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك السابح يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجرا فيذهب فيسبح مايسبح ثم يرجع إليه كما رجع إليه فيفغر له فاه فألقمه حجرا قال : فقلت ما هذا ؟ قالا : إنطلق فإنطلقت فأتينا على رجل كريه المرآة

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ٢/٤٦٥

كأكره ما رأيت". [1]

٢٩٤-"" صفحة رقم ١٤٥ "

عوجا (: مختلفا

الكهف : (٢) قيما لينذر بأسا . . . . . .

) لينذر بأسا شديدا (أي لتنذركم بأسا شديدا) من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا (وهي الجنة .

الكهف : (٣ - ٥) ماكثين فيه أبدا

) ماكثين (: مقيمين) فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة (نصب على التمييز والقطع ، تقديره : كبرت الكلمة كلمة ،) تخرج من أفواههم إن يقولون (: ما يقولون) إلا كذبا (.

الكهف : (٦) فلعلك باخع نفسك . . . . . .

) فلعلك باخع نفسك (: قاتل نفسك) على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث (: القرآن) أسفا (: حزنا وجزعا وغضبا .

الكهف : (٧) إنا جعلنا ما . . . . . .

) إنا جعلنا ما على الأرض (من كل شيء) زينة لها (، قال الضحاك من الزاكية خاصة زينة لها) لنبلوهم أيهم أحسن عملا (أي أزهد فيها .

الكهف : (٨) وإنا لجاعلون ما . . . . . .

) وإنا جاعلون ما عليها صعيدا (: مستويا) جرزا (: يابسا أملس لا تنبت شيئا .

( ) أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من ءاياتنا عجبا إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنآ ءاتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا فضربنا علىءاذانهم فى الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية ءامنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والارض لن ندعوا من دونه إلاها لقد قلنا إذا شططا هاؤلاء قومنا اتخذوا من دونه ءالهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقا (٢

الكهف : (٩) أم حسبت أن . . . . . .

) أم حسبت (، معناه : بل أم حسبت ، يعني : أظننت يا محمد) أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (؟ يعني : ليسوا أعجب آياتنا ؛ فإن ما خلقت من السماوات والأرض وما فيهن **من العجائب** أغرب منهم . والكهف هو

---

(١) الكشف والبيان . موافق للمطبوع ١٠٩/٦

الغار في الجبل . واختلفوا في الرقيم ، فقال فيه ما روى ابن جريج عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (إن ثلاثة نفر خرجوا يرتادون لأهلهم ، بينا هم يمشون إذ أصابتهم السماء ، فأووا إلى كهف فسقطت صخرة من الجبل فانطبقت على باب الكهف فانقفل عليهم ، فقال قائل منهم : اذكروا أيكم عمل حسنة لعل الله برحمته يرحمنا". [١]

٢٩٥-"" صفحة رقم ٨٤ "

أخبرنا محمد بن نعيم قال : أخبرنا الحسن بن الحسين بن أيوب ، أخبرنا علي بن عبدالعزيز قال : حدثنا أبو عبيد قال : حدثنا حجاج عن هارون قال : سألت أبا عمرو بن العلاء عنها فقال : برق بالكسر يعني جار قال : وسألت عنها عبدالله بن أبي إسحاق فقال : برق بالفتح ، وقال : إنما برق الحنظل اليابس ، وبرق البصر قال : فذكرت ذلك لأبي عمرو فقال : إنما برق الحنظل والنار والبرق ، وأما البصر فبرق عند الموت ، قال : فأخبرت بذلك ابن أبي إسحاق فقال : أخذت قراءتي عن الأشياخ نصر بن عاصم وأصحابه فذكرت ذلك لأبي عمرو فقال : لكني لا آخذ عن نصر ولا عن أصحابه كأنه يقول أخذ عن أهل الحجاز فقال : قتادة ومقاتل : شخص البصر فلا يطرف مما يرى **من العجائب** مما كان يكذب به في الدنيا إنه غير كائن ، وقال الفراء والخليل : برق بالكسر فزع ، وأنشدا لبعض العرب :

فنفسك قانع ولا تنغي

وداو الكلوم ولا تبرق

أي لا تفزع من الجرح الذي بك .

قال ذو الرمة :

ولو أن لقمان الحكيم تعرضت

لعينيه مي سافرا كاد يبرق

وبرق بفتح الراء : شق عينه وفتحها ، وأنشد أبو عبيدة :

لما أتاني ابن عمير راغبا

أعطيته عيسا صهابا فبرق

أي فتح عينه ، ويجوز أن يكون من البرق .

القيامة : (٨) وخسف القمر

) وخسف القمر (أظلم وذهب ضوءه ، قال ابن كيسان : ويحتمل أن يكون بمعنى غاب كقوله سبحانه) فخسفنا به الأرض (، وقرأ (ابن أبي اسحاق وعيسى والأعرج) : وخسف بالضم لقوله :

القيامة : (٩) وجمع الشمس والقمر

---

(١) الكشف والبيان . موافق للمطبوع ١٤٥/٦

) وجمع الشمس والقمر (أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران ، وهي في قراءة عبدالله : وجمع بين الشمس والقمر ، وقيل : وجمع بينهما في ذهاب الضياء ، وقال عطاء بن يسار : يجمعان يوم القيامة ، ثم يقذفان في البحر ، فيكونان نار الله الكبرى ، وقال علي بن أبي طالب وابن عباس : يجعلان في نور الحجب .

القيامة : (١٠) يقول الإنسان يومئذ . . . . .

) يقول الإنسان يومئذ أين المفر (المهرب ، وقرأها العامة) المفر (بفتح الفاء واختاره أبو عبيد وأبو حاتم قالا : لأنه مصدر ، وقرأ ابن عباس والحسن بكسر الفاء ، قال الكسائي : هما". (١)

٢٩٦-"" " صفحة رقم ٢٣٣ " "

ويا للعجب من أبي حنيفة - رضي الله تعالى عنه - انه تمسك في وجوب مسح الناصية بخبر واحد ، في أنه - - مسح على الناصية ، فجعل ذلك القدر من المسح شرطا لصحة الصلاة ، وها هنا نقل أهل العلم نقلا متواترا أنه - - واظب على قراءة الفاتحة ، ثم قال : إن صحة الصلاة غير موقوفة عليها ، وهذا **من العجائب** . الثاني : قوله تعالى : (وأقيموا الصلاة ([البقرة : ٤٣] ، والصلاة لفظ محلى بالألف واللام ، فيكون المراد منها المعهود السابق ، وليس عند المسلمين معهود سابق من لفظ الصلاة إلى الأعمال التي كان رسول الله يأتي بها . وإذا كان كذلك كان قوله تعالى : (وأقيموا الصلاة (جاريا مجرى أمره بقراءة الفاتحة ، وظاهر الأمر الوجوب ، ثم إن هذه اللفظة تكررت في القرآن الكريم أكثر من مائة مرة ، فكان ذلك دليلا قاطعا على وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة . الثالث : أن الخلفاء الراشدين - رضي الله تعالى عنهم - واظبوا على قراءتها طول عمرهم ، ويدل عليه ما روي في) الصحيحين (أن النبي - - وأبا بكر وعمر - رضي الله تعالى عنهما - كانوا يستفتحون القراءة ب) الحمد لله رب العالمين) ، وإذا ثبت هذا وجب علينا ذلك ، لقوله : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي) . ولقوله : (اقتدوا باللذين من بعدي : أبي بكر وعمر) هما . والعجب من أبي حنيفة - - أنه تمسك بطلاق الفار بأثر عثمان - ه -". (٢)

٢٩٧-"" " صفحة رقم ٣٧٢ " "

التأويل ، وهذا جواب عن سؤال أيضا ، وهو أن يقال : قوله تعالى : (مثلهم كمثل الذى ستوقد (يقتضي تشبيه مثلهم مثل المستوقد ، فما مثل المنافقين ومثل المستوقد حتى شبه أحدهما بالآخر ؟

فالجواب : أن يقال : استعير المثل للقصة وللصفة إذا كان لها شأن وفيها غرابة ، كأنه قيل : قصتهم العجيبة كقصة الذي استوقد نارا ، وكذا قوله : (مثل الجنة التي وعد المتقون ([الرعد : ٣٥] أي فيما قصصنا عليه **من العجائب** قصة الجنة العجيبة .) ولله المثل الأعلى ([النحل : ٦٠] أي : الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة .

---

(١) الكشف والبيان . موافق للمطبوع ٨٤/١٠

(٢) اللباب في علوم الكتاب ٢٣٣/١

) مثلهم فى لتوراة ([الفتح : ٢٩] أي : وصفهم وشأنهم المتعجب منه ، ولكن المثل - بالفتح - ولذلك حوفظ في لفظه فلم يغير .

و " الذي " : في محل خفض بالإضافة ، وهو موصول للمفرد المذكر ، ولكن المراد به - هنا - جمع ولذلك روعي معناه في قوله : (ذهب الله بنورهم (فأعاد الضمير عليه جمعا ، والأولى أن يقال : إن " الذي " وقع وصفا لشيء يفهم الجمع ، ثم حذف ذلك الموصوف للدلالة عليه .

والتقدير : ومثلهم كمثل الفريق الذي استوقد ، أو الجمع الذي استوقد ؛ ويكون قد روعي الوصف مرة ، فعاد الضمير عليه مفردا في قوله : (استوقد نارا (و " حوله " ، والموصوف أخرى فعاد الضمير عليه مجموعا في قوله : " بنورهم " ، و " تركهم " .

وقيل : إن المنافقين ذاتهم لم يشبهوا بذات المستوقد ، وإنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ، ومثله قوله : (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار ([الجمعة : ٥] ، وقوله : (ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت ([محمد : ٢٠] .

وقيل : المعنى : ومثل كل واحد منهم كقوله : (يخرجكم طفلا ([غافر : ٦٧] أي : يخرج كل واحد منكم . ووهم أبو البقاء ، فجعل هذه الآية من باب ما حذفت منه النون تخفيفا ، وأن الأصل : " الذين " ثم خففت بالحذف ، وكأنه مثل قوله تعالى : (وخضتم ك الذي خاضو ا ([التوبة : ٦٩] ، وقول الشاعر : [الطويل] .

٢٢٥ - وإن الذي حانت بفلج دماؤهم

هم القمم كل القوم يا أم خالد

والأصل : "كالذين خاضوا " " وإن الذين حانت " . وهذا وهم ؛ لأنه لو كان من باب". (١)

٢٩٨-"" " صفحة رقم ٤٩٣ " "

" اللام " المقوية ، وإذا تأخر أن يتعدى إيله بنفسه فقط ؟

فالجواب : أن أمثلة المبالغة خالفت أفعالها ، وأسماء فاعليها لمعنى وهو شبهها ب " أفعل " التفضيل بجامع ما فيها ن معنى المبالغة ، و " أفعل " التفضيل له حكم في التعدي ، فأعطيت أمثلة المبالغة ذلك الحكم ، وهو أنها لا تخلو من أن تكون من فعل متعد بنفسه أو لا .

فإن كان الأول فإما أن يفهم علما أو جهلا أو لا . فإن كان الأول تعدت بالباء نحو : (هو أعلم بكم ([النجم : ٣٢]) وهو عليم بذات الصدور ([الحديد : ٦] و " زيد جهول بك " و " أنت أجهل به " وإن كان الثاني تعدت ب " اللام " نحو : " أنا أضرب لزيد منك " و " أنا ضراب له ، ومنه : (فعال لما يريد ([هود : ١٠٧] ، وإن كانت من متعد بحرف جر تعدت هي بذلك الحرف نحو : " أنا أصبر على كذا " و " أنا صبور عليه " ، و " أزهد فيه منك " ، و

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٣٧٢/١

" زهيد فيه " .

فصل في إثبات العلم لله سبحانه بخلقه

هذه الآية تدل على أنها لا يمكن أن يكون خالقا للأرض وما فيها ، وللسماوات وما فيها **من العجائب** والغرائب إذى إذا كان عالما بها محيطا بجزئياتها وكلياتها ، وذلك يدل على أمور :

أحدها : أن يفسد قول الفلاسفة الذين قالوا : إنه لا يعلم الجزئيات ، ويدل على صحة قول المتكلمين فإنهم قالوا : إنه – تعالى – فاعل لهذه الأجسام على سبيل الإحكام والإتقان ، وكل فاعل على هذا الوجه ، فإنه لا بد وأن يكون عالما بما فعله كما ذكر في هذه الآية .

وثانيها : يدل على فساد قول المعتزلة ، وذلك لأنه – سبحانه وتعالى – بين أن الخالق للشيء على سبيل التقدير والتحديد ، ولا بد أن يكون عالما به وبتفاصيله ، لأن خالقه قد خصه بقدر دون قدر ، والتخصيص بقدر معين لا بد وأن يكون بإرادة ، وإلا فقد حصل الرجحان من غير مرجح ، والإرادة مشروطة بالعلم ، فثبت أن خالق الشيء لا بد وأن يكون عالما به على سبيل التفصيل .

فلو كان العبد موجدا لأفعال نفسه لكان عالما بها ، وبتفاصيلها في العدد والكمية والكيفية ، فلما لم يحصل هذا العلم علمنا أنه غير موجد لأفعال نفسه .

وثالثها : قالت المعتزلة : إذا جمع بين هذه الآية وبين قوله : (وفوق كل ذي علم عليم) [يوسف : ٧٦] ظهر أنه – تعالى – عالم بذاته .

والجواب : قوله تعالى : " وفوق كل ذي علم عليم " عام ، وقوله : (أنزله بعلمه) [النساء : ١٦٦] خاص والخاص مقدم على العام .". [١]

٢٩٩-"" " صفحة رقم ١٣٥ " "

للشرابي : هذا هو الذي علم تأويل رؤياي ؟ قال : نعم ، فأقبل على يوسف ، فقال الملك : أحب أن أسمع منك تأويل رؤياي شفاها .

فأجابه بذلك الجواب شفاها ، وشهد قلبه بصحته ؛ فعند ذلك قال له الملك : (إنك اليوم لدينا مكين أمين (يقال : فلان مكين عند فلان ، بين المكانة ، أي : المنزلة ، وهي حالة يتمكن بها صاحبها مما يريد ، وقوله : " أمين " أي : قد عرفنا أمانتك ، وبراءتك مما نسبت إليه . واعلم أن قوله : " أمين "كلمة جامعة لكل ما يحتاج إليه من الفضائل ، والمناقب ؛ وذلك لأنه لا بد في كونه أمينا من القدرة والعلم ، أما القدرة ؛ فلأن يحصل بها المكنة ، وأما العلم ؛ فلأن كونه متمكنا من أفعال الخير لا يحصل إلا به ، إذ لو لم يكن عالما بما ينبغي ، وبما لا ينبغي ، لا يمكن تخصيص بيان ما ينبغي بالفعل ، ولا تخصيص ما لا ينبغي بالترك ؛ فثبت أن كونه مكينا لا يحصل إلا بالقدرة والعلم ، وأما كونه أمينا ، فهو عبارة عن كونه

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٤٩٣/١

لا يفعل الفعل لداعي الشهوة ، وإنما يفعله لداعي الحكمة ، فثبت أن كونه مكينا أمينا يدل على كونه قادرا ، وعلى كونه عالما بمواضع الصلاح ، والفساد ، وعلى كونه يفعل لداعي الحكمة ، لا لداعي الشهوة ، وكل من كان كذلك ، فإنه لا يصدر عنه فعل السوء والفحشاء .

ثم حكى سبحانه وتعالى أن يوسف عليه الصلاة والسلام قال في هذا المقام : (اجعلني على خزآئن الأرض إني حفيظ عليم (قال المفسرون : لما عبر يوسف رؤيا الملك بين يديه ، قال له الملك : فما ترى أيها الصديق ؟ فقال : أرى أن تزرع في هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا ، وتبني الخزائن وتجمع فيها الطعام ، فإذا جاءت السنون المجدبة بعت الغلات ، فيحصل بهذا الطريق مال عظيم ، فقال الملك : ومن لي بهذا الشغل ؟ فقال يوسف : (اجعلني على خزآئن الأرض (، أي : على خزائن أرض مصر . أدخل الألف واللام على الأرض والمراد منه المعهود السابق .

روى ابن عباس رضي البله عنهما عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : " رحم الله أخي يوسف ، لو لم يقل : اجعلني على خزائن الأرض لا ستعمله من ساعته لكنه لما قال ذلك أخره عنه سنة " .

قال ابن الخطيب : " وهذا **من العجائب** ؛ لأنه لما تأبى عن الخروج من السجن ، سهل الله عليه ذلك على أحسن الوجوه ، ولما سارع في ذكر هذا الالتماس ، أخر الله ذلك". (١)

٣٠٠-"" " صفحة رقم ٢٤٤ " "

الغائصة في الأرض ، وهذا **من العجائب** ؛ لأن طبيعة تلك الحبة واحدة وتأثير الطبائع ، والأفلاك ، والكواكب فيها واحد ، ثم إنه يخرد من الجانب الأعلى من تلك الحبة جرم صاعد إلى الهواء ، ومن الجانب الأسفل جرم غائص في الأرض ، ومن المحال أن يتولد من الطبيعة الواحدة طبيعتان متضادتان ، فعلمنا أن ذلك إنما كان بتدبير المدبر العليم الحكيم لا بسبب الطبع ، والخاصة ، ثم إن الشجرة النامية في تلك الجهة بعضها يكون خشبا ، وبعضها يكون نورا ، وبعضها يكون ثمرة ، ثم إن تلك الثمرة أيضا يحصل فيها أجسام مختلفة الطبائع مثل الجوز ففيه أربعة أنواع من القشور ، فالقشرة الأعلى ، وتحته القشرة الخشبية ، وتحته القشرة المحيطة باللب ، وتحت تلك القشرة قشرة أخرى في غاية الرقة تمتاز عما فوقها حال كون الجوز واللوز رطبا وأيضا : فقد يحصل في الثمرة الواحدة الطبائع المختلفة فالأترجد قشره جار يابس ولحمه وماؤه حاران رطبان ؛ فثبت أن هذه الطبائع المختلفة من الحبة الواحدة مع تساوي تأثيرات الطبائع ، وتأثيرات الأنجم ، والأفلاك على زعم من يدعيه لا بد وأن يكون بتدبير العليم القدير . فإن قيل : الزوجان لا بد وأن يكونا اثنين ، فما الفائدة في قوله : " زوجين اثنين " ؟ .

فالجواب : أنه تعالى أول ما خلق العالم ، وخلق فيه الأشجار ، خلق من كل نوع من الأنواع اثنين فقط ، فلو قال : " زوجين " لم يعلم أن المراد النوع ، أو الشخص فلما قال : " اثنين " علمنا أنه تعالى أول ما خلق من كل زوجين اثنين [لا أقل ولا أزيد ، والحاصل أن الناس فيهم الآن كثرة ، إلا أنهم ابتدءوا من زوجين اثنين] بالشخص وهما : آدم وحواء عليهما

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ١١/١٣٥

السلام وكذلك القول في جميع الأشجار ، والزروع ، والله أعلم .
النوع الرابع : الاستدلال بأحوال الليل ، والنهار ، وإليه الإشارة بقوله : (يغشى لليل النهار (وقد سبق الكلام فيه فأغنى عن الإعادة .
ثم قال تعالى : (إن في ذ الك لآيات لقوم يتفكرون (فيستدلون ، والتفكر : تصرف القلب في طلب المعاني .
قوله : (وفى لأرض قطع متجاورات (العامة على رفع : " قطع " " وجنات " إما على الابتداء ، وإما على الفاعلية بالجار قبله .
وقرىء " قطعا متجاورات " بالنصب ، وكذلك هي في بعض المصاحف على إضمار جعل . وقرأ الحسن : " وجنات " بكسر التاء وفيها أوجه :". (١)

٣٠١-"" " صفحة رقم ١٠٥ " "
الإنسان غذاء ، أو شربة رقيقة ؛ انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا ، لا يخرج منه شيء من ذلك المأكول ، والمشروب إلى أن يكمل انهضامه في المعدة ، وينجذب ما صفا منه إلى الكبد ، ويبقى الثقل هناك ، فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ ، وينزل منه ذلك الثقل ، وهذا **من العجائب** التي لا يمكن حصولها إلا بتدبير الفاعل الحكيم ؛ لأنه متى كانت الحاجة إلى خروج ذلك الجسم من المعدة انفتح فحصل الانطباق تارة ، و الانفتاح أخرى ، بحسب الحاجة ، وتقدير المنفعة مما لا يتأتى إلا بتدبير الفاعل الحكيم . الثاني : أنه - تعالى - أودع في الكبدة قوة ، تجذب الأجزاء اللطيفة الحاصلة في ذلك المأكول ، والمشروب ، ولا تجذب الأجزاء الكثيفة ، وخلق في الأمعاء قوة تجذب تلك الأجزاء الكثيفة التي هي الثقل ، ولا تجذب الأشياء اللطيفة ألبتة ، ولو كان الأمر بالعكس ، لاختلفت مصلحة البدن ، ولفسد نظام هذا التركيب .
الثالث : أنه - سبحانه وتعالى - أودع في الكبد قوة هاضمة طابخة ، حتى إن تلك الأجزاء اللطيفة ؛ تنطبخ في الكبد ، وتنقلب دما ، ثم إنه - تعالى - أودع في المرارة قوة جاذبة للصفراء ، وفي الطحال قوة جاذبة للسوداء ، وفي الكلية قوة جاذبة لزيادة المائية ، حتى يبقى الدم الصافي الموافق لتغذية البدن ، وتخصيص كل واحد من هذه الأعضاء بتلك القوة الحاصلة ، لا يمكن إلا بتدبير الحكيم العليم .
الرابع : أن في الوقت الذي يكون الجنين في رحم الأم ينصب من ذلك الدم نصيب وافر إليه حتى يصير مادة تنمي أعضاء ذلك الولد ، وازدياده ، فإذا انفصل ذلك الجنين عن الرحم ينصب ذلك النصيب إلى جانب الثدي ليتولد منه اللبن الذي يكون غذاء له ، فإذا كبر ذلك الولد لم ينصب ذلك النصيب لا إلى الرحم ، ولا إلى الثدي ، بل ينصب على مجموع بدن المتغذي ، فانصباب ذلك الدم في كل وقت إلى عضو آخر انصبابا موافقا للمصلحة ، والحكمة لا يتأتى إلا بتدبير الفاعل المختار الحكيم .
الخامس : أن عند تولد اللبن في الضرع أحدث - تعالى - في حلمة الثدي ثقوبا صغيرة ومساما ضيقة ، ولما كانت هذه

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ١١/٢٤٤

المسام ضيقة جدا ، فحينئذ لا يخرج منها إلا ما كان في غاية الصفاء ، واللطافة ، وأما الأجزاء الكثيفة فإنه لا يمكنها الخروج من تلك المنافذ الضيقة فتبقى في الداخل ، والحكمة في إحداث تلك الثقوب الصغيرة والمنافذ الضيقة في رأس الحلمة ؛ لكي تكون كالمصفاة ، فكل ما كان لطيفا خرج ، وما كان كثيفا ؛ احتبس في الداخل ، فبهذا الطريق يصير ذلك اللبن خالصا موافقا لبدن الصبي " سائغا للشاربين " .

السادس : أنه – تعلى – ألهم ذلك الصبي إلى المص ؛ فإن الأم إذا ألقت حلمة الثدي في فم الصبي ، فذلك الصبي في الحال يأخذ في المص ، ولولا أن الفاعل المختار الرحيم قد ألهم ذلك الطفل الصغير ذلك العمل المخصوص ، وإلا لم يحصل تخليق ذلك اللبن في الثدي .". (١)

٣٠٢-"" صفحة رقم ١٩٧ " "

ولو ادعى مدع أن ها هنا خمسة التفاتات لاحتيج في دفعه إلى دليل واضح ، والخامس : الالتفات من " إنه هو " إلى التكلم في قوله) وآتينآ موسى لكتاب ([الإسراء : ٢] الآية .

والرؤية هنا بصرية . وقيل : قلبية ، وإليه نحا ابن عطية ، فإنه قال : " ويحتمل أن يريد : لنري محمدا للناس آية ، أي : يكون النبي (صلى الله عليه وسلم) آية في أن يصنع الله ببشر هذا الصنيع " فتكون الرؤية قلبية على هذا .

فصل في معنى " لنريه "

معنى الرؤية هو ما رأى في تلك الليلة **من العجائب** والآيات الدالة على قدرة الله تعالى .

فإن قيل : قوله : (لنريه من آياتنآ (يدل على أنه تعالى ما أراه إلا بعض الآيات ؛ لأن كلمة " من " للتبعيض وقال في حق إبراهيم : (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض ([الأنعام : ٧٥] فيلزم أن يكون معراج إبراهيم – عليه السلام – أفضل من معراج محمد (صلى الله عليه وسلم) قلنا : فالجواب أن الذي رآه إبراهيم ملكوت السموات والأرض ، والذي رآه محمد بعض آيات الله ، ولا شك أن آيات الله أفضل . ثم قال : (إنه هو السميع البصير (أي : السميع لأقوال محمد (صلى الله عليه وسلم) أي : المجيب لدعائه البصير : أي : لأفعاله العالم بكونها خالصة عن شوائب الرياء ، مقرونة بالصدق والصفاء .

فصل في كيفية الإسراء

اختلفوا في كيفية ذلك الإسراء ، فالأكثرون على أنه أسري بجسد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وروي عن عائشة وحذيفة : أن ذلك كان رؤيا ، قالا : ما فقد جسد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولكن الله أسرى بروحه . فالكلام في هذا الباب في مقامين .

الأول : في غثبات الجواز العقلي .

والثاني : في الوقوع .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ١٢/١٠٥

فالمقام الأول ؛ وهو الجواز العقلي : فنقول : الحركة الواقعة في السرعة إلى هذا الحد ممكنة في نفسها ، والله – تعالى – قادر على جميع الممكنات ، والدليل على أن هذه الحركة السريعة ممكنة غير ممتنعة تفتقر إلى مقدمتين :
الأولى : أن الحركة الواقعة إلى هذا الحد يدل عليها وجوه :". [1]

٣٠٣-"" " صفحة رقم ٣٢١ " "
ستغلبون وتحشرون ([آل عمران : ١٢] ، ولما كان كل ما أخبر الله عنه وقوعه ، فهو واجب الوقوع ، فكان من هذا الاعتبار كالواقع ، فلا جرم قال : (أحاط ب الناس) .
وروي أنه لما تزاحف الفريقان يوم بدر ، ورسول الله (صلى الله عليه وسلم) في العريش ، مع أبي بكر – رضي الله عنه – كان يدعو ، ويقول : اللهم ، إني أسألك عهدك ووعدك لي ، ثم خرج ، وعليه الدرع يحرض الناس ويقول : (سيهزم الجمع ويولون الدبر ([القمر : ٤٥] .
ثم قال تعالى : (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) .
والأكثرون على أن المراد منه ما رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) ليلة المعراج **من العجائب** والآيات .
قال ابن عباس : هي رؤيا عين أريها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو قول سعيد بن جبير ، والحسن ، ومسروق ، وقتادة ، ومجاهد ، وعكرمة ، وابن جريج والأكثرين .
ولا فرق بين الرؤية والرؤيا في اللغة ، يقال : رأيت بعيني رؤية ورؤيا .
وقال بعضهم : هذا يدل على أن قصة الإسراء إنما حصلت في المنام ، وتقدم بيان ضعف هذا في أول السورة ، وقيل : إنه تعالى اراه في المنام مصارع قريش ، فحين ورد ماء بدر ، قال : والله ، لكأني أنظر إلى مصارع القوم ، ثم أخذ يقول : هذا مصرع فلان ، هذا مصرع فلان ، فلما سمعوا قريش ذلك ، جعلوا رؤياه سخرية ، وكانوا يستعجلون بما وعده رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .
وقيل : المراد رؤياه التي رآها ؛ أنه يدخل مكة ، وأخبر بذلك أصحابه ، وعجل السير قبل الأجل إلى مكة فصده المشركون ، فرجع إلى المجينة ، فلما منع عن البيت الحرام عام الحديبية ، ورجع ، كان ذلك فتنة لبعض القوم ، وقا لعمر لأبي بكر – رضي الله عنهما – : أليس قد أخبرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنا ندخل البيت ونطوف به ؟ فقال أبو بكر –
رضي الله عنهما – : أليس قد أخبرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنا ندخل البيت ونطوف به ؟ فقال أبو بكر –
رضي الله عنهما – : أليس قد أخبرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنا ندخل البيت ونطوف به ؟ فقال أبو بكر –
رضي الله عنه – : إنه لم يخبر بأنا نفعل ذلك في هذه السنة ، فسنفعل ذلك في سنة أخرى ، فلما جاء العام المقبل ، دخلها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنزل الله تعالى : (لقد صدق الله رسوله الرؤيا ب الحق ([الفتح : ٢٧] واعترضوا على هذين القولين بأن هذه السورة مكية ، وهاتان الواقعتان مدنيتان ، وهو اعتراض ضعيف ؛ لأن هاتين الوقعتين ، وإن

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ١٢/١٩٧

كانتا مدنيتين ، فرؤيتهما في المنام لا تبعد أن تكون مكية .". [1]

٣٠٤-"" " صفحة رقم ٤٣٠ " "

وقيل : معناه أنهم ليسوا بأعجب من آياتنا ؛ فإن ما خلقت من السموات والأرض وما فيهن **من العجائب** أعجب منهم ، فكيف يستبعد من قدرته ورحمته حفظ طائفة مدة ثلاثمائة سنة وأكثر ؟ هذا وجه النظم .

وقد تقدم سبب نزول قصة أصحاب الكهف عند قوله : (ويسألونك عن الروح ([الإسراء : ٨٥] .

والكهف هو الغار في الجبل وقيل : مطلق الغار ، وقيل : هو ما اتسع ف يالجبل ، فإن لم يتسع ، فهو غار ، والجمع " كهوف " في الكثرة ، و " أكهف " في القلة .

والرقيم : قيل : بمعنى مرقوم .

وعلى هذا قال أهل المعاني : الرقيم الكتاب .

ومنه قوله : (كتاب مرقوم ([المطففين : ٩] أي : مكتوب .

قال الفراء : الرقيم لوح كان فيه أسماؤهم وصفاتهم ، وسمي رقيما ؛ لأن أسماءهم كانت مرقومة فيه .

قال سعيد بن جبير ، ومجاهد : كان لوحا من حجارة ، وقيل : من رصاص ، كتبنا فيه أسماءهم وصفاتهم ، وشد ذلك اللوح على باب الكهف ، وهو أظهر الأقوال .

وقيل : بمعنى راقم ، وقيل : هو اسم الكلب الذي لأصحاب الكهف ، وأنشدوا لأمية بن أبي الصلت : [الطويل]

٣٤٨٦ - وليس بها إلا الرقيم مجاورا

وصيدهم ، والقوم بالكهف همد

وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال : كل القرآن معلوم إلا أربعة : غسلين ، وحنانا ، والأواه ، والرقيم .

وروى عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن الرقيم فقال : زعم كعب أنها القرية التي خرجوا منها ، وهو قول السدي .

وحكي عن ابن عباس : أنه اسم للوادي الذي فيه أصحاب الكهف ، وعلى هذا هو من رقمة الوادي ، وهو جانبه .". [2]

٣٠٥-"" " صفحة رقم ٤٦٠ " "

(وما خلقنا السمآء والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنآ أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنآ إن كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (

قوله تعالى : (وما خلقنا السمآء والأرض (الآية . اعلم أنه لما بين إهلاك القرية لأجل تكذيبهم أتبعه بما يدل على أنه

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ١٢/٣٢١

(٢) اللباب في علوم الكتاب ١٢/٤٣٠

فعل ذلك عدلا منه ، ومجازاة على ما فعلوا فقال : (وما خلقنا السمآء والأرض وما بينهما لاعبين (أي : وما سوينا هذا السقف المرفوع ، وهذا المهاد الموضوع وما بينهما **من العجائب** والغرائب كما سوى الجبابرة سقوفهم وفرشهم للعب واللهو ، وإنما سويناهم لفوائد دينية ودنيوية . أما الدينية فليتفكر المكلفون فيها على ما قال : (ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ([آل عمران : ١٩١] . وأما الدنيوية فلما يتعلق بها من المنافع التي لا تعد ولا تحصى ، وهو كقوله : (وما خلقنا السمآء والأرض وما بينهما باطلا ([ص : ٢٧] وقوله : (ما خلقناهمآ إلا ب الحق ([الدخان : ٣٩] . وقيل : وجه النظم أن الغر منه تقرير نبوة محمد - عليه السلام - والرد على منكريه ، لأنه أظهر المعجز عليه ، فإن كان محمد كاذبا كان إظهار المعجز عليه من باب اللعب ، وذلك منفي عنه ، وإن كان صادقا فهو المطلوب وحينئذ يفسد كل ما ذكروه من المطاعن و " لاعبين " حال من فاعل " خلقنا " .

فصل

قال القاضي عبد الجبار : دلت هذه الآية على أن اللعب ليس من قبله تعالى ، إذ لو كان كذلك لكان لاعبا ، فإن اللاعب في اللغة اسم لفاعل اللعب ، فنفي الاسم الموضوع لفعل يقتضي نفي الفعل . والجواب يبطل ذلك بمسألة الداعي ، وقد تقدم . قوله : (لو أردنآ أن نتخذ لهوا) .

قال ابن عباس : في رواية عطاء : اللهو : المرأة ، وهو قول الحسن وقتادة وقال في رواية الكلبي : اللهو : الولد بلغة اليمن ، وهو قول السدي . وهو في المرأة أظهر ، لأن الوطأ يسمى لهوا في اللغة ، والمرأة محل الوطأ .". (١)

٣٠٦-"" صفحة رقم ٢١٩ " "

وهو الظاهر ، أو من كلام امرأة فرعون ؟ كأنها لما رأت ملأه أشاروا بقتله ، قالت له كذا ؛ أي : أفعل أنت ما أقول لك وقومك لا يشعرون أنا التقطناه - قال الكلبي ، وجعل الزمخشري الجملة من قوله : (وقالت امرأة فرعون (معطوفة على " فالتقطه " والجملة من قوله : (إن فرعون وهامان (إلى " خاطئين " معترضة بين المتعاطفين ، وجعل متعلق الشعور من جنس الجملة المعترضة أي : لا يشعرون أنهم على خطأ في التقاطه ، أو أن هلاكهم على يديه ، قال أبو حيان : ومتى أمكن حمل الكلام على ظاهره من غير فصل كان أحسن .

(وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون (

قوله : (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ((قال الحسن : فارغا) من كل هم إلا هم موسى . وقال أبو مسلم : فراغ الفؤاد هو الخوف والإشغاف ، كقوله : (وأفئدتهم هوآء ([إبراهيم : ٤٣] .

وقال الزمخشري : فارغا صفرا من العقل ، والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والخوف . وقال الحسن ومحمد بن إسحاق فارغا من الوحي الذي أوحينا إليها أن) فألقيه فى ليم ولا تخافي ولا تحزنى إنا رآدوه إليك

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٤٦٠/١٣

([القصص : ٧] فجاءها الشيطان وقال لها : كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجرا وثوابا ، وتوليت أنت قتله ، فألقيته في البحر ، وأغرقتيه ، ولما أتاها خبر موسى أنه وقع في يد فرعون فأنساها عظيم البلاء ما كان من عهد الله إليها . وقال أبو عبيدة : فراغا من الحزن لعلمها بأنه لا يقتل ، اعتمادا على تكفل الله بمصلحته .

قال ابن قتيبة : وهذا **من العجائب** ، كيف يكون فؤادها فارغا من الحزن ، والله تعالى يقول : (لولا". [١]

٣٠٧-"" " صفحة رقم ٣٢١ " "

ومنها الزينة وإن لم يكن نافعا كاللؤلؤ والمرجان ، كقوله تعالى : (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ([النحل : ١٤] ، فالله تعالى ذكر أنواع النعم الأربعة ، وصدرها بالنعمة العظيمة التي هي الروح وهو العلم بقوله : (علم القرآن ([الرحمن : ٢] ، أو يقال : بأن المقصود منه عجائب الله لا بيان النعم ؛ لأن النعم سبق ذكرها فذكر خلق الإنسان من صلصال ، وخلق الجان من مارج من نار ، وهذان **من العجائب** الدالة على القدرة ، لا من النعم .

واعلم أن الأركان أربعة : التراب والماء والهواء والنار ، فالله تعالى بين بقوله : (خلق الإنسان من صلصال (، أن التراب أصل لمخلوق عجيب ، وبين بقوله : (وخلق الجآن من مارج من نار (، أن النار أيضا أصل لمخلوق عجيب ، وبين بقوله : (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (أن الماء أصل لمخلوق آخر كالحيوان عجيب ، بقي الهواء لكنه غير محسوس ، فلم يذكر أنه أصل مخلوق ، لكن بين كونه منشئا للجواري التي في البحر كالأعلام .

فقال : " وله الجوار " .

العامة على كسر " الراء " ؛ لأنه منقوص على " مفاعل " والياء محذوفة لفظا لالتقاء الساكنين .

وقرأ عبد الله والحسن ، ويروى عن أبي عمرو ، " برفع الراء تناسيا للمحذوف " . ومنه : [الرجز]

٤٦٣٦ - لها بنات أربع حسان

وأربع فثغرها ثمان

وهذا كما قالوا : هذا شاك وقد تقدم تقرير هذا في الأعراف عند قوله : (ومن فوقهم غواش ([الأعراف : ٤١] .

قوله : " المنشآت " .

قرأ حمزة ، وأبو بكر بخلاف عنه بكسر الشين ، بمعنى أنها تنشئ الموج بجريها ، أو تنشئ السير إقبالا وإدبارا ، أو التي رفعت شراعها ، والشراع : القلاع .

وعن مجاهد : كل ما رفعت قلعها فهي من المنشآت ، وإلا فليست منها ونسبة الرفع". [٢]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ١٥/٢١٩

(٢) اللباب في علوم الكتاب ١٨/٣٢١

٣٠٨-"" " صفحة رقم ١٨٤ " "

سورة التحريم

مدنية ، وهي ثنتا عشرة آية ، ومائتان وسبع وأربعون كلمة ، وألف وستون حرفا . بسم الله الرحمن الرحيم

(/ يأيها النبي لم تحرم مآ أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم (

قوله تعالى : (ى أيها النبي لم تحرم مآ أحل الله لك (؟ .

قال ابن الخطيب : وجه تعلق هذه السورة بما قبلها ، وذلك لاشتراكهما في الأحكام المخصوصة بالنساء ، واشتراك الخطاب في الطلاق في أول تلك السورة يشترك مع الخطاب بالتحريم في أول هذه السورة ؛ لأن الطلاق في أكثر الصور يشتمل على تحريم ما أحل الله .

وأما تعلق أول هذه السورة بآخر السورة فلأن المذكور في آخر تلك السورة يدل على عظمة حضرة الله تعالى وعلى كمال قدرته وعلمه ، ولما كان خلق السماوات والأرض ، وما بينهما **من العجائب** والغرائب مما ينافي القدرة على تحريم ما أحل الله ، فلهذا قال : (لم تحرم مآ أحل الله لك) .

فصل في سبب نزول الآية

ثبت في صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - " أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يمكث عند زينب بنت جحش ، فيشرب عندها عسلا ، قالت : فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا دخل النبي (صلى الله عليه وسلم) عليها فلتقل : إني أجد ريح مغفير ، فدخل على إحداهما ، فقالت له ذلك ، فقال : بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ، ولن أعود له " ، فنزل : (لم تحرم مآ أحل الله لك (لعائشة وحفصة .". [١]

٣٠٩-"وروى قوم أن ذلك كان بين زمزم والمقام وروى مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان وذكر عبد بن حميد الكشي في تفسيره عن سفيان الثوري أنه قال أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم من شعب أبي طالب وقال فرقة " المسجد الحرام " مكة كلها واستندوا إلى قوله تعالى " لتدخلن المسجد الحرام " وعظم المقصد هنا إنما هو مكة وروى بعض هذه الفرقة عن أم هاني أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء في بيتي وروي بعضها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خرج سقف بيتي وهذا يلتئم مع قول أم هاني وكان الإسراء فيما قال مقاتل قبل الهجرة بعام وقاله قتادة وقيل بعام ونصف قاله عروة عن عائشة وكان ذلك

٤٣٦

في رجب وقيل في ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول والنبي صلى الله عليه وسلم ابن إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانية وعشرين يوما والمتحقق أن ذلك كان بعد شق الصحيفة وقبل بيعة العقبة ووقع في الصحيحين لشريك بن أبي نمر

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ١٩/١٨٤

وهم في هذا المعنى فإنه روى حديث الإسراء فقال فيه وذلك قبل الوحي إليه ولا خلاف بين المحدثين أن هذا وهم من شريك و " المسجد الأقصى " مسجد بيت المقدس وسماه " الأقصى " أي في ذلك الوقت كان أقصى بيوت الله الفاضلة من الكعبة ويحتمل أن يريد ب " الأقصى " البعيد دون مفاضلة بينه وبين سواه ويكون المقصد إظهار العجيب في الإسراء إلى هذا البعد في ليلة .

والبركة حوله هي من جهتين إحداهما النبوءة والشرائع والرسل الذين كانوا في ذلك القطر وفي نواحيه وبواديه والأخرى النعم من الأشجار والمياه والأرض المفيدة التي خص الله الشام بها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله بارك فيما بين العريش إلى الفرات وخص فلسطين بالتقديس وقوله " لنريه من آياتنا " يريد لنري محمدا بعينه آياتنا في السماوات والملائكة والجنة والسدرة وغير ذلك مما رآه تلك الليلة **من العجائب** ويحتمل أن يريد لنرى محمد للناس آية أي يكون النبي صلى الله عليه وسلم آية في أن يصنع الله ببشر هذا الصنع وتكون الرؤية على هذا رؤية قلب ولا خلاف أن في هذا الإسراء فرضت الصلوات الخمس على هذه الأمة .

وقوله " إنه هو السميع البصير " وعيد من الله للكفار تكذيبهم محمدا في أمر الإسراء فهي إشارة لطيفة بليغة إلى ذلك أي " هو السميع " لما تقولون " البصير " بأفعالكم .

قوله عز وجل

سورة الإسراء ٢ - ٤

عطف قوله " وآتينا " على ما في قوله " أسرى بعبده " من تقدير الخبر كأنه قال أسرينا بعبدنا وأريناه آياتنا و " الكتاب " التوراة والضمير في " جعلناه " يحتمل أن يعود على " الكتاب " ويحتمل أن يعود على " موسى " .

". (١)

٣١٠-"فقال أيها الناس إن ربكم يستعتبكم فاعتبوه ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في الكسوف فافزعوا إلى الصلاة الحديث وآيات الله المعتبر بها ثلاثة أقسام فقسم عام في كل شيء إذ حيثما وضعت نظرك وجدت آية وهنا فكرة العلماء وقسم معتاد غبا كالرعد والكسوف ونحوه وهنا فكرة الجهلة فقط وقسم خارق للعادة وقد انقضى بانقضاء النبوءة وإنما يعتبر به توهما لما سلف منه .

قوله عز وجل

سورة الإسراء ٦٠

قال الطبري معنى قوله " وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس " أي في منعك يا محمد وحياطتك وحفظك فالآية إخبار له بأنه محفوظ من الكفرة آمن أن يقتل أو ينال بمكروه عظيم أي فالتبليغ رسالة ربك ولا تتهيب أحدا من المخلوقين وهذا تأويل بين جار مع اللفظ وقد روي نحوه عن الحسن بن أبي الحسن والسدي إلا أنه لا يناسب ما بعده مناسبة شديدة

---

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع ٤٤٣/٣

ويحتمل أن يجعل الكلام مناسبا لما بعده توطئة له فأقول اختلف الناس في " الرؤيا " فقال الجمهور هي رؤيا عين ويقظة وهي ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء قالوا فلما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الإسراء بما رأى في تلك الليلة **من العجائب** قال الكفار إن هذا لعجيب تحث الحداة إلى بيت المقدس شهرين إقبالا وإدبارا ويقول محمد إنه جاءه من ليلة وانصرف منه فافتتن بهذا التلبيس قوم من ضعفة المسلمين فارتدوا وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآيات فعلى هذا يحسن أن يكون معنى قوله " وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس " أي في إضلالهم وهدايتهم وأن كل واحد ميسر لما

٤٦٨

خلق له أي فلا تهتم أنت بكفر من كفر ولا تحزن عليهم فقد قيل لك إن الله محيط بهم مالك لأمرهم وهو جعل رؤياك هذه فتنة ليكفر من سبق عليه الكفر وسميت الرؤية في هذا التأويل رؤيا إذ هما مصدران من رأى وقال النقاش جاء ذلك على اعتقاد من اعتقد أنها منامة وإن كانت الحقيقة غير ذلك .

" . (١)

٣١١-"فإن كانوا قادرين ولم يعارضوه ، بل صرف الله دواعي قلوبهم ومنعها أن تريد معارضته مع هذا التحدي العظيم أو سلبهم القدرة التي كانت فيهم قبل تحديه - فإن سلب القدرة المعتادة أن يقول رجل: معجزتي أنكم كلكم لا يقدر أحد منكم على الكلام ولا على الأكل والشرب فإن المنع من المعتاد كإحداث غير المعتاد - = فهذا من أبلغ الخوارق.

و إن كانوا عاجزين =ثبت أنه خارق للعادة .

فثبت كونه خارقا على تقدير النقيضين النفي والإثبات ، فثبت أنه **من العجائب** الناقضة للعادة في نفس الأمر .

فهذا غاية التنزل ؛ وإلا فالصواب المقطوع به أن الخلق كلهم عاجزون عن معارضته لا يقدرون على ذلك ولا يقدر محمد نفسه من تلقاء نفسه على أن يبدل سورة من القرآن بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه لكل من له أدنى تدبر كما قد أخبر الله به في قوله ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ .

وأيضا فالناس يجدون دواعيهم إلى المعارضة حاصلة ، لكنهم يحسون من أنفسهم العجز عن المعارضة ولو كانوا قادرين لعارضوه .

وقد انتدب غير واحد لمعارضته لكن جاء بكلام فضح به نفسه وظهر به تحقيق ما أخبر به القرآن من عجز الخلق عن الإتيان بمثله ؛ مثل قرآن مسيلمة الكذاب ، كقوله : " يا ضفدع بنت ضفدعين نقي كم تنقين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين ، رأسك في الماء وذنبك في الطين).

وكذلك أيضا يعرفون أنه لم يختلف حال قدرتهم قبل سماعه وبعد سماعه ، فلا يجدون أنفسهم عاجزين عما كانوا قادرين عليه

(١) المحرر الوجيز . موافق للمطبوع ٣/٤٨٤

، كما وجد زكريا عجزه عن الكلام بعد قدرته عليه)."[1]

٣١٢-"والنبات ، والصواعق قد تكون سببا للإفناء ، وذلك مناقض للماء الذي هو رحمة ، والجمع بين النقيضين **من العجائب**.

ناسبتها لما قبلها :

هناك تناسب بين سورة الرعد وسورة يوسف في الموضوع والمقاصد ووصف القرآن ، أما الموضوع فكلاهما تضمنتا الحديث عن قصص الأنبياء مع أقوامهم ، وكيف نجى الله المؤمنين المتقين وأهلك الكافرين ، وأما المقاصد فكل من السورتين لإثبات توحيد الإله ووجوده ، ففي سورة يوسف : أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار. وفي سورة الرعد : الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها .. [٢ - ٤]. قل : من رب السماوات والأرض قل : الله [١٦] ، وفيهما من الأدلة على وجود الصانع الحكيم وكمال قدرته وعلمه ووحدانيته الشيء الكثير ، ففي سورة يوسف : وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها ، وهم عنها معرضون. وفي سورة الرعد آيات دالة على قدرة الله تعالى وألوهيته مثل الآيات [٢ - ٤] ، والآيات [٨ - ١١] ، والآيات [١٢ - ١٦] ، والآيتان [٣٠ و٣٣].

وأما وصف القرآن فختمت به سورة يوسف : ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه ، وتفصيل كل شيء ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون.

وبدئت سورة الرعد بقوله سبحانه : تلك آيات الكتاب ، والذي أنزل إليك من ربك الحق ، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون.

ما اشتملت عليه السورة :

تحدثت سورة الرعد عن مقاصد السور المدنية التي تشبه مقاصد السور المكية ، وهي التوحيد وإثبات الرسالة النبوية ، والبعث والجزاء ، والرد على شبهات المشركين. وأهم ما اشتملت عليه هو ما يأتي :

١ - بدئت السورة بإقامة الأدلة على وجود الله تعالى ووحدانيته ، من خلق السموات والأرض ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ، والجبال والأنهار ، والزروع والثمار المختلفة الطعوم والروائح والألوان ، وأن الله تعالى منفرد بالخلق والإيجاد ، والإحياء والإماتة ، والنفع والضر.

٢ - إثبات البعث والجزاء في عالم القيامة ، وتقرير إيقاع العذاب بالكفار في الدنيا.

٣ - الإخبار عن وجود ملائكة تحفظ الإنسان وتحرسه بأمر الله تعالى.

٤ - إيراد الأمثال للحق والباطل ، ولمن يعبد الله وحده ولمن يعبد الأصنام ، بالسيل والزبد الذي لا فائدة فيه ، وبالمعدن المذاب ، فيبقي النقي الصافي ويطرح الخبث الذي يطفو.

٥ - تشبيه حال المتقين أهل السعادة الصابرين المقيمي الصلاة بالبصير ، حال العصاة الذين ينقضون العهد والميثاق ،

---

(١) المراد بالمثلية في قوله تعالى: (.. فأتوا بسورة من مثله ..) ص/٣٠

ويفسدون في الأرض بالأعمى.". [1]

٣١٣-"الآيات فذلك مثل الحق والباطل . وذكرت السورة الكريمة اوصاف أهل السعادة وأهل الشقاوة ، وضربت مثلا بشهادة الله لرسوله بالنبوة والرسالة ، وأنه مرسل من عند الله العزيز الحكيم .

التسمية :

سميت [سورة الرعد] لتلك الظاهرة الكونية العجيبة ، التي تتجلى فيها قدرة الله وسلطانه ، فالماء جعله الله سببا للحياة ، وأنزله بقدرته من السحاب ، والسحاب جمع الله فيه بين (الرحمة والعذاب) ، فهو يحمل المطر ويحمل الصواعق ، وفي الماء الإحياء ، وفي الصواعق الإفناء ، وجمع النقيضين **من العجائب** كما قال القائل : جمع النقيضين من أسرار قدرته هذا السحاب به ماء به نار فما أجمل واعظم قدرة الله !! (رحمه الله١)

مقصودها وصف الكتاب بأنه الحق في نفسه ، وتارة يتأثر عنه مع أن له صوتا وصيتا وإرعابا وإرهابا يهدي بالفعل ، وتارة لا يتأثر بل يكون سببا للضلال والعمى ، وأنسب ما فيها لهذا المقصد الرعد فإنه مع كونه حقا في نفسه يسمعه الأعمى والبصير والبارز والمستتر ، وتارة يتأثر عنه البرق والمطر وتارة لا ، وإذا نزل المطر فتارة ينفع إذا أصاب الأراضي الطيبة وسلمت من عاهة ، وتارة يخيب إذا نزل على السباخ الخوارة وتارة يضر لإغراق أو الصواعق أو البرد وغيرها - والله أعلم . (رحمه الله٢)

كثيرا ما أقف أمام النصوص القرآنية وقفة المتهيب أن أمسها بأسلوبي البشري القاصر المتحرج أن أشوبها بتعبيري البشري الفاني! وهذه السورة كلها - شأنها شأن سورة الأنعام من قبلها - من بين هذه النصوص التي لا أكاد أجرؤ على مسها بتفسير أو إيضاح.

ولكن ماذا أصنع ونحن في جيل لا بد أن يقدم له القرآن مع الكثير من الإيضاح لطبيعته ولمنهجه ولموضوعه كذلك ووجهته ، بعد ما ابتعد الناس عن الجو الذي تنزل فيه القرآن. وعن الاهتمامات والأهداف التي تنزل لها ، وبعد ما اتماعت وذبلت في حسهم وتصورهم مدلولاته وأبعادها الحقيقية ، وبعد ما انحرفت في حسهم مصطلحاته عن معانيها .. وهم يعيشون في جاهلية كالتي نزل القرآن ليواجهها ، بينما هم لا يتحركون بهذا القرآن في مواجهة الجاهلية كما كان الذين تنزل عليهم القرآن أول مرة يتحركون .. وبدون هذه الحركة لم يعد الناس يدركون من أسرار هذا القرآن شيئا. فهذا القرآن لا يدرك أسراره قاعد ، ولا يعلم مدلولاته إلا إنسان يؤمن به ويتحرك به في وجه الجاهلية لتحقيق مدلوله ووجهته.

رحمه الله_______________

(رحمه الله١) - صفوة التفاسير . للصابونى - (٢ / ٧٠)

(رحمه الله٢) - نظم الدرر . موافق للمطبوع - (٤ / ١١٧)". [2]

---

(١) المفصل في موضوعات سور القرآن ص/٦٠٠

(٢) المفصل في موضوعات سور القرآن ص/٦٠٣

٣١٤-"التوحيد : «وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور» .. وبمناسبة موج البحر وهو له يذكرهم بالهول الأكبر ، وهو يقرر قضية الآخرة. الهول الذي يفصم وشائج الدم التي لا يفصلها في الدنيا هول : «يا أيها الناس اتقوا ربكم. واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا. إن وعد الله حق. فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور» .. وعند هذا المقطع وهذا المؤثر الذي يرتجف له الكيان يختم السورة بآية تقرر القضايا التي عالجتها جميعا ، في إيقاع قوي عميق مرهوب : «إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام. وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدري نفس بأي أرض تموت. إن الله عليم خبير» ..

هذه الجولات الأربع بأساليبها ومؤثراتها ودلائلها وآياتها نموذج من أسلوب القرآن الكريم في معالجة القلوب.

هذا الأسلوب المختار من خالق هذه القلوب العليم بمداخلها. الخبير بما يصلح لها وما تصلح به من الأساليب .. (رحمه الله ١)

مجمل ما حوته السورة الكريمة من الموضوعات

(١) القرآن هداية ورحمة للمؤمنين.

(٢) قصص من ضل عن سبيل الله بغير علم ، واتخذ آيات الله هزوا.

(٣) وصف العالم العلوي ، والعالم السفلى ، وما فيهما **من العجائب** الدالة على وحدانية الله.

(٤) قصص لقمان وإيتاؤه الحكمة ، وشكره لربه على ذلك ، ثم نصائحه لابنه.

(٥) الأمر بطاعة الوالدين إلا فيما لا يرضى الخالق.

(٦) النعي على المشركين فى ركونهم إلى التقليد إذا دعوا إلى النظر فى الكون وعبادة الخالق له.

(٧) لا نجاة للإنسان إلا بالإخبات لله وعمل الصالحات.

(٨) تسلية الرسول على عدم إيمان المشركين.

(٩) تعجيب رسوله من المشركين بأنهم يقرون بأن الله هو الخالق لكل شيء ثم هم يعبدون معه غيره ممن هو مخلوق مثلهم.

(١٠) نعم الله ومخلوقاته لا حصر لها.

(١١) الأمر بالنظر إلى الكون وعجائبه لنسترشد بذلك إلى وحدانية الصانع لها.

رحمه الله______________

(رحمه الله ١) - فى ظلال القرآن . موافقا للمطبوع - (٥ / ٢٧٨٠)". [1]

٣١٥-"فهو إيقاع واحد مطرد. ذو نغمات متعددة. ولكنها كلها تؤلف ذلك الإيقاع ، وتطلق ذلك الحداء. الحداء بالقلب البشري إلى السماء! وقد وردت إشارات سريعة إلى حلقة من قصة إبراهيم ولوط ، وقصة موسى ، وقصة عاد ، وقصة ثمود ، وقصة قوم نوح. وفي الإشارة إلى قصة إبراهيم تلك اللمحة عن المال كما أن فيها لمحة عن الغيب المكنون في

---

(١) المفصل في موضوعات سور القرآن ص/٨٦٠

تبشيره بغلام عليم ، ورزقه هو وامرأته به على غير ما توقع ولا انتظار. وفي بقية القصص إشارة إلى تصديق وعد الله الذي أقسم عليه في أول السورة : «إنما توعدون لصادق» والذي أشار إليه في ختامها إنذارا للمشركين :«فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون» .. بعد ما ذكر أن أجيال المكذبين كأنما تواصت على التكذيب : «كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا : ساحر أو مجنون. أتواصوا به؟ بل هم قوم طاغون!» ..

فالقصص في السورة - على هذا النحو - مرتبط بموضوعها الأصيل. وهو تجريد القلب لعبادة الله ، وتخليصه من جميع العوائق ، ووصله بالسماء. بالإيمان أولا واليقين. ثم برفع الحواجز والشواغل دون الرفرفة والانطلاق إلى ذلك الأفق الكريم. (رحمه الله ١)

خلاصة ما تضمنته السورة الكريمة

(١) دلائل البعث **من العجائب** الطبيعية والعلوم النفسية.

(٢) جزاء المتقين بما يلقونه من النعيم يوم القيامة.

(٣) أخبار الأمم السالفة التي كذبت رسلها.

(٤) تسلية النبي - صلى الله عليه وسلم - على ما يلقاه من أذى قومه.

(٥) الفرار إلى الله من هذه الدنيا المحفوفة بالمخاطر.

(٦) النهى عن الإشراك بالله.

(٧) إخبار رسوله بأن قومه ليسوا ببدع فى التكذيب بك فقد كذب رسل من قبلك.

(٨) أمره - صلى الله عليه وسلم - بالإعراض عنهم ، وتذكير من تنفعه الذكرى من المؤمنين.

(٩) إخباره بأن الله ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه.

(١٠) وعيد الكافرين بأن العذاب سيحل بهم يوم القيامة.

(١١) إن المشركين سينالهم نصيب من العذاب مثل نصيب نظرائهم من المكذبين. (رحمه الله ٢)

================

رحمه الله ________________

(رحمه الله ١) - فى ظلال القرآن . موافقا للمطبوع - (٦ / ٣٣٧٣)

(رحمه الله ٢) - تفسير الشيخ المراغى . موافقا للمطبوع - (٢٧ / ١٥)". [(١)]

٣١٦-"والمؤمنين الأخروي ، وحملة تنديد وإنذار على الكفار وردود على ما كانوا يقولونه في مواقف الجدل مع النبي - صلى الله عليه وسلم - . وآياتها منسجمة متوازنة مما يسوغ القول بوحدة نزولها.

ولقد روى بعض أصحاب الكتب الخمسة بعض الأحاديث في فضل هذه السورة. منها حديث رواه أبو داود والترمذي

---

(١) المفصل في موضوعات سور القرآن ص/١١١٩

عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال :

«سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى غفر له تبارك الذي بيده الملك» «١». وحديث رواه الترمذي عن ابن عباس قال : «ضرب بعض أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – خباءه على قبر وهو لا يعلم فإذا فيه إنسان يقرأ سورة تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها فأتى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ تبارك حتى ختمها ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر» «٢». (رحمه الله ١)

سورة الملك ، أو : تبارك مكية ، وهي ثلاثون آية.

تسميتها : سميت سورة الملك لافتتاحها بتقديس وتعظيم الله نفسه الذي بيده الملك – ملك السموات والأرض ، وله وحده مطلق السلطان ، والتصرف في الأكوان كيفما يشاء ، يحيي ويميت ، ويعز ويذل ، ويغني ويفقر ، ويعطي ويمنع. وتسمى السورة أيضا «الواقية» و«المنجية» لأنها تقي وتنجي من عذاب القبر وتشفع لصاحبها كما سأبين. وكان ابن عباس يسميها «المجادلة» لأنها تجادل عن قارئها في القبر.

مناسبتها لما قبلها :

وجه تعلق هذه السورة بما قبلها من وجهين :

١ – وجه عام : وهو أن هذه السورة تؤكد مضمون السورة السابقة في جملتها ، فالسورة المتقدمة تبين مدى قدرة الله وهيمنته وتأييده لرسوله محمد – صلى الله عليه وسلم – في مواجهة احتمال ظهور تآمر امرأتين ضعيفتين من نسائه عليه ، وهذه السورة توضح بصيغة عامة أن بيد الله ملك السموات والأرض ومن فيهن ، وأنه القدير على كل شيء. وجه خاص : وهو أنه تعالى ذكر في أواخر «التحريم» مثالين فريدين متمثلين بامرأتي نوح ولوط للكافرين ، وبامرأة فرعون المؤمنة ، ومريم العذراء البتول للمؤمنين ، وهذه السورة تدل على إحاطة علم الله تعالى وتدبيره وإظهاره في خلقه ما يشاء من العجائب والغرائب ، فإن كفر امرأتي نوح ولوط لم يمنع اتصالهما بنبيين كريمين ، وإيمان امرأة فرعون ، لم يضر به اتصالها بفرعون الطاغية الجبار العنيد ، كما لم يزعزع إيمان مريم حملها غير المعهود بعيسى عليه السلام.

ما اشتملت عليه السورة :

رحمه الله ________________

(رحمه الله ١) – التفسير الحديث لدروزة– موافق للمطبوع – (٥ / ٣٧٣)". [(١)]

٣١٧–"٦٠– واذكر – أيها النبى – حين قلنا لك : إن ربك أحاط بالناس ، فهم فى قبضة قدرته ، فبلغهم ولا تخف أحدا فهو يعصمك منهم ، وما جعلنا ما عاينته ليلة الإسراء من العجائب إلا امتحانا واختبارا للناس ، يزداد به إيمان المؤمن وكفر الكافر ، وما جعلنا الشجرة المذمومة فى القرآن – وهى شجرة الزقوم التى تنبت فى أصل الجحيم – إلا

---

(١) المفصل في موضوعات سور القرآن ص/١٢٨٦

اختبارا لهم أيضا ، إذ قالوا : النار تحرق الشجر ، فكيف تنبته؟ ونخوفهم بها ، فما يزيدهم تخويفنا إلا تجاوزا للحد الكبير .

٦١- وأن الله ليذكر بأصل الخلق والعداوة بين آدم وإبليس ، إذ قال للملائكة : اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم بالانحناء ، فسجدوا على الفور ، إلا إبليس امتنع وقال منكرا : كيف أسجد لمن خلقته من طين ، وأنا من نار ، فأنا خير منه .

٦٢- قال إبليس : أخبرني يا رب عن هذا الذى كرمته على ، بأن أمرتني بالسجود له . لم كرمته على وأنا خير منه؟ وعزتك لئن أخرتني حيا إلى يوم القيامة لأهلكن ذريته بالإغواء ، إلا قليلا منهم ممن عصمته وحفظته .

٦٣- قال له المولى - تهديدا واستدراجا - : امض لشأنك الذى اخترته لنفسك ، فمن أطاعك من ذرية آدم فإن جهنم جزاؤك وجزاؤهم جزاء وافرا كاملا .". (١)

٣١٨-"وقال الطحاوي :

" باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله عليه السلام من قوله: " وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج " قال أبو كبشة السلولي: سمعت عبد الله بن عمرو، يقول: سمعت رسول الله عليه السلام يقول: " بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار "

وعن أبي هريرة، أن رسول الله عليه السلام قال: " حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج " فتأملنا ما في هذا الحديث من قوله لأمته: " وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج " فكان ذلك عندنا والله أعلم إرادة منه أن يعلموا ما كان فيهم **من العجائب** التي كانت فيهم ؛ ولأن أمورهم كانت الأنبياء تسوسها " فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن بني إسرائيل كان يسوسهم الأنبياء كلما مات نبي قام نبي " قال أبو جعفر: وكان فيما يتحدثون به من ذلك ما عسى أن يعظهم ويحذرهم من الخروج عن التمسك بدين الله كما خرجت عنه بنو إسرائيل فيعاقبهم بمثل ما عاقبهم به وكان مع ذلك عليه السلام يحدثهم منها عن عمران بن حصين، قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عامة ليله يحدث عن بني إسرائيل ما يقوم إلا لعظم صلاة " .

وقال أبو جعفر: وكان قوله عقيبا لما أمرهم به من الحديث عن بني إسرائيل " ولا حرج " أي: ولا حرج عليكم أن لا تحدثوا عنهم كمثل ما قال مما قد روي عنه فيما سوى ذلك

فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " من اكتحل فليوتر من فعل فقد أحسن ومن لا ، فلا حرج ، ومن استجمر فليوتر ، من فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج ومن أتى الخلاء فليستتر وإن لم يجد إلا كثيب رمل فليجمعه فليستدبره فإن الشياطين تلعب بمقاعد بني آدم ، من فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج ، ومن أكل طعاما فما تخلل فليلقها وما لاك بلسانه فليبلع من فعل فقد أحسن ومن لا فلا حرج "

قال: فكان ما أمر به من هذه الأشياء المذكورة في هذا الحديث مما أتبع أمره بكل واحد منها قوله " ولا حرج " أي: ولا حرج عليكم أن لا تفعلوا ما أمرتكم به من ذلك إذ كان ما أمرهم به منه على الاختيار لا على الإيجاب فكان مثل ذلك

---

(١) المنتخب ٤٧٧/١

ما أمرهم به من الحديث عن بني إسرائيل مما". [(١)]

٣١٩-"الطويلة العجيبة . وهي تحوي من العجائب أضعاف ما يعرض للإنسان من العجائب من مولده إلى مماته!

هذه الخلية الواحدة الملقحة لا تكاد ترى بالمجهر ، إذ أن هنالك ملايين منها في الدفقة الواحدة . . هذه الخليقة التي لا قوام لها ولا عقل ولا قدرة ولا إرادة ، تبدأ في الحال بمجرد استقرارها في الرحم في عملية بحث عن الغذاء . حيث تزودها اليد الحافظة بخاصية أكالة تحول بها جدار الرحم حولها إلى بركة من الدم السائل المعد للغذاء الطازج! وبمجرد اطمئنانها على غذائها تبدأ في عملية جديدة . عملية انقسام مستمرة تنشأ عنها خلايا . . وتعرف هذه الخليقة الساذجة التي لا قوام لها ولا عقل ولا قدرة ولا إرادة . . تعرف ماذا هي فاعلة وماذا هي تريد . . حيث تزودها اليد الحافظة بالهدى والمعرفة والقدرة والإرادة التي تعرف بها الطريق! إنها مكلفة أن تخصص كل مجموعة من هذه الخلايا الجديدة لبناء ركن من أركان هذه العمارة الهائلة .

. عمارة الجسم الإنساني . . فهذه المجموعة تنطلق لتنشئ الهيكل العظمي . وهذه المجموعة تنطلق لتنشئ الجهاز العضلي . وهذه المجموعة تنطلق لتنشئ الجهاز العصبي . وهذه المجموعة تنطلق لتنشئ الجهاز للمفاوي . . إلى آخر هذه الأركان الأساسية في العمارة الإنسانية! . . ولكن العمل ليس بمثل هذه البساطة . . إن هنالك تخصصا أدق . فكل عظم من العظام . وكل عضلة من العضلات . وكل عصب من الأعصاب . . لا يشبه الآخر . لأن العمارة دقيقة الصنع ، عجيبة التكوين ، متنوعة الوظائف . . ومن ثم تتعلم كل مجموعة من الخلايا المنطلقة لبناء ركن من العمارة ، أن تتفرق طوائف متخصصة ، تقوم كل طائفة منها بنوع معين من العمل في الركن المخصص لها من العمارة ، الكبيرة! . . إن كل خلية صغيرة تنطلق وهي تعرف طريقها . تعرف إلى أين هي ذاهبة ، وماذا هو مطلوب منها! ولا تخطئ واحدة منها طريقها في هذه المتاهة الهائلة . فالخلايا المكلفة أن تصنع العين تعرف أن العين ينبغي أن تكون في الوجه ، ولا يجوز أبدا أن تكون في البطن أو القدم أو الذراع . مع أن كل موضع من هذه المواضع يمكن أن تنمو فيه عين . ولو أخذت الخلية الأولى المكلفة بصنع العين وزرعت في أي من هذه المواضع لصنعت عينا هنالك! ولكنها هي بذاتها حين تنطلق لا تذهب إلا للمكان المخصص للعين في هذا الجهاز الإنساني المعقد . . فمن ترى قال لها : إن هذا الجهاز يحتاج إلى عين في هذا المكان دون سواه؟ إنه الله . إنه الحافظ الأعلى الذي يرعاها ويوجهها ويهديها إلى طريقها في المتاهة التي لا هادي فيها إلا الله!

وكل تلك الخلايا فرادى ومجتمعة تعمل في نطاق ترسمه لها مجموعة معينة من الوحدات كامنة فيها . هي وحدات الوراثة ، الحافظة لسجل النوع ولخصائص الأجداد . فخلية العين وهي تنقسم وتتكاثر لكي تكون العين ، تحاول أن تحافظ في أثناء

---

(١) المهذب في تفسير جزء عم ص/١٧

العمل على شكل معين للعين وخصائص". [1]

٣٢٠-"محددة تجعلها عين إنسان لا عين أي حيوان آخر . وإنسان لأجداده شكل معين للعين وخصائص معينة . . وأقل انحراف في تصميم هذه العين من ناحية الشكل أو ناحية الخصائص يحيد بها عن الخط المرسوم . فمن ذا الذي أودعها هذه القدرة؟ وعلمها ذلك التعليم؟ وهي الخلية الساذجة التي لا عقل لها ولا إدراك ، ولا إرادة لها ولا قوة؟ إنه الله . علمها ما يعجز الإنسان كله عن تصميمه لو وكل إليه تصميم عين أو جزء من عين . بينما خلية واحدة منه أو عدة خلايا ساذجة ، تقوم بهذا العمل العظيم!

ووراء هذا اللمحة الخاطفة عن صور الرحلة الطويلة العجيبة بين الماء الدافق والإنسان الناطق ، حشود لا تحصى **من العجائب** والغرائب ، في خصائص الأجهزة والأعضاء ، لا نملك تقصيها في هذه الظلال .. تشهد كلها بالتقدير والتدبير . وتشي باليد الحافظة الهادية المعينة . وتؤكد الحقيقة الأولى التي أقسم عليها بالسماء والطارق . كما تمهد للحقيقة التالية . حقيقة النشأة الآخرة التي لا يصدقها المشركون ، المخاطبون أول مرة بهذه السورة . .

﴿ إنه على رجعه لقادر . يوم تبلى السرائر . فما له من قوة ولا ناصر ﴾ . .إنه الله الذي أنشأه ورعاه إنه لقادر على رجعة إلى الحياة بعد الموت ، وإلى التجدد بعد البلى ، تشهد النشأة الأولى بقدرته ، كما تشهد بتقديره وتدبيره . فهذه النشأة البالغة الدقة والحكمة تذهب كلها عبثا إذا لم تكن هناك رجعة لتختبر السرائر وتجزى جزاءها العادل : ﴿ يوم تبلى السرائر ﴾ . . السرائر المكنونة ، المطوية على الأسرار المحجوبة . . يوم تبلى وتختبر ، وتتكشف وتظهر كما ينفذ الطارق من خلال الظلام الساتر؛ وكما ينفذ الحافظ إلى النفس الملفعة بالسواتر! كذلك تبلى السرائر يوم يتجرد الإنسان من كل قوة ومن كل ناصر : ﴿ فما له من قوة ولا ناصر ﴾ . . ما له من قوة في ذاته ، وما له من ناصر خارج ذاته . . والتكشف من كل ستر ، مع التجرد من كل قوة ، يضاعف شدة الموقف؛ ويلمس الحس لمسة عميقة التأثير . وهو ينتقل من الكون والنفس ، إلى نشأة الإنسان ورحلته العجيبة ، إلى نهاية المطاف هناك ، حيث يتكشف ستره ويكشف سره ، ويتجرد من القوة والنصير . .

ولعل طائفا من شك ، أو بقية من ريب ، تكون باقية في النفس ، في أن هذا لا بد كائن . . فمن ثم يجزم جزما بأن هذا القول هو القول الفصل ، ويربط بين هذا القول وبين مشاهد الكون ، كما صنع في مطلع السورة (رحمه الله ١)

ما ترشد إليه الآيات

رحمه الله______________

(رحمه الله ١) – فى ظلال القرآن . موافقا للمطبوع – (٦ / ٣٨٧٩)". [2]

---

(١) المهذب في تفسير جزء عم ص/٤٤٧

(٢) المهذب في تفسير جزء عم ص/٤٤٨

٣٢١-"مسافة الرحلة التي يقطعها (إذ إن مسافته أطول من مسافة زميله الأمريكي) ترى هل الذرات والهباءات إذا توحدت معا في ثعبان ماء يكون لها حاسة التوجيه وقوة الإرادة اللازمة للتنفيذ؟!

. . « وإذا حمل الريح فراشة أنثى من خلال نافذة إلى علية بيتك ، فإنها لا تلبث حتى ترسل إشارة خفية . وقد يكون الذكر على مسافة بعيدة . ولكنه يتلقى هذه الإشارة ويجاوبها ، مهما أحدثت أنت من رائحة بعملك لتضليلهما . ترى هل لتلك المخلوقة الضئيلة محطة إذاعة . وهل لذكر الفراشة جهاز راديو عقلي ، فضلا عن السلك اللاقط للصوت (إيريال) ؟ أتراها تهز الأثير فهو يتلقى الاهتزاز؟! »

. . « إن التليفون والراديو هما **من العجائب** الآلية . وهما يتيحان لنا الاتصال السريع . ولكنا مرتبطون في شأنهما بسلك ومكان . وعلى ذلك لا تزال الفراشة متفوقة علينا من هذه الوجهة »

« والنبات يتحايل على استخدام وكلاء لمواصلة وجوده دون رغبة من جانبهم! كالحشرات التي تحمل اللقح من زهرة إلى أخرى ، والرياح ، وكل شيء يطير أو يمشي ، ليوزع بذوره . وأخيرا أوقع النبات الإنسان ذا السيادة في الفخ! فقد حسن الطبيعة وجازته بسخاء . غير أنه شديد التكاثر؛ حتى أصبح مقيدا بالمحراث ، وعليه أن يبذر ويحصد ويخزن ، وعليه أن يربي ويهجن ، وأن يشذب ويطعم . وإذا هو أغفل هذه الأعمال كانت المجاعة نصيبه ، وتدهورت المدنية ، وعادت الأرض إلى حالتها الفطرية! » . .

« وكثير من الحيوانات هي مثل » سرطان البحر « الذي إذا فقد مخلبا عرف أن جزءا من جسمه قد ضاع ، وسارع إلى تعويضه بإعادة تنشيط الخلايا وعوامل الوراثة؛ ومتى تم ذلك كفت الخلايا عن العمل ، لأنها تعرف بطريقة ما أن وقت الراحة قد حان! »

« وكثير الأرجل المائي إذا انقسم إلى قسمين استطاع أن يصلح نفسه عن طريق أحد هذين النصفين .

وأنت إذا قطعت رأس دودة الطعم تسارع إلى صنع رأس بدلا منه . ونحن نستطيع أن ننشط التئام الجروح ، ولكن متى يتاح للجراحين أن يعرفوا كيف يحركون الخلايا لتنتج ذراعا جديدة ، أو لحما أو عظاما أو أظافر أو أعصابا؟ إذا كان ذلك في حيز الإمكان؟! «

» وهناك حقيقة مدهشة تلقي بعض الضوء على لغز هذا الخلق من جديد : فإن الخلايا في المراحل الأولى من تطورها ، إذا تفرقت ، صار لكل منها القدرة على خلق حيوان كامل . ومن ثم فإنه إذا انقسمت الخلية الأولى إلى قسمين ، وتفرق هذان ، تطور منهما فردان . وقد يكون في ذلك تفسير لتشابه التوأمين . ولكنه يدل على أكثر من ذلك . وهو أن كل خلية في البداية يمكن أن تكون فردا كاملا بالتفصيل . فليس هناك شك إذن ، في أنك أنت ، في كل خلية ونسيج! « . ". (١)

---

(١) المهذب في تفسير جزء عم ص/٤٧٦

٣٢٢-"ما يشاء **من العجائب** والغرائب ، فإن كفر امرأتي نوح ولوط لم يمنع اتصالهما بنبيين كريمين ، وإيمان امرأة فرعون ، لم يضر به اتصالها بفرعون الطاغية الجبار العنيد ،كما لم يزعزع إيمان مريم حملها غير المعهود بعيسى عليه السلام. (رحمه الله ١)

وقال الآلوسي : " وجه مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ضرب مثلا للكفار بتينك المرأتين المحتوم لهما بالشقاوة وإن كانتا تحت نبيين عظيمين ومثلا للمؤمنين بآسية ومريم وهما محتوم لهما بالسعادة وإن أكثر قومهما كفار ، افتتح هذه بما يدل على إحاطته عز وجل وقهره وتصرفه في ملكه على ما سبق به قضاؤه. وقيل إن أول هذه متصل بقوله تعالى آخر الطلاق الله الذي خلق سبع سماوات [الطلاق : ١٢] لما فيه من مزيد البسط لما يتعلق بذلك وفصل بسورة التحريم لأنها كالقطعة من سورة الطلاق والتتمة لها " (رحمه الله٢)

****

رحمه الله______________

(رحمه الله١) - التفسير المنير . موافقا للمطبوع - (٢٩ / ٥) وانظر تفسير الشيخ المراغى . موافقا للمطبوع - (٢٩ / ٣)

(رحمه الله٢) - روح المعاني . نسخة محققة - (١٥ / ٣)". [١]

٣٢٣-" صفحة رقم ٢٢٧

أنت صفوتي من بلادي وأنا سائق إليك صفوتي من عبادي) .) لنريه من آياتنا (فيه قولان :

أحدهما : أن الآيات التي أراه في هذا المسرى أن أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة ، وهي مسيرة شهر .

الثاني : أنه أراه في هذا المسرى آيات .

وفيها قولان :

أحدهما : ما أراه **من العجائب** التي فيها اعتبار .

الثاني : من أري من الأنبياء حتى وصفهم واحدا واحدا .

) إنه هو السميع البصير (فيه وجهان :

أحدهما : أنه وصف نفسه في هذه الحال بالسميع والبصير ، وإن كانتا من صفاته اللازمة لذاته في الأحوال كلها لأنه حفظ رسوله عند إسرائه في ظلمة الليل فلا يضر ألا يبصر فيها ، وسمع دعاءه فأجابه إلى ما سأل ، فلهذين وصف الله نفسه بالسميع البصير .

الثاني : أن قومه كذبوه عن آخرهم بإسرائه ، فقال : السميع يعني لما يقولون من تصديق أو تكذيب ، البصير لما يفعله من الإسراء والمعراج .

---

(١) المهذب في تفسير سورة الملك ص/٨

(الإسراء : (٢ – ٣) وآتينا موسى الكتاب . . . . .

" وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا

" (قوله عز وجل :) وآتينا موسى الكتاب (يعني التوراة .

) وجعلناه هدى لبني إسرائيل (يحتمل وجهين :

أحدهما : أن موسى هدى لبني إسرائيل .

الثاني : أن الكتاب هدى لبني إسرائيل .

) ألا تتخذوا من دوني وكيلا (فيه ثلاثة أقاويل :

أحدها : شريكا ، قاله مجاهد .

الثاني : يعني ربا يتوكلون عليه في أمورهم ، قاله الكلبي .

الثالث : كفيلا بأمورهم ، حكاه الفراء .". (١)

٣٢٤–"فالمعنى : نتخذ اليوم الذي تنزل فيه عيدا لما ولمن بعدنا.

وقيل : معناه : نأكل منها جميعا ، قاله ابن عباس.

(و) روي أن عيسى عليه السلام قام فلبس الشعر ، وكان يلبس الصوف بالنهار والشعر بالليل ، فلبس جبة من شعر ورداء من شعر ، ووضع يمينه على شماله ثم وضعهما على صدره ، ثم صف (بين) قدميه ، فألصق الكعب بالكعب ، وساوى الإبهام بالإبهام ، وطأطأ رأسه خاشعا ، ثم أرسل عينيه بالبكاء ، فبكى حتى سالت الدموع على لحيته ، فجعلت تقطر على صدره ، فقال : ﴿ اللهم ربنآ أنزل علينا مآئدة من السمآء ﴾ ، فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها ، وأخرى تحتها ، وهم ينظرون إليها تهوي منقضة وعيسى صلوات الله عليه يبكي ويقول : اللهم اجعلني لك من الشاكرين ، إلهي اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا ، إلهي كم أسألك **من العجائب** فتعطيني ، إلهي أعوذ بك من أن تكون أنزلتها غضبا وزجرا ، اللهم اجعلها عافية وسلامة". (٢)

٣٢٥–"تتبعاني ؟ فقالا : إن داود دعا ألا يزال من ذريته نبي ، وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا يهود ".

ثم قال : ﴿ فسئل بني إسرائيل إذ جآءهم ﴾.

أي إذ جاءهم موسى . قال الحسن : سؤالك إياهم نظرك في القرآن.

وقيل هو خطاب للنبي A يراد به الشاك من أمته.

وقرأ ابن عباس ﴿ فسئل بني إسرائيل ﴾ على الخبر ، يعني سأل موسى فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل.

---

(١) النكت والعيون . موافق للمطبوع ٣/٢٢٧

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية ٣/١٩٣٣

ثم قال تعالى : ﴿ فقال له فرعون إني لأظنك ياموسى مسحورا ﴾.
معناه : أن فرعون لما رأى الآيات ولم يكن له فيها مدفع قال : إن موسى ذو سحر ، وإن ما تفعل يا موسى **من العجائب** من سحرك .". (١)

٣٢٦-"وأرضون أجراز : إذا كانت لا شيء فيها . ويقال : للسنة المجدبة جرز وسنون إجراز.
أم : هنا بمعنى : بل . [والمعنى] أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا . فإن ما خلقت من السموات والأرض وما فيهن **من العجائب** أعجب من أصحاب الكهف . والخطاب للنبي A والمراد به الخلق كلهم.
وقال مجاهد : معنى الكلام : هم عجب وليس هو على طريقة الإنكار عنده . وقال قتادة : معناه : قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك . وعن ابن عباس أن المعنى : أم حسبت أن هؤلاء عجبا ، فإن الذي أتيتك من الكتاب والحكمة والعلم أفضل من شأن أهل الكهف والرقيم.
وهذا مما علمت اليهود قريشا أن يسألوا عنه محمدا A فسألوه عن ذلك . فأخبره الله بقصصهم . وخبرهم بعد أن أبطأ عنه الوحي في ذلك خمس". (٢)

٣٢٧-"قوله - تعالى - ﴿ ولله ملك السماوات والأرض والله على كل شيء قدير ﴾ أى له وحده - سبحانه - ملك السموات والأرض بما فيهما ، فهو وحده صاحب السلطان القاهر فى هذا العالم يتصرف فيه كيفما يشاء ويختار : إيجادا وإعداما ، وإحياء وإماتة ، وتعذيبا وإثابة ، وهو - سبحانه - على كل شى قدير ، لا يعجزه أمر ، ولا يدفع عقابه دافع ، ولا يمنع عقابه مانع ، فعليكم أيها الناس أن تطيعوه وأن تحذروا غضبه ونقمته .
وبعد أن بين - سبحانه - أن ملك السموات والأرض بقبضته ، أشار - سبحانه - إلى ما فيهما من عبر وعظات فقال : ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾ .
أى : إن فى إيجاد السموات والأرض على هذا النحو البديع ، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب وبحار وزروع وأشجار . . . وفى إيجاد الليل والنهار على تلك الحالة المتعاقبة ، وفى اختلافهما طولا وقصرا . . فى كل ذلك لأمارات واضحة ، وأدلة ساطعة ، لأصحاب العقول السليمة على وحدانية الله - تعالى - وعظيم قدرته ، وباهر حكمته .
وصدرت الجملة الكريمة بحرف " إن " للاهتمام بالخبر ، وللاعتناء بتحقيق مضمون الجملة .
أى إن فى إيجاد السموات والأرض وإنشائهما على ما هما عليه **من العجائب** ، وما اشتملتا عليه من البدائع ، وفى اختلاف الليل والنهار . . . إن فى كل ذلك من العبر والعظات ما يحمل كل عاقل على الاعتراف بوحدانية الله ، وكمال قدرته

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية ٤٣٠٢/٦
(٢) الهداية الى بلوغ النهاية ٤٣٢٧/٦

وحكمته .

والمراد بأولى الألباب : أصحاب العقول السليمة ، والأفكار المستقيمة ، لأن لب الشيء هو خلاصته وصفوته .

ولقد قال الزمخشرى فى صفة أولى الألباب : " هم الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ، ولا ينظرون إليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطرة . وفى الحكم : املأ عينيك من زينة هذه الكواكب ، وأجلهما فى جملة هذه العجائب متفكرا فى قدرة مقدرها ، متدبرا فى حكمة مدبرها قبل أن يسافر بك القدر ، ويحال بينك وبين النظر " .

هذا ، وقد أورد المفسرون كثيرا من الآثار فى فضل هذه الآيات العشر التى اختتمت بها سورة آل عمران ، ومن ذلك قول ابن كثير – C – :

وقد ثبت أن رسول الله A كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتهجده فقد روى البخارى – C – عنابن عباس – رضى الله عنهما – قال : بت عند خالتى ميمونة ، فتحدث رسول الله A مع أهله ساعة ثم رقد : فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال : ﴿ إن في خلق السماوات والأرض ﴾ . . . الآيات .". (١)

٣٢٨-"فقوله : ﴿ في أى صورة ﴾ متعلق بركبك . و " ما " مزيدة ، و " شاء " صفة لصورة ولم يعطف " ركبك " على ما قبله بالفاء ، كما عطف ما قبله بها ، لأنه بيان لقوله ﴿ فعدلك ﴾ . والتقدير : فعلدك بأن ركبك فى أى صورة من الصور التى شاءها لك ، وهى صورة فيها ما فيها من العجائب والأسرار ، فضلا عن أنها أحسن صورة وأكملها ، كما قال – تعالى – : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ فالمقصود من الآيات الكريمة ، تذكير الإنسان بفضل ربه – تعالى – عليه ، وحضه على طاعته وشكره ، وتوبيخه على تقصيره وجحوده ، وتهديده بسوء المصير إذا ما استمر فى غفلته وغروره .

قال بعض العلماء : إن خلق الإنسان على هذه الصورة الجميلة السوية المعتدلة ، الكاملة الشكل والوظيفة . أمر يستحق التدبر الطويل ، والشكر العميق ، والأدب الجم لربه الكريم الذى أكرمه بهذه الخلقة .

وهناك مؤلفات كاملة فى وصف كمال التكوين الإنسان العضوى ودقته وإحكامه .

كاكتمال التكوين الجسدى ، والعضلى ، والجلدى ، والهضمى ، والدموى والعظمى ، والتنفسى ، والتناسلى ، والعصبى . . للإنسان .

وإن جزءا من أذن الإنسان " الأذن الوسطى " لهو سلسلة من نحو أربعة آلاف جزئية دقيقة معقدة ، متدرجة بنظام بالغ الدقة فى الحجم والشكل .

ومركز حاسة الإبصار فى العين التى تحتوى على مائة وثلاثين مليونا من مستقبلات الضوء .

وهى أطراف الأعصاب ، ويقوم بحمايتها الجفن ذو الأهداب الذى يقيها ليلا ونهارا . .

ثم يكشف القرآن بعد ذلك عن علة الغرور والغفلة – وهى التكذيب بيوم الحساب – ويقرر أن كل عمل يعمله الإنسان

---

(١) الوسيط لسيد طنطاوي ص/٨٢٥

هو مسجل عليه فيقول : ﴿كلا بل تكذبون بالدين . وإن عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون ﴾ .
و "كلا " حرف ردع وزجر ، وهى هنا للردع والزجر عن الاغترار بكرم الله – تعالى – وعن جعله ذريعة إلى الكفر والفسوق والعصيان .
وقوله : ﴿كلا بل تكذبون بالدين ﴾ إبطال لوجود ما يدعو إلى غرورهم لو كانوا يعقلون .
أى : كلا ليس هناك شئ يقتضى غروركم بالله – تعالى – ويجرؤكم على عصيانه لو كتم تتفكرون وتتدبرون . . ولكن تكذيبهم بالبعث والحساب والجزاء هو الذى حملكم على الكفر والفسوق والعصيان .
قال الآلوسى ما ملخصه : قوله ﴿كلا ﴾ ردع عن الاغترار بكرم الله – تعالى – وقوله : ﴿كلا بل تكذبون بالدين ﴾ إضراب عن جملة مقدرة ، ينساق إليها الكلام ، كأنه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض ، وأنتم لا ترتدعون عن ذلك ، بل تجترئحون على أعظم منه ، حيث تكذبون بالجزاء والبعث رأسا ، أو بدين الإسلام ، اللذين هما من جملة أحكامه ، فلا تصدقون سؤالا ولا جوابا ، ولا ثوابا ولا عقابا ، وفيه ترق من الأهوان إلى الأعظم .
وعن الراغب : " بل " هنا لتصحيح الثانى وإبطال الأول . كأنه قيل : ليس هنا مقتض لغرورهم ، ولكن تكذيبهم بالبعث حملهم على ما ارتكبوه .". (١)

٣٢٩-"[كقولك]: ضربت على يده: إذا منعته التصرف. قال الأسود بن يعفر: ٧١٣- ومن العجائب لا أبا لك أنني ضربت على الأرض بالأسداد ٧١٤- لا أهتدي [فيها لموضع] تلعة بين بين العذيب وبين أرض مراد. (أي الحزبين أحصى) [١٢] الفتية أم أهل زمانهم. (مرفقا) [١٦] معاشا في سعة.". (٢)

٣٣٠-"[كقولك]: ضربت على يده: إذا منعته التصرف. قال الأسود بن يعفر:
٧١٣ - ومن العجائب لا أبا لك أنني ... ضربت على الأرض بالأسداد
٧١٤ - لا أهتدي [فيها لموضع] تلعة ... بين بين العذيب وبين أرض مراد.
(أي الحزبين أحصى)
الفتية أم أهل زمانهم.
(مرفقا)
معاشا في سعة.". (٣)

---
(١) الوسيط لسيد طنطاوي ص/٤٤٥٨
(٢) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن ٢/٨٥٠
(٣) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن ٢/٨٥٠

٣٣١-"٢١٦

عن هذه الأمة ما حدثت به أنفسها أو همت به ما لم تعمل به أو تتكلم به

ثم قال " لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت " أي لا تأخذ أحدا بذنوب غيره كما قال في آية أخرى " ولا تزر وازرة وزر أخرى " الأنعام ١٦٤

وقوله تعالى " إن نسينا " أي إن تركنا أو أخطأنا يعني إن كسبنا خطيئة فأخبر الله تعالى بهذا عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن المؤمنين وجعله في كتابه ليكون دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم دعوة يدعون بها من بعده لأن هذا الدعاء قد استجيب له فينبغي أن يحفظ ويدعى به كثيرا

قال الفقيه حدثنا القاضي الخليل قال حدثنا السراج قال حدثنا أحمد بن سعيد الدارمي قال حدثنا سهل بن بكار قال حدثنا أبو عوانة عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث خصال جعلت لنا الأرض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وأوتيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز من تحت العرش لم يعط أحد قبلي ولا يعطى أحدا بعدي

وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تعلموا البقرة وآل عمران فإنهما تجيئان يوم القيامة كالغمامتين أو كغيايتين أو كفرقتين من طير صواف وتحاجان عن صاحبهما ثم قال تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة يعني السحرة

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نزل عليه ملك فقال له إن الله يبشرك بنورين لم يعطهما نبيا قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لا يقرأ بحرف منهما منها إلا أعطيته ما وعد له

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو بلغت سورة البقرة ثلاثمائة آية لتكلمت يعني لصارت بحال تتكلم لأنه لا يبقى شيء إلا اجتمع فيها من كثرة ما فيها **من العجائب** والله سبحانه وتعالى أعلم صلى الله عليه وسلم وسيدنا محمد". (١)

٣٣٢-"١٠٥

قوله تعالى " إن في اختلاف الليل والنهار " وذلك أن أهل مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إئتنا بعلامة كما أتت بها الأنبياء قومهم فنزل " إن في اختلاف الليل والنهار " يعني في مجيء الليل وذهاب النهار ومجيء النهار وذهاب الليل ويقال ما يأخذ النهار من الليل وما يأخذ الليل من النهار " وما خلق الله في السموات والأرض " **من العجائب** يعني فيما خلق الله " آيات " يعني علامات " لقوم يتقون " الله ويخشون عقوبته ويقال لقوم يتقون الشرك

ثم قال تعالى " إن الذين لا يرجون لقاءنا " يعني لا يخافون البعث بعد الموت ويقال لا يرجون ثوابنا بعد الموت " ورضوا بالحياة الدنيا " يعني إختاروا ما في الحياة الدنيا يعني على ثواب الآخرة " واطمأنوا بها " يقول ورضوا بها وسكنوا إليها وآثروها

---

(١) بحر العلوم . موافق للمطبوع ٢١٦/١

وفرحوا بها " والذين هم عن آياتنا غافلون " يعني عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن معرضون فلا يؤمنون ويقال تاركين لها ومكذبين بها ويقال لم يتفكروا فيها

قوله تعالى " أولئك مأواهم النار " يعني أهل هذه الصفة مصيرهم إلى النار " بما كانوا يكسبون " يعني جزاء لكفرهم وتكذيبهم

ثم أنزل فيما أعد الله للمؤمنين فقال " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم " وقال مقاتل يهديهم على الصراط إلى الجنة بالنور " بإيمانهم " يعني بتوحيدهم الله تعالى في الدنيا وقال الضحاك يدعوهم ربهم بإيمانهم إلى الجنة وقال الكلبي نحو هذا ويقال هذا على معنى التقديم ومعناه إن الذين يهديهم ربهم بإيمانهم حتى آمنوا وعملوا الصالحات ويقال يهديهم ربهم في الدنيا حتى يثبتهم على الإيمان ويدخلهم في الآخرة الجنة بإيمانهم ويقال ينجيهم ربهم بإيمانهم وقال الحسن يرحمهم ربهم بإيمانهم

ثم قال تعالى " تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم " يتنعمون فيها ثم قال " دعواهم فيها " يعني قولهم في الجنات " سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام " فهذه علامة بينهم وبين خدمهم في الجنة فإذا قالوا هذه المقالة جاءهم الخدم بالموائد ووضعوها بين أيديهم وأوتوا بما يشتهون فإذا فرغوا من الطعام قالوا الحمد لله رب العالمين فذلك قوله تعالى " وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين " يعني وآخر قولهم بعد ما فرغوا من الطعام أن يقولوا الحمد لله رب العالمين " وتحيتهم فيها سلام " على معنى التقديم وقال الضحاك في قوله تعالى " دعواهم فيها سبحانك اللهم " وذلك أن أهل الجنة إذا خلفوا القيامة وصاروا إلى دار الكرامة يكون فاتحة كلامهم سبحانك اللهم على ما مننت به علينا " وتحيتهم فيها سلام " يقول يسلم عليهم الملائكة من الله تعالى ويقال يسلم بعضهم على بعض". (١)

٣٣٣-"٢٦٢

سورة الجاثية

مكية وهي ثلاثون وسبع آيات

سورة الجاثية ١ - ٦

قوله تبارك وتعالى " حم تنزيل الكتاب " يعني هذا الكتاب تنزيل " من الله العزيز الحكيم " وقد ذكرناه

" إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين " يعني لعبرات للمؤمنين في خلقهن

ويقال معناه أن ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم وفي الأرض من الجبال والأشجار والأنهار وغيرها **من العجائب** لعبرات ودلائل واضحات للمؤمنين

يعني للمقرين المصدقين ويقال " للمؤمنين " يعني لمن أراد أن يؤمن ويتقي الشرك

قوله عز وجل " وفي خلقكم وما يبث من دابة " يعني وفيما خلق من الدواب " آيات لقوم يوقنون " يعني عبرات ودلائل

---

(١) بحر العلوم . موافق للمطبوع ١٠٥/٢

لمن كان له يقين

قرأ حمزة والكسائي " آيات " بالكسر والباقون بالضم

وكذلك الاختلاف في الذي بعده

فمن قرأ بالكسر فإن المعنى إن في خلقكم آيات لقوم يوقنون فهو في موضع النصب إلا أن هذه التاء تصير خفضا في موضع النصب وإنما أضمر فيه إن لأن قوله " إن في السموات والأرض لآيات " في موضع النصب فكذلك في الثاني معناه إن في خلقكم آيات

ومن قرأ بالضم فهو على الاستئناف على معنى وفي خلقكم آيات

قوله عز وجل " واختلاف الليل والنهار " يعني في اختلاف الليل والنهار في سواد الليل وبياض النهار يعني في اختلاف ألوانهما وذهاب الليل ومجيء النهار " آيات لقوم يعقلون " لمن كان له ذهن الإنسانية " وما أنزل الله من السماء من رزق " وهو المطر " فأحيا به الأرض بعد موتها " يعني بعد يبسها وقحطها " وتصريف الرياح " مرة رحمة ومرة عذابا

ويقال مرة جنوبا ومرة شمالا

ثم قال " تلك آيات الله " يعني هذه دلائل الله وعلامة وحدانيته " نتلوها عليك بالحق " يعني يقرأ عليك جبريل من القرآن بأمر الله " فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون " قال مقاتل". (١)

٣٣٤-"خامدين» ١٥ لا حراك بهم ، وفي هذه الآية تحذير لأهل مكة وتخويف عظيم وتهديد شديد بأنهم إذا لم يرجعوا عن غيهم يكون مصيرهم مثل مصيرهم ، قال تعالى «وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما» وما فيهما **من العجائب** والبدائع «لاعبين» ١٦ لأن اللعب يروق ساعة أوله ولا ثبات له وإنما خلقناهما لفوائد كثيرة همها الاستطلاع على قدرتنا والتبصر في باهر حكمتنا وأرسلنا الأنبياء ليكفروا الخلق فيها وإلا لما كان من حاجة لإرسالهم لو كان خلقها لمجرد اللهو ، ثم نزه ذاته المقدسة فقال «لو أردنا أن نتخذ لهوا» نلهو به من امرأة أو ولد أو خدم أو جنات أو أموال وأنعام «لاتخذناه من لدنا» في الجنة من الحور والولدان لا من عندكم ولكنا لم نتخذ «إن كنا فاعلين» ١٧ ما تنفوهون به وهذا ممتنع علينا لغنانا عنه واحتياج الكل إلينا ، فالولد والزوجة لا يكونان إلا عند الأب والزوج لا يكونان عند غيره ، وقال بعض المفسرين ان (إن) هنا نافيه أي (ما كنا فاعلين) وعليه يكون الوقف على (لدنا) لا على (فاعلين) والأول أي اعتبار إن شرطية محذوفة الجواب الدال عليه ما قبلها وهو (لا تخذناه) أولى بسبك العبارة والثاني أبلغ في النفي فقط تأمل ، وفي هذه الآية رد وتقريع على من ينسب له تعالى الصاحبة والولد تبرأت ذاته المقدسة عنهما ، ولذلك بقول بعض النصارى إن مريم صاحبة لله وعيسى ابنه ، واليهود يقولون إن عزيزا ابنه ، والعرب تقول الملائكة بناته ، تعالى عن ذلك كله علوا كبيرا أي لكنا لنا ممن يفعل ذلك لاستحالته في حقنا ، وإنما نفى اللهو جل جلاله عنه لأنه نقص وهو مستحيل في حقه تعالى فتركه واجب منه وهذا ليس من قبيل الوجوب عليه بل القول بالوجوب عنه وهو واجب علينا ، ومن أنكر أن اللعب نقص

---

(١) بحر العلوم . موافق للمطبوع ٣/٢٦٢

كالكذب فقد كابر ، ولا داعي لمن قال إن اللهو يراد به الجماع ويكنى عنه به وعن المرأة واستشهد بقول امرئ القيس :". (١)

٣٣٥-"ثم أراد جل شأنه أن يريه آية على رسالته فقال «وما تلك بيمينك يا موسى » ١٧ وهذا سؤال لتقرير الحكم منه أن يوقفه أولا على ماهية ما بيده وينبهه على ما يريد بها وما سيظهره له بها **من العجائب** ، حتى إذا صيرها لا يهوله أمرها ، ويوطن نفسه عليها ، وليعلم أنها معجزة له وبرهان على نبي «قال هي عصاي» أضافها لنفسه لأنها بيده. (٢/١٩٤)

بيان المعاني ، ج ٢ ، ص : ١٩٥

مطلب عصا موسى وإعطاء محمد من نوع ما حدث للرسل وأعظم :

قيل كان للعصا شعبتان وفي أسفلها سنان واسمها نبعة ، أخذها من بيت شعيب عليه السلام ، وقيل إنها من آس الجنة وقد هبط بها آدم عليه السلام.

واعلم أن زيادة التاء قبل الياء لحن ، قالوا أول لحن وقع في العرب (هذه عصاتي) ثم بين ما يروم بها عفوا فقال «أتوكؤا عليها وأهش بها» أي أضرب بها الشجر اليابس ليسقط ورقه «على غنمي» فترعاه ، وهذا معنى الهش «ولي فيها مآرب أخرى » ١٨ كحمل الزاد وشد الحبل عند استقاء الماء من البئر وقتل الهوام ومحاربة السباع وتعليق الثوب بها للاستظلال تحتها وغيرها ، ولكنه عليه السلام لم يعلم المأرب الأعظم الذي يريده الله تعالى بها وهو معجزته العظيمة التي يرفع الله بها شأنه ، ويهدي بها قومه «قال ألقها يا موسى » ١٩ لأريك ماذا أريد بها مما لا يقع ببالك بما يؤول إليه عزك وسلطانك وإنقاذ قومك وإرشادهم «فألقاها» ليرى الذي يريده ربه منها «فإذا هي حية تسعى » ٢٠ تمشي بسرعة وقد سماها الله ثعبانا في الآية ١٠٧ من الأعراف المارة ، وجانا في الآية ١٠ من سورة النحل الآتية ، والحية تطلق على الصغيرة والكبيرة ، لأنه أول ما ألقاها رآها بنظره صغيرة ، ثم انتفخت حتى صارت كأعظم ثعبان ، تلقف الحجر وتبلع الشجر وتلقم ما تراه ، فترعب من لا يعرف الرعب ، فخاف منها وتباعد عنها موليا إذ رأى ما لم يكن بالحسبان ، فأراد ربه أن يوطنه ويؤمنه «". (٢)

٣٣٦-"بيان المعاني ، ج ١ ، ص : ١٩٣

أو رواية ، وأضعف منه قول شريك بأنه وقع قبل أن يوحى اليه ، وهذا كله لا ينطبق على ما نحن فيه وقال الحري انه قبل الهجرة بسنة ، ويقرب من قوله قول النووي انه بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة أشهر ، وجزم الملا أمين العمري في شرح ذات

---

(١) بيان المعاني ١/١٤٤

(٢) بيان المعاني ١/١٦٩

الشفاء بأنه في السنة الثانية عشرة من البعثة ، وادعى ابن حزم الإجماع عليه ، وضعف ما في الفتاوى ، وكأنهم يريدون بهذا زمن نزول سورة الإسراء ، وعليه يقتضي أن يكون نزول هذه السورة بعد سورة الإسراء ولم يقل به أحد ، والقول بنزولها قبلها لم يعارض فيه أحد ، والمعارضة في نزولها بين سنة خمس أو ست فقط ورجح الأول لأن قول الثاني هو من باب التداخل في عدد السنين ليس إلا والله أعلم ، فيظهر من هذا كله أن القول الموافق للحال والمطابق لترتيب نزول السورتين هو قول الزهري وعليه فتكون سورة الإسراء اخبارا عنها.

مطلب زمن الإسراء والمعراج والرؤية :

واني رغم تتبعي وسؤالي أهل العلم لم أقف على غير هذا ، وسأتابع البحث فيه والسؤال عنه حتى إذا وقفت على غيره ذكرته إن شاء الله القائل

«ما كذب الفؤاد» أي قلب الموحى اليه محمد صلى الله عليه وسلم «ما رأى ١١» بعينه وبصره من جبريل أو ما رأى ليلة المعراج من عجائب مكونات ربه وذاته المقدسة «أ فتمارونه» تجادلونه يا كفار قريش ، وقرىء أفتمرونه أي تغلبونه أو تجحدونه كما قرىء كذب بالتشديد «على ما يرى ١٢» ويعاين من صورة جبريل الحقيقة التي ذكرها لكم أو مما قصه عليكم في ما شاهده في الإسراء والمعراج **من العجائب** وذلك أنه لما أخبرهم بإسرائه وقالوا له صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيرنا فوصفه لهم وأخبرهم عن عيرهم وثبت لهم صدقه ومع هذا كذبوه كما سيأتي أول الإسراء الآتية «ولقد رآه» رأى محمد جبريل «نزلة أخرى ١٣» مرة ثانية في صورته الحقيقية حال بلوغه «عند سدرة المنتهى ١٤» الكائنة في السماء السابعة وهي شجرة نبق عن يمين العرش التي ينتهي عندها كل أحد ولا يتجاوزها أحد من الملائكة أو رأى ربه عز وجل «عندها أي السدرة التي ت (١٣)". (١)

٣٣٧-"بيان المعاني ، ج ١ ، ص : ٢٢٥

التقسيم وبرج الثور كذلك مسامتة صورة الثور منها في ذلك الوقت أيضا وهكذا وإنما قيل وقت التقسيم لأن كل صورة قد خرجت لحركتها وإن كانت بطيئة عما كانت مسامتة له من تلك البروج حتى كاد يسامت اليوم الحمل برج الثور والثور برج الجوزاء وهكذا ، وطول كل برج ثلاثون درجة وعرضه مائة وثمانون درجة منها تسعون في جهة الشمال ، وتسعون في جهة القبلة.

وقال مجاهد وعكرمة وقتاده المراد بالبروج النجوم.

وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله حديثا بلفظ الكواكب وأخرج ابن المنذر وعبد بن حميد عن أبي صالح أنها النجوم والكواكب العظام والأول أولى وأنسب بالمقام ، وقد أقسم الله بها لما فيها من عظيم حكمته ومرور الكواكب السيارة فيها ومسيرها على قدر معلوم لا يختلف أبدا إلى حلول اليوم المعلوم «واليوم الموعود ٢» لخرابها وبعث الخلق وحسابهم وجزائهم «وشاهد» فيه على الأعمال الواقعة من الخلق «ومشهود ٣» فيه من أهوال وخوارق أقسم الله تعالى بيوم القيامة لعظمة ما

---

(١) بيان المعاني ١/١٩٣

فيه ، وبأنبيائه الذين يشهدون على أممهم بما وقع منهم قال تعالى : (وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) الآية ٤١ من سورة النساء في ج ٣ وباليوم المشهود لما فيه **من العجائب** التي يطلع عليها كافة الخلق قال تعالى :
«فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم» الآية ٣٥ من سورة مريم الآتية وقال تعالى (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) الآية ١٠٣ من سورة هود من ج ٢.
وما قيل ان ذلك اليوم هو يوم الجمعة أو يوم التروية أو يوم عرفه الله جل شأنه والمشهود يوم عرفة أو يوم النحر أو آدم عليه السلام لا وجه له ، وسياق النظم ينافيه وكل ما جاء في هذا من الأحاديث لا عبرة بها لأنها لم تثبت بصورة يصح الإحتجاج بها وجواب القسم (قتل أصحاب الأخدود ٤) الشقوق المستطيلة في الأرض المعمولة لتعذيب الناس ، واعلم أن الذين وصفوا بهذا ثلاثة ولم يعلم المراد به منهم في هذه الآية وهي تنطبق عليهم الأذل أبطاموس الرومي عملها بالشام.
والثاني بختنصر بفارس والثالث دو نواس باليمن إلا أن التي بالشام وفارس لم تشتهر عند العرب.
ت (١٥)". [١]

٣٣٨-"ما كذب الفؤاد» أي قلب الموحى اليه محمد صلى الله عليه وسلم «ما رأى ١١» بعينه وبصره من جبريل أو ما رأى ليلة المعراج من عجائب مكونات ربه وذاته المقدسة «أ فتمارونه» تجادلونه يا كفار قريش ، وقرىء أفتمرونه أي تغلبونه أو تجحدونه كما قرىء كذب بالتشديد «على ما يرى ١٢» ويعاين من صورة جبريل الحقيقة التي ذكرها لكم أو مما قصه عليكم في ما شاهده في الإسراء والمعراج **من العجائب** وذلك أنه لما أخبرهم بإسرائه وقالوا له صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيرنا فوصفه لهم وأخبرهم عن عيرهم وثبت لهم صدقه ومع هذا كذبوه كما سيأتي أول الإسراء الآتية «ولقد رآه» رأى محمد جبريل «نزلة أخرى ١٣» مرة ثانية في صورته الحقيقية حال بلوغه «عند سدرة المنتهى ١٤» الكائنة في السماء السابعة وهي شجرة نبق عن يمين العرش التي ينتهي عندها كل أحد ولا يتجاوزها أحد من الملائكة أو رأى ربه عز وجل «عندها أي السدرة التي ت (١٣)
(١٩٣/١)

بيان المعاني ، ج ١ ، ص : ١٩٤
بقربها «جنة المأوى ١٥» التي تأوى إليها أرواح الشهداء في الدنيا والمتقون أجمع في الآخرة «إذ يغشى السدرة ١٦» من تكبير وتعظيم وتهليل وتمجيد من الخلائق المختلفة الدالة على عظمة الخالق مما لا يحيط به الوصف ولا تسعه الأذهان ويعجز عنه النطق به كل لسان «ما زاغ البصر» من محمد ولا حال عن رؤية ومشاهدة **العجائب** التي أبدعها المبدع وأمر رسوله برؤيتها حينما عرضها عليه ومكنه من رؤيتها في تلك الحضرة المقدسة لا يمينا ولا شمالا وهو غاية في أدبه صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام الجليل إذ لم يلتفت اليه وهذا يؤيد كون الذي يغشى السدرة هو نور رب العزة لا الملائكة ولا الفراش

---

(١) بيان المعاني ٢٢٥/١

الذهبي ولا أنواع المخلوقات وان نظر الرسول ما حال دون رؤية ربه عز وجل بصعقة أو غشية كما حصل لموسي وابراهيم عليهما وعليه أفضل الصلاة السلام.". [(١)]

٣٣٩-"أخرج الترمذي والنسائي وغيرهما عن ابن عباس أن الرؤيا هي ما عاينه حضرة الرسول ليلة أسري به **من العجائب** الأرضية والسماوية رؤية عين ، وهي على اللغة الفصحى ، إذ تقول العرب رأيت بعيني رؤية ورؤيا ، وهذا هو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريح وغيرهم ، وإنما عبر بالرؤيا دون الرؤية لمشاكلة تسميتهم لها رؤيا ، أو جار على زعمهم كتسمية الأصنام آلهة ، فقد روي أن بعضهم قال له صلى الله عليه وسلم لما قص عليهم الإسراء لعله شيء رأيته في منامك يا رسول الله ، أو على التشبيه بالرؤيا لما فيها **من العجائب** ، ولوقوعها ليلا ، أو لسرعتها ، أي وما جعلنا الرؤيا التي أريناكها عيانا مع كونها آية عظيمة وأية آية ، وقد ذكرتها لقومك وأقمت البرهان على صحتها بما اختبرك به قومك عن عيرهم ، كما ذكر في المعجزة الثامنة والستين فما بعدها المارة إلا فتنة افتتن بها الناس من تكذيب وتصديق وتحويل وإعجاب «والشجرة الملعونة في القرآن» روى البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها شجرة الزقوم.

وروي عنه أيضا أن المراد بها لعن طاعميها من الكفرة ، ووصفها باللعن من المجاز في الإسناد ، وفيه من المبالغة ما فيه.

وقد يراد لعنها نفسها بالمعنى اللغوي وهو البعد ، لأنها في أبعد مكان من جهنم ، قال تعالى (تخرج في أصل الجحيم) بعد أن قال (إنا جعلناها فتنة للظالمين) الآيتين ٦٣ و٦٤ من سورة الصافات في ج ٢ ، أي في أبعد مكان من رحمة الله تعالى ، وقد لعنت إذ لعن آكلوها ، وإلا فلا ذنب لها حتى تلعن ، ولكن المصاحبة لها دخل :

ما ضر بالشمع إلا صحبة الفتل.

ولهذا قيل الصاحب ساحب :

(٥٢٠/٢)

بيان المعاني ، ج ٢ ، ص : ٥٢١

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي". [(٢)]

٣٤٠-"بيان المعاني ، ج ١ ، ص : ٢٧٩

لأنه لم يصرح بأنه كان ليلتئذ بمكة فالمراد أن الانشقاق كان والنبي صلى الله عليه وسلم مقيم بمكة أي قبل الهجرة.

ولهما عن ابن عباس قال : إن القمر انشق في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) بيان المعاني ٢٥٤/١

(٢) بيان المعاني ٢٦٥/١

وروى مسلم عن ابن عمر قال : انشق القمر على عهد رسول الله فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل ، فقال صلى الله عليه وسلم : اشهدوا.

وعن جبير بن مطعم قال : انشق القمر على عهد رسول الله فصار فلقتين فقالت قريش سحر محمد أعيننا فقال بعضهم لئن كان سحرنا أما يستطيع أن يسحر الناس كلهم ؟ أخرجه الترمذي ، وزاد غيره : فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بأنهم قد رأوه فيكذبونهم.

وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله فقالت قريش سحركم ابن أبي كبشة فسألوا السفارة فقالوا نعم رأيناه.

وقال مقاتل انشق ثم التأم.

فهذه الأحاديث مصدق بعضها لبعض وكلها صحاح ، قد وردت في هذه المعجزة العظيمة مع شهادة القرآن بها الذي هو أول دليل وأقوى شاهد مثبت لوقوعها ، ولا يشك فيها مؤمن ، وقد أخبر بها الصادق المصدوق ، وناهيك باخباره من برهان ، فيجب الاعتقاد بوقوعه والإيمان به ، وذلك في السنة السادسة من البعثة ولا يقدح في صحة الحديثين المرويين عن ابن عباس وأنس كونهما لم يولدا إذ ذاك لأنهما ثقتان ولا ينقلان إلا عن ثقة كما هو المشهور عنهما وأنهما لم يقولا رأيناه انشق ليقدح في رؤيتهما وإنما يخبران عن الانشقاق الذي بلغهم عن رسول الله وهما أصدق صادق فيما يخبران به ، ولا يقال لو كان لما خفي على أهل الأقطار الأخر ولو رأوه لنقلوه متواترا لأن الطباع جبلت على نشر العجائب ، إذ يجوز ان الله حجبه عنهم بغيم أو نحوه ولا سيما أنه وقع ليلا حال غفلة الناس لقلة من يتفكر في ملكوت السموات ، وكثيرا ما يخسف القمر وتكسف الشمس ويحدث في السماء ليلا **من العجائب** والبدائع والأنوار والطوالع والشهب العظام ، ولا يتحدث بها إلا آحاد الناس لغفلة الآخرين عنها ، ولأنها قد تكون في موضع آخر ، وكثيرا ما نقرأ الآن في الصحف على سبيل التواتر أن الشمس كسفت في محل كذا والقمر خسف في مكان كذا ، ولم نر شيئا من ذلك في بلادنا ، تأمل على أن الركبان". (١)

١٣٤١-"التقسيم وبرج الثور كذلك مسامتة صورة الثور منها في ذلك الوقت أيضا وهكذا وإنما قيل وقت التقسيم لأن كل صورة قد خرجت لحركتها وإن كانت بطيئة عما كانت مسامتة له من تلك البروج حتى كاد يسامت اليوم الحمل برج الثور والثور برج الجوزاء وهكذا ، وطول كل برج ثلاثون درجة وعرضه مائة وثمانون درجة منها تسعون في جهة الشمال ، وتسعون في جهة القبلة.

وقال مجاهد وعكرمة وقتاده المراد بالبروج النجوم.

وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله حديثا بلفظ الكواكب وأخرج ابن المنذر وعبد بن حميد عن أبي صالح أنها النجوم والكواكب العظام والأول أولى وأنسب بالمقام ، وقد أقسم الله بها لما فيها من عظيم حكمته ومرور الكواكب السيارة فيها

---

(١) بيان المعاني ٢٧٩/١

ومسيرها على قدر معلوم لا يختلف أبدا إلى حلول اليوم المعلوم «واليوم الموعود ٢» لخرابها وبعث الخلق وحسابهم وجزائهم «وشاهد» فيه على الأعمال الواقعة من الخلق «ومشهود ٣» فيه من أهوال وخوارق أقسم الله تعالى بيوم القيامة لعظمة ما فيه ، وبأنبيائه الذين يشهدون على أممهم بما وقع منهم قال تعالى : (وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) الآية ٤١ من سورة النساء في ج ٣ وباليوم المشهود لما فيه من العجائب التي يطلع عليها كافة الخلق قال تعالى :
«فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم» الآية ٣٥ من سورة مريم الآتية وقال تعالى (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) الآية ١٠٣ من سورة هود من ج ٢.". [1]

٣٤٢-"قال الأستاذ الشهير (ونودر فشلد) انه رأى ذرات الحديد في الثلج في شمالي سيبريا وأخبر عنه.
ومما يدل على عظمته إعادة العامل مع إمكان الاكتفاء بأداة العطف ووصفه بقوله جل قوله «فيه بأس شديد» ويطلق البأس على الحرب وعلى الموت ، وهذا أعظم الآلات المؤثرة فيها بتأثير الله تعالى ، وإنما نعته الله بهذا لما هو ثابت في علمه الأزلي المخبر عنه بقوله (ويخلق ما لا تعلمون) الآية ٨ من سورة النحل في ج ٢ ، أي ما لا تعلمونه من آلات الحرب والركوب التي ظهرت في هذا الزمن مما قد ينكرها العقل لو لا بروزها للعيان كالبرق والهاتف والراد والقطر والبواخر التي تسيرها قوة الكهرباء (والبوصلة) الإبرة المغناطيسية التي لولاها لما تمكن أصحاب البواخر من التوغل في البحار ، ولم يتسن لهم السير في النهار وقت الضباب وتلبد الغيوم ، والإبرة الدالة على ترطب الجو وحدوث الأمطار والعواصف وغيرها من العجائب والغرائب من سرعة سير بعض السيارات الذي هو فوق العقل ، فضلا عن القذائف والصواريخ والذرة وغيرها وما ندري ما يحدث بعد.
وللحديد دخل في العلاجات المهمة ومنافعه لا تعد ولا تدخل تحت الحصر ، ولولاه لاستحال اختراع الأشياء المار ذكرها وغيرها كالقطر
(١٥/٦)

بيان المعاني ، ج ٦ ، ص : ١٦
و البواخر التي هي كالجبال ، ولا شيء يقوم مقامه من المعادن وإن كانت أثمن منه ، كالفضة والذهب والأحجار الكريمة لأنها لا تصير سلاحا ، ولا دبابات ، ولا طائرات ولا ولا.". [2]

٣٤٣-"ثم اعلم أيضا أنه لا يجوز السؤال عن الكيفية في ذات الله تعالى وصفاته ، إذ لا يقال كيف ذاته من غير جسم ولا جوهر ولا عرض ، ولا كيف علمه من غير كسب وضرورة ، ولا كيف قدرته من غير صلابة ، ولا كيف إرادته

---

(١) بيان المعاني ٢٩٧/١

(٢) بيان المعاني ٢٩٩/١

من غير شهوة وأمنية ، ولا كيف تكليمه من غير حدة ولا صوت ، لأن هذا كله من نعوت البشر ، ولأن الله تعالى سد هذا الباب عليهم بقوله جل قوله : (ليس كمثله شي ء) الآية ١١ من سورة الشورى في ج ٢ ، أما كيفية سماع موسى كلامه فقد وضحته لك أعلاه ، فاغتنم هذا ، فإنك لا تجده على هذا التفصيل والتمثيل في كتب كثيرة ، واحمد الله على إنعامه «وسبحان الله رب العالمين» ٨ وهذه الجملة من تتمة مانودي به موسى ، أي نزه ربك عما لا يليق به ، فقد نزه تعالى شأنه ذاته المقدسة بذاته عن صفات خلقه وعما تتخيله الأوهام من التشبيه والتمثيل ، وفيها تعجب إلى موسى بأنه سيلقى من جلائل الأمور وعظائم الشئون ما يتعجب منه المتعجبون.

وما قاله السدي بأن هذه الجملة من كلام سيدنا موسى ، بعيد عن المقام ويأباه مدلول الكلام ، لأن موسى لم يتكلم بعد ، كيف وقد اعتراه ما اعتراه من الدهشة وهيبة الربوبية التي ألمعنا إليها في الآية ١٠ من سورة طه المارة ، ولما رأى الله تعالى موسى كما كان مرئيا في الأزل لديه وقد أخذته الرهبة ، أراد أن يعرفه بذاته المقدسة ويزيل عنه ما أهابه ليمهد له ما أراد أن يلقيه عليه ويظهره على يده من الأمور الغريبة ، ناداه «يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم» ٩ الذي يكلمك هو أنا ، ولفظة الجلال بيان للفظة أنا والعزيز الغالب لما يفعله **من العجائب** والبدائع بمقتضى الحكمة ، وهي صفتان له جلت صفاته وفيها إشارة إلى كمال قدرته وقوة عظمته ورمز إلى أنه سيبين له ما يستبعده الوهم المستفاد من قوله «وألق (٢/٣١١)

بيان المعاني ، ج ٢ ، ص : ٣١٢

عصاك»". (١)

٣٤٤-"عليكما «فانفذوا» إن كنتم قادر بن ولكنكم «لا تنفذون إلا بسلطان» (٣٣) عظيم وقوة قاهرة وليس لكم ذلك وأنى لكم هذه الغلبة على النفوذ ، بل أنتم عاجزون عنه وقدم الجن هنا على الإنس لأنهم أقدر على النفوذ وأقوى من الإنس لا لفضلهم إذ لم يقل أحد به ولهذا قدم الإنس في الآية ٨٨ من سورة الإسراء ج ١ لأنه فيها أقدر من الجن ولو أنه لا قدرة له عليه ، فعلى الذين يريدون الصعود إلى القمر أو المريخ كما يزعمون إن الصعود إليهما بإمكانهم وهما في أقطار السماء ، والذين يريدون اختراق القطب المتجمد الذي هو في أقطار الأرض أن يستحضروا مالديهم من قوة قاهرة للتوصل الى ذلك ، لأن الله تعالى يقول إن هذا النفوذ من الممكنات لا تقدرون عليه إلا بسلطان ، ومن أين لكم هذا السلطان الذي ذكره الله ، بما يدل على وصفه بالعظمة ، لأن العظيم لا يقوم إليه إلا شيء عظيم ، وقد صار لهؤلاء المتنطعين مئات السنين وهم يتغنون بالصعود للقمر والمريخ وغيره ويحتجون بأنهم لم يستكملوا بعد هذه القوة الكافية الدافعة للوصول إليهما ، ولهذا فيجدر أن يقال لهم إنكم عاجزون عن ذلك ، لأن هذا وإن كان العقل يجوزه بالنسبة لما حدث في هذا القرآن **من العجائب** والغرائب إلا أنه متوقف على قوة عظيمة لم يتسن للبشر إدراكها ، وما على البشر بعد بذل جهده ووسعه في

---

(١) بيان المعاني ٣٤٢/١

ذلك وعدم تمكنه منه إلا أن يظهر عجزه عن ذلك ، وعن القول بأن كلا من هذه الكواكب كرة أرضية مسكونة رجما بالغيب ، لأن أحدا لم يرها ولم يخبر عنها من يؤخذ بقوله من الأنبياء الذين أطلعهم الله على بعض غيبه وأخبروا به قيل وقوعه ، فضلا عن أن كل ما لا يرى عيانا يكون من الأمور الحدسية الغالب عليها الكذب ، وما كان كذلك فلا ينبغي للعاقل أن يقطع بصحته «فبأي آلاء ربكما تكذبان ٣٤ يرسل عليكما شواظ» لهب خالص لا دخان فيه «من نار ونحاس» دخان محض لا لهب". [1]

٣٤٥-"فهذه الأحاديث مصدق بعضها لبعض وكلها صحاح ، قد وردت في هذه المعجزة العظيمة مع شهادة القرآن بها الذي هو أول دليل وأقوى شاهد مثبت لوقوعها ، ولا يشك فيها مؤمن ، وقد أخبر بها الصادق المصدوق ، وناهيك باخباره من برهان ، فيجب الاعتقاد بوقوعه والإيمان به ، وذلك في السنة السادسة من البعثة ولا يقدح في صحة الحديثين المرويين عن ابن عباس وأنس كونهما لم يولدا إذ ذاك لأنهما ثقتان ولا ينقلان إلا عن ثقة كما هو المشهور عنهما وأنهما لم يقولا رأيناه انشق ليقدح في رؤيتهما وإنما يخبران عن الانشقاق الذي بلغهم عن رسول الله وهما أصدق صادق فيما يخبران به ، ولا يقال لو كان لما خفي على أهل الأقطار الأخر ولو رأوه لنقلوه متواترا لأن الطباع جبلت على نشر العجائب ، إذ يجوز ان الله حجبه عنهم بغيم أو نحوه ولا سيما أنه وقع ليلا حال غفلة الناس لقلة من يتفكر في ملكوت السموات ، وكثيرا ما يخسف القمر وتكسف الشمس ويحدث في السماء ليلا **من العجائب** والبدائع والأنوار والطوالع والشهب العظام ، ولا يتحدث بها إلا آحاد الناس لغفلة الآخرين عنها ، ولأنها قد تكون في موضع آخر ، وكثيرا ما نقرأ الآن في الصحف على سبيل التواتر أن الشمس كسفت في محل كذا والقمر خسف في مكان كذا ، ولم نر شيئا من ذلك في بلادنا ، تأمل على أن الركبان

(٢٧٩/١)

بيان المعاني ، ج ١ ، ص : ٢٨٠". [2]

٣٤٦-"يصرون على الكفر ، وفيه وعيد وتهديد لأهل مكة بأنهم إذا لم يؤمنوا يكون مصيرهم الهلاك كالأمم السابقة ، قال تعالى «ولو فتحنا عليهم بابا من السماء» على خلاف العادة ليؤمنوا بك «فظلوا فيه يعرجون ١٤» يصعدون وينظرون ما فيها **من العجائب** العظيمة ، والمعارج المصاعد وهي قواطع السلم الذي يصعد عليه بها كالدرج ، «لقالوا إنما سكرت أبصارنا» حبست عن النظر وتحيرت وأغشيت بما يمنعها من حقيقة المرأى ، أي لأنكروا ما شاهدوه فيها وجعلوه خيالا ولم يتعظوا بشيء من ذلك ولقالوا «بل نحن قوم مسحورون ١٥» من قبل محمد ، إذ موه وخيل لنا أشياء لا حقيقة

---

(١) بيان المعاني ٣٦٨/١

(٢) بيان المعاني ٣٧٢/١

لها ، والمعنى أن الله تعالى يقول لو جعل لهم ذلك على سبيل الفرض وشاهدوه عيانا لما آمنوا ولقالوا قد سدت أبصارنا عن الحقيقة أو سحرنا محمد ، وأصروا على كفرهم ، وهؤلاء الذين هم في أزل الله يموتون على كفرهم لا ينتفعون بما آتاهم الله من الهدى والرشد.". (١)

٣٤٧-"بيان المعاني ، ج ٢ ، ص : ١٩٤

سطوره ما يقفون عليه من بعض الكلمات التي يتلقونها من حضرة الرسول أو مما اجتهادهم لمعناها ، ومن شواهد قوله :

أيام تصحبني هند وأخبرها ما كدت أكتمه عني من الخبر

و قبل إن خبر كاد محذوف تقديره آتي بها على حد قول صائبي الرجمي :

هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله

أي وكدت أفعل ثم استأنف وقال وليتني وليس بشي ء ، وما جرينا عليه أو هذا ، وقد ذكرت غير مرة أن كل قراءة فيها زيادة حرف أو نقصه على القرآن الذي بأيدينا لا عبرة بها ، ولا تجوز قراءتها لأن هذا القرآن هو بعيد أنزله الله لا زيادة ولا نقص فيه.

واعلم يقينا أن كل ما نقل عن بعض العلم القراء زيادة كلمة أو حرف على ما في القرآن هي شروح وتفاسير كتبها القائلون بها على هوامش مصحفهم ليس إلا ، إذ لا يجوز أن يقال في بعض المصاحف زيادة أو نقص على بعضها قطعا ، والقول به حرام راجع تفسير الآية ١٩ من سورة الحجر في ج ٢.

وبحث القراءات في مطلب الناسخ والمنسوخ في المقدمة المارة.

قال تعالى «لتجزى كل نفس بما تسعى » ١٥ تعمل في هذه الدنيا إن خيرا فخير وإن فشر «فلا يصدنك» يا رسول «عنها من لا يؤمن بها» من قوم فرعون وغيرهم الجاحدين وجودها المتوغلين في الغفلة المعنيين بقوله «واتبع هواه» بما تسول له نفسه من النزغات الشيطانية واللذات البهيمية والشهوات الخسيسة فتصده عن الإيمان بها «فتردى » توقع نفسك في الردى والهلاك ، لأن إغفالها إغفال تحصيل ما ينجي من هولها.

ثم أراد جل شأنه أن يريه آية على رسالته فقال «وما تلك بيمينك يا موسى » ١٧ وهذا سؤال لتقرير الحكم منه أن يوقفه أولا على ماهية ما بيده وينبهه على ما يريد بها وما سيظهره له بها **من العجائب** ، حتى إذا صيرها لا يهوله أمرها ، ويوطن نفسه عليها ، وليعلم أنها معجزة له وبرهان على نبي «قال هي عصاي» أضافها لنفسه لأنها بيده.". (٢)

٣٤٨-"بيان المعاني ، ج ٢ ، ص : ٣١١

و سماع كلام الله في الآخرة يكون على هذه الصفة ، لأن الكامل الواصل يكون له في الدنيا حكم الآخرة ، وقيل في هذا

---

(١) بيان المعاني ٣٩٧/١

(٢) بيان المعاني ١٩٤/٢

المعنى :

إذا ذكرت ليلى فكلي مسامع وإن ظهرت ليلى فكلي أعين

أي أنه يرى ويسمع بكل جوارحه وهي مبالغة عن شدة تلذذه بما يسمعه ويراه منها لتوغله في محبتها ، ولأن حبها تداخل فيه وجرى في عروقه مجرى الدم منه.

ثم اعلم أيضا أنه لا يجوز السؤال عن الكيفية في ذات الله تعالى وصفاته ، إذ لا يقال كيف ذاته من غير جسم ولا جوهر ولا عرض ، ولا كيف علمه من غير كسب وضرورة ، ولا كيف قدرته من غير صلابة ، ولا كيف إرادته من غير شهوة وأمنية ، ولا كيف تكليمه من غير حدة ولا صوت ، لأن هذا كله من نعوت البشر ، ولأن الله تعالى سد هذا الباب عليهم بقوله جل قوله : (ليس كمثله شي ء) الآية ١١ من سورة الشورى في ج ٢ ، أما كيفية سماع موسى كلامه فقد وضحته لك أعلاه ، فاغتنم هذا ، فإنك لا تجده على هذا التفصيل والتمثيل في كتب كثيرة ، واحمد الله على إنعامه «وسبحان الله رب العالمين» ٨ وهذه الجملة من تتمة مانودي به موسى ، أي نزه ربك عما لا يليق به ، فقد نزه تعالى شأنه ذاته المقدسة بذاته عن صفات خلقه وعما تتخيله الأوهام من التشبيه والتمثيل ، وفيها تعجب إلى موسى بأنه سيلقى من جلائل الأمور وعظائم الشئون ما يتعجب منه المتعجبون.

وما قاله السدي بأن هذه الجملة من كلام سيدنا موسى ، بعيد عن المقام ويأباه مدلول الكلام ، لأن موسى لم يتكلم بعد ، كيف وقد اعتراه ما اعتراه من الدهشة وهيبة الربوبية التي ألمعنا إليها في الآية ١٠ من سورة طه المارة ، ولما رأى الله تعالى موسى كما كان مرئيا في الأزل لديه وقد أخذته الرهبة ، أراد أن يعرفه بذاته المقدسة ويزيل عنه ما أهابه ليمهد له ما أراد أن يلقيه عليه ويظهره على يده من الأمور الغريبة ، ناداه «يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم» ٩ الذي يكلمك هو أنا ، ولفظة الجلال بيان للفظة أنا والعزيز الغالب لما يفعله **من العجائب** والبدائع بمقتضى الحكمة ، وهي صفتان له جلت صفاته وفيها إشارة إلى كمال قدرته وقوة عظمته ورمز إلى أنه سيبين له ما يستبعده الوهم المستفاد من قوله «وألق". (١)

٣٤٩-"بيان المعاني ، ج ٢ ، ص : ٥٢٠

منهم ومقويك وناصرك عليهم «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك» ليلة الإسراء والمعراج من عجائب الآيات وبدائع المعجزات «إلا فتنة» اختبارا وامتحانا «للناس» إذ ارتد بعض المؤمنين عند سماعها ، وأجمع كفرة قريش على جحودها فكذبها أناس وتعجب آخرون ، وصدق بها المؤمن الموقن وازداد المخلص إيمانا والكافر كفرا ، فكانت فتنة للفريقين ، واختلف المسلمون في المعراج أيضا على أقوال بسطناها آنفا في الآية الأولى من هذه السورة ، وفي المعجزة الثالثة والثلاثين المارة وما بعدها ، فراجعها إن شئت.

أخرج الترمذي والنسائي وغيرهما عن ابن عباس أن الرؤيا هي ما عاينه حضرة الرسول ليلة أسري به **من العجائب** الأرضية والسماوية رؤية عين ، وهي على اللغة الفصحى ، إذ تقول العرب رأيت بعيني رؤية ورؤيا ، وهذا هو قول سعيد بن جبير

---

(١) بيان المعاني ٣١١/٢

والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريح وغيرهم ، وإنما عبر بالرؤيا دون الرؤية لمشاكلة تسميتهم لها رؤيا ، أو جار على زعمهم كتسمية الأصنام آلهة ، فقد روي أن بعضهم قال له صلى الله عليه وسلم لما قص عليهم الإسراء لعله شيء رأيته في منامك يا رسول الله ، أو على التشبيه بالرؤيا لما فيها **من العجائب** ، ولوقوعها ليلا ، أو لسرعتها ، أي وما جعلنا الرؤيا التي أريناكها عيانا مع كونها آية عظيمة وأية آية ، وقد ذكرتها لقومك وأقمت البرهان على صحتها بما اختبرك به قومك عن عيرهم ، كما ذكر في المعجزة الثامنة والستين فما بعدها المارة إلا فتنة افتتن بها الناس من تكذيب وتصديق وتهويل وإعجاب «والشجرة الملعونة في القرآن» روى البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها شجرة الزقوم.

وروي عنه أيضا أن المراد بها لعن طاعميها من الكفرة ، ووصفها باللعن من المجاز في الإسناد ، وفيه من المبالغة ما فيه.

وقد يراد لعنها نفسها بالمعنى اللغوي وهو البعد ، لأنها في أبعد مكان من جهنم ، قال تعالى (تخرج في أصل الجحيم) بعد أن قال (إنا جعلناها فتنة للظالمين) الآيتين ٦٣ و٦٤ من سورة الصافات في ج ٢ ، أي في أبعد مكان من رحمة الله تعالى ، وقد لعنت إذ لعن آكلوها ، وإلا فلا ذنب لها حتى تلعن ، ولكن المصاحبة لها دخل :

ما ضر بالشمع إلا صحبة الفتل.

ولهذا قيل الصاحب ساحب : ". [١]

٣٥٠-"بيان المعاني ، ج ٣ ، ص : ٢٧٨

يصرون على الكفر ، وفيه وعيد وتهديد لأهل مكة بأنهم إذا لم يؤمنوا يكون مصيرهم الهلاك كالأمم السابقة ، قال تعالى «ولو فتحنا عليهم بابا من السماء» على خلاف العادة ليؤمنوا بك «فظلوا فيه يعرجون ١٤» يصعدون وينظرون ما فيها **من العجائب** العظيمة ، والمعارج المصاعد وهي قواطع السلم الذي يصعد عليه بها كالدرج ، «لقالوا إنما سكرت أبصارنا» حبست عن النظر وتحيرت وأغشيت بما يمنعها من حقيقة المرأى ، أي لأنكروا ما شاهدوه فيها وجعلوه خيالا ولم يتعظوا بشيء من ذلك ولقالوا «بل نحن قوم مسحورون ١٥» من قبل محمد ، إذ موه وخيل لنا أشياء لا حقيقة لها ، والمعنى أن الله تعالى يقول لو جعل لهم ذلك على سبيل الفرض وشاهدوه عيانا لما آمنوا ولقالوا قد سدت أبصارنا عن الحقيقة أو سحرنا محمد ، وأصروا على كفرهم ، وهؤلاء الذين هم في أزل الله يموتون على كفرهم لا ينتفعون بما آتاهم الله من الهدى والرشد.

قال تعالى «ولقد جعلنا في السماء بروجا» عظاما كالقصور العالية الفخمة في الأرض ، من حيث الاسم وإلا فلا يقاس بعظمتها ما في الدنيا كلها ، وصيرناها منازل للشمس في سيرها وهي بروج الفلك الاثني عشر ، ولكل برج منها ثلاثون درجة ، فمجموعها ثلاثمائة وستون درجة وتقطعها الشمس في كل سنة مرة واحدة كل برج في شهر ، وبها تتم دورة الفلك ، ويقطعها القمر في ثمانية وعشرين يوما ، وتنقسم على المواسم الأربعة ، ونظير هذه الآية الآية ٦٠ من سورة الفرقان المارة في ج ١ ، وقد ذكرنا فيهما بعض ما يتعلق في هذا البحث فراجعه ، وقد أوضحنا ما هية البروج في سورة البروج المارة في

---

(١) بيان المعاني ٢/٥٢٠

ج ١ أيضا ، ولهذا البحث صلة في أوائل سورة تبارك الملك الآتية ، أما منازل القمر فهي ثمانية وعشرون منزلة لكل برج منزلتان وثلث ، إذ ينزل كل ليلة منزلة وتقيم الشمس في كل منزلة منها ثلاثة عشر يوما ، وهي مواقع النجوم التي أقسم الله بها في الآية ٧٥ من سورة الواقعة المارة في ج ١ كما أشرنا إليه في الآية ٤٠ من سورة يس المارة في ج ١ أيضا فراجعها تجد ما تريد وما يخطر ببالك ، وقد نسبت العرب إليها الأنواء الممطرة التي وعدنا ببيانها قبل في الآية ٢١ من سورة يونس المارة ، وها نحن أولاء نبينها على التفصيل فنقول وبالله التوفيق وهو الملك الجليل : ". [1]

٣٥١-"بيان المعاني ، ج ٤ ، ص : ٢٩٨

«خامدين» ١٥ لا حراك بهم ، وفي هذه الآية تحذير لأهل مكة وتخويف عظيم وتهديد شديد بأنهم إذا لم يرجعوا عن غيهم يكون مصيرهم مثل مصيرهم ، قال تعالى «وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما» وما فيهما **من العجائب** والبدائع «لاعبين» ١٦ لأن اللعب يروق ساعة أوله ولا ثبات له وإنما خلقناهما لفوائد كثيرة همها الاستطلاع على قدرتنا والتبصر في باهر حكمتنا وأرسلنا الأنبياء ليكفروا الخلق فيها وإلا لما كان من حاجة لإرسالهم لو كان خلقها لمجرد اللهو ، ثم نزه ذاته المقدسة فقال «لو أردنا أن نتخذ لهوا» نلهو به من امرأة أو ولد أو خدم أو جنات أو أموال وأنعام «لاتخذناه من لدنا» في الجنة من الحور والولدان لا من عندكم ولكنا لم نتخذ «إن كنا فاعلين» ١٧ ما تنفوهون به وهذا ممتنع علينا لغنانا عنه واحتياج الكل إلينا ، فالولد والزوجة لا يكونان إلا عند الأب والزوج لا يكونان عند غيره ، وقال بعض المفسرين ان (إن) هنا نافيه أي (ما كنا فاعلين) وعليه يكون الوقف على (لدنا) لا على (فاعلين) والأول أي اعتبار إن شرطية محذوفة الجواب الدال عليه ما قبلها وهو (لا تخذناه) أولى بسبك العبارة والثاني أبلغ في النفي فقط تأمل ، وفي هذه الآية رد وتقريع على من ينسب له تعالى الصاحبة والولد تبرأت ذاته المقدسة عنهما ، ولذلك بقول بعض النصارى إن مريم صاحبة الله وعيسى ابنه ، واليهود يقولون إن عزيزا ابنه ، والعرب تقول الملائكة بناته ، تعالى عن ذلك كله علوا كبيرا أي لكنا لنا ممن يفعل ذلك لاستحالته في حقنا ، وإنما نفى اللهو جل جلاله عنه لأنه نقص وهو مستحيل في حقه تعالى فتركه واجب منه وهذا ليس من قبيل الوجوب عليه بل القول بالوجوب عنه وهو واجب علينا ، ومن أنكر أن اللعب نقص كالكذب فقد كابر ، ولا داعي لمن قال إن اللهو يراد به الجماع ويكنى عنه به وعن المرأة واستشهد

بقول امرئ القيس :

الا زعمت بسباسة القوم أنني كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالي

إذ لا حاجة لقلب الحقيقة إلى المجاز دون صارف.

ثم أضرب جل اضرابه فقال «بل نقذف» نرمي ونطرح «بالحق» القرآن والإيمان به «على الباطل»". [2]

---

(١) بيان المعاني ٣/٢٧٨

(٢) بيان المعاني ٤/٢٩٨

٣٥٢-"بيان المعاني ، ج ٦ ، ص : ١٥

الشرائع التي أمروا بتبليغها لأقوامهم «والميزان» أنزلناه معهم ليقيموا العدل بين أممهم ، لأن المراد بالميزان هنا العدل الذي به قوام مصالح الناس وملاك أمورهم وجماع تآلفهم وتوادهم ، بدليل قوله «ليقوم الناس بالقسط» ولا يتظالموا فيما بينهم ، فيعتدي القوي على الضعيف والشريف على الحقير لأنها فيه سواسية ، والتفاضل إنما يكون بالأعمال ، وقد يكون بالأموال والجاه والرياسة المراعى فيها التقوى التي هي أساس كل خير من هذه الأشياء وغيرها.

مطلب في الحديد ومنافعه وكونه من معجزات القرآن وما يعمل منه وما يستخرج فيه ويحتاج إليه :

«وأنزلنا الحديد» أحد بركات الأرض الأربع التي منحها الله عباده من هباته الجليلة وتخصيصاته العظيمة ، والثاني الملح ، والثالث الماء ، والرابع النار ، أي أصلها وهو عنصر الأوكسجين ، وهذا من معجزات القرآن إذ تحقق لأهل هذا العصر أنه ينزل من السماء.

قال الأستاذ الشهير (ونودر فشلد) انه رأى ذرات الحديد في الثلج في شمالي سيبريا وأخبر عنه.

ومما يدل على عظمته إعادة العامل مع إمكان الاكتفاء بأداة العطف ووصفه بقوله جل قوله «فيه بأس شديد» ويطلق البأس على الحرب وعلى الموت ، وهذا أعظم الآلات المؤثرة فيها بتأثير الله تعالى ، وإنما نعته الله بهذا لما هو ثابت في علمه الأزلي المخبر عنه بقوله (ويخلق ما لا تعلمون) الآية ٨ من سورة النحل في ج ٢ ، أي ما لا تعلمونه من آلات الحرب والركوب التي ظهرت في هذا الزمن مما قد ينكرها العقل لو لا بروزها للعيان كالبرق والهاتف والراد والقطر والبواخر التي تسيرها قوة الكهرباء (والبوصلة) الإبرة المغناطيسية التي لولاها لما تمكن أصحاب البواخر من التوغل في البحار ، ولم يتسن لهم السير في النهار وقت الضباب وتلبد الغيوم ، والإبرة الدالة على ترطب الجو وحدوث الأمطار والعواصف وغيرها من العجائب والغرائب من سرعة سير بعض السيارات الذي هو فوق العقل ، فضلا عن القذائف والصواريخ والذرة وغيرها وما ندري ما يحدث بعد.

وللحديد دخل في العلاجات المهمة ومنافعه لا تعد ولا تدخل تحت الحصر ، ولولاه لاستحال اختراع الأشياء المار ذكرها وغيرها كالقطر". (١)

٣٥٣-"بيان المعاني ، ج ٦ ، ص : ٦١

عليكما «فانفذوا» إن كنتم قادر بن ولكنكم «لا تنفذون إلا بسلطان» (٣٣) عظيم وقوة قاهرة وليس لكم ذلك وأنى لكم هذه الغلبة على النفوذ ، بل أنتم عاجزون عنه وقدم الجن هنا على الإنس لأنهم أقدر على النفوذ وأقوى من الإنس لا لفضلهم إذ لم يقل أحد به ولهذا قدم الإنس في الآية ٨٨ من سورة الإسراء ج ١ لأنه فيها أقدر من الجن ولو أنه لا قدرة له عليه ، فعلى الذين يريدون الصعود إلى القمر أو المريخ كما يزعمون إن الصعود إليهما بإمكانهم وهما في أقطار السماء ، والذين يريدون اختراق القطب المتجمد الذي هو في أقطار الأرض أن يستحضروا مالديهم من قوة قاهرة للتوصل الى ذلك

---

(١) بيان المعاني ١٥/٦

، لأن الله تعالى يقول إن هذا النفوذ من الممكنات لا تقدرون عليه إلا بسلطان ، ومن أين لكم هذا السلطان الذي ذكره الله ، بما يدل على وصفه بالعظمة ، لأن العظيم لا يقوم إليه إلا شيء عظيم ، وقد صار لهؤلاء المتنطعين مئات السنين وهم يتغنون بالصعود للقمر والمريخ وغيره ويحتجون بأنهم لم يستكملوا بعد هذه القوة الكافية الدافعة للوصول إليهما ، ولهذا فيجدر أن يقال لهم إنكم عاجزون عن ذلك ، لأن هذا وإن كان العقل يجوزه بالنسبة لما حدث في هذا القرآن **من العجائب** والغرائب إلا أنه متوقف على قوة عظيمة لم يتسن للبشر إدراكها ، وما على البشر بعد بذل جهده ووسعه في ذلك وعدم تمكنه منه إلا أن يظهر عجزه عن ذلك ، وعن القول بأن كلا من هذه الكواكب كرة أرضية مسكونة رجما بالغيب ، لأن أحدا لم يرها ولم يخبر عنها من يؤخذ بقوله من الأنبياء الذين أطلعهم الله على بعض غيبه وأخبروا به قبل وقوعه ، فضلا عن أن كل ما لا يرى عيانا يكون من الأمور الحدسية الغالب عليها الكذب ، وما كان كذلك فلا ينبغي للعاقل أن يقطع بصحته «فبأي آلاء ربكما تكذبان ٣٤ يرسل عليكما شواظ» لهب خالص لا دخان فيه «من نار ونحاس» دخان محض لا لهب

فيه ، هذا فإن قيل من أين عرف هذا الأوربيون حتى اخترعوا الغيوم من الدخان وغيره بحيث يمتنعون عن الرؤية في البر والبحر والسماء ؟

فالجواب أنهم عرفوه لأنه من لوازم الحياة الدنيا ، وكل ما هو من هذا القبيل قد يطلعهم الله عليه.

قال تعالى (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) الآية ٨ من". [(١)]

٣٥٤-"﴿و؟لعصر * إن ؟لإنسـ؟ن لفى خسر * إلا ؟لذين ءامنوا وعملوا ؟لصـ؟لحـ؟ت وتواصوا ب؟لحق وتواصوا ب؟لصبر﴾

﴿و؟لعصر * إن ؟لإنسـ؟ن لفى خسر﴾. العصر : اسم للزمن كله أو جزء منه .

ولذا اختلف في المراد منه ، حيث لم يبين هنا .

فقيل : هو الدهر كله ، أقسم الله به لما فيه **من العجائب** ، أمة تذهب وأمة تأتي ، وقدر ينفذ ، وآية تظهر ، وهو هو لا يتغير ، ليل يعقبه نهار ، ونهار يطرده ليل ، فهو في نفسه عجب .

كما قيل :

موجود شبيه المعدوم ، ومتحرك يضاهي الساكن .

كما قيل : وأرى الزمان سفينة تجري بنا نحو المنون ولا نرى حركاته

فهو في نفسه آية ، سواء في ماضيه لا يعلم متى كان ، أو في حاضره لا يعلم كيف ينقضي ، أو في مستقبله .

واستدل لهذا القول بما جاء موقوفا على علي رضي الله عنه ، ومرفوعا من قراءة شاذة : والعصر ونوائب الدهر . وحمل على التفسير إذ لم يصح قرآنا ، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس .

---

(١) بيان المعاني ٦/٦١

وعليه قول الشاعر : سبيل الهوى وعر ، وبحر الهوى غمر ويوم الهوى شهر ، وشهر الهوى دهر

وقيل العصر : الليل والنهار .

قال حميد بن ثور : ولم يلبث العصران يوم ليلة إذا طلبا أن يدركا ما يتمما

والعصران : أيضا الغداة والعشي .

كما قيل : وأمطله العصرين حتى يملني ويرضى بنصف الدين والأنف راغم

والمطل : التسويف وتأخير الدين .

كما قيل : قضى كل ذي دين فوفى غريمه وعزة ممطول معنى غريمها

وقيل : إن العشي ما بعد زوال الشمس إلى غروبها ، وهو قول الحسن وقتادة .

ومنه قول الشاعر : تروح بنا يا عمرو قد قصر العصر وفي الروحة الأولى الغنيمة والأجر

وعن قتادة أيضا : هو آخر ساعة من ساعات النهار ، لتعظيم اليمين فيه ، وللقسم بالفجر والضحى .

وقيل : هو صلاة العصر لكونها الوسطى .

وقيل : عصر النبي صلى الله عليه وسلم أو زمن أمته ، لأنه يشبه عصر عمر الدنيا .". (١)

٣٥٥-"مقاصد ما وقعت كلمة "ثم" بينه في الكلامين المتعاطفين؛ ففي معنى التجاوز من الخطاب سؤال موسى، عليه السلام، ربه في بعثهم، حتى لا يكون ذلك فتنة على سائرهم - انتهى.

﴿لعلكم تشكرون﴾

وقال الحرالي: وفي "لعل" إبهام معلومه فيهم بأن منهم من يشكر، ومنهم من لا يشكر - انتهى.

قال الحرالي: وفيه، أي هذا الخطاب، آية على البعث الآخر الذي وعد به جنس بني آدم كلهم؛ فجأة صعق وسرعة بعث، فإن ما صح لأحدهم ولطائفة منهم أمكن عمومه في كافتهم - انتهى.

وقال الحرالي: وعطف، تعالى، على ذكر البعث ذكر حال من مثل أحوال أهل الجنة الذي ينالونه بعد البعث، فكأن عامتهم الذين لم يموتوا إنما شركوا هؤلاء المبعوثين، لكونهم كأنهم ماتوا بموتهم، وبعثوا ببعثهم، فذكر ظل الغمام، وهو من أمر مابعد البعث، والإرزاق بغير كلفة، وهو من حال ما بعد البعث، وأفهم ذلك أمورا أخر في أحوالهم، كما يقال إن ملابسهم كانت تطول معهم كلما طالوا، فكأنهم أخرجوا من أحوال أهل الدنيا بالجملة، إلى شبه أحوال أهل الجنة، في محل تيههم ومستحق منال العقوبة لهم، كل ذلك إنعاما عليهم، ثم لم يزيدوا مع ذلك إلا بعدا عن التبصرة في كل ما أبدى لهم **من العجائب**: "حدث عن بني إسرائيل ولا حرج فقال: ﴿وظللنا﴾ من الظلمة وهي وقاية مما ينزل من سماء". (٢)

---

(١) تتمة أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم ٣١٨/٢

(٢) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي ص/٢٢١

٣٥٦-" يوسف الآية ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ المراد إلزام المكذبين والمعنى ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك إذ لا سبيل إلى معرفتك إياه سوى ذلك إذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك للكتب أمر لا يشك فيه المكذبون أيضا ولم تكن بين ظهرانيهم عند وقوع الأمر حتى تعرفه كما هو فتبلغه إليهم وفيه تهكم بالكفار فكأنهم يشكون في ذلك فيدفع شكهم وفيه أيضا إيذان بأن ما ذكر من النبأ هو الحق المطابق للواقع وما ينقله أهل الكتاب ليس على ما هو عليه يعني أن مثل هذا التحقيق بلا وحي لا يتصور إلا بالحضور والمشاهدة وإذ ليس ذلك بالحضور فهو بالوحي ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وقوله وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر

وما أكثر الناس يريد به العموم أو أهل مكة

ولو حرصت أي على إيمانهم وبالغت في إظهار الآيات القاطعة الدالة على صدقك

بمؤمنين لتصميمهم على الكفر وإصرارهم على العناد روى أن اليهود وقريشا لما سألوا عن قصة يوسف وعدوا أن يسلموا فلما أخبرهم بها على موافقة التوراة فلم يسلموا حزن النبي صلى الله عليه و سلم فقيل له ذلك

وما تسألهم عليه أي على الأنباء أو القرآن

من أجر من جعل كما يفعله حملة الأخبار

إن هو إلا ذكر عظة من الله تعالى

للعالمين كافة لا أن ذلك مختص بهم

وكأين من آية أي كأي عدد شئت من الآيات والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وحكمته غير هذه الآية التي جئت بها

في السموات والأرض أي كائنة فيهما من الأجارم الفلكية وما فيها من النجوم وتغير أحوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما في الأرض **من العجائب** الفائتة للحصر

يمرون عليها أي يشاهدونها ولا يعبئون بها وقرىء برفع الأرض على الإبتداء ويمرون خبره وقرىء بنصبها على معنى ويطئون الأرض يمرون عليها وفي مصحف عبدالله والأرض يمشون عليها والمراد ما يرون فيها من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من الآيات والعبر

وهم عنها معرضون غير ناظرين إليها ولا متفكرين فيها

وما يؤمن أكثرهم بالله في إقرارهم بوجوده وخالقيته

إلا وهم مشركون بعبادتهم لغيره أو باتخاذهم الأحبار والرهبان أرباب أو بقولهم باتخاذه تعالى ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا أو بالنور والظلمة وهي جلمة حالية أي لا يؤمن أكثرهم إلا في حال شركهم قيل نزلت الآية في أهل مكة وقيل في المنافقين وقيل في أهل الكتاب

أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أي عقوبة ". (١)

٣٥٧-" الحجر ١٣ ١٧ والرمح في المطعون لا يؤمنون به أي بالذكر حال من ضمير نسلكه أي غير مؤمن به أو بيان للجملة السابقة فلا محل لها وقد جعل الضمير للاستهزاء فيتعين البيانية إلا أن يجعل الضمير المجرور ايضا له على أن الباء للملابسة أي نسلك الاستهزاء في قلوبهم حال كونهم غير مؤمنين بملابسته والحال إما مقدرة أو مقارنة للإيذان بأن كفرهم مقارن للإلقاء كما في قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد خلت سنة الأولين أي قد مضت طريقتهم التي سنها الله تعالى في إهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء وهو استئناف جيء له تكملة للتسلية وتصريحا بالوعيد والتهديد ولو فتحنا عليهم أي على هؤلاء المقترحين المعاندين بابا من السماء أي بابا ما لا بابا أبوابها المعهودة كما قيل ويسرنا لهم الرقي والصعود إليه فظلوا فيه في ذلك الباب يعرجون بآلة أو بغيرها ويرون ما فيها **من العجائب** عيانا كما يفيده الظلول أو فظل الملائكة الذين اقترحوا إتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونه عيانا مستوضحين طول نهارهم لقالوا لفرط عنادهم وغلوهم في المكابرة وتفاديهم عن قبول الحق إنما سكرت أبصارنا أي سدت من الإحساس من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف أو حيرت كما يعضده قراءة من قرأ سكرت أي حارت بل نحن قوم مسحورون قد سخرنا محمد صلى الله عليه و سلم كما قالوه عند ظهور سائر الآيات الباهرة وفي كلمتي الحصر والإضراب دلالة على أنهم يبتون القول بذلك وأن ما يرونه لا حقيقة له وإنما هو أمر خيل إليهم بالسحر وفي اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها وإيرادها بعد تسكير الأبصار لبيان إنكارهم لغير ما يرونه فإن عروج كل منهم إلى السماء وإن كان مرئيا لغيره فهو معلوم بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الإبصار فهم يدعون أن ذلك نوع آخر من السحر غير تسكير الأبصار ولقد جعلنا في السماء بروجا قصورا ينزلها السيارات وهي البروج الإثنا عشر المشهورة المختلفة الهيئات والخواص حسبما يدل عليه الرصد والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور من بساطة السماء والجعل إن جعل بمعنى الخلق والإبداع وهو الظاهر فالجار متعلق به وإن جعل بمعنى التصيير فهو مفعول ثان له متعلق بمحذوف أي جعلنا بروجا كائنة في السماء وزيناها أي السماء بتلك البروج المختلفة الأشكال والكواكب سيارات كانت أو ثوابت للناظرين إليها فمعنى التزيين ظاهر أو للمتفكرين المعتبرين المستدلين بذلك على قدرة مقدرها وحكمة مدبرها فتزيينها ترتيبها على نظام بديع مستتبع للآثار الحسنة وحفظناها من كل ". (٢)

٣٥٨-" ٨٥ - سورة البروج ١ ٤

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج هي البروج الإثنا عشر شبهت بالقصور لأنها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت أو منازل القمر أو عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها أو أبواب السماء فإن النوازل تخرج منها وأصل التركيب للظهور واليوم الموعود أي يوم القيامة وشاهد ومشهود أي ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما يحضر فيه **من**

---

(١) تفسير أبي السعود ٤/٣٠٩

(٢) تفسير أبي السعود ٥/٧٠

العجائب وتنكرهما للإبهام في الوصف أي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما أو للمبالغة في الكثرة وقيل الشاهد محمد والمشهود يوم القيامة وقيل عيسى عليه السلام وأمته لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا الخ وقيل أمة محمد وسائر الأمم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الأسود والحجيج وقيل الأيام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم إلا وينادى إني يوم جديد وإني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني إلى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الأنبياء ومحمد عليهم الصلاة والسلام قتل أصحاب الأخذود قيل هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول والأصل لقتل كما في قول من قال حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما أن من حديث ولا صال وقيل تقديره لقد قتل وأيا ما كان فالجملة خبرية والأظهر أنها دعائية دالة على الجواب كأنه قيل أقسم بهذه الأشياء أنهم أي كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود لما أن السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الإيمان وصبرهم عليه من الإيمان وتصبيرهم على أذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان وصبرهم على ذلك حتى يأتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا أن هؤلاء عند الله عز و جل ". (١)

٣٥٩-"« لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » وقد روي عن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي بن كعب ، وأبي أيوب الأنصاري ، وعبادة بن الصامت ، وأبي سعيد الخدري أنهم قالوا : « لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب » فهؤلاء الصحابة القدرة ، وفيهم الأسوة ، كلهم يوجبون الفاتحة في كل ركعة .

قال الإمام الفخر : « إنه عليه السلام واظب طول عمره على قراءة الفاتحة في الصلاة ، فوجب أن يجب علينا ذلك لقوله تعالى : ﴿ واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ويا للعجب من أبي حنيفة فإنه تمسك في وجوب (مسح الناصية) بخبر واحد وذلك ما رواه المغيرة بن شعبة Bه عن النبي A أنه أتى سباطة قوم فبال وتوضأ ، ومسح على ناصيته وخفيه ، في (أنه عليه السلام مسح على الناصية) فجعل ذلك القدر من المسح شرطا لصحة الصلاة!! وهاهنا نقل أهل العلم نقلا متواترا أنه عليه السلام واظب طول عمره على قراءة الفاتحة ، ثم قال : إن صحة الصلاة غير موقوفة عليها ، وهذا من العجائب! » .

الحكم الرابع : هل يقرأ المأموم خلف الإمام؟

اتفق العلماء على أن المأموم إذا أدرك الإمام راكعا فإنه يحمل عنه القراءة ، لإجماعهم على سقوط القراءة عنه بركوع الإمام ، وأما إذا أدركه قائما فهل يقرأ خلفه أم تكفيه قراءة الإمام؟ اختلف العلماء في ذلك على أقوال :

أ - فذهب الشافعي وأحمد : إلى وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام سواء كانت الصلاة سرية أم جهرية .

ب - وذهب مالك إلى أن الصلاة إذا كانت سرية قرأ خلف الإمام ، ولا يقرأ في الجهرية .

ج - وذهب أبو حنيفة : إلى أنه لا يقرأ خلف الإمام لا في السرية ولا في الجهرية .

استدل الشافعية والحنابلة بالحديث المتقدم وهو قوله A : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » .

---

(١) تفسير أبي السعود ١٣٥/٩

فإن اللفظ عام يشمل الإمام والمأموم ، سواء كانت الصلاة سرية جهرية ، فمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب لم تصح صلاته .
واستدل الإمام مالك : على قراءة الفاتحة إذا كانت الصلاة سرية بالحديث المذكور ، ومنع من القراءة خلف الإمام إذا كانت الصلاة جهرية لقوله تعالى : ﴿ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] .
وقد نقل القرطبي : عن الإمام مالك أنه لا يقرأ في الجهرية بشيء من القرآن خلف الإمام ، وأما في السرية فيقرأ بفاتحة الكتاب ، فإن ترك قراءتها فقد أساء ولا شيء عليه .
وأما الإمام أبو حنيفة : فقد منع من القراءة خلف الإمام مطلقا عملا بالآية الكريمة ﴿ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] ولحديث « من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة » .
واستدل أيضا بما روي عن النبي A أنه قال :". (١)

٣٦٠-"بعد ما نزل عليهم قال يحيى بلغني أنه كان بينهم وبين العذاب أربعة أميال وقوله ومتعناهم إلى حين يعني إلى الموت بغير عذاب أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين أي لا تستطيع فعل ذلك إنما يؤمن من يريد الله عز وجل أن يؤمن سورة يونس من الآية إلى الآية وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون يعني رجاسة الكفر قل انظروا ماذا في السماوات من شمسها وقمرها ونجومها وما فيها **من العجائب** والأرض من بحارها وشجرها وجبالها ففي هذه آيات وحجج عظام وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون إذا لم يقبلوها ويتفكروا فيها فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم يعني وقائع الله عز وجل في الأمم السالفة التي أهلكهم بها حين كذبوا رسلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين أي سينزل بكم ما نزل بهم أخر الله عز وجل عذاب آخر كفار هذه الآمة إلى ل النفخة الأولى
بها يكون هلاكهم ولم يهلكهم حين كذبوا النبي بعذاب الاستئصال كما أهلك من قبلهم بعذاب الاستئصال فلم يبق منهم أحد ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا يقول كنا إذا أهلكنا قوما أنجينا النبي والمؤمنين الآية قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني يعني المشركين فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله الآية سورة يونس من الآية إلى الآية وأن أقم وجهك أي وجهتك إلى قوله عز وجل فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين أي ولست فاعلا يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم يعني القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وهي كقوله عز وجل من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما أنا عليكم بوكيل بحفيظ لأعمالكم حتى أجازيكم بها إنما أنا
منذر أبلغكم رسالة ربي واصبر على ما يقول لك المشركون حتى يحكم الله فيأمرك بالهجرة والجهاد وهو خير أفضل الحاكمين". (٢)

---

(١) تفسير آيات الأحكام ص/١٨

(٢) تفسير ابن أبي زمنين ١/٢٨٢

٣٦١-"عشر سبطا لكل سبط طريق يتراءون فلما خرج أصحاب موسى وتتام أصحاب فرعون التقى البحر عليهم فأغرقهم وفي رواية إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال : فلما خرج آخر أصحاب موسى وتكامل أصحاب فرعون انطم عليهم البحر فما رئي سواد أكثر من يومئذ وغرق فرعون لعنه الله .

إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (٦٧)

ثم قال تعالى " إن في ذلك لآية " أي في هذه القصة وما فيها **من العجائب** والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين لدلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة " وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم" تقدم تفسيره .

وإن ربك لهو العزيز الرحيم (٦٨)

ثم قال تعالى" إن في ذلك لآية " أي في هذه القصة وما فيها **من العجائب** والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين لدلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة " وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم " تقدم تفسيره.

واتل عليهم نبأ إبراهيم (٦٩)

هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء أمر الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يتلوه على أمته ليقتدوا به في الإخلاص والتوكل وعبادة الله وحده لا شريك له والتبري من الشرك وأهله .

إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون (٧٠)

فإن الله تعالى آتى إبراهيم رشده من قبل أي من صغره إلى كبره فإنه من وقت نشأ وشب أنكر على قومه عبادة الأصنام مع الله عز وجل فقال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أي ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟ .

قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين (٧١)

" قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين " أي مقيمين على عبادتها ودعائها .

قال هل يسمعونكم إذ تدعون (٧٢)

" قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون " يعني اعترفوا بأن أصنامهم لا تفعل شيئا من ذلك وإنما رأوا آباءهم كذلك يفعلون فهم على آثارهم يهرعون فعند ذلك قال لهم إبراهيم .

أو ينفعونكم أو يضرون (٧٣)

" قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون " يعني اعترفوا بأن أصنامهم لا تفعل شيئا من ذلك وإنما رأوا آباءهم كذلك يفعلون فهم على آثارهم يهرعون فعند ذلك قال لهم إبراهيم .

قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون (٧٤)

" قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون " يعني اعترفوا بأن أصنامهم لا تفعل شيئا من ذلك وإنما رأوا آباءهم كذلك يفعلون فهم على آثارهم يهرعون فعند ذلك قال لهم إبراهيم .

قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون (٧٥)

" أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين " أي إن كانت هذه الأصنام شيئا ولها تأثير

وتقدر فلتخلص إلي بالمساءة فإني عدو لها لا أبالي بها ولا أفكر فيها وهذا كما قال تعالى مخبرا عن نوح عليه
٣٥١@@@". (١)

٣٦٢-"بل الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء " فلا تذهب نفسك عليهم حسرات " " ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء " " لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين " " إنك لا تهدي من أحببت " " فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب " " فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر " إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى هو الفعال لما يريد الهادي من يشاء المضل لمن يشاء لعلمه وحكمته وعدله .
وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون (١٠٠)
وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون

ولهذا قال تعالى " وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس " وهو الخبال والضلال " على الذين لا يعقلون " أي حجج الله وأدلته وهو العادل في كل ذلك في هداية من هدى وإضلال من ضل .
قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون (١٠١)
قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون

يرشد تعالى عباده إلى التفكر في آلائه وما خلق الله في السموات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب مما في السموات من كواكب نيرات ثوابت وسيارات ؛ والشمس والقمر والليل والنهار واختلافهما وإيلاج أحدهما في الآخر حتى يطول هذا ويقصر هذا ثم يقصر هذا ويطول هذا وارتفاع السماء واتساعها وحسنها وزينتها وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها وأخرج فيها من أفانين الثمار والزروع والأزاهير وصنوف النبات وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب ؛ وما في البحر **من العجائب** والأمواج وهو مع هذا مسخر مذلل للسالكين يحمل سفنهم ويجري بها برفق بتسخير القدير لا إله إلا هو ولا رب سواه .
وقوله " وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون " أي وأي شيء تغني الآيات السماوية والأرضية والرسل بآياتها وحججها وبراهينها الدالة على صدقها عن
٤٠٦@@@". (٢)

٣٦٣-"به .
وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون (١١)

---

(١) تفسير ابن كثير - ط قرطبة ١٠/٣٥٠
(٢) تفسير ابن كثير - ط قرطبة ٧/٤٠٥

وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون

يقول تعالى مسليا لرسوله صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من كفار قريش إنه أرسل من قبله من الأمم الماضية وإنه ما أتى أمة من رسول إلا كذبوه واستهزءوا به .

كذلك نسلكه في قلوب المجرمين (١٢)

كذلك نسلكه في قلوب المجرمين

ثم أخبر أنه سلك التكذيب في قلوب المجرمين الذين عاندوا واستكبروا عن اتباع الهدى قال أنس والحسن البصري "كذلك نسلكه في قلوب المجرمين " يعني الشرك .

لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين (١٣)

لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين

وقوله" قد خلت سنة الأولين " أي قد علم ما فعل تعالى بمن كذب رسله من الهلاك والدمار وكيف أنجى الله الأنبياء وأتباعهم في الدنيا والآخرة .

ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون (١٤)

ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون

يخبر تعالى عن قوة كفرهم وعنادهم ومكابرتهم للحق أنه لو فتح لهم بابا من السماء فجعلوا يصعدون فيه لما صدقوا بذلك .

لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون (١٥)

لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون

بل قالوا " إنما سكرت أبصارنا " قال مجاهد وابن كثير والضحاك سدت أبصارنا وقال قتادة عن ابن عباس أخذت أبصارنا وقال العوفي عن ابن عباس شبه علينا وإنما سحرنا وقال الكلبي عميت أبصارنا وقال ابن زيد " سكرت أبصارنا " السكران الذي لا يعقل .

ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين (١٦)

ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين

يذكر تعالى خلقه السماء في ارتفاعها وما زينها به من الكواكب الثوابت والسيارات لمن تأمل وكرر النظر فيما يرى **من العجائب** والآيات الباهرات ما يحار نظره فيه وبهذا

٢٤٨@@@". (١)

٣٦٤-"ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين﴾

يرشد تعالى عباده إلى التفكر في آلائه وما خلق الله في السماوات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب مما في السماوات من كواكب نيرات ثوابت وسيارات والشمس والقمر والليل والنهار واختلافهما وإيلاج أحدهما في الآخر حتى يطول هذا ويقصر هذا ثم يقصر هذا ويطول هذا وارتفاع السماء واتساعها وحسنها وزينتها وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها وأخرج فيها من أفانين الثمار والزروع والأزاهير وصنوف النبات وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب وما في البحر **من العجائب** والأمواج وهو مع هذا مسخر مذلل للسالكين يحمل سفنهم ويجري بها برفق بتسخير القدير لا إله إلا هو ولا رب سواه وقوله ﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ أي وأي شيء تغني الآيات السماوية والأرضية والرسل بآياتها وحججها وبراهينها الدالة على صدقها عن قوم لا يؤمنون كقوله ﴿إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون﴾ الآية وقوله ﴿فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾ أي فهل ينتظر هؤلاء المكذبون لك يا محمد من النقمة والعذاب إلا مثل أيام الله في الذين خلوا من قبلهم من الأمم الماضية المكذبة لرسلهم ﴿قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا﴾ أي ونهلك المكذبين بالرسل ﴿كذلك حقا علينا ننج المؤمنين﴾ حقا أوجبه الله تعالى على نفسه الكريمة كقوله: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ وكما جاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أنه قال: "إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي"

﴿قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا رآد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾

يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من صحة ما جئتكم به من الدين الحنيف الذي أوحاه الله إلي فأنا لا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله وحده لا شريك له وهو الذي يتوفاكم كما أحياكم ثم إليه مرجعكم فإن كانت آلهتكم التي تدعون من دون الله حقا فأنا لا أعبدها فادعوها فلتضرني فإنها لا تضر ولا تنفع وإنما الذي بيده الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له وأمرت أن أكون من المؤمنين وقوله ﴿وأن أقم وجهك للدين حنيفا﴾ الآية أي أخلص العبادة لله وحده حنيفا أي منحرفا عن الشرك ولهذا قال ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ وهو معطوف

(١) تفسير ابن كثير - ط قرطبة ٢٤٧/٨

على قوله ﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾ وقوله ﴿وإن يمسسك الله بضر﴾ الآية فيه بيان لأن الخير والشر والنفع". [١]

٣٦٥-"يذكر تعالى خلقه السماء في ارتفاعها وما زينها به من الكواكب الثوابت والسيارات، لمن تأمل وكرر النظر فيما يرى من العجائب والآيات الباهرات، ما يحار نظره فيه، وبهذا قال مجاهد وقتادة: البروج ههنا هي الكواكب. (قلت): وهذا كقوله تبارك وتعالى ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجا﴾ الآية. ومنهم من قال: البروج هي منازل الشمس والقمر. وقال عطية العوفي: البروج ههنا هي قصور الحرس. وجعل الشهب حرسا لها من مردة الشياطين لئلا يسمعوا إلى الملأ الأعلى، فمن تمرد وتقدم منهم لاستراق السمع جاءه شهاب مبين فأتلفه، فربما يكون قد ألقى الكلمة التي سمعها قبل أن يدركه الشهاب إلى الذي هو دونه فيأخذها الآخر ويأتي بها إلى وليه، كما جاء مصرحا به في الصحيح.
كما قال البخاري في تفسير هذه الآية: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة، عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان" قال علي وقال غيره صفوان ينفذهم ذلك، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم ؟ قالوا: للذي قال الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر، ووصف سفيان بيده، وفرج بين أصابع يده اليمنى، نصبها بعضها فوق بعض، فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه، وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه إلى الذي هو أسفل منه حتى يلقوها إلى الأرض، وربما قال سفيان: حتى تنتهي إلى الأرض فتلقى على فم الساحر أو الكاهن فيكذب معها مائة كذبة فيصدق، فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا، فوجدناه حقا للكلمة التي سمعت من السماء، ثم ذكر تعالى خلقه الأرض ومده إياها وتوسيعها وبسطها، وما جعل فيها من الجبال الرواسي، والأودية والأراضي والرمال، وما أنبت فيها من الزروع والثمار المتناسبة.
وقال ابن عباس ﴿من كل شيء موزون﴾ أي معلوم، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبو مالك ومجاهد والحكم بن عتيبة والحسن بن محمد وأبو صالح وقتادة، ومنهم من يقول: مقدر بقدر. وقال ابن زيد: من كل شيء يوزن ويقدر بقدر، وقال ابن زيد: ما يزنه أهل الأسواق. وقوله: ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ يذكر تعالى أنه صرفهم في الأرض في صنوف الأسباب والمعايش وهي جمع معيشة. وقوله: ﴿ومن لستم له برازقين﴾ قال مجاهد: هي الدواب والأنعام. وقال ابن جرير: هم العبيد والإماء والدواب والأنعام، والقصد أنه تعالى يمتن عليهم بما يسر لهم من أسباب المكاسب ووجوه الأسباب وصنوف المعايش، وبما سخر لهم من الدواب التي يركبونها، والأنعام التي يأكلونها، والعبيد والإماء التي يستخدمونها، ورزقهم على خالقهم لا عليهم، فلهم هم المنفعة، والرزق على الله تعالى.
﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السمآء ماء فأسقيناكموه ومآ أنتم له بخازنين وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم﴾

---

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر ٥٢٨/٢

يخبر تعالى أنه مالك كل شيء وأن كل شيء سهل عليه يسير لديه، وأن عنده خزائن الأشياء من جميع الصنوف ﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ كما يشاء وكما يريد، ولما له في ذلك من الحكمة البالغة والرحمة بعباده لا على جهة الوجوب بل هو كتب على نفسه الرحمة قال يزيد بن أبي زياد عن أبي جحيفة عن". [١]

٣٦٦-"ضربك موسى بعصاه فانفلق له، قال: فبات البحر يضطرب ويضرب بعضه بعضا فرقا من الله تعالى، وانتظارا لما أمره الله، وأوحى الله إلى موسى ﴿أن اضرب بعصاك البحر﴾ فضربه بها، ففيها سلطان الله الذي أعطاه، فانفلق، ذكر غير واحد أنه جاء فكناه، فقال: انفلق علي أبا خالد بحول الله.

قال الله تعالى: ﴿فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ أي كالجبل الكبير، قاله ابن مسعود وابن عباس ومحمد بن كعب والضحاك وقتادة وغيرهم. وقال عطاء الخراساني: هو الفج بين الجبلين. وقال ابن عباس صار البحر اثني عشر طريقا لكل سبط طريق، وزاد السدي: وصار فيه طاقات ينظر بعضهم إلى بعض، وقام الماء على حيلة كالحيطان. وبعث الله الريح إلى قعر البحر فلفحته، فصار يبسا كوجه الأرض، قال الله تعالى: ﴿فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى﴾. وقال في هذه القصة ﴿وأزلفنا ثم الآخرين﴾ أي هنالك. قال ابن عباس وعطاء الخراساني وقتادة والسدي ﴿وأزلفنا﴾ أي قربنا من البحر فرعون وجنوده، وأدنيناهم إليه ﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين﴾ أي أنجينا موسى وبني إسرائيل ومن اتبعهم على دينهم، فلم يهلك منهم احد، وأغرق فرعون وجنوده فلم يبق منهم رجل إلا هلك.

وروى ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا شبابة، حدثنا يونس بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله هو ابن مسعود أن موسى عليه السلام حين أسرى ببني إسرائيل بلغ فرعون ذلك، فأمر بشاة فذبحت، وقال: لا والله لا يفرغ من سلخها حتى يجتمع إلي ستمائة ألف من القبط، فانطلق موسى حتى انتهى إلى البحر، فقال له: انفرق، فقال له البحر: قد استكبرت يا موسى، وهل انفرقت لأحد من ولد آدم، فأنفرق لك ؟ قال، ومع موسى رجل على حصان له، فقال له ذلك الرجل، أين أمرت يا نبي الله ؟ قال: ما أمرت إلا بهذا الوجه، قال: والله ما كذب ولا كذبت، ثم اقتحم الثانية فسبح ثم خرج، فقال: أين أمرت يا نبي الله ؟ قال: ما أمرت إلا بهذا الوجه. قال: والله ما كذب ولا كذبت، قال: فأوحى الله إلى موسى: أن اضرب بعصاك البحر، فضربه موسى بعصاه، فانفلق، فكان فيه اثنا عشر سبطا لكل سبط طريق يتراءون، فلما خرج أصحاب موسى، وتتام أصحاب فرعون، التقى البحر عليهم فأغرقهم.

وفي رواية إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال: فلما خرج آخر أصحاب موسى، وتكامل أصحاب فرعون، انطم عليهم البحر، فمارئي سواد أكثر من يومئذ، وغرق فرعون لعنه الله، ثم قال تعالى: ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي في هذه القصة وما فيها **من العجائب** والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين، لدلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ تقدم تفسيره.

---

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر ٢/٦٦٧

﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنآ آبآءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآبآؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين﴾

هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء، أمر الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يتلوه على أمته ليقتدوا به في الإخلاص والتوكل، وعبادة الله وحده لا شريك له، والتبري من الشرك وأهله، فإن الله تعالى آتى إبراهيم رشده من قبل، أي من صغره إلى كبره، فإنه من وقت نشأ". (١)

٣٦٧-"يرشد تعالى عباده إلى التفكر في آلائه (١) وما خلق في السموات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب، مما في السموات (٢) من كواكب نيرات، ثوابت وسيارات، والشمس والقمر، والليل والنهار، واختلافهما، وإيلاج أحدهما في الآخر، حتى يطول هذا ويقصر هذا، ثم يقصر هذا ويطول هذا، وارتفاع السماء واتساعها، وحسنها وزينتها، وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها، وأخرج فيها من أفانين الثمار والزروع والأزاهير، وصنوف النبات، وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع، وما فيها من جبال وسهول (٣) وقفار وعمران وخراب. وما في البحر من العجائب والأمواج، وهو مع هذا [مسخر] (٤) مذلل للسالكين، يحمل سفنهم، ويجري بها برفق بتسخير القدير له، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

وقوله: ﴿ وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ أي: وأي شيء تجدي الآيات السماوية والأرضية، والرسل بآياتها وحججها وبراهينها الدالة على صدقها، عن قوم لا يؤمنون، كما قال: ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم ﴾ [يونس : ٩٦ ، ٦٩].

وقوله: ﴿ فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ﴾ أي: فهل ينتظر هؤلاء المكذبون لك يا محمد من النقمة والعذاب إلا مثل أيام الله في الذين خلوا من قبلهم من الأمم المكذبة لرسلهم، ﴿ قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا ﴾ (٥) أي: ونهلك المكذبين بالرسل، ﴿كذلك حقا علينا ننج المؤمنين ﴾ [أي] (٦) حقا: أوجبه تعالى على نفسه الكريمة: كقوله ﴿كتب على نفسه الرحمة ﴾ [الأنعام : ١٢] كما جاء في الصحيحين، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت (٧) غضبي" (٨)

﴿ قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين (١٠٤) وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين (١٠٥) ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين (١٠٦) ﴾

---

(١) في أ: "إلى التفكر في الآية لآياته".

---

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر ٤١٠/٣

(٢) في ت، أ: "السماء".

(٣) في أ: "وهول".

(٤) زيادة من ت، أ.

(٥) في ت: "فإنى".

(٦) زيادة من ت، أ.

(٧) في ت، أ: "تغلب".

(٨) صحيح البخاري برقم (٧٥٥٤) وصحيح مسلم برقم (٢٧٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.". [(١)]

٣٦٨-"﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين (١٦) وحفظناها من كل شيطان رجيم (١٧) إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين (١٨) والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون (١٩) وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين (٢٠) ﴾

يذكر تعالى خلقه السماء في ارتفاعها وما زينها به من الكواكب الثواقب، لمن تأملها، وكرر النظر (١) فيها، يرى فيها **من العجائب** والآيات الباهرات، ما يحار نظره فيه. ولهذا قال مجاهد وقتادة: البروج هاهنا هي: الكواكب.

قلت: وهذا كقوله تعالى: ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ﴾ [الفرقان: ٦١] ومنهم من قال: البروج هي: منازل الشمس والقمر.

وقال عطية العوفي: البروج هاهنا: هي قصور الحرس (٢)

وجعل الشهب حرسا لها من مردة الشياطين، لئلا يسمعوا (٣) إلى الملأ الأعلى، فمن تمرد منهم [وتقدم] (٤) لاستراق السمع، جاءه ﴿ شهاب مبين ﴾ فأتلفه، فربما يكون قد ألقى الكلمة التي سمعها قبل أن يدركه الشهاب إلى الذي هو دونه، فيأخذها الآخر، ويأتي بها إلى وليه، كما جاء مصرحا به في الصحيح، كما قال البخاري في تفسير هذه الآية:

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان (٥) عن عمرو، عن عكرمة، عن أبي هريرة، يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان". قال علي، وقال غيره: صفوان ينفذهم ذلك، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الذي قال: الحق، وهو العلي الكبير. فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع،

---

(١) في ت: "نظره".

(٢) في ت: "الحرس فيها".

(٣) في أ: "لئلا يسمعوا".

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة ٤/٢٩٩

(٤) زيادة من ت، أ.

(٥) في ت: "حدثنا ابن سفيان"." (١)

٣٦٩-"من البحر وأدنيناهم إليه.

﴿ وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين ﴾ أي: أنجينا موسى وبني إسرائيل ومن معهم على دينهم فلم يهلك (١) منهم أحد، وأغرق فرعون وجنوده، فلم يبق منهم رجل (٢) إلا هلك.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا شبابة، حدثنا يونس بن أبي إسحاق، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله -هو ابن مسعود -أن موسى، عليه السلام، حين أسرى ببني إسرائيل بلغ فرعون ذلك، فأمر بشاة فذبحت، ثم قال: لا والله لا يفرغ من سلخها حتى يجتمع إلي ستمائة ألف من القبط. فانطلق موسى حتى انتهى إلى البحر، فقال له: انفرق. فقال البحر: لقد استكبرت يا موسى، وهل انفرقت (٣) لأحد من ولد (٤) آدم فأنفرق (٥) لك؟ قال: ومع موسى رجل على حصان له، فقال له ذلك الرجل: أين أمرت يا نبي الله؟ قال: ما أمرت إلا بهذا الوجه [يعني: البحر، فأقحم فرسه، فسبح به فخرج، فقال: أين أمرت يا نبي الله؟ قال: ما أمرت إلا بهذا الوجه] (٦) . قال: والله ما كذبت ولا كذبت. ثم اقتحم الثانية فسبح، ثم خرج فقال: أين أمرت يا نبي الله؟ قال: ما أمرت إلا بهذا الوجه؟ قال: والله ما كذبت (٧) ولا كذبت. قال: فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فضربه موسى بعصاه، فانفلق، فكان فيه اثنا عشر طريقا، لكل سبط طريق يتراءون، فلما خرج أصحاب موسى وتتام أصحاب فرعون، التقى البحر عليهم فأغرقهم.

وفي رواية إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله قال: فلما خرج آخر أصحاب موسى، وتكامل أصحاب فرعون، اضطم عليهم البحر، فما رئي سواد أكثر من يومئذ، وغرق فرعون لعنه الله.

ثم قال تعالى: ﴿ إن في ذلك لآية ﴾ أي: في هذه القصة وما فيها **من العجائب** والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين؛ لدلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة، ﴿ وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ تقدم تفسيره.

﴿ واتل عليهم نبأ إبراهيم (٦٩) إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون (٧٠) قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين (٧١) قال هل يسمعونكم إذ تدعون (٧٢) أو ينفعونكم أو يضرون (٧٣) قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون (٧٤) قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون (٧٥) أنتم وآباؤكم الأقدمون (٧٦) فإنهم عدو لي إلا رب العالمين (٧٧) ﴾ .

هذا إخبار من الله تعالى (٨) عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء، أمر الله رسوله محمدا، صلوات الله وسلامه عليه، أن يتلوه على أمته، ليقتدوا به في الإخلاص والتوكل، وعبادة الله وحده لا شريك له، والتبرؤ من الشرك وأهله؛ فإن الله تعالى آتى إبراهيم رشده من قبل، أي: من صغره إلى كبره، فإنه من وقت نشأ وشب، أنكر على قومه عبادة الأصنام مع الله، عز وجل، فقال: ﴿ لأبيه وقومه ما تعبدون ﴾ ؟

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة ٤/٥٢٨

(١) في أ: "تهلك".

(٢) في ف: "رجل منهم".

(٣) في ف، أ: "فرقت".

(٤) في أ: "بني".

(٥) في أ: "فأفرق".

(٦) زيادة من ف، أ.

(٧) في أ: "ما كذب".

(٨) في أ: "عز وجل".". [1]

٣٧٠-"" صفحة رقم ٤١٨ "

نسبة الصفرة ، فحكم عليها أنها صفراء ، ثم حكم على اللون أنه شديد الصفرة ، فابتدأ أولا بوصف البقرة بالصفرة ، ثم أكد ذلك بوصف اللون بها ، فكأنه قال : هي صفراء ، ولونها شديد الصفرة . فقد اختلفت جهتا تعلق الصفرة لفظا ، إذ تعلقت أولا بالذات ، ثم ثانيا بالعرض الذي هو اللون ، واختلف المتعلق أيضا ، لأن مطلق الصفرة مخالف لشديد الصفرة ، ومع هذا الاختلاف الظاهر فلا يحتاج ذلك إلى التوكيد . قال الزمخشري : فإن قلت ، فهلا قيل : صفراء فاقعة ؟ وأي فائدة في ذلك اللون ؟ قلت : الفائدة فيه التوكيد ، لأن اللون اسم للهيئة ، وهي الصفرة ، فكأنه قيل : شديد الصفرة صفرتها ، فهو من قولك : جد جده ، وجنونك جنون . اه كلامه . وقال وهب : إذا نظرت إليها خيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها .

(تسر الناظرين (: أي تبهج الناظرين إليها من سمنها ومنظرها ولونها . وهذه الجملة صفة للبقرة ، وقد تقدم قول من جعلها خبرا ، كقوله : لونها ، وفيه تكلف قد ذكرناه . وجاء هذا الوصف بالفعل ، ولم يجيء باسم الفاعل ، لأن الفعل يشعر بالحدوث والتجدد . ولما كان لونها من الأشياء الثابتة التي لا تتجدد ، جاء الوصف به بالاسم لا بالفعل ، وتأخر هذا الوصف عن الوصف قبله ، لأنه ناشيء عن الوصف قبله ، أو كالناشيء ، لأن اللون إذا كان بهجا جميلا ، دهشت فيه الأبصار ، وعجبت من حسنه البصائر ، وجاء بوصف الجمع في الناظرين ، ليوضح أن أعين الناس طامحة إليها ، متلذذة فيها بالنظر . فليست مما تعجب شخصا دون شخص ، ولذلك أدخل الألف واللام التي تدل على الاستغراق ، أي هي بصدد من نظر إليها سر بها ، وإن كان النظر هنا من نظر القلب ، وهو الفكر ، فيكون السرور قد حصل من التفكر في بدائع صنع الله ، من تحسين لونها وتكميل خلقها . والضمير في تسر عائد على البقرة ، على تقدير أن تسر صفة ، وإن كان خبرا ، فهو عائد على اللون الذي تسر خبر عنه . وقد تقدم توجيه التأنيث ، ولذلك من قرأ يسر بالياء ، فهو عائد

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة ١٤٥/٦

على اللون ، فيحتمل أن يكون لونها مبتدأ ، ويسر خبرا ، ويكون فاقعا صفة تابعة لصفراء ، على حد هذا البيت الذي أنشدناه وهو :

وإني لأسقي الشرب صفراء فاقعا

البقرة : (٧٠) قالوا ادع لنا . . . . .

على قلة ذلك ، ويحتمل أن يكون لونها فاعلا بفاقع ، ويسر إخبار مستأنف . وجمهور المفسرين يشيرون إلى أن الصفرة من الألوان السارة ، ولهذا كان علي كرم الله وجهه ، يرغب في النعال الصفر . وقال ابن عباس : الصفرة تبسط النفس وتذهب الهم ، وكان ابن عباس أيضا يحض على لبس النعال الصفر . ونهى ابن الزبير ويحيى بن أبي كثير عن لباس النعال السود ، لأنها تهم .

(قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى (، قال أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل المرسي في ري الظمآن وجه الاشتباه عليهم ، إن كل بقرة لا تصلح عندهم أن تكون آية ، لما علموا من ناقة صالح وما كان فيها **من العجائب** ، فظنوا أن الحيوان لا يكون آية إلا إذا كان على ذلك الأسلوب ، وذلك لما نبؤا أنها آية ، سألوا عن ماهيتها وكيفيتها ، ولذلك لم يسألوا موسى عن ذلك ، بل سألوه أن يسأل الله لهم عن ذلك ، إذ الله تعالى هو العالم بالآيات ، وإنما سألوا عن التعيين ، وإن كان اللفظ مقتضاه الإطلاق ، لأنهم لو عملوا بمطلقة لم يحصل التقصي عن الأمر بيقين . انتهى كلامه . وقال غيره : لما لم يمكن التماثل من كل وجه ، وحصل الاشتباه ، ساغ لهم السؤال ، فأخبروا بسنها ، فوجدوا مثلها في السن كثيرا ، فسألوا عن اللون ، فأخبروا بذلك ، فلم يزل اللبس بذلك ، فسألوا عن العمل ، فأخبروا بذلك ، وعن بعض أوصافها الخاص بها ، فزال اللبس بتبيين السن واللون والعمل وبعض الأوصاف ، إذ وجود بقر كثير على هذه الأوصاف يندر ، فهذا هو السبب الذي جرأهم على تكرار السؤال :) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى (، تقدم الكلام على هذه الجملة .

(إن البقر تشابه علينا (: هذا تعليل لتكرار هذا السؤال إلى أن الحامل على استقصاء أوصاف هذه". [1]

٣٧١-"" صفحة رقم ٧ "

الليلة وكان العروج به من بيت المقدس ، وأخبر قريشا أيضا بما رأى في السماء **من العجائب** ، وأنه لقي الأنبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى . وهذا على قول من قال أن هذه الليلة هي ليلة المعراج وهو قول ابن مسعود وجماعة . وذهب بعضهم إلى أن ليلة المعراج هي غير ليلة الإسراء .

(والمسجد الاقصى (مسجد بيت المقدس وسمي الأقصى لأنه كان في ذلك الوقت أقصى بيوت الله الفاضلة من الكعبة . قال ابن عطية : ويحتمل أن يريد بالأقصى البعيد دون مفاضلة بينه وبين سواه ، ويكون المقصد إظهار العجب في الإسراء إلى هذا البعد في ليلة انتهى . ولفظه) إلى (تقتضي أنه انتهى الإسراء به إلى حد ذلك المسجد ولا يدل من حيث الوضع على دخوله .

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (الكتب العلمية) ١/٤١٨

(والذى باركنا حوله (صفة مدح لإزالة اشتراط عارض وبركته بما خص به من الخيرات الدينية كالنبوة والشرائع والرسل الذين كانوا في ذلك القطر ونواحيه ونواديه ، والدنياوية من كثرة الأشجار والأنهار وطيب الأرض . وفي الحديث (أنه تعالى بارك فيما بين العريش إلى الفرات وخص فلسطين بالتقديس) .

وقرأ الجمهور) لنريه (بالنون وهو التفات من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم ، وقراءة الحسن ليريه بالياء فيكون الالتفات في آياتنا وهذه رؤيا عين والآيات التي أريها هي العجائب التي أخبر بها الناس وإسراؤه من مكة وعروجه إلى السماء ووصفه الأنبياء واحدا واحدا حسبما ثبت في الصحيح . وقال ابن عطية : ويحتمل أن يريد ليرى محمدا للناس آية ، أي يكون النبي (صلى الله عليه وسلم)) آية في أن يصنع الله ببشر هذا الصنع فتكون الرؤية على هذا رؤية القلب .

قال الزمخشري :) إنه هو السميع (لأقوال محمد) البصير (بأفعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك . وقال ابن عطية : وعيد من الله للكفار على تكذيبهم محمدا (صلى الله عليه وسلم)) في أمر الإسراء ، فهي إشارة لطيفة بليغة إلى ذلك أي هو السميع لما تقولون البصير بأفعالكم انتهى .

الإسراء : (٢) وآتينا موسى الكتاب . . . . .

ولما ذكر تشريف الرسول (صلى الله عليه وسلم)) بالإسراء وإراءته الآيات ذكر تشريف موسى بايتائه التوراة) وءاتينا (معطوف على الجملة السابقة من تنزيه الله تعالى وبراءته من السوء ، ولا يلزم من عطف الجمل المشاركة في الخبر أو غيره . وقال ابن عطية : عطف قوله وآتينا على ما في قوله أسرى بعبده من تقدير الخبر كأنه قال : أسرينا بعبدنا وأريناه آياتنا وآتينا . وقال العكبري وآتينا معطوف على أسرى انتهى . وفيه بعد و) الكتاب (هنا التوراة ، والظاهر عود الضمير من وجعلناه على الكتاب ، ويحتمل أن يعود على موسى ، ويجوز أن تكون أن تفسيرية ولا نهي وأن تكون مصدرية تعليلا أي لأن لا يتخذوا ولا نفي ، ولا يجوز أن تكون أن زائدة ويكون لا تتخذوا معمولا لقول محذوف خلافا لمجوز ذلك إذ ليس من مواضع زيادة أن .

وقرأ ابن عباس ومجاهد وقتادة وعيسى وأبو رجاء وأبو عمرو من السبعة : يتخذوا بالياء على الغيبة وباقي السبعة بتاء الخطاب ، والوكيل فعيل من التوكل أي متوكلا عليه . وقال الزمخشري ربا تكلون إليه أموركم . وقال ابن جرير : حفيظا لكم سواي . وقال أبو الفرج بن الجوزي : قيل للرب وكيل لكفايته وقيامه بشؤون عباده ، لا على معنى ارتفاع منزلة الموكل وانحطاط أمر الوكيل انتهى .

الإسراء : (٣) ذرية من حملنا . . . . .

وانتصب) ذرية (على النداء أي يا ذرية أو على البدل من وكيلا ، أو على المفعول الثاني ليتخذوا ووكيلا وفي معنى الجمع أي لا يتخذوا وكلاء ذرية ، أو على إضمار أعني . وقرأت فرقة ذرية بالرفع وخرج على أن يكون بدلا من الضمير في يتخذوا على قراءة من قرأ بياء الغيبة . وقال ابن عطية : ولا يجوز في القراءة بالتاء لأنك لا تبدل من ضمير مخاطب لو قلت ضربتك زيدا على البدل لم يجز انتهى . وما ذكره من إطلاق إنك لا تبدل من ضمير مخاطب يحتاج إلى تفصيل ، وذلك أنه إن كان في بدل بعض من كل وبدل اشتمال جاز بلا خلاف ، وإن كان في بدل شيء من شيء وهما لعين واحدة وإن كان يفيد

التوكيد جاز بلا خلاف ، نحو : مررت بكم صغيركم وكبيركم وإن لم يفد التوكيد ، فمذهب جمهور البصريين المنع ومذهب الأخفش والكوفيين الجواز وهو الصحيح لوجود ذلك في كلام العرب ، وقد استدللنا على صحة ذلك في شرح كتاب التسهيل ، وذكر من حملنا مع نوح تنبيها على النعمة التي نجاهم بها من الغرق . وقرأ زيد بن ثابت وأبان بن عثمان وزيد بن علي ومجاهد في رواية بكسر". (١)

٣٧٢-"" صفحة رقم ٥٢ "

بعد قوله) فذروها تأكل فى أرض الله (الآية . وقيل : المعنى أنهم جحدوا كونها من عند الله . وقيل : جعلوا التكذيب بها موضع التصديق وهو معنى القول قبله ، والظاهر أن الآيات الأخيرة غير الآيات الأولى ، لوحظ في ذلك وصف الاقتراح وفي هذه وصف غير المقترحة وهي آيات معها إمهال لا معاجلة كالكسوف والرعد والزلزلة . وقال الحسن : والموت الذريع ، وفي حديث الكسوف : (فافزعوا إلى الصلاة) . قال ابن عطية : وآيات الله المعتبر بها ثلاثة أقسام قسم عام في كل شيء إذ حيثما وضعت نظرك وجدت آية . وهنا فكرة العلماء ، وقسم معتاد كالرعد والكسوف ونحوه وهنا فكرة الجهلة فقط ، وقسم خارق للعادة وقد انقضى بانقضاء النبوة وإنما يعتبر توهما لما سلف منه انتهى . وهذا القسم الأخير قال فيه وقد انقضى بانقضاء النبوة وكثير من الناس يثبت هذا القسم لغير الأنبياء ويسميه كرامة .

وقال الزمخشري : إن أراد بالآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها) إلا (من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له ، فإن لم يخافوا وقع عليهم ، وإن أراد غيرها فالمعنى) الظالمون وما نرسل (ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها) إلا تخويفا (وإنذارا بعذاب الآخرة . وقيل : الآيات التي جعلها الله تخويفا لعباده سماوية كسوف الشمس ، وخسوف القمر ، والرعد ، والبرق ، والصواعق ، والرجوم وما يجري مجرى ذلك . وأرضية زلازل ، وخسف ، ومحول ونيران تظهر في بعض البلاد ، وغور ماء العيون وزيادتها على الحد حتى تغرق بعض الأرضين ، ولا سماوية ولا أرضية الرياح العواصف وما يحدث عنها من قلع الأشجار وتدمير الديار وما تسوقه من السواقي والرياح السموم .

الإسراء : (٦٠) وإذ قلنا لك . . . . .

(وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرءيا التى أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرءان).

لما طلبوا الرسول بالآيات المقترحة وأخبر الله بالمصلحة في عدم المجيء بها طعن الكفار فيه ، وقالوا : لو كان رسولا حقا لأتى بالآيات المقترحة فبين الله أنه ينصره ويؤيده وأنه) أحاط بالناس). فقيل بعلمه فلا يخرج شيء عن علمه . وقيل : بقدرته فقدرته غالبة كل شيء . وقيل : الإحاطة هنا الإهلاك كقوله) وأحيط بثمره (والظاهر أن الناس عام . وقيل : أهل مكة بشره الله تعالى أنه يغلبهم ويظهر عليهم ، و) أحاط (بمعنى يحيط عبر عن المستقبل بالماضي لأنه واقع لا محالة ، والوقت الذي وقعت فيه الإحاطة بهم . قيل يوم بدر . وقال العسكري : هذا خبر غيب قدمه قبل وقته ، ويجوز أن يكون ذلك في أمر الخندق ومجيء الأحزاب يطلبون ثارهم ببدر فصرفهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا . وقيل : يوم بدر ويوم الفتح .

---

(١) تفسير البحر المحيط . موافق للمطبوع (الكتب العلمية) ٦/٧

وقيل : الأشبه أنه يوم الفتح فإنه اليوم الذي أحاط أمر الله بإهلاك أهل مكة فيه وأمكن منهم . وقال الطبري :) أحاط بالناس (في منعك يا محمد وحياطتك وحفظك ، فالآية إخبار له أنه محفوظ من الكفرة أمن أن يقتل وينال بمكروه عظيم ، أي فلتبلغ رسالة ربك ولا تتهيب أحدا من المخلوقين . قال ابن عطية : وهذا تأويل بين جار مع اللفظ . وقد روي نحوه عن الحسن والسدي إلا أنه لا يناسب ما بعده مناسبة شديدة ، ويحتمل أن يجعل الكلام مناسبا لما بعده توطئة له .

فأقول : اختلف الناس في) الرءيا). فقال الجمهور هي رؤيا عين ويقظة وهي ما رأى في ليلة الإسراء **من العجائب** قال الكفار : إن هذا لعجب نخب إلى بيت المقدس شهرين إقبالا وإدبارا ويقول محمد جاءه من ليلته وانصرف منه ، فافتتن بهذا التلبيس قوم من ضعفاء المسلمين فارتدوا وشق ذلك على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)) فنزلت هذه الآية ، فعلى هذا يحسن أن يكون معنى قوله) وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس (أي في إضلالهم وهدايتهم ، وأن كل واحد ميسر لما خلق له أي فلا تهتم أنت بكفر من كفر ولا تحزن عليهم فقد قيل لك إن الله محيط بهم مالك لأمرهم وهو جعل رؤياك هذه فتنة ليكفر من سبق عليه الكفر ، وسميت الرؤية في هذا التأويل رؤيا إذ هما مصدران من رأى . وقال النقاش : جاء ذلك من اعتقاد من اعتقد أنها منامية وإن كانت الحقيقة غير ذلك انتهى . وعن ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم : هو قصة الإسراء والمعراج عيانا آمن به الموفقون وكفر به المخذولون ، وسماه رؤيا لوقوعه في الليل وسرعة تقضيه كأنه منام . وعن ابن عباس أيضا هو رؤياه أنه يدخل مكة فعجل في". [(١)]

٣٧٣-"" صفحة رقم ١٣٨ "

ذلك أنه ضري بمشاهدة أمثاله عند موسى **من العجائب** ، واستأنس بأخواته فأعان الإلف على قلة الإهتمام انتهى . قال أبو بكر غالب بن عطية والداني عبد الحق المفسر : سمعت أبا الفضل الجوهري يقول في وعظة : مشى موسى إلى المناجاة فبقي أربعين يوما لم يحتج إلى طعام ، ولما مشى إلى بشر لحقه الجوع في بعض يوم .

الكهف : (٦٣) قال أرأيت إذ . . . . . .

وقال الزمخشري :) أرأيت (بمعنى أخبرني فإن قلت : فما وجه التئام هذا الكلام فإن كل واحد من) أرأيت (و) إذ أوينا (و) فإني نسيت الحوت (لا متعلق له ؟ قلت : لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك ، كأنه قال :) أرأيت (ما دهاني) إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت (فحذف ذلك انتهى . وكون أرأيتك بمعنى أخبرني ذكره سيبويه : وقد أمعنا الكلام في ذلك في سورة الأنعام وفي شرحنا لكتاب التسهيل .

وأما ما يختص بأرأيت في هذا الموضع فقال أبو الحسن الأخفش : إن العرب أخرجتها عن معناها بالكلية فقالوا : أرأيتك وأريتك بحذف الهمزة إذا كانت بمعنى أخبرني ، وإذا كانت بمعنى أبصرت لم تحذف همزتها قال : وشذت أيضا فألزمتها الخطاب على هذا المعنى ، ولا تقول فيها أبدا أراني زيد عمرا ما صنع ، وتقول هذا على معنى أعلم . وشذت أيضا فأخرجتها

---

(١) تفسير البحر المحيط . موافق للمطبوع (الكتب العلمية) ٥٢/٦

عن موضعها بالكلية بدليل دخول الفاء ألا ترى قوله) أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت (فما دخلت الفاء إلا وقد أخرجت لمعنى إما أو تنبه ، والمعنى أما) إذ أوينا إلى الصخرة (فالأمر كذا ، وقد أخرجتها أيضا إلى معنى أخبرني كما قدمنا ، وإذا كانت بمعنى أخبرني فلا بد بعدها من الاسم المستخبر عنه وتلزم الجملة التي بعدها الاستفهام ، وقد يخرج لمعنى أما ويكون أبدا بعدها الشرط وظرف الزمان فقوله) فإني نسيت الحوت ((معناه أما) (معناه أما) إذ أوينا ( ) فإني نسيت الحوت (أو تنبه) إذ أوينا (وليست الفاء إلا جوابا لأرأيت ، لأن إذ لا يصح أن يجازي بها إلا مقرونة بما بلا خلاف انتهى كلام الأخفش . وفيه إن) أرأيت (إذا كانت بمعنى أخبرني فلا بد بعدها من الاسم المستخبر عنه ، وتلزم الجملة التي بعدها الاستفهام وهذان مفقود إن في تقدير الزمخشري) أرأيت (هنا بمعنى أخبرني ، ومعنى) نسيت الحوت (نسيت ذكر ما جرى فيه لك .

وفي قوله) وما أنسانيه إلا الشيطان (حسن أدب سبب النسيان إلى المتسبب فيه بوسوسته و) أن أذكره (بدل اشتمال من الضمير العائد على الحوت ، والظاهر أن الضمير في) واتخذ سبيله فى البحر عجبا (عائد على الحوت كما عاد في قوله) واتخذ سبيله فى البحر سربا (وهو من كلام يوشع . وقيل : الضمير عائد على موسى أي اتخذ موسى . ومعنى) عجبا (أي تعجب من ذلك أو اتخاذا) عجبا (وهو أن أثره بقي إلى حيث سار . وقدره الزمخشري) سبيله ( ) عجبا (وهو كونه شبيه السرب قال : أو قال) عجبا (في آخر كلام تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها ، أو مما رأى من المعجزتين وقوله :) وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره (اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه . وقيل : إن) عجبا (حكاية لتعجب موسى وليس بذلك انتهى .

وقال ابن عطية :) واتخذ سبيله فى البحر عجبا (يحتمل أن يكون من قول يوشع لموسى أي اتخذ الحوت سبيلا عجبا للناس ، ويحتمل أن يكون قوله) واتخذ سبيله فى البحر (تمام الخبر ثم استأنف التعجب فقال من قبل نفسه) عجبا (لهذا الأمر ، وموضع العجب أن يكون حوت قد مات وأكل شقه ثم حيي بعد ذلك .

قال أبو شجاع في كتاب الطبري رأيته أتيت به فإذا هو شق حوت وعين واحدة وشق آخر ليس فيه شي . قال ابن عطية : وأنا رأيته والشق الذي فيه شي عليه قشرة رقيقة ليست تحتها شوكة ، ويحتمل أن يكون) واتخذ سبيله (الآية إخبارا من الله تعالى وذلك على وجهين : إما أن يخبر عن موسى أنه اتخذ سبيل الحوت من البحر) عجبا (أي تعجب منه ، وإما أن يخبر عن الحوت أنه اتخذ سبيله) عجبا (للناس انتهى . وقرأ حفص :) وما أنسانيه (بضم الهاء وفي الفتح عليه الله وذلك". (١)

٣٧٤-"على قلة ذلك ، ويحتمل أن يكون لونها فاعلا بفاقع ، ويسر إخبار مستأنف. وجمهور المفسرين يشيرون إلى أن الصفرة من الألوان السارة ، ولهذا كان علي كرم الله وجهه ، يرغب في النعال الصفر. وقال ابن عباس : الصفرة تبسط النفس وتذهب الهم ، وكان ابن عباس أيضا يحض على لبس النعال الصفر. ونهى ابن الزبير ويحيى بن أبي كثير عن لباس

---

(١) تفسير البحر المحيط . موافق للمطبوع (الكتب العلمية) ١٣٨/٦

النعال السود ، لأنها تهم.

﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى﴾ ، قال أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل المرسي في ري الظمآن وجه الاشتباه عليهم ، إن كل بقرة لا تصلح عندهم أن تكون آية ، لما علموا من ناقة صالح وما كان فيها **من العجائب** ، فظنوا أن الحيوان لا يكون آية إلا إذا كان على ذلك الأسلوب ، وذلك لما نبؤا أنها آية ، سألوا عن ماهيتها وكيفيتها ، ولذلك لم يسألوا موسى عن ذلك ، بل سألوه أن يسأل الله لهم عن ذلك ، إذ الله تعالى هو العالم بالآيات ، وإنما سألوا عن التعيين ، وإن كان اللفظ مقتضاه الإطلاق ، لأنهم لو عملوا بمطلقة لم يحصل التقصي عن الأمر بيقين. انتهى كلامه. وقال غيره : لما لم يمكن التماثل من كل وجه ، وحصل الاشتباه ، ساغ لهم السؤال ، فأخبروا بسنها ، فوجدوا مثلها في السن كثيرا ، فسألوا عن اللون ، فأخبروا بذلك ، فلم يزل اللبس بذلك ، فسألوا عن العمل ، فأخبروا بذلك ، وعن بعض أوصافها الخاص بها ، فزال اللبس بتبيين السن واللون والعمل وبعض الأوصاف ، إذ وجود بقر كثير على هذه الأوصاف يندر ، فهذا هو السبب الذي جرأهم على تكرار السؤال : ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى﴾ ، تقدم الكلام على هذه الجملة.

﴿إن البقر تشابه علينا﴾ : هذا تعليل لتكرار هذا السؤال إلى أن الحامل على استقصاء أوصاف هذه البقرة ، وهو تشابهها علينا ، فإنه كثير من البقر يماثلها في السن واللون. وقرأ عكرمة ويحيى بن يعمر : إن الباقر ، وقد تقدم أنه اسم جمع ، قال الشاعر :

٢٥٣

ما لي رأيتك بعد عهدك موحشاخلقا كحوض الباقر المتهدم

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٤٧

وقرأ الجمهور : تشابه ، جعلوه فعلا ماضيا على وزن تفاعل ، مسند الضمير البقر ، على أن البقر مذكر. وقرأ الحسن : تشابه ، بضم الهاء ، جعله مضارعا محذوف التاء ، وماضيه تشابه ، وفيه ضمير يعود على البقر ، على أن البقر مؤنث. وقرأ الأعرج : كذلك ، إلا أنه شدد الشين ، جعله مضارعا وماضيه تشابه ، أصله : تتشابه ، فأدغم ، وفيه ضمير يعود على البقر. وروي أيضا عن الحسن ، وقرأ محمد المعيطي ، المعروف بذي الشامة : تشبه علينا. وقرأ مجاهد : تشبه ، جعله ماضيا على تفعل. وقرأ ابن مسعود : يشابه ، بالياء وتشديد الشين ، جعله مضارعا من تفاعل ، ولكنه أدغم التاء في الشين. وقرىء : متشبه ، اسم فاعل من تشبه. وقرأ بعضهم : يتشابه ، مضارع تشابه ، وفيه ضمير يعود على البقر. وقرأ أبي : تشابهت. وقرأ الأعمه : متشابه ومتشابهة. وقرأ ابن أبي إسحاق : تشابهت ، بتشديد الشين مع كونه فعلا ماضيا ، وبتاء التأنيث آخره. فهذه اثنا عشر قراءة. وتوجيه هذه القراءات ظاهر ، إلا قراءة ابن أبي إسحاق تشابهت ، فقال بعض الناس : لا وجه لها. وتبيين ما قاله : إن تشديد الشين إنما يكون بإدغام التاء فيه ، والماضي لا يكون فيه ناءات ، فتبقى إحداهما وتدغم الأخرى. ويمكن أن توجه هذه القراءة على أن أصله : اشابهت ، والتاء هي تاء البقرة ، وأصله أن البقرة اشابهت علينا ، ويقوي ذلك لحاق تاء التأنيث في آخر الفعل ، أو اشابهت أصله : تشابهت ، فأدغمت التاء في الشين واجتلبت همزة الوصل. فحين أدرج ابن أبي إسحاق القراءة ، صار اللفظ : أن البقرة اشابهت ، فظن السامع أن تاء البقرة

هي تاء في الفعل ، إذ النطق واحد ، فتوهم أنه قرأ : تشابهت ، وهذا لا يظن بابن أبي إسحاق ، فإنه رأس في علم النحو ، وممن أخذ النحو عن أصحاب أبي الأسود الدؤلي مستنبط علم النحو. وقد كان ابن أبي إسحاق يزري على العرب وعلى من يستشهد بكلامهم ، كالفرزدق ، إذا جاء في شعرهم ما ليس بالمشهور في كلام العرب ، فكيف يقرأ قراءة لا وجه لها ، وإن البقر تعليل للسؤال ، كما تقول : أكرم زيدا إنه عالم ، فالحامل لهم على السؤال هو حصول تشابه البقر عليهم.
جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٤٧
". (١)

٣٧٥-"جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢
لا تدعني إلا بيا عبدهالأنه أشرف أسمائي
وقال العلماء : لو كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسم أشرف منه لسماه به في تلك الحالة.
وانتصب ﴿ليلا﴾ على الظرف ، ومعلوم أن السرى لا يكون في اللغة إلا بالليل ، ولكنه ذكر على سبيل التوكيد. وقيل : يعني في جوف الليل فلم يكن إدلاجا ولا إدلاجا. وقال الزمخشري : أراد بقوله : ﴿ليلا﴾ بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء ، وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة ، وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ، ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل أي بعض الليل كقوله : ﴿ومن اليل فتهجد به﴾ على الأمر بالقيام في بعض الليل انتهى. والظاهر أن قوله : ﴿من المسجد الحرام﴾ هو المسجد المحيط بالكعبة بعينه ، وهو قول أنس. وقيل من الحجر. وقيل من بين زمزم والمقام. وقيل من شعب أبي طالب. وقيل من بيت أم هانىء. وقيل من سقف بيته عليه السلام ، وعلى هذه الأقوال الثلاثة يكون أطلق المسجد الحرام على مكة. وقال قتادة ومقاتل : قبل الهجرة بعام. وقالت عائشة بعام ونصف في رجب. وقيل في سبع عشرة من ربيع الأول والرسول عليه السلام ابن إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانية وعشرين يوما. وعن ابن شهاب بعد المبعث بسبعة أعوام. وعن الحربي ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة
٥
بسنة ، والمتحقق أن ذلك كان بعد شق الصحيفة وقبل بيعة العقبة ، ووقع لشريك بن أبي نمر في الصحيح أن ذلك كان قبل أن يوحى إليه ، ولا خلاف بين المحدثين أن ذلك وهم من شريك. وحكى الزمخشري عن أنس والحسن أنه كان قبل المبعث.
وقال أبو بكر محمد بن علي بن القاسم الرعيني في تاريخه : أسري به من مكة إلى بيت المقدس وعرج به إلى السماء قبل مبعثه بثمانية عشر شهرا ، ويروى أنه كان نائما في بيت أم هانىء بعد صلاة العشاء ، فأسري به ورجع من ليلته وقص القصة على أم هانىء وقال : "مثل لي النبيون فصليت بهم". وقام ليخرج إلى المسجد فتشبثت أم هانىء بثوبه فقال : "مالك" ؟ قالت : أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم ، قال : "وإن كذبوني" فخرج فجلس إليه أبو جهل فأخبره رسول

---

(١) تفسير البحر المحيط . موافق للمطبوع (دار الفكر) ٢١٥/١

الله صلى الله عليه وسلم بحديث الإسراء. فقال أبو جهل : يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وإنكارا ، وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال إلى أبي بكر فقال : إن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا : أتصدقه على ذلك ؟ قال : إني لأصدقه على أبعد من ذلك ، فسمي الصديق رضي الله تعالى عنه. ومنهم من سافر إلى المسجد الأقصى فاستنعتوه ، فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر إليه وينعته لهم ، فقالوا : أما النعت فقد أصاب فقالوا : أخبرنا عن عيرنا ، فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال : "تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق" فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية. فقال قائل منهم : والله هذه الشمس قد شرقت. وقال آخر : وهذه والله العير قد أقبلت بقدمها جمل أورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا : ما هذا إلا سحر بين ، وقد عرج به إلى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس ، وأخبر قريشا أيضا بما رأى في السماء **من العجائب** ، وأنه لقي الأنبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى. وهذا على قول من قال أن هذه الليلة هي ليلة المعراج وهو قول ابن مسعود وجماعة. وذهب بعضهم إلى أن ليلة المعراج هي غير ليلة الإسراء.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢

﴿والمسجد الحرام﴾ مسجد بيت المقدس وسمي الأقصى لأنه كان في ذلك الوقت أقصى بيوت الله الفاضلة من الكعبة. قال ابن عطية : ويحتمل أن يريد بالأقصى البعيد دون مفاضلة بينه وبين سواه ، ويكون المقصد إظهار العجب في الإسراء إلى هذا البعد في ليلة انتهى. ولفظه ﴿إلى ﴾ تقتضي أنه انتهى الإسراء به إلى حد ذلك المسجد ولا يدل من حيث الوضع على دخوله.

﴿الذى باركنا حوله﴾ صفة مدح لإزالة اشتراط عارض وبركته بما خص به من الخيرات الدينية كالنبوة والشرائع والرسل الذين كانوا في ذلك القطر ونواحيه ونواديه ، والدنياوية من كثرة الأشجار والأنهار وطيب الأرض. وفي الحديث "أنه تعالى بارك فيما بين العريش إلى الفرات وخص فلسطين بالتقديس".

وقرأ الجمهور ﴿لنريه﴾ بالنون وهو التفات من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم ، وقراءة الحسن ليريه بالياء فيكون الالتفات في آياتنا وهذه رؤيا عين والآيات التي أريها هي **العجائب** التي أخبر بها الناس وإسراؤه من مكة وعروجه إلى السماء ووصفه الأنبياء واحدا واحدا حسبما ثبت في الصحيح. وقال ابن عطية : ويحتمل أن يريد ليرى محمدا للناس آية ، أي يكون النبي صلى الله عليه وسلم آية في أن يصنع الله ببشر هذا الصنع فتكون الرؤية على هذا رؤية القلب.

". (١)

٣٧٦-"لما طلبوا الرسول بالآيات المقترحة وأخبر الله بالمصلحة في عدم المجيء بها طعن الكفار فيه ، وقالوا : لو كان رسولا حقا لأتى بالآيات المقترحة فبين الله أنه ينصره ويؤيده وأنه ﴿أحاط بالناس﴾ . فقيل بعلمه فلا يخرج شيء عن علمه. وقيل : بقدرته فقدرته غالبة كل شيء. وقيل : الإحاطة هنا الإهلاك كقوله ﴿وأحيط بثمره﴾ والظاهر أن الناس عام. وقيل

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر) ٦/٢

: أهل مكة بشره الله تعالى أنه يغلبهم ويظهر عليهم ، و﴿أحاط﴾ بمعنى يحيط عبر عن المستقبل بالماضي لأنه واقع لا محالة ، والوقت الذي وقعت فيه الإحاطة بهم. قيل يوم بدر. وقال العسكري : هذا خبر غيب قدمه قبل وقته ، ويجوز أن يكون ذلك في أمر الخندق ومجيء الأحزاب يطلبون ثارهم ببدر فصرفهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا. وقيل : يوم بدر ويوم الفتح. وقيل : الأشبه أنه يوم الفتح فإنه اليوم الذي أحاط أمر الله بإهلاك أهل مكة فيه وأمكن منهم. وقال الطبري : ﴿أحاط بالناس﴾ في منعك يا محمد وحياطتك وحفظك ، فالآية إخبار له أنه محفوظ من الكفرة أمن أن يقتل وينال بمكروه عظيم ، أي فلتبلغ رسالة ربك ولا تتهيب أحدا من المخلوقين. قال ابن عطية : وهذا تأويل بين جار مع اللفظ. وقد روي نحوه عن الحسن والسدي إلا أنه لا يناسب ما بعده مناسبة شديدة ، ويحتمل أن يجعل الكلام مناسبا لما بعده توطئة له.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٢

فأقول : اختلف الناس في ﴿الرءيا﴾ . فقال الجمهور هي رؤيا عين ويقظة وهي ما رأى في ليلة الإسراء **من العجائب** قال الكفار : إن هذا لعجب نخب إلى بيت المقدس شهرين إقبالا وإدبارا ويقول محمد جاءه من ليلته وانصرف منه ، فافتتن بهذا التلبيس قوم من ضعفاء المسلمين فارتدوا وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية ، فعلى هذا يحسن أن يكون معنى قوله ﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾ أي في إضلالهم وهدايتهم ، وأن كل واحد ميسر لما خلق له أي فلا تهتم أنت بكفر من كفر ولا تحزن عليهم فقد قيل لك إن الله محيط بهم مالك لأمرهم وهو جعل رؤياك هذه فتنة ليكفر من سبق عليه الكفر ، وسميت الرؤية في هذا التأويل رؤيا إذ هما مصدران من رأى. وقال النقاش : جاء ذلك من اعتقاد من اعتقد أنها منامية وإن كانت الحقيقة غير ذلك انتهى. وعن ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم : هو قصة الإسراء والمعراج عيانا آمن به الموفقون وكفر به المخذولون ، وسماه رؤيا لوقوعه في الليل وسرعة تقضيه كأنه منام. وعن ابن عباس أيضا هو رؤياه أنه يدخل مكة فعجل في سنته الحديبية ورد فافتتن الناس ، وهذا مناسب لصدر الآية فإن الإحاطة بمكة أكثر ما كانت. وعن سهل بن سعد : هي رؤياه بني أمية ينزون على

٥٤

منبره نزو القردة فاهتم لذلك وما استجمع ضاحكا من يومئذ حتى مات ، فنزلت الآية مخبرة أن ذلك ملكهم وصعودهم المنابر إنما يجعلها الله فتنة للناس. ويجيء قوله ﴿أحاط بالناس﴾ أي بأقداره وإن كان ما قدره الله فلا تهتم بما يكون بعدك من ذلك.

وقال الحسن بن علي في خطبته في شأن بيعته لمعاوية : وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين. وقالت عائشة : ﴿الرءيا﴾ رؤيا منام. قال ابن عطية : وهذه الآية تقضي بفساده ، وذلك أن رؤيا المنام لا فتنة فيها وما كان أحد لينكرها انتهى. ولبس كما قال ابن عطية : فإن رؤيا الأنبياء حق ويخبر النبي بوقوع ذلك لا محالة فيصير إخباره بذلك فتنة لمن يريد الله به ذلك. وقال صاحب التحرير : سألت أبا العباس القرطبي عن هذه الآية فقال : ذهب المفسرون فيها إلى أمر غير ملائم في سياق أول الآية ، والصحيح أنها رؤية عين يقظة لما آتاه جبريل عليه السلام مصارع القوم فأراها الناس ، وكانت فتنة لقريش فإنهم لما سمعوا أخذوا في الهزء والسخرية بالرسول صلى الله عليه وسلم. ﴿والشجرة الملعونة﴾ هنا هي أبو جهل

انتهى.
جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٢
" .(١)

٣٧٧-"وقيل : عاد موضع سلوك الحوت حجرا طريقا وأن موسى مشى عليه متبعا للحوت حتى أفضى به ذلك إلى جزيرة في البحر وفيها وجد الخضر ﴿فلما جاوزا﴾ أي مجمع البحرين. وقال الزمخشري : الموعد وهو الضخرة. قيل : سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد إلى الظهر وألقى على موسى النصب والجوع حين جاوزا لموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه. وقوله ﴿من سفرنا﴾ هذا إشارة إلى مسيرهما وراء الصخرة. وقرأ الجمهور ﴿نصبا﴾ بفتحتين وعبد الله بن عبيد بن عمير بضمتين. قال صاحب اللوامح وهي إحدى اللغات الأربع التي فيها.
وقال الزمخشري : فإن قلت : كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه إمارة لهما على الطلبة التي تناهضا من أجلها ولكونه معجزتين بينتين وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها وقيل : ما كانت إلا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب ، ثم كيف استمر به النيسان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة إلى ظهر الغد ، وحتى طلب موسى عليه السلام
١٤٥
الحوت قلت : قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان ، وانضم إلى ذلك أنه ضري بمشاهدة أمثاله عند موسى **من العجائب** ، واستأنس بأخواته فأعان الإلف على قلة الإهتمام انتهى. قال أبو بكر غالب بن عطية والداني عبد الحق المفسر : سمعت أبا الفضل الجوهري يقول في وعظة : مشى موسى إلى المناجاة فبقي أربعين يوما لم يحتج إلى طعام ، ولما مشى إلى بشر لحقه الجوع في بعض يوم.
وقال الزمخشري : ﴿أرءيت﴾ بمعنى أخبرني فإن قلت : فما وجه التئام هذا الكلام فإن كل واحد من ﴿أرءيت﴾ و﴿إذ أوينآ﴾ و﴿فإنى نسيت الحوت﴾ لا متعلق له ؟ قلت : لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك ، كأنه قال : ﴿أرءيت﴾ ما دهاني ﴿إذ أوينآ إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت﴾ فحذف ذلك انتهى. وكون أرأيتك بمعنى أخبرني ذكره سيبويه : وقد أمعنا الكلام في ذلك في سورة الأنعام وفي شرحنا لكتاب التسهيل.
جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٤٠
وأما ما يختص بأرأيت في هذا الموضع فقال أبو الحسن الأخفش : إن العرب أخرجتها عن معناها بالكلية فقالوا : أرأيتك وأريتك بحذف الهمزة إذا كانت بمعنى أخبرني ، وإذا كانت بمعنى أبصرت لم تحذف همزتها قال : وشذت أيضا فألزمتها الخطاب على هذا المعنى ، ولا تقول فيها أبدا أراني زيد عمرا ما صنع ، وتقول هذا على معنى أعلم. وشذت أيضا فأخرجتها

---

(١) تفسير البحر المحيط . موافق للمطبوع (دار الفكر) ٣٨/٦

عن موضعها بالكلية بدليل دخول الفاء ألا ترى قوله ﴿أرءيت إذ أوينآ إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت﴾ فما دخلت الفاء إلا وقد أخرجت لمعنى إما أو تنبه ، والمعنى أما ﴿إذ أوينآ إلى الصخرة﴾ فالأمر كذا ، وقد أخرجتها أيضا إلى معنى أخبرني كما قدمنا ، وإذا كانت بمعنى أخبرني فلا بد بعدها من الاسم المستخبر عنه وتلزم الجملة التي بعدها الاستفهام ، وقد يخرج لمعنى أما ويكون أبدا بعدها الشرط وظرف الزمان فقوله ﴿فإنى نسيت الحوت﴾ ﴾ معناه أما معناه أما ﴿إذ أوينآ﴾ ﴿فإنى نسيت الحوت﴾ أو تنبه ﴿إذ أوينآ﴾ وليست الفاء إلا جوابا لأرأيت ، لأن إذ لا يصح أن يجازي بها إلا مقرونة بما بلا خلاف انتهى كلام الأخفش. وفيه إن ﴿أرءيت﴾ إذا كانت بمعنى أخبرني فلا بد بعدها من الاسم المستخبر عنه ، وتلزم الجملة التي بعدها الاستفهام وهذان مفقود إن في تقدير الزمخشري ﴿أرءيت﴾ هنا بمعنى أخبرني ، ومعنى ﴿نسيت الحوت﴾ نسيت ذكر ما جرى فيه لك.

وفي قوله ﴿ومآ أنسانيه إلا الشيطان﴾ حسن أدب سبب النسيان إلى المتسبب فيه بوسوسته و﴿أن أذكرها﴾ بدل اشتمال من الضمير العائد على الحوت ، والظاهر أن الضمير في ﴿واتخذ سبيله فى البحر عجبا﴾ عائد على الحوت كما عاد في قوله ﴿فاتخذ سبيله فى البحر سربا﴾ وهو من كلام يوشع. وقيل : الضمير عائد على موسى أي اتخذ موسى. ومعنى ﴿عجبا﴾ أي تعجب من ذلك أو اتخاذا ﴿عجبا﴾ وهو أن أثره بقي إلى حيث سار. وقدره الزمخشري ﴿سبيله﴾ ﴿عجبا﴾ وهو كونه شبيه السرب قال : أو قال ﴿عجبا﴾ في آخر كلام تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها ، أو مما رأى من المعجزتين وقوله : ﴿ومآ أنسانيه إلا الشيطان أن أذكرها﴾ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه. وقيل : إن ﴿عجبا﴾ حكاية لتعجب موسى وليس بذلك انتهى.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٤٠

". (١)

٣٧٨-"" صفحة رقم ٣٦ "

عالم الأمر أو بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته) وسيدا (يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم في أنه ما هم بمعصية قط) وحصورا (مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي أنه مر في صباه بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال ما للعب خلقت) ونبيا من الصالحين (ناشئا منهم أو كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة

آل عمران : (٤٠) قال رب أنى . . . . .

) قال رب أنى يكون لي غلام (استبعادا من حيث العادة أو استعظاما أو تعجيبا أو استفهاما عن كيفية حدوثه) وقد بلغني الكبر (أدركني كبر السن وأثر في وكان له تسع وتسعون ولامرأته ثمان وتسعون سنة) وامرأتي عاقر (لا تلد من العقر وهو القطع لأنها ذات عقر من الأولاد) قال كذلك الله يفعل ما يشاء (أي يفعل ما يشاء **من العجائب** مثل ذلك الفعل وهو إنشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر أو كما أنت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد أو

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ موافق للمطبوع (دار الفكر) ١٠٧/٦

كذلك الله مبتدأ وخبر أي الله على مثل هذه". (١)

٣٧٩-"" صفحة رقم ٤٥ "

الكافر أن يصد موسى عليه الصلاة والسلام عنها والمراد نهيه أن ينصد عنها كقولهم لا أرينك ها هنا تنبيها على أن فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وأنه ينبغي أن يكون راسخا في دينه فإن صد الكافر إنما يكون بسبب ضعفه فيه) واتبع هواه (ميل نفسه إلى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها) فتردى (فتهلك بالانصداد بصده

طه : (١٧) وما تلك بيمينك . . . . .

) وما تلك (استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها **من العجائب**) بيمينك (حال من معنى الإشارة وقيل صلة) تلك ( ) يا موسى (تكرير لزيادة الاستئناس والتنبيه

طه : (١٨) قال هي عصاي . . . . .

) قال هي عصاي (وقرئ عصي على لغة هذيل) أتوكأ عليها (أعتمد عليها إذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع) وأهش بها على غنمي (وأخبط الورق بها على رؤوس غنمي وقرئ / أهش / وكلاهما من هش الخبز يهش إذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم أي أنحي عليها زاجرا لها) ولي فيها مآرب أخرى (حاجات أخر مثل أن كان إذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته وعرض الزندين على شعبيتها وألقى عليها الكساء واستظل به وإذا قصر الرشاء وصله بها وإذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكأنه (صلى الله عليه وسلم) فهم أن المقصود من السؤال أن يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى إذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص أخرى خارقة للعادة مثل أن تشتعل شعبتاه بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه إذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر إذا اشتهى ثمرة فركزها على أن ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة أحدثها الله فيها لأجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى أنها من جنس العصي تنفع منافع أمثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه". (٢)

٣٨٠-"" صفحة رقم ٢٦٨ "

لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ) بهم ( ) ولنخرجنهم منها (من سبأ) أذلة (بذهاب ما كانوا فيه من العز) وهم صاغرون (أسراء مهانون

النمل : (٣٨) قال يا أيها . . . . .

---

(١) تفسير البيضاوي . موافق للمطبوع ٣٦/٢

(٢) تفسير البيضاوي . موافق للمطبوع ٤٥/٤

) قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها (أراد بذلك أن يريها بعض ما خصه الله تعالى به **من العجائب** الدالة على عظم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر اتعرفه أم تنكره) قبل أن يأتوني مسلمين (فإنها إذا أتت مسلمة لم يحل اخذه إلا برضاها

النمل : (٣٩) قال عفريت من . . . . . .

) قال عفريت (خبيث مارد) من الجن (بيان له لأنه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر أقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخرا) أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك (من مجلسك للحكومة وكان يجلس إلى نصف النهار) وإني عليه (على حمله) لقوي أمين (لا أختزل منه شيئا ولا أبدله

النمل : (٤٠) قال الذي عنده . . . . . .

) قال الذي عنده علم من الكتاب (آصف بن برخيا وزيره أو الخضر أو جبريل عليهما السلام أو ملك ايده الله به أو سليمان عليه السلام نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وأن هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب في) أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك (للعفريت كأنه استبطأه فقال له ذلك أو أراد اظهار معجزة في نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتأتى له ما لا يتأتى لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد ب) الكتاب (جنس الكتب المنزلة أو اللوح و) آتيك (في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بإرسال الطرف كما في قوله " وكنت إذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر " ". [1]

٣٨١-"" صفحة رقم ٤٧٢ "

سورة البروج

مكية وآيها ثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

البروج : (١) والسماء ذات البروج

) والسماء ذات البروج (يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لأنها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت أو منازل القمر أو عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها أو أبواب السماء فإن النوازل تخرج منها وأصل التركيب للظهور

البروج : (٢) واليوم الموعود

) واليوم الموعود (يوم القيامة

البروج : (٣) وشاهد ومشهود

) وشاهد ومشهود (ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما أحضر فيه **من العجائب** وتنكيرهما للإبهام في الوصف أي) وشاهد ومشهود (لا يكتنه وصفهما أو المبالغة في الكثرة كأنه قيل ما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود أو النبي (صلى

---

(١) تفسير البيضاوى . موافق للمطبوع ٤/٢٦٨

الله عليه وسلم) وأمته أو أمته وسائر الأمم أو كل نبي وأمته أو الخالق والخلق أو عكسه فإن الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده أو الملك الحفيظ والمكلف أو يوم النحر أو عرفة والحجيج أو يوم الجمعة والجمع فإنه يشهد له أو كل يوم وأهله

البروج : (٤) قتل أصحاب الأخدود

) قتل أصحاب الأخدود (قيل إنه جواب القسم على تقدير لقد) قتل (والأظهر أنه دليل جواب محذوف كأنه قيل إنهم ملعونون يعني كفار مكة لعن أصحاب الأخدود فإن السورة وردت لتثبيت المؤمنين على أذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والأخدود الخد وهو الشق في الأرض ونحوهما بناء ومعنى الحق والأحقوق روي مرفوعا أن ملكا". (١)

٣٨٢-" وشدة الحال

وقوله وافئدتهم هواء تشبيه محض وجهة التشبيه يحتمل أن تكون في فراغ الأفئدة من الخير والرجاء والطمع في الرحمة فهي متخرقة مشبهة الهواء في تفرغه من الأشياء وأنخراقه ويحتمل أن تكون في اضطراب أفئدتهم وجيشانها في صدورهم وأنها تذهب وتجيء وتبلغ على ما روي حناجرهم فهي في ذلك كالهواء الذي هو ابدأ في اضطراب

وقوله سبحانه وانذر الناس يوم يأيتهم العذاب المراد باليوم يوم القيامة ونصبه على أنه معفول بأنذر ولا يجوز أن يكون ظرفا لأن القيامة ليست بموطن أنذار قال الشيخ العارف بالله عبد الله بن أبي جمرة يجب التصديق بكل ما أخبر الله ورسوله به ولا يتعرض إلى الكيفية في كل ماء جاء من أمر الساعة وأحوال يوم القيامة فإنه أمر لا تسعه العقول وطلب الكيفية فيه ضعف في الإيمان وإنما يجب الجزم بالتصديق بجميع ما أخبر الله به انتهى قال الغزالي فأعلم العلماء وأعرف الحكماء ينكشف له عقيب الموت **من العجائب** والآيات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم ولا غم إلا التفكر في خطر تلك الأحوال وما الذي ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة أو سعادة دائمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظائم بين أيدينا انتهى من الأحياء

وقوله أو لم تكونوا الآية معناه يقال لهم

وقوله ما لكم من زوال هو المقسم عليه وهذه الآية ناظرة إلىما حكى الله سبحانه عنهم في قوله وأقسموا بالله جهدا إيمانهم لا يبعث الله من يموت

وقوله سبحانه وسكنتم الآية المعنى يقول الله عز و جل وسكنتم أيها المعرضون عن آيات الله من جميع العالم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر من الأمم السالفة فنزلت بهم المثلات فكان حقكم الأعتبار والأتعاظ

وقوله وعند الله مكرهم أي جزاء مكرهم وقرأ ". (٢)

---

(١) تفسير البيضاوي . موافق للمطبوع ٥/٤٧٢

(٢) تفسير الثعالبي ٢/٢٨٦

٣٨٣-" وقبل بيعة العقبة ووقع في الصحيحين لشريك بن أبي نمر وهم في هذا المعنى فإنه روى حديث الإسراء فقال فيه وذلك قبل أن يوحى إليه ولا خلاف بين المحدثين أن هذا وهم من شريك قال ص أسرى بعبده بمعنى سرى وليست همزته للتعدية بل كسقى واسقى والباء للتعدية وليلا ظرف للتأكيد لأن السرى لا يكون لغة إلا بليل وقيل يعني به في جوف الليل فلم يكن أدلاجا ولا أدلاجا انتهى والمسجد الأقصى بيت المقدس والأقصى البعيد والبركة حوله من وجهين أحدهما النبوؤ والشرائع والرسل الذين كانوا في ذلك القطر وفي نواحيه والآخر النعم من الأشجار والمياه والأرض المفيدة

وقوله سبحانه لنريه يريد لنري محمدا بعينه آياتنا في السماوات والملائكة والجنة والسدرة وغير ذلك **من العجائب** مما رآه تلك الليلة ولا خلاف أن في هذا الإسراء فرضت الصلوات الخمس على هذه الأمة

وقوله سبحانه أنه هو السميع البصير وعيد للمكذبين بأمر الإسراء أي هو السميع لما تقولون البصير بأفعالكم

وآتينا موسى الكتاب أي التوراة

وقوله الا تتخذوا من دوني وكيلا الآية التقدير فعلنا ذلك ليلا تتخذوا يا ذرية فذرية منصوب على النداء وهذه مخاطبة للعالم ويتجه نصب ذرية على أنه مفعول بتتخذوا ويكون المعنى أن لا يتخذوا بشرا إلاها من دون الله وقرأ أبو عمرو وحده الا يتخذوا بالياء على لفظ الغائب والوكيل هنا من التوكيل أي متوكلا عليه في الأمور فهو ند لله بهذا الوجه وقال مجاهد وكيلا شريكا ووصف نوح بالشكر لأنه كان يحمد الله في كل حال وعلى كل نعمة من المطعم والمشرب والملبس والبراز وغير ذلك صلى الله عليه و سلم قال سليمان الفارسي وغيره قال ابن المبارك في رقائقه أخبرنا ابن أبي ذيب عن سعيد المقبري عن أبيه عن عبد الله بن سلام أن موسى عليه السلام قال يا رب ما الشكر الذي ينبغي لك قال يا موسى لا يزال ". (١)

٣٨٤-" سبحانه في هذه الآية أنه لم يمنعه جل وعلا من ارسال الآيات المقترحة الا الاستئناء إذ قد سلفت عادته سبحانه بمعالجة الأمم الذين جاءتهم الآيات المقترحة فلم يؤمنوا كثمود وغيرهم قال الزجاج أخبر تعالى أن موعد كفار هذه الأمة الساعة بقوله سبحانه بل الساعة موعدهم فهذه الآية تنظر إلى ذلك ومبصرة أي ذات إبصار وهي عبارة عن بيان أمر الناقة ووضوح إعجازها

وقوله فظلموا بها أي بعقرها وبالكفر في أمرها ثم أخبر تعالى أنه إنما يرسل بالآيات غير المقترحة تخويفا للعباد وهي آيات معها إمهال فمن ذلك الكسوف والرعد والزلزلة وقوس قزح وغير ذلك وآيات الله المعتبر بها ثلاث أقسام فقسم عام في كل شيء أذ حيث ما وضعت نظرك وجدت آية وهنا فكرة للعلماء وقسم معتاد غالبا كالكسوف ونحوه وهنا فكرة الجهلة وقسم خارق للعادة وقد انقضى بانقضاء النبوة وإنما يعتبر به توهما لما سلف منه

وقوله سبحانه وإذ قلنا لك أن ربك أحاط بالناس هذه الآية إخبار للنبي صلى الله عليه و سلم بأنه محفوظ من الكفرة آمن أي فلتبلغ رسالة ربك ولا تتهيب أحدا من المخلوقين قاله الطبري ونحوه للحسن والسدي

---

(١) تفسير الثعالبي ٣٢٩/٢

وقوله سبحانه وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الآية الجمهور أن هذه الرؤيا رؤيا عين ويقظة وذلك أن النبي صلى الله عليه و سلم لما كان صبيحة الإسراء واخبر بما رأى في تلك الليلة **من العجائب** قال الكفار أن هذا لعجب واستبعدوا ذلك فافتتن بهذا قوم من ضعفة المسلمين فارتدوا وشق ذلك على النبي صلى الله عليه و سلم فنزلت هذه الآية فعلى هذا يحسن أن يكون معنى قوله أحاط بالناس في اضلالهم وهدايتهم أي فلا تهتم يا محمد بكفر من كفر وقال ابن عباس الرؤيا في هذه الآية هي رؤيا النبي صلى الله عليه و سلم أنه يدخل مكة فعجل في سنة الحديبية فصد فافتتن المسلمون ". (١)

٣٨٥-" ١٦٤ - ﴿ إن في خلق السماوات والأرض ﴾ وما فيهما **من العجائب** ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان ﴿ والفلك ﴾ السفن ﴿ التي تجري في البحر ﴾ ولا ترسب موقرة ﴿ بما ينفع الناس ﴾ من التجارات والحمل ﴿ وما أنزل الله من السماء من ماء ﴾ مطر ﴿ فأحيا به الأرض ﴾ بالنبات ﴿ بعد موتها ﴾ يبسها ﴿ وبث ﴾ فرق ونشر به ﴿ فيها من كل دابة ﴾ لأنهم ينمون بالخصب الكائن عنه ﴿ وتصريف الرياح ﴾ تقليبها جنوبا وشمالا حارة وباردة ﴿ والسحاب ﴾ الغيم ﴿ المسخر ﴾ المذلل بأمر الله تعالى يسير إلى حيث شاء الله ﴿ بين السماء والأرض ﴾ بلا علاقة ﴿ لآيات ﴾ دالات على وحدانيته تعالى ﴿ لقوم يعقلون ﴾ يتدبرون ". (٢)

٣٨٦-" ١٩٠ - ﴿ ولله ملك السماوات والأرض ﴾ وما فيهما **من العجائب** ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ بالمجيء والذهاب والزيادة والنقصان ﴿ لآيات ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿ لأولي الألباب ﴾ لذوي العقول ". (٣)

٣٨٧-" ٢١ - ﴿ وفي أنفسكم ﴾ آيات أيضا من مبدأ خلقكم إلى منتهاه وما في تركيب خلقكم **من العجائب** ﴿ أفلا تبصرون ﴾ ذلك فتستدلون به على صانعه وقدرته ". (٤)

٣٨٨-" صفحة رقم ١٤١

أحد ما تغيض الأرحام ، ولا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ، ولا يعلم متى الساعة إلا الله) ، أخرجه البخاري.

وقال الضحاك ومقاتل : مفاتح الغيب : خزائن الأرض ، وعلم نزول العذاب ، وقال عطاء : هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب.

---

(١) تفسير الثعالبي ٣٤٨/٢

(٢) تفسير الجلالين ص/٣١

(٣) تفسير الجلالين ص/٩٤

(٤) تفسير الجلالين ص/٦٩٣

وقيل : هو انقضاء الآجال وعلم أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم.
وقيل : هو علم ما لم يكن بعد أن يكون إذ يكون كيف يكون وما لا يكون أن لو كان كيف يكون وقال ابن مسعود : أوتي نبيكم (صلى الله عليه وسلم) كل شيء إلا مفاتح الغيب.
وقال ابن عباس : إنها خزائن غيب السموات والأرض من الأقدار والأرزاق) ويعلم ما في البر والبحر (قال مجاهد : البر المفاوز والقفاز ، والبحر القرى والأمصار لا يحدث فيها شيء إلا وهو يعلمه.
وقال جمهور المفسرين : هو البر والبحر المعروفان ، لأن جميع الأرض إما بر وإما بحر وفي كل واحد منهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ما يدل على عظيم قدرته وسعة علمه) وما تسقط من ورقة إلا يعلمها (يريد ساقطة وثابتة والمعنى أنه يعلم عدد ما يسقط من الورق وما بقي على الشجر من ذلك ويعلم كم انقلبت ظهرا لبطن إلى أن تسقط على الأرض) ولا حبة في ظلمات الأرض (قيل : هو الحب المعروف يكون في بطن الأرض قبل أن ينبت.
وقيل : هي الحبة التي في الصخرة التي في أسفل الأرضين) ولا رطب ولا يابس (قال ابن عباس : الرطب الماء واليابس البادية.
وقال عطاء : يريد ما ينبت وما لا ينبت.
وقيل : المراد بالرطب الحي واليابس الميت.
وقيل : هو عبارة عن كل شيء لأن جميع الأشياء إما رطبة وإما يابسة.
فإن قلت إن جميع هذه الأشياء داخلة تحت قوله وعنده مفاتح الغيب فلم أفرد هذه الأشياء بالذكر وما فائدة ذلك ؟.
قلت : لما قال الله تعالى وعنده مفاتح الغيب على سبيل الإجمال ذكر من بعد ذلك الإجمال ما يدل على التفصيل ، فذكر هذه الأشياء المحسوسة ليدل بها على غيرها ، فقدم ذكر البر والبحر لما فيهما **من العجائب** والغرائب من المدن والقرى والمفاوز والجبال وكثرة ما فيها من المعادن والحيوان ، وأصناف المخلوقات مما يعجز الوصف عن إدراكها ، ثم ذكر بعد ذلك ما هو أقل من ذلك وهو مشاهد لكل أحد لأن الورقة الساقطة والثابتة يراها كل أحد ، لكن لا يعلم عددها وكيفية خلقها إلا الله تعالى ثم ذكر بعد ذلك ما هو أصغر من الورقة وهي الحبة.
ثم ذكر بعد ذلك مثالا يجمع الكل وهو الرطب واليابس فذكر هذه الأشياء وأنه لا يخرج شيء منها عن علمه سبحانه وتعالى فصارت هذه الأمثال منبهة على عظمة عظيمة وقدرة عالية وعلم واسع فسبحان العليم الخبير.
قوله تعالى :) إلا في كتاب مبين (فيه قولان : أحدهما أن الكتاب المبين هو علم الله الذي لا يغير ولا يبدل.
والثاني : أن المراد بالكتاب المبين ، هو اللوح المحفوظ ، لأن الله كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل أن يخلق السموات والأرض.
وفائدة إحصاء الأشياء كلها في هذا الكتاب ، لتقف الملائكة على إنفاذ علمه ونبه بذلك على تعظيم الحساب وأعلم عباده أنه لا يفوته شيء مما يصنعونه لأنه من أثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب في كتاب فهو إلى إثبات ما فيه ثواب وعقاب أسرع.

قوله تعالى : (وهو الذي يتوفاكم بالليل (يعني يقبض أرواحكم إذا نمتم بالليل) ويعلم ما جرحتم (ما كسبتم) بالنهار ثم يبعثكم فيه (أي يوقظكم فيه أي في النهار) ليقضى أجل مسمى (يعني أجل الحياة إلى الممات يريد استيفاء العمر على التمام) ثم إليه مرجعكم (في الآخرة) ثم ينبئكم (".[1]

٣٨٩-" صفحة رقم ١٤٩

في دينه والحق في خلاف قومه وما كانوا عليه من الضلال في عبادة الأصنام نريه ملكوت السموات والأرض فلهذا السبب عبر عن هذه الرؤية بلفظ المستقبل في قوله وكذلك نرى إبراهيم لأنه تعالى كان أراه بعين البصيرة أن أباه وقومه على غير الحق فخالفهم فجزاه الله بأن أراه بعد ذلك ملكوت السموات والأرض فحسنت هذه العبارة لهذا المعنى.

والملكوت : الملك زيدت فيه التاء للمبالغة كالرهبوت والرغبوت ، والحرموت من الرهبة والرغبة والرحمة.

قال ابن عباس : يعني خلق السموات والأرض.

وقال مجاهد وسعيد بن جبير : يعني آيات السموات والأرض وذلك أنه أقيم على صخرة وكشف له عن السموات حتى رأى العرش والكرسي وما في السموات **من العجائب** وحتى رأى مكانه في الجنة فذلك قوله : (وآتيناه أجره في الدنيا (" يعني أريناه مكانه في الجنة وكشف له عن الأرض حتى نظر إلى أسفل الأرضين ورأى ما فيها **من العجائب**.

قال البغوي : وروي عن سليمان ورفعه بعضهم عن علي قال : لما رأى إبراهيم ملكوت السموات والأرض أبصر رجلا على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فأراد أن يدعو عليه فقال له تبارك وتعالى : (يا إبراهيم أنت رجل مجاب الدعوة فلا تدعون على عبادي فإنما أنا من عبدي على ثلاث خلال : إما أن يتوب إلي فأتوب عليه وإما أن أخرج منه نسمة تعبدني وإما أن يبعث إلي فإن شئت عفوت وإن شئت عاقبت) وفي رواية ، وإن تولى فإن جهنم من ورائه ، قال قتادة : ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الأرض الجبال والشجر والبحار ، واختلف في هذه الرؤية هل كانت بعين البصر أو بعين البصيرة على قولين : أحدهما إنها كانت بين البصر الظاهر فشق لإبراهيم السموات حتى رأى العرش وشق له الأرض حتى رأى ما في بطنها.

والقول الثاني : إن هذه الرؤية كانت بعين البصيرة لأن ملكوت السموات والأرض عبارة عن الملك وذلك لا يعرف إلا بالعقل فبان بهذا أن هذه الرؤية كان بعين البصيرة ، إلا أن يقال : المراد بملكوت السموات والأرض نفس السموات والأرض.

وقوله تعالى : (وليكون من الموقنين (عطف على المعنى ومعناه) وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض (ليستدل به) وليكون من الموقنين (واليقين : عبارة عن علم يحصل بسب التأمل بعد زوال الشبهة ، لأن الإنسان في أول الحال لا ينفك عن شبهة وشك ، فإذا كثرت الدلائل وتوافقت ، صارت سببا لحصول اليقين والطمأنينة في القلب وزالت الشبهة عند ذلك : قال ابن عباس في وليكون من الموقنين جلال له الأمر سره وعلانيته فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلائق فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال الله تعالى : إنك تستطيع هذا فرده الله كما كان قبل ذلك فمعنى الآية على هذا

---

(١) تفسير الخازن . موافق للمطبوع ١٤١/٢

القول وكذلك أريناه ملكوت السموات والأرض ليكون ممن يوقن علم كل شيء حسا وخبرا.
وقوله تعالى : (فلما جن عليه الليل (يقال جن الليل وأجن إذا أظلم وغطى كل شيء وأجنه الليل وجن عليه إذا ستره بسواده) رأى كوكبا". [١]

٣٩٠-" صفحة رقم ١٥٢
وكانت تلك الليلة من آخر الشهر فتأخر طلوع القمر فرأى الكوكب قبل القمر فذلك قوله عز وجل : (فلما جن عليه الليل (يعني ستره بظلامه رأى كوكبا قال) هذا ربي (ثم اختلف العلماء في وقت هذه الرؤية وفي وقت هذا القول هل كان قبل البلوغ أو بعده على قولين : أحدهما أنه كان قبل البلوغ في حال طفوليته وذلك قبل قيام الحجة عليه فلم يكن لهذا القول الذي صدر من إبراهيم في هذا الوقت اعتبار ولا يترتب عليه حكم لأن الأحكام إنما تثبت بعد البلوغ.
وقيل : إن إبراهيم لما خرج من السرب في حال صغره ونظر إلى السماء وما فيها **من العجائب** ونظر إلى الأرض وما فيها **من العجائب** وكان قد خصه الله بالعقل الكامل والفطرة السليمة تفكر في نفسه وقال لا بد لهذا الخلق من خالق مدبر وهو إله الخلق ، ثم نظر في حال تفكره فرأى الكوكب وقد أزهر ، فقال : هذا ربي على ما سبق إلى وهمه وذلك في حال طفوليته وقبل استحكام النظر في معرفة الرب سبحانه وتعالى واستدل أصحاب هذا القول على صحته بقوله) لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين (" قالوا وهذا يدل على نوع تحير وذلك لا يكون إلا في حال الصغر وقبل البلوغ وقيام الحجة وهذا القول ليس بسديد ولا مرضي لأن الأنبياء معصومون في كل حال من الأحوال وأنه لا يجوز أن يكون لله عز وجل رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو بالله عارف وله موحد وله من كل منقصة منزه ومن كل معبود سواه برئ وكيف يتوهم هذا على إبراهيم وقد عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل وأراه ملكوت السموات والأرض أفبرؤية الكوكب يقول معتقدا هذا ربي ؟ حاشا إبراهيم (صلى الله عليه وسلم) من ذلك لأن منصبه أعلى وأشرف من ذلك (صلى الله عليه وسلم) .
والقول الثاني : الذي عليه جمهور المحققين إن هذه الرؤية وهذا القول كان بعد بلوغ إبراهيم وحين شرفه الله بالنبوة وأكرمه بالرسالة ثم اختلف أصحاب هذا القول في تأويل الآية ومعناها فذكروا فيها وجوها :
الوجه الأول : أن إبراهيم عليه السلام أراد أن يستدرج قومه بهذا القول ويعرفهم جهلهم وخطأهم في تعظيم النجوم وعبادتها لأنهم كانوا يرون أن كل الأمور إليها ، فأراهم إبراهيم أنه معظم ما عظموه فلما أفل الكوكب والقمر والشمس أراهم النقص الداخل على النجوم بسبب الغيبوبة والأقوال ليثبت خطأ ما كانوا يعتقدون فيها من الألوهية.
ومثل هذا كمثل الحواري الذي ورد على قوم كانوا يعبدون صنما فأظهر تعظيمه فأكرموه لذلك حتى صاروا يصدرون عن رأيه في كثير من أمورهم إلى أن دهمهم عدو لا قبل لهم به فشاوروه في أمر هذا العدو فقال : الرأي عندي أن ندعو هذا الصنم حتى يكشف عنا ما نزل بنا ، فاجتمعوا حول الصنم يتضرعون إليه فلم يغن شيئا فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يضر

---

(١) تفسير الخازن . موافق للمطبوع ٢/١٤٩

ولا يدفع ، دعاهم الحواري وأمرهم أن يدعو الله عز وجل ويسألوه أن يكشف ما نزل بهم ، فدعو الله مخلصين ، فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فأسلموا جميعا.

الوجه الثاني : أن إبراهيم عليه السلام قال هذا القول على سبيل الاستفهام وهو استفهام إنكار وتوبيخ لقومه وتقديره : أهذا ربي الذي تزعمون ، وإسقاط حرف الاستفهام كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى : (أفإن مت فهم الخالدون (" يعني أفهم الخالدون.

والمعنى أيكون هذا ربا ودلائل النقص فيه ظاهرة.

الوجه الثالث : أن إبراهيم عليه السلام قال ذلك على وجه الاحتجاج على قومه يقول هذا ربي بزعمكم فلما غاب قال لو كان إلها كما تزعمون لما غاب فهو كقوله) ذق إنك أنت العزيز الكريم (" يعني عند نفسك وبزعمك وكما أخبر عن موسى عليه السلام بقوله تعالى :". (١)

٣٩١-" صفحة رقم ٢٦١

بلسان العرب وكلا القولين صواب إن شاء الله تعالى ووجه الجمع بينهما أن هذه الألفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على ألسنتهم صارت عربية فصيحة وإن كانت غير عربية في الأصل لكنهم لما تكلموا بها نسبت إليهم وصارت لهم لغة ، فظهر بهذا البيان صحة القولين وأمكن الجمع بينهما) لعلكم تعقلون (يعني تفهمون أيها العرب لأنه نازل بلغتكم قوله تعالى : (نحن نقص عليك أحسن القصص (الأصل في معنى القصص اتباع الخبر بعضه بعضا والقاص هو الذي يأتي بالخبر على وجهه وأصله في اللغة من قص الأثر إذا تتبعه وإنما سميت الحكاية قصة لأن الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا فشيئا والمعنى نحن نبين لك يا محمد أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان وقيل المراد منه قصة يوسف عليه الصلاة والسلام خاصة وإنام سماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا وما فيها من سير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على أذى الأعداء وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك من الفوائد المذكورة في هذه السورة الشريفة.

قال خالد بن معدان : سورة يوسف وسورة مريم يتفكه بهما أهل الجنة في الجنة.

قال عطاء : لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها.

وقوله تعالى : (بما أوحينا إليك (يعني بإيحائنا إليك يا محمد) هذا القرآن وإن كنت (أي وقد كنت) من قبله (يعني من قبل وحينا إليك) لمن الغافلين (يعني عن هذه القصة وما فيها **من العجائب** قال سعد بن أبي وقاص : أنزل القرآن على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله عز وجل : (الله نزل أحسن الحديث (" فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى : (نحن نقص عليك أحسن القصص (فقالوا يا رسول الله لو ذكرتنا فأنزل الله عز وجل : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله.

---

(١) تفسير الخازن . موافق للمطبوع ٢/١٥٢

( )

يوسف : (٤ – ٥) إذ قال يوسف...

" إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين " ( ) إذ قال يوسف لأبيه (أي اذكر يا محمد لقومك قول يوسف لأبيه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلى الله عليه وعليهم أجمعين

(خ) عن ابن عمر قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم) ويوسف اسم عبري ولذلك لا يجري فيه الصرف وقيل هو عربي سئل أبو الحسن الأقطع عن يوسف فقال الأسف أشد الحزن والأسيف العبد واجتمعا في يوسف فسمي به) يا أبت". [١]

٣٩٢-" صفحة رقم ٣

ترون السماوات مرفوعة بغير عمد من تحتها يعني ليس من دونهما دعامة تدعمها ولا من فوقها علاقة تمسكها ، والمراد نفي العمد بالكلية.

قال إياس بن معاوية : السماء مقبية على الأرض مثل القبة ، وهذا قول الحسن وقتادة و جمهور المفسرين ، وإحدى الروايتين عن ابن عباس.

و القول الثاني : إن الرؤية ترجع إلى العمد ، والمعنى أن لها عمدا ولكن لا ترونها أنتم ، ومن قال بهذا القول يقول : إن عمدها على جبل قاف ، وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا ، والسماء عليه مثل القبة ، وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الأخرى عن ابن عباس ، والقول الأول أصح ، وقوله تعالى) ثم استوى على العرش (تقدم تفسيره والكلام عليه في سورة الأعراف بما فيه كفاية) وسخر الشمس والقمر (يعني ذللهما لمنافع خلقه فهما مقهوران ، يجريان على ما يريد) كل يجري لأجل مسمى (يعني إلى وقت معلوم ، وهو وقت فناء الدنيا وزوالها.

و قال ابن عباس : أراد بالأجل المسمى درجاتهما ومنازلهما يعني أنهما يجريان في منازلهما ودرجاتهما إلى غاية ينتهيان إليها ولا يجاوزانها ، وتحقيقه أن الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرا خاصا إلى جهة بمقدار خاص من السرعة والبطء في الحركة ،) يدبر الأمر (يعني أنه تعالى يدبر أمر العالم العلوي و السفلي ، ويصرفه ويقضيه بمشيئته ، وحكمته ، على أكمل الأحوال لا يشغله شأن عن شأن ، وقيل : يدبر الأمر بالإيجاد والإعدام والإحياء و الإماتة ، ففيه دليل على كمال القدرة والرحمة ، لأن جميع العالم محتاجون إلى تدبيره ورحمته ، داخلون تحت قهره وقضائه وقدرته) يفصل الآيات (يعني أنه تعالى يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته ، وقيل : إن الدلائل الدالة على وجود الصانع قسمان : الأول : الموجودات المشاهدة ، وهي خلق السماوات والأرض وما فيهما **من العجائب** وأحوال الشمس والقمر وسائر النجوم وهذا قد تقدم ذكره.

---

(١) تفسير الخازن . موافق للمطبوع ٢٦١/٣

والقسم الثاني : الموجودات الحادثة في العالم ، وهي الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنى والضعف بعد القوة إلى غير ذلك من أحوال هذا العالم ، وكل ذلك مما يدل على وجود الصانع و كمال قدرته) لعلكم بلقاء ربكم توقنون (يعني أنه تعالى يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته لكي توقنوا ، وتصدقوا بلقائه والمصير إليه بعد الموت لأن من قدر على إيجاد الإنسان بعد عدمه قادر على إيجاده وإحيائه بعد موته ، واليقين صفة من صفات العلم ، وهو فوق المعرفة والدراية وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك ، يقال منه استيقن وأيقن بمعنى علم.
)

الرعد : (٣ - ٧) وهو الذي مد...

" وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد " (قوله تعالى : (وهو الذي مد الأرض (لما ذكر الدلالة على وحدانيته و كمال قدرته وهي رفع السمأوات بغير عمد ، وذكر أحوال الشمس والقمر أردفها بذكر الدلائل الأرضية ، فقال : وهو الذي مد الأرض أي بسطها على وجه الماء ، وقيل : كانت الأرض مجتمعة فمدها من تحت البيت الحرام ، وهذا القول إنما يصح إذا قيل إن الأرض منسطحة كالأكف ، وعند أصحاب الهيئة : الأرض كرة ، ويمكن أن يقال : إن الكرة إذا كانت كبيرة عظيمة فإن كل قطعة منها تشاهد ممدودة كالسطح الكبير العظيم ، فحصل الجمع ومع ذلك فالله تعالى قد أخبر أنه مد الأرض ، وأنه دحاها وبسطها وكل ذلك يدل على التسطيح والله تعالى أصدق قيلا وأبين دليلا من أصحاب الهيئة) وجعل فيها (.

يعني في الأرض) رواسي (يعني جبالا ثابتة ، يقال : رسا الشيء يرسو إذا ثبت وأرساه غير أثبته قال ابن عباس : كان أبو قبيس أول جبل وضع على الأرض) وأنهارا (، يعني وجعل في الأرض أنهارا جارية لمنافع الخلق) ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين (يعني صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلوا وحامضا) يغشي الليل النهار (،". (١)

٣٩٣-" صفحة رقم ١٦٦

لما أرسلت فأهلكوا فقال تعالى) وآتينا ثمود الناقة مبصرة (أي بينة ، وذلك لأن آثار إهلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم) فظلموا بها (أي جحدوا أنها من عند الله.

وقيل : فظلموا أنفسهم بتكذيبها فعاجلناهم بالعقوبة) وما نرسل بالآيات (المقترحة) إلا تخويفا (أي وما نرسل بالآيات

---

(١) تفسير الخازن . موافق للمطبوع ٣/٤

إلا تخويفا من العذاب ، فإن لم يخافوا وقع عليهم.

وقيل : معناه وما نرسل بالآيات يعني العبر والدلالات ، إلا تخويفا إي إنذارا بعذاب الآخرة إن لم يؤمنوا فإن الله سبحانه وتعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون.

قوله عز وجل) وإذ قلنا لك (أي واذكر يا محمد إذ قلنا لك) إن ربك أحاط بالناس (أي إن قدرته محيطة بهم فهم في قبضته وقدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته وإذا كان الأمر كذلك فهم لا يقدرون على أمر من الأمور إلا بقضائه وقدره وهو حافظك ومانعك منهم ، فلا تهبهم وامض لما أمرك من التبليغ للرسالة ، فهو ينصرك ويقويك على ذلك) وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس (الأكثرون من المفسرين على أن المراد ما رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) ليلة المعراج من العجائب والآيات.

قال ابن عباس : هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه سلم ليلة المعراج وهي ليلة أسري به إلى بيت المقدس أخرجه البخاري.

وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وغيرهم.

والعرب تقول : رأيت بعيني رؤية ورؤيا فلما ذكرها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للناس أنكر بعضهم ذلك وكذبوا فكانت فتنة للناس ، وازداد المخلصون إيمانا.

وقال قوم : أسري بروحه دون جسده وهو ضعيف.

وقال قوم كان له معراجان : معراج رؤية عين في اليقظة ومعراج رؤيا منام.

وقيل : أراد بهذه الرؤيا ما رأى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عام الحديبية ، أنه دخل مكة هو وأصحابه فعجل المسير إلى مكة قبل الأجل ، فصده المشركون فرجع إلى المدينة فكان رجوعه في ذلك العام بعدما أخبر أنه يدخلها فتنة لبعضهم ، ثم دخل مكة في العام المقبل وأنزل الله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، وقيل : إن النبي (صلى الله عليه وسلم) رأى في المنام أن ولد الحكم بن أمية يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فساءه ذلك.

فإن اعترض معترض على هذا التفسير وقال السورة مكية وهاتان الواقعتان كانتا بالمدينة أجيب بأنه لا إشكال فيه فإنه لا يبعد أن النبي (صلى الله عليه وسلم) رأى ذلك بمكة ، ثم كان ذلك حقيقة بالمدينة) والشجرة الملعونة في القرآن (".[١]

٣٩٤-" صفحة رقم ١٩٢

لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها ، وقيل يعني النبات والشجر والأنهار ، وقيل أراد به الرجال خاصة فهم زينة الأرض ، وقيل أراد به العلماء والصلحاء وقيل جميع ما في الأرض هو زينة لها.

فإن قلت أي زينة في الحيات والعقارب والشياطين.

قلت زينتها كونها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ، وقيل إن جميع ما في الأرض ثلاثة معدن ونبات وحيوان

---

(١) تفسير الخازن . موافق للمطبوع ٤/١٦٦

وأشرف أنواع الحيوان الإنسان ، قيل الأولى أن لا يدخل في هذه الزينة المكلف ، بدليل قوله تعالى : (لنبلوهم (فمن يبلو يجب أن لا يدخل في ذلك ومعنى لنبلوهم نختبرهم) أيهم أحسن عملا (أي أصلح عملا وقيل أيهم أترك للدنيا وأزهد فيها.

) وإنا لجاعلون ما عليها (أي من الزينة ،) صعيدا جرزا (يعني مثل أرض لا نبات فيه شيء ، قوله سبحانه وتعالى) أم حسبت (أي أظننت يا محمد) أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (أي هم عجب من آياتنا وقيل معناه أنهم ليسوا بأعجب آياتنا ، فإن خلقنا من السموات والأرض وما فيهم **من العجائب** أعجب منهم والكهف الغر الواسع في الجبل ، الرقيم هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم ثم وضع على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من حجارة ، وعن ابن عباس أن الرقيم اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف وقال كعب الأحبار : هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذي فيه أصحاب الكهف ثم ذكر الله عز وجل قصة أصحاب الكهف فقال عز وجل من قائل) إذ أوى الفتية إلى الكهف (أي". (١)

٣٩٥-" صفحة رقم ٢٩٠

نفسه.

قوله عز وجل : (لقد أنزلنا إليكم (يعني يا معشر قريش) كتابا فيه ذكركم (يعني شرفكم وفخركم وهو شرف لمن آمن به ، وقيل معناه فيه حديثكم ، وقيل فيه ذكر ما تحتاجون إليه من أمر دينكم وقيل فيه تذكرة لكم لتحذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد) أفلا تعقلون (فيه بعث على التدبر لأن الخوف من لوازم العقل.

(

الأنبياء : (١١ - ٢٣) وكم قصمنا من...

" وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " (قوله تعالى : (وكم قصمنا (يعني أهلكنا) من قرية كانت ظالمة (يعني كافرة والمراد أهل القرية) وأنشأنا بعدها (أي أحدثنا بعد هلاك أهلها) قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا (أي عذابنا بحاسة البصر) إذا هم منها يركضون (يعني يسرعون هاربين من قريتهم لما رأوا مقدمة العذاب) لا تركضوا (يعني قيل لهم لا تهربوا) وارجعوا إلى ما أترفتم فيه (يني تنعمتم فيه من العيش) ومساكنكم لعلكم تسألون (

---

(١) تفسير الخازن . موافق للمطبوع ٤/١٩٢

قال ابن عباس عن قتل نبيكم ، قيل نزلت هذه الآية في أهل حضرموت قرية باليمن ، وكان أهلها عربا فبعث الله إليهم نبيا يدعوهم إلى الله فكذبوه وقتلوه ، فسلط الله عليهم بختنصر فقتلهم وسباهم ، فلما استمر فيهم القتل هربوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لا تركضوا ، أي لا تهربوا وارجعوا إلى مساكنكم وأموالكم لعلكم تسألون شيئا من دنياكم فتعطون من شئتم وتمنعون من شئتم ، فإنكم أهل ثروة ونعمة فأتبعهم بختنصر وأخذتهم السيوف ، ونادى مناد من جو السماء يا لثارات الأنبياء فلما رأوا ذلك ، أقروا بالذنوب حين لم ينفعهم) قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين (يعني لأنفسنا حين كذبنا الرسل وذلك أنهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب ، وقالوا ذلك على سبيل الندامة ولم ينفعهم الندم) فما زالت تلك دعواهم (يعني تلك الكلمة هو قولهم يا ويلنا) حتى جعلناهم حصيدا (يعني بالسيوف كما يحصد الزرع) خامدين (يعني ميتين.

قوله عز وجل : (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين (معناه ما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما **من العجائب** للعب واللهو ، سويناهما لفوائد منها التفكر في خلقهما وما فيهما **من العجائب** والمنافع التي لا تعد ولا تحصى) لو أردنا أن نتخذ لهوا (قال ابن عباس : اللهو المرأة وعنه أنه الولد) لاتخذناه من لدنا (يعني من عندنا من الحور العين لا من عندكم من أهل الأرض ، وقيل معناه لو كان ذلك جائزا في حقنا لم نتخذه بحيث يظهر لكم بل نستر ، ذلك حتى لا تتطلعوا عليه ، وذلك أن النصارى لما قالوا ، في المسيح وأمه ما قالوا رد الله عليهم بقوله لاتخذناه". (١)

٣٩٦-" صفحة رقم ٢٤٤

هو صاحب الجائحة الذي أصيب زرعه وثمره أو نسل ماشيته وقيل : هو المحارف المحروم في الرزق والتجارة وقيل : هو المملوك وقيل : هو المكاتب ، وأظهر الأقوال ، أنه المتعفف لأنه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل إنما يفطن له متيقظ) وفي الأرض آيات (أي عبر من البحار والجبال والأشجار والثماؤ وأنواع النبات) للموقنين (أي بالله الذي يعرفونه ويستدلون عليه بصنائعه) وفي أنفسكم (أي آيات إذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما إلى أن تنفخ الروح.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع وقيل : يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل : يعني تقويم الأدوات السمع والبصر والنطق والعقل إلى غير ذلك **من العجائب** المودعة في ابن آدم) أفلا تبصرون (يعني كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث) وفي السماء رزقكم (قال ابن عباس هو المطر وهو سبب الأرزاق) وما توعدون (يعني من الثواب والعقاب.

وقيل : من الخير والشر.

وقيل : الجنة والنار ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال) فورب السماء والأرض إنه لحق (أي ما ذكر من الرزق وغيره) مثل ما أنكم تنطقون (أي بلا إله إلا الله.

---

(١) تفسير الخازن . موافق للمطبوع ٤/ ٢٩٠

وقيل : شبه تحقيق ما أخبر عنه بتحقيق نطق الآدمي ومعناه إنه لحق كما أنك تتكلم.
وقيل : إن معناه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء معناه كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل إنسان يأكل من رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره.
قوله تعالى : (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم (يعني هل أتاك يا محمد حديث الذين جاؤوا إبراهيم بالبشرى فاستمع نقصصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصتهم في سورة هود) المكرمين (قيل : سماهم مكرمين لأنهم كانوا ملائكة كراما عند الله.
وقيل : لأنهم كانوا ضيف إبراهيم وهو أكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرمون.
وقيل : لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته إياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم.
وقال ابن عباس رضي الله عنهما : سماهم مكرمين لأنهم كانوا غير مدعوين
(ق) عن أبي شريح العدوي قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه))
الذاريات : (٢٥ - ٣٤) إذ دخلوا عليه...
" إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين " ( ) إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون (أي غرباء لا نعرفكم.
قال ابن عباس : قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وقيل : إنما أنكر أمرهم ، لأنهم دخلوا بغير استئذان وقيل : أنكر". (١)

٣٩٧-" صفحة رقم ٢٧٣

فقالت قريش سحر محمد أعيننا ، فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم) أخرجه الترمذي وزاد غيره فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بأنهم قد رأوه فيكذبونهم.
قال مقاتل : انشق القمر ثم التأم بعد ذلك.
وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال : انشق القمر على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالت قريش : سحركم ابن أبي كبشة فسألوا السفارة فقالوا : نعم.
قد رأيناه فأنزل الله تعالى : (اقتربت الساعة وانشق القمر (.
فهذه الأحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة ، مع شهادة القرآن المجيد بذلك فإنه أدل دليل وأقوى مثبت له وإمكانه لا يشك فيه مؤمن وقد أخبر عنه الصادق فيجب الإيمان به واعتقاد وقوعه.

---

(١) تفسير الخازن. موافق للمطبوع ٢٤٤/٦

وقال الشيخ محيي الدين النووي في شرح صحيح مسلم ، قال الزجاج : وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين المخالفي الملة وذلك لما أعمى الله قلبه ولا إنكار للعقل فيها لأن القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه ما يشاء كما يفنيه ويكوره في آخر أمره. فأما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا النقل متواترا واشترك أهل الأرض كلهم في رؤيتهم له ومعرفته ولم يختص بها أهل مكة فأجاب العلماء عن هذا بأن هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والأبواب مغلقة وهم مغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السماء أو ينظر إليها إلا الشاذ النادرومما هو مشاهد معتاد أن كسوف القم روغيره مما يحدث في السماء في الليل **من العجائب** والأنوار والطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث به إلا آحاد الناس ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرناه من غفلة الناس وهذا كان الانشقاق آية عظيمة حصلت في الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتأهب غيرهم لها قال العلماء وقد يكون القمر حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم وكما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد والله أعلم.

وقيل في معنى الآية ينشق القمر يوم القيامة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لإجماع المفسرين على خلافه ولأنت الله ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي على المستقبل بعيد يفتقر إلى قرينه تنقله أو دليل يدل عليه وفي قوله تعالى) وإن يروا آية يعرضوا (دليل على وجود هذه الآية العظيمة وقد كان ذلك في زمن رسول الله والمعنى وإن يروا آية أي تدل على صدق رسول الله والمراد بالآية هنا انشقاق القمر يعرضوا أي عن التصديق بها) ويقولوا سحر مستمر (أي دائم مضطرد وكل شيء دام حاله قيل فيه مستمر.

وذلك لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات فقالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر أي قوي محكم شديد بعلوه يعلو كل كل سحر.

قيل مستمر أي ذاهب سوف يبطل ويذهب ولا يبقى وإنما قالوا ذلك تمنية لأنفسهم وتعليلا) وكذبوا (يعني النبي (صلى الله عليه وسلم) وما عاينوا من قدرة الله) واتبعوا أهواءهم (أي ما زين الشيطان من الباطل وقيل هو قولهم أنه سحر القمر) وكل أمر مستقر (أي لكل أمر حقيقة فما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف وقيل كل أمر مستقر فالخبر مستقر بأهله في". (١)

٣٩٨-" صفحة رقم ١٨٣

والهيئة الأولى وعلى ما هو أعظم من ذلك ، وهو أن نسوي بنانه يعني أنامله فنجعل أصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير ، أو كحافر الحمار ، فلا يقدر أن يرتفق بها بالقبض والبسط والأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرهما ، وقيل معناه أظن الكافر أن لن نقدر على عظامه بلى نقدر على جمع عظامه حتى نعيد السلاميات على صغرها إلى أماكنها ، ونؤلف بينها حتى نسوي البنان فمن يقدر على جمع العظام الصغار ، فهو على جمع كبارها أقدر وهذا القول أقرب إلى الصواب ، وقيل إنما خص البنان بالذكر لأنه آخر ما يتم به الخلق.

---

(١) تفسير الخازن . موافق للمطبوع ٦/٢٧٣

قوله تعالى : (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه (أي ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان ما عاش لا ينزع عن المعاصي ولا يتوب وقال سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة ، ويقول سوف أتوب سوف أعمل حتى يأتيه الموت وهو على سوء حاله وشر أعماله ، وقيل هو طول الأمل يقول أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس : يكذب بما أمامه من البعث والحساب ، وأصل الفجور الميل وسمي الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق.
(

القيامة : (٦ - ١٣) يسأل أيان يوم...

" يسأل أيان يوم القيامة فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر " ( ) يسأل أيان يوم القيامة (أي متى يكون يوم القيامة والمعنى أن الكافر يسأل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة قال الله تعالى : (فإذا برق البصر (أي شخص البصر عند الموت فلا يطرف مما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا ، وقيل تبرق أبصار الكفار عند رؤية جهنم ، وقيل برق إذا فزع وتحير لما يرى من العجائب ، وقيل برق أي شق عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ) وخسف القمر (أي أظلم وذهب ضوءه ،) وجمع الشمس والقمر (يعني أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران ، وقيل يجمع بينهما في ذهاب الضوء ، وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فهناك نار الله الكبرى) يقول الإنسان (يعني الكافر المكذب) يومئذ (أي القيامة) أين المفر (أي المهرب وهو موضع الفرار) كلا (أي لا ملجأ لهم يهربون إليه وهو قوله) لا وزر (أي لا حرز ولا ملجأ ولا جبل ، وكانوا إذا فزعوا لجؤوا إلى الجبل فتحصنوا به ، فقيل لهم لا جبل لكم يومئذ تتحصنون به وأصل الوزر الجبل المنيع ، وكل ما التجأت إليه وتحصنت به فهو وزر ومنه قول كعب بن مالك.

الناس آلت علينا فيك ليس لنا

إلا السيوف وأطراف القنا وزر

ومعنى الآية أنه لا شيء يعصمهم من أمر الله تعالى لا حصن ولا جبل يوم القيامة يستندون إليه من النار) إلى ربك يومئذ المستقر (يعني مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود : إليه المصير والمرجع وهو بمعنى الاستقرار ، وقيل إلى ربك مستقرهم أي موضع قرارهم من جنة أو نار ،". (١)

٣٩٩-"لنا وجوه : الأول : أنه عليه الصلاة والسلام واظب طول عمره على قراءة لفاتحة في الصلاة فوجب أن يجب علينا ذلك ، لقوله تعالى : ﴿واتبعوه﴾ ولقوله : ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ (النور : ٦٣) ولقوله تعالى : ﴿فاتبعونى يحببكم الله﴾ (آل عمران : ٣١) ويا للعجب من أبي حنيفة أنه تمسك في وجوب مسح الناصية بخبر واحد ، وذلك ما رواه المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتى سباطة قوم فبال وتوضأ ومسح على ناصيته وخفيه ، في أنه عليه الصلاة والسلام مسح على الناصية ، فجعل ذلك القدر من المسح شرطا لصحة الصلاة ، وههنا نقل

---

(١) تفسير الخازن . موافق للمطبوع ١٨٣/٧

أهل العلم نقلا متواترا أنه عليه الصلاة والسلام واظب طول عمره على قراءة الفاتحة ثم قال : إن صحة الصلاة غير موقوفة عليها ، وهذا **من العجائب.**

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٧

الحجة الثانية : قوله تعالى : ﴿وأن أقيموا ﴾ والصلاة لفظة مفردة محلاة بالألف واللام فيكون المراد منها المعهود السابق ، وليس عند المسلمين معهود سابق من لفظ الصلاة إلا الأعمال التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي بها : وإذا كان كذلك كان قوله : "أقيموا الصلاة" جاريا مجرى قوله : "أقيموا الصلاة التي كان يأتي بها الرسول ، والتي أتى بها الرسول عليه الصلاة والسلام هي الصلاة المشتملة على الفاتحة ، فيكون قوله : ﴿إلى الصلواة﴾ أمرا بقراءة الفاتحة وظاهر الأمر الوجوب ، ثم إن هذه اللفظة تكررت في القرآن أكثر من مائة مرة فكان ذلك دليلا قاطعا على وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة.

الحجة الثالثة : أن الخلفاء الراشدين واظبوا على قراءتها طول عمرهم ، ويدل عليه أيضا ما روى في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانوا يستفتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين ، وإذا ثبت هذا وجب أن يجب علينا ذلك لقوله عليه الصلاة والسلام : "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي" ، ولقوله عليه الصلاة والسلام : "اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر" ، والعجب من أبي حنيفة رضي الله عنه أنه تمسك في مسألة / طلاق الفار بأثر عثمان مع أن عبد الرحمن وعبد الله بن الزبير كانا يخالفانه ونص القرآن أيضا يوجب عدم الإرث ، فلم لم يتمسك بعمل كل الصحابة على سبيل الأطباق والاتفاق على وجوب قراءة الفاتحة مع أن هذا القول على وفق القرآن والأخبار والمعقول ؟

.

الحجة الرابعة : أن الأمة وإن اختلفت في أنه هل تجب قراءة الفاتحة أم لا لكنهم اتفقوا عليه في العمل ، فإنك لا ترى أحدا من المسلمين في المشرق والمغرب إلا ويقرأ الفاتحة في الصلاة ، إذا ثبت هذا فنقول : إن من صلى ولم يقرأ الفاتحة كان تاركا سبيل المؤمنين فيدخل تحت قوله : ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنما وسآءت مصيرا﴾ (النساء : ١١٥) فإن قالوا إن الذين اعتقدوا أنه لا يجب قراءتها قرءوها لا على اعتقاد الوجوب ، بل على اعتقاد الندبية فلم يحصل الإجماع على وجوب قراءتها ، فنقول : أعمال الجوارح غير أعمال القلوب ، ونحن قد بينا إطباق الكل على الإتيان بالقراءة ، فمن لم يأت بالقراءة كان تاركا طريقة المؤمنين في هذا العمل ، فدخل تحت الوعيد ، وهذا القدر يكفينا في الدليل ، ولا حاجة بنا في تقرير هذا الدليل إلى ادعاء الإجماع في اعتقاد الوجوب.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٧

الحجة الخامسة : الحديث المشهور ، وهو أنه سبحانه وتعالى قال : "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين" ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين يقول الله تعالى : حمدني عبدي ، إلى آخر الحديث ، وجه الاستدلال أنه تعالى حكم على كل صلاة بكونها بينه وبين العبد نصفين ثم بين أن هذا التنصيف لم يحصل إلا بسبب آيات هذه السورة ، فنقول : الصلاة لا تنفك عن هذا التنصيف ، وهذا التنصيف لا يحصل إلا بسبب هذه السورة ، ولازم اللازم لازم ، فوجب كون هذه

السورة من لوازم الصلاة ، وهذا اللزوم لا يحصل إلا إذا قلنا قراءة الفاتحة شرط لصحة الصلاة.
". (١)

٤٠٠–"المسألة الثالثة : فأما تشبيه الإيمان بالنور والكفر بالظلمة فهو في كتاب الله تعالى كثير ، والوجه فيه أن النور قد بلغ النهاية في كونه هاديا إلى المحجة وإلى طريق المنفعة وإزالة الحيرة وهذا حال الإيمان في باب الدين ، فشبه ما هو النهاية في إزالة الحيرة ووجدان المنفعة في باب الدين بما هو الغاية في باب الدنيا ، وكذلك القول في تشبيه الكفر بالظلمة ، لأن الضال عن الطريق المحتاج إلى سلوكه لا يرد عليه من أسباب الحرمان والتحير أعظم من الظلمة ، ولا شيء كذلك في باب الدين أعظم من الكفر ، فشبه تعالى أحدهما بالآخر ، فهذا هو الكلام فيما هو المقصود الكلي من هذه الآية ، بقيت ههنا أسئلة وأجوبة تتعلق بالتعلق بالتفاصيل : السؤال الأول : قوله تعالى : ﴿مثلهم كمثل الذى استوقد نارا﴾ يقتضى تشبيه مثلهم بمثل المستوقد ، فما مثل المنافقين ومثل المستوقد حتى شبه أحدهما بالآخر ؟

والجواب : استعير المثل للقصة أو للصفة إذا كان لها شأن وفيها غرابة ، كأنه قيل قصتهم العجيبة كقصة الذي استوقد نارا ، وكذا قوله : ﴿مثل الجنة التى وعد المتقون ﴾ (الرعد : ٣٥) أي فيما قصصنا عليك **من العجائب** قصة الجنة العجيبة ﴿ولله المثل الاعلى ﴾ (النحل : ٦٠) أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة ﴿مثلهم فى التوراة ﴾ (الفتح : ٢٩) أي وصفهم وشأنهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا : فلان مثله في الخير والشر ، فاشتقوا / منه صفة للعجيب الشأن. السؤال الثاني : كيف مثلت الجماعة بالواحد ؟

والجواب من وجوه : أحدها : أنه يجوز في اللغة وضع "الذي" موضع "الذين" كقوله : ﴿وخضتم كالذي خاضوا ﴾ (التوبة : ٦٩) وإنما جاز ذلك لأن "الذي" لكونه وصلة إلى وصف كل معرفة مجملة وكثرة وقوعه في كلامهم ، ولكونه مستطالا بصلته فهو حقيق بالتخفيف ، ولذلك أعلوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا فيه على اللام وحدها في أسماء الفاعلين والمفعولين. وثانيها : أن يكون المراد جنس المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذي استوقد نارا. وثالثها : وهو الأقوى : أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد وإنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد. ومثله قوله تعالى : ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار﴾ (الجمعة : ٥) وقوله : ﴿ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت ﴾ (محمد : ٢٠) ورابعها : المعنى ومثل كل واحد منهم كقوله : ﴿يخرجكم طفلا﴾ (غافر : ٦٧) أي يخرج كل واحد منكم. السؤال الثالث : ما الوقود ؟

وما النار ؟

وما الإضاءة ؟

وما النور ؟

ما الظلمة ؟

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/١١٤

الجواب : أما وقود النار فهو سطوعها وارتفاع لهبها ، وأما النار فهو جوهر لطيف مضيء ، حار محرق ، واشتقاقها من "نارينور" إذا نفر ؛ لأن فيها حركة واضطرابا ، والنور مشتق منها وهو ضوؤها ، والمنار العلامة ، والمنارة هي الشيء الذي يؤذن عليه. ويقال أيضا للشيء الذي يوضع السراج عليه ، ومنه النورة لأنها تطهر البدن والإضاءة فرط الإنارة ، ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿هو الذى جعل الشمس ضيآء والقمر نورا﴾ (يونس : ٥) و"أضاء" يرد لازما ومتعديا. تقول : أضاء القمر الظلمة ، وأضاء القمر بمعنى استضاء قال الشاعر : .

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣١١

فأضاءت لهم أحسابهم ووجوههم

دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

". (١)

٤٠١-"المسألة السادسة : قوله تعالى : ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ يدل على أنه سبحانه وتعالى لا يمكن أن يكون خالقا للأرض وما فيها وللسموات وما فيها **من العجائب** والغرائب إلا إذا كان عالما بها محيطا بجزئياتها وكلياتها ، وذلك يدل على أمور : أحدها : فساد قول الفلاسفة الذين قالوا إنه لا يعلم الجزئيات وصحة قول المتكلمين ، وذلك لأن المتكلمين استدلوا على علم الله تعالى بالجزئيات بأن قالوا : إن الله تعالى فاعل لهذه الأجسام على سبيل الأحكام والاتقان وكل فاعل على هذا الوجه فإن لا بد وأن يكون عالما بما فعله وهذه الدلالة بعينها ذكرها الله تعالى في هذا الموضع لأنه ذكر خلق السموات والأرض ثم فرع على ذلك كونه عالما ، فثبت بهذا أن قول المتكلمين في هذا المذهب وفي هذا الاستدلال مطابق للقرآن. وثانيها : فساد قول المعتزلة وذلك لأنه سبحانه وتعالى بين أن الخالق للشيء على سبيل التقدير والتحديد لا بد وأن يكون عالما به وبتفاصيله لأن خالقه قد خصه بقدر دون قدر والتخصيص بقدر معين لا بد وأن يكون بإرادة وإلا فقد حصل الرجحان من غير مرجح والإرادة مشروطة بالعلم فثبت أن خالق / الشيء لا بد وأن يكون عالما به على سبيل التفصيل. فلو كان العبد موجدا لأفعال نفسه لكان عالما بها وبتفاصيلها في العدد والكمية والكيفية فلما لم يحصل هذا العلم علمنا أنه غير موجد نفسه. وثالثها : قالت المعتزلة : إذا جمعت بين هذه الآية وبين قوله : ﴿وفوق كل ذى علم عليم﴾ ظهر أنه تعالى عالم بذاته ، والجواب : قوله تعالى : ﴿وفوق كل ذى علم عليم﴾ عام وقوله : ﴿أنزله بعلمه ﴾ خاص والخاص مقدم على العام. والله تعالى أعلم.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٧٩

٣٨٣

اعلم أن هذه الآية دالة على كيفية خلقة آدم عليه السلام وعلى كيفية تعظيم الله تعالى إياه فيكون ذلك إنعاما عاما على جميع بني آدم فيكون هذا هو النعمة الثالثة من تلك النعم العامة التي أوردها في هذا الموضع ثم فيه مسائل :

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٢٣٥

المسألة الأولى : في إذ قولان : أحدهما : أنه صلة زائدة إلا أن العرب يعتادون التكلم بها والقرآن نزل بلغة العرب. الثاني : وهو الحق أنه ليس في القرآن ما لا معنى له وهو نصب بإضمار اذكر ، والمعنى أذكر لهم قال ربك للملائكة فأضمر هذا لأمرين : أحدهما : أن المعنى معروف. والثاني : أن الله تعالى قد كشف ذلك في كثير من المواضع كقوله : ﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف﴾ (الأحقاف : ٢١) وقال : ﴿واذكر عبدنا داواد﴾ (ص : ١٧) ، ﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جآءها المرسلون * إذ أرسلنآ إليهم اثنين﴾ (يس : ١٣ ، ١٤) والقرآن كله كالكلمة الواحدة ولا يبعد أن تكون هذه المواضع المصرحة نزلت قبل هذه السورة فلا جرم ترك ذلك ههنا اكتفاء بذلك المصرح. قال صاحب "الكشاف" : ويجوز أن ينتصب "إذ" بقالوا.

المسألة الثانية : الملك أصله من الرسالة ، يقال ألكني إليه أي أرسلني إليه والمألكة والألوكة الرسالة وأصله الهمزة من "ملأكة" حذفت الهمزة وألقيت حركتها على ما قبلها طلبا للخفة لكثرة استعمالها ، قال صاحب "الكشاف" : الملائك جمع ملأك على الأصل كالشمائل في جمع شمأل وإلحاق التاء لتأنيث الجمع.

/

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٨٣

". (١)

٤٠٢-"﴿إنه لقول رسول كريم﴾ صفة لمحمد لا لجبريل عليهما السلام. قلنا لأن قوله : ﴿ولقد رءاه بالافق المبين﴾ يبطل ذلك. ولقائل أن يقول إنا توافقنا جميعا على أنه قد كان لمحمد صلى الله عليه وسلم فضائل أخرى سوى كونه ليس بمجنون وأن الله تعالى ما ذكر شيئا من تلك الفضائل في هذا الموضع فإذن عدم ذكر الله تعالى تلك الفضائل ههنا لا يدل على عدمها بالإجماع ، أو إذا ثبت أن لمحمد عليه السلام فضائل / سوى الأمور المذكورة ههنا فلم لا يجوز أن يقال إن محمدا عليه السلام بسبب تلك الفضائل التي هي غير مذكورة ههنا يكون أفضل من جبريل عليه السلام فإنه سبحانه كما وصف جبريل عليه السلام ههنا بهذه الصفات الست وصف محمدا صلى الله عليه وسلم أيضا بصفات ست وهي قوله : ﴿ يا أيها النبى إنآ أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾ (الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦) فالوصف الأول : كونه نبيا والثاني : كونه رسولا والثالث : كونه شاهدا والرابع : كونه مبشرا والخامس : كونه نذيرا والسادس : كونه داعيا إلى الله تعالى بإذنه والسابع : كونه سراجا والثامن : كونه منيرا وبالجملة فإفراد أحد الشخصين بالوصف لا يدل البتة على انتفاء تلك الأوصاف عن الثاني. الحجة الثامنة عشرة : الملك أعلم من البشر والأعلم أفضل فالملك أفضل إنما قلنا إن الملك أعلم من البشر لأن جبريل عليه السلام كان معلما لمحمد عليه السلام بدليل قوله : ﴿علمه شديد القوى ﴾ والمعلم لا بد وأن يكون أعلم من المتعلم ، وأيضا فالعلوم قسمان : أحدهما : العلوم التي يتوصل إليها بالعقول كالعلم بذات الله تعالى وصفاته ؛ فلا يجوز وقوع التقصير فيها لجبريل عليه السلام ولا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، لأن التقصير في ذلك

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٣٠٧

جهل وهو قادح في معرفة الله تعالى. وأما العلم بكيفية مخلوقات الله تعالى وما فيها **من العجائب** والعلم بأحوال العرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار وطباق السموات وأصناف الملائكة وأنواع الحيوانات في المغاور والجبال والبحار فلا شك أن جبريل عليه السلام أعلم بها ، لأنه عليه السلام أطول عمرا وأكثر مشاهدة لها فكان علمه بها أكثر وأتم. وثانيها : العلوم التي لا يتوصل إليها إلا بالوحي لا لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا لسائر الأنبياء عليهم السلام إلا من جهة جبريل عليه السلام فيستحيل أن يكون لمحمد عليه الصلاة والسلام فضيلة فيها على جبريل عليه السلام ، وأما جبريل عليه السلام فهو كان الواسطة بين الله تعالى وبين جميع الأنبياء فكان عالما بكل الشرائع الماضية والحاضرة ، وهو أيضا عالم بشرائع الملائكة وتكاليفهم ومحمد عليه الصلاة والسلام ، ما كان عالما بذلك ، فثبت أن جبريل عليه السلام كان أكثر علما من محمد عليه الصلاة والسلام ، وإذا ثبت هذا وجب أن يكون أفضل منه لقوله تعالى :

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٢٧

". (١)

٤٠٣-"قال تعالى : ﴿فلما وضعتها﴾ واعلم أن هذا الضمير إما أن يكون عائدا إلى الأنثى التي كانت في بطنها وكان عالما بأنها كانت أنثى أو يقال : إنها عادت إلى النفس والنسمة أو يقال : عادت إلى المنذورة.

ثم قال تعالى : ﴿قالت رب إني وضعتهآ أنثى ﴾ واعلم أن الفائدة في هذا الكلام أنه تقدم منها النذر في تحرير ما في بطنها ، وكان الغالب على ظنها أنه ذكر فلم تشترط ذلك في كلامها ، وكانت العادة عندهم أن الذي يحرر ويفرغ لخدمة المسجد وطاعة الله هو الذكر دون الأنثى فقالت ﴿رب إني وضعتهآ أنثى ﴾ خائفة أن نذرها لم يقع الموقع الذي يعتمد به ومعتذرة من إطلاقها النذر المتقدم فذكرت ذلك لا على سبيل الإعلام لله تعالى ، تعالى الله عن أن يحتاج إلى إعلامها ، بل ذكرت ذلك على سبيل الاعتذار.

ثم قال الله تعالى : ﴿والله أعلم بما وضعت﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم وابن عامر ﴿وضعت﴾ برفع التاء على تقدير أنها حكاية كلامها ، والفائدة في هذا الكلام أنها لما قالت ﴿إني وضعتهآ أنثى ﴾ خافت أن يظن بها أنها تخبر الله تعالى ، فأزالت الشبهة بقولها ﴿والله أعلم بما وضعت﴾ وثبت أنها إنما قالت ذلك للاعتذار لا للاعلام ، والباقون بالجزم على أنه كلام الله ، وعلى هذه القراءة يكون المعنى أنه تعالى قال : والله أعلم بما وضعت تعظيما لولدها ، وتجهيلا لها بقدر ذلك الولد ، ومعناه : والله أعلم بالشيء الذي وضعت وبما علق به من عظائم الأمور ، وأن يجعله وولده آية للعالمين ، وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت/ وفي قراءة ابن عباس ﴿والله أعلم بما وضعت﴾ على خطاب الله لها ، أي : أنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب والله هو العالم بما فيه **من العجائب** والآيات.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٩٨

ثم قال تعالى حكاية عنها ﴿وليس الذكر كالانثى ﴾ وفيه قولان الأول : أن مرادها تفضيل الولد الذكر على الأنثى ، وسبب

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٣٦٦

هذا التفضيل من وجوه أحدها : أن شرعهم أنه لا يجوز تحرير الذكور دون الإناث والثاني : أن الذكر يصح أن يستمر على خدمة موضع العبادة ، ولا يصح /ذلك في الأنثى لمكان الحيض وسائر عوارض النسوان والثالث : الذكر يصلح لقوته وشدته للخدمة دون الأنثى فإنها ضعيفة لا تقوى على الخدمة والرابع : أن الذكر لا يلحقه عيب في الخدمة والاختلاط بالناس وليس كذلك الأنثى والخامس : أن الذكر لا يلحقه من التهمة عند الاختلاط ما يلحق الأنثى فهذه الوجوه تقتضي فضل الذكر على الأنثى في هذا المعنى.

والقول الثاني : أن المقصود من هذا الكلام ترجيح هذه الأنثى على الذكر ، كأنها قالت الذكر مطلوبي وهذه الأنثى موهوبة الله تعالى ، وليس الذكر الذي يكون مطلوبي كالأنثى التي هي موهوبة لله ، وهذا الكلام يدل على أن تلك المرأة كانت مستغرقة في معرفة جلال الله عالمة بأن ما يفعله الرب بالعبد خير مما يريده العبد لنفسه.

ثم حكى تعالى عنها كلاما ثانيا وهو قولها ﴿وإني سميتها مريم﴾ وفيه أبحاث :

البحث الأول : أن ظاهر هذا الكلام يدل على ما حكينا من أن عمران كان قد مات في حال حمل حنة بمريم ، فلذلك تولت الأم تسميتها ، لأن العادة أن ذلك يتولاه الآباء.

البحث الثاني : أن مريم في لغتهم : العابدة ، فأرادت بهذه التسمية أن تطلب من الله تعالى أن يعصمها من آفات الدين والدنيا ، والذي يؤكد هذا قولها بعد ذلك ﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ .

البحث الثالث : أن قوله ﴿وإني سميتها مريم﴾ معناه : وإني سميتها بهذا اللفظ أي جعلت هذا اللفظ اسما لها ، وهذا يدل على أن الاسم والمسمى والتسمية أمور ثلاثة متغايرة.

ثم حكى الله تعالى عنها كلاما ثالثا وهو قولها ﴿وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ وذلك لأنه لما فاتها ما كانت تريد من أن يكون رجلا خادما للمسجد تضرعت إلى الله تعالى في أن يحفظها من الشيطان الرجيم ، وأن يجعلها من الصالحات القانتات ، وتفسير الشيطان الرجيم قد تقدم في أول الكتاب.

ولما حكى الله تعالى عن حنة هذه الكلمات قال : ﴿فتقبلها ربها بقبول﴾ وفيه مسألتان :

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٩٨

". (١)

٤٠٤-"واعلم أن في تفسيره هذه الإراءة قولين : الأول : أن الله أراه الملكوت بالعين ، قالوا إن الله تعالى شق له السموات حتى رأى العرش والكرسي وإلى حيث ينتهي إليه فوقية العالم الجسماني ، / وشق له الأرض إلى حيث ينتهي إلى السطح الآخر من العالم الجسماني ، ورأى ما في السموات **من العجائب** والبدائع ، ورأى ما في باطن الأرض **من العجائب** والبدائع. وعن ابن عباس أنه قال : لما أسرى بإبراهيم إلى السماء ورأى ما في السموات وما في الأرض فأبصر عبدا على فاحشة فدعا عليه وعلى آخر بالهلاك ، فقال الله تعالى له : كف عن عبادي فهم بين حالين إما أن أجعل منهم ذرية طيبة

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/١١٣٣

أو يتوبون فأغفر لهم أو النار من ورائهم ، وطعن القاضي في هذه الرواية من وجوه : الأول : أن أهل السماء هم الملائكة المقربون وهم لا يعصون الله ، فلا يليق أن يقال : إنه لما رفع إلى السماء أبصر عبدا على فاحشة. الثاني : أن الأنبياء لا يدعون بهلاك المذنب إلا عن أمر الله تعالى ، وإذا أذن الله تعالى فيه لم يجز أن يمنعه من إجابة دعائه. الثالث : أن ذلك الدعاء إما أن يكون صوابا أو خطأ فإن كان صوابا فلم رده في المرة الثانية ، وإن كان خطأ فلم قبله في المرة الأولى. ثم قال : وأخبار الآحاد إذا وردت على خلاف دلائل العقول وجب التوقف فيها.

جزء : ١٣ رقم الصفحة : ٣٨

والقول الثاني : أن هذه الإراءة كانت بعين البصيرة والعقل ، لا بالبصر الظاهر والحس الظاهر. واحتج القائلون بهذا القول بوجوه :

الحجة الأولى : أن ملكوت السموات عبارة عن ملك السماء ، والملك عبارة عن القدرة ، وقدرة الله لا ترى ، وإنما تعرف بالعقل ، وهذا كلام قاطع ، إلا أن يقال المراد بملكوت السموات والأرض نفس السموات والأرض ، إلا أن على هذا التقدير يضيع لفظ الملكوت ولا يحصل منه فائدة.

والحجة الثانية : أنه تعالى ذكر هذه الإراءة في أول الآية على سبيل الإجمال وهو قوله : ﴿مبين * وكذالك نرى إبراهيم﴾ ثم فسرها بعد ذلك بقوله : ﴿فلما جن عليه اليل رءا كوكبا ﴾ (الأنعام : ٧٦) فجرى ذكر هذا الاستدلال كالشرح والتفسير لتلك الإراءة فوجب أن يقال إن تلك الإراءة كانت عبارة عن هذا الاستدلال.

والحجة الثالثة : أنه تعالى قال في آخر الآية : ﴿وتلك حجتنآ ءاتيناهآ إبراهيم على قومه ﴾ والرؤية بالعين لا تصير حجة على قومه لأنهم كانوا غائبين عنها وكانوا يكذبون إبراهيم فيها وما كان يجوز لهم تصديق إبراهيم في تلك الدعوى إلا بدليل منفصل ومعجزة باهرة ، وإنما كانت الحجة التي أوردها إبراهيم على قومه في الاستدلال بالنجوم من الطريق الذي نطق به القرآن. فإن تلك الأدلة كانت ظاهرة لهم كما أنها كانت ظاهرة لإبراهيم.

والحجة الرابعة : أن إراءة جميع العالم تفيد العلم الضروري بأن للعالم إلها قادرا على كل / الممكنات. ومثل هذه الحالة لا يحصل للإنسان بسببها استحقاق المدح والتعظيم. ألا ترى أن الكفار في الآخرة يعرفون الله تعالى بالضرورة وليس لهم في تلك المعرفة مدح ولا ثواب. وأما الاستدلال بصفات المخلوقات على وجود الصانع وقدرته وحكمته فذاك هو الذي يفيد المدح والتعظيم.

والحجة الخامسة : أنه تعالى كما قال في حق إبراهيم عليه السلام ﴿وكذالك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والارض﴾ فكذلك قال في حق هذه الأمة : ﴿سنريهم ءاياتنا فى الافاق وفى أنفسهم﴾ (فصلت : ٥٣) فكما كانت هذه الإراءة بالبصيرة الباطنة لا بالبصر الظاهر فكذلك في حق إبراهيم لا يبعد أن يكون الأمر كذلك.

الحجة السادسة : أنه عليه السلام لما تمم الاستدلال بالنجم والقمر والشمس قال بعده : ﴿إنى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والارض﴾ (الأنعام : ٧٩) فحكم على السموات والأرض بكونها مخلوقة لأجل الدليل الذي ذكره في النجم والقمر والشمس. وذلك الدليل لو لم يكن عاما في كل السموات والأرض لكان الحكم العام بناء على دليل خاص وأنه خطأ ، فثبت أن ذلك الدليل كان عاما فكان ذكر النجم والقمر والشمس كالمثال لإراءة الملكوت. فوجب أن يكون المراد

من إراءة الملكوت تعريف كيفية دلالتها بحسب تغيرها وإمكانها وحدوثها على وجود الإله العالم القادر الحكيم فتكون هذه الإراءة بالقلب لا بالعين.

جزء : ١٣ رقم الصفحة : ٣٨

الحجة السابعة : أن اليقين عبارة عن العلم المستفاد بالتأمل إذا كان مسبوقا بالشك وقوله تعالى : ﴿وليكون من الموقنين﴾ كالغرض من تلك الإراءة فيصير تقدير الآية نرى إبراهيم ملكوت السوات والأرض لأجل أن يصير من الموقنين. فلما كان اليقين هو العلم المستفاد من الدليل ، وجب أن تكون تلك الإراءة عبارة عن الاستدلال.

". (١)

٤٠٥-"﴿والشمس والقمر والنجوم مسخراتا بأمره ﴾ وربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال إنك أكثرت في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم ، وذلك على خلاف المعتاد فيقال لهذا المسكين : إنك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته ، وتقريره من وجوه : الأول : أن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض ، وتعاقب الليل والنهار ، وكيفية أحوال الضياء والظلام ، وأحوال الشمس والقمر والنجوم ، وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى ، فلو لم يكن البحث عنها ، والتأمل في أحوالها جائزا لما ملأ الله كتابه منها. والثاني : أنه تعالى قال : ﴿أفلم ينظروا إلى السمآء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾ (ق : ٦) فهو تعالى حث على التأمل في أنه كيف بناها ولا معنى لعلم الهيئة إلا التأمل في أنه كيف بناها وكيف خلق كل واحد منها. والثالث : أنه تعالى قال : ﴿لخلق السماوات والارض أكبر من خلق الناس ولاكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (غافر : ٥٧) فبين أن عجائب الخلقة وبدائع الفطرة في أجرام السموات أكثر وأعظم وأكمل مما في أبدان الناس ، ثم أنه تعالى رغب في التأمل في أبدان الناس بقوله : ﴿وفى أنفسكم أفلا تبصرون﴾ (الذاريات : ٢١) فما كان أعلى شأنا وأعظم برهانا منها أولى بأن يجب التأمل في أحوالها ومعرفة ما أودع الله فيها **من العجائب** والغرائب. والرابع : أنه تعالى مدح المتفكرين في خلق السموات والأرض فقال : ﴿ويتفكرون فى خلق السماوات والارض ربنا ما خلقت هاذا باطلا﴾ (آل عمران : ١٩١) ولو كان ذلك ممنوعا منه لما فعل. والخامس : أن من صنف كتابا شريفا مشتملا على دقائق العلوم العقلية والنقلية بحيث لا يساويه كتاب في تلك الدقائق ، فالمعتقدون في شرفه وفضيلته فريقان : منهم من يعتقد كونه كذلك على سبيل الجملة من غير أن يقف على ما فيه من الدقائق واللطائف على سبيل التفصيل والتعيين ، ومنهم من وقف على تلك الدقائق على سبيل التفصيل والتعيين ، واعتقاد الطائفة الأولى وإن بلغ إلى أقصى الدرجات في القوة والكمال إلا أن اعتقاد الطائفة الثانية يكون أكمل وأقوى وأوفى. وأيضا فكل من كان وقوفه على دقائق ذلك الكتاب ولطائفه أكثر كان اعتقاده في عظمة ذلك المصنف وجلالته أكمل.

جزء : ١٤ رقم الصفحة : ٢٧٨

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/١٨١٣

إذا ثبت هذا فنقول : من الناس من اعتقد أن جملة هذا العالم محدث وكل محدث فله محدث ، / فحصل له بهذا الطريق إثبات الصانع تعالى وصار من زمرة المستدلين ، ومنهم من ضم إلى تلك الدرجة البحث عن أحوال العالم العلوي والعالم السفلي على سبيل التفصيل فيظهر له في كل نوع من أنواع هذا العالم حكمة بالغة وأسرار عجيبة ، فيصير ذلك جاريا مجرى البراهين المتواترة والدلائل المتوالية على عقله ، فلا يزال ينتقل كل لحظة ولمحة من برهان إلى برهان آخر ، ومن دليل إلى دليل آخر/ فلكثرة الدلائل وتواليها أثر عظيم في تقوية اليقين وإزالة الشبهات. فإذا كان الأمر كذلك ظهر أنه تعالى إنما أنزل هذا الكتاب لهذه الفوائد والأسرار لا لتكثير النحو الغريب والاشتقاقات الخالية عن الفوائد والحكايات الفاسدة ، ونسأل الله العون والعصمة.

المسألة الرابعة : الأمر المذكور في قوله : ﴿مسخراتا بأمره ﴾ قد فسرناه بما سبق ذكره ، وأما المفسرون فلهم فيه وجوه : أحدها : المراد نفاذ إرادته لأن الغرض من هذه الآية تبيين عظمته وقدرته ، وليس المراد من هذا الأمر الكلام ، ونظيره في قوله تعالى : ﴿فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتآ أتينا طآاعين﴾ (فصلت : ١١) وقوله : ﴿إنما قولنا لشىء إذآ أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ (النحل : ٤٠) ومنهم من حمل هذا الأمر على الأمر الثاني الذي هو الكلام ، وقال : إنه تعالى أمر هذه الأجرام بالسير الدائم والحركة المستمرة.

المسألة الخامسة : أن الشمس والقمر من النجوم فذكرهما ثم عطف على ذكرهما ذكر النجوم والسبب في إفرادهما بالذكر أنه تعالى جعلهما سببا لعمارة هذا العالم ، والاستقصاء في تقريره لا يليق بهذا الموضع ، فالشمس سلطان النهار ، والقمر سلطان الليل ، والشمس تأثيرها في التسخين والقمر تأثيره في الترطيب ، وتولد المواليد الثلاثة أعني المعادن والنبات والحيوان لا يتم ولا يكمل إلا بتأثير الحرارة في الرطوبة. ثم إنه تعالى خص كل كوكب بخاصة عجيبة وتدبير غريب لا يعرفه بتمامه إلا الله تعالى ، وجعله معينا لهما في تلك التأثيرات والمباحث المستقصاة في علم الهيئة تدل على أن الشمس كالسلطان ، والقمر كالنائب ، وسائر الكواكب كالخدم ، فلهذا السبب بدأ الله سبحانه بذكر الشمس وثنى القمر ثم أتبعه بذكر سائر النجوم. ". (١)

٤٠٦-"المسألة الرابعة : قال أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم : أعضاء المحدث نجسة نجاسة حكمية وبنوا عليه أن الماء المستعمل في الوضوء والجنابة نجس. ثم روى أبو يوسف رحمه الله تعالى أنه نجس نجاسة خفيفة ، وروى الحسن بن زياد : أنه نجس نجاسة غليظة ، وروى محمد بن الحسن أن ذلك الماء طاهر.

جزء : ١٦ رقم الصفحة : ٢٣

واعلم أن قوله تعالى : ﴿إنما المشركون نجس﴾ يدل على فساد هذا القول ، لأن كلمة "إنما" للحصر ، وهذا يقتضي أن لا نجس إلا المشرك ، فالقول بأن أعضاء المحدث نجسة مخالف لهذا النص ، والعجب أن هذا النص صريح في أن المشرك نجس وفي أن المؤمن ليس بنجس ، ثم إن قوما ما قلبوا القضية وقالوا المشرك طاهر والمؤمن حال كونه محدثا أو جنبا نجس ، وزعموا

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/١٩٩٠

أن المياه التي استعملها المشركون في أعضائهم بقيت طاهرة مطهرة : والمياه التي يستعملها أكابر الأنبياء في أعضائهم نجسة نجاسة غليظة ، وهذا **من العجائب** ، ومما يؤكد القول بطهارة أعضاء المسلم قوله عليه السلام : "المؤمن لا ينجس حيا ولا ميتا" فصار هذا الخبر مطابقا للقرآن ، ثم الاعتبارات الحكمية طابقت القرآن ، والأخبار في هذا الباب ، لأن المسلمين أجمعوا على أن إنسانا لو حمل محدثا في صلاته لم تبطل صلاته ، ولو كانت يده رطبة. فوصلت إلى يد محدث لم تنجس يده. ولو عرق المحدث ووصلت تلك النداوة إلى ثوبه لم ينجس ذلك الثوب ، فالقرآن والخبر والإجماع تطابقت على القول بطهارة أعضاء المحدث فكيف يمكن مخالفته ، وشبهة المخالف أن الوضوء يسمى طهارة والطهارة لا تكون إلا بعد سبق النجاسة ، وهذا ضعيف لأن الطهارة قد تستعمل في إزالة الأوزار والآثام ، قال الله تعالى في صفة أهل البيت ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ (الأحزاب : ٣٣) وليست هذه الطهارة إلا عن الآثام والأوزار. وقال في صفة مريم : ﴿إن الله اصطفاك وطهرك﴾ والمراد تطهيرها عن التهمة الفاسدة.

وإذا ثبت هذا فنقول : جاءت الأخبار الصحيحة في أن الوضوء تطهير الأعضاء عن الآثام / والأوزار ، فلما فسر الشارع كون الوضوء طهارة بهذا المعنى ، فما الذي حملنا على مخالفته ، والذهاب إلى شيء يبطل القرآن والأخبار والأحكام الإجماعية.

المسألة الخامسة : قال الشافعي رضي الله تعالى عنه : الكفار يمنعون من المسجد الحرام خاصة ، وعند مالك : يمنعون من كل المساجد ، وعند أبي حنيفة رحمه الله : لا يمنعون من المسجد الحرام ولا من سائر المساجد ، والآية بمنطوقها تبطل قول أبي حنيفة رحمه الله ، وبمفهومها تبطل قول مالك ، أو نقول الأصل عدم المنع ، وخالفناه في المسجد الحرام لهذا النص الصريح القاطع ، فوجب أن يبقى في غيره على وفق الأصل.

جزء : ١٦ رقم الصفحة : ٢٣

المسألة السادسة : اختلفوا في أن المراد من المسجد الحرام هل هو نفس المسجد أو المراد منه جميع الحرم ؟

والأقرب هو هذا الثاني. والدليل عليه قوله تعالى : ﴿وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ﴾ وذلك لأن موضع التجارات ليس هو عين المسجد ، فلو كان المقصود من هذه الآية المنع من المسجد خاصة لما خافوا بسبب هذا المنع من العيلة ، وإنما يخافون العيلة إذا منعوا من حضور الأسواق والمواسم ، وهذا استدلال حسن من الآية ، ويتأكد هذا القول بقوله سبحانه وتعالى : ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصا﴾ (الإسراء : ١) مع أنهم أجمعوا على أنه إنما رفع الرسول عليه الصلاة والسلام من بيت أم هانىء وأيضا يتأكد هذا بما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لا يجتمع دينان في جزيرة العرب".

واعلم أن أصحابنا قالوا : الحرم حرام على المشركين ولو كان الإمام بمكة ، فجاء رسول المشركين فليخرج إلى الحل لاستماع الرسالة ، وإن دخل مشرك الحرم متواريا فمرض فيه أخرجناه مريضا ، وإن مات ودفن ولم يعلم نبشناه وأخرجنا عظامه إذا أمكن.

المسألة السابعة : لا شبهة في أن المراد بقوله : ﴿بعد عامهم هاذا ﴾ السنة التي حصل فيها النداء بالبراءة من المشركين ،

وهي السنة التاسعة من الهجرة.
ثم قال تعالى : ﴿وإن خفتم عيلة﴾ والعيلة الفقر. يقال : عال الرجل يعيل عيلة إذا افتقر ، والمعنى : إن خفتم فقرا بسبب منع الكفار ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله ﴾ وفيه مسألتان :
المسألة الأولى : ذكروا في تفسير هذا الفضل وجوها : الأول : قال مقاتل : أسلم أهل جدة وصنعاء وحنين ، وحملوا الطعام إلى مكة وكفاهم الله الحاجة إلى مبايعة الكفار. والثاني : قال الحسن : جعل الله ما يوجد من الجزية بدلا من ذلك. وقيل : أغناهم بالفيء. الثالث : قال عكرمة : أنزل الله عليهم المطر ، وكثر خيرهم.
". (١)

٤٠٧-"روي أن الملك قال ليوسف عليه السلام ما من شيء إلا وأحب أن تشركني فيه إلا في أهلي وفي أن لا تأكل معي فقال يوسف عليه السلام ، أما ترى أن آكل معك ، وأنا يوسف بن يعقوب بن إسحق الذبيح بن إبراهيم الخليل عليه السلام ، ثم قال : ﴿فلما كلمه ﴾ وفيه قولان : أحدهما : أن المراد فلما كلم الملك يوسف عليه السلام قالوا لأن في مجالس الملوك لا يحسن لأحد أن يبتدىء بالكلام وإنما الذي يبتدىء به هو الملك ، والثاني : أن المراد : فلما كلم يوسف الملك قيل : لما صار يوسف إلى الملك وكان ذلك الوقت ابن ثلاثين سنة/ فلما رآه الملك حدثا شابا قال للشرابي : هذا هو الذي علم تأويل رؤياي مع أن السحرة والكهنة ماعلموها قال نعم ، فأقبل على يوسف وقال : إني أحب أن أسمع تأويل الرؤيا منك شفاها ، فأجاب بذلك الجواب شفاها وشهد قلبه بصحته ، فعند ذلك قال له : ﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ يقال : فلان مكين عند فلان بين المكانة أي المنزلة ، وهي حالة يتمكن بها صاحبها مما يريد. وقوله : ﴿أمين﴾ أي قد عرفنا أمانتك وبراءتك مما نسبت إليه.
واعلم أن قوله : ﴿مكين أمين﴾ كلمة جامعة لكل ما يحتاج إليه من الفضائل والمناقب ، وذلك لأنه لا بد في كونه مكينا من القدرة والعلم. أما القدرة فلأن بها يحصل المكنة. وأما العلم فلأن كونه متمكنا من أفعال الخير لا يحصل إلا به إذ لو لم يكن عالما بما ينبغي وبما لا ينبغي لا يمكنه تخصيص ما ينبغي / بالفعل ، وتخصيص ما لا ينبغي بالترك ، فثبت أن كونه مكينا لا يحصل إلا بالقدرة والعلم. أما كونه أمينا فهو عبارة عن كونه حكيما لا يفعل الفعل لداعي الشهوة بل إنما يفعله لداعي الحكمة ، فثبت أن كونه مكينا أمينا يدل على كونه قادرا ، وعلى كونه عالما بمواقع الخير والشر والصلاح والفساد ، وعلى كونه بحيث يفعل لداعي الحكمة لا لداعية الشهوة ، وكل من كان كذلك فإنه لا يصدر عنه فعل الشر والسفه فلهذا المعنى لما حاولت المعتزلة إثبات أنه تعالى لا يفعل القبيح قالوا إنه تعالى لا يفعل القبيح لأنه تعالى عالم بقبح القبيح عالم بكونه غنيا عنه وكل من كان كذلك لم يفعل القبيح قالوا : وإنما يكون غنيا عن القبيح إذا كان قادرا ، وإذا كان منزها عن داعية السفه فثبت أن وصفه بكونه مكينا أمينا نهاية ما يمكن ذكره في هذا الباب ثم حكى تعالى أن يوسف عليه السلام قال في هذا المقام ﴿اجعلنى على خزآىان الارضا إنى حفيظ عليم﴾ وفيه مسائل :

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٢١٩٨

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ٤٧٤
المسألة الأولى : قال المفسرون : لما عبر يوسف عليه السلام رؤيا الملك بين يديه قال له الملك : فما ترى أيها الصديق قال : أرى أن تزرع في هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا وتبني الخزائن وتجمع فيها الطعام فإذا جاءت السنون المجدبة بعنا الغلات فيحصل بهذا الطريق مال عظيم فقال الملك ومن لي بهذا الشغل فقال يوسف : ﴿اجعلنى على خزآىان الارض ﴾ أي على خزائن أرض مصر وأدخل الألف واللام على الأرض ، والمراد منه المعهود السابق. روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية أنه قال : "رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لأستعمله من ساعته لكنه لما قال ذلك أخره عنه سنة" وأقول هذا **من العجائب** لأنه لما تأبى عن الخروج من السجن سهل الله عليه ذلك على أحسن الوجوه ولما تسارع في ذكر الالتماس أخر الله تعالى ذلك المطلوب عنه وهذا يدل على أن ترك التصرف والتفويض بالكلية إلى الله تعالى أولى.
". (١)

٤٠٨-"المسألة الأولى : أن الحبة إذا وضعت في الأرض وأثرت فيها نداوة الأرض ربت وكبرت وبسبب ذلك ينشق أعلاها وأسفلها فيخرج من الشق الأعلى الشجرة الصاعدة في الهواء ، ويخرج من الشق الأسفل العروق الغائصة في أسفل الأرض وهذا **من العجائب** ، لأن طبيعة تلك الحبة واحدة وتأثير الطبائع والأفلاك والكواكب فيها واحد ثم إنه خرج من الجانب الأعلى من تلك الحبة جرم صاعد إلى الهواء من الجانب الأسفل منه جرم غائص في الأرض ، ومن المحال أن يتولد من الطبيعة الواحدة طبيعتان متضادتان ، فعلمنا أن ذلك إنما كان بسبب تدبير المدبر الحكيم ، والمقدر القديم لا بسبب الطبع والخاصية ، ثم إن الشجرة الثابتة من تلك الحبة بعضها يكون خشبا وبعضها يكون نورا وبعضها يكون ثمرة ، ثم إن تلك الثمرة أيضا يحصل فيها أجسام مختلفة الطبائع ، فالجوز له أربعة أنواع من القشور ، فالقشر الأعلى وتحته القشرة الخشبة وتحته القشرة المحيطة باللبنة ، وتحت تلك القشرة قشرة أخرى في غاية الرقة تمتاز عما فوقها حال كون الجوز رطبا وأيضا فقد يحصل / في الثمرة الواحدة الطباع المختلفة ، فالأترج قشره حار يابس ولحمه حار رطب وحماضه بارد يابس وبزره حار يابس ونوره حار يابس ، وكذلك العنب قشره وعجمه باردان يابسان ولحمه وماؤه حاران رطبان فتولد هذه للطبائع المختلفة من الحبة الواحدة مع تساوي تأثيرات الطبائع وتأثيرات الأنجم والأفلاك لا بد وأن يكون لأجل تدبير الحكيم القادر القديم. المسألة الثانية : المراد بزوجين اثنين صنفين اثنين والاختلاف إما من حيث الطعم كالحلو والحامض أو الطبيعة كالحار والبارد أو اللون كالأبيض والأسود.
جزء : ١٩ رقم الصفحة : ٨
فإن قيل : الزوجان لا بد وأن يكون اثنين ، فما الفائدة في قوله : ﴿زوجين اثنين ﴾ .
قلنا : قيل إنه تعالى أول ما خلق العالم وخلق فيه الأشجار خلق من كل نوع من الأنواع اثنين فقط ، فلو قال : خلق زوجين

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٢٥٣٢

لم يعلم أن المراد النوع أو الشخص. أما لما قال اثنين علمنا أن الله تعالى أول ما خلق من كل زوجين اثنين لا أقل ولا أزيد. والحاصل أن الناس فيهم الآن كثرة إلا أنهم لما ابتدؤا من زوجين اثنين بالشخص هما آدم وحواء ، فكذلك القول في جميع الأشجار والزرع والله أعلم.

النوع الرابع : من الدلائل المذكورة في هذه الآية الاستدلال بأحوال الليل والنهار وإليه الإشارة بقوله : ﴿وهو الذى مد﴾ والمقصود أنم الإنعام لا يكمل إلا بالليل والنهار وتعاقبهما كما قال : ﴿فمحونآ ءاية اليل وجعلنآ ءاية النهار مبصرة﴾ (الإسراء : ١٢) ومنه قوله : ﴿إن ربكم الله الذى خلق﴾ (الأعراف : ٥٤) وقد سبق الاستقصاء في تقريره فيما سلف من هذا الكتاب ، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم : ﴿يغشى﴾ بالتشديد وفتح الغين والباقون بالتخفيف ، ثم إنه تعالى لما ذكر هذه الدلائل النيرة والقواطع القاهرة قال : ﴿إن فى ذالك لايات لقوم يتفكرون﴾ .

واعلم أنه تعالى في أكثر الأمر حيث يذكر الدلائل الموجودة في العالم السفلي يذكر عقبها : ﴿إن فى ذالك لايات لقوم يتفكرون﴾ أو ما يقرب منه بحسب المعنى ، والسبب فيه أن الفلاسفة يسندون حوادث العالم السفلي إلى الاختلافات الواقعة في الأشكال الكوكبية ، فما لم تقم الدلالة على دفع هذا السؤال لا يتم المقصود ، فلهذا المعنى قال : ﴿إن فى ذالك لايات لقوم يتفكرون﴾ كأنه تعالى يقول مجال الفكر باق بعد ولا بد بعد هذا المقام من التفكر والتأمل ليتم الاستدلال.

واعلم أن الجواب عن هذا السؤال من وجهين : الأول : أن نقول هب أنكم أسندتم حوادث العالم السفلي إلى الأحوال الفلكية والاتصالات الكوكبية إلا أنا أقمنا الدليل القاطع على أن اختصاص كل واحد من الأجرام الفلكية وطبعه ووضعه وخاصيته لا بد أن يكون بتخصيص المقدر القديم / والمدبر الحكيم ، فقد سقط هذا السؤال وهذا الجواب قد قرره الله تعالى في هذا المقام ، لأنه تعالى ابتدأ بذكر الدلائل السماوية وقد بينا أنها كيف تدل على وجود الصانع. ثم إنه تعالى أتبعها بالدلائل الأرضية.

جزء : ١٩ رقم الصفحة : ٨

فإن قال قائل : لم لا يجوز أن تكون هذه الحوادث الأرضية لأجل الأحوال الفلكية ، كان جوابنا أن نقول فهب أن الأمر كذلك إلا أنا دللنا فيما تقدم على افتقار الأجرام الفلكية إلى الصانع الحكيم فحينئذ لا يكون هذا السؤال قادحا في غرضنا.

والوجه الثاني : من الجواب أن نقيم الدلالة على أنه لا يجوز أن يكون حدوث الحوادث السفلية لأجل الاتصالات الفلكية ، وذلك هو المذكور في الآية التي تأتي بعد هذه الآية ، ومن تأمل في هذه اللطائف ووقف عليها علم أن هذا الكتاب اشتمل على علوم الأولين والآخرين.

جزء : ١٩ رقم الصفحة : ٨

٩

في الآية مسائل :

". (١)

٤٠٩-"المسألة الرابعة : اعلم أن حدوث اللبن في الثدي واتصافه بالصفات التي باعتبارها يكون موافقا لتغذية الصبي مشتمل على حكم عجيبة وأسرار بديعة ، يشهد صريح العقل بأنها لا تحصل إلا بتدبير الفاعل الحكيم والمدبر الرحيم ، وبيانه من وجوه : الأول : أنه تعالى خلق في أسفل المعدة منفذا يخرج منه ثقل الغذاء ، فإذا تناول الإنسان غذاء أو شربة رقيقة انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا لا يخرج منه شيء من ذلك المأكول والمشروب إلى أن يكمل انهضامه في المعدة وينجذب ما صفا منه إلى الكبد ويبقى الثقل هناك ، فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ ويترك منه ذلك الثقل ، وهذا **من العجائب** التي لا يمكن حصولها إلا بتدبير الفاعل الحكيم ، لأنه متى كانت الحاجة إلى بقاء الغذاء في المعدة حاصلة انطبق ذلك المنفذ ، وإذا حصلت الحاجة إلى خروج ذلك الجسم عن المعدة انفتح ، فحصول الانطباق تارة والانفتاح أخرى ، بحسب الحاجة وتقدير المنفعة ، مما لا يتأتى إلا بتقدير الفاعل الحكيم. الثاني : أنه تعالى أودع في الكبد قوة تجذب الأجزاء اللطيفة الحاصلة في ذلك المأكول أو المشروب ، ولا تجذب الأجزاء الكثيفة ، وخلق في الأمعاء قوة تجذب تلك الأجزاء الكثيفة التي هي الثقل ، ولا تجذب الأجزاء اللطيفة ألبتة. ولو كان الأمر بالعكس لاختلفت مصلحة البدن ولفسد نظام هذا التركيب. الثالث : أنه تعالى أودع في الكبد قوة هاضمة طابخة ، حتى أن تلك الأجزاء اللطيفة تنطبخ في الكبد وتنقلب دما ، ثم إنه تعالى أودع في المرارة قوة جاذبة للصفراء ، وفي الطحال قوة جاذبة للسوداء ، وفي الكلية قوة جاذبة لزيادة المائية ، حتى يبقى الدم الصافي الموافق لتغذية البدن. وتخصيص كل واحد من هذه الأعضاء بتلك القوة والخاصية لا يمكن إلا بتقدير الحكيم العليم. الرابع : أن في الوقت الذي يكون الجنين في رحم الأم ينصب من ذلك الدم نصيب وافر إليه حتى يصير مادة لنمو أعضاء ذلك الولد وازدياده ، فإذا انفصل ذلك الجنين عن الرحم ينصب ذلك النصيب إلى جانب الثدي ليتولد منه اللبن الذي يكون غذاء له ، فإذا كبر الولد لم ينصب ذلك النصيب لا إلى الرحم ولا إلى الثدي ، بل ينصب على مجموع بدن المغتذي ، فانصباب ذلك الدم في كل وقت إلى عضو آخر انصبابا موافقا للمصلحة والحكمة لا يتأتى إلا بتدبير الفاعل المختار الحكيم. والخامس : أن عند تولد اللبن في الضرع أحدث تعالى في حلمة الثدي ثقوبا صغيرة ومسام ضيقة ، وجعلها بحيث إذا اتصل المص أو الحلب بتلك الحلمة انفصل اللبن عنها في تلك المسام الضيقة ، ولما كانت تلك المسام ضيقة جدا ، فحينئذ لا يخرج منها إلا ما كان في غاية الصفاء واللطافة ، وأما الأجزاء الكثيفة فإنه لا يمكنها الخروج من تلك المنافذ الضيقة فتبقى في الداخل ، والحكمة في إحداث تلك الثقوب الصغيرة ، والمنافذ الضيقة في رأس حلمة الثدي أن يكون ذلك كالمصفاة ، فكل ما كان لطيفا/ خرج ، وكل ما كان كثيفا احتبس في الداخل ولم يخرج/ فبهذا الطريق يصير ذلك اللبن خالصا موافقا لبدن الصبي سائغا للشاربين. السادس : أنه تعالى ألهم ذلك الصبي إلى المص ، فإن الأم كلما ألقمت حلمة الثدي في فم الصبي فذلك الصبي في الحال يأخذ في المص ، فلولا أن الفاعل المختار الرحيم ألهم ذلك الطفل الصغير ذلك العمل المخصوص ، وإلا لم يحصل الانتفاع بتخليق ذلك اللبن في الثدي. السابع : أنا بينا أنه تعالى إنما خلق اللبن من

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٢٥٧٦

فضلة الدم ، وإنما خلق الدم من لطيف تلك الأجزاء ، ثم خلق اللبن من بعض أجزاء ذلك الدم ، ثم إن اللبن حصلت فيه أجزاء ثلاثة على طبائع متضادة ، فما فيه من الدهن يكون حارا رطبا ، وما فيه من المائية يكون باردا رطبا ، وما فيه من الجبنية يكون باردا يابسا ، وهذه الطبائع ما كانت حاصلة في ذلك العشب الذي تناولته الشاة ، فظهر بهذا أن هذه الأجسام لا تزال تنقلب من صفة إلى صفة ومن حالة إلى حالة ، مع أنه لا يناسب بعضها بعضا ولا يشاكل بعضها بعضا ، وعند ذلك يظهر أن هذه الأحوال إنما تحدث بتدبير فاعل حكيم رحيم يدبر أحوال هذا العالم على وفق مصالح العباد ، فسبحان من تشهد جميع ذرات العالم الأعلى والأسفل بكمال قدرته ونهاية حكمته ورحمته ، له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين.

جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ٢٣٥

أما قوله : ﴿سآاىٰغا للشاربين﴾ فمعناه : جاريا في حلوقهم لذيذا هنيئا. يقال : ساغ الشراب في الحلق وأساغه صاحبه ، ومنه قوله : ﴿ولا يكاد يسيغه ﴾ (إبراهيم : ١٧).

". (١)

٤١٠-"واعلم أن الإحسان بالتفسير الذي ذكرنا دخل فيه التعظيم لأمر الله تعالى والشفقة على خلق الله ، ومن الظاهر أن الشفقة على خلق الله أقسام كثيرة وأشرفها وأجلها صلة الرحم لا جرم أنه سبحانه أفرده بالذكر فقال : ﴿وإيتآى ذى القربى ﴾ فهذا تفصيل القول في هذه الثلاثة التي أمر الله تعالى بها. وأما الثلاثة التي نهى الله عنها ، وهي الفحشاء والمنكر والبغي فنقول : إنه تعالى أودع في النفس البشرية قوى أربعة ، وهي الشهوانية البهيمية والعصبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية وهذه القوة الرابعة أعني العقلية الملكية لا يحتاج الإنسان إلى تأديبها وتهذيبها ، لأنها من جواهر الملائكة ، ومن نتائج الأرواح القدسية العلوية ، إنما المحتاج إلى التأديب والتهذيب تلك القوى الثلاثة الأولى. أما القوة الشهوانية ، فهي إنما ترغب في تحصيل اللذات الشهوانية ، وهذا النوع مخصوص باسم الفحش ، إلا ترى أنه تعالى سمى الزنا فاحشة فقال : ﴿إنه كان فاحشة ومقتا وسآء سبيلا﴾ (النساء : ٢٢) فقوله تعالى : ﴿وينهى عن الفحشآء﴾ المراد منه المنع من تحصيل اللذات الشهوانية الخارجة عن إذن الشريعة ، وأما القوة الغضبية السبعية فهي : أبدا تسعى في إيصال الشر والبلاء والإيذاب إلى سائر الناس ، ولا شك أن الناس ينكرون تلك الحالة ، فالمنكر عبارة عن الإفراط الحاصل في آثار القوة الغضبية. وأما القوة الوهمية الشيطانية فهي أبدا تسعى في الاستعلاء على الناس والترفع وإظهار الرياسة والتقدم ، وذلك هو المراد من البغي ، فإنه لا معنى للبغي إلا التطاول على الناس والترفع عليهم ، فظهر بما ذكرنا أن هذه الألفاظ الثلاثة منطبقة على أحوال هذه القوى الثلاثة ، **ومن العجائب** في هذا الباب أن العقلاء قالوا : أخس هذه القوى الثلاثة هي الشهوانية ، وأوسطها الغضبية وأعلاها الوهمية. والله تعالى راعى هذا الترتيب فبدأ بالفحشاء التي هي نتيجة القوة الشهوانية ، ثم بالمنكر الذي هو نتيجة القوة الغضبية ، ثم بالبغي الذي هو نتيجة القوة الوهمية ، فهذا ما وصل إليه عقلي وخاطري في

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٢٧٢٩

تفسير هذه الألفاظ ، فإن يك صوابا فمن الرحمن ، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله عنه بريئان والحمد لله على ما خصنا بهذا النوع من الفضل والإحسان إنه الملك الديان.

جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ٢٦٣

ثم قال تعالى : ﴿يعظكم لعلكم تذكرون﴾ والمراد بقوله تعالى : ﴿يعظكم﴾ أمره تعالى بتلك الثلاثة ونهيه عن هذه الثلاثة : ﴿لعلكم تذكرون﴾ وفيه مسألتان :

/ المسألة الأولى : أنه تعالى لما قال في الآية الأولى : ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء﴾ (النحل : ٨٩) أردفه بهذه الآية مشتملة على الأمر بهذه الثلاثة ، والنهي عن هذه الثلاثة ، كان ذك تنبيها على أن المراد بكون القرآن تبيانا لكل شيء هو هذه التكاليف الستة وهي في الحقيقة كذلك ، لأن جوهر النفس من زمرة الملائكة ومن نتائج الأرواح العالية القدسية إلا أنه دخل في هذا العالم خاليا عاريا عن التعلقات فتلك الثلاثة التي أمر الله بها هي التي ترقيها بالمعارف الإلهية والأعمال الصالحة ، وتلك المعارف والأعمال هي التي ترقيها إلى عالم الغيب وسرادقات القدس ، ومجاورة الملائكة المقربين في جوار رب العالمين ، وتلك الثلاثة التي نهى الله عنها هي التي تصدها عن تلك السعادات وتمنعها عن الفوز بتلك الخيرات ، فلما أمر الله تعالى بتلك الثلاثة/ ونهى عن هذه الثلاثة فقد نبه على كل ما يحتاج إليه المسافرون من عالم الدنيا إلى مبدأ عرصة القيامة.

". (١)

٤١١-"سورة الإسراء

مكية ، إلا الآيات : ٢٦ و٣٢ و٣٣ و٥٧ ومن آية ٧٣ إلى غاية آية ٨٠ فمدنية

وآياتها : ١١١ ، نزلت بعض القصص

جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ٢٩١

٢٩٧

سورة بني إسرائيل

عددها : مائة آية وعشر آيات

عن ابن عباس أنها مكية ،

سورة بني إسرائيل

عددها : مائة آية وعشر آيات

عن ابن عباس أنها مكية ، غير قوله : ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الارض﴾ (الإسراء : ٧١) إلى قوله : ﴿واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا﴾ (الإسراء : ٨٠) فإنها مدنيات ، نزلت حين جاء وفد ثقيف.

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٢٧٥٠

﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصا الذى باركنا حوله لنريه من ءاياتنآا إنه هو﴾ .
في الآية مسائل :
المسألة الأولى : قال النحويون : ﴿سبحان﴾ اسم علم للتسبيح يقال : سبحت الله تسبيحا وسبحانا ، فالتسبيح هو المصدر ، وسبحان اسم علم للتسبيح كقولك : كفرت اليمين تكفيرا وكفرانا وتفسيره تنزيه الله تعالى من كل سوء. قال صاحب "النظم" : السبح في اللغة التباعد ، يدل عليه قوله/ تعالى : ﴿إن لك فى النهار سبحا﴾ (المزمل : ٧) أي تباعدا فمعنى : سبح الله تعالى ، أي بعده ونزهه عما لا ينبغي وتمام المباحث العقلية في لفظ التسبيح قد ذكرناها في أول سورة الحديد ، وقد جاء في لفظ التسبيح معان آخرى : أحدها : أن التسبيح يذكر بمعنى الصلاة ، ومنه قوله تعالى : ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ (الصفات : ١٤٣) أي من المصلين ، والسبحة الصلاة النافلة ، وإنما قيل للمصلي مسبح ، لأنه معظم لله بالصلاة ومنزه له عما لا ينبغي. وثانيها : ورد التسبيح بمعنى الاستثناء في قوله تعالى : ﴿قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾ (القلم : ٢٨) أي تستثنون وتأويله أيضا يعود إلى تعظيم الله تعالى في الاستثناء بمشيئته. وثالثها : جاء في الحديث : "لأحرقت سبحات وجهه ما أدركت من شيء" قيل معناه نور وجهه ، وقيل : سبحات وجهه ، نور وجهه الذي إذا رآه الرائي قال : سبحان الله ، وقوله : ﴿أسرى ﴾ قال أهل اللغة : أسرى وسرى لغتان : وقوله : ﴿بعبده ﴾ أجمع المفسرون على أن المراد محمد عليه الصلاة والسلام ، وسمعت الشيخ الإمام الوالد عمر بن الحسين رحمه الله قال : سمعت الشيخ الإمام أبا القاسم سليمان الأنصاري قال : لما وصل محمد صلوات الله عليه إلى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في العارج أوحى الله تعالى إليه : يا محمد بم أشرفك ؟
قال : "رب بأن تنسبني إلى نفسك بالعبودية" فأنزل الله فيه : ﴿سبحان الذى أسرى بعبده ﴾ وقوله : ﴿ليلا﴾ نصب على الظرف.
جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ٢٩٧
فإن قيل : الإسراء لا يكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل ؟
قلنا : أراد بقوله : ﴿ليلا﴾ بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة ، وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ، واختلفوا في ذلك الليل قال مقاتل : كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنة ، ونقل صاحب "الكشاف" عن أنس والحسن أنه كان ذلك قبل البعثة. وقوله : ﴿من المسجد الحرام﴾ اختلفوا في المكان الذي أسرى به منه ، فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الذي يدل عليه ظاهر لفظ القرآن ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق" وقيل أسري به من دار أم هانيء بنت أبي طالب. والمراد على هذا القول بالمسجد الحرام الحرم لإحاطته بالمسجد والتباسه به ، وعن ابن عباس الحرم كله مسجد ، وهذا قول الأكثرين وقوله : ﴿إلى المسجد الاقصا﴾ اتفقوا على أن المراد منه بيت المقدس وسمي بالأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام وقوله : ﴿الذى باركنا حوله ﴾ قيل بالثمار والأزهار ، وقيل بسبب أنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة.
واعلم أن كلمة ﴿إلى ﴾ لانتهاء الغاية فمدلول قوله : ﴿إلى المسجد الاقصا﴾ أنه وصل إلى حد ذلك / المسجد فأما أنه

دخل ذلك المسجد أم لا فليس في اللفظ دلالة عليه ، وقوله : ﴿لنريه من ءاياتنآ ﴾ يعني ما رأى في تلك الليلة من العجائب والآيات التي تدل على قدرة الله تعالى.

فإن قالوا : قوله : ﴿لنريه من ءاياتنآ ﴾ يدل على أنه تعالى ما أراه إلا بعض الآيات ، لأن كلمة ﴿من﴾ تفيد التبعيض ، وقال في حق إبراهيم : ﴿وكذالك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والارض﴾ (الأنعام : ٧٥) فيلزم أن يكون معراج إبراهيم عليه السلام أفضل من معراج محمد صلى الله عليه وسلم.

قلنا : الذي رآه إبراهيم ملكوت السموات والأرض ، والذي رآه محمد صلى الله عليه وسلم بعض آيات الله تعالى ، ولا شك أن آيات الله أفضل.". (١)

٤١٢-"الحجة الثالثة : أنه تعالى ذكر مراتب الخلقة الجسمانية فقال : ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين﴾ (المؤمنون : ١٢ ، ١٣) إلى قوله : ﴿فكسونا العظام لحما﴾ (المؤمنون : ١٤) ولا شك أن جميع هذه المراتب اختلافات واقعة في الأحوال الجسمانية ثم إنه تعالى لما أراد أن يذكر نفخ الروح قال : ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ وهذا تصريح بأن ما يتعلق بالروح جنس مغاير لما سبق ذكره من التغيرات الواقعة في الأحوال الجسمانية وذلك يدل على أن الروح شيء مغاير للبدن فإن قالوا هذه الآية حجة عليكم لأنه تعالى قال : ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين﴾ وكلمة من للتبعيض وهذا يدل على أن الإنسان بعض من أبعاض الطين قلنا كلمة من أصلها لابتداء الغاية كقولك خرجت من البصرة إلى الكوفة فقوله تعالى : ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين﴾ يقتضي أن يكون ابتداء تخليق الإنسان حاصلا من هذه السلالة ونحن نقول بموجبه لأنه تعالى يسوي المزاج أولا ثم ينفخ فيه الروح فيكون ابتداء تخليقه من السلالة.

الحجة الرابعة : قوله : ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى﴾ (الحجر : ٢٩) ميز تعالى بين البشرية وبين نفخ الروح فالتسوية عبارة عن تخليق الأبعاض والأعضاء وتعديل المزاج والأشباح فلما ميز نفخ الروح عن تسوية الأعضاء ثم أضاف الروح إلى نفسه بقوله : ﴿من روحى﴾ دل ذلك على أن جوهر الروح معنى مغاير لجوهر الجسد.

الحجة الخامسة : قوله تعالى : ﴿ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها﴾ (الشمس : ٧ ، ٨) وهذه الآية صريحة في وجود شيء موصوف بالإدراك والتحريك حقا لأن الإلهام عبارة عن الإدراك ، وأما الفجور والتقوى فهو فعل وهذه الآية صريحة في أن الإنسان شيء واحد وهو موصوف أيضا بالإدراك والتحريك وموصوف أيضا بفعل الفجور تارة وفعل التقوى تارة أخرى ومعلوم أن جملة البدن غير موصوف بهذين الوصفين فلا بد من إثبات جوهر آخر يكون موصوفا بكل هذه الأمور.

/

جزء : ٢١ رقم الصفحة : ٣٩١

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٢٧٧١

الحجة السادسة : قوله تعالى : ﴿إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا﴾ (الإنسان : ٢) فهذا تصريح بأن الإنسان شيء واحد وذلك الشيء هو المبتلي بالتكاليف الإلهية والأمور الربانية وهو الموصوف بالسمع والبصر ومجموع البدن ليس كذلك وليس عضوا من أعضاء البدن كذلك فالنفس شيء مغاير لجملة البدن ومغاير لأجزاء البدن وهو موصوف بكل هذه الصفات. واعلم أن الأحاديث الواردة في صفة الأرواح قبل تعلقها بالأجساد وبعد انفصالها من الأجساد كثيرة وكل ذلك يدل على أن النفس شيء غير هذا الجسد ، والعجب ممن يقرأ هذه الآيات الكثيرة ويروي هذه الأخبار الكثيرة ثم يقول توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان يعرف الروح وهذا **من العجائب** والله أعلم.

المسألة السابعة : في دلالة الآية التي نحن في تفسيرها على صحة ما ذكرناه أن الروح لو كان جسما منتقلا من حالة إلى حالة ومن صفة إلى صفة لكان مساويا للبدن في كونه متولدا من أجسام اتصفت بصفات مخصوصة بعد أن كانت موصوفة بصفات أخرى فإذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وجب أن يبين أنه جسم كان كذا ثم صار كذا حتى صار روحا مثل ما ذكر في كيفية تولد البدن أنه كان نطفة ثم علقة ، ثم مضغة فلما لم يقل ذلك بل قال : ﴿إنه من الصالحين﴾ بمعنى أنه لا يحدث ولا يدخل في الوجود إلا لأجل أن الله تعالى قال له : ﴿كن فيكون﴾ (البقرة : ١١٧) دل ذلك على أنه جوهر ليس من جنس الأجسام بل هو جوهر قدسي مجرد واعلم أن أكثر العارفين المكاشفين من أصحاب الرياضيات وأرباب المكاشفات والمشاهدات مصرون على هذا القول جازمون بهذا المذهب قال الواسطي : خلق الله الأرواح من بين الجمال والبهاء فلولا أنه سترها لسجد لها كل كافر ، وأما بيان أن تعلقه الأول بالقلب ثم بواسطته يصل تأثيره إلى جملة الأعضاء فقد شرحناه في تفسير قوله تعالى : ﴿نزل به الروح الامين * على قلبك لتكون من المنذرين﴾ (الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤) واحتج المنكرون بوجوه. الأول : لو كانت مساوية لذات الله في كونه ليس بجسم ولا عرض لكانت مساوية له في تمام الماهية وذلك محال. الثاني : قوله تعالى : ﴿قتل الانسان مآ أكفره * من أى شىء خلقه * من نطفة خلقه فقدره * ثم السبيل يسره * ثم أماته فأقبره * ثم إذا شآء أنشره ﴾ (

جزء : ٢١ رقم الصفحة : ٣٩١

." (١)

٤١٣-"﴿يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ﴾ (النساء : ١٧٦). والحادية عشر : ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ﴾ (البقرة : ١٨٦) إذا عرفت هذا فنقول جاءت هذه الأسئلة والأجوبة على صور مختلفة ، فالأغلب فيها أنه سبحانه وتعالى لما ذكر السؤال قال لمحمد صلى الله عليه وسلم قل وفي صورة أخرى جاء الجواب بصيغة فقل مع فاء التعقيب وفي صورة ثالثة ذكر السؤال ولم يذكر الجواب ، وهو قوله تعالى : ﴿يسالونك عن الساعة أيان مرساها ﴾ (الأعراف : ١٨٧) وفي صورة رابعة ذكر الجواب ولم يذكر فيه لفظ قل ولا لفظ فقل وهو قوله تعالى : ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ﴾ ولا بد لهذه الأشياء من الفائدة فنقول : أما الأجوبة الواردة بلفظ قل فلا إشكال فيها لأن قوله تعالى قل كالتوقيع

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٢٨٦٢

المحدد في ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكالتشريف المحدد في كونه مخاطبا من الله تعالى بأداء الوحي والتبليغ. وأما الصورة الثانية وهي قوله : ﴿فقل ينسفها ربى نسفا﴾ (طه : ١٠٥) فالسبب أن قولهم : ﴿ويسالونك عن الجبال﴾ (طه : ١٠٥) سؤال إما عن قدمها أو عن وجوب بقائها وهذه المسألة من أمهات مسائل أصول الدين فلا جرم أمر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم أن يجيب بلفظ / الفاء المفيد للتعقيب كأنه سبحانه قال يا محمد أجب عن هذا السؤال في الحال ولا تقتصر فإن الشك فيه كفر ولا تمهل هذا الأمر لئلا يقعوا في الشك والشبهة ، ثم كيفية الجواب أنه قال : ﴿فقل ينسفها ربى نسفا﴾ ولا شك أن النسف ممكن لأنه ممكن في حق كل جزء من أجزاء الجبل والحس يدل عليه فوجب أن يكون ممكنا في حق كل الجبل وذلك يدل على أنه ليس بقديم ولا واجب الوجود لأن القديم لا يجوز عليه التغير والنسف ، فإن قيل : إنهم قالوا : أخبرنا عن إلهك أهو ذهب أو فضة أو حديد فقال : ﴿قل هو الله أحد﴾ (الإخلاص : ١) ولم يقل فقل هو الله أحد مع أن هذه المسألة من المهمات قلنا إنه تعالى لم يحك في هذا الموضع سؤالهم وحرف الفاء من الحروف العاطفة فيستدعي سبق كلام فلما لم يوجد ترك الفاء بخلاف ههنا فإنه تعالى حكى سؤالهم فحسن عطف الجواب عليه بحرف الفاء. وأما الصورة الثالثة : فإنه تعالى لم يذكر الجواب في قوله :

جزء : ٢٢ رقم الصفحة : ٤٦

﴿يسالونك عن الساعة أيان مرساها ﴾ فالحكمة فيه أن معرفة وقت الساعة على التعيين مشتملة على المفاسد التي شرحناها فيما سبق فلهذا لم يذكر الله تعالى ذلك الجواب وذلك يدل على أن من الأسئلة ما لا يجاب عنها. وأما الصورة الرابعة : وهي قوله : ﴿فإني قريب ﴾ ولم يذكر في جوابه قل ففيه وجوه. أحدها : أن ذلك يدل على تعظيم حال الدعاء وأنه من أعظم العبادات فكأنه سبحانه قال : يا عبادي أنت إنما تحتاج إلى الواسطة في غير الدعاء أما في مقام الدعاء فلا واسطة بيني وبينك يدل عليه أن كل قصة وقعت لم تكن معرفتها من المهمات. قال لرسوله صلى الله عليه وسلم : اذكر لهم تلك القصة كقوله تعالى : ﴿واتل عليهم نبأ ابنى ءادم بالحق﴾ (المائدة : ٢٧). ﴿واتل عليهم نبأ الذى ءاتيناه ءاياتنا فانسلخ منها﴾ (الأعراف : ١٧٥). ﴿واذكر فى الكتاب موسى ا ﴾ (مريم : ٥١) ، ﴿واذكر فى الكتاب إسماعيل ﴾ (مريم : ٥٤). ﴿واذكر فى الكتاب إدريس ﴾ (مريم : ٥٦). ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم﴾ (الحجر : ٥١) ، ثم قال في قصة يوسف : ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ (يوسف : ٣) وفي أصحاب الكهف : ﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق ﴾ (الكهف : ١٣). وما ذاك إلالما في هاتين القصتين **من العجائب** والغرائب ، والحاصل كأنه سبحانه وتعالى قال : يا محمد إذا سئلت عن غيري فكن أنت المجيب ، وإذا سئلت عني فاسكت أنت حتى أكون أنا القائل. وثانيها : أن قوله : ﴿وإذا سألك عبادي عني﴾ يدل على أن العبد له (أن يسأل) وقوله : ﴿فإني قريب ﴾ يدل على أن الرب قريب من العبد. وثالثها : لم يقل فالعبد مني قريب ، بل قال أنا منه قريب ، وهذا فيه سر نفيس فإن العبد ممكن الوجود فهو من حيث هو ، هو في مركز العدم وحضيض الفناء ، فكيف يكون قريبا ، بل القريب هو الحق سبحانه وتعالى فإنه بفضله وإحسانه جعله موجودا وقربه من نفسه فالقرب منه لا من العبد فلهذا قال : ﴿فإني قريب ﴾ .

جزء : ٢٢ رقم الصفحة : ٤٦

". (١)

٤١٤-"فالمعنى لما علموا شدة عذابنا وبطشنا علم حس ومشاهدة ركضوا في ديارهم ، والركض ضرب الدابة بالرجل ، ومنه قوله تعالى : ﴿اركض برجلك ﴾ فيجوز أن يكونوا ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب ، ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين ، أما قوله : ﴿لا تركضوا ﴾ قال صاحب "الكشاف" : القول محذوف ، فإن قلت من القائل قلنا يحتمل أن يكون بعض الملائكة ومن ثم من المؤمنين ، أو يكونوا خلقاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل ، أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم أو يلهمهم ذلك فيحدثون به نفوسهم ، أما قوله : ﴿وارجعوا إلى مآ أترفتم فيه ومساكنكم﴾ أي من العيش والرفاهية والحال الناعمة ، والإتراف إبطار النعمة وهي الترفه ، أما قوله تعالى : ﴿لعلكم تسالون﴾ فهو تهكم بهم وتوبيخ ، ثم فيه وجوه : أحدها : أي ارجعوا إلى نعمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة. وثانيها : ارجعوا كما كنتم في مجالسكم حتى تسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقول لكم بم تأمرون وماذا ترسمون كعادة المخدومين. وثالثها : تسألكم الناس في أنديتكم لتعاونوهم في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات ويستعينون بآرائكم. ورابعها : يسألكم الوافدون عليكم والطامعون فيكم إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم وتوبيخا إلى توبيخ ، أما قوله تعالى : ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ لأنها عدوى كأنه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم ، والدعوى بمعنى الدعوة قال تعالى : ﴿تجرى من تحتهم الانهار في جنات النعيم * دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلاما وءاخر دعواهم﴾ (يونس : ١٠) فإن قلت : لم سميت دعوى ؟

قلت : لأنهم كانوا دعوا بالويل : ﴿فقالوا ياليتنا﴾ أي يا ويل احضر فهذا وقتك ، وتلك مرفوع أو منصوب إسما أو خبرا وكذلك : ﴿كان دعواهم﴾ قال المفسرون : لم يزالوا يكررون هذه الكلمة فلم ينفعهم ذلك كقوله تعالى : ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ﴾ (غافر : ٨٥) أما قوله : ﴿حتى جعلناهم حصيدا خامدين﴾ / فالحصيد الزرع المحصود أي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم ، كما تقول جعلناهم رمادا أي مثل الرماد فإن قيل : كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل ، قلت : حكم الاثنين الأخيرين حكم الواحد والمعنى جعلناهم جامعين لهذين الوصفين ، والمراد أنهم أهلكوا بذلك العذاب حتى لم يبق لهم حس ولا حركة وجفوا كما يجف الحصيد ، وخمدوا كما تخمد النار.

جزء : ٢٢ رقم الصفحة : ١٢٤

١٢٥

اعلم أن فيه مسائل :

المسألة الأولى : في تعلق هذه الآية بما قبلها وجهان : الأول : أنه تعالى لما بين إهلاك أهل القرية لأجل تكذيبهم اتبعه بما

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٣٠٣٨

يدل على أنه فعل ذلك عدلا منه ومجازاة على ما فعلوا فقال : ﴿وما خلقنا السمآء والارض وما بينهما لاعبين﴾ أي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما **من العجائب** والغرائب كما تسوى الجبابرة سقوفهم وفرشهم للهو واللعب ، وإنما سويناهم لفوائد دينية ودنيوية أما الدينية فليتفكر المتفكرون فيها على ما قال تعالى : ﴿ويتفكرون فى خلق السماوات والارض﴾ (آل عمران : ١٩١) وأما الدنيوية فلما يتعلق بها من المنافع التي لا تعد ولا تحصى وهذا كقوله : ﴿وما خلقنا السمآء والارض وما بينهما لاعبين﴾ (ص : ٢٧) وقوله : ﴿ما خلقناهمآ إلا بالحق﴾ (الدخان : ٣٩). والثاني : أن الغرض منه تقرير نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والرد على منكريه لأنه أظهر المعجزة عليه فإن كان محمد كاذبا كان إظهار المعجزة عليه من باب اللعب وذلك منفي عنه وإن كان صادقا فهو المطلوب وحينئذ يفسد كل ما ذكروه من المطاعن.

". (١)

٤١٥-"واعلم أن التحقيق ما ذكره صاحب "الكشاف" وهو أن هذه اللام هي لام التعليل على سبيل المجاز ، وذلك لأن مقصود الشيء وغرضه يؤول إليه أمره فاستعملوا هذه اللام فيما يؤول إليه الشيء على سبيل التشبيه ، كإطلاق لفظ الأسد على الشجاع والبليد على الحمار ، قرأ حمزة والكسائي (حزنا) بضم الحاء وسكون الزاي والباقون بالفتح وهما لغتان مثل السقم والسقم.

أما قوله : كانوا خاطئين ففيه وجهان : أحدهما : قال الحسن معنى ﴿كانوا خاطاين﴾ ليس من الخطيئة بل المعنى وهم لا يشعرون أنه الذي يذهب بملكهم ، وأما جمهور المفسرين فقالوا معناه كانوا خاطئين فيما كانوا عليه من الكفر والظلم ، فعاقبهم الله تعالى بأن ربي عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم ، وقرىء تخفيف خاطئين أي خاطين الصواب إلى الخطأ وبين تعالى أنها التقطته ليكون قرة عين لها وله جميعا ، قال ابن إسحق إن الله تعالى ألقى محبته في قلبها لأنه كان في وجهه ملاحة كل من رآه أحبه ، ولأنها حين فتحت التابوت رأت النور ، ولأنها لما فتحت التابوت رأته يمتص إصبعه ، ولأن ابنة فرعون لما لطخت برصها بريقه زال برصها ويقال ما كان لها ولد فأحبته ، قال ابن عباس لما قالت : ﴿فرعون قرت عين لى ولك ﴾ فقال فرعون يكون لك وأما أنا فلا حاجة لي فيه ، فقال عليه السلام "والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له كما أقرت لهداه الله تعالى كما هداها" قال صاحب "الكشاف" ﴿قرت عين﴾ خبر مبتدأ محذوف ولا يقوى أن يجعل مبتدأ ﴿ولا تقاتلوهم﴾ خبرا ولو نصب لكان أقوى ، وقراءة ابن مسعود دليل على أنه خبر ، قرأ ﴿وقالت امرأت فرعون قرت عين لى ولكا لا تقتلوه﴾ ، وذلك لتقديم لا تقتلوه ، ثم قالت المرأة ﴿عسى ا أن ينفعنآ﴾ فنصيب / منه خيرا ﴿أو نتخذه ولدا﴾ لأنه أهل للتبني.

جزء : ٢٤ رقم الصفحة : ٥٨٢

أما قوله : ﴿وهم لا يشعرون﴾ فأكثر المفسرين على أنه ابتداء كلام من الله تعالى أي لا يشعرون أن هلاكهم بسببه وعلى

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٣١٢٢

يده ، وهذا قول مجاهد وقتادة والضحاك ومقاتل ، وقال ابن عباس يريد لا يشعرون إلى ماذا يصير أمر موسى عليه السلام. وقال آخرون هذا من تمام كلام المرأة أي لا يشعر بنو إسرائيل وأهل مصر أن التقطناه ، وهذا قول الكلبي.

جزء : ٢٤ رقم الصفحة : ٥٨٢

٥٨٣

ذكروا في قوله : ﴿فؤاد أم موسى فارغا ﴾ وجوها : أحدها : قال الحسن فارغا من كل هم إلا من هم موسى عليه السلام وثانيها : قال أبو مسلم فراغ الفؤاد هو الخوف والإشفاق كقوله : ﴿وأفادتهم هوآء﴾ (إبراهيم : ٤٣) ، وثالثها : قال صاحب "الكشاف" فارغا صفرا من العقل ، والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والخوف ورابعها : قال الحسن ومحمد بن إسحق فارغا من الوحي الذي أوحينا إليها أن ألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك فجاءها الشيطان فقال لها كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجر فتوليت إهلاكه ، ولما أتاها خبر موسى عليه السلام أنه وقع في يد فرعون فأنساها عظم البلاء ما كان من عهد الله إليها ، وخامسها : قال أبو عبيدة : فارغا من الحزن لعلمها بأنه لا يقتل اعتمادا على تكفل الله بمصلحته قال ابن قتيبة : وهذا **من العجائب** كيف يكون فؤادها فارغا من الحزن والله تعالى يقول : ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ وهل يربط إلا على قلب الجازع المحزون ، ويمكن أن يجاب عنه بأنه لا يمتنع أنها لشدة ثقتها بوعد الله لم تخف عند إظهار اسمه ، وأيقنت أنها وإن أظهرت فإنه يسلم لأجل ذلك الوعد إلا أنه كان في المعلوم أن الإظهار يضر فربط الله على قلبها ، ويحتمل قوله : ﴿إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها﴾ بالوحي فأمنت وزال عن قلبها الحزن ، فعلى هذا الوجه يصح أن يتأول على أن قلبها سلم من الحزن على موسى أصلا ، وفيه وجه ثالث : وهو أنها سمعت أن امرأة فرعون عطفت عليه وتبنته إن كادت لتبدي به بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحا بما سمعت ، لولا أن سكنا ما بها من شدة الفرح والابتهاج ﴿لتكون من المؤمنين﴾ الواثقين / بوعد الله تعالى لا يتبنى امرأة فرعون اللعين وبعطفها ، وقرىء (قرعا) أي خاليا من قولهم أعوذ بالله من صفر الإناء وقرع الفناء وفرغا من قولهم : دماؤهم بينهم فرغ أي هدر يعني بطل قلبها من شدة ما ورد عليها.

جزء : ٢٤ رقم الصفحة : ٥٨٣

". (١)

٤١٦-"﴿وشاهد ومشهود﴾ وهذا يناسب أن يكون المراد بالشاهد من يحضر في ذلك اليوم من الخلائق ، وبالمشهود ما في ذلك اليوم **من العجائب** الثالث : أن الله تعالى وصف يوم القيامة بكونه مشهودا في قوله : ﴿فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾ (مريم : ٣٧) وقال : ﴿ذالك يوم مجموع له الناس وذالك يوم مشهود﴾ (هود : ١٠٣) وقال : ﴿يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ﴾ (الإسراء : ٥٢) وقال : ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ (يس : ٥٣) وطريق تنكيرهما إما ما ذكرناه في تفسير قوله تعالى : ﴿علمت نفس مآ أحضرت﴾ (التكوير : ١٤) كأنه قيل :

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٣٤٨١

وما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود ، وأما الإبهام في الوصف كأنه قيل : وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما ، وإنما حسن القسم بيوم القيامة للتنبيه على القدرة إذ كان هو يوم الفصل والجزاء ويوم تفرد الله تعالى فيه بالملك والحكم ، وهذا الوجه اختيار ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن بن علي وابن المسيب والضحاك والنخعي والثوري وثانيها : أن يفسر المشهود بيوم الجمعة وهو قول ابن عمر وابن الزبير : وذلك لأنه يوم يشهده المسلمون للصلاة ولذكر الله. ومما يدل على كون هذا اليوم مسمى بالمشهود خبران الأول : ما روى أبو الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة" والثاني : ما روى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال : "تحضر الملائكة أبواب المسجد فيكتبون الناس فإذا خرج الإمام طويت الصحف" وهذه الخاصية غير موجودة إلا في هذا اليوم فيجوز أن يسمى مشهودا لهذا المعنى ، قال الله تعالى : ﴿أقم الصلواة لدلوك الشمس إلى غسق اليل﴾ (الإسراء : ٧٨) وروى : "أن ملائكة الليل والنهار يحضرون وقت صلاة الفجر فسميت هذه الصلاة مشهودة لشهادة الملائكة" فكذا يوم الجمعة وثالثها : أن يفسر المشهود بيوم عرفة والشاهد من يحضره من الحاج وحسن القسم به تعظيما لأمر الحج روي أن الله تعالى يقول للملائكة يوم عرفة : "أنظروا إلى عبادي شعثا غبرا أتوني من كل فج عميق أشهدكم أني قد غفرت لهم وأن إبليس يصرخ ويضع التراب على رأسه لما يرى من ذلك" والدليل على أن يوم عرفة مسمى بأنه مشهود قوله تعالى :
جزء : ٣١ رقم الصفحة : ١١٢
﴿وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا منافع لهم﴾ (الحج : ٢٨,٢٧) ، ورابعها : أن يكون المشهود يوم النحر وذلك لأنه أعظم المشاهد في الدنيا فإنه يجتمع أهل الشرق والغرب في ذلك اليوم بمنى والمزدلفة وهو عيد المسلمين ، ويكون الغرض من القسم به تعظيم أمر الحج وخامسها : حمل الآية على يوم / الجمعة ويوم عرفة ويوم النحر جميعا لأنها أيام عظام فأقسم الله بها كما أقسم بالليالي العشر والشفع والوتر ، ولعل الآية عامة لكل يوم عظيم من أيام الدنيا ولكل مقام جليل من مقاماتها وليوم القيامة أيضا لأنه يوم عظيم كما قال : ﴿ليوم عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ (المطففين : ٦,٥) وقال : ﴿فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾ (مريم : ٣٧) ويدل على صحة هذا التأويل خروج اللفظ في الشاهد والمشهود على النكرة ، فيحتمل أن يكون ذلك على معنى أن القصد لم يقع فيه إلى يوم بعينه فيكون معرفا أما الوجه الأول : وهو أن يحمل الشاهد على من تثبت الدعوى بقوله ، فقد ذكروا على هذا التقدير وجوها كثيرة أحدها : أن الشاهد هو الله تعالى لقوله : ﴿شهد الله أنه لا إلاه إلا هو﴾ (آل عمران : ١٨) وقوله : ﴿قل أى شىء أكبر شهادةا قل الله ﴾ (الأنعام : ١٩) وقوله : ﴿أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد﴾ (فصلت : ٥٣) والمشهود هو التوحيد ، لقوله : ﴿شهد الله أنه لا إلاه إلا هو﴾ أو النبوة : ﴿قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم﴾ وثانيها : أن الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم ، والمشهود عليه سائر الأنبياء ، لقوله تعالى : ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمةا بشهيد وجئنا بك على ها ؤلاء شهيدا﴾ (النساء : ٤١) ولقوله تعالى : ﴿إنآ أرسلناك شاهدا﴾ (الفتح : ٨) وثالثها : أن يكون الشاهد هو الأنبياء ، والمشهود عليه هو الأمم ، لقوله تعالى : ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمةا بشهيد﴾ ،
جزء : ٣١ رقم الصفحة : ١١٢

". (١)

٤١٧-"أما المقام الأول : فنقول الإبل له خواص منها أنه تعالى جعل الحيوان الذي يقتني أصنافا شتى فتارة يقتني ليؤكل لحمه وتارة ليشرب لبنه وتارة ليحمل الإنسان في الأسفار وتارة / لينقل أمتعة الإنسان من بلد إلى بلد وتارة ليكون له به زينة وجمال وهذه المنافع بأسرها حاصلة في الإبل ، وقد أبان الله عز وجل عن ذلك بقوله : ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينآ أنعاما فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون﴾ (يس : ٧٢,٧١) ، قال : ﴿والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الانفس ﴾ (النحل : ٧,٥) وإن شيئا من سائر الحيوانات لا يجتمع فيه هذه الخصال فكان اجتماع هذه الخصال فيه **من العجائب** وثانيها : أنه في كل واحد من هذه الخصال أفضل من الحيوان الذي لا يوجد فيه إلا تلك الخصلة لأنها إن جعلت حلوبة سقت فأروت الكثير ، وإن جعلت أكولة أطعمت وأشبعت الكثير ، وإن جعلت ركوبة أمكن أن يقطع بها من المسافات المديدة ما لا يمكن قطعه بحيوان آخر ، وذلك لما ركب فيها من قوة احتمال المداومة على السير والصبر على العطش والاجتزاء من العلوفات بما لا يجتزىء حيوان آخر ، وإن جعلت حملة استغلت بحمل الأحمال الثقيلة التي لا يستقل بها سواها ، ومنها أن هذا الحيوان كان أعظم الحيوانات وقعا في قلب العرب ولذلك فإنهم جعلوا دية قتل الإنسان إبلا ، وكان الواحد من ملوكهم إذا أراد المبالغة في إعطاء الشاعر الذي جاءه من المكان البعيد أعطاه مائة بعير ، لأن امتلاء العين منه أشد من امتلاء العين من غيره ، ولهذا قال تعالى : ﴿ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون﴾ (النحل : ٦) ومنها أني كنت مع جماعة في مفازة فضللنا الطريق فقدموا جملا وتبعوه فكان ذلك الجمل ينعطف من تل إلى تل ومن جانب إلى جانب والجميع كانوا يتبعونه حتى وصل إلى الطريق بعد زمان طويل فتعجبنا من قوة تخيل ذلك بالحيوان أنه بالمرة الواحدة كيف انحفظت في خياله صورة تلك المعاطف حتى أن الذين عجز جمع من العقلاء إلى الاهتداء إليه فإن ذلك الحيوان اهتدى إليه ، ومنها أنها مع كونها في غاية القوة على العمل مباينة لغيرها في الانقياد والطاعة لأضعف الحيوانات كالصبي الصغير ، ومباينة لغيرها أيضا في أنها يحمل عليها وهي باركة ثم تقوم ، فهذه الصفات الكثيرة الموجودة فيها توجب على العاقل أن ينظر في خلقتها وتركيبها ويستدل بذلك على وجود الصانع الحكيم سبحانه ، ثم إن العرب من أعرف الناس بأحوال الإبل في صحتها وسقمها ومنافعها ومضارها فلهذه الأسباب حسن من الحكيم تعالى أن يأمر بالتأمل في خلقتها. ثم قال تعالى :

جزء : ٣١ رقم الصفحة : ١٤٦

١٤٦

أي رفعا بعيد المدى بلا إمساك وبغير عمد.

جزء : ٣١ رقم الصفحة : ١٤٦

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٤٧٠٩

١٤٦
نصبا ثابتا فهي راسخة لا تميل ولا تزول.
جزء : ٣١ رقم الصفحة : ١٤٦
١٤٧
سطحا بتمهيد وتوطئة ، فهي مهاد للمتقلب عليها ، ومن / الناس من استدل بهذا على أن الأرض ليست بكرة وهو ضعيف ، لأن الكرة إذا كانت في غاية العظمة يكون كل قطعة منها كالسطح ، وقرأ علي عليه السلام كيف خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير ، والتقدير فعلتها ، فحذف المفعول.
". (١)

٤١٨-"المسألة الثالثة : قال الفراء : الزلزال بالكسر المصدر والزلزال بالفتح الاسم ، وقد قرىء بهما ، وكذلك الوسواس هم الاسم أي اسم الشيطان الذي يوسوس إليك ، والوسواس بالكسر / المصدر ، والمعنى : حركت حركة شديدة ، كما قال : ﴿إذا رجت الارض رجا﴾ وقال قوم : ليس المراد من زلزلت حركت ، بل المراد : تحركت واضطربت ، والدليل عليه أنه تعالى يخبر عنها في جميع السورة كما يخبر عن المختار القادر ، ولأن هذا أدخل في التهويل كأنه تعالى يقول : إن الجماد ليضطرب لأوائل القيامة ، أما آن لك أن تضطرب وتتيقظ من غفلتك ويقرب منه : ﴿لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ﴾ واعلم أن زل للحركة المعتادة ، وزلزل للحركة الشديدة العظيمة ، لما فيه من معنى التكرير ، وهو كالصرصر في الريح ، ولأجل شدة هذه الحركة وصفها الله تعالى بالعظم فقال : ﴿إن زلزلة الساعة شىء عظيم﴾ .
المسألة الرابعة : قال مجاهد : المراد من الزلزلة المذكورة في هذه الآية النفخة الأولى كقوله : ﴿يوم ترجف الراجفة * تتبعها الرادفة﴾ أي تزلزل في النفخة الأولى ، ثم تزلزل ثانيا فتخرج موتاها وهي الأثقال ، وقال آخرون : هذه الزلزلة هي الثانية بدليل أنه تعالى جعل من لوازمها أنها تخرج الأرض أثقالها ، وذلك إنما يكون في الزلزلة الثانية.
المسألة الخامسة : في قوله : ﴿زلزالها﴾ بالإضافة وجوه أحدها : القدر اللائق بها في الحكمة ، كقولك : أكرم التقي إكرامه وأهن الفاسق إهانته ، تريد ما يستوجبانه من الإكرام والإهانة والثاني : أن يكون المعنى زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه/ والمعنى أنه وجد من الزلزلة كل ما يحتمله المحل والثالث : ﴿زلزالها﴾ الموعود أو المكتوب عليها إذا قدرت تقدير الحي ، تقريره ماروى أنها تزلزل من شدة صوت إسرافيل لما أنها قدرت تقدير الحي.
جزء : ٣٢ رقم الصفحة : ٢٥٦
٢٥٦
أما قوله : ﴿وأخرجت الارض أثقالها﴾ ففيه مسألتان :
المسألة الأولى : في الأثقال قولان : ﴿أحدهمآ﴾ أنه جمع ثقل وهو متاع البيت : ﴿وتحمل أثقالكم﴾ جعل ما في جوفها من

---
(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٤٧٣٧

الدفائن أثقالا لها ، قال أبو عبيدة والأخفش : إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها ، وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها ، وقيل : سمي الجن والإنس بالثقلين لأن الأرض تثقل بهم إذا كانوا في بطنها ويثقلون عليها إذا كانوا فوقها ، ثم قال : المراد من هذه الزلزلة ، الزلزلة الأولى يقول : أخرجت الأرض أثقالها ، يعني الكنوز فيمتلىء ظهر الأرض ذهبا ولا أحد يلتفت إليه ، كأن الذهب يصيح ويقول : أما كنت تخرب دينك ودنياك لأجلي أو تكون الفائدة في إخراجها كما قال تعالى : ﴿يوم يحمى عليها فى نار جهنم﴾ ومن قال : المراد من هذه الزلزلة الثانية وهي بعد القيامة. قال : تخرج الأثقال يعني الموتى أحياء كالأم تلده حيا ، وقيل : تلفظه الأسرار ، ولذلك قال : ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ فتشهد لك أو عليك.

/ المسألة الثانية : أنه تعالى قال في صفة الأرض : ﴿ألم نجعل الارض كفاتا﴾ ثم صارت بحال ترميك وهو تقرير لقوله : ﴿تذهل كل مرضعة عمآ أرضعت﴾ وقوله : ﴿يوم يفر المرء﴾ .

جزء : ٣٢ رقم الصفحة : ٢٥٦

٢٥٦

أما قوله تعالى : ﴿وقال الانسان﴾ ففيه مسائل :

المسألة الأولى : مالها تزلزل هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها ، وذلك إما عند النفخة الأولى حين تلفظ ما فيها من الكنوز والدفائن ، أو عند النفخة الثانية حين تلفظ ما فيها من الأموات.

المسألة الثانية : قيل : هذا قول الكافر وهو كما يقولون : ﴿ياويلنا منا بعثنا من مرقدنا ﴾ فأما المؤمن فيقول : ﴿هاذا ما وعد الرحمان وصدق المرسلون﴾ وقيل : بل هو عام في حق المؤمن والكافر أي الإنسان الذي هو كنود جزوع ظلوم الذي من شأنه الغفلة والجهالة : يقول : مالها وهو ليس بسؤال بل هو للتعجب ، لما يرى **من العجائب** التي لم تسمع بها الآذان. ولا تطلق بها لسان ، ولهذا قال : الحسن إنه للكافر والفاجر معا.

المسألة الثالثة : إنما قال : على غير المواجهة لأنه يعاتب بهذا الكلام نفسه ، كأنه يقول : يا نفس ما للأرض تفعل ذلك يعني يا نفس أنت السبب فيه فإنه لولا معاصيك لما صارت الأرض كذلك فالكفار يقولون : هذا الكلام والمؤمنون يقولون : ﴿وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ﴾ .

جزء : ٣٢ رقم الصفحة : ٢٥٦

٢٥٨

أما قوله تعالى : ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ فاعلم أن ابن مسعود قرأ : ﴿تحدث أخبارها﴾ وسعيد بن جبير تنبيء ثم فيه سؤالات :

الأول : أين مفعولا تحدث ؟

الجواب : قد حذف أولهما والثاني أخبارها وأصله تحدث الخلق أخبارها إلا أن المقصود ذكر تحديثها الأخبار لا ذكر الخلق تعظيما.

". (١)

٤١٩-"الأولى وهم الذين أنعمت عليهم بهذه الأنوار الربانية والجلايا النورانية ولا تجعلني في زمرة الفرقة الثانية وهم المغضوب عليهم والضالون فإن متابعة هذه الفرقة لا تفيد إلا الخسار والهلاك كما قال إبراهيم عليه السلام

لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا والله أعلم

الباب الرابع

في المسائل الفقهية المستنبطة من هذه السورة

المسألة الأولى أجمع الأكثرون على أن القراءة واجبة في الصلاة وعن الأصم والحسن بن صالح أنها لا تجب لنا أن كل دليل نذكره في بيان أن قراءة الفاتحة واجبة فهو يدل على أن أصل القراءة واجب ونزيد ههنا وجوها الأول قوله تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق اليل وقرءان الفجر الإسراء ٧٨ والمراد بالقرآن القراءة والتقدير أقم قراءة الفجر وظاهر الأمر للوجوب الثاني

عن أبي الدرداء أن رجلا سأل النبي فقال أفي الصلاة قراءة فقال نعم فقال السائل وجبت فأقر النبي ذلك الرجل على قوله وجبت الثالث عن ابن مسعود أن النبي سئل أيقرأ في الصلاة فقال – عليه الصلاة والسلام –

أتكون صلاة بغير قراءة وهذان الخبران نقلتهما من تعليق الشيخ أبي حامد الإسفرايني حجة الأصم قوله – عليه الصلاة والسلام –

صلوا كما رأيتموني أصلي جعل الصلاة من الأشياء المرئية والقراءة ليست بمرئية فوجب كونها خارجة عن الصلاة والجواب أن الرؤية إذا كانت متعدية إلى مفعولين كانت بمعنى العلم المسألة الثانية قال الشافعي – رحمه الله – قراءة الفاتحة واجبة في الصلاة فإن ترك منها حرفا واحدا وهو يحسنها لم تصح صلاته وبه قال الأكثرون وقال أبو حنيفة لا تجب قراءة الفاتحة لنا وجوه الأول أنه – عليه الصلاة والسلام – واظب طول عمره على قراءة الفاتحة في الصلاة فوجب أن يجب علينا ذلك لقوله تعالى واتبعوه الأعراف ١٥٨ ولقوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره النور ٦٣ ولقوله تعالى فاتبعوني يحببكم الله آل عمران ٣١ ويا للعجب من أبي حنيفة أنه تمسك في وجوب مسح الناصية بخبر واحد وذلك ما رواه المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه عن النبي أنه أتى سباطة قوم فبال وتوضأ ومسح على ناصيته وخفيه في أنه – عليه الصلاة والسلام – مسح على الناصية فجعل ذلك القدر من المسح شرطا لصحة الصلاة وههنا نقل أهل العلم نقلا متواترا أنه – عليه الصلاة والسلام – واظب طول عمره على قراءة الفاتحة ثم قال إن صحة الصلاة غير موقوفة عليها وهذا **من العجائب** الحجة الثانية قوله تعالى أقيموا الصلاة البقرة ٤٣ والصلاة لفظة مفردة محلاة بالألف واللام فيكون المراد منها المعهود السابق وليس عند

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- موافق للمطبوع ص/٤٨١٦

المسلمين معهود سابق من لفظ الصلاة إلا الأعمال التي كان". [1]

٤٢٠-"وانتظارهم لخروج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واستفتاحهم به على مشركي العرب فلما خرج كفروا به فكان انتظارهم لمحمد (صلى الله عليه وسلم) كإيقاد النار وكفرهم به بعد ظهوره كزوال ذلك النور
المسألة الثالثة فأما تشبيه الإيمان بالنور والكفر بالظلمة فهو في كتاب الله تعالى كثير والوجه فيه أن النور قد بلغ النهاية في كونه هاديا إلى المحجة وإلى طريق المنفعة وإزالة الحيرة وهذا حال الإيمان في باب الدين فشبه ما هو النهاية في إزالة الحيرة ووجدان المنفعة في باب الدين بما هو الغاية في باب الدنيا وكذلك القول في تشبيه الكفر بالظلمة لأن الضال عن الطريق المحتاج إلى سلوكه لا يرد عليه من أسباب الحرمان والتحير أعظم من الظلمة ولا شيء كذلك في باب الدين أعظم من الكفر فشبه تعالى أحدهما بالآخر فهذا هو الكلام فيما هو المقصود الكلي من هذه الآية بقيت ههنا أسئلة وأجوبة تتعلق بالتعلق بالتفاصيل السؤال الأول قوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا يقتضى تشبيه مثلهم بمثل المستوقد فما مثل المنافقين ومثل المستوقد حتى شبه أحدهما بالآخر والجواب استعير المثل للقصة أو للصفة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل قصتهم العجيبة كقصة الذي استوقد نارا وكذا قوله مثل الجنة التي وعد المتقون (الرعد ٣٥) أي فيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ولله المثل الاعلى (النحل ٦٠) أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة مثلهم فى التوراة (الفتح ٢٩) أي وصفهم وشأنهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثله في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن السؤال الثاني كيف مثلت الجماعة بالواحد والجواب من وجوه أحدها أنه يجوز في اللغة وضع (الذي) موضع (الذين) كقوله وخضتم كالذي خاضوا (التوبة ٦٩) وإنما جاز ذلك لأن (الذي) لكونه وصلة إلى وصف كل معرفة مجملة وكثرة وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته فهو حقيق بالتخفيف ولذلك أعلوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا فيه على اللام وحدها في أسماء الفاعلين والمفعولين وثانيها أن يكون المراد جنس المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذي استوقد نارا وثالثها وهو الأقوى أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد وإنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ومثله قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار (الجمعة ٥) وقوله ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت (محمد ٢٠) ورابعها المعنى ومثل كل واحد منهم كقوله يخرجكم طفلا (غافر ٦٧) أي يخرج كل واحد منكم السؤال الثالث ما الوقود وما النار وما الإضاءة وما النور ما الظلمة الجواب أما وقود النار فهو سطوعها وارتفاع لهبها وأما النار فهو جوهر لطيف مضيء حار محرق واشتقاقها من (نارينور) إذا نفر لأن فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها وهو ضوؤها والمنار العلامة والمنارة هي الشيء الذي يؤذن عليه ويقال أيضا للشيء الذي يوضع السراج عليه ومنه النورة لأنها تطهر البدن والإضاءة فرط الإنارة ومصداق ذلك قوله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا (يونس ٥) و (أضاء) يرد لازما ومتعديا تقول أضاء القمر الظلمة وأضاء

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع ١٥٦/١

القمر بمعنى استضاء قال الشاعر". [1]

٤٢١-"البروج وارتفاع قطبه وانحطاطه وحكي عن أبرخيس أنه كان يعتقد هذا الرأي وذكر بارياء الإسكندراني أن أصحاب الطلسمات كانوا يعتقدون ذلك وأن نقطة فلك البروج تتقدم عن موضعها وتتأخر ثمان درجات وقالوا إن ابتداء الحركة من (كب) درجة من الحوت إلى أول الحمل واعلم أن هذا الخبط مما ينبهك على أنه لا سبيل للعقول البشرية إلى إدراك هذه الأشياء وأنه لا يحيط بها إلا علم فاطرها وخالقها فوجب الاقتصار فيه على الدلائل السمعية فإن قال قائل فهل يدل التنصيص على سبع سموات على نفي العدد الزائد قلنا الحق أن تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد
المسألة السادسة قوله تعالى وهو بكل شى ء عليم يدل على أنه سبحانه وتعالى لا يمكن أن يكون خالقا للأرض وما فيها وللسموات وما فيها **من العجائب** والغرائب إلا إذا كان عالما بها محيطا بجزئياتها وكلياتها وذلك يدل على أمور أحدها فساد قول الفلاسفة الذين قالوا إنه لا يعلم الجزئيات وصحة قول المتكلمين و ذلك لأن المتكلمين استدلوا على علم الله تعالى بالجزئيات بأن قالوا إن الله تعالى فاعل لهذه الأجسام على سبيل الأحكام والاتقان وكل فاعل على هذا الوجه فإن لا بد وأن يكون عالما بما فعله وهذه الدلالة بعينها ذكرها الله تعالى في هذا الموضع لأنه ذكر خلق السموات والأرض ثم فرع على ذلك كونه عالما فثبت بهذا أن قول المتكلمين في هذا المذهب وفي هذا الاستدلال مطابق للقرآن وثانيها فساد قول المعتزلة وذلك لأنه سبحانه وتعالى بين أن الخالق للشيء على سبيل التقدير والتحديد لا بد وأن يكون عالما به وبتفاصيله لأن خالقه قد خصه بقدر دون قدر والتخصيص بقدر معين لا بد وأن يكون بإرادة وإلا فقد حصل الرجحان من غير مرجح والإرادة مشروطة بالعلم فثبت أن خالق الشيء لا بد وأن يكون عالما به على سبيل التفصيل فلو كان العبد موجدا لأفعال نفسه لكان عالما بها وبتفاصيلها في العدد والكمية والكيفية فلما لم يحصل هذا العلم علمنا أنه غير موجد نفسه وثالثها قالت المعتزلة إذا جمعت بين هذه الآية وبين قوله وفوق كل ذى علم عليم ظهر أنه تعالى عالم بذاته والجواب قوله تعالى وفوق كل ذى علم عليم عام وقوله أنزله بعلمه خاص والخاص مقدم على العام والله تعالى أعلم
وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدمآء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون
اعلم أن هذه الآية دالة على كيفية خلقة آدم عليه السلام وعلى كيفية تعظيم الله تعالى إياه فيكون ذلك إنعاما عاما على جميع بني آدم فيكون هذا هو النعمة الثالثة من تلك النعم العامة التي أوردها في هذا الموضع ثم فيه مسائل". [2]

٤٢٢-"عدم ذكر الله تعالى تلك الفضائل ههنا لا يدل على عدمها بالإجماع أو إذا ثبت أن لمحمد عليه السلام فضائل سوى الأمور المذكورة ههنا فلم لا يجوز أن يقال إن محمدا عليه السلام بسبب تلك الفضائل التي هي غير مذكورة

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ٦٨/٢

(٢) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ١٤٦/٢

ههنا يكون أفضل من جبريل عليه السلام فإنه سبحانه كما وصف جبريل عليه السلام ههنا بهذه الصفات الست وصف محمدا (صلى الله عليه وسلم) أيضا بصفات ست وهي قوله كريما يأأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (الأحزاب ٤٥ ٤٦) فالوصف الأول كونه نبيا والثاني كونه رسولا والثالث كونه شاهدا والرابع كونه مبشرا والخامس كونه نذيرا والسادس كونه داعيا إلى الله تعالى بإذنه والسابع كونه سراجا والثامن كونه منيرا وبالجملة فإفراد أحد الشخصين بالوصف لا يدل البتة على انتفاء تلك الأوصاف عن الثاني الحجة الثامنة عشرة الملك أعلم من البشر والأعلم أفضل فالملك أفضل إنما قلنا إن الملك أعلم من البشر لأن جبريل عليه السلام كان معلما لمحمد عليه السلام بدليل قوله علمه شديد القوى والمعلم لا بد وأن يكون أعلم من المتعلم وأيضا فالعلوم قسمان أحدهما العلوم التي يتوصل إليها بالعقول كالعلم بذات الله تعالى وصفاته فلا يجوز وقوع التقصير فيها لجبريل عليه السلام ولا لمحمد (صلى الله عليه وسلم) لأن التقصير في ذلك جهل وهو قادح في معرفة الله تعالى وأما العلم بكيفية مخلوقات الله تعالى وما فيها من العجائب والعلم بأحوال العرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار وطباق السموات وأصناف الملائكة وأنواع الحيوانات في المغاور والجبال والبحار فلا شك أن جبريل عليه السلام أعلم بها لأنه عليه السلام أطول عمرا وأكثر مشاهدة لها فكان علمه بها أكثر وأتم وثانيها العلوم التي لا يتوصل إليها إلا بالوحي لا لمحمد (صلى الله عليه وسلم) ولا لسائر الأنبياء عليهم السلام إلا من جهة جبريل عليه السلام فيستحيل أن يكون لمحمد عليه الصلاة والسلام فضيلة فيها على جبريل عليه السلام وأما جبريل عليه السلام فهو كان الواسطة بين الله تعالى وبين جميع الأنبياء فكان عالما بكل الشرائع الماضية والحاضرة وهو أيضا عالم بشرائع الملائكة وتكاليفهم ومحمد عليه الصلاة والسلام ما كان عالما بذلك فثبت أن جبريل عليه السلام كان أكثر علما من محمد عليه الصلاة والسلام وإذا ثبت هذا وجب أن يكون أفضل منه لقوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (الزمر ٩) ولقائل أن يقول لا نسلم أنهم أعلم من البشر والدليل عليه أنهم اعترفوا بأن آدم عليه السلام أكثر علما منهم بدليل قوله تعالى قال ياءادم أنبئهم بأسمائهم ثم إن سلمنا مزيد علمهم ولكن ذلك لا يقتضي كثرة الثواب فإنا نرى الرجل المبتدع محيطا بكثير من دقائق العلم ولا يستحق شيئا من الثواب فضلا عن أن يكون ثوابه أكثر وسببه ما نبهنا مرارا عليه أن كثرة الثواب إنما تحصل بحسب الإخلاص في الأفعال ولم نعلم أن إخلاص الملائكة أكثر الحجة التاسعة عشرة قوله تعالى ومن يقل منهم إني إلاه من دونه فذالك نجزيه جهنم (الأنبياء ٢٩) فهذه". (١)

٤٢٣-"تعالى الله عن أن يحتاج إلى إعلامها بل ذكرت ذلك على سبيل الاعتذار

ثم قال الله تعالى والله أعلم بما وضعت قرأ أبو بكر عن عاصم وابن عامر وضعت برفع التاء على تقدير أنها حكاية كلامها والفائدة في هذا الكلام أنها لما قالت إني وضعتها أنثى خافت أن يظن بها أنها تخبر الله تعالى فأزالت الشبهة بقولها والله أعلم بما وضعت وثبت أنها إنما قالت ذلك للاعتذار لا للاعلام والباقون بالجزم على أنه كلام الله وعلى هذه القراءة يكون المعنى أنه تعالى قال والله أعلم بما وضعت تعظيما لولدها وتجهيلا لها بقدر ذلك الولد ومعناه والله أعلم بالشيء الذي

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع ٢٠٨/٢

وضعت وبما علق به من عظائم الأمور وأن يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس والله أعلم بما وضعت على خطاب الله لها أي أنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب والله هو العالم بما فيه **من العجائب** والآيات

ثم قال تعالى حكاية عنها وليس الذكر كالانثى وفيه قولان الأول أن مرادها تفضيل الولد الذكر على الأنثى وسبب هذا التفضيل من وجوه أحدها أن شرعهم أنه لا يجوز تحرير الذكور دون الإناث والثاني أن الذكر يصح أن يستمر على خدمة موضع العبادة ولا يصح ذلك في الأنثى لمكان الحيض وسائر عوارض النسوان والثالث الذكر يصلح لقوته وشدته للخدمة دون الأنثى فإنها ضعيفة لا تقوى على الخدمة والرابع أن الذكر لا يلحقه عيب في الخدمة والاختلاط بالناس وليس كذلك الأنثى والخامس أن الذكر لا يلحقه من التهمة عند الاختلاط ما يلحق الأنثى فهذه الوجوه تقتضي فضل الذكر على الأنثى في هذا المعنى

والقول الثاني أن المقصود من هذا الكلام ترجيح هذه الأنثى على الذكر كأنها قالت الذكر مطلوبي وهذه الأنثى موهوبة الله تعالى وليس الذكر الذي يكون مطلوبي كالأنثى التي هي موهوبة لله وهذا الكلام يدل على أن تلك المرأة كانت مستغرقة في معرفة جلال الله عالمة بأن ما يفعله الرب بالعبد خير مما يريده العبد لنفسه

ثم حكى تعالى عنها كلاما ثانيا وهو قولها وإني سميتها مريم وفيه أبحاث

البحث الأول أن ظاهر هذا الكلام يدل على ما حكينا من أن عمران كان قد مات في حال حمل حنة بمريم فلذلك تولت الأم تسميتها لأن العادة أن ذلك يتولاه الآباء

البحث الثاني أن مريم في لغتهم العابدة فأرادت بهذه التسمية أن تطلب من الله تعالى أن يعصمها من آفات الدين والدنيا والذي يؤكد هذا قولها بعد ذلك وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم

البحث الثالث أن قوله وإني سميتها مريم معناه وإني سميتها بهذا اللفظ أي جعلت هذا اللفظ اسما لها وهذا يدل على أن الاسم والمسمى والتسمية أمور ثلاثة متغايرة

ثم حكى الله تعالى عنها كلاما ثالثا وهو قولها وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وذلك". (١)

٤٢٤-"تعالى لائح غير منقطع ولا زائل البتة والأرواح البشرية لا تصير محرومة عن تلك الأنوار إلا لأجل حجاب وذلك الحجاب ليس إلا الاشتغال بغير الله تعالى فإذا كان الأمر كذلك فبقدر ما يزول ذلك الحجاب يحصل هذا التجلي فقول إبراهيم عليه السلام وإذ قال إبراهيم إشارة إلى تقبيح الاشتغال بعبادة غير الله تعالى لأن كل ما سوى الله فهو حجاب عن الله تعالى فلما زال ذلك الحجاب لا جرم تجلى له ملكوت السموات بالتمام فقوله وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات معناه وبعد زوال الاشتغال بغير الله حصل له نور تجلى جلال الله تعالى فكان قوله وكذالك منشأ لهذه الفائدة الشريفة الروحانية

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ٢٤/٨

المسألة الثانية لقائل أن يقول هذه الإراءة قد حصلت فيما تقدم من الزمان فكان الأولى أن يقال وكذلك أرينا إبراهيم ملكوت السموات والأرض فلم عدل عن هذه اللفظة إلى قوله وكذلك نرى

قلنا الجواب عنه من وجوه الأول أن يكون تقدير الآية وكذلك كنا نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض فيكون هذا على سبيل الحكاية عن الماضي والمعنى أنه تعالى لما حكى عنه أنه شافه أباه الكلام الخشن تعصبا للدين الحق فكأنه قيل وكيف بلغ إبراهيم هذا المبلغ العظيم في قوة الدين فأجيب بأنا كنا نريه ملكوت السموات والأرض من وقت طفوليته لأجل أن يصير من الموقنين زمان بلوغه

الوجه الثاني في الجواب وهو أعلى وأشرف مما تقدم وهو أنا نقول إنه ليس المقصود من إراءة الله إبراهيم ملكوت السموات والأرض هو مجرد أن يرى إبراهيم هذا الملكوت بل المقصود أن يراها فيتوسل بها إلى معرفة جلال الله تعالى وقدسه وعلوه وعظمته ومعلوم أن مخلوقات الله وإن كانت متناهية في الذوات وفي الصفات إلا أن جهات دلالاتها على الذوات والصفات غير متناهية وسمعت الشيخ الإمام الوالد عمر ضياء الدين رحمه الله تعالى قال سمعت الشيخ أبا القاسم الأنصاري يقول سمعت إمام الحرمين يقول معلومات الله تعالى غير متناهية ومعلوماته في كل واحد من تلك المعلومات أيضا غير متناهية وذلك لأن الجوهر الفرد يمكن وقوعه في أحياز لا نهاية لها على البدل ويمكن إنصافه بصفات لا نهاية لها على البدل وكل تلك الأحوال التقديرية دالة على حكمة الله تعالى وقدرته أيضا وإذا كان الجوهر الفرد والجزء الذي لا يتجزأ كذلك فكيف القول في كل ملكوت الله تعالى فثبت أن دلالة ملك الله تعالى وملكوته على نعوت جلاله وسمات عظمته وعزته غير متناهية وحصول المعلومات التي لا نهاية لها دفعة واحدة في عقول الخلق محال فإذن لا طريق إلى تحصيل تلك المعارف إلا بأن يحصل بعضها عقيب البعض لا إلى نهاية ولا إلى آخر في المستقبل فلهذا السبب والله أعلم لم يقل وكذلك أريناه ملكوت السموات والأرض بل قال وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والارض وهذا هو المراد من قول المحققين السفر إلى الله له نهاية وأما السفر في الله فإنه لا نهاية له والله أعلم

المسألة الثالثة الملكوت هو الملك و (التاء) للمبالغة كالرغبوت من الرغبة والرهبوت من الرهبة

واعلم أن في تفسيره هذه الإراءة قولين الأول أن الله أراه الملكوت بالعين قالوا إن الله تعالى شق له السموات حتى رأى العرش والكرسي وإلى حيث ينتهي إليه فوقية العالم الجسماني وشق له الأرض إلى حيث ينتهي إلى السطح الآخر من العالم الجسماني ورأى ما في السموات **من العجائب** والبدائع ورأى ما في باطن الأرض **من العجائب** والبدائع وعن ابن عباس أنه قال لما أسرى بإبراهيم إلى السماء ورأى ما في". (١)

٤٢٥-"مخصوصة فأسرعها هو المنطقة وكل ما كان أقرب إليه فهو أسرع حركة مما هو أبعد منه ثم إنه سبحانه رتب مجموع هذه الحركات على اختلاف درجاتها وتفاوت مراتبها سببا لحصول المصالح في هذا العالم كما قال في أول سورة البقرة ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات (البقرة ٢٩) أي سواهن على وفق مصالح هذا العالم وهو بكل شيء عليم

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع ٣٥/١٣

أي هو عالم بجميع المعلومات فيعلم أنه كيف ينبغي ترتيبها وتسويتها حتى تحصل مصالح هذا العالم فهذا أيضا نوع عجيب في تسخير الله تعالى هذه الأفلاك والكواكب فتكون داخلة تحت قوله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره وربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال إنك أكثرت في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم وذلك على خلاف المعتادا فيقال لهذا المسكين إنك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته وتقريره من وجوه الأول أن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض وتعاقب الليل والنهار وكيفية أحوال الضياء والظلام وأحوال الشمس والقمر والنجوم وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها جائزا لما ملأ الله كتابه منها والثاني أنه تعالى قال أولم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج (ق ٦) فهو تعالى حث على التأمل في أنه كيف بناها ولا معنى لعلم الهيئة إلا التأمل في أنه كيف بناها وكيف خلق كل واحد منها والثالث أنه تعالى قال لخلق السماوات والارض أكبر من خلق الناس ولاكن أكثر الناس لا يعلمون (غافر ٥٧) فبين أن عجائب الخلقة وبدائع الفطرة في أجرام السموات أكثر وأعظم وأكمل مما في أبدان الناس ثم أنه تعالى رغب في التأمل في أبدان الناس بقوله وفي أنفسكم أفلا تبصرون (الذاريات ٢١) فما كان أعلى شأنا وأعظم برهانا منها أولى بأن يجب التأمل في أحوالها ومعرفة ما أودع الله فيها **من العجائب** والغرائب والرابع أنه تعالى مدح المتفكرين في خلق السموات والأرض فقال ويتفكرون فى خلق السماوات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا (آل عمران ١٩١) ولو كان ذلك ممنوعا منه لما فعل والخامس أن من صنف كتابا شريفا مشتملا على دقائق العلوم العقلية والنقلية بحيث لا يساويه كتاب في تلك الدقائق فالمعتقدون في شرفه وفضيلته فريقان منهم من يعتقد كونه كذلك على سبيل الجملة من غير أن يقف على ما فيه من الدقائق واللطائف على سبيل التفصيل والتعيين ومنهم من وقف على تلك الدقائق على سبيل التفصيل والتعيين واعتقاد الطائفة الأولى وإن بلغ إلى أقصى الدرجات في القوة والكمال إلا أن اعتقاد الطائفة الثانية يكون أكمل وأقوى وأوفى وأيضا فكل من كان وقوفه على دقائق ذلك الكتاب ولطائفه أكثر كان اعتقاده في عظمة ذلك المصنف وجلالته أكمل

إذا ثبت هذا فنقول من الناس من اعتقد أن جملة هذا العالم محدث وكل محدث فله محدث فحصل له بهذا الطريق إثبات الصانع تعالى وصار من زمرة المستدلين ومنهم من ضم إلى تلك الدرجة البحث عن أحوال العالم العلوي والعالم السفلي على سبيل التفصيل فيظهر له في كل نوع من أنواع هذا العالم حكمة بالغة وأسرار عجيبة فيصير ذلك جاريا مجرى البراهين المتواترة والدلائل المتوالية على عقله فلا يزال ينتقل كل لحظة ولمحة من برهان إلى برهان آخر ومن دليل إلى دليل آخر فلكثرة الدلائل وتواليها أثر عظيم في تقوية اليقين وإزالة الشبهات فإذا كان الأمر كذلك ظهر أنه تعالى إنما أنزل هذا الكتاب لهذه". (١)

٤٢٦-"قلنا إنه حرم بحكم الآية ثم حل بحكم الخبر فقد حصل نسخان أما إذا قلنا إنه كان حلالا بحكم الأصل والرسول شرب من آنيتهم بحكم الأصل ثم جاء التحريم بحكم هذه الآية لم يحصل النسخ إلا مرة واحدة فوجب أن يكون

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ٩٩/١٤

هذا أولى أما قول القاضي لو كان الكافر نجس الجسم لما تبدلت النجاسة بالطهارة بسبب الإسلام فجوابه أنه قياس في معارضة النص الصريح وأيضا أن أصحاب هذا المذهب يقولون إن الكافر إذا أسلم وجب عليه الاغتسال إزالة للنجاسة الحاصلة بحكم الكفر فهذا تقرير هذا القول وأما جمهور الفقهاء فإنهم حكموا بكون الكافر طاهرا في جسمه ثم اختلفوا في تأويل هذه الآية على وجوه الأول قال ابن عباس وقتادة معناه أنهم لا يغتسلون من الجنابة ولا يتوضؤن من الحدث الثاني المراد أنهم بمنزلة الشيء النجس في وجوب النفرة عنه الثالث أن كفرهم الذي هو صفة لهم بمنزلة النجاسة الملتصقة بالشيء واعلم أن كل هذه الوجوه عدول عن الظاهر بغير دليل

المسألة الرابعة قال أبو حنيفة وأصحابه رضي الله عنهم أعضاء المحدث نجسة نجاسة حكمية وبنوا عليه أن الماء المستعمل في الوضوء والجنابة نجس ثم روى أبو يوسف رحمه الله تعالى أنه نجس نجاسة خفيفة وروى الحسن بن زياد أنه نجس نجاسة غليظة وروى محمد بن الحسن أن ذلك الماء طاهر

واعلم أن قوله تعالى إنما المشركون نجس يدل على فساد هذا القول لأن كلمة (إنما) للحصر وهذا يقتضي أن لا نجس إلا المشرك فالقول بأن أعضاء المحدث نجسة مخالف لهذا النص والعجب أن هذا النص صريح في أن المشرك نجس وفي أن المؤمن ليس بنجس ثم إن قوما ما قلبوا القضية وقالوا المشرك طاهر والمؤمن حال كونه محدثا أو جنبا نجس وزعموا أن المياه التي استعملها المشركون في أعضائهم بقيت طاهرة مطهرة والمياه التي يستعملها أكابر الأنبياء في أعضائهم نجسة نجاسة غليظة وهذا من العجائب ومما يؤكد القول بطهارة أعضاء المسلم قوله عليه السلام (المؤمن لا ينجس حيا ولا ميتا) فصار هذا الخبر مطابقا للقرآن ثم الاعتبارات الحكمية طابقت القرآن والأخبار في هذا الباب لأن المسلمين أجمعوا على أن إنسانا لو حمل محدثا في صلاته لم تبطل صلاته ولو كانت يده رطبة فوصلت إلى يد محدث لم تنجس يده ولو عرق المحدث ووصلت تلك النداوة إلى ثوبه لم ينجس ذلك الثوب فالقرآن والخبر والإجماع تطابقت على القول بطهارة أعضاء المحدث فكيف يمكن مخالفته وشبهة المخالف أن الوضوء يسمى طهارة والطهارة لا تكون إلا بعد سبق النجاسة وهذا ضعيف لأن الطهارة قد تستعمل في إزالة الأوزار والآثام قال الله تعالى في صفة أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (الأحزاب ٣٣) وليست هذه الطهارة إلا عن الآثام والأوزار وقال في صفة مريم إن الله اصطفاك وطهرك والمراد تطهيرها عن التهمة الفاسدة

وإذا ثبت هذا فنقول جاءت الأخبار الصحيحة في أن الوضوء تطهير الأعضاء عن الآثام والأوزار فلما فسر الشارع كون الوضوء طهارة بهذا المعنى فما الذي حملنا على مخالفته والذهاب إلى شيء يبطل القرآن والأخبار والأحكام الإجماعية المسألة الخامسة قال الشافعي رضي الله تعالى عنه الكفار يمنعون من المسجد الحرام خاصة". [١]

٤٢٧-"في كونه مكينا من القدرة والعلم أما القدرة فلأن بها يحصل المكنة وأما العلم فلأن كونه متمكنا من أفعال الخير لا يحصل إلا به إذ لو لم يكن عالما بما ينبغي وبما لا ينبغي لا يمكنه تخصيص ما ينبغي بالفعل وتخصيص ما لا ينبغي

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ٢١/١٦

بالترك فثبت أن كونه مكينا لا يحصل إلا بالقدرة والعلم أما كونه أمينا فهو عبارة عن كونه حكيما لا يفعل الفعل لداعي الشهوة بل إنما يفعله لداعي الحكمة فثبت أن كونه مكينا أمينا يدل على كونه قادرا وعلى كونه عالما بمواقع الخير والشر والصلاح والفساد وعلى كونه بحيث يفعل لداعي الحكمة لا لداعية الشهوة وكل من كان كذلك فإنه لا يصدر عنه فعل الشر والسفه فلهذا المعنى لما حاولت المعتزلة إثبات أنه تعالى لا يفعل القبيح قالوا إنه تعالى لا يفعل القبيح لأنه تعالى عالم بقبح القبيح عالم بكونه غنيا عنه وكل من كان كذلك لم يفعل القبيح قالوا وإنما يكون غنيا عن القبيح إذا كان قادرا وإذا كان منزها عن داعية السفه فثبت أن وصفه بكونه مكينا أمينا نهاية ما يمكن ذكره في هذا الباب ثم حكى تعالى أن يوسف عليه السلام قال في هذا المقام اجعلني على خزائن الارض إني حفيظ عليم وفيه مسائل

المسألة الأولى قال المفسرون لما عبر يوسف عليه السلام رؤيا الملك بين يديه قال له الملك فما ترى أيها الصديق قال أرى أن تزرع في هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا وتبني الخزائن وتجمع فيها الطعام فإذا جاءت السنون المجدبة بعنا الغلات فيحصل بهذا الطريق مال عظيم فقال الملك ومن لي بهذا الشغل فقال يوسف اجعلنى على خزائن الارض أي على خزائن أرض مصر وأدخل الألف واللام على الأرض والمراد منه المعهود السابق روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في هذه الآية أنه قال (رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لأستعمله من ساعته لكنه لما قال ذلك أخره عنه سنة) وأقول هذا **من العجائب** لأنه لما تأبى عن الخروج من السجن سهل الله عليه ذلك على أحسن الوجوه ولما تسارع في ذكر الالتماس أخر الله تعالى ذلك المطلوب عنه وهذا يدل على أن ترك التصرف والتفويض بالكلية إلى الله تعالى أولى

المسألة الثانية لقائل أن يقول لم طلب يوسف الإمارة والنبي عليه الصلاة والسلام قال لعبد الرحمن بن سمرة (لا تسأل الإمارة) وأيضا فكيف طلب الإمارة من سلطان كافر وأيضا لم لم يصبر مدة ولم أظهر الرغبة في طلب الأمارة في الحالة وأيضا لم طلب أمر الخزائن في أول الأمر مع أن هذا يورث نوع تهمة وأيضا كيف جوز من نفسه مدح نفسه بقوله إني حفيظ عليم مع أنه تعالى يقول فلا تزكوا أنفسكم (النجم ٣٢) وأيضا فما الفائدة في قوله إني حفيظ عليم وأيضا لم ترك الاستثناء في هذا فإن الأحسن أن يقول إني حفيظ عليم إن شاء الله بدليل قوله تعالى ولا تقولن لشى ء إني فاعل ذالك غدا إلا أن يشاء الله (الكهف ٢٣ ٢٤) فهذه أسئلة سبعة لا بد من جوابها فنقول الأصل في جواب هذه المسائل أن التصرف في أمور الخلق كان واجبا عليه فجاز له أن يتوصل إليه بأي طريق كان إنما قلنا إن ذلك التصرف كان واجبا عليه لوجوه الأول أنه كان رسولا حقا من الله تعالى إلى الخلق والرسول يجب عليه رعاية مصالح الأمة بقدر الإمكان والثاني وهو أنه عليه السلام علم بالوحي أنه سيحصل القحط والضيق الشديد الذي ربما أفضى إلى هلاك الخلق العظيم فلعله تعالى أمره بأن يدبر في ذلك ويأتي بطريق لأجله يقل ضرر ذلك القحط في حق الخلق والثالث أن السعي في إيصال النفع إلى المستحقين ودفع الضرر عنهم أمر مستحسن في العقول". [1]

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ١٨/١٢٨

٤٢٨-"والنوع الثالث من الدلائل المذكورة في هذه الآية الاستدلال بعجائب خلقة النبات وإليه الإشارة بقوله ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين وفيه مسائل

المسألة الأولى أن الحبة إذا وضعت في الأرض وأثرت فيها نداوة الأرض ربت وكبرت وبسبب ذلك ينشق أعلاها وأسفلها فيخرج من الشق الأعلى الشجرة الصاعدة في الهواء ويخرج من الشق الأسفل العروق الغائصة في أسفل الأرض وهذا **من العجائب** لأن طبيعة تلك الحبة واحدة وتأثير الطبائع والأفلاك والكواكب فيها واحد ثم إنه خرج من الجانب الأعلى من تلك الحبة جرم صاعد إلى الهواء من الجانب الأسفل منه جرم غائص في الأرض ومن المحال أن يتولد من الطبيعة الواحدة طبيعتان متضادتان فعلمنا أن ذلك إنما كان بسبب تدبير المدبر الحكيم والمقدر القديم لا بسبب الطبع والخاصية ثم إن الشجرة الثابتة من تلك الحبة بعضها يكون خشبا وبعضها يكون نورا وبعضها يكون ثمرة ثم إن تلك الثمرة أيضا يحصل فيها أجسام مختلفة الطبائع فالجوز له أربعة أنواع من القشور فالقشر الأعلى وتحته القشرة الخشبة وتحته القشرة المحيطة باللبنة وتحت تلك القشرة قشرة أخرى في غاية الرقة تمتاز عما فوقها حال كون الجوز رطبا وأيضا فقد يحصل في الثمرة الواحدة الطباع المختلفة فالأترج قشره حار يابس ولحمه حار رطب وحماضه بارد يابس وبزره حار يابس ونوره حار يابس وكذلك العنب قشره وعجمه باردان يابسان ولحمه وماؤه حاران رطبان فتولد هذه للطبائع المختلفة من الحبة الواحدة مع تساوي تأثيرات الطبائع وتأثيرات الأنجم والأفلاك لا بد وأن يكون لأجل تدبير الحكيم القادر القديم

المسألة الثانية المراد بزوجين اثنين صنفين اثنين والاختلاف إما من حيث الطعم كالحلو والحامض أو الطبيعة كالحار والبارد أو اللون كالأبيض والأسود

فإن قيل الزوجان لا بد وأن يكون اثنين فما الفائدة في قوله زوجين اثنين

قلنا قيل إنه تعالى أول ما خلق العالم وخلق فيه الأشجار خلق من كل نوع من الأنواع اثنين فقط فلو قال خلق زوجين لم يعلم أن المراد النوع أو الشخص أما لما قال اثنين علمنا أن الله تعالى أول ما خلق من كل زوجين اثنين لا أقل ولا أزيد والحاصل أن الناس فيهم الآن كثرة إلا أنهم لما ابتدؤا من زوجين اثنين بالشخص هما آدم وحواء فكذلك القول في جميع الأشجار والزرع والله أعلم

النوع الرابع من الدلائل المذكورة في هذه الآية الاستدلال بأحوال الليل والنهار وإليه الإشارة بقوله وهو الذى مد والمقصود أنم الإنعام لا يكمل إلا بالليل والنهار وتعاقبهما كما قال فمحونا ءاية اليل وجعلنا ءاية النهار مبصرة (الإسراء ١٢) ومنه قوله إن ربكم الله الذى خلق (الأعراف ٥٤) وقد سبق الاستقصاء في تقريره فيما سلف من هذا الكتاب قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم يغشى بالتشديد وفتح الغين والباقون بالتخفيف ثم إنه تعالى لما ذكر هذه الدلائل النيرة والقواطع القاهرة قال إن فى ذالك لآيات لقوم يتفكرون

واعلم أنه تعالى في أكثر الأمر حيث يذكر الدلائل الموجودة في العالم السفلي يذكر عقبها إن فى ذالك لآيات لقوم يتفكرون أو ما يقرب منه بحسب المعنى والسبب فيه أن الفلاسفة يسندون حوادث العالم السفلي إلى الاختلافات الواقعة في الأشكال

الكوكبية فما لم تقم الدلالة على دفع هذا السؤال لا يتم". (١)

٤٢٩-"باعتبارها صارت لبنا موافقا لبدن الطفل فهذا ما حصلناه في هذا المقام والله أعلم المسألة الرابعة اعلم أن حدوث اللبن في الثدي واتصافه بالصفات التي باعتبارها يكون موافقا لتغذية الصبي مشتمل على حكم عجيبة وأسرار بديعة يشهد صريح العقل بأنها لا تحصل إلا بتدبير الفاعل الحكيم والمدبر الرحيم وبيانه من وجوه الأول أنه تعالى خلق في أسفل المعدة منفذا يخرج منه ثقل الغذاء فإذا تناول الإنسان غذاء أو شربة رقيقة انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا لا يخرج منه شيء من ذلك المأكول والمشروب إلى أن يكمل انهضامه في المعدة وينجذب ما صفا منه إلى الكبد ويبقى الثقل هناك فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ ويترك منه ذلك الثقل وهذا **من العجائب** التي لا يمكن حصولها إلا بتدبير الفاعل الحكيم لأنه متى كانت الحاجة إلى بقاء الغذاء في المعدة حاصلة انطبق ذلك المنفذ وإذا حصلت الحاجة إلى خروج ذلك الجسم عن المعدة انفتح فحصول الانطباق تارة والانفتاح أخرى بحسب الحاجة وتقدير المنفعة مما لا يتأتى إلا بتقدير الفاعل الحكيم الثاني أنه تعالى أودع في الكبد قوة تجذب الأجزاء اللطيفة الحاصلة في ذلك المأكول أو المشروب ولا تجذب الأجزاء الكثيفة وخلق في الأمعاء قوة تجذب تلك الأجزاء الكثيفة التي هي الثقل ولا تجذب الأجزاء اللطيفة ألبتة ولو كان الأمر بالعكس لاختلفت مصلحة البدن ولفسد نظام هذا التركيب الثالث أنه تعالى أودع في الكبد قوة هاضمة طابخة حتى أن تلك الأجزاء اللطيفة تنطبخ في الكبد وتنقلب دما ثم إنه تعالى أودع في المرارة قوة جاذبة للصفراء وفي الطحال قوة جاذبة للسوداء وفي الكلية قوة جاذبة لزيادة المائية حتى يبقى الدم الصافي الموافق لتغذية البدن وتخصيص كل واحد من هذه الأعضاء بتلك القوة والخاصية لا يمكن إلا بتقدير الحكيم العليم الرابع أن في الوقت الذي يكون الجنين في رحم الأم ينصب من ذلك الدم نصيب وافر إليه حتى يصير مادة لنمو أعضاء ذلك الولد وازدياده فإذا انفصل ذلك الجنين عن الرحم ينصب ذلك النصيب إلى جانب الثدي ليتولد منه اللبن الذي يكون غذاء له فإذا كبر الولد لم ينصب ذلك النصيب لا إلى الرحم ولا إلى الثدي بل ينصب على مجموع بدن المغتذي فانصباب ذلك الدم في كل وقت إلى عضو آخر انصبابا موافقا للمصلحة والحكمة لا يتأتى إلا بتدبير الفاعل المختار الحكيم والخامس أن عند تولد اللبن في الضرع أحدث تعالى في حلمة الثدي ثقوبا صغيرة ومسام ضيقة وجعلها بحيث إذا اتصل المص أو الحلب بتلك الحلمة انفصل اللبن عنها في تلك المسام الضيقة ولما كانت تلك المسام ضيقة جدا فحينئذ لا يخرج منها إلا ما كان في غاية الصفاء واللطافة وأما الأجزاء الكثيفة فإنه لا يمكنها الخروج من تلك المنافذ الضيقة فتبقى في الداخل والحكمة في إحداث تلك الثقوب الصغيرة والمنافذ الضيقة في رأس حلمة الثدي أن يكون ذلك كالمصفاة فكل ما كان لطيفا خرج وكل ما كان كثيفا احتبس في الداخل ولم يخرج فبهذا الطريق يصير ذلك اللبن خالصا موافقا لبدن الصبي سائغا للشاربين السادس أنه تعالى ألهم ذلك الصبي إلى المص فإن الأم كلما ألقمت حلمة الثدي في فم الصبي فذلك الصبي في الحال يأخذ في المص فلولا أن الفاعل المختار الرحيم ألهم ذلك الطفل الصغير ذلك العمل المخصوص وإلا لم يحصل الانتفاع بتخليق ذلك اللبن في الثدي السابع أنا بينا أنه تعالى إنما خلق اللبن

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع ٥/١٩

من فضلة الدم وإنما خلق الدم من لطيف تلك الأجزاء ثم خلق اللبن من بعض أجزاء ذلك الدم ثم إن اللبن حصلت فيه أجزاء ثلاثة على طبائع متضادة فما فيه من الدهن". (١)

٤٣٠-"فإن قالوا لم سمي هذا المعنى بالإحسان

قلنا كأنه بالمبالغة في الطاعة يحسن إلى نفسه ويوصل الخير والفعل الحسن إلى نفسه والحاصل أن العدل عبارة عن القدر الواجب من الخيرات والإحسان عبارة عن الزيادة في تلك الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية وبحسب الدواعي والصوارف وبحسب الاستغراق في شهود مقامات العبودية والربوبية فهذا هو الإحسان

واعلم أن الإحسان بالتفسير الذي ذكرنا دخل فيه التعظيم لأمر الله تعالى والشفقة على خلق الله ومن الظاهر أن الشفقة على خلق الله أقسام كثيرة وأشرفها وأجلها صلة الرحم لا جرم أنه سبحانه أفرده بالذكر فقال وإيتآء ذى القربى فهذا تفصيل القول في هذه الثلاثة التي أمر الله تعالى بها وأما الثلاثة التي نهى الله عنها وهي الفحشاء والمنكر والبغي فنقول إنه تعالى أودع في النفس البشرية قوى أربعة وهي الشهوانية البهيمية والعصبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية وهذه القوة الرابعة أعني العقلية الملكية لا يحتاج الإنسان إلى تأديبها وتهذيبها لأنها من جواهر الملائكة ومن نتائج الأرواح القدسية العلوية إنما المحتاج إلى التأديب والتهذيب تلك القوى الثلاثة الأولى أما القوة الشهوانية فهي إنما ترغب في تحصيل اللذات الشهوانية وهذا النوع مخصوص باسم الفحش إلا ترى أنه تعالى سمى الزنا فاحشة فقال إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا (النساء ٢٢) فقوله تعالى وينهى عن الفحشاء المراد منه المنع من تحصيل اللذات الشهوانية الخارجة عن إذن الشريعة وأما القوة الغضبية السبعية فهي أبدا تسعى في إيصال الشر والبلاء والإيذاب إلى سائر الناس ولا شك أن الناس ينكرون تلك الحالة فالمنكر عبارة عن الإفراط الحاصل في آثار القوة الغضبية وأما القوة الوهمية الشيطانية فهي أبدا تسعى في الاستعلاء على الناس والترفع وإظهار الرياسة والتقدم وذلك هو المراد من البغي فإنه لا معنى للبغي إلا التطاول على الناس والترفع عليهم فظهر بما ذكرنا أن هذه الألفاظ الثلاثة منطبقة على أحوال هذه القوى الثلاثة **ومن العجائب** في هذا الباب أن العقلاء قالوا أخس هذه القوى الثلاثة هي الشهوانية وأوسطها الغضبية وأعلاها الوهمية والله تعالى راعى هذا الترتيب فبدأ بالفحشاء التي هي نتيجة القوة الشهوانية ثم بالمنكر الذي هو نتيجة القوة الغضبية ثم بالبغي الذي هو نتيجة القوة الوهمية فهذا ما وصل إليه عقلي وخاطري في تفسير هذه الألفاظ فإن يك صوابا فمن الرحمن وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله عنه بريئان والحمد لله على ما خصنا بهذا النوع من الفضل والإحسان إنه الملك الديان

ثم قال تعالى يعظكم لعلكم تذكرون والمراد بقوله تعالى يعظكم أمره تعالى بتلك الثلاثة ونهيه عن هذه الثلاثة لعلكم تذكرون وفيه مسألتان

المسألة الأولى أنه تعالى لما قال في الآية الأولى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شى ء (النحل ٨٩) أردفه بهذه الآية مشتملة على الأمر بهذه الثلاثة والنهي عن هذه الثلاثة كان ذلك تنبيها على أن المراد بكون القرآن تبيانا لكل شيء هو هذه

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع ٥٤/٢٠

التكاليف الستة وهي في الحقيقة كذلك لأن جوهر النفس من زمرة الملائكة ومن نتائج الأرواح العالية القدسية إلا أنه دخل في هذا العالم خاليا عاريا عن التعلقات فتلك الثلاثة التي أمر الله بها هي التي ترقيها بالمعارف الإلهية والأعمال الصالحة وتلك المعارف والأعمال هي التي". (١)

٤٣١-"لأنه معظم لله بالصلاة ومنزه له عما لا ينبغي وثانيها ورد التسبيح بمعنى الاستثناء في قوله تعالى قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون (القلم ٢٨) أي تستثنون وتأويله أيضا يعود إلى تعظيم الله تعالى في الاستثناء بمشيئته وثالثها جاء في الحديث (لأحرقت سبحات وجهه ما أدركت من شيء) قيل معناه نور وجهه وقيل سبحات وجهه نور وجهه الذي إذا رآه الرائي قال سبحان الله وقوله أسرى قال أهل اللغة أسرى وسرى لغتان وقوله بعبده أجمع المفسرون على أن المراد محمد عليه الصلاة والسلام وسمعت الشيخ الإمام الوالد عمر بن الحسين رحمه الله قال سمعت الشيخ الإمام أبا القاسم سليمان الأنصاري قال لما وصل محمد صلوات الله عليه إلى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في العارج أوحى الله تعالى إليه يا محمد بم أشرفك قال (رب بأن تنسبني إلى نفسك بالعبودية) فأنزل الله فيه سبحان الذى أسرى بعبده وقوله ليلا نصب على الظرف

فإن قيل الإسراء لا يكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل

قلنا أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية واختلفوا في ذلك الليل قال مقاتل كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنة ونقل صاحب (الكشاف) عن أنس والحسن أنه كان ذلك قبل البعثة وقوله من المسجد الحرام اختلفوا في المكان الذي أسرى به منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الذي يدل عليه ظاهر لفظ القرآن وروي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال (بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق) وقيل أسري به من دار أم هانيء بنت أبي طالب والمراد على هذا القول بالمسجد الحرام الحرم لإحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وهذا قول الأكثرين وقوله إلى المسجد الاقصى اتفقوا على أن المراد منه بيت المقدس وسمي بالأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام وقوله الذى باركنا حوله قيل بالثمار والأزهار وقيل بسبب أنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة واعلم أن كلمة إلى لانتهاء الغاية فمدلول قوله إلى المسجد الاقصى أنه وصل إلى حد ذلك المسجد فأما أنه دخل ذلك المسجد أم لا فليس في اللفظ دلالة عليه وقوله لنريه من ءاياتنا يعني ما رأى في تلك الليلة **من العجائب** والآيات التي تدل على قدرة الله تعالى

فإن قالوا قوله لنريه من ءاياتنا يدل على أنه تعالى ما أراه إلا بعض الآيات لأن كلمة من تفيد التبعيض وقال في حق إبراهيم وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والارض (الأنعام ٧٥) فيلزم أن يكون معراج إبراهيم عليه السلام أفضل من معراج محمد (صلى الله عليه وسلم)

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ٨٤/٢٠

قلنا الذي رآه إبراهيم ملكوت السموات والأرض والذي رآه محمد (صلى الله عليه وسلم) بعض آيات الله تعالى ولا شك أن آيات الله أفضل

ثم قال إنه هو السميع العليم أي أن الذي أسرى بعبده هو السميع لأقوال محمد البصير بأفعاله العالم بكونها مهذبة خالصة عن شوائب الرياء مقرونة بالصدق والصفاء فلهذا السبب خصه الله تعالى بهذه الكرامات وقيل المراد سميع لما يقولون للرسول في هذا الأمر بصير بما يعملون في هذه الواقعة". (١)

٤٣٢-"الواردة في صفة الأرواح قبل تعلقها بالأجساد وبعد انفصالها من الأجساد كثيرة وكل ذلك يدل على أن النفس شيء غير هذا الجسد والعجب ممن يقرأ هذه الآيات الكثيرة ويروي هذه الأخبار الكثيرة ثم يقول توفى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وما كان يعرف الروح وهذا **من العجائب** والله أعلم

المسألة السابعة في دلالة الآية التي نحن في تفسيرها على صحة ما ذكرناه أن الروح لو كان جسما منتقلا من حالة إلى حالة ومن صفة إلى صفة لكان مساويا للبدن في كونه متولدا من أجسام اتصفت بصفات مخصوصة بعد أن كانت موصوفة بصفات أخرى فإذا سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الروح وجب أن يبين أنه جسم كان كذا ثم صار كذا حتى صار روحا مثل ما ذكر في كيفية تولد البدن أنه كان نطفة ثم علقة ثم مضغة فلما لم يقل ذلك بل قال إنه من أمر ربي بمعنى أنه لا يحدث ولا يدخل في الوجود إلا لأجل أن الله تعالى قال له كن فيكون (البقرة ١١٧) دل ذلك على أنه جوهر ليس من جنس الأجسام بل هو جوهر قدسي مجرد واعلم أن أكثر العارفين المكاشفين من أصحاب الرياضيات وأرباب المكاشفات والمشاهدات مصرون على هذا القول جازمون بهذا المذهب قال الواسطي خلق الله الأرواح من بين الجمال والبهاء فلولا أنه سترها لسجد لها كل كافر وأما بيان أن تعلقه الأول بالقلب ثم بواسطته يصل تأثيره إلى جملة الأعضاء فقد شرحناه في تفسير قوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين (الشعراء ١٩٣ ١٩٤) واحتج المنكرون بوجوه الأول لو كانت مساوية لذات الله في كونه ليس بجسم ولا عرض لكانت مساوية له في تمام الماهية وذلك محال الثاني قوله تعالى قتل الإنسان ما أكفره من أى شى ء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره (عبس ١٧ ٢٢) وهذا تصريح بأن الإنسان شيء مخلوق من النطفة وأنه يموت ويدخل القبر ثم إنه تعالى يخرجه من القبر ولو لم يكن الإنسان عبارة عن هذه الجثة لم تكن الأحوال المذكورة في هذه الآية صحيحة الثالث قوله ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله إلى قوله يرزقون فرحين (آل عمران ١٦٩ ١٧٠) وهذا يدل على أن الروح جسم لأن الأرزاق والفرح من صفات الأجسام الجواب عن الأول أن المساواة في أنه ليس بمتحيز ولا حال في المتحيز مساواة في صفة سلبية والمساواة في الصفة السلبية لا توجب المماثلة واعلم أن جماعة من الجهال يظنون أنه لما كان الروح موجودا ليس بمتحيز ولا حال في المتحيز وجب أن يكون مثلا للإله أو جزءا للإله وذلك جهل فاحش وغلط قبيح وتحقيقه ما ذكرناه من أن المساواة في السلوب لو أوجبت المماثلة لوجب القول باستواء كل المختلفات وأن كل ماهيتين مختلفتين فلا بد أن يشتركا في سلب كل ما عداهما

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ١١٧/٢٠

فلتكن هذه الدقيقة معلومة فإنها مغلطة عظيمة للجهال والجواب عن الثاني أنه لما كان الإنسان في العرف والظاهر عبارة عن هذه الجثة أطلق عليه اسم الإنسان في العرف والجواب عن الثالث أن الرزق المذكور في الآية محمول على ما يقوي حالهم ويكمل كمالهم وهو معرفة الله ومحبته بل نقول هذا من أدل الدلائل على صحة قولنا لأن أبدانهم قد بليت تحت التراب والله تعالى يقول إن أرواحهم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش وهذا يدل على أن الروح غير البدن وليكن هذا آخر كلامنا في هذا الباب ولنرجع إلى علم التفسير ثم قال تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا وعلى قولنا قد ذكرنا فيه احتمالين أما المفسرون فقالوا إن النبي (صلى الله عليه وسلم) لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فقال عليه الصلاة والسلام (بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلا قليلا) فقالوا ما أعجب شأنك يا محمد ساعة تقول". [١]

٤٣٣-"تعالى حكى سؤالهم فحسن عطف الجواب عليه بحرف الفاء وأما الصورة الثالثة فإنه تعالى لم يذكر الجواب في قوله يسئلونك عن الساعة أيان مرساها فالحكمة فيه أن معرفة وقت الساعة على التعيين مشتملة على المفاسد التي شرحناها فيما سبق فلهذا لم يذكر الله تعالى ذلك الجواب وذلك يدل على أن من الأسئلة ما لا يجاب عنها وأما الصورة الرابعة وهي قوله فإني قريب ولم يذكر في جوابه قل ففيه وجوه أحدها أن ذلك يدل على تعظيم حال الدعاء وأنه من أعظم العبادات فكأنه سبحانه قال يا عبادي أنت إنما تحتاج إلى الواسطة في غير الدعاء أما في مقام الدعاء فلا واسطة بيني وبينك يدل عليه أن كل قصة وقعت لم تكن معرفتها من المهمات قال لرسوله (صلى الله عليه وسلم) اذكر لهم تلك القصة كقوله تعالى واتل عليهم نبأ ابنى ءادم بالحق (المائدة ٢٧) واتل عليهم نبأ الذى ءاتيناه ءاياتنا فانسلخ منها (الأعراف ١٧٥) واذكر فى الكتاب موسى (مريم ٥١) واذكر فى الكتاب إسماعيل (مريم ٥٤) واذكر فى الكتاب إدريس (مريم ٥٦) ونبئهم عن ضيف إبراهيم (الحجر ٥١) ثم قال في قصة يوسف نحن نقص عليك أحسن القصص (يوسف ٣) وفي أصحاب الكهف نحن نقص عليك نبأهم بالحق (الكهف ١٣) وما ذاك إلالما في هاتين القصتين **من العجائب** والغرائب والحاصل كأنه سبحانه وتعالى قال يا محمد إذا سئلت عن غيري فكن أنت المجيب وإذا سئلت عني فاسكت أنت حتى أكون أنا القائل وثانيها أن قوله وإذا سألك عبادي عني يدل على أن العبد له (أن يسأل) وقوله فإني قريب يدل على أن الرب قريب من العبد وثالثها لم يقل فالعبد مني قريب بل قال أنا منه قريب وهذا فيه سر نفيس فإن العبد ممكن الوجود فهو من حيث هو هو في مركز العدم وحضيض الفناء فكيف يكون قريبا بل القريب هو الحق سبحانه وتعالى فإنه بفضله وإحسانه جعله موجودا وقربه من نفسه فالقرب منه لا من العبد فلهذا قال فإني قريب ورابعها أن الداعي ما دام يبقى خاطره مشغولا بغير الله تعالى فإنه لا يكون داعيا لله تعالى فإذا فنى عن الكل وصار مستغرقا بمعرفة الله الأحد الحق امتنع أن يبقى في مقام الفناء عن غير الله مع الالتفات إلى غير الله تعالى فلا جرم رفعت الواسطة من البين فما قال فقل إني قريب بل قال فإني قريب فثبت بما تقرر فضل الدعاء وأنه من أعظم القربات ثم من شأن العبد إذا أراد أن يتحف مولاه أن لا يتحفه إلا بأحسن التحف والهدايا فلا جرم أول ما أراد موسى أن يتحف الحضرة الإلهية بتحف الطاعات والعبادات أتحفها

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ٢١/٤٤

بالدعاء فلا جرم قال رب اشرح لى صدرى والوجه الثاني في بيان فضل الدعاء قوله عليه السلام (الدعاء مخ العبادة) ثم إن أول شيء أمر الله تعالى به موسى عليه السلام (العبادة) لأن قوله إنني أنا الله (طه ١٤) إخبار وليس بأمر إنما الأمر قوله فاعبدني (طه ١٤) فلما كان أول ما أورد على موسى من الأوامر هو الأمر بالعبادة لا جرم أول ما أتحف به موسى عليه السلام حضرة الربوبية من تحف العبادة هو تحفة الدعاء فقال رب اشرح لى صدرى والوجه الثالث وهو أن الدعاء نوع من أنواع العبادة فكما أنه سبحانه وتعالى أمر بالصلاة والصوم فكذلك أمر بالدعاء ويدل عليه قوله تعالى وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب (البقرة ١٨٦) وقال ربكم ادعوني أستجب لكم (غافر ٦٠) وادعوه خوفا وطمعا (الأعراف ٥٦) ادعوا ربكم تضرعا وخفية ". [1]

٤٣٤-"والدعوى بمعنى الدعوة قال تعالى تجرى من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام (يونس ١٠) فإن قلت لم سميت دعوى قلت لأنهم كانوا دعوا بالويل فقالوا ياليتنا أي يا ويل احضر فهذا وقتك وتلك مرفوع أو منصوب إسما أو خبرا وكذلك كان دعواهم قال المفسرون لم يزالوا يكررون هذه الكلمة فلم ينفعهم ذلك كقوله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا (غافر ٨٥) أما قوله حتى جعلناهم حصيدا خامدين فالحصيد الزرع المحصود أي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم كما تقول جعلناهم رمادا أي مثل الرماد فإن قيل كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل قلت حكم الاثنين الأخيرين حكم الواحد والمعنى جعلناهم جامعين لهذين الوصفين والمراد أنهم أهلكوا بذلك العذاب حتى لم يبق لهم حس ولا حركة وجفوا كما يجف الحصيد وخمدوا كما تخمد النار

وما خلقنا السمآء والأرض وما بينهما لاعبين لو أردنآ أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنآ إن كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون

اعلم أن فيه مسائل

المسألة الأولى في تعلق هذه الآية بما قبلها وجهان الأول أنه تعالى لما بين إهلاك أهل القرية لأجل تكذيبهم اتبعه بما يدل على أنه فعل ذلك عدلا منه ومجازاة على ما فعلوا فقال وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين أي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما **من العجائب** والغرائب كما تسوى الجبابرة سقوفهم وفرشهم للهو واللعب وإنما سويناهم لفوائد دينية ودنيوية أما الدينية فليتفكر المتفكرون فيها على ما قال تعالى ويتفكرون فى خلق السماوات والارض (آل عمران ١٩١) وأما الدنيوية فلما يتعلق بها من المنافع التي لا تعد ولا تحصى وهذا كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا (ص ٢٧) وقوله ما خلقناهما إلا بالحق (الدخان ٣٩) والثاني أن الغرض منه تقرير نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) والرد على منكريه لأنه أظهر المعجزة عليه فإن كان محمد كاذبا كان إظهار المعجزة عليه من باب اللعب وذلك منفي عنه وإن كان صادقا فهو المطلوب وحينئذ يفسد كل ما ذكروه من المطاعن

المسألة الثانية قال القاضي عبد الجبار دلت الآية على أن اللعب ليس من قبله تعالى إذ لو كان كذلك لكان لاعبا فإن

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ٣٢/٢٢

اللاعب في اللغة اسم لفاعل اللعب فنفى الاسم الموضوع للفعل يقتضي نفي الفعل والجواب يبطل ذلك بمسألة الداعي عن ما مر غيره مرة أما قوله لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين فاعلم أن قوله لاتخذناه من لدنا معناه من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المرأة وقيل من لدنا أي من الملائكة لا من الإنس ردا لمن قال بولادة المسيح وعزيز فأما قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فاعلم أن قوله بل اضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كأنه قال سبحاننا". (١)

٤٣٥-"بل المعنى وهم لا يشعرون أنه الذي يذهب بملكهم وأما جمهور المفسرين فقالوا معناه كانوا خاطئين فيما كانوا عليه من الكفر والظلم فعاقبهم الله تعالى بأن ربي عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وقرىء خاطين تخفيف خاطئين أي خاطين الصواب إلى الخطأ وبين تعالى أنها التقطته ليكون قرة عين لها وله جميعا قال ابن إسحق إن الله تعالى ألقى محبته في قلبها لأنه كان في وجهه ملاحة كل من رآه أحبه ولأنها حين فتحت التابوت رأت النور ولأنها لما فتحت التابوت رأته يمتص إصبعه ولأن ابنة فرعون لما لطخت برصها بريقه زال برصها ويقال ما كان لها ولد فأحبته قال ابن عباس لما قالت فرعون قرة عين لى ولك فقال فرعون يكون لك وأما أنا فلا حاجة لي فيه فقال عليه السلام (والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له كما أقرت لهداه الله تعالى كما هداها) قال صاحب (الكشاف) قرة عين خبر مبتدأ محذوف ولا يقوى أن يجعل مبتدأ ولا تقاتلوهم خبرا ولو نصب لكان أقوى وقراءة ابن مسعود دليل على أنه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لى ولك وذلك لتقديم لا تقتلوه ثم قالت المرأة عسى أن ينفعنا فنصيب منه خيرا أو نتخذه ولدا لأنه أهل للتبني

أما قوله وهم لا يشعرون فأكثر المفسرين على أنه ابتداء كلام من الله تعالى أي لا يشعرون أن هلاكهم بسببه وعلى يده وهذا قول مجاهد وقتادة والضحاك ومقاتل وقال ابن عباس يريد لا يشعرون إلى ماذا يصير أمر موسى عليه السلام وقال آخرون هذا من تمام كلام المرأة أي لا يشعر بنو إسرائيل وأهل مصر أن التقطناه وهذا قول الكلبي

وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون

ذكروا في قوله فؤاد أم موسى فارغا وجوها أحدها قال الحسن فارغا من كل هم إلا من هم موسى عليه السلام وثانيها قال أبو مسلم فراغ الفؤاد هو الخوف والإشفاق كقوله وأفئدتهم هواء (إبراهيم ٤٣) وثالثها قال صاحب (الكشاف) فارغا صفرا من العقل والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والخوف ورابعها قال الحسن ومحمد بن إسحق فارغا من الوحي الذي أوحينا إليها أن ألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك فجاءها الشيطان فقال لها كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجر فتوليت إهلاكه ولما أتاها خبر موسى عليه السلام أنه وقع في يد فرعون فأنساها عظم البلاء ما كان من عهد الله إليها وخامسها قال أبو عبيدة فارغا من الحزن لعلمها بأنه لا يقتل اعتمادا على

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ١٢٧/٢٢

تكفل الله بمصلحته قال ابن قتيبة وهذا **من العجائب** كيف يكون فؤادها فارغا من الحزن والله تعالى يقول لولا أن ربطنا على قلبها وهل يربط إلا على قلب الجازع المحزون ويمكن أن يجاب عنه بأنه لا يمتنع". (١)

٤٣٦-"والضحاك ويدل على صحة هذا الاحتمال وجوه الأول أنه لا حضور أعظم من ذلك الحضور فإن الله تعالى يجمع فيه خلق الأولين والآخرين من الملائكة والأنبياء والجن والإنس وصرف اللفظ إلى المسمى الأكمل أولى والثاني أنه تعالى ذكر اليوم الموعود وهو يوم القيامة ثم ذكر عقيبة وشاهد ومشهود وهذا يناسب أن يكون المراد بالشاهد من يحضر في ذلك اليوم من الخلائق وبالمشهود ما في ذلك اليوم **من العجائب** الثالث أن الله تعالى وصف يوم القيامة بكونه مشهودا في قوله فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم (مريم ٣٧) وقال ذالك يوم مجموع له الناس وذالك يوم مشهود (هود ١٠٣) وقال يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده (الإسراء ٥٢) وقال إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون (يس ٥٣) وطريق تنكيرهما إما ما ذكرناه في تفسير قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت (التكوير ١٤) كأنه قيل وما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود وأما الإبهام في الوصف كأنه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وإنما حسن القسم بيوم القيامة للتنبيه على القدرة إذ كان هو يوم الفصل والجزاء ويوم تفرد الله تعالى فيه بالملك والحكم وهذا الوجه اختيار ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن بن علي وابن المسيب والضحاك والنخعي والثوري وثانيها أن يفسر المشهود بيوم الجمعة وهو قول ابن عمر وابن الزبير وذلك لأنه يوم يشهده المسلمون للصلاة ولذكر الله ومما يدل على كون هذا اليوم مسمى بالمشهود خبران الأول ما روى أبو الدرداء قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة) والثاني ما روى أبو هريرة أنه (صلى الله عليه وسلم) قال (تحضر الملائكة أبواب المسجد فيكتبون الناس فإذا خرج الإمام طويت الصحف) وهذه الخاصية غير موجودة إلا في هذا اليوم فيجوز أن يسمى مشهودا لهذا المعنى قال الله تعالى أقم الصلواة لدلوك الشمس إلى غسق اليل (الإسراء ٧٨) وروى (أن ملائكة الليل والنهار يحضرون وقت صلاة الفجر فسميت هذه الصلاة مشهودة لشهادة الملائكة) فكذا يوم الجمعة وثالثها أن يفسر المشهود بيوم عرفة والشاهد من يحضره من الحاج وحسن القسم به تعظيما لأمر الحج روي أن الله تعالى يقول للملائكة يوم عرفة (أنظروا إلى عبادي شعثا غبرا أتوني من كل فج عميق أشهدكم أني قد غفرت لهم وأن إبليس يصرخ ويضع التراب على رأسه لما يرى من ذلك) والدليل على أن يوم عرفة مسمى بأنه مشهود قوله تعالى وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم (الحج ٢٨ ٢٧) ورابعها أن يكون المشهود يوم النحر وذلك لأنه أعظم المشاهد في الدنيا فإنه يجتمع أهل الشرق والغرب في ذلك اليوم بمنى والمزدلفة وهو عيد المسلمين ويكون الغرض من القسم به تعظيم أمر الحج وخامسها حمل الآية على يوم الجمعة ويوم عرفة ويوم النحر جميعا لأنها أيام عظام فأقسم الله بها كما أقسم بالليالي العشر والشفع والوتر ولعل الآية عامة لكل يوم عظيم من أيام الدنيا ولكل مقام جليل من مقاماتها وليوم القيامة أيضا لأنه يوم عظيم كما قال ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين (المطففين ٦ ٥) وقال فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم (

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ١٩٦/٢٤

مريم ٣٧) ويدل على صحة هذا التأويل خروج اللفظ في الشاهد والمشهود على النكرة فيحتمل أن يكون ذلك على معنى أن القصد لم يقع فيه إلى يوم بعينه فيكون معرفا أما الوجه الأول وهو أن يحمل الشاهد على من تثبت الدعوى بقوله فقد ذكروا على هذا التقدير وجوها كثيرة أحدها أن الشاهد هو الله تعالى لقوله شهد الله أنه لا إله إلا هو (آل عمران ١٨) وقوله قل أي شي ء أكبر شهادة قل الله (الأنعام ١٩) وقوله أو لم يكف بربك أنه على كل شي ء شهيد". (١)

٤٣٧-"الانتظام لا يحسن إلا مع التكليف المشتمل على الوعد والوعيد ذلك لا يحصل إلا بالبعث والقيامة وخلق الجنة والنار فثبت أن إقامة الدلالة على الصانع الحكيم توجب القول بصحة البعث والقيامة فلهذا السبب ذكر الله دلالة التوحيد في آخر هذه السورة فإن قيل فأي مجانسة بين الإبل والسماء والجبال والأرض ثم لم بدأ بذكر الإبل قلنا فيه وجهان الأول أن جميع المخلوقات متساوية في هذه الدلالة وذكر جميعها غير ممكن لكثرتها وأي واحد منها ذكر دون غيره كان هذا السؤال عائدا فوجب الحكم بسقوط هذا السؤال على جميع التقادير وأيضا فلعل الحكمة في ذكر هذه الأشياء التي هي غير متناسبة التنبيه على أن هذا الوجه من الاستدلال غير مختص بنوع دون نوع بل هو عام في الكل على ما قال وإن من شي ء إلا يسبح بحمده (الإسراء ٤٤) ولو ذكر غيرها لم يكن الأمر كذلك لا جرم ذكر الله تعالى أمورا غير متناسبة بل متباعدة جدا تنبيها على أن جميع الأجسام العلوية والسفلية صغيرها وكبيرها حسنها وقبيحها متساوية في الدلالة على الصانع الحكيم فهذا وجه حسن معقول وعليه الاعتماد الوجه الثاني وهو أن نبين ما في كل واحد من هذه الأشياء من المنافع والخواص الدالة على الحاجة إلى الصانع المدبر ثم نبين إنه كيف يجانس بعضها بعضا

أما المقام الأول فنقول الإبل له خواص منها أنه تعالى جعل الحيوان الذي يقتني أصنافا شتى فتارة يقتني ليؤكل لحمه وتارة ليشرب لبنه وتارة ليحمل الإنسان في الأسفار وتارة لينقل أمتعة الإنسان من بلد إلى بلد وتارة ليكون له به زينة وجمال وهذه المنافع بأسرها حاصلة في الإبل وقد أبان الله عز وجل عن ذلك بقوله أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون (يس ٧٢ ٧١) قال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الانفس (النحل ٧ ٥) وإن شيئا من سائر الحيوانات لا يجتمع فيه هذه الخصال فكان اجتماع هذه الخصال فيه **من العجائب** وثانيها أنه في كل واحد من هذه الخصال أفضل من الحيوان الذي لا يوجد فيه إلا تلك الخصلة لأنها إن جعلت حلوبة سقت فأروت الكثير وإن جعلت أكولة أطعمت وأشبعت الكثير وإن جعلت ركوبة أمكن أن يقطع بها من المسافات المديدة ما لا يمكن قطعه بحيوان آخر وذلك لما ركب فيها من قوة احتمال المداومة على السير والصبر على العطش والاجتزاء من العلوفات بما لا يجتزىء حيوان آخر وإن جعلت حملة استغلت بحمل الأحمال الثقيلة التي لا يستقل بها سواها ومنها أن هذا الحيوان كان أعظم الحيوانات وقعا في قلب العرب ولذلك فإنهم جعلوا دية قتل الإنسان إبلا وكان الواحد من ملوكهم إذا أراد المبالغة في إعطاء الشاعر الذي جاءه من المكان البعيد أعطاه مائة بعير لأن امتلاء العين منه أشد من امتلاء العين من

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع ١٠٥/٣١

غيره ولهذا قال تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون (النحل ٦) ومنها أني كنت مع جماعة في مفازة فضللنا الطريق فقدموا جملا وتبعوه فكان ذلك الجمل ينعطف من تل إلى تل ومن جانب إلى جانب والجميع كانوا يتبعونه حتى وصل إلى الطريق بعد زمان طويل فتعجبنا من قوة تخيل ذلك بالحيوان أنه بالمرة الواحدة كيف انحفظت في خياله صورة تلك المعاطف حتى أن الذين عجز جمع من العقلاء إلى الاهتداء إليه فإن ذلك الحيوان اهتدى إليه ومنها أنها مع كونها في غاية القوة على العمل مباينة لغيرها في الانقياد والطاعة لأضعف الحيوانات كالصبي الصغير ومبانية لغيرها أيضا في أنها يحمل عليها وهي باركة ثم تقوم فهذه الصفات". (١)

٤٣٨-"أثقالها أسرارها فيومئذ تكشف الأسرار ولذلك قال يومئذ تحدث أخبارها فتشهد لك أو عليك

المسألة الثانية أنه تعالى قال في صفة الأرض ألم نجعل الارض كفاتا ثم صارت بحال ترميك وهو تقرير لقوله تذهل كل مرضعة عما أرضعت وقوله يوم يفر المرء

وقال الإنسان ما لها

أما قوله تعالى وقال الإنسان ففيه مسائل

المسألة الأولى مالها تزلزل هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك إما عند النفخة الأولى حين تلفظ ما فيها من الكنوز والدفائن أو عند النفخة الثانية حين تلفظ ما فيها من الأموات

المسألة الثانية قيل هذا قول الكافر وهو كما يقولون ياويلنا من بعثنا من مرقدنا فأما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وقيل بل هو عام في حق المؤمن والكافر أي الإنسان الذي هو كنود جزوع ظلوم الذي من شأنه الغفلة والجهالة يقول مالها وهو ليس بسؤال بل هو للتعجب لما يرى **من العجائب** التي لم تسمع بها الآذان ولا تطلق بها لسان ولهذا قال الحسن إنه للكافر والفاجر معا

المسألة الثالثة إنما قال مالها على غير المواجهة لأنه يعاتب بهذا الكلام نفسه كأنه يقول يا نفس ما للأرض تفعل ذلك يعني يا نفس أنت السبب فيه فإنه لولا معاصيك لما صارت الأرض كذلك فالكفار يقولون هذا الكلام والمؤمنون يقولون وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن

يومئذ تحدث أخبارها

أما قوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها فاعلم أن ابن مسعود قرأ تحدث أخبارها وسعيد بن جبير تنبيء ثم فيه سؤالات

الأول أين مفعولا تحدث الجواب قد حذف أولهما والثاني أخبارها وأصله تحدث الخلق أخبارها إلا أن المقصود ذكر تحديثها الأخبار لا ذكر الخلق تعظيما

السؤال الثاني ما معنى تحديث الأرض قلنا فيه وجوه أحدها وهو قول أبي مسلم يومئذ يتبين لكل أحد جزاء عمله فكأنها حدثت بذلك كقولك الدار تحدثنا بأنها كانت مسكونة فكذا انتقاض الأرض بسبب الزلزلة تحدث أن الدنيا قد انقضت

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ـ موافق للمطبوع ١٤٣/٣١

وأن الآخرة قد أقبلت والثاني وهو قول الجمهور أن الله تعالى يجعل الأرض حيوانا عاقلا ناطقا ويعرفها جميع ما عمل أهلها فحينئذ تشهد لمن أطاع وعلى من عصي قال عليه السلام (أن الأرض لتخبر يوم القيامة بكل عمل عمل عليها) ثم تلا هذه الآية وهذا على مذهبنا غير بعيد لأن البنية عندنا ليست شرطا لقبول الحياة فالأرض مع بقائها على شكلها ويبسها وقشفها يخلق الله فيها الحياة والنطق والمقصود كأن الأرض تشكو من العصاة وتشكر من أطاع الله فنقول إن فلانا صلى وزكى وصام". (١)

٤٣٩-"لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا﴾ أي : فعلوا من إضلال الناس ﴿ويحبون أن يحمدوا﴾ بما أوتوا من علم التوراة و﴿بما لم يفعلوا﴾ من التمسك بالحق وهم على ضلال وهذا أيضا من جملة أذاهم ، لأنهم يفرحون بما أتوا به من أنواع الخبث والتلبيس على ضعفة المسلمين ويحبون أن يحمدوا بأنهم أهل البر والصدق والتقوى ولا شك أن الإنسان يتأذى بمشاهدة مثل هذه الأحوال فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر عليها.

روي أنه صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه ، وأروه أنهم قد صدقوا وفرحوا بما فعلوا فأطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك وسلاه بما أنزل من وعيدهم أي :

٣١٣

لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من إخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب وقيل : هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بأنهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به ، وقيل : هم المنافقون فإنهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون إلى المسلمين بالإيمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ويجوز أن يكون شاملا لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها فرح إعجاب ويحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد بما ليس فيه وقوله تعالى : ﴿فلا تحسبنهم﴾ تأكيد ﴿بمفازة﴾ أي : مكان ينجون فيه ﴿من العذاب﴾ في الآخرة بل هم في مكان يعذبون فيه وهو جهنم ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أي : مؤلم فيها وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة وفتح السين ابن عامر وعاصم وحمزة والباقون بالكسر ، ومفعولا تحسب الأولى دل عليهما مفعولا الثانية على قراءة التحتانية وعلى الفوقانية حذف الثاني فقط ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو : فلا يحسبنهم بالياء على الغيبة وضم الباء الموحدة والباقون بالتاء على الخطاب وفتح الباء الموحدة وفتح السين ابن عامر وعاصم وحمزة كما تقدم.

﴿و ملك السموات والأرض﴾ فهو يملك أمرهما وما فيهما من خزائن المطر والرزق والنبات وغير ذلك ﴿وا على كل شيء قدير﴾ ومنه تعذيب الكافرين وإنجاء المؤمنين.

﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ وما فيهما **من العجائب** ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ بالمجيء والذهاب والزيادة والنقصان ﴿لآيات﴾ أي : دلالات واضحة على قدرته تعالى : وباهر حكمته ﴿لأولي الألباب﴾ لذوي العقول الذين يفتحون بصائرهم للنظر والإستدلال والإعتبار ولا ينظرون إليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر ، وفي النصائح

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . موافق للمطبوع ٥٦/٣٢

الصغار : املأ عينيك من زينة هذه الكواكب ، وأجلها في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل أن يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر. وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما "قلت لعائشة رضي الله تعالى عنها : أخبريني بأعجب ما رأيت من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وأطالت ثم قالت : كل أمره عجب أتاني ليلة فدخل في لحافي حتى التصق جلده بجلدي ثم قال : "يا عائشة هل لك أن تأذني الليلة في عبادة ربي ؟

" فقلت : يا رسول الله إني لأحب قربك وأحب هواك قد أذنت لك فقام إلى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه ، فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلت الأرض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال : يا رسول الله أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال : "يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا ؟

" ثم قال : "وما لي لا أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ . ثم قال : . ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها".

جزء : ١ رقم الصفحة : ٣١٣

وروي : "ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها" ، وعن علي رضي الله تعالى عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر إلى السماء ثم يقول : إن في خلق السموات والأرض ، وحكي أن الرجل من بني إسرائيل كان إذا عبد الله ثلاثين سنة أظلته سحابة ، فعبدها فتى من فتيانهم

٣١٤

فلم تظله ، فقالت أمه : لعل فرطة فرطت منك في مدتك فقال : ما أذكر ؟

قالت : لعلك نظرت مرة إلى السماء ولم تعتبر قال : لعل ، قالت : فما أوتيت إلا من ذاك. وقوله تعالى :

﴿الذين﴾ نعت لما قبله أو بدل ﴿يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ أي : مضطجعين أي : يذكرونه دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين ؛ لأن الإنسان قل أن يخلو من إحدى هذه الحالات الثلاث.

وروى الطبراني وغيره : أنه صلى الله عليه وسلم قال : "من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله". وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه هذا في الصلاة يصلي قائما فإن لم يستطع فقاعدا فإن لم يستطع فعلى جنب ، وعن عمران بن حصين قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة المريض فقال : "يصلي قائما فإن لم يستطع فقاعدا فإن لم يستطع فعلى جنب".". (١)

٤٤٠-"﴿وهو الذي خلق السموات والأرض﴾ على عظمهما ﴿بالحق﴾ أي : بسبب إقامة الحق ، وقيل : خلقهما بكلامه الحق الذي هو قوله تعالى : ﴿كن﴾ وهو دليل على أن كلام الله تعالى ليس بمخلوق لأنه لا يخلق مخلوق بمخلوق ﴿و﴾ اذكر ﴿يوم يقول﴾ الله للخلق ﴿كن فيكون﴾ أي : فهو يكون وهو يوم القيامة يقول بمخلق قوموا أحياء ﴿قوله﴾

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع ٢٢١/١

تعالى : ﴿الحق﴾ أي : الصدق الواقع لا محالة ﴿وله الملك يوم ينفخ في الصور﴾ أي : النفخة الثانية من إسرافيل عليه الصلاة والسلام وإنما أخبر سبحانه وتعالى عن ملكه يومئذ وإن كان الملك له سبحانه وتعالى في كل وقت في الدنيا والآخرة لأنه لا منازع له يومئذ فإن من كان يدعي الملك من الجبابرة والفراعنة وسائر الملوك الذين كانوا في الدنيا قد زال ملكهم فاعترفوا أن الملك لله الواحد القهار وأنه لا منازع له تعالى فيه وعلموا أن الذي كانوا يدعونه من الملك في الدنيا غرور وباطل.
٤٩٦

تنبيه : اختلف العلماء في الصور المذكور في الآية فقال قوم : هو قرن ينفخ فيه وهو لغة أهل اليمن ، وقال مجاهد : الصور قرن كهيئة البوق ويدل على صحة هذا القول ما روي أن أعرابيا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ما الصور ؟
قال : "قرن ينفخ فيه".

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٩٥

وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال : "كيف أنتم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ" فكان ذلك ثقل على الصحابة فقالوا : كيف نعمل يا رسول الله أو كيف نقول ؟
قال : "قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا" وقال أبو عبيدة : الصور جمع صورة والنفخ فيها إحياؤها والأول أصح لما مر في الحديث ولإجماع أهل السنة أن المراد بالصور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل نفختين : نفخة الصعق ونفخة البعث للحساب ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي : ما غاب وما شوهد فلا يغيب عن علمه تعالى شيء ﴿وهو الحكيم﴾ أي : في جميع أفعاله وتدبير خلقه ﴿الخبير﴾ بباطن الأشياء كظاهرها بكل ما يعملونه من خير أو شر.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٩٥

﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر﴾ اختلف العلماء في لفظة آزر فقال مجاهد : آزر اسم أبي إبراهيم وهو تارح ضبطه بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة ، وقال البخاري في تاريخه الكبير : إبراهيم بن آزر وهو في التوراة تارخ فعلى هذا يكون لأبي إبراهيم اسمان : آزر وتارخ مثل يعقوب وإسرائيل إسمان لرجل واحد فيحتمل أن يكون اسمه آزر وتارخ لقب له وبالعكس ، فالله سماه آزر وإن كان عند النسابين والمؤرخين اسمه تارح ليعرف بذلك وكان آزر أبو إبراهيم من كوثى وهي قرية من سواد الكوفة وقال سعيد بن المسيب ومجاهد : آزر اسم صنم كان والد إبراهيم يعبده وإنما سماه بهذا الاسم لأن من عبد شيئا أو أحبه جعل اسم ذلك المعبود أو المحبوب اسما له فهو كقوله تعالى : ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾ (الإسراء ، ٧١) وقيل : معناه وإذا قال إبراهيم لأبيه : يا عابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والأول أصح لأن آزر اسم أبي إبراهيم لأن الله تعالى سماه به وأخرج البخاري في أفراده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "يلقى إبراهيم عليه الصلاة والسلام أباه آزر يوم القيامة على وجهه" أي : آزر فترة وغبرة الحديث سماه النبي صلى الله عليه وسلم آزر أيضا ولم يقل أباه تارح كما نقل عن النسابين والمؤرخين فثبت بهذا أن اسمه الأصلي آزر لا تارح وكان أهل تلك البلاد وهم الكنعانيون يعتقدون إلهية النجوم في السماء والأصنام في الأرض فيجعلون لكل نجم صنما فإذا أرادوا التقرب إلى ذلك النجم عبدوا ذلك الصنم ليشفع لهم عند ذلك النجم فقال إبراهيم منكرا عليهم منبها لهم على ظهور فساد ما هو مرتكبه ﴿أتتخذ﴾ أي : أتكلف نفسك إلى خلاف ما تدعو إليه الفطرة الأولى بأن تجعل ﴿أصناما آلهة﴾ أي : تعبدها وتخضع لها ولا نفع فيها

ولا ضر ﴿إني أراك وقومك﴾ أي : في إتفاقكم على هذا ﴿في ضلال﴾ أي : بعد عن الصراط المستقيم ﴿مبين﴾ أي : ظاهر جدا ببديهة العقل مع مخالفته لكل نبي نباه الله تعالى من آدم عليه السلام فمن بعده ، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ٤٩٧

بفتح الياء والباقون بالسكون.

﴾

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٩٧

وكذلك﴾ أي : ومثل هذا التبصير العظيم الشأن ﴿نري إبراهيم﴾ أي : نبصر وهي حكاية حال ماضية ﴿ملكوت السموات والأرض﴾ أي : عجائبهما وبدائعهما والملكوت أعظم الملك والتاء فيه للمبالغة كالرهبوت والرغبوت والرحموت من الرغبة والرهبة والرحمة ، وقال ابن عباس : خلق السموات والأرض ، وقال مجاهد وسعيد بن جبير : يعني آيات السموات والأرض وذلك إنه أقيم على صخرة وكشف له عن السموات حتى رأى العرش والكرسي وما في السموات **من العجائب** وحتى رأى مكانه في الجنة فذلك قوله تعالى : ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾ (العنكبوت ، ٢٧)". [(١)]

٤٤١-"معناه : أريناه مكانه في الجنة وكشف له عن الأرض حتى نظر أسفل الأرضين ورأى ما فيها **من العجائب.**

وروي عن سلمان ورفعه بعضهم عن علي قال : "لما رأى إبراهيم ملكوت السموات والأرض أبصر رجلا على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فأراد أن يدعو عليه فقال الرب تبارك وتعالى : يا إبراهيم إنك رجل مجاب الدعوة فلا تدعو على عبادي فإنما أنا من عبدي على ثلاث خلال : إما أن يتوب إلي فأتوب عليه وإما أن أخرج منه نسمة تعبدني وإما أن يبعث إلي فإن شئت عفوت عنه وإن شئت عاقبته" وفي رواية : "فإن تولى فإن جهنم من ورائه".

وقال قتادة : ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الأرض الجبال والشجر والبحار. وقيل : إن هذه الرؤية كانت بعين البصيرة لأن ذلك لا يدرك إلا بالعقل فأريناه ذلك ليستدل به على توحيدنا ﴿وليكون من الموقنين﴾ : واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد زوال الشبهة لأن الإنسان في أول الحال لا ينفك عن شبهة فإذا كثرت الدلائل وتوافقت صارت سببا لحصول اليقين والطمأنينة في القلب وزالت الشبهة عند ذلك قال ابن عباس في وليكون من الموقنين﴾ : جلي له الأمر سره وعلانيته فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلائق فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال الله تعالى إنك لا تستطيع هذا فرده الله تعالى كما كان قبل ذلك.

فلما جن عليه الليل﴾ أي : دخل فيه ﴿رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل﴾ أي : غاب ﴿قال لا أحب الآفلين﴾ وذلك إن إبراهيم صلى الله عليه وسلم ولد في زمن نمروذ بن كنعان وكان النمروذ أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس إلى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له : إنه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ، ويقال : إنهم وجدوا ذلك في كتب الأنبياء ، وقال السدي : إن النمروذ رأى في منامه كأن كوكبا طلع

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع ١/٣٤١

فذهب بضوأي الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا ودعا السحرة والكهنة فسألهم فقالوا : هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة فيكون هلاكك وهلاك ملكك وأهل بيتك على يديه فأمر بذبح كل غلام يولد في ناحيته في تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا فإذا حاضت المرأة خلى بينها وبين زوجها لأنهم كانوا لا يجامعون في الحيض فإذا طهرت حيل بينهما فرجع آزر فوجد امرأته قد طهرت فواقعها فحملت بإبراهيم.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٩٧

قال محمد بن إسحاق : بعث نمروذ إلى كل امرأة حبلى بقربه يحسبها عنده إلا ما كان من أم إبراهيم فإنه لم يعلم بحبلها لأنها كانت صغيرة لم يعرف الحبل ببطنها ، وقال السدي : خرج نمروذ

٤٩٨

بالرجال إلى العسكر ونحاهم عن النساء خوفا من ذلك ثم بدت له حاجة إلى المدينة ولم يأمن عليها أحدا من قومه إلا آزر فبعث إليه وأقسم عليه أن لا يدنو من أهله فقال آزر : أنا أشح على ديني من ذلك فأوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال : لو دخلت على أهلي فنظرت إليهم فلما نظر إلى أم إبراهيم لم يتمالك حتى واقعها فحملت إبراهيم ، قال ابن عباس : لما حملت أم إبراهيم به قال الكهان لنمروذ : إن الغلام الذي أخبرناك عنه قد حملته أمه الليلة فأمر نمروذ بذبح الغلمان.

قال محمد بن إسحاق : لما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت ليلا إلى مغارة وكانت قريبة منها فولدت فيها إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأصلحت من شأنه ما يصنع بالمولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت إلى بيتها وكانت تختلف إليه فتنظر ما فعل فتجده يمص من إصبع ماء ومن إصبع لبنا ومن إصبع عسلا ومن إصبع تمرا ومن إصبع سمنا ، وقال محمد بن إسحاق : كان آزر قد سأل أم إبراهيم عن حملها فقالت : ولدت غلاما فمات فصدقها وكان اليوم على إبراهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث إبراهيم في المغارة إلا خمسة عشر شهرا حتى قال لأمه : أخرجيني ، فأخرجته عشاء فنظر وتفكر في خلق السموات والأرض وقال : إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي ما لي إله غيره ، ثم نظر في السماء فرأى كوكبا فقال : هذا ربي ثم أتبعه بصره ينظر إليه حتى غاب فلما أفل قال : لا أحب الآفلين.". (١)

٤٤٢-"وقيل : أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي وإن لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وما نقموا﴾ أي : وما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ﴿إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ فإن أكثر أهل المدينة كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحرزون الغنيمة وبعد قدومه أخذوا الغنائم وفازوا بالأموال ووجدوا الدولة وذلك يوجب أن يكونوا محبين له مجتهدين في بذل النفس والمال لأجله وقتل للجلاس مولى فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر ألفا فاستغنى فالمنافقون عملوا بضد الواجب فوضعوا موضع شكره صلى الله عليه وسلم أن نقموا منه.

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع ٣٤٢/١

جزء : ١ رقم الصفحة : ٧٢١

وقال ابن قتيبة معناه ليس هناك شيء ينقمون منه ولا يعيبون من الله إلا الصنيع وهذا كقول الشاعر :

*ما نقموا من بني أمية إلا ** أنهم يحلمون إن غضبوا*

وكقول النابغة :

*ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ** بهن فلول من قراع الكتائب*

٧٢٢

أي : ليس فيها عيب ﴿فإن يتوبوا﴾ أي : من كفرهم ونفاقهم ﴿يك خيرا لهم﴾ في العاجل والآجل من إصرارهم على ذلك وهذا الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوبة ﴿وإن يتولوا﴾ أي : يعرضوا عن الإيمان والتوبة ويصروا على النفاق والكفر ﴿يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا﴾ بالقتل والأسر والإذلال ﴿والآخرة﴾ بالعذاب الأكبر الذي لا خلاص لهم منه وهو خلودهم في النار ﴿وما لهم في الأرض﴾ أي : التي لا يعرفون غيرها لسفول همتهم ﴿من ولي﴾ يحفظهم منه ﴿ولا نصير﴾ يمنعهم وأما السماء فهم أقل من أن يطمعوا منها في شيء ناصر أو غيره وأغلظ أكبادا من أن يرتقي فكرهم إلى ما بها **من العجائب** وما بها من الجنود واعلم أن هذه السورة أكثرها في شرح أحوال المنافقين ولا شك أنهم أقسام وأصناف فلهذا السبب يذكرهم الله تعالى على التفصيل فيقول تعالى : ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي﴾ (التوبة ، ٦١)

﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾ (التوبة ، ٥٨)

﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني﴾ (التوبة/ ٤٩)

.

﴾

جزء : ١ رقم الصفحة : ٧٢١". [١]

٤٤٣-"وروى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية قال : "رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته لكنه لما قال ذلك أخره الله تعالى سنة فأقام في بيته سنة مع الملك". قال الرازي : وهذا **من العجائب** ؛ لأنه لما تثاقل عند الخروج من السجن سهل الله تعالى عليه ذلك على أحسن الوجوه. ولما سارع في ذكر هذا الالتماس أخر الله تعالى ذلك المطلوب عنه ، وهذا يدل على أن ترك التصرف أتم ، والتفويض بالكلية إلى الله تعالى أولى ، ثم قال : ﴿إني حفيظ عليم﴾ ، أي : ذو حفظ وعلم بأمرها ، وقيل : كاتب وحاسب. فإن قيل : لم طلب يوسف عليه السلام الإمارة والنبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن سمرة : "لا تسأل الإمارة". ولم طلب الإمارة من سلطان كافر ، ولم لم يصبر مدة ، ولم أظهر الرغبة في طلبها في الحال ، ولم طلب أمر الخزائن في أول الأمر مع أن هذا يورث نوع تهمة ، ولم مدح نفسه وقد قال تعالى : ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ (النجم ، ٣٢) ولم ترك الاستثناء في هذا

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع ١/ ٥٠٠

وقد قال تعالى : ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله﴾ (الكهف : ٢٣ ، ٢٤) فهذه سبعة أسئلة ؟
.
١٣١
أجيب عنها : بأن الأصل في جواب هذه الأسئلة أن التصرف في أمور الخلق كان واجبا عليه فجاز له أن يتوصل إليه بأي طريق كان وإنما كان ذلك واجبا عليه لوجوه :
الأول : أنه كان رسولا حقا من الله تعالى إلى الخلق والرسول يجب عليه مراعاة الأمة بقدر الإمكان.
والثاني : أنه علم بالوحي أنه سيحصل القحط والضيق الشديد ، فلعله تعالى أمره أن يدبر في ذلك ويأتي بطريق لأجله يقل ضرر ذلك القحط في حق الخلق.
والثالث : أن السعي أيضا في إيصال النفع إلى المستحقين ورفع الضرر عنهم أمر مستحسن في العقول ، فكان مكلفا عليه السلام برعاية المصالح من هذه الوجوه ، وما كان يمكنه رعايتها إلا بهذا الطريق ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وإنما مدح نفسه ؛ لأن الملك وإن علم كماله في علوم الدين لكن ما كان عالما بأنه يفي بهذا الأمر ، وأيضا مدح النفس إنما يكون مذموما إذا قصد به الشخص التطاول والتفاخر والتوصل إلى غير ما يحل ، وأما هذا الوجه فليس بمذموم وقوله تعالى ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ (النجم ، ٣٢) المراد به تزكية حال من لا يعلم كونها مزكاة والدليل قوله تعالى بعد هذه الآية : ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ (النجم ، ٣٢) أما إذا كان الإنسان عالما بأنه صدق وحق فهذا غير ممنوع منه ، وإنما ترك الاستثناء ؛ لأنه لو ذكره بما اعتقد الملك فيه إنه إنما ذكره لعلمه أنه لا قدرة له على ضبط هذه المصلحة كما ينبغي ، فلهذا المعنى ترك الاستثناء ، ولما سأل يوسف عليه السلام ما تقدم قال معلما بأنه قد أجيب بتنجيز الله تعالى له :
﴾
جزء : ٢ رقم الصفحة : ١٣٠
وكذلك﴾ ، أي : كإنعامنا عليه بالخلاص من السجن ﴿مكنا ليوسف في الأرض﴾ ، أي : أرض مصر ﴿يتبوأ﴾ ، أي : ينزل ﴿منها حيث يشاء﴾ بعد الضيق والحبس قال ابن عباس وغيره : ولما انقضت السنة من يوم سأل الأمارة دعاه الملك فتوجه وجعل خاتم الملك في إصبعه وقلده سيفه وجعل له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع عليه ستون فراشا ، فقال يوسف عليه السلام : أما السرير فأشد به ملكك ، وأما الخاتم فأدبر به أمرك ، وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي ، وأمره أن يخرج فخرج لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه في صفاء لونه ، فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت له الملوك ودخل الملك بيته وفوض إليه أمر مصر ، وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه.
قال ابن إسحاق : قال ابن زيد : وكان لملك مصر خزائن كثيرة فسلم سلطانه كله إليه وجعل أمره وقضاءه نافذا في مملكته ، ثم مات قطفير بعد ذلك فزوجه الملك امرأته ، فلما دخل عليها قال : أليس هذا خيرا مما كنت تريدين ؟
قالت : أيها الصديق لا تلمني ، فإني كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي النساء ، وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك فغلبتني نفسي ، فوجدها يوسف عليه السلام عذراء فأصابها فولدت له ذكرين

افراثيم وميشا ، فأقام العدل بمصر وأحبه الرجال والنساء ، وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام بالدراهم والدنانير في السنة الأولى ، ثم بالحلي والجواهر في السنة الثانية ، ثم بالدواب في السنة الثالثة ، ثم بالعبيد والإماء في السنة الرابعة ، ثم بالضياع والعقار في السنة الخامسة ، ثم بأولادهم في السنة السادسة ، ثم برقابهم في السنة السابعة حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة إلا صار عبدا له ، فقال الناس : ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم من هذا صار كل الخلق

١٣٢". (١)

٤٤٤-"فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الأشياء كلها لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والإنس أن يزيد فيه أو ينقص منه كلمة واحدة أو حرفا واحدا وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فإنه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان ، فإن قيل : فلم اشتغلت الصحابة بجمع القرآن في المصحف وقد وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله تعالى فلا خوف عليه ؟

أجيب : بأن جمعهم القرآن في المصحف كان من أسباب حفظ الله تعالى إياه فإنه تعالى لما أراد حفظه قيضهم لذلك ، قال أصحابنا : وفي هذه الآية دلالة قوية على كون البسملة آية من أول كل سورة لأن الله تعالى قد وعد حفظ القرآن والحفظ لا معنى له إلا أن يبقى مصونا من الزيادة والنقصان فلو لم تكن البسملة آية من القرآن لما كان مصونا عن التغيير ولما كان محفوظا عن الزيادة ولو جاز أن يظن بالصحابة أنهم زادوا جاز أيضا أن يظن بهم النقصان وذلك يوجب خروج القرآن عن كونه حجة ، وقيل : الضمير في له راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى : وإنا لمحمد لحافظون ممن أراد به سوءا فهو كقوله تعالى : ﴿والله يعصمك من الناس﴾ (المائدة ، ٦٧)

.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢١٧

ولما أساء الكفار عليه صلى الله عليه وسلم في الأول وخاطبوه بالسفاهة وقالوا : ﴿إنك لمجنون﴾ (الحجر ، ٦)

. وكان عادة هؤلاء الجهال مع جميع الأنبياء قال سبحانه وتعالى تسلية له على وجه راد

٢١٩

عليهم :

﴿ولقد أرسلنا من قبلك﴾ ، أي : رسلا فحذف ذكر الرسل لدلالة الإرسال عليه وقوله تعالى : ﴿في شيع﴾ أي : فرق ﴿الأولين﴾ من باب إضافة الصفة إلى الموصوف كقوله تعالى : ﴿حق اليقين﴾ (الواقعة ، ٩٥)

سموا شيعا لمتابعة بعضهم بعضا في الأحوال التي يجتمعون عليها في الزمن الواحد ، والشيع جمع شيعة وهي الفرقة المجتمعة المتفقة كلمتهم على مذهب وطريقة. وقال الفراء : الشيعة هم الأتباع وشيعة الرجل أتباعه ، وقيل : الشيعة من يتقوى بهم

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع ٢/٩٤

الإنسان.

﴿وما يأتيهم﴾ عبر بالمضارع على حكاية الحال الماضية ، فإن ما لا تدخل على مضارع إلا وهو في معنى الحال ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال ، والأصل وما كان يأتيهم ﴿من رسول﴾ ، أي : على ، أي : وجه كان ﴿إلا كانوا به﴾ جبلة وطبعا ﴿يستهزؤون﴾ كاستهزاء قومك بك فصبروا فاصبر كما صبروا.

﴿كذلك﴾ ، أي : مثل ادخالنا التكذيب في قلوب هؤلاء المستهزئين بالرسل ﴿نسلكه﴾ ، أي : ندخله ﴿في قلوب المجرمين﴾ ، أي : كفار مكة المستهزئين.

﴿لا يؤمنون به﴾ ، أي : بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل : بالقرآن. وفي الآية دليل على أن الله تعالى يخلق الباطل في قلوب الكفار والسلك إدخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون ، ومنه قوله تعالى : ﴿ما سلككم في سقر﴾ (الدثر ، ٤٢)

وقيل : الضمير في نسلكه يعود للذكر كما أن الضمير في به يعود إليه وجملة لا يؤمنون به حال من ذلك الضمير والمعنى على هذا مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا به غير مؤمن به قال البيضاوي : وهذا الاستدلال ضعيف إذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع إليه اه. وما أعدت الضمير عليه في ذلك هو ما قاله ابن الخازن ، وجرى عليه الجلال السيوطي وقوله تعالى : ﴿وقد خلت سنة الأولين﴾ ، أي : سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم وعيد شديد لكفار مكة بأنه ينزل بهم مثل ما نزل بالأمم الماضية المكذبة ، وقال الزجاج : قد مضت سنة الله في أن يسلك الكفر والضلال في قلوبهم.

قال الرازي : وهذا أليق بظاهر اللفظ. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بإدغام تاء التأنيث في السين والباقون بالإظهار وقوله تعالى :

﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء﴾ الآية هو المراد في سورة الأنعام في قوله تعالى : ﴿ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس﴾ (الأنعام ، ٧)

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢١٧

الآية ، أي : الذين يقولون لو ما تأتينا بالملائكة فلو أنزلنا الملائكة ﴿فظلوا فيه﴾ ، أي : فظلت الملائكة ﴿يعرجون﴾ ، أي : يصعدون في الباب وهم يرونها عيانا.

﴿لقالوا﴾ ، أي : من عتوهم في الكفر ﴿إنما سكرت أبصارنا﴾ ، أي : سدت عن الأبصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف أو حيرت من السكر يدل عليه قراءة الباقين بالتشديد. ﴿بل نحن قوم مسحورون﴾ ، أي : قد سحرنا محمد بذلك ، أي : كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات كانشقاق القمر وما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن المعجز الذي لا يستطيع الجن والإنس أن يأتوا بمثله. وقيل : الضمير في يعرجون للمشركين ، أي : فظل المشركون يصعدون في ذلك الباب فينظرون في ملكوت السموات وما فيها **من العجائب** لما آمنوا لعنادهم وكفرهم وقالوا : إنما سحرنا. وقرأ الكسائي بإدغام لام بل في النون والباقون بالإظهار. ولما أجاب الله تعالى عن شبهة منكري النبوة والقول

بالنبوة مفرع على القول بالتوحيد

٢٢٠". [(١)]

٤٤٥-"صفة ومن حالة إلى حالة فإذا كان كذلك لم يمتنع أيضا أن يكون قادرا على أن يقلب أجزاء أبدان الأموات إلى صفة الحياة والعقل كما كانت قبل ذلك فهذا الاعتبار يدل من هذا الوجه على أن البعث والقيامة أمرممكن غير ممتنع وفي حدوث اللبن في الثدي واتصافه بالصفات التي باعتبارها يكون موافقا لتغذية الطفل مشتملة على حكمة عجيبة يشهد صريح العقل بأنها لا تحصل إلا بتدبير الفاعل الحكيم المدبر وبيانه من وجوه : الأول أنه تعالى خلق في أسفل المعدة منفذا يخرج منه ثفل الغذاء فإذا تناول الإنسان غذاء أو شرابا انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا لا يخرج منه شيء من ذلك المأكول والمشروب إلى أن يكمل انهضامه في المعدة ، ويجذب ما صفي منه إلى الكبد ويبقى الثفل هناك فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه ذلك الثفل وهذا **من العجائب** التي لا يمكن حصولها إلا بتدبير الفاعل الحكيم لأنه متى كانت الحاجة إلى خروج ذلك الجسم من المعدة انفتح فحصول الانطباق تارة والانفتاح تارة أخرى بحسب الحاجة وبقدر المنفعة مما لا يتأتى إلا بتقدير الفاعل الحكيم. الثاني : عند تولد اللبن في الضرع يحدث الله تعالى في حلمة الثدي ثقبا صغيرة ومسام ضيقة وجعلها بحيث إذا اتصل المص والحلب بتلك الحلمة انفصل اللبن عنها ولما كانت تلك المسام ضيقة جدا كان لا يخرج منها إلا ما كان في غاية الصفاء واللطافة. وأما الأجزاء الكثيفة فإنه لا يمكنها الخروج من تلك المنافذ الضيقة فتبقى في الداخل فالحكمة في أحداث تلك الثقب الصغيرة والمنافذ الضيقة في رأس حلمة الثدي أنها تكون كالمصفاة فكل ما كان لطيفا خرج وكل ما كان كثيفا احتبس في الداخل ولم يخرج فبهذا الطريق يصيراللبن خالصا موافقا لبدن الطفل سائغا للشاربين. الثالث : أنه تعالى ألهم ذلك الطفل إلى المص فإن الأم كلما ألقت حلمة الثدي في فم الطفل فذلك الطفل في الحال يأخذ في المص ، ولولا أن الفاعل المختار الرحيم ألهم ذلك الطفل الصغير ذلك العمل المخصوص وإلا لم يحصل الانتفاع بتخليق ذلك اللبن في الثدي.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٦٩

وقوله تعالى : ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب﴾ متعلق بمحذوف تقديره : ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب ، أي : من عصيرهما وحذف لدلالة نسقيكم عليه ، وقوله تعالى : ﴿تتخذون منه سكرا﴾ بيان وكشف عن كنه الإسقاء. قال الواحدي : الأعناب عطف على الثمرات لا على النخيل لأنه يصير التقدير : ومن ثمرات الأعناب والعنب نفسه ثمرة وليس له ثمرة أخرى ﴿ورزقا حسنا﴾ كالتمر والزبيب والدبس والخل. تنبيه : في تفسير السكر وجوه : الأول : هو الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو : رشد رشدا ورشدا. فإن قيل : الخمر محرمة فكيف ذكرها الله تعالى في معرض الأنعام ؟

أجيب : عن ذلك بوجهين : أحدهما : أن هذه السورة مكية وتحريم الخمر نزل في سورة المائدة ، فكأن نزول هذه الآية

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع ٢/١٥٤

كان في الوقت الذي كانت الخمرة فيه غير محرمة وممن قال بنسخها النخعي والشعبي. الثاني : أن الآية جامعة بين العتاب والمنة فالعتاب بالنسبة إلى السكر والمنة بالنسبة إلى رزقا حسنا. الوجه الثاني : أن السكر هو النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر فإذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ، ثم يترك حتى يشتد فهو حلال عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى إلى حد السكر ، ويحتج بهذه

٢٧٢

الآية وبقوله صلى الله عليه وسلم "الخمر حرام لعينها" وهذا يقتضي أن يكون السكر شيئا غير الخمر وكل من أثبت هذه المغايرة قال : إنه النبيذ المطبوخ. الوجه الثالث : أن السكر هو الطعام قاله أبو عبيدة واحتج عليه بقول الشاعر :

* جعلت إعراض الكرام سكرا

أي تنقلب بإعراضهم بأن جعلتها نقلا وتناولتها والنقل ما ينتقل به على الشراب. قال البغوي : وأولى الأقاويل أن قوله تعالى : ﴿تتخذون منه سكرا﴾ منسوخ انتهى. ويدل له قول الحسن : ذكر الله نعمته عليهم في الخمر قبل أن يحرمها عليهم. وروي عن ابن عباس قال : السكر ما حرم من ثمرها ، والرزق الحسن ما أحل من ثمرها. وروي عنه أيضا السكر الحرام منه والرزق زبيبه وعنبه ومنافعه. ثم قال تعالى : ﴿إن في ذلك﴾ المذكور ﴿لآية﴾ أي : دلالة على قدرته تعالى : ﴿لقوم يعقلون﴾ أي : يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل في الآيات فيعلمون أن هذه الأحوال لا يقدر عليها إلا الله تعالى فيحتج بحصولها على وجود الإله القادر الحكيم. ولما بين أن إخراج الألبان وإخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب دليل قاطع وبرهان ساطع على أن لهذا العالم إلها قادرا مختارا حكيما. ذكر أن إخراج العسل الذي جعله الله تعالى شفاء للناس من دابة ضعيفة وهي النحل دليل قاطع. وبرهان ساطع على إثبات هذا المقصود بقوله تعالى :

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٦٩". [1]

٤٤٦-"﴿وإنا لجاعلون ما عليها﴾ من جميع تلك الزينة لا يصعب علينا شيء منه ﴿صعيدا﴾ ، أي : فتاتا ﴿جزرا﴾ ، أي : يابسا لا ينبت ونظيره قوله تعالى : ﴿كل من عليها فان﴾ (الرحمن ، ٢٦) . وقوله تعالى : ﴿فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا﴾ (طه : ١٠٦ ، ١٠٧) . وتخصيص الإهلاك بما على الأرض يوهم بقاء الأرض إلا أن سائر الآيات على أن الأرض أيضا لا تبقى كما قال تعالى : ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ (إبراهيم ، ٨٤) . ولما أن القوم تعجبوا في قصة أصحاب الكهف وسألوها النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الامتحان قال تعالى :

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٨٦

﴿أم حسبت﴾ ، أي : ظننت على ما لك من العقل الرزين والرأي الرصين ﴿أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾ على ما لزم من تهويل السائلين من الكفرة من اليهود والعرب والواقع أنهم كانوا **من العجائب** ليسوا بعجب بالنسبة إلى كثرة آياتنا فإن من كان قادرا على تخليق السموات والأرض كيف يستبعد من قدرته وحفظه ورحمته حفظ طائفة مدة

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع ١٩١/٢

ثلاثمائة سنة وأكثر في النوم والكهف الغار الواسع في الجبل ، واختلف في الرقيم فقيل هو اسم كلبهم قال أمية بن أبي الصلت :

وليس بها إلا الرقيم مجاورا

وصيدهم ؛ وهو بكسر الصاد مفعول مجاورا ، أي : فناءهم. والقوم في الكهف هجد ؛ ، أي : نوم ، وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه أسماؤهم وقصصهم جعل على باب الكهف. قال البغوي : وهذا أظهر الأقاويل. وقيل : إن الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف ، وقيل الجبل وقيل قريتهم ، وقيل أصحاب الرقيم قوم آخرون غير أصحاب الكهف كانوا ثلاثة يطلبون الكلأ أو نحوه لأهلهم فأخذهم المطر فأووا إلى الكهف فانحطت صخرة وسدت عليهم بابه فقال أحدهم : اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد : استعملت أجراء ذات يوم فجاء رجل منهم وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فأعطيته مثل أجرهم فغضب أحدهم وترك أجره فوضعته في جانب البيت فمر بي بقر فاشتريت فصيلة والفصيلة ولد الناقة إذا انفصل عن أمه فبلغت ما شاء الله فرجع إلي بعد حين شيخا ضعيفا لا أعرفه وقال : إن لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها إليه جميعا اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع عنهم الجبل حتى رأوا الضوء والصدع الشق والصداع وجع الرأس. وقال آخر : كان في

٣٨٩

فضل وأصاب الناس شدة فجاءتني امرأة تطلب مني معروفا فقلت : والله ما هو دون نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت ذلك لزوجها فقال : أجيبي له وأعيني عيالك فأتت وسلمت إلي نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت لها : ما لك ؟

فقالت : أخاف الله تعالى : فقلت لها : خفتيه في الشدة ولم أخفه في الرخاء فتركتها وأعطيتها ملتمسها اللهم إن كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا. وقال الثالث : كان لي أبوان هرمان وكان لي غنم وكنت أطعمهما وأسقيهما ثم أرجع إلى غنمي فحبسني ذات يوم غيم فلم أرجع حتى أمسيت فأتيت أهلي وأخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت إليهما فوجدتهما نائمين فشق علي أن أوقظهما فوقفت حابسا محلبي على يدي حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك النعمان بن بشير وقد قدمنا سبب نزول قصة أصحاب الكهف عند قوله تعالى : ﴿ويسألونك عن الروح﴾ (الإسراء ، ٨٥) .

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٨٩". (١)

٤٤٧-"لا جرم أشركه الله تعالى في الصلوات في قوله : ﴿كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم﴾ سادسها :

وفي حق سارة في قوله تعالى : ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾ (النجم ، ٣٧)

لا جرم جعل موطئ قدميه مباركا ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ (البقرة ، ١٢٥)

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع ٢٧٤/٢

سابعها : عادى كل الخلق في الله فقال فإنهم عدو لي إلا رب العالمين فاتخذه الله خليلا كما قال : ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ (النساء ، ١٢٥)

ليعلم صحة قولنا ما خير على الله أحدا.

القصة الرابعة قصة موسى عليه السلام المذكورة في قوله تعالى

﴿واذكر في الكتاب﴾ أي : الذي لا كتاب مثله في الكمال ﴿موسى﴾ أي : الذي أنقذ الله به بني إسرائيل من العبودية ثم إن الله تعالى وصفه بأمور أحدها قوله تعالى : ﴿إنه كان مخلصا﴾ قرأه عاصم وحمزة والكسائي بفتح اللام أي : مختارا اختاره الله تعالى واصطفاه وقيل أخلصه الله تعالى من الدنس والباقون بالكسر أي : أخلص التوحيد لله والعبادة ومتى ورد القرآن بقراءتين فكل منهما ثابت مقطوع به فجعل الله تعالى من صفة موسى عليه السلام كلا الأمرين. ثانيها : قوله تعالى : ﴿وكان رسولا﴾ إلى بني إسرائيل والقبط ﴿نبيا﴾ ينبئه الله بما يريد من وحيه لينبئ به المرسل إليهم فيرتفع بذلك قدره فلذلك صرح بها بعد دخولها في الرسالة ضمنا إذ كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا خلافا للمعتزلة فإنهم زعموا كونهما متلازمين فكل رسول نبي وكل نبي رسول وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى في سورة الحج عند قوله : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ (الحج ، ٥٢)

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٧٤

ثالثها : قوله تعالى :

﴿وناديناه﴾ أي : بما لنا من العظمة ﴿من جانب الطور﴾ هو اسم جبل ﴿الأيمن﴾ أي : الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين فأنبأناه هناك حين كان متوجها إلى مصر بأنه رسولنا ثم واعدناه إليه بعد إغراق آل فرعون فكان لبني إسرائيل به **من العجائب** في رحمتهم بإنزال الكتاب والإلذاذ بالخطاب من جوف السحاب وفي إماتتهم لما طلبوا الرؤية ثم إحيائهم وغير ذلك ما يجل عن الوصف. رابعها : قوله تعالى : ﴿وقربناه﴾ بما لنا من العظمة تقريب تشريف حالة كونه ﴿نجيا﴾ نخبره من أمرنا بلا واسطة من النجوى وهي السر والكلام بين اثنين كالسر وقيل قرب مكان أي : مكانا عاليا ، عن أبي العالية أنه قرب حتى سمع صرير القلم حيث يكتب التوراة في الألواح وقيل أنجيناه من أعدائه ، خامسها : قوله تعالى :

﴿ووهبنا له﴾ أي : هبة تليق بعظمتنا ﴿من رحمتنا﴾ أي : من أجل رحمتنا أو بعض رحمتنا ﴿أخاه﴾ أي : معاضدة أخيه وموازرته لا شخصه وإخوته وذلك إجابة لدعوته ﴿واجعل لي وزيرا من أهلي هارون﴾ (طه : ٢٩ ، ٣٠)

فإنه كان أسن من موسى

٤٧٦

تنبيه : أخاه مفعول أو بدل على تقدير أن تكون من للتبعيض وقوله : ﴿هارون﴾ عطف بيان وقوله ﴿نبيا﴾ حال منه هي المقصودة بالهبة.

القصة الخامسة : قصة إسماعيل عليه السلام المذكورة في قوله تعالى :

﴿واذكر في الكتاب إسماعيل﴾ بن إبراهيم عليهما السلام الذين هم معترفون بنبوته ومفتخرون برسالته وأبوته فلزم من ذلك

فساد تعليلهم إنكار نبوتك بأنك من البشر ثم إن الله تعالى وصف إسماعيل بأمور :

أولها : قوله تعالى : ﴿إنه كان﴾ أي : جبلة وطبعا ﴿صادق الوعد﴾ في حق الله وفي حق غيره لمعونة الله له على ذلك بسبب أنه لا يعد وعدا إلا مقرونا بالاستثناء كما قال لأبيه حين أخبره بأمر ذبحه : ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ (الصافات ، ١٠٢)

وخصه بالمدح به وإن كان الأنبياء كلهم كذلك لقصة الذبح فلا يلزم منه تفضيله مطلقا وروي عن ابن عباس أنه وعد صاحبا له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة وروي أن عيسى عليه السلام قال له رجل انتظرني حتى آتيك فقال عليه السلام نعم وانطلق الرجل ونسي الميعاد فجاء إلى حاجته إلى ذلك المكان وعيسى عليه السلام هناك للميعاد ، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنه واعد رجلا ونسي ذلك الرجل فانتظره من الضحى إلى غروب الشمس" وسئل الشعبي عن الرجل يعد ميعادا إلى أي وقت ينتظره ؟

قال : فإن واعده نهارا فكل النهار وإن واعده ليلا فكل الليل ، وسئل إبراهيم بن زيد عن ذلك فقال : إذا واعدته في وقت الصلاة فانتظره إلى وقت صلاة أخرى.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٧٤

ثانيها : قوله تعالى : ﴿وكان رسولا نبيا﴾ قد مر تفسيره. وثالثها : قوله تعالى : ". (١)

٤٤٨-"﴿قال﴾ لهم ﴿يا أيها الملأ﴾ أي : الأشراف ﴿أيكم﴾ وفي الهمزتين ما تقدم ﴿يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾ أي : مؤمنين ، وقال ابن عباس : واختلفوا في السبب الذي لأجله أمر سليمان بإحضار عرشها فقال أكثرهم : لأن سليمان علم أنها إن أسلمت يحرم عليه مالها فأراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها ، وقيل : ليريها قدرة الله تعالى ببعض ما خصه به **من العجائب** الدالة على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبوة في معجزة يأتي بها في عرشها ، وقال قتادة : لأنه أعجبته صفته لما وصفه الهدهد بالعظم فأحب أن يراه ، وقال ابن زيد : يريد أن يأمر بتنكيره وتغييره فيختبر بذلك عقلها.

﴿قال عفريت من الجن﴾ وهو المارد القوي ، قال وهب : اسمه كودي ، وقيل : ذكوان ، وقال ابن عباس العفريت الداهي ، وقال الضحاك : هو الخبيث ، وقال الربيع : الغليظ ، وقال الفراء : القوي الشديد ، قيل : إن الشياطين أقوى من الجن وأن المردة أقوى من الشياطين وأن العفريت أقوى منهما ، قال بعض المفسرين العفريت من الرجال الخبيث المتكبر ، وقيل : هو صخر الجني وكان بمنزلة جبل يضع قدمه عند منتهى طرفه ، وقوله تعالى ﴿أنا آتيك به﴾ قرأه في الموضعين نافع بإثبات الألف من أنا وصلا ووقفا ، والباقون وصلا لا وقفا ، ثم بين سرعة إسراعه بقوله ﴿قبل أن تقوم من مقامك﴾ أي : الذي تجلس فيه للقضاء ، قال ابن عباس : كان له غداة كل يوم مجلس يقضي فيه إلى نصف النهار ، ثم أوثق الأمر وأكده بقوله ﴿وإني عليه﴾ أي : على الإتيان به سالما ﴿لقوي﴾ أي : على حمله لا يحصل عجزي عنه ﴿أمين﴾ أي : على ما فيه من

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع ٣٤١/٢

الجواهر وغيرها ، قال سليمان عليه السلام أريد أسرع من ذلك.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٠٤
قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ المنزل وهو علم الوحي والشرائع ، وقيل : كتاب سليمان ، وقيل : اللوح المحفوظ ، والذي عنده علم من الكتاب جبريل ، قال البقاعي ولعله التوراة والزبور انتهى ، وفي ذلك إشارة إلى أن من خدم كتاب الله حق الخدمة كان الله تعالى معه ، كما ورد في شرعنا "كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويديه التي يبطش بها ورجله التي
١٠٥
يمشي عليها" ، أي : أنه يفعل له ما يشاء.
واختلفوا في تعيينه : فقال أكثر المفسرين : هو آصف بن برخيا كاتب سليمان ، وقيل اسمه أسطوم وكان صديقا عالما يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى ، وقيل ملك أيد الله تعالى به سليمان عليه السلام ، وعن ابن لهيعة بلغني أنه الخضر عليه السلام ﴿أنا آتيك به﴾ ثم بين فضله على العفريت بقوله ﴿قبل أن يرتد﴾ أي : يرجع ﴿إليك طرفك﴾ أي : بصرك إذا طرفت أجفانك فأرسلته إلى منتهاه ، ثم رددته فالطرف : تحريكك أجفانك إذا نظرت فوضع في موضع النظر ، ولما كان الناظر موصوفا بإرسال الطرف في نحو قوله :
*وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا ** لقلبك يوما أتعبتك المناظر*
وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ، روي أن آصف قال لسليمان مد عينيك حتى ينتهي طرفك ، فمد سليمان عينيه فنظر نحو اليمين ودعا آصف فبعث الله تعالى الملائكة فحملوا السرير من تحت الأرض يجدون جدا حتى انخرقت الأرض بالسرير بين يدي سليمان ، وقال الكلبي : خر آصف ساجدا ودعا باسم الله الأعظم فغار عرشها تحت الأرض حتى نبع تحت كرسي سليمان بقدرة الله تعالى ، وقيل : كانت المسافة شهرين ، وقال سعيد بن جبير : يعني من قبل أن يرجع إليك أقصى من ترى وهو أن يصل إليك من كان منك على مد بصرك ، وقال قتادة : قبل أن يأتيك الشخص من مد البصر ، وقال مجاهد : يعني : إدامة النظر حتى يرد البصر خاسئا ، قال الزمخشري : ويجوز أن يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به ، كما تقول لصاحبك افعل ذلك في لحظة وفي رد طرف والتفت تربي وما أشبه ذلك تريد السرعة انتهى.
واختلفوا في الدعاء الذي دعا به آصف : فقال مجاهد ومقاتل : بياذا الجلال والإكرام ، وقال الكلبي : يا حي يا قيوم ، وروي ذلك عن عائشة رضي الله عنها ، وروي عن الزهري قال دعاء الذي عنده علم من الكتاب يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت ائتني بعرشها ، وعن الحسن يا الله يا رحمن ، وقال محمد بن المنكدر إنما هو سليمان قال له عالم من بني إسرائيل آتاه الله تعالى علما وفهما أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك قال سليمان هات قال أنت النبي ابن النبي وليس أحد أوجه عند الله منك فإن دعوت الله كان عندك فقال صدقت ففعل ذلك فجيء بالعرش في الوقت.
جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٠٤
قال الرازي وهذا القول أقرب واستدل لذلك بوجوه منها : أن سليمان كان أعرف بالكتاب من غيره لأنه هو النبي فكان

صرف اللفظ إليه أولى ، ومنها : أن إحضار العرش في تلك الساعة اللطيفة درجة عالية فلو حصلت لآصف دون سليمان لاقتضى ذلك قصور حال سليمان في أعين الخلق ، ومنها : أنه قال هذا من فضل ربي فظاهره يقتضي أن يكون ذلك المعجز قد أظهره الله تعالى بدعاء سليمان.". (١)

٤٤٩-"ولما أمر تعالى بذلك علله بقوله تعالى : ﴿ذلك﴾ أي : الستر ﴿أدنى﴾ أي : أقرب من تركه في ﴿أن يعرفن﴾ أنهن حرائر بما يميزهن عن الإماء ﴿فلا﴾ أي : فتسبب عن معرفتهن أن لا ﴿يؤذين﴾ ممن يتعرض للإماء فلا يشتغل قلبك عن تلقي ما يرد عليك من الأنباء الإلهية قال ابن عادل : ويمكن أن يقال : المراد يعرفن أنهن لا يزنين لأن من تستر وجهها مع أنه ليس بعورة أي : في الصلاة لا يطمع فيها أنها تكشف عورتها ، فبفرض أنهن مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن انتهى.

ولما رقاهن تعالى لهذا الأمر خفف عاقبة ما كن فيه من التشبيه بالإماء فأخبرهن تعالى بوسع كرمه وجوده بقوله تعالى : ﴿وكان الله﴾ أي : الذي له الكمال المطلق أزلا وأبدا ﴿غفورا﴾ أي : لما سلف منهن من ترك الستر فهو محاء للذنوب عينا وأثرا ﴿رحيما﴾ بهن إذ سترهن وبمن يمتثل أوامره ويجتنب نواهيه قال البغوي : قال أنس : مرت بعمر جارية مقنعة فعلاها بالدرة وقال : يا لكاع أتتشبهين بالحرائر ألقي القناع ويظهر أن عمر إنما فعل ذلك خوفا من أن تلتبس الإماء بالحرائر فلا

٣٣٩

يعرف الحرائر فيعود الأمر كما كان.

ولما كان المأذون بما مضى وغيره أهل النفاق ومن داناهم حذرهم بقوله تعالى مؤكدا دفعا لظنهم دوام الحلم عليهم :

﴿لئن لم ينته﴾ عن الأذى ﴿المنافقون﴾ أي : الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام ﴿والذي في قلوبهم مرض﴾ أي : غل مقرب من النفاق حامل على المعاصي ﴿والمرجفون في المدينة﴾ المؤمنين أي : بالكذب وذلك أن ناسا منهم كانوا إذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يذيعون في الناس أنهم قد قتلوا أو هزموا ويقولون : قد أتاكم العدو ونحو ذلك ، وأصل الرجفة : التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمى به الأخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة ﴿لنغرينك بهم﴾ أي : لنسلطنك عليهم بالقتل والجلاء ، أو بما يضطرهم إلى طلب الجلاء وقوله تعالى : ﴿ثم لا يجاورونك﴾ أي : يساكنونك ﴿فيها﴾ أي : المدينة عطف على لنغرينك وثم للدلالة على أن الجلاء ومفارقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم ما يصيبهم ﴿إلا قليلا﴾ أي : زمانا أو جوارا قليلا ، ثم يخرجون منها وقيل : نسلطك عليهم حتى تقتلهم وتخلى منهم المدينة.

وقوله تعالى :

﴿ملعونين﴾ أي : مبعودين عن الرحمة حال من فاعل يجاورونك قاله ابن عطية والزمخشري وأبو البقاء ﴿أينما ثقفوا﴾ أي : وجدوا ﴿أخذوا وقتلوا﴾ ثم أكده بالمصدر بغضا فيهم وإرهابا لهم بقوله تعالى : ﴿تقتيلا﴾ أي : الحكم فيهم هذا على وجه الأمر به.

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع ٣/٧٠

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٣٤

وقوله تعالى :

﴿سنة الله﴾ أي : المحيط بجميع العظمة مصدر مؤكد أي : سن الله ذلك ﴿في الذين خلوا من قبل﴾ أي : في الأمم الماضية وهو أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء وسعوا في وهنهم بالإرجاف ونحوه أينما ثقفوا ﴿ولن تجد لسنة الله﴾ أي : طريقة الملك الأعظم ﴿تبديلا﴾ أي : ليست هذه السنة مثل الحكم الذي يتبدل وينسخ ، فإن النسخ يكون في الأقوال أما الأفعال إذا وقعت والأخبار فلا تنسخ.

ولما بين تعالى حالهم في الدنيا أنهم ملعونون ومهانون ويقتلون أراد أن يبين حالهم في الآخرة فذكرهم بالقيامة وذكر ما يكون لهم فيها بقوله :

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٣٤

﴿يسألك﴾ يا أشرف الخلق ﴿الناس﴾ أي : المشركون استهزاء منهم وتعنتا وامتحانا ﴿عن الساعة﴾ أي متى تكون في أي : وقت ﴿قل﴾ أي : لهم في جوابهم ﴿إنما علمها عند الله﴾ الذي أحاط علمه بجميع الأشياء ﴿وما يدريك﴾ أي : أي شيء يعلمك أمر الساعة ومتى يكون قيامها أنت

٣٤٠

لا تعرفه ﴿لعل الساعة﴾ أي : التي لا ساعة في الحقيقة غيرها لما لها من العجائب ﴿تكون﴾ أي : توجد وتحدث على وجه مهول عجيب ﴿قريبا﴾ أي : في زمن قريب قال البقاعي : ويجوز أن يكون التذكير لأجل الوقت لأن السؤال عنها إنما هو عن تعيين وقتها قال البخاري في الصحيح : إذا وصفت صفة المؤنث قلت قريبة ، وإذا جعلته ظرفا أو بدلا ولم ترد الصفة نزعت الهاء من المؤنث ، وكذلك لفظها في الاثنين والجمع للذكر والأنثى.

ثم استأنف الإخبار بحال السائلين عنها بقوله تعالى :

﴿إن الله﴾ أي : الملك الأعلى ﴿لعن﴾ أي : أبعد إبعادا عظيما من رحمته ﴿الكافرين﴾ أي : الساترين لما من شأنه أن يظهر مما دلت عليه العقول السليمة من أمرها ﴿وأعد﴾ أي : أوجد وهيأ ﴿لهم﴾ من الآن ﴿سعيرا﴾ أي : نارا شديدة الاضطرام والتوقد لتكذيبهم بها وبغيرها مما أوضح لهم أدلته.

﴾

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٤٠

خالدين﴾ أي : مقدرا خلودهم ﴿فيها﴾ أي : السعير وأعاد عليها الضمير مؤنثا لأنها مؤنثة أو لأنه في معنى جهنم وقوله تعالى : ﴿أبدا﴾ بيان لإرادة الحقيقة لئلا يتوهم بالخلود المكث الطويل ﴿لا يجدون وليا﴾ أي : يتولى أمرا مما يصيبهم بشفاعة أو غيرها ﴿ولا نصيرا﴾ ينصرهم وقوله تعالى : ". (١)

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع ٣/٢٣٠

٤٥٠-"﴿أتخذناهم سخريا﴾ صفة أخرى ل ﴿رجالا﴾ أي : كنا نسخر بهم في الدنيا ، وقرأ نافع وحمزة والكسائي بضم السين والباقون بكسرها ﴿أم زاغت﴾ أي : مالت ﴿عنهم الأبصار﴾

٥١٢

أي : فلم نرهم حين دخلوها وقال ابن كيسان : أي : أم كانوا خيرا منا ونحن لا نعلم فكانت أبصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئا.

﴿إن ذلك﴾ أي : الذي حكيناه عنهم ﴿لحق﴾ أي : واجب وقوعه فلا بد أن يتكلموا به ثم بين ذلك الذي حكاه عنهم بقوله تعالى : ﴿تخاصم أهل النار﴾ أي : في النار وإنما سماه تخاصما لأن قول القادة للأتباع : لا مرحبا بهم ، وقول الأتباع للقادة : بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥١٢

تنبيه : يصح في تخاصم أوجه من الإعراب أحدها : أنه بدل من لحق ، الثاني : أنه عطف بيان ، الثالث : أنه خبر ثان لأن ، الرابع : أنه خبر مبتدأ مضمر أي : هو تخاصم.

ولما شرح سبحانه نعيم أهل الثواب وعقاب أهل العذاب عاد إلى تقرير التوحيد والنبوة والبعث المذكورات أول السورة بقوله تعالى :

﴿قل﴾ يا أفضل الخلق للمشركين ﴿إنما أنا منذر﴾ أي : مخوف بالنار لمن عصى ﴿و﴾ لا بد من الإقرار بأنه ﴿ما من إله إلا الله﴾ أي : الجامع لجميع الأسماء الحسنى ﴿الواحد القهار﴾ فكونه واحدا يدل على عدم الشريك وكونه قهارا مشعر بالتخويف والترهيب.

ولما ذكر ذلك أردفه بما يدل على الرجاء والترغيب بقوله تعالى : شأنه :

﴿رب السموات﴾ أي : مبدعها وحافظها على علوها وسعتها وإحكامها بما لها من الزينة والمنافع ﴿والأرض﴾ أي : على سعتها وضخامتها وكثافتها وما فيها من العجائب ﴿وما بينهما﴾ أي : الخافقين من الفضاء والهواء وغيرهما من العناصر والنبات والحيوانات العقلاء وغيرها ربي كل شيء من ذلك إيجادا وإبقاء على ما يريد وإن كره ذلك المربوب فدل ذلك على قهره وتفرده ﴿العزيز﴾ أي : الغالب على أمره ﴿الغفار﴾ فكونه ربا يشعر بالتربية والكرم والإحسان والجود وكونه غفارا يشعر بأن العبد لو أقدم على المعاصي والذنوب ثم تاب إليه فإنه يغفرها برحمته ، وهذا الموصوف بهذه الصفات هو الذي تجب عبادته لأنه هو الذي يخشى عقابه ويرجى ثوابه وقوله تعالى :

﴿قل﴾ أي : لهم ﴿هو نبأ عظيم﴾ يعود على القرآن وما فيه من القصص والأخبار ، وقيل : تخاصم أهل النار ، وقيل : على ما تقدم من إخباره صلى الله عليه وسلم بأنه نذير مبين وبأن الله تعالى إله واحد متصف بتلك الصفات الحسنى وقوله تعالى :

﴿أنتم عنه معرضون﴾ صفة لنبأ أي : لتمادي غفلتكم فإن العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة إما على التوحيد فما مر وإما على النبوة ، فقوله تعالى :

﴿ما كان لي من علم بالملأ الأعلى﴾ أي : الملائكة فقوله : ﴿بالملأ﴾ متعلق بقوله ﴿من علم﴾ وضمن معنى الإحاطة فلذلك تعدى بالباء ﴿إذ يختصمون﴾ أي : في شأن آدم عليه السلام حين قال الله عز وجل : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (البقرة : ٣٠)

الآية ، فإن قيل : الملائكة لا يجوز أن يقال إنهم اختصموا بسبب قولهم : ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ (البقرة : ٣٠)

فالمخاصمة مع الله تعالى كفر ؟

أجيب : بأنه لا شك أنه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة والمشابهة علة المجاز فلهذا السبب حسن إطلاق لفظ المخاصمة ، ولما أمر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم أن يذكر هذا الكلام على سبيل الزجر أمره أن يقول :

﴾

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥١٢

إن﴾ أي : ما ﴿يوحي إلي إلا أنما﴾ أي : أني ﴿أنا نذير مبين﴾ أي : بين الإنذار فأبين لكم ما تأتونه وما تجتنبونه ، وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال : "رأيت ربي في أحسن صورة ، قال ابن عباس رضي الله

٥١٣

عنه : أحسبه قال في المنام فقال : يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ، قلت : أنت أعلم أي رب مرتين ، قال : فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي أو قال : في نحري فعلمت ما في السموات وما في الأرض ، وفي رواية ثم تلا هذه الآية ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾ (الأنعام : ٧٥)

ثم قال : يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى قلت : نعم في الدرجات والكفارات ، قال : وما هن قلت : المشي على الأقدام إلى الجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء في المكاره ، قال : من يفعل ذلك يعيش بخير ويموت بخير وخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال : يا محمد إذا صليت فقل : اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون" قال : ومن الدرجات إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام ، وفي رواية : "فقلت : لبيك وسعديك في المرتين وفيهما فعلمت ما بين المشرق والمغرب" أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ، وللعلماء في هذا الحديث وأمثاله من أحاديث الصفات مذهبان.". (١)

٤٥١-"وكفاهم الله تعالى شر من عاداهم ويحتمل أن يراد بقراءة الإفراد : الجنس فتساوي قراءة الجمع وقيل : المراد أن الله تعالى كفى نوحا عليه السلام الغرق وإبراهيم عليه السلام الحرق ويونس عليه السلام بطن الحوت فهو سبحانه وتعالى

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع ٣/٣٤٤

كافيك يا محمد كما كفى هؤلاء الرسل قبلك.

﴿ويخوفونك﴾ أي : عباد الأصنام ﴿بالذين من دونه﴾ وذلك أن قريشا خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم معاداة الأوثان ، وقالوا : لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وروي : "أنه صلى الله عليه وسلم بعث خالدا إلى العزى ليكسرها فقال له سادتها أي : خادمها : لا تدركها أحذركها يا خالد إن لها شدة لا يقوم لها شيء ، فعمد خالد إليها فهشم أنفها فنزلت هذه الآية".

ولما شرح الله الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ختم الكلام بخاتمة هي : الفصل فقال تعالى شأنه ﴿ومن يضلل الله﴾ أي : الذي له الأمر كله ﴿فما له من هاد﴾ أي : يهديه إلى الرشاد.

﴿ومن يهد الله فما له من مضل﴾ أي : فهذه الدلائل والبينات لا تنفع إلا إذا خص الله العبد بالهداية والتوفيق إذ لا راد لفعله كما قال تعالى : ﴿أليس الله﴾ أي : الذي بيده كل شيء ﴿بعزيز﴾ أي : غالب على أمره ﴿ذي انتقام﴾ أي : من أعدائه بلى هو كذلك ، وفي هذا تهديد للكفار.

ولما بين تعالى وعيد المشركين ووعد الموحدين عاد إلى إقامة الدليل على تزييف طريق عبدة الأوثان وهذا الترتيب مبني على أصلين الأول : أن هؤلاء المشركين مقرون بوجود الإله القادر العالم الحكيم الرحيم وهو المراد من قوله تعالى :

﴿

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٣٧

ولئن سألتهم﴾ أي : من شئت منهم فرادى أو مجموعين واللام لام القسم ﴿من خلق السموات﴾ أي : على ما لها من الاتساع والعظمة والارتفاع ﴿والأرض﴾ أي : على ما لها من العجائب وفيها من الانتفاع ﴿ليقولن الله﴾ أي : وحده لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية قال بعض العلماء : العلم بوجود الإله القادر الحكيم الرحيم علم متفق عليه بين جمهور الخلائق لا نزاع بينهم فيه ، وفطرة العقل شاهدة بصحة هذا العلم فإن من تأمل في عجائب بدن الإنسان وما فيه من أنواع الحكم الغريبة والمصالح العجيبة علم أنه لا بد من الاعتراف بالإله القادر الحكيم الرحيم ، والأصل الثاني : أن هذه الأصنام لا قدرة لها على الخير والشر وهو المراد من قوله تعالى ﴿قل أفرأيتم﴾ أي : بعد ما تحققتم أن خالق العالم هو الله تعالى : ﴿ما تدعون﴾ أي : تعبدون ﴿من دون الله﴾ أي : الذي هو ذو الجلال والإكرام ﴿إن أرادني الله﴾ أي : الذي لا راد لأمره ﴿بضر﴾ أي : بشدة بلاء ﴿هل هن كاشفات ضره﴾ أي : لا نقدر على ذلك ﴿أو أرادني برحمة﴾ أي : بعافية وبركة ﴿هل هن ممسكات رحمته﴾ أي : لا تقدر على ذلك فثبت أنه لا بد من الإقرار بوجود الإله القادر الحكيم الرحيم ، قال مقاتل : فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا ، وقرأ أبو عمرو بتنوين التاء من كاشفات وممسكات ونصب الراء من ضره ورفع الهاء ونصب التاء من رحمته والباقون بغير تنوين فيهما وكسر الراء والهاء من ضره والتاء والهاء من رحمته ، وإذا كانت هذه الأصنام لا قدرة لها على الخير والشر كانت عبادة الله تعالى كافية والاعتماد عليه كافيا وهو المراد من قوله تعالى : ﴿قل حسبي الله﴾ أي : ثقتي به واعتمادي ﴿عليه يتوكل المتوكلون﴾ أي : يثق الواثقون ، فإن قيل : لم قال تعالى : ﴿كاشفات﴾ ﴿وممسكات﴾ على التأنيث بعد قوله تعالى : ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ (الزمر : ٣٦)

؟

أجيب : بأنه أنثها تحقيرا لما يدعون من دونه ولأنهم كانوا يسمونها بأسماء الإناث وهي اللات والعزى ومناة قال الله تعالى : ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ (النجم : ١٩ . ٢٠)

٥٤٠

وقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم

﴿قل يا قوم﴾ أي : الذين أرجوهم عند الملمات وفيهم كفاية في القيام بما يحاولون ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ أي : على حالتكم فيه تهديد أي : أنكم تعتقدون في أنفسكم أنكم في نهاية القوة والشدة فاجتهدوا في أنواع مكركم وكيدكم ، وقرأ شعبة بألف بعد النون جمعا والباقون بغير ألف إفرادا ﴿إني عامل﴾ أي : في تقرير ديني ﴿فسوف تعلمون﴾ أي : بوعد لا خلف فيه.

﴾

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥٣٧

من يأتيه﴾ منا ومنكم بسبب أعماله ﴿عذاب يخزيه﴾ فإن خزي أعدائه دليل عليه وقد أخذهم الله تعالى يوم بدر ﴿ويحل﴾ أي : ينزل ﴿عليه عذاب مقيم﴾ أي : دائم وهو عذاب النار.

تنبيه : المكانة بمعنى المكان فاستعيرت من العين للمعنى كما استعير لفظ هنا وحيث للزمان وهما للمكان ، فإن قيل : حق الكلام إني عامل على مكانتي فلم حذف ؟

أجيب : بأنه حذف للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والإيذان بأن حاله لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة لأن الله تعالى ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿فسوف تعلمون﴾ توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا والآخرة.". (١)

٤٥٢-"وقيل قدم السائل لتجانس رؤوس الآي. وقيل : السائل هو الآدمي ، والمحروم كل ذي روح غيره من الحيوانات المحترمة قال صلى الله عليه وسلم "في كل كبد حراء أجر" وهذا ترتيب حسن لأن الآدمي مقدم على البهائم ، وقال ابن عباس وسعيد بن المسيب : السائل الذي يسأل الناس والمحروم الذي ليس له في الغنائم سهم ولا يجري عليه من الفيء شيء ، وقال قتادة والزهري : المحروم المتعفف الذي لا يسأل الناس وقال زيد بن أسلم : المحروم هو المصاب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته وهو قول محمد بن كعب القرظي قال : المحروم صاحب الجائحة ثم قرأ ﴿إنا لمغرومون بل نحن محرومون﴾ (الواقعة : ٦٦ . ٦٧)



اسم الكتاب : تفسير السراج المنير الشربيني

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع ٣٦١/٣

وفي الأرض﴾ أي من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها ﴿آيات﴾ أي دلالات على قدرة الله تعالى ووحدانيته ﴿للموقنين﴾ أي الذين صار الإيقان لهم غريزة ثابتة فهم لذلك يتفطنون لرؤية ما فيها قال القشيري : من الآيات فيها أنها تحمل كل شيء ، فكذلك العارف يحمل كل أحد ومن استثقل أحدا أو تبرم برؤية أحد فلغيبته عن الحقيقة ومطالعته الخلق بعين التفرقة ، وأهل الحقائق لا يتصفون بهذه الصفة ، ومن الآيات فيها أنه يلقي عليها كل قذر وقمامة فتنبت كل زهر ونور فكذلك العارف بتشرب ما يسقى من الجفاء ولا يترشح إلا بكل خلق حسن علي وشيمة زكية.

﴿وفي أنفسكم﴾ آيات أيضا من مبدإ خلقكم إلى منتهاه ، وما في تركيب خلقكم **من العجائب** ﴿أفلا تبصرون﴾ أي : بأبصاركم وبصائركم فتتأملوا ما في ذلك من الآيات فمن تأملها علم أنه عبد ، ومتى علم ذلك علم أن له ربا غير محتاج إلى أحد.

﴿وفي السماء﴾ أي : جهة العلو ﴿رزقكم﴾ بما يأتي من المطر والرياح والحر والبرد وغير ذلك مما رتبه سبحانه وتعالى لمنافع العباد ، وقال ابن عباس يعني بالرزق المطر لأنه سبب الأرزاق ، وقيل : في السماء رزقكم مكتوب وقيل تقدير الأرزاق كلها من السماء ولولاه لما حصل في الأرض حبة قوت ﴿وما توعدون﴾ قال عطاء : من الثواب والعقاب وقال مجاهد : من الخير والشر وقال الضحاك : من الجنة والنار.

ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال عز من قائل :

﴿فورب﴾ أي : مبدع ومدبر ﴿السماء والأرض﴾ أي : وما أودع فيهما مما علمتموه وما لم تعلموه ﴿إنه﴾ أي : الذي توعدونه من الخير

٨٩

والشر والجنة والنار وما ذكر من أمر الرزق وما تقدم الإقسام عليه ﴿لحق﴾ أي ثبات يطابقه الواقع ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾ أي مثل نطقكم كما أنه لا شك في أنكم تنطقون ينبغي لكم أن لا تشكوا في تحقيق ذلك وقال بعض الحكماء : معناه أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه ولا يمكن أن ينطق بلسان غيره ، كذلك كل أحد يأكل رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره وأنشدوا في المعنى :

*ما لا يكون فلا يكون بحيلة ** أبدا وما هو كائن سيكون*

*سيكون ما هو كائن في وقته ** وأخو الجهالة مكمد مغبون*

وقيل : معناه إن القرآن لحق تكلم به الملك النازل من السماء مثل ما تتكلمون ، وقرأ حمزة والكسائي وشعبة برفع اللام على أنه نعت لحق ، وما مزيدة وأنكم مضاف إليه أي لحق مثل نطقكم ولا يضر تقدير إضافتها لمعرفة لأنها لا تتعرف بذلك لإبهامها ، والباقون بالنصب على أنه نعت لحق أيضا كما في القراءة الأولى : وإنما بنى الاسم لإضافته إلى غير ممكن كما بناه القائل في قوله :

*

اسم الكتاب : تفسير السراج المنير الشربيني

فتداعى منخراه بدم ** مثل ما أثمر حماض الجبل*
يفتح مثل مع أنها نعت لدم وقيل أنها نعت لمصدر محذوف أي لحق حقا مثل نطقكم. وقوله تعالى :
اسم الكتاب : تفسير السراج المنير الشربيني
﴿هل أتاك﴾ أي يا أكمل الخلق ﴿حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتبشير له بالفرج وسماهم ضيفا ؛ لأنه حسبهم كذلك ويقع على الواحد والجمع لأنه مصدر ، وسماهم مكرمين عند الله تعالى ، أو لأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم بأن عجل قراهم وأجلسهم في أكرم المواضع واختيار إبراهيم لكونه شيخ المرسلين ، وكون النبي صلى الله عليه وسلم مأمورا بأن يتبع ملته وكان إبراهيم عليه السلام أكرم الخليقة ، وضيف الكرام مكرمون. وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد : لأن إبراهيم عليه السلام خدمهم بنفسه ، وعن ابن عباس سماهم مكرمين لأنهم جاؤوا غير مدعوين ، وقال صلى الله عليه وسلم "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه".
٩٠
فإن قيل : إذا كان المراد من الآية التسلية والإنذار ، فأي فائدة في حكاية الضيافة ؟
أجيب : بأن في ذلك إشارة إلى أن الفرج في حق الأنبياء والبلاء على الجهلة يأتي من حيث لم يحتسبوا كقوله تعالى : ﴿فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ (الزمر : ٢٥)
فلم يكن عند إبراهيم عليه السلام خبر من إنزال العذاب مع ارتفاع منزلته قال القشيري : وقيل كان عددهم اثني عشر ملكا وقيل : جبريل عليه السلام وكان معه تسعة وقيل : كانوا ثلاثة ، وقرأ هشام بفتح الهاء وألف بعدها والباقون بكسر الهاء وياء بعدها.
". (١)

٤٥٣-"وقيل : يغشاها أنوار الله تعالى ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل إليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل فظهرت الأنوار ، ولكن السدرة كانت أقوى من الجبل وأثبت فجعل دكا ولم تتحرك الشجرة وخر موسى عليه السلام صعقا ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل : أبهمه تعظيما له والغشيان يكون بمعنى التغطية قال الماوردي في معاني القرآن : فإن قيل : لم اختيرت السدرة لهذا الأمر دون غيرها من الشجر قلنا : لأن السدرة تختص بثلاثة أوصاف : ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة ذكية ، فشابهت الإيمان الذي يجمع قولا وعملا ونية فظلها من الإيمان بمنزلة العمل لتجاوره ، وطعمها بمنزلة النية لكمونه ، وريحها بمنزلة القول لظهوره ، وروى أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "من قطع سدرة صوب الله تعالى رأسه في النار" وسئل أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال : هو مختصر يعني : من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم ، عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها ، صوب الله تعالى رأسه في النار.
ثم أكد سبحانه الرؤية وقررها بقوله تعالى ﴿ما زاغ﴾ أي : ما مال أدنى ميل ﴿البصر﴾ أي الذي لا بصر لمخلوق أكمل

---
(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع ٤/٦٢

منه فما قصر عن النظر إلى ما أذن له فيه وما زاد ﴿وما طغى﴾ أي : تجاوز الحد إلى ما لم يؤذن له فيه ، مع أن ذاك العالم غريب عن بني آدم وفيه **من العجائب** ما يحير الناظر ، بل كانت له الصفة الصادقة المتوسطة بين الشره والزهادة على أتم قوانين العدل فأثبت ما رآه على حقيقته ، وكما هو قال السهروردي في أول الباب الثاني والثلاثين من عوارفه : وأخبر تعالى بحسن أدبه في الحضرة بهذه الآية وهذه غامضة من غوامض الأدب اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

تنبيه : اللام في البصر تحتمل وجهين :

أحدهما : المعروف أي ما زاغ بصر محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا إن قيل بأن الغاشي للسدرة هو الجراد والفراش فمعناه لم يلتفت إليه ولم يشتغل به ولم يقطع نظره عن مقصوده فيكون غشيان الجراد والفراش ابتلاء وامتحانا لمحمد صلى الله عليه وسلم وإن قيل إن الغاشي أنوار الله تعالى ففيه وجهان : أحدهما : لم يلتفت يمنة ولا يسرة بل اشتغل بمطالعتها. الثاني : ما زاغ البصر بصعقه بخلاف موسى عليه السلام فإنه قطع النظر وغشي عليه ، ففي الأول بيان أدب محمد صلى الله عليه وسلم وفي الثاني بيان قوته.

الوجه الثاني : أن اللام لتعريف الجنس أي ما زاغ بصره أصلا في ذلك الموضع لعظم هيبته

١٢٢

فإن قيل : لو كان كذلك لقال ما زاغ بصره فإنه أدل على العموم فإن النكرة في معرض النفي تعم ، أجيب : بأن هذا مثل كقوله تعالى : ﴿لا تدركه الأبصار﴾ (الأنعام : ١٠٣)

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١١٦

ولم يقل ولا يدركه بصر.

ولما كانوا قد أنكروا الإسراء إنكارا لم يقع لهم في غيره مثله زاد في تأكيده على وجه يعم غيره فقال تعالى : ﴿لقد رأى﴾ أي : أبصر ما أهلناه له من الرسالة تلك الليلة إبصارا ساريا إلى البواطن غير مقتصر على الظواهر ﴿من آيات ربه﴾ أي : المحسن إليه بما لم يصل إليه أحد قبله ولا يصل إليه أحد بعده ﴿الكبرى﴾ أي : العظام أي بعضها ، واختلف في ذلك البعض فقيل جبريل عليه السلام رآه في صورته له ستمائة جناح. وقال الرازي : والظاهر أن هذه الآيات غير تلك لأن جبريل عليه السلام وإن كان عظيما لكنه ورد في الأخبار أن لله تعالى ملائكة أعظم منه ، والكبرى تأنيث الأكبر فكأنه تعالى قال رأى من آيات ربه آيات هن أكبر الآيات وقيل رأى : رفرفا أخضر سد الأفق وقيل : أراد ما رأى في تلك الليلة في مسيره وعوده ومن اجتماعه تلك الليلة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام في السموات.

ولما قرر تعالى الرسالة ذكر ما ينبغي أن يبتدئ به الرسول وهو التوحيد ومنع الخلق عن الإشراك بقوله تعالى :

جزء : ٤ رقم الصفحة : ١١٦

إشارة إلى إبطال قولهم كما إذا ادعى ضعيف الملك ثم رآه العقلاء في غاية البعد عما يدعيه يقولون : انظروا إلى هذا الذي يدعي الملك منكرين عليه غير مستدلين بدليل لظهور أمره ، فلذلك قال تعالى : ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ أي كما هما فكيف تشركونهما بالله سبحانه وتعالى ، واللات صنم ثقيف والعزى شجرة لغسان وهما أعظم أصنامهم ، اشتقوا لهما اسمين

من أسماء الله تعالى فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل : العزى تأنيث الأعز وعن ابن عباس كان اللات رجلا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره.
وعن مجاهد أن العزى شجرة لغطفان كانوا يعبدونه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل خالد يضربها بالفأس ويقول :
*يا عز كفرانك لا سبحانك ** إني رأيت الله قد أهانك*
١٢٣". (١)

٤٥٤-"واعترض بأن الذي ذكره ليس من المسوغات التي ذكرها النحويون ، وإنما المسوغ كونه دعاء وفائدة العدول إلى الرفع ما ذكره.
جزء : ٤ رقم الصفحة : ٥٢٠
﴿ألم نهلك﴾ أي : بما لنا من العظمة ﴿الأولين﴾ من لدن آدم عليه السلام إلى زمن محمد صلى الله عليه وسلم كقوم نوح وعاد وثمود بتكذيبهم أي : أهلكناهم ﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾ أي : ممن كذبوا ككفار مكة فنهلكهم كما أهلكنا الأولين ونسلك بهم سبيلهم ؛ لأنهم كذبوا مثل تكذيبهم.
﴿كذلك﴾ أي : مثل ذلك الفعل الشنيع ﴿نفعل بالمجرمين﴾ أي : بكل من أجرم فيما يستقبل إما بالسيف وإما بالهلاك.
﴿ويل يومئذ﴾ أي : إذ يوجد ذلك الفعل ﴿للمكذبين﴾ أي : بآيات الله وأنبيائه ، قال البيضاوي : فليس تكرارا وكذا إن أطلق التكذيب أو علق في الموضعين بواحد لأن الويل الأول بعذاب الآخرة ، وهذا للإهلاك في الدنيا مع أن التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب.
﴿ألم نخلقكم﴾ أي : أيها المكذبون بما لنا من العظمة التي لا تغيرها عظمة ﴿من ماء مهين﴾ أي : ضعيف حقير وهو المني ، وهذا نوع آخر من تخويف الكفار وهو من وجهين : الأول : أنه تعالى ذكرهم عظيم إنعامه عليهم وكل ما كان نعمه عليه أكثر كان جنايته في حقه أقبح وأفحش. الثاني : أنه تعالى ذكرهم أنه قادر على الابتداء ، والقادر على الابتداء قادر على الإعادة ، فكما أنكروا هذه الدلالة الظاهرة لا جرم قال تعالى في حقهم : ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ وهذه الآية نظير قوله تعالى : ﴿ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾ (السجدة : ٨)
. وقرأ كل القراء بإدغام القاف في الكاف وإبقاء الصفة ولهم أيضا إدغام الصفة مع الحذف.
﴿فجعلناه﴾ أي : بما لنا من القدرة والعظمة بالإنزال للماء في الرحم ﴿في قرار﴾ أي : مكان ﴿مكين﴾ أي : حريز وهو الرحم.
﴾
جزء : ٤ رقم الصفحة : ٥٢٣

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع ٤/٨٤

إلى قدر معلوم﴾ أي : وهو وقت الولادة ، كقوله تعالى : ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ إلى قوله : ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ (لقمان : ٣٤)

﴿فقدرنا﴾ أي : ذلك دون غيرنا ﴿فنعم القادرون﴾ نحن ، وقرأ نافع والكسائي بتشديد الدال فيصح على هذه القراءة أن يكون المعنى : فقدرناه والباقون بالتخفيف ، وقال علي كرم الله وجهه : ولا يبعد أن يكون المعنى في التخفيف والتشديد واحدا ؛ لأن العرب تقول : قدر وقدرعليه الموت.

﴿ويل يومئذ﴾ أي : إذ كان ذلك ﴿للمكذبين﴾ أي : بقدرتنا على ذلك أو على الإعادة.

وقوله تعالى : ﴿ألم نجعل﴾ أي : نصير بما شئنا بما لنا من العظمة ﴿الأرض كفاتا﴾ مصدر كفت بمعنى ضم وعاء ضامة.

﴿أحياء﴾ أي : على ظهرها في الدور وغيرها ﴿وأمواتا﴾ أي : في بطنها في القبور وغيرها. وقيل : الأحياء والأموات ترجع إلى الأرض أي : الأرض منقسمة إلى حي وهو الذي ينبت ، وإلى ميت وهو الذي لا ينبت ، وقيل : كفاتا جمع كافت كصيام وقيام جمع صائم وقائم ، وقال الخليل : تقليب الشيء ظهرا لبطن أو بطنا لظهر ويقال انكفت القوم إلى منازلهم ، أي : انقلبوا ، فمعنى

٥٢٣

الكفات أنهم يتصرفون على ظهرها وينقلبون إليها فيدفعون فيها.

﴿وجعلنا﴾ أي : بما لنا من القدرة التامة ﴿فيها﴾ أي : الأرض ﴿رواسي﴾ أي : جبالا لولاها لمادت بأهلها ، **ومن العجائب** مراسيها من فوقها خلافا لمراسي السفن ﴿شامخات﴾ أي : مرتفعات جمع شامخ وهو المرتفع جدا ، ومنه شمخ بأنفه إذا تكبر ، جعل كناية عن ذلك كثنى العطف وصعر الخد ، كما قال لقمان لابنه : ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾ (لقمان : ١٨)

﴿وأسقيناكم﴾ أي : بما لنا من العظمة ﴿ماء﴾ أي : من الأنهار والعيون والغدران والآبار وغير ذلك ﴿فراتا﴾ أي : عذبا تشربون منه ودوابكم وتسقون منه زرعكم ، وهذه الأمور أعجب من البعث ، روي في الأرض من الجنة سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة.

﴿ويل يومئذ﴾ أي : إذ تقوم الساعة ﴿للمكذبين﴾ أي : بأمثال هذه النعم.

وقوله تعالى : ﴿انطلقوا﴾ على إرادة القول ، أي : يقال للمكذبين يوم القيامة : انطلقوا. ﴿إلى ما كنتم به تكذبون﴾ من العذاب يعني : النار فقد شاهدتموها عيانا.

﴿انطلقوا إلى ظل﴾ أي : ظل دخان جهنم لقوله تعالى : ﴿وظل من يحموم﴾ (الواقعة : ٤٣)

. ﴿ذي ثلاث شعب﴾ أي : تشعب لعظمه كما يرى الدخان العظيم يتفرق ذوائب. وقيل : يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظللهم حتى يفرغ حسابهم والمؤمنون في ظل العرش ، وقيل : إن الشعب الثلاث : هي الضريع والزقوم والغسلين ؛ لأنها أوصاف النار وقوله تعالى : ﴿لا ظليل﴾ أي : كنين يظلهم من حر ذلك اليوم تهكم بهم ورد لما يوهم لفظ الظل. ﴿ولا يغني﴾ أي : ولا يرد عنهم شيئا ﴿من اللهب﴾ أي : لهب النار ، فليس

كالظل الذي يقي حر الشمس ، وهذا تهكم بهم وتعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين. واللهب ما يعلو على النار إذا اضطربت من أحمر وأصفر وأخضر.

﴾

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٥٢٣". (١)

٤٥٥-"﴿ ٨ - ١٠ ﴾ ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون * في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾ .

واعلم أن النفاق هو: إظهار الخير وإبطان الشر، ويدخل في هذا التعريف النفاق الاعتقادي، والنفاق العملي، كالذي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان "وفي رواية: "وإذا خاصم فجر "

وأما النفاق الاعتقادي المخرج عن دائرة الإسلام، فهو الذي وصف الله به المنافقين في هذه السورة وغيرها، ولم يكن النفاق موجودا قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم [من مكة] إلى المدينة، وبعد أن هاجر، فلما كانت وقعة "بدر " (١) وأظهر الله المؤمنين وأعزهم، ذل (٢) من في المدينة ممن لم يسلم، فأظهر بعضهم الإسلام خوفا ومخادعة، ولتحقن دماؤهم، وتسلم أموالهم، فكانوا بين أظهر المسلمين في الظاهر أنهم منهم، وفي الحقيقة ليسوا منهم.

فمن لطف الله بالمؤمنين، أن جلا أحوالهم ووصفهم بأوصاف يتميزون بها، لئلا يغتر بهم المؤمنون، ولينقمعوا أيضا عن كثير من فجورهم [قال تعالى]: ﴿ يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم ﴾ فوصفهم الله بأصل النفاق فقال: ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ فإنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فأكذبهم الله بقوله: ﴿ وما هم بمؤمنين ﴾ لأن الإيمان الحقيقي، ما تواطأ عليه القلب واللسان، وإنما هذا مخادعة لله ولعباده المؤمنين.

والمخادعة: أن يظهر المخادع لمن يخادعه شيئا، ويبطن خلافه لكي يتمكن من مقصوده ممن يخادع، فهؤلاء المنافقون، سلكوا مع الله وعباده هذا المسلك، فعاد خداعهم على أنفسهم، فإن (٣) هذا **من العجائب**؛ لأن المخادع، إما أن ينتج خداعه ويحصل له ما يريد (٤) أو يسلم، لا له ولا عليه، وهؤلاء عاد خداعهم عليهم، وكأنهم (٥) يعملون ما يعملون من المكر لإهلاك أنفسهم وإضرارها وكيدها؛ لأن الله تعالى لا يتضرر بخداعهم [شيئا] وعباده المؤمنون، لا يضرهم كيدهم شيئا، فلا يضر المؤمنين أن أظهر المنافقون الإيمان، فسلمت بذلك أموالهم وحقنت دماؤهم، وصار كيدهم في نحورهم، وحصل لهم بذلك الخزي والفضيحة في الدنيا، والحزن المستمر بسبب ما يحصل للمؤمنين من القوة والنصرة.

ثم في الآخرة لهم العذاب الأليم الموجع المفجع، بسبب كذبهم وكفرهم وفجورهم، والحال أنهم من جهلهم وحماقتهم لا يشعرون بذلك.

وقوله: ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ والمراد بالمرض هنا: مرض الشك والشبهات والنفاق، لأن (٦) القلب يعرض له مرضان

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع ٣٣٨/٤

يخرجانه عن صحته واعتداله: مرض الشبهات الباطلة، ومرض الشهوات المردية، فالكفر والنفاق والشكوك والبدع، كلها من مرض الشبهات، والزنا، ومحبة [الفواحش و]المعاصي وفعلها، من مرض الشهوات ،كما قال تعالى: ﴿ فيطمع الذي في قلبه مرض ﴾ وهي شهوة الزنا، والمعافى من عوفي من هذين المرضين، فحصل له اليقين والإيمان، والصبر عن كل معصية، فرفل في أثواب العافية.

---

(١) في ب: ولا بعد الهجرة حتى كانت وقعة بدر.

(٢) في ب: فذل.

(٣) في ب: وهذا.

(٤) في ب: ويحصل له مقصوده.

(٥) في ب: عاد خداعهم على أنفسهم فكأنهم.

(٦) في ب: وذلك أن.". [١]

٤٥٦-"﴿ ١٠٤ - ١٠٥ ﴾ ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ .
أي: وليكن منكم أيها المؤمنون الذين من الله عليهم بالإيمان والاعتصام بحبله ﴿ أمة ﴾ أي: جماعة ﴿ يدعون إلى الخير ﴾ وهو اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله ويبعد من سخطه ﴿ ويأمرون بالمعروف ﴾ وهو ما عرف بالعقل والشرع حسنه ﴿ وينهون عن المنكر ﴾ وهو ما عرف بالشرع والعقل قبحه، وهذا إرشاد من الله للمؤمنين أن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلى سبيله وإرشاد الخلق إلى دينه، ويدخل في ذلك العلماء المعلمون للدين، والوعاظ الذين يدعون أهل الأديان إلى الدخول في دين الإسلام، ويدعون المنحرفين إلى الاستقامة، والمجاهدون في سبيل الله، والمتصدون لتفقد أحوال الناس وإلزامهم بالشرع كالصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من شرائع الإسلام، وكتفقد المكاييل والموازين وتفقد أهل الأسواق ومنعهم من الغش والمعاملات الباطلة، وكل هذه الأمور من فروض الكفايات كما تدل عليه الآية الكريمة في قوله ﴿ ولتكن منكم أمة ﴾ إلخ أي: لتكن منكم جماعة يحصل المقصود بهم في هذه الأشياء المذكورة، ومن المعلوم المتقرر أن الأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به فكل ما تتوقف هذه الأشياء عليه فهو مأمور به، كالاستعداد للجهاد بأنواع العدد التي يحصل بها نكاية الأعداء وعز الإسلام، وتعلم العلم الذي يحصل به الدعوة إلى الخير وسائلها ومقاصدها، وبناء المدارس للإرشاد والعلم، ومساعدة النواب ومعاونتهم على تنفيذ الشرع في الناس بالقول والفعل والمال، وغير ذلك مما تتوقف هذه الأمور عليه، وهذه الطائفة المستعدة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم خواص المؤمنين، ولهذا قال تعالى عنهم: ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ الفائزون بالمطلوب، الناجون من المرهوب، ثم نهاهم عن التشبه بأهل الكتاب في

---

(١) تفسير السعدي ص/٤٢

تفرقهم واختلافهم، فقال: ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ﴾ **ومن العجائب** أن اختلافهم ﴿ من بعد ما جاءهم البينات ﴾ الموجبة لعدم التفرق والاختلاف، فهم أولى من غيرهم بالاعتصام بالدين، فعكسوا القضية مع علمهم بمخالفتهم أمر الله، فاستحقوا العقاب البليغ، ولهذا قال تعالى: ﴿ وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ .". [١]

٤٥٧-"﴿ واذكروا إذ جعلكم خلفاء ﴾ في الأرض تتمتعون بها وتدركون مطالبكم ﴿ من بعد عاد ﴾ الذين أهلكهم الله، وجعلكم خلفاء من بعدهم، ﴿ وبوأكم في الأرض ﴾ أي: مكن لكم فيها، وسهل لكم الأسباب الموصلة إلى ما تريدون وتبتغون ﴿ تتخذون من سهولها قصورا ﴾ أي: من الأراضي السهلة التي ليست بجبال، تتخذون فيها القصور العالية والأبنية الحصينة، ﴿ وتنحتون الجبال بيوتا ﴾ كما هو مشاهد إلى الآن من أعمالهم التي في الجبال، من المساكن والحجر ونحوها، وهي باقية ما بقيت الجبال، ﴿ فاذكروا آلاء الله ﴾ أي: نعمه، وما خولكم من الفضل والرزق والقوة، ﴿ ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ أي: لا تخربوا الأرض بالفساد والمعاصي، فإن المعاصي تدع الديار العامرة بلاقع، وقد أخلت ديارهم منهم، وأبقت مساكنهم موحشة بعدهم.

﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه ﴾ أي: الرؤساء والأشراف الذين تكبروا عن الحق، ﴿ للذين استضعفوا ﴾ ولما كان المستضعفون ليسوا كلهم مؤمنين، قالوا ﴿ لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه ﴾ أي: أهو صادق أم كاذب؟.

فقال المستضعفون: ﴿ إنا بما أرسل به مؤمنون ﴾ من توحيد الله والخبر عنه وأمره ونهيه.

﴿ قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون ﴾ حملهم الكبر أن لا ينقادوا للحق الذي انقاد له الضعفاء.

﴿ فعقروا الناقة ﴾ التي توعدهم إن مسوها بسوء أن يصيبهم عذاب أليم، ﴿ وعتوا عن أمر ربهم ﴾ أي: قسوا عنه، واستكبروا عن أمره الذي من عتا عنه أذاقه العذاب الشديد. لا جرم أحل الله بهم من النكال ما لم يحل بغيرهم ﴿ وقالوا ﴾ مع هذه الأفعال متجرئين على الله، معجزين له، غير مبالين بما فعلوا، بل مفتخرين بها: ﴿ يا صالح ائتنا بما تعدنا ﴾ إن كنت من الصادقين من العذاب فقال: ﴿ تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ﴾ .

﴿ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾ على ركبهم، قد أبادهم الله، وقطع دابرهم.

﴿ فتولى عنهم ﴾ صالح عليه السلام حين أحل الله بهم العذاب، ﴿ وقال ﴾ مخاطبا لهم توبيخا وعتابا بعدما أهلكهم الله: ﴿ يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ﴾ أي: جميع ما أرسلني الله به إليكم، قد أبلغتكم به وحرصت على هدايتكم، واجتهدت في سلوككم الصراط المستقيم والدين القويم. ﴿ ولكن لا تحبون الناصحين ﴾ بل رددتم قول النصحاء، وأطعتم كل شيطان رجيم.

واعلم أن كثيرا من المفسرين يذكرون في هذه القصة أن الناقة قد خرجت من صخرة صماء ملساء اقترحوها على صالح وأنها تمخضت تمخض الحامل فخرجت الناقة وهم ينظرون وأن لها فصيلا حين عقروها رغى ثلاث رغيات وانفلق له الجبل ودخل فيه وأن صالحا عليه السلام قال لهم: آية نزول العذاب بكم، أن تصبحوا في اليوم الأول من الأيام الثلاثة ووجوهكم مصفرة،

---

(١) تفسير السعدي ص/١٤٢

واليوم الثاني: محمرة، والثالث: مسودة، فكان كما قال.

وكل هذا من الإسرائيليات التي لا ينبغي نقلها في تفسير كتاب الله، وليس في القرآن ما يدل على شيء منها بوجه من الوجوه، بل لو كانت صحيحة لذكرها الله تعالى، لأن فيها **من العجائب** والعبر والآيات ما لا يهمله تعالى ويدع ذكره، حتى يأتي من طريق من لا يوثق بنقله، بل القرآن يكذب بعض هذه المذكورات، فإن صالحا قال لهم: ﴿ تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ﴾ أي: تنعموا وتلذذوا بهذا الوقت القصير جدا، فإنه ليس لكم من المتاع واللذة سوى هذا، وأي لذة وتمتع لمن وعدهم نبيهم وقوع العذاب، وذكر لهم وقوع مقدماته، فوقعت يوما فيوما، على وجه يعمهم ويشملهم [احمرار وجوههم، واصفرارها واسودادها من العذاب] (١) .

هل هذا إلا مناقض للقرآن، ومضاد له؟". فالقرآن فيه الكفاية والهداية عن ما سواه.

نعم لو صح شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يناقض كتاب الله، فعلى الرأس والعين، وهو مما أمر القرآن باتباعه ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [ص ٢٩٦] وقد تقدم أنه لا يجوز تفسير كتاب الله بالأخبار الإسرائيلية، ولو على تجويز الرواية عنهم بالأمور التي لا يجزم بكذبها، فإن معاني كتاب الله يقينية، وتلك أمور لا تصدق ولا تكذب، فلا يمكن اتفاقهما.

---

(١) زيادة من هامش ب.". [١]

٤٥٨-"﴿ ٥ ﴾ ﴿ وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ .

يحتمل أن معنى قوله ﴿ وإن تعجب ﴾ من عظمة الله تعالى وكثرة أدلة توحيده، فإن العجب -مع هذا- إنكار المكذبين وتكذيبهم بالبعث، وقولهم ﴿ أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد ﴾ أي: هذا بعيد في غاية الامتناع بزعمهم، أنهم بعد ما كانوا ترابا، أن الله يعيدهم، فإنهم -من جهلهم- قاسوا قدرة الخالق بقدرة المخلوق.

فلما رأوا هذا ممتنعا في قدرة المخلوق ظنوا أنه ممتنع على قدرة الخالق، ونسوا أن الله خلقهم أول مرة ولم يكونوا شيئا.

ويحتمل أن معناه: وإن تعجب من قولهم وتكذيبهم للبعث، فإن ذلك **من العجائب**، فإن الذي توضح له الآيات، ويرى من الأدلة القاطعة على البعث ما لا يقبل الشك والريب، ثم ينكر ذلك فإن قوله **من العجائب**.

ولكن ذلك لا يستغرب على ﴿ الذين كفروا بربهم ﴾ وجحدوا وحدانيته، وهي أظهر الأشياء وأجلاها، ﴿ وأولئك الأغلال ﴾ المانعة لهم من الهدى ﴿ في أعناقهم ﴾ حيث دعوا إلى الإيمان فلم يؤمنوا، وعرض عليهم الهدى فلم يهتدوا، فقلبت قلوبهم

---

(١) تفسير السعدي ص/٢٩٥

وأفئدتهم عقوبة على أنهم لم يؤمنوا به أول مرة، ﴿ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ لا يخرجون منها أبدا.". [1]

٤٥٩-"﴿ ٩-١٢ ﴾ ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا * إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا * فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا * ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا ﴾ .

وهذا الاستفهام بمعنى النفي، والنهي. أي: لا تظن أن قصة أصحاب الكهف، وما جرى لهم، غريبة على آيات الله، وبديعة في حكمته، وأنه لا نظير لها، ولا مجانس لها، بل لله تعالى من الآيات العجيبة الغريبة ما هو كثير، من جنس آياته في أصحاب الكهف وأعظم منها، فلم يزل الله يري عباده من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم، ما يتبين به الحق من الباطل، والهدى من الضلال، وليس المراد بهذا النفي أن تكون قصة أصحاب الكهف **من العجائب**، بل هي من آيات الله العجيبة، وإنما المراد، أن جنسها كثير جدا، فالوقوف معها وحدها، في مقام العجب والاستغراب، نقص في العلم والعقل، بل وظيفة المؤمن التفكر بجميع آيات الله، التي دعا الله العباد إلى التفكير فيها، فإنها مفتاح الإيمان، وطريق العلم والإيقان. وأضافهم إلى الكهف، الذي هو الغار في الجبل، الرقيم، أي: الكتاب الذي قد رقمت فيه أسماؤهم وقصتهم، لملازمتهم له دهرا طويلا.

ثم ذكر قصتهم مجملة، وفصلها بعد ذلك فقال: ﴿ إذ أوى الفتية ﴾ أي: الشباب، ﴿ إلى الكهف ﴾ يريدون بذلك التحصن والتحرز من فتنة قومهم لهم، ﴿ فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة ﴾ أي تثبتنا بها وتحفظنا من الشر، وتوفقنا للخير ﴿ وهيئ لنا من أمرنا رشدا ﴾ أي: يسر لنا كل سبب موصل إلى الرشد، وأصلح لنا أمر ديننا ودنيانا، فجمعوا بين السعي والفرار من الفتنة، إلى محل يمكن الاستخفاء فيه، وبين تضرعهم وسؤالهم لله تيسير أمورهم، وعدم اتكالهم على أنفسهم وعلى الخلق، فلذلك استجاب الله دعاءهم، وقيض لهم ما لم يكن في حسابهم، قال: ﴿ فضربنا على آذانهم في الكهف ﴾ أي أنمناهم ﴿ سنين عددا ﴾ وهي ثلاث مائة سنة وتسع سنين، وفي النوم المذكور حفظ لقلوبهم من الاضطراب والخوف، وحفظ لهم من قومهم وليكون آية بينة.

﴿ ثم بعثناهم ﴾ أي: من نومهم ﴿ لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا ﴾ أي: لنعلم أيهم أحصى لمقدار مدتهم، كما قال تعالى: ﴿ وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ﴾ الآية، وفي العلم بمقدار لبثهم، ضبط للحساب، ومعرفة لكمال قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته، فلو استمروا على نومهم، لم يحصل الاطلاع على شيء من ذلك من قصتهم.". [2]

٤٦٠-"﴿ فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا * قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا * قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا * فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما * قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن

---

(١) تفسير السعدي ص/٤١٣

(٢) تفسير السعدي ص/٤٧١

مما علمت رشدا * قال إنك لن تستطيع معي صبرا * وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا * قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا * قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا * فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها ﴾ إلى قوله : ﴿ ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ﴾ .

فلما جاوز موسى وفتاه مجمع البحرين، قال موسى لفتاه: ﴿ آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ﴾ أي: لقد تعبنا من هذا السفر المجاوز فقط، وإلا فالسفر الطويل الذي وصلا به إلى مجمع البحرين لم يجدا مس التعب فيه، وهذا من الآيات والعلامات الدالة لموسى، على وجود مطلبه، وأيضا فإن [ص ٤٨٢] الشوق المتعلق بالوصول إلى ذلك المكان، سهل لهما الطريق، فلما تجاوزا غايتهما وجدا مس التعب، فلما قال موسى لفتاه هذه المقالة، قال له فتاه: ﴿ أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت ﴾

أي: ألم تعلم حين آوانا الليل إلى تلك الصخرة المعروفة بينهما ﴿ فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان ﴾ لأنه السبب في ذلك ﴿ واتخذ سبيله في البحر عجبا ﴾ أي: لما انسرب في البحر ودخل فيه، كان ذلك **من العجائب**.

قال المفسرون: كان ذلك المسلك للحوت سربا، ولموسى وفتاه عجبا، فلما قال له الفتى هذا القول، وكان عند موسى وعد من الله أنه إذا فقد الحوت، وجد الخضر، فقال موسى: ﴿ ذلك ما كنا نبغ ﴾ أي: نطلب ﴿ فارتدا ﴾ أي: رجعا ﴿ على آثارهما قصصا ﴾ أي رجعا يقصان أثرهما إلى المكان الذي نسيا فيه الحوت فلما وصلا إليه، وجدا عبدا من عبادنا، وهو الخضر، وكان عبدا صالحا، لا نبيا على الصحيح.

آتيناه [رحمة من عندنا أي: أعطاه الله رحمة خاصة بها زاد علمه وحسن عمله ﴿ وعلمناه ﴾] (١) ﴿ من لدنا ﴾ [أي: من عندنا] علما، وكان قد أعطي من العلم ما لم يعط موسى، وإن كان موسى عليه السلام أعلم منه بأكثر الأشياء، وخصوصا في العلوم الإيمانية، والأصولية، لأنه من أولي العزم من المرسلين، الذين فضلهم الله على سائر الخلق، بالعلم، والعمل، وغير ذلك، فلما اجتمع به موسى قال له على وجه الأدب والمشاورة، والإخبار عن مطلبه.

﴿ هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا ﴾ أي: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمك الله، ما به أسترشد وأهتدي، وأعرف به الحق في تلك القضايا؟ وكان الخضر، قد أعطاه الله من الإلهام والكرامة، ما به يحصل له الاطلاع على بواطن كثير من الأشياء التي خفيت، حتى على موسى عليه السلام، فقال الخضر لموسى: لا أمتنع من ذلك، ولكنك ﴿ لن تستطيع معي صبرا ﴾ أي: لا تقدر على اتباعي وملازمتي، لأنك ترى ما لا تقدر على الصبر عليه من الأمور التي ظاهرها المنكر، وباطنها غير ذلك، ولهذا قال: ﴿ وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ﴾ أي: كيف تصبر على أمر،ما أحطت بباطنه وظاهره ولا علمت المقصود منه ومآله؟

فقال موسى: ﴿ ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا ﴾ وهذا عزم منه، قبل أن يوجد الشيء الممتحن به، والعزم شيء، ووجود الصبر شيء آخر، فلذلك ما صبر موسى عليه السلام حين وقع الأمر.

فحينئذ قال له الخضر: ﴿ فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا ﴾ أي: لا تبتدئني بسؤال منك وإنكار، حتى أكون أنا الذي أخبرك بحاله، في الوقت الذي ينبغي إخبارك به، فنهاه عن سؤاله، ووعده أن يوقفه على حقيقة

الأمر.

﴿ فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها ﴾ أي: اقتلع الخضر منها لوحا، وكان له مقصود في ذلك، سيبينه، فلم يصبر موسى عليه السلام، لأن ظاهره أنه منكر، لأنه عيب للسفينة، وسبب لغرق أهلها، ولهذا قال موسى: ﴿ أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا ﴾ أي: عظيما شنيعا، وهذا من عدم صبره عليه السلام، فقال له الخضر: ﴿ ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا ﴾ أي: فوقع كما أخبرتك، وكان هذا من موسى نسيانا فقال: ﴿ لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا ﴾ أي: لا تعسر علي الأمر، واسمح لي، فإن ذلك وقع على وجه النسيان، فلا تؤاخذني في أول مرة. فجمع بين الإقرار به والعذر منه، وأنه ما ينبغي لك أيها الخضر الشدة على صاحبك، فسمح عنه الخضر.

﴿ فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما ﴾ أي: صغيرا ﴿ فقتله ﴾ الخضر، فاشتد بموسى الغضب، وأخذته الحمية الدينية، حين قتل غلاما صغيرا لم يذنب. ﴿ قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا ﴾ وأي: نكر مثل قتل الصغير، الذي ليس عليه ذنب، ولم يقتل أحدا؟! وكانت الأولى من موسى نسيانا، وهذه غير نسيان، ولكن عدم صبر.

---

(١) زيادة من هامش ب.". (١)

٤٦١-"فقال موسى: ﴿ فعلتها إذا وأنا من الضالين ﴾ أي: عن غير كفر، وإنما كان عن ضلال وسفه، فاستغفرت ربي فغفر لي.

﴿ ففررت منكم لما خفتكم ﴾ حين تراجعتم بقتلي، فهربت إلى مدين، ومكثت سنين، ثم جئتكم. ﴿ فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين ﴾.

فالحاصل أن اعتراض فرعون على موسى، اعتراض جاهل أو متجاهل، فإنه جعل المانع من كونه رسولا أن جرى منه القتل، فبين له موسى، أن قتله كان على وجه الضلال والخطأ، الذي لم يقصد نفس القتل، وأن فضل الله تعالى غير ممنوع منه أحد، فلم منعتم ما منحني الله، من الحكم والرسالة؟ بقي عليك يا فرعون إدلاؤك بقولك: ﴿ ألم نربك فينا وليدا ﴾ وعند التحقيق، يتبين أن لا منة لك فيها، ولهذا قال موسى: ﴿ وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل ﴾.

أي: تدلي علي بهذه المنة لأنك سخرت بني إسرائيل، وجعلتهم لك بمنزلة العبيد، وأنا قد أسلمتني من تعبيدك وتسخيرك، وجعلتها علي نعمة، فعند التصور، يتبين أن الحقيقة، أنك ظلمت هذا الشعب الفاضل، وعذبتهم وسخرتهم بأعمالك، وأنا قد سلمني الله من أذاك، مع وصول أذاك لقومي، فما هذه المنة التي تبت بها وتدلي بها؟.

﴿ قال فرعون وما رب العالمين ﴾ وهذا إنكار منه لربه، ظلما وعلوا، مع تيقن صحة ما دعاه إليه موسى، قال: ﴿ رب السماوات والأرض وما بينهما ﴾.

أي: الذي خلق العالم العلوي والسفلي، ودبره بأنواع التدبير، ورباه بأنواع التربية. ومن جملة ذلك، أنتم أيها المخاطبون،

---

(١) تفسير السعدي ص/٤٨١

فكيف تنكرون خالق المخلوقات، وفاطر الأرض والسماوات ﴿ إن كنتم موقنين ﴾ فقال فرعون متجرهما، ومعجبا لقومه: ﴿ ألا تستمعون ﴾ ما يقول هذا الرجل، فقال موسى: ﴿ ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ تعجبتم أم لا استكبرتم، أم أذعنتم. فقال فرعون معاندا للحق، قادحا بمن جاء به: ﴿ إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ﴾ حيث قال خلاف ما نحن عليه، وخالفنا فيما ذهبنا إليه، فالعقل عنده وأهل العقل، من زعموا أنهم لم يخلقوا، أو أن السماوات والأرض، ما زالتا موجودتين من غير موجد وأنهم، بأنفسهم، خلقوا من غير خالق، والعقل عنده، أن يعبد المخلوق الناقص، من جميع الوجوه، والجنون عنده، أن يثبت الرب الخالق للعالم العلوي والسفلي، والمنعم بالنعم الظاهرة والباطنة، ويدعو إلى عبادته، وزين لقومه هذا القول، وكانوا سفهاء الأحلام، خفيفي العقول ﴿ فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين ﴾ فقال موسى عليه السلام، مجيبا لإنكار فرعون وتعطيله لرب العالمين: ﴿ رب المشرق والمغرب وما بينهما ﴾.

من سائر المخلوقات ﴿ إن كنتم تعقلون ﴾ فقد أديت لكم من البيان والتبيين، ما يفهمه كل من له أدنى مسكة من عقل، فما بالكم تتجاهلون فيما أخاطبكم به؟ وفيه إيماء وتنبيه إلى أن الذي رميتم به موسى من الجنون، أنه داؤكم فرميتم أزكى الخلق عقلا وأكملهم علما، بالجنون، والحال أنكم أنتم المجانين، حيث ذهبت عقولكم لإنكار أظهر الموجودات، خالق الأرض والسماوات وما بينهما، فإذا جحدتموه، فأي شيء تثبتون؟ وإذا جهلتموه، فأي شيء تعلمون؟ وإذا لم تؤمنوا به وبآياته، فبأي شيء - بعد الله وآياته - تؤمنون؟ تالله، إن المجانين الذين بمنزلة البهائم، أعقل منكم، وإن الأنعام السارحة، أهدى منكم.

فلما خنقت فرعون الحجة، وعجزت قدرته وبيانه عن المعارضة ﴿ قال ﴾ متوعدا لموسى بسلطانه ﴿ لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين ﴾ زعم - قبحه الله - أنه قد طمع في إضلال موسى، وأن لا يتخذ إلها غيره، وإلا فقد تقرر أنه هو ومن معه، على بصيرة من أمرهم.

فقال له موسى: ﴿ أولو جئتك بشيء مبين ﴾ أي: آية ظاهرة جلية، على صحة ما جئت به، من خوارق العادات.

[ص ٥٩١]

﴿ قال فأت به إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان ﴾ أي: ذكر الحيات، ﴿ مبين ﴾ ظاهر لكل أحد، لا خيال، ولا تشبيه.

﴿ ونزع يده ﴾ من جيبه ﴿ فإذا هي بيضاء للناظرين ﴾ أي: لها نور عظيم، لا نقص فيه لمن نظر إليها.

﴿ قال ﴾ فرعون ﴿ للملإ حوله ﴾ معارضا للحق، ومن جاء به: ﴿ إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم ﴾ موه عليهم لعلمه بضعف عقولهم، أن هذا من جنس ما يأتي به السحرة، لأنه من المتقرر عندهم، أن السحرة يأتون من العجائب، بما لا يقدر عليه الناس، وخوفهم أن قصده بهذا السحر، التوصل إلى إخراجهم من وطنهم، ليجدوا ويجتهدوا في معاداة من يريد إجلاءهم عن أولادهم وديارهم، ﴿ فماذا تأمرون ﴾ أن نفعل به؟.

﴿ قالوا أرجه وأخاه ﴾ أي: أخرهما ﴿ وابعث في المدائن حاشرين ﴾ جامعين للناس.

﴿ يأتوك ﴾ أولئك الحاشرون ﴿ بكل سحار عليم ﴾ أي: ابعث في جميع مدنك، التي هي مقر العلم، ومعدن السحر، من

يجمع لك كل ساحر ماهر، عليم في سحره فإن الساحر يقابل بسحر من جنس سحره.

وهذا من لطف الله أن يري العباد، بطلان ما موه به فرعون الجاهل الضال، المضل أن ما جاء به موسى سحر، قيضهم أن جمعوا أهل المهارة بالسحر، لينعقد المجلس عن حضرة الخلق العظيم، فيظهر الحق على الباطل، ويقر أهل العلم وأهل الصناعة، بصحة ما جاء به موسى، وأنه ليس بسحر، فعمل فرعون برأيهم، فأرسل في المدائن، من يجمع السحرة، واجتهد في ذلك، وجد.

﴿ فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ﴾ قد واعدهم إياه موسى، وهو يوم الزينة، الذي يتفرغون فيه من أشغالهم.

﴿ وقيل للناس هل أنتم مجتمعون ﴾ أي: نودي بعموم الناس بالاجتماع في ذلك اليوم الموعود.". (١)

٤٦٢-"﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون * يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ .

[ص ٦٣٧]

﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ﴾ فتيقنوا ذلك واجزموا به واعلموا أنه لا بد من وقوعه.

فلما نزلت هذه الآيات التي فيها هذا الوعد صدق بها المسلمون، وكفر بها المشركون حتى تراهن بعض المسلمين وبعض المشركين على مدة سنين عينوها، فلما جاء الأجل الذي ضربه الله انتصر الروم على الفرس وأجلوهم من بلادهم التي أخذوها منهم وتحقق وعد الله.

وهذا من الأمور الغيبية التي أخبر بها الله قبل وقوعها ووجدت في زمان من أخبرهم الله بها من المسلمين والمشركين. ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ أن ما وعد الله به حق فلذلك يوجد فريق منهم يكذبون بوعد الله، ويكذبون آياته.

وهؤلاء الذين لا يعلمون أي: لا يعلمون بواطن الأشياء وعواقبها. وإنما ﴿ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ﴾ فينظرون إلى الأسباب ويجزمون بوقوع الأمر الذي في رأيهم انعقدت أسباب وجوده ويتيقنون عدم الأمر الذي لم يشاهدوا له من الأسباب المقتضية لوجوده شيئا، فهم واقفون مع الأسباب غير ناظرين إلى مسببها المتصرف فيها.

﴿ وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ قد توجهت قلوبهم وأهواؤهم وإراداتهم إلى الدنيا وشهواتها وحطامها فعملت لها وسعت وأقبلت بها وأدبرت وغفلت عن الآخرة، فلا الجنة تشتاق إليها ولا النار تخافها وتخشاها ولا المقام بين يدي الله ولقائه يروعها ويزعجها وهذا علامة الشقاء وعنوان الغفلة عن الآخرة.

ومن العجب أن هذا القسم من الناس قد بلغت بكثير منهم الفطنة والذكاء في ظاهر الدنيا إلى أمر يحير العقول ويدهش الألباب.

وأظهروا **من العجائب** الذرية (١) والكهربائية والمراكب البرية والبحرية والهوائية ما فاقوا به وبرزوا وأعجبوا بعقولهم ورأوا غيرهم عاجزا عما أقدرهم الله عليه، فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء وهم مع ذلك أبلد الناس في أمر دينهم وأشدهم

---

(١) تفسير السعدي ص/٥٩٠

غفلة عن آخرتهم وأقلهم معرفة بالعواقب، قد رآهم أهل البصائر النافذة في جهلهم يتخبطون وفي ضلالهم يعمهون وفي باطلهم يترددون (٢) نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون.
ثم (٣) نظروا إلى ما أعطاهم الله وأقدرهم عليه من الأفكار الدقيقة في الدنيا وظاهرها و[ما] حرموا من العقل العالي فعرفوا (٤) أن الأمر لله والحكم له في عباده وإن هو إلا توفيقه وخذلانه فخافوا (٥) ربهم وسألوه أن يتم لهم ما وهبهم من نور العقول والإيمان حتى يصلوا إليه، ويحلوا بساحته [وهذه الأمور لو قارنها الإيمان وبنيت عليه لأثمرت الرقي العالي والحياة الطيبة، ولكنها لما بني كثير منها على الإلحاد لم تثمر إلا هبوط الأخلاق وأسباب الفناء والتدمير] (٦) .

---

(١) كذا في ب، وفي أ: النارية.

(٢) كذا في ب، وفي أ: يتردون.

(٣) هكذا في النسختين وقد شطبت الكلمة في ب، وجعل بدلها (ولو).

(٤) في ب: عدلت إلى: لعرفوا.

(٥) في ب: عدلت إلى ولخافوا.

(٦) زيادة من هامش ب، لم يتضح أولها وقد نقلته من طبعة السلفية.". [١]

٤٦٣-"﴿ ١ - ٢ ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ﴾ .
أي: ﴿ قل ﴾ يا أيها الرسول للناس ﴿ أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن ﴾ صرفهم الله [إلى رسوله] لسماع آياته لتقوم عليهم الحجة [وتتم عليهم النعمة] ويكونوا نذرا (١) لقومهم. وأمر الله رسوله أن يقص نبأهم على الناس، وذلك أنهم لما حضروه، قالوا: أنصتوا، فلما أنصتوا فهموا معانيه، ووصلت حقائقه إلى قلوبهم، ﴿ فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا ﴾ أي: **من العجائب** الغالية، والمطالب العالية.

---

(١) في ب: منذرين لقومهم.". [٢]

٤٦٤-"

---

(١) تفسير السعدي ص/٦٣٦

(٢) تفسير السعدي ص/٨٩٠

يأتي الحق سبحانه وتعالى إلى قصة إبراهيم عليه السلام.. ليصفي الجدل والتشكيك الذي أحدثه اليهود عند تغيير القبلة.. واتجاه المسلمين إلى الكعبة المشرفة بدلا من بيت المقدس.. كذلك الجدل الذي أثاره اليهود بأنهم شعب الله المختار وأنه لا يأتي نبي إلا منهم.

يريد الله تبارك وتعالى أن يبين صلة العرب بإبراهيم وصلتهم بالبيت.. فيقول الحق جل جلاله: ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه ﴾.. ومعناها اذكر إذا ابتلى الله إبراهيم.. وإذ هنا ظرف وهناك فرق بينها وبين إذا الشرطية في قوله تعالى:﴿ إذا جآء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ﴾[النصر: ١-٢]

إذا هنا ظرف ولكنه يدل على الشرط.. أما إذ فهي ظرف فقط.. وقوله تعالى: ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ﴾.. معناها اذكر وقت أن ابتلى إبراهيم بكلمات.

ما معنى الابتلاء؟ الناس يظنون أنه شر ولكنه في الحقيقة ليس كذلك.. لأن الابتلاء هو إمتحان إن نجحنا فيه فهو خير وإن رسبنا فيه فهو شر.. فالابتلاء ليس شرا ولكنه مقياس لاختبار الخير والشر. الذي ابتلى هو الله سبحانه.. هو الرب.. والرب معناه المربي الذي يأخذ من يربيه بأساليب تؤهله إلى الكمال المطلوب منه.. ومن أساس التربية أن يمتحن المربي من يربيه ليعلم هل نجح في التربية أم لا؟ والابتلاء هنا بكلمات والكلمات جمع كلمة.. والكلمة قد تطلق على الجملة مثل قوله تعالى:﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا * ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾[الكهف: ٤-٥]

إذن فالكلمة قد تطلق على الجملة وقد تطلق على المفرد.. كأن تقول مثلا محمد وتسكت.. وفي هذه الحالة لا تكون جملة مفيدة.. والكلمة المرادة في هذه الآية هي التكليف من الله.

قوله سبحانه إفعل ولا تفعل.. فكأن التكليف من الله مجرد كلمة وأنت تؤدي مطلوبها أو لا تؤديه.. وقد اختلف العلماء حول الكلمات التي تلقاها إبراهيم من ربه.. نقول لهم أن هذه الكلمات لابد أن تناسب مقام إبراهيم أبي الأنبياء.. إنها ابتلاء يجعله أهلا لحمل الرسالة.. أي لابد أن يكون الابتلاء كبيرا.. ولقد قال العلماء إن الابتلاءات كانت عشرة وقالوا أربعين منها عشرة في سورة التوبة وهي قوله تعالى:﴿ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ﴾[التوبة: ١١٢]

وهذه رواية عبد الله بن عباس.. وعشرة ثانية في سورة المؤمنون. وفي قوله سبحانه:﴿ قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلا علىا أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغىا ورآء ذالك فأولائك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم علىا صلواتهم يحافظون * أولائك هم الوارثون ﴾

[المؤمنون: ١-١٠]

وبعد ذلك قال: ﴿ أولائك هم الوارثون ﴾.

وفي سورة الأحزاب يذكر منهم قوله جل جلاله:﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾[الأحزاب: ٣٥]

وفي سورة المعارج يقول:﴿ إلا المصلين * الذين هم علىا صلاتهم دآئمون * والذين في أموالهم حق معلوم * للسآئل والمحروم * والذين يصدقون بيوم الدين * والذين هم من عذاب ربهم مشفقون * إن عذاب ربهم غير مأمون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلا علىا أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغىا ورآء ذلك فأولائك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم بشهاداتهم قائمون * والذين هم علىا صلاتهم يحافظون ﴾[المعارج: ٢٢-٣٤]

نخرج من هذا الجدل، بأن نقول إن الله ابتلى إبراهيم بكلمات تكليفية افعل كذا ولا تفعل كذا.. وابتلاه بأن ألقي في النار وهو حي فلم يجزع ولم يتراجع ولم يتجه إلا لله وكانت قمة الابتلاء أن يذبح ابنه.

وكون إبراهيم أدى جميع التكليفات بعشق وحب وزاد عليه من جنسها.. وكونه يلقى في النار ولا يبالي يأتيه جبريل فيقول ألك حاجة فيرد إبراهيم أما إليك فلا.. وأما إلى الله فعلمه بحالي يغنيه عن سؤالي.. وكونه وهو شيخ كبير يبتلى بذبح ابنه الوحيد فيطيع بنفس مطمئنة ورضا بقدر الله.. يقول الحق:﴿ أم لم ينبأ بما في صحف موسىا * وإبراهيم الذي وفىا ﴾[النجم: ٣٦-٣٧]

أي وفي كل ما طلب منه وأداه بعشق للمنهج ولابتلاءات الله.. لقد نجح إبراهيم عليه السلام في كل ما ابتلي به أو اختبر به.. والله كان أعز عليه من أهله ومن نفسه ومن ولده.. ماذا كافأه الله به؟ قال: ﴿ قال إني جاعلك للناس إماما ﴾ [البقرة: ١٢٤]

أي أن الحق تبارك وتعالى أئتمنه أن يكون إماما للبشر.. والله سبحانه كان يعلم وفاء إبراهيم ولكنه اختبره لنعرف نحن البشر كيف يصطفي الله تعالى عباده المقربين وكيف يكونوا أئمة يتولون قيادة الأمور.. استقبل إبراهيم هذه البشرى من الله وقال كما يروي لنا القرآن الكريم: ﴿ قال ومن ذريتي ﴾ [البقرة: ١٢٤]

ما هي الذرية؟ هي النسل الذي يأتي والولد الذي يجيء.. لأنه يحب استطراق الخير على أولاده وأحفاده وهذه طبيعة البشر، فهم يعطون ثمرة حركتهم وعملهم في الحياة لأولادهم وأحفادهم وهم مسرورون.

. ولذلك أراد إبراهيم أن ينقل الإمامية إلى أولاده وأحفاده.. حتى لا يحرموا من القيم الإيمانية تحرس حياتهم وتؤدي بهم إلى نعيم لا يزول.. ولكن الله سبحانه وتعالى يرد على إبراهيم بقضية إيمانية أيضا هي تقريع لليهود.. الذي تركوا القيم وعبدوا المادة فيقول جل جلاله: ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ [البقرة: ١٢٤]

فكأن إبراهيم بأعماله قد وصل إلى الإمامية.. ولكن هذا لا ينتقل إلا للصالحين من عباده العابدين المسبحين.

وقول الحق سبحانه: ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ مقصود به اليهود الذين باعوا قيمهم الإيمانية بالمادة، وهو استقراء للغيب أنه سيأتي من ذرية إبراهيم من سيفسق **ويظلم.**

ومن العجائب أن موسى وهارون عليهما السلام كانا رسولين.. الرسول الأصيل موسى وهارون جاء ليشد أزره لأنه فصيح اللسان.. وشاءت إرادة الله سبحانه أن تستمر الرسالة في ذرية هارون وليس في ذرية موسى.. والرسالة ليست ميراثا..

وقوله تعالى ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾.. فكأن عهد الله هو الذي يجذب صاحبه أي هو الفاعل.. نأتي بعد ذلك إلى مسألة الجنس والدم واللون.. بنوة الأنبياء غير بنوة الناس كلهم فالأنبياء اصطفاؤهم اصطفاء قيم وأبناؤهم هم الذين يأخذون منهم هذه القيم وليسوا الذين يأخذون الجنس والدم واللون.. ولو رجعنا إلى قصة نوح عليه السلام حين غرق ابنه.. رفع يديه إلى السماء وقال:﴿ رب إن ابني من أهلي ﴾[هود: ٤٥]

فرد عليه الحق سبحانه وتعالى فقال:﴿ إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ﴾[هود: ٤٦]

إن أهل النبوة هم الذين يأخذون القيم عن الأنبياء.. ولولا أن الحق سبحانه قال لنا ﴿ إنه عمل غير صالح ﴾.. لاعتقدنا أنه ربما جاء من رجل آخر أو غير ذلك.. ولكن الله يريدنا أن نعرف أن عدم نسبة ابن نوح إلى أبيه بسبب ﴿ إنه عمل غير صالح ﴾.

". (١)

"-٤٦٥

وساعة تسمع كلمة " ملك " ، فلنا أن نعرف أن هناك كلمة هي " ملك " بضم الميم، وكلمة أخرى هي " ملك " بكسر الميم. إن كلمة " ملك " تعني أن للإنسان ملكية بعض من الأشياء، كملكية إنسان لملابسه وكتبه وأشيائه، لكن الذي يملك مالك هذا الملك فهذا تسميه " ملك " ، فإذا كانت هذه الملكية في الأمر الظاهر لنا، فإننا نسميه " عالم الملك " ، وهو العالم المشاهد، وإذا كانت هذه الملكية في الأمر الخفي فإننا نسميه " عالم الملكوت ". إذن، فنحن هنا أمام " ملك " ، و " ملك " و " ملكوت ". ولذلك فعندما تجلى الحق سبحانه وتعالى على سيدنا إبراهيم خليل الرحمن وكشف له ما خفي عن العيون وما ظهر، قال سبحانه:﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ﴾[الأنعام: ٧٥].

أي أن الله سبحانه وتعالى أراد لسيدنا إبراهيم أن يشاهد الملكوت في السماوات والأرض، أي كل الأشياء الظاهرة والخافية المخفية عن عيون العباد. وهكذا نرى مراحل الحيازة كالآتي: ملك، أي أن يملك الإنسان شيئا ما، وهذا نسميه مالكا للأشياء فهو مالك لاشيائه، ومالك لمتاعه أما الذي يملك الانسان الذي يملك الاشياء فإننا نسميه " ملك " ، أي أنه يملك من يملك الأشياء، والظاهرة في الأولى نسميها " ملك " فكل إنسان له ملكية بعض من الاشياء، وبعد ذلك

---

(١) تفسير الشعراوي ص/١٢٨

تنحاز الى الأقل، اي ان تنسب ملكية أصحاب الأملاك إلى ملك واحد. فالملكية بالنسبة للإنسان تتلخص في أن يملك الإنسان شيئا فيصير مالكا، وإنسان آخر يوليه الله على جماعة من البشر فيصير ملكا، هذا في المجال البشرى.

أما في المجال الإلهي، فإننا نصعد لنرى من يملك كل مالك وملك، إنه الله سبحانه وتعالى. ولا يظن أحد أن هناك إنسانا قد ملك شيئا؛ أو جاها في هذه الدنيا بغير مراد الله فيه، فكل إنسان يملك بما يريده الله له من رسالة، فإذا انحرف العباد، فلا بد أن يولى الله عليهم ملكا ظالما، لماذا؟ لأن الأخيار قد لا يحسنون تربية الناس.﴿ وكذالك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ﴾[الأنعام: ١٢٩].

وكأن الحق سبحانه يقول: يأيها الخير – بتشديد الياء – ضع قدما على قدم ولا تلوث يدك بأن تنتقم من الظالم، فسوف أضع ولاية ظالم أكبر على هذا الظالم الصغير، إنني أربأ بك أن تفعل ذلك، وسأنتقم لك، وأنت أيها الخير منزه عندي عن ارتكاب المظالم، ولذلك نجد قول الحق:﴿ وكذالك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ﴾[الأنعام: ١٢٩].

ونحن جميعا نعرف القول الشائع: " الله يسلط الظالمين على الظالمين ".

ولو أن الذين ظلموا مكن منهم من ظلموهم ما صنعوا فيهم ما يصنعه الظالمون في بعضهم بعضا. إن الحق يسلط الظالمين على الظالمين، وينجى أهل الخير من موقف الانتقام ممن ظلموهم.

إذن فنحن في هذه الحياة نجد " مالك " ، و " ملك " وهناك فوق كل ذلك " مالك الملك " ، ولم يقل الله: إنه " ملك الملك "؛ لأننا إذا دققنا جيدا في أمر الملكية فإننا لن نجد مالكا إلا الله. ﴾ قل اللهم مالك الملك ﴿ إنه المتصرف في ملكه، وإياكم أن تظنوا أن أحدا قد حكم في خلق الله بدون مراد الله، ولكن الناس حين تخرج عن طاعة الله فإن الله يسلط عليهم الحاكم الظالم، ولذلك فالحق سبحانه يقول في حديثه القدسي:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يطوى الله – عز وجل – السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرض بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ".

إياك أيها المؤمن أن تظن أن أحدا قد أخذ الملك غضبا من الله. إنما الملك يريده الله لمن يؤدب به العباد. وإن ظلم الملك في التأديب فإن الله يبعث له من يظلمه، ومن رأى ظلم هذا الملك أو ذاك الحاكم فمن الجائز أن يريه الله هذا الملك أو ذلك الحاكم مظلوما. إنه القول الحكيم يؤكد لنا أنه سبحانه وتعالى مالك الملك وحده.

إن الحق سبحانه يأمر رسوله الكريم: ﴾ قل اللهم مالك الملك ﴿ إن كلمة " اللهم " وحدها فيها عجب من العجائب اللغوية، إن القرآن قد نزل باللسان العربي، وأمة العرب فصيحة اللسان والبيان والبلاغة، وشاء الحق أن يكون للفظ الجلالة " الله " خصوصية فريدة في اللغة العربية.

إن اللغة العربية تضع قاعدة واضحة وهي ألا ينادي ما فيه، أداة التعريف، مثل " الرجل " ب " يا " فلا يقال: " يا رجل " بل يقال: " يأيها الرجل " لكن اللغة التي يسرها الله لعباده تخص لفظ الجلالة بالتقديس، فيكون من حق العباد أن يقولوا: " يا الله ". وهذا اللفظ بجلاله له تميز حتى في نطقه.

ولنا أن نلحظ أن العرب من كفار قريش وهم أهل فصاحة لم يفطنوا إلى ذلك، فكأن الله يرغم حتى الكافرين بأن يجعل للفظ الجلالة تميزا حتى في أفواه الكافرين فيقولون مع المؤمنين: " يا الله ". أما بقية الأسماء التي تسبقها أداة التعريف فلا يمكن أن تقول: " يا الرجل " أو " يا العباس " لكن لا بد أن تقول " يأيها الرجل " ، أو " يأيها العباس " ، ولا تقول حتى في نداء النبي: " يا النبي " ، وإنما تقول: " يأيها النبي ".

لكن عند التوجه بالنداء إلى الله فإننا نقول: " يا الله " ، إنها خصوصية يلفتنا لها الحق سبحانه بأنه وحده المخصوص بها، وأيضا ما رأينا في لغة العرب علما دخلت عليه " التاء "كحرف القسم إلا الله، فإننا نقول " تالله " ، ولم نجد أبدا من يقول " تزيد " أو " تعمرو ".

إننا لا نجد التاء كحرف قسم إلا في لفظ الجلاله، ولا نجد أيضا علما من الأعلام في اللغة العربية تحذف منه " يا " في النداء وتستبدل بالميم إلا في لفظ الجلالة فنقول: " اللهم "كل ذلك ليدل على أن اللفظ في ذاته له خصوصية المسمى. " قل اللهم " وكأن حذف حرف النداء هنا يعلمنا أن الله هو وحده المستدعى بدون حرف نداء. " اللهم " وفي بعض الألسنة يجمعون الياء والميم، مثل قول الشاعر:إني إذا ما حادث ألما أقول ياللهم يا اللهماإنها خصوصية لصاحب الخصوصية الأعلى. ﴿ قل اللهم مالك الملك ﴾ وقد يسأل إنسان لماذا لم يقل الحق: " ملك الملك "؟ هنا لا بد أن نعرف أنه سيأتي يوم لا تكون فيه أي ملكية لأي أحد إلا الله، وهو المالك الوحيد، فهو سبحانه يقول:﴿ رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره علىا من يشآء من عباده لينذر يوم التلاق * يوم هم بارزون لا يخفىا على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾[غافر: ١٥-١٦].

إن قول الحق هنا: " مالك الملك " توضح لنا أن ملكية الله وهي الدائمة والقادرة واضحة، وجلية، ومؤكدة، ولو قال الله في وصف ذاته: " ملك الملك " لكان معنى ذلك أن هناك بشرا يملكون بجانب الله، لا، إنه الحق وحده مالك الملك. وما دام الله هو مالك الملك، فإنه يهبه لمن يشاء، وينزعه ممن يشاء. وهنا نلاحظ أن قول الحق: إنه مالك الملك يعطي الملك لمن يشاء وينزع الملك ممن يشاء تأتي بعد عملية المحاجة، وبعد أن تهرب بعض من أهل الكتاب من تطبيق حكم الله بعد أن دعوا إليه، فتولى فريق منهم وأعرض عن حكم الله، وعللوا ذلك بادعاء أنهم أبناء الله وأحباؤه وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودات.

كل هذه خيارات من لطف الله وضعها أمام هؤلاء العباد، خيارات بين اتباع حكم الله أو اتباع حكم الهوى، لكنهم لم يختاروا إلا الاختيار السيء، حكم الهوى. ولذلك يأتي الله بخبر اليوم الذي سوف يجيء، ولن يكون لأحد أي قدرة، أو اختيار.

إن حق الاختيار موجود لنا في هذه الدنيا، وعلينا أن نحسن الاختيار في ضوء منهج الله.

ولنتأمل هذا المثل الذي حدثتنا عنه السيرة النبوية الطاهرة، حينما جاءت غزوة الأحزاب التي اجتمع فيها كل خصوم الدعوة، واشتغل اليهود بالدس والوقيعة، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحفر بمشورة سلمان الفارسي خندقا حول المدينة المنورة. ومعنى " الخندق " ، أي مساحة من الأرض يتم حفرها بما يعوق التقدم. وكان المقاتلون يعرفون أن الفرس يستطيع أن يقفز مسافة ما من الأمتار.

لقد حاول المؤمنون أثناء حفر الخندق أن يكون اتساع أكبر من قدرة الخيل، ولننظر إلى دقة الإدارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن سلمان الفارسي قد اقترح أن يتم حفر الخندق، وفيما يبدو أنه قد أخذ الفكرة من بيئته وقبل الرسول صلى الله عليه وسلم الفكرة وأقرها، وفعلها المسلمون.

إذن فليس كل ما فعله الكفار كان مرفوضا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قبل تطبيق كل الأعمال النافعة، سواء أكان قد فعلها الكفار من قبل أم لا، ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن عملية الحفر مرهقة بسبب جمود الأرض وصخريتها في بعض المواقع، لذلك وضع حصة قدرها أربعون ذراعا لكل عشرة من الصحابة، وبذلك وزع الرسول الكريم العمل والمسئولية، ولم يترك الأمر لكل جماعة خشية أن يتواكلوا على غيرهم.

وتوزيع المسئولية يعني أن كل جماعة تعرف القدر الواضح من العمل الذي تشارك به مع بقية الجماعات وقد يسأل سائل: ولماذا لم يوزع الرسول صلى الله عليه وسلم التكليف لكل واحد بمفرده؟ ونقول: إنها حكمة الإدارة والحزم هي التي جعلت الرسول صلى الله عليه وسلم يتعرف على حقيقة واضحة، وهي أن الذين يحفرون من الصحابة ليسوا متساوون في القدرة والمجهود، لذلك أراد لكل ضعيف أن يكون مسنودا بتسعة من الصحابة.

إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجعل الأمر مشاعا، بل كان هناك تحديد للمسئولية، لكنه لم يجعل المسئولية مشخصة تشخيصا أوليا ومحددا بكل فرد، وذلك حتى يساعد الأقوياء الضعيف من بينهم. لقد ستر رسول الله صلى الله عليه وسلم الضعيف بقوة إخوانه، وساعة أن يوجد ضعيف بين عشرة من الإخوان يحملون عنه ويحفرون، فإن موقفه من أصحابه يكون المحبة والألفة، ويكون القوي قد أفاض على الضعيف.

وكان عمرو بن عوف ضمن عشرة منهم سلمان الفارسي رضي الله عنه، فلما جاءوا ليحفروا صادفتهم منطقة يقال عنها: " الكئود " ، ومعنى " الكئود " هي المنطقة التي تكون صلبة أثناء الحفر، فالحافر إذا ما حفر الأرض قد يجد الأرض سهلة ويواصل الحفر، أما إذا صادفته قطعة صلبة في الأرض فإنه لا يقدر عليها بمعوله لأنها صخرية صماء، فيقال له: " أكدى الحافر ".

وعندما صادف عمرو بن عوف وسلمان الفارسي والمغيرة وغيرهم هذه الصخرة الكئود، قالوا لسلمان: " اذهب فارفع أمرنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ". ومن هذا نتعلم درسا وهو أن المكلف من قبل من يكلفه بأمر إذا وجد شيئا يعوقه عن أداء المهمة فلا بد أن يعود إلى من كلفه بها.

وذهب سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان إلى الموقع وأخذ المعول وجاء على الصخرة الكئود وضربها، فحدث شرر أضاء من فرط قوة الاصطدام بين الحديد والصخرة، فهتف رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر فتحت قصور بصرى بالشام، ثم ضرب ضربة أخرى، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: الله أكبر فتحت قصور الحمراء بالروم. وضرب ضربة ثالثة وقال: الله أكبر فتحت قصور صنعاء في اليمن، فكأنه حين ضرب الضربة أوضح الله له معالم الأماكن التي سوف يدخلها الإسلام فاتحا ومنتصرا، فلما بلغ ذلك القول أعداء رسول الله صلى الله عليه قال الأعداء للصحابة: يمنيكم محمد بفتح قصور صنعاء في اليمين، والحمراء في الروم، وفتح قصور بصرى، وأنتم لا تستطيعون أن تبرزوا لنا للقتال فأنزل الله قوله: ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشآء وتنزع الملك ممن تشآء... ﴾.

إن المسألة ليست عزما من هؤلاء المؤمنين، إنما هي نية على قدر الوسع، فإن فعلت أي فعل على النية بقدر الوسع فانتظر المدد من الممد الأعلى سبحانه وتعالى.

إن الله سبحانه هو الذي يعطي الملك، وهو الإله الحق الذي ينزع ملك الكفر في كسرى والروم وصنعاء، ويعطي سبحانه الملك لمحمد رسول الله وأصحابه، وينزعه من قريش، وينزع الملك من يهود المدينة حيث كانوا يريدون الملك.

إن قول الحق: ﴿ وتنزع الملك ممن تشآء ﴾ تجعلنا نتساءل: ما النزع؟ إنه القلع بشدة، لأن الملك عادة ما يكون متمسكا بكرسي الملك، متشبثا به، لماذا؟ لأن بعضا ممن يجلسون على كراسي السلطان ينظرون إليه كمغنم بلا تبعات فلا عرق ولا سهر ولا مشقة أو حرص على حقوق الناس، إنهم يتناسون سؤال النفس " وماذا فعلت للناس "؟ إن الواحد من هؤلاء لا يلتفت إلى ضرورة رعاية حق الله في الخلق فيسهر على مصالح الناس ويتعب ويكد ويشقى ويحرص على حقوق الناس.

إننا ساعة نرى حاكما متكالبا على الحكم، فلنعلم أن الحكم عنده مغنم، لا مغرم. ولنر ماذا قال سيدنا عمر بن الخطاب عندما قالوا له: إن فقدناك – لا نفقدك – نولى عبد الله بن عمر، وهو رجل قرقره الورع.

. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: بحسب آل الخطاب أن يسأل منهم عن أمة محمد رجل واحد، لماذا؟ لأن الحكم في الإسلام مشقة وتعب.

لقد جاء الحق بالقول الحكيم: ﴿ وتنزع الملك ممن تشآء ﴾ وذلك لينبهنا إلى هؤلاء المتشبثين بكراسي الحكم وينزعهم الله منها، إن المؤمن عندما ينظر إلى الدول في عنفوانها وحضاراتها وقوتها ونجد أن الملك فيها يسلب من الملك فيها على أهون سبب. لماذا؟ إنها إرادة الخالق الأعلى، فعندما يريد فلا راد لقضائه.

إن الحق إما أن يأخذ الحكم من مثل هذا النوع من الحكام، وإما أن يأخذه هو من الحكم، ونحن نرى كل ملك وهو يوطن نفسه توطينا في الحكم، بحيث يصعب على من يريد أن يخلعه منه أن يخلعه بسهولة، لكن الله يقتلع هذا الملك حين يريد سبحانه.

وبعد ذلك يقول الحق: ﴿ وتعز من تشآء وتذل من تشآء ﴾ لأن ظواهر الكون لا تقتصر على من يملك فقط، ولكن كل ملك حوله أناس هم " ملوك ظل ". ومعنى " ملوك الظل " أي هؤلاء الذين يتمتعون بنفوذ الملوك وإن لم يكونوا ظاهرين أمام الناس، ومن هؤلاء يأتي معظم الشر. إنهم يستظلون ويستترون بسلطان الملك، ويفعلون ما يشاءون، أو يفعل الآخرون لهم ما يأمرون به، وحين ينزع الملك فلا شك أن المغلوب بالظالمين يعزه الله، وأما الظالمون لأنفسهم فيذلهم الله؛ لذلك كان لا بد أن يجيء بعد ﴿ تؤتي الملك من تشآء وتنزع الملك ممن تشآء ﴾ هذا القول الحق: ﴿ وتعز من تشآء وتذل من تشآء ﴾. لماذا؟ لأن كل ملك يعيش حوله من يتمتع بجاهه ونفوذه، فإذا ما انتهى سلطان هذا الملك، ظهر هؤلاء المستمعون على السطح. وهذا نشاهده كل يوم وكل عصر. ﴿ وتعز من تشآء وتذل من تشآء بيدك الخير ﴾.

ونلاحظ هنا: أن إيتاء الملك في أعراف الناس خير. ونزع الملك في أعراف الناس شر. ولهؤلاء نقول: إن نزع الملك شر على من خلع منه، ولكنه خير لمن أوتي الملك. وقد يكون خيرا لمن نزع منه الملك أيضا. لأن الله حين ينزع منه الملك، أو ينزعه من الملك يخفف عليه مؤونة ظلمه فلو كان ذلك الملك المخلوع عاقلا، لتقبل ذلك وقال: إن الله يريد أن يخلصني لنفسه لعلى أتوب..

إذن فلو نظرت إلى الجزئيات في الأشخاص، ونظرت إلى الكليات في العموم لوجدت أن ما يجري في كون الله من إيتاء الملك وما يتبعه من إعزاز، ثم نزع الملك وما يتبعه من إذلال، كل ذلك ظاهرة خير في الوجود، لذلك قال الحق هنا: ﴿ بيدك الخير ﴾ ولو دقق كل منا النظر إلى مجريات الأمور، لوجد أن: الله هو الذي يؤتي، والله هو الذي ينزع، والله هو الذي يعز، والله هو الذي يذل، ولا بد أن يكون في كل ذلك صور للخير في الوجود، فيقول: ﴿ بيدك الخير إنك علىا كل شيء قدير ﴾.

إن إيتاء الملك عملية تحتاج إلى تحضير بشرى وبأسباب بشرية، وأحيانا يكون الوصول إلى الحكم عن طريق الانقلابات العسكرية، أو السياسية، وكذلك نزع الملك يحتاج إلى نفس الجهد.

إن الحق سبحانه وتعالى يوضح لنا المعنى فيقول: ليس ذلك بأمر صعب على قدرتي اللانهائية، لأنني لا أتناول الأفعال بعلاج، أو بعمل، إنما أنا أقول: "كن " فتنفعل الأشياء لإرادتي، ويأتي الحق بعد ذلك ليدلل بنواميس الكون وآيات الله في الوجود على صدق قضية ﴿ إنك علىا كل شيء قدير ﴾ فيقول وقوله الحق: ﴿ تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل... ﴾

". (١)

"-٤٦٦-"

(١) تفسير الشعراوي ص/٤١٨

وهذا بلاغ من موسى بما أوحى الله به إليه، ومتى حدث ذلك؟ نعرف أن صلة بني إسرائيل بمصر كانت منذ أيام يوسف عليه السلام، وعندما جاء يوسف بأبيه وإخوته وعاشوا بمصر وكونوا شيعة بني إسرائيل، ومكن الله ليوسف في الأرض وعاشوا في تلك الفترة. والعجيب أن المس القرآني للأحداث التاريخية فيه دقة متناهية، ولم نعرف نحن تلك الأحداث إلا بعد مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر. فعندما جاءت تلك الحملة صحبت معها بعثة علمية. وكانت تلك البعثة تنقب عن المعلومات الأثرية ليتعرفوا على سر حضارة المصريين، وسر تقدم العرب القديم، الذي سبق أوربا بقرون، وأخذت منه أوربا العلوم والفنون، في حين صار هذا العالم العربي إلى غفلة.

إن العرب المسلمين هم الذين اخترعوا أشياء ذهل لها العالم الغربي، ويحكي لنا التاريخ عن هدية من أحد ملوك العرب إلى شارلمان ملك فرنسا وكانت الساعة دقاقة، وظن الناس من أهل فرنسا أن بهذه الساعة الدقاقة شيطانا. وفكرة تلك الساعة أن العالم الذي صممها وضع فيها إناء من الماء به ثقب صغير تنزل منه القطرة بثقلها على شيء يشبه عقرب الساعة، فتتحرك الساعة دقيقة واحدة من الزمن. وكانت الساعة تسير بنقطة الماء. وكان ضبطها في منتهى الدقة. وحين رآها الناس في بلاط شارلمان ملك فرنسا ظنوا أن بداخلها شياطين. وهذا نموذج من نماذج كثيرة لا حصر لها ولا عدد تدخل في نطاق قوله الحق:﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتىا يتبين لهم أنه الحق ﴾[فصلت: ٥٣]

وحينما جاء الفرنسيون إلى القاهرة كان معهم تلك البعثة العلمية ومعهم مطبعة، وعرض هؤلاء العلماء الفانوس السحري، وجعلوا الناس البسطاء يذهلون من تقدمهم العلمي. واستترت تلك الحملة بعروض أقرب إلى " الأكروبات ". وكان عمل العلماء هو البحث عن سر حضارة المصريين والمسلمين؛ لأنهم يعلمون أن الحضارة الإسلامية انتقلت إلى مصر بالإضافة إلى حضارة المصريين القدماء.

لقد كانوا يعرضون ألعابهم السحرية العلمية بدرب الجماميز، وذلك حتى ينبهر الناس بالحضارة الفرنسية. وكان علماؤهم في الوقت نفسه يكتشفون ما نقش على حجر رشيد، وهو الحجر الذي اكتشفه ضابط فرنسي شاب اسمه شامبليون، وعلى هذا الحجر كتبت الكلمات الهيروغليفية. واستطاع شامبليون أن يفصل أسماء الأعلام الهيروغليفية ومن خلال ذلك استطاع أن يصل إلىأبجدية تلك اللغة. وكأن الله أراد أن يسخر الكافرين بمنهج الله ليؤيدوا منهج الله.

إن في كل لغة شيئا اسمه " منطق الأعلام " ومثال ذلك أن يوجد اسم رجل أو أمير أو إنسان، فهذا الاسم مكون من حروف لا تتغير، مثال ذلك نأخذه من اللغة الإنجليزية؛ كان اسم رئيس وزراء انجلترا في وقت من الأوقات هو " تشرشل " هي كلمة إذا ترجمناها ترجمة حرفية لم تدل على صاحبها ولم تعرفنا به لأننا عندما نترجمها نكتفي بكتابة الاسم بالحروف العربية بدلا من اللاتينية.

إذن فالأعلام لا يتغير نطقها.

وكشف شامبليون عن الحروف التي لم تتغير. واهتدى إلى فك طلاسم حروف اللغة الهيروغليفية؛ فعرف كيف يقرأ المكتوب على حجر رشيد، واستطاع أن يقدم لنا بدايات اكتشاف تاريخ مصر القديمة. واستطاع أن يقرأ اللغة المرسومة على ذلك الحجر.

ولنا أن نرى عظمة القرآن حينما تعرض للأقدمين.. تعرض لعاد وتعرض لثمود وتعرض لفرعون. تعرض لتلك الحضارات كلها في سورة الفجر، فقال سبحانه وتعالى:﴿ والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر * والليل إذا يسر * هل في ذلك قسم لذى حجر * ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد ﴾[الفجر: ١-٧]

وإرم ذات العماد هي التي في الأحقاف - في الجزيرة العربية - ولم نكتشفها بعد، ولم نعرف عنها حتى الآن شيئا، وهي التي يقول عنها الحق:﴿ التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾[الفجر: ٨]

ثم يتكلم بعدها عن فرعون:﴿ وفرعون ذى الأوتاد ﴾[الفجر: ١٠]

والأهرام أقيمت بالفعل على أوتاد، وكذلك المسلات المصرية القديمة والمعابد. وغيرها **من العجائب** التي بهرت الناس في مختلف العصور.﴿ التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾[الفجر: ٨]

ثم جاء بحضارة ثمود.﴿ وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ﴾[الفجر: ٩]

وقد رأينا هذه الحضارة التي كان الناس أثناءها ينحتون البيوت في الصخر، كما رأينا حضارة مصر. وحضارة عاد هي التي لم نرها حتى الآن؛ ولا بد أن تكون مطمورة تحت الأرض. ونعرف أن الهبة الرملية الواحدة عندما تهب في تلك المناطق تطمر القافلة كلها، فما بالنا بالقرون الطويلة التي مرت وهبت فيها آلاف العواصف الرملية، إذن لا بد أن ننقب كثيرا لنكتشف حضارة عاد. والحق تكلم عن موسى عليه السلام، تكلم ـ أيضا - عن المعاصرين له وكان أحد هؤلاء الفراعنة، فقال سبحانه لموسى ولأخيه هارون عليهما السلام:﴿ اذهبآ إلىا فرعون إنه طغىا ﴾[طه: ٤٣]

ويذهب موسى إلى فرعون حتى يخلص بني إسرائيل من ظلم فرعون. ولماذا ظلمهم فرعون؟ نحن نعرف أن كل سياسة تعقب سياسة سابقة عليها تحاول أن تطمس السياسة الأولى، وتعذب من نصروا السياسة الأولى، وتلك قضية واضحة في الكون. وهذا ما يتضح لنا من سيرة سيدنا يوسف الذي صار وزيرا للعزيز ودعا أباه وأمه وشيعته إلى مصر، ولن تأت سيرة فرعون في سورة يوسف.

وعندما تكلم القرآن على رأس الدولة في أيام يوسف قال:﴿ وقال الملك ائتوني به ﴾[يوسف: ٥٤]

لم يقل الحق: " فرعون " على الرغم من أنه قال قبل ذلك عنه إنه: " فرعون " وأيام موسى ذكر فرعون، لكن في أيام يوسف لم يأت بسيرة فرعون إنما جاء بسيرة ملك.

وعندما جاء اكتشاف حجر رشيد، ظهر لنا أن فترة وجود يوسف عليه السلام في مصر هي فترة ملوك الرعاة أي الهكسوس الذين غزوا مصر وأخذوا الملك من المصريين وحكموهم وصاروا ملوكا، وسمي عصرهم بعصر الملوك.

وقال القرآن: ﴿ وقال الملك ائتوني به ﴾. ولم يأت بذكر لفرعون. وعندما استرد الفراعنة ملكهم وطردوا الرعاة، استبد الفراعنة بمن كانوا يخدمون الملوك وهم بنو إسرائيل. وهكذا تتأكد دقة القرآن عندما ذكر فرعون لأنه كان الحاكم أيام موسى، لكن في زمن يوسف سمي حاكم مصر باسم الملك. وتلك أمور لم نعرفها إلا حديثا. ولكن القرآن عرفنا ذلك. وكانت تحتاج إلى استنباط. وهي تدخل ضمن الآيات التي لا حصر لها في قوله الحق:﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ﴾[فصلت: ٥٣]

فسبحانه وتعالى بعد أن أيد موسى بالآيات وأغرق فرعون، هنا قال لهم موسى:﴿ ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا علىا أدباركم فتنقلبوا خاسرين ﴾[المائدة: ٢١]

فقد انتهت المهمة بتخليص بني إسرائيل من فرعون، وخلصوا أهل مصر من فرعون. وكانت الدعوة لدخول الأرض المقدسة. وكلمة الأرض إذا أطلقت صارت علما على الكرة الجامعة. ووردت كلمة " الأرض " في قصة بني إسرائيل في مواضع متعددة لمواقع متعددة.

فها هوذا قول الله في آخر سورة الإسراء:﴿ وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض ﴾[الإسراء: ١٠٤]

فهل هناك سكن إلا الأرض؟ إن أحدا لا يقول: اسكن كذا إلا إذا حدد مكانا من الأرض؛ لأن السكن بالقطع سيكون في الأرض، فكيف يأتي القول: ﴿ اسكنوا الأرض ﴾؟ والشائع أن يقال: اسكن المكان الفلاني من المدن، مثل: المنصورة أو أريحا، أو القدس. وقوله الحق: ﴿ اسكنوا الأرض ﴾ هو لفتة قرآنية، ومادام الحق لم يحدد من الأرض مسكونا خاصا، فكأنه قال: ذوبوا في الأرض فليس لكم وطن، وانساحوا في الأرض فليس لكم وطن، أي لا توطن لكم أبدا، وستسيحون في الأرض مقطعين، وقال سبحانه:﴿ وقطعناهم في الأرض أمما ﴾[الأعراف: ١٦٨]

وحين يأتي القرآن بقضية قرآنية فلنبحث أأيدتها القضايا الكونية أم عارضتها؟ القضية القرآنية هنا هي تقطيع بني إسرائيل في الأرض أمما، أي تفريقهم وتشتيتهم ولم يقل القرآن: " أذبناهم " بل قال: " قطعناهم " وتفيد أنه جعل بينهم أوصالا ولكنهم مفرقون في البلاد. وعندما نراهم في أي بلد نزلوا فيها نجد أن لهم حيا مخصوصا، ولا يذوبون في المواطنين أبدا، ويكون لهم كل ما يخصهم من حاجات يستلقون بها، فكأنهم شائعون في الأرض وهم مقطعون في الأرض ولكنهم أمم، فهناك " حارات " وأماكن خاصة لليهود في كل بلد.

حدث ذلك من بعد موسى عليه السلام، لكن ماذا كان الأمر في أيام موسى؟ قال لهم الحق: ﴿ ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ﴾ أي بعد رحلتكم مع فرعون اذهبوا إلى الأرض التي كتبها الله لكم.

ونلحظ هنا أن كلمة " الأرض المقدسة " فيها تحييز وتحديد للأرض.

ولكن ما معنى " مقدسة "؟ المادة كلها تدل على الطهر والتطهير. ف " قدس " أي طهر ونزه، ومقدسة يعني مطهرة. والألفاظ حين تأتي تتوارد جميع المادة على معان متلاقية. ففي الريف المصري نجد ما نسميه " القدس " أو " القادوس " وهو الإناء الذي يرفع به الماء من الساقية، وكانوا يستعملونه للتطهير، فالقادوس في الريف المصري هو وعاء الماء النظيف. وعندما يقال: " مقدسة " أي مطهرة.

إن من أسماء الحق " القدوس " ، ويقال: " قدس الله " أي نزه " ، فالله ذات وليست كذات الإنسان، وله سبحانه صفات منزهة أن تكون كصفاتك، وهو سبحانه له أفعال، ولكن قدسه وطهره منزهة أن تكون كأفعالك. فذات الحق واجبة الوجود وذات الإنسان ممكنة الوجود؛ لأن ذات الإنسان طرأ عليها عدم أول، ويطرأ عليها عدم ثان، وهو سبحانه واجب الوجود لذاته، والإنسان واجب لغيره وهو قادر سبحانه أن ينهي وجود العبد. ولله حياة وللإنسان حياة، لكن أحياتك أيها الإنسان كحياة الله؟ لا.

إن حياته سبحانه منزهة وذاته ليست كذاتك، وصفاته ليست كصفاتك، فأنت قادر قدرة محدودة وله سبحانه طلاقة القدرة، وهو سبحانه سميع والعبد سميع؛ لكن سمع البشر محدود وسمعه سبحانه لا حدود له.

إذن فصفاته مقدسة، ولذلك فعندما تسمع أنه سبحانه سميع عليم فليس سمعه كسمعنا، وله فعل غير فعلنا. وعندما يقول الحق: إنه فعل، ففعله منزه عن التشبيه بفعل البشر؛ لأن البشر من خلق الله، وفعل البشر معالجة، ويكون للفعل بداية ووسط ونهاية ويفرغ من الأحداث على قدر الزمن. ونحن نحمل الأشياء في أزمان متعددة ويحتاج من يحمل الأشياء إلى قوة. ولكن فعل الحق مختلف، إنه فعل بـ "كن " لذلك قال:﴿ ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾[ق: ٣٨]

أي أنه سبحانه وتعالى منزه عن التعب، فهو يقول: ﴾كن فيكون ﴿ ولذلك قلنا في مسألة الإسراء: إننا يجب أن ننسب الحدث إلى الله لا إلى محمد صلى الله عليه وسلم، حتى نعرف أن الذين عارضوا رسول الله في مسألة الإسراء كانوا على خطأ فقد قالوا: أنضرب لها أكباد الإبل شهرا وتدعي أنك أتيتها في ليلة؟!

إن رسول الله لم يدع لنفسه هذا الأمر، لأنه لم يقل: سريت من مكة إلى بيت المقدس " حتى تقولوا: أنضرب لها أكباد الإبل شهرا وتدعي أنك أتيتها في ليلة ".

لكن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: أسري بي. أي أنه صلى الله عليه وسلم ليس له فعل في الحدث.

والفعل إذن لله. ومادام هو من فعل الله فهو لا يحتاج إلى زمن؛ لذلك كان يجب أن يفهموا على أي شيء يعترضون. ولكنا نعرف أن الله سبحانه وتعالى أراد لهم أن يفهموا على تلك الطريقة؛ لأنه سيأتي أناس من المتحذلقين المعاصرين ويقولون: " إن الإسراء كان بالروح " نقول لهم: بالله لو قال محمد للعرب: أنا سريت بروحي أكانوا يكذبونه؟ تماما مثلما يقول لنا قائل: " أنا كنت في نيويورك الليلة ورأيتها في المنام " فهل سيكذبه أحد؟ لا. إذن لقد كذب العرب لأنهم فهموا أنه أسري به بمعنى كامل.. أي كان الإسراء بالجسد والروح معا، بدليل أنهم قارنوا فعلا بفعل، وحدثا بحدث، ونقلة بنقلة، وقالوا قولهم السابق. لقد جاءت هذه المسألة لتخدم الإسلام.

إذن فـ " قدوس " يعني مطهر ومنزه. وساعة ترى شيئا مخالفا لقضية العقل اقرنه بفعل الله،ولا تقرنه بفعلك أنت أيها العبد؛ لأن الفعل يتناسب مع قوة الفاعل طردا أو عكسا. فإن كان الفاعل صاحب قدرة قوية. فزمنه أقل. مثال ذلك: نقل أردب من القمح من مكان إلى مكان، فإن كان الذي يحمل الأردب طفلا فلن ينقل الأردب إلا قدحا بقدح؛ وإن كان رجلا ناضجا سينقل الأردب "كيلة بكيلة ". وإن كان صاحب قوة كبيرة قد ينقل الأردب كله مرة واحدة. إذن فالزمن يتناسب مع القوة تناسبا عكسيا. فإن كثرت القوة قل الزمن. وهات أي فعل بقدرة الله فلن يستغرق أي زمن.

إذن قدس الله في كل شيء. والأرض المقدسة هي المطهرة، وذلك بإرادة الحق سبحانه، تماما كما أراد سبحانه أن تكون بقعة من الأرض هي الحرم، لا يتم فيها الاعتداء على صيد أو نبات أو اعتداء بعضكم على بعض، وهل ذلك كلام كوني أو كلام تشريعي؟﴿ أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ﴾[العنكبوت: ٦٧]

لو كانت المسألة إرادة كونية، فكان لا بد ألا يحدث خلل أبدا وألا يعتدي أحد على أحد. وما الفرق بين الكوني والتشريعي؟ إن الكوني يقع لأنه لا معارض في الأمور القهرية، فالحق يريد أن يكون عبدا طويل القامة، فتلك إرادة كونية تحدث ولا دخل للعبد بها. ولكن إن أراد الحق أن تكون طائعا مصليا، فتلك إرادة تشريعية. والإرادة تكون تشريعية فيما إذا كان للمريد اختيار، يصح أن يفعلها ويصح ألا يفعلها؛ لكن الإرادة الكونية هي فيما لا إرادة للإنسان فيه وواقع على رغم أنف الإنسان.

والله سبحانه وتعالى يريد الحرم آمنا. وتلك إرادة تشريعية لأنه حدث أن أهيج فيه أناس ولم يأمنوا. ولو كانت إرادة كونية لما حدثت أبدا. لذلك فهي إرادة تشريعية، فإن أطعنا ربنا جعلنا الحرم آمنا، وإن لم نطعه فالذي لا يطيع يهيج فيه الناس ويفزعهم ويخيفهم.

فمراد الله عز ومطلوبه شرعا " أن يكون الحرم آمنا ".

﴿ ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ﴾ فهل هذه الأرض المقدسة كتبها الله لهم كتابة كونية أو كتابة تشريعية؟ إن كانت كتابة كونية لكان من اللازم أن يدخلوها ولكنه قال:﴿ فإنها محرمة عليهم ﴾[المائدة: ٢٦]

إذن هي إرادة تشريعية وليست إرادة كونية. فإن أطاعوا أمر الله وتشجعوا ودخلوا الأرض المقدسة فإنهم يأخذونها، وإن لم يطيعوه فهي محرمة عليهم. إذن فلا تناقض بين أن يقول سبحانه: إنه كتبها لهم، ثم قوله من بعد ذلك: إنها محرمة عليهم، لقد كتبها سبحانه كتابة تشريعية. فإن دخلوها بشجاعة ولم يخافوا ممن فيها واستبسلوا ووثقوا أن وراءهم إلها قويا سيساندهم؛ فإنهم سيدخلونها، أما إن لم يفعلوا ذلك فهي محرمة عليهم.﴿ ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا علىا أدباركم فتنقلبوا خاسرين ﴾[المائدة: ٢١]

وجاءت الأرض هنا أكثر من مرة:﴿ وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض ﴾[الإسراء: ١٠٤]

وعرفنا مراد ذلك القول. ولادقة هنا أنه سبحانه جاء بأمر السكن في الأرض لبني إسرائيل أي في الأرض عموما ومحكوم عليهم أن يكونوا قطعا ومشردين.﴿ فإذا جآء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ﴾[الإسراء: ١٠٤]

أي أنه سبحانه يجمعهم من كل بلد ويجيء بعد ذلك وعد الآخرة الذي جاء في أول سورة الإسراء:﴿ وقضينآ إلىا بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾[الإسراء: ٤]

لأن الحق حينما قال:﴿ سبحان الذي أسرىا بعبده ليلا من المسجد الحرام إلىا المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴾[الإسراء: ١]

أي أنه سبحانه وتعالى يدخل بهذه الآية المسجد الأقصى في مقدسات الإسلام. وأوضح الحق لهم: يا أيها اليهود أنتم ستعيشون في مكان بعهد من رسولي، ولكنكم ستفسدون في المكان الذي تعيشون فيه وسيتحملكم القوم مرة أو اثنتين وبعد ذلك يسلط الله عبادا له يجوسون خلال دياركم ويشردونكم من هذه البلاد.

والحق يبلغنا: نحن أعلمنا بني إسرائيل في كتابهم ما سيحدث لهم مع الإسلام:﴿ وقضينآ إلىا بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا * فإذا جآء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنآ أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ﴾[الإسراء: ٤-٥]

وبعض الناس يقولون: إن هذا كان أيام بختنصر؛ ونقول لهم: افهموا قول الحق: ﴾ فإذا جآء وعد أولاهما ﴿ وكلمة " وعد " لا تأتي لشيء يسبق الكلام بل الشيء يأتي من بعد ذلك. إذن فلم يكن ذلك في زمان بختنصر. ف " إذا " الموجودة أولا هي ظرف لما يستقبل من الزمان، أي بعد أن جاء هذا الكلام. ثم هل كان بختنصر يدخل ضمن عباد الله؟. إن قوله الحق: ﴾ عبادا لنآ ﴿ مقصود به الجنود الإيمانيون، وبختنصر هذا كان فارسيا مجوسيا.

وهذا القول الحكيم يشير إلى الفساد الأول مع رسول الله بعد العهد الذي أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أجلاهم.

وهل هي تقتصر على هذه؟ يقول سبحانه:﴿ فإذا جآء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنآ أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ﴾[الإسراء: ٥]

ولنا أن نسأل: وهل لم يفسد بنو إسرائيل في الأرض إلا مرتين؟. لا، لولا أنهم لم يفسدوا في الأرض سوى مرتين، لكان ذلك بالقياس إلى مافعلوه أمرا طيبا؛ فقد أفسدوا أكثر من ذلك بكثير. ولابد أن يكون إفسادهم في الأرض المقصودة هو الفساد الذي صنعوه بالأرض التي كانت في حضانة الإسلام، وسبحانه قد قال: ﴾ بعثنا عليكم عبادا لنآ أولي بأس شديد ﴿ فمادام يوجد " عباد الله خالصوا الإيمان وأعدوا العدة فلا بد أن يتحقق وعد الله، لكن إذا ما تخلى الناس عن هذا الوصف؛ فعلى الناس الذين يعانون من إفساد بني إسرائيل أن يتلقوا ما قاله الله:﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليهم ﴾[الإسراء: ٦]

فكأن الكرة لا ترد إلا إذا كان القوم المؤمنون على غير مطلوب الإيمان. فإذا ما تساءل بعض المؤمنين: ولماذا تجعل يا الله الكرة لبني إسرائيل؟. تكون الإجابة: لأنكم أيها الناس قد تخلفتم عن مطلوب العبودية الخالصة لله. ومادمنا قد تخلفنا عن مفهوم " عباد الله " فلا بد أن تحدث لنا تلك السلسلة الطويلة التي نعرفها من عدوان بني إسرائيل. ونحن الآن في مواجهة اليهود في مرحلة قوله الحق:﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليهم ﴾[الإسراء: ٦]

فإذا كنا عبادا لله فلن يتمكنوا منا. والله سبحانه وتعالى حينما يتكلم بقضية قرآنية فلا بد أن تأتي القضية الكونية مصدقة لها.

ولو استمر الأمر دون كرة من اليهود علينا، بينما نحن قد ابتعدنا عن منهجنا وأصبح كل يتبع هواه، لكانت القضية القرآنية غير ثابتة. ولكن لا بد من أن تأتي أحداث الكون مطابقة للقضية القرآنية. ولذلك رأينا أن بعض العارفين الذين نعتقد قربهم من الله حينما جاء أحدهم خبر دخول اليهود بيت المقدس سجد لله.

فقلنا: " أتسجد لله على دخول اليهود بيت المقدس ". فقال: نعم. صدق ربنا لأنه قد قال: ﴿ وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ﴾ هكذا قال الحق، وهل يكون دخول لثاني مرة إلا إذا كان هناك خروج من أول مرة؟. لقد حمد ذلك العارف بالله ربنا لأن قضايا القرآن تتأكد بالكونيات، فإذا ما قال الحق:﴿ رددنا لكم الكرة ﴾[الإسراء: ٦]

فليست المسألة أنهم لكونهم يهودا لا يعطيهم الله الكرة. ولكن القضية هي أننا عندما نكون عبادا لله حقيقة.. اعتقادا وسلوكا.. قولا وعملا ننتصر عليهم.﴿ ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا ﴾[الإسراء: ٦]

وهم أغنياء لأنهم يديرون معظم حركة المال في العالم المعاصر.

ولأنهم جميعا في الجيش المدافع عن دولتهم. وذلك معنى بنين وأكثر نفيرا. النفير هو ما يستنفره الإنسان لنجدته؛ لأن قوة ذاته قاصرة عن الفعل. واليهود ليسوا قوة ذاتية بمفرد دولتهم، ولكن وراءهم أهم قوى في العالم المعاصر.

إذن فقوله الحق:﴿ وأمددناكم بأموال ﴾[الإسراء: ٦]

قول صدق وحق.

وقوله الحق:﴿ وبنين ﴾[الإسراء: ٦]

قول صدق وحق.

وقوله الحق:﴿ وجعلناكم أكثر نفيرا ﴾[الإسراء: ٦]

قول صدق وحق.

ثم بعد ذلك يحسم الله قضيته ويقول لليهود:﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ﴾[الإسراء: ٧]

وهل تستمر الكرة يا رب؟.

لا. فها هوذا الحق سبحانه يقول:﴿ فإذا جآء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم ﴾[الإسراء: ٧]

كأن الحق يعطينا البشارة بأننا سننتصر؛ ويكون الانتصار مرهونا بتنفيذ القاعدة التي شرعها الله بأن نكون عبادا لله حقا، عندئذ سيكل الله لنا تنفيذ وعده لليهود:﴿ ليسوءوا وجوهكم ﴾[الإسراء: ٧]

وأشرف ما في الإنسان هو الوجه، وعندما نكون عبادا لله سنسوء وجوههم، وفوق ذلك:﴿ وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾[الإسراء: ٧]

ولم يأت الحق بذكر المسجد من قبل، فها هوذا قوله الكريم:﴿ وقضينآ إلىا بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا * فإذا جآء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنآ أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ﴾[الإسراء: ٤-٥]

إذن فالحق هنا لم يأت بذكر المسجد في أول مرة. فكيف يكون دخولنا المسجد إذن؟. لقد دخلنا المسجد الأقصى أول مرة في الامتداد الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه. والمسجد الأقصى أيام عمر بن الخطاب لم يكن

في نطاق بني إسرائيل، ولكن كان في نطاق الدولة الرومانية، فدخولنا المسجد أول مرة لم يكن نكاية فيهم. ولكن الحق جاء بالمرة الثانية هنا والمسجد في نطاق سيطرة بني إسرائيل.﴿ وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ﴾[الإسراء: ٧]

سنكون نحن إذن عبادا لله ذوي البأس الشديد الذين سندخل المسجد الأقصى كما دخلناه أول مرة، وجاء الحق سبحانه بالمسجد هنا؛ لأن دخول المسجد أول مرة لم يكن إذلالا لليهود، فقد كانت السلطة السياسية في ذلك الزمن تتبع - كما قلنا - الدولة الرومانية.

ويضيف الحق من بعد ذلك:﴿ وليتبروا ما علوا تتبيرا ﴾[الإسراء: ٧]

وحتى نتبر ما يعلونه - أي نجعله خرابا - لابد أن تمر مدة ليعلوا في البينان.

وعلينا أن نعد أنفسنا لتكون عبادا لله لنعيش وعد الآخرة وقد جعلها الله وعدا تشريعيا، فإذا عدنا عبادا لله فسندخل المسجد ونتبر ما علوا تتبيرا، والحق سبحانه وتعالى في آيات سورة المائدة التي نحن بصدد خواطرنا عنها يأتي بلقطة عن بلاغه لسيدنا موسى بعد خروجه مع قومه من مصر، فقال:﴿ ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا علىا أدباركم فتنقلبوا خاسرين ﴾[المائدة: ٢١]

وقلنا إن الكتابة هنا تشريعية وليست كونية، فلو كان الأمر كونيا لدخلوا الأرض المقدسة بدون عقبات وبدون صراع وبدون قتال.

والدليل على أن الكتابة تشريعية هو قوله الحق: ﴿ ولا ترتدوا علىا أدباركم فتنقلبوا خاسرين ﴾ أي أنكم إن ارتددتم على أدباركم انقلبتم خاسرين. فإن أطعتم الله ودخلتم الأرض دون إدبار، فستدخلون الأرض، وإن لم تفعلوا فلن تدخلوها. إذن ليست كتابة الأرض هنا كونية، ولكنها تشريعية.

وقوله الحق: ﴿ ولا ترتدوا علىا أدباركم ﴾ يشرح لنا طبيعة مواجهة الخصم؛ فالإنسان حين يواجه خصمه فهو يواجهه بوجهه. فإن فر الخصم من أمامه فهو يولي أدباره. والتولي على الأدبار يكون على لونين: لون هو الإدبار من أجل أن ينحرف الإنسان إلى جماعة وفئة لتشتد قوتهم ويقووا على هزيمة العدو أو يصنع مكيدة؛ ليعيد مواجهة الخصم، ولون آخر وهو الفرار وذلك مذموم، ومن المعاصي الموبقات المهلكات. وفي ذلك يقول الحق سبحانه:﴿ ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلىا فئة فقد بآء بغضب من الله ﴾[الأنفال: ١٦]

فالارتداد على الأدبار ليس مذموما إن كان من أجل حيلة أو صنع كمين للعدو. وفي هذه الحالة لا بأس أن يرتد الإنسان، أما خلاف ذلك فهو مذموم. وهل الارتداد على الأدبار رجوع بالظهر إلى الوراء مع الاحتفاظ بالوجه في مواجهة الخصم؟. أو هو التفات بالوجه ناحية الدبر وفرار من العدو؟. كلا الأمرين يصح. وقد جاء الأمر إلى بني إسرائيل بعدم الفرار ليدخلوا الأرض فماذا كان موقفهم مادامت الكتابة لهذا الأمر تشريعية؟.

". (١)

"-٤٦٧

إن من هؤلاء من يستمع إلى القرآن لا بهدف التفهم والهداية، ولكن بهدف تلمس أي سبيل للطعن في القرآن، فكأن قلوبهم مغلقة عن القدرة على الفهم وحسن الاستنباط وصولا إلى الهداية، وهم يجادلون بهدف تأكيد كفرهم لا بنية صافية لاستبانة آفاق آيات الحق والوصول إلى الطريق القويم.

ونعلم أن السورة كلها جاءت لتواجه قضية الأصنام والوثنية والشرك بالله، ونعلم أن المعجزة التي جاءت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هي القرآن، وهو معجزة كلامية، تختلف عن المعجزات المرئية التي شاهدها المعاصرون لموسى عليه السلام: كشق البحر أو رؤية العصا وهي تصير حية تلقف كل ما ألقاه السحرة، أو معجزة عيسى عليه السلام من إبراء الأكمه والأبرص، فهذه كلها معجزات مرئية ومحددة بوقت، أما معجزة رسول الله فهي معجزة مسموعة ودائمة.

إن السمع هو أول أدوات الإدراك للنفس البشرية. إنه أول آلة إدراك تنبه الإنسان، إنه آلة الإدراك الوحيدة التي تستصحب وقت النوم وتؤدي مهمتها؛ لأن تصميمها يضم إمكانات مواصلة مهمتها وقت النوم. ونعلم أن الحق حينما أراد أن يقيم أهل الكهف مدة ثلاثمائة وتسع سنين ضرب على آذانهم حتى يكون نومهم سباتا عميقا، فهم في كهف في جبل، والجبل في صحارى تهب عليها الرياح والزوابع والأعاصير، فلو أن آذانهم على طبيعتها لما استراحوا في النوم الذي أراده الله لهم، ولذلك ضرب الله على آذانهم وقال سبحانه:﴿ فضربنا علىا آذانهم في الكهف سنين عددا ﴾[الكهف: ١١].

ومعجزة رسول الله - إذن - جاءت سمعية وأيضا يمكن قراءتها. وحين يتلقى الإنسان بلاغا فهو يتلقاه بسمعه، ويستطيع من بعد ذلك أن يقرأ هذا البلاغ ويتفقه فيه، ولا أحد يعرف القراءة إلا إذا سمع أصوات الحروف أولا ثم رآها من بعد ذلك، لقد تميزت معجزته صلى الله عليه وسلم بسيد الأدلة في وسائل الإدراك الإنساني، وهو السمع، والحق يقول: ﴿ ومنهم من يستمع إليك ﴾.

إن هناك فارقا بين " يسمع " و " يستمع " ، فالذي يسمع هو الذي يسمع عرضا، أما الذي " يستمع " فهو الذي يسمع عمدا. والسامع دون عمد ليس له خيارا ألا يسمع، إلا إذا سد أذنيه. أما الذي يستمع فهو الذي يقصد السمع. وهم كانوا يستمعون للقرآن لا بغرض اكتشاف آفاق الهداية ولكن بغرض الإصرار على الكفر وذلك بقصد تصيد المطاعن على القرآن.

ويقول الحق سبحانه: ﴿ وجعلنا علىا قلوبهم أكنة أن يفقهوه ﴾ و " الأكنة " جمع "كنان " وهي الغطاء أو الغلاف. ويتابع الحق: ﴿ وفي آذانهم وقرا ﴾ أي جعلنا في آذانهم صمما، كأنهم باختيارهم الكفر قد منعهم الله أن يفهموا القرآن، ونعلم أن جميع المعاصرين لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمعوا لرسول الله ومنهم من آمن ومنهم من ظل على الكفر.

---

(١) تفسير الشعراوي ص/٦٨٣

ونعرف أن لكل فعل مستقبلا. ويمكن للمستقبل أن يؤمن وبذلك يكون الفعل قد أتى ثمرته، وقد يكون المستقبل مصرا على موقفه السابق فلا يؤمن، وهنا يكون الفعل لم يؤت ثمرته، والفاعل واحد، لكن القابل مختلف. وكان بعض الكافرين يسمعون القرآن ثم يخرجون دون إيمان:﴿ ومنهم من يستمع إليك حتىا إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولـائك الذين طبع الله علىا قلوبهم واتبعوا أهوآءهم ﴾[محمد: ١٦].

إنهم ككفار يستمعون للقرآن، ثم ينصرفون ليقولوا في استهزاء للمؤمنين الذين علموا وآمنوا: أي كلام هذا الذي يقوله محمد؟ هؤلاء المستهزئون هم الذين ختم الله على قلوبهم بالكفر، وانصرفوا عن الهداية إلى الضلال. والمتكلم بكلام الله هو رسول الله مبلغا عن الله، والسامع مختلف؛ فهناك سامع مؤمن يتأثر بما يسمع، وهناك سامع كافر لا تستطيع أذنه أن تنقل الوعي والإدراك بما سمع. لكن القرآن للذين آمنوا هدى وشفاء، أما الذين لا يؤمنون به فآذانهم تصم عن الفهم وأعماقهم بلا بصيرة فلذلك لا يفهمون عن الله، وتجد نفس المؤمن تستشرف لأن تعلم ماذا في القرآن. أما الذي يريد أن يكون جبارا في الأرض فهو لا يريد أن يلزم نفسه بالمنهج.

وحتى نعرف الفارق بين هذين اللونين من البشر، نجد المؤمن ينظر إلى الكون ويتأمله فيدرك أن له صانعا حكيما، أما الكافر فبصيرته في عماء عن رؤية ذلك. وحين يستمع المؤمن إلى بلاغ من خالق الكون فهو يرهف السمع، أما الكافر فهو ينصرف عن ذلك.

وكان صناديد قريش أمثال أبي جهل وأبي سفيان، والنضر بن الحارث، والوليد ابن المغيرة، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وحرب بن أمية، كل هؤلاء من صناديد قريس يجتمعون ويسأل الواحد منهم النضر قائلا: يا نضر ما حكاية الكلام الذي يقوله محمد؟

وكان النضر راوية للقصص التي يجمعها من أنحاء البلاد، فهو قد سافر إلى بلاد فارس والروم وجاب الجزيرة من أقصاها إلى أقصاها، فقال: والله ما أدري ما يقول محمد إلا أنه أساطير الأولين.

ويتجادل النضر وأبو سفيان وأبو جهل مع رسول الله، وهذا الجدال دليل عدم فهم لما جاء من آيات القرآن. ولم يجعل الله الوقر على آذانهم قهرا عنهم، بل بسبب كفرهم أولا، فطبع الله على قلوبهم بكفرهم، واستقر مرض الكفر في قلوبهم وفضلوه على الإيمان فزادهم الله مرضا، وقال فيهم الحق سبحانه: ﴿ وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتىا إذا جآءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هـاذآ إلا أساطير الأولين ﴾ [الأنعام: ٢٥].

والأساطير هي جمع أسطورة، والأسطورة شيء يسطر ليتحدث به **من العجائب** والأحداث الوهمية.

وكأن الحق سبحانه وتعالى يكشفهم أمام أنفسهم وهو يحاولون أن يجدوا ثغرة في القرآن فلا يجدون. وقال الله عنهم قولا فصلا:﴿ وقالوا لولا نزل هـاذا القرآن علىا رجل من القريتين عظيم ﴾[الزخرف: ٣١].

فهم يعلمون عظمة القرآن فكيف يقولون إنه أساطير الأولين؟ لقد كانوا من المعجبين بعظمة أسلوب القرآن الكريم فهم أمة بلاغة، ولكنهم يعلمون أن مطلوبات القرآن صعبة على أنفسهم. كما أنهم أرادوا أن يظلوا في السيادة والجبروت والقهر للغير، والقرآن إنما جاء ليساوي بين البشر جميعا أمام الحق الواحد الأحد.

لقد جاءت حوادث قسرية بإرادة الله لتكون سببا للإيمان، مثلما حدث مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما علم أن أخته قد أسلمت فذهب إليها وضربها حتى أسال منها الدم. وإسالة الدم حركت فيه عاطفة الأخوة فأزالت صلف العناد، فأراد أن يقرأ الصحيفة التي بها بعض من آيات القرآن، وتلقى الأمر من أخته بأن يتطهر فتطهر وجلس يستمع، وبزوال صلفه وعناده وبتطهره صار ذهنه مستعدا لفهم ما جاء بالقرآن، وذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلن إيمانه بالله ربا وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبرسالته الخاتمة.

ويقول الحق من بعد ذلك: ﴿ وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون... ﴾
". (١)

"-٤٦٨

﴿ أو عجبتم ﴾ وكان من الممكن أن يقول: " أعجبتم " ، لكن ساعة أن يجيء بهمزة الاستفهام ويأتي بعدها بحرف عطف. فاعرف أن هناك عطفا على جملة؛ أي أنه يقول: أكذبتم بي، وعجبتم من أن الله أرسل على لساني ﴿ ذكر من ربكم ﴾. والذكر ضد النسيان، وأن الشيء يكون على البال، ومرة يتجاوز البال ويجري على اللسان.

وقد وردت معان كثيرة للذكر في القرآن، وأول هذه المعاني وقمتها أن الذكر حين يطلق يراد به القرآن:﴿ ذالك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ﴾[آل عمران: ٥٨]

وكذلك في قوله الحق:﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾[الحجر: ٩]

إذن يطلق الذكر ويراد به القرآن، ومرة يطلق الذكر ويراد به الصيت أي الشهرة الإعلامية الواسعة. وقد قال الحق لرسوله عن القرآن:﴿ وإنه لذكر لك ولقومك... ﴾[الزخرف: ٤٤]

أي أن القرآن شرف كبير لك ولأمتك وسيجعل لكم به صيتا إلى يوم القيامة؛ لأن الناس سترى في القرآن على تعاقب العصور كل عجيبة **من العجائب**، وسيعلمون كيف أن الكون يصدق القرآن، إذن بفضل القرآن " العربي " ، سيظل اسم العرب ملتصقا ومرتبطا بالقرآن، وكل شرف للقرآن ينال معه العرب شرفا جديدا.

أي أن القرآن شرف لكم. ويقول سبحانه:﴿ لقد أنزلنآ إليكم كتابا فيه ذكركم... ﴾[الأنبياء: ١٠].

أي فيه شرفكم، وفيه صيتكم، وفيه تاريخكم، ويأتي الإسلام الذي ينسخ القوميات والأجناس، ويجعل الناس كلها سواسية كأسنان المشط.﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثا وجعلناكم شعوبا وقبآئل لتعارفوا... ﴾[الحجرات: ١٣]

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: " لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ".

---

(١) تفسير الشعراوي ص/٨٠٧

وسيظل القرآن عربيا، وهو معجزة في لغة العرب، وبه ستظل كلمة العرب موجودة في هذه الدنيا. إذن فشرف القوم يجيء من شرف القرآن، ومن صيت القرآن. والحق يقول:﴿ ص والقرآن ذي الذكر ﴾[ص: ١]

أي أن شرفه دائم أبدا. حين يأتي إلى الدنيا سبق علمي، نجد من يذهب إلى البحث عن أصول السبق في القرآن، ونجد غير المسلمين يعتنون بالقرآن ويطبعونه في صفحة واحدة، وعلى ورق فاخر قد لا يستعملونه في كتبهم. هذا هو القرآن ذو الذكر على الرغم من أن بعض المسلمين ينحرفون قليلا عن المنهج، وقد يتناساه بعضهم، لكن في مسألة القرآن نجد الكل يتنبه. وكما قلت من قبل: قد تجد امرأة كاشفة للوجه وتضع مصحفا كبيرا على صدرها، وقد تجد من لا يصلي ويركب سيارة يضع فيها المصحف، وكل هذا ذكر. وتجد القرآن يقرأ مرتلا، ويقرأ مجودا، ومجودا بالعشرة ثم يسجل بمسجلات يصنعها من لا يؤمنون بالقرآن. وكل هذا ذكر وشرف كبير.

عرفنا أن " الذكر " قد ورد أولا بمعنى القرآن، وورد باسم الصيت والشرف: ويطلق الذكر ويراد به ما نزل على جميع الرسل؛ فالحق سبحانه يقول:

﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون * ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ﴾[الأنبياء: ١-٢]

أي أن كل ما نزل على الرسل ذكر.

ويقول سبحانه:﴿ ولقد آتينا موسا وهارون الفرقان وضيآء وذكرا للمتقين ﴾[الأنبياء: ٤٨]

إذن فالمراد بالذكر - أيضا - كل ما نزل على الرسل من منهج الله.

ومرة يطلق الذكر ويراد به معنى الاعتبار. والتذكير، والتذكر فيقول سبحانه:﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضآء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله... ﴾[المائدة: ٩٠-٩١]

والمراد هنا بالذكر: الاعتبار والتذكر وأن تعيش كمسلم في منهج الله. ومرة يراد بالذكر: التسبيح، والتحميد. انظر إلى قوله الحق سبحانه وتعالى:﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتآء الزكاة... ﴾[النور: ٣٦-٣٧ ﴿

وهو ذكر لأن هناك من يسبح له فيها بالغدو والآصال وهم رجال موصوفون بأنهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

وقد يطلق الذكر ويراد منه خير الله على عبادة ويراد به كذلك ذكر عبادتهم له بالطاعة؛ فسبحانه يذكرهم بالخير وهم يذكرونه بالطاعة. اقرأ إن شئت قول الحق سبحانه وتعالى:﴿ ...وينهما عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾[النحل: ٩٠]

وفي آية أخرى:﴿ ...إن الصلاة تنهىا عن الفحشآء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾[العنكبوت: ٤٥]

وما دام قد قال جل وعلا: ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ أي ذكر الله لهم بالنعم والخيرات، فذكره فضل وإحسان وهو الكبير المتعال. فهناك إذن ذكر ثان، ذكر أقل منه، وهو العبادة لربهم بالطاعة، هنا يقول الحق: ﴿ أو عجبتم أن جآءكم ذكر من ربكم علىٰ رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون ﴾ [الاعراف: ٦٣]

ما وجه العجب هنا؟ نعلم أن العجب هو إظهار الدهشة وانفعال النفس من حصول شيء علي غير ما تقتضيه مواقع الأمور ومقدماتها، إذن تظهر الدهشة ونتساءل كيف حدث هذا؟ ولو كان الأمر طبيعيا ورتيبا لما حدثت تلك الدهشة وذلك العجب.

وعجبتم لماذا؟ اقرأ – إذن – قول الحق سبحانه وتعالى:﴿ ق والقرآن المجيد * بل عجبوا أن جآءهم منذر منهم... ﴾[ق: ١-٢]

موضع العجب هنا أن جاء لهم منذر ورسول من جنسهم؛ فمن أي جنس كانوا يريدون الرسول؟ كان من غبائهم أنهم أرادوا الرسول ملكا.﴿ بل عجبوا أن جآءهم منذر منهم فقال الكافرون هـٰذا شيء عجيب ﴾[ق: ٢]

وجاء العجب أيضا في البعث. فتساءل الكافرون هل بعد أن ذهبنا وغبنا في الأرض وصرنا ترابا بعد الموت يجمعنا البعث مرة ثانية؟!

إذن فالعجب معناه إظهار الدهشة من أمر لا تدعو إليه المقدمات أو من أمر يخالف المقدمات.

العجب عندهم في الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها لأن نوحا عليه السلام يريد منهم أن يبحثوا في الإيمان بوجود إله. وكان المنطق يقتضي أنه إذا رأوا شيئا هندسته بديعة، وحكيمة، وطرأ عليها هذا المخلوق وهو الإنسان ليجد الكون منسقا موجودا من قبله، كان المنطق أن يبحث هذا الإنسان عمن خلق هذا الكون وأن يلح في أن يعرف من صنع الكون، وحين يأتي الرسول ليقول لكم من صنع هذا الكون، تتعجبون؟!

كان القياس أن تتلهفوا على من يخبركم بهذه الحقيقة؛ لأن الكون وأجناسه من النبات والجماد والحيوان في خدمتك أيها الإنسان. لا بقوتك خلقت هذا الكون ولا تلك الأجناس، بل أنت طارئ على الكون والأجناس، ألم يدر بخلدك أن تتساءل من صنع لك ذلك؟

إذن فالكلام عن الإيمان كان يجب أن يكون عمل العقل، وقلت قديما: هب أن إنسانا وقعت به طائرة في مكان، وهذا المكان ليس به من وسائل الحياة شيء أبدا، ثم جاع، ولم يجد طعاما، وقهره التعب، فنام، ثم أفاق من هذه الإغفاءة؛ وفوجئ بمائدة أمامه عليها أطايب الطعام والشراب وهو لا يعرف أحدا في المكان، بالله قبل أن يأكل ألا يتساءل عمن أحضرها؟!! كان الواجب يقتضي ذلك.

إذن أنتم تتعجبون من شيء تقتضي الفطرة أن نبحث عنه، وأن نؤمن به وهو الإله الذي لا ينتفع بطاعاتنا أو بعبادتنا، ولا تعود عليه العبادة بشيء، بل تعود علينا، والعبادة فيها مشقات لأنها تلجم الشهوات وتعقل وتمنع من المعاصي والمحرمات، ولكن يقابل ذلك الثواب في الآخرة.

وهناك من قال: ولماذا لا يعطينا الثواب بدون متاعب التكليف؟ مادام لا يستفيد. إن العقل كاف ليدلنا – دون منهج – إلى ما هو حسن فنفعله، وما نراه سيئا فلا نفعله، والذي لا نعرفه أهو حسن أم سيء. ونضطر له نفعله، وإن لم نكن في حاجة له لا نفعله.

ونقول لها القائل: لكن من الذي أخبرك أن العقل كاف ليدلنا إلى الأمر الحسن، هل حسن لك وحدك أم لك وللآخرين؟ فقد يكون الحسن بالنسبة لك هو السوء بالنسبة لغيرك لأنك لست وحدك في الكون. ولنفترض أن هناك قطعة قماش واحدة، الحسن عندك أن تأخذها، والحسن عند غيرك أن يأخذها. لكن الحسن الحقيقي أن يفصل في مسألة ملكية هذه القطعة من القماش من يعدل بينك وبين غيرك دون هوى. وألا يكون واحد أولى عنده من الآخر. إذن لابد أن يوجد إله يعصمنا من أهوائنا بمنهج ينزله يبين لنا الحسن من السيء؛ لأن الحسن بالمنطق البشري ستصدم فيها أهواؤنا.

ومثال آخر: افرض أننا دخلنا مدينة ما، ورأينا مسكنا جميلا فاخرا وكل منا يريد أن يسكن فيه وكل واحد يريد أن يأخذه؛ لأن ذلك هو الحسن بالنسبة له، لكن ليس كذلك بالنسبة لغيره، إذن فالحسن عندك قد يكون قبيحا عند الغير.

فالحسن عند بعض الرجال إذا رأى امرأة أن ينظر إليها ويتكلم معها، لكن هل هذا حسن عند أهلها أو أبيها أو زوجها؟ لا.

إن الذي تعجبتم منه كان يجب أن تأخذوه على أنه هو الأمر الطبيعي الفطري الذي تستلزمه المقدمات. فقد جاءكم البلاغ على لسان رجل منكم. ولماذا لم يقل الحق: لسان رجل؟ إننا نعلم أن هناك آية ثانية يقول فيها الحق:﴿ ربنا وآتنا ما وعدتنا علىا رسلك... ﴾[آل عمران: ١٩٤]

كأنه يقول لهم: إن الوعد الذي وعده الحق لكم قد جاء لكم بالمنهج الذي نزل على الرسل. ومهمة الرسل صعبة؛ فليست مقصورة على التبليغ باللسان لأن مشقاتها كلها على كاهل كل رسول، ولا تظنوا أن ربنا حين اختار رسولا قد اختاره ليدلله على رقاب الناس، لا. لقد اختاره وهو يعلم أن المهمة صعبة، والرسول صلى الله عليه وسلم – كما تعلمون – لم يشبع من خبز شعير قط، وأولاده وأهله – على سبيل المثال – لا يأخذون من الزكاة، والرسل لا تورث فجميع ما تركوه صدقة، وكل تبعات الدعوة على الرسول، وهذه هي الفائدة في أنه لم يقل على لسان رسول، لأن الأمر لو كان على لسان الرسول فقط لأعطى البلاغ فقط، إنما " على رجل منكم " تعطي البلاغ ومسئولية البلاغ على هذا الرجل. ﴾ أو عجبتم أن جآءكم ذكر من ربكم علىا رجل منكم... ﴿ [الأعراف: ٦٣]

ما هو العجب؟ لقد كان العجب أن تردوا الألوهية والنبوة.

وبعضهم لم يرد الألوهية ورد فكرة النبوة على الإنسان. وطالب أن يكون الرسول من الملائكة؛ لأن الملائكة لم تعص ولها هيبة ولا يعرف عنها الكذب، لكن كيف يصبح الرسول ملكا؟ وهل أنت ترى الملك؟ إن البلاغ عن الله يقتضي المواجهة، ولابد أن يراه القوم ويكلموه، والملك أنت لن تراه. إذن فلسوف يتشكل على هيئة رجل كما تشكل جبريل بهيئة رجل. إذن أنتم تستعجبون من شيء كان المنطق يقتضي ألا يكون.﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جآءهم الهدىا إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا ﴾[الإسراء: ٩٤]

وقولهم هذا في قمة الغباء. فقد كان عليهم أن يتهافتوا ويقبلوا على الإيمان؛ لأن الرسول منهم. وقد عرفوا ماضيه من قبل، وكذلك أنسوا به، ولو كانت له انحرافات قبل أن يكون رسولا لخزي واستحيا أن يقول لهم: استقيموا. وما دام هو منكم وتعرفون تاريخه وسلوكه حين دعاكم للاستقامة كان من الواجب أن تقولوا لأنفسكم: إنه لم يكذب في أمور الدنيا فكيف في أمور الآخرة، ولم يسبق له أن كذب على خلق الله فكيف يكذب على الله؟ ولأنه منكم فلابد أن يكون إنسانا ولذلك قال الحق:

﴿ ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾[الأنعام: ٩]

وهنا في الآية التي نحن بصددها يقول الحق: ﴿ علىا رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون ﴾.

إذن فمهمته أن ينذر، والأنذار لقصد التقوى، والتقوى غايتها الرحمة، وبذلك نجد هنا مراحل: الإنذار وهو إخبار بما يسؤوك ولم يأت زمنه بعد وذلك لتستعد له، وتكف لأنه سيتبعك ويضايقك. والبشارة ضد الإنذار، لأنها تخبر بشيء سار زمنه لم يأت، وفائدة ذلك أن يجند الإنسان كل قوته ليستقبل الخير القادم. وأن يبتعد عن الشيء المخيف.

وهكذا يكون التبشير والإنذار لتتقي الشرور وتأخذ الخير، وبذلك يحيا الإنسان في التقوى التي تؤدي إلى الرحمة.

إذن فمواطن تعجبهم من أن يجيئهم رسول مردودة؛ لأن مواطن التعجب هذه كان يجب أن يلح عليها فطريا، وأن تنعطف النفس إليها لا أن يتعجب أحد لأنها جاءت، فقد جاءت الرسالة موافقة للمقدمات، وقد جاء الرسول ولم يأت ملكا ليكون قدوة.

وكذلك لم يرسله الله من أهل الجاه من الأعيان ومن صاحب الأتباع؛ حتى لا يقال إن الرسالة قد انتشرت بقهر العزوة، إن الأتباع كانوا موافقين على الباطل بتسلط الكبراء والسادة، فمخافة أن يقال: إن كل تشريع من الله آزره المبطلون بأتباعهم جاءت الدعوة على أيدي الذين ليس لهم أتباع ولا هم من أصحاب الجاه والسلطان. ولقد تمنى أهل الشرك ذلك ويقول القرآن على لسانهم:﴿ وقالوا لولا نزل هاذا القرآن علىا رجل من القريتين عظيم ﴾[الزخرف: ٣١]

ولقد كان تمنيهم أن ينزل القرآن على رجل عظيم بمعاييرهم، وهذه شهادة منهم بان القرآن في ذاته منهج ومعجزة. ولم يتساءلوا: وهل القرآن يشرف بمحمد أو محمد هو الذي يشرف بالقرآن؟ إن محمدا يشرف بالقرآن؛ لذلك يقول الحق:﴿ ما نراك إلا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي... ﴾[هود: ٢٧]

وهذه هي العظمة؛ لأن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم لم يكونوا من الذين يفرض عليهم الواقع أن يحافظوا على جاههم ويعملوا بسطوتهم وبطشهم وبقوتهم، ويفرضوا الدين بقوة سلطانهم، لا، بل يمر على أتباع رسول الله فترة ضعاف مضطهدون، ويؤذون ويهاجرون، فالمهمة في البلاغ عن الله تأتي لينذر الرسول، ويتقى الأتباع لتنالهم الرحمة نتيجة التقوى، والتقوى جاءت نتيجة الإنذار.

ويقول الحق بعد ذلك: ﴿ فكذبوه فأنجيناه والذين معه... ﴾

". (١)

"-٤٦٩

والنعاس عبارة عن السنة الأولى التي تأخذ الإنسان عندما يحب أن ينام، ويسميها العامة في مصر " تعسيلة " ويقولون: " فلان معسل " أي أخذته سنة النوم، وهي ليست نوما بل فتور في الأعصاب يعقبه النوم، وهذا من آيات الله تعالى في أن يهب الإنسان راحة مؤقتة وليست نوما. وسبحانه يقول عن ذاته العليا:﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾[البقرة: ٢٥٥].

أي أنه – جل وعلا – لا يأخذه النوم الخفيف ولا النوم الثقيل. لأن السنة هي إلحاح من الجسم في طلب النوم، ويكون نوما خفيفا، وسبحانه وتعالى ليس كمثله شيء فهو عز وجل لا يتجسد أو يتمثل في شيء، لا السنة تأخذه ولا النوم يقاربه، ونلحظ أن الإنسان إذا ما تكلم بجانب من تأخذخ السنة فهو يصحو وينتبه. أما النائم بعمق فقد لا يصحو.

فالسنة – إذن – هي الداعي الخفيف للراحة. أما النوم فهو الداعي الثقيل. وهنا أنزل الله عليهم النعاس بمثابة مقدمة للنوم ليستريحوا قليلا. ونعلم أن النوم آية من آيات الله عز وجل في كونه؛ لأن الجسم حين يعبر عن نفسه بالحركة والطاقة ويأكل الغذاء ويشرب الماء ويتنفس الهواء، كل ذلك يتحول إلى طاقة ثم إلى وقود للحركة.

وهذه الطاقة تتكون بالتفاعل بين العناصر المختلفة، من تمثيل للغذاء وتحويل الطعام إلى نوعيات مختلفة لتغذية كل خلية من خلايا الجسم بما يناسبها، ثم استخلاص " الأوكسجين " عبر التنفس وطرد ثاني أكسيد الكربون، وعشرات الآلاف من التفاعلات الكيميائية لا توجد بها فضلات لتخرج، وهي تختلف عن التفاعلات الأخرى التي تخرج منها الفضلات من أحد السبيلين، أو من صماخ الأذن أو غير ذلك.

ومثل هذه الفضلات إنما تنتج من الاحتراقات التي نقول عنها: " العادم " في الآلات الميكانيكية. والعادم هو نتيجة الاحتراق وهي غازات تنفصل لتسير الحركة. وفي الإنسان نجد العادم يتمثل في الغائط، وما خرج من صماخ الأذن، و " عماص العين " ، والعرة، كلها عوادم. لكن هناك لون من تركيبة هذه التفاعلات يمثل لإيجاد الطاقة وليس له عادم.

والوسيلة الأساسية لاستعادة التوازن الكيميائي المناسب للإنسان هي أن نريح الجسم، وتتفاعل مواد الجسم مع نفسها ويعود طبيعيا. وهذا لا يحدث إلا بالنوم. ولذلك نجد الإنسان حين يسهر كثيرا ويذهب إلى النوم يشعر برجليه وقد " خدلت " أو كما يقال: " نملت ". وهذا نتيجة عجز مواد الجسم عن التفاعل الذي تحتاجه نتيجة اليقظة، وهذه كلها مسائل لا إرادية. بدليل أن الإنسان يرغب أحيانا في أن ينام، ويتحايل أحيانا على النوم فلا يأتيه؛ لأن النوم من العمليات المختصة بالحق سبحانه وتعالى، وهو آية من آيات الله في هذا الكون، ومن ضمن الآيات العجيبة.

---

(١) تفسير الشعراوي ص/١٠٠٦

واقرأ قول الحق سبحانه وتعالى:﴿ ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغآؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾[الروم: ٢٣].

وحين حاول العلماء الباحثون أن يفسروا ظاهرة النوم، وضعوا عشرات النظريات، وآخر التجارب التي أجريت أنهم أحضروا إنسانا وعلقوه كالرافعة من وسطه، وكأنه عصا مرفوعة من وسطها بتوازن، وجعلوا كل نصف من النصفين متساويا في الوزن، وحين جاء النوم لهذا الإنسان محل التجربة وجدوا أن جهة من النصفين مالت، وكأن ثقلا ما جاءها من النصف الآخر فزادت كتلتها، وهذا آخر ما درسوه في النوم، هذه التجربة أثبتت أن النوم عجيبة **من العجائب** التي تستحق أن يقول الحق تبارك وتعالى عنها:﴿ ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغآؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾[الروم: ٢٣].

وانظر إلى كلمة " النهار " هذه تر فيها الرصيد الاحتياطي الموجود في آية النوم؛ لأنه سبحانه وتعالى يقول: ﴿ ومن آياته منامكم بالليل ﴾.

وفي هذا القول رصيد احتياطي لمن جاء له ظرف من الظروف ولم ينم بالليل، فيعوض هذا الأمر وينام بالنهار، ومن حكمة الله تعالى أنه ذيل هذه الآية بقوله عز وجل: ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾.

وهذا بسبب أن النوم يعطل كل طاقات الجسم، فعندما ينام الإنسان لا يقدر جسمه على أن يتحرك التحرك الإداري، إلا السمع فهو باق في وظيفته؛ لأن به الاستدعاء، وإن العين – مثلا – لا ترى أثناء النوم، إنما الأذن تسمع ولا تتخلى عن السماع أبدا؛ لأن بالأذن يكون الاستدعاء، فإذا ما نادى الأب ابنه وهو نائم فهو يسمع النداء. لذلك قلنا سابقا: إن الحق سبحانه وتعالى حينما أراد أن ينيم أهل الكهف ثلثمائة سنة وازدادوا تسعا، قال تعالى:﴿ فضربنا علىا آذانهم في الكهف سنين عددا ﴾[الكهف: ١١].

لأنه لو لم يضرب على آذان أهل الكهف لظل السمع باقيا، فإذا ظل السمع، أهاجته الأعاصير، وعواء الذئاب، وزئير الأسود، ولما استطاعوا النوم طيلة هذه المدة.

وهنا في الآية التي نحن بصدد خواطرنا عنها:

﴿ إذ يغشيكم النعاس أمنة منه ﴾ [الأنفال: ١١].

وقد يتبادر إلى الأذهان سؤال هو:

وهل هناك نعاس غير أمنة؟ والجواب نعم؛ لأنه مجرد الراحة من تعب لتنشط بعدها، هذا لنفهم أن " أمنة " جاءت لمهمة هي تهدئة أعماق المؤمنين في المهيجات المحيطة، فهذا عدو كثير العدد، وهو بلا عتاد؛ لذلك شاء الحق تبارك وتعالى ألا يضيع منهم الطاقة اللازمة للمواجهة، ولا تتبدد هذه الطاقة في الفكر؛ لذلك جعل نعاسهم مخصوصا يغلبهم وهو " نعاس أمنة " ، وجعل المولى عز وجل من هذا النعاس آية، حيث جاءهم كلهم جميعا، وهذه بمفردها آية من آياته سبحانه وتعالى ولو غلبهم النوم العميق لمال عليهم الأعداء ميلة واحدة، ولكنهم أخذوا شيئا من الراحة التي فيها شيء من اليقظة.

﴿ إذ يغشيكم النعاس أمنة ﴾.

وهنا النعاس مفعول به، وهو أمنة من الله، وسبحانه يقول في آية أخرى:﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا ﴾[آل عمران: ١٥٤].

هنا في آية الأنفال نعاس وأمنة، وهناك في آية آل عمران أمنة ونعاس؛ لأن الحالتين مختلفتان – فتوضح آية آل عمران أن التعاس قد غشى طائفة واحدة من المقاتلين في غزوة أحد بعد أن أصابهم الغم في هذه الغزوة، وهؤلاء هم المؤمنون الصادقون الملتفون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما في سورة الأنفال فتبين الآية أن النعاس قد غشى الجيش كله حيث كان الجميع على قلب رجل واحد والإيمان يملأ قلوبهم جميعا ولا يوجد بينهم منافق أو مرتاب فغشيتهم جميعا هذه الأمنة بالنعاس؛ لأنه يزيل الخوف، ومن دلائل الأمن والطمأنينة والثقة بنصر الله.

ويقول الحق تبارك وتعالى متابعا في ذات الآية:

﴿ وينزل عليكم من السمآء مآء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ﴾ [الأنفال: ١١].

ومعنى التطهير أن هناك حادثا يستحق التطهر منه وهم لم يجدوا ماء ليتطهروا به حيث كان المشركون قد غلبوا المسلمين على الماء في أول الأمر، فظمئ المسلمون وانشغلوا بالعطش، وبالرغبة في تطهير أجسامهم، وهذا يدل على أن المؤمن يجب أن يظل نظيفا، رغم الوجود في المعركة التي لو استمر فيها الواحد منهم يوما أو اثنين دون استحمام، لما لامه أحد على ذلك، وجاء هذا القول ليدل على حرص المؤمن على النظافة إن خرج شيء من الإفرازات والعرق، أو كان التطهر من رجز الشيطان؛ لأن الشيطان خيل لهم منامات جنسية، وأخذ يوسوس قائلا لهم: أنتم تقولون إنكم على حق، فكيف تصلون وأنتم جنب؟ وكان مجرد حدوث هذا الأمر لهم جميعا هو آية أخرى من الآيات. فأغاظ الله الشيطان وأنزل عليهم الماء ليشربوا ويتطهروا.

ويقول المولى سبحانه وتعالى في ذات الآية: ﴿ وليربط علىا قلوبكم ويثبت به الأقدام ﴾

وأراد الحق تبارك وتعالى أن يطمئن المؤمنين فلا تتوزع أو تتشتت مشاعرهم، وما أن نزل المطر حتى حفروا الحفر ليتجمع فيها الماء، وهكذا حماهم سبحانه وتعالى من نقص الماء، كما أن نزول المطر على الأرض الرملية نعمة كبرى – من جهة أخرى – حيث يثبت الرمال على الأرض فلا تثير غبارا، ونعلم أن الإنسان حين يسير على الأرض، فإن ثقلة يدك ما تحته مما يحتمل الدك على قدر وزنه، فالطفل الصغير حينما يمشي على الرمال، فأثر سيره يكون بسيطا، عكس الرجل الضخم، وإن قستها بالنسبة لوزن الصبي أو الغلام، وبوزن الرجل الممتلئ، تجد أن الأرض قد غاصت بنسبة الكتلة التي سارت عليها، وحين يسير الناس دون عمل ولا يقصدون غير السير، يكون الثقل خفيفا، أما حين يدخل الرجال الحرب فالأقدام قد تغوص في الرمال وقد يصير جزء من جسد المقاتل معطلا عن الحركة؛ لأن القدم هي التي تحقق التوازن.

إن هذه من حكمة الله تعالى، ونحن نرى ذلك في حياتنا، فنجد أهل الريف يضعون فوق جداول الماء جزع نخلة أو " عرقا " من الخشب ليسير عليه الإنسان بين الشطين، وإن فكر السائر في هذه المسألة قد يقع في الماء، لكنه إن ترك رجليه للسير تلقائيا، فهو يمشي محققا التوازن، ومثل الأمر يحدث في صناعة سلالم البيوت، إننا نجدها متساوية في ارتفاع

درجاتها ليصعد الإنسان صعودا رتيبا من غير تفكير، فإذا اختلت درجة واحدة في السلم بأن كا ارتفاعها مختلفا عن بقية الدرجات يختل التوازن ويقع الإنسان؛ لأن الساق ضبطت نفسها آليا على هذا الوضع.

ولذلك نجد الصعود على السلالم الحلزونية متعبا لأن السلالم الحلزونية فيها جهة واسعة وأخرى ضيقة. وقد يرتبك الإنسان أثناء الصعود، ولهذه الأسباب نجد الجيوش تكشف طبيا على المجندين، ولا يختارون إلا الشخص المستوي القدمين لتستقبل أقدامه كل الظروف ويكون قادرا على مواجهة الظروف غير العادية، ومن عظمة الخالق سبحانه وتعالى أن جعل كل عضو من الأعضاء له مواصفات خاصة.

وسبحانه يذيل هذه الآية بقوله عز وجل: ﴿ ويثبت به الأقدام ﴾

وتثبيت الأقدام من جهة يمثل أمرا معنويا، ومن جهة أخرى يكون تثبيت الأقدام " بمعنى أن نزول المطر جعل الأرض ثابتة " ولا تثير الغبار أو الرمال، وسبحانه هو القائل في مناسبة أخرى:﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لمآ أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾[آل عمران: ١٤٦ - ١٤٧].

وهكذا نفهم أن تثبيت الأقدام له ألوان متعددة، حسية ومعنوية.

ويقول الحق تبارك وتعالى بعد ذلك: ﴿ إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم... ﴾

". (١)

٤٧٠-"

نحن نعرف أن الآيات ثلاثة أنواع: آيات كونية، وهي العجائب التي في الكون ويسميها الله سبحانه آيات، فالآية هي عجيبة **من العجائب**، سواء في الذكاء أو الجمال أو الخلق، وقد سمى الحق سبحانه الظواهر الكونية آيات؛ فقال تعالى:

﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ﴾[فصلت: ٣٧] وقال سبحانه:

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا ﴾[الروم: ٢١] وهذه من الآيات الكونية.

وهناك آيات هي الدليل على صدق الرسل - عليهم السلام - في البلاغ عن الله، وهي المعجزات؛ لأنها خالفت ناموس الكون المألوف للناس. فكل شيء له طبيعة، فإذا خرج عن طبيعته؛ فهذا يستدعى الانتباه.

مثلما يحكي القرآن عن سيدنا إبراهيم - عليه السلام - أن أعداءه أخذوه ورموه في النار فنجاه الحق سبحانه من النار؛ فخرج منها سالما، ولم يكن المقصود من ذلك أن ينجو إبراهيم من النار، فلو كان المقصود أن ينجو إبراهيم عليه السلام من النار؛ لحدثت أمور أخرى، كألا يمكنهم الحق - عز وجل - من أن يمسكوه، لكنهم أمسكوا به وأشعلوا النار ورموه فيها، ولو

---

(١) تفسير الشعراوي ص/١١٥٨

شاء الله تعالى أن يطفئها لفعل ذلك بقليل من المطر، لكن ذلك لم يحدث؛ فقد تركهم الله في غيهم، ولأنه واهب النار للإحراق قال سبحانه وتعالى لها:

﴿ يانار كوني بردا وسلاما علىا إبراهيم ﴾[الأنبياء: ٦٩] وهكذا تتجلى أمامهم خيبتهم.

إذن: الآيات تطلق على الآيات الكونية، وتطلق على الآيات المعجزات، وتطلق أيضا على آيات القرآن ما دامت الآيات القرآنية من الله والمعجزات من الله، وخلق الكون من الله، فهل هناك آية تصادم آية؟ لا؛ لأن الذي خلق الكون وأرسل الرسل بالمعجزات وأنزل القرآن هو إله واحد، ولو كان الأمر غير ذلك لحدث التصادم بين الآيات، والحق سبحانه هو القائل:

﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾[النساء: ٨٢] وقوله تعالى:

﴿ وإذا تتلىا عليهم آياتنا بينات ﴾ [يونس: ١٥] أي: آيات واضحة. ثم يقول الحق سبحانه ﴿ قال الذين لا يرجون لقآءنا ﴾ وعرفنا أن الرجاء طلب أمر محبوب ومن الممكن أن يكون واقعا، مثلما يرجو إنسان أن يدخل ابنه كلية الطب أو كلية الهندسة. ومقابل الرجاء شيء آخر محبوب، لكن الإنسان يعلم استحالته، وهو التمني، فالمحبوبات ـ إذن ـ قسمان: أمور متمناه وهي في الأمور المستحيلة، لكن الإنسان يعلن أنه يحبها، والقسم الثاني أمور نحبها، ومن الممكن أن تقع، وتسمى رجاء.

﴿ الذين لا يرجون لقآءنا ﴾ هم من لا يؤمنون، لا بإله، ولا ببعث؛ فقد قالوا:

﴿ ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنآ إلا الدهر ﴾[الجاثية: ٢٤] وقالوا:

﴿ أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون ﴾[المؤمنون: ٨٢] وإذا كان الإنسان لا يؤمن بالبعث؛ فهو لا يؤمن بلقاء الله سبحانه؛ لأن الذي يؤمن بالبعث يؤمن بلقاء الله، ويعد نفسه لهذا اللقاء بالعبادة والعمل الصالح، ولكن الكافرين الذين لا يؤمنون بالبعث سيفاجأون بالإله الذي أنكروه، وسوف تكون المفاجأة صعبة عليهم؛ ولذلك قال الحق سبحانه:

﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن مآء حتىا إذا جآءه لم يجده شيئا ﴾[النور: ٣٩]

السراب: هو أن يمشي الإنسان في خلاء الصحراء، ويخيل إليه أن هناك ماء أمامه، وكلما مشى ظن أن الماء أمامه، وما إن يصل إلى المكان يجد أن الماء قد تباعد. وهذه العملية لها علاقة بقضية انعكاس الضوء، فالضوء ينعكس؛ ليصور الماء وهو ليس بماء:

﴿ حتىا إذا جآءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده ﴾[النور: ٣٩] إنه يفاجأ بوجود الله سبحانه الذي لم يكن في باله، فهو واحد من الذين لا يرجون لقاء الله، وهو ممن جاء فيهم القول:

﴿ وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد بل هم بلقآء ربهم كافرون ﴾[السجدة: ١٠]

رغم أن الكون الذي نراه يحتم قضية البعث؛ لأننا نرى أن لكل شيء دورة، فالوردة الجميلة الممتلئة بالنضارة تذبل بعد أن تفقد مائيتها، ويضيع منها اللون، ثم تصير ترابا. وأنت حين تشم الوردة فهذا يعني أن ما فيها من عطر إنما يتبخر مع المياه التي تخرج منها بخارا، ثم تذبل وتتحلل بعد ذلك.

إذن: فللوردة دورة حياة. وأنت إن نظرت إلى أي عنصر من عناصر الحياة مثل المياه سوف تجد أن الكمية الموجودة من الماء ساعة خلق الله السموات والأرض هي بعينها؛ لم تزد ولم تنقص. وقد شرحنا ذلك من قبل. وكل شيء تنتفع به له دورة، والدورة تسلم لدورة أخرى، وأنت مستفيد بين هذه الدورات؛ هدما وبناء.

والذين لا يرجون لقاء الله، ولا يؤمنون بالبعث، ولا بثواب أو عقاب لا يلتفتون إلى الكون الذي يعيشون فيه؛ لأن النظر في الكون وتأمل أحواله يوجب عليهم أن يؤمنوا بأنها دورة من الممكن أن تعود.

وسبحانه القائل:

﴿ كما بدأنآ أول خلق نعيده ﴾[الأنبياء: ١٠٤] وهؤلاء الذين لا يرجون لقاء الله يأتي القرآن بما جاء على ألسنتهم: ﴿

ائت بقرآن غير هاذآ أو بدله ﴾ [يونس: ١٥]

هم هنا يطلبون طلبين: ﴿ ائت بقرآن غير هاذآ ﴾ ، ﴿ أو بدله ﴾.

أي: يطلبون غير القرآن. ولنلحظ أن المتكلم هو الله سبحانه؛ لذلك فلا تفهم أن القولين متساويان.

﴿ ائت بقرآن غير هاذآ أو بدله ﴾ هما طلبان: الطلب الأول: أنهم يطلبون قرآنا غير الذي نزل. والطلب الثاني: أنهم يريدون تبديل آية مكان آية، وهم قد طلبوا حذف الآيات التي تهزأ بالأصنام، وكذلك الآيات التي تتوعدهم بسوء المصير.

ويأتي جواب من الله سبحانه على شق واحد مما طلبوه وهو المطلب الثاني، ويقول سبحانه: ﴿ قل ما يكون لي أن أبدله من تلقآء نفسي ﴾ ولم يرد الحق سبحانه على قولهم: ﴿ ائت بقرآن غير هاذآ ﴾.

وكان مقياس الجواب أن يقول: " ما يكون لي أن آتي بقرآن غير هذا أو أبدله "؛ لكنه اكتفى بالرد على المطلب الثاني ﴿ أو بدله ﴾؛ لأن الإتيان بقرآن يتطلب تغييرا للكل. ولكن التبديل هو الأمر السهل. وقد نفى الأسهل؛ ليسلموا أن طلب الأصعب منفي بطبيعته.

وأمر الحق سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ قل ما يكون لي أن أبدله من تلقآء نفسي ﴾

أي: أن أمر التبديل وارد، لكنه ليس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. بل بأمر من الله سبحانه وتعالى، إنما أمر الإتيان بقرآن غير هذا ليس واردا.

إذن: فالتبديل وارد شرط ألا يكون من الرسول صلى الله عليه وسلم، ولذلك قال الحق سبحانه:

﴿ وإذا بدلنآ آية مكان آية والله أعلم بما ينزل ﴾[النحل: ١٠١] وهو ما تذكره هذه الآية: ﴿ قل ما يكون لي أن أبدله من تلقآء نفسي ﴾ و ﴿ تلقآء ﴾ من " لقاء "؛ فتقول: " لقيت فلانا " ، ويأتي المصدر من جنس الفعل أو حروفه، ويسمون " التلقاء " هنا: الجهة.

والحق سبحانه يقول في آية أخرى:

﴿ ولما توجه تلقآء مدين ﴾[القصص: ٢٢].

و ﴿ تلقآء مدين ﴾ أي: جهة مدين. و " التلقاء " قد تأتي بمعنى اللقاء؛ لأنك حين تقول: " لقيته " أي: أنا وفلان التقينا في مكان واحد، وحين نتوجه إلى مكان معين فنحن نوجد فيه. ويظن بعض الناس أن كل لفظ يأتي لمعنيين يحمل تناقضا، ونقول: لا، ليس هناك تناقض، بل انفكاك جهة، مثلما قال الحق سبحانه:

﴿ فول وجهك شطر المسجد الحرام ﴾[البقرة: ١٤٤]

والشطر معناه: الجهة؛ ومعناه أيضا: النصف، فيقال: " أخذ فلان شطر ماله " ، أي: نصفه، و " اتجهت شطر كذا " ، أي: إلى جهة كذا.

وهذه معان غير متناقضة؛ فالإنسان منا ساعة يقف في أي مكان؛ يصبح هذا المكان مركزا لمرائيه، وما حوله كله محيطا ينتهي بالأفق.

ويختلف محيط كل إنسان حسب قوة بصره، ومحيط الرؤية ينتهي حين يخيل لك أن السماء انطبقت على الأرض، هذا هو الأفق الذي يخصك، فإن كان بصرك قويا فأفقك يتسع، وإن كان البصر ضعيفا يضيف الأفق.

ويقال: " فلان ضيق الأفق " أي: أن رؤيته محدودة، وكل إنسان منا إذا وقف في مكان يصير مركزا لما يحيطه من مراء؛ ولذلك يوجد أكثر من مركز، فالمقابل لك نصف الكون المرئي، وخلفك نصف الكون المرئي الآخر، فإذا قيل: إن " الشطر " هو " النصف " ، فالشطر أيضا هو " الجهة ".

وهنا يقول الحق سبحانه: ﴿ قل ما يكون لي أن أبدله من تلقآء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي ﴾.

أي: أنه صلى الله عليه وسلم لا يأتي بالقرآن من عند نفسه صلى الله عليه وسلم، بل يوحى إليه.

وينهي الحق سبحانه الآية بقوله: ﴿ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ [يونس: ١٥]

أي: أنه صلى الله عليه وسلم لو جاء بشيء من عنده، ففي هذا معصية لله تعالى، ونعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعرف عنه أنه كان شاعرا، ولا كان كاتبا، ولا كان خطيبا. وبعد أن نزل الوحي عليه من الله جاء القرآن في منتهى البلاغة.

وقد نزل الوحي ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الأربعين من عمره ولا توجد عبقرية يتأجل ظهورها إلى هذه المرحلة من العمر، ولا يمكن أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد أجل عبقريته إلى هذه السن؛ لأنه لم يكن يضمن أن يمتد به العمر.

ويأتي لنا الحق سبحانه بالدليل القاطع على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتبع إلا ما يوحى إليه فيقول:

﴿ إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ [يونس: ١٥]

ويأتي الأمر بالرد من الحق سبحانه على الكافرين: ﴿ قل لو شآء الله ما تلوته عليكم.... ﴾.

". (١)

"-٤٧١

فالحق سبحانه ينقلنا هنا إلى صورة أخرى من صور الكون.. بعد أن حدثنا عن الإنسان وما حوله.. فالإنسان قبل أن يخلقه الله في هذا الوجود أعد له مقومات حياته، فالشمس والقمر والنجوم والأرض والسماء والمياه والهواء، كل هذه أشياء وجدت قبل الإنسان، لتهيئ له الوجود في هذا الكون.

والله سبحانه يريد منا بعد أن كفل لنا استبقاء الحياة بالرزق، واستبقاء النوع بالزواج والتكاثر، يريد منا إثراء عقائدنا بالنظر في ملكوت الله وما فيه **من العجائب**؛ لنستدل على أنه سبحانه هندس كونه هندسة بديعة متداخلة، وأحكمه إحكاما لا تصادم فيه.﴿ لا الشمس ينبغي لهآ أن تدرك القمر ولا اليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾[يس: ٤٠].

فالنظر إلى كون الله الفسيح، كم فيه من كواكب ونجوم وأجرام. كم هو مليء بالحركة والسكون والاستدارة. ومع ذلك لم يحدث فيه تصادم، ولم تحدث منه مضرة أبدا في يوم من الأيام.. الكون كله يسير بنظام دقيق وتناسق عجيب؛ ولكي تتجلى لك هذه الحقيقة انظر إلى صنعة الإنسان، كم فيها من تصادم وحوادث يروح ضحيتها الآلاف.

هذا مثل مشاهد للجميع، الطير في السماء.. ما الذي يمسكها أن تقع على الأرض؟ وكأن الحق سبحانه يجب أن يلفتنا إلى قضية اكبر:﴿ إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتآ إن أمسكهما من أحد من بعده.. ﴾[فاطر: ٤١].

فعلينا أن نصدق هذه القضية.. فنحن لا ندرك بأعيننا جرم الأرض، ولا جرم الشمس والنجوم والكواكب.. نحن لا نقرر على معرفة كل ما في الكون.. إذن: يجب علينا أن نصدق قول ربنا ولا نجادل فيه.

وإليكم هذا المثل الذي تشاهدونه كل يوم:

﴿ ألم يروا إلىا الطير مسخرات في جو السمآء ما يمسكهن إلا الله... ﴾ [النحل: ٧٩].

إياك أن تقول إنها رفرفة الأجنحة، فنحن نرى الطائر يثبت أجنحته في الهواء، ومع ذلك لا يقع إلى الأرض، فهناك إذن ما يمسكه من الوقوع؛ لذلك قال تعالى في آية أخرى:﴿ أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن... ﴾[الملك: ١٩].

أي: أنها في حالة بسط الأجنحة، وفي حالة قبضها تظل معلقة لا تسقط.

وكذلك نجد من الطيور ما له أجنحة طويلة، لكنه لا يطير مثل الأوز وغيره من الطيور.

إذن: ليست المسألة مسألة أجنحة، بل هي آية من آيات الله تمسك هذا الطير في جو السماء.. فتراه حرا طليقا لا يجذبه شيء إلى الأرض، ولا يجذبه شيء إلى السماء، بل هو حر يرتفع إن أراد الارتفاع، وينزل إن أراد النزول.

فهذه آية محسة لنستدل بها على قدرة الله غير المحسة إلا بإخبار الله عنها، فإذا ما قال سبحانه:

---

(١) تفسير الشعراوي ص/١٣٦٦

﴿ إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتآ إن أمسكهما من أحد من بعده... ﴾[فاطر: ٤١].

آمنا وصدقنا.

وقوله تعالى:

﴿ في جو السمآء... ﴾ [النحل: ٧٩].

أي: في الهواء المحيط بالأرض، والمتأمل في الكون يجد أن الهواء هو العامل الأساسي في ثبات الأشياء في الكون، فالجبال والعمارات وغيرها.. ما الذي يمسكها أن تقع؟

إياك أن تظن أنه الأسمنت والحديد وهندسة البناء.. لا.. بل يمسكها الهواء الذي يحيط بها من كل جانب، بدليل أنك لو فرغت جانبا منها من الهواء لانهارت فورا نحو هذا الجانب؛ لأن للهواء ضغطا، فإذا ما فرغت جانبا منها قل فيه الضغط فانهارت.

فالهواء ـ إذن ـ هو الضابط لهذه المسألة، وبالهواء يتوازن الطير في السماء، ويسير كما يهوى، ويتحرك كما يحب.

ثم يقول تعالى:

﴿ إن في ذالك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ [النحل: ٧٩].

أي: أن الطير الذي يطير في السماء فيه آيات أي عجائب، عجائب صنعة وعجائب خلق، يجب أن تتفكروا فيها وتعتبروا بها.

ولكي نقف على هذه الآية في الطير نرى ما حدث لأول إنسان حاول الطيران.. إنه العربي عباس بن فرناس، أول من حاول الطيران في الأندلس، فعمل لنفسه جناحين، وألقى بنفسه من مكان مرتفع.. فماذا حدث لأول طائر بشرى؟

طار مسافة قصيرة، ثم هبط على مؤخرته فكسرت؛ لأنه نسي أن المسألة ليست مجرد الطيران، فهناك الهبوط الذي نسي الاستعداد له، وفاته أن يعمل له (زمكي)، وهو الذيل الذي يحفظ التوازن عند الهبوط.

وكذلك الذين يصنعون الطائرات كم تتكلف؟ وكم فيها من أجهزة ومعدات قياس وانضباط؟ وبعد ذلك تحتاج لقائد يقودها أو موجه يوجهها، وحينما أرادوا صناعة الطائرة جعلوها على شكل الطير في السماء له جناحان ومقدمة وذيل، ومع ذلك ماذا يحدث لو تعطل محركها.. أو اختل توازنها؟!

إذن: الطير في السماء آية تستحق النظر والتدبر؛ لنعلم منها قدرة الخالق سبحانه.

ويقول تعالى:

﴿ لقوم يؤمنون ﴾ [النحل: ٧٩].

يؤمنون بوجود واجب الوجود، يؤمنون بحكمته ودقة صنعه، وأنها لا مثيل لها من صنعة البشر مهما بلغت من الدقة والإحكام.

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿ والله جعل لكم من.. ﴾.

". (١)

"-٤٧٢

استهل الحق سبحانه هذه السورة بقوله (سبحان)؛ لأنها تتحدث عن حدث عظيم خارق للعادة، ومعنى سبحانه: أي تنزيها لله تعالى تنزيها مطلقا، أن يكون له شبه أو مثيل فيما خلق، لا في الذات، فلا ذات كذاته، ولا في الصفات فلا صفات كصفاته، ولا في الأفعال، فليس في أفعال خلقه ما يشبه أفعاله تعالى.

فإن قيل لك: الله موجود وأنت موجود، فنزه الله أن يكون وجوده كوجودك؛ لأن وجودك من عدم، وليس ذاتيا فيك، ووجوده سبحانه ليس من عدم، وهو ذاتي فيه سبحانه.

فذاته سبحانه لا مثيل لها، ولا شبيه في ذوات خلقه. وكذلك إن قيل: سمع والله سمع. فنزه الله أن يشابه سمعه سمعك، وإن قيل: لك فعل، ولله فعل فنزه الله أن يكون فعله كفعلك.

ومن معاني (سبحان) أي: أتعجب من قدرة الله.

إذن: كلمة (سبحان) جاءت هنا لتشير إلى أن ما بعدها أمر خارج عن نطاق قدرات البشر، فإذا ما سمعته إياك أن تعترض أو تقول: كيف يحدث هذا؟ بل نزه الله أن يشابه فعله فعل البشر، فإن قال لك: إنه أسرى بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس في ليلة، مع أنهم يضربون إليها أكباد الإبل شهرا، فإياك أن تنكر.

فربك لم يقل: سرى محمد، بل أسري به. فالفعل ليس لمحمد ولكنه لله، وما دام الفعل لله فلا تخضعه لمقاييس الزمن لديك، ففعل الله ليس علاجا ومزاولة كفعل البشر.

ولو تأملنا كلمة (سبحان) نجدها في الأشياء التي ضاقت فيها العقول، وتحيرت في إدراكها وفي الأشياء العجيبة، مثل قوله تعالى:﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾[يس: ٣٦].

فالأزواج أي: الزوجين الذكر والأنثى، ومنهما يتم التكاثر في النبات، وفي الإنسان وقد فسر لنا العلم الحديث قوله: ﴿ ومما لا يعلمون ﴾ بما توصل إليه من اكتشاف الذرة والكهرباء، وأن فيهما السالب والموجب الذي يساوي الذكر والأنثى؛ لذلك قال تعالى:﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴾[الذاريات: ٤٩].

ومنها قوله تعالى:﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾[الروم: ١٧].

فمن يطالع صفحة الكون عند شروق الشمس وعند غروبها، ويرى كيف يحل الظلام محل الضياء، أو الضياء محل الظلام، لا يملك أمام هذه الآية إلا أن يقول: سبحان الله.

ومنها قوله تعالى:﴿ سبحان الذي سخر لنا هاذا وما كنا له مقرنين ﴾[الزخرف: ١٣].

هذه كلها أمور عجيبة، لا يقدر عليها إلا الله، وردت فيها كلمة (سبحان) في خلال السور وفي طيات الآيات.

---

(١) تفسير الشعراوي ص/١٩٦٤

و(سبحان) اسم يدل على الثبوت والدوام، فكأن تنزيه الله موجود وثابت له سبحانه قبل أن يوجد المنزه، كما نقول في الخلق، فالله خالق ومتصف بهذه الصفة قبل أن يخلق شيئا.

وكما تقول: فلان شاعر، فهو شاعر قبل أن يقول القصيدة، فلو لم يكن شاعرا ما قالها.

إذن: تنزيه الله ثابت له قبل أن يوجد من ينزهه سبحانه، فإذا وجد المنزه تحول الأسلوب من الاسم إلى الفعل، فقال سبحانه:﴿ سبح لله ما في السماوات وما في الأرض ﴾[الحشر: ١].

وهل سبح وسكت وانتهى التسبيح؟ لا، بل:﴿ يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض ﴾[الجمعة: ١].

على سبيل الدوام والاستمرار، وما دام الأمر كذلك والتسبيح ثابت له، وتسبح له الكائنات في الماضي والحاضر، فلا تتقاعس أنت أيها المكلف عن تسبيح ربك، يقول تعالى:﴿ سبح اسم ربك الأعلا ﴾[الأعلى: ١].

وقوله: (أسري) من السرى، وهو السير ليلا، وفي الحكم: (عند الصباح يحمد القوم السرى).

فالحق سبحانه أسرى بعبد، فالفعل لله تعالى، وليس لمحمد صلى الله عليه وسلم فلا تقس الفعل بمقياس البشر، ونزه فعل الله عن فعلك، وقد استقبل أهل مكة هذا الحدث استقبال المكذب. فقالوا: كيف هذا ونحن نضرب إليها أكباد الإبل شهرا، وهم كاذبون في قولهم؛ لأن رسول الله لم يدع أنه سرى بل قال: أسري بي.

ومعلوم أن قطع المسافات يأخذ من الزمن على قدر عكس القوة المتمثلة في السرعة. أي: أن الزمن يتناسب عكسيا مع القوة، فلو أردنا مثلا الذهاب إلى الإسكندرية سيختلف الزمن لو سرنا على الأقدام عنه إذا ركبنا سيارة أو طائرة، فكلما زادت القوة قل الزمن، فما بالك لو نسب الفعل والسرعة إلى الله تعالى، إذا كان الفعل من الله فلا زمن.

فإن قال قائل: ما دام الفعل مع الله لا يحتاج إلى زمن، لماذا لم يأت الإسراء لمحة فحسب، ولماذا استغرق ليلة؟

نقول: لأن هناك فرقا بين قطع المسافات بقانون الله سبحانه وبين مراء عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم في الطريق، فرأى مواقف، وتكلم مع أشخاص، ورأى آيات وعجائب، هذه هي التي استغرقت الزمن.

وقلنا: إنك حين تنسب الفعل إلى فاعله يجب أن تعطيه من الزمن على قدر قوة الفاعل. هب أن قائلا قال لك: أنا صعدت بابني الرضيع قمة جبل " إفرست " ، هل تقول له: كيف صعد ابنك الرضيع قمة " إفرست "؟

هذا سؤال إذن في غير محله، وكذلك في مسألة الإسراء والمعراج يقول تعالى: أنا أسريت بعبدي، فمن أراد أن يحيل المسألة وينكرها، فليعترض على الله صاحب الفعل لا على محمد.

لكن كيف فاتت هذه القضية على كفار مكة؟

ومن تكذيب كفار مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في رحلة الإسراء والمعراج نأخذ ردا جميلا على هؤلاء الذين يخوضون في هذا الحادث بعقول ضيقة وبإيمانية سطحية في عصرنا الحاضر، فيطالعونا بأفكار سقيمة ما أنزل الله بها من سلطان.

ونسمع منهم من يقول: إن الإسراء كان مناما، أو كان بالروح دون الجسد.

ونقول لهؤلاء: لو قال محمد لقومه: أنا رأيت في الرؤيا بيت المقدس، هل كانوا يكذبونه؟ ولو قال لهم: لقد سبحت روحي الليلة حتى أتت بيت المقدس، أكانوا يكذبونه؟ أتكذب الرؤى أو حركة الأرواح؟!

إذن: في إنكار الكفار على رسول الله وتكذيبهم له دليل على أن الإسراء كان حقيقة تمت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بروحه وجسده، وكأن الحق سبحانه ادخر الموقف التكذيبي لمكذبي الأمس، ليرد به على مكذبي اليوم.

وقوله سبحانه: ﴿ بعبده.. ﴾ [الإسراء: ١].

العبد كلمة تطلق على الروح والجسد معا، هذا مدلولها، لا يمكن أن تطلق على الروح فقط.

لكن، لماذا اختار الحق سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم هذه الصفة بالذات؟

نقول: لأن الله تعالى جعل في الكون قانونا عاما للناس، وقد يخرق هذا القانون أو الناموس العام ليكون معجزة للخاصة الذين ميزهم الله عن سائر الخلق، فكأن كلمة (عبده) هي حيثية الإسراء.

أي: أسري به؛ لأنه صادق العبودية لله، وما دام هو عبده فقد أخلص في عبوديته لربه، فاستحق أن يكون له ميزة وخصوصية عن غيره، فالإسراء والمعراج عطاء من الله استحقه رسوله بما حقق من عبودية لله.

وفرق بين العبودية لله والعبودية للبشر، فالعبودية لله عز وشرف يأخذ بها العبد خير سيده، وقال الشاعر:ومما زادني شرفا وعزا   وكدت بأخمصي أطأ الثريادخولي تحت قولك يا عبادي   وأن صيرت أحمد لي نبياأما عبودية البشر للبشر فنقص ومذلة وهوان، حيث يأخذ السيد خير عبده، ويحرمه ثمره كده.

لذلك، فالمتتبع لآيات القرآن يجد أن العبودية لا تأتي إلا في المواقف العظيمة مثل:

﴿ سبحان الذي أسرىٰ بعبده.. ﴾ [الإسراء: ١].

وقوله:﴿ وأنه لما قام عبد الله يدعوه.. ﴾[الجن: ١٩].

ويكفيك عزا وكرامة أنك إذا أردت مقابلة سيدك أن يكون الأمر في يدك، فما عليك إلا أن تتوضأ وتنوي المقابلة قائلا: الله أكبر، فتكون في معية الله عز وجل في لقاء تحدد أنت مكانه وموعده ومدته، وتختار أنت موضوع المقابلة، وتظل في حضرة ربك إلى أن تنهي المقابلة متى أردت.

وما أحسن ما قال الشاعر:حسب نفسي عزا بأني عبد   يحتفي بي بلا مواعيد ربهو في قدسه الأعز ولكن   أنا ألقى متى وأين أحبفما بالك لو حاولت لقاء عظيم من عظماء الدنيا؟ وكم أنت ملاق من المشقة والعنت؟ وكم دونه من الحجاب والحراس؟ ثم بعد ذلك ليس لك أن تختار لا الزمان ولا المكان، ولا الموضوع ولا غيره.

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المتخلق بأخلاق الله إذا سلم على أحد لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده.

وقوله: ﴿ ليلا.

. ﴾ [الإسراء: ١].

سبق أن قلنا: إن السرى هو السير ليلا، فكانت هذه كافية للدلالة على وقوع الحدث ليلا، ولكن الحق سبحانه أراد أن يؤكد ذلك، فقد يقول قائل: لماذا لم يحدث الإسراء نهارا؟

نقول: حدث الإسراء ليلا، لتظل المعجزة غيبا يؤمن به من يصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلو ذهب في النهار لرآه الناس في الطريق ذهابا وعودة، فتكون المسألة ـ إذن ـ حسية مشاهدة لا مجال فيها للإيمان بالغيب.

لذلك لما سمع أبو جهل خبر الإسراء طار به إلى المسجد وقال: إن صاحبكم يزعم أنه أسري به الليلة من مكة إلى بيت المقدس، فمنهم من قلب كفيه تعجبا، ومنهم من أنكر، ومنهم من ارتد.

أما الصديق أبو بكر فقد استقبل الخبر استقبال المؤمن المصدق، ومن هذا الموقف سمي الصديق، وقال قولته المشهورة: " إن كان قال فقد صدق ".

إذن: عمدته أن يقول رسول الله، وطالما قال فهو صادق، هذه قضية مسلم بها عند الصديق رضي الله عنه.

ثم قال: " إنا لنصدقه في أبعد من هذا، نصدقه في خبر السماء (الوحي)، فكيف لا نصدقه في هذا "؟

إذن: الحق سبحانه جعل هذا الحادث محكا للإيمان، وممحصا ليقين الناس، حين يغربل من حول رسول الله، ولا يبقى معه إلا أصحاب الإيمان واليقين الثابت الذي لا يهتز ولا يتزعزع.

لذلك قال تعالى في آية أخرى:﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس.. ﴾[الإسراء: ٦٠].

وهذا دليل آخر على أن الإسراء لم يكن مناما، فالإسراء لا يكون فتنة واختبارا إلا إذا كان حقيقة لا مناما، فالمنام لا يكذبه أحد ولا يختلف فيه الناس.

لكن لماذا قال عن الإسراء (رؤيا) يعني المنامية، ولم يقل " رؤية " يعني البصرية؟

قالوا: لأنها لما كانت عجيبة **من العجائب** صارت كأنها رؤيا منامية، فالرؤيا محل الأحداث العجيبة.

وورد في الإسراء أحاديث كثيرة تكلم فيها العلماء: أكان بالروح والجسد؟ أكان يقظة أم مناما؟ أكان من المسجد الحرام أم من بيت أم هانيء؟ ونحن لا نختلف مع هذه الآراء، ونوضح ما فيها من تقارب.

فمن حيث: أكان الإسراء بالروح فقط أم بالروح والجسد؟ فقد أوضحنا وجه الصواب فيه، وأنه كان بالروح والجسد جميعا، فهذا مجال الإعجاز، ولو كان بالروح فقط ما كان عجيبا، وما كذبه كفار مكة.

أما من ذهب إلى أن الإسراء كان رؤيا منام، فيجب أن نلاحظ أن أول الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان الرؤيا الصادقة، فكان صلى الله عليه وسلم لا يرى رؤيا إلا وجاءت كفلق الصبح، فرؤيا النبي صلى الله عليه وسلم ليست كرؤيانا، بل هي صدق لا بد أن يتحقق. ومثال ذلك ما حدث، من إرادة الله له رؤيا الفتح.

قال تعالى:﴿ لقد صدق الله رسوله الرءيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شآء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون.. ﴾[الفتح: ٢٧].

وقد أخبر صلى الله عليه وسلم صحابته هذا الخبر، فلما ردهم الكفار عند الحديبية، فقال الصحابة لرسول الله: ألم تبشرنا بدخول المسجد الحرام؟ فقال: ولكن لم أقل هذا العام.

لذلك يسمون هذه الرؤى رؤى الإيناس، وهي أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم الشيء مناما، حتى إذا ما تحقق لم يفاجأ به، وكان له أنس به. وما دام لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح فلا بد أن هذه الرؤيا ستأتي واقعا وحقيقة، وقد يرى هذه الرؤيا مرة أخرى على سبيل التذكرة بذلك الإيناس.

إذن: من قال: إن الإسراء كان مناما نقول له: نعم كان رؤيا إيناس تحققت في الواقع، فلدينا رؤى الإيناس أولا، ورؤى التذكير بالنعمة ثانيا، وواقع الحادث في الحقيقة ثالثا، وبذلك نخرج من الخلاف حول: أكان الإسراء يقظة أم مناما؟

وحتى بعد انتهاء حادث الإسراء كانت الرؤيا الصادقة نوعا من التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان كلما اشتدت به الأهوال يريه الله تعالى ما حدث له ليبين له حفاوة السماء والكون به صلى الله عليه وسلم؛ ليكون جلدا يتحمل ما يلاقي من التعنت والإيذاء.

أما من قال: إن الإسراء كان من بيت أم هانيء، فهذا أيضا ليس محلا للخلاف؛ لأن بيت أم هانيء كان ملاصقا للمطاف من المسجد الحرام، والمطاف من المسجد.

إذن: لا داعي لإثارة الشكوك والخلافات حول هذه المعجزة؛ لأن الفعل فعل الحق سبحانه وتعالى، والذي يحكيه لنا هو الحق سبحانه وتعالى، فلا مجال للخلاف فيه.

وقوله تعالى:

﴿ من المسجد الحرام إلىا المسجد الأقصى... ﴾ [الإسراء: ١].

المسجد الحرام هو بيت الله: الكعبة المشرفة، وسمي حراما؛ لأنه حرم فيه ما لم يحرم في غيره من المساجد. وكل مكان يخصص لعبادة الله نسميه مسجدا، قال تعالى:﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر.. ﴾[التوبة: ١٨].

ويختلف المسجد الحرام عن غيره من المساجد، أنه بيت لله باختيار الله تعالى، وغيره من المساجد بيوت لله باختيار خلق الله؛ لذلك كان بيت الله باختيار الله قبلة لبيوت الله باختيار خلق الله.

وقد يراد بالمسجد المكان الذي نسجد فيه، أو المكان الذي يصلح للصلاة، كما جاء في الحديث الشريف: ".. وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ".

أي: صالحة للصلاة فيها.

ولا بد أن نفرق بين المسجد الذي حيز وخصص كمسجد مستقل، وبين أرض تصلح للصلاة فيها ومباشرة حركة الحياة، فالعامل يمكن أن يصلي في مصنعه، والفلاح يمكن أن يصلي في مزرعته، فهذه أرض تصلح للصلاة ولمباشرة حركة الحياة.

أما المسجد فللصلاة، أو ما يتعلق بها من أمور الدين كتفسير آية، أو بيان حكم، أو تلاوة قرآن.

. إلخ ولا يجوز في المسجد مباشرة عمل من أعمال الدنيا.

" لذلك حينما رأى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا ينشد ضالته في المسجد، قال له: " لا ردها الله عليك ".

وقال لمن جلس يعقد صفقة في المسجد: " لا بارك الله لك في صفقتك ".

ذلك لأن المسجد خصص للعبادة والطاعة، وفيه يكون لقاء العبد بربه عز وجل، فإياك أن تشغل نفسك فيه بأمور الدنيا، ويكفي ما أخذته منك، وما أنفقته في سبيلها من وقت.

والمسجد لا يسمى مسجدا إلا إذا كان بناء مستقلا من الأرض إلى السماء، فأرضه مسجد، وسماؤه مسجد، لا يعلوه شيء من منافع الدنيا، كمن يبني مسجدا تحت عمارة سكنية، ودعك من نيته عندما خصص هذا المكان للصلاة: أكانت نيته لله خالصة؟ أم لمأرب دنيوي؟ وقد قال تعالى:﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾[الجن: ١٨].

فمثل هذا المكان لا يسمى مسجدا؛ لأنه لا تنطبق عليه شروط المسجد، ويعلوه أماكن سكنية يحدث فيها ما يتنافى وقدسية المسجد، وما لا يليق بحرمة الصلاة، فالصلاة في مثل هذا المكان كالصلاة في أي مكان آخر من البيت.

لذلك يحرم على الطيار غير المسلم أن يحلق فوق مكة؛ لأن جو الحرم حرم.

وقوله تعالى:

﴿ إلىا المسجد الأقصى.. ﴾ [الإسراء: ١].

في بعد المسافة نقول: هذا قصي. أي: بعيد. وهذا أقصى أي: أبعد، فالحق تبارك وتعالى كأنه يلفت أنظارنا إلى أنه سيوجد بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى مسجد آخر قصي، وقد كان فيما بعد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالمسجد الأقصى: أي: الأبعد، وهو مسجد بيت المقدس.

وقوله سبحانه: ﴿ باركنا حوله.. ﴾ [الإسراء: ١].

البركة: أن يؤتي الشيء من ثمره فوق المأمول منه، وأكثر مما يظن فيه، كأن تعد طعاما لشخصين، فيكفي خمسة أشخاص فتقول: طعام مبارك.

وقول الحق سبحانه:

﴿ باركنا حوله... ﴾ [الإسراء: ١].

دليل على المبالغة في البركة، فإن كان سبحانه قد بارك ما حول الأقصى، فالبركة فيه من باب أولى، كأن تقول: من يعيشون حول فلان في نعمة، فمعنى ذلك أنه في نعمة أعظم.

لكن بأي شيء بارك الله حوله؟

لقد بارك الله حول المسجد الأقصى ببركة دنيوية، وبركة دينية:

بركة دنيوية بما جعل حوله من أرض خصبة عليها الحدائق والبساتين التي تحوي مختلف الثمار، وهذا من عطاء الربوبية الذي يناله المؤمن والكافر.

وبركة دينية خاصة بالمؤمنين، هذه البركة الدينية تتمثل في أن الأقصى مهد الرسالات ومهبط الأنبياء، تعطرت أرضه بأقدام إبراهيم وإسحق ويعقوب وعيسى وموسى وزكريا ويحيى، وفيه هبط الوحي وتنزلت الملائكة.

وقوله: ﴿ لنريه من آياتنآ... ﴾ [الإسراء: ١].

اللام هنا للتعليل.

كأن مهمة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس أن نري رسول الله الآيات، وكلمة: الآيات لا تطلق على مطلق موجود، إنما تطلق على الموجود العجيب، كما نقول: هذا آية في الحسن، آية في الشجاعة، فالآية هي الشيء العجيب.

ولله عز وجل آيات كثيرة منها الظاهر الذي يراه الناس، كما قال تعالى:﴿ ومن آياته اليل والنهار.. ﴾[فصلت: ٣٧].﴿ ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ﴾[الشورى: ٣٢].

والله سبحانه يريد أن يجعل لرسوله صلى الله عليه وسلم خصوصية، وأن يريه من آيات الغيب الذي لم يره أحد، ليرى صلى الله عليه وسلم حفاوة السماء به، ويرى مكانته عند ربه الذي قال له:﴿ ولا تك في ضيق مما يمكرون ﴾[النحل: ١٢٧].

لأنك في سعة من عطاء الله، فإن أهانك أهل الأرض فسوف يحتفل بك أهل السماء في الملأ الأعلى، وإن كنت في ضيق من الخلق فأنت في سعة من الخالق.

وقوله: ﴿ إنه هو السميع البصير ﴾ [الإسراء: ١].

أي: الحق سبحانه وتعالى.

السمع: إدراك يدرك الكلام. والبصر: إدراك يدرك الأفعال والمرائي، فلكل منهما ما يتعلق به.

لكن سميع وبصير لمن؟

جاء هذا في ختام آية الإسراء التي بينت أن الحق سبحانه جعل الإسراء تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم بعد ما لاقاه من أذى المشركين وعنتهم، وكأن معركة دارت بين رسول الله والكفار حدثت فيها أقوال وأفعال من الجانبين.

ومن هنا يمكن أن يكون المعنى: (سميع) لأقوال الرسول (بصير) بأفعاله، حيث آذاه قومه وكذبوه وألجؤوه إلى الطائف، فكان أهلها أشد قسوة من إخوانهم في مكة، فعاد منكرا داميا، وكان من دعائه: " اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك ".

فالله سميع لقول نبيه صلى الله عليه وسلم. وبصير لفعله.

فقد كان صلى الله عليه وسلم في أشد ظروفه حريصا على دعوته، فقد قابل في طريق عودته من الطائف عبدا، فأعطاه عنقودا من العنب، وأخذ يحاوره في النبوات ويقول: أنت من بلد نبي الله يونس بن متى.

أو يكون المعنى: سميع لأقوال المشركين، حينما آذوا سمع رسول الله وكذبوه وتجهموا له، وبصير بأفعالهم حينما آذوه ورموه بالحجارة.

الحق تبارك وتعالى تعرض لحادث الإسراء في هذه الآية على سبيل الإجمال، فذكر بدايته من المسجد الحرام، ونهايته في المسجد الأقصى، وبين البداية والنهاية ذكر كلمة الآيات هكذا مجملة.

وجاء صلى الله عليه وسلم ففسر لنا هذا المجمل، وذكر الآيات التي رآها، فلو لم يذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى من آيات الله لقلنا: وأين هذه الآيات؟ فالقرآن يعطينا اللقطة الملزمة لبيان الرسول صلى الله عليه وسلم:﴿ إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه ﴾[القيامة: ١٧-١٩].

إذن: كان لا بد لتكتمل صورة الإسراء في نفوس المؤمنين أن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ما قال من أحاديث الإسراء.

لكن يأتي المشككون وضعاف الإيمان يبحثون في أحاديث الإسراء عن مأخذ، فيعترضون على المرائي التي رآها رسول الله، وسأل عنها جبريل عليه السلام.

فكان اعتراضهم أن هذه الأحداث في الآخرة، فكيف رآها محمد صلى الله عليه وسلم؟

ونقول لهؤلاء: لقد قصرت أفهامكم عن إدراك قدرة الله في خلق الكون، فالكون لم يخلق هكذا، بل خلق بتقدير أزلي له، ولتوضيح هذه المسألة نضرب هذا المثل:

هب أنك أردت بناء بيت، فسوف تذهب إلى المهندس المختص وتطلب منه رسما تفصيليا له، ولو كنت ميسور الحال تقول له: اعمل لي (ماكيت) للبيت، فيصنع لك نموذجا مصغرا للبيت الذي تريده.

فالحق سبحانه خلق هذا الكون أزلا، فالأشياء مخلوقة عند الله (كالماكيت)، ثم يبرزها سبحانه على وفق ما قدره.

وتأمل قول الحق سبحانه وتعالى:﴿ إنمآ أمره إذآ أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾[يس: ٨٢].

انظر: ﴾ أن يقول له ﴿كأن الشيء موجود والله تعالى يظهره فحسب، لا يخلقه بداية، بل هو مخلوق جاهز ينتظر الأمر ليظهر في عالم الواقع؛ لذلك قال أهل المعرفة: أمور يبديها ولا يبتديها.

وإن كان الحق تبارك وتعالى قد ذكر الإسراء صراحة في هذه الآية، فقد ذكر المعراج بالالتزام في سورة النجم، في قوله تعالى:﴿ ولقد رآه نزلة أخربا * عند سدرة المنتها * عندها جنة المأوبا * إذ يغشا السدرة ما يغشا * ما زاغ البصر وما طغا * لقد رأىا من آيات ربه الكبربا ﴾[النجم: ١٣-١٨].

ففي الإسراء قال تعالى:

﴾ لنريه من آياتنآ.. ﴿ [الإسراء: ١].

وفي المعراج قال:﴿ لقد رأىا من آيات ربه الكبربا ﴾[النجم: ١٨].

ذلك لأن الإسراء آية أرضية استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بما آتاه الله من الإلهام أن يدلل على صدقه في الإسراء به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى؛ لأن قومه على علم بتاريخه، وأنه لم يسبق له أن رأى بيت المقدس أو سافر إليه، فقالوا له: صفه لنا وهذه شهادة منهم أنه لم يره، فتحدوه أن يصفه.

والرسول صلى الله عليه وسلم حينما يأتي بمثل هذه العملية، هل كان عنده استحفاظ كامل لصورة بيت المقدس، خاصة وقد ذهب إليه ليلا؟

إذن: صورته لم تكن واضحة أمام النبي صلى الله عليه وسلم بكل تفاصيلها، وهنا تدخلت قدرة الله فجلاه الله له، فأخذ يصفه لهم كأنه يراه الآن.

كما أن الطريق بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى طريق مسلوك للعرب، فهو طريق تجارتهم إلى الشام، فأخبرهم صلى الله عليه وسلم أن عيرا لهم في الطريق، ووصفها لهم وصفا دقيقا، وأنها سوف تصلهم مع شروق الشمس يوم معين.

وفعلا تجمعوا في صبيحة هذا اليوم ينتظرون العير. وعند الشروق قال أحدهم: ها هي الشمس أشرقت. فرد الآخر: وها هي العير قد ظهرت.

إذن: استطاع صلى الله عليه وسلم أن يدلل على صدق الإسراء؛ لأنه آية أرضية يمكن التدليل عليها، بما يعلمه الناس عن بيت المقدس، وبما يعلمونه من عيرهم في الطريق.

أما ما حدث في المعراج، فآيات كبرى سماوية لا يستطيع الرسول صلى الله عليه وسلم التدليل عليها أمام قومه، فأراد الحق سبحانه أن يجعل ما يمكن الدليل عليه من آيات الأرض وسيلة لتصديق ما لا يوجد دليل عليه من آيات الصعود إلى السماء، وإلا فهل صعد أحد إلى سدرة المنتهى، فيصفها له رسول الله؟

إذن: آية الأرض أمكن أن يدلل عليها، فإذا ما قام عليها الدليل، وثبت للرسول خرق نواميس الكون في الزمن والمسافة، فإن حدثكم عن شيء آخر فيه خرق للنواميس فصدقوه، فكأن آية الإسراء جاءت لتقرب للناس آية المعراج.

فالذي خرق له النواميس في آيات الأرض من الممكن أن يخرق له النواميس في آيات السماء، فالله تعالى يقرب الغيبيات، التي لا تدركها العقول بالمحسات التي تدركها.

ومن ذلك ما ضربه إليه مثلا محسوسا لمضاعفة النفقة في سبيل الله إلى سبعمائة ضعف، فأراد الحق سبحانه أن يبين ذلك ويقربه للعقول، فقال:﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشآء والله واسع عليم ﴾[البقرة: ٢٦١].

ومن لطف الله سبحانه بعقول خلقه أن جعل آيات الإسراء بالنص الملزم الصريح، لكن آيات المعراج جاءت بالالتزام في سورة النجم؛ لذلك قال العلماء: إن الذي يكذب بالإسراء يكفر، أما من يكذب بالمعراج فهو فاسق.

لكن أهل التحقيق يذهبون إلى تكفير من يكذب المعراج أيضا؛ لأن المعراج وإن جاء بالالتزام فقد بينه الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف، والحق سبحانه يقول:﴿ ومآ آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا.. ﴾[الحشر: ٧].

والمتأمل في الإسراء والمعراج يجده إلى جانب أنه تسلية لرسول الله وتخفيف عنه، إلا أن لهم هدفا آخر أبعد أثرا، وهو بيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤيد من الله، وله معجزات، وتخرق له القوانين والنواميس العامة؛ ليكون ذلك كله تكريما ودليلا على صدق رسالته.

فالمعجزة: أمر خارق للعادة الكونية يجريه الله على يد رسوله؛ ليكون دليلا على صدقه، ومن ذلك ما حدث لإبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ حيث ألقاه قومه في النار، ومن خواص النار الإحراق، فهل كان المراد نجاة إبراهيم من النار؟

لو كان القصد نجاته من النار ما كان الله مكنهم من الإمساك به، ولو أمسكوا فيمكن أن ينزل الله المطر فيطفيء النار.

إذن: المسألة ليست نجاة إبراهيم، المسألة إثبات خرق النواميس لإبراهيم عليه السلام، فشاء الله أن تظل النار مشتعلة، وأن يمسكوا به ويرموه في النار، وتتوفر كل الأسباب لحرقه ـ عليه السلام.

وهنا تتدخل عناية الله لتظهر المعجزة الخارقة للقوانين، فمن خواص النار الإحراق، وهي خلق من خلق الله، يأتمر بأمره، فأمر الله النار ألا تحرق، سلبها هذه الخاصية، فقال تعالى:﴿ قلنا يانار كوني بردا وسلاما علىا إبراهيم ﴾[الأنبياء: ٦٩].

وربما يجد المشككون في الإسراء والمعراج ما يقرب هذه المعجزة لأفهامهم بما نشاهده الآن من تقدم علمي يقرب لنا المسافات، فقد تمكن الإنسان بسلطان العلم أن يغزو الفضاء، ويصعد إلى كواكب أخرى في أزمنة قياسية، فإذا كان في مقدور البشر الهبوط على سطح القمر، أتستبعدون الإسراء والمعراج، وهو فعل لله سبحانه؟!

وكذلك من الأمور التي وقفت أمام المعترضين على الإسراء والمعراج حادثة شق الصدر التي حكاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمتأمل فيه يجده عملا طبيعيا لإعداد الرسول صلى الله عليه وسلم لما هو مقبل عليه من أجواء ومواقف جديدة تختلف في طبيعتها عن الطبيعة البشرية.

كيف ونحن نفعل مثل هذا الإعداد حينما نسافر من بلد إلى آخر، فيقولون لك: البس ملابس كذا. وخذ حقنة كذا لتساير طبيعة هذا البلد، وتتأقلم معه، فما بالك ومحمد صلى الله عليه وسلم سيلتقي بالملائكة وبجبريل وهم ذوو طبيعة غير طبيعة البشر، وسيلتقي بإخوانه من الأنبياء، وهم في حال الموت، وسيكون قاب قوسين أو أدنى من ربه عز وجل؟

إذن: لا غرابة في أن يحدث له تغيير ما في تكوينه صلى الله عليه وسلم ليستطيع مباشرة هذه المواقف.

وإذا استقرأنا القرآن الكريم فسوف نجد فيه ما يدل على صدق رسول الله فيما أخبر به من لقائه بالأنبياء في هذه الرحلة، قال تعالى:﴿ وسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنآ.. ﴾[الزخرف: ٤٥].

والرسول صلى الله عليه وسلم إذا أمره ربه أمرا نفذه، فكيف السبيل إلى تنفيذ هذا الأمر: واسأل من سبقك من الرسل؟

لا سبيل إلى تنفيذه إلا في لقاء مباشر ومواجهة، فإذا حدثنا بذلك رسول الله في رحلة الإسراء والمعراج نقول له: صدقت، ولا يتسلل الشك إلا إلى قلوب ضعاف الإيمان واليقين.

فالفكرة في هذه القضية ـ الإسراء والمعراج ـ دائرة بين يقين المؤمن بصدق رسول الله، وبين تحكيم العقل، وهل استطاع عقلك أن يفهم كل قضايا الكون من حولك؟

فما أكثر الأمور التي وقف فيها العقل ولم يفهم كنهها، ومع مرور الزمن وتقدم العلوم رآها تتكشف له تدريجيا، فما شاء الله أن يظهره لنا من قضايا الكون يسر لنا أسبابه باكتشاف أو اختراع، وربما بالمصادفة.

وما العقل إلا وسيلة إدراك، كالعين والأذن، وله قوانين محددة لا يستطيع أن يتعداها، وإياك أن تظن أن عقلك يستطيع إدراك كل شيء، بل هو محكوم بقانون.

ولتوضيح ذلك، نأخذ مثلا العين، وهي وسيلة إدراك يحكمها قانون الرؤية، فإذا رأيت شخصا مثلا تراه واضح الملامح، فإذا ما ابتعد عنك تراه يصغر تدريجيا حتى يختفي عن نظرك، كذلك السمع تستطيع بأذنك أن تسمع صوتا، فإذا ما ابتعد عنك قل سمعك له، حتى يتوقف إدراك الأذن فلا تسمع شيئا.

كذلك العقل كوسيلة إدراك له قانون، وليس الإدراك فيه مطلقا.

ومن هنا لما أراد العلماء التغلب على قانون العين وقانون الأذن حينما تضعف هذه الحاسة وتعجز عن أداء وظيفتها صنعوا للعين النظارة والميكروسكوب والمجهر، وهذه وسائل حديثة تمكن العين من رؤية ما لا تستطيع رؤيته. وكذلك صنعوا سماعة الأذن لتساعدها على السمع إذا ضعفت عن أداء وظيفتها.

إذن: فكل وسيلة إدراك لها قانونها، وكذلك العقل، وإياك أن تظن أن عقلك يستطيع أن يدرس كل شيء، ولكن إذا حدثت بشيء فعقلك ينظر فيه، فإذا وثقته صادقا فقد انتهت المسألة، وخذ ما حدثت به على أنه صدق.

وهذا ما حدث مع الصديق أبي بكر رضي الله عنه حينما حدثوه عن صاحبه صلى الله عليه وسلم، وأنه أسري به من مكة إلى بيت المقدس، فما كان منه إلا أن قال: " إن كان قال فقد صدق ".

فالحجة عنده إذن قول الرسول، وما دام الرسول قد قال ذلك فهو صادق، ولا مجال لعمل العقل في هذه القضية، ثم قال "كيف لا أصدقه في هذا الخبر، وأنا أصدقه في أكثر من هذا، أصدقه في خبر الوحي يأتيه من السماء ".

فآية الإسراء ـ إذن ـ كانت آية أرضية، يمكن أن يقام عليها الدليل، ويمكن أن يفهم الناس عنها أن القانون قد خرق لمحمد في الإسراء، فإذا ما أتى المعراج وخرق له القانون فيما لا يعلم الناس كان أدعى لتصديقه.

والمتأمل في هذه السورة يجدها تسمى سورة الإسراء، وتسمى سورة بني إسرائيل، وليس فيها عن الإسراء إلا الآية الأولى فقط، وأغلبها يتحدث عن بني إسرائيل، فما الحكمة من ذكر بني إسرائيل بعد الإسراء؟

سبق أن قلنا: إن الحكمة من الكلام عن الإسراء بعد آخر النحل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في ضيق مما يمكرون، فأراد الحق سبحانه أن يخفف عنه ويسليه، فكان حادث الإسراء، ولما ألف بنو إسرائيل أن الرسول يبعث إلى قومه فحسب، كما رأوا موسى عليه السلام.

فعندما يأتي محمد صلى الله عليه وسلم ويقول: أنا رسول للناس كافة سيعترض عليه هؤلاء وسيقولون: إن كنت رسولا فعلا وسلمنا بذلك، فأنت رسول للعرب دون غيرهم، ولا دخل لك ببني إسرائيل، فلنا رسالتنا وبيت المقدس علم لنا.

لذلك أراد الحق سبحانه أن يلفت إسرائيل إلى عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ومن هنا جعل بيت المقدس قبلة للمسلمين في بداية الأمر، ثم أسرى برسوله صلى الله عليه وسلم إليه: ليدلل بذلك على أن بيت المقدس قد دخل في مقدسات الإسلام، وأصبح منذ هذا الحدث في حوزة المسلمين.

ثم يبدأ الحديث عن موسى عليه السلام وعن بني إسرائيل، فيقول تعالى: ﴿ وآتينآ موسى الكتاب... ﴾.

". (١)

"-٤٧٣

الآية تعطينا نموذجين لتلقي القرآن: إن تلقاه المؤمن كان له شفاء ورحمة، وإن تلقاه الظالم كان عليه خسار، والقرآن حدد الظالمين ليبين أن ظلمهم هو سبب عدم انتفاعهم بالقرآن؛ لأن القرآن خير في ذاته وليس خسارا.

وقد سبق أن أوضحنا أن الفعل قد يكون واحدا، لكن يختلف القابل للفعل، ويختلف الأثر من شخص لآخر، كما أن الماء الزلال يشربه الصحيح، فيجد له لذة وحلاوة ويشربه العليل فيجده مرا مائعا، فالماء واحد لكن المنفعل للماء مختلف. كذلك أكل الدسم، فإن أكله الصحيح نفعه، وزاد في قوته ونشاطه، وإن أكله السقيم زاده سقما وجر عليه علة فوق علته.

وقد سبق أن أوضحنا في قصة إسلام الفاروق عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه لما تلقى القرآن بروح الكفر والعناد كرهه ونفر منه، ولما تلقاه بروح العطف والرقة واللين على أخته التي شج وجهها أعجبه فآمن.

إذن: سلامة الطبع أو فساده لها أثر في تلقي القرآن والانفعال به. وما أشبه هذه المسألة بمسألة التفاؤل والتشاؤم، فلو عندك كوب ماء قد ملئ نصفه، فالمتفائل يلفت نظره النصف المملوء، في حين أن المتشائم يلفت نظره النصف الفارغ، فالأول يقول: نصف الكوب ممتلئ. والآخر يقول: نصف الكوب فارغ، وكلاهما صادق لكن طبعهما مختلف.

وقد عالج القرآن مسألة التلقي هذه في قوله تعالى:﴿ وإذا مآ أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هاذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون * وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلىا رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴾[التوبة: ١٢٤-١٢٥]

فالآية واحدة، لكن الطبع المستقل مختلف، فالمؤمن يستقبلها بملكات سليمة، فيزداد بها إيمانا، والكافر يستقبلها بملكات فاسدة فيزداد بها كفرا، إذن: المشكلة في تلقي الحقائق واستقبالها أن تكون ملكات التلقي فاسدة.

ومن هنا نقول: إذا نظرت إلى الحق، فإياك أن تنظره وفي جوفك باطل تحرص عليه، لا بد أن تخرج ما عندك من الباطل أولا، ثم قارن وفاضل بين الأمور.

وكذلك جاءت هذه المسألة في قول الله تعالى:﴿ ومنهم من يستمع إليك حتىا إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولائك الذين طبع الله علىا قلوبهم واتبعوا أهوآءهم * والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾[محمد: ١٦-١٧]

وقولهم:﴿ ماذا قال آنفا.. ﴾[محمد: ١٦] دليل على عدم اهتمامهم بالقرآن، وأنه شيء لا يؤبه له.

وكذلك في قوله تعالى:﴿ ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ءاعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفآء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى.. ﴾[فصلت: ٤٤]

---

(١) تفسير الشعراوي ص/٢٠١٤

ومثال لسلامة التلقي من حياتنا المعاصرة إرسال التلفاز مثلا، فقد تستقبله أنت في بيتك فتجده واضحا في حلقة من الحلقات أو برنامج من البرامج، فتتمتع بما شاهدت، ثم تقابل صديقا فيشكو لك سوء الإرسال وعدم وضوح الصورة فيؤكد لك سلامة الإرسال، إلا أن العيب في جهاز الاستقبال عندك، فعليك أولا أن تضبط جهاز الاستقبال عندك لتستقبل آيات الله الاستقبال الصحيح.

إذن: قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفآء ورحمة للمؤمنين.. ﴾ [الإسراء: ٨٢] متوقف على سلامة الطبع، وسلامة الاستقبال، والفهم عن الله تعالى.

والشفاء: أن تعالج داء موجودا لتبرأ منه. والرحمة: أن تتخذ من أسباب الوقاية ما يضمن لك عدم معاودة المرض مرة أخرى، فالرحمة وقاية، والشفاء علاج.

لكن، هل شفاء القرآن شفاء معنوي لأمراض القلوب وعلل النفوس، فيخلص المسلم من القلق والحيرة والغيرة، ويجتث ما في نفسه من الغل والحقد، والحسد، إلى غير هذا من أمراض معنوية، أم هو شفاء للماديات، ولأمراض البدن أيضا؟

والرأي الراجح ـ بل المؤكد ـ الذي لا شك فيه أن القرآن شفاء بالمعنى العام الشامل لهذه الكلمة، فهو شفاء للماديات كما هو شفاء للمعنويات، بدليل ما روي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ وأنه خرج على رأس سرية وقد مروا بقوم، وطلبوا منهم الطعام، فأبوا إطعامهم، وحدث أن لدغ كبير القوم، واحتاجوا إلى من يداويه فطلبوا من يرقيه، فقالوا: لا نرقيه إلا بجعل، وذلك لما رأوه من بخلهم وعدم إكرامهم لهم، على حد قوله تعالى:﴿ لو شئت لتخذت عليه أجرا.. ﴾[الكهف: ٧٧]

ولما اتفقوا معهم على جعل من الطعام والشياه قام أحدهم برقية اللديغ بسورة الفاتحة فبرئ، فأكلوا من الطعام وتركوا الشياه إلى أن عادوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسألوه عن حل هذا الجعل فقال صلى الله عليه وسلم: " ومن أدراك أنها رقية " أي: أنها رقية يرقى بها المريض فيبرأ بإذن الله، ثم قال صلى الله عليه وسلم: "كلوا منها، واجعلوا لي سهما معكم ".

فشفاء أمراض البدن شيء موجود في السنة، وليس عجيبة **من العجائب**؛ لأنك حين تقرأ كلام الله فاعلم أن المتكلم بهذا الكلام هو الحق سبحانه، وهو رب كل شيء ومليكه، يتصرف في كونه بما يشاء، وبكلمة (كن) يفعل ما يريد، وليس ببعيد أن يؤثر كلام الله في المريض فيشفى.

ولما تناقش بعض المعترضين على هذه المسألة مع أحد العلماء، قالوا له: كيف يشفى المريض بكلمة؟ هذا غير معقول، فقال العالم لصاحبه: اسكت أنت حمار!! فغضب الرجل، وهم بترك المكان وقد ثارت ثورته، فنظر إليه العالم وقال: انظر ماذا فعلت بك كلمة، فما بالك بكلمة، المتكلم بها الحق سبحانه وتعالى؟ ثم يقول تعالى: ﴿ ولا يزيد الظالمين إلا خسارا ﴾ [الإسراء: ٨٢] لأنهم بظلمهم واستقبالهم فيوضات السماء بملكات سقيمة، وأجهزة متضاربة متعارضة، فلم ينتفعوا بالقرآن، ولم يستفيدوا برحمات الله.

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿ وإذآ أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر كان يئوسا ﴾.

". (١)

"-٤٧٤

هذا كلام فتى موسى: أرأيت: أخبرني إذ لجأنا إلى الصخرة عند مجمع البحرين لنستريح ﴿ فإني نسيت الحوت.. ﴾ [الكهف: ٦٣] ونلحظ أنه قال هنا ﴿ نسيت ﴾ وقال في الآية السابقة﴿ نسيا.. ﴾[الكهف: ٦١] ذلك لأن الأولى إخبار من الله، والثانية كلام فتى موسى.

فكلام الله تبارك وتعالى يدلنا على أن رئيسا متبوعا لا يترك تابعه ليتصرف في كل شيء؛ لأن تابعه قد لا يهمه أمر المسير في شيء، وقد ينشغل ذهنه بأشياء أخرى تنسيه ما هو منوط به من أمر الرحلة.

ثم يعتذر الفتى عما بدر منه من نسيان الحوت، ويقول: ﴿ ومآ أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ﴾ [الكهف: ٦٣] فالشيطان هو الذي لعب بأفكاره وخواطره حتى أنساه واجبه، وأنساه ذكر الحوت.

وقوله تعالى: ﴿ واتخذ سبيله في البحر عجبا ﴾ [الكهف: ٦٣] أي: اتخذ الحوت طريقه في البحر عجبا، في الآية السابقة قال:﴿ سربا ﴾[الكهف: ٦١] وهذه حال الحوت، وهنا يقول ﴿ عجبا ﴾ لأنه يحكي ما حدث ويتعجب منه، وكيف أن الحوت المشوي تدب فيه الحياة حتى يقفز من المكتل، ويتجه صوب الماء، فهذا حقا عجيبة **من العجائب**؛ لأنها خرجت عن المألوف.

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿ قال ذلك ما كنا نبغ.. ﴾.

". (٢)

"-٤٧٥

الفاء هنا تفيد: ترتيب شيء على شيء فابحث في الجملة بعدها عن هذا الترتيب، فالمعنى: بشر المتقين، وأنذر القوم اللد لأننا يسرنا لك القرآن.

ويسرنا القرآن: أي: طوعناه لك حفظا وأداء وإلقاء معان، فأنت توظفه في المهمة التي نزل من أجلها.

وتيسير القرآن ورد في آيات كثيرة، كقوله تعالى في سورة القمر:﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾[القمر: ١٧].

والمتأمل في تيسير القرآن يجد العجائب في أسلوبه، فترى الآية تأتي في سورة بنص، وتأتي في نفس السياق في سورة أخرى بنص آخر، فالمسألة ـ إذن ـ ليست (أكلاشيه) ثابت، وليست عملية ميكانيكية صماء، إنه كلام رب.

---

(١) تفسير الشعراوي ص/٢٠٩٥

(٢) تفسير الشعراوي ص/٢١٨٧

خذ مثلا قوله تعالى:

﴿كلا إنه تذكرة * فمن شآء ذكره ﴾[المدثر: ٥٤.٥٥].

وفي آية آخرى:﴿ إن هاذه تذكرة فمن شآء اتخذ إلىا ربه سبيلا ﴾[الإنسان: ٢٩].

مرة يقول:﴿ إن هاذه تذكرة ﴾[الإنسان: ٢٩] ومرة يقول:﴿ كلا إنها تذكرة ﴾[عبس: ١١].

ونقف هنا أمام ملحظ دقيق في سورة (الرحمن) حيث يقول الحق تبارك وتعالى:﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾[الرحمن: ٤٦] ثم يأتي الحديث عنهما: فيهما كذا، فيهما كذا إلى أن يصل إلى قاصرات الطرف فيقول:﴿ فيهن قاصرات الطرف ﴾[الرحمن: ٥٦].

وكذلك في:﴿ ومن دونهما جنتان ﴾[الرحمن: ٦٢] فيهما كذا وفيهما كذا إلى أن يصل إلى الحور العين فيقول:﴿ فيهن خيرات حسان ﴾[الرحمن: ٧٠].

ولك أن تتساءل: الحديث هنا عن الجنتين، فلماذا عدل السياق عن (فيهما) إلى (فيهن) في هذه النعمة بالذات؟

قالوا: لأن نعيم الجنة مشترك، يصح أن يشترك فيه الجميع إلا في نعمة الحور العين، فلها خصوصيتها، فكأن الحق تبارك وتعالى يحترم مشاعر الغيرة عند الرجال، ففي هذه المسألة يكون لكل منها جنته الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد.

لذلك " لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة رأى فيها قصرا فابتعد عنه، فلما سئل عن ذلك صلى الله عليه وسلم قال: " إنه لعمر، وأنا أعرف غيرة عمر ".

فإلى هذه الدرجة تكون غيرة المؤمن، وإلى هذه الدرجة تكون دقة التعبير في القرآن الكريم.

ولولا أن الله تعالى أنزل القرآن ويسره لما حفظه أحد فالنبي صلى الله عليه وسلم كان ينزل عليه الآيات، وحين يسري عنه يمليها على الصحابة، ويظل يقرؤها كما هي، ولولا أن الله قال له:﴿ سنقرئك فلا تنسا ﴾[الأعلى: ٦] ما تيسر له ذلك.

ونحن في حفظنا لكتاب الله تعالى نجد العجائب أيضا، فالصبي في سن السابعة يستطيع حفظ القرآن وتجويده، فإن غفل عنه بعد ذلك تفلت منه، على خلاف ما لو حفظ نصا من النصوص في هذه السن يظل عالقا بذهنه.

إذن: مسألة حفظ القرآن ليست مجرد استذكار حافظة، بل معونة حافظ، فإن كنت على ود وألفة بكتاب الله ظل معك، وإن تركته وجفوته تفلت منك، كما جاء في الحديث الشريف:

" تعاهدوا القرآن، فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفصيا من الإبل في عقلها ".

ذلك؛ لأن حروف القرآن ليست مجرد حرف له رسم ومنطوق، إنما حروف القرآن ملائكة تصف، فتكون كلمة، وتكون آية، فإن وددت الحرف، وودت الكلمة والآية، ودتك الملائكة، وتراصت عند **قراءتك.**

ومن العجائب في تيسير حفظ القرآن أنك إن أعلمت عقلك في القراءة تتخبط فيها وتخطيء، فإن أعدت القراءة هكذا على السليقة كما حفظت تتابعت معك الآيات وطاوعتك.

وتلحظ هنا أن القرآن لم يأت باللفظ الصريح، إنما جاء بضمير الغيبة في ﴾ يسرناه ﴿ [مريم: ٩٧] لأن الهاء هنا لا يمكن أن تعود إلا على القرآن، كما في قوله تعالى:﴿ قل هو الله أحد ﴾[الإخلاص: ١] فضمير الغيبة هنا لا يعود إلا على الله تعالى.

وقوله: ﴾ بلسانك ﴿ [مريم: ٩٧] أي: بلغتك، فجعلناه قرآنا عربيا في أمة عربية؛ ليفهموا عنك البلاغ عن الله في البشارة والنذارة، ولو جاءهم بلغة أخرى لقالوا كما حكى القرآن عنهم.

﴿ ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ءاعجمي وعربي ﴾[فصلت: ٤٤].

وقول الحق سبحانه وتعالى: ﴾ وتنذر به قوما لدا ﴿ [مريم: ٩٧].

والإنذار: التحذير من شر سيقع في المستقبل، واللدد: عنف الخصومة، وشراسة العداوة، نقول: فلان عنده لدد أي: يبالغ في الخصومة، ولا يخضع للحجة والإقناع، ومهما حاولت معه يصر على خصومته.

وينهي الحق سبحانه سورة مريم بقوله تعالى: ﴾ وكم أهلكنا قبلهم ﴿

". (١)

"-٤٧٦

نلحظ هنا أن موسى ـ عليه السلام ـ يعرض على فرعون قضايا لا تخص فرعون وحده، إنما تمنع أن يوجد فرعون آخر.

وقوله: ﴿ منها ﴾ [طه: ٥٥] أي: من الأرض التي سبق أن قال عنها:﴿ الذي جعل لكم الأرض مهدا ﴾[طه: ٥٣].

ثم ذكر لنا مع الأرض مراحل ثلاث: ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخربا ﴾ [طه: ٥٥].

وفي آية أخرى يذكر مرحلة رابعة، فيقول:﴿ فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾[الأعراف: ٢٥].

بذلك تكون المراحل أربعة: منها خلقناكم، وفيها تحيون، وإليها ترجعون بالموت، ومنها نخرجكم بالبعث.

فقوله تعالى: ﴿ منها خلقناكم ﴾ [طه: ٥٥] الخلق قسمان: خلق أولي، وخلق ثانوي، الخلق الأولي في أدم عليه السلام، وقد خلق من الطين أي: من الأرض. ثم الخلق الثاني، وجاء من التناسل، وإذا كان الخلق الأولي من طين، فكل ما ينشأ عنه يعد كذلك؛ لأنه الأصل الأول.

ويمكن أن نوجه الكلام توجيها آخر، فنقول: التناسل يتولد من ميكروبات الذكورة وبويضات الأنوثة، وهذه في الأصل من الطعام والشراب، وأصله أيضا من الأرض. إذن: فأنت من الأرض بواسطة أو بغير واسطة.

---

(١) تفسير الشعراوي ص/٢٣٣١

وإن كانت قضية الخلق هذه قضية غيبية، فقد ترك الخالق في كونه عقولا تبحث وتنظر في الكون، وتعطينا الدليل على صدق هذه القضية، فلما حلل العلماء طينة الأرض وجدوها ستة عشر عنصرا تبدأ بالأكسوجين، وتنتهي بالمنجنيز، وحين حللوا عناصر الإنسان وجدوها نفس العناصر الستة عشر، ليثبتوا بذلك البحث التحليلي صدق قضية الخلق التي أخبر عنها الخالق عز وجل.

وقوله: ﴿ وفيها نعيدكم ﴾ [طه: ٥٥] هذه مرحلة مشاهدة، فكل من يموت منا ندفنه في الأرض؛ لذلك يقول الشاعر:إن سئمت الحياة فارجع إلى الأرض تنم آمنا من الأوصابهي أم أحنى عليك من الأم التي خلفتك للإتعابفبعد أن تنقض بنية الإنسان بالموت لا يسارع إلى مواراته التراب إلا أقرب الناس إليه، فترى المرأة التي مات وحيدها، وأحب الناس إليها، والتي كانت لا تطيق فراقه ليلة واحدة، لا تطيق وجوده الآن، بل تسارع به إلى أمه الأصلية (الأرض).

وذلك لأن الجسد بعد أن فارقته الروح سرعان ما يتحول إلى جيفة لا تطاق حتى من أمه وأقرب الناس إليه، أما الأرض فإنها تحتضنه وتمتص كل مافيه من **أذى**.

ومن العجائب في نقض بنية الإنسان بالموت أنها تتم على عكس بنائه، فعندما تكلم الخالق عز وجل عن الخلق الأول للإنسان قال: إنه خلق من تراب، ومن طين، ومن حمأ مسنون، ومن صلصال كالفخار. وقلنا: إن هذه كلها أطوار للمادة الواحدة، ثم بعد ذلك ينفخ الخالق فيه الروح، فتدب فيه الحياة.

فإذا ما تأملنا الموت لوجدناه على عكس هذا الترتيب، كما أنك لو بنيت عمارة من عدة أدوار، فآخر الأدوار بناء أولها هدما.

كذلك الموت بالنسبة للإنسان يبدأ بنزع الروح التي وضعت فيه آخرا، ثم يتصلب الجسد و(يشضب) كالصلصال ثم يرم، وينتن كالحمأ المسنون، ثم يتبخر ما فيه من ماء، وتتحلل باقي العناصر، فتصير إلى التراب.

ثم يقول تعالى: ﴾ ومنها نخرجكم تارة أخربا ﴿ [طه: ٥٥] أي: مرة أخرى بالبعث يوم القيامة، وهذا الإخراج له نظام خاص يختلف عن الإخراج الأول؛ لأنه سيبدأ بعودة الروح، ثم يكتمل لها الجسد.

هذه كلها قضايا كونية تلقى على فرعون علها تثنيه عما هو عليه من ادعاء الألوهية، والألوهية تقتضي مألوها، فالإله معبود له عابد، فكيف يدعي الألوهية، وليس له في الربوبية شيء؟ فلا يستحق الألوهية والعبادة إلا من له الربوبية أولا، وفي الأمثال: (اللي ياكل لقمتي يسمع كلمتي).

ثم يقول الحق سبحانه: ﴾ ولقد أريناه آياتنا ﴿

". (١)

---

(١) تفسير الشعراوي ص/٢٣٨٦

"-٤٧٧

عدن: أي إقامة. من عدن في المكان: أقام فيه، فالمراد جنات أعدت لإقامتك، وفرق بين أن تعد المكان للإقامة وأن تعد مكانا لعابر، كما أن المكان يختلف إعداده وترفه حسب المعد وإمكاناته، فالإنسان العادي يعد مكانا غير الذي يعده عظيم من العظماء، فما بالك إذن بمكان أعده لك ربك ـ عز وجل ـ بقدراته وإمكاناته؟

وقوله: ﴿ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾ [طه: ٧٦].

نعلم أن الماء من أهم مقومات الحياة الدنيا، فبه تنبت الأرض النبات، وفيه تذوب العناصر الغذائية، وبدونه لا تقوم لنا حياة على وجه الأرض. والحق سبحانه وتعالى ساعة ينزل مطرا من السماء قد لا ينتفع بالمطر من نزل عليه المطر، فربما نزل على جبل مثلا، فالنيل الذي نحيا على مائه يأتي من أين؟ من الحبشة وغيرها.

لذلك جعل الخالق ـ عز وجل ـ كلمة ﴿ تجري من تحتها الأنهار ﴾ [طه: ٧٦] رمزا للخضرة وللنضارة وللنماء وللحياة السعيدة الهانئة، حتى الإنسان وإن لم يكن محتاجا للطعام بأن كان شبعان مثلا، يجد لذة في النظر إلى الطبيعة الخضراء، وما فيها من زرع وورود وزهور، فليس الزرع للأكل فقط، بل للنظر أيضا، وإن كنت تأكل في اليوم ثلاث مرات، والأكل غذاء للجسم، فأنت تتمتع بالمنظر الجميل وتسر به كلما نظرت إليه، والنظر متعة للروح، وسرور للنفس.

وكأن الحق ـ تبارك وتعالى ـ يقول لنا: لا تقصروا انتفاعكم بنعم الله على ما تملكون، فتقول مثلا: لا آكل هذه الفاكهة لأنها ليست ملكي، لأن هناك متعة أخرى:﴿ انظروا إلىا ثمره إذآ أثمر وينعه ﴾[الأنعام: ٩٩] فقبل أن تأكل انظر، فالنظر متعة، وغذاء مستمر.

فقوله تعالى: ﴿ تجري من تحتها الأنهار ﴾ [طه: ٧٦] لأن ظاهرة جريان الأنهار في الدنيا وسيلة للخضرة والخصب والإيناع، و ﴿ من تحتها ﴾ [طه: ٧٦] أي: أن الماء ذاتي فيها، ونابع منها، ليس جاريا إليك من مكان آخر، ربما يمنع عنك أن تحرم منه.

لذلك يقول تعالى في آية أخرى:﴿ تجري تحتها الأنهار ﴾[التوبة: ١٠٠] فتحتها أنهار جارية، لكن مصدرها ومنبعها من مكان آخر.

ونسب الجريان إلى النهر، لا إلى الماء للمبالغة. فالنهر هو المجرى الذي يجري فيه الماء.

ثم يقول تعالى: ﴿ خالدين فيها ﴾ [طه: ٧٦] وهذا هو التأمين الحق للنعيم؛ لأن آفة النعم أن تزول، إما بأن تفوتها أنت أو تفوتك هي، أما نعيم الجنة فقد سلمه الله تعالى من هذه الآفة، فهو خالد باق، لا يزول ولا يزال عنه.

﴿ وذالك جزآء من تزكىا ﴾ [طه: ٧٦] الزكاة: تطلق على الطهارة وعلى النماء، فالطهارة: أن يكون الشيء في ذاته طاهرا، والنماء: أن توجد فيه خصوصية نمو فيزيد عما تراه أنت عليه.

كما ترى مثلا الورد الصناعي والورد الطبيعي في البستان، وفيه المائية والنضارة والرائحة الطيبة والألوان المختلفة والنمو، وكلها صفات ذاتية في الوردة، على خلاف الورد الصناعي فهو جامد على حالة واحدة.

وهذا هو الفرق بين صنعة البشر وصنعة الخالق للبشر؛ لذلك كانت صنعة الله أخلد وأبقى، وصدق الله العظيم حين قال:﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾[المؤمنون: ١٤].

وتلحظ أنه لم يضن عليك بصفة الخلق؛ لأنك استعملت الأسباب وأعلمت الفكر، فكان لك شيء من الخلق، لكن ربك أحسن الخالقين؛ لأنك خلقت من باطن خلقته، خلقت من موجود، وهو سبحانه يخلق من عدم، خلقت شيئا جامدا لا حياة فيه، وخلق سبحانه شيئا ناميا، يتكاثر بذاته.

ومن هنا سمي المال الذي تخرجه للفقراء زكاة؛ لأنه يطهر الباقي وينميه. **ومن العجائب** أن الله تعالى سمى ما يخرج من المال زكاة ونماء، وسمى زيادة الربا محقا.

فمعنى: ﴿ وذالك جزآء من تزكا ﴾ [طه: ٧٦] أي: تطهر من المعاصي، ثم نمى نفسه، ومعنى التنمية هنا ارتقاءات المؤمن في درجات الوصول للحق، فهو مؤمن بداية، لكن يزيد إيمانه وينمو ويرتقي يوما بعد يوم، وكلما ازداد إيمانه ازداد قربه من ربه، وازدادت فيوضات الله عليه. والطهارة للأشياء سابقة على تنميتها؛ لأن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة.

إذن: زكى نفسه: طهرها أولا، ثم ينميها ثانيا، كمن يريد التجارة، فعليه أولا أن يأتي برأس المال الطاهر من حلال ثم ينميه، لكن لا تأتي برأس المال مدنسا ثم تنميه بما فيه من دنس.

وكلما نمى الإنسان إيمانه ارتقى في درجاته، فكانت له الدرجات العلا في الآخرة.

". (١)

"-٤٧٨

لأنهم قالوا: إنما تنزلت الشياطين على محمد بالقرآن، وكانوا يقولون ذلك لكل شاعر ماهر بشعره عندهم، فلكل شاعر شيطان يمليه الشعر، وعندهم واد يسمى وادي " عبقر " هو وادي الجن، فيقولون: فلان عبقري أي: موصول بالجن في هذا الوادي.

لكن، كيف والكتاب نزل على محمد عدو للشياطين، يلعنهم في كل مناسبة، ويحذر أتباعه منهم:﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشآء ﴾[البقرة: ٢٦٨] ويقول الحق سبحانه:﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾[فاطر: ٦].

فكيف . إذن . يمده الشيطان ويمليه عليه، وهو عدوه؟ ولماذا لم يأتكم وأنتم أحباءه؟ هذه واحدة.

الاخرى: ﴿ وما ينبغي لهم وما يستطيعون ﴾ [الشعراء: ٢١١] إن الله جعل القرآن معجزا ومنهجا، والمعجزة لا يتسلط عليها إنس ولا جن فيفسدها، لذلك قال سبحانه:﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾[الحجر: ٩].

---

(١) تفسير الشعراوي ص/٢٤٠٧

أما الكتب السابقة فقد طلبت من المؤمنين بها أن يحفظوها، وفرق بين الحفظ مني، وطلب الحفظ منكم؛ لأن الطلب تكليف وهو عرضة لأن يطاع ولأن يعصى، وقد جربنا حفظ البشر فلم يحافظوا على كتبهم السابقة؛ لذلك تولى الحق ـ سبحانه وتعالى ـ حفظ قرآنه بنفسه، ولم يكله إلى أحد من خلقه.

لذلك تجد في هذا المجال كثيرا **من العجائب** والمفارقات، فمع تقدم الزمن وطغيان الحضارات المعادية للإسلام، والتي تمطرنا كل يوم بوابل من الانحرافات والخروج عن تعاليم الدين، ومنا من ينساق خلفهم، وهذا كله ينقص من الأحكام المطبقة من الإسلام.

لكن مع هذا كله تجد القرآن يزداد توثيقا، ويزداد حفظا، ويتبارى حتى غير المسلمين في حفظ كتاب الله وتوثيقه، والتجديد في طباعته، حتى رأينا مصحفا في ورقة واحدة، ومصحفا في حجم عقلة الإصبع، ويفخر بعضهم الآن بأنه يملك أصغر مصحف في العالم.. إلخ بصرف النظر عن دوافعهم من وراء هذا.

المهم أن الله تعالى يسخر حتى أعداء القرآن لحفظ القرآن﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرىا للبشر ﴾[المدثر: ٣١].

أليس من وسائل نشر القرآن والمحافظة عليه آلات التسجيل وآلات تكبير الصوت التي تنشر كلام الله في كل مكان؟ ولم يلق شيء من الكتب السابقة مثل هذه العناية.

إذن: فالعناية بالقرآن كنص لا تتناسب مع النقص في أحكامه وانصراف أهله عنها، وكأن الله ـ عز وجل ـ يقول لنا: سأحفظ هذا النص بغير المؤمنين به، وسأجعلهم يوثقونه ويهتمون به؛ ليكون ذلك حجة عليكم.

لذلك كان عند الألمان قبل الحرب العالمية خزانة بها أدراج، في كل درج منها أية من القرآن، يحفظ به كل ما كتب عن هذه الآية بداية من تفسير ابن عباس إلى وقتها، وهذا دليل على أنهم مسخرون بقوة خفية لا يقدر عليها إلا الله عز وجل

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾[الحجر: ٩].

وسبق أن قلنا: إن بعض النساء يسرن في الشوارع كاشفات عن صدورهن، ومع ذلك تتحلى بمصحف على صدرها، وليتها تستر صدرها ولا تعلق المصحف.

فكيف تقولون تنزلت به الشياطين، وقد جاء القرآن ليعلن لأهله عداءه لهم والحذر منهم؟ كيف والشياطين لا تتنزل إلا على كفار أثيم، وأنتم أولى بأن تتنزل عليكم﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليآئهم ليجادلوكم ﴾[الأنعام: ١٢١].

ومعنى: ﴿ وما يستطيعون ﴾ [الشعراء: ٢١١] أن هذه المسألة فوق قدراتهم؛ لأن الحق تبارك وتعالى قال: ﴿ إنهم عن السمع لمعزولون ﴾

". (١)

"-٤٧٩

كلمة (مثل) وردت بمشتقاتها في القرآن الكريم مرات عدة، ومادة الميم والثاء واللام جاءت لتعبر عن معنى يجب أن نعرفه، فإذا قيل (مثل) بسكون الثاء، فمعناها التشبيه، لكن تشبيه مفرد بمفرد.

كما في قوله تعالى:﴿ ليس كمثله شيء... ﴾[الشورى: ١١] وقوله تعالى:﴿ وجزآء سيئة سيئة مثلها... ﴾[الشورى: ٤٠].

أما (مثل) بالفتح، فتعني تشبيه قصة أو متعدد بمتعدد، كما في قوله تعالى:﴿ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كمآء أنزلناه من السماء... ﴾[الكهف: ٤٥].

فالحق - سبحانه وتعالى - لا يشبه شيئا بشيء إنما يشبه صورة متكاملة بصورة أخرى: فالحياة الدنيا في وجودها وزهرتها وزخرفها وخضرتها ومتاعها، ثم انتهائها بعد ذلك إلى زوال مثل الماء حين ينزل من السماء فيختلط بتربة الأرض، فينبت النبات المزهر الجميل، والذي سرعان ما يتحول إلى حطام.

لذلك اعترض بعض المتمحكين على أسلوب القرآن في قول الحق سبحانه وتعالى عن موسى عليه السلام:﴿ إن مثل عيسا عند الله كمثل ءادم... ﴾[آل عمران: ٥٩].

ووجه اعتراضه أن (مثل) جاءت تشبه مفردا بمفرد، وهو عيسى بآدم عليهما السلام، ونحن نقول: إنها تشبه صورة متكاملة بأخرى ونقول: هذا الاعتراض ناتج عن عدم فهم المعنى المراد من الآية، فالحق سبحانه لا يشبه عيسى بآدم كأشخاص، إنما يشبه قصة خلق آدم بقصة خلق عيسى، فآدم خلق من غير أب، وكذلك عيسى خلق من غير أب.

والمعنى: إن كنتم قد عجبتم من أن عيسى خلق بدون أب، فكان ينبغي عليكم أن تعجبوا أكثر من خلق آدم؛ لأنه جاء بلا أب وبلا أم، وإذا كنتم اتخذتم عيسى إلها؛ لأنه جاء بلا أب، فالقياس إذن يقتضي أن تكون الفتنة في آدم لا في عيسى.

والمسألة أن الله تعالى شاء أن يعلن خلقه عن طلاقة قدرته في أنه لا يخلق بشكل مخصوص، إنما يخلق كما يشاء سبحانه من أب وأم، أو من دون أب، ومن دون أم، ويخلق من أب فقط، أو من أم فقط.

إذن: هذه المسألة لا تخضع للأسباب، إنما لإرادة المسبب سبحانه، فإذا أراد قال للشيء: كن فيكون. وقد يجتمع الزوجان، ويكتب عليهما العقم، فلا ينجبان، وقد يصلح الله العقيم فتلد، ويصلح العجوز فتنجب - والأدلة على ذلك واضحة - إذن: فطلاقة القدرة في هذه المسألة تستوعب كل الصور، بحيث لا يحدها حد.

والحق سبحانه حين يضرب لنا الأمثال يريد بذلك أن يبين لنا الشيء الغامض بشيء واضح، والمبهم بشيء بين، والمجمل بشيء مفصل، وقد جرى القرآن في ذلك على عادة العرب، حيث استخدموا الأمثال في البيان والتوضيح.

---

(١) تفسير الشعراوي ص/٣٠٧٤

ويحكي أن أحدهم، وكان صاحب سمعة طيبة وسيرة حسنة بين الناس، فحسده آخر، وأراد أن يلصق به تهمة تشوه صورته، وتذهب بمكانته بين الناس فاتهمه بالتردد على أرملة حسناء، وقد رآه الناس فعلا يذهب إلى بيتها، فتخرج له امرأة فيعطيها شيئا معه.

ولما تحقق الناس من المسألة وجدوها عجوزا لها أولاد صغار وهم فقراء، وهذا الرجل يعطف عليهم ويفيض عليهم مما رزقه الله، فلما عرفوا ذلك عن الرجل عظموه، ورفعوا من شأنه، وزاد في نظرهم مجدا وفضلا.

وقد أخذ الشاعر هذا المعنى وعبر عنه قائلا مستخدما المثل:وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسودلولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العودوالعود نوع من البخور، طيب الرائحة، لا تنتشر رائحته إلا حين يحرق.

ومن مشتقاتها أيضا (مثلة) كما في قوله تعالى:﴿ وقد خلت من قبلهم المثلات... ﴾[الرعد: ٦] وهي العقوبات التي حاقت بالأمم المكذبة، حتى جعلتها عبرة لغيرها.

فإذا اشتهر المثل انتشر على الألسنة، وضربه الناس مثلا كما اشتهر حاتم الطائي بالكرم والجود حتى صار مضرب المثل فيه، وقد تشتهر بيننا عبارة موجزة، فتصير مثلا يضرب في مناسبها كما نقول للتلميذ الذي يهمل طوال العام، ثم يجتهد ليلة الامتحان (قبل الرماء تملأ الكنائن) مع الاحتفاظ بنص المثل في كل مناسبة، وإن لم يكن هناك رمي ولا كنائن.

كما أن المثل يقال كما هو دون تغيير، سواء أكان للمفرد، أم المثنى، أم الجمع المذكر، أو للمؤنث. كذلك نقول (ماذا وراءك يا عصام) بالكسر؛ لأنها قيلت في أصل المثل لامرأة.

يقول الحق سبحانه: ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أوليآء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا... ﴾ [العنكبوت: ٤١].

فهذا مثل في قمة العقيدة، ضربه الله لنا للتوضيح وللبيان، ولتقريب المسائل إلى عقولنا، وإياك أن تقول للمثل الذي ضربه الله لك: ماذا أراد الله بهذا؟ لأن الله تعالى قال:﴿ إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها... ﴾[البقرة: ٢٦].

فالبعض يرى أن البعوضة هذه شيء تافه، فكيف يجعله الله مثلا؟ والتحقيق أن البعوضة خلق من خلق الله، فيها **من العجائب** والأسرار ما يدعوك للتأمل والنظر، وليست شيئا تافها كما تظن، بل يكفيك فخرا أن تصل إلى سر العظمة فيها.

ففي هذا المخلوق الضئيل كل مقومات الحياة والإدراك، فهل تعرف فيها موضع العقل وموضع جهازها الدموي.. إلخ وفضلا عن الذباب والناموس وصغار المخلوقات ألا ترى الميكروبات التي لا تراها بعينك المجردة ومع ذلك يصيبك وأنت القوى بما يؤرقك وينغص عليك.

إذن: لا تقل لماذا يضرب الله الأمثال بهذه الأشياء لأن الله﴿ إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها... ﴾[البقرة: ٢٦] ما فوقها أي: في الصغر والاستدلال. أي: ما دونها صغرا؛ لأن عظمة الخلق كما تكون بالشيء الأكثر ضخامة تكون كذلك بالشيء الأقل حجما الأكثر دقة.

لو نظرت مثلا إلى ساعة (بج بن) وهي أضخم وأشهر ساعة في العالم، وعليها يضبط العالم الوقت لوجدتها شيئا ضخما من حيث الحجم ليراها القادم من بعيد، ويستطيع قراءتها، فدلت على عظمة الصنعة ومهارة المهندسين الذين قاموا ببنائها، فعظمتها في ضخامتها وفخامتها، فإذا نظرت إلى نفس الساعة التي جعلوها في فص الخاتم لوجدت فيها أيضا عظمة ومهارة جاءت من دقة الصنعة في صغر الحجم.

كذلك الراديو أول ما ظهر كان في حجم (النورج)، والآن أصبح صغيرا في حجم الجيب.

ومن مخلوقات الله ما دق؛ لدرجة أنك لا تستطيع إدراكه بحواسك، والعجيب أن يطلب الإنسان أن يرى الله جهرة، وهو لا يستطيع أن يرى آثار خلقه وصنعته. فأنت لا ترى الجن، ولا ترى الميكروب والجراثيم، ولا ترى حتى روحك التي بين جنبيك والتي بها حياتك، لا يرى هذه الأشياء ولا يدركها بوسائل الإدراك الأخرى، فمن عظمته تعالى أنه يدرك الأبصار، ولا تدركه الأبصار.

نعود إلى المثل الذي ضربه الله لنا: ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أوليآء... ﴾ [العنكبوت: ٤١] أي: شركاء وشفعاء ﴿ كمثل العنكبوت... ﴾ [العنكبوت: ٤١] هذا المخلوق الضعيف الذي ينسج خيوطه بهذه الدقة التي نراها، والذي نسج خيوطه على الغار في هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، واشترك مع الحمامة في التعمية على الكفار.

﴿ اتخذت بيتا... ﴾ [العنكبوت: ٤١] أي: من هذه الخيوط الواهية ﴿ وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت... ﴾ [العنكبوت: ٤١] فخطأ العنكبوت ليس في اتخاذ البيت، إنما في اتخاذ هذه الخيوط الواهية بيتا له وهبة ريح كافية للإطاحة بها، ويشترط في البيت أن يكون حصينا يحمي صاحبه، وأن تكون له أبواب ونوافذ وحوائط..إلخ. أما لو اتخذها شبكة لصيد فرائسه لكان أنسب، وكذلك الكفار اتخذوا من الأصنام آلهة، ولو اتخذوها دلالة على قدرة الحق في الخلق لكان أنسب وأجدى.

وكما أن بيت العنكبوت تهدمه هبة ريح وتقطعه وأنت مثلا تنظف بيتك، وربما تقتل العنكبوت نفسه، فكذلك طبق الأصل يفعل الله بأعمال الكافرين:﴿ وقدمنآ إلىا ما عملوا من عمل فجعلناه هبآء منثورا ﴾[الفرقان: ٢٣].

وكذلك يضرب لهم مثلا آخر:﴿ مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف... ﴾[إبراهيم: ١٨].

ومعنى: ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ [العنكبوت: ٤١] أي: حقيقة الأشياء، فشبكة العنكبوت لا تصلح بيتا، ولكن تصلح مصيدة للحشرات، وكذلك الأصنام والأحجار لا تنفع لأن تكون آلهة تعبد، إنما لأن تكون دلالة على قدرة الخالق – عز وجل – فلو فكروا فيها وفي أسرار خلقها لاهتدوا من خلالها للإيمان.

فهي – إذن – دليل قدرة لو كانوا يعلمون، فالجبل هذا الصخر الذي تنحتون منه أصنامكم هو أول خادم لكم، ولمن هو أدنى منكم من الحيوان والنبات، وسبق أن قلنا: إن الجماد يخدم النبات، ويخدم الحيوان، وهم جميعا في خدمة الإنسان.

إذن: فالجماد خادم الخدامين، ومع ذلك جعلتموه إلها، فانظروا إذن إلى هذه النقلة، وإلى خسة فكركم، وسوء طباعكم حيث جعلتم أدنى الأشياء وأحقرها أعلى الأشياء وأشرفها - أي: في زعمكم.

فكيف وقد ميزك الله على كل الأجناس؟ لقد كان ينبغي منك أن تبحث عن شيء أعلى منك يناسب عبادتك له، وساعتها لن تجد إلا الله تتخذه إلها.

بل واقرأ إن شئت عن الجماد قوله تعالى:﴿ قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها... ﴾[فصلت: ٩-١٠] أي: في الأرض﴿ رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيهآ أقواتها في أربعة أيام سوآء للسآئلين ﴾[فصلت: ١٠].

فكأن الجبال الصماء الراسية هي مخازن القوت للناس على مر الزمان، فمنها تتفتت الصخور، ويتكون الطمي الذي يحمله إلينا الماء في أيام الفيضانات، ومنها تتكون الطبقة المخصبة في السهول والوديان، فتكون مصدر خصب ونماء دائم ومتجدد لا ينقطع. وتذكرون أيام الفيضان وما كان يحمله نيل مصر إلينا من خير متجدد كل عام، وكيف أن الماء كان يأتينا أشبه ما يكون بالطحينة من كثرة ما به من الطمي.

فياليت عباد الأصنام الذين نحتوا الصخور أصناما تأملوا هذه الآيات الدالة على قدرة الخالق سبحانه بدل أن يعبدوها من دون الله.

وفي موضع آخر يضرب لنا الحق سبحانه مثلا في قمة العقيدة أيضا فيقول سبحانه:﴿ ضرب الله مثلا رجلا فيه شركآء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾[الزمر: ٢٩].

ففرق بين عبد مملوك لسيد واحد يتلقى منه وحده الأمر والنهي، وبين عبد مملوك لعدة شركاء، وليتهم متفقون، لكن﴿ شركآء متشاكسون... ﴾[الزمر: ٢٩] مختلفون لكل أوامر، ولكل منهم مطالب، فكيف إذن يرضيهم؟ وكيف يقوم بحقوقهم وهم يتجاذبونه؟

فالذي يعبد الله وحده لا شريك له كالعبد لسيد واحد، والذين يعبدون الأصنام كالعبد فيه شركاء متشاكسون. إذن: فالحق سبحانه يضرب الأمثال للناس في الحقائق ليبينها لهم بيانا واضحا.

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿ إن الله يعلم ما... ﴾.

". (١)

٤٨٠-"والأرض، وما فيهن من العجائب أعجب من أمر أصحاب الكهف، وحجتي بكل ذلك ثابتة على هؤلاء المشركين من قومك، وغيرهم من سائر عبادي.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

---

(١) تفسير الشعراوي ص/٣٣٠٧

* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى ، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد(أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) قال محمد بن عمرو في حديثه، قال: ليسوا عجبا بأعجب آياتنا ، وقال الحارث في حديثه بقولهم: أعجب آياتنا: ليسوا أعجب آياتنا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله:(أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) كانوا يقولون هم عجب.

حدثنا بشر، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله:(أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) يقول: قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق(أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) أي وما قدروا من قدر فيما صنعت من أمر الخلائق، وما وضعت على العباد من حججي ما هو أعظم من ذلك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا، فإن الذي آتيتك من العلم والحكمة أفضل منه.

* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله:(أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) يقول: الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقيم.

وإنما قلنا: إن القول الأول أولى بتأويل الآية، لأن الله عز وجل أنزل قصة أصحاب الكهف على نبيه احتجاجا بها على المشركين من قومه على ما ذكرنا ف". (١)

٤٨١-"وتضرعت لأمتي فلم ترحمني، وقع علي البلاء فرفضوني، أنتم كنتم أشد علي من مصيبتي، انظروا وابهتوا **من العجائب** التي في جسدي، أما سمعتم بما أصابني، وما شغلكم عني ما رأيتم بي، لو كان عبد يخاصم ربه رجوت أن أتغلب عند الحكم، ولكن لي ربا جبارا تعالى فوق سماواته، وألقاني هاهنا، وهنت عليه، لا هو عذرني بعذري، ولا هو أدناني فأخاصم عن نفسي يسمعني ولا أسمعه، ويراني ولا أراه، وهو محيط بي، ولو تجلى لي لذابت كليتاي، وصعق روحي، ولو نفسني فأتكلم بملء فمي، ونزع الهيبة مني، علمت بأي ذنب عذبني، نودي فقيل: يا أيوب، قال: لبيك، قال: أنا هذا قد دنوت منك، فقم فاشدد إزارك، وقم مقام جبار، فإنه لا ينبغي لي أن يخاصمني إلا جبار مثلي، ولا ينبغي أن يخاصمني إلا من يجعل الزنار في فم الأسد، والسخال في فم العنقاء، واللحم في فم التنين، ويكيل مكيالا من النور، ويزن مثقالا من الريح، ويصر صرة من الشمس، ويرد أمس لغد، لقد منتك نفسك أمرا ما يبلغ بمثل قوتك، ولو كنت إذ منتك نفسك ذلك

---

(١) تفسير الطبري ٦٠١/١٧

ودعتك إليه تذكرت أي مرام رام بك، أردت أن تخاصمني بغيك؟ أم أردت أن تحاجيني بخطئك، أم أردت أن تكاثرني بضعفك، أين كنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها، هل علمت بأي مقدار قدرتها؟ أم كنت معي تمر بأطرافها؟ أم تعلم ما بعد زواياها؟ أم على أي شيء وضعت أكنافها؟ أبطاعتك حمل ماء الأرض؟ أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء، أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا بعلائق ثبتت من فوقها، ولا يحملها دعائم من تحتها، هل يبلغ من حكمتك أن تجري نورها، أو تسير نجومها، أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها، أين كنت مني يوم سجرت البحار وأنبعت الأنهار؟ أقدرتك حبست أمواج البحار على حدودها؟ أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها؟ أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب، ونصبت شوامخ الجبال، هل لك من ذراع تطيق حملها، أم هل تدري كم مثقال فيها، أم أين الماء الذي أنزل من السماء؟ هل تدري أم تلده أو أب يولده؟ أحكمتك أحصت القطر وقسمت الأرزاق، أم قدرتك تثير السحاب، وتغشيه الماء؟ هل تدري ما أصوات الرعود؟ أم من أي شيء لهب البروق؟ هل رأيت عمق البحور؟ أم هل تدري ما بعد الهواء، أم هل خزنت أرواح الأموات؟ أم هل تدري أين خزانة الثلج، أو أين خزائن البرد، أم أين جبال البرد؟ أم هل تدري أين خزانة الليل بالنهار، وأين خزانة النهار بالليل؟ وأين طريق النور؟ وبأي لغة تتكلم الأشجار؟ وأين خزانة الريح، كيف تحبسه الأغلاق؟ ومن جعل العقول في أجواف الرجال؟ ومن شق الأسماع والأبصار، ومن ذلت الملائكة لملكه، وقهر الجبارين بجبروته، وقسم أرزاق الدواب بحكمته، ومن قسم للأسد أرزاقها وعرف الطير معايشها، وعطفها على أفراخها، من أعتق الوحش من الخدمة، وجعل مساكنها البرية لا تستأنس بالأصوات، ولا تهاب المسلطين، أمن حكمتك تفرعت أفراخ الطير، وأولاد الدواب لأمهاتها؟ أم من حكمتك عطفت أمهاتها عليها، حتى أخرجت لها الطعام من بطونها، وآثرتها بالعيش على نفوسها؟ أم من حكمتك يبصر العقاب، فأصبح في أماكن القتلى أين أنت مني يوم خلقت بهموت (١) مكانه في منقطع التراب، والوتينان (٢) يحملان الجبال والقرى والعمران، آذانهما كأنها شجر الصنوبر الطوال رؤوسهما، كأنها آكام الجبال، وعروق أفخاذهما كأنها أوتاد الحديد، وكأن جلودهما فلق الصخور، وعظامهما كأنها عمد النحاس، هما رأسا خلقي الذين خلقت للقتال، أأنت ملأت جلودهما لحما؟ أم أنت ملأت رؤوسهما دماغا؟ أم هل لك في خلقهما من شرك؟ أم لك بالقوة التي عملتهما يدان؟ أو هل يبلغ من قوتك أن تخطم على أنوفهما أو تضع يدك على رؤوسهما، أو تقعد لهما على طريق فتحبسهما، أو تصدهما عن قوتهما؟ أين أنت يوم خلقت التنين ورزقه في البحر، ومسكنه في السحاب، عيناه توقدان نارا، ومنخراه يثوران دخانا، أذناه مثل قوس السحاب، يثور منهما لهب كأنه إعصار العجاج، جوفه يحترق ونفسه يلتهب، وزبده كأمثال الصخور، وكأن صريف أسنانه صوت الصواعق، وكأن نظر عينيه لهب البرق، أسراره لا تدخله الهموم، تمر به الجيوش وهو متكئ، لا يفزعه شيء ليس فيه مفصل [زبر] الحديد عنده مثل التين، والنحاس عنده مثل الخيوط، لا يفزع من النشاب، ولا يحس وقع الصخور على جسده، ويضحك من النيازك، ويسير في الهواء كأنه عصفور، ويهلك كل شيء يمر به ملك الوحوش، وإياه آثرت بالقوة على خلقي ، هل أنت آخذه بأحبولتك فرابطه بلسانه، أو واضع اللجام في شدقه، أتظنه يوفي بعهدك، أو يسبح من خوفك؟ هل تحصي عمره، أم هل تدري أجله، أو تفوت رزقه؟ أم هل تدري ماذا خرب من الأرض؟ أم ماذا يخرب فيما بقي من عمره؟ أتطيق غضبه حين يغضب أم تأمره فيطيعك؟ تبارك الله وتعالى؟

قال أيوب صلى الله عليه وسلم: قصرت عن هذا الأمر الذي تعرض لي، ليت الأرض انشقت بي، فذهبت في بلائي ولم أتكلم بشيء يسخط ربي، اجتمع علي البلاء، إلهي حملتني لك مثل العدو، وقد كنت تكرمني وتعرف نصحي، وقد علمت أن الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك، وأعظم من هذا ما شئت عملت، لا يعجزك شيء ولا يخفى عليك خافية، ولا تغيب عنك غائبة، من هذا الذي يظن أن يسر عنك سرا، وأنت تعلم ما يخطر على القلوب؟ وقد علمت منك في بلائي هذا ما لم أكن أعلم، وخفت حين بلوت أمرك أكثر مما كنت أخاف، إنما كنت أسمع بسطوتك سمعا، فأما الآن فهو بصر العين، إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرني، وسكت حين سكت لترحمني، كلمة زلت فلن أعود، قد وضعت يدي على فمي، وعضضت على لساني، وألصقت بالتراب خدي، ودست وجهي لصغاري، وسكت كما أسكتتني خطيئتي، فاغفر لي ما قلت فلن أعود لشيء تكرهه مني.

قال الله تبارك وتعالى: يا أيوب نفذ فيك علمي، وبحلمي صرفت عنك غضبي، إذ خطئت فقد غفرت لك، ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم، فاغتسل بهذا الماء، فإن فيه شفاءك، وقرب عن صحابتك قربانا، واستغفر لهم، فإنهم قد عصوني فيك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه اليماني، وغيره من أهل الكتب الأول، أنه كان من حديث أيوب أنه كان رجلا من الروم، وكان الله قد اصطفاه ونبأه، وابتلاه

---

(١) في الكتاب المقدس ص ٨٣١ : " بهيموث " .

(٢) في الكتاب المقدس ص ٣٨١ : " لوياثان " ." [١]

٤٨٢-"لا يصل إليه إلا برحلة وراحلة فلا يفعل، ويصلي في مسجده، إلا في الثلاثة المساجد المذكورة فإنه من نذر صلاة فيها خرج إليها. وقد قال مالك وجماعة من أهل العلم فيمن نذر رباطا في ثغر يسده: فإنه يلزمه الوفاء حيث كان الرباط لأنه طاعة الله عز وجل. وقد زاد أبو البختري في هذا الحديث مسجد الجند، ولا يصح وهو موضوع، وقد تقدم في مقدمة الكتاب. السادسة- «١» قوله تعالى: (إلى المسجد الأقصى) سمي الأقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام، وكان أبعد مسجد عن أهل مكة في الأرض يعظم بالزيارة ثم قال: (الذي باركنا حوله) قيل: بالثمار وبمجاري الأنهار. وقيل: بمن دفن حوله من الأنبياء والصالحين، وبهذا جعله مقدسا. وروى معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" يقول الله تعالى يا شام أنت صفوتي من بلادي وأنا سائق إليك صفوتي من عبادي" (أصله سام «٢» فعرب) (لنريه من آياتنا) هذا من باب تلوين الخطاب والآيات التي أراه الله **من العجائب** التي أخبر بها الناس، وإسراؤه من مكة إلى المسجد الأقصى في ليلة وهو مسيرة شهر، وعروجه إلى السماء ووصفه الأنبياء واحدا واحدا، حسبما ثبت في صحيح مسلم وغيره. (إنه هو السميع البصير) تقدم «٣».

---

(١) تفسير الطبري ٤٩٣/١٨

[سورة الإسراء (١٧): آية ٢]

وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا (٢)

أي كرمنا محمدا صلى الله عليه وسلم بالمعراج، وأكرمنا موسى بالكتاب وهو التوراة." وجعلناه" أي ذلك الكتاب. وقيل موسى. وقيل معنى الكلام: سبحان الذي أسرى بعبده ليلا وآتى موسى الكتاب، فخرج من الغيبة إلى الإخبار عن نفسه عز وجل. وقيل: إن معنى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا، معناه أسرينا، يدل عليه ما بعده من قوله:" لنريه من آياتنا" فحمل" وآتينا موسى الكتاب" على المعنى. (ألا تتخذوا) قرأ أبو عمرو" يتخذوا"

---

(١). في ج: المسألة الثامنة.

(٢). من ى.

(٣). راجع ج ٥ ص ٢٥٨.". [١]

٤٨٣-"على لحيته وجعل يقطر على صدره ثم قال:" اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله إني منزلها عليكم" الآية فنزلت سفرة حمراء مدورة بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها والناس ينظرون إليها، فقال عيسى: [اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها فتنة إلهي أسألك من العجائب فتعطي] فهبطت بين يدي عيسى عليه السلام وعليها منديل مغطى فخر عيسى ساجدا والحواريون معه وهم يجدون لها رائحة طيبة ولم يكونوا يجدون [مثلها] «١» قبل ذلك فقال عيسى: [أيكم أعبد لله وأجرأ على الله وأوثق بالله فليكشف عن هذه السفرة حتى نأكل منها ونذكر اسم الله عليها ونحمد الله عليها] فقال الحواريون: يا روح الله أنت أحق بذلك فقام عيسى- صلوات الله عليه- فتوضأ وضوءا حسنا وصلى صلاة جديدة ودعا دعاء كثيرا ثم جلس إلى السفرة فكشف عنها فإذا عليها سمكة مشوية ليس فيها شوك تسيل سيلان الدسم وقد نضد حولها من كل البقول ما عدا الكراث وعند رأسها ملح وخل وعند ذنبها خمسة أرغفة على واحد منها خمس رمانات وعلى الآخر تمرات وعلى الآخر زيتون. قال الثعلبي: على واحد منها زيتون، وعلى الثاني عسل وعلى الثالث بيض وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد. فبلغ ذلك اليهود فجاءوا غما وكمدا ينظرون إليه فرأوا عجبا فقال شمعون وهو رأس الحواريين- يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الجنة؟ فقال عيسى صلوات الله عليه: [أما افترقتم «٢» بعد عن هذه المسائل ما أخوفني أن تعذبوا]. فقال شمعون: وإله بني «٣» إسرائيل ما أردت بذلك سوءا. فقالوا: يا روح الله لو كان مع هذه الآية آية أخرى قال عيسى عليه السلام:] يا سمكة احيي بإذن الله [فاضطربت السمكة طرية تبص «٤» عيناها، ففزع الحواريون فقال عيسى:] ما لي أراكم تسألون عن الشيء فإذا أعطيتموه كرهتموه ما أخوفني أن تعذبوا [وقال:] لقد نزلت من السماء وما عليها طعام من الدنيا

---

(١) تفسير القرطبي ٢١٢/١٠

(١). الزيادة عن الدر المنثور.

(٢). في الدر المنثور في رواية: (أما آن لكم أن تعتبروا بما ترون وتنتهوا عن تنقير المسائل) ... إلخ. وفي تفسير ابن عطية (ألم ينهكم الله عن هذه السؤالات).

(٣). في ع وهـ وب: إلاه إسرائيل.

(٤). تبص: تلمع. وفي ب، ج، ك، ى: تبصبص.". [1]

٤٨٤-"على لحيته وجعل يقطر على صدره ثم قال: " اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله إنى منزلها عليكم " الاية فنزلت سفرة حمراء مدورة بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها والناس ينظرون إليها، فقال عيسى: [اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها فتنة إلهي أسألك **من العجائب** فتعطى] فهبطت بين يدي عيسى عليه السلام وعليها منديل مغطى فخر عيسى ساجدا والحواريون معه وهم يجدون لها رائحة طيبة ولم يكونوا يجدون [مثلها] (١) قبل ذلك فقال عيسى: [أيكم أعبد لله وأجرأ على الله وأوثق بالله فليكشف عن هذه السفرة حتى نأكل منها ونذكر اسم الله عليها ونحمد الله عليها] فقال الحواريون: يا روح الله أنت أحق بذلك فقام

عيسى - صلوات الله عليه - فتوضأ وضوءا حسنا وصلى صلاة جديدة ودعا دعاء كثيرا ثم جلس إلى السفرة فكشف عنها فإذا عليها سمكة مشوية ليس فيها شوك تسيل سيلان الدسم وقد نضد حولها من كل البقول ما عدا الكراث وعند رأسها ملح وخل وعند ذنبها خمسة أرغفة على واحد منها خمس رمانات وعلى الآخر تمرات وعلى الآخر زيتون.

قال الثعلبي: على واحد منها زيتون، وعلى الثاني عسل وعلى الثالث بيض وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد.

فبلغ ذلك اليهود فجاءوا غما وكمدا ينظرون إليه فرأوا عجبا فقال شمعون - وهو رأس الحواريين - يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الجنة ؟ فقال عيسى صلوات الله عليه: [أما افترقتم (٢) بعد عن هذه المسائل ما أخوفني أن تعذبوا].

فقال شمعون: وإله بني (٣) إسرائيل ما أردت بذلك سوءا.

فقالوا: يا روح الله لو كان مع هذه الآية آية أخرى قال عيسى عليه السلام: [يا سمكة احيي بإذن الله] فاضطربت السمكة طرية تبص (٤) عيناها، ففزع الحواريون فقال عيسى: [ما لي أراكم تسألون عن الشئ فإذا أعطيتموه كرهتموه ما أخوفني أن تعذبوا] وقال: [لقد نزلت من السماء وما عليها طعام من الدنيا

(١) الزيادة عن الدر المنثور.

(٢) في الدر المنثور في رواية: (أما آن لكم أن تعتبروا بما ترون وتنتهوا عن تنقير المسائل)...الخ.

[1] تفسير القرطبي ٦/٣٧٠

وفي تفسير ابن عطية (ألم ينهكم الله عن هذه السؤالات).

(٣) في ع وه وب: إلاه إسرائيل.

(٤) تبص: تلمع.

وفي ب، ج، ك، ى: تبصبص.

(*)".[١]

٤٨٥-"لا يصل إليه إلا برحلة وراحلة فلا يفعل، ويصلى في مسجده، إلا في الثلاثة المساجد المذكورة فإنه من نذر صلاة فيها خرج إليها.

وقد قال مالك وجماعة من أهل العلم فيمن نذر رباطا في ثغر يسده: فإنه يلزمه الوفاء حيث كان الرباط لانه طاعة الله عز وجل.

وقد زاد أبو البخترى في هذا الحديث مسجد الجند، ولا يصح وهو موضوع، وقد تقدم في مقدمة الكتاب.

السادسة - (١) قوله تعالى: (إلى المسجد الاقصى) سمى الاقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام، وكان أبعد مسجد عن أهل مكة في الارض يعظم بالزيارة ثم قال: (الذى باركنا حوله) قيل: بالثمار وبمجاري الانهار.

وقيل: بمن دفن حوله من الانبياء والصالحين، وبهذا جعله مقدسا.

وروى معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " يقول الله تعالى يا شام أنت صفوتي من بلادي وأنا سائق إليك صفوتي من عبادي " (أصله سام (٢) فعرب) (لنريه من آياتنا) هذا من باب تلوين الخطاب والآيات التى أراه الله من العجائب التى أخبر بها الناس، وإسراؤه من مكة إلى المسجد الاقصى في ليلة وهو مسيرة شهر، وعروجه إلى السماء ووصفه الانبياء واحدا واحدا، حسبما ثبت في صحيح مسلم وغيره.

(إنه هو السميع البصير) تقدم (٣).

قوله تعالى: وءاتينا موسى الكتب وجعلنه هدى لبنى إسرءيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا (٢) أي كرمنا محمدا صلى الله عليه وسلم بالمعراج، وأكرمنا موسى بالكتاب وهو التوراة.

" وجعلناه " أي ذلك الكتاب.

وقيل موسى.

وقيل معنى الكلام: سبحان الذى أسرى

بعبده ليلا وأتى موسى الكتاب، فخرج من الغيبة إلى الاخبار عن نفسه عز وجل.

وقيل: إن معنى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا، معناه أسرينا، يدل عليه ما بعده من قوله: " لنريه من آياتنا " فحمل " وآتينا موسى الكتاب " على المعنى.

---

(١) تفسير القرطبي ٣٧٠/٦

(ألا تتخذوا) قرأ أبو عمرو " يتخذوا "

---

(١) في ج: المسألة الثامنة.

(٢) من ى.

(٣) راجع ج ٥ ص ٢٥٨.

(*)".[1]

٤٨٦-"وقد مضت سنة الله في إمهالهم ، وهكذا تجدنا نفعل باللاحقين كما فعلنا بالسابقين .

ثم بين الله تعالى عظيم عناداهم ومكابرتهم للحق فقال :

﴿ ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ .

ولو فتحنا على هؤلاء المعاندين بابا من السماء يصعدون فيه بأجسامهم ويرون من فيها من الملائكة ، وما فيها **من العجائب–** لقالوا لفرط عنادهم ، انما سدت أبصارنا ، فما نراه تخيل لا حقيقة له ، وقد سحرنا محمد با يظهر على يده من الآيات ، وظلوا في عنادهم ومكابرتهم سادرين .

قراءات :

قرأ ابن كثير : « سكرت » بالتخفيف ، والباقون بالتشديد كما هو في المصحف .

﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين ﴾ .

بعد بيان مكابرة المعاندين ، وانهم لا يؤمنون حتى بالأشياء المحسوسة ، عرض هنا الآيات الكونية ، وما فيها من إبداع لمن يفكر ويبصر .

لقد أبدعنا هذا الكون ، وجعلنا في السماء أشكالا عديدة من النجوم ، منها تلك البروج الظاهرة للعيان ، البديعة ، الدالة على جمال هذا الكون ، وحسن نظامه وزيناها بالكواكب للناظرين المعتبرين والمفكرين .

فهلا نظر أولئك المعاندون إلى هذه السماء وما فيها من بروج ظاهرة ، ونجوم ساطعة وأقمار نيرة ، ومجرات عظيمة ، فإن فيها عبرة لمن اعتبر!

﴿ وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين ﴾ .

ولقد حفظنا السماء ومنعنا كل شيطان رجيم من القرب منها ، فلا ينالها ولا يدنسها ، ولكن من أراد من هؤلاء الشياطين ان يسترق الاستماع من عالم الغيب ، فنحن نلحقه بشهاب مشتعل محرق ، فهم أعجز من ان يصلوا إليها .". [2]

---

(١) تفسير القرطبي ٢١٢/١٠

(٢) تفسير القطان ٢٩٧/٢

٤٨٧-"الكهف : النقب المتسع في الجبل . الرقيم : اللوح الذي كتبت فيه اسماء اصحاب الكهف . فضربنا على آذانهم : أنمناهم عددا من السنين ، والنائم عادة لا يسمع . ثم بعثناهم : ايقظناهم . احصى : اضبط لاوقات لبثهم .

لقد انكر الذين استهوتهم الدنيا البعث ، مع ان الوقائع تثبت الحياة بعد الرقود الطويل ، وهذه قصة أهل الكهف واللوح الذي رقمت أسماؤهم فيه بعد موتهم لم تكن وحدها **من العجائب** وان كانت قصة خارقة للعادة .

اما قصتهم فهي ان جماعة من الشباب آمنوا بربهم ، وهربوا بدينهم من الاضطهاد ، فلجأوا الى كهف ، ودعوا ربهم ان ينقذهم قائلين : ربنا آتنا من عندك رحمة وهيىء لنا من أرمنا رشدا .

فاستجبنا دعاءهم ، فأنمناهم آمنين في ذلك الكهف سنين عديدة لا ينتبهون . ثم أيقظناهم لنعلم من من الحزبين اللذين اختلفا في مدة مكثهم بالكهف أضبط احصاء لطول المدة التي مكثوها .

روي عن ابن عباس : ان الرقيم اسم قرية قرب أيلة « العقبة » ، ويقول ياقوت في معجم البلدان : « وبقرب البلقاء من اطراف الشام موضع يقال له الرقيم . . » ويقول : « ان بالبلقاء بأرض العرب من نواحي دمشق موضعا يزعمون انه الكهف والرقيم قرب عمان ، وذكروا ان عمان هي مدينة دقيانوس » الملك الذي كان في ذلك الزمان .

وهناك اقوال كثيرة متضاربة علمها عند الله . وقد اورد الطبري وغيره من المفسرين قصتهم ، وليس لها سند صحيح ، وقد اعتنى احد موظفي الآثار من اهل عمان بهذا الكهف وهو اليوم في ضواحي عمان ، وعمل له بابا ، وألف رسالة مؤكدا فيها انه هو الكهف المقصود في القرآن ، وبنى بجانبه مسجدا ، والآن يزور الكهف كثير من السياح .". [1]

٤٨٨-"" صفحة رقم ١٠٩ "

ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيهم ويخسر

مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلمآ أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون - ١٨

البقرة : (١٧) مثلهم كمثل الذي . . . . .

لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان

ولضرب العرب الأمثال وإستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد

وفيه تبكيت للخصم الألد وقمع لسورة الجامح الأبي ولأمر ما اكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله وفشت في كلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكلام الأنبياء والحكماء

قال الله تعالى

) وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون (العنكبوت ٤٣ ومن سور الإنجيل سورة الأمثال

---

(١) تفسير القطان ٣٦٦/٢

والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير

يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه

ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده

مثل ولم يضربوا مثلا ولا راوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه

ومن ثم حوفظ عليه وحمى من التغيير

فإن قلت ما معنى

) مثلهم كمثل الذي استوقد نارا (

وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه أحد المثلين بصاحبه قلت قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا

وكذلك قوله

" مثل الجنة التي وعد المتقون " الرعد ٣٥ أي وفيما قصصنا عليك **من العجائب** قصة الجنة العجيبة

ثم أخذ في بيان عجائبها

) ولله المثل الأعلى (النحل ٢٩ أي صفتهم وشأنهم المتعجب منه

ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثله في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن

فإن قلت كيف مثلت الجماعة بالواحد قلت وضع الذي موضع الذين كقوله

) وخضتم كالذي خاضوا (التوبة ٦٩ والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات أمران أحدهما ان الذي لكونه وصلة إلى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في أسماء الفاعلين والمفعولين". (١)

٤٨٩-"" صفحة رقم ٦٠٥ "

(٦٠١) (بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل عليه السلام بالبراق) وقيل : أسري به من دار أم هانىء بنت أبي طالب والمراد بالمسجد الحرام : الحرم ، لإحاطته بالمسجد والتباسه به . وعن ابن عباس : الحرم كله مسجد وروي .

(٦٠٢) أنه كان نائما في بيت أم هانىء بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته ، وقص القصة على أم هانىء . وقال : مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج إلى المسجد فتشبثت أم هانىء بثوبه فقال : مالك ؟ قالت : أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم ، قال : وإن كذبوني ، فخرج فجلس إليه أبو جهل فأخبره رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

---

(١) تفسير الكشاف ـ موافق للمطبوع ١/١٠٩

بحديث الإسراء ، فقال أبو جهل : يا معشر بني كعب بن لؤي ، هلم فحدثهم ، فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وإنكارا . وارتد ناس ممن كان قد آمن به ، وسعى رجال إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال : إن كان قال ذلك لقد صدق . قالوا : أتصدقه على ذلك ؟ قال : إني لأصدقه على أبعد من ذلك ، فسمي الصديق . وفيهم من سافر إلى ماثم ، فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس ، فطفق ينظر إليه وينعته لهم ، فقالوا : أما النعت فقد أصاب ، فقالوا : أخبرنا عن عيرنا ، فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها ، وقال : تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس ، يقدمها جمل أورق ، فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية ، فقال قائل منهم : هذه والله الشمس قد شرقت ، فقال آخر : وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد .

ثم لم يؤمنوا وقالوا : ما هذا إلا سحر مبين ، وقد عرج به إلى السماء في تلك الليلة ، وكان العروج به من بيت المقدس وأخبر قريشا أيضا بما رأى في السماء **من العجائب** وأنه لقي الأنبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الإسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة .". [1]

٤٩٠-"" صفحة رقم ٦٨٤ "

وروحه عاشت . وروي : أنهما أكلا منها . وقيل : توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء) سربا (أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق ، وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى أو للخضر) فلما جاوزا (الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد أمر الحوت وما كان منه . ونسيان يوشع أن يذكر لموسى ما رأى من حياته ووقوعه في البحر . وقيل : سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد إلى الظهر ، وألقى على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ، ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك ، فتذكر الحوت وطلبه . وقوله :) من سفرنا هاذا (إشارة إلى مسيرهما وراء الصخرة . فإن قلت : كيف نسي يوشع ذلك ، ومثله لا ينسى لكونه أمارة لهما على الطلبة التي تناهضا من أجلها لكونه معجزتين ثنتين : وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها وقيل : ما كانت إلا شق سمكة وقياء الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ؟ ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة إلى ظهر الغد ، وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت ؟ قلت : قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم إلى ذلك أنه ضري بمشاهدة أمثاله عند موسى عليه السلام **من العجائب** ، واستأنس بإخوانه فأعان الإلف على قلة الاهتمام) أرأيت (بمعنى أخبرني . فإن قلت : ما وجه التئام هذا الكلام ، فإن كل واحد من) أرأيت (و) إذ أوينا (و) فإني نسيت الحوت (لا متعلق له ؟ قلت : لما طلب موسى عليه السلام الحوت ، ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية ، فدهش وطفق يسأل موسى عليه السلام عن سبب ذلك ، كأنه قال : أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة ؟ فإني نسيت الحوت ، فحذف ذلك . وقيل : هي الصخرة التي دون نهر الزيت . و) أن أذكره (بدل

(١) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع ٦٠٥/٢

من الهاء في) أنسانيه (أي : وما أنساني ذكره إلا الشيطان . وفي قراءة عبد الله : (أن اذكره) و) عجبا (".[1]

٤٩١-"" صفحة رقم ٦٢٠ "

استسقيتا فقال : لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها القطر شبه الاستغفار بالأنواء الصادقة التي لا تخطىء وعن الحسن : أن رجلا شكا إليه الجدب فقال : استغفر الله ؛ وشكا إليه آخر الفقر ، وآخر قلة النسل ، وآخر قلة ريع أرضه ، فأمرهم كلهم بالاستغفار ، فقال له الربيع بن صبيح : أتاك رجال يشكون أبوابا ويسألون أنواعا ، فأمرتهم كلهم بالاستغفارا فتلا له هذه الآية . والسماء : المظلة ؛ لأن المطر منها ينزل إلى السحاب ؛ ويجوز أن يراد السحاب أو المطر ، من قوله :

إذا نزل السماء بأرض قوم

والمدرار : الكثير الدرور ، ومفعال مما يستوى فيه المذكر والمؤنث ، كقولهم : رجل أو امرأة معطارو متفال) جنات (بساتين) لا ترجون لله وقارا (لا تأملون له توقيرا أي تعظيما . والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم في دار الثواب ، و) لله (بيان للموقر ، ولو تأخر لكان صلة للوقار . وقوله :) وقد خلقكم أطوارا (في موضع الحال ، كأنه قال : ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للإيمان به ، لأنه خلقكم أطوارا : أي تارات : خلقكم أولا ترابا ، ثم خلقكم نطفا ، ثم خلقكم علقا ، ثم خلقكم مضغا ، ثم خلقكم عظاما ولحما ، ثم أنشأكم خلقا آخر . أولا تخافون لله حلما وترك معاجلة العقاب فتؤمنوا ؟ وقيل : ما لكم لا تخافون لله عظمة ؟ وعن ابن عباس : لا تخافون لله عاقبة ، لأن العاقبة حال استقرار الأمور وثبات الثواب والعقاب ، من (وقر) إذا ثبت واستقر . نبههم على النظر في أنفسهم أولا ؛ لأنها أقرب منظور فيه منهم ، ثم على النظر في العالم وما سوى فيه **من العجائب** الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السموات والأرض والشمس والقمر) فيهن (في السموات ، وهو في السماء الدنيا ؛ لأن بين السموات ملابسة من حيث أنها طباق فجاز أن يقال : فيهن كذا وإن لم يكن في جميعهن ، كما يقال : في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها . وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما : أن الشمس والقمر وجوههما مما". [2]

٤٩٢-"اعلم أن المقصود من ضرب المثال أنه يؤثر في القلب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه ، وذلك لأن الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد ، فيتأكد الوقوف على ماهيته ، ويصير الحس مطابقا للعقل ، وذلك هو النهاية في الإيضاح في الترغيب في الإيمان لذا مثل بالظلمة ، فإذا أخبرت عن ضعف أمر ومثلته بنسج العنكبوت كان ذلك أبلغ في وقعه في القلب بالخبر مجردا.

قوله : " مثلهم " مبتدأ و "كمثل " جار ومجرور خبره ، فيتعلق بمحذوف على قاعدة الباب ، ولا مبالاة بخلاف من يقول

---

(١) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع ٢/٦٨٤

(٢) تفسير الكشاف . موافق للمطبوع ٤/٦٢٠

: إن "كاف " التشبيه لا تتعلق بشيء ، والتقدير : مثلهم مستقر كمثل.

وأجاز أبو البقاء وابن عطية أن تكون " الكاف " اسما هي الخبر ، ونظيره قول الشاعر : [البسيط].

٢٢٠ - أتنتهون ؟ ولن ينهى ذوي شطط

كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

وهذا مذهب الأخفش : يجيز أن تكون " الكاف " اسما مطلقا.

وأما مذهل سيبويه فلا يجيز ذلك إلا في شعر ، وأما تنظيره بالبيت فليس كما قال ؛ لأن في البيت نضطر إلى جعلها اسما لكونها فاعلة ، بخلاف الآية.

٣٧٠

والذي ينبغي أن يقال : إن "كاف " التشبيه لها ثلاثة أحوال : حال يتعين فيها أن تكون اسما ، وهي ما إذا كانت فاعلة ، أو مجرورة بحرف ، أو إضافة.

مثال الفاعل : [البسيط] ٢٢١ - أتنتهون ولن ينهى..........

....

البيت.

ومثال جرها بحرف قول امرئ القيس : [الطويل] ٢٢٢ - ورحنا بكابن الماء يجنب وسطنا

تصوب فيه العين طورا وترتقي

وقوله : [الوافر] ٢٢٣ - وزعت بكالهراوة أعوجي

إذا ونت الركاب جرى وثابا

ومثال جرها بالإضافة قوله : [السريع أو الرجز]

٢٢٤ - فصيروا مثل كعصف مأكول

وحال يتعين أن تكون فيها حرفا ، وهي الواقعة صلة ، نحو : جاء الذي كزيد ؛ لأن جعلها اسما يستلزم حذف عائد مبتدأ من غير طول الصلة ، وهذا ممتنع عند البصريين.

وحال يجوز فيها الأمران ، وهي ما عدا ذلك نحو : " زيد كعمرو ".

وأبعد من جعلها زائدة في الآية الكريمة ، أي : مثلهم مثل الذي ، ونظره بقوله : " ونظره يقوله : " فصيروا مثل كعصف "كأنه جعل المثل والمثل بمعنى واحد ، والوجه أن المثل - هنا - بمعنى القصة والتقدير : صفتهم وقصتهم كقصة المستوقد ، فليست زائدة على هذا

٣٧١

التأويل ، وهذا جواب عن سؤال أيضا ، وهو أن يقال : قوله تعالى : ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد﴾ يقتضي تشبيه مثلهم مثل المستوقد ، فما مثل المنافقين ومثل المستوقد حتى شبه أحدهما بالآخر ؟ فالجواب : أن يقال : استعير المثل للقصة وللصفة إذا كان لها شأن وفيها غرابة ، كأنه قيل : قصتهم العجيبة كقصة الذي استوقد نارا ، وكذا قوله : ﴿مثل الجنة التي

وعد المتقون﴾ [الرعد : ٣٥] أي فيما قصصنا عليه من العجائب قصة الجنة العجيبة.

﴿ولله المثل الأعلى ﴾ [النحل : ٦٠] أي : الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة.

﴿مثلهم في التوراة﴾ [الفتح : ٢٩] أي : وصفهم وشأنهم المتعجب منه ، ولكن المثل – بالفتح – ولذلك حوفظ في لفظه فلم يغير.

و " الذي " : في محل خفض بالإضافة ، وهو موصول للمفرد المذكر ، ولكن المراد به – هنا – جمع ولذلك روعي معناه في قوله : ﴿ذهب الله بنورهم﴾ فأعاد الضمير عليه جمعا ، والأولى أن يقال : إن " الذي " وقع وصفا لشيء يفهم الجمع ، ثم حذف ذلك الموصوف للدلالة عليه.

والتقدير : ومثلهم كمثل الفريق الذي استوقد ، او الجمع الذي استوقد ؛ ويكون قد روعي الوصف مرة ، فعاد الضمير عليه مفردا في قوله : ﴿استوقد نارا﴾ و " حوله " ، والموصوف أخرى فعاد الضمير عليه مجموعا في قوله : " بنورهم " ، و " تركهم ".

وقيل : إن المنافقين ذاتهم لم يشبهوا بذات المستوقد ، وإنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ، ومثله قوله : ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار﴾ [الجمعة : ٥] ، وقوله : ﴿ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت﴾ [محمد : ٢٠].

وقيل : المعنى : ومثل كل واحد منهم كقوله : ﴿يخرجكم طفلا﴾ [غافر : ٦٧] أي : يخرج كل واحد منكم.

ووهم أبو البقاء ، فجعل هذه الآية من باب ما حذفت منه النون تخفيفا ، وأن الأصل : " الذين " ثم خففت بالحذف ، وكأنه مثل قوله تعالى : ﴿وخضتم كالذي خاضوا ا﴾ [التوبة : ٦٩] ، وقول الشاعر : [الطويل].

٢٢٥ – وإن الذي حانت بفلج دماؤهم

هم القمم كل القوم يا أم خالد

جزء : ١ رقم الصفحة : ٣٧٠

والأصل : " كالذين خاضوا " " وإن الذين حانت ".

وهذا وهم ؛ لأنه لو كان من باب

٣٧٢

". (١)

٤٩٣–"وبعد " لكن " في قراءة ابن حمدون : ﴿لكن هو الله ربي﴾ [الكهف : ٣٨] وكذا في قوله : ﴿يمل هو﴾ [البقرة : ٢٨٢].

فإن قيل عليم " فعيل " من " علم " ، و " علم " متعد بنفسه ، فكيف تعدى بـ " الباء " ، وكان من حقه إذا تقدم مفعوله أن يتعدى إليه بنفسه أو بـ " اللام " المقوية ، وإذا تأخر أن يتعدى إليه بنفسه فقط ؟ فالجواب : أن أمثلة المبالغة

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع ص/٦٧

خالفت أفعالها ، وأسماء فاعليها لمعنى وهو شبهها بـ " أفعل " التفضيل بجامع ما فيها ن معنى المبالغة ، و " أفعل " التفضيل له حكم في التعدي ، فأعطيت أمثلة المبالغة ذلك الحكم ، وهو أنها لا تخلو من أن تكون من فعل متعد بنفسه أو لا.

فإن كان الأول فإما أن يفهم علما أو جهلا أو لا.

فإن كان الأول تعدت بالباء نحو : ﴿هو أعلم بكم﴾ [النجم : ٣٢] ﴿وهو عليم بذات الصدور﴾ [الحديد : ٦] و " زيد جهول بك " و " أنت أجهل به " وإن كان الثاني تعدت بـ " اللام " نحو : " أنا أضرب لزيد منك " و " أنا ضراب له ، ومنه : ﴿فعال لما يريد﴾ [هود : ١٠٧] ، وإن كانت من متعد بحرف جر تعدت هي بذلك الحرف نحو : " أنا أصبر على كذا " و " أنا صبور عليه " ، و " أزهد فيه منك " ، و " زهيد فيه ".

فصل في إثبات العلم لله سبحانه بخلقه هذه الآية تدل على أنهلا يمكن أن يكون خالقا للأرض وما فيها ، وللسماوات وما فيها من العجائب والغرائب إذى إذا كان عالما بها محيطا بجزئياتها وكلياتها ، وذلك يدل على أمور : أحدها : أن يفسد قول الفلاسفة الذين قالوا : إنه لا يعلم الجزئيات ، ويدل على صحة قول المتكلمين فإنهم قالوا : إنه - تعالى - فاعل لهذه الأجسام على سبيل الإحكام والإتقان ، وكل فاعل على هذا الوجه ، فإنه لا بد وأن يكون عالما بما فعله كما ذكر في هذه الآية.

وثانيها : يدل على فساد قول المعتزلة ، وذلك لأنه - سبحانه وتعالى - بين أن الخالق للشيء على سبيل التقدير والتحديد ، ولا بد أن يكون عالما به وبتفاصيله ، لأن خالقه قد خصه بقدر دون قدر ، والتخصيص بقدر معين لا بد وأن يكون بإرادة ، وإلا فقد حصل الرجحان من غير مرجح ، والإرادة مشروطة بالعلم ، فثبت أن خالق الشيء لا بد وأن يكون عالما به على سبيل التفصيل.

فلو كان العبد موجدا لأفعال نفسه لكان عالما بها ، وبتفاصيلها في العدد والكمية والكيفية ، فلما لم يحصل هذا العلم علمنا أنه غير موجد لأفعال نفسه.

وثالثها : قالت المعتزلة : إذا جمع بين هذه الآية وبين قوله : ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ [يوسف : ٧٦] ظهر أنه - تعالى - عالم بذاته.

والجواب : قوله تعالى : " وفوق كل ذي علم عليم " عام ، وقوله : ﴿أنزله بعلمه﴾ [النساء : ١٦٦] خاص والخاص مقدم على العام.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٦٣

هذه الآية دالة على كيفية تنظيم الله - تعالى - لآدم عليه الصلاة والسلام ، فيكون ذلك إنعاما عاما على جميع بني آدم ، فيكون هذا هو النعمة الثالثة من تلك النعم العامة التي أوردها.

" إذ " ظرف زمان ماض ، يخلص المضارع للمضي ، وبني لشبهة بالحرف في الوضع والافتقار ، وتليه الجمل مطلقا.

قال المبرد : إذا جاء " إذ " مع المستقبل كان معناه ماضيا كقوله : ﴿وإذ يمكر بك﴾ [الأنفال : ٣٠] يريد : إذ مكروا ، وإذا جاء مع الماضي كان معناه مستقبلا كقوله : ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس﴾ [المائدة : ١١٦]

وقد يبقى على مضيه كهذه الآية.
وإذا كانت الجملة فعلية قبح تقديم الاسم ، وتأخير الفعل نحو : " إذ زيد قام " ، ولا يتصرف إلا بإضافة الزمن إليه ، نحو : " يومئذ " ، ولا يكون مفعولا به ، وإن قال به اكثر المعربين ، فإنهم يقدرون " ذكر وقت كذا " ، ولا ظرف مكان ، ولا زائدا ، ولا حرفا للتعليل ، ولا للمفاجأة خلافا لمن زعم ذلك.
وقد تحذف الجملة المضاف هو إليها للعلم ، ويعرض منها تنوين كقوله : ﴿وأنتم حينئذ تنظرون﴾ [الواقعة : ٨٤] وليس كسرته – والحالة هذه – كسرة إعراب ، ولا تنوينه تنوين صرف خلافا للأخفش ، بل الكسر لالتقاء الساكنين ، والتنوين للعوض بدليل وجود الكسر ، ولا إضافة ؛ قال الشاعر : [الوافر] ٣٥٠ – نهيتك عن طلابك أم عمرو
بعاقبة وأنت إذ صحيح
". (١)

٤٩٤–"للشرابي : هذا هو الذي علم تأويل رؤياي ؟ قالك نعم ، فأقبل على يوسف ، فقال الملك : أحب أن أسمع منك تأويل رؤياي شفاها.
فأجابه بذلك الجواب شفاها ، وشهد قلبه بصحته ؛ فعند ذلك قال له الملك : ﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ يقال : فلان مكين عند فلان ، بين المكانة ، أي : المنزلة ، وهي حالة يتمكن بها صاحبها مما يريد ، وقوله : " أمين " أي : قد عرفنا أمانتك ، وبراءتك مما نسبت إليه.
واعلم أن قوله : " أمين " كلمة جامعة لكل ما يحتاج إليه من الفضائل ، والمناقب ؛ وذلك لأنه لا بد في كونه أمينا من القدرة والعلم ، أما القدرة ؛ فلأن يحصل بها المكنة ، وأما العلم ؛ فلأن كونه متمكنا من أفعال الخير لا يحصل إلا به ، إذ لو لم يكن عالما بما ينبغي ، وبما لا ينبغي ، لا يمكن تخصيص بيان ما ينبغي بالفعل ، ولا تخصيص ما لا ينبغي بالترك ؛ فثبت أن كونه مكينا لا يحصل إلا بالقدرة والعلم ، وأما كونه أمينا ، فهو عبارة عن كونه لا يفعل الفعل لداعي الشهوة ، وإنما يفعله لداعي الحكمة ، فثبت أن كونه مكينا أمينا يدل على كونه قادرا ، وعلى كونه عالما بمواضع الصلاح ، والفساد ، وعلى كونه يفعل لداعي الحكمة ، لا لداعي الشهوة ، وكل من كان كذلك ، فإنه لا يصدر عنه فعل السوء والفحشاء.
ثم حكى ـ سبحانه وتعالى ـ أن يوسف عليه الصلاة والسلام ـ قال في هذا المقام : ﴿اجعلني على خزآئن الأرض إني حفيظ عليم﴾ قال المفسرون : لما عبر يوسف رؤيا الملك بين يديه ، قال له الملك : فما ترى أيها الصديق ؟ فقال : أرى أن تزرع في هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا ، وتبني الخزائنن وتجمع فيها الطعام ، فإذا جاءت السنون المجدبة بعت الغلات ، فيحصل بهذا الطريق مال عظيم ، فقال الملك : ومن لي بهذا الشغل ؟ فقال يوسف : ﴿اجعلني على خزآئن الأرض﴾ ، أي : على خزائن أرض مصر.
أدخل الألف واللام على الأرض والمراد منه المعهود السابق.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع ص/١١٩

روى ابن عباس ـ رضي البله عنهما ـ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " رحم الله أخي يوسف ، لو لم يقل : اجعلني على خزائن الأرض لا ستعمله من ساعته لكنه لما قال ذلك أخره عنه سنة ".

قال ابن الخطيب : " وهذا من العجائب ؛ لأنه لما تأبى عن الخروج من السجن ، سهل الله عليه ذلك على أحسن الوجوه ، ولما سارع في ذكر هذا الالتماس ، أخر الله ذلك

١٣٥

المطلوب عه ، وهذا يدل على أن ترك التصرفن والتفويض إلى الله ـ تعالى ـ أولى.

فإن قيل : لم طلب يوسف الإمارة ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن سمرة : " يا عبد الرحمن : لا تسأل الإمارة " ؟ .

وأيضا : فكيف طلب الإمارة من سلطان كافر ؟ وأيضا : لم لم يصبر مدة فأظهر الرغبة في طلب الإمارة ؟ وأيضا : لم طلب أمر الخزائن في أول الأمر ، مع أن هذا يورث نوع تهمة ؟ وأيضا : كيف مدح نفسه بقوله : " إني حفيظ عليم " ؟ مع أنه ـ تعالى ـ قال : ﴿فلا تزكوا اا أنفسكم﴾ [النجم : ٣٢] ، وأيضا ما الفائدة في قوله : " إني حفيظ عليم " ؟ ولم لم يقل : إن شاء الله ـ تعالى ـ ؛ لقوله تعالى ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذالك غدا إلا أن يشآء الله﴾ [الكهف : ٢٣،٢٤] ؟ .

فالجوابك أن الأصل في جواب هذه المسألة : أن التصرف في أمور الخلق كان واجبا عليه فجاز له أن يتوصل إليه بأي طريق كان إنما قلنا إن ذلك التصرف كان واجباب عليه لوجوه : الأول : أنه كان رسولا حقا من الله ـ تعالى ـ إلى الخلق ، والرسول تجب عليه مصالح الأمة بقدر الإمكان.

والثاني : أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ علم بالوحي أنه سيحصل القحط والضيق الشديد ، الذي ربما أفضى إلى هلاك الخلق ، فلعله ـ تعالى ـ أمره بأن يدبر في ذلك الوقت ، ويأتي بطريق في آجله يقل ضرر ذلك القحط في حق الخلق.

الثالث : أن السعي في إيصال النفع إلى المستضعفين ، ودفع الضرر عنهم ـ أمر مستحسن في العقول.

وإذا ثبت هذا ، فنقول : إنه صلى الله عليه وسلم مكلفا برعاية المصالح من هذه الوجوه ، و ما كان يمكنه رعايتها إلا بهذا الطريق ، وما لا يتم الواجب إلا به ، فهو واجب ، فكان هذا الطريق واجبا ، ولما كان واجبا ، سقطت الأسئلة بالكلية.

وأما ترك الاستثناء ، فقال الواحدي : " كان ذلك من خطيئة أوجبت عقوبة وهو أنه ـ تعالى ـ أخر عنه حصول ذلك المقصود سنة ".

قال ابن الخطيب : " لعل السبب فيه أنه لو ذكر هذا الاستثناء ، لاعتقد الملك فيه أنه ذكره لعلمه بأنه لا قدرة له على ضبط هذه المصلحة كما ينبغي ؛ فالأجل هذا المعنى ترك الاستثناء ".

١٣٦

". (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع ص/٢٩٩٠

٤٩٥-"أكثر الأمر كهذه الآية ، وقوله تعالى : ﴿وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم مآء فراتا﴾ [المرسلات : ٢٧].

فصل قال القرطبي : في هذه الآية رد على من زعم أن الأرض كالكرة لقوله : ﴿مد الأرض﴾ ، ورد على من زعم أن الأرض تهوي أبدا بما عليها ، وزعم ابن الراوندي : أن تحت الأرض جسما صاعدا كالريح الصعادة ، وهي منحدرة فاعتدل الهاوي ، والصعاعدي في الجرم والقوة فتوافقا.

وزعم آخرون : أن الأرض مركبة من جسمين.

أحدهما : منحدر ، والآخر : مصدع فاعتدلا ، فلذلك وقفت ، والذي عليه المسلمون ، وأهل الكتاب القول بوقوف الأرض ، وسكونها ، ومدها ، وأن حركتها إنما تكون في العادة بزلزلة تصيبها والله أعلم.

قوله : ﴿ومن كل الثمرات﴾ يجوز فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أن يتعلق بـ " جعل " [بعده] ، أي : وجعل فيها زوجين اثنين من كل صنف من أصناف الثمرات ، وهو ظاهر.

والثاني : أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من : " اثنين " ؛ لأنه في الأصل صفة له.

الثالث : أن يتم الكلام على قوله : ﴿ومن كل الثمرات﴾ فيتعلق بـ " جعل " الأولى على أنه من باب عطف المفردات ، يعني عطف على معمول " جعل " الأولى تقديره : أنه جعل في الأرض كذا ، وكذا ومن كل الثمرات.

قال أبو البقاء : ويكون " جعل " الثاني مستأنفا ، و " يغشي الليل " تقدم الكلام فيه ، وهو إما مستأنف ، وإما حال من فاعل الأفعال.

فصل المعنى : ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين ، أي : صنفين اثنين : أصفر ، وأحمر ، وحلوا ، وحامضا.

وهذا النوع الثالث في الاستدلال بعجائب خلقة النبات.

واعلم أن الحبة إذا وقعت في الأرض ربت وكبرت ؛ فبسبب ذلك ينشق أعلاها وأسفلها ، فيخرج من الشق الأعلى الشجرة الصاعدة ، ويخرج من الشق الأسفل العروق

٢٤٣

الغائصة في الأرض ، وهذا **من العجائب** ؛ لأن طبيعة تلك الحبة واحدة وتأثير الطبائع ، والأفلاك ، والكواكب فيها واحد ، ثم إنه يخرد من الجانب الأعلى من تلك الحبة جرم صاعد إلى الهواء ، ومن الجانب الأسفل جرم غائص في الأرض ، ومن المحال أن يتولد من الطبيعة الواحدة طبيعتان متضادتان ، فعلمنا أن ذلك إنما كان بتدبير المدبر العليم الحكيم لا بسبب الطبع ، والخاصة ، ثم إن الشجرة النامية في تلك الجهة بعضها يكون خشبا ، وبعضها يكون نورا ، وبعضها يكون ثمرة ، ثم إن تلك الثمرة أيضا يحصل فيها أجسام مختلفة الطبائع مثل الجوز ففيه أربعة أنواع من القشور ، فالقشرة الأعلى ، وتحته القشرة الخشبية ، وتحته القشرة المحيطة باللب ، وتحت تلك القشرة قشرة أخرى في غاية الرقة تمتاز عما فوقها حال كون الجوز واللوز رطبا وأيضا : فقد يحصل في الثمرة الواحدة الطبائع المختلفة فالأترجد قشره جار يابس ولحمه وماؤه حاران رطبان ؛ فثبت أن هذه الطبائع المختلفة من الحبة الواحدة مع تساوي تأثيرات الطبائع ، وتأثيرات الأنجم ، والأفلاك . على

زعم من يدعيه . لا بد وأن يكون بتدبير العليم القدير.

فإن قيل : الزوجان لا بد وأن يكونا اثنين ، فما الفائدة في قوله : " زوجين اثنين " ؟ .

فالجواب : أنه . تعالى . أول ما خلق العالم ، وخلق فيه الأشجار ، خلق من كل نوع من الأنواع اثنين فقط ، فلو قال : " زوجين " لم يعلم أن المراد النوع ، أو الشخص فلما قال : " اثنين " علمنا أنه . تعالى . أول ما خلق من كل زوجين اثنين [لا أقل ولا أزيد ، والحاصل أن الناس فيهم الآن كثرة ، إلا أنهم ابتدءوا من زوجين اثنين] بالشخص وهما : آدم وحواء . عليهما السلام . وكذلك القول في جميع الأشجار ، والزروع ، والله أعلم.

النوع الرابع : الاستدلال بأحوال الليل ، والنهار ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿يغشي الليل النهار﴾ وقد سبق الكلام فيه فأغنى عن الإعادة.

ثم قال تعالى : ﴿إن في ذالك لآيات لقوم يتفكرون﴾ فيستدلون ، والتفكر : تصرف القلب في طلب المعاني.

قوله : ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ العامة على رفع : " قطع " " وجنات " إما على الابتداء ، وإما على الفاعلية بالجار قبله.

وقرىء " قطعا متجاورات " بالنصب ، وكذلك هي في بعض المصاحف على إضمار جعل.

وقرأ الحسن : " وجنات " بكسر التاء وفيها أوجه :

٢٤٤

". (١)

٤٩٦-"الإنسان غذاء ، أو شربة رقيقة ؛ انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا ، لا يخرج منه شيء من ذلك المأكول ، والمشروب إلى أن يكمل انهضامه في المعدة ، وينجذب ما صفا منه إلى الكبد ، ويبقى الثقل هناك ، فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ ، وينزل منه ذلك الثقل ، وهذا **من العجائب** التي لا يمكن حصولها إلا بتدبير الفاعل الحكيم ؛ لأنه متى كانت الحاجة إلى خروج ذلك الجسم من المعدة انفتح فحصل الانطباق تارة ، و الانفتاح أخرى ، بحسب الحاجة ، وتقدير المنفعة مما لا يتأتى إلا بتدبير الفاعل الحكيم.

الثاني : أنه – تعالى – أودع في الكبدة قوة ، تجذب الأجزاء اللطيفة الحاصلة في ذلك المأكول ، والمشروب ، ولا تجذب الأجزاء الكثيفة ، وخلق في الأمعاء قوة تجذب تلك الأجزاء الكثيفة التي هي الثقل ، ولا تجذب الأشياء اللطيفة ألبتة ، ولو كان الأمر بالعكس ، لاختلفت مصلحة البدن ، ولفسد نظام هذا التركيب.

الثالث : أنه – سبحانه وتعالى – أودع في الكبد قوة هاضمة طابخة ، حتى إن تلك الأجزاء اللطيفة ؛ تنطبخ في الكبد ، وتنقلب دما ، ثم إنه – تعالى – أودع في المرارة قوة جاذبة للصفراء ، وفي الطحال قوة جاذبة للسوداء ، وفي الكلية قوة جاذبة لزيادة المائية ، حتى يبقى الدم الصافي الموافق لتغذية البدن ، وتخصيص كل واحد من هذه الأعضاء بتلك القوة

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع ص/٣٠٤٤

الحاصلة ، لا يمكن إلا بتدبير الحكيم العليم.

الرابع : أن في الوقت الذي يكون الجنين في رحم الأم ينصب من ذلك الدم نصيب وافر إليه حتى يصير مادة تنمي أعضاء ذلك الولد ، وازدياده ، فإذا انفصل ذلك الجنين عن الرحم ينصب ذلك النصيب إلى جانب الثدي ليتولد منه اللبن الذي يكون غذاء له ، فإذا كبر ذلك الولد لم ينصب ذلك النصيب لا إلى الرحم ، ولا إلى الثدي ، بل ينصب على مجموع بدن المتغذي ، فانصباب ذلك الدم في كل وقت إلى عضو آخر انصبابا موافقا للمصلحة ، والحكمة لا يتأتى إلا بتدبير الفاعل المختار الحكيم.

الخامس : أن عند تولد اللبن في الضرع أحدث – تعالى – في حلمة الثدي ثقوبا صغيرة ومساما ضيقة ، ولما كانت هذه المسام ضيقة جدا ، فحينئذ لا يخرج منها إلا ما كان في غاية الصفاء ، واللطافة ، وأما الأجزاء الكثيفة فإنه لا يمكنها الخروج من تلك المنافذ الضيقة فتبقى في الداخل ، والحكمة في إحداث تلك الثقوب الصغيرة والمنافذ الضيقة في رأس الحلمة ؛ لكي تكون كالمصفاة ، فكل ما كان لطيفا خرج ، وما كان كثيفا ؛ احتبس في الداخل ، فبهذا الطريق يصير ذلك اللبن خالصا موافقا لبدن الصبي " سائغا للشاربين ".

السادس : أنه – تعلى – ألهم ذلك الصبي إلى المص ؛ فإن الأم إذا ألقت حلمة الثدي في فم الصبي ، فذلك الصبي في الحال يأخذ في المص ، ولولا أن الفاعل المختار الرحيم قد ألهم ذلك الطفل الصغير ذلك العمل المخصوص ، وإلا لم يحصل تخليق ذلك اللبن في الثدي.

١٠٥

". (١)

٤٩٧–"ولو ادعى مدع أن ها هنا خمسة التفاتات لاحتيج في دفعه إلى دليل واضح ، والخامس : الالتفات من " إنه هو " إلى التكلم في قوله ﴿وآتينآ موسى الكتاب﴾ [الإسراء : ٢] الآية.

والرؤية هنا بصرية.

وقيل : قلبية ، وإليه نحا ابن عطية ، فإنه قال : " ويحتمل أن يريد : لنري محمدا للناس آية ، أي : يكون النبي صلى الله عليه وسلم آية في أن يصنع الله ببشر هذا الصنيع " فتكون الرؤية قلبية على هذا.

فصل في معنى " لنريه " معنى الرؤية هو ما رأى في تلك الليلة **من العجائب** والآيات الدالة على قدرة الله تعالى.

فإن قيل : قوله : ﴿لنريه من آياتنآ﴾ يدل على أنه تعالى ما أراه إلا بعض الآيات ؛ لأن كلمة " من " للتبعيض وقال في حق إبراهيم : ﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض﴾ [الأنعام : ٧٥] فيلزم أن يكون معراج إبراهيم – عليه السلام – أفضل من معراج محمد صلى الله عليه وسلم قلنا : فالجواب أن الذي رآه إبراهيم ملكوت السموات والأرض ، والذي رآه محمد بعض آيات الله ، ولا شك أن آيات الله أفضل.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع ص/٣٢٢٧

ثم قال : ﴿إنه هو السميع البصير﴾ أي : السميع لأقوال محمد صلى الله عليه وسلم أي : المجيب لدعائه البصير : أي : لأفعاله العالم بكونها خالصة عن شوائب الرياء ، مقرونة بالصدق والصفاء.

فصل في كيفية الإسراء اختلفوا في كيفية ذلك الإسراء ، فالأكثرون على أنه أسري بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروي عن عائشة وحذيفة : أن ذلك كان رؤيا ، قالا : ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله أسرى بروحه.

فالكلام في هذا الباب في مقامين.

الأول : في غثبات الجواز العقلي.

والثاني : في الوقوع.

فالمقام الأول ؛ وهو الجواز العقلي : فنقول : الحركة الواقعة في السرعة إلى هذا الحد ممكنة في نفسها ، والله – تعالى – قادر على جميع الممكنات ، والدليل على أن هذه الحركة السريعة ممكنة غير ممتنعة تفتقر إلى مقدمتين : الأولى : أن الحركة الواقعة إلى هذا الحد يدل عليها وجوه :

١٩٧

الأول : أن الفلك الأعظم يتحرك من أول الليل إلى آخره ما يقرب من نصف الدور ، وثبت في الهندسة أن نسبة القطر إلى الدور نسبة الواحد إلى ثلاثة وسبعة فيلزم أن تكون نسبة نصف القطر إلى نصف الدور نسبة الواحد إلاى ثلاثة وسبعة فبتقدير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتفع من مكة إلى ما فوق الفلك الأعظم ، فهو لم يتحرك إلا مقدار نصف القطر ، فلما حصل في ذلك القدر من الزمان حركة نصف الدور ، كان حصول الحركة بمقدار نصف القطر أولى بالإمكان ، فهذا برهان قاطع على أن الارتفاع من مكة إلى ما فوق العرش في مقدار ثلث الليل أمر ممكن في نفسه ، وإذا كان كذلك ، كان حصوله في كل الليل أولى بالإمكان.

الثاني : ثبت في الهندسة أن قرص الشمس يساوي كرة الأرض مائة وستين مرة ، وكذا وكذا وكذا ، ثم إنا نشاهد أن طلوع القرص يحصل في زمان لطيف سريع ، فدل على أن بلوغ الحركة في السرعة إلى هذا الحد أمر ممكن في نفسه.

الثالث : أنه كما يستبعد في العقل صعود الجسم الكثيف عن مركز العالم إلى ما فوق العرش ، فكذلك يستبعد نزول الجسم اللطيف الروحاني من فوق العرش إلى مركز العالم ، فإن كان القول بمعراج محمد صلى الله عليه وسلم في الليلة الواحدة ممتنعا في العقول ، فإن القول بنزول جبريل – عليه السلام – من العرش إلى مكة في اللحظة الواحدة ممتنعا ، ولو حكمنا بهذا الامتناع ، كان ذلك طعنا في نبوة جميع الأنبياء – عليهم السلام – والقول بثبوت المعراج فرع على تسليم جواز أصل النبوة ؛ فيلزم القائل بامتناع حصول حركة سريعة إلى هذا الحد ، القول بامتناع جبريل – عليه السلام – من الانتقال في اللحظة من العرش إلى مكة ، ولما كان ذلك باطلا ، كان ما ذكروا أيضا باطلا.

فإن قالوا : نحن لا نقول : إن جبريل – عليه السلام – جسم ينتقل من مكان إلى مكان ، وإنما نقول : المراد من نزول جبريل – عليه السلام – هو زوال الحجب الجسمانية عن جسم محمد صلى الله عليه وسلم حتى يظهر في روحه من المكاشفات والمشاهدات بعض ما كان حاضرا متجليا في ذات جبريل – عليه السلام – .

قلنا : تفسير الوحي بهذا الوجه هو قول الحكماء ، أما جمهور المسلمين فيقولون : إن جبريل – عليه السلام – جسم ، وأن نزوله عبارة عن انتقاله من عالم الأفلاك [إلى مك'] ، وإذا كان كذلك ، كان الإلزام المذكور قويا.

روي أنه – عليه السلام – لما ذكر قصة المعراج كذبه الكل ، وذهبوا إلى أبي بكر ، وقالوا له : " إن صاحبك يقول كذا وكذا " ، فقال أبو بكر : " إن كان قد قال ذلك ، فهو صادق " ، ثم أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الرسول له تلك التفاصيل ، وكلما ذكر شيئا ، قال أبو

١٩٨

". (١)

٤٩٨-"جزء : ١٢ رقم الصفحة : ٣١٧

قوله تعالى : ﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾ الآية.

اعلم أن القوم ، لما طالبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعجزات القاهرة ، وأجاب الله بأن إظهارها ليس بمصلحة ، صار ذلك سببا لجرأة أولئك الكفار بالطعن فيه ، وأن يقولوا له : لو كنت رسولا حقا من عند الله تعالى ، لأتيت بهذه المعجزات التي اقترحناها ، كما أتى به موسى وغيره من الأنبياء – صلوات الله عليهم – ، فعند هذا قوى الله قلبه ، وبين له أنه ينصره ، ويؤيده ، فقال تعالى : ﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾ أي : هم في قبضته لا يقدرون على الخروج عن مشيئته ، فهو حافظك منهم ، فلا تهبهم ، وامض لما أمرك به من تبليغ الرسالة ، كقوله تعالى : ﴿والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة : ٦٧].

وقيل : المراد بالناس أهل مكة ، وإحاطة الله بهم هو أنه تعالى يفتحها للمؤمنين ؛ فيكون المعنى : وإذ بشرناك بأن الله أحاط بأهل مكة ؛ بمعنى أنه ينصرك ، ويظهر دولتك عليهم ؛ كقوله تعالى : ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ [القمر : ٤٥] وقوله : ﴿قل للذين كفروا

٣٢٠

ستغلبون وتحشرون﴾ [آل عمران : ١٢] ، ولما كان كل ما أخبر الله عنه وقوعه ، فهو واجب الوقوع ، فكان من هذا الاعتبار كالواقع ، فلا جرم قال : ﴿أحاط بالناس﴾.

وروي أنه لما تزاحف الفريقان يوم بدر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ، مع أبي بكر – رضي الله عنه – كان يدعو ، ويقول : اللهم ، إني أسألك عهدك ووعدك لي ، ثم خرج ، وعليه الدرع يحرض الناس ويقول : ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ [القمر : ٤٥].

ثم قال تعالى : ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾.

والأكثرون على أن المراد منه ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج **من العجائب** والآيات.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع ص/٣٢٧٥

قال ابن عباس : هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن جبير ، والحسن ، ومسروق ، وقتادة ، ومجاهد ، وعكرمة ، وابن جريح والأكثرين.

ولا فرق بين الرؤية والرؤيا في اللغة ، يقال : رأيت بعيني رؤية ورؤيا.

وقال بعضهم : هذا يدل على أن قصة الإسراء إنما حصلت في المنام ، وتقدم بيان ضعف هذا في أول السورة ، وقيل : إنه تعالى اراه في المنام مصارع قريش ، فحين ورد ماء بدر ، قال : والله ، لكأني أنظر غلى مصارع القوم ، ثم أخذ يقول : هذا مصرع فلان ، هذا مصرع فلان ، فلما سمعوا قريش ذلك ، جعلوا رؤياه سخرية ، وكانوا يستعجلون بما وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقيل : المراد رؤياه التي رآها ؛ أنه يدخل مكة ، وأخبر بذلك أصحابه ، وعجل السير قبل الأجل إلى مكة فصده المشركون ، فرجع إلى المجينة ، فلما منع عن البيت الحرام عام الحديبية ، ورجع ، كان ذلك فتنة لبعض القوم ، وقا لعمر لأبي بكر - رضي الله عنهما - : أليس قد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ندخل البيت ونطوف به ؟ فقال أبو بكر - رضي الله عنهما - : أليس قد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ندخل البيت ونطوف به ؟ فقال أبو بكر - رضي الله عنهما - : أليس قد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ندخل البيت ونطوف به ؟ فقال أبو بكر - رضي الله عنه - : إنه لم يخبر بأنا نفعل ذلك في هذه السنة ، فسنفعل ذلك في سنة أخرى ، فلما جاء العام المقبل ، دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى : ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ [الفتح : ٢٧] واعترضوا على هذين القولين بأن هذه السورة مكية ، وهاتان الواقعتان مدنيتان ، وهو اعتراض ضعيف ؛ لأن هاتين الوقعتين ، وإن كانتا مدنيتين ، فرؤيتهما في المنام لا تبعد أن تكون مكية.

٣٢١

". (١)

٤٩٩-"تحصيل ذلك الغرض ، إلا بتلك الواسطة ، وهذا يقتضي العجز ، وهو على الله تعالى محال.

قوله : ﴿وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا﴾.

والمعنى أنه تعالى إنما زين الأرض ؛ لأجل الامتحان والابتلاء ، لا لأجل أن يبقى الإنسان فيها متنعما بها لا زاهدا فيها أي : لجاعلون ما عليها من هذه الزينة ﴿صعيدا جرزا﴾.

ونظيره : ﴿كل من عليها فان﴾ [الرحمن : ٢٦].

وقوله : ﴿فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا اا أمتا﴾ [طه : ١٠٦ ، ١٠٧].

وقوله : ﴿وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت﴾ [الانشقاق : ٣ ، ٤].

والمعنى أنه لا بد من المجازاة بعد إفناء ما على الأرض ، وتخصيص الإهلاك بما على الأرض يوهم بقاء الأرض ، إلا أن

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع ص/٣٣٤٢

سائر الآيات دلت أيضا على أن الأرض لا تبقى ، وهو قوله : ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ [إبراهيم : ٤٨].

قوله : ﴿صعيدا﴾ : مفعول ثان ؛ لأن الجعل هنا تصيير ليس إلا ، والصعيد : التراب.

وقال أبو عبيدة : الصعيد المستوي من الأرض.

وقال الزجاج : هو الطريق الذي لا طين له ، أو لا نبات فيهز وقد تقدم في آية التيمم.

والجرز : الذي لا نيات به ، يقال : سنة جرز ، وسنون أجراز : لا مطر فيها ، وأرض جرز ، وأرضون أجراز : لا نبات فيها قال الفراء : جرزت الأرض ؛ فهي مجروزة إذا ذهب نباتها بقحط أو جراز يقال جرزها الجراد والشياة والإبل إذا أكل ما عليها وامرأة مجروز : إذا كانت أكولة.

قال الشاعر : [الرجز] ٣٤٨٥ - إن العجوز خبة جروزا

تأكل كل ليلة قفيزا

وسيف جراز ، إذا كان مستأصلا.

جزء : ١٢ رقم الصفحة : ٤٢٦

قوله : ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾ الآية.

معناها : أظننت ، يا محمد ، أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا.

٤٢٩

وقيل : معناه أنهم ليسوا بأعجب من آياتنا ؛ فإن ما خلقت من السموات والأرض وما فيهن **من العجائب** أعجب منهم ، فكيف يستبعد من قدرته ورحمته حفظ طائفة مدة ثلاثمائة سنة وأكثر ؟ هذا وجه النظم.

وقد تقدم سبب نزول قصة أصحاب الكهف عند قوله : ﴿ويسألونك عن الروح﴾ [الإسراء : ٨٥].

والكهف هو الغار في الجبل وقيل : مطلق الغار ، وقيل : هو ما اتسع ف ياالجبل ، فإن لم يتسع ، فهو غار ، والجمع " كهوف " في الكثرة ، و " أكهف " في القلة.

والرقيم : قيل : بمعنى مرقوم.

وعلى هذا قال أهل المعاني : الرقيم الكتاب.

ومنه قوله : ﴿كتاب مرقوم﴾ [المطففين : ٩] أي : مكتوب.

قال الفراء : الرقيم لوح كان فيه أسماؤهم وصفاتهم ، وسمي رقيما ؛ لأن أسماءهم كانت مرقومة فيه.

قال سعيد بن جبير ، ومجاهد : كان لوحا من حجارة ، وقيل : من رصاص ، كتبنا فيه أسماءهم وصفاتهم ، وشد ذلك اللوح على باب الكهف ، وهو أظهر الأقوال.

وقيل : بمعنى راقم ، وقيل : هو اسم الكلب الذي لأصحاب الكهف ، وأنشدوا لأمية بن أبي الصلت : [الطويل] ٣٤٨٦ - وليس بها إلا الرقيم مجاورا

وصيدهم ، والقوم بالكهف همد

وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال : كل القرآن معلوم إلا أربعة : غسلين ، وحنانا ، والأواه ، والرقيم.
وروى عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن الرقيم فقال : زعم كعب أنها القرية التي خرجوا منها ، وهو قول السدي.
وحكي عن ابن عباس : أنه اسم للوادي الذي فيه أصحاب الكهف ، وعلى هذا هو من رقمة الوادي ، وهو جانبه.
٤٣٠
". (١)

٥٠٠-"الزمخشري : " تلك " إشارة إلى " يا ويلنا " لإنها دعوى ، كأنه قيل : فما زالت تلك الدعوى دعواهم ، والدعوى بمعنى الدعوة ، قال تعالى : ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ [يونس : ١٠].
وسميت دعوى ، لأنهم كانوا دعوا بالويل فقالوا : " يا ويلنا ".
قال المفسرون : لم يزالون يكررون هذه الكلمة فلم ينفعهم ذلك كقوله : ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ [غافر : ٨٥].
" حتى جعلناهم حصيدا " الحصيد : الزرع المحصود ، أي جعلناهم مثل الحصيد ، شبههم في استئصالهم به ، كما تقول : جعلناهم رمادا أي : مثل الرماد قوله : " حصيدا " مفعول ثان ، لأن الجعل هنا تصيير.
فإن قيل : كيف ينصب " جعل " ثلاثة مفاعيل ؟ فالجواب أن " حصيدا " و " خامدين " يجوز أن يكون من باب حلو حامض ، كأنه قيل : جعلناهم جامعين بين الوصفين جميعا.
ويجوز أن يكون " خامدين " حالا من الضمير في " جعلناهم " ، أو من الضمير المستكن في " حصيدا " فإنه في معنى محصود.
ويجوز أن يكون في باب ما تعدد فيه الخبر نحو : " زيد كاتب شاعر ".
وجوز أبو البقاء فيه أيضا أن يكون صفة لـ " حصيدا " ، وحصيد بمعنى محصود كما تقدم فلذلك لم يجمع.
وقال أبو البقاء : والتقدير : مثل حصيد فلذلك لم يجمع كما لم يجمع " مثل " المقدر انتهى.
وإذا كان بمعنى محصودين فلا حاجة ، والمعنى : أنهم هلكوا بذلك العذاب حتى لم يبق حس ولا حركة ، وجفوا كما يجف الحصيد وخمدوا كما تخمد النار.
٤٥٩
جزء : ١٣ رقم الصفحة : ٤٥٥
قوله تعالى : ﴿وما خلقنا السمآء والأرض﴾ الآية.
اعلم أنه لما بين إهلاك القرية لأجل تكذيبهم أتبعه بما يدل على أنه فعل ذلك عدلا منه ، ومجازاة على ما فعلوا فقال : ﴿وما خلقنا السمآء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ أي : وما سوينا هذا السقف المرفوع ، وهذا المهاد الموضوع وما بينهما

---
(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع ص/٣٣٩٨

من العجائب والغرائب كما سوى الجبابرة سقوفهم وفرشهم للعب واللهو ، وإنما سويناهم لفوائد دينية ودنيوية.
أما الدينية فليتفكر المكلفون فيها على ما قال : ﴿ويتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾ [آل عمران : ١٩١].
وأما الدنيوية فلما يتعلق بها من المنافع التي لا تعد ولا تحصى ، وهو كقوله : ﴿وما خلقنا السمآء والأرض وما بينهما باطلا﴾ [ص : ٢٧] وقوله : ﴿ما خلقناهمآ إلا بالحق﴾ [الدخان : ٣٩].
وقيل : وجه النظم أن الغر منه تقرير نبوة محمد - عليه السلام - والرد على منكريه ، لأنه أظهر المعجز عليه ، فإن كان محمد كاذبا كان إظهار المعجز عليه من باب اللعب ، وذلك منفي عنه ، وإن كان صادقا فهو المطلوب وحينئذ يفسد كل ما ذكروه من المطاعن و " لاعبين " حال من فاعل " خلقنا ".
فصل قال القاضي عبد الجبار : دلت هذه الآية على أن اللعب ليس من قبله تعالى ، إذ لو كان كذلك لكان لاعبا ، فإن اللاعب في اللغة اسم لفاعل اللعب ، فنفي الاسم الموضوع لفعل يقتضي نفي الفعل.
والجواب يبطل ذلك بمسألة الداعي ، وقد تقدم.
قوله : ﴿لو أردنآ أن نتخذ لهوا﴾.
قال ابن عباس : في رواية عطاء : اللهو : المرأة ، وهو قول الحسن وقتادة وقال في رواية الكلبي : اللهو : الولد بلغة اليمن ، وهو قول السدي.
وهو في المرأة أظهر ، لأن الوطأ يسمى لهوا في اللغة ، والمرأة محل الوطأ.
٤٦٠
" لاتخذناه من لدنآ " أي : من عندنا من الحور العين لا من عندكم من أهل الأرض.
وقيل : معناه لو كان ذلك جائزا في صفته لم يتخذه بحدث يظهر لهم ويستر ذلك حتى لا يطلع عليه.
وتأويل الآية : أن النصارى لما قالوا في المسيح وأمه ما قالوا رد الله عليهم بهذا ، وقال : " لاتخذناه من لدنآ " ، لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره.
قوله : ﴿إن كنا فاعلين﴾ في " إن " هذه وجهان : أحدهما : أنها نافية ، أي : ما كنا فاعلين ، قاله قتادة ومقاتل وابن جريج.
والثاني : أنها شرطية ، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب " لو " عليه والتقدير : إن كنا فاعلين اتخذناه ولكنا لم نفعله ، لأنه لا يليق بالربوبية.
قوله : ﴿بل نقذف بالحق على الباطل﴾.
" بل " حرف إضراب عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه لذاته كأنه قال : سبحاننا أن نتخذ اللهو واللعب بل من موجب حكمتنا أن نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق.
والمعنى دع الذي قالوا فإنه كذب وباطل.
و " نقذف " نرمي ونسلط قال تعالى : ﴿ويقذفون من كل جانب دحورا﴾ [الصافات : ٨ ، ٩] أي يرمون بالشهب.

" بالحق " بالإيمان ، " على الباطل " على الكفر وقيل : الحق قول الله : إنه لا ولد له ، والبطل قولهم : اتخذ الله ولدا.
قوله : " فيدمغه " العامة على رفع الغين نسقا على ما قبله.
وقرأ عيسى بن عمر بنصبها قال الزمخشري : وهو في ضعف قوله : ٣٧٠٥ - سأترك منزلي لبني تميم
". (١)

٥٠١-"وهو الظاهر ، أو من كلام امرأة فرعون ؟ كأنها لما رأت ملأه أشاروا بقتله ، قالت له كذا ؛ أي : أفعل أنت ما أقول لك وقومك لا يشعرون أنا التقطناه - قال الكلبي ، وجعل الزمخشري الجملة من قوله : ﴿وقالت امرأة فرعون﴾ معطوفة على " فالتقطه " والجملة من قوله : ﴿إن فرعون وهامان﴾ إلى " خاطئين " معترضة بين المتعاطفين ، وجعل متعلق الشعور من جنس الجملة المعترضة أي : لا يشعرون أنهم على خطأ في التقاطه ، أو أن هلاكهم على يديه ، قال أبو حيان : ومتى أمكن حمل الكلام على ظاهره من غير فصل كان أحسن.
جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٢١٦
قوله : ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغا﴾ (قال الحسن : فارغا) من كل هم إلا هم موسى.
وقال أبو مسلم : فراغ الفؤاد هو الخوف والإشغاف ، كقوله : ﴿وأفئدتهم هوآء﴾ [إبراهيم : ٤٣].
وقال الزمخشري : فارغا صفرا من العقل ، والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والخوف.
وقال الحسن ومحمد بن إسحاق فارغا من الوحي الذي أوحينا إليها أن ﴿فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رآدوه إليك﴾ [القصص : ٧] فجاءها الشيطان وقال لها : كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجرا وثوابا ، وتوليت أنت قتله ، فألقيته في البحر ، وأغرقتيه ، ولما أتاها خبر موسى أنه وقع في يد فرعون فأنساها عظيم البلاء ما كان من عهد الله إليها.
وقال أبو عبيدة : فراغا من الحزن لعلمها بأنه لا يقتل ، اعتمادا على تكفل الله بمصلحته.
قال ابن قتيبة : وهذا **من العجائب** ، كيف يكون فؤادها فارغا من الحزن ، والله تعالى يقول : ﴿لولا اا
٢١٩
أن ربطنا على قلبها﴾ ؟ وهل يربط إلا على قلب الجازع المحزون ؟ ويمكن أن يجاب عنه بأنه لا يمتنع أنها لشدة ثقتها بوعد الله جاز عندها إظهار عدم الحزن ، وأيقنت إنها - وإن أظهرت ذلك - فإنه يسلم لأجل ذل الوعد.
إلا أنه كان في المعلوم أن الإظهار (يضر فربط) الله على قلبها.
قال المعربون : " فارغا " خبر أصبح أي : فارغا من العقل ، أو من الصبر ، أو من الحزن ، وهو أبعدها ، ويرده قراءات تخالفه.
فقرأ فضالة والحسن " فزعا " بالزاي من الفزع ، وابن عباس " قرعا " بالقاف وكسر الراء وسكونها ، من قرع رأسه إذا انحسر شعره ، (والمعنى : خلا من كل شيء ، وانحسر عنه كل شيء إلا ذكر موسى ، وقيل : الساكن الراء مصدر قرع

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع ص/٣٦٢٧

يقرع ، أي : أصيب ، وقرىء " فرغا " بكسر الفاء وسكون الراء ، والغين معجمة أي : هدرا ، كقوله) : ٣٩٧٥ - فإن يك قتلى قد أصيبت نفوسهم

فلن يذهبوا فرغا بقتل حبال

فرغا حال من " بقتل " ، وقرأ الخليل " فرغا " بضم الفاء وإعجام الغين من هذا المعنى ، ومنه قولهم دماهم بينهم فرغ أي : هدر.

قوله : ﴿إن كادت لتبدي به﴾ " إن " إما مخففة ، وإما نافية ، واللام إما فارقة وإما بمعنى إلا والباء في " به (مزيدة في المفعول ، أي : لتظهره ، وقيل : ليست زائدة بل سببية ، والمفعول محذوف ، أي : لتبدي القول بسبب موسى أو بسبب الوحي.

فالهاء يجوز أن تكون) راجعة إلى موسى ، أي : إن كادت لتبدي به أنه ابنها من شدة

٢٢٠

وجدها : وقال عكرمة عن ابن عباس : كادت تقول : وا اابناه حين رأت الموج يرفع التابوت ويضعه.

وقال الكلبي : كادت تظهر أنه ابنها حين سمعت الناس يقولون : إنه ابن فرعون.

وقال السدي : لما أخذ من الماء كادت تقول : هو ابني ، فعصمهما الله.

وقال بعضهم : الهاء عائدة إلى الوحي ، أي كادت تبدي بالوحي الذي أوحى الله إليها أنه يرده عليها.

قوله : ﴿إن كادت لتبدي به﴾ جوابها محذوف ، أي لأبدت ، كقوله : ﴿وهم بها لولا اا أن رأى برهان ربه﴾ [يوسف : ٢٤] والمعنى : لولا أن ربطنا على قلبها بالعصمة والصبر والتثبت.

﴿لتكون من المؤمنين﴾ متعلق بـ " ربطنا " ، والمعنى : لتكون من المؤمنين المصدقين بوعد الله ، وهو قوله : ﴿إنا رآدوه إليك﴾ [القصص : ٧].

قوله : ﴿وقالت لأخته قصيه﴾ أي : قصي أثر موسى ، تتبعي أمره حتى تعلمي خبره : وكانت أخته لأبيه وأمه واسمها مريم.

قال " فبصرت به " أي : أبصرته ، وقرأ قتادة " بصرت " بفتح الصاد وعيسى بكسرها.

قال المبرد : أبصرته وبصرت به بمعنى ، وتقدم معناه في طه.

و " عن جنب " في موضع الحال إما من الفاعل أي : بصرت به مستخفية كائنة عن جنب ، وإما من المجرور أي : بعيدا منها.

وقرأ العامة " جنب " بضمين وهو صفة لمحذوف ، أي : عن مكان بعيد ، وقال أبو عمرو بن العلاء : أي : عن شوق ، وهي لغة جذام ، يقولون : جنبت إليك أي : اشتقت.

(وقرأ قتادة والحسن والأعرج وزيد بن علي بفتح الجيم وسكون النون) ، وعن قتادة أيضا بفتحهما ، وعن الحسن " جنب " بالضم والسكون ، وعن

٢٢١

". (١)

٥٠٢-"ومنها الزينة وإن لم يكن نافعا كاللؤلؤ والمرجان ، كقوله تعالى : ﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ [النحل : ١٤] ، فالله تعالى ذكر أنواع النعم الأربعة ، وصدرها بالنعمة العظيمة التي هي الروح وهو العلم بقوله : ﴿علم القرآن﴾ [الرحمن : ٢] ، أو يقال : بأن المقصود منه عجائب الله لا بيان النعم ؛ لأن النعم سبق ذكرها فذكر خلق الإنسان من صلصال ، وخلق الجان من مارج من نار ، وهذان **من العجائب** الدالة على القدرة ، لا من النعم.

واعلم أن الأركان أربعة : التراب والماء والهواء والنار ، فالله تعالى بين بقوله : ﴿خلق الإنسان من صلصال﴾ ، أن التراب أصل لمخلوق عجيب ، وبين بقوله : ﴿وخلق الجآن من مارج من نار﴾ ، أن النار أيضا أصل لمخلوق عجيب ، وبين بقوله : ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ أن الماء أصل لمخلوق آخر كالحيوان عجيب ، بقي الهواء لكنه غير محسوس ، فلم يذكر أنه أصل مخلوق ، لكن بين كونه منشئا للجواري التي في البحر كالأعلام.

فقال : " وله الجوار ".

العامة على كسر " الراء " ؛ لأنه منقوص على " مفاعل " والياء محذوفة لفظا لالتقاء الساكنين.

وقرأ عبد الله والحسن ، ويروى عن أبي عمرو ، " برفع الراء تناسيا للمحذوف ".

ومنه : [الرجز] ٤٦٣٦ - لها بنات أربع حسان

وأربع فثغرها ثمان

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ٣١٣

وهذا كما قالوا : هذا شاك وقد تقدم تقرير هذا في الأعراف عند قوله : ﴿ومن فوقهم غواش﴾ [الأعراف : ٤١].

قوله : " المنشآت ".

قرأ حمزة ، وأبو بكر بخلاف عنه بكسر الشين ، بمعنى أنها تنشئ الموج بجريها ، أو تنشئ السير إقبالا وإدبارا ، أو التي رفعت شراعها ، والشراع : القلاع.

وعن مجاهد : كل ما رفعت قلعها فهي من المنشآت ، وإلا فليست منها ونسبة الرفع

٣٢١

إليها مجاز ، كما يقال : أنشأت السحابة المطر.

والباقون : بالفتح ، وهو اسم مفعول ، أي أنشأها الله ، أو الناس ، أو رفعوا شراعها.

وقرأ ابن أبي عبلة : " المنشآت " بتشديد الشين مبالغة.

والحسن : " المنشأة " بالإفراد وإبدال الهمزة ألفا وتاء محذوفة خطا ، فأفرد الصفة ثقة بإفهام الموصوف الجمعية ، كقوله : ﴿وأزواج مطهرة﴾ [آل عمران : ١٥].

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع ص/٣٩٩٤

وأما إبداله الهمزة ألفا وإن كان قياسها بين بين ، فمبالغة في التخفيف.

كقوله : [البسيط] ٤٦٣٧ - إن السباع لتهدا في مرابضها

....

أي : " لتهدأ " وأما كتابتها بإلقاء المحذوفة ، فاتباعا للفظها في الوصل.

و " في البحر " متعلق بـ " المنشآت " أو " المنشأة " ، ورسمه بالتاء بعد الشين في مصاحف " العراق " يقوي قرءاة الكسر ، ورسمه بدونها يقوي قراءة الفتح ، وحذفوا الألف كما تحذف في سائر جمع المؤنث السالم.

و " كالأعلام " حال ، إما من الضمير المستكن في " المنشآت " ، وإما من " الجواري " وكلاهما بمعنى واحد.

فصل في المراد بالجواري " الجواري " جمع جارية.

وهي اسم أو صفة للسفينة ، وخصها بالذكر ؛ لأن جريها في البحر لا صنع للبشر فيه ، وهم معترفون بذلك ، فيقولون : " لك الفلك ، ولك الملك ".

وإذا خافوا الغرق دعوا الله خاصة ، وسميت السفينة جارية ؛ لأن شأنها ذلك وإن كانت واقفة في الساحل كما سماها في موضع آخر بـ " الجارية " ، فقال تعالى : ﴿إنا لما طغا المآء حملناكم في الجارية﴾ [الحاقة : ١١].

٣٢٢

وسماها بالفلك قبل أن تكون كذلك ، فقال لنوح عليه الصلاة والسلام : ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ [هود : ٣٧] ثم بعد ما عملها سماها سفينة ، فقال : ﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة﴾ [العنكبوت : ١٥].

واعلم أن المرأة المملوكة تسمى أيضا جارية ؛ لأن شأنها الجري والسعي في حوائج سيدها ، بخلاف الزوجة ، فهو من الصفات الغالبة.

و " السفينة " : " فعيلة " بمعنى " فاعلة " عند ابن دريد ، أي : تسفن الماء و " فعيلة " بمعنى " مفعولة " عند غيره بمعنى منحوتة ، قال ابن الخطيب : فالفلك أولا ، ثم السفينة ، ثم الجارية.

والأعلام : الجبال ، والعلم : الطويل ، قال : [الرجز]

٤٦٣٨ - إذا قطعن علما بدا علم

وقالت الخنساء في صخر : [البسيط] ٤٦٣٩ - وإن صخرا لتأتم الهداة به

كأنه علم في رأسه نار

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ٣١٣

أي " جبل " ، فالسفن في البحر كالجبال في البر.

وجمع " الجواري " ووحد " البحر " ، وجمع " الأعلام " إشارة إلى عظمة البحر.

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ٣١٣

". (١)

٥٠٣-"سورة التحريم

مدنية ، وهي ثنتا عشرة آية ، ومئتان وسبع وأربعون كلمة ، وألف وستون حرفا.

جزء : ١٩ رقم الصفحة : ١٧٩

قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي لم تحرم مآ أحل الله لك﴾ ؟ .

قال ابن الخطيب : وجه تعلق هذه السورة بما قبلها ، وذلك لاشتراكهما في الأحكام المخصوصة بالنساء ، واشتراك الخطاب في الطلاق في أول تلك السورة يشترك مع الخطاب بالتحريم في أول هذه السورة ؛ لأن الطلاق في أكثر الصور يشتمل على تحريم ما أحل الله.

وأما تعلق أول هذه السورة بآخر السورة فلأن المذكور في آخر تلك السورة يدل على عظمة حضرة الله تعالى وعلى كمال قدرته وعلمه ، ولما كان خلق السماوات والأرض ، وما بينهما **من العجائب** والغرائب مما ينافي القدرة على تحريم ما أحل الله ، فلهذا قال : ﴿لم تحرم مآ أحل الله لك﴾.

فصل في سبب نزول الآية ثبت في صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ، فيشرب عندها عسلا ، قالت : فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا دخل النبي صلى الله عليه وسلم عليها فلتقل : إني أجد ريح مغفير ، فدخل على إحداهما ، فقالت له ذلك ، فقال : بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ، ولن أعود له " ، فنزل : ﴿لم تحرم مآ أحل الله لك﴾ لعائشة وحفصة.

١٨٤

وعنها أيضا قالت : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل ، فكان إذا صلى العصر دار على نسائه ، فدخل على حفصة ، فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فسلت عن ذلك ، فقيل لي : أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل ، فسقت منه رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة ، فقلت : أما - والله - لنحتالن له ، فذكرت ذلك لسودة ، وقلت إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك ، فقولي له : يا رسول الله ، أكلت مغافير ؟ فإنه سيقول لك : لا ، فقولي له : ما هذه الريح ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه أن يوجد منه الريح ؛ فإنه سيقول لك : سقيتني حفصة شربة عسل ، فقولي : جرست نحله العرفط ، وسأقول ذلك له ، وقوليه أنت يا صفية ، فلما دخل على سودة قالت سودة : والذي لا إله إلا هو ، لقد كدت أن أبادئه بالذي قلت لي ، وإنه لعلى الباب ، فرقا منك ، فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت : يا رسول الله ، أكلت مغافير ؟ قال : لا ، قلت : فما هذه الريح ؟ قال : سقتني حفصة شربة عسر ، قالت : جرست نحله العرفط ، فلما دخل علي قلت له مثل لك ، ثم دخل على صفية ، فقالت مثل ذلك ، فلما دخل على حفصة ، قالت له : يا رسول الله ، ألا أسقيك منه ؟ قال : لا حاجة لي به ، قالت : تقول سودة : سبحان الله ،

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع ص/٤٧٦٢

لقد حرمناه ، قالت : قلت لها : اسكتي " ففي هذه الرواية أن التي شرب عندها النبي صلى الله عليه وسلم العسل حفصة ، وفي الأولى زينب.

وروى ابن أبي مليكة عن ابن عباس : أنه شربه عند سودة.

وقد قيل : إنما هي أم سلمة ، رواه أسباط عن السدي.

وقال عطاء بن أبي مسلم.

قال ابن العربي : " وهذا كله جهل ، أو تصور بغير علم ".

فقال باقي نساه حسدا وغيرة لمن شرب ذلك عندها : إنا لنجد منك ريح المغافير.

والمغافير : بقلة أو صمغة متغيرة الرائحة ، فيها حلاوة ، واحدها : مغفور.

وجرست : أكلت ، والعرفط : نبت له ريح كريح الخمر.

وكان – عليه الصلاة والسلام – يعجبه أن يوجد منه الريح الطيبة ، ويكره الريح الخبيثة لمناجاة الملك.

١٨٥". [(١)]

٥٠٤–"الرسول – صلى الله عليه وسلم –، وإلى هذا يذهب أكثر أهل التفسير.

وقيل: المراد منها –بعموم الخطاب– العموم؛ يعني: النبي – صلى الله عليه وسلم –، وأصحابه؛ وكأنها خرجت على النهي عن طمع الإيمان منهم، كأنه قال: لا تطمعوا في إيمانهم.

كقوله: (أفأنت تنقذ من في النار)؛ أي: لا تنقذ.

وكقوله: (أفأنت تسمع الصم)؛ أي: لا تسمع الصم.

وقوله: (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه. . .) الآية.

لقائل أن يقول: أليس فيما كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه ما يجب أن يدفع الطمع عن إيمان هؤلاء؟

فهو – والله أعلم – لوجهين:

أحدهما: أنهم كانوا أصحاب تقليد؛ كقوله: (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون).

فأخبر – عز وجل – أن هؤلاء –وإن رأوا الآيات العجيبة– فإنهم لا يؤمنون أبدا؛ لأنهم أصحاب تقليد، لا ينظرون إلى الحجج والآيات.

والثاني: أنهم – مع كثرة ما عاينوا من الآيات، وشاهدوا **من العجائب** في عهد رسول الله موسى – صلى الله عليه وسلم – لم يطمع في إيمانهم، فكيف طمعتم أنتم في إيمان هؤلاء، وهم أتباعهم؟ والله الموفق.

ولهذا وجهان آخران:

أحدهما: كأنه قال: لا تطمع في إيمانهم؛ لأنهم – في علم الله على ما عليه من ذكر.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع ص/٤٩٦٤

والثاني: لأن أولئك كانوا خيرا من هؤلاء، وأرغب في الحق منهم، ثم لم يؤمنوا مع سماع الحجج، وما يجب به الإيمان، فكيف تطمع في إيمان هؤلاء؟

وقوله: (ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون).

أنه من عند الله، ويعلمون أنه رسول الله، وأنه حق.

وقوله: (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا (٧٦)

فقد ذكرنا فيما تقدم أنها في المنافقين نزلت.

وقوله: (وإذا خلا بعضهم إلى بعض).". (١)

٥٠٥-"أو يكون أحدهما على بصر الوجه، والثاني على بصر القلب.

والأشبه أن يكون على بصر القلب؛ لأنه قد سبق منه النظر إلى السماوات والأرضين ببصر الوجه، وسبق منه العلم من حيث النظر أنه لا تفاوت فيها ولا فطور، فدعاه إلى أن ينظر ببصر القلب؛ ليدله ذلك على المعاني التي ذكرناها؛ وهو كقوله - تعالى -: (فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)، وقال تعالى: (أولم يسيروا في الأرض)، ولم يرد به السير بالأقدام؛ إذ قد سبق منهم السير فيها، ولكن معناه: أو لم يتفكروا في عواقب من تقدمهم من مكذبي الرسل أنهم بأي سبب أهلكوا؛ ولأي معنى عوقبوا واستؤصلوا؟

ثم قوله: (فارجع البصر هل ترى من فطور (٣) ثم ارجع البصر كرتين. . . (٤). الآية منهم من قال: إن الكرتين هاهنا كناية عن مرة بعد مرة، ليس على تثنية العدد، فكأنه أمره أن يكون أبدا معتبرا ناظرا في خلق الرحمن؛ وإلى هذا يذهب الحسن والأصم.

وجائز أن يكون قوله: (كرتين) مرتين، ولكن على اختلاف الوقتين؛ فيكون أحد النظرين بالليل والآخر بالنهار؛ لأنه يرى بالليل آيات وبالنهار آيات سواها، وثبوت كل ذلك يدل على وحدانيته وعجيب حكمته ونفاذ قدرته وسلطانه.

أو أن تكون النظرة الأولى ببصر الوجه والنظرة الثانية ببصر القلب؛ لأنه إذا نظر النظرة الأولى ببصر وجهه، فرأى ما فيه **من العجائب** أشعر قلبه ما رأى، فينظر فيه مرة أخرى ببصر القلب؛ ليتأكد ذلك ويتكرر.

ويجوز أن يكون النظران جميعا ببصر الوجه؛ لأنه لا يستوعب النظر بالجملة في المرة الأولى؛ فينظر مرة أخرى؛ ليدرك ما غاب عنه في المرة الأولى.

وقوله - عز وجل -: (خاسئا).

أي: صاغرا مستسلما معترفا بالقصور عن درك كنه سلطانه والإحاطة بعظمته وجلاله.

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة ١/٤٩٧

(وهو حسير).

أي: منقطع عن درك بلوغ حكمته ونفاذ أمره.". (١)

٥٠٦-"الحجج التي ألزم قومه بها أنطق بها الله - عز وجل - لسانه ليلزم حججه خلقه، والله الموفق.

(ملكوت السماوات والأرض): الملك في الحقيقة من الوجه الذي يكون آية للإيقان ودليلا للإحاطة بالحق.

ثم اختلف في وجه ذلك:

فمنهم من قال: هو ما أرى بصره، أعني: بصر الوجه؛ نحو الذي ذكر من فتح السماء حتى رأى ما فيها **من العجائب** والآيات إلى العرش، أو حيث قد زوى الأرض حتى رأى ما فيها من أنواع الخلق إلى الثرى، أو حيث بلغ.

ومنهم من قال: رفع إلى السماء حتى كانت الأرض بمن فيها له رأي العين، وكان له - صلوات الله عليه مثل هذا من الأمور؛ نحو: أمر النار بالهجرة إلى حيث لا ضرع ولا زرع، وما جعل رزقه في أصابعه، وأمر بلوغ صوته في قوله - تعالى - : (وأذن في الناس بالحج)، أن كان على ما سمع منه، والله أعلم.

ومنهم من قال: هو ما أرى بصر قلبه من وجوه العبر وأنواع الأدلة عند التأمل في خلق الله بالفكر من غير أن كان في الخلق تغير على الأحوال التي كانت عليه، وهو أحق من يكون له في الذي كان كفاية عن حدوث أحوال تدل إذ هي حجج الله يستدل على قومه، من الوجه الذي جعل لجميع الخلق، لا من جهة خصوص آيات؛ فثبت أن ذلك كان له بهذا الوجه.

ثم هو يخرج على وجوه؛ منها: ما رأى من تسخير القمر والشمس والنجوم، وقطعها في كل يوم وليلة أطراف السماء والأرض جميعا، ومسيرها تحت الأرض إلى أن يعود كل إلى مطلعه، يسير كل ذلك ما فوق الأرض إلى السماء، واستواء أحوال ذلك على ما عليه حد في كل عام وشهر، لا يزداد ولا ينقص ولا يتقدم ولا يتأخر، مع". (٢)

٥٠٧-"أو أن يكونوا بحيث يهابون ويخاف منهم لئلا يدنو منهم أحد، ولا يقرب، فلا يوقظهم أحد، ليبقوا إلى المدة التي أراد الله أن يبقوا فيه؛ ولذلك يحتمل هذا المعنى في تقليب اليمين والشمال؛ فجائز أن يكن قوله: (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا) وذلك الخوف وتلك الهيبة: هيبة الدين، على ما روي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " نصرت بالرعب مسيرة شهرين "، وذلك لدينه ولحقيقة أمره؛ فعلى ذلك جائز أن يكون ما ذكر من هيبة أحوالهم لدينهم الذي اختاروا من بين قومهم وفارقوهم؛ ليسلم دينهم إلى مكان لا طعام فيه ولا شراب؛ وذلك لحقيقة ما اختاروا من الدين، كان ذلك لمعنى لم يطلع الله رسوله على ذلك؛ فلا نفسر، والله أعلم.

وقوله - عز وجل -: (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة ١٠٧/١٠

(٢) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة ١٣٢/٤

بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا (١٩) أي: كما أنبأكم من أنبائهم وقصصهم أو كما ضرب على آذانهم وأنامهم سنين كذلك يبعثهم.

وقوله: (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم) بعثهم؛ لما علم ما يكون منهم، وهو التساؤل، وهكذا جميع ما يخلق وينشئ، إنما يخلق وينشئ؛ لما يعلم أنه يكون منهم؛ كقوله: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا. . .) الآية، ذرأهم؛ لما علم أنه يكون منهم، وهو عمل أهل جهنم، وكذلك قوله: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) من علم أنه يعبده ويعمل له عمل أهل الجنة خلقه لذلك، هكذا كل ما يخلق، لما يعلم أنه يكون منه؛ إذ يخرج الفعل لذلك مخرج العجز والجهل بالعواقب، فإذا كان الله عالما بما كان ويكون، ويتعالى عن أن يكون فعله عبثا - لم يجز أن يخلق شيئا لغير ما علم أنه يكون، وهكذا في الشاهد من عمل عملا أو فعل فعلا لغير ما علم أنه يكون - فهو عابث أو جاهل بعواقبه، وبالله العصمة.

وقوله - عز وجل -: (قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم).

وتأويله ما ذكر: (ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا).

وقوله: (لبثنا يوما أو بعض يوم) قالوا ذلك، لما لم يروا في أنفسهم آثارا وأعلاما تدل على طول المكث والمقام فيه، ثم لما تذكروا أحوالهم، وما يرى النائم في نومه **من العجائب** وأشياء كثيرة، عرفوا أن ذلك القدر من الأشياء ومثل ذلك **من العجائب** التي رأوا لا يحتمل أن يكون في يوم أو بعض يوم، فعند ذلك وكلوا الأمر إلى الله، فقالوا: (ربكم أعلم بما لبثتم). وأما الذي أماته مائة عام لما بعثه قطع القول في ذلك، ولم يكل الأمر إلى الله حيث". [١]

٥٠٨-"أمرا أو استقبلهم أمر يستشيرون أولي الرأي من قومهم وأهل الحجى والتدبير منهم، ثم يعملون بتدبير يكون لهم وما يرون ذلك صوابا؛ وعلى ذلك أمر الله رسوله أن يشاور أصحابه بقوله: (وشاورهم في الأمر)، ثم أمره إذا عزم على الأمر أن يتوكل على الله في ذلك، وأن يكل أمره إليه.

وقوله: (حتى تشهدون): يحتمل وجهين:

ما كنت قاطعة أمرا حتى تحضروا.

أو ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدوا أنه صواب حق.

فأجابوها فيما طلبت منهم الرأي والتدبير في ذلك، فقالوا: (نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين (٣٣) أي: نحن أولو قوة في أنفسنا وأولو بأس شديد، أي: حرب وقتال شديد، أي: لنا معرفة في ذلك، ومع ما قالوا وكلوا الأمر إليها حيث قالوا: (والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين)، وهكذا الواجب على وزراء الملوك والرعية أنهم إذا استشاروهم في أمر أن يدلوهم على الأصوب والحسن لهم، ثم يكلوا الأمر إليهم.

وقصة سليمان صلوات الله عليه مع ما فيها **من العجائب** والآداب، ففيها معرفة سياسة الملوك وتعلم آدابهم؛ من ذلك:

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة ١٥١/٧

ما قال سليمان: (فهم يوزعون)، ومن ذلك قوله: (وتفقد الطير. . .) الآية، وقوله: (لأعذبنه عذابا شديدا)، أو من ذلك استشارة بلقيس أشراف قومها في ذلك وجوابات قومها لها، وإخبارها إياهم من طبع الملوك وعاداتهم من الإفساد والقتل والإذلال؛ حيث قالت: (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون (٣٤) قال أهل التأويل: هذه شهادة من الله لها بما قالت، والتصديق لها فيما أخبرت أنهم كذلك يفعلون بكبرائهم.

ثم قال: (وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون (٣٥) ذكر أنها قالت: إن لي في هذا رأيا، فإن يك صاحب دنيا فعسى أن نرضيه بالمال فيسكت عنا ويكف شره، وإن يكن نبيا فلا يقبل ذلك منا وسنعرف، فعملت ذلك وأرسلت إليه بهدايا، فلم يقبلها سليمان فعرفت أنه نبي، وهذا كان منها تدبيرا أو حسن الرأي في الأمر واحتيالا وفقت في ذلك، لم تشتغل بالحرب والقتال على ما أشار لها قومها.

وقال ابن عباس: " قالت بلقيس لما أتاها كتاب سليمان، واستشارت قومها في ذلك وطلبت فتياهم، فأفتوا لها بما أفتوا – قالت: أبعث إليه بهدية، فإن قبلها فهو ملك فأحاربه، وإن لم يقبلها فهو نبي أتابعه ".". [(١)]

٥٠٩-"التي لم يذكر أبلغ وأكثر نحو خلق الإنسان من هذه النطفة على الصورة التي صورها والنسمة التي خلقها فيها ما لو اجتمع حكماء البشر كلهم أن يعرفوا كيفية خلقه منها من تركيب العظم والشعر والعين – البصر – والسمع والعقل وجميع الجوارح – ما قدروا على درك ذلك، أو لو اجتمعوا على أن يعرفوا كيفية غذائهم بالأطعمة والأشربة التي جعلها غذاء لهم، والقوة التي بها يتقوون على كل أمر أن كيف قدر وقسم على السواء في الجوارح كلها؛ والمواد التي ينمون ويزيدون على الاستواء ما لو زاد في بعضها من قوى ذلك الطعام والشراب دون بعض يزداد قوة على بعض، ونحو ذلك **من العجائب** ما لا سبيل إلى معرفة ذلك ألبتة بعد طول التفكر والتأمل، لكنه احتج بالشيء الظاهر؛ ليدركوه بالبديهة ولا يدركون الآخر إلا بعد التأمل والتدبر، والله أعلم.

وقوله: (فإذا هو خصيم مبين).

أي: جدل بين.

وقوله: (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه (٧٨) ما ذكر من ضرب المثل له: (قال من يحي العظام وهي رميم).

وقوله: (ونسي خلقه) يحتمل وجوها:

أحدها: أي: غفل عن القدرة في خلق نفسه ما لو نظر وتفكر لعرف أنه قادر على الإعادة؟!

والثاني: غفل عن الحكمة في الإعادة؟.

والثالث: غفل عن الحكمة في ابتداء خلقه نفسه، ثم يخرج هذا على وجوه:

أحدها: أنه لو نظر وتفكر في حق نفسه أنه خلق من نطفة، ثم حول النطفة علقة، وحول العلقة مضغة، وحول المضغة

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة ١١٤/٨

خلقا وإنسانا تأما متقنا، ثم صيره بحيث يأخذ في النقصان بعد ما كان تاما، ثم من فعل هذا في الشاهد أن يحكم الشيء ويتقنه ويتمه ثم يهدمه بلا عاقبة تقصد به، كان غير حكيم فعلى ذلك كان ما أحكم الله من الخلق وأتقنه وتممه، ثم جعل ينقض منه ويوهنه، فلو لم يكن إعادته وخلقه ثانيا، كان خارجا عن الحكمة، فلو نظر في ابتداء خلق نفسه، لعرف أنه يعيده وينشئه ثانيا.

والثاني: لو نظر وتفكر في ابتداء خلق نفسه: أنه كيف دبره في تلك الظلمات الثلاث، وقدره على أحسن تقدير في ذلك، فلو نظر وتفكر أن من قدر على تدبيره وتقديره في الظلمات الثلاث على ما دبره وقدره - قادر على إعادته؛ وهو كقوله: (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)، أي: هو أهون في عقولكم وتقديركم". (١)

٥١٠-"قال زكريا مناجيا إلى الله سبحانه من غير التفات إلى جبرئيل رب أنى يكون لي غلام صدر هذا القول منه بمقتضى الطبع استبعادا عن مقتضى العادة أو استعظاما وتعجبا كل ذلك بمقتضى الطبع فان مقتضى الطبع قد يغلب على مقتضى العقل والا فالعقل والعلم يحكمان بانه لا استبعاد فى قدرة الله تعالى ولا تعجب كما ان موسى عليه السلام اعترض على خضر بعد ما عهد منه وقال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا - وقال عكرمة والسدى انه لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا هذا الصوت ليس من الله انما هو من الشيطان ولو كان من الله لاوحاه إليك فقال ذلك دفعا للوسوسة وقال الحسن انه قال ذلك استفهاما عن كيفية حدوثه يعنى باى وجه يكون لى غلام بان تجعلني وامراتى شابين وتزيل عقمها أو تهب لى الولد من امراة اخرى أو تهبه إيانا مع كوننا على حالتنا الاولى وقد بلغني الكبر هذا مقلوب أى قد بلغت الكبر وشخت أو المعنى أدركني كبر السن وضعفني وكان يومئذ ابن سنتين وتسعين سنة كذا قال الكلبي وقال الضحاك كان ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة وامرأتي عاقر لا تلد يستوى فيه المذكر والمؤنث قال كذلك الله يفعل ما يشاء (٣٠) خبر مبتدا محذوف أى الأمر كذلك أى يولد لك مع كونك شيخا وامرأتك عاقرا أو خبر والمبتدا الله يعنى كذلك الله وبيانه يفعل ما يشاء **من العجائب** أو الله مبتدا والجملة بعده خبره وكذلك فى محل النصب على المصدرية يعنى الله يفعل ما يشاء فعلا كذلك الفعل أى مثل ما وعدناك وان كان على خلاف العادة أو على الحالية من ما يشاء.

قال رب اجعل لي فتح الياء نافع وأبو عمر وأبو جعفر - أبو محمد أسكنها الباقون آية أى علامة اعلم بها وقت حمل امراتى فازيد فى العبادة شكرا لك قال آيتك

التفسير المظهري ج ٢قسم ١ ، ص : ٤٧". (٢)

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة ٥٤٠/٨

(٢) تفسير المظهرى ص/٩٢١

٥١١-"و لله ملك السماوات والأرض خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد والله على كل شي ء قدير (١٨٩) فيقدر على عقابهم - وفى هذه الآية رد لقولهم ان الله فقير - أخرج الطبراني وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال أتت قريش اليهود فقالوا بما جاءكم موسى من الآيات قالوا عصاه ويده بيضاء للناظرين - وأتوا النصارى فقالوا كيف كان عيسى قالوا « ١ » كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى - فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبا فدعا ربه فنزلت.

إن في خلق السماوات والأرض وما فيهما

---

(١) فى الأصل قال -

التفسير المظهري ج ٢قسم ١ ، ص : ١٩٧

من العجائب وافاضة الوجود على ماهيات لا يقتضى لذواتها وجودها واختلاف الليل والنهار تعاقبهما على نسق بديع ونظام حكيم وما يتعاقبان عليه لآيات دلائل واضحة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته وإرادته وحكمته لأولي الألباب (١٩٠) لذوى العقول المنزهة عن شوائب الأوهام ووساوس الشيطان عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها أخرجه ابن حبان فى صحيحه - وعن ابن عباس انه وقد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فراه استيقظ فتسوك وتوضأ وهو يقول ان فى خلق السموت والأرض حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين أطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات ست ركعات كل ذلك يستاك ويتوضأ ويقرأ هذه الآيات ثم أوتر بثلاث رواه مسلم.". (١)

٥١٢-"بل يريد الإنسان عطف على يحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون إيجابا لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم أو عن الاستفهام ليفجر أمامه يفجر منصوب بان مقدرة واللام زائدة قال مجاهد والحسن وعكرمه والسدى معناه لا يجهل ابن آدم ان ربه قادر على جمع عظامه لكنه يزيد ان يفجر ان يكفر امامه أى ما يأتي عليه من الزمان المستقبل فيدوم على الكفر لا ينزع عنه ولا يتوب وقال سعد بن جبير معناه يقدم الذنب ويوخر التوبة ويقول سوف أتقرب سوف اعمل حتى يأتيه الموت على شر حاله وقال الضحاك هو الأمل يقول اعيش فاصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس وابن زيد يكذب بما امامه من القيامة والبعث والحساب والفجور الميل سمى فاجرا لميله عن الحق.

يسئل حال من فاعل يفجر أى سائلا واستبعادا واستهزاء أيان متى يوم القيامة ط أى لا يكون ذلك.

فإذا برق البصر قرأ نافع برق بفتح الراء والباقون بكسرها وهما لغتان قال فى القاموس برق كفرح ونصر برقا وبروقا تحير حتى لا يطرف

التفسير المظهري ج ١٠ ، ص : ١٣٨

---

(١) تفسير المظهرى ص/١١٧٣

او دهش فلم يبصر وقال الفراء والخليل برق بالكسر أى تحير وفزع لا يرى **من العجائب** التي كان يكذبها فى الدنيا قيل ذلك عند الموت والصحيح انه يوم القيامة بقرينة ما عطف عليه.
وخسف القمر أى اظلم وذهب ضوءه.". (١)

٥١٣-" البقرة ١٦ - ١٧
عليه و إنما قال اشتروا الضلالة بالهدى ولم يكونوا على هدى لأنها فى قوم آمنوا ثم كفروا أو فى اليهود الذين كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه و سلم فلما جاءهم كفروا به أو جعلوا لتمكنهم منه كأن الهدى قائم فيهم فتركوه بالضلالة وفيه دليل على جواز البيع تعاطيا لأنهم لم يتلفظوا بلفظ الشرا ولكن تركوا الهدى بالضلالة عن اختيارهم وسمى ذلك شراء فصار دليلا لنا على أن من أخذ شيا من غيره وترك عليه عوضه برضاه فقد اشتراه وإن لم يتكلم به والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله فاستعير للذهاب عن الصواب فى الدين فما ربحت تجارتهم الربح الفضل على رأس المال والتجارة صناعة التاجر وهو الذى يبيع ويشترى للربح وإسناد الربح إلى التجارة من الإسناد المجازي ومعناه فما ربحوا فى تجارتهم إذ التجارة لا تربح ولما وقع شراء الضلالة بالهدى مجازا اتبعه ذكر الربح والتجارة ترشيحا له كقوله ... ولما رأيت النسر عز ابن دأية ... وعشش فى وكريه جاش له صدرى ...
لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر والمعنى أن مطلوب التجار سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوهما فرأس مالهم الهدى ولم يبق لهم مع الضلالة و إذا لم يبق لهم إلا الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح وان ظفروا بالأغراض الدنيوية لأن الضال خاسر و لأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وقيل الذين صفة أولئك وفما ربحت تجارتهم إلى آخر الآية فى محل الرفع خبر أولئك مثلهم كمثل الذى استوقد نارا لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة فالكشف وتتميما للبيان ولضرب الأمثال فى إبراز خفيات المعانى ورفع الأستار عن الحقائق تأثير ظاهر ولقد كثر ذلك فى الكتب السماوية ومن سور الانجيل سورة الأمثال والمثل فى أصل كلامهم هو المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر المثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا إلا قولا فيه غرابة ولذا حوفظ عليه فلا يغير وقد استعير المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذى استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التى وعد المتقون أى فيما قصصنا عليك **من العجائب** قصة الجنة العجيبة الشأن ثم أخذ فى بيان عجائبها ولله المثل الأعلى أى الوصف الذى له شأن من العظمة والجلالة ووضع الذى موضع الذين كقوله وخضتم كالذى خاضوا فلا يكون تمثيل الجماعة بالواحد أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الفوج الذى استوقد نارا على أن ذوات المنافقين

---
(١) تفسير المظهرى ص/٦٨٥٣

لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ومعنى ". (١)

٥١٤-" البقرة ٢٨ - ٢٩

استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله معنى الهمزة التي في كيف مثله فى قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان وهو الانكار والتعجب ونظيره أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح وكنتم أمواتا نطفا فى أصلاب آبائكم والواو للحال وقد مضمرة والاموات جمع ميت كالأقوال جمع قول ويقال لعادم الحياة أصلا ميت أيضا كقوله تعالى بلدة ميتا فأحياكم فى الأرحام ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم ثم يحييكم للبعث ثم إليه ترجعون تصبرون إلى الجزاء أو ثم يحييكم فى قبوركم ثم إليه ترجعون للنشور و إنما كان العطف الأول بالفاء والبواقي بثم لأن الإحياء الأول قد تعقب الموت بلا تراخ و اما الموت فقد تراخى عن الحياة والحياة الثانية كذلك تتراخى عن الموت إن ريد النشور و إن أريد إحياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع إلى الجزاء أيضا متراخ عن النشور و إنما أنكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها لأنها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر ولأنها تشتمل على نعم جسام حقها أن تشكر ولا تكفر هو الذى خلق لكم ما فى الأرض أى لأجلكم ولا نتفاعكم به فى دنياكم ودينكم اما الأول فظاهر واما الثاني فالنظر فيه وما فيه **من العجائب** الدالة على صانع قادر حكيم عليم وما فيه من التذكير بالآخرة لأن ملاذها تذكر ثوابها ومكارهها تذكر عقابها وقد استدل الكرخى و أبو بكر الرازي والمعتزلة بقوله خلق لكم على أن الأشياء التى يصح أن ينتفع بها خلقت مباحة فى الأصل جميعا نصب على الحال من ما ثم استوى إلى السماء الاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود أى قام واعتدل ثم قيل استوى إليه كالسهم المرسل أى قصده قصدا مستويا من غير أن يلوى على شيء ومنه قوله تعالى ثم استوى إلى السماء أى اقبل وعمد إلى خلق السموات بعد ما خلق ما فى الأرض من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو كأنه قيل ثم استوى إلى فوق والضمير فى فسواهن مبهم يفسره سبع سموات كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع إلى السماء ولفظها واحد ومعناها الجمع لأنها فى معنى الجنس ومعنى تسويتهن تعديل خلقن وتقويمه وإخلاؤه من العوج والفطور أو إتمام خلقهمن وثم هنا لبيان فضل خلق السموات على خلق الأرض ولا يناقض هذا قوله والأرض بعد ذلك دحاها لأن جرم الأرض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحوها فمتأخر وعن الحسن خلق الله الأرض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق ". (٢)

٥١٥-" الإسراء ١ - ٤

---

(١) تفسير النسفي ٢١/١

(٢) تفسير النسفي ٣٥/١

قال عليه السلام بينما انا في المسجد الحرام في ال عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق وقد عرج بي إلى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وقد أخبر قريشا عن عيرهم وعدد جمالها وأحوالها وأخبرهم أيضا بما رأى في السماء **من العجائب** وأنه لقى الأنبياء عليهم السلام وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وكان الاسراء قبل الهجرة بسنة وكان في اليقظة وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه و سلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية مثله وعلى الأول الجمهور إذ لا فضيلة للحالم ولا مزية للنائم إلى المسجد الأقصى هو بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لأنه متعبد الأنبياء عليهم السلام ومهبط الوحى وهو محفوف بالانهار الجارية والأشجار المثمرة لنريه أي محمدا عليه السلام من آياتنا الدالة على وحدانية الله وصدق نبوته وبرؤيته السموات وما فيها من الآيات انه هو السميع للاقوال البصير بالافعال ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل أسرى ثم باركنا ثم أنه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طريق البلاغة وآتينا موسى الكتاب وجعلناه أي الكتاب وهو التوارة هدى لبنى إسرائيل أن لا تتخذوا أي لا تتخذوا وبالياء أبو عمرو أي لئلا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه أموركم ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص أو على النداء فيمن قرأ لا تتخذوا بالياء على النهى أي قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا في السراء والضراء والشكر مقابلة النعمة بالثناء على المنعم وروى انه كان لا يأكل ولا يشرب ولا يلبس الا قال الحمد لله وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم وآية رشد الابناء صحة الاقتداء بسنة الآباء وقد عرفتم حال الآباء هنالك فكونوا أيها الابناء كذلك وقضينا إلى بنى إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض وأوحينا اليهم وحيا مقضيا أي مقطوعا مبتوتا بأنهم يفسدون في الأرض لا محالةوالكتاب التوارة ولتفسدن جواب قسم محذوف أو جرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال وأقسمنا لتفسدن في الأرض مرتين اولاهما قتل زكرياء عليه السلام وحبس أرمياء عليه السلام حين أنذرهم سخط الله والأخرى قتل يحيى بن زكرياء عليهما السلام وقصد قتل عيسى عليه السلام ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله من قوله أن فرعون علا في الأرض والمراد به البغى والظلم وغلبة ". [١]

٥١٦–" ثلت الجمع بين الاسرار والاعلان وثم تدل على تباعد الأحوال لأن الجهار أغلظ من الاسرار والجمع بين الأمرين أغلظ من افراد احدهما فقلت استغفروا ربكم من الشرك لأن الاستغفار طلب المغفرة فان كان المستغفر كافرا فهو من الكفرة وإن كان عاصيا مؤمنا فهو من الذنوب انه كان غفارا لم يزل غفارا الذنوب من ينيب اليه يرسل السماء المطر عليكم مدرارا كثيرة لدرور مفعال يستوي فيه المذكر والمؤنث ويمددكم بأموال وبنين يزدكم أموالا وبنين ويجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم أنهارا جارية لمزارعكم وبساتينكم وكانوا يحبون الاموال والأولاد فحركوا بهذا على الايمان وقيل لما كذبوه بعد طول تكريره الدعوة حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة أو سبعين فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله الخصب ورفع عنهم ما كانوا فيه وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رأيناك

---

(١) تفسير النسفي ٢/٢٧٨

استسقيت فقال لقد استقيت بمجاديح السماء التي يستنزل به المطر شبه عمر الاستغفار بالأنواء الصادقة التي لا تخطئ وقرأ الآيات وعن الحسن أن رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر آخر قلة النسل وآخر قلة ربع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أبوابا فأمرتم كلهم بالاستغفار فتلا الآيات ما لكم لا ترجون اله وقارا لا تخافون لله عظمة عن الأخفش قال والرجاء هنا الخوف لأن مع الرجاء طرفا من الخوف ومن اليأس والوقار العظمة أو لا تأملون له توقيرا أي تعظيما والمعنى ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم في دار الثواب وقد خلقم أطوارا في موضع الحال أي مالكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للايمان به لأنه خلقكم أطوارا أي تارات وكرات خلقكم أولا نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقك مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما نبههم أولا على النظر في أنفسهم لأنها أقرب ثم على الظر في العالم وما سوى فيه **من العجائب** الدالة على الصانع بقوله ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا بعضا على بعض وجعل القمر فيهن نورا أي في السموات وهو في السماء الدنيا لأن بين السموات ملابسة من حيث أنها طباق فجاز أن يقال فيهن كذا وإن لم يكن في جميعهن كما يقال في المدينة وكذا وهو في بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم أن الشمس والقمر وجوههما مما يلي السموات وظهورهما مما يلي الأرض فيكن نور القمر محيطا بجميع السموات لأنها لطيفة لا تحجيب نوره وجعل الشمس سراجا مصباحا يبصر أهل الدنيا في ضوئها كما يبصر أهل البيت ". (١)

٥١٧-"من مبلغ أفناء يعرب كلها ... أني بنيت الجار قبل المنزل

فلولا بناء الدار لم يصح بناء الجار ، وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه :

إذا ما استحين الماء يعرض نفسه ... كرعن بسبت في إناء من الورد

فيصف كثرة مياه الأمطار في طريقه ، وأنه أينما ذهب رأى الماء وكأنه يعرض نفسه على النوق فتستحيي فتكرع فيه مشافر كأنها السبت وهو الجلد المدبوغ بالقرظ ، وشبه الأرض وفيها الماء وحواليه الأزهار بإناء من الورد . وفيه لغتان : استحييت منه واستحييته وهما محتملتان ههنا . وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم ، وفي الحديث : ضرب رسول الله A خاتما من ذهب . و « ما » هذه إبهامية ، إذا اقترنت باسم نكرة زادته شياعا وعموما كقولك « أعطني كتابا ما » تريد أي كتاب كان ، أو صلة للتأكيد كالتي في قوله ﴿ فيما نقضهم ﴾ [النساء : ١٥٥] أي مثلا حقا أو ألبتة . وانتصب ﴿ بعوضة ﴾ بأنها عطف بيان و ﴿ مثلا ﴾ وذلك أن ما يضرب به المثل قد يسمى مثلا كما يقال : حاتم مثل في الجود . أو مفعول ل ﴿ يضرب ﴾ و ﴿ مثلا ﴾ حال عن النكرة مقدمة عليها ، أو انتصبا مفعولين فجرى « ضرب » مجرى « جعل » . والبعوض في أصله صفة على فعول من البعض القطع فغلبت ، ومنه بعض الشيء لأنه قطعة منه وفي معناه البضع والعضب . ومن غرائب خلقه أنه مع صغره أعطي كل ما أعطي الفيل مع كبره ، ففيه إشارة إلى أن خلق أحدهما ليس أصعب من خلق الآخر ، وإشارة إلى حالة الإنسان وكمال استعداده كما قال A : « إن الله خلق آدم على

---

(١) تفسير النسفي ٤/٢٨٣

صورته » أي على صفته فأعطاه على ضعفه من كل صفة من صفات جماله وجلاله أنموذجا ليشاهد في مرآة نفسه جمال صفات ربه . ومن العجائب أن خرطومه في غاية الصغر ، ومع ذلك مجوف . ومع فرط صغره وكونه مجوفا يغوص في جلد الجاموس والفيل على ثخانته كما يضرب الرجل أصبعه في الخبيص ، وذلك لما ركب الله تعالى في رأس خرطومه من السم . وقوله ﴿ فما فوقها ﴾ أي فالذي هو أعظم منها في الجثة كالذباب والعنكبوت والحمار والكلب ، فإن القوم أنكروا تمثيل الله بكل هذه الأشياء ، أو أراد فما فوقها في الصغر كجناح البعوضة حيث ضربه A مثلا للدنيا ، وهذا أولى لأن الآية نزلت في بيان أن الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الحقير ، فيجب أن يكون المذكور ثانيا أحقر من الأول . والفاء ههنا تفيد الترتيب في الذكر لأنه يذكر في هذا المقام الأخس فالأخس كقوله :". (١)

٥١٨-"﴿ إنه لقول رسول كريم . ذي قوة عند ذي العرش مكين . مطاع ثم أمين ﴾ [التكوير : ١٩-٢١] ثم وصف محمدا A بقوله ﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾ [التكوير : ٢٢] وشتان بين الوصفين . ورد بأنه وإن وصفه ههنا بهذا القدر لاقتضاء المقام ذلك فقط ، فقد وصفه في مواضع أخر بما يليق به ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ﴾ [الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦] .

الثامنة عشرة : إن جبريل كان معلما للنبي A ولغيره من الأنبياء ، لا في العلوم التي لا يتوصل إليها إلا بالعقل . كالعلم بذات الله تعالى ، بل في العلم بكيفية مخلوقاته وما فيها من العجائب ، والعلم بأحوال العرش والكرسي والجنة والنار وأطباق السموات وأصناف الموجودات وأحوال الأمم الخالية والقرون الماضية ، والمعلم أفضل ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ [الزمر : ٩] ومنع من كون الملائكة أعلم بدليل قصة آدم ، ولأن تعليم جبريل كان بالحقيقة تعليم الله تعالى ولم يكن جبريل إلا واسطة ، ولئن سلم مزيد علمهم منع كثرة ثوابهم .

التاسعة عشرة : ﴿ ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم ﴾ [الأنبياء : ٢٩] وهذه تدل على أنهم بلغوا في الترفع إلى حد لو خالفوا أمر الله لما خالفوه إلا في ادعاء الإلهية . ورد بأن مزيد قدرتهم لا يوجب مزيد ثوابهم .

العشرون : قال A حكاية عن الرب تعالى « إذا ذكرني عبدي في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملائه » وهذا يدل على أن الملأ الأعلى أشرف . ورد بعد قبول خبر الواحد أنه لا يلزم منه إلا أن الملأ الأعلى خير من ملأ عوام البشر ، ولا يلزم من ذلك كونهم أفضل من الأنبياء .

واعلم أن الفلاسفة اتفقوا على أن الأرواح السماوية المسماة بالملائكة عندهم أفضل من الأرواح الناطقة البشرية لوجوه :

الأول : الملائكة ذواتها بسيطة مبرأة عن الكثرة ، والبشر مركب من النفس والبدن ، ولكل منهما قوى وأجزاء ، والبسيط خير من المركب ، لأن أسباب العدم للمركب أكثر منها للبسيط . وعورض بأن المستجمع للروحاني والجسماني ينبغي أن يكون أفضل مما له طرف الروحاني فقط ، ولهذا جعل أبو البشر مسجودا للملائكة ، وبأن الملائكة ليس لها إلا الاستغراق في مقاماتها النورية . والنفوس البشرية قواها وافية بكلا الطرفين ، ومحيطة بضبط أحوال العالمين فتكون أفضل .

---

(١) تفسير النيسابوري ١٤٢/١

الثاني : الجواهر الروحانية بريئة عن الشهوة والغضب المستلزمين للفساد وسفك الدماء بخلاف البشر . ورد بأن الخدمة مع كثرة العلائق أدل على الإخلاص . وأيضا من البين أن درجتهم حين قالوا ﴿ لا علم لنا إلا ما علمتنا ﴾ أعلى منها حين قالوا ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ [البقرة : ٣٠] وما ذاك إلا بسبب الانكسار الحاصل من الزلة ، وهذا في البشر أكثر ، ولهذا قال A حاكيا عن ربه". (١)

٥١٩-"والمراد بتصريفها تقليبها في جهات العالم على حسب المصالح شمالا وجنوبا وشرقا وغربا أي صبا ودبورا على كيفيات متخالفة حارة وباردة وعاصفة ورخاء . ومن قرأ الريح بالموحدة فليس فيها دلالة على العذاب في هذا المقام ، والذي جاء في الحديث أنه A كان إذا هبت الريح قال : « اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا » . فلا يدل إلا على أن مواضع الرحمة بالجمع أدل كما قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات ﴾ [الروم : ٤٦] وقال ﴿ وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ﴾ [الذاريات : ٤١] وقد تختص اللفظة في القرآن بشيء فتكون أمارة له . فمن ذلك أن عامة ما جاء في التنزيل من قوله ﴿ وما يدريك ﴾ مبهم غير معين قال ﴿ وما يدريك لعل الساعة قريب ﴾ [الشورى : ١٧] وما كان من لفظ « أدراك » فإنه مفسر ﴿ وما أدراك ما القارعة ﴾ [القارعة : ٣] ﴿ وما أدراك ما هيه ﴾ [القارعة : ١٠] .

الثامنة : السحاب المسخر بين السماء والأرض سمي سحابا لانسحابه في الهواء . ومعنى التسخير التذليل . وذلك أن طبع الماء ثقيل يقتضي النزول فكان بقاؤه في جو الهواء على خلاف طبعه بقاسر ومخسر . وأيضا لو دام لعظم ضرره من حيث إنه يستر ضوء الشمس ويكثر الأنداء والأمطار ويتعذر التردد في الحوائج ، ولو انقطع لعظم ضرره لاستلزامه الجدب والإمحال ، فكان تقديره بالمقدار المعلوم والإتيان به في وقت الحاجة ودفعه عند زوالها بمدبر ومسخر لا محالة . وفي نفس السحاب من عظمه وتراكمه وارتفاعه وانخفاضه وانبساطه وتخلخله وسده الأفق في لحظة وانقشاعه في أخرى واشتماله على الرعد والبرق والسحمة والتطبيق إلى غير ذلك **من العجائب** دلالات واضحة على كمال حكمة موجده ومقدره . وأما قوله تعالى ﴿ الآيات ﴾ فيحتمل أن يكون راجعا إلى الكل أي مجموع هذه الأشياء الثمانية آيات ، ويحتمل أن يكون راجعا إلى كل واحد فإن كل واحد منها يدل على مدلولات كثيرة كما فصلنا . وأيضا فكل واحدة منها من حيث إنها موجودة فدل على وجود موجدها ، وكونه قادرا ومن حيث إنها وقعت على وجه الإحكام والإتقان تدل على علم الصانع ، ومن حيث حدوثها واختصاصها بوقت دون وقت تدل على إرادته واختياره ، ومن حيث إنها وجدت على الاتساق والانتظام دلت على وحدانية الله تعالى ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] . وأما قوله تعالى ﴿ لقوم يعقلون ﴾ فإنما خص الآيات بهم لأنهم الذين يتمكنون من النظر فيه والاستدلال به . وفي الآية من الفوائد أن التقليد مذموم فيما إلى تحقيقه سبيل . وفيها أن جميع المعارف ليست ضرورية وإلا لم يحتج إلى النظر في شيء منها ، وإنما خص الآيات الثمانية بالذكر مع أن سائر الأجسام والأعراض مستوية في الاستدلال بها على وجود الصانع بل كل ذرة من الذرات ، لأنها جامعة

---

(١) تفسير النيسابوري ١/١٨٣

بين كونها نعما على المكلفين ، ومتى كانت الدلائل كذلك كانت أنجع في القلوب وأشد تأثيرا في الخواطر . عن رسول الله A « ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها » أي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها حسبي الله ونعم الوكيل .". (١)

٥٢٠-"وذلك أنه لما خص بأعظم آيات الربوبية ناسب أن يخص بأشق سمات العبودية فبقدر هضم النفس يترقى العبد في مدارج الأنس ويصل إلى معارج القدس وتنخرق له الحجب الناسوتية ويطلع على الحكم اللاهوتية ويفهم معاني القرآن ويتبدل له العلم بالعيان وكان حينئذ **من العجائب** ما كان . وفي إنزال القرآن في رمضان أقوال . فعن سفيان بن عيينة أنزل في فضله القرآن كما تقول أنزل في علي عليه السلام كذا . وقال ابن الأنباري : أنزل في إيجاب صومه على الخلق القرآن كما تقول : أنزل الله في الزكاة كذا أي في إيجابها ، وأنزل في الخمر كذا أي في تحريمها . والقولان متقاربان ، أو هما واحد فإنه لم ينزل سوى قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ﴾ الآيات . واختيار الجمهور أن الله تعالى أنزل القرآن في رمضان . عن النبي A « نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين والإنجيل لثلاث عشرة والقرآن لأربع وعشرين » ثم إنه لا شك أن القرآن قد نزل منجما مفرقا على حسب المصالح والوقائع ، فأولت الآية بأن المراد أنه ابتدئ فيه إنزاله وذلك ليلة القدر . ومبادئ الملل والدول هي التي يؤرخ بها لشرفها وانضباطها . وهذا قول محمد بن إسحق . أو أنه أنزل جملة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل إلى الأرض نجوما ، وليس يبعد أن يكون للملائكة الذين هم سكان سماء الدنيا مصلحة في إنزال ذلك إليهم ، وفيه مصلحة للرسول من حيث توقع الوحي عن أقرب الجهات . ولعل فيه مصلحة لجبريل المأمور بالإنزال والتأدية ولا سيما على رأي الفلاسفة الذين جبريل عندهم هو العقل الفعال الأخير الذي يدير عالم الكون والفساد وخاصة نوع الإنسان . وعلى هذا القول يحتمل أن يقال : إن الله تعالى أنزل كل القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ليلة القدر ، ثم نزله على محمد A منجما إلى آخر عمره . ويحتمل أن يقال : إنه سبحانه كان ينزل إلى السماء الدنيا ليلة القدر كل سنة ما يحتاجون إليه في تلك السنة وكذلك أبدا إلى أن تم إنزاله . وعلى هذا يكون تعين رمضان الذي أنزل فيه القرآن نوعيا لا شخصيا ﴿ هدى للناس وبينات ﴾ منصوبان على الحالية أي أنزل وهو هداية للناس إلى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات من جملة ما يهدي إلى الحق ويفرق بينه وبين الباطل من الكتب السماوية وذلك أن الهدى قسمان : جلي مكشوف وخفي مشتبه ، فوصفه أولا بجنس الهداية ثم قال : إنه من نوع البين الواضح . ويحتمل أن يقال : القرآن هدى من نفسه ومع ذلك ففيه أيضا بينات من هدى الكتب المتقدمة ، فيكون المراد بالهدى والفرقان والتوراة والإنجيل ، أو يقال : الهدى الأول أصول الدين ، والثاني فروعه ، فيزول التكرار .". (٢)

---

(١) تفسير النيسابوري ٣٩١/١

(٢) تفسير النيسابوري ٤٣٢/١

٥٢١-"وفيه أنه لا ضد له ولا ند إذ لو كان في الوجود واجب آخر لكانت مفاتح الغيب حاصلة أيضا عنده فيبطل هذا الحصر ، ولا يمكن أن تكون هذه المفاتح عند شيء من الممكنات لأن المحاط لا يحيط بمحيطه فلا يحيط ما دون الواجب بالواجب ، فلا يكون المفتاح الأول للعلم بجميع المعلومات إلا عنده . ثم إن قوله ﴿ وعنده مفاتح الغيب ﴾ قضية معقولة مجردة ، والإنسان الذي يقوي على الإحاطة بمعنى هذه القضية نادر جدا والقرآن إنما نزل لينتفع به جميع الناس فذكر من الأمور المحسوسة الداخلة تحت تلك القضية الكلية أمثالا لها ليعين الحس العقل فقال ﴿ ويعلم ما في البر والبحر ﴾ لأن ذكر هذا المحسوس يكشف عن حقيقة عظيمة لذلك المعقول ، وقدم ذكر البر لأن الإنسان قد شاهد أحوال البر وكثرة ما فيه من المدن والقرى والجبال والتلال والمعادن والنبات والحيوان ، وأما البحر فإحاطة الحس بأحواله أقل مع كثرة ما فيها من العجائب والغرائب أيضا . ثم أفرد من هذه المحسوسات قسما فقال ﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ﴾ أي لا يتغير حال ورقة إلا والحق يعلمها . ثم عدل عن التعجيب من كثرة المدركات إلى التعجيب من صغر المدرك وخفائه فقال ﴿ ولا حبة في ظلمات الأرض ﴾ وفي تخصيص الحبة والورقة تنبيه للمكلفين على أمر الحساب لأنه إذا كان بحيث لا يهمل أمر الأشياء التي ليس لها ثواب ولا عقاب فلأن لا يهمل أمر المكلفين أولى . ثم عاد إلى ذكر القضية الكلية المجردة بعبارة أخرى فقال ﴿ ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ قال في الكشاف : ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كأنه قيل : وما يسقط شيء من هذه الأشياء إلا وهو يعلمه . وقوله ﴿ إلا في كتاب مبين ﴾ كالتكرير لقوله ﴿ إلا يعلمها ﴾ ومعنى ﴿ إلا في كتاب مبين ﴾ واحد . والكتاب المبين علم الله أو اللوح . قال علماء التفسير : يجوز أن يكون الله جل شأنه أثبت كيفية المعلومات في كتاب من قبل أن يخلق الخلق لتقف الملائكة على نفاذ علمه في المعلومات وأنه لا يغيب عنه شيء ، فيكون في ذلك عبرة كاملة للملائكة الموكلين باللوح المحفوظ لأنهم يقابلون به ما يحدث في العالم فيجدونه موافقا له . أو لأنه إذا كتب أحوال جميع الموجودات في ذلك الكتاب على التفصيل التام امتنع تغيرها وإلا لزم الكذب أو الجهل فتصير كتبة جملة الأحوال في ذلك الكتاب سببا تاما في أنه يمتنع تقدم ما تأخر وتأخر ما تقدم .". (١)

٥٢٢-"فإن الجوهر الفرد يمكن وقوعه في أحياز لا نهاية لها على البدل ، ويمكن اتصافه بصفات لا نهاية لها على البدل ، فكل تلك الأحوال التقديرية معلومة لله تعالى ، وكل تلك الأحوال دالة على حكمة الله تعالى وعظمة قدرته ، وإذا كان الجوهر الفرد كذلك فكيف كل الملكوت! ولهذا قيل : السفر إلى الله تعالى له نهاية ، فأما السفر في الله سبحانه فإنه بلا نهاية . والملكوت هو الملك والتاء للمبالغة كالرغبوت من الرغبة والرهبوت ومن الرهبة . قال بعضهم : إنه سبحانه أراه الملكوت بالعين . قالوا : شق له تحت السموات حتى رأى العرش والكرسي إلى منتهى الأجرام العلوية ، وشق له الأرض إلى ما تحت الثرى فرأى ما فيها من البدائع والعجائب . عن ابن عباس أنه قال : لما أري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وأري ما فيها وما في الأرض من العجائب رأى عبدا على فاحشة فدعا عليه وعلى آخر بالهلاك ، فقال الله تعالى له : كف عن عبادي فهم بين خلال ثلاث : إما أن أجعل منهم ذرية طيبة ، أو يتوبون فأغفر لهم ، أو النار من ورائهم .

---

(١) تفسير النيسابوري ٣/٢٨٢

وقال الأكثرون : إن هذه الإراءة كانت بعين البصيرة ، لأن ملك السموات والأرض لا يرى وإنما يعرف بالعقل ولو أريد نفس السموات والأرض صار لفظ الملكوت ضائعا . وأيضا قوله ﴿ فلما جن عليه الليل ﴾ جار مجرى الشرع والتفسير لتلك الإراءة فثبت أنه استدل بتغير الأجرام وإمكانها وحدوثها على وجود الإله الواجب الحكيم . ثم قال بالآخرة ﴿ وتلك حجتنا ﴾ والرؤية بالعين لا تصير حجة على قومه . وأيضا الإراءة بالعين تفيد العلم الضروري بالإله القادر ومثل هذه المعرفة لا توجب المدح والثواب كما للكفار في الأخرة . وأيضا اليقين عبارة عن تحصيل علم بالتأمل إذا كان مسبوقا بالشك ، فالمراد نري إبراهيم ليستدل بها وليكون من الموقنين ، أو ليكون من الموقنين نريه ، أو فعلنا ذلك وذلك أن الإراءة قد تصير سببا للجحود لا الإيقان كما في حق فرعون ﴿ ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى ﴾ [طه : ٥٦] وأيضا الإنسان لا يمكنه أن يرى بالعين أشياء كثيرة دفعة واحدة على سبيل الكمال ، وبتقدير الإمكان لا يكون لها دوام وبقاء ، وبتقدير البقاء تكون شاغلة للرائي عن الله .". (١)

٥٢٣-"﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ [النمل : ٤٠] . وكان عرش بلقيس في أقصى اليمن وسليمان في الشام . وعلى قول من يقول إن الإبصار بخروج الشعاع فإنما ينتقل شعاع العين من البصر إلى الكواكب الثابتة في آن واحد ، فيثبت أن المعراج أمر ممكن في نفسه . أقصى ما في الباب الاستبعاد وخرق العادة ولكنه ليس مخصوصا بهذه الصورة وإنما ذلك أمر حاصل في جميع المعجزات . وعن الثاني أن انخراق الأفلاك عند حكماء الإسلام جائز . وعن الثالث أن فائدة الإسراء قد عادت إليه حيث شاهد العالم العلوي والعرش والكرسي وما فيها وعليها فحصل في قلبه زيادة قوة وطمأنينة ، بها انقطعت تعلقاته عن الكونين ولم يبق مشغول القلب بشيء من أمور الدنيا والآخرة . وعن الرابع أن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد . وعن الخامس أن تلك الرؤيا هي غير حكاية المعراج كما سيجيء في تفسيره ، ولو سلم أنها هي المعراج فالرؤيا بمعنى الرؤية . وعن السادس أنه لا اعتراض على الله تعالى في شيء من أفعاله وأنه على كل شيء قدير . واعلم أنه ليس في الآية دلالة على العروج من بيت المقدس إلى السموات وإلى ما فوق العرش إلا أنه ورد الحديث به ، ومنهم من استدل على ذلك بأول سورة النجم أو بقوله ﴿ لتركبن طبقا عن طبق ﴾ [الانشقاق : ١٩] وتفسيرهما مذكور في موضعه .

يروى أنه A نائما في بيت أم هانيء بعد صلاة العشاء فأسري به ورجع من ليلته وقص القصة على أم هانيء وقال : مثل لي النبيون وصليت بهم . وقام ليخرج إلى المسجد فتشبثت أم هانيء بثوبه فقال : مالك؟ قالت : أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم قال : وإن كذبوني . فخرج فجلس إليه أبو جهل فأجهل فأخبره رسول الله A بحديث الإسراء به وأنه أسري به من مكة إلى بيت المقدس ومنه عرج إلى السماء ورأى ما فيها **من العجائب** ولقي الأنبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى . فقال أبو جهل : يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم ، فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وإنكارا ، وارتد ناس ممن كان آمن به . وسعى رجال إلى أبي بكر Bه فقال : إن كان قال ذلك لفد صدق . قالوا :

---

(١) تفسير النيسابوري ٣/٢٩٦

أتصدقه على ذلك؟ قال : إني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي الصديق . وكان فيهم من سافر إلى الشام فاستنعتوه المسجد فجلى له A بيت المقدس فطفق ينظر إليه وينعته لهم فقالوا : أما النعت فقد أصاب . فقالوا : أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالهم وأحوالها وقال : تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق ، فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم : هذه والله الشمس قد شرقت ، وقال آخر : وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد A ، ثم لم يؤمنوا وقالوا : ما هذا إلا سحر مبين .". (١)

٥٢٤-"التفسير : لما وبخ الكفار بعدم السير في الأرض للنظر والاعتبار أو بعدم النظر في أحوال الماضين مع السير في الأقطار وقد وصف الماضين بكثرة العدد والآثار الباقية ، أراد أن يصرح بقصة واحدة من قصصهم تسلية للنبي A وزيادة توبيخ وتذكير لهم . وكان في قصة موسى وفرعون **من العجائب** ما فيها ، فلا جرم أوردها ههنا مع فوائد زائدة على ما في المواضع الأخر منها : ذكر مؤمن من آل فرعون وما وعظ ونصح به قومه . ولأن القصة قد تكررت مرارا فلنقتصر في التفسير على ما يختص بالمقام . قوله ﴿ بالحق ﴾ أي بالمعجزات الظاهرة . وقوله ﴿ اقتلوا ﴾ يريد به إعادة القتل كما مر في « الأعراف » في قوله ﴿ سنقتل أبناءهم ﴾ [الآية : ١٢٧] قوله ﴿ إلا في ضلال ﴾ أي في ضياع واضمحلال . فإن كان اللام في ﴿ الكافرين ﴾ للجنس فظاهر لأن وبال كيدهم يعود بالآخرة عليهم حين يهلكون ويدخلون النار ، وإن كان للعهد وهم فرعون وقومه فأظهر كما قص عليك من حديث إغراقهم وإستيلاء موسى وقومه على ديارهم . قوله ﴿ ذروني أقتل موسى ﴾ ظاهره مشعر بأن قومه كانوا يمنعونه من قتله وفيه احتمالات : الأول لعله كان فيهم من يعتقد نبوة موسى فيأتي بوجوه الحيل في منع فرعون . الثاني قال الحسن : إن أصحابه قالوا لا تقتله فإنما هو ساحر ضعيف ولا يمكنه أن يغلب سحرتك ، وإن قتلته أدخلت الشبهة على الناس وقالوا : إنه كان محقا وعجزوا عن جوابه فقتله . الثالث : لعل مراد أمرائه أن يكون فرعون مشغول القلب بأمر موسى حتى إنهم يكونون في أمن وسعة . قال جار الله : إن فرعون كان فيه خب وجريرة وكان قتالا سفاكا للدماء في أهون شيء فكيف لا يقصد قتل من أحسن بأن في وجوده هدم ملكه وتغيير ما هو عليه من عبادة أصنامه كما قال ﴿ إني أخاف أن يبدل ﴾ الآية . ولكنه كان قد استيقن أنه نبي وكان يخاف إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك . قال : وقوله ﴿ وليدع ربه ﴾ شاهد صدق على فرط خوفه من دعوة ربه . وقال غيره : هو على سبيل الاستهزاء يعني إن أقتله فليقل لربه الذي يدعي وجوده حتى يخلصه . ومعنى تبديل الدين تغيير عبادة الأصنام كما مر في « الأعراف » في قوله ﴿ ويذرك وآلهتك ﴾ [الآية : ١٢٧] والفساد التهارج والتنازع واختلاف الآراء والأهواء ، أراد أن يحدث لا محالة من إبقائه فساد الدين والدنيا جميعا ، أو أحد الأمرين على القراءتين .". (٢)

---

(١) تفسير النيسابوري ٥/٨١

(٢) تفسير النيسابوري ٦/٤٣٠

٥٢٥-"﴿ فلما وضعتها ﴾ اى ولدت النسمة وهى انثى ﴿ قالت ﴾ حنة وكانت ترجو ان تكون غلاما ﴿ رب انى ﴾ التأكيد للرد على اعتقادها الباطل ﴿ وضعتها انثى ﴾ تحسرا على ما رأته من خيبة رجائها وعكس تقديرها والضمير المتصل عائد الى النسمة وانثى حال منه ﴿ والله اعلم بما وضعت ﴾ تعظيم من جهته تعغلى لموضوعها فانها بما تحسرت وتحزنت على ان ولدت انثى قال الله تعالى انها لا تعلم قدر هذا الموهوب والله وهو العالم بالشىء الذى وضعته وما علق به من العجائب وعظائم الامور فانه تعالى سيجعله وولدة آية للعالمين وهى جاهل بذلك لا تعلم به فلذلك تحسرت وتحزنت ﴿ وليس الذكر كالانثى ﴾ مقول لله ايضا مبين لتعظيم موضوعها ورفع منزلته . واللام فيهما للعهد اى ليس الذكر الذى كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالا قصاراه ان يكون كواحد من السدنة كالانثى التى وهبت لها فان دائرة عملها وامنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلائل الامور فهى افضل من مطلوبها وهى لا تعلم وهاتان الجملتان من مقول الله تعالى اعتراضان بين قول ام مريم ﴿ انى وضعتها انثى ﴾ وقولها ﴿ وانى سميتها مريم ﴾ وفائدتهما التسلية لنفس حنة والتعظيم لوضعها ﴿ وانى سميتها مريم ﴾ من مقول حنة عطف غعلى قولها ﴿ انى وضعتها ﴾ اى انى جعلت اسمها مريم فى لغتهم بمعنى العابدة وخادم الرب واظهار انها غير راجعة فى نيتها وان كان ما وضعته انثى وانها ان لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكم من العابدات فيه وظاهر هذا الكلام يدل على ان عمران كان قد مات قبل وضع حنة مريم ولا لما تولت الام تسمية المولود لان العادة ان التسمية يتولاها الآباء ﴿ وانى اعيذها بك ﴾ اى اجيرها بحفظك ﴿ وذريتها ﴾ عطف على الضمير المنصوب اى اولادها ﴿ من الشيطان الرجيم ﴾ اى المطرود . واصل الرجم الرمى بالحجارة وعن النبى A « ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها » ومعناه ان الشيطان يطمع فى اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة". (١)

٥٢٦-"﴿ الا الذين عاهدتم من المشركين ﴾ استدراك اى استثناء منقطع من النبذ السابق الذى اخر فيه القتال اربعة اشهر كأنه قيل لا تمهلوا الناكثين فوق اربعة اشهر لكن الذين لم ينكثول عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين فى المسارعة الى قتلهم بل اتموا اليهم عهدهم ﴿ ثم ﴾ للدلالة على ثباتم على عهدهم مع تمادى المدة ﴿ لم ينقصوكم شيأ ﴾ من شروط العهد ولم ينكثوا او يتقص يتعدى الى اثنين فكم مفعول اول وشيأ مفعول ثان والى واحد فشيأ منصوب على المصدرية اى شيأ من النقصان

قال الكاشفى [بس ايشان كم نكردند جيزى از عهدهاء شما يعنى نشكستند بيمان شمارا] ﴿ لم يظاهروا ﴾ لو يعانوا ﴿ عليكم احدا ﴾ من اعدائكم كما عدت بنوا بكر على خزاعة حلفاء النبى عليه السلام فظاهرتهم قريش بالسلاح ﴿ فاتموا اليهم عهدهم ﴾ عندى اتموا بالى لتضمنه معنى فأدوا انفأدواه اليهم تاما كاملا ﴿ الى مدتهم ﴾ ولا تفاجئزهم بالقتال عند مضى الارجل المضروب للناكثين ولا تعاملوهم معاملتهم -رور- ان بنى ضمرة وهم حى من بنى كنانة عاهدهم رسول الله A عام الحديبية عند البيت وكان بقى لهم من عهدهم تسعة اشهر فأتم E اليهم عهدهم ﴿ ان الله يحب المتقين ﴾ تعليل

---

(١) تفسير حقي ١٦٧/٢

لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعاة حقوق العهد من باب التقوى وان التسوية وبين الوفى والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا : قال الحافظ

وفا وعهد نكو باشد ار بياموزى ... وكرنه هركه توبيني ستمكرى داند

قال الشيخ نصر آبادى للمتقى علامات اربع حفظ الحدود وبذل المجهود والوفاء بالعهود والقناعة بالموجود : قيل فى الترجمة

متقى را بود جهار نشان ... حفظ احكام شرع اول آن

ثانيا آنجه دست رس باشد ... برفقيران وبى كسان باشد

عهدرا با وفا كند بيوند ... هرجه باشد بدان شود خرسند

واعلم ان الحج الاكبر يوم الوصول الى كعبة الوصال والحج الاصغر يوم الوصول الى كعبة القلب . وزيارة كعبة الوصال وطوافها حرام على مشركى الصفات الناسوتية لانها تميل الى غير الله وتركن الى ما سواه فلا تطوف الناسوتية حول كعبة اللاهوتية الا بعد فنائها وفناؤها انما يكون بالجذبات الآلهية فاذا تداركت العناية الازلية العيد يخاطب ﴿ يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك ﴾ اما فى حال الحياة واما فى وقت الوفاة ﴿ ولكل اجل كتاب ﴾ أما ترى الى سحرة فرعون كيف قالوا ﴿ انا الى ربنا منقلبون ﴾ وفى حديث المعراج « ثم ذهبت الى الجنة فرأيت رضوان خازنها فلما رآنى فرح بى ورحب بى وادخلنى الجنة واراني فيها **من العجائب** ما وعد الله فيها لاوليائه مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ورأيت فيها درجات اصحابى ورأيت فيها الانهار والعيون وسمعت فيها صوتا وهو يقول آمنا برب العالمين فقلت ما هذا الصوت يا رضوان قال هم سحرة فرعون وسمعت صوتا آخر وهو يقول لبيك اللهم فقلت من هو قال ارواح الحجاج وسمعت التكبير فقال هؤلاء الغزاة فسمعت التسبيح فقال هؤلاء الانبياء ورأيت قصور الصالحين ثم بلغت لى سدرة المنتهى »". [١]

٥٢٧-"﴿ وانهارا ﴾ جارية ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها وذلك ان الحجر جسم صلب فا تصاعدت الابخرة من قعر الارض ووصلت الى الجبل احتبست هناك فلا تزالل تتزاحم وتتضاف حتى تحصل بسبب الجبل مياه عظيمة ثم انها لكثرتها وقوتها تنقب الجبل وتخرج وتسيل على وجه الارض وفى الملكوت ان الله يرسل على الارض التلوج والامطار فتشربها الارض حتى يعدلها فى طبعها ومشربها فتصير عيونا فى عروق الارض ثم تنشق الارض عنها فى المكان الذى يؤمر بالانشقاق فيه فتظهر على وجه الارض منفعة للخلائق والملك الموكل بذلك ميكائيل واعوانه

ومن الانهار العظيمة الفرات وهو نهر الكوفة ودجلة وهو نهر بغداد وسيحان بفتح السين المهملة نهر المصيصة وسيحون وهو نهر بالهند وجيحان بفتح الجيم نهر اذنه فى بلاد الارمن وجيحون وهو نهر بلخ والنيل وهو نهر مصر

يقال ان واحدا من الملوك جمع قوما وهيا لهم السفن ومكنهم من زاد سنة وامرهم ان يسيروا فى النيل حتى يقفوا على آخره فخرجوا ستة اهر ولم يصلوا الى آخره الا انهم رأوا هناك قبة فيها خلق على صورة الآدميين خضر الابدان فاصطادوا منه

---

(١) تفسير حقي ٤/٤٨٣

ليحملوه فلم يزل يضطرب عليهم حتى مات فعالجوه وملحوه واحتملوه ليراه الناس
وفى الواقعات المحمودية ان ذا القرنين طلب رأس النيل فلم يجد -وحكى- انهم وصلوا الى جبل فكل من نظر وراءه ولم يأت فربطوا فى وسط شخص حبلا فبعد ان نظر جبوه وسألوا منه فلم ينطق حتى مات
قال بعضهم لولا دخول بحر النيل فى الملح الذى يقال له البحر الاخضر قبل ان يصل الى بحيرة الزنج ويختلط بملوحته لما قدر احد على شربه بشدة حلاوته ولذا يقال ان النيل نهر العسل فى الجنة ومن الانهار نهر ارس كما قال الشاعر
ارس را در بيابان جوش باشد ... بدريا جون رسد خاموش باشد
﴿ ومن كل الثمرات ﴾ متعلق بقوله ﴿ جعل فيها زوجين اثنين ﴾ اثنين تأكيد للزوجين كما هو دأب العرب فى كرمهم اى وخلق فيها من جميع انواع الثمرات زوجين زوجين كالحلو والحامض والاسود والابيض والاصفر والاحمر والصغير والكبير ﴿ يغشى الليل النهار ﴾ اى يجعل الليل غاشيا يغشى النهار بظلمته فيذهب بنور النهار اى يجعله مستورا بالليل ويغطيه بظلمته ولم يذكر العكس اكتفاء باحد الضدين
قال البيضاوى يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيئا يعنى ان الاغشاء الباس الشيء الشيء ولما كان الباس الليل النهار وتغطية النهار به غري معقول لانهما متضادتان لا يجتمعان واللباس لا بد ان يجتمع مع اللابس قدر المضاف وهو مكانه ومكان النهار هو الجو وهو الذى يلبس ظلمة الليل شبه احداث الظلمة فى الجو الذى هو مكان الضوء بالباسها اياه وتغطيته بها فاطلق عليه اسم الاغشاء والالباس فاشتق منه لفظ يغشى فصار استعارة تبعية ﴿ ان فى ذلك ﴾ اى فى كل من الارض والجبال والانهار والثمار والملوين ﴿ لآيات ﴾ تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره
اما فى الارض فمن حيث هى ممدودة مدحوة كالبساط لما فوقها وفيها المسالك والفجاج للماشين فى مناكبها وغير ذلك مما فيها من العيون والمعادن والدواب مثلا
واما الجبال فمن جهة رسوها وعلوها وصلابتها وثقلها وقد ارسيت الارض بها كما يرسى البيت بالاوتاد
واما الانهار فحصولها فى بعض جوانب الجبال دون بعض لا بد ان يستند الى الفاعل المختار الحكيم
واما الثمار فالحبة اذا وقعت فى الارض واثرت فيها نداوة الارض ربت وكبرت وبسبب ذلك ينشق اعلاها واسفلها فتخرج من الشق الاعلى الشجرة الصاعدة وتخرج من الشق الاسفل العروق الغتئصة فى اسفل الارض وهذا **من العجائب** لان طبيعة تلك الحبة واحدة وتأثير الطبائع والافلاك والكواكب فيها واحد ثم انه خرج من احد جانبى تلك الحب واحدة وتأثير الطبائع والافلاك والكواكب فيها واحد ثم انه خرج من احد جانبى تلك الحبة جرم صاعدا الى الهواء ومن الجانب الآخر منها جرم غائص فى الارض ومن المحال ان يتولد من طبيعة واحدة طبيعتان متضادتان فعلمنا ان ذلك انما كان بسبب تدبير المدبر الحكيم ثم ان الشجرة النابتة من تلك الحبة بعضها يكون خشبا وبعضها يكون ثمرة ثم ان تلك الثمرة ايضا يحصل فيها اجسام مختلفة الطبائع فالجوز له اربعة انواع من القشور قشره الاعلى وتحته القشرة الخشبية وتحته القشرة المحيطة باللب وتحت تلك القشرة قشرة اخرى فى غاية الرقة تمتاز عما فوقها حال كون الجوز واللوز رطبا وايضا قد يحصل فى الثمرة الواحدة الطبائع المختلفة فالعنب مثلا وعجمه باردان يابسان ولحمه وماؤه حاران رطبان فتولد هذه الطبائع المختلفة من الحبة الواحدة

مع تساوى تأثيرات الطبائع و تأثيرات الانجم والافلاك لا بد وان يكون لاجل تدبير الحكيم القدير .". (١)

٥٢٨-"﴿ ولو فتحنا عليهم ﴾ اى على هؤلاء المقترحين المعاندين الين يقولون لوما تأتينا بالملائكة ﴿ بابا من السماء ﴾ اى بابا ما لا بابا من ابوابها المعهودة كما قيل ويسرنا لهم الرقى والصعود اليه ﴿ فظلوا ﴾
قال فى بحر العلوم الظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل اكثر الافعال الناقصة بمعناها اى فصاروا ﴿ فيه ﴾ اى فى ذلك الباب ﴿ يعرجونؤ يصعدون بآلة او بغيرها ويرون ما فيها **من العجائب** عيانا او فضل الملائكة يصعدون وهم يشاهدونهم . ويقال ظل يعمل كذا اذا عمله بالنهار دون الليل . فالمعنى فظل الملائكة الذين اقترحوا اتيانهم يعرجون فى ذلك الباب وهم يرونه عيانا مستوضحين طول نهارهم كما قال الكاشفى [بس باشند همه روزفرشتكان در نزر ايشان دران بالا ميروند وازان در زير مى آيند]". (٢)

٥٢٩-"وتحقيق المقام ان الروح سلطانى وحيوانى فالاول من عالم الامر ويقال له المفارق ايضا لمفارقته عن البدن وتعلقه به تعلق التدبير والتصرف وهو لا يفنى بخراب هذا البدن وانما يفنى تصرفه فى الاعضاء ومحل تعينه هو القلب الصنوبرى والقلب من عالم الملكوت
قال فى التعريفات الروح الاعظم هو الروح الانسانى مظهرالذات الالهية من حيث ربوبيتها والثانى من عالم الخلق ويقال له القلب والعقل والنفس ايضا وهو سائر فى جميع اعضاء البدن كما قال فى التعريفات الروح الحيوانى جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسمانى وينتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر اجزاء البدن واقوى مظاهره الدم ومحل تعينه هو الدماغ وهو اثر الروح السلطانى ومبدأ الافعال والحركات وهو بمنزلة الصفة من الذات فكما ان الافعال الالهية تبتنى على اجتماع الذات بالصفة كذلك الافعال تتفرع على اجتماع الروح السلطانى بالروح الحيوانى وكما ان الصفات الالهية الكمالية كانت فى بطن غيب الذات الاحدية قبل وجود هذه الافعال والآثار كذلك هذا الروح الحيوانى كان بالقوة فى باطن الروح السلطانى قبل تعلقه بهذا البدن
قال حضرة شيخى قدس سره فى بعض تحريراته غيب السر وهو السر الاخفى اى سر السر مظهر الوجود المطلق عن جميع التعينات السلبية والايجابية بالاطلاق الذاتى الاصلى الحقيقى الوجودى لا بالاطلاق الاضافى النسبى الوهمى الاعتبارى والسر مظهر التعين الاول الذاتى الاحدى الجمعى والروح السلطانى مظهر التعين الثانى الصفاتى الواحد الفرقى والروح الحيوانى مظهر التعين الثالث الفعلى ولا حجاب الا جهالة النفس بنفسها وغفلتها فلو ارتفعت جهالتها وغفلتها لشاهدت الامر وعاينته كما تشاهد الشمس فى وسط السماء وتعاينها اللهم ارفع الحجب عن القلوب حتى تنفتح ابواب الغيوب انتهى بعبارته

---

(١) تفسير حقي ٦/٢١٨

(٢) تفسير حقي ٦/٣٨٠

قال الله تعالى فى بعض كتبه المنزلة اعرف نفسك يا انسان تعرف ربك وقال E « اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه » ومن فضل الله تعالى على الانسان ان علمه طريق معرفته بان جمع فى شخصه مع صغر حجمه من العجائب ما يكاد يوازى عجائب كل العالم حتى كأنه نسخة مختصرة من هيئة العالم

آدمى جيست برزخى جامع ... صورت خلق وحق درو واقع

متصل با دقائق جبروت ... مشتمل بر حقائق ملكوت

ليتوسل الانسان بالتفكر فيها الى العلم بالله الذى هو اجل المعلوم واشراف المعارف . ومعنى الآية فاذا كملت استعداده وجعلت فيه الروح حتى جرى آثاره فى تجاويف اعضائه فحيي وصار حساسا متنفسا ﴿ فقعوا له ﴾ امر من وقع يقع وفيه دليل على انه ليس المأمور به مجرد الانحناء قيل اى لسقطوا له ﴿ ساجدين ﴾ امتثالا لامر الله تعالى وتحية لآدم وتعظيما وتكريما له واسجدوا لله على انه عليه السلام بمنزلة القبلة حيث ظهر فيها تعاجيب آثار قدرته وحكمته

يقول الفقير لى رؤيا صادقة فى هذا المقام وهى انى رأيت حضرة شيخى وسندى روح الله روحه فى المنام فى غاية من الانبساط فسألته عن بعض ما يتعلق بالموت فقال كنت على الطهارة الكاملة الى آخر النفس فلما قبض روحى دخلت فجا يجرى فيه عين ماء فتوضأت منه لانه وقع الحدث بالنزع ثم عرج بى الى السماء ثم رجعت الى جنازتى فصليت مع الحاضرين فقلت له هل يبقى العقل والادراك الذى هو فى النشأة الدنيوية على حاله قال نعم ثم اخذ بيدى وهو مبتسم فقال لى مرتين كن معتقدا لى كأنه اظهر السرور من حسن اعتقادى له فاستيقظت ففى هذه الرؤيا امور .". (١)

٥٣٠-"﴿ سبحان ﴾ اسم بمعنى التسبيح الذى هو التنزيه ومتضمن معنى التعجب وانتصابه بفعل مضمر متروك واظهاره تقديره اسبح الله عن صفات المخلوقين سبحان بمعنى تسبيحا ثم نزل منزلة الفعل فناب مثابة كقولهم معاذ الله وغفرانك وغير ذلك . وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكره بعده وهو لا ينفى التعجب .

قال فى التأويلات النجمية كلمة سبحان للتعجب بها يشير الى اعجب امر من اموره تعالى جرى بينه وبين حبيبه .

وفى الاسئلة الحكم اما اقتران الاسراء بالتسبيح ليتقى بذلك ذو العقل وصاحب الوهم ومن يحكم عليه خياله من اهل التشبيه والتجسيم مما يخيله فى حق الخالق من الجهة والجسد والحد والمكان . وأنما تعجب بعروجه دون نزوله عليه السلام لانه لما عرج كان مقصده الحق تعالى ولما نزل كان مقصد الخلق والمقصود من التعجب التعجب بعروجه . وايضا ان عروجه اعجب من نزوله لان عروج الكشف الى العلو من العجائب ﴿ الذى اسرى بعبده ﴾ .

قال الكاشفى [باكى وبى عيسى آنراكه بجهت كرامت ببرد بنده خودراكه محما ست A] الاسراء السير بالليل خاصة كالسرى يقال اسرى وسرى اى سار ليلا ومنه السرية لواحدة السرايا لانها تسرى فى خفية واسرى به اى سيره ليلا .

قال النضر سقط السؤال والاعتراضات على المعراج بقول اسرى دون سار ونظيره قوله عليه السلام « حبب الى من دنياكم

---

(١) تفسير حقي ٦/٤٠١

ثلاث » حيث لم يقل احببت . وانما قال بعبده دون بنبيه لئلا يتوهم فيه نبوة والوهة كما توهموا فى عيسى ابن مريم عليهما السلام بانسلاخه عن الاكوان وعروجه بجسم الى الملأ الاعلى مناقصا للعادات البشرية واطوارها . وادخل الباء للمناسبة بين العبودية التى هى الذلة والتواضع وبين الباء التى هى حرف الخفض والكسر فان كل ذليل منكسر .

وفيه اشارة الى شرف مقام العبودية حتى قال الامام فى تفسيره ان العبودية افضل من الرسالة لان بالعبودية ينصرف من الخلق الى الحق فهى مقام الجميع وبالرسالة ينصرف من الحق الى الخلق فهى مقام الفرق والعبودية ان يكل اموره الى سيده فيكون هو المتكفل باصلاح مهامه والرسالة التكفل بمهام الامة وشتان ما بينهما .

قال الشيخ الاكبر قدس سره ان معراجه عليه السلام اربع وثلاثون مرة واحدة بجسده والباقى بروحه رؤيا رآها اى قبل النبوة وبعدها وكان الاسراء الذى حصل له قبل ان يوحى اليه توطئة له وتيسيرا عليه كام كان بدأ نبوته الرؤيا الصادقة والذى يدل على انه عليه السلام عرج مرة بروحه وجسده معا قوله اسرى بعبده فان العبد اسم للروح والجسد جميعا وايضا ان البراق الذى هو من جنس الدواب انما يحمل الاجساد وايضا لو كان بالروح حال النوم او حال الفناء او الانسلاخ لما استبعده المنكرون اذ المتهيئون من جميع الملل يحصل لهم مثل ذلك ويتعارفونه بينهم .". (١)

٥٣١-"وعن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله A « رأيت ليلة اسرى بى الى السماء تحت العرش سبعين مدينة كل مدينة مثل دنياكم هده سبعين مرة مملوءة من الملائكة يسبحون الله ويقدسونه ويقولون فى تسبيحهم اللهم اغفر لمن شهد الجمعة الى صلاتها اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة » اى لصلاتها « ورأيت ليلة اسرى بى مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر امثالها والقرض بثمانين عشر فقلت لجبريل ما بال القرض افضل من الصدقة قال لان السائل يسأل وعنده شئ والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة » وبيان كون درهم القرض بثمانية عشر درهما ان درهم القرض بدرهمين من دراهم الصدقة كما جاء فى بعض الروايات ودرهم الصدقة بعشر تصير الجملة عشرين ودرهم القرض يرجع للمقرض بدله بدرهمين من عشرين بتخلف ثمانية عشر « ورأيت رضوان خازن الجنة فلما رآنى فرح بى ورحب بى وادخلنى الجنة واراني فيها من العجائب ما وعد الله فيها لاوليائه مما لا عين رأيت ولا اذن سمعت ورأيت فيها درجات اصحابى ورأيت فيها الانهار والعيون وسمعت فيها صوتا وهو يقول آمنا برب العالمين فقلت ما هذا الصوت يا رضوان قال هم سحرة فرعون وازواجهم وسمعت آخر وهو يقول لبيك اللهم فقلت من هو قال ارواح الحجاج وسمعت التكبير فقال هؤلاء الغزاة فى الارض السابعة فاذ على بابها مكتوب وان جهنم لموعدهم اجميعن » قال عليه السلام « وابصرت ملكا لم يضحك فى وجهى فقلت يا اخى جبريل من هذا قال مالك خازن النار لم يضحك منذ خلقه الله ولو ضحك الى احد لضحك اليك فقال له جبريل يا مالك هذا محمد فسلم عليه فسلم على وهنأنى بما صرت اليه من الكرامة والشرف » وانما بدأ خازن النار بالسلام عليه A ليزيل ما استشعر من الخوف مننه ويشير الى انه ومن اتبعه من الصالحين سالمون من النار ناجون قال عليه السلام « فسألته ان يعرض على النار بدركاتها فعرضها على بما فيها واذا فيها غضب الله » اى نقمته « لو طرحت فيها الحجارة والحديد

---

(١) تفسير حقي ١٣٦/٧

لاكتلها واذا قوم يأكلون الجيف فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ورأيت قوما تنزع ألسنتهم من انفيتهم فقلت من هم فقال هم الذين يحلفون بالله كاذبين ورأيت جماعة من النساء علقن بشعورهن فقلت من هن قال هن اللاتى لا يستترن من غير محارمهن ورأيت جماعة منهن لباسهن من القطران فقلت من هن قال نائحات » جمع نائحة وهى الباكية على الميت مع عدا خلاقه ومحاسنه .". (١)

٥٣٢-"قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندى قدس سره قد ذهب عليه السلام وجاء ولم يتم ماء ابريقه انصبابا ومن كان مؤمنا لا ينكر المعراج ولكن وقوع السير المذكور فى مقدار ذلك الزمن اليسير يشكل عند العقل بحسب الظاهر واما عند التحقيق فلا اشكال ألا يرى ان فى الوجود الانسانى شيأ لطيفا اعنى القلب يسير من المشرق الى المغرب بل جميع العوالم فى آن واحد وهو بديهى لا ينكره من له ادنى تمييز حتى البله والصبيان أفلا يجوز ان تحصل تلك اللطافة لوجود النبى A بقدرة الله تعالى فوقع ما وقع فى الزمن اليسير

راه زاندازه برون رفته ... بى نتوان بردكه جون رفته

عقل درين واقعه حاشاكند ... عقل نه حاشاكه تمناكند

- روى - ان رسول الله A لما رجع من ليلته قص القصة على ام هانئ وقال « انى اريد ان اخرج الى قريش فاخبرهم بذلك » فقالت اشندك الله اى بفتح الهمزة اى اسألك بالله ابن عم اى يا ابن عمى ان لا يحدث اى لا تحدث بهذا قريشا فيكذبك من صدقك فلما كان الغداة تعلقت بردائه فضرب بيده على ردائه فانتزعه من يدها وانتهى الى نفر من قريش فى الحطيم هو ما بين باب الكعبة والحجر الاسود واولئك النفر مطعم بن عدى وابو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة فقال « انى صليت العشاء » اى اوقعت صلاة فى ذلك الوقت « فى هذا المسجد وصليت به الغداة » اى اوقعت صلاة فى ذلك الوقت والا فصلاة العشاء لم تكن فرضت وكذا صلاة الغداة التى هى الصبح لم تكن فرضت كما تقدم « واتيت فيما بين ذلك بيت المقدس » واخبرهم عما رأى فى السماء **من العجائب** وانه لقى الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وجاء انه لما دخل المسجد الحرام وعرف ان الناس يكذبونه وما احب ان يكتم ما هو دليل على قدرة الله تعالى وهما هو دليل على علو مقامه الباعث على اتباعه قعد حزينا فمر به عدو الله ابو جهل فجاء حتى جلس اليه عليه السلام فقال كالمستهزئ هل كان من شئ قال « نعم أسرى بى الليلة » قال الى اين قال « الى بيت المقدس » قال ثم اصبحت بين ظهرانينا قال « نعم » قال ارأيت ان دعوت قومك تحدثهم ما حدثتنى قال". (٢)

٥٣٣-"فعلى العاقل ان لايقنع بيسير من القال والحال بل يتضرع الى الله الملك المتعال فى ان يوصله الى المقامات العالية والدرجات العلى انه الكريم المولى يروى انه لما رجع رسلها بخبر سليمان قالت والله قد علمت انه ليس بملك ولا لنابه

---

(١) تفسير حقي ١٦٢/٧

(٢) تفسير حقي ١٦٤/٧

من طاقة وبعثت الى سليمان انى قادمة اليك بملوك قومى حتى انظر مامرك وماتدعو اليه من دينك [وتخت خودرا درخانه مضبوط ساخت ونكهبانات برو كماشت درخانه قفل كرد ومفتاح را برداشت وبالشكر متوجه بايه سرير سليمان شد] وكان لها اثنا عشر الف ملك كبير يقال له القيل بفتح القاف تحت كل ملك الوف كثيرة وكان سليمان رجلا مهيبا لا يبدأ بشيء حتى يسأل عنه فجلس يوما على سريره فرأى جمعا جما على فرسخ عنه فقال ماهذا فقالوا بلقيس بملوكها وجنودها فاقبل سليمان حيئنذ على اشراف قومه وقال او لما علم بمسيرها اليه ﴿ قال يايها الملؤا ﴾ [اى اشراف قوم من] ﴿ ايكم يأتيني بعرشها ﴾ [كدام شما مى آرد تخت بلقيس را] ﴿ قيل ان يأتونى ﴾ حال كونهم ﴿ مسلمين ﴾ لانه قد اوحى الى سليمان انها تسلم لكن اراد ان يريها بعض ماخصه الله تعالى به **من العجائب** الدالة على عظم القدرة وصدقه فى دعوى النبوة فاستدعى اتيان سريرها الموصى بالحفظ قبل قدومها : وفى المثنوى

جونكه بلقيس ازدل وجان عز كرم ... بر زمان رفته هم افسوس خورد

ترك مال وملك كرد او آنجنان ... كه بترك نام وننك آن عاشقان

هيج مال وهيج مخن هيج رخت ... ميدريغش نامه الاجزكه تحت

بس سليمان از دلش آكاه شاد ... كز دل او تادل او راه شد

ديد از دورش كه آن تسليم كيش ... تلخش آمد فرقت آن تخت خويش

از بزركى تخت كز حد مى فزود ... نقل كردن تخت را امكان نبود

خرده كارى بود وتفريقش خطر ... همجوا اوصال بدن بايكديكر

بس سليمان كفت كرجه فى الاخير ... سرد خواهد شد برو تاج وسرير

ليك خود باين همه بر نقد حال ... جست بايد تخت اورا انتقال

تانكردد خسته هنكام لقا ... كودكانه حاجتش كردد روا

وفى التأويلات النجمية يشير الى سليمان عليه السلام كان واقفا على ان فى امته من هو اهل الكرامة فاراد ان يظهر كرامته ليعلم ان فى امم الانبياء من يكون اهل الكرامات فلا ينكر مؤمن كرامات الاولياء كما انكرت المعتزلة فان ادنى مفسدة الانكار حرمان من درجة الكرامة كحرمان اهل البدع والاهواء منها ولايظنن جاهل ان سليمان لم يكن قادرا على الاتيان بعرشها ولم يكن له ولاية هذه الكرامات فانه امرهم بذلك لاظهار اهل الكرامات من امته ولان كرامات الاولياء من جملة معجزات الانبياء فانها دالة على صدق نوبتهم وحقيقة دينهم ايضا انتهى ، قال الشيخ داود القيصرى c خوارق العادات قلما تصدر من الاقطاب الخلفاء بل من وزرائهم وخلفائهم لقيامهم بالعبودية التامة واتصافهم بالفقر الكلى فلا يتصرفون لانفسهم فى شيء ومن جملة كمالات الاقطاب ومنن الله عليهم ان لايبتليهم بصحبة الجهلاء بل يرزقهم صحبة العلماء والامناء يحملون عنهم اثقالهم وينفذون احكامهم واقوالهم كآصف وسليمان ، وقال بعض العارفين لايلزم لمن كان كامل زمانه

ان يكون له التقدم فى كل شىء وفى كل مرتبة كما اشار اليه عليه السلام بقوله فى قصة تأبير النخل". (١)

٥٣٤-"﴿ وشاهد ومشهود ﴾ اى ومن يشهد فى ذلك اليوم من الاولين والآخرين والانس والجن والملائكة والانبياء وما يحضر فيه **من العجائب** فالشاهد بمعنى الحاضر من الشهود بمعنى الحضور لا بمعنى الشاهد الذى تثبت به الدعاوى والحقوق وتنكيرهما للابهام فى الوصف اى وشاهد ومشهود لا يكتنه ما طلعت شمس ولا غربت على يوم افضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله فيها خيرا الا استجاب له ولا يستعيذه من سوء الاعاذه منه وفى الحديث اكثروا على من الصلاة ويم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة ويقال المشهود يوم عرفة والشاهد من يحضره من الحاج وحسن القسم به تعظيما لامر الحج وعددهم هفتصد هزار كما فى كشف الاسرار ويقال الشاهد كل يوم والمشهود اهله فيكون المشهود بمعنى المشهود عليه والشاهد من الشهادة كما قال الحسن البصرى c ما من يوم الا وينادى انى يوم جديد وانى على ما يفعل فى شهيد فاغتنمنى فلو غاب شمس لم تدركنى الى يوم القيامة

دريغا كه بكنشت عمر عزيز ... بخواهد كذشت اين دمى جند نيز

كذشت آنجه درناصوابى كذشت ... در اين نيزهم درنيابى كذشت

ويقال الشاهد هو الحق من حنث الجميعة والمشهود هو ايضا من حيث التفرقة وان شئت قلت من حيث الاجمال ومن حيث التفصيل لا يراه بالحقيقة احد الا هو ويقال الشاهد نفس الروح والمشهود نفس الطبع وقال الحسين c فى هذه الآية علامة انه ما انفصل الكون عن المكون ولا قارنه .". (٢)

٥٣٥-"﴿ وقال الانسان ﴾ اى كل فرد من افراده لما يغشاهم من الاهوال ويلحق بهم من فرط الدهشة وكمال الحيرة ﴿ مالها ﴾ اى شئ للارض زلزلت هذه المرة الشديدة من الزلزال واخرجت ما فيها من الاثقال استعظاما لما شاهده من الامر الهائل وتعجبا لما يرونه **من العجائب** التى لم تسمع بها الآذان ولا ينطق بهما اللسان لكن المؤمن يقول بعد الافاقة هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون والكافر من بعثنا من مرقدنا .". (٣)

٥٣٦-"الأنثى ﴿إنك أنت السميع﴾ لجميع المسموعات التي من جملتها تضرعي ودعائي ﴿العليم﴾ لكل المعلومات التي من زمرتها ما في ضميري لا غير ﴿فلما وضعتها﴾ أي : ولدت النسمة وهي أنثى ﴿قالت﴾ حنة وكانت ترجو أن تكون غلاما ﴿رب إني﴾ التأكيد للرد على اعتقادها الباطل ﴿وضعتهآ أنثى﴾ تحسرا على ما رأته من خيبة رجائها وعكس تقديرها والضمير المتصل عائد إلى النسمة وأنثى حال منه ﴿والله أعلم بما وضعت﴾ تعظيم من جهته تعالى لموضوعها فإنها

---

(١) تفسير حقي ٥٠/١٠

(٢) تفسير حقي ١٤٢/١٧

(٣) تفسير حقي ٣٧٩/١٧

لما تحسرت وتحزنت على أن ولدت أنثى قال الله تعالى إنها لا تعلم قدر هذا الموهوب والله هو العالم بالشيء الذي وضعته وما علق به **من العجائب** وعظائم الأمور فإنه تعالى سيجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم به فلذلك تحسرت وتحزنت ﴿وليس الذكر كالانثى﴾ مقولأيضا مبين لتعظيم موضوعها ورفع منزلته.

واللام فيهما للعهد أي : ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالا قصاراه أن يكون كواحد من السدنة كالأنثى التي وهبت لها فإن دائرة علمها وأمنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلائل الأمور فهي أفضل من مطلوبها وهي لا تعلم وهاتان الجملتان من مقول الله تعالى اعتراضان بين قول أم مريم ﴿إنى وضعتهآ أنثى﴾ وقولها : ﴿وإنى سميتها مريم﴾ من مقول حنة عطف على قولها ﴿إنى وضعتهآ﴾ أي : إني جعلت اسمها مريم وغرضها من عرضها على علام الغيوب التقرب إليه تعالى واستدعاء العصمة لها فإن مريم في لغتهم بمعنى العابدة وخادم الرب وإظهار أنها غير راجعة في نيتها وإن كان ما وضعته أنثى وإنها لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه وظاهر هذا الكلام يدل على أن عمران كان قد مات قبل وضع حنة مريم وإلا لما تولت الأم تسمية المولود لأن العادة أن التسمية يتولاها الآباء ﴿وإنى أعيذها بك﴾ أي : أجيرها بحفظك ﴿وذريتها﴾ عطف على الضمير المنصوب أي : أولادها ﴿من الشيطان الرجيم﴾ أي : المطرود.

وأصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم "ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه إلا مريم وابنها" ومعناه أن الشيطان يطمع في إغواء كل مولود بحيث يتأثر منه إلا مريم وابنها فإن الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٦

﴿فتقبلها﴾ أي : أخذ مريم ورضي بها في النذر مكان الذكر ﴿ربها﴾ مالكها ومبلغها إلى كمالها اللائق ﴿بقبول حسن﴾ بوجه حسن يقبل به النذائر وهو قبول تلك الأنثى مع أنوثتها وصغرها فإن المعتاد في تلك الشريعة أن لا يجوز التحرير إلا في حق غلام عاقل قادر على خدمة المسجد وهنا لما علم الله تعالى تضرع حنة قبل بنتها حال صغرها وعدم قدرتها على خدمة المسجد ﴿وأنابتها نباتا حسنا﴾ مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها مما يصلح في جميع أحوالها ثم إن الله تعالى ذكر قبولها منها وذلك لضعفها وصدق نيتها في الابتداء وحيائها في الانتهاء وكان في ذلك الزمان أربعة آلاف محرر لم يشتهر خبر أحد منهم اشتهار خبرها.

وفيه تنبيه للعبد على أن يرى من نفسه التقصير بعد جهدها ليقبل الله عملها لإظهار إفلاسها وإضمار إخلاصها رزقنا الله وإياكم :

طريقت همينست كاهل يقين

نكو كار بودند وتقصير بين

٢٧

واعلم أنه سبحانه قطع السائرين له وهم المريدون والواصلين إليه وهم المرادون عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم.

أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها فانقطعوا إليه برؤية تقصيرهم.

وأما الواصلون فلأنه غيبهم شهوده عنها لأنه الفعال وهم آلة مسخرة.
". (١)

٥٣٧-"ثانيا آنه دست رس باشد

بر فقيران وبى كسان باشد

عهدرا با وفا كند يوند

هره باشد بدان شود خرسند

واعلم : أن الحج الأكبر يوم الوصول إلى كعبة الوصال والحج الأصغر يوم الوصول إلى كعبة القلب.

وزيارة كعبة الوصال وطوافها حرام على مشركي الصفات الناسوتية لأنها تميل إلى غير الله وتركن إلى ما سواه ، فلا تطوف الناسوتية حول كعبة اللاهوتية إلا بعد فنائها وفناؤها إنما يكون بالجذبات الإلهية فإذا تداركت العناية الأزلية العبد يخاطب ﴿يا أيتها النفس المطمائنة * ارجعى إلى ربك﴾ إما في حال الحياة وإما في وقت الوفاة ﴿لكل أجل كتاب﴾ (الرعد : ٣٨) أما ترى إلى سحرة فرعون كيف قالوا ﴿وإنآ إلى ربنا لمنقلبون﴾ (الزخرف : ١٤) وفي حديث المعراج "ثم ذهبت إلى الجنة فرأيت رضوان خازنها ، فلما رآني فرح بي ورحب بي ، وأدخلني الجنة وأراني فيها **من العجائب** ما وعد الله فيها لأوليائه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ورأيت فيها درجات أصحابي ورأيت فيها الأنهار والعيون وسمعت فيها صوتا وهو يقول آمنا برب العالمين فقلت ما هذا الصوت يا رضوان قال هم سحرة فرعون وسمعت صوتا آخر ، وهو يقول : لبيك اللهم فقلت من هو قال أرواح الحجاج وسمعت التكبير فقال : هؤلاء الغزاة فسمعت التسبيح فقال هؤلاء الأنبياء ورأيت قصور الصالحين ثم بلغت إلى سدرة المنتهى" وسميت المنتهى لأن علم الخلائق ينتهي إليها "ثم تخلف عني جبريل فقلت له أتتركني وحيدا فقال يا أكرم الخلق على الله ما جاوز هذا المكان أحد قبلك ولا يجاوز بعدك فإذا ناداني ربي فقال لي ادن مني يا محمد فلم أزل أدنو وهو يقول ادن ألف كرة حتى قربت منه كما قال تعالى : ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ (النجم : ٩) وما من مرة أدنو من ربي إلا قضى لي فيها حاجة ثم وقفت فقطرت على لساني قطرة كانت أحلى من العسل وأبرد من الثلج فعلمت علم الأولين والآخرين وقال لي يا محمد قد جعلت الإسلام حلوا في قلوب أمتك حتى أحبوه وجعلت الكفر مرا في قلوبهم حتى أبغضوه".

يقول الفقير : ومنه يعرف أن الله تعالى جعل الإيمان حلوا في قلوب أمة الدعوة حتى أحبوه وجعل الكفر مرا في قلوبهم حتى أبغضوه فحب الإيمان من الجذبة الإلهية والعناية الأزلية وبه اتقى المؤمن من الكفر ثم من

٣٨٦

العصيان ، ثم من الجهل ثم من رؤية ما سوى الله والميل إليه.

فيا أهل الإيمان أدركتكم العناية العامة.

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع ٢٢/٢

ويا أهل العرفان جذبتكم الهداية الخاصة فقوموا واشكروا الله تعالى على ما أنعم عليكم وأوصله من كمال كرمه إليكم وقد نص على أنه يحب المتقين فتارة تكون محبا وهو محبوب وتارة تكون محبوبا وهو محب ومقام المحبوبية أعلى المقامات ولو كان فوقه ما هو أعلى منه لما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حبيب الله.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٨٢

فعليك أيها العاقل بالرجوع إلى المولى قبل تمام المدة وهو حلول الأجل وقبل أن تكتنفك الموانع من الجبن والكسل وطريق الاختيار مقبولة دون طريق الاضطرار فإن أقبلت فلك سعادة الوقت ، وإن أعرضت فلك الشقاوة والمقت نسأل الله تعالى أن يهدينا إلى طريق الرضى ويقبل عثرتنا فيما مضى آمين.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٨٢

﴿فإذا انسلخ﴾ أي : انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده ﴿الاشهر الحرم﴾ وانفصلت عما كانت مشتملة عليه ساترة له انفصال الجلد عن الشاة وانكشفت عنه انكشاف الحجاب عما وراءه وتحقيقه أن الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل عليه اشتمال الجلد للحيوان وكذا كل جزء من أجزائه الممتدة من الأيام والشهور والسنين فإذا مضى فكأنه انسلخ عما فيه ووصفت الأشهر بالحرم وهي جمع حرام ؛ لأن الله تعالى حرم فيها القتال وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم التي أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها لا الأشهر الدائرة في كل سنة وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ؛ لأن نظم الآية يقتضي توالي الأشهر المذكورة وهذه ليست كذلك لأن ثلاثة منها سرد وواحد فرد.

﴿فاقتلوا المشركين﴾ الناكثين أبد الآباد.

فهذه الآية ناسخة لكل آية في القرآن فيها ذكر الإعراض عن المشركين والصبر على إيذائهم على وفق ما أجمع عليه جمهور العلماء.

﴿حيث وجدتموهم﴾ أدركتموهم في حل أو حرم ﴿وخذوهم﴾ أي : ائسروهم والأخيذ الأسير.

﴿واحصروهم﴾ الحصر المنع والمراد إما حبسهم ومنعهم عن التبسط والتقلب في البلاد أو منعهم عن المسجد الحرام.

﴿واقعدوا لهم كل مرصد﴾ أي : كل ممر ومجتاز يجتازون منه في أسفارهم وانتصابه على أنه ظرف لاقعدوا أي أرصدوهم في كل مكان يرصد فيه وارقبوهم حتى لا يمروا به وهذا أمر لتضييق السبيل عليهم فليس معناه حقيقة القعود.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٨٧

". (١)

٥٣٨-"ومن كل الثمرات متعلق بقوله : جعل فيها زوجين اثنين اثنين تأكيد للزوجين كما هو دأب العرب في كلامهم ، أي : وخلق فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين زوجين كالحلو والحامض والأسود والأبيض والأصفر والأحمر والصغير والكبير.

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع ٣/٢٩٤

يغشى الليل النهار أي يجعل الليل غاشيا يغشى النهار بظلمته فيذهب بنور النهار أي يجعله مستورا بالليل ويغطيه بظلمته ولم يذكر العكس اكتفاء بأحد الضدين.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣٣٥

قال البيضاوي : يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيئا يعني إن الإغشاء إلباس الشيء الشيء ولما كان إلباس الليل النهار وتغطية النهار به غير معقول لأنهما متضادان لا يجتمعان واللباس لا بد أن يجتمع مع اللابس قدر المضاف وهو مكانه ومكان النهار هو الجو وهو الذي يلبس ظلمة الليل ، شبه أحداث الظلمة في الجو الذي هو مكان الضوء بإلباسها إياه وتغطيه بها فأطلق عليه اسم الأغشاء والإلباس فاشتق منه لفظ يغشى فصار استعارة تبعية.

إن في ذلك أي : في كل من الأرض والجبال والأنهار والثمار والملوين.

لآيات تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره.

أما في الأرض : فمن حيث هي ممدودة مدحوة كالبساط لما فوقها وفيها المسالك والفجاج للماشين في مناكبها وغير ذلك مما فيها من العيون والمعادن والدواب مثلا.

وأما الجبال : فمن جهة رسوها وعلوها وصلابتها وثقلها وقد أرسيت الأرض بها كما يرسى البيت بالأوتاد.

وأما الأنهار : فحصولها في بعض جوانب الجبال دون بعض لا بد أن يستند إلى الفاعل المختار الحكيم.

وأما الثمار : فالحبة إذا وقعت في الأرض وأثرت فيها نداوة الأرض ربت وكبرت وبسبب ذلك ينشق أعلاها وأسفلها فتخرج من الشق الأعلى الشجرة الصاعدة ، وتخرج من الشق الأسفل العروق الغائصة في أسفل الأرض وهذا **من العجائب** لأن طبيعة تلك الحبة واحدة وتأثير الطبائع والأفلاك والكواكب فيها واحد ثم إنه خرج من أحد جانبي تلك الحبة جرم صاعد إلى الهواء ومن الجانب الآخر منها جرم غائص في الأرض ، ومن المحال أن يتولد من طبيعة واحدة طبيعتان متضادتان فعلمنا أن ذلك إنما كان بسبب تدبير المدبر الحكيم ، ثم إن الشجرة النابتة من تلك الحبة بعضها يكون خشبا وبعضها يكون نورة ، وبضعها يكون ثمرة ثم إن تلك الثمرة ، أيضا يحصل فيها أجسام مختلفة الطبائع ، فالجوز له أربعة أنواع من القشور ، قشره الأعلى ، وتحته القشرة الخشبية ، وتحته القشرة المحيطة باللب ، وتحت تلك القشرة قشرة أخرى في غاية الرقة تمتاز عما فوقها حال كون الجوز واللوز رطبا ، وأيضا قد يحصل في الثمرة الواحدة الطبائع المختلفة فالعنب مثلا

٣٣٩

وعجمه باردان يابسان ، ولحمه وماؤه حاران رطبان ، فتولد هذه الطبائع المختلفة من الحبة الواحدة مع تساوي تأثيرات الطبائع وتأثيرات الأنجم والأفلاك لا بد وأن يكون لأجل تدبير الحكيم القدير ، وأما الملوان فلا يخفى ما في اختلافهما ووجودهما من الآية أي الدلالة الواضحة.

لقوم يتفكرون فيستدلون ، والتفكر تصرف القلب في طلب معاني الأشياء وكما أن في العالم الكبير أرضا وحبالا ومعادن وبحارا وأنهارا وجداول وسواقي فكذلك في الإنسان الذي هو العالم الصغير مثله ، فجسده كالأرض وعظامه كالجبال ومخه كالمعادن وجوفه كالبحر وأمعاؤه كالأنهار وعروقه كالجداول وشحمه كالطين وشعره كالنبات ومنبت الشعر كالتربة الطيبة

وأنسه كالعمران وظهره كالمفاوز ووحشته كالخراب وتنفسه كالرياح وكلامه كالرعد وأصواته كالصواعق وبكاؤه كالمطر وسروره كضوء النهار وحزنه كظلمة الليل ونومه كالموت ويقظته كالحياة وولادته كبدء سفره وأيام صباه كالربيع وشبابه كالصيف وكهولته كالخريف وشيخوخته كالشتاء وموته كانقضاء مدة سفره والسنون من عمره كالبلدان والشهور كالمنازل والأسابيع كالفراسخ وأيامه كالأميال وأنفاسه كالخطى فكلما تنفس نفسا كان يخطو خطوة إلى أجله فلا بد من التفكر في هذه الأمور.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣٣٥

ويقال : أخلاق الأبدال عشرة أشياء : سلامة الصدور ، وسخاوة في المال ، وصدق اللسان ، وتواضع النفس ، والصبر في الشدة ، والبكاء في الخلوة ، والنصيحة للخلق ، والرحمة للمؤمنين ، والتفكر في الأشياء ، وعبرة من الأشياء.

وعن النبي عليه السلام أنه مر على قوم يتفكرون فقال لهم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق كذا في تنبيه الغافلين وفي المثنوى :

بى تعلق نيست مخلوقي بدو

آن تعلق هست بيون اي عمو

اين تعلق را خرد ون ره برد

بسته وصلست وفصلست اين خرد

زين وصيت كرد مارا مصطفى

بحث كم جوئيد درذات خدا

آنكه درذاتش تفكر كرد نيست

در حقيقت آن نظر در ذات نيست

هست آن ندار اوزيرا براه

صد هزاران رده آمد تا اله

هريكي در رده موصول جوست

وهم او آنست كان خود عين هوست

س يمبر دفع كرد اين وهم ازو

تانباشد در غلط سودا ز او

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٣٣٥

". (١)

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع ٢٢٢/٤

٥٣٩-"ولقد أرسلنا أي رسلا وإنما لم يذكر لدلالة ما بعده عليه من قبلك متعلق بأرسلنا.
في شيع الأولين أي : فرقهم وأحزابهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب ، سموا بذلك لأن بعضهم يشايع بعضا ويتابعه ، من شايعه إذا تبعه ومنه الشيعة وهم الذين شايعوا عليا وقالوا إنه الامام بعد رسول الله ، واعتقدوا أن الامامة لا تخرج عنه وعن أولاده وإضافته إلى الأولين من إضافة الموصوف إلى صفة عند الفراء ، والأصل في الشيع الأولين ومن حذف الموصوف عند البصريين أي في شيع الأمم الأولين ، ومعنى إرسالهم فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طائفة منهم ليتابعوه في كل ما يأتي وما يذر من أمور الدين.
وما يأتيهم من رسول أي ما أتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها.
إلا كانوا به يستهزئون كما يفعله هؤلاء الكفرة وفيه تسلية لرسول الله بأن هذه عادة الجهال مع الأنبياء ، والجملة في محل النصب على أنها حال مقدرة من ضمير مفعول في يأتيهم إذا كان المراد بالاتيان حدوثه ، أو في محل الرفع على أنها صفة لرسول فإن محله الرفع على الفاعلية أي إلا رسول كانوا به يستهزئون.
جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٤٣
﴿كذالك﴾ أي : كإدخالنا الاستهزاء في قلوب الأولين.
نسلكه أي : ندخل الاستهزاء ، والسلك إدخال الشيء في الشيء كإدخال الخيط في المخيط أي الأبرة والرمح في المطعون.
في قلوب المجرمين على معنى أنه يخلقه ويزينه في قلوبهم والمراد بالمجرمين مشركوا مكة ومن شايعهم في الاستهزاء والتكذيب.
لا يؤمنون به أي بالذكر وهو بيان للجملة السابقة واختار المولى أبو السعود رحمه الله أن يكون ذلك إشارة إلى ما دل عليه الكلام السابق من إلقاء الوحي مقرونا بالاستهزاء ، وأن يعود ضمير نسلكه وبه إلى الذكر على أن يكون لا يؤمنون به حالا من ضمير نسلكه ، والمعنى أي مثل ذلك المسلك الذي سلكناه في قلوب أولئك المستهزئين
٤٤٥
برسلهم وبما جاؤوا به من الكتب ، نسلك الذكر في قلوب أهل مكة أو جنس المجرمين حال كونه مكذبا غير مؤمن به ، لأنهم كانوا يسمعون القرآن بقراءة النبي فيدخل في قلوبهم ، ومع ذلك لا يؤمنون لعدم استعدادهم لقبول الحق لكونهم من أهل الخذلان.
قال السعدي قدس سره :
كسى راكه ندار در سر بود
مندار هر كزكه حق بشنود
زعلمش ملال آيد ازوعظ ننك
شقائق بباران نرويد ز سنك
قال سعدي المفتي : مكذبا أي حال الإلقاء من غير توقف كقوله تعالى : فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾(البقرة : ٨٩) أي : في ذلك الزمان من غير توقف وتفكر فلا حاجة إلى جعلها حالا مقدرة أي كما فعله الطيبي.
وفي "التأويلات النجمية" [الحجر : ١٢-١٥٥]﴿كذالك نسلكه﴾ أي : الكفر في قلوب المجرمين لا يؤمنون به بواسطة

جرمهم فإن بالجرم يسلك الكفر في القلوب كما يسلك الإيمان بالعمل الصالح في القلوب نظيره بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا﴾(النساء : ١٥٥) ﴿وقد خلت سنة الاولين﴾ أي : قد مضت طريقتهم التي سنها الله في إهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء ، يعني : (هركه از ايشان هلاك شده بترك قبول حق وتكذيب رسل بوده) وفيه وعيد لأهل مكة على استهزائهم وتكذيبهم.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٤٥

نه هر كز شنيدم درين عمر خويش

كه بدمردار نيكى آمد به بيش

ولو فتحنا عليهم أي على هؤلاء المقترحين المعاندين الذين يقولون لو ما تأتينا بالملائكة بابا من السماء أي بابا ما لا بابا من أبوابها المعهودة ، كما قيل ويسرنا لهم الرقى والصعود إليه فظلوا.

قال في بحر العلوم الظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل أكثر الأفعال الناقصة بمعناها أي فصاروا فيه أي : في ذلك الباب يعرجون يصعدون بآلة أو بغيرها ويرون ما فيها **من العجائب** عيانا أو فظل الملائكة يصعدون وهم يشاهدونهم ، ويقال ظل يعمل كذا إذا علمه بالنهار دون الليل ، فالمعنى فظل الملائكة الذين اقترحوا إتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يروه عيانا ، مستوضحين طول نهارهم كما قال الكاشفي : (س باشند همه روزفر شتكان در نظر ايشان دران بر بالاميروند وازان در زير مى آيند).

لقالوا لغاية عنادهم وتشكيكهم في الحق إنما سكرت أبصارنا أي سدت من باب الاحساس.

يعني (اين صورت در خارج وجود ندارد).

قال في القاموس : قوله تعالى : سكرت أبصارنا أي حبست عن النظر وحيرت أو غطيت وغشيت.". [١]

٥٤٠-"جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٥٨

يقول الفقير : ذهب جمع من أهل السنة والجماعة منهم الغزالي والامام الرازي وفاقا للحكماء والصوفية إلى أن الروح أثر مجرد غير حال بالبدن يتعلق به تعلق العاشق بالمعشوق يدبر أمره على وجه لا يعلمه إلا الله تعالى ، وتحقيق المقام أن الروح سلطاني وحيواني فالأول من عالم الأمر ويقال له المفارق أيضا لمفارقته عن البدن وتعلقه به تعلق التدبير والتصرف وهو لايغني بخراب هذا البدن وإنما يفنى تصرفه في الأعضاء ومحل تعينه هو القلب الصنوبري والقلب من عالم الملكوت.

قال في "التعريفات" الروح الأعظم هو الروح الإنساني مظهر الذات الإلهية من حيث ربوبيتها والثاني من عالم الخلق ويقال له القلب والعقل والنفس أيضا وهو سار في جميع أعضاء البدن كما قال في "التعريفات" الروح الحيواني جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن وأقوى مظاهره الدم ومحل تعينه هو الدماغ ، وهو أثر الروح السلطاني ومبدأ الأفعال والحركات ، وهو بمنزلة الصفة من الذات فكما أن الأفعال الإلهية تبتني على اجتماع

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع ٤/٢٩٥

الذات بالصفة كذلك الأفعال تتفرع على اجتماع الروح السلطاني بالروح الحيواني ، وكما أن الصفات الإلهية الكمالية كانت في بطن غيب الذات الأحدية قبل وجود هذه الأفعال والآثار ، كذلك هذا الروح الحيواني كان بالقوة في باطن الروح السلطاني قبل تعلقه بهذا البدن.

قال حضرة شيخي قدس سره : في بعض تحريراته : غيب السر وهو السر الأخفى أي سر السر مظهر الوجود المطلق عن جميع التعينات السلبية والإيجابية بالإطلاق الذاتي الأصلي الحقيقي الوجودي لا بالإطلاق الإضافي النسبي الوهمي الاعتباري ، والسر مظهر التعين الأول الذاتي الأحدي الجمعي والروح السلطاني مظهر التعين الثاني الصفاتي الواحد الفرقي ، والروح الحيواني مظهر التعين الثالث الفعلي ولا حجاب إلا جهالة النفس بنفسها

٤٦٠

وغفلتها عنها فلو ارتفعت جهالتها وغفلتها لشاهدت الأمر وعاينته كما تشاهد الشمس في وسط السماء وتعاينها ، اللهم ارفع الحجب عن القلوب حتى تنفتح أبواب الغيوب انتهى بعبارته.

قال الله تعالى في بعض كتبه المنزلة : اعرف نفسك يا إنسان تعرف ربك وقال عليه الصلاة والسلام : "اعرفكم بنفسه أعرفكم بربه" ومن فضل الله تعالى على الإنسان أن علمه طريق معرفته بأن جمع في شخصه مع صغر حجمه **من العجائب** ما يكاد يوازي عجائب كل العالم حتى كأنه نسخة مختصرة من هيئة العالم.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤٥٨

آدمي يست برزخى جامع

صورت خلق وحق درو واقع

متصل با دقائق جبروت

مشتمل بر حقائق ملكوت

ليتوسل الإنسان بالتفكر فيها إلى العلم بالله الذي هو أجل العلوم وأشرف المعارف.

ومعنى الآية فإذا كملت استعداده وجعلت فيه الروح حتى جرى آثاره في تجاويف أعضائه فحيي وصار حساسا متنفسا.

﴿فقعوا له﴾ أمر من وقع يقع وفيه دليل على أنه ليس المأمور به مجرد الانحناء كما قيل أي : أسقطوا له ساجدين امتثالا لأمر الله تعالى وتحية لآدم وتعظيما وتكريما له واسجدواعلى أنه عليه السلام بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته وحكمته.

يقول الفقير : لي رؤيا صادقة في هذا المقام وهي أني رأيت حضرة شيخي وسندي روح الله روحه في المنام في غاية من الانبساط فسألته عن بعض ما يتعلق بالموت فقال كنت على الطهارة الكاملة إلى آخر النفس فلما قبض روحي دخلت فجا يجري فيه عين ماء فتوضأت منه لأنه وقع الحدث بالنزع ثم عرج بي إلى السماء ثم رجعت إلى جنازتي فصليت علي مع الحاضرين فقلت له هل يبقى العقل والإدراك الذي في هذه النشأة الدنيوية على حاله؟ قال : نعم ثم أخذ بيدي وهو متبسم فقال لي مرتين كن معتقدا لي كأنه أظهر السرور من حسن اعتقادي له فاستيقظت ففي هذه الرؤيا أمور.

منها أن الوضوء ينتقض عند النزع وعليه بني مشروعية الغسل في الأصح والمؤمن الكامل طاهر في حياته ومماته فلا يتنجس والحدث غير التنجس ولو سلم فهو بالنسبة إلى الناقص.

والحاصل إنه يغسل الكامل غسل الناقص ، لأنه على غير وضوء بحسب الظاهر ولأنه في هذه النشأة الدنيوية تابع للناقص فيما يتعلق بالأمور الظاهرة ، ومنها بيان بقاء العقل والإدراك على حاله لأن العقل والإيمان والولاية ونحوها من صفات الروح وهو لا يتغير بالموت ، ومنها أن الروح الكامل يشهد جنازته فيكون أسوة للناس في الصلاة فصلاته على نفسه إشارة إلى أن الكامل هو الساجد والمسجود له في مرتبة الحقيقة فعبادته له لا لغيره فافهم جدا ، وصلاة الناس عليه إشارة إلى سجود الملائكة لآدم ولهذا شرعت صلاة الجنازة مطلقا تحقيقا لهذا السر العظيم ولا ينافيه كونها دعاء وثناء في مرتبة الشريعة إذ لكل مرتبة حد بحسب الوقوف عنده.

". (١)

١٥٤١-"سورة الإسراء

وهي مائة وإحدى عشرة آية مكية.

قال في "الكواشي" : إلا من ﴿وإن كادوا ليستفزونك﴾ إلى ﴿نصيرا﴾ أو فيها من المدني من ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق﴾ ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ ﴿إن ربك أحاط بالناس﴾ ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ والتي تليها انتهى.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٠١

﴿سبحان﴾ اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه ومتضمن معنى التعجب وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره تقديره اسبح الله عن صفات المخلوقين سبحانا بمعنى تسبيحا ثم نزل منزلة الفعل فناب منابه كقولهم معاذ الله وغفرانك غير ذلك.

وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكره بعده وهو لا ينافي التعجب.

قال في "التأويلات النجمية" : كلمة سبحان للتعجب بها يشير إلى أعجب أمر من أموره تعالى جرى بينه وبين حبيبه.

وفي "الأسئلة الحكم" أما اقتران الإسراء بالتسبيح ليتقي بذلك ذو العقل وصاحب الوهم ومن يحكم عليه خياله من أهل التشبيه والتجسيم مما يخيله في حق الخالق من الجهة والجسد والحد والمكان.

وإنما تعجب بعروجه دون نزوله عليه السلام لأنه لما عرج كان مقصده الحق تعالى ولما نزل كان مقصد الخلق والمقصود من التعجب التعجب بعروجه.

وأيضا أن عروجه أعجب من نزوله لأن عروج الكثيف إلى العلو **من العجائب** ﴿الذى أسرى بعبده﴾ .

قال الكاشفي : (اكى وبى عيبي آنراكه بجهت كرامت ببرد بنده خودراكه محمد است صلى الله عليه وسلم الإسراء السير بالليل خاصة كالسرى يقال اسري وسري أي : سار ليلا ومنه السرية لواحدة السرايا لأنها تسري في خفية وأسرى به أي :

---

(١) تفسير روح البيان. موافق للمطبوع ٣٠٦/٤

سيره ليلا.
قال النضر : سقط السؤال والاعتراضات على المعراج بقوله : أسرى دون سار ونظيره قوله عليه السلام : "حبب إلى من دنياكم ثلاث" حيث لم يقل أحببت.
وإنما قال بعبده دون بنبيه لئلا يتوهم فيه نبوة وألوهة كما توهموا في عيسى
١٠٢
ابن مريم عليهما السلام بانسلاخه عن الأكوان وعروجه بجسم إلى الملأ الأعلى مناقضا للعادات البشرية وأطوارها.
وأدخل الباء للمناسبة بين العبودية التي هي الذلة والتواضع وبين الباء التي هي حرف الخفض والكسر فإن كل ذليل منكسر.
وفيه إشارة إلى شرف مقام العبودية حتى قال الإمام في تفسيره : إن العبودية أفضل من الرسالة لأن بالعبودية ينصرف من الخلق إلى الحق فهي مقام الجمع وبالرسالة ينصرف من الحق إلى الخلق فهي مقام الفرق والعبودية أن يكل أموره إلى سيده فيكون هو المتكفل بإصلاح مهامه والرسالة التكفل بمهام الأمة وشتان ما بينهما.
قال الشيخ الأكبر قدس سره : إن معراجه عليه السلام أربع وثلاثون مرة واحدة بجسده والباقي بروحه رؤيا رآها أي : قبل النبوة وبعدها وكان الإسراء الذي حصل له قبل أن يوحى إليه توطئة له وتيسيرا عليه كما كان بدأ نبوته الرؤيا الصادقة والذي يدل على أنه عليه السلام عرج مرة بروحه وجسده معا قوله أسرى بعبده فإن العبد اسم للروح والجسد جميعا وأيضا أن البراق الذي هو من جنس الدواب إنما يحمل الأجساد وأيضا لو كان بالروح حال النوم أو حال الفناء أو الإنسلاخ لما استبعده المنكرون إذ المتهيئون من جميع الملل يحصل لهم مثل ذلك ويتعارفونه بينهم.
قال الكاشفي : (آنانكه درين قصه ثقل جسدرا مانع دانند ازصعود ارباب بدعت اند ومنكر قدرت).
جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٠٢
آنكه سرشت تنش ازجان بود
سير وعروجش بتن آسان بود
وقد ذكروا أن جبريل عليه السلام أخذ طينة النبي صلى الله عليه وسلم فعجنها بمياه الجنة وغسلها من كل كثافة وكدورة فكأن جسده الطاهر كان من العالم العلوي كروحه الشريف.
فإن قلت ففيم أسري به؟ قلت : قال صلى الله عليه وسلم "أسري بي في قفص من لؤلؤ فراشه من ذهب" كما في "بحر العلوم".
﴿ليلا﴾ نصب على الظرف وهو تأكيد إذ الإسراء في لسان العرب لا يكون إلا ليلا حتى لا يتخيل أنه كان نهارا ولا يظن أنه حصل بروحه أو لإفادة تقليل مدة الإسراء في جزء من الليل لما في التنكير من الدلالة على البعضية من حيث الإفراد فإن قولك سرت ليلا كما يفيد بعضية زمان سيرك من الليالي يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما إذا قلت : سرت الليل فإنه يفيد استيعاب السير له جميعا فيكون معيارا للسير لا ظرفا له وهي ليلة سبع وعشرين من رجب ليلة الإثنين وعليه عمل الناس قالوا : إنه عليه السلام ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين وأسري به ليلة الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ومات يوم الاثنين ولعل سره أن يوم الاثنين إشارة إلى التعين الثاني الذي هو مبدأ الفياضية ونظيره

الباء كما أن الباء من الحروف الهجائية له التعين الثاني فكذا يوم الاثنين فكان الألف ويوم الأحد بمنزلة تعين الذات والباء ويوم الاثنين أي : تعينهما بمنزلة تعين الصفات فافهم وفي وصف هذه الليلة ، قال المولى الجامي قدس سره :

ز قدر او متالى ليلة القدر

ز نور او براتى ليلة البدر

سواد طره اش خجلت ده حور

بياض غره اش نور على نور

نسيمش جعد سنبل شانه كرده

هوايش اشك شبنم دانه كرده

١٠٣

بمسمار ثوابت رخ سيار

به بسته در جهان درهاى ادبار

طرب راون سخن خندان امولب

كر يزان روز محنت زو شباشب". (١)

٥٤٢-"﴿من جآء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ (الأنعام : ١٦٠) والصلاة إنما تحصل بتوجه القلب والعمل الواحد في مرتبة القلب يقابل العشرة وقال : "من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب شيء فإن عملها كتبت سيئة واحدة"(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما كانت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة سبع مرات وغسل البول من الثوب سبع مرات ولم يزل صلى الله عليه وسلم يسأل ربه حتى جعلت الصلاة خمسا وغسل الجنابة مرة واحدة وغسل البول من الثوب مرة وفي الحديث "أكثروا من الصلاة على موسى فما رأيت أحدا من الأنبياء أحوط على أمتي منه" وجاء "كان موسى أشدهم علي حين مررت به وخيرهم علي حين رجعت فنعم الشفيع كان لكم موسى" وذلك فإنه كما تقدم لما جاوزه النبي عند الصعود بكى فنودي ما يبكيك؟ فقال : رب هذا غلام أي لأنه صلى الله عليه وسلم كان حديث السن بالنسبة إلى موسى بعثته بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل من أمتي ، فإن قلت هذا وقوع النسخ قبل البلاغ وقد اتفق أهل السنة والمعتزلة على منعه ، قلت : وقع بعد البلاغ بالنسبة إلى النبي عليه السلام لأنه كلف بذلك ثم نسخ فإذا نسخ في حقه نسخ في حق أمته لأن الأصل أن ما ثبت في حق كل نبي ثبت في حق أمته إلا أن يقوم الدليل على الخصوصية.

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "رأيت ليلة أسري بي إلى السماء تحت العرش سبعين مدينة كل مدينة مثل مدائنكم هذه سبعين مرة مملوءة من الملائكة يسبحون الله ويقدسونه ويقولون في تسبيحهم اللهم اغفر

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع ٧٨/٥

لمن شهد الجمعة" أي صلاتها

١٢٣

"اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة" أي لصلاتها "ورأيت ليلة أسري بي مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر أمثلها والقرض بثمانية عشر فقلت لجبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة قال : لأن السائل يسأل وعنده شيء والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة" وبيان كون درهم القرض بثمانية عشر درهما أن درهم القرض بدرهمين من دراهم الصدقة كما جاء في بعض الروايات ودرهم الصدقة بعشرة تصير الجملة عشرين ودرهم القرض يرجع للمقرض بدله بدرهمين من عشرين يتخلف ثمانية عشر "ورأيت رضوان خازن الجنة فلما رآني فرح بي ورحب بي وأدخلني الجنة وأراني فيها **من العجائب** ما وعد الله فيها لأوليائه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ورأيت فيها درجات أصحابي ورأيت فيها الأنهار والعيون وسمعت فيها صوتا وهو يقول : آمنا برب العالمين فقلت : ما هذا الصوت يا رضوان؟ قال : هم سحرة فرعون وأزواجهم وسمعت آخر وهو يقول : لبيك اللهم فقلت : من هو قال : أرواح الحجاج وسمعت التكبير فقال هؤلاء الغزاة وسمعت التسبيح فقال هؤلاء الأنبياء ورأيت قصور الصالحين وعرضت علي النار وإن كانت في الأرض السابعة فإذا على بابها مكتوب وإن جهنم لموعدهم أجميعن" قال عليه السلام : "وأبصرت ملكا لم يضحك في وجهي فقلت : يا أخي جبريل من هذا؟ قال : مالك خازن النار لم يضحك منذ خلقه الله ولو ضحك إلى أحد لضحك إليك فقال له جبريل : يا مالك هذا محمد فسلم عليه فسلم علي وهنأني بما صرت إليه من الكرامة والشرف" وإنما بدأ خازن النار بالسلام عليه صلى الله عليه وسلم ليزيل ما استشعر من الخوف منه ويشير إلى أنه ومن اتبعه من الصالحين سالمون من النار ناجون قال عليه السلام : "فسألته أن يعرض علي النار بدركاتها فعرضها علي بما فيها وإذا فيها غضب الله" أي نقمته "لو طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتها وإذا قوم يأكلون الجيف فقلت : من هؤلاء يا جبريل؟ فقال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ورأيت قوما تنزع ألسنتهم من أقفيتهم فقلت : من هم؟ فقال : هم الذين يحلفون بالله كاذبين ورأيت جماعة من النساء علقن بشعورهن فقلت : من هن؟ قال : هن اللاتي لا يستترن من غير محارمهن ورأيت جماعة منهن لباسهن من القطران فقلت : من هن؟ قال : نائحات" جمع نائحة وهي الباكية على الميت مع عد أخلاقه ومحاسنه.

ودل حديث المعراج على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن لأن الإنسان إذا علم ثوابا مخلوقا اجتهد في العبادة ليحصل ذلك الثواب وإذا علم عقابا مخلوقا اجتهد في اجتناب المعاصي لئلا يصيبه ذلك العقاب وقد صح أن الجنان قيعان وعمارتها بالأعمال كما دل عليه حديث الغراس فيما سبق.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٠٢

واعلم أنه عليه السلام أسري به من مكة إلى بيت

١٢٤

". (١)

٥٤٣-"التي هي الصبح لم تكن فرضت كما تقدم "وأتيت فيما بين ذلك بيت المقدس" وأخبرهم عما رأى في السماء **من العجائب** وأنه لقي الأنبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وجاء أنه لما دخل المسجد الحرام وعرف أن الناس يكذبونه وما أحب أن يكتم ما هو دليل على قدرة الله تعالى وما هو دليل على علو مقامه الباعث على اتباعه قعد حزينا فمر به عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس إليه عليه السلام فقال كالمستهزىء : هل كان من شيء؟ قال : "نعم أسري بي الليلة" قال : إلى أين؟ قال : "إلى بيت المقدس" قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال : "نعم" قال : أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني؟ قال : "نعم" قال : يا معشر كعب بن لؤي فانفضت إليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا إليهما فقال : حدث قومك بما حدثتني به فقال : "إني أسري بي" قالوا : إلى أين؟ قال : "إلى بيت المقدس فنشر لي الأنبياء وصليت بهم وكلمتهم" فقال أبو جهل كالمستهزىء : صفهم لنا فقال عليه السلام : "أما عيسى ففوق الربعة دون الطويل" أي لا طويل ولا قصير "عريض الصدر جاعد الشعر" أي في شعره "تثنى وتكسر تعلوه صهبة" أي يعلو شعره شقرة "ظاهر الدم" أي يعلوه حمرة "كأنما خرج من ديماس" أي حمام وأصله الكن الذي يخرج منه الإنسان وهو عريان وأصله الظلمة يقال ليل دامس والحمام لفظ عربي.

وأول واضع له الجن وضعته لسليمان عليه السلام وقيل : الواضع بقراط الحكيم وقيل : شخص سابق على بقراط استفاده من رجل كان به تعقيد العصب فوقع في ماء حار في جب فسكن فصار يستعمله حتى برىء وفي الحديث "اتقوا بيتا يقال له الحمام فمن دخله فليستتر" ولم يدخل عليه السلام الحمام ولم يكن ذلك في بلاد الحجاز وإنما كان في أرض العجم والشام "وأما موسى فضحم آدم" أي أسمر ومن ثمة كان خروج يده بيضاء مخالفا لونها لسائر لون جسده آية "طويل كأنه من رجال شنوءة" وهي طائفة من اليمن أي ينسبون إلى سنوءة وهو عبد المطلب بن كعب من أولاد الأزد معروفون بالطول "كثير الشعر غائر العينين متراكم الأسنان متقلص الشفتين خارج اللثة" وهو اللحم الذي خارج الأسنان عابس "وأما إبراهيم فوالله إنه لأشبه الناس بي خلقا وخلقا فضجوا" أي صاح قريش وعظموا ذلك وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على رأسه متعجبا ومنكرا قالوا : نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا أتزعم أنك أتيته في ليلة واحدة واللات والعزى لا نصدقك وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال إلى أبي بكر رضي الله عنه أي أسرع أو مشى فقال : إن كان قد قال ذلك فلقد صدق قالوا : أتصدقه على ذلك؟ قال : إني أصدقه على أبعد من ذلك أي إن ذهب إلى بيت المقدس في ليلة واحدة أصدقه فإني أصدقه في خبر السماء في غدوة وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس وروحة وهي اسم للوقت من الزوال إلى الليل والمراد هنا أنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أي مجيء الخبر له من السماء بواسطة الملك أبعد مما تتعجبون منه فسمي الصديق وهو الكثير الصدق فهو للمبالغة وتسمية أبي بكر بسبب هذا الجواب الصدق بهذا الاسم للمبالغة في كيفية الصدق فإنه صدق كامل في مثل هذا

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع ٩٤/٥

المقام الذي كذب فيه أكثر الناس وكان علي رضي الله عنه يحلف بالله أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق أي فهي تسمية الله بالذات لا تسمية الخلق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس

١٢٦

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٠٢

فاستنعتوه المسجد أي قالوا : يا محمد صف لنا بيت المقدس كم له من باب أرادوا بذلك إظهار كذبه عليه السلام لأنهم عرفوا أنه عليه السلام لم يره قال : "فكربت كربا شديدا لم أكرب مثله قط لأنهم سألوني عن أشياء لم أثبتها وكنت دخلته ليلا وخرجت منه ليلا فقمت في الحجر فجلي الله لي بيت المقدس" أي كشفه لي أي بوجود صورته ومثاله في جناح جبريل أو برفع الحجاب بينه وبين بيت المقدس حتى رآه عليه السلام وهو في مكانه إذ كان يصل بصره إلى حيث يصل إليه قلبه أو بإعدامه هناك وإيجاده في مكة طرفة عين بحيث يتصل بعدمه وجوده على ما هو شأن الخلق الجديد ومنه زيارة الكعبة لبعض الأولياء كما قال في "المثنوي" :

هرنفس نو ميشود دنيا وما

بى خبر ارنوشدن اندر بقا

عمر همون جوى نونو مى رسد

مستمرى مى نمايد درجسد

آن زتيزى مستمر شكل آمده است

ون شرركس تيز جنبانى بدست

شاخ آتس را بجنبانى بساز

در نظر آتش نمايد بس دراز

اين درازى مدت ازتيزى صنع

مى نمايد سرعت انكيزى صنع

". (١)

٥٤٤-"قال في "المختار" : رآه قبلا بفتحتين وقبلا بضمتين وقبلا بكسر بعده فتح أي مقابلة وعيانا قال تعالى : ﴿أو يأتيهم العذاب قبلا﴾ ولي قبل فلان حق أي عنده ومالي به قبل أي طاقة انتهى والذي يفهم من "المفردات" أنه في الأصل بمعنى عند ثم يستعار للقوة والقدرة على المقابلة أي المجازاة فيقال : لا قبل لي بكذا ، أي لا يمكنني أن أقابله ولا قبل لهم بها لا طاقة لهم على دفاعها.

﴿ولنخرجنهم﴾ عطف على جواب القسم.

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع ٩٦/٥

﴿منهآ﴾ من سبأ ومن أرضها حال كونهم ﴿أذلة﴾ (درحالتي كه بي حرمت وبي عزت باشند) بعد ما كانوا من أهل العز والتمكين وفي جمع القلة تأكيد لذلتهم والذل ذهاب العز والملك.

﴿وهم صاغرون﴾ أي : أسارى مهانون حال أخرى مفيدة لكون إخراجهم بطريق الإجلاء يقال : صغر صغرا بالكسر في ضد الكبر وصغارا بالفتح في الذلة والصاغر الراضي بالمنزلة الدنيئة وكل من هذه الذلة والصغار مبني على الإنكار والإصرار كما أن كلا من العز والشرف مبني على التصديق والإقرار ولما كان الإعلام مقدما على الجزاء أمر سليمان برجوع الرسول لأجل الأداء.

وفي "المثنوي".

باز كرديد أي رسولان خجل

زر شمارا دل بمن آريد دلكه نظركاه خداوندست آن

كز نظر انداز خورشيدست كان

كو نظركاه شعاع آفتاب

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٤٦

كون ظركاه خداوند لباب

أي رسولان ميفرستمتان رسول

رد من بهتر شمارا از قبوليش بلقيس آنه ديديد از عجب

باز كوييد از بيابان ذهب

تابداندكه بزر طامع نه ايم

مازر از زر آفرين آورده ايم

هين بيا بلقيس ورنه بد شود

لشكرت خصمت شود مرتد شودرده دارت رده ات را بركند

جان توباتو بجان خصمي كند

ملك برهم زن تو ادهم وارزود

تابيابي همو أو ملك خلودهين بياه من سولم دعوتي

ون أجل شهوت كشم من شهوتيوربود شهوت أمير شهوتهم

ني أسير شهوت وروى بتم

بت شكن بودست أصل أصل ما

ون خليل حق وجمله انبيا

خيز بلقيسا بيا وملك بين

برلب درياي يزدان در بينخواهر انت ساكن رخ سني

توبمرداري هـ سلطاني كني

خواهرانت راز بخششهاي داد

هي ميداني كه آإن سلطان هـ داد

توز شادي ون كرنتي طبل زن

كه منم شاه ورئيس كولخن

آن سك دركوكدايي كورد ديد

حمله مي آورد ودلقش مدريدكور كفتش آخرآن ياران تو

بركه اند ايندم شكاري صيدجو

٣٤٧

قوم تو در كوه ميكيريند كور

ديميان كويميكيري توكور

ترك اين تزوير كو شيخ نفور

آب شوري جمع كرده ند كور

كاين ميردان من ومن آب شور

مي خورنداز من همي كردند كور

آب خود شيرين كن از بحر لدن

آب بدرا دام اين كوران مكن

خيز شيران خدا بين كور كير

تووسك وني بزرقى كوركير

فعلى العاقل أن لا يقنع بيسير من القال والحال بل يتضرع إلى الله الملك المتعال في أن يوصله إلى المقامات العالية والدرجات العلى إنه الكريم المولى يروى لما رجع رسلها إليها بخبر سليمان قالت : والله قد علمت أنه ليس بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت إلى سليمان : إني قادمة إليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك (وتخت خودرا درخانه موضبوط ساخت ونكهبانان بروكماشت درخانه قفل كرد ومفتاح را برداشت والشكر متوجه بايه سرير سليمان شد) وكان لها اثنا عشر ألف ملك كبير يقال له : القيل . بفتح القاف . تحت كل ملك ألوف كثيرة وكان سليمان رجلا مهيبا لا يبدأ بشيء حتى يسأل عنه فجلس يوما على سريره فرأى جمعا جما على فرسخ عنه فقال : ما هذا؟ فقالوا : بلقيس بملوكها وجنودها فأقبل سليمان حينئذ على أشراف قومه وقال أو لما علم بمسيرها إليه.

﴿قال يا اأيها الملؤا﴾ (أي إشراف قوم من) ﴿أيكم يأتيني بعرشها﴾ (كدام شما مي آرد تخت بلقيس را) ﴿قبل أن يأتونى﴾ حال كونهم ﴿مسلمين﴾ لأنه قد أوحي إلى سليمان أنها تسلم لكن أراد أن يريها بعض ما خصه الله تعالى به **من العجائب**

الدالة على عظم القدرة وصدقه في دعوى النبوة فاستدعى إتيان سريرها الموصى بالحفظ قبل قدومها.

وفي "المثنوي" :

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٤٦

ونكه بلقيس ازدل وجان عزم كرم

بر زمان رفته هم افسوس خوردترك مال وملك كرد أو آنجنان

كه بترك نام وننك آن عاشقان

هي سليمان ازدلش آكاه شد

كز دل أو تادل أو راه شد

س سليمان ازدلش اكاه شد

كز دل او تادل او راه شد

ديد از دورش كه آن تسليم كيش

تلخش آمد فرقت آن تخت خويش

از بزركي تخت كز حد مي فزود

نقل كردن تخت را إمكان نبود

خرده كاري بود وتفريقش خطر

همو أوصال بدن بايكديكر

س سليمان كفت كره في الأخير

سرد خواهد شد برو تاج وسير

ليك خود يا اين همه بر نقد حال

ست بايد تخت أورا انتقال

تانكردد خسته هنكام لقا

كودكانه حاجتش كردد روا". (١)

٥٤٥-"وتشرين الثاني وهذا كله بتقدير العزيز العليم وأداراته الأجزام العلوية على نهج مستقيم ويقال المراد بالبروج هي النجوم التي هي منزل القمر وهي ثمانية وعشرون نجما ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاها ولا يتقصر عنها وذا صار القمر إلى آخر منازله دق واستقوس ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوما وإن كان تسعة وعشرين فليلة وحدة وإطلاق الروج على هذه النجوم مبنى على تشبهها بالقصور من حيث إن القمر ينزل فيها ولظهورها أيضا بالنسبة إلى بعض

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع ٢٥٣/٦

الناس كالعرب لأن البرج ينبيء عن الظهور مع الاشتمال على المحاسن يقال تبرجت المرأة أي تشبهت بالبرج في إظهار المحاسن وإما البروج الاثنا عشر فليس لها ظهور حيث لا تدرك حسا والبروج الاثنا عشر منقسمة إلى هذه المنازل الثمانية والعشرين والشمس تسير في تمام هذه البروج الاثني عشر في كل سنة والقمر في كل شهر وقد تعلقت بها منافع ومصالح للعباد فاقسم الله تعالى بها إظهارا لقدرها وشرفها وفيه إشارة إلى الروح الإنساني ذات المقامات في الترقي والدرجات واليوم الموعود﴾ أي يوم القيامة اقسم الله تعالى به تنبيها على قدره وعظمه أيضا من حيث كونه يوم الفصل والجزاء ويوما تفرد الله بالملك والحكم فيه وفيه إشارة إلى آخر درجات الروح من كشف التوحيد الذاتي وهي القيامة الكبرى

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٣٨٣

﴿وشاهد ومشهود﴾ أي ومن يشهد في ذلك اليوم من الأولين والآخرين والأنس والجن والملائكة والأنبياء وما يحضر فيه **من العجائب** فالشاهد بمعنى الحاضر من الشهود بمعنى الحضور لا بمعنى الشاهد الذي نثبت به الدعاوي والحقوق وتنكيرهما للإبهام في الوصف أي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما ويقال المشهود يوم الجمعة والشاهد من يحضره من المسلمين للصلاة ولذكر الله ما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله فيها خيرا إلا استجاب له ولا يستعيذه من سوء إلا إعاذة منه وفي الحديث اكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة ويقال المشهود يوم عرفة والشاهد من يحضره من الحاج وحسن القسم به تعظيما لأمر الحج وعددهم هفتصد هزار كما في "كشف الأسرار" ويقال الشاهد كل يوم والمشهود أهله فيكون المشهود بمعنى المشهود عليه والشاهد من الشهادة كما قال الحسن البصري رحمه الله ، ما من يوم إلا وينادي ي يوم جديد وإني على ما يفعل في شهيد فاغتمني فلو غابت شمس لم تدكني إلى يوم القيامة.

دريغاكه بكذشت عمر عزيز

بخواهد كذشت اين دمى ند نيز

كذشت آنه درنا صوابي كذشت

در اين نيزهم درنيابي كذشت

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٣٨٣

ويقال الشاهد هو الحق من حنث الجمعية والمشهود هو أيضا من حيث التفرقة وإن شئت قلت من حيث الإجمال ومن حيث التفصيل لا يراه بالحقيقة أحد إلا هو ويقال الشاهد نفس الروح والمشهود نفس الطبع وقال الحسين رحمه الله في هذه الآية علامة إنه ما انفصل الكون عن المكون ولا قارنه ﴿قتل أصحاب الاخدود﴾ جواب القسم بحذف اللام المؤكدة

٣٨٥

". (١)

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع ٢٩٨/١٠

٥٤٦-"تفسير سورة الزلزلة

آياتها ثمان

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٤٩١

إذا﴾ ون ﴿زلزلت الارض﴾ أي حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا فإن تكرر حروف لفظه ينبيء عن تكرر معنى الزلل ﴿زلزالها﴾ أي الزلزال المخصوص بها الذي تستوجبه في الحكمة ومشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذي لا غاية ورآه وهو معنى زلزالها بالإضافة العهدية يقال زلزله زلزلة وزلزالا مثلثة حركة كما في "القاموس" وقال أهل التفسير الزلزال بالكسر مصدر وبالفتح اسم بمعنى المصدر وفعلال بالفتح لا يوجد إلا في المضاعف كالصلصال ونحوه ﴿وأخرجت الارض أثقالها﴾ اختيار الواو على الفاء مع أن الإحراج متسبب عن الزلزال للتفويض إلى ذهن السامع وإظهار الأرض في موضع الإضمار لأن إخراج الأثقال حال بعض أجزائها والأثقال كنوز الأرض وموتاها جمع ثقل بالكسر وإما ثقل محركة فمتاع المسافر وحشمه على ما في "القاموس" المعنى وأخرجت الأرض ما في جوفها من دائها وكنوزها كما عند زلزال النفخة الأولى الذي هو من أشراط الساعة وكذا من أمواتها عند زلزال النفخة الثانية وفي الخبر تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوانة من الذهب فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع رحمة فيقول : في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا القطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شئيا قوله أفلاذ كبدها أراد أنها تخرج الكنوز المدفونة فيها وقيئها إخراجها ويدخل في الأثقال الثقلان وفيه إشارة إلى أن الجن تدفن أيضا ﴿وقال الانسان﴾ أي كل فرد من أفراده لما يغشاهم من الأهوال ويلحق بهم من فر الدهشة وكمال الحيرة أي شيء للأرض زلزلت هذه المرة الشديدة من الزلزال وأرجت ما فيه من الأثقال استعظاما لما شاهده من الأمر الهائل وتعجبا لما يرونه **من العجائب** التي لم تسمع بها الآذان ولا ينطق بهما اللسان لكن المؤمن يقول بعد الإفاقة هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون والكافر من بعثنا من مرقدنا ﴿يوماذ﴾ يدل من إذا ﴿تحدث أخبارها﴾ عامل فيهما وهو جواب الشرط وهذا على القول بأن العامل في إذا الشرطية جوابها وأخبارها مفعول لتحدث والأول محذوف لعدم تعلق الغرض بذكره إذ الكلام مسوق لبيان تهويل اليوم وإن الجمادات تنطق فيه وإما ذكر ابن الحاجب من أن حدث ٤٩٢

وأنبأ ونبأ لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد فغير مسلم الصحة على ما فصل في محله والمعنى تحدث الخلق أخبارها إما بلسان الحال حنث تدل دلالة ظاهرة على ما لأجله زلزالها وإخراج أثقالها وإن هذا ما كانت الأنبياء ينذرونه ويخوفون منه وإما بلسان المقال وهو قول الجمهور حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل على ظهره من خير وشر حتى يؤد الكافر أنه سيق إلى النار مما يرى من الفضوح.

)

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٤٩٢

روى) أن عبد الرحمن بن صعصعة كان يتيما في حجر أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، فقال أبو سعيد يا بني إذا كنت في البوادي فارفع صوتك بالأذان فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسمعه جن ولا أنس ولا حجر ولا

شجر إلاشهد له وروى أن أبا أمية صلى في المسجد الحرام المتكوبة ثم تقدم فجعل يصلي ههنا وههنا فلما فرع قيل له يا أبا أمية ما هذا الذي تصنع قال قرأت هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها فأردت أن يشهد لي يوم القيامة فطوبى لمن شهد له المكان بالذكر والتلاوة والصلاة ونحوها وويل لمن شهد عليه بالزنى والشرب والسرقة والسماوي ويقال إنعليك سبعة شهود المكان كما قال تعالى : يومئذ تحدث أخبارها والزمان كما في الخبر ينادي كل يوم أنا يوم جديد وأنا على ما تعمل في شهيد واللسان كما قال تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم والأركان كما قال تعالى وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم والملكان كما قال تعالى : [الانفطار : ١٠]﴿وإن عليكم لحافظين﴾ والديوان كما قال تعالى : هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق والرحمن ، كما قال : إنا كنا عليكم شهودا فكيف يكون حالك يا عاصي بعد ما شهد عليك هؤلاء الشهود بأن ربك أوحى لها﴾ أي تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها وأمره إياها بالتحديث بلسان المقال على ما عليه الجمهور أو بسبب أن أحدث فيها أحوالا دالة على الأخبار كما إذا كان التحديث بلسان الحال وفيه إشارة إلى زلزلة أرض البدن عند نزع الروح الإنساني باضطراب الروح الحيواني والقوى وإلى إجراجها متاعها التي هي به ذات قدر من القوى والأرواح وهيئات الأعمال والاعتقادات الراسخة في القلب وقال الإنسان مالها زلزلت واضطربت ما طبها وما داؤها الانحراف المزاج أم لغلبة الأخلاط يومئذ تحدث أخبارها بلسان حالها بأن ربك أشار إليها وأمرها بالاضطراب والخراب وإخراج الأثقال عند زهوق الروح وتحقق الموت ﴿يوماذ﴾ أي يوم إذ يقع ما ذكر ﴿يصدر الناس﴾ من قبورهم إلى موقف الحساب وانتصب يومئذ بيصدر والصدر يكن عن ورود أي هو رجوع وانصراف بعد الورود والمجيء فقال الجمهور هو كونهم مدفونين في الأرض والصدر قيامهم للبعث والصدر والصدور بالفارسية باز كشتن.". (١)

٥٤٧-" صفحة رقم ١٣٥

في الدفع عنهم .

البقرة : (٢٥٢) تلك آيات الله . . . . .

) تلك ءايات الله (، يعني القرآن ،) نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين) [آية : ٢٥٢] .

تفسير سورة البقرة آية [٢٥٣]

البقرة : (٢٥٣) تلك الرسل فضلنا . . . . .

) تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله (، وهو موسى (صلى الله عليه وسلم) ، ومنهم من اتخذه خليلا ، وهو إبراهيم (صلى الله عليه وسلم) ، ومنهم من أعطى الزبور ، وتسبيح الجبال والطير ، وهو داود (صلى الله عليه وسلم) ، ومنهم من سخرت له الريح والشياطين ، وعلم منطق الطير ، وهو سليمان (صلى الله عليه وسلم) ، ومنهم من يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ، ويخلق من الطين طيرا ، وهو عيسى (صلى الله عليه وسلم) ، فهذه الدرجات ، يعني الفضائل ، قال تعالى : (ورفع بعضهم درجات (

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع ٣٨٠/١٠

على بعض ،) وءاتينا (، يقول : وأعطينا) عيسى ابن مريم البينات (، يعني ما كان
يصنع **من العجائب** وما كان يحيي من الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويخلق من الطين .
ثم قال : (وأيدناه بروح القدس (، يقول سبحانه : وقويناه بجبريل ، عليه السلام ،
ثم قال : (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم (، يعني من بعد عيسى وموسى ،
وبينهما ألف نبي ، أولهم وآخرهم عيسى ،) من بعد ما جاءتهم البينات (، يعني
العجائب التي كان يصنعها الأنبياء ،) ولكن اختلفوا (، فصاروا فريقين في الدين ،
فذلك قوله سبحانه : (فمنهم من ءامن (، يعني صدق بتوحيد الله عز وجل ،) ومنهم من كفر (بتوحيد الله ،) ولو
شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) [آية :
٢٥٣] ، يعني أراد ذلك .
تفسير سورة البقرة آية [٢٥٤]
البقرة : (٢٥٤) يا أيها الذين . . . . .
) يا أيها الذين ءامنوا أنفقوا مما رزقناكم (من الأموال في طاعة الله) من قبل أن يأتي يوم لا بيع (يقول : لا فداء فيه ،)
فيه ولا خلة (فيه ليعطيه بخلة ما بينهما ،) ولا شفاعة (للكفار فيه كفعل أهل الدنيا بعضهم في بعض فليس في الآخرة
شيء من ذلك
) والكافرون هم الظالمون) [آية : ٢٥٤] .". (١)

٥٤٨-" صفحة رقم ٢٩٦
يقول : من عندنا علما ، وعلى الخضر ، عليه السلام ، جبة صوف ، واسمه : اليسع ، وإنما سمي
اليسع ؛ لأن علمه وسع ست سموات وست أرضين ، فأتاه موسى ويوشع من خلفه ،
فسلما عليه ، فأنكر الخضر السلام بأرضه وانصرف ، فرأى موسى فعرفه ، فقال : وعليك
السلام يا نبي بني إسرائيل ، فقال موسى : وما يدريك أني نبي بني إسرائيل ؟ قال : أدراني
الذي أرشدك إلى وأدراك بي .
الكهف : (٦٦) قال له موسى . . . . .
) قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا) [آية : ٦٦] ، يعني علما ،
قال الخضر ، عليه السلام : كفى بالتوراة علما ، وببني إسرائيل شغلا ، فأعاد موسى
الكلام .
الكهف : (٦٧) قال إنك لن . . . . .

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ١/١٣٥

ف) قال (الخضر : (إنك لن تستطيع معي صبرا) [آية : ٦٧] ، قال موسى : ولم ؟ قال :

لأني أعمل أعمالا لا تعرفها ، ولا تصبر على ما ترى **من العجائب** حتى تسألني عنه .

الكهف : (٦٨) وكيف تصبر على . . . . .

) وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) [آية : ٦٨] ، يعني علما .

الكهف : (٦٩) قال ستجدني إن . . . . .

) قال ستجدني إن شاء الله صابرا (، قال مقاتل : فلم يصبر مولى ، ولم يأثم بقوله :

(ستجدني إن شاء الله صابرا (، على ما رأى **من العجائب** ، فلا أسألك عنها ،) ولا أعصي لك أمرا) [آية : ٦٩

] فيما أمرتني به ، أو نهيتني عنه .

الكهف : (٧٠) قال فإن اتبعتني . . . . .

) قال (الخضر ، عليه السلام : (فإن اتبعتني فلا تسئلنى عن شيء حتى أحدث لك منه

ذكرا) [آية : ٧٠] ، يقول : حتى أبين لك بيانه .

الكهف : (٧١) فانطلقا حتى إذا . . . . .

) فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها (، فمرت سفينة فيها ناس ، فقال الخضر : يا

أهل السفينة ، احملونا معكم في بحر أيلة ، قال بعضهم : إن هؤلاء لصوص ، فلا تحملوهم

معنا ، قال صاحب السفينة : أرى وجوه أنبياء ، وما هم بلصوص ، فحملهم بأجر ، فعمد

الخضر فضرب ناحية السفينة بقدوم فخرقها ، فدخل الماء فيها ، فعمد موسى ، فأخذ ثيابا

فدسها في خرق السفينة ، فلم يدخل الماء ، وكان موسى ، عليه السلام ، ينكر الظلم ، فقام

موسى إلى الخضر ، عليهما السلام ، فأخذ بلحيته ، و) قال (له سموى : (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا)

[آية : ٧١] ، يعنى لقد أتيت أمرا منكرا ، فالتزمه الخضر ،

وذكره الصحبة ، وناشده بالله ، وركب الخضر على الخرق ؛ لئلا يدخلها الماء .

الكهف : (٧٢) قال ألم أقل . . . . .

) قال (له الخضر : (ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا) [آية : ٧٢] ، على ما ترى". [١]

٥٤٩-" صفحة رقم ٢٩٧

من العجائب ، قال يوشع لموسى : اذكر العهد الذي أعطيته من نفسك .

الكهف : (٧٣) قال لا تؤاخذني . . . . .

) قال (موسى : (لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني (، يعني تغشيني ،) من أمري عسرا) [آية : ٧٣] ، يعني من قولي

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٢/٢٩٦

عسرا ، ثم قعد موسى مهموما يقول في نفسه : لقد
كنت غنيا عن اتباع هذا الرجل ، وأنا في بني إسرائيل أقرئهم كتاب الله عز وجل غدوة
وعشيا ، فعلم الخضر ما حدث به موسى نفسه ، وجاء طير يدور ، يرون أنه خطاف ، حتى
وقع على ساحل البحر ، فنكث بمنقاره في البحر ، ثم وقع على صدر السفينة ، ثم صوت ،
فقال الخضر لموسى : أتدرك ما يقول هذا الطائر ؟ قال موسى : لا أدري ، قال الخضر :
يقول : ما علم الخضر وعلم موسى في علم الله إلا كقدر ما رفعت بمنقاري من ماء البحر
في قدر البحر .
تفسير سورة الكهف من الآية : [٧٥ – ٨٢] .
الكهف : (٧٤) فانطلقا حتى إذا . . . . . .
ثم خرجا من السفينة على بحر إيله ،) فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما (سداسيا ،
)(فقتله (الخضر بحجر أسود ، واسم الغلام : حسين بن كازري ، واسم أمه : سهوي ،
فلم يصبر موسى حين رأى المنكر ألا ينكره ، ف) قال (للخضر : (أقتلت نفسا زكية (،
يعنى لا ذنب لها ، ولم يجب عليها القتل ،) بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا) [آية : ٧٤] .
يقول أتيت أمرا فظيعا ، قال يوشع لموسى : اذكر العهد الذي أعطيته عن نفسك .
الكهف : (٧٥) قال ألم أقل . . . . . .
) قال (الخضر لموسى ، عليهما السلام : (ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي". [1]

٥٥٠-" صفحة رقم ٢٩٨
صبرا) [آية : ٧٥] ، وإنما قال : (ألم أقل لك (لأنه كان قد تقدم إليه قبل ذلك بقوله :
(إنك لن تستطيع معي صبرا (، على ما ترى من العجائب .
الكهف : (٧٦) قال إن سألتك . . . . . .
) قال)) موسى ((إن سألتك عن شيء بعدها (، يعنى بعد قتل النفس ،) فلا تصاحبني
قد بلغت من لدني عذرا) [آية : ٧٦] ، يقول : لقد أبلغت في العذر إلى .
الكهف : (٧٧) فانطلقا حتى إذا . . . . . .
) فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها (الطعام ، تسمى القرية : باجروان ،
ويقال : أنطاكية . قال مقاتل : قال قتادة : هي القرية ،) فأبوا أن يضيفوهما (، يعنى أن
يطعموهما ،) فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض (، كانوا بلوا الطين ،) فأقامه (

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٢/٢٩٧

الخضر جديدا فسواه ،) قال (موسى : عمدت إلى قوم لم يطعمونا ولم يضيفونا ، فأقمت لهم جدارهم فسويته لهم بغير أجر ، يعنى بغير طعام ولا شيء ،) لو شئت لتخذت عليه أجرا) [آية : ٧٧] ، أي لو شئت أعطيت عليه شيئا .

الكهف : (٧٨) قال هذا فراق . . . . .

) قال (الخضر : (هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل (، يعنى بعاقبة ،) ما لم تستطع عليه صبرا) [آية : ٧٨] ، كقوله سبحانه : (يوم يأتي تأويله) [الأعراف : ٥٣] ، يعنى عاقبته .

الكهف : (٧٩) أما السفينة فكانت . . . . .

ثم قال الخضر لموسى ، عليهما السلام : (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها (، يعني أن أخرقها ،) وكان ورائهم ملك (، يعنى أمامهم ، كقوله سبحانه) ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) [الإنسان : ٢٧] ، واسم الملك : مبدلة بن جلندي الأزدي ،) يأخذ كل سفينة (صالحة صحيحة سوية ،) غصبا) [آية : ٧٩] ، كقوله سبحانه : (فلما آتاهما صالحا) [الأعراف : ١٩٠] ، يعنى سويا ، يعنى غصبا من أهلها ، يقول : فعلت ذلك ؛ لئلا ينتزعها من أهلها ظلما ، وهم لا يضرهم خرقها .

الكهف : (٨٠) وأما الغلام فكان . . . . .

) وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين (، وكان الغلام كافرا ، يقطع الطريق ، ويحدث الحدث ، ويلجأ إليهما ويجادلان عنه ، ويحلفان بالله ما فعله ، وهم يحسبون أنه برئ من الشر ، قال الخضر : (فخشينا (، يعنى فعلمنا ، كقوله سبحانه : (وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا) [النساء : ١٢٨] ، يعنى علمت ، وكقوله تعالى : (وإن خفتم شقاق بينهما) [النساء : ٣٥] ، يعنى علمتم ،) أن يرهقهما (، يعنى يغشيهما ،) طغيانا (،". (١)

٥٥١-" صفحة رقم ٢٩٩

يعنى ظلما ،) وكفرا) [آية : ٨٠] ، وفي قراءة أبي بن كعب : فخاف ربك ، يعنى فعلم ربك .

الكهف : (٨١) فأردنا أن يبدلهما . . . . .

) فأردنا أن يبدلهما ربهما (، يعنى لأبويه لقتل الغلام ، والعرب تسمى الغلام غلاما ، ما لم تسو لحيته ، فأردنا أن يبدلهما ربهما ، يعنى يبدل والديه ،) خيرا منه زكوة (، يعنى

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٢/٢٩٨

عملا ،) وأقرب رحما) [آية : ٨١] ، يعني وأحسن منه برا بوالده ، وكان في شرف

وعده ، وبلغنا عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : ' إن الله عز وجل أبدلهما غلاما مكان المقتول ، ولو

عاش المقتول لهلكا في سببه ' .

الكهف : (٨٢) وأما الجدار فكان . . . . .

) وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة (، يعني في قرية تسمى : باجروان ،

ويقال : هي أنطاكية ،) وكان تحته كنز لهما (، حدثنا عبيد الله قال : حدثنا أبي ، عن

مقاتل ، عن الضحاك ومجاهد ، قال : صحفا فيها العلم ، ويقال : المال ،) وكان أبوهما صالحا (، يعني ذا أمانة ، اسم

الأب : كاشح ، واسم الأم : دهنا ، واسم أحد الغلامين :

أصرم ، والآخر صريم ،) فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما (، والأشد

ثماني عشرة سنة ،) رحمة من ربك (، يقول : نعمة من ربك للغلامين ،) وما فعلته (،

وما فعلت هذا ،) عن أمري (، ولكن الله أمرني به ،) ذلك تأويل (، يعني عاقبة ،) ما لم تسطع عليه صبرا) [آية :

٨٢] ، يعني هذا عاقبة ما رأيت **من العجائب** ، نظيرها : (هل ينظرون إلا تأويله) [الأعراف : ٥٣] ، يعني عاقبة

ما ذكر الله تعالى في القرآن من

الوعيد .

تفسير سورة الكهف من الآية : [٨٣ - ٨٦] .

الكهف : (٨٣) ويسألونك عن ذي . . . . .

) ويسألونك عن ذي القرنين (، يعني الإسكندر قيصر ، ويسمى : الملك القابض ، على

قاف ، وهو جبل محيط بالعالم ، ذو القرنين ، وإنما سمى ذو القرنين ؛ لأنه أتى قرني الشمس

المشرق والمغرب ،) قل سأتلوا عليكم منه (يا أهل مكة ،) ذكرا) [آية : ٨٣] ،

يعني علما .

الكهف : (٨٤) إنا مكنا له . . . . .

) إنا مكنا له في الأرض وءاتيناه من كل شيء سببا) [آية : ٨٤] ، يعني علم أسباب منازل

الأرض وطرقها ،

الكهف : (٨٥) فأتبع سببا

) فأتبع سببا) [آية : ٨٥] .". [١]

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٢/٢٩٩

٥٥٢-" صفحة رقم ٣٦٩

وجل ،) فلا كفران لسعيه (يعني لعمله يقول : يشكر الله ، عز وجل ، عمله) وإنا له كاتبون) [آية : ٩٤] يكتب له سعيه الحفظة من الملائكة .

الأنبياء : (٩٥) وحرام على قرية . . . . .

) وحرام على قرية (فيما خلا) أهلكناها (بالعذاب في الدنيا) أنهم لا يرجعون) [آية : ٩٥] يخوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية في الدنيا .

الأنبياء : (٩٦) حتى إذا فتحت . . . . .

) حتى إذا فتحت (يعني أرسلت) يأجوج ومأجوج (وهما أخوان لأب وأم ،

وهما من نسل يافث بن نوح) وهم من كل حدب ينسلون) [آية : ٩٦] يقول :

من كل مكان يخرجون من كل جبل ، وأرض ، وبلد وخروجهم عند اقتراب الساعة .

تفسير سورة الأنبياء من الآية : [٩٧ - ١٠٢] .

الأنبياء : (٩٧) واقترب الوعد الحق . . . . .

فذلك قوله عز وجل : (واقترب الوعد الحق (يعني وعد البعث أنه حق كائن

) فإذا هي شاخصة (يعني فاتحة) أبصار الذين كفروا (بالبعث لا يطرفون مما

يرون من العجائب التي كانوا يكفرون بها في الدنيا ، قالوا : (يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا (اليوم ، ثم ذكر قول الرسل لهم في الدنيا أن البعث كائن ، فقالوا :

(بل كنا ظالمين) [آية : ٩٧] أخبرنا بهذا اليوم فكذبنا به .

الأنبياء : (٩٨) إنكم وما تعبدون . . . . .

) إنكم (يعني كفار مكة) وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (

يعني رميا في جهنم ترمون فيها) أنتم لها واردون) [آية : ٩٨] يعني داخلون .

الأنبياء : (٩٩) لو كان هؤلاء . . . . .

) لو كان هؤلاء (الأوثان) آلهة ما وردوها (يعني ما دخلوها ، يعني". (١)

٥٥٣-" صفحة رقم ٤٤٨

وأربعين سنة ، وإنما كانت بنو إسرائيل بمصر حين أتاها يعقوب وبنوه وحشمه ، حين أتوا يوسف .

الشعراء : (٢٣) قال فرعون وما . . . . .

) قال فرعون (لموسى : (وما رب العالمين) [آية : ٢٣] منكرا له .

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٣٦٩/٢

الشعراء : (٢٤) قال رب السماوات . . . . .

) قال (موسى .

) رب السماوات والأرض وما بينهما (**من العجائب**) إن كنتم موقنين) [آية : ٢٤]

بتوحيد الله عز وجل

الشعراء : (٢٥) قال لمن حوله . . . . .

) قال (فرعون) لمن حوله (يعنى الأشراف ، وكان حوله

خمسون ومائة من أشرافهم أصحاب الأثرة : (ألا تسمتعون) [آية : ٢٥] إلى قول هذا

يعنى موسى

الشعراء : (٢٦) قال ربكم ورب . . . . .

) قال (موسى : هو) ربكم ورب ءابائكم الأولين) [آية : ٢٦] .

تفسير سورة الشعراء من الآية : [٢٧ - ٤٦] .

الشعراء : (٢٧) قال إن رسولكم . . . . .

) قال (فرعون لهم : (إن رسولكم (يعنى موسى) الذي أرسل إليكم لمجنون) [آية :
٢٧]

الشعراء : (٢٨) قال رب المشرق . . . . .

) قال (موسى : هو) رب المشرق والمغرب (يعنى مشرق ومغرب يوم ،

يستوي الليل والنهار في السنة يومين ، ويسمى البرج الميزان ، ثم قال : (وما بينهما (

يعنى ما بين المشرق والمغرب من جبل أو بناء ، أو شجر ، أو شيء ،) إن كنتم تعقلون (

[آية : ٢٨] توحيد الله عز وجل .

الشعراء : (٢٩) قال لئن اتخذت . . . . .

) قال (فرعون : (لئن اتخذت إلها غيري (يعنى ربا) لأجعلنك من المسجونين (".[١]

٥٥٤-" صفحة رقم ٤٢٢

تقديم المعصية وتأخير التوبة يوما بيوم يقول : سأتوب ، حتى يموت على شر عمله ، وقد

أهلك أمامه

القيامة : (٦) يسأل أيان يوم . . . . .

) يسئل أيان يوم القيامة) [آية : ٦] يعنى يسأل عدي متى يوم القيامة ؟ تكذيبا

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٢/٤٤٨

بها ، فأخبر الله تعالى عن ذلك اليوم ، فقال :

القيامة : (٧) فإذا برق البصر

) فإذا برق البصر) [آية : ٧] يقول : إذا شخص

البصر ، فلا يطوف مما يرى **من العجائب** التي يراها مما كان يكفر بها في الدنيا أنه غير

كائن مثلها في سورة) ق والقرآن المجيد) [ق : ١] .

تفسير سورة القيامة من الآية (٨) إلى الآية (٢١) .

القيامة : (٨) وخسف القمر

) وخسف القمر) [آية : ٨] فذهب ضوءه

القيامة : (٩) وجمع الشمس والقمر

) وجمع (بين) الشمس القمر) [وآية : ٩]

كالبقرتين المقرونتين يوم القيامة قياما بين يدي الخلائق ، ثم ذكر فقال :

القيامة : (١٠) يقول الإنسان يومئذ . . . . .

) يقول (هذا

) الإنسن (المكذب بيوم القيامة) يومئذ أين المفر) [آية : ١٠] يعني أين المهرب حتى

أحرز نفسي يقول الله تبارك وتعالى :

القيامة : (١١) كلا لا وزر

) كلا لا وزر) [آية : ١١] يعني لا جبل يحرزك ،

ويسمى حمير الجبل وزر ، ثم استأنف ، فقال :

القيامة : (١٢) إلى ربك يومئذ . . . . .

) إلى ربك يومئذ المستقر) [آية : ١٢] يعنى

المتهى يومئذ إلى الله عز وجل لا تجد عنه مرحلا

القيامة : (١٣) ينبأ الإنسان يومئذ . . . . .

) ينبؤا الإنسن يومئذ بما قدم (لآخرته ، ثم

قال : (و (ما) وأخر) [آية : ١٣] من خير أو شر بعد موته في دنياه ، فاستن بها قوم

بعده .

القيامة : (١٤) بل الإنسان على . . . . .

يقول الله تعالى : (بل الإنسن على نفسه بصيرة) [آية : ١٤] وذلك حين كتمت الألسن

في سورة الأنعامن وختم الله عليها في سورة) ييس والقرآن الحكيم (، فقال

) اليوم نختم على أفواههم) [يس : ٦٥] ، فنطقت الجوارح على الألسن بالشرك في هذه السورة ، فلا شاهد أفضل من نفسك ، فذلك قوله تبارك وتعالى : (بل الإنسن على نفسه بصيرة (يعني جسده وجوارحه شاهدة عليه بعمله ، فذلك قوله تبارك وتعالى :

(كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (يعني شاهدا ، ثم قال :

القيامة : (١٥) ولو ألقى معاذيره

) ولو ألقى معاذيره) [آية :

١٥] ولو أدلى بحجته لم تنفعه ، وكان جسده عليه شاهدا

القيامة : (١٦ - ١٨) لا تحرك به . . . . .

) لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه (في قلبك يا محمد) وقرءانه) [آية : ١٧] حتى نقريكه حتى تعلمه وتحفظه في قلبك) فإذا قرأنه (يقول : فإذا تلوناه عليك يقول : إذا تلا عليك". [١]

٥٥٥-" صفحة رقم ٤٦٥

وذلك أن الله عز وجل إذا جمع الخلائق يوم القيامة ، فإنهم يومج بعضهم في بعض ، مقدار ثلاث مائة سنة ، حتى إذا استوى الرب جل وعز على كرسيه ليحاسب خلقه ، فإذا جاء الرب تبارك وتعالى والملائكة صفا صفا ، فينظرون إلى الجنة ، وإلى النار ، ويجاء بالنار ، من مسيرة خمس مائة عام ، عليها تسعون ألف زمام ، في كل زمام سبعون ألف ملك ، متعلق يحبسونها عن الخلائق ، طول عنق أحدهم مسيرة سنة ، وغلظها مسيرة سنة ، ما بين منكبي أحدهم مسيرة خمسين سنة ، وجوههم مثل الجمر ، وأعينهم مثل البرق ، إذا تكلم أحدهم ، تناثرت من فيه النار ، بيد كل واحد منهم مرزبة ، عليها ثلاث مائة وستون رأسا ، كأمثال الجبال ، هي أخف بيده من الريشة ، فيجئون بها فيسوقونها ، حتى تقام عن يسار العرش .

ويجاء بالجنة يزفونها كما تزف العروس إلى زوجها ، حتى تقام عن يمين العرش ، فإذا ما عاين الخلائق النار ، وما أعد الله لأهلها ، ونظروا إلى ربهم وسكتوا ، فانقطعت عند ذلك أصواتهم ، فلا يتكلم أحد منهم من فرق الله وعظمته ، ولما يرون **من العجائب** من الملائكة ، ومن حملة العرش ، ومن أهل السماوات ، ومن جهنم ، ومن خزنتها ، فانقطعت أصواتهم عند ذلك .

وترتعد مفاصلهم ، فإذا علم الله ما أصاب أولياءه من الخوف ، وبلغت القلوب

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٤٢٢

الجناجر ، فيقوم مناد عن يمين العرش ، فينادى : (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) [الزخرف : ٦٨] ، فيرفع عند ذلك الإنس والجن كلهم رءوسهم والمؤمنون

والكفار ، لأنهم عباده كلهم ، ثم ينادى في الثانية : (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) [الزخرف : ٦٩] ، فيرفع المؤمنون رءوسهم ، وينكس أهل الأديان كلهم

رءوسهم ، والناس سكوت مقدار أربعين عاما ، فذلك قوله : (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) [المرسلات : ٣٥ ، ٣٦] .

وقوله : (لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) [النبأ : ٣٨] ، وقال : لا

إله إلا الله ، فذلك الصواب ، وقوله : (وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا) [طه : ١٠٨] ، فلا يجيبهم الله ، ولا يكلمهم ، ولا يتكلمون هم مقدار أربعين

سنة ، يقول بعد ذلك لملك من الملائكة ، وهو جبريل ، عليه السلام :

ناد الرسل وابدأ

بالأمى ، قال : فيقوم الملك ، فينادى عند ذلك اين النبي الأمي ؟ فتقول الأنبياء عند ذلك :

كلنا نبيون وأميون فبين بين ، فيقول النبي العرب الأمى الحرمى ، فيقوم عند ذلك رسول". (١)

٥٥٦-"﴿ ولله ملك السماوات والأرض ﴾ خزائن السموات بالمطر والأرض بالنبات ﴿ والله على كل شيء ﴾ من أهل السموات والأرض وخزائنهما ﴿ قدير ﴾ ثم بين علامة قدرته لكفار مكة لقولهم ائتنا بآية يا محمد على ما تقول فقال ﴿ إن في خلق السماوات ﴾ إن فيما خلق في السموات من الملائكة والشمس والقمر والنجوم والسحاب ﴿ والأرض ﴾ وفي خلق الأرض وما في الأرض من الجبال والبحور والشجر والدواب ﴿ واختلاف الليل والنهار ﴾ وفي تقلب الليل والنهار ﴿ لآيات ﴾ لعلامات لوحدانيته ﴿ لأولي الألباب ﴾ لذوي العقول من الناس ثم نعتهم فقال ﴿ الذين يذكرون الله ﴾ يصلون لله ﴿ قياما ﴾ إذا استطاعوا ﴿ وقعودا ﴾ إذا لم يستطيعوا قياما ﴿ وعلى جنوبهم ﴾ إذا لم يستطيعوا قياما وقعودا ﴿ ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ﴾ **من العجائب** ﴿ ربنآ ﴾ يقولون يا ربنا ﴿ ما خلقت هذا باطلا ﴾ جزافا ﴿ سبحانك ﴾ نزهوا الله ﴿ فقنا عذاب النار ﴾ ادفع عنا عذاب النار ﴿ ربنآ ﴾ يقولون يا ربنا ﴿ إنك من تدخل النار فقد أخزيته ﴾ أهنته ﴿ وما للظالمين ﴾ للمشركين ﴿ من أنصار ﴾ من مانع مما يراد بهم في الآخرة ﴿ ربنآ ﴾ ويقولون يا ربنا ﴿ إننآ سمعنا مناديا ﴾ يعنون محمدا ﴿ ينادي للإيمان ﴾ يدعو إلى التوحيد ﴿ أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا ﴾ بك وبكتابك ورسولك ﴿ فاغفر لنا ذنوبنا ﴾ الكبائر ﴿ وكفر ﴾ تجاوز ﴿ عنا سيئاتنا ﴾ دون الكبائر ﴿ وتوفنا مع الأبرار ﴾ اقبض أرواحنا على الإيمان واجمعنا مع أرواح النبيين والصالحين ﴿ ربنا ﴾ ويقولون يا ربنا ﴿ وآتنا ﴾ أعطنا ﴿ ما وعدتنا على رسلك ﴾ يعني محمدا ﴿ ولا تخزنا ﴾ لا تعذبنا ﴿ يوم القيامة ﴾ كما تعذب الكفار ﴿ إنك لا تخلف الميعاد ﴾ البعث بعد

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٣/٤٦٥

الموت وما وعدت المؤمنين ﴿ فاستجاب لهم ربهم ﴾ فيما سألوه فقال ﴿ أني لا أضيع ﴾ لا أبطل ﴿ عمل عامل منكم ﴾ ثواب عمل عامل منكم ﴿ من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ﴾ إذ كان بعضكم على دين بعض وأوليائه بعض ثم بين كرامته للمهاجرين فقال ﴿ فالذين هاجروا ﴾ من مكة إلى المدينة مع النبي E وبعد النبي ﴿ وأخرجوا من ديارهم ﴾ أخرجوهم كفار مكة من منازلهم بمكة ﴿ وأوذوا في سبيلي ﴾ في طاعتي ﴿ وقاتلوا ﴾ العدو في سبيل الله ﴿ وقتلوا ﴾ حتى قتلوا في الجهاد مع نبي الله ﴿ لأكفرن عنهم سيئاتهم ﴾ ذنوبهم في الجهاد ﴿ ولأدخلنهم جنات ﴾ بساتين ﴿ تجري من تحتها ﴾ من تحت شجرها ومساكنها ﴿ الأنهار ﴾ أنهار الخمر والماء والعسل واللبن ﴿ ثوابا من عند الله ﴾ جزاء لهم من الله ﴿ والله عنده حسن الثواب ﴾ المرجع الصالح أحسن من جزائهم ثم ذكرهم فناء الدنيا ورغبهم عنها وبقاء الآخرة وحثهم على طلبها .". (١)

٥٥٧-"﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين ﴾ ألهمت الحواريين القصارين وهم اثنا عشر رجلا ﴿ أن آمنوا بي وبرسولي ﴾ عيسى ﴿ قالوا آمنا ﴾ بك وبرسولك عيسى ﴿ واشهد ﴾ أنت يا عيسى وشهد بعضهم على بعض ﴿ بأننا مسلمون ﴾ مخلصون بالعبادة والتوحيد ﴿ إذ قال الحواريون ﴾ الأصفياء يعني شمعون الصفا ﴿ ياعيسى ابن مريم ﴾ يقول لك قومك ﴿ هل يستطيع ربك ﴾ هل يفعل ربك وإن قرأت بالتاء ونصب الياء تقول هل تستطيع أن تدعو ربك ﴿ أن ينزل علينا مآئدة ﴾ طعاما ﴿ من السمآء قال ﴾ عيسى لشمعون قل لهم ﴿ اتقوا الله ﴾ اخشوا الله ﴿ إن كنتم ﴾ إذ كنتم ﴿ مؤمنين ﴾ موقنين فلعلكم تتركون شكرها فيعذبكم فقال لهم ذلك شمعون ﴿ قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ﴾ بما ترينا من العجائب ﴿ ونعلم ﴾ ونستيقن ﴿ أن قد صدقتنا ﴾ ما تقول ﴿ ونكون عليها من الشاهدين ﴾ إذا رجعنا إلى قومنا ﴿ قال عيسى ابن مريم اللهم ربنآ أنزل علينا مآئدة من السمآء ﴾ طعاما من السماء ويقال بركة الطعام وكان معهم شيء من الطعام ﴿ تكون لنا عيدا لأولنا ﴾ لأهل زماننا ﴿ وآخرنا ﴾ ولمن خلفنا لكي نعبدك فيها وكان يوم الأحد ﴿ وآية منك ﴾ لمن آمن وحجة على من كفر ﴿ وارزقنا ﴾ أعطنا ما سألناك ﴿ وأنت خير الرازقين ﴾ أفضل المطعمين ﴿ قال الله ﴾ لعيسى قل لهم ﴿ إني منزلها عليكم ﴾ ما سألتم ﴿ فمن يكفر بعد ﴾ بعد النزول والأكل ﴿ منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ﴾ عالمي زمانهم أمسخه خنزيرا قالوا بعد النزول والأكل هذا سحر مبين كذب بين قال عيسى إن تعذبهم على هذه المقالة التي استحقوا عليها الهلاك فإنهم عبادك وإن تغفر لهم تتب عليهم وتتجاوز عنهم فإنك أنت العزيز بالنقمة لمن لم يتب الحكيم بالمغفرة لمن تاب مقدم ومؤخر .". (٢)

٥٥٨-"ثم نعتهم فقال ﴿الذين يذكرون الله﴾ يصلون لله ﴿قياما﴾ إذا استطاعوا ﴿وقعودا﴾ إذا لم يستطيعوا قياما ﴿وعلى جنوبهم﴾ إذا لم يستطيعوا قياما وقعودا ﴿ويتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾ من العجائب ﴿ربنآ﴾ يقولون

---

(١) تنوير المقباس ١/٨٠

(٢) تنوير المقباس ١/١٣٥

يا ربنا ﴿ما خلقت هذا باطلا﴾ جزافا ﴿سبحانك﴾ نزهوا الله ﴿فقنا عذاب النار﴾ ادفع عنا عذاب النار". [١]

٥٥٩-"﴿قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا﴾ بما ترينا **من العجائب** ﴿ونعلم﴾ ونستيقن ﴿أن قد صدقتنا﴾ ما تقول ﴿ونكون عليها من الشاهدين﴾ إذا رجعنا إلى قومنا". [٢]

٥٦٠-"وقد مضت سنة الله في إمهالهم ، وهكذا تجدنا نفعل باللاحقين كما فعلنا بالسابقين .

ثم بين الله تعالى عظيم عناداهم ومكابرتهم للحق فقال :

﴿ ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ .

ولو فتحنا على هؤلاء المعاندين بابا من السماء يصعدون فيه بأجسامهم ويرون من فيها من الملائكة ، وما فيها **من العجائب**- لقالوا لفرط عنادهم ، انما سدت أبصارنا ، فما نراه تخيل لا حقيقة له ، وقد سحرنا محمد با يظهر على يده من الآيات ، وظلوا في عنادهم ومكابرتهم سادرين .

قراءات :

قرأ ابن كثير : « سكرت » بالتخفيف ، والباقون بالتشديد كما هو في المصحف .

﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين ﴾ .

بعد بيان مكابرة المعاندين ، وانهم لا يؤمنون حتى بالأشياء المحسوسة ، عرض هنا الآيات الكونية ، وما فيها من إبداع لمن يفكر ويبصر .

لقد أبدعنا هذا الكون ، وجعلنا في السماء أشكالا عديدة من النجوم ، منها تلك البروج الظاهرة للعيان ، البديعة ، الدالة على جمال هذا الكون ، وحسن نظامه وزيناها بالكواكب للناظرين المعتبرين والمفكرين .

فهلا نظر أولئك المعاندون إلى هذه السماء وما فيها من بروج ظاهرة ، ونجوم ساطعة وأقمار نيرة ، ومجرات عظيمة ، فإن فيها عبرة لمن اعتبر!

﴿ وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين ﴾ .

ولقد حفظنا السماء ومنعنا كل شيطان رجيم من القرب منها ، فلا ينالها ولا يدنسها ، ولكن من أراد من هؤلاء الشياطين ان يسترق الاستماع من عالم الغيب ، فنحن نلحقه بشهاب مشتعل محرق ، فهم أعجز من ان يصلوا إليها .". [٣]

---

(١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص/٦٣

(٢) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص/١٠٤

(٣) تيسير التفسير للقطان ٢/٢٩٧

٥٦١-"الكهف : النقب المتسع في الجبل . الرقيم : اللوح الذي كتبت فيه اسماء اصحاب الكهف . فضربنا على آذانهم : أنمناهم عددا من السنين ، والنائم عادة لا يسمع . ثم بعثناهم : ايقظناهم . احصى : اضبط لاوقات لبثهم .
لقد انكر الذين استهوتهم الدنيا البعث ، مع ان الوقائع تثبت الحياة بعد الرقود الطويل ، وهذه قصة أهل الكهف واللوح الذي رقمت أسماؤهم فيه بعد موتهم لم تكن وحدها **من العجائب** وان كانت قصة خارقة للعادة .
اما قصتهم فهي ان جماعة من الشباب آمنوا بربهم ، وهربوا بدينهم من الاضطهاد ، فلجأوا الى كهف ، ودعوا ربهم ان ينقذهم قائلين : ربنا آتنا من عندك رحمة وهيىء لنا من أرمنا رشدا .
فاستجبنا دعاءهم ، فأنمناهم آمنين في ذلك الكهف سنين عديدة لا ينتبهون . ثم أيقظناهم لنعلم من من الحزبين اللذين اختلفا في مدة مكثهم بالكهف أضبط احصاء لطول المدة التي مكثوها .
روي عن ابن عباس : ان الرقيم اسم قرية قرب أيلة « العقبة » ، ويقول ياقوت في معجم البلدان : « وبقرب البلقاء من اطراف الشام موضع يقال له الرقيم . . » ويقول : « ان بالبلقاء بأرض العرب من نواحي دمشق موضعا يزعمون انه الكهف والرقيم قرب عمان ، وذكروا ان عمان هي مدينة دقيانوس » الملك الذي كان في ذلك الزمان .
وهناك اقوال كثيرة متضاربة علها عند الله . وقد اورد الطبري وغيره من المفسرين قصتهم ، وليس لها سند صحيح ، وقد اعتنى احد موظفي الآثار من اهل عمان بهذا الكهف وهو اليوم في ضواحي عمان ، وعمل له بابا ، وألف رسالة مؤكدا فيها انه هو الكهف المقصود في القرآن ، وبنى بجانبه مسجدا ، والآن يزور الكهف كثير من السياح .". (١)

٥٦٢-"يرشد تعالى عباده إلى التفكر في آلائه ، وما خلق الله في السماوات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب ، وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها ، وأخرج فيها من أفانين الثمار والزروع والأزاهير وصنوف النبات ، وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع ، وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب ، وما في البحر **من العجائب** والأمواج ، وهو مع هذا مسخر مذلل للسالكين ، بتسخير القدير لا إله إلا هو رب العالمين ، وقوله : ﴿ وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ أي : وأي شيء تغني الآيات السماوية والأرضية ، والرسل بآياتها وحججها وبراهينها الدالة على صدقها ، عن قوم لا يؤمنون ، كقوله : ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ﴾ [يونس : ٩٦] الآية ، وقوله : ﴿ فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ﴾ ، أي فهل ينتظر هؤلاء المكذبون لك يا محمد من النقمة والعذاب إلا مثل أيام الله في الذين خلوا من قبلهم من الأمم الماضية المكذبة لرسلهم ، ﴿ قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين * ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا ﴾ ، أي ونهلك المكذبين بالرسل ، ﴿كذلك حقا علينا ننج المؤمنين ﴾ حقا أوجبه الله تعالى على نفسه الكريمة ، كقوله : ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ [الأنعام : ٥٤] ،

---

(١) تيسير التفسير للقطان ٢/٣٦٦

وكما جاء في « الصحيحين » : « إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ، إن رحمتي سبقت غضبي » .". (١)

٥٦٣-"يذكر تعالى خلقه السماء في ارتفاعها ، وما زينها به من الكواكب الثوابت والسيارات . لمن تأمل وكرر النظر فيما يرى **من العجائب** والآيات الباهرات ، ما يحار نظره فيه ، ولهذا قال مجاهد وقتادة : البروج هاهنا هي الكواكب وهذا كقوله تعالى : ﴿ تبارك الذي جعل في السمآء بروجا ﴾ [الفرقان : ٦١] الآية . ومنهم من قال : البروج هي منازل الشمس والقمر ، ثم ذكر تعالى خلقه الأرض ومده إياها وتوسيعها وبسطها ، وما جعل فيها من الجبال الرواسي والأودية والأراضي والرمال ، وما أنبت فيها من الزروع والثمار المتناسبة ، وقال ابن عباس : ﴿ من كل شيء موزون ﴾ : أي معلوم ، ومنهم من يقول : مقدر بقدر ، وقال ابن زيد : من كل شيء يوزن ويقدر بقدر ، وقوله : ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ﴾ المعايش وهي جمع معيشة ، وقوله : ﴿ ومن لستم له برازقين ﴾ ، قال مجاهد : هي الدواب والأنعام . وقال ابن جرير : هم العبيد والإماء والدواب والأنعام ، والقصد أنه تعالى يمتن عليهم بما يسر لهم من أسباب المكاسب ووجوه الأسباب وصنوف المعايش ، وبما سخر لهم من الدواب التي يركبونها ، والأنعام التي يأكلونها ، والعبيد والإماء التي يستخدمونها ، ورزقهم على خالقهم لا عليهم ، فلهم هم المنفعة ، والرزق على الله تعالى .". (٢)

٥٦٤-"ذكر غير واحد من المفسرين : أن فرعون خرج في محفل عظيم وجمع كبير ، من الأمراء والوزراء والكبراء والرؤساء والجنود ، ﴿ فأتبعوهم مشرقين ﴾ أي وصلوا إليهم عند شروق الشمس وهو طلوعها ، ﴿ فلما تراءى الجمعان ﴾ أي رأى كل من الفريقين صاحبه فعند ذلك ﴿ قال أصحاب موسى إنا لمدركون ﴾ ، وذلك أنهم انتهى بهم السير إلى سيف البحر ، وهو بحر القلزم فصار أمامهم البحر ، وقد أدركهم فرعون بجنوده ، فلهذا قالوا : ﴿ إنا لمدركون * قال كلا إن معي ربي سيهدين ﴾ أي لا يصل إليكم شيء مما تحذرون ، فإن الله سبحانه هو الذي أمرني أن أسير هاهنا بكم ، وهو سبحانه وتعالى لا يخالف الميعاد ، وكان هارون عليه السلام في المقدمة ، ومعه (يوشع بن نون) ومؤمن آل فرعون ، وموسى عليه السلام في الساقة ، فعند ذلك أمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه البحر فضربه ، وقال : انفلق بإذن الله . وروى ابن أبي حاتم عن عبد الله بن سلام : أن موسى عليه السلام لما انتهى إلى البحر قال : يا من كان قبل كل شيء ، والمكون لكل شيء ، والكائن بعد كل شيء ، اجعل لنا مخرجا ، فأوحى الله إليه : ﴿ أن اضرب بعصاك البحر ﴾ . وقال محمد بن إسحاق : أوحى الله - فيما ذكر لي - إلى البحر أن إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له ، قال : فبات البحر يضطرب ويضرب بعضه بعضا فرقا من الله تعالى وانتظارا لما أمره الله ، وأوحى الله إلى موسى ﴿ أن اضرب بعصاك البحر ﴾ فضربه بها ، ففيها سلطان الله الذي أعطاه فانفلق ، قال الله تعالى : ﴿ فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ﴾ أي كالجبل الكبير ، قاله ابن عباس ، وقال عطاء الخراساني : هو الفج بين الجبلين . وقال ابن عباس : صار البحر اثني عشر

---

(١) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ص/١١٤٩

(٢) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ص/١٣٢٧

طريقا لكل سبط طريق؛ وزاد السدي : وصار فيه طاقات ينظر بعضهم إلى بعض ، قال الله تعالى : ﴿ فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى ﴾ [طه : ٧٧] ، وقال في هذه القصة ﴿ وأزلفنا ثم الآخرين ﴾ أي هنالك . قال ابن عباس ﴿ وأزلفنا ﴾ أي قربنا من البحر فرعون وجنوده وأدنيناهم إليه ، ﴿ وأنجينا موسى ومن معه أجمعين * ثم أغرقنا الآخرين ﴾ أي أنجينا موسى وبني إسرائيل ومن اتبعهم على دينهم فلم يهلك منهم أحد ، وأغرق فرعون وجنوده فلم يبق منهم رجل إلا هلك . عن عبد الله ابن مسعود قال : فلما خرج آخر أصحاب موسى وتكامل أصحاب فرعون انطم عليهم البحر ، فما رئي سواد أكير من يومئذ ، وغرق فرعون لعنه الله ، ثم قال تعالى : ﴿ إن في ذلك لآية ﴾ أي في هذه القصة وما فيها **من العجائب** والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين لدلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة ﴿ وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ تقدم تفسيره .". (١)

٥٦٥-"فائدة

قال ابن عاشور :

والتنكير في قوله : ﴿ رشدا ﴾ تنكير النوعية ، ومعناه إرادة نوع الماهية لأن المواهي العقلية متحدة لا أفراد لها ، وإنما أفرادها اعتبارية باعتبار تعدد المحال أو تعدد المتعلقات ، فرشد زيد غير رشد عمرو ، والرشد في المال غير الرشد في سياسة الأمة ، وفي الدعوة إلى الحق ، قال تعالى : ﴿ وما أمر فرعون برشيد ﴾ [هود : ٩٧] ، وقال عن قوم شعيب ﴿ إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾ [هود : ٨٧].

وماهية الرشد هي انتظام الفكر وصدور الأفعال على نحوه بانتظام ، وقد علم السامعون أن المراد هنا الرشد في التصرف المالي ، فالمراد من النوعية نحو المراد من الجنس ، ولذلك ساوى المعرف بلام الجنس النكرة ، **فمن العجائب** توهم الجصاص أن في تنكير (رشدا) دليلا لأبي حنيفة في عدم اشتراط حسن التصرف واكتفائه بالبلوغ ، بدعوى أن الله شرط رشدا ما وهو صادق بالعقل إذ العقل رشد في الجملة ، ولم يشترط الرشد كله.

وهذا ضعف في العربية ، وكيف يمكن العموم في المواهي العقلية المحضة مع أنها لا أفراد لها. أ هـ ﴿التحرير والتنوير حـ ٤ صـ ٣٣﴾

فصل

قال الفخر :

إذا بلغ رشيدا ثم تغير وصار سفيها حجر عليه عند الشافعي ولا يحجر عليه عند أبي حنيفة وقد مرت هذه المسألة عند قوله تعالى : ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما﴾ [النساء : ٥] والقياس الجلي أيضا يدل عليه ، لأن هذه الآية دالة على أنه إذا بلغ غير رشيد لم يدفع إليه ماله ، وإنما لم يدفع إليه ماله لئلا يصير المال ضائعا فيكون باقيا مرصدا ليوم حاجته ، وهذا المعنى قائم في السفه الطارىء ، فوجب اعتباره والله أعلم. أ هـ ﴿مفاتيح الغيب حـ ٩ صـ ١٥٤﴾".

---

(١) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ص/١٨٤٠

(١)

٥٦٦-"في الحظ لأن لفظ الشركة إذا أطلق فإنما يتضمن التساوي حتى يقيد بنصيب مخصوص لو أن رجلا ابتاع سلعة فسأله رجل آخر أن يشركه فيها فقال له قد أشركتك فيها ثم قال بعد ذلك لم أرد نصفا وإنما أردت ثلثا أو ربعا لم ينفعه ذلك إلا أن يقيد لفظه في حين الشركة وإنما أخذ الفقهاء هذا من قوله تعالى فهم شركاء في الثلث أي للذكر مثل حظ الأنثى

ونكتة المسألة والله أعلم أن الأخوة للأم إنما ورثوا الميت بالرحم وحرمة الأم وأن الأم تحب لولدها ما تحب لنفسها ويشق عليها أن يحرموا من أخيهم وقد ارتكضوا معه في رحم واحدة فأعطوا الثلث ولم يزادوا عليه لأن الأم التي بها ورثوا لا تزاد عن الثلث وكأن هذه الفريضة من باب الصلة والبر والصدقة فمن ثم سوي الذكر مع الأنثى كما لو وصى بصدقة أو صلة لأهل بيت لشركوا فيها على السواء ذكورهم وإناثهم ألا ترى أن الثلث مشروع في الوصية التي يبتغي فيها ثواب الله العظيم قال النبي عليه السلام لسعد حين أراد أن يوصي بأكثر من الثلث الثلث والثلث كثير الحديث كأنه نظر عليه السلام إلى فرض الله

تعالى للأخوة بسبب الرحم وحرمة الأم وأنه لم يزدهم على الثلث وإن كثروا فكيف يزاد من هو أبعد منهم في حكم الوصية بل الثلث في حقهم كثير والقرآن والسنة نوران من مشكاة واحدة فينظر بعضه إلى بعض ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا

فصل في ميراث الإخوة مع الكلالة

ومن العجائب أن الكلالة في هذه الآية لا يرث فيها الأخوة مع البنت وهو لم يقل فيها ليس له ولد كما قال في الآية الأخرى ألا ترى إلى قوله فيها إن امرؤ هلك ليس له ولد ثم ورثت فيها الأخوات مع البنت والبنت ولد وهذه التي لم يذكر فيها الولد لا يرث الأخوة مع ولد أصلا لا ذكرا ولا أنثى ويتعين الاعتناء بهذا السؤال والكشف عنه". (٢)

٥٦٧-"ج١ص٣٦٤

وبلاغتها التي أعربت بها عن القرائح السليمة والركن البديع إلى دواية اللسان ، وغراية اللسن حيث أوجزت اللفظ ، وأشبعت المعنى وقصرت العبارة ، وأطالت المغزى ، ولوحت فاعرقت في التصريح ، وكنت فاغنت عن الإفصاح ، ثم إن الظاهر في توجيه عدم التغيير ما ذكروه هنا وإن اسنظهروا خلافه إلا أن المراد بالغرابة ليس ما مر بل المراد أنها لما فيها من البلاغة ، ورونق الفصاحة ، والندرة التي ترقت بها إلى الغاية في بابها حتى عدت عجيبة جدا قيل لها غرابة لإطلاق الغرابة على مثله ، ا و لكونها من كلام الغير كالتضمين عدت غريبة أجنبية .

---

(١) جامع لطائف التفسير ٩٥/٢٠

(٢) جامع لطائف التفسير ٤٤٦/٢٠

وأما ما في المفتاح من أن الاستعارة التمثيلية قد تغير ألفاظها المؤدية لمعناها الحقيقي لأنهم صرحوا بجواز التجوز في مفرداتها كما مر فيه أن المثل لا يلزم أن يكون استعارة كما تلوناه عليك آنفا ، وأما القول بأن الاستعارة مشتملة على الغرابة ففي غاية الغرابة ، وكذا كون العلم لا يغير فالمعنى أنها لكونها فريدة في بابها ، وقد قصد حكايتها لم يجوزوا تغييرها لفوات المقصود ، وقد صرح بهذا في المستقصي ، هذا وإن طال تطولنا بما فيه من الفوائد البديعة فانظره بعين الإنصاف . قوله : (ثم استعير لكل إلخ ا لما قرروا للمثل معنى لغويا ، وهو النظير ، ثم معنى ثاني نقل منه إليه وهو القول السائر ، وليس واحد منهما مناسبا هنا قالوا إنه استعير من الثاني لمعنى ثالث هو المراد وهو الصفة العجيبة ، وقوله لها شأن وفيها غرابة إشارة إلى العلاقة بينهما ، وهي الاشتراك في الغرابة وعظم الشأن كما اتفق عليه الشراح وأرباب الحواشي ، فما قيل من أن المثل إذا قصد به القصة لم يرد تشبيهها بذلك القول مما يتعجب منه ، وفي مجمع الأمثال ، ولشدة امتزاج معنى الصفة به صح أن يقال جعلت زيدا مثلا والقوم أمثالا ، ومنه قوله تعالى ﴿ ساء مثلا القوم ﴾ [الأعراف : ١٧٧] في أحد القولين ، ثم إن الحال والقصة والصفة أموو متقاربة ، وقد جمع المصنف والزمخشري بينها متعاطفة بأو الفاصلة ، ولم ينبهوا على وجهه (والذي يظهر لي) أن الشأن العجيب لما كان يعلم تارة بالمشاهدة كحال المنافقين ،

وما هم عليه مما هو كنار على علم ومنه ما يعلم بإخبار الصادق المسوقة إليه كقصة الجنة التي قصها الله تعالى كما قيل :

وعشقتكم قبل العيان لكم كما تهوى الجنان بطيب الأخبار

ومنه ما يعلم بالبرهان ويدرك بالبصائر كصفات الباري جمع بينها كذلك وإليه إشارة ما في الكشاف حبث قال : أستعير المثل استعاوة الأسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قال حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ [الرعد : ٣٥] أي وفيما قصصنا عليك **من العجائب** قصة الجنة العجيبة ، ثم أخذ في بيان عجائبها ولله المثل الأعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلال ، اهـ . فالحال عبارة عن أمور متعددة بقوم شتى وتدرك منهم وهي في المعاني كالقصة في الألفاظ ، ولذا يعبر بها عن الاستعارة التمثيلية في اكثر ، وفي الكشف جملة مثلهم إلخ الأشبه أن تجعل موضحة لقوله ﴿ أولئك الذين اشتروا ﴾ وفي كلامه ما يدل عليه ، ويحتمل أن تجعل مقررة لجملة قصة المنافقين المسرودة إلى هنا ولا يبعد تنزيل قوله عليه أيضا بحمل حقيقة الصفة على أحوالهم المفهومة من مجموع الآيات ، والحمل على الإستئناف ضعيف جدا لا سيما والأمثال تضرب للكشف ، والبيان فإن قلت قوله أولا بضرب المثلى يقتضي أن ما هنا من قبيل ضرب المثل والمعنى الثاني ، وتفسيره بالحال يقتضي أنه ليس بمراد بل لا تصح إوادته ، قلت هنا أمران لفظ مثل ، والتمثيل المدلول عليه بالكاف أداة التشبيه ، والمفسر بالحال الأول والمشار إليه أولا الثاني ، والمراد به أن يؤتى للحال بنظير من غير نوعه ليرفعه على منصة العيان ويرميه على قارعة التقريع فالمراد بالضرب صياغة ذلك النظير واعتماله من ضرب السكة التي هي بيانه لا الضرب الذي هو مصدر لضرب المقابل للمورد ، وهذا من إرسال ا اصمثل والمراد بالتمثيل الإتيان بمثال فتدبر . قوله : (والمعنى حالهم العجيبة الشأن إلخ) ذكر للمثل ثلاثة معان ، وفسر ما في النظم بالثالث ، وحقيقة حالهم هيئة منتزعة من عدة أمور هي استضاءة معنوية بإظهار الإيمان واذهاب الله ذلك النور عند الإستضاءة بتفضيحهم وبقائهم متحيرين في ظلمات معنوية ، كما قيل : وفي شرح

الفاضل المحقق وجه الشبه هو أن المستوقد والمنافقين جميعا وقعوا عقب مباشرة أسباب المطلوب ، وملاحظة خيال". [1]

٥٦٨-"ج٣ص٢٣٩

الطريق ، وان كان من أهل الملة وحكي عن بعض المتأخرين ، ومن لا يعتد به أن ذلك مخصوص بالمرتدين وهو قول ساقط مردود مخالف للأمة ، واجماع السلف ، والخلف ويدل على أن المراد به قطاع الطريق من أهل الملة قوله تعالى : ﴿ إلا الذين تابوا ﴾ الخ ومعلوم أن المرتدين لا يختلف حكمهم في زوال العقوبة عنهم بالتوبة بعد القدرة كما يسقطها عنهم قبل القدرة ، وقد فرق الله بين توبتهم قبل القدرة ، وبعدها ، وأيضا فإن الإسلام لا يسقط الحد عمن وجب عليه ، وأيضا ليست عقوبة المرتدين كذلك ، والآية وان نزلت في الكفار من العرينين أو غيرهم فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ومراد المصنف رحمه الله تعالى رد هذا القول الذي ذهب إليه بعض

المفسرين لكن في عبارته إجمال ، ومسامحة فلا يرد عليه ما أورده هذا المعترض. قوله : (أي ما تتوسلون به إلى ثوابه الخ) يشير إلى أن إلى متعلقة بالوسيلة ، وهي صفة لا مصدر حتى يمنع تقدم معموله عليه وقيل إنه متعلق بالفعل ، وقوله : (وفي الحديث الخ) إن أراد به أنه هنا بهذا المعنى فغير ظاهر لتعلق الجارية ولأنه ورد في الحديث كما رواه مسلم وغيره : " منزلة في الجنة جعلها الله لعبد من عباده وأرجو أن كون أنا فأسألوا لي الوسيلة " فهو يقتضي أنها غير المذكورة هنا لاختصاصها بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والجواب أنه بيان لبعض أفرادها بطريق التنظير لا التمثيل والأعداء الظاهرة ظاهرة ، وأما الباطنة فالقوى الشهوية ونحوها. قوله : (واللام متعلقة بمحذوف الخ) أي لام ليفتدوا لا لهم لأنه خبر أن ، وفي أن بعدلو مذهبان أحدهما ما اختاره المصنف رحمه الله تعالى أنها فاعل فعل مقدر ، وضمير به لما في الأرض! ، ومثله وحد لما ذكره ، واجراء الضمير مجرى اسم الإشارة مر تحقيقه في سورة البقرة. قوله : (أو لأن الواو في مثله بمعنى مع) فيتوحد حينئذ مرجع الضمير وهو ما في الأرض! المصاحب لمثله كما تقول جاء زيد ، وهندا ضاحكا ومعه يكون تأكيدا وهو حال كذا في الكشاف وجعل الناصب له ثبت المقدر بعد لو وهكذا حكم الضمير بعد المفعول معه إلا فراد وأجاز الأخفش أن يعطي حكم المتعاطفين فيثني ضميره ، وقال بعض النحاة الصحيح جوازه على قلة ورد بأنه لا فائدة في قوله معه حينئذ إن كان الضمير لما ، وان كان لمثل بأن يكون له مثلان فيفيد ، وأما كون العامل فيه ثبت فليس بصحيح لأن العامل في المفعول معه وهو العامل في المصاحب له كما صرحوا به ، وهو ما أو ضميرها وشيء منهما ليس عاملا فيه ثبت المقدر ، وأما صحته على تقدير جعله لهم أو متعلقه على ما قيل وكلام المصنف رحمه الله تعالى محتمل له ، ولذا أسقط ذكر العامل المذكور في الكشاف فممنوع أيضا كما نقل عن سيبويه رحمه الله أنه قال ، وأما هذا لك ، وأباك فقبيح لأنه لم يذكر فعل ، ولا حرف فيه معنى فعل حتى يصير كأنه قد تكلم بالفعل فصرح بأن اسم الإشارة ، وحرف الجر والظرف لا يعمل في المفعول معه **ومن العجائب** ما قيل

إن المصنف رحمه الله تعالى أعرض عن كونه مفعولاً معه ، وقال إن الواو بمعنى مع يريد أنه من قبيل كل رجل وضيعته ردا

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى ١/٣٦٤

على ما قاله الزمخشري ، وهو فاسد من وجوه لأن مثله يلزم فيه المطابقة ، ولا يذكر الخبر ولم يقل ، ولو افتدوا مع أنه أخصر لأن هذا أبلغ إذ معناه لو أنهم حصلوا ما في الأرض ، وملكوه بقصد الفدية لم يقبل منهم ذلك فتأمل. قوله : (تمثيل للزوم العذاب الخ) قال القطب أي كناية عن لزوم العذاب فإن لزوم العذاب من لوازمه أن ما في الأرض! جميعا ، ومثله معه لو افتدوا به منه لم يتقبل منهم فلما كانت هذه الجملة بل هذه الملازمة لازمة للزوم العذاب عبر عنها بها فيكون كناية ولعل التمثيل يطلق على الكناية إذا كانت بالتمثيل ، وقال النحرير لا يريد به الاستعارة التمثيلية بل إيراد مثال وحكم يفهم منه لزوم العذاب لهم أي لم يقصد بهذا الكلام إثبات هذه الشرطية بل انتقال الذهن منه إلى هذا المعنى ، وبهذا الاعتبار يقال له كناية ، ويمكن تنزيله على التمثيل الاصطلاحي بأن يقال حالهم في حال التقصي عن العذاب بمنزلة حال من يكون له أمثال ما في الأرض! ، ويحاول بها التخلص من العذاب فلا يتقبل منه ، ولا يتخلص فقد علمت أن التمثيل هنا محتمل ثلاثة معان. قوله : (وقرئ يخرجوا (يعني مجهولا ووجه المبالغة إفادة الاسمية الثبوت مع زيادة الباء للتأكيد ، وقد مر له". (١)

٥٦٩-"ج٦ص١٩٤

متعلق ، وهو من يخفى منه ولا يجوز أن يكون من الخلق لأنه أخفاها عنهم لقوله : إن الله عنده علم الساعة فيتعين ما ذكر ، والمراد المبالغة في الإخفاء كما قالوا : كتمت سري عن نفسي ، هاثباته في المصاحف قرينة خارجية عليه إذ لا يلزم وجودها في الكلام ، وقيل : إنه محال فلا يناسب دخول كاد عليه وقد مر ما يدفعه لكن عدم صحة تقدير من الخلق ممنوع لجواز إرادة إخفاء تفصيلها وتعيينها منهم مع أنه يجوز أن لا يقدر له متعلق والمعنى أوجد إخفاءها ولا أقول إنها آتية كما في بعض شروح الكشاف : ثم إنه قيل : إنه لا مخالفة بين تفسيره بأكاد أظهرها وما قبله لأن المراد من هذا بيان قرب قيامها ، كقوله : اقتربت الساعة ونحوه ، كظهور إشراطها والمراد من كيدودة إخفائها وسترها إرادة إخفاء وقتها أو القرب من أن لا يخبر بأنها آتية وفيه أنه لا يناسب تعلق لتجزي به كما ذكره المصنف رحمه الله. قوله : (متعلق بآتية (وما بينهما اعتراض لا صفة حتى يلزم إعمال اسم الفاعل الموصوف ، وقوله : على المعنى الأخير لأنه يصير المعنى أظهرها لأجل الجزاء ، وهو صحيح بخلاف أخفيها وأسترها لأجل الجزاء فإنه لا وجه له ، وما قيل إنه غير بعيد لأن تعمية وقتها لتنتظر ساعة فساعة فيحترز عن المعصية ويجتهد في الطاعة لا يخفى ما فيه من التكلف الظاهر مع أنه لا صحة له إلا بتقدير لينتظر الجزاء أو لتخاف وتخشى. قوله : (عن تصديق الساعة (أي التصديق بالساعة إذ ليس المراد الصد عنها نفسها ، وقوله : أو عن الصلاة فالضمير لها وفيما قبله للساعة وقوله : نهى الكافر الخ إشارة إلى ما في الكشاف من أن المراد نهى موسى عليه الصلاة والسلام عن التكذيب بالبعث أو أمره بالتصديق والعبارة لا تؤديه لأنها لنهي من لا يؤمن عن صده فلذا أوله بوجهين ، أحدهما أنه ذكر السبب وهو الصد وأريد مسببه

ولازمه وهو الانصداد أو عدم التصديق مجازا أو كناية كما في لا أرينك ههنا فإنه نهى عن رؤيته ، والمراد النهي عن لازمه

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى ٣/٢٣٩

وسببه وهو مجيئه وكونه هنا لكنه عكس الأول في السببية والمسببية ، وإلى هذا أشار بقوله : والمراد الخ والثاني أنه ذكر المسبب وهو الصد وأريد النهي عن سببه وهو لينه لهم وملايمته حتى يتجزؤوا على صده فكأنه قيل : كن شديدا عليهم ، هاليه أشار بقوله : وأنه ينبغي الخ ولو أخر المثال كما في الكشاف لكان أولى ومن ظنهما وجها واحدا قال : لا يقال على هذا تكون الآية من ذكر المسبب وإرادة السبب فلا يناسب جعله مما يتفرع على ذكر الصد د ارادة الانصداد لأنا لا نسلمه لظهور أن التنبيه على شيء غير إرادته ولا يستلزمه كما في مستتبعات التراكيب ولا يخفى أنه مخالف لما في الكشاف وشروحه مع بعده ثم إن هذا مبنيء على إرجاع الضمير إلى الساعة لا إلى الصلاة كما توهم ، وقوله : فتردى مرفوع أي فأنت تردى أو منصوب في جواب النهي ، والمخدجة بمعنى الناقصة ، ووجه التنبيه أنه جعل ذلك بالصد لا بالفطرة والسليقة ولذا لم يجعل النهي له بحسب الظاهر. قوله : (استفهام (أي تقريري عن الجنس أو الصفة على ما فصل في شروح الكشاف ، وقوله : يتضمن استيقاظا يعني المقصود من السؤال تعديد منافعها ليريه ما فيها **من العجائب** التي هي أعظم مما عنده فما طالبة للوصف وما تلك بمعنى ما منافع تلك ، وقوله : حال من معنى الإشارة فيه تسمح والمقصود أنه حال من اسم الإشارة الواقع خبرا أو مبتدأ على القولين ، والعامل في الحال ما فيه من معنى الفعل لأنه فيه معنى أشير وتسمية ا اخحاة عاملا معنويا كما في قوله : وهذا بعلى شيخا. قوله : (وقيل صله تلك (وهذا على مذهب الكوفيين الذين يقولون : إن كل اسم إشارة يجوز أن يكون اسما موصولا والبصريون لا يقولون به إلا في ذا في ماذا ، وما قيل : !ت أن المراد بالصلة أنا " متعلق باسم الإشارة لتضمنه معنى الفعل على أنه لغو لا وجه له. قوله : (على لغة هذيل (وهي قلب الألف التي قبل ياء المتكلم ياء للمجانسة كما يكسر ما قبلها في الصحيح ، والقطيع العما
المجتمعة وقوله : وأخبط الورق يعني أن أهش بفتح الهمزة وضم الهاء بمعنى أخبط ومفعوله محذوف وهو الورق أي اليابس ، والمعنى أضربه ليسقط على رؤوس الغنم ويقع عندها فتأكله ، وقوله : وقرئ أهش أي بفتح فكسر أو بضم فكسر كما نقل عن النخعيئ وكونه من هش الخبز يلائم الضم ، والهشاشة الرخاوة ، وزجر الغنم منعها وأنجى عليه بالعصا". (١)

٠٧٠-"ج٧ص١٤

والصغير لسكونه ضعفت صفته ، فلذا جاز زوالها وبقاءها هذا محصل ما تلقيناه من أهل الأداء وفي النشران التاء تدغم في الطاء في قوله : ﴿ أقم الصلاة طرفي النهار ﴾ [سورة هود ، الآية : ١٤ ١] وفي التسهيل إنه إذا أدغم المطبق يجوز إبقاء الإطباق وعدمه وقال سيبويه كل عربي والإطباق رفع اللسان إلى الحنك وأحطت بمعنى
علمت علما تاما كأنه محيط بالمعلوم. قوله : (غير مصروف) ا للعلمية والتأنيث لتاويله بما ذكر ومن صرفه فباعتبار الحي أو القوم أو الأب اكبر أو المكان ، ومن سكن الهمزة نوى الوقف واليه أشار الشاطبي رحمه الله بقوله :
وسكنه وانو الوقف زهرا ومندلا
والقواس راو لقنبل رحمه الله وقرى بالألف وسكون الباء في الشواذ. فوله : (بخبر محقق) الخبر تفسير للنبا ومحقق تفسير

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى ٦/١٩٤

ليقين ، وفي الكشاف النبأ الخبر الذي له شأن فهو أخص من الخبر ، ولذا اختير في النظم مع ما فيه من التجنيس ، وموازنة سبا وهو معنى لغوي صرح به أهل اللغة فلو فسر به المصنف رحمه الله كان أقعد فما قيل من أنه ليس بوضعي ، ولذا تركه المصنف ليس بصحيح ، وقول المحدثين أنبانا أحط من درجة أخبرنا لا يرد لأنه اصطلاح ، وقال الراغب : النبأ خبر ذو فائدة يحصل به علم أو غلبة ظن فلا يقال للخبر نبأ حتى يتضمن هذا ، وقوله : (لما أتم بناء بيت المقدس) الخ هذا ينافي ما سيأتي في سورة سبأ من أنه عليه الصلاة والسلام مات قبل إتمامه وهو المشهور ، ولعل فيه روايتين ، وقوله فوافق أي جاء وقوله وأقام بها أي بمكة لعلمها من الحرم أو لتأويل الحرم بها أو بالبقعة وقوله رائده براء ودال مهملتين هو الذي يتقدم لطلب الماء وخصه بهذه الخدمة دون غيره من الطير لأنه قيل إن الله خصه بأنه يرى الماء تحت الأرض كما يرى ما في الزجاج ، وقوله لذلك أي لطلب الماء ، وقوله إذ حلق تعليل لقوله فلم يجده والتحليق بالحاء المهملة الارتفاع في الهواء ، وقوله فتواصفا أي وصف كل منهما ملك أرضه وكان الهدهد الآخر يمانيا بأرض بلقيس ، وقوله وما خص الخ معطوف على قدرة الله أو على عجائب وإنكاره من العجائب ، وقوله يستكبرها بالباء الموحدة أي يعدها أمرا كبيرا عظيما عظم الله به بعض خواصه وكان الظاهر يسلمها ولكن الذي دعاه للتعبير به التجنيس مع قوله يستنكرها أي يعدها أمرا منكرا ، والمراد بذلك أمر سليمان عليه الصلاة والسلام مع الهدهد ، وقوله : أعظم من ذلك أي مما ذكر في هذه القصة. قوله تعالى : (﴿ إني وجدت ﴾ الخ) قال وجدت دون رأيت للإشعار بأنه أمر غير معلوم أولا لأن

الوجدان بعد الفقد وهو مراد من قال إنه للإشعار بغرابة الحال فلا وجه لرده بعدم ما يدل عليه ، ولم يقل تملكها لأن ملك المرأة للجلل أغرب ، وبلقيس بكسر الباء علم لملكة سبأ معرب وهو قبل التعريب مفتوح كما ذكره الطيبي ، وشراحيل بفتح الشين المعجمة ، وقوله والضمير لسبأ أي المراد به الحي أو لأهلها إن كانت علما للبلدة فيعود على الأهل المعلوم من السياق أو المقدر. قوله : (يحتاج إليها الملوك) كان الظاهر إليه لكنه أنثه باعتبار أن كل شيء في معنى أشياء ، وهو إشارة إلى وصف مقدر لتصح الكلية فهو كالاستغراق العرفي ولئلا يسوي بينهما وبين سليمان إذ قال : وأوتينا من كل شيء ، والقرينة عليه قوله تملكهم هنا ، واذا كان المراد بها التكثير لا يحتاج للتأويل ، وجملة وأوتيت معطوفة أو حال بتقدير قد وقوله بالنسبة إليها يعني لا بالنسبة لسليمان عليه الصلاة والسلام ، والسمك الارتفاع وسمك البناء ونحوه هو طوله ، ولذا قابله بالعرض. قوله : (كأنهم كانوا يعبدونها) قيل الظاهر أن يقول لأنهم وكأنه عدل عنه لأن سجودهم يحتمل التحية ، أو جعلها قبلة كما يفعله النصارى ، وقوله وزين الخ يحتمل العطف على يسجدون والحالية بتقدير قد ، وقوله من مقابح أعمالهم وفي نسخة أفعالهم بمعنى قبائح ، ولو عبر به كان أحسن. قوله : (فصدهم لئلا يسجدوا) الظاهر أنه أراد أنه على تقدير لام الجر قبل أن المصدرية ، وهو متعلق بصدهم ، وأما كونه بدلا من السبيل ولا زائدة فوجه في النظم لكن تفسير هذه العبارة به كما قيل غير متوجه ، وفيه وجوه ككونه بدلا من أعمالهم كما ذكره المصنف وعد عدم السجود من الأعمال بعيد ولذا لم يذكره الزمخشري أو متعلق بزين على تقدير اللام أي لئلا يسجدوا قيل ، ولم يتعرض المصنف رحمه الله لأن الفاء

للسببية فالمعنى زين لصدهم وفيه نظر لأن الفاء لا يلزم أن تكون سببية لجواز كونها تفريعية". [(١)]

٥٧١-"ج٧ص٣٩٧

لا ينفعهم صبرهم إذ لم يصادف محله ، وقوله : وصي الرجوع إلى ما يحبون لأنها اسم من أعتبه إذا ما رأى ما يعتب عليه ، وقوله : المجابين إليها أي إلى العتبي وهي الرجوع لما يرومون بسؤالهم إياه ، والجواب مأخوذ

من وقوعه في مقابلة السؤال ، وتحقيقه ما قاله الإمام الكرماني في شرح البخاري في باب الاستنجاء أن الاستفعال هنا لطلب المزيد فيه فالاستعتاب فيه ليس لطلب العتب بل لطلب الأعتاب ، والهمزة فيه للسلب فتأمل. قوله :) ونظيره قوله الخ) أي نظيره في المعنى لأن معناه إن صبروا ، أو لم يصبروا بأن جزعوا لأن سؤالهم لعدم صبرهم فمعنى الشرطيتين سواء صبروا أم جزعوا ، وقوله : وقرئ وأن يستعتبوا أي بالبناء للمجهول والمعتبين بصيغة الفاعل ، وقوله : أي أن يسألوا أن يرضوا ربهم الخ أو هذه القراءة في معنى قوله : ﴿ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ﴾ [سورة الأنعام ، الآية : ٢٨ لـ لتماديهم في الطغيان ، وقوله : لفوات المكنة أي لفوات وقتها وهو الدنيا. قوله : (وقدرنا (يقال : قيض الله له كذا إذا قدره والقرناء جمع قرين وتقييضه له إما لاستيلائه عليه أو لأخذه لا عن غيره من قرنائه ، والأخدان جمع خدن وهو كالخدين الصديق ، وقوله : وقيل الخ هو ما ارتضاه الزمخشري ورجح الأول لقربه معنى ، وقوله : من أمر الدنيا الخ تفسير لما بين أيديهم لحضورها عندهم كالشيء الذي بين يديك تقلبه كيف تشاء وما خلفهم أمور الآخرة لعدم مشاهدتها كالشيء الذي خلفك أو لكونها ستلحق بهم ، وقد يعكس فيجعل ما بين أيديهم الآخرة لأنها مستقبلة ، وما خلفهم الدنيا لمضيها وتركها كما مز ، وما ذكره المصنف رحمه الله أوفق بالترتيب الوجودي ولذا اختاره المصنف واتباع الشهوات عطف على أمر الدنيا بيان للمراد منه وهو المزين لهم فهو كالتفسير له كما إن إنكاره عطف على أمر الآخرة لأنه الذي زين لهم فيه لا قبوله. قوله :) في جملة أمم (يعني أن في للظرفية والجار ، والمجرور في محل نصب على الحال من ضمير عليهم أي كائنين في جملة أمم كما في البيت المذكور ، وقيل في بمعنى مع في الآية والبيت المذكور لكن المصنف ساقه شاهدا لما ذكر ، والصنيعة الإحسان والكرم ومأفوكا بمعنى مصروف عن الجود للبخل ، وقوله : ففي آخرين أي فأنت في جملة قوم آخرين قد أفكوا وعدلوا عن الصنيعة يعني لست أول من بخل. قوله :) وقد عملوا مثل أعمالهم) قدره لاقتضاء المقام له وبه يأخذ الكلام بعضه بحجز بعض ، وقوله : والضمير

لهم وللأمم ويجوز كونه لهم بقرينة السياق. قوله : (وعارضوه بالخرافات (عارضوه أمر بالمعارضة ، والمراد بها التكلم عند قراءته والخرافات جمع خرافة بالتخفيف اسم رجل كانت الجن استهوته فلما رجع كان يحدث بما رأى **من العجائب** ، ثم شاع في كل كذب و–ف يث لا أصل له وورد في الحديث : " خرافة حق " ونقل عن الزمخشري تشديد رائه ولم يذكره غيره والتشويش على القارئ التخليط حتى يذهل عما يقرؤه ، وهذا تفسير بحاصل المعنى وأصل معناه ائتوا باللغو ليختلط فلا يمكنه القراءة والمراد باللغو ما لا أصل له أو ما لا معنى له ، وقوله : لغى يلغى كرضى يرضى ولغا يلغو كعدا يعدو ، وهذى

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى ٧/٤١

بالذال المعجمة من الهذيان وهو معروف. قوله :) تنلبونه على قراءته) أي تشغلونه عنها ، وقوله : وقد سبق مثله أي في سورة الزمر وهو إشارة إلى أن إضافة أسوأ للتخصيص وأفعل للزيادة المطلقة إذ ليس المعنى إنا نذيقهم أسوأ الأعمال بل الأسوأ المنسوب إلى أعمالهم ، ثم لما أشير إلى ذلك الأسوأ وأخبر عنه بقوله : جزاء أعداء الله النار وجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذين كانوا يعملون ليصح الأخبار إذ الجزاء ليس هو الأسوأ الذي من جنس العمل بل من جنس الجزاء ، فإن قيل : فبعد تقدير المضاف يصح الحمل على الإضافة إلى المفضل عليه أي أسوأ أجزية عملهم قلنا ليس المعنى على أن لعملهم أجزية كثيرة هذا أسوأها بل على إن هذا الأسوأ جزاء عملهم. قوله : (فلنذيقق الذين كفروا الخ (أظهر في مقام الإضمار وللإشعار بالعلية ، والعذاب إفا في الدارين أو في إحداهما وأيد الأول بقوله : عذابا شديدا في الدنيا والآخرة ، وإذا أريد عاقة الكفار ثبت في هؤلاء بالطريق البرهاني. قوله :) خبره (وتصحيح الحمل يحتاج إلى تقدير فيه بسبب جزاء أعدائه أو في السابق أي جزاء أسوأ الذي أو أسوأ أجزاء العمل الذي أو هو خبر جزاء ، أو ذلك خبر محذوف أي الأمر كذلك ، وقوله : وهو كقولك في هذه الدار الخ يعني إنه من التجريد وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر". (١)

٥٧٢-"ج٨ص٣٨٠

الشبه وعدمه لأن تكذيبه وتوليه ليس بمقابل لأمره بالتقوى ، واهتدائه ولم يقصد به ذلك فلا يرد عليه ما قيل : إن الظاهر عطفه حينئذ وكون أرأيت تأكيدا لا يتوجه الاعتذار به له ، وقوله : في الكشف إن أرأيت الثالث يستقل به لأنه يقابل الأول لتقابل الشرطين أراد به أنه كالمستقل فلا ينافي كلام المصنف رحمه الله كما توهم حتى يقال : إن المصنف ذهب إلى أن التقابل لا يمنع تكرير التأكيد ، ولا يقتضي الاستقلال وأنما يستقل لو وقع على الشرطية ، وليس كذلك ولو استقل عطف والقول بأنه ترشيح للكلام المبكت وتنبيه على حقيقة الثاني ليس بذاك ا هـ ، **ومن العجائب** ما قيل : إن قول المصنف أو إن كان على التكذيب إشارة إلى أن أو محذوفة فتأمل.

قوله :) والمعنى أخبرني الخ) إشارة إلى أن أرأيت بمعنى أخبرني وقد مر تحقيقه وفي

كلامه إشارة إلى أن الخطاب لغير معين ، وأنه من إرخاء عنان الإنصاف والتبكيت كما مر ، وقوله : بعض عباد الله لا ينافي كون التنوين للتعظيم كما مز لأن التعظيم مأخوذ من الإبهام وهو المراد هنا لا أن تنوينه للتبعيض كما يتوهم ، وقوله : ذلك الناهي إشارة إلى أن اسم كان ضمير

الذي ، وقوله : كما يعتقده إشارة إلى أن انتفاء محقق وأنما أتى فيه بأن بناء على زعمه ، وقوله : كما تقول بتاء الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أو بنون العظمة وقوله : ألم يعلم هو الجواب لا مقول القول فافهم. قوله : (وقيل المعنى الخ) يعني أن الضمير المستتر في كان للعبد المصلى ، وكذا في أمر والضمير في كذب وتولى ويعلم للذي ينهى وعلى الأول الضمائر كلها للذي ينهى وقوله : والمنهي على الهدى والناهي مكذب بيان لحاصل المعنى لا لأن الجملة الشرطية حالية والرؤية على هذا علمية أيضا ، وقيل : إنها بصرية والجواب مقدر كما أشار إليه بقوله : فما أعجب من ذا بقرينة قوله : أرأيت فإنه

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى ٣٩٧/٧

يفيد التعجب ، وقوله : ألم يعلم الخ جملة مستأنفة حينئذ لتقرير ما قبلها ، وتأكيده لا جواب للشرط. قوله : (وقيل الخطاب في الثانية مع الكافر) وفي الثالثة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو المفهوم من كلام المصنف وإن جوز الإمام كونه للكافر أيضا وسكت عن الأولى فالظاهر أنها لغير معين فلا يرد ما مر في الكشف ، وقيل : إنه للنبي صلى الله عليه وسلم أيضا فتدبر ، وقوله : أتنهاه يحتمل أنه جعله مفعولا لا لرأيت ويحتمل أنه جواب الشرط ، وقوله : ودعاؤه الخ إشارة إلى أن أو تقسيمية بمعنى الواو هنا فتدبر. قوله : (في التعجب الخ) أراد قوله : إن كان على الهدى الخ ، وأن ما قبله مثله أيضا وقيل : هذا على الوجهين الأخيرين لأن مبني الأول على نهيه عن الصلاة والأمر والتعجب منه ومبني الثاني على التوبيخ على نهيه عنهما مع أن المذكور أولا أحدهما وفيه نظر ، وقوله : ولم يعرض الخ يعني لم يقل ينهاه إذا صلى أو أمر الخ وهو معطوف على قوله : ذكر أو. هو حال وقوله : لأن النهي الخ تعليل للمنفي لا للنفي ، وقوله : فاقتصر الخ بيان لأنه حذف من الأول بعض ما في الثاني اكتفاء بذكره فيه للاختصار ولما كان الاختصار يحصل بالاقتصار على كل منهما أشار إلى المرجح للاقتصار على الصلاة بأن الأمر بالتقو! دعوة قولية ، والصلاة دعوة فعلية والفعل أقوى من القول فاقتصر على الأقوى ، وكان الظاهر لأنها لكن ذكر بتأويل الدعاء أو باعتبار كونها فعلا أو لأنه مصدر وما قيل في بيانه فخص الصلاة بالذكر لاشتماله على أحد قسمي الدعوة بخلاف الأمر بالتقوى الظاهر أنه خطأ ، وأنما جعلت دعوة وأمرا لأن المقتدى به إذا فعل فعلا في قوة قوله : افعلوا هذا فهي أمر كما جعلها الله نهيا في آية أخرى ، فمن قال : المتحقق فيها الصلاة لا الدعوة لم يفهم المراد. قوله : (أو لأن نهي العبد الخ) وجه آخر للدفع أي المذكور أولا ليس النهي عن الصلاة بل النهي حين

الصلاة وهو محتمل أن يكون لها أو لغيرها وعامة أحوال الصلاة وجميعها لما انحصرت في تكميل نفس المصلي بالعبادة وتكميل غيره بالدعوة فنهيه في تلك الحال يكون عن الصلاة والدعوة معا ، ولذا ذكرا في التعجب أو التوبيخ فسقط ما قيل من أنه في بعض النسخ أحوالها والصواب أحواله كما في بعضها أي عامة أحواله صلى الله عليه وسلم محصورة فيهما فيدل على النهي عنهما ، وفيه أن المتحقق منه الصلاة لا الدعوة فتأمل. قوله : (لتأخذن بناصيته الخ) أي برأسه بيان لمعناه الوضعي ، وقوله : لنسحبنه هو المعنى الكنائي المؤمحمود منه وقوله : بنون مشددة هي رواية عن أبي عمرو ، وقوله : وكتبته بالكسر مصدر بمعنى الكتابة ، وقوله : على". (١)

٥٧٣-"« لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » وقد روي عن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عباس ، وأبي هريرة ، وأبي بن كعب ، وأبي أيوب الأنصاري ، وعبادة بن الصامت ، وأبي سعيد الخدري أنهم قالوا : « لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب » فهؤلاء الصحابة القدرة ، وفيهم الأسوة ، كلهم يوحبون الفاتحة في كل ركعة .
قال الإمام الفخر : « إنه عليه السلام واظب طول عمره على قراءة الفاتحة في الصلاة ، فوجب أن يجب علينا ذلك لقوله تعالى : ﴿ واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ويا للعجب من أبي حنيفة فإنه تمسك في وجوب (مسح الناصية

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى ٣٨٠/٨

) بخبر واحد وذلك ما رواه المغيرة بن شعبة Bه عن النبي A أنه أتى سباطة قوم فبال وتوضأ ، ومسح على ناصيته وخفيه ، في (أنه عليه السلام مسح على الناصية) فجعل ذلك القدر من المسح شرطا لصحة الصلاة!! وهاهنا نقل أهل العلم نقلا متواترا أنه عليه السلام واظب طول عمره على قراءة الفاتحة ، ثم قال : إن صحة الصلاة غير موقوفة عليها ، وهذا **من العجائب**! » .

الحكم الرابع : هل يقرأ المأموم خلف الإمام؟

اتفق العلماء على أن المأموم إذا أدرك الإمام راكعا فإنه يحمل عنه القراءة ، لإجماعهم على سقوط القراءة عنه بركوع الإمام ، وأما إذا أدركه قائما فهل يقرأ خلفه أم تكفيه قراءة الإمام؟ اختلف العلماء في ذلك على أقوال :

أ – فذهب الشافعي وأحمد : إلى وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام سواء كانت الصلاة سرية أم جهرية .

ب – وذهب مالك إلى أن الصلاة إذا كانت سرية قرأ خلف الإمام ، ولا يقرأ في الجهرية .

ج – وذهب أبو حنيفة : إلى أنه لا يقرأ خلف الإمام لا في السرية ولا في الجهرية .

استدل الشافعية والحنابلة بالحديث المتقدم وهو قوله A : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » .

فإن اللفظ عام يشمل الإمام والمأموم ، سواء كانت الصلاة سرية جهرية ، فمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب لم تصح صلاته .

واستدل الإمام مالك : على قراءة الفاتحة إذا كانت الصلاة سرية بالحديث المذكور ، ومنع من القراءة خلف الإمام إذا كانت الصلاة جهرية لقوله تعالى : ﴿ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] .

وقد نقل القرطبي : عن الإمام مالك أنه لا يقرأ في الجهرية بشيء من القرآن خلف الإمام ، وأما في السرية فيقرأ بفاتحة الكتاب ، فإن ترك قراءتها فقد أساء ولا شيء عليه .

وأما الإمام أبو حنيفة : فقد منع من القراءة خلف الإمام مطلقا عملا بالآية الكريمة ﴿ وإذا قرىء القرآن فاستمعوا ﴾ [الأعراف : ٢٠٤] ولحديث « من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة » .

واستدل أيضا بما روي عن النبي A أنه قال :". (١)

٥٧٤–" ألا تكلم الناس بأن يحصر لسانك عن محادثتهم ليتجر دسرك لربك ويكون ظاهرك وباطنك مشغولا به إلا رمزا تدفع به ضيق القلب عند الحاجة وحقيقة الرمز عند العارفين تعريض السر وإعلام الخاطر للخاطر بنعت تحريك سلسلة المواصلة بين المخاطب والمخاطب واذكر ربك كثيرا بتخليص النية عن الخطرات وجمع الهموم بنعت تصفية السر في المناجاة وتحير الروح في المشاهدات وسبح أي نزه ربك عن الشركة في الوجود بالعشي والابكار بالفناء والبقاء

وإن أردت تطبيق ما في الآفاق على ما في الانفس فتقول هنالك رعا زكريا الاستعداد ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة وهي النفس الطاهرة المقدسة عن النقائص إنك سميع الدعاء ممن صدق في الطلب فنادته ملائكة القوى الروحانية وهو قائم منتهض لتكميل النشأة يصلي ويدعو في محراب التضرع إلى الله تعالى المفيض على القوابل بحسب

---

(١) روائع البيان في تفسير آيات الأحكام ص/١٨

القابليات أن الله يبشرك بيحيي وهو الروح الحي بروح الحق والصفات الالهية مصدقا بكلمة من الله وهي ما تلقيها ملائكة الالهام من قبل الفياض المطلق وسيدا لم تملكه الشهوات النفسانية وحصورا أي مبالغا في الامتناع عن اللذائذ الدنيوية ونبيا بما يتلقاه من عالم الملكوت ومعدودا من الصالحين لهاتيك الحضرة القائمين بحقوق الحق والخلق لا تصافه بالبقاء بعد الفناء قال رب أنى أي كيف يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وضعف القوى الطبيعية وامرأتي وهي النفس الحيوانية عاقر عقيم عن ولادة مثل هذا الغلام إذ لا تلد الحية إلا حيية قال كذلك الله في غرابة الشأن يفعل ما يشاء **من العجائب** التي يستبعدها من قيده النظر إلى المألوفات وبقي أسيرا في سجب العادات قال رب أجعل لي آية على ذلك لأشكرك مستمطرا زيادة نعمك التي لا منتهى لها قال آيتك ألا تكلم الناس وهم ما يأنس به من اللذائذ المباحة ثلاثة أيام وهي يوم الفناء بالافعال ويوم الفناء بالصفات ويوم الفناء بالذات إلا رمزا أي قدرا يسيرا تدعو الضرورة اليه واذكر ربك الذي رباك حتى أوصلك إلى هذه الغاية كثيرا حيث من عليك بخير كثير وسبح أي نزه ربك عن نقائض التقيد بالمظاهر بالعشي والإبكار أي وقتي الصحو والمحو

وبعض الملتزمين لذكر البطون ذكر في تطبيق ما في الآفاق على ما في الانفس أن القوى البدنية امرأة عمران الروح نذرت ما في قوتها من النفس المطمئنة فوضعت أنثى النفس فكفلها زكريا الفكر فدخل عليها زكريا محراب الدماغ فوجد عندها رزقا من المعاني الحدسية التي أنكشفت لها بصفائها فهنالك دعا زكريا الفكر بتركيب تلك المعاني واستوهب ولدا مقدسا من لوث الطبيعة فسمع الله تعالى دعاءه فنادته ملائكة القوى الروحانية وهو قائم في أمره بتركيب المعلومات يناجي ربه باستنزال الأنوار في محراب الدماغ أن الله يبشرك بيحيي العقل مصدقا بعيسى القلب الذي هو كلمة من الله لتقدسه عن عالم الاجرام وسيدا لجميع أصناف القوى وحصورا عن مباشرة الطبيعة ونبيا بالاخبار عن المعارف والحقائق وتعليم الاخلاق ومنتظما في سلك الصالحين وهم المجردات ومقربو الحضرة قال أنى يكون ذلك وقد بلغني كبر منتهى الطور وامرأتي وهي طبيعة الروح النفسانية عاقر بالنور المجرد فطلب لذلك علامة فقيل له : علامة ذلك الامساك عن مكالمة القوى البدنية في تحصيل مآربهم من اللذائذ ثلاثة أيام كل يوم عقد تام من أطوار العمر وهو عشر سنين إلا بالاشارة الخفية وأمر بالذكر في هذه الايام التي هي مع العشر الاول هي سن التمييز أربعون سنة ". (١)

٥٧٥-" أوتوا الكتاب من قبلكم وهم أهل مقام الجمع ومن الذين أشركوا وهم أهل مقام الجمع ومن الذين أشركوا وهم أهل الكثرة أذى كثيرا لنطقهم بما يخالف مشربكم والخطاب للمتوسطين من السالكين فإنهم ينكرون على أهل مقام الجمع وعلى أهل الكثرة جميعا ما داموا غير واصلين إلى توحيد الذات وغير كارعين من بحار الفرق بعد الجمع وإن تصبروا على مجاهدة أنفسكم وتتقوا النظر إلى الأغيار فإن ذلك من عزم الأمور أي من الأمور المطلوبة التي تجر إلى المقصود والفوز بالمطلوب وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الظاهر هنا عدم صحة إرادة المعنى الذي أريد من الذين أوتوا الكتاب آنفا ومن حمله عليه تكلف جدا فلعله باق على ظاهره أو أنه إشارة إلى العلماء مطلقا وضمير

---

(١) روح المعاني ١٥٣/٣

فنبذوه وراء ظهورهم إلخ راجع إليهم بإعتبار البعض فتدبر ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا أي يعجبون بما فعلوا من طاعة ويحجبون برؤيته ويحبون أن يحمدوا أي يحمدهم الناس فهم محجوبون بغرض الحمد والثناء من الناس أو أن يكونوا محمودين عند الله بما لم يفعلوا بل فعله الله تعالى على أيديهم إذ لا فعل حقيقة إلا لله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم وهو عذاب الحرمان والحجاب ولله ملك السموات والأرض ليس لأحد فيهما شيء وهو المتصرف فيهما وفيما أشتملنا عليه فكيف يعجب من ظهر على يده فعل بما ظهر والله على كل شيء قدير لا يقدر سواه على فعل ما حتى يحجب برؤيته إن في خلق السموات والأرض تأكيد لما قبله وإقامة دليل عليه ولذا لم يعطف وأتى بكلمة إن إعتناءا بتحقق مضمون الجملة أي إن في إيجادهما وإنشائهما على ما هما عليه **من العجائب** والبدائع وأختلاف الليل والنهار أي تعاقبها ومجيء كل منهما خلف الآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لسباحتها في بحر قدرته سبحانه حسب إرادته وخبر الخرزتين خارج عن سلك القبول وبفرض نظمه فيه مؤل وثقب التأويل واسع وكون ذلك تابعا لحركة السموات وسكون الأرضكما قاله مولانا شيخ الإسلاممخالف لما ذهب إليه جمهور أهل السنة من المحدثين وغيرهم من سكون السموات وتحرك النجوم أنفسها بتقدير الله تعالى العليم وما ذهب إليه هو مذهب الحكماء المشهور بين الناس وقد ذكر مولانا الشيخ الأكبر قدس سره ما يخالفه أيضا حيث قال : إن الله سبحانه جعل هذه السموات ساكنة وخلق فيها نجوما تسبح بها وجعل لها في سباحتها حركات مقدرة لا تزيد ولا تنقص وجعلها تسير في جرم السماء الذي هو مساحتها فتخرق الهواء المماس لها فيحدث بسيرها أصوات ونغمات مطربة لكون سيرها على وزن معلوم فتلك نغمات الأفلاك الحادثة من قطع الكواكب المسافات السماوية وجعل أصحاب علم الهيئة للأفلاك ترتيبا ممكنا في حكم العقل وجعلوا الكواكب في الأفلاك كالشامات على سطح الجسم وكل ما قالوه يعطيه ميزان حركاتها وإن الله تعالى لو فعل ذلك كما ذكروه لكان السير السير بعينه ولذلك يصيبون في علم الكسوفات ونحوه وقالوا : إن السموات كالأكر وأن الأرض في جوفها وذلك كله ترتيب وضعي يجوز في الإمكان غيره وهم مصيبون في الأوزان مخطئون في أن الأمر كما رتبوه فليس الأمر إلا على ما ذكرناه شهودا إنتهى

ويؤيد دعوى أنه يجوز في الإمكان غيره ما ذهب إليه أصحاب الزيج الجديد من أن الشمس ساكنة لا تتحرك أصلا وأنها مركز العالم وأن الأرض وكذا سائر السيارات والثوابت تتحرك عليها وأقاموا على ذلك الأدلة والبراهين ". (١)

٥٧٦-" الركوع بمعنى التخشع والتذلل لابالمعنى المعروف فى عرف أهل الشرع كما فى قوله : لاتهين الفقير علك أن تركع يوما والدهر قد رفعه وقد استعمل بهذا المعنى فى القرآن أيضا كما قيل فى قوله سبحانه : واركعى مع الراكعين إذ ليس فى صلاة من قبلنا من أهل الشرائع ركوع هو أحد الاركان بالاجماع وكذا فى قوله تعالى : وخر راكعا وقوله عز و جل : وإذا قيل لهم اركعوا لايركعون على مابينه بعض الفضلاء وليس حمل الركوع فى الآية على غير معناه الشرعى بأبعد من حمل الزكاة المقرونة بالصلاة عل مثل ذلك التصدق وهو لازم على مدعى الإمامية قطعا

---

(١) روح المعاني ٤/١٥٥

وقال بعض منا أهل السنة : إن حمل الركوع على معناه الشرعى وجعل الجملة حالا من فاعل يأتون يوجب قصورا بينا فى مفهوم يقيمون الصلاة إذ المدح والفضيلة فى الصلاة كونها خالية عمالا يتعلق بها من الحركات سواء كانت كثيرة أو قليلة غاية الأمر أن الكثيرة مفسدة للصلاة دون القليلة ولكن ثؤثر قصورا فى معنى إقامة الصلاة البتة فلا ينبغى حمل كلام الله تعالى الجليل على ذلك انتهى

وبلغنى أنه قيل لابن الجوزى رحمه الله تعالى : كيف تصدق على كرم الله تعالى وجهه بالخاتم وهو فى الصلاة والظن فيه بل العلم الجازم أن له كرم الله تعالى وجهه شغلا شاغلا فيها عن الالتفات إلى مالايتعلق بها وقد حكى مما يؤيد ذلك كثير فأنشأ يقول : يسقى ويشرب لاتلهيه سكرته عن النديم ولايلهو عن الناس أطاعه سكره حتى تمكن من فعل الصحاة فهذا واحد الناس وأجاب الشيخ إبراهيم الكردى قدس سره عن أصل الاستدلال بأن الدليل قائم فى غير محل النزاع وهو كون على كرم الله تعالى وجهه إماما بعد رسول صلى الله عليه و سلم من غير فصل لأن ولاية الذين آمنوا على زعم الإمامية غير مرادة فى زمان الخطاب لأن ذلك عهد النبوة والامامية نيابة فلا تتصور إلا بعد انتقال النبى صلى الله عليه و سلم وإذا لم يكن زمان الخطاب مرادا تعين أن يكون المراد الزمان المتأخر عن زمن الانتقال ولاحد للتأخير فليكن ذلك بالنسبة إلى الأمير كرم الله تعالى وجهه بعد مضى زمان الأئمة الثلاثة فلم يحصل مدعى الإمامية **ومن العجائب** أن صاحب إظهار الحق قد بلغ سعيه الغاية القصوى فى تصحيح الاستدلال بزعمه ولم يأت بأكثر مما يضحك الثكلى وتفزع من سماعه الموتى فقال : إن الأمر بمحبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه و سلم يكون بطريق الوجوب لامحالة فالأمر بمحبة المؤمنين المتصفين مما ذكر من الصفات وولايتهم أيضا كذلك إذ الحكم فى كلام واحد يكون موضعه متحدا أو متعددا أو متعاطفا لايمكن أن يكون بعضه واجبا وبعضه مندوبا وإلا لزم استعمال اللفظ بمعنيين فاذا كانت محبة أولئك المؤمنين وولايتهم واجبة وجوب محبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه و سلم امتنع أن يراد منهم كافة المسلمين وكل الأمة باعتبار أن من شأنهم الاتصاف بتلك الصفات لأن معرفة كل منهم ليحب ويوالى مما لايمكن لأحد من المكلفين بوجه من الوجوه وأيضا قد تكون معاداة المؤمنين لسبب من الأسباب مباحة بل واجبة فتعين أن يراد منهم البعض وهو على المرتضى كرم الله تعالى وجهه انتهى

ويرد عليه أنه مع تسليم المقدمات أين اللزوم بين الدليل والمدعى وكيف استنتاج المتعين من المطلق وأيضا لايخفى على من له أدنى تأمل أن موالاة المؤمنين من جهة الإيمان أمر عام بلا قيد ولاجهة وترجع إلى موالاة ". (١)

٥٧٧-" وقرأ باقي السبعة بينكم بالرفع على الفاعلية وهو من الأضداد كالقرء يستعمل في الوصل والفصل والمراد به هنا الوصل أي تقطع وصلكم وتفرق جمعكم وطعن ابن عطية في هدا بأنه لم يسمع من العرب أن البين يمعنى الوصل وإنما انتزع من هذه الآية وأجيب بأنه معنى مجازي ولا يتوقف على السماع لأن بين م يستعمل بين الشيئين المتلابسين نحو بيني وبينك رحم وصداقة وشركة فصار لذلك بمعنى الوصلة على أنه لو قيل بأنه حقيقة في ذلك لم يبعد فان أبا عمرو وأبا عبيدة

---

(١) روح المعاني ٦/١٦٩

وابن جني والزجاج وغيرهم من أئمة اللغة نقلوه وكفى بهم سندا فيه فكونه منتزعا من هذه الآية غير مسلم وعليه فيكون مصدرا لا ظرفا وقيل إن بين هنا ظرف لكنه أسند إليه الفعل على سبيل الاتساع

وقرأ عبد الله لقد تقطع بينكم وما فيه موصوفة أو موصولة وضل عنكم وضاع وبطل ما كنتم تزعمون

٤٩

- أنها شفعاؤكم أو أنها شركاء لله تعالى فيكم أو أن لا بعث ولا جزاء

إن الله فالق الحب والنوى شروع في تقرير بعض افاعيله تعالى العجيبة الدالة على كمال علمه تعالى وقدرته ولطيف صنعه وحكمته إثر تقرير أدلة التوحيد وفي ذلك تنبيه على أن المقصود من جميع المباحث العقلية والنقلية وكل المطالب الحكمية إنما هو معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وأفعاله سبحانه والفالق الموجد والمبدع كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والضحاك والحب معلوم والنوى جمع نواة التمر كما في القاموس وغيره يؤنث ويذكر ويجمع على أنواء ونوى بضم النون وكسرها وفسره الامام بالشيء الموجود في داخل الثمرة بالمثلثة أعم من التمر بالمثناة وغيره والمشهور أن النوى إذا إطلق فالمراد منه ما في القاموس وإذا أريد عيره قيد فيقال : نوى الخوخ ونوى الاجاص ونحو ذلك وأصل الفلق الشق وكان إطلاق الفالق على الموجد باعتبار أن العقل يتصور من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها ولا انفلاق فمتى أوجد الشيء تخيل الذهن أنه شق ذلك العدم وفلقه وأخرج ذلك المبدع منه وعن الحسن وقتادة والسدي أن المعنى شاق الحبة اليابسة ومخرج النبات منها وشاق النواة ومخرج النخل والشجر منها وعليه أكثر المفسرين ولعله الأولى

وفي ذلك دلالة على كمال القدرة لما فيه **من العجائب** التي تصدح اطيارها على أفنان الحكم وتطفح أنهارها في رياض الكرم وعن مجاهد وأبي مالك أن المراد بالفلق الشق الذي بالحبوب وبالنوى أي أنه سبحانه خالقهما كذلك كما في قولك : ضيق فم الركية ووسع أسفلها وضعف بأنه لا دلالة له على كمال القدرة كما في سابقه

يخرج الحي من الميت أي يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات والشجر مما لا ينموا من النطفة والحب والنوى والجملة مستأنفة مبينة مبينة لما قبلها على ما عليه الأكثر ولذلك ترك العطف وقيل : خبر ثان ولم يعطف للايذان باستقلاله في الدلالة على عظة الله تعالى ومخرج الميت كالنطفة وأخويها من الحي كالحيوان وأخويه وهذا عند بعض عطف على فالق لا على يخرج الحي الخ لأنه كما علمت بيان لما قبله وهذا لا يصلح للبيان وأن صح عطف الأسم المشتق على الفعل وعكسه

واختار ابن المنير كونه معطوفا على يخرج قال وقد وردا جميعا بصيغة المضارع كثيرا وهو دليل على أنهما توأمان مقترنان وهو يبعد القطع فالوجه والله تعالى أعلم أن يقال : كان الأصل أن يؤتى بصيغة اسم ". (١)

٥٧٨-" له مما إنتقش في البعض الآخر فتدرك النفس مما ارتسم في تلك المبادي ما يناسبها من أحوالها وأحوال ما يقارنها من الأقارب والأهل والولد والإقليم والبلد ماضيه وآتيه إلا أن هذا الإدراك لعدم تأديه من طرف الحس كلي فتحاكيه القوة المتخيلة التي جبلت محاكية لما يرد عليها بصور جزئية مثالية خيالية مناسبة إياه فتحاكي ما هو خير بالنسبة إليها في

---

(١) روح المعاني ٢٢٦/٧

صورة جميلة وما هو شر كذلك في صورة قبيحة هائلة على مراتب مختلفة ووجوه متعددة ومن ثمة قد ترى ذاتها بصفة جميلة صورية ومعنوية من الجمال والعلم والكرم والشجاعة وغير ذلك من الصفات المحمودة وقد ترى ذاتها متصفة بأضداد ما ذكر وقد ترى تلك الصفات في صورة ما غلبت الصفات عليه بل قد ترى أنها نفسها صارت نوعا آخر لغلبة صفاته عليها ومتى غلبت عليها الصفات الجميلة والأخلاق الحميدة ترى صورا جميلة وأشخاصا حميدة كذوي الجمال والعلماء والأولياء والملائكة بل قد ترى أنها صارت عالما أو ملكا مثلا ومتى غلبت عليها الصفات الذميمة ترى صورا هائلة كصورة غولية أو سبعية وكذا رؤية حال من يقاربه من الأهل والولد والإقليم مثلا فإنها تراها بإعتبار اختلاف المراتب والمناسبات على ما هي عليه في المضي أو الحال أو الإستقبال حتى لو اهتمت بمصالح الناس رأتها ولو كانت منجذبة الهمة إلى المعقولات لاحت لها أشياء منها فمتى لم يكن اختلاف بين تلك الصورة وبين ما هي مأخوذة منه إلا بالكلية والجزئية كانت الرؤيا غير محتاجة إلى التعبير والتجاوز عنها إلى ما يناسبها بوجه من المماثلة أو الضدية التي يقتضيها نحو الألف والخلق والأسباب السماوية وغير ذلك من وجوه خفية لا يطلع عليها إلا الأفراد من أئمة التعبير وإن كانت مخالفة لها لقصور يقع في المتخيلة إما لذاتها أو لعروض دهشة وحيرة لها مما ترى أو لغير ذلك كانت محتاجة إلى التعبير وهو أن يرجع المعبر القهقري مجردا لما يراه النائم عن تلك الصور التي صورتها المتخيلة إلى أن ينتهي بمرتبة أو مراتب إلى ما تلقته النفس من تلك المبادي فيكون هو الواقع وقد يتفق سيما إذا كان الرائي كثير الإهتمام بالرؤيا أن يعبر رؤياه في النوم الذي رآها فيه أو غيره فهو إما بتذكره لما كانت الرؤيا حكاية عنه وإما بتصوير المتخيلة حكاية رؤياه بحكاية أخرى وحينئذ يحتاج إلى تعبيرين

وأما الثانية فهي تكون لأشياء إما لأن النفس إذا أحست في حال اليقظة بتوسط الآلات الجسمانية بصور جزئية محسوسة أو خيالية وبقيت مخزونة في قوة الخيال فعند النوم الذي يخلص فيه الحس المشترك عما يرد عليه من الحواس الظاهرة ترسم في الحس المشترك إرتسام المحسوسات إما على ما كانت عليها وإما بصورة مناسبة لها أو لأن النفس أتقنت بواسطة المتخيلة صورة ألفتها فعند النوم تتمثل في الحس المشترك أو لأن مزاج الدماغ يتغير فيتغير مزاج الروح الحاملة للقوة المتخيلة فتتغير أفعال المتخيلة بحسب تلك التغيرات ولذلك يرى الدموي الأشياء الحمر والصفراوي النيران والأشعة والسوداوي الجبال والأدخنة والبلغمي المياه والألوان البيض ومن هذا القبيل رؤية كون بدنه أو بعض أعضائه في الثلج أو الماء أو النار عند غلبة السخونة أو البرودة عليه ورؤية أنه يأكل أو يشرب أو يبول عند عروض الإحتياج إلى أحدها

ومن العجائب في هذا الباب أنه إذا غلب المني واحتاجت الطبيعة إلى دفعه تحتال باستعانة القوة المتخيلة إلى تصوير ما يندفع به من الصور الحسنة وفي إرسال الريح الناشرة لآلة الجماع وإرادة حركاتها حتى يندفع بذلك ما أرادت إندفاعه وقد يكون ذلك التوجه والإعتياد لا لغلبة المني فلهذا قد لا يندفع به شيء وقد يعرض ". (١)

٥٧٩-" بوزن رمى وبه قرأ ابن محيصن وكيء بتقديم الياء على الهمزة وذكر صاحب اللوامح أن الحسن قرأ وكي بياء مكسورة من غير همز ولا ألف ولا تشديد و آية في موضع التمييز و من زائدة وجر تمييز كأين بها دائمي أو أكثري وقيل :

---

(١) روح المعاني ١١/١٠

هي مبينة للتمييز المقدر والمراد من الآية الدليل على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وهي وإن كانت مفردة لفظا لكنها في معنى الجمع أي آيات لمكان كائن والمعنى وكأي عدد شئت من الآيات الدالة على صدق ما جئت به غير هذه الآية في السموات والأرض أي كائنة فيهما من الاجرام الفلكية ومافيها من النجوم وتغير أحوالها ومن الجبال والبحار وسائر مافي الارض **من العجائب** الفائتة للحصر : وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد يمرون عليها يشاهدونها وهم عنها معرضون

٥٠١

– غير متفكرين فيها ولا معتبرين بها وفي هذا من تأكيد تعزية صلى الله عليه و سلم وذم القوم مافيه والظاهر أن في السموات والارض في موضع الصفة لآية وجملة يمرون خبر كأين كما أشرنا اليه سابقا وجوز العكس وقرأ عكرمة وعمرو بن قائد والأرض بالرفع على أن في السموات هو الخبر لكأين والارض مبتدأ خبره الجملة بعده ويكون ضمير عليها للأرض لا للآيات كما في القراءة المشهورة وقرأ السدي والأرض بالنصب على أنه مفعول بفعل محذوف يفسره يمرون وهو من الاشتغال المفسر بما يوافقه في المعنى وضمير عليها كما هو فيما قبل أي ويطؤون الارض يمرون عليها وجوز أن يقدر يطؤن ناصبا للأرض وجملة يمرون حال منها أو من ضمير عاملها

وقرأ عبدالله والأرض بالرفع و يمشون بدل يمرون والمعنى على القرآت الثلاث أنهم يجيئون ويذهبون في الأرض ويرون آثار الامم الهالكة وما فيها من الآيات والعبر ولا يتفكرون في ذلك

وما يؤمن أكثرهم بالله في اقرارهم ١ بوجوده تعالى وخالقيته إلا وهم مشركون

٦٠١

– به سبحانه والجملة في موضع الال من الاكثر أي مايؤمن أكثرهم الا في حال اشراكهم قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة : هم أهل مكة آمنوا وأشركوا كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك ومن هنا كان صلى الله عليه و سلم اذا سمع احدهم يقول : لبيك لاشريك لك يقول له : قط قط أي يكفيك ذلك ولا تزد الا شريكا الخ وقيل : هم أولئك آمنوا لما غشيهم الدخان في سني القحط وعادوا الى الشرك بعد كشفه وعن ابن زيد وعكرمة وقتادة ومجاهد أيضا أن هؤلاء كفار العرب مطلقا أقروا بالخالق الرازق المميت وأشركوا بعبادة الاوثان والاصنام وقيل : أشركوا بقولهم : الملائكة بنات الله سبحانه وعن ابن عباس أيضا أنهم أهل الكتاب أقروا بالله تعالى وأشركوا به من حيث كفروا بنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم أو من حيث عبدوا عزيزا والمسيح عليهما السلام

وقيل : أشركوا بالتبني واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابا وقيل : هم الكفار الذين يخلصون في الدعاء عند الشدة ويشركون اذا نجوا منها وروى ذلك عن عطاء وقيل : هم الثنوية قالوا بالنور والظلمة وقيل : ". (١)

---

(١) روح المعاني ٦٦/١٣

٥٨٠-" منتظم معه في سلك أدلة التوحيد ويفهم من قول العلامة الطيبي أنه تعالى عقب قوله سبحانه : إن الله على كل شيء قدير بقوله جل وعلا : والله أخرجكم الخ معطوفا بالواو إيذانا بأن مقدوراته تعالى لا نهاية لها والمذكور بعض منها أن العطف على قوله سبحانه : إن الله الخ والذي تنبسط له النفس هو الأول

والأمهات بضم الهمزة وفتح الهمزة جمع أم والهاء فيه مزيدة وكثر زيادتها فيه وورد بدونها والمعنى في الحالين واحد ذو الزيادة للأناسي والعاري عنها للبهائم ووزن المفرد فعل لقولهم الأمومة وجاء بالهاء كقول قصي بن كلاب عليهما الرحمة :

أمهتي خنذف وإلياس أبي

وهو قليل وأقل من ذلك زيادة الهاء في الفعل كما قيل في إهراق وفيه بحث فارجع إلى الصحاح وغيره

وقرأ حمزة بكسر الهمزة والميم هنا وفي الزمر والنجم والروم والكسائي بكسر الميم فيهن والأعمش بحذف الهمزة وكسر الميم وابن أبي ليلى بحذفها وفتح الميم قال أبو حاتم : حذف الهمزة رديء ولكن قراءة ابن أبي ليلى أصوب وكانت كذلك على ما في البحر لأن كسر الميم إنما هو لإتباعها حركة الهمزة فإذا كانت الهمزة محذوفة زال الإتباع بخلاف قراءة ابن أبي ليلى فإنه أقر الميم على حركتها لا تعلمون شيئا في موضع الحال و شيئا منصوب على المصدرية أو مفعول تعلمون والنفي منصب عليه والعلم بمعنى المعرفة أي غير عارفين شيئا أصلا من حق المنعم وغيره وقيل : شيئا من منافعكم وقيل : مما قضى عليكم من السعادة أو الشقاوة وقيل : مما أخذ عليكم من الميثاق في أصلاب آبائكم والظاهر العموم ولا داعي إلى التخصيص وعن وهب يولد المولود خدرا إلى سبعة أيام لا يدرك راحة ولا ألما

وادعى بعضهم أن النفس لا تخلو في مبدأ الفطرة عن العلم الحضوري وهو علمها بنفسها إذ المجرد لا يغيب عن ذاته أصلا فقد قال الشيخ في بعض تعليقاته عند إثبات تجرد النفس : إنك لا تغفل عن ذاتك أصلا في حال من الأحوال ولو في حال النوم والسكر ولو جوز مجوز أن يغفل عن ذاته في بعض الأحوال حتى لا يكون بينه وبين الجماد في هذه الحالة فرق فلا يجدي هذا البرهان معه وقال بهمنيار في التحصيل في فصل العقل والمعقول : ثم إن النفس الإنسانية تشعر بذاتها فيجب أن يكون وجودها عقليا فيكون نفس وجودها نفس إدراكها ولهذا لا تعزب عن ذاتها البتة ومثله في الشفاء وأنت تعلم أن عدم الخلو مبني على مقدمات خفية كتجرد النفس الذي أنكره الطبيعيون عن آخرهم وأن كل مجرد عالم ولا يتم البرهان عليه وأيضا ما نقل من أن علم النفس بذاتها عين ذاتها لا ينافي أن يكون لكون الذات علما بها شرط فما لم يتحقق ذلك الشرط لم تكن الذات علما بها كما أن لكون المبدأ الفياض خزانة لمعقولات زيد مثلا شرطا إذا تحقق تحقق وإلا فلا ويؤيد ذلك أن علم النفس بصفاتها أيضا عندهم ومع ذلك يجوز الغفلة عن الصفة في بعض الأحيان كما لا يخفى

وأيضا إذا قلنا : إن حقيقة الذات غير غائبة عنها وقلنا : إن ذلك علم يلزم أن يكون حقيقة النفس المجردة معلومة لكل أحد ومن البين أنه ليس كذلك على أن المحقق الطوسي قد منع قولهم : إنك لا تغفل عن ذاتك أبدا وقال : إن المغمى عليه ربما غفل عن ذاته في وقت الإغماء ومثله كثير من الأمراض النفسانية **ومن العجائب** أن بعض الأجلة ذكر أن المراد

بخلوها في مبدإ الفطرة خلوها حال تعلقها بالبدن وقال : إنه لا ينافي ". (١)

٥٨١-" ويفسر بما يكون قد قوبل في الآية الأمر بالنهي وكل من المأمور به بكل من المنهي عنه وجمع بين الأمر والنهي مع أن الأمر بالشيء نهي عن ضده والنهي عن الشيء أمر بضده لمزيد الإهتمام والإعتناء والإمام الرازي قد أطال الكلام في هذا المقام وذكر أن ظاهر الآية يقتضي المغايرة بين الثلاثة المأمور بها ويقتضي أيضا المغايرة بين الثلاثة المنهي عنها وشرع في بيان المغايرة بين الأول ثم قال : والحاصل أن العدل عبارة عن القدر الواجب من الخيرات والإحسان عبارة عن الزيادة في الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية وبحسب الدواعي والصوارف وبحسب الإستغراق في شهود مقام العبودية والربوبية ويدخل في تفسيره التعظيم لأمر الله تعالى والشفقة على خلقه سبحانه ومن الظاهر أن الشفقة على الخلق أقسام كثيرة أشرفها وأجلها صلة لا جرم أنه سبحانه أفرده بالذكر ثم شرع في بيان المغايرة بين الأخيرة وقال : تفصيل القول في ذلك أنه تعالى أودع في النفس البشرية قوى أربعة وهي الشهوانية البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية وهذه الأخيرة لا يحتاج الإنسان إلى تهذيبها لأنها من جوهر الملائكة عليهم السلام ونتائج الأرواح القدسية العلوية وإنما المحتاج إلى التهذيب الثلاثة قبلها ولما كانت الأولى أعني القوى الشهوانية إنما ترغب في تحصيل اللذات الشهوانية وكان هذا النوع مخصوصا باسم الفحش ألا ترى أنه تعالى سمى الزنا فاحشة أشار إلى تهذيبها بقوله سبحانه : وينهى عن الفحشاء المراد منه المنع من تحصيل اللذات الشهوانية الخارجة عن إذن الشريعة ولما كانت الثانية أعني القوة الغضبية السبعية تسعى أبدا في إيصال الشر والبلاء والإيذاء إلى سائر الناس أشار سبحانه إلى تهذيبها بنهيه تعالى عن المنكر إذ لا شكر أن الناس ينكرون تلك الحالة فالمنكر عبارة عن الإفراط الحاصل في آثار القوة الغضبية ولما كانت الثالثة أعني القوة الوهمية الشيطانية تسعى أبدا في الإستعلاء على الناس والترفع وإظهار الرياسة والتقدم أشار سبحانه إلى تهذيبها بالنهي عن البغي إذ لا معنى له إلا التطاول والترفع على الناس ثم قال : **ومن العجائب** في هذا الباب أن العقلاء قالوا : أخس هذه القوى الثلاث الشهوانية وأوسطها الغضبية وأعلاها الوهمية والله تعالى راعى هذا الترتيب فبدأ سبحانه بذكر الفحشاء التي هي نتيجة القوة الشهوانية ثم بالمنكر الذي هو نتيجة القوة الغضبية ثم بالبغي الذي هي نتيجة القوة الوهمية أه وما تقدم عن غير واحد مأخوذ من هذا ولينظر هل يثبت بما قرره دليل التخصيص فيندفع الإعتراض السابق أم لا ثم إن الظاهر عليه أن عطف البغي على ما قبله كعطف إيتاء ذي القربى على ما قبله

وبالجملة أن الآية كما أخرج البخاري في الأدب والبيهقي في شعب الإيمان والحاكم وصححه عن ابن مسعود أجمع آية للخير والشر وأخرج البيهقي عن الحسن نحو ذلك وأخرج الباوردي وأبو نعيم في معرفة الصحابة عن عبد الملك بن عمير قال : بلغ أكتم بن صيفي مخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأراد أن يأتيه فأتى قومه فانتدب رجلان فاتيا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالا : نحن رسل أكتم يسألك من أنت وما جئت به فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : أنا محمد بن عبد الله عبد الله ورسوله ثم تلا عليهم هذه الآية إن الله يأمر الخ قالوا : ردد علينا هذا القول فردده عليه

---

(١) روح المعاني ١٤/٢٠٠

الصلاة و السلام عليهم حتى حفظوه فأتيا أكتم فأخبراه فلما سمع الآية قال : إني لأراه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن مذاقها فكونوا في هذا الأمر رأسا ولا تكونوا فيه أذنابا وقد صارت هذه الآية أيضا كما أخرج أحمد والطبراني والبخاري في الأدب عن ابن عباس سبب استقرار الإيمان في قلب عثمان بن مظعون ومحبته للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولجمعها ما جمعت أقامها عمر بن عبد العزيز حين آلت ". (١)

٥٨٢-" قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها إلا الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض سبحانه وتعالى وذكر العلائي في تفسيره أنه كان للنبي عليه الصلاة و السلام ليلة الإسراء خمسة مراكب الأول البراق إلى بيت المقدس والثاني المعراج منه إلى السماء الدنيا الثالث أجنحة الملائكة منها إلى السماء السابعة الرابع جناح جبريل عليه السلام منها إلى سدرة المنتهى الخامس الرفرف منها إلى قاب قوسين ولعل الحكمة في الركوب إظهار الكرامة وإلا فالله سبحانه وتعالى قادر على أن يوصله إلى أي موضع أراد في أقل من طرفة عين وقيل لم يكن إلا البراق من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى والمعراج منه إلى حيث شاء الله تعالى وقد كان له عشر مراقي سبعة إلى السموات والثامن إلى السدرة والتاسع إلى المستوى الذي سمع فيه صريف الأقلام والعاشر إلى العرش والله تعالى أعلم

ومن العجائب ما سمعته عن الطائفة الكشفية والعهدة على الراوي أن للروح جسدين جسد من عالم الغيب لطيف لا دخل للعناصر فيه وجسد من عالم الشهادة كثيف مركب من العناصر والنبي حين عرج به ألقى كل عنصر من عناصر الجسد العنصري في كرته فما وصل إلى تلك القمر حتى ألقى جميع العناصر ولم يبق معه إلا الجسد اللطيف فرقى به حيث شاء الله تعالى ثم لما رجع عليه الصلاة و السلام رجع إليه ما ألقاه واجتمع فيه ما تفرق منه ولعمري إنه حديث خرافة لا مستند له شرعا ولا عقلا

وذكر مولانا عبد الرحمن الدشتي ثم الجامي أن المعراج إلى العرش بالروح والجسد وإلى ما وراء ذلك بالروح فقط وأنشد بالفارسية

جورفرف شد مشرف أزوجودش كرفت ازدست رفرف عرش زودش بدست عرش تنجون خرقه بكذاشت علم برلا مكان بي خرقه افراشت كلي برد ندا زين دهليزه يست بدان دركاه والا دست بردست جهت رامهره از ششدر رهانيد مكانرا مركب ازتنكي جهانيد مكاني يافت خالي از مكان نيز كه تن محرم نبودا نجا وجان نيز ولم أقف على مستند له من الآثار وكأنه لاحظ أن العروج فوق العرش بالجسد يستدعي مكانا وقد تقرر عند الحكماء أن ما وراء العرش لا خلا ولا ملا وبه تنتهي الأمكنة وتنقطع الجهات وقال بعضهم : أمر المعراج أجل من أن يكيف وماذا عسى يقال سوى أن المحب القادر الذي لا يعجزه شيء دعا حبيبه الذي خلقه من نوره إلى زيارته وأرسل إليه من أرسل من خواص ملائكته فكان جبريل هو الآخذ بركابه وميكائيل الآخذ بزمام دابته إلى أن وصل إلى ما وصل ثم تولى أمره سبحانه بما شاء حتى حصل فأي مسافة تطول على ذلك الحبيب الرباني وأي جسم يمتنع عن الخرق لذلك الجسد النوراني جز بجزوي فثم عالم لطف من

---

(١) روح المعاني ١٤/٢١٩

بقايا أجساده الأرواح ومن تأمل في العين وإحساسها بالقريب والبعيد ولو كان فاقدها وذكر له حالها لأنكر ذلك إنكارا ما عليه مزيد وكذا في غير ذلك من آثار قدرة الله تعالى الظاهرة في الأنفس والآفاق والواقع على جلالة قدرها الاتفاق لم يسعه إلا تسليم ما نطقت به الآيات وصححت به الروايات ويشبه كلام هذا البعض ما قاله بعض شعراء الفرس إلا أن فيه ميلا إلى مذهب أهل الوحدة وهو قوله : ". (١)

٥٨٣-"كان كمن صلى فيه وروى بعضه أبو داود وهو ثاني مسجد وضع في الأرض لخبر أبي ذر قلت : يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولا قال : المسجد الحرام قلت : ثم أي قال : المسجد الأقصى قلت : كم بينهما قال : أربعون سنة ثم أينما أدركتك الصلاة فصل فإن الفضل فيه وقد أسسه يعقوب عليه السلام بعد بناء إبراهيم عليه السلام الكعبة بما ذكر في الحديث وجدده سليمان أو أتم تجديد أبيه عليهما السلام بعد ذلك بكثير والكلام فيما يتعلق بذلك مفصل في محله لنريه من ءاياتنا أي لنرفعه إلى السماء حتى يرى ما يرى **من العجائب** العظيمة فقد صح أنه عرج به من صخرة بيت المقدس كما تقدم واجتمع في كل سماء مع نبي من الأنبياء عليهم السلام كما في صحيح البخاري وغيره واطلع عليه الصلاة و السلام على أحوال الجنة والنار ورأى من الملائكة ما لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى

ونقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه عليه الصلاة و السلام رأى ليلة المعراج في مملكة الله تعالى خلقا كهيئة الرجال على خيل بلق شاكين السلاح طول الواحد منهم ألف عام والفرس كذلك يتبع بعضهم بعضا لا يرى أولهم ولا آخرهم فقال يا جبريل من هؤلاء فقال : ألم تسمع قوله تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو فأنا أهبط وأصعد أراهم هكذا يمرون لا أدري من أن يجيئون ولا إلى أين يذهبون وقد صلى بالأنبياء عليهم السلام في بيت المقدس قال في العقائق : وكانت صلاته عليه الصلاة و السلام بهم ركعتين قرأ في الأولى قل يا أيها الكافرون وفي الثانية الإخلاص قال بعضهم : كانت دعاء وذكر أن الأنبياء كانوا سبعة صفوف ثلاثة منهم مرسلون وأن الملائكة عليهم السلام صلت معهم وهذا من خصائصه عليه الصلاة و السلام كما قال القاضي زكريا في شرح الروض والحكمة في ذلك أن يظهر أنه إمام الكل عليه الصلاة و السلام وهل صلى بأرواحهم خاصة أو بها خاصة أو بها مع الأجساد فيه خلاف وكذا اختلف في أنه صلى بهم قبل العروج أو بعده فصحح الحافظ ابن كثير أنه بعده وصحح القاضي عياض وغيره أنه قبله وجاء في رواية أنه عليه الصلاة و السلام صلى في كل سماء ركعتين يؤم أملاكها وكان الإسراء والعروج في بعض ليلة واحدة وكان رجوعه على ما كان ذهابه عليه ولم يعين مقدار ذلك البعض وكيفما كان فوقوع ما وقع فيه من أعجب الآيات وأغرب الكائنات وفي بعض الآثار أنه لما رجع وجد فراشه لم يبرد من أثر النوم وقيل : إن غصن شجرة أصابه بعمامته في ذهابه فلما رجع وجده بعد يتحرك وزعم بعضهم أن ليلة الإسراء غير ليلة المعراج وظاهر الآية على ما سمعت يقتضي أنهما في ليلة واحدة وإنما أسري به أولا إلى بيت المقدس وعرج به ثانيا منه ليكون وصوله إلى الأماكن الشريفة على التدريج فإن شرف بيت المقدس دون شرف الحضرة التي عرج إليها على ما قيل وقيل : توطينا له عليه الصلاة و السلام لما في المعراج من الغرابة العظيمة التي ليست في الإسراء وإن كان

---

(١) روح المعاني ١٥/١٠

غريبا أيضا وقيل : لتتشرف به أرض المحشر ذهابا وإيابا وقيل : لأن باب السماء الذي يقال مصعد الملائكة عليهم السلام على مقابلة صخرة بيت المقدس فقد نقل عن كعب الأحبار أنه قال : إن لله تعالى بابا مفتوحا من سماء الدنيا إلى بيت المقدس ينزل منه كل يوم سبعون ألف ملك يستغفرون لمن أتى بيت المقدس وصلى فيه فأسرى به إلى هناك أولا ثم عرج به ليكون صعوده على الاستواء وقيل : إن اسطوانات المسجد قالت ربنا حصل لنا من كل نبي حظ وقد اشتقنا إلى ". [(١)]

٥٨٤-" خارق للعادة وقد انقضى بانقضاء النبوة وإنما يعتبر اليوم بتوهم مثله وتصوره ا هـ

وفيه غفلة عن الكرامة فإن أهل السنة يثبتونها للولي في كل عصر والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب وجوز على الوجه الأول أن تكون حالا من ضمير ظلموا أي فظلموا بها ولم يخافوا العاقبة والحال إنا ما نرسل بالآيات التي هي من جملتها إلا تخويفا من العذاب الذي يعقبها فنزل بهم ما نزل ونصب تخويفا على أنه مفعول له

وجوز أن يكون حالا أي مخوفين والباء في الموضعين سيف خطيب و الآيات مفعول نرسل أو للملابسة والمفعول محذوف أي ما نرسل نبيا ملتبسا بها وقيل إنها للتعدية وأن أرسل يتعدى بنفسه وبالباء ورد بأنه لم ينقل عن أحد من الثقات قال الخفاجي : ولا حجة في قول كثير : لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول لاحتمال الزيادة فيه أيضا مع أن الرسول فيه بمعنى الرسالة فهو مفعول مطلق والكلام في دخولها على المفعول به ولا يخفى أن جعل الرسول مفعولا به وزيادة الباء فيه مما لا يقدم عليه فاضل وإذ قلنا أي واذكر زمان قولنا بواسطة الوحي لك يا محمد إن ربك أحاط بالناس أي علما كما رواه غير واحد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه فلا يخفى عليه سبحانه شيء من أحوالهم وأفعالهم الماضية والمستقبلة من الكفر والتكذيب

وقوله تعالى : وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس إلى آخر الآية تنبيه على تحققها بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند مجيء بعض الآيات لاشتراك الكل في كونها أمورا خارقة للعادات منزلة من جناب رب العزة جل مجده لتصديق رسوله عليه الصلاة و السلام فتكذيبهم ببعضها يدل على تكذيب الباقي كما أن تكذيب الأولين بغير المقترحة يدل على تكذيبهم بالمقترحة والمراد بالرؤيا ما عاينه ليلة أسري به من العجائب السماوية والأرضية كما أخرجه البخاري والترمذي والنسائي وجماعة عن ابن عباس وهي عند كثير بمعنى الرؤية مطلقا وهما مصدر رأى مثل القربى والقرابة

وقال بعضهم : هي حقيقة في رؤيا المنام رؤيا اليقظة ليلا والمشهور اختصاصها لغة بالمنامية وبذلك تمسك من زعم أن الإسراء كان مناما وفي الآية ما يرد عليه والقائلون بهذا المشهور الذاهبون إلى أنه كان يقظة كما هو الصحيح قالوا : إن التعبير بها إما مشاكله لتسميتهم له رؤيا أو جار على زعمهم كتسمية الأصنام آلهة فقد روي أن بعضهم قال له لما قص عليهم الإسراء لعله شيء رأيته في منامك أو على التشبيه بالرؤيا لما فيها من العجائب أو لوقوعها ليلا أو لسرعتها أي وما جعلنا الرؤيا التي أريناكها عيانا مع كونها آية عظيمة وأية آية وقد أقمت البرهان على صحتها إلا فتنة افتتن بها الناس حتى ارتد بعض من أسلم منهم والشجرة عطف على الرؤيا أي وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرءان إلا فتنة لهم أيضا

---

(١) روح المعاني ١٥/١٢

والمراد بها كما روى البخاري وخلق كثير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما شجرة الزقوم والمراد بلعنها لعن طاعميها من الكفرة كما روي عنه أيضا ووصفها بذلك من المجاز في الإسناد وفيه من المبالغة ما فيه ". (١)

٥٨٥-" الصفة بالنسبة إلى الموصوف فإن جاء زيد راكبا في حكم جاء وهو راكب بخلاف جاء زيد الراكب فافهمه

سلمنا أنها داخلة بين الصفة والموصوف لتأكيد اللصوق لكن الدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر غير مسلم به وأين الدليل عليه وكون الواو هي التي آذنت بأن القول المذكور عن ثبات علم وطمأنينة نفس في غاية البعد والقول بأن الاتباع يدل على ذلك إن أريد منه أنه يدل على إيذان الواو بما ذكر فبطلانه ظاهر وإن أريد منه أنه يدل على صدق قائلي القول الأخير وعدم صدق قائلي القولين الأولين فمسلم أن اتباع القولين الأولين برجما بالغيب يدل على عدم الصدق دلالة لاشبهة فيها لكن لا نسلم أن عدم اتباع القول الأخير به واتباعه بما اتبع يدل على ذلك وإن سلمنا فهو يدل دلالة ضعيفة ولا نسلم أيضا دلالة كلام ابن عباس على ما ذكر والظاهر أنه علم أن القول الأخير صادق من الصادق المصدوق وأن مراده من قوله حين وقعت الواو وانقطعت العدة أن الذي هو صدق ما وقعت الواو فيه وانقطعت العدة به فالحق أن الواو واو عطف والجملة بعده معطوفة على الجملة قبله وانتصر العلامة الطيبي للزمخشري وأجاب عما اعترض به عليه فقال : اعلم أنه لا بد قبل الشروع في الجواب من تبيين المقصود تحريرا للبحث فالواو هنا ليست على الحقيقة و لايعتبر في المجاز النقل الخصوصي بل المعتبر فيه اعتبار نوع العلاقة وذكروا أن المجاز في عرف البلاغة أولى من الحقيقة وأبلغ وأن مدار علم البيان الذوق السليم الذي هو أنفع من ذوق التعليم ولا يتوقف على التوقيف وليس ذلك معلم النحو والمجاز لا يختص بالاسم والفعل بل يقع في الحروف

وقد نقل شارح اللباب عن سيبويه أن الواو في قولهم : بعت الشاة ودرهما بمعنى الباء وتحقيقه أن الواو للجمع والباء للإلصاق وهما من واد واحد فسلك به طريق الاستعارة وكم وكم وإذا علم ذلك فليعلم أن معنى قوله : فائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف أن للصفة نوع اتصال بالموصوف فإذا أريد توكيد اللصوق وسط بينهما الواو ليؤذن أن هذه الصفة غير منفكة عن الموصوف وإليه الإشارة فيما بعد من كلامه وأن الحال في الحقيقة صفة لا فرق إلا بالاعتبار ألا ترى أن صفة النكرة إذا تقدمت عليها وهي بعينها تصير حالا ولو لم يكونا متحدين لم يصح ذلك ثم إن قولك : جاءني رجل ومعه آخر وقولك : مررت بزيد ومعه آخر لما كانا سواء في الصورة اللهم إلا في اعتبار المعرفة والنكرة كأن حكمهما سواء في الواو وهو مراد الزمخشري من إيراد المثالين لا كما فهم بعضهم وأما قول الفرايدي في تعليل امتناع دخول الواو بين الصفة والموصوف لاتحادهما ذاتا وحكما وهو مناف لما يقتضيه دخول الواو من المغايرة فمبني على أن الواو عاطفة لأنها هي التي تقتضي المغايرة كما قال السكاكي وقد بين وجه مجازه لمجرد الربط

موأما قوله في جاءني رجل ومعه آخر أنه جملتان فهو كما تراه وأما قوله : إن جاء زيد راكبا في حكم جاء زيد وهو راكب فمن المعكوس فإن الأصل في الحال الإفراد كما يدل عليه كلام ابن الحاجب وغيره من الأعيان وأما تسليمه الدخول

---

(١) روح المعاني ١٥/١٠٥

لتأكيد اللصوق ومنه الدلالة على أن الاتصاف أمر ثابت مستقر **فمن العجائب** فكيف يسلم التأكيد ولا يسلم فائدته ويدفع الاعتراضات الباقية أن ما استند إليه الزمخشري ليس من باب الأدلة اليقينية بل هي من باب الإمارات وتكفي في هذه المقامات وقال ابن الحاجب : لا يجوز أن يكون رابعهم كلبهم وسادسهم كلبهم صفة لما قبل ولا حالا لعدم العامل مع عدم الواو ويجوز أن يكون كل منهما خبرا بعد خبر للمبتدأ ". (١)

٥٨٦-" في كل يوم لو سلم تصاعد البخارات الرطبة إليه وتأثره منها وكذا القول بأن قوة زحل أن يبرد ويجفف تجفيفا يسيرا لبعده عن حرارة الشمس والبخارات الرطبة وإن قوة المريخ مجففة مرحقة لمشاكلو لونه لون النار ولقربه من الشمس وكوكب الدب الأكبر كالمريخ وإن عطاردا معتدل في التجفيف والترطيب لأنه لا يبعد عن الشمس بعدا كثيرا ولا وضعه فوق كرة القمر **ومن العجائب** استدلال فضلا على اختلاف الكواكب باختلاف ألوانها حيث قالوا : لما كان لون زحل الغبرة والكمودة حكمنا بأنه على طبع السوداء وهو البرد واليبس فإن لها من الألوان الغبرة ولما كان لون المريخ كلون النار قلنا طبعه حار يابس والحرارة واليبس في الشمس ظاهرتان ولما كان لون الزهرة كالمركب من البياض والصفرة والبياض أظهر فيها طبعها البرودة والرطوبة كالبلغم ولما كان صفرة المشتري أكثر مما في الزهرة كانت سخونته أكثر من سخونة الزهرة وكان في غاية الأعتدال وأما القمر فهو أبيض وفيه كمودة فيدل بياضه على الرودة

وأما عطارد فتختلف ألوانه فربما رأيناه أخضر وربما رأيناه أغبر وربما رأيناه على خلاف هذين اللونين وذلك في أوقات مختلفة مع كونه من الأفق على ارتفاع واحد فلا جرم يكون له طبائع مختلفة إلا أنا لما وجدناه في الأغلب أغبر كالأرض قلنا هو مثلها في الطبع ويرد على أن المشاركة في بعض الصفات لا تقتضي المشاركة في الطبيعة ولا في صفة أخرى وأن دلالة مجرد اللون على الطبيعة ضعيفة جدا لاشتراك الكثير في لون مع اختلاف الطبائع وأيضا الزرقة أظهر في الزهرة واختلاف ألوان عطارد لأنا نراه قريب الأفق فيكون بيننا وبينه بخارات مختلفة وقال أبو معشر : إن القمر لا ينسب لونه إلى البياض إلا من عدم قوة الحس البصري وفيه بعد ما فيه ولو سلم جميع ما قالوه من اختلاف طبائع البروج والكواكب بالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فقصارى ما يترتب على ذلك ما نجده من اختلاف الأقاليم حرارة وبرودة مثلا واختلاف أشجارها وأثمارها واختلاف أجسام أهلها وألوانهم واختلاف حيواناتها إلى غير ذلك من الإختلافات ومع هذا نقول : إن الكواكب جزء السبب في ذبك لكن من أين لهم القول بأن جميع الحوادث في هذا العالم خيرها وشرها وصلاحها وفسادها وجميع أشخاصه وأنواعه وصوره وقواه ومدد بقاء أشخاصه وجميع أحوالها العارضة لها وتكون الجنين ومدة لبثه في بطن أمه وخروجه إلى الدنيا وعمره ورزقه وشقاوته وحسنه وقبحه وأخلاقه وحذقه وبلادته وجهله وعلمه إلى ما لا يحصى من أحواله وانقسام الحيوان إلى الطير وأصنافه وإلى الحيوان البحري وأنواعه البري وأقسامه واختلاف صور الحيوانات وأفعالها وأخلاقها وثبوت العداوة بين أفراد نوع وأفراد آخر منها كالذئاب والغنم وثبوت الصداقة كذلك وكذا ثبوت العداوة أو الصداقة بين أفراد النوع الواحد إلى غير ذلك مما يكون في العالم لا يكون إلا بتأثير الكواكب وهو مما لا يكاد يصح لأن طريق صحته إما الخبر الصادق أو

---

(١) روح المعاني ٢٤٣/١٥

الحس الذي يشترك فيه الناس أو ضرورة العقل أو نظره وشيء من هذا كله غير موجود ولا يمكن الأحكاميين أن يدعوا واحدا من الثلاثة الأول وغايتهم أن يدعوا أن التجربة قادتهم إلى ذلك ولا شك أن أقل ما لا بد منه فيها أن يحصل ذلك الشيء على حالة واحدة مرتين والوضع المعين لمجموع الكواكب لا يتكرر أصلا أو يتكرر بعد ألوف من السنين وعمر الإنسان الواحد ". (١)

٥٨٧-" والثالث أنها سميت آية لأنها عجب وذلك أن قارئها يستدل إذا قرأها على مباينتها كلام المخلوقين وهذا كما تقول فلان آية من الآيات أي عجب **من العجائب** ذكره ابن الانباري

في المراد بهذه الآيات أربعة أقوال

أحدها آيات الكتب التي تتلى والثاني معجزات الأنبياء والثالث القرأن والرابع دلائل الله في مصنوعاته وأصحاب النار سكانها سموا أصحابا لصحتبهم إياها بالملازمة

قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتى التي أنعمت عليكم واوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون

اسرائيل هو يعقوب وهو اسم أعجمي قال ابن عباس ومعناه عبد الله وقد لفظت به العرب على اوجه فقالت إسرائل واسرال والسرائيل واسرائين

قال أمية ... إنني زارد الحديد على الناس ... دروعا سوابغ الأذيال ... لا أرى من يعينني في حياتي ... غير نفسي إلا بني إسرال ...

وقال أعرابي صاد ضبا فإتى به أهله ... يقول أهل السوق لما جينا ... هذا ورب البيت إسرائينا ...

أراد هذا مما مسخ من بني اسرائيل

والنعمة المنة مثلها النعماء والنعمة بفتح النون التنعم وأراد بالنعمة النعم فوحدها لأنهم يكتفون بالواحد من الجميع كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير التحريم أي ظهراء

وفي المراد بهذه النعمة ثلاثة أقوال أحدها أنها ما استوعدهم من التوراة التي ". (٢)

٥٨٨-" أول الكلام وقد خصت بسبب آخر فروي عن سعيد بن جبير قال اجتمع أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم إلى سلمان فقالوا حدثنا عن التوراة فإنها حسن ما فيها فأنزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص يعني قصص القرآن أحسن مما في التوراة قال الزجاج والمعنى نحن نبين لك أحسن البيان والقاص الذي يأتي بالقصة على حقيقتها قال وقوله بما أوحينا إليك أي بوحينا إليك هذا القرآن

---

(١) روح المعاني ١٠٥/٢٣

(٢) زاد المسير ٧٢/١

قال العلماء وإنما سميت قصة يوسف أحسن القصص لأنها جمعت ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين والأنعام وسير الملوك والمماليك والتجار والعلماء والرجال والنساء وحيلهن وذكر التوحيد والفقه والسر وتعبير الرؤيا والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش والصبر على الأذى والحلم والعز والحكم إلى غير ذلك **من العجائب**

قوله تعالى وإن كنت في إن قولان

أحدهما أنها بمعنى قد والثاني بمعنى ما

قوله تعالى من قبله قال ابن عباس من قبل نزول القرآن لمن الغافلين عن علم خبر يوسف وما صنع به إخوته إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال يا بني لا تقصص رءياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين

قوله تعالى إذ قال يوسف لأبيه في إذ قولان

أحدهما أنها صلة للفعل المتقدم والمعنى نحن نقص عليك إذ قال يوسف ". (١)

٥٨٩-" فعلى هذا يعني بالمسجد الحرام الحرم والحرم كله مسجد ذكره القاضي ابو يعلى وغيره

فأما المسجد الاقصى فهو بيت المقدس وقيل له الاقصى لبعد المسافة بين المسجدين ومعنى باركنا حوله ان الله اجرى حوله الانهار وانبت الثمار وقيل لأنه مقر الانبياء ومهبط الملائكة

واختلف العلماء هل دخل بيت المقدس ام لا فروى ابو هريرة انه دخل بيت المقدس وصلى فيه بالانبياء ثم عرج به الى السماء وقال حذيفة بن اليمان لم يدخل بيت المقدس ولم يصل فيه ولا نزل عن البراق حتى عرج به

فان قيل ما معنى قوله الى المسجد الاقصى وانتم تقولون صعد الى السماء

فالجواب ان الاسراء كان الى هنالك والمعراج كان من هنالك

وقال ان الحكمة في ذكر ذلك انه لو اخبر بصعوده الى السماء في بدء الحديث لاشتد انكارهم فلم اخبر ببيت المقدس وبان لهم صدقه فيما اخبرهم به من العلامات الصادقة اخبر بمعراجه

قوله تعالى لنريه من آياتنا يعني ما رأى أي تلك الليلة **من العجائب** التي اخبر بها الناس انه هو السميع لمقالة قريش البصير بها وقد ذكرنا في كتابنا المسمى ب الحدائق احاديث المعراج وكرهنا الاطالة هاهنا

وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا ". (٢)

٥٩٠-" والثاني أحاطت قدرته بالناس فهم في قبضته قاله مجاهد

---

(١) زاد المسير ٤/١٧٩

(٢) زاد المسير ٥/٥

والثالث حال بينك وبين الناس أن يقتلوك لتبلغ رسالته قاله الحسن وقتادة

قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس في هذه الرؤيا قولان

أحدهما أنها رؤيا عين وهي ما رأى ليلة أسري به **من العجائب** والآيات روى عكرمة عن ابن عباس قال هي رؤيا عين رآها ليلة أسري به وإلى هذا المعنى ذهب الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة ومسروق والنخعي وقتادة وأبو مالك وأبو صالح وابن جريج وابن زيد في آخرين فعلى هذا يكون معنى الفتنة الاختبار فان قوما آمنوا بما قال وقوما كفروا قال ابن الأنباري المختار في هذه الرؤية أن تكون يقظة ولا فرق بين أن يقول القائل رأيت فلانا رؤية ورأيته رؤيا إلا أن الرؤية يقل استعمالها في المنام والرؤيا يكثر استعمالها في المنام ويجوز كل واحد منهما في المعنيين

والثاني أنها رؤيا منام ثم فيها قولان أحدهما ان رسول الله صلى الله عليه و سلم ". (١)

٥٩١-" والسادس أنه المصاب ثمرته وزرعه أو نسل ماشيته قاله ابن زيد

والسابع أنه المملوك حكاه الماوردي

والثامن أنه الكلب روي عن عمر بن عبد العزيز وكان الشعبي يقول أعياني أن أعلم ما المحروم وأظهر الأقوال قول قتادة والزهري لأنه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل ثم يتحفظ بالتعفف من ظهور أثر الفاقة عليه فيكون محروما من قبل نفسه حين لم يسأل ومن قبل الناس حي لا يعطونه وإنما يفطن له متيقظ وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية منسوخة بآية الزكاة ولا يصح

قوله تعالى وفي الأرض آيات كالجبال والأنهار والأشجار والثمار وغير ذلك للموقنين بالله عز و جل الذين يعرفونه بصنعه

وفي أنفسكم آيات إذ كنتم نطفا ثم عظاما ثم علقا ثم مضغا إلى غير ذلك من أحوال الاختلاف ثم اختلاف الصور والألوان والطبائع وتقويم الأدوات والسمع والبصر والعقل وتسهيل سبيل الحدث إلى غير ذلك **من العجائب** المودعة في ابن آدم وتم الكلام عند قوله وفي أنفسكم ثم قال أفلا تبصرون قال مقاتل أفلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث

قوله تعالى وفي السماء رزقكم وقرأ أبي بن كعب وحميد ". (٢)

٥٩٢-" بالفتح يقول لا تفزع من هول الجراح التي بك قال المفسرون يشخص بصر الكافر يوم القيامة فلا يطرف لما يرى **من العجائب** التي كان يكذب بها في الدنيا وقال مجاهد برق البصر عند الموت

قوله تعالى وخسف القمر قال أبو عبيدة كسف وخسف بمعنى واحد أي ذهب ضوؤه

---

(١) زاد المسير ٥/٥٣

(٢) زاد المسير ٨/٣٣

قوله تعالى وجمع الشمس والقمر إنما قال جمع لتذكير القمر هذا قول أبي عبيدة وقال الفراء إنما لم يقل جمعت لأن المعنى جمع بينهما وفي معنى الآية قولان

أحدهما جمع بين ذاتيهما وقال ابن مسعود جمعا كالبعيرين القرينين وقال عطاء بن يسار يجمعان ثم يقذفان في البحر وقيل يقذفان في النار وقيل يجمعان فيطلعان من المغرب

والثاني جمع بينهما في ذهاب نورهما قاله الفراء والزجاج

قوله تعالى يقول الإنسان يعني المكذب بيوم القيامة أين المفر قرأ الجمهور بفتح الميم والفاء وقرأ ابن عباس ومعاوية وأبو رزين وأبو عبد الرحمن والحسن وعكرمة والضحاك وابن يعمر وابن أبي عبلة ". (١)

٥٩٣-"في معنى الآية : ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها العلامة ، فمعنى آية : علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها ، والذي بعدها ، قال الشاعر :

ألا أبلغ لديك بني تميم ... بآية ما يحبون الطعاما

وقال النابغة :

توهمت آيات لها فعرفتها ... لستة أعوام وذا العام سابع

وهذا اختيار أبي عبيد .

والثاني : أنها سميت آية ، لأنها جماعة حروف من القرآن ، وطائفة منه . قال أبو عمرو الشيباني : يقال : خرج القوم بآيتهم ، أي : بجماعتهم . وأنشدوا :

خرجنا من النقبين لا حي مثلنا ... بآياتنا نزجي اللقاح المطافلا

والثالث : أنها سميت آية ، لأنها عجب ، وذلك أن قارئها يستدل إذا قرأها على مباينتها كلام المخلوقين ، وهذا كما تقول : فلان آية من الآيات؛ أي : عجب **من العجائب** . ذكره ابن الأنباري .

وفي المراد بهذه الآيات أربعة أقوال .

أحدها : آيات الكتب التي تتلى . والثاني : معجزات الأنبياء ، والثالث : القرآن . والرابع : دلائل الله في مصنوعاته .

وأصحاب النار : سكانها ، سموا أصحابا ، لصحبتهم إياها بالملازمة .". (٢)

٥٩٤-"قوله تعالى : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ قد ذكرنا سبب نزولها في أول الكلام . وقد خصت بسبب آخر ، فروي عن سعيد بن جبير قال : اجتمع أصحاب محمد A إلى سلمان ، فقالوا : حدثنا عن التوراة فانها حسن ما فيها ، فأنزل الله تعالى ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ يعني : قصص القرآن أحسن مما في التوراة . قال الزجاج

---

(١) زاد المسير ٨/٤١٩

(٢) زاد المسير في علم التفسير ١/٥١

: والمعنى نحن نبين لك أحسن البيان ، والقاص ، الذي يأتي بالقصة على حقيقتها . قال : وقوله : ﴿ بما أوحينا إليك ﴾ أي : بوحينا إليك هذا القرآن .

قال العلماء : وإنما سميت قصة يوسف أحسن القصص ، لأنها جمعت ذكر الأنبياء ، والصالحين ، والملائكة ، والشياطين ، والأنعام ، وسير الملوك ، والمماليك ، والتجار ، والعلماء ، والرجال ، والنساء ، وحيلهن ، وذكر التوحيد ، والفقه ، والسر ، وتعبير الرؤيا ، والسياسة ، والمعاشرة ، وتدبير المعاش ، والصبر على الأذى ، والحلم؛ والعز ، والحكم ، إلى غير ذلك من العجائب .

قوله تعالى : ﴿ وإن كنت ﴾ في «إن» قولان :

أحدهما : أنها بمعنى «قد» . والثاني : بمعنى «ما»

قوله تعالى : ﴿ من قبله ﴾ قال ابن عباس : من قبل نزول القرآن . ﴿ لمن الغافلين ﴾ عن علم خبر يوسف وما صنع به إخوته .". (١)

٥٩٥-"قوله تعالى : ﴿ سبحان ﴾ " روي عن النبي A أنه سئل عن تفسير : «سبحان الله» ، فقال : «تنزيه لله عن كل سوء» " ، وقد ذكرنا هذا المعنى في [البقرة : ٣٢] . قال الزجاج : و«أسرى» : بمعنى : سير عبده ، يقال : أسريت وسريت : إذا سرت ليلا . وقد جاءت اللغتان في القرآن . قال الله تعالى : ﴿ والليل إذا يسر ﴾ [الفجر : ٤] . وفي معنى التسبيح هاهنا قولان .

أحدهما : أن العرب تسبح عند الأمر المعجب ، فكأن الله تعالى عجب العباد مما أسدى إلى رسوله من النعمة .

والثاني : أن يكون خرج مخرج الرد عليهم ، لأنه لما حدثهم بالاسراء ، كذبوه ، فيكون المعنى : تنزه الله أن يتخذ رسولا كذابا . ولا خلاف أن المراد بعبده هاهنا : محمد A .

وفي قوله : ﴿ من المسجد الحرام ﴾ قولان .

أحدهما : أنه أسري به من نفس المسجد ، قاله الحسن ، وقتادة ، ويسنده حديث مالك بن صعصعة ، وهو في «الصحيحين» «بينا أنا في الحطيم» وربما قال بعض الرواة : في «الحجر» .

والثاني : أنه أسري به من بيت أم هانىء ، وهو قول أكثر المفسرين ، فعلى هذا يعني بالمسجد الحرام : الحرم . والحرم كله مسجد ، ذكره القاضي أبو يعلى وغيره .

فأما ﴿ المسجد الأقصى ﴾ فهو بيت المقدس ، وقيل له : الأقصى ، لبعد المسافة بين المسجدين . ومعنى ﴿ باركنا حوله ﴾ : أن الله أجرى حوله الأنهار ، وأنبت الثمار . وقيل : لأنه مقر الأنبياء ، ومهبط الملائكة .

واختلف العلماء ، هل دخل بيت المقدس ، أم لا؟ فروى أبو هريرة أنه دخل بيت المقدس ، وصلى فيه بالأنبياء ، ثم عرج به إلى السماء . وقال حذيفة بن اليمان : لم يدخل بيت المقدس ولم يصل فيه ، ولا نزل عن البراق حتى عرج به .

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٣٩٨/٣

فان قيل : ما معنى قوله : ﴿ إلى المسجد الأقصى ﴾ وأنتم تقولون : صعد إلى السماء؟
فالجواب : أن الإسراء كان إلى هنالك ، والمعراج كان من هنالك .
وقيل : إن الحكمة في ذكر ذلك ، أنه لو أخبر بصعوده إلى السماء في بدء الحديث ، لاشتد إنكارهم ، فلما أخبر ببيت المقدس ، وبان لهم صدقه فيما أخبرهم به من العلامات الصادقة ، أخبر بمعراجه .
قوله تعالى : ﴿ لنريه من آياتنا ﴾ يعني : ما رأى ، أي : تلك الليلة **من العجائب** التي أخبر بها الناس . ﴿ إنه هو السميع ﴾ لمقالة قريش ، ﴿ البصير ﴾ بها . وقد ذكرنا في كتابنا المسمى ب «الحدائق» أحاديث المعراج ، وكرهنا الإطالة هاهنا .". (١)

٥٩٦-"قوله تعالى : ﴿ وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس ﴾ فيه ثلاثة أقوال .
أحدها : أحاط علمه بالناس ، قاله أبو صالح عن ابن عباس ، وبه قال الربيع بن أنس . وقال مقاتل : أحاط علمه بالناس ، يعني : أهل مكة ، أن يفتحها لرسوله A . والثاني : أحاطت قدرته بالناس ، فهم في قبضته ، قاله مجاهد .
والثالث : حال بينك وبين الناس أن يقتلوك ، لتبلغ رسالته ، قاله الحسن ، وقتادة .
قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ في هذه الرؤيا قولان .
أحدهما : أنها رؤيا عين ، وهي ما رأى ليلة أسري به **من العجائب** والآيات . روى عكرمة عن ابن عباس قال : هي رؤيا عين رآها ليلة أسري به ، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، ومسروق ، والنخعي ، وقتادة ، وأبو مالك ، وأبو صالح ، وابن جريج ، وابن زيد في آخرين . فعلى هذا يكون معنى الفتنة : الاختبار ، فإن قوما آمنوا بما قال ، وقوما كفروا . قال ابن الأنباري : المختار في هذه الرؤية أن تكون يقظة ، ولا فرق بين أن يقول القائل : رأيت فلانا رؤية ، ورأيته رؤيا ، إلا أن الرؤية يقل استعمالها في المنام ، والرؤيا يكثر استعمالها في المنام ، ويجوز كل واحد منهما في المعنيين .
والثاني : أنها رؤيا منام . ثم فيها قولان . أحدهما : أن رسول الله A كان قد أري أنه يدخل مكة ، هو وأصحابه ، وهو يومئذ بالمدينة ، فعجل قبل الأجل ، فرده المشركون ، فقال أناس : قد رد ، وكان حدثنا أنه سيدخلها ، فكان رجوعهم فتنتهم ، رواه العوفي عن ابن عباس . وهذا لا ينافي حديث المعراج ، لأن هذا كان بالمدينة ، والمعراج كان بمكة . قال أبو سليمان الدمشقي : وإنما ذكره ابن عباس على وجه الزيادة في الإخبار لنا أن المشركين بمكة افتتنوا برؤيا عينه ، والمنافقين بالمدينة افتتنوا برؤيا نومه . والثاني : أنه أري بني أمية على المنابر ، فساءه ذلك ، فقيل له : إنها الدنيا يعطونها ، فسري عنه . فالفتنة هاهنا : البلاء ، رواه علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب ، وإن كان مثل هذا لا يصح ، ولكن قد ذكره عامة المفسرين .
وروى ابن الأنباري أن سعيد بن المسيب قال : رأى رسول الله A قوما على منابر ، فشق ذلك عليه ، وفيه نزل : ﴿

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٤/١٤٢

والشجرة الملعونة في القرآن ﴾ ، قال : ومعنى قوله : ﴿ إلا فتنة للناس ﴾ : إلا بلاء للناس ، قال ابن الأنباري : فمن ذهب إلى أن الشجرة رجال رآهم النبي A في منامه يصعدون على المنابر ، احتج بأن الشجرة يكنى بها عن المرأة لتأنيثها ، وعن الجماعة لاجتماع أغصانها . قالوا : ووقعت اللعنة بهؤلاء الذين كنى عنهم بالشجرة . قال المفسرون : وفي الآية تقديم وتأخير ، تقديره : وما جعلنا الرؤيا والشجرة إلا فتنة للناس .". (١)

٥٩٧-"أحدهما : أنه ما يصلون به رحما ، أو يقرون به ضيفا ، أو يحملون به كلا ، أو يعينون به محروما ، وليس بالزكاة ، قاله ابن عباس .

والثاني : أنه الزكاة قاله قتادة ، وابن سيرين .

قوله تعالى : ﴿ للسائل ﴾ وهو الطالب .

وفي ﴿ المحروم ﴾ ثمانية أقوال .

أحدها : أنه الذي ليس له سهم في فيء المسلمين ، وهو المحارف ، قاله ابن عباس . وقال إبراهيم : هو الذي لا سهم له في الغنيمة .

والثاني : أنه الذي لا ينمى له شيء ، قاله مجاهد ، وكذلك قال عطاء : هو المحروم في الرزق والتجارة .

والثالث : أنه المسلم الفقير ، قاله محمد بن علي .

والرابع : أنه المتعفف الذي لا يسأل شيئا ، قاله قتادة ، والزهري .

والخامس : أنه الذي يجيء بعد الغنيمة ، وليس له فيها سهم ، قاله : الحسن ابن محمد بن الحنفية .

والسادس : أنه المصاب ثمرته وزرعه أو نسل ماشيته ، قاله ابن زيد .

والسابع : أنه المملوك ، حكاه الماوردي .

والثامن : أنه الكلب ، روي عن عمر بن عبد العزيز . وكان الشعبي يقول : أعياني أن أعلم ما المحروم . وأظهر الأقوال قول قتادة والزهري ، لأنه قرنه بالسائل ، والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل ثم يتحفظ بالتعفف من ظهور أثر الفاقة عليه ، فيكون محروما من قبل نفسه حين لم يسأل ، ومن قبل الناس حين لا يعطونه ، وإنما يفطن له متيقظ . وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية منسوخة بآية الزكاة ، ولا يصح .

قوله تعالى : ﴿ وفي الأرض آيات ﴾ كالجبال والأنهار والأشجار والثمار وغير ذلك ﴿ للموقنين ﴾ بالله D الذين يعرفونه بصنعه .

﴿ وفي أنفسكم ﴾ آيات إذ كنتم نطفا ، ثم عظاما ، ثم علقا ، ثم مضغا ، إلى غير ذلك من أحوال الاختلاف ، ثم اختلاف الصور والألوان والطبائع ، وتقويم الأدوات ، والسمع والبصر والعقل ، وتسهيل سبيل الحدث ، إلى غير ذلك **من العجائب** المودعة في ابن آدم . وتم الكلام عند قوله : «وفي أنفسكم» ، ثم قال : ﴿ أفلا تبصرون ﴾ قال مقاتل : أفلا تبصرون كيف

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٤/١٧٥

خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث .
قوله تعالى : ﴿ وفي السماء رزقكم ﴾ وقرأ أبي بن كعب ، وحميد ، وأبو حصين الأسدي : «أرزاقكم» براء ساكنة وبألف بين الزاي والقاف . وقرأ ابن مسعود ، والضحاك ، وأبو نهيك : «رازقكم» بفتح الراء وكسر الزاي وبألف بينهما . وعن ابن محيصن كهاتين القراءتين . وفيه قولان .
أحدهما : أنه المطر ، رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وليث عن مجاهد ، وهو قول الجمهور .
والثاني : الجنة ، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد .
وفي قوله : ﴿ ما توعدون ﴾ قولان .
أحدهما : أنه الخير والشر كلاهما يأتي من السماء ، قاله أبو صالح عن ابن عباس ، وابن أبي نجيح عن مجاهد .
والثاني : الجنة رواه ليث عن مجاهد . قال : أبو عبيدة : في هذه الآية مضمر مجازه : عند من في السماء رزقكم ، وعنده ما توعدون ، والعرب تضمر ، قال نابغة [ذبيان] :
كأنك من جمال بني أقيش ... يقعقع خلف رجليه بشن". (١)

٥٩٨-"وعلى الأول : الكافر .
قوله تعالى : ﴿ يسأل أيان يوم القيامة ﴾ أي : متى هو؟ تكذيبا به ، وهذا هو الكافر ﴿ فإذا برق البصر ﴾ قرأ أهل المدينة ، وأبان عن عاصم «برق» بفتح الراء ، والباقون بكسرها . قال الفراء : العرب تقول : برق البصر يبرق ، وبرق يبرق ، إذا رأى هولا يفزع منه ، و«برق» أكثر وأجود قال الشاعر :
فنفسك فانع ولا تنعني ... وداو الكلوم ولا تبرق
بالفتح . يقول : لا تفزع من هول الجراح التي بك . قال المفسرون : يشخص بصر الكافر يوم القيامة ، فلا يطرف لما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا ، وقال مجاهد : برق البصر عند الموت .
قوله تعالى : ﴿ وخسف القمر ﴾ قال أبو عبيدة : كسف وخسف بمعنى واحد ، أي : ذهب ضوؤه .
قوله تعالى : ﴿ وجمع الشمس والقمر ﴾ إنما قال «جمع» لتذكير القمر ، هذا قول أبي عبيدة . وقال الفراء : إنما لم يقل : جمعت ، لأن المعنى : جمع بينهما . وفي معنى الآية قولان .
أحدهما : جمع بين ذاتيهما . وقال ابن مسعود : جمعا كالبعيرين القرينين . وقال عطاء بن يسار : يجمعان ثم يقذفان في البحر . وقيل : يقذفان في النار . وقيل : يجمعان ، فيطلعان من المغرب .
والثاني : جمع بينهما في ذهاب نورهما ، قاله الفراء ، والزجاج .
قوله تعالى : ﴿ يقول الإنسان ﴾ يعني : المكذب بيوم القيامة ﴿ أين المفر ﴾ قرأ الجمهور بفتح الميم ، والفاء ، وقرأ ابن عباس ، ومعاوية ، وأبو رزين ، وأبو عبد الرحمن ، والحسن ، وعكرمة ، والضحاك ، وابن يعمر ، وابن أبي عبلة : بكسر

---
(١) زاد المسير في علم التفسير ٥/٤٢١

الفاء قال الزجاج : فمن فتح ، فالمعنى : أين الفرار؟ ومن كسر ، فالمعنى : أين مكان الفرار؟ تقول : جلست مجلسا بالفتح ، يعني : جلوسا . فإذا قلت : مجلسا بالكسر ، فأنت تريد المكان .

قوله تعالى : ﴿ كلا لا وزر ﴾ قال ابن قتيبة : لا ملجأ . وأصل الوزر : الجبل . الذي يمتنع فيه ﴿ إلى ربك يومئذ المستقر ﴾ أي : المنتهى والمرجع .

﴿ ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ﴾ فيه ستة أقوال .

أحدها : بما قدم قبل موته ، وما سن من شيء فعمل به بعد موته ، قاله ابن مسعود ، وابن عباس .

والثاني : ينبأ بأول عمله وآخره ، قاله مجاهد .

والثالث : بما قدم من الشر وأخر من الخير ، قاله عكرمة .

والرابع : بما قدم من فرض ، وأخر من فرض ، قاله الضحاك .

والخامس : بما قدم من معصية ، وأخر من طاعة .

والسادس : بما قدم من أمواله ، وما خلف للورثة ، قاله زيد بن أسلم .

قوله تعالى : ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ﴾ قال الفراء : المعنى : بل على الإنسان من نفسه بصيرة ، أي : رقباء يشهدون عليه بعمله ، وهي : الجوارح . قال ابن قتيبة : فلما كانت جوارحه منه ، أقامها مقامه . وقال أبو عبيدة : جاءت الهاء في «بصيرة» في صفة الذكر ، كما جاءت في رجل «راوية» ، و«طاغية» ، وعلامة .

قوله تعالى : ﴿ ولو ألقى معاذيره ﴾ في المعاذير قولان .

أحدهما : أنه جمع عذر ، فالمعنى : لو اعتذر ، وجادل عن نفسه ، فعليه من يكذب عذره ، وهي : الجوارح ، وهذا قول الأكثرين .

والثاني : أن المعاذير جمع معذار ، وهو : الستر . والمعاذير : الستور . فالمعنى : ولو أرخى ستوره ، هذا قول الضحاك ، والسدي ، والزجاج ، فيخرج في معنى «ألقى» قولان .

أحدهما : قال ، ومنه ﴿ فألقوا إليهم القول ﴾ [النحل : ٣٦] ، وهذا على القول الأول :

والثاني : أرخى ، وهذا على القول الثاني .". (١)

٥٩٩-"إن في هذه القصة وما فيها **من العجائب** والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين لعبرة للناس ونجاة لهم في دينهم ودنياهم،ومع هذا ما آمن أكثر الناس(١).يقول تعالى:عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنينصلى الله عليه وسلمصلى الله عليه وسلم(٢)،لذلك لم تنفعهم تلك المواعظ البليغة؛فلم يتنبه لها أكثر الأولين،كما لم يتنبه لها أكثر الآخرين،يقول تعالى:عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلونصلى الله عليه وسلمصلى الله عليه وسلم(٣)؛فهذا التطاول والتفاخر والاستعلاء من قبل الطواغيت وأعوانهم في مشارق الأرض ومغاربها لدليل واضح على غفلتهم وعدم

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٦/٩٨

انتفاعهم بما حدث لفرعون وغيره من الطغاة والبغاة.

ثالثا:الفتنة والاختبار،وقوله تعالى:ﵟوجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرونﵞ(٤).

تلك هي الحكمة من وجود فرعون وأمثاله من الطواغيت،وذلك هو قضاء الله وقدره في خلقه وله الحكمة البالغة،فالحياة دار بلاء وامتحان واختبار حيث(أراد سبحانه أن يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس مؤمن وكافر)(٥)،وعلى هذا الأساس نفهم الحياة الدنيا،فهي صراع بين الحق والباطل،ومن أسقط تلك الحقيقة من تصوره للحياة فقد أخطأ الفهم الصحيح وضل.

---

(١) تفسير ابن كثير(٣/٣٣٨).

(٢) الشعراء:٦٧].

(٣) يونس:٩٢].

(٤) الفرقان:٢٠].

(٥) تفسير القرطبي(١٣/١٨).". [١]

٦٠٠-" تعالى للأخوة بسبب الرحم وحرمة الأم وأنه لم يزدهم على الثلث وإن كثروا فكيف يزاد من هو أبعد منهم في حكم الوصية بل الثلث في حقهم كثير والقرآن والسنة نوران من مشكاة واحدة فينظر بعضه إلى بعض ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فصل

في ميراث الأخوة مع الكلالة

ومن العجائب أن الكلالة في هذه الآية لا يرث فيها الأخوة مع البنت وهو لم يقل فيها ليس له ولد كما قال في الآية الأخرى ألا ترى إلى قوله فيها إن امرؤ هلك ليس له ولد ثم ورثت فيها الأخوات مع البنت والبنت ولد وهذه التي لم يذكر فيها الولد لا يرث الأخوة مع ولد أصلا لا ذكرا ولا أنثى ويتعين الاعتناء بهذا السؤال والكشف عنه

والجواب فيه من وجهين أحدهما أن الأخت الشقيقة والتي للأب ليس لها مع البنت فرض معلوم وإنما يرثن بالتعصب فيكون معنى قوله فلها نصف ما ترك فلأخته النصف فريضة إذا لم يكن ولد ذكر ولا أنثى فإن كانت بنتا فليس للأخت فريضة وإنما لها ما بقي والذي يبقى بعد البنت الواحدة نصف وبعد البنات ثلث وإن كان مع البنات من له فرض مسمى يحيط بالمال مع سهم البنات لم يكن للأخوة سهم فليس في توريث الأخوات مع البنت ما يعارض نص الآية على هذا

---

(١) شخصية فرعون في القرآن ص/٣٦٥

والجواب الثاني وهو التحقيق أن فرض الأخوة للأم إنما شرط فيه عدم البنت والابن جميعا لقوله وإن كان رجل يورث ولم يقل في الكلالة ". (١)

٦٠١-"[وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل] أي هذا تفسير الرؤيا التي رأيتها في منامي وأنا صغير
[قد جعلها ربي حقا] أي صدقا حيث وقعت كما رأيتها في النوم
[وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن] أي أنعم علي بإخراجي من السجن ، قال المفسرون : ولم يذكر قصة الجب تكرما منه ، لئلا يخجل إخوته ويذكرهم صنيعهم بعد أن عفا عنهم
[وجاء بكم من البدو] أي جاء بكم من البادية لأنهم كانوا أهل إبل وغنم ببادية فلسطين ، ذكرهم بنعمة الله على " آل يعقوب " حيث نقلهم من البادية إلى الحضر ، وإجتمع شمل الأسرة بمصر ، قال الطبري : ذكر أن يعقوب دخل مصر هو ومن معه من أولاده وأهاليهم وأبنائهم وهم أقل من مائة ، وخرجوا منها يوم خرجوا وهم زيادة على ستمائة ألف
[من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي] أي أفسد ما بيني وبين إخوتي بالإغواء ، قال أبو حيان : وذكر هذا القدر من أمر إخوته لأن النعمة إذا جاءت إثر بلاء وشدة ، كانت أحسن موقعا
[إن ربي لطيف لما يشاء] أي لطيف التدبير يحقق مشيئته بلطف ودقة خفية ، لا يحسها الناس ولا يشعرون بها
[إنه هو العليم الحكيم] أي العليم بخلقه الحكيم في صنعه ، قال المفسرون : إن يعقوب عليه السلام أقام مع يوسف في مصر أربعا وعشرين سنة ثم مات ، وكان قد أوصى أن يدفن بالشام إلى جنب أبيه إسحق ، فمضى يوسف بنفسه ودفنه ثمة ، ثم لما عاد إلى مصر عاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين سنة ، فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم تاقت نفسه إلى النعيم الدائم الخالد ، واشتاق الى لقاء الله ، وإلى آبائه الصالحين (إبراهيم وإسحق) فقال
[رب قد آتيتني من الملك] أي أعطيتني العز والجاه والسلطان ، وذلك من نعمة الدنيا
[وعلمتني من تأويل الأحاديث] أي علمتني تفسير الرؤيا ، وذلك من نعمة العلم
[فاطر السموات والأرض] أي يا مبدع السموات والأرض وخالقهما على غير مثال سابق
[أنت وليي في الدنيا والآخرة] أي أنت يا رب متولي أموري وشئوني في الدارين
[توفني مسلما وألحقني بالصالحين] أي اقبضني إليك مسلما ، واجعل لحاقي بالصالحين ، ابتهل إلى ربه أن يحفظ عليه إسلامه حتى يموت عليه ، وإلى هنا تنتهي قصة يوسف الصديق ، ثم يأتي التعقيب بعد ذلك بإقامة البرهان على صحة نبوة محمد عليه الصلاة والسلام
[ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك] أي ذلك الذي أخبرناك عنه يا أيها الرسول من أمر يوسف وقصته ، من الأخبار المغيبة التي لم تكن تعلمها قبل الوحي ، وإنما نعلمك نحن بها على أبلغ وجه وأدق تصوير ، ليظهر صدقك في دعوى الرسالة
[وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون] أي وما كنت حاضرا مع إخوة يوسف ، حين تآمروا على أخيهم ، وأجمعوا

---

(١) شرح آيات الوصية ص/٧٤

أمرهم على إلقائه في الجب وهم يحتالون ويمكرون به وبأبيه ليرسله معهم ، فإنك يا محمد لم تشاهدهم حتى تقف على حقيقة القصة وإنما جاءتك بوحي من العليم الخبير

[وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين] هذه تسلية للنبي (ص) أي ليس أكثر الخلق ولو حرصت على إيمانهم وبالغت في إرشادهم بمصدقين لك لتصميمهم على الكفر

[وما تسألهم عليه من أجر] أي وما تطلب منهم على هذا النصح ، والدعاء إلى الخير والرشد أجرة حتى يثقل ذلك عليهم

[إن هو إلا ذكر للعالمين] أي ما هذا القرآن الا عظة وتذكير للعالمين ، وأنت لا تطلب في تلاوته عليهم مالا ، فلو كانوا عقلاء لقبلوا ولم يتمردوا

[وكأين من آية في السموات والأرض] أي كم من الآيات والعلامات الدالة على وجود الله جل وعلا ووحدانيته ، الكائنة في السنوات والأرض ، كالشمس والقمر والنجوم ، والجبال والبحار والأشجار ، وسائر ما فيهما من العجائب

[يمرون عليها] أي يشاهدونها ليل نهار ، ويمرون عليها بالعشي والإبكار

." (١)

٢٠٦-"سورة الرعد

مدنية وآياتها ثلاث وأربعون آية

يدى السورة

سورة الرعد من السور المكية ، التي تتناول المقاصد الأساسية للسور المكية ، من تقرير " الوحدانية " و " الرسالة " و " البعث والجزاء " ودفع الشبه التي يثيرها المشركون ، وقيل : إنها مدنية وجوها جو المكي . ابتدأت السورة الكريمة بالقضية الكبرى ، قضية الإيمان بوجود الله ووحدانيته ، فمع سطوع الحق ووضوحه ، كذب المشركون بالقرآن ، وجحدوا وحدانية الرحمن ، فجاءت الآيات تقرر كمال قدرته تعالى ، وعجيب خلقه ، في السموات والأرض ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ، والزروع والثمار ، وسائر ما خلق الله في هذا الكون الفسيح البديع .

ثم تلتها الآيات في إثبات البعث والجزاء ، ثم بعد ذكر الأدلة الساطعة والبراهين القاطعة ، على انفراده جل وعلا بالخلق والإيجاد ، والإحياء والإماتة ، والنفع والضر ، ضرب القرآن مثلين للحق والباطل أحدهما : في الماء ينزل من السماء ، فتسيل به الأودية والشعاب ، ثم هو يجرف في طريقه الغثاء ، فيطفو على وجهه الزبد الذي لا فائدة فيه ، والثاني : في المعادن التي تذاب لتصاغ منها الأواني وبعض الحلية كالذهب والفضة ، وما يعلو هذه المعادن من الزبد والخبث ، الذي لا يلبث ان يذهب جفاء ويضمحل ويتلاشى ، ويبقى المعدن النقي الصافي [أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا . .] الآيات فذلك مثل الحق والباطل . وذكرت السورة الكريمة اوصاف أهل السعادة وأهل الشقاوة ، وضربت مثلا بشهادة الله لرسوله بالنبوة والرسالة ، وأنه مرسل من عند الله العزيز الحكيم .

---

(١) صفوة التفاسير . للصابوني ٢/٦٧

التسمية :

سميت [سورة الرعد] لتلك الظاهرة الكونية العجيبة ، التي تتجلى فيها قدرة الله وسلطانه ، فالماء جعله الله سببا للحياة ، وأنزله بقدرته من السحاب ، والسحاب جمع الله فيه بين (الرحمة والعذاب) ، فهو يحمل المطر ويحمل الصواعق ، وفي الماء الإحياء ، وفي الصواعق الإفناء ، وجمع النقيضين **من العجائب** كما قال القائل : جمع النقيضين من أسرار قدرته هذا السحاب به ماء به نار فما أجمل واعظم قدرة الله !!

اللغة :

[عمد] العمد : الدعائم وهو اسم جمع وقيل : جمع عمود

[صنوان] جمع صنوو وهو الغصن الخارج عن اصل الشجرة واصله المثل ومنه قيل للعم صنو لمماثلته للأب ، فإذا كان للشجرة عدة فروع فهي صنوان

[الأغلال] جمع غل وهو طوق تشد به اليد إلى العنق

[المثلات] جمع مثلة وهي العقوبة وسميت بذلك لما بين العقاب والمعاقب من المماثلة

[تغيض] غاض الماء نقص أو غار

[سارب] السارب : الذاهب في سربه أي طريقه بوضح النهار لا يستخفي عن الأنظار

[معقبات] ملائكة يعقب بعضهم بعضا اي يأتي بعضهم عقب بعض

[المحال] القوة والإهلاك والنقمة .

سبب النزول :

عن أنس أن رسول الله ، بعث رجلا إلى جبار من فراعنة العرب فقال : اذهب فادعه لي ! ! فقال يا رسول الله : إنه جبار عات قال : اذهب فادعه لي ، فذهب إليه فقال : يدعوك رسول الله (ص) فقال : أخبرني عن إله محمد أمن ذهب هو ؟ أو من فضة ؟ أو من نحاس ؟ فرجع إلى رسول الله (ص) فأخبره بما قال الرجل ، وقال له : ألم أخبرك أنه أعتى من ذلك ؟ فقال : ارجع إليه الثانية فادعه لي ، فرجع إليه فأعاد عليه ذلك الكلام ، فبينما هو يجادله إذ بعث الله عليه سحابة حيال رأسه ، فرعدت فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه فأنزل الله : [ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء. .] الآية.

التفسير :

[المر] إشارة إلى إعجاز القرآن وقال ابن عباس معناه : انا الله أعلم وأرى

[تلك آيات الكتاب] اي هذه آيات القرآن المعجز ، الذي فاق كل كتاب". (١)

٦٠٣-"[قالوا أولم ننهك عن العالمين] أي قالوا : ألم نمنعك عن ضيافة أحد ؟ قال الرازي : المعنى ألسنا قد نهيناك أن تكلمنا في أحد من الناس ، إذا قصدناه بالفاحشة

---

(١) صفوة التفاسير ـ للصابوني ٢/٧٠

[قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين] أي هؤلاء النساء فتزوجوهن ، ولا تركنوا إلى الحرام إن كنتم تريدون قضاء الشهوة ، قال المفسرون : المراد بقوله : [بناتى] بنات أمته ، لأن كل نبى يعتبر أبا لقومه

[لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون] أي وحياتك يا محمد (ص) إن قوم (لوط) لفي ضلالهم وجهلهم ، يتخبطون ويترددون ، وهذه جملة اعتراضية جاءت ضمن قصة لوط ، قسما بحياة الرسول (ص) تكريما له وتشريفا ، قال ابن عباس : (ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم على الله من محمد (ص) وما سمعت الله أقسم بحياة أحد من الخلق غيره

[فأخذتهم الصيحة مشرقين] أي أخذتهم صيحة العذاب المهلكة المدمرة ، وقت شروق الشمس

[فجعلنا عاليها سافلها] أي قلبناها بهم فجعلنا أعالي المنازل أسافلها ، قال المفسرون : حمل جبريل عليه السلام ثراهم واقتلعها من جذورها ، حتى رأوا الأفلاك وسمعوا تسبيح الأملاك ، لم قلبها بهم

[وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل] أي أنزلنا عليهم حجارة كالمطر ، من طين متحجر طبخ بنار جهنم

[إن في ذلك لآيات للمتوسمين] أي فيما حل بهم من الدمار والعذاب ، لدلالات وعلامات للمعتبرين ، المتأملين بعين البصر والبصيرة

[وإنها لبسبيل مقيم] أي وإن هذه القرى المهلكة ، وما ظهر فيها من آثار قهر الله وغضبه ، لبطريق ثابت لم يندرس ، يراها المجتازون في أسفارهم أفلا يعتبرون

[إن في ذلك لآية للمؤمنين] أي لعبرة للمصدقين

[وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين] أي وإن الحال والشأن كان قوم شعيب (وهم أصحاب الأيكة أي الشجر الكثير الملتف) لظالمين بتكذيبهم شعيبا ، وقطعهم الطريق ، ونقصهم المكيال والميزان

[فانتقمنا منهم] أي أهلكناهم بالرجفة ، وعذاب يوم الظلة ، قال المفسرون : اشتد الحر عليهم سبعة أيام ، حتى قربوا من الهلاك ، فبعث آلله عليهم سحابة كالظلة ، فالتجئوا إليها ، واجتمعوا تحتها للتظلل بها ، فبعث الله عليهم منها نارا فأحرقتهم جميعا

[وإنهما لبإمام مبين] أي وإن قرى قوم (لوط) و(شعيب) بطريق واضح ، أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة ؟

[ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين] هذه هي القصة الرابعة ، وهي قصة (صالح) عليه السلام أي كذبت ثمود نبيهم صالحا – والحجر واد بين المدينة والشام وآثاره باقية يمر عليها المسافرون قال البيضاوي : ومن كذب واحدا من الرسل ، فكأنما كذب الجميع ، ولذا قال : [المرسلين]

[وأتيناهم آياتن فكانوا عنها معرضين] أى وأريناهم معجزاتنا الدالة على قدرتنا ، مثل الناقة وما فيها **من العجائب** ، فكانوا لا يعتبرون بها ولا يتعظون ، قال ابن عباس : كان في الناقة الآيات : خروجها من آلصخرة ، ودنو ولادتها عند خروجها ، وعظم خلقها فلم تشبهها ناقة ، وكثرة لبنها حتى كان يكفيهم جميعا ، فلم يتفكروا فيها ولم يستدلوا بها

[وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين] أي كانوا ينقبون الجبال فيبنون فيها بيوتا امنين ، يحسبون أنها تحميهم من عذاب الله

[فأخذتهم الصيحة مصبحين] أي أخذتهم صيحة الهلاك حين أصبحوا

[فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون] أي ما دفع عنهم عذاب آلله ، ما كانوا يشيدونه من القلاع والحصون

[وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق] أي وما خلقنا الخلائق كلها ، سماءها وأرضها ، وما بينهما ، إلا خلقا ملتبسا بالحق ، فلذلك اقتضت الحكمة إهلاك أمثال هؤلاء المكذبين ، لئلا يعم الفساد

". (١)

٦٠٤-"[سبحان الذى أسرى بعبده ليلا] أى تنزه وتقدس عما لا يليق بجلاله ، الله العلى الشأن ، الذي انتقل بعبده ونبيه محمد (ص) فى جزء من الليل

[من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى] أى من مكة المكرمة إلى بيت المقدس ، وسمي بالأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ، قال المفسرون : وإنما قال : [ليلا] بلفظ التنكير لتقليل مدة الإسراء ، وأنه قطع به المسافات الشاسعة البعيدة في جزء من الليل وكانت مسيرة أربعين ليلة ، وذلك أبلغ في القدرة والإعجاز ، ولهذا كان بدء السورة بلفظ [سبحان] الدال على كمال القدرة ، وبالغ الحكمة ، ونهاية تنزهه تعالى عن صفات المخلوقين ، وكان الإسراء بالروح والجسد ، يقظة لا مناما ، لأن لفظ العبد يطلق على الإنسان كاملا - روحا وجسدا - ولو كان بالمنام ، لما كان هناك من يشك أو يكذب من المشركين ، حيث ارتد بعض ضعفاء الإيمان ، حينما سمعوا بحادثة الإسراء

[الذي باركنا حوله] أى الذي باركنا حوله بأنواع البركات الحسية والمعنوية ، بالثمار والأنهار التي خص الله بها بلاد فلسطين ، وبكونه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة الأطهار

[لنريه من آياتنا] أى لنري محمدا (ص) آياتنا العجيبة العظيمة ، ونطلعه على ملكوت السموات الأرض ، فقد رآى صلوات الله عليه (ص) السموات العلى ، والجنة والنار ، وسدرة المنتهى ، والملائكة والأنبياء) وغير ذلك **من العجائب** والآيات التي تدل على قدرة الله تعالى

[إنه هو السميع البصير] أى إنه تعالى هو السميع لأقوال محمد (ص) البصير بأفعاله ، فلهذا خصه بهذه الكرامات والمعجزات ، إحتفاء وتكريما له

[وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل] أى أعطينا موسى التوراة هداية لبني إسرائيل ، يخرجهم بواسطة ذلك الكتاب ، من ظلمات الجهل والكفر ، إلى نور العلم والإيمان

[ألا تتخذوا من دونى وكيلا] أى لا تتخذوا لكم ربا تكلون إليه أموركم ، سوى الله الذي خلقكم ، قال المفسرون : لما ذكر (المسجد الأقصى) وهو قلب الأرض المقدسة ، التي أسكنها الله بني إسرائيل ، جاء الحديث عنهم في مكانه المناسب من سياق السورة

[ذرية من حملنا مع نوح] أى يا ذرية ويا أبناء المؤمنين ، الذين كانوا مع نوح في السفينة ، لقد نجينا آباءكم من الغرق ،

---

(١) صفوة التفاسير ـ للصابونى ٢/٩٩

فاشكروا الله على إنعامه

[إنه كان عبدا شكورا] أي إن نوحا كان كثير الشكر ، يحمد الله على كل حال فاقتدوا به ، وفي النداء لهم ، تلطف بديع ، وتذكير بنعمة الله الجليلة عليهم

[وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب] أى أخبرناهم وأعلمناهم ، وأوحينا إليهم في التوراة

[لتفسدن في الأرض مرتين] أى ليحصلن منكم الإفساد في أرض فلسطين وما حولها مرتين ((قضاء الله على بنى إسرائيل بالإفساد مرتين ليس قضاء قهر وإلزام ، وإنما هو إخبار من الله تعالى بما سيكون منهم حسب ما وقع قي علمه الإلهي الأزلي)) قال ابن عباس : أول الفساد قتل زكريا والثاني قتل يحيى عليهما السلام

[ولتعلن علوا كبيرا] أى تطغون في الأرض المقدسة طغيانا كبيرا ، بالظلم والعدوان وانتهاك محارم الله

[فإذا جاء وعد أولاهما] أى اولى المرتين من الإفساد

[بعثنا عليكم عبادا لنا] أى سلك عليكم من عبيدنا أنسانا جبارين للانتقام منكم

[أولي بأس شديد] أى أصحاب قوة وبطش فى الحرب شديد ، قال المفسرون : إن بني إسرائيل لما استحلوا المحارم ، وسفكوا الدماء ، سلط الله عليهم (بختنصر) المجوسي ، ملك بابل فقتل منهم سبعين ألفا ، حتى كاد يفنيهم ، وذلك أول الفسادين

[فجاسوا خلال الديار] أى طافوا وسط البيوت ، يروحون ويغدون للتفتيش عنكم ، واستئصالكم بالقتل والسلب والنهب ، لا يخافون من أحد

[وكان وعدا مفعولا] آى كان ذلك التسليط والانتقام قضاء جزما حتما ، لا يقبل النقض والتبديل ". (١)

٦٠٥-"[أن لهم أجرا حسنا] أى أن لهم الجنة وما فيها من النعيم المقيم

[ماكثين فيه أبدا] أى مقيمين في ذلك النعيم الخالد ، الذي لا انتهاء له ولا انقضاء

[وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا] أى ويخوف أولئك الكافرين – الذين نسبوا لله الولد – عذابه الأليم ، قال البيضاوي : خصهم بالذكر ، وكرر الإنذار استعظاما لكفرهم ، وإنما لم يذكر المنذر به استثناء بتقدم ذكره

[ما لهم به من علم] أى ما لهم بذلك الافتراء الشنيع ، شيء من العلم أصلا

[ولا لآبائهم] أى ولا لأسلافهم الذين قلدوهم ، فتاهوا جميعا في بيداء الجهالة والضلالة

[كبرت كلمة تخرج من أفواههم] أى عظمت تلك المقالة الشنيعة كلمة قبيحة ، ما أشنعها وأفظعها ؟ خرجت من أفواه أولئك المجرمين ، وهي في غاية الفساد والبطلان

[ان يقولون إلا كذبا] أى ما يقولون إلا كذبا وسفها وزورا

---

(١) صفوة التفاسير ـ للصابونى ٢/١٢٤

[فلعلك باخع نفسك على آثارهم] أى فلعلك قاتل نفسك ومهلكها غما وحزنا ، على إجرامهم وتوليهم ، وإعراضهم عن الإيمان

[إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا] أي إن لم يؤمنوا بهذا القرآن ، حسرة وأسفا عليهم ، فما يستحق هؤلاء أن تحزن وتأسف عليهم ، والآية تسلية للنبى عليه السلام

[إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها] أى جعلنا ما عليها من زخارف ورياش ، ومتاع وذهب وفضة وغير ذلك زينة للأرض ، كما زينا السماء بالكواكب

[لنبلوهم أيهم أحسن عملا] أى لنختبر الخلق أيهم أطوع لله ، وأحسن عملا لآخرته

[وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا] أى سنجعل ما عليها من الزينة والنعيم ، حطاما وركاما حتى تصبح كالأرض الجرداء ، التي لا نبات فيها ولا زرع ، بعد أن كانت خضراء بهجة ، قال القرطبي : آلاية وردت لتسلية النبي (ص) والمعنى : لا تهتم يا محمد للدنيا وأهلها ، فإنا إنما جعلنا ذلك ، امتحانا واختبارا لأهلها ، فمنهم من يتدبر ويؤمن ومنهم من يكفر ، ثم أن يوم القيامة بين أيديهم ، فلا يعظمن عليك كفرهم فإنا سنجازيهم

[أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً] ؟ هذا بدء قصة (أصحاب الكهف) والكهف : آلغار المتسع في الجبل ، والرقيم : اللوح الذي كتب فيه أسماء أصحاب الكهف على المشهور ، والمعنى : لا تظنن يا محمد أن قصة اهل الكهف – على غرابتها – هي أعجب آيات الله ، ففي صفحات هذا الكون من العجائب والغرائب ، ما يفوق قصة أصحاب الكهف ، قال مجاهد : أحسبت أنهم كانوا أعجب آياتنا ؟ قد كان في آياتنا ما هو أعجب منهم ." (١)

٦٠٦-"[فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال] ؟ أي فلما جاء رسل بلقيس إلى (سليمان) بالهدية العظيمة قال منكرا عليهم : أتصانعونني بالمال والهدايا ؟ لأترككم على كفركم وملككم ؟

[فما آتاني الله خير مما آتاكم] أي فما أعطاني الله من النبوة والملك الواسع خير مما أعطاكم من زينة الحياة ، فلا حاجة لي بهديتكم

[بل أنتم بهديتكم تفرحون] أي أنتم تفرحون بالهدايا ، لأنكم أهل مفاخرة ومكاثرة في الدنيا ، ثم قال لرئيس الوفد :

[إرجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها] أي ارجع إليهم بهديتهم ، فوالله لنأتينهم بجنود لا طاقة لهم بمقابلتها ، ولا قدرة لهم على مقاتلتها

[ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون] أي ولنخرجنهم من أرضهم ومملكتهم أذلاء حقيرين إن لم يأتوني مسلمين ، قال ابن عباس : لما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان وأخبروها الخبر ، قالت : قد عرفت ما هذا بملك ، وما لنا به من طاقة ، وبعثت إلى (سليمان) إني قادمة إليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك ، وما تدعو إليه من دينك ، ثم ارتحلت إلى

---

(١) صفوة التفاسير ـ للصابونى ٢/١٤٥

سليمان في إثني عشر ألف قائد

[قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين] ؟ أي قال سليمان لأشراف من حضره من جنده : أيكم يأتيني بسريرها المرصع بالجواهر قبل أن تصل إلي مع قومها مسلمين ؟ قال البيضاوى : أراد بذلك أن يريها بعض ما خصه الله به **من العجائب** ، الدالة على عظيم القدرة ، وصدقه في دعوى النبوة ، ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره ؟

[قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك] أي قال مارد من مردة الجن : أنا أحضره إليك ، قبل أن تقوم من مجلس الحكم – وكان يجلس من الصبح إلى الظهر في كل يوم – وغرضه أنه يأتيه به في أقل من نصف نهار

[وإني عليه لقوي أمين] أي وإني على حمله لقادر ، وأمين على ما فيه من الجواهر والدر ، وغير ذلك ! !

[قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك] هذا القائل هو " آصف بن برخيا "كان من الصديقين ، يعلم إسم الله الأعظم ، الذي إذا دعي به أجاب ، وهو الذي أتى بعرش بلقيس ، وقال لسليمان : [أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك] أي آتيك به بلمح البصر فدعا الله فحضر العرش حالا

[فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي] أي فلما نظر سليمان ورأى العرش – السرير – حاضرا لديه قال : هذا من فضل الله علي ، وإحسانه إلي

[ليبلوني أأشكر أم أكفر] ؟ أي ليختبرني أأشكر إنعامه ، أم أجحد فضله وإحسانه ؟

[ومن شكر فإنما يشكر لنفسه] أي ومن شكر فمنفعة الشكر لنفسه ، لأنه يستزيد من فضل الله [لئن شكرتم لأزيدنكم]

[ومن كفر فإن ربي غني كريم] أي ومن لم يشكر النعمة ، وجحد فضل الله ، فإن الله مستغن عنه وعن شكره ، كريم بالإنعام على من كفر نعمته . . ولما قرب وصول ملكة سبأ إلى بلاده ، أمر بأن تغير بعض معالم عرشها امتحانا لها

[قال نكروا لها عرشها] أي غيروا بعض أوصافه وهيئته ، كما يتنكر الإنسان حتى لا يعرف

[ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون] أي لننظر إذا رأته هل تهتدي إلى أنه عرشها ؟ وتعرفه أم لا ؟ أراد بذلك اختبار ذكائها وعقلها

[فلما جاءت قيل أهكذا عرشك] ؟ أي أمثل هذا العرش الذي رأيتيه عرشك ؟ ولم يقل : أهذا عرشك ؟ لئلا يكون تلقينا لها

[قالت كأنه هو] أي يشبهه ويقاربه ولم تقل : نعم هو ، ولا ليس هو ، قال ابن كثير : وهذا غاية في الذكاء والحزم

[وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين] هذا من قول سليمان أي قال سليمان تحدثا بنعمة الله : لقد أوتينا العلم بالله وقدرته ، من قبل هذه المرأة وكنا مسلمين لله من قبلها ، فنحن أسبق منها علما وإسلاما

." (١)

٦٠٧-"لما ذكر تعالى في أول السورة قصة موسى ، ثم أعقبها بقصة داود وسليمان ، وما فيها **من العجائب** والغرائب ، ذكر هنا قصة " صالح " ثم قصة " لوط " وكل هذه القصص غرضها التذكير والإعتبار ، وبيان سنة الله في إهلاك المكذبين ، ثم أتبعها بذكر البراهين الدالة على الوحدانية ، والعلم ، والقدرة .

اللغة :

[اطيرنا] من التطير وهو التشاؤم ، قال الزجاج : أصلها تطيرنا فأدغمت التاء في الطاء واجتلبت الألف لسكون الطاء

[خاوية] خالية من خوى البطن إذا خلى ، وخوى النجم إذا سقط

[الفاحشة] الفعلة القبيحة الشنيعة

[حدائق] جمع حديقة وهي البستان الذي عليه سور ، قال الفراء : الحديقة : البستان الذي عليه حائط ، فإن لم يكن عليه حائط فهو البستان

[قرارا] مستقرا يثبت عليه الشئ

[حاجزا] الحاجز : الفاصل بين الشيئين .

التفسير :

[ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله] اللام جواب قسم محذوف أي والله لقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم - في النسب لا في الدين - صالحا عليه السلام ، يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته

[فإذا هم فريقان يختصمون] أي فإذا هم جماعتان : مؤمنون وكافرون ، يتنازعون في شأن الدين ، قال مجاهد : [فريقان] : مؤمن ، وكافر ، واختصامهم : اختلافهم وجدالهم في الدين ، وجاء الفعل بالجمع [يختصمون] حملا على المعنى

[قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة] أي قال لهم صالح بطريق التلطف والرفق : يا قوم لم تطلبون العذاب قبل الرحمة ؟ ولأي شيء تستعجلون بالعذاب ، ولا تطلبون الرحمة ؟

[لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون] أي هلا تتوبون إلى الله من الشرك لكي يتوب الله عليكم ويرحمكم ؟ قال المفسرون : كان الكفار يقولون لفرط الإنكار : يا صالح ائتنا بعذاب الله ، فقال لهم : هلا تستغفرون الله قبل نزول العذاب ، فإن استعجال الخير أولى من استعجال الشر ! !

[قالوا اطيرنا بك وبمن معك] أي تشاءمنا بك يا صالح ، وبأتباعك المؤمنين ، فإنكم سبب ما حل بنا من بلاء ، وكانوا قد أصابهم القحط وجاعوا

[قال طائركم عند الله] أي حظكم في الحقيقة من خير أو شر ، هو عند الله وبقضائه ، إن شاء رزقكم ، وإن شاء حرمكم ! ! لما لاطفهم في الخطاب أغلظوا له في الجواب ، وقالوا : تشاءمنا بك وبمن معك ، فأخبرهم أن شؤمهم بسبب عملهم

---

(١) صفوة التفاسير ـ للصابوني ٢/٣٠٢

القبيح ، لا بسبب (صالح) والمؤمنين
[بل أنتم قوم تفتنون] أي بل الحقيقة أنكم جماعة يفتنكم الشيطان بوسوسته وإغوائه ولذلك تقولون ما تقولون
[وكان في المدينة تسعة رهط] أي وكان في مدينة صالح – وهي الحجر–تسعة رجال من أبناء أشرافهم ، قال الضحاك : كان هؤلاء التسعة عظماء أهل المدينة
[يفسدون في الأرض ولا يصلحون] أي شأنهم الإفساد ، وأيذاء العباد بكل طريق ووسيلة ، قال ابن عباس : وهم الذين عقروا الناقة
[قالوا تقاسموا بالله] أي قال بعضهم لبعض : احلفوا بالله
[لنبيتنه وأهله] أي لنقتلن صالحا وأهله ليلا
[ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله] أي ثم نقول لولي دمه ما حضرنا مكان هلاكه ولا عرفنا قاتله ولا قاتل أهله
[وإنا لصادقون] أي ونحلف لهم إنا لصادقون في كلامنا ! ! قال ابن عباس : أتوا دار صالح شاهرين سيوفهم ، فرمتهم الملائكة بالحجارة فقتلتهم قال تعالى :
[ومكروا مكرا] أي دبروا مكيدة لقتل صالح
[ومكرنا مكرا] أي جازيناهم على مكرهم بتعجيل هلاكهم ، سماه (مكرا) بطريق المشاكلة ((المشاكلة هي الاتفاق في اللفظ دون المعنى))
[وهم لا يشعرون] أي من حيث لا يدرون ولا يعلمون ، قال أبو حيان : ومكرهم ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح وأهله ، ومكر الله إهلاكهم من حيث لا يشعرون
". (١)

٦٠٨-"[الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون] هذا بيان للعاملين ، أي هم الذين صبروا على تحمل المشاق ، من الهجرة والأذى في سبيل الله ، وعلى ربهم يعتمدون في جميع أمورهم ، قال في البحر : وهذان جماع الخير كله : الصبر ، وتفويض الأمر إليه تعالى
[وكأين من دابة لا تحمل رزقها] أي كم من دابة ضعيفة ، لا تقدر على كسب رزقها ، ولكن الله يرزقها مع ضعفها
[الله يرزقها وإياكم] أي الله تعالى يرزقها كما يرزقكم ، وقد تكفل برزق جميع الخلق ، فلا تخافوا الفقر إن هاجرتم ، فالرازق هو الله ، قال في التسهيل : والقصد بالآية التقوية لقلوب المؤمنين ، إذا خافوا الفقر والجوع فى الهجرة من أوطانهم ، فكما يرزق الله الحيوانات الضعيفة كذلك يرزقكم إذا هاجرتم من بلدكم
[وهو السميع العليم] أي هو السميع لأقوالكم ، العليم بأحوالكم . . ثم عاد الحديث إلى توبيخ المشركين فى عبادة غير الله فقال سبحانه

---

(١) صفوة التفاسير ـ للصابونى ٢/٣٠٤

[ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله] أي ولئن سألت المشركين ، من خلق العالم العلوي والسفلي ، وما فيهما من العجائب والغرائب ؟ ومن ذلل الشمس والقمر وسخرهما لمصالح العباد ؟ يجريان بنظام دقيق ؟ ليقولون : الله خالق ذلك

[فأنى يؤفكون] أي فكيف يصرفون عن توحيده ، بعد إقرارهم بذلك ؟

[الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له] أي هو جل وعلا الخالق وهو الرازق ، يوسع الرزق لمن يشاء من عباده امتحانا ، ويضيق الرزق على من يشاء ابتلاء ، ليظهر الشاكر والصابر

[إن الله بكل شيء عليم] أي إنه تعالى واسع العلم يفعل ما تقتضيه الحكمة والمصلحة

[ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله] توبيخ آخر ، وإقامة حجة أخرى عليهم ، أي ولئن سألت المشركين من الذي أنزل المطر من السماء ، فأخرج به أنواع الزروع والثمار ، بعد جدب الأرض ويبسها ؟ ليقولون : الله فاعل ذلك

[قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون] أي قل يا محمد : حمدا لله على ظهور الحجة ، بل أكثرهم لا يعقلون ! ! حيث يقرون بأن الله هو الخالق الرازق ثم يعبدون غيره ا !

[وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب] أي وما الحياة في هذه الدنيا إلا غرور ، ينقضي سريعا ويزول ، كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون

[وأن الدار الأخرة لهي الحيوان] أي وأن الآخرة لهى دار الحياة الحقيقية ، التي لا موت فيها ولا تنغيص

[لو كانوا يعلمون] أي لو كان عندهم علم ، لم يؤثروا دار الفناء على دار البقاء ، لأن الدنيا حقيرة ، لا تزن عند الله جناح بعوضة) ، ولقد أحسن من قال : تأمل في الوجود بعين فكر ترى الدنيا الدنية كالخيال ومن فيها جميعا سوف يفنى ويبقى وجه ربك ذو الجلال

[فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين] إقامة حجة ثالثة على المشركين ، في دعائهم الله عند الشدائد ، ثم يشركون به في حال الرخاء ، والمعنى : إذا ركبوا في السفن ، وخافوا الغرق ، دعوا الله مخلصين له الدعاء ، لعلمهم أنه لا يكشف الشدائد عنهم إلأ الله ، وفي لفظ [مخلصين] ضرب من التهكم

[فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون] أي فلما خلصهم من أهوال البحر ، ونجحهم إلى جانب البر ، إذا هم يعودون إلى كفرهم وإشراكهم ، ناسين ربهم الذي أنقذهم من الشدائد والأهوال

[ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون] أمر على وجه التهديد ، أي فليكفروا بما أعطيناهم من نعمة الإنجاء من البحر ، وليتمتعوا في هذه الحياة الدنيا بباقي أعمارهم ، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم

". (١)

---

(١) صفوة التفاسير ـ للصابوني ٢/٣٤٣

٦٠٩-"[إليه يرد علم الساعة] أي إليه تعالى وحده علم وقت الساعة لا يعلمه غيره قال الإمام الفخر : أي لا يعلم وقت الساعة بعينه إلا الله ، ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما هدد الكفار بقوله [من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها] ومعناه أن جزاء كل أحد يصل إليه في يوم القيامة ، فكأن سائلا قال : ومتى يكون ذلك اليوم ؟ فبين تعالى أن معرفة ذلك اليوم لا يعلمه إلا الله

[وما تخرج من ثمرات من أكمامها] أي وما تخرج ثمرة من الثمرات من غلافها ووعائها

[وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه] أي ولا تحمل أنثى جنينا في بطنها ولا تلده إلا ملتبسا بعلمه تعالى ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء

[ويوم يناديهم أين شركائي] ؟ أي ويوم القيامة ينادي الله المشركين أي شركائى الذين زعمتم أنهم آلهة ؟ وفيه تقريع وتهكم بهم

[قالوا آذناك ما منا من شهيد] أي قال المشركون : أعلمناك وأخبرناك الآن بالحقيقة ، ما منا من يشهد اليوم بأن لك شريكا قال المفسرون : لما عاينوا القيامة تبرءوا من الأصنام ، وتبرأت الأصنام منهم ، وأعلنوا إيمانهم وتوحيدهم في وقت لا ينفع فيه إيمان

[وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل] أي وغاب عنهم ما كانوا يعبدونه في الدنيا ، من الآلهة المزعومة

[وظنوا ما لهم من محيص] أي وأيقنوا أنه لا مهرب ولا مخلص لهم من عذاب الله

[لا يسأم الإنسان من دعاء الخير] أي لا يمل الإنسان من سؤاله ودعائه بالخير لنفسه ، كالمال والصحة والعز والسلطان

[وإن مسه الشر فيئوس قنوط] أي وإن أصابه فقر أو مرض فهو عظيم اليأس ، قانط من روح الله ورحمته

[ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته] أي ولئن أعطيناه غنى وصحة ، من بعد شدة وبلاء

[ليقولن هذا لي] أي ليقولن هذا بسعيي وإجتهادي قال أبو حيان : سمى النعمة رحمة إذ هي من آثار رحمة الله

[وما أظن الساعة قائمة] أي وما أعتقد أن القيامة ستكون

[ولئن رجعت إلى ربى إن لي عنده للحسنى] أي وعلى فرض أن القيامة حاصلة ، فليحسنن إليي ربي كما أحسن إلى في هذه الدنيا قال ابن كثير : يتمنى على الله عز وجل مع إساءته العمل وعدم اليقين

[فلننبئن الذين كفروا بما عملوا] أي فوالله لنعلمن هؤلاء الكافرين بحقيقة أعمالهم ، ولنبصرنهم بإجرامهم

[ولنذيقنهم من عذاب غليظ] أي ولنعذبنهم أشد العذاب ، وهو الخلود في نار جهنم

[وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونئا بجانبه] أي وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض عن شكر ربه ، وإستكبر عن الإنقياد لأوامره ، وشمخ بأنفه تكبرا وترفعا

[وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض] أي وإذا أصابه المكروه فهو ذو دعاء كثير ، يديم التضرع ويكثر من الإبتهال ، وهكذا طبيعة الإنسان الجحود والنكران ، يعرف ربه في البلاء ، وينساه في الرخاء قال الرازي : استعير العرض لكثرة الدعاء ، كما استعير الغلظ لشدة العذاب

[قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به] أي قل لهم يا أيها الرسول : أخبروني يا معشر المشركين ، إن كان هذا القرآن

من عند الله ، وكفرتم به ، من غير تأمل ولا نظر ، كيف يكون حالكم ؟

[من أضل ممن هو في شقاق بعيد] الإستفهام إنكاري بمعنى النفي أي لا أحد أضل منكم لفرط شقاقكم وعداوتكم ، قال ابو السعود : وضع الموصول " من أضل " موضع الضمير " منكم " شرحا لحالهم ، وتعليلا لمزيد ضلالهم

[سنريهم آياتنا] أي سنظهر لهؤلاء المشركين دلالاتنا وحججنا الواضحة القاطعة ، على أن القرآن حق منزل من عند الرحمن

[في الآفاق] أى في أقطار السموات والأرض ، من الشمس والقمر والنجوم ، والأشجار والنبات ، وغير ذلك **من العجائب** العلوية والسفلية

". (١)

٦١٠-"[وفي الأرض آيات للموقنين] أي وفي الأرض دلائل واضحة على قدرة الله سبحانه ووحدانيته ، للموقنين بالله وعظمته ، الذين يعرفونه بصنعه ، قال ابن كثير : أي وفي الأرض من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة ، مما فيها من صنوف النباتات والحيوانات ، والجبال والقفار ، والبحار ، والأنهار ، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم ، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم ، والسعادة والشقاوة ، وما في تركيبهم من الخلق البديع آيات باهرة ، دالة على وحدانية الله ، وعظمته وجلاله ، لمن أيقن بوجوده ، ولهذا قال بعده

[وفي أنفسكم أفلا تبصرون] أي وفي أنفسكم آيات وعبر ، من مبدأ خلقكم إلى منتهاه ، أفلا تبصرون قدرة الله في خلقكم ؟ لتعرفوا قدرته على البعث ؟ قال ابن عباس : يريد اختلاف الصور ، والألسنة ، والألوان ، والطبائع والسمع ، والبصر ، والعقل إلى غير ذلك **من العجائب** المودعة في ابن آدم ، وقال قتادة : من تفكر في خلق نفسه ، عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة

[وفي السماء رزقكم وما توعدون] أي وفي السماء أسباب رزقكم ومعاشكم ؟ وهو المطر الذي به حياة البلاد والعباد ، وما توعدون به من الثواب والعقاب ، مكتوب كذلك في السماء ، قال الصاوي : والآية قصد بها الإمتنان والوعد والوعيد

[فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون] أي أقسم برب السماء والأرض ، إن ما توعدون به من الرزق والبعث والنشور ، لحق كائن لا محالة ، مثل نطقكم ، فكما لا تشكون في نطقكم حين تنطقون ، فكذلك يجب ألا تشكوا في الرزق والبعث ، قال المفسرون : وهذا على سبيل التشبيه والتمثيل أي رزقكم مقسوم في السماء كنطقكم ، فلا تشكوا في ذلك ، وهذا كقول القائل : هذا حق كما أنك أمامي ، وهذا حق كما أنك ترى وتسمع ، فالرزق مثل النطق ، لا يفارق الشخص في حال من الأحوال ، وفي الحديث : (لو أن أحدكم فر من رزقه ، لتبعه كما يتبعه أجله) . . ثم ذكر تعالى قصة ضيف إبراهيم ، تسلية لقلب النبي الكريم فقال :

[هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين] ؟ الاستفهام للتشويق ولتفخيم شأن تلك القصة ، كما يقول القائل : هل

---

(١) صفوة التفاسير ـ للصابوني ٣/١٦٩

بلغك الخبر الفلاني ؟ يريد تشويقه إلى استماعه ، والمعنى : هل وصل إلى سمعك يا محمد ، خبر ضيوف إبراهيم المعظمين ؟ قال ابن عباس : يريد جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام ، سموا مكرمين لكرامتهم عند الله عز وجل
[إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما] أي حين دخلوا على إبراهيم ، فقالوا : نسلم عليك سلاما
[قال سلام قوم منكرون] اي قال عليكم السلام ، أنتم قوم غرباء لا نعرفكم فمن أنتم ؟ قال ابن كثير : وإنما أنكرهم لأنهم قدموا عليه في صورة شبان حسان ، عليهم مهابة عظيمة ، ولهذا أنكرهم وقال أبو حيان : والذي يناسب حال إبراهيم عليه السلام أنه لا يخاطبهم بذلك ، إذ فيه من عدم الأنس ما لا يخفى ، وإنما قال ذلك في نفسه ، أو لمن كان معه من أتباعه وغلمانه ، بحيث لا يسمع ذلك الأضياف
[فراغ الى أهله] أي فمضى إلى أهله ، في سرعة وخفية عن ضيفه ، لأن من أدب المضيف أن يبادر باحضار الضيافة ، من غير أن يشعر به الضيف ، حذرا من أن يمنعه الضيف ، أو يثقل عليه في التأخير ، قال ابن قتيبة : عدل إليهم في خفية ، ولا يكون الزواغ إلا أن تخفي ذهابك ومجيئك
[فجاء بعجل سمين] أي فجاءهم بعجل سمين مشوي ، والعجل ولد البقرة وكان عامة ماله البقر ، واختاره لهم سمينا ، زيادة في إكرامهم
". (١)

٦١١-"[أفتمارونه على ما يرى] ؟ أي أفتجادلونه يا معشر المشركين على ما رأى ليلة الإسراء والمعراج ؟ قال في البحر : كانت قريش حين أخبرهم (ص) بأمره فى الإسراء ، كذبوا واستخفوا حتى وصف لهم (ص) بيت المقدس ، والجمهور على أن المرئى مرتين هو (جبريل) وعن ابن عباس وعكرمة أن الرسول (ص) رأى ربه بعيني رأسه ، وأنكرت ذلك عائشة ، وقالت : إنه رأى جبريل في صورته مرتين ، ثم قال أبو حيان : والصحيح أن جميع ما في هذه الآيات هو مع جبريل ، بدليل قوله تعالى : [ولقد رآه نزلة أخرى] فأنه يقتضي مرة متقدمة ((اقول : ما ذكره صاحب البحر قوى من حيث الدلالة ، ومذهب أهل السنة أن النبي (ص) رأى ربه ليلة المعراج في السموات العلى رؤية بصرية ، ولهم أدلة من السنة النبوية ، أما الآيات الكريمة فالراجح ما قاله الجمهور ، والله أعلم)).
[ولقد رآه نزلة أخرى] أي رأى الرسول جبريل فى صورته الملكية مرة أخرى
[عند سدرة المنتهى] آي عند سدرة المنتهى التي هي في السماء السابعة قرب العرش ، قال المفسرون : والسدرة : شجرة النبق تنبع من أصلها الأنهار ، وهي عن يمين العرش ، وسميت سدرة المنتهى ، لأنه ينتهى إليها علم الخلائق وجميع الملائكة ، ولا يعلم أحد ما وراءها إلا الله جل وعلا ، وفي الحديث : (ثم صعد بي إلى السماء السابعة ، ورفعت إلى سدرة المنتهى ، فإذا نبقها - أي ثمرها - مثل قلال هجر ، وإذا أوراقها كآذان الفيلة ..)
[عندها جنة المأوى] أي عند سدرة المنتهى الجنة التي تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين

---

(١) صفوة التفاسير ـ للصابونى ٣/٢٥٧

[إذ يغشى السدرة ما يغشى] أي رآه وقت ما غطى السدرة ما غطاها من العجائب ، قال الحسن : غشيها نور رب العالمين فاستنارت ، وقال ابن مسعود : غشيها فراش من ذهب وفي الحديث : (لما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها)قال المفسرون : رأى (ص)شجرة سدرة المنتهى وقد غشيتها سبحات أنوار آلله عز وجل ، حتى ما يستطيع أحد أن ينظر إليها ، وغشيتها الملائكة أمثال الطيور ، يعبدون الله عندها ، يجتمعون حولها مسبحين وزائرين ، كما يزور الناس الكعبة ، وفي الحديث : (رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ، ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى)

[ما زاغ البصر] أي ما مال بصر النبي (ص) في ذلك المقام ، وفي تلك الحضرة يمينا ولا شمالا

[وما طغى] أي وما جاوز الحد الذي رأى ، قال القرطبي ؟ أي لم يمد بصره إلى غير ما رأى من الآيات ، وهذا وصف أدب النبي (ص) في ذلك المقام ، إذ لم يلتفت يمينا ولا شمالا وقال الخازن : لما تجلى رب العزة وظهر نوره ، ثبت (ص) في ذلك المقام العظيم ، الذي تحار فيه العقول ، وتزل فيه الأقدام ، وتميل فيه الأبصار

[لقد رأى من آيات ربه الكبرى] أي والله لقد رأى محمد - ليلة المعراج - عجائب ملكوت الله ، رأى (سدرة المنتهى ، والبيت المعمور ، والجنة والنار ، ورأى جبريل في صورته التي يكون عليها في السموات له ستمائة جناح ، ورأى رفرفا أخضر من الجنة قد سد الأفق ، وغير ذلك من الآيات العظام ((رؤيته (ص) للرفرف الأخضر الذي سد الأفق أخرجها البخاري عن ابن مسعود)) ، قال الفخر : وفى الآية دليل على أن النبي (ص) رأى ليلة المعراج آيات الله ، ولم ير الله تعالى كما قال البعض ، ووجهه أن الله ختم قصة المعراج برؤية الآيات ، وقال في الإسراء : [لنريه من آياتنا] ولو كان رأى ربه ، لكان ذلك أعظم ما يمكن ، ولأخبر تعالى به

". (١)

٦١٢-"[لسعيها راضية] أي لعملها الذي عملته في الدنيا وطاعتها لله راضية مطمئنة ، لأن هذا العسل أورثها الفردوس دار المتقين

[في جنة عالية] أي في حدائق وبساتين مرتفعة مكانا وقدرا ، وهم في الغرفات آمنون

[لا تسمع فيها لاغية] أي لا تسمع في الجنة شتما ، أو سبا ، أو فحشا قال ابن عباس : لا تسمع أذى ولا باطلا

[فيها عين جارية] أي فيها عيون تجري بالماء السلسبيل لا تنقطع أبدا قال الزمخشري : التنوين في [عين] للتكثير أي عيون كثيرة تجري مياهها

[فيها سرر مرفوعة] أي في الجنة أسرة مرتفعة ، مكللة بالزبرجد والياقوت ، عليها الحور العين ، فإذا أراد ولي الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له

[وأكواب موضوعة] أي وأقداح موضوعة على حافات العيون ، معدة لشرابهم لا تحتاج إلى من يملأها

---

(١) صفوة التفاسير ـ للصابوني ٣/٢٧٢

[ونمارق مصفوفة] أي ووسائد . مخدات . قد صف بعضها إلى جانب بعض ليستندوا عليها

[وزرابي مبثوثة] أي وفيها طنافس فاخرة لها خمل رقيق مبسوطة في أنحاء الجنة.. ثم ذكر تعالى الدلائل والبراهين الدالة على قدرته ووحدانيته فقال

[أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت] أي أفلا ينظر هؤلاء الناس نظر تكفر واعتبار ، إلى الإبل . الجمال . كيف خلقها الله خلقا عجيبا بديعا يدل على قدرة خالقها ؟! قال في التسهيل : في الآية حض على النظر في خلقتها ، لما فيها **من العجائب** في قوتها ، وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف ، وصبرها على العطش ، وكثرة المنافع التي فيها ، من الركوب والحمل عليها ، وأكل لحومها ، وشرب ألبانها وغير ذلك ((وانما خص تعالى الإبل بالذكر ، لأنها أفضل دواب العرب ، وأكثرها نفعا ولهذا تسمى " سفينة الصحراء " فانظر إلى خلقها العجيب ، فإنها فى غاية القوة والشدة ، وهي مع ذلك تنقاد مع الطفل الضعيف ، وهي تجلس لتضع عليها حمولتها عن قرب ، ثم تقوم بما تحمله بما ينوء عنه العصبة أولو القوة ، ثم صبرها على الجوع والعطش الأيام المعدودة ، ثم بلوغها المسافات الطويلة ، ورعيها بكل نبات في البراري ، وغير ذلك من عجائب الخلق والتكوين ، فسبحان الحكيم العليم !)).

[وإلى السمآء كيف رفعت] أي وإلى السماء البديعة المحكمة ، كيف رفع الله بناءها ، وأعلى سمكها بلا عمد ولا دعائم ؟

[وإلى الجبال كيف نصبت] أي إلى الجبال الشاهقة كيف نصبت على الأرض نصبا ثابتا راسخا لا يتزلزل ؟! ". (١)

٦١٣-"" صفحة رقم ٢٠٥ "

صورته) أي على صفته فأعطاه على ضعفه من كل صفة من صفات جماله وجلاله أنموذجا ليشاهد في مرآة نفسه جمال صفات ربه .

ومن العجائب أن خرطومه في غاية الصغر ، ومع ذلك مجوف .

ومع فرط صغره وكونه مجوفا يغوص في جلد الجاموس والفيل على ثخانته كما يضرب الرجل أصبعه في الخبيص ، وذلك لما ركب الله تعالى في رأس خرطومه من السم .

وقوله (فما فوقها (أي فالذي هو أعظم منها في الجثة كالذباب والعنكبوت والحمار والكلب ، فإن القوم أنكروا تمثيل الله بكل هذه الأشياء ، أو أراد فما فوقها في الصغر كجناح البعوضة حيث ضربه (صلى الله عليه وسلم) مثلا للدنيا ، وهذا أولى لأن الآية نزلت في بيان أن الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الحقير ، فيجب أن يكون المذكور ثانيا أحقر من الأول .

والفاء ههنا تفيد الترتيب في الذكر لأنه يذكر في هذا المقام الأخس فالأخس كقوله :

---

(١) صفوة التفاسير . للصابوني ٤٨٣/٣

(يا دار مية بالعلياء فالسند (لأنه يذكر في تعريف الأمكنة الأخص بعد الأعم ، فكأن العلياء موضع وسيع يشتمل على مواضيع منها السند .

) وأما (حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء ، وفائدته التوكيد .

تقول : زيد ذاهب .

فإذا قصدت التوكيد وأن الذهاب منه عزيمة قلت : أما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره .

(مهما يكن من شيء فزيد ذاهب) وليس مراده من هذا التفسير أن (أما) بمعنى (مهما) (كيف) - وهذه حرف ومهما اسم - بل قصده غلى المعنى البحث أي أن يكن في الدنيا شيء يوجد ذهاب زيد فهذا ، جزم بوقوع ذهابه لأنك جعلت حصول ذهابه لازما لحصول أي شيء في الدنيا ، وما دامت الدنيا باقية فلا بد من حصول شيء فيها .

ففي إيراد الجملتين مصدرتين به وإن لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون إحماد عظيم لأمر المؤمنين واعتداد بعلمهم أنه الحق ، ونعي على الكافرين ورميهم بالكلمة الحمقاء .

والحق الثابت الذي لا يسوغ إنكاره وحق الأمر ثبت ووجب .

والضمير في) أنه الحق (للمثل ، أو ل) أن يضرب (و) ماذا (فيه وجهان : أن يكون (ذا) اسما موصولا بمعنى الذي ، فيكون كلمتين : (ما) مبتدأ وخبره (ذا) مع صلته ، وأن تكون (ذا) مركبة مع (ما) مجعولتين اسما واحدا ، فيكون منصوب المحل في حكم (ما) وحده لو قلت : ما أراد الله ، وجوابه على الأول مرفوع وعلى الثاني منصوب .

وقد يجيء على العكس". [١]

٦١٤-"" صفحة رقم ٢٤٦ "

الله وجلاله .

ورد بأن هذا يفيد قوتهم وبطشهم فقط كما يقال : إن السلطان لما جلس وقف حول سريره ملوك الأطراف .

وهذا لا يدل على أنهم أكرم عند السلطان من ولده .

الخامسة عشرة : (والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) [البقرة : ٢٨٥] والتقديم في الذكر يدل على التقديم في الدرجة ولهذا لما قال الشاعر :

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

قال عمر بن الخطاب : لو قدمت الإسلام لأجزتك .

ولما كتبوا كتاب الصلح بين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمشركين ، وقع التنازع في تقديم الاسم ، وكذا في كتاب الصلح بين علي ومعاوية .

ومنع من أن الواو لا تفيد الترتيب ، وعورض بتقديم) تبت (على (الإخلاص) .

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٠٥/١

السادسة عشرة : (إن الله وملائكته يصلون على النبي) [الأحزاب : ٥٦] جعل صلوات الملائكة كالتشريف للنبي (صلى الله عليه وسلم) وعورض بقوله) يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) [الأحزاب : ٥٦] ولا تشريف بل تتشرف الأمة بذلك .

السابعة عشرة : إن جبرائيل أفضل من محمد (صلى الله عليه وسلم) لأن الله تعالى وصفه بست من صفات الكمال) إنه لقول رسول كريم .

ذي قوة عند ذي العرش مكين .

مطاع ثم أمين) [التكوير : ١٩ - ٢١] ثم وصف محمدا (صلى الله عليه وسلم) بقوله) وما صاحبكم بمجنون) [التكوير : ٢٢] وشتان بين الوصفين .

ورد بأنه وإن وصفه ههنا بهذا القدر لاقتضاء المقام ذلك فقط ، فقد وصفه في مواضع أخر بما يليق به) يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا) [الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦] .

الثامنة عشرة : إن جبريل كان معلما للنبي (صلى الله عليه وسلم) ولغيره من الأنبياء ، لا في العلوم التي لا يتوصل إليها إلا بالعقل .

كالعلم بذات الله تعالى ، بل في العلم بكيفية مخلوقاته وما فيها من العجائب ، والعلم بأحوال العرش والكرسي والجنة والنار وأطباق السموات وأصناف الموجودات وأحوال الأمم الخالية والقرون الماضية ، والمعلم أفضل) قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) [الزمر : ٩] ومنع من كون الملائكة أعلم بدليل قصة آدم ، ولأن تعليم جبريل كان بالحقيقة تعليم الله تعالى ولم يكن جبريل إلا واسطة ، ولئن سلم مزيد علمهم منع كثرة ثوابهم .

التاسعة عشرة : (ومن يقل منهم إني له من دونه فذلك نجزيه جهنم) [الأنبياء : ٢٩]". (١)

٦١٥-"" صفحة رقم ٤٦٠ "

الرعد والبرق والسحمة والتطبيق إلى غير ذلك من العجائب دلالات واضحة على كمال حكمة موجده ومقدره .

وأما قوله تعالى) الآيات (فيحتمل أن يكون راجعا إلى الكل أي مجموع هذه الأشياء الثمانية آيات ، ويحتمل أن يكون راجعا إلى كل واحد فإن كل واحد منها يدل على مدلولات كثيرة كما فصلنا .

وأيضا فكل واحدة منها من حيث إنها موجودة فدل على وجود موجدها ، وكونه قادرا ومن حيث إنها وقعت على وجه الإحكام والإتقان تدل على علم الصانع ، ومن حيث حدوثها واختصاصها بوقت دون وقت تدل على إرادته واختياره ، ومن حيث إنها وجدت على الاتساق والانتظام دلت على وحدانية الله تعالى) لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) [الأنبياء : ٢٢] .

وأما قوله تعالى) لقوم يعقلون (فإنما خص الآيات بهم لأنهم الذين يتمكنون من النظر فيه والاستدلال به .

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٤٦/١

وفي الآية من الفوائد أن التقليد مذموم فيما إلى تحقيقه سبيل .
وفيها أن جميع المعارف ليست ضرورية وإلا لم يحتج إلى النظر في شيء منها ، وإنما خص الآيات الثمانية بالذكر مع أن سائر الأجسام والأعراض مستوية في الاستدلال بها على وجود الصانع بل كل ذرة من الذرات ، لأنها جامعة بين كونها نعما على المكلفين ، ومتى كانت الدلائل كذلك كانت أنجع في القلوب وأشد تأثيرا في الخواطر .
عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها) أي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها حبي الله ونعم الوكيل .
(البقرة : (١٦٥ - ١٦٧) ومن الناس من . . . .
" ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار "

(القرآت)
ولو ترى (بتاء الخطاب : نافع وابن عامر وسهل ويعقوب .
الباقون : بالياء) إذ يرون (بضم الياء من الإراءة : ابن عامر) إن القوة ( ) وإن الله (بكسر الألف فيهما : يزيد وسهل ويعقوب) إذ تبرأ (بإدغام الذال في التاء وكذا ما أشبهه : هشام وسهل وأبو عمرو وحمزة وعلي وخلف .
) يريهم الله (بكسر الهاء والميم : أبو عمرو وسهل .
وقرأ حمزة وعلي وخلف ويعقوب بضم الهاء والميم .
والباقون بكسر الهاء وضم الميم) بخارجين (بالإمالة : عباس وقتيبة لجوار من النار .
الوقوف : (كحب الله (ط) حبا لله (ط) العذاب (لا وكذلك) وجميعا (لا من قرأ (أن) بالكسر فيهما) شديد العذاب (٥) الأسباب (٥) تبرؤا منا (ط) عليهم (ط) ومن النار (٥ .". [١]

٦١٦-"" صفحة رقم ٥٠٠ "
والأكثرون على أنه اسم علم للشهر كرجب وشعبان ومنع الصرف للعلمية والألف والنون .
ثم اختلف في اشتقاقه فعن الخليل : أنه من الرمض بتسكين الميم وهو مطر يأتي وقت الخريف ويطهر وجه الأرض عن الغبار ، سمي الشهر بذلك لأنه يطهر الأبدان عن أوضار الأوزار .
وقيل : من الرمض بمعنى شدة الحر من وقع الشمس والأرض رمضاء .
وفي الكشاف : الرمضان مصدر رمض غذا احترق من الرمضاء ، سمي بذلك إما لارتماضهم فيه من حر الجوع كما سموه

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١/٤٦٠

ناتقا لأنه كان ينتقهم أي يزعجهم لشدته عليهم ، أو لأن الذنوب ترمض فيه أي تحترق .

وروي عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال) إنما سمي رمضان لأنه يرمض ذنوب عباده (وكأن هذا من قولهم (رمضت النصل) جعلته بين حجرين أملسين ثم دققته ليرق .

وعن الأزهري : أنهم كانوا يرمضون أسلحتهم فيه ليقضوا منها أوطارهم في شوال قبل دخول الأشهر الحرم .

وقيل : إنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فسمي بذلك .

وشهر رمضان يجمع على رمضانات وأرمضاء ، وإضافة الشهر إليه إضافة العام إلى الخاص ، ولو لم يتلفظ بالشهر جاز كقوله (صلى الله عليه وسلم)) من صام رمضان إيمانا (الحديث .

لأن التسمية وقعت برمضان فقط .

وارتفاعه على أنه مبتدأ خبره) الذي أنزل فيه القرآن (أو على أنه بدل من الصيام في قوله) كتب عليكم الصيام (أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هي أي الأيام المعدودات شهر رمضان .

وعلى هذين الوجهين يكون الموصول مع صلته صفة لشهر رمضان .

قال أبو علي : وهذا أولى ليكون أيضا في الأمر بصوم الشهر وإلا كان خبرا عن إنزال القرآن فيه .

وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان أو على الإبدال من) أياما (أو على مفعول) وأن تصوموا (وفي هذا الوجه نظر من قبل الفصل بين) أن تصوموا (ومعموله بالخبر .

وفائدة وصف الشهر بإنزال القرآن فيه التنبيه على علة تخصيصه بالصوم فيه .

وذلك أنه لما خص بأعظم آيات الربوبية ناسب أن يخص بأشق سمات العبودية فبقدر هضم النفس يترقى العبد في مدارج الأنس ويصل إلى معارج القدس وتنخرق له الحجب الناسوتية ويطلع على الحكم اللاهوتية ويفهم معاني القرآن ويتبدل له العلم بالعيان وكان حينئذ **من العجائب** ما كان .

وفي إنزال القرآن في رمضان أقوال .

فعن سفيان بن عيينة أنزل في فضله القرآن كما تقول أنزل في علي عليه السلام كذا .

وقال ابن الأنباري : أنزل في إيجاب صومه على الخلق القرآن كما تقول : أنزل الله في الزكاة كذا أي في إيجابها ، وأنزل". (١)

٦١٧-"" صفحة رقم ٩٠ "

بذاته يوجب العلم بجميع آثاره على ترتيبها المعتبر - كليات كانت أو جزيئات - وعلمه بذاته لم يحصل إلا لذاته فصح ان يقال : وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو .

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١/٥٠٠

وفيه أنه لا ضد له ولا ند إذ لو كان في الوجود واجب آخر لكانت مفاتح الغيب حاصلة أيضا عنده فيبطل هذا الحصر ، ولا يمكن أن تكون هذه المفاتح عند شيء من الممكنات لأن المحاط لا يحيط بمحيطه فلا يحيط ما دون الواجب بالواجب ، فلا يكون المفتاح الأولا للعلم بجميع المعلومات إلا عنده .

ثم إن قوله) وعنده مفاتح الغيب (قضية معقولة مجردة ، والإنسان الذي يقوي على الإحاطة بمعنى هذه القضية نادر جدا والقرآن إنما نزل لينتفع به جميع الناس فذكر من الأمور المحسوسة الداخلة تحت تلك القضية الكلية أمثالا لها ليعين الحس العقل فقال) ويعلم ما في البر والبحر (لأن ذكر هذا المحسوس يكشف عن حقيقة عظيمة لذلك المعقول ، وقدم ذكر البر لأن الإنسان قد شاهد أحوال البر وكثرة ما فيه من المدن والقرى والجبال والتلال والمعادن والنبات والحيوان ، وأما البحر فإحاطة الحس بأحواله أقل مع كثرة ما فيها **من العجائب** والغرائب أيضا .

ثم أفرد من هذه المحسوسات قسما فقال) وما تسقط من ورقة إلا يعلمها (أي لا يتغير حال ورقة إلا والحق يعلمها .

ثم عدل عن التعجيب من كثرة المدركات إلى التعجيب من صغر المدرك وخفائه فقال) ولا حبة في ظلمات الأرض (وفي تخصيص الحبة والورقة تنبيه للمكلفين على أمر الحساب لأنه إذا كان بحيث لا يهمل أمر الأشياء التي ليس لها ثواب ولا عقاب فلأن لا يهمل أمر المكلفين أولى .

ثم عاد إلى ذكر القضية الكلية المجردة بعبارة أخرى فقال) ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين (قال في الكشاف : ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كأنه قيل : وما يسقط شيء من هذه الأشياء إلا وهو يعلمه .

وقوله) إلا في كتاب مبين (كالتكرير لقوله) إلا يعلمها (ومعنى) إلا في كتاب مبين (واحد .

والكتاب المبين علم الله أو اللوح .

قال علماء التفسر : يجوزأن يكون الله جل شأنه أثبت كيفية المعلومات في كتاب من قبل أن يخلق الخلق لتقف الملائكة على نفاذ علمه في المعلومات وأنه لا يغيب عنه شيء ، فيكون في ذلك عبرة كاملة للملائكة الموكلين باللوح المحفوظ لأنهم يقابلون به ما يحدث في العالم فيجدونه موافقا له .

أو لأنه إذا كتب أحوال جميع الموجودات في ذلك الكتاب على التفصيل التام امتنع تغيرها وإلا لزم الكذب أو الجهل فتصير كتبه جملة الأحوال في ذلك الكتاب سببا تاما في أنه يمتنع تقدم ما تأخر وتأخر ما تقدم .

ثم لما بين كما علمه أردفه ببيان كمال قدرته بقوله) وهو الذين يتوفاكم (أي يتوفى أنفسكم التي بها تقدرون على الإدراك والتمييز .

وذلك أن الأرواح الجسمانية تغور حالة النوم من الظاهر إلى الباطن". (١)

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٩٠/٣

٦١٨-"" صفحة رقم ١٠٤ "

أبيه على الكفر كما قال) فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) [التوبة : ١١٤] لا لأجل السفه والجفاء لقوله) إن إبراهيم لحليم أواه منيب) [هود : ٧٥] ثم إن إبراهيم احتج على فساد اعتقاد عبدة الأصنام بقوله منكرا على آزر وقومه) أتتخذ أصناما آلهة (أي معبودين .

وذلك أن الأصنام لو كان لها قدرة على الخير والشر لكان الصنم الواحد كافيا فلما لم يكن الواحد وعلى أن وجوب الاشتغال بشكره معلوم بالعقل لا بالسمع لأن إبراهيم حكم عليهم بالضلال من حيث النظر والاستدلال ، وأجيب بأنه لعله عرف ضلالهم بحكم شرع الأنبياء المتقدمين عليه) وكذلك (أي مثل ما أريناه من قبح عبادة الأصنام والاشتغال بغير الله) نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض (والنكتة فيه أن التخلي عن غير الله يوجب رفع الحجاب وبقدر ذلك يكون حصول التجلي والتحلي بالله وإنما لم يقل (أريناه) بلفظ الماضي لأنه أراد الحكاية كأنه قيل : كيف بلغ إبراهيم هذا المبلغ في قوة الدين والذب عنه ؟ فأجيب أنا كنا نريه الملكوت وقت طفوليته لأجل أن يصير من الموقنين زمان بلوغه ، أو المقصود بيان ارتفاعه في معارج الكمال وازدياده في ذلك على سبيل الدوام والاستمرار فإن مخلوقاته تعالى وإن كانت متناهية في الذات وفي الصفات إلا أن جهات دلالاتها على ذاته وصفاته سبحانه غير متناهية كما قال إمام الحرمين : معلومات الله غير متناهية ، ومعلوماته في تلك المعلومات أيضا غير متناهية .

فإن الجوهر الفرد يمكن وقوعه في أحياز لا نهاية لها على البدل ، ويمكن اتصافه بصفات لا نهاية لها على البدل ، فكل تلك الأحوال التقديرية معلومة لله تعالى ، وكل تلك الأحوال دالة على حكمة الله تعالى وعظمة قدرته ، وإذا كان الجوهر الفرد كذلك فكيف كل الملكوت ولهذا قيل : السفر إلى الله تعالى له نهاية ، فأما السفر في الله سبحانه فإنه بلا نهاية .

والملكوت هو الملك والتاء للمبالغة كالرغبوت من الرغبة والرهبوت من الرهبة .

قال بعضهم : إنه سبحانه أراه الملكوت بالعين .

قالوا : شق له تحت الثرى فرأى ما فيها من البدائع والعجائب .

عن ابن عباس أنه قال : لما أري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وأري ما فيها وما في الأرض **من العجائب** رأى عبدا على فاحشة فدعا عليه وعلى آخر بالهلاك ، فقال الله تعالى له : كف عن عبادي فهم بين خلال ثلاث : إما أن أجعل منهم ذرية طيبة ، أو يتوبون فأغفر لهم ، أو النار من ورائهم .

وقال الأكثرون : إن هذه الإراءة كانت بعين البصيرة ، لأن ملك السموات والأرض لا يرى وإنما يعرف بالعقل ولو أريد نفس السموات والأرض صار لفظ الملكوت ضائعا .

وأيضا قوله) فلما جن عليه الليل (جار مجرى الشرع والتفسير لتلك الإراءة فثبت أنه استدل بتغير الأجرام وإمكانها". [١]

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٠٤/٣

٦١٩-"" صفحة رقم ٣٢٥ "

بحديث الإسراء به وأنه أسري به من مكة إلى بيت المقدس ومنه عرج إلى السماء ورأى ما فيها **من العجائب** ولقي الأنبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى ، فقال أبو جهل : يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم ، فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وإنكارا ، وارتد ناس ممن كان آمن به. وسعى رجال إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال : إن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا : أتصدقه على ذلك ؟ قال : إني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي الصديق. وكان فيهم من سافر إلى الشام فاستنعتوه المسجد فجلى له (صلى الله عليه وسلم) بيت المقدس فطفق ينظر إليه وينعته لهم فقالوا : أما النعت فقد أصاب. فقالوا : أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالهم وأحوالها وقال : تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق ، فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم. هذه والله الشمس قد شرقت ، وقال آخر : وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ثم لم يؤمنوا وقالوا : ما هذا إلا سحر مبين. ولما حكى طرفا من إكرام محمد (صلى الله عليه وسلم) ذكر شيئا من إكرام موسى فقال : (وآتينا موسى الكتاب (أي التوراة) وجعلناه هدى لبني إسرائيل (أخرجناهم بواسطته من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والدين) ألا تتخذوا (من قرأ على الغيبة ف (أن) ناصبة ولام العاقبة محذوفة أي لئلا يتخذوا ، ومن قرأ على الخطاب ف (أن) مفسرة معناها أي لا تتخذوا كقولك : كتبت إليه أن افعل كذا ، وزائدة والقول مضمرة يعني قلنا لهم لا تتخذوا) من دوني وكيلا (ربا تكلون إليه أمركم يا) ذرية من حملنا مع نوح (قال قتادة : الناس كلهم ذرية نوح عليه السلام لأنه كان معه في السفينة ثلاثة بنين : سام وحام ويافث ، والناس كلهم من ذرية أولئك. فقوله (يا ذرية) قائم مقام قوله : (يا أيها الناس (وعلى القراءة الأولى انتصب) ذرية (على الاختصاص ، وعلى القراءتين احتمل أن ينتصب على أنه مفعول آخر ليتخذوا أي لا تجعلوهم أربابا كقوله : (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) [آل عمران : ٨٠] من ذرية المحمولين مع نوح وعيسى وعزير. ثم علل النهي عن الإشراك بقوله : (إنه كان عبدا شكورا (أي أنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه أسوتكم كما جعله آباؤكم أسوتهم في الشكر لله وعدم اتخاذ الشريك له. ويجوز أن يكون تعليلا لاختصاص بني إسرائيل والثناء عليهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به ، فلهذا استأهلوا الاختصاص. وجوز في الكشاف أن يكون ثناء على نوح بطريقة الاستطراد. يروى شكره أنه كان إذا أكل قال : الحمد لله الذي أطعمني ولو شاء أجاعني ، وإذا شرب قال : الحمد لله الذي سقاني ولو شاء أظمأني ، وإذا اكتسى قال :". (١)

٦٢٠-"" صفحة رقم ٣٢ "

وابن كثير ويعقوب وافق أبو عمرو ويزيد والأصفهاني عن ورش وإسماعيل وأبو نشيط عن قالون في الوصل .
) مالي (بفتح الياء : أبو عمرو وأبو جعفر ونافع) أمري إلى الله (بفتح الياء : أبو جعفر ونافع وأبو عمرو) تقوم (بتاء التأنيث : الرازي عن هشام) أدخلوا (من الإدخال : أبو جعفر ونافع ويعقوب وحمزة وعلي وخلف وحفص .

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٤/٣٢٥

وعلى هذه القراءة الخطاب للزبانية .

وانتصب) آل (و) أشد (على أنهما مفعول بهما .

وعلى القراءة الأخرى هو لآل فرعون ، وانتصب) آل (على النداء لا على أنه مفعول به .

الوقوف : (مبين (٥ لا) كذاب (٥) نساءهم (ط) ضلال (٥) ربه (ج لاحتمال اللام) مؤمن (قف قد قيل : بناء على أن الجار يتعلق بالفعل بعده والوصل أصح أنه كان من القبط ، ولو فرض أنه لم يكن منهم فالجملة وصف له) من ربكم (ج لانتهاء الاستفهام إلى الابتداء بالشرط) كذبه (ج للعطف والشرط) بعدكم (ط) كذاب (٥) في الأرض (ز لابتداء الاستفهام والوجه الوصل لأن المقصود الوعظ به) جاءنا (ط) الرشاد (٥) الأحزاب (٥ لا لأن ما بعده بدل) بعدهم (ط) للعباد (٥) التناد (٥ ط لأجل البدل) مدبرين (ج لأن ما بعده يصلح حالا واستئنافا) من عاصم (ج لاحتمال كون ما بعده ابتداء إخبار من الله سبحانه وكونه من كلام المؤمن) من هاد (٥) جاءكم به (ط) رسولا (ط) مرتاب (٥ ج لاحتمال البدل فإن (من) في معنى الجمع أو الاستئناف أي هم الذين أو أعني أنهم) آمنوا (ط) جبار (٥) الأسباب (٥ لا) كاذبا (ط) السبيل (ط) تباب (٥) الرشاد (ج لأن النداء يبدأ به مع أنه تكرار للأول) متاع (ز للفصل بين تنافي الدارين مع اتفاق الجملتين) القرار (٥) مثلها (ج لعطف جملتي الشرط) حساب (٥) النار (٥ ج لانتهاء الاستفهام إلى الأخبار ولاحتمال ابتداء استفهام آخر) الغفار (٥) النار (٥) لكم (ط) إلى الله (ط) بالعباد (٥) العذاب (٥ ج لاحتمال البدل والابتداء) وعشيا (ج لاحتمال ما بعده العطف والاستئناف) الساعة (قف لحق القول المحذوف أي يقال لهم أو للزبانية) لعذاب (٥) من النار (٥) العباد (٥) من العذاب (٥) بالبينات (ط) بلى (ط) فادعوا (ج لاحتمال أن ما بعده من قول الخزنة أو ابتداء إخبار من الله تعال) ضلال (٥ .

التفسير : لما وبخ الكفار بعدم السير في الأرض للنظر والاعتبار أو بعدم النظر في أحوال الماضين مع السير في الأقطار وقد وصف الماضين بكثرة العدد والآثار الباقية ، أراد أن يصرح بقصة واحدة من قصصهم تسلية للنبي (صلى الله عليه وسلم) وزيادة توبيخ وتذكير لهم .

وكان في قصة موسى وفرعون **من العجائب** ما فيها ، فلا جرم أوردها ههنا مع فوائد زائدة على ما في". [١]

٦٢١-"(ورسولا إلى بني إسرائيل) أي ويجعله رسولا أو يكلمهم رسولا أو أرسلت رسولا إليهم في الصبا أو بعد البلوغ، وفي حديث أبي ذر الطويل " وأول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى ".

(أني قد جئتكم بآية من ربكم) يعني بعلامة على صدق قولي، ولما قال ذلك لهم قالوا وما هذه الآية قال (أني أخلق) أي أصور وأقدر (لكم) خلقا أو شيئا (من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه) أي في ذلك الخلق أو ذلك الشيء أو في الطين، قيل: إنه لم يخلق غير الخفاش لما فيه من عجائب الصنعة فإن له نابا وأسنانا وأذنا، والأنثى منه له ثدي، وتحيض وتطهر وتطير.

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٣٢/٦

قيل: إنهم طلبوا خلق الخفاش لما فيه **من العجائب** المذكورة، ولكونه". [1]

٦٢٢-"(إن في خلق السموات والأرض) هذه جملة مستأنفة لتقرير اختصاصه سبحانه بما ذكره فيها والمراد ذات السموات والأرض وصفاتهما وما فيهما **من العجائب** (واختلاف الليل والنهار) تعاقبهما بالمجيء والذهاب وكون كل واحد منهما يخلف الآخر، وكون زيادة أحدهما في نقصان الآخر وتفاوتهما طولا وقصرا وحرا وبردا وغير ذلك.
(لآيات) أي دلالات واضحة وبراهين بينة تدل على الخالق سبحانه، وقد تقدم تفسير بعض ما هنا في سورة البقرة (لأولي الألباب) أي لأهل العقول الصحيحة الخالصة عن شوائب النقص، فإن مجرد التفكر فيما قصه الله تعالى في هذه الآية يكفي العاقل ويوصله إلى الإيمان الذي لا تزلزله الشبهة ولا يدفعه التشكيك.". [2]

٦٢٣-"مباركا لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة والوحي، وإليه تحشر الخلق يوم القيامة، فقد بارك الله سبحانه حول المسجد الأقصى ببركات الدنيا والآخرة.
قال السدي: المعنى أنبتنا حوله الشجر وجعل الإسراء إليه كالتوطئة لمعراجه إلى السماء.
ثم ذكر العلة التي أسرى به لأجلها فقال (لنريه من آياتنا) أي ما أراه الله سبحانه في تلك الليلة **من العجائب** التي من جملتها قطع هذه المسافة الطويلة في جزء من الليل، ومن تبعيضية وإنما أتى بها تعظيما لآيات الله، فإن الذي رآه صلى الله عليه وسلم وإن كان جليلا عظيما فهو بعض بالنسبة إلى آيات الله تعالى وعجائب قدرته وجليل حكمته، قاله أبو شامة والرؤية هنا بصرية وقيل قلبية، وإليه نحا ابن عطية.
(إنه) سبحانه (هو السميع) بكل مسموع، ومن جملة ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (البصير) بكل مبصر، ومن جملة ذلك ذات رسوله وأفعاله، قيل في هذه الآية أربعة التفاتات، وذلك أنه التفت أولا من الغيبة في قوله الذي أسرى بعبده إلى التكلم في قوله باركنا حوله.
ثم التفت ثانيا من التكلم في باركنا إلى الغيبة في ليريه على قراءة الحسن بالياء، ثم التفت ثالثا من هذه الغيبة إلى التكلم في آياتنا، ثم التفت رابعا من هذا التكلم إلى الغيبة في قوله أنه هو على الصحيح في الضمير (إنه) لله تعالى.
وأما على قول نقله أبو البقاء أن الضمير في أنه هو للنبي صلى الله عليه وسلم فلا يجيء ذلك، ويكون في قراءة العامة التفات واحد وفي قراءة الحسن ثلاثة، وهذا موضع غريب، وأكثر ما ورد الالتفات ثلاث مرات على ما قال الزمخشري في قول امرئ القيس:

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن ٢/٢٣٩

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن ٢/٣٩٩

تطاول ليلك بالإثمد (الأبيات)". [1]

٦٢٤-"(وجعلنا الليل والنهار آيتين) وذلك لما فيهما من الإظلام والإنارة مع تعاقبهما وسائر ما اشتملا عليه من العجائب التي تحار في وصفها الأحلام، ومعنى كونهما آيتين أنهما يدلان على وجود الصانع وقدرته وعلى إنفاذ الحكم بتعاقبهما على نسق واحد مع إمكان غيره؛ وقدم الليل على النهار لكونه الأصل، وثنى الآية هاهنا وأفردها في قوله (وجعلناها وابنها آية) لتباين الليل والنهار من كل وجه ولتكررهما؛ فناسب هنا التثنية بخلاف عيسى مع أمه فإنه جزء منها ولا تكرر فيهما فناسب فيهما الإفراد، قاله الكرخي.". [2]

٦٢٥-"(وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين) أي لم نخلقهما عبثا ولا باطلا بل للتنبيه على أن لهما خالقا قادرا يجب امتثال أمره، واللعب هو محط النفي وفيه إشارة إجمالية إلى تكوين العالم؛ والمراد بما بينهما سائر المخلوقات الكائنة بين السماء والأرض على اختلاف أنواعها وتباين أجناسها، والمعنى ما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب للعب واللهو، وإنما سويناهما لفوائد منها التفكر في خلقهما وما فيهما من المنافع التي لا تعد ولا تحصى وليستدل بها على قدرة مدبرها ولنجازي المحسن والمسيء على ما تقتضيه حكمتنا، واللعب فعل يروق أوله ولا ثبات له.

ثم نزه ذاته عن سمات النقص فقال:". [3]

٦٢٦-"(ما زاغ البصر) أي ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم عما رآه، ولم يتلفت إلى ما غشى السدرة من فراش الذهب وغيره، هذا بالنظر لكون الذي غشيها هو فراش من الذهب، وبالنظر لكونه أنوار الله لم يلتفت يمنة ولا يسرة، بل اشتغل بمطالعتها، مع أن ذلك العالم غريب عن بني آدم، وفيه من العجائب ما يحير الناظر (وما طغى) أي ما جاوز ما رأى، وفي هذا وصف أدب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام، حيث لم يلتفت، ولم يمل بصره، ولم يمده إلى غير ما رأى، وقيل: ما جاوز ما أمر به.". [4]

٦٢٧-"(وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) يدل على أن هذا كان في الدنيا لا في القيامة انتهى، ولم يأت من خالف الجمهور وقال إن الانشقاق سيكون يوم القيامة إلا بمجرد استبعاد فقال: إنه لو انشق في زمن النبوة لم يبق أحد إلا رآه لأنه آية والناس في الآيات سواء، ويجاب عنه بأنه لا يلزم أن يراه كل أحد لا عقلا ولا شرعا ولا عادة، وأن هذا

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن ٣٥٠/٧

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن ٣٦١/٧

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن ٣١١/٨

(٤) فتح البيان في مقاصد القرآن ٢٥٤/١٣

الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون، والأبواب مغلقة وهم مغطون بثيابهم فقل من يتفكر في السماء أو ينظر إليها.

ومما هو مشاهد معتاد أن كسوف القمر وغيره مما يحدث في السماء، في الليل **من العجائب** والأنوار الطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا". (١)

٦٢٨-"ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا (١٥) وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا (١٦) والله أنبتكم من الأرض نباتا (١٧) ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا (١٨) والله جعل لكم الأرض بساطا (١٩) لتسلكوا منها سبلا فجاجا (٢٠) قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا (٢١)

ثم لما نبههم سبحانه وتعالى أولا على النظر في أنفسهم لأنها أقرب، نبههم ثانيا على النظر في العالم وما سوى فيه **من العجائب** الدالة على الصانع الحكيم فقال". (٢)

٦٢٩-"(وشاهد ومشهود) نكرهما دون بقية ما أقسم به لاختصاصهما من بين الأيام بفضيلة ليست لغيرهما فلم يجمع بينهما وبين البقية بلام الجنس. وهذا جواب أيضا عما يقال لم خصصهما بالذكر دون بقية الأيام؟ وإنما لم يعرفا بلام الجهد لأن التنكير أدل على التفخيم والتعظيم بدليل قوله تعالى (وإلهكم إله واحد) والمراد بالشاهد من يشهد في ذلك اليوم من الخلائق أي يحضر فيه والمراد بالمشهود ما يشاهد في ذلك اليوم **من العجائب**.

وذهب جماعة من الصحابة والتابعين إلى أن الشاهد يوم الجمعة وأنه يشهد على كل عامل بما عمل فيه، والمشهود يوم عرفة لأنه يشهد الناس فيه موسم الحج وتحضره الملائكة، قال الواحدي وهذا قول الأكثر، قال ابن عباس: الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وهو الحج الأكبر.

فيوم الجمعة جعله الله عيدا لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته وفضله بها على الخلق أجمعين وهو سيد الأيام عند الله وأحب الأعمال إلى الله، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلي يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه، أخرجه ابن مردويه.

وحكى القشيري عن ابن عمر وابن الزبير أن الشاهد يوم الأضحى، وقال سعيد بن المسيب: الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة، وقال النخعي: الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر: وقيل الشاهد هو الله سبحانه، وبه قال الحسن وسعيد بن جبير لقوله (وكفى بالله شهيدا) وقوله (قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم).

وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم لقوله (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا).

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن ٢٨٤/١٣

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن ٣٣٧/١٤

وقوله (يا أيها الرسول إنا أرسلناك شاهدا) وقوله (ويكون الرسول عليكم شهيدا) وقيل الشاهد جميع". [(١)]

٦٣٠-" قوله ٤٩ - ﴿ أني قد جئتكم ﴾ معمول لرسول لأن فيه معنى النطق كما مر وقيل أصله بأني قد جئتكم فحذف الجار وقيل منصوب بمضمر أي تقول أني قد جئتكم وقيل معطوف على الأحوال السابقة وقوله ﴿ بآية ﴾ في محل نصب على الحال : أي متلبسا بعلامة كائنة ﴿ من ربكم ﴾ وقوله ﴿ أني أخلق ﴾ أي أصور وأقدر ﴿ لكم من الطين كهيئة الطير ﴾ وهذه الجملة بدل من الجملة الأولى وهي ﴿ أني قد جئتكم ﴾ أو بدل من آية أو خبر مبتدأ محذوف : أي هي أني وقرئ بكسر الهمزة على الاستئناف وقرأ الأعرج وأبو جعفر كهيئة الطير بالتشديد والكاف في قوله ﴿كهيئة الطير ﴾ نعت مصدر محذوف : أي أخلق لكم خلقا أو شيئا مثل هيئة الطير وقوله ﴿ فأنفخ فيه ﴾ أي في ذلك الخلق أو ذلك الشيء فالضمير راجع إلى الكاف في قوله : كهيئة الطير وقيل الضمير راجع إلى الطير : أي الواحد منه وقيل إلى الطين وقرئ : فيكون طائرا وطيرا مثل تاجر وتجر وقيل إنه لم يخلق غير الخفاش لما فيه من عجائب الصنعة فإن له ثديا وأسنانا وأذنا ويحيض ويطهر وقيل إنهم طلبوا خلق الخفاش لما فيه **من العجائب** المذكورة ولكونه يطير بغير ريش ويلد كما يلد سائر الحيوانات مع كونه من الطير ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وإنما يرى في ساعتين : بعد غروب الشمس ساعة وبعد طلوع الفجر ساعة وهو يضحك كما يضحك الإنسان وقيل إن سؤالهم له كان على وجه التعنت قيل كان يطير ما دام الناس ينظرونه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الله من فعل غيره وقوله ﴿ بإذن الله ﴾ فيه دليل على أنه لولا الإذن من الله عز و جل لم يقدر على ذلك وأن خلق ذلك كان بفعل الله سبحانه أجراه على يد عيسى عليه السلام قيل كانت تسوية الطين والنفخ من عيسى والخلق من الله عز و جل قوله ﴿ وأبرئ الأكمه ﴾ الأكمه : الذي يولد أعمى كذا قال أبو عبيدة وقال ابن فارس : الكمه العمى يولد به الإنسان وقد يعرض يقال : كمه يكمه كمها : إذا عمي وكمهت عينه : إذا أعميتها وقيل الأكمه : الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل وقيل : هو الممسوح العين والبرص معروف وهو بياض يظهر في الجلد وقد كان عيسى عليه السلام يبرئ من أمراض عدة كما اشتمل عليه الإنجيل وإنما خص الله سبحانه هذين المرضين بالذكر لأنهما لا يبرآن في الغالب بالمداواة وكذلك إحياء الموتى قد اشتمل الإنجيل على قصص من ذلك قوله ﴿ وأنبئكم بما تأكلون ﴾ أي أخبركم بالذي تأكلونه وبالذي تدخرونه ". [(٢)]

٦٣١-" سورة الإسراء

آياتها مائة وإحدى عشرة آية وهي مكية

إلا ثلاث آيات قوله عز و جل ﴿ وإن كادوا ليستفزونك ﴾ نزلت حين جاء رسول الله صلى الله عليه و سلم وفد ثقيف وحين قالت اليهود : ليست هذه بأرض الأنبياء وقوله : ﴿ وقل رب أدخلني مدخل صدق ﴾ وقوله : ﴿ إن ربك

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن ١٥٨/١٥

(٢) فتح القدير ٥١٥/١

أحاط بالناس ﴾ وزاد مقاتل قوله : ﴿ إن الذين أوتوا العلم من قبله ﴾ وأخرج النحاس وابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت سورة بني إسرائيل بمكة وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله وأخرج البخاري وابن الضريس وابن مردويه عن ابن مسعود قال : في بني إسرائيل والكهف ومريم إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي وأخرج أحمد والترمذي وحسنه والنسائي والحاكم وابن مردويه عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي عمرو الشيباني قال : صلى بنا عبد الله الفجر فقرأ السورتين الآخرة منهما بنو إسرائيل

قوله : ١ - ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ﴾ هو مصدر سبح يقال سبح يسبح تسبيحا وسبحانا مثل كفر اليمين تكفيرا وكفرانا ومعناه التنزيه والبراءة لله من كل نقص وقال سيبويه : العامل فيه فعل لا من لفظه والتقدير أنزه الله تنزيها فوقع سبحانه مكان تنزيها فهو على هذا مثل قعد القرفصاء واشتمل الصماء وقيل هو علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره تقديره أسبح الله سبحان ثم نزل منزلة الفعل وسد مسده وقد قدمنا في قوله : ﴿ سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ﴾ طرفا من الكلام المتعلق بسبحان والإسراء قيل : هو سير الليل يقال سرى وأسرى : كسقى وأسقى لغتان وقد جمع بينهما الشاعر في قوله :

(حي النضير وربة الخدر ... أسرت إلي ولم تكن تسري)

وقيل هو سير أول الليل خاصة وإذا كان الإسراء لا يكون إلا في الليل فلا بدل للتصريح بذكر الليل بعده من فائدة فقيل أراد بقوله ليلا تقليل مدة الإسراء وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسافة أربعين ليلة ووجه دلالة ليلا على تقليل المدة ما فيه من التنكير الدال على البعضية بخلاف ما إذا قلت سريت الليل فإنه يفيد استيعاب السير له جميعا وقد استدل صاحب الكشاف على إفادة ليلا للبعضية بقراءة عبد الله وحذيفة من الليل وقال الزجاج : معنى أسرى بعبده ليلا سير عبدي يعني محمدا ليلا وعلى هذا فيكون معنى أسرى معنى سير فيكون للتقييد بالليل فائدة وقال بعبده ولم يقل بنبيه أو رسوله أو بمحمد تشريفا له صلى الله عليه و سلم قال أهل العلم : لو كان غير هذا الاسم أشرف منه لسماه الله سبحانه به في هذا المقام العظيم والحالة العلية :

(لا تدعني إلا بيا عبدها ... فإنه أشرف أسمائي)

(ادعاء بأسماء نبزا في قبائلها ... كأن أسماء أضحت بعض أسمائي)

﴿ من المسجد الحرام ﴾ قال الحسن وقتادة : يعني المسجد نفسه وهو ظاهر القرآن وقال عامة المفسرين : أسرى برسول الله صلى الله عليه و سلم من دار أم هانئ فحملوا المسجد الحرام على مكة أو الحرام لإحاطة كل واحد منهما بالمسجد الحرام أو لأن الحرم كله مسجد ثم ذكر سبحانه الغاية التي أسرى برسوله صلى الله عليه و سلم إليها فقال : ﴿ إلى المسجد الأقصى ﴾ وهو بيت المقدس وسمي الأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ولم يكن حينئذ وراءه مسجد ثم وصف المسجد الأقصى بقوله : ﴿ الذي باركنا حوله ﴾ بالثمار والأنهار والأنبياء والصالحين فقد بارك الله سبحانه حول المسجد الأقصى ببركات الدنيا والآخرة وفي باركنا بعد قوله أسرى التفات من الغيبة إلى التكلم ثم ذكر العلة التي أسرى به لأجلها فقال : ﴿ لنريه من آياتنا ﴾ أي ما أراه الله سبحانه في تلك الليلة **من العجائب** التي من جملتها قطع هذه المسافة

الطويلة في جزء من الليل ﴿ إنه ﴾ سبحانه ﴿ هو السميع ﴾ بكل مسموع ومن جملة ذلك قول رسول الله صلى الله عليه و سلم : ﴿ البصير ﴾ بكل مبصر ومن جملة ذلك ذات رسوله وأفعاله

وقد اختلف أهل العلم هل كان الإسراء بجسده صلى الله عليه و سلم مع روحه أو بروحه فقط ؟ فذهب معظم السلف والخلف إلى الأول وذهب إلى الثاني طائفة من أهل العلم منهم عائشة ومعاوية والحسن وابن إسحاق وحكاه ابن جرير عن حذيفة بن اليمان وذهبت طائفة إلى التفصيل فقالوا : كان الإسراء بجسده يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح واستدلوا على هذا التفصيل بقوله إلى المسجد الأقصى فجعله غاية للإسراء بذاته صلى الله عليه و سلم فلو كان الإسراء من بيت المقدس إلى السماء وقع بذاته لذكره والذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة الكثيرة هو ما ذهب إليه معظم السلف والخلف من أن الإسراء بجسده وروحه يقظة إلى بيت المقدس ثم إلى السموات ولا حاجة إلى التأويل وصرف هذا النظم القرآني وما يماثله من ألفاظ الأحاديث إلى ما يخالف الحقيقة ولا مقتضى لذلك إلى مجرد الاستبعاد وتحكيم محض العقول القاصرة عن فهم ما هو معلوم من أنه لا يستحيل عليه سبحانه شيء ولو كان ذلك مجرد رؤيا كما يقوله من زعم أن الإسراء كان بالروح فقط وأن رؤيا الأنبياء حق لم يقع التكذيب من الكفرة للنبي صلى الله عليه و سلم عند إخباره لهم بذلك حتى ارتد من ارتد ممن لم يشرح بالإيمان صدرا فإن الإنسان قد يرى في نومه ما هو مستبعد بل ما هو محال ولا ينكر ذلك أحد وأما التمسك لمن قال بأن هذا الإسراء إنما كان بالروح على سبيل الرؤيا بقوله ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ فعلى تسليم أن المراد بهذه الرؤيا هو هذا الإسراء فالتصريح الواقع هنا بقوله : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا ﴾ والتصريح في الأحاديث الصحيحة الكثيرة بأنه أسرى به لا تقصر عن الاستدلال بها على تأويل هذه الرؤيا الواقعة في الآية برؤية العين فإنه قد يقال لرؤية العين رؤيا وكيف يصح حمل هذا الإسراء على الرؤيا مع تصريحه صلى الله عليه و سلم بأنه كان عند أن أسري به بين النائم واليقظان

وقد اختلف أيضا في تاريخ الإسراء فروي أن ذلك كان قبل الهجرة إلى المدينة بسنة وروي أن الإسراء كان قبل الهجرة بأعوام ووجه ذلك أن خديجة صلت مع النبي صلى الله عليه و سلم وقد ماتت قبل الهجرة بخمس سنين وقيل بثلاث وقيل بأربع ولم تفرض الصلاة إلا ليلة الإسراء وقد استدل بهذا ابن عبد البر على ذلك وقد اختلفت الرواية عن الزهري وممن قال بأن الإسراء كان قبل الهجرة بسنة الزهري في رواية عنه وكذلك الحربي فإنه قال : أسري بالنبي صلى الله عليه و سلم ليلة سبع وعشرين من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة وقال ابن القاسم في تاريخه : كان الإسراء بعد مبعثه بثمانية عشر شهرا قال ابن عبد البر : لا أعلم أحدا من أهل السير قال بمثل هذا وروي عن الزهري أنه أسري به قبل مبعثه بسبعة أعوام وروي عنه أنه قال : كان قبل مبعثه بخمس سنين وروى يونس عن عروة عن عائشة أنها قالت : توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة ". (١)

---

(١) فتح القدير ٢٩٥/٣

٦٣٢-" لما ذكر سبحانه دلائل النبوة والتوحيد أكدها بدليل آخر من عجائب صنعه وبدائع خلقه فقال : ١٢ - ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ﴾ وذلك لما فيهما من الإظلام والإنارة مع تعاقبهما وسائر ما اشتملا عليه **من العجائب** التي تحار في وصفها الأفهام ومعنى كونهما آيتين أنهما يدلان على وجود الصانع وقدرته وقدم الليل على النهار لكونه الأصل ﴿ فمحونا آية الليل ﴾ أي طمسنا نورها وقد كان القمر كالشمس في الإنارة والضوء قيل ومن آثار المحو السواد الذي يرى في القمر وقيل المراد بمحوها أنه سبحانه خلقها ممحوة الضوء مطموسة وليس المراد أنه محاها بعد أن لم تكن كذلك ﴿ وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾ أي جعل سبحانه شمسه مضيئة تبصر فيها الأشياء قال أبو عمرو بن العلاء والكسائي : هو من قول العرب : أبصر النهار : إذا صار بحالة يبصر بها وقيل مبصرة للناس من قوله أبصره فبصر فالأول وصف لها بحال أهلها والثاني وصف لها بحال نفسها وإضافة آية إلى الليل والنهار بيانية : أي فمحونا الآية التي هي الليل والآية التي هي النهار كقولهم نفس الشيء وذاته ﴿ لتبتغوا فضلا من ربكم ﴾ أي لتتوصلوا بياض النهار إلى التصرف في وجوه المعاش واللام متعلق بقوله وجعلنا آية النهار مبصرة : أي جعلناها لتبتغوا فضلا من ربكم : أي رزقا إذ غالب تحصيل الأرزاق وقضاء الحوائج يكون بالنهار ولم يذكر هنا السكون في الليل اكتفاء بما قاله في موضع آخر ﴿ هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ﴾ ثم ذكر مصلحة أخرى في ذلك الجعل فقال : ﴿ ولتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ وهذا متعلق بالفعلين جميعا : أعني محونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لا بأحدهما فقط كالأول إذ لا يكون علم عدد السنين والحساب إلا باختلاف الجديدين ومعرفة الأيام والشهور والسنين والفرق بين العدد والحساب أن العدد إحصاء ما له كمية بتكرير أمثاله من غير أن يتحصل منه شيء والحساب إحصاء ما له كمية بتكرير أمثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين منه له اسم خاص فالسنة مثلا إن وقع النظر إليها من حيث عدد أيامها فذلك هو العدد وإن وقع النظر إليها من حيث تحققها وتحصلها من عدة أشهر قد يحصل كل شهر من عدة أيام قد يحصل كل يوم من عدة ساعات قد تحصلت كل ساعة من عدة دقائق فذلك هو الحساب ﴿ وكل شيء فصلناه تفصيلا ﴾ أي كل ما تفتقرون إليه في أمر دينكم ودنياكم بيناه تبيينا واضحا لا يلتبس وعند ذلك تنزاح العلل وتزول الأعذار ". (١)

٦٣٣-" قال الواحدي : في قول جميع المفسرين ٣ - ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ المراد بالشاهد من يشهد في ذلك اليوم من الخلائق : أي يحضر فيه والمراد بالمشهود ما يشاهد في ذلك اليوم **من العجائب** وذهب جماعة من الصحابة والتابعين إلى أن الشاهد يوم الجمعة وأنه يشهد على كل عامل بما عمل فيه والمشهود يوم عرفة لأنه يشهد الناس فيه موسم الحج وتحضره الملائكة قال الواحدي : وهذا قول الأكثر وحكى القشيري عن ابن عمر وابن الزبير أن الشاهد يوم الأضحى وقال سعيد بن المسيب : الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وقال النخعي : الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد هو الله سبحانه وبه قال الحسن وسعيد بن جبير لقوله : ﴿ وكفى بالله شهيدا ﴾ وقوله : ﴿ قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم ﴾ وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه و سلم لقوله : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة

---

(١) فتح القدير ٣/٣٠٤

بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ وقوله : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ﴾ وقوله : ﴿ ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ وقيل الشاهد جميع الأنبياء لقوله : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ﴾ وقيل هو عيسى ابن مريم لقوله : ﴿ وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ﴾ والمشهود على هذه الأقوال الثلاثة إما أمة محمد أو أمم الأنبياء أو أمة عيسى وقيل الشاهد آدم والمشهود ذريته وقال محمد بن كعب : الشاهد الإنسان لقوله : ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ وقال مقاتل : أعضاؤه لقوله : ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ وقال الحسين بن الفضل : الشاهد هذه الأمة والمشهود سائر الأمم لقوله : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ وقيل الشاهد الحفظة والمشهود بنو آدم وقيل الأيام والليالي وقيل الشاهد الخلق يشهدون لله عز و جل بالوحدانية والمشهود له بالوحدانية هو الله سبحانه وسيأتي بيان ما ورد في تفسير الشاهد والمشهود وبيان ما هو الحق إن شاء الله ". (١)

٦٣٤-"فصار كثير من الناس لا يعلمون ما للسحرة والكهان، وما يفعله الشياطين **من العجائب**، وظنوا أنها لا تكون إلا لرجل صالح، فصار من ظهرت هذه له يظن أنها كرامة، فيقوى قلبه بأن طريقته هي طريقة الأولياء، وكذلك غيرهم يظن فيه ذلك، ثم يقولون : الولي إذا تولى لا يعترض عليه، فمنهم من يراه مخالفا لما علم بالاضطرار من دين الرسول مثل : ترك الصلاة المفروضة،وأكل الخبائث كالخمر،والحشيشة، والميتة،وغير ذلك، وفعل الفواحش، والفحش والتفحش في المنطق، وظلم الناس، وقتل النفس بغير حق، والشرك بالله، وهو مع ذلك يظن فيه أنه ولي من أولياء الله قد وهبه هذه الكرامات بلا عمل، فضلا من الله تعالى، ولا يعلمون أن هذه من أعمال الشياطين، وأن هذه من أولياء الشياطين تضل بها الناس وتغويهم .

ودخلت الشياطين في أنواع من ذلك، فتارة يأتون الشخص في النوم، يقول أحدهم : أنا أبو بكر الصديق، وأنا أتوبك لي، وأصير شيخك، وأنت تتوب الناس لي، ويلبسه فيصبح وعلى رأسه ما ألبسه، فلا يشك أن الصديق هو الذي جاءه ولا يعلم أنه الشيطان، وقد جرى مثل هذا لعدة من المشايخ بالعراق والجزيرة والشام . وتارة يقص شعره في النوم فيصبح فيجد شعره مقصوصا . وتارة يقول : أنا الشيخ فلان، فلا يشك أن الشيخ نفسه جاءه وقص شعره .

وكثيرا ما يستغيث الرجل بشيخه الحي أو الميت، فيأتونه في صورة ذلك الشيخ، وقد يخلصونه مما يكره فلا يشك أن الشيخ نفسه جاءه،أو أن ملكا تصور بصورته وجاءه، ولا يعلم أن ذلك الذي تمثل إنما هو الشيطان لما أشرك بالله أضلته الشياطين،والملائكة لا تجيب مشركا .

وتارة يأتون إلى من هو خال في البرية، وقد يكون ملكا أو أميرا كبيرا، ويكون كافرا، وقد انقطع عن أصحابه وعطش وخاف الموت، فيأتيه في صورة إنسي ويسقيه ويدعوه إلى الإسلام ويتوبه، فيسلم على يديه ويتوبه ويطعمه، ويدله على الطريق، ويقول : من أنت ؟ فيقول : أنا فلان ويكون [من مؤمني الجن] .

---

(١) فتح القدير ٥/٥٨٢

". (١)

٦٣٥-"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ [١٤ - ١٥] .

﴿ ولو فتحنا عليهم ﴾ أي : على هؤلاء المستهزئين : ﴿ بابا من السماء فظلوا ﴾ أي : فصاروا طول نهارهم : ﴿ فيه يعرجون ﴾ أي : يصعدون مستوضحين لما يرونه فيها **من العجائب** .

﴿ لقالوا إنما سكرت أبصارنا ﴾ أي : حيرت أو حبست من الإبصار ، وما نراه شيء نتخايله لا حقيقة له : ﴿ بل نحن قوم مسحورون ﴾ .

قال الناصر في " الانتصاف " : المراد ، والله أعلم ، يعني من الآيتين : إقامة الحجة على المكذبين بأن الله تعالى سلك القرآن في قلوبهم وأدخله في سويدائها ، كما سلك ذلك في قلوب المؤمنين المصدقين . فكذب به هؤلاء وصدق به هؤلاء ، كل على علم وفهم : ﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ﴾ [الأنفال : ٤٢] ، ولئلا يكون للكفار على الله حجة بأنهم ما فهموا وجوه الإعجاز كما فهمها من آمن . فأعلمهم الله تعالى من الآن ، وهم في مهلة وإمكان ؛ أنهم ما كفروا إلا على علم ، معاندين باغين غير معذورين ، والله أعلم . ولذلك عقبه تعالى بقوله : ﴿ ولو فتحنا عليهم ﴾ الآية ، أي : هؤلاء فهموا القرآن وعلموا وجوه إعجازه ، وولج ذلك في قلوبهم ووقر ، ولكنهم قوم سجيتهم العناد وسيمتهم اللدد ، حتى لو سلك بهم أوضح السبيل وأدعاها إلى الإيمان بضرورة المشاهدة ، وذلك بأن يفتح لهم باب في السماء ، ويعرج بهم إليه حتى يدخلوا منها نهارا .

وإلى ذلك الإشارة بقوله : ﴿ فظلوا ﴾ لأن الظلول إنما يكون نهارا ؛ لقالوا بعد هذا الإيضاح العظيم المكشوف : ﴿ إنما سكرت أبصارنا ﴾ وسحرنا محمد . وما هذه إلا خيالات لا حقائق تحتها . فأسجل عليهم بذلك أنهم لا عذر لهم في التكذيب ، من عدم سماع ووعي ووصول إلى القلوب وفهم ، كما فهم غيرهم من المصدقين ؛ لأن ذلك كله حاصل لهم . وإنما بهم العناد واللدد والإصرار لا غيره . والله أعلم .

ثم بين تعالى دلائل وحدته وعظمته وقدرته الباهرة ، بقوله سبحانه :". (٢)

٦٣٦-"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ [١١١] .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير) ٧٩/٢

(٢) محاسن التأويل (تفسير القاسمي) /

﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾ الضمير ليوسف وإخوته ، أو للأنبياء وأممهم . ورجح الزمخشري الثاني بقراءة (قصصهم) بكسر القاف ، جمع قصة . والمفتوح مصدر بمعنى المفعول . وأجيب بأن قصة يوسف وأبيه وإخوته مشتملة على قصص وأخبار مختلفة ، وقد يطلق الجمع على الواحد ، كما مر في : ﴿ أضغاث أحلام ﴾ وسنذكر وجوه العبر منها بعونه تعالى .

﴿ ما كان ﴾ أي : القرآن المدلول عليه بما سبق دلالة واضحة : ﴿ حديثا يفترى ﴾ أي : يختلق ﴿ ولكن تصديق الذي بين يديه ﴾ أي : من الكتب المنزلة ، فهو يصدق ما فيها من الصحيح ، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير ، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير .

قال بعض المحققين : المراد به أن قصص القرآن ليست مخترعة ولا مفتراة ، بدليل وجود أمثالها بين الناس ، قبل نزوله . فهي وإن اختلفت قليلا في بعض التفاصيل والجزئيات ، عما يرويه الناس ، إلا أن توافقها في الجملة ، وتصدقها في الجوهر ، فلا تظنوا أيها المشركون أن النبي اخترعها بعقله ، بل اسألوا عنها أهل الكتاب ، تجدوا أنها معروفة بينهم ، ومروية في كتبهم ، فوجود قصص القرآن عند الناس من قبل من أعظم ما يصدقه ويؤيده ؛ لأن النبي صلوات الله عليه ، لم يطلع على كتب أهل الكتاب . ولا يتوهم من هذه الآية أن قصص القرآن يجب ألا تختلف عن قصص التوراة والإنجيل في شيء ما ، كلا إذ لو صح هذا لما قال تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾ [النمل : ٧٦] ، فقصصه قد تختلف عما عندهم ، وتبين لهم حقه من باطله . فلا منافاة بين تصديق القرآن لقصصهم في الجملة ، ومخالفته لها في بعض الجزئيات – كما قلنا – ويجوز أن يكون المراد بقوله : ﴿ تصديق الذي بين يديه ﴾ تصديق الحق الذي عندهم ، لا كل الذي عندهم ، وإلا لدخل في ذلك عقائدهم الفاسدة وأوهامهم وخرافاتهم وغيرها ، مما جاء القرآن لإزالته ومحقه ، ويستحيل أن يكون مصدقا لما جاء لإبطاله . فتنبه لذلك . ولا تكن من الغافلين . انتهى .

وقوله تعالى : ﴿ وتفصيل كل شيء ﴾ أي : تبيان كل ما يحتاج إليه من أحكام الحلال والحرام ، والآداب والأخلاق ، ووجوه العبر والعظات ، ولذا كان أعظم ما تنقذ به القلوب من الغي إلى الرشاد ، ومن الضلال إلى السداد ، وتبتغي به الرحمة من رب العباد ، كما قال تعالى : ﴿ وهدى ﴾ أي : من الضلالة : ﴿ ورحمة ﴾ أي : من العذاب : ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ أي : يصدقون به ، ويعلمون بأوامره ، فإن الإيمان قول وعقد وعمل . وخصهم لأنهم المنتفعون به .

خاتمة في مباحث مهمة :

الأول : فيما قيل في وجوه العبر في هذا القصص .

قال في " اللباب " : الاعتبار والعبرة : الحالة التي يتوصل بها الإنسان من معرفة المشاهد إلى ما ليس بمشاهد . والمراد منه التأمل والتفكر . ووجه الاعتبار بهذه القصة أن الذي قدر على إخراج يوسف من الجب بعد إلقائه فيه ، وإخراجه من السجن ، وتمليكه مصر بعد العبودية ، وجمع شمله بأبيه وإخوته بعد المدة الطويلة ، واليأس من الاجتماع ؛ قادر على إعزاز محمد صلى الله عليه وسلم وإعلاء كلمته ، وإظهار دينه . وأن الإخبار بهذه القصة العجيبة جار مجرى الإخبار عن الغيوب ، فكانت معجزة له صلى الله عليه وسلم .

وقال بعضهم : إن قصة يوسف الصديق ، جمة الفائدة ، وجليلة العائدة ، تحدو بكل امرئ أبي إلى الإقتداء بها . فإن من

أطلق سوام الفكر في حياة يوسف عليه السلام رآها رغيدة ، وألفاها هنيئة ، وما ذلك إلا لطيب سيرته ، وحميد سريرته ، وتمسكه بعرى التقوى والفضيلة ، ولا سيما فضيلة العفة والطهارة ، التي ترفع قدر صاحبها ، وتنزله المنزلة السامية . فعلى المرء أن يقتفي أثر هذه الفضيلة الجليلة ، كيوسف ، فيتسنم ذروة المجد في هذه الدنيا ، وينال السعادة الدائمة في الآخرة . انتهى .

قال الإمام أبو جعفر بن الزبير : هذه السورة من جملة ما قص على النبي ، صلوات الله عليه ، من أنباء الرسل ، وأخبار من تقدمه ، مما فيه التثبت المشار إليه في قوله تعالى : ﴿ وكلا نقص عليك ﴾ [هود : من الآية ١٢٠] الآية . وإنما أفردت على حدتها ، ولم تنسق على قصص الرسل ، مع أنهم في سورة واحدة ؛ لمفارقة مضمونها تلك القصص . ألا ترى أن تلك قصص إرسال من تقدم ذكرهم عليهم السلام ، وكيفية تلقي قومهم لهم ، وإهلاك مكذبيهم ؟ أما هذه القصة ، فحاصلها : فرج بعد شدة ، وتعريف بحسن عاقبة الصبر ، فإنه تعالى امتحن يعقوب عليه السلام بفقد ابنيه وبصره ، وشتات بنيه . وامتحن يوسف عليه السلام بالجب والبيع وامرأة العزيز وفقد الأب والإخوة والسجن . ثم امتحن جميعهم بشمول الضر ، وقلة ذات اليد : ﴿ مسنا وأهلنا الضر ﴾ [يوسف : من الآية ٨٨] الآية . ثم تداركهم الله بإلفهم ، وجمع شملهم ، ورد بصر أبيهم ، وائتلاف قلوبهم ، ورفع ما نزغ به الشيطان ، وخلاص يوسف عليه السلام ، وبكيد من كاده ، واكتنافه بالعصمة ، وبراءته عند الملك والنسوة ، وكل ذلك مما أعقبه جميل الصبر ، وجلالة اليقين ، وحسن تلقي الأقدار بالتفويض والتسليم ، على توالي الامتحان ، وطول المدة . ثم انجر في أثناء هذه القصة الجليلة إنابة امرأة العزيز ، ورجوعها إلى الحق ، وشهادتها ليوسف عليه السلام بما منحه الله من النزاهة عن كل ما يشين . ثم استخلاص العزيز إياه ، إلى ما انجر في هذه القصة الجليلة **من العجائب** والعبر . فقد انفردت هذه القصة بنفسها ، ولم تناسب ما ذكر من قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام ، وما جرى في أممهم ، فلهذا فصلت عنهم . وقد أشار في سورة برأسها إلى عاقبة من صبر ورضي وسلم ليتنبه المؤمنون إلى ما في طي ذلك . وقد صرح لهم ما أجملته هذه السورة من الإشارة في قوله تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ﴾ [النور : من الآية ٥٥] إلى قوله : ﴿ أمنا ﴾ وكانت قصة يوسف عليه السلام بجملتها أشبه شيء بحال المؤمنين في مكابدتهم في أول الأمر ، وهجرتهم ، وتشققهم مع قومهم ، وقلة ذات أيديهم ، إلى أن جمع الله شملهم : ﴿ واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ [آل عمران : من الآية ١٠٣] ، وأورثهم الأرض ، وأيدهم ونصرهم ، وذلك بجليل إيمانهم وعظيم صبرهم . فهذا ما أوجب تجرد هذه القصة عن تلك القصص – والله أعلم – .

ثم إن حال يعقوب ويوسف عليهما السلام ، في صبرهما ، ورؤية حسن عاقبة الصبر في الدنيا ، وما أعد لهما من عظيم الثواب ، أنسب بحال نبينا عليه السلام في مكابدة قريش ، ومفارقة وطنه ، ثم تعقيب ذلك بظفره بعدوه ، وإعزاز دينه ، وإظهار كلمته ، ورجوعه إلى بلده ، على حالة قرت بها عيون المؤمنين ، وما فتح الله عليه وعلى أصحابه ، فتأمل ذلك ! ويوضحه ختم السورة بقوله : ﴿ حتى إذا استيأس الرسل ﴾ [يوسف : من الآية ١١٠] . فحاصل هذا كله الأمر بالصبر ، وحسن عاقبة أولياء الله فيه – كذا في تفسير " البرهان " للبقاعي ملخصا – .

وجاء في كتاب " النظام والإسلام " في بحث التربية والآداب في قصص القرآن ما مثاله :
طال الأمر على أمتنا ، فأهملت ما في غضون كتابها من أساس التربية والحكمة ، وكيف تنتقى الرجال الأكفاء في مهام الأعمال . يا ليت شعري ! ما الذي أصابها حتى غضت النظر عن القصص التي قصها ، وأهملت أمرها ، وظن أهلها أنها أمور تاريخية لا تفيد إلا المؤرخين . القصص في كل أمة ، عليها مدار ارتقائها ، سواء كانت وضعية أم حقيقية ، على ألسنة الحيوان أو الإنسان أو الجماد . على هذا تبحث الأمم ، قديمها وحديثها . وناهيك بكتاب "كليلة ودمنة " وما والاه من القصص الناسجة على منواله في الإسلام ، ككتاب " فاكهة الخلفاء " و " مقامات الحريري " . جاء القرآن بقصص الأنبياء ، وهي – لا جرم أعلى منالا ، وأشرف مزية . كيف لا وقد جمعت أحسن الأسلوب ، واختيار المقامات المناسبة لما سيقت إليه ، والقدوة الحسنة للكمل المخلصين من الأنبياء ومن والاهم ، وتحققها في أنفسها ، لوقوع مواردها ، وإن حب التشبه طبيعة مرتكزة في الإنسان ، لا سيما لمن يقتدي بهم . فهذه خمس مزايا اختصت بها هذه القصص ، ونقصت في سواها . أليس من العيب الفاضح أن نقرأ قصص القرآن ، فلا نكاد نفهم إلا حكايات ذهبت مع الزمان ، ومرت كأمس الدابر ؟ ! وما لنا ولها إذن ؟ تالله إن هذا لهو البوار ! ولم يكن هذا إلا للجهل بالمقصود من قصصها ، وإنها عبرة لمن اعتبر ، وتذكرة لمن تفكر ، وتبصرة لمن ازدجر . أما الرجوع إلى التاريخ ، ومقارنته بما قصه المؤرخون في كتبهم ، وما سطره الأقدمون على مباينتهم ، وما يقوله القاصون في خرافتهم ؛ فتلك سبيل حائد عن الجادة ، يضل فيه الماهرون ، يرشدك لذلك ما تسمعه من نبأ فتية الكهف ، وكيف يقول : ﴿ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل ﴾ [الكهف : من الآية ٢٢] فانظر كيف أسند العلم لله ، ولم يعول على قول المؤرخين المختلفين ، ثم لم يبين الحقيقة ؛ لئلا يكون ذريعة للطعن في التنزيل . فإن قال : خمسة ، قالوا : ستة ، وإن قال : أربعة ، قالوا سبعة . فكتب المؤرخين كثيرة الاختلاف في القصص ، وما المقصود منها إلا ليكون عبرة . وبالإجمال : فليس القصد من هذه القصص إلا منافعها ، والعبر المبصرة للسامعين : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾ .

ولسنا ممن يتبجح بالقول بلا بيان ، فلا نعتمد إلا على البرهان . تأمل هذا القصص ، تجده لا يذكر إلا ما يناسب الإرشاد والنصح ، ويعرض عن كثير من الوقائع ، إذ لا لزوم له ، ولا معول عليها . فلا ترى قصة إلا وفيها توحيد وعلم ومكارم أخلاق ، وحجج عقلية ، وتبصرة وتذكرة ، ومحاورات جملية ، تلذ العقلاء . ولأقتصر من تلك القصص على ما حكاه عن يوسف الصديق عليه السلام ، وكيف جاوز فيها كل ما لا علاقة له بالأخلاق ، من مدنية المصريين وأحوالهم ، إلى الخلاصة والثمرة . ألا ترى كيف صدرت بحديث سجود الشمس والقمر والكواكب له في الرؤيا ؛ دلالة على أن للطفل استعدادا يظهر على ملامحه ، وأقواله ، وأفعاله ، ورؤياه ؟ وهذا أعظم شيء اعتنى به قدماء الحكماء ، من اليونان والفرس ، كما ذكره المؤرخون وعلماء الأخلاق ، كانوا يختبرون أبناءهم ، ويتأملون ملامحهم ؛ ليعرفوا ما استعدوا له من الصناعات والرئاسات والعلوم . ثم تأمل في قصة الإخوة ، وحديث القميص والجب والذئب والدم ؛ لتعلم ما نشاهده كل يوم من معاداة الأقران لمن ظهرت مبادئ الجمال النفسي ، والخلق المرضي ، والجلال الظاهر على ملامحه ، فيعيبونه بما يشينه في نفسه أو عرضه أو خلقه ؛ دلالة على أن هذه سنة في الكون لا تغادر نبيا ، ولا حكيما ، ولا عالما مهما حسنت أخلاقه وجمل ظاهره

وباطنه . . . . . ! .

كل العدوات قد ترجى إزالتها إلا عداوة من عاداك من حسد

جرت تلك السنة في الأناسي ، فإذا صبر الصالح فاز بالولاية عليهم ، وأحبوه بعد العداوة ولو بعد حين ، وعادوا من آذاه ! ثم انظر في حديث قصة امرأة العزيز ، وكيف عف مع الشباب ، وكيف ساس نفسه وصدق ظن مولاه في الأمانة ، وأرضى إلهه ، واتسم بالفضيلة ، فتوازى جماله الباطني والظاهري . . ! ولنكتف بهذا القدر الآن ، ولنشرع في الكلام على الآداب والأخلاق وتربية الأمراء والعفو والصفح ، التي تضمنتها تلك القصة ! .

فأما علم الأخلاق ، وتربية رؤساء الأمم منها ، فتأمل في كلام الحكماء – أولهم وآخرهم – تجد إجماعهم على أن سياسة أخلاق النفس أولا فالمنزل فالمدينة ، كل واحدة مقدمة للاحقتها ثمرة لسابقتها ؛ إذ لا يعقل أن يسوس منزله من لم يسس نفسه ، أو يسوس أمته من لم يدبر إدارة منزله ! .

بايع الصحابة – عليهم رضوان الله – الخليفة الأول ، فأخذ قماشا وذراعا وذهب إلى السوق في الغداة ، فاستاء الصحابة ولاموه ، فقال : إذا أضعت أهلي ، فأنا للمسلمين أضيع ! ففرضوا له دريهمات من بيت المال ، فقال : إذن أنظر في شؤونكم ! لذلك نجد الغربيين – إذا ولوا رجلا إدارة بلادهم – أكثروا السؤال عن قرينته وإدارة منزله ، علما منهم أن منزله أقرب إليه من الأمة .

فانظر هذه الحقائق من سيرة النبي يوسف الصديق كيف ذكرت في الكتب السماوية ، ورتبت في القرآن ترتيبا محكما ، ذكرت فيها السياسات الثلاث مرتبة هكذا : النفس فالمنزل فالمدينة ، ترتيبا طبيعيا ، تنبيها لبني الإسلام على معرفة هذا العلم وانتقائهم الأكفاء للأعمال العامة . فأشير فيها لتربية الأخلاق الفاضلة بالعفة في عنفوان الشباب مع الصديق . وليت شعري ! كيف حفظ أخلاق آبائه وقومه والأنبياء في وسط مدنية المصريين وزخرفهم وجمالهم ، وعبد الله وحده ، ونسي ما يراه من أبي الهول وأبيس والأرباب المتفرقة . . . ؟ ! يذكر هذا تبصرة لمن أحاطت بهم أمواج الحدثان من كل جانب ، أن يحافظوا على أصول دينهم وقواعده ، ثم ليفعلوا ما يشاءون في أمور دنياهم . . !

ظهر صدق يوسف في أخلاقه الشخصية ، فلم يكن ذلك كافيا لإدارة أموره العامة ، فأودع السجن ، وأحيط بالأحداث والجهلة من كل جانب ، فأخذ يسوسهم كما يسوس الرجل أهل منزله ، وبث عقيدته بينهم ، ظاهرا بمظهر الكمال والإحسان والعطف عليهم : ﴿ قال لا يأتيكما طعام ترزقانه ﴾ [يوسف : من الآية ٣٧] الآية . وأخذ يقص عليهم سيرة أسلافه ، وحبه لمذهبهم ، وبغضه لأصنام المصريين ونحوهم ، فقال : ﴿ إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ﴾ [يوسف : من الآية ٣٧] الآية . ثم أخذ يذكرهم أن تفرق وجهة الأمة ضلال في السياسة ، وأن توحيد وجهتها كياسة فيها ، فقال : ﴿ يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾ [يوسف : ٣٩] ، فتفريق الوجهة شتات الجامعة . لم تسد أمة في الوجود إلا برجال يوحدون وجهتها أيا كانت ، فيؤمون مقصدا واحدا ! والتفصيل لا يخفى على أولي الألباب . . ! .

وفي " آراء أهل المدينة الفاضلة " للفارابي اثنتا عشرة جامعة بكل منهن قوم اتحدت بها : كاللغة ، والوطن ، والدين ، والأخلاق ، والجنس ، والحكيم المرشد ، والأب الأكبر ، ونحو ذلك مما امتازت به أمة أو جماعة .

ولما تم له ، عليه السلام ، الأمران – سياسة النفس والعشيرة – أخرج من السجن معظما مبجلا ، وترقى من تعليم الصعلوك في السجن إلى تعليم الملوك على العروش ، وأخذ يريهم كيف يقتصدون الأموال ، وعبر لهم السنبلات الخضر واليابسات ، والبقرات السمان والعجاف ، وأرشدهم إلى خزن البر وسنابله ؛ لئلا يفسد ، وغير ذلك من الأمور العامة . وهذه هي المرتبة الثالثة : سياسة الأمة بأجمعها بعد قطع تينك العقبتين .

والبراعة والكياسة في علوم العمران ، وتدبير أمر الأمة ، إما بوحي ، وهذا خاص به وبأمثاله من الأنبياء عليهم السلام ، وإما بتعليم وتدريب ، وهو اللائق بسائر الناس .

ترشد هذه السيرة الشريفة إلى أن الأخلاق الفاضلة ما تثبت عليها النفس مع الحقير والعظيم والصغير والكبير ، وأن الإنسان لا يستحقر تعليم الأصاغر ، فإنه لا بد يوما ما أن يصل إلى الأكابر ، كما في حديث هرقل مع أبي سفيان ، وتعليم الصديق من في السجن . فبلغ صاحب السجن فرعون المصريين .

ابتلي هذا النبي بالسراء والضراء فلم تتغير أخلاقه ، وكان نموذج الكمال في سعة بيت الملك والجلال ، وموضع الثقة في ضيق قبر السجن وعشرة الأسافل التي تتغير بها الأخلاق ، وتنسى بها أصول الأعراق ، وتنزل الكامل من عروش الفضيلة إلى أسفل مقاعد الرذيلة ، ومن أوج الكمال إلى حضيض النقص ! .

وهذه قصة يوسف – الذي تربى في مصر ونشأ فيها ولم تبهجه زخارف تلك المدنية إلى الرذيلة – جاءت عبرة للناس كافة وإلى المصريين خاصة ! بهذه الأخلاق اعتلى يوسف عرش العظمة والجلال ، فساس مصر بعد أن كان مسوسا ، وملك بعد أن كان مملوكا ! ليس الجزاء على الأخلاق والكمال خاصا بالآخرة ، بل في الدارين : ﴿ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ [يوسف : ٥٦ – ٥٧] .

هذه هي الأخلاق الفاضلة ، ذكرت في التنزيل نموذجا ، في غضون هذه السيرة ، للأمم الإسلامية ؛ ليأخذوا ثمرتها ولا يضيعوا الزمن في أصلها ومورده في التاريخ ، كما يجمد المفسر على الإعراب أو الصرف أو البلاغة ، وهذا غيض من فيض من حكم هذه القصة ، وبها نفهم ما ذكر في أولها : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن ﴾ [يوسف : من الآية ٣] ، دع قول الجاهلين ، وفهم المتنسكين ، وتجاوز خلط المؤرخين ، واختلافهم ، واصغ إلى ما في هذه القصة من هيئة تربية الحكام والأمراء ، كما أشرنا سابقا ، ولنزدك بيانا ! :

قال علماء الأخلاق والحكماء : لا ينتظم أمر الأمة إلا بمصلحين ، ورجال أعمال قائمين ، وفضلاء مرشدين هادين ، لهم شروط معلومة ، وأخلاق معهودة ؛ فإن كان القائم بالأعمال نبيا فله أربعون خصلة ذكروها . كلها آداب وفضائل بها يسوس أمته . وإن كان رئيسا فاضلا لمدينة فاضلة ، اكتفوا من الشروط الأربعين ببعضها . وسيدنا يوسف عليه السلام حاز من كمال المرسلين وجمال النبيين . ولقد جاء في سيرته هذه ما يتخذه عقلاء الأمم هدى لاختيار الأكفاء في مهام الأعمال ؛ إذ قد حاز الملك والنبوة ! ونحن لا قبل لنا بالنبوة لانقطاعها ، وإنما نذكر ما يليق بمقام رئاسة المدينة الفاضلة ؛ ولنذكر منها ثلاث عشرة خصلة هي أهم خصال رئيس المدينة الفاضلة ؛ لتكون ذكرى لمن يتفكر في القرآن ، وتنبيها للمتعلمين – العاشقين للفضائل – على نفائس الكتاب العظيم ، وحبا في نظرهم في القرآن ، وليعلموا أن تلك القصص

وقد أودعت ما لم يكن ليخطر على بال من سمعه للتغني به ومجرد اللهو واللعب ! .

أهم ما شرطه الحكماء في رئيس المدينة الفاضلة :

١ – العفة عن الشهوات ، ليضبط نفسه وتتوافر قوته النفسية : ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾ [يوسف : من الآية ٢٤] .

٢ – الحلم عند الغضب ، ليضبط نفسه : ﴿ قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ﴾ [يوسف : من الآية ٧٧] .

٣ – وضع اللين في موضعه ، والشدة في موضعها : ﴿ ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ﴾ [يوسف : ٥٩ – ٦٠] ، والصدر للين والعجز للشدة .

٤ – ثقته بنفسه : ﴿ اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾ [يوسف : من الآية ٥٥] .

٥ – قوة الذاكرة ؛ ليمكنه تذكر ما غاب ومضى له سنون ؛ ليضبط السياسات ويعرف للناس أعمالهم : ﴿ وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ﴾ [يوسف : ٥٨] .

٦ – جودة المصورة والقوة المخيلة حتى تأتي بالأشياء تامة الوضوح : ﴿ إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾ [يوسف : من الآية ٤] .

٧ – استعداده للعلم ، وحبه له ، وتمكنه منه : ﴿ واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ [يوسف : ٣٨] ، ﴿ ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين ﴾ [يوسف : ٢٢] ، ﴿ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث ﴾ [يوسف : من الآية ١٠١] .

٨ – شفقته على الضعفاء وتواضعه مع جلال قدره وعلو منصبه ، فخاطب الفتيين المسجونين بالتواضع فقال : ﴿ يا صاحبي السجن ﴾ [يوسف : من الآية ٣٩] الآية ، وحادثهما في أمور دينهما ودنياهما ، فالأول بقوله : ﴿ لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله ﴾ [يوسف : من الآية ٣٧] . والثاني بقوله : ﴿ إني تركت ملة قوم لا يؤمنون ﴾ [يوسف : من الآية ٣٧] الآية ، وشهدا له بقولهما : ﴿ إنا نراك من المحسنين ﴾ [يوسف : من الآية ٣٦] .

٩ – العفو مع القدرة : ﴿ قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ [يوسف : ٩٢] .

١٠ – إكرام العشيرة : ﴿ وأتوني بأهلكم أجمعين ﴾ [يوسف : من الآية ٩٣] .

١١ – قوة البيان والفصاحة بتعبيره رؤيا الملك ، واقتداره على الأخذ بأفئدة الراعي والرعية والسوقة ، ما كان هذا إلا بالفصاحة المبنية على العلم والحكمة : ﴿ فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ﴾ [يوسف : من الآية ٥٤] .

١٢ – حسن التدبير : ﴿ فما حصدتم فذروه في سنبله ﴾ [يوسف : من الآية ٤٧] الآية .

ثم تأمل في اقتدار يوسف عليه السلام على سياسة الملك ، وكيف اجتذب إليه القلوب بالإحسان : ﴿ وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم ﴾ [يوسف : من الآية ٦٢] الآية ، ودبر الحيلة العجيبة بمسألة الصواع والاتهام بالسرقة ليضم أخاه إليه : ﴿

فبدأ بأوعيتهم ﴾ [يوسف : من الآية ٧٦] الآية ، وعامل المحكومين بشرعهم ودينهم وملتهم وعادتهم ، كما عليه جميع الأمم الشرقية الحية من الرفق بالأمة المحكومة لهم ، فيسوسونهم بدينهم وعادتهم وشرعهم وأخلاقهم وأموالهم ؛ إتباعا لما رسمته الشريعة الغراء مما يناسب حكم سيدنا يوسف عليه السلام ، وذلك أنه أمر أتباعه أن يسألوهم : ﴿ قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين ﴾ [يوسف : ٧٤] الآية ، فكانت شريعة بني يعقوب أن يستعبدوا السارق سنة عند صاحب المتاع ، فعاملهم بما هم عليه ، لذلك يقول الله تعالى : ﴿ ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم ﴾ [يوسف : من الآية ٧٦] ، امتدح على حسن خطته في السياسة ومراعاته عادة أولئك القوم . وهذه – وإن كانت مسألة بسيطة الظاهر – فهي أم السياسة ورأس علوم العمران ، وأول ما يوصى به السواس والعقلاء ! .

تالله ! ما أجمل القرآن وما أبهج العلم ! وليت شعري كيف يقول الله بعدها : ﴿ نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم ﴾ [يوسف : من الآية ٧٦] . ولولا ما فيها من مبدأ شريف وحكم عالية مع وضوحها وبساطتها لذوي النظر السطحي والبله الغفل ؛ ما أعطاها هذا الجلال والإعظام ومدح العلم ! فحيا الله العلم وأدام دولته ! .

ومن العجيب الغريب تدبير هذه الحيلة بإخفاء الصواع ، ثم نظر أمتعتهم جميعا : ﴿ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه ﴾ [يوسف : من الآية ٧٦] ، وهذه : – وأيم الله – هي بعينها ما يصنعه ملوك الأرض قاطبة اليوم من السياسات والتلطف في الأمور الخفية ، وإلباسها ألبسة مختلفة لسياسة بلادهم ، وطلبا لحصول المقاصد النافعة ، ودخولا للبيوت من أبوابها ، ولكن بينهم وبين هذا النبي بون بعيد . . . ! فانظر كيف تعطي هذه القصة هذه الأمور العجيبة ! .

لعمري ! إن من طالع ما أمليناه بإمعان عن هذه القصة يتخيل عند تلاوتها أنه مشاهد أعمال الأمم الحاضرة والغابرة ! وكأنما طالع آراء أهل المدينة الفاضلة ، وعرف الحكماء وسواس الأمم ، وشاهد جمال العلم والأدب والحكمة والموعظة الحسنة ، حتى يعلم علم اليقين كيف قال الله في أول السورة : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ [يوسف : ٣] ، ويقول في آخرها : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ﴾ [يوسف : من الآية ١٠٢] ، ويقول : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ [يوسف : ١٠٨] . ثم ذكر أن الإنسان لا ينبغي له أن ييأس من روح الله فقال : ﴿ حتى إذا استيأس الرسل ﴾ [يوسف : من الآية ١١٠] الآية . ثم أفاد أن المقصود هو العبر والنظر لتأثير القصص وثمراتها ، لا مجرد تفسيرها ؛ إذ مجرد التفسير أمر بسيط يقنع به البسطاء . وإنما المقصد هو الاتعاظ والاعتبار ، فقال : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ﴾ الآية .

وهذه ترشدك – إن كنت من ذوي الهمة العالية – أن تصبر نفسك مع الذين يتعلمون أمدا طويلا ، ولا تعجل بالرئاسة حتى يبلغ الكتاب أجله ، وتنال حظا وافرا من الأخلاق والعلوم . فلا بأس بالوظائف ونفع الأمة مع دوام المثابرة على العلم والاستزادة منه ! فلقد صبر هذا النبي عليه السلام أياما وأياما ، ولبس للحوادث أثوابا وأثوابا ، حتى إذا غلب اليأس جاء الفرج والرفعة ! .

فتأمل ! كيف كانت هذه السورة يقرؤها القارئون ، ويسمعها الجاهلون وهم عن آياتها معرضون ! فإذا سمعوا صوتا حسنا ظنوا أن هذا هو جمال القرآن ، فقالوا للقارئ : سبحان من أعطاك ! وفرحوا بما عندهم من العلم بظواهر ورونق القراءة ، أو مجرد التفسير ومعرفة القصة ، ولم ينظروا إلى الحكم المودعة فيها ! فقبح الجهل ! يترك الرجل أعمى وإن لبس الحلل وارتدى ثياب الفخار الكاذب والسراب الخداع . . كم للإنسان من آيات وعبر في السماوات والأرض فيعرض عنها ! خلقت لنا الأبصار والأسماع والعقول لننظر ماذا في السماوات والأرض مما ذرأ المبدع في الكون ، وتلا القرآن – وهو كلام مبدع الكون – وتلطف في تصوير المعاني ، وألبسها أجمل لباس ، فأعرض العقلاء فضلا عن العامة ! فما للعامة لا يتعلمون ! وما لذوي البصائر لا ينصحون ولا يبينون ؟ وما للناس لا يكادون يفقهون ؟ .

ذكرنا نموذجا عن هذه السورة استنشاطا لهمم العقلاء ، وحثا لمن لهم ذكاء وفطن وعقول راجحة – على الرجوع إلى كتابهم ونظرهم فيه ، وإزالة لشبه من ارتاب في هذه القصص فأعرض ! وجلي أن قصص القرآن جميعها مملوءة بالحكم كهذه القصة ، وفي كل واحدة منها ما ليس في الأخرى كأنها ثمرات مختلف لونها ! أين من يفقه هذا ممن يقف مع ألفاظها وهم عن آياتها معرضون ؟ ولا عجب فإن نفوس الأسافل تأخذ الحكمة فترجعها من أفق سمائها إلى أرض ضعتها ، كما يصير الماء في شجرة الحنظل مرا . فيقصدها هذا للنغمات ، وذلك لقصة بسيطة ، وآخر تسلية وتضييعا للزمن ، وآخر يقف عند الألفاظ وإعرابها وصرفها وبلاغتها .

ولكن هذا أرقى مما قبله فقد سار في الطريق وهي الألفاظ ، ولكن هيهات أن يصل للمقصود والثمرات إلا إذا أعد تلك القواعد مقدمة للمقصود وبحث فيه ! وآخرون يسمعون الآيات فيعرضونها على التاريخ ، والمؤرخون مختلفون كما قدمنا . وما مثل هؤلاء في سيرهم إلا كمثل رجل أوتي آلة بخارية ليسقي بها الحرث من النهر ، فجلس بجانبها وترك استعمالها وأخذ يتفكر : من أين هذا الحديد ؟ ولم يجلب الماء ؟ وإلى أي : مسافة يرتفع ، وما العلة فيه ، ومن أين يأتي الفحم الحجري ، وفي أي : الطرق يسير إلى أن يصل إلينا ؟ فيمر عليه شهر وشهران فيذبل زرعه وتبور أرضه . ! ذلك مثل من يقرأ القرآن ويجعل جل عنايته تطبيقه على كلام المؤرخين أو قواعد النحويين أو الصرفيين وعلماء البلاغة فحسب ! اللهم إلا قدرا يسيرا للفهم ! وهذا – لعمر الله – انتكاس على الرأس ، واتخاذ الوسيلة مقصدا ، كمثل من أراد الحج فجعل همته إعداد الذخائر سنين ، فاختطفته المنون وفارق الحياة ولم يحج ! ذلك مثلهم . ! ! انتهى .

المبحث الثاني :

احتج من جوز المعصية على الأنبياء – وهم الكرامية والباقلاني – بما جرى من إخوة يوسف وبيعهم أخاهم وكذبهم لأبيهم ، وبما وقع من يوسف نفسه من أخذه أخاه وإيحاشه أباه .

قال الإمام أبو محمد بن حزم رحمه الله في " الملل والنحل " :

ما احتجوا به لا حجة فيه ؛ لأن إخوة يوسف ، عليه السلام ، لم يكونوا أنبياء ، ولا جاء قط – في أنهم أنبياء – نص لا من قرآن ، ولا من سنة صحيحة ، ولا من إجماع ، ولا من قول أحد من الصحابة رضي الله عنهم ! فأما يوسف عليه السلام فرسول الله بنص القرآن ، قال عز وجل : ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به ﴾ إلى قوله : ﴿ من بعده ﴾ [غافر : من الآية ٣٤] ، وأما إخوته فأفعالهم تشهد بأنهم لم يكونوا متورعين عن العظائم ،

فكيف أن يكونوا أنبياء ؟ ! ولكن الرسولين – أباهم وأخاهم – قد استغفرا لهم وأسقطا التثريب عنهم !

وبرهان ما ذكرنا – من كذب من يزعم أنهم كانوا أنبياء – قول الله تعالى حاكيا عن الرسول أخيهم أنه قال لهم : ﴿ أنتم شر مكانا ﴾ [يوسف : من الآية ٧٧] ، ولا يجوز البتة أن يقوله لنبي من الأنبياء ، نعم ، ولا لقوم صالحين ! ؛ إذ توقير الأنبياء فرض على جميع الناس ؛ لأن الصالحين ليسوا شرا مكانا ، وقد عق ابن نوح أباه بأكثر مما عق به إخوة يوسف أباهم ، إلا أن إخوة يوسف لم يكفروا . ولا يحل لمسلم أن يدخل في الأنبياء من لم يأت نص ولا إجماع أو نقل كاف بصحة نبوته ! ولا فرق بين التصديق بنبوة من ليس نبيا ، وبين التكذيب بنبوة من صحت نبوته منهم ! فإن ذكروا في ذلك ما روي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم وهو زيد بن أرقم : (إنما مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه لا نبي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاد الأنبياء أنبياء !) فهذه غفلة شديدة وزلة عالم ، من وجوه :

أولها : أنه دعوى لا دليل على صحتها ! .

وثانيها : أنه لو كان ما ذكر لأمكن أن ينبأ إبراهيم في المهد كما نبئ عيسى عليه السلام ، وكما أوتي يحيى الحكم صبيا ؛ فعلى هذا القول لعل إبراهيم كان نبيا ، وقد عاش عامين غير شهرين ، وحاشا لله من هذا . . ! .

وثالثها : أن ولد نوح كان كافرا بنص القرآن : عمل عملا غير صالح . فلو كان أولاد الأنبياء أنبياء لكان هذا الكافر المسخوط عليه نبيا . وحاشا لله من هذا . . ! .

ورابعها : لو كان ذلك ، لوجب ولا بد أن تكون اليهود كلهم أنبياء إلى اليوم ، بل جميع أهل الأرض أنبياء ؛ لأنه يلزم أن يكون الكل من ولد آدم لصلبه أنبياء ؛ لأن أباهم نبي ، وأولاد أولادهم أنبياء ؛ لأن آباءهم أنبياء وهم أولاد أنبياء ، وهكذا . . . أبدا حتى يبلغ الأمر إلينا ! وفي هذا من الكفر لمن قامت عليه الحجة وثبت عليه ما لا خفاء به . وبالله تعالى التوفيق . . !

ثم قال ابن حزم :

وذكروا – يعني الكرامية ومن وافقهم – أيضا أخذ يوسف عليه السلام أخاه ، وإيحاشه أباه عليه السلام منه ، وأنه أقام مدة يقدر فيها على أن يعرف أباه خبره وهو يعلم ما يقاسي به من الوجد عليه فلم يفعل ، وليس بينه وبينه إلا عشر ليال ! وبإدخاله صواع الملك في وعاء أخيه ، ولم يعلم بذلك سائر إخوته ، ثم أمر من هتف : ﴿ أيتها العير إنكم لسارقون ﴾ [يوسف : من الآية ٧٠] ، وهم لم يسرقوا شيئا ، ويقول الله تعالى : ﴿ ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ [يوسف : من الآية ٢٤] ، وبخدمته لفرعون ، وبقوله للذي كان معه في السجن : ﴿ اذكرني عند ربك ﴾ [يوسف : من الآية ٤٢] .

قال ابن حزم : وكل هذا لا حجة لهم في شيء منه ، ونحن نبين ذلك بحول الله تعالى وقوته ، فنقول وبالله تعالى نتأيد : أما أخذه أخاه وإيحاشه أباه منه فلا شك في أن ذلك ليرفق بأخيه وليعود إخوته إليه ، ولعلهم لو مضوا بأخيه لم يعودوا إليه وهم في مملكة أخرى ، وحيث لا طاعة ليوسف عليه السلام ولا لملك مصر هنالك ، وليكون ذلك سببا لاجتماعه وجمع شمل جميعهم ! ولا سبب إلى أن يظن برسول الله يوسف عليه السلام الذي أوتي العلم والمعرفة بالتأويل – إلا أحسن الوجوه . وليس مع من خالفنا نص بخلاف ما ذكرنا . ولا يحل أن يظن بمسلم فاضل عقوق أبيه ، فكيف برسول الله صلوات الله

عليه ؟ ! وأما ظنهم – أنه أقام مدة يقدر فيها على تعريف أبيه خبره ولم يفعل – فهذا جهل شديد ممن ظن هذا ؛ لأن يعقوب في أرض كنعان من عمل فلسطين ، في قوم رحالين خصاصين في لسان آخر وطاعة أخرى ودين آخر وأمة أخرى ! فلم يكن عند يوسف عليه السلام علم بعد فراقه أباه بما فعل ، ولا حي هو أو ميت ؛ أكثر من وعد الله تعالى بأن ينبئهم بفعلهم به ، ولا وجد أحدا يثق به ، فيرسل إليه ؛ للاختلاف الذي ذكرنا . وإنما يستسهل هذا اليوم من يرى أرض الشام ومصر لأمير واحد وملة واحدة ، ولسانا واحدا وأمة واحدة ، والطريق سابل ، والتجار ذاهبون وراجعون ، والرفاق سائرة ومقبلة ، والبرد ناهضة وراجعة ، فظن كل بيضاء شحمة ولم يكن الأمر حينئذ كذلك ، ولكن كما قدمنا ، ودليل ذلك أنه حين أمكنه لم يؤخره ، واستجلب أباه وأهله أجمعين عند ضرورة الناس إليه ، وانقيادهم له للجوع الذي كان عم الأرض ، وامتيازهم عنده ، فانتظر وعد ربه تعالى الذي وعده حين ألقوه في الجب ، فأتوه ضارعين راغبين كما وعده تعالى في رؤياه قبل أن يأتوه . وأما قول يوسف لإخوته : ﴿ إنكم لسارقون ﴾ وهم لم يسرقوا الصواع ، بل هو الذي كان قد أدخله في وعاء أخيه دونهم ؛ فقد صدق عليه السلام ؛ لأنهم سرقوه من أبيه وباعوه ، ولم يقل عليه السلام : إنكم سرقتم الصواع ، وإنما قال : ﴿ نفقد صواع الملك ﴾ [يوسف : من الآية ٧٢] ، وهو في ذلك صادق ؛ لأنه كان غير واجد له ، فكان فاقدا له بلا شك ! وأما خدمته عليه السلام لفرعون فإنما خدمه تقية ، وفي حق لاستنقاذ الله تعالى بحسن تدبيره ، ولعل الملك أو بعض خواصه ، قد آمن به إلا أن خدمته له على كل حال حسنة وفعل خير ، وتوصل إلى الاجتماع بأبيه وإلى العدل وإلى حياة النفوس ؛ إذ لم يقدر على المغالبة ولا أمكنه غير ذلك ، ولا مرية في أن ذلك كان مباحا في شريعة يوسف عليه السلام بخلاف شريعتنا ، قال الله تعالى : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ [المائدة : من الآية ٤٨] . وأما سجود أبويه فلم يكن ذلك محظورا في شريعتهما بل كان فعلا حسنا ، وتحقيق رؤياه الصادق من الله تعالى . ولعل ذلك السجود كان تحية كسجود الملائكة لآدم عليه السلام . إلا أن الذي لا شك فيه أنه لم يكن سجود عبادة ولا تذلل ، وإنما كان سجود كرامة فقط بلا شك . وأما قوله عليه السلام للذي كان معه في السجن : ﴿ اذكرني عند ربك ﴾ [يوسف : من الآية ٤٢] ، فما علمنا الرغبة في الانطلاق من السجن محظورة على أحد ، وليس في قوله ذلك دليل على أنه أغفل الدعاء إلى الله عز وجل ، لكنه رغب هذا الذي كان معه في السجن في فعل الخير وحضه عليه ! وهذا فرض من وجهين : أحدهما : وجوب السعي في كف الظلم عنه . والثاني : دعاؤه إلى الخير والحسنات . وأما قوله تعالى : ﴿ فأنساه الشيطان ذكر ربه ﴾ [يوسف : من الآية ٤٢] ، فالضمير الذي في (أنساه) وهو الهاء راجع إلى الفتى الذي كان معه في السجن ، أي : أن الشيطان أنساه أن يذكر ربه أمر يوسف عليه السلام . ويحتمل أيضا أن يكون أنساه الشيطان ذكر الله تعالى ، ولو ذكر الله عز وجل لذكر حاجة يوسف عليه السلام ، وبرهان ذلك قول الله عز وجل : ﴿ وادكر بعد أمة ﴾ [يوسف : من الآية ٤٥] فصح يقينا أن المذكر بعد أمة هو الذي أنساه الشيطان ذكر ربه حتى تذكر . وحتى لو صح أن الضمير من (أنساه) راجع إلى يوسف عليه السلام ؛ لما كان في ذلك نقص ولا ذنب ؛ إذ ما كان بالنسيان فلا يبعد عن الأنبياء ! وأما قوله : ﴿ همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ [يوسف : من الآية ٢٤] ، فليس كما ظن من لم يمعن النظر حتى قال من المتأخرين من قال : (إنه قعد منها مقعد الرجل من المرأة) ومعاذ الله من هذا أن يظن برجل من صالحي المسلمين أو مستوريهم ! فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم ! ! فإن قيل : إن هذا قد روي عن ابن عباس رضي الله

عنه من طريق جيدة الإسناد ، قلنا : نعم ! ولا حجة في قول أحد إلا فيما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط ! والوهم في تلك الرواية إنما هي بلا شك عمن دون ابن عباس ، أو لعل ابن عباس لم يقطع بذلك ، إذ إنما أخذه عمن لا يدرى من هو ، ولا شك في أنه شيء سمعه فذكره ؛ لأنه رضي الله عنه لم يحضر ذلك ولا ذكره عن رسول الله ، ومحال أن يقطع ابن عباس بما لا علم له به ! لكن معنى الآية لا يعدو أحد وجهين : إما أنه هم بالإيقاع بها وضربها ، كما قال تعالى : ﴿ وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه ﴾ [غافر : من الآية ٥] ، وكما يقول القائل : لقد هممت بك ، لكنه عليه السلام امتنع من ذلك ببرهان أراه الله إياه استغنى به عن ضربها ، وعلم أن الفرار أجدى عليه وأظهر لبراءته ، على ما ظهر بعد ذلك من حكم الشاهد بأمر قد القميص . والوجه الثاني : أن الكلام تم عند قوله : ﴿ ولقد همت به ﴾ ثم ابتدأ تعالى خبرا آخر فقال : ﴿ وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ﴾ وهذا ظاهر الآية بلا تكلف تأويل ، وبهذا نقول . وبرهان ربه ها هنا : هو النبوة وعصمة الله عز وجل إياه ، ولولا البرهان لكان يهم بالفاحشة ، وهذا لا شك فيه ! ولعل من ينسب هذا إلى النبي المقدس يوسف ؛ ينزه نفسه الرذلة عن مثل هذا المقام فيهلك . وقد خشي النبي صلى الله عليه وسلم الهلاك على من ظن به ذلك الظن ؛ إذ قال للأنصاريين حين لقيهما : [1]ومن الباطل الممتنع أن يظن ظان أن يوسف عليه السلام هم بالزنى وهو يسمع قول الله تعالى : ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ﴾ [يوسف : من الآية ٢٤] فنسأل من خالفنا عن الهم بالزنى : سوء هو أم غير سوء ؟ فلا بد أنه سوء ، ولو قال : إنه ليس بسوء لعاند الإجماع ، فإذ هو سوء ، وقد صرف عنه السوء ، فقد صرف عنه الهم بيقين ! وأيضا فإنها قالت : ﴿ ما جزاء من أراد بأهلك سوءا ﴾ [يوسف : من الآية ٢٥] وأنكر هو ذلك فشهد الصادق المصدق : ﴿ إن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ﴾ [يوسف : ٢٧] ، فصح أنها كذبت بنص القرآن ، وإذ كذبت بنص القرآن فما أراد بها قط سوءا ، فما هم بالزنى قط . ولو أراد بها الزنى لكانت من الصادقين ، وهذا بين جدا ، وكذلك قوله تعالى عنه أنه قال : ﴿ وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن ﴾ [يوسف : من الآية ٣٣] فصح عنه أنه قط لم يصب إليها .

انتهى كلام ابن حزم عليه الرحمة والرضوان . وإنما نقلت كلامه برمته ؛ لأنه كما قيل :

(وما محاسن شيء كله حسن . . . ! !)". [2]

٦٣٧-"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ [١٧]

ولما جاء بحقيقة صفتهم ، عقبها بضرب المثل – زيادة في الكشف ، وتتميما للبيان – فقال تعالى : ﴿ مثلهم ﴾ أي : مثالهم في نفاقهم ، وحالهم فيه : ﴿ كمثل الذي استوقد ﴾ أي : أوقد : ﴿ نارا ﴾ في ظلمة – والتنكير [في المطبوع :

---

(١) هذه صفية

(٢) محاسن التأويل (تفسير القاسمي) /

التنكير] للتعظيم – : ﴿ فلما أضاءت ﴾ أي : أثارت النار : ﴿ ما حوله ﴾ فأبصر ، واستدفأ ، وأمن مما يخافه : ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ أي : أطفأ الله نارهم – التي هي مدار نورهم – فبقوا في ظلمة وخوف – وجمع الضمير مراعاة لمعنى الذي ، كقوله : ﴿ وخضتم كالذي خاضوا ﴾ [التوبة : ٦٩] ﴿ وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴾ ما حولهم – متحيرين عن الطريق ، خائفين – فكذلك هؤلاء استضاؤوا قليلا بالانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ، حيث أمنوا على أنفسهم وما يتبعها ، ثم وراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة – ظلمة النفاق – التي ترمي بهم إلى ظلمة سخط الله ، وظلمة العقاب السرمد ، ومحصوله : أنهم انتفعوا بهذه الكلمة مدة حياتهم القليلة ، ثم قطعه الله تعالى بالموت .

ونقل – عن كثير من السلف – تفسير آخر ، وهو : تمثيل إيمانهم أولا ، ثم كفرهم ثانيا . فيكون إذهاب النور في الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا ﴾ [المنافقون : ٣] الآية ، فلما آمنوا أضاء الإيمان في قلوبهم – كما أضاءت النار لهؤلاء الذين استوقدوا نارا – ثم لما كفروا ، ذهب الله بنورهم : انتزعه – كما ذهب بضوء هذه النار – وعلى هذا فالتمثيل مرتبط بما قبله . فإنهم – لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى – مثل هداهم – الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد – والضلالة – التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم – بذهاب الله بنورهم ، وتركه إياهم في الظلمات .

قال الزمخشري في الكشف : ولضرب العرب الأمثال ، واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ، ورفع الأستار عن الحقائق ، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق ، والمتوهم في معرض المتيقن ، والغائب كأنه مشاهد – وفيه تبكيت للخصم الألد ، وقمع لسورة الجامح الآبي [في المطبوع : الجامع الأبي] .

ولأمر ما ، أكثر الله – في كتابه المبين ، وفي سار كتبه – أمثاله ، وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلام الأنبياء والحكماء ، قال الله تعالى : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ [العنكبوت : ٤٣] .

والمثل : في أصل كلامهم بمعنى : المثل وهو النظير . يقال : مثل ، ومثل ، ومثيل – كشبه وشبه وشبيه – ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده : مثل . ولم يضربوا مثلا ، ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول ، إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه . ومن ثم حوفظ عليه ، وحمي من التغيير .

فإنه – لو غير – لربما انتفت [في المطبوع : انتفى] الدلالة على تلك الغرابة . وقيل : إن المحافظة على المثل إنما هي بسبب كونه استعارة . فوجب لذلك أن يكون هو بعينه لفظ المشبه به . فإن وقع تغيير ، لم يكن مثلا ، بل مأخوذا منه ، وإشارة إليه – كما في قولك : بالصيف ضيعت اللبن بالتذكير .

وقال بعضهم : قد استعير المثل للحال ، أو القصة ، أو الصفة – إذا كان لها شأن ، وفيها غرابة – كأنه قيل : حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا . وكذلك قوله : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ [الرعد : ٣٥] أي : – فيما قصصنا عليك من العجائب – قصة الجنة العجيبة الشأن ، ثم أخذ في بيان عجائبها : ﴿ ولله المثل الأعلى ﴾ [النحل : ٦٠] أي : الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة ﴿ مثلهم في التوراة ﴾ [الفتح : ٢٩] أي : صفتهم وشأنهم المتعجب منه .

ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا : فلان مثلة في الخير والشر ، فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن .". (١)

٦٣٨-"[٦٠] قوله عز وجل : ﴿ وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس ﴾ ، أي : هم في قبضته لا يقدرون على الخروج عن مشيئته فهو حافظك ومانعك منهم فلا تهبهم وامض إلى ما أمر الله به من تبليغ الرسالة ، كما قال : ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ ، ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾ ، فالأكثرون على أن المراد منه ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من العجائب والآيات . قال ابن عباس : هي رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج والأكثرون (١) ، والعرب تقول : رأيت بعيني رؤية ورؤيا ، فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أنكر بعضهم ذلك ، وكذبوا وكان فتنة للناس . وقال قوم : أسري بروحه دون بدنه . وقال بعضهم : كان له معراجان رؤية بالعين ومعراج رؤيا بالقلب ، وقال قوم : أراد بهذه الرؤيا ما رأى صلى الله عليه وسلم عام الحديبية أنه دخل مكة هو وأصحابه فجعل السير إلى مكة قبل الأجل فصده المشركون ، فرجع إلى المدينة وكان رجوعه في ذلك العام بعد ما أخبر أنه يدخلها فكان رجوعه فتنة

---

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة الإسراء ٨ / ٣٩٨ .". (٢)

٦٣٩-"[٨] ﴿ وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ﴾ ، فالصعيد وجه الأرض، وقيل هو التراب، جرزا يا بسا أملس لا ينبت شيئا . يقال : جزرت الأرض إذا أكل نباتها .
[٩] قوله تعالى : ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ﴾ ، يعني أظننت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا أي هم عجب من آياتنا . وقيل : معناه إنهم ليسوا بأعجب من آياتنا فإن ما خلقت من السموات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب منهم، والكهف : هو الغار في الجبل، واختلفوا في الرقيم، قال سعيد بن جبير : هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصصهم وهذا أظهر الأقاويل ، ثم وضعوه على باب الكهف وكان اللوح من رصاص، وقيل، من حجار، فعلى هذا يكون الرقيم بمعنى المرقوم ، أي : المكتوب ، والرقم : الكتابة . وحكي عن ابن عباس أنه قال : هو اسم للوادي الذي فيه أصحاب الكهف ، وعلى هذا هو من رقمة الوادي وهو جانبه ، وقال كعب الأحبار : هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف ، وقيل : اسم للجبل الذي فيه الكهف ، ثم ذكر الله قصة أصحاب الكهف .". (٣)

---

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي) /
(٢) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل ٤٣١/٤
(٣) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل ٤٧٣/٤

٦٤٠-"[٥] ﴿ بل يريد الإنسان ليفجر أمامه ﴾ ، يقول : لا جهل ابن آدم أن ربه قادر على جمع عظامه لكنه يريد أن يفجر أمامه أي يمضي قدما في معاصي الله ما عاش راكبا رأسه لا ينزع عنها ولا يتوب ، هذا قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدي . وقال سعيد بن جبير : ليفجر أمامه يقدم على الذنب ويؤخر التوبة فيقول : سوف أتوب سوف أعمل حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله . وقال الضحاك : هو الأمل يقول : أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت . وقال ابن عباس وابن زيد : يكذب بما أمامه من البعث والحساب . وأصل الفجور الميل وسمي الفاسق والكافر فاجرا لميله عن الحق .

[٦] ﴿ يسأل أيان يوم القيامة ﴾ أي متى يكون ذلك ، تكذيبا به .

[٧] قال الله – تعالى – : ﴿ فإذا برق البصر ﴾ ، قال قتادة ومقاتل : شخص البصر فلا يطرف مما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا . قيل : ذلك عند الموت . وقال الكلبي : عند رؤية جهنم تبرق أبصار الكفار . وقال الفراء والخليل : برق بالكسر أي فزع وتحير لما يرى من العجائب ، وبرق بالفتح أي شق عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ .". (١)

٦٤١-"ج ١ ، ص : ١٤

ضرب المثل الحق أي الثابت من ربهم فلا يسوغ إنكاره لأنه ليس عبثا بل هو مشتمل على الأسرار والفوائد وأما الذين كفروا من اليهود فيقولون ما ذا أراد الله بهذا مثلا تمييز نسبة من اسم الإشارة. أي أي فائدة في هذا المثل قال الله تعالى في جوابهم : يضل به أي بهذا المثل عن الدين كثيرا من اليهود ويهدي به كثيرا من المؤمنين وما يضل به إلا الفاسقين (٢٦) أي الخارجين عن حد الإيمان. الذين ينقضون عهد الله هو الحجة القائمة على عباده الدالة على وجوب وجوده ووحدانيته وعلى وجوب صدق رسله من بعد ميثاقه أي توكيده ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل فالله أمرهم أن يصلوا حبلهم بحبل المؤمنين فهم انقطعوا عن المؤمنين واتصلوا بالكفار ويفسدون في الأرض بتعويق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن. أولئك الموصوفون بنقض العهد وما بعده هم الخاسرون (٢٧) أي المغبونون بذهاب حسناتهم التي عملوها ، وبذهاب نعيم الجنة الذي لو أطاعوا الله لوجوده. كيف تكفرون بالله والحال أنكم وكنتم أمواتا أجساما لا حياة لها ، نطفا وعلقا ، ومضغا فأحياكم بنفخ الأرواح فيكم ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم ثم يحييكم بالنشور ثم إليه ترجعون (٢٨) بعد الحشر فيجازيكم على أعمالكم إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر.

والمعنى ثم إليه تنشرون من قبوركم للحساب هو الذي خلق لكم أي لأجل انتفاعكم في الدين والدنيا بالاستدلال على موجدكم ، وإصلاح الأبدان ما في الأرض جميعا ثم استوى أي قصد إلى خلق السماء أي تعلقت إرادته تعلقا حادثا بترجيح وجود السماء على عدمها ، فتعلقت القدرة بإيجادها ، فسواهن أي فجعل السماء سبع سماوات والحاصل أن الله تعالى خلق الأرض من غير بسط في يومين ، ثم خلق السموات السبع مبسوطة في يومين ، ثم خلق ما في الأرض مما ينتفع به في

---

(١) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل ٥٢/٨

يومين. وعن ابن مسعود قال : إن الله تعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا قبل الماء ، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسماه سماء ، ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين في الأحد والإثنين ، فجعل الأرض على حوت ، والحوت في الماء على صفاة ، والصفاة على ظهر ملك ، والملك على الصخرة ، والصخرة على الريح فتحرك الحوت ، فتزلزلت الأرض ، فأرسى عليها الجبال ، فقرت. فالجبال تفتخر على الأرض. وهو بكل شيء عليم (٢٩) فلا يمكن أن يكون خالقا للأرض وما فيها ، وللسموات وما فيها من العجائب والغرائب إلا إذا كان عالما بها محيطا بجزئياتها وكلياتها. وإذ قال ربك للملائكة فإذا نصب بإضمار اذكر.
وقيل : زائدة. وقيل : بمعنى قد. ويجوز أن ينتصب بقالوا : أتجعل أي قالوا ذلك القول وقت قول الله تعالى : إني جاعل في الأرض خليفة [البقرة : ٣].
روى الضحاك عن ابن عباس : إنه تعالى إنما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا في". (١)

٦٤٢-"ج ١ ، ص : ١٢٣

وضعت» على خطاب الله لها ، أي إنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب والله هو العالم بما فيه من العجائب والآيات ، ثم قال تعالى حكاية عن قولها : وليس الذكر كالأنثى أي وليس الذكر الذي يكون مطلوبي كالأنثى التي هي موهوبة لله. وهذا الكلام يدل على أن حنة كانت مستغرقة في معرفة جلال الله ، عالمة بأن ما يفعله الرب بالعبد خير مما يريده العبد لنفسه. ويحتمل أن هذه الجملة محض كلامه تعالى. والمعنى ليس الذي طلبته كالأنثى التي ولدتها بل هي خير منه وإن لم تصلح للسدانة فإن فيها مزايا أخر لا توجد في الذكر. وإني سميتها أي هذه البنت مريم أرادت حنة بهذه التسمية أن تطلب من الله تعالى أن يعصمها من آفات الدين والدنيا فإن مريم في لغتهم العابدة في لغة العرب. وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (٣٦) أي وأني ألجئ مريم وذريتها إلى رحمتك وعصمتك ، وألصق نفسها وأولادها بفضلك ورحمتك من الشيطان اللعين فتقبلها ربها بقبول حسن بأن اختص الله تعالى مريم بإقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل أنثى قبلها أو بأن أخذها الله من أمها عقب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة.
روي أن حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ، ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون وقالت : خذوا هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم الأعظم في العلم والصلاح ، فقال زكريا : أنا أحق بها لأن خالتها عندي. فقالت الأحبار : لا تقل ذلك فإنها لو تركت لأحق الناس بها لتركت لأمها التي ولدتها ولكنا نقترع عليها ، فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين إلى نهر حار في حلب يقال له : قرمق فألقوا فيها أقلامهم التي كانوا يكتبون التوراة بها على أن كل من ارتفع قلمه فهو الراجح ، وعلى كل قلم اسم صاحبه ، ثم ألقوا أقلامهم ثلاث مرات ففي كل مرة يرتفع قلم زكريا فوق الماء وترسب أقلامهم ، فأخذها زكريا وأنبتها نباتا حسنا أي رباها الله بما يصلحها في جميع أحوالها وغذاها بالسنين والشهور والأيام غذاء حسنا وكفلها زكريا أي جعله الله مربيا لها وضامنا لمصالحها ، وقائما بتدبير أمورها ولما أخذها بنى لها غرفة في المسجد ،

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجيد ١/١٤

وجعل بابها في وسطه لا يرقى إليه إلا بالسلم ولا يصعد إليها غيره ، وكان إذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها. كلما دخل عليها زكريا وهو من ذرية سليمان بن داود المحراب أي الغرفة وجد عندها رزقا أي فاكهة الشتاء في الصيف مثل القصب ، وفاكهة الصيف في الشتاء مثل العنب ولم ترضع ثديا قط بل يأتيها رزقها من الجنة.
قال يا مريم أنى لك هذا أي من أين لك هذا الرزق الآتي في غير حينه الذي لا يشبه أرزاق الدنيا والأبواب مغلقة عليك قالت هو من عند الله أتاني به جبريل من الجنة فتكلمت وهي صغيرة في المهد ، كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير في المهد. إن الله يرزق من يشاء بغير حساب (٣٧) أي بغير تقدير لكثرة الرزق من غير مسألة في حينه وفي غير حينه هنالك أي في ذلك المكان الذي كان قاعدا فيه عند مريم وشاهد تلك الكرامات ، أو في ذلك الوقت الذي رأى". (١)

٦٤٣-"ج ٢ ، ص : ٤٦
ممن يصدقونهم وأهلكنا المسرفين (٩). أي المجاوزين للحدود في الكفر ، بعذاب الاستئصال في الدنيا. لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش ، كتابا أي قرآنا فيه ذكركم أي فيه ما يوجب الثناء عليكم ، لكونه بلسانكم وفيه موعظتكم ، أفلا تعقلون (١٠)؟ أي ألا تتفكرون فلا تعقلون؟ إن ذلك الكتاب شرفكم ، وسبب اشتهاركم لكونه نازلا بينكم على لسان رسول منكم.
وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة أي وكثيرا كسرنا من أهل قرية كانوا كافرين بآيات الله ، بأن قتلوا بالسيوف ، وأنشأنا بعدها أي بعد إهلاك أهلها قوما آخرين (١١) أي ليسوا منهم نسبا ، ولا دينا فسكنوا ديارهم. فلما أحسوا بأسنا أي أدركوا عذابنا الشديد إذا هم منها أي القرية يركضون (١٢) أي يهربون مسرعين ، فقيل لهم - بلسان الحال أو بلسان المقال - : لا تركضوا أي لا تهربوا ، وارجعوا إلى ما أترفتم أي أنعمتم فيه من العيش والحال الناعمة ، ومساكنكم التي كنتم تفتخرون بها ، لعلكم تسئلون (١٣). أي لكي يسألكم الوافدون عطاياكم ، إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس ، أو كانوا بخلاء ، فقيل لهم ذلك ، تهكما إلى تهكم. قالوا لما أيقنوا بنزول العذاب : يا ويلنا أي هلاكنا ، إنا كنا ظالمين (١٤). أي بقتل نبينا. فما زالت تلك دعواهم ، أي قولهم ، أي فلم يزالوا يكررون هذه الكلمة فلم ينفعهم ذلك ، حتى جعلناهم حصيدا أي مثل الزرع المحصود بالمناجل في استئصالهم ، خامدين (١٥). أي ميتين لا يتحركون أي أنهم أهلكوا بالعذاب ، حتى لم يبق لهم حس ، ولا حركة ، وجفوا كما يجف الحصيد ، وخمدوا كما تخمد النار.
وهذه قصة أهل قرية في جهة اليمن - يقال لها : حضور بفتح الحاء وبالضاد المعجمة - بعث الله لهم نبيا وهو موسى بن ميشا ، بن يوسف ، بن يعقوب ، وكان قبل موسى بن عمران ، فقتلوا ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فسلط الله عليهم بختنصر. كما سلطه الله على أهل بيت المقدس ، فلما علموا أنهم مدركون ، خرجوا هاربين ، فقالت لهم الملائكة استهزاء لا تركضوا إلخ.

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجيد ١٢٣/١

فرجعوا ، فقتلهم جميعا ولم يترك فيهم عينا تطرف. فلما رأوا القتل فيهم أقروا بذنوبهم وندموا وقالوا : يا ويلنا أي يا ويل ، احضر فهذا وقتك ، ولم ينفعهم هذا الندم كقوله تعالى : فلم يك ينفعهم إيمانهم. وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين (١٦). أي وما سوينا هذا السقف المرفوع ، وهذا المهاد الموضوع ، وما بينهما **من العجائب** ، التي لا تحصر أنواعها خالية عن الحكم ، كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفروشهم للعب ، وإنما سويناها لفوائد دينية ، ودنيوية ، ليتفكر المتفكرون فيها ، ويستدلوا بها إلى معرفتنا ، وللمنافع التي لا تحصى. لو أردنا أن نتخذ لهوا أي يلعب به لاتخذناه من لدنا أي من جهة قدرتنا مما يليق بشأننا من المجردات ، لا من الأجسام المرفوعة ، والأجرام الموضوعة. لكن يستحيل إرادتنا له لمنافاته الحكمة ، فيستحيل اتخاذنا له قطعا ، إن كنا فاعلين (١٧) اتخاذ اللهو أردناه لكنا لم نرده فلم نتخذه ، ويجوز أن". (١)

٦٤٤-"ج ٢ ، ص : ٤٦٥

محمد عن الأنوار وما طلب شيئا غيرها ، بل اشتغل بمطالعتها مع أن في ذلك العالم **من العجائب** ما يحير الناظر ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى (١٨) أي والله لقد رأى من عجائب الملك والملكوت ما لا تحيط به العبارة أفرأيتم اللات والعزى (١٩) ومناة الثالثة الأخرى (٢٠) أي ومناة المتأخرة الذليلة ، أي الوضيعة المقدار. وذلك لأن اللات كان وثنا على صورة آدمي وهو لثقيف بالطائف أو لقريش بنخلة والعزى صورتها صورة شجرة سمرة لغطفان ، ومناة صورتها صورة صخرة كانت لخزاعة ولهذيل بقديد. فالآدمي أشرف من النبات ، وهو أشرف من الجماد وهو متأخر ، فالمناة في أخريات المراتب. والمعنى : لما ذكر الله تعالى عظمة آياته في ملكوته وهي أن رسول الله إلى الرسل الذي يسد الآفاق ببعض أجنحته ، ويهلك المدائن بقوته لا يمكنه أن يتعدى السدرة في مقام جلال الله وعزته. قال : أفرأيتم هذه الأصنام مع حقارتها شركاء الله مع ما تقدم ويقال : أفتظنون أن عبادتكم اللات والعزى الأخرى ، ومناة الثالثة في الدنيا تنفعكم في الآخرة.

ألكم الذكر وله الأنثى (٢١) تلك إذا قسمة ضيزى (٢٢) أي كيف جعلتم لله تعالى بنات وقد اعترفتم في أنفسكم أن البنات ناقصات والبنين كاملون ، والله كامل العظمة ، فكيف جعلتموه ناقصا ونسبتم إلى أنفسكم الكامل ، فنسبتكم البنات إلى الله تعالى قسمة جائزة على طريقتكم حيث نسبتم إلى أنفسكم الأعظم من الثقلين ، وأبغضتم البنات ونسبتموهن إلى الأعظم وهو الله تعالى ، وكان على عادتكم أن تجعلوا الأعظم للعظيم وإلا نقص للحقير ، فإذا أنتم خالفتم الفكر والعقل والعادة التي هي لكم ، إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم أي ما هذه الأصنام المذكورات إلا أسماء خالية عن المسميات وضعتموها أنتم وآباؤكم فإنكم قلتم : إنها آلهة وليست بآلهة ما أنزل الله بها من سلطان أي ما أنزل الله بهذه الأسماء من حجة فوضع الاسم لا يجوز إلا بدليل نقلي أو عقلي ، إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس أي ما يتبع الكافرون في تسمية الأصنام آلهة إلا توهم أن ما هم عليه حق ، وإلا ما دونه مما تشتهيه أنفسهم الأمارة بالسوء ولقد جاءهم من ربهم الهدى (٢٣) أي البيان بالكتاب المنزل والمرسل أن الأصنام ليست بآلهة ، وأن العبادة لا تصلح إلا لله الواحد القهار أم

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجييد ٢/٤٦

للإنسان ما تمنى (٢٤) أي الإنسان ما اشتهاه من شفاعة الأصنام وغيرها أو هل له أن يعبد بالاشتهاء فيعبد ما لا يستحق العبادة! فلله الآخرة والأولى (٢٥) أي إن اختار الإنسان معبودا على ما اشتهاه فيعاقبه على فعله في الدنيا وإلا فيعاقبه في الآخرة وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى (٢٦) أي وكثير من الملائكة مع علو منزلتهم لا تنفع شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن

الله في الشفاعة فيمن يشاء ويرضى ، وهو العابد الشاكر ، لا المعاند الكافر ، فإذا كان حال الملائكة في باب الشفاعة كما ذكر فكيف تقبل شفاعة الجمادات ، إن الذين لا يؤمنون بالآخرة أي بأحوال يوم القيامة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى (٢٧) ومناسبة هذه الآية لما قبلها هي أنهم لما بين لهم أن أعظم أجناس الخلق لا شفاعة لهم إلا بالإذن قالوا : نحن لا نعبد". [١]

٦٤٥-"- الرهبة والرهب: مخافة مع تحرز واضطراب، قال: ﴿لأنتم أشد رهبة﴾ [الحشر/١٣]، وقال: ﴿جناحك من الرهب﴾ [القصص/٣٢]، وقرئ: ﴿من الرهب﴾ (وهي قراءة ابن عامر وأبي بكر وحمزة والكسائي وخلف. وقرأ حفص ﴿الرهب﴾ بسكون الهاء، والباقون: ﴿الرهب﴾ انظر: الإتحاف ٣٤٢)، أي: الفزع. قال مقاتل: خرجت ألتمس تفسير الرهب، فلقيت أعرابية وأنا آكل، فقالت: يا عبد الله، تصدق علي، فملأت كفي لأدفع إليها، فقالت: ههنا في رهبي (انظر تفسير القرطبي ٢٨٤/١٣، وعد هذا التفسير الكرماني **من العجائب**. غرائب التفسير ٨٦٨/٢)، أي: كمي. والأول أصح. قال تعالى: ﴿ويدعوننا رغبا ورهبا﴾ [الأنبياء/٩٠]، وقال: ﴿ترهبون به عدو الله﴾ [الأنفال/ ٦٠]، وقوله: ﴿واسترهبوهم﴾ [الأعراف/١١٦]، أي: حملوهم على أن يرهبوا، ﴿وإياي فارهبون﴾ [البقرة/٤٠]، أي: فخافون، والترهب: التعبد، وهو استعمال الرهبة، والرهبانية: غلو في تحمل التعبد، من فرط الرهبة. قال: ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾ [الحديد/٢٧]، والرهبان يكون واحدا، وجمعا، فمن جعله واحدا جمعه على رهابين، ورهابنة بالجمع أليق. والإرهاب: فزع الإبل، وإنما هو من: أرهبت. ومنه: الرهب (الرهب: الناقة المهزولة) من الإبل، وقالت العرب: رهبوت خير من رحموت (قال الفارابي: رهبوت خير من رحموت، يقول: لأن ترهب خير من أن ترحم. ديوان الأدب ٧٩/٢؛ والأمثال ص ٣٠٩).

رهط

- الرهط: العصابة دون العشرة، وقيل: يقال إلى الأربعين، قال: ﴿تسعة رهط يفسدون﴾ [النمل/٤٨]، وقال: ﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾ [هود/٩١]، ﴿يا قوم أرهطي﴾ [هود/٩٢]. والرهطاء (يقال: الرهطة، والرهطاء، والراهطاء) : جحر من جحر اليربوع، ويقال لها رهطة، وقول الشاعر:

أجعلك رهطا على حيض

(البيت:

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجيد ٤٦٥/٢

*متى ما أشأ غير زهو الملو ** ك أجعلك رهطا على حيض*
وهو لأبي المثلم الهذلي، في شرح ديوان الهذليين ٣٠٦/١؛ واللسان (زها) ؛ والمجمل ٤٠٢/٢)
". (١)

٦٤٦-"المفردات في غريب القرآن ، ص : ٣٦٦
بشوكها عن راعيها.
رمد
يقال : رماد ورمدد «١» ، وأرمد وأرمداء ، قال تعالى : كرماد اشتدت به الريح [إبراهيم / ١٨] ، ورمدت النار : صارت رمادا ، وعبر بالرمد عن الهلاك كما عبر عنه بالهمود ، ورمد الماء :
صار كأنه فيه رماد لأجونه «٢» ، والأرمد ما كان على لون الرماد. وقيل للبعوض : رمد ، والرمادة : سنة المحل.
رمز
الرمز : إشارة بالشفة ، والصوت الخفي ، والغمز بالحاجب ، وعبر عن كل كلام كإشارة بالرمز ، كما عبر عن الشكاية بالغمز «٣» ، قال تعالى : قال : آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا
[آل عمران / ٤١] ، وما ارماز ، أي : لم يتكلم رمزا ، وكتيبة رمازة : لا يسمع منها إلا رمز من كثرتها.
رمض
شهر رمضان
[البقرة / ١٨٥] ، هو من الرمض ، أي : شدة وقع الشمس ، يقال :
أرمضته فرمض ، أي : أحرقته الرمضاء ، وهي شدة حر الشمس ، وأرض رمضة ، ورمضت الغنم : رعت في الرمضاء فقرحت أكبادها ، وفلان يترمض الظباء ، أي : يتبعها في الرمضاء.
رمى
الرمي يقال في الأعيان كالسهم والحجر ، نحو : وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى
[الأنفال / ١٧] ، ويقال في المقال ، كناية عن الشتم كالقذف ، نحو : والذين يرمون أزواجهم
[النور / ٦] ، يرمون المحصنات
[النور / ٤] ، وأرمى فلان على مائة ، استعارة للزيادة ، وخرج يترمى : إذا رمى في الغرض.
رهب
الرهبة والرهب : مخافة مع تحرز واضطراب ، قال : لأنتم أشد رهبة
[الحشر / ١٣] ، وقال : جناحك من الرهب

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن . نسخة محققة ٤١٧/١

[القصص / ٣٢] ، وقرئ : من الرهب

«٤» ، أي :

الفزع. قال مقاتل : خرجت ألتمس تفسير الرهب ، فلقيت أعرابية وأنا آكل ، فقالت : يا عبد الله ، تصدق علي ، فملأت كفي لأدفع إليها ، فقالت : هاهنا في رهبي «٥» ، أي : كمي. والأول

---

(١) الرمدد : أرق ما يكون من الرماد.

(٢) الآجن : الماء المتغير الطعم واللون.

(٣) في اللسان : والشكاة توضع موضع العيب والذم. اللسان (شكا).

(٤) وهي قراءة ابن عامر وأبي بكر وحمزة والكسائي وخلف. وقرأ حفص الرهب بسكون الهاء ، والباقون : الرهب انظر : الإتحاف ٣٤٢. [.....]

(٥) انظر تفسير القرطبي ١٣ / ٢٨٤ ، وعد هذا التفسير الكرماني من العجائب. غرائب التفسير ٢ / ٨٦٨.". [١]

٦٤٧-"

الزعم : (بتثليث الزاى) القول المشكوك فى صدقه ، وقد يستعمل بمعنى الكذب حتى قال ابن عباس : كل موضع فى كتاب الله ورد فيه (زعم) فهو كذب ، لا يملكون :

أي لا يستطيعون ، كشف الضر : إزالته أو تحويله عنكم إلى غيركم ، يدعون : أي ينادون ، الوسيلة : القرب بالطاعة والعبادة ، محذورا : أي يحذره ويحترس منه كل أحد ، فى الكتاب : أي فى اللوح المحفوظ ، والآيات : هى ما اقترحته قريش من جعل الصفا ذهبا ، ومبصرة : أي ذات بصيرة لمن يتأملها ويتفكر فيها ، فظلموا بها : أي فكفروا بها وجحدوا ، أحاط بالناس : أي أحاطت بهم قدرته فلا يستطيعون إيصال الأذى إليك إلا بإذننا ، والرؤيا هى ما عاينه صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به من العجائب ، والشجرة :

هى شجرة الزقوم ، والطغيان : تجاوز الحد فى الفجور والضلال.". [٢]

٦٤٨-"اصطفى) (النمل : ٥٩) ، إلى قوله : (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) (النمل : ٦٤) ، للسائل أن يسأل عن وجه الاختلاف فيما أعقبت به كل آية منها وإبداء التناسب في ذلك ؟

والجواب ، والله أعلم : أن الآية الأولى لما نبهوا فيها ذكروا بما تشهد العقول بديهيا وتعترف بدلالته - إذ لا إشكال فيه - من أن السماوات والأرض تشهد بإحكام منعتها ، وإتقان خلقها ، وما أودع سبحانه فيها من العجائب والآيات المشاهدة

---

(١) مفردات القرآن . للراغب . نسخة محققة ص/٣٦٦

(٢) مفردات القرآن للشيخ المراغى ص/٥٠٠

للعيان ، مع انسحاب التغير على جميعها وعلى ما فيها ، بأن لها موجودا أوجدها وأحكم صنعتها وإتقانها ، وأنه لا يمكن أن أوجدت أنفسها ولا أوجدها غيرها مما يماثلها في شواهد الافتقار وانسحاب التغير ، وذلك ما لا تنفك عنه سائر الموجودات فيشهد العقل بأن لها موجدا من غير جنسها متعاليا عن شبهها. إذ لو شبهها لافتقر إلى موجد آخر ، فلبيان الأمر ما أعقبت هذه الآية الأولى بقوله : (بل هم قوم يعدلون) (النمل : ٦٠) ، أي أن الأمر غير خاف ولكنهم يعدلون عنه ، وكذا قيل لهم في دعائهم إلى الإيمان في أول سورة البقرة حين ذكروا بقوله : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم...) (البقرة : ٢١) إلى قوله : (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) (البقرة : ٢٢) ، فهذا كقوله : (بل هم قوم يعدلون) من غي فرق ، لما ذكروا في الموضعين بخلق السماوات والأرض ، وإنزال الماء من السماء ، وإخراج الثمرات ، وإنبات الحدائق العجيبة ، وكانوا يتعرفون بخلقه سبحانه جميع ذلك (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) (العنكبوت : ٦١) ، (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله) (العنكبوت : ٦٣) ، فاعترافهم بهذا ثم يجعلون له تعالى الند والشريك عدول واضح بعد قيام الحجو عليهم ، فقيل هنا : (بل هم قوم يعدلون) .

ثم لما ذكروا بما هو أخفى في قوله تعالى : (أمن جعل الأرض قرارا) (النمل : ٦١) ، فإن تمهيد الأرض للسكني ، وتفجير الأنهار خلالها ، وحجز ما بين العذب والمالح من مياهها ، ليس مما ظهور الاعتبار به وبيانه في الجلاء والوضوح كخلق السماوات والأرض وإنزال الماء إلى ما في الآية ، فلما كان التذكير بما في الآية الثانية أخفى أعقب هذا بقوله : (بل أكثرهم لا يعلمون) (النمل : ٦١) ، ثم تدرج الاعتبار إلى ما هو أخفى فقيل : (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض) (النمل : ٦٢) ، وخفاء الاعتبار بهذا واضح ، ولا يحصل عليه إلا من أمعن النظر فيما تقدم قبله ، فأعقب هذا لخفائه بقوله : (قليلا ما تذكرون) (النمل : ٦٢) ، ثم أعقب بما لا يمكن أن". [1]

٦٤٩-" صفحة رقم ١٣٨

وفي هذه الآية وما تقدمها من آية) واتقوا يوما لا تجزي نفس (تنبيه للعرب من غفلتهم في إنكار البعث وإرشاد إلى سؤال ممن يغرهم من أهل الكتاب بأنهم أولى بالحق من المسلمين عن هذه القصة التي وقعت لأسلافهم من إحيائهم بعد موتهم ، وكذا ما أتى في محاوراتهم من قصة البقرة ونحوها مما فيه ذكر الإحياء في هذه الدار أو في القيامة .

قال الحرالي : وفيه أي هذا الخطاب آية على البعث الآخر الذي وعد به جنس بني آدم كلهم فجأة صعق وسرعة بعث ، فإن ما صح لأحدهم ولطائفة منهم أمكن عمومه في كافتهم - انتهى .

ولما ذكرت الصاعقة الناشئة غالبا من الغمام كان أنسب الأشياء إيلاءها ذكر تظليل الغمام وناسب التحذير من نقمة الإحراق بالصاعقة والتذكير بنعمة الإيجاد من الموت الإتباع بذكر التنعيم في الإبقاء بالصيانة عن حر الظاهر بالشمس والباطن بالجوع .

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل ٣٨١/٢

البقرة : (٥٧ – ٥٩) وظللنا عليكم الغمام. . . . .

) وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السمآء بما كانوا يفسقون (( )

وقال الحرالي وعطف تعالى على ذكر البعث ذكر حال من مثل أحوال أهل الجنة الذي ينالونه بعد البعث ، فكأن عامتهم الذين لم يموتوا إنما شركوا هؤلاء المبعوثين لكونهم كأنهم ماتوا بموتهم وبعثوا ببعثهم ، فذكر ظل الغمام وهو من أمر ما بعد البعث والأرزاق بغير كلفة وهو من حال ما بعد البعث وأفهم ذلك أمورا أخر في أحوالهم كما يقال إن ملابسهم كانت تطول معهم كلما طالوا فكأنهم أخرجو من أحوال أهل الدنيا بالجملة إلى شبه أحوال أهل الجنة في محل تيههم ومستحق منال العقوبة لهم كل ذلك إنعاما عليهم ، ثم لم يزيدوا مع ذلك إلا بعد عن التبصرة في كل ما أبدي لهم **من العجائب** – حدث عن بني إسرائيل ولا حرج فقال : (وظللنا (من الظلة وهو وقاية مما ينزل من سماء الموقي و) عليكم الغمام (من الغم وهو ما يغم النور أي يغطيه – انتهى .

أي فعلنا ذلك لترفيه أجسامكم وترويح أرواحكم ، وعن مجاهد أن الغمام أبرد من السحاب وأرق وأصفى) وأنزلنا عليكم المن (قال الحرالي : هو ما جاء بغير كلفة ، الكمأة من المن – انتهى .

) والسلوى) أي لطعامكم على أن المن من الغمام ، وحشر". [(١)]

٦٥٠–" صفحة رقم ١٩٨

العبودية وأراكم **من العجائب** الخوارق ما لا يقبل شكا وسمعتم كلامه فعلمتم أنه ليس بجسم ولا يشبه الجسم ، فلم تفعلوا ذلك غلا لأن الظلم وهو المشي على غير نظام خبط عشواء وصف لكم لازم .

البقرة : (٩٣ – ١٠٠) وإذ أخذنا ميثاقكم. . . . .

) وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا مآ آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ولقد أنزلنآ إليك آيات بينات وما يكفر بهآ إلا الفاسقون أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون (( )

ثم ذكر أمرا آخر هو أبين في عنادهم وأنهم إنما هم مع الهوى فقال مقبلا على خطابهم لأنه أشد في التقريع) وإذ أخذنا (

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب) ١٣٨/١

وأظهره في مظهر العظمة تصويرا لمزيد جرأتهم) ميثاقكم (على الإيمان والطاعة) ورفعنا فوقكم الطور (الجبل العظيم الذي جعلناه زاجرا لكم عن الرضى بالإقامة في حضيض الجهل ورافعا إلى أوج العلم وقلنا لكم وهو فوقكم) خذوا ما آتيناكم (من الأصول والفروع في هذا الكتاب العظيم) بقوة (.

ولما كانت فائدة السماع القبول ومن سمع فلم يقبل كان كمن لم يسمع قال) واسمعوا (وإلا دفناكم به ، وذلك حيث يكفي غيركم في التأديب رفع الدرة والسوط عليه فينبعث للتعلم الذي أكثر النفوس الفاضلة تتحمل فيه المشاق الشديدة لما له من الشرف ولها به من الفخار ؛ ولما ضلوا بعد هذه الآية الكبرى وشيكا مع كونها مقتضية للثبات على الإيمان بعد أخذ الميثاق الذي لا ينقضه ذو مروءة فكان ضلالهم بعده منبئا". (١)

٦٥١-" صفحة رقم ٦

[الأعراف : ١٧٨] ، فبدأ الاستجابة بنبيه (صلى الله عليه وسلم) بذكر ما أنعم عليه وعلى من استجاب له فقال تعالى : ( ) آلمص كتاب أنزل ( ) [الأعراف : ٢] فأشار إلى نعمته بإنزال الكتاب الذي جعله هدى للمتقين ، واشار هنا ما يحمله عليه من التسلية وشرح الصدور بما جرى **من العجائب** والقصص مع كونه هدى ونورا ، فقال)) فلا يكن في صدرك حرج من ( ) [الأعراف : ٢] أي أنه قد تضمن مما أحلناك عليه ما يرفع الحرج ويسلي النفوس لتنذر به كما أنذر من قبلك ممن نقص خبره من الرسل ، ولتستن في إنذارك ودعائك وصبرك سننهم ، وليتذكر المؤمنون ؛ ثم أمر عباده بالاتباع لما أنزله فقال : ( ) اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ((الأعراف : ٣] فإنة هلاك من نقص عليكم خبره من الأمم إنما كان لعدم الاتباع والركون إلى أوليائهم من شياطين الجن والإنس ، ثم أتبع ذلك بقصة آدم عليه السلام ليبين لعباده ما جرت سنته فيهم من تسلط الشياطين وكيده وأنه عدو لهم)) يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ( ) [الأعراف : ٢٧] ووقع في قصة آدم هنا ما لم يقع في قصة البقرة من بسط ما اجمل هناك كتصريح اللعين بالحسد وتصور خيريته بخلقه من النار وطلبة الإنظار والتسلط على ذرية آدم والإذن له في ذلك ووعيده ووعيد متبعيه ثم أخذ في الوسوسة إلى آدم عليه السلام وحلفه له)) وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين ( ) [الأعراف : ٢١] وكل هذا مما أجمل في سورة البقرة حتى لم يتكرر بالحقيقة ولا التعرض لقصص طائفة معينة فقط ، ومن عجيب الحكمة أن الواقع في السورتين من كلتا القصتين مستقل شاف ، وإذا ضم بعض ذلك إلى بعض ارتفع إجماله ووضح كماله ، فتبارك من هذا كلامه ومن جعله حجة قاطعة وآية باهرة .

ولما أعقب تعالى قصصهم في البقرة بأمره نبيه والمؤمنين بالعفو والصفح فقال تعالى)) فاعفوا واصفحوا ( ) [البقرة : ١٠٩] أعقب تعالى أيضا هنا بقوله لنبيه عليه الصلاة والسلام)) خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ( ) [الأعراف : ١٩٩] وقد خرجنا عن المقصود فلنخرج إليه انتهى

الأعراف : (٣ - ٧) اتبعوا ما أنزل. .. . .

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب) ١٩٨/١

) اتبعوا مآ أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أوليآء قليلا ما تذكرون وكم من قرية أهلكناها فجآءها بأسنا بياتا أو هم قآئلون فما كان دعواهم إذ جآءهم بأسنآ إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن". (١)

٦٥٢-" صفحة رقم ٣٦٢

عليهم ، ورهبهم بأنه لا مرد لما يريد من العذاب بقوله : (فإن يتوبوا (ولما كان المقام جديرا بأن يشتد تشوف السامع إلى معرفة حالهمفيه ، حذف نون الكون اختصارا تبيهيا على ذلك فقال) يك (اي ذلك) خيرا لهم (من إصرارهم .

ولما كان للنفوس من اصل الفطرة الأولى داعية شديدة إلى المتاب ، وكان القرآن في وعظه زاجرا مقبول العتاب عظيم الأخذ بالقلوب والعطف للألباب ، أشار إلى ذلك بصيغة التفعيل فقال : (وإن يتولوا) أي يكلفوا أنفسهم الإعراض عن المتاب) يعذبهم الله) أي المحيط بكل شيء قدرة وعلما بحوله وقوته) عذابا أليما) أي لا صبر لهم عليه) في الدنيا) أي بما هم فيه من الخوف والخزي والكلف وغيرها) والآخرة) أي بالعذاب الأكبر الذي لا خلاص لهم منه) وما لهم في الأرض) أي التي لا يعرفون غيرها لسفول هممهم) من ولي) أي يتولى أمورهم فيصلح ما أفسد العذاب منهم أو يشفع لهم) ولا نصير) أي ينقذهم ؛ وأما السماء فهم أقل من أن يطمعوا منها بشيء ناصر أو غيره وأغلظ أكبادا من أن يرتقي فكرهم إلى ما لها **من العجائب** وما بها من الجنود ؛ وسبب نزول الآية على ما قال ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي (صلى الله عليه وسلم)كان جالسا في ظل شجرة فقال : سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيني شيطان ، فإذا جاء فلا تكلموه ، فلم يلبثوا أن طلع رجل أرزق فدعاه رسول الله صلى اله عليه وسلم فقال : علام تشتمني انت وأصحابك ؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله .

ما قلوا ، فأنزل الله الآية ؛ وقال الكلبي : نزلت في الجلاس بن سويد ، وذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين فسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس : لئن كان محمدا لصادق وأنتم شر من الحمير ، فلما انصرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قاله الجلاس ، فقال الجلاس : كذب علي يا رسول الله فأمرهما رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند بعد العصر فحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر ، وقام عامر فحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما قاله ولقد ثم رفع عامر رضي الله عنه يديه إلى السماء فقال : اللهم انزل على نبيك تصديق الصادق منا ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنون آمنين فنزل جبريل عليه السلام قبل أن يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ) فغن تبوبوا يك (اي التوب) خيرا لهم (فقام الجلاس فقال : يا رسول الله اسمع الله قد عرض علي التوبة ، صدق عامر بن قيس فيما قاله ، لقد قلته ، ". (٢)

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب) ٦/٣

(٢) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب) ٣٦٢/٣

٦٥٣-" صفحة رقم ٨
واكتنافه بالعصمة وبراءته عند الملك والنسوه ، وكل ذلك مما أعقبه جميل صبره وجلالة اليقين في حسن تلقي الأقدار بالتفويض والتسليم على توالي الامتحان وطول المدة ، ثم انجر في أثناء هذه القصة الجليلة إنابة امرأة العزيز ورجوعها إلى الحق وشهادتها ليوسف عليه الصلاة والسلام بما منحه الله من النزاهة عن كل ما يشين ، ثم استخلاص العزيز إياه - إلى ما انجر في هذه القصة الجليلة من العجائب والعبر
٧٧ ( ) لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ( ) ٧
[يوسف : ١١١] فقد انفردت هذه القصة بنفسها ولم تناسب ما ذكر من قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم الصلاة والسلام وما جرى في أممهم ، فلهذا فصلت عنهم ، وقد أشار في سورة برأسها إلى عاقبة من صبر ورضى وسلم ليتنبه المؤمنون على ما في طي ذلك ، وقد طرح لهم مما أجملته هذه السورة من الإشارة في قوله تعالى
٧٧ ( ) وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ( ) ٧
- إلى قوله
٧٧ ( ) آمنا ( ) ٧
[النور : ٥٥] وكانت قصة يوسف عليه الصلاة والسلام بجملتها أشبه شيء بحال المؤمنين في مكابدتهم في أول الأمر وهجرتهم وتشققهم مع قومهم وقلة ذات أيديهم إلى أن جمع الله شملهم
٧٧ ( ) اذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ( ) ٧
[آل عمران : ١٠٣] وأورثهم الله الأرض وأيدهم ونصرهم ، ذلك بجليل إيمانهم وعظيم صبرهم ، فهذا ما أوجب تجرد هذه القصة عن تلك القصص - والله أعلم ، وأما تأخر ذكرها عنها فمناسب لحالها ولأنها إخبار بعاقبة من آمن واتعظ ووقف عند ما حد له ، فلم يضره ما كان ، ولم تذكر إثر قصص الأعراف لما بقي من استيفاء تلك القصص الحاصل ذلك في سورة هود ؛ ثم إن ذكر أحوال المؤمنين مع من كان معهم من المنافقين وصبرهم عليهم مما يجب أن يتقدم ويعقب بهذه القصة من حيث عاقبة الصبر والحض عليه - كما مر ، فأخرت إلى عقب سورة هود عليه الصلاة والسلام لمجموع هذا - والله تعالى أعلم ؛ ثم ناسبت سورة يوسف عليه الصلاة والسلام أيضا أن تذكرإثر قوله تعالى
٧٧ ( ) إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ( ) ٧
[هود : ١١٤] ، وقوله
٧٧ ( ) واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ( ) ٧
[هود : ١١٥] وقول
٧٧ ( ) ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ( ) ٧
- [هود : ١١٨] الآية ، وقوله
٧٧ ( ) وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون ( ) ٧

[هود : ١٢١] فتدبر ذلك ، غما نسبتها للأولى فإن ندم إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام واعترافهم بخطاء فعلهم وفضل يوسف عليه الصلاة والسلام عليهم

٧٧ ( ) لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ( ) ٧

[يوسف : ٩١] وعفوه عنهم

٧٧ ( ) لا تثريب عليكم اليوم يغفرالله لكم ( ) ٧

[يوسف : ٩٢] وندم امرأة العزيز وقولها

٧٧ ( ) الآن حصحص الحق ( ) ٧

[يوسف : ٥١] –". (١)

٦٥٤–" صفحة رقم ١١٩

الموتى ( ) ٧

[الأعراف : ٥٧] وكان قد ورد هنا أعظم جهة في الاعتبار من إخراجها مختلفات في الطعوم والألوان والروائح مع اتحاد المادة (يسقى) بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل لذلك ما أعقب قوله تعالى : (وفي الأرض قطع متجاورات (الآية بقوله) وإن تعجب فعجب قولهم إذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد (ثم بين سبحانه الصنف القائل بهذا وأنهم الكافرون أهل الخلود في النار ، ثم أعقب ذلك ببيان عظيم حلمه وعفوه فقال

٧٧ ( ) ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة ( ) ٧

[الرعد : ٦] الآية ، ثم أتبع ذلك بما يشعر بالجري على السوابق في قوله

٧٧ ( ) إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ( ) ٧

[الرعد : ٧] ثم بين عظيم ملكه واطلاعه على دقائق ما أوجده من جليل صنعه واقتداره فقال) الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الأرحام (الآيات إلى قوله : (وما لكم من دونه من وال (ثم خوف عباده وأنذرهم ورغبهم

٧٧ ( ) هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا ( ) ٧

[الرعد : ١٢] ، والآيات وكل ذلك راجع إلى ما أودع سبحانه في السماوات والأرض وما بينهما من الآيات ، وفي ذلك أكثر آي السورة ونبه تعالى على الآية الكبرى والمعجزة العظمى فقال :

٧٧ ( ) ولو أن قرانا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أوكلم به الموتى ( ) ٧

[الرعد : ٣١] والمراد : لكان هذا القرآن

٧٧ ( ) لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ( ) ٧

[النساء : ٨٢] والتنبيه بعظيم هذه الآيات مناسب لمقتضى السورة من التنبيه بما أودع تعالى من الآيات السماوات

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب) ٨/٤

والأرض ، وكأنه جل وتعالى لما بين لهم عظيم ما اودع من السماوات والأرض وما بينهما من الآيات وبسط ذلك وأوضحه ، أردف ذلك بآية أخرى جامعة للآيات ومتسعة للاعتبارات فقال تعالى

٧٧ ( ) ولو أن قرآنا سيرت به الجبال ( ) ٧

[الرعد : ٣١] فهو من نحو

٧٧ ( ) إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم ( ) ٧

[الجاثية : ٣] أي لو فكرتم في آيات السماوات والأرض لأقلتكم وكفتكم في بيان الطريق إليه ولو فكرتم في أنفسكم وما أودع تعالى فيكم **من العجائب** لاكتفيتم (من عرف نفسه عرف ربه) فمن قبيل هذا الضرب من الاعتبار هو الواقع في سورة الرعد من بسط آيات السماوات والأرض ، ثم ذكر القرآن وما يحتمل ، فهذه إشارة إلى ما تضمنت هذه السورة الجليلة من بسط الآيات المودعة في الأرضين والسماوات .

وأما قوله تعالى

٧٧ ( ) وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ( ) ٧

[يوسف : ١٠٦] فقد أشار إلى ما قوله تعالى : (ولكن أكثر الناس لأ يؤمنون إنما يتذكر أولوا الألباب (وقوله تعالى :

٧٧ ( ) الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله لا بذكر الله تطمئن القلوب ( ) ٧

[الرعد : ٢٨]". (١)

٦٥٥-" صفحة رقم ٤٠٠

ولما كان التقدير للتعريف بمطابقة الخبر الخبر : اذكر أنا قلنا لك) إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل ءاية) [يونس : ٩٦] واذكر ما وقع من ذلك ماضيا من آيات الأولين وحالا من قصة الإسراء ، عطف عليه قوله تعالى : (وإذ) أي واذكر إذ) قلنا (على ما لنا من العظمة المحيطة) لك إن ربك (المتفضل بالإحسان إليك بالرفق بأمتك) أحاط بالناس (علما وقدرة ، تجد ذلك إذا طبقت بعضه على بعض أمرا سويا حذو القذة لا تفاوت فيه ، واعلم أنه مانعك منهم وحائطك ومظهر دينك كما وعدك ؛ ثم عطف على) وما نرسل (قوله تعالى : (وما جعلنا) أي بما لنا من القوة الباهرة التي لها الغنى المطلق) الرءيا التي أريناك) أي بتلك العظمة التي شاهدتها ليلة الإسراء) إلا فتنة) أي امتحانا واختبارا) للناس (ليتبين بذلك في عالم الشهادة المتقي المحسن والجاهل المسيء كما هو عندنا في عالم الغيب ، فنقيم بها عليهم الحجة ، لا ليؤمن أحد من حقت عليهم الكلمة ولا لنزداد نحن علما بسرائرهم ، ولا شك في أن قصة الإسراء إلى بيت المقدس ثم إلى السماوات العلى كان يقظة لا مناما بالدليل القطعي المتواتر من تكذيب من كذب وارتداد من ارتد ، وهذا مذهب الجمهور وأهل السنة والجماعة ، وقد ورد في صحته ما لايحصى من الأخبار - هذا النقل ، وأما الإمكان العقلي فثابت غير محتاج إلى بيان ، فإن كل ذرة من ذرات الموجودات فيها **من العجائب** والغرائب والدقائق

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب) ٤/١١٩

والرقائق ما يتحير فيه العقول ، لكن لما كان على خلاف العادة ألفته الطباع ، فلم تنكره الأبصار ولا الأسماع ، وأما مثل هذا فلما كان على خلاف العادة استنكره ضعفاء العقول الذين لا يتجاوز فهمهم المحسوسات ، على ما ألفوا من العادات ، وأما أولو الألباب الذين سلموا من نزعات الشيطان ووساوس العادة ، ونظروا بأعين البصائر إلى آثار رحمة الله في صنع المصنوعات وإحداث المحدثات في الملك والملكوت ، والشهادة والغيب ، والخلق والأم ، فاعترفوا به ، وأنه من عظيم الآيات ، وبدائع الدلائل النيرات ، وأدل دليل على ذلك قوله تعالى) فتنة (لأنه لو كان رؤيا منام لم يكن بحيث يستبعده أحد فلم يكن فتنة ، ولعله إنما سماه رؤيا – وهي للمنام – على وجه التشبيه والاستعارة ، لما فيه من الخوارق التي هي بالمنام أليق في مجاري العادات ، روى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما) وما جعلنا الرءيا التي أريناك (الآية ، قال : هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة أسري به .

ولما كان كل ما خفي سببه وخرج عن العادة فتنة يعلم به في طبعه الحق ومن في طبعه الباطل ، ومن هو سليم الفطرة ومن هو معكوسها ، وكان قد أخبر أن شجرة". (١)

٦٥٦-" صفحة رقم ٤٤٧

ولما كان دعاءها إلى الزهد فيها والإعراض عنها جملة والاستدلال بها على تمام علم صانعها وشمول قدرته على إعادة الخلائق كما ابتدأهم وغير ذلك خفيا ، لكونه مستورا عن العقول بهوى النفوس ، نبه عليه بقوله تعالى : (وإنا لجاعلون) أي بما لنا من العظمة ثابت لنا هذا الوصف دائما) ما عليها (من جميع تلك الزينة لا يصعب علينا شيء منه) صعيدا (أي ترابا بأن نهلك تلك الزينة بإزالة اخضرارها فيزول المانع من استيلاء التراب عليها ثم نسلط عليها الشموس والرياح فيردها بذلك إلى أصلها ترابا) جزرا (أي يابسا لا ينبت شيئا بطبعه ، وكذا نفعل بمن سبب تسليط البلاء عليه من الحيوان آدميا كان أو غيره سواء .

ولما كان من المشاهد إعادة النبات بإذن الله تعالى بإنزال الماء عليه إلى الصورة النباتية التي هي الدليل على إحياء الموتى مرة بعد مرة ما دامت الأرض موجودة على هذه الصورة ، طوي ذكر ذلك سترا لهذا البرهان المنير عن الأغبياء المشغولين بالظواهر ، علما منه سبحانه بظهوره لأولي البصائر .

الكهف : (٩ – ١٢) أم حسبت أن. .. . . .

) أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنآ آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا (((

ولما كان هذا من العجائب التي تضاءل عندها العجائب ، والغرائب التي تخضع لديها الغرائب ، وإن صارت مالوفة بكثرة التكرار ، والتجلي على الأبصار ، هذا إلى ما له من الآيات التي تزيد على العد ، ولا يحصر بحد ، من خلق السماوات

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب) ٤/٤٠٠

والأرض ، واختلاف الليل والنهارن وتسخير الشمس والقمر والكواكب – وغيرها ذلك ، حقر آية أصحاب الكهف – وإن كانت من أعجب العجب – لا ضمحلالها في جنب ذلك ، لأن الشيء إذا كان كذلك كثر ألفه فلم يعد عجبا ، فنبه على ذلك بقوله تعالى عطفا على ما تقديره : أعلمت أن هذا وغيره من عجائب قدرتنا ؟ : (أم حسبت (على ما لك من العقل الرزين والرأي الرصين) أن أصحاب الكهف) أي الغار الواسع المنقور في الجبل كالبيت) والرقيم) أي القرية أو الجبل) كانوا (هم فقط) من ءايتنا عجبا (على ما لزم من تهويل السائلين من الكفرة من اليهود والعرب ، والواقع أنهم – وإن كانوا **من العجائب** – ليسوا بعجب بالنسبة إلى كثرة آياتنا ، وبالنسبة إلى هذا العجب النباتي الذي أعرضتم عنه بإلفكم له من كثرة تكرره فيكم ، فإنه سبحانه أخرج نبات الأرض على تباني أجناسه ، واختلاف ألوانه وأنواعه ، وتضاد طبائعه ، من مادة واحدة ، يهتز بالينبوع ، يبهج الناظرين ويروق المتأملين ، ثم يوقفه ثم يرده بليبس والتفرق إلى التراب فيختلط به حتى لا يميزه". (١)

٦٥٧-" صفحة رقم ٥٠١

ولما فرغ من هذه القصة التي حاصلها أنها طواف في الأرض لطلب العلم ، عقبها بقصة من طاف الأرض لطلب الجهاد ، وقدم الأولى إشارة إلى علو درجة العلم لأنه أساس كل سعادة ، وقوام كل أمر ، فقال عاطفا على

٧٧ ( ) ويجادل الذين كفروا بالباطل ( ) ٧

[الكهف : ٥٦]) ويسألونك عن (الرجل الصالح المجاهد) ذي القرنين (سمي لشجاعته أو لبلوغه قرني مغرب الشمس ومشرقها ، أو الانقراض قرنين من الناس في زمانه ، أو لأنه كان له ضفيرتان من الشعر أو لتاجه قرنان ، وهو الإسكندر الأول – نقل ابن كثير عن الأزرقي أنه كان على زمن الخليل عليه السلام ، وطاف معه بالبيت ، ومن المناسبات الصورية أن في قصة كل منهما ثلاثة أشياء آخرها بناء جدار لا سقف له ، وإنما هو لأجل حفظ ما يهتم به خوف المفسدن وصدرها بالإخبار عن سؤالهم إشارة إلى أنهم لم يسألوا عن التي قبلها على ما فيها **من العجائب** وللطائف ، والأسرار والمعارف ، تبكيتا لليهود في إغفال الأمر بالسؤال عنها إن كان مقصودهم الحق ، وإن لم يكن مقصودا لهم كانوا بالتبكيت أجدر ، أو تكون معطوفة على مسألتهم الأولى وهي الروح ، وصدرها بالإخبار بالسؤال تنبيها على ذلك لطول الفصل ، إشارة إلى أن ذلك كله مرتبط بجوابهم ارتباط الدر بالسلك .

ولما كان من المعلوم أنه يقول صلى الله عليه وعلى آله وسلم : فبماذا أجيبهم ؟ قال : (قل) أي لهم : (سأتلوا) أي أقص قصا متتابعا في مستقبل الزمان إن أعلمني الله به) عليكم (أيها المشركون وأهل الكتاب المعلمون لهم مقيدا بأن شاء الله كما سلف لك الأمر به) منه ذكرا (كافيا لكم في تعرف أمره ، جامعا لمجامع ذكره .

ولما كانت قصته من أدل دليل على عظمة الله ، جلاها في ذلك المظهر فقال : (إنا (مؤكدا لأن المخاطبين بصدد التعنت والإنكار) مكنا) أي بما لنا من العظمة ، قيل : بالملك وحده ، وقيل مع النبوة ، لأن ما ينسب إلى الله تعالى على سبيل

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب) ٤٤٧/٤

الامتنان والإحسان جدير بأن يحمل على النهاية لا سيما إذا عبر عنه بمظهر العظمة) له في الأرض (مكنة يصل بها إلى جميع مسلوكها ، ويظهر بها على سائر ملوكها) وءاتيناه (بعظمتنا) من كل شيء (يحتاج إليه في ذلك) سببا (قال أبو حيان : وأصل السبب الحبل ، ثم توسع فيه حتى صار يطلق على ما يتوصل به إلى المقصود .

فأراد بلوغ المغرب ، ولعله بدأ به لأن باب التوبة فيه) فأتبع) أي بغاية جهده – هذا على قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو بالتشديد ، والمعنى على قراءة الباقين بقطع الهمزة وإسكان الفوقانية : ألحق بعض الأسباب ببعض ، وذلك تفسير لقراءة التشديد) سببا (يوصله". (١)

٦٥٨–" صفحة رقم ٥١٨

وقصدوا قتله على وجه معرب عن شأنه غاية الإعراب ، مبين فيه وجه الصواب ، متمما لتبكيت اليهود الآمرين لقريش بالتعنت بالسؤال بالإشارة إلى قتل زكريا ويحي عليهما الصلاة والسلام وإعاء صلب المسيح الذي بشرت به التوراة ، وهم الآن ينتظرونه ويدعون أنهم أخص الناس به ، وقذف أمه – وحاشاها – دالا بذلك على القدرة على البعث ، قال في التوراة في آخر السفر الأول : إن يعقوب عليه الصلاة والسلام أخب ربقرب وفاته وقال لبنيه : اجتمعوا إلى فأبين لكم ما هو كائن من أمركم في آخر الأيام ، اجتمعوا واسمعوا يا بني يعقوب انصتوا لإسرائيل أبيكم ثن قال : يا يهوذا لك يعترف إخوتك بتعالى يدك على رقاب أعدائك ، وليسجد لك بنو أبيك ، شبل الليث ، من ذا يقيمه عن فريسته ، لا يزول القضيب من آل يهوذا ، لا يعدم سبط يهوذا ملكا مسلطا وأفخاده نبيا مرسلا حتى يأتي الذي له الملك – وفي نسخة : الكل – وإياه تنتظر الشعوب ، يربط بالحبلة جحشه عيناه أشد شهولة من الخمر ، وأسنانه أشد بياضا من اللبن – هذا نصه ، وعند اليهود أنه المسيح ، ويسمونه مع ذلك المنتظر والمهدي ، وعندهم أنه ينصرهم ويخلصهم مما هم فيه من الذل ، فقلت لبعضهم : أشهد أنه المسيح ابم مريم الذي أتى وتبعه النصارى وعاديتموه حتى رفعه الله تعالى ، فقال الذي في التوارة أنه يكون له الكل ، وعيسة مل كان كذلك ، فقلت : إنه يكون له الكل حين ينزل تابعا لديننا من حيث إنه لا يقبل إلا الإسلام ، فيطبق أهل الأرض على إتباعهخ عليه ، ويسعد به منكم من يتبعه ، ويزول عنه الذل ، هذا لا يناف كلام التوراة فإنه لم يقيد ذلك بساعة إتيانه. فلم يقبل ذلك ، ثم إنه أتى إلي يوما بكتاب من كتبهم في شرح سفر الأنبياء فقال في الكلام على البشائر المتعلقة بالمسيح " ولا يعد أن يبدو لإسرائيل ثم يختقي ثم يظهر فيكون له الكل " فقلت له : انظر وتبصر هذا عين ما ذكرته لك من قبل فبهت لذلك فقلت : أطعني وأسلم ففكر ثم قال : حتى يريد الله تعالى .

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير في برهانه : لما قال تعالى) أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (ثم أورد خبرهم وخبر الرجلين وموسى والخضر عليهما السلام وقصة ذي القرنين ، أتبع سبحانه ذلك بقصص تضمنت من العجائب ما هو أشد عجبا وأخفى سببا ، فافتتح سورة مريم بيحيي بن زكريا وبشارة زكريا به بعد الشيخوخة وقطع الرجاء وعقر الزوج حتى سأل زكريا مستفهما ومتعجبا) أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) [مريم

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب) ٥٠١/٤

: ٨] فأجابه تعالى بأن ذلك عليه هين ، وأنه يجعل ذلك آية للناس ، وأمر هذا أعجب من القصص المتقدمة ، فكان". (١)

٦٥٩-" صفحة رقم ٥٤٠

أعماله كما أشارت إليه قراءة الجمهور – من غير كلفة في شيء ، في ذلك لأن الله أخلصه له كما في قراءة الكوفيين بالفتح) وكان رسولا (إلى بني إسرائيل والقبط) نبيا (ينبئه الله بما يريد من وحيه لينبئ به المرسل إليهم ، فيرفع بذلك قدره ، فصار الإخبار بالنبوة عنه مرتين : إحداهما في ضمن) رسولا (والأخرى صريحا مع إفهام العلو باشتقاقه من النبوة ، وبكون النبأ لا يطلق عليه غالبا إلا على خبر عظيم ، فصار المراد : رسولا عاليا مقداره ويخبر بالأخبار الجليلة ، وفيه دفع لما يتوهم من أنه رسول عن بعض رسله كما في أصحاب يس ؛ وعطف على ذلك دليله الدال على ما صدرت به السورة من الرحمة ، فرحمة بتأنيس وحشته وتأهيل غربته بتلذيذه بالخطاب وإعطائه الكتاب فقال : (وناديناه) أي بما لنا من العظمة) من جانب الطور) أي الجانب) الأيمن (فأنبأه هنالك – حين كان متوجها إلى مصر – بأنه رسولنا ، ثم واعدناه إليه بعد إغراق آل فرعون ، فكان لنبي إسرائيل به **من العجائب** في رحمتهم بإنزال الكتاب ، والإلذاذ بالخطاب ، من جوف السحاب ، وفي إماتتهم لما طلبوا الرؤية ، ثم إحيائهم وغير ذلك ما يجل عن الوصف على ما هو مذكور في التوراة ، وتقدم كثير منه في هذا الكتاب) وقربناه (بما لنا من العظمة تقريب تشريف حال كونه) نجيا (نخبره من أمرنا بلا واسطة من النجوى وهي السر والكلام بين الاثنين كالسر ، والتشاور كما في يوسف ويأتي في المجادلة) ووهبنا له) أي هبة تليق بعظمتنا) من رحمتنا (له لما سألنا) أخاه) أي معاضدة أخيه وبينه بقوله : (هارون (حال كونه) نبيا (أو هو بدل أي نبوته شددنا به أزره ، وقوينا به أمره ، وكان يخلفه من قومه عند ذهابه إلى ساحة المماجاة ، ومع ذلك فأشركوا بي صورة عجل ، فلا تعجب من غرورهم للعرب مع مباشرتهم لهذه العظائم .

ولما كان إسماعيل عليه الصلاة والسلام هو الذي ساعد أباه إبراهيم عليه السلام في بناء البيت الذي كان من الأفعال التي أبقى الله بها ذكره ، وشهر أمره وكان موافقا لموسى عليه السلام في ظهور آية الماء الذي به حياة كل شيء وإن كانت آية موسى عليه السلام بانقضائه ، وآيته هو باقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهي التي كانت سبب حياته وماؤها ببركته أفضل مياه الأرض ، وجعل سبحانه آية الماء التي أظهرها له سبب حفظه من الجن والإنس والوحش وسائر المفسدين ، إشارة إلى أنه سبحانه يحيي بولده محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي غذاه بذلك الماء ورباه عند ذلك البيت إلى أن اصطفاه برسالته ، فحسدته اليهود وأمرت بالتعنت عليه – ما لم يحي بغيره ، ويجعله قطب الوجود كما خصه – من بين آل إبراهيم عليه السلام – بالبيت الذي هو كذلك قطب الوجود ، ويشفي به من داء الجهلن ويغني به من مرير الفقر ، كما جعل ماء زمزم طعام طعم وشفاء سقم ، وكان (صلى الله عليه وسلم) آخر من شيد قدرهم ، وأعظم من أعلى ذكرهم ،

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب) ٥١٨/٤

عقب". (١)

٦٦٠-" صفحة رقم ١٩

المسارعة إلى وضعه من غير تمهل لشيء أصلا ، إشارة إلى أنه فعل مضمون السلامة كيف ما كان ، والتعريف لأنه نوع من الصناديق أشد الناس معرفة به بنو إسرائيل) فاقذفيه) أي موسى عليه السلام عقب ذلك بتابوته ، أو التابوت الذي فيه موسى عليه السلام) في اليم) أي البحر وهو النيل .

ولما كانت سلامته في البحر **من العجائب** ، لتعرضه للغرق بقلب الريح للتابوت ، أو بكسره في بعض الجدر أو غيرها ، أوبجرية مستقيما مع أقوى جرية من الماء إلى البحر الملح وغير ذلك من الآفات ، أشار إلى تحتم تنجيته بلام الأمر عبارة عن معنى الخبر في قوله ، عاجلا البحر كأنه ذو تمييز ليطيع الأمر : (فليلقه) أي التابوت الذي فيه موسى عليه السلام أو موسى بتابوته) اليم بالساحل) أي شاطىء النيل ، سمي ذلك لأن الماء يسحله ، أي ينشره إلى جانب البيت الذي الفعل كله هربا من شر صاحبه ، وهو فرعون ، وهو المراد بقوله : (يأخذه (جوابا للأمر ، أي موسى) عدو لي (ونبه على محل العجب بإعادة لفظ العدو في قوله : (وعدو له (فإنه ما عادى بني إسرائيل بالتذبيح إلا من أجله) وألقيت عليك محبة) أي عظيمة ؛ ثم زاد الأمر في تعظيمها إيضاحا بقوله : (مني) أي ليحبك كل من رآك لما جبلتك عليه من الخلال الحميدة ، والشيم السديدة ، لتكون أهلا لما أريدك له) ولتصنع) أي تربى بأيسر أمر تربية بمن هو ملازم لك لا ينفك عن الاعتناء بمصالحك عناية شديدة) على عيني) أي مستعليا على حافظيك غبير مستخفي في تربيتك من أحد ولا مخوف عليك منه ، وأنا حافظ لك حفظ من يلاحظ الشيء بعينه لا يغيب عنها ، فكان كل ما أردته ، فلما رآك هذا العدو أحبك وطلب لك المراضع ، فلما لم تقبل واحدة منهن بالغ في الطلب ، كل ذلك إمضاء لأمري وإيقافا لأمره به نفسه لا بغيره ليزداد العجب من إحكام السبب ، ثم ثم ذكر ظرف الصنع فقال : (إذ) أي تحين) تمشي أختك) أي في الموضع الذي وضعوك به لينظروا لك مرضعة) فتقول (بعد إذ رأتك ، لآل فرعون : (هل أدلكم على من يكفله) أي يقوم بمصالحه من الرضاع والخدمة ، ناصحا له ، فقالوا : نعم فجاءت بأمك فقبلت ثديها) فرجعناك) أي فتسبب عن قولها هذا أن رجعناك) إلى أمك (حين دلتهم عليها) كي تقر) أي تبرد وتسكن) عينها (وتربيك آمنة عليك غير خائفة ، ظاهرة غير مستخفية) ولا تحزن (بفراقك أو بعدم تربيتها لك وبذلها اجهد في نفعك) وقتلت نفسا) أي بعد أن صرت رجلا من القبط دفعا عن رجل من قومك فطلبت بها وأرادوا قتلك) فنجيناك (بما لنا من العظمة) من الغم (الذي كان قد نالك بقتاه خوفا من جريرته ، بأن أخرجناك مهاجرا لديارهم نحو مدين) وفتناك فتونا) أي خلصناك من محنة بعد نحنة مرة بعد". (٢)

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب) ٥٤٠/٤

(٢) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب) ١٩/٥

٦٦١-" صفحة رقم ٩٦

بقتل الوزغ وقال : (كان ينفخ النار على إبراهيم) وقال ابن كثير : وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عبيد الله بن أخي وهب ثنا عمي عن جرير بن حازم أن نافعا حدثه قال : حدثتني مولاة الفاكة بن المغيرة المخزومي قالت : دخلت على عائشة رضي الله عنها فرأيت في بيتها رمحا فقلت : يا أم المؤمنين ما تصنعين بهذا الرمح ؟ فقالت : نقتل به هذه الأوزاغ ، إن رسول الله قال : (إن إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار لم يكن في الأرض دابة إلا تطفيء عنه غير الوزغ ، فإنه كان ينفخ على إبراهيم فأمرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقتله .

(ولما قدم ما نبه على شدة الاهتمام به لإفهامه أنه حكم بسلامته من كيدهم عند همهم به فكيف بما بعده قال عاطا على تقديره : فألقوه فيها : (وأرادوا به كيدا) أي مكرا بإضراره بالنار وبعد خروجه منها) فجعلناهم) أي بما لنا من الجلال .

ولما كانوا قد أرادوا بما صنعوا له من العذاب أن يكون أسفل مننم أهل ذلك الجمع ، وكان السياق لتحقيق أمر الساعة الذي هو مقصود السورة ، وكان الصائر إليها المفرط فيها بالتكذيب بها قد خسر خسارة لا جبر لها لفوات محل الاستدراك ، قال : (الأخسرين (لأن فضيحتهم في الدنيا الموجبة للعذاب في الأخر كانت بنفس فعلهم الذي كادو به ، ولم يذكر سبحانه شعيبا عليه السلام مع أنه سخر له النار في يوم الظلة فأحرقت عصاه ، لأن فعل النار بقومه كان على ما هو المعهود من أمرها بخلاف فعلها مع إبراهيم عليه السلام ، فإنه على خلاف المعتاد ، وقد وقع مثل هذا لبعض أتباع نبينا (صلى الله عليه وسلم) ، وهو أبو مسلم الخولاني ، طلبه الأسود العنسي لما ادعى النبوة فقال له : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : ما أسمع ، قال : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم فأمر بنار فألقي فيها فوجده قائما يصلي فيها وقد صارت عليه بردا وسلاما ، وقدم بعد موت النبي (صلى الله عليه وسلم) فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر رضي الله عنهما وقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني من أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله .

ولما كان إنجاؤه - وهو وحده - ممن أرادوا به هذا الأمر العظيم **من العجائب** فكيف إذا انضم إليه غيره ، ولم يكن في ذلك الغير آية تمنعهم عنه كما كان في إبراهيم". (١)

٦٦٢-" صفحة رقم ١٣٨

يعلمك بوقتها ؟ ثم استأنف قوله : (لعل الساعة) أي التي لا ساعة في الحقيقة غيرها لما لها **من العجائب**) تكون) أي توجد وتحدث على وجه مهول عجيب) قريبا) أي في زمن ثريب ، ويجوز أن يكون التذكير لأجل الوقت لأن السؤال عنها إنما هو سؤال عن تعيين وقتها ، قال البخاري في الصحيح : إذا وصفت صفة المؤنث قلت : قريبة ، وإذا جعلته ظرفا وبدلا ولم ترد الصفة نزعت الهاء من المؤنث ، وكذلك لفظها في الواحد والاثنين والجمع للذكر والأنثى .

والمراد بالتعبير بلعل أنها بحيث يرجو قربها من يرجوه ويخشاه من يشخاه ، فهل أعد من يخشاها شيئا للمدافعة إذا جاءت

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب) ٩٦/٥

أو النجاة منها إذا أقبلت ؟ ثم استأنف الإخبار بحال السائلين عنها بقوله مؤكدا في مقابلة إنكار الكفار أن يكون في حالهم شي من نقص : (إن الله) أي الملك الأعظم الذي لا أعظم منه) لعن) أي أبعد إبعادا عظيما عن رحمته) الكافرين) أي الساترين لما من شأنه أن يظهر مما دلت عليه العقول السليمة من أمرها سواء كانوا مشاققين أو منافقين) وأعد لهم) أي أوجد وهيأ لتكذيبهم بها وبغيرها مما أوضح لهم ادلته) سعيرا) أي نارا شديدة الاضطرام والتوقد .

ولما كان العذاب ربما استهانه بعض الناس إذا كان ينقطع ولو كان شديدا ، قال مبينا لحالهم : (خالدين فيها (ولما كان الشيء قد يطلق على ما شابهه بوجه مجازا وعلى سبيل المبالغة ، قال مؤكدا لإرادة الحقيقة : (أبدا (ولما كان الشيء قد يراد ثم يمنع منه مانع ، قال مبينا لحالهم في هذه الحال : (لا يجدون وليا) أي يتولى أمرا مما يهمهم بشفاعة أو غيرها) ولا نصيرا (ينصرهم .

ولما ذكر حاليهم هذين ، أتبعه حالا لهم قوليا على وجه بين حالا فعليا فقال : (يوم) أي مقدار خلودهم فيها على تلك الحال بوم) تقلب) أي تقليبا كثيرا شديدا) وجوهم (كما يقلب اللحم المشوي وكما ترى البضعة في القدر يتراقى بها الغليان من جهة إلى جهة ، من حال إلى حال ، وذكر ذلك وإن كانت تلك النار غنية عنه لأحاطتها لأن ذكره أهول لما فيه من التصوير ، وخص الوجوه لأنها أشرف ، والحدث فيها أنكأ .

ولما كان للإظهار مزيد بيان وهول مع إفادته استقلال ما هو فيه من الكلام بنفسه ، قال : (في النار) أي المسعرة حال كونهم) يقولون (وهم في محل الجزاء وقد فات المحل القابل للعمل ، متمنين لما لا يدركون تلافيه لأنهم لا يجدون ما يقدرون أنه يبرد غلتهم من ولي ولا نصير ولا غيرهما سوى هذا التمني : (يا ليتنا أطعنا) أي في الدنيا) الله) أي الذي علمنا الآن أنه الملك الذي لا أمر لأحد معه .

ولما كان المقام للمبالغة في الإذعان والخضوع ، وأعادوا العامل فقالوا : (وأطعنا". [١]

٦٦٣-" صفحة رقم ٣١٧

الصافات : (٧١ - ٧٥) ولقد ضل قبلهم. .. . .

) ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إلا عباد الله المخلصين ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون (( )

ولما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) شديد المحبة لهداهم والحزن على ضلالهم ، والأسف على غيهم ومحالهم ، وكان الضلال مع العقل أولا ، ثم مع وجود الرسل الذين هم من الصدق والمعجزات والأمور الملجئة إلى الهدى ثانيا كالمحال ، سلاه سبحانه بقوله على سبيل التأكيد لزيادة التحقيق : (ولقد ضل قبلهم) أي قبل من يدعوهم في جميع الزمان الذي تقدمهم) أكثر الأولين (بحيث إنه لم يمض قرن بعد آدم عيله السلام إلا وكله أو جله ضلال .

ولما كان ربما ظن أنه لعدم الرسل ، نفى ذلكم بقوله مؤكدا لنحو ذلك : (ولقد أرسلنا) أي على ما لنا من العظمة التي

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب) ١٣٨/٦

توجب الإيتان بما لا ؤيب فيه من البيان) فيهم منذرين) أي فأنذروهم بأس الله وبينوا لهم أحسن البيان ، ومع ذلك فغلب عليهم الضلال ، وعناد أهل الحق بالمحال ، حتى اهلكهم الله بما له من شديد المجال ، وهو معنى قوله : (فانظر) أي فتسبب عن الإرسال أنا فعلنا في إهلاكهم **من العجائب** ما يستحق التعجيب به والتحذير من مثله بأن يقال لمن تخلف عنهم : انظر)كيف (ولما كان ذلك عادة مستمرة لم تختلف أصلا قال : (كان عاقبة) أي آخر امر) المنذرين) أي في إنا أهلكناهم لتكذيبهم ، فاصبر على الشدائد كما صبروا ، واستمر على الدعاء بالبشارة والنذارة حتى يأتيك أمر الله .

ولما أفهم الحكم على الأكثر بالضلال أن الأقل على غير حالهم ، نبه على حال الطائعين بقوله مستثنيا من ضمير المنذرين : (إلا عباد الله) أي الذين استخلصهم سبحانه بما له من صفات الكمال ، فاستحقوا الإضافة إلى اسمه الأعظم) المخلصين) أي الذين أخلصهم له فأخلصوا هم أعمالهم فلم يجعلوا فيها شوبا لغيره .

ولما كان مقصود السورة التنزيه الذي هو الإبعاد عن النقائص ، ولذلك كان أنسب الأشياء الإقسام أولها بالملائكة هم أنزه الخلق ، وكان أعلى الخلق من جرد نفسه عن الحظوظ بما يؤتيه الله من المجاهدات والمنازلات والمعالجات حتى يلحق بهم فيجوز مع فضلهم معالي الجهاد ، فكان أحق الأنبياء بالذكر من كان أكثر تجريدا لنفسه من الشواغل سيرا إلى مولاه وتعريجا عن كل سواه ، وكان الأب الثاني من أحقهم بذلك لأنه تجرد في الجهاد بالدعاء إلى الله ألف عام ثم تجرد عن كل شيء على ظهر". (١)

٦٦٤-" صفحة رقم ٤٠٠

مضمونة وافق الواقع منه هذا الإخبار عنه ، ولما كان أشق ما فيه وأنكأ تخاصمهم جعله هو المخبر به وحده ، فقال مبينا له مخبرا عن مبتدإ استئنافا تقديره : هو) تخاصم أهل النار (لأنه ما أناره لهم إلا الشر والنكد فسمي تخاصما .

ص : (٦٥ - ٧٠) قل إنما أنا. .. . .

) قل إنمآ أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملإ الأعلى إذ يختصمون إن يوحى إلي إلا أنمآ أنا نذير مبين (( )

ولما كانت قد جرت عادتهم عند التخويف أن يقولوا : عجل لنا هذا إن كنت صادقا فينا ادعيت ، ومن المقطوع به أنه لا يقدر على ذلك إلا الإله فصاروا كأنهم نسبوه إلى أنه ادعى الإلهية ، قال تعالى منبها على ذلك آمرا له بالجواب : (قل) أي لمن يقول لك ذلك : (إنما أنا منذر) أي مخوف لمن عصى ، ولم أدع أني إله ، ليطلب مني ذلك فإنه لا يقدر على مثله إلا الإله ، فهو قصر قلب الموصوف على الصفة ، وأفرد قاصرا للصفة في قوله : (وما (وأعرق في النفي بقوله : (من إله (اي معبود بحق لكونه محيطا بصفات الكمال .

ولما كان السياق للتوحيد الذي هو أصل الدين ، لفت القول عن مظهر العظمة إلى أعظم منه وأبين فقال : (إلا الله (وللإحاطة عبر بالاسم العلم الجامع لجميع الأسماء الحسنى ولو شاركه شيء لم يكن محيطا وللتفرد قال مبرهنا على ذلك : (

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب) ٣١٧/٦

الواحد) أي بكل اعتبار فلا يمكن أن يكون له جزء أو يكون له شبيه محتاجا مكافئا) القهار) أي الذي يقهر غيره على ما يريد ، وهذا برهان على أنه الإله وحده وأن آلهتهم بعيدة عن استحقاق الإلهية لتعددها وتكافئها بالمشابهة واحتياجها .

ولما وصف نفسه سبحانه بذلك ، دل عليه بقوله : (رب السماوات) أي مبدعها وحافظها على علوها وسعتها وإحكامها بما لها من الزينة والمنافع ، وجمع لأن المقام للقدرة ، وإقامة الدليل على تعددها سهل) والأرض (على سعتها وضخامتها وكثافتها وما فيها **من العجائب** .

ولما كان القائل مخيرا كما قال ابن مالك في الكافية الشافية عند اختلاط العقلاء بغيرهم في إطلاق ما شاء من (من) التي أغلب إطلاقها على العقلاء و (ما) التي هي بعكس ذلك ، وكان ربما وقع في وهم أن تمكنه تعالى من العقلاء دون تمكنه من غيرهم لما لهم من الحيل التي يحتزون بها عن المحذور ، وينظرون بها في عواقب الأمور ، أشار إلى أن حكمه فيهم كحكمه في غيرهم من غير فرق بالتعبير عنهم ب (ما) التي أصلها وأغلب استعمالها لمن لا يعقل ، وسياق العظمة بالوحدانية وآثارها دال على دخولها في". [١]

٦٦٥-" صفحة رقم ٤٥٠

الزمر : (٣٨ - ٤١) ولئن سألتهم من. .. . .

) ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون قل يقوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم إنآ أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ومآ أنت عليهم بوكيل (( )

ولما علم بهذه البراهين أنه سبحانه المتصرف في المعاني بتصرفه في القلوب بالهداية والإضلال ، وكان التقدير : فلئن قررتم بهذا الاستفهام الإنكاري ليقولن : بلى عطف عليه بيان أن الخالق للذات كما أنه المالك للمعاني والصفات ، فقال مفسدا لدينهم باعترافهم بأصلين : القدرة التامة له والعجز الكامل لمعبوداتهم : (ولئن سألتهم) أي فقلت لمن شئت منهم فرادى أو مجتمعين : (من خلق السماوات) أي على ما لها من الاتساع والعظمة والارتفاع) والأرض (على ما لها **من العجائب** وفيها من الانتفاع) ليقولن (بعد تخوفيهم لك بشركائهم الذين هم من جملة خلق من أرسلك بما أنت فيه : الذي خلقها) الله) أي وحده الذي لا سمي له وإلباس بوجه في أمره ، ولا ي يصدهم عن ذلك الحياء من التناقض ولا الخوف من التهافت بالتعارض .

ولما كان هذا مخيرا لأن بين ولا بد أنهم لا يقبلون ولا يعرضون كان كأنه قيل : فماذا أصنع ؟ فقال : (قل (مسببا من اعترافهم له سبحانه بجميع التعبير عنها سابقا بأداة الذكور العقلاء بيانا لغلطهم ، فقال معبرا عن مفعول) رأيت (الأول والثاني جملة الاستفهام ،) ما تدعون) أي دعاء عبادة ، وقرر بعدهم عن التخويف بهد بادعاء إلهيتهم بقوله : (من دون

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب) ٦/٤٠٠

الله) أي الذي هو ذو الجلال والإكرام فلا شيء إلا وهو من دونه وتحت قهره ، ولما كانت العافية أكثر من البلوى ، أشار إليها بأداة الشك ونبه على مزيد عظمته سبحانه بإعادة الاسم الأعظم فقال : (إن أرادني الله) أي الذي لا راد لأمره ولما كان درأ المفاسد مقدما قال : (بضر) أي إن أطعتكم في الجنوح إليها خوفا منها ، وبالغ في تنبيههم نصحا لهم ليرجعوا عن ظاهر غيهم بما ذكر من دناءتها وسفولها بالتأنيث بعد سفولها بعدم العقل مع دناءتها وبعد التهكم بهم بالتعبير عنها بأداة الذكور العقلاء". (١)

٦٦٦-" صفحة رقم ٧١
حكم له عليهم بقوله) عباد الله) أي بني إسرائيل الذين استعبدتموهم ظلما وليست عليهم عبودية إلا للذي أظهر في أمورهم صفات جلاله وجماله بما صنع مع آبائهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومن بعده وما سيظهر مما ترونه وما يكون بعدكم .
ولما كان لهم به من النفع إن تبعوا ما جاءهم به والضر إن ردوه ما ليس لغيرهم ، وكان لا يقدر على تأدية بني إسرائيل إليه من أهل الأرض غيرهم لاحتوائهم عليهم كان تقديم الجار في أحكم مواضعه فلذلك قال مؤكدا فإنكارهم لرسالته عليه الصلاة والسلام : (إني لكم) أي خاصة بسبب ذلك) رسول) أي من عند من لا تكون الرسالة الكاملة إلا منه ، ولما كان الإنسان لا يأتمن على السياسة إلا ثقة كافيا ، قال واصفا لنفسه بما يزيل عذرهم ويقيم الحجة عليهم : (أمين) أي بالغ الأمانة لأن الملك الديان لا يرسل إلا من كان كذلك .
الدخان : (١٩ - ٢٤) وأن لا تعلوا. .. . . .
) وأن لا تعلوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون (( )
ولما كان استبعاد عبد الغير بغير حق في صورة العلو على مالك العبد قال : (وأن لا تلعوا) أي تفعلوا باستعبادكم لبني إسرائيل نبي الله ابن خليل الله فعل العالي) على الله (الذي له مجامع العظمة ومعاقد العزة بنفوذ الكلمة وجميع أصاف الكمال فإنكم إن فعلتم ذلك أخذكم بعزته ودمركم بعظمته .
ولما كان علو من يتصرف في العبد على مالك العبد لا يثبت إلا بعد ثبوت أنه ملكه وأنه لا يحب التصرف فيه ، علل ذلك بقوله مؤكدا لأجل أن ما أتى به بصدد أن ينكروه لأن النزوع عما استقر في النفس ومضى عليه الإلف بعيد : (إني آتيكم (وهو يصح أن يكون سام فاعل وأن يكون فعلا مضارعا .
ولما كان فعلهم فعل العالي على السلطان ، قال : (بسلطان) أي أمر باهر قاهر من عند مالكهم ، لا يسوغ لأحد الاستعلاء عليه فكيف بالاستعلاء على من هو بأمره) مبين) أي وضاح في نفسه سلطنته ومظهر لغيره ذلك .
ولما كان من العجائب أن يقتل منهم نفسا ثم يخرج فارا منهم ثميأتي إليهم لا سيما إتينا يقاهرهم فيه في أمر عظيم من غير

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب) ٤٥٠/٦

أن يقع بينهم وبينه ما يمحو ما تقدم منه ، نبههم على إتيانه هذا على هذا الحال آية أخرى دالة على السلطان ، فقال مؤكدا تكذيبا لظنهم أنه في قبضتهم : (وإني عذت) أي اعتصمت وامتنعت) بربي (الذي رباني على". [١]

٦٦٧-" صفحة رقم ٢٦٤

) فنقبوا) أي أوقعوا النقب) في البلاد (بأن فتحو فيها الأبواب الحسية والمعنوية وخرقوا في أرجائها ما لم يقدر غيرهم عليه وبالغوا في السير في النقاب ، وهي طرق الجبال والطرق الضيقة فضلا عن الواسعة وما في السهول ، بعقولهم الواسعة وآرائهم النافذة وطبائعهم القوية ، وبحثوا مع ذلك عن الأخبار ، وأخبروا غيرهم بما لم يصل إليهم ، وكان كل منهم نقبا في ذلك أي علامت فيه فصارت له به مناقب أو مفاخر .

ولما كان التقدير : ولم يسلموا مع كثرة تنقيبهم وشدته من إهلاكنا بغوائل الزمان ونوازل الحدثان ، توجه سؤال كل سامع على ما في ذلك **من العجائب** والشدة والهول والمخاوف سؤال تنبيه للذاهل الغافل ، وتقريع وتبيكت للمعاند الجاهل ، بقوله : (هل من محيص) أي معدل ومحيد ومهرب وإن دق ، من قضائنا ليكون لهؤلاء وجه ما في رد أمرنا .

ولما ذكرنا هنا من المواعظ ما أرقص الجماد ، فكيف بمن يدعي أنه من رؤوس النقاد ، أنتج قوله مؤكدا لأجل إنكار الجاحد وعناد المعاند : (إن في ذلك) أي الأمر البديع من العظات التي صرفناها هنا على ما ترون من الأساليب العجيبة والطرق الغريبة في الإهلاك وغيره) لذكرى) أي تذكيرا عظيما جدا .

ولما كان المتذكر بمصارع المهلكين تارة بأن يكون حاضرا فيرى مصارعهم حال الإيقاع بهم أو يرى آثارهم بعد ذلك ، وتارة يخبر عنها ، قال بدائا بالرائي لأنه أجدر بالتذكير : (لمن كان) أي كونا عظيما) له قلب (هو في غاية العظمة والنورانية إن رأى شيئا من ذلك فهو بحيث يفهم ما يراه ويعتز به ، ومن لم يكن كذلك فلا قلب له لأن قلبه لما كان غير نافع كان عدما .

ولما كان قد بدأ بالناظر لأنه أولى بالاعتبار وأقرب إلى الادكار ، ثنى بمن نقلت إليه الأخبار فقال : (أو ألقى) أي إلقاء عظيما بغاية إصغائه حتى كأنه يرمي بشيء ثقيل من علو إلى سفل) السمع) أي الكامل الذي قد جرده عن الشواغل من الحظوظ وغيرها إذا سمع ما غاب عنه) وهو) أي والحال أنه في حال إلقائه) شهيد) أي حاضر بكليته ، فهو في غاية ما يكون من تصويب الفكر وجمع الخاطر ، فلا يغيب عنه شيء مما تلي عليه وألقي إليه ، فيتذكر بما ذكرناه به عن قدرتنا من الجزئيات ما أنتجه من القدرة على كل شيء ، ورأى مجد القرآن فعلم أنه كلام الله فسمعه منه فصدق الرسول ، وقبل كل ما يخبر به ، ومن سمع شيئا ولم يحضر له ذهنه فهو غائب ، فالأول العالم بالقوة وهو المجبول على الاستعداد الكامل فهو بحيث لا يحتاج إلى غير التدبر لما عنده من الكمال المهيأ بفهم ما يذكر به القرآن ، والثاني القاصر بما عنده من كثافة

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب) ٧١/٧

الطبع فهو بحيث يحتاج إلى التعليم فيتذكر بشرط أن يقبل بكليته ، ويزيل الموانع كلها ، ". (١)

٦٦٨-"صفحة رقم ٢٧٢

سورة ق وعظيم تلك الأحوال من لدن قوله) وجاءت سكرة الموت بالحق (إلى آخر السورة ، أتبع سبحانه ذلك بالقسم على وقوعه وصدقه فقال : (والذاريات ذروا (إلى قوله : (إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع (والدين الجزاء ، أي أنهم سيجازون على ما كان منهم ويوفون قسط أعمالهم) فلا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ( ) إنما نملي لهم ليزدادوا إثما .)

ولما أقسم الله على صدق وعده ووقوع الجزاء ، عقب ذلك بتكذيبهم بالجزاء وازدرائهم فقال (يسألون أيان يوم الدين) ثم ذكر تعالى حال الفريقين وانتهاء الطريقين إلى قوله : (وفي الأرض آيات للموقنين (فوبخ تعالى من لم يعمل فكره ولا بسط نظره فيما أودع سبحانه في العالم **من العجائب** ، وأعقب بذكر إشارات إلى أحوال الأمم وما أعقبهم تكذيبهم ، وكل هذا تنبيه لبسط النظر إلى قوله : (ومن كل شيء خلقنا (بقوله : (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون) أي إن هذا دأبهم وعادتهم حتى كأنهم تعاهدا عليه وألقاء بعضهم إلى بعض فقال تعالى : (تواصوا به أم هم قوم طاغون) أي عجبا لهم يف جريهم على التكذيب والفساد في مضمار واحد ، ثم قال تعالى : (بل هم قوم طاغون) أي أن علة تكذيبهم هي التي اتحدت فاتحد معلولها ، والعلة طغيانهم وإظلام قلوبهم بما سبق) ولو شئنا لأتينا كل نفس هداها (ثم زاد نبيه عليه السلام أشياء مما ورد على طريقة تخييره عليه السلام في أمرهم من قوله تعالى : (فتول عنهم فما أنت بملوم (ثم أشار تعالى بقوله : (وذكر فإن الكذرى تنفع المؤمنين (إلى أن إحراز أجره عليه السلام إنما هو في التذكار والدعاء إلى الله تعالى ، ثم ينفع الله بذلك من سبقت له السعادة) إنما يتسجيب الذين يسمعون (ثم أخبر نبيه عليه الصلاة والسلام بأن تكذيبه سينالهم قسط ونصيب مما نال غيرهم من ارتكب مرتكبهم ، وسلك مسلكهم ، فقال تعالى) وإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم (إلى آخر السورة - انتهى .

ولما أخبر سبحانه عن ثبات خبره ، أتبعه الإخبار عن وهي كلامهم ، فقال مقسما عليه لمبالغتهم ي تأكيد مضامينه مع التناق بفعله الجميل وصنعه الجليل ، إشارة إلى أنهم لم يتخلقوا من أخلاقه الحسنى بقول ولا فعل : (والسماء ذات الحبك) أي الآيات المحتبكة بطرائق النجوم المحكمة ، الحسنة الصنعة ، الجيدة الرصف والزينة ، حتى كأنها منسوجة ، الجميلة الصنعة الجليلة الآثار ، الجامعة بين القطع والاختلاط والاتفاق والاختلاف ، وأصل الحبك الإحكام في امتداد واطراد - قاله الرازي في اللوامع .

) إنكم (يا معشر قريش) لفي قول (محيط بكم في أمر القرآن والآتي به وجميع أمر دنيكم وغيره مما تريدون به إبطال الدين

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب) ٢٦٤/٧

الحق) مختلف (كاختلاف". [(١)]

٦٦٩-" صفحة رقم ٣٢٠

وزاد في تعظيمها بقوله : (إذ يغشى السدرة ما يغشى) أي يغطيها ويركبها وسمره ؟ من فراش الذهب والرفرف الأخضر والملائكة والنبق وغير ذلك فإن الغشو النبق) ما يغشى (لا تحتملون وصفه وهو بحيث يكاد أن لا يحصى ، وإليه الإشارة بقوله (صلى الله عليه وسلم) في الحديث : (وغشيها ، ألا وإني لا أدري ما هي فليس أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها) أو كما قال (صلى الله عليه وسلم) ، وأكد الرؤية وقررها مستأنفا بقوله : (ما زاغ) أي ما مال أدنى ميل) البصر) أي الذي لا بصر لمخلوق أكمل منه ، فما قصر عن النظر فيما أذن له فيه ولا زاد) وما طغى) أي تجاوز الحد إلى ما لم يؤذن له فيه مع أن ذلك العالم غريب عن بني آدم ، وفيه **من العجائب** ما يحير الناظر ، بل كانت له العفة الصادقة المتوسطة بين الشره والزهادة على أتم قوانين العدل ، فأثبت ما رآه على حقيقته ، وكما قال السهروردي في أول الباب الثاني والثلاثين من عوارفه : وأخبر تعالى بحسن أدبه في الحضرة بهذه الآية ، وهذه غامضة من غوامض الأدب ، اختص بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

ولما كانوا قد أنكروا الإسراء إنكارا لم يقع لهم في غيره مثله ، زاد في تأكيده على وجه يعم غيره فقال : (لقد رأى) أي أبصر بسبب ما أهلناه له من الرسالة إبصارا ساريا إلى البواطن غير مقتصر على الظواهر) من آيات ربه) أي المحسن إليه بما لم يصل إليه أحد قبله ولا يصل إليه أحد بعده ، ومن ادعى ذلك فهو كافر) الكبرى (من ذلك ما رآه في السموات من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام إشارة بكل شيء إلى أمر دقيق جليل وحالة شريفة ، وقال الإمام أبو القاسم السهيلي في الروض الأنف : والذي أقول في هذا أن مأخذ فهمه من علم التعبير ، فإنه من علم النبوة ، وأهل التعبير يقولون : من رأى نبيا بعينه في المنام فإن رؤياه تؤذن بما يشبه من حال ذلك النبي في شده أو رخاء أو غير ذلك من الأمور التي أخبر بها عن الأنبياء في القرآن والحديث ، وحديث الإسراء كان بمكة ، ومكة حرم الله وأمنه ، وقطانها جيران الله لأن فيها بيته ، فأول ما رأى (صلى الله عليه وسلم) من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام آدم عليه الصلاة والسلام الذي كان في أمن الله وجواره ، فأخرجه إبليس عدوه منها ، وهذه القصة تشبهها الحالة الأولى من أحوال النبي (صلى الله عليه وسلم) حين أخرجه أعداؤه من حرم الله وجوار بيته ، فكر به ذلك وغمه فأشبهت قصته في هذا قصة آدم عليه الصلاة والسلام مع أن آدم تعرض عليه أرواح ذريته البر والفاجر منهم ، فكان في السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين لأن أرواح أهل الشقاء لا تلج في السماء ولا تفتح لهم أبوابها ، كما قال الله تعالى ، ثم رأى في الثانية عيسى ويحيى عليهما الصلاة والسلام". [(٢)]

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب) ٢٧٢/٧

(٢) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب) ٣٢٠/٧

٦٧٠-" صفحة رقم ٣٧٣

الأفهام إلى الحصول على بلاغة آيات وسور من أول وهلة دون كبير تأمل كقوله تعالى) وقيل يا أرض ابتلعي ماءك ويا سماء أقلعي) [هود : ٤٤] وقوله

٧٧ ( ) فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ( ) ٧

[الحجر : ٩٤] ، الآيات ، لا يتوقف في باهر إعجازها إلا من طبع الله على قلبه أو سد دونه باب الفهم بأني له بر لوجه وقوعه ، وسورة القمر من هذا النمط ، ألا ترى اختصار القصص فيه مع حصول أطرافها وتوفية أغراضها ، وما جرى مع كل قصة من الزجر والوعظ والتنبيه والإعذار ، ولولا أني لم أقصد التعليق ما بنيته عليه من ترتيب السور لأوضحت ما أشرت إليه مما لم أسبق إليه ، ولعل الله سبحانه ييسر ذلك فيما باليد من التفسير نفع الله به وبسر فيهن فملا انطوت هذه السورة على ما ذكرنا وبان فيها عظيم الرحمة في تكرر القصص وشفع العظات ، وظهرت حجة الله على الخلق ، وكان ذلك من أعظم ألطافه تعالى لمن يسره لتدبر القرآن ووفقه لفهمه واعتباره ، أردف ذلك سبحانه بالتنبيه على هذه النعمة فقال تبارك وتعالى) الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان (وخص من أسمائه الحسنى هذاالاسم إشعارا برحمته بالكتاب وعظيم إحسانه به) وإن عدوا نعمة الله لا تحصوها) [إبراهيم : ٣٤] ثم قد تمهد أن سورة القمر إعذار ومن أني للعباد بجميل هذا اللطف وعظيم هذا الحلم حتى يرادوا إلى بسط الدلالات وإيضاح البينات إن تعذر إليهم زيادة في البلا غ ، فأنبأ تعالى أن هذا رحمة فقال) الرحمن علم القرآن (ثم إذا تأملت سورة القمر وجدت خطابها وإعذارها خاص ببني آدم بل بمشركي العرب منهم فقط ، فاتبعت سورة القمر بسورة الرحمن تنبيها للثقلين وإعذارا إليهم وتقريرا للجنسين على ما أوع سبحانه في العالم **من العجائب** والبراهيم الساطعة فتكرر فيها التقرير والتنبيه بقوله تعالى : (فبأي آلاء ربكما تكذبنا (خطابا للجنسين وإعذارا للثقلين فبان اتصالها بسورة القمر أشد البيان - انتهى .

ولما كان كأنه قيل : كيف علمه وهو صفة من صفاته ولمن علمه ، قال مستأنفا أو معللا : (خلق الإنسان) أي قدره وأوجده على هذا الشكل المعروف والتركيب الموصوف منفصلا عن جميع الجمادات وأصله منها ثم عن سائر الناميات ثم عن غيره دليل على خلقه لكل شيء موجود

٧٧ ( ) إنا كل شيء خلقناه بقدر ( ) ٧

[القمر : ٤٩] والإنسان وإن كان اسم جنس لكن أحقهم بالإرادة بهذا أولهم وهو آدم عليه السلام ، وإرادته - كما قال ابن عباس رضي الله عنهما - لا تمنع إرادة الجنس من حيث هو .

ولما كان كأنه قيل : فكان ماذا بخلقه ، قال : (علمه البيان (وهو القوة الناطقة ، وهي الإدراك للأمور الكلية والجزئية والحكم الحاضر والغائب بقياسه علي". (١)

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب) ٣٧٣/٧

٦٧١-" صفحة رقم ٢٢٨

المطاعن ، فحاد عن وجوه الأفكار إلى أقفائها) واستكبر) أي وأوجد الكبر عن الاعتراف بالحق إيجاد من هو في غاية الرغبة فيه ، وكان هذا غاية العناد ، فكان معنى العنيد) فقال) أي عقب ما جره إليه طبعه الخبيث من إيقاع الكبر على هذا الوجه لكونه رآه نافعا لهم في الدنيا ولم يفكر في عاقبة ذلك من جهة الله ، وأنه سبحانه لا يهدي كيد الخائنين ولا ينجح مراد الكاذبين ، ونحو هذا مما جربوه في دنياهم فكيف رقى نظره إلى أمر الآخرة ، وأكد الكلام لما يعلم من إنكار من يسمعه فقال : (إن) أي ما) هذا) أي الذي أتى به محمد (صلى الله عليه وسلم)) إلا سحر) أي أمور تخييلية لا حقائق لها ، وهي لدقتها بحيث تخفى أسبابها .

ولما كان من المعلوم لهم أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) ما سحر قط ولا تعلم سحرا ، فكان من ادعى ذلك علم كذبه بأدنى نظر بعد الأمر بقدر استطاعته فقال : (يؤثر) أي من شأنه أن ينقله السامع له من غيره ، فهو لقوة سحريته وإفراطها في بابها يفرق بمجرد الرواية بين المرء وزوجه وبين المرء وأبيه وابنه إلى غير ذلك **من العجائب** التي تنشأ عنه .

ولما كان السامع يجوز أن يكون مأثورا عن لاله فيوجب له ذلك الرغبة فيه ، قال من غير عاطف كالمبين للأول والمؤكد له ، وساقه على وجه التأكيد بالحصر لعلمه أن كل ذي بصيرة ينكر كلامه : (إن) أي ما) هذا) أي القرآن) إلا قول البشر) أي ليس فيه شيء عن الله فلا يغتر أحد به ولا يعرج عليه ، وقد مدحه بهذا الذم بعد هذا التفكير كله من حيث إنه أثبت أنه معجوز عنه لأغلب الناس كما يعجزون عن السحر فسكت ألفا ونطق خلفا ، فكان شبيها من بعض الوجوه بما قاله بعضهم :

لو قيل (كم خمس وخمس) لاغتدى يوما وليلته يعد ويحسب ويقول معضلة عجيب أمرها ولئن عجبت لها الأمري أعجب حتى إذا خدرت يداه وعورت عيناه مما قد يخط ويكتب أوفى على شرف وقال ألا انظروا ويكاد من فرح يجن ويسلب خمس وخمس ستة أو سبعة قولان قالهما الخليل وثعلب

وهكذا كل حق يجد المبالغ في ذمه لا ينفك ذمه عن إفهام مدح له ينقض كلامه ، ولكن أين النقاد المعدود من الأفراد بين العباد ، وهذا الكلام صالح لعموم كل من خلقه سبحانه هكذا في الروغان من الحق لما تفضل الله به عليه من الرئاسة لأن أهل العظمة في الدنيا هم في الغالب القائمون في رد الحق واتعاظم على أهله كما ذكر هنا ولا ينافي ذلك ما قالوه : إنها نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي ، بل ذلك من إعجاز كلام الله تعالى أن تنزل الآية في شخص فتبين حاله غاية البيان ويعم غيره ذلك البيان ، قالوا : كان". [١]

٦٧٢-" صفحة رقم ٢٨٧

والأنهار ، بل أكثر ما يخرج من المياه هو منها ، وكذا غالب المنافع من المعادن وغيرها قال : (وجعلنا) أي بما لنا من العظمة) فيها) أي الأرض) رواسي (لولاها لمادت بأهلها ، **ومن العجائب** أن مراسيها من فوقها خلافا لمراسي السفن

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب) ٨/ ٢٢٨

) شامخات) أي هي مع كونها ثوابت في أنفسها مثبتة لغيرها طوال جدا عظيمة الارتفاع كأنها قد تكبرت على بقية الأرض وعلى من يريد صعودها ، وتنكيره للتعظيم .

ولما كان **من العجائب** الخارقة للعوائد فوران الماء الذي من طبعه أن يغور لا أن يفور لما له من الثقل واللطافة التي أفادته قوة السريان في الأعماق وفي كون ذلك منه من موضع من الأرض دون آخر ، وكونه من الجبال التي هي أصل الأرض ومن صخورها غالبا دلالة ظاهرة على أن الفعل للواحد المختار الجبال القهار لا للطبائع قال : (وأسقيناكم) أي جعلنا لكم بما لنا من العظمة شرابا لسقيكم وسقي ما تريدون سقيه من الأنعام والحرث وغير ذلك) ماء (من لأنهار والغدران والعيون والآبار وغيرها) فراتا) أي عظيما عذابا سائغا وقد كان حقيقا بأن يكون ملحا أجاجا لما للأراضي الممسكة له من ذلك .

ولما كان في هذا دلالة على ظاهرة على قدرته على البعث وغيره قال : (ويل يومئذ) أي يوم إذ تقوم الساعة ليكون الفصل بين العباد فساقها مساق ما هو ثابت لا نزاع فيه إشارة إلى أننه لا يكذب بها بعد ظهور الأدلة إلا من لا مسكة له) للمكذبين) أي الذين هم في غاية الرسوخ في التكذيب حتى كذبوا بما لنا في هذا من الفرق الذي فرقنا به بين أرض وأخرى حتى جعلنا بعضها صالحا لانفراق أرضه عن الماء ، وبعضها غير صالح وجعلنا بعضها قابلا للجبال وبعضها غير قابل إلى غير ذلك من الفروق البديعة .

ولما وصلت أدلة الساعة في الظهور إلى حد لا مزيد عليه ، وحكم على المكذبين بالويل مرة ، وأكد بثلاث ، فكان من حق المخاطب أن يؤمن فلم يؤمن ، أمر بما يدل على الغضب فقال تعالى معلما لهم بما يقال يوم القيامة إذا يحل بهم الويل : (انطلقوا) أي أيها المكذبون) إلى ما كنتم) أي بما هو لكم كالجبلة) به تكذبون (عدما ، وتجددون ذلك التكذيب مستمرين عليه .

ولما كان المراد زيادة تبكيتهم وتقريعهم والتهويل عليهم ، كرر الأمر واصفا ما أمروا بالانطلاق إليه فقال : (انطلقوا (هذا على قراءة الجماعة ، وقراءة رويس عن يعقوب بصيغة الماضي للدلالة على تمام انقيادهم هناك ، وأنه لا شيء من منعه عندهم". (١)

٦٧٣-" صفحة رقم ٣١٨

مختصر العالم الآفاقي ، ويزيد الآفاقي طول البقاء مع عدم التأثر ، وصل به قوله دليلا على قدرته على البعث لقدرته على ما هو أشد منه لأن الذي قدر على ابتداء الأكبر هو على إعادة الأصغر أقدر ، مبينا لكيفية خلقه لها : (بناها) أي جعلها سقفا للأرض على ما لها من العظمة ، ثم بين البناء بقوله : (رفع سمكها) أي جعل مقدار ارتفاها من الأرض أو سمنها الذاهب في العلو رفيعا ، قال في القاموس : السمك السقف ، أو من أعلى البيت إلى أسفله ، أو القامة من كل شيء ، وقال أبو حيان : السمك الارتفاع الذي بين سطح السماء الذي يلينا وسطحها الذي يلي ما فوقها : (فسواها

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب) ٢٨٧/٨

) أي عدلها عقب ذلك بأن جعلها مستوية لا شيء فيها أعلى من شيء ولا أخفض ولا فطور فيها ، وأصلحها بما تم به كمالها من الكواكب وغيرها ، وجعل مقدار ثخن كل سماء وما بين كل سماءين وثخن كل أرض وما بين كل أرضين على السواء لا يزيد شيء من ذلك على الآخر أصلا .

النازعات : (٢٩ - ٣٧) وأغطش ليلها وأخرج. ... .

) وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها مآءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم فإذا جآءت الطآمة الكبرى يوم يتذكر الإنسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فأما من طغى (( )

ولما كان كل من ذلك يدل على القدرة على البعث لأنه إيجاد ما هو أشد من خلق الآدمي من عدم ، أتبعه ما يتصور به البعث في كل يوم وليلة مرتين فقال : (وأغطش) أي أظلم إظلاما لا يهتدي معه إلى ما كان في حال الضياء) ليلها) أي بغياب شمسها فأخفى ضياءها بامتداد ظل الأرض على كل ما كانت الشمس ظهرت عليه .

وأضافه إليها لأنه يحدث بحركتها ، وبدأ به لأنه كان أولا ، والعدم قبل الوجود) وأخرج ضحاها (بطلوع شمسها فأضاء نهارها ، فالآية من الاحتباك : دل ب (أغطش) على (أضاء) وبإخراج الضحى على إخفاء الضياء ، ولعله عبر بالضحى عن النهار لأنه أزهر ما فيه وأقوى نورا .

ولما بدأ بدلالة العالم العلوي لأنه أدل لما فيه من العجائب والمنافع مع كونه أشرف ، فذكر أنه أتقن السماء التي هي كالذكر ، ثنى بأنه سوى ما هي لها كالأنثى فقال : (والأرض (ولما كان المراد استغراق الزمان باستمرار الدحو ، حذف الخافض فقال : (بعد ذلك) أي المذكور كله) دحاها) أي بسطها ومدها للسكنى وبقية المنافع بعد أن كان خلقها وأوجدها قبل إيجاد السماء غير مسواة بالفعل ولا مدحوة .

ولما ذكر الدحو ، أتبعه ما استلزمه من المناف لتوقف السكنى المقصود بالدحو". (١)

٦٧٤-" صفحة رقم ٣٣٩

عند موته ، ونشرها مثل تسيير الجبال وتطايرها ، فمن اعتقد أن صحيفته ثابتة فترديه أو تنجيه لم يضع فيها إلا حسنا من قول أو عمل أو اعتقاد .

ولما ذكر ما يطلق وينشر ، أتبعه ما يطوى ويحصر ، ليبدو ما فوقه من العجائب وينظر ، فقال : (وإذا السماء) أي هذا الجنس كله ، أفرده لأنه يعلم بالقدرة على بعضه القدرة على الباقي) كشطت) أي قلعت بقوة عظيمة وسرعة زائدة وأزيلت عن مكانها التي هي ساترة له محيطة به ، أو عن الهواء المحيط بسطحها الذي هو كالروح لها كما يكشط الإهاب عما هو ساتر له ومحيط به مع شدة الالتزاق به لأن ذلك يوم الكشف والإظهار

٧٧ ( ) فكشفنا عنك غطاءك ( ) ٧

[ق : ٢٢] وكشطها هو مثل انكشاف الناس عن العشار وتفرقهم عنها ، فمن اعتقد زوالها أعرض عن ربط همته بشيء

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب) ٣١٨/٨

منها وناط أموره كلها بربها .

ولما زالت الموانع ظهرت عجائب الصنائع التي هي غايا المطالب ، ونهايات الرغاب والرهائب ، فقال : (وإذا الجحيم) أي النار الشديدة التأجج والتي بعضها فوق بعض والعظيمة في مهواة عميقة) سعرت) أي أوقدت إيقادا شديدا بأيسر أمر وقربت من الكافرين بغاية السرعة ، فكان الأمر في غاية العسر ، وذلك قريب من نتيجة ما يحصل من الهول من حشر الوحوش .

ولما ذكر جار الأعداء البعداء ترهيبا ، أتبعه دار المقربين السعداء ترغيبا ، فقال : (وإذا الجنة) أي البستان ذو الأشجار الملتفة والرياض المعجبة) أزلفت) أي قربت من المؤمنين ونعمت ببرد العيش وطيب المستقر ، ودرجت درجاتها وهيئت ، وملئت حياضها ومصنعها ، وزينت صافها ونظفت أرضها وطهرت عن كل ما يشين ، وحسنت رياضها بكل ما يزين ، من قول أهل اللغة ، الزلف محركة : القربة والدرجة والحياض الممتلئة والزلفة : المصنعة الممتلئة والصحف والأرض المنكوسة ، والزلف بالكسر .

الروضة ، ومعنى هذا ضد سجر البحار ، فالآية من الاحتباك : ذكر التسعير أولا دال على ضده في الجنة ثانيا ، وذكر التقريب ثانيا دال على مثله أولا .

ولما كانت هذه الأشياء لهولها موجبة لاجتماع الهم وصرف الفكر عما يشغله من زينة أو لهو أو لعب أو سهو ، فكان موجبا للعلم بما يرجى نعيما أو يوجب جحيما ، وكان ذلك موجبا لتشوف السامع إلى ما يكون ، قال تعالى كاشفا تلك النعمة بالعامل في (إذا) وما عطف عليها : (علمت نفس) أي كل واحدة من النفوس ، فالتنكير فيه مثله في (تمرة خير من جرادة) ودلالة هذا السياق المهول على ذلك يوجب اليقين فيه) ما) أي كل شيء) أحضرت) أي عملت وأوجدت ، فكان أهلا للحضور ، وكان عمله لها". [١]

٦٧٥-" صفحة رقم ٣٧٧

والإعادة بالإنبات وفي بعضها قوة التربية كذلك ، وفي الأخرى قوة الاستحصاد بأسباب خفية أقامها سبحانه لا ترونها ، غير أنكم لكثرة إلفكم لذلك صرتم تدركون منه بالتجارب أمورا تدلكم على تمام القدرة ، فنسبها بعضكم إلى الطبيعة لقصور النظر في أسباب الأسباب وكلال الفكر عن النفوذ إلى نهاية ما تصل إليه الألباب ، فاستبدل بالشكر الكفر ، واستدل بالآيات على ضد ما تدل عليه لجمود الذهن وانعكاس الفكر ، والمراد بها المنازل الاثناء عشر : الحمل – والثور – والجوزاء – والسرطان – والأسد – والسنبلة – والميزان – والعقرب – والقوس – والدلو – والحوت – هي تقطعها الشمس في السنة ، أو هي الثمانية والعشرون التي يقطعها القمر في الشهر ، وهي منازل الشمس هذه الاثنا عشر بسير القمر في كل واحد منها يومين وثلثا ، فذلك ثمانية وعشرون يوما ويستسر ليلتين ، فذلك شهر ، وهو إشارة إلى أن الذي فصل السماء هذا التفصيل وسخر فيها هذه الكواكب لمصالح الإنسان لا يتركه سدى ، بل لا بد من دينونته على ما يفعله منخير وشر

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب) ٣٣٩/٨

شبهت بالقصور لأنها تنزلها السيارة وتكون فيها الثوابت وعظام الكواكب ، سميت بروجا لظهورها ، أو أبواب السماء فإن النزازل تخرج منها ، وأصل التركيب للظهور .

ولما كانت هذه الجملة من القسم دالة على بعث قال تصريحا : (واليوم الموعود) أي يوم القيامة الذي تحقق الوعد به وثبت ثبوتا لا بج منه بما دل عليه من قدرتنا في مخلوقاتنا وأنا سببنا له أسبابا هي عتيدة ليدكم وأنتم لا تروها ولا تحسون شيئا منها ولم تبينها لكم الرسل لقصور عقولكم عنها بأكثر من الدلالة بالأسباب التي ألفتموها على مثلها من غير فرق غير أنه وإن كان العقل لا يستقل به ولا يفقه منه غير السماء للوعد به من الرسل فهو لا يحيله بعد سماعه .

ولما كان الجمع لأجل العرض ، وكان العرض لا بد فيه من شهود ومشهود عليهم وجدال على عهود ، قال منكرا للإبهام للتعظيم والتعميم مثل) علمت نفس ما نفسه من الأعيان والآثار الهائلة ، أو عليه فإنه يوم تشهده جميع الخلائق ، ويحضر فيه **من العجائب** أمور يكل عنها الوصف ، ويحضره الأنبياء الشاهدون وأممهم المشهود عليهم ، ولا تبقى صغيرة من الأعمال ولا كبيرة إلا أحصيت ، وفي ذلك أشد وعيد لجميع العبيد .

ولما كان جواب القسم على ما دل عليه مقصود السورة وسوابقها ولواحقها : لنثوين الفريقين الأولياء والأعداء ، ولندينن كلا بما عمل ، دل عليه بأفعاله في الدنيا". (١)

٦٧٦-" صفحة رقم ٤١٥

ولما كان هذا قسما عظيما في ذكر تلك الليالي المتضمن لذكر المشاعر وما فيها من الجموع والبكاء كما قال أبو طالب في قصيدته اللامية المشهورة :

وليلة جمع والمنازل من منى وهل فوقها من حرمة ومنازل

وفي تذكيره بالبعث ودلالته عليه عقلية واضحة بالإيجاد بعد الإعدام مع ما لهذه الأشياء في أنفسها وفي نفوس المخاطبين بها من الجلالة ، نبه على ذلك سبحانه وتعالى بقوله : (هل في ذلك) أي المذكور مع ما له من علي الأمر وواضح القدر) قسم) أي كاف مقنع) حجر) أي عقل فيحجره ويمنعه عن الهوى في درك الهوى ، فيعليه إلى أوج الهدى ، في درج العلا ، حتى يعلم أن الذي فعل ما تضمنه هذا القسم لا يتركه سدى ، وأنه قادر على أن يحيي الموتى ، قال ابن جرير : يقال للرجل إذا كان مالكا نفسه قاهرا لها ضابطا : إنه لذو حجر – انتهى ، فمن بلغ أن يحجره عقله عن المآثم ويحمله على المكارم فهو ذو حجر .

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير : ابتدأ سبحانه لمن تقدم ذكره وجها آخر من الاعتبار ، وهو أن يتذكروا حال من تقدمهم من الأمم وما أعقبهم تكذيبهم واجترامهم فقال : (ألم ترك كيف فعل ربك بعاد (إلى قوله : (إرم ذات العماد (إلى قوله : (إن ربك لبالمرصاد) أي لا يخفى عليه شيء من مرتكبات الخلائق ولا يغيب عنه ما أكنوه

٧٧ ( ) سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ( ) ٧

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب) ٣٧٧/٨

[الرعد : ١٠] فهلا اعتبر هؤلاء بما يعاينونه ويشاهدونه من خلق الإبل ورفع السماء ونصب الجبال وسطح الأرض ، وكل ذلك لمصالحهم ومنافعهم ، فالإبل لأثقالهم وانتقالهم ، والسماء لسقيهم وإظلالهم ، والجبال لاختزان مياههم وأقلالهم ، والأرض لحلهم وترحالهم ، فلا بهذه الأمور كلها استبصروا ، لاختزان مياههم وأقلالهم ، والأرض لحلهم وترحالهم ، فلا بهذه الأمور كلها استبصروا ، ولا بمن خلا من القرون اعتبروا ،) ألم تر كيف فعل ربك بعاد (على عظيم طغيانها وصميم بهتانها) إن ربك لبالمرصاد (فيتذكرون حين لا ينفع التذكر) إذا دكت الأرض دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم ، يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى (- انتهى .

ولما كان التقدير كما هدى إليه السياق : ليبعثن كلهم صاغرين ثم ليحشرن ثم ليحاسبن فيجازى كل أحد بما عمل ، فإن آمنوا بذلك نجوا وإلا عذبهم الذي ثبتت قدرته على العذاب الأكبر بعد العذاب الأدنى بسبب قدرته على البعث بسبب قدرته على ما رأيتم من خلق الإبل والسماء والجبال والأرض على ما في كل **من العجائب** بسبب قدرته على كل شيء ، وهذا هو المقصود بالذات ، حذف زيادة في تعظيمه واعتمادا على معرفته بما هدى إليه من السياق في جميع السورة وما قبلها .

ولما طوى جواب القسم". (١)

٦٧٧-" صفحة رقم ٥١١

الإنسان) على ذلك) أي الكنود العظيم حيث اقدم على مخالفة الملك الأعظم المحسن مع الكفر لإحسانه) لشهيد (لأنه مقر إذا حوقق بأن جميع ما هو فيه من إحسان ربه وبأن ربه نهاه عن المخالفة ، أو أنه لا أمر عنده منه بما فعل ، وأنه لا ينبغي لعاقل أن يتحرك بحركة يمكن أن يكرهها الملك الذي هو في خدمته ولا شيء له إلا منه بغير إذنه ، وأنه إن تحرك بغير ذلك كان كافرا لإحسانه مستحقا لعقابه ، لا يقدر على إنكار شيء منه .

ولما كان **من العجائب** أن يكفر أحد إحسان المنعم ، وهو شاهد على نفسه ، ذكر الحامل له على ذلك حتى هان عليه فقال : (وإنه) أي الإنسان من حيث هو مع شهادته على نفسه بالكفر الذي يقتضي سلب النعم) لحب) أي لأجل حب) الخير) أي المال الذي لا يعد غيره لجهله خيرا) لشديد) أي بخيل بالمال ضابط له ممسك عليه ، أو بليغ القوة في حبه لأن منفعته في الدنيا وهو متقيد بالعاجل الحاضر المحسوس مع علمه بأن أقل ما فيه أنه يشغله عن حسن الخدمة لربه وهو معرض عن الدين حيث كانت منفعته آجلة غائبة مع علمه بأن المعرف بما يرضى من خدمة ربه الحاث عليها الداعي إليها فهو لحب عبادة الله ضعيف متقاعس ، وكان حبه الخير يقتضي عنه الشكر الذي يتقاضى الزيادة ، ولا يتخيل أن شديدا عامل في الحب لأن ما بعد اللام لا يعمل فيها قبلها ، وإنما ذلك المتقدم دليل على المعمول المحذوف .

ولما كان المال فانيا لا ينبغي لعاقل أن يعلق أمله به فضلا عن أن يؤثره الباقي ، نبهه على ذلك بتهديد بليغ ، فقال مسببا عن ذلك معجبا ، موقفا له على ما يؤول إليه أمره : (أفلا يعلم) أي هذا الإنسان الذي أنساه أنسه بنفسه .

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب) ٨/٤١٥

ولما كان الحب أمرا قلبيا ، لا يطلع عليه إلا عالم الغيب ، وكان البعث من عالم الغيب ، وكان أمرا لا بد منه ، وكان المخوف مطلق كونه ، لم يحتج إلى تعيين الفاعل ، فبنى للمفعول قوله مهددا مؤذنا بأنه شديد القدرة على إثارة الخافايا ، معلقا بما يقدره ما يؤول إليه أمره من أن الله يحاسبه ويجازيه على أعماله ، وأنه لا ينفعه مال ولا غيره ، ولا ينجيه إلا ما كان من أعماله موافقا لأمر ربه مبنيا على أساس الإيمان واقعا بالإخلاص : (إذا بعثر) أي أثير بغاية السهورة وأخرج وفرق ونظر وفتش بغاية السهولة .

ولما كان الميت قبل البعث جمادا ، عبر عنه بأداة ما لا يعقل فقال : (ما في القبور) أي أخرج ما فيها من الموتى الذين تنكر العرب بعثهم فنشروا للحساب ، أو من عظامهم ولحومهم وأعصابهم وجلودهم وجميع أجسامهم ، وقلب بعضه على بعض حتى أعيد كل شيء منه على ما كان عليه ، ثم أعيدت إليه الروح ، فكان كل أحد على ما مات عليه .". (١)

٦٧٨-" صفحة رقم ٥٢٢

العصر : (١ - ٣) والعصر

) والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (( )

لما كانت لذة هذه الدنيا الظاهرة التنعم بما فيها من المتاع ، وكان الإنسان مسؤولا بما شهد به ، ختم التكاثر عن ذلك النعيم متوعدا برؤية الجحيم ، فكان ساكن هذه الدار على غاية الخطر ، فكان نعيمه في غاية الكدر ، قال دالا على ذلك بأن أكثر الناس هالك ، مؤكدا بالقسم والأداة لما للأغلب من التكذيب لذلك إما بالمقال أو بالحال : (والعصر) أي الزمان الذي خلق فيه أصله آدم عليه الصلاة والسلام وهو في عصر يوم الجمعة كما ورد في الحديث الصحيح في مسلم ، أو الصلاة الوسطى أو وقتها الذي هو زمان صاحب هذا الشرع الذي مقداره فيما مضى من الزمان بمقدار وقت العصر من النهار أو بعضه ، أو زمان كل أحد الذي هو الخلاصة بالنسبة إليه تنبيها له على نفاسته إشارة إلى اغتنام إنفاقه في الخير إشفاقا من الحشر ، أو وقت الأصيل لأنه أفضله بما يحويه من الفراغ من الأشغال واستقبال الراحة والحصول على فائدة ما أنفق فيه ذلك النهار ، وبما دل عليه من طول الساعة وربح من كان له فيها بضاعة باختتام الأعمال وتقوض النهار ، والدال على البعث ، أو جميع الدهر الذي أوجد فيه سبحانه وتعالى المخلوقات وقدر فيه المقدورات بما ظهر فيه **من العجائب** الدالة على ما لله تعالى من العز والعظمة الداعي إلى صرف الهمة إليه وقصرها عليه : (إن الإنسان) أي هذا النوع الذي هو أشرف الأنواع لكونه في أحسن تقويم كما أن العصر خلاصة الزمان ، والعصر يكون لاستخراج خلاصات الأشياء) لفي خسر) أي نقص بحسب مساعيهم في أهوائهم وصرف أعصارهم في أغراضهم لما لهم بالطبع من الميل إلى الحاضر والإعراض عن الغائب والاغترار بالفاني أعم من أن يكون الخسر قليلا أو جليلا بحسب تنوع الناس إلى أكياس وأرجاس ، فمن كان كافرا كان في كفران ، ومن كان مؤمنا عاصيا كان في خسران إن كان بالغا في المعصية وإلا كان في مطلق الخسر ، وهو مدلول المصدر المجرد ، وفي هذا إشارة إلى العلم بالاحتياج إلى إرسال الرسل لبيان المرضى لله من

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب) ٨/٥١١

الاعتقادات والعادات إيمانا وإسلاما وإدامة لذلك ليكون فاعله من قبضة اليمين وتاركه من أصحاب الشمال .
وقال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير : لما قال تعالى : (ألهاكم التكاثر (وتضمن ذلك". (١)

٦٧٩-"وفي هذه الآية وما تقدمها من آية ﴿واتقوا يوما لا تجزي نفس﴾ تنبيه للعرب من غفلتهم في إنكار البعث وإرشاد إلى سؤال ممن يغرهم من أهل الكتاب بأنهم أولى بالحق من المسلمين عن هذه القصة التي وقعت لأسلافهم من إحيائهم بعد موتهم ، وكذا ما أتى في محاوراتهم من قصة البقرة ونحوها مما فيه ذكر الإحياء في هذه الدار أو في القيامة.

قال الحرالي : وفيه أي هذا الخطاب آية على البعث الآخر الذي وعد به جنس بني آدم كلهم فجأة صعق وسرعة بعث ، فإن ما صح لأحدهم ولطائفة منهم أمكن عمومه في كافتهم - انتهى.

ولما ذكرت الصاعقة الناشئة غالبا من الغمام كان أنسب الأشياء إيلاءها ذكر تظليل الغمام وناسب التحذير من نقمة الإحراق بالصاعقة والتذكير بنعمة الإيجاد من الموت الإتباع بذكر التنعيم في الإبقاء بالصيانة عن حر الظاهر بالشمس والباطن بالجوع.

جزء : ١ رقم الصفحة : ١٣١
وقال الحرالي وعطف تعالى على ذكر البعث ذكر حال من مثل أحوال أهل الجنة الذي ينالونه بعد البعث ، فكأن عامتهم الذين لم يموتوا إنما شركوا هؤلاء المبعوثين لكونهم كأنهم ماتوا بموتهم وبعثوا ببعثهم ، فذكر ظل الغمام وهو من أمر ما بعد البعث والأرزاق بغير كلفة وهو من حال ما بعد البعث وأفهم ذلك أمورا أخر في أحوالهم كما يقال إن ملابسهم كانت تطول معهم كلما طالوا فكأنهم أخرجو من أحوال أهل الدنيا بالجملة إلى شبه أحوال أهل الجنة في محل تيههم ومستحق منال العقوبة لهم كل ذلك إنعاما عليهم ، ثم لم يزيدوا مع ذلك إلا بعد عن التبصرة في كل ما أبدي لهم **من العجائب** - حدث عن بني إسرائيل ولا حرج فقال : ﴿وظللنا﴾ من الظلة وهو وقاية مما ينزل من سماء الموقي و﴿عليكم الغمام﴾ من الغم وهو ما يغم النور أي يغطيه - انتهى.

". (٢)

٦٨٠-"١٩٧

العبودية وأراكم **من العجائب** الخوارق ما لا يقبل شكا وسمعتم كلامه فعلمتم أنه ليس بجسم ولا يشبه الجسم ، فلم تفعلوا

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب) ٨/٥٢٢

(٢) نظم الدرر . موافق للمطبوع ١/١٧٥

ذلك غلا لأن الظلم وهو المشي على غير نظام خبط عشواء وصف لكم لازم.

جزء : ١ رقم الصفحة : ١٩٠
ثم ذكر أمرا آخر هو أبين في عنادهم وأنهم إنما هم مع الهوى فقال مقبلا على خطابهم لأنه أشد في التقريع ﴿وإذ أخذنا﴾ وأظهره في مظهر العظمة تصويرا لمزيد جرأتهم ﴿ميثاقكم﴾ على الإيمان والطاعة ﴿ورفعنا فوقكم الطور﴾ الجبل العظيم الذي جعلناه زاجرا لكم عن الرضى بالإقامة في حضيض الجهل ورافعا إلى أوج العلم وقلنا لكم وهو فوقكم ﴿خذوا ما آتيناكم﴾ من الأصول والفروع في هذا الكتاب العظيم ﴿بقوة﴾.

ولما كانت فائدة السماع القبول ومن سمع فلم يقبل كان كمن لم يسمع قال ﴿واسمعوا﴾ وإلا دفناكم به ، وذلك حيث يكفي غيركم في التأديب رفع الدرة والسوط عليه فينبعث للتعلم الذي أكثر النفوس الفاضلة تتحمل فيه المشاق الشديدة لما له من الشرف ولها به من الفخار ؛ ولما ضلوا بعد هذه الآية الكبرى وشيكا مع كونها مقتضية للثبات على الإيمان بعد أخذ الميثاق الذي لا ينقضه ذو مروءة فكان ضلالهم بعده منبئا
١٩٨
". (١)

٦٨١-"[الأعراف : ١٧٨] ، فبدأ الاستجابة بنبيه صلى الله عليه وسلم بذكر ما أنعم عليه وعلى من استجاب له فقال تعالى : ﴿آلمص كتاب أنزل﴾ [الأعراف : ٢] فأشار إلى نعمته بإنزال الكتاب الذي جعله هدى للمتقين ، واشار هنا ما يحمله عليه من التسلية وشرح الصدور بما جرى **من العجائب** والقصص مع كونه هدى ونورا ، فقال ﴿فلا يكن في صدرك حرج من﴾ [الأعراف : ٢] أي أنه قد تضمن مما أحلناك عليه ما يرفع الحرج ويسلي النفوس لتنذر به كما أنذر من قبلك ممن نقص خبره من الرسل ، ولتستن في إنذارك ودعائك وصبرك سننهم ، وليتذكر المؤمنون ؛ ثم أمر عباده بالاتباع لما أنزله فقال : ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم﴾ الأعراف : ٣] فإنة هلاك من نقص عليكم خبره من الأمم إنما كان لعدم الاتباع والركون إلى أوليائهم من شياطين الجن والإنس ، ثم أتبع ذلك بقصة آدم عليه السلام ليبين لعباده ما جرت سنته فيهم من تسلط الشياطين وكيده وأنه عدو لهم ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة﴾ [الأعراف : ٢٧] ووقع في قصة آدم هنا ما لم يقع في قصة البقرة من بسط ما اجمل هناك كتصريح اللعين بالحسد وتصور خيريته بخلقه من النار وطلبة الإنظار والتسلط على ذرية آدم والإذن له في ذلك ووعيده ووعيد متبعيه ثم أخذ في الوسوسة إلى آدم عليه السلام وحلفه له ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾ [الأعراف : ٢١] وكل هذا مما أجمل في سورة البقرة حتى لم يتكرر بالحقيقة ولا التعرض لقصص طائفة معينة فقط ، ومن عجيب الحكمة أن الواقع في السورتين من كلتا القصتين مستقل

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٢٦٦/١

شاف ، وإذا ضم بعض ذلك إلى بعض ارتفع إجماله ووضح كماله ، فتبارك من هذا كلامه ومن جعله حجة قاطعة وآية باهرة.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣
". (١)

٦٨٢-"عليهم ، ورهبهم بأنه لا مرد لما يريد من العذاب بقوله : ﴿فإن يتوبوا﴾ ولما كان المقام جديرا بأن يشتد تشوف السامع إلى معرفة حالهمفيه ، حذف نون الكون اختصارا تبيهيا على ذلك فقال ﴿يك﴾ أى ذلك ﴿خيرا لهم﴾ من إصرارهم.

ولما كان للنفوس من اصل الفطرة الأولى داعية شديدة إلى المتاب ، وكان القرآن في وعظه زاجرا مقبول العتاب عظيم الأخذ بالقلوب والعطف للألباب ، أشار إلى ذلك بصيغة التفعيل فقال : ﴿وإن يتولوا﴾ أي يكلفوا أنفسهم الإعراض عن المتاب ﴿يعذبهم الله﴾ أي المحيط بكل شيء قدرة وعلما بحوله وقوته ﴿عذابا أليما﴾ أي لا صبر لهم عليه ﴿في الدنيا﴾ أي بما هم فيه من الخوف والخزي والكلف وغيرها ﴿والآخرة﴾ أي بالعذاب الأكبر الذي لا خلاص لهم منه ﴿وما لهم في الأرض﴾ أي التي لا يعرفون غيرها لسفول هممهم ﴿من ولي﴾ أي يتولى أمورهم فيصلح ما أفسد العذاب منهم أو يشفع لهم ﴿ولا نصير*﴾ أي ينقذهم ؛ وأما السماء فهم أقل من أن يطمعوا منها بشيء ناصر او غيره وأغلظ أكبادا من أن يرتقي فكرهم إلى ما لها **من العجائب** وما بها من الجنود ؛ وسبب نزول الآية على ما قال ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا في ظل شجرة فقال : سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيني شيطان ، فإذا جاء فلا تكلموه ، فلم يلبثوا أن طلع رجل أرزق فدعاه رسول الله صلى اله عليه وسلم فقال : علام تشتمني انت وأصحابك ؟فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٥٩
". (٢)

٦٨٣-"واكتنافه بالعصمة وبراءته عند الملك والنسوه ، وكل ذلك مما أعقبه جميل صبره وجلالة اليقين في حسن تلقي الأقدار بالتفويض والتسليم على توالي الامتحان وطول المدة ، ثم انجر في أثناء هذه القصة الجليلة إنابة امرأة العزيز ورجوعها إلى الحق وشهادتها ليوسف عليه الصلاة والسلام بما منحه الله من النزاهة عن كل ما يشين ، ثم استخلاص العزيز إياه -

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٨/٣

(٢) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٥٨٨/٣

إلى ما انجر في هذه القصة الجليلة **من العجائب** والعبر ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ [يوسف : ١١١] فقد انفردت هذه القصة بنفسها ولم تناسب ما ذكر من قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم الصلاة والسلام وما جرى في أممهم ، فلهذا فصلت عنهم ، وقد أشار في سورة برأسها إلى عاقبة من صبر ورضى وسلم ليتنبه المؤمنون على ما في طي ذلك ، وقد طرح لهم مما أجملته هذه السورة من الإشارة في قوله تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾ – إلى قوله ﴿آمنا﴾ [النور : ٥٥] وكانت قصة يوسف عليه الصلاة والسلام بجملتها أشبه شيء بحال المؤمنين في مكابدتهم في أول الأمر وهجرتهم وتشققهم مع قومهم وقلة ذات أيديهم إلى أن جمع الله شملهم ﴿اذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ [آل عمران : ١٠٣] وأورثهم الله الأرض وأيدهم ونصرهم ، ذلك بجليل إيمانهم وعظيم صبرهم ، فهذا ما أوجب تجرد هذه القصة عن تلك القصص – والله أعلم ، وأما تأخر ذكرها عنها فمناسب لحالها ولأنها إخبار بعاقبة من آمن واتعظ ووقف عند ما حد له ، فلم يضره ما كان ، ولم تذكر إثر قصص الأعراف لما بقي من استيفاء تلك القصص الحاصل ذلك في سورة هود ؛ ثم إن ذكر أحوال المؤمنين مع من كان معهم من المنافقين وصبرهم عليهم مما يجب أن يتقدم ويعقب بهذه القصة من حيث عاقبة الصبر والحض عليه – كما مر ، فأخرت إلى عقب سورة هود عليه الصلاة والسلام لمجموع هذا – والله تعالى أعلم ؛ ثم ناسبت سورة يوسف عليه". (١)

٦٨٤–"[الأعراف : ٥٧] وكان قد ورد هنا أعظم جهة في الاعتبار من إخراجها مختلفات في الطعوم والألوان والروائح مع اتحاد المادة " يسقى " بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل لذلك ما أعقب قوله تعالى : ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ الآية بقوله ﴿وإن تعجب فعجب قولهم إذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد﴾ ثم بين سبحانه الصنف القائل بهذا وأنهم الكافرون أهل الخلود في النار ، ثم أعقب ذلك ببيان عظيم حلمه وعفوه فقال ﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة﴾ [الرعد : ٦]الآية ، ثم أتبع ذلك بما يشعر بالجري على السوابق في قوله ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ [الرعد : ٧] ثم بين عظيم ملكه واطلاعه على دقائق ما أوجده من جليل صنعه واقتداره فقال ﴿الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الأرحام﴾ الآيات إلى قوله : ﴿وما لكم من دونه من وال﴾ ثم خوف عباده وأنذرهم ورغبهم ﴿هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا﴾ [الرعد : ١٢] ، والآيات وكل ذلك راجع إلى ما أودع سبحانه في السماوات والأرض وما بينهما من الآيات ، وفي ذلك أكثر آي السورة ونبه تعالى على الآية الكبرى والمعجزة العظمى فقال : ﴿ولو أن قرانا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أوكلم به الموتى﴾ [الرعد : ٣١] والمراد : لكان هذا القرآن ﴿لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ [النساء : ٨٢] والتنبيه بعظيم هذه الآيات مناسب لمقتضى السورة من التنبيه بما أودع تعالى من الآيات السماوات والأرض ، وكأنه جل وتعالى لما بين لهم عظيم ما اودع من السماوات والأرض وما بينهما من الآيات وبسط ذلك وأوضحه ، أردف ذلك بآية أخرى جامعة للآيات ومتسعة للاعتبارات فقال تعالى ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال﴾

---

(١) نظم الدرر ـ موافق للمطبوع ١١/٤

[الرعد : ٣١] فهو من نحو ﴿إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم﴾ [الجاثية : ٣] أي لو فكرتم في آيات السماوات والأرض لأقلتكم وكفتكم في بيان الطريق إليه ولو فكرتم في أنفسكم وما أودع تعالى فيكم من العجائب لاكتفيتم " من عرف نفسه عرف". (١)

٦٨٥-"ولما كان التقدير للتعريفي بمطابقة الخبر الخبر : اذكر أنا قلنا لك ﴿إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل ءاية﴾ [يونس : ٩٦] واذكر ما وقع من ذلك ماضيا من آيات الأولين وحالا من قصة الإسراء ، عطف عليه قوله تعالى : ﴿وإذ﴾ أي واذكر إذ ﴿قلنا﴾ على ما لنا من العظمة المحيطة ﴿لك إن ربك﴾ المتفضل بالإحسان إليك بالرفق بأمتك ﴿أحاط بالناس﴾ علما وقدرة ، تجد ذلك إذا طبقت بعضه على بعض أمرا سويا حذو القذة لا تفاوت فيه ، واعلم أنه مانعك منهم وحائطك ومظهر دينك كما وعدك ؛ ثم عطف على ﴿وما نرسل﴾ قوله تعالى : ﴿وما جعلنا﴾ أي بما لنا من القوة الباهرة التي لها الغنى المطلق ﴿الرءيا التي أريناك﴾ أي بتلك العظمة التي شاهدتها ليلة الإسراء ﴿إلا فتنة﴾ أي امتحانا واختبارا ﴿للناس﴾ ليتبين بذلك في عالم الشهادة المتقي المحسن والجاهل المسيء كما هو عندنا في عالم الغيب ، فنقيم بها عليهم الحجة ، لا ليؤمن أحد من حقت عليهم الكلمة ولا لنزداد نحن علما بسرائرهم ، ولا شك في أن قصة الإسراء إلى بيت المقدس ثم إلى السماوات العلى كان يقظة لا مناما بالدليل القطعي المتواتر من تكذيب من كذب وارتداد من ارتد ، وهذا مذهب الجمهور وأهل السنة والجماعة ، وقد ورد في صحته ما لايحصى من الأخبار - هذا النقل ، وأما الإمكان العقلي فثابت غير محتاج إلى بيان ، فإن كل ذرة من ذرات الموجودات فيها من العجائب والغرائب والدقائق والرقائق ما يتحير فيه العقول ، لكن لما كان على خلاف العادة ألفته الطباع ، فلم تنكره الأبصار ولا الأسماع ، وأما مثل هذا فلما كان على خلاف العادة استنكره ضعفاء العقول الذين لا يتجاوز فهمهم المحسوسات ، على ما ألفوا من العادات ، وأما أولو الألباب الذين سلموا من نزعات الشيطان ووساوس العادة ، ونظروا بأعين البصائر إلى آثار رحمة الله في صنع المصنوعات وإحداث المحدثات في الملك والملكوت ، والشهادة والغيب ، والخلق والأمر ، فاعترفوا به ، وأنه من". (٢)

٦٨٦-"ولما كان هذا من العجائب التي تضاءل عندها العجائب ، والغرائب التي تخضع لديها الغرائب ، وإن صارت مألوفة بكثرة التكرار ، والتجلي على الأبصار ، هذا إلى ما له من الآيات التي تزيد على العد ، ولا يحصر بحد ، من خلق السماوات والأرض ، واختلاف الليل والنهارن وتسخير الشمس والقمر والكواكب - وغيرها ذلك ، حقر آية أصحاب الكهف - وإن كانت من أعجب العجب - لا ضمحلالها في جنب ذلك ، لأن الشيء إذا كان كذلك كثر ألفه فلم يعد عجبا ، فنبه على ذلك بقوله تعالى عطفا على ما تقديره : أعلمت أن هذا وغيره من عجائب قدرتنا ؟ : ﴿أم حسبت﴾ على ما لك من العقل الرزين والرأي الرصين ﴿أن أصحاب الكهف﴾ أي الغار الواسع المنقور في الجبل كالبيت

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع ١٨٨/٤

(٢) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٦٣٠/٤

﴿والرقيم﴾ أي القرية أو الجبل ﴿كانوا﴾ هم فقط ﴿من ءايتنا عجبا*﴾ على ما لزم من تهويل السائلين من الكفرة من اليهود والعرب ، والواقع أنهم – وإن كانوا **من العجائب** – ليسوا بعجب بالنسبة إلى كثرة آياتنا ، وبالنسبة إلى هذا العجب النباتي الذي أعرضتم عنه بإلفكم له من كثرة تكرره فيكم ، فإنه سبحانه أخرج نبات الأرض على تباني أجناسه ، واختلاف ألوانه وأنواعه ، وتضاد طبائعه ، من مادة واحدة ، يهتز بالينبوع ، يبهج الناظرين ويروق المتأملين ، ثم يوقفه ثم يرده بلبيس والتفرق إلى التراب فيختلط به حتى لا يميزه

٤٤٧

". (١)

٦٨٧-"ولما فرغ من هذه القصة التي حاصلها أنها طواف في الأرض لطلب العلم ، عقبها بقصة من طاف الأرض لطلب الجهاد ، وقدم الأولى إشارة إلى علو درجة العلم لأنه أساس كل سعادة ، وقوام كل أمر ، فقال عاطفا على ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل﴾ [الكهف : ٥٦] ﴿ويسألونك عن﴾ الرجل الصالح المجاهد ﴿ذي القرنين﴾ سمي لشجاعته أو لبلوغه قرني مغرب الشمس ومشرقها ، أو الانقراض قرنين من الناس في زمانه ، أو لأنه كان له ضفيرتان من الشعر أو لتاجه قرنان ، وهو الإسكندر الأول – نقل ابن كثير عن الأزرقي أنه كان على زمن الخليل عليه السلام ، وطاف معه بالبيت ، ومن المناسبات الصورية أن في قصة كل منهما ثلاثة أشياء آخرها بناء جدار لا سقف له ، وإنما هو لأجل حفظ ما يهتم به خوف المفسدن وصدرها بالإخبار عن سؤالهم إشارة إلى أنهم لم يسألوا عن التي قبلها على ما فيها **من العجائب** وللطائف ، والأسرار والمعارف ، تبكيتا لليهود في إغفال الأمر بالسؤال عنها إن كان مقصودهم الحق ، وإن لم يكن مقصودا لهم كانوا بالتبكيت أجدر ، أو تكون معطوفة على مسألتهم الأولى وهي الروح ، وصدرها بالإخبار بالسؤال تنبيها على ذلك لطول الفصل ، إشارة إلى أن ذلك كله مرتبط بجوابهم ارتباط الدر بالسلك.

ولما كان من المعلوم أنه يقول صلى الله عليه وعلى آله وسلم : فبماذا أجيبهم ؟ قال : ﴿قل﴾ أي لهم : ﴿سأتلوا﴾ أي أقص قصا متتابعا في مستقبل الزمان إن أعلمني الله به ﴿عليكم﴾ أيها المشركون وأهل الكتاب المعلمون لهم مقيدا بأن شاء الله كما سلف لك الأمر به ﴿منه ذكرا *﴾ كافيا لكم في تعرف أمره ، جامعا لمجامع ذكره.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٥٠٠

". (٢)

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٤/٧٠٧

(٢) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٤/٧٨٨

٦٨٨-"أعماله كما أشارت إليه قراءة الجمهور – من غير كلفة في شيء ، في ذلك لأن الله أخلصه له كما في قراءة الكوفيين بالفتح ﴿وكان رسولا﴾ إلى بني إسرائيل والقبط ﴿نبيا *﴾ ينبئه الله بما يريد من وحيه لينبئ به المرسل إليهم ، فيرفع بذلك قدره ، فصار الإخبار بالنبوة عنه مرتين : إحداهما في ضمن ﴿رسولا﴾ والأخرى صريحا مع إفهام العلو باشتقاقه من النبوة ، وبكون النبأ لا يطلق عليه غالبا إلا على خبر عظيم ، فصار المراد : رسولا عاليا مقداره ويخبر بالأخبار الجليلة ، وفيه دفع لما يتوهم من أنه رسول عن بعض رسله كما في أصحاب يس ؛ وعطف على ذلك دليله الدال على ما صدرت به السورة من الرحمة ، فرحمة بتأنيس وحشته وتأهيل غربته بتلذيذه بالخطاب وإعطائه الكتاب فقال : ﴿وناديناه﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿من جانب الطور﴾ أي الجانب ﴿الأيمن﴾ فأنبأه هنالك – حين كان متوجها إلى مصر – بأنه رسولنا ، ثم واعدناه إليه بعد إغراق آل فرعون ، فكان لنبي إسرائيل به من العجائب في رحمتهم بإنزال الكتاب ، والإلذاذ بالخطاب ، من جوف السحاب ، وفي إماتتهم لما طلبوا الرؤية ، ثم إحيائهم وغير ذلك ما يجل عن الوصف على ما هو مذكور في التوراة ، وتقدم كثير منه في هذا الكتاب ﴿وقربناه﴾ بما لنا من العظمة تقريب تشريف حال كونه ﴿نجيا *﴾ نخبره من أمرنا بلا واسطة من النجوى وهي السر والكلام بين الاثنين كالسر ، والتشاور كما في يوسف ويأتي في المجادلة ﴿ووهبنا له﴾ أي هبة تليق بعظمتنا ﴿من رحمتنا﴾ له لما سألنا ﴿أخاه﴾ أي معاضدة أخيه وبينه بقوله : ﴿هارون﴾ حال كونه ﴿نبيا *﴾ أو هو بدل أي نبوته شددنا به أزره ، وقوينا به أمره ، وكان يخلفه من قومه عند ذهابه إلى ساحة المماجاة ، ومع ذلك فأشركوا بي صورة عجل ، فلا تعجب من غرورهم للعرب مع مباشرتهم لهذه العظائم.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٥٣٩

". (١)

٦٨٩-"ولما كانت سلامته في البحر من العجائب ، لتعرضه للغرق بقلب الريح للتابوت ، أو بكسره في بعض الجدر أو غيرها ، أوبجرية مستقيما مع أقوى جرية من الماء إلى البحر الملح وغير ذلك من الآفات ، أشار إلى تحتم تنجيته بلام الأمر عبارة عن معنى الخبر في قوله ، عاجلا البحر كأنه ذو تمييز ليطيع الأمر : ﴿فليلقه﴾ أي التابوت الذي فيه موسى عليه السلام أو موسى بتابوته ﴿اليم بالساحل﴾ أي شاطىء النيل ، سمي ذلك لأن الماء يسحله ، أي ينشره إلى جانب البيت الذي الفعل كله هربا من شر صاحبه ، وهو فرعون ، وهو المراد بقوله : ﴿يأخذه﴾ جوابا للأمر ، أي موسى ﴿عدو لي﴾ ونبه على محل العجب بإعادة لفظ العدو في قوله : ﴿وعدو له﴾ فإنه ما عادى بني إسرائيل بالتذبيح إلا من أجله ﴿وألقيت عليك محبة﴾ أي عظيمة ؛ ثم زاد الأمر في تعظيمها إيضاحا بقوله : ﴿مني﴾ أي ليحبك كل من رآك لما جبلتك عليه من الخلال الحميدة ، والشيم السديدة ، لتكون أهلا لما أريدك له ﴿ولتصنع﴾ أي تربى بأيسر أمر تربية بمن هو ملازم ك لا ينفك عن الاعتناء بمصالحك عناية شديدة ﴿على عيني *﴾ أي مستعليا على حافظيك غبير مستخفي في تربيتك

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٤/٨٤٣

من أحد ولا مخوف عليك منه ، وأنا حافظ لك حفظ من يلاحظ الشيء بعينه لا يغيب عنها ، فكان كل ما أردته ، فلما رآك هذا العدو أحبك وطلب لك المراضع ، فلما لم تقبل واحدة منهن بالغ في الطلب ، كل ذلك إمضاء لأمري وإيقافا لأمره به نفسه لا بغيره ليزداد العجب من إحكام السبب ، ثم ثم ذكر ظرف الصنع فقال : ﴿إذ﴾ أي تحين ﴿تمشي أختك﴾ أي في الموضع الذي وضعوك به لينظروا لك مرضعة ﴿فتقول﴾ بعد إذ رأتك ، لال فرعون : ﴿هل أدلكم على من يكفله﴾ أي يقوم بمصالحه من الرضاع والخدمة ، ناصحا له ، فقالوا : نعم! فجاءت بأمك فقبلت ثديها ﴿فرجعناك﴾ أي فتسبب عن قولها هذا أن رجعناك ﴿إلى أمك﴾ حين دلتهم عليها ﴿كي تقر﴾ أي تبرد وتسكن ﴿عينها﴾ وتربيك آمنة عليك غير خائفة ، ظاهرة غير مستخفية ﴿ولا تحزن﴾ بفراقك أو بعدم". (١)

٦٩٠-"ولما كانوا قد أرادوا بما صنعوا له من العذاب أن يكون أسفل مننم أهل ذلك الجمع ، وكان السياق لتحقيق أمر الساعة الذي هو مقصود السورة ، وكان الصائر إليها المفرط فيها بالتكذيب بها قد خسر خسارة لا جبر لها لفوات محل الاستدراك ، قال : ﴿الأخسرين*﴾ لأن فضيحتهم في الدنيا الموجبة للعذاب في الأخر كانت بنفس فعلهم الذي كادو به ، ولم يذكر سبحانه شعيبا عليه السلام مع أنه سخر له النار في يوم الظلة فأحرقت عصاه ، لأن فعل النار بقومه كان على ما هو المعهود من أمرها بخلاف فعلها مع إبراهيم عليه السلام ، فإنه على خلاف المعتاد ، وقد وقع مثل هذا لبعض أتباع نبينا صلى الله عليه وسلم ، وهو أبو مسلم الخولاني ، طلبه الأسود العنسي لما ادعى النبوة فقال له : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : ما أسمع ، قال : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم! فأمر بنار فألقي فيها فوجده قائما يصلي فيها وقد صارت عليه بردا وسلاما ، وقدم بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر رضي الله عنهما وقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله.

ولما كان إنجاؤه - وهو وحده - ممن أرادوا به هذا الأمر العظيم **من العجائب** فكيف إذا انضم إليه غيره ، ولم يكن في ذلك الغير آية تمنعهم عنه كما كان في إبراهيم عليه السلام ،

٩٦

". (٢)

٦٩١-"ولما بين تعالى ما أعد لأعداء دينه في الدنيا ، وبين أن طريقته جادة لا تنخرم ، لما لها من قوانين الحكمة وأفانين الإتقان والعظمة ، وكان من أعظم الطرق الحكمية والمغيبات العلمية الساعة ، وكان قد قام ما يحرك إلى السؤال عنها في قوله : لعنهم الله في الدنيا والآخرة " وكان قد مضى آخر السجدة أنهم سألوا استهزاء وتكذيبا عن تعيين وقتها ، وهددهم

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٩٨/٥

(٢) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٢٠٩/٥

سبحانه على هذا السؤال ، قال تعالى مهددا أيضا على ذلك مبينا ما لأعداء الدين المستهزئين في الآخرة : ﴿يسئلك الناس﴾ أي المشركون استهزاء منهم ، وعبر بذلك إشارة إلى أنهم بعد في نوسهم لم يصلوا إلى أدنى أسنان أهل الإيمان ، فكان المترددون في آرائهم لا يكادون ينفكون عن النوس وهو الاضطراب ﴿عن الساعة﴾ أي في تعيين وقتها.

ولما كانت إدامتهم السؤال عنها فعل من يظن أن غيره سبحانه يعلمها ، أكد فقال : ﴿قل﴾ أي في جوابهم : ﴿إنما علمها عند الله﴾ أي الذي أحاط علما بجميع الخلال ، وله جميع أوصاف الجمال والجلال ، فهو يعلم ما عند كل أحد ولا يعلم أحد شيئا مما عنده إلا بإذنه.

ولما كان من فؤائد العلم بوقت الشيء التحرز عنه أو مدافعته ، قال مشيرا إلى شدة خفائها بإخفائها عن أكمل خلقه مرجيا تقريبها تهديدا لهم : ﴿وما يدريك﴾ أي أي شيء

١٣٧

يعلمك بوقتها ؟ ثم استأنف قوله : ﴿لعل الساعة﴾ أي التي لا ساعة في الحقيقة غيرها لما لها **من العجائب** ﴿تكون﴾ أي توجد وتحدث على وجه مهول عجيب ﴿قريبا*﴾ أي في زمن ثريب ، ويجوز أن يكون التذكير لأجل الوقت لأن السؤال عنها إنما هو سؤال عن تعيين وقتها ، قال البخاري في الصحيح : إذا وصفت صفة المؤنث قلت : قريبة ، وإذا جعلته ظرفا وبدلا ولم ترد الصفة نزعت الهاء من المؤنث ، وكذلك لفظها في الواحد والاثنين والجمع للذكر والأنثى.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٣٧

." (١)

٦٩٢-"ولما كان ربما ظن أنه لعدم الرسل ، نفى ذلكم بقوله مؤكدا لنحو ذلك : ﴿ولقد أرسلنا﴾ أي على ما لنا من العظمة التي توجب الإيتان بما لا ؤيب فيه من البيان ﴿فيهم منذرين*﴾ أي فأنذروهم بأس الله وبينوا لهم أحسن البيان ، ومع ذلك فغلب عليهم الضلال ، وعناد أهل الحق بالمحال ، حتى اهلكهم الله بما له من شديد المحال ، وهو معنى قوله : ﴿فانظر﴾ أي فتسبب عن الإرسال أنا فعلنا في إهلاكهم **من العجائب** ما يستحق التعجيب به والتحذير من مثله بأن يقال لمن تخلف عنهم : انظر ﴿كيف﴾ ولما كان ذلك عادة مستمرة لم تختلف أصلا قال : ﴿كان عاقبة﴾ أي آخر امر ﴿المنذرين﴾ أي في إنا أهلكناهم لتكذيبهم ، فاصبر على الشدائد كما صبروا ، واستمر على الدعاء بالبشارة والنذارة حتى يأتيك أمر الله.

ولما أفهم الحكم على الأكثر بالضلال أن الأقل على غير حالهم ، نبه على حال الطائعين بقوله مستثنيا من ضمير المنذرين

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٢٠٣/٦

: ﴿إلا عباد الله﴾ أي الذين استخلصهم سبحانه بما له من صفات الكمال ، فاستحقوا الإضافة إلى اسمه الأعظم ﴿المخلصين*﴾ أي الذين أخلصهم له فأخلصوا هم أعمالهم فلم يجعلوا فيها شوبا لغيره.

ولما كان مقصود السورة التنزيه الذي هو الإبعاد عن النقائص ، ولذلك كان أنسب الأشياء الإقسام أولها بالملائكة هم أنزه الخلق ، وكان أعلى الخلق من جرد نفسه عن الحظوظ بما يؤتيه الله من المجاهدات والمنازلات والمعالجات حتى يلحق بهم فيجوز مع فضلهم معالي الجهاد ، فكان أحق الأنبياء بالذكر من كان أكثر تجريدا لنفسه من الشواغل سيرا إلى مولاه وتعريجا عن كل سواه ، وكان الأب الثاني من أحقهم بذلك لأنه تجرد في الجهاد بالدعاء إلى الله ألف عام ثم تجرد عن كل شيء على ظهر

٣١٧

". (١)

٦٩٣-"ولما كان السياق للتوحيد الذي هو أصل الدين ، لفت القول عن مظهر العظمة إلى أعظم منه وأبين فقال : ﴿إلا الله﴾ وللإحاطة عبر بالاسم العلم الجامع لجميع الأسماء الحسنى ولو شاركه شيء لم يكن محيطا وللتفرد قال مبرهنا على ذلك : ﴿الواحد﴾ أي بكل اعتبار فلا يمكن أن يكون له جزء أو يكون له شبيه محتاجا مكافئا ﴿القهار*﴾ أي الذي يقهر غيره على ما يريد ، وهذا برهان على أنه الإله وحده وأن آلهتهم بعيدة عن استحقاق الإلهية لتعددها وتكافئها بالمشابهة واحتياجها.

ولما وصف نفسه سبحانه بذلك ، دل عليه بقوله : ﴿رب السماوات﴾ أي مبدعها وحافظها على علوها وسعتها وإحكامها بما لها من الزينة والمنافع ، وجمع لأن المقام للقدرة ، وإقامة الدليل على تعددها سهل ﴿والأرض﴾ على سعتها وضخامتها وكثافتها وما فيها **من العجائب**.

ولما كان القائل مخيرا كما قال ابن مالك في الكافية الشافية عند اختلاط العقلاء بغيرهم في إطلاق ما شاء من " من " التي أغلب إطلاقها على العقلاء و" ما " التي هي بعكس ذلك ، وكان ربما وقع في وهم أن تمكنه تعالى من العقلاء دون تمكنه من غيرهم لما لهم من الحيل التي يحتزون بها عن المحذور ، وينظرون بها في عواقب الأمور ، أشار إلى أن حكمه فيهم كحكمه في غيرهم من غير فرق بالتعبير عنهم بـ " ما " التي أصلها وأغلب استعمالها لمن لا يعقل ، وسياق العظمة بالوحدانية وآثارها دال على دخولها في

٤٠٠

العبادة قطعا فقال : ﴿وما بينهما﴾ أي الخافقين من الفضاء والهواء وغيرهما من العناصر والنبات والحيوانات العقلاء وغيرها

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٦/٤٦٤

، ربي كل شيء من ذلك إيجادا وإبقاء على ما يريد وإن كره ذلك المربوب ، فدل ذلك على قهره ، وتفرده في جميع أمره.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٠٠". (١)

٦٩٤-"ولما علم بهذه البراهين أنه سبحانه المتصرف في المعاني بتصرفه في القلوب بالهداية والإضلال ، وكان التقدير : فلئن قررتم بهذا الاستفهام الإنكاري ليقولن : بلى! عطف عليه بيان أن الخالق للذات كما أنه المالك للمعاني والصفات ، فقال مفسدا لدينهم باعترافهم بأصلين : القدرة التامة له والعجز الكامل لمعبوداتهم : ﴿ولئن سألتهم﴾ أي فقلت لمن شئت منهم فرادى أو مجتمعين : ﴿من خلق السماوات﴾ أي على ما لها من الاتساع والعظمة والارتفاع ﴿والأرض﴾ على ما لها **من العجائب** وفيها من الانتفاع ﴿ليقولن﴾ بعد تخويفهم لك بشركائهم الذين هم من جملة خلق من أرسلك بما أنت فيه : الذي خلقها ﴿الله﴾ أي وحده الذي لا سمي له وإلباس بوجه في أمره ، ولا ي يصدهم عن ذلك الحياء من التناقض ولا الخوف من التهافت بالتعارض.

ولما كان هذا مخيرا لأن بين ولا بد أنهم لا يقبلون ولا يعرضون كان كأنه قيل : فماذا أصنع ؟ فقال : ﴿قل﴾ مسببا من اعترافهم له سبحانه

بجميع التعبير عنها سابقا بأداة الذكور العقلاء

٤٥٠

". (٢)

٦٩٥-"ولما كان علو من يتصرف في العبد على مالك العبد لا يثبت إلا بعد ثبوت أنه ملكه وأنه لا يحب التصرف فيه ، علل ذلك بقوله مؤكدا لأجل أن ما أتى به بصدد أن ينكروه لأن النزوع عما استقر في النفس ومضى عليه الإلف بعيد : ﴿إني آيتكم﴾ وهو يصح أن يكون سام فاعل وأن يكون فعلا مضارعا.

ولما كان فعلهم فعل العالي على السلطان ، قال : ﴿بسلطان﴾ أي أمر باهر قاهر من عند مالكهم ، لا يسوغ لأحد الاستعلاء عليه فكيف بالاستعلاء على من هو بأمره ﴿مبين﴾ أي وضاح في نفسه سلطنته ومظهر لغيره ذلك.

ولما كان **من العجائب** أن يقتل منهم نفسا ثم يخرج فارا منهم ثميأتي إليهم لا سيما إتينا يقاهرهم فيه في أمر عظيم من غير أن يقع بينهم وبينه ما يمحو ما تقدم منه ، نبههم على إتيانه هذا على هذا الحال آية أخرى دالة على السلطان ، فقال

---

(١) نظم الدرر ـ موافق للمطبوع ٦/٥٩٠

(٢) نظم الدرر ـ موافق للمطبوع ٦/٦٦٤

مؤكدا تكذيبا لظنهم أنه في قبضتهم : ﴿وإني عذت﴾ أي اعتصمت وامتنعت ﴿بربي﴾ الذي رباني على
٧١
ما اقتضاه لطفه بي وإحسانه إلي ﴿وربكم﴾ الذي أعاذني من قتلكم لي بكم على ما دعت إيه حكمته من جبروتكم وتكبركم وقوة مكنتكم ﴿أن ترجمون﴾ أي أن يتجدد في وقت من الأوقات قتل منكم لي ، ما أتيتكم حتى توثقت من ربي في ذلك ، فإني قلت ﴿إني اخاف أن يقتلون﴾ فقال ﴿سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا﴾ [القصص : ٣٨] فهو من أعظم ياتي أن لا تصلوا على قوتكم وكثرتكم إلى قتلي منع أنه لا قوة لي بغير الله الذي أرسلني.

ولما كان التقديرك فإن آمنتم بذلك وسلمتم لي أفلحتم ، عطف عليه قوله : ﴿وإن لم تؤمنوا لي﴾ أي تصدقوا لأجلي ما أخبرتكم به ﴿فاعتزلون﴾ أي وإن لم تعتزلوني هلكتم ، ولا تقدرون على قتلي بوجه وأنا واحد ممن تسومونهم سوء العذاب ، وما قتلتم أبناءهم إلا من أجلي ، فرباني على كف من ضاقت عليه الأرض بسببي وسفك الدماء في شأني ، ومنعه الله من أن يصل إلي منه سوء قبل أن أعوذ به ، فكيف به بعد أن أرسلني وعذب به فأعاذني ، واستجرت به فأجارني.

". (١)

٦٩٦-"ولما كان المراد تعميم الإهلاك في جميع الأزمان لجميع الأمم ، نزع الجار بيانا لإحاطة القدرة فقال : ﴿قبلهم﴾ وزاد في دلالة التعميم فأثبته في قوله : ﴿من قرن﴾ أي جيل هم في غاية القوة ، وزاد في بيان القوة فقال : ﴿بطشا﴾ أي قوة وأخذا لما يريدونه بالعنف والسطوة والشدة ، وحذف الجار هنا يدل على أن كل من كان قبل قريش كانوا أقوى منهم ، وإثباته في ص يدل على أن المذكورين بالإهلاك هناك مع الاتصاف بالنداء المذكور بعض المهلكين لا كلهم.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢٦٣
ولما أخبر سبحانه بأشديتهم سبب عنه قوله :
٢٦٣
﴿فنقبوا﴾ أي أوقعوا النقب ﴿في البلاد﴾ بأن فتحو فيها الأبواب الحسية والمعنوية وخرقوا في أرجائها ما لم يقدر غيرهم عليه وبالغوا في السير في النقاب ، وهي طرق الجبال والطرق الضيقة فضلا عن الواسعة وما في السهول ، بعقولهم الواسعة وآرائهم النافذة وطبائعهم القوية ، وبحثوا مع ذلك عن الأخبار ، وأخبروا غيرهم بما لم يصل إليهم ، وكان كل منهم نقبا في ذلك أي علامت فيه فصارت له به مناقب أو مفاخر.

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع ١٠٩/٧

ولما كان التقدير : ولم يسلموا مع كثرة تنقيبهم وشدته من إهلاكنا بغوائل الزمان ونوازل الحدثان ، توجه سؤال كل سامع على ما في ذلك **من العجائب** والشدة والهول والمخاوف سؤال تنبيه للذاهل الغافل ، وتقريع وتبيكت للمعاند الجاهل ، بقوله : ﴿هل من محيص *﴾ أي معدل ومحيد ومهرب وإن دق ، من قضائنا ليكون لهؤلاء وجه ما في رد أمرنا.

ولما ذكرنا هنا من المواعظ ما أرقص الجماد ، فكيف بمن يدعي أنه من رؤوس النقاد ، أنتج قوله مؤكدا لأجل إنكار الجاحد وعناد المعاند : ﴿إن في ذلك﴾ أي الأمر البديع من العظات التي صرفناها هنا على ما ترون من الأساليب العجيبة والطرق الغريبة في الإهلاك وغيره ﴿لذكرى﴾ أي تذكيرا عظيما جدا.

". (١)

٦٩٧-"ولما أقسم الله على صدق وعده ووقوع الجزاء ، عقب ذلك بتكذيبهم بالجزاء وازدرائهم فقال ﴿يسألون أيان يوم الدين﴾ ثم ذكر تعالى حال الفريقين وانتهاء الطريقين إلى قوله : ﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾ فوبخ تعالى من لم يعمل فكره ولا بسط نظره فيما أودع سبحانه في العالم **من العجائب** ، وأعقب بذكر إشارات إلى أحوال الأمم وما أعقبهم تكذيبهم ، وكل هذا تنبيه لبسط النظر إلى قوله : ﴿ومن كل شيء خلقنا﴾ بقوله : ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾ أي إن هذا دأبهم وعادتهم حتى كأنهم تعاهدا عليه وألقاء بعضهم إلى بعض فقال تعالى : ﴿تواصوا به أم هم قوم طاغون﴾ أي عجبا لهم يف جريهم على التكذيب والفساد في مضمار واحد ، ثم قال تعالى : ﴿بل هم قوم طاغون﴾ أي أن علة تكذيبهم هي التي اتحدت فاتحد معلولها ، والعلة طغيانهم وإظلام قلوبهم بما سبق ﴿ولو شئنا لأتينا كل نفس هداها﴾ ثم زاد نبيه عليه السلام أشياء مما ورد على طريقة تخييره عليه السلام في أمرهم من قوله تعالى : ﴿فتول عنهم فما أنت بملوم﴾ ثم أشار تعالى بقوله : ﴿وذكر فإن الكذرى تنفع المؤمنين﴾ إلى أن إحراز أجره عليه السلام إنما هو في التذكار والدعاء إلى الله تعالى ، ثم ينفع الله بذلك من سبقت له السعادة ﴿إنما يتسجيب الذين يسمعون﴾ ثم أخبر نبيه عليه الصلاة والسلام بأن تكذيبه سينالهم قسط ونصيب مما نال غيرهم من ارتكب مرتكبهم ، وسلك مسلكهم ، فقال تعالى ﴿وإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم﴾ إلى آخر السورة - انتهى.

". (٢)

٦٩٨-"ولما كان ذلك لا يتأتي إلا بتنزل يقطع مسافات البعد التي هي الحجب ليصير به بحيث يراه البشر ، عبر بقوله : ﴿نزلة﴾ وانتصب على الظرفية لأن الفعلة بمعنى المرة الأعلى ، وعين الوقت بتعين المكان فقال : ﴿عند سدرة المنتهى

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٧/٤٠٥

(٢) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٧/٤١٦

*﴾ أي الشجرة التي هي كالسدر وينتهي إليها علم الخلائق وينتهي إليها ما يعرج من تحت وما ينزل من فوق ، فيتلقى هنالك ، وذلك – والله أعلم – ليلة الإسراء في السنة الثالثة عشرة من النبوة قبل الهجرة بقليل بعد الترقي في معراج الكمالات من السنين على عدد السماوات وما بينهما من المسافات ، فانتهى إلى منتهى يسمع فيه صريف الأقلام ، وعظمها بقوله : ﴿عندها﴾ أي السدرة ﴿جنة المأوى *﴾ الذي لا مأوى في الحقيقة غيره لأنه لا يوازي في عظمه ،
٣١٩
وزاد في تعظيمها بقوله : ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى *﴾ أي يغطيها ويركبها وسمره ؟ من فراش الذهب والرفرف الأخضر والملائكة والنبق وغير ذلك فإن الغشو النبق ﴿ما يغشى﴾ لا تحتملون وصفه وهو بحيث يكاد أن لا يحصى ، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث : "وغشيها ، ألا وإني لا أدري ما هي فليس أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها" أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، وأكد الرؤية وقررها مستأنفا بقوله : ﴿ما زاغ﴾ أي ما مال أدنى ميل ﴿البصر﴾ أي الذي لا بصر لمخلوق أكمل منه ، فما قصر عن النظر فيما أذن له فيه ولا زاد ﴿وما طغى *﴾ أي تجاوز الحد إلى ما لم يؤذن له فيه مع أن ذلك العالم غريب عن بني آدم ، وفيه **من العجائب** ما يحير الناظر ، بل كانت له العفة الصادقة المتوسطة بين الشره والزهادة على أتم قوانين العدل ، فأثبت ما رآه على حقيقته ، وكما قال السهروردي في أول الباب الثاني والثلاثين من عوارفه : وأخبر تعالى بحسن أدبه في الحضرة بهذه الآية ، وهذه غامضة من غوامض الأدب ، اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٣١٨
." (١)

٦٩٩-"الأفهام إلى الحصول على بلاغة آيات وسور من أول وهلة دون كبير تأمل كقوله تعالى ﴿وقيل يا أرض ابتلعي ماءك ويا سماء أقلعي﴾ [هود : ٤٤] وقوله ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ [الحجر : ٩٤] ، الآيات ، لا يتوقف في باهر إعجازها إلا من طبع الله على قلبه أو سد دونه باب الفهم بأنى له بر لوجه وقوعه ، وسورة القمر من هذا النمط ، ألا ترى اختصار القصص فيه مع حصول أطرافها وتوفية أغراضها ، وما جرى مع كل قصة من الزجر والوعظ والتنبيه والإعذار ، ولولا أني لم أقصد التعليق ما بنيته عليه من ترتيب السور لأوضحت ما أشرت إليه مما لم أسبق إليه ، ولعل الله سبحانه ييسر ذلك فيما باليد من التفسير نفع الله به ويسر فيهن فملا انطوت هذه السورة على ما ذكرنا وبان فيها عظيم الرحمة في تكرر القصص وشفع العظات ، وظهرت حجة الله على الخلق ، وكان ذلك من أعظم ألطافه تعالى لمن يسره لتدبر القرآن ووفقه لفهمه واعتباره ، أردف ذلك سبحانه بالتنبيه على هذه النعمة فقال تبارك وتعالى ﴿الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان﴾ وخص من أسمائه الحسنى هذاالاسم إشعارا برحمته بالكتاب وعظيم إحسانه به ﴿وإن

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٤٩١/٧

عدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ [إبراهيم : ٣٤] ثم قد تمهد أن سورة القمر إعذار ومن أبي للعباد بجميل هذا اللطف وعظيم هذا الحلم حتى يرادوا إلى بسط الدلالات وإيضاح البينات إن تعذر إليهم زيادة في البلا غ ، فأنبأ تعالى أن هذا رحمة فقال ﴿الرحمن علم القرآن﴾ ثم إذا تأملت سورة القمر وجدت خطابها وإعذارها خاص ببني آدم بل بمشركي العرب منهم فقط ، فاتبعت سورة القمر بسورة الرحمن تنبيها للثقلين وإعذارا إليهم وتقريرا للجنسين على ما أوع سبحانه في العالم **من العجائب** والبراهيم الساطعة فتكرر فيها التقرير والتنبيه بقوله تعالى : ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبنا﴾ خطابا للجنسين وإعذارا للثقلين فبان اتصالها بسورة القمر أشد البيان – انتهى.

". (١)

٧٠٠-"المطاعن ، فحاد عن وجوه الأفكار إلى أقفائها ﴿واستكبر *﴾ أي وأوجد الكبر عن الاعتراف بالحق إيجاد من هو في غاية الرغبة فيه ، وكان هذا غاية العناد ، فكان معنى العنيد ﴿فقال﴾ أي عقب ما جره إليه طبعه الخبيث من إيقاع الكبر على هذا الوجه لكونه رآه نافعا لهم في الدنيا ولم يفكر في عاقبة ذلك من جهة الله ، وأنه سبحانه لا يهدي كيد الخائنين ولا ينجح مراد الكاذبين ، ونحو هذا مما جربوه في دنياهم فكيف رقى نظره إلى أمر الآخرة ، وأكد الكلام لما يعلم من إنكار من يسمعه فقال : ﴿إن﴾ أي ما ﴿هذا﴾ أي الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم ﴿إلا سحر﴾ أي أمور تخييلية لا حقائق لها ، وهي لدقتها بحيث تخفى أسبابها.

ولما كان من المعلوم لهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما سحر قط ولا تعلم سحرا ، فكان من ادعى ذلك علم كذبه بأدنى نظر بعد الأمر بقدر استطاعته فقال : ﴿يؤثر *﴾ أي من شأنه أن ينقله السامع له من غيره ، فهو لقوة سحريته وإفراطها في بابها يفرق بمجرد الرواية بين المرء وزوجه وبين المرء وأبيه وابنه إلى غير ذلك **من العجائب** التي تنشأ عنه.

ولما كان السامع يجوز أن يكون مأثورا عن لاله فيوجب له ذلك الرغبة فيه ، قال من غير عاطف كالمبين للأول والمؤكد له ، وساقه على وجه التأكيد بالحصر لعلمه أن كل ذي بصيرة ينكر كلامه : ﴿إن﴾ أي ما ﴿هذا﴾ أي القرآن ﴿إلا قول البشر *﴾ أي ليس فيه شيء عن الله فلا يغتر أحد به ولا يعرج عليه ، وقد مدحه بهذا الذم بعد هذا التفكير كله من حيث إنه أثبت أنه معجوز عنه لأغلب الناس كما يعجزون عن السحر فسكت ألفا ونطق خلفا ، فكان شبيها من بعض الوجوه بما قاله بعضهم :

لو قيل "كم خمس وخمس " لاغتدى يوما وليلته يعد ويحسب ويقول معضلة عجيب أمرها ولئن عجبت لها الأمري أعجب حتى إذا خدرت يداه وعورت عيناه مما قد يخط ويكتب أوفى على شرف وقال ألا انظروا ويكاد من فرح يجن ويسلب خمس

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٥٧٢/٧

وخمس ستة أو سبعة قولان قالهما الخليل وثعلب

". (١)

٧٠١-"ولما دل بابتداء الخلق على تمام قدرته ، أتبعه الدلالة بانتهاء أمره وأثنائه وانما دبر فيهما من المصالح فقال : ﴿ألم نجعل﴾ أي نصير ما سببنا بما لنا من العظمة ﴿الأرض كفاتا *﴾ أي وعاء قابلة لجمع ما يوضع فيه وضمه جميعا فيه فتك وهدم ، وهو اسم لما يكفت من الحديد مثلا أي يغلف بالفضة ويضم ويجمع ، كالضمام والجماع لما يضم ويجمع ، أو هو مصدرنعت به أوجمع كافتة ، كصائمة وصيام أو جمع كفت وهو الوعاء ، ولو شئنا لجعلناها ناشرة لكم إذا وضعتم فيها كما تنشر النبات ، وسنجعل ذلك إذا أردنا البعث ، ولما كان من المعلوم أنه حذف المفعول وهو لكم ، أبدى حالة دالة أيضا عليه فقال : ﴿أحياء﴾ أي على ظهرها في الدور وغيرها ﴿وأمواتا *﴾ أي في بطنها في القبور وغيرها كما كنتم قبل خلق آدم عليه السلام.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢٨٥

ولما ذكر ما تغيبه من جبال العلم والملك وغيرهما ، أتبعه ما تبرزه من الشواهق إعلاما بأنه لو كان للطبيعة ما كان الأمر هكذا ، فإنه لا يخرج هذه الجبال العظيمة على ما لها من الكبر والرسوخ والثقل والصلابة وغير ذلك من العظمة إلا الفاعل المختار ، هذا إلى ما يحفظ في أعاليها من المياه التي تنبت الأشجار وتخرج العيون

٢٨٦

والأنهار ، بل أكثر ما يخرج من المياه هو منها ، وكذا غالب المنافع من المعادن وغيرها قال : ﴿وجعلنا﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿فيها﴾ أي الأرض ﴿رواسي﴾ لولاها لمادت بأهلها ، **ومن العجائب** أن مراسيها من فوقها خلافا لمراسي السفن ﴿شامخات﴾ أي هي مع كونها ثوابت في أنفسها مثبتة لغيرها طوال جدا عظيمة الارتفاع كأنها قد تكبرت على بقية الأرض وعلى من يريد صعودها ، وتنكيره للتعظيم.

". (٢)

٧٠٢-"ولما كان **من العجائب** الخارقة للعوائد فوران الماء الذي من طبعه أن يغور لا أن يفور لما له من الثقل واللطافة التي أفادته قوة السريان في الأعماق وفي كون ذلك منه من موضع من الأرض دون آخر ، وكونه من الجبال التي هي أصل الأرض ومن صخورها غالبا دلالة ظاهرة على أن الفعل للواحد المختار الجبال القهار لا للطبائع قال : ﴿وأسقيناكم﴾ أي جعلنا لكم بما لنا من العظمة شرابا لسقيكم وسقي ما تريدون سقيه من الأنعام والحرث وغير ذلك

---

(١) نظم الدرر ـ موافق للمطبوع ٨/٣٤٥

(٢) نظم الدرر ـ موافق للمطبوع ٨/٤٣٥

﴿ماء﴾ من لأنهار والغدران والعيون والآبار وغيرها ﴿فراتا *﴾ أي عظيما عذابا سائغا وقد كان حقيقا بأن يكون ملحا أجاجا لما للأراضي الممسكة له من ذلك.

ولما كان في هذا دلالة على ظاهرة على قدرته على البعث وغيره قال : ﴿ويل يومئذ﴾ أي يوم إذ تقوم الساعة ليكون الفصل بين العباد فساقها مساق ما هو ثابت لا نزاع فيه إشارة إلى أننه لا يكذب بها بعد ظهور الأدلة إلا من لا مسكة له ﴿للمكذبين *﴾ أي الذين هم في غاية الرسوخ في التكذيب حتى كذبوا بما لنا في هذا من الفرق الذي فرقنا به بين أرض وأخرى حتى جعلنا بعضها صالحا لانفراق أرضه عن الماء ، وبعضها غير صالح وجعلنا بعضها قابلا للجبال وبعضها غير قابل – إلى غير ذلك من الفروق البديعة.

ولما وصلت أدلة الساعة في الظهور إلى حد لا مزيد عليه ، وحكم على المكذبين بالويل مرة ، وأكد بثلاث ، فكان من حق المخاطب أن يؤمن فلم يؤمن ، أمر بما يدل على الغضب فقال تعالى معلما لهم بما يقال يوم القيامة إذا يحل بهم الويل : ﴿انطلقوا﴾ أي أيها المكذبون ﴿إلى ما كنتم﴾ أي بما هو لكم كالجبلة ﴿به تكذبون *﴾ عدما ، وتجددون ذلك التكذيب مستمرين عليه.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢٨٥
". (١)

٧٠٣-"ولما كان كل من ذلك يدل على القدرة على البعث لأنه إيجاد ما هو أشد من خلق الآدمي من عدم ، أتبعه ما يتصور به البعث في كل يوم وليلة مرتين فقال : ﴿وأغطش﴾ أي أظلم إظلاما لا يهتدي معه إلى ما كان في حال الضياء ﴿ليلها﴾ أي بغياب شمسها فأخفى ضياءها بامتداد ظل الأرض على كل ما كانت الشمس ظهرت عليه.

وأضافه إليها لأنه يحدث بحركتها ، وبدأ به لأنه كان أولا ، والعدم قبل الوجود ﴿وأخرج ضحاها *﴾ بطلوع شمسها فأضاء نهارها ، فالآية من الاحتباك : دل بـ " أغطش " على " أضاء " وبإخراج الضحى على إخفاء الضياء ، ولعله عبر بالضحى عن النهار لأنه أزهر ما فيه وأقوى نورا.

ولما بدأ بدلالة العالم العلوي لأنه أدل لما فيه **من العجائب** والمنافع مع كونه أشرف ، فذكر أنه أتقن السماء التي هي كالذكر ، ثنى بأنه سوى ما هي لها كالأنثى فقال : ﴿والأرض﴾ ولما كان المراد استغراق الزمان باستمرار الدحو ، حذف الخافض فقال : ﴿بعد ذلك﴾ أي المذكور كله ﴿دحاها﴾ أي بسطها ومدها للسكنى وبقية المنافع بعد أن كان خلقها

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٤٣٦/٨

وأوجدها قبل إيجاد السماء غير مسواة بالفعل ولا مدحوة.

ولما ذكر الدحو ، أتبعه ما استلزمه من المناف لتوقف السكنى المقصود بالدحو
٣١٨
عليه فقال كالمبين له من غير عاطف : ﴿أخرج منها﴾ أي الأرض ﴿ماءها﴾ بتفجير العيون ، وإضافته إليها دليل على أنه فيها ﴿ومرعاها *﴾ الذي يخرج بالماء ، والمراد ما يرعى منها ومكانه وزمانه.

ولما ذكر الأرض ومنافعها ، ذكر المراسي التي تم بها نفعها فقال : ﴿والجبال﴾ أي خاصة ﴿أرساها *﴾ أي أثبتها وأقرها ومع كونها ثابتة لا تتحول فإنه سبحانه جعلها مراسي للأرض تكون سببا لثباتها كما أن المراسي سبب لثبات السفينة.

". (١)

٧٠٤-"ولما ذكر ما يطلق وينشر ، أتبعه ما يطوى ويحصر ، ليبدو ما فوقه من العجائب وينظر ، فقال : ﴿وإذا السماء﴾ أي هذا الجنس كله ، أفرده لأنه يعلم بالقدرة على بعضه القدرة على الباقي ﴿كشطت *﴾ أي قلعت بقوة عظيمة وسرعة زائدة وأزيلت عن مكانها التي هي ساترة له محيطة به ، أو عن الهواء المحيط بسطحها الذي هو كالروح لها كما يكشط الإهاب عما هو ساتر له ومحيط به مع شدة الالتزاق به لأن ذلك يوم الكشف والإظهار ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ [ق : ٢٢] وكشطها هو مثل انكشاف الناس عن العشار وتفرقهم عنها ، فمن اعتقد زوالها أعرض عن ربط همته بشيء منها وناط أموره كلها بربها.

ولما زالت الموانع ظهرت عجائب الصنائع التي هي غايا المطالب ، ونهايات الرغاب والرهائب ، فقال : ﴿وإذا الجحيم﴾ أي النار الشديدة التأجج والتي بعضها فوق بعض والعظيمة في مهواة عميقة ﴿سعرت *﴾ أي أوقدت إيقادا شديدا بأيسر أمر وقربت من الكافرين بغاية السرعة ، فكان الأمر في غاية العسر ، وذلك قريب من نتيجة ما يحصل من الهول من حشر الوحوش.

ولما ذكر جار الأعداء البعداء ترهيبا ، أتبعه دار المقربين السعداء ترغيبا ، فقال : ﴿وإذا الجنة﴾ أي البستان ذو الأشجار الملتفة والرياض المعجبة ﴿أزلفت *﴾ أي قربت من المؤمنين ونعمت ببرد العيش وطيب المستقر ، ودرجت درجاتها وهيئت ، وملئت حياضها ومصنعها ، وزينت صافها ونظفت أرضها وطهرت عن كل ما يشين ، وحسنت رياضها بكل ما يزين ، من قول أهل اللغة ، الزلف - محركة : القربة والدرجة والحياض الممتلئة والزلفة : المصنعة الممتلئة والصحف والأرض المنكوسة

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٤٨٢/٨

، والزلف – بالكسر.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣٣٨

الروضة ، ومعنى هذا ضد سجر البحار ، فالآية من الاحتباك : ذكر التسعير أولا دال على ضده في الجنة ثانيا ، وذكر التقريب ثانيا دال على مثله أولا.

". (١)

٧٠٥-"ولما كان الجمع لأجل العرض ، وكان العرض لا بد فيه من شهود ومشهود عليهم وجدال على عهود ، قال منكرا للإبهام للتعظيم والتعميم مثل ﴿علمت نفس ما نفسه من الأعيان والآثار الهائلة ، أو عليه فإنه يوم تشهده جميع الخلائق ، ويحضر فيه **من العجائب** أمور يكل عنها الوصف ، ويحضره الأنبياء الشاهدون وأممهم المشهود عليهم ، ولا تبقى صغيرة من الأعمال ولا كبيرة إلا أحصيت ، وفي ذلك أشد وعيد لجميع العبيد.

ولما كان جواب القسم على ما دل عليه مقصود السورة وسوابقها ولواحقها : لنثوين الفريقين الأولياء والأعداء ، ولندينن كلا بما عمل ، دل عليه بأفعاله في الدنيا

٣٧٧

ببعض الجبابرة فيما مضى ، وفيما يفعل بجبابرة من كذب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال بادئا بمن عذب بعذاب الله في القيامة للبداءة في آخر الانشقاق بقسم المكذبين وهم المحدث عنهم ، معبرا بما يصلح للدعاء والحقيقة تسلية للمؤمنين وتثبيتا لهم بما وقع لأمثالهم ، وتحذيرا مما كان لأشكالهم : ﴿قتل﴾ أي لعن بأيسر أمر وأسهله من كل لاعن لعنا لا فلاح معه ، ووقع في الدنيا أنه قتل حقيقة ﴿أصحاب الأخدود *﴾ أي الخد العظيم ، وهو الشق المستطيل في الأرض كالنهر ، روي أن ملكا من الكفار – وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان من حمير – من ملوك اليمن ، وكان قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة ، آمن في زمانه ناس كثير ، فخد لهم أخدودا في الأرض وسجره نارا وعرض من آمن عليه ، فمن رجع عن دينه تركه ، ومن ثبت – وهم الأغلب – قذفه في ذلك الأخدود فأحرقه.

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير : وردت هذه السورة في معرض الالتفات والعدول إلى إخبار نبي الله صلى الله عليه وسلم بما تضمنته هذه السورة من قصة أصحاب الأخدود ، وقد تقدم هذا الضرب في سورة المجادلة وسورة النبأ ، وبينا وقوعه في أنفس السور ومتونها وهو أقرب فيما بين السورتين وأوضح – أنتهى.

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٥١١/٨

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣٧٦
" (١)

٧٠٦-"وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير : ابتدأ سبحانه لمن تقدم ذكره وجها آخر من الاعتبار ، وهو أن يتذكروا حال من تقدمهم من الأمم وما أعقبهم تكذيبهم واجترامهم فقال : ﴿ألم ترك كيف فعل ربك بعاد﴾ إلى قوله : ﴿إرم ذات العماد﴾ إلى قوله : ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ أي لا يخفى عليه شيء من مرتكبات الخلائق ولا يغيب عنه ما أكنوه ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به﴾ [الرعد : ١٠] فهلا اعتبر هؤلاء بما يعاينونه ويشاهدونه من خلق الإبل ورفع السماء ونصب الجبال وسطح الأرض ، وكل ذلك لمصالحهم ومنافعهم ، فالإبل لأثقالهم وانتقالهم ، والسماء لسقيهم وإظلالهم ، والجبال لاختزان مياههم وأقلالهم ، والأرض لحلهم وترحالهم ، فلا بهذه الأمور كلها استبصروا ، لاختزان مياههم وأقلالهم ، والأرض لحلهم وترحالهم ، فلا بهذه الأمور كلها استبصروا ، ولا بمن خلا من القرون اعتبروا ، ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾ على عظيم طغيانها وصميم بهتانها ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ فيتذكرون حين لا ينفع التذكر ﴿إذا دكت الأرض دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم ، يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى﴾ - انتهى.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٤١٣
ولما كان التقدير كما هدى إليه السياق : ليبعثن كلهم صاغرين ثم ليحشرن ثم ليحاسبن فيجازى كل أحد بما عمل ، فإن آمنوا بذلك نجوا وإلا عذبهم الذي ثبتت قدرته على العذاب الأكبر بعد العذاب الأدنى بسبب قدرته على البعث بسبب قدرته على ما رأيتم من خلق الإبل والسماء والجبال والأرض على ما في كل **من العجائب** بسبب قدرته على كل شيء ، وهذا هو المقصود بالذات ، حذف زيادة في تعظيمه واعتمادا على معرفته بما هدى إليه من السياق في جميع السورة وما قبلها.

ولما طوى جواب القسم
٤١٥
" (٢)

٧٠٧-"ولما كان **من العجائب** أن يكفر أحد إحسان المنعم ، وهو شاهد على نفسه ، ذكر الحامل له على ذلك حتى هان عليه فقال : ﴿وإنه﴾ أي الإنسان من حيث هو مع شهادته على نفسه بالكفر الذي يقتضي سلب النعم ﴿لحب﴾ أي لأجل حب ﴿الخير﴾ أي المال الذي لا يعد غيره لجهله خيرا ﴿لشديد *﴾ أي بخيل بالمال ضابط له ممسك

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٨/٥٦٣

(٢) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٨/٦٢٠

عليه ، أو بليغ القوة في حبه لأن منفعته في الدنيا وهو متقيد بالعاجل الحاضر المحسوس مع علمه بأن أقل ما فيه أنه يشغله عن حسن الخدمة لربه وهو معرض عن الدين حيث كانت منفعته آجلة غائبة مع علمه بأن المعرف بما يرضى من خدمة ربه الحاث عليها الداعي إليها فهو لحب عبادة الله ضعيف متقاعس ، وكان حبه الخير يقتضي عنه الشكر الذي يتقاضى الزيادة ، ولا يتخيل أن شديدا عامل في الحب لأن ما بعد اللام لا يعمل فيها قبلها ، وإنما ذلك المتقدم دليل على المعمول المحذوف.

ولما كان المال فانيا لا ينبغي لعاقل أن يعلق أمله به فضلا عن أن يؤثرة الباقي ، نبهه على ذلك بتهديد بليغ ، فقال مسببا عن ذلك معجبا ، موقفا له على ما يؤول إليه أمره : ﴿أفلا يعلم﴾ أي هذا الإنسان الذي أنساه أنسه بنفسه.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٥٠٨

ولما كان الحب أمرا قلبيا ، لا يطلع عليه إلا عالم الغيب ، وكان البعث من عالم الغيب ، وكان أمرا لا بد منه ، وكان المخوف مطلق كونه ، لم يحتج إلى تعيين الفاعل ، فبنى للمفعول قوله مهددا مؤذنا بأنه شديد القدرة على إثارة الخافايا ، معلقا بما يقدره ما يؤول إليه أمره من أن الله يحاسبه ويجازيه على أعماله ، وأنه لا ينفعه مال ولا غيره ، ولا ينجيه إلا ما كان من أعماله موافقا لأمر ربه مبنيا على أساس الإيمان واقعا بالإخلاص : ﴿إذا بعثر﴾ أي أثير بغاية السهورة وأخرج وفرق ونظر وفتش بغاية السهولة.

". (١)

٧٠٨-"سورة العصر

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٥٢٠

لما كانت لذة هذه الدنيا الظاهرة التنعم بما فيها من المتاع ، وكان الإنسان مسؤولا بما شهد به ، ختم التكاثر عن ذلك النعيم متوعدا برؤية الجحيم ، فكان ساكن هذه الدار على غاية الخطر ، فكان نعيمه في غاية الكدر ، قال دالا على ذلك بأن أكثر الناس هالك ، مؤكدا بالقسم والأداة لما للأغلب من التكذيب لذلك إما بالمقال أو بالحال : ﴿والعصر *﴾ أي الزمان الذي خلق فيه أصله آدم عليه الصلاة والسلام وهو في عصر يوم الجمعة كما ورد في الحديث الصحيح في مسلم ، أو الصلاة الوسطى أو وقتها الذي هو زمان صاحب هذا الشرع الذي مقداره فيما مضى من الزمان بمقدار وقت العصر من النهار أو بعضه ، أو زمان كل أحد الذي هو الخلاصة بالنسبة إليه تنبيها له على نفاسته إشارة إلى اغتنام إنفاقه في الخير إشفاقا من الحشر ، أو وقت الأصيل لأنه أفضله بما يحويه من الفراغ من الأشغال واستقبال الراحة والحصول على فائدة ما أنفق فيه ذلك النهار ، وبما دل عليه من طول الساعة وربح من كان له فيها بضاعة باختتام الأعمال وتقوض

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٧٦١/٨

النهار ، والدال على البعث ، أو جميع الدهر الذي أوجد فيه سبحانه وتعالى المخلوقات وقدر فيه المقدورات بما ظهر فيه **من العجائب** الدالة على ما لله تعالى من العز والعظمة الداعي إلى صرف الهمة إليه وقصرها عليه : ﴿إن الإنسان﴾ أي هذا النوع الذي هو أشرف الأنواع لكونه في أحسن تقويم كما أن العصر خلاصة الزمان ، والعصر يكون لاستخراج خلاصات الأشياء ﴿لفي خسر *﴾ أي نقص بحسب مساعيهم في أهوائهم وصرف أعصارهم في أغراضهم لما لهم بالطبع من الميل إلى الحاضر والإعراض عن الغائب والاغترار بالفاني أعم من أن يكون الخسر قليلا أو جليلا بحسب تنوع الناس إلى أكياس وأرجاس ، فمن كان كافرا كان في كفران ، ومن كان مؤمنا عاصيا كان في خسران إن كان بالغا في المعصية وإلا كان في مطلق الخسر ، وهو مدلول المصدر المجرد ، وفي هذا إشارة إلى العلم بالاحتياج إلى إرسال الرسل لبيان". (١)

٧٠٩-"الرد على من يطعن في النبي عليه الصلاة والسلام من الملاحدة والحذر من مكرهم

كذلك فيما يتعلق بحادثة السحر هل هي تنال من العصمة؟ موضوع السحر للنبي عليه الصلاة والسلام قطعا لم يمس قضية تبليغ الرسالة من قريب ولا من بعيد على الإطلاق، وسنبين إن شاء الله تعالى أن هناك أشياء لا يعصم منها الأنبياء، فالأنبياء يمكن أن يشكوا من مرض، بل إن النبي عليه السلام كان يمرض مرضا شديدا وقال: (إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم)، وقال (إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا البلاء، كما يضاعف لنا الأجر).

فعلى أي الأحول: كما ترون هذه الآيات التي استدل بها بعض الذين ينفون عصمة الأنبياء أو ينسبون الذنوب حقيقة إلى الأنبياء، وكلها أجاب عنها العلماء بما ترون، فموضوع التجرؤ على مثل هذا فيه اعتداء على جناب النبي عليه السلام، وهو من هو عند الله سبحانه وتعالى، وعند ملائكته، وعند المؤمنين كما فصلنا ذلك، فعملية القدح في الأنبياء عن طريق القدح في صفاتهم هذا من قبل الكائدين لهذا الدين.

وبعض الناس يندفعون في الحكم على أشياء توصف بأنها إسلامية، كما حصل منذ أسبوعين في جريدة الشعب، ففيها عنوان لمكان معين في الإنترنت، هذا الموقع يمدح بأنه موقع إسلامي، وفيه كثير من الموضوعات يتكلم عن النبوة، وعن وعن موقع لا يوجد مثله، ويمدح الكاتب فيه مدحا عظيما جدا جدا بنحو هذا الكلام، واكتفى فقط بذكر العناوين: النبوات، القرآن، الملائكة، الشهادة، الصلاة، الزكاة، صلاة الجماعة، الأسرة، هذه عناوين كلها عن مكتبة إسلامية رائعة، وذكر أنها بشتى اللغات بما فيها الصينية والماليزية وغيرها، فما بالك باللغات الأكثر شيوعا، مع أن صاحب هذا الموقع هو رشاد خليفة مسيلمة مدينة توكسان في ولاية أرزونا في أمريكا قرب المكسيك، وهذا الرجل رشاد خليفة مصري خريج كلية الزراعة من القاهرة، وقد ادعى النبوة! وقد سلك مسلك التدرج في هذا الأمر، ففي أول الأمر ظهر على المسلمين بحكاية معجزة الرقم: (١٩)، وكالعادة نحن نغفل عن أصول هذه الأشياء، فمثلا يوم (٢١) مارس هذه عيد من أعياد البهائية، فيعملون فيه عيد الأم ليشاركوا احتفال البهائيين بعيد مقدس عندهم! فرقم (١٩) الذي دوى في الدنيا كلها، هو قام بنوع من الدجل، فقد شغل الكمبيوتر ليعطيه بيانات، ويعمل عمليات معينة، فلو أعطيت مثلا رقم (١٣) فسيخرج لك علاقات

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع ٧٧٣/٨

مبنية على رقم (١٣)، ورقم (١٩) مقدس جدا عند البهائيين، ودينهم يدور عليه، فالشاهد أن هذا الرجل يهدم دعوة الإسلام هدما لا يستطيعه اليهود ولا النصارى لو اجتمعوا، وعدوانه على مقام النبي عليه الصلاة والسلام عدوان صارخ، فيقول: إنه اكتشف كتابا مذهلا ومدهشا والأمة بقيت غافلة عنه من ساعة وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام إلى يومنا هذا، أمر خطير جدا! المسلمون أجمعوا على هذا الأمر منذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، وهو اكتشف حقيقة مذهلة على حد تعبيره، وهي: أن السنة النبوية بكل أقسامها الفعلية والقولية والتقريرية هي من عمل الشيطان، ويصف جميع علماء الحديث بالمجرمين، ويستدل بقوله تبارك وتعالى: ﴿شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ [الأنعام:١١٢]، يصف بهذا المحدثين! ويزعم أن الإمام البخاري هو المقصود بقوله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين﴾ [الفرقان:٣١].

إلحاد ما بعده إلحاد! ومع ذلك نجد أننا نتساهل في تقبل مثل هذه الأشياء التي ينبغي الحذر الشديد منها، فالمصائب كثيرة، وأنا كنت في مدينة توكسان مرة، ثم مريت على مسجد هذا الملحد، وكان هناك إخوة يريدونني أن أدخل هذا المكان الملعون الذي هو أشد خطرا من مسجد الضرار.

الشاهد أنه لا ينبغي أن نتعامل بسذاجة وبساطة في تزكية أمثال هذه الأشياء دون أن نأخذ منها الحذر الكافي.

فعلى الإخوة التنبيه والتحذير من الانخداع بمثل هذه الأشياء، ولابد أن نرجع إلى العلماء، ونفحص هذه الأشياء قبل أن نزكيها أو أن ندل الناس عليها.

ومن العجائب التي سمعتها من الإخوة الذين كانوا يعيشون معه في نفس المدينة أن عنده صلاة الجماعة تكون بين الرجال والنساء جميعا، ومع هذا نجد من يجازف ويتهور ويقول: هو موقع إسلامي ليس له مثيل، وهو متميز! فهذا هو رشاد خليفة مسيلمة الكذاب في مدينة توكسان، ودجال هذا العصر، ورغم أن الله سبحانه وتعالى أهلكه منذ سنوات، لكن ما زال هناك من يصفون خلفه، ويبثون دعوته بكل اللغات في شتى أنحاء الأرض! نسأل الله سبحانه وتعالى أن يكفي المسلمين شرهم أجمعين.". (١)

٧١٠-"أدب النبي صلى الله عليه وسلم مع ربه

ثم قال الله تبارك وتعالى: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ [النجم:١٧]: قال ابن عباس: (ما زاغ البصر يمينا ولا شمالا، ولا جاوز ما أمر به)، وعلى هذا المفسرون، فنفى عن نبيه صلى الله عليه وسلم ما يعرض للرائي الذي لا أدب له بين يدي الملوك والعظماء من التفاته يمينا وشمالا، ومجاوزة بصره لما بين يديه، وأخبر عنه بكمال الأدب في ذلك المقام، وفي تلك الحضرة، إذ لم يلتفت جانبا، ولم يمد بصره إلى غير ما رأى من الآيات وما هناك **من العجائب**، بل قام مقام العقل الذي أوجب أدبه إطراقه وإقباله على ما رأى دون التفاته إلى غيره، ودون تطلعه إلى ما لم يره، مع ما في ذلك من ثبات الجأش وسكون القلب وطمأنينته، وهذا غاية الكمال.

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم ١٧/١٢٣

وزيغ البصر: التفاته جانبا.

وطغيانه: مده أمامه إلى حيث ينتهي.

فنزه في هذه السورة علمه عن الضلال: ﴿والنجم إذا هوى﴾ [النجم:١]، ونزه عمله عن الغي، ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ [النجم:٢] ونطقه عن الهوى: ﴿وما ينطق عن الهوى﴾ [النجم:٣]، ونزه فؤاده عن تكذيب بصره: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ [النجم:١١]، ونزه بصره عن الزيغ والطغيان: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ [النجم:١٧]، وهكذا يكون المدح: تلك المكارم لا قعبان من لبن شبن بماء فعادت بعد أبوالا". (١)

٧١١-"إيراد كلام الشيخ عطية سالم في تتمة أضواء البيان

يقول الشيخ عطية سالم رحمه الله تعالى: لأن الله تعالى قال في آخرها: ﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾ [التين:٧] أي: بعد هذه الحجج الواضحة، وهي بدء خلق الإنسان وتطوره إلى أحسن أمره، ثم رده إلى أحط درجات العجز أسفل سافلين، وهذا هو الشاهد لهم، يحتج به عليهم.

أما رده إلى النار فأمر لم يشهدوه ولم يؤمنوا به، فلا يصلح أن يكون دليلا يقيمه عليهم؛ لأن من شأن الدليل أن ينقل من المعلوم إلى المجهول، والبعث هو موضع إنكارهم، فلا يحتج عليهم لإثبات ما ينكرونه بما ينكرونه، وهذا الذي ذهب إليه.

ومما يشهد لهذا الوجه: أن حالة الإنسان هذه في نشأته من نطفة، فعلقة، فطفلا، فغلاما، فشيخا، فهرما، فهرم وعجز، جاء مثلها في النبات، وكلاهما من دلائل البعث، كما في قوله: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ [الحديد:٢٠] إلى قوله: ﴿كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان﴾ [الحديد:٢٠].

وقوله: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب﴾ [الزمر:٢١].

فكذلك الإنسان؛ لأنه كالنبات سواء كما قال تعالى: ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتا * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا﴾ [نوح:١٧ - ١٨].

ويكون الاستثناء: ((إلا الذين آمنوا)) فإنهم لا يصلون إلى حالة الخرف وأرذل العمر؛ لأن المؤمن مهما طال عمره فهو في طاعة وفي ذكر الله، فهو كامل العقل، وقد تواتر عند العامة والخاصة أن حافظ كتاب الله المداوم على تلاوته لا يصاب بالخرف ولا الهذيان.

وقد شاهدنا شيخ القراء بالمدينة المنورة، الشيخ: حسن الشاعر لا زال على قيد الحياة عند كتابة هذه الأسطر تجاوز المائة بكثير، وهو لا يزال يقرئ تلاميذه القرآن، ويعلمهم القراءات العشر، وقد يسمع لأكثر من شخص يقرءون في أكثر من موضع، وهو يضبط على الجميع.

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم ٢٠/١٤٦

انتهى كلامه.

وهذا أمر ملاحظ، ولكنه ليس قاعدة في أن من وصل إلى هذه السن وحفظ الله عليه صحته، فإن ذلك يكون بسبب العلم أو نحوه، وليس معناه أن من ابتلي بأمراض الشيخوخة يكون هذا بذنب منه أو أن هذا غمز فيه، لا، بل هذه سنة الحياة.

فمثلا: العلامة الألباني رحمه الله تعالى توفي عما يقارب تسعين سنة، والشيخ ابن باز كان عمره حوالي واحد وتسعين سنة، رحمهم الله أجمعين.

فهذا موجود ومشاهد، ومن العجيب جدا ما كان من أمر العلامة الكبير القاضي الشيخ عبد الله بن يوسف، الذي تلقيت عنه شيئا بسيطا من العلم في أبها، وكان قرين ابن باز أو ربما أكبر منه قليلا، وهو إلى الآن حي يرزق، وهو مشهور جدا بصفة معينة -والشيخ عائض القرني باعتباره من بلده يعرف هذه الصفة- وهي: أنه لا يفتر أبدا عن ذكر الله بأي حال من الأحوال، ولا يمكن أن يوقف لسانه عن الذكر مطلقا، وهذا **من العجائب**، وهذا الشيخ كبير جدا في السن، ومع ذلك -ما شاء الله- يحفظ بعض كتب العلم بالحرف، فهو يحفظ كتاب (المغني) من الجلدة إلى الجلدة عن ظهر قلب، وأنا كنت أقرأ عليه أحيانا في كتاب (لطائف المعارف) لـ ابن رجب، فكان يصحح لي في الكتاب غيبا.

فالله أعلم، ربما ما تعلم كتابا إلا وكان حافظا له.

وقد كان على درجة عظيمة جدا من العلم، وكان إذا تغيب شيخه عن الدرس فإنه يقوم مقامه في إلقاء الدرس للشيخ ابن باز ورفاقه.

وقد كنت أظن أنه توفي؛ لأنه كبير جدا في السن، ولكن قبل شهور قليلة فوجئت بأحد الإخوة من أبها يقول لي: إنه ما زال حيا يرزق، حفظه الله تعالى.

فالشاهد: أن هذا شيء ملاحظ، وهو أن الله سبحانه وتعالى يحفظ العبد إذا حفظ جوارحه.". (١)

٧١٢-"تفسير قوله تعالى: (الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)

قال الله تعالى: ﴿الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ [طه:٥٠] أي: أن الله عز وجل أعطى كل شيء نظير خلقه في الصورة والهيئة، كالذكور من بني آدم أعطاهم نظير خلقهم من الإناث أزواجا، فجعل للرجال أزواجا من بني آدم من جنس آخر، وكالذكور من البهائم أعطاها نظير خلقها في صورتها وهيئتها من الإناث أزواجا، فلم يعط الإنسان خلاف خلقه، فلم يزوجه بالإناث من البهائم مثلا، ثم هدى الجميع لطريق المنكح الذي منه النسل والنماء، وهدى الجميع لسائر منافعهم من المطاعم والمشارب وغير ذلك.

((ثم هدى)) أي: هداه إلى الألفة والاجتماع والمناكحة، وقال بعض أهل العلم: أعطى كل شيء صلاحه ثم هداه إلى ما يصلحه، وهذا مروي عن الحسن وقتادة.

وهذا المعنى فصله العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، حيث

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم ١٩٨/١٥

بين فيه النوع الأول من أنواع الهداية، وهو الهداية العامة لكافة المخلوقات إلى ما يصلحها.

هذا هو معنى قوله: ((الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى))؛ حتى الرضيع حينما يخرج من بطن أمه هداه إلى كيفية الرضاعة، مع أن لها ميكانيكية محددة في غاية الدقة، وهذا لم يسبق له، كما قال الله: ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا﴾ [النحل:٧٨]، لكنه بنداء الفطرة يتجه إلى الأم ويرضع بالطريقة المعروفة.

كذلك عالم الحيوانات والنباتات والحشرات وكل هذه العوالم إذا الإنسان تطلع إلى آيات الله سبحانه وتعالى فيها وتدبر لوجد شرحا لهذه الآية الكريمة: ﴿أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ [طه:٥٠]، فهناك علم من العلوم الحديثة التي تكشف آيات الله سبحانه وتعالى، وأيضا العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى ذكر هذا بالتفصيل في قضية القضاء والقدر، وذكر أمثلة كثيرة جدا من هداية الحيوانات إلى ما يصلحها، والعلم الحديث الآن ذكر آلاف الأمثلة أكثر مما ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى.

يقف يتأمل في مملكة النحل والعجائب التي أعطاها الله للنحل من خلقه، ثم هداها إلى الوظائف التي تؤديها، وهكذا مملكة النمل أعطى كل نملة خلقها، ثم هداها إلى ما فيه صلاحها، ومن الأمثلة التي ذكرها ابن القيم رحمه الله تعالى أن فأرا وقف على برميل زيت، وهو يريد أن يشرب من هذا الزيت، وكان مستوى الزيت إلى حد لا يصل إليه الفأر، فأتى بماء في فمه ثم صبه على الزيت، ومعلوم أن كثافة الزيت أقل من كثافة الماء، وهو ما درس هذا ولا تعلم قوانينه، فصار الزيت يعلو الماء ويرتفع في البرميل، إلى أن استطاع أن يشرب منه! ((الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)).

ومنها: أن شخصا أتى بإناء فيه عسل وطعام ووضعه داخل إناء آخر فيه ماء، لكن النمل حاولت أن تصل إلى العسل فلم تستطع، فماذا فعلت؟ صعدت على السقف، ثم تدلت واحدة على الأخرى حتى بلغ السرب الإناء فأخذت منه! وعجائب صنع الله سبحانه وتعالى كثيرة جدا في هذا الباب.

وقال بعض أهل العلم: ((أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)) أي: أعطى كل شيء صورته المناسبة له، فلم يجعل الإنسان في صورة البهيمة، ولا البهيمة في صورة الإنسان، ولكنه خلق كل شيء على الشكل المناسب له فقدره تقديرا، كما قال الشاعر: وله في كل شيء خلقة وكذاك الله ما شاء فعل يعني: له لكل شيء صورة ((ثم هدى))، كل صنف إلى رزقه وإلى زوجه.

وقال بعض أهل العلم: **من العجائب** موضوع هجرة الأسماك وهجرة الطيور، وكيف أنها تقطع كل هذه المسافات الهائلة، ثم تعود من حيث أتت! ما الذي يهديها في الظلام، لا توجد معالم في الأرض تميز بها طريق الهجرة، كيف تميز؟ وكيف تعرف؟ كل هذا بلا شك من آيات الله سبحانه تعالى.

وقال بعض أهل العلم: ((أعطى كل شيء خلقه)) أي: أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به، كما أعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار، إذ كل جزئية في العين لها وظيفة تناسبها، فالأذن خلقت على شكل يوافق الاستماع، كذلك الأنف والرجل واللسان وغيرها، وكذلك كل موضع في الإنسان، كما قال تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [الذاريات:٢١].

ومن أعظم آيات الله سبحانه وتعالى في خلق الإنسان أن كل شيء في مكانه، ومع ذلك الملاحدة الذين طمس الله على

قلوبهم يزعمون أن الطبيعة هي الخالق! إن أي جزئية في جسم الإنسان نجد أنها في الموقع المناسب لها والملائم للوظيفة التي خلقت من أجلها، ولو نظرنا للأسنان مثلا لرأينا حكمة الله في هذه الأضراس، ترتيب الأسنان بهذا الوصف وبهذه الصورة العجيبة لحكمة مطلقة من فعل الله سبحانه وتعالى.

فأفعال الربوبية ترشد كلها لقوله: ((الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى))، العين مثلا كان ممكن أن توضع في القفا، أو يوضع الحاجب أسفل منها، أو الفم يكون على صورة أخرى بخلاف خلق الله سبحانه وتعالى، وعندها فإنه لا يتطابق مع الوظيفة التي خلق لها.

وانظر إلى أنواع الشعر: الشعر الذي في الرأس، وشعر الحاجب، والرموش، واللحية، ثم انظر إلى حكمة الله سبحانه وتعالى: لو أن شعر الرموش صار نموه بنفس معدل نمو شعر الرأس ماذا سيحصل؟! وغير ذلك من هذه الأحوال، بل كل بحكمة الله يتواءم مع وظيفة خلق الله الإنسان لكي يؤديها، فكل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير نائب عن الآخر.

إذا: ((الذي أعطى كل شيء))، (كل) مفعول، (أعطى) فعل يتعدى لمفعولين، والمفعول الثاني (خلقه).

وقيل في المعنى: أنه تعالى أعطى الخلائق كل شيء يحتاجون إليه، ثم هداهم إلى طريق استعماله.

قال الشنقيطي رحمه الله تعالى: ولا مانع من شمول الآية الكريمة لجميع الأحوال المذكورة؛ لأنه لاشك أن الله أعطى الخلائق كل شيء يحتاجون إليه في الدنيا، ثم هداهم إلى طريق الانتفاع به، ولا شك أنه أعطى كل صنف شكله وصورته المناسبة له، وأعطى كل ذكر وأنثى الشكل المناسب له من جنسه في المناكحة والألفة والاجتماع، وأعطى كل عضو شكله الملائم للمنفعة المنوطة به؛ فسبحانه جل وعلا ما أعظم شأنه وأكمل قدرته! وكما يقول الشاعر: تأمل سطور الكائنات فإنها من الملأ الأعلى إليك رسائل وقد خط فيها لو تأملت خطها ألا كل شيء ما خلا الله باطل فهذه آيات الله سبحانه وتعالى كلها خلقت وبثت في الأرض وفي أنفسنا كي تدلنا عليه عز وجل، نتدبر ونتفكر في خلق السماوات والأرض وفي خلق أنفسنا؛ كي نتعرف على قدرة الله سبحانه وتعالى، ونصل إلى توحيده عز وجل.

وابن القيم رحمه الله فصل الكلام في كتابة التبيان في أقسام القرآن وفصل كثيرا جدا على أساس المستوى العلمي الذي وصلوا إليه في زمانهم، وهو مما يكشف عن ثقافة عالية جدا بالنسبة لزمانهم، ولا شك أننا الآن لدينا أضعاف أضعافها، ولكن للأسف الشديد نحن نتلقاها من الكفار الملاحدة، وهذه الآيات يطلع عليها الكفار والملاحدة سواء في الشرق أو في الغرب ولكن شاء الله سبحانه وتعالى أن يطمس على قلوبهم إلا من رحم الله، ومع أن هذه الآيات أمام أحدهم لكن أعماه الله مما يدل على أن القوة هي التي عطلت عقولهم عن أن تنتفع بهذه الآيات التي بين أيديهم، فمن يطالع موسوعة الطبيعة يلاحظ تفاصيل كثيرة جدا لهذه الآية، وأيضا موسوعة الألف الأمريكية فيها كثير جدا من هذه الآيات.

وفي معنى هذه الآية الكريمة براهين قاطعة على أنه جل وعلا رب كل شيء، وهو المعبود وحده جل وعلا، ﴿لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾ [القصص:٨٨].

وقد حرر العلامة الشيخ تقي الدين أبو العباس بن تيمية رحمه الله تعالى في رسالته في علوم القرآن أن مثل هذا الاختلاف من اختلاف السلف في معاني الآيات ليس اختلافا حقيقا يكذب بعضه بعضا، ولكنه اختلاف تنوعي لا يكذب بعضه بعضا، والآيات تشمله جميعا، فينبغي حملها على شمول ذلك كله، وسأوضح أن ذلك هو الجاري على أصول الأئمة الأربعة

رضي الله عنهم، وعزاه إليهم جماعة من خيار أهل المذاهب الأربعة، والعلم عند الله تبارك وتعالى.". (١)

٧١٣-"تفسير قوله تعالى: (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين)

ثم قال الله لنبيه: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ [النمل:٦٩] يقول لنبينا: قل -يا رسولنا- لهؤلاء: ((سيروا في الأرض)) فتنقلوا وسيحوا وانظروا في آثار من سبقكم من أمثالكم من المجرمين، كقوم نوح، فلا تزال آثارهم في الأرض، والحفريات التي تتجدد في كل قطر وفي كل إقليم فيها **من العجائب** والغرائب ما يؤكد ذلك، ونحن لا نحتاج إلى تأكيد، ولكن هذا دليل لهؤلاء الجاحدين الكافرين المنكرين.

وقد كنت في متحف حكومي في لبنان، وإذا بصاحب المتحف يخرج لي صليبا ويقول: هذا الصليب مضى عليه قرون، فقلت: كم؟ قال: أكثر من عشرة قرون، والصليب شعار النصارى، فقلت له: صدق الله، وصدق نبينا صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا به عن الله؛ إذ قال الله عن عبدة الأوثان: ﴿يضاهئون قول الذين كفروا من قبل﴾ [التوبة:٣٠] فهم في كفرهم كانوا مقلدين قردة، والصلب هو الفداء فيما يزعمونه، وقد وجد الصليب في وثنيين سبقوهم، وكفار تقدموهم.

فالله تعالى يقول: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ [النمل:٦٩]، فانظروا كيف كانت عاقبة قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط الذين عاشوا على أرض سدوم التي هي جزء من فلسطين، ومكانها يسمى اليوم بالبحر الميت، فهذا البحر ميت لا يعيش فيه سمك ولا دواب، ورائحته كريهة.

فأرض قوم لوط قد قذفت ورميت بالحجارة المنضدة من جنهم وبئس المصير.

وقبل سنوات قريبة أرسل ملاحدة مرتدون من الشيوعيين في أرض روسيا بعثة استكشافية، فقالت هذه البعثة: لقد ظهرت القنبلة الذرية قديما، فلابد من أن قوم لوط ضربوا بقنبلة ذرية، فأصبحت الأرض هكذا.

وهذا صحيح، ولكن الضارب لهم هو ربنا جل جلاله.

وهكذا فعل بقوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وبـ فرعون وقومه، وإذا جاء فعل الله لا يبقى للبشر فعل ولا عمل.". (٢)

٧١٤-"تفسير قوله تعالى: (فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا)

قال الله تعالى: [﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي * قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري * فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي * أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا﴾ [طه:٨٦ - ٨٩].

قال المؤلف رحمه الله: [قوله: ﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا﴾ [طه:٨٦] أي: بعدما أخبره تعالى بذلك في غاية

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم ٦/٩٥

(٢) تفسير المنتصر الكتاني ٧/١٣٩

الغضب والحنق عليهم، هو فيما هو فيه من الاعتناء بأمرهم، وتسلم التوراة التي فيها شريعتهم، وفيها شرف لهم، وهم قوم قد عبدوا غير الله ما يعلم كل عاقل له لب وحزم بطلان ما هم فيه، وسخافة عقولهم وأذهانهم.

(غضبان أسفا)، والأسف: شدة الغضب.

وقال مجاهد: ((غضبان أسفا)) أي: جزعا.

وقال قتادة والسدي: أسفا حزينا على ما صنع قومه من بعده.

((قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا)) أي: أما وعدكم على لساني كل خير في الدنيا والآخرة، وحسن العاقبة كما شاهدتم من نصرته إياكم على عدوكم، وإظهاركم عليه وغير ذلك من أيادي الله جل وعلا؟ ((أفطال عليكم العهد)) أي: في انتظار ما وعدكم الله، ونسيان ما سلف من نعمه، وما بالعهد من قدم، ((أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم)) (أم) هاهنا بمعنى: بل، وهي للإضراب عن الكلام الأول وعدول إلى الثاني، كأنه يقول: بل أردتم بصنيعكم هذا أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي، قالوا -أي: بنو إسرائيل- في جواب ما أنبهم موسى وقرعهم].

قرعهم يعني: وبخهم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [((ما أخلفنا موعدك بملكنا)) أي: عن قدرتنا واختيارنا، ثم شرعوا يعتذرون بالعذر البارد يخبرونه عن تورعهم عما كان بأيديهم من حلي القبط الذي كانوا قد استعاروه منهم حين خرجوا من مصر.

((فقذفناها)) أي: ألقيناها عنا، وقد تقدم في حديث الفتون: أن هارون عليه الصلاة والسلام هو الذي كان أمرهم بإلقاء الحلي في حفرة فيها نار، وهي في رواية السدي، عن أبي مالك عن ابن عباس رضي الله عنهما: إنما أراد هارون أن يجتمع الحلي كله في تلك الحفيرة ويجعل حجرا واحدا حتى إذا رجع موسى عليه الصلاة والسلام رأى فيه ما يشاء، ثم جاء بعد ذلك السامري فألقى عليها تلك القبضة التي أخذها من أثر الرسول، وسأل من هارون أن يدعو الله أن يستجيب له في دعوة، فدعا له هارون عليه الصلاة والسلام وهو لا يعلم ما يريد، فأجيب له، فقال السامري عند ذلك أسأل الله أن يكون عجلا، فكان عجلا له خوار، أي: صوت، استدراجا وإمهالا ومحنة واختبارا، ولهذا قال: ﴿فكذلك ألقى السامري * فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار﴾ [طه:٨٧ - ٨٨].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبادة بن البختري، حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا حماد عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن هارون عليه الصلاة والسلام مر بـ السامري وهو ينحت العجل، فقال له: ما تصنع؟ فقال: أصنع ما يضر ولا ينفع.

فقال هارون: اللهم! اعطه ما سأل على ما في نفسه، ومضى هارون عليه الصلاة والسلام، وقال السامري: اللهم! إني أسألك أن يخور فخار، فكان إذا خار سجدوا له، وإذا خار رفعوا رءوسهم.

ثم رواه من وجه آخر عن حماد، وقال: أعمل ما ينفع ولا يضر].

وهذا فيه ابتلاء من الله كما قال الله: ﴿فإنا قد فتنا قومك من بعدك﴾ [طه:٨٥].

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقال السدي: كان يخور ويمشي، فقالوا -أي: الضلال منهم الذين افتتنوا بالعجل وعبدوه-: ((هذا إلهكم وإله موسى فنسي)) أي: نسيه هاهنا وذهب يتطلبه، كذا تقدم في حديث الفتون عن ابن عباس رضي الله

عنهما].

وقد سول لهم الشيطان ذلك، وهذا **من العجائب**، كيف تصل عقولهم إلى هذا التفكير وعندهم نبي كريم وهو هارون، وشاهدوا بأعينهم إهلاك الله لبني إسرائيل وفرعون والقبط، وشاهدوا كيف أنعم عليهم هذه النعم العظيمة، ومع ذلك عبدوا العجل، فبمجرد ما إن ذهب موسى لميقات ربه أربعين ليلة إذا بهم يعبدون العجل، ومعهم هارون لكنهم استضعفوه ولم يسمعوا كلامه، وكادوا يقتلونه، وقالوا: إن موسى نسي إلهه.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وبه قال مجاهد، وقال سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فنسي﴾ أي: نسي أن يذكركم أن هذا إلهكم].

فالقول الأول: أنه نسي إلهه ههنا، والقول الثاني: نسي أن يذكركم أن هذا إلهكم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقال محمد بن إسحاق: عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فقال: ﴿هذا إلهكم وإله موسى﴾ [طه:٨٨]، قال: فعكفوا عليه وأحبوه حبا لم يحبوا شيئا قط، يعني: مثله].

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾ [البقرة:٩٣]، وفي الآية الأخرى: ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل﴾ [البقرة:٩٣] يعني: حب العجل، نعوذ بالله، فهذا من الابتلاء.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [يقول الله: ((فنسي)) أي: ترك ما كان عليه من الإسلام -يعني السامري -.

قال الله تعالى ردا عليهم، وتقريعا لهم، وبيانا لفضيحتهم وسخافة عقولهم فيما ذهبوا إليه: ﴿أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا﴾ أي: العجل، أفلا يرون أنه لا يجيبهم إذا سألوه ولا إذا خاطبوه، ﴿ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا﴾ [طه:٨٩] أي: في دنياهم ولا في إخراهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا والله! ما كان خواره إلا أن يدخل الريح في دبره فيخرج فيسمع له صوت، وقد تقدم في حديث الفتون عن الحسن البصري رحمه الله: أن هذا العجل اسمه بهموت، وحاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة أنهم تورعوا عن زينة القبط فألقوها عنهم، وعبدوا العجل، فتورعوا عن الحقير وفعلوا الأمر الكبير، كما جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنه سأله رجل من أهل العراق عن دم البعوض إذا أصاب الثوب -يعني: هل يصلي فيه أم لا-؟ فقال ابن عمر رضي الله عنهما: انظروا إلى أهل العراق قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم -يعني الحسين - وهم يسألون عن دم البعوضة].

وهذا فيه بيان أن بني إسرائيل والعياذ بالله تورعوا بزعمهم، وأنهم أخذوا هذا الحلي من القبط، ويريدون أن يلقوها عنهم؛ لكي يتخلصوا من حق الغير من باب الورع، فلما ألقوها عبدوا العجل، ووقعوا في الشرك الذي هو أعظم، فتورعوا عن الأمر الحقير ووقعوا في الشيء الكبير، مثل أهل العراق فقد جاءوا يسألون ابن عمر يقولون: إذا أصاب ثوب الإنسان دم البعوضة فهل تصح الصلاة فيه أم لا تصح؟ أي: هل يصير الثوب نجسا؟ وهم قتلوا الحسين ابن بنت رسول الله، فتورعوا في الشيء القليل وتركوا الشيء العظيم.

نسأل الله السلامة والعافية.

وهذه الآية استدل بها العلماء على إثبات كلام الله عز وجل، وأن صفة الكلام صفة كمال، وأن عدم الكلام نقص يستدل به على عدم ألوهية العجل، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا﴾ [طه:٨٩] فكيف يعبدون العجل وهو لا يكلمهم؟! وقال العلماء: إن بني إسرائيل مع كفرهم، وكونهم وقعوا في الشرك والكفر، وعبدوا العجل، صاروا أحسن حالا من الجهمية والمعتزلة في هذه الحالة، فقد قال المعتزلة: إن الله لا يتكلم، وقال الله: ((أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا)) إنه لا يتكلم، فلو كانوا ينكرون الكلام لقالوا: وربك لا يتكلم أيضا، لكنهم سكتوا، فالمعتزلة وقعوا في هوة سحيقة في هذه المسألة جعلتهم تحت اليهود الذين عبدوا العجل، فهم أحسن حالا من هذه الجهة.". (١)

"- يا خالد، أخبرني إلام تدعوني؟

- إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله والإقرار بما جاء من عند الله.

- فمن لم يجبكم؟

- فالجزية ونمنعه.

- فإن لم يعطها؟

- نؤذنه بحرب ثم نقاتله.

- فما منزلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم؟

- منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا.

ثم أعاد عليه جرجة:

- هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل ما لكم من الأجر والذخر؟

- نعم وأفضل.

- كيف يساويكم وقد سبقتموه؟

- إنا دخلنا في هذا الأمر وبايعنا نبينا صلى الله عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتب ويرينا الآيات وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا **من العجائب** والحجج فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا

بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألفني؟

- بالله لقد صدقتك وما بي إليك ولا إلى أحد منكم وحشة وإني لو لي ما سألت عنه.

- صدقتني.

ثم قلب جرجة الترس ومال مع خالد، وقال: علمني الإسلام فمال به خالد إلى فسطاطه فشن عليه قربة من ماء ثم صلى

---

(١) شرح تفسير ابن كثير - الراجحي ٣/٨٧

جرجة ركعتين وحملت الروم مع انقلابه على خالد إذ كانوا يظنون أن جرجة يحمل على المسلمين فأزالوا المسلمين عن مواقفهم فركب خالد معه جرجة والروم خلال المسلمين فتنادى الناس فثابوا وتراجعت الروم على مواقفهم.

استمرار القتال ١

زحف خالد حتى تصافح الجيشان بالسيوف فضرب فيهم خالد وجرجة من ارتفاع النهار إلى الغروب ثم أصيب جرجة ولم يصل صلاة سجد فيها إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما وصلى

١- تاريخ الطبري: ٢/٣٣٧، المنتظم: ٤/١٢٠.." (١)

"- فما منزلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم؟

- منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا، ووضيعنا، وأولنا وآخرنا.

ثم أعاد عليه جرجة:

- هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل ما لكم من الأجر والذخر؟

- نعم وأفضل.

- كيف يساويكم وقد سبقتموه؟

- إنا دخلنا في هذا الأمر وبايعنا نبينا صلى الله عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء، ويخبرنا بالكتب، ويرينا الآيات وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا.

- بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألفني؟

- بالله لقد صدقتك وما بي إليك، ولا إلى أحد منكم وحشة وإني لو لي ما سألت عنه.

- صدقتني.

ثم قلب جرجة الترس ومال مع خالد. وقال: علمني الإسلام فمال به خالد إلى فسطاطه فشن عليه قربة من ماء ثم صلى جرجة ركعتين وحملت الروم مع انقلابه على خالد إذ كانوا يظنون أن جرجة يحمل على." (٢)

"فلوطرخس كان فيلسوفا مذكورا في عصره يعلم جزءا متوفرا من هذا الشأن وله تصانيف مذكورة بين فرق الحكماء منها. كتاب الآراء الطبيعية يحتوي على آراء الفلاسفة في الأمور الطبيعية خمس مقالات. كتاب الغضب. كتاب فيما دل عليه مدارة العدو والانتفاع به. كتاب الرياضة نقله قسطا مقالة. كتاب في النفس مقالة.

فلوطرخس آخر غير الأول كان فيلسوفا في وقته مصنفا متفننا صنف كتاب الأنهار وخواصها وما فيها من العجائب والجبال وغير ذلك.

---

(١) أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين ت شيحا محمد رضا ص/٨٦

(٢) أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين ط إحياء الكتب العربية محمد رضا ص/١٤٧

فلوطين هذا الرجل كان حكيما مقيما ببلاد يونان له ذكر وشرح شيئا من كتب أرسطوطاليس وذكره المترجمون في هذا النوع في جملة الشارحين لكتبه وخرج شيء من تصانيفه من الرومي إلى السرياني ولا أعلم أن شيئا منها خرج إلى العربي والله أعلم. فيثاغورس الفيلسوف المشهور المذكور من فلاسفة يونان وحكمائهم كان بعد أبيذقلس الحكيم زمان وأخذ الحكمة عن أصحاب سليمان بن داود النبي بمصر حين دخلوا إليها من بلاد الشام وقد كان أخذ الهندسة قبلهم عن المضربين ثم رجع إلى بلاد يونان فأدخل إليهم علم الهندسة ولم يكونوا يعلمونها قبل ذلك وأخل إليهم علم الطبيعة أيضا وعلم الدين واستخرج بذكائه علم الألحان وتأليف النغم وأوقعها تحت النسب العددية وادعى أنه استفاد ذلك من مشكاة النبوة وله في نضد العالم وترتيبه على خواص العدد ومراتبه رموز عجيبة وأغراض بعيدة وله في شأن المعاد مذاهب قارب فيها أبيذقلس من أن عالما فوق عالم الطبيعة روحانيا نورانيا لا يدرك العقل حسنه وبهاءه وأن الأنفس الزكية تحتاج إليه وأن كل إنسان أحسن تقويمه بالتبرؤ من العجب والتجبر والرياء والحسد وغيرها من الشهوات الجسدانية فقد صار أهلا أن يلحق بالعالم الروحاني ويطلع على ما شاع من جواهره من الحكمة الإلهية وأن الأشياء الملذة للنفس تأتيه حشدا إرسالا كالألحان الموسيقية الآتية إلى حاسة السمع فلا يحتاج إلى أن يتكلف لها طلبا ولفيثاغورس تآليف شريفة في الارتماطيقي والموسيقى وغير ذلك ومن تلاميذه المعروفين به حتى نسب إليه طلبا لا زمانا فإن فيثاغورس قديم نيقورماخس أبو الفضل أرسطوطاليس وأخذ عنه علم العدد والنغم واشتهر." (١)

"أبدل الدهر وما ... الدهر علينا بشفيق

من عبيد الله ذي الأيد ... ي وذي الرأي الرشيق

حكما يخلط في المجد ... س من عي وموق

يا أبا الهيثم ما كنـ ... ـت لهذا بخليق

لا ولا أنت لما حمـ ... ـت منه بمطيق

أنت في المجلس كالكر ... كي ذي الرأس الخفوق

وقال:

إن كنت للسخطة عاقبتنا ... يا خالد فهو أشد العقاب

يا عجبا من خالد كيف لا ... يخطىء فينا مرة بالصواب

أصم أعمى عن طريق الهدى ... قد ضرب البول عليه الحجاب

كان قضاء الناس فيما مضى ... من رحمة الله وهذا عذاب

قال: أبو بكر وكيع: وكان خالد تائها جاهلا بالقضاء.

أخبرني عبد الله الحسن، عن النميري، عن محمد بن عبيد الله بن حماد، عن عبد الوهاب الثقفي، قال: قال لي: محمد بن سليمان الأموي: ما يكون من هذا الجاهل **من العجائب** ؟ قال: فقلت له: إن هذا ينسى، فوكل به من يحفظه ويكتبه

---

(١) أخبار العلماء بأخيار الحكماء القفطي، جمال الدين ص/١٩٦

ويحصيه عليه، قال: فوكل به جماعة يكتبون عجائبه التي يحكم بها، فكان مما حفظوا عنه أنه شهد عنده رجل عدله، وثلاثة لا يعرفهم، فقال: العدل يبقى بمكانه، والثلاثة برجل آخر عدل،، فحكم بشهادتهم.

وكان نهى الذراع أن يذرعوا إلا بخاتم يدفعه إليهم، ويأذن في ذلك، فأتاه عاصم بن عبيد الله بن الوادع الكلابي، وهو أبو عمرو بن عاصم الكلابي المحدث بسورجي قد كسح له أرضا، فقال: أصلحك الله، إن هذا كسح لي." (١)

"إن كان صوبك بالمياه فدرها ... در يروض ما حل الإملاق

بشر كثير قد نعموا لما نعى ... قاضي القضاة وغاب في الأطباق

ألبستهم ثوب الكرامة ضافيا ... وأرحت من كد ومن إرهاق

يتفيئون ظلال جاهك كلما ... لفحت سموم الخطب بالإحراق

عدموا المواقف في فراقك وانطوى ... عنهم بساط الرفق والإرفاق

رفعوا سريرك خافضين رءوسهم ... ما منهم إلا حليف سياق

لكن مصيرك للنعيم مخلدا ... كان الذي أبق على الأرماق

ومن العجائب أن يرى بحر الندى ... طود الهدى يسري على الأعناق

إن يحملوك على الكواهل طالما ... قد كنت محمولا على الأحداق

أو يرفعوك على العواتق طالما ... رفعت ظهر منابر وعتاق

ولئن رحلت إلى الجنان فإننا ... نصلى بنار الوجد والأشواق

لو كنت تشهد حزن من خلفته ... لثنى عنانك كثرة الإشفاق

أن جن ليل جن من فرط الأسى ... وسوى كلامك ماله من راق

فابعث خيالك في الكرى يبعث به ... ميت السرور لثاكل مشتاق

أغليت يا رزء التصبر مثلما ... أرخصت در الدمع في الآماق

إن يخلف الأرض الغمام فإنني ... أسقي الضريح بدمعي المهراق." (٢)

"فخبا شهاب الدين لما أشرفت ... وخوى فلم يثبت لنور جلالها

ما جن مثل جنونه أحد ولا ... سمحت يد بيضا بمثل نوالها

وبدت على الشوذى منها نشوة ... ما لاح منها غير لمعة آلها

بطلت حقيقته وحالت حاله ... فيما يعبر عن حقيقة حالها

هذى صبابتهم ترق صبابة ... فيروق شاربها صفاء زلالها

اعلم أبا الفضل بن يحيى أنني ... من بعدها أحرى على آمالها

---

(١) أخبار القضاة وكيع الضبي ١٢٧/٢

(٢) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ١٦٣/٢

فإذا رأيت مدلها مثلي فخذ ... في عذله إن كنت من عذالها

لا تعجبن لما ترى من شأنها ... في حلها إن كان أو ترحالها

فصلاحها بفسادها ونعيمها ... بعذابها ورشدها بضلالها

ومن العجائب أن اقيم ببلدة ... يوما وأسلم من أذى جهالها

شغلوا بدنياهم أما شغلتهم ... عني فكم ضيعت من اشغالها

حجبوا بجهلهم فإن لاحت لهم ... شمس الهدى عشوا بضوء ذبالها

وإن انتسبت فإنني من دوحة ... يتفيأ الإنسان برد ظلالها

من حمير من ذي رعين من ذوي ... حجر من العظماء من أقيالها

وإذا رجعت لطينتي معنى فما ... سلساله بأرق من صلصالها

لله درك أي نجل كريمة ... ولدت فاس منك بعد حيالها." (١)

"انظر إلى القبة الحمراء ساقطة ... لما رأت مضر الحمراء عن كثب

من كان أولى بها إن كنت ذا بصر ... لعجم أو معدن العليا من العرب

ونما سجدت لما سمت وغدت ... فوق الضلال وكانت أعجب العجب

ومن رائق نظم أبي عمرو قوله:

هب النسيم ضحى ففاح المندل ... وتأرجت منه الصبا والشمال

أسرى عليلا فاستحث إلى الصبا ... صبا بأنفاس الصبا بتعلل

يهوى العذير وساكنيه ومن له ... لو كان يدنو منه ذاك المبزل

ما شام برقا بالفضا إلا انبرى ... شوقا على جمر الغضى بتمليل

والبرق في نقع السحائب سيفه ... سيف الكمى إذا يكر ويحمل

فكأن ذاك البرق واش قد مشى ... بنميمة والرعد لاح يعذل

وأنا الفداء لجيرة نزلوا الحمى ... وحمى القلوب هو الحمى والمنزل

وتحلوا يوم الفراق وإنما ... بقلوبنا يوم الفراق تحملوا

قبسوا ومن قلب المعذب موقد ... وردوا ومن جفن المعنى منهل

ما ضرهم إذ أعرضوا لو عرضوا ... للوصل أو ذكروا العهود فأقبلوا

حملوا الجمال على الجمال كأنما ... أفلاكها منها الأهلة تكمل

أبدت لنا حلي الطلى وتبسمت ... زهرا فراق مقلد ومقبل

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٢/٣٢١

ومن العجائب أن أهيم بجنة ... حلت بقلبي هو نار تشعل

ويهان مرسل ناظري في حبها ... ومن التناصف أن يعز المرسل

ومن شعره رحمه الله تعالى هذه القصيدة الفريدة التي ندح بها المصطفى صلى الله عليه وسلم وأشار إلى جملة من مناقبه الربانية ومآثره العرفانية وآياته." (١)

"محمد بن سلمة لبفقيه المدني، صاحب مالك. قال الشيرازي: وكان مالك إذا دخل على الرشيد دخل رجلين من بني مخزوم: المغيرة عن يمينه وابن مسلمة عن يساره.

وهشام هذا هو الذي نسب إليه مدينة هشام المذكور في الوضوء والظهار والذي يذكر عنه ذكر عهدة الرقيق في خطبته وانظر شدة إنكار ابن العربي اعتبار مدينة في آية الظهار في أحكامه تطالع. انتهى ما ألفيت بخط الوانشريش.

وقد سنح لي أن ما ذكره الشيخ ابن غازي عن ابن رشد من أن طرد سعيد بن المسيب عمر بن عبد العزيز إنما كان في خلافته لا يتم إلا على الول بأن وفاته أعني سعيدا كانت على رأس المائة أو بعدها وأما على قول الأكثر إنه بعد التسعين بسنة أو سنتين أو أربع فلا يصح قطعا فتديره.

ومن العجائب إغفال الشيخين: ابن غازي والوانشريشي له. وإلى الله منتهى العلم.

ولنرجع إلى تكميل كلام الشيخ ابن غازي في التأليف المذكور ونصه: أما برد فليس عند معظم قدركم أكثر من أنه مولى سعيد كما أن زيد بن حارثة وسفينة وأبا رافع وشقران: مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلال بن رباح مولى أبي بكر ويرفأ مولى عمر بن الخطاب وحمران مولى عثمان بن عفان ونافع مولى ابن عمر وكريب وعكرمة البربري موليا ابن عباس مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنهم. وقد صرح بذلك الحافظ أبو نعيم قائلا في ترجمة سعيد من الحلية عن برد مولى سعيد ابن المسيب: ما نوي للصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد. انتهى.." (٢)

"الحال ما يكاد تعد معارضته من قبيل المحال وهو:

لله يوم بدار الملك مر به ... من العجائب ما لم يجر في خلد

لاح الخليفة في برج العلا قمرا ... يشاهد الحرب بين الثور والأسد

ومن بارع نظمه رحمه الله تعالى:

أبا حسن إن شتت الدهر شملنا ... فليس لود بالفؤاد شتات

وإن حلت عن عهد الإخاء فلم أزل ... لقلبي على حفظ العهود ثبات

وهبني سرت مني إليك إساءة ... ألم تتقدم قبلها حسنات

وهو الذي ألف رحلة ابن بطوطة حسبما هو معلوم.

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٣٨٣/٢

(٢) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ٧٢/٣

قال ابن الأحمر: ومن بارع نظمه رحمه الله تعالى قوله وهو بحال مرض:

إن يأخذ السقم من جسمي مآخذه ... وأصبح القوم من أمري على خطر

فإن قلبي بحمد الله مرتبط ... بالصبر والشكر والتسليم للقدر

فالمرء في قبضة الأقدار مصرفه ... للبرء والسقم أو للنفع والضرر

وحكى لي غير واحد أن الفقيه الكاتب القاضي الحاج الرحال إسحاق ابن الحاج النميري بقي في خلوته جميع شهر رمضان المعظم من عام سبعة وخمسين وسبع مائة فلما خرج يوم عيد الفطر أنشده سيدي أبو عبد الله بن جزي المذكور لنفسه يخاطبه:

ما سرار البدور إلا ثلاث ... فلماذا أرى سرارك شهرا

أتعجلته سرورا لعام ... ثم تبقي في سائر العام بدرا." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العصر

قوله تعالى: والعصر إن الإنسان لفي خسر.

العصر: اسم للزمن كله أو جزء منه.

ولذا اختلف في المراد منه، حيث لم يبين هنا.

فقيل: هو الدهر كله، أقسم الله به لما فيه **من العجائب**، أمة تذهب وأمة تأتي، وقدر ينفذ، وآية تظهر، وهو هو لا يتغير، ليل يعقبه نهار، ونهار يطرده ليل، فهو في نفسه عجب.

كما قيل:

موجود شبيه المعدوم، ومتحرك يضاهي الساكن.

كما قيل:

وأرى الزمان سفينة تجري بنا ... نحو المنون ولا نرى حركاته

فهو في نفسه آية، سواء في ماضيه لا يعلم متى كان، أو في حاضره لا يعلم كيف ينقضي، أو في مستقبله.

واستدل لهذا القول بما جاء موقوفا على علي رضي الله عنه، ومرفوعا من قراءة شاذة: «والعصر ونوائب الدهر» . وحمل على التفسير إن لم يصح قرآنا، وهذا المعنى مروي عن ابن عباس.

وعليه قول الشاعر:

سبيل الهوى وعر، وبحر الهوى غمر ... ويوم الهوى شهر، وشهر الهوى دهر

وقيل العصر: الليل والنهار.." (٢)

---

(١) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض المقري التلمساني ١٩٥/٣

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٨٧/٩

"النظرة من إلهاب نار الحب، وتأريث الحرقة التي تدفع الى ارتكاب المحرم ومن أجمل ما قيل فيه قول ابن زيدون:

حسن أفانين لم تستوف أعيننا ... غاياته بأفانين من النظر

وقال ابن الرومي:

عيني لعينك حين تنظر مقتل ... لكن لحظك سهم حتف مرسل

ومن العجائب أن معنى واحدا ... هو منك لحظ وهو مني مقتل

وسيرد في كتابنا العجيب منه.

وفيما يلي طائفة من الأحاديث الواردة بهذا الصدد:

«عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني عن ربه: النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من نركها من مخافتي أبدلته إيمانا يجد حلاوته في قلبه» أي جعلت بدله إيمانا يشعر بلذاته في قلبه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة: العينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه» . والمعنى أن الله تعالى يعذب العين بالنار يوم القيامة لتطلعها الى محرم بقصد بلا فجاءة، والخطا بفتح الخاء المشي الى المعصية.." [(١)]

"فإذا به-والله يجزل أجره! - ... يجلو فتون السحر في بيت الهدى

[١١٦/ب]

ومن العجائب أنه ذو فطنة ... وأراه عن فهم الفتون تبلدا

وبزعمه لم يهو إلا روضة ... أدبية قد راد منها موردا

وأنا أقول بضد ما قد قاله ... والحق ليس بممكن أن يجحدا!

وبعث له ابن عمنا الرئيس-سميي-معرضا بذلك الوسيم بقوله:

أبا المكارم ذا الأحاجي والحجا ... وابن الجهابذ جلة النفاذ

لا أعتبن على الصبابة بعد أن ... فتكت ظبا الألحاظ في أفلاذ (رحمه الله ١)

ولقيت من عمر الذي لا قيته ... ولطالما أكثرت منه عياذي!

أومى إلي بمقلة ريمية ... قد عزني وزري لها وملاذي

فرجعت عن دين الملام لأجلها ... وعجبت كيف تصبر الأستاذ!

حاله-رحمه الله-:

كان حسن المشاركة في العربية، حافظا للطريقتين التاريخية والأدبية.

---

(١) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ٥٩٧/٦

ﷺ ________

(ﷺ١) كذا فيهما، واقرأ أيضا: أفلاذي.." (١)

"إذا لم يكن عون من الله للفتى ... فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

ولم يزل على حاله إلى أن توجه إلى مصر، فطعن بها وتردى برداء تربها.

وتوفي – رحمه الله تعالى – في يوم الاثنين ثامن شهر رجب الفرد سنة أربع وستين وسبع مئة.

كان هذا عز الدين أصغر من أخيه بدر الدين، كان يعمل بيده عدة صنائع ويعاني التصوير، ويصنع ذلك، ولم يكن في ذلك مجيدا، كما جود نجارة العود، فإنه نجز للأمير سيف الدين طقطاي الدوادار عودا كان عجبا **من العجائب**، وكان يلعب بالعود، ووقفني مرة على مصنف، وضعه في الموسيقى.

وكان قد دخل بعد وفاة أخيه بدر الدين إلى ديوان الإنشاء بدمشق وأقام به في قلة محصول من معلومه وتأخره، إلى أن قطع الناس في أيام الوزير فخر الدين بن قروينه، وكان في جملة من قطع، ثم إنه يستكتب في الديوان على كتب القصص بغير معلوم.

وفي أيام القاضي جمال الدين بن الأثير منع من ذلك، فساءت حاله وتوجه في صحبة شمس الدين بن أبي السفاح إلى مصر، فطعن في يوم والثاني. وتوفي رحمه الله تعالى، وكان يكتب مقاربا وينظم كذلك.

؟

الحسين بن عمر

ابن محمد بن صبرة، مؤنث صبر: الأمير عز الدين.." (٢)

"ومنه في مليح خطائي:

فقال لي العذول أراك تبكي ... فقلت له بكيت على خطائي

وقلت: أراد التورية بالخطأ مهموزا مقصورا ضد الصواب، عن الخطائي وهو المليح التركي الخطائي، وهو ممدود مهموز، فما قعدت معه التورية، وكذلك استعمله جمال الدين بن نباتة فقال:....

وهو من المادة الأولى في الخطأ وسوء الاستعمال. هذا الكلام على الفصيح الذي هو المشهور عند أهل العلم. وأما اللغة المرذولة المرجوحة الضعيفة التي هي غير فصحى فذاك بمعزل عن الانتقاد.

ومما قلت أنا في مليح خطائي:

أحببت من ترك الخطا ذا قامة ... فضحت غصون البان لما أن خطا

إياكم وجفونه فأنا الذي ... سهم أصاب حشاه من عين الخطا

---

(١) أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن ابن الأحمر ص/٤١٨

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٢/٢٨١

وقلت أيضا:

يا قلب لا تقدم على ... سحر الجفون إذا سطا

ومن العجائب أنه ... أضحى يصح مع الخطا

ومن نظم بدر الدين الدشناوي - موشح:." [(١)]

"العلماء وسلف الفضلاء، أشعري العقيدة، لا يقدر أحد على أن يكيده، وكان يصحب أكابر الشافعية ومن فيه ذكاء أو ألمعية.

ولم يزل على حاله إلى أن فترت من الباردي حركاته، واستولت عليه سكناته.

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد خامس جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق.

ومولده سنة ثلاث وسبعين وست مئة.

وكان يدرس بالشرابيشية.

وقلت أنا فيه:

من بعد صدر الدين صدري ضاق بل ... قد ذاق فرط جوى وحزن زائد

ومن العجائب أن قلبي يلتظي ... بالنار من حزني لأجل الباردي

سليمان بن عبد الرحمن

ابن علي بن عبد الرحمن الشيخ الإمام العالم نجم الدين أبو المحامد النهرماوي - بالنون والهاء والراء والميم والألف والواو - الحنبلي قاضي القضاة ببغداد.

قال الحافظ نجم الدين الدهلي: سمع ببغداد جميع الأربعين الطائية على." [(٢)]

"يدي، " وشرح الدريدية " في مجلدين من أربعة، ملكتها بخطه، وقد أخرجتها عن يدي لما وقعت على أشياء في الشواهد ضبطها بخطه على غير الصواب، وله " المقامة الشهابية " وضعها للقاضي شهاب الدين بن الخويبي، ملكتها بخطه مشروحة.

ومن شعره:

إن جزت بالموكب يوما فلا ... تسأل عن السيارة الكنس

فثم آرام على ضمر ... لله ما تفعل بالأنفس

بأحمر هذا وذا أصفر ... وأخضر هذا وذا سندسي

فقل لذي الهيئة يا ذا الذي ... ينقل ما ينقل عن هرمسي

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٢/٣٨٠

(٢) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٢/٤٤٤

قولك هذا خطأ باطل ... أما ترى الأقمار في الأطلس

قلت: أخذه من سيف الدين بن قزل المشد ونقصه، لأنه قال:

زعم الأوائل أنما ... تبدو الذوائب للكواكب

وتوهموا الفلك المعظ ... م أطلسا ما فيه ثاقب

أتراهم لم ينظروا ... ما في الزمان **من العجائب**

كم من هلال قد غدا ... في أطلس وله ذوائب

وأنشدني من لفظه القاضي شهاب الدين أحمد بن عز الدين الفارقي الموقع قال:." (١)

"(١٤) – إن هؤلاء الكفرة المعاندين يطلبون أن تنزل عليهم الملائكة ليؤمنوا لك، ولكنهم لن يؤمنوا، حتى إننا لو فتحنا عليهم بابا من أبواب السماء فظلوا يصعدون في ذلك الباب فيرون من في السماء من الملائكة، وما فيها **من العجائب** لما صدقوا بذلك.

يعرجون – يصعدون فيرون الملائكة **والعجائب**.." (٢)

"﴿لآية﴾

(٦٧) – وفي هذه القصة، وما فيها **من العجائب**، والنصر، والتأييد لعباد الله المؤمنين، لدلالة واضحة وحجة قاطعة على قدرة الله تعالى، وعلى صدق موسى، ولكن أكثرهم لم يؤمنوا مع أنهم رأوا بأعينهم هذه الآيات العظام الباهرة.." (٣)

"وسيمها: [الطويل]

محياك أم نور الصباح تبسما ... ورياك أم نور الأقاحي «١» تنسما

فمن شم من ذا نفحة رق شيمة ... ومن شام من ذا لمحة راق مبسما؟

أجل خلق الإنسان من عجل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لتفهموا أسرار الحكم وتعوا، وإذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا، يعني مجالس الذكر، ومأنس النظر والفكر، ومطالع المناظرة، ومواضع المحاضرة، فهذه بتلك، وقد انتظمت الجواهر النبوية في سلك، ولهان حمى للعطارة وطيس، بين مسك المداد وكافور القراطيس. فيا أيها المعلم الأوحد، والعالم الذي لا تنكر أمامته ولا تجحد، حومت على علم الملوك، ولزمت بحلم طريق الحكم المسلوك، فلم تعد أمل الحكماء، ولم تعد إلا بعمل العلماء، وقد قال حكيمهم الفاضل، وعظيمهم الذي لا مناظر له ولا مفاضل: إذا خدمت الأمراء فكن بين استلطاف واستعطاف، تجن المعارف والعوارف دانية القطاف، فتعلمهم وكأنك تتعلم منهم، وترويهم وكأنك تروي عنهم، فأجريت الباب، وامتريت من العلم اللباب، ثم لم تبعد، فقد فعل النحويون ذلك في يكرم، ويعد، ويعز، ولا غرو أن تقرأ على من هو

---

(١) أعيان العصر وأعوان النصر الصفدي ٤/٣٩٨

(٢) أيسر التفاسير لأسعد حومد أسعد حومد ص/١٨١٧

(٣) أيسر التفاسير لأسعد حومد أسعد حومد ص/٢٨٨١

دونك، وتستجيز الإجازة عن القوم العظام يقصدونك. فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد أمره الله بأن يقرأ على أبي بن كعب، فهل في حي الخواطر الذكية من حي؟ فقال له، رضي الله عنه: الله أمرك أن تقرأ علي، والعناية الربانية تنادي إلي إلي، وإذا قال لي: من أحب مولاي، واستعار لزينته حلاي:

فما على الحبيب من اعتراض ... وللطبيب تصرف في المراض «٢»

قد يرحل المرء لمطلوبه ... والسبب المطلوب في الراحل «٣»

عجت متواضعا، فما أبرمت في معاجك، ولا ظلمت في السؤال نعجته إلى نعاجك، فإنه سر الله، لا يحل فيه الإفشاء، وحكمة الله البالغة، والله يؤتي الحكمة من يشاء، وإن لبست من التواضع شعارا، ولبست عن الترفع تنبيها على السر المكتوم وإشعارا، فهذه الثريا **من العجائب** إذا ارتفعت في أعلى صعودها، وأسمى راياتها الخافقة وبنودها، نهاية وجودها الحسي عدم، وغاية وصفها الشبهي أن تشبه بقدم، فإذا همت بالركوع، وشمت في المغرب ريح الوقوع، كان لها من السمو القدح." (١)

"وسرت إلى فاراب منها نفحة ... قدسية جاءت بنخبة آلها «١»

ليصوغ من ألحانه في حانها ... ما سوغ القسيس من أرمالها

وتعلقت «٢» في سهرورد «٣» فأسهرت ... عينا يؤرقها طروق خيالها

فخبا شهاب الدين لما أشرقت ... وخبا «٤» فلم يثبت لنور جلالها

ما جن مثل جنونه أحد ولا ... سمحت يد بيضا بمثل نوالها

وبدت على الشوذي «٥» منها نفحة «٦» ... ما لاح منها غير لمعة آلها

بطلت حقيقته وحالت حاله ... فيما يعبر عن حقيقة «٧» حالها

هذي صبابتهم ترق صبابة ... فيروق شاربها صفاء زلالها

اعلم أبا الفضل بن يحيى أنني ... من بعدها أجري على آسالها «٨»

فإذا رأيت موها «٩» مثلي فخذ ... في عذله إن كنت من عذالها

لا تعجبن لما ترى من شأنها ... في حلها إن كان أو ترحالها

فصلاحها بفسادها ونعيمها ... بعذابها ورشادها بضلالها

ومن العجائب أن أقيم ببلدة ... يوما وأسلم من أذى جهالها

شغلوا بدنياهم أما شغلتهم ... عني فكم ضيعت من أشغالها

حجبوا بجهلهم فإن لاحت لهم ... شمس الهدى عشوا «١٠» بضوء ذبالها

وإن انتسبت فإنني من دوحة ... تتقيل «١١» الأقيال برد ظلالها

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٢/٢١٠

من حمير من ذي رعين من ذرى «١٢» ... حجر من العظماء من أقيالها

وإذا رجعت لطينتي معنى فما ... سلسالهم «١٣» بأرق من صلصالها." (١)

"لذلك ما أعطيت نفسي حقها ... وقلت لسرب الشعر: لا ترم «١» الفكرا «٢»

فما برحت فكري عذارى قصائدي ... ومن خلق العذراء أن تألف الخدرا

ولست وإن طاشت سهامي بآيس ... فإن مع العذر «٣» الذي يتقى يسرا

ومن مقطوعاته «٤» : [السريع]

يا قمرا مطلعه أضلعي ... له سواد القلب منها «٥» غسق

وربما استوقد نار الهوى ... فناب فيها لونها عن شفق

ملكتني في «٦» دولة من صبا ... وصدتني في «٧» شرك من حدق

عندي من حبك «٨» ما لو سرت ... في البحر منه شعلة لاحترق

ومن مقطوعاته أيضا «٩» : [الكامل]

قد كان لي قلب فلما فارقوا ... سوى جناحا للغرام وطارا

وجرت سحاب بالدموع «١٠» فأوقدت ... بين الجوانح لوعة وأوارا

ومن العجائب أن فيض مدامعي ... ماء ويثمر «١١» في ضلوعي نارا

وشعره الرمل والقطر كثرة، فلنختم له المقطوعات بقوله «١٢» : [المنسرح]

قالوا وقد طال بي مدى خطئي ... ولم أزل في تجرمي ساهي «١٣»

أعددت شيئا ترجو النجاة به؟ ... فقلت: أعددت رحمة الله

نثره: كتب يهنئ «١٤» قاضي الجماعة أبا القاسم بن بقي من رسالة «١٥» : لأن «١٦» قدره «١٧» دام عمره، وامتثل نهيه الشرعي وأمره، أعلى رتبة وأكرم محلا، من أن." (٢)

"كل من في المجلس: أخبرنا بهذا «١» الشيخ قبل مجيئك، فكان هذا **من العجائب**.

وقد وقعت الإشارة لذلك في اسم الشيخ.

مشيخته: منقول من خطه في ثبت أجاز فيه أولادي، أسعدهم الله، بعد خطابة بليغة. قال: فمن شيوخي الذين رويت عنهم، واستردت البركة منهم، الشيخ الخطيب الصالح المتفنن أبو محمد عبد الواحد بن أبي السداد الباهلي، والشيخ الإمام أبو جعفر بن الزبير، والشيخ الوزير المشاور أبو عبد الله بن أبي عامر بن ربيع، والقاضي العدل أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن برطال، والشيخ الخطيب الصالح أبو عبد الله الطنجالي، والراوية المسن أبو عمرو محمد بن عبد الرحمن الرندي الطنجي، والمدرس الصالح أبو الحسن علي بن أحمد الإشبيلي بن شالة، والخطيبان الأستاذان الحاجان أبو عبد الله محمد بن

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٢/٤٠٠

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٣/٢٧٣

رشيد الفهري، وأبو عثمان سعيد بن إبراهيم بن عيسى الحميري، والشيخ الصالح أبو الحسين عبد الله بن محمد بن محمد بن يوسف بن منظور، والخطيب الصالح العلامة المصنف أبو جعفر بن الزيات، والفقيه القاضي أبو جعفر بن عبد الوهاب، والشيخ الراوية المحدث أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الكماد، والخطيب أبو العباس أحمد بن محمد اللورقي، والعدل أبو الحسن علي بن محمد الطائي ابن مستقور، والخطيب الصالح أبو العباس أحمد بن محمد بن خميس الجزيري، والقاضي العدل الحاج أبو محمد عبد الله بن أبي أحمد بن زيد الغرناطي، والشيخ الراوية الحاج الرحال الصوفي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أمين الفارسي العجمي الأقشري، والقاضي الحسيب أبو عبد الله محمد بن عياض بن محمد بن عياض، والقاضي أبو عبد الله بن عبد المهيمن الحضرمي، والأستاذ أبو إسحاق الغافقي، والإمام أبو القاسمي بن الشاط، والخطيب القاضي أبو عبد الله القرطبي، والراوية أبو القاسم البلفيقي، والمحدث أبو القاسم التجيبي، والخطيب أبو عبد الله الغماري، والإمام الكبير ناصر الدين المشدالي، والفقيه الصوفي أبو عبد الله محمد بن محمد الباهلي، عرف بالمسفر من أهل بجاية، وقاضي القضاة بتونس أبو إسحاق بن عبد الرفيع، والعلامة أبو عبد الله بن راشد، والخطيب أبو عبد الله بن عزمون، والعلامة الخطيب أبو محمد عبد الواحد بن منظور بن محمد بن المنير الجذامي. قال: وكلهم أجازني عامة ما يرويه، وكان ممن لقيته، وقرأت عليه، إلا المدرس أبا الحسن بن شالة، فوقع لي شك في إجازته.." (١)

"ما بال سيدكم تورط «١» ؟ لم يكن ... لكم التفات نحوه وتجمع

إنسان عين لم يصبه «٢» منكم ... جفن وقلب أسلمته الأضلع

تلك التي جرت عليكم خطة ... شنعاء وهي على رجال أشنع

أو ما ليوسف جده منن «٣» على ... كل وفضل سابق لا يدفع «٤» ؟

أو ما لوالده علي «٥» نعمة ... وبكل جيد ربقة لا تخلع؟

ولكم بمجلس تاشفين كرامة ... وشفيعكم فيما يشاء مشفع

ألا رعيتم ذاك وأحسابكم ... وأنفتم من قالة تستشنع

أبطأتم عن تاشفين ولم يزل ... إحسانه لجميعكم «٦» يتسرع

ردت مكارمه لكم وتوطأت ... أكنافه إن الكريم سميدع

خاف العدى لكن عليكم مشفقا «٧» ... فهجعتم «٨» وجفونه لا تهجع

ومن العجائب أنه مع «٩» سنه ... أدرى وأشهر «١٠» في الخطوب «١١» وأضلع

ولقد «١٢» عفا والعفو منه سجية ... ولسطوة لو شاء فيكم موضع

يا تاشفين، أقم «١٣» لجيشك عذره ... فالليل «١٤» والقدر الذي لا يدفع

هجم العدو دجى فروع مقبلا ... ومضى يهينم «١٥» وهو منك مروع

لا يزدهي إلا سواك بها ولا ... إلا لغيرك بالسنان يقنع «١٦»

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٣٣٢/٤

لما سددت له الثنية لم يكن ... إلا على ظهر المنية مهيع

وكذاك للعيرات «١٧» إقدام على ... أسد العرين الورد مما يجزع." (١)

"ابتداء العثمانيين (أصحاب القسطنطينية) بمحاولة احتلال حلب وما حولها، فأنفق أموالا جسيمة على الجيوش لقتالهم. وشغل بهم، حتى أن صاحب الأندلس اشتغاث به لإعانته على دفع الفرنج عن غرناطة، فاكتفى بالالتجاء إلى تهديدهم بواسطة القسوس الذين في القدس، وبالأسلوب " الدبلوماسي "كما يقال اليوم، فاحتلوا غرناطة وذهبت الاندلس. ويذكرابن إياس – وكان معاصرا له – أن ما أنفقه على التجاريد (الجيوش) بلغ زهاء سبعة ملايين وخمسمائة وستين ألف دينار، عدا ما كان ينفقه على الأمراء والجند عند عودتهم من جبهات القتال. قال. وهذا **من العجائب** التي لم يسمع بمثلها. وذكر أنه كان متقشفا، له اشتغال بالعلم، وأنه كثير المطالعة، فيه نزعة صوفية، شجاع عارف بأنواع الفروسية، مهيب عاقل حكيم، إذا غضب لم يلبث أن تزول حدته. أبقى كثيرا من آثار العمران في مصر والحجاز والشام ولا يزال بعضها إلى الآن (١) .

مجاهد الدين

(٠٠٠ – ٥٩٥ هـ = ٠٠٠ – ١١٩٩ م)

قايماز بن عبد الله الزيني، أبو منصور، الملقب مجاهد الدين: أمير من المماليك. أصله من سجستان، اخذ منها صغير واسترق. وأعتقه والد الملك المعظم صاحب إربل، وجعله " أتابك " أولاده وفوض إليه أمور إربل سنة ٥٥٩ هـ فأحسن السيرة وبني مدرسة وخانقاه. وانتقل إلى الموصل سنة ٥٧١ فسكن قلعتها، وفوض إليه صاحبها " غازي ابن مودود " الحكم فيها وفي سائر بلاده، فأنشأ فيها

---

(١) ابن إياس ٢: ٩٠ – ٣٠٣ والنور السافر – خ. ووليم موير ١٥٧ وتاريخ الكعبة لباسلامة ١٣٨ وفيه: لا يزال منقوشا بالخط البارز على أحد ألواح الرخام داخل الكعبة ما نصه: " أمر بتجديد ترخيم داخل البيت مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي خلد الله ملكه يا رب العالمين، بتاريخ مستهل رجب الفرد عام أربع وثمانمائة من الهجرة ".." (٢)

"بالأدب. مولده بمكة ووفاته في الهند. من كتبه (نور الأبصار شرح مختصر الأنوار) فقه، و (رسالة في اللغة) (١) .

شمس الدين الرملي

(٩١٩ – ١٠٠٤ هـ = ١٥١٣ – ١٥٩٦ م)

محمد بن أحمد بن حمزة، شمس الدين الرملي: فقيه الديار المصرية في عصره، ومرجعها في الفتوى. يقال له: الشافعي الصغير.

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ٣٥٦/٤

(٢) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ١٨٨/٥

نسبته إلى الرملة (من قرى المنوفية بمصر) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولي إفتاء الشافعية. وجمع فتاوى أبيه. وصنف شروحا وحواشي كثيرة، منها (عمدة الرابح - خ) شرح على هدية الناصح في فقه الشافعية، و (غاية البيان في شرح زبد ابن رسلان - ط) و (غاية المرام - خ) في شرح شروط الإمامة لوالده، و (نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج - ط) فقه، وله (فتاوى

[[محمد بن أحمد بن حمزة الشمس الرملي.. نهاية إجازة بخطه، في مكتبة السيد أحمد خيري (*)]]

---

(١) السحب الوابلة - خ. والنور السافر ٤٠٨ وفيه: (من العجائب أن المشايخ الثلاثة: صاحب الترجمة، وأخويه عبد الله، وعبد القادر، كانوا كلهم أهل فضل وعلم، ومات كل واحد من الثلاثة قبل الآخر بعشر سنين، فكان أولهم موتا عبد الله وآخرهم محمد) .

(*) [هذه المكتبة الآن في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض] (زهير الشاويش)." [١]

"نحوي، له علم بالأدب. من أهل أمشدالة (بالمغرب) تعلم بتونس.

وعاد إلى بلده، فاشتغل بالتدريس في جبل بني عيسى (ونسبته إليه) وتوفي في جبل جرجرة.

من كتبه (اللباب في قواعد البناء والإعراب) و (رياض السعود في ما لله من العجائب والحدود) و (شرح البردة) للبوصيري (١) .

محمد الكيلاني

(١١٧٣ - ١٢٤٤ هـ = ١٧٦٠ - ١٨٢٨ م)

محمد بن صالح بن عبد القادر بن إبراهيم الكيلاني: فاضل، دمشقي. له كتب، منها (نسمات الأسحار، في فضائل العشرة الأبرار - خ) في أربع مجلدات، بخطه، في الخزانة الظاهرية، كما في تعليقات عبيد (٢) .

العصامي

(١١٨٨ - ١٢٦٣ هـ = ١٧٧٤ - ١٨٤٧ م)

محمد بن صالح بن حسن العصامي: أديب يمني، من أهل صنعاء. كان من تلاميذ الشوكاني.

له ترسل ونظم جيد. اختير لمجالسة المهدي عبد الله بن المتوكل (يملي عليه غرر الأشعار ويشرح له عجائب القصص والآثار) .

وصنف (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار وعجائب الأخبار ومحاسن الأشعار وعيون الآثار - خ) الجزء الأول منه، في دار الكتب (٣) .

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٦/٧

(١) تعريف الخلف ٢: ٥٢٢.

(٢) روض البشر ٢٢٩.

(٣) نيل الوطر ٢: ٢٦٦ والبدر الطالع ٢: ١٧٨ ولم يذكرا له تأليفا. ودار الكتب ٣: ٣٥٢.." [١]

"في دبا، ونشأ بالبصرة، وقدم المدينة مع أبيه في أيام عمر. وولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير. وفقئت عينه بسمرقند. وانتدب لقتال الأزارقة، وكانوا قد غلبوا على البلاد، وشرط له أن كل بلد يجليهم عنه يكون له التصرف في خراجه تلك السنة، فأقام يحاربهم تسعة عشر عاما لقي فيها منهم الأهوال. وأخيرا تم له الظفر بهم فقتل كثيرين وشرد بقيتهم في البلاد. ثم ولاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان، فقدمها سنة ٧٩ هـ ومات فيها. كان شعاره في الحرب: (حم لا ينصرون) وهو أول من اتخذ الركب من الحديد - وكانت قبل ذلك تعمل من الخشب - وأخباره كثيرة (١) .

المهلبي (الأمير) = نصر بن حبيب ١٧٧.

المهلبي (الأمير) = الفضل بن روح ١٧٨.

المهلبي (الأمير) = عبد الله بن يزيد ١٧٨.

المهلبي (الشاعر النحوي) = مروان ابن سعيد ١٩٠

المهلبي (الأمير) = محمد بن يزيد ١٩٦.

المهلبي (الأمير) = داود بن يزيد ٢٠٥

المهلبي (الأمير) = محمد بن عباد ٢١٦.

---

(١) الإصابة: ت ٨٦٣٥ والوفيات ٢: ١٤٥ ورغبة الآمل ٢: ٢٠١، ٢٠٤ و ٣: ٦٠، ١١٦ و ٥: ١٣٠ و ٦: ١٠٥ وابن الأثير ٤: ١٨٣ وما قبلها وسرح العيون ١٠٣ والطبري ٨: ١٩ وفيه: وفاته سنة ٨٢ هـ والإكليل ٢: الورقة ١٧٤ والمحبر ٢٦١ والجرح والتعديل ٤: القسم ١: ٣٦٩ والأغاني، طبعة الساسي: انظر فهرسته. وفي المدهش - خ. لابن الجوزي: **من العجائب** ثلاثة إخوة، ولدوا في سنة واحدة، وقتلوا في سنة واحدة، وكانت أعمارهم ثمانيا وأربعين سنة: يزيد، وزياد، ومدرك، بنو المهلب بن أبي صفرة. يقول المشرف: ورد في الطبري أن المهلب توفي عام ٨٢.." [٢]

"يقال: له صحبة روى عنه عبد الله بن شقيق. أسيد بن أبي الأسد أبو الربيع له حكاية عن الحجاج رواها ابنه محمد، وأسيد بن الحكم بن سعيد بن سويد الواسطي أبو الحارث، روى عن سفيان بن عيينة ويزيد بن هارون وغيرهما. أسيد أخو توبة العنبري روى عنه أخوه١.

مختلف فيه: أسيد بن رافع بن خديج بن رافع، روى أن أباه رافعا أتى عشيرته فقال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ١٦٣/٦

(٢) الأعلام للزركلي خير الدين الزركلي ٣١٥/٧

عن الحقل" روى عنه الأعرج وبكير بن عبد الله بن الأشج أخرجه البخاري في باب أسيد بالفتح فقال أسيد بن رافع الأنصاري المدني روى عنه بكير بن الأشج أن أخا رافع أتى عشيرته، قاله أحمد بن عيسى عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث. وقول

---

١ زاد في التبصير "أسيد بن ثعلبة له صحبة ... ، وأسيد بن زافر والي أرمينية، وابنه يزيد بن أسيد. وأسيد بن أحيحة بن خلف الجمحي من مسلمة الفتح "وقد تقدم في التعليق أنه والد أبي ريحانة علي بن أسيد، وجد أبي دهبل وهب بن زمعة ابن أسيد". وأسيد بن الأخنس بن شريق الثقفي ذكره عمر بن شبة في الصحابة وأسيد بن عمرو بن محصن ذكره أبو مسوى في الذيل فقال: يقال إنه اسم أبي عمرة، وأسيد بن كعب القرظي لهما صحبة. وأسيد الجعفي ذكره العسكري في الصحابة وابن حبان في التابعين. **ومن العجائب** ما ذكره ابن القطاع في كتاب الأبنية وابن رشيق في كتاب الشذوذ أنه ليس في العرب أسيد بضم الهمزة سوى أسيد ابن أسماء بن أسيد السلمي. زاد ابن رشيق أن علي بن أبي طالب قطع يده في سرقة" أقول وفي كتاب ابن حبيب والإيناس "في تميم أسيد "مصغرا مشددا" بن عمرو بن تميم. وفي قيس أسيد "مصغرا مخففا" بن رزام بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان، وكل شيء في العرب بعد فهو أسيد على فعيل".." (١)

"باب الغسال والعسال:

أما الغسال بالغين المعجمة فهو...................١.

وأما العسال بالعين المهملة فهو محمد بن موسى العسال النيسابوري أبو عبد الله المطوعي الفقيه الزاهد يعد في أقران يحي بن يحيى، سمع ابن عيينة وهشيما ومحمد بن مسلم وابن المبارك وعبد العزيز الدراوردي والنضر بن شميل وأبا يوسف القاضي، روى عنه أحمد بن حرب وأيوب بن الحسن ومحمد بن عبد الوهاب ومشايخ عصره.

وأحمد بن إسحاق بن واضح بن عبد الصمد بن واضح العسال أبو جعفر مولى قريش توفي في صفر من سنة أربع وثمانين ومائتين، يروي عن سعيد بن أسد بن موسى وغيره قاله ابن يونس وأحمد بن عبد الوارث بن جرير بن عيسى الأسواني العسال أبو بكر دعوتهم في موالي عثمان بن عفان آخر من حدث عن محمد بن رمح بمصر توفي في جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ثقة.

والحسن بن محمد بن أحمد المعروف بابن العسال أبو علي مصري كان في تفسير الرؤيا عجبا **من العجائب**، وسمع الحديث، وذكره ابن يونس توفي بتنيس وحمل منها ميتا في سنة اثنتين وثلاثمائة.

وعبد الغني بن عبد العزيز بن سلام العسال الفقيه أبو محمد، يروي عن ابن وهب وابن عيينة وكان فقيها عاقلا توفي في المحرم سنة أربع وخمسين ومائتين.

وابن ابنه عبد الغني بن محمد بن عبد الغني بن عبد العزيز العسال أيضا أبو محمد سمع من أبيه وغيره مات في سنة تسع

---

(١) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ابن ماكولا ٦٨/١

وثلاثين وثلاثمائة قاله ابن يونس. والقاضي أبو أحمد محمد.

١ بياض في الأصل.." (١)

"كان لونها من الأشياء الثابتة التي لا تتجدد، جاء الوصف به بالاسم لا بالفعل، وتأخر هذا الوصف عن الوصف قبله، لأنه ناشيء عن الوصف قبله، أو كالناشيء، لأن اللون إذا كان بهجا جميلا، دهشت فيه الأبصار، وعجبت من حسنه البصائر، وجاء بوصف الجمع في الناظرين، ليوضح أن أعين الناس طامحة إليها، متلذذة فيها بالنظر. فليست مما تعجب شخصا دون شخص، ولذلك أدخل الألف واللام التي تدل على الاستغراق، أي هي بصدد من نظر إليها سر بها، وإن كان النظر هنا من نظر القلب، وهو الفكر، فيكون السرور قد حصل من التفكر في بدائع صنع الله، من تحسين لونها وتكميل خلقها. والضمير في تسر عائد على البقرة، على تقدير أن تسر صفة، وإن كان خبرا، فهو عائد على اللون الذي تسر خبر عنه. وقد تقدم توجيه التأنيث، ولذلك من قرأ يسر بالياء، فهو عائد على اللون، فيحتمل أن يكون لونها مبتدأ، ويسر خبرا، ويكون فاقعا صفة تابعة لصفراء، على حد هذا البيت الذي أنشدناه وهو:

وإني لأسقي الشرب صفراء فاقعا على قلة ذلك، ويحتمل أن يكون لونها فاعلا بفاقع، ويسر إخبار مستأنف. وجمهور المفسرين يشيرون إلى أن الصفرة من الألوان السارة، ولهذا كان علي كرم الله وجهه، يرغب في النعال الصفر. وقال ابن عباس: الصفرة تبسط النفس وتذهب الهم، وكان ابن عباس أيضا يحض على لبس النعال الصفر. ونهى ابن الزبير ويحيى بن أبي كثير عن لباس النعال السود، لأنها تهم.

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي، قال أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل المرسي في ري الظمآن وجه الاشتباه عليهم، أن كل بقرة لا تصلح عندهم أن تكون آية، لما علموا من ناقة صالح وما كان فيها **من العجائب**، فظنوا أن الحيوان لا يكون آية إلا إذا كان على ذلك الأسلوب، وذلك لما نبئوا أنها آية، سألوا عن ماهيتها وكيفيتها، ولذلك لم يسألوا موسى عن ذلك، بل سألوه أن يسأل الله لهم عن ذلك، إذ الله تعالى هو العالم بالآيات، وإنما سألوا عن التعيين، وإن كان اللفظ مقتضاه الإطلاق، لأنهم لو عملوا بمطلقه لم يحصل التقصي عن الأمر بيقين. انتهى كلامه. وقال غيره: لما لم يمكن التماثل من كل وجه، وحصل الاشتباه، ساغ لهم السؤال، فأخبروا بسنها، فوجدوا مثلها في السن كثيرا، فسألوا عن اللون، فأخبروا بذلك، فلم يزل اللبس بذلك، فسألوا عن العمل، فأخبروا بذلك، وعن بعض أوصافها الخاص بها، فزال اللبس بتبيين السن واللون والعمل وبعض." (٢)

"أتصدقه على ذلك؟ قال: إني لأصدقه على أبعد من ذلك، فسمي الصديق رضي الله تعالى عنه. ومنهم من سافر إلى المسجد الأقصى فاستنعتوه، فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر إليه وينعته لهم، فقالوا: أما النعت فقد أصاب فقالوا: أخبرنا عن عيرنا، فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال: «تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق» فخرجوا

---

(١) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ابن ماكولا ٣٦/٧

(٢) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٤٠٩/١

يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية. فقال قائل منهم: والله هذه الشمس قد شرقت. وقال آخر:
وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا: ما هذا إلا سحر بين، وقد عرج به إلى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس

، وأخبر قريشا أيضا بما رأى في السماء **من العجائب**، وأنه لقي الأنبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى. وهذا على قول من قال: أن هذه الليلة هي ليلة المعراج وهو قول ابن مسعود وجماعة. وذهب بعضهم إلى أن ليلة المعراج هي غير ليلة الإسراء.

والمسجد الأقصى مسجد بيت المقدس وسمي الأقصى لأنه كان في ذلك الوقت أقصى بيوت الله الفاضلة من الكعبة. قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد بالأقصى البعيد دون مفاضلة بينه وبين سواه، ويكون المقصد إظهار العجب في الإسراء إلى هذا البعد في ليلة انتهى. ولفظة: إلى تقتضي أنه انتهى الإسراء به إلى حد ذلك المسجد ولا يدل من حيث الوضع على دخوله.

والذي باركنا حوله صفة مدح لإزالة اشتراط عارض وبركته بما خص به من الخيرات الدينية كالنبوة والشرائع والرسل الذين كانوا في ذلك القطر ونواحيه ونواديه، والدنياوية من كثرة الأشجار والأنهار وطيب الأرض.

وفي الحديث «أنه تعالى بارك فيما بين العريش إلى الفرات وخص فلسطين بالتقديس» .

وقرأ الجمهور لنريه بالنون وهو التفات من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم، وقراءة الحسن ليريه بالياء فيكون الالتفات في آياتنا وهذه رؤيا عين والآيات التي أريها هي العجائب التي أخبر بها الناس

وإسراؤه من مكة وعروجه إلى السماء ووصفه الأنبياء واحدا واحدا حسبما ثبت في الصحيح.

وقال ابن عطية: ويحتمل أن يريد ليري محمدا للناس آية، أي يكون النبي صلى الله عليه وسلم آية في أن يصنع الله ببشر هذا الصنع فتكون الرؤية على هذا رؤية القلب.

قال الزمخشري: إنه هو السميع لأقوال محمد البصير بأفعاله العالم بتهذيبها." (١)

"وقيل: أهل مكة بشره الله تعالى أنه يغلبهم ويظهر عليهم، وأحاط بمعنى يحيط عبر عن المستقبل بالماضي لأنه واقع لا محالة، والوقت الذي وقعت فيه الإحاطة بهم. قيل يوم بدر. وقال العسكري: هذا خبر غيب قدمه قبل وقته، ويجوز أن يكون ذلك في أمر الخندق ومجيء الأحزاب يطلبون ثأرهم ببدر فصرفهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا. وقيل: يوم بدر ويوم الفتح. وقيل: الأشبه أنه يوم الفتح فإنه اليوم الذي أحاط أمر الله بإهلاك أهل مكة فيه وأمكن منهم. وقال الطبري: أحاط بالناس في منعك يا محمد وحياطتك وحفظك، فالآية إخبار له أنه محفوظ من الكفرة آمن أن يقتل وينال بمكروه عظيم، أي فلتبلغ رسالة ربك ولا تتهيب أحدا من المخلوقين. قال ابن عطية: وهذا تأويل بين جار مع اللفظ. وقد روي نحوه عن الحسن والسدي إلا أنه لا يناسب ما بعده مناسبة شديدة، ويحتمل أن يجعل الكلام مناسبا لما بعده توطئة له.

فأقول: اختلف الناس في الرؤيا.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١٠/٧

فقال الجمهور هي رؤيا عين ويقظة وهي ما رأى في ليلة الإسراء **من العجائب** قال الكفار: إن هذا لعجب نخب إلى بيت المقدس شهرين إقبالا وإدبارا ويقول محمد جاءه من ليلته وانصرف منه، فافتتن بهذا التلبيس قوم من ضعفاء المسلمين فارتدوا وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية

، فعلى هذا يحسن أن يكون معنى قوله وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس أي في إضلالهم وهدايتهم، وأن كل واحد ميسر لما خلق له أي فلا تهتم أنت بكفر من كفر ولا تحزن عليهم فقد قيل لك إن الله محيط بهم مالك لأمرهم وهو جعل رؤياك هذه فتنة ليكفر من سبق عليه الكفر، وسميت الرؤية في هذا التأويل رؤيا إذ هما مصدران من رأى. وقال النقاش: جاء ذلك من اعتقاد من اعتقد أنها منامية وإن كانت الحقيقة غير ذلك انتهى. وعن ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم: هو قصة الإسراء والمعراج عيانا آمن به الموفقون وكفر به المخذولون، وسماه رؤيا لوقوعه في الليل وسرعة تقضيه كأنه منام. وعن ابن عباس أيضا هو رؤياه أنه يدخل مكة فعجل في سنته الحديبية ورد فافتتن الناس، وهذا مناسب لصدر الآية فإن الإحاطة بمكة أكثر ما كانت. وعن سهل بن سعد: هي رؤياه بني أمية ينزون على منبره نزو القردة فاهتم لذلك وما استجمع ضاحكا من يومئذ حتى مات، فنزلت الآية مخبرة أن ذلك من ملكهم وصعودهم المنابر إنما يجعلها الله فتنة للناس. ويجيء قوله أحاط بالناس أي بأقداره وإن كان ما قدره الله فلا تهتم بما يكون بعدك من ذلك.

وقال الحسن بن علي في خطبته في شأن بيعته لمعاوية: وإن أدري لعله فتنة لكم." (١)

"مذهب حتى اعتراه النسيان، وانضم إلى ذلك أنه ضري بمشاهدة أمثاله عند موسى **من العجائب**، واستأنس بأخواته فأعان الإلف على قلة الاهتمام انتهى. قال أبو بكر غالب بن عطية والداني عبد الحق المفسر: سمعت أبا الفضل الجوهري يقول في وعظه: مشى موسى إلى المناجاة فبقي أربعين يوما لم يحتج إلى طعام، ولما مشى إلى بشر لحقه الجوع في بعض يوم.

وقال الزمخشري: أرأيت بمعنى أخبرني فإن قلت: فما وجه التئام هذا الكلام فإن كل واحد من أرأيت وإذ أوينا وفإني نسيت الحوت لا متعلق له؟ قلت: لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك، كأنه قال: أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت فحذف ذلك انتهى. وكون أرأيتك بمعنى أخبرني ذكره سيبويه: وقد أمعنا الكلام في ذلك في سورة الأنعام وفي شرحنا لكتاب التسهيل.

وأما ما يختص بأرأيت في هذا الموضع فقال أبو الحسن الأخفش: إن العرب أخرجتها عن معناها بالكلية فقالوا: أرأيتك وأريتك بحذف الهمزة إذا كانت بمعنى أخبرني، وإذا كانت بمعنى أبصرت لم تحذف همزتها قال: وشذت أيضا فألزمتها الخطاب على هذا المعنى، ولا تقول فيها أبدا أراني زيد عمرا ما صنع، وتقول هذا على معنى أعلم. وشذت أيضا فأخرجتها عن موضعها بالكلية بدليل دخول الفاء ألا ترى قوله أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت فما دخلت الفاء إلا وقد أخرجت لمعنى أما أو تنبه، والمعنى أما إذ أوينا إلى الصخرة فالأمر كذا، وقد أخرجتها أيضا إلى معنى أخبرني كما قدمنا، وإذا

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٧/٧٤

كانت بمعنى أخبرني فلا بد بعدها من الاسم المستخبر عنه وتلزم الجملة التي بعدها الاستفهام، وقد يخرج لمعنى أما ويكون أبدا بعدها الشرط وظرف الزمان فقوله فإني نسيت الحوت معناه أما إذ أوينا فإني نسيت الحوت أو تنبه إذ أوينا وليست الفاء إلا جوابا لأرأيت، لأن إذ لا يصح أن يجازى بها إلا مقرونة بما بلا خلاف انتهى كلام الأخفش. وفيه إن أرأيت إذا كانت بمعنى أخبرني فلا بد بعدها من الاسم المستخبر عنه، وتلزم الجملة التي بعدها الاستفهام وهذان مفقودان في تقدير الزمخشري أرأيت هنا بمعنى أخبرني، ومعنى نسيت الحوت نسيت ذكر ما جرى فيه لك.

وفي قوله وما أنسانيه إلا الشيطان حسن أدب سبب النسيان إلى المتسبب فيه بوسوسته وأن أذكره بدل اشتمال من الضمير العائد على الحوت، والظاهر أن الضمير." (١)

"مجيب، فنادته الملائكة، وهو جبريل، لأنه رئيس الملائكة، والعرب تنادي الرئيس بلفظ الجمع إذ لا يخلو من أصحاب، وهو قائم يصلي في المحراب روي: أنه كان قائما يصلي في محرابه، فدخل عليه شاب، عليه ثياب بيض، ففزع منه، فناداه، وقال له: أن الله يبشرك بيحيى، سمي به لأن الله تعالى أحيا به عقم أمه، أو لأن الله تعالى أحيا قلبه بمعرفته، فلم يهم بمعصية قط، أو لأنه استشهد، والشهداء أحياء.

مصدقا بكلمة من الله وهو عيسى، لأنه كان بكلمة: كن، من غير سبب عادى، وسيدا أي: يسود قومه ويفوقهم، وحصورا، أي: مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي. روي أنه مر في صباه على صبيان، فدعوه إلى اللعب، فقال: ما للعب خلقت. أو عنينا، روي: «أنه كان له ذكر كالقذاة» رواه ابن عباس. وقال في الأساس: (رجل حصور: لا يرغب في النساء) . قيل: كان ذلك فضيلة في تلك الشريعة، بخلاف شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفي الورتجي: الحصور: الذي يملك ولا يملك. وقال القشيري: حصورا: أي: معتقا من الشهوات، مكفيا أحكام البشرية، مع كونه من جملة البشر، ونبيا من الصالحين الذين صلحوا للنبوة وتأهلوا للحضرة.

ولما سمع البشارة هزه الفرح فقال: يا رب أنى يكون لي غلام أي: من أين يكون لي غلام؟! قاله استعظاما أو تعجبا أو استفهاما عن كيفية حدوثه. هل مع كبر السن والعقم، أو مع زوالهما. وقد بلغني الكبر، وكان له تسع وتسعون سنة، وقيل: مائة وعشرون، وامرأتي عاقر لا تلد، ولم يقل: عاقرة، لأنه وصف خاص بالنساء. قال له جبريل: كذلك الله يفعل ما يشاء من العجائب والخوارق، فيخلق الولد من العاقر والشيخ الفاني، أو الأمر كذلك، أي: كما أخبرتك، ثم استأنف: الله يفعل ما يشاء.

ولما تحقق بالبشارة طلب العلامة، فقال: رب اجعل لي آية أعرف بها حمل المرأة، لاستقبله بالبشاشة والشكر، قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام أي: لا تقدر على كلام الناس ثلاثا، فحبس لسانه عن الكلام دون الذكر والشكر، ليخلص المدة للذكر والشكر، إلا رمزا بيد أو رأس أو حاجب أو عين. واذكر ربك كثيرا في هذه المدة التي حبست فيها عن الكلام، وهو يبين الغرض من الحبس عن الكلام. وتقييد الأمر بالكثرة يدل على أنه لا يفيد التكرار. وسبح بالعشي أي: من الزوال إلى الغروب، أو من العصر إلى جزء الليل، والإبكار من الفجر إلى الضحى، وقيل: كانت صلاتهم ركعتين في الفجر وركعتين في

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٢٠٢/٧

المغرب، ويؤيد هذا قوله تعالى في الآية الأخرى: فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا. والله تعالى أعلم.
الإشارة: الأصلاب الروحانية كالأصلاب الجسمانية، منها ما تكون عقيمة مع كمالها، ومنها ما تكون لها ولد أو ولدان، ومنها ما تكون لها أولاد كثيرة، ويؤخذ من قضية السيد زكريا عليه السلام: طلب الولد إذا خاف الولي اندراس." (١)

"وهو أن يلقي في أوهامهم أنهم على شيء، وليسوا كذلك، يستدرجهم في ذلك شيئا فشيئا، حتى يأخذهم بغتة، كما قال تعالى: فلما نسوا ما ذكروا به إشارة إلى مخالفتهم وعصيانهم، بعد ما رأوا من الشدة، فتحنا عليهم أبواب كل شيء أي: فتحنا عليهم أسباب العوافي وأبواب الرفاهية، حتى إذا فرحوا بما أوتوا من الحظوظ الدنيوية، ولم يشكروا عليها برجوعهم منها إلينا، أخذناهم بغتة أي: فجأة، فإذا هم مبلسون «١» آيسون قانطون من الرحمة. هـ.
ثم ندبهم إلى التفكر، فقال:

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ١٨٤ الى ١٨٦]
أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين (١٨٤) أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون (١٨٥) من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون (١٨٦)
قلت: (وما خلق) : عطف على (ملكوت) ، و (أن عسى) : مخففة، و (أن يكون) : مصدرية، أو عطف على (ملكوت) أيضا.
يقول الحق جل جلاله: أولم يتفكروا في أمر محمد صلى الله عليه وسلم حتى يتحققوا أنه ما بصاحبهم من جنة يعني: نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم. روى أنه صلى الله عليه وسلم لما أمر بالإنذار صعد الصفا، فدعاهم، فخذا فخذا، يحذرهم بأس الله تعالى، فقال قائلهم: إن صاحبكم لمجنون، بات يصوت إلى الصباح، فنزلت «٢» .
إن هو إلا نذير مبين أي: بين الإنذار واضح أمره، لا يخفى على ناظر. أولم ينظروا «٣» نظر استدلال في ملكوت السماوات والأرض أي: في عظمتهما وما اشتملتا عليه **من العجائب**، وما خلق الله من شيء أي: وينظروا فيما خلق الله من شيء من الأجناس التي لا يمكن حصرها، لتدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها، وعظم شأن مالكها ومتولي أمرها، ليظهر لهم صحة ما يدعوهم إليه.
وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم أي: أو لم ينظروا أيضا في اقتراب أجلهم وتوقع حلول الموت بهم، فيسارعوا إلى طلب الحق، والتوجه إلى ما ينجيهم من عذابه، قبل مفاجأة الموت ونزول العذاب. فبأي حديث بعده أي: بعد القرآن، يؤمنون إن لم يؤمنوا به، وهو النهاية في البيان؟ كأنه إخبار عنهم بالطبع

---

(١) الآية ٤٤ من سورة الأنعام.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١/ ٣٥٠

(٢) أخرجه الطبري فى التفسير، (٩/ ١٣٦) بإسناد صحيح إلى قتادة.

(٣) إلى هنا ينتهى السقط الموجود فى المخطوطة الأصلية.." [١]

"فى معايشهم، فبعث الله لهم شعيبا عليه السلام فكفروا به، فسلط الله عليهم الحر سبعة أيام، ثم رأوا سحابة فخرجوا فاستظلوا تحتها، فاضطرمت عليهم نارا، فاحترقوا. قال تعالى: فانتقمنا منهم بالهلاك بالحر، وإنهما، يعني: سدوم مدينة قوم لوط، والأيكة قرية شعيب. وقيل: الأيكة ومدين لأن شعيبا عليه السلام كان مبعوثا إليهما، وكان ذكر أحدهما مغن عن الآخر، لبإمام مبين: لبطريق واضح يسلك منه إلى الشام، فيعتبر كل من وقف بآثارهم. والإمام: ما يؤتم به، ويوصل إلى المقصود من طريق أو غيره. وقيل: وإنهما أي: لوط وشعيب، على طريق من الشرع واضح. والله تعالى أعلم.

الإشارة: ما أهلك الله قوما إلا كانوا عبرة لمن بعدهم، فالعاقل يبحث عن سبب هلاكهم، فيعمل جهده في التحرز منه، والغافل منهمك في غفلته، لا يلقى لذلك بالا، حتى يأتيه ما يوعد. وبالله التوفيق.

ثم ذكر قصة صالح عليه السلام، فقال:

[سورة الحجر (١٥) : الآيات ٨٠ الى ٨٤]

ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين (٨٠) وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين (٨١) وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين (٨٢) فأخذتهم الصيحة مصبحين (٨٣) فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٨٤)

قلت: (بيوتا) : مفعول (ينحتون) ، بمعنى يتخذون، أو يصنعون. و (آمنين) : حال من فاعل (ينحتون) .

يقول الحق جل جلاله: ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين هم قوم ثمود، والحجر: واديهم الذي يسكنونه، وهو بين المدينة والشام. كذبوا صالحا عليه السلام، ومن كذب واحدا من الرسل فكأنما كذب الجميع لأنهم جاءوا بأمر متفق عليه، وهو التوحيد، أو يراد به الجنس، كما تقول: فلان يركب الخيل، وإنما يركب فرسا واحدا، أو يراد به صالح ومن معه من المؤمنين لموافقتهم له فيما يدعو إليه. وآتيناهم آياتنا يعني: الناقة، وما كان فيها **من العجائب**، كسقيها وشربها ودرها، أو ما نزل على نبيهم من الكتب، أو ما نصب لهم من الأدلة. فكانوا عنها معرضين: لم ينظروا فيها، ولم يعتنوا بأمرها.

وكانوا ينحتون: يصنعون، والنحت: النقر بالمعاول في الحجر والعود وشبهه، فكانوا يتخذون من الجبال بالنقر فيها، بيوتا يسكنونها آمنين من الانهدام، ونقب اللصوص، وتخريب الأعداء لوثوقها.

أو من العذاب لفرط غفلتهم، أو حسبانهم أن الجبال تحميهم منه. فأخذتهم الصيحة مصبحين: داخلين في وقت الصباح، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة، واستكثار الأموال والعدد.." [٢]

"آنست في الحي نارا ... ليلا فبشرت أهلي

قلت: امكثوا، فلعلي ... أجد هداي، لعلي

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٢٨٨

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/١٠٠

دنوت منها فكانت ... نار التكلم قبلي

نوديت منها كفاحا: ... ردوا ليالي وصلي

حتى إذا ما تدانى ال ... ميقات في جمع شملي

صارت جبالي دكا ... من هيبة المتجلي

ولاح سر خفي ... يدريه من كان مثلي

فالموت فيه حياتي ... وفي حياتي قتلي

وصرت موسى زماني ... مذ صار بعضي كلي

قوله: «صارت جبالي دكا» ، أي: جبال وجوده، فحصل الزوال من هيبة نور المتجلي، وهو الكبير المتعال. وهذا إنما يكون بعد موت النفس وقهرها، فإنها حينئذ تحيا بشهود ربها، حياة لا موت بعدها. وقوله: «مذ صار بعضي كلي» يعني: إنما حصلت له المناجاة والقرب الحقيقي حين فنيت دائرة حسه، فاتصل جزء معناه بكل المعنى المحيط به، وهو بحر المعاني المفني للأواني. وبالله التوفيق.

ثم ذكر مكالمته مع كليمه عليه السلام، فقال:

[سورة طه (٢٠) : الآيات ١٧ الى ٢٣]

وما تلك بيمينك يا موسى (١٧) قال هي عصاي أتوكؤا عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى (١٨) قال ألقها يا موسى (١٩) فألقاها فإذا هي حية تسعى (٢٠) قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى (٢١)

واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى (٢٢) لنريك من آياتنا الكبرى (٢٣)

قلت: (وما) : استفهامية، مبتدأ، و (تلك) : خبر، أو بالعكس، فما: خبر، وتلك: مبتدأ، وهو أوفق بالجواب.

و (بيمينك) : متعلق بالاستقرار حالا، أي: وما تلك، قارة أو مأخوذة بيمينك، والعامل معنى الإشارة. وقيل: (تلك) : موصولة، أي: وما التي هي بيمينك، والاستفهام هنا: إيقاظ وتنبيه له عليه السلام على مما سيبدو له **من العجائب**، وتكرير النداء لزيادة التأنيس والتنبيه.." (١)

"في ذلك: النبات مجازا دون الملائكة، فأل فيه للحقيقة والماهية، إلا أنه صرفه عن ذلك إلى العهد الذهني قرينة الجعل، كما في آية: فأكله الذئب «١» ، فإن القرينة تخلص ذلك للبعضية وإرادة الأشخاص. وقيل: المراد به: المني. فأل فيه، حينئذ، للعهد الذهني فقط. قال القشيري: كل مخلوق حي فمن الماء خلقه، فإن أصل الحيوان الذي يحصل بالتناسل النطفة، وهي من جملة الماء. هـ. وتقدم أن الملائكة لا تناسل فيها. أفلا يؤمنون بالله وحده، وهو إنكار لعدم إيمانهم، مع ظهور ما يوجبه حتما من الآيات الآفاقية والأنفسية، الدالة على تفرده تعالى بالألوهية.

وجعلنا في الأرض رواسي أي: جبالا ثوابت، من رسا الشيء إذا ثبت ورسخ، أن تميد بهم أي:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٨٠/٣

كراهية أن تتحرك وتضطرب بهم، أو لئلا تميد بهم- بحذف اللام، و «لا» لعدم الإلباس. وجعلنا فيها أي:
في الأرض، وتكرير الجعل لاختلاف المجعولين، ولتوفية مقام الامتنان حقه، أو في الرواسي لأنها المحتاجة إلى الطرق، فجاجا: جمع فج، وهو الطريق الواسع، نفذ أم لا، أي: جعلنا في الأرض مسالك واسعة، وسبلا نافذة. فالسبل هي الفجاج مع قيد النفوذ. فإن قيل: أي فرق بين هذا وبين قوله: لتسلكوا منها سبلا فجاجا «٢» ؟ فالجواب: أنه هنا بين أنه خلقها على هذه الصفة، وهناك بين أنه جعل فيها طرقا واسعة، وليس فيه بيان أنه خلقها كذلك، فما هنا تفسير لما هناك. انظر النسفي.

وقوله تعالى: لعلهم يهتدون أي: إلى البلاد المقصودة بتلك السبل، أو إلى مصالحهم ومهماتهم. وجعلنا السماء سقفا محفوظا من السقوط، كقوله: ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه «٣» ، أو من الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم، أو من استراق السمع بالشهب، كما قال: وحفظا من كل شيطان مارد «٤» . وهم أي: الكفار عن آياتها أي: عن الأدلة التي فيها، كالشمس والقمر والنجوم، وغير ذلك مما فيها **من العجائب** الدالة على وحدانيته تعالى وقدرته وحكمته، التي بعضها محسوس، وبعضها معلوم بالبحث في علمي الطبيعة والهيئة، معرضون لا يتدبرون فيها، فيقفون على ما هم عليه من الكفر والضلال، فيؤمنون.

وهو الذي خلق الليل لتسكنوا فيه، والنهار لتتصرفوا فيه، والشمس لتكون سراج النهار، والقمر ليكون سراج الليل، وهذا بيان لبعض تلك الآيات التي هم عنها معرضون. وقوله: كل أي:

كلهم، والمراد: جنس الطوالع، في فلك يسبحون أي: يسيرون سير العائم في الماء. عن ابن عباس رضي الله عنه:
الفلك السماء، وقيل: موج مكفوف تحت السماء، يجري فيه الشمس والقمر والنجوم. وجمهور أهل الهيئة أن الفلك:

---

(١) من الآية ١٧ من سورة يوسف.

(٢) من الآية ٢٠ من سورة نوح.

(٣) من الآية ٦٥ من سورة الحج.

(٤) الآية ٧ من سورة الصافات.." [١]

"(وحين تعاطيت الفنون ونيلها ... تبين لي أن الفنون جنون)

قلت ولم يذكر في هذه الترجمة جميع مصنفات صاحبها بل أهمل منها التلويح وهو من أجل مصنفاته وأهمل منها شرح الرسالة الشمسية وهو أيضا من أجلها وبالجملة فصاحب الترجمة متفرد بعلومه في القرن الثامن لم يكن له في أهله نظير فيها وله من الحظ والشهرة والصيت في أهل عصره فمن بعدهم مالا يلحق به غيره ومصنفاته قد طارت في حياته إلى جميع البلدان وتنافس الناس في تحصيلها ومع هذا فلم يذكره ابن حجر في الدرر الكامنة في أهل الماءة الثامنة مع أنه يتعرض لذكره في

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٥٨/٣

بعض تراجم شيوخه او تلامذته وتارة يذكر شيئا من مصنفاته عند ترجمة من درس فيها أو طلبها فإهمال ترجمته من العجائب المفصحة عن نقص البشر وكان صاحب الترجمة قد اتصل بالسلطان الكبير الطاغية الشهير تيمورلنك المتقدم ذكره وجرت بينه وبين السيد الشريف الجرجاني المتقدم ذكره مناظرة في مجلس السلطان المذكور في مسئلة كون إرادة الانتقام سببا للغضب أو الغضب سببا لإرادة الإنتقام فصاحب الترجمة يقول بالأول والشريف يقول بالثاني قال الشيخ منصور الكازروني والحق في جانب الشريف وجرت بينهما أيضا المناظرة المشهورة في قوله تعالى ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾ ويقال بأنه حكم بأن الحق في ذلك مع الشريف فاغتم صاحب الترجمة ومات كمدا والله أعلم." (١)

"الوزراء في الدولة الآصفية أبقاه الله لرقي المملكة الآصفية إلى منازل عالية ونشر علوم القرآن في معالم الدين.

وهذه الجمعية تحت رياسة الاديب الجليل الدكتور النواب السير مهدى يارجنج بهادر ابن النواب عماد الملك المرحوم (١) رئيس الجمعية ونائب الوزير الاعظم، ونيابة الحسيب النسيب النواب على ياورجنج بهادر معين أمير الجامعة العثمانية نائب الرئيس، وتحت إدارة الاستاد محمد إلياس برنى، وذى المجد والكرم النواب ناظر يارجنج بهادر شريك العميد للجمعية أبقاهم الله في خدمة العلم والدين.

وقد اعتنى بتصحيح هذا الكتاب وتعليق الحواشى المفيدة الفاضل العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليماني ولله دره – فقد اجتهد في تصحيح الاسماء والانساب واستوعب النظر في الاختلاف من حديث علم الرجال ونقد الروايات ومن جهة الجرح والتعديل وساعده مولانا الفضال السيد أحمد الله الندوى ومولانا الشيخ محمد طه الندوى ومولانا محمد عادل القدوسي ومولانا السيد حسن جمال الليل المدنى ومولانا الشيخ أحمد اليماني وأنا الحقير الكاتب في المقابلة والتصحيح وأمعن النظر في تصحيحه الاستاذ الاديب العلامة عبد الله العمادى.

وهذا من العجائب أن الكاتب الحقير رأى رؤيا قبل أن

---

(١) الذى اسس هذه الجمعية المباركة سنة ١٣٠٨ هجرية وساعده المولى عبد القيوم رحمهما الله.

[*]."(٢)

"حصولها عند الفعل تثمر غايات، هذا كله لا خلاف فيه وإنما الخلاف في أنها أتوصف بكونها أغراضا وعللا غائية أم لا؟ (ﷺ١) فأثبت ذلك جماعة استدلالا بما ورد من نحو قوله تعالى: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون [الذاريات: ٥٦] ، ومنع من ذلك أصحاب الأشعري فيما عزاه إليهم الفخر في «التفسير» مستدلين بأن الذي يفعل لغرض يلزم أن يكون مستفيدا من غرضه ذلك ضرورة أن وجود ذلك الغرض أولى بالقياس إليه من عدمه، فيكون مستفيدا من تلك الأولوية ويلزم من كون ذلك الغرض سببا في فعله أن يكون هو ناقصا في فاعليته محتاجا إلى حصول السبب.

وقد أجيب بأن لزوم الاستفادة والاستكمال إذا كانت المنفعة راجعة إلى الفاعل، وأما إذا كانت راجعة للغير كالإحسان

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع الشوكاني ٢/٣٠٥

(٢) التاريخ الكبير للبخاري بحواشي المطبوع البخاري ٣٧٩/٤

فلا، فرده الفخر بأنه إذا كان الإحسان أرجح من غيره وأولى لزمت الاستفادة. وهذا الرد باطل لأن الأرجحية لا تستلزم الاستفادة أبدا بل إنما تستلزم تعلق الإرادة، وإنما تلزم الاستفادة لو ادعينا التعين والوجوب.

والحاصل أن الدليل الذي استدلوا به يشتمل على مقدمتين سفسطائيتين أولاهما قولهم إنه لو كان الفعل لغرض للزم أن يكون الفاعل مستكملا به وهذا سفسطة شبه فيها الغرض النافع للفاعل بالغرض بمعنى الداعي إلى الفعل والراجع إلى ما يناسبه من الكمال لا توقف كماله عليه. الثانية قولهم إذا كان الفعل لغرض كان الغرض سببا يقتضي عجز

الفاعل وهذا شبه فيه السبب الذي هو بمعنى الباعث بالسبب الذي يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم وكلاهما يطلق عليه سبب.

ومن العجائب أنهم يسلمون أن أفعال الله تعالى لا تخلو عن الثمرة والحكمة ويمنعون أن تكون تلك الحكم عللا وأغراضا مع أن ثمرة فعل الفاعل العالم بكل شيء لا تخلو من أن تكون غرضا لأنها تكون داعيا للفعل ضرورة تحقق علم الفاعل وإرادته. ولم أدر أي حرج نظروا إليه حين منعوا تعليل أفعال الله تعالى وأغراضها.

ويترجح عندي أن هاته المسألة اقتضاها طرد الأصول في المناظرة، فإن الأشاعرة

رحمهم الله

(رحمهم الله ١) اعلم أن الأثر المترتب على الفعل إذا نظر إليه من حيث إنه ثمرة سمي فائدة، وإذا نظر إليه من حيث إنه يحصل عند نهاية الفعل سمي غاية (لأن الغاية هي مبلغ سبق خيل الحلبة) فإذا كان مع ذلك داعيا الفاعل إلى الفعل سمي بذلك الاعتبار غرضا وسمي باعتبار حصوله عند نهاية الفعل علة غائية (لأن الغرض هو هدف الرماية فهو كالغاية في السبق) .."(١)

"أو مرض أو سلامة، ولا سيما إذا قرن باسم المسحور وصورته أو بطالع ميلاده، فذلك كله من التوهمات وليس على تأثيرها دليل من العقل ولا من الطبع ولا ما يثبته من الشرع، وقد انحصرت أدلة إثبات الحقائق في هذه الأدلة، **ومن العجائب** أن الفخر في «التفسير» حاول إثباته بما ليس بمقنع.

وقد تمسك جماعة لإثبات تأثير هذا النوع من السحر بما روي في «الصحيحين» - عن قول عائشة أن لبيد بن الأعصم سحر النبيء صلى الله عليه وسلم- ورؤيا النبيء صلى الله عليه وسلم أن ملكين أخبراه بذلك السحر، وفي النسائي عن زيد بن أرقم مثله مختصرا، وينبغي التثبت في عباراته ثم في تأويله، ولا شك أن لبيدا حاول أن يسحر النبيء صلى الله عليه وسلم فقد كان اليهود سحرة في المدينة وأن الله أطلع رسوله على ما فعله لبيد لتكون معجزة للنبيء صلى الله عليه وسلم- في إبطال سحر لبيد وليعلم اليهود أنه نبيء لا تلحقه أضرارهم وكما لم يؤثر سحر السحرة على موسى كذلك لم يؤثر سحر لبيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما عرض للنبيء صلى الله عليه وسلم عارض جسدي شفاه الله منه فصادف أن كان مقارنا لما عمله لبيد بن الأعصم من محاولة سحره وكانت رؤيا النبيء صلى الله عليه وسلم إنباء من الله لما بما صنع لبيد، والعبارة عن صورة تلك الرؤيا كانت مجملة فإن الرأي رموز ولم يرد في الخبر تعبير ما اشتملت عليه فلا تكون أصلا

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ١/ ٣٨٠

لتفصيل القصة.

ثم إن لتأثير هاته الأسباب أو الأصول الثلاثة شروطا وأحوالا بعضها في ذات الساحر وبعضها في ذات المسحور، فيلزم في الساحر أن يكون مفرط الذكاء منقطعا لتجديد المحاولات السحرية جسورا قوي الإرادة كتوما للسر قليل الاضطراب للحوادث سالم البنية مرتاض الفكر خفي الكيد والحيلة، ولذلك كان غالب السحرة رجالا ولكن كان

الحبشة يجعلون السواحر نساء وكذلك كان الغالب في الفرس والعرب قال تعالى: ومن شر النفاثات في العقد [الفلق: ٤] فجاء بجمع الإناث وكانت الجاهلية تقول إن الغيلان عجائز من الجن ساحرات فلذلك تستطيع التشكل بأشكال مختلفة، وكان معلمو السحر يمتحنون صلاحية تلامذتهم لهذا العلم بتعريضهم للمخاوف وأمرهم بارتكاب المشاق تجربة لمقدار عزائمهم وطاعتهم.

وأما ما يلزم في المسحور فخور العقل، وضعف العزيمة، ولطاقة البنية، وجهالة العقل،." (١)

"والإشفاق: توقع المكروه والحذر منه.

والشرط الذي في قوله تعالى: ومن يقل منهم إني إله من دونه إلخ ... شرط

على سبيل الفرض، أي لو قاله واحد منهم مع العلم بأنهم لا يقولونه لأجل ما تقرر من شدة خشيتهم. فالمقصود من هذا الشرط التعريض بالذين ادعوا لهم الإلهية بأنهم ادعوا لهم ما لا يرضونه ولا يقولونه، وأنهم ادعوا ما يوجب لقائله نار جهنم على حد ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك [الزمر: ٦٥] .

وعدل عن (إن) الشرطية إلى (من) الشرطية للدلالة على العموم مع الإيجاز. وأدخل اسم الإشارة في جواب الشرط لتحقيق التعليق بنسبته الشرط لأداته للدلالة على جدارة مضمون الجزاء بمن ثبت له مضمون الشرط، وفي هذا إبطال لدعوى عامة النصارى إلهية عيسى عليه السلام وأنهم يقولون عليه ما لم يقله. ثم صرح بما اقتضاه التعريض فقال تعالى كذلك نجزي الظالمين أي مثل ذلك الجزاء وهو جهنم يجزي المثبتين لله شريكا.

والظلم: الشرك.

[٣٠]

[سورة الأنبياء (٢١) : آية ٣٠]

أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون (٣٠)

أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما قرأ الجمهور أولم- بواو بعد الهمزة- وهي واو العطف، فالجملة معطوفة عطف الاستدلال على الخلق الثاني بالخلق الأول وما فيه **من العجائب**. وقرأ ابن كثير ألم ير بدون واو عطف.

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٦٣٤/١

قال أبو شامة: ولم تثبت الواو في مصاحف أهل مكة. قلت: معناه أنها لم تثبت في المصحف الذي أرسل به عثمان إلى مكة فالتزم قراء مكة رواية عدم الواو إلى أن قرأ بها ابن كثير، وأهملت غير قراءته.." (١)

"[سورة نوح (٧١) : الآيات ١٥ إلى ١٦]

ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقا (١٥) وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا (١٦)

إن كان هذا من حكاية كلام نوح عليه السلام لقومه كما جرى عليه كلام المفسرين، كان تخلصا من التوبيخ والتعريض إلى الاستدلال عليهم بآثار وجود الله ووحدانيته وقدرته، مما في أنفسهم من الدلائل، إلى ما في العالم منها، لما علمت من إيذان قوله: وقد خلقكم أطوارا [نوح: ١٤] من تذكير بالنعمة وإقامة للحجة، فتخلص منه لذكر حجة أخرى، فكان قد نبههم على النظر في أنفسهم أولا لأنها أقرب ما يحسونه ويشعرون به ثم على النظر في العالم وما سوي فيه من العجائب الشاهدة على الخالق العليم القدير.

وإن كان من خطاب الله تعالى للأمة وهو ما يسمح به سياق السورة من الاعتبار بأحوال الأمم الماضية المساوية لأحوال المشركين كان هذا الكلام اعتراضا للمناسبة.

والهمزة في ألم تروا للاستفهام التقريري مكنى به عن الإنكار عن عدم العلم بدلائل ما يرونه.

والرؤية بصرية. ويجوز أن تكون علمية أي ألم تعلموا فيدخل فيه المرئي من ذلك.

وانتصب كيف على المفعول به ل تروا، ف كيف هنا مجردة عن الاستفهام متمحضة للدلالة على الكيفية، أي الحالة.

والمعنى: ألستم ترون هيئة وحالة خلق الله السماوات.

والسماوات: هنا هي مدارات بمعنى الكواكب فإن لكل كوكب مدارا قد يكون هو سماءه.

وقوله: سبع سماوات يجوز أن يكون وصف سبع معلوما للمخاطبين من قوم نوح، أو من أمة الدعوة الإسلامية بأن يكونوا علموا ذلك من قبل فيكون مما شمله فعل ألم تروا. ويجوز أن يكون تعليما للمخاطبين على طريقة الإدماج، ولعلهم كانوا سلفا للكلدانيين في ذلك.

وطباقا: بعضها أعلى من بعض، وذلك يقتضي أنها منفصل بعضها عن بعض وأن بعضها أعلى من بعض سواء كانت متماسة أو كان بينها ما يسمى بالخلاء.." (٢)

"والآية أيضا صريحة في أنه إذا لم يحصل الشرطان معا: البلوغ والرشد، لا يدفع المال للمحجور. واتفق على ذلك عامة علماء الإسلام، فمن لم يكن رشيدا بعد بلوغه يستمر عليه الحجر، ولم يخالف في ذلك إلا أبو حنيفة. قال: ينتظر سبع سنين بعد البلوغ فإن لم يؤنس منه الرشد أطلق من الحجر. وهذا يخالف مقتضى الشرط من قوله تعالى:

فإن آنستم منهم رشدا لأن أبا حنيفة لا يعتبر مفهوم الشرط، وهو أيضا يخالف القياس إذ ليس الحجر إلا لأجل السفه وسوء التصرف فأي أثر للبلوغ لولا أنه مظنة الرشد، وإذا لم يحصل مع البلوغ فما أثر سبع السنين في تمام رشده.

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٥٢/١٧

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٠٢/٢٩

ودلت الآية بحكم القياس على أن من طرأ عليه السفه وهو بالغ أو اختل عقله لأجل مرض في فكره، أو لأجل خرف من شدة الكبر، أنه يحجر عليه إذ علة التحجير ثابتة، وخالف في ذلك أيضا أبو حنيفة. وقال: لا حجر على بالغ.

وحكم الآية شامل للذكور والإناث بطريق التغليب: فالأنثى اليتيمة إذا بلغت رشيدة دفع مالها إليها.

والتنكير في قوله: رشدا تنكير النوعية، ومعناه إرادة نوع الماهية لأن المواهي العقلية متحدة لا أفراد لها، وإنما أفرادها اعتبارية باعتبار تعدد المحال أو تعدد المتعلقات، فرشد زيد غير رشد عمرو، والرشد في المال غير الرشد في سياسة الأمة، وفي الدعوة إلى الحق، قال تعالى: وما أمر فرعون برشيد [هود: ٩٧] ، وقال عن قوم شعيب إنك لأنت الحليم الرشيد [هود: ٨٧] . وماهية الرشد هي انتظام الفكر وصدور الأفعال على نحوه بانتظام، وقد علم السامعون أن المراد هنا الرشد في التصرف المالي، فالمراد من النوعية نحو المراد من الجنس، ولذلك ساوى المعرف بلام الجنس النكرة، **فمن العجائب** توهم الجصاص أن في تنكير (رشدا) دليلا لأبي حنيفة في عدم اشتراط حسن التصرف واكتفائه بالبلوغ، بدعوى أن الله شرط رشدا ما وهو صادق بالعقل إذ العقل رشد في الجملة، ولم يشترط الرشد كله. وهذا ضعف في العربية، وكيف يمكن العموم في المواهي العقلية المحضة مع أنها لا أفراد لها. وقد أضيفت الأموال هنا إلى ضمير اليتامى: لأنها قوي اختصاصها بهم عند ما صاروا رشداء فصار تصرفهم فيها لا يخاف منه إضاعة ما للقرابة ولعموم الأمة من الحق في الأموال.." (١)

"وبضعف ديانته. ومن السلف من قال:

الذنوب كلها سواء إن كانت عن عمد. وعن أبي إسحاق الإسفرائيني أن الذنوب كلها سواء مطلقا، ونفى الصغائر. وهذان القولان واهيان لأن الأدلة شاهدة بتقسيم الذنوب إلى قسمين، ولأن ما تشتمل عليه الذنوب من المفاسد متفاوت أيضا، وفي الأحاديث الصحيحة إثبات نوع الكبائر وأكبر الكبائر.

ويترتب على إثبات الكبائر والصغائر أحكام تكليفية: منها المخاطبة بتجنب الكبيرة تجنبا شديدا، ومنها وجوب التوبة منها عند اقترافها، ومنها أن ترك الكبائر يعتبر توبة من الصغائر، ومنها سلب العدالة عن مرتكب الكبائر، ومنها نقض حكم القاضي المتلبس بها، ومنها جواز هجران المتجاهر بها، ومنها تغيير المنكر على المتلبس بها. وتترتب عليها مسائل في أصول الدين: منها تكفير مرتكب الكبيرة عند طائفة من الخوارج، التي تفرق بين المعاصي الكبائر والصغائر واعتباره منزلة بين الكفر والإسلام عند المعتزلة، خلافا لجمهور علماء الإسلام. **فمن العجائب** أن يقول قائل: إن الله لم يميز الكبائر عن الصغائر ليكون ذلك زاجرا للناس عن الإقدام على كل ذنب، ونظير ذلك إخفاء الصلاة الوسطى في الصلوات، وليلة القدر في ليالي رمضان، وساعة الإجابة في ساعات الجمعة، هكذا حكاه الفخر في التفسير، وقد تبين ذهول هذا القائل، وذهول الفخر عن رده، لأن الأشياء التي نظروا بها ترجع إلى فضائل الأعمال التي لا يتعلق بها تكليف فإخفاؤها يقصد منه الترغيب في توخي مظانها ليكثر الناس من فعل الخير، ولكن إخفاء الأمر المكلف به إيقاع في الضلالة، فلا يقع ذلك من الشارع.

والمدخل- بفتح الميم- اسم مكان الدخول، ويجوز أن يكون مصدرا ميميا.

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٤/٢٤٣

والمعنى: ندخلكم مكانا كريما، أو ندخلكم دخولا كريما. والكريم هو النفيس في نوعه.

فالمراد إما الجنة وإما الدخول إليها، والمراد به الجنة. والمدخل- بصم الميم- كذلك مكان أو مصدر أدخل. وقرأ نافع، وأبو جعفر: «مدخلا» - بفتح الميم- وقرأ بقية العشرة- بضم الميم-.." (١)

"وإلى كثير من المجاورين بل كان شأنه السعي في مصالح المسلمين وحوائجهم وهو السبب في إنشاء الرباط المنسوب إلي وله فضائل كثيرة في علوم أجلها الفروع والأصول والنحو وفي مجاورته الأولى سكن مبرك الناقة وقد رأيته خلاء قبل قدومه بأيام يسيرة من مجاورته الأخرى فنزل فيه أيضا وكان هذا **من العجائب** وقال الوالي العراقي وترافق هو ووالدي على الخروج للمجاورة في شهر ربيع الأول سنة ثمان وستين وكنت معهما وجميع عيال الوالد فبدأ بالمدينة فأقام بها مدة أشهر كتب فيها بخطه ألفية الوالد وحضر تدريسها في تلك المجاورة عنده وخرجا إلى مكة وكان لي منه حظ كبير من الإحسان والملاطفة انتهى ورأيت من تصانيفه بالمدينة شرح اللمحة البدرية في علم العربية لشيخه أبي حيان سماه المنحة السنية وهو في كراريس ومولده سنة ست وسبعمائة واشتغل بالعلم وهو ابن عشرين سنة وتفقه بالسنباطي والسبكي ونحوهما وأخذ العربية عن أبي الحسن الأنصاري والد ابن الملقن وأبي حيان وسمع الحديث على ابن القماح وابن عبد الهادي والميدومي وحدث ومهر في الفنون وبرع واختصر الكفاية في ست مجلدات وكذا التنبيه فصحح على قاعدة المتأخرين ثم اختصره مقتصرا على الراجح وهو لطيف كثير الفائدة سهل التناول بحيث رأيته بخط شيخنا ولكنه قال إنه لم يرزق حظ الحاوي الصغير وعمل تصحيح المهذب مع تخريج أحاديثه وضبط لغاته وأسمائه في مجلدين ونكت المنهاج في ثلاث مجلدات كثير الفائدة وغير ذلك وكان وقورا ساكنا خاشعا قانعا انتفع عليه الطلبة وتخرج به الفضلاء ذكره الأسنوي في طبقاته وقال كان أبوه روميا من نصارى أنطاكية فوقع في سهم بعض الأمراء فرباه وأعتقه وباشر النقابة لبعض الأمراء فعرف بالنقيب ثم انقطع وتصوف بالبيبرسية ولزم الخير والعبادة ونشأ له ولده الشهاب على قدم جيد فكان أولا بزي الجند ثم حفظ القرآن وقرأ بالسبع ثم اشتغل بالعلم وله عشرون سنة فلازم إلى أن مهر قال وكان عالما بالفقه والقراءات والتفسير والأصول والنحو ويستحضر من الأحاديث شيئا كثيرا - خصوصا المتعلقة بالأوراد والفضائل - ذكيا أديبا شاعرا فصيحا صالحا ورعا متواضعا طارحا للتكلف متصوفا كثير المودة كثير البر خصوصا لأقاربه حسن الصوت بالقراءة كثير الحج والمجاورة بمكة والمدينة كثير النصح والمحبة لأصحابه وافر العقل مواظبا على الأشغال والاشتغال والتصنيف لا أعلم في هذا العلم بعده من اشتمل على صفاته ولا على أكثرها وشرع في تصنيف أشياء لم تكمل وبالجملة فهو ممن نفع الله به وبتصانيفه ولم يكتب قط على فتيا تورعا ولا ولي تدريسا وكان مع تشدده في العبادة حلو النادرة كثير الانبساط فيه دعابة زائدة حفظ عنه في أشياء لطيفة انتهى وقد سأله صاحبه الجمال الأسنوي تدريس الفاضلية فامتنع ومات قبله مطعونا في رابع عشر." (٢)

"دامغ للبدعة وقرأ مرسوماه بالوظيفتين في يوم واحد على مكة المؤذنين بعد صلاة الجمعة وذاك أول سنة سبع وستين وله التصانيف الحسنة والدروس المفيدة متع الله المسلمين ببقائه وطول المجد ترجمته فقال: كان من أفاضل الدهر وأماثل

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٧/٥

(٢) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة السخاوي، شمس الدين ١٢٧/١

العلماء وأوحد الزمان وفريد الأقران الراقي مراقي الأعلام بالبنان واللسان والأقلام مع القريحة الوقادة والبصيرة النقادة والجريدة التي بها ساد القادة وقاد السادة تفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة وحوى من الفنون العلم كل نخبة طريفة وألقى بالآخر نزائره على علوم الأحاديث الشريفة وفرع بها من فنون المعالي كل قبة مع نظم مخترع في ارتجاله الأفكار ويسرع في محاله الأفكار ويطلع في عياصة الأنوار ويبتدع في رياضة الأزهار وينشر فضله والفضائل حاله ونجمه في أفق المعالي عال ومصنفات بروق الطالبين ومؤلفات تسوق المستفيدين ودروس أحيت علم النعمان بعدما درس وفوائد ما في قلوب الطلاب من العلم ما غرس ولي عام سبع وستين وسبعمائة وظيفتي الحكم والحسبة ولما كان أنصاريا قام بنصر سنة المصطفى قياما صحح به نسبة دفع بسيف بأسه البدعة وأهلها وأنه ببركة سميه المرتضى قدمت خلائق الخلائق حزنها وسهلها وإن لم يكن سمي بالملة الحنفية فمن لها وكان له إلى الديار المصرية ترداد ووفادة كلما تكررت جعلت واتفق له في عام أحد وسبعين دخول العراق وأقام مدة ببغداد وافى بأسماع الحديث ما دثر من عالمه وباد وأجاد وأفاد وأبدا وأعاد ورفع أركان السنة وأساد وتلقى بالإكرام والأمجاد وحسن الإصدار والإيراد وبعد إكمال عامه رجع إلى وطنه ومقامه وفي الحجة عام ثلاث وسبعين عقب صدوره من مصر أدركه الأجل المحتوم وظهر له الأمد المكتوم وأعقب أولادا كراما كل منهم بلغ من الفضل مراما أنشدني رحمه الله من شعره من قصيدة طويلة:

أشتاق قربك والليالي تبعد ... وأروم عطفك والزمان ينكد

ما غير الهجر المقيم ولا الجفا ... ما كنت من حسن المود تعهد

إن كان في تلفي رضاك فإنني ... أهوى هواك وأبتغي ما يقصد

أعلمت أن السقم بعدك لم يدع ... لي.........

ومن العجائب أنني لك سائل ... والدمع مني سائل متبدد

٣١٠٤ - علي بن يوسف بن عزيز المدني الإمامي: وعنه الأقشهري كيفية في السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه بالقاضي المشاور صفي الأشراف صفي الدين وقال: أصلح الله سريرته كما أصلح علانيته وإنه أملاها عليه بالحرم الشريف المدني من لفظه وذكره ابن صالح فقال: كان فقيها ذا جاه ومال ودربة." (١)

"عليه في التفسير لكن ما عنده درس في القرآن، فينبغي أن يتخطى هذا الأمر، وإن كان تلقين الحروف وتصويب وتصحيح القراءة قد يحصل ممن دون الطبقة العليا، لكن ينبغي أيضا أن يكونوا قدوات، يعني سمعت عن أساتذة في الجامعة دكاترة في الأحساء يقرئون القرآن ويلقنون القرآن وهذه منقبة حقيقة يعني، صحيح أنها اندرست عندنا لكنها منقبة لهم، وما المانع أن يكون بداية الدرس تسميع وحفظ للقرآن وتصحيح للقرآن وشرح لبعض مفرداته؟ في أول الدرس ثم بعد ذلك تقرأ العلوم الأخرى؛ لأن القرآن ينبغي أن يكون منطلق لكل عالم وكل متعلم، ففيه كل ما يحتاجه طالب العلم، لكننا تربينا على غير هذا مع الأسف، وجعل القرآن لأناس يتخصصون به ويعتنون به، لكن القرآن هم كل مسلم، وقاسم مشترك لجميع المعلمين والمتعلمين، ما يمكن أن يستغني عنه أحد.

---

(١) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة السخاوي، شمس الدين ٣٠٧/٢

ثم قال: " ﴿وفي أنفسكم﴾ [(٢١) سورة الذاريات] آيات أيضا" في الأرض آيات، في الأرض: خبر مقدم، جار ومجرور متعلق بمحذوف تقديره كائن أو مستقر، خبر مقدم آيات مبتدأ مؤخر، وسوغ الابتداء بالنكرة تقدم الخبر، يعني تأخيره يسوغ الابتداء به.

ونحو عندي درهم ولي وطر ... ملتزم فيه تقدم الخبر

﴿وفي أنفسكم﴾ [(٢١) سورة الذاريات] وهو أيضا خبر مقدم أو متعلق بمحذوف خبر مقدم، آيات: تقدير المبتدأ محذوف مقدر "آيات أيضا من مبدأ خلقكم إلى منتهاه، وما في تركيب خلقكم **من العجائب**" ﴿أفلا تبصرون﴾ [(٢١) سورة الذاريات] يعني من الغفلة أن يطلب الإنسان الشيء البعيد ويترك القريب، يطلب وينظر إلى الشيء البعيد والذي بين يديه يتركه لا ينظر في خلقه، لا يتفكر في خلقه، ليرى العجب العجاب.." (١)

"لا تحيد يمينا ولا شمالا مع أنها ليس فيها أخاديد وتجري من تحتهم، وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، يعني هل يخطر على قلب بشر أن النهر يجري من تحت الإنسان؟ لا يصيبه، وليس فيه أخدود، ولا يميل يمينا ولا شمالا، يعني **من العجائب** أن يوجد عين تنبع عين ضعيفة جدا تنبع وتسير على الأرض، وتقصد الجهة المرتفعة دون النازلة يعني هذا شيء مذهل بالنسبة للإنسان؟ هذا شيء مذهل، يعني وجدت هذه في الدنيا فكيف بأنهار الجنة، يعني الناس ينظرون إلى هذا العين وهي ضعيفة جدا تنبع من الأرض والأرض قريبة من الاستواء إلا أن جهة من جهاتها فيها شيء من الارتفاع وتصعد، هذه بالنسبة لعقل البشر وتقدير البشر ووسائل البشر فيها شيء من الاستغراب، لكن فكيف بهذه الأنهار، أنهار تتدفق تجري من تحتهم، وهذا نهر ماء، وهذا نهر لبن، وهذا نهر خمر، وهذا نهر عسل، وكلها من غير أخاديد ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ [(١٧) سورة السجدة] فهذه الأمور حقيقة ينبغي أن يقف عندها المسلم لا سيما طالب العلم؛ لأنها تحدوه إلى العمل.

منهم من فسر ﴿نهر﴾ بالضياء أخذا من النهار الذي فيه الضياء، ﴿في جنات﴾ وضياء لا ظلام؛ لأن بساتين الدنيا بأشجارها قد تحجب هذه الأشجار الأنوار، فيكون فيه شيء من الظلام لا سيما فجر الليل وما قرب منه، يقول: ﴿ونهر﴾ فيه ضياء، وذكروا في هذا قول الشاعر:

لست بليل ولكني نهر ... لا أدرج الليل ولكن أبتكر

يعني من النهار نهاري وليس بليلي ما يسهر، وعمله كله بالنهار، على كل حال هذا قول فيه بعد والنهر واحد الأنهار، وأثر الإفراد مراعاة لرؤوس الآي.." (٢)

"قلت: ويدل على صحة هذا قوله تعالى: ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ [(٤٥) سورة النور] المشي على البطن للحيات والحوت، ونحوه من الدود وغيره، وعلى الرجلين للإنسان والطير إذا مشى، والأربع لسائر الحيوان، وفي مصحف أبي: ومنهم من يمشي على أكثر، فعم بهذه الزيادة جميع الحيوان كالسرطان والخشاش ..

---

(١) التعليق على تفسير الجلالين - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ٥/١٠

(٢) التعليق على تفسير الجلالين - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ٢٥/١٩

لكن هل يوجد له أربع ويمشي على اثنتين، له أربع ومشيه على اثنتين؟

طالب: الكنغر.

الشيخ: الكنغر، لكن أنا ما وجدته في حياة الحيوان، ما وجدت اسمه هذا في حياة الحيوان، ما وجدته بهذا الاسم، هو له اسم ثان؟ هو معروف الحيوان هذا له يدان قصيرتان ويمشي على رجلين.

طالب:. . . . .

الشيخ: ما اسمه؟

طالب. . . . .

الشيخ: قفزه على الأربع، لكن هذا على رجلين فقط، **من العجائب**، لكن أحد يعرف اسمه؟ لأني ما وجدته في حياة الحيوان بهذا الاسم؟

طالب: ما أعرف، ذكره هو؟

الشيخ: لا ما ذكره، هو ذكر عن. . . . . أن طوله ستة أشبار، يعني إلى كم؟ إلى ١٥٠سم، يعني متر ونصف، الله المستعان، في بعض الحيوانات لا شك أنها تخفى علينا، والأسماء تختلف من بلد إلى آخر.

طالب:. . . . .

الشيخ: لا عاد جعله مقياس الشبه، متردد بين الوزغ والضب.

طالب:. . . . .

الشيخ: يعني شبهه، بين الوزغ والضب، من أجازه قال: هو مثل الضب، ومن منعه قال: مثل الوزغ.

ولكنه قرآن لم يثبته إجماع، لكن قال النقاش: إنما اكتفى في القول بذكر ما يمشي على أربع عن ذكر ما يمشي على أكثر؛ لأن جميع الحيوان إنما اعتماده على أربع، وهي قوام مشيه، وكثرة الأرجل في بعضه زيادة في خلقته لا يحتاج ذلك الحيوان في مشيه إلى جميعها ..

لأنه يستقيم على أربع سواء كان في وقوفه أو في مشيه، لكن إذا كان طويلا وهذه الأربع قصيرة لا شك أنه يحتاج إلى شيء يدعم هذه الأربع، تشوفون السيارات يعني غالبها على أربع كفرات، لكن بعضها لطولها تحتاج إلى داعم، يعني الزواحف هذه أم سبع وسبعين، وأم أربع وأربعين لها أرجل كثيرة، لكن لو كانت أربع فقط؟ تحتاج إلى ما يدعمها فيكون هذا هو الغالب، وهذا شيء نادر.." (١)

"بالثمار والأنهار (رَحِمَهُ اللَّهُ ١)، وقيل: بمن جعلنا حوله من الأنبياء والصالحين (رَحِمَهُ اللَّهُ ٢)، وهو قول مجاهد؛ قال: لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة (رَحِمَهُ اللَّهُ ٣).

وقوله تعالى: ﴿لنريه من آياتنا﴾، يعني ما رأى في تلك الليلة **من العجائب** والآيات التي تدل على قدرة الله وعظمته،

---

(١) التعليق على تفسير القرطبي - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ١٠/١٢

وأخبر بها الناس من غد تلك الليلة (وهي معروفة مشهورة في الأخبار.

﴿إنه﴾ أي الذي أسرى بعبده، ﴿هو السميع البصير﴾، قال العلماء في هذه الآية: أخبر الله تعالى عن إسرائه بعبده) (رحمه الله٤) إلى بيت المقدس ليلا، وأصبح بمكة وأخبر أهلها بذلك فلم يصدقوه حتى بين لهم العلامات التي رآها في الطريق، ووصف لهم المسجد، ولم يكن رآه قبل ذلك، وكان الأمر على ما قال فثبت بذلك صدقه وظهر إعجازه (رحمه الله٥)، ثم أخبر هو -صلى الله عليه وسلم- أنه

رحمه الله__________

(رحمه الله١) ورد بنحوه في "تفسير مقاتل" ١/ ٢١١ أ، و"معاني القرآن" للفراء ٢/ ١١٥، و"معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ٢٢٥، و "معاني القرآن" للنحاس ٤/ ١١٩، و"تفسير السمرقندي" ٢/ ٢٥٩، و"الثعلبي" ٧/ ٩٣ ب، و"الماوردي" ٣/ ٢٢٦، و"الطوسي" ٦/ ٤٤٦، انظر: "تفسير ابن عطية" ٩/ ١٠، و"ابن الجوزي" ٥/ ٥، و"الفخر الرازي" ٢٠/ ١٤٦، و"القرطبي" ١٠/ ٢١٢، و"الخازن" ٣/ ١٤٥، و"ابن كثير" ٣/ ٣، و"الدر المنثور" ٥/ ٢٣٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(رحمه الله٢) ورد في "تفسير الطوسي" ٦/ ٤٤٧ بنصه، انظر: "تفسير القرطبي" ١٠/ ٢١٢.

(رحمه الله٣) ليس في تفسيره، وورد في "تفسير الثعلبي" ٧/ ٩٣ ب بنصه، و"الماوردي" ٣/ ٢٢٦ بنصه، انظر: "تفسير البغوي" ٥/ ٥٨، وبلا نسبة في "تفسير ابن الجوزي" ٥/ ٥، و"الفخر الرازي" ٢٠/ ١٤٦، و"الخازن" ٣/ ١٤٥.

(رحمه الله٤) ما بين القوسين كتب على الهامش في نسخة (أ).

(رحمه الله٥) ورد بنحوه في "تفسير مقاتل" ١/ ٢١١ أ، و"معاني القرآن" للفراء ٢/ ١١٦، و"معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ٢٢٦، و"تفسير هود الهواري" ٢/ ٤٠٦، و"الثعلبي" ٧/ ٩٩ ب، و"الطوسي" ٦/ ٤٤٦.." [1]

"نكرا﴾ على المفعول به؛ لأن المعنى: أتيت شيئا نكرا. قال الزجاج: (ويجوز أن يكون معناه جئت بشيء نكر، فلما حذف الباء أمضى الفعل فنصب) (رحمه الله١).

٧٦ - قوله تعالى: ﴿قال إن سألتك عن شيء بعدها﴾ قال أهل المعاني: أراد إن سألتك سؤال توبيخ وإنكار، كما قال في السفينة: ﴿أخرقتها﴾ وفي الغلام: ﴿أقتلت نفسا﴾ وذاك أن السؤال على وجوه: منه ما هو: طلب الأخبار عن المعنى للفائدة، ومنه ما هو: للتقرير، ومنه ما هو: للتوبيخ. والكناية في قوله: ﴿بعدها﴾ تعود إلى النفس المقتولة.

وقوله تعالى: ﴿قد بلغت من لدني عذرا﴾ قال ابن عباس: (يريد أنك قد أعذرت فيما بيني وبينك، وقد أخبرتني أني لا أستطيع معك صبرا) (رحمه الله٢). وقال أهل المعاني: (هذا إقرار من موسى بأن الخضر قد قدم إليه ما يوجب العذر عنده، فلا يلزمه ما أنكر) (رحمه الله٣).

وروي: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- تلا هذه الآية فقال: "استحيا نبي الله موسى عندها، ولو صبر لرأى ألفا **من العجائب**" (رحمه الله٤).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٤٩/١٣

ﷺ________________

(ﷺ١)؛ "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٣٠٣.

(ﷺ٢) "زاد المسير" ٥/ ١٧٥.

(ﷺ٣) ذكره نحوه "المحرر الوجيز" ٩/ ٣٦٧، "إعراب القرآن" للنحاس ٢/ ٢٨٦.

(ﷺ٤) أخرجه البخاري في التفسير، سورة الكهف ٨/ ٤٠٩، ومسلم في الفضائل، باب فضائل الخضر ٤/ ١٨٥١، وأخرجه ابن جرير في "تفسيره" ١٥/ ١٨٦، والترمذي في الدعوات، باب ما جاء أن الداعي يبدأ بنفسه ٥/ ٤٦٣، وأبو داود في "سننه"كتاب الحروف والقراءات ٤/ ٢٨٦، وابن أبي شيبة في "المصنف" ١٠/ ٢١٩، والحاكم في "المستدرك" ٢/ ٥٧٤، وأورده السيوطي في "الدر" ٤/ ٤٢٨.." [1]

"لولا أن التوقيف ورد بما هي الآن معدودة آيات (ﷺ١).

قال ابن الأنباري: وفي الآية قول ثالث: وهو أن تكون (ﷺ٢) سميت آية، لأنها عجب، وذلك أن قارئها إذا قرأها يستدل على مباينتها (ﷺ٣) كلام المخلوقين، ويعلم أن العالم يعجزون عن التكلم بمثلها، فتكون الآية العجب من قولهم: (فلان آية من الآيات) أي عجب **من العجائب** (ﷺ٤) فهذا هو القول في معنى الآية.

فأما وزنها من (ﷺ٥) الفعل، فقال الفراء (ﷺ٦): إنما تركت العرب همز (ياء) آية، كما يهمزون كل (ياء) بعد الألف ساكنة نحو: قائل وغائب (ﷺ٧) وبابه،

ﷺ________________

(ﷺ١) أنظر: "البرهان في علوم القرآن" ١/ ٢٦٧، "الإتقان" ١/ ٢٣٠. قال الزمخشري: (هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور) "الكشاف" ١/ ١٠٥.

(ﷺ٢) في (أ)، (ج): (يكون) واخترت ما في (ب) لأنه هو الصواب موافق لكلام ابن الأنباري في "الزاهر" ١/ ١٧٣.

(ﷺ٣) في (أ): (مبانيتها) وما في (ب)، (ج) هو الصواب وموافق لما في "الزاهر".

(ﷺ٤) "الزاهر" ١/ ١٧٣، وانظر: "زاد المسير" ١/ ٧٢. وخلاصة القول في معنى الآية: أنها تطلق في اللغة على:

١ - المعجزة،

٢ - العلامة،

٣ - العبرة،

٤ - الأمر العجيب،

٥ - الجماعة،

٦ - البرهان والدليل.

(ﷺ٥) (من) ساقطة من (ج).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٩٣/١٤

(رحمه الله٦) كلام الفراء ورده على الكسائي ذكره ابن منظور في "لسان العرب" عن كتاب (المصادر) للفراء، ولعله نقله عن "تهذيب اللغة"، ولم أجد مبحث (آية) في المطبوع من "تهذيب اللغة"، انظر: "اللسان" (ايا) ١/ ١٨٥. (والآية) وزنها من الفعل – عند الفراء: (فعلة) وعند الخليل (فعلة) أصلها (أيية)، وعند الكسائي (فاعلة)، أنظر: "الزاهر" ١/ ٣٤٢، "تفسير ابن عطية" ١/ ٧١ – ٧٢، "المفردات في غريب القرآن" ص ٣٣، "فوائد في تأويل المشكل" ص ٦٨، "البرهان" ١/ ٢٦٦، "الدر المصون" ١/ ٣٠٨، "الخزانة" ٦/ ٥١٧، وقد ذكر في أصلها ستة وجوه.

(رحمه الله٧) (قائل وغائب) مكانها بياض في (ج).." [1]

"وقال الزجاجي: (برق) بصر فلان، يبرق برقا (إذا) (رحمه الله١) تحير، والأصل فيه أن يكثر الإنسان من النظر إلى لمعان البرق، فيؤثر ذلك في ناظره، ثم يستعمل ذلك في كل حيرة، وإن لم يكن هناك نظر إلى البرق كما يقال: قمر بصره، إذا فسد من النظر إلى القمر، ثم استعير في الحيرة، وكذلك يفكر الرجل في أمره، أي تحير ودهش. وأصله من قولهم: بعلت المرأة، إذا فاجأها زوجها فنظرت إليه وتحيرت، وكذلك: ذهب إذا نظر إلى الذاهب الكثير، فجاز، كل ذلك بين في معنى الحيرة، والأصل لغيرها (رحمه الله٢).

قال قتادة: برق البصر: شخص البصر (رحمه الله٣).

وقول مقاتل: وذلك لما يرى **من العجائب** التي يكذب بها فيبرق بصره، ولا يكاد يطرق (رحمه الله٤).

وقال عطاء: يريد عند الموت (رحمه الله٥).

وقال الكلبي: ذلك عند رؤية جهنم تبرق أبصار الكفار (رحمه الله٦).

رحمه الله________________

(رحمه الله١) ساقطة من (أ).

(رحمه الله٢) "التفسير الكبير" ٣٠/ ٢١٩، ونسبه إلى الزجاج، غير أني لم أجده عند الزجاج، فلعله تصحيف، والمراد به الزجاجي، كما هو في الأصل عند الواحدي، ولم أعثر على مصدر قول الزجاجي فيما بين يدي من مراجعه.

(رحمه الله٣) "جامع البيان" ٢٩/ ١٨٠، و"الكشف والبيان" ١٣: ٥/ أ، و"معالم التنزيل" ٤/ ٤٢٢، و"الدر المنثور" ٨/ ٣٤٤ وعزاه إلى عبد الرزاق –ولم أجده عنده–، وعبد ابن حميد، وابن المنذر.

(رحمه الله٤) "تفسير مقاتل" ٢١٧/ ب، و"الكشف والبيان" ١٣/ ٥/ أ، و"معالم التنزيل" ٤/ ٤٢٢.

(رحمه الله٥) انظر: "الجامع لأحكام القرآن" ١٩/ ٩٤، و"فتح القدير" ٥/ ٣٣٧ وهو مروي عن مجاهد وغيره في كلا المرجعين.

(رحمه الله٦) "معالم التنزيل" ٤/ ٤٢٢.." [2]

"او دهش فلم يبصر وقال الفراء والخليل برق بالكسر اى تحير وفزع لا يرى **من العجائب** التي كان يكذبها فى الدنيا قيل ذلك عند الموت والصحيح انه يوم القيامة بقرينة ما عطف عليه.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٢٢/٢

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٤٨٥/٢٢

وخسف القمر اى اظلم وذهب ضوءه.
وجمع الشمس والقمر أسودين مكورين قيل معناه انهما يطلعان معا من المغرب اية للقيامة والخسوف مستعار للمحاق وقيل عطاء بن يسار يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان فى البحر فتكون نار اله الكبرى وقيل يجمع بينهما فى ذهاب الضوء وعن جمل برق البصر إلخ على ما قيل الموت لفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجميع باستتباع الروح الحاسة فى الذهاب او لوصوله الى مكان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف وإذا مضاف الى البرق والخسف والجمع ظرف لقوله.
يقول الإنسان والجملة الكاملة معطوفة على مضمون قوله بلى قادرين اى بلى نجمع العظام فيقول الإنسان الكافر اين المفر يقول ذلك إذا برق البصر إلخ يومئذ بدل من إذا برق إلخ أين المفر مقول ليقول.
كلا ردع من طلب المفر بيانه لا وزر اى لا ملجأ ولا حصن مستعار من الجبل فانهم كانوا يلجؤن بالجبل واستقامة من أنوار بمعنى الثقل.
إلى ربك يومئذ المستقر
ط المصير والمرجع والى مشيته وحكمه موضع قرارهم.
ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر
قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح او شيء وما اخر بعد موته من سنته حسنة او سيئة يعمل وقال قتادة بما قدم من طاعه الله وما اخر منه فضيعه وقال مجاهد باول عمله وآخره وقال زيد بن اسلم بما قدم من أمواله لنفسه وما اخر لورثته وقيل بما قدم واخر بمعنى بل قدم امور الدنيا على امور الاخرة او بالعكس.
بل الإنسان على نفسه بصيرة
اى يبصر بتذكير ما عمل فى الدنيا لا يحتاج الى الانباء والهاء للمبالغة نظيره قوله تعالى كفى بنفسك اليوم حسيبا كذا قال ابو العالية وعطاء ورواه البغوي عن ابن عباس ويحتمل ان يكون بصيرة صفة لمحذوف تقديره بل الإنسان عين بصيرة على نفسه وعلى التقديرين على نفسه متعلق ببصيرة وهو خبر الإنسان والبصيرة بمعنى الحجة كما فى قوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم اى الإنسان هو حجة بينة على نفسه شاهد عليها وحينئذ على نفسه ظرف مستقر خبره بصيرة والجملة خبر الإنسان ويحتمل ان يراد." (١)

"ونبيا من الصلحين ثم أهوى النبي صلى الله عليه وسلم الى قذاة من الأرض فاخذها وقال كان ذكره مثل هذه القذاة- اخرج عبد الرزاق فى تفسيره عن قتادة موقوفا وابن عساكر فى تاريخه عن معاذ بن جبل مرفوعا ان يحيى عليه السلام مر فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقنا ونبيا ناشيا من أصلاب الصالحين (٣٩) يعنى النبيين المعصومين او كائنا من عداد من لم يأت صغيرة ولا كبيرة-.
قال زكريا مناجيا الى الله سبحانه من غير التفات الى جبرئيل رب أنى يكون لي غلام صدر هذا القول منه بمقتضى الطبع

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ١٠/١٣٨

استبعادا عن مقتضى العادة او استعظاما وتعجبا كل ذلك بمقتضى الطبع فان مقتضى الطبع قد يغلب على مقتضى العقل والا فالعقل والعلم يحكمان بانه لا استبعاد فى قدرة الله تعالى ولا تعجب كما ان موسى عليه السلام اعترض على خضر بعد ما عهد منه وقال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك امرا- وقال عكرمة والسدى انه لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا هذا الصوت ليس من الله انما هو من الشيطان ولو كان من الله لاوحاه إليك فقال ذلك دفعا للوسوسة وقال الحسن انه قال ذلك استفهاما عن كيفية حدوثه يعني باى وجه يكون لى غلام بان تجعلنى وامراتى شابين وتزيل عقمها او تهب لى الولد من امراة اخرى او تهبه إيانا مع كوننا على حالتنا الاولى وقد بلغني الكبر هذا مقلوب اى قد بلغت الكبر وشخت او المعنى أدركني كبر السن وضعفنى وكان يومئذ ابن سنتين وتسعين سنة كذا قال الكلبي وقال الضحاك كان ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة وامرأتي عاقر لا تلد يستوى فيه المذكر والمؤنث قال كذلك الله يفعل ما يشاء (٣٠) خبر مبتدا محذوف اى الأمر كذلك اى يولد لك مع كونك شيخا وامرأتك عاقرا او خبر والمبتدا الله يعنى كذلك الله وبيانه يفعل ما يشاء **من العجائب** او الله مبتدا والجملة بعده خبره وكذلك فى محل النصب على المصدرية يعنى الله يفعل ما يشاء فعلا كذلك الفعل اى مثل ما وعدناك وان كان على خلاف العادة او على الحالية من ما يشاء.

قال رب اجعل لي فتح الياء نافع وابو عمر وابو جعفر- ابو محمد أسكنها الباقون آية اى علامة اعلم بها وقت حمل امراتى فازيد فى العبادة شكرا لك قال آيتك ... ." [١]

"**من العجائب** وافاضة الوجود على ماهيات لا يقتضى لذواتها وجودها واختلاف الليل والنهار تعاقبهما على نسق بديع ونظام حكيم وما يتعاقبان عليه لآيات دلائل واضحة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته وإرادته وحكمته لأولي الألباب (١٩٠) لذوى العقول المنزهة عن شوائب الأوهام ووساوس الشيطان عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها أخرجه ابن حبان فى صحيحه- وعن ابن عباس انه وقد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فراه استيقظ فتسوك وتوضأ وهو يقول ان فى خلق السموت والأرض حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين أطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات ست ركعات كل ذلك يستاك ويتوضأ ويقرأ هذه الآيات ثم أوتر بثلاث رواه مسلم.

الذين صفة لاولى الألباب فان مقتضى العقل الاتصاف بالذكر والفكر والتسبيح والايمان والاستغفار والدعاء والتضرع اليه- ومن لم يتصف بها فهو كالانعام بل أضل منها فان الانعام يسبحون الله نوع تسبيح يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم قال البغوي قال على رضى الله عنه وابن عباس رضى الله عنهما والنخعي وقتادة هذا فى الصلاة يصلى قائما فان لم يستطع فقاعدا فان لم يستطع فعلى جنب ونظير هذه الاية فى سورة النساء فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وحديث عمران بن حصين رضى الله عنه قال كانت بي بواسير فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلوة

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٢ ق ٤٦/١

المريض فقال صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب أخرجه البخاري واصحاب السنن الاربعة زاد النسائي فان لم يستطع فمستلقيا لا يكلف الله نفسا الا وسعها- وعن على عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يصلى المريض قائما ان استطاع فان لم يستطع صلى قاعدا فان لم يستطع ان يسجد أومأ وجعل سجوده اخفض من ركوعه فان لم يستطع يصلى على جنبه الايمن مستقبل القبلة فان لم يستطع ان يصلى على جنبه الايمن صلى مستلقيا رجلاه مما يلى القبلة رواه الدار قطنى وفى اسناده حسين بن زيد ضعفه ابن المديني والحسن بن الحسن المغربي وهو متروك ومن هاهنا قال الشافعي ان المريض إذا عجز عن القيام صلى قاعدا وإذا عجز عن القعود يضطجع على جنبه الايمن مستقبل القبلة ... ." (١)

"الثمار والزروع والأزاهير وصنوف النبات، وما ذرأ في الأرض من دواب برية وبحرية مختلفة الأشكال والألوان والمنافع، وما فيها من جبال وسهول وثروات معدنية، وما في البحر **من العجائب**، وهو مع ذلك مذلل للسالكين، يحمل سفنهم، ويجري بها برفق بتسخير العلي القدير العليم الذي لا إله غيره، ولا رب سواه: وفي الأرض آيات للموقنين. وفي أنفسكم أفلا تبصرون [الذاريات ٥١/ ٢١- ٢٠] .

فالنظر في ذلك يرشد إلى وجود الخالق، ويدعو إلى التصديق بالرسل، والإيمان بالقرآن والوحي المخبر عن هذه الآيات العظام.

ولكن ما تغني وما تفيد وما تنفع أي لن تغني هذه الآيات أي الدلالات الكونية والقرآنية والرسل المنذرون أو الإنذارات قوما لا يتوقع إيمانهم كما ذكر في (الكشاف) وهم الذين لا يعقلون، أي لا ينظرون في تلك الآيات. وقال القرطبي: عمن سبق له في علم الله أنه لا يؤمن. وقيل: ما استفهامية والتقدير:

أي شيء تغني.

والمعنى على الاستفهام: أي شيء تغني الآيات السماوية والأرضية والرسل بآياتها وحججها وبراهينها الدالة على صدقها لقوم لا يؤمنون بالله ورسله، ولم يستخدموا عقولهم فيما خلقت من أجله؟ وقوله: وما تغني ... عن قوم أي لا تفيدهم شيئا، أو أي شيء تغني الآيات وهي الدلائل، والظاهر أن ما للنفي، ويجوز أن تكون استفهاما «١» .

فهل ينتظرون.. يحذر الله المشركين قائلا: فهل ينتظر هؤلاء المكذبون لك يا محمد من النقمة والعذاب إلا مثل وقائع الأمم الماضية المكذبة لرسلهم، من نزول العذاب بهم؟ وهي وقائع الله في قوم نوح وعاد وثمود

---

(١) البحر المحيط: ٥/ ١٩٤." (٢)

"بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٢ ق ١٩٧/١

(٢) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٧٧/١١

سورة الرعد

مدنية وهي ثلاث وأربعون آية.

تسميتها:

سميت سورة الرعد، للكلام فيها عن الرعد والبرق والصواعق وإنزال المطر من السحاب: هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا، وينشئ السحاب الثقال. ويسبح الرعد بحمده، والملائكة من خيفته، ويرسل الصواعق [الرعد ١٣/ ١٢- ١٣] والمطر أو الماء سبب للحياة: حياة الأنفس البشرية والحيوان والنبات، والصواعق قد تكون سببا للإفناء، وذلك مناقض للماء الذي هو رحمة، والجمع بين النقيضين **من العجائب**.

مناسبتها لما قبلها:

هناك تناسب بين سورة الرعد وسورة يوسف في الموضوع والمقاصد ووصف القرآن، أما الموضوع فكلاهما تضمنتا الحديث عن قصص الأنبياء مع أقوامهم، وكيف نجى الله المؤمنين المتقين وأهلك الكافرين، وأما المقاصد فكل من السورتين لإثبات توحيد الإله ووجوده، ففي سورة يوسف: أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار. وفي سورة الرعد: الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها.. [٢- ٤] . قل: من رب السماوات والأرض قل: الله [١٦] ، وفيهما من الأدلة على وجود الصانع الحكيم وكمال قدرته وعلمه ووحدانيته الشيء الكثير، ففي سورة يوسف: وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها، وهم عنها معرضون. وفي سورة الرعد آيات دالة على." (١)

"قال تعالى: وفي الأرض آيات للموقنين، وفي أنفسكم أفلا تبصرون، وفي السماء رزقكم وما توعدون، فو رب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون [الذاريات ٥١/ ٢٠- ٢٣] .

والدلائل الأرضية سبعة: بسط الأرض، الجبال الثوابت، إنبات النباتات، الإمداد بالأرزاق من الخزائن، إرسال الرياح لواقح، الإحياء والإماتة للحيوانات، خلق الإنسان.

التفسير والبيان:

ووالله لقد أوجدنا في السماء نجوما عظاما من الكواكب الثوابت والسيارات، وزيناها لمن تأمل النظر فيها وكرره، فيما يرى **من العجائب** الظاهرة، والآيات الباهرة، التي يحار الناظر فيها، كقوله تعالى: إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب [الصافات ٣٧/ ٦] وقوله تعالى: تبارك الذي جعل في السماء بروجا [الفرقان ٢٥/ ٦١] .

وقال جماعة: البروج: هي منازل الشمس والقمر.

وحفظناها.. أي ومنعنا الاقتراب من السماء كل شيطان رجيم، كما قال في آية أخرى: وحفظا من كل شيطان مارد

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٩٦/١٣

[الصافات ٣٧/ ٧] والرجيم:

المرجوم، أي المقذوف بالشهب، أو المرمي بالقول القبيح، أو الملعون المطرود.

إلا من استرق.. استثناء منقطع، أي لكن من استرق السمع، أو أراد استراق شيء من علم الغيب الذي يتحدث به الملائكة، لحقه وأتبعه بشهاب مبين، أي بجزء منفصل من الكوكب، وهو نار مشتعلة، فأحرقه. والشهاب:

شعلة نار ساطع، ويسمى الكوكب شهابا، كما قال في آية أخرى وأنا كنا نقعد." (١)

"من دونه كالملائكة وعيسى وعزير. فلا يملكون لا يستطيعون. كشف الضر إزالته.

ولا تحويلا ولا تحويله عنكم إلى غيركم.

يدعون أي يدعونهم آلهة أو ينادونهم. يبتغون يطلبون. الوسيلة القربة بالطاعة والعبادة، أي هؤلاء الآلهة يبتغون إلى الله تعالى القربة بالطاعة. أيهم أقرب أي يبتغي القربة أو الوسيلة الذي هو أقرب منهم إلى الله تعالى، فكيف بغير الأقرب؟ ويرجون رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد، فكيف تزعمون أنهم آلهة؟ أو كيف تدعونهم آلهة؟ إن عذاب ربك كان محذورا مخوفا، حقيقا بأن يحذره كل أحد، حتى الرسل والملائكة.

وإن من قرية ما من قرية، والمراد أهلها. مهلكوها قبل يوم القيامة بالموت.

أو معذبوها عذابا شديدا بالقتل وغيره. في الكتاب اللوح المحفوظ. مسطورا مكتوبا. بالآيات التي اقترحها أهل مكة، فهي ما اقترحته قريش، مثل جعل الصفا ذهبا.

إلا أن كذب بها الأولون أي لما أرسلنا الآيات وكذبوا بها أهلكناهم، ولو أرسلناها إلى هؤلاء، لكذبوا بها، واستحقوا الإهلاك وعذاب الاستئصال، وقد كنا حكمنا بإمهالهم، لإتمام نشر دعوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

مبصرة آية بينة واضحة، أو ذات إبصار لمن يتأملها ويفكر فيها. فظلموا بها فكفروا بها فأهلكوا، أو فظلموا أنفسهم بسبب عقرها. وما نرسل بالآيات المعجزات أو الآيات المقترحة. إلا تخويفا للعباد من نزول العذاب المستأصل، فيؤمنوا.

وإذ قلنا واذكر إذ قلنا. أحاط بالناس علما وقدرة، والمراد أنهم في قبضته وتحت قدرته، فبلغهم الرسالة ولا تخف أحدا، فهو يعصمك منهم، ولا يستطيعون إيصال الأذى إليك إلا بإذننا. الرؤيا التي أريناك عيانا ليلة الإسراء، والرؤيا: هي ما عاينه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الإسراء **من العجائب**، والمراد بها هنا خلافا للغالب: الرؤية البصرية، قال ابن عباس: «هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة أسري به» ، ولو كانت رؤيا منام، لما كانت فتنة للناس، ولما ارتد بعضهم عن الإسلام. إلا فتنة للناس أهل مكة، إذ كذبوا بها، وارتد بعضهم، لما أخبرهم بها. والشجرة الملعونة في القرآن وهي شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم، جعلناها فتنة لهم، إذ قالوا: النار تحرق الشجر، فكيف تنبته؟ ونخوفهم بها. فما يزيدهم تخويفنا.

إلا طغيانا الطغيان: تجاوز الحد في الفجور والضلال.

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٢/١٤

سبب النزول:

نزول الآية (٥٦) :

قل: ادعوا الذين: أخرج البخاري وغيره عن ابن مسعود قال: كان." (١)

"ثم إن قريشا بعثوه، وبعثوا معه عتبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة، وقالوا لهما: سلوهم عن محمد وصفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم من العلم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى قدما إلى المدينة، فسألوا أحبار اليهود عن أحوال محمد، فقال أحبار اليهود:

سلوه عن ثلاث: عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم، فإن حديثهم عجب، وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح وما هو؟ فإن أخبركم فهو نبي، وإلا فهو متقول، فلما قدم النضر وصاحبه مكة قالا: قد جئناكم بفصل ما بيننا وبين محمد، وأخبروا بما قاله اليهود، فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسألوه،

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أخبركم بما سألتم عنه غدا، ولم يستثن- لم يقل: إن شاء الله-

فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم- فيما يذكرون- خمس عشرة ليلة، حتى أرجف أهل مكة به، وقالوا: وعدنا محمد غدا، واليوم خمس عشرة ليلة، فشق عليه ذلك، ثم جاءه جبريل من عند الله بسورة أصحاب الكهف، وفيها معاتبة الله إياه على حزنه عليهم، وفيها خبر أولئك الفتية، وخبر الرجل الطواف «١» .

نزول الآية (٢٤) : ولا تقولن لشيء..

أخرج ابن جرير عن الضحاك، وابن مردويه عن ابن عباس قال: حلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم على يمين، فمضى له أربعون ليلة، فأنزل الله: ولا تقولن لشيء.. الآية.

المناسبة:

بعد أن ذكر الله تعالى أنه جعل الزينة على ظهر الأرض، وفي ذلك **من العجائب** والإبداع ما يفوق القصص وغرائبها، أبان أن قصة أهل الكهف ليست

---

(١) تفسير الرازي: ٢١/ ٨٣، تفسير الألوسي: ١٥/ ٢١٦ [.....]."(٢)

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ١٥/١٠٥

(٢) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ١٥/٢١٥

"بالعجب وحدها من بين آياتنا، وأنها أقل عجبا من تزيين الأرض بالنبات، والحيوان والبشر، والشجر والأنهار وغير ذلك.

التفسير والبيان:

إجمال القصة:

هذا هو الخبر اليقين عن قصة أصحاب الكهف الذين بقوا أحياء ثلاث مائة وتسع سنوات في حال سبات (نوم) وهي **من العجائب** التي أشارت إليها الكتب السالفة.

أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم ... تعجب القوم من قصة أصحاب الكهف، وسألوا عنها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على سبيل الامتحان، فقال تعالى:

أم حسبت أنهم كانوا عجبا من آياتنا فقط، فلا تحسبن ذلك، فإن آياتنا كلها عجب، فليست قصة أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة أعجب من حال الدنيا، فإن زينة الأرض وعجائبها أعظم وأبدع وأعجب من هذه القصة، فإن من قدر على تزيين الأرض ثم جعلها ترابا، وعلى خلق السموات والأرض، قادر على كل شيء، ومن قدرته أن يحفظ طائفة من الناس دون طعام وشراب زمانا معلوما.

وبعبارة أخرى موجزة: لا تحسب أن قصة أصحاب الكهف والرقيم وهو اسم كلبهم أو واديهم أو كتاب بنيانهم كانوا آية عجبا من آياتنا، لا تظن ذلك فآياتنا كلها عجيبة وغريبة. والرقيم في الظاهر من الآية كما رجح ابن جرير وابن كثير: الكتاب.

إذ أوى الفتية إلى الكهف.. اذكر أيها الرسول حين لجأ أولئك الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم، لئلا يفتنوهم عنه، إلى غار في جبل ليختفوا عن." (١)

"الإعراب:

وما تلك بيمينك ما: مبتدأ، وتلك: خبره، وبيمينك: في موضع نصب على الحال، أي ما تلك كائنة بيمينك، مثل: وسار بأهله أي سار غير منفرد.

سنعيدها سيرتها الأولى سيرتها منصوب ب سنعيدها بتقدير حذف حرف جر، أي: سنعيدها إلى سيرتها، فحذف حرف الجر، فاتصل الفعل به فنصبه، أي منصوب بنزع الخافض.

البلاغة:

قال: هي عصاي، أتوكؤا عليها، وأهش بها على غنمي إطناب، وكان مقتضى الجواب: هي عصاي، ولكنه استرسل في الجواب، تلذذا بالخطاب.

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٢١٦/١٥

المفردات اللغوية:

وما تلك؟ استفهام يتضمن تنبيها لما يريه فيها **من العجائب** يا موسى تكرار لزيادة الاستئناس والتنبيه أتوكؤا أعتمد عليها في المشي إذا عييت، أو عند الوقوف على رأس القطيع ونحو ذلك وأهش بها على غنمي وأخبط ورق الشجر بها على رؤوس غنمي، ليسقط، فتأكله مآرب منافع وحاجات أخر، جمع مأربه، كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام.

حية ثعبان عظيم لآية أخرى، والحية في الأصل: تطلق على الصغير والكبير والذكر والأنثى. والثعبان: العظيم من الحيات، والجان: الصغير منها تسعى تمشي على بطنها سريعا خذها بأن يدخل يده في فمها فتعود عصا ولا تخف لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر، خاف وهرب منها سيرتها الأولى أي إلى حالتها الأولى وهي كونها عصا.

المناسبة:

بعد مناجاة الله لموسى، بدأ تعالى بذكر براهين نبوته، لتصديق رسالته، وأولها انقلاب العصا حية، أي انقلاب الجماد حيوانا، وبالعكس، وتلك آيات باهرات ومعجزات قاهرات أحدثها الله فيها لأجله، وليست من خواصها.

التفسير والبيان:

معجزة العصا لموسى هي البرهان الأول الخارق للعادة الدال على أنه لا يقدر." (١)

"معي ربي بالحفظ والنصرة سيهديني إلى طريق النجاة والخلاص منهم، وسينصرني عليهم وأوحى الله إلى موسى:

فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فانفلق، فكان كل فرق كالطود العظيم أي أمر الله موسى بضرب البحر بعصاه، فضربه بها، ففيها سلطان الله الذي أعطاه، فانفلق اثني عشر طريقا، وصارت كل قطعة من الماء المحجوز عن الانسياب الواقف عن التحرك كالجبل الشامخ الكبير، وكانت الطرق الجافة بالهواء والشمس بعدد أسباط بني إسرائيل، لكل سبط منهم طريق، كما قال تعالى: فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى [طه ٢٠/ ٧٧] .

وأزلفنا ثم الآخرين أي وقربنا من البحر هنالك الآخرين وهم فرعون وجنوده، فتبعوهم.

وأنجينا موسى ومن معه أجمعين، ثم أغرقنا الآخرين أي أنجينا موسى وبني إسرائيل ومن اتبعهم على دينهم، فلم يهلك منهم أحد، وأغرق فرعون وجنوده، ولم يبق منهم أحد.

إن في ذلك لآية أي إن في هذه القصة وما فيها **من العجائب** لعبرة وعظة وآية دالة على قدرة الله تعالى وعلى صدق موسى عليه السلام، وعلى إنجاء عباد الله المؤمنين وإهلاك الكافرين.

وما كان أكثرهم مؤمنين أي ولم يؤمن أكثر من بقي في مصر من القبط، وكذلك لم يؤمن أكثر بني إسرائيل، فإن هذه المعجزة

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ١٩٦/١٦

تحمل على الإيمان، ومع ذلك كذب بنو إسرائيل، واتخذوا العجل إلها، وقالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة.
وفي هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عما أغمه وأحزنه من تكذيب قومه، مع قيام." (١)
"أسلمت مع سليمان

ع

إما ظرف، وإما حرف وبنيت على الفتح لأنها قد تكون ظرفا أحيانا، وكانت الحركة فتحة لأنها أخف الحركات، فإن سكنت العين فهو حرف لا غير.

البلاغة:

تقوم من مقامك وسلمت مع سليمان

فيهما جناس الاشتقاق.

كأنه هو تشبيه مرسل مجمل، أي كأنه عرشي في الهيئة.

قبل أن يرتد إليك طرفك استعارة، استعار رجوع الطرف للسرعة في الإتيان بالعرش، مشبها السرعة بالتقاء الجفنين الذي هو ارتداد الطرف. ومثله وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أتهتدي لا يهتدون بينهما طباق السلب.

المفردات اللغوية:

أيكم يأتيني بعرشها العرش: سرير الملك، أراد بذلك أن يريها بعض ما خصه الله به **من العجائب** الدالة على عظيم القدرة، وصدقه في دعوى النبوة، ويختبر عقلها بعد التمويه على العرش، فينظر أتعرفه أم تنكره مسلمين منقادين طائعين عفريت من الجن خبيث مارد قوي شديد قبل أن تقوم من مقامك مجلسك للقضاء، وكان من الغداة إلى نصف النهار عليه على حمله لقوي أمين لقادر مؤتمن على ما فيه من الجواهر وغيرها، لا أنقص منه شيئا ولا أبدله.

قال سليمان: أريد أسرع من ذلك قال الذي عنده علم من الكتاب المنزل هو آصف بن برخيا وزيره، كان صديقا يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وهو المشهور. وقيل: إنه الخضر عليه السلام، وقيل: هو جبريل عليه السلام، وقيل: هو ملك أيد الله تعالى به سليمان، وقيل:

إنه سليمان نفسه، قال الرازي: وهو الأقرب.

قبل أن يرتد إليك طرفك أي قبل أن يرجع إليك بصرك إذا نظرت به إلى شيء، ويرتد يرجع، والطرف: تحريك الأجفان، والمراد بذلك السرعة العظيمة على سبيل الاستعارة، كما يقال: آتيك به مثل لمح البصر، أو قبل أن تغمض عينك، ويراد الإسراع الشديد في الإحضار مستقرا عنده ساكنا حاصلا بين يديه قال: هذا أي الإتيان لي به فضل تفضل وإحسان ليبلوني ليختبرني أأشكر أم أكفر أي أشكر بأن أراه فضلا من الله بلا حول مني ولا قوة، وأقوم بحقه، أم أجحد الفضل

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ١٩/١٦٠

بنسبته إلي، وأقصر في أداء واجب الشكر يشكر لنفسه لأجلها لأن ثواب شكره له ومن كفر النعمة فلم يشكرها غني عن شكره كريم بالتفضل والإنعام عليه ثانيا.." (١)

"المفردات اللغوية:

في جنات بساتين وعيون ينابيع تجري فيها آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لما أعطاهم، راضين به، وهو ما أعطاهم ربهم من الثواب، والمعنى: أن كل ما آتاهم ربهم حسن مرضي، متلقى بالقبول إنهم كانوا قبل ذلك محسنين أي إنهم قبل دخولهم الجنة قد أحسنوا أعمالهم في الدنيا، وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك.

كانوا قليلا من الليل ما يهجعون أي ينامون في زمن يسير من الليل، ويصلون أكثره، والهجوع: النوم، والهجعة: النومة الخفيفة. وبالأسحار أواخر الليل، جمع سحر: وهو الجزء الأخير من الليل قبيل الفجر. يستغفرون يقولون: اللهم اغفر لنا، أي إنهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم إذا أسحروا، أخذوا في الاستغفار.

وفي أموالهم حق نصيب يوجبونه على أنفسهم، تقربا إلى الله، وإشفاقا على الناس.

للسائل المستعطي المستجدي. والمحروم الذي حرم من المال، والمراد به المتعفف الذي يظن كونه غنيا، فيحرم الصدقة.

وفي الأرض آيات أي في كرة الأرض من الجبال والبحار والأشجار والثمار والمعادن والنبات والإنس والجن والحيوان وغير ذلك دلائل على قدرة الله تعالى ووحدانيته. للموقنين الموحدين الذين أيقنوا بالله، وسلكوا الطريق الموصل إلى رضوان الله.

وفي أنفسكم أي في تركيب أنفسكم وخلقكم **من العجائب** آيات أيضا. أفلا تبصرون تنظرون نظرة متأمل معتبر، يستدل بذلك على الصانع وقدرته. وفي السماء رزقكم أي في السحاب أسباب الرزق وهو المطر الذي ينشأ عنه النبات الذي هو رزق مسبب عن المطر. وما توعدون أي والذي توعدونه من الخير والشر والثواب والعقاب. إنه لحق أي ما توعدون حق ثابت. مثل ما أنكم تنطقون أي مثل نطقكم، فكما أنه لا شك في أنكم تنطقون، لا شك في تحقق ذلك.

سبب نزول الآية (١٩) :

وفي أموالهم ... : أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الحنفية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية، فأصابوا وغنموا، فجاء قوم بعد ما فرغوا- لم يشهدوا الغنيمة-، فنزلت: وفي أموالهم حق للسائل والمحروم.

قال ابن كثير: وهذا يقتضي أن هذه الآية مدنية، وليس كذلك، بل هي مكية." (٢)

"التفسير والبيان:

هذه الآيات لإثبات الربوبية وتوحيد الألوهية، فقال تعالى:

أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون هذا رد على إنكار الخالق الواحد، فهل وجدوا من غير موجد، أم هم أوجدوا أنفسهم؟ وإذا كان الأمران منتفيين بشهادة العقل والحس والواقع وبإقرارهم، فالله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ١٩/٣٠٠

(٢) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ١٤/٢٧

شيئا مذكورا.

أم خلقوا السماوات والأرض، بل لا يوقنون وهل خلقوا السموات والأرض وما فيهما **من العجائب** والغرائب وأسباب الحياة والمعيشة؟ إنهم في الواقع لا يستطيعون ادعاء ذلك، والحقيقة أن عدم إيقانهم من قولهم بأن الله هو الخالق هو الذي حملهم على التكذيب وإنكار رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، إذ لو أيقنوا حقا بأن الله هو الخالق ما أعرضوا عن عبادته.

أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون أي هل هم يملكون خزائن الله من النبوة والرزق وغيرهما، فيتصرفوا فيها كيف شاؤوا، أم هم المسلطون على المخلوقات يدبرون أمرها كيف يشاءون؟ الواقع أن الأمر ليس كذلك، بل الله عز وجل هو المالك المتصرف الفعال لما يريد.

أم لهم سلم يستمعون فيه، فليأت مستمعهم بسلطان مبين أي بل أيقولون: إن لهم سلما منصوبا إلى السماء يصعدون به، أي مرقاة إلى الملأ الأعلى، ويستمعون فيه كلام الملائكة وما يوحى إليهم، ويطلعون على علم الغيب؟

فليأت مستمعهم إليهم على صحة ما هم فيه بحجة ظاهرة واضحة، كما أتى محمد صلى الله عليه وسلم بالبرهان الدال على صدقه. الواقع ليس لهم سبيل إلى ذلك، فليس لهم دليل ولا حجة على ما يقولون.." (١)

"٢- وجه خاص: وهو أنه تعالى ذكر في أواخر «التحريم» مثالين فريدين متمثلين بامرأتي نوح ولوط للكافرين، وبامرأة فرعون المؤمنة، ومريم العذراء البتول للمؤمنين، وهذه السورة تدل على إحاطة علم الله تعالى وتدبيره وإظهاره في خلقه ما يشاء **من العجائب** والغرائب، فإن كفر امرأتي نوح ولوط لم يمنع اتصالهما بنبيين كريمين، وإيمان امرأة فرعون، لم يضر به اتصالها بفرعون الطاغية الجبار العنيد، كما لم يزعزع إيمان مريم حملها غير المعهود بعيسى عليه السلام.

ما اشتملت عليه السورة:

سورة الملك كسائر السور المكية تعنى بأصول العقيدة الأساسية وهي إثبات وجود الله، وعظمته، وقدرته على كل شيء والاستدلال على وحدانيته، والإخبار عن البعث والحشر والنشر.

بدئت بالحديث عن تمجيد الله سبحانه، وإظهار عظمته، وتفرده بالملك والسلطان، وهيمنته على الأكوان، وتصرفه في الوجود بالإحياء والإماتة (الآيات: ١- ٢) .

ثم أكدت الاستدلال على وجود الله عز وجل بخلقه السموات السبع، وما زينها به من الكواكب والنجوم المضيئة، وتسخيرها لرجم الشياطين ونحو ذلك من مظاهر قدرته وعلمه (الآيات: ٣- ٥) مما يدل على أن نظام العالم نظام محكم لا خلل فيه ولا تغاير.

ومن مظاهر قدرته تعالى: إعداد عذاب جهنم للكافرين، وتبشير المؤمنين بالمغفرة والأجر الكبير، وذلك جمع بين الترهيب

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٧/٨٠

والترغيب على طريقة القرآن الكريم (الآيات: ٦- ١٢) .

ومن مظاهر علمه وقدرته ونعمه: علمه بالسر والعلن، وخلقه الإنسان." (١)

"والنهار

وقياما وقعودا وذكر أو أنثى. وهناك إيجاز بالحذف في على رسلك أي على ألسنة رسلك، وفي قوله ويتفكرون.. ربنا أي قائلين ربنا.

وفي الآيات جناس مغاير في قوله آمنوا.. فآمنا وفي عمل عامل وفي مناديا ينادي. لآيات.. دخول اللام في خبر إن لزيادة التأكيد، والتنكير للتفخيم.

المفردات اللغوية:

إن في خلق الخلق: التقدير والترتيب الدال على النظام والإتقان. السماوات كل ما علاك مما تراه في الأعلى. والأرض ما تعيش عليه، وهو بشكل كروي، كوكب دائر غير ثابت وخلق السماوات والأرض: إيجادهما من غير مثال سابق، ويشمل كل ما فيهما **من العجائب**.

اختلاف الليل والنهار تعاقبهما ومجيء كل منهما خلف الآخر، مع زيادة ونقصان بحسب الفصول والموقع الجغرافي من الكرة الأرضية. لآيات لأدلة على وجود الله وقدرته ووحدانيته.

لأولي الألباب لذوي العقول. وعلى جنوبهم مضطجعين، أي في كل حال. وعن ابن عباس: يصلون كذلك حسب الطاقة. ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ليستدلوا به على قدرة صانعهما. ربنا يقولون: ربنا. باطلا عبثا لا فائدة منه، بل دليلا على قدرتك.

سبحانك تنزيها لك عن العبث وعما لا يليق بك.

أخزيته أهنته. وما للظالمين الكافرين، وضع الظاهر موضع المضمر إشعارا بتخصيص الخزي بهم. من أنصار من زائدة، أي مؤيدين يمنعونهم من عذاب الله تعالى.

فاغفر لنا ذنوبنا استر معاصينا، واحدها ذنب: وهو مخالفة الأوامر والنواهي الشرعية.

وكفر عنا سيئاتنا غط إساءاتنا، أي الصغائر أو أنواع التقصير في حقوق العباد، فلا تظهرها بالعقاب عليها.

وتوفنا أمتنا أي اقبض أرواحنا. مع الأبرار في جملة الأخيار المحسنين أعمالهم وهم الأنبياء والصالحون.

وآتنا أعطنا. على رسلك أي على ألسنة رسلك من الرحمة والفضل.

ويلاحظ أن سؤال الناس تلك الأمور هو أن يجعلهم من مستحقيه، وتكرار: ربنا مبالغة في التضرع. الميعاد الوعد بالبعث والجزاء.." (٢)

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٦/٢٩

(٢) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٠٤/٤

"لا يتكلمون بما يفيدهم، ولا يسمعون ما يلذ لهم ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا مأواهم جهنم التي وقودها الناس والحجارة كلما أكلت جلودهم ولحومهم وعظامهم وأفنتها وسكن لهيبها بدلوا جلودا ولحما وعظما غيرها فرجعت ملتهبة شديدة الالتهاب، وكانوا يستبعدون إعادة الحياة بعد الممات فكان جزاؤهم النار أن تعاد أجسامهم مرة ثانية ليذوقوا ويعرفوا قدرة الملك الجبار.

ذلك جزاءهم بسبب كفرهم، وقولهم: أإذا كنا عظاما نخرة وصار جسمنا رفاتا ترابا تعود إلينا الحياة؟ ونبعث من جديد لنحاسب على أعمالنا إن هذا لعجيب.

يا عجبا لهم!! أعموا ولم يروا أن الله خلقهم وخلق السموات وما فيها، والأرضين وما فيها **من العجائب** قادر على أن يخلق مثلهم أأنتم أشد خلقا أم السماء [سورة النازعات الآية ٢٧] . وقد جعل لهم أجلا لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون، ومع هذا كله فقد أبى الظالمون إلا كفورا وجحودا، وإنكارا للبعث.

قل لهم: لو تملكون خزائن رحمة الله الرحمن الرحيم لبخلتم بها، وأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا بخيلا.

ولو سئل الناس التراب لأوشكوا ... إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

فما بالكم تطلبون آيات بعد هذه الآيات! وأنتم لا تقومون بواجب الشكر لله الذي أنعم عليكم بكافة النعم إن الإنسان لربه لكنود [سورة العاديات آية ٦] .

تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم [سورة الإسراء (١٧) : الآيات ١٠١ الى ١٠٩]

ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسئل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسحورا (١٠١) قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبورا (١٠٢) فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا (١٠٣) وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا (١٠٤) وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا (١٠٥)

وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا (١٠٦) قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا (١٠٧) ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا (١٠٨) ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا (١٠٩)." [(١)]

"﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير (٢٥٩)﴾

المفردات:

---

(١) التفسير الواضح محمد محمود حجازي ٢/٣٩٨

﴿أو﴾: للتخيير والتنويع في التعجيب بين ما جاء في هذه الآية والتي قبلها **من العجائب**. والكاف بمعنى اسم بمعنى: مثل. مفعول لفعل محذوف دل عليه ﴿ألم تر﴾ السابق. والتقدير: أو رأيت مثل الذي مر على قرية. والجملة معطوفة بلفظ ﴿أو﴾ على جملة:

﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه﴾

﴿قرية﴾: اسم للموضع الذي يسكن فيه الناس ولو كبيرا، كما في قوله تعالى: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها ... ﴾ (رحمه الله١) وقوله: ﴿لتنذر أم القرى ... ﴾ (رحمه الله٢).

﴿خاوية﴾: أي ساقطة من: خوت الدار، إذا سقط بنيانها.

﴿على عروشها﴾: العرش، السقف. والمراد: أنها متهدمة أو ﴿خاوية﴾ بمعنى خالية. والمراد حينئذ: أن القرية خالية من أهلها – مع بقائها، قائمة سليمة العروش – لموت أهلها.

﴿ننشزها﴾: مضارع أنشز، أي نركب بعضها فوق بعض وننشئها. وقريء ﴿ننشرها﴾ بالراء بمعنى: نبعثها إلى الحياة من جديد، من النشر. وهو إعادة الحياة بعد الموت.

رحمه الله_____________

(رحمه الله١) يوسف: من الاية ٨٢

(رحمه الله٢) الشورى: من الآية ٧." (١)

"(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿والسماء ذات البروج (١) واليوم الموعود (٢) وشاهد ومشهود (٣) قتل أصحاب الأخدود (٤) النار ذات الوقود (٥) إذ هم عليها قعود (٦) وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود (٧) وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد (٨) الذي له ملك السماوات والأرض والله على كل شيء شهيد (٩) إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق (١٠)﴾

المفردات:

(البروج): منازل الشمس والقمر سائر الكواكب.

(اليوم الموعود): يوم القيامة.

(وشاهد): ومن يشهد يوم القيامة ويحضره من الخلائق المبعوثين فيه.

(ومشهود): وما يحضر ويشاهد في ذلك اليوم **من العجائب**.

(قتل): لعن أشد اللعن.

(الأخدود): الشق المستطيل في الأرض، ويجمع على أخاديد.

---

(١) التفسير الوسيط – مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ١/٤٤٠

(إذ هم عليها قعود): إذ هم على حافة النار وحولها قعود.

(وما نقموا منهم): وما عابوا عليهم وأنكروا منهم – وفي مفردات الراغب: يقال: تقمت الشيء: إذا أنكرته بلسانك أو بعقوبة.." (١)

"معتدلة، متناسبة الأعضاء، فالتسوية ترجع إلى عدم النقصان في الأعضاء، والتعديل يرجع إلى عدم التخالف فيها وهذا، باعتبار الأصل في خلق الإنسان، فلا عبرة بوجود ما يخالف ذلك في قلة من أفراد الإنسان.

والمعنى: يا أيها الإنسان، أى شيء خدعك وجرأك على معصية ربك الكريم ... الذي من مظاهر كرمه أنه خلقك فسواك بأن جعل أعضاءك سوية سليمة. مهيأة لا لاكتساب منافعها على حسب ما تقتضيه حكمة خالقك فعدلك أى: فعدل أعضاءك بأن جعلها متناسقة متوازنة بعضها مع بعض، فلم يجعل- مثلا- إحدى يديك طويلة والأخرى قصيرة. ولم يجعل- مثلا- جانبا من جسدك أبيض، والأخر أسود.

ومن مظاهر قدرته وكرمه- أيضا- أنه- سبحانه- ركبك ووضعك في أى صورة من الصور المتنوعة التي اقتضتها مشيئته وحكمته.

فقوله: في أي صورة متعلق بركبك. و «ما» مزيدة، و «شاء» صفة لصورة.

ولم يعطف «ركبك» على ما قبله بالفاء، كما عطف ما قبله بها، لأنه بيان لقوله:

فعدلك. والتقدير: فعدلك بأن ركبك في أى صورة من الصور التي شاءها لك، وهي صورة فيها ما فيها من العجائب والأسرار، فضلا عن أنها أحسن صورة وأكملها، كما قال- تعالى-: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم.

فالمقصود من الآيات الكريمة، تذكير الإنسان بفضل ربه- تعالى- عليه، وحضه على طاعته وشكره، وتوبيخه على تقصيره وجحوده، وتهديده بسوء المصير إذا ما استمر في غفلته وغروره.

قال بعض العلماء: إن خلق الإنسان على هذه الصورة الجميلة السوية المعتدلة، الكاملة الشكل والوظيفة. أمر يستحق التدبر الطويل، والشكر العميق. والأدب الجم لربه الكريم الذي أكرمه بهذه الخلقة.

وهناك مؤلفات كاملة في وصف كمال التكوين الإنسان العضوى ودقته وإحكامه.

كاكتمال التكوين الجسدى، والعضلى، والجلدى، والهضمى، والدموي والعظمى، والتنفسى، والتناسلى، والعصبي ... للإنسان.

وإن جزءا من أذن الإنسان «الأذن الوسطى» لهو سلسلة من نحو أربعة آلاف جزئية دقيقة معقدة، متدرجة بنظام بالغ الدقة في الحجم والشكل.

ومركز حاسة الإبصار في العين التي تحتوى على مائة وثلاثين مليونا من مستقبلات الضوء،." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط – مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ١٨٥٣/١٠

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٣١١/١٥

"قوله- تعالى- ولله ملك السماوات والأرض والله على كل شيء قدير أى له وحده- سبحانه- ملك السموات والأرض بما فيهما، فهو وحده صاحب السلطان القاهر في هذا العالم يتصرف فيه كيفما يشاء ويختار: إيجادا وإعداما، وإحياء وإماتة، وتعذيبا وإثابة، وهو- سبحانه- على كل شيء قدير، لا يعجزه أمر، ولا يدفع عقابه دافع، ولا يمنع عقابه مانع، فعليكم أيها الناس أن تطيعوه وأن تحذروا غضبه ونقمته.

وبعد أن بين- سبحانه- أن ملك السموات والأرض بقبضته، أشار- سبحانه- إلى ما فيهما من عبر وعظات فقال: إن في خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب.

أى: إن في إيجاد السموات والأرض على هذا النحو البديع، وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب وبحار وزروع وأشجار ... وفي إيجاد الليل والنهار على تلك الحالة المتعاقبة، وفي اختلافهما طولا وقصرا.. وفي كل ذلك لأمارات واضحة، وأدلة ساطعة، لأصحاب العقول السليمة على وحدانية الله- تعالى- وعظيم قدرته، وباهر حكمته.

وصدرت الجملة الكريمة بحرف «إن» للاهتمام بالخبر، وللاعتناء بتحقيق مضمون الجملة.

أى إن في إيجاد السموات والأرض وإنشائهما على ما هما عليه **من العجائب**، وما اشتملتا عليه من البدائع، وفي اختلاف الليل والنهار ... إن في كل ذلك من العبر والعظات ما يحمل كل عاقل على الاعتراف بوحدانية الله، وكمال قدرته وحكمته.

والمراد بأولى الألباب: أصحاب العقول السليمة، والأفكار المستقيمة، لأن لب الشيء هو خلاصته وصفوته.

ولقد قال الزمخشري في صفة أولى الألباب: «هم الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار، ولا ينظرون إليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطرة. وفي الحكم: املأ عينيك من زينة هذه الكواكب، وأجلهما في جملة هذه **العجائب** متفكرا في قدرة مقدرها، متدبرا في حكمة مدبرها قبل أن يسافر بك القدر، ويحال بينك وبين النظر» «١» .

---

(١) تفسير الكشاف ج ١ ص ٣٤٨.." (١)

"اللقاء المبارك لأسرة يعقوب كلها

كانت قصة يوسف عليه السلام مع أبيه وإخوته **من العجائب**، وتمت فصولها ومشاهدها على مدى طويل، لتعليم الناس وإرشادهم إلى ضرورة التصديق أولا بأخبار الأنبياء الذين يخبرون عن الله بالوحي، وإلى لزوم الاعتصام بالإيمان بالله عز وجل، وبالصبر الجميل على الأحداث، وإلى تفويض الأمر لله تعالى دون تعجيل بالثأر أو الانتقام أو اقتراف الخطأ والذنب، كما حدث من إخوة يوسف. وأدت فصول هذه القصة إلى الهدف المرجى، وهو لقاء الأسرة اليعقوبية لقاء كريما مباركا فيه، وذلك في المرة الرابعة من رحلات أولاد يعقوب إلى مصر، وتم في هذا اللقاء تأويل رؤيا يوسف من قبل بسجود أحد عشر كوكبا له، وهم أهله وإخوته، قال الله تعالى موضحا هذا التأويل وذلك اللقاء العظيم:

[سورة يوسف (١٢) : الآيات ٩٩ الى ١٠٠]

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٣٧٠/٢

فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين (٩٩) ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رءياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم (١٠٠)

«١» «٢» «٣» [يوسف: ١٢/ ٩٩- ١٠٠] .

بعد أن طلب يوسف عليه السلام من إخوته أن يأتوه بأهله أجمعين، فرحلوا من بلاد كنعان- فلسطين- إلى مصر، للإقامة معه فيها، فحضر يعقوب أبوه وخالته وإخوته وأسرهم، فلما أخبر يوسف عليه السلام باقترابهم من أرض مصر، خرج لتلقيهم ومعه الأمراء وأكابر الناس، فلما دخلوا على يوسف في أبهة الملك

---

(١) ضمهما إليه.

(٢) البادية.

(٣) حرش وأغرى.." [١]

"جسدا وروحا، في تمام اليقظة، لا في المنام، من المسجد الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى، في بيت المقدس، وعاد إلى بلده في ليلته لأن الله تعالى قادر قدرة تامة على فعل العجائب والمعجزات.

وأكثر المفسرين اتفقوا على أن الإسراء حدث بالجسد والروح، المعبر عنه بكلمة «عبده» وهو مجموع الروح والجسد فركب على البراق يقظة، لا في الرؤيا والمنام، ولو كان مناما لقال الله تعالى: بروح عبده، ولم يقل: «بعبده» ولو كان مناما، لما كانت فيه آية ولا معجزة. ثم عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السموات وإلى ما فوق العرش، حيث فرضت في المعراج الصلاة على المؤمنين، وكانت بحق معراج المؤمن، وصلة بين العبد وربه، ولا خلاف أن في الإسراء والمعراج فرضت الصلوات الخمس على هذه الأمة.

ووصف الله تعالى ما حول الأقصى بالبركة من ناحيتين:

إحداهما- النبوة والشرائع وإرسال الرسل الذين كانوا في ذلك القطر، وفي نواحيه ونواديه.

الناحية الثانية- النعم من الأشجار والمياه والأرض الخصبة ذات الأنهار والأشجار والثمار، التي خص الله الشام بها.

روى ابن عساكر عن زهير بن محمد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله تعالى بارك ما بين العريش والفرات، وخص فلسطين بالتقديس»

وهو ضعيف.

وكان القصد من الإسراء: هو ما قاله الله تعالى: لنريه من آياتنا أي لنري محمدا بعينيه آياتنا الكبرى في السماوات، والملائكة، والجنة، وسدرة المنتهى وغير ذلك. مما رآه تلك الليلة من العجائب. وقوله تعالى في نهاية الآية: إنه هو السميع البصير

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ٢/١١٣٦

وعيد من الله تبارك وتعالى للكفار على تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم في أمر الإسراء، فهي إشارة لطيفة بليغة إلى ذلك، معناها: إن الله هو السميع لما تقولون، البصير." (١)

"والخلاصة: إن طلب زكريا وجود ولي يرث العلم والنبوة في غاية السمو والإخلاص والحرص على دوام الخير والفضل الإلهي.

قصة يحيى عليه السلام

من العجائب أو خوارق العادات والمعجزات: ولادة عيسى عليه السلام من غير أب، وولادة يحيى بن زكريا عليه السلام: من أم عاقر، وأب شيخ كبير، وهذا بحسب توقعات البشر المعتادة والقدرات الشائعة، أما على قدرة الله تعالى العظمى فإن الأمر يهون لأن الخلق والأمر والإرادة الإلهية فورية الأثر، لا يتأخر شيء عن مراد الله إذا شاء، حتى ولو كان المعتاد خلاف ذلك، وهكذا ولد يحيى عليه السلام ببركة دعاء أبيه زكريا، مع أنه كان شيخا هرما، وامرأته عاقر لا تلد، قال الله تعالى واصفا هذا الحادث:

[سورة مريم (١٩) : الآيات ٧ الى ١١]

يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا (٧) قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا (٨) قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا (٩) قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا (١٠) فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا (١١)

«١» «٢» «٣» «٤» «٥» «٦» [مريم: ١٩/ ٧- ١١] .

استجاب الله تعالى دعاء زكريا عليه السلام طلب ولي يرثه العلم والنبوة، فقيل له بإثر دعائه: إنا نبشرك بغلام يولد لك اسمه (يحيى) لم يسبق أحد تسميته بهذا الاسم.

قال قتادة: سمي يحيى لأن الله تعالى أحياه بالنبوة والإيمان. وقال بعضهم: سمي،

---

(١) كيف ومن أين يكون؟

(٢) العاقر من النساء: التي لا تلد من غير كبر. وكذلك العاقر من الرجال.

(٣) حالة لا تداوى.

(٤) سليما من غير علة. [.....]

(٥) المصلى أو المعبد.

(٦) طرفي النهار.." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ٢/١٣٢٢

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ٢/١٤٦٢

"أنت عليه من تذكير الناس وموعظتهم، فلست بحمد الله بكاهن تدعي الإخبار عن الماضي بلا وحي، ولا بمجنون: يتخبطه الشيطان من المس.

بل يقولون: إنه شاعر ننتظر به حوادث الأيام ومصائبها، فيموت كما مات غيره، والريب: الشك، وأطلق على الحوادث على سبيل الاستعارة التصريحية، لعدم البقاء والدوام على الحال، والمنون: الدهر، لأنه يقطع الأجل، وهذا إنكار من الله عليهم باتهامهم الرسول مما ليس فيه، ثم هددهم الله: فقل لهم أيها الرسول:

انتظروا موتي أو هلاكي، فإني معكم من المنتظرين عاقبة الأمر، وقضاء الله فيكم.

أأنزل عليهم شيء من السماء، أم تأمرهم عقولهم بهذا الكلام المتناقض، وهو زعمهم أن القرآن سحر أو كهانة، أو شعر، وقولهم في الرسول: إنه كاهن أو شاعر أو مجنون. أم إنهم قوم طغاة تجاوزوا الحد في العناد والضلال عن الحق.

أم إنهم يقولون: إن محمدا اختلق القرآن وافتراه من عند نفسه، بل في الواقع إنهم لا يؤمنون بالله، ولا يصدقون بما جاء به رسوله.

فإن ص دقوا في زعمهم هذا بأن محمدا افترى القرآن، فليأتوا بمثل هذا القرآن في نظمه وسمو بلاغته، وبديع أسلوبه، وعظمة بيانه. والواقع أنهم لو اجتمعت معهم الجن وجميع الإنس، ما جاؤوا بمثله أو بمثل سورة منه ذات موضوع معين.

ثم أبطل الله شرك المشركين ورد على إنكارهم وحدانية الخالق، فهل وجدوا من غير موجد، أم إنهم أوجدوا أنفسهم؟ وبما أن الأمرين منتفيان عقلا وواقعا، فالله هو الذي خلقهم، وهو الإله الواحد.

وهل خلقوا السماوات والأرض وما فيهما **من العجائب**، وأسباب العيش، ليدعوهم ذلك إلى التكبر، بل في الواقع إنهم غير مستيقنين حقا بأن الله هو الخالق، خلافا لإقرارهم، فهم لا يوقنون ولا ينظرون نظرا يؤديهم إلى اليقين. وخص الله من." (١)

"برسول الله صلى الله عليه وسلم من دار أم هانئ، وأراد بالمسجد الحرام مكة، ومكة الحرم كلها مساجد.

﴿إلى المسجد الأقصى﴾ [الإسراء: ١] يعني بيت المقدس، وقيل له الأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام، ﴿الذي باركنا حوله﴾ [الإسراء: ١] بالثمار والأنهار والأنبياء والصالحين، قال مجاهد: لأنه مقر الأنبياء، ومهبط الملائكة.

﴿لنريه من آياتنا﴾ [الإسراء: ١] يعني ما رأى في تلك الليلة **من العجائب** التي أخبر بها الناس، والأخبار في قصة الإسراء كثيرة نقتصر منها على حديث أنس الذي أجمع الشيخان على صحته، وهو ما:

٥٣٦ - أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا حاجب بن أحمد الطوسي، نا عبد الرحيم بن منيب، نا عثمان، نا همام، قال: سمعت قتادة، وأخبرنا أبو نصر أحمد بن إبراهيم المهرجاني، أنا عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان، أنا أبو القاسم عبد الله بن محمد المنيعي، نا العباس بن الوليد النرسي، نا يزيد بن زريع، نا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك، أن مالك بن صعصعة، أخبره: أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حدثه، عن ليلة أسري به، قال: بينما أنا في الحطيم، وربما قال قتادة: في الحجر مضطجعا إذ أتاني آت فقد، وسمعت قتادة يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه، قال قتادة:

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٠١٨/٣

فقلت للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته، قال: فاستخرج قلبي، وأتيت بطست من ذهب مملوء إيمانا وحكمة، فغسل قلبي، ثم حشي، ثم أعيد، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض، قال: فقال له الجارود: أهو البراق يا أبا حمزة؟ قال: نعم يقع خطوه عند أقصى طرفه، قال: فحملت عليه، فانطلق بي جبريل حتى أتى بي السماء الدنيا فاستفتح، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، صلى الله عليه وسلم، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، ففتح لنا، قالوا: مرحبا به، ولنعم المجيء جاء، قال: فأتيت على آدم، صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا جبريل، من هذا؟ قال: هذا أبوك آدم، فسلمت عليه، فقال: مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الثانية، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ فقال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، صلى الله عليه وسلم، قالوا: وقد بعث إليه؟ قال: نعم، ففتحوا لنا، وقالوا: مرحبا به، ولنعم المجيء جاء، فأتيت على عيسى ويحيى، ابني الخالة، فقلت: يا جبريل، من هذان؟ قال: عيسى ويحيى، فسلمت عليهما، قالا:." (١)

"الصبيان، فقال به هكذا، كأنه اجتذب رأسه، فقلعه، وأشار عبد الرزاق حين روى هذا الحديث بأصابعه الثلاثة: السبابة، والوسطى، والإبهام وفتحها.

وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن ذلك الغلام كان من أحسن أولئك الغلمان وأصحهم.

قال موسى حين رأى ذلك: ﴿أقتلت نفسا زكية﴾ [الكهف: ٧٤] قال ابن عباس، ومجاهد: لم يبلغ الحلم.

ومعنى الزكية الطاهرة من الذنوب، وذلك لأنه كان صغيرا لم يبلغ حد التكليف، وقرئ زاكية وهي البريئة من الذنوب، قال الفراء: الزاكية والزكية مثل القاسية والقسية.

وقوله: ﴿بغير نفس﴾ [الكهف: ٧٤] يعني: بغير قتل نفس، يعني القود، ﴿لقد جئت شيئا نكرا﴾ [الكهف: ٧٤] فظيعا منكرا، لا يعرف في شرع.

فقال الخضر: ﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ [الكهف: ٧٥] .

قال موسى: ﴿إن سألتك عن شيء﴾ [الكهف: ٧٦] يعني: سؤال توبيخ وإنكار، بعدها بعد النفس المقتولة، ﴿فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا﴾ [الكهف: ٧٦] قال ابن عباس: يريد أنك قد أعذرت فيما بيني وبينك، وقد أخبرتني أني لا أستطيع معك صبرا، وهذا إقرار من موسى بأن الخضر قد قدم إليه ما يوجب العذر عنده فلا يلزمه ما انكره.

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية، فقال: «لقد استحى نبي الله موسى عندها، ولو صبر، لرأى ألفا **من العجائب»** .

وقراءة العامة بتشديد النون من لدن والأصل لدن، ثم يزاد مع الياء، نحو مني، وعني، ثم يدغم النون الساكنة في التي تزاد مع الضمير فيصير لدني مشددا، ومن خفف فإنه لم يلحق النون التي تلحق علامة الضمير في نحو ضربني، وقد جمع الشاعر بين اللغتين في قوله:

قدني من نثر الخبيبين قدني

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٣/٩٤

﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا ﴿٧٧﴾ قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ﴿٧٨﴾ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ﴿٧٩﴾ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا ﴿٨٠﴾ فأردنا أن يبدلهما." (١)

"ليتني لم أفعل.

وهذا قول عطاء، عن ابن عباس.

وقال الحسن: هي النفس المؤمنة، لا ترى المؤمن إلا يلوم نفسه على كل حال.

قوله: ﴿أيحسب الإنسان﴾ [القيامة: ٣] يعني: الكافر بالبعث، ﴿ألن نجمع عظامه﴾ [القيامة: ٣] قال ابن عباس: يريد: أبا جهل، يقول: أيحسب أن لن يبعث.

بلى نجمعها، ﴿قادرين على أن نسوي بنانه﴾ [القيامة: ٤] على ما كانت، وإن قل عظامها وصغرت، نردها كما كانت، ونؤلف بينها حتى يستوي البنان، ومن قدر على جمع صغار العظام، كان على جمع أكابرها أقدر، وهذا قول، الزجاج، وابن قتيبة.

والمفسرون يقولون: نجعلها كخف البعير، أو كحافر الدابة.

والمعنى: نجعل بنانه مع كفه صفحة مستوية، لا شقوق فيها، فيعدم الارتفاق بالأعمال اللطيفة كالكتابة، والخياطة.

﴿بل يريد الإنسان﴾ [القيامة: ٥] يعني: الكافر، ليفجر أمامه يقدم الذنب، ويؤخر التوبة، والمعنى: يريد أن يعصي، ويكفر أبدا ما عاش، قال ابن الأنباري: يريد أن يفجر ما امتد عمره، وليس في نيته أن يرجع عن ذنب يرتكبه.

﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾ [القيامة: ٦] أي: متى يكون ذلك؟ تكذيبا به.

قال الله تعالى: ﴿فإذا برق البصر﴾ [القيامة: ٧] فزع، وتحير لما يرى **من العجائب** التي كان يكذب بها، قال الكلبي: وذلك عند رؤية جهنم، يبرق أبصار الكفار.

والفتح في برق لغة.

﴿وخسف القمر﴾ [القيامة: ٨] ذهب ضوءه.

﴿وجمع الشمس والقمر﴾ [القيامة: ٩] كالبعيرين القرينين، وقال مجاهد: كورا يوم القيامة.

وهو اختيار الفراء، والزجاج، قالا: جمعا في ذهاب نورهما.

يقول الإنسان المكذب بيوم القيامة: أين المفر أين الفرار؟ ويجوز أن يكون الفرار موضع الفرار.

قال الله تعالى: ﴿كلا لا وزر﴾ [القيامة: ١١] لا جبل، ولا حصن، ولا ملجأ من الله.

﴿إلى ربك يومئذ المستقر﴾ [القيامة: ١٢]." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ١٥٩/٣

(٢) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٣٩١/٤

"وذكر " دابة الأرض " في سورة النمل التي وصف فيها كتاب الله منطق الطير، وحديث النمل، وقطع المسافات البعيدة في أقل من طرفة عين، كما وقع في نقل عرش ملكة سبأ إلى بلاط سليمان، يناسب كل مناسبة ما سبق ذكره فيها **من العجائب** والخوارق، التي تبرز قدرة الله لمن لا يومن بالله.

وكتاب الله تارة يذكر ما يكون علامة على قيام الساعة، كذكره " دابة الأرض " في هذه الآية، وتارة يصف الأمور التي تقع عند قيام الساعة، كما في فاتحة سورة الحج ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ [الآيتان: ١، ٢] وفي فاتحة سورة الواقعة: ﴿إذا وقعت الواقعة * ليس لوقعتها كاذبة * خافضة رافعة * إذا رجت الأرض رجا * وبست الجبال بسا * فكانت هباء منبثا﴾ [١، ٦] وفي فاتحة سورة التكوير: ﴿إذا الشمس كورت * وإذا النجوم انكدرت * وإذا الجبال سيرت﴾ [الآيات: ١، ٣] وفي فاتحة سورة الانفطار ﴿إذا السماء انفطرت * وإذا الكواكب انتثرت * وإذا البحار فجرت * وإذا القبور بعثرت * علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾ [الآيات: ١، ٥].

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة * وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة * فيومئذ وقعت الواقعة * وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾." (١)

"عنه أبو زرعة والحسن بن الليث نا عبد الرحمن قال سئل أبو زرعة عنه فقال

صدوق ص - ٢٣ - الثاني - انه اخذ الاحوط في جرح الرجال ونقدهم وقال.

عبد الواحد بن قيس الذى روى عنه الاوزاعي فقال كان شبه لا شئ الثالث لما كان المصنف رحمه الله من اعلم العلماء بمعرفة الرجال قد اتى بالدقائق التي لم يصل إليها غيره قال.

عبد الواحد بن واصل أبو عبيدة الحداد قال قال أبو عبد الله احمد بن حنبل أبو عبيدة الحداد لم يكن صاحب حفظ وكان كتابه صحيحا ص - ٢٤ عبد الكريم بن عبد الكريم التاجر روى عن الحسن بن مسلم عن الحسين ابن واقد نا عبد الرحمن قال سألت أبي عنه فقال لا أعرفه وحديثه يدل على الكذب.

ص ٦٢ - الرابع - وعنده ميزان العدل يعدل به اقوال الائمة - قال نا عبد الرحمن قال سألت ابى عن ابى بكر الحنفي فقال لا بأس به صالح الحديث.

ص ٦٢ - وهذا **من العجائب** ان في تصحيح هذا الكتاب اشترك حضرة العلامة الفاضل الناقد في علم الرجال مولانا الشيخ عبد الرحمن اليماني بمناسبة اسم المصنف رحمه الله - وامعن النظر فيه العلامة الشهير مولانا الاستاذ مناظرا حسن گيلانى استاذ الجامعة العثمانية.

وهذا من النعم السابغة علينا انا فرغنا من طبع هذا الكتاب في عهد جلالة الملك مولانا السلطان سلطان العلوم النواب مير

---

(١) التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري ٤/٤٦٨

عثمان على خان نظام الملك آصفجاه السابع خلد الله ملكه وسلطنته وحفظ الله ولى عهده الاعظم النواب الدكتور اعظم جاه بهادر وابنه المعظم النواب الدكتور معظم جاه بهادر وحفيده المكرم النواب مكرم جاه بهادر - وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

الثالث لما كان المصنف رحمه الله من اعلم العلماء بمعرفة الرجال قد اتى بالدقائق التى لم يصل إليها غيره قال.

عبد الواحد بن واصل أبو عبيدة الحداد قال قال أبو عبد الله احمد بن حنبل أبو عبيدة الحداد لم يكن صاحب حفظ وكان كتابه صحيحا ص - ٢٤ عبد الكريم بن عبد الكريم التاجر روى عن الحسن بن مسلم عن الحسين ابن واقد نا عبد الرحمن قال سألت أبي عنه فقال لا أعرفه وحديثه يدل على الكذب.

ص ٦٢ - الرابع - وعنده ميزان العدل يعدل به اقوال الائمة - قال نا عبد الرحمن قال سألت ابى عن ابى بكر الحنفي فقال لا بأس به صالح الحديث.

ص ٦٢ - وهذا **من العجائب** ان في تصحيح هذا الكتاب اشترك حضرة العلامة الفاضل الناقد في علم الرجال مولانا الشيخ عبد الرحمن اليماني بمناسبة اسم المصنف رحمه الله - وامعن النظر فيه العلامة الشهير مولانا الاستاذ مناظرا حسن كيلانى استاذ الجامعة العثمانية.

وهذا من النعم السابغة علينا انا فرغنا من طبع هذا الكتاب في عهد جلالة الملك مولانا السلطان سلطان العلوم النواب مير عثمان على خان نظام الملك آصفجاه السابع خلد الله ملكه وسلطنته وحفظ الله ولى عهده الاعظم النواب الدكتور اعظم جاه بهادر وابنه المعظم النواب الدكتور معظم جاه بهادر وحفيده المكرم النواب مكرم جاه بهادر - وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين.

خادم العلم السيد هاشم الندوى." (١)

"٦٦٥ - شاذان ذكره الخاصي فى فتاواه وذكر عنه أن المرأة إذا ارتدت لم تبن من زوجها وذكر عنه فى القنية فى مجوسي أسلم وتحته أخته لا تبين قال وكذا عن أبي نصر الدبوسي

٦٦٦ - شاذان بن إبراهيم من اختياره أن الغسل يجب بخروج المني كيف ما كان ولم يعتبر الدفق والشهوة

٦٦٧ - شجاع بن الحسن بن الفضل البغدادي أبو الغنائم أحد المبرزين من الفقهاء مع دين اشتهر به وكان يدرس بمشهد الأمام تفقه عليه ولده عبد الرحمن ابن شجاع كان عالما بالمذاهب والخلاف متدينا حسن الطريقة وروى شيئا من الأناشيد عن الشريف أبي طالب الزينبي والكيا علي بن محمد الهراسي روى عنه أحمد بن طارق قال ابن النجار قرأت على أحمد بن محمد بن عمر عن القاضي أبي المحاسن عمر بن علي القرشي أنشدني أبو الغنائم شجاع بن الحسن بن الفضب الحنفي أنشدني أبو طالب الحسين بن محمد الزينبي وقد دخل عليه الموفق رسول ملك غزنة ... يا نازحا شط المزاربه ... شوقي إليك يزيد عن وصفي

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي، ابن أبي حاتم ٤١٣/٦

أغفى لكي ألقاك في حلمي ... **ومن العجائب** عاشق يغفي ... قال ابن النجار ذكر لي أبو الحسن بن القطيعي أنه سمع بعض رفقائه يذكرانه سأل الفقيه شجاعا الحنفي عن مولده فقال في سنة تسع وسبعين وأربع مائة قال وأنبأنا أبو البركات عن أبي الفرج صدقة بن الحسين بن الحداد الفقيه قال سنة سبع وخمسين وخمس مائة في يوم الخميس حادي عشر ذي القعدة مات شجاع الفقيه الحنفي المدرس بمشهد أبي حنيفة ودفن مما يلي القبة جار المشهد كان كبيرا ويأتي ولده رحمه الله تعالى." (١)

"شعر ... عجبا لقدك ما ترنح مائلا ... إلا وقد سلب الغصون شمائلا

ولسقم جفنك كيف صح بكسرة ... فيه وأصبح باللواحظ نابلا

ولناظر حاز الولاية فاغتدى ... من غير عدل للمعاطف عاملا

وإذا علمت بأن ثغرك منهل ... في روضة فعلام تحرم سائلا

في بحر خدك راح صدغك زورقا ... ولحسنه مد الغذار سلاسلا

وأظن موج الحسن يقذف عنبرا ... أضحى له بيت السوالف ساحلا

ومن العجائب أن سائل أدمعي ... قد جاء يستجدي عذارك سائلا ... ومن شعره أيضا ... سقى الله أيام الحمى ما يسرها ... وخصك يا عصر الشبيبة بالرضى

ففيك عرفت العيش غضا مطاوعا ... ولكنه لما انقضى عصرك انقضى ...

٤٨٥ - محمود بن عبد الله بن محمد بن يوسف الغزي الأصل الرومي المولد المصري الدار المؤذن المعروف بابن العجمي أبو الثناء ويعرف بالملثم قدم مصر في حدود سنة سبعين وخمس مائة وسمع بها من أبي الحسين علي بن هبة الله بن عبد الصمد الأصبهاني وأبي القاسم هبة الله بن علي الأنصاري وأجاز له أبو طاهر السلفي وحصل أصولا وكتبا كثيرة وحدث وسمع منه الحافظ المنذري وقال سألته عن مولده فقال في ربيع الأول سنة خمس وأربعين وخمس مائة بأقصرا من بلاد الروم وتوفي يوم الخيمس من ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين وست مائة ودفن من الغد بسفح المقطم وتقدم ابنه محمد بن محمود

٤٨٦ - محمود بن عبيد الله بن صاعد بن أحمد بن محمد الطايكاني الحارثي شيخ الإسلام من أهل مرو قال ابن النجار سألته عن مولده فقال في ذي الحجة سنة." (٢)

"يدل عليه، على أن الاعتبار بقصته والانتفاع بها لا يتوقف على شيء من ذلك، وتلك سمة من سمات القصص القرآني، وخصيصة من خصائصه أنه لا يعنى بالأشخاص والزمان والمكان مثلما يعنى بانتزاع العبرة منها، والاستفادة منها، والدروس التي ينتفع بها البشر فيما سيقت لها.

قصة يأجوج ومأجوج

---

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية عَبْد القَادِرِ القُرَشي ١/٢٥٥

(٢) الجواهر المضية في طبقات الحنفية عَبْد القَادِرِ القُرَشي ٢/١٥٩

يتعلق أيضا بقصة " ذي القرنين " ما يتصل بقصة "يأجوج ومأجوج"، وهي كذلك لم تسلم من إيراد الإسرائيليات، يقول شيخنا الشيخ أبو شهبة: ومن الإسرائيليات التي اتسمت بالغرابة، والخروج عن سنة الله في الفطرة وخلق بني آدم ما ذكره بعض المفسرين في تفسيرهم عند قوله: ﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا﴾ (الكهف: ٩٤)، ففي معناها ذكروا عن يأجوج ومأجوج الش يء الكثير **من العجائب** والغرائب.

قال العلامة السيوطي في (الدر المنثور) الجزء الخامس، في تفسير هذه الآيات: أخرج ابن أبي حاتم وابن مردوي ه وابن عدي وابن عساكر وابن النجار، عن حذيفة قال: سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن يأجوج ومأجوج، فقال: "يأجوج ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة ألف أمة، لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه، كل حمل السلاح، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم ثلاثة أصناف؛ صنف منهم أمثال الأرز، قلت: وما الأرز؟ قال شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع في السماء، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: هؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى، لا يمرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام وساقتهم يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية".." (١)

"وقد كانت معظم الروايات في بيان العباد ذوي البأس الشديد الذين سلطوا عليهم تدور حول هذا الرجل "بختنصر" هذا البابلي، ولكن أحاطوه بهالة **من العجائب** والغرائب والمبالغات التي لا تصدق، ومن العجيب أن هذه الروايات قد أخرجها ابن جرير في ت فسيره، وأكثر منها جدا، وكذا ابن أبي حاتم والبغوي وغيرهم عن ابن عباس وابن مسعود، وسعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، وعن السدي، وعن وهب بن منبه، وابن إسحاق، وغيرهم، وخرجها من ذكر أسانيدها مع عزوها إلى مخرجيها الإمام السيوطي في تفسيره (الدر المنثور).

وفي هذه الروايات ولا شك الكثير من أكاذيب بني إسرائيل التي اختلقها أسلافهم، وتنوقلت عليهم، ورواه أخلافهم من مسلمتي أهل الكتاب الذين أسلموا، وأخذها عنهم بعض الصحابة والتابعين؛ تحسينا للظن بهم، ورواها من غير تنبيه إلى ما جاء فيها من الكذب، وفي هذه الأخبار الإسرائيلية ما يحتمل الصدق والكذب، ولكن الأولى عدم الاشتغال به، وأن لا نفسر القرآن بها، وأن نقف عند ما قصه الله علينا من غير أن نفسد جمال القرآن وجلاله بمثل هذه الإسرائيليات.

وقد أكثر ابن جرير هنا من النقل عن ابن إسحاق، وفي بعضها روى عن ابن إسحاق عن من لا يتهم عن وهب بن منبه، وفي بعضها بسنده عن وهب بن منبه بدون ذكر ابن إسحاق، وبذلك وقفنا على من كان المصدر الحقيقي لهذه المرويات، وأنه وهب بن منبه وأمثاله من مسلمة أهل الكتاب، وقد سود ابن جرير بضع صفحات من كتابه في النقل عن ابن إسحاق وعن وهب، ولا نحب أن ننقل كل ما ذكره بنصه، وإلا طال الكلام، فإن في ذلك تسويدا للصفحات، ولكن سنذكر البعض ليكون القارئ وطالب العلم والباحث والذي يريد معرفة التفسير على حذر من مثل ذلك.." (٢)

---

(١) الدخيل في التفسير - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/١٣٢

(٢) الدخيل في التفسير - جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/١٩٠

"كثير؛ فجعل الآية الأولى في آدم وحواء، وجعل قوله تعالى: ﴿فلما آتاهما صالحا﴾ الآية في المشركين من ذريتهما؛ أي: جعلا أولادهما شركاء لله فيما آتاهما، والمراد بهما الجنس أي: جنس الذكر والأنثى، فمن ثم حسن قوله: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ بالجمع، ويكون هذا الكلام من الموصول لفظا المفصول معنا، ومنهم من جعل الآيتين في ذرية آدم وحواء؛ أي: خلقكم من نفس واحدة، وهي نفس الذكر، وجعل منها؛ أي: من جنسها زوجها، وهي الأنثى ﴿فلما آتاهما صالحا﴾ أي: بشرا سويا كاملا؛ ﴿جعلا﴾ أي: الزوجان الكافران لله شركاء فيما آتاهما وبذلك أبدلا شكر الله كفرانا به وجحودا؛ وعلى هذا لا يكون لآدم وحواء ذكر ما في الآيتين، وهنالك تفاسير أخرى لا نستريح لها، يقول شيخنا: لست منها على ثلج ولا طمأنينة. كما روي في تفاسير الكشاف والقرطبي وأبي السعود وال ألوسي وغيرها.

الإسرائيليات التي وردت في قصة نوح – عليه السلام –

قصة نوح – عليه السلام– من القصص الذي ذكر في القرآن الكريم، ومنهجه في الدعوة، وصبره على قومه، وأن الله – سبحانه وتعالى– نصره على من كذبه، وأمره بصنع سفينة يحمل فيها من آمن معه؛ هذه القصة التي ذكرت في أكثر من سورة لم يسلم التفسير الذي رواه المفسرون وذكره حول هذه القصة من بعض الإسرائيليات، ودائما نقول: إن ابن جرير والبغوي وأبو السعود، والقرطبي و (الدر المنثور) هذه التفاسير حوت قدرا من الإسرائيليات.

فمن الإسرائيليات التي اشتملت عليها بعض كتب التفسير؛ كابن جرير و (الدر المنثور) ما روي في سفينة نوح عليه السلام؛ فقد أحاطوها بهالة **من العجائب**." (١)

"حرف الشين

شجرة الدر

هي الملكة عصمت الدين أم خليل شجرة الدر محظية السلطان الصالح نجم الدين أبي الفتوح أيوب وأم ولده السلطان خليل.

كان امرأة عاقلة مهذبة خبيرة بالأمور، وكان يرجع إليها بالرأي الملك الصالح أيوب ويستشيرها في مهمات الأمور.

ومن أمرها أنه لما مات الملك الصالح نجم الدين أيوب بناحية المنصورة في قتال الفرنج قامت بالأمر وكتمت موته واستدعت ابنه (توران شاه) من حصن (كيفا) وسلكت إليه مقاليد الأمور، وتسلطن بقلعة دمشق في رمضان سنة ٦٤٧ هجرية وقدم إلى الصالحية وأعلن يومئذ بموت الصالح ولم يكن أحد قبل ذلك يتفوه بموته بل كانت الأمور على حالها والخدمة تعمل بالدهليز والسماط وشجرة الدر تدبر أمور الدولة وتوهم الكافة أن السلطان مريض ما لأحد إليه وصول.

ثم أساء السلطان (توران شاه) تدبير نفسه فتقله البحرية بعد سبعين يوما من ولايته وبموته انقضت دولة بني أيوب من مصر، ثم اجتمع المماليك البحرية على أن يقيموا بعده في السلطنة محظية أستاذهم شجرة الدر فأقاموها وحلفوا لها في عاشر صفر

---

(١) الدخيل في التفسير – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٢٥٤

ورتبوا عز الدين أيبك التركماني مقدم العسكر فسار إلى قلعة الجبل، وأنهى ذلك إلى شجرة الدر، فقامت بتدبير المملكة، وعملت على التوقيع بما مثاله والدة خليل، ونقش على السكة اسمها ومثاله المستعصمة الصالحية ملكة المسلمين والدة المنصور خليل خليفة أمير المؤمنين وخلعت على المماليك البحرية، وأنفقت فيهم الأموال ولم يوافق أهل الشام على سلطنتها وطلبوا الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب، فسار إلى دمشق وملكها فانزعج العسكر بالقاهرة وتزوج الأمير عز الدين أيبك التركماني بشجرة الدر، ونزلت له عن السلطنة وكانت مدتها ثمانين يوما، ومن مآثرها الجامع الذي بنته بخط الخليفة بمصر بقرب مشهد السيدة سكينة بنت الحسين – رضي الله عنهما – ودفنت فيه حين موتها وهو مقام الشعائر لغاية الآن ولها جملة مآثر ومبان خيرية بمصر وخلافها من البلاد التي تملكت عليها.

شعانين زوجة المتوكل الخليفة العباسي

كانت ذات حسن وجمال، وبهاء وكمال، ولطف وظرف، واعتدال قد، واحورار طرف. مجيدة لضروب الغناء وفتونه، عالمة بأساليب الغرام وفتونه.

قيل: إن سبب ائتلاف المتوكل بها أنه خرج يوما للنزهة في ضواحي الشام فبينما هو يتصفح الكنائس والرياض ويرى ما فيها من العجائب وحسن ثياب النصارى إذ أقبل راهب الكنيسة فجعل الخليفة يسأله عن كل من يمر حتى أقبلت جارية لم ير أحسن منها وبيدها مجمرة بخور فسأله عنها فقال: هي ابنتي. وما اسمها؟ قال: شعانين. فقال لها المتوكل: يا شعانين، اسقني ماء. فقالت: يا سيدي، ليس هنا إلا ماء الغدران، وأنا لا أستنظفه لك، ولو كانت حياتي ترويك لجدت لك بها، وأسرعت بكوز فضة. فأومأ إلى أحد ندمائه أن اشربه، فشربه، ثم قال لها: إن هويتك تساعديني؟ فقالت له: أنا الآن أمتك وأما إذا أصدق الحب في المحبة فما أخوفني من الطغيان أما سمعت قول الشاعر:

كنت لي في أوائل الأمر حبا ... ثم لما ملكت صرت عدوا." (١)

"رجب لليلة عيد الفطر سنويا أربعون دينارا ذهبا زر محبوب.

ولناظر الوقف سنويا ثلاثون دينارا وللناظر الحسبي عشرة دنانير، وللمباشر مثله والجابي كذلك وأن يصرف في وجوه الخير على ترتبها في أيام الجمعة والعيدين سنويا شرة دنانير ذهبا. وللتربي عشرة ريالات حجر أبو طاقة، ولسبعة قراء بالحرم المكي عشرة ريالات أبو طاقة أيضا فلله در هذه الواقفة فإنها لم تدع بابا للخير إلا فتحته فرحمها الله رحمة واسعة وأكثر الله من أمثالها.

شرفية ابنة سعيد قبودان

ولدت في سنة ١٢٦٠ هجرية وهي لغاية الآن على قيد الحياة، ولهذه المترجمة وقائع تشهد لها بالوفاء وتعتبر من العجائب المستغربة قد أخبرتني عنها إحدى السيدات الموثوق بقولهن، ولغرابة هذه الوقائع أحببت درجها في هذا التاريخ لكي تخلد

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٢٥٥

لهذه المترجمة ذكرا مدى الأعصار، وهو أنه كان في مدينة (بولاق) مصر رجل (قبودان) يقال له: سعيد (قبودان) ، وكان قد اقترن بفتاة اسمها السيدة مخدومة شقيقة رائف باشا – أحد رؤساء البحر في الحكومة المصرية – فرزق منها سعيد (قبودان) بنتا فسماها شرفية ولم تمكث في حجر والدها سوى ثمان سنوات حتى توفاه الله. وكان ذلك سنة ١٢٦٨ هجرية وهو مجاهد في حرب القرم الأخيرة.

وكانت هذه البنت غاية في الرقة واللطف، وقد ربيت على مبادئ حسنة، وقد علمتها والدتها القراءة والكتابة والأشغال اليدوية، وجميع ما تختص به النساء من تطريز وغيره حتى فاقت بنات عصرها، وهي مطيعة لوالدتها منقادة لكلامها وكانت تلك الوالدة تحني عليها ضلوع الرأفة والحنو إلى أن بلغت الثامنة عشرة من سنيها، وكانت في مدينة (إزمير) امرأة متوسطة المقام، وكان قد تركها زوجها منسحبا من بلده ولم تعلم أين ذهب وترك لها ولدا صغيرا، ولكنه يضاهي البدر جمالا والغصن اعتدالا، وما زالت منتظرة تربي ولدها إلى أن فرغ منها المال المدخر معها، ولم تجد ما تقتات به هي وولدها.

وقد تواترت الأخبار عن وجود زوجها في مصر فأخذت ولدها – وكان في سن الثالثة عشرة من سنيه – وحضرت به إلى مصر لتبحث عن والده كما خلد في فكرها وقد نزلت بالأمر المقدور على السيدة مخدومة، فتلقتها على الرحب والسعة وفتحت لها في قلبها فضلا عن منزلها أعظم محل، وكلمت شقيقها رائف باشا في أمرها فبحث عن زوجها فلم يعلم له خبرا. ولما لم يجده أخذ الغلام وسلمه إلى إحدى المدارس الأميرية، وكان رائف باشا عديم الولد لأنه لم يتزوج أبدا إلى أن بلغ الثمانين من العمر وكانت شرفية في ذلك الوقت لم تتجاوز الثامنة عشرة وكان محمد كمال في سن الثالثة عشرة، وكانت شرفية ربعة القوام ممتلئة الروح، سوداء الشعر والعيون، تخلب لب من يراها.

وأما محمد كمال فإنه طويل القوام نحيل الجسم، أبيض اللون، أشقر الشعر، أزرق العيون مستدير الوجه يميل دمه إلى الخفة مع أنه أقل من كان بهذا الشكل أن يستحصل على هذا الجاذب.

ولما دخل إلى منزل سعيد (قبودان) صارت شرفية تعتني بأمره كل الاعتناء من ملبس ومأكل، وكل ما يلزم له وجميع سد احتياجاته، وكانت والدتها تنظر إليها بعين الاستغراب وتفكر في أمرها وانشغالها بأمر هذا الغلام، ولكنها تراجع نفسها عن الظنون في ابنتها لأنها في هذا السن، ولما دخل المدرسة وبعد عن شرفية كثرت عليها." (١)

"لآخذن توحيدي وأطوف به على أهل النار وأقول وحدته فعذبني.

ماتت رضي الله عنها سنة هجري ودفنت فيا لمسجد المعروف باسمها الآن بناحية قراميدان بمصر وقبرها يزار وأهل مصر يعتقدون بها ويتبركون بزيارتها ومسجدها مقام الشعائر، وكان أبوها جعفر الصادق –رضي الله عنه – إماما نبيلا أخذ الحديث عن أبيه وجده لأمه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه وعروة وعطاء ونافع والزهري وهو إمام مذهب الشيعة الإمامية.

عائشة بنت أحمد القرطبية

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٢٥٨

قال ابن حبان: لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعادلها علما وفهما، وأدبا وفصاحة وشعرا وكانت تمدح ملوك الأندلس وتخاطبهم بما يعرض لها من حاجة، وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف وماتت عذراء لم تتزوج، وكانت وفاتها سنة ٤٠٠ هجرية.

وقال صاحب المقرب: إنها من عجائب زمانها وغرائب أوانها وأبو عبد الله الطبيب عمها ولو قيل: إنها أشعر منه لجاز ودخلت يوما على المظفر بن المنصور بن أبي عامر وبين يديه ولد فارتجلت:

أراك الله فيه ما تريد ... ولا برحت معاليه تزيد

فقد دلت مخايله على ما ... تؤمله وطالعه سعيد

تشوقت الجياد له وهز ال ... حسام له وأشرقت البنود

وكيف يخيب شبل قد نمته ... إلى العليا ضراغمة أسود

فسوف نراه بدار في سماء ... من العليا كواكبه الجنود

فأنتم آل عامر خير آل ... زكا الأبناء منكم والجدود

وليدكم لدى رأي كشيخ ... وشيخكم لدى حرب وليد

وخطبها بعض الشعراء ممن لم ترضه فكتبت إليه:

إنا لبوة لكنني لا أرتضي ... نفسي مناخا طول دهري من أحد

ولو أنني أختار ذلك لم أجب ... كلبا ولا أغلقت سمعي عن أسد

عائشة بنت علي بن محمد بن عبد الغني بن المنصور الدمشقية كانت عالمة عاملة كاملة، تعلمت النحو، والصرف، والبيان، والعروض، والحديث، وفتحت حلقة للتدريس سمعت عن زوجها الحافظ نجم الدين الحسني، وعن الإمام ابن الخباز والمرداوي. ومن بعدهما حدثت وانتفع الناس بمعارفها وعلومها حتى أنها فاقت أهل زمانها علما وأدبا ومعاشرة وعفة.

عائشة بنت محمد بن عبد الهادي

عائشة بنت محمد بن عبد الهادي بن عبد المجيد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي.

الصالحية الحنبلية سيدة المحدثين بدمشق، سمعت صحيح البخاري على حافظ العصر المعروف بالحجار. وروى عنها الحافظ ابن حجر وقرأ عليها كتبا عديدة، وانفردت في آخر عمرها بعلم الحديث، وكانت سهلة في تعليم العلوم، لينة الجانب للتعليم، **ومن العجائب** أن ست الوزراء كانت آخر من حدث عن الزبيدي بالسماع، ثم كانت عائشة." (١)

"١٠٩٥ - إياس بن عبد الله الجرجاوي فخر الدين تنقلت به الأحوال في الخدم وأمر تقدمة ثم ولي نيابة طرابلس ومات سنة ٧٩٩

١٠٩٦ - إياس بن عبد الله الذهبي ولد سنة ٦٨٧ تقريبا أنشدنا عنه البدر النابلسي في مشيخته أنه أنشده لنفسه

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٢٩٢

(كسر الخليج وكان ذلك نعمة ... سرت قلوب المسلمين بسره)

(ومن العجائب والغرائب أنه ... جبرت قلوب العالمين بكسره)

١٠٩٧ – إياس الشمسي ولي نيابة قلعة الروم ثم حماة ثم شد الدواوين بدمشق في سنة ٧١٠ ثم صرف إلى طرابلس فأقام بها أميرا في سنة ٧١١ ومات في شهر رمضان سنة ٧٢٢

١٠٩٨ – إياس المرقبي أمير جندار كان دينا متواضعا ومات مجردا بحلب في شعبان سنة ٧٠٧ – أرخه البرزالي

١٠٩٩ – إيان مثل الذي قبله إلا أن بدل السين نون كان أميرا بمصر ثم بدمشق وولي الحجوبية بها ثم نيابة حمص ثم غزة ومات بها ودفن بالقدس في رجب سنة ٧٤٦

١١٠٠ – إياي ملك النوبة قدم مصر سنة ٧٠٤ مستنجدا على ثائر ثار عليه فجرد معه عسكر وفر الثائر واستمر إياي في مملكته إلى أن قتل سنة ٧١١." (١)

"يتخاصمن فدخل وضرب واحدة منهن ضربتين ورفع يده ليضربها الثالثة فسقط ميتا ويقال إنه مات مسموما وذلك أنه لبس خلعة السلطان يوم الاثنين ثالث الشهر وركب بها في الموكب فأصبح ميتا فيقال أنها كانت مسمومة ولما مات ظنوا أنه اعترته السكتة فدخل إليه الأمراء والقضاة والأعيان والأطباء واختبروا حاله فلم يظهر لهم شيء فتركوه يوما ثم صلوا عليه في يوم الأربعاء ويقال إنه كان لا يمتثل مراسيم السلطان بل يردها وربما عاقب من أحضرها واتهم أيضا بممالأة الناصر أحمد وهو يومئذ محصور بالكرك ولم تكن سيرته في الشاميين بالمرضية وكان قد أهان الشيخ تقي الدين السبكي ومنعه أن يصلي معه بالمقصورة يوم الجمعة بسبب أنه كان نهاه عن أن يسعى في الخطابة فخالفه وسعى فيها فجاءه توقيع الخطابة في ربيع الآخر فبلغ النائب فغضب ويقال أنه أراد به السوء وسعى في الاستفتاء عليه بسبب ما كان أعطاه لقطلوبغا الفخري من مال الأيتام ففي غضون ذلك ورد البريد يطلب السبكي إلى القاهرة فتوجه إليها في جمادى الأولى على البريد ثم رجع في جمادى الآخرة فدخل دمشق وبيده توقيع الخطابة فلم يشك كثير من الناس أن أيدغمش هلك بدعائه عليه وكان دخوله بعد موت النائب المذكور وذلك في ثامن رجب وكان كثير العطاء جوادا ومن العجائب أن البريد كان توجه من القاهرة بإمساكه فوصل الخبر بموته والقاصد في قطيا." (٢)

"بأرض الشام ثم تزايد الوباء بالقاهرة حتى ضبط في اليوم الواحد في ديوان المواريث خاصة سبعة آلاف نفس سوى من لم يضبط ولولا أنه فرق الفقراء على الأمراء كل واحد على قدره وإلا لمات الجميع من الغلاء وفي سلطنته قدم الاويراتية من بلاد التتار ومقدمهم طوغان فأكرمهم كتبغا وهم على دين الكفر وصاروا يأكلون جهارا في رمضان ورأيت في رحلة التجيبي أن كتاب المنصور لاجين ورد إلى الإسكندرية في استقراره في السلطنة وفيه أن السبب في القيام على كتبغا أنه مال إلى جنسه من الططر ففطن الأمراء لذلك وأرادوا قتله فهرب في ثلاثين نفسا وذلك بقرب غزة في المحرم سنة ٦٩٦ فاتفقوا على عقد السلطنة للاجين فبايعوه وحلفوا له قال في فصل من فصول الكتاب إنا لو أردنا القبض على كتبغا ما عجز بنا

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٥٠١/١

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٥٠٩/١

لكنا أبقينا عليه لكونه كان من إخوتنا قال **ومن العجائب** ان الكتاب قرىء على أهل البلد بالجامع فسمعوه وافترقوا ولم يبالوا بشيء مما وقع ولا غلق سوق ولا كان عند أحد من الناس بسبب ذلك حركة ولو اتفق بعض ذلك ببلاد المغرب لاشتعلت البلاد نارا للفتنة وانقطعت المعايش قال وما ذاك إلا لقلة فضولهم واشتغالهم بما يعنيهم وكانت وفاته في يوم النحر من سنة ٧٠٢ وأرخه ابن حبيب سنة ٧٠١ وهو وهم." (١)

"١٠٢٦ - محمد بن إسماعيل بن عبد الوهاب بن محمد بن عطية بن المسلم بن رجا التنوخي المالكي جمال الدين شرف القضاة أبو عبد الله ابن المكين أبي الطاهر الاسكندراني سمع من ابن الفوي كرامات الأولياء ومن ابن رواج ومن غيرهما سمع منه أبو العلاء الفرضي وأبو الفتح ابن سيد الناس وغيرهما وحدث وكان من أعيان أهل الاسكندرية ومات في أول يوم من شهر رمضان سنة ٧٠٧

١٠٢٧ - محمد بن إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه ابن أيوب الملك الأفضل بن المؤيد بن الأفضل بن المظفر بن المنصور بن المظفر تولى سلطنة حماة بعد أبيه سنة ٧٣٢ وكان أبوه لقبه المنصور فغيره هو لما ولي السلطنة وكان الناصر قرره في مكان أبيه وأمر النواب أن يكاتبوه بالسلطنة ويجروه على عادة أبيه وقدم هو على السلطان الناصر وافدا فأكرم وفادته وخلع عليه التشاريف الفاخرة وكان كثير الاستحضار للأمثال والأشعار جوادا على الشعراء وغيرهم إلا أنه لم يزل مروعا في مملكته تارة من جهة السلطان وتارة من جهة نائب الشام بسبب أقاربه حيث يشكون عليه ومن جهة العربان حيث يأخذون من إقطاعاته ولما ولي الأشرف كجك نقل الأفضل إلى دمشق أميرا وقرر في نيابة حماة طقزدمر المذكور مملوك المؤيد والد الأفضل وذلك في ربيع الأول سنة ٧٤٢ فأقام بدمشق يسيرا ومات في ربيع الآخر من السنة المذكورة **ومن العجائب** أن زوجته كانت مرضت واشفت." (٢)

"بلاده على قدم التصوف فصحب الشيخ أحمد الحريري فسكن في الروضة في الزاوية المعروفة بالمشتهى وكان الناس يترددون إليه ويعتقدون بركته والشيخ أكمل الدين سريع الانقياد لأوامره وكان أعجوبة في وقته في جذب الناس إليه حتى يقيموا عنده ويهجروا أهاليهم خصوصا المردان فانه كان لايحضر عنده أحد منهم ثم يستطيع أحد من أهله أن يستعيده وممن اتفق له معه ذلك الشيخ بدر الدين محمد بن إبراهيم البشتكي الشاعر المشهور وكان من أجمل أهل عصره صورة فذكر لي أنه اجتمع بالشيخ فلم يتمكن بعد ذلك أن يفارقه وأقام عند الشيخ ينسخ حتى كتب له شيئا كثيرا من كلام ابن العربي وغيره ومما اتفق له **من العجائب** ما أخبرني به الشيخ نجم الدين البالسي قال حضرنا جنازته فلما دلى في القبر خرج الذي يلحده فإذا به من أجمل الناس صورة فاشتغل من حضر بالنظر إليه والتعجب من حال الشيخ وكانت وفاته في ذي الحجة سنة ٧٧٣ وبلغني أنه أوصى أن يخرجوا به إلى قبره بالدف والشبابة

١٣١٢ - محمد بن عبد الله الكركي تاج الدين تفقه ومهر وناب في الحكم بمصر مدة ومات في شعبان سنة ٧٧٥ وكان

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٣٠٨/٤

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ١٢٤/٥

مشكور السيرة

١٣١٣ - محمد بن عبد الله الهاروني الفقيه أبو حامد المالكي كان ماهرا في معرفة المذهب وكان كثير الاستحضار كثير المخالفة لأقرانه في الفتوى وكانت عنده خفة ومات معه في سنة وفاته ولده شرف الدين الهاروني وكان أيضا من الفضلاء وذلك في سنة ٧٧٦." (١)

"عن بيبرس الجاشنكير فعد الناس وقوف هذا في خدمة هذا وانعكاس الأمر بعد ثلاثة أيام **من العجائب** ثم قبض على ابن عطايا بسعي ابن سعيد الدولة في المحرم سنة ٧٠٦ فصودر ثم أفرج عنه وولي بعد ذلك نظر الأحباس ومات في شعبان سنة ٧٣٠ وكان خيرا دينا محب الخير وأهله

١٨٤٩ - محمد بن محمد بن عبد العزيز بن محمد القيسي أبو عبد الله الغرناطي قال ابن الخطيب كتب الخط الحسن ونظم ورحل فحصل وقرأ على قاضي الجماعة أبي القاسم الحسيني وأبي سعيد بن لب وغيرهما ومن شعره قصيدة أولها

(دمع هتون ووجد قد برى الجسدا ... فهل يطيق فؤادي الصبر والجلدا)

١٨٥٠ - محمد بن محمد بن عبد الغني الحراني ابن البطائني بدر الدين ولد في آخر رمضان سنة ٦٧٨ وسمع جزء الغطريف من أحمد بن شيبان ومن الفخر مشيخته ومن الشرف بن عساكر ونصر الله بن عباس وغيرهم وباشر نيابة الحسبة وجلس مع الشهود وتولى قضاء الركب الشامي وحدث قرأ عليه شيخنا العراقي والحسيني وغيرهما ومات في رجب سنة ٧٥٦ وذكر ابن رافع في الوفيات مثل هذه الترجمة وقال مات في ذي القعدة سنة ٤١ فليحرر فلعلها ترجمة أبيه أو أخيه

١٨٥١ - محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان بن عبد العزيز الموصلي الأصل." (٢)

"وولي صحابة الديوان بها ثم طرابلس وكان يتلو القرآن كثيرا ويصوم الخميس دائما مات في شعبان سنة ٧١٧

١٩٩٦ - محمد بن محمد بن يوسف الخشاب أبو عبد الله الغرناطي قال ابن الخطيب كان عاقدا للشروط وولي قضاء بعض المواضع ومات في شوال سنة ٧٤٨

١٩٩٧ - محمد بن محمد بن يوسف الألبيري أبو عبد الله الغرناطي قال ابن الخطيب كان شيخا صالحا منقبضا ملازما للذكر والعبادة ومات في حدود الخمسين وسبعمائة

١٩٩٨ - محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن عبد الله ابن المهتار الدمشقي الآتي ذكر والده سمع من والده وحدث مات في ذي القعدة سنة ٧٦٨

١٩٩٩ - محمد بن محمد بن يوسف الأنصاري الخزرجي أبو عبد الله ابن ناصر الدين سمع من ابن دقيق العيد والشريف تاج الدين الغرافي ونور الدين ابن الشهاب القوصي وغيرهم قرأت بخط البدر النابلسي في مشيخته كان عالما عاملا منقطعا متقللا من الدنيا وكانت بيده إعادة الفقه بالصالحية وكان يسكنها في خلوة بها على تخت جديد بجوار خلوة أبي حيان ومن إنشاده عن ابن دقيق العيد أنه أنشده أبو العباس الميوقي وكان **من العجائب** في الاستقامة وكان يعجبه كلام الغزالي في

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٥/٢٣٦

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٥/٤٥٢

الوسيط فقال

(كتاب الوسيط تفاريقه ... أحاطت بجل خفي النظر)

(فالله در أبي حامد ... لقد كان روح علوم البشر)." (١)

"هذا بقرطبة عيشة راضية في سرور وحبور وقتا، إلى أن ساءت الأيام بطامة ففارقها بغصة، وكان من محاسنه أنسه بالأدب، وغلبة أهله على خاصته، ولم يكن في مغدى ولا مراح، فتجملت آثاره بهم، وسارت أقوالهم فيه، وكان من ألهجهم بذكره أبو عامر بن شهيد، له معه أخبار مأثورة مشهور. شاهدتهم ليلة في مجلسه [و] طفيلة صغيرة عجيبة الخلق كانت تسقيهم [تسمى] أسماء عجبوا من مكابدتها السهر معهم، على صغر سنها، وحسن قيامها بخدمتهم، فسأله ابن المظفر وصفها فقال:

أفدي أسيماء من نديم ... ملازم للكؤوس راتب

قد عجبوا في السهاد منها ... وهي لعمري **من العجائب**

قالوا: تجافى الرقاد عنها ... فقلت لا ترقد الكواكب قال أبو عامر وابن حيان: واستوحش أبو عامر ابن المظفر هذا من هاشم المعتد ووزيره حكم بن سعيد القزاز، وكانوا قد رموه بذنب سليمان بن هشام الناصري، فلما خاف دبر الفرار، وخرج في لمة من ثقات أصحابه وأعوانه، وحمل معه عيون ذخائره وخاصة حرمه، وقطع أرضا بعيدة، ولم يعلم المعتد بخبره، إلى أن جاء خبر اجتيازه قرطبة راجعا على عقبه من شاطبة، لم يتفق له فيها ما أراد، فكر إلى ابن عبد الله بقرمونة مستجيرا به في ظنه، فأحلف ابن عبد." (٢)

"حسده على ذلك مجاهد صاحب دانية، وأظلم الأفق بينهما، فخرج مجاهد غازيا إلى بلاد عبد العزيز، وهو بالمرية مشتغل في تركية زهير، فخرج مبادرا عنها لاستصلاح مجاهد، واستخلف فيها صهره ووزيره معن بن صمادح، فكان شر خليفة استخلف، لم يكد يواري وجهه عبد العزيز عنه حتى عمل بالغدر به والتمهيد لنفسه عند رعيته، فخانه الأمانة، وطرده عن الإمارة، ونصب له الحرب، فغرب في اللؤم ما شاء؛ وتنكب التوفيق ابن أبي عامر لاسترعائه الذئب الأزل على ثلته، ومسترعي الذئب أظلم، وسر الله في خليفته لا يظهر أحدا عليه؛ وكان من العجب أن تملاها ابن صمادح مدته، وخلفها ميراثا في عقبه.

ثم أفضى الأمر من بعده إلى ابنه أبي يحيى محمد بن معن، وصار **من العجائب** أن ارتقى ذروة الإمارة، وتلقب من الأسماء الخلافية بالمعتصم، والرشيد لم يلده، وهو يعلم أن من الجور أس ملكه الموروث عن أب لم يكرم فيه فعله، ولا طال في طلبه تعبه، ثم لم يكفه تغطيه عن أجنحة النوائب بساحله الذي حال الحوز أمامه واللج وراءه، فرعى خضرته ولبس فروته، وأفنى

---

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ٥/٥١٤

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٣٠٤/١

دجاجه، مستبدا بمال ألفاه، لا يتجاوز به شهواته ومآربه إلى قضاء حق في جهاد عدو أو سد ثغر، أو معونة على بر؛ حتى مل العافية، وبطر الدعة، وطلب الزيادة، فسعى للتوسع في بره." (١)

"غيبت عنه مغيب بدر كامل ... والليل أدهم ضارب برواق

ومن العجائب والكسوف مرتب ... قمر توارى في زمان محاق

من ذا أعزي من هذا الورى ... لم يلقني إلا بحزنك لاق

والناس محزونون فيك كأنما ... كان اتفاقهم على إصفاق وله في بلقين بن باديس، من قصيدة أولها:

هو العمر يطوى والأماني رواحل ... هو العيش يفنى والليالي مراحل

إذا كانت الآمال تدعى قواتلا ... على الحكم فالآجل منا مقاتل

نغالب أجناد الردى الدهر بالمنى ... كما غالب الحق المصرح باطل

وأحوالنا بين الحياة وصدها ... تصرف والأقدار فيها العوامل

على ذا تقضى عالم بعد عالم ... ولم تختلف فيه القرون الأوائل ومنها:

مضى ملك العليا ولم يظلم الضحى ... ولا انتقلت عن حالهن المنازل

ولا انهدت الشم الرواسي ولا انثنت ... أعالي ديار الأرض وهي أسافل

فقل لعتاق الخيل تندب يومه ... فقد فجعت فيه القنا والقنابل

وليس صهيل الخيل ما تسمعونه ... ولكن عويل رجعته الصواهل

[ولا تعجبوا من واكف القطر إنه ... دموع هراقتها السحاب الهواطل]." (٢)

"أجريتم دمعي دما لفراقكم ... ظلما وقلتم ما له لا يكتم

ما كان أكتمني لسري قبل أن ... تكف الدموع كأنما هي عندم

فإذا شهدت جماعة واعتادني ... تذكاركم فاضت دموعي تسجم

فبحقكم من ذا يعاين أدمعي ... تنهل إلا قال هذا مغرم

حملتموني ثقل بينكم ألم ... تتبينوا ألم الحنين فترحموا

عاقبتموني في الهوى بذنوبكم ... لقد استطلتم إذ قدرتم فاعلموا

أتظلمون وتظلمون محبكم ... ومن العجائب ظالم متظلم

أعتبتم فعتبتم وأطعتم ... فعصيتم ووصلتم فهجرتم

قد كان لي في هجركم لو أنني ... أقوى عليه من السلامة سلم

ولقد علمتم أنني قد رمته ... فضعفت عنه فافعلوا ما شئتم

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٧٣١/٢

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٨٦٨/٢

أنتم مناي وفيتم أو خنتم ... ولكم هواي دنوتم أو بنتم

يا حبذا أم الوفاء وإن جفت ... وتغيرت فهي التي لا تسأم

وهي التي انفردت بودي كله ... ولطالما قد كان وهو مقسم ومن شعره في المديح:

له في محمد بن عيسى الحضرمي (١) :

عتاب على الدنيا وقل عتاب ... رضينا بما ترضى ونحن غضاب

وقالت وأصغينا إلى زور قولها ... وقد يستفز القول وهو كذاب

وغمت (٢) على أبصارنا وقلوبنا ... فطال عليها الحوم وهي سراب

---

(١) الديوان: ٨.

(٢) الديوان: وغطت.." (١)

"وهو في فصل منها: **ومن العجائب** العجيبة، والنوادر الغريبة، تحكك من ليس من شانه، ولا يجري في ميدانه، إلى مطالبته، ونصبه لمحاربته، بالإبراق وللإرعاد، والتهديد والايعاد، لا جرم أن يده أقصر، وخطبه أيسر، وهو أصغر وأحقر، فما ريع بذلك الوعيد، ولا رأسه لذلك التهديد، ولا أصبح سربه خائفا، ولا أمسى طائره واقعا، ولا طرفه خاشعا، ولا اضطرب به مستقر، ولا قال أين المفر، بل عد ذلك من دلائل سموه الواضحة، ومخايل علوة اللائحة، وتضاحك منه لاهيا، وأنشد:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة يا مربع

ومن أطرف ما جاءت به الأيام، وتحدثت به الأنام، مناواة جاهل خسيس، لإمام عادل رئيس، لقد استنت الفصال حتى القرعى، ولا تعجبن لجاهل علا، إن البغاث بأرضنا يستنسر، وما لتيس جبان، والجري مع العلماء في ميدان -! أوهمه نفسه إذ لقب [٥٤ب] بالفقيه، وذلك أقصى أمانيه، وهو من العلم، أبعد من النجم، ومن الجهل الشديد، أقرب من حبل الوريد، وكيف يجاري العلماء، ويسامي الكبراء، ويزاحم أهل العلم بالفروع والأصول، والعلة والمعلول -! وماذا." (٢)

"هات يا سيدي عتبك وعتابك، واشحذ للملام شفارك وحرابك، تجدني لاحتمالك عودا بجنبه جلب، وعليه من قراع الدهر ندب؛ على أني خلت أن الخطوب تبلغ بي رتبة من تعتد أنت عليه ذنبا، ويسمع من مثلك عتبا، ولكنها الأيام تأتي بغرائب، وتلد ما لا يحتسب **من العجائب**؛ وقد - وحياتك - جاشت هنا خواطري بالذم، وهمت نفسي بأن تفارق عادتها عن الكظم، لولا بقية بقيت من الخجل ذكرتني بالتمالك، وعرفتني مذهبي في التماسك، فأمسكت عليك احتسابا، ورجوت على حمل جفاء مثلك ثوابا، وأضربت عن أن أتكلف لك في شيء مما ذكرته [جوابا] ، إكراما لنفسي عن مجاوبتك، وتنزيها لها عن مساواتك ومماثلتك.

وله فصل من أخرى: كيف أكتب أو أعبر، وبأي ذهن أخبر وأستخبر، ومالي والله يد تجري بقلم، ولا خاطر يهتدي إلى

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٧٣٩/٤

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٢٠٢/٥

كلم، وإن نفسي من التبلد والكهامة والأين، بحيث لا تخلص معنى ولا تجمع بين حرفين، وما حال من كلما هم بشيء باعده الدهر منه، وطردته الليالي عنه، وكلما قرع باب مطلب عارضه من الحرمان رد، أو ذهب." (١)

"على الدهر أن يؤثر في ودك، أو يحل رباطا من عقدك، ولكني أقول مع هذا: واصل فقد أغببت، واعتذر بما أذنبت، وهات يا سيدي أخبارك التي هي أشهى إلى نفسي من عصر الصبا، وأندى على كبدي من نسيم الصبا، وجدد بك وبها عهدي فقد عفا منه رسم، ولاح عليه للقدم وسم.

وفي فصل: وعرفني بم تقطع دهرك، وعلى أي شيء تنفق عمرك، ونص على ما تجده عندك **من العجائب**، واستفدته بعدي من الغرائب، ولا تكتمني شيئا وابسطه المسهب، واشرح جميعه شرح المستوعب، تمح بذلك إساءة الإغباب، وتزل عني دواعي الاكتئاب.

وله من أخرى: وقفت على كتاب من لدنك قد اشتمل على كل بر وحفاية، وإشفاق [ورثاية] ، وتسلية تذهل عن سوء الحال، وتعد على الأيام بضمان إقبال، فذهب مستودعه بغمة النفس، وأدال من الوحشة بالأنس، وغلب الرجال على اليأس، وظلت حشاشة الهمة تتراجع، وخفضة الأمل تترافع، حتى كاد هذا يستقيل من عثار، وتلك تنثر بعد إقبار، وليس هذا بأول انطباق أعتم فطلعت له من تأنيسك مصابيح، ولا بأول غلق استبهم فتداركته من ألطافك مفاتيح، بل هي لبيض أياديك شوافع، ولسوالف مشاركتك توال وتوابع.

وله من أخرى: ولو رأيت فلانا وادعاءه، وزعمه أن الله اتخذه." (٢)

"الدنيا وأعراضها من سفلتهم برياستهم في العلم فكتموه خوف فوتها عليهم وقوله تعالى: ﴿فبئس ما يشترون﴾ العائد محذوف تقديره يشترونه، قال قتادة رضي الله تعالى عنه: «هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم فمن علم شيئا فليعلمه وإياكم وكتمان العلم فإنه هلكة» ، وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الآية وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» وقال أبو الحسن بن عمارة رضي الله تعالى عنه: أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث فألفيته على بابه فقلت: إن رأيت أن تحدثني فقال: أما علمت أني قد تركت الحديث فقلت: إما أن تحدثني وإما أن أحدثك فقال: حدثني فقلت: حدثني الحكم بن عيينة عن يحي بن الخراز قال: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يقول: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا قال: فحدثني أربعين حديثا.

﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا﴾ أي: فعلوا من إضلال الناس ﴿ويحبون أن يحمدوا﴾ بما أوتوا من علم التوراة و ﴿بما لم يفعلوا﴾ من التمسك بالحق وهم على ضلال وهذا أيضا من جملة أذاهم، لأنهم يفرحون بما أتوا به من أنواع الخبث والتلبيس على ضعفة المسلمين ويحبون أن يحمدوا بأنهم أهل البر والصدق والتقوى ولا شك أن الإنسان يتأذى بمشاهدة مثل هذه الأحوال فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر عليها.

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٥/٢٦٤

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٥/٢٩٥

روي أنه صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه بخلافه، وأروه أنهم قد صدقوا وفرحوا بما فعلوا فأطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك وسلاه بما أنزل من وعيدهم أي: لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من إخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب وقيل: هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بأنهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به، وقيل: هم المنافقون فإنهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون إلى المسلمين بالإيمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ويجوز أن يكون شاملا لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها فرح إعجاب ويحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد بما ليس فيه وقوله تعالى: ﴿فلا تحسبنهم﴾ تأكيد ﴿بمفازة﴾ أي: مكان ينجون فيه ﴿من العذاب﴾ في الآخرة بل هم في مكان يعذبون فيه وهو جهنم ﴿ولهم عذاب أليم﴾ أي: مؤلم فيها وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة وفتح السين ابن عامر وعاصم وحمزة والباقون بالكسر، ومفعولا تحسب الأولى دل عليهما مفعولا الثانية على قراءة التحتانية وعلى الفوقانية حذف الثاني فقط، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: فلا يحسبنهم بالياء على الغيبة وضم الباء الموحدة والباقون بالتاء على الخطاب وفتح الباء الموحدة وفتح السين ابن عامر وعاصم وحمزة كما تقدم.

﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ فهو يملك أمرهما وما فيهما من خزائن المطر والرزق والنبات وغير ذلك ﴿والله على كل شيء قدير﴾ ومنه تعذيب الكافرين وإنجاء المؤمنين.

﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ وما فيهما **من العجائب** ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ بالمجيء والذهاب والزيادة والنقصان ﴿لآيات﴾ أي: دلالات واضحة على قدرته تعالى: وباهر حكمته ﴿لأولي الألباب﴾." (١)

"﴿في ضلال﴾ أي: بعد عن الصراط المستقيم ﴿مبين﴾ أي: ظاهر جدا ببديهة العقل مع مخالفته لكل نبي نباه الله تعالى من آدم عليه السلام فمن بعده، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون.

﴿وكذلك﴾ أي: ومثل هذا التبصير العظيم الشأن ﴿نري إبراهيم﴾ أي: نبصر وهي حكاية حال ماضية ﴿ملكوت السموات والأرض﴾ أي: عجائبهما وبدائعهما والملكوت أعظم الملك والتاء فيه للمبالغة كالرهبوت والرغبوت والرحموت من الرغبة والرهبة والرحمة، وقال ابن عباس: خلق السموات والأرض، وقال مجاهد وسعيد بن جبير: يعني آيات السموات والأرض وذلك إنه أقيم على صخرة وكشف له عن السموات حتى رأى العرش والكرسي وما في السموات **من العجائب** وحتى رأى مكانه في الجنة فذلك قوله تعالى: ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾ (العنكبوت، ٢٧)

معناه: أريناه مكانه في الجنة وكشف له عن الأرض حتى نظر أسفل الأرضين ورأى ما فيها **من العجائب**.

وروي عن سلمان ورفعه بعضهم عن علي قال: «لما رأى إبراهيم ملكوت السموات والأرض أبصر رجلا على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فأراد أن يدعو عليه فقال الرب تبارك وتعالى: يا إبراهيم إنك رجل مجاب الدعوة فلا تدعو على عبادي فإنما أنا من عبدي على ثلاث خلال: إما أن يتوب إلي فأتوب عليه وإما أن أخرج منه نسمة تعبدني وإما أن يبعث

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٢٧٣/١

إلي فإن شئت عفوت عنه وإن شئت عاقبته» وفي رواية: «فإن تولى فإن جهنم من ورائه» .
وقال قتادة: ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الأرض الجبال والشجر والبحار. وقيل: إن هذه الرؤية كانت بعين البصيرة لأن ذلك لا يدرك إلا بالعقل فأريناه ذلك ليستدل به على توحيدنا ﴿وليكون من الموقنين﴾ : واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد زوال الشبهة لأن الإنسان في أول الحال لا ينفك عن شبهة فإذا كثرت الدلائل وتوافقت صارت سببا لحصول اليقين والطمأنينة في القلب وزالت الشبهة عند ذلك قال ابن عباس في وليكون من الموقنين ﴿: جلي له الأمر سره وعلانيته فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلائق فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال الله تعالى إنك لا تستطيع هذا فرده الله تعالى كما كان قبل ذلك.
فلما جن عليه الليل﴾ أي: دخل فيه ﴿رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل﴾ أي: غاب ﴿قال لا أحب الآفلين﴾ وذلك إن إبراهيم صلى الله عليه وسلم ولد في زمن نمروذ بن كنعان وكان النمروذ أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس إلى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له: إنه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه، ويقال: إنهم وجدوا ذلك في كتب الأنبياء، وقال السدي: إن النمروذ رأى في منامه كأن كوكبا طلع فذهب بضوأي الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا ودعا السحرة والكهنة فسألهم فقالوا: هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة فيكون هلاكك وهلاك ملكك وأهل بيتك على يديه فأمر بذبح كل غلام يولد في ناحيته في تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا فإذا حاضت المرأة خلى بينها وبين زوجها لأنهم كانوا لا يجامعون في الحيض فإذا طهرت حيل بينهما فرجع آزر فوجد امرأته قد طهرت فواقعها فحملت بإبراهيم.
قال محمد بن." (١)

"السلاح فالتفت فإذا قوم متلثمون فقال: إليكم إليكم يا أعداء الله، فهربوا.
وقيل: هم المنافقون هموا بقتل عامر حين رد على الجلاس.
وقيل: أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي وإن لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وما نقموا﴾ أي: وما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ﴿إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ فإن أكثر أهل المدينة كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحرزون الغنيمة وبعد قدومه أخذوا الغنائم وفازوا بالأموال ووجدوا الدولة وذلك يوجب أن يكونوا محبين له مجتهدين في بذل النفس والمال لأجله وقتل للجلاس مولى فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر ألفا فاستغنى فالمنافقون عملوا بضد الواجب فوضعوا موضع شكره صلى الله عليه وسلم أن نقموا منه.

وقال ابن قتيبة معناه ليس هناك شيء ينقمون منه ولا يعيبون من الله إلا الصنيع وهذا كقول الشاعر:
ما نقموا من بني أمية إلا ... أنهم يحلمون إن غضبوا

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ١/٤٣٠

وكقول النابغة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

أي: ليس فيها عيب ﴿فإن يتوبوا﴾ أي: من كفرهم ونفاقهم ﴿يك خيرا لهم﴾ في العاجل والآجل من إصرارهم على ذلك وهذا الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوبة ﴿وإن يتولوا﴾ أي: يعرضوا عن الإيمان والتوبة ويصروا على النفاق والكفر ﴿يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا﴾ بالقتل والأسر والإذلال ﴿والآخرة﴾ بالعذاب الأكبر الذي لا خلاص لهم منه وهو خلودهم في النار ﴿وما لهم في الأرض﴾ أي: التي لا يعرفون غيرها لسفول همتهم ﴿من ولي﴾ يحفظهم منه ﴿ولا نصير﴾ يمنعهم وأما السماء فهم أقل من أن يطمعوا منها في شيء ناصر أو غيره وأغلظ أكبادا من أن يرتقي فكرهم إلى ما بها **من العجائب** وما بها من الجنود واعلم أن هذه السورة أكثرها في شرح أحوال المنافقين ولا شك أنهم أقسام وأصناف فلهذا السبب يذكرهم الله تعالى على التفصيل فيقول تعالى: ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي﴾ (التوبة، ٦١)

﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾ (التوبة، ٥٨)

﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني﴾ (التوبة/ ٤٩)

﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد ﴿ولنكونن من الصالحين﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن ثعلبة بن حاطب أبطأ عنه ماله بالشام فلحقه شدة فحلف بالله وهو واقف ببعض مجالس الأنصار لئن آتانا الله من فضله لأصدقن ولأؤدين منه حق الله تعالى والمشهور في سبب نزول هذه الآية أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه. فراجعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما لك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت» ثم أتاه بعد ذلك وقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما." (١)

"ساعته لكنه لما قال ذلك أخره الله تعالى سنة فأقام في بيته سنة مع الملك» . قال الرازي: وهذا **من العجائب**؛ لأنه لما تثاقل عند الخروج من السجن سهل الله تعالى عليه ذلك على أحسن الوجوه. ولما سارع في ذكر هذا الالتماس أخر الله تعالى ذلك المطلوب عنه، وهذا يدل على أن ترك التصرف أتم، والتفويض بالكلية إلى الله تعالى أولى، ثم قال: ﴿إني حفيظ عليم﴾ ، أي: ذو حفظ وعلم بأمرها، وقيل: كاتب وحاسب. فإن قيل: لم طلب يوسف عليه السلام الإمارة والنبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن سمرة: «لا تسأل الإمارة» . ولم طلب الإمارة من سلطان كافر، ولم لم يصبر مدة، ولم أظهر الرغبة في طلبها في الحال، ولم طلب أمر الخزائن في أول الأمر مع أن هذا يورث نوع تهمة، ولم مدح نفسه وقد قال تعالى: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ (النجم، ٣٢) ولم ترك الاستثناء في هذا وقد قال تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ١/ ٦٣٤

غدا إلا أن يشاء الله﴾ (الكهف: ٢٣، ٢٤) فهذه سبعة أسئلة؟.

أجيب عنها: بأن الأصل في جواب هذه الأسئلة أن التصرف في أمور الخلق كان واجبا عليه فجاز له أن يتوصل إليه بأي طريق كان وإنما كان ذلك واجبا عليه لوجوه:

الأول: أنه كان رسولا حقا من الله تعالى إلى الخلق والرسول يجب عليه مراعاة الأمة بقدر الإمكان.

والثاني: أنه علم بالوحي أنه سيحصل القحط والضيق الشديد، فلعله تعالى أمره أن يدبر في ذلك ويأتي بطريق لأجله يقل ضرر ذلك القحط في حق الخلق.

والثالث: أن السعي أيضا في إيصال النفع إلى المستحقين ورفع الضرر عنهم أمر مستحسن في العقول، فكان مكلفا عليه السلام برعاية المصالح من هذه الوجوه، وما كان يمكنه رعايتها إلا بهذا الطريق، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وإنما مدح نفسه؛ لأن الملك وإن علم كماله في علوم الدين لكن ما كان عالما بأنه يفي بهذا الأمر، وأيضا مدح النفس إنما يكون مذموما إذا قصد به الشخص التطاول والتفاخر والتوصل إلى غير ما يحل، وأما هذا الوجه فليس بمذموم وقوله تعالى ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ (النجم، ٣٢) المراد به تزكية حال من لا يعلم كونها مزكاة والدليل قوله تعالى بعد هذه الآية: ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ (النجم، ٣٢) أما إذا كان الإنسان عالما بأنه صدق وحق فهذا غير ممنوع منه، وإنما ترك الاستثناء؛ لأنه لو ذكره بما اعتقد الملك فيه إنه إنما ذكره لعلمه أنه لا قدرة له على ضبط هذه المصلحة كما ينبغي، فلهذا المعنى ترك الاستثناء، ولما سأل يوسف عليه السلام ما تقدم قال معلما بأنه قد أجيب بتنجيز الله تعالى له:

﴿وكذلك﴾ ، أي: كإنعامنا عليه بالخلاص من السجن ﴿مكنا ليوسف في الأرض﴾ ، أي: أرض مصر ﴿يتبوأ﴾ ، أي: ينزل ﴿منها حيث يشاء﴾ بعد الضيق والحبس قال ابن عباس وغيره: ولما انقضت السنة من يوم سأل الأمارة دعاه الملك فتوجه وجعل خاتم الملك في إصبعه وقلده سيفه وجعل له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع عليه ستون فراشا، فقال يوسف عليه السلام: أما السرير فأشد به ملكك، وأما الخاتم فأدبر به أمرك، وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي، وأمره أن يخرج فخرج لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه في صفاء لونه، فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت له الملوك ودخل الملك بيته وفوض إليه أمر مصر، وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه.

قال ابن إسحاق: قال ابن زيد: وكان لملك مصر خزائن." (١)

"بالسفاهة وقالوا: ﴿إنك لمجنون﴾ (الحجر، ٦)

. وكان عادة هؤلاء الجهال مع جميع الأنبياء قال سبحانه وتعالى تسلية له على وجه راد عليهم:

﴿ولقد أرسلنا من قبلك﴾ ، أي: رسلا فحذف ذكر الرسل لدلالة الإرسال عليه وقوله تعالى: ﴿في شيع﴾ أي: فرق ﴿الأولين﴾ من باب إضافة الصفة إلى الموصوف كقوله تعالى: ﴿حق اليقين﴾ (الواقعة، ٩٥)

سموا شيعا لمتابعة بعضهم بعضا في الأحوال التي يجتمعون عليها في الزمن الواحد، والشيع جمع شيعة وهي الفرقة المجتمعة

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ١١٧/٢

المتفقة كلمتهم على مذهب وطريقة. وقال الفراء: الشيعة هم الأتباع وشيعة الرجل أتباعه، وقيل: الشيعة من يتقوى بهم الإنسان.

﴿وما يأتيهم﴾ عبر بالمضارع على حكاية الحال الماضية، فإن ما لا تدخل على مضارع إلا وهو في معنى الحال ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال، والأصل وما كان يأتيهم ﴿من رسول﴾ ، أي: على، أي: وجه كان ﴿إلا كانوا به﴾ جبلة وطبعا ﴿يستهزؤون﴾ كاستهزاء قومك بك فصبروا فاصبر كما صبروا.

﴿كذلك﴾ ، أي: مثل ادخالنا التكذيب في قلوب هؤلاء المستهزئين بالرسل ﴿نسلكه﴾ ، أي: ندخله ﴿في قلوب المجرمين﴾ ، أي: كفار مكة المستهزئين.

﴿لا يؤمنون به﴾ ، أي: بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل: بالقرآن. وفي الآية دليل على أن الله تعالى يخلق الباطل في قلوب الكفار والسلك إدخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون، ومنه قوله تعالى: ﴿ما سلككم في سقر﴾ (الدثر، ٤٢)

وقيل: الضمير في نسلكه يعود للذكر كما أن الضمير في به يعود إليه وجملة لا يؤمنون به حال من ذلك الضمير والمعنى على هذا مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا به غير مؤمن به قال البيضاوي: وهذا الاستدلال ضعيف إذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع إليه اه. وما أعدت الضمير عليه في ذلك هو ما قاله ابن الخازن، وجرى عليه الجلال السيوطي وقوله تعالى: ﴿وقد خلت سنة الأولين﴾ ، أي: سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم وعيد شديد لكفار مكة بأنه ينزل بهم مثل ما نزل بالأمم الماضية المكذبة، وقال الزجاج: قد مضت سنة الله في أن يسلك الكفر والضلال في قلوبهم.I

قال الرازي: وهذا أليق بظاهر اللفظ. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بإدغام تاء التأنيث في السين والباقون بالإظهار وقوله تعالى:

﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء﴾ الآية هو المراد في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس﴾ (الأنعام، ٧)

الآية، أي: الذين يقولون لو ما تأتينا بالملائكة فلو أنزلنا الملائكة ﴿فظلوا فيه﴾ ، أي: فظلت الملائكة ﴿يعرجون﴾ ، أي: يصعدون في الباب وهم يرونها عيانا.

﴿لقالوا﴾ ، أي: من عتوهم في الكفر ﴿إنما سكرت أبصارنا﴾ ، أي: سدت عن الأبصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف أو حيرت من السكر يدل عليه قراءة الباقين بالتشديد. ﴿بل نحن قوم مسحورون﴾ ، أي: قد سحرنا محمد بذلك، أي: كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات كانشقاق القمر وما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن المعجز الذي لا يستطيع الجن والإنس أن يأتوا بمثله. وقيل: الضمير في يعرجون للمشركين، أي: فظل المشركون

يصعدون في ذلك الباب فينظرون في ملكوت السموات وما فيها **من العجائب** لما آمنوا لعنادهم وكفرهم وقالوا: إنما سحرنا. وقرأ الكسائي بإدغام لام بل في النون والباقون بالإظهار. ولما أجاب الله تعالى عن شبهة منكري." [(١)]

"انتفع ومن لم يسمع بقلبه فكأنه أصم لم يسمع فلم ينتفع بالآيات ومن الدلائل المذكورة في هذه الآية الاستدلال بعجائب أحوال الحيوانات وهو قوله:

﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ أي: اعتبارا إذا تفكرتم فيها وعرفتم كمال قدرتنا وقوله تعالى: ﴿نسقيكم مما في بطونه﴾ استئناف بيان للعبرة وإنما ذكر لفظ الضمير لأنه لفظ الأنعام مفرد وضع لإفادة الجمع كالرهط والقوم ولا من اللبس والدلالة على قوة المعنى لكونها سورة النعم وأنثه في سورة المؤمنون للمعنى فإن الأنعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في باب ما لا ينصرف في الأسماء المفردة الواردة على أفعال كقولهم: ثوب أكياش بياء تحتية وشين معجمة ضرب من الثياب يغزل مرتين ومن قال إنه جمع نعم جعل الضمير للبعض فإن اللبن لبعضها دون جميعها. وقرأ نافع وابن عامر وشعبة بفتح النون تقول: سقيته حتى روي. قال تعالى: ﴿وسقاهم ربهم شرابا طهورا﴾ (الإنسان، ٢١)

. والباقون بضمها من قولك: اسقاه إذا جعل له شرابا كقوله تعالى: ﴿وأسقيناكم ماء فراتا﴾ (المرسلات، ٢٧)

. ولما كان في موضع العبرة تخليص اللبن من غيره قدم قوله تعالى: ﴿من بين فرث﴾ وهو الثفل الذي نزل إلى الكرش فإذا خرج منه لم يسم فرثا. ﴿ودم لبنا خالصا﴾ أي: صافيا خلقه الله وسطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما بزرخ من قدرة الله لا يبغي عليه أحدهما بلون أو رائحة أو طعم.d

روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إذا أكلت البهيمة العلف واستقر في كرشها طبخته فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما والكبد متسلطة على هذه الأصناف الثلاثة تقتسمها فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث في الكرش فسبحان الله ما أعظم قدرته وألطف حكمته لمن تفكر وتأمل، وسئل شقيق عن الإخلاص فقال: تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم. ﴿سائغا للشاربين﴾ أي: سهل المرور في الحلق. وقيل: لم يغص أحد باللبن قط. تنبيه: قال أهل التحقيق: اعتبار حدوث اللبن كما يدل على وجود الصانع المختار فكذلك يدل على إمكان الحشر والنشر، وذلك لأن هذا العشب الذي يأكله الحيوان إنما يتولد من الماء والأرض فخالق العالم دبر تدبيرا آخر بقلب ذلك الدم لبنا ثم دبر تدبيرا آخر فأحدث من ذلك اللبن السمن والجبن فهذا الاستقرار يدل على أنه تعالى قادر على أن يقلب هذه الأجسام من صفة إلى صفة ومن حالة إلى حالة فإذا كان كذلك لم يمتنع أيضا أن يكون قادرا على أن يقلب أجزاء أبدان الأموات إلى صفة الحياة والعقل كما كانت قبل ذلك فهذا الاعتبار يدل من هذا الوجه على أن البعث والقيامة أمرممكن غير ممتنع وفي حدوث اللبن في الثدي واتصافه بالصفات التي باعتبارها يكون موافقا لتغذية الطفل مشتملة على حكمة عجيبة يشهد صريح العقل بأنها لا تحصل إلا بتدبير الفاعل الحكيم المدبر وبيانه من وجوه: الأول أنه تعالى خلق في أسفل المعدة منفذا يخرج منه ثفل الغذاء فإذا تناول الإنسان غذاء أو شرابا انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا لا يخرج منه شيء من

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٢/١٩٥

ذلك المأكول والمشروب إلى أن يكمل انهضامه في المعدة، ويجذب ما صفي منه إلى الكبد ويبقى الثفل هناك فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه ذلك الثفل وهذا **من العجائب** التي لا يمكن حصولها إلا بتدبير الفاعل الحكيم لأنه متى كانت الحاجة إلى خروج ذلك الجسم من المعدة انفتح فحصول." (١)

"والمصالح والمقصود من خلقها بما فيها من المنافع ابتلاء الخلق بهذه التكاليف ثم إنهم يكفرون ويتمردون ومع ذلك فلا أقطع عنهم مواد هذه النعم فأنت أيضا يا محمد لا ينبغي أن تنتهي في الحزن بسبب كفرهم إلى أن تترك الاشتغال بدعوتهم إلى الدين الحق. ثم إنه تعالى لما بين أنه إنما زين الأرض لأجل الامتحان والابتلاء لا لأجل أن يبقى الإنسان فيها متنعما بها أبدا، زهد فيها بقوله تعالى:

﴿وإنا لجاعلون ما عليها﴾ من جميع تلك الزينة لا يصعب علينا شيء منه ﴿صعيدا﴾ ، أي: فتاتا ﴿جزرا﴾ ، أي: يابسا لا ينبت ونظيره قوله تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾ (الرحمن، ٢٦) . وقوله تعالى: ﴿فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا﴾ (طه: ١٠٦، ١٠٧) . وتخصيص الإهلاك بما على الأرض يوهم بقاء الأرض إلا أن سائر الآيات على أن الأرض أيضا لا تبقى كما قال تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ (إبراهيم، ٨٤) . ولما أن القوم تعجبوا في قصة أصحاب الكهف وسألوها النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الامتحان قال تعالى:

﴿أم حسبت﴾ ، أي: ظننت على ما لك من العقل الرزين والرأي الرصين ﴿أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾ على ما لزم من تهويل السائلين من الكفرة من اليهود والعرب والواقع أنهم كانوا **من العجائب** ليسوا بعجب بالنسبة إلى كثرة آياتنا فإن من كان قادرا على تخليق السموات والأرض كيف يستبعد من قدرته وحفظه ورحمته حفظ طائفة مدة ثلاثمائة سنة وأكثر في النوم والكهف الغار الواسع في الجبل، واختلف في الرقيم فقيل هو اسم كلبهم قال أمية بن أبي الصلت:

وليس بها إلا الرقيم مجاورا

وصيدهم؛ وهو بكسر الصاد مفعول مجاورا، أي: فناءهم. والقوم في الكهف هجد؛، أي: نوم، وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه أسماؤهم وقصصهم جعل على باب الكهف. قال البغوي: وهذا أظهر الأقاويل. وقيل: إن الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف، وقيل الجبل وقيل قريتهم، وقيل أصحاب الرقيم قوم آخرون غير أصحاب الكهف كانوا ثلاثة يطلبون الكلأ أو نحوه لأهلهم فأخذهم المطر فأووا إلى الكهف فانحطت صخرة وسدت عليهم بابه فقال أحدهم: اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد: استعملت أجراء ذات يوم فجاء رجل منهم وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فأعطيته مثل أجرهم فغضب أحدهم وترك أجره فوضعته في جانب البيت فمر بي بقر فاشتريت فصيلة والفصيلة ولد الناقة إذا انفصل عن أمه فبلغت ما شاء الله فرجع إلي بعد حين شيخا ضعيفا لا أعرفه وقال: إن لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها إليه جميعا اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع عنهم الجبل حتى رأوا الضوء والصدع الشق والصداع وجع الرأس. وقال آخر: كان في فضل وأصاب الناس شدة فجاءتني امرأة تطلب

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٢/٢٤٢

مني معروفا فقلت: والله ما هو دون نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت ذلك لزوجها فقال: أجيبي له وأعيني عيالك فأتت وسلمت إلي نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت لها: ما لك؟ فقالت: أخاف الله تعالى: فقلت لها: خفتيه في الشدة ولم أخفه في الرخاء فتركتها وأعطيتها ملتمسها اللهم إن كنت فعلته لوجهك." [(١)]

"كل نبي رسولا خلافا للمعتزلة فإنهم زعموا كونهما متلازمين فكل رسول نبي وكل نبي رسول وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى في سورة الحج عند قوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي﴾ (الحج، ٥٢)

ثالثها: قوله تعالى:

﴿وناديناه﴾ أي: بما لنا من العظمة ﴿من جانب الطور﴾ هو اسم جبل ﴿الأيمن﴾ أي: الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين فأنبأناه هناك حين كان متوجها إلى مصر بأنه رسولنا ثم واعدناه إليه بعد إغراق آل فرعون فكان لبني إسرائيل به **من العجائب** في رحمتهم بإنزال الكتاب والإلذاذ بالخطاب من جوف السحاب وفي إماتتهم لما طلبوا الرؤية ثم إحيائهم وغير ذلك ما يجل عن الوصف. رابعها: قوله تعالى ﴿وقربناه﴾ بما لنا من العظمة تقريب تشريف حالة كونه ﴿نجيا﴾ نخبره من أمرنا بلا واسطة من النجوى وهي السر والكلام بين اثنين كالسر وقيل قرب مكان أي: مكانا عاليا، عن أبي العالية أنه قرب حتى سمع صرير القلم حيث يكتب التوراة في الألواح وقيل أنجيناه من أعدائه، خامسها: قوله تعالى:

﴿ووهبنا له﴾ أي: هبة تليق بعظمتنا ﴿من رحمتنا﴾ أي: من أجل رحمتنا أو بعض رحمتنا ﴿أخاه﴾ أي: معاضدة أخيه وموازرته لا شخصه وإخوته وذلك إجابة لدعوته ﴿واجعل لي وزيرا من أهلي هارون﴾ (طه: ٢٩، ٣٠)

فإنه كان أسن من موسى

تنبيه: أخاه مفعول أو بدل على تقدير أن تكون من للتبعيض وقوله: ﴿هارون﴾ عطف بيان وقوله ﴿نبيا﴾ حال منه هي المقصودة بالهبة.

القصة الخامسة: قصة إسماعيل عليه السلام المذكورة في قوله تعالى:

﴿واذكر في الكتاب إسماعيل﴾ بن إبراهيم عليهما السلام الذين هم معترفون بنبوته ومفتخرون برسالته وأبوته فلزم من ذلك فساد تعليلهم إنكار نبوتك بأنك من البشر ثم إن الله تعالى وصف إسماعيل بأمور:

أولها: قوله تعالى: ﴿إنه كان﴾ أي: جبلة وطبعا ﴿صادق الوعد﴾ في حق الله وفي حق غيره لمعونة الله له على ذلك بسبب أنه لا يعد وعدا إلا مقرونا بالاستثناء كما قال لأبيه حين أخبره بأمر ذبحه: ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ (الصافات، ١٠٢)

وخصه بالمدح به وإن كان الأنبياء كلهم كذلك لقصة الذبح فلا يلزم منه تفضيله مطلقا وروي عن ابن عباس أنه وعد صاحبا له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة وروي أن عيسى عليه السلام قال له رجل انتظرني حتى آتيك فقال عليه السلام نعم وانطلق الرجل ونسي الميعاد فجاء إلى حاجته إلى ذلك المكان وعيسى عليه السلام هناك للميعاد، وعن رسول الله صلى

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٢/٣٥٠

الله عليه وسلم «أنه واعد رجلا ونسي ذلك الرجل فانتظره من الضحى إلى غروب الشمس» وسئل الشعبي عن الرجل يعد ميعادا إلى أي وقت ينتظره؟ قال: فإن واعده نهارا فكل النهار وإن واعده ليلا فكل الليل، وسئل إبراهيم بن زيد عن ذلك فقال: إذا واعدته في وقت الصلاة فانتظره إلى وقت صلاة أخرى.

ثانيها: قوله تعالى: ﴿وكان رسولا نبيا﴾ قد مر تفسيره. وثالثها: قوله تعالى:
﴿وكان يأمر أهله بالصلاة﴾ أي: التي هي طهرة البدن وقرة العين وخير العون على جميع المآرب ﴿والزكاة﴾ أي: التي هي طهرة المال كما أوصى الله تعالى بذلك جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمراد بالأهل قومه، وقيل: أهله جميع أمته كان رسولا إلى جرهم قاله الأصفهاني وإلى أهل تلك البراري بدين أبيه إبراهيم والمراد بالصلاة قال ابن عباس: يريد التي افترضها الله تعالى عليهم قال." (١)

"أبواب داخل قصرها وقصرها داخل سبعة قصور وأغلقت الأبواب وجعلت عليها حراسا يحفظونه، ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما وكلتك وبسرير ملكي لا يخلص إليه أحد حتى آتيك، ثم أمرت مناديا ينادي في أهل مملكتها تؤذنهم بالرحيل وتجهزت للمسير فارتحلت في اثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل ألوف كثيرة.
قال ابن عباس: كان سليمان رجلا مهيبا لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه، فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه، فقال ما هذا؟ قالوا بلقيس وقد نزلت منا على مسيرة فرسخ، فأقبل سليمان حينئذ على جنوده بأن.
﴿قال﴾ لهم ﴿يا أيها الملأ﴾ أي: الأشراف ﴿أيكم﴾ وفي الهمزتين ما تقدم ﴿يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾ أي: مؤمنين، وقال ابن عباس: واختلفوا في السبب الذي لأجله أمر سليمان بإحضار عرشها فقال أكثرهم: لأن سليمان علم أنها إن أسلمت يحرم عليه مالها فأراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها، وقيل: ليريها قدرة الله تعالى ببعض ما خصه به **من العجائب** الدالة على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبوة في معجزة يأتي بها في عرشها، وقال قتادة: لأنه أعجبته صفته لما وصفه الهدهد بالعظم فأحب أن يراه، وقال ابن زيد: يريد أن يأمر بتنكيره وتغييره فيختبر بذلك عقلها.

﴿قال عفريت من الجن﴾ وهو المارد القوي، قال وهب: اسمه كودي، وقيل: ذكوان، وقال ابن عباس العفريت الداهي، وقال الضحاك: هو الخبيث، وقال الربيع: الغليظ، وقال الفراء: القوي الشديد، قيل: إن الشياطين أقوى من الجن وأن المردة أقوى من الشياطين وأن العفريت أقوى منهما، قال بعض المفسرين العفريت من الرجال الخبيث المتكبر، وقيل: هو صخر الجني وكان بمنزلة جبل يضع قدمه عند منتهى طرفه، وقوله تعالى ﴿أنا آتيك به﴾ قرأه في الموضعين نافع بإثبات الألف من أنا وصلا ووقفا، والباقون وصلا لا وقفا، ثم بين سرعة إسراعه بقوله ﴿قبل أن تقوم من مقامك﴾ أي: الذي تجلس فيه للقضاء، قال ابن عباس: كان له غداة كل يوم مجلس يقضي فيه إلى نصف النهار، ثم أوثق الأمر وأكده بقوله ﴿وإني عليه﴾ أي:

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٤٣٢/٢

على الإتيان به سالما ﴿لقوي﴾ أي: على حمله لا يحصل عجزي عنه ﴿أمين﴾ أي: على ما فيه من الجواهر وغيرها، قال سليمان عليه السلام أريد أسرع من ذلك.

﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ المنزل وهو علم الوحي والشرائع، وقيل: كتاب سليمان، وقيل: اللوح المحفوظ، والذي عنده علم من الكتاب جبريل، قال البقاعي ولعله التوراة والزبور انتهى، وفي ذلك إشارة إلى أن من خدم كتاب الله حق الخدمة كان الله تعالى معه، كما ورد في شرعنا «كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويديه التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها» ، أي: أنه يفعل له ما يشاء.

واختلفوا في تعيينه: فقال أكثر المفسرين: هو آصف بن برخيا كاتب سليمان، وقيل اسمه أسطوم وكان صديقا عالما يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى، وقيل ملك أيد الله تعالى به سليمان عليه السلام، وعن ابن لهيعة بلغني أنه الخضر عليه السلام ﴿أنا آتيك به﴾ ثم بين فضله على العفريت بقوله ﴿قبل أن يرتد﴾ أي: يرجع ﴿إليك طرفك﴾ أي: بصرك إذا طرفت أجفانك فأرسلته إلى منتهاه، ثم رددته فالطرف: تحريكك." (١)

"تكشف عورتها، فبفرض أنهن مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن انتهى.

ولما رقاهن تعالى لهذا الأمر خفف عاقبة ما كن فيه من التشبيه بالإماء فأخبرهن تعالى بوسع كرمه وجوده بقوله تعالى: ﴿وكان الله﴾ أي: الذي له الكمال المطلق أزلا وأبدا ﴿غفورا﴾ أي: لما سلف منهن من ترك الستر فهو محاء للذنوب عينا وأثرا ﴿رحيما﴾ بهن إذ سترهن وبمن يمتثل أوامره ويجتنب نواهيه قال البغوي: قال أنس: مرت بعمر جارية مقنعة فعلاها بالدرة وقال: يا لكاع أتتشبهين بالحرائر ألقي القناع ويظهر أن عمر إنما فعل ذلك خوفا من أن تلتبس الإماء بالحرائر فلا يعرف الحرائر فيعود الأمر كما كان.

ولما كان المأذون بما مضى وغيره أهل النفاق ومن داناهم حذرهم بقوله تعالى مؤكدا دفعا لظنهم دوام الحلم عليهم:

﴿لئن لم ينته﴾ عن الأذى ﴿المنافقون﴾ أي: الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام ﴿والذي في قلوبهم مرض﴾ أي: غل مقرب من النفاق حامل على المعاصي ﴿والمرجفون في المدينة﴾ المؤمنين أي: بالكذب وذلك أن ناسا منهم كانوا إذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يذيعون في الناس أنهم قد قتلوا أو هزموا ويقولون: قد أتاكم العدو ونحو ذلك، وأصل الرجفة: التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمى به الأخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة ﴿لنغرينك بهم﴾ أي: لنسلطنك عليهم بالقتل والجلاء، أو بما يضطرهم إلى طلب الجلاء وقوله تعالى: ﴿ثم لا يجاورونك﴾ أي: يساكنونك ﴿فيها﴾ أي: المدينة عطف على لنغرينك وثم للدلالة على أن الجلاء ومفارقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم ما يصيبهم ﴿إلا قليلا﴾ أي: زمانا أو جوارا قليلا، ثم يخرجون منها وقيل: نسلطك عليهم حتى تقتلهم وتخلى منهم المدينة.

وقوله تعالى:

﴿ملعونين﴾ أي: مبعودين عن الرحمة حال من فاعل يجاورونك قاله ابن عطية والزمخشري وأبو البقاء ﴿أينما ثقفوا﴾ أي:

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٦٠/٣

وجدوا ﴿أخذوا وقتلوا﴾ ثم أكده بالمصدر بغضا فيهم وإرهابا لهم بقوله تعالى: ﴿تقتيلا﴾ أي: الحكم فيهم هذا على وجه الأمر به.

وقوله تعالى:

﴿سنة الله﴾ أي: المحيط بجميع العظمة مصدر مؤكد أي: سن الله ذلك ﴿في الذين خلوا من قبل﴾ أي: في الأمم الماضية وهو أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء وسعوا في وهنهم بالإرجاف ونحوه أينما ثقفوا ﴿ولن تجد لسنة الله﴾ أي: طريقة الملك الأعظم ﴿تبديلا﴾ أي: ليست هذه السنة مثل الحكم الذي يتبدل وينسخ، فإن النسخ يكون في الأقوال أما الأفعال إذا وقعت والأخبار فلا تنسخ.

ولما بين تعالى حالهم في الدنيا أنهم ملعونون ومهانون ويقتلون أراد أن يبين حالهم في الآخرة فذكرهم بالقيامة وذكر ما يكون لهم فيها بقوله:

﴿يسألك﴾ يا أشرف الخلق ﴿الناس﴾ أي: المشركون استهزاء منهم وتعنتا وامتحانا ﴿عن الساعة﴾ أي متى تكون في أي: وقت ﴿قل﴾ أي: لهم في جوابهم ﴿إنما علمها عند الله﴾ الذي أحاط علمه بجميع الأشياء ﴿وما يدريك﴾ أي: أي شيء يعلمك أمر الساعة ومتى يكون قيامها أنت لا تعرفه ﴿لعل الساعة﴾ أي: التي لا ساعة في الحقيقة غيرها لما لها من العجائب ﴿تكون﴾ أي: توجد وتحدث على وجه مهول عجيب ﴿قريبا﴾ أي: في زمن قريب قال البقاعي: ويجوز أن يكون التذكير لأجل الوقت لأن السؤال عنها إنما هو عن تعيين وقتها قال البخاري." (١)

"وقيل: أنتم قدمتم هذا العذاب لنا بدعائكم إيانا إلى الكفر ﴿فبئس القرار﴾ أي: النار لنا ولكم.

﴿قالوا﴾ أي: الأتباع أيضا ﴿ربنا من قدم لنا هذا﴾ أي: شرعه وسنه لنا ﴿فزده عذابا ضعفا﴾ أي: مثل عذابه على كفره ﴿في النار﴾ قال ابن مسعود: يعني حيات وأفاعي.

﴿وقالوا﴾ أي: الطاغون وهم في النار ﴿ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار﴾ يعنون فقراء المؤمنين كعمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون بهم وقولهم:

﴿أتخذناهم سخريا﴾ صفة أخرى ل ﴿رجالا﴾ أي: كنا نسخر بهم في الدنيا، وقرأ نافع وحمزة والكسائي بضم السين والباقون بكسرها ﴿أم زاغت﴾ أي: مالت ﴿عنهم الأبصار﴾ أي: فلم نرهم حين دخلوها وقال ابن كيسان: أي: أم كانوا خيرا منا ونحن لا نعلم فكانت أبصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئا.

﴿إن ذلك﴾ أي: الذي حكيناه عنهم ﴿لحق﴾ أي: واجب وقوعه فلا بد أن يتكلموا به ثم بين ذلك الذي حكاه عنهم بقوله تعالى: ﴿تخاصم أهل النار﴾ أي: في النار وإنما سماه تخاصما لأن قول القادة للأتباع: لا مرحبا بهم، وقول الأتباع

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٣/٢٧٢

للقادة: بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة.

تنبيه: يصح في تخاصم أوجه من الإعراب أحدها: أنه بدل من لحق، الثاني: أنه عطف بيان، الثالث: أنه خبر ثان لأن، الرابع: أنه خبر مبتدأ مضمر أي: هو تخاصم.

ولما شرح سبحانه نعيم أهل الثواب وعقاب أهل العذاب عاد إلى تقرير التوحيد والنبوة والبعث المذكورات أول السورة بقوله تعالى:

﴿قل﴾ يا أفضل الخلق للمشركين ﴿إنما أنا منذر﴾ أي: مخوف بالنار لمن عصى ﴿و﴾ لا بد من الإقرار بأنه ﴿ما من إله إلا الله﴾ أي: الجامع لجميع الأسماء الحسنى ﴿الواحد القهار﴾ فكونه واحدا يدل على عدم الشريك وكونه قهارا مشعر بالتخويف والترهيب.

ولما ذكر ذلك أردفه بما يدل على الرجاء والترغيب بقوله تعالى: شأنه:

﴿رب السموات﴾ أي: مبدعها وحافظها على علوها وسعتها وإحكامها بما لها من الزينة والمنافع ﴿والأرض﴾ أي: على سعتها وضخامتها وكثافتها وما فيها **من العجائب** ﴿وما بينهما﴾ أي: الخافقين من الفضاء والهواء وغيرهما من العناصر والنبات والحيوانات العقلاء وغيرها ربي كل شيء من ذلك إيجادا وإبقاء على ما يريد وإن كره ذلك المربوب فدل ذلك على قهره وتفرده ﴿العزيز﴾ أي: الغالب على أمره ﴿الغفار﴾ فكونه ربا يشعر بالتربية والكرم والإحسان والجود وكونه غفارا يشعر بأن العبد لو أقدم على المعاصي والذنوب ثم تاب إليه فإنه يغفرها برحمته، وهذا الموصوف بهذه الصفات هو الذي تجب عبادته لأنه هو الذي يخشى عقابه ويرجى ثوابه وقوله تعالى:

﴿قل﴾ أي: لهم ﴿هو نبأ عظيم﴾ يعود على القرآن وما فيه من القصص والأخبار، وقيل: تخاصم أهل النار، وقيل: على ما تقدم من إخباره صلى الله عليه وسلم بأنه نذير مبين وبأن الله تعالى إله واحد متصف بتلك الصفات الحسنى وقوله تعالى:

﴿أنتم عنه معرضون﴾ صفة لنبأ أي: لتمادي غفلتكم فإن العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة إما على التوحيد فما مر وإما على النبوة، فقوله تعالى:

﴿ما كان لي من علم بالملأ الأعلى﴾ أي: الملائكة فقوله: ﴿بالملأ﴾ متعلق بقوله." (١)

"فهشم أنفها فنزلت هذه الآية» .

ولما شرح الله الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ختم الكلام بخاتمة هي: الفصل فقال تعالى شأنه ﴿ومن يضلل الله﴾ أي: الذي له الأمر كله ﴿فما له من هاد﴾ أي: يهديه إلى الرشاد.

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٤٢٥/٣

﴿ومن يهد الله فما له من مضل﴾ أي: فهذه الدلائل والبينات لا تنفع إلا إذا خص الله العبد بالهداية والتوفيق إذ لا راد لفعله كما قال تعالى: ﴿أليس الله﴾ أي: الذي بيده كل شيء ﴿بعزيز﴾ أي: غالب على أمره ﴿ذي انتقام﴾ أي: من أعدائه بلى هو كذلك، وفي هذا تهديد للكفار.

ولما بين تعالى وعيد المشركين ووعد الموحدين عاد إلى إقامة الدليل على تزييف طريق عبدة الأوثان وهذا الترتيب مبني على أصلين الأول: أن هؤلاء المشركين مقرون بوجود الإله القادر العالم الحكيم الرحيم وهو المراد من قوله تعالى:

﴿ولئن سألتهم﴾ أي: من شئت منهم فرادى أو مجموعين واللام لام القسم ﴿من خلق السموات﴾ أي: على ما لها من الاتساع والعظمة والارتفاع ﴿والأرض﴾ أي: على ما لها **من العجائب** وفيها من الانتفاع ﴿ليقولن الله﴾ أي: وحده لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية قال بعض العلماء: العلم بوجود الإله القادر الحكيم الرحيم علم متفق عليه بين جمهور الخلائق لا نزاع بينهم فيه، وفطرة العقل شاهدة بصحة هذا العلم فإن من تأمل في عجائب بدن الإنسان وما فيه من أنواع الحكم الغريبة والمصالح العجيبة علم أنه لا بد من الاعتراف بالإله القادر الحكيم الرحيم، والأصل الثاني: أن هذه الأصنام لا قدرة لها على الخير والشر وهو المراد من قوله تعالى ﴿قل أفرأيتم﴾ أي: بعد ما تحققتم أن خالق العالم هو الله تعالى: ﴿ما تدعون﴾ أي: تعبدون ﴿من دون الله﴾ أي: الذي هو ذو الجلال والإكرام ﴿إن أرادني الله﴾ أي: الذي لا راد لأمره ﴿بضر﴾ أي: بشدة بلاء ﴿هل هن كاشفات ضره﴾ أي: لا نقدر على ذلك ﴿أو أرادني برحمة﴾ أي: بعافية وبركة ﴿هل هن ممسكات رحمته﴾ أي: لا تقدر على ذلك فثبت أنه لا بد من الإقرار بوجود الإله القادر الحكيم الرحيم، قال مقاتل: فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا، وقرأ أبو عمرو بتنوين التاء من كاشفات وممسكات ونصب الراء من ضره ورفع الهاء ونصب التاء من رحمته والباقون بغير تنوين فيهما وكسر الراء والهاء من ضره والتاء والهاء من رحمته، وإذا كانت هذه الأصنام لا قدرة لها على الخير والشر كانت عبادة الله تعالى كافية والاعتماد عليه كافيا وهو المراد من قوله تعالى:

﴿قل حسبي الله﴾ أي: ثقتي به واعتمادي ﴿عليه يتوكل المتوكلون﴾ أي: يثق الواثقون، فإن قيل: لم قال تعالى: ﴿كاشفات﴾ ﴿وممسكات﴾ على التأنيث بعد قوله تعالى: ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ (الزمر: ٣٦)

أجيب: بأنه أنثها تحقيرا لما يدعون من دونه ولأنهم كانوا يسمونها بأسماء الإناث وهي اللات والعزى ومناة قال الله تعالى: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ (النجم: ١٩ ـ ٢٠)

وقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم

﴿قل يا قوم﴾ أي: الذين أرجوهم عند الملمات وفيهم كفاية في القيام بما يحاولون ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ أي: على حالتكم فيه تهديد أي: أنكم تعتقدون في أنفسكم أنكم في نهاية القوة والشدة فاجتهدوا في أنواع مكركم وكيدكم، وقرأ شعبة بألف بعد النون جمعا والباقون بغير ألف إفرادا ﴿إني عامل﴾." (١)

"المتعفف الذي لا يسأل الناس وقال زيد بن أسلم: المحروم هو المصاب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته وهو قول محمد بن كعب القرظي قال: المحروم صاحب الجائحة ثم قرأ ﴿إنا لمغرومون بل نحن محرومون﴾ (الواقعة: ٦٦ ـ ٦٧)

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٣/٤٤٩

﴿وفي الأرض﴾ أي من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها ﴿آيات﴾ أي دلالات على قدرة الله تعالى ووحدانيته ﴿للموقنين﴾ أي الذين صار الإيقان لهم غريزة ثابتة فهم لذلك يتفطنون لرؤية ما فيها قال القشيري: من الآيات فيها أنها تحمل كل شيء، فكذلك العارف يحمل كل أحد ومن استثقل أحدا أو تبرم برؤية أحد فلغيبته عن الحقيقة ومطالعته الخلق بعين التفرقة، وأهل الحقائق لا يتصفون بهذه الصفة، ومن الآيات فيها أنه يلقي عليها كل قذر وقمامة فتنبت كل زهر ونور فكذلك العارف يتشرب ما يسقى من الجفاء ولا يترشح إلا بكل خلق حسن علي وشيمة زكية.

﴿وفي أنفسكم﴾ آيات أيضا من مبدإ خلقكم إلى منتهاه، وما في تركيب خلقكم **من العجائب** ﴿أفلا تبصرون﴾ أي: بأبصاركم وبصائركم فتتأملوا ما في ذلك من الآيات فمن تأملها علم أنه عبد، ومتى علم ذلك علم أن له ربا غير محتاج إلى أحد.

﴿وفي السماء﴾ أي: جهة العلو ﴿رزقكم﴾ بما يأتي من المطر والرياح والحر والبرد وغير ذلك مما رتبه سبحانه وتعالى لمنافع العباد، وقال ابن عباس يعني بالرزق المطر لأنه سبب الأرزاق، وقيل: في السماء رزقكم مكتوب وقيل تقدير الأرزاق كلها من السماء ولولاه لما حصل في الأرض حبة قوت ﴿وما توعدون﴾ قال عطاء: من الثواب والعقاب وقال مجاهد: من الخير والشر وقال الضحاك: من الجنة والنار.

ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال عز من قائل:

﴿فورب﴾ أي: مبدع ومدبر ﴿السماء والأرض﴾ أي: وما أودع فيهما مما علمتموه وما لم تعلموه ﴿إنه﴾ أي: الذي توعدونه من الخير والشر والجنة والنار وما ذكر من أمر الرزق وما تقدم الإقسام عليه ﴿لحق﴾ أي ثبات يطابقه الواقع ﴿مثل ما أنكم تنطقون﴾ أي مثل نطقكم كما أنه لا شك في أنكم تنطقون ينبغي لكم أن لا تشكوا في تحقيق ذلك وقال بعض الحكماء: معناه أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه ولا يمكن أن ينطق بلسان غيره، كذلك كل أحد يأكل رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره وأنشدوا في المعنى:

ما لا يكون فلا يكون بحيلة ... أبدا وما هو كائن سيكون

سيكون ما هو كائن في وقته ... وأخو الجهالة مكمد مغبون

وقيل: معناه إن القرآن لحق تكلم به الملك النازل من السماء مثل ما تتكلمون، وقرأ حمزة والكسائي وشعبة برفع اللام على أنه نعت لحق، وما مزيدة وأنكم مضاف إليه أي لحق مثل نطقكم ولا يضر تقدير إضافتها لمعرفة لأنها لا تتعرف بذلك لإبهامها، والباقون بالنصب على أنه نعت لحق أيضا كما في القراءة الأولى: وإنما بنى الاسم لإضافته إلى غير ممكن كما بناه القائل في قوله:

فتداعى منخراه بدم ... مثل ما أثمر حماض الجبل
يفتح مثل مع أنها نعت لدم وقيل أنها نعت لمصدر محذوف أي لحق حقا مثل نطقكم. وقوله." (١)
"فظهرت الأنوار، ولكن السدرة كانت أقوى من الجبل وأثبت فجعل دكا ولم تتحرك الشجرة وخر موسى عليه السلام صعقا ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل: أبهمه تعظيما له والغشيان يكون بمعنى التغطية قال الماوردي في معاني القرآن: فإن قيل: لم اختيرت السدرة لهذا الأمر دون غيرها من الشجر قلنا: لأن السدرة تختص بثلاثة أوصاف: ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة ذكية، فشابهت الإيمان الذي يجمع قولا وعملا ونية فظلها من الإيمان بمنزلة العمل لتجاوره، وطعمها بمنزلة النية لكمونه، وريحها بمنزلة القول لظهوره، وروى أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قطع سدرة صوب الله تعالى رأسه في النار» وسئل أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال: هو مختصر يعني: من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم، عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها، صوب الله تعالى رأسه في النار.
ثم أكد سبحانه الرؤية وقررها بقوله تعالى ﴿ما زاغ﴾ أي: ما مال أدنى ميل ﴿البصر﴾ أي الذي لا بصر لمخلوق أكمل منه فما قصر عن النظر إلى ما أذن له فيه وما زاد ﴿وما طغى﴾ أي: تجاوز الحد إلى ما لم يؤذن له فيه، مع أن ذاك العالم غريب عن بني آدم وفيه **من العجائب** ما يحير الناظر، بل كانت له الصفة الصادقة المتوسطة بين الشره والزهادة على أتم قوانين العدل فأثبت ما رآه على حقيقته، وكما هو قال السهروردي في أول الباب الثاني والثلاثين من عوارفه: وأخبر تعالى بحسن أدبه في الحضرة بهذه الآية وهذه غامضة من غوامض الأدب اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
تنبيه: اللام في البصر تحتمل وجهين:
أحدهما: المعروف أي ما زاغ بصر محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا إن قيل بأن الغاشي للسدرة هو الجراد والفراش فمعناه لم يلتفت إليه ولم يشتغل به ولم يقطع نظره عن مقصوده فيكون غشيان الجراد والفراش ابتلاء وامتحانا لمحمد صلى الله عليه وسلم وإن قيل إن الغاشي أنوار الله تعالى ففيه وجهان: أحدهما: لم يلتفت يمنة ولا يسرة بل اشتغل بمطالعتها. الثاني: ما زاغ البصر بصعقه بخلاف موسى عليه السلام فإنه قطع النظر وغشي عليه، ففي الأول بيان أدب محمد صلى الله عليه وسلم وفي الثاني بيان قوته.
الوجه الثاني: أن اللام لتعريف الجنس أي ما زاغ بصره أصلا في ذلك الموضع لعظم هيبته فإن قيل: لو كان كذلك لقال ما زاغ بصره فإنه أدل على العموم فإن النكرة في معرض النفي تعم، أجيب: بأن هذا مثل كقوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ (الأنعام: ١٠٣)

ولم يقل ولا يدركه بصر.
ولما كانوا قد أنكروا الإسراء إنكارا لم يقع لهم في غيره مثله زاد في تأكيده على وجه يعم غيره فقال تعالى: ﴿لقد رأى﴾ أي: أبصر ما أهلناه له من الرسالة تلك الليلة إبصارا ساريا إلى البواطن غير مقتصر على الظواهر ﴿من آيات ربه﴾ أي: المحسن

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٩٨/٤

إليه بما لم يصل إليه أحد قبله ولا يصل إليه أحد بعده ﴿الكبرى﴾ أي: العظام أي بعضها، واختلف في ذلك البعض فقيل جبريل عليه السلام رآه في صورته له ستمائة جناح. وقال الرازي: والظاهر أن هذه الآيات غير تلك لأن جبريل عليه السلام وإن كان عظيما لكنه ورد في الأخبار أن لله تعالى ملائكة أعظم منه، والكبرى تأنيث الأكبر فكأنه تعالى قال رأى من آيات ربه آيات هن أكبر الآيات وقيل رأى: رفرفا أخضر سد الأفق وقيل: أراد ما رأى في تلك الليلة في مسيره وعوده ومن اجتماعه تلك الليلة بالأنبياء عليهم الصلاة." (١)

"أنه تعالى ذكرهم أنه قادر على الابتداء، والقادر على الابتداء قادر على الإعادة، فكما أنكروا هذه الدلالة الظاهرة لا جرم قال تعالى في حقهم: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾ (السجدة: ٨)

. وقرأ كل القراء بإدغام القاف في الكاف وإبقاء الصفة ولهم أيضا إدغام الصفة مع الحذف.

﴿فجعلناه﴾ أي: بما لنا من القدرة والعظمة بالإنزال للماء في الرحم ﴿في قرار﴾ أي: مكان ﴿مكين﴾ أي: حريز وهو الرحم.

﴿إلى قدر معلوم﴾ أي: وهو وقت الولادة، كقوله تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ إلى قوله: ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ (لقمان: ٣٤)

﴿فقدرنا﴾ أي: ذلك دون غيرنا ﴿فنعم القادرون﴾ نحن، وقرأ نافع والكسائي بتشديد الدال فيصح على هذه القراءة أن يكون المعنى: فقدرناه والباقون بالتخفيف، وقال علي كرم الله وجهه: ولا يبعد أن يكون المعنى في التخفيف والتشديد واحدا؛ لأن العرب تقول: قدر وقدرعليه الموت.

﴿ويل يومئذ﴾ أي: إذ كان ذلك ﴿للمكذبين﴾ أي: بقدرتنا على ذلك أو على الإعادة.

وقوله تعالى: ﴿ألم نجعل﴾ أي: نصير بما شئنا بما لنا من العظمة ﴿الأرض كفاتا﴾ مصدر كفت بمعنى ضم وعاء ضامة.

﴿أحياء﴾ أي: على ظهرها في الدور وغيرها ﴿وأمواتا﴾ أي: في بطنها في القبور وغيرها. وقيل: الأحياء والأموات ترجع إلى الأرض أي: الأرض منقسمة إلى حي وهو الذي ينبت، وإلى ميت وهو الذي لا ينبت، وقيل: كفاتا جمع كافت كصيام وقيام جمع صائم وقائم، وقال الخليل: تقليب الشيء ظهرا لبطن أو بطنا لظهر ويقال انكفت القوم إلى منازلهم، أي: انقلبوا، فمعنى الكفات أنهم يتصرفون على ظهرها وينقلبون إليها فيدفعون فيها.

﴿وجعلنا﴾ أي: بما لنا من القدرة التامة ﴿فيها﴾ أي: الأرض ﴿رواسي﴾ أي: جبالا لولاها لمادت بأهلها، **ومن العجائب** مراسيها من فوقها خلافا لمراسي السفن ﴿شامخات﴾ أي: مرتفعات جمع شامخ وهو المرتفع جدا، ومنه شمخ بأنفه إذا تكبر، جعل كناية عن ذلك كثنى العطف وصعر الخد، كما قال لقمان لابنه: ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾ (لقمان: ١٨)

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٤/١٢٧

﴿وأسقيناكم﴾ أي: بما لنا من العظمة ﴿ماء﴾ أي: من الأنهار والعيون والغدران والآبار وغير ذلك ﴿فراتا﴾ أي: عذبا تشربون منه ودوابكم وتسقون منه زرعكم، وهذه الأمور أعجب من البعث، روي في الأرض من الجنة سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة.

﴿ويل يومئذ﴾ أي: إذ تقوم الساعة ﴿للمكذبين﴾ أي: بأمثال هذه النعم.

وقوله تعالى: ﴿انطلقوا﴾ على إرادة القول، أي: يقال للمكذبين يوم القيامة: انطلقوا. ﴿إلى ما كنتم به تكذبون﴾ من العذاب يعني: النار فقد شاهدتموها عيانا.

﴿انطلقوا إلى ظل﴾ أي: ظل دخان جهنم لقوله تعالى: ﴿وظل من يحموم﴾ (الواقعة: ٤٣)

. ﴿ذي ثلاث شعب﴾ أي: تشعب لعظمه كما يرى الدخان العظيم يتفرق ذوائب. وقيل: يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظللهم حتى يفرغ حسابهم والمؤمنون في ظل العرش، وقيل: إن الشعب الثلاث: هي الضريع والزقوم والغسلين؛ لأنها أوصاف النار وقوله تعالى: ﴿لا ظليل﴾ أي: كنين يظلهم من حر ذلك اليوم تهكم بهم ورد لما يوهم لفظ الظل. ﴿ولا يغني﴾ أي: ولا يرد عنهم شيئا ﴿من اللهب﴾ أي: لهب النار، فليس كالظل الذي يقي حر الشمس، وهذا تهكم بهم وتعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين. واللهب ما يعلو." (١)

"وقد ظهر للناس دلائل ذلك

ومنهم علي بن محمد الجندي اصله من بلدي الجند ثم صار الى تعز فتفقه بها ثم ترتب معيدا بالشمسية ثم نقله ابن الاديب الى تدريس الغرابية وهو عليه الى الآن فيه دين وفقه لائق وبشاشة للأصحاب وأنس ومنهم أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي المقري ابن محمد بن مسعود الجعفري نسبا الاصابي بلدا كان جده على المقري من كبار أصحاب أبي بكر الجناحي وأما هذا يوسف فأخذ بالقراءات السبع بزبيد عن المقري يوسف بن المهلهل وعن احمد بن يوسف الريمي واخذ النحو عن ابناء افلح ثم طلع الجبل فتفقه بجماعة من اهل تعز فاخذ عن ابن جبريل وابن المقري مقدمي الذكر وعن غيرهما من فقهاء تعز وصحبته فارتضيت صحبته ودينه ونزاهة فضله وفقهه ورتبه الناصر في الاشرفية مدرسة ابيه مدرسا بتعز ثم نقله الى مدرسة عمته المقدم ذكرها ثم نقله عنها الى مدرسة زبيد المنسوبة الى دار الدملوة فهو عليها الى الآن ولم يزل مجتهدا في العلم الى عصرنا سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة

ومنهم أبو بكر بن موسى الزيلعي فقيه فاضل درس بالنجاحية ثم خودع ونقل إلى مدرسة المظفرية بقرية المحاريب وله يد جيدة بالفقه وعليه سيماء الصلاح ويذكر ببركة التدريس وهو نائب الحاكم بذي عدينة وله مروة وشرف نفس وصلاح قرأ علي المقامات والدريدية وتذاكرنا تاريخ المولد وإذا تقريبا من سبعين وستمائة ولقد أخبرني مرة وقد ورد علينا الجند لبعض حوائجه أنه سمع الفقيه الصالح علي بن أحمد أحد فقهاء الحبشة وصلحائها وزهادها وقد تذاكر هو وخاله اسمه عمر بن

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٤/٤٦٥

داود وقد سأله عما رآه في عمره من العجائب فقال دخلت يوما على مريض فوجدت عند راسه شيئا يشبه جرذ وهو ينظر إلى وجه المريض." (١)

"أخباز أربعة عشر من أولاد الأمراء ثم أفرج عن المحبوسين بعد شهرين وبعثهم إلى الشام. وفيه قدم عرب البحرين بأربعين فرسا فقومت بخمسمائة ألف درهم فضة وأنعم عليهم بعشرة ألاف دينار مصرية زيادة على ذلك وخلع على الجميع. وفيها خرج إلأمير جمال الدين أقوش الأشرفي نائب الكرك بعسكر إلى أياس وخرجت معه عساكر الشام وحلب بالآلات فنازلوها ونصبوا عليها المجانيق وقاتلوا الأرمن حتى ملكوها وغنموا منها مالا كثيرا وقتلوا عدة كثيرة منهم ومر من بقي في البحر وذلك في حادي عشرى ربيع الآخر. وعادت العساكر فأغارت على بلاد تكفور وأخذت مالا كبيرا وقدم الأمير جمال الدين أقوش إلى القاهرة. فبلغ الأمير ألطنبغا نائب حلب أن أهل إياس قد عادوا إليها فأمسك إلى أن كانت أيام عيد لهم وركب بعسكر حلب وطرقهم على غفلة وقتل منهم نحو ألفي رجل وأسر ثلاثمائة وغنم مالا جزيلا وعاد. وفيه تنكرت المماليك السلطانية على كريم الدين الكبير لتأخر جوامكهم شهرين ثم تجمعوا في يوم الخميس ثامن عشرى صفر قبل الظهر ووقفوا بباب القصر. وكان السلطان وقتذاك عند الحريم فلما بلغه ذلك خشى منهم وبعث بخروج الأمير بكتمر الساقي إليهم فلم يرضوه فخرج إيهم السلطان وقد صاروا ألفا وخمسمائة فعندما رأهم سبهم وأهانهم وأخذ العصا من المقدم وضرب بها رءوسهم وأكتافهم وصاح فيهم: اطلعوا مكانكم فعادوا بأجمعهم إلى الطباق فعدت سلامته من العجائب. ثم إنه أمر النائب بعرضهم فعرضهم في يوم السبت أخر صفر وأخرج منهم مائة وثمانين إلى البلاد الشامية وأخرج بعد ذلك منهم جماعة من الطباق إلى خرائب تتر وضرب واحدا منهم بالمقارع هو وغلامه لكونه شرب الخمر فمات بعد يومين من ضربه وأخرج جماعة من الخدام وقطع جوامكهم وأنزلهم من القلعة. وفيه قدم رسول جوبان من الأردو يسأل أن يعطى ضيعة من ضياع مصر الخراب ليعمرها ويقفها على الحرم فأعيد رسوله بأنه يسير إليه مكاتيب ضيعة بعد ذلك. وفيه أنعم السلطان على جماعة من المماليك بإمريات: منهم علاء الدين أيدغدي التيليلي الشمسي أحد مماليك سنقر الأشقر وكان قد أمر في أيام المنصور لاجين." (٢)

"المصادرات وتسلط السفهاء بالسعاية إليه على الناس حتى عم الخوف وفقد الأمن وبه اقتدى في الظلم من بعده وعجل الله له في الدنيا من العذاب ما لا يمكن وصفه إلى أن أهلكه الله وأدخله سعيرا فإنه لم يؤمن بالله قط بل أكره حتى قال كلمة الإسلام ولبس العمامة البيضاء فتسلط على الناس بذنوبهم ومن العجب أنه لما كان يتظاهر بالنصرانية ويباشر الحوائج خاناه كان مشكورا بكثرة بره ورعايته للناس فلما تظاهر بالإسلام جاء عذابا واصبا على عباد الله. ومات بدر الدين حسن بن العيذابي رئيس المؤذنين في سلخ جمادى الأولى وكان من العجائب في النهمة وكثرة الأكل. ومات الشيخ المعتقد رشيد الأسود التكروري في المارستان في يوم السبت ثالث عشرين جمادى الآخرة وكان يقيم بجامع راشدة خارج مصر وهو

---

(١) السلوك في طبقات العلماء والملوك الجُنْدي، بهاء الدين ٢/ ١٥٠

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣/ ٤٦

أخر من سكنه. ومات الأمير سلام – بتشديد اللام – بن محمد بن سليمان بن فايد بالفاء المعروف بابن التركية أمير خفاجة بالصعيد في سابع ربيع الآخر. ومات الأمير زين الدين عبد الرحمن بن منكلي بغا الشمسي وابن أخت الملك الأشرف شعبان بن حسين في عاشر شعبان. ومات الرئيس علاء الدين علي بن عبد الواحد بن محمد بن صغير رئيس الأطباء وهو بحلب ومات بدر الدين محمد بن علي بن يحيى بن فضل الله العمري كاتب السر في يوم الثلاثاء العشرين من شوال بدمشق. ومات القاضي الدين محمد بن محمد بن محمد المليجي المعروف بصائم الدهر ناظر الأحباس ومحتسب القاهرة وخطيب مدرسة حسن في تاسع عشر صفر عن نحو سبعين سنة وكان خيرا دينا كثير النسك ساكنا قليل الكلام بهيج الزي جميل الهيئة يسرد الصوم دائما. ومات ناصر الدين محمد بن مقبل الجندي الظاهري في يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الآخرة. كان يتظاهر بحف شاربه ورفع يديه في كل خفض ورفع في الصلاة ولا يكتم الاقتداء بمذهب أهل الظاهر وكتب بخطه كثيرا واشتغل بالحديث. ومات ناصر الدين محمد بن شرف الدين موسى بن سيف الدين أرقطاي في ليلة." (١)

"اعطي لسانا وشفتين وله قوة مودعة في الزائدتين الناتئتين ماض ذو الثلاثة بمضارع مقرون لا يأمن الكسر وان قارن النون وضع لانشاء المدح او الذم دخل تحت الابهام وهو على جسم نام متحرك في بعض الاحيان جوهر يقوم به الاعراض من الالوان فتى ذو حال كلما احال لايخلو كلامه عن القيل والقال بشواة ربما تضرب وحوصلتها ملئة علقت كثير التغرب في عين حمئة اعجب به ملاعب ظله اذ عبر ما لم يبلله القطر لم ينتظر واذا انبت ريشه لا يتمكن من المطار الى ان يحصل خبر صليب العود قوي العصب لا يأوي الا الى ظل ذي ثلاث شعب مخيف لا يخلو من النقش في الاسفار مستخف بالليل وسارب بالنهار **ومن العجائب** انه كليم مقوال وفي فيه جار سيال مرسال قارة يقربها الحمال فتسيل بقطع عروقها في الحال ملك صاحب الغار يقال له ذو المنار وهو جائع غريق بعسطش بانف شامخ وأذن شرقاء رعوم ذو ناب له خرطوم وله في وصف السيف

فيا سائلي عن اصل ذلك النصل استمع لما يتلى عليك في هذا الفصل انه نص قاطع وبرهان ساطع ذو النون ذهب مغاضبا فالتقمه الحوت فنادى في ظلمة فاحمة فنبذناه وانبتنا عليه شجرة قائمة ذو القرنين بقبضته الشرق والغرب وله اليد الطولى في كل ضرب من الحرب سلطان مصري فاتح الشامات قاهر القروم قهرمان دمشقي مالك رقاب العجم والروم عضد الدولة رونق الملة فتح لاوليائه ومقت لاعدائه طالما ابعد نفسه عن نيام فانام تحت ظله الانام في شجرة النسب فناري اما في العصب قناري كرماني ينشرح ما في متنه من المأثور ويسمع اثناء محادثته باللؤلؤ المنثور اشراقي بجلائه الطبع وصفائه الحميم وقد كان في شرحه من المشائين بنميم خرجت من منكبيه الأفعيان فكأنه ضحاك ناسب ان ينسب الى تيمور حيث انه سفاك حديد اللسان في تبيانه ومن لسانه علو شانه صبيح الصلب عارضه مصقول ناحل قد يعرض له ذات الجنب وهو

---

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك المقريزي ٣٦١/٥

مسلول تارة وهو من اصحاب اليمين يتلألؤ وجهه البريق بانوار مشرقة مصرما ومرة تلقاه وهو من اصحاب الشمال الذين اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اسمه خليل وكنيته." (١)

"علي بن أحمد بن يوسف السيد العلاء أبو الحسن بن العلامي الشهابي أبي العباس. الرومي ثم)

المقدسي الحنفي. ممن أخذ عني أشياء وكتبت له إجازة.

علي بن أحمد نور الدين الأزهري الحنفي الأسمر. مضى فيمن جده خليفة.

علي بن أحمد نور الدين القجطوخي ثم القاهري الأزهري المالكي المقرئ أحد الشهود الجالسين تجاه حانوت المجهزين بالقرب من الجوانية ويعرف بين أهل بلده بابن فليفل. ولد تقريبا سنة تسع وثلاثين وثمانمائة بقوج طوخ من الغربية غربي طنتدا ونشأ بها فحفظ القرآن ثم تحول إلى الأزهر فجاور به وقرأ الرسالة والشاطبيتين وغيرها واشتغل في الفقه وغيره قليلا وتنزل في سعيد السعداء وغيرها، واعتنى بالقراءات فأخذها عن عبد الغني الهيثمي والزين جعفر وناصر الدين الأخميمي حتى أتقن السبع بل وأخذ عن السنهوري وأجيز، وحج وجاور وسافر عيداب وغيرها وكان لا بأس به ممن يتكسب بالشهادة حتى مات في ربيع الأول سنة اثنتين رحمه الله.

علي بن أحمد الموفق بن سالم. فيمن جده محمد بن سالم.

علي بن أحمد المصري ثم الشامي الشافعي الأشعري ويعرف بابن صدقة. ولد سنة تسعين وسبعمائة وأخذ الفقه عن الولي العراقي والتقي بن قاضي شهبة وحضر دروس العلاء البخاري وبرع وصنف معالم الأحكام في الفقه والكوكب الوهاج في شرح المنهاج وأسرار العبادات والقربة إلى رب البريات والجمع المنتخب في الوعظ والخطب أثنى عليه الدوماطي بالتواضع والتودد وكرم النفس مات في.

علي بن أحمد الزيادي بالتشديد نسبة لمحلة زياد بالغربية، وهو والد محمد وأحمد وعزيزة وأحمد صوفية سعيد السعداء. مات سنة ثمان وأربعين وكان خيرا.

علي بن أحمد الشيبي العراقي. فيمن جده علي بن محمد بن علي بن عيسى.

علي بن أحمد الصنعاني اليماني. قال شيخنا في معجمه لقيته بالمهجم فأنشدني قصيدة رثى بها البرهان المحلي ومدح في آخرها ابنة الشهاب أولها:

(هي المنايا فلا تبقي على أحد ... لا والد مشفق بر ولا ولد)

قال: **ومن العجائب** أن الشهاب مات في تلك السنة أعني سنة ست فمات الوالد والولد.

علي بن أحمد الطناني ثم القاهري الغزولي. قرأ القرآن وجوده على الوالد وأقبل على التكسب)

في سوق الغزل وغيره وتمول ولا سيما بالمعاملات مع التقلل من المصروف وقد حج كثيرا.

(١) الشقائق النعمانيه في علماء الدوله العثمانيه طاشْكُبْري زَادَهْ ص/٤٨٠

ومات في العشر الأخير من ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وهو سائر بطريق الحجاز قبل الوصول إلى رابغ ودفن بها وتفرقت أمواله حتى أوقافه فلم تصرف فيما عينها له وقد كان جعل النظر فيها." (١)

"الفراديس. أرخه ابن اللبودي وغيره.

علي بن حسن بن علي بن معين العلاء السنباطي الأصل القاهري الماضي أبوه ويعرف بابن إمام المؤيد. ممن انتمى العلاء بن الصابوني ناظر الخاص وصار يتكلم له في أشياء كالمواريث للحاج وتكرر سفره لذلك وكذا تكرر دخوله الشام له مع عقل وأدب وقد خالطني في السفر لمكة بل رافقني من بطن مر إليها سنة ست وتسعين ثم بلغني أنه استقر في نظر) الطور.

علي بن الحسن بن علي نور الدين الدهشوري ممن سمع مني بالقاهرة علي بن حسن بن علي المحلي الهيثمي ثم القاهري القصير خادم الشيخ محمد بن صالح الآتي بين الفقراء ونحوهم بكاتم السر. لازمخدمة المشار إليه وتردد إلى الأكابر وتنزل في بعض الجهات وسمع على بعض الشيوخ بقراءتي بل سمع مني في الإملاء وغيره.

علي بن حسن بن علي الغمري المراكبي أبوه ويعرف بابن خروب. ممن حفظ المنهاج وعرض علي في جملة من الجماعة، وحج واشتغل قليلا عند الأمين ابن النجار ثم الحليبي وأهدي إليه فولاه الزيني زكريا قضاء منية غمر شركة لفارس ثم لغيره وعد **من العجائب**.

علي بن حسن بن عمر التلواني. هكذا ساق شيخنا نسبه في تاريخه وصوابه علي بن عمر بن حسن بن حسين وسيأتي.

علي بن حسن بن قاسم بن علي بن أحمد بن الخواجا نور الدين ابن عم الخواجا بدر الدين الملقب بالطاهر الماضي وكذا يلقب هو بها الصعدي اليماني ثم المكي. ولد في أوائل القرن بينبع في قدوم أبويه من القاهرة إلى مكة ونشأ ببلاده وولي في أيام الظاهر يحيى بعض الولايات بزبيد وغيرها وقدم مكة وعمر بها دارا. مات في صفر سنة سبع وخمسين بمكة. أرخه ابن فهد.

علي بن حسن بن محمد بن قاسم بن علي بن أحمد نور الدين بن الخواجا بدر الدين الطاهر الماضي وأخو الجمال محمد الآتي وهو أكبر. ولد سنة ثمان وثلاثين أو في التي قبلها ونشأ فقرأ القرآن عند الشهاب الشوايطي ثم ابن عطيف وصلى به على العادة مرة بعد أخرى ولا أستبعد أن يكون هو وأخوه سمعا على التقي بن فهد وأبي الفتح المراغي وغيرهما وأجاز لهما جماعة باستدعاء ابن فهد ولكنهما لم يتوجها لشيء من هذا، وكان في ظل أبيه وسافر إلى القاهرة في سنة خمس وتسعين مطلوبا فتكلف لعشرة آلاف دينار استدان أكثرها فيما قبل." (٢)

"التي كان يعامل بها في مجلسه حتى أنه في بعض منتزهاته رأى بعض ثناياه بارزة فقال له: دعني أقلعها فامتنع أشد امتناع فلم يلتفت لذلك بل أمر بإلقائه على الأرض غصبا وربطت سنه بخيط حرير مبروم ثم ديس برجل على صدره بحيث لا يتمكن من الحركة وجبذ سنه فانقلع وانتشرت الدماء فانشرح الزيني وكل من هناك غير ملتفت لتضمنه لزوم الدية إلى غير

---

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ١٩١/٥

(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٢١٣/٥

ذلك مما تقدم عنوانه، وكان مع قلة بضاعته في العلم بل عدمها وكونه عريض الدعوى من دواهي العالم، حتى أنه ربما غطى دهاؤه وحسن تأتيه في الكلام على مخدومه جهله بحيث يساء من عنده من فضلاء مجلسه كيحيى بن العطار بذلك وينتدبون لإظهار جهله عند كبيرهم فيسألونه مسائل مشكلة أو غيرها وهو يتخلص منهم بكل طريق ممكن وفي الغالب يقول لهم: حتى نكشف ثم يأتي الزين قاسم الحنفي وكان نزيلا له فيجيبه ويذهب من الغد بالجواب إليهم ووصل علم ذلك للزيني فكان يقول مشيراً لهذا: **من العجائب** أن ابن مفلح عنده كتاب ابن أم قاسم يكشف منه عن كل شيء في الدنيا نحو وفقه وألغاز وغيرها وكان مما سأله عنه يحيى المشار إليه:

(نظري فقحة الصبي حلال ... وكذاك اجتماعنا للجماع

)

(يجوز النكاح في الجحر شرعا ... للنسا والشباب بالإجماع)

فقال له الزين قاسم: يجوز أن يكون الصبي ممن لم تعتبر عورته عورة أو أن الفقحة راحة الكف كما في القاموس والجماع القدر العظيمة كما في الصحاح على أن لفظة نا هي ضمير المتكلم لا يلزم أن يكون المراد بها المتكلم والصبي بل المتكلم ومن يحل له وطؤها والجحر المغار ويجوز فيه وطء الشباب النساء بشروطه وقال يحيى: ثم نظمت هذه الأبيات وأرسلتها إليه فلم يجب عنها وهي:

(قل لمن كان في الورى ذا اطلاع ... واعتراف بالخلف والإجماع)

(أي عضو من بعض أعضا وضوئي ... قائم سالم من الأوجاع)

غسله لا يجوز والمسح أيضا

(وكذا إن عممته ليس يجزي ... لانعدام الشروط والأوضاع)

(فأبن ذا بقيت في كل خير ... وبلغت المنى بغير دفاع)

وذكره شيخنا في أنبائه فقال أنه ولي مشيخة الجامع الجديد بمصر مدة، وكان عارفا بصحبة الرؤساء كثير الخدمة لهم والتودد لأصحابه والإعانة لهم وفيه لبعض الطلبة خير منهم الأتابك جقمق والمحب قاضي الحنابلة والبدر العيني وهو الذي أم بهم عفا الله عنه.." (١)

"وأنا وحبك لست أضمر سلوة ... عن صبوتي ودع الفؤاد يبيد

وألذ ما لاقيت منك منيتي ... وأقل ما بالنفس فيك أجود

ومن العجائب أن قلبك لم يلن ... لي والحديد ألانه داود

(١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع السخاوي، شمس الدين ٤٠/٦

ومن لطيف شعره، ما كتب به إلى الملك المنصور إبراهيم، صاحب حمص، يستدعيخ إلى مجلس أنس، وذلك لما كانا نازلين ببيسان، حين كانا منفقين على حرب الصالح نجم الدين أيوب، صاحب مصر، وكان ذلك يوم عيد الفطر في زمان الربيع، وهو:

يا ملكا قد جمل العصرا ... وفاق أملاك الورى طرا

وفات في نائله حاتما ... وبت في إقدامه عمرا

وباكر العلياء فافتضها ... وكانت الناهدة البكرا

أما ترى الزهر وقد جاءنا ... مستقبلا بالبشر والبشرى

الصيد والنيروز في حالة ... والملك المنصور والنصرا

والأرض قد باهت به واغتدت ... تختال في حلتها الخضر

عبست السحب على نورها ... فراح ثغر النور مفترا

الصوم قد ولى بآلاته ... والفطر باللذات قد كرا

فانهض بلا نطل ولا فترة ... نرتشف المعسولة الخمرا

حيرية قد عتقت حقبة ... فأقبلت تخبر عن كسرى

واستجلها حمراء عانية ... تحسبها في كأسها تبرا

أو ذوب جمر حل في جامد ال ... ماء فألأقى فوقه درا

وبادر اللذات في حينها ... وقم بنا ننتهب العمرا

في روضة أترنجها ببانع ... يلوح في الأغصان مصفرا

كأنه قد لاح في دوحها ... وجه سماء أطلعت زهرا

واسلم ودم في عيشة رغدة ... تبلى على جدتها الدهرا

وقال شهاب الدين التلعفري الشاعر المشهور: اجتمعت ليلة بالملك الناصر داود، على شاطئ البحر بعسقلان، وقد طلع البدر وألقى شعاعه على البحر، فقال الملك الناصر مرتجلا:

يا ليلة قطعت عمر ظلامها ... بمدامة صفراء ذات تأجج

بالساحل النامي روائح نشره ... عن روضه المتضوع المتأرج

واليم زاه قد هدا تياره ... من بعد طول تقلق وتموج

طورا تدغدغه الشمال وتارة ... يكرى فتوقظه بنات الخزرج

والبدر قد ألقى سنا أنواره ... في لجه المتجعد المتدبج

فكأنه إذ قد صفحة متنه ... بشعاعه المتوقد المتوهج

نهر تكون من نضار يانع ... يجري على أرض من الفيروزج

وقال أيضا:

يا راكبا من أعالي الشام يجذبه ... إلى العراقين إدلاج وإسحار

حدثني عن ربوع طالما قضيت ... للنفس فيها لبانات وأوطار

لدى رياض سقاها المزن ديمته ... وزانها زهر غض ونوار

شح الندى أن يسقيها مجاجته ... فجادها مفعم الشوبوب مدرار

بكت عليها الغوادي وهي ضاحكة ... وراحت الريح فيها وهي معطار

يا حسنها حين زانتها جواسقها ... وأينعت في أعالي الدوح أثمار

فهي السماء اخضرارا في جوانبها ... كواكب زهر تبدو وأقمار

ومنها:

كرر على نازح شط المزار به ... حديثك العذب لا شطت بك الدار." (١)

"ومن شعره لغز في اسم طيبرس:

وما اسم له بعض هو اسم قبيلة ... وتصحيف باقيه تلاقي به العدا

اسم القبيلة: طي، وتصحيف برس: ترس.

وإن قلته عكسا فتصحيف بعضه ... غياث لظمآن تألم بالصدى

وباقيه بالتصحيف طير وعكسه ... لكل الورى علم معين على الردى

اسم الطير: بط. والعلم هو: الطب.

وله في مغن راقص:

يا من غدا الحسن إذ غنى وماس لنا ... مقسما بين أبصار وأسماع

قاسوك بالغصن رقصا والهزار غنا ... وما تقاس بمياس وسجاع

قد تسجع الرق لكن غير ناطقة ... ويرقص الغصن لا في حسن إيقاع

وله أيضا:

لا تسلني عن السلو وسل ما ... صنعت بي لطفا محاسن سلمى

أوقعت بين مقلتي ورقادي ... وسقامي والجسم حربا وسلما

وأورد له الصفدي، في " أعيان العصر "، قوله في مليح خطائي:

فقال لي العذول أراك تبكي ... فقلت له بكيت على خطائي

واعترض عليه، بأنه أراد التورية بالخطأ، مهموزا مقصورا، ضد الصواب، عن الخطائي، وهو المليح التركي الخطائي، وهو ممدود، فما قعدت معه التورية.

ثم إنه اعترض على الأديب جمال الدين ابن نباتة، حيث استعمل ذلك في شعره.

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية الغزي، تقي الدين ص/٢٧٦

وأنشد الصلاح لنفسه في ذلك قوله:

أحببت من ترك الخطا ذا قامة ... فضحت غصون البان لما أن خطا

إياكم وجفونه فأنا الذي ... سهم أصاب حشاه من عين الخطا

وقوله أيضا:

يا قلب لا تقدم على ... سحر الجفون إذا سطا

ومن العجائب أنه ... أضحى يصح مع الخطا

قلت: ويعجبني إلى الغاية في هذا المعنى قول الأديب المعمار، وإن كان يرد عليه في التورية بالخطأ، ما أورده الصفدي على صاحب الترجمة آنفا، فإن ذلك مما يسامح به غالبا:

أصاب قلبي خطائي ... بلحظه لشقائي

فرحت من عظم وجدي ... أشكو إلى الحكماء

قالوا أصبت بعين ... فقلت من عظم دائي

إن كان هذا صوابا ... فتلك عين الخطائي

وهو لغة.

في هذا المعنى أيضا مع سلامته من الاعتراض السابق، قوله من تائية نظمها في مدح المولى الفاضل أحمد جلبي بن قاضي القضاة حسن بيك بن عبد المحسن، وقد تقدمت في ترجمته:

ظبي من الترك إلا أن أعينه ... مهندات لها بالقلب فتكات

من الخطا ما خطا إلا وداخله ... بالقد عجب وللأغصان شمخات

ما اهتز إلا وبز الناس أنفسهم ... وهكذا شانهن السمهريات

حذار يا قلب من ألحاظه فلها ... سهام حتف لها بالقلب رشقات

ولا يغرنك ما يخطى وكن يقظا ... ففي سهام الخطا تلفى إصابات

ومن نظم بدر الدين الدشناوي موشح لطيف، منه قوله:

أيا من علي تجنى ... وقد حاز لطف المعنى

اجعل لي من صدودك أمنا

وارحمني وهب لي ... وصلا به أتملى

وكن للمكارم أهلا ... هذا [أهنا] وأحلى

٨٨٥ - زكريا بن يحيى بن يحيى النيسابوري

جد أحمد بن سهل.

كذا في " الجواهر "، من غير زيادة.

٨٨٦ - زهير بن معاوية بن حديج - بالحاء المهملة المضمومة -

أبو خيثمة، الكوفي

الحافظ، الحجة، محدث الجزيرة، من أصحاب الإمام، رضي الله تعالى عنه.

سمع الأعمش، وطبقته.

وروى عنه القطان، وأبو داود، وأبو نعيم، وأبو جعفر العقيلي، وأحمد بن يونس، ويحيى بن يحيى التميمي، وخلق سواهم.

وكان من علماء الحديث، وكان سفيان يقول: ما بالكوفة مثله.." (١)

"وعين لهم الدخول في غداة اليوم الثاني فكتب أبو الربيع للمنصور:

يا كعبة الجود التي حجت لها ... عرب الشام وغزاها والديلم

طوبى لمن أمسى يلوذ بها غدا ... ويطوف بالبيت العتيق ويحرم

ومن العجائب أن يفوز بنظرة ... من بالشآم ومن بمكة يحرم

فاستحسن المنصور مقصده وأظهر الرضى عنه، وأمره أن يكون هو الخارج للقائهم والداخل عليه.

وذكره الشقندي في معجمه فأطنب في الثناء عليه، وقال: هو من مفاخري بني عبد المؤمن. وأحله منهم محل ابن المعتز من بني العباس، وابن المعز، من العبيديين، وقال: كان قديرا على النظم، حافظا للآداب، جوادا يتعلق بأدنى سبب يجب رعيه. وخبرته فوجدته يجود في أكثر الأوقات بما يساعد عليه الزمان.

قال: ولقد قلت له يوما: يا سيدنا، تكلفون أنفسكم ما لا يساعد عليه الوقت. فضحك وقال: إنا نغالب الزمان فيما نتكلف، ونرجو من فضل الله ألا يغلبنا.." (٢)

"أليس الله القدير العليم بكاف عبده المتوكل عليه المفوض امره اليه ليكفيه ما ينفعه ويكف عنه ما يضره وهم من جهلهم بالله وبكمال علمه وقدرته يخوفونك يا أكمل الرسل يعنى قريشا بالذين اى بأصنامهم الذين يدعونهم آلهة من دونه سبحانه جهلا وعنادا ويقولون لك على سبيل النصح لا تذكر آلهتنا بسوء فانا نخاف عليك ان يخبلوك ويفسدوا عقلك وما ذلك الا من نهاية جهلهم بالله وغوايتهم عن طريق توحيده وبالجملة من يضلل الله بمقتضى قهره وجلاله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل إذ هو سبحانه فاعل على الإطلاق بالاختيار والاستحقاق لا يجرى في ملكه الا ما يشاء أليس الله العليم القدير بعزيز غالب على امره ذي انتقام شديد على من أراد انتقامه من أعدائه. ثم أشار سبحانه الى توضيح دلائل توحيده تعريضا على المشركين وتسجيلا على غوايتهم وغباوتهم فقال مخاطبا لحبيبه

ولئن سألتهم يا أكمل الرسل يعنى كفار قريش من خلق السماوات والأرض اى العلويات والسفليات وما بينهما من الممتزجات ومن أوجدها وأحدثها واظهر ما فيها من العجائب والغرائب ليقولن البتة الله المتفرد بالخلق والإيجاد المتوحد

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية الغزي، تقي الدين ص/٢٨٦

(٢) الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة ابن سعيد المغربي ص/١٣٢

بالالوهية والربوبية إذ لا يسع لهم العدول عنه لغاية ظهوره قل لهم يا أكمل الرسل بعد ما سمعت قولهم هذا إلزاما وتبكيتا أفرأيتم وابصرتم عيانا او سمعتم بيانا ما تدعون من دون الله اى من هؤلاء المعبودات الباطلة التي أنتم تدعونها آلهة سوى الله شركاء معه في أخص أوصافه الهم قوة المقاومة وقدرة المخاصمة معه سبحانه مثلا إن أرادني الله وجرى حكمه على ان يمسني بضر هل هن اى آلهتكم هذه كاشفات ضره سبحانه عنى على سبيل المعارضة أو أرادني الله برحمة فائضة من عنده على هل هن ممسكات رحمته حيث يمنعونها عنى ويدفعون وصولها الى وبعد ما بهتوا وسكتوا عند سماع هذه المقالة نادمين قل لهم يا أكمل الرسل كلاما ناشئا عن محض التوحيد واليقين خاليا عن امارات الريب والتخمين حسبي الله الواحد الأحد الكافي لمهام عموم الأنام الرقيب عليهم في جميع حالاتهم إذ عليه لا على غيره من الوسائل والأسباب العادية يتوكل المتوكلون المؤمنون المفوضون أمورهم كلها اليه حيث يتخذونه وكيلا ويعتقدونه كافيا وكفيلا

قل لهم ايضا على سبيل التوبيخ والتهديد يا قوم اعملوا على مكانتكم اى على حالكم وشأنكم ما شئتم من الأعمال إني عامل ايضا على مكانتي وحالي ما شئت فسوف تعلمون مآل ما تعملون وغايته واعلموا ان

من يأتيه منا ومنكم عذاب يخزيه ويرديه في الدنيا وهو دليل على انه يحل عليه ويلحق به في الآخرة عذاب مقيم دائم مؤبد مخلد فتربصوا حتى يأتى الله بامره ونحن نتربص ايضا. ثم قال سبحانه على وجه العظة والتأديب لحبيبه صلى الله عليه وسلم إنا من مقام عظيم جودنا قد أنزلنا عليك يا أكمل الرسل الكتاب الجامع المشتمل على عموم مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم لتكون أنت هاديا للناس بالحق مبلغا لهم جميع ما فيه من الوعد والوعيد فمن اهتدى ووفق على قبول ما فيه من الأوامر والنواهي فلنفسه اى نفع هدايته واهتدائه عائد الى نفسه ومن ضل ايضا فإنما يضل عليها ويلحق وبال ضلالها كذلك وبعد ما وضح الأمر لديك لا تتعب نفسك في هدايتهم إذ ما أنت عليهم بوكيل ضمين لهدايتهم وتكميلهم بل ما عليك الا البلاغ وعلينا الحساب وكيف لا يكون حساب العباد على الله ولا يكون في قبضة." (١)

"البعث الذي جاء صلى الله عليه وسلم لتبيينه وللانذار بما فيه من انواع العقبات والعقوبات وبالجملة فهم بمقتضى أحلامهم السخيفة مغمورون في أمر مريج مضطرب مخلوط حيث يلتبس عليهم حقيته صلى الله عليه وسلم وحقية عموم ما جاء به لذلك يترددون في شأنه ويقولون تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة كاهن وتارة مجنون مخبط يتكلم بكلام المجانين الى غير ذلك من المفتريات الباطلة

أفلم ينظروا ولم يتفكروا ولم يتفطنوا حين أنكروا البعث والحشر إلى السماء المطبقة المعلقة فوقهم كيف بنيناها ورفعناها بلا اعمدة وأساطين وكيف زيناها بالكواكب المتفاوتة في الإضاءة والتنوير وما لها من فروج نتو وفتوق بل قد خلقناها ملساء متوازية السطوح متلاصقة الطباق

ولم ينظروا ايضا الى الأرض ولم يتدبروا فيها كيف مددناها ومهدناها بكمال قدرتنا وحكمتنا وألقينا فيها وعليها رواسي جبالا ثوابت شامخات وأنبتنا فيها من كل زوج صنف من انواع النباتات بهيج حسن كريم تبهج عيون الناظرين وتسر قلوبهم وبالجملة ما خلقنا عموم ما خلقنا **من العجائب** والغرائب الا لتكون

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية النخجواني ٢/ ٢٤٨

تبصرة وذكرى اى عظة وعبرة دالة على كمال قدرتنا ومتانة حكمنا وحكمتنا لكل عبد منيب رجاع إلينا متوجه نحونا بكمال التبتل والتفويض ليتذكر بها ويتفطن منها على كمال اقتدارنا واختيارنا في خلق عموم مرادتنا ومقدوراتنا ومن جملتها حشر الأموات وبعثهم من قبورهم احياء

وكيف يسع لأولئك الحمقى الهالكين في تيه العناد والجحود انكار قدرتنا على البعث والإعادة مع انا قد نزلنا من جانب السماء ماء مباركا كثير الخير والبركة فأنبتنا به بعد انزاله وتنزيله على الأرض اليابسة الميتة جنات اى حدائق ذات بهجة وبهاء ونزاهة وصفاء ولا سيما حب الحصيد من البر والشعير وسائر الحبوب المحصورة للتقوت والتعيش

وقد أنبتنا به خصوصا النخل وجعلناها باسقات طوالا متحملات لها طلع ثمر ذو عنقود نضيد منضود منضد بعضه فوق بعض من غاية كثرته وكثافته وانما انبتناها لتكون

رزقا للعباد يرزقون بها ويواظبون على شكر منعمها ومبدعها وبالجملة قد أحيينا به اى بالماء المنزل من جانب السماء بلدة ميتا يابسة جدبة لا كلأ فيها ولا ماء كذلك الخروج اى خروجهم من قبورهم احياء بقدرتنا مثل ذلك فمن اين ينكرون وأنى يستبعدون أولئك الحمقى الجاهلون الجاحدون بقدرة العليم الحكيم وليس هذا التكذيب والإنكار ببدع من هؤلاء المكذبين المنكرين يا أكمل الرسل بل قد

كذبت قبلهم مثل تكذيبهم وانكارهم قوم نوح أخاك نوحا صلى الله عليه وسلم حين بعث إليهم واندرهم ونهاهم عماهم عليه من الكفر والجحود والخروج عن مقتضى الحدود وكذلك كذبت أصحاب الرس وهو بئر كانوا يسكنون حوله أخاك حنظلة بن صفوان عليه السلام وكذا قد كذبت ثمود أخاك صالحا عليه السلام فعقروا الناقة المقترحة

وعاد أخاك هودا عليه السلام وقد كذب فرعون وملاؤه أخاك موسى الكليم وإخوان لوط أخاك لوطا عليه السلام سماهم إخوانه لأنهم اصهاره

وكذبت ايضا أصحاب الأيكة أخاك شعيبا عليه السلام وكذبت قوم تبع وهو تبع الحميرى واسمه اسعد ابو كريب علماءهم وأئمتهم المصلحين لمفاسدهم وبالجملة كل منهم قد كذب الرسل المبعوثين إليهم لهدايتهم وإرشادهم فحق اى قد حل ولحق عليهم وعيد الموعود لهم بتكذيبهم وإصرارهم." (١)

"انصرافهم عن الحق واهله مغمورون في غمرة غفلة عظيمة وجهل متناه ساهون عن الله وقدر ألوهيته وحقوق ربوبيته ومن كمال غفلتهم وشدة عمهم وسكرتهم

يسئلون على سبيل التهكم والاستهزاء أيان يوم الدين اى متى يوم الجزاء والقيامة يا محمد وفي أى آن يأتينا عذاب الساعة وأهوالها قال الله تعالى سبحانه في جوابهم

يوم هم على النار يفتنون اى يأتى عليهم العذاب والجزاء في يوم هم يحرقون فيه في النار ويطرحون عليها صاغرين مهانين ويقول لهم الموكلون حين طرحهم فيها توبيخا وتقريعا

ذوقوا ايها المجرمون المسرفون فتنتكم التي أنتم تستعجلون بها في دار الدنيا على سبيل الاستهزاء والمراء وبالجملة هذا الذي

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية النخجواني ٢/ ٣٤٦

وقعتم فيه وحبستم عليه الآن من العذاب قد كنتم به تستعجلون أنتم في سالف الزمان على سبيل الإنكار والاستكبار. ثم قال سبحانه على مقتضى سنته المستمرة في كتابه

إن المتقين الممتثلين بأوامر الله المجتنبين عن نواهيه الموردة في كتبه الجارية على ألسنة رسله الحافظين لنفوسهم عن الإفراط في الرخص والمباحات وكيف عن تفريط المحظورات والمحرمات المتلذذون باللذات الروحانية متمكنون في جنات العلم والعين والحق وعيون جاريات من الحكم والمعارف اللدنية المستخرجة من ينابيع قلوبهم المترشحة إليها من بحر الوجود على مقتضى الجود الإلهي حسب استعداداتهم الفائضة لهم من لدنه سبحانه

آخذين ما آتاهم واعطاهم ربهم تفضلا عليهم وتكريما على وجه الرضاء بجميع ما جرى عليهم من مقتضيات القضاء إنهم كانوا قبل ذلك الفضل واللطف في النشأة الاولى محسنين الأدب مع الله ورسله ومع خلص عباده عاكفين ببابه متوجهين نحو جنابه في عموم أوقاتهم وحالاتهم ومن جملة إحسانهم انهم قد

كانوا في دار الدنيا قليلا من الليل ما يهجعون اى يرقدون قليلا من ساعات الليل وذلك ايضا بسبب ان لا يعرض لهم الكلال العائق من مواظبة الطاعات ومداومة العبادات

وهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم وخشوعهم بالأسحار المعدة للتوجه والاستغفار هم يستغفرون دائما كأنهم يرون أنفسهم قاصرة عن رعاية حقوق العبودية على ما ينبغي ويليق بجناب الألوهية لذلك يبالغون في الانابة والاستغفار

ومع ذلك قد كان في أموالهم وأرزاقهم المسوقة لهم من قبل الحق حق حظ ونصيب مفروض مفروز مقدر مخرج هم يوجبونه على أنفسهم للسائل السائر في سبيل الله المتعرض للسؤال مقدار ما يحتاج اليه والمحروم المتعفف عن ذل السؤال المتمكن في زاوية التوكل والتفويض. ثم أشار سبحانه الى حيطة وحدته الذاتية وشمولها على عموم ما ظهر وبطن في الآفاق والأنفس بالاستقلال والانفراد والى سر سريان هويته الذاتية على ذرائر الكائنات تنبيها للمريد المستبصر وايقاظا عن سنة الغفلة ونعاس النسيان فقال

وفي الأرض اى عالم المسببات والقوابل والاستعدادات المعبر عنها بالآفاق المعدة لظهور آثار القدرة الكاملة الإلهية عليها **من العجائب** والغرائب المتفرعة عن كمال العلم الحضوري الإلهي ووفور الحكمة المتقنة آيات دلائل واضحات وشواهد لائحات دالة على قدرة الصانع الحكيم ووحدة ذاته واختياره في عموم تصرفاته واستقلاله في مطلق حكمه ومصالحه للموقنين المنكشفين باليقين العلمي والعيني والحقي بل

وفي أنفسكم ايضا ايها المستبصرون المستكشفون عن سرائر الألوهية واسرار الربوبية شواهد ظاهرة تشهد على حقية الحق وتوحده في ظهوره ووجوده أفلا تبصرون ايها المجبولون على فطرة." (١)

"الفؤاد

اى فؤاده صلى الله عليه وسلم الذي هو من مقتضيات عالم اللاهوت المتمكن في قلوب ذوى العناية واولى الألباب على وجه الوديعة من قبل الحق ما رأى وشهد حين وصوله ولحوقه بالأفق الأعلى اللاهوتى

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية النخجواني ٣٥٢/٢

أتنكرون انكشافه وشهوده صلى الله عليه وسلم ايها المحجوبون المحرومون عن وجد الوجود وذوق الشهود فتمارونه وتجادلون معه على سبيل المكابرة والمراء على ما يرى يعلم وينكشف له من الذوقيات والوجدانيات التي قد تأبى عنها عقولكم وتعمى بصائركم وأبصاركم ولا يمكن القاؤها وكشفنا إياها لكم وكيف تنكرون وتستبعدون منه صلى الله عليه وسلم أمثال هذا

والله لقد رآه ما رأى من الشهودات التي تدهش منها عقول العقلاء وتتحير عندها اوهامهم وخيالاتهم نزلة أخرى مرة قبل عروجه ووصوله الى الأفق الأعلى والمقام الأدنى الذي هو اليقين الحقي وتلك النزلة الاخرى والوقعة العظمى

عند سدرة المنتهى التي ينتهى إليها ودونها اليقين العلمي والعيني إذ

عندها جنة المأوى التي يأوى إليها ارباب العناية شوقا الى لقاء الله ألا وهو موعد الرؤية والعيان ومقام التوحيد والعرفان الموعود على اهل العيان عند الحق المنان

إذ يغشى السدرة المعهودة اى يغطى الموعد الموعود ويحيط به ما يغشى ويستر من السبحات الجلالية ومن التجليات الإلهية المتشعشعة حسب الشئون المتجددة المحيرة للعيون النواظر من ارباب المحبة والولاء الوالهين بمطالعة وجه الله الكريم وبالجملة

ما زاغ البصر اى ما مال وما انحرف بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تعاقب التجليات الإلهية وترادف شئوناته الغيبية وتجدد تطوراته الجمالية والجلالية وتشعشع شمس ذاته حسب أسمائه وصفاته العلية عن شهود وحدة ذاته ولم يشغله صلى الله عليه وسلم شيء منها عن استغراقه صلى الله عليه وسلم بمطالعة وجه الله الكريم وما طغى وما مال وما انحرف بصره وقت رؤيته ونظره او ما خرج نفسه صلى الله عليه وسلم عند رؤية ما رأى **من العجائب** عن ربقة الرقية وعروة المربوبية أصلا بل قد التزم وتمكن حينئذ بقيام ما لزم من آداب العبودية ولوازم الإطاعة والانقياد اكثر مما التزمها قبل انكشافه والله

لقد رأى صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء من آيات ربه الكبرى التي هي من آيات ربه الذي رباه على رؤية آياته الكبرى ما لا يراه احد من المكاشفين ولا ملك مقرب ولا نبي مرسل من بنى نوعه

أتنكرون ايها الجاهلون الجاحدون بوحدة الحق عز شأنه وجل برهانه وبانكشاف حبيبه صلى الله عليه وسلم بوحدته وبلوازم ألوهيته وربوبيته وبرسالته من عنده سبحانه الى عموم بريته وكافة خليقته ليرشدهم الى الايمان بالله والى توحيده فرأيتم أثبتم وأخذتم الأصنام العاطلة الباطلة شركاء لله مشاركين معه في ألوهيته وربوبيته يعنى الاولى اللات والثانية العزى

ومناة الثالثة الأخرى مع ان هؤلاء الهلكى ما هي الا جمادات لا شعور لها ولا يصدر شيء منها وأعظم من ذلك انكم قد أثبتم له سبحانه الأولاد بل أخسها وأدونها

ألكم الذكر الأشرف الأكرم ايها الحمقى العمى المفرطون وله سبحانه مع كمال تنزهه عن نقيصة اتخاذ الولد المترتب على القوة الشهوية الأنثى المرذولة المستهجنة عندكم والله

تلك القسمة التي قد جئتم بها أنتم مع استحالتها في حقه سبحانه إذا قسمة ضيزى اى فلو فرض في شأنه سبحانه على سبيل فرض المحال الأولاد لكانت قسمتكم هذه قسمة عوجاء جائرة مائلة عن العدالة منحرفة عن جادة الاعتدال إذ أنتم ايها الحمقى تستنكفون عن الأنثى وتثبتونها لله المنزه عن الأهل والولد المقدس عن مطلق امارات الحدوث وعلامات النقصان

وبالجملة

إن هي." (١)

"وعند قيام الطامة الكبرى

بلى نحن نقدر على إعادته وجمع عظامه وتسوية جميع أعضائه على الوجه الذي كان عليه من قبل بل نحن كما كنا في النشأة الاولى نكون قادرين على أن نسوي بنانه اى سلاماه ورؤس أصابعه في النشأة الاخرى خص البنان بالذكر لان جمع اجزائها أصعب من أجزاء سائر الجسد لاشتمالها على دقائق العظام ورقائق العروق والاعصاب والغضاريف والرباطات المعينة على القبض والبسط والأخذ والبطش ولصعوبة الاطلاع على اجزائها قد عجز الأطباء عن تشريحها وبالجملة انا نقدر على جمعها مع صعوبتها فكيف بجمع غيرها

بل يريد الإنسان المركب من الجهل والنسيان بظنه الباطل وحسبانه الزاهق الزائل ليفجر أمامه اى يدوم ويمضى دائما على الفجور والفسوق والخروج عن مقتضى الحدود الإلهية فيما يستقبله من الزمان كما كان عليها فيما مضى لذلك

يسئل سؤال انكار واستبعاد أيان متى يقوم واى آن يقع يوم القيامة اى يوم تبلى السرائر وتكشف الستائر فيها بين لي ايها المدعى وقت وقوعه حتى اكف وامنع نفسي عن الفجور وأتوب عنها ثقة ويقينا وانما قال ما قال على سبيل الاستهزاء والتهكم وكيف يستهزئ ويصر على الإنكار ذلك المستهزئ المسرف المصر

فإذا برق وتحير البصر اى حاسة عالم الناسوت وجاسوس عالم الطبيعة والهيولى حين ظهور طلائع عالم اللاهوت وبروز مقدماته واماراته فزعا وهولا ودهشا مما يرى **من العجائب** والغرائب الموعودة التي كان ينكر ويكذب بها في دار الدنيا وبقعة الإمكان وعرصة الزمان والمكان

ومع ذلك خسف القمر اى قد ذهب ضوء الوجود الإضافي المستعار وانمحى نوره واشرف على الأفول في أفق العدم

وجمع الشمس اى ظهر نور الوجود المطلق المستغنى عن عموم المظاهر والمجالى والقمر اى اندرج ضوء الوجود المستعار الإضافي المنعكس من الشمس الحقيقية فيها واندمج وصار كما كان بحيث لم يبق كون ولون ولا بين ولا بون وبعد رجوع الكل إليها وانطماسها فيها وانقهارها دونها

يقول الإنسان المنعزل عن اليقين والعرفان يومئذ أين المفر والملجأ حتى افر اليه والجأ نحوه

كلا وحاشا ان يكون له حينئذ ملجأ ومفر في الوجود حتى يطلبه ويصل اليه إذ لا وزر اى لا حصن ولا حرز ولا مخلص ولا ملجأ يومئذ بل في عموم الأوقات والأزمان عند العارف غير الحق إذ لا شيء في الوجود سواه فثبت انه

إلى ربك

يا أكمل الرسل والى كنف حفظه وجواره يومئذ المستقر

اى لا مفر ولا مقر يومئذ لعموم العباد الا عنده سبحانه إذ لا مرجع لهم سواه وبعد رجوع الكل اليه سبحانه وحضوره عنده ينبؤا

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية النخجواني ٣٦٣/٢

ويخبر الإنسان يومئذ بما قدم

من الأعمال الصالحة وأتى بها

و

بما أخر

منها ولم يأت بها وتركها بل قد أتى بأضدادها على التفصيل بلا فوت شيء منها

بل

لا حاجة حينئذ الى الأنباء والاخبار عما صدر عنه وجرى عليه إذ الإنسان

له حينئذ على نفسه

وبما صدر عنه من الأعمال الصالحة والطالحة بصيرة

كاملة وبينة واضحة موضحة إذ يشهد له او عليه جوارحه وأركانه التي قد اقترف بها ما اقترف من الحسنات والسيئات ولو

ألقى

حينئذ معاذيره

اى جميع ما يعتذر به من الاعذار الكاذبة لم يسمع مع حضور الشهود العدول التي هي أعضاءه وجوارحه بل يعامل معه بمقتضى ما يحاسب عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر. ثم لما استعجل رسول الله صلى الله عليه وسلم بادر بالتقاط الوحى من في جبرائيل عليه السلام الى حيث سبق عليه بالتلفظ خوفا من ان ينفلت منه شيء نهى سبحانه حبيبه صلى الله عليه وسلم عن." (١)

"شيخ العالم الواعظ المذكور شهاب الدين قاضي القدس الشريف الشهير بابن عبية المقدسي الأثري الشافعي نزيل دمشق. ولد في ثاني عشر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة، واشتغل بالقدس الشريف وحصل، وولي قضاء بيت المقدس، وامتحن بسبب القمامة، ثم رحل إلى لدمشق وقطن بها ووعظ وذكر الناس بالجامع الأموي، وله شعر لطيف وخط حسن، وقرأت بخطه أنه بات في بيت بعض إخوانه، وكان بقرب ناعورة على النهر تدور وتئن فقال:

وناعورة أنت فقلت لها: اقصري ... أنينك هذا زاد للقلب في الحزن

فقالت: أنيني إذ ظننتك عاشقا ... ترق لحال الصب قلت لها: إني

وهذا أقرب من قول الحافظ أبي الفضل بن حجر رحمه الله تعالى:

غرمت على الترحال من غير علمها ... فقالت وزادت في الأنين وفي الحزن

لقد حدثتني النفس أنك راحل ... فزاد أنين قلت: ما كذبت إني

قلت: ولو قال: قد صدقت لكان أولى، ومن شعر ابن عبية – رحمه الله تعالى – قصيدة نونية نقلت منها من خطه ما أثبته هنا:

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية النخجواني ٤٦٥/٢

بأبي أزج حواجب وعيون ... سلب بصاد للقلوب ونون

ففؤادي المعتل منه ناقص ... بمثال ذاك الأجوف المقرون

يا نظرة قد أورثت قلبي الردى ... بأبي جفون معذبي وجفوني

نظرت غزالا ناعسا يرعى الكرى ... فهي التي جلبت إلي منوني

قال العذول: وقعت في شرك الهوى ... فأجبت هذا من فعال عيوني

يا قاتل الله العيون فإنها ... حكمت علينا بالهوى والهون

إلى أن قال وأجاد:

خدعوا فؤادي بالوصال وعندما ... ثبت الهوى في أضلعي هجروني

هجروا ولو ذاقوا الذي قد ذقته ... تركوا الصدود وربما وصلوني

لم يرحموني حين حان فراقهم ... ما ضرهم لو أنهم رحموني

ومن العجائب أن نسوا ودي ومن ... ودي لهم كل الورى عرفوني

وقال في ملخصها مادحا لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

ما مخلصي في الحب من شرك الهوى إلا بمدح المصطفى المأمون

زين الأعارب في القراع وفي القرى ... ليث الكتائب لم يخف لمنون." (١)

"ويا للعجب من أبي حنيفة – رضي الله تعالى عنه – انه تمسك في وجوب مسح الناصية بخبر واحد، في أنه – عليه الصلاة والسلام – مسح على الناصية، فجعل ذلك القدر من المسح شرطا لصحة الصلاة، وها هنا نقل أهل العلم نقلا متواترا أنه – عليه الصلاة والسلام – واظب على قراءة الفاتحة، ثم قال: إن صحة الصلاة غير موقوفة عليها، وهذا **من العجائب**.

الثاني: قوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة﴾ [البقرة: ٤٣] ، والصلاة لفظ محلى بالألف واللام، فيكون المراد منها المعهود السابق، وليس عند المسلمين معهود سابق من لفظ الصلاة إلى الأعمال التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي بها.

وإذا كان كذلك كان قوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة﴾ جاريا مجرى أمره بقراءة الفاتحة، وظاهر الأمر الوجوب، ثم إن هذه اللفظة تكررت في القرآن الكريم أكثر من مائة مرة، فكان ذلك دليلا قاطعا على وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة.

الثالث: أن الخلفاء الراشدين – رضي الله تعالى عنهم – واظبوا على قراءتها طول عمرهم، ويدل عليه ما روي في» الصحيحين «أن النبي – عليه الصلاة والسلام – وأبا بكر وعمر – رضي الله تعالى عنهما – كانوا يستفتحون القراءة ب ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ، وإذا ثبت هذا وجب علينا ذلك، لقوله عليه الصلاة والسلام :

«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» .

---

(١) الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة الغزي، نجم الدين ١/١٢٦

ولقوله عليه الصلاة والسلام : «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر» رضي الله عنهما.

والعجب من أبي حنيفة – رحمه الله – أنه تمسك بطلاق الفار بأثر عثمان – رضي الله عنه –." (١)

"التأويل، وهذا جواب عن سؤال أيضا، وهو أن يقال: قوله تعالى: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد﴾ يقتضي تشبيه مثلهم مثل المستوقد، فما مثل المنافقين ومثل المستوقد حتى شبه أحدهما بالآخر؟

فالجواب: أن يقال: استعير المثل للقصة وللصفة إذا كان لها شأن وفيها غرابة، كأنه قيل: قصتهم العجيبة كقصة الذي استوقد نارا، وكذا قوله: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ [الرعد: ٣٥] أي فيما قصصنا عليه **من العجائب** قصة الجنة العجيبة.

﴿ولله المثل الأعلى﴾ [النحل: ٦٠] أي: الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة.

﴿مثلهم في التوراة﴾ [الفتح: ٢٩] أي: وصفهم وشأنهم المتعجب منه، ولكن المثل – بالفتح – ولذلك حوفظ في لفظه فلم يغير.

و «الذي» : في محل خفض بالإضافة، وهو موصول للمفرد المذكر، ولكن المراد به – هنا – جمع ولذلك روعي معناه في قوله: ﴿ذهب الله بنورهم﴾ فأعاد الضمير عليه جمعا، والأولى أن يقال: إن «الذي» وقع وصفا لشيء يفهم الجمع، ثم حذف ذلك الموصوف للدلالة عليه.

والتقدير: ومثلهم كمثل الفريق الذي استوقد، او الجمع الذي استوقد؛ ويكون قد روعي الوصف مرة، فعاد الضمير عليه مفردا في قوله: ﴿استوقد نارا﴾ و «حوله» ، والموصوف أخرى فعاد الضمير عليه مجموعا في قوله: «بنورهم» ، و «تركهم» .

وقيل: إن المنافقين ذاتهم لم يشبهوا بذات المستوقد، وإنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد، ومثله قوله: ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار﴾ [الجمعة: ٥] ، وقوله: ﴿ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت﴾ [محمد: ٢٠] .

وقيل: المعنى: ومثل كل واحد منهم كقوله: ﴿يخرجكم طفلا﴾ [غافر: ٦٧] أي: يخرج كل واحد منكم. ووهم أبو البقاء، فجعل هذه الآية من باب ما حذفت منه النون تخفيفا، وأن الأصل: «الذين» ثم خففت بالحذف، وكأنه مثل قوله تعالى: ﴿وخضتم كالذي خاضوا﴾ [التوبة: ٦٩] ، وقول الشاعر: [الطويل] .

٢٢٥ – وإن الذي حانت بفلج دماؤهم ... هم القمم كل القوم يا أم خالد

والأصل: «كالذين خاضوا» «وإن الذين حانت» . وهذا وهم؛ لأنه لو كان من باب." (٢)

"اللام» المقوية، وإذا تأخر أن يتعدى إيله بنفسه فقط؟

فالجواب: أن أمثلة المبالغة خالفت أفعالها، وأسماء فاعليها لمعنى وهو شبهها ب «أفعل» التفضيل بجامع ما فيها ن معنى المبالغة، و «أفعل» التفضيل له حكم في التعدي، فأعطيت أمثلة المبالغة ذلك الحكم، وهو أنها لا تخلو من أن تكون من

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٣٣/١

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٧٢/١

فعل متعد بنفسه أو لا.

فإن كان الأول فإما أن يفهم علما أو جهلا أو لا.

فإن كان الأول تعدت بالباء نحو: ﴿هو أعلم بكم﴾ [النجم: ٣٢] ﴿وهو عليم بذات الصدور﴾ [الحديد: ٦] و «زيد جهول بك» و «أنت أجهل به» وإن كان الثاني تعدت ب «اللام» نحو: «أنا أضرب لزيد منك» و «أنا ضراب له، ومنه: ﴿فعال لما يريد﴾ [هود: ١٠٧] ، وإن كانت من متعد بحرف جر تعدت هي بذلك الحرف نحو:» أنا أصبر على كذا «و» أنا صبور عليه «، و» أزهد فيه منك «، و» زهيد فيه «.

فصل في إثبات العلم لله سبحانه بخلقه

هذه الآية تدل على أنها يمكن أن يكون خالقا للأرض وما فيها، وللسماوات وما فيها **من العجائب** والغرائب إذى إذا كان عالما بها محيطا بجزئياتها وكلياتها، وذلك يدل على أمور:

أحدها: أن يفسد قول الفلاسفة الذين قالوا: إنه لا يعلم الجزئيات، ويدل على صحة قول المتكلمين فإنهم قالوا: إنه – تعالى – فاعل لهذه الأجسام على سبيل الإحكام والإتقان، وكل فاعل على هذا الوجه، فإنه لا بد وأن يكون عالما بما فعله كما ذكر في هذه الآية.

وثانيها: يدل على فساد قول المعتزلة، وذلك لأنه – سبحانه وتعالى – بين أن الخالق للشيء على سبيل التقدير والتحديد، ولا بد أن يكون عالما به وبتفاصيله، لأن خالقه قد خصه بقدر دون قدر، والتخصيص بقدر معين لا بد وأن يكون بإرادة، وإلا فقد حصل الرجحان من غير مرجح، والإرادة مشروطة بالعلم، فثبت أن خالق الشيء لا بد وأن يكون عالما به على سبيل التفصيل.

فلو كان العبد موجدا لأفعال نفسه لكان عالما بها، وبتفاصيلها في العدد والكمية والكيفية، فلما لم يحصل هذا العلم علمنا أنه غير موجد لأفعال نفسه.

وثالثها: قالت المعتزلة: إذا جمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ [يوسف: ٧٦] ظهر أنه – تعالى – عالم بذاته.

والجواب: قوله تعالى:» وفوق كل ذي علم عليم «عام، وقوله: ﴿أنزله بعلمه﴾ [النساء: ١٦٦] خاص والخاص مقدم على العام.." (١)

"للشرابي هذا هو الذي علم تأويل رؤياي؟ قالك نعم، فأقبل على يوسف، فقال الملك: أحب أن أسمع منك تأويل رؤياي شفاها.

فأجابه بذلك الجواب شفاها، وشهد قلبه بصحته؛ فعند ذلك قال له الملك: ﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ يقال: فلان مكين عند فلان، بين المكانة، أي: المنزلة، وهي حالة يتمكن بها صاحبها مما يريد، وقوله: «أمين» أي: قد عرفنا أمانتك، وبراءتك مما نسبت إليه.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٩٣/١

واعلم أن قوله: «أمين» كلمة جامعة لكل ما يحتاج إليه من الفضائل، والمناقب؛ وذلك لأنه لا بد في كونه أمينا من القدرة والعلم، أما القدرة؛ فلأن يحصل بها المكنة، وأما العلم؛ فلأن كونه متمكنا من أفعال الخير لا يحصل إلا به، إذ لو لم يكن عالما بما ينبغي، وبما لا ينبغي، لا يمكن تخصيص بيان ما ينبغي بالفعل، ولا تخصيص ما لا ينبغي بالترك؛ فثبت أن كونه مكينا لا يحصل إلا بالقدرة والعلم، وأما كونه أمينا، فهو عبارة عن كونه لا يفعل الفعل لداعي الشهوة، وإنما يفعله لداعي الحكمة، فثبت أن كونه مكينا أمينا يدل على كونه قادرا، وعلى كونه عالما بمواضع الصلاح، والفساد، وعلى كونه يفعل لداعي الحكمة، لا لداعي الشهوة، وكل من كان كذلك، فإنه لا يصدر عنه فعل السوء والفحشاء.

ثم حكى سبحانه وتعالى أن يوسف عليه الصلاة والسلام قال في هذا المقام: ﴿اجعلني على خزآئن الأرض إني حفيظ عليم﴾ قال المفسرون: لما عبر يوسف رؤيا الملك بين يديه، قال له الملك: فما ترى أيها الصديق؟ فقال: أرى أن تزرع في هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا، وتبني الخزائن وتجمع فيها الطعام، فإذا جاءت السنون المجدبة بعت الغلات، فيحصل بهذا الطريق مال عظيم، فقال الملك: ومن لي بهذا الشغل؟ فقال يوسف: ﴿اجعلني على خزآئن الأرض﴾ ، أي: على خزائن أرض مصر. أدخل الألف واللام على الأرض والمراد منه المعهود السابق.

روى ابن عباس رضي البله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «رحم الله أخي يوسف، لو لم يقل: اجعلني على خزائن الأرض لا ستعمله من ساعته لكنه لما قال ذلك أخره عنه سنة» .

قال ابن الخطيب: «وهذا من العجائب؛ لأنه لما تأبى عن الخروج من السجن، سهل الله عليه ذلك على أحسن الوجوه، ولما سارع في ذكر هذا الالتماس، أخر الله ذلك." (١)

"الغائصة في الأرض، وهذا من العجائب؛ لأن طبيعة تلك الحبة واحدة وتأثير الطبائع، والأفلاك، والكواكب فيها واحد، ثم إنه يخرد من الجانب الأعلى من تلك الحبة جرم صاعد إلى الهواء، ومن الجانب الأسفل جرم غائص في الأرض، ومن المحال أن يتولد من الطبيعة الواحدة طبيعتان متضادتان، فعلمنا أن ذلك إنما كان بتدبير المدبر العليم الحكيم لا بسبب الطبع، والخاصة، ثم إن الشجرة النامية في تلك الجهة بعضها يكون خشبا، وبعضها يكون نورا، وبعضها يكون ثمرة، ثم إن تلك الثمرة أيضا يحصل فيها أجسام مختلفة الطبائع مثل الجوز ففيه أربعة أنواع من القشور، فالقشرة الأعلى، وتحته القشرة الخشبية، وتحته القشرة المحيطة باللب، وتحت تلك القشرة قشرة أخرى في غاية الرقة تمتاز عما فوقها حال كون الجوز واللوز رطبا وأيضا: فقد يحصل في الثمرة الواحدة الطبائع المختلفة فالأترجد قشره جار يابس ولحمه وماؤه حاران رطبان؛ فثبت أن هذه الطبائع المختلفة من الحبة الواحدة مع تساوي تأثيرات الطبائع، وتأثيرات الأنجم، والأفلاك على زعم من يدعيه لا بد وأن يكون بتدبير العليم القدير.

فإن قيل: الزوجان لا بد وأن يكونا اثنين، فما الفائدة في قوله: «زوجين اثنين» ؟ .

فالجواب: أنه تعالى أول ما خلق العالم، وخلق فيه الأشجار، خلق من كل نوع من الأنواع اثنين فقط، فلو قال: «زوجين»

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٣٥/١١

لم يعلم أن المراد النوع، أو الشخص فلما قال: «اثنين» علمنا أنه تعالى أول ما خلق من كل زوجين اثنين [لا أقل ولا أزيد، والحاصل أن الناس فيهم الآن كثرة، إلا أنهم ابتدءوا من زوجين اثنين] بالشخص وهما: آدم وحواء عليهما السلام وكذلك القول في جميع الأشجار، والزروع، والله أعلم.

النوع الرابع: الاستدلال بأحوال الليل، والنهار، وإليه الإشارة بقوله: ﴿يغشي الليل النهار﴾ وقد سبق الكلام فيه فأغنى عن الإعادة.

ثم قال تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ فيستدلون، والتفكر: تصرف القلب في طلب المعاني.

قوله: ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ العامة على رفع: «قطع» «وجنات» إما على الابتداء، وإما على الفاعلية بالجار قبله.

وقرىء «قطعا متجاورات» بالنصب، وكذلك هي في بعض المصاحف على إضمار جعل. وقرأ الحسن: «وجنات» بكسر التاء وفيها أوجه:." (١)

"الإنسان غذاء، أو شربة رقيقة؛ انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا، لا يخرج منه شيء من ذلك المأكول، والمشروب إلى أن يكمل انهضامه في المعدة، وينجذب ما صفا منه إلى الكبد، ويبقى الثقل هناك، فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ، وينزل منه ذلك الثقل، وهذا من العجائب التي لا يمكن حصولها إلا بتدبير الفاعل الحكيم؛ لأنه متى كانت الحاجة إلى خروج ذلك الجسم من المعدة انفتح فحصل الانطباق تارة، والانفتاح أخرى، بحسب الحاجة، وتقدير المنفعة مما لا يتأتى إلا بتدبير الفاعل الحكيم.

الثاني: أنه - تعالى - أودع في الكبدة قوة، تجذب الأجزاء اللطيفة الحاصلة في ذلك المأكول، والمشروب، ولا تجذب الأجزاء الكثيفة، وخلق في الأمعاء قوة تجذب تلك الأجزاء الكثيفة التي هي الثقل، ولا تجذب الأشياء اللطيفة ألبتة، ولو كان الأمر بالعكس، لاختلفت مصلحة البدن، ولفسد نظام هذا التركيب.

الثالث: أنه - سبحانه وتعالى - أودع في الكبد قوة هاضمة طابخة، حتى إن تلك الأجزاء اللطيفة؛ تنطبخ في الكبد، وتنقلب دما، ثم إنه - تعالى - أودع في المرارة قوة جاذبة للصفراء، وفي الطحال قوة جاذبة للسوداء، وفي الكلية قوة جاذبة لزيادة المائية، حتى يبقى الدم الصافي الموافق لتغذية البدن، وتخصيص كل واحد من هذه الأعضاء بتلك القوة الحاصلة، لا يمكن إلا بتدبير الحكيم العليم.

الرابع: أن في الوقت الذي يكون الجنين في رحم الأم ينصب من ذلك الدم نصيب وافر إليه حتى يصير مادة تنمي أعضاء ذلك الولد، وازدياده، فإذا انفصل ذلك الجنين عن الرحم ينصب ذلك النصيب إلى جانب الثدي ليتولد منه اللبن الذي يكون غذاء له، فإذا كبر ذلك الولد لم ينصب ذلك النصيب لا إلى الرحم، ولا إلى الثدي، بل ينصب على مجموع بدن المتغذي، فانصباب ذلك الدم في كل وقت إلى عضو آخر انصبابا موافقا للمصلحة، والحكمة لا يتأتى إلا بتدبير الفاعل المختار الحكيم.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٤٤/١١

الخامس: أن عند تولد اللبن في الضرع أحدث – تعالى – في حلمة الثدي ثقوبا صغيرة ومساما ضيقة، ولما كانت هذه المسام ضيقة جدا، فحينئذ لا يخرج منها إلا ما كان في غاية الصفاء، واللطافة، وأما الأجزاء الكثيفة فإنه لا يمكنها الخروج من تلك المنافذ الضيقة فتبقى في الداخل، والحكمة في إحداث تلك الثقوب الصغيرة والمنافذ الضيقة في رأس الحلمة؛ لكي تكون كالمصفاة، فكل ما كان لطيفا خرج، وما كان كثيفا؛ احتبس في الداخل، فبهذا الطريق يصير ذلك اللبن خالصا موافقا لبدن الصبي «سائغا للشاربين» .

السادس: أنه – تعلى – ألهم ذلك الصبي إلى المص؛ فإن الأم إذا ألقت حلمة الثدي في فم الصبي، فذلك الصبي في الحال يأخذ في المص، ولولا أن الفاعل المختار الرحيم قد ألهم ذلك الطفل الصغير ذلك العمل المخصوص، وإلا لم يحصل تخليق ذلك اللبن في الثدي.." (١)

"ولو ادعى مدع أن ها هنا خمسة التفاتات لاحتيج في دفعه إلى دليل واضح، والخامس: الالتفات من «إنه هو» إلى التكلم في قوله ﴿وآتينا موسى الكتاب﴾ [الإسراء: ٢] الآية.

والرؤية هنا بصرية. وقيل: قلبية، وإليه نحا ابن عطية، فإنه قال: «ويحتمل أن يريد: لنري محمدا للناس آية، أي: يكون النبي صلى الله عليه وسلم آية في أن يصنع الله ببشر هذا الصنيع» فتكون الرؤية قلبية على هذا.

فصل في معنى «لنريه»

معنى الرؤية هو ما رأى في تلك الليلة **من العجائب** والآيات الدالة على قدرة الله تعالى.

فإن قيل: قوله: ﴿لنريه من آياتنآ﴾ يدل على أنه تعالى ما أراه إلا بعض الآيات؛ لأن كلمة «من» للتبعيض وقال في حق إبراهيم: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض﴾ [الأنعام: ٧٥] فيلزم أن يكون معراج إبراهيم – عليه السلام – أفضل من معراج محمد صلى الله عليه وسلم قلنا: فالجواب أن الذي رآه إبراهيم ملكوت السموات والأرض، والذي رآه محمد بعض آيات الله، ولا شك أن آيات الله أفضل.

ثم قال: ﴿إنه هو السميع البصير﴾ أي: السميع لأقوال محمد صلى الله عليه وسلم أي: المجيب لدعائه البصير: أي: لأفعاله العالم بكونها خالصة عن شوائب الرياء، مقرونة بالصدق والصفاء.

فصل في كيفية الإسراء

اختلفوا في كيفية ذلك الإسراء، فالأكثرون على أنه أسري بجسد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروي عن عائشة وحذيفة: أن ذلك كان رؤيا، قالا: ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله أسرى بروحه.

فالكلام في هذا الباب في مقامين.

الأول: في غثبات الجواز العقلي.

والثاني: في الوقوع.

فالمقام الأول؛ وهو الجواز العقلي: فنقول: الحركة الواقعة في السرعة إلى هذا الحد ممكنة في نفسها، والله – تعالى – قادر

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٢/١٠٥

على جميع الممكنات، والدليل على أن هذه الحركة السريعة ممكنة غير ممتنعة تفتقر إلى مقدمتين:
الأولى: أن الحركة الواقعة إلى هذا الحد يدل عليها وجوه:." (١)

"ستغلبون وتحشرون﴾ [آل عمران: ١٢] ، ولما كان كل ما أخبر الله عنه وقوعه، فهو واجب الوقوع، فكان من هذا الاعتبار كالواقع، فلا جرم قال: ﴿أحاط بالناس﴾ .

وروي أنه لما تزاحف الفريقان يوم بدر، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش، مع أبي بكر – رضي الله عنه – كان يدعو، ويقول: اللهم، إني أسألك عهدك ووعدك لي، ثم خرج، وعليه الدرع يحرض الناس ويقول: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ [القمر: ٤٥] .

ثم قال تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ .

والأكثرون على أن المراد منه ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج **من العجائب** والآيات.

قال ابن عباس: هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن جبير، والحسن، ومسروق، وقتادة، ومجاهد، وعكرمة، وابن جريح والأكثرين.

ولا فرق بين الرؤية والرؤيا في اللغة، يقال: رأيت بعيني رؤية ورؤيا.

وقال بعضهم: هذا يدل على أن قصة الإسراء إنما حصلت في المنام، وتقدم بيان ضعف هذا في أول السورة، وقيل: إنه تعالى اراه في المنام مصارع قريش، فحين ورد ماء بدر، قال: والله، لكأني أنظر غلى مصارع القوم، ثم أخذ يقول: هذا مصرع فلان، هذا مصرع فلان، فلما سمعوا قريش ذلك، جعلوا رؤياه سخرية، وكانوا يستعجلون بما وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقيل: المراد رؤياه التي رآها؛ أنه يدخل مكة، وأخبر بذلك أصحابه، وعجل السير قبل الأجل إلى مكة فصده المشركون، فرجع إلى المجينة، فلما منع عن البيت الحرام عام الحديبية، ورجع، كان ذلك فتنة لبعض القوم، وق لعمر لأبي بكر – رضي الله عنهما –: أليس قد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ندخل البيت ونطوف به؟ فقال أبو بكر – رضي الله عنهما –: أليس قد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ندخل البيت ونطوف به؟ فقال أبو بكر – رضي الله عنهما –: أليس قد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ندخل البيت ونطوف به؟ فقال أبو بكر – رضي الله عنه –: إنه لم يخبر بأنا نفعل ذلك في هذه السنة، فسنفعل ذلك في سنة أخرى، فلما جاء العام المقبل، دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى:

﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق﴾ [الفتح: ٢٧] واعترضوا على هذين القولين بأن هذه السورة مكية، وهاتان الواقعتان مدنيتان، وهو اعتراض ضعيف؛ لأن هاتين الوقعتين، وإن كانتا مدنيتين، فرؤيتهما في المنام لا تبعد أن تكون مكية.." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٩٧/١٢

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٢١/١٢

"وقيل: معناه أنهم ليسوا بأعجب من آياتنا؛ فإن ما خلقت من السموات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب منهم، فكيف يستبعد من قدرته ورحمته حفظ طائفة مدة ثلاثمائة سنة وأكثر؟ هذا وجه النظم.

وقد تقدم سبب نزول قصة أصحاب الكهف عند قوله: ﴿ويسألونك عن الروح﴾ [الإسراء: ٨٥] .

والكهف هو الغار في الجبل وقيل: مطلق الغار، وقيل: هو ما اتسع ف يالجبل، فإن لم يتسع، فهو غار، والجمع «كهوف» في الكثرة، و «أكهف» في القلة.

والرقيم: قيل: بمعنى مرقوم.

وعلى هذا قال أهل المعاني: الرقيم الكتاب.

ومنه قوله: ﴿كتاب مرقوم﴾ [المطففين: ٩] أي: مكتوب.

قال الفراء: الرقيم لوح كان فيه أسماؤهم وصفاتهم، وسمي رقيما؛ لأن أسماءهم كانت مرقومة فيه.

قال سعيد بن جبير، ومجاهد: كان لوحا من حجارة، وقيل: من رصاص، كتبنا فيه أسماءهم وصفاتهم، وشد ذلك اللوح على باب الكهف، وهو أظهر الأقوال.

وقيل: بمعنى راقم، وقيل: هو اسم الكلب الذي لأصحاب الكهف، وأنشدوا لأمية بن أبي الصلت: [الطويل]

٣٤٨٦ - وليس بها إلا الرقيم مجاورا ... وصيدهم، والقوم بالكهف همد

وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: كل القرآن معلوم إلا أربعة: غسلين، وحنانا، والأواه، والرقيم.

وروى عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن الرقيم فقال: زعم كعب أنها القرية التي خرجوا منها، وهو قول السدي.

وحكي عن ابن عباس: أنه اسم للوادي الذي فيه أصحاب الكهف، وعلى هذا هو من رقمة الوادي، وهو جانبه.." (١)

"قوله تعالى: ﴿وما خلقنا السمآء والأرض﴾ الآية. اعلم أنه لما بين إهلاك القرية لأجل تكذيبهم أتبعه بما يدل على أنه فعل ذلك عدلا منه، ومجازاة على ما فعلوا فقال: ﴿وما خلقنا السمآء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ أي: وما سوينا هذا السقف المرفوع، وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب والغرائب كما سوى الجبابرة سقوفهم وفرشهم للعب واللهو، وإنما سويناهم لفوائد دينية ودنيوية. أما الدينية فليتفكر المكلفون فيها على ما قال: ﴿ويتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾ [آل عمران: ١٩١] . وأما الدنيوية فلما يتعلق بها من المنافع التي لا تعد ولا تحصى، وهو كقوله: ﴿وما خلقنا السمآء والأرض وما بينهما باطلا﴾ [ص: ٢٧] وقوله: ﴿ما خلقناهمآ إلا بالحق﴾ [الدخان: ٣٩] . وقيل: وجه النظم أن الغر منه تقرير نبوة محمد - عليه السلام - والرد على منكريه، لأنه أظهر المعجز عليه، فإن كان محمد كاذبا كان إظهار المعجز عليه من باب اللعب، وذلك منفي عنه، وإن كان صادقا فهو المطلوب وحينئذ يفسد كل ما ذكروه من المطاعن و «لاعبين» حال من فاعل «خلقنا» .

فصل

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٢/٤٣٠

قال القاضي عبد الجبار: دلت هذه الآية على أن اللعب ليس من قبله تعالى، إذ لو كان كذلك لكان لاعبا، فإن اللاعب في اللغة اسم لفاعل اللعب، فنفي الاسم الموضوع لفعل يقتضي نفي الفعل. والجواب يبطل ذلك بمسألة الداعي، وقد تقدم.

قوله: ﴿لو أردنآ أن نتخذ لهوا﴾ .

قال ابن عباس: في رواية عطاء: اللهو: المرأة، وهو قول الحسن وقتادة وقال في رواية الكلبي: اللهو: الولد بلغة اليمن، وهو قول السدي. وهو في المرأة أظهر، لأن الوطأ يسمى لهوا في اللغة، والمرأة محل الوطأ.." (١)

"قوله: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغا﴾ (قال الحسن: فارغا) من كل هم إلا هم موسى. وقال أبو مسلم: فراغ الفؤاد هو الخوف والإشغاف، كقوله: ﴿وأفئدتهم هوآء﴾ [إبراهيم: ٤٣] .

وقال الزمخشري: فارغا صفرا من العقل، والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والخوف. وقال الحسن ومحمد بن إسحاق فارغا من الوحي الذي أوحينا إليها أن ﴿فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رآدوه إليك﴾ [القصص: ٧] فجاءها الشيطان وقال لها: كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجرا وثوابا، وتوليت أنت قتله، فألقيته في البحر، وأغرقتيه، ولما أتاها خبر موسى أنه وقع في يد فرعون فأنساها عظيم البلاء ما كان من عهد الله إليها. وقال أبو عبيدة: فراغا من الحزن لعلمها بأنه لا يقتل، اعتمادا على تكفل الله بمصلحته. قال ابن قتيبة: وهذا **من العجائب**، كيف يكون فؤادها فارغا من الحزن، والله تعالى يقول: ﴿لولاا." (٢)

"ومنها الزينة وإن لم يكن نافعا كاللؤلؤ والمرجان، كقوله تعالى: ﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ [النحل: ١٤] ، فالله تعالى ذكر أنواع النعم الأربعة، وصدرها بالنعمة العظيمة التي هي الروح وهو العلم بقوله: ﴿علم القرآن﴾ [الرحمن: ٢] ، أو يقال: بأن المقصود منه عجائب الله لا بيان النعم؛ لأن النعم سبق ذكرها فذكر خلق الإنسان من صلصال، وخلق الجان من مارج من نار، وهذان **من العجائب** الدالة على القدرة، لا من النعم.

واعلم أن الأركان أربعة: التراب والماء والهواء والنار، فالله تعالى بين بقوله: ﴿خلق الإنسان من صلصال﴾ ، أن التراب أصل لمخلوق عجيب، وبين بقوله: ﴿وخلق الجآن من مارج من نار﴾ ، أن النار أيضا أصل لمخلوق عجيب، وبين بقوله: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ أن الماء أصل لمخلوق آخر كالحيوان عجيب، بقي الهواء لكنه غير محسوس، فلم يذكر أنه أصل مخلوق، لكن بين كونه منشئا للجواري التي في البحر كالأعلام.

فقال: «وله الجوار» .

العامة على كسر «الراء» ؛ لأنه منقوص على «مفاعل» والياء محذوفة لفظا لالتقاء الساكنين.

وقرأ عبد الله والحسن، ويروى عن أبي عمرو، «برفع الراء تناسيا للمحذوف» . ومنه: [الرجز]

٤٦٣٦ - لها بنات أربع حسان ... وأربع فثغرها ثمان

وهذا كما قالوا: هذا شاك وقد تقدم تقرير هذا في الأعراف عند قوله: ﴿ومن فوقهم غواش﴾ [الأعراف: ٤١] .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٣/٤٦٠

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥/٢١٩

قوله: «المنشآت» .

قرأ حمزة، وأبو بكر بخلاف عنه بكسر الشين، بمعنى أنها تنشىء الموج بجريها، أو تنشىء السير إقبالا وإدبارا، أو التي رفعت شراعها، والشراع: القلاع.

وعن مجاهد: كل ما رفعت قلعها فهي من المنشآت، وإلا فليست منها ونسبة الرفع." (١)

"مدنية، وهي ثنتا عشرة آية، ومائتان وسبع وأربعون كلمة، وألف وستون حرفا. بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي لم تحرم مآ أحل الله لك﴾ ؟ .

قال ابن الخطيب: وجه تعلق هذه السورة بما قبلها، وذلك لاشتراكهما في الأحكام المخصوصة بالنساء، واشتراك الخطاب في الطلاق في أول تلك السورة يشترك مع الخطاب بالتحريم في أول هذه السورة؛ لأن الطلاق في أكثر الصور يشتمل على تحريم ما أحل الله.

وأما تعلق أول هذه السورة بآخر السورة فلأن المذكور في آخر تلك السورة يدل على عظمة حضرة الله تعالى وعلى كمال قدرته وعلمه، ولما كان خلق السماوات والأرض، وما بينهما **من العجائب** والغرائب مما ينافي القدرة على تحريم ما أحل الله، فلهذا قال: ﴿لم تحرم مآ أحل الله لك﴾ .

فصل في سبب نزول الآية

ثبت في صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش، فيشرب عندها عسلا، قالت: فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا دخل النبي صلى الله عليه وسلم عليها فلتقل: إني أجد ريح مغافير، فدخل على إحداهما، فقالت له ذلك، فقال: بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش، ولن أعود له، فنزل: ﴿لم تحرم مآ أحل الله لك﴾ إلى قوله: ﴿إن تتوبآ﴾ لعائشة وحفصة» .." (٢)

"قال أبو حفص: وهذا الكلام في العلاء وسهيل يوجب النظر، وهما عندي على حكم الثقة والأمانة، وقد حدث عن العلاء وسهيل أجلاء العلماء. ولا أعرف أن لهما كثير حديث منكر، إلا حديثا يرويه عنهما ضعيف، فأما الثقات عنهما فهو عجب **من العجائب**، ولهما فضل في العلم كبير.

ذكر، شريك بن عبد الله النخعي، والخلاف فيه

روى ابن شاهين، أن علي بن المديني قال: سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول: قدم شريك مكة، فقيل لي: آته. فقلت: لو كان بين يدي ما سألته، وضعف حديثه جدا ١.

وعن يحيى بن معين أنه قال: شريك ثقة ثقة ٢.

[قال أبو حفص] *: وهذا القول من يحيى بن سعيد القطان في شريك يحتمل حالة توجب تركه، لأن يحيى بن سعيد كان شديد الأخذ، وأما قول يحيى بن معين في ثقته فهو كما قال. وشريك بن عبد الله قد حدث عنه الناس، حدث عنه أبان

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٢١/١٨

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٨٤/١٩

بن تغلب ومات أبان قبل شريك بسبع وثلاثين، وحدث سفيان الثوري عن شريك، ومات الثوري قبل بست عشرة سنة ٣.

---

١ الضعفاء للعقيلي (٢/١٩٣) ، الضعفاء لابن شاهين (١٠٧) بدون رقم.

٢ الثقات لابن شاهين (١١٤) رقم (٥٥٢) .

* ساقط بن الأصل.

٣ قلت: يرجح المؤلف توثيق ابن معين على تضعيف يحيى القطان، لأنه كان شديد الأخذ، وتوثيق ابن معين ليس مطلقا. وقد حكم المؤلف على شريك بناء على نص واحد عن ابن معين، ولو أنه استوعب كل كلام ابن مهين فيه لتغير رأيه. لأن ابن معين له أقوال نقلها العلماء عنه.

فقال مرة: شريك ثقة، إلا أنه لا يتقن ويغلط. وقال معاوية بن صالح عن ابن معين: شريك صدوق ثقة إلا أنه إذا خالف فغيره أحب إلينا، ومن كان هذا حاله فلا يدرج مع الثقات، وبالمقابل لا يترك. بل ينظر فيما روى، فإن تابعه أحد عليه أخذنا بحديثه، وإلا توقفنا فيه، والله أعلم.

انظر التاريخ (٢/٢٥١) ، ميزان الاعتدال (٢/٢٧٠) ، تهذيب التهذيب (٤/٣٣٣) .." [(١)]

"فكتبوا خطوطهم أن العلم واحد

ثم سألوا الشيخ صدقة وأوقفوه على خط الجماعة فتعجب منهم ثم أخذ القلم وكتب العلم علمان علم غريزى وعلم مكتسب فالعزيزى هو الذى يدرك على الفور من غير فكرة كقولنا واحد وواحد فهذا يعلم ضرورة أنه اثنان والعلم المكتسب هو الذى يدرك بالطلب والفكرة

وأنفذ الخطابى الوزير فأمر بإحضاره وخلع عليه خلعة سنية وفرح بها وأعطاه أربعين دينارا فقال يا مولاى قد حضرنى بيتان فقال أنشدهما فقال

(ومن العجائب والعجائب جمة ... شكر بطىء عن ندا متسرع)

(ولقد دعوت ندى سواك فلم يجب ... فلأشكرن ندى أجاب وما دعى)

فاستحسن ذلك وما زال يبره إلى أن مات

توفى يوم السبت ثالث عشر ربيع الاخر سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة وصلى عليه من الغد برحبة المسجد ودفن بباب حرب

٤٧١ - صالح بن زياد السوسى

نقل عن إمامنا أشياء منها قال سألت أبا عبد الله عن الرجل يخاف أن يمتحن على الإمامة." [(٢)]

---

(١) المختلف فيهم ابن شاهين ص/٣٨

(٢) المقصد الارشد ابن مفلح، برهان الدين ٤٤٨/١

"٦٠ – واذكر – أيها النبي – حين قلنا لك: إن ربك أحاط بالناس، فهم فى قبضة قدرته، فبلغهم ولا تخف أحدا فهو يعصمك منهم، وما جعلنا ما عاينته ليلة الإسراء **من العجائب** إلا امتحانا واختبارا للناس، يزداد به إيمان المؤمن وكفر الكافر، وما جعلنا الشجرة المذمومة فى القرآن – وهى شجرة الزقوم التى تنبت فى أصل الجحيم – إلا اختبارا لهم أيضا، إذ قالوا: النار تحرق الشجر، فكيف تنبته؟ ونخوفهم بها، فما يزيدهم تخويفنا إلا تجاوزا للحد الكبير.." (١)

"ثم قال له شيخه اجعل على نفسك وردا من قراءة القرآن أما غيبا وأما نظرا في المصحف قلت له أدخل أربعينيه قال لا وأنما أربعينيتك ان تحفظ لسانك وعينك وأذنك من المحرمات أربعين يوما واما الأربعينية المعروفة فلا تدخلها انتهى تنبيه

قلت ربما انه يشكل ما صدر منهم في مثل ذلك على بعض الأغبياء ميل اكثر الناس بالطبع إلى الفسق والفجور وينظرون إلى هنات وقعت من بعض من ينسب إلى العلم أو ما وقع لبعض أهل الله تعالى كأحمد الغزالي والشيخ العارف علي وفاء والشيخ العارف عبد الرحمان أبا هرمز وتلميذه الفقيه عمر أبا مخزمة والشيخ جبرائيل الهتار وغيرهم نفع الله بهم فيظنون أن الأمر سواء وليس كذلك فما كان يقع من ذلك للناس فهو شقوة في حقهم وأكثرهم لا يكترث بما يصدر منه من العصيان ولا يندم على ذلك وما كان يقع ممن ينسب إلى العلم فهو دعوة لان المقام لا يعطى ذلك وهو أيضا لا يرتضي بهذه الحالة وإنما تكون وقعت منه هفوة كعقوق الوالدين أو التكبر على خلق الله تعالي والنظر إليهم بعين الاحتقار والعياذ بالله فعوقب بمثل ذلك وما كان نسب من ذلك إلى بعض أهل الله فهو إنما هو لصيانتهم أهل العصيان وذلك لكمال شفقتهم على خلق الله تعالي كما هو معلوم وقد يكون لله مراد في حق شخص معين منهم من يريد الله أن ينقله من تلك الحالة ويرقيه ألي مراتب الأولياء وربما غلب على ذلك الولي بعض الأحوال القوية فخشي على عقله أن يذهب أو جسمه أن يتلف فاراد تعديل لطافة الحال بكثافتهم والله أعلم

ولا بد ما نذكر نبذة تتعلق بقطر حضرموت وحده ووجه تسميته وأقوال العلماء في ذلك وما اختص به **من العجائب** والفضائل خصوصا بلدة تريم تيمنا بذكرها وتتميما للفائدة إذ كثير ممن ذكر في هذا التاريخ مات بهذه البلد المباركة وبعضهم مات بغيرها مثل شبام ودوعان من بلاد حضرموت." (٢)

"عليها والملك الذي هو زوجها عندها فقال إليه ثم نظر إليها وهي في النزع فقال الشيخ أدركوها قبل أن تقضي فقال له الملك بماذا فقال بديتها اشتروها فجيء إليه بديتها كاملة فتوقف النزع الوكرب الذي كانت فيه وفتحت عينيها وسلمت على الشيخ فقال لها الشيخ لا بأس عليك ولكن ثم دقيقة بعد أن حل الموت لا يمكن أن يرجع خائبا فلا بد له من أثر ونحن قد أخذناك من يده وهو يطالبنا بحقه فلا ينصرف إلا بروح مقبوضة وأنت إذا عشت انتفع بك الناس وأنت عظيمة القدر فلا نفديك إلا بعظيم عندي من هذا الموت ولي بنت هي أحب النبات الي أنا أفديك بها ثم رد وجهه إلى ملك الموت وقال لا بد من روح ترجع بها إلى ربك هذه ابنتي تعلم محبتي فيها خذ روحها بدلا من هذه الروح فإني قد اشتريتها

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم مجموعة من المؤلفين ص/٤١٨

(٢) النور السافر عن أخبار القرن العاشر العَيْدَرُوس ص/٦١

من الحق وباعني إياها وابني جعلك حق مجيئك ثم قام وخرج إلى بيته وقال لابنته وما بها بأس يا بنية هبيني نفسك فإنك لا تقومي للناس مقام زينب بنت أمير المؤمنين في المنفعة فقالت يا أبت أنا بحكمك قد وهبتك نفسي فقال للموت خذها فأخذهافماتت من وقتها انتهى

ولما ابتنى القاضي حسين بنته وجعل في التخريجة قال صلاح الدين القرشي في ذلك أبيات منها ... ما عرش بلقيس وما مقداره ... ما تخت كسرى والذي مثله ٥٥ أنا نادر والحكم لي ولمالكي **ومن العجائب** نادر والحكم له

وله أيضا تاريخ بيت أنشأه القاضي ... شرف العلى لك منزل يا بدر فيه فاحلل

فالسعد قال مؤرخا ... للبدر أشرف منزل ...

ولما ولي قضاء المدينة الشريفة قال الأديب مامية الانقشاري في تاريخ ذلك العام ... طيبة طابت بحسام الأحكام ... كم مظلوم خوفا بات يخفي ريبه

والرعايا لما شكروا من عدله ... قلتفي عدله دام قاضي طيبه ...." (١)

"لقبه به من لا خلاق له من أهل مكة فكان الذي يقصدون اذيته يذكرونه له فيتعب من ذلك وكتب إليه بعضهم

هذا الاستفتاء ... يا أيها الشيخ يا من ... هو بدينه فار

يا من إذا ما اشتغل ... نار الذكاء منه فار

ماذا تقول لنا ... في بركة مات بها فار

تبددت منه أجزاؤه ... ولم يبق فار

اجب لنا مسرعا ... الماء في التنور فار ...

وللأديب علي أباكثير المكي رحمه الله في المعنى ... يا علماء العصر ما قولكم ... في مشكل حير كل الأمم

رأيت فارا عندكم وهو لا ... يقتل في الحل ولا في الحرم ...

ومن شعره ... طبعت على حب المعزة والثناء ... وأرجوهما في طول عمري ديدبي

وها أنا أوصي كل خل معزز ... بان لا يداني للدنا من يدي دني ...

ومدحه الشيخ الفاضل عبد اللطيف الابير بقصيدة منها ... يا علامة الدينا ويا علم غدا ... يقصر عن غاياته في العلى البدر

ومن لاح مثل الصبح فضل كماله ... فضاء به الأقطار وافتخر العصر

ويا أيها البحر الخضم لعلمه ... وللرفق بالطلاب يا أيها البر

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر العَيْدَرُوس ص/٣٤١

وفاكهة الدينا يهناه ذا الهنى ... وجمع علوم فاح من طيبها النشر

أب لسعادات واصل محامد ... فمن أمه بالنجح آل كذا اليسر

تباهب به كجرات لما ثوى بها ... فإن فخرت يوما يحق لها الفخر

ومن العجائب أن المشايخ الثلاثة هو واخوه الشيخ عبد الله والشيخ عبد القادر كانوا كلهم أهل فضل وعلم وكل واحد من الثلاثة مات قبل الآخر بعشر سنين فكان أولهم موتا الشيخ عبد الله وآخرهم صاحب الترجمة رحمهم الله تعالى آمين." (١)

"غريبة

ذكر شيخ الاسلام أبو حجر العسقلاني في معجمه أن الأئمة الثلاثة وهم العراقي والبلقيني وابن الملقن كانوا أعجوبة هذا العصر على رأس القرنالأول في معرفة الحديث وفنونه والثاني في التوسع في معرفة مذهب الشافعي والثالث في كثرة التصانيف

قال **ومن العجائب** أن كل واحد من الثلاثة ولد قبل الآخر بسنة ومات قبله بسنة فأولهم ابن الملقن ثم البلقيني ثم العراقي

وحكى بعض الفقراء الصالحين قال سمعت الشيخ أبا اللسعادات الفاكهي رحمه الله يقول لما سمع العلامة القاضي ابن أبي عقامة اليمني قول المعرري قابله الله بعدله ... إذا ما ذكرنا آدما وفعاله ... وتزويج بنتيه بابنيه في الدنا

علمنا بأن الخلق مكن أصل زنية ... وأن جميع الناس من عنصر الزنا ...

قال مجيبا له ورادا عليه ... لعمرك أن القول فيك لصادق ... وتكذب في الباقين من شط أو دنا

كذلك اقرار الفتى لازم له ... وفي غيره لغو بذا جاء شرعنا ...

قلت وللمعري أيضا ... يد بخمس مئين عسجد وديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار ...

قال الشريف الرضي رادا عليه ... صيانة النفس أغلتها وأرخصتها ... خيانة المال فانظر حكمة الباري ...

وله أيضا وهو مما يدل على عدم إيمانه بالبعث والنشور قبحه الله ... ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة ... وحق لسكان البسيطة أن يبكوا

تحطمنا الأيام حتى كأننا ... زجاج ولكن لا يعاد له سبك ...

ورد عليه الإمام محمد بن عتيق التميمي فقال ... كذبت وبيت الله حلفه صادق ... سيبكينا بعد الثوى من له الملك

ونرجع أجساما صحاحا سليمة ... تعرف في الفردوس ما عندنا شك ...." (٢)

---

(١) النور السافر عن أخبار القرن العاشر العَيْدَرُوس ص/٣٦٥

(٢) النور السافر عن أخبار القرن العاشر العَيْدَرُوس ص/٣٦٦

"فالمعنى: نتخذ اليوم الذي تنزل فيه عيدا لنا ولمن بعدنا.

وقيل: معناه: نأكل منها جميعا، قاله ابن عباس.

(و) روي أن عيسى عليه السلام قام فلبس الشعر، وكان يلبس الصوف بالنهار والشعر بالليل، فلبس جبة من شعر ورداء من شعر، ووضع يمينه على شماله ثم وضعهما على صدره، ثم صف (بين) قدميه، فألصق الكعب بالكعب، وساوى الإبهام بالإبهام، وطأطأ رأسه خاشعا، ثم أرسل عينيه بالبكاء، فبكى حتى سالت الدموع على لحيته، فجعلت تقطر على صدره، فقال: ﴿اللهم ربنآ أنزل علينا مآئدة من السمآء﴾، فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها، وأخرى تحتها، وهم ينظرون إليها تهوي منقضة وعيسى صلوات الله عليه يبكي ويقول: اللهم اجعلني لك من الشاكرين، إلهي اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا، إلهي كم أسألك **من العجائب** فتعطيني، إلهي أعوذ بك من أن تكون أنزلتها غضبا وزجرا، اللهم اجعلها عافية وسلامة." (١)

"تتبعاني؟ فقالا: إن داود دعا ألا يزال من ذريته نبي، وإنا نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا يهود ".

ثم قال: ﴿فسئل بني إسرائيل إذ جآءهم﴾.

أي إذ جاءهم موسى. قال الحسن: سؤالك إياهم نظرك في القرآن.

وقيل هو خطاب للنبي A يراد به الشاك من أمته.

وقرأ ابن عباس ﴿فسئل بني إسرائيل﴾ على الخبر، يعني سأل موسى فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل.

ثم قال تعالى: ﴿فقال له فرعون إني لأظنك ياموسى مسحورا﴾.

معناه: أن فرعون لما رأى الآيات ولم يكن له فيها مدفع قال: إن موسى ذو سحر، وإن ما تفعل يا موسى **من العجائب** من سحرك.." (٢)

"وأرضون أجراز: إذا كانت لا شيء فيها. ويقال: للسنة المجدبة جرز وسنون إجراز.

أم: هنا بمعنى: بل. [والمعنى] أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا. فإن ما خلقت من السموات والأرض وما فيهن **من العجائب** أعجب من أصحاب الكهف. والخطاب للنبي A والمراد به الخلق كلهم.

وقال مجاهد: معنى الكلام: هم عجب وليس هو على طريقة الإنكار عنده. وقال قتادة: معناه: قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك. وعن ابن عباس أن المعنى: أم حسبت أن هؤلاء عجبا، فإن الذي أتيتك من الكتاب والحكمة والعلم أفضل من شأن أهل الكهف والرقيم.

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ١٩٣٣/٣

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٣٠٢/٦

وهذا مما علمت اليهود قريشا أن يسألوا عنه محمدا A فسألوه عن ذلك. فأخبره الله بقصصهم. وخبرهم بعد أن أبطأ عنه الوحي في ذلك خمس." (١)

"ثم لبس ثيابه فوقها وخرج يمشي على مهل حتى لحقوه فأخذوها منه فسمى سارق الحمام وذكر مثل هذا على سبيل التعليم للمريدين)

وهذا قبيح لإنه متى كان للحمام حافظ وسرق منه سارق قطع ثم لا يحل لمسلم أن يتعرض لأمر يؤثم الناس به في حقه وذكر أن رجلا اشترى لحما فرأى في نفسه أنه يستحي من حمله إلى بيته فعلقه في عنقه وهذا في غاية القبح ومثله كثير انتهى وأنكروا عليه ما فيه من الأحاديث التي لم تصح ومثل هذا يجوز في الترغيب والترهيب والكتاب غاية في النفاسة وكان الإمام فخر الدين يقول كان الله جمع العلوم في قبة وأطلع الغزالي عليها أو كما قال ومن مصنفاته البسيط والوسيط وهو عديم النظير في بابه من حسن ترتيبه وتهذيبه وعليه العمدة الآن في إلقاء الدروس والوجيز والخلاصة هذه الأربع في الفقه قال بعضهم فيها

(مجزوء الكامل هذب المذهب حبر ... أحسن الله خلاصه)

(ببسيط ووسيط ... ووجيز وخلاصه)

ويقال لنه قيل له ما عملت شيئا أخذت الفقه من كلام شيخك في نهاية المطلب والتسمية لكتبك من الواحدي ويقال أن نهاية المطلب لإمام الحرمين كانت زبر حديد فجعلها الغزالي زبر خشب ومن مصنفاته المستصفى في أصول الفقه والمنخول واللباب وبداية الهداية وكيمياء السعادة والمآخذ والتحصين والمعتقد والجام العوام والرد على الباطنية ومقاصد الفلاسفة وتهافت الفلاسفة وجواهر القرآن والغاية القصوى وفضائح الأباحية وغور الدور والمنتحل في علم الجدل ومعيار العلم والمضنون به على غير أهله وشرح الأسماء الحسنى ومشكاة الأنوار والمنقذ من الضلال والقسطاس المستقيم وحقيقة القولين وأورد ابن السمعاني من نظمه قوله الكامل

(حلت عقارب صدغه من وجهه ... قمرا فجل به عن التشبيه)

(ولقد عهدناه يحل ببرجها ... **ومن العجائب** كيف حلت فيه)

وأورد له العماد الكاتب في الخريدة قوله الكامل

(هبني صبوت كما ترون بزعمكم ... وحظيت منه بلثم خد أزهر)

(إني اعتزلت فلا تلوموا أنه ... أضحى يقابلني بوجه أشعري)." (٢)

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٤٣٢٧/٦

(٢) الوافي بالوفيات الصفدي ٢١٢/١

"(كذا قضى الله للأقلام مذ بريت ... أن السيوف لها مذ أرهفت خدم)

وفيه قال الشاعر

(وقالوا العزل للوزراء حيض ... لحاه الله من حيض بغيض)

(ولكن الوزير أبا علي ... من اللائي يئسن من المحيض)

ومن العجائب أن الوزير ابن مقلة تقلد الوزارة ثلاث مرات وسافر في عمره ثلاث مرات واحدة إلى الموصل واثنتين في النفي إلى شيراز ودفن بعد موته ثلاث مرات في ثلاثة مواضع

ومن شعره

(أحببت شكوى العين من أجلها ... لأنها تستر وجدي بها)

(كنت إذا أرسلت لي دمعة ... قال أناس ذاك من حبها)

(فصرت أبكي الآن مسترسلا ... أحيل بالدمع على سكبها)

وقال بعضهم يرثيه

(استشعر الكتاب فقدك سالفا ... وقضت بصحة ذلك الأيام)

(فلذاك سودت الدوي كآبة ... أسفا عليك وشقت الأقلام)

ومات في السجن وله ستون سنة وباشر الأعمال وهو ابن ست عشرة سنة وكان لا بد أن يشرب بعد صلاة الجمعة ويصطبح يوم السبت ويشترى له كل جمعة فاكهة بخمس مائة دينار

أبو بكر الكتاني الصوفي محمد بن علي بن جعفر ابو بكر الكتاني)

أصله من بغداد وجاور بمكة حتى مات بها سنة اثنتين وثلاث مائة كان من خيار مشايخ الصوفية وأحد الأئمة المشار إليهم في علوم الحقائق والزهد والعبادة

قال المرتعش الكتاني سراج الحرم وقال السلمي ختم الكتاني في الطواف اثني عشر ألف ختمة

استأذن أمه في الحج فأذنت له فلما دخل البادية أصاب ثوبه بول فقال هذا خلل فعاد إلى بيته وإذا أمه جالسة خلف الباب فقال ما هذافقالت اعتقدت مع الله تعالى أن لا أبرح من هذا المكان حتى تعود وقال رأيت في منامي حوراء ما رأيت في الدنيا أحسن منها فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني من سيدي فقلت ما مهركفقالت حبس النفس عن مألوفاتها

توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة

أبو حشيشة الطنبوري محمد بن علي بن أبي أمية الكاتب وكنيته ابو حشيشة." (١)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٨٣/٤

"(قالوا محا السلطان عنه بعدكم ... سمة الفحول وكان قرما صائلا)

(قلت اسكتوا فالآن زاد فحولة ... لما اغتدى من أنثييه عاطلا)

(فالفحل يأنف أن يسمى بعضه ... أنثى لذلك جذه مستاصلا)
وهو معنى جيد ثم إن ألب رسلان عزله لسبب يطول شرحه وولي نظام الملك وحبس عميد الملك بنيسابور في دار عميد خراسان ثم نقله إلى مرو الروذ وحبسه في دار فيها عيالة ولما أحس بالقتل دخل إلى حجرة وأخرج كفنه وودع عياله وأغلق باب الحجرة واغتسل وصلى ركعتين وأعطى الذي هم بقتله مائة دينار وقال حقي عليك أن تكفنني في هذا الثوب الذي غسلته بماء زمزم وقال لجلاده قل للوزير بئس ما فعلت علمت الأتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ومن حفر مهواة وقع فيها ومن سن سنة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة فقال الباخرزي مخاطبا للسلطان
(وعمك أدناه وأعلى محله ... وبوأه من ملكه كنفا رحبا)

(قضى كل مولى منكما حق عبده ... فخوله الدنيا وخولته العقبى)
وقتل سنة ست وخمسين وأربع مائة أورد له ابن الجوزي في المرآة قوله
(الموت مر ولكني إذا ظمئت ... نفسي إلى العز تستحلي لمشربه)

(رياسة باض في رأسي وساوسها ... تدور فيه وأخشى أن تدور به)
وقوله عندما قتل
(إن كان بالناس ضيق عن مزاحمتي ... فالموت قد وسع الدنيا على الناس)

(قضيت والشامت المغرور يتبعني ... إن المنية كاس كلنا حاس)
(
والعجب أن ألب رسلان ونظام الملك ماتا مقتولين **ومن العجائب** أن آلات التناسل من الكندري مدفونة بخوارزم ودمه مصبوب بمرو الروذ وجسده مقبور بقرية كندر من طريثيث وجمجمته ودماغه مدفونان بنيسابور وسوأته محشوة بالتبن نقلت إلى كرمان ودفنت هناك وفي ذلك يقول الباخرزي
(مفرقا في الأرض أجزاؤه ... بين قرى شتى وبلدان)

(جب بخوارزم مذاكيره ... طغرل ذاك الملك الفاني)

(ومص مرو الروذ من جيده ... معصفرا يخضبها قان)

(والشخص في كندر مستبطن ... وراء أرماس وأكفان)

(ورأسه طار فلهفي على ... مجثمه في خير جثمان)

(فلوا بنيسابور مضمونه ... وقحفه الخالي بكرمان)

(والحكم للجبار فيما مضى ... وكل يوم هو في شان)." (١)
"(ومن عبد النيران لم ينتفع بها ... ولم يلق إلا حرها ودخانها)

٣ - (أمير المؤمنين المعتمد)
أحمد بن جعفر المعتمد على الله أبو العباس ابن أمير المؤمنين المتوكل ابن المعتصم ولد سنة تسع وعشرين ومائتين بسر من رأى وأمه رومية اسمها فتيان كان أسمر اللون أعين خفيفا لطيف اللحية جميلا توفي ليلة الاثنين لإحدى عشر ليلة بقيت من شهر رجب فجأة ببغداذ سنة تسع وسبعين ومائتين وحمل ودفن بسر من رأى وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وستة أيام والصحيح ثلاثة أيام قيل إنه سم في رؤوس الجداء وقيل بل غم في بساط وقيل سم في كأس وقيل إن الذين أكلوا معه الرؤوس ماتوا وكان مهموكا على اللذات فاستولى أخوه الموفق على الأمور وكان يشرب ويعربد على الندماء واستخلف بعده المعتضد ابن أخيه الموفق قال المرزباني في معجم الشعراء وكان يقول الشعر المكسور ويكتب له بالذهب ويغني فيه المغنون فيما صح وزنه من شعره في رواية الصولي
(طال والله عذابي ... واهتمامي واكتئابي)
بغزال من بني الأصفر لا يعنيه ما بي
(أنا مغرى بهواه ... وهو مغرى بعذابي)

(فإذا ما قلت صلني ... كان لا منه جوابي)
ومن شعره وقد نقله الموفق من مكان إلى مكان
(ألفت التباعد والغربه ... ففي كل يوم لنا تربه)
)
(وفي كل يوم أرى حادثا ... يؤدي إلى كبدي كربه)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٥/ ٥٠

(أمر الزمان لنا طعمه ... فما إن أرى ساعة عذبه)

ومن شعره أيضا

(بليت بشادن كالبدر حسنا ... يعذبني بأنواع الجفاء)

(ولي عينان دمعهما غزير ... ونومهما أعز من الوفاء)

وأطربته يوما مغنية فأمر لها بتبر يسير فلم ينجز لها فقال

(أليس **من العجائب** أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه)

(وتؤكل باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه)

٣ - (المعتز بالله)

أحمد بن جعفر أمير المؤمنين المعتز بالله فتقدم ذكره في محمد بن جعفر فليطلب هناك في المحمدين." [١]

"ومنه أيضا

(سأحمي الكرى عني وأفترش الثرى ... حياتي إذا صار الثرى لي مضجعا)

(وقيتك ما يوقى بجهدي ولم أطق ... ليوم قضاه الله إذ حم مدفعا)

(ودافعت عنه الموت أبغيه نجوة ... فأوردته من حومة الموت مصرعا)

وتوفي سنة عشرين وأربع مائة

٣ - (أبو بكر الفوركي)

أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم بن داود بن أبي عمران بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزهري أبو بكر الفوركي سبط الإمام أبي بكر بن فورك السمرقندي نزل بغداذ واستوطنها إلى حين وفاته كان يعظ بالنظامية ويترسل إلى المعسكر وكان حسن المعرفة بالكلام والنظر والوعظ درس الكلام للأشعري على أبي الحسين القزاز وتزوج بابنة الأستاذ أبي القاسم القشيري الوسطى وكان ملازما للعسكر مقبلا على طلب الدنيا والجاه والحشمة سمع بنيسابور أحمد بن الحسن الحيري وأحمد بن محمد الصيدلاني ومحمد بن أحمد بن جعفر الفقيه وغيرهم توفي سنة ثمان وسبعين وأربع مائة

٣ - (حفيد ابن الحجاج الشاعر)

أحمد بن محمد بن الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج الشاعر روى عن جده أبي عبد الله الحسين شيئا من شعره وروى عنه أبو شجاع فارس الدهلي ورزق الله بن عبد الوهاب التميمي الفقيه توفي سنة خمس وستين وثلاث

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٨١/٦

مائة

٣ - (ناصح الدين الأرجاني)

أحمد بن محمد بن الحسين بن علي الشيرازي الحاجي أبو بكر بن أبي عبد الله هو القاضي ناصح الدين الأرجاني بتشديد الراء والجيم المفتوحة كان أحد أفاضل الزمان لطيف العبارة غواصا على المعاني إذا ظفر على المعنى لا يدع فيه لمن بعده فضلا كامل الأوصاف قال أبو القاسم هبة الله بن الفضل الشاعر كان الغزي صاحب معنى لا لفظ وكان الأبيوردي)

صاحب لفظ لا معنى وكان القاضي أبو بكر الأرجاني قد جمعهما أعني اللفظ والمعنى قال ابن الخشاب الأمر كما قال أشعارهم تصدق هذا الحكم إذا تؤملت كان في عنفوان شبابه بالمدرسة النظامية بأصبهان ولم يزل نائب القاضي بعسكر مكرم وهو مبجل مكرم وهو من سمع وروى ومن شعره

(ومن النوائب أنني ... في مثل هذا الشغل نائب)

(ومن العجائب أن لي ... صبرا على هذي العجائب)." [1]

"(ومن العجائب أن كل بلاغة ... جمحت مطاوعتي وحظي عاص)

(والطير جنس واحد لكنما ... للغاتهن حبسن في الأقفاص)

قلت أخذه من الآخر وقصر عنه

(الصعو يرتع في الرياض وإنما ... حبس الهزار لأنه يترنم)

وقال مما يحسن أن يكتب على قبر

(أمرت فلم نقبل لسوء اختيارنا ... وها نحن أسرى في يديك إلهنا)

(وكانت أماني الحياة تسوقنا ... بتسويقها بالخير حتى إلى هنا)

(فإن أنت يارب انتقمت فعادل ... وإن أنت حققت المنى فلنا الهنا)

٣ - (الحافظ أبو الفضل المخرمي)

أحمد بن ملاعب بن حيان أبو الفضل المخرمي الحافظ كان صدوقا بصيرا بالحديث عالي)

الرواية توفي سنة خمس وسبعين ومائتين

٣ - (نجم الدين القوصي)

أحمد بن ناشيء بن عبد الله القاضي نجم الدين القوصي قرأ القراءات على أبيه وسمع من ابن المقير ومن أصحاب السلفي

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٤٣/٧

وسمع منه عبد الغفار بن عبد الكافي السعدي والخطيب فتح الدين عبد الرحمن وجماعة بقوص وقرأ الفقه على مجد الدين القشيري وكان من أهل الخير وناب في الحكم بقوص وباشر التوقيع للقضاة توفي سنة سبع وثمانين وستمائة من شعره لما منع السفر من عيذاب ثم أذن له

(يا ثغر عيذاب ابتسم ... صدر الطريق قد انشرح)

(تالله لو وزن النب ... ي بكل مخلوق رجح)

ومنه

(لقد كان في الدنيا شيوخ صوالح ... إذا دهم الناس الدواهي ترسلوا)

(مفرح منهم في البلاد وشيخنا ... أبونا أبو الحجاج ذاك المبجل)

(وشيخ شيوخ الأرض كان بأرضنا ... أبو الحسن الصباغ ذاك المدلل)

(وللشيخ مجد الدين كان انتسابنا ... فذاك الذي ينحل صوما وينحل)

(فإن كانت الدنيا من الكل أقفرت ... ولم يبق فيها للخلائق موئل)." [١]

"أجابه الصدا يا إبراهيم فقعد ساعة ثم أنشدني من الطويل

(بنفسي حبيب جار وهو مجاور ... بعيد عن الأبصار وهو قريب)

(يجيب صدا الوادي إذا ما دعوته ... على أنه صخر وليس يجيب)

وكان بينه وبين صاحب له مودة أكيدة ثم جرى بينهما عتاب وانقطع ذلك الصاحب عنه فسير إليه يعتبه لانقطاعه فكتب إليه بيتي الحريري وهما في المقامات من الخفيف

(لا تزر من تحب في كل شهر ... غير يوم ولا تزده عليه)

(فاجتلاء الهلال في الشهر يوم ... ثم لا تنظر العيون إليه)

)

فكتب إليه بهاء الدين من نظمه من الوافر

(إذا حققت من خل ودادا ... فزره ولا تخف منه ملالا)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٣٥/٨

(وكن كالشمس تطلع كل يوم ... ولا تك في زيارته هلالا)

ومن شعره أيضا من السريع

(لله أيامي على رامة ... وطيب أوقاتي على حاجر)

(تكاد للسرعة في مرها ... أولها يعثر بالآخر)

قلت أخذه من قول الأول من البسيط

(يا ليلة كاد من تقاصرها ... يعثر فيها العشاء بالسحر)

ومن شعره من مجزوء الكامل

(**ومن العجائب** أنني ... في لج بحر الجود راكب)

(وأموت من ظمإ ول ... كن عادة البحر **العجائب**)

قلت يشبه قول الناصر داود في قصيدته التي مدح بها الإمام المستنصر بالله وكان قد حجبه لأجل عمه الكامل من الطويل

(وبي ظمأ رؤياك منهل ريه ... ولا غرو أن تصفو لدي مشاربه)

(ومن عجب أني لدى البحر واقف ... وأشكو الظما والبحر جم عجائبه)

ولبهاء الدين السنجاري أبيات خمرية منها قوله من البسيط

(كادت تطير وقد طرنا بها طربا ... لولا الشباك التي صيغت من الحبب)

وكانت ولادته سنه ثلاث وثلاثين وخمسمائة وتوفي رحمه الله سنة اثنتين وعشرين وستمائة

ومنهم من قال فيه شهاب الدين أبو السعادات وقال ولي قضاء دنيسر وخدم تقي الدين عمر صاحب حماة." (١)

"ومنه من الكامل

(طرفي وقلبي قاتل وشهيد ... ودمي على خديك منه شهود)

(يا أيها الرشأ الذي لحظاته ... كم دونهن صوارم وأسود)

(من لي بطيفك بعد ما منع الكرى ... عن ناظري البعد والتسهيد)

(وأما وحبك لست أضمر توبة ... عن صبوتي ودع الفؤاد يبيد)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٢/٩

(وألذ ما لاقيت فيك منيتي ... وأقل ما بالنفس فيك أجود)

(**ومن العجائب** أن قلبك لم يلن ... لي والحديد ألانه داود)

)

وحكى بعض المؤرخين أنه لما حصلت المباينة بين الملك الكامل والملك الأشرف وعزما على المحاربة وانضم إلى الملك الأشرف جميع ملوك الشام وسير الأشرف إلى الناصر داود يدعوه إلى موافقته على أن يحضر إليه ليزوجه وابنته ويجعله ولي عهده ويملكه البلاد بعده

وسير الملك الكامل إلى الناصر داود أيضا يدعوه إلى الاتفاق معه وأنه يجدد عقده على ابنته ويفعل معه كل ما يختار وتوافى الرسولان عند الناصر داود بالكرك فرجح الميل إلى الكامل وسرح رسول الأشرف بجواب إقناعي ويقال أنه إنما فعل ذلك حتى أنه كتب الجواب إلى الكامل عن ميله إليه دون أخيه الأشرف واستشهد فيه بقول أبي الطيب من الطويل

(وما شئت إلا أن أدل عواذلي ... على أن رأيي في هواك صواب)

(ويعلم قوم خالفوني وشرقوا ... وغربت أني قد ظفرت وخابوا)

فاتفق أن الملك الأشرف توفي رحمه الله تعالى عقيب ذلك ولو كان الناصر توجه إليه لكان فاز بزواج ابنته وبمملكة بلاده ومات الكامل ولم يحصل للناصر منه ما أراد

وعلى الجملة فلم يكن مسعود الحركات لأنه قضى عمره في أسوأ حال مشردا عن الأوطان معكوس المقاصد وقيل أنه كان إذا دخل في الشراب وأخذ السكر منه يقول أشتهي أبصر فلانا طائرا في الهواء فيرمى ذلك المسكين في المنجنيق ويراه وهو في الهواء فيضحك ويسر به ويقول أشتهي أشم روائح فلان وهو يشوى فيحضر ذلك المعثر ويقطع لحمه ويشوى وهو يضحك من فعلهم بذلك المسكين وله من هذه الأفعال الردية أنواع كثيرة وفي الناصر داود يقول الصاحب جمال الدين ابن مطروح من السريع

(ثلاثة ليس لهم رابع ... عليهم معتمد الجود)

(الغيث والبحر وعزهما ... بالملك الناصر داود)." (١)

"(وما اسم له بعض هو اسم قبيلة ... وتصحيف باقية تلاقي به العدى)

(وإن قلته عكسا فتصحيف بعضه ... غياث الظمآن تألم بالصدى)

(وباقية بالتصحيف طير وعكسه ... لكل الورى علم معين على الردى)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٣١٠/١٣

ومن شعره في راقص من البسيط

(يا من غدا الحسن إذا غنى وماس لنا ... مقسم بين أبصار وأسماع)

(قاسوك بالغصن رطبا والهزار غنا ... وما تقاس بمياس وسجاع)

(قد تسجع الورق لكن غير داخلة ... ويرقص البان بل في غير إيقاع)

ومنه من الخفيف

(لا تسلني عن السلو وسل ما ... صنعت بي لطفا محاسن سلمى)

(أوقعت بين مقلتي ورقادي ... وسقامي والجسم حربا وسلما)

ومنه فيمليح خطائي من الوافر)

(فقال لي العذول علام تبكي ... فقلت له بكيت على خطائي)

قلت أراد التورية بالخطأ مهموزا مقصورا ضد الصواب عن الخطائي وهو المليح التركي الخطائي وهو ممدود مهموز فما قعدت معه التورية وكذا استعمله جمال الدين ابن نباتة فقال من المتقارب

(عذولي خذ لك عين الصواب ... ودع في الهوى لي عين الخطا)

وهومن المادة الأولى في الخطأ وسوء الاستعمال

ومما قلته أنا في مليح خطائي من الكامل

(أحببت من ترك الخطا ذا قامة ... فضحت غصون البان لما أن خطا)

(اياكم وجفونه فأنا الذي ... سهم أصاب حشاه من عين الخطا)

وقلت في المادة من مجزوء الكامل

(يا قلب لا تقدم على ... سحر الجفون إذا سطا)

(**ومن العجائب** أنه ... أضحى يصح مع الخطا)

ومن نظم بدر الدين زكري المذكور من موشح أورده كمال الدين جعفر الأدفوي

(أيا من علي تجنى ... وقد حاز لطف المعنى)

أجعل لي من صدودك أمنا." (١)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٤/١٤١

"(وناجم في علم تقويميه ... بالحل والتسيير نجامه)

(يزعم جهلا أنه بارع ... محرر أحكام أحكامه)

(يهدي لأقوام تقاويمه ... ليجتدي من رفد أقوامه)

(النصف من آذار ميقاته ... عند انتهاء الدور من عامه)

(حسابه الرمز وتأريخه ... مختصر في حسن إتمامه)

(لكنه أصدق أحكامه ... أكذب من أضعاث أحلامه)

(من شك في صحة تكذيبه ... فالشك في صحة إسلامه)

ومن شعره أيضا من الطويل

(لبست من الأعمار تسعين حجة ... وعندي رجاء بالزيادة مولع)

(وقد أقبلت إحدى وتسعون بعدها ... ونفسي في خمس وست تطلع)

(ولا غرو إن آتى هنيدة سالما ... فقد يدرك الإنسان ما يتوقع)

(وقد كان في عصري رجال عرفتهم ... حبوها وبالآمال فيها تمتعوا)

(وما عاف قبلي عاقل طول عمره ... ولا لامه في ذاك للعقل موضع)

٣ - (أبو محمد الموسوي)

زيد بن الحسن أبو محمد الموسوي أورد له ابن النجار قوله من الكامل

(ما زلت أعلم أولا في أول ... حتى ظننت بأنني لا علم لي)

(**ومن العجائب** أن كوني جاهلا ... من حيث كوني أنني لم أجهل)

٣ - (أخون علي الرضا)

(

زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أخو علي بن موسى الرضا لما انصرف الطالبيون عن البصرة وتفرقوا فتوارى بعضهم بالكوفة وبعضهم ببغداد وصار بعضهم إلى المدينة وكان زيد ممن توارى فطلبه الحسن بن سهل طلبا حثيثا حتى أخذه فأراد قتله فأشير عليه بتركه فحبسه ببغداد فلما بايع الناس المأمون لعلي بن موسى الرضا كتب إلى الحسن بإطلاقه وحمله إلى الرضا أخيه مكرما فلما جيء به إليه عاتبه في خروجه ووعظه وسأله المأمون في أمره فعفا عنه وعاش إلى آخر خلافة المتوكل وكانت مرتبته في دار السلطان جليلة وكان ينادم المنتصر وكان في لسانه بذاء ومات بسر من رأى في حدود الخمسين والمائتين." (١)

"٣ - (أبو الفوارس الزاهد)

)

شاه بن شجاع أبو الفوارس الكرماني الزاهد كان من أولاد الملكوك فنزهد وصحب أبا تراب النخشبي وتوفي قبل الثلاثمائة

(أبو علي المنجم)

شاهمان بن محمد بن أحمد أبو علي المنجم كان له معرفة بعلم النجوم وكان أديبا يقول الشعر توفي سنة أربع وستين وخمسمائة ومن شعره

(ومن العجائب أنهم لما رأوا ... أني لهم من بعد صفو هاجر)

(ضربوا من الأمثال لي مثلا جرى ... مستحسنا هو في البرية سائر)

(لا ترم في بئر شربت زلالها ... آجرة فيقال إنك غادر)

(فأجبتهم إني إذا عاينتها ... وزلالها من بعد صفو كادر)

(عطلتها وحفرت أخرى غيرها ... وطممتها بتراب ما أنا حافر)

(الألقاب)

الشاه بوري الواعظ اسمه محمد بن عبد الله

(الملك الأفضل)

شاهنشاه أبو القاسم الملك الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي تقدم ذكر والده في حرف الباء في مكانه تولى مكان والده في حياته لما ضعف وكان مثل والده حسن التدبير فحل الرأي وهو الذي أقام الآمر ابن المستعلي موضع أبيه في المملكة بعد وفاة أبيه كما فعل مع أبيه ودبر دولته وحجر عليه ومنعه من ارتكاب الشهوات فإنه كان كثير اللعب فحمله

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٣٦/١٥

ذلك على أن قتله وأوثب عليه جماعة وكان يسكن بمصر في دار الملك على النيل وهي اليوم دار الوكالة فلما ركب من داره المذكورة وتقدم إلى ساحل البحر وثبوا عليه وقتلوه في سلخ شهر رمضان عشية يوم الأحد سنة خمس عشرة وخمسمائة وكان الأفضل قد أخذ القدس من سقمان وإيلغازي ابني أرتق التركماني في يوم الجمعة لخمس بقين من شهر رمضان سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وولي من قبله فلم يكن لمن فيه بالإفرنج طاقة فأخذوه بالسيف في شعبان سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ولو ترك في أيدي الأرتقية لكان أصلح فندم الأفضل حيث لم ينفعه الندم قال صاحب الدول المنقطعة خلف ستمائة ألف ألف دينار عينا ومائتين وخمسين إردبا دراهم نقد مصر وسبعين ألف ثوب ديباج أطلس وثلاثين راحلة أحقاق ذهب) عراقي ودواة ذهب فيها جوهر قيمته اثنا عشر ألف." (١)

"(شبل)

٣ - (المقرئ صاحب ابن كثير)

شبل بن عباد المقرئ المكي صاحب ابن كثير وثقه أحمد بن حنبل وغيره وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة وروى له البخاري وأبو داود والنسائي

٣ - (أبو الهجام الشاعر)

شبل بن الخضر بن هبة الله بن أبي الهجام الطائي أبو الهجام ابن أبي البركات الشاعر ابن الشاعر تقدم ذكر والده في حرف الخاء مدح شبل الخليفة والوزراء والأعيان وذكره العماد الكاتب في خريدة القصر وتوفي سنة تسعين وخمسمائة وكان متدينا حسن الطريقة ومن شعره

(أبغير حبكم يطيب غرامي ... كلا وأنتم صحتي وسقامي)

(أحبابنا هل وقفة نشكو بها ... ألم الهوى ونفض كل ختام)

(**ومن العجائب** أن سمحت بمهجتي ... لغريرة بخلت برد سلامي)

(وكأن غصن أراكة ميادة ... خضراء قد طلت بماء غمام)

(وكأن ظبيا من ظباء صريمة ... ترعى منابت عبهر وثمام)

)

منها

(أصبو إليك وللوقار زواجر ... تقتادني عن صبوة بزمام)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٥٣/١٦

(وتقول لي ما المجد شرب مدامة ... وسماع غانية ووصل غلام)

(فانظر لنفسك ما حياؤك كاشفا ... عنك الخمول وصولة الأيام)

(واعلم بأن الفضل ليس بنافع ... حتى يناط بجرأة الإقدام)

(والشعر ما لم تأت فيه فصاحة ... فكأنه ضرب من البرسام)

(والمدح في غير الوزير محمد ... ذي الفضل مأثمة من الآثام)

ومنه

(أتانا يرينا من مقبله رصفا ... غزال سقاني الخمر من فمه صرفا)

...." (١)

"سالم فتح الدين أبو الفتح الحلبي الأرفادي الطائي أخبرني الشيخ أثير الدين أبو حيان قال كان المذكور بالقاهرة وله نظم منه قوله الكامل

(ولقد ظننت بأننا ما نلتقي ... حتى رأيتك في المنام مضاجعي)

(فوقعت في نومي لوجهك ساجدا ... ونثرت من فرح عليك مدامعي ٥٨٠٣)

٣ - (زين الدين العدوي)

ظافر بن محمد بن صالح بن ثابت الأنصاري الجوجري المحتد العدوي نسبة إلى فقراء الشيخ عدي يعرف بالطناني نسبة إلى طنان وهي بلدة بالديار المصرية بها ولد وينعت بزين الدين قال الشيخ أثير الدين أبو حيان وسمعته من لفظه هذا المذكور كان رجلا فقيرا كثير الانبساط يظهر الحرف ويذكر عنه بعض من خالطه صلاحا وديانة وينسب له كرامة ورأيته بدمياط وله نظم كثير من ذلك قوله الوافر

(تميس فتخجل الأغصان منها ... وتزري في التلفت بالغزال)

(وتحسب بالإزار بأن تغطت ... وقد أبدت به شكل الجمال)

(سلوها لم تغطي البدر عمدا ... وتسمح للنواظر بالهلال)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٥٧/١٦

(ولم تصلي الحشا بالعتب نارا ... وفي ألفاظها برد الزلال)

(ولم فضحت بمعصمها اعتصامي ... وأطبقت العقيق على اللآلي)

(ويبدي حالها أمرا عجيبا ... ظهورا في خفاء مثل حالي)

(فإن حاكت بوفر الردف وجدي ... فقد حاكى بها الخصر انتحالي)

(حلال في الغرام بها عذابي ...كما عذب اللمى منها حلالي ٥٨٠٤)

٣ - (السكري الموصلي الطبيب)

ظافر بن جابر بن منصور هو أبو حكيم السكري كان مسلما فاضلا في الطب متقنا للحكمة متحليا بالفضائل وعلم الأدب محبا للاشتغال والنظر في العلوم الحكمية وكان قد لقي أبا الفرج ابن الطيب ببغداد واجتمع به واشتغل عليه وهو موصلي كان حيا سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة ثم إنه سكن بحلب إلى آخر عمره ومن شعره)

(الكامل ما زلت أعلم أولا في أول ... حتى علمت بأنني لا علم لي)

(ومن العجائب أن كوني جاهلا ... من حيث كوني أنني لم أجهل)

وله مقالة في أن الحيوان يموت مع أن الغذاء يخلف عوض ما يتحلل منه ٥٨٠٥

٣ - (أبو بكر المحترمي)

ظافر الفقيه أبو بكر المحترمي من شعره في الأمير حسن بن يحيى أمير مكة الكامل." [١]

"(وأنشد إذا ما زرت تربتهم ... متمكنا في السر والجهر)

(ماتوا بغيظهم وما ظفروا ... بمدادهم واضيعة العمر)

(ومن العجائب كونهم جهلوا ... أن العلوم وديعة الصدر)

(

(لولا أخاف الله قلت لمن ... يروي مديحك أثل يا مقري)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٣٠٣/١٦

(لله درك كل ممتدح ... بعلاك قد ضاهى أبا ذر)

وقوله من قصيدة السريع

(واحر قلباه وللعين في ... خديه من حسنهما جنتان)

(في صدغه الآس وفي خده إلى ... ورد وفي مبسمه الأقحوان)

(له من الصدر مكان وللص ... در من العلياء أعلى مكان)

(العالم العامل والفاضل إلى ... فاضل حكما بوجيز البيان)

(والناظر اليقظان أغنته عن ... سود جفون اللحظ بيض الجفان)

(والكامل الفضل السريع الندى ... والوافر العرض البسيط البنان)

(ذو طلعة كالبدر في التم بل ... كالشمس لولا هالة الطيلسان)

ومن شعر صدر الدين عبد الرحمن الوافر

(فلان والجماعة عارفوه ... وظاهره التنسك والزهادة)

(يموت على الشهادة وهو حي ... إلهي لا تمته على الشهادة)

ومنه الخفيف

(قد لعمري أخطأت يا بن عباده ... في ترقيك جاهلا للشهاده)

(لو تصديت للقيادة قلنا ... أنت علق وما بلغت القياده)

٣ - (الحافظ الأصبهاني)

عبد الرحمن بن الحسن بن موسى الضراب الأصبهاني الحافظ ثقة كبير صنف الأبواب والمسند وتوفي سنة سبع وثلاث مائة

٣ - (أبو القاسم الصيمري)

عبد الرحمن بن الحسن أبو القاسم الصيمري الفقيه شيخ الشافعية وهو من أصحاب الوجوه

تفقه بأبي الفياض البصري وهو شيخ أقضى القضاة الماوردي له كتاب الإيضاح في المذهب وهو كتاب جليل ومن غرائب وجوهه أنه قال لا يملك الرجل الكلأ النابت في ملكه ومنها لا يجوز مس المصحف لمن بعض بدنه." (١)

"(ينأد لينا قده فكأنه ... غصن الأراك يميس في أوراقه)

(فمعاطف الأغصان في أثوابه ... ومطالع الأقمار في أزياقه)

(يبدو على وجناته لمحبه ... ما فاض يوم البين من آماقه)

(في ريقه طعم السلاف ولونها ... في خده واللطف في أخلاقه)

(غفل الرقيب فزارني فوشى به ... في ليل طرته سنا إشراقه)

(يشكو إلي غرامه وأبثه ... وجدي وما لاقيت من أشواقه)

(حتى إذا ما الليل مد رواقه ... وقضى بجمع الشمل بعد فراقه)

(هجم الصباح على الدجى بحسامه ... فظننت أن الصبح من عشاقه)

وأورد له أيضا

(ما هب من أرض العراق نسيم ... إلا دعاني للغرام غريم)

(فإلام ويك تلوم جهلا بالهوى ... قصر فإفراط الملامة لوم)

(أنى يحل العذل من سمعي وفي ... قلبي لتكرار الكلام كلوم)

(يا أيها القمر الذي لم يخل من ... يهواه من لاح عليه يلوم)

(إن العذول على هواك أعده ... من حاسدي ولا أقول رحيم)

(فإلام أحمل ثقل هجرك والهوى ... والهجر حامل ثقله مرحوم)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٨١/١٨

(وإلى متى أرعى النجوم تعللا ... حتى كأني للنجوم نديم)
(
(**ومن العجائب** أن قلبي يشتكي ... شوقا إليك وأنت فيه مقيم)
قلت شعر جيد
٣ - (الدسكري الشافعي)
عبد الواحد بن أحمد بن الحسين بن الحصين الدسكري أبو سعد الشافعي تفقه على الشيخ أبي إسحاق وولي النظر في المخزن وكان محمودا في ولايته مفضلا على أهل العلم مقبلا على من يرد منهم من الغرباء حج وأنفق بالحرمين مالا صالحا على المجاورين وحكي أن الحجاج عطشوا فسألوه أن يستسقي لهم فتقدم وقال اللهم إنك تعلم أن هذا بدن لم يعصك قط في لذة ثم استسقى فسقي الناس وسمع من الحسن بن علي بن محمد بن المذهب والحسن بن علي الجوهري ومحمد بن الحسين الخازري وغيرهم وحدث باليسير." (١)
"(والبلبل المتغني ... فوق الغصون يصيح)

(والورد في قضب الدوح ... كالنجوم يلوح)

(نسيمه بغرام الصب ... المشوق يبوح)

(وظن ترك اصطباح ... فيه جميلا قبيح)

٢٩٠ - ابن الحمامي علي بن الحسن أبو الطاهر المعروف بابن الحمامي كان أديبا فاضلا شاعرا وكان يخدم ملوك بني بويه ويترسل منهم إلى الأطراف روى عنه القاضي أبو تمام الواسطي وأبو الحسين بن الصابئ وأبو الحسن بن نصر شيئا من شعره وتوفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة ومولده كان في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ومن شعره // (من السريع) //
(اصطلح الناس على البخل ... ونافقوا في القول والفعل)

(لو سئلوا الرد لضنوا به ... إذ سرعة الرد من البذل)
ومنه // (من الكامل) //
(يا غادرا ضمن المودة والوفا ... وأخل من بعد الضمان بخلتي)

(أصبيتني حتى عرفت صبابتي ... وسررتني حلى بلوت سريرتي)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٩/١٦٥

(ثم انطويت على الجفاء ولو أرى ... ما قد أرى لطويت عنك طويتي)

(ومن العجائب والعجائب جمة ... أني رأيت منيتي من منتي)

ومنه // (من السريع) //

(يا دهر لو عدت إلى صلحي ... ما كنت إلى فائز القدح)

(في كل يوم منك لي وقعة ... مؤلمة ترحب في جرحي)

منها // (من السريع) //

(فقال لي بعد خطوب جرت ... معاد ما تبغي أبو الفتح)

(فاقدح به زندك في كل ما ... يروم منه يور في القدح)

(إنك إن تاجرته مادحا ... فزت بآمالك في الربح)

(وما الذي تنظم في مدح من ... تضيق عنه سعة المدح)

(أما ترى الدهر وأحداثه ... دائبة تعمل في ذبحي)." (١)

"في الأرض فالذي في السماء هو الله والذي في الأرض هو أنا ثم قال هذا كلام لا يحتمله العامة لكونهم لا يفهمونه أنا لا أقدر على خلق شيء إلا خلق الكلام فأنا أخلقه ثم ذكر اشتقاق هذه اللقطة فقلت له يا مولانا أنا محدث والمحدث إن لم يكن عنده جرأة مات بغصة وأحب أن أسألك شيء قال فتبسم وقال ما تسأل إلا عن معضلة هات ما عندك قلت لم سميت بالشميم فشتمني ثم ضحك وقال إني بقيت مدة من عمري ذكرها وهو وأنسيتها لا آكل في تلك المدة إلا الطيب فحسب لتنشف الرطوبة وحدة الحقط فكنت أبقى أياما لا يجئني الغائط فإذا جاء كان شبه البندقة من الطين فكنت آخذه وأقول لمن أنبسط له شمه فإنه لا رائحة له فكثر ذلك حتى عرفت به أرضيت يا ابن الفاعلة ثم أورد له ياقوت // (من الكامل) //

(قالوا نراك بكل فن عالما ... فعلام حظك من دناك خسيس)

(فأجبتهم لا تعجبوا وتفهموا ... كم ذاد نهزة ليث خيس خيس)

ومن شعره // (من الوافر) //

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٠٢/٢٠

(أقيلي عثرة الشاكي أقيلي ... فسولي في سماع نثا رسولي)

(وإن لم تأذني بفكاك أسري ... فدليني على صبر جميل)

وقال ياقوت حدثني تقي الدين ابن الحجاج قال اجتمع جماعة من التجار الواسطيين بالموصل على زيارة شميم وتوافقوا على ألا يتكلموا بين يديه خوفا من زلل يكون منهم فلما حصلوا بين يديه قال أحدهم أدام الله أيامك فالتفت إلي وقال أين هؤلاء فإني أرى عمائم كبارا ظننتها على آدميين فسكتوا فلما قاموا قال له آخر منهم يا سيدي ادع لنا بشمل الجمع فغضب وقال قوموا عني قبحكم الله ثم التفت إلي وقال أيسن هؤلاء وكيف خلقهم الله ثم حلف بمحلوفه وقال لو قدرت على خلق مثل هؤلاء لما فعلت أنفة من خلق مثلهم وقال محمد بن حامد بن محمد بن جبريل بن منعة بن مالك الموصلي الفقيه فخر الدين جرت بيني وبينه مذاكرات إلى أن قال **ومن العجائب** استحسان الناس قول عمرو بن كلثوم // (من الوافر) //." (١)

"أبو الحسن الهروي علي بن عبد الله بن محمد بن الهيضم الهروي الإمام الفاضل ذكره أبو الحسن البيهقي في كتاب الوشاح وأثنى عليه وله تصانيف منها كتاب مفتاح البلاغة كتاب البسملة كتاب نهج الرشاد كتاب عقود الجواهر كتاب لطائف النكت كتاب تصفية القلوب وديوان شعره ومنه من الكامل

(ضحك الربيع لعبرة الأنداء ... **ومن العجائب** ضاحك ببكاء)

(خرجت له نحو الشتاء كتيبة ... ذعرت مواكبه عن الصحراء)

(ركبت فوارسه الهواء فجردت ... سيفا جلا جيش الدجى بضياء)
(

(رق الربيع لها فأرسل نحوها ... بشرى نعيم في نسيم هواء)

(والغصن قرط أذنه بدراهم ... مضروبة من فضة بيضاء)

(والروض ألبس حلة موشية ... أحسن بها من صنعة الأنداء)

(قضبان نبل أخرجت ذهبا لنا ... أعجب بها من صيرف معطاء)

(وشقائق النعمان تشبه صارخا ... متظلما متشحطا بدماء)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٠/٢٠٥

(والزعفران كأنما فرشت به ... ديباجة نسجت من القمراء)

(ساءلتها هلا برزت لناظر ... صب كئيب هائم ببكاء)

(فأبت وآلت لا يحل نقابها ... إلا مجير الدولة الغراء)
قلت شعر متوسط ابن أبي جرادة العقيلي علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الباقي بن أبي جرادة العقيلي أبو الحسن الأنطاكي من أهل حلب غزير الفضل وافر العقل دمث الأخلاق حسن العشرة له معرفة بالأدب واللغة والحساب والنجوم ويكتب خطا حسنا ورد بغداد وسمع بها وبغيرها سمع بحلب عبد الله بن إسماعيل بن أحمد بن أبي عيسى الجلي الحلبي وأبا الفتيان ابن حيوس الشاعر ورمي بالتشيع ورأي الأوائل واعتقاد النجوم مولده سنة إحدى وستين وأربع مائة وتوفي سنة نيف وأربعين وخمس مائة ومن شعره من الرمل
(."(١)

"الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح الكاتب أبو الخطاب ابن أبي علي كان من أعيان القراء صنف في القراءات كتابا ونظم في القراءات قصيدة سماها المسعدة وكان يؤم بالمقتدي بالله ثم بالمستظهر وكان شافعي المذهب قرأ بالروايات على الحسن بن علي بن الصقر الكاتب ومحمد بن عمر بن بكير النجار وأحمد بن)
مسرور بن عبد الوهاب الخباز وغيرهم وسمع من جماعة وكان إماما في اللغة ويكتب خطا حسنا ولد سنة تسع وأربع مائة وتوفي ببغداد سنة سبع وتسعين وأربع مائة ومن شعره من البسيط
(لا ينسينك ميعادا مننت به ... تقادم العهد فالميعاد ميثاق)

(وافتح بلطفك باب النجح مجتهدا ... ففي الأنام مفاتيح وأغلاق)

(تزكو الصنيعة عندي إن مننت بها ... كما زكت منك أخلاق وأعراق)
أبو العلاء السوسي اللغوي علي بن عبد الرحمن الخراز السوسي أبو العلاء اللغوي من سوس خوزستان قال ياقوت من أهل الأدب واللغة سمع المحاملي أبا عبد الله روى عنه أبو نصر السجزي الحافظ ولا أعلم من حاله غير هذا
إبن يونس الحافظ صاحب الزيج علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصدفي المصري سمع وروى قال الشيخ شمس الدين لا تحل الرواية عنه لأنه صنف الزنج للحاكم في أربع مجلدات توفي سنة تسع وتسعين وثلاث مائة فجأة فلت وقال ابن خلكان بسط القول فيه والعمل وما أقصر فيه حرره ولم أر في الأزياج مثله ولا أطول فيها منه على كثرتها وذكر أن الذي أمره بعمله العزيز فابتدأه له وكان مختصا بعلم النجوم متصرفا في سائر العلوم بارعا في الشعر وخلف ولدا متخلفا با ع كتبه وجميع تصانيفه بالأرطال في الصابونيين وكان قد أفنى عمره في الرصد والتسيير للمواليد وكان يقف للكواكب

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٣٨/٢١

قال المسبحي أخبرني أبو الحسن المنجم الطبراني أنه طلع معه إلى الجبل المقطم وقد وقف للزهرة فنزع ثوبه وعمامته ولبس ثوبا نساويا أحمر ومقنعة حمراء وتقنع بها وأخرج عودا فضرب به والبخور بين يديه فكان عجبا **من العجائب** وكان أبله مغفلا يعتم على طرطور طويل ويجعل رداءه فوق العمامة وكان طويلا فإذا ركب ضحك الناس منه ومع هذه الحالة كانت له إصابة بديعة غريبة في النجامة لا يشاركه فيها غيره وكان أحد الشهود." (١)

"علي بن عثمان بن علي بن سليمان أمين الدين السليماني الإربلي الصوفي الشاعر كان من أعيان شعراء الملك الناصر بن العزيز كان جنديا فتصوف وصار فقيرا توفي بالفيوم وهو في معترك المنايا سنة سبعين وست مائة ومن شعره من الكامل

(قتل المحب بهجركم من حلله ... يقضي وعقد وصالكم ما انحل له)

(إن تطلبوا لغناكم عن وصله ... بدلا فذاك لفقره لا بد له)

(مزقتم أفراحه وجمعتم ... ذل الغرام له وذل المسأله)

(ولهان قد سكنت إليكم روحه ... وغدت بأنواع الغرام مقلقله)

(هو كالذي في سقمه هل عائد ... من نحوكم يحيي به هل من صله)

(أعلمتم فعل الجوى في قلبه ... متعديا فله دموع مهمله)

(وصرفتموه منكرا بسقامه ... فردا فعرف حاله لام الوله)

(ما كان أول عاشق جذب الهوى ... بعنانه وسطا عليه فذلله)

(يشكو الفراق إلى فريق لم يزل ... لهم وعود بالوعيد مؤوله)

(ومرنح الأعطاف من خمر الصبا ... كم قلب صب بالصبابة بلبله)

(قابلته بالبدر ليلة تمه ... فتأملوا بدر السماء ومخجله)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢١/١٤٨

(فالقوس حاجبه وفي وجناته ... مريخه والشعر منه سنبله)

(**ومن العجائب** أنه لمحبه ... يهوى الخلاف وليس يعرف مسألة)

(لو أنه الكشاف عن لمع الهوى ... لرأى مفصل ذا الغرام ومجمله)

(أو لو رأى إيضاح نور حبيبه ... جعل الوصال لعاشقيه تكمله)

(هب أن واو الصدغ عاملة له ... عطف القلوب فقده من أعمله)

(ما غاب معنى من بديع جماله ... إلا تذكره الضمير ومثله)

(لله كم أعنى محلا بالجوى ... قفرا وآهل ربع صبر أمحله)

(يا أهل ودي حل دين وعودكم ... فتأملوا كتب السقام مسجله)

(حتام تحيي في أكاذيب المنى ... نفس غدت بعسى وعل معلله)

قلت ولشهاب الدين التلعفري قصيدة في هذه المادة والوزن والروي وهي من الكامل)

(هذا العدول عليكم ما لي وله ... أنا قد رضيت بذا الغرام وذا الوله)

(شرط المحبة أن كل متيم ... صب يطيع هواه يعصي عذله)

(وأخذتموني حين سار بحبكم ... مثلي ومثلي سره لن يبذله)

(ما أعربت والله عن وجدي بكم ... وصبابتي إلا دموعي المهمله)." [1]

"(أبقى له الخوف من إشغال يقظتهم ... ما بات يرسله ليلا إلى الحلم)

(عافت سيوفك في الهيجا لحومهم ... فهن يأكلن منها إكلة البشم)

ومنه

(يا مذنبا ويقول إني مذنب ... ما إن سمعت بظالم يتظلم)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢١/٢٠٠

(لك صورة ذل الجمال لحسنها ... تقضي بجور في النفوس وتحكم)

(ومن العجائب أن طرفك مشعر ... سقما وأنت بسقمه لا تعلم)

ومنه

(ولما وقفنا للوداع ودوننا ... عيون ترامى بالظنون ضميرها)

(أماطت عن الشمس المنيرة برقعا ... فغيبنا عن أعين الناس نورها)

قلت شعر جيد طبقة

٣ - (القاضي الأكرم ابن القفطي الوزير جمال الدين)

علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد بن موسى ينتهي إلى بكر بن وائل وزير حال القاضي الأكرم الوزير جمال الدين أبو الحسن القفطي أحد الكتاب المشهورين المبرزين

وكان أبوه القاضي الأشرف كاتبا أيضا وأمه امرأة بادية من العرب من قضاعة وأمها جارية حبشية ولد بقفط من الصعيد الأعلى بالديار المصرية وأقام بحلب وكان يقوم بعلوم من اللغة والنحو والفقه والحديث وعلوم القرآن والأصول والمنطق والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل ولد سنة ثمان وستين وخمس مائة وتوفي سنة ست وأربعين وست مائة وكان صدرا محتشما كامل السؤدد جمع من الكتب ما لا يوصف وقصد بها من الآفاق وكان لا يحب من الدنيا سواها ولم يكن له دار ولا زوجة وأوصى بكتبه للناصر صاحب حلب وكانت تساوي خمسين ألف دينار وله حكايات غريبة في غرامه بالكتب وهو أخو المؤيد القفطي ووفاته." (١)

"(حيث السحاب بنود والقسي لها ... رعد وللنبل فيها عارض هطل)

(فعلت ما سر حتى لا مثال له ... وقلت ما سار حتى إنه مثل)

(ما غلق البحر فيما ظن راكبه ... وإنما هز من أعطافه الجذل)

(يرتاح عند أخيه حين جاوره ... فالشمل مجتمع والحبل متصل)

قال الشيخ شمس الدين كان فيه تشيع ولم يكن في الملوك مثله قلما عاقب على ذنب كثير العفو والحلم وقال كمال الدين بن العديم لم يكن متشيعا وإنما قال هذا الشعر لموافقة الحال وتقربا إلى الإمام الناصر إذ كان منسوبا إلى التشيع انتهى قلت ولما تعصب أخوه العزيز عليه وعمه العادل قال

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢١٠/٢٢

(ذي سنة بين الأنام قديمة ... أبدا أبو بكر يجور على علي)

وكتب إلى الإمام الناصر

(مولاي إن أبا بكر وصاحبه ... عثمان قد غصبا بالسيف حق علي)

(وهو الذي كان قد ولاه والده ... عليهما واستقام الأمر حين ولي)

(فخالفاه وحلا عقد بيعته ... والأمر بينهما والنص فيه جلي)

(فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقي ... من الأواخر ما لاقى من الأول)

فجاء جواب الناصر من إنشاء ابن زبادة وفيه

(وافى كتابك يا ابن يوسف معلنا ... بالحق يخبر أن أصلك طاهر)

(غصبوا عليا حقه إذ لم يكن ... بعد النبي له بيثرب ناصر)

(فاصبر فإن غدا علي جزاءهم ... وابشر فناصرك الإمام الناصر)

وفي ذلك يقول شرف الدين بن عنين من قصيدة كتبها إلى أخيه من الهند

(هيهات آتي دمشق وملكها ... يعزى إلى غير المليك الأفضل)

(**ومن العجائب** أن يقوم بها أبو ... بكر وقد علم الوصية في علي)

(مهلا أبا حسن فتلك سحابة ... صيفية عما قليل تنجلي)

ومن شعر الأفضل

(قل لمن في العذار أطنب جهلا ... ويباهي بوصفه ويغالي)

(لم يكن في الجنان يفقد في الول ... دان لو كان من صفات الجمال)." [1]

"(أرابه البان إن لم يقض آرابا ... فارتد ناظره المرتاد مرتابا)

(كأن أوطان أوطار محاسنها ... تستنفد اللفظ إطراء وإطرابا)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٢/٢١٥

(حيث المغاني غوان ما اشتكت يدها ... يوما من الخرد الأترب أترابا)

(ولا ألم بها مثلي فأدمعه ... فاستعجز الغيث إرباء وإربابا)

(يا حبذا البان إذ أجنى فواكهه ... على ذرى البان أعنابا وعنابا)

(وإذا أبيت وكأس الراح مائلة ... كفي حبابا وطرفي فيه أحبابا)

(سقاه كالدمع إلا ما يؤثره ... فإنه منع الإجداء أجدابا)

(وجر فيه كأنفاسي غلائله ... شذا يقول له الإطناب أطنابا)

(قفا لأعتب دهرا لان ثم عسى ... عساه يعقب هذا العتب أعتابا)

(واستنزلا بلطيف من عتابكما ... قلبا طواه على الأحقاد أحقابا)

(لله ما ضمت الأحداج من قمر ... أرخى ذوائب عنهن الدجى ذابا)

(أغمض اللحظ عنه حين ينظر عن ... جفن هو النصل إرهافا وإرهابا)

(وربما زارني زورا وشق إلى ... وصلي حجابا يراعيه وحجابا)

(ما كنت اسكر طرفي من مدام كرى ... لو لم يحرم على الأصحاء أصحابا)

(يا من إذا وفى استوفى الحشاشة لا ... عدمت حاليك إعطاء وإعطابا)
وقال)
(هب للقلوب من العيون ملاذ ... ولها على مكنونها استحواذ)

(هيهات ما سلت شفار لواحظ ... إلا تثنت والقلوب جذاذ)

(لا ترسل سهام لحظك جاهدا ... إن المنية سيرها أغداد)

(ومن العجائب أن خدي مجدب ... وعليه من سيل الدموع رذاذ)

(يا راميا كبدي بنبل جفونه ... خفض عليك فإنها أفلاذ)

(ومليحة الأوصاف حسنها الصبا ... والتيه لا ديباجها والاذ)

(في طرفها الأحوى تأنق بابل ... نفاث سحر في الحشا نفاذ)

(رقت جفونا فهي ماء دافق ... وقست فؤادا دونه الفولاذ)

وقال

(دعته المثاني وادعته المثالث ... فها هو للندمان والكاس ثالث)

(وقارف قبل الموت والبعث قرقفا ... يعاجله منها مميت وباعث)

(وكان الهوى أبقى عليه صبابة ... من اللب وافاها من الكاس وارث)

(فقام إلى أم الخبائث إنها ... بها أبدا تصفو النفوس الخبائث)

(وأحيا بروح الراح جسم زجاجة ... على يده منها قديم وحادث)

(وقد قال للصهباء إني حالف ... فقالت له الصهباء إنك حانث)

(وما العيش إلا للذي هو ماكث ... على غيه أو الذي هو ناكث)

(فيا راحلا أبلغ أخلاي باللوى ... وإن رجعوا أني على العهد لابث)

(لمن كلل مدت حوام حوامل ... فمادت بها عيس رواغ رواغث)

(هناك ولا نعمان قضب موائس ... وثم ولا يبرين كثب عثائث)

(دمي للدمى إن لم أرعها برحلة ... نديمي بها الدأماء أو فالدمائث)

(ربيعة فتك لم تلدني مكدم ... عتيبة حرب لم يلدني حارث)

(لي النافثات السحر في عقد النهى ... فما هي إلا العاقدات النوافث)

وقال

(ألحق بنفسج فجري وردتي شفق ... كافورة الصبح فتت مسكة الغسق)

(وقد عطل الأفق من أسماط أنجمه ... فاعقد بخمرك فينا حلية الأفق

)

(قم هات جامك شمسا عند مصطبح ... وخل كاسك نجما عند مغتبق)

(وأقسم لكل زمان ما يليق به ... فإن للزند حليا ليس للعنق)." (١)

"(جاء الغرام وهذا الحسن في قرن ... والغيث يهمي ونور الدين في طلق)

وقال

(باتت معانقتي ولكن في الكرى ... أترى درى ذاك الرقيب بما جرى)

(ونعم درى لما رأى في بردتي ... ردعا وشم من الثياب العنبرا)

(طيف تخطى الهول حتى يشتري ... بيت الحشا وقد اشترى وقد اجترا)

(ما زار إلا في نهار جبينه ... فأقول سار ولا أقول له سرى)

(بأبي وأمي من حلمت بذكرها ... لما انتبهت ومذ رقدت تفسرا)

(علقتها بيضاء سمراء اللمى ... أسمعت في الدنيا بأبيض أسمرا)

(**ومن العجائب** أن ماء رضابها ... حلو ويخرج حين تبسم جوهرا)

(إني لأعشقها وما أبصرتها ... فالشمس يمنع نورها أن تبصرا)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٨/٢٧

(أيروعني في كل وقت نهدها ... فغذا اعتنقنا خفت أن يتكسرا)

(أشكو إليها رقتي لترق لي ... فتقول تطمع بي وأنت كما ترى)

(وإذا بكيت دما تقول شمت بي ... يوم النوى فصبغت دمعك أحمرا)

(من شاء يمنحها الغرام فدونه ... هذي خلائقها بتخيير الشرا)

(يا من لها من الحس عبلة عبدة ... رقي علي فليس قلبي عنترا)

(غادرتني والصبر مشدود الوكا ... وغدرت بي والدمع محلول العرا
)
(وجعلت قلبي بالهموم مزملا ... إذ كان طرفك بالفتور مدثرا)

(وفتحت أبواب السهاد لناظري ... وجعلت ليلي بالهموم مسمرا)

(فمتى أقول جوانحي بك قد هدت ... ومدامعي رجعت عليك إلى ورا)
وقال
(يا ليلة الوصل بل ليلة العمر ... أحسنت إلا إلى المشتاق في القصر)

(يا ليت زيد بحكم الوصل فيك له ... ما طول الهجر من أيامه الأخر)

(أوليت نجمك لم تعقل ركائبه ... أوليت صبحك لم يقدم من السفر)

(أو ليت لم يصف فيك الشرق من عبس ... فذلك الصفو عندي غاية الكدر)

(أو ليت كلا من الشرقين ما ابتسما ... أوليت كلا من النسرين لم يطر)

(أو ليت كنت كما قد قال بعضهم ... ليل الضرير فصبحي غير منتظر)

(أو ليت حط على الأفلاك قاطبة ... همي عليك فلم تنهض ولم تسر)." [1]

"(أو ليت فجرك مفتر به رشئي ... أو ليت شمسك ما غارت على قمري)

(أو ليت قلبي وطرفي تحت ملك يدي ... فزدت فيك سواد القلب والبصر)

(أو ليت ألقى حبيبي سحر مقلته ... على العشاء فأبقاها بلا سحر)

(أو ليت كان يفدي من كلقت به ... در النجوم بما في العقد من درر)

(أو ليت كنت سألتيه مساعدة ... فكان يحبوك بالتكحيل والشعر)

(أو ليت جملة عمري لو غدا ثمنا ... في البعض منك ومن للعمي بالعور)

(كأنها حين ولت قمت أجذبها ... فانقد في الشرق عنها الثوب من دبر)

(لا مرحبا بصباح جاءني بدلا ... من غرة النجم أو من طلعة القمر)

(زار الحبيب وقد قالت له خدعي ... زره وقال له الواشون لا تزر)

(فجاء والخطو في ريب وفي عجل ... كقلبه جاء في أمن وفي حذر)

(كأنه كان من تخفيف خطوته ... يمشي على الجمر أو يسعى على الإبر)

(وقال إذ قلت ما أحلى تخفره ... تبرج الحسن ف خدي من الخفر)

(يا أخضر اللون طابت رائحة ... وغبت عنا فما أبقيت للخضر)

(فقام يكسر أجفانا ملاحتها ... تعزى إلى الحور دع تعزى إلى الحور)

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٧/١٤٤

(وقمت أسأل قلبي عن مسرته ... بما حواه وعندي أكثر الخبر)

(وبت أحسب أن الطيف ضاجعني ... حتى رجعت أشهى الظن في السهر)

(أوردت صدري صدرا من معانقة ... وحين أوردت لم أقدر على الصدر)

(وكان يمنعني ضما ورشف لمى ... ضعف من الخصر أو فرط من الخصر)

(وكدت أغنى بذاك الريق من فمه ... ومنطق منه عن كأس وعن وتر)

(وبت أشفق من أنفاسه حذرا ... من أن يعود عشاء الليل كالسحر)

(ومر يسبق دمعي وهو يلحقه ... كالسيل شيع في مجراه بالمطر)

وقال

(يا قلب ويحك إن ظبيك قد سنح ... قتنح جهدك عن مراتعه تنح)

(وأردت أعقله ففر من الحشا ... طربا وأحبسه فطار من الفرح)

(وأتى فظل صريع هذاك اللمى ... عطشا وعاد قتيل هاتيك الملح)

(جنح الغزال إلى قتال جوانحي ... فغدوت أجنح منه لما أن جنح)

(ومن العجائب أنه لما رمى ... بسهامه قتل الفؤاد وما جرح)

(ولمى صقيل من مراشف أهيف ... لو شئت أمسحه بلثمى لا تمسح)." (١)

"باب في ذكر ما بحلب وأعمالها من العجائب والخواص والطلسمات والغرائب

حدثني والدي رحمه الله قال: لم يكن البق يوجد في مدينة حلب ولا يعهد منه شيء، الى أن اتفق عمارة في بعض أسوارها، ففتح فيها طاقة أفضت الى مغارة كانت مسدودة، فخرج منها بق عظيم عند فتحها، أظنها في ناحية قلعة الشريف، فحدث البق فيها من ذلك اليوم.

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي ١٤٥/٢٧

قال: وقيل بأنه كان الانسان إذا أخرج يده من داخل السور الى خارجه سقط البق على يده، فإذا أعادها الى داخل السور ارتفع.

وأخبرني الرئيس إبراهيم بن الفهم رئيس معرة النعمان قال: كان في معرة النعمان عمود فيه طلسم للبق، قال: وذكر أهل المعرة أن الرجل كان يخرج يده وهو على سور المعرة الى خارج السور فيسقط عليها البق، فإذا أعادها الى داخل السور زال عنها.

قال لي وأخبرني رجل من أهل المعرة يسمى محمدا قال: رأيت أسفل عمود في الدار التي كنت بها في معرة النعمان (١٨٩- ظ) ففتحت موضعه لأستخرجه، فانخرق الى مغارة، فأنزلت إليها إنسانا، أو قال نزل هو بنفسه، ظنا أنه مطلب، فوجدنا مغارة كبيرة، ولم نجد فيها شيئا، قال: ورأى فيها في الحائط صورة بقة، قال: فمن ذلك اليوم كثر البق بمعرة النعمان." (١)

"وتركني عند جدي الصوفي أتفرج بسرمين، وكنت لا أعرف لي والدا سواه لغيبة أبي عند الأمراء والملوك، فقال: يا علي احذر أن تخرج وحدك فإن الكلاب الكلبة كثير، فاتفق أنني خرجت مع أصحابي وغلماني فقيض لي كلب فرعشني، فدخلت غير طيب النفس، وذلك بعد العصر والزمان الصفري في التشارين، فمضى من خبر جدي الحسن الصوفي العجلي، فركب فرسه، وأخذ دلوا للسموط وأخذني، ومضى يخب ويناقل وأنا معه الى أن أتى بي جب الكلب شمالي حلب فسقاني (١٩١- ظ) منه، وغسل يدي ورجلي ووجهي، وقال: إقلع ثيابك، فقلت: الله الله إن خلعت ثيابي في هذا البرد مت، فقال: وليت مت واسترحت يا فاعل يا صانع، فاستقى أربعين دلوا وصبها علي، وقال: تطلع في الجب، وكانت آية الجب إن نفع المرعوش أبصر النجوم في الجب، وإن لم ينفعه سمع نبيح الكلاب، فقال: ما ترى؟ فقلت أرى النجوم في الماء، فقال: الحمد لله، وركب، وأخذني فبات في سرمين، ولكن بعد تهور الليل.

قال: يقول جدك: فو الله بعد تمام الإسبوع بلت ثلاث كلاب مصورة بأذنابها ورؤوسها.

قال: ولم يزل هذا الجب يتداوى به الناس الى أن ملك حلب رضوان الملك ابن تاج الدولة، فعول على توسيع فمه، وكان ضيقا عليه أربعة أعمدة، تمنع أن ينزل فيه، فقال: نعمله يكون الإنسان ينزل إليه، ولا يقلب عليه، فقيل له: إن هذه الطلسمات لا يجب أن تتغير عن كيفياتها، فلم يقبل ففتحه، فزال عنه ما كان يزيل الأذى، وكان يقال إن ذلك كان في سنة ست وتسعين وأربع مائه، وهو كان **من العجائب** الثلاث: جب الكلب، ونهر الذهب، وقلعة حلب، فأما النهر فهو ماء يجري الى ينتهي الى مواضع في الجبول وغيرها من القرى، فيسكبونها ويجرون إليها السواقي، فإذا دخل تلك المساكب جمد بإذن الله، وصار ملحا أبيض في بياض الثلج، فيباع منه بالأموال الخطيرة، ولذلك سمي نهر الذهب.." (٢)

"هل مسعد أشكو إليه وإنما ... أشكو صروف الدهر لا أشكوهم

ذاد الكري عن مقلتي خيالكم ... فالنوم أقلع والسهاد مخيم

بخل الزمان بكم علي فبان بي ... عنكم وساعده القضاء المبرم

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٤٧١/١

(٢) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٤٧٥/١

أتراه يسمح بالوصال فاشتكي ... وأبث ما لاقيت منه إليكم

إن خف وبلكم «١» وشط مزاركم ... فخليفتي رب السماء عليكم

كنا نذم من الزمان حميده ... قدما فكيف الآن وهو مذمم

في كل يوم من الزمان نكبة ... تعتادني «٢» ختلا ويوم أيوم

تقضي حوادثه علي بجورها ... وصروفها أنى تشاء وتحكم

حظ خصصت به وجد نازل ... بي في الحضيض وجانب متهضم

ومن العجائب أنني عاينته ... فيما جناه فأعقبتني الصيلم

لا تسألي يا عز عما نابني ... فمن الحديث محدث ومكتم

كفي كفاك ولا أبا لك أنني ... أصبحت والأعداء في تحكموا

ملقى بدار مذلة مستوطنا ... سجنا أسام الخسف فيه وأظلم

لا ناصر لي ألتجي بفنائه ... أنى انتصرت ولا ولي مكرم

(٢٠٠- ظ)

أمسي وأصبح في الحديد مكبلا ... من غير ما جرم كأني مجرم

متقمصا ثوب الأسى قد بزني ... ثوب التصبر والتأسي أدهم

قيد ثقيل قد براني حمله ... وجوى أكابده وسجن مظلم

سيان فيه ليلنا ونهارنا ... وحياتنا ماذيها «٣» والعلقم

ولذاك أيسر من مقالة حاسد ... يسدي التمائم بالمحال ويبرم

قل للمريق دماءنا كف الأذى ... عنا فحسبك سعيك المتقدم

ألزمتنا جرما ولما نجنه ... ظلما فصار لزوم مالا يلزم

أمحمد أدعوك حين اظلني ... خطب يجل عن الخطوب ويعظم

ما خلت أنك تاركي تنتاشني ... طلس الذئاب وأنت أنت الضيغم." (١)

"الواو

الواله:

شاعر متقدم العصر، لا يعرف اسمه، وكان من أهل الشام، وله أبيات في دير رمانين، من جبل سمعان من أعمال حلب، والقرية تعرف الآن في زمننا بتر مانين.

قرأت في كتاب الديرة تأليف أبي الحسن الشمشاطي قال: دير رمانين (٢٥٨- و) بين حلب وأنطاكية يشرف على بقعة سرمدا في أحسن موضع وأنزهه، وفيه يقول الواله:

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم ٤٦٣٣/١٠

ألف المقام بدير رمانينا ... للروض إلفا والمدام خدينا

والكاس والابريق يعمل دهره ... ويداه تجني الورد والنسرينا

يغدو إذا الناقوس أيقظه على ... عذراء أوطنت الدنان سنينا

بكر إذا ما الهم عاين كاسها ... يوما رأى في ما يرى السكينا

ومن العجائب مسكة «١» ترضى بأن ... يختار قارا «٢» في اللباس وطينا

ويطارح الطنبور طول حياته ... حتى كأن عليه فيه يمينا

إن الذين غدوا بلبك غادروا ... وشلا بعينك لا يزال معينا

هانت على طرباته عذاله ... لما اشترى الدنيا وباع الدينا «٣»

عمر هو البلد الحرام فكم ترى ... فيه الندى والتين والزينونا

الوامق المعري:

شاعر تقدم ذكره، والوامق لقب له.." (١)

"- باب في ذكر البحيرات التي في أعمال حلب ٤٠٩

- باب في ذكر الجبال المذكورة بحلب وأعمالها ٤١١

- ذكر جبل بانقوسا ٤١٥

- ذكر جبل سمعان ٤١٧

- ذكر الجبل الأعلى ٤٢٢

- ذكر جبل السماق ٤٢٣

- ذكر جبل الطور بقنسرين ٤٢٥

- ذكر جبل بني عليم ٤٢٦

- ذكر جبل الأحص ٤٢٨

- ذكر جبل البشر ٤٣١

- ذكر جبل برصايا ٤٣٧

- ذكر الجبل الأسود ٤٣٨

- ذكر جبل اللكام ٤٣٩

- ذكر جبل الأقرع ٤٤١

- باب في ذكر الاقليم الرابع ٤٤٣

- باب ما جاء في صحة تربة حلب وهوائها واعتدال مزاجها وخفة مائها ٤٤٩

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٤٧٤٥/١٠

- باب في ذكر ما ورد من الكتابة القديمة على الأحجار بحلب وعملها وما أشبه ذلك ٤٥٣
- باب في ذكر ما بحلب وأعمالها من المزارات وقبور الأنبياء والأولياء والمواطن الشريفة التي بها مظان إجابة الدعاء ٤٥٩
- باب في ذكر ما بحلب وأعمالها **من العجائب** والخواص والطلسمات والغرائب ٤٧١
- باب في ذكر ما يتعلق بحلب وأعمالها من الملاحم وإمارات الساعة ٤٨٥
- باب في ذكر من نزل من قبائل العرب بأعمال مدينة حلب ومن كان قبلهم في سالف الحقب ٥٢٧
- ذكر نزول بني كلاب بأعمال حلب ٥٤٣
- من نزل عمل حلب من ولد عمرو بن كلاب ٥٤٨
- من ولد قشير ٥٥١." (١)

"الى كم أيها اللاهي: أبو بكر بن أبي علي: الله: ٤٣٥٨

الى كم يا بن بطريق: أحمد بن محمد الانطاكي: ضيق: ١١١٠

الى المختار أشكو ما الاقي: الفصيصي الحلبي: والنفاق: ٤٧٧١

الحظك أم ما تطبع الهند يا هند: داود بن المغربي القرشي: رند: ٣٤٧٣

الزمك جفاءك في ولو فيه الضنا: منسوب لزيد بن علي العارض: بنينا: ٤٠٥٢

الست ترى الجو مستعبرا: سداد بن ابراهيم: الخلب: ٤١٩٤

ألف المقام بدير زمانينا: الواله: خدينا: ٤٧٤٥

ألف الملال ومال عن ميثاقه: أحمد بن محمد بن الحلاوي: فراقه: ١٠٦٨

ألف الهوى فالهجر منه نصيبه: أحمد بن محمد القنوع: تعذيبه: ١١٢٢

ألفت التباعد والغربة: المعتمد على الله: تربة: ٦٠٣

اللبارق العلوي أنت طروب: الحسين بن محمد البارع: حبيب: ٢٧٦٤

الله بيني وبين مولاتي: أبو العتاهية: والملمات: ١٧٦٦

::: ١٧٦٨

الله جارك في انطلاقك: البحتري: أو عراقك: ٤٣٧٤

الله يعلم يا حبيبي أنني: المعتز: مكروب: ٣٧٧٣

الم تأت أهل المشرقين رسالتي: النابغة الجعدي: عتب: ٣٠٠٢

ألم بعين زربة والمطايا: سابق بن عبد الله: شأن: ٤٠٧٥

ألم تر أن الحلم زين مسود: أبو العتاهية: الفقر: ١٢٧٢- ١٧٨١

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى: يحيى بن علي: عدي: ٨١٩

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٤٧٨١/١١

::: ١٧٩٣

ألم تر اني بلغت المشيبا: حرملة بن حكيم: كسوبا: ٢١٨٦

ألم تر أني مذ ثلاثون حجة: دعبل: الحسرات: ٣٨١٠

ألم تر زحرا وابن نجد تعاورا: الحضين بن المنذر: المتوج: ٢٨٣١

ألم ترانى وترت كوسى: زياد الاعجم: عيم: ٣٩٢٥

ألم ترنى ابنى على الليث بيته: اسحاق بن حسان بن قوهي: أتخشع: ١٤٥٩

ألم تعلمى يا عذبة الريق اننى: مجهول: مقال: ١٤٢١

ألم خيال من سلمى فسلما: أبو البركات المعري: أقدما: ٤٣٣٢

ألم يأتيك والانباء تنمى: مجهول: زياد: ٣٠٨٠

ألمت؟؟؟ بنا والليل داح كأنه: أشعب: القطرا: ٤١٣٥

المن؟؟؟ يجمع كل شيء طالح: سابور بن علي: لا تحسن: ٤٠٨٧

اللهم أن الحارث بن جبله: شهاب بن العفيف: فقتله: ٢١٨٧

الهى منحت الود منى بحبلة: أبو بشير: قدير: ١٤٢٥

أليس عجبا أن بيتا تضمنى؟؟؟: مجهول: تتكلم: ٢٥٢١

أليس **من العجائب** أن مثلى: المعتمد على الله: عليه: ٦٠٤

أليس هم أحيوا بذا اليوم ميتا: محمد بن زائدة الكلابي: ذاهبا: ٣٦٧٥

أليس هم ردوا ابن حمدان عنوة: منصور بن الزنكل: العواقبا: ٢٣٣١." (١)

"أنا مغرى بهواه ... وهو مغرى باجتنابي

فإذا ما قلت صلني ... كان لا منه جوابي

قال الصولي: ووجدت أيضا من الموزون:

عجل الحب بفرقه ... فبقلبي منه حرقه

مالك بالحب رقي ... وأنا أملك رقه

إنما يستروح الصب ... إذا أظهر عشقه

وبعد هذا أبيات لا نظام لها.

وقال الصولي: حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عباد قال: طلب المعتمد ثلاثمائة دينار يصل بها عريب وقد حضرت مجلسه فلم يجدها، فطلب مائتين فلم يجدها، وكان قد أمر أن يطرح لها تكاء فأبت، فكان يجعل تحت ركبتها أترجتان «١» من الأتراج الكبار (٧- و) وربما قورتا، وجعل فيها دنانير؛ قال: فبلغني أنه لما لم يجد الدنانير قال شعرا:

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٤٨٨٨/١١

أليس **من العجائب** أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه

إليه تحمل الأموال طرا ... ويمنع بعض ما يجبى إليه

قال الصولي: فكان المعتمد من أسمح الناس، قال له القاسم بن زرزر المغني: يا سيدي إلى جانب ضيعتي ضيعة لا تصلح إلا بها تباع بسبعة آلاف دينار وما عندي من ثمنها إلا ألفي دينار، فقال: أحضروني خمسة آلاف دينار، فجيء بها، فدفعها إليه فاشترى الضيعة، فسأله بعد أيام عنها، فعرفه شراءها، فقال: ما أحب أن يكون لك فيها وزن، ادفعوا إليه ألفي دينار مكان ألفيه، فأخذها وانصرف.." (١)

"رسل اللحاظ الى الخواطر تنفذ ... وسهامها في كل قلب تنفذ

ومن العجائب وهي تصمي مهجتي ... أني بوقع سهامها أتلذذ

إن السهام لتخطئ المرمى سوى ... سهم بأهداب الجفون مقذذ «١»

وبمهجتي صاح يعربد لحظه ... تيها علي فطرفه متنبذ

رشأ يصيد بحسنه مهج الورى ... وعلى العقول بسحره يستحوذ

تحوي القلوب بخفة وصناعة ... أجفانه فاللحظ منه مشعبذ

سحر به فتن الأنام فحق ... هاروت الإمام لجفنه يتتلمذ

مقبول شخص بالعيون مقبل ... ميهوب حسن بالأماني يجبذ

ميعاده مثل السراب ووصله ... بالقول لا بالفعل فهو مطرمذ «٢»

من طبع أهل الشام قاس قلبه ... لكنه في دله يتبغدذ (٢٢١- ظ)

يا نظرة قد أعقبتني حسرة ... طرفي جنا فعلام قلبي يؤخذ

وجدي به طول الزمان مجدد ... والقلب منه بالصدود مجذذ

والحزن مرد في هواه مردد ... والخد من مطر الدموع مرذذ

وأنشدنا أبو المحامد القوصي قال: وأنشدني رحمه الله لنفسه متغزلا على حرف الزاي:

أعانوا على القلب الجريح وأجهزوا ... وسفك دمي ظلما أباحوا وجوزوا

هم رحلوا صبري غداة رحيلهم ... وسرى بوجدي أبرزوا يوم برزوا

وكنت كنزت الدمع ذخرا لبينهم ... فأنفقت يوم البين ما كنت أكنز

يعز وقد بانوا علي فراقهم ... ويعزب صبري والتجلد يعوز

وكانوا حياتي فارقوني ففارقت ... فها أنا حي في ثيابي مجنز." (٢)

---

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم ٢/٦٠٤

(٢) بغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم ٢/٩٨٠

"وخمسمائة، وقد حدث به عنه موفق الدين أبو العباس أحمد بن أبي القاسم بن أحمد القيسي الاسكندري في سنة أربع وعشرين وستمائة.

روى لنا عنه أبو المحامد اسماعيل بن حامد شيئا من شعر غيره خرجه عنه في معجم شيوخه.

أخبرنا أبو المحامد القوصي قال: أنشدني الأمير الأجل بهاء الدين ربيب الدولة أبو المعالي أسعد بن عمار بن سعد بن عمار أبياتا قيلت في أبي أيوب سليمان ابن محمد المورياني وزير أبي جعفر المنصور لما نكبه المنصور وأشار هذا الشاعر في أبياته إلى قتل أخيه السفاح لأبي سلمة حفص بن سليمان الخلال رحمه الله:

قد رأيت الملوك تحسد من قد ... قلدوه أزمة التدبير

إذا مالئوا له الأمر والنهي ... رموه من عرفهم بنكير

شرب الكاس بعد حفص سليما ... ن ودارت عليه دوائر التدبير

أسوأ الحالين حالا لديهم ... من تسمي بين الورى بالوزير

قال القوصي: **ومن العجائب** والغرائب أنني بعد مفارقتي له من الموصل، وهو في عزه ونفاذ حكمه مخافة وهيبة، وارتسام رسمه، لم أصل إلى مدينة حران حتى بلغني أن أتابك الموصل نور الدين قد قبل قول أعداؤه في فساد أحواله، وأنه قبض عليه ونكبه واستأصل جميع أمواله وحبسه بالموصل إلى أن توفي رحمه الله في اعتقاله. وكان انشاده لي في شعبان.

شاهدت بخط الربيب أبي المعالي أسعد بن عمار رحلته من خلاط إلى مكة شرفها الله في سنة ثلاث وستين وخمسمائة، ثم أتبعها برحيله إلى الشام متقدما على عسكر الموصل في سنة ست وثمانين، وذكر في أولها فصلا من أحواله، فأحببت نقله لما فيه من ذكر شيء من أموره، وحقيقة حاله، وصورته:

أما بعد: فلما وفق الله سبحانه وأثبت منازل الحج، وما تأتى في تلك السفرة الميمونة، وكانت حجة الإسلام، فإنني قضيتها في شهور سنة ثلاث وستين وخمسمائة، وكنت حينئذ في خدمة الملكة شاه بانوان ابنه بيلدق بن علي بن أبي القاسم." (١)

"**ومن العجائب** أنه مع فرط كرمه وبذله الآلاف في غاية البخل على الطعام؛ حتى كان يقول: إذا رأيت شخصا يأكل طعامي أظن أنه يضربني بسكين.

وبالجملة كان من محاسن الدنيا، مع الدين والصيانة واللطف والظرف.

شرح التلخيص، والتسهيل إلا قليلا. واعتنى بالأجوبة الجيدة عن اعتراضات أبي حيان. ومات في ثاني عشر ذي الحجة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة.

٥٠٩ - محمد بن يوسف بن أحمد الهاشمي

اللوشي الأصل المالقي أبو عبد الله. يعرف بالطنجالي؛ قال ابن الزبير: محدث فاضل، نحوي، ورع، زاهد، لازم ابن عطية، وانتفع به، وتخلق بكثير من خلقه، وأبا الحسن الغافقي. وسمع أيضا من أبي علي الزندي وأبي القاسم بن الطيلسان وجماعة،

---

(١) بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٤/١٥٧٨

وكان يحترف صناعة التوثيق، من أبدع أهل زمانه، من أهل الفضل والدين؛ لا يأكل إلا من كسبه، أو مما يعلم أصله، ويجيب إلى الوليمة، ولا يأكل منها.

وجلس بعد موت شيخه أبي محمد الباهلي في قبلة الجامع الكبير بمالقة يتكلم على صحيح البخاري.

ومات سنة ثلاث وخمسين وستمائة عن نحو خمسين سنة.

٥١٠ - محمد يوسف بن حبيش - بفتح الحاء - أبو بكر الأديب العالم البارع النحوي

من شيوخ أبي حيان. كان حيا بتونس سنة تسع وسبعين وستمائة.

ومن شعره:

(يا من خلقناه لمحض وفاقنا ... والنفس تغريه بطول عنادنا)

(أعرضت عنا واعترضت قضاءنا ... فمتى يصح لك إدعاء ودادنا!)

(سلم لنا في حكمنا من حكمة ... فمرادنا منك الرضا بمرادنا)." (١)

"أربع وعشرين وثلاثمائة «١» .

٣١٩- الحسن بن غفير العطار المصرى: يروى عن يوسف بن عدى، ومحمد بن محمد بن زكريا «٢» ، وغيرهما. كذاب يضع الحديث «٣» .

٣٢٠- الحسن بن محمد بن أحمد العسال «٤» المصرى: يكنى أبا على. كان فى تفسير الرؤيا عجبا **من العجائب**، وسمع الحديث «٥» . توفى بتنيس، وحمل منها ميتا فى سنة اثنتين وثلاثمائة «٦» . لم أر أحدا يفسر الرؤيا مثله، فسألته: من أين لك هذا؟! قال:

كنت أتاجر إلى المغرب، فمات بأقريطش «٧» نصرانى، فبيعت كتبه وكنت حاضرا، فاشتريت منها كتابا فى تعبير الرؤيا، وعدد الأيام وعلامات لذلك، فحفظته، وجعلت أجرب ما فيه، فأجده حقا «٨» . حدثنى بعض أصحابنا بتفسير رؤيا، رآها غلام «ابن عقيل الخشاب» «٩» ، عجيبة، فكانت حقا كما فسرت. فسألت غلام ابن عقيل عنها، فقال لى: أنا أخبرك، كان أبى فى سوق الخشابين، فأنفق بضاعته «١٠» ، ورثت." (٢)

"لا يعجبنك راكب متلبس ... فعساه عن علم وعقل مفلس

ومن العجائب أن يكون لجاهل ... فضل اللبيب وقد علاه السندس

إني لأعجب من تعدي طوره ... حتى يضيق علي منه المجلس

وذكر أن أم ابن عثمان شريفة حسينية (ت) .

---

(١) بغية الوعاة السيوطي ٢٧٦/١

(٢) تاريخ ابن يونس المصرى ابن يونس ١٢٢/١

ذاكرت به الحافظ أبا محمد عبد الرحمن بن عمر الحراني، فكتب لي ترجمته بيده، هي: «حمزة بن علي بن عثمان بن يوسف، أبو القاسم بن أبي الحسن القرشي المخزومي/ المصري؛ الملقب بالقاضي الأشرف، الحافظ، أحد من عنى بهذا الشأن (ث) وجمعه وتحصيله. له الحظ الوافر من البراعة والبلاغة. أعلم من كان في زمانه بالكتابة والترسل– فيما يقال– يكتب الكتاب من آخره إلى أوله. سئل عن مولده، فقال: في شعبان سنة سبع وأربعين وخمسمائة بمصر. سمع الحديث من أبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي، وأبي الطاهر بن عوف (ج) ، وأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي اليابس (ح) العثماني (٣) ، والمرو (خ) بن علي بن المشرف (٤) ، وعبد الوهاب بن محمد بن عبد الله بن حماد الصنهاجي (٥) ، وعبد الواحد بن عسكر (٦) المخزومي (د) ، وأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحضرمي، وبدر بن عبد الله الخداداذي (٧) بالإسكندرية، وبمصر أباه (٨) وأبا محمد عبد الله بن عبد الجبار بن بري النحوي (٩) ، وابن الرحبي (١٠) ، وأبا الحسن علي بن الأصبهاني (١١) المعروف بالكاملي، وأبا عبد الله محمد بن المحل بن علي (١٢) ، وإسماعيل بن قاسم الزيات (١٣) وأبا القاسم هبة الله بن علي الأنصاري (ذ) ، وأبا عبد الله محمد بن حامد الارتاحي، وأبا إسحاق إبراهيم بن منصور الدمياطي (١٤) ، وأبا البقاء عمر بن عبد العزيز (١٥) ، القاري وغيرهم ممن يكثر ذكره. وبدمشق أبا المعالي (ر) عبد الله بن عبد الرحمن ابن صابر (١٦) ، وأبا محمد عبد الرحمن بن المسلم (ز) وغيرهما (س) بدمشق. ولم يزل في الاشتغال بالعلم إلى حين وفاته– رحمه الله– توفي في." (١)

"وأنشدنا عبد الواحد بن إبراهيم بن الحصين لنفسه:

ما هب من أرض العراق نسيم ... إلا دعاني للغرام غريم

فإلام ويل تلوم جهلا بالهوى ... قصر فإفراط [١] الملامة لوم

أني يحل العذل من سمعي وفي ... قلبي لتكرار الكلام كلوم

يا أيها القمر الذي لم يخل من ... هواه من لاح عليه يلوم

إن العذول على هواك أعده ... من حاسدي ولا أقول رحيم

فالأم أحمل ثقل هجرك والهوي ... والهجر حامل ثقله مرحوم

وإلى متى أرعى النجوم تعللا ... حتى كأني للنجوم نديم

ومن العجائب أن قلبي يشتكي ... شوقا إليك وأنت فيه مقيم

توفي أبو منصور بن الحسين [٢] في يوم السبت سلخ جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وستمائة، ودفن من الغد بباب حرب، وكان مولده في سنة إحدى وستين وخمسمائة بالموصل.

٩٨– عبد الواحد بن إبراهيم بن محمد، أبو طالب المعدل العكبري، يعرف بابن أبي سهل:

حدث عن أبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم المقرئ.

٩٩– عبد الواحد بن إبراهيم، أبو القاسم الخلال:

---

(١) تاريخ اربل ابن المستوفي الإربلي ٢٩٤/١

من أهل النهروان. حدث عن أبي عمرو عثمان بن أحمد بن السماك، روى عنه أبو ذر عبد بن أحمد الهروي في معجم شيوخه.

أنبأنا أحمد بن طارق قال: أنبأنا أحمد بن محمد الهاشمي، أنبأنا إسماعيل بن عبد العزيز العكي، أنبأنا هياج بن عبيد الحطيني، أنبأنا أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد الهروي قال: أنبأنا عبد الواحد بن إبراهيم أبو القاسم الخلال- أرجو أن لا يكون به بأس-

---

[١] في الأصل: «فصر فافرط» .

[٢] «بن الحصين»." (١)

"ليعود جوك في المنازل عقله الس ... اوي ومنتجع الفطين الآهل

وعلى الكثيب مجمر من نبهه ... كالبدر من حسن وليس بآفل

حجبوه بالبيض الفواصل ما دروا ... من حسنه وسيوفهم كالفاصل

رشأ كأن لحاظه مطرودة ... قدمت بها عرضا [و] جنبه باسل

فكأن سحر بلاغة في لفظه ... أخذ يعقدها نوافث نابل

عوفيتموا ومن العجائب مغرم ... يدعو غراما بالشفاء لقاتل

سمعت أبا عبد الله الواسطي يقول: سألت أبا منصور بن أبي سالم عن مولده، فقال: ولدت ببغداد في يوم الاثنين ثاني عشري شوال سنة ثلاث وستين وخمسمائة بباب الأزج.

٧٦٨- علي بن الحسن بن عنتر بن ثابت، أبو الحسن النحوي، المعروف بالشميم [١] :

من أهل الحلة السيفية، كان أديبا فاضلا مبرزا في علم اللغة والنحو، وله مصنفات كثيرة في ذلك، وله إنشاد وخطب ومقامات ونظم ونثر كثير جيد، لكنه كان أحمق قليل الدين رقيعا، يستهزئ بالناس ولا يحترم أحدا، ولا يعتقد أن في الدنيا مثله وكان ولا يكون أبدا، قدم بغداد في صباه، وأقام بها مدة يقرأ الأدب على أبي محمد بن الخشاب وغيره حتى برع في ذلك، ثم إنه سافر إلى بلاد الجزيرة والشام، فورد حلب ودمشق وغيرها من البلاد ومدح الملوك، ثم إنه دخل ديار بكر، وكان يتردد ما بينها وبين الموصل وما والاها من بلاد الجزيرة، ويقرأ الناس عليه ويستفيدون منه إلى أن علت سنه وأدركه أجله بالموصل عن تسعين سنة أو ما قاربها، ويحكى عنه حكايات عجيبة في رقاعته وقلة ديانته وفساد عقيدته نعوذ بالله من ذلك.

سمعت القاضي أبا القاسم عمر بن أحمد العقيلي بحلب يقول: سمعت محمد بن يوسف بن الخضر الحنفي يقول: كان الشميم النحوي يبقى أياما لا يأكل إلا التراب، فكل ما يلقيه من الرجيع يابسا قليل الرطوبة ليس بمنتن فيحطه في جيبه، فكل من دخل إليه يخرجه من جيبه ويشمه إياه ويقول: انظروا إلى ما ألقيه وشموا رائحته فإنني قد تجوهرت! فلذلك دعي بالشميم.

---

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ١١٠/١٦

[١] انظر: وفيات الأعيان ٣/٢٦. ومعجم الآباء ١٣/٥٠. والأعلام ٥/٨٣.." (١)

"٧٨٧- علي بن الحسن، أبو طاهر، المعروف بابن الحمامي:

كان أديبا فاضلا شاعرا مليح الشعر، وكان يخدم ملوك بني نوبة ويترسل منهم إلى الأطراف، روى عنه القاضي أبو تمام الواسطي وأبو الحسن بن الصابئ وأبو الحسن بن نصر شيئا من شعره.

أنبأنا أبو بكر الجيلي عن محمد بن ناصر، أنبأنا أبو عبد الله الحميدي بقراءتي عليه، أنشدنا القاضي أبو تمام علي بن محمد بن الحسن الواسطي، أنشدنا أبو طاهر علي بن الحسن بن الحمامي لنفسه:

اصطلح الناس على البخل ... ونافقوا في القول والفعل

لو سئلوا الرد لظنوا به ... إذ سرعة الرد من البذل

قرأت على محمد بن محمد بن الحسن عن محمد بن عبد الباقي أن محمد بن أبي نصر أخبره أنبأنا أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن بن الصابئ، حدثني والدي، حدثني أبو طاهر علي بن الحسن الحمامي لما هرب أبو القاسم المغربي من مصر كتب إلي الحاكم بالله:

وأنت- وحسبي أنت- تعلم أن لي ... لسانا أمام المجد يبني ويهدم

وليس حليما من يباس يمينه ... فيرضى ولكن من يعض فيحلم

أنبأنا عبد الوهاب بن علي الأمين عن محمد بن عبد الباقي الأنصاري قال: كتب إلي أبو غالب محمد بن أحمد بن بشران الواسطي، أنبأنا أبو الحسن، أنشدنا أبو الحسن محمد بن علي بن نصر الكاتب، أنشدنا أبو طاهر علي بن الحسن المعروف بابن الحمامي صديقنا لنفسه [قوله] [١] :

يا غادرا ضمن المودة والوفا ... وأحل من بعد الضمان محلتي

أصببتني حتى عرفت صبابتي ... وسررتني حتى بلوت سريرتي

ثم انطويت على الجفاء ولو أرى ... ما قد رأى لطويت عنك طويتي

ومن العجائب والعجائب جمة ... أني رأيت منيتي من منيتي

[١] ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل، (ب) .." (٢)

"من غادر خبثت مغارس ودة * فإذا محضت له الوفاء تأولا أو حلف دهر كيف مال بوجهه * أمسى كذلك مدبرا أو مقبلا (١) لله علمي بالزمان وأهله * ذنب (٢) الفضيلة عندهم أن تكملا طبعوا على لؤم الطباع فخيرهم * إن قلت قال وان سكت تقولا * وأنشدنا له أيضا * عدمت دهرا ولدت فيه *كم أشرب (٣) المر من بنيه ما تعتريني (٤) الهموم

(١) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ١٨/٢٠٢

(٢) تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية الخطيب البغدادي ١٨/٢١٥

إلا من * صاحب كنت أصطفيه * * فهل صديق يباع حتى * بمهجتي كنت أشتريه يكون في قلبي مثال * يشبه ما صاغ لي بفيه (٥) وكم صديق (٦) رغبت عنه * قد (٧) عشت حتى رغبت فيه * وقال لي الأمير أبو الفضل وعمل والدي رحمه الله طستا من فضة فعمل ابن منير أبياتا كتبت عليه من جملتها * أيا صنو مائدة لأكرم مطعم * مأهولة الأرجاء بالأضياف جمعت أياديه إلي أيادي الا * لاف بعد البذل للآلاف **ومن العجائب** راحتي من راحة * معروفة المعروف بالاتلاف * حدثني أبو محمد عبد الله بن أحمد الحميري الكاتب أن مولد أبي الحسين بن منير سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة بأطرابلس وبلغني أن أبا الحسين (٨) بن منير مات بحلب في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة

---

(١) بالاصل: " مقبلا أو مدبرا " وفوق اللفظتين علامة التبديل والمثبت عن المختصر

(٢) الاصل والوفيات والوافي وفي المختصر: دنت

(٣) بالاصل " المو " وشبطت الكلمة وكتبت بدلها تحت السطر " المر " وفي الوافي " المر "

(٤) عن الوافي وبالاصل: " يعتريني "

(٥) سقط البيت من الوافي

(٦) في الوافي: " عدو "

(٧) في الوافي: " فعشت " بدل " قد عشت "

(٨) بالاصل " أبا الحسن " خطأ وهو صاحب الترجمة وانظر بغية الطلب ٣ / ١١٦٢." [1]

"وأربعمائة ثم دخل (١) إلى خراسان وامتدح بها جماعة من رؤسائها وانتشر شعره هناك وكان مولده فيما بلغني في سنة إحدى وأربعين وأربعمائة أنشدني أبو سعد السمعاني له من قصيدة هوى يستلذ كحك الجرب * وشوق يصيبك منه النصب فذكرت (٢) مربعنا في دمشق * ومصطافنا بحوالي حلب وصحبة قوم إذا استنهضوا * فضرب السيوف لديهم ضرب (٣) أنشدني أبو الحسن علي بن يحيى بن خلوف الغزي أنشدني أبو القاسم الغزي لنفسه (٤) قالوا تركت (٥) الشعر قلت ضرورة * باب الدواعي والبواعث مغلق خلت الديار فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق **ومن العجائب** أنه لا يشترى * ومع الكساد يخان فيه ويسرق (٦) أنشدنا أبو الحجاج يوسف بن عبد العزيز بن علي اللخمي الفقيه الميورقي بدمشق أنشدنا أبو القاسم إبراهيم بن عثمان الغزي يرثي الشيخ الإمام أبا الحسن الطبري (٧) المعروف بالكيا الفقيه ارتجالا (٨) هي الحوادث لا تبقي ولا تذر * ما للبرية من محتومها وزر لو كان ينجي علو من بوائقها * لم تكسف الشمس بل لم يكسف (٩) القمر

---

(١) في وفيات الاعيان ١ / ٥٨ نقلا عن ابن عساكر: رحل

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٤/٦

(٢) في مختصر ابن منظور: تذكرت

(٣) الضرب: العسل

(٤) الابيات في المختصر والوافي والوفيات

(٥) في الوافي والوفيات: هجرت

(٦) عجزه في الوافي والوفيات: ويخان فيه مع الكساد ويسرق (٧) اسمه علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بالكيا الهراسي الفقيه الشافعي ترجمته في وفيات الاعيان

٣ - / ٢٨٦ وبهامشها ثبت بمصادر أخرى ترجمت له

(٨) القصيدة في وفيات الاعيان ٣ / ٢٩٠ في ترجمة الكيا الهراسي نقلا عن ابن عساكر

(٩) في المختصر والوفيات لم يخسف." (١)

"الدرجة الأولى شجرة من صنوبر من ذهب وعن يسارها أسد من ذهب وعلى رؤوس الأسدين عمود من زبرجد ومن جانبي الأسدين شجرتين كلتاهما كرم من ذهب معرشتين فأظلتا الكرسي (١) كله بتعريشهما وورقهما وفوق أعلى درج الكرسي أسدين عظيمين من ذهب مجوفين محشوين مسكا (٢) وعنبرا فإذا أراد سليمان بن داود الملك أن يصعد على كرسيه استدار الأسدان كما يستدير المنجنون (٣) فينضحان ما في أجوافهما من الطيب ومن جانبي الكرسي منبران من ذهب أحدهما مجلس خليفة سليمان والآخر مجلس الأحبار والقضاة وسبعين منبرا من ذهب لسبعين قاضيا من أحبار بني إسرائيل وعلمائهم وكهولهم من كل جانب من الكراسي خمسة وثلاثون منبرا فإذا أراد الملك أن يصعد إلى كرسيه وضع قدميه على الدرجة الأولى من الكرسي استدار الكرسي كما يستدير المنجنون (٣) فيبسط الأسد يده اليمنى والنسر جناحه الأيسر فيتكئ سليمان عليهما إلى الدرجة التي تليها وكذلك يصنع الأسد والنسر (٤) من كل درجة إلى درجة حتى يستوي إلى أعلى الكرسي فإذا استوى سليمان على كرسيه جالسا أخذ التنين العظيم تاج الملك فوضعه على رأس سليمان وكان الذي يستدير بالكرسي وما فيه **من العجائب** تنين عظيم حتى تمر الأسود (٥) والنسور والطواويس التي على الدرجة السفلى إلى أعلى الكرسي فيظلون من فوق رأس سليمان وهو جالس على الكرسي فينصحون ما في أجوافها من الطيب على رأس سليمان وكانت حمامة على عمود جوهر تأخذ التوراة حتى تجعلها في يد سليمان فيقرأها على الناس فإذا جلس سليمان على كرسيه للقضاء وجلس قضاة بني إسرائيل على كراسيها عن يمينه وشماله حافتي الكرسي فدخلت الشهود للشهادات استدار (٦) منجنون الكرسي (٧) فتزأر الأسد وتخفق النسور بأجنحتها ويرجع الطواويس ليرعب قلوب الشهود أن لا يشهدوا بالزور ويقول الشهود عندما يرون **من العجائب** وما دخلهم من الرعب لا نشهد إلا

---

(١) مابين معكوفتين زيادة لازمة عن م وانظر المختصر

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٥٢/٧

(٢) بالاصل وم: مسك وعنبر

(٣) بالاصل وم: المجنون خطا والصواب ما اثبت والمنجنون: الدولاب يستقي عليه (القاموس)

(٤) في المختصر: الاسد والنسور

(٥) بالاصل وم: حتى يمر بالاسود والمثبت عن المختصر

(٦) بالاصل: استدان

(٧) بالاصل: ميجنون." (١)

"بالحق فإنا إن تشهد بالزور تهلك العالم فلم يكن مثل كرسي سليمان في الأولين ولا يكون مثله في الأخرين فلما قبض الله سليمان وجاء بخت نصر فأخذ ذلك الكرسي فحمله معه إلى أنطاكية فأراد أن يضعه فيه ليقعد عليه ولم يكن له علم كيف يصعد فيه فلما وضع قدمه على الدرجة الأولى ولم يصب موضعها رفع الأسد يده اليمنى فكسر ساق بخت نصر الأيسر فعرج فلم يزل بخت نصر يعرج منها حتى مات ثم بعث الله ملكا من ملوك فارس يقال له كارس بن سورس ويقال العرريا بن يساريا فحمل (١) الكرسي من بابل حتى رده إلى بيت المقدس فوضعوه تحت الصخرة فلم يقعد أحد على كرسي سليمان من بعده ولم يقدر عليه منذ وضع تحت الصخرة فذلك ما نذكر من حديث كرسي سليمان بن داود وما فيه **من العجائب** قال ونا إسحاق بن بشر قال وكان سليمان إذا ركب يسمع حفيف قبته من اثني عشر ميلا فلا يبقى غلام ولا جارية ولارجل ولا امرأة إلا وهم متشوفون ينظرون إلى مركب سليمان ويتعجبون فبينا سليمان في ميسره بهذه الحال وقد أشرفوا عليه من كل جانب إذ مر على رجل من بني إسرائيل يعمل بالمسحاة في حرث له يقال له مرعبدا فقال مرعبدا ولم يرفع طرفه إليه لقد أوتي إلى داود ملكا عظيما ثم أقبل على مسحاته فلم يلتفت إليه ولم ينظر إليه والناس متشوفون من كل جانب فلما رأى سليمان ذلك رفع رأسه فنظر إلى الطير فوقفن فإذا وقفن الطير تركت الشياطين الأركان وتجئ الريح فتحمل البيت بقدرة الله فلما نظر سليمان إلى العابد وهو مرعبدا قطع به فقال والله ما هذا إلا رجل في قلبه إيمان ومعرفة ليس في قلب أحد أخبرنا أبو المظفر بن القشيري أنا أبو سعد محمد بن عبد الرحمن أنا أبو عمرو بن حمدان وأخبرنا أبو منصور الحسن بن طلحة الصالحاني وأم البهاء فاطمة بنت محمد قالا أنا إبراهيم بن منصور أنا أبو بكر بن المقرئ قالا أنا أبو يعلى نا أحمد بن عمران الأخنسي نا محمد بن فضيل نا الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في

---

(١) بالاصل: " فجعل " والصواب عن م." (٢)

"حدثنا أبو بكر الخطيب انبأنا أبو الحسن محمد بن احمد بن محمد انبأنا أبو بكر احمد بن سندي بن الحسن حدثنا الحسن بن علي القطان حدثنا اسماعيل بن عيسى انبأنا أبو حذيفة اسحاق بن بشر انبأنا ادريس عن جده وهب قال ان عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة امره الله ان يرجع من مصر الى بيت ايلياء قال فقدم عليه يوسف ابن خال امه فحملهما

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٦٨/٢٢

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٢٦٩/٢٢

على حمار حتى جاء بهما الى ايلياء واقام بها حتى احدث الله له الانجيل وعلم التوراة واعطاه احياء الموتى وابراء الاسقام والعلم بالغيوب مما يدخرون في بيوتهم وتحدث الناس بقدومه وفزعوا لما كان يأتي **من العجائب** وجعلوا يعجبون منه فدعاهم الى الله ففشا فيهم امره اخبرنا أبو غالب بن البنا انبأنا أبو محمد الجوهري انبأنا أبو بكر محمد بن اسحاق بن ابراهيم بن يزيد الضرير قراءة عليه وانا حاضر اسمع حدثنا محمد هو ابن صالح بن ابي عصمة الدمشقي حدثنا أبو علي محمود بن خالد سنة ست واربعين ومائتين حدثني عمير بن هانئ حدثني جنادة بن ابي امية حدثني عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول من شهدان لا اله الا الله وحده وان محمدا عبد ه ورسوله وان عيسى عبد الله وكلمته القاهر الى مريم وروح منه وان الجنة حق وان النار حق ادخله الله الجنة على ما كان من عمل اخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي انبأنا أبو طاهر بن ابي الصقر انبأنا أبو القاسم الصواف انبأنا أبو بكر المهندس حدثنا أبو بشر الدولابي انبأنا احمد بن منصور الرمادي حدثنا الحسن بن موسى الاشيب حدثنا محمد بن سليم أبو هلال الراسبي عن قتادة قال قال عيسى بن مريم سلوني فان قلبي لين واني صغير في نفسي اخبرنا أبو الحسن علي بن احمد انبأنا محمد بن احمد بن محمد بن

١ - زيادة لازمة

٢ - من طريقه رواه ابن كثير في البداية والنهاية ٢ / ٩٢ وقصص الانبياء ٢ / ٤٠١

٣ - صحيح مسلم ١ كتاب الايمان ١٠ باب ١ / ٥٧ والبخاري رقم ١٦٠٤ ورواه ابن كثير في البداية والنهاية ٢ / ٨٤ وقصص الانبياء ٢ / ٣٨٤ وأعاده ٢ / ٤٤٥." (١)

"من السماء خبز ولحم وامروا ان لا يخبئوا ولا يدخروا ولا يرفعوا لغد فخانوا وادخروا وخبأوا فمسخوا قردة وخنازير تفرد برفعه الحسن بن قزعة واخرجه أبو عيسى الترمذي في جامعه ورواه غيره موقوفا اخبرنا أبو بكر الجنابذي في كتابه وحدثني أبو المحاسن الطبسي عنه انبأنا احمد بن الحسن القاضي حدثنا محمد بن يعقوب بن يوسف حدثنا ابراهيم بن مرزوق حدثنا عمرو بن ابي رزين عن سعيد عن قتادة عن خلاس ان عمارا قال في المائدة ثمر من اثمار الجنة فاخذ عليهم فيها الا تخونوا ولا تخبئوا ولا تدخروا لغد قال فخانوا فيها وادخروا لغد فبلغنا لنهم خرجوا خنازير اخبرنا أبو الحسن بركات بن عبد العزيز وابو محمد بن حمزة قالا حدثنا أبو بكر الخطيب اخبرني محمد بن احمد بن محمد انبأنا احمد بن سندي بن الحسن حدثنا أبو محمد الحسن بن علي القطان حدثنا اسماعيل بن عيسى انبأنا اسحاق بن بشر انبأنا محمد بن الفضل عن ابان بن ابي عياش عن ابي عثمان النهدي عن سلمان انه قال في المائدة التي انزلها الله على عيسى قال لما سأل الحواريون عيسى وذلك انهم حين سألوه نريد ان نأكل منها وتطئن قلوبنا للذي رأينا **من العجائب** ونكون عليها من الشاهدين قال فقام عيسى فالقى عنه الصوف ولبس جبة من شعر ولحافا من شعر ثم وضع يمينه على شماله وصف قدميه والصق كعب قدمه مع الاخر وسوى بين ابهاميه وطأطأ رأسه خاشعا لله وارسل عينيه بالبكاء حتى سالت الدموع على لحيته وصدره وهو يدعو

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٣٧٨/٤٧

الله ويتضرع ثم قال " اللهم ربنا انزل مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا

---

١ – البداية والنهاية ٢ / ١٠٣ وقصص الانبياء لابن كثير ٢ / ٤٢٢ وتفسير ابن كثير ٢ / ١٢٠ (ط دار الفكر) وتفسير الطبري ٢ / ١٣٠

٢ – سنن الترمذي (٤٨) كتاب تفسير القرآن ٦ باب رقم ٣٠٦١ مرفوعا وقال لا نعرفه مرفوعا من حديث الحسن بن قزعة

٣ – هذه النسبة إلى جنابذ قرية بنواحي نيسابور

٤ – البداية والنهاية ٢ / ١٠٣ وقصص الانبياء لابن كثير ٢ / ٤٢٢ وتفسير ابن كثير ٢ / ٦٨١ (تفسير المائدة: الآية ١١٢

وقال الترمذي وقد رواه موقوفا

هذا أصح ولا نعلم للحديث المرفوع اصلا." [١]

"وآخرنا يعني تكون لنا عظة " وآية منك " يقول علامة بيننا وبينك " وارزقنا " عليها طعاما نأكله وارزقنا " وانت خير الرازقين " فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها واخرى من تحتها تهوي منقضة في الهواء والناس ينظرون إليها فأوحى الله تعالى يا عيسى هذه المائدة فمن كفر بعد ذلك " منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين " فبلغ عيسى قومه فقالوا نعم فقال الله يا عيسى ان كفروا اخذتهم بالشرط ونزلت المائدة وعيسى يبكي ويقول الهي اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا كم اسألك **من العجائب** فتعطيني الهي اعوذ بك ان يكون نزولها عذابا وغضبا ورجزا واسألك ان تجعلها عافية وسلامة ولا تجعلها مثلة ولا فتنة فما زال يدعو ويتضرع حتى استقرت بين يدي عيسى والناس حوله يجدون ريح طيبها لم يجدوا ريحا قط اطيب منها فخر عيسى ساجدا وسجد الحواريون معه

وبلغ ذلك اليهود فاقبلوا مغمومين مكروبين فنظروا الى امر معجب فإذا سفرة مغطاة بمنديل فرفع عيسى رأسه واستوى قاعدا فقال لينظر من كان خيرنا واوثقنا بنفسه واحسننا عملا عند ربه فليكشف عن هذه الآية حتى ننظر إليها ونأكل منها ونحمد الله عليها فقال الحواريون انت اولانا واحقنا يا روح الله فقام عيسى فتوضأ وضوءا حسنا وصلى صلاة حسنة ودعا دعاء كثيرا وبكى بكاء طويلا ثم جلس عند السفرة ثم قال بسم الله خير الرازقين وكشف المنديل فإذا سمكة مشوية وليس عليها فلوس ولا فيها شوك يسيل السمن منها سيلانا وقد نضد حولها من الوان البقول الا الكراث وخل عند رأسها وملح عند ذنبها وخمسة ارغفة على كل رغيف زيتون وخمس رمانات وتميرات قال فقال شمعون وهو رأس الحواريون يا روح الله وكلمته امن طعام الدنيا ام من طعام الجنة فقال عيسى ما اخوفني عليكم ان تعاقبوا قال فقال لا واله بني اسرائيل ما

---

١ – سورة المائدة الايد: ١١٤

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٧/٤٠٠

٢ – سورة المائدة الاية: ١١٥

٣ – في تفسير ابن كثير ٢ / ٣٨٣ بالشرط التي أخذها الله عليهم

٤ – في تفسير ابن كثير وأحسننا بلاء

٥ – تفسير ابن كثير: فصلى كذلك ركعات

٦ – تفسير ابن كثير فإذا هو عليها بسمكة ضخمة مشوية

٧ – القاموس القشور التي على ظهر السمكة وفي تفسير ابن كثير: بواسير

٨ – كذا بالاصل وفي المختصر: طعام الآخرة

٩ – في تفسير ابن كثير: أن تعاقبوا في سبب نزول هذه الاية." (١)

"سالت الدموع على لحيته وجعلت تقطر على صدره وقال اللهم " انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا " تكون عطية منك لنا علامة منك بيننا وبينك " وارزقنا " عليها طعاما نأكله " وأنت خير الرازقين " قال فنزلت سفرة حمراء بين عمامتين غمامة فوقها وغمامة تحتها وهم ينظرون إليها تهوي منقضة في الهواء وعيسى يبكي ويقول اجعلنا لك من الشاكرين الهي اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا الهي كم اسألك **من العجائب** فتعطيني اللهم اعوذ بك ان تكون انزلتها غضبا ورجزا اللهم اجعلها عافية وسلامة ولا تجعلها مثلة ولا فتنة حتى استقرت بين يدي عيسى والناس حوله يجدون ريحا طيبة لم يجدوا مثلها وخر عيسى ساجدا لله وخر الحواريون معه فبلغ اليهود ذلك فأقبلوا عتوا وكفرا ينظرون فرأوا امرا عجيبا وإذا منديل مغطى على السفرة وجاء عيسى فجلس يقول اجرؤنا واوثقنا بنفسه واحسننا عملا عند ربه فليكشف عن هذه الاية حتى ننظر ونأكل ونسمي باسم ربنا ونحمد الهنا قال الحواريون انت اولى بذلك يا روح الله وكلمته قال فتوضأ عيسى وضوءا حديثا وصلى صلاة جديدة ودعا ربه دعاء كثيرا وبكى بكاء طويلا ثم قام حتى جلس عند السفرة إذا سمكة مشوية ليس عليها فلوس وليس لها شوك تسيل سيلا وقد نصب حولها من البقول وإذا عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وخمسة ارغفة على كل منها زيتون وخمس رمانات وخمس تمرات قال شمعون رأس الحواريين يا روح الله امن طعام الدنيا أو من طعام الجنة فقال عيسى اوما استيقنتم ما اخوفني ان تعاقبوا قال لاواله بني اسرائيل ما اردت بما سألت سوءا يا ابن الصديقة قال نزلت وما عليها من السماء ليس شئ مما ترون عليها من طعام الدنيا ولا من طعام الاخرة وهي وما عليها شئ ابتدعه الله تعالى بالقدرة العالية انما قال كن فكان فكلوا مما سألتم واحمدوا عليه ربكم يمدكم ويزدكم فانه القادر البديع لما يشاء إذا شاء يقول له كن فيكون قالو ايا روح الله وكلمته ان اريتنا اليوم أية من هذه السمكة فقال عيسى يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت السمكة طرية تدور عيناها فها بصيص تلمظ بفيها كما يتلمظ السبع وعاد عليها فلوسها ففزع القوم فقال عيسى ما لكم تسألون

---

١ – الاصل: سال

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٠١/٤٧

٢ – سورة المائدة الاية: ١١٤

٣ – زيد في تفسير ابن كثير ٢ / ٦٨٤: فقال عيسى: سبحان الله أما اكتفيتم بما رأيتم من هذه الاية حتى فيها آية أخرى." (١)

"أخبرني أبو النضر بن محمد بن محمد بن يوسف الفقيه قال وسئل صالح بن محمد جزرة عن حديث يحيى بنأكثم فقال أكره والله الحديث عنه وذكر كلمة (١) أخبرنا أبو منصور أنا وأبو الحسن نا الخطيب حدثني أحمد بن محمد العزال أنا محمد بن جعفر الشروطي أنا أبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي الحافظ (٢) قال يحيى بن أكثم قاضي القضاة يتكلمون فيه روى عن الثقات عجائب لا يتابع عليها أخبرنا أبو العز بن كادش إذنا ومناولة وقرأ علي إسناده أنا أبو علي بن الحسين الجازري أنا المعافى بن زكريا الجريري (٣) حدثني جعفر بن أحمد بن جعفر النهرواني حدثني أبي عن من حدثه قال ولى يحيى بن أكثم إسماعيل (٤) بن سماعة القضاء بغربي بغداد فولى سوار بن عبد الله شرقيها وكانا أعورين فكتب محمد بن راشد (٥) الكاتب * رأيت من العجائب قاضيين * هما أحدوثة في الخافقين هما فال الزمان بهلك (٦) يحيى * إذا فتح (٧) القضاء بأعورين فلو جمع العمى يوما بأفق * لكانا للزمانة خلتين (٨) وتحسب منهما من هز رأسا * لينظر في مواريث ودين (٩) كأنك قد جعلت عليه دنا * فتحت بزاله من فرد عين * (١٠) وكان يحيى بن أكثم أعور

---

(١) تهذيب الكمال ٢٠ / ٢١

(٢) من طريقه المزي في تهذيب الكمال ٢٠ / ٢١ وسير الاعلام ١٢ / ٩

(٣) الخبر والشعر في الجليس الصالح الكافي ٢ / ٣٢٨ – ٣٢٩

(٤) كذا ورد بالاصل وم والجليس الصالح والصواب أنه: محمد بن سماعة بن عبد الله بن هلال التميمي القاضي راجع ترجمته في تاريخ بغداد ٥ / ٣٤١ وتهذيب التهذيب ٩ / ٢٠٤

(٥) بياض بالاصل وم والمستدرك عن الجليس الصالح

(٦) سقطت من الاصل وم واستدرك عن الجليس الصالح

(٩) سقط عجزه من الاصل وم واستدرك عن الجليس الصالح

(١٠) ما بين معكوفتين سقط من الاصل وم واستدرك لاقامة الوزن عن الجليس الصالح." (٢)

"هذا الأمر «١» ، وبايعنا نبينا صلى الله عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا تأتينا «٢» أخبار السماء، ويخبرنا بالكتب، ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب [والحجج] «٣» فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا منزلة. قال جرجة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألفني؟ فقال: بالله لقد صدقتك ومالي إليك، ولا إلى أحد منكم وحشة، وإن الله لولي ما سألت عنه. فقال:

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٤٠٥/٤٧

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٨٠/٦٤

صدقتني، وقلب الترس ومال مع خالد وقال: علمني الإسلام، فمال به خالد إلى فسطاطه فشن «٤» عليه قربة [من ماء] «٥» ثم صلى به ركعتين.

وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد، وهم يرون أنها حملة، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية، عليهم عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام، وركب خالد ومعه جرجة، والروم خلال المسلمين فتنادى الناس وثابوا، وتراجعت الروم إلى مواقفهم، فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسيوف، فضرب فيهم خالد وجرجة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب، ثم أصيب جرجة ولم يصل صلاة سجد فيها إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما.

[٩٧٧٨] جرول بن أوس بن جؤية ويقال: جرول بن مالك ابن جؤية بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس ابن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر أبو مليكة العبسي، المعروف بالحطيئة والحطيئة يهمز ولا يهمز، فمن همزه جعله تصغير الحطأة وهي الضربة باليد «٦» ، ومن

[٩٧٧٨] ترجمته وأخباره في الأغاني ٢/ ١٥٧ والشعر والشعراء ١/ ٣٢٢ وفوات الوفيات ١/ ٢٧٦ وخزانة الأدب ٢/ ٤٠٦ و ٣/ ٢٨٧ والوافي بالوفيات ١١/ ٦٩ وطبقات الشعراء للجمحي (الفهارس) وديوانه (ط. بيروت صادر) .

وفي البداية والنهاية: جرول بن أوس بن مالك بن جؤية.." (١)

"وفي أم حكيم بنت أسيد.

وفي أسيد بن شعبة.

ومن العجائب ما ذكره ابن القطاع في كتاب الأبنية، وابن رشيق في كتاب الشذوذ:

أنه ليس في العرب أسيد بضم الهمزة، وإسكان الياء، سوى أسيد بن أسماء بن أسيد السلمي.

زاد ابن رشيق: أن علي بن أبي طالب قطع يده في سرقة.

وبتثقيل الياء: أسيد بن عمرو بن تميم جد القبيلة.

وأسيد بن أوس التميمي، ذكره أبو حاتم السجستاني في المعمرين.

وأسيد بن عبد عوف بن عامر الحنظلي، جد بني حبناء.

وأسيد بن عمرو بن قشير، ذكره الحاكم في تاريخه.

قلت: وأما قول الشاعر:

أتاني أبيت اللعن أن أسيدا ... على الغيب يعتاد الصفا ويمزق

فهكذا أنشده الأصمعي، وأنشده أبو عبيد القاسم سلام:

أتاني أبيت اللعن أن ابن أسبذ ... ...

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٦٢/٧٢

بفتح الهمزة وإسكان السين وفتح الموحدة بعده ذال معجمة؛ فإن كان محفوظا فهو فرد.

وقد ذكر الذهبي من كل من أسيد وأسيد جماعة، وأحال على عادته، ولم يذكر من الثالث سوى جد القبيلة، فأوهم أنه فرد، وليس كذلك.

وقد تتبعت من كان بالضم مخففا ومثقلا بحمد الله تعالى. انتهى.." (١)

"قلت كذا رأيت بخط الحسيني وقوله بهم **من العجائب** فإن بن عجلان هو محمد أشهر من أن لا يكون له به علم لا بعينه ولا بحاله وكذلك أبو غطفان هو المري وحديثه مخرج في صحيح مسلم وله ترجمة مستوعبة في التهذيب وقد ترجم هو لهما في كتابه واما عباد فقد تبعه أبو زرعة بن شيخنا فيه فقال في ترجمته لا يعرف وعبارة الحسيني أسلم من هذه والرجل معروف ولكنه نسب إلى جده وهو عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع فعباد لقب له واسمه عبد الله وقد ترجم له في التهذيب فقال روى عن أبيه وجده وأبي غطفان روى عنه سعيد بن أبي هلال ومحمد بن عجلان وغيرهما وقد أخرج مسلم والنسائي من طريق سعيد بن أبي هلال عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبي غطفان عن أبي رافع حديث ترك الوضوء مما مست النار وهو عند أحمد من طريق محمد بن عجلان عن عباد بن أبي رافع عن أبي غطفان عن أبي رافع بعينه فوضح ما قلته ولله الحمد." (٢)

"﴿وكأين من آية﴾ أي كأي عدد شئت من الآيات والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وحكمته غير هذه الآية التي جئت بها

﴿في السماوات والارض﴾ أي كائنة فيهما من الأجارم الفلكية وما فيها من النجوم وتغير أحوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما فى الأرض **من العجائب** الفائتة للحصر

﴿يمرون عليها﴾ أي يشاهدونها ولا يعبئون بها وقرىء برفع الأرض على الابتداء ويمرون خبره وقرىء بنصبها على معنى ويطئون الأرض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها والمراد ما يرون فيها من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من الآيات والعبر

﴿وهم عنها معرضون﴾ غير ناظرين إليها ولا متفكرين فيها." (٣)

"(ولو فتحنا عليهم) أي على هؤلاء المقترحين المعاندين (بابا من السماء) أي بابا ما لا بابا أبوابها المعهودة كما قيل ويسرنا لهم الرقي والصعود إليه (فظلوا فيه) في ذلك الباب (يعرجون) بآلة أو بغيرها ويرون ما فيها **من العجائب** عيانا كما يفيده الظلول أو فظل الملائكة الذين اقترحوا إتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونه عيانا مستوضحين طول نهارهم." (٤)

---

(١) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ابن حجر العسقلاني ١٨/١

(٢) تعجيل المنفعة ابن حجر العسقلاني ٧١٠/١

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٣٠٩/٤

(٤) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٧٠/٥

"﴿وشاهد ومشهود﴾ أي ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما يحضر فيه **من العجائب** وتنكرهما للإبهام في الوصف أي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما أو للمبالغة في الكثرة وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة وقيل عيسى عليه السلام وأمته لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا الخ وقيل أمة محمد وسائر الأمم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الأسود والحجيج وقيل الأيام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم إلا وينادي إني يوم جديد وإني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني إلى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الأنبياء ومحمد عليهم الصلاة والسلام." (١)

"الرابعة: طلبهما أن يرزقهما الله الإسلام وهما هما، والغفلة عن هذه الكلمة **من العجائب**.

الخامسة: إشراكهما في الدعوة بعض الذرية، ففيها رغوب المؤمن وحرصه على صلاح ذريته.

السادسة: طلبهما ان يعلمهما المناسك، ففيهما حرصهما على العمل بالنص مع عصمتهما.

السابعة: طلبهما أن يتوب عليهما وهما هما؛ ففيهما خوفهما من الذنوب.

الثامنة: التوسل بالصفات.

التاسعة: التعليل بكونه (التواب الرحيم) ولولا ذلك لاستحقا العقوبة.

العاشرة: الرد على المشركين وأهل الكتاب.

الحادية عشرة: أن دعوتهما بهذه النعمة التي هي أعظم النعم للذرية جعلها الذريه من أعظم المصائب.

وأما الآية السادسة ١ ففيها مسائل:

الأولى: دعوتهما للذرية ببعثة الرسول، فكانت عندهم أعظم البلاء مع دعواهم أنهم على ملتهما.

---

١ قوله تعالى: (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) سورة البقرة آية: ١٢٩.." (٢)

"الثالثة: أن أهل الكتاب لم يتفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم.

الرابعة: أنهم لم يؤمروا إلا بما تعرفه العقول، وبما ينبغي للعاقل أن يلتزمه، ولا ينبغي به بدلا لحسنه وسهولته.

الخامسة: أن الذي استدلوا به من أشق الأشياء وأكثرها عذابا؛ وينبغي للعاقل البعد عنه لقبحه وصعوبته.

السادسة: أن مع سهولة الذي تركوا وحسنه، وقبح الذي انتقلوا إليه ومشقته، أشربوه في قلوبهم، فلم ينتقلوا عنه إلا بعد كذا وكذا.

السابعة: أنه سبحانه توعد بالنار الذين كفروا من أهل الكتاب ومن العامة، وقدم أهل الكتاب في الذكر.

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٣٥/٩

(٢) تفسير آيات من القرآن الكريم (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس) محمد بن عبد الوهاب ص/٣٣

الثامنة: أن العامة أشربوا حب دينهم وصبروا على المشقة فيه، مع أنهم لا يعرفون جنة ولا نارا؛ وهذا **من العجائب**.

التاسعة: التنبيه على كبر النعمة بإنزال الكتاب، بذكر ١ الليلة التي أنزل فيها.

العاشرة: أن له سبحانه خصائص من الأزمنة، كما له من الأمكنة.

---

١ قوله تعالى: (إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر) سورة القدر.

وينبغي أن نلاحظ أن المؤلف رحمه الله بعد أن يستنبط بعض المسائل من بعض السور فإنه قد يعود بعد ذلك مرة أخرى إلى استنباط فوائد أخرى منها في موضع آخر.." (١)

"كالزكاة، وما يتعلق بالقلوب كالإخلاص والخوف والرجاء وغير ذلك.

وأما الوعد: فمنه وعد بخير الدنيا من النصر والظهور وغير ذلك، ومنه وعد بخير الآخرة وهو الأكثر كأوصاف الجنة ونعيمها. وأما الوعيد: فمنه تخويف بالعقاب في الدنيا، ومنه تخويف بالعقاب في الآخرة وهو الأكثر: كأوصاف جهنم وعذابها. وأوصاف القيامة وأهوالها، وتأمل القرآن تجد الوعد مقرونا بالوعيد، قد ذكر أحدهما على إثر ذكر الآخر، ليجمع بين الترغيب والترهيب، وليتبين أحدهما بالآخر، كما قيل:

فبضدها تتبين الأشياء وأما القصص: فهو ذكر أخبار الأنبياء المتقدمين وغيرهم كقصة أصحاب الكهف، وذي القرنين.

فإن قيل: ما الحكمة في تكرار قصص الأنبياء في القرآن؟ فالجواب من ثلاثة أوجه الأول: أنه ربما ذكر في سورة من أخبار الأنبياء ما لم يذكره في سورة أخرى، ففي كل واحدة منهما فائدة زائدة على الأخرى: الثاني: أنه ذكرت أخبار الأنبياء في مواضع على طريق الإطناب. وفي مواضع على طريق الإيجاز، لتظهر فصاحة القرآن في الطريقتين.

الثالث: أن أخبار الأنبياء قصد بذكرها مقاصد فتعدد ذكرها بتعدد تلك المقاصد، فمن المقاصد بها إثبات نبوة الأنبياء المتقدمين بذكر ما جرى على أيديهم من المعجزات، وذكر إهلاك من كذبهم بأنواع من المهالك. ومنها إثبات النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلم من أحد. وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا [هود: ٤٩] ومنها إثبات الوحدانية. ألا ترى أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال: فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء [هود: ١٠١] ومنها الاعتبار في قدرة الله وشدة عقابه لمن كفر. ومنها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه له بالتأسي بمن تقدم من الأنبياء: كقوله: ولقد كذبت رسل من قبلك [الأنعام: ٣٤] ومنها تسليته عليه السلام ووعده بالنصر كما نصر الأنبياء الذين من قبله. ومنها تخويف الكفار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفار الذين من قبلهم، إلى غير ذلك مما احتوت عليه أخبار الأنبياء **من العجائب** والمواعظ واحتجاج الأنبياء. وردهم على الكفار وغير ذلك. فلما كانت أخبار الأنبياء تفيد فوائد كثيرة: ذكرت في مواضع كثيرة. ولكل مقام مقال.

---

(١) تفسير آيات من القرآن الكريم (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس) محمد بن عبد الوهاب ص/٣٧٦

الباب الرابع: في فنون العلم التي تتعلق بالقرآن.

اعلم أن الكلام على القرآن يستدعي الكلام في اثني عشر فنا من العلوم، وهي:

التفسير، والقراءات، والأحكام، والنسخ، والحديث، والقصص، والتصوف، وأصول الدين، وأصول الفقه، واللغة، والنحو، والبيان.

فأما التفسير فهو المقصود بنفسه وسائر هذه الفنون أدوات تعين عليه أو تتعلق به أو تتفرع منه، ومعنى التفسير: شرح القرآن وبيان معناه، والإفصاح بما يقتضيه بنصه أو إشارته أو فحواه.." (١)

"يأمركم) قال الزمخشري: إنما أخر لتعدد توبيخهم لقصتين وهما: ترك المسارعة إلى الأمر، وقتل النفس ولو قدم لكان قصة واحدة بتوبيخ واحد فادارأتم أي اختلفتم وهو من المدارأة أي المدافعة ما كنتم تكتمون من أمر القتيل ومن قتله اضربوه القتيل أو قريبه ببعضها

مطلقا، وقيل: الفخذ وقيل: اللسان، وقيل: الذنب كذلك

إشارة إلى حياة القتيل، واستدلال بها على الإحياء للبعث، وقبله محذوف لا بد منه تقديره: ففعلوا ذلك فقام القتيل.

فائدة: استدل المالكية بهذه القصة على قبول قول المقتول: فلان قتلني، وهو ضعيف، لأن هذا المقتول قام بعد موته ومعاينة الآخرة، وقصته معجزة للنبي صلى الله عليه واله وسلم، فلا يتأتى أن يكذب المقتول، بخلاف غيره، واستدلوا أيضا بها على أن: القاتل لا يرث، ولا دليل فيها على ذلك «١» قست قلوبكم: خطابا لبني إسرائيل من بعد ذلك أي بعد إحياء القتيل وما جرى في القصة **من العجائب**، وذلك بيان لقبح قسوة قلوبهم بعد ما رأوا تلك الآيات أو أشد عطف على موضع الكاف أو خبر ابتداء، أي: هي أشد، وأو هنا إما للإبهام أو للتخيير: كأن علم حالها مخير بين أن يشبهها بالحجارة، أو بما هو أشد قسوة كالحديد، أو التفضيل أي: فهم أقسى مع أن فعل القسوة ينبني منه أفعل، لكون أشد أدل على فرط القسوة وإن من الحجارة الآية تفضيل الحجارة على قلوبهم يهبط أي يتردى من علو إلى أسفل، والخشية عبارة عن انقيادها، وقيل: حقيقة وأن كل حجر يهبط فمن خشية الله أفتطمعون خطاب المؤمنين أن يؤمنوا يعني: اليهود، وتعدى باللام لما تضمن معنى الانقياد فريق منهم السبعون الذي يسمع كلام الله على الطور ثم حرفوه، وقيل: بنو إسرائيل حرفوا التوراة من بعد ما عقلوه وهم يعلمون بيان لقبح حالهم قالوا آمنا قالها رجل ادعى الإسلام من اليهود، وقيل: قالوها ليدخلوا إلى المؤمنين ويسمعوا إلى أخبارهم أتحدثونهم توبيخ بما فتح الله عليكم فيه ثلاثة أوجه بما حكم عليهم من العقوبات، وبما في كتبهم من ذكر محمد صلى الله عليه واله وسلم، وبما فتح الله عليهم من الفتح والإنعام، وكل وجه حجة عليهم، ولذلك قالوا: ليحاجوكم به عند ربكم قيل: في الآخرة وقيل: أي في حكم ربكم

---

(١) . القاتل لا يرث بنص حديث نبوي: ليس لقاتل شيء. رواه أحمد عن عمر بن الخطاب.." (٢)

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١/١٥

(٢) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١/٨٧

"أضيافه لعمرك قسم والعمر الحياة، ففي ذلك كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم، أن الله أقسم بحياته، أو قيل: هو من قول الملائكة للوط، وارتفاعه بالابتداء وخبره محذوف تقديره: لعمرك قسمي واللام للتوطئة إنهم لفي سكرتهم يعمهون الضمير لقوم لوط، وسكرتهم:

ضلالهم وجهلهم، ويعمهون: أي يتحيرون فأخذتهم الصيحة أي صيحة جبريل وهي أخذه لهم مشرقين أي داخلين في الشروق وهو وقت بزوغ الشمس، وقد تقدم تفسير ما بعد هذا من قصتهم في [هود: ٧٦] للمتوسمين أي للمتفرسين، ومنه فراسة المؤمن، وقيل: للمعتبرين، وحقيقة التوسم النظر إلى السيمة وإنها لبسبيل مقيم أي بطريق ثابت يراه الناس والضمير للمدينة المهلكة وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين أصحاب الأيكة قوم شعيب والأيكة الغيضة من الشجر لما كفروا أضرمها الله عليهم نارا وإنهما لبإمام مبين الضمير في إنهما قيل: إنه لمدينة قوم لوط وقوم شعيب، فالإمام على هذا: الطريق أي إنهما بطريق واضح يراه الناس، وقيل: الضمير للوط وشعيب، أي إنهما على طريق من الشرع واضح والأول أظهر أصحاب الحجر هم ثمود قوم صالح، الحجر واديهم هو بين المدينة والشام المرسلين ذكره بالجمع وإنما كذبوا واحدا منهم، وفي ذلك تأويلان أحدهما أن من كذب واحدا من الأنبياء لزمه تكذيب الجميع لأنهم جاءوا بأمر متفق من التوحيد، والثاني: أنه أراد الجنس كقولك: فلان يركب الخيل، وإن لم يركب إلا فرسا واحدا وآتيناهم آياتنا يعني الناقة، وما كان فيها **من العجائب** وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا النحت: النقر بالمعاويل وشبهها من الحجر والعود وشبه ذلك وكانوا ينقرون بيوتهم في الجبال آمنين يعني آمنين من تهدم بيوتهم لوثاقتها، وقيل: آمنين من عذاب الله إلا بالحق يعني أنها لم تخلق عبثا.

فاصفح الصفح الجميل قيل: إن الصفح الجميل هو الذي ليس معه عقاب ولا عتاب، وفي الآية مهادنة للكفار منسوخة بالسيف ولقد آتيناك سبعا من المثاني يعني: أم القرآن لأنها سبع آيات، وقيل: يعني السور السبع الطوال، وهي البقرة وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع براءة، والأول أرجح لوروده في." (١)

"حوله

صفة للمسجد الأقصى، والبركة حوله بوجهين: أحدهما ما كان فيه وفي نواحيه من الأنبياء، والآخر: كثرة ما فيه من الزروع والأشجار التي خص الله بها الشام لنريه من آياتنا أي لنري محمدا صلى الله عليه وسلم تلك الليلة **من العجائب**، فإنه رأى السموات والجنة والنار وسدرة المنتهى والملائكة والأنبياء، وكلمه الله تعالى حسبما ورد في أحاديث الإسراء، وهي في مصنفات الحديث فأغنى ذلك عن ذكرها هنا وجعلناه هدى يحتمل أن يعود الضمير على الكتاب أو على موسى ألا تتخذوا من دوني وكيلا «١» أي ربا تكلون إليه أمركم، وأن يحتمل أن تكون مصدرية أو مفسرة ذرية من حملنا مع نوح نداء، وفي ندائهم بذلك تلطف وتذكير بنعمة الله، وقيل: هي مفعول تتخذوا، ويتعين معنى ذلك على قراءة من قرأ يتخذ بالياء ويعني بمن حملنا مع نوح أولاده الثلاثة وهم سام وحام ويافث، ونساؤهم، ومنهم تناسل الناس بعد الطوفان إنه كان عبدا شكورا أي كثير الشكر كان يحمد الله على كل حال، وهذا تعليل لما تقدم أي كونوا شاكرين كما كان أبوكم نوح.

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١/٤٢٠

وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب قيل: إن قضينا هنا بمعنى علمنا وأخبرنا، كما قيل في: وقضينا إليه ذلك الأمر [الحجر: ٦٦] ، والكتاب على هذا التوراة، وقيل:
قضينا إليه من القضاء والقدر، والكتاب على هذا اللوح المحفوظ، الذي كتبت فيه مقادير الأشياء، وإلى بمعنى على لتفسدن في الأرض مرتين هذه الجملة بيان للمقضي، وهي في موضع جواب قضينا إذا كان من القضاء والقدر، لأنه جرى مجرى القسم، وإن كان بمعنى أعلمنا فهو جواب قسم محذوف، تقديره: والله لتفسدن، والجملة في موضع معمول قضينا، والمرتان المشار إليهما: إحداهما قتل زكريا والأخرى قتل يحي عليهما السلام ولتعلن علوا كبيرا من العلو وهو الكبر والتخيل فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا معناه أنهم إذا أفسدوا في المرة الأولى بعث الله عليهم عبادا له لينتقم منهم على أيديهم، واختلف في هؤلاء العبيد فقيل: جالوت وجنوده وقتل بختنصر ملك بابل فجاسوا خلال الديار أي ترددوا بينهما بالفساد، وروي أنهم قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة.
وخربوا المساجد وسبوا منهم سبعين ألفا
ثم رددنا لكم الكرة عليهم أي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم، ويعنى رجوع الملك إلى بني إسرائيل، واستنقاذ أسراهم، وقبل بختنصر، وقيل: قتل داود لجالوت أكثر نفيرا أي أكثر عددا، وهو مصدر من قولك:

---

(١) . قرأ أبو عمرو: يتخذوا.." [(١)]

"وعدها الله عباده هي عند سدرة المنتهى، وقيل: هي جنة أخرى تأوي إليها أرواح الشهداء، والأول أظهر وأشهر إذ يغشى السدرة ما يغشى فيه إبهام لقصد التعظيم، قال ابن مسعود: غشيها فراش من ذهب، وقيل: كثرة الملائكة، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فغشيها ألوان لا أدري ما هي، وهذا أولى أن تفسر به الآية ما زاغ البصر وما طغى أي ما زاغ بصر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عما رآه **من العجائب**، بل أثبتها وتيقنها، وما طغى: أي ما تجاوز ما رأى إلى غيره لقد رأى من آيات ربه الكبرى يعني ما رأى ليلة الإسراء من السموات والجنة والنار والملائكة والأنبياء وغير ذلك. ويحتمل أن تكون الكبرى مفعولا أو نعتا لآيات ربه، والمعنى يختلف على ذلك أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى هذه أوثان كانت تبعد من دون الله، فخاطب الله من كان يعبدها من العرب على وجه التوبيخ لهم، وقال ابن عطية: الرؤيا هنا رؤية العين لأن الأوثان المذكورة أجرام مرئية، فأما اللات فصنم كان بالطائف، وقيل: كان بالكعبة، وأما العزى فكانت صخرة بالطائف، وقيل: شجرة فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها تدعو بالويل فضربها بالسيف حتى قتلها، وقيل: كانت بيتا تعظمه العرب وأصل لفظ العزى مؤنثة الأعز، وأما مناة فصخرة كانت لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة. وكانت أعظم هذه الأوثان، قال ابن عطية: ولذلك قال تعالى: الثالثة الأخرى فأكدها بهاتين الصفتين، وقال الزمخشري: الأخرى ذم وتحقير أي المتأخرة الوضيعة القدر.
ومنه: قالت أخراهم لأولاهم [الأعراف: ٣٨] ألكم الذكر وله الأنثى كانوا يقولون: إن الملائكة وهذه الأوثان بنات الله،

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢/٤٤١

فأنكر الله عليهم ذلك أي كيف تجعلون لأنفسكم الأولاد الذكور، وتجعلون لله البنات التي هي عندكم حقيرة بغيضة، وقد ذكر هذا المعنى في النحل وغيرها، ويحتمل أن يكون أنكر عليهم جعل هذه الأوثان شركاء لله تعالى مع أنهن إناث والإناث حقيرة بغيضة عندهم تلك إذا قسمة ضيزى «١» أي هذه القسمة التي قسمتم جائرة غير عادلة، يعني جعلهم الذكور لأنفسهم والإناث لله تعالى ووزن ضيزى فعلى بضم الفاء، ولكنها كسرت لأجل الياء التي بعدها إن هي إلا أسماء سميتموها الضمير للأوثان، وقد ذكر هذا المعنى في الأعراف: ٧١ في قوله أتجادلونني في أسماء إن يتبعون إلا الظن يعني أنهم يقولون أقوالا بغير حجة كقولهم: إن الملائكة بنات الله، وقولهم: إن الأصنام تشفع لهم وغير ذلك أم للإنسان ما تمنى أم هنا

---

(١) . ضيزى: قرأها ابن كثير بالهمز: ضئزى والباقون بالياء.." (١)

"وقيل: هو بمعنى مضرع للبدن أي مضعف وقيل: إن العرب لا تعرف هذا اللفظ، فإن قيل: كيف قال هنا: ليس لهم طعام إلا من ضريع وقال في الحاقة: ولا طعام إلا من غسلين؟ فالجواب أن الضريع لقوم والغسلين لقوم، أو يكون أحدهما في حال والآخر في حال

لا يسمن ولا يغني من جوع هذه الجملة صفة لضريع، ولطعام نفي عنه منفعة الطعام وهي التسمين وإزالة الجوع.

وجوه يومئذ ناعمة أي متنعمة في الجنة أو يظهر عليها نضرة النعيم لسعيها راضية أي راضية في الآخرة لأجل سعيها وهو عملها في الدنيا في جنة عالية يحتمل أن يكون من علو المكان أو من علو المقدار أو الوجهين لا تسمع فيها لاغية «١» هو من لغو الكلام ومعناه الفحش وما يكره، فيحتمل أن يريد كلمة لاغية أو جماعة لاغية فيها عين جارية يحتمل أن يريد جنس العيون أو واحدة شرفها بالتعيين وأكواب موضوعة قد ذكرنا أكواب ومعنى موضوعة: حاضرة، معدة بشرابها وفي قوله: مرفوعة وموضوعة مطابقة ونمارق جمع نمرقة وهي الوسادة وزرابي هي بسط فاخرة [السجاد في اصطلاح اليوم] وقيل: هي الطنافس واحدها زربية مبثوثة أي متفرقة، وذلك عبارة عن كثرتها وقيل:

مبسوطة أفلا ينظرون إلى الإبل حض على النظر في خلقتها لما فيها **من العجائب** في قوتها، وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف، وصبرها على العطش، وكثرة المنافع التي فيها من الركوب والحمل عليها، وأكل لحومها وشرب ألبانها، وأبوالها وغير ذلك. وقيل: أراد بالإبل السحاب وهذا بعيد وإنما حمل قائله عليه مناسبتها للسماء والأرض والجبال. والصحيح أن المراد الحيوان المعروف، وإنما ذكره لما فيه **من العجائب**، ولاعتناء العرب به إذ كانت معايشهم في الغالب منه، وهو أكثر المواشي في بلادهم لست عليهم بمصيطر أي قاهر متسلط وهذا من المنسوخ بالسيف إلا من تولى استثناء منقطع معناه لكن من تولى وكفر فيعذبه الله وقيل هو استثناء من مفعول فذكر، والمعنى ذكر كل أحد إلا من تولى حتى يئست منه فهو على هذا متصل، وقيل: هو استثناء من قوله: لست عليهم بمصيطر أي لا تسلط إلا على من تولى وكفر، وهو على هذا متصل ولا نسخ فيه إذ لا موادعة فيه وهذا بعيد، لأن السورة مكية والموادعة بمكة ثابتة إن إلينا إيابهم أي رجوعهم والآية تهديد.

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢/٣١٨

(١) . الآية قوله: لا تسمع فيها لاغية: قرأها أهل الشام والكوفة هكذا وقرأها نافع: لا تسمع بضم التاء وقرأها ابن كثير وأبو عمر: لا يسمع بالياء.." (١)

"سورة العلق

مكية وآياتها ١٩ وهي أول ما نزل من القرآن بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة العلق) نزل صدرها بغار حراء، وهو أول ما نزل من القرآن حسبما ورد عن عائشة في الحديث الذي ذكرناه في أول الكتاب اقرأ باسم ربك فيه وجهان: أحدهما أن معناه اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك، أو متبركا باسم ربك وموضع باسم ربك نصب على الحال ولذا كان تقديره: مفتتحا، فيحتمل أن يريد ابتداء القراءة بقول: بسم الله الرحمن الرحيم أو يريد الابتداء باسم الله مطلقا والوجه الثاني أن معناه اقرأ هذا اللفظ وهو باسم ربك الذي خلق فيكون باسم ربك مفعولا وهو المقروء الذي خلق حذف المفعول لقصد العموم كأنه قال: الذي خلق كل شيء، ثم خصص خلقة الإنسان لما فيه **من العجائب** والعبر، ويحتمل أنه أراد الذي خلق الإنسان كما قال «الرحمن علم القرآن خلق الإنسان» ثم فسره بقوله خلق الإنسان من علق والعلق جمع علقة، وهي النطفة من الدم والمراد بالإنسان هنا جنس بني آدم، ولذلك جمع العلق لما أراد الجماعة بخلاف قوله فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة [الحج: ٥] لأنه أراد كل واحد على حدته، ولم يدخل آدم في الإنسان هنا لأنه لم يخلق من علقة وإنما خلق من طين اقرأ وربك الأكرم كرر الأمر بالقراءة تأكيدا والواو للحال والمقصود تأنيس النبي صلى الله عليه وسلم كأنه يقول: افعل ما أمرت به فإن ربك كريم. وصيغة أفعل للمبالغة الذي علم بالقلم هذا تفسير للأكرم فدل على أن نعمة التعليم أكبر نعمة، وخص من التعليمات الكتابة بالقلم لما فيها من تخليد العلوم ومصالح الدين والدنيا، وقرأ ابن الزبير: علم الخط بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم يحتمل أن يريد بهذا التعليم الكتابة، لأن الإنسان لم يكن يعلمها في أول أمره أو يريد التعليم لكل شيء على الإطلاق، وقيل: إن الإنسان هنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والأظهر أنه جنس الإنسان على العموم.

كلا إن الإنسان ليطغى نزل هذا وما بعده إلى آخر السورة في أبي جهل بعد نزول صدرها بمدة، وذلك أنه كان يطغى بكثرة ماله ويبالغ في عداوة النبي صلى الله عليه وعلى." (٢)

"في رجب، وقيل في ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول والنبي صلى الله عليه وسلم ابن إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانية وعشرين يوما، والمتحقق أن ذلك كان بعد شق الصحيفة، وقبل بيعة العقبة، ووقع في الصحيحين لشريك بن أبي نمر وهم في هذا المعنى فإنه روى حديث الإسراء فقال فيه: وذلك قبل الوحي إليه، ولا خلاف بين المحدثين أن هذا وهم من شريك، والمسجد الأقصى، مسجد بيت المقدس، وسماه الأقصى أي في ذلك الوقت كان أقصى بيوت الله الفاضلة من الكعبة، ويحتمل أن يريد ب الأقصى البعيد دون مفاضلة بينه وبين سواه، ويكون المقصد إظهار العجب في الإسراء إلى هذا

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٤٧٧/٢

(٢) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٤٩٦/٢

البعد في ليلة. و «البركة حوله» هي من جهتين، إحداهما النبوة والشرائع والرسل الذين كانوا في ذلك القطر وفي نواحيه وبواديه، والأخرى النعم من الأشجار والمياه والأرض المفيدة التي خص الله الشام بها، وروي عن النبي عليه السلام أنه قال: «إن الله بارك فيما بين العريش إلى الفرات وخص فلسطين بالتقديس» وقوله:

لنريه من آياتنا يريد لنري محمدا بعينه آياتنا في السماوات والملائكة والجنة والسدرة وغير ذلك مما رآه تلك الليلة من العجائب، ويحتمل أن يريد لنري محمدا للناس آية، أي يكون النبي صلى الله عليه وسلم آية في أن يصنع الله ببشر هذا الصنع وتكون الرؤية على هذا رؤية قلب، ولا خلاف أن في هذا الإسراء فرضت الصلوات الخمس على هذه الأمة. وقوله: إنه هو السميع البصير وعيد من الله للكفار تكذيبهم محمدا في أمر الإسراء، فهي إشارة لطيفة بليغة إلى ذلك أي هو السميع لما تقولون البصير بأفعالكم.

قوله عز وجل:

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٢ الى ٤]

وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا (٢) ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا (٣) وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا (٤)

عطف قوله: وآتينا على ما في قوله أسرى بعبده [الإسراء: ١] من تقدير الخبر، كأنه قال أسرينا بعبدنا وأريناه آياتنا، والكتاب التوراة، والضمير في جعلناه يحتمل أن يعود على الكتاب ويحتمل أن يعود على موسى. وقوله ألا تتخذوا يجوز أن تكون «أن» في موضع نصب بتقدير كراهية أن موضع خفض بتقدير لأن لا تتخذوا، ويجوز أن تكون «أن» مفسرة بمعنى أي كما قال أن امشوا واصبروا [ص: ٦] فهي في هذا مع أمر موسى وهي في آياتنا هذه مع نهي، والمعنى مع هذه التقديرات فعلنا ذلك لئلا تتخذوا يا ذرية، ويحتمل أن يكون ذرية مفعولا، ويحتمل أن تكون «أن» زائدة ويضمر في الكلام قول تقديره قلنا لهم: لا تتخذوا، وأما أن يضمر القول ولا تجعل «أن» زائدة فلا يتجه، لأن ما بعد القول إما يكون جملة تحكى، وإما أن يكون ترجمة عن كلام لا هو بعينه، فيعمل القول في الترجمة كما تقول لمن قال: لا إله إلا الله قلت حقا، وقوله: ألا تتخذوا ليس بواحد من هذين، قاله أبو علي وقرأ جمهور الناس «تتخذوا» بالتاء على المخاطبة، وقرأ أبو عمرو وحده «ألا يتخذوا» بالياء على لفظ الغائب، وهي قراءة بن عباس ومجاهد وقتادة وعيسى وأبي رجاء، و «الوكيل» هنا فعيل من التوكل أي." (١)

"تنوين، قال هارون: أهل الكوفة ينونون «ثمودا» في كل وجه، قال أبو حاتم: لا تنون العامة والعلماء بالقرآن «ثمود» في وجه من الوجوه، وفي أربعة مواطن ألف مكتوبة، ونحن نقرؤها بغير ألف، وقوله مبصرة على جهة النسب أي معها إبصار، كما قال: آية النهار مبصرة [الإسراء: ١٢] أي معها إبصار ممن ينظر، وهذا عبارة عن بيان أمرها، ووضوح إعجازها، وقرأ قوم «مبصرة» بضم الميم وفتح الصاد، حكاه الزجاج، ومعناه متبينة، وقرأ قتادة «مبصرة» بفتح الميم والصاد،

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣/٤٣٦

وهي مفعلة من البصر ومثله قول عنترة: [الكامل] .

الكفر مخبثة لنفس المنعم وقوله فظلموا بها أي وضعوا الفعل غير موضعه، أي بعقرها، وقيل بالكفر في أمرها، ثم أخبر الله تعالى أنه إنما يرسل بالآيات غير المقترحة تخويفا للعباد، وهي آيات معها إمهال لا معاجلة، فمن ذلك الكسوف والرعد والزلزلة وقوس قزح وغير ذلك، قال الحسن والموت الذريع، وروي أن الكوفة رجفت في مدة عبد الله بن مسعود. فقال: أيها الناس إن ربكم يستعتبكم فاعتبوه، ومن هذا قول النبي عليه السلام في الكسوف: «فافزعوا إلى الصلاة» الحديث، وآيات الله المعتبر بها ثلاثة أقسام: فقسم عام في كل شيء إذ حيثما وضعت نظرك وجدت آية، وهنا فكرة العلماء، وقسم معتاد غبا كالرعد والكسوف ونحوه، وهنا فكرة الجهلة فقط، وقسم خارق للعادة وقد انقضى بانقضاء النبوءة، وإنما يعتبر به توهما لما سلف منه.

قوله عز وجل:

[سورة الإسراء (١٧) : آية ٦٠]

وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا (٦٠)

قال الطبري: معنى قوله: وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس أي في منعك يا محمد وحياطتك وحفظك، فالآية إخبار له بأنه محفوظ من الكفرة، آمن أن يقتل أو ينال بمكروه عظيم، أي فالتبليغ رسالة ربك، ولا تتهيب أحدا من المخلوقين، وهذا تأويل بين جار مع اللفظ، وقد روي نحوه عن الحسن بن أبي الحسن والسدي، إلا أنه لا يناسب ما بعده مناسبة شديدة، ويحتمل أن يجعل الكلام مناسبا لما بعده، توطئة له، فأقول: اختلف الناس في الرؤيا، فقال الجمهور: هي رؤيا عين ويقظة، وهي ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء، قالوا: فلما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الإسراء بما رأى في تلك الليلة **من العجائب**، قال الكفار إن هذا لعجيب تحث الحداة إلى بيت المقدس شهرين إقبالا وإدبارا، ويقول محمد إنه جاءه من ليلة وانصرف منه، فافتتن بهذا التلبيس قوم من ضعفة المسلمين، فارتدوا وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت هذه الآيات فعلى هذا، يحسن أن يكون معنى قوله وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس أي: في إضلالهم وهدايتهم، وأن كل واحد ميسر لما." (١)

"يرشد تعالى عباده إلى التفكر في آلائه (١) وما خلق في السموات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب، مما في السموات (٢) من كواكب نيرات، ثوابت وسيارات، والشمس والقمر، والليل والنهار، واختلافهما، وإيلاج أحدهما في الآخر، حتى يطول هذا ويقصر هذا، ثم يقصر هذا ويطول هذا، وارتفاع السماء واتساعها، وحسنها وزينتها، وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها، وأخرج فيها من أفانين الثمار والزروع والأزاهير، وصنوف النبات، وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع، وما فيها من جبال وسهول (٣) وقفار وعمران وخراب. وما في البحر **من**

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤٦٧/٣

العجائب والأمواج، وهو مع هذا [مسخر] (٤) مذلل للسالكين، يحمل سفنهم، ويجري بها برفق بتسخير القدير له، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

وقوله: ﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ أي: وأي شيء تجدي الآيات السماوية والأرضية، والرسل بآياتها وحججها وبراهينها الدالة على صدقها، عن قوم لا يؤمنون، كما قال: ﴿إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾ [يونس: ٩٦، ٦٩] .

وقوله: ﴿فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾ أي: فهل ينتظر هؤلاء المكذبون لك يا محمد من النقمة والعذاب إلا مثل أيام الله في الذين خلوا من قبلهم من الأمم المكذبة لرسلهم، ﴿قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا﴾ (٥) أي: ونهلك المكذبين بالرسل، ﴿كذلك حقا علينا ننج المؤمنين﴾ [أي] (٦) حقا: أوجبه تعالى على نفسه الكريمة: كقوله ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾ [الأنعام: ١٢] كما جاء في الصحيحين، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت (٧) غضبي" (٨)

﴿قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين (١٠٤) وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين (١٠٥) ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين (١٠٦) ﴾

---

(١) في أ: "إلى التفكر في الآية لآياته".

(٢) في ت، أ: "السماء".

(٣) في أ: "وهول".

(٤) زيادة من ت، أ.

(٥) في ت: "فإني".

(٦) زيادة من ت، أ.

(٧) في ت، أ: "تغلب".

(٨) صحيح البخاري برقم (٧٥٥٤) وصحيح مسلم برقم (٢٧٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.." [1]

"﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين (١٦) وحفظناها من كل شيطان رجيم (١٧) إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين (١٨) والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون (١٩) وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين (٢٠) ﴾

يذكر تعالى خلقه السماء في ارتفاعها وما زينها به من الكواكب الثواقب، لمن تأملها، وكرر النظر (١) فيها، يرى فيها من

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢٩٩/٤

العجائب والآيات الباهرات، ما يحار نظره فيه. ولهذا قال مجاهد وقتادة: البروج هاهنا هي: الكواكب.

قلت: وهذا كقوله تعالى: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا﴾ [الفرقان: ٦١] ومنهم من قال: البروج هي: منازل الشمس والقمر.

وقال عطية العوفي: البروج هاهنا: هي قصور الحرس (٢)

وجعل الشهب حرسا لها من مردة الشياطين، لئلا يسمعوا (٣) إلى الملأ الأعلى، فمن تمرد منهم [وتقدم] (٤) لاستراق السمع، جاءه ﴿شهاب مبين﴾ فأتلفه، فربما يكون قد ألقى الكلمة التي سمعها قبل أن يدركه الشهاب إلى الذي هو دونه، فيأخذها الآخر، ويأتي بها إلى وليه، كما جاء مصرحا به في الصحيح، كما قال البخاري في تفسير هذه الآية:

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان (٥) عن عمرو، عن عكرمة، عن أبي هريرة، يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان". قال علي، وقال غيره: صفوان ينفذهم ذلك، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الذي قال: الحق، وهو العلي الكبير. فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع،

---

(١) في ت: "نظره".

(٢) في ت: "الحرس فيها".

(٣) في أ: "لئلا يسمعوا".

(٤) زيادة من ت، أ.

(٥) في ت: "حدثنا ابن سفيان".." [(١)]

"من البحر وأدنيناهم إليه.

﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين﴾ أي: أنجينا موسى وبني إسرائيل ومن معهم على دينهم فلم يهلك (١) منهم أحد، وأغرق فرعون وجنوده، فلم يبق منهم رجل (٢) إلا هلك.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا شبابة، حدثنا يونس بن أبي إسحاق، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله -هو ابن مسعود -أن موسى، عليه السلام، حين أسرى ببني إسرائيل بلغ فرعون ذلك، فأمر بشاة فذبحت، ثم قال: لا والله لا يفرغ من سلخها حتى يجتمع إلي ستمائة ألف من القبط. فانطلق موسى حتى انتهى إلى البحر، فقال له: انفرق. فقال البحر: لقد استكبرت يا موسى، وهل انفرقت (٣) لأحد من ولد (٤) آدم فأنفرق (٥) لك؟ قال: ومع موسى رجل على حصان له، فقال له ذلك الرجل: أين أمرت يا نبي الله؟ قال: ما أمرت إلا بهذا الوجه [يعني: البحر، فأقحم فرسه، فسبح به فخرج، فقال: أين أمرت يا نبي الله؟ قال: ما أمرت إلا بهذا الوجه] (٦) . قال: والله ما كذبت ولا كذبت. ثم اقتحم الثانية فسبح، ثم خرج فقال: أين أمرت يا نبي الله؟ قال: ما أمرت

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٥٢٨/٤

إلا بهذا الوجه؟ قال: والله ما كذبت (٧) ولا كذبت. قال: فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فضربه موسى بعصاه، فانفلق، فكان فيه اثنا عشر طريقا، لكل سبط طريق يتراءون، فلما خرج أصحاب موسى وتتام أصحاب فرعون، التقى البحر عليهم فأغرقهم.

وفي رواية إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله قال: فلما خرج آخر أصحاب موسى، وتكامل أصحاب فرعون، اضطم عليهم البحر، فما رئي سواد أكثر من يومئذ، وغرق فرعون لعنه الله.

ثم قال تعالى: ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي: في هذه القصة وما فيها **من العجائب** والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين؛ لدلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة، ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ تقدم تفسيره.

﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم (٦٩) إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون (٧٠) قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين (٧١) قال هل يسمعونكم إذ تدعون (٧٢) أو ينفعونكم أو يضرون (٧٣) قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون (٧٤) قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون (٧٥) أنتم وآباؤكم الأقدمون (٧٦) فإنهم عدو لي إلا رب العالمين (٧٧) ﴾ .

هذا إخبار من الله تعالى (٨) عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء، أمر الله رسوله محمدا، صلوات الله وسلامه عليه، أن يتلوه على أمته، ليقتدوا به في الإخلاص والتوكل، وعبادة الله وحده لا شريك له، والتبرؤ من الشرك وأهله؛ فإن الله تعالى آتى إبراهيم رشده من قبل، أي: من صغره إلى كبره، فإنه من وقت نشأ وشب، أنكر على قومه عبادة الأصنام مع الله، عز وجل، فقال: ﴿لأبيه وقومه ما تعبدون﴾ ؟

---

(١) في أ: "نهلك".

(٢) في ف: "رجل منهم".

(٣) في ف، أ: "فرقت".

(٤) في أ: "بني".

(٥) في أ: "فأفرق".

(٦) زيادة من ف، أ.

(٧) في أ: "ما كذب".

(٨) في أ: "عز وجل".." [1]

"[سورة يونس (١٠) : الآيات ١٠١ الى ١٠٣]

قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون (١٠١) فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين (١٠٢) ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين (١٠٣)

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١٤٥/٦

يرشد تعالى عباده إلى التفكر في آلائه وما خلق الله في السموات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب، مما في السموات من كواكب نيرات، ثوابت وسيارات، والشمس والقمر والليل والنهار واختلافهما وإيلاج أحدهما في الآخر حتى يطول هذا ويقصر هذا، ثم يقصر هذا ويطول هذا، وارتفاع السماء واتساعها وحسنها وزينتها وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها، وأخرج فيها من أفانين الثمار والزروع والأزاهير وصنوف النبات وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب، وما في البحر **من العجائب** والأمواج وهو مع هذا مسخر مذلل للسالكين يحمل سفنهم ويجري بها برفق بتسخير القدير لا إله إلا هو ولا رب سواه.

وقوله: وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون أي وأي شيء تغني الآيات السماوية والأرضية والرسل بآياتها وحججها وبراهينها الدالة على صدقها عن قوم لا يؤمنون كقوله إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون الآية. وقوله: فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم أي فهل ينتظر هؤلاء المكذبون لك يا محمد من النقمة والعذاب إلا مثل أيام الله في الذين خلوا من قبلهم من الأمم الماضية المكذبة لرسلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا أي ونهلك المكذبين بالرسل كذلك حقا علينا ننج المؤمنين حقا أوجبه الله تعالى على نفسه الكريمة كقوله: كتب ربكم على نفسه الرحمة وكما جاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي» «١» .

[سورة يونس (١٠) : الآيات ١٠٤ الى ١٠٧]

قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين (١٠٤) وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين (١٠٥) ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين (١٠٦) وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم (١٠٧)

يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من صحة ما جئتكم به من الدين الحنيف الذي أوحاه الله إلي فأنا لا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله وحده

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق باب ١، والتوحيد باب ١٥، ومسلم في التوبة حديث ١٤، ١٦.." [(١)]

"يذكر تعالى خلقه السماء في ارتفاعها وما زينها به من الكواكب الثوابت والسيارات، لمن تأمل وكرر النظر فيما يرى **من العجائب** والآيات الباهرات، ما يحار نظره فيه، وبهذا قال مجاهد وقتادة: البروج هاهنا هي الكواكب. (قلت) : وهذا كقوله تبارك وتعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا [الفرقان: ٦١] الآية. ومنهم من قال: البروج هي منازل الشمس والقمر. وقال عطية العوفي: البروج هاهنا هي قصور الحرس. وجعل الشهب حرسا لها من مردة الشياطين لئلا يسمعوا إلى

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٤/٢٦٠

الملأ الأعلى، فمن تمرد وتقدم منهم لاستراق السمع جاءه شهاب مبين فأتلفه، فربما يكون قد ألقى الكلمة التي سمعها قبل أن يدركه الشهاب إلى الذي هو دونه فيأخذها الآخر ويأتي بها إلى وليه، كما جاء مصرحا به في الصحيح.

كما قال البخاري «١» في تفسير هذه الآية: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة، عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان» قال علي وقال غيره صفوان ينفذهم ذلك، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: للذي قال الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر، ووصف سفيان بيده، وفرج بين أصابع يده اليمنى، نصبها بعضها فوق بعض، فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه، وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه إلى الذي هو أسفل منه حتى يلقوها إلى الأرض، وربما قال سفيان: حتى تنتهي إلى الأرض فتلقى على فم الساحر أو الكاهن فيكذب معها مائة كذبة فيصدق، فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا، فوجدناه حقا للكلمة التي سمعت من السماء.

ثم ذكر تعالى خلقه الأرض ومده إياها وتوسيعها وبسطها، وما جعل فيها من الجبال الرواسي، والأودية والأراضي والرمال، وما أنبت فيها من الزروع والثمار المتناسبة.

وقال ابن عباس من كل شيء موزون أي معلوم، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبو مالك ومجاهد والحكم بن عتيبة والحسن بن محمد وأبو صالح وقتادة، ومنهم من يقول:

مقدر بقدر. وقال ابن زيد: من كل شيء يوزن ويقدر بقدر، وقال ابن زيد: ما يزنه أهل الأسواق. وقوله: وجعلنا لكم فيها معايش يذكر تعالى أنه صرفهم في الأرض في صنوف الأسباب والمعايش وهي جمع معيشة. وقوله: ومن لستم له برازقين قال مجاهد: هي الدواب والأنعام.

---

(١) كتاب التفسير، تفسير سورة ١٥، باب ١، وتفسير سورة ٣٤، باب ١.." (١)

"الفج بين الجبلين. وقال ابن عباس صار البحر اثني عشر طريقا لكل سبط طريق، وزاد السدي:

وصار فيه طاقات ينظر بعضهم إلى بعض، وقام الماء على حيله كالحيطان. وبعث الله الريح إلى قعر البحر فلفحته، فصار يبسا كوجه الأرض، قال الله تعالى: فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى [طه: ٧٧] . وقال في هذه القصة وأزلفنا ثم الآخرين أي هنا لك. قال ابن عباس وعطاء الخراساني وقتادة والسدي وأزلفنا أي قربنا من البحر فرعون وجنوده، وأدنيناهم إليه وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين أي أنجينا موسى وبني إسرائيل ومن اتبعهم على دينهم، فلم يهلك منهم أحد، وأغرق فرعون وجنوده فلم يبق منهم رجل إلا هلك.

وروى ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا شبابة، حدثنا يونس بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله هو ابن مسعود أن موسى عليه السلام حين أسرى ببني إسرائيل بلغ فرعون

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٤/٤٥٤

ذلك، فأمر بشاة فذبحت، وقال: لا والله لا يفرغ من سلخها حتى يجتمع إلي ستمائة ألف من القبط، فانطلق موسى حتى انتهى إلى البحر، فقال له: انفرق، فقال له البحر: قد استكبرت يا موسى، وهل انفرقت لأحد من ولد آدم، فأنفرق لك؟ قال، ومع موسى رجل على حصان له، فقال له ذلك الرجل، أين أمرت يا نبي الله؟ قال: ما أمرت إلا بهذا الوجه، قال: والله ما كذب ولا كذبت، ثم اقتحم الثانية فسبح ثم خرج، فقال: أين أمرت يا نبي الله؟ قال: ما أمرت إلا بهذا الوجه. قال: والله ما كذب ولا كذبت، قال: فأوحى الله إلى موسى: أن اضرب بعصاك البحر، فضربه موسى بعصاه، فانفلق، فكان فيه اثنا عشر سبطا لكل سبط طريق يتراءون، فلما خرج أصحاب موسى، وتتام أصحاب فرعون، التقى البحر عليهم فأغرقهم. وفي رواية إسرائيل عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال: فلما خرج آخر أصحاب موسى، وتكامل أصحاب فرعون، انطم عليهم البحر، فما رئي سواد أكثر من يومئذ، وغرق فرعون لعنه الله، ثم قال تعالى: إن في ذلك لآية أي في هذه القصة وما فيها **من العجائب** والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين، لدلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم تقدم تفسيره.

[سورة الشعراء (٢٦) : الآيات ٦٩ الى ٧٧]

واتل عليهم نبأ إبراهيم (٦٩) إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون (٧٠) قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين (٧١) قال هل يسمعونكم إذ تدعون (٧٢) أو ينفعونكم أو يضرون (٧٣)

قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون (٧٤) قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون (٧٥) أنتم وآباؤكم الأقدمون (٧٦) فإنهم عدو لي إلا رب العالمين (٧٧)

هذا إخبار من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم عليه السلام إمام الحنفاء، أمر الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يتلوه على أمته ليقتدوا به في الإخلاص والتوكل، وعبادة الله وحده." (١)

"وامرأتي عاقر): لا تلد. (قال): أي الملك، (كذلك الله يفعل ما يشاء) أي: يفعل ما يشاء **من العجائب** مثل ذلك الفعل، فكذلك متعلق يفعل وقيل: "كذلك الله " مبتدأ وخبر و " يفعل ما يشاء " بيان أو تقديره: الأمر كذلك، و " الله يفعل " بيان. (قال رب اجعل لي آية) علامة أستدل على وجود الولد، فأزيد في العبادة شكرا لك، (قال): الله، (آيتك ألا تكلم الناس) أي: لا تقدر عليه مع أنك سوى صحيح تقدر الحمد والتسبيح، (ثلاثة أيام إلا رمزا): إشارة بنحو يد ورأس وحاجب، والاستثناء متصل جعله من جنس الكلام؛ لأنه فهم من الرمز ما يفهم من الكلام أو منقطع (واذكر ربك كثيرا): في أيام الحبسة، (وسبح بالعشي): آخر النهار. (والإبكار): أول النهار.

* * *

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ١٣١/٦

(وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين (٤٢) يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين (٤٣) ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم." (١)

"أظهرها، وقيل أخفيها فلا أقول هي آتية ولولا ما في الإخبار من اللطف لما أخبرت به (لتجزى) متعلق بـ آتية (كل نفس بما تسعى): تعمل (فلا يصدنك عنها): عن التصديق بالساعة (من لا يؤمن بها) يعني كن شديد الشكيمة حتى لا يؤثر فيك أقوال الكفرة واعتقاداتهم فنهى الكافر والمراد فيه أن ينصد عنها (واتبع هواه): خالف أمر الله (فتردى): فتهلك منصوب على جواب النهي.

(وما تلك)، الحكمة في السؤال تنبيهه وتيقظه ليرى ما فيه **من العجائب** (بيمينك) حال من معنى الإشارة، أو صلة لتلك، وهي اسم موصول. (يا موسى قال هي عصاي أتوكأ): أعتمد (عليها): عند المشي والإعياء (وأهش): أخبط الورق عن الشجر (بها على) رؤوس. (غنمي): تأكله، (ولي فيها مآرب): حاجات، (أخرى): كحمل الماء والزاد بها. قيل: لما أمره الله بخلع النعلين وتركهما تصور عند هذا السؤال إنكار التمسك بها، وأمره بالرفض فبسط الكلام، وقال: أنا محتاج إليها غاية الاحتياج، وعن وهب لما قال الله ألقها ظن موسى أنه يقول ارفضها. (قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى) أي: نردها عصى كما كانت، منصوب بنزع الخافض، أي: إلى سيرتها، أو." (٢)

"بعد إتيانها أن نهلكهم ولا نمهلهم، وقد حكمنا بإمهال هذه الأمة في العذاب، فقال جل ذكره: بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر (٦٤) [القمر: ٤٦] ، ثم قال: وآتينا ثمود الناقة مبصرة، مضيئة مبينة [١] ، فظلموا بها، أي: جحدوا بها أنها من عند الله كما قال: بما كانوا بآياتنا يظلمون [الأعراف: ٩] ، أي: يجحدون. وقيل: ظلموا أنفسهم بتكذيبها يريد فعاجلناهم بالعقوبة. وما نرسل بالآيات أي: العبر والدلالات، إلا تخويفا، للعباد ليؤمنوا قال قتادة: إن الله تعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون.

قوله عز وجل: وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس، أي: هم في قبضته لا يقدرون على الخروج عن مشيئته فهو حافظك ومانعك منهم فلا تهبهم وامض إلى ما أمر الله به من تبليغ الرسالة، كما قال:

والله يعصمك من الناس [المائدة: ٦٧] ، وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس، فالأكثرون على أن المراد منه ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج **من العجائب** والآيات. قال ابن عباس: هي رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج والأكثرين.

والعرب تقول: رأيت بعيني رؤية ورؤيا، فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أنكر بعضهم ذلك، وكذبوا وكان فتنة للناس. وقال قوم: أسري بروحه دون بدنه. وقال بعضهم: كان له معراجان رؤية بالعين ومعراج رؤيا بالقلب، وقال قوم: أراد بهذه الرؤيا ما رأى صلى الله عليه وسلم عام الحديبية أنه دخل مكة هو وأصحابه فجعل السير إلى مكة قبل الأجل فصده المشركون، فرجع إلى المدينة وكان رجوعه في ذلك العام بعد ما أخبر أنه يدخلها [٢] فتنة لبعضهم، حتى دخلها في

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٢٤٣/١

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٥٠٤/٢

العام المقبل، فأنزل الله تعالى: لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق [الفتح: ٢٧] ، والشجرة الملعونة في القرآن، يعني شجرة الزقوم، مجازه والشجرة الملعونة المذكورة في القرآن، والعرب تقول لكل طعام كريه: طعام ملعون. وقيل: معناه الملعون أهلها [٣] ، ونصب الشجرة عطفا على الرؤيا، أي: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة إلا فتنة للناس، فكانت الفتنة في الرؤيا ما ذكرنا، والفتنة في الشجرة الملعونة من وجهين:

أحدهما أن أبا جهل قال: إن ابن أبي كبشة يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنه ينبت فيها شجرة، وتعلمون أن النار تحرق الشجر.

والثاني: أن عبد الله بن الزبعرى قال: إن محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم إلا الزبد والتمر.

وقال أبو جهل: يا جارية تعالي فزقمينا فأتت بالتمر والزبد، فقال: يا قوم تزقموا فإن هذا ما يخوفكم به محمد، فوصفها الله تعالى في الصافات [٦٢] . وقيل: الشجرة الملعونة هي التي تلتوي على الشجر فتخنقه [٤] ، يعني الكشوث، ونخوفهم فما يزيدهم، التخويف، إلا طغيانا كبيرا أي: تمردا وعتوا عظيما في قوله عز وجل:

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٦١ الى ٦٣]

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا (٦١) قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا (٦٢) قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا (٦٣)

---

(١) في المطبوع «بينة» .

(٢) زيد في المطبوع «فكان رجوعه» . [.....]

(٣) في المطبوع وط «أكلها» .

(٤) في المخطوط وط «فتجففه» .." (١)

"[سورة الكهف (١٨) : الآيات ٨ الى ١٠]

وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا (٨) أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (٩) إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا (١٠)

وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا (٨) ، فالصعيد وجه الأرض. وقيل: هو التراب، جرزا يابسا أملس لا ينبت [١] شيئا يقال: جرزت الأرض إذا أكل نباتها.

قوله تعالى: أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (٩) ، يعني أظننت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا أي هم عجب من آياتنا. وقيل: معناه إنهم ليسوا بأعجب من آياتنا فإن ما خلقت من

---

(١) تفسير البغوي – إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ١٤١/٣

السموات والأرض وما فيهن **من العجائب** أعجب منهم، والكهف:

هو الغار في الجبل.

واختلفوا في الرقيم، قال سعيد بن جبير: هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصصهم وهذا أظهر الأقاويل، ثم وضعوه على باب الكهف وكان اللوح من رصاص، وقيل: من حجارة، فعلى هذا يكون الرقيم بمعنى المرقوم، أي: المكتوب، والرقم: الكتابة.

وحكي عن ابن عباس أنه قال: هو اسم للوادي الذي فيه أصحاب الكهف، وعلى هذا هو من رقمة الوادي وهو جانبه. وقال كعب الأحبار: هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف. وقيل: اسم للجبل الي فيه الكهف، ثم ذكر الله قصة أصحاب الكهف.

فقال: إذ أوى الفتية إلى الكهف، أي صاروا إليه، واختلفوا في سبب مصيرهم إلى الكهف، فقال محمد بن إسحاق بن يسار: مرج أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت، وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله وتوحيده، فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الأصنام وذبح للطواغيت، وقتل من خالفه، وكان ينزل قرى الروم ولا يترك في قرية نزلها أحدا إلا فتنه حتى يعبد الأصنام ويذبح للطواغيت أو قتله حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهي أقسوس فلما نزلها كبر على أهل الإيمان فاستخفوا منه وهربوا في كل وجه، وكان دقيانوس حين قدمها أمر أن يتبع أهل الإيمان فيجمعوا له واتخذ شرطا من الكفار من أهلها يتبعون أهل الإيمان في أماكنهم فيخرجونهم إلى دقيانوس، فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الأوثان والذبح للطواغيت، فمنهم من يرغب في الحياة [فيعبدهم] [٢] ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل.

فلما رأى ذلك أهل الشدة في الإيمان بالله جعلوا يسلمون [٣] أنفسهم للعذاب والقتل، فيقتلون ويقطعون ثم يربط ما قطع من أجسادهم على سور المدينة من نواحيها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت الفتنة، فلما رأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء.

---

(١) تصحف في المطبوع «يبيت» .

(٢) زيادة عن المخطوط.

(٣) في المخطوط «يسلموا» .." (١)

"أنامله فنجعل أصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار فلا يرتفق بها بالقبض والبسط والأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرها، هذا قول أكثر المفسرين. وقال الزجاج وابن قتيبة: معناه ظن الكافر أنا لا نقدر على جمع عظامه بلى نقدر على أن نعيد السلاميات على صغرها فنؤلف بينها حتى نسوي البنان، فمن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها أقدر.

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ١٧٣/٣

بل يريد الإنسان ليفجر أمامه (٥) ، يقول لا يجهل ابن آدم أن ربه قادر على جمع عظامه لكنه يريد أن يفجر أمامه أي يمضي قدما على معاصي الله ما عاش راكبا رأسه لا ينزع عنها ولا يتوب، هذا قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدي. وقال سعيد بن جبير: ليفجر أمامه يقدم على الذنب ويؤخر التوبة فيقول سوف أتوب سوف أعمل حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله. وقال الضحاك: هو الأمل يقول أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت. وقال ابن عباس وابن زيد: يكذب بما أمامه من البعث والحساب. وأصل الفجور الميل وسمي الفاسق والكافر فاجرا لميله عن الحق.

[سورة القيامة (٧٥) : الآيات ٦ الى ١٣]

يسئل أيان يوم القيامة (٦) فإذا برق البصر (٧) وخسف القمر (٨) وجمع الشمس والقمر (٩) يقول الإنسان يومئذ أين المفر (١٠)

كلا لا وزر (١١) إلى ربك يومئذ المستقر (١٢) ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر (١٣)

يسئل أيان يوم القيامة (٦) ، أي متى يكون ذلك تكذيبا به.

قال الله تعالى: فإذا برق البصر (٧) ، قرأ أهل المدينة برق بفتح الراء وقرأ الآخرون بكسرها وهما لغتان. قال قتادة ومقاتل: شخص البصر فلا يطرف مما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا.

قيل: وذلك عند الموت. وقال الكلبي: عند رؤية جهنم تبرق أبصار الكفار. وقال الفراء والخليل برق بالكسر أي فزع وتحير لما يرى من العجائب، وبرق بالفتح أي شق عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ.

وخسف القمر (٨) ، أظلم وذهب نوره وضوءه.

وجمع الشمس والقمر (٩) ، أي صارا أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران. وقيل: يجمع بينهما في ذهاب الضياء. وقال عطاء بن يسار يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكون [١] نار الله الكبرى.

[وقيل: يجمعان ثم يقذفان في النار. وقيل يجمعان فيطلعان من المغرب] [٢] .

يقول الإنسان، أي الكافر المكذب يومئذ أين المفر، أي المهرب وهو موضع الفرار. وقيل: هو مصدر أي أين الفرار.

قال الله تعالى: كلا لا وزر (١١) ، لا حصن ولا حرز ولا ملجأ. وقال السدي: لا جبل، وكانوا إذا فزعوا لجؤوا إلى الجبل فتحصنوا به [فقال: قل] [٣] لا جبل يومئذ يمنعهم.

إلى ربك يومئذ المستقر

(١٢) ، أي مستقر الخلق. وقال عبد الله بن مسعود: المصير والمرجع نظيره قوله تعالى: إلى ربك الرجعى

[العلق: ٨] وإلى الله المصير [آل عمران: ٢٨، النور: ٤٢، فاطر: ١٨] وقال السدي:

المنتهى، نظيره: وأن إلى ربك المنتهى (٤٢) [النجم: ٤٢] .

ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر

(١٣) ، قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل الموت من عمل صالح

(١) في المطبوع «فيكونان» وفي المخطوط «فيكونا» والمثبت عن المخطوط (١) والطبري ٣٥٥٦٩.

(٢) زيد في المطبوع.

(٣) في المطبوع «وقال تعالى» والمثبت عن المخطوط (أ) .." [(١)]

"﴿وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا (٢) ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا (٣) وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا (٤) ﴾

قوله عز وجل ﴿وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا﴾ بأن لا ﴿تتخذوا من دوني وكيلا﴾ ربا وكفيلا.

قرأ أبو عمرو "لا يتخذوا" بالياء لأنه خبر عنهم والآخرون: بالتاء يعني: قلنا لهم لا تتخذوا. ﴿ذرية من حملنا﴾ قال مجاهد: هذا نداء يعني: يا ذرية من حملنا، ﴿مع نوح﴾ في السفينة فأنجيناهم من الطوفان، ﴿إنه كان عبدا شكورا﴾ كان نوح عليه السلام إذا أكل طعاما أو شرب شرابا أو لبس ثوبا قال: الحمد لله فسمي عبدا شكورا (١) أي كثير الشكر. قوله عز وجل: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾ الآيات.

روى سفيان بن سعيد الثوري عن منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) "إن بني إسرائيل لما اعتدوا وقتلوا الأنبياء بعث الله عليهم ملك فارس

---

(١) أخرجه ابن جرير: ١٥ / ١٩ عن سلمان، ومجاهد، وقتادة وغيرهما، وصححه الحاكم على شرط الشيخين: ٢ / ٣٦٠ وذكر السيوطي جملة أخبار في ذلك، انظر: الدر المنثور: ٥ / ٢٣٦-٢٣٧، وأخرج الإمام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها". وفي البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم -في حديث الشفاعة- قال: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ... -وفيه-: فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدا شكورا، فاشفع لنا إلى ربك" وذكر الحديث بكماله.

(٢) أخرجه الطبري، انظر: التفسير: ١٥ / ٢٢-٤٣، تاريخ الطبري: ١ / ٥٣٢-٥٥٧، الدر المنثور: ٥ / ٢٤٣-٢٤٤. وهذه الروايات الكثيرة التي ساقها المصنف رحمه الله في هؤلاء المسلطين على بني إسرائيل، من الإسرائيليات والموضوعات، وفيها من العجائب والغرائب والمبالغات ما لا يصدق، وفيها ما يحتمل الصدق أيضا، وقد نقل ابن جرير كثيرا منها عن ابن إسحاق، وواضح أن ابن إسحاق يذكر صراحة اسم أهل الكتاب، وأنهم يقولون كذا ... أو عندهم كذا ... ، ونحن في غنية عن هذه الروايات جميعها. ونضع هنا كلمة قيمة للحافظ ابن كثير-رحمه الله- تعقيبا على هذه الروايات، قال: "وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلطين عليهم: من هم؟ فعن ابن عباس وقتادة،: أنه "جالوت" وجنوده.. وعن سعيد بن جبير: أنه ملك الموصل "سنجاريب" وجنوده. وعنه أيضا: أنه "بختنصر" ملك بابل. وقد ذكر ابن أبي حاتم

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ١٨٣/٥

له قصة عجيبة في كيفية ترقيه من حال إلى حال إلى أن ملك البلاد ... ". ثم قال ابن كثير: "وقد روى ابن جرير في هذا المكان حديثا أسنده عن حذيفة مرفوعا مطولا -وهو الحديث الذي ساقه البغوي هنا- وهو حديث موضوع لا محالة، لا يستريب في ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث. والعجب كل العجب، كيف راج عليه مع جلالة قدره وإمامته! وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج المزي -رحمه الله- بأنه موضوع مكذوب، وكتب ذلك على حاشية الكتاب". ثم قال مشيرا إلى سائر الروايات الأخرى: "وقد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية، ولم أر تطويل الكتاب بذكرها؛ لأن منها ما هو موضوع، من وضع بعض زنادقتهم، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحا، ونحن في غنية عنها، ولله الحمد. وفيما قص الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله، ولم يحوجنا الله ولا رسوله إليهم. وقد أخبر الله عنهم: أنهم لما طغوا وبغوا سلط الله عليهم عدوهم فاستباح بيضتهم، وسلك خلال بيوتهم، وأذلهم وقهرهم جزاء وفاقا، وما ربك بظلام للعبيد، فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقا من الأنبياء والعلماء. وقد روى ابن جرير بسنده عن سعيد بن المسيب يقول: ظهر بختنصر على الشام فخرب بيت المقدس وقتلهم، ثم أتى دمشق فوجد بها دما يغلي على كبا، فسألهم ما هذا الدم.. فقتل على ذلك الدم سبعين ألفا من المسلمين وغيرهم فسكن، وهذا صحيح إلى سعيد بن المسيب، وهذا هو المشهور، وأنه قتل أشرافهم وعلماءهم حتى إنه لم يبق من يحفظ التوراة، وأخذ معه منهم أسرى من أبناء الأنبياء وغيرهم. وجرت أمور وكوائن يطول ذكرها، ولو وجدنا ما هو صحيح أو ما يقاربه لجاز كتابته وروايته، والله أعلم". وانظر أيضا: الإسرائيليات والموضوعات للشيخ محمد أبو شهبة ص (٣٢٧-٣٣٤) .." (١)

"كما قال: "والله يعصمك من الناس" (المائدة-٦٧)

﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ فالأكثرون على أن المراد منه ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم [ليلة المعراج من العجائب والآيات.

قال ابن عباس: هي رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم] (١) وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج والأكثرين (٢) والعرب تقول: رأيت بعين رؤية ورؤيا فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أنكر بعضهم ذلك وكذبوا فكان فتنة للناس.

وقال قوم: [أسري بروحه دون بدنه (٣) .

وقال بعضهم: كان له معراجان: معراج رؤية بالعين ومعراج رؤيا بالقلب.

وقال قوم] (٤) . أراد بهذه الرؤيا ما رأى صلى الله عليه وسلم عام الحديبية أنه دخل مكة هو وأصحابه فجعل السير إلى مكة قبل الأجل فصده المشركون فرجع إلى المدينة وكان رجوعه في ذلك العام بعدما أخبر أنه يدخلها فتنة لبعضهم حتى دخلها في العام المقبل فأنزل الله تعالى: "لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق" (الفتح-٢٧) (٥) .

﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ يعني شجرة الزقوم، مجازه: والشجرة الملعونة المذكورة في القرآن والعرب تقول لكل طعام كريه: طعام ملعون. وقيل: [معناه الملعون] (٦) آكلها ونصب الشجرة عطفا على الرؤيا أي: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٦٧/٥

الملعونة إلا فتنة للناس فكانت الفتنة في الرؤيا ما ذكرنا.

والفتنة في الشجرة الملعونة من وجهين أحدهما: أن أبا جهل قال: إن ابن أبي كبشة يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنه ينبت فيها شجرة وتعلمون أن النار تحرق الشجرة.

والثاني أن عبد الله بن الزبعرى قال: إن محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم إلا الزبد والتمر وقال أبو جهل: يا جارية تعالي فزقمينا فأتت بالتمر والزبد فقال: يا قوم [تزقموا] (٧) فإن هذا ما يخوفكم به محمد فوصفها الله تعالى في الصافات (٨) .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من "ب".

(٢) أخرجه البخاري عن ابن عباس في تفسير سورة الإسراء: ٨ / ٣٩٨.

(٣) راجع فيما سبق من تفسير السورة: ص ٥٨ تعليق (٣) .

(٤) ما بين القوسين ساقط من "ب".

(٥) انظر هذه الأقوال في تأويل الرؤيا في الدر المنثور: ٥ / ٣٠٩-٣١٠، زاد المسير: ٥ / ٥٣-٥٤.

(٦) ساقط من "أ".

(٧) ساقط من "ب".

(٨) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٣٣٤) الدر المنثور: ٥ / ٣١٠-٣١١ زاد المسير: ٥ / ٥٥.." [1]

"﴿ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا (٥) فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا (٦) إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا (٧) وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا (٨) أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (٩) ﴾

﴿ماكثين فيه أبدا﴾ أي: مقيمين فيه. ﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا﴾ . ﴿ما لهم به من علم ولا لآبائهم﴾ أي: قالوه عن جهل لا عن علم ﴿كبرت﴾ أي: عظمت ﴿كلمة﴾ نصب على التمييز يقال تقديره: كبرت الكلمة كلمة وقيل: من كلمة فحذف "من" فانتصب ﴿تخرج من أفواههم﴾ أي: تظهر من أفواههم ﴿إن يقولون﴾ ما يقولون ﴿إلا كذبا﴾ ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم﴾ من بعدهم ﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾ أي: القرآن ﴿أسفا﴾ أي حزنا وقيل غضبا. ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾ فإن قيل: أي: زينة في الحيات والعقارب والشياطين؟

قيل: فيها زينة على معنى أنها تدل على وحدانية الله تعالى.

وقال مجاهد: أراد به الرجال خاصة وهم زينة الأرض. وقيل: أراد بهم العلماء والصلحاء وقيل: الزينة بالنبات والأشجار والأنهار كما قال: "حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت" (يونس-٢٤) .

﴿لنبلوهم﴾ لنختبرهم ﴿أيهم أحسن عملا﴾ أي: أصلح عملا. وقيل: أيهم أترك للدنيا. ﴿وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا﴾ فالصعيد وجه الأرض. وقيل: هو التراب "جرزا" يابسا أملس لا ينبت شيئا. يقال: جرزت الأرض إذا أكل نباتها.

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ١٠٣/٥

قوله تعالى: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾ يعني: أظننت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا أي: هم عجب من آياتنا.

وقيل: معناه إنهم ليسوا بأعجب من آياتنا فإن ما خلقت من السموات والأرض وما فيهن **من العجائب** أعجب منهم.." (١)

"يرتفق بها [بالقبض] (١) والبسط والأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرها. هذا قول أكثر المفسرين.

وقال الزجاج وابن قتيبة: معناه: ظن الكافر أنا لا نقدر على جمع عظامه، بلى نقدر على أن نعيد السلاميات على صغرها، فنؤلف بينها حتى نسوي البنان، فمن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها أقدر (٢)

﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه (٥) يسأل أيان يوم القيامة (٦) فإذا برق البصر (٧) ﴾

﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ يقول لا يجهل ابن آدم أن ربه قادر على جمع عظامه لكنه يريد أن يفجر أمامه، أي: يمضي قدما [على] (٣) معاصي الله ما عاش راكبا رأسه لا ينزع عنها ولا يتوب، هذا قول مجاهد، والحسن، وعكرمة، والسدي.

وقال سعيد بن جبير: "ليفجر أمامه" يقدم على الذنب ويؤخر التوبة، فيقول: سوف أتوب، سوف أعمل حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله (٤) .

وقال الضحاك: هو الأمل، يقول: أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا [ولا يذكر الموت] (٥) .

وقال ابن عباس، وابن زيد: يكذب بما أمامه من البعث والحساب. وأصل "الفجور" الميل، وسمي الفاسق والكافر: فاجرا، لميله عن الحق. ﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾ أي متى يكون [ذلك] (٦) تكذيبا به. قال الله تعالى: ﴿فإذا برق البصر﴾ قرأ أهل المدينة "برق" بفتح الراء، وقرأ الآخرون بكسرها، وهما لغتان.

قال قتادة ومقاتل: شخص البصر فلا يطرف مما يرى **من العجائب** التي كان يكذب بها في الدنيا. قيل: ذلك عند الموت. وقال الكلبي: عند رؤية جهنم برق أبصار الكفار.

---

(١) في "ب" في القبض.

(٢) انظر: القرطبي: ٢ / ١٩٣.

(٣) في "ب" في.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣ / ٢٠٨.

(٥) ما بين القوسين ساقط من "ب".

(٦) زيادة من "ب".." (٢)

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ١٤٤/٥

(٢) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٨١/٨

"وقال الفراء والخليل "برق" -بالكسر -أي: فزع وتحير لما يرى **من العجائب** (١) و"برق" بالفتح، أي: شق عينه وفتحها، من البريق، وهو التلألؤ (٢)

﴿وخسف القمر (٨) وجمع الشمس والقمر (٩) يقول الإنسان يومئذ أين المفر (١٠) كلا لا وزر (١١) إلى ربك يومئذ المستقر (١٢) ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر (١٣) ﴾

﴿وخسف القمر﴾ أظلم وذهب نوره وضوءه. ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران. وقيل: يجمع بينهما في ذهاب الضياء. وقال عطاء بن يسار: يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى. ﴿يقول الإنسان﴾ أي الكافر المكذب ﴿يومئذ أين المفر﴾ أي: المهرب وهو موضع الفرار. [وقيل: هو مصدر، أي: أين الفرار] (٣) قال الله تعالى: ﴿كلا لا وزر﴾ لا حصن ولا حرز ولا ملجأ. وقال السدي: لا جبل وكانوا إذا فزعوا لجؤوا إلى الجبل فتحصنوا به. [فقال الله تعالى] (٤) لا جبل يومئذ يمنعهم. ﴿إلى ربك يومئذ المستقر﴾ أي مستقر الخلق.

وقال عبد الله بن مسعود: المصير والمرجع، نظيره: قوله تعالى: "إلى ربك الرجعى" (العلق-٨) "وإلى الله المصير" (آل عمران-٢٨) (النور-٤٢) (فاطر-١٨) .

وقال السدي: المنتهى، نظيره: "وأن إلى ربك المنتهى" (النجم-٤٢) . ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ [قال ابن مسعود وابن عباس: "بما قدم" (٥)] قبل موته من عمل صالح وسيئ، وما أخر: بعد موته من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها.

وقال عطية عن ابن عباس: "بما قدم" من المعصية "وأخر" من الطاعة.

وقال قتادة: بما قدم من طاعة الله، وأخر من حق الله فضيعه.

---

(١) راجع معاني القرآن للفراء: ٣ / ٢٠٩.

(٢) قال ابن جرير: ٢٩ / ١٧٩ "أولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب كسر الراء (فإذا برق) بمعنى: فزع فشق وفتح من هول القيامة وفزع الموت، وبذلك جاءت أشعار العرب. أنشدني بعض الرواة عن أبي عبيدة الكلابي: لما أتاني ابن صبيح راغبا ... أعطيته عيساء منها فبرق.

(٣) ما بين القوسين ساقط من "أ".

(٤) في "ب" فقال: قل.

(٥) ما بين القوسين ساقط من "أ".." (١)

"حدوثه. وقد بلغني الكبر أدركني كبر السن وأثر في. وكان له تسع وتسعون ولامرأته ثمان وتسعون سنة.

وامرأتي عاقر لا تلد، من العقر وهو القطع لأنها ذات عقر من الأولاد. قال كذلك الله يفعل ما يشاء أي يفعل ما يشاء **من**

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٨٢/٨

العجائب مثل ذلك الفعل، وهو إنشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر، أو كما أنت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد أو كذلك الله مبتدأ وخبر أي الله على مثل هذه الصفة، ويفعل ما يشاء بيان له أو كذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كذلك، والله يفعل ما يشاء بيان له.

[سورة آل عمران (٣) : آية ٤١]
قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار (٤١)
قال رب اجعل لي آية علامة أعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار. قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام أي لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا، وإنما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله تعالى وشكره، قضاء لحق النعمة وكأنه قال آيتك أن يحبس لسانك إلا عن الشكر وأحسن الجواب ما اشتق من السؤال. إلا رمزا إشارة بنحو يد أو رأس، وأصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير. وقرئ «رمزا» بفتحتين كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على أنه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله:
متى ما تلقني فردين ترجف ... روانف أليتيك وتستطارا
واذكر ربك كثيرا في أيام الحبسة، وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه، وتقييد الأمر بالكثرة يدل على أنه لا يفيد التكرار. وسبح بالعشي من الزوال إلى الغروب. وقيل من العصر أو الغروب إلى ذهاب صدر الليل. والإبكار من طلوع الفجر إلى الضحى. وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر وأسحار.

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ٤٢ الى ٤٣]
وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين (٤٢) يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين (٤٣)
وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها، ومن أنكر الكرامة زعم أن ذلك كانت معجزة لزكريا أو إرهاصا لنبوة عيسى عليه الصلاة والسلام، فإن الإجماع على أنه سبحانه وتعالى لم يستنبئ امرأة لقوله تعالى: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا. وقيل ألهموها، والاصطفاء الأول تقبلها من أمها ولم يقبل قبلها أنثى وتفريغها للعبادة وإغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء. والثاني هدايتها وإرسال الملائكة إليها، وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير أب وتبرئتها مما قذفتها به اليهود بإنطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين.
يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين أمرت بالصلاة في الجماعة بذكر أركانها مبالغة في المحافظة عليها، وقدم السجود على الركوع إما لكونه كذلك في شريعتهم أو للتنبيه على أن الواو لا توجب الترتيب، أو ليقترن اركعي بالراكعين للإيذان بأن من ليس في صلاتهم ركوع ليسوا مصلين. وقيل المراد بالقنوت إدامة الطاعة كقوله تعالى: أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة كقوله تعالى: وأدبار السجود. وبالركوع الخشوع والإخبات.

[سورة آل عمران (٣) : آية ٤٤]

ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون (٤٤)."

(١)

"أخفيها على المعنى الأخير.

فلا يصدنك عنها عن تصديق الساعة، أو عن الصلاة. من لا يؤمن بها نهي الكافر أن يصد موسى عليه الصلاة والسلام عنها، والمراد نهيه أن ينصد عنها كقولهم: لا أرينك ها هنا، تنبيها على أن فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها، وأنه ينبغي أن يكون راسخا في دينه فإن صد الكافر إنما يكون بسبب ضعفه فيه. واتبع هواه ميل نفسه إلى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها.

فتردى فتهلك بالانصداد بصده.

[سورة طه (٢٠) : الآيات ١٧ الى ١٨]

وما تلك بيمينك يا موسى (١٧) قال هي عصاي أتوكؤا عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى (١٨)

وما تلك استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها **من العجائب**. بيمينك حال من معنى الإشارة، وقيل صلة تلك. يا موسى تكرير لزيادة الاستئناس والتنبيه.

قال هي عصاي وقرئ «عصي» على لغة هذيل. أتوكؤا عليها أعتمد عليها إذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع. وأهش بها على غنمي وأخبط الورق بها على رؤوس غنمي، وقرئ «أهش» وكلاهما من هش الخبز يهش إذا انكسر لهشاشته، وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم أي أنحى عليها زاجرا لها.

ولي فيها مآرب أخرى حاجات أخر مثل أن كان إذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته، وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل به، وإذا قصر الرشاء وصله بها، وإذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها، وكأنه صلى الله عليه وسلم فهم أن المقصود من السؤال أن يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها، حتى إذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص أخرى خارقة للعادة مثل أن تشتعل شعبتاه بالليل كالشمع، وتصيران دلوا عند الاستقاء، وتطول بطول البئر وتحارب عنه إذا ظهر عدو، وينبع الماء بركزها، وينضب بنزعها وتورق وتثمر إذا اشتهى ثمرة فركزها، على أن ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة أحدثها الله فيها لأجله وليست من خواصها، فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى أنها من جنس العصي تنفع منافع أمثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه.

[سورة طه (٢٠) : الآيات ١٩ الى ٢١]

قال ألقها يا موسى (١٩) فألقاها فإذا هي حية تسعى (٢٠) قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى (٢١)

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٦/٢

قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى قيل لما ألقاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا إلى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى، وحية أخرى باعتبار الاسم الذي يعم الحالين. وقيل كانت في ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كأنها جان.

قال خذها ولا تخف فإنه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها. سنعيدها سيرتها الأولى هيئتها وحالتها المتقدمة، وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض أو على أن أعاد منقول من عاده بمعنى عاد إليه، أو على الظرف أي سنعيدها في طريقتها أو على تقدير فعلها أي سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الأولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل. قيل لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى أدخل يده في فمها وأخذ بلحييها.

[سورة طه (٢٠) : الآيات ٢٢ الى ٢٤]

واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى (٢٢) لنريك من آياتنا الكبرى (٢٣) اذهب إلى فرعون إنه طغى (٢٤)." [١]

"قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية عنوة وغلبة. أفسدوها تزييف لما أحست منهم من الميل إلى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية، وإشعار بأنها ترى الصلح مخافة أن يتخطى سليمان خططهم فيسرع إلى إفساد ما يصادفه من أموالهم وعماراتهم، ثم أن الحرب سجال لا تدري عاقبتها. وجعلوا أعزة أهلها أذلة بنهب أموالهم وتخريب ديارهم إلى غير ذلك من الإهانة والأسر. وكذلك يفعلون تأكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بأن ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة، أو تصديق لها من الله عز وجل.

وإني مرسلة إليهم بهدية بيان لما ترى تقديمه في المصالحة، والمعنى إني مرسلة رسلا بهدية أدفعه بها عن ملكي. فناظرة بم يرجع المرسلون من حاله حتى أعمل بحسب ذلك.

روي أنها بعثت منذر بن عمرو في وفد وأرسلت معهم غلمانا على زي الجواري وجواري على زي الغلمان، وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت: إن كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا، فلما وصلوا إلى معسكره ورأوا عظمة شأنه تقاصرت إليهم نفوسهم، فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال فطلب الحق وأخبر عما فيه، فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة وأمر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت في الجزعة، ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية.

[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٣٦ الى ٣٧]

فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون (٣٦) ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٤/ ٢٥

لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون (٣٧)

فلما جاء سليمان أي الرسول أو ما أهدت إليه وقرئ «فلما جاءوا» . قال أتمدونن بمال خطاب للرسول ومن معه، أو للرسول والمرسل على تغليب المخاطب. وقرأ حمزة ويعقوب بالإدغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء. فما آتاني الله من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه، وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص بفتح الياء والباقون بإسكانها وبإمالتها الكسائي وحده. خير مما آتاكم فلا حاجة لي إلى هديتكم ولا وقع لها عندي. بل أنتم بهديتكم تفرحون لأنكم لا تعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى إليكم حبا لزيادة أموالكم، أو بما تهدونه افتخارا على أمثالكم، والإضراب عن إنكار الإمداد بالمال عليه وتقليله إلى بيان السبب الذي حملهم عليه، وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها.

ارجع أيها الرسول. إليهم إلى بلقيس وقومها. فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ «بهم» . ولنخرجنهم منها من سبأ. أذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز. وهم صاغرون أسراء مهانون.

[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٣٨ الى ٣٩]

قال يا أيها الملؤا أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين (٣٨) قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين (٣٩)

قال يا أيها الملؤا أيكم يأتيني بعرشها أراد بذلك أن يريها بعض ما خصه الله تعالى به **من العجائب** الدالة على عظم القدرة وصدقه في دعوى النبوة، ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره؟.

قبل أن يأتوني مسلمين فإنها إذا أتت مسلمة لم يحل أخذه إلا برضاها.

قال عفريت خبيث مارد. من الجن بيان له لأنه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر أقرانه، وكان اسمه ذكوان أو صخرا. أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك من مجلسك للحكومة وكان يجلس إلى نصف." (١)

"(٨٥) سورة البروج

مكية وآيها ثنتان وعشرون آية

[سورة البروج (٨٥) : الآيات ١ الى ٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج (١) واليوم الموعود (٢) وشاهد ومشهود (٣)

والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لأنها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت، أو منازل القمر أو عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها، أو أبواب السماء فإن النوازل تخرج منها وأصل التركيب للظهور.

واليوم الموعود يوم القيامة.

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٦٠/٤

وشاهد ومشهود ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما أحضر فيه **من العجائب**، وتنكيرهما للإبهام في الوصف أي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما، أو المبالغة في الكثرة كأنه قيل: ما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود، أو النبي عليه الصلاة والسلام وأمته، أو أمته وسائر الأمم، أو كل نبي وأمته، أو الخالق والخلق، أو عكسه فإن الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده، أو الملك الحفيظ والمكلف أو يوم النحر، أو عرفة والحجيج، أو يوم الجمعة والجمع فإنه يشهد له أو كل يوم وأهله.

[سورة البروج (٨٥) : آية ٤]
قتل أصحاب الأخدود (٤)
قتل أصحاب الأخدود قيل إنه جواب القسم على تقدير لقد قتل، والأظهر أنه دليل جواب محذوف كأنه قيل إنهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن أصحاب الأخدود، فإن السورة وردت لتثبيت المؤمنين على أذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم، والأخدود الخد وهو الشق في الأرض ونحوهما بناء ومعنى الحق والأحقوق.
روي مرفوعا: أن ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم إليه غلاما ليعلمه، وكان في طريقه راهب فمال قلبه إليه، فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فأخذ حجرا وقال: اللهم إن كان الراهب أحب إليه من الساحر فاقتلها فقتلها، وكان الغلام بعد يبرئ الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء، وعمي جليس الملك فأبرأه، فسأله الملك عمن أبرأه فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه، فدل على الراهب فقده بالمنشار، وأرسل الغلام إلى جبل ليطرح من ذروته، فدعا فرجف بالقوم فهلكوا ونجا، وأجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا، فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهما من كنانتي وتقول: بسم الله رب هذا الغلام، ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فمات، فآمن الناس برب الغلام، فأمر بأخاديد وأوقدت فيها النيران، فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي: يا أماه اصبري فإنك على الحق فاقتحمت. وعن علي رضي الله تعالى عنه: كان بعض ملوك المجوس خطب الناس وقال: إن الله أحل نكاح الأخوات فلم يقبلوه، فأمر بأخاديد النار فطرح فيها من أبى، وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فأحرق في الأخاديد من لم يرتد.." (١)
"وانخراقه، ويحتمل أن تكون في اضطراب أفئدتهم وجيشانها في صدورهم، وأنها تذهب وتجيء وتبلغ على ما روي حناجرهم، فهي في ذلك كالهواء الذي هو أبدا في اضطراب.
وقوله سبحانه: وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب: المراد باليوم: يوم القيامة، ونصبه على أنه مفعول ب «أنذر» ، ولا يجوز أن يكون ظرفا، لأن القيامة ليست بموطن إنذار، قال الشيخ العارف بالله عبد الله بن أبي جمرة: يجب التصديق بكل ما أخبر الله ورسوله به، ولا يتعرض إلى الكيفية في كل ما جاء من أمر الساعة وأحوال يوم القيامة، فإنه أمر لا تسعه العقول، وطلب الكيفية فيه ضعف في الإيمان، وإنما يجب الجزم بالتصديق بجميع ما أخبر الله به، انتهى.

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٣٠٠/٥

قال الغزالي: فأعلم العلماء وأعرف الحكماء ينكشف له عقيب الموت **من العجائب** والآيات ما لم يخطر قط بباله، ولا اختلج به ضميره، فلو لم يكن للعاقل هم ولا غم، إلا التفكر في خطر تلك الأحوال، وما الذي ينكشف عنه الغطاء من شقاوة لازمة، أو سعادة دائمة/ لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر، والعجب من غفلتنا، وهذه العظائم بين أيدينا. انتهى من «الإحياء» .

وقوله: أولم تكونوا ... الآية: معناه: يقال لهم، وقوله: ما لكم من زوال: هو المقسم عليه، وهذه الآية ناظرة إلى ما حكى الله سبحانه عنهم في قوله:

وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت [النحل: ٣٨] .

[سورة إبراهيم (١٤) : الآيات ٤٥ الى ٤٧]

وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال (٤٥) وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال (٤٦) فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام (٤٧)

وقوله سبحانه: وسكنتم ... الآية: المعنى: يقول الله عز وجل: وسكنتم أيها المعرضون عن آيات الله من جميع العالم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر من الأمم السالفة، فنزلت بهم المثلات، فكان حقكم الاعتبار والاتعاظ. وقوله: وعند الله مكرهم: أي: جزاء مكرهم، وقرأ السبعة سوى الكسائي «١» : «وإن كان مكرهم لتزول»

---

(١) ومعنى قراءة الكسائي حينئذ: وقد كان مكرهم يبلغ في المكيدة إلى إزالة الجبال، غير أن الله ناصر دينه، ومزيل مكر الكفار وماحقه، وحجته قراءة علي وابن مسعود: «وإن كاد مكرهم لتزول» ، بالدال، واللام في قراءة الجمهور لام الجحود، والمعنى: ما كان مكرهم ليزول به أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وأمر دين الإسلام.

وحجتهم ما روي عن الحسن: «كان مكرهم أوهن وأضعف من أن تزول منه الجبال» .

ينظر: «السبعة» (٣٦٣) ، و «الحجة» (٥/ ٣١) ، و «معاني القراءات» (٢/ ٦٥) ، و «إعراب القراءات» (١/." [1]

"الإسراء فيما قال مقاتل وقتادة: قبل الهجرة بعام «١» ، وقيل: بعام ونصف، والمتحقق أن ذلك كان بعد شق الصحيفة، وقبل بيعة العقبة، ووقع في «الصحيحين» لشريك بن أبي نمر، وهم في هذا المعنى فإنه روى حديث الإسراء، فقال فيه: وذلك قبل أن يوحى إليه، ولا خلاف بين المحدثين أن هذا وهم من شريك.

قال ص: أسرى بعبده بمعنى: سرى، وليست همزته للتعدية، بل ك «سقى وأسقى» ، والباء للتعدية، وليلا ظرف للتأكيد لأن السرى لا يكون لغة إلا بليل، وقيل: يعنى به في جوف الليل، فلم يكن إدلاجا ولا ادلاجا انتهى.

والمسجد الأقصى: بيت المقدس، «والأقصى» البعيد، والبركة حوله من وجهين:

أحدهما، النبوة والشرائع والرسل الذين كانوا في ذلك القطر، وفي نواحيه.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣/٣٨٩

والآخر: النعم من الأشجار والمياه والأرض المفيدة.

وقوله سبحانه: لنريه يريد لنري محمدا بعينه آياتنا في السموات والملائكة والجنة والسدرة وغير ذلك **من العجائب**، مما رآه تلك الليلة، ولا خلاف أن في هذا الإسراء فرضت الصلوات الخمس على هذه الأمة.

وقوله سبحانه: إنه هو/ السميع البصير وعيد للمكذبين بأمر الإسراء، أي: هو السميع لما تقولون، البصير بأفعالكم.

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٢ الى ٤]

وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا (٢) ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا (٣) وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا (٤)

وآتينا موسى الكتاب، أي: التوراة.

وقوله: ألا تتخذوا من دوني وكيلا ... الآية: التقدير: فعلنا ذلك لئلا تتخذوا يا ذرية ف ذرية: منصوب على النداء، وهذه مخاطبة للعالم، ويتجه نصب (ذرية) على أنه مفعول ب «تتخذوا» ، ويكون المعنى ألا يتخذوا بشرا إلاها من دون الله، وقرأ أبو عمرو «٢»

---

(١) ذكره البغوي (٣/ ٩٢) ، وابن عطية (٣/ ٤٣٥) ، والسيوطي في «الدر المنثور» ، وعزاه لابن مردويه، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده.

(٢) وحجته أن الفعل قرب من الخبر عن بني إسرائيل، فجعل الفعل مسندا إليهم، والمعنى حينئذ: جعلناه هدى لبني إسرائيل، لئلا يتخذوا من دوني وكيلا.." (١)

"جاءتهم الآيات المقترحة، فلم يؤمنوا كثمود وغيرهم. قال الزجاج «١» : أخبر تعالى أن موعد كفار هذه الأمة الساعة بقوله سبحانه: بل الساعة موعدهم [القمر: ٤٦] فهذه الآية تنظر إلى ذلك، ومبصرة أي: ذات إبصار وهي عبارة عن بيان أمر الناقة، ووضوح إعجازها، وقوله: فظلموا بها، أي: بعقرها، وبالكفر في أمرها، ثم أخبر تعالى أنه إنما يرسل بالآيات غير المقترحة تخويفا للعباد، وهي آيات معها إمهال، فمن ذلك الكسوف والرعد والزلزلة وقوس قزح، وغير ذلك، وآيات الله المعتبر بها ثلاثة أقسام: فقسم عام في كل شيء، إذ حيث ما وضعت نظرك، وجدت آية، وهنا فكرة للعلماء، وقسم معتاد غالبا كالكسوف ونحوه، وهنا فكرة الجهلة، وقسم خارق للعادة، وقد انقضى بانقضاء النبوة، وإنما يعتبر به، توهما لما سلف منه.

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٦٠ الى ٦٥]

وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣/٤٥٠

يزيدهم إلا طغيانا كبيرا (٦٠) وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا (٦١) قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا (٦٢) قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا (٦٣) واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا (٦٤)

إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا (٦٥)

وقوله سبحانه: وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس هذه الآية إخبار للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه محفوظ من الكفرة آمن، أي: فلتبلغ رسالة ربك، ولا تتهيب أحدا من المخلوقين قاله الطبري «٢» ونحوه للحسن «٣» والسدي.

وقوله سبحانه: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك ... الآية: الجمهور أن هذه الرؤيا رؤيا عين ويقظة، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كان صبيحة الإسراء، وأخبر بما رأى في تلك الليلة **من العجائب**، قال الكفار: إن هذا لعجب، واستبعدوا ذلك فافتتن بهذا قوم من ضعفة المسلمين فارتدوا وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فعلى هذا يحسن

---

(١) ينظر: «تفسير الزجاج» (٣/ ٢٤٧) .

(٢) ينظر: «الطبري» (٨/ ١٠٠) .

(٣) أخرجه الطبري (٨/ ١٠٠) برقم: (٢٢٤٠٨) ، وذكره ابن عطية (٣/ ٤٦٧) ، وابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٨) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٣٤٥) ، وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.." [1]

"أخبرنا محمد بن نعيم قال: أخبرنا الحسن بن الحسين بن أيوب، أخبرنا علي بن عبد العزيز قال: حدثنا أبو عبيد قال: حدثنا حجاج عن هارون قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عنها فقال:

برق بالكسر يعني جار قال: وسألت عنها عبد الله بن أبي إسحاق فقال: برق بالفتح، وقال: إنما برق الحنظل اليابس، وبرق البصر قال: فذكرت ذلك لأبي عمرو فقال: إنما برق الحنظل والنار والبرق، وأما البصر فبرق عند الموت، قال: فأخبرت بذلك ابن أبي إسحاق فقال: أخذت قراءتي عن الأشياخ نصر بن عاصم وأصحابه فذكرت ذلك لأبي عمرو فقال: لكني لا آخذ عن نصر ولا عن أصحابه كأنه يقول أخذ عن أهل الحجاز فقال: قتادة ومقاتل: شخص البصر فلا يطرف مما يرى **من العجائب** مما كان يكذب به في الدنيا إنه غير كائن، وقال الفراء والخليل:

برق بالكسر فزع، وأنشدا لبعض العرب:

فنفسك قانع ولا تتغي ... وداو الكلوم ولا تبرق

أي لا تفزع من الجرح الذي بك.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٤٨٢/٣

قال ذو الرمة:

ولو أن لقمان الحكيم تعرضت ... لعينيه مي سافرا كاد يبرق «١»

وبرق بفتح الراء: شق عينه وفتحها، وأنشد أبو عبيدة:

لما أتاني ابن عمير راغبا ... أعطيته عيسا صهابا فبرق «٢»

أي فتح عينه، ويجوز أن يكون من البرق.

وخسف القمر أظلم وذهب ضوءه، قال ابن كيسان: ويحتمل أن يكون بمعنى غاب كقوله سبحانه فخسفنا به وبداره الأرض «٣» ، وقرأ [ابن أبي إسحاق وعيسى والأعرج] : وخسف بالضم لقوله: وجمع الشمس والقمر «٤» أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران، وهي في قراءة عبد الله: وجمع بين الشمس والقمر، وقيل: وجمع بينهما في ذهاب الضياء، وقال عطاء بن يسار: يجمعان يوم القيامة، ثم يقذفان في البحر، فيكونان نار الله الكبرى،

وقال علي بن أبي طالب وابن عباس: يجعلان في نور الحجب.

يقول الإنسان يومئذ أين المفر المهرب، وقرأها العامة المفر بفتح الفاء واختاره أبو عبيد وأبو حاتم قالا: لأنه مصدر، وقرأ ابن عباس والحسن بكسر الفاء، قال الكسائي: هما

---

(١) لسان العرب: ١٠/ ١٥.

(٢) الأبيات في تفسير القرطبي: ١٩/ ٩٦ مورد الآية.

(٣) سورة القصص: ٨١.

(٤) سورة القيامة: ٩.." (١)

"مقاتل والبراء: أحاط بالناس يعني أهل مكة أي أنها ستفتح لك.

وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس.

قال قوم: هي رؤيا عين وهو ما أرى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج **من العجائب** والآيات فكان ذلك فتنة للناس، فقوم أنكروا وكذبوا، وقوم ارتدوا، وقوم صدقوا، والعرب تقول: [رأيت بعيني] رؤية ورؤيا وعلى هذا يحمل حديث معاوية أنه كان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كانت رؤيا من الله صادقة أي [رؤيا عيان] أرى الله نبيه صلى الله عليه وسلم وما ذكرنا من تأويل الآية، قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وأبي مالك وقتادة ومجاهد والضحاك وابن زيد وابن جريج وعطية وعكرمة وعطية عن ابن عباس.

وقال آخرون: هي ما أرى الله نبيه صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى بروحه دون بدنه فلما قصها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه [........] «١» من أصحاب المسلمين وطعن فيها ناس من المنافقين. وهو ما

روى جرير بن حازم عن أبي رجاء العطاردي، يحدث عن سمرة بن جندب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٨٤/١٠

صلى الغداة أستقبل الناس [بوجهه] فقال: «هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا» ؟ فإن كان أحدا رأي تلك الليلة رؤيا قصها عليه فيقول فيها ما شاء الله أن يقول فسألنا يوما. فقال: «هل رأى منكم أحد الليلة رؤيا» ، قلنا: لا، قال: «لكني أتاني الليلة آيتان فقالا لي: انطلق فانطلقت معهما فأخرجاني إلى أرض مستوية فإذا رجل مستلقي على قفاه ورجل قائم بيده صخرة فشدخ بها رأسه [فيتبع] الحجر فإذا ذهب يأخذه عاد رأسه كما كان فهو يصنع به مثل ذلك، فقلت: ما هذا؟

قالا: انطلق فانطلقت معهما فأتينا على رجل مستلق لقفاه يرمش عينه، فإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد فإذا هو يأخذ أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه وعينه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ذلك فما يفرغ من ذلك حتى يصبح ذلك الجانب كما كان ثم يعود إليه، فقلت لهما: سبحان الله ما هذا؟ قالا لي: انطلق فانطلقت معهما فأتيا على بيت مبني مثل بناء التنور أعلاه ضيق [وأسفله واسع] يوقد فيه النار فأطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب من أسفل [ضجوا] ، قلت لهما: ما هؤلاء؟

قالا لي: انطلق فانطلقنا فأتينا على نهر من دم أحمر وإذا في البحر سابح يسبح فإذا على شاطئ النهر رجل عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك السابح يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه فيلقمه حجرا فيذهب فيسبح ما يسبح ثم يرجع إليه كما رجع إليه فيفغر له فاه «٢» فألقمه حجرا قال: فقلت ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقت فأتينا على رجل كريه المرآة كأكره ما رأيت

---

(١) كلمة غير مقروءة.

(٢) هكذا في الأصل.." (١)

": مختلفا لينذر بأسا شديدا أي لتنذركم بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا وهي الجنة.

ماكثين: مقيمين فيه أبدا. وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا. ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة نصب على التمييز والقطع، تقديره: كبرت الكلمة كلمة، تخرج من أفواههم إن يقولون: ما يقولون إلا كذبا.

فلعلك باخع نفسك: قاتل نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث: القرآن أسفا: حزنا وجزعا وغضبا.

إنا جعلنا ما على الأرض من كل شيء زينة لها، قال الضحاك من الزاكية خاصة زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا أي أزهد فيها.

وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا: مستويا جرزا: يابسا أملس لا تنبت شيئا.

[سورة الكهف (١٨) : الآيات ٩ الى ١٦]

أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (٩) إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٠٩/٦

وهيئ لنا من أمرنا رشدا (١٠) فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا (١١) ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا (١٢) نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى (١٣)

وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا (١٤) هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا (١٥) وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا (١٦)

أم حسبت، معناه: بل أم حسبت، يعني: أظننت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا؟ يعني: ليسوا أعجب آياتنا فإن ما خلقت من السماوات والأرض وما فيهن **من العجائب** أغرب منهم. والكهف هو الغار في الجبل.

واختلفوا في الرقيم، فقال «١» فيه ما

روى ابن جريج عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن ثلاثة نفر خرجوا يرتادون لأهلهم، بينا هم يمشون إذ «٢» أصابتهم السماء، فأووا إلى كهف فسقطت صخرة من الجبل فانطبقت على باب الكهف فانقفل عليهم، فقال قائل منهم:

اذكروا أيكم عمل حسنة لعل الله برحمته «٣» يرحمنا.

---

(١) كذا في المخطوط.

(٢) في المخطوط: إذا.

(٣) ببركته، عن هامش المخطوط.." [1]

"﴿إن في خلق السماوات والأرض﴾ وما فيهما **من العجائب** ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان ﴿والفلك﴾ السفن ﴿التي تجري في البحر﴾ ولا ترسب موقرة ﴿بما ينفع الناس﴾ من التجارات والحمل ﴿وما أنزل الله من السماء من ماء﴾ مطر ﴿فأحيا به الأرض﴾ بالنبات ﴿بعد موتها﴾ يبسها ﴿وبث﴾ فرق ونشر به ﴿فيها من كل دابة﴾ لأنهم ينمون بالخصب الكائن عنه ﴿وتصريف الرياح﴾ تقليبها جنوبا وشمالا حارة وباردة ﴿والسحاب﴾ الغيم ﴿المسخر﴾ المذلل بأمر الله تعالى يسير إلى حيث شاء الله ﴿بين السماء والأرض﴾ بلا علاقة ﴿لآيات﴾ دالات على وحدانيته تعالى ﴿لقوم يعقلون﴾ يتدبرون

١٦ -." [2]

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٤٥/٦

(٢) تفسير الجلالين المحلي، جلال الدين ص/٣٣

"﴿إن في خلق السماوات والأرض﴾ وما فيهما **من العجائب** ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ بالمجيء والذهاب والزيادة والنقصان ﴿لآيات﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لأولي الألباب﴾ لذوي العقول

١٩ -." (١)

"﴿وفي أنفسكم﴾ آيات أيضا من مبدأ خلقكم إلى منتهاه وما في تركيب خلقكم **من العجائب** ﴿أفلا تبصرون﴾ ذلك فتستدلون به على صانعه وقدرته

٢ -." (٢)

"أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى الساعة إلا الله، أخرجه البخاري. وقال الضحاك ومقاتل: مفاتح الغيب: خزائن الأرض، وعلم نزول العذاب، وقال عطاء: هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب. وقيل: هو انقضاء الآجال وعلم أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم. وقيل: هو علم ما لم يكن بعد أن يكون إذ يكون كيف يكون وما لا يكون أن لو كان كيف يكون وقال ابن مسعود: أوتي نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء إلا مفاتح الغيب. وقال ابن عباس: إنها خزائن غيب السموات والأرض من الأقدار والأرزاق ويعلم ما في البر والبحر قال مجاهد: البر المفاوز والقفار، والبحر القرى والأمصار لا يحدث فيها شيء إلا وهو يعلمه. وقال جمهور المفسرين: هو البر والبحر المعروفان، لأن جميع الأرض إما بر وإما بحر وفي كل واحد منهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ما يدل على عظيم قدرته وسعة علمه وما تسقط من ورقة إلا يعلمها يريد ساقطة وثابتة والمعنى أنه يعلم عدد ما يسقط من الورق وما بقي على الشجر من ذلك ويعلم كم انقلبت ظهرا لبطن إلى أن تسقط على الأرض ولا حبة في ظلمات الأرض قيل: هو الحب المعروف يكون في بطن الأرض قبل أن ينبت. وقيل: هي الحبة التي في الصخرة التي في أسفل الأرضين ولا رطب ولا يابس قال ابن عباس: الرطب الماء واليابس البادية. وقال عطاء: يريد ما ينبت وما لا ينبت. وقيل: المراد بالرطب الحي واليابس الميت. وقيل: هو عبارة عن كل شيء لأن جميع الأشياء إما رطبة وإما يابسة.

فإن قلت إن جميع هذه الأشياء داخلة تحت قوله وعنده مفاتح الغيب فلم أفرد هذه الأشياء بالذكر وما فائدة ذلك؟.

قلت: لما قال الله تعالى وعنده مفاتح الغيب على سبيل الإجمال ذكر من بعد ذلك الإجمال ما يدل على التفصيل، فذكر هذه الأشياء المحسوسة ليدل بها على غيرها، فقدم ذكر البر والبحر لما فيهما **من العجائب** والغرائب من المدن والقرى والمفاوز والجبال وكثرة ما فيها من المعادن والحيوان، وأصناف المخلوقات مما يعجز الوصف عن إدراكها، ثم ذكر بعد ذلك ما هو أقل من ذلك وهو مشاهد لكل أحد لأن الورقة الساقطة والثابتة يراها كل أحد، لكن لا يعلم عددها وكيفية خلقها إلا الله تعالى ثم ذكر بعد ذلك ما هو أصغر من الورقة وهي الحبة. ثم ذكر بعد ذلك مثالا يجمع الكل وهو الرطب واليابس فذكر هذه الأشياء وأنه لا يخرج شيء منها عن علمه سبحانه وتعالى فصارت هذه الأمثال منبهة على عظمة عظيمة وقدرة

(١) تفسير الجلالين المحلي، جلال الدين ص/٩٤

(٢) تفسير الجلالين المحلي، جلال الدين ص/٦٩٣

عالية وعلم واسع فسبحان العليم الخبير.

قوله تعالى: إلا في كتاب مبين فيه قولان: أحدهما أن الكتاب المبين هو علم الله الذي لا يغير ولا يبدل.

والثاني: أن المراد بالكتاب المبين، هو اللوح المحفوظ، لأن الله كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل أن يخلق السموات والأرض. وفائدة إحصاء الأشياء كلها في هذا الكتاب، لتقف الملائكة على إنفاذ علمه ونبه بذلك على تعظيم الحساب وأعلم عباده أنه لا يفوته شيء مما يصنعونه لأن من أثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب في كتاب فهو إلى إثبات ما فيه ثواب وعقاب أسرع.

قوله تعالى: وهو الذي يتوفاكم بالليل يعني يقبض أرواحكم إذا نمتم بالليل ويعلم ما جرحتم ما كسبتم بالنهار ثم يبعثكم فيه أي يوقظكم فيه أي في النهار ليقضى أجل مسمى يعني أجل الحياة إلى الممات يريد استيفاء العمر على التمام ثم إليه مرجعكم في الآخرة ثم ينبئكم أي يخبركم بما كنتم تعملون قوله تعالى:." (١)

"العرب بأحوال إبراهيم ومحاجته لأبيه وقومه لأنهم كانوا يعظمون إبراهيم صلى الله عليه وسلم ويعترفون بفضله فلا جرم ذكر قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه في معرض الاحتجاج على المشركين قوله عز وجل: وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض معناه وكما أرينا إبراهيم البصيرة في دينه والحق في خلاف قومه وما كانوا عليه من الضلال في عبادة الأصنام نريه ملكوت السموات والأرض فلهذا السبب عبر عن هذه الرؤية بلفظ المستقبل في قوله وكذلك نرى إبراهيم لأنه تعالى كان أراه بعين البصيرة أن أباه وقومه على غير الحق فخالفهم فجزاه الله بأن أراه بعد ذلك ملكوت السموات والأرض فحسنت هذه العبارة لهذا المعنى. والملكوت: الملك زيدت فيه التاء للمبالغة كالرهبوت والرغبوت والرحموت من الرهبة والرغبة والرحمة.

قال ابن عباس: يعني خلق السموات والأرض. وقال مجاهد وسعيد بن جبير: يعني آيات السموات والأرض وذلك أنه أقيم على صخرة وكشف له عن السموات حتى رأى العرش والكرسي وما في السموات **من العجائب** وحتى رأى مكانه في الجنة فذلك قوله: وآتيناه أجره في الدنيا يعني أريناه مكانه في الجنة وكشف له عن الأرض حتى نظر إلى أسفل الأرضين ورأى ما فيها **من العجائب**. قال البغوي: وروي عن سليمان ورفعه بعضهم عن علي قال: لما رأى إبراهيم ملكوت السموات والأرض أبصر رجلا على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فأراد أن يدعو عليه فقال له تبارك وتعالى: «يا إبراهيم أنت رجل مجاب الدعوة فلا تدعون على عبادي فإنما أنا من عبدي على ثلاث خلال: إما أن يتوب إلي فأتوب عليه وإما أن أخرج منه نسمة تعبدني وإما أن يبعث إلى فإن شئت عفوت وإن شئت عاقبت» وفي رواية، وإن تولى فإن جهنم من ورائه، قال قتادة: ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الأرض الجبال والشجر والبحار، واختلف في هذه الرؤية هل كانت بعين البصر أو بعين البصيرة على قولين: أحدهما إنها كانت بين البصر الظاهر فشق لإبراهيم السموات حتى رأى العرش وشق له الأرض حتى رأى ما في بطنها.

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١١٩/٢

والقول الثاني: إن هذه الرؤية كانت بعين البصيرة لأن ملكوت السموات والأرض عبارة عن الملك وذلك لا يعرف إلا بالعقل فبان بهذا أن هذه الرؤية كانت بعين البصيرة، إلا أن يقال: المراد بملكوت السموات والأرض نفس السموات والأرض.

وقوله تعالى: وليكون من الموقنين عطف على المعنى ومعناه «وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض» ليستدل به وليكون من الموقنين واليقين: عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد زوال الشبهة، لأن الإنسان في أول الحال لا ينفك عن شبهة وشك، فإذا كثرت الدلائل وتوافقت، صارت سببا لحصول اليقين والطمأنينة في القلب وزالت الشبهة عند ذلك: قال ابن عباس في وليكون من الموقنين جلا له الأمر سره وعلانيته فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلائق فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال الله تعالى: إنك لا تستطيع هذا فرده الله كما كان قبل ذلك فمعنى الآية على هذا القول وكذلك أريناه ملكوت السموات والأرض ليكون ممن يوقن علم كل شيء حسا وخبرا.

وقوله تعالى: فلما جن عليه الليل يقال جن الليل وأجن إذا أظلم وغطى كل شيء وأجنه الليل وجن عليه إذا ستره بسواده رأى كوكبا قال هذا ربي ((ذكر القصة في ذلك)) قال أهل التفسير وأصحاب الأخبار والسير: ولد إبراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان الملك وكان نمرود أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس إلى عبادته وكان له كهان منجمون، فقالوا له: إنه يولد في بلدك." (١)

"لأبويه: أخرجاني، فأخرجاه من باب السرب حين غابت الشمس فنظر إبراهيم إلى الإبل والخيل والغنم فسأل أباه ما هذه؟ قال: إبل وخيل وغنم. فقال إبراهيم: ما لهذه بد من أن يكون لها إله وهو ربها وخالقها. ثم نظر، فإذا المشتري قد طلع ويقال إنها الزهرة، وكانت تلك الليلة من آخر الشهر فتأخر طلوع القمر فرأى الكوكب قبل القمر فذلك قوله عز وجل: فلما جن عليه الليل يعني ستره بظلامه رأى كوكبا قال هذا ربي ثم اختلف العلماء في وقت هذه الرؤية وفي وقت هذا القول هل كان قبل البلوغ أو بعده على قولين: أحدهما أنه كان قبل البلوغ في حال طفوليته وذلك قبل قيام الحجة عليه فلم يكن لهذا القول الذي صدر من إبراهيم في هذا الوقت اعتبار ولا يترتب عليه حكم لأن الأحكام إنما تثبت بعد البلوغ. وقيل: إن إبراهيم لما خرج من السرب في حال صغره ونظر إلى السماء وما فيها **من العجائب** ونظر إلى الأرض وما فيها **من العجائب** وكان قد خصه الله بالعقل الكامل والفطرة السليمة تفكر في نفسه وقال لا بد لهذا الخلق من خالق مدبر وهو إله الخلق، ثم نظر في حال تفكره فرأى الكوكب وقد أزهر، فقال: هذا ربي على ما سبق إلى وهمه وذلك في حال طفوليته وقبل استحكام النظر في معرفة الرب سبحانه وتعالى واستدل أصحاب هذا القول على صحته بقوله لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين قالوا وهذا يدل على نوع تحير وذلك لا يكون إلا في حال الصغر وقبل البلوغ وقيام الحجة وهذا القول ليس بسديد ولا مرضي لأن الأنبياء معصومون في كل حال من الأحوال وأنه لا يجوز أن يكون لله عز وجل رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو بالله عارف وله موحد وله من كل منقصة منزه ومن كل معبود سواه بريء وكيف يتوهم هذا على إبراهيم وقد عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل وأراه ملكوت السموات والأرض أفبرؤية الكوكب يقول

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢/١٢٦

معتقدا هذا ربي؟ حاشا إبراهيم صلى الله عليه وسلم من ذلك لأن منصبه أعلى وأشرف من ذلك صلى الله عليه وسلم.
والقول الثاني: الذي عليه جمهور المحققين إن هذه الرؤية وهذا القول كان بعد بلوغ إبراهيم وحين شرفه الله بالنبوة وأكرمه بالرسالة ثم اختلف أصحاب هذا القول في تأويل الآية ومعناها فذكروا فيها وجوها:
الوجه الأول: أن إبراهيم عليه السلام أراد أن يستدرج قومه بهذا القول ويعرفهم جهلهم وخطأهم في تعظيم النجوم وعبادتها لأنهم كانوا يرون أن كل الأمور إليها، فأراهم إبراهيم أنه معظم ما عظموه فلما أفل الكوكب والقمر والشمس أراهم النقص الداخل على النجوم بسبب الغيبوبة والأفول ليثبت خطأ ما كانوا يعتقدون فيها من الألوهية. ومثل هذا كمثل الحواري الذي ورد على قوم كانوا يعبدون صنما فأظهر تعظيمه فأكرموه لذلك حتى صاروا يصدرون عن رأيه في كثير من أمورهم إلى أن دهمهم عدو لا قبل لهم به فشاوروه في أمر هذا العدو فقال:
الرأي عندي أن ندعو هذا الصنم حتى يكشف عنا ما نزل بنا، فاجتمعوا حول الصنم يتضرعون إليه فلم يغن شيئا فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يدفع، دعاهم الحواري وأمرهم أن يدعو الله عز وجل ويسألوه أن يكشف ما نزل بهم، فدعوا الله مخلصين، فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فأسلموا جميعا.
الوجه الثاني: أن إبراهيم عليه السلام قال هذا القول على سبيل الاستفهام وهو استفهام إنكار وتوبيخ لقومه وتقديره: أهذا ربي الذي تزعمون، وإسقاط حرف الاستفهام كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى: أفإن مت فهم الخالدون يعني أفهم الخالدون. والمعنى أيكون هذا ربا ودلائل النقص فيه ظاهرة.
الوجه الثالث: أن إبراهيم عليه السلام قال ذلك على وجه الاحتجاج على قومه يقول هذا ربي بزعمكم فلما غاب قال لو كان إلها كما تزعمون لما غاب فهو كقوله ذق إنك أنت العزيز الكريم يعني عند نفسك وبزعمك وكما أخبر عن موسى عليه السلام بقوله تعالى: انظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا يريد إلهك بزعمك.
الوجه الرابع: إن في هذه الآية إضمارا تقديره يقولون «هذا ربي» وإضمار القول كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى: وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا أي يقولان ربنا تقبل منا.." (١)

"عربية فصيحة وإن كانت غير عربية في الأصل لكنهم لما تكلموا بها نسبت إليهم وصارت لهم لغة، فظهر بهذا البيان صحة القولين وأمكن الجمع بينهما لعلكم تعقلون يعني تفهمون أيها العرب لأنه نازل بلغتكم قوله تعالى: نحن نقص عليك أحسن القصص الأصل في معنى القصص اتباع الخبر بعضه بعضا والقاص هو الذي يأتي بالخبر على وجهه وأصله في اللغة من قصص الأثر إذا تتبعه وإنما سميت الحكاية قصة لأن الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا فشيئا والمعنى نحن نبين لك يا محمد أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان وقيل المراد منه قصة يوسف عليه الصلاة والسلام خاصة وإنما سماها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا وما فيها من سير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على أذى الأعداء وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك من الفوائد المذكورة في هذه السورة الشريفة. قال خالد بن معدان: سورة يوسف وسورة مريم يتفكه بهما أهل الجنة في الجنة. قال عطاء: لا

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٢٨/٢

يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها.

وقوله تعالى: بما أوحينا إليك يعني بإيحائنا إليك يا محمد هذا القرآن وإن كنت أي وقد كنت من قبله يعني من قبل وحينا إليك لمن الغافلين يعني عن هذه القصة وما فيها **من العجائب** قال سعد بن أبي وقاص: أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله عز وجل: الله نزل أحسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى: نحن نقص عليك أحسن القصص فقالوا يا رسول الله لو ذكرتنا فأنزل الله عز وجل: ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله قوله عز وجل:

[سورة يوسف (١٢): الآيات ٤ الى ٥]

إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين (٤) قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين (٥)

إذ قال يوسف لأبيه أي اذكر يا محمد لقومك قول يوسف لأبيه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلى الله عليه وعليهم أجمعين (خ) عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ويوسف اسم عبري ولذلك لا يجري فيه الصرف وقيل هو عربي سئل أبو الحسن الأقطع عن يوسف فقال الأسف أشد الحزن والأسيف العبد واجتمعا في يوسف فسمي به يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين معناه قال أهل التفسير: رأى يوسف في منامه كأن أحد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له وكانت هذه الرؤيا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر وكان النجوم في التأويل إخوته وكانوا أحد عشر رجلا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم والشمس أبوه والقمر أمه في قول قتادة، وقال السدي: القمر خالته لأن أمه راحيل كانت قد ماتت. وقال قتادة وابن جريج:

القمر أبوه والشمس أمه لأن الشمس مؤنثة والقمر مذكر وكان يوسف عليه السلام ابن اثنتي عشرة سنة، وقيل:

سبع عشرة سنة وقيل سبع سنين وأراد بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت أمره وقيل أراد به حقيقة السجود لأنه كان في ذلك الزمان التحية فيما بينهم السجود.

فإن قلت: إن الكواكب جماد لا تعقل فكيف عبر عنها بكناية من يعقل في قوله رأيتهم ولم يقل رأيتها وقوله: ساجدين ولم يقل ساجدات.

قلت: لما أخبرنا عنها بفعل من يعقل وهو السجود كنى عنها بكناية من يعقل فهو كقوله يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم وقيل إن الفلاسفة والمنجمين يزعمون أن الكواكب أحياء نواطق حساسة فيجوز أن يعبر عنها." (١)

"إلى العمد، والمعنى أن لها عمدا ولكن لا ترونها أنتم، ومن قال بهذا القول يقول: إن عمدها على جبل قاف، وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا، والسماء عليه مثل القبة، وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الأخرى عن ابن عباس، والقول

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٥١١/٢

الأول أصح، وقوله تعالى ثم استوى على العرش تقدم تفسيره والكلام عليه في سورة الأعراف بما فيه كفاية وسخر الشمس والقمر يعني ذللهما لمنافع خلقه فهما مقهوران، يجريان على ما يريد كل يجري لأجل مسمى يعني إلى وقت معلوم، وهو وقت فناء الدنيا وزوالها. وقال ابن عباس: أراد بالأجل المسمى درجاتهما ومنازلهما يعني أنهما يجريان في منازلهما ودرجاتهما إلى غاية ينتهيان إليها ولا يجاوزانها، وتحقيقه أن الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرا خاصا إلى جهة بمقدار خاص من السرعة والبطء في الحركة، يدبر الأمر يعني أنه تعالى يدبر أمر العالم العلوي والسفلي، ويصرفه ويقضيه بمشيئته، وحكمته، على أكمل الأحوال لا يشغله شأن عن شأن، وقيل: يدبر الأمر بالإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة، ففيه دليل على كمال القدرة والرحمة، لأن جميع العالم محتاجون إلى تدبيره ورحمته، داخلون تحت قهره وقضائه وقدرته يفصل الآيات يعني أنه تعالى يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته. وقيل: إن الدلائل الدالة على وجود الصانع قسمان: الأول: الموجودات المشاهدة، وهي خلق السموات والأرض وما فيهما **من العجائب** وأحوال الشمس والقمر وسائر النجوم وهذا قد تقدم ذكره. والقسم الثاني: الموجودات الحادثة في العالم، وهي الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنى والضعف بعد القوة إلى غير ذلك من أحوال هذا العالم، وكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكمال قدرته لعلكم بلقاء ربكم توقنون يعني أنه تعالى يبين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته لكي توقنوا، وتصدقوا بلقائه والمصير إليه بعد الموت لأن من قدر على إيجاد الإنسان بعد عدمه قادر على إيجاده وإحيائه بعد موته، واليقين صفة من صفات العلم، وهو فوق المعرفة والدراية وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك، يقال منه استيقن وأيقن بمعنى علم. قوله تعالى:

[سورة الرعد (١٣): الآيات ٣ الى ٧]

وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٣) وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (٤) وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (٥) ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب (٦) ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد (٧)

وهو الذي مد الأرض لما ذكر الدلالة على وحدانيته وكمال قدرته وهي رفع السموات بغير عمد، وذكر أحوال الشمس والقمر أردفها بذكر الدلائل الأرضية، فقال: وهو الذي مد الأرض أي بسطها على وجه الماء، وقيل: كانت الأرض مجتمعة فمدها من تحت البيت الحرام، وهذا القول إنما يصح إذا قيل إن الأرض منسطحة كالأكف، وعند أصحاب الهيئة: الأرض كرة، ويمكن أن يقال: إن الكرة إذا كانت كبيرة عظيمة فكل قطعة منها تشاهد ممدودة كالسطح الكبير العظيم، فحصل الجمع ومع ذلك فالله تعالى قد أخبر أنه مد الأرض، وأنه دحاها وبسطها وكل ذلك يدل على التسطيح والله تعالى أصدق

قيلا وأبين دليلا من أصحاب الهيئة وجعل فيها.

يعني في الأرض رواسي يعني جبالا ثابتة، يقال: رسا الشيء يرسو إذا ثبت وأرساه غير أثبته قال ابن عباس:." [1]

"ثمود الناقة مبصرة

أي بينة، وذلك لأن آثار إهلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم فظلموا بها أي جحدوا أنها من عند الله. وقيل: فظلموا أنفسهم بتكذيبها فعاجلناهم بالعقوبة وما نرسل بالآيات المقترحة إلا تخويفا أي وما نرسل بالآيات إلا تخويفا من العذاب، فإن لم يخافوا وقع عليهم. وقيل: معناه وما نرسل بالآيات يعني العبر والدلالات، إلا تخويفا أي إنذارا بعذاب الآخرة إن لم يؤمنوا فإن الله سبحانه وتعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون. قوله عز وجل وإذ قلنا لك أي واذكر يا محمد إذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس أي إن قدرته محيطة بهم فهم في قبضته وقدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته وإذا كان الأمر كذلك فهم لا يقدرون على أمر من الأمور إلا بقضائه وقدره وهو حافظك ومانعك منهم، فلا تهبهم وامض لما أمرك من التبليغ للرسالة، فهو ينصرك ويقويك على ذلك وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس الأكثرون من المفسرين على أن المراد منها ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج **من العجائب** والآيات. قال ابن عباس: هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهي ليلة أسري به إلى بيت المقدس أخرجه البخاري. وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وغيرهم. والعرب تقول: رأيت بعيني رؤية ورؤيا فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أنكر بعضهم ذلك وكذبوا فكانت فتنة للناس، وازداد المخلصون إيمانا. وقال قوم: أسري بروحه دون جسده وهو ضعيف. وقال قوم كان له معراجان: معراج رؤية عين في اليقظة ومعراج رؤيا منام. وقيل: أراد بهذه الرؤيا ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية، أنه دخل مكة هو وأصحابه فعجل المسير إلى مكة قبل الأجل، فصده المشركون فرجع إلى المدينة فكان رجوعه في ذلك العام بعد ما أخبر أنه يدخلها فتنة لبعضهم، ثم دخل مكة في العام المقبل وأنزل الله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق، وقيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في المنام أن ولد الحكم بن أمية يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فساءه ذلك. فإن اعترض معترض على هذا التفسير وقال السورة مكية وهاتان الواقعتان كانتا بالمدينة أجيب بأنه لا إشكال فيه فإنه لا يبعد أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ذلك بمكة، ثم كان ذلك حقيقة بالمدينة والشجرة الملعونة في القرآن يعني شجرة الزقوم التي وصفها الله تعالى في سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام كريه: طعام ملعون، والفتنة فيها أن أبا جهل قال: إن ابن أبي كبشة يعني النبي صلى الله عليه وسلم توعدكم بنار تحرق الحجارة، ثم يزعم أنه تنبت فيها شجرة وتعلمون أن النار تحرق الشجر. وقيل: إن عبد الله بن الزبعري قال: إن محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم إلا الزبد والتمر، فقال أبو جهل: يا جارية تعالي فزقمينا فأتت بزبد وتمر فقال يا قوم فإن هذا ما يخوفكم به محمد، فأنزل الله سبحانه وتعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجر إنا جعلناها فتنة للظالمين الآيات. فإن قلت: أين لعنت شجرة

الزقوم في القرآن؟ قلت: لعنت حيث لعن الكفار الذين يأكلونها لأن الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن، وإنما وصفت بلعن

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/٣

أصحابها على المجاز. وقيل وصفها الله تعالى باللعن لأن اللعن الإبعاد من الرحمة، وهي في أصل جهنم في أبعد مكان من الرحمة، وقال ابن عباس: في رواية عنه إن الشجرة الملعونة هي الكشوث الذي يلتوي على الشجر والشوك فيجففه ونخوفهم فما يزيدهم أي التخويف إلا طغيانا كبيرا أي تمردا وعتوا عظيما قوله سبحانه وتعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا أي من طين وذلك أن آدم خلق من تراب الأرض من عذبها وملحها، فمن خلق من العذب فهو سعيد ومن خلق من الملح فهو شقي قال يعني إبليس أرأيتك الكاف للمخاطب والمعنى أخبرني هذا الذي كرمت علي أي فضلته لئن أخرتن أي أمهلتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته أي لأستأصلنهم بالإضلال. وقيل: معناه لأقودنهم كيف شئت. وقيل:

لأستولين عليهم بالإغواء إلا قليلا يعني المعصومين الذي استثناهم الله تعالى في قوله إن عبادي ليس لك عليهم سلطان قال الله تعالى اذهب أي امض لشأنك وليس هو من الذهاب الذي هو ضد المجيء فمن." (١)

"وفكرهم البتة لكونه في غاية الفساد والبطلان فكأنه يجري على لسانهم على سبيل التقليد إن يقولون إلا كذبا أي ما يقولون إلا كذبا قيل حقيقة الكذب أنه الخبر الذي لا يطابق المخبر قولهم عنه وزاد بعضهم مع علم قائله أنه غير مطابق وهذا القيل باطل لأن الله سبحانه وتعالى وصف قولهم بإثبات الولد بكونه كذبا مع أن الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه باطلا فعلمنا أن كل خبر لا تطابق الخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق، وقيل: هو الانصراف عن الحق إلى الباطل ورجل كذاب وكذوب إذا كان كثير الكذب. قوله عز وجل فلعلك باخع نفسك أي قاتل نفسك على آثارهم أي من بعدهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث يعني القرآن أسفا أي حزنا وقيل غيظا إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها أي مما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها، وقيل يعني النبات والشجر والأنهار، وقيل أراد به الرجال خاصة فهم زينة الأرض، وقيل أراد به العلماء والصلحاء وقيل جميع ما في الأرض هو زينة لها. فإن قلت أي زينة في الحيات والعقارب والشياطين. قلت زينتها كونها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته، وقيل إن جميع ما في الأرض ثلاثة معدن ونبات وحيوان وأشرف أنواع الحيوان الإنسان، قيل الأولى أن لا يدخل في هذه الزينة المكلف، بدليل قوله تعالى: لنبلوهم فمن يبلو يجب أن لا يدخل في ذلك ومعنى لنبلوهم نختبرهم أيهم أحسن عملا أي أصلح عملا وقيل أيهم أترك للدنيا وأزهد فيها. وإنا لجاعلون ما عليها أي من الزينة، صعيدا جرزا يعني مثل أرض لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة والصعيد وجه الأرض وقيل هو التراب والجرز الأملس اليابس الذي لا ينبت فيه شيء، قوله سبحانه وتعالى أم حسبت أي أظننت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا أي هم عجب من آياتنا وقيل معناه أنهم ليسوا بأعجب آياتنا، فإن خلقنا من السموات والأرض وما فيهم **من العجائب** أعجب منهم والكهف الغار الواسع في الجبل، والرقيم هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصتهم ثم وضع على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من حجارة، وعن ابن عباس أن الرقيم اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف وقال كعب الأحبار: هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذي فيه أصحاب الكهف ثم ذكر الله عز وجل قصة أصحاب الكهف

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٣٥/٣

فقال عز وجل من قائل إذ أوى الفتية إلى الكهف أي صاروا إليه، وجعلوه مأواهم، والفتية جمع فتى وهو الطري من الشباب فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة أي رحمة من خزائن رحمتك وجلائل فضلك وإحسانك وهب لنا الهداية والنصر والأمن من الأعداء وهيئ لنا أي أصلح لنا من أمرنا رشدا أي حتى نكون بسببه راشدين مهديين وقيل معناه واجعل أمرنا رشدا كله.

ذكر قصة الكهف وسبب خروجهم إليه:

قال محمد بن إسحاق ومحمد بن يسار مرج أمر أهل الإنجيل، وعظمت فيهم الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت، وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الأصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها أحد إلا فتنه عن دينه حتى يعبد الأصنام أو يقتله. فلما نزل مدينة أصحاب الكهف واسمها أفسوس استخفى منه أهل الإيمان وهربوا في كل وجه فاتخذ شرطا من الكفار وأمرهم أن يتبعوهم بين القتل وبين عبادة الأصنام، فمنهم من يرغب في الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل، فلما رأى ذلك أهل الشدة في الإيمان جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ويجعل ما قطع من أجسادهم على أسوار المدينة وأبوابها فلما عظمت الفتنة وكثرت ورأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء، وكانوا من أشراف الروم وهم ثمانية نفر وبكوا وتضرعوا إلى الله عز وجل وجعلوا يقولون: «ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا» اكشف عن عبادك." (١)

"شئتم، فإنكم أهل ثروة ونعمة فأتبعهم بختنصر وأخذتهم السيوف، ونادى مناد من جو السماء يا لثارات الأنبياء فلما رأوا ذلك، أقروا بالذنوب حين لم ينفعهم قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين يعني لأنفسنا حين كذبنا الرسل وذلك أنهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب، وقالوا ذلك على سبيل الندامة ولم ينفعهم الندم فما زالت تلك دعواهم يعني تلك الكلمة وهي قولهم يا ويلنا حتى جعلناهم حصيدا يعني بالسيوف كما يحصد الزرع خامدين يعني ميتين.

قوله عز وجل: وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين معناه ما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب للعب واللهو، سويناهما لفوائد منها التفكر في خلقهما وما فيهما من العجائب والمنافع التي لا تعد ولا تحصى لو أردنا أن نتخذ لهوا قال ابن عباس: اللهو المرأة وعنه أنه الولد لاتخذناه من لدنا يعني من عندنا من الحور العين لا من عندكم من أهل الأرض، وقيل معناه لو كان ذلك جائزا في حقنا لم نتخذه بحيث يظهر لكم بل نستر، ذلك حتى لا تتطلعوا عليه، وذلك أن النصارى لما قالوا، في المسيح وأمه ما قالوا رد الله عليهم بقوله لاتخذناه من لدنا لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره إن كنا فاعلين يعني ما كنا فاعلين، وقيل ما كنا ممن يفعل ذلك لأنه لا يليق بالربوبية بل يعني دع ذلك الذي قالوه فإنه كذب وباطل نقذف يعني نرمي ونسلط بالحق يعني بالإيمان على الباطل يعني على الكفر، وقيل الحق قول الله أنه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا فيدمغه فيهلكه فإذا هو زاهق يعني ذاهب والمعنى

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٥٣/٣

أنا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يذهب ويضمحل، ثم أوعدهم على كذبهم فقال تعالى (ولكم الويل) يا معشر الكفار (مما تصفون) الله بما لا يليق من الصاحبة والولد وله من في السماوات والأرض يعني عبيدا وملكا وهو الخالق لهم والمنعم عليهم بأصناف النعم ومن عنده يعني الملائكة وإنما خص الملائكة وإن كانوا داخلين في جملة من في السموات لكرامتهم ومزيد الاعتناء بهم لا يستكبرون عن عبادته يعني لا يتكبرون ولا يتعظمون عنها ولا يستحسرون يعني لا يعيون ولا يتعبون، وقيل لا ينقطعون عن العبادة ثم وصفهم الله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون يعني لا يضعفون ولا يسأمون، وذلك أن تسبيحهم متصل دائم لا يفتر في جميع أوقاتهم لا تتخلله فترة بفراغ أو شغل أخر قال كعب الأحبار التسبيح لهم كالنفس لبني آدم أم اتخذوا آلهة من الأرض يعني الأصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن وهي من الأرض هم ينشرون يعني يحيون الأموات، إذ لا يستحق الإلهية إلا من يقدر على الإحياء والإيجاد من العدم والإنعام بأبلغ وجوه النعم، وهو الله عز وجل لو كان فيهما يعني في السماء والأرض آلهة إلا الله يعني غير الله (لفسدتا) يعني لخربتا وهلك من فيهما الوجود والتمانع من الآلهة لأن كل أمر صدر عن الاثنين فأكثر لم يجر على النظام وقال الإمام فخر الدين الرازي قال المتكلمون القول بوجود إلهين يفضي إلى المحال، فوجب أن يكون القول بوجود إلهين محالا، وإنما قلنا إنه يفضي إلى المحال لأنا لو فرضنا وجود إلهين، فلا بد وأن يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات، ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه.

لو فرضنا أن أحدهما أراد تحريكه وأراد تسكينه، فإما أن يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين أو لا يقع واحد منهما وهو محال لأن المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر فلا يمتنع مراد هذا إلا عند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنعن معا لوجدا معا وذلك محال أو يقع مراد أحدهما: دون الثاني وذلك أيضا محال لوجهين أحدهما أنه لو كان كل واحد منهما قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون أحدهما أقدر من الآخر، بل لا بد وأن يستويا في القدرة وإذا استويا في القدرة استحال أن يصير مراد أحدهما أولى بالوقوع من مراد الثاني وإلا لزم ترجيح الممكن من غير مرجح. وثانيهما: أنه إذا وقع مراد أحدهما دون الآخر فالذي وقع مراده يكون قادرا والذي لم يقع مراده يكون عاجزا والعجز نقص، وهو على الإله محال. ولو فرضنا إلهين، لكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات فيفضي إلى وقوع مقدور من قادرين مستقلين من وجه واحد،." (١)

"العظيم» (خ) عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي، أو قال دعا أستجيب له فإن توضأ وصلى قبلت صلاته» قوله تعار من الليل يقال: تعار الرجل من نومه إذا انتبه وله صوت وقوله عز وجل:

[سورة الذاريات (٥١): الآيات ١٩ الى ٢٤]

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢٢٢/٣

وفي أموالهم حق للسائل والمحروم (١٩) وفي الأرض آيات للموقنين (٢٠) وفي أنفسكم أفلا تبصرون (٢١) وفي السماء رزقكم وما توعدون (٢٢) فو رب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون (٢٣)
هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين (٢٤)

وفي أموالهم حق أي نصيب قيل إنه ما يصلون به رحما أو يقرون به ضيفا أو يحملون به كلا أو يعينون به محروما وليس بالزكاة قاله ابن عباس. وقيل: إنه الزكاة المفروضة للسائل أي الذي يسأل الناس ويطلب منهم والمحروم قيل هو الذي ليس له في الغنائم سهم ولا يجري عليه من الفيء شيء قال ابن عباس رضي الله عنهما: المحروم الذي ليس له في فيء الإسلام سهم. وقيل: معناه الذي حرم الخير والعطاء، وقيل: المحروم، المتعفف الذي لا يسأل. وقيل: هو صاحب الجائحة الذي أصيب زرعه وثمره أو نسل ماشيته وقيل: هو المحارف المحروم في الرزق والتجارة وقيل: هو المملوك وقيل: هو المكاتب، وأظهر الأقوال، أنه المتعفف لأنه قرنه بالسائل والمتعفف لا يسأل ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل إنما يفطن له متيقظ وفي الأرض آيات أي عبر من البحار والجبال والأشجار والثمار وأنواع النبات للموقنين أي بالله الذي يعرفونه ويستدلون عليه بصنائعه وفي أنفسكم أي آيات إذ كنتم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما إلى أن تنفخ الروح.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع وقيل: يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين وقيل: يعني تقويم الأدوات السمع والبصر والنطق والعقل إلى غير ذلك **من العجائب** المودعة في ابن آدم أفلا تبصرون يعني كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث وفي السماء رزقكم قال ابن عباس هو المطر وهو سبب الأرزاق وما توعدون يعني من الثواب والعقاب. وقيل: من الخير والشر. وقيل: الجنة والنار ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه فقال: فو رب السماء والأرض إنه لحق أي ما ذكر من الرزق وغيره مثل ما أنكم تنطقون أي بلا إله إلا الله.

وقيل: شبه تحقيق ما أخبر عنه بتحقيق نطق الآدمي ومعناه إنه لحق كما أنك تتكلم. وقيل: إن معناه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة وقال بعض الحكماء معناه كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره كذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له لا يقدر أن يأكل رزق غيره.

قوله تعالى: هل أتاك حديث ضيف إبراهيم يعني هل أتاك يا محمد حديث الذين جاءوا إبراهيم بالبشرى فاستمع نقصصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصتهم في سورة هود المكرمين قيل: سماهم مكرمين لأنهم كانوا ملائكة كراما عند الله. وقيل: لأنهم كانوا ضيف إبراهيم وهو أكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرمون.

وقيل: لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أكرمهم بتعجيل قراهم وخدمته إياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: سماهم مكرمين لأنهم كانوا غير مدعوين (ق) عن أبي شريح العدوي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه.." [١]

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٩٤/٤

"النادر. ومما هو مشاهد معتاد أن كسوف القمر وغيره مما يحدث في السماء في الليل **من العجائب** والأنوار والطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولا يتحدث به إلا آحاد الناس ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرناه من غفلة الناس. وكان هذا الانشقاق آية عظيمة حصلت في الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها، فلم يتأهب غيرهم لها. قال العلماء: وقد يكون القمر حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم وكما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد والله أعلم وقيل في معنى الآية ينشق القمر يوم القيامة وهذا قول باطل لا يصح وشاذ لا يثبت لإجماع المفسرين على خلافه ولأن الله ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي على المستقبل بعيد يفتقر إلى قرينة تنقله أو دليل يدل عليه وفي قوله تعالى: وإن يروا آية يعرضوا دليل على وجود هذه الآية العظيمة وقد كان ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى: وإن يروا آية أي تدل على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمراد بالآية هنا انشقاق القمر يعرضوا أي عن التصديق بها ويقولوا سحر مستمر أي دائم مضطرد.

وكل شيء دام حاله قيل فيه: مستمر.

وذلك لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات فقالوا هذا سحر مستمر: وقيل مستمر أي قوي محكم شديد بعلوه يعلو كل سحر.

قيل: مستمر أي ذاهب سوف يبطل ويذهب ولا يبقى وإنما قالوا ذلك تمنية لأنفسهم وتعليلا وكذبوا يعني النبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوا من قدرة الله واتبعوا أهواءهم أي ما زين لهم الشيطان من الباطل وقيل: هو قولهم إنه سحر القمر وكل أمر مستقر أي لكل أمر حقيقة فما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الآخرة فسيعرف. وقيل: كل أمر مستقر. فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار، وقيل: يستقر قول المصدقين والمكذبين حين يعرفون حقيقته بالثواب أو العقاب. وقيل: معناه لكل حديث منتهى. وقيل: ما قدر فهو كائن وواقع لا محالة. وقيل: هو جواب قولهم سحر مستمر يعني ليس أمره بذاهب كما زعمتم بل كل أمر من أموره مستقر وإن أمر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيظهر إلى غاية يتبين فيها أنه حق.

[سورة القمر (٥٤): الآيات ٤ الى ٧]

ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر (٤) حكمة بالغة فما تغن النذر (٥) فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر (٦) خشعا أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر (٧)

ولقد جاءهم يعني أهل مكة من الأنباء أي من أخبار الأمم الماضية المكذبة في القرآن ما فيه مزدجر أي منتهى وموعظة حكمة بالغة يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية فما تغن النذر يعني أي غنى تغني النذر إذا خالفوهم وكذبوهم فتول عنهم أي أعرض عنهم نسختها آية القتال يوم يدع الداع أي اذكر يا محمد يوم يدع الداعي وهو إسرافيل ينفخ في الصور قائما على صخرة بيت المقدس إلى شيء نكر أي منكر فظيع لم يروا مثله، فينكرونه استعظاما له خشعا وقرئ خاشعا أبصارهم أي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب يخرجون من الأجداث يعني من القبور كأنهم جراد منتشر مثل في كثرتهم وتموج بعضهم في بعض حيارى فزعين.

[سورة القمر (٥٤): الآيات ٨ الى ١٤]

مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر (٨) كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر (٩) فدعا ربه أني مغلوب فانتصر (١٠) ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر (١١) وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر (١٢)

وحملناه على ذات ألواح ودسر (١٣) تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر (١٤)." [(١)]

"[سورة القيامة (٧٥): الآيات ٦ الى ١٣]

يسئل أيان يوم القيامة (٦) فإذا برق البصر (٧) وخسف القمر (٨) وجمع الشمس والقمر (٩) يقول الإنسان يومئذ أين المفر (١٠)

كلا لا وزر (١١) إلى ربك يومئذ المستقر (١٢) ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر (١٣)

يسئل أيان يوم القيامة أي متى يكون يوم القيامة والمعنى أن الكافر يسأل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة قال الله تعالى: فإذا برق البصر أي شخص البصر عند الموت فلا يطرف مما يرى **من العجائب** التي كان يكذب بها في الدنيا، وقيل تبرق أبصار الكفار عند رؤية جهنم، وقيل برق إذا فزع وتحير لما يرى **من العجائب**، وقيل برق أي شق عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ وخسف القمر أي أظلم وذهب ضوءه، وجمع الشمس والقمر يعني أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران، وقيل يجمع بينهما في ذهاب الضوء، وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فهناك نار الله الكبرى يقول الإنسان يعني الكافر المكذب يومئذ أي القيامة أين المفر أي المهرب وهو موضع الفرار كلا أي لا ملجأ لهم يهربون إليه وهو قوله لا وزر أي لا حرز ولا ملجأ ولا جبل، وكانوا إذا فزعوا لجئوا إلى الجبل فتحصنوا به، فقيل لهم لا جبل لكم يومئذ تتحصنون به وأصل الوزر الجبل المنيع، وكل ما التجأت إليه وتحصنت به فهو وزر ومنه قول كعب بن مالك.

الناس آلت علينا فيك ليس لنا ... إلا السيوف وأطراف القنا وزر

ومعنى الآية أنه لا شيء يعصمهم من أمر الله تعالى لا حصن ولا جبل يوم القيامة يستندون إليه من النار إلى ربك يومئذ المستقر

يعني مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود: إليه المصير والمرجع وهو بمعنى الاستقرار، وقيل إلى ربك مستقرهم أي موضع قرارهم من جنة أو نار، وذلك مفوض إلى مشيئته فمن شاء أدخله الجنة برحمته ومن شاء أدخله النار بعدله ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر

قال ابن مسعود وابن عباس: بما قدم قبل موته من عمل صالح أو سيئ وما أخر بعد موته من سنة حسنة، أو سيئة يعمل بها، وعن ابن عباس أيضا بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة، وقيل بما قدم من طاعة الله وأخر من حق الله فضيعه، وقيل بأول عمله وآخره وهو ما عمله في أول عمره وفي آخره، وقيل بما قدم من ماله لنفسه قبل موته وما أخر من ماله لورثته.

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/٢١٨

[سورة القيامة (٧٥): الآيات ١٤ الى ٢١]
بل الإنسان على نفسه بصيرة (١٤) ولو ألقى معاذيره (١٥) لا تحرك به لسانك لتعجل به (١٦) إن علينا جمعه وقرآنه (١٧) فإذا قرأناه فاتبع قرآنه (١٨)
ثم إن علينا بيانه (١٩) كلا بل تحبون العاجلة (٢٠) وتذرون الآخرة (٢١)
بل الإنسان على نفسه بصيرة
أي بل الإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهي سمعه وبصره وجوارحه، وإنما دخلت الهاء في البصيرة لأن المراد من الإنسان جوارحه، وقيل معناه بل الإنسان على نفسه عين بصيرة وفي رواية عن ابن عباس بل الإنسان على نفسه شاهد فتكون الهاء للمبالغة كعلامة ولو ألقى معاذيره
يعني ولو اعتذر بكل عذر وجادل عن نفسه، فإنه لا ينفعه لأنه قد شهد عليه شاهد من نفسه، وقيل معناه ولو اعتذر فعليه من نفسه ما يكذب عذره، وقيل إن أهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير، فعلى هذا يكون معناه ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب ليخفي ما يعمل، فإن نفسه شاهدة عليه، وهذا في حق الكافر لأنه ينكر يوم القيامة فتشهد عليه جوارحه بما عمل في الدنيا.
قوله عز وجل: لا تحرك به لسانك لتعجل به
(ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل:
لا تحرك به لسانك لتعجل به
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه قال ابن جبير:
قال ابن عباس أنا أحركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركها فحرك شفتيه فأنزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه
قال: جمعه في صدرك ثم تقرأه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. قال فاستمع وأنصت." (١)
"الباب الرابع في المسائل الفقهية المستنبطة من هذه السورة
فقه الفاتحة:
المسألة الأولى: أجمع الأكثرون على أن القراءة واجبة في الصلاة، وعن الأصم والحسن بن صالح أنها لا تجب.
لنا أن كل دليل نذكره في بيان أن قراءة الفاتحة واجبة فهو يدل على أن أصل القراءة واجب وتزيد هاهنا وجوها: - الأول: قوله تعالى: أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر [الإسراء: ٧٨] والمراد بالقرآن القراءة، والتقدير: أقم قراءة الفجر، وظاهر الأمر للوجوب.
الثاني:

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣٧١/٤

عن أبي الدرداء أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أفي الصلاة قراءة فقال: نعم، فقال السائل: وجبت، فأقر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل على قوله وجبت.

الثالث:

عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: أيقرأ في الصلاة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أتكون صلاة بغير قراءة، وهذان الخبران نقلتهما من «تعليق الشيخ أبي حامد الإسفراييني» .

حجة الأصم

قوله عليه الصلاة والسلام: صلوا كما رأيتموني أصلي،

جعل الصلاة من الأشياء المرئية، والقراءة ليست بمرئية، فوجب كونها خارجة عن الصلاة، والجواب أن الرؤية إذا كانت متعدية إلى مفعولين كانت بمعنى العلم.

المسألة الثانية: قال الشافعي رحمه الله: قراءة الفاتحة واجبة في الصلاة، فإن ترك منها حرفا واحدا وهو يحسنها لم تصح صلاته، وبه قال الأكثرون، وقال أبو حنيفة لا تجب قراءة الفاتحة.

لنا وجوه: الأول: أنه عليه الصلاة والسلام واظب طول عمره على قراءة الفاتحة في الصلاة فوجب أن يجب علينا ذلك، لقوله تعالى: واتبعوه ولقوله: فليحذر الذين يخالفون عن أمره [النور: ٦٣] ولقوله تعالى: فاتبعوني يحببكم الله [آل عمران: ٣١] ويا للعجب من أبي حنيفة أنه تمسك في وجوب مسح الناصية بخبر واحد، وذلك ما

رواه المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتى سباطة قوم فبال وتوضأ ومسح على ناصيته وخفيه،

في أنه عليه الصلاة والسلام مسح على الناصية، فجعل ذلك القدر من المسح شرطا لصحة الصلاة، وهاهنا نقل أهل العلم نقلا متواترا أنه عليه الصلاة والسلام واظب طول عمره على قراءة الفاتحة ثم قال: إن صحة الصلاة غير موقوفة عليها، وهذا **من العجائب.**

الحجة الثانية: قوله تعالى: أقيموا الصلاة: والصلاة لفظة مفردة محلاة بالألف واللام فيكون المراد منها المعهود السابق، وليس عند المسلمين معهود سابق من لفظ الصلاة إلا الأعمال التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي بها: وإذا كان كذلك كان قوله: «أقيموا الصلاة» جاريا مجرى قوله: «أقيموا الصلاة التي كان يأتي بها." (١)

"التجلي فقول إبراهيم عليه السلام: أتتخذ أصناما آلهة إشارة إلى تقبيح الاشتغال بعبادة غير الله تعالى، لأن كل ما سوى الله فهو حجاب عن الله تعالى، فلما زال ذلك الحجاب لا جرم تجلى له ملكوت السموات بالتمام، فقوله: وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات معناه: وبعد زوال الاشتغال بغير الله حصل له نور تجلي جلال الله تعالى، فكان قوله: وكذلك منشأ لهذه الفائدة الشريفة الروحانية.

المسألة الثانية: لقائل أن يقول هذه الإراءة قد حصلت فيما تقدم من الزمان، فكان الأولى/ أن يقال:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٦٨/١

وكذلك أرينا إبراهيم ملكوت السموات والأرض، فلم عدل عن هذه اللفظة إلى قوله وكذلك نري.

قلنا: الجواب عنه من وجوه: الأول: أن يكون تقدير الآية، وكذلك كنا نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض، فيكون هذا على سبيل الحكاية عن الماضي. والمعنى أنه تعالى لما حكى عنه أنه شافه أباه الكلام الخشن تعصبا للدين الحق. فكأنه قيل: وكيف بلغ إبراهيم هذا المبلغ العظيم في قوة الدين، فأجيب بأنا كنا نريه ملكوت السموات والأرض من وقت طفوليته لأجل أن يصير من الموقنين زمان بلوغه.

الوجه الثاني في الجواب: وهو أعلى وأشرف مما تقدم، وهو أنا نقول: إنه ليس المقصود من إراءة الله إبراهيم ملكوت السموات والأرض هو مجرد أن يرى إبراهيم هذا الملكوت، بل المقصود أن يراها فيتوسل بها إلى معرفة جلال الله تعالى وقدسه وعلوه وعظمته. ومعلوم أن مخلوقات الله وإن كانت متناهية في الذوات وفي الصفات، إلا أن جهات دلالاتها على الذوات والصفات غير متناهية. وسمعت الشيخ الإمام الوالد عمر ضياء الدين رحمه الله تعالى قال: سمعت الشيخ أبا القاسم الأنصاري يقول: سمعت إمام الحرمين يقول: معلومات الله تعالى غير متناهية، ومعلوماته في كل واحد من تلك المعلومات أيضا غير متناهية، وذلك لأن الجوهر الفرد يمكن وقوعه في أحياز لا نهاية لها على البدل، ويمكن اتصافه بصفات لا نهاية لها على البدل، وكل تلك الأحوال التقديرية دالة على حكمة الله تعالى وقدرته أيضا، وإذا كان الجوهر الفرد والجزء الذي لا يتجزأ كذلك، فكيف القول في كل ملكوت الله تعالى، فثبت أن دلالة ملك الله تعالى، وملكوته على نعوت جلاله وسمات عظمته وعزته غير متناهية، وحصول المعلومات التي لا نهاية لها دفعة واحدة في عقول الخلق محال، فإذن لا طريق إلى تحصيل تلك المعارف إلا بأن يحصل بعضها عقيب البعض لا إلى نهاية ولا إلى آخر في المستقبل، فلهذا السبب والله أعلم لم يقل، وكذلك أريناه ملكوت السموات والأرض، بل قال: وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وهذا هو المراد من قول المحققين السفر إلى الله له نهاية، وأما السفر في الله فإنه لا نهاية له والله أعلم.

المسألة الثالثة: «الملكوت» هو الملك، و «التاء» للمبالغة كالرغبوت من الرغبة والرهبوت من الرهبة.

واعلم أن في تفسير هذه الإراءة قولين: الأول: أن الله أراه الملكوت بالعين، قالوا إن الله تعالى شق له السموات حتى رأى العرش والكرسي وإلى حيث ينتهي إليه فوقية العالم الجسماني، / وشق له الأرض إلى حيث ينتهي إلى السطح الآخر من العالم الجسماني، ورأي ما في السموات **من العجائب** والبدائع، ورأى ما في باطن الأرض **من العجائب** والبدائع.

وعن ابن عباس أنه قال: لما أسري بإبراهيم إلى السماء ورأي ما في السموات وما في الأرض فأبصر عبدا على فاحشة فدعا عليه وعلى آخر بالهلاك، فقال الله تعالى له: كف عن عبادي فهم بين حالين إما أن أجعل منهم ذرية طيبة أو يتوبون فأغفر لهم أو النار من ورائهم،

وطعن القاضي في." (١)

"فيعلم أنه كيف ينبغي ترتيبها وتسويتها حتى تحصل مصالح هذا العالم، فهذا أيضا نوع عجيب في تسخير الله تعالى هذه الأفلاك والكواكب، فتكون داخلة تحت قوله: والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره وربما جاء بعض الجهال

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٥/١٣

والحمقى وقال إنك أكثرت في تفسير كتاب الله من عليم الهيئة والنجوم، وذلك على خلاف المعتاد! فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته، وتقريره من وجوه: الأول: أن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، وكيفية أحوال الضياء والظلام، وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة

بعد أخرى، فلو لم يكن البحث عنها، والتأمل في أحوالها جائزا لما ملأ الله كتابه منها. والثاني: أنه تعالى قال: أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج [ق: ٦] فهو تعالى حث على التأمل في أنه كيف بناها ولا معنى لعلم الهيئة إلا التأمل في أنه كيف بناها وكيف خلق كل واحد منها. والثالث: أنه تعالى قال: لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون [غافر: ٥٧] فبين أن عجائب الخلقة وبدائع الفطرة في اجرام السموات أكثر وأعظم وأكمل مما في أبدان الناس، ثم إنه تعالى رغب في التأمل في أبدان الناس بقوله: وفي أنفسكم أفلا تبصرون [الذاريات: ٢١] فما كان أعلى شأنا وأعظم برهانا منها أولى بأن يجب التأمل في أحوالها ومعرفة ما أودع الله فيها **من العجائب** والغرائب. والرابع: أنه تعالى مدح المتفكرين في خلق السموات والأرض فقال: ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا [آل عمران: ١٩١] ولو كان ذلك ممنوعا منه لما فعل. والخامس:

أن من صنف كتابا شريفا مشتملا على دقائق العلوم العقلية والنقلية بحيث لا يساويه كتاب في تلك الدقائق، فالمعتقدون في شرفه وفضيلته فريقان: منهم من يعتقد كونه كذلك على سبيل الجملة من غير أن يقف على ما فيه من الدقائق واللطائف على سبيل التفصيل والتعيين، ومنهم من وقف على تلك الدقائق على سبيل التفصيل والتعيين، واعتقاد الطائفة الأولى وإن بلغ إلى أقصى الدرجات في القوة والكمال إلا أن اعتقاد الطائفة الثانية يكون أكمل وأقوى وأوفى. وأيضا فكل من كان وقوفه على دقائق ذلك الكتاب ولطائفه أكثر كان اعتقاده في عظمة ذلك المصنف وجلالته أكمل.

إذا ثبت هذا فنقول: من الناس من اعتقد أن جملة هذا العالم محدث وكل محدث فله محدث، / فحصل له بهذا الطريق إثبات الصانع تعالى وصار من زمرة المستدلين، ومنهم من ضم إلى تلك الدرجة البحث عن أحوال العالم العلوي والعالم السفلي على سبيل التفصيل فيظهر له في كل نوع من أنواع هذا العالم حكمة بالغة وأسرار عجيبة، فيصير ذلك جاريا مجرى البراهين المتواترة والدلائل المتوالية على عقله، فلا يزال ينتقل كل لحظة ولمحة من برهان إلى برهان آخر، ومن دليل إلى دليل آخر، فلكثرة الدلائل وتواليها أثر عظيم في تقوية اليقين وإزالة الشبهات. فإذا كان الأمر كذلك ظهر أنه تعالى إنما أنزل هذا الكتاب لهذه الفوائد والأسرار لا لتكثير النحو الغريب والاشتقاقات الخالية عن الفوائد والحكايات الفاسدة، ونسأل الله العون والعصمة.

المسألة الرابعة: الأمر المذكور في قوله: مسخرات بأمره قد فسرناه بما سبق ذكره، وأما المفسرون فلهم فيه وجوه: أحدها: المراد نفاذ إرادته لأن الغرض من هذه الآية تبيين عظمته وقدرته، وليس المراد من هذا الأمر الكلام، ونظيره في قوله تعالى: فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين [فصلت: ١١]." (١)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٧٤/١٤

"واعلم أن قوله تعالى: إنما المشركون نجس يدل على فساد هذا القول، لأن كلمة «إنما» للحصر، وهذا يقتضي أن لا نجس إلا المشرك، فالقول بأن أعضاء المحدث نجسة مخالف لهذا النص، والعجب أن هذا النص صريح في أن المشرك نجس وفي أن المؤمن ليس بنجس، ثم إن قوما ما قلبوا القضية وقالوا المشرك طاهر والمؤمن حال كونه محدثا أو جنبا نجس، وزعموا أن المياه التي استعملها المشركون في أعضائهم بقيت طاهرة مطهرة: والمياه التي يستعملها أكابر الأنبياء في أعضائهم نجسة نجاسة غليظة، وهذا **من العجائب**، ومما يؤكد القول بطهارة أعضاء المسلم

قوله عليه السلام: «المؤمن لا ينجس حيا ولا ميتا»

فصار هذا الخبر مطابقا للقرآن، ثم الاعتبارات الحكمية طابقت القرآن، والأخبار في هذا الباب، لأن المسلمين أجمعوا على أن إنسانا لو حمل محدثا في صلاته لم تبطل صلاته، ولو كانت يده رطبة فوصلت إلى يد محدث لم تنجس يده ولو عرق المحدث ووصلت تلك النداوة إلى ثوبه لم ينجس ذلك الثوب، فالقرآن والخبر والإجماع تطابقت على القول بطهارة أعضاء المحدث فكيف يمكن مخالفته، وشبهة المخالف أن الوضوء يسمى طهارة والطهارة لا تكون إلا بعد سبق النجاسة، وهذا ضعيف لأن الطهارة قد تستعمل في إزالة الأوزار والآثام، قال الله تعالى في صفة أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا [الأحزاب: ٣٣] وليست هذه الطهارة إلا عن الآثام والأوزار وقال في صفة مريم: إن الله اصطفاك وطهرك [آل عمران: ٤٢] والمراد تطهيرها عن التهمة الفاسدة.

وإذا ثبت هذا فنقول: جاءت الأخبار الصحيحة في أن الوضوء تطهير الأعضاء عن الآثام/ والأوزار، فلما فسر الشارع كون الوضوء طهارة بهذا المعنى، فما الذي حملنا على مخالفته، والذهاب إلى شيء يبطل القرآن والأخبار والأحكام الإجماعية.

المسألة الخامسة: قال الشافعي رضي الله تعالى عنه: الكفار يمنعون من المسجد الحرام خاصة، وعند مالك: يمنعون من كل المساجد، وعند أبي حنيفة رحمه الله: لا يمنعون من المسجد الحرام ولا من سائر المساجد، والآية بمنطوقها تبطل قول أبي حنيفة رحمه الله، وبمفهومها تبطل قول مالك، أو نقول الأصل عدم المنع، وخالفناه في المسجد الحرام لهذا النص الصريح القاطع، فوجب أن يبقى في غيره على وفق الأصل.

المسألة السادسة: اختلفوا في أن المراد من المسجد الحرام هل هو نفس المسجد أو المراد منه جميع الحرم؟ والأقرب هو هذا الثاني. والدليل عليه قوله تعالى: وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله وذلك لأن موضع التجارات ليس هو عين المسجد، فلو كان المقصود من هذه الآية المنع من المسجد خاصة لما خافوا بسبب هذا المنع من العيلة، وإنما يخافون العيلة إذا منعوا من حضور الأسواق والمواسم، وهذا استدلال حسن من الآية، ويتأكد هذا القول بقوله سبحانه وتعالى: سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى [الإسراء: ١] مع أنهم أجمعوا على أنه إنما رفع الرسول عليه الصلاة والسلام من بيت أم هانئ وأيضا يتأكد هذا بما

روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب» .

واعلم أن أصحابنا قالوا: الحرم حرام على المشركين ولو كان الإمام بمكة، فجاء رسول المشركين فليخرج إلى الحل لاستماع

الرسالة، وإن دخل مشرك الحرم متواريا فمرض فيه أخرجناه مريضا، وإن مات ودفن ولم يعلم نبشناه وأخرجنا عظامه إذا أمكن.." (١)

"كان كذلك لم يفعل القبيح قالوا: وإنما يكون غنيا عن القبيح إذا كان قادرا، وإذا كان منزها عن داعية السفه فثبت أن وصفه بكونه مكينا أمينا نهاية ما يمكن ذكره في هذا الباب ثم حكى تعالى أن يوسف عليه السلام قال في هذا المقام اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم وفيه مسائل:

المسألة الأولى: قال المفسرون: لما عبر يوسف عليه السلام رؤيا الملك بين يديه قال له الملك: فما ترى أيها الصديق قال: أرى أن تزرع في هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا وتبني الخزائن وتجمع فيها الطعام فإذا جاءت السنون المجدبة بعنا الغلات فيحصل بهذا الطريق مال عظيم فقال الملك ومن لي بهذا الشغل فقال يوسف: اجعلني على خزائن الأرض أي على خزائن أرض مصر وأدخل الألف واللام على الأرض، والمراد منه المعهود السابق.

روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية أنه قال: «رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته لكنه لما قال ذلك أخره عنه سنة»

وأقول هذا **من العجائب** لأنه لما تأبى عن الخروج من السجن سهل الله عليه ذلك على أحسن الوجوه ولما تسارع في ذكر الالتماس أخر الله تعالى ذلك المطلوب عنه وهذا يدل على أن ترك التصرف والتفويض بالكلية إلى الله تعالى أولى.

المسألة الثانية: لقائل أن يقول: لم طلب يوسف الإمارة

والنبي عليه الصلاة والسلام قال لعبد الرحمن بن سمرة: «لا تسأل الإمارة»

وأيضا فكيف طلب الإمارة من سلطان كافر، وأيضا لم لم يصبر مدة ولم أظهر الرغبة في طلب الإمارة في الحال، وأيضا لم طلب أمر الخزائن في أول الأمر، مع أن هذا يورث نوع تهمة وأيضا كيف جوز من نفسه مدح نفسه بقوله: إني حفيظ عليم مع أنه تعالى يقول: فلا تزكوا أنفسكم [النجم: ٣٢] وأيضا فما الفائدة في قوله: إني حفيظ عليم وأيضا لم ترك الاستثناء في هذا فإن الأحسن أن يقول: إني حفيظ عليم إن شاء الله بدليل قوله تعالى: ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله [الكهف:

٢٣، ٢٤] فهذه أسئلة سبعة لا بد من جوابها فنقول: الأصل في جواب هذه/ المسائل أن التصرف في أمور الخلق كان واجبا عليه، فجاز له أن يتوصل إليه بأي طريق كان، إنما قلنا: إن ذلك التصرف كان واجبا عليه لوجوه: الأول: أنه كان رسولا حقا من الله تعالى إلى الخلق، والرسول يجب عليه رعاية مصالح الأمة بقدر الإمكان، والثاني: وهو أنه عليه السلام علم بالوحي أنه سيحصل القحط والضيق الشديد الذي ربما أفضى إلى هلاك الخلق العظيم، فلعله تعالى أمره بأن يدبر في ذلك ويأتي بطريق لأجله يقل ضرر ذلك القحط في حق الخلق، والثالث: أن السعي في إيصال النفع إلى المستحقين ودفع الضرر عنهم أمر مستحسن في العقول.

وإذا ثبت هذا فنقول: إنه عليه السلام كان مكلفا برعاية مصالح الخلق من هذه الوجوه، وما كان يمكنه رعايتها إلا بهذا

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٢/١٦

الطريق، وما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب، فكان هذا الطريق واجبا عليه ولما كان واجبا سقطت الأسئلة بالكلية، وأما ترك الاستثناء فقال الواحدي: كان ذلك من خطيئة أوجبت عقوبة وهي أنه تعالى أخر عنه حصول ذلك المقصود سنة، وأقول: لعل السبب فيه أنه لو ذكر هذا الاستثناء لاعتقد فيه الملك أنه إنما ذكره لعلمه بأنه لا قدرة له على ضبط هذه المصلحة كما ينبغي فلأجل هذا المعنى ترك الاستثناء، وأما قوله لم مدح نفسه فجوابه من وجوه: الأول: لا نسلم أنه مدح نفسه لكنه بين كونه موصوفا بهاتين الصفتين النافعتين في حصول هذا المطلوب، وبين البابين فرق وكأنه قد غلب على ظنه أنه يحتاج إلى ذكر هذا الوصف لأن الملك." (١)

"فوقها ثابتة باقية في أحيازها غير منتقلة عن أماكنها يقال: رسا هذا الوتد وأرسيته والمراد ما ذكرنا.

واعلم أن الاستدلال بوجود الجبال على وجود الصانع القادر الحكيم من وجوه، الأول: أن طبيعة الأرض واحدة فحصول الجبل في بعض جوانبها دون البعض لا بد وأن يكون بتخليق القادر الحكيم. قالت الفلاسفة:

هذه الجبال إنما تولدت لأن البحار كانت في هذا الجانب من العالم فكانت تتولد في البحر طينا لزجا. ثم يقوى تأثير الشمس فيها فينقلب حجرا كما يشاهد في كوز الفقاع ثم إن الماء كان يغور ويقل فيتحجر البقية، فلهذا السبب تولدت هذه الجبال قالوا: وإنما كانت البحار حاصلة في هذا الجانب من العالم لأن أوج الشمس وحضيضها متحركان، ففي الدهر الأقدم كان حضيض الشمس في جانب الشمال والشمس متى كانت في حضيضها كانت أقرب إلى الأرض فكان التسخين أقوى وشدة السخونة توجب انجذاب الرطوبات، فحين كان الحضيض في جانب الشمال كانت البحار في جانب الشمال، والآن لما انتقل الأوج إلى جانب الشمال والحضيض إلى جانب الجنوب انتقلت البحار إلى جانب الجنوب فبقيت هذه الجبال في جانب الشمال، هذا حاصل كلام القوم في هذا الباب وهو ضعيف من وجوه الأول: أن حصول الطين في البحر أمر عام ووقوع الشمس عليها أمر عام فلم وصل هذا الجبل في بعض الجوانب دون البعض. والثاني: وهو أنا نشاهد في بعض الجبال كأن تلك الأحجار موضوعة سافا فسافا فكأن البناء لبنات كثيرة موضوع بعضها على بعض ويبعد حصول مثل هذا التركيب من السبب الذي ذكروه. والثالث: أن أوج الشمس الآن قريب من أول السرطان فعلى هذا من الوقت الذي انتقل أوج الشمس إلى الجانب الشمالي مضى/ قريب من تسعة آلاف سنة، وبهذا التقدير أن الجبال في هذه المدة الطويلة كانت في التفتت فوجب أن لا يبقى من الأحجار شيء، لكن ليس الأمر كذلك، فعلمنا أن السبب الذي ذكروه ضعيف.

والوجه الثاني: من الاستدلال بأحوال الجبال على وجود الصانع ذي الجلال ما يحصل فيها من معادن الفلزات السبعة ومواضع الجواهر النفيسة وقد يحصل فيها معادن الزاجات والأملاح وقد يحصل فيها معادن النفط والقير والكبريت، فكون الأرض واحدة في الطبيعة، وكون الجبل واحدا في الطبع، وكون تأثير الشمس واحدا في الكل يدل دليلا ظاهرا على أن الكل بتقدير قادر قاهر متعال عن مشابهة المحدثات والممكنات.

والوجه الثالث: من الاستدلال بأحوال الجبال أن بسببها تتولد الأنهار على وجه الأرض، وذلك أن الحجر جسم صلب فإذا تصاعدت الأبخرة من قعر الأرض ووصلت إلى الجبل احتبست هناك فلا تزال تتكامل، فيحصل تحت الجبل مياه

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٨/٤٧٣

عظيمة، ثم إنها لكثرتها وقوتها تثقب وتخرج وتسيل على وجه الأرض، فمنفعة الجبال في تولد الأنهار هو من هذا الوجه، ولهذا السبب ففي أكثر الأمر أينما ذكر الله الجبال قرن بها ذكر الأنهار مثل ما في هذه الآية، ومثل قوله: وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا [المرسلات: ٢٧] .

والنوع الثالث: من الدلائل المذكورة في هذه الآية الاستدلال بعجائب خلقة النبات، وإليه الإشارة بقوله:

ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين وفيه مسائل:

المسألة الأولى: أن الحبة إذا وضعت في الأرض وأثرت فيها نداوة الأرض ربت وكبرت وبسبب ذلك ينشق أعلاها وأسفلها فيخرج من الشق الأعلى الشجرة الصاعدة في الهواء، ويخرج من الشق الأسفل العروق الغائصة في أسفل الأرض وهذا **من العجائب**، لأن طبيعة تلك الحبة واحدة وتأثير الطبائع والأفلاك والكواكب." (١)

"بها أضمر خلافها؟ قلنا إنه لو ضم إلى القول اعتقادا له وعملا به لأتم النور لنفسه، ولكنه لما لم يفعل لم يتم نوره، وإنما سمى مجرد ذلك القول نورا لأنه قول حق في نفسه. وخامسها: يجوز أن يكون استيقاد النار عبارة عن إظهار المنافق كلمة الإيمان وإنما سماه نورا لأنه يتزين به ظاهره فيهم ويصير ممدوحا بسببه فيما بينهم، ثم إن الله تعالى يذهب ذلك النور بهتك ستر المنافق بتعريف نبيه والمؤمنين حقيقة أمره فيظهر له اسم النافق بدل ما يظهر منه من اسم الإيمان فبقي في ظلمات لا يبصر، إذ النور الذي كان له قبل قد كشف الله أمره فزال.

وسادسها: أنهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد، والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه إياهم في الظلمات. وسابعها: يجوز أن يكون المستوقد هاهنا مستوقد نار لا يرضاها الله تعالى، والغرض تشبيه الفتنة التي حاول المنافقون إثارتها بهذه النار، فإن الفتنة التي كانوا يثيرونها كانت قليلة البقاء، ألا ترى إلى قوله تعالى:

كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله [المائدة: ٦٤] وثامنها: قال سعيد بن جبير: نزلت في اليهود وانتظارهم لخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم واستفتاحهم به على مشركي العرب، فلما خرج كفروا به فكان انتظارهم لمحمد صلى الله عليه وسلم كإيقاد النار، وكفرهم به بعد ظهوره كزوال ذلك النور.

المسألة الثالثة: فأما تشبيه الإيمان بالنور والكفر بالظلمة فهو في كتاب الله تعالى كثير، والوجه فيه أن النور قد بلغ النهاية في كونه هاديا إلى المحجة وإلى طريق المنفعة وإزالة الحيرة وهذا حال الإيمان في باب الدين، فشبه ما هو النهاية في إزالة الحيرة ووجدان المنفعة في باب الدين بما هو الغاية في باب الدنيا، وكذلك القول في تشبيه الكفر بالظلمة، لأن الضال عن الطريق المحتاج إلى سلوكه لا يرد عليه من أسباب الحرمان والتحير أعظم من الظلمة، ولا شيء كذلك في باب الدين أعظم من الكفر، فشبه تعالى أحدهما بالآخر، فهذا هو الكلام فيما هو المقصود الكلي من هذه الآية، بقيت هاهنا أسئلة وأجوبة تتعلق بالتعلق بالتفاصيل: السؤال الأول: قوله تعالى: مثلهم كمثل الذي استوقد نارا يقتضي تشبيه مثلهم بمثل المستوقد، فما مثل المنافقين ومثل المستوقد حتى شبه أحدهما بالآخر؟ والجواب: استعير المثل للقصة أو للصفة إذا كان لها شأن وفيها

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٦/١٩

غرابة، كأنه قيل قصتهم العجيبة كقصة الذي استوقد نارا، وكذا قوله: مثل الجنة التي وعد المتقون [الرعد: ٣٥] أي فيما قصصنا عليك **من العجائب** قصة الجنة العجيبة ولله المثل الأعلى [النحل: ٦٠] أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة مثلهم في التوراة [الفتح: ٢٩] أي وصفهم وشأنهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا: فلان مثله في الخير والشر، فاشتقوا/ منه صفة للعجيب الشأن. السؤال الثاني: كيف مثلت الجماعة بالواحد؟ والجواب من وجوه: أحدها: أنه يجوز في اللغة وضع «الذي» موضع «الذين» كقوله: وخضتم كالذي خاضوا [التوبة: ٦٩] وإنما جاز ذلك لأن «الذي» لكونه وصلة إلى وصف كل معرفة مجملة وكثرة وقوعه في كلامهم، ولكونه مستطالا بصلته فهو حقيق بالتخفيف، ولذلك أعلوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا فيه على اللام وحدها في أسماء الفاعلين والمفعولين. وثانيها: أن يكون المراد جنس المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذي استوقد نارا. وثالثها: وهو الأقوى: أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد وإنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد.

ومثله قوله تعالى: مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار [الجمعة: ٥] وقوله: ينظرون." (١)

"فيختلف زمان سير الشمس من أجله. الثاني: قول أهل الهند والصين وبابل وأكثر قدماء الروم ومصر والشام: إن السبب فيه انتقال فلك البروج وارتفاع قطبه وانحطاطه، وحكي عن أبرخيس أنه كان يعتقد هذا الرأي وذكر بارياء الإسكندراني أن أصحاب الطلسمات كانوا يعتقدون ذلك وأن نقطة فلك البروج تتقدم عن موضعها وتتأخر ثمان درجات وقالوا إن ابتداء الحركة من «كب» درجة من الحوت إلى أول الحمل واعلم أن هذا الخبط مما ينبهك على أنه لا سبيل للعقول البشرية إلى إدراك هذه الأشياء وأنه لا يحيط بها إلا علم فاطرها وخالقها فوجب الاقتصار فيه على الدلائل السمعية، فإن قال قائل فهل يدل التنصيص على سبع سموات على نفي العدد الزائد؟

قلنا الحق أن تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد.

المسألة السادسة: [في خلق الله تعالى الأرض والسماء متفرع على علمه واحاطته بجزئياتها وكلياتها] قوله تعالى: وهو بكل شيء عليم يدل على أنه سبحانه وتعالى لا يمكن أن يكون خالقا للأرض وما فيها وللسموات وما فيها **من العجائب** والغرائب إلا إذا كان عالما بها محيطا بجزئياتها وكلياتها، وذلك يدل على أمور: أحدها: فساد قول الفلاسفة الذين قالوا إنه لا يعلم الجزئيات وصحة قول المتكلمين، وذلك لأن المتكلمين استدلوا على علم الله تعالى بالجزئيات بأن قالوا: إن الله تعالى فاعل لهذه الأجسام على سبيل الإحكام والإتقان وكل فاعل على هذا الوجه فإن لا بد وأن يكون عالما بما فعله وهذه الدلالة بعينها ذكرها الله تعالى في هذا الموضع لأنه ذكر خلق السموات والأرض ثم فرع على ذلك كونه عالما، فثبت بهذا أن قول المتكلمين في هذا المذهب وفي هذ الاستدلال مطابق للقرآن. وثانيها: فساد قول المعتزلة وذلك لأنه سبحانه وتعالى بين أن الخالق للشيء على سبيل التقدير والتحديد لا بد وأن يكون عالما به وبتفاصيله لأن خالقه قد خصه بقدر دون قدر والتخصيص بقدر معين لا بد وأن يكون بإرادة وإلا فقد حصل الرجحان من غير مرجح والإرادة

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣١٣/٢

مشروطة بالعلم فثبت أن خالق/ الشيء لا بد وأن يكون عالما به على سبيل التفصيل. فلو كان العبد موجدا لأفعال نفسه لكان عالما بها وبتفاصيلها في العدد والكمية والكيفية فلما لم يحصل هذا العلم علمنا أنه غير موجد نفسه. وثالثها: قالت المعتزلة: إذا جمعت بين هذه الآية وبين قوله: وفوق كل ذي علم عليم ظهر أنه تعالى عالم بذاته، والجواب: قوله تعالى: وفوق كل ذي علم عليم [يوسف: ٧٦] عام وقوله:
أنزله بعلمه [النساء: ١٦٦] خاص والخاص مقدم على العام. والله تعالى أعلم.

[سورة البقرة (٢) : آية ٣٠]
وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون (٣٠)
اعلم أن هذه الآية دالة على كيفية خلقه آدم عليه السلام وعلى كيفية تعظيم الله تعالى إياه فيكون ذلك إنعاما عاما على جميع بني آدم فيكون هذا هو النعمة الثالثة من تلك النعم العامة التي أوردها في هذا الموضع ثم فيه مسائل:
المسألة الأولى: في إذ قولان: أحدهما: أنه صلة زائدة إلا أن العرب يعتادون التكلم بها والقرآن نزل بلغة العرب. الثاني: وهو الحق أنه ليس في القرآن ما لا معنى له وهو نصب بإضمار اذكر، والمعنى اذكر لهم قال ربك للملائكة فأضمر هذا الأمرين: أحدهما: أن المعنى معروف. والثاني: أن الله تعالى قد كشف ذلك في كثير من المواضع كقوله: واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف [الأحقاف: ٢١] وقال: واذكر عبدنا داود." (١)
"عليه
فأمر المؤمنين بالصلاة على النبي ولم يلزم كون المؤمنين أفضل من النبي عليه السلام فكذا في الملائكة.
الحجة السابعة عشرة: أن نتكلم في جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم فنقول: إن جبريل عليه السلام أفضل من محمد والدليل عليه قوله تعالى: إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون [التكوير: ١٩- ٢٢] وصف الله تعالى جبريل عليه السلام بست من صفات الكمال، أحدها: كونه رسولا لله.
وثانيها: كونه كريما على الله تعالى. وثالثها: كونه ذا قوة عند الله، وقوته عند الله لا تكون إلا قوته على الطاعات بحيث لا يقوى عليها غيره. ورابعها: كونه مكينا عند الله. وخامسها: كونه مطاعا في عالم السموات.
وسادسها: كونه أمينا في كل الطاعات مبرءا عن أنواع الخيانات. ثم إنه سبحانه وتعالى بعد أن وصف جبريل عليه السلام بهذه الصفات العالية وصف محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله: وما صاحبكم بمجنون ولو كان محمد مساويا لجبريل عليه السلام في صفات الفضل أو مقارنا له لكان وصف محمد بهذه الصفة بعد وصف جبريل بتلك الصفات نقصا من منصب محمد صلى الله عليه وسلم وتحقيرا لشأنه وإبطالا لحقه وذلك غير جائز على الله، فدلت هذه الآية على أنه ليس لمحمد صلى الله عليه وسلم عند الله من المنزلة إلا مقدار أن يقال إنه ليس بمجنون، وذلك يدل على أنه لا نسبة بين جبريل وبين محمد

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٨٣/٢

عليهما السلام في الفضل والدرجة. فإن قيل لم لا يجوز أن يكون قوله: إنه لقول رسول كريم صفة لمحمد لا لجبريل عليهما السلام. قلنا لأن قوله: ولقد رآه بالأفق المبين يبطل ذلك. ولقائل أن يقول إنا توافقنا جميعا على أنه قد كان لمحمد صلى الله عليه وسلم فضائل أخرى سوى كونه ليس بمجنون وأن الله تعالى ما ذكر شيئا من تلك الفضائل في هذا الموضع فإذن عدم ذكر الله تعالى تلك الفضائل هاهنا لا يدل على عدمها بالإجماع، أو إذا ثبت أن لمحمد عليه السلام فضائل/ سوى الأمور المذكورة هاهنا فلم لا يجوز أن يقال إن محمدا عليه السلام بسبب تلك الفضائل التي هي غير مذكورة هاهنا يكون أفضل من جبريل عليه السلام فإنه سبحانه كما وصف جبريل عليه السلام هاهنا بهذه الصفات الست وصف محمدا صلى الله عليه وسلم أيضا بصفات ست «١» وهي قوله: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا [الأحزاب: ٤٥، ٤٦] فالوصف الأول: كونه نبيا والثاني: كونه رسولا والثالث: كونه شاهدا والرابع: كونه مبشرا والخامس: كونه نذيرا والسادس: كونه داعيا إلى الله تعالى بإذنه والسابع: كونه سراجا والثامن: كونه منيرا وبالجملة فإفراد أحد الشخصين بالوصف لا يدل البتة على انتفاء تلك الأوصاف عن الثاني. الحجة الثامنة عشرة: الملك أعلم من البشر والأعلم أفضل فالملك أفضل إنما قلنا إن الملك أعلم من البشر لأن جبريل عليه السلام كان معلما لمحمد عليه السلام بدليل قوله: علمه شديد القوى [النجم: ٥] والمعلم لا بد وأن يكون أعلم من المتعلم، وأيضا فالعلوم قسمان: أحدهما: العلوم التي يتوصل إليها بالعقول كالعلم بذات الله تعالى وصفاته، فلا يجوز وقوع التقصير فيها لجبريل عليه السلام ولا لمحمد صلى الله عليه وسلم، لأن التقصير في ذلك جهل وهو قادح في معرفة الله تعالى. وأما العلم بكيفية مخلوقات الله تعالى وما فيها **من العجائب** والعلم بأحوال العرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار وطباق السموات وأصناف الملائكة وأنواع الحيوانات في المغاور والجبال والبحار فلا شك أن جبريل عليه السلام أعلم بها، لأنه عليه السلام أطول عمرا وأكثر مشاهدة لها فكان علمه بها أكثر وأتم. وثانيها: العلوم التي لا يتوصل إليها إلا بالوحي لا لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا لسائر الأنبياء عليهم السلام إلا من جهة جبريل عليه السلام

---

(١) المناسب أن يقول بصفات ثمان أو (ست بل زاد عليها) لأن الصفات التي وصف بها الرسول عليه السلام ليست ستا وإنما هي ثمان.." (١)

"قلنا: الحكمة الإلهية اقتضت تدبير كل شيء على الوجه اللائق به الموافق لمصلحته، فمزاج الذكر من كل حيوان يجب أن يكون حارا يابسا، ومزاج الأنثى يجب أن يكون باردا رطبا، والحكمة فيه أن الولد إنما يتكون في داخل بدن الأنثى، فوجب أن تكون الأنثى مختصة بمزيد الرطوبات لوجهين: الأول: أن الولد إنما يتولد من الرطوبات، فوجب أن يحصل في بدن الأنثى رطوبات كثيرة لتصير مادة لتولد الولد. والثاني: أن الولد إذا كبر وجب أن يكون بدن الأم قابلا للتمدد حتى يتسع لذلك الولد، فإذا كانت الرطوبات غالبة على بدن الأم كان بدنها قابلا للتمدد، فيتسع للولد، فثبت بما ذكرنا أنه تعالى خص بدن الأنثى من كل حيوان بمزيد الرطوبات لهذه الحكمة، ثم إن الرطوبات التي كانت تصير مادة لازدياد بدن

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢/٤٣٩

الجنين حين كان في رحم الأم، فعند انفصال الجنين تنصب إلى الثدي والضرع ليصير مادة لغذاء ذلك الطفل الصغير.
إذا عرفت هذا فاعلم أن السبب الذي لأجله يتولد اللبن من الدم في حق الأنثى غير حاصل في حق الذكر فظهر الفرق.
إذا عرفت هذا التصوير فنقول: المفسرون قالوا: المراد من قوله: من بين فرث ودم هو أن هذه الثلاثة تتولد في موضع واحد، فالفرث يكون في أسفل الكرش، والدم يكون في أعلاه، واللبن يكون في الوسط، وقد دللنا على أن هذا القول على خلاف الحس والتجربة، ولأن الدم لو كان يتولد في أعلى المعدة والكرش كان يجب إذا قاء أن يقيء الدم وذلك باطل قطعا. وأما نحن فنقول: المراد من الآية هو أن اللبن إنما يتولد من بعض أجزاء الدم، والدم إنما يتولد من الأجزاء اللطيفة التي في الفرث، وهو الأشياء المأكولة الحاصلة في الكرش، وهذا اللبن متولد من الأجزاء التي كانت حاصلة فيما بين الفرث أولا، ثم كانت حاصلة فيما بين الدم ثانيا، فصفاه الله تعالى عن تلك الأجزاء الكثيفة الغليظة، وخلق فيها الصفات التي باعتبارها صارت لبنا موافقا لبدن الطفل، فهذا ما حصلناه في هذا المقام، والله أعلم.
المسألة الرابعة: اعلم أن حدوث اللبن في الثدي واتصافه بالصفات التي باعتبارها يكون موافقا لتغذية الصبي مشتمل على حكم عجيبة وأسرار بديعة، يشهد صريح العقل بأنها لا تحصل إلا بتدبير الفاعل الحكيم والمدبر الرحيم، وبيانه من وجوه:
الأول: أنه تعالى خلق في أسفل المعدة منفذا يخرج منه ثقل الغذاء، فإذا تناول الإنسان غذاء أو شربة رقيقة انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا لا يخرج منه شيء من ذلك المأكول والمشروب إلى أن يكمل انهضامه في المعدة وينجذب ما صفا منه إلى الكبد ويبقى الثقل هناك، فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ ويترك منه ذلك الثقل، وهذا **من العجائب** التي لا يمكن حصولها إلا بتدبير الفاعل الحكيم، لأنه متى كانت الحاجة إلى بقاء الغذاء في المعدة حاصلة انطبق ذلك المنفذ، وإذا حصلت الحاجة إلى خروج ذلك الجسم عن المعدة انفتح، فحصول الانطباق تارة والانفتاح أخرى، بحسب الحاجة وتقدير المنفعة، مما لا يتأتى إلا بتقدير الفاعل الحكيم. الثاني: أنه تعالى أودع في الكبد قوة تجذب الأجزاء اللطيفة الحاصلة في ذلك المأكول أو المشروب، ولا تجذب الأجزاء الكثيفة، وخلق في الأمعاء قوة تجذب تلك الأجزاء الكثيفة التي هي الثقل، ولا تجذب الأجزاء اللطيفة البتة. ولو كان الأمر بالعكس لاختلفت مصلحة البدن ولفسد نظام هذا التركيب.
الثالث: أنه تعالى أودع في الكبد قوة هاضمة طابخة، حتى أن تلك الأجزاء اللطيفة تنطبخ في الكبد وتنقلب دما، ثم إنه تعالى أودع في المرارة قوة جاذبة للصفراء، وفي الطحال قوة جاذبة للسوداء، وفي الكلية قوة جاذبة." (١)
"من البغي، فإنه لا معنى للبغي إلا التطاول على الناس والترفع عليهم، فظهر بما ذكرنا أن هذه الألفاظ الثلاثة منطبقة على أحوال هذه القوى الثلاثة، **ومن العجائب** في هذا الباب أن العقلاء قالوا: أخس هذه القوى الثلاثة هي الشهوانية، وأوسطها الغضبية وأعلاها الوهمية. والله تعالى راعى هذا الترتيب فبدأ بالفحشاء التي هي نتيجة القوة الشهوانية، ثم بالمنكر الذي هو نتيجة القوة الغضبية، ثم بالبغي الذي هو نتيجة القوة الوهمية، فهذا ما وصل إليه عقلي وخاطري في تفسير هذه الألفاظ، فإن يك صوابا فمن الرحمن، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله عنه بريئان والحمد لله على ما خصنا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٠/٢٣٣

بهذا النوع من الفضل والإحسان إنه الملك الديان.

ثم قال تعالى: يعظكم لعلكم تذكرون والمراد بقوله تعالى: يعظكم أمره تعالى بتلك الثلاثة ونهيه عن هذه الثلاثة: لعلكم تذكرون وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: أنه تعالى لما قال في الآية الأولى: ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء [النحل: ٨٩] أردفه بهذه الآية مشتملة على الأمر بهذه الثلاثة، والنهي عن هذه الثلاثة، كان ذلك تنبيها على أن المراد بكون القرآن تبيانا لكل شيء هو هذه التكاليف الستة وهي في الحقيقة كذلك، لأن جوهر النفس من زمرة الملائكة ومن نتائج الأرواح العالية القدسية إلا أنه دخل في هذا العالم خاليا عاريا عن التعلقات فتلك الثلاثة التي أمر الله بها هي التي ترقيها بالمعارف الإلهية والأعمال الصالحة، وتلك المعارف والأعمال هي التي ترقيها إلى عالم الغيب وسرادقات القدس، ومجاورة الملائكة المقربين في جوار رب العالمين، وتلك الثلاثة التي نهى الله عنها هي التي تصدها عن تلك السعادات وتمنعها عن الفوز بتلك الخيرات، فلما أمر الله تعالى بتلك الثلاثة، ونهى عن هذه الثلاثة فقد نبه على كل ما يحتاج إليه المسافرون من عالم الدنيا إلى مبدأ عرصة القيامة.

المسألة الثانية: قال الكعبي: الآية تدل على أنه تعالى لا يخلق الجور والفحشاء، وذلك من وجوه:

الأول: أنه تعالى كيف ينهاهم عما يخترعه فيهم، وكيف ينهى عما يريد تحصيله فيهم ولو كان الأمر كما قالوا لكان كأنه تعالى قال: إن الله يأمركم أن تفعلوا خلاف ما خلقه فيكم وينهاكم عن أفعال خلقها فيكم، ومعلوم أن ذلك باطل في بديهة العقل. والثاني: أنه تعالى لما أمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، فلو أنه تعالى أمر بتلك الثلاثة ثم إنه ما فعلها لدخل تحت قوله: أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم [البقرة: ٤٤] وتحت قوله: لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون [الصف: ٢، ٣] . الثالث: أن قوله: لعلكم تذكرون ليس المراد منه الترجي والتمني، فإن ذلك محال على الله تعالى، فوجب أن يكون معناه أنه تعالى يعظكم لإرادة أن تتذكروا طاعته، وذلك يدل على أنه تعالى يريد الإيمان من الكل. الرابع: أنه تعالى لو صرح وقال: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربي، ولكنه تمنع منه ويصد عنه ولا يمكن العبد منه. ثم قال: وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ولكنه يوجد كل هذه الثلاثة في العبد شاء أم أبى وأراده منه ومنعه من تركه، ومن الاحتراز عنه لحكم كل أحد عليه بالركاكة وفساد النظم والتركيب، وذلك يدل على كونه سبحانه متعاليا عن فعل القبائح.

واعلم أن هذا النوع من الاستدلال كثير، وقد مر الجواب عنه والمعتمد في دفع هذه المشاغبات التعويل على سؤال الداعي وسؤال العلم والله أعلم.." (١)

"يذكر بمعنى الصلاة، ومنه قوله تعالى: فلولا أنه كان من المسبحين [الصافات: ١٤٣] أي من المصلين، والسبحة الصلاة النافلة، وإنما قيل للمصلي مسبح، لأنه معظم لله بالصلاة ومنزه له عما لا ينبغي. وثانيها: ورد التسبيح بمعنى الاستثناء في قوله تعالى: قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون [القلم: ٢٨] أي تستثنون وتأويله أيضا يعود إلى تعظيم الله تعالى في الاستثناء بمشيئته. وثالثها: جاء

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٠/٢٦٢

في الحديث: «لأحرقت سبحات وجهه ما أدركت من شيء»

قيل معناه نور وجهه، وقيل: سبحات وجهه، نور وجهه الذي إذا رآه الرائي قال:

سبحان الله، وقوله: أسرى قال أهل اللغة: أسرى وسرى لغتان: وقوله: بعبده أجمع المفسرون على أن المراد محمد عليه الصلاة والسلام،

وسمعت الشيخ الإمام الوالد عمر بن الحسين رحمه الله قال: سمعت الشيخ الإمام أبا القاسم سليمان الأنصاري قال: لما وصل محمد صلوات الله عليه إلى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة في العارج أوحى الله تعالى إليه: يا محمد بم أشرفك؟ قال: «رب بأن تنسبني إلى نفسك بالعبودية» فأنزل الله فيه: سبحان الذي أسرى بعبده

وقوله: ليلا نصب على الظرف.

فإن قيل: الإسراء لا يكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل؟

قلنا: أراد بقوله: ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة، وذلك أن التنكير فيه قد دل على معنى البعضية، واختلفوا في ذلك الليل قال مقاتل: كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنة، ونقل صاحب «الكشاف» عن أنس والحسن أنه كان ذلك قبل البعثة. وقوله: من المسجد الحرام اختلفوا في المكان الذي أسري به منه، فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الذي يدل عليه ظاهر لفظ القرآن،

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق»

وقيل أسري به من دار أم هانئ بنت أبي طالب. والمراد على هذا القول بالمسجد الحرام الحرم لإحاطته بالمسجد والتباسه به، وعن ابن عباس الحرم كله مسجد، وهذا قول الأكثرين وقوله: إلى المسجد الأقصى اتفقوا على أن المراد منه بيت المقدس وسمي بالأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام وقوله: الذي باركنا حوله قيل بالثمار والأزهار، وقيل بسبب أنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة.

واعلم أن كلمة (إلى) لانتهاء الغاية فمدلول قوله: إلى المسجد الأقصى أنه وصل إلى حد ذلك/ المسجد فأما أنه دخل ذلك المسجد أم لا فليس في اللفظ دلالة عليه، وقوله: لنريه من آياتنا يعني ما رأى في تلك الليلة **من العجائب** والآيات التي تدل على قدرة الله تعالى.

فإن قالوا: قوله: لنريه من آياتنا يدل على أنه تعالى ما أراه إلا بعض الآيات، لأن كلمة (من) تفيد التبعيض، وقال في حق إبراهيم: وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض [الأنعام: ٧٥] فيلزم أن يكون معراج إبراهيم عليه السلام أفضل من معراج محمد صلى الله عليه وسلم.

قلنا: الذي رآه إبراهيم ملكوت السموات والأرض، والذي رآه محمد صلى الله عليه وسلم بعض آيات الله تعالى، ولا شك

أن آيات الله أفضل.

ثم قال: إنه هو السميع البصير أي أن الذي أسرى بعبده هو السميع لأقوال محمد، البصير بأفعاله،." (١)

"التغيرات الواقعة في الأحوال الجسمانية وذلك يدل على أن الروح شيء مغاير للبدن فإن قالوا هذه الآية حجة عليكم لأنه تعالى قال: ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين [المؤمنون: ١٢] وكلمة من للتبعيض وهذا يدل على أن الإنسان بعض من أبعاض الطين قلنا كلمة من أصلها لابتداء الغاية كقولك خرجت من البصرة إلى الكوفة فقوله تعالى: ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين يقتضي أن يكون ابتداء تخليق الإنسان حاصلا من هذه السلالة ونحن نقول بموجبه لأنه تعالى يسوي المزاج أولا ثم ينفخ فيه الروح فيكون ابتداء تخليقه من السلالة.

الحجة الرابعة: قوله: فإذا سويته ونفخت فيه من روحي [الحجر: ٢٩] ميز تعالى بين البشرية وبين نفخ الروح فالتسوية عبارة عن تخليق الأبعاض والأعضاء وتعديل المزاج والأشباح فلما ميز نفخ الروح عن تسوية الأعضاء ثم أضاف الروح إلى نفسه بقوله: من روحي دل ذلك على أن جوهر الروح معنى مغاير لجوهر الجسد.

الحجة الخامسة: قوله تعالى: ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها [الشمس: ٧، ٨] وهذه الآية صريحة في وجود شيء موصوف بالإدراك والتحريك حقا لأن الإلهام عبارة عن الإدراك، وأما الفجور والتقوى فهو فعل وهذه الآية صريحة في أن الإنسان شيء واحد وهو موصوف أيضا بالإدراك والتحريك وموصوف أيضا بفعل الفجور تارة وفعل التقوى تارة أخرى ومعلوم أن جملة البدن غير موصوف بهذين الوصفين فلا بد من إثبات جوهر آخر يكون موصوفا بكل هذه الأمور.

الحجة السادسة: قوله تعالى: إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا [الإنسان: ٢] فهذا تصريح بأن الإنسان شيء واحد وذلك الشيء هو المبتلى بالتكاليف الإلهية والأمور الربانية وهو الموصوف بالسمع والبصر ومجموع البدن ليس كذلك وليس عضوا من أعضاء البدن كذلك فالنفس شيء مغاير لجملة البدن ومغاير لأجزاء البدن وهو موصوف بكل هذه الصفات. واعلم أن الأحاديث الواردة في صفة الأرواح قبل تعلقها بالأجساد وبعد انفصالها من الأجساد كثيرة وكل ذلك يدل على أن النفس شيء غير هذا الجسد، والعجب ممن يقرأ هذه الآيات الكثيرة ويروي هذه الأخبار الكثيرة ثم يقول توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان يعرف الروح وهذا **من العجائب** والله أعلم.

المسألة السابعة: في دلالة الآية التي نحن في تفسيرها على صحة ما ذكرناه أن الروح لو كان جسما منتقلا من حالة إلى حالة ومن صفة إلى صفة لكان مساويا للبدن في كونه متولدا من أجسام اتصفت بصفات مخصوصة بعد أن كانت موصوفة بصفات أخرى فإذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وجب أن يبين أنه جسم كان كذا ثم صار كذا حتى صار روحا مثل ما ذكر في كيفية تولد البدن أنه كان نطفة ثم علقة، ثم مضغة فلما لم يقل ذلك بل قال إنه: من أمر ربي بمعنى أنه لا يحدث ولا يدخل في الوجود إلا لأجل أن الله تعالى قال له: كن فيكون [البقرة: ١١٧] دل ذلك على أنه جوهر ليس من جنس الأجسام بل هو جوهر قدسي مجرد واعلم أن أكثر العارفين المكاشفين من أصحاب الرياضيات وأرباب المكاشفات والمشاهدات مصرون على هذا القول جازمون بهذا المذهب قال الواسطي: خلق الله الأرواح من بين

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٠/٢٩٢

الجمال والبهاء فلولا أنه سترها لسجد لها كل كافر، وأما بيان أن تعلقه الأول بالقلب ثم بواسطته يصل تأثيره إلى جملة الأعضاء فقد شرحناه في تفسير قوله تعالى: نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤] واحتج المنكرون بوجوه: الأول:." (١)

"مقام الدعاء فلا واسطة بيني وبينك يدل عليه أن كل قصة وقعت لم تكن معرفتها من المهمات. قال لرسوله صلى الله عليه وسلم:

اذكر لهم تلك القصة كقوله تعالى: واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق [المائدة: ٢٧] . واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها [الأعراف: ١٧٥] . واذكر في الكتاب موسى [مريم: ٥١] ، واذكر في الكتاب إسماعيل [مريم: ٥٤] . واذكر في الكتاب إدريس [مريم: ٥٦] . ونبئهم عن ضيف إبراهيم [الحجر: ٥١] ، ثم قال في قصة يوسف: نحن نقص عليك أحسن القصص [يوسف: ٣] وفي أصحاب الكهف: نحن نقص عليك نبأهم بالحق [الكهف: ١٣] . وما ذاك إلا لما في هاتين القصتين **من العجائب** والغرائب، والحاصل كأنه سبحانه وتعالى قال: يا محمد إذا سئلت عن غيري فكن أنت المجيب، وإذا سئلت عني فاسكت أنت حتى أكون أنا القائل. وثانيها: أن قوله: وإذا سألك عبادي عني يدل على أن العبد له [أن يسأل] وقوله: فإني قريب يدل على أن الرب قريب من العبد. وثالثها: لم يقل فالعبد مني قريب، بل قال أنا منه قريب، وهذا فيه سر نفيس فإن العبد ممكن الوجود فهو من حيث هو، هو في مركز العدم وحضيض الفناء، فكيف يكون قريبا، بل القريب هو الحق سبحانه وتعالى فإنه بفضله وإحسانه جعله موجودا وقربه من نفسه فالقرب منه لا من العبد فلهذا قال: فإني قريب. ورابعها: أن الداعي ما دام يبقى خاطره مشغولا بغير الله تعالى فإنه لا يكون داعيا لله تعالى فإذا فني عن الكل وصار مستغرقا بمعرفة الله الأحد الحق امتنع أن يبقى في مقام الفناء عن غير الله مع الالتفات إلى غير الله تعالى فلا جرم رفعت الواسطة من البين فما قال: فقل إني قريب بل قال: فإني قريب فثبت بما تقرر فضل الدعاء وأنه من أعظم القربات ثم من شأن العبد إذا أراد أن يتحف مولاه أن لا يتحفه إلا بأحسن التحف والهدايا فلا/ جرم أول ما أراد موسى أن يتحف الحضرة الإلهية بتحف الطاعات والعبادات أتحفها بالدعاء فلا جرم قال: رب اشرح لي صدري. والوجه الثاني: في بيان فضل الدعاء

قوله عليه السلام: «الدعاء مخ العبادة»

ثم إن أول شيء أمر الله تعالى به موسى عليه السلام (العبادة) لأن قوله: إنني أنا الله [طه: ١٤] إخبار وليس بأمر إنما الأمر قوله: فاعبدني [طه: ١٤] فلما كان أول ما أورد على موسى من الأوامر هو الأمر بالعبادة لا جرم أول ما أتحف به موسى عليه السلام حضرة الربوبية من تحف العبادة هو تحفة الدعاء فقال: رب اشرح لي صدري. والوجه الثالث: وهو أن الدعاء نوع من أنواع العبادة فكما أنه سبحانه وتعالى أمر بالصلاة والصوم فكذلك أمر بالدعاء ويدل عليه قوله تعالى: وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب [البقرة: ١٨٦] . وقال ربكم ادعوني أستجب لكم [غافر: ٦٠] . وادعوه خوفا وطمعا [الأعراف: ٥٦] . ادعوا ربكم تضرعا وخفية [الأعراف: ٥٥] . هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين [غافر:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٠٤/٢١

٦٥] . قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن [الإسراء: ١١٠] . واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة [الأعراف: ٢٠٥]
وقال صلى الله عليه وسلم: «ادعوا بيا ذا الجلال والإكرام»
فبهذه الآيات عرفنا أن الدعاء عبادة قال بعض الجهال: الدعاء على خلاف العقل من وجوه: أحدها: أنه علام الغيوب يعلم ما في الأنفس وما تخفي الصدور، فأي حاجة بنا إلى الدعاء. وثانيها: أن المطلوب إن كان معلوم الوقوع فلا حاجة إلى الدعاء وإن كان معلوم اللاوقوع فلا فائدة فيه. وثالثها: الدعاء يشبه الأمر والنهي وذلك من العبد في حق المولى سوء أدب. ورابعها: المطلوب بالدعاء إن كان من المصالح فالحكيم لا يهمله وإن لم يكن من المصالح لم يجز طلبه. وخامسها: فقد جاء أن أعظم مقامات الصديقين الرضا بقضاء الله تعالى. وقد ندب إليه والدعاء ينافي ذلك لأنه اشتغال بالالتماس والطلب. وسادسها:
قال عليه السلام رواية عن الله تعالى: «من شغله ذكري." (١)
"الدليل على قول ابن عباس ولعل ابن عباس ذكر حضور بأنها إحدى القرى التي أرادها الله تعالى بهذه الآية، وأما قوله تعالى: فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون فالمعنى لما علموا شدة عذابنا وبطشنا علم حس ومشاهدة ركضوا في ديارهم، والركض ضرب الدابة بالرجل، ومنه قوله تعالى: اركض برجلك فيجوز أن يكونوا ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما أدركتهم مقدمة العذاب، ويجوز أن يشبهوا في سرعة عدوهم على أرجلهم بالراكبين الراكضين، أما قوله: لا تركضوا قال صاحب «الكشاف» : القول محذوف، فإن قلت من القائل قلنا يحتمل أن يكون بعض الملائكة ومن ثم من المؤمنين، أو يكونوا خلقاء بأن يقال لهم ذلك وإن لم يقل، أو يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم أو يلهمهم ذلك فيحدثون به نفوسهم، أما قوله: وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم أي من العيش والرفاهية والحال الناعمة، والإتراف إبطار النعمة وهي الترفه، أما قوله تعالى: لعلكم تسئلون فهو تهكم بهم وتوبيخ، ثم فيه وجوه:
أحدها: أي ارجعوا إلى نعمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة. وثانيها: ارجعوا كما كنتم في مجالسكم حتى تسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه أمركم ونهيكم ويقول لكم بم تأمرون وماذا ترسمون المخدومين. وثالثها: تسألكم الناس في أنديتكم لتعاونوهم في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات ويستعينون بآرائكم. ورابعها: يسألكم الوافدون عليكم والطامعون فيكم إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلب الثناء أو كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما إلى تهكم وتوبيخا إلى توبيخ، أما قوله تعالى: فما زالت تلك دعواهم فقال صاحب «الكشاف» تلك إشارة إلى يا ويلنا لأنها عدوى كأنه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم، والدعوى بمعنى الدعوة قال تعالى: وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين [يونس: ١٠] فإن قلت: لم سميت دعوى؟ قلت: لأنهم كانوا دعوا بالويل: ف قالوا يا ويلنا أي يا ويل احضر فهذا وقتك، وتلك مرفوع أو منصوب اسما أو خبرا وكذلك: دعواهم قال المفسرون: لم يزالوا يكررون هذه الكلمة فلم ينفعهم ذلك كقوله تعالى: فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا [غافر: ٨٥] أما قوله: حتى جعلناهم حصيدا خامدين/ فالحصيد الزرع المحصود أي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به في استئصالهم، كما

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٤/٢٢

تقول جعلناهم رمادا أي مثل الرماد فإن قيل: كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل، قلت: حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد والمعنى جعلناهم جامعين لهذين الوصفين، والمراد أنهم أهلكوا بذلك العذاب حتى لم يبق لهم حس ولا حركة وجفوا كما يجف الحصيد، وتخمدوا كما تخمد النار.

[سورة الأنبياء (٢١) : الآيات ١٦ الى ١٨]

وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين (١٦) لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين (١٧) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (١٨)

اعلم أن فيه مسائل:

المسألة الأولى: في تعلق هذه الآية بما قبلها وجهان: الأول: أنه تعالى لما بين إهلاك أهل القرية لأجل تكذيبهم أتبعه بما يدل على أنه فعل ذلك عدلا منه ومجازاة على ما فعلوا فقال: وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين أي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما **من العجائب** والغرائب كما." (١)

"حين فتحت التابوت رأت النور، ولأنها لما فتحت التابوت رأته يمتص إصبعه، ولأن ابنة فرعون لما لطخت برصها بريقه زال برصها ويقال ما كان لها ولد فأحبته،

قال ابن عباس لما قالت: قرت عين لي ولك فقال فرعون يكون لك وأما أنا فلا حاجة لي فيه، فقال عليه السلام «والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون قرة عين له كما أقرت لهداه الله تعالى كما هداها»

قال صاحب «الكشاف» قرت عين خبر مبتدأ محذوف ولا يقوى أن يجعل مبتدأ ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان أقوى، وقراءة ابن مسعود دليل على أنه خبر، قرأ لا تقتلوه قرت عين لي ولك، وذلك لتقديم لا تقتلوه، ثم قالت المرأة عسى أن ينفعنا فنصيب/ منه خيرا أو نتخذه ولدا لأنه أهل للتبني.

أما قوله: وهم لا يشعرون فأكثر المفسرين على أنه ابتداء كلام من الله تعالى أي لا يشعرون أن هلاكهم بسببه وعلى يده، وهذا قول مجاهد وقتادة والضحاك ومقاتل، وقال ابن عباس يريد لا يشعرون إلى ماذا يصير أمر موسى عليه السلام. وقال آخرون هذا من تمام كلام المرأة أي لا يشعر بنو إسرائيل وأهل مصر أنا التقطناه، وهذا قول الكلبي.

[سورة القصص (٢٨) : الآيات ١٠ الى ١١]

وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين (١٠) وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون (١١)

ذكروا في قوله: فؤاد أم موسى فارغا وجوها: أحدها: قال الحسن فارغا من كل هم إلا من هم موسى عليه السلام وثانيها: قال أبو مسلم فراغ الفؤاد هو الخوف والإشفاق كقوله: وأفئدتهم هواء [إبراهيم: ٤٣] ، وثالثها: قال صاحب «الكشاف»

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٢٤/٢٢

فارغا صفرا من العقل، والمعنى إنها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والخوف ورابعها: قال الحسن ومحمد بن إسحاق فارغا من الوحي الذي أوحينا إليها أن ألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك فجاءها الشيطان فقال لها كرهت أن يقتل فرعون ولدك فيكون لك أجر فتوليت إهلاكه، ولما أتاها خبر موسى عليه السلام أنه وقع في يد فرعون فأنساها عظم البلاء ما كان من عهد الله إليها، وخامسها: قال أبو عبيدة: فارغا من الحزن لعلمها بأنه لا يقتل اعتمادا على تكفل الله بمصلحته قال ابن قتيبة: وهذا **من العجائب** كيف يكون فؤادها فارغا من الحزن والله تعالى يقول: لولا أن ربطنا على قلبها وهل يربط إلا على قلب الجازع المحزون، ويمكن أن يجاب عنه بأنه لا يمتنع أنها لشدة ثقتها بوعد الله لم تخف عند إظهار اسمه، وأيقنت أنها وإن أظهرت فإنه يسلم لأجل ذلك الوعد إلا أنه كان في المعلوم أن الإظهار يضر فربط الله على قلبها، ويحتمل قوله: إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها بالوحي فأمنت وزال عن قلبها الحزن، فعلى هذا الوجه يصح أن يتأول على أن قلبها سلم من الحزن على موسى أصلا، وفيه وجه ثالث: وهو أنها سمعت أن امرأة فرعون عطفت عليه وتبنته إن كادت لتبدي به بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحا بما سمعت، لولا أن سكنا ما بها من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين/ بوعد الله تعالى لا يتبنى امرأة فرعون اللعين وبعطفها، وقرئ (قرعا) أي خاليا من قولهم أعوذ بالله من صفر الإناء وقرع الفناء وفرغا من قولهم: دماؤهم بينهم فرغ أي هدر يعني بطل قلبها من شدة ما ورد عليها.." (١)

"الشهود على الحضور احتملت الآية وجوها من التأويل أحدها: أن المشهود هو يوم القيامة، والشاهد هو الجمع الذي يحضرون فيه، وهو مروي عن ابن عباس والضحاك، ويدل على صحة هذا الاحتمال وجوه الأول: أنه لا حضور أعظم من ذلك الحضور، فإن الله تعالى يجمع فيه خلق الأولين والآخرين من الملائكة والأنبياء والجن والإنس، وصرف اللفظ إلى المسمى الأكمل أولى والثاني: أنه تعالى ذكر اليوم الموعود، وهو يوم القيامة، ثم ذكر عقيبه: وشاهد ومشهود وهذا يناسب أن يكون المراد بالشاهد من يحضر في ذلك اليوم من الخلائق، وبالمشهود ما في ذلك اليوم **من العجائب** الثالث: أن الله تعالى وصف يوم القيامة بكونه مشهودا في قوله:

فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم [مريم: ٣٧] وقال: ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود [هود: ١٠٣] وقال: يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده [الإسراء: ٥٢] وقال: إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون [يس: ٥٣] وطريق تنكيرهما إما ما ذكرناه في تفسير قوله تعالى: علمت نفس ما أحضرت [التكوير: ١٤] كأنه قيل: وما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود، وإما الإبهام في الوصف كأنه قيل: وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما، وإنما حسن القسم بيوم القيامة للتنبيه على القدرة إذ كان هو يوم الفصل والجزاء ويوم تفرد الله تعالى فيه بالملك والحكم، وهذا الوجه اختيار ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن بن علي وابن المسيب والضحاك والنخعي والثوري وثانيها: أن يفسر المشهود بيوم الجمعة وهو قول ابن عمر وابن الزبير: وذلك لأنه يوم يشهده المسلمون للصلاة ولذكر الله. ومما يدل على كون هذا اليوم مسمى

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٨١/٢٤

بالمشهود خبران الأول: ما

روى أبو الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة»

والثاني: ما

روى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال: «تحضر الملائكة أبواب المسجد فيكتبون الناس فإذا خرج الإمام طويت الصحف»

وهذه الخاصية غير موجودة إلا في هذا اليوم فيجوز أن يسمى مشهودا لهذا المعنى، قال الله تعالى: وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا [الإسراء: ٧٨]

وروي: «أن ملائكة الليل والنهار يحضرون وقت صلاة الفجر فسميت هذه الصلاة مشهودة لشهادة الملائكة»

فكذا يوم الجمعة وثالثها: أن يفسر المشهود بيوم عرفة والشاهد من يحضره من الحاج وحسن القسم به تعظيما لأمر الحج روي أن الله تعالى يقول للملائكة يوم عرفة: «انظروا إلى عبادي شعثا غبرا أتوني من كل فج عميق أشهدكم أني قد غفرت لهم وأن إبليس يصرخ ويضع التراب على رأسه لما يرى من ذلك»

والدليل على أن يوم عرفة مسمى بأنه مشهود قوله تعالى: وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم [الحج: ٢٧، ٢٨] ، ورابعها: أن يكون المشهود يوم النحر وذلك لأنه أعظم المشاهد في الدنيا فإنه يجتمع أهل الشرق والغرب في ذلك اليوم بمنى والمزدلفة وهو عيد المسلمين، ويكون الغرض من القسم به تعظيم أمر الحج وخامسها: حمل الآية على يوم/ الجمعة ويوم عرفة ويوم النحر جميعا لأنها أيام عظام فأقسم الله بها كما أقسم بالليالي العشر والشفع والوتر، ولعل الآية عامة لكل يوم عظيم من أيام الدنيا ولكل مقام جليل من مقاماتها وليوم القيامة أيضا لأنه يوم عظيم كما قال: ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين [المطففين: ٥، ٦] وقال: فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم [مريم: ٣٧] ويدل على صحة هذا التأويل خروج اللفظ في الشاهد والمشهود على النكرة، فيحتمل أن يكون ذلك على معنى أن القصد لم يقع فيه إلى يوم بعينه فيكون معرفا أما الوجه الأول: وهو أن يحمل الشاهد على من تثبت الدعوى بقوله، فقد ذكروا على هذا التقدير وجوها كثيرة أحدها: أن الشاهد هو الله تعالى لقوله: شهد الله أنه لا إله إلا هو [آل عمران: ١٨] وقوله: قل أي شيء أكبر شهادة قل الله." (١)

"أن للعالم صانعا قادرا عالما غنيا فوجب أن يكون في غاية الحكمة، ثم إنا نرى الناس بعضهم محتاجا إلى البعض، فإن الإنسان الواحد لا يمكنه القيام بمهمات نفسه، بل لا بد من بلدة يكون كل واحد من أهلها مشغولا بمهم آخر «١» حتى يتنظم من مجموعهم مصلحة كل واحد منهم، وذلك الانتظام لا يحسن إلا مع التكليف المشتمل على الوعد والوعيد، ذلك لا يحصل إلا بالبعث والقيامة وخلق الجنة والنار فثبت أن إقامة الدلالة على الصانع الحكيم توجب القول بصحة البعث والقيامة فلهذا السبب ذكر الله دلالة التوحيد في آخر هذه السورة، فإن قيل: فأي مجانسة بين الإبل والسماء والجبال

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٠٧/٣١

والأرض، ثم لم بدأ بذكر الإبل؟ قلنا فيه وجهان: الأول: أن جميع المخلوقات متساوية في هذه الدلالة وذكر جميعها غير ممكن لكثرتها وأي واحد منها ذكر دون غيره كان هذا السؤال عائدا، فوجب الحكم بسقوط هذا السؤال على جميع التقادير، وأيضا فلعل الحكمة في ذكر هذه الأشياء التي هي غير متناسبة التنبيه على أن هذا الوجه من الاستدلال غير مختص بنوع دون نوع بل هو عام في الكل على ما قال: وإن من شيء إلا يسبح بحمده [الإسراء: ٤٤] ولو ذكر غيرها لم يكن الأمر كذلك لا جرم ذكر الله تعالى أمورا غير متناسبة بل متباعدة جدا، تنبيها على أن جميع الأجسام العلوية والسفلية صغيرها وكبيرها حسنها وقبيحها متساوية في الدلالة على الصانع الحكيم، فهذا وجه حسن معقول وعليه الاعتماد الوجه الثاني: وهو أن نبين ما في كل واحد من هذه الأشياء من المنافع والخواص الدالة على الحاجة إلى الصانع المدبر، ثم نبين أنه كيف يجانس بعضها بعضا.

أما المقام الأول: فنقول الإبل له خواص منها أنه تعالى جعل الحيوان الذي يقتنى أصنافا شتى فتارة يقتنى ليؤكل لحمه وتارة ليشرب لبنه وتارة ليحمل الإنسان في الأسفار وتارة/ لينقل أمتعة الإنسان من بلد إلى بلد وتارة ليكون له به زينة وجمال وهذه المنافع بأسرها حاصلة في الإبل، وقد أبان الله عز وجل عن ذلك بقوله:

أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون [يس: ٧١، ٧٢] ، قال: والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس [النحل: ٥- ٧] وإن شيئا من سائر الحيوانات لا يجتمع فيه هذه الخصال فكان اجتماع هذه الخصال فيه **من العجائب** وثانيها: أنه في كل واحد من هذه الخصال أفضل من الحيوان الذي لا يوجد فيه إلا تلك الخصلة لأنها إن جعلت حلوبة سقت فأروت الكثير، وإن جعلت أكولة أطعمت وأشبعت الكثير، وإن جعلت ركوبة أمكن أن يقطع بها من المسافات المديدة ما لا يمكن قطعه بحيوان آخر، وذلك لما ركب فيها من قوة احتمال المداومة على السير والصبر على العطش والاجتزاء من العلوفات بما لا يجتزئ حيوان آخر، وإن جعلت حملة استغلت بحمل الأحمال الثقيلة التي لا يستقل بها سواها، ومنها أن هذا الحيوان كان أعظم الحيوانات وقعا في قلب العرب ولذلك فإنهم جعلوا دية قتل الإنسان إبلا، وكان الواحد من ملوكهم إذا أراد المبالغة في إعطاء الشاعر الذي جاءه من المكان البعيد أعطاه مائة بعير، لأن امتلاء العين منه أشد من امتلاء العين من غيره، ولهذا قال تعالى: ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون [النحل: ٦] ومنها أني كنت مع جماعة في مفازة فضللنا الطريق فقدموا جملا وتبعوه فكان

---

(١) هكذا في الأصل، ولعله سقط شيء وصوابه: بل لا بد في كل بلدة أن يكون كل واحد من أهلها مشغولا بمهم وغيره مشغولا بمهم آخر.." (١)

"[سورة الزلزلة (٩٩) : آية ٣]

وقال الإنسان ما لها (٣)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٤٤/٣١

ففيه مسائل:

المسألة الأولى: مالها تزلزل هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها، وذلك إما عند النفخة الأولى حين تلفظ ما فيها من الكنوز والدفائن، أو عند النفخة الثانية حين تلفظ ما فيها من الأموات.

المسألة الثانية: قيل: هذا قول الكافر وهو كما يقولون: من بعثنا من مرقدنا [يس: ٥٢] فأما المؤمن فيقول: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون [يس: ٥٢] وقيل: بل هو عام في حق المؤمن والكافر أي الإنسان الذي هو كنود جزوع ظلوم الذي من شأنه الغفلة والجهالة يقول: مالها وهو ليس بسؤال بل هو للتعجب لما يرى **من العجائب** التي لم تسمع بها الآذان ولا تطلق بها لسان، ولهذا قال الحسن: إنه للكافر والفاجر معا.

المسألة الثالثة: إنما قال: ما لها على غير المواجهة لأنه يعاتب بهذا الكلام نفسه كأنه يقول: يا نفس ما للأرض تفعل ذلك يعني يا نفس أنت السبب فيه فإنه لولا معاصيك لما صارت الأرض كذلك فالكفار يقولون: هذا الكلام والمؤمنون يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن [فاطر: ٣٤] أما قوله تعالى:

[سورة الزلزلة (٩٩) : آية ٤]

يومئذ تحدث أخبارها (٤)

فاعلم أن ابن مسعود قرأ: تنبئ أخبارها وسعيد بن جبير تنبئ «١» ثم فيه سؤالات:

الأول: أين مفعولا تحدث؟ الجواب: قد حذف أولهما والثاني أخبارها وأصله تحدث الخلق أخبارها إلا أن المقصود ذكر تحديثها الأخبار لا ذكر الخلق تعظيما.

السؤال الثاني: ما معنى تحديث الأرض؟ قلنا فيه وجوه: أحدها: وهو قول أبي مسلم يومئذ يتبين لكل أحد جزاء عمله فكأنها حدثت بذلك، كقولك الدار تحدثنا بأنها كانت مسكونة فكذا انتقاض الأرض بسبب الزلزلة تحدث أن الدنيا قد انقضت وأن الآخرة قد أقبلت والثاني: وهو قول الجمهور: أن الله تعالى يجعل الأرض حيوانا عاقلا ناطقا ويعرفها جميع ما عمل أهلها فحينئذ تشهد لمن أطاع وعلى من عصى،

قال عليه السلام: «إن الأرض لتخبر يوم القيامة بكل عمل عمل عليها» ثم تلا هذه الآية

وهذا على مذهبنا غير بعيد لأن البنية عندنا ليست شرطا لقبول الحياة، فالأرض مع بقائها على شكلها ويبسها وقشفها يخلق الله فيها الحياة والنطق، والمقصود كأن الأرض تشكو من العصاة/ وتشكر من أطاع الله، فنقول: إن فلانا صلى وزكى وصام وحج في، وإن فلانا كفر وزنى وسرق وجار، حتى يود الكافر أن يساق إلى النار،

وكان علي عليه السلام إذا فرغ بيت المال صلى فيه ركعتين ويقول: لتشهدن أني ملأتك بحق وفرغتك بحق

والقول الثالث: وهو قول المعتزلة:

أن الكلام يجوز خلقه في الجماد، فلا يبعد أن يخلق الله تعالى في الأرض حال كونها جمادا أصواتا مقطعة مخصوصة فيكون المتكلم والشاهد على هذا التقدير هو الله تعالى.

السؤال الثالث: (إذا) و (يومئذ) ما ناصبهما؟ الجواب: (يومئذ) بدل من إذا وناصبهما تحدث.

(١) رسمت في الموضعين تنبئ، وهي قراءة بالمعنى ويظهر أن الخلاف بين القراءتين ليس في الرسم وإنما في القراءة فإحدى القراءتين بكسر الباء مخففة والثانية بتشديدها.." (١)

"يحرر ويفرغ لخدمة المسجد وطاعة الله هو الذكر دون الأنثى فقالت رب إني وضعتها أنثى خائفة أن نذرها لم يقع الموقع الذي يعتمد به ومعتذرة من إطلاقها النذر المتقدم فذكرت ذلك لان على سبيل الإعلام لله تعالى، تعالى الله عن أن يحتاج إلى إعلامها، بل ذكرت ذلك على سبيل الاعتذار.

ثم قال الله تعالى: والله أعلم بما وضعت قرأ أبو بكر عن عاصم وابن عامر وضعت برفع التاء على تقدير أنها حكاية كلامها، والفائدة في هذا الكلام أنها لما قالت إني وضعتها أنثى خافت أن يظن بها أنها تخبر الله تعالى، فأزالت الشبهة بقولها والله أعلم بما وضعت وثبت أنها إنما قالت ذلك للاعتذار لا للإعلام، والباقون بالجزم على أنه كلام الله، وعلى هذه القراءة يكون المعنى أنه تعالى قال: والله أعلم بما وضعت تعظيما لولدها، وتجهيلا لها بقدر ذلك الولد، ومعناه: والله أعلم بالشيء الذي وضعت وبما علق به من عظائم الأمور، وأن يجعله وولده آية للعالمين، وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت، وفي قراءة ابن عباس والله أعلم بما وضعت على خطاب الله لها، أي: إنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب والله هو العالم بما فيه **من العجائب** والآيات.

ثم قال تعالى حكاية عنها وليس الذكر كالأنثى وفيه قولان الأول: أن مرادها تفضيل الولد الذكر على الأنثى، وسبب هذا التفضيل من وجوه أحدها: أن شرعهم أنه لا يجوز تحرير الذكور دون الإناث والثاني: أن الذكر يصح أن يستمر على خدمة موضع العبادة، ولا يصح/ ذلك في الأنثى لمكان الحيض وسائر عوارض النسوان والثالث: الذكر يصلح لقوته وشدته للخدمة دون الأنثى فإنها ضعيفة لا تقوى على الخدمة والرابع: أن الذكر لا يلحقه عيب في الخدمة والاختلاط بالناس وليس كذلك الأنثى والخامس: أن الذكر لا يلحقه من التهمة عند الاختلاط ما يلحق الأنثى فهذه الوجوه تقتضي فضل الذكر على الأنثى في هذا المعنى.

والقول الثاني: أن المقصود من هذا الكلام ترجيح هذه الأنثى على الذكر، كأنها قالت الذكر مطلوبي وهذه الأنثى موهوبة الله تعالى، وليس الذكر الذي يكون مطلوبي كالأنثى التي هي موهوبة لله، وهذا الكلام يدل على أن تلك المرأة كانت مستغرقة في معرفة جلال الله عالمة بأن ما يفعله الرب بالعبد خير مما يريده العبد لنفسه.

ثم حكى تعالى عنها كلاما ثانيا وهو قولها وإني سميتها مريم وفيه أبحاث:

البحث الأولى: أن ظاهر هذا الكلام يدل على ما حكينا من أن عمران كان قد مات في حال حمل حنة بمريم، فلذلك تولت الأم تسميتها، لأن العادة أن ذلك يتولاه الآباء.

البحث الثاني: أن مريم في لغتهم: العابدة، فأرادت بهذه التسمية أن تطلب من الله تعالى أن يعصمها من آفات الدين والدنيا، والذي يؤكد هذا قولها بعد ذلك وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٢/٢٥٥

البحث الثالث: أن قوله وإني سميتها مريم معناه: وإني سميتها بهذا اللفظ أي جعلت هذا اللفظ اسما لها، وهذا يدل على أن الاسم والمسمى والتسمية أمور ثلاثة متغايرة.

ثم حكى الله تعالى عنها كلاما ثالثا وهو قولها وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وذلك لأنه لما فاتها ما كانت تريد من أن يكون رجلا خادما للمسجد تضرعت إلى الله تعالى في أن يحفظها من الشيطان." (١)

"(سورة البقرة)

قوله – عز وجل – ﴿الم﴾: الآية (١) – سورة البقرة.

اختلف الناس في الحروف التي في أوائل السور، فقالوا فيها أقوالا جلها مراد باللفظ وغير متناف على السير، لكن بعضها مفهوم بلا واسطة، وبعضخا مفهوم بواسطة، فنقول وبالله التوفيق: إن المفهوم من هذه الحروف الأظهر بلا واسطة ما ذهب إليه المحققون من أهل اللغو كالفراء وقطرب، وهو قول ابن عباس – رضي الله عنهما – وكثير من التابعين على ما بين من بعد، وهو أن هذه الحروف لما كانت هي عنصر الكلام ومادته التي تركب منها بين تعالى أن هذا الكتاب من هذه الحروف التي أصلها عندكم تنبيها لهم على إعجازهم، وأنه لو كان من عند البشر لما عجزتم مع تظاهركم عن معارضته، وأما اختصاص هذه الحروف وهذا العدد المخصوص وكونها في سور معدودة وجعل بعضها مفردا، وبعضها ثنائيا وثلاثيا ورباعيا وخماسيا، ثم لم يتجاوز ذلك واختصاصها ببعض الحروف دون بعض، ففيها عجائب وبدائع إذا اطلع عليها علم أنه كما وصفه تعالى بقوله: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾، والقول في ذلك إن حروف التهجي قد قيل: ثمانية وعشرون.

وقيل: تسعة وعشرون، وهذا الخلاف من حيث أن " الألف " حرف لا صورة له في اللفظ حتى قال بعض الناس: الألف – في حروف التهجي: حرف لا ساكن ولا متحرك، وإنما هو مدلا اعتماد له وقيل: إن الله تعالى جعل هذه الحروف طبقا للعدد الذي هو أصل العلوم، ولو توهم ارتفاعه سائر العلوم، لأن عقود الأعداد ثمانية وعشرون: آحاد: وهي تسعة، وعشرات، وهي تسعة، ومائات، وهي تسعة وألف: وهو واحد، ثم الباقي مكررات، وجعلها أيضا لمنازل القمر، وهي ثمانية وعشرون إلى غير ذلك **من العجائب**، وأما " لام الألف ": فمركب من حرفين، ولا اعتداد به في حصر المفردات، وقد قال بعض النحويين: إن ذلك أن يقال: " لا "، ذاك أنهم لما أرادوا تعريف صورة لفظ الألف مفردة: ولم يكن سبيل إلى التفوه به مفردا، إذ لا يكون إلا مدة ضم إليها اللام ليمكن النطق به.

وخص بذلك اللام لعله مذكورة في موضعها.

فإذا ثبت ذلك فقد قيل: إن السور التي ذكر في أزائلها هذه الحروف تسع وعشرون، وجعل ذلك تنبيها على عدد حروف التهجي – إذا عد فيها الألف.

وقد ذكر هذه الحروف مفردة وثنائية إلى الخمسية تنبيها أن الكتاب المنزل على رسوله مركب من كلماتهم التي هي أصولها:." (٢)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٠٤/٨

(٢) تفسير الراغب الأصفهاني الراغب الأصفهاني ٧٠/١

"المقصد [بجميع ذلك] متابعة ما يصد عن سبيل الله- عز وجل-، ونبه بقوله: ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ أن عداوته لا تخفى على ذي بصيرة، وهذا المعنى الذي أراده الشاعر وإن نقل اللفظ إلى الدنيا، حيث قال:

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ....

له عن عدو في ثياب صديق.

وقول آخر:

عمرب لقد نصح الزمان وإنه ...

لمن العجائب ناصح لا يشفق.

قوله- عز وجل:

﴿إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ الآية (١٦٩) - سورة البقرة.

السوء والفحشاء كل قبيح من نحو الزنا، والسرقة، والسكر، والقتل، والخيانة، والكذب والحسد والجهل [وكل ما يقال له سوء] يقال له فحش، لكن بنظرين مختلفين، فإنه سمي سوءا لاغتمام العاقل به، والفحشاء بأن يستفحشه، ونبه تعالى بأن الشيطان داع إلى إتيان الشر والسوء والفحش والتقول على الله عز وجل،

إن قيل: إن كان التقول على الله عز وجل بما لا يعلم من عمل

الشيطان، فكيف يصح الحكم بغالب الظن في كثير من الأحكام، فإن عامة فروع الفقه مبنية علي غلبة الظن، قيل: أما أولا: فليس ذلك تقولا على الله تعالى، وإنما ذاك تقول على أحكام، وقد فرق المتكلمون." (١)

"شيئان: سلامة رأس المال، والربح. وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معا، لأن رأس ما لهم كان هو الهدى، فلم يبق لهم مع الضلالة. وحين لم يبق في أيديهم إلا الضلالة، لم يوصفوا بإصابة الربح. وإن ظفروا بما ظفروا به من الأغراض الدنيوية لأن الضال خاسر دامر، ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله: قد ربح، وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر.

[سورة البقرة (٢) : الآيات ١٧ الى ١٨]

مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون (١٧) صم بكم عمي فهم لا يرجعون (١٨)

لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان. ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر- شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد. وفيه تبكيت للخصم الألد، وقمع لسورة الجامح الأبى، ولأمر ما أكثر

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني الراغب الأصفهاني ٣٦٦/١

الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله، وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء. قال الله تعالى: (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) ومن سور الإنجيل سورة الأمثال. والمثل في أصل كلامهم: بمعنى المثل، وهو النظير. يقال:

مثل ومثل ومثيل، كشبه وشبه وشبيه. ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده: مثل.

ولم يضربوا مثلا، ولا رأوه أهلا للتسيير، ولا جديرا بالتداول والقبول، إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه. ومن ثم حوفظ عليه وحمى من التغيير. فإن قلت: ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا، وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه أحد المثلين بصاحبه؟ قلت: قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام، للحال أو الصفة أو القصة، إذا كان لها شأن وفيها غرابة، كأنه قيل: حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا. وكذلك قوله:

(مثل الجنة التي وعد المتقون) أى وفيما قصصنا عليك **من العجائب**: قصة الجنة العجيبة. ثم أخذ في بيان عجائبها. ولله المثل الأعلى: أى الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة.

(مثلهم في التوراة) : أى صفتهم وشأنهم المتعجب منه. ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا:

فلان مثلة في الخير والشر، فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن. فإن قلت: كيف مثلت الجماعة بالواحد؟ قلت: وضع الذي موضع الذين، كقوله: (وخضتم كالذي خاضوا) والذي سوغ." (١)

"وحذيفة: من الليل، أى: بعض الليل، كقوله ومن الليل فتهجد به نافلة يعنى الأمر بالقيام في بعض الليل. واختلف في المكان الذي أسرى منه فقيل: هو المسجد الحرام بعينه، وهو الظاهر.

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم «بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتانى جبريل عليه السلام بالبراق «١» » وقيل: أسرى به من دار أم هانئ بنت أبى طالب والمراد بالمسجد الحرام: الحرم، لإحاطته بالمسجد والتباسه به. وعن ابن عباس: الحرم كله مسجد. وروى أنه كان نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسرى به «٢» ورجع من ليلته، وقص القصة على أم هانئ، وقال: مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج إلى المسجد فتشبثت أم هانئ بثوبه فقال: مالك؟ قالت: أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم، قال: وإن كذبوني، فخرج فجلس إليه أبو جهل فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الإسراء، فقال أبو جهل:

يا معشر بنى كعب بن لؤي، هلم فحدثهم، فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وإنكارا.

وارتد ناس ممن كان قد آمن به، وسعى رجال إلى أبي بكر رضى الله عنه فقال: إن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: أتصدقه على ذلك؟ قال: إنى لأصدقه على أبعد من ذلك، فسمى الصديق.

وفيهم من سافر إلى ما ثم، فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس، فطفق ينظر إليه وينعته لهم، فقالوا: أما النعت فقد أصاب، فقالوا: أخبرنا عن عيرنا، فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها، وقال:

تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس، يقدمها جمل أورق، فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية، فقال قائل منهم: هذه والله

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٧٢/١

الشمس قد شرقت، فقال آخر: وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد، ثم لم يؤمنوا وقالوا: ما هذا إلا سحر مبين، وقد عرج به إلى السماء في تلك الليلة، وكان العروج به من بيت المقدس وأخبر قريشا أيضا بما رأى في السماء **من العجائب** وأنه لقى الأنبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الإسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة. وعن أنس والحسن أنه كان قبل البعث واختلف في أنه كان في اليقظة أم في المنام فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت «والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه» «٣» وعن معاوية: إنما عرج بروحه. وعن الحسن، كان في المنام رؤيا رآها. وأكثر

---

(١) . متفق عليه من حديث مالك بن صعصعة مطولا.

(٢) . ذكره الثعلبي عن ابن عباس بغير سند. وكأنه من رواية الكلبي عن أبي صالح عنه، ثم رأيته من رواية جويبر عن الضحاك عن ابن عباس. أخرجه الحاكم والبيهقي عنه. لكن لم يسبق لفظه، وقد رواه النسائي باختصار عن هذا من رواية عوف عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس. وأورده ابن سعد وأبو يعلى والطبراني من حديث أم هانئ مطولا.

(٣) . قال ابن إسحاق في المغازي: حدثني بعض آل أبي بكر عن عائشة بهذا «لكن أسرى» بدل «عرج» قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة عن ابن معاوية قال: كانت رؤيا من الله صادقة.." (١)

"تناهضا من أجلها ولكونه معجزتين ثنتين: وهما حياة السمكة المملوحة المأكول منها- وقيل:

ما كانت إلا شق سمكة- وقياء الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه؟ ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة إلى ظهر الغد، وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت؟ قلت: قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب، حتى اعتراه النسيان وانضم إلى ذلك أنه ضرى بمشاهدة أمثاله عند موسى عليه السلام **من العجائب**، واستأنسا بإخوانه فأعان الإلف «١» على قلة الاهتمام أرأيت بمعنى أخبرنى. فإن قلت:

ما وجه التئام هذا الكلام؟ فإن كل واحد من أرأيت وإذ أوينا وفإني نسيت الحوت لا متعلق له؟ قلت: لما طلب موسى عليه السلام الحوت، ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية، فدهش وطفق يسأل موسى عليه السلام عن سبب ذلك، كأنه قال: أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة؟ فإنى نسيت الحوت، فحذف ذلك. وقيل:

هي الصخرة التي دون نهر الزيت. وأن أذكره بدل من الهاء في أنسانيه أى: وما أنسانى ذكره إلا الشيطان. وفي قراءة عبد الله: أن أذكركه. وعجبا ثانى مفعولي اتخذ، مثل سربا يعنى: واتخذ سبيله سبيلا عجبا، وهو كونه شبيه السرب. أو قال: عجبا في آخر كلامه، تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين، وقوله وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه. وقيل: إن عجبا حكاية لتعجب موسى عليه السلام، وليس بذاك ذلك إشارة إلى اتخاذه سبيلا، أى: ذلك الذي كنا نطلب، لأنه أمارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر عليه السلام. وقرئ نبغ بغير

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٦٤٧

ياء في الوصل، وإثباتها أحسن، وهي قراءة أبى عمرو، وأما الوقف، فالأكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف فارتدا فرجعا في أدراجهما «٢» قصصا يقصان قصصا، أى: يتبعان آثارهما اتباعا. أو فارتدا مقتصين رحمة من عندنا هي الوحى والنبوة من لدنا مما يختص بنا من العلم، وهو الإخبار عن الغيوب.

[سورة الكهف (١٨) : آية ٦٦]

قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا (٦٦)

رشدا قرئ بفتحتين، وبضمة وسكون، أى: علما ذا رشد، أرشد به في ديني. فإن قلت:

أما دلت حاجته إلى التعلم من آخر في عهده أنه- كما قيل- موسى بن ميشا، لا موسى بن عمران

---

(١) . قوله «فأعان الالف على قلة الاهتمام» لعل المراد إلف يوشع، لرؤيته العجائب عند موسى. (ع)

(٢) . قوله «فرجعا في أدراجهما» الدرج: الطريق، والجمع الأدراج. ومنه قولهم: رجعت أدراجى، أى: رجعت في الطريق الذي جئت منه، كذا في الصحاح. (ع)." [١]

"ولو تأخر لكان صلة للوقار. وقوله وقد خلقكم أطوارا في موضع الحال، كأنه قال: ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للإيمان به، لأنه خلقكم أطوارا: أى تارات: خلقكم أولا ترابا، ثم خلقكم نطفا، ثم خلقكم علقا، ثم خلقكم مضغا، ثم خلقكم عظاما ولحما، ثم أنشأكم خلقا آخر. أو لا تخافون لله حلما وترك معاجلة العقاب فتؤمنوا؟ وقيل: ما لكم لا تخافون لله عظمة؟ وعن ابن عباس: لا تخافون لله عاقبة، لأن العاقبة حال استقرار الأمور وثبات الثواب والعقاب، من «وقر» إذا ثبت واستقر. نبههم على النظر في أنفسهم أولا، لأنها أقرب منظور فيه منهم، ثم على النظر في العالم وما سوى فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه من السماوات والأرض والشمس والقمر فيهن في السماوات، وهو في السماء الدنيا، لأن بين السماوات ملابسة من حيث أنها طباق «١» فجاز أن يقال: فيهن كذا، وإن لم يكن في جميعهن، كما يقال: في المدينة كذا وهو في بعض نواحيها. وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهما: أن الشمس والقمر وجوههما مما يلي السماء وظهورهما مما يلي الأرض «٢» وجعل الشمس سراجا يبصر أهل الدنيا في ضوئها كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره، والقمر ليس كذلك، إنما هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس. ومثله قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء: أقوى من النور. استعير الإنبات للإنشاء، كما يقال: زرعك الله للخير، وكانت هذه الاستعارة أدل على الحدوث «٣» ، لأنهم إذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات: ومنه قيل للحشوية: النابتة والنوابت، لحدوث مذهبهم في الإسلام من غير أولية لهم فيه «٤» . ومنه قولهم: نجم فلان لبعض المارقة. والمعنى:

أنبتكم فنبتم نباتا. أو نصب بأنبتكم لتضمنه معنى نبتم ثم يعيدكم فيها مقبورين ثم يخرجكم يوم القيامة، وأكده بالمصدر كأنه

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٧٣٣

قال يخرجكم حقا ولا محالة. جعلها بساطا مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه فجاجا واسعة منفجة.

---

(١) . قال محمود: «وإنما هو في السماء الدنيا لأن بين السماوات وبين السماء الدنيا مناسبة» قال أحمد: ويلاحظ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان.

(٢) . حديث ابن عباس موقوف، أخرجه ابن مردويه في يونس من رواية حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عنه بهذا. بلفظ «وأقفيتهما إلى الأرض» وروى الحاكم منه ذكر القمر حسب. وحديث ابن عمر رضى الله عنهما مثله» أخرجه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: قال عبد الله بن عمر: فذكره موقوفا. وروى الطبري من طريق هشام الدستوائى عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمر. «تنبيه» وقع في الأصل ابن عمر مصحف. وإنما هو عمر ورضى الله عنهما.

(٣) . قوله «أدل على الحدوث» لعله: أدل دليل على الحدوث. (ع)

(٤) . قوله «من غير أولية لهم فيه» إن كان مراده بالحشوية أهل السنة، فأوليتهم في مذهبهم: الكتاب والسنة. (ع)." [١]

"﴿٨ - ١٠﴾ ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون * في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ .

واعلم أن النفاق هو: إظهار الخير وإبطان الشر، ويدخل في هذا التعريف النفاق الاعتقادي، والنفاق العملي، كالذي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان "وفي رواية: "وإذا خاصم فجر "

وأما النفاق الاعتقادي المخرج عن دائرة الإسلام، فهو الذي وصف الله به المنافقين في هذه السورة وغيرها، ولم يكن النفاق موجودا قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم [من مكة] إلى المدينة، وبعد أن هاجر، فلما كانت وقعة "بدر " (١) وأظهر الله المؤمنين وأعزهم، ذل (٢) من في المدينة ممن لم يسلم، فأظهر بعضهم الإسلام خوفا ومخادعة، ولتحقن دماؤهم، وتسلم أموالهم، فكانوا بين أظهر المسلمين في الظاهر أنهم منهم، وفي الحقيقة ليسوا منهم.

فمن لطف الله بالمؤمنين، أن جلا أحوالهم ووصفهم بأوصاف يتميزون بها، لئلا يغتر بهم المؤمنون، ولينقمعوا أيضا عن كثير من فجورهم [قال تعالى] : ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم﴾ فوصفهم الله بأصل النفاق فقال: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ فإنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فأكذبهم الله بقوله: ﴿وما هم بمؤمنين﴾ لأن الإيمان الحقيقي، ما تواطأ عليه القلب واللسان، وإنما هذا مخادعة لله ولعباده المؤمنين.

والمخادعة: أن يظهر المخادع لمن يخادعه شيئا، ويبطن خلافه لكي يتمكن من مقصوده ممن يخادع، فهؤلاء المنافقون، سلكوا مع الله وعباده هذا المسلك، فعاد خداعهم على أنفسهم، فإن (٣) هذا **من العجائب**؛ لأن المخادع، إما أن ينتج خداعه ويحصل له ما يريد (٤) أو يسلم، لا له ولا عليه، وهؤلاء عاد خداعهم عليهم، وكأنهم (٥) يعملون ما يعملون من المكر

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٦١٨

لإهلاك أنفسهم وإضرارها وكيدها؛ لأن الله تعالى لا يتضرر بخداعهم [شيئا] وعباده المؤمنون، لا يضرهم كيدهم شيئا، فلا يضر المؤمنين أن أظهر المنافقون الإيمان، فسلمت بذلك أموالهم وحقنت دماؤهم، وصار كيدهم في نحورهم، وحصل لهم بذلك الخزي والفضيحة في الدنيا، والحزن المستمر بسبب ما يحصل للمؤمنين من القوة والنصرة.

ثم في الآخرة لهم العذاب الأليم الموجع المفجع، بسبب كذبهم وكفرهم وفجورهم، والحال أنهم من جهلهم وحماقتهم لا يشعرون بذلك.

وقوله: ﴿في قلوبهم مرض﴾ والمراد بالمرض هنا: مرض الشك والشبهات والنفاق، لأن (٦) القلب يعرض له مرضان يخرجانه عن صحته واعتداله: مرض الشبهات الباطلة، ومرض الشهوات المردية، فالكفر والنفاق والشكوك والبدع، كلها من مرض الشبهات، والزنا، ومحبة [الفواحش و] المعاصي وفعلها، من مرض الشهوات، كما قال تعالى: ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ وهي شهوة الزنا، والمعافى من عوفي من هذين المرضين، فحصل له اليقين والإيمان، والصبر عن كل معصية، فرفل في أثواب العافية.

---

(١) في ب: ولا بعد الهجرة حتى كانت وقعة بدر.

(٢) في ب: فذل.

(٣) في ب: وهذا.

(٤) في ب: ويحصل له مقصوده.

(٥) في ب: عاد خداعهم على أنفسهم فكأنهم.

(٦) في ب: وذلك أن.." (١)

"﴿١٠٤ - ١٠٥﴾ ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ .

أي: وليكن منكم أيها المؤمنون الذين من الله عليهم بالإيمان والاعتصام بحبله ﴿أمة﴾ أي: جماعة ﴿يدعون إلى الخير﴾ وهو اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله ويبعد من سخطه ﴿ويأمرون بالمعروف﴾ وهو ما عرف بالعقل والشرع حسنه ﴿وينهون عن المنكر﴾ وهو ما عرف بالشرع والعقل قبحه، وهذا إرشاد من الله للمؤمنين أن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلى سبيله وإرشاد الخلق إلى دينه، ويدخل في ذلك العلماء المعلمون للدين، والوعاظ الذين يدعون أهل الأديان إلى الدخول في دين الإسلام، ويدعون المنحرفين إلى الاستقامة، والمجاهدون في سبيل الله، والمتصدون لتفقد أحوال الناس وإلزامهم بالشرع كالصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من شرائع الإسلام، وكتفقد المكاييل والموازين وتفقد أهل الأسواق ومنعهم من الغش والمعاملات الباطلة، وكل هذه الأمور من فروض الكفايات كما تدل عليه الآية الكريمة في قوله ﴿ولتكن منكم أمة﴾ إلخ أي: لتكن منكم جماعة يحصل المقصود بهم في هذه الأشياء المذكورة، ومن المعلوم المتقرر أن الأمر بالشيء

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي ص/٤٢

أمر به وبما لا يتم إلا به فكل ما تتوقف هذه الأشياء عليه فهو مأمور به، كالاستعداد للجهاد بأنواع العدد التي يحصل بها نكاية الأعداء وعز الإسلام، وتعلم العلم الذي يحصل به الدعوة إلى الخير وسائلها ومقاصدها، وبناء المدارس للإرشاد والعلم، ومساعدة النواب ومعاونتهم على تنفيذ الشرع في الناس بالقول والفعل والمال، وغير ذلك مما تتوقف هذه الأمور عليه، وهذه الطائفة المستعدة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم خواص المؤمنين، ولهذا قال تعالى عنهم: ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بالمطلوب، الناجون من المرهوب، ثم نهاهم عن التشبه بأهل الكتاب في تفرقهم واختلافهم، فقال: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا﴾ **ومن العجائب** أن اختلافهم ﴿من بعد ما جاءهم البينات﴾ الموجبة لعدم التفرق والاختلاف، فهم أولى من غيرهم بالاعتصام بالدين، فعكسوا القضية مع علمهم بمخالفتهم أمر الله، فاستحقوا العقاب البليغ، ولهذا قال تعالى: ﴿وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ .." [١]

"﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء﴾ في الأرض تتمتعون بها وتدركون مطالبكم ﴿من بعد عاد﴾ الذين أهلكهم الله، وجعلكم خلفاء من بعدهم، ﴿وبوأكم في الأرض﴾ أي: مكن لكم فيها، وسهل لكم الأسباب الموصلة إلى ما تريدون وتبتغون ﴿تتخذون من سهولها قصورا﴾ أي: من الأراضي السهلة التي ليست بجبال، تتخذون فيها القصور العالية والأبنية الحصينة، ﴿وتنحتون الجبال بيوتا﴾ كما هو مشاهد إلى الآن من أعمالهم التي في الجبال، من المساكن والحجر ونحوها، وهي باقية ما بقيت الجبال، ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ أي: نعمه، وما خولكم من الفضل والرزق والقوة، ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ أي: لا تخربوا الأرض بالفساد والمعاصي، فإن المعاصي تدع الديار العامرة بلاقع، وقد أخلت ديارهم منهم، وأبقت مساكنهم موحشة بعدهم.

﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾ أي: الرؤساء والأشراف الذين تكبروا عن الحق، ﴿للذين استضعفوا﴾ ولما كان المستضعفون ليسوا كلهم مؤمنين، قالوا ﴿لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه﴾ أي: أهو صادق أم كاذب؟.

فقال المستضعفون: ﴿إنا بما أرسل به مؤمنون﴾ من توحيد الله والخبر عنه وأمره ونهيه.

﴿قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون﴾ حملهم الكبر أن لا ينقادوا للحق الذي انقاد له الضعفاء.

﴿فعقروا الناقة﴾ التي توعدهم إن مسوها بسوء أن يصيبهم عذاب أليم، ﴿وعتوا عن أمر ربهم﴾ أي: قسوا عنه، واستكبروا عن أمره الذي من عتا عنه أذاقه العذاب الشديد. لا جرم أحل الله بهم من النكال ما لم يحل بغيرهم ﴿وقالوا﴾ مع هذه الأفعال متجرئين على الله، معجزين له، غير مبالين بما فعلوا، بل مفتخرين بها: ﴿يا صالح ائتنا بما تعدنا﴾ إن كنت من الصادقين من العذاب فقال: ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب﴾ .

﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ على ركبهم، قد أبادهم الله، وقطع دابرهم.

﴿فتولى عنهم﴾ صالح عليه السلام حين أحل الله بهم العذاب، ﴿وقال﴾ مخاطبا لهم توبيخا وعتابا بعدما أهلكهم الله: ﴿يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم﴾ أي: جميع ما أرسلني الله به إليكم، قد أبلغتكم به وحرصت على هدايتكم، واجتهدت في سلوككم الصراط المستقيم والدين القويم. ﴿ولكن لا تحبون الناصحين﴾ بل رددتم قول النصحاء، وأطعتم كل

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي ص/١٤٢

شيطان رجيم.

واعلم أن كثيرا من المفسرين يذكرون في هذه القصة أن الناقة قد خرجت من صخرة صماء ملساء اقترحوها على صالح وأنها تمخضت تمخض الحامل فخرجت الناقة وهم ينظرون وأن لها فصيلا حين عقروها رغى ثلاث رغيات وانفلق له الجبل ودخل فيه وأن صالحا عليه السلام قال لهم: آية نزول العذاب بكم، أن تصبحوا في اليوم الأول من الأيام الثلاثة ووجوهكم مصفرة، واليوم الثاني: محمرة، والثالث: مسودة، فكان كما قال.

وكل هذا من الإسرائيليات التي لا ينبغي نقلها في تفسير كتاب الله، وليس في القرآن ما يدل على شيء منها بوجه من الوجوه، بل لو كانت صحيحة لذكرها الله تعالى، لأن فيها **من العجائب** والعبر والآيات ما لا يهمله تعالى ويدع ذكره، حتى يأتي من طريق من لا يوثق بنقله، بل القرآن يكذب بعض هذه المذكورات، فإن صالحا قال لهم: ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾ أي: تنعموا وتلذذوا بهذا الوقت القصير جدا، فإنه ليس لكم من المتاع واللذة سوى هذا، وأي لذة وتمتع لمن وعدهم نبيهم وقوع العذاب، وذكر لهم وقوع مقدماته، فوقعت يوما فيوما، على وجه يعمهم ويشملهم [احمرار وجوههم، واصفرارها واسودادها من العذاب] (١) .

هل هذا إلا مناقض للقرآن، ومضاد له؟ ". فالقرآن فيه الكفاية والهداية عن ما سواه.

نعم لو صح شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يناقض كتاب الله، فعلى الرأس والعين، وهو مما أمر القرآن باتباعه ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ -[٢٩٦]- وقد تقدم أنه لا يجوز تفسير كتاب الله بالأخبار الإسرائيلية، ولو على تجويز الرواية عنهم بالأمور التي لا يجزم بكذبها، فإن معاني كتاب الله يقينية، وتلك أمور لا تصدق ولا تكذب، فلا يمكن اتفاقهما.

---

(١) زيادة من هامش ب.." (١)

"﴿٥﴾ ﴿وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ .

يحتمل أن معنى قوله ﴿وإن تعجب﴾ من عظمة الله تعالى وكثرة أدلة توحيده، فإن العجب -مع هذا- إنكار المكذبين وتكذيبهم بالبعث، وقولهم ﴿أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد﴾ أي: هذا بعيد في غاية الامتناع بزعمهم، أنهم بعد ما كانوا ترابا، أن الله يعيدهم، فإنهم -من جهلهم- قاسوا قدرة الخالق بقدرة المخلوق.

فلما رأوا هذا ممتنعا في قدرة المخلوق ظنوا أنه ممتنع على قدرة الخالق، ونسوا أن الله خلقهم أول مرة ولم يكونوا شيئا.

ويحتمل أن معناه: وإن تعجب من قولهم وتكذيبهم للبعث، فإن ذلك **من العجائب**، فإن الذي توضح له الآيات، ويرى من الأدلة القاطعة على البعث ما لا يقبل الشك والريب، ثم ينكر ذلك فإن قوله **من العجائب**.

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي ص/٢٩٥

ولكن ذلك لا يستغرب على ﴿الذين كفروا بربهم﴾ وجحدوا وحدانيته، وهي أظهر الأشياء وأجلاها، ﴿وأولئك الأغلال﴾ المانعة لهم من الهدى ﴿في أعناقهم﴾ حيث دعوا إلى الإيمان فلم يؤمنوا، وعرض عليهم الهدى فلم يهتدوا، فقلبت قلوبهم وأفئدتهم عقوبة على أنهم لم يؤمنوا به أول مرة، ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ لا يخرجون منها أبدا.." (١)

"﴿٩-١٢﴾ ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا * إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا * فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا * ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا﴾ .

وهذا الاستفهام بمعنى النفي، والنهي. أي: لا تظن أن قصة أصحاب الكهف، وما جرى لهم، غريبة على آيات الله، وبديعة في حكمته، وأنه لا نظير لها، ولا مجانس لها، بل لله تعالى من الآيات العجيبة الغريبة ما هو كثير، من جنس آياته في أصحاب الكهف وأعظم منها، فلم يزل الله يري عباده من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم، ما يتبين به الحق من الباطل، والهدى من الضلال، وليس المراد بهذا النفي أن تكون قصة أصحاب الكهف **من العجائب**، بل هي من آيات الله العجيبة، وإنما المراد، أن جنسها كثير جدا، فالوقوف معها وحدها، في مقام العجب والاستغراب، نقص في العلم والعقل، بل وظيفة المؤمن التفكر بجميع آيات الله، التي دعا الله العباد إلى التفكير فيها، فإنها مفتاح الإيمان، وطريق العلم والإيقان. وأضافهم إلى الكهف، الذي هو الغار في الجبل، الرقيم، أي: الكتاب الذي قد رقمت فيه أسماؤهم وقصتهم، لملازمتهم له دهرا طويلا. ثم ذكر قصتهم مجملة، وفصلها بعد ذلك فقال: ﴿إذ أوى الفتية﴾ أي: الشباب، ﴿إلى الكهف﴾ يريدون بذلك التحصن والتحرز من فتنة قومهم لهم، ﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾ أي تثبتنا بها وتحفظنا من الشر، وتوفقنا للخير ﴿وهيئ لنا من أمرنا رشدا﴾ أي: يسر لنا كل سبب موصل إلى الرشد، وأصلح لنا أمر ديننا ودنيانا، فجمعوا بين السعي والفرار من الفتنة، إلى محل يمكن الاستخفاء فيه، وبين تضرعهم وسؤالهم لله تيسير أمورهم، وعدم اتكالهم على أنفسهم وعلى الخلق، فلذلك استجاب الله دعاءهم، وقيض لهم ما لم يكن في حسابهم، قال: ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف﴾ أي أنمناهم ﴿سنين عددا﴾ وهي ثلاث مائة سنة وتسع سنين، وفي النوم المذكور حفظ لقلوبهم من الاضطراب والخوف، وحفظ لهم من قومهم وليكون آية بينة.

﴿ثم بعثناهم﴾ أي: من نومهم ﴿لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا﴾ أي: لنعلم أيهم أحصى لمقدار مدتهم، كما قال تعالى: ﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم﴾ الآية، وفي العلم بمقدار لبثهم، ضبط للحساب، ومعرفة لكمال قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته، فلو استمروا على نومهم، لم يحصل الاطلاع على شيء من ذلك من قصتهم.." (٢)

"﴿فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا * قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا * قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا * فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما * قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي ص/٤١٣

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي ص/٤٧١

رشدا * قال إنك لن تستطيع معي صبرا * وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا * قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا * قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا * فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها﴾ إلى قوله: ﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا﴾ .

فلما جاوز موسى وفتاه مجمع البحرين، قال موسى لفتاه: ﴿آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾ أي: لقد تعبنا من هذا السفر المجاوز فقط، وإلا فالسفر الطويل الذي وصلا به إلى مجمع البحرين لم يجدا مس التعب فيه، وهذا من الآيات والعلامات الدالة لموسى، على وجود مطلبه، وأيضا فإن -[٤٨٢]- الشوق المتعلق بالوصول إلى ذلك المكان، سهل لهما الطريق، فلما تجاوزا غايتهما وجدا مس التعب، فلما قال موسى لفتاه هذه المقالة، قال له فتاه: ﴿أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت﴾

أي: ألم تعلم حين آوانا الليل إلى تلك الصخرة المعروفة بينهما ﴿فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان﴾ لأنه السبب في ذلك ﴿واتخذ سبيله في البحر عجبا﴾ أي: لما انسرب في البحر ودخل فيه، كان ذلك **من العجائب**.

قال المفسرون: كان ذلك المسلك للحوت سربا، ولموسى وفتاه عجبا، فلما قال له الفتى هذا القول، وكان عند موسى وعد من الله أنه إذا فقد الحوت، وجد الخضر، فقال موسى: ﴿ذلك ما كنا نبغ﴾ أي: نطلب ﴿فارتدا﴾ أي: رجعا ﴿على آثارهما قصصا﴾ أي رجعا يقصان أثرهما إلى المكان الذي نسيا فيه الحوت فلما وصلا إليه، وجدا عبدا من عبادنا، وهو الخضر، وكان عبدا صالحا، لا نبيا على الصحيح.

آتيناه [رحمة من عندنا أي: أعطاه الله رحمة خاصة بها زاد علمه وحسن عمله ﴿وعلمناه﴾] (١) ﴿من لدنا﴾ [أي: من عندنا] علما، وكان قد أعطي من العلم ما لم يعط موسى، وإن كان موسى عليه السلام أعلم منه بأكثر الأشياء، وخصوصا في العلوم الإيمانية، والأصولية، لأنه من أولي العزم من المرسلين، الذين فضلهم الله على سائر الخلق، بالعلم، والعمل، وغير ذلك، فلما اجتمع به موسى قال له على وجه الأدب والمشاورة، والإخبار عن مطلبه.

﴿هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾ أي: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمك الله، ما به أسترشد وأهتدي، وأعرف به الحق في تلك القضايا؟ وكان الخضر، قد أعطاه الله من الإلهام والكرامة، ما به يحصل له الاطلاع على بواطن كثير من الأشياء التي خفيت، حتى على موسى عليه السلام، فقال الخضر لموسى: لا أمتنع من ذلك، ولكنك ﴿لن تستطيع معي صبرا﴾ أي: لا تقدر على اتباعي وملازمتي، لأنك ترى ما لا تقدر على الصبر عليه من الأمور التي ظاهرها المنكر، وباطنها غير ذلك، ولهذا قال: ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾ أي: كيف تصبر على أمر، ما أحطت بباطنه وظاهره ولا علمت المقصود منه ومآله؟

فقال موسى: ﴿ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا﴾ وهذا عزم منه، قبل أن يوجد الشيء الممتحن به، والعزم شيء، ووجود الصبر شيء آخر، فلذلك ما صبر موسى عليه السلام حين وقع الأمر.

فحينئذ قال له الخضر: ﴿فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا﴾ أي: لا تبتدئني بسؤال منك وإنكار، حتى أكون أنا الذي أخبرك بحاله، في الوقت الذي ينبغي إخبارك به، فنهاه عن سؤاله، ووعده أن يوقفه على حقيقة الأمر.

﴿فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها﴾ أي: اقتلع الخضر منها لوحا، وكان له مقصود في ذلك، سيبينه، فلم يصبر موسى عليه السلام، لأن ظاهره أنه منكر، لأنه عيب للسفينة، وسبب لغرق أهلها، ولهذا قال موسى: ﴿أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا﴾ أي: عظيما شنيعا، وهذا من عدم صبره عليه السلام، فقال له الخضر: ﴿ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ أي: فوقع كما أخبرتك، وكان هذا من موسى نسيانا فقال: ﴿لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا﴾ أي: لا تعسر علي الأمر، واسمح لي، فإن ذلك وقع على وجه النسيان، فلا تؤاخذني في أول مرة. فجمع بين الإقرار به والعذر منه، وأنه ما ينبغي لك أيها الخضر الشدة على صاحبك، فسمح عنه الخضر.

﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما﴾ أي: صغيرا ﴿فقتله﴾ الخضر، فاشتد بموسى الغضب، وأخذته الحمية الدينية، حين قتل غلاما صغيرا لم يذنب. ﴿قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا﴾ وأي: نكر مثل قتل الصغير، الذي ليس عليه ذنب، ولم يقتل أحدا؟! وكانت الأولى من موسى نسيانا، وهذه غير نسيان، ولكن عدم صبر.

---

(١) زيادة من هامش ب.." (١)

"فقال موسى: ﴿فعلتها إذا وأنا من الضالين﴾ أي: عن غير كفر، وإنما كان عن ضلال وسفه، فاستغفرت ربي فغفر لي.

﴿ففررت منكم لما خفتكم﴾ حين تراجعتم بقتلي، فهربت إلى مدين، ومكثت سنين، ثم جئتكم. ﴿فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين﴾ .

فالحاصل أن اعتراض فرعون على موسى، اعتراض جاهل أو متجاهل، فإنه جعل المانع من كونه رسولا أن جرى منه القتل، فبين له موسى، أن قتله كان على وجه الضلال والخطأ، الذي لم يقصد نفس القتل، وأن فضل الله تعالى غير ممنوع منه أحد، فلم منعتم ما منحني الله، من الحكم والرسالة؟ بقي عليك يا فرعون إدلاؤك بقولك: ﴿ألم نربك فينا وليدا﴾ وعند التحقيق، يتبين أن لا منة لك فيها، ولهذا قال موسى: ﴿وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل﴾ .

أي: تدلي علي بهذه المنة لأنك سخرت بني إسرائيل، وجعلتهم لك بمنزلة العبيد، وأنا قد أسلمتني من تعبيدك وتسخيرك، وجعلتها علي نعمة، فعند التصور، يتبين أن الحقيقة، أنك ظلمت هذا الشعب الفاضل، وعذبتهم وسخرتهم بأعمالك، وأنا قد سلمني الله من أذاك، مع وصول أذاك لقومي، فما هذه المنة التي تبت بها وتدلي بها؟.

﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ وهذا إنكار منه لربه، ظلما وعلوا، مع تيقن صحة ما دعاه إليه موسى، قال: ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما﴾ .

أي: الذي خلق العالم العلوي والسفلي، ودبره بأنواع التدبير، ورباه بأنواع التربية. ومن جملة ذلك، أنتم أيها المخاطبون، فكيف تنكرون خالق المخلوقات، وفاطر الأرض والسماوات ﴿إن كنتم موقنين﴾ فقال فرعون متجرهما، ومعجبا لقومه: ﴿ألا تستمعون﴾ ما يقول هذا الرجل، فقال موسى: ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ تعجبتم أم لا استكبرتم، أم أذعنتم.

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي ص/٤٨١

فقال فرعون معاندا للحق، قادحا بمن جاء به: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ حيث قال خلاف ما نحن عليه، وخالفنا فيما ذهبنا إليه، فالعقل عنده وأهل العقل، من زعموا أنهم لم يخلقوا، أو أن السماوات والأرض، ما زالتا موجودتين من غير موجد وأنهم، بأنفسهم، خلقوا من غير خالق، والعقل عنده، أن يعبد المخلوق الناقص، من جميع الوجوه، والجنون عنده، أن يثبت الرب الخالق للعالم العلوي والسفلي، والمنعم بالنعم الظاهرة والباطنة، ويدعو إلى عبادته، وزين لقومه هذا القول، وكانوا سفهاء الأحلام، خفيفي العقول ﴿فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين﴾ فقال موسى عليه السلام، مجيبا لإنكار فرعون وتعطيله لرب العالمين: ﴿رب المشرق والمغرب وما بينهما﴾ .

من سائر المخلوقات ﴿إن كنتم تعقلون﴾ فقد أديت لكم من البيان والتبيين، ما يفهمه كل من له أدنى مسكة من عقل، فما بالكم تتجاهلون فيما أخاطبكم به؟ وفيه إيماء وتنبيه إلى أن الذي رميتم به موسى من الجنون، أنه داؤكم فرميتم أزكى الخلق عقلا وأكملهم علما، بالجنون، والحال أنكم أنتم المجانين، حيث ذهبت عقولكم لإنكار أظهر الموجودات، خالق الأرض والسماوات وما بينهما، فإذا جحدتموه، فأي شيء تثبتون؟ وإذا جهلتموه، فأي شيء تعلمون؟ وإذا لم تؤمنوا به وبآياته، فبأي شيء – بعد الله وآياته – تؤمنون؟ تالله، إن المجانين الذين بمنزلة البهائم، أعقل منكم، وإن الأنعام السارحة، أهدى منكم.

فلما خنقت فرعون الحجة، وعجزت قدرته وبيانه عن المعارضة ﴿قال﴾ متوعدا لموسى بسلطانه ﴿لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ زعم – قبحه الله – أنه قد طمع في إضلال موسى، وأن لا يتخذ إلها غيره، وإلا فقد تقرر أنه هو ومن معه، على بصيرة من أمرهم.

فقال له موسى: ﴿أولو جئتك بشيء مبين﴾ أي: آية ظاهرة جلية، على صحة ما جئت به، من خوارق العادات.

-[٥٩١]-

﴿قال فأت به إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان﴾ أي: ذكر الحيات، ﴿مبين﴾ ظاهر لكل أحد، لا خيال، ولا تشبيه.

﴿ونزع يده﴾ من جيبه ﴿فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ أي: لها نور عظيم، لا نقص فيه لمن نظر إليها.

﴿قال﴾ فرعون ﴿للملإ حوله﴾ معارضا للحق، ومن جاء به: ﴿إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم﴾ موه عليهم لعلمه بضعف عقولهم، أن هذا من جنس ما يأتي به السحرة، لأنه من المتقرر عندهم، أن السحرة يأتون **من العجائب**، بما لا يقدر عليه الناس، وخوفهم أن قصده بهذا السحر، التوصل إلى إخراجهم من وطنهم، ليجدوا ويجتهدوا في معاداة من يريد إجلاءهم عن أولادهم وديارهم، ﴿فماذا تأمرون﴾ أن نفعل به؟.

﴿قالوا أرجه وأخاه﴾ أي: أخرهما ﴿وابعث في المدائن حاشرين﴾ جامعين للناس.

﴿يأتوك﴾ أولئك الحاشرون ﴿بكل سحار عليم﴾ أي: ابعث في جميع مدنك، التي هي مقر العلم، ومعدن السحر، من يجمع لك كل ساحر ماهر، عليم في سحره فإن الساحر يقابل بسحر من جنس سحره.

وهذا من لطف الله أن يري العباد، بطلان ما موه به فرعون الجاهل الضال، المضل أن ما جاء به موسى سحر، قيضهم أن

جمعوا أهل المهارة بالسحر، لينعقد المجلس عن حضرة الخلق العظيم، فيظهر الحق على الباطل، ويقر أهل العلم وأهل الصناعة، بصحة ما جاء به موسى، وأنه ليس بسحر، فعمل فرعون برأيهم، فأرسل في المدائن، من يجمع السحرة، واجتهد في ذلك، وجد.

﴿فجمع السحرة لميقات يوم معلوم﴾ قد واعدهم إياه موسى، وهو يوم الزينة، الذي يتفرغون فيه من أشغالهم.

﴿وقيل للناس هل أنتم مجتمعون﴾ أي: نودي بعموم الناس بالاجتماع في ذلك اليوم الموعود.." (١)

"﴿وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون * يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ .

-[٦٣٧]-

﴿وعد الله لا يخلف الله وعده﴾ فتيقنوا ذلك واجزموا به واعلموا أنه لا بد من وقوعه.

فلما نزلت هذه الآيات التي فيها هذا الوعد صدق بها المسلمون، وكفر بها المشركون حتى تراهن بعض المسلمين وبعض المشركين على مدة سنين عينوها، فلما جاء الأجل الذي ضربه الله انتصر الروم على الفرس وأجلوهم من بلادهم التي أخذوها منهم وتحقق وعد الله.

وهذا من الأمور الغيبية التي أخبر بها الله قبل وقوعها ووجدت في زمان من أخبرهم الله بها من المسلمين والمشركين. ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أن ما وعد الله به حق فلذلك يوجد فريق منهم يكذبون بوعد الله، ويكذبون آياته.

وهؤلاء الذين لا يعلمون أي: لا يعلمون بواطن الأشياء وعواقبها. وإنما ﴿يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا﴾ فينظرون إلى الأسباب ويجزمون بوقوع الأمر الذي في رأيهم انعقدت أسباب وجوده ويتيقنون عدم الأمر الذي لم يشاهدوا له من الأسباب المقتضية لوجوده شيئا، فهم واقفون مع الأسباب غير ناظرين إلى مسببها المتصرف فيها.

﴿وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ قد توجهت قلوبهم وأهواؤهم وإراداتهم إلى الدنيا وشهواتها وحطامها فعملت لها وسعت وأقبلت بها وأدبرت وغفلت عن الآخرة، فلا الجنة تشتاق إليها ولا النار تخافها وتخشاها ولا المقام بين يدي الله ولقائه يروعها ويزعجها وهذا علامة الشقاء وعنوان الغفلة عن الآخرة.

ومن العجب أن هذا القسم من الناس قد بلغت بكثير منهم الفطنة والذكاء في ظاهر الدنيا إلى أمر يحير العقول ويدهش الألباب.

وأظهروا **من العجائب** الذرية (١) والكهربائية والمراكب البرية والبحرية والهوائية ما فاقوا به وبرزوا وأعجبوا بعقولهم ورأوا غيرهم عاجزا عما أقدرهم الله عليه، فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء وهم مع ذلك أبلد الناس في أمر دينهم وأشدهم غفلة عن آخرتهم وأقلهم معرفة بالعواقب، قد رآهم أهل البصائر النافذة في جهلهم يتخبطون وفي ضلالهم يعمهون وفي باطلهم يترددون (٢) نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون.

ثم (٣) نظروا إلى ما أعطاهم الله وأقدرهم عليه من الأفكار الدقيقة في الدنيا وظاهرها و [ما] حرموا من العقل العالي فعرفوا

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي ص/٥٩٠

(٤) أن الأمر لله والحكم له في عباده وإن هو إلا توفيقه وخذلانه فخافوا (٥) ربهم وسألوه أن يتم لهم ما وهبهم من نور العقول والإيمان حتى يصلوا إليه، ويحلوا بساحته [وهذه الأمور لو قارنها الإيمان وبنيت عليه لأثمرت الرقي العالي والحياة الطيبة، ولكنها لما بني كثير منها على الإلحاد لم تثمر إلا هبوط الأخلاق وأسباب الفناء والتدمير] (٦) .

---

(١) كذا في ب، وفي أ: النارية.

(٢) كذا في ب، وفي أ: يترددون.

(٣) هكذا في النسختين وقد شطبت الكلمة في ب، وجعل بدلها (ولو) .

(٤) في ب: عدلت إلى: لعرفوا.

(٥) في ب: عدلت إلى ولخافوا.

(٦) زيادة من هامش ب، لم يتضح أولها وقد نقلته من طبعة السلفية.." [١]

"﴿١ - ٢﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا﴾ .

أي: ﴿قل﴾ يا أيها الرسول للناس ﴿أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن﴾ صرفهم الله [إلى رسوله] لسماع آياته لتقوم عليهم الحجة [وتتم عليهم النعمة] ويكونوا نذرا (١) لقومهم. وأمر الله رسوله أن يقص نبأهم على الناس، وذلك أنهم لما حضروه، قالوا: أنصتوا، فلما أنصتوا فهموا معانيه، ووصلت حقائقه إلى قلوبهم، ﴿فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا﴾ أي: **من العجائب** الغالية، والمطالب العالية.

---

(١) في ب: منذرين لقومهم.." [٢]

"وقرأ أبو عمرو من رسله، برفع السين، وكذلك في جميع القرآن غير هذه الحروف الأربعة، مثل رسلنا ورسلهم يقرأ بالسكون، وقرأ الباقون برفع السين في جميع القرآن. ومعنى قوله: غفرانك ربنا، أي اغفر غفرانك، وهو من أسماء المصادر كالكفران والشكران وإليك المصير. يعني نحن مقرون بالبعث.

ثم قال: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها يعني: طاقتها قال الفقيه: حدثنا أبو الحسين قال: حدثنا محمد بن يوسف قال: حدثنا محمد بن عبد الله قال: حدثنا مروان عن عطاء بن عجلان عن زرارة بن أبي أوفى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله تجاوز عن هذه الأمة ما حدثت به أنفسها، أو همت به ما لم تعمل به، أو تتكلم به» ثم قال لها ما كسبت، وعليها ما اكتسبت، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا، أي لا تؤاخذ أحدا بذنوب غيره، كما قال في آية أخرى: ولا تزر وازرة وزر أخرى [الأنعام: ١٦٤] وقوله: إن نسينا أي إن تركنا أو أخطأنا، يعني إن كسبنا خطيئة، فأخبر الله تعالى بهذا

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي ص/٦٣٦

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي ص/٨٩٠

عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن المؤمنين، وجعله في كتابه ليكون دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم دعوة يدعون بها من بعده، لأن هذا الدعاء قد استجيب له، فينبغي أن يحفظ، ويدعى به كثيرا.

قال الفقيه: حدثنا القاضي الخليل قال: حدثنا السراج قال: حدثنا أحمد بن سعيد الرازي قال: حدثنا سهل بن بكار قال: حدثنا أبو عوانة عن أبي مالك الأشجعي عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فضلنا على الناس بثلاث خصال: جعلت لنا الأرض كلها مسجدا، وجعلت تربتها لنا طهورا، وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وأوتيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعط أحد قبلي، ولا تعطى أحدا بعدي» .

وروى أبو أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تعلموا البقرة وآل عمران، فإنهما تجيئان يوم القيامة كالغمامتين- أو كالغيايتين، أو كفرقتين- من طير صواف، ويحاجان عن صاحبهما» . ثم قال: «تعلموا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة» ، يعني السحرة.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نزل عليه ملك فقال له: إن الله يبشرك بنورين، لم يعطهما نبيا قبلك، فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لا يقرأ بحرف منهما إلا أعطيته نورا. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لو بلغت سورة البقرة ثلاثمائة آية، لتكلمت» يعني: لصارت بحال تتكلم، لأنه لا يبقى شيء، إلا اجتمع فيها من كثرة ما فيها **من العجائب**. والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد.." (١)

"قوله تعالى: إن في اختلاف الليل والنهار وذلك أن أهل مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: ائتنا بعلامة كما أتت بها الأنبياء قومهم، فنزل: إن في اختلاف الليل والنهار يعني: في مجيء الليل وذهاب النهار، ومجيء النهار وذهاب الليل، ويقال: ما يأخذ النهار من الليل وما يأخذ الليل من النهار، وما خلق الله في السماوات والأرض، **من العجائب**، يعني: فيما خلق الله لآيات، يعني: علامات لقوم يتقون الله ويخشون عقوبته. ويقال: لقوم يتقون الشرك.

ثم قال تعالى: إن الذين لا يرجون لقاءنا، يعني: لا يخافون البعث بعد الموت، ويقال: لا يرجون ثوابنا بعد الموت. ورضوا بالحياة الدنيا، يعني: اختاروا ما فى الحياة الدنيا، يعني: على ثواب الآخرة واطمأنوا بها، يقول: ورضوا بها وسكنوا إليها وآثروها وفرحوا بها. والذين هم عن آياتنا غافلون، يعني: عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن معرضون فلا يؤمنون. ويقال: تاركين لها ومكذبين بها، ويقال: لم يتفكروا فيها.

قوله تعالى: أولئك مأواهم النار، يعني: أهل هذه الصفة مصيرهم إلى النار بما كانوا يكسبون، يعني: جزاء لكفرهم وتكذيبهم. ثم أنزل فيما أعد الله للمؤمنين، فقال: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم وقال مقاتل: يهديهم على الصراط إلى الجنة بالنور بإيمانهم يعني: بتوحيدهم الله تعالى في الدنيا. وقال الضحاك: يدعوهم ربهم بإيمانهم إلى الجنة، وقال الكلبي نحو هذا.

ويقال: هذا على معنى التقديم، ومعناه: إن الذين يهديهم ربهم بإيمانهم حتى آمنوا وعملوا الصالحات، ويقال: يهديهم ربهم

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم أبو الليث السمرقندي ١٩١/١

في الدنيا، حتى يثبتهم على الإيمان ويدخلهم في الآخرة الجنة بإيمانهم، ويقال: ينجيهم ربهم بإيمانهم، وقال الحسن: يرحمهم ربهم بإيمانهم.

ثم قال تعالى: تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم ينتعمون فيها. ثم قال:

دعواهم فيها، يعني: قولهم في الجنات: سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام، فهذه علامة بينهم وبين خدمهم في الجنة، فإذا قالوا هذه المقالة جاءهم الخدم بالموائد ووضعوها بين أيديهم وأوتوا بما يشتهون. فإذا فرغوا من الطعام، قالوا الحمد لله رب العالمين، فذلك قوله تعالى: وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين يعني: وآخر قولهم بعد ما فرغوا من الطعام أن يقولوا: الحمد لله رب العالمين وتحيتهم فيها سلام على معنى التقديم، وقال الضحاك: في قوله تعالى: دعواهم فيها سبحانك اللهم وذلك أن أهل الجنة إذا خلفوا القيامة وصاروا إلى دار الكرامة، يكون فاتحة كلامهم سبحانك اللهم على ما مننت به علينا، وتحيتهم فيها سلام يقول: يسلم عليهم الملائكة من الله تعالى. ويقال: يسلم بعضهم على بعض،." (١)

"سورة الجاثية

وهي ثلاثون وسبع آية مكية

[سورة الجاثية (٤٥) : الآيات ١ الى ٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

حم (١) تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم (٢) إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين (٣) وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون (٤)

واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون (٥) تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون (٦)

قوله تبارك وتعالى: حم تنزيل الكتاب يعني: هذا الكتاب تنزيل من الله العزيز الحكيم وقد ذكرناه إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين يعني: لعبرات للمؤمنين في خلقهن. ويقال: معناه أن ما في السموات من الشمس، والقمر، والنجوم، وفي الأرض من الجبال، والأشجار، والأنهار وغيرها **من العجائب**، لعبرات ودلائل، واضحات للمؤمنين.

يعني: للمقرين المصدقين ويقال للمؤمنين يعني: لمن أراد أن يؤمن، ويتقي الشرك.

قوله عز وجل: وفي خلقكم وما يبث من دابة يعني: وفيما خلق من الدواب آيات لقوم يوقنون يعني: عبرات ودلائل لمن كان له يقين. قرأ حمزة والكسائي آيات بالكسر، والباقون بالضم. وكذلك الاختلاف في الذي بعده، فمن قرأ بالكسر، فإن المعنى: إن في خلقكم آيات لقوم يوقنون، فهو في موضع النصب إلا أن هذه التاء تصير خفضا في موضع النصب وإنما أضمر فيه إن لأن قوله: إن في السماوات والأرض لآيات في موضع النصب، فكذلك في الثاني معناه: إن في خلقكم آيات. ومن قرأ بالضم، فهو على الاستئناف على معنى، وفي خلقكم آيات.

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم أبو الليث السمرقندي ٢/١٠٥

واختلاف الليل والنهار يعني: في اختلاف الليل والنهار، في سواد الليل، وبياض النهار يعني: في اختلاف ألوانهما، وذهاب الليل ومجيء النهار وما أنزل الله من السماء من." (١)

"أي أن الحق تبارك وتعالى أئتمنه أن يكون إماما للبشر. . والله سبحانه كان يعلم وفاء إبراهيم ولكنه اختبره لنعرف نحن البشر كيف يصطفي الله تعالى عباده المقربين وكيف يكونوا أئمة يتولون قيادة الأمور. . استقبل إبراهيم هذه البشرى من الله وقال كما يروي لنا القرآن الكريم: ﴿قال ومن ذريتي﴾ [البقرة: ١٢٤]

ما هي الذرية؟ هي النسل الذي يأتي والولد الذي يجئ. . لأنه يحب استطراق الخير على أولاده وأحفاده وهذه طبيعة البشر، فهم يعطون ثمرة حركتهم وعملهم في الحياة لأولادهم وأحفادهم وهم مسرورون.

. ولذلك أراد إبراهيم أن ينقل الإمامية إلى أولاده وأحفاده. . حتى لا يحرموا من القيم الإيمانية تحرس حياتهم وتؤدي بهم إلى نعيم لا يزول. . ولكن الله سبحانه وتعالى يرد على إبراهيم بقضية إيمانية أيضا هي تقريع لليهود. . الذي تركوا القيم وعبدوا المادة فيقول جل جلاله: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ [البقرة: ١٢٤]

فكأن إبراهيم بأعماله قد وصل إلى الإمامية. . ولكن هذا لا ينتقل إلا للصالحين من عباده العابدين المسبحين.

وقول الحق سبحانه: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ مقصود به اليهود الذين باعوا قيمهم الإيمانية بالمادة، وهو استقراء للغيب أنه سيأتي من ذرية إبراهيم من سيفسق ويظلم.

ومن العجائب أن موسى وهارون عليهما السلام كانا رسولين. . الرسول الأصيل موسى وهارون جاء ليشد أزره لأنه فصيح اللسان. . وشاءت إرادة الله سبحانه أن تستمر الرسالة في ذرية هارون وليس في ذرية موسى. . والرسالة ليست ميراثا. .." (٢)

"ونحن جميعا نعرف القول الشائع: «الله يسلط الظالمين على الظالمين» .

ولو أن الذين ظلموا مكن منهم من ظلموهم ما صنعوا فيهم ما يصنعه الظالمون في بعضهم بعضا. إن الحق يسلط الظالمين على الظالمين، وينجى أهل الخير من موقف الانتقام ممن ظلموهم.

إذن فنحن في هذه الحياة نجد «مالك» و «ملك» وهناك فوق كل ذلك «مالك الملك» ، ولم يقل الله: إنه «ملك الملك» ؛ لأننا إذا دققنا جيدا في أمر الملكية فإننا لن نجد مالكا إلا الله. ﴿قل اللهم مالك الملك﴾ إنه المتصرف في ملكه، وإياكم أن تظنوا أن أحدا قد حكم في خلق الله بدون مراد الله، ولكن الناس حين تخرج عن طاعة الله فإن الله يسلط عليهم الحاكم الظالم، ولذلك فالحق سبحانه يقول في حديثه القدسي:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يطوى الله - عز وجل - السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرض بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟» .

إياك أيها المؤمن أن تظن أن أحدا قد أخذ الملك غضبا من الله. إنما الملك يريده الله لمن يؤدب به العباد. وإن ظلم الملك في

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم أبو الليث السمرقندي ٢٧٥/٣

(٢) تفسير الشعراوي الشعراوي ٥٧٣/١

التأديب فإن الله يبعث له من يظلمه، ومن رأى ظلم هذا الملك أو ذاك الحاكم فمن الجائز أن يريه الله هذا الملك أو ذلك الحاكم مظلوما. إنه القول الحكيم يؤكد لنا أنه سبحانه وتعالى مالك الملك وحده.

إن الحق سبحانه يأمر رسوله الكريم: ﴿قل اللهم مالك الملك﴾ إن كلمة «اللهم» وحدها فيها عجب **من العجائب** اللغوية، إن القرآن قد نزل باللسان العربي وأمة العرب فصيحة اللسان والبيان والبلاغة، وشاء الحق أن يكون للفظ الجلالة «الله» خصوصية فريدة في اللغة العربية.

إن اللغة العربية تضع قاعدة واضحة وهي ألا ينادي ما فيه، أداة التعريف، مثل «الرجل» ب «يا» فلا يقال: «يا رجل» بل يقال: «يأيها الرجل» لكن اللغة." (١)

"وكشف شامبليون عن الحروف التي لم تتغير. واهتدى إلى فك طلاسم حروف اللغة الهيروغليفية؛ فعرف كيف يقرأ المكتوب على حجر رشيد، واستطاع أن يقدم لنا بدايات اكتشاف تاريخ مصر القديمة. واستطاع أن يقرأ اللغة المرسومة على ذلك الحجر.

ولنا أن نرى عظمة القرآن حينما تعرض للأقدمين. . تعرض لعاد وتعرض لثمود وتعرض لفرعون. تعرض لتلك الحضارات كلها في سورة الفجر، فقال سبحانه وتعالى: ﴿والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر هل في ذلك قسم لذى حجر ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد﴾ [الفجر: ١ - ٧]

وإرم ذات العماد هي التي في الأحقاف - في الجزيرة العربية - ولم نكتشفها بعد، ولم نعرف عنها حتى الآن شيئا، وهي التي يقول عنها الحق: ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ [الفجر: ٨]

ثم يتكلم بعدها عن فرعون: ﴿وفرعون ذى الأوتاد﴾ [الفجر: ١٠]

والأهرام أقيمت بالفعل على أوتاد، وكذلك المسلات المصرية القديمة والمعابد. وغيرها **من العجائب** التي بهرت الناس في مختلف العصور. ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ [الفجر: ٨]

ثم جاء بحضارة ثمود. ﴿وثمود الذين جابوا الصخر بالواد﴾ [الفجر: ٩]." (٢)

"وكان النضر راوية للقصص التي يجمعها من أنحاء البلاد، فهو قد سافر إلى بلاد فارس والروم وجاب الجزيرة من أقصاها إلى أقصاها، فقال: والله ما أدري ما يقول محمد إلا أنه أساطير الأولين.

ويتجادل النضر وأبو سفيان وأبو جهل مع رسول الله، وهذا الجدال دليل عدم فهم لما جاء من آيات القرآن. ولم يجعل الله الوقر على آذانهم قهرا عنهم، بل بسبب كفرهم أولا، فطبع الله على قلوبهم بكفرهم، واستقر مرض الكفر في قلوبهم وفضلوه على الإيمان فزادهم الله مرضا، وقال فيهم الحق سبحانه: ﴿وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جآءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هاذآ إلا أساطير الأولين﴾ [الأنعام: ٢٥] .

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ١٣٩٥/٣

(٢) تفسير الشعراوي الشعراوي ٣٠٤٥/٥

والأساطير هي جمع أسطورة، والأسطورة شيء يسطر ليتحدث به **من العجائب** والأحداث الوهمية.

وكأن الحق سبحانه وتعالى يكشفهم أمام أنفسهم وهو يحاولون أن يجدوا ثغرة في القرآن فلا يجدون. وقال الله عنهم قولا فصلا: ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ [الزخرف: ٣١] .

فهم يعلمون عظمة القرآن فكيف يقولون إنه أساطير الأولين؟ لقد كانوا من المعجبين بعظمة أسلوب القرآن الكريم فهم أمة بلاغة، ولكنهم يعلمون أن مطلوبات القرآن صعبة على أنفسهم. كما أنهم أرادوا أن يظلوا في السيادة والجبروت والقهر للغير، والقرآن إنما جاء ليساوي بين البشر جميعا أمام الحق الواحد الأحد.

لقد جاءت حوادث قسرية بإرادة الله لتكون سببا للإيمان، مثلما حدث مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما علم أن أخته قد أسلمت فذهب إليها وضربها حتى أسال منها الدم. وإسالة الدم حركت فيه عاطفة الأخوة فأزالت صلف العناد، فأراد أن يقرأ الصحيفة التي بها بعض من آيات القرآن، وتلقى الأمر من أخته بأن يتطهر فتطهر وجلس يستمع، وبزوال صلفه وعناده وبتطهره صار ذهنه مستعدا لفهم." (١)

"﴿وإنه لذكر لك ولقومك ... ﴾ [الزخرف: ٤٤]

أي أن القرآن شرف كبير لك ولأمتك وسيجعل لكم به صيتا إلى يوم القيامة؛ لأن الناس سترى في القرآن على تعاقب العصور كل عجيبة **من العجائب**، وسيعلمون كيف أن الكون يصدق القرآن، إذن بفضل القرآن «العربي» ، سيظل اسم العرب ملتصقا ومرتبطا بالقرآن، وكل شرف للقرآن ينال معه العرب شرفا جديدا.

أي أن القرآن شرف لكم. ويقول سبحانه: ﴿لقد أنزلنآ إليكم كتابا فيه ذكركم ... ﴾ [الأنبياء: ١٠] .

أي فيه شرفكم، وفيه صيتكم، وفيه تاريخكم، ويأتي الإسلام الذي ينسخ القوميات والأجناس، ويجعل الناس كلها سواسية كأسنان المشط. ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبآئل لتعارفوا ... ﴾ [الحجرات: ١٣]

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى» .

وسيظل القرآن عربيا، وهو معجزة في لغة العرب، وبه ستظل كلمة العرب موجودة في هذه الدنيا. إذن فشرف القوم يجيء من شرف القرآن، ومن صيت القرآن. والحق يقول: ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾ [ص: ١]

أي أن شرفه دائم أبدا. حين يأتي إلى الدنيا سبق علمي، نجد من يذهب إلى البحث عن أصول السبق في القرآن، ونجد غير المسلمين يعتنون بالقرآن ويطبعونه في صفحة واحدة، وعلى ورق فاخر قد لا يستعملونه في كتبهم. هذا هو القرآن ذو الذكر على الرغم من أن بعض المسلمين ينحرفون قليلا عن المنهج، وقد يتناساه بعضهم، لكن في." (٢)

"العمليات المختصة بالحق سبحانه وتعالى، وهو آية من آيات الله في هذا الكون، ومن ضمن الآيات العجيبة.

واقرأ قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغآؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ [الروم: ٢٣] .

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ٣٥٧١/٦

(٢) تفسير الشعراوي الشعراوي ٤١٩٧/٧

وحين حاول العلماء الباحثون أن يفسروا ظاهرة النوم، وضعوا عشرات النظريات، وآخر التجارب التي أجريت أنهم أحضروا إنسانا وعلقوه كالرافعة من وسطه، وكأنه عصا مرفوعة من وسطها بتوازن، وجعلوا كل نصف من النصفين متساويا في الوزن، وحين جاء النوم لهذا الإنسان محل التجربة وجدوا أن جهة من النصفين مالت، وكأن ثقلا ما جاءها من النصف الآخر فزادت كتلتها، وهذا آخر ما درسوه في النوم، هذه التجربة أثبتت أن النوم عجيبة **من العجائب** التي تستحق أن يقول الحق تبارك وتعالى عنها: ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغآؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ [الروم: ٢٣] .

وانظر إلى كلمة «النهار» هذه تر فيها الرصيد الاحتياطي الموجود في آية النوم؛ لأنه سبحانه وتعالى يقول: ﴿ومن آياته منامكم بالليل﴾ .

وفي هذا القول رصيد احتياطي لمن جاء له ظرف من الظروف ولم ينم بالليل، فيعوض هذا الأمر وينام بالنهار، ومن حكمة الله تعالى أنه ذيل هذه الآية بقوله عز وجل: ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ .

وهذا بسبب أن النوم يعطل كل طاقات الجسم، فعندما ينام الإنسان لا يقدر جسمه على أن يتحرك التحرك الإداري، إلا السمع فهو باق في وظيفته؛ لأن." (١)

"نحن نعرف أن الآيات ثلاثة أنواع: آيات كونية، وهي **العجائب** التي في الكون ويسميها الله سبحانه آيات، فالآية هي عجيبة **من العجائب**، سواء." (٢)

"فالحق سبحانه ينقلنا هنا إلى صورة أخرى من صور الكون. . بعد أن حدثنا عن الإنسان وما حوله. . فالإنسان قبل أن يخلقه الله في هذا الوجود أعد له مقومات حياته، فالشمس والقمر والنجوم والأرض والسماء والمياه والهواء، كل هذه أشياء وجدت قبل الإنسان، لتهيئ له الوجود في هذا الكون.

والله سبحانه يريد منا بعد أن كفل لنا استبقاء الحياة بالرزق، واستبقاء النوع بالزواج والتكاثر، يريد منا إثراء عقائدنا بالنظر في ملكوت الله وما فيه **من العجائب**؛ لنستدل على أنه سبحانه هندس كونه هندسة بديعة متداخلة، وأحكمه إحكاما لا تصادم فيه.." (٣)

"إذن: عمدته أن يقول رسول الله، وطالما قال فهو صادق، هذه قضية مسلم بها عند الصديق رضي الله عنه.

ثم قال: «إنا لنصدقه في أبعد من هذا، نصدقه في خبر السماء (الوحي) ، فكيف لا نصدقه في هذا» ؟

إذن: الحق سبحانه جعل هذا الحادث محكا للإيمان، وممحصا ليقين الناس، حين يغربل من حول رسول الله، ولا يبقى معه إلا أصحاب الإيمان واليقين الثابت الذي لا يهتز ولا يتزعزع.

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ٤٥٩٥/٨

(٢) تفسير الشعراوي الشعراوي ٥٧٩٦/١٠

(٣) تفسير الشعراوي الشعراوي ٨١١٧/١٣

لذلك قال تعالى في آية أخرى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس. .﴾ [الإسراء: ٦٠] .
وهذا دليل آخر على أن الإسراء لم يكن مناما، فالإسراء لا يكون فتنة واختبارا إلا إذا كان حقيقة لا مناما، فالمنام لا يكذبه أحد ولا يختلف فيه الناس.
لكن لماذا قال عن الإسراء (رؤيا) يعني المنامية، ولم يقل «رؤية» يعني البصرية؟
قالوا: لأنها لما كانت عجيبة **من العجائب** صارت كأنها رؤيا منامية، فالرؤيا محل الأحداث العجيبة.
وورد في الإسراء أحاديث كثيرة تكلم فيها العلماء: أكان بالروح والجسد؟ أكان يقظة أم مناما؟ أكان من المسجد الحرام أم من بيت أم هانيء؟ ونحن لا نختلف مع هذه الآراء، ونوضح ما فيها من تقارب.." (١)
"بخلهم وعدم إكرامهم لهم، على حد قوله تعالى: ﴿لو شئت لتخذت عليه أجرا. .﴾ [الكهف: ٧٧]
ولما اتفقوا معهم على جعل من الطعام والشياه قام أحدهم برقية اللديغ بسورة الفاتحة فبرئ، فأكلوا من الطعام وتركوا الشياه إلى أن عادوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسألوه عن حل هذا الجعل فقال صلى الله عليه وسلم : «ومن أدراك أنها رقية» أي: أنها رقية يرقى بها المريض فيبرأ بإذن الله، ثم قال صلى الله عليه وسلم : «كلوا منها، واجعلوا لي سهما معكم» .
فشفاء أمراض البدن شيء موجود في السنة، وليس عجيبة **من العجائب**؛ لأنك حين تقرأ كلام الله فاعلم أن المتكلم بهذا الكلام هو الحق سبحانه، وهو رب كل شيء ومليكه، يتصرف في كونه بما يشاء، وبكلمة (كن) يفعل ما يريد، وليس ببعيد أن يؤثر كلام الله في المريض فيشفى.
ولما تناقش بعض المعترضين على هذه المسألة مع أحد العلماء، قالوا له: كيف يشفى المريض بكلمة؟ هذا غير معقول، فقال العالم لصاحبه: اسكت أنت حمار!! فغضب الرجل، وهم بترك المكان وقد ثارت ثورته، فنظر إليه العالم وقال: انظر ماذا فعلت بك كلمة، فما بالك بكلمة، المتكلم بها الحق سبحانه وتعالى؟ ثم يقول تعالى: ﴿ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾ [الإسراء: ٨٢] لأنهم بظلمهم واستقبالهم فيوضات السماء بملكات سقيمة، وأجهزة متضاربة متعارضة، فلم ينتفعوا بالقرآن، ولم يستفيدوا برحمات الله.." (٢)
"هذا كلام فتى موسى: أرأيت: أخبرني إذ لجأنا إلى الصخرة عند مجمع البحرين لنستريح ﴿فإني نسيت الحوت. .﴾ [الكهف: ٦٣] ونلحظ أنه قال هنا ﴿نسيت﴾ وقال في الآية السابقة ﴿نسيا. .﴾ [الكهف: ٦١] ذلك لأن الأولى إخبار من الله، والثانية كلام فتى موسى.
فكلام الله تبارك وتعالى يدلنا على أن رئيسا متبوعا لا يترك تابعه ليتصرف في كل شيء؛ لأن تابعه قد لا يهمه أمر المسير في شيء، وقد ينشغل ذهنه بأشياء أخرى تنسيه ما هو منوط به من أمر الرحلة.
ثم يعتذر الفتى عما بدر منه من نسيان الحوت، ويقول: ﴿ومآ أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره﴾ [الكهف: ٦٣] فالشيطان

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ٨٣١٧/١٣
(٢) تفسير الشعراوي الشعراوي ٨٧١٣/١٤

هو الذي لعب بأفكاره وخواطره حتى أنساه واجبه، وأنساه ذكر الحوت.

وقوله تعالى: ﴿واتخذ سبيله في البحر عجبا﴾ [الكهف: ٦٣] أي: اتخذ الحوت طريقه في البحر عجبا، في الآية السابقة قال: ﴿سربا﴾ [الكهف: ٦١] وهذه حال الحوت، وهنا يقول ﴿عجبا﴾ لأنه يحكي ما حدث ويتعجب منه، وكيف أن الحوت المشوي تدب فيه الحياة حتى يقفز من المكتل، ويتجه صوب الماء، فهذا حقا عجيبة **من العجائب**؛ لأنها خرجت عن المألوف.

ثم يقول الحق سبحانه: ﴿قال ذلك ما كنا نبغ. .﴾ .." (١)

"**ومن العجائب** في تيسير حفظ القرآن أنك إن أعلمت عقلك في القراءة تتخبط فيها وتخطىء، فإن أعدت القراءة هكذا على السليقة كما حفظت تتابعت معك الآيات وطاوعتك.

وتلحظ هنا أن القرآن لم يأت باللفظ الصريح، إنما جاء بضمير الغيبة في ﴿يسرناه﴾ [مريم: ٩٧] لأن الهاء هنا لا يمكن أن تعود إلا على القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص: ١] فضمير الغيبة هنا لا يعود إلا على الله تعالى.

وقوله: ﴿بلسانك﴾ [مريم: ٩٧] أي: بلغتك، فجعلناه قرآنا عربيا في أمة عربية؛ ليفهموا عنك البلاغ عن الله في البشارة والنذارة، ولو جاءهم بلغة أخرى لقالوا كما حكى القرآن عنهم.

﴿ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياتهءاعجمي وعربي﴾ [فصلت: ٤٤] .

وقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وتنذر به قوما لدا﴾ [مريم: ٩٧] .

والإنذار: التحذير من شر سيقع في المستقبل، واللدد: عنف الخصومة، وشراسة العداوة، نقول: فلان عنده لدد أي: يبالغ في الخصومة، ولا يخضع للحجة والإقناع، ومهما حاولت معه يصر على خصومته.

وينهي الحق سبحانه سورة مريم بقوله تعالى: ﴿وكم أهلكنا قبلهم﴾." (٢)

"تبدأ بالأكسوجين، وتنتهي بالمنجنيز، وحين حللوا عناصر الإنسان وجدوها نفس العناصر الستة عشر، ليثبتوا بذلك البحث التحليلي صدق قضية الخلق التي أخبر عنها الخالق عز وجل.

وقوله: ﴿وفيها نعيدكم﴾ [طه: ٥٥] هذه مرحلة مشاهدة، فكل من يموت منا ندفنه في الأرض؛ لذلك يقول الشاعر:

إن سئمت الحياة فارجع إلى ... الأرض تنم آمنا من الأوصاب

هي أم أحنى عليك من الأم ... التي خلفتك للإتعاب

فبعد أن تنقض بنية الإنسان بالموت لا يسارع إلى مواراته التراب إلا أقرب الناس إليه، فترى المرأة التي مات وحيدها، وأحب الناس إليها، والتي كانت لا تطيق فراقه ليلة واحدة، لا تطيق وجوده الآن، بل تسارع به إلى أمه الأصلية (الأرض) .

وذلك لأن الجسد بعد أن فارقته الروح سرعان ما يتحول إلى جيفة لا تطاق حتى من أمه وأقرب الناس إليه، أما الأرض

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ٨٩٥٢/١٤

(٢) تفسير الشعراوي الشعراوي ٩٢٠٤/١٥

فإنها تحتضنه وتمتص كل مافيه من أذى.

ومن العجائب في نقض بنية الإنسان بالموت أنها تتم على عكس بنائه، فعندما تكلم الخالق عز وجل عن الخلق الأول للإنسان قال: إنه خلق من تراب، ومن طين، ومن حمأ مسنون، ومن صلصال كالفخار. وقلنا: إن هذه كلها أطوار للمادة الواحدة، ثم بعد ذلك ينفخ الخالق فيه الروح، فتدب فيه الحياة.

فإذا ما تأملنا الموت لوجدناه على عكس هذا الترتيب، كما أنك لو." (١)

"وتلحظ أنه لم يضن عليك بصفة الخلق؛ لأنك استعملت الأسباب وأعلمت الفكر، فكان لك شيء من الخلق، لكن ربك أحسن الخالقين؛ لأنك خلقت من باطن خلقته، خلقت من موجود، وهو سبحانه يخلق من عدم، خلقت شيئا جامدا لا حياة فيه، وخلق سبحانه شيئا ناميا، يتكاثر بذاته.

ومن هنا سمي المال الذي تخرجه للفقراء زكاة؛ لأنه يطهر الباقي وينميه. ومن العجائب أن الله تعالى سمى ما يخرج من المال زكاة ونماء، وسمى زيادة الربا محقا.

فمعنى: ﴿وذلك جزآء من تزكى﴾ [طه: ٧٦] أي: تطهر من المعاصي، ثم نمى نفسه، ومعنى التنمية هنا ارتقاءات المؤمن في درجات الوصول للحق، فهو مؤمن بداية، لكن يزيد إيمانه وينمو ويرتقي يوما بعد يوم، وكلما ازداد إيمانه ازداد قربه من ربه، وازدادت فيوضات الله عليه. والطهارة للأشياء سابقة على تنميتها؛ لأن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة.

إذن: زكى نفسه: طهرها أولا، ثم ينميها ثانيا، كمن يريد التجارة، فعليه أولا أن يأتي برأس المال الطاهر من حلال ثم ينميه، لكن لا تأتي برأس المال مدنسا ثم تنميه بما فيه من دنس.

وكلما نمى الإنسان إيمانه ارتقى في درجاته، فكانت له الدرجات العلا في الآخرة.." (٢)

"بنفسه، ولم يكله إلى أحد من خلقه.

لذلك تجد في هذا المجال كثيرا من العجائب والمفارقات، فمع تقدم الزمن وطغيان الحضارات المعادية للإسلام، والتي تمطرنا كل يوم بوابل من الانحرافات والخروج عن تعاليم الدين، ومنا من ينساق خلفهم، وهذا كله ينقص من الأحكام المطبقة من الإسلام.

لكن مع هذا كله تجد القرآن يزداد توثيقا، ويزداد حفظا، ويتبارى حتى غير المسلمين في حفظ كتاب الله وتوثيقه، والتجديد في طباعته، حتى رأينا مصحفا في ورقة واحدة، ومصحفا في حجم عقلة الإصبع، ويفخر بعضهم الآن بأنه يملك أصغر مصحف في العالم. . إلخ بصرف النظر عن دوافعهم من وراء هذا.

المهم أن الله تعالى يسخر حتى أعداء القرآن لحفظ القرآن ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر﴾ [المدثر: ٣١].

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ٩٢٩٨/١٥

(٢) تفسير الشعراوي الشعراوي ٩٣٣٦/١٥

أليس من وسائل نشر القرآن والمحافظة عليه آلات التسجيل وآلات تكبير الصوت التي تنشر كلام الله في كل مكان؟ ولم يلق شيء من الكتب السابقة مثل هذه العناية.

إذن: فالعناية بالقرآن كنص لا تتناسب مع النقص في أحكامه وانصراف أهله عنها، وكأن الله عز وجل يقول لنا: سأحفظ هذا النص بغير المؤمنين به، وسأجعلهم يوثقونه ويهتمون به؛ ليكون ذلك حجة عليكم.

لذلك كان عند الألمان قبل الحرب العالمية خزانة بها أدراج، في كل درج منها أية من القرآن، يحفظ به كل ما كتب عن هذه الآية بداية من تفسير ابن عباس إلى وقتها، وهذا دليل على أنهم مسخرون بقوة خفية لا يقدر عليها إلا الله عز وجل ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر: ٩] .." (١)

"لك: ماذا أراد الله بهذا؟ لأن الله تعالى قال: ﴿إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ... ﴾ [البقرة: ٢٦] .

فالبعض يرى أن البعوضة هذه شيء تافه، فكيف يجعله الله مثلا؟ والتحقيق أن البعوضة خلق من خلق الله، فيها **من العجائب** والأسرار ما يدعوك للتأمل والنظر، وليست شيئا تافها كما تظن، بل يكفيك فخرا أن تصل إلى سر العظمة فيها.

ففي هذا المخلوق الضئيل كل مقومات الحياة والإدراك، فهل تعرف فيها موضع العقل وموضع جهازها الدموي. . إلخ وفضلا عن الذباب والناموس وصغار المخلوقات ألا ترى الميكروبات التي لا تراها بعينك المجردة ومع ذلك يصيبك وأنت القوى بما يؤرقك وينغص عليك.

إذن: لا تقل لماذا يضرب الله الأمثال بهذه الأشياء لأن الله ﴿إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ... ﴾ [البقرة: ٢٦] ما فوقها أي: في الصغر والاستدلال. أي: ما دونها صغرا؛ لأن عظمة الخلق كما تكون بالشيء الأكثر ضخامة تكون كذلك بالشيء الأقل حجما الأكثر دقة.

لو نظرت مثلا إلى ساعة (بج بن) وهي أضخم وأشهر ساعة في العالم، وعليها يضبط العالم الوقت لوجدتها شيئا ضخما من حيث الحجم ليراها القادم من بعيد، ويستطيع قراءتها، فدلت على عظمة الصنعة ومهارة المهندسين الذين قاموا ببنائها، فعظمتها في ضخامتها وفخامتها، فإذا نظرت إلى نفس الساعة التي جعلوها في فص الخاتم لوجدت فيها أيضا عظمة ومهارة جاءت من دقة الصنعة في صغر الحجم.." (٢)

"والأرض، وما فيهن **من العجائب** أعجب من أمر أصحاب الكهف، وحجتي بكل ذلك ثابتة على هؤلاء المشركين من قومك، وغيرهم من سائر عبادي.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ١٠٧٠٢/١٧

(٢) تفسير الشعراوي الشعراوي ١١١٧٧/١٨

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) قال محمد بن عمرو في حديثه، قال: ليسوا عجبا بأعجب آياتنا، وقال الحارث في حديثه بقولهم: أعجب آياتنا: ليسوا أعجب آياتنا.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، قوله: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) كانوا يقولون هم عجب.

حدثنا بشر، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) يقول: قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) أي وما قدروا من قدر فيما صنعت من أمر الخلائق، وما وضعت على العباد من حججي ما هو أعظم من ذلك.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا، فإن الذي آتيتك من العلم والحكمة أفضل منه.

* ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) يقول: الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقيم.

وإنما قلنا: إن القول الأول أولى بتأويل الآية، لأن الله عز وجل أنزل قصة أصحاب الكهف على نبيه احتجاجا بها على المشركين من قومه على ما ذكرنا ف." (١)

"وتضرعت لأمتي فلم ترحمني، وقع علي البلاء فرفضوني، أنتم كنتم أشد علي من مصيبتي، انظروا وابهتوا **من العجائب** التي في جسدي، أما سمعتم بما أصابني، وما شغلكم عني ما رأيتم بي، لو كان عبد يخاصم ربه رجوت أن أتغلب عند الحكم، ولكن لي ربا جبارا تعالى فوق سماواته، وألقاني هاهنا، وهنت عليه، لا هو عذرني بعذري، ولا هو أدناني فأخاصم عن نفسي يسمعني ولا أسمعه، ويراني ولا أراه، وهو محيط بي، ولو تجلى لي لذابت كليتاي، وصعق روحي، ولو نفسني فأتكلم بملء فمي، ونزع الهيبة مني، علمت بأي ذنب عذبني، نودي فقيل: يا أيوب، قال: لبيك، قال: أنا هذا قد دنوت منك، فقم فاشدد إزارك، وقم مقام جبار، فإنه لا ينبغي لي أن يخاصمني إلا جبار مثلي، ولا ينبغي أن يخاصمني إلا من يجعل الزنار في فم الأسد، والسخال في فم العنقاء، واللحم في فم التنين، ويكيل مكيالا من النور، ويزن مثقالا من الريح، ويصر صرة من الشمس، ويرد أمس لغد، لقد منتك نفسك أمرا ما يبلغ بمثل قوتك، ولو كنت إذ منتك نفسك ذلك ودعتك إليه تذكرت أي مرام رام بك، أردت أن تخاصمني بغيك؟ أم أردت أن تحاجيني بخطئك، أم أردت أن تكاثرني بضعفك، أين كنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها، هل علمت بأي مقدار قدرتها؟ أم كنت معي تمر بأطرافها؟ أم تعلم ما بعد

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٦٠١/١٧

زواياها؟ أم على أي شيء وضعت أكنافها؟ أبطاعتك حمل ماء الأرض؟ أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء، أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا بعلائق ثبتت من فوقها، ولا يحملها دعائم من تحتها، هل يبلغ من حكمتك أن تجري نورها، أو تسير نجومها، أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها، أين كنت مني يوم سجرت البحار وأنبعت الأنهار؟ أقدرتك حبست أمواج البحار على حدودها؟ أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها؟ أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب، ونصبت شوامخ الجبال، هل لك من ذراع تطيق حملها، أم هل تدري كم مثقال فيها، أم أين الماء الذي أنزل من السماء؟ هل تدري أم تلده أو أب يولده؟ أحكمتك أحصت القطر وقسمت الأرزاق، أم قدرتك تثير السحاب، وتغشيه الماء؟ هل تدري ما أصوات الرعود؟ أم من أي شيء لهب البروق؟ هل رأيت عمق البحور؟ أم هل تدري ما بعد الهواء، أم هل خزنت أرواح الأموات؟ أم هل تدري أين خزانة الثلج، أو أين خزائن البرد، أم أين جبال البرد؟ أم هل تدري أين خزانة الليل بالنهار، وأين خزانة النهار بالليل؟ وأين طريق النور؟ وبأي لغة تتكلم الأشجار؟ وأين خزانة الريح، كيف تحبسه الأغلاق؟ ومن جعل العقول في أجواف الرجال؟ ومن شق الأسماع والأبصار، ومن ذلت الملائكة لملكه، وقهر الجبارين بجبروته، وقسم أرزاق الدواب بحكمته، ومن قسم للأسد أرزاقها وعرف الطير معايشها، وعطفها على أفراخها، من أعتق الوحش من الخدمة، وجعل مساكنها البرية لا تستأنس بالأصوات، ولا تهاب المسلطين، أمن حكمتك تفرعت أفراخ الطير، وأولاد الدواب لأمهاتها؟ أم من حكمتك عطفت أمهاتها عليها، حتى أخرجت لها الطعام من بطونها، وآثرتها بالعيش على نفوسها؟ أم من حكمتك يبصر العقاب، فأصبح في أماكن القتلى أين أنت مني يوم خلقت بهموت (١) مكانه في منقطع التراب، والوتينان (٢) يحملان الجبال والقرى والعمران، آذانهما كأنها شجر الصنوبر الطوال رؤوسهما، كأنها آكام الحبال، وعروق أفخاذهما كأنها أوتاد الحديد، وكأن جلودهما فلق الصخور، وعظامهما كأنها عمد النحاس، هما رأسا خلقي الذين خلقت للقتال، أأنت ملأت جلودهما لحما؟ أم أنت ملأت رؤوسهما دماغا؟ أم هل لك في خلقهما من شرك؟ أم لك بالقوة التي عملتهما يدان؟ أو هل يبلغ من قوتك أن تخطم على أنوفهما أو تضع يدك على رؤوسهما، أو تقعد لهما على طريق فتحبسهما، أو تصدهما عن قوتهما؟ أين أنت يوم خلقت التنين ورزقه في البحر، ومسكنه في السحاب، عيناه توقدان نارا، ومنخراه يثوران دخانا، أذناه مثل قوس السحاب، يثور منهما لهب كأنه إعصار العجاج، جوفه يحترق ونفسه يلتهب، وزبده كأمثال الصخور، وكأن صريف أسنانه صوت الصواعق، وكأن نظر عينيه لهب البرق، أسراره لا تدخله الهموم، تمر به الجيوش وهو متكئ، لا يفزعه شيء ليس فيه مفصل [زبر] الحديد عنده مثل التين، والنحاس عنده مثل الخيوط، لا يفزع من النشاب، ولا يحس وقع الصخور على جسده، ويضحك من النيازك، ويسير في الهواء كأنه عصفور، ويهلك كل شيء يمر به ملك الوحوش، وإياه آثرت بالقوة على خلقي، هل أنت آخذه بأحبولتك فرابطه بلسانه، أو واضع اللجام في شدقه، أتظنه يوفي بعهدك، أو يسبح من خوفك؟ هل تحصي عمره، أم هل تدري أجله، أو تفوت رزقه؟ أم هل تدري ماذا خرب من الأرض؟ أم ماذا يخرب فيما بقي من عمره؟ أتطيق غضبه حين يغضب أم تأمره فيطيعك؟ تبارك الله وتعالى؟

قال أيوب صلى الله عليه وسلم: قصرت عن هذا الأمر الذي تعرض لي، ليت الأرض انشقت بي، فذهبت في بلائي ولم أتكلم بشيء يسخط ربي، اجتمع علي البلاء، إلهي حملتني لك مثل العدو، وقد كنت تكرمني وتعرف نصحي، وقد علمت أن الذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك، وأعظم من هذا ما شئت عملت، لا يعجزك شيء ولا يخفى عليك خافية،

ولا تغيب عنك غائبة، من هذا الذي يظن أن يسر عنك سرا، وأنت تعلم ما يخطر على القلوب؟ وقد علمت منك في بلائي هذا ما لم أكن أعلم، وخفت حين بلوت أمرك أكثر مما كنت أخاف، إنما كنت أسمع بسطوتك سمعا، فأما الآن فهو بصر العين، إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرني، وسكت حين سكت لترحمني، كلمة زلت فلن أعود، قد وضعت يدي على فمي، وعضضت على لساني، وألصقت بالتراب خدي، ودست وجهي لصغاري، وسكت كما أسكتتني خطيئتي، فاغفر لي ما قلت فلن أعود لشيء تكرهه مني.

قال الله تبارك وتعالى: يا أيوب نفذ فيك علمي، وبحلمي صرفت عنك غضبي، إذ خطئت فقد غفرت لك، ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم، فاغتسل بهذا الماء، فإن فيه شفاءك، وقرب عن صحابتك قربانا، واستغفر لهم، فإنهم قد عصوني فيك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عمن لا يتهم، عن وهب بن منبه اليماني، وغيره من أهل الكتب الأول، أنه كان من حديث أيوب أنه كان رجلا من الروم، وكان الله قد اصطفاه ونبأه، وابتلاه

---

(١) في الكتاب المقدس ص ٨٣١: " بهيموث ".

(٢) في الكتاب المقدس ص ٣٨١: " لوياثان ".." [١]

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾ [الكهف: ٩] يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا، فإن ما خلقت من السماوات والأرض، وما فيهن **من العجائب** أعجب من أمر أصحاب الكهف، وحجتي بكل ذلك ثابتة على هؤلاء المشركين من قومك، وغيرهم من سائر عبادي. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل." [٢]

"العظمة واللطف ، وله الجلال والقدرة؟ إن أفسد ، فمن ذا الذي يصلح؟ وإن أعجم ، فمن ذا الذي يفصح؟ إن نظر إلى البحار يبست من خوفه، وإن أذن لها ابتلعت الأرض، فإنما يحملها بقدرته هو الذي تبهت الملوك عند ملكه، وتطيش العلماء عند علمه، وتعيا الحكماء عند حكمته، ويخسأ المبطلون عند سلطانه. هو الذي يذكر المنسي، وينسي المذكور، ويجري الظلمات والنور. هذا علمي، وخلقه أعظم من أن يحصيه عقلي، وعظمته أعظم من أن يقدرها مثلي. قال بلدد: إن المنافق يجزى بما أسر من نفاقه، وتضل عنه العلانية التي خادع بها، وتوكل على الجزاء بها الذي عملها، ويهلك ذكره من الدنيا ، ويظلم نوره في الآخرة، ويوحش سبيله، وتوقعه في الأحبولة سريرته، وينقطع اسمه من الأرض، فلا ذكر فيها ولا عمران، لا يرثه ولد مصلحون من بعده، ولا يبقى له أصل يعرف به، ويبهت من يراه، وتقف الأشعار عند ذكره قال أيوب: إن أكن غويا فعلي غواي، وإن أكن بريئا فأي منعة عندي؟ إن صرخت فمن ذا الذي يصرخني؟ وإن سكت فمن ذا الذي ينذرني؟ ذهب رجائي، وانقضت أحلامي، وتنكرت لي معارفي ، دعوت غلامي فلم يجبني، وتضرعت لأمتي فلم

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٤٩٣/١٨

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٥٥/١٥

ترحمني، وقع علي البلاء فرفضوني، أنتم كنتم أشد علي من مصيبتي. انظروا وابهتوا **من العجائب** التي في جسدي أما سمعتم بما أصابني؟ وما شغلكم عني ما رأيتم بي؟ لو كان عبد يخاصم ربه، رجوت أن أتغلب عند الحكم، ولكن لي ربا جبارا تعالى فوق سماواته، وألقاني ها هنا، وهنت عليه، لا هو عذرني." [1]

"يتمتع به معها؛ لأنه يؤدي إلى الفتنة، ويكون ذريعة إلى الفاحشة؛ فيجب اتقاء ذلك؛ حتى إن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر من سمع بالدجال أن يبتعد عنه حتى لا يقع في فتنته (رحمه الله١) .

٨- ومن فوائد الآية: حكمة الله سبحانه وتعالى بتنويع العبادات؛ لأننا إذا تدبرنا العبادات وجدنا أن العبادات متنوعة؛ منها ما هو مالي محض؛ ومنها ما هو بدني محض؛ ومنها ما هو مركب منهما: بدني، ومالي؛ ومنها ما هو كف ـ ليتم اختبار المكلف؛ لأن من الناس من يهون عليه العمل البدني دون بذل المال؛ ومنهم من يكون بالعكس؛ ومن الناس من يهون عليه بذل المحبوب؛ ويشق عليه الكف عن المحبوب ومنهم من يكون بالعكس؛ فمن ثم نوع الله سبحانه وتعالى بحكمته العبادات؛ فالصوم كف عن المحبوب قد يكون عند بعض الناس أشق من بذل المحبوب؛ **ومن العجائب** في زمننا هذا أن من الناس من يصبر على الصيام، ويعظمه؛ ولكن لا يصبر على الصلاة، ولا يكون في قلبه من تعظيم الصلاة ما في قلبه من تعظيم الصيام؛ تجده يصوم رمضان لكن الصلاة لا يصلي إلا من رمضان إلى رمضان ـ إن صلى في رمضان؛ وهذا لا شك خطأ في التفكير؛ لكن الصلاة حيث إنها تتكرر كل يوم صار هينا على هذا الإنسان تركها؛ والصوم يكون عنده تركه صعبا؛ ولهذا إذا أرادوا ذم إنسان قالوا: إنه لا يصوم، ولا يصلي ـ يبدؤون بالصوم.

رحمه الله________________

(رحمه الله١) راجع أحمد ص١٤٥٧، حديث رقم ٢٠١١٦؛ وأبا داود ص١٥٣٧، كتاب الملاحم، باب ١٤: خروج الدجال، حديث رقم ٤٣١٩؛ ومستدرك الحاكم ٤/٥٣١، كتاب الفتن والملاحم، وقال الحاكم: "حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم، ولم يخرجاه"، وأقره الذهبي (المرجع نفسه) ؛ وقال الألباني في صحيح أبي داود: "صحيح" (٣/٣٠، حديث رقم ٤٣١٩) .." [2]

"بضوء هذه النار- وعلى هذا فالتمثيل مرتبط بما قبله. فإنهم- لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى- مثل هداهم- الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد- والضلالة- التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم- بذهاب الله بنورهم، وتركه إياهم في الظلمات.

قال الزمخشري في الكشف: ولضرب العرب الأمثال، واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد- وفيه تبكيت للخصم الألد، وقمع لسورة الجامح الأبي.

ولأمر ما، أكثر الله- في كتابه المبين، وفي سائر كتبه- أمثاله، وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلام الأنبياء

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٦/٣٤٦

(٢) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة ابن عثيمين ٢/٣١٩

والحكماء. قال الله تعالى: وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون [العنكبوت: ٤٣] .

و (والمثل) في أصل كلامهم بمعنى: المثل وهو النظير. يقال: مثل، ومثل، ومثيل –كشبه وشبه وشبيه– ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده: مثل.

ولم يضربوا مثلا، ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول، إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه. ومن ثم حوفظ عليه، وحمي من التغيير.

فإنه– لو غير– لربما انتفى الدلالة على تلك الغرابة. وقيل: إن المحافظة على المثل إنما هي بسبب كونه استعارة. فوجب لذلك أن يكون هو بعينه لفظ المشبه به. فإن وقع تغيير، لم يكن مثلا، بل مأخوذا منه، وإشارة إليه– كما في قولك: بالصيف ضيعت اللبن بالتذكير.

وقال بعضهم: قد استعير المثل للحال، أو القصة، أو الصفة– إذا كان لها شأن، وفيها غرابة– كأنه قيل: حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا.

وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون [الرعد: ٣٥] أي– فيما قصصنا عليك **من العجائب**– قصة الجنة العجيبة الشأن، ثم أخذ في بيان عجائبها ولله المثل الأعلى [النحل: ٦٠] أي: الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة.

مثلهم في التوراة [الفتح: ٢٩] أي: صفتهم وشأنهم المتعجب منه.

ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا: فلان مثلة في الخير والشر، فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن.." (١)

"قال الإمام أبو جعفر بن الزبير: هذه السورة من جملة ما قص على النبي، صلوات الله عليه، من أنباء الرسل، وأخبار من تقدمه، مما فيه التثبت المشار إليه في قوله تعالى: وكلا نقص عليك ... [هود: ١٢٠] الآية. وإنما أفردت على حدتها، ولم تنسق على قصص الرسل، مع أنهم في سورة واحدة، لمفارقة مضمونها تلك القصص. ألا ترى أن تلك قصص إرسال من تقدم ذكرهم عليهم السلام، وكيفية تلقي قومهم لهم، وإهلاك مكذبيهم؟ أما هذه القصة. فحاصلها: فرج بعد شدة، وتعريف بحسن عاقبة الصبر فإنه تعالى امتحن يعقوب عليه السلام بفقد ابنيه وبصره، وشتات بنيه. وامتحن يوسف عليه السلام بالجب والبيع وامرأة العزيز وفقد الأب والإخوة والسجن. ثم امتحن جميعهم بشمول الضر، وقلة ذات اليد مسنا وأهلنا الضر ... [يوسف: ٨٨] الآية. ثم تداركهم الله بإلفهم، وجمع شملهم، ورد بصر أبيهم، وائتلاف قلوبهم، ورفع ما نزغ به الشيطان وخلاص يوسف عليه السلام، وبكيد من كاده، واكتنافه بالعصمة، وبراءته عند الملك والنسوة، وكل ذلك مما أعقبه جميل الصبر، وجلالة اليقين، وحسن تلقي الأقدار بالتفويض والتسليم، على توالي الامتحان، وطول المدة. ثم انجر في أثناء هذه القصة الجليلة إنابة امرأة العزيز، ورجوعها إلى الحق، وشهادتها ليوسف عليه السلام، بما منحه الله من النزاهة عن كل ما يشين. ثم استخلاص العزيز إياه. إلى ما انجر في هذه القصة الجليلة **من العجائب** والعبر، فقد انفردت هذه القصة بنفسها، ولم تناسب ما ذكر من قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، وما جرى في أممهم، فلهذا فصلت

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٢٥٧/١

عنهم. وقد أشار في سورة برأسها إلى عاقبة من صبر ورضي وسلم ليتنبه المؤمنون إلى ما في طي ذلك. وقد صرح لهم ما أجملته هذه السورة من الإشارة في قوله تعالى:

وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض ...

[النور: ٥٥] إلى قوله: أمنا وكانت قصة يوسف عليه السلام بجملتها أشبه شيء بحال المؤمنين في مكابدتهم في أول الأمر، وهجرهم، وتشققهم مع قومهم، وقلة ذات أيديهم، إلى أن جمع الله شملهم: واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا [آل عمران: ١٠٣] ، وأورثهم الأرض، وأيدهم ونصرهم، وذلك بجليل إيمانهم وعظيم صبرهم، فهذا ما أوجب تجرد هذه القصة عن تلك القصص- والله أعلم-.

ثم إن حال يعقوب ويوسف عليهما السلام، في صبرهما، ورؤية حسن عاقبة الصبر في الدنيا، ما أعد لهما من عظيم الثواب، أنسب بحال نبينا عليه السلام في." (١)

"وقوله: لا يؤمنون به أي بالذكر. حال من ضمير (نسلكه) أي مكذبا مستهزأ به غير مقبول.

قال الزمخشري: كما لو أنزلت بلئيم حاجة فلم يجبك إليها فقلت: كذلك أنزلها باللئام. تعني مثل هذا الإنزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية. وقيل الجملة بيان لما قبلها. وجوز في ضمير (نسلكه) أن يعود إلى الاستهزاء والتكذيب المعلوم.

وقوله تعالى: وقد خلت سنة الأولين استئناف جيء به تكملة للتسلية، وتصريحا بالوعيد والتهديد. أي قد مضت السنة فيهم من هلاكهم. وزهوق باطلهم، ونصر الرسل، وغلبة جنود المؤمنين عليهم، واستعمارهم ديارهم. ثم بين تعالى أنهم لا يتركون الاستهزاء بالرسل وإن أتتهم الآيات التي تشبه الملجئة لقوة عنادهم وبغيهم، بقوله تعالى:

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الحجر (١٥) : الآيات ١٤ الى ١٥]

ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون (١٤) لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون (١٥)

ولو فتحنا عليهم أي على هؤلاء المستهزئين بابا من السماء فظلوا أي فصاروا طول نهارهم فيه يعرجون أي يصعدون مستوضحين لما يرونه فيها **من العجائب** لقالوا إنما سكرت أبصارنا أي حيرت أو حبست من الإبصار، وما نراه شيء نتخايله لا حقيقة له بل نحن قوم مسحورون.

قال الناصر في (الانتصاف) : المراد، والله أعلم، يعني من الآيتين، إقامة الحجة على المكذبين بأن الله تعالى سلك القرآن في قلوبهم وأدخله في سويدائها.

كما سلك ذلك في قلوب المؤمنين المصدقين. فكذب به هؤلاء وصدق به هؤلاء.

كل على علم وفهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة [الأنفال:

٤٢] ، ولئلا يكون للكفار على الله حجة بأنهم ما فهموا وجوه الإعجاز كما فهمها من آمن. فأعلمهم الله تعالى من الآن. وهم في مهلة وإمكان، أنهم ما كفروا إلا على علم. معاندين باغين غير معذورين، والله أعلم. ولذلك عقبه تعالى بقوله

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٦/٢٣٩

ولو فتحنا عليهم الآية، أي هؤلاء فهموا القرآن وعلموا وجوه إعجازه وولج ذلك في قلوبهم ووقر، ولكنهم قوم سجيتهم العناد وسيمتهم اللدد، حتى لو سلك بهم أوضح السبيل وأدعاها إلى الإيمان بضرورة المشاهدة، وذلك بأن يفتح لهم باب في السماء ويعرج بهم إليه حتى يدخلوا منها نهارا.." (١)

"﴿قل انظروا ماذا في السماوات﴾ من شمسها وقمرها ونجومها، وما فيها **من العجائب** ﴿والأرض﴾ من بحارها وشجرها وجبالها؛ ففي هذه آيات وحجج عظام ﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ إذا لم يقبلوها، ويتفكروا فيها.." (٢)

"أنت صفوتي من بلادي وأنا سائق إليك صفوتي من عبادي). ﴿لنريه من آياتنا﴾ فيه قولان: أحدهما: أن الآيات التي أراه في هذا المسرى أن أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة ، وهي مسيرة شهر. الثاني: أنه أراه في هذا المسرى آيات. وفيها قولان: أحدهما: ما أراه **من العجائب** التي فيها اعتبار. الثاني: من أري من الأنبياء حتى وصفهم واحدا واحدا. ﴿إنه هو السميع البصير﴾ فيه وجهان: أحدهما: أنه وصف نفسه في هذه الحال بالسميع والبصير ، وإن كانتا من صفاته اللازمة لذاته في الأحوال كلها لأنه حفظ رسوله عند إسرائه في ظلمة الليل فلا يضر ألا يبصر فيها ، وسمع دعاءه فأجابه إلى ما سأل ، فلهذين وصف الله نفسه بالسميع البصير. الثاني: أن قومه كذبوه عن آخرهم بإسرائه ، فقال: السميع يعني لما يقولونه من تصديق أو تكذيب ، البصير لما يفعله من الإسراء والمعراج.." (٣)

"المجرمون ولا يؤمنون بكتابنا، وسيحل بهم مثل ما حل بالأولين وننصرك عليهم بعد حين كما قال: «ولتعلمن نبأه بعد حين» .

ثم بين سبحانه عظيم عنادهم ومكابرتهم للحق فقال:

(ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون. لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) أي ولو فتحنا على هؤلاء المعاندين بابا من السماء فظلوا فى ذلك الباب يصعدون، فيرون من فيها من الملائكة، وما فيها **من العجائب**- لقالوا لفرط عنادهم وغلوهم فى المكابرة: إنما سدت أبصارنا، فما نراه تخيل لا حقيقة له، وقد سحرنا محمد بما يظهر على يديه من الآيات.

ونحو الآية قوله تعالى: «ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين» .

وخلاصة هذا- هبنا فتحنا عليهم بابا من السماء وقلنا لهم اعرجوا فيه، أفلا يقولون فى أنفسهم ويقول بعضهم لبعض: إنما سحرنا محمد كما يفعل علماء السيميا.

إذ يفعلون أفعالا تخيل للإنسان أنه طائر وليس بطائر، وكما يفعل علماء التنويم المغناطيسى فى هذه الأيام، فالمنوم يقول

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٦/٣٣١

(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ابن أبي زَمَنِين ٢/٢٧٤

(٣) تفسير الماوردي = النكت والعيون الماوردي ٣/٢٢٧

للمنوم: أنت ملك. أنت امرأة. أنت كذا فيصدق كل ما قيل له. وهكذا فى النوع البشرى أقوام لهم قدرة على استهواء العقول فيخيلون للإنسان ما لا حقيقة له، وقد أصبح هذا العلم فنا يدرس فى معاهد أوربا وأمريقا. فكيف يكون مثل هذا دليلا أو موجبا للتصديق؟ كلا فإن أمثال ذلك لا يقوم بهداية نوع الإنسان.

وبعد فكيف يقترح هؤلاء عليك الآيات، ويغرمون بما يخرق العادات، من ملائكة يرونها، وعجائب ينظرونها، وهل تغنى تلك الآيات، وهل النوع الإنسانى يكفيه ما يخالف العادات؟ فما يشتبه على الناس بأفعال السحرة والمشعوذين يوقعهم." (١)

"تفسير المفردات

الزعم: (بتثليث الزاى) القول المشكوك فى صدقه، وقد يستعمل بمعنى الكذب حتى قال ابن عباس: كل موضع فى كتاب الله ورد فيه (زعم) فهو كذب، لا يملكون:

أي لا يستطيعون، كشف الضر: إزالته أو تحويله عنكم إلى غيركم، يدعون: أي ينادون، الوسيلة: القرب بالطاعة والعبادة، محذورا: أي يحذره ويحترس منه كل أحد، فى الكتاب: أي فى اللوح المحفوظ، والآيات: هى ما اقترحته قريش من جعل الصفا ذهبا، ومبصرة: أي ذات بصيرة لمن يتأملها ويتفكر فيها، فظلموا بها: أي فكفروا بها وجحدوا، أحاط بالناس: أي أحاطت بهم قدرته فلا يستطيعون إيصال الأذى إليك إلا بإذننا، والرؤيا هى ما عاينه صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به **من العجائب**، والشجرة:

هى شجرة الزقوم، والطغيان: تجاوز الحد فى الفجور والضلال.

المعنى الجملي

هذه الآيات عود على بدء فى تسفيه آراء المشركين الذين كانوا يعبدون الملائكة والجن والمسيح وعزيرا، إذ رد عليهم بأن من تدعونهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة، ويخافون عذابه، ولا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، فادعونى وحدي، لأنى أنا المالك لنفعكم وضرهم دونهم ثم بين أن قرى الكافرين صائرة إما إلى الفناء والهلاك بعذاب الاستئصال، وإما بعذاب دون ذلك من قتل كبرائها وتسليط المسلمين عليهم بالسبي." (٢)

"٤٢ حجاج إبراهيم لأبيه وقومه ودعوتهم إلى التوحيد ٤٤ احتجاج قومه بالتقليد ٤٦ كسر إبراهيم عليه السلام للأصنام ٤٧ رجوع قوم إبراهيم على أنفسهم بالملامة ٥١ اتفاق قوم إبراهيم على إحراق إبراهيم ٥٣ النعم التي أفاض الله بها على إبراهيم ٥٤ النعم التي أسبغها على لوط ٥٦ ما أنعم الله به على داود وسليمان ٥٧ قضاء داود وسليمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم ٥٨ نعم الله على داود عليه السلام نعم الله على سليمان عليه السلام ٦١ ما أحيطت به قصة أيوب **من العجائب** والغرائب ٦٣ نداء يونس عليه السلام لربه فى الظلمات واستجابة الله له ٦٦ دعاء زكريا ربه واستجابته لدعوته ٦٨ لب الدين عند الله واحد واختلاف الأديان فى التفاصيل ٧٣ الأصنام وعابدوها فى النار، وحكمة ذلك ٧٤

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١١/١٤

(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ٦٢/١٥

أحوال أهل النار وما يلاقونه من الأهوال ٧٥ ما كتب لأهل السعادة فى الجنة ٧٦ صلاح الأمة يقوم على أربعة عمد ٧٨ الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل رحمة للعالمين ٨٣ ما اشتملت عليه سورة الحج من المباحث ٨٥ أهوال يوم القيامة ٨٦ ذم المجادل بغير علم." (١)

"السفلى وما فيه من بحار وقفار وجبال وأشجار وحيوان ونبات وما بين ذلك من هواء وطير، إن كانت لكم قلوب موفقة، وأبصار نافذة.

حينئذ عجب فرعون من كلام موسى والتفت إلى الملأ حوله معجبا لهم من ذلك المقال.

(قال لمن حوله ألا تستمعون؟) أي التفت فرعون إلى الملأ والرؤساء من حوله وقال لهم على سبيل التهكم والاستهزاء: ألا تعجبون من مقالته وزعمه أن لكم إلها غيرى؟

ثم زاد موسى وصف إلههم إيضاحا وبيانا.

(قال ربكم ورب آبائكم الأولين) أي قال: إنه هو خالقكم وخالق من قبلكم من آبائكم وأجدادكم.

وقد انتقل بهم موسى من النظر فى الآفاق وما فيها من باهر الأدلة إلى النظر فى الأنفس وما فيها من عجيب الصنع، فإن التناسل المستمر فى النبات والحيوان والإنسان وما فيها **من العجائب** لأوضح دلالة من النظر فى الآفاق.

ولما لم يستطع ردا لما جاء به أورد ما يشكك قومه فى حسن تقديره للأمور وفهمه لما يقول:

(قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون) أي قال فرعون لقومه: إن رسولكم لا عقل له، إذ يقول قولا لا نعرفه ولا نفهمه، فهو يدعى أن ثمة إلها غيرى.

ثم وصف موسى الإله بأنه. خالق الأكوان، ورب الزمان والمكان.

(قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون) أي قال موسى: إن ربكم هو الذي جعل المشرق مشرقا تطلع منه الكواكب، والمغرب مغربا تغرب فيه الكواكب، ثوابتها وسياراتها مع انتظام مداراتها، وتغير المشارق والمغارب كل يوم، إن كان لكم عقول تفقهون بها ما يقال لكم، وتسمعون بها ما تسمعون، إذ فى كل." (٢)

"على بعض ما أنعم الله به علينا **من العجائب** النبوية، والآيات الإلهية، لتعرف صدق نبوتنا، ولتعلم أن ملكها فى جانب عجائب الله وبدائع قدرته يسير، وحينئذ تقدم إليه بعض جنده بمقترحات.

(قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين) أي قال شيطان قوى أنا أحضره إليك قبل أن تقوم من مجلس قضائك وكان إلى منتصف النهار، ثم زاد الأمر توكيدا فقال: وإنى على الإتيان به لقادر لا أعجز عنه، وإنى لأمين لا أمسه بسوء، ولا أقتطع منه شيئا لنفسى- حينئذ.

(قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) أي قال سليمان للعفريت متحدثا بنعمة الله وعظيم فضله عليه: أنا أفعل ما لا تستطيع أنت، أنا أحضره فى أقصر ما يكون مدة، أنا أحضره قبل ارتداد طرفك إليك،

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٥٤/١٧

(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ٥٤/١٩

وقد كان كما قال:

(فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر؟) أي فلما رآه سليمان ساكنا ثابتا على حاله لم يتبدل منه شيء ولم يتغير وضعه الذي كان عليه قال هذا تفضل من الله ومنة ليختبرنى: أأشكر بأن أراه فضلا منه بلا قوة مني أم أجحد فلا أشكر بل أنسب العمل إلى نفسى؟

وإن النعم الجسمية والروحية والعقلية كلها مواهب يمتحن الله بها عباده، فمن ضل بها هوى، ومن شكرها ارتقى، وهذا ما عناه سبحانه بقوله:

(ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم) أي ومن شكر ففائدة الشكر إليه، لأنه يجلب دوام النعمة، ومن جحد ولم يشكر فإن الله غنى عن العباد وعبادتهم، كريم بالإنعام عليهم وإن لم يعبدوه، كما قال: «من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها» وقال: «وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد»

وروى مسلم قوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه." (١)

"مجمل ما حوته السورة الكريمة من الموضوعات

(١) القرآن هداية ورحمة للمؤمنين.

(٢) قصص من ضل عن سبيل الله بغير علم، واتخذ آيات الله هزوا.

(٣) وصف العالم العلوي، والعالم السفلى، وما فيهما **من العجائب** الدالة على وحدانية الله.

(٤) قصص لقمان وإيتاؤه الحكمة، وشكره لربه على ذلك، ثم نصائحه لابنه.

(٥) الأمر بطاعة الوالدين إلا فيما لا يرضى الخالق.

(٦) النعي على المشركين فى ركونهم إلى التقليد إذا دعوا إلى النظر فى الكون وعبادة الخالق له.

(٧) لا نجاة للإنسان إلا بالإخبات لله وعمل الصالحات.

(٨) تسلية الرسول على عدم إيمان المشركين.

(٩) تعجيب رسوله من المشركين بأنهم يقرون بأن الله هو الخالق لكل شيء ثم هم يعبدون معه غيره ممن هو مخلوق مثلهم.

(١٠) نعم الله ومخلوقاته لا حصر لها.

(١١) الأمر بالنظر إلى الكون وعجائبه لنسترشد بذلك إلى وحدانية الصانع لها.

(١٢) تحميق المشركين بأنهم فى الشدائد يدعون الله وحده، وفى الرخاء يشركون معه سواه.

(١٣) الأمر بالخوف من عقاب الله يوم لا يجزى والد عن ولده.

(١٤) مفاتيح الغيب الخمسة التي استأثر الله بعلمها.

(١٥) إحاطة علمه تعالى بجميع الكائنات ظاهرها وباطنها.." (٢)

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٤١/١٩

(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٠١/٢١

"الفوت، ولا يلحقنى عجز، وهذا جواب عن قولهم: «فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين» .

ونحو الآية قوله: «أتى أمر الله فلا تستعجلوه» .

(فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون) أي فويل لهم من حلول ذلك العذاب الذي وعدوه يوم القيامة حين لا تغنى نفس عن نفس شيئا ولا هم ينصرون.

خلاصة ما تضمنته السورة الكريمة

(١) دلائل البعث من العجائب الطبيعية والعلوم النفسية.

(٢) جزاء المتقين بما يلقونه من النعيم يوم القيامة.

(٣) أخبار الأمم السالفة التي كذبت رسلها.

(٤) تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على ما يلقاه من أذى قومه.

(٥) الفرار إلى الله من هذه الدنيا المحفوفة بالمخاطر.

(٦) النهى عن الإشراك بالله.

(٧) إخبار رسوله بأن قومه ليسوا ببدع فى التكذيب بك فقد كذب رسل من قبلك.

(٨) أمره صلى الله عليه وسلم بالإعراض عنهم، وتذكير من تنفعه الذكرى من المؤمنين.

(٩) إخباره بأن الله ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه.

(١٠) وعيد الكافرين بأن العذاب سيحل بهم يوم القيامة.

(١١) إن المشركين سينالهم نصيب من العذاب مثل نصيب نظرائهم من المكذبين.." (١)

"لأولاهم»

أي وقال وضعاؤهم لأشرافهم ورؤسائهم، وقد جاء لفظ (الأخرى) بهذا المعنى بين المصريين فيقول: هو الآخر وهى الأخرى، يريدون الضعة وتأخر القدر والشرف، ضيزى: من ضزته حقه (بالضم والكسر) أي نقصته، والمراد أنها قسمة جائرة غير عادلة، قال امرؤ القيس:

ضازت بنو أسد بحكمهم ... إذ يجعلون الرأس كالذنب

المعنى الجملي

بعد أن بين ما رآه محمد صلى الله عليه وسلم من العجائب ليلة المعراج- قال للمشركين ماذا رأيتم فى هذه الأصنام؟ وكيف تحصرون أنفسكم فى العالم المادي وأصنامه، وتقطعون على أنفسكم طريق التقدم والارتقاء، وإن النفس لا ترقى إلا بما استعدت له، فإذا وقفت النفوس عند هذه المادة وتلك الأصنام لم يكن لها عروج إلى السماء، ولا سيما أن هذه الأصنام

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٥/٢٧

لا تشفع لهم عند ربهم ولا تجديهم نفعا.

الإيضاح

(أفرأيتم اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى؟) أي أفبعد أن سمعتم ما سمعتم من آثار كمال الله عز وجل وعظمته فى ملكه وملكوته، وجلاله وجبروته، وأحكام قدرته ونفاذ أمره، وأن الملائكة على رفعة مقامهم وعلو قدرهم ينتهون إلى السدرة ويقفون عندها- تجعلون هذه الأصنام على حقارة شأنها شركاء لله مع ما علمتم من عظمته.

وفى هذا تقريع شديد، وتوبيخ عظيم، وتأنيب لا إلى غاية، وإن عاقلا لا ينبغى أن يخطر بباله مثل هذا، ويمتهن رأيه إلى هذا الحد.

روى أن أبا سفيان قال يوم أحد: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم.." (١)

"وأن العفو عن غير التائب الأواب إلى الله – تعالى – مجهول بالنسبة إلى علمنا، وإن كان جائزا عقلا، فإننا لم نطلع على ما في علم الله – تعالى – فنعلم أننا ممن يعفو عنهم.

(وكيف نترك ما جاء عن الله في كتابه وعلى لسان نبيه من النصوص القاطعة الدالة على أن لعنة الله مسجلة على الكاذبين، وهي بعمومها لا تدع لوهم مجالا في نزول سخط الله بالكاذب، ثم نخترع لأنفسنا تعلة نتوكأ عليها في ارتكاب هذه الجريرة ونسندها إلى سعة عفو الله، أو إلى مجمل من القول لا يبينه إلا تلك النصوص القاطعة؟ إن هذا إلا خبال أو تصوير خيال، أو فقد للإيمان بصحة تلك النصوص القاطعة. نعوذ بالله) .

(وأقول) : إنما جعل شيخنا جريمة الكذب مثلا لاستباحة فاسدي الدين للمعاصي؛ لأنه في معناه العام أكبر الكبائر، وشر الرذائل، حتى إن الكفر والشرك شعبة منه، ولأنه ليس مما تغلب المرء عليه ثورة غضب أو ثورة شهوة، بل يقترف بالتروي والتعمد، ولأنه مع ذلك عام فاش في جميع طبقات الناس في عصرنا هذا حتى العلماء والوزراء ومن فوقهم، **ومن العجائب** أننا سمعنا بآذاننا وقرأنا وروينا عن أعداء الإصلاح وأهله من افتراء الكذب على دعاته ما لا تستطيع عقولنا له تأويلا إلا بما كتبه شيخنا في هذه العبارة من الخبال في أنفسهم التي فسدت فطرتها أو من فقد الإيمان بصحة النصوص، إما فقدا تاما عاما، وإما فقدا خاصا بالحال التي يفترون فيها الكذب وغيره من الجرائم على حد ما ورد في الحديث المتفق عليه ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)) . . . إلخ، على أحد التأويلات له. ووجه العجب والغرابة في هذا النوع من الكذب: أنه بحسب الظاهر انتصار للدين ودفاع عنه وهو هدم له.

ثم أقول: إن مثل من يقترف السيئات معتمدا على العفو والشفاعة، كمثل من يرتكب الجرائم في ملأ من الناس وعلى رءوس الأشهاد متعرضا لقبض الشرطة عليه وسوقه إلى المحكمة لتحكم عليه بعقوبة الجريمة اعتمادا على أن الأمير أو السلطان قد يعفو عنه بعد الحكم عليه بالعقوبة، ومثل هذا لا يختلف اثنان في حمقه، والله – تعالى – قد بين لنا شرط نفع الأعمال

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ٥١/٢٧

الصالحة في مغفرة الذنوب وهو اقترانها بالتوبة الصحيحة كقوله في حكاية دعاء الملائكة للمؤمنين: (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) (٤٠: ٧) الآيات وقوله: (ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا) (٢٥: ٧١) وقوله: (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) (٢٠: ٨٢) وأما الشفاعة فحسبك قوله فيها: (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) (٢١: ٢٨) مع الجزم بأنه – تعالى – لا يرضى بالكذب ولا بغيره من الجرائم، ومن يأذن – تعالى – لهم بالشفاعة لا يعلمهم غيره – عز وجل.

ثم قال الأستاذ الإمام ما معناه: ومن الناس من يكتفي بالاعتذار عن ذنوبه وجرائمه بأنه غير معصوم، وذكر بعض الشواهد عمن يظن أن لهم في الدين قدم صدق، وقال: إن." [1]

"بآيات الله. . . إلخ. فإنهم بإحراجهم لموسى – عليه السلام – وإعناتهم له في المطالب، مع كثرة ما شاهدوا **من العجائب**، وما أظهر الله من الغرائب، وقد دلوا على أن لا أثر للآيات في نفوسهم، فهم بها كافرون في الحقيقة. ونسيان الآيات وعدها كأن لم تكن يعده الكتاب العزيز كفرا كما قال شيخنا (ويقتلون النبيين بغير الحق) مع أن الكتاب يحرم عليهم قتل غير الأنبياء فضلا عنهم إلا بحقه المبين فيه، كل ذلك دل فيهم على طباع بعيدة عن الكرم، وقلوب غلف دون الفهم، ومن كان هذا شأنه فالأجدر به أن يكون ذليلا مقهورا، ثم هو مهبط غضب الله ومحط نقمه؛ لأنه أشد الناس كفرا لنعمه، وقوله: (بغير الحق) مع

أن قتل النبيين لا يكون إلا كذلك يزيد في شناعة حالهم، ويصرح بأنهم لم يكونوا مخطئين في الفهم، ولا متأولين للحكم، بل ارتكبوا هذا الجرم العظيم عامدين، وهم يعلمون أنهم بارتكابه مخالفون لما شرع الله – تعالى – لهم في كتاب دينهم. (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) قال الأستاذ: ذلك الذل وتلك الخلاقة بالغضب إنما لزماهم؛ لأنهم عصوا الله فيما أمرهم أن يأخذوا به من الأحكام؛ ولأنهم اعتدوا تلك الحدود التي حدها الله لهم في شرائع أنبيائهم، وقد كانت تلك الأحكام والحدود هي الوسيلة لإخراجهم من الذل وتمكين العز والسلطان لهم في الأرض الموعودة؛ لأنها كانت الكافلة بنظامهم، الحافظة لبناء جماعتهم، فإذا أهملوها فسدت ألفتهم، وانهدم بناؤهم، وأسرعت إليهم الذلة التي لم تكن فارقتهم إلا منهزمة من يدي سلطان الشريعة، ولم يكن يصدها عنهم إلا معاقل النظام تحت رعايته، ولزمتهم الذلة والمسكنة بعد هذا لزوم الطابع للمطبوع.

والمتبادر – وعده الأستاذ احتمالا – أن ترجع الإشارة في (ذلك) إلى الثاني أي الكفر بآيات الله وقتل النبيين. أي إن كفرهم وجراءتهم على النبيين بالقتل، إنما منشؤها عصيانهم واعتداؤهم حدود دينهم؛ لأن الذي يدين بدين أو شريعة أيا كانت يتهيب لأول الأمر مخالفتها، فإذا خالفها لأول مرة تركت المخالفة أثرا في نفسه، وضعفت هيبة الشريعة في نظره، فإذا عاد زاد ضعف سلطة الشريعة على إرادته، ولا يزال كذلك حتى تصير المخالفة طبعا ورينا، وينسى ما قام على الشريعة من دليل، وما كان لها من سيطرة، ويضرى بالعدوان، كما يضرى الحيوان بالافتراس، وكل عمل يسترسل فيه العامل تقوى ملكته فيه خصوصا ما اتبع فيه الهوى.

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٢٤٩/١

(إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)." (١)

"وإعادة مجد الإسلام وسيادته، فإن أهل السنة لا يختلفون في أن آل علي أصح بطون قريش أنسابا. وأكرمها أحسابا، وأن الخلافة في قريش، فإن وجد فيهم من تجتمع فيه سائر شروطها ويرضاه أهل الحل والعقد من الأمة فهو أولى من غيره. كلا إنهم ينتظرون تجديد الإسلام وإقامته بظهور المهدي، وعامة المسلمين ينتظرونه معهم، فليكتفوا بهذا ويكفوا عن تأليف الكتب في الطعن في الصحابة الكرام، وبحملة السنة وحفاظها الأعلام، وإثارة الأحقاد والأضغان، التي لا فائدة لهم منها في هذا الزمان، إلا التقرب إلى غلاتهم من العوام، طمعا في الجاه الباطل والحطام، وإنما فائدتها الحقيقية للأجانب من أعداء الإسلام، **ومن العجائب** أن شيعة الأعاجم في إيران قد شعروا بضرر الغلو، وبالحاجة إلى الوحدة دون شيعة العرب في العراق وسورية فقد بلغنا عنهم ما نرجو أن يكون به خير قدوة لهم والله الموفق.

انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون

روي عن أبي الضحى مسلم بن صبيح أن هذه الآية أول ما نزل من هذه

السورة ثم نزل ما قبلها وما بعدها بعد ذلك، ولا يصح بهذا نقل، ولا يقبله فهم ولا عقل. والمتبادر من هذا السياق أن أوله خطاب الله للمؤمنين في قتال أهل الكتاب وما يسوغه وما ينتهي به من قبول الجزية منهم، ويتلوه إنكاره عليهم التثاقل عن النفر إذ استنفرهم الرسول لغزوة تبوك، وما قبله من أول السورة سياق مستقل تكلمنا عليه في أول تفسير السورة، وقد تقدم أن السورة نزلت كلها بعد غزوة تبوك، وما قيل من استثناء الآيتين اللتين في آخرها. فإن صح أن شيئا نزل منها قبل السفر فهذا السياق من أوله إلى آخره لا هذه الآية وحدها، وأما ما بعد هذه الآية فظاهر أن أكثره نزل في أثناء السفر، ومنه ما نزل بعده كما سنوضحه.

وأما وجه اتصال الآية بما قبلها فهو أنه لما وبخ الله تعالى المؤمنين على التثاقل عن النفر لما استنفرهم الرسول - صلى الله عليه وسلم -، قفى عليه ببيان حكم النفير العام، الذي يوجب القتال على كل فرد من الأفراد بما استطاع، ولا يعذر فيه أحد بالتخلف عن الإقدام، وترك طاعة الإمام، فقال:

انفروا خفافا وثقالا الخفاف بالكسر جمع خفيف والثقال جمع ثقيل. والخفة والثقل يكونان بالأجسام وصفاتها من صحة ومرض، ونحافة وسمن، وشباب وكبر،." (٢)

"على يده أو فيه. والعجيبة الحقيقية هي فوق الطبيعة لا ضدها تحدث بتوقيف نواميس الطبيعة لا بمعاكستها، وهي إظهار نظام أعلى من الطبيعة يخضع له النظام الطبيعي، ولنا في فعل الإرادة مثال يظهر لنا حقيقة أمر **العجائب** إذ بها نرفع اليد وبذلك نوقف ناموس الثقل ويتسلط الله على قوى الطبيعة، ويرشدها، ويمد مدارها أو يحصره ؛ لأنها عوامل لمشيئته

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٢٧٦/١

(٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٣٩٧/١٠

ويناط فعل العجائب بالله وحده أو بمن سمح له بذلك.

وإذا آمنا بالإله القادر على كل شيء لم يعسر علينا التسليم بإمكان العجائب. وكانت العجيبة الأولى خليقة الكون من العدم بإرادته تعالى. أما المسيح فأقنومه عجيبة أدبية عظيمة وعجائبه لم تكن إلا إظهار هذا الأقنوم وأعماله، وإذا آمنا بالمسيح ابن الله العديم الخطية لم يعسر علينا تصديق عجائبه. أما الشيطان فعجائبه كذابة.

ولابد **من العجائب** لتعزيز الديانة، فكثيرا ما يستشهد المسيح بعجائبه لإثبات هوته وكونه المسيح، وكان يفعلها لتمجيد الله ولمنفعة نفوس الناس وأبدانهم، كان يفعلها ظاهرا أمام جماهير أصحابه وأعدائه، ولم ينكرها أعداؤه غير أنهم نسبوها لبعلزبول، وسواء امتحناها بالشهادة من الخارج، وبمناسبتها إلى إرساليته الإلهية التي ظهرت لكل من كان خاليا من الغرض صحيحة. فإذا لم نسلم بصحتها التزمنا أن نقول بأن مقرريها كذابون ؛ الأمر الذي لا يسوغ ظنه بالمسيح والرسل.

وبقيت قوة العجائب في عصر الرسل، ولما امتدت الديانة المسيحية زال الاضطرار إليها ولا يلزمنا الآن سوى العجائب الأدبية الحاصلة من هذه الديانة مع الشواهد الداخلية على صحتها، غير أنه يمكن لله تعالى أن يجددها في أي وقت شاء)) اهـ.

ثم وضع المؤلف حلولا أحصى فيه عجائب العهد القديم من خراب سدوم

وعمورة على قوم لوط إلى ((خلاص يونان (يونس) بواسطة حوت)) فبلغت ٦٧ عجيبة، وقفى عليه بجدول العجائب المقرونة بحياة المسيح من الحبل به ((بفعل الروح القدس)) إلى ((الصعود إلى السماء)) فبلغت ٣٧، وعزز الجدولين بثالث في ((العجائب التي جرت في عصر الرسل)) أي الذين بثوا دعوة المسيح من تلاميذه وغيرهم من ((انسكاب الروح القدس يوم الخميس)) إلى ((شفاء أبي بوبليوس وغيره)) فكانت عشرين. وقد صرح بأن يوحنا المعمدان لم يرد في الكتاب أنه صنع عجائب.." (١)

"بقدر الاستطاعة الشخصية، ولا تكون لجماعتهم - وهي الأمة - إلا باعتصامها بحبل الله وعروة الوحدة الوثقى، باجتناب السواد الأعظم منها لما نهوا عنه من التفرق والتنازع في الأصول القطعية من النصوص والسنة العملية، ورد الاختلاف والتنازع في غير القطعي إلى كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ثم إلى ترجيح أولي الأمر في المصالح العامة من السياسة والقضاء، وترجيح الأفراد في المسائل الاجتهادية الخاصة، وقد فصلنا هذا في مواضعه، فالحق فيه ظاهر، ولكن تنفيذه يتوقف على وجود الجماعة التي أمرنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - باتباعها وعدم مفارقتها قيد شعرة، وهي جماعة (أولي الأمر) وأهل الحل والعقد، وهم الذين يثق بهم السواد الأعظم من الأمة، وينوط بهم الشرع نصب الأئمة (الخلفاء) والسلاطين عليها وعزلهم، وقد فقدوا من أمتنا باستبداد الظالمين من ملوك العصبيات المختلفة بعد أن قضى عليها الإسلام، وتبرأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - ممن دعا إلى عصبية وممن قاتل على عصبية. فالواجب على المصلحين وضع نظام لإعادة حكم الإسلام وقد بسطناه في كتاب (الخلافة أو الإمامة العظمى) .

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ١٢٩/١١

وأختم هذه الخلاصة بحديث: ((شيبتني هود وأخواتها)) رواه الطبراني في الكبير عن عقبة بن عامر وأبي جحيفة مرفوعا وأشار في الجامع الصغير إلى صحته. وروي عن بضعة نفر من الصحابة بزيادة ((قبل المشيب)) وبزيادة ((وأخواتها)) من المفصل في بعضها، وبتسمية الواقعة والحاقة والمرسلات والنبأ ((عم يتساءلون)) وغيرها من سور قيام الساعة في بعض. وأسانيدها حسنة فليتدبرها المؤمنون.

١٢ - سورة يوسف عليه السلام

هي مكية وآياتها مائة وإحدى عشرة آية فقط، وما قيل من أن الثلاث منها مدنيات فلا تصح روايته ولا يظهر له وجه، وهو يخل بنظم الكلام، وقد راجعت الإتقان فإذا هو ينقله ويقول: وهو واه جدا فلا يلتفت إليه، **ومن العجائب** أن يذكر هذا استثناء في المصحف المصري ويزاد عليه الآية السابعة.

والمناسبة بينها وبين سورة هود أنها متممة لما فيها من قصص الرسل - عليهم السلام - والاستدلال في كل منهما على كونها وحيا من الله - تعالى - دالا على رسالة محمد خاتم النبيين - صلى الله عليه وسلم - بآيتين متشابهتين، ففي آخر قصة نوح من الأولى: تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ١١: ٤٩ وفي آخر الثانية ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون ١٢: ١٠٢ وإشارة التأنيث في الأولى للقصة المنزلة بهذا التفصيل والبلاغة العجيبة، وقيل: للسورة، وإشارة التذكير في الثانية لقوله - تعالى - في أول السورة: نحن نقص عليك أحسن القصص ١٢: ٣.." (١)

"عالة على الأمة، وبلاء فيها بعد أن كن نعمة لها، أو إلى إباحة أعراضهن والرضا بالسفاح.

وفي ذلك من المصائب عليهن - لا سيما إذا كن فقيرات - ما لا يرضى به ذو إحساس بشري، وإنك لتجد هذه المصائب قد انتشرت في البلاد الإفرنجية حتى أعيا الناس أمرها، وطفق أهل البحث ينظرون في طريق علاجها فظهر لبعضهم أن العلاج الوحيد هو إباحة تعدد الزوجات.

ومن العجائب أن ارتأى هذا الرأي غير واحدة من كاتبات الإنكليز، وقد نقلنا ذلك عنهن في مقالة نشرت في المجلد الرابع من المنار (تراجع في ص٧٤١ منه) ، وإنما كان هذا عجيبا لأن النساء ينفرن من هذا الأمر طبعا، وهن يحكمن بمقتضى الشعور، والوجدان أكثر مما يحكمن بمقتضى

المصلحة، والبرهان، بل إن مسألة تعدد الزوجات صارت مسألة وجدانية عند رجال الإفرنج تبعا لنسائهم حتى لا تجد الفيلسوف منهم لا يقدر أن يبحث في فوائدها، وفي وجه الحاجة إليها بحث بريء من الغرض - طالب كشف الحقيقة - فهذه مقدمة ثالثة.

وأنتقل بك من هذا إلى اكتناه حال المعيشة الزوجية، وأشرف بك على حكم العقل والفطرة فيها، وهو أن الرجل يجب أن يكون هو الكافل للمرأة، وسيد المنزل لقوة بدنه، وعقله، وكونه أقدر على الكسب، والدفاع، وهذا هو معنى قوله - تعالى

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٢٠٦/١٢

-: الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم [٤: ٣٤] وأن المرأة يجب أن تكون مدبرة المنزل، ومربية الأولاد لرقتها، وصبرها، وكونها كما قلنا من قبل واسطة في الإحساس والتعقل بين الرجل، والطفل، فيحسن أن تكون واسطة لنقل الطفل الذكر بالتدريج إلى الاستعداد للرجولة ولجعل البنت كما يجب أن تكون من اللطف والدعة والاستعداد لعملها الطبيعي.

وإن شئت فقل في بيان هذه المسألة: إن البيت مملكة صغرى كما أن مجموع البيوت هو المملكة الكبرى، فللمرأة في هذه المملكة إدارة نظارة الداخلية والمعارف، وللرجل مع الرياسة العامة إدارة نظارات المالية، والأشغال العمومية، والحربية، والخارجية، وإذا كان من نظام الفطرة أن تكون المرأة قيمة البيت، وعملها محصورا فيه لضعفها عن العمل الآخر بطبيعتها، وبما يعوقها من الحبل، والولادة، ومداراة الأطفال، وكانت بذلك عالة على الرجل كان من الشطط تكليفها المعيشة الاستقلالية بله السيادة، والقيام على الرجل، وإذا صح أن المرأة يجب أن تكون في كفالة الرجل، وأن الرجال قوامون على النساء كما هو ظاهر، فماذا نعمل، والنساء (قد يكن) أكثر من الرجال عددا؟ ألا ينبغي أن يكون في نظام الاجتماع البشري أن يباح للرجل الواحد كفالة عدة نساء عند الحاجة إلى ذلك لا سيما في أعقاب الحروب التي تجتاح الرجال، وتدع النساء لا كافل للكثير منهن ولا نصير؟ ويزيد بعضهم على هذا أن الرجل في خارج المنزل يتيسر له أن يستعين على أعماله بكثير من الناس، ولكن المنزل لا يشمل على غير أهله، وقد تمس الحاجة إلى مساعدة للمرأة على أعمالها الكثيرة كما تقضي قواعد علم." (١)

"أقول: والاستفهام في قوله تعالى: ألم تر استفهام تعجيب من أمر الذين يزعمون أنهم آمنوا ويأتون بما ينافي الإيمان كما تقدم بيانه في تفسير: ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب وأحوال الأمم تكون متشابهة؛ لأنها مظهر أطوار البشر، فالإيمان الصحيح بكتب الله ورسله يقتضي الاتباع والعمل بما شرعه الله تعالى على ألسنة تلك الرسل، وترك العمل مع الاستطاعة دليل على أن الإيمان غير راسخ في نفس مدعيه، فكيف إذا كان العمل بضد ما شرعه الله تعالى؟ هكذا كان يدعي الإيمان بموسى والتوراة جميع اليهود حتى أولئك الذين يشترون الضلالة بالهدى، ويأكلون السحت ويؤمنون بالجبت والطاغوت، وهكذا كان في مسلمي العصر الأول من يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهم مع ذلك يرغبون عن التحاكم إليه إلى التحاكم إلى الطاغوت، وهكذا شأن الناس في كل زمان لا يكونون كلهم عدولا صادقين في ملة من الملل، ولا يكونون كلهم منافقين أو فاسقين في ملة من الملل، **ومن العجائب** أن يقال: إن كل المسلمين الذين رأوا النبي - صلى الله عليه وسلم - كانوا عدولا، والقرآن يصف بعضهم بمثل هذه الآية ويسجل على بعضهم النفاق.

والزعم في أصل اللغة القول والدعوى، سواء أكان ذلك حقا أم باطلا، قال أمية بن أبي الصلت في شعر له:

سينجزكم ربكم ما زعم

، يريد ما وعد، وأرى أن القافية اضطرته إلى استعمال هذا الحرف هنا، وما هو بمكين، ووعده تعالى لا يكون إلا حقا، وقال الليث: سمعت أهل العربية يقولون إذا قيل: ذكر فلان كذا وكذا فإنما يقال ذلك لأمر يستيقن أنه حق، وإذا شك فيه

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٤/٢٩٠

فلم يدره لعله كذب أو باطل، قيل: زعم فلان كذا، وقيل: الزعم الظن، وقيل: الكذب، وكل هذا مأخوذ من اختلاف الاستعمال بنظر القائل إلى بعض كلام العرب دون بعض، والذي ينظر في مجموع استعمالاتها لهذه الكلمة يجزم بأن الأكثر أن تستعمل فيما لا يجزم به، وإن جاز أن يكون حقا، وقال الراغب: الزعم حكاية قول يكون مظنة للكذب، ولهذا جاء في القرآن في كل موضع ذم القائلين به، وأشار إلى بعض الآيات في ذلك، ونحن نزيد عليه في بيانها، قال تعالى: زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن (٦٤: ٧) ، وقال: وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم، وضل عنكم

ما كنتم تزعمون (٦: ٩٤) ، وقال: قل ادعوا الذين زعمتم من دونه، فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا (١٧: ٥٦) ، وقال: بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا (١٨: ٥٢) ، وبقي آيات أخرى مستعملة هذا الاستعمال، فلغة القرآن أن الزعم يستعمل في الباطل والكذب، وهو يرد على الزاعمين ولا يقرهم على شيء.

وقد أمروا أن يكفروا به أي: يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن." [١]

"ولا نعلم أن أحدا منهم يأكله أو يشربه، وكذلك الميتة كلهم يحرمونها، ولحم الخنزير محرم بنص التوراة إلى اليوم، وقد استباحه النصارى بإباحة مقدسهم بولس. وقد اختلف الفقهاء فيما عدا ذلك كما علمت، فكل ما أكلناه مما عدا ذلك من طعامهم نكون موافقين فيه لقول بعض فقهائنا الذين شدد بعضهم وخفف بعض في هذه المسائل، وأشد الفقهاء تشديدا في ذلك وفي أكثر الأحكام، الشافعية. ومن تأمل أدلة الجميع رأى أن أظهرها قول الذين أخذوا بعموم قوله تعالى: وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ولم يخصصوه بذبائحهم، فضلا عن تخصيصه بحبوبهم ؛ كالشيعة، ولا يشترط في حل طعامهم أن يأكل منه أحبارهم ورهبانهم كما قال ابن العربي، واختاره شيخنا الأستاذ الإمام مفتي مصر في الفتوى الترنسفالية، فهو تشديد لا مستند له في غير ما أهل به لغير الله، إلا الثقة بأن يكون ما يأكلونه غير محرم عليهم في كتبهم، وقد نسخت شريعتنا كتبهم كما قال الشافعي وغيره، فلا عبرة بما حرم عليهم فيها، وقد قال الله – تعالى – في صفات خاتم النبيين ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم (٧: ١٥٧) ولا يشترط أيضا أن يكون طعامهم موافقا لشريعتنا سواء كانوا مخاطبين بفروعها قبل الإيمان كما يقول الشافعي، أو غير مخاطبين بها إلا بعد الإيمان، كما يقول الجمهور ؛ إذ لو كان هذا شرطا لما كان لإباحة طعامهم فائدة.

قال ابن رشد في بداية المجتهد، ما نصه: " ومن فرق بين ما حرم عليهم، من ذلك في أصل شرعهم وما حرموا على أنفسهم، قال: ما حرم عليهم هو أمر حق فلا تعمل فيه الذكاة، وما حرموا على أنفسهم أمر باطل، فتعمل فيه التذكية. قال القاضي: والحق أن ما حرم عليهم أو حرموه على أنفسهم هو في وقت شريعة الإسلام أمر باطل ؛ إذ كانت ناسخة لجميع الشرائع، فيجب ألا يراعى اعتقادهم في ذلك، ولا يشترط أيضا أن يكون اعتقادهم في تحليل الذبائح اعتقاد المسلمين ولا اعتقاد شريعتهم ؛ لأنه لو اشترط ذلك لما جاز أكل ذبائحهم بوجه من الوجوه ؛ لكون اعتقاد شريعتهم في ذلك منسوخا، واعتقاد شريعتنا لا يصح منهم، وإنما هذا حكم خصهم الله – تعالى – به، فذبائحهم، والله أعلم، جائزة على الإطلاق، وإلا ارتفع

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ١٨٢/٥

جملة، فتأمل هذا فإنه بين، والله أعلم. انتهى.

والأمر كما قال القاضي، رحمه الله تعالى. ومراده بذبائحهم مذكاهم كيفما كانت تذكيته عندهم، وقد تقدم تحقيق معنى التذكية وأنها عبارة عن قتل الحيوان بقصد أكله، وأقوال علماء السلف ومحققي المالكية في ذلك، فلله در مالك والمالكية، إن كلامهم في هذه المسألة أظهر من كلام مخالفيهم دليلا، وأليق بيسر الحنيفية السمحة. **ومن العجائب** أن كثيرا من الناس يحبون أن تكون الشريعة عسرا لا يسرا وحرجا لا سعة، وإن هم لم يلتزموها إلا فيما يوافق أهواءهم، فمن شدد على نفسه فذاك ذنب عقابه فيه، ومن شدد على الأمة حثونا التراب في فيه، والله أعلم وأحكم.." (١)

"فظهر من هذا أن النية الطبيعية – التي هي قصد الشيء عند فعله – ضرورية، لا معنى لفرضيتها وعدها من أركان الصلاة، وأن النية الواجبة في جميع الأعمال المشار إليها في الحديث، هي النية بالمعنى الآخر الذي شرحناه، وبه يتحقق الإخلاص الذي هو روح العبادة، وينتفي الرياء الذي هو شعبة من الشرك، ومن لا حظ له من هذه النية لا حظ له من عبادة الله تعالى، وما يأتيه من صورة العبادة لا يقبله الله منه في الآخرة ؛ لأنه لا تصلح به حاله، ولا تتزكى به نفسه في الدنيا، وإن أنكر هذا الجسمانيون الجامدون الذين جعلوا الدين عبارة عن حركات لسانية وبدنية، لا علاقة لها بالقلب، ولا فائدة لها في تزكية النفس، فتراهم من أشد خلق الله تنطعا في ظواهر العبادة، وأشدهم انسلاخا من روحها وسرها وحكمتها، وجعلوها حرجا وعسرا، خلافا لما قاله الله تعالى، يتنطعون في الطهارة، وقد علا أجسادهم وثيابهم الوسخ والسناخة، ويتنطعون في تجويد القراءة وحركات الأعضاء في الصلوات، ولا ينتهون عن الفواحش والمنكرات.

ومن العجائب أنهم جهلوا حقيقة النية المشروعة التي هي من أعمال القلب المحضة، وابتدعوا كلمات، يسمونها النية اللفظية، لم يأذن بها الله ولا رسوله، ولا عرفت في سنة، ولا عن أحد من السلف، وقد غلوا في التنطع بها، حتى إنهم يؤذون المصلين بأصواتهم، ومنهم الموسوسون الذين يكررون هذه الأقوال ويرفعون بها أصواتهم:

نويت فرائض الوضوء مع سننه، نويت فرائض الوضوء مع سننه. . . إلخ! ويفعلون مثل هذا في نية الصلاة عند تكبيرة الإحرام، وأكثر هؤلاء الموسوسين من الشافعية الذين دقق بعض فقهائهم في فلسفة نيتهم ؛ فاشترط أن يتصور المصلي جميع أركان الصلاة القولية والعملية عند البدء بها، وذلك بين النطق بـ (همزة) لفظ الجلالة المفتوحة و (راء) لفظ (أكبر) الساكنة من كلمتي (الله أكبر) ليتحقق معنى قصد الشيء مقترنا بفعله، والمعلوم من الدين بالضرورة أن المطلوب عند كل ذكر، تصور معناه، فإذا لا ينبغي للمصلي أن يتصور عند التكبير إلا معنى التكبير، والأمر لله العلي الكبير.

التسمية قبل الوضوء، والذكر والدعاء بعده: ورد في التسمية للوضوء أحاديث ضعيفة، يدل بعضها على وجوبها، وبعضها على استحبابها، قال الحافظ ابن حجر: " الظاهر أن مجموعها يحدث منها قوة تدل على أن لها أصلا، ودعمها النووي بحديث: كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو أجذم وهو مثلها ". ولما كانت التسمية أمرا حسنا في نفسه، ومشروعا

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ١٧٩/٦

في الجملة تساهل الفقهاء في علل ما ورد فيها من الأحاديث، وقال بعضهم بوجوبها، وبعضهم بسنيتها، حتى إن ابن القيم، المحقق الشهير، قال في بيان هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الوضوء من كتابه (زاد المعاد) : " ولم يحفظ عنه أنه." [١]

"يسارعون في جزئيات وقائعهما، كلما قدروا على إثم أو عدوان ابتدروه، ولم ينوا فيه (لبئس ما كانوا يعملون) تقبيح للعمل الذي كانوا يعملونه في استغراقهم في المعاصي المفسدة لأخلاقهم، وللأمة التي يعيشون فيها إن لم تنههم وتزجرهم على أنهم تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلم يكن يقوم به أحد منهم، لا العلماء ولا العباد ؛ إذ كان الفساد قد عم الجميع ؛ ولذلك قال: (لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون) أي هلا ينهى هؤلاء المسارعين فيما ذكر أئمتهم في التربية والسياسة وعلماء الشرع والفتوى فيهم عن قول الإثم كالكذب، وأكل السحت كالرشوة! لبئس ما كان يصنع هؤلاء الربانيون والأحبار من الرضا بهذه الأوزار،

وترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. روي عن ابن عباس أنه قال: ما في القرآن أشد توبيخا من هذه الآية ؛ أي فهي حجة على العلماء إذا قصروا في الهداية والإرشاد، وتركوا النهي عن البغي والفساد، وإذا كان حبر الأمة ابن عباس يقول هذا، فما قول علماء السوء الذين أضاعوا الدين وأفسدوا الأمة بترك هذه الفريضة؟ **ومن العجائب** أننا نقرأ توبيخ القرآن لعلماء اليهود على ذلك، ونعلم أن القرآن أنزل موعظة وعبرة، ثم لا نعتبر بإهمال علمائنا لأمر ديننا، وعناية علمائهم في هذا العصر بأمر دينهم ودنياهم، وسيأتي بسط هذا المعنى إن شاء الله تعالى.

ومن مباحث البلاغة في التعبير التفرقة بين " يعملون "، و " يصنعون " قال الراغب: الصنع: إجادة الفعل ؛ فكل صنع فعل، وليس كل فعل صنعا، ولا ينسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب الفعل، انتهى. وقال غيره: الصنع أخص من العمل ؛ فهو ما صار ملكة منه، والعمل أخص من الفعل ؛ لأنه فعل بقصد، وقال في الكشاف: كأنهم جعلوا " آثم " من مرتكبي المناكير ؛ لأن كل عامل لا يسمى صانعا، ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب إليه، وكان المعنى في ذلك أن مواقع المعصية مع الشهوة التي تدعوه إليها وتحمله على ارتكابها، وأما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره، فإذا فرط في الإنكار كان أشد إثما من المواقع، انتهى. والذي أفهمه أن معاصي العوام من قبيل ما يحصل بالطبع ؛ لأنه اندفاع مع الشهوة بلا بصيرة، ومعصية العلماء بترك النهي عن المنكر والأمر بالمعروف من قبيل الصناعة المتكلفة ؛ لفائدة للصانع فيها يلتمسها ممن يصنع له، وما ترك العلماء النهي عن المنكر، وهم يعلمون ما أخذ الله عليهم من الميثاق، إلا تكلفا لإرضاء الناس، وتحاميا لتنفيرهم منهم، فهو إيثار لرضاهم على رضوان الله وثوابه، والأقرب أن يكون من الصنع، لا من الصناعة، وهو العمل الذي يقدمه المرء لغيره يرضيه به.." [٢]

"من الشياطين يكيد بعضهم لبعض ويفترس بعضهم بعضا، لا يصدهم عن باطل ولا شر يهوونه إلا العجز، ولا يرجعون إلى حكم يفصل بينهم إلا القوة التي جعلوها فوق الحق. وطالما غشوا أنفسهم وفتنوا غيرهم في هذا الزمان بما كان من تأثير

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٦/٢٠٤

(٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٦/٣٧٣

التوازن في القوى من منع كثير من البغي والعدوان الذي كان يصول به قوي الأمم على ضعيفها، والحكومات الجائرة على رعيتها، فزعموا أن الحضارة المادية والعلوم والفنون البشرية هي التي تفيض روح الكمال على الإنسان إذا لم يؤمن بالبعث والجزاء، ولا بالإله الديان، واستدلوا على ذلك بما أجمعت عليه أممهم ودولهم من ذم الحرب، والتفاخر ببناء سياستهم على أمتن قواعد السلم، وزعموا أن الباعث على ذلك حب الإنسانية، والرغبة في العروج بجميع البشر إلى قنة السعادة المدنية.

فإن قيل: فما بالكم تسابقون إلى استذلال الأمم الضعيفة في الشرق وتسخرونها لمنافعكم وتوفير ثروتكم بغير حق؟ قالوا: كلا إنما نريد أن نخرجها من ظلمات الهمجية والجهل لتشاركنا فيما نحن فيه من نور الحضارة والعلم. فإن قيل: فما بالنا نراها لم تنل من علومكم إلا بعض القشور، ولم تستفد من مدنيتكم إلا الفسق والفجور، قالوا: إنما ذلك لضعف الاستعداد، وما تمكن في نفوس هذه الشعوب من الفساد، على أننا خير لها من حكامها الأولين بما قمنا به من حفظ الأمن وتوفير أسباب النعيم للعاملين! ذلك شأنهم، لا تقام عليهم حجة إلا يقابلونها بشبهة تؤيدها القوة، وقد قوضت الحرب المشتعلة نارها في أوربا هذه الأعوام، جميع ما بنيت عليه هذه الشبهات من المزاعم والأوهام، إذ رأينا فيها أرقى أهل الأرض في الحضارة والعلوم والفلسفة يخربون بيوتهم بأيديهم، ويقوضون صروح مدينتهم بمدافعهم، ويستعينون بكل ما ارتقوا إليه من العلوم والفنون والصناعات والحكمة والنظام، لإهلاك الحرث والنسل وتخريب العمران، بمنتهى القسوة والشدة، التي لا تشوبها عاطفة رأفة ولا رحمة، ولو كان من بأيديهم أزمة الأمور منهم يؤمنون بالله واليوم الآخر وما فيه من الحساب والجزاء بالحق، لما انتهوا في الطغيان إلى هذا الحد، نعم، إن هذه الشعوب كانت تتقابل لنصر المذهب أو الدين في القرون التي كانت تعمل فيها كل شيء باسم الدين، ولكنها لم تصل في التقتيل والتخريب في ذلك الزمان إلى عشر معشار ما هي عليه الآن، وإن كانوا يسمون هذا العصر عصر النور وتلك العصور بعصور الظلمات، على أن الرؤساء كانوا يتخذون اسم الدين وتأويل نصوصه وسيلة لأهوائهم التي ليست من الدين في شيء، كما يعلم جميع علماء هذا العصر.

ومن العجائب أن أقسى أهل هذه الحرب وأشدهم تخريبا وتدميرا هم الذين يزعمون أنهم يحاربون لله وأن الله معهم على أعدائهم، وإنما الحرب الدينية الصحيحة حرب الأنبياء والخلفاء الراشدين، ومن على مقربة من سيرتهم من الملوك الصالحين، ولم يكن يستحل فيها في عصر الإسلام ما يستحل الآن من القسوة والتخريب ولا ما نقل عن أنبياء وملوك." (١)

"فعند هذا ودع العلم وشكره، وقال: قد طال مقامي عندك ومرادتي لك، وأنا عازم على أن أسافر إلى حضرة القلم، وأسأله عن شأنه، فسافر إليه وقال له: ما بالك أيها القلم، تخط على الدوام في القلوب من العلوم ما تبعث به الإرادات إلى أشخاص القدر وصرفها إلى المقدورات؟ فقال: أو قد نسيت ما رأيت في عالم الملك والشهادة، وسمعت من جواب القلم إذا سألته فأحالك على اليد؟ قال: لم أنس ذلك. قال: فجوابي مثل جوابه، قال: كيف وأنت لا تشبهه، قال القلم: أما سمعت أن الله تعالى خلق آدم على صورته؟ قال: نعم، قال: فسل عن شأني الملقب بيمين الملك، فإني في قبضته، وهو الذي يرددني وأنا مقهور مسخر، فلا فرق بين القلم الإلهي وقلم الآدمي في معنى التسخير، وإنما الفرق في ظاهر الصورة. فقال: فمن يمين الملك؟ فقال القلم: أما سمعت قوله تعالى: (والسماوات مطويات بيمينه) (٣٩: ٦٧) قال: نعم، والأقلام أيضا

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٣٠٨/٧

في قبضة يمينه هو الذي يرددها. فسافر السالك من عنده إلى اليمين حتى شاهده، ورأى من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم، ولا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه، بل لا تحوي مجلدات كثيرة عشر عشير وصفه، والجملة فيه أنه يمين لا كالأيمان، ويد لا كالأيدي، وأصبع لا كالأصابع، فرأى القلم محركا في قبضته فظهر له عذر القلم، فسأل اليمين عن شأنه وتحريكه للقلم، فقال: جوابي مثل ما سمعته من اليمين التي رأيتها في عالم الشهادة، وهي الحوالة على القدرة، إذ اليد لا حكم لها في نفسها، وإنما محركها القدرة لا محالة. فسافر السالك إلى عالم القدرة، ورأى فيه **من العجائب** ما استحقر عندها ما قبله، وسألها عن تحريك اليمين فقالت: إنما أنا صفة، فاسأل القادر؛ إذ العمدة على الموصوفات لا على الصفات، وعند هذا كاد أن يزيغ ويطلق بالجراءة لسان السؤال، فثبت بالقول الثابت، ونودي من وراء حجاب سرادقات الحضرة (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) (٢١: ٢٣) فغشيته هيبة الحضرة، فخر صعقا يضطرب في غشيته، فلما أفاق قال: سبحانك ما أعظم شأنك، تبت إليك، وتوكلت عليك، وآمنت بأنك الملك الجبار الواحد القهار، فلا أخاف غيرك، ولا أرجو سواك، ولا أعوذ إلا بعفوك من عقابك، وبرضاك من

سخطك، وما لي إلا أن أسألك وأتضرع إليك، وأبتهل بين يديك، فأقول: اشرح لي صدري لأعرفك، واحلل عقدة من لساني لأثني عليك. فنودي من وراء الحجاب: إياك أن تطمع في الثناء وتزيد على سيد الأنبياء، بل ارجع إليه، فما آتاك فخذه، وما نهاك عنه فانته عنه، وما قاله فقله، فإنه ما زاد في هذه الحضرة على أن قال: " سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك " فقال: إلهي إن لم يكن للسان جراءة على الثناء عليك فهل للقلب مطمع في معرفتك؟ فنودي: إياك أن تتخطى رقاب الصديقين، فارجع إلى الصديق الأكبر فاقتد به، فإن أصحاب سيد الأنبياء كالنجوم، بأيهم." (١)

"التشبيه مثبت للغول الذي نفاه الحديث الصحيح الذي أخذ به جمهور العلماء كما تقدم، ومنهم من يرى أنه لا يقتضي إثباته؛ لأن التشبيه قد يبنى على المتعارف لأجل التأثير، وقد أشار الزمخشري إلى ذلك بقوله: وهذا مبني على ما كانت تزعمه العرب وتعتقده من أن الجن تستهوي الإنسان، والغيلان تستولي عليه كقوله: (الذي يتخبطه الشيطان من المس) (٢: ٢٧٥) انتهى. وقد شنع عليه ابن المنير في هذا، إذ جعله من إنكار الجن – وهو لا ينكرهم – وتبعه الألوسي فقال: وليس هذا مبنيا على زعمات العرب كما زعم من استهوته الشياطين. انتهى. وما هذا الشنيع إلا من تعصب المذاهب، ولولاه لما وقع أمثال هؤلاء الأذكياء في هذه الغياهب، وقد علمت أنه لا دليل على كون ما كانت تزعمه العرب في الجاهلية من شياطين الجن، وأن النبي – صلى الله عليه وسلم – كذبهم في دعوى الغول، وأن جمهور العلماء أخذوا بهذا التكذيب

ولم يؤولوه، وأن من أوله بإنكار تغول الغيلان وإضلالهم للناس مكذب للعرب في زعمها ذاك، وإنما بنى التشبيه على ما قيل من استهوائهم وإضلالهم بتغولهم، لا على مجرد وجودهم، وإذا كان الاستهواء بتخيلات لا حقيقة لها يكون التشبيه أبلغ وأقوى، وخلاصته أن من يتبع داعي الشرك كالمستهوى بما لا حقيقة له من الأوهام الضارة الشيطانية التي تنسب إلى الأغوال

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٣٩٦/٧

الخيالية. ولا يقتضي ذلك إنكار الجن والشياطين، وما كان الزمخشري ولا شيعته من المنكرين، وإنما الجن من عالم الغيب، لا نصدق من خبرهم إلا ما أثبته الشرع، أو ما هو في قوته من دليل الحس أو العقل، ولم يثبت شرعا ولا عقلا ولا اختيارا أن شياطين الجن تأكل الناس، ولا أنها تظهر لهم في الفيافي والقفار، كما كانت تزعم العرب وغير العرب في طور الجهل والخرافات.

وأما حديث خرافة فقد رواه الترمذي في جامعه وفي الشمائل من طريق أبي عقيل عبد الله بن عقيل الثقفي، وأبو عقيل مختلف فيه، وثقه أحمد وأبو داود، وروي عن ابن معين أنه منكر الحديث، والظاهر أنه قد ذكر على سبيل الحكاية، فهو نحو مما نقله الكلبي عن العرب من أنه رجل من بني عذرة أسرته الجن في الجاهلية، فأقام فيهم زمنا ثم أعادوه إلى الإنس، فكان يحدث بما رأى فيهم من العجائب، فصار الناس يقولون: " حديث خرافة " لكل حديث مستملح يكذبونه، على أن ما عساه يثبت لبعض الأفراد على خلاف الأصل لا يتخذ دليلا على صدق ما كذبه الحديث الصحيح من أخبار الأغوال ونحوها، وهذا الحديث غير معارض لهذه الآية حتى على هذا القول في التشبيه؛ لجواز أن يسمى ما كان يتراءى لهم بالشيطان لقبحه وضرره، وإن كان كالسراب لا حقيقة له في نفسه، أو يكون حيوانا مفترسا تمثله الأوهام بأشكال مختلفة. وراجع ما يقرب لك في هذا تفسير (ولكن شبه لهم) (٤: ١٥٧) .." [١]

"الغني له ما في السماوات والأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون) (١٠: ٦٨) " إن " هنا نافية، أي ما عندكم أدنى دليل بهذا القول الفظيع الذي تقولونه مع أن ما تبطل البراهين والآيات البينة مثله يحتاج مدعيه إلى أقوى البراهين والحجج وأعظمها سلطانا على العقول، ولما كان منهم من قد يعترف بأنه قول لا تقوم عليه حجة من العقل، بل لا يتصور العقل وجوده، ولكنه يدعي أنه ورد به النقل عن الأنبياء، وأن المسيح ادعاه لنفسه قال: (أتقولون على الله ما لا تعلمون) وهذه الآية تناسب الآية التي نفسرها.

٦: القول على الله بغير علم – وهو أعظم هذه الأنواع من أصول المحرمات الذاتية التي حرمها الله تعالى في دينه على ألسنة جميع رسله، فإنه أصل الأديان الباطلة ومنشأ تحريف الأديان المحرفة، وشبهة الابتداع في الدين الحق، الناسخ كتابه المعصوم للأديان المبدلة، والمهيمن على الكتب المحرفة، المحررة سنة رسوله بالأسانيد المتصلة، والمحصاة تراجم رواتها في الكتب المدونة، فمن العجائب بعد هذا أن ينتشر في أهله الابتداع، وتتعارض فيه المذاهب وتتعادى الأشياع، مع نهي كتابه عن التفرق والاختلاف، ووعيده المتفرقين بعذاب الدنيا وعذاب النار، ومع بيانه للمخرج من فتنة التنازع، ومعالجته لأدواء التدابر والتقاطع. ولكنهم حكموا الأهواء حتى في العلاج والدواء، فاتبعوا كما أنبأ الرسول صلى الله عليه وسلم سنن من قبلهم حتى في قوله تعالى: (وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم) (٢: ٢١٣) .

ومن غمة الجهل أن أكثر المسلمين لا يشعرون بهذا، حتى علماؤهم الذين يروون حديث: " لتتبعن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم " قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: " من؟ ". رواه الشيخان

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٧/٤٤٠

وغيرهما. وفي رواية: " شبرا شبرا وذراعا ذراعا ". فهم يقولون: صدق رسول الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولا يبحثون في أسباب هذا الابتداع ولا يتأملون في أقوال من بحث فيها قبلهم من العلماء. فقد نقل الحافظ بن عبد البر في كتاب العلم وغيره من الحافظ عن بعض علماء الصحابة والتابعين: أن رأس البلية في هذا الابتداع القول في الدين بالرأي. وهذا هو الحق، فما من أحد يبتدع أو يتبع مبتدعا في أصول الدين أو فروعه إلا وهو يستدل على بدعته بالرأي، وقد ظهرت مبادئ هذه البدع والآراء والأهواء في القرون الأولى، قرون العلم والسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يكن هذا كله بمانع لها إذ كان من الأفراد، لا من مصدر القوة والنظام – الذي هو مقام الخلافة الإسلامية – فكيف يكون الأمر بعد ذلك وقد زال العلم أو كاد؛ إذ لا علم إلا علم الاستقلال والاجتهاد، وقد صار محصورا في أفراد لا يعرف قدرهم العوام ولا يتبعهم الحكام، ثم فشا النفاق والدهان. وصار طلب العلم الديني حرفة للكسالى والرذال.." (١)

"القرآن الغريب – وبنى على ذلك الدعوة

إلى الإيمان على طريقة التفريع على هذا الأصل بل الأصول، وذلك قوله عز من قائل:

فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي أي: فآمنوا يا أيها الناس من جميع الأمم بالله الواحد في ربوبيته وألوهيته الذي يحيي كل ما تحله الحياة في العالم، ويميت كل ما يعرض له الموت بعد الحياة، وهذا أمر يتجدد كل يوم فتشاهدونه، ومثله البعث العام بعد الموت العام وخراب هذا العالم، وآمنوا برسوله الإيمان المطلق الممتاز بأنه النبي الأمي الذي بعثه في الأميين (العرب) رسولا إلى الخلق أجمعين يعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم ويطهرهم من خرافات الشرك والرذائل والجهل والتفرق والتعادي بعصبيات الأجناس واللغات والأوطان ؛ ليكونوا بهدايته أمة واحدة يتحقق بها الإخاء البشري العام، وقد بشر به الأنبياء الكرام عليهم السلام ؛ لأنه المتم المكمل لما بعثوا به من هداية الأقوام، وأميته - صلى الله عليه وسلم - من أعظم معجزاته، وأية على صحة دعوى الرسالة أقوى وأظهر من تعليم الأمي الذي لم يتعلم شيئا لجميع الأمم ما فيه صلاحهم وفلاحهم من العلوم والحكم؟ ! .

الذي يؤمن بالله وكلماته أي: يؤمن بما يدعوكم إلى الإيمان به من توحيد الله تعالى وكلماته التشريعية التي أنزلها لهداية خلقه، وهي مظهر علمه وحكمته ورحمته، وكلماته التكوينية التي هي مظهر إرادته وقدرته وحكمته، وبعد أمرهم بالإيمان أمرهم بالإسلام فقال: واتبعوه لعلكم تهتدون أي: واتبعوه بالإذعان الفعلي لكل ما جاءكم به من أمر الدين فعلا وتركا، رجاء اهتدائكم بالإيمان وباتباعه لما فيه سعادتكم في الدنيا والآخرة، فثمرة الإيمان والإسلام اهتداء صاحبهما ووصوله بالفعل لسعادة الدارين كما فصلناه في غير هذا الموضع، ودليله الفعلي في الدنيا أنه ما آمن قوم بنبي إلا وكانوا بعد الإيمان به خيرا مما كانوا قبله من هناء المعيشة والعزة والكرامة في دنياهم، وأظهر التواريخ وأقربها عهدا تاريخ الأمة المحمدية، **ومن العجائب** أن يصل بهم الجهل بعد ذلك إلى ترك هذه الهداية التي نالوا بها الملك العظيم والعز والسؤدد والغنى والحضارة، وأعجب منه أن يزول المعلول بزوال علته وهم لا يشعرون به فيعودوا إليه وأعجب من هذين أن يصل بهم الجهل إلى أن يعتقد كثير منهم في هذا العصر أن هداية الإسلام التي سعدوا بها ثم شقوا بتركها هي سبب هذا الشقاء الأخير لا تركها.

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٣٥٤/٨

(فصل في معنى اتباع الرسول وموضوعه ولوازمه)

قوله تعالى هنا: واتبعوه أعم من قوله في الآية التي قبلها: واتبعوا النور الذي أنزل معه فتلك في اتباع القرآن خاصة، وهذه تشمل اتباعه - صلى الله عليه وسلم - فيما شرعه من الأحكام من تلقاء نفسه على القول بأن الله تعالى أعطاه ذلك، وأذن له به، واتباعه في اجتهاده." (١)

"الإسلام في الشرق والغرب، وساد أهله الأمم والشعوب بسرعة لم يعرف لها نظير في التاريخ.

فإسلام الأمة العربية كان بتأثير هداية القرآن وهدي النبي - صلى الله عليه وسلم - وجهاده به كما قال تعالى: إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم (١٧: ٩) ، نهدي به من نشاء من عبادنا (٤٢: ٥٢) ويهدي به كثيرا (٢: ٢٦) يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام (٥: ١٦) وقال لنبيه: وجاهدهم به جهادا كبيرا (٢٥: ٥٢) وقد كان كل ما كان من اضطهاد رؤساء قومه المعاندين له - صلى الله عليه وسلم - لأجل صده عن تبليغ القرآن للعرب لجزمهم بما يكون من جذبهم به إلى اتباعه، كما قال لهم عمه أبو لهب في أول العهد بتبليغهم الدعوة: خذوا على يديه، قبل أن تجتمع العرب عليه. ولم يكن - صلى الله عليه وسلم - يطلب منهم، ثم من كل من كان يعرض نفسه عليهم في الموسم إلا حمايته ليبلغ دعوة ربه، ولما أسلم من أسلم من الأنصار في موسم الحج سرا، ونشروا الدعوة في عاصمتهم يثرب، وصار لهم قوة يحمونه بها من قريش هاجر إليهم. فما زالت قريش تقاتله إلى أن رضي منهم بعد استكمال قوته أن يصالحهم في الحديبية بالشروط التي يرضونها – مع كراهة أصحابه كلهم لها – في مقابلة الشرط الوحيد الذي كان هو أهم المهمات عنده عليه صلوات الله وسلامه، وهو حرية الاختلاط والاجتماع بينه وبين سائر العرب، لعلمه بأن سماعهم للقرآن – ولاسيما منه – كاف لإسلام السواد الأعظم منهم، وكذلك كان.

وكذلك ما فعل خلفاؤه وأصحابه الهادون المهديون **من العجائب** في نشر الإسلام وفتح الأقطار، وثل عروش أعظم دول الأرض قوة وعظمة ونظاما وتشريعا وحضارة، وتبديل ممالكهم وشعوبها بذلك كله ما هو خير منه – ما فعلوا ذلك كله إلا بتأثير القرآن.

وأما انتشار الإسلام في الأعاجم فقد كان بتبليغ الصحابة ثم من تبعهم في هديهم من العرب فالعجم للدعوة، وكان برهانهم عليها من أحوالهم الصالحة وسيرتهم الحسنى أقوى تأثيرا في تلك الشعوب من أقوالهم التي كانت تنقل إليها بالترجمة، ولم ينتشر الإسلام في شعب منها بترجمة القرآن بلغته، وقراءتهم لترجمته، وإنما

كانت درجة الهدى والعلم والعمل ترتفع فيهم بقدر تدبرهم له بعد تعلم لغته، فكان من متقني لغة القرآن من الموالي كبار الأئمة المجتهدين من أهل الحديث وأهل الرأي، وجهابذة علوم اللغة وفنونها، وأفراد العباد، ونوابغ الأدباء، وفحولة الشعراء. وقد كان إيمانهم الصحيح بتلك الدعوة المثلى هو الذي حملهم على طلب لغة الدين (العربية) من غير إلزام حاكم، ولا نظام تعليم إجباري تؤسس له المدارس.." (٢)

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٢٥٧/٩

(٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٢٩٢/٩

"عليك **من العجائب** قصة الجنة العجيبة الشأن ثم أخذ في بيان عجائبها ولله المثل الأعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة ووضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذى خاضوا فلا يكون تمثيل الجماعة بالواحد أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الفوج الذي استوقد نارا على أن ذوات المنافقين لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ومعنى

البقرة (١٧ ــ ١٨)

استوقد أوقد ووقود النار سطوعها والنار جوهر لطيف مضى حار محرق واشتقاقها من نار ينور إذا نفر لأن فيها حركة واضطرابا ﴿فلما أضاءت ما حوله﴾ الإضاءة فرط الإنارة ومصداقه قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية ويحتمل أن تكون غير متعدية مسندة إلى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لأن ما حول المستوقد أماكن وأشياء وجواب فلما ﴿ذهب الله بنورهم﴾ وهو ظرف زمان والعامل فيه جوابه مثل إذا وما موصولة وحوله نصب على الظرف أو نكرة موصوفة والتقدير فلما أضاءت شيئا ثابتا حوله وجمع الضمير وتوحيد للحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى والنور ضوء النار وضوء كل نير ومعنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبا ومعنى ذهب به استصحبه ومضى به والمعنى أخذ الله بنورهم وأمسكه وما يمسك فلا مرسل له فكان أبلغ من الإذهاب ولم يقل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت لأن ذكر النور أبلغ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة والمراد إزالة النور عنهم رأسا ولو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا ألا ترى كيف ذكر عقيبه ﴿وتركهم في ظلمات﴾ والظلمة عرض ينافي النور وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة لا تراءى فيها شبحان وهو قوله ﴿لا يبصرون﴾ وترك بمعنى طرح." (١)

"هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم (٢٩)

﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض﴾ أى لأجلكم ولا نتفاعكم به في دنياكم ودينكم أما الأول فظاهر وأما الثاني فالنظر فيه وما فيه **من العجائب** الدالة على صانع قادر حكيم عليم وما فيه من التذكير بالآخرة لأن ملاذها تذكر ثوابها ومكارهها تذكر عقابها وقد استدل الكرخي وأبو بكر الرازي والمعتزلة بقوله خلق لكم على أن الأشياء التي يصح أن ينتفع بها خلقت مباحة في الأصل ﴿جميعا﴾ نصب على الحال من ما ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ الاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود أي قام واعتدل ثم قيل استوى إليه كالسهم المرسل أي قصده قصدا مستويا من غير أن يلوي على شيء ومنه قوله تعالى ثم استوى إلى السماء أي أقبل وعمد إلى خلق." (٢)

"وقد خلقكم أطوارا (١٤)

﴿وقد خلقكم أطوارا﴾ في موضع الحال أي مالكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للإيمان به لأنه خلقكم

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٥٥/١

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٧٦/١

أطوارا أي تارات وكرات خلقكم أولا نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقك مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما نبههم أولا على النظر في أنفسهم لأنها أقرب ثم على الظر في العالم وما سوى فيه **من العجائب** الدالة على الصانع بقوله." [1]

"صورته «١»

أي على صفته فأعطاه على ضعفه من كل صفة من صفات جماله وجلاله أنموذجا ليشاهد في مرآة نفسه جمال صفات ربه. **ومن العجائب** أن خرطومه في غاية الصغر، ومع ذلك مجوف. ومع فرط صغره وكونه مجوفا يغوص في جلد الجاموس والفيل على ثخانته كما يضرب الرجل أصبعه في الخبيص، وذلك لما ركب الله تعالى في رأس خرطومه من السم.

وقوله فما فوقها أي فالذي هو أعظم منها في الجثة كالذباب والعنكبوت والحمار والكلب، فإن القوم أنكروا تمثيل الله بكل هذه الأشياء، أو أراد فما فوقها في الصغر كجناح البعوضة حيث ضربه صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا، وهذا أولى لأن الآية نزلت في بيان أن الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشيء الحقير، فيجب أن يكون المذكور ثانيا أحقر من الأول. والفاء هاهنا تفيد الترتيب في الذكر لأنه يذكر في هذا المقام الأخس فالأخس كقوله:

«يا دار مية بالعلياء فالسند» لأنه يذكر في تعريف الأمكنة الأخص بعد الأعم، فكأن العلياء موضع وسيع يشتمل على مواضيع منها السند. وأما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء، وفائدته التوكيد. تقول: زيد ذاهب. فإذا قصدت التوكيد وأن الذهاب منه عزيمة قلت: أما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره. «مهما يكن من شيء فزيد ذاهب» وليس مراده من هذا التفسير أن «أما» بمعنى «مهما» «كيف» - وهذه حرف ومهما اسم- بل قصده إلى المعنى البحث أي إن يكن في الدنيا شيء يوجد ذهاب زيد فهذا، جزم بوقوع ذهابه لأنك جعلت حصول ذهابه لازما لحصول أي شيء في الدنيا، وما دامت الدنيا باقية فلا بد من حصول شيء فيها. ففي إيراد الجملتين مصدرتين به وإن لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون إحماد عظيم لأمر المؤمنين واعتداد بعلمهم أنه الحق، ونعي على الكافرين ورميهم بالكلمة الحمقاء. والحق الثابت الذي لا يسوغ إنكاره وحق الأمر ثبت ووجب. والضمير في أنه الحق للمثل، أو ل أن يضرب وماذا فيه وجهان: أن يكون «ذا» اسما موصولا بمعنى الذي، فيكون كلمتين: «ما» مبتدأ وخبره «ذا» مع صلته، وأن تكون «ذا» مركبة مع «ما» مجعولتين اسما واحدا، فيكون منصوب المحل في حكم «ما» وحده لو قلت: ما أراد الله، وجوابه على الأول مرفوع وعلى الثاني منصوب. وقد يجيء على العكس

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٢٤٢، ٢٥١) . البخاري في كتاب الاستئذان باب ١. مسلم في كتاب البر حديث ١١٥.." [2]

"الله وجلاله. ورد بأن هذا يفيد قوتهم وبطشهم فقط كما يقال: إن السلطان لما جلس وقف حول سريره ملوك الأطراف. وهذا لا يدل على أنهم أكرم عند السلطان من ولده.

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣/٥٤٤

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ١/٢٠٥

الخامسة عشرة: والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله [البقرة: ٢٨٥] والتقديم في الذكر يدل على التقديم في الدرجة ولهذا لما قال الشاعر:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا قال عمر بن الخطاب: لو قدمت الإسلام لأجزتك. ولما كتبوا كتاب الصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين، وقع التنازع في تقديم الاسم، وكذا في كتاب الصلح بين علي ومعاوية. ومنع من أن الواو لا تفيد الترتيب، وعورض بتقديم تبت على «الإخلاص» .

السادسة عشرة: إن الله وملائكته يصلون على النبي [الأحزاب: ٥٦] جعل صلوات الملائكة كالتشريف للنبي صلى الله عليه وسلم وعورض بقوله يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه [الأحزاب:

٥٦] ولا تشريف بل تتشرف الأمة بذلك.

السابعة عشرة: إن جبرائيل أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى وصفه بست من صفات الكمال إنه لقول رسول كريم. ذي قوة عند ذي العرش مكين. مطاع ثم أمين [التكوير:

١٩- ٢١] ثم وصف محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله وما صاحبكم بمجنون [التكوير: ٢٢] وشتان بين الوصفين. ورد بأنه وإن وصفه هاهنا بهذا القدر لاقتضاء المقام ذلك فقط، فقد وصفه في مواضع أخر بما يليق به يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا [الأحزاب: ٤٥، ٤٦] .

الثامنة عشرة: إن جبريل كان معلما للنبي صلى الله عليه وسلم ولغيره من الأنبياء، لا في العلوم التي لا يتوصل إليها إلا بالعقل. كالعلم بذات الله تعالى، بل في العلم بكيفية مخلوقاته وما فيها **من العجائب**، والعلم بأحوال العرش والكرسي والجنة والنار وأطباق السموات وأصناف الموجودات وأحوال الأمم الخالية والقرون الماضية، والمعلم أفضل قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون [الزمر: ٩] ومنع من كون الملائكة أعلم بدليل قصة آدم، ولأن تعليم جبريل كان بالحقيقة تعليم الله تعالى ولم يكن جبريل إلا واسطة، ولئن سلم مزيد علمهم منع كثرة ثوابهم.

التاسعة عشرة: ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم [الأنبياء: ٢٩]." [(١)]

"الرعد والبرق والسحمة والتطبيق إلى غير ذلك **من العجائب** دلالات واضحة على كمال حكمة موجده ومقدره. وأما قوله تعالى لآيات فيحتمل أن يكون راجعا إلى الكل أي مجموع هذه الأشياء الثمانية آيات، ويحتمل أن يكون راجعا إلى كل واحد فإن كل واحد منها يدل على مدلولات كثيرة كما فصلنا. وأيضا فكل واحدة منها من حيث إنها موجودة فدل على وجود موجدها، وكونه قادرا ومن حيث إنها وقعت على وجه الإحكام والإتقان تدل على علم الصانع، ومن حيث حدوثها واختصاصها بوقت دون وقت تدل على إرادته واختياره، ومن حيث إنها وجدت على الاتساق والانتظام دلت على وحدانية الله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا [الأنبياء: ٢٢] . وأما قوله تعالى لقوم يعقلون فإنما خص الآيات بهم لأنهم الذين يتمكنون من النظر فيه والاستدلال به. وفي الآية من الفوائد أن التقليد مذموم فيما إلى تحقيقه

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٢٤٦/١

سبيل. وفيها أن جميع المعارف ليست ضرورية وإلا لم يحتج إلى النظر في شيء منها، وإنما خص الآيات الثمانية بالذكر مع أن سائر الأجسام والأعراض مستوية في الاستدلال بها على وجود الصانع بل كل ذرة من الذرات، لأنها جامعة بين كونها نعما على المكلفين، ومتى كانت الدلائل كذلك كانت أنجع في القلوب وأشد تأثيرا في الخواطر.

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها»

أي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها حسبي الله ونعم الوكيل.

[سورة البقرة (٢) : الآيات ١٦٥ الى ١٦٧]

ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب (١٦٥) إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب (١٦٦) وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار (١٦٧)

القرآت:

ولو ترى بتاء الخطاب: نافع وابن عامر وسهل ويعقوب. الباقون:

بالياء إذ يرون بضم الياء من الإراءة: ابن عامر أن القوة وأن الله بكسر الألف فيهما: يزيد وسهل ويعقوب إذ تبرأ بإدغام الذال في التاء وكذا ما أشبهه: هشام وسهل وأبو عمرو وحمزة وعلي وخلف. يريهم الله بكسر الهاء والميم: أبو عمرو وسهل. وقرأ حمزة وعلي وخلف ويعقوب بضم الهاء والميم. والباقون بكسر الهاء وضم الميم بخارجين بالإمالة: عباس وقتيبة لجوار من النار.

الوقوف:

كحب الله ط حبا لله ط العذاب لا وكذلك وجميعا لا من قرأ «أن» و «إن» بالكسر فيهما شديد العذاب هـ الأسباب هـ تبرؤا منا ط عليهم ط من النار هـ.." (١)

"والأكثرون على أنه اسم علم للشهر كرجب وشعبان ومنع الصرف للعلمية والألف والنون.

ثم اختلف في اشتقاقه فعن الخليل: أنه من الرمض بتسكين الميم وهو مطر يأتي وقت الخريف ويطهر وجه الأرض عن الغبار، سمي الشهر بذلك لأنه يطهر الأبدان عن أوضار الأوزار. وقيل: من الرمض بمعنى شدة الحر من وقع الشمس والأرض رمضاء. وفي الكشاف: الرمضان مصدر رمض إذا احترق من الرمضاء، سمي بذلك إما لارتماضهم فيه من حر الجوع كما سموه ناتقا لأنه كان ينتقهم أي يزعجهم لشدته عليهم، أو لأن الذنوب ترمض فيه أي تحترق.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إنما سمي رمضان لأنه يرمض ذنوب عباده»

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٤٦٠/١

وكأن هذا من قولهم «رمضت النصل» جعلته بين حجرين أملسين ثم دققته ليرق.
وعن الأزهري: أنهم كانوا يرمضون أسلحتهم فيه ليقضوا منها أوطارهم في شوال قبل دخول الأشهر الحرم. وقيل: إنهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فسمي بذلك. وشهر رمضان يجمع على رمضانات وأرمضاء، وإضافة الشهر إليه إضافة العام إلى الخاص، ولو لم يتلفظ بالشهر جاز
كقوله صلى الله عليه وسلم «من صام رمضان إيمانا» «١» الحديث.
لأن التسمية وقعت برمضان فقط. وارتفاعه على أنه مبتدأ خبره الذي أنزل فيه القرآن أو على أنه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هي أي الأيام المعدودات شهر رمضان. وعلى هذين الوجهين يكون الموصول مع صلته صفة لشهر رمضان. قال أبو علي: وهذا أولى ليكون أيضا في الأمر بصوم الشهر وإلا كان خبرا عن إنزال القرآن فيه. وقرىء بالنصب على صوموا شهر رمضان أو على الإبدال من أياما أو على مفعول وأن تصوموا وفي هذا الوجه نظر من قبل الفصل بين أن تصوموا ومعموله بالخبر. وفائدة وصف الشهر بإنزال القرآن فيه التنبيه على علة تخصيصه بالصوم فيه. وذلك أنه لما خص بأعظم آيات الربوبية ناسب أن يخص بأشق سمات العبودية فبقدر هضم النفس يترقى العبد في مدارج الأنس ويصل إلى معارج القدس وتنخرق له الحجب الناسوتية ويطلع على الحكم اللاهوتية ويفهم معاني القرآن ويتبدل له العلم بالعيان وكان حينئذ **من العجائب** ما كان. وفي إنزال القرآن في رمضان أقوال. فعن سفيان بن عيينة أنزل في فضله القرآن كما تقول أنزل في علي عليه السلام كذا. وقال ابن الأنباري: أنزل في إيجاب صومه على الخلق القرآن كما تقول: أنزل الله في الزكاة كذا أي في إيجابها، وأنزل

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب ٢٨، كتاب الصوم باب ٦ مسلم في كتاب المسافرين حديث ١٧٥. أبو داود في كتاب رمضان باب ١. الترمذي في كتاب الصوم باب ١.." (١)

"بذاته يوجب العلم بجميع آثاره على ترتيبها المعتبر- كليات كانت أو جزئيات- وعلمه بذاته لم يحصل إلا لذاته فصح أن يقال: وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو. وفيه أنه لا ضد له ولا ند إذ لو كان في الوجود واجب آخر لكانت مفاتح الغيب حاصلة أيضا عنده فيبطل هذا الحصر، ولا يمكن أن تكون هذه المفاتح عند شيء من الممكنات لأن المحاط لا يحيط بمحيطه فلا يحيط ما دون الواجب بالواجب، فلا يكون المفتاح الأول للعلم بجميع المعلومات إلا عنده. ثم إن قوله وعنده مفاتح الغيب قضية معقولة مجردة، والإنسان الذي يقوي على الإحاطة بمعنى هذه القضية نادر جدا والقرآن إنما نزل لينتفع به جميع الناس فذكر من الأمور المحسوسة الداخلة تحت تلك القضية الكلية أمثالا لها ليعين الحس العقل فقال ويعلم ما في البر والبحر لأن ذكر هذا المحسوس يكشف عن حقيقة عظيمة لذلك المعقول، وقدم ذكر البر لأن الإنسان قد شاهد أحوال البر وكثرة ما فيه من المدن والقرى والجبال والتلال والمعادن والنبات والحيوان، وأما البحر فإحاطة الحس بأحواله أقل

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ١/٥٠٠

مع كثرة ما فيها **من العجائب** والغرائب أيضا. ثم أفرد من هذه المحسوسات قسما فقال وما تسقط من ورقة إلا يعلمها أي لا يتغير حال ورقة إلا والحق يعلمها. ثم عدل عن التعجيب من كثرة المدركات إلى التعجيب من صغر المدرك وخفائه فقال ولا حبة في ظلمات الأرض وفي تخصيص الحبة والورقة تنبيه للمكلفين على أمر الحساب لأنه إذا كان بحيث لا يهمل أمر الأشياء التي ليس لها ثواب ولا عقاب فلأن لا يهمل أمر المكلفين أولى.

ثم عاد إلى ذكر القضية الكلية المجردة بعبارة أخرى فقال ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين قال في الكشاف: ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كأنه قيل: وما يسقط شيء من هذه الأشياء إلا وهو يعلمه. وقوله إلا في كتاب مبين كالتكرير لقوله إلا يعلمها ومعنى إلا في كتاب مبين واحد. والكتاب المبين علم الله أو اللوح. قال علماء التفسير: يجوز أن يكون الله جل شأنه أثبت كيفية المعلومات في كتاب من قبل أن يخلق الخلق لتقف الملائكة على نفاذ علمه في المعلومات وأنه لا يغيب عنه شيء، فيكون في ذلك عبرة كاملة للملائكة الموكلين باللوح المحفوظ لأنهم يقابلون به ما يحدث في العالم فيجدونه موافقا له. أو لأنه إذا كتب أحوال جميع الموجودات في ذلك الكتاب على التفصيل التام امتنع تغيرها وإلا لزم الكذب أو الجهل فتصير كتبة جملة الأحوال في ذلك الكتاب سببا تاما في أنه يمتنع تقدم ما تأخر وتأخر ما تقدم. ثم لما بين كمال علمه أردفه ببيان كمال قدرته بقوله وهو الذي يتوفاكم أي يتوفى أنفسكم التي بها تقدرون على الإدراك والتمييز. وذلك أن الأرواح الجسمانية تغور حالة النوم من الظاهر إلى الباطن." (١)

"أبيه على الكفر كما قال فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه [التوبة: ١١٤] لا لأجل السفه والجفاء لقوله إن إبراهيم لحليم أواه منيب [هود: ٧٥] ثم إن إبراهيم احتج على فساد اعتقاد عبدة الأصنام بقوله منكرا على آزر وقومه أتتخذ أصناما آلهة أي معبودين. وذلك أن الأصنام لو كان لها قدرة على الخير والشر لكان الصنم الواحد كافيا فلما لم يكن الواحد كافيا دل ذلك على عجزها وإن كثرت، واحتج بعضهم بالآية على وجوب معرفة الله تعالى، وعلى أن وجوب الاشتغال بشكره معلوم بالعقل لا بالسمع لأن إبراهيم حكم عليهم بالضلال من حيث النظر والاستدلال، وأجيب بأنه لعله عرف ضلالهم بحكم شرع الأنبياء المتقدمين عليه وكذلك أي مثل ما أريناه من قبح عبادة الأصنام والاشتغال بغير الله نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض والنكتة فيه أن التخلي عن غير الله يوجب رفع الحجاب وبقدر ذلك يكون حصول التجلي والتحلي بالله وإنما لم يقل «أريناه» بلفظ الماضي لأنه أراد الحكاية كأنه قيل: كيف بلغ إبراهيم هذا المبلغ في قوة الدين والذب عنه؟ فأجيب أنا كنا نريه الملكوت وقت طفوليته لأجل أن يصير من الموقنين زمان بلوغه، أو المقصود بيان ارتفاعه في معارج الكمال وازدياده في ذلك على سبيل الدوام والاستمرار فإن مخلوقاته تعالى وإن كانت متناهية في الذات وفي الصفات إلا أن جهات دلالاتها على ذاته وصفاته سبحانه غير متناهية كما قال إمام الحرمين: معلومات الله غير متناهية، ومعلوماته في تلك المعلومات أيضا غير متناهية. فإن الجوهر الفرد يمكن وقوعه في أحياز لا نهاية لها على البدل، ويمكن اتصافه بصفات لا نهاية لها على البدل، فكل تلك الأحوال التقديرية معلومة لله تعالى، وكل تلك الأحوال دالة على حكمة الله تعالى وعظمة قدرته، وإذا كان الجوهر الفرد كذلك فكيف كل الملكوت! ولهذا قيل: السفر إلى الله تعالى له نهاية، فأما السفر في الله

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٩٠/٣

سبحانه فإنه بلا نهاية. والملكوت هو الملك والتاء للمبالغة كالرغبوت من الرغبة والرهبوت ومن الرهبة. قال بعضهم: إنه سبحانه أراه الملكوت بالعين. قالوا: شق له السموات حتى رأى العرش والكرسي إلى منتهى الأجرام العلوية، وشق له الأرض إلى ما تحت الثرى فرأى ما فيها من البدائع والعجائب.

عن ابن عباس أنه قال: لما أري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وأري ما فيها وما في الأرض **من العجائب** رأى عبدا على فاحشة فدعا عليه وعلى آخر بالهلاك، فقال الله تعالى له: كف عن عبادي فهم بين خلال ثلاث: إما أن أجعل منهم ذرية طيبة، أو يتوبون فأغفر لهم، أو النار من ورائهم.

وقال الأكثرون: إن هذه الإراءة كانت بعين البصيرة، لأن ملك السموات والأرض لا يرى وإنما يعرف بالعقل ولو أريد نفس السموات والأرض صار لفظ الملكوت ضائعا. وأيضا قوله فلما جن عليه الليل جار مجرى الشرح والتفسير لتلك الإراءة فثبت أنه استدل بتغير الأجرام وإمكانها." (١)

"بحديث الإسراء به وأنه أسري به من مكة إلى بيت المقدس ومنه عرج إلى السماء ورأى ما فيها **من العجائب** ولقي الأنبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى. فقال أبو جهل: يا معشر بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم، فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وإنكارا، وارتد ناس ممن كان آمن به، وسعى رجال إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال: إن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: أتصدقه على ذلك؟ قال: إني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي الصديق. وكان فيهم من سافر إلى الشام فاستنعتوه المسجد فجلى له صلى الله عليه وسلم بيت المقدس فطفق ينظر إليه وينعته لهم فقالوا: أما النعت فقد أصاب. فقالوا: أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال: تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق، فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم:

هذه والله الشمس قد شرقت، وقال آخر: وهذه والله العير قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد صلى الله عليه وسلم، ثم لم يؤمنوا وقالوا: ما هذا إلا سحر مبين.

ولما حكى طرفا من إكرام محمد صلى الله عليه وسلم ذكر شيئا من إكرام موسى فقال: وآتينا موسى الكتاب أي التوراة وجعلناه هدى لبني إسرائيل أخرجناهم بواسطته من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والدين ألا تتخذوا من قرأ على الغيبة ف «أن» ناصبة ولام العاقبة محذوفة أي لئلا يتخذوا، ومن قرأ على الخطاب ف «أن» مفسرة معناها أي لا تتخذوا كقولك: كتبت إليه أن افعل كذا، وزائدة والقول مضمر يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون إليه أمركم يا ذرية من حملنا مع نوح قال قتادة: الناس كلهم ذرية نوح عليه السلام لأنه كان معه في السفينة ثلاثة بنين: سام وحام ويافث، والناس كلهم من ذرية أولئك. فقوله «يا ذرية» قائم مقام قوله: يا أيها الناس وعلى القراءة الأولى انتصب ذرية على الاختصاص، وعلى القراءتين احتمل أن ينتصب على أنه مفعول آخر ليتخذوا أي لا تجعلوهم أربابا كقوله: ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا [آل عمران: ٨٠] من ذرية المحمولين مع نوح وعيسى وعزيز. ثم علل النهي عن الإشراك

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ١٠٤/٣

بقوله: إنه كان عبدا شكورا أي أنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه أسوتكم كما جعله آباؤكم أسوتهم في الشكر لله وعدم اتخاذ الشريك له.

ويجوز أن يكون تعليلا لاختصاص بني إسرائيل والثناء عليهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به، فلهذا استأهلوا الاختصاص. وجوز في الكشاف أن يكون ثناء على نوح بطريق الاستطراد.

يروى من شكره أنه كان إذا أكل قال: الحمد لله الذي أطعمني ولو شاء أجاعني، وإذا شرب قال: الحمد لله الذي سقاني ولو شاء أظمأني، وإذا اكتسى قال:." (١)

"وابن كثير ويعقوب وأفق أبو عمرو ويزيد والأصفهاني عن ورش وإسماعيل وأبو نشيط عن قالون في الوصل. ما لي بفتح الياء: أبو عمرو وأبو جعفر ونافع أمري إلى الله بفتح الياء: أبو جعفر ونافع وأبو عمرو تقوم بتاء التأنيث: الرازي عن هشام أدخلوا من الإدخال: أبو جعفر ونافع ويعقوب وحمزة وعلي وخلف وحفص. وعلى هذه القراءة الخطاب للزبانية. وانتصب آل وأشد على أنهما مفعول بهما. وعلى القراءة الأخرى هو لآل فرعون، وانتصب آل على النداء لا على أنه مفعول به.

الوقوف:

مبين هـ لا كذاب هـ نساءهم ط ضلال هـ ربه ج لاحتمال اللام مؤمن قف قد قيل: بناء على أن الجار يتعلق بالفعل بعده والوصل أصح لأنه كان من القبط، ولو فرض أنه لم يكن منهم فالجملة وصف له من ربكم ج لانتهاء الاستفهام إلى الابتداء بالشرط كذبه ج للعطف والشرط يعدكم ط كذاب هـ في الأرض ز لابتداء الاستفهام والوجه الوصل لأن المقصود الوعظ به جاءنا ط الرشاد هـ الأحزاب هـ لا لأن ما بعده بدل بعدهم ط للعباد هـ التناد هـ ط لأجل البدل مدبرين ج لأن ما بعده يصلح حالا واستئنافا من عاصم ج لاحتمال كون ما بعده ابتداء إخبار من الله سبحانه وكونه من كلام المؤمن من هاد هـ جاءكم به ط رسولا ط مرتاب هـ ج لاحتمال البدل فإن «من» في معنى الجمع أو الاستئناف أي هم الذين أو أعني أنهم آمنوا ط جبار هـ الأسباب هـ لا كاذبا ط السبيل ط تباب هـ الرشاد ج لأن النداء يبدأ به مع أنه تكرار للأول متاع ز للفصل بين تنافي الدارين مع اتفاق الجملتين القرار هـ مثلها ج لعطف جملتي الشرط حساب هـ النار هـ ج لانتهاء الاستفهام إلى الأخبار ولاحتمال ابتداء استفهام آخر الغفار هـ النار هـ لكم ط إلى الله ط بالعباد هـ العذاب هـ ج لاحتمال البدل والابتداء وعشيا ج لاحتمال ما بعده العطف والاستئناف الساعة قف لحق القول المحذوف أي يقال لهم أو للزبانية العذاب هـ من النار هـ العباد هـ من العذاب هـ بالبينات ط بلى ط فادعوا ج لاحتمال أن ما بعده من قول الخزنة أو ابتداء إخبار من الله تعال ضلال هـ.

التفسير:

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٣٢٥/٤

لما وبخ الكفار بعدم السير في الأرض للنظر والاعتبار أو بعدم النظر في أحوال الماضين مع السير في الأقطار وقد وصف الماضين بكثرة العدد والآثار الباقية، أراد أن يصرح بقصة واحدة من قصصهم تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وزيادة توبيخ وتذكير لهم. وكان في قصة موسى وفرعون **من العجائب** ما فيها، فلا جرم أوردها هاهنا مع فوائد زائدة على ما في." [1]

"يقول وأعطينا عيسى ابن مريم البينات يعني ما كان يصنع **من العجائب** وما كان يحيي من الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويخلق من الطين ثم قال: وأيدناه بروح القدس يقول- سبحانه- وقويناه بجبريل- عليه السلام- ثم قال: ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم يعني من بعد عيسى وموسى وبينهما ألف نبي أولهم موسى وآخرهم عيسى من بعد ما جاءتهم البينات يعني **العجائب** التي كان يصنعها «١» الأنبياء ولكن اختلفوا فصاروا فريقين في الدين فذلك قوله سبحانه-: فمنهم من آمن يعني صدق بتوحيد الله- عز وجل- ومنهم من كفر بتوحيد الله ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد- ٢٥٣- يعني أراد ذلك يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من الأموال في طاعة الله من قبل أن يأتي يوم لا بيع يقول لا فداء فيه فيه ولا خلة فيه ليعطيه بخلة «٢» ما بينهما ولا شفاعة فيه للكفار فيه كفعل أهل الدنيا بعضهم في بعض فليس في الآخرة شيء من ذلك والكافرون هم الظالمون- ٢٥٤- الله لا إله إلا هو الحي الذي لا يموت القيوم القائم على كل نفس لا تأخذه سنة يعني ريح من قبل الرأس، فيغشى العينين، وهو وسنان بين النائم واليقظان. ثم قال- جل ثناؤه-: لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من الخلق عبيده وفي ملكه الملائكة وعزير وعيسى ابن مريم وغيره ممن يعبد من ذا الذي يشفع عنده من الملائكة إلا بإذنه يقول إلا بأمره وذلك قوله- سبحانه- ولا يشفعون إلا لمن ارتضى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم يقول ما كان قبل خلق

---

(١) في أ: يصنعوها.

(٢) في أ: خلة، والمثبت من ل.." [2]

"الكلام ف قال الخضر إنك لن تستطيع معي صبرا- ٦٧- قال موسى:

ولم؟ قال: لأني أعمل أعمالا لا تعرفها ولا تصبر على ما ترى **من العجائب** «١» حتى تسألني عنه وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا- ٦٨- يعني علما قال ستجدني إن شاء الله صابرا قال مقاتل: فلم يصبر موسى ولم يأثم بقوله ستجدني إن شاء الله صابرا على ما أرى **من العجائب** فلا أسألك عنها ولا أعصي لك أمرا- ٦٩- فيما أمرتني به أو نهيتني عنه قال الخضر- عليه السلام-: فإن اتبعتني فلا تسئلني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا- ٧٠-[٢٢٨ ب] يقول حتى أبين لك بيانه «فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها» «٢» : «فمرت سفينة» «٣» فيها ناس فقال الخضر:

يا أهل السفينة احملونا معكم في بحر أيلة. قال بعضهم: إن هؤلاء لصوص «٤» فلا تحملوهم معنا. قال صاحب السفينة:

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٣٢/٦

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ٢١٢/١

أرى وجوه أنبياء وما هم بلصوص فحملهم بأجر فعمد الخضر فضرب ناحية السفينة بقدوم فخرقها فدخل الماء فيها فعمد موسى فأخذ ثيابا فدسها في خرق السفينة فلم يدخل الماء وكان موسى- عليه السلام- ينكر الظلم، فقام موسى إلى الخضر- عليهما السلام- فأخذ بلحيته وقال له موسى: أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا- ٧١- يعني لقد أتيت أمرا منكرا فالتزمه الخضر وذكره الصحبة وناشده بالله وركب الخضر على الخرق لئلا يدخلها الماء قال له الخضر: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا- ٧٢-

(١) فى أ: العجايب.

(٢) ما بين القوسين « ... » : ساقط من أ، ل.

(٣) فى أ: فمرت به سفينة، ل: فمرت سفينة.

(٤) فى أ: للصوص، ل: لصوص.." (١)

"على ما ترى **من العجائب** قال يوشع لموسى: اذكر العهد الذي أعطيته من نفسك قال موسى: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني يعنى تغشيني من أمري عسرا- ٧٣- يعني من قولي عسرا ثم قعد موسى مهموما يقول في نفسه لقد كنت غنيا عن اتباع هذا الرجل وأنا في بني إسرائيل أقرئهم كتاب الله- عز وجل- غدوة وعشيا، فعلم الخضر ما حدث به «١» موسى نفسه وجاء طير يدور «٢» يرون أنه خطاف حتى وقع على ساحل البحر فنكث بمنقاره في البحر ثم وقع على صدر السفينة ثم صوت، فقال الخضر لموسى: أتدرك ما يقول هذا الطائر قال موسى: لا أدري «٣» . قال الخضر يقول: ما علم الخضر وعلم موسى في علم الله إلا كقدر ما رفعت بمنقاري «٤» من ماء البحر في قدر البحر «٥» ثم خرجا من السفينة على بحر أيلة «فانطلقا حتى «إذا» «٦» لقيا «٧» غلاما سداسيا فقتله الخضر بحجر أسود واسم الغلام حسين بن كازري واسم أمه سهوى «٨» ، فلم يصبر موسى حين رأى المنكر ألا ينكره ف قال للخضر: أقتلت نفسا زكية يعني لا ذنب لها ولم يجب عليها القتل بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا- ٧٤- يقول أتيت أمرا فظيعا قال يوشع لموسى: اذكر العهد الذي

(١) به: من ل، وليست فى ا.

(٢) يدور: من ل، وليست فى ا. [.....]

(٣) فى أ: لا أدرى، ل: لا.

(٤) فى أ: بمنقاري، ل: شعاري.

(٥) فى أ: اضطراب، قدم سطورا من تفسير الآية القادمة فى هذه الآية وترتيب الكلام من ل.

(٦) «فانطلقا حتى إذا» : ساقطة من أ، ل.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ٥٩٥/٢

(٧) فى أ، ل: فلقيا.

(٨) فى أ: سهوي، ل: سهري.." (١)

"أعطيته عن نفسك قال الخضر لموسى- عليهما السلام: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا- ٧٥- وإنما قال: ألم أقل لك لأنه كان قد تقدم «١» إليه قبل ذلك «بقوله» «٢» : «إنك لن تستطيع معي صبرا» على ما ترى من العجائب قال موسى: إن سألتك عن شيء بعدها يعني [٢٢٩ أ] بعد قتل النفس فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا- ٧٦- يقول لقد أبلغت «٣» في العذر إلي فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها الطعام تسمى القرية «باجروان» «٤» ويقال أنطاكية.

قال مقاتل: قال قتادة: هي القرية «٥» فأبوا أن يضيفوهما يعني أن يطعموهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض كانوا بلوا الطين «٦» فأقامه الخضر جديدا فسواه قال موسى عمدت إلى قوم لم يطعمونا ولم يضيفونا فأقمت لهم جدارهم فسويته لهم بغير أجر يعني بغير طعام ولا شيء لو شئت لاتخذت عليه أجرا- ٧٧- أي لو شئت أعطيت عليه شيئا قال الخضر: هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل يعني بعاقبة ما لم تستطع عليه صبرا- ٧٨- كقوله سبحانه-: يوم يأتي تأويله «٧» يعني عاقبته ثم قال الخضر لموسى- عليهما السلام: أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها

---

(١) فى أ: يقدم، ل: قد تقدم، وهذا القول مكرر فى ا. فقد ذكر فى تفسير الآية السابقة.

(٢) بقوله: زيادة اقتضاها المقام، ليست فى ا، ل.

(٣) فى أ: بلغت، ل: أبلغت.

(٤) فى أ: باجروان، ل: بدون إعجام.

(٥) أى أنطاكية.

(٦) من ل، وفى أ: كانوا بلول الطين.

(٧) سورة الأعراف: ٥٣.." (٢)

"أبدلهما غلاما مكان المقتول ولو عاش المقتول لهلكا في سببه

وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة يعني في قرية تسمى باجروان ويقال هي أنطاكية وكان تحته كنز لهما.

حدثنا عبيد الله قال [٢٢٩ ب] : حدثنا أبي عن الهذيل عن مقاتل عن الضحاك ومجاهد قال: صحفا فيها العلم ويقال المال وكان أبوهما صالحا يعني ذا أمانة اسم الأب كاشح واسم الأم دهنا، واسم أحد الغلامين أصرم، والآخر صريم فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما والأشد ثماني «١» عشرة سنة رحمة من ربك يقول نعمة من ربك للغلامين وما فعلته وما فعلت هذا «٢» عن أمري ولكن الله أمرني به ذلك تأويل يعني عاقبة ما لم تسطع عليه صبرا- ٨٢- يعني هذا عاقبة ما

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ٢/٥٩٦

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ٢/٥٩٧

رأيت **من العجائب** نظيرها هل ينظرون إلا تأويله «٣» يعني عاقبة ما ذكر الله- تعالى- في القرآن من الوعيد ويسئلونك عن ذي القرنين يعنى الإسكندر وقيصر ويسمى «٤» الملك القابض على قاف وهو جبل محيط بالعالم ذو القرنين «٥» ، وإنما سمى ذو القرنين «٦» لأنه أتى قرني الشمس المشرق والمغرب قل سأتلوا عليكم منه يا أهل مكة ذكرا- ٨٣- يعني علما إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا- ٨٤-

(١) فى ل: ثماني، ا: ثمان.

(٢) فى أ: (وما فعلت) هذا.

(٣) سورة الأعراف: ٥٣ .

(٤) فى أ: وسماء، وفى ل: ويسمى.

(٥) هكذا فى أ، ل. والمراد أن اسم الملك القابض على جبل ق ذو القرنين.

(٦) فى أ: ذا القرنين، ل: ذو القرنين.." [١]

"إن هذه أمتكم أمة واحدة يقول إن هذه ملتكم التي أنتم عليها، يعني شريعة الإسلام هي ملة واحدة كانت عليها الأنبياء والمؤمنون الذين نجوا من عذاب الله- عز وجل- وأنا ربكم فاعبدون- ٩٢- يعنى فوحدون وتقطعوا أمرهم بينهم فرقوا دينهم الإسلام الذي أمروا به فيما» «١» بينهم فصاروا زبرا يعني فرقا «كل» «٢» : كل أهل تلك الأديان إلينا راجعون- ٩٣- في الآخرة فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن يقول وهو مصدق بتوحيد الله- عز وجل- فلا كفران لسعيه يعني لعمله يقول يشكر الله- عز وجل- عمله وإنا له [١٧ ب] كاتبون- ٩٤- يكتب له سعيه الحفظة من الملائكة وحرام على قرية فيما خلا أهلكناها بالعذاب في الدنيا أنهم لا يرجعون- ٩٥- يخوف كفار مكة بمثل عذاب الأمم الخالية فى الدنيا حتى إذا فتحت يعني أرسلت يأجوج ومأجوج وهما أخوان لأب وأم وهما من نسل يافث بن نوح وهم من كل حدب ينسلون- ٩٦- يقول من كل مكان يخرجون من كل جبل وأرض وبلد، وخروجهم عند اقتراب الساعة، فذلك قوله- عز وجل-: واقترب الوعد الحق يعني وعد البعث أنه حق كائن فإذا هي شاخصة يعنى فاتحة أبصار الذين كفروا بالبعث لا يطرفون مما يرون **من العجائب**، يعني التي كانوا يكفرون بها في الدنيا قالوا: يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا اليوم، ثم ذكر قول الرسل لهم في الدنيا أن البعث كائن،

(١) فى أ: فيها، وفى حاشية أ: فيما، وفى ز: فيما.

(٢) فى أ، ز، ل «كل» .." [٢]

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ٢/٥٩٩

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ٣/٩٢

"يوسف «١» قال فرعون لموسى: وما رب العالمين- ٢٣- منكرا له قال موسى: هو رب السماوات والأرض وما بينهما **من العجائب** إن كنتم موقنين- ٢٤- بتوحيد الله- عز وجل- قال فرعون لمن حوله يعني الأشراف وكان حوله خمسون «٢» ومائة من أشرافهم أصحاب الأثرة «٣» .

ألا تستمعون- ٢٥- إلى قول هذا يعني موسى قال موسى: هو ربكم ورب آبائكم الأولين- ٢٦- قال فرعون لهم: إن رسولكم يعني موسى الذي أرسل إليكم لمجنون- ٢٧- قال موسى هو: رب المشرق والمغرب يعني مشرق ومغرب يوم «٤» ، يستوي الليل والنهار في السنة يومين ويسمى البرج الميزان، ثم قال: وما بينهما يعني «ما» «٥» بين المشرق والمغرب من جبل أو بناء أو شجر أو شيء إن كنتم تعقلون- ٢٨- توحيد الله- عز وجل- قال فرعون: لئن اتخذت إلها يعنى ربا غيري لأجعلنك من المسجونين- ٢٩- يعني من المحبوسين قال موسى: أولو جئتك بشيء مبين- ٣٠- يعنى بأمر بين يعنى اليد والعصا بستبين لك أمري فتصدقني قال فرعون: فأت به إن كنت من الصادقين- ٣١-

---

(١) فى أ: لحمل أتاها يعقوب. ثم علق كاتبها محمد السنبلاويني بأنه يرى أن الصواب من حين أتاها يعقوب.

وأما وفى م: لحمل أتاها يعقوب، كما هي بدون تعليق. وهذا يدل على أن، م ناقلتان من نسخة واحدة. وأما ف ففيها: حين أتاها يعقوب.

(٢) فى أ: خمسين وكذلك فى م وهو دليل نقلهما من نسخة واحدة.

(٣) فى ف، أ: الأسرة، ولعل الكاتب كان يملى عليه فكتب الأثرة: الأسرة.

(٤) هكذا فى ف، ا، م. ولعل المراد يوم معين يستوي فيه الليل والنهار.

(٥) ما: زيادة ليست فى ف، ا، م.." (١)

"فاستهزأ منه، فأنزل الله- جل وعز- «لا أقسم بيوم القيامة..

أيحسب الإنسان» ألن نجمع عظامه- ٣- يقول أن لن نبعثه من بعد الموت، فأقسم الله- تعالى- أن يبعثه كما كان، ثم قال: بلى قادرين يعني كنا قادرين على أن نسوي بنانه- ٤- يعني أصابعه، يعني على أن نلحق الأصابع بالراحة ونسويه حتى نجعله مثل خف البعير فلا ينتفع بها كما لا ينتفع البعير بها ما كان حيا، نزلت هذه الآية في عدي بن ربيعة والأخنس بن شريق، ثم قال: بل يريد الإنسان يعني عدي بن ربيعة ليفجر أمامه- ٥- يعني تقديم المعصية وتأخير التوبة يوما بيوم يقول سأتوب، حتى يموت على شر عمله، وقد أهلك أمامه يسئل أيان يوم القيامة- ٦- يعني يسأل عدي متى يوم القيامة؟ تكذيبا بها فأخبر الله- تعالى- عن ذلك اليوم فقال: فإذا برق البصر- ٧- يقول إذا شخص البصر فلا يطرف مما يرى **من العجائب** «التي يراها «١» » مما كان يكفر بها في الدنيا «أنه «٢» » غير كائن مثلها فى سورة «ق والقرآن المجيد «٣» » [٢١٨ أ] وخسف القمر- ٨- فذهب ضوءه وجمع بين الشمس والقمر- ٩- «كالبقرتين المقرونتين» «٤» يوم القيامة

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ٢٦١/٣

قياما بين يدي «الخلائق «٥» » ، ثم ذكر «فقال «٦» » يقول هذا الإنسان المكذب

---

(١) في أ، ف: «الذي يرى» .

(٢) كذا في أ، ف، والمراد: أن البعث.

(٣) سورة ق ٢٢ وتمامها: «لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» .

(٤) في أ: «كالبقرتين المقرونتين» ، وفي ف: «كالبعيرين المقرونين» .

(٥) في أ: «الخالق» ، وفي ف: «الخلائق» .

(٦) كذا في أ، ف: «ولعل فيها مفعولا محذوفا تقديره ثم ذكر المكذب فقال، أو يكون أصلها ثم ذكر فقال» .." (١)

"تتبعها الرادفة- ٧- وهي النفخة الثانية أردفت النفخة الأولى بينهما أربعون سنة، أسمعت الخلائق وهي عند صخرة بيت المقدس، وذلك أنه ينزل إسرافيل، وترتفع أروح الكفار من تحت الأرض السفلى إلى واد يقال له برهوت وهو بحضرموت وهو كأشر واد في الأرض، وتنزل أرواح المؤمنين من فوق سبع سموات إلى واد يقال له الجابية وهو بالشام، وهو خير واد في الأرض فيأخذ هؤلاء وهؤلاء جميعها إسرافيل فيجعلهم في القرن وهو الصور فينفخ فيه، فيقول أيتها العظام البالية، وأيتها العروق المنقطعة، وأيتها اللحوم المتمزقة، اخرجوا من قبوركم لتجازوا بأعمالكم. ثم قال: قلوب يومئذ واجفة- ٨- يعني خائفة أبصارها خاشعة- ٩- يعني ذليلة مما رأت عند معاينة النار، فخضعت، كقوله: « ... خاشعين من الذل ... «١» » مما ترى من العجائب ومما ترى من أمر الآخرة.

ثم أخبر الله- عز وجل- عن كفار مكة فقال: يقولون أإنا لمردودون في الحافرة- ١٠- تعجبا منها، فيها تقديم. يقولون أإنا لراجعون على أقدامنا «إلى الحياة «٢» » بعد الموت، وهذا قول كفار مكة أإذا كنا عظاما نخرة- ١١- يعني بالية، أي: أنا لا نبعث خلقا كما كنا، قالوا تلك إذا كرة خاسرة- ١٢- قالوا إن بعثنا بعد الموت إنا إذا لخاسرون يعني هالكون، ثم قال الله- تبارك وتعالى- لمحمد- صلى الله عليه وسلم-:

فإنما هي زجرة واحدة- ١٣- يقول [٢٢٧ ب] فإنما هي صيحة

---

(١) سورة الشورى: ٤٥.

(٢) في أ: «إلى هذه الدنيا» ، وفي ف: «إلى الحياة» .." (٢)

"أحد منهم من «فرق «١» » الله وعظمته ولما يرون من العجائب من الملائكة ومن حملة العرش، ومن أهل السموات ومن جهنم ومن خزنتها، فانقطعت أصواتهم عند ذلك، «وترتعد «٢» » مفاصلهم فإذا علم الله ما أصاب أولياءه من الخوف، وبلغت القلوب الحناجر، فيقوم مناد عن يمين العرش، فينادي: «يا عباد، لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ٤/٥١٠

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ٤/٥٧٥

«٣» » فيرفع عند ذلك الإنس والجن كلهم رءوسهم والمؤمنون والكفار لأنهم عباده كلهم، ثم ينادي في الثانية: «الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين «٤» » فيرفع المؤمنون رءوسهم، وينكس أهل الأديان كلهم رءوسهم، والناس سكوت مقدار أربعين عاما فذلك قوله: «هذا يوم لا ينطقون، ولا يؤذن لهم فيعتذرون «٥» » .

وقوله: « ... لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا «٦» » وقال لا إله إلا الله: فذلك الصواب، وقوله: « ... وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا «٧» » فلا يجيبهم الله ولا يكلمهم ولا يتكلمون هم مقدار أربعين سنة، يقول بعد ذلك لملك من الملائكة وهو جبريل- عليه السلام- ناد الرسل وابدأ «بالأمي «٨» » قال فيقوم الملك فينادي عند ذلك، أين «النبي الأمي» ؟ «٩» فنقول

---

(١) فرق: خوف، والمعنى من خوف الله.

(٢) فى ف: «وترعد» .

(٣) سورة الزخرف: ٦٨.

(٤) سورة الزخرف: ٦٩.

(٥) سورة المرسلات: ٣٥- ٤٦.

(٦) سورة النبأ: ٣٨.

(٧) سورة طه: ١٠٨.

(٨) فى ف: «بالعربي» ، وفى ح: «بالأمى» .

(٩) فى ف: «النبيون» ، وفى ح: «النبي الأمي» . [.....]."(١)

"من اللغة بعث إلى الشافعى فسأله عنه. وقال أبو عبيد: كان الشافعى ممن تؤخذ عنه اللغة. وقال أيوب بن سويد: خذوا عن الشافعى اللغة. وقال أبو عثمان المازنى: الشافعى عندنا حجة فى النحو.

وقال الأصمعى: صححت أشعار الهذليين على شاب من قريش بمكة يقال له: محمد ابن إدريس. وقال محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: سمعت الشافعى يقول: أروى لثلاثمائة شاعر مجنون. وقال الزبير بن بكار: أخذت شعر هذيل ووقائعها وأيامها من عمى مصعب، وقال: أخذتها من الشافعى حفظا. وأقاويل العلماء فى هذا كثير.

وهو الذى قلد المنن الجسيمة أهل الآثار، وحملة الحديث، ونقلة الأخبار بتوقيفه إياهم على معانى السنن وتبيينه وقذفه بالحق على باطل مخالفى السنن وتمويههم، فنعشهم بعد أن كانوا خاملين، وظهرت كلمته على جميع المخالفين، ودمغهم بواضحات البراهين، حتى ظلت أعناقهم لها خاضعين.

قال محمد بن الحسن، رحمه الله: إن تكلم أصحاب الحديث يوما فبلسان الشافعى، يعنى لما وضع من كتبه. وقال الحسن بن محمد الزعفرانى: كان أصحاب الحديث رقودا فأيقظهم الشافعى فتيقظوا. وقال أحمد بن حنبل: ما أحد مس بيده محبرة

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ٦٣٥/٤

ولا قلما إلا وللشافعى فى رقبته منة. فهذا قول إمام أصحاب الحديث وأهله، ومن لا يختلف الناس فى ورعه وفضله.
ومن ذلك أن الشافعى، رحمه الله، مكنه الله تعالى من أنواع العلوم، حتى عجز لديه المناظرون من الطوائف وأصحاب الفنون، واعترف بتبريزه، وأذعن الموافقون والمخالفون فى المحافل الكثيرة المشهورة المشتملة على أئمة عصره فى البلدان، وهذه المناظرات موجودة فى كتبه وكتب العلماء معروفة عند المتقدمين والمتأخرين. وفى كتاب الأم للشافعى، رحمه الله، من هذه المناظرات جمل **من العجائب** والنفائس الجليلات، والقواعد المستفادات، وكم من مناظرة واقعة فيه يقطع كل من وقف عليها وأنصف وصدق أنه لم يسبق إليها، ومن ذلك أنه تصدر فى عصر الأئمة المبرزين للإفتاء والتدريس والتصنيف، وقد أمره بذلك شيخه أبو خالد مسلم بن خالد الزنجى إمام أهل مكة ومفتيها، وقال له: افت يا أبا." (١)

"وقد مضت سنة الله في إمهالهم، وهكذا تجدنا نفعل باللاحقين كما فعلنا بالسابقين.
ثم بين الله تعالى عظيم عنداهم ومكابرتهم للحق فقال:
﴿ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾ .
ولو فتحنا على هؤلاء المعاندين بابا من السماء يصعدون فيه بأجسامهم ويرون من فيها من الملائكة، وما فيها **من العجائب**– لقالوا لفرط عنادهم، انما سدت أبصارنا، فما نراه تخيل لا حقيقة له، وقد سحرنا محمد با يظهر على يده من الآيات، وظلوا في عنادهم ومكابرتهم سادرين.
قراءات:
قرأ ابن كثير: «سكرت» بالتخفيف، والباقون بالتشديد كما هو في المصحف.
﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين﴾ .
بعد بيان مكابرة المعاندين، وانهم لا يؤمنون حتى بالأشياء المحسوسة، عرض هنا الآيات الكونية، وما فيها من إبداع لمن يفكر ويبصر.
لقد أبدعنا هذا الكون، وجعلنا في السماء أشكالا عديدة من النجوم، منها تلك البروج الظاهرة للعيان، البديعة، الدالة على جمال هذا الكون، وحسن نظامه وزيناها بالكواكب للناظرين المعتبرين والمفكرين.
فهلا نظر أولئك المعاندون إلى هذه السماء وما فيها من بروج ظاهرة، ونجوم ساطعة وأقمار نيرة، ومجرات عظيمة، فإن فيها عبرة لمن اعتبر!
﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾ .
ولقد حفظنا السماء ومنعنا كل شيطان رجيم من القرب منها، فلا ينالها ولا يدنسها، ولكن من أراد من هؤلاء الشياطين ان يسترق الاستماع من عالم الغيب، فنحن نلحقه بشهاب مشتعل محرق، فهم أعجز من ان يصلوا إليها.." (٢)

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات النووي ٥٠/١

(٢) تيسير التفسير للقطان إبراهيم القطان ٢٩٧/٢

"الكهف: النقب المتسع في الجبل. الرقيم: اللوح الذي كتبت فيه اسماء اصحاب الكهف. فضربنا على آذانهم: أنمناهم عددا من السنين، والنائم عادة لا يسمع. ثم بعثناهم: ايقظناهم. احصى: اضبط لاوقات لبثهم.

لقد انكر الذين استهوتهم الدنيا البعث، مع ان الوقائع تثبت الحياة بعد الرقود الطويل، وهذه قصة أهل الكهف واللوح الذي رقمت أسماؤهم فيه بعد موتهم لم تكن وحدها **من العجائب** وان كانت قصة خارقة للعادة.

اما قصتهم فهي ان جماعة من الشباب آمنوا بربهم، وهربوا بدينهم من الاضطهاد، فلجأوا الى كهف، ودعوا ربهم ان ينقذهم قائلين: ربنا آتنا من عندك رحمة وهيىء لنا من أرمنا رشدا.

فاستجبنا دعاءهم، فأنمناهم آمنين في ذلك الكهف سنين عديدة لا ينتبهون. ثم أيقظناهم لنعلم من من الحزبين اللذين اختلفا في مدة مكثهم بالكهف أضبط احصاء لطول المدة التي مكثوها.

روي عن ابن عباس: ان الرقيم اسم قرية قرب أيلة «العقبة» ، ويقول ياقوت في معجم البلدان: «وبقرب البلقاء من اطراف الشام موضع يقال له الرقيم. .» ويقول: «ان بالبلقاء بأرض العرب من نواحي دمشق موضعا يزعمون انه الكهف والرقيم قرب عمان، وذكروا ان عمان هي مدينة دقيانوس» الملك الذي كان في ذلك الزمان.

وهناك اقوال كثيرة متضاربة علها عند الله. وقد اورد الطبري وغيره من المفسرين قصتهم، وليس لها سند صحيح، وقد اعتنى احد موظفي الآثار من اهل عمان بهذا الكهف وهو اليوم في ضواحي عمان، وعمل له بابا، وألف رسالة مؤكدا فيها انه هو الكهف المقصود في القرآن، وبنى بجانبه مسجدا، والآن يزور الكهف كثير من السياح.." (١)

"المتوكل أنه قال: إن أحمد ليمنعنا من بر ولده، أي لشدة ورعه عن أخذ ولده من أموال الملوك شيئا.

(قلت) : ومن زيادة ورعه ما نقله الوالد نور الله تعالى ضريحه في كتابه ((الطراز المذهب)) أنه كان يشرب من الآبار، لم يشرب من ماء دجله لاغتصابها الأراضي، ووقوع الماء من دلاء المستقين فيها بعد ملكهم له. **ومن العجائب** أنها اغتصبت أيضا قبره – رضي الله عنه – وكافة القبور المجاورة له. وما حكاه ابن الجوزي والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: أنه كان يزرع داره ويخرج الزكاة عنها في كل سنة، يذهب في ذلك إلى قول عمر أمير المؤمنين في أرض السواد، فقد روى الشعبي أنه – رضي الله عنه – بعث عثمان بن حنيف فمسح السواد – أي سواد العراق – فوجده ستة وثلاثين ألف ألف جريب، فوضع على كل جريب درهما وقفيزا. ويقال: إن حدوده من لدن تخوم الموصل مارا مع الماء إلى ساحل البحر ببلاد عبادان من شرقي دجلة طولا، وأما عرضه فمنقطع الجبل من حلوان إلى منتهى طرف القادسية المتصل بالعذيب من أرض العرب. قال الخطيب بعد كلام كثير، ما منه: أنه ذكر غير واحد من العلماء ان بغداد دار غصب، وان أنقاض أبنيتها تباع دون الأرض، لأن الأنقاض ملك لأصحابها، واما الأرض فلا حق لهم فيها إذ كانت غصبا.

وأجازت طائفة بيعها، وأحتجت بأن عمر – رضي الله عنه – أقر السواد في أيدى أهله، وجعل أخذ الخراج منهم عوضا عن ذلك. ثم قال: وتحصل أن أرض بغداد ملك لأربابها، يصح أن تورث وتستغل وتباع، وعلى ذلك من أدركنا من العلماء

---

(١) تيسير التفسير للقطان إبراهيم القطان ٢/٣٦٦

والقضاة والشهود والفقهاء، وبهم يقتدى - أنتهى.

وقال الإمام أحمد: ما كتبت حديثا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا وقد عملت به.." (١)

"خلاف ما يقتضيه دليل العقل والنقل، ومعنى آخر يليق به تعالى لا يعلمه إلا هو عز وجل.

وقد يقال: الأولى في الجواب إبقاء كلام ابن السبكى على ظاهرة وعدم الالتفات إلى كلام شيخ الإسلام، وقوله: أنه لم يقل به أحد، فالمثبت لا سيما إذا كان كابن السبكى الإمام ابن الإمام - مقدم على النافي ولو كان كشيخ الإسلام، فتأمل جميع ما تلوناه عليك وهو يغنيك عن مراجعة كثير من الكتب إن أخذت العناية بيديك.

وبقيت في هذا المقام أبحاث كثيرة يضيق عنها نطاق الكلام. وفي كتب الحنابلة من ذلك ما يجلو غياهب الأوهام، ويروى الغلل ويبرئ العلل والأسقام فمتى أشكل عليك أمر فارجع إليها ينشرح بإذن الله تعالى منك الصدر. أنتهى كلام الوالد، لا زال بنعيم متزايد. وقد مر عليك غير مرة أن كثيرا من المؤولة يسمى غالب السلفيين بالحشوية ولا سيما المعتزلة. وذكر الوالد في سبب التسمية ما تقدم.

والشيخ ابن القيم نسبها في النونية إلى غير من تعلم كعمرو بم عبيد والله تعالى أعلم - بما نصه: [كامل]

ومن العجائب قولهم لمن اقتدى ... بالوحي من أثر ومن قرآن

ويظن يعنون حشوا في الوجو ... د وفضله من أمه الإنسان

ويظن جاهلهم بأنهم حشوا ... رب العباد بداخل الأكوان

إذ قولهم فوق العباد وفي السما ... ء الرب ذو الملكوت والسلطان

ظن الحمير بأن في للظرف والر ... حمن محوى بظرف مكان

والله لم يسمع بذا من فرقة ... قالته في زمن من الأزمان

لا تبهتوا أهل الحديث به فما ... ذا قولهم تبا لذى البهتان

بل قولهم إن السماوات العلا ... في كف خالق هذه الأكوان." (٢)

"[صاحب الكبيرة]

تتمة

أهل الجنة: هم المؤمنون بالله تعالى ورسله. وأهل النار هم الكفرة بالله تعالى ورسله. وعصاة المؤمنين: المرتكبون الكبائر غير مخلدين في النار عند أهل السنة والجماعة، خلافا للمعتزلة كما هو مفصل في الكتب الكلامية.

ومن العجائب ما في الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلى ونصه: ثم اعلم أن أهل النار أناسا هم عند الله تعالى افضل من كثير من اهل الجنة، وأدخلهم دار الشقاء ليتجلى عليهم فيها فيكونون محل نظرة من الأشقياء. وهذا سر غريب وأمر عجيب، يفعل ما يشاء ويختار. أهـ.

---

(١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ابن الآلوسي ٢١٦/١

(٢) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ابن الآلوسي ٤٣٥/١

وكتب عليه الوالد عليه الرحمة ما نصه: وأنت تعلم أن الله تعالى قال: ﴿إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ أفترى من أخزاه الله تعالى يفضل من أجله دار رحمته ورضاه. سبحانك! هذا بهتان عظيم.
فإن كان لصاحب الإنسان الكامل جواب عن ذلك يزعمه فنسأل الله تعالى أن يجعله من أولئك الإناس يوم الجزاء، ليكون محل نظرة عز وجل من الأشقياء. أهـ.
ثم أعلم أنه قد تبين لك مما نقلناه من الأقوال: أن القول الصحيح، الحرى بالترجيح، هو بقاء الجنة والنار وساكنيهما من الأخيار والفجار، وإن الشيخ ابن تيمية لم يتبين عنه نقل صحيح فيما نسب إليه، ولئن سلم أنه مال لذلك فقد ذهب إليه بعض السلف، وأفراد من الخلف، كما تقدم آنفا، فليس في ميله ما يوجب تكفيرا عند من أنصف.
على أنا لا نعلم إن صح النقل عدم رجوعه عنه، وهو لا يعد عند المنصفين إلا من العلماء المجتهدين، وأى مجتهد قرنت بالصواب جميع أقواله، وصوبت كافة أحواله، وكم رجع مجتهد عن اجتهاده الأول، ونص على خلافه وعول.." (١)
"وبلاغتها التي أعربت بها عن القرائح السليمة والركن البديع إلى دواية اللسان، وغراية اللسن حيث أوجزت اللفظ، وأشبعت المعنى وقصرت العبارة، وأطالت المغزى، ولوحت فاعرقت في التصريح، وكنت فاغنت عن الإفصاح، ثم إن الظاهر في توجيه عدم التغيير ما ذكروه هنا وإن اسنظهروا خلافه إلا أن المراد بالغرابة ليس ما مر بل المراد أنها لما فيها من البلاغة، ورونق الفصاحة، والندرة التي ترقت بها إلى الغاية في بابها حتى عدت عجيبة جدا قيل لها غرابة لإطلاق الغرابة على مثله، ا ولكونها من كلام الغير كالتضمين عدت غريبة أجنبية.
وأما ما في المفتاح من أن الاستعارة التمثيلية قد تغير ألفاظها المؤدية لمعناها الحقيقي لأنهم صرحوا بجواز التجوز في مفرداتها كما مر فيه أن المثل لا يلزم أن يكون استعارة كما تلوناه عليك آنفا، وأما القول بأن الاستعارة مشتملة على الغرابة ففي غاية الغرابة، وكذا كون العلم لا يغير فالمعنى أنها لكونها فريدة في بابها، وقد قصد حكايتها لم يجوزوا تغييرها لفوات المقصود، وقد صرح بهذا في المستقصي، هذأ وإن طال تطولنا بما فيه من الفوائد البديعة فانظره بعين الإنصاف. قوله: (ثم استعير لكل إلخ لما قرروا للمثل معنى لغويا، وهو النظير، ثم معنى ثاني نقل منه إليه وهو القول السائر، وليس واحد منهما مناسبا هنا قالوا إنه استعير من الثاني لمعنى ثالث هو المراد وهو الصفة العجيبة، وقوله لها شأن وفيها غرابة إشارة إلى العلاقة بينهما، وهي الاشتراك في الغرابة وعظم الشأن كما اتفق عليه الشراح وأرباب الحواشي، فما قيل من أن المثل إذا قصد به القصة لم يرد تشبيهها بذلك القول مما يتعجب منه، وفي مجمع الأمثال، ولشدة امتزاج معنى الصفة به صح أن يقال جعلت زيدا مثلا والقوم أمثالا، ومنه قوله تعالى ﴿ساء مثلا القوم﴾ [الأعراف: ١٧٧] في أحد القولين، ثم إن الحال والقصة والصفة أمور متقاربة، وقد جمع المصنف والزمخشري بينها متعاطفة بأو الفاصلة، ولم ينبهوا على وجهه (والذي يظهر لي) أن الشأن العجيب لما كان يعلم تارة بالمشاهدة كحال المنافقين،
وما هم عليه مما هو كنار على علم ومنه ما يعلم بإخبار الصادق المسوقة إليه كقصة الجنة التي قصها الله تعالى كما قيل:
وعشقتكم قبل العيان لكم كما تهوى الجنان بطيب الأخبار

(١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ابن الآلوسي ٤٨٨/١

ومنه ما يعلم بالبرهان ويدرك بالبصائر كصفات الباري جمع بينها كذلك وإليه إشارة ما في الكشاف حيث قال: أستعير المثل استعاوة الأسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قال حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ [الرعد: ٣٥] أي وفيما قصصنا عليك **من العجائب** قصة الجنة العجيبة، ثم أخذ في بيان عجائبها ولله المثل الأعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلال، اهـ. فالحال عبارة عن أمور متعددة بقوم شتى وتدرك منهم وهي في المعاني كالقصة في الألفاظ، ولذا يعبر بها عن الاستعارة التمثيلية في اكثر، وفي الكشف جملة مثلهم إلخ الأشبه أن تجعل موضحة لقوله ﴿أولئك الذين اشتروا﴾ وفي كلامه ما يدل عليه، ويحتمل أن تجعل مقررة لجملة قصة المنافقين المسرودة إلى هنا ولا يبعد تنزيل قوله عليه أيضا بحمل حقيقة الصفة على أحوالهم المفهومة من مجموع الآيات، والحمل على الإستئناف ضعيف جدا لا سيما والأمثال تضرب للكشف، والبيان فإن قلت قوله أولا بضرب المثلى يقتضي أن ما هنا من قبيل ضرب المثل والمعنى الثاني، وتفسيره بالحال يقتضي أنه ليس بمراد بل لا تصح إوادته، قلت هنا أمران لفظ مثل، والتمثيل المدلول عليه بالكاف أداة التشبيه، والمفسر بالحال الأول والمشار إليه أولا الثاني، والمراد به أن يؤتى للحال بنظير من غير نوعه ليرفعه على منصة العيان ويرميه على قارعة التقريع فالمراد بالضرب صياغة ذلك النظير واعتماله من ضرب السكة التي هي بيانه لا الضرب الذي هو مصدر لضرب المقابل للمورد، وهذا من إرسال ااصمثل والمراد بالتمثيل الإتيان بمثال فتدبر. قوله: (والمعنى حالهم العجيبة الشأن إلخ) ذكر للمثل ثلاثة معان، وفسر ما في النظم بالثالث، وحقيقة حالهم هيئة منتزعة من عدة أمور هي استضاءة معنوية بإظهار الإيمان واذهاب الله ذلك النور عند الإستضاءة بتفضيحهم وبقائهم متحيرين في ظلمات معنوية، كما قيل: وفي شرح الفاضل المحقق وجه الشبه هو أن المستوقد والمنافقين جميعا وقعوا عقب مباشرة أسباب المطلوب، وملاحظة خيال." (١)

"الطريق، وان كان من أهل الملة وحكي عن بعض المتأخرين، ومن لا يعتد به أن ذلك مخصوص بالمرتدين وهو قول ساقط مردود مخالف للأمة، واجماع السلف، والخلف ويدل على أن المراد به قطاع الطريق من أهل الملة قوله تعالى: ﴿إلا الذين تابوا﴾ الخ ومعلوم أن المرتدين لا يختلف حكمهم في زوال العقوبة عنهم بالتوبة بعد القدرة كما يسقطها عنهم قبل القدرة، وقد فرق الله بين توبتهم قبل القدرة، وبعدها، وأيضا فإن الإسلام لا يسقط الحد عمن وجب عليه، وأيضا ليست عقوبة المرتدين كذلك، والآية وان نزلت في الكفار من العرينين أو غيرهم فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومراد المصنف رحمه الله تعالى رد هذا القول الذي ذهب إليه بعض

المفسرين لكن في عبارته إجمال، ومسامحة فلا يرد عليه ما أورده هذا المعترض. قوله: (أي ما تتوسلون به إلى ثوابه الخ) يشير إلى أن إلى متعلقة بالوسيلة، وهي صفة لا مصدر حتى يمنع تقدم معموله عليه وقيل إنه متعلق بالفعل، وقوله: (وفي الحديث الخ) إن أراد به أنه هنا بهذا المعنى فغير ظاهر لتعلق الجارية ولأنه ورد في الحديث كما رواه مسلم وغيره: " منزلة في الجنة جعلها الله لعبد من عباده وأرجو أن كون أنا فأسألوا لي الوسيلة " فهو يقتضي أنها غير المذكورة هنا لاختصاصها بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والجواب أنه بيان لبعض أفرادها بطريق التنظير لا التمثيل والأعداء الظاهرة ظاهرة، وأما الباطنة

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٣٦٤/١

فالقوى الشهوية ونحوها. قوله: (واللام متعلقة بمحذوف الخ) أي لام ليفتدوا لا لهم لأنه خبر أن، وفي أن بعدلو مذهبان أحدهما ما اختاره المصنف رحمه الله تعالى أنها فاعل فعل مقدر، وضمير به لما في الأرض! ، ومثله وحد لما ذكره، واجراء الضمير مجرى اسم الإشارة مر تحقيقه في سورة البقرة. قوله: (أو لأن الواو في مثله بمعنى مع) فيتوحد حينئذ مرجع الضمير وهو ما في الأرض! المصاحب لمثله كما تقول جاء زيد، وهندا ضاحكا ومعه يكون تأكيدا وهو حال كذا في الكشاف وجعل الناصب له ثبت المقدر بعد لو وهكذا حكم الضمير بعد المفعول معه إلا فراد وأجاز الأخفش أن يعطي حكم المتعاطفين فيثني ضميره، وقال بعض النحاة الصحيح جوازه على قلة ورد بأنه لا فائدة في قوله معه حينئذ إن كان الضمير لما، وان كان لمثل بأن يكون له مثلان فيفيد، وأما كون العامل فيه ثبت فليس بصحيح لأن العامل في المفعول معه وهو العامل في المصاحب له كما صرحوا به، وهو ما أو ضميرها وشيء منهما ليس عاملا فيه ثبت المقدر، وأما صحته على تقدير جعله لهم أو متعلقه على ما قيل وكلام المصنف رحمه الله تعالى محتمل له، ولذا أسقط ذكر العامل المذكور في الكشاف فممنوع أيضا كما نقل عن سيبويه رحمه الله أنه قال، وأما هذا لك، وأباك فقبيح لأنه لم يذكر فعل، ولا حرف فيه معنى فعل حتى يصير كأنه قد تكلم بالفعل فصرح بأن اسم الإشارة، وحرف الجر والظرف لا يعمل في المفعول معه **ومن العجائب** ما قيل

إن المصنف رحمه الله تعالى أعرض عن كونه مفعولاً معه، وقال إن الواو بمعنى مع يريد أنه من قبيل كل رجل وضيعته ردا على ما قاله الزمخشري، وهو فاسد من وجوه لأن مثله يلزم فيه المطابقة، ولا يذكر الخبر ولم يقل، ولو افتدوا مع أنه أخصر لأن هذا أبلغ إذ معناه لو أنهم حصلوا ما في الأرض، وملكوه بقصد الفدية لم يقبل منهم ذلك فتأمل. قوله: (تمثيل للزوم العذاب الخ) قال القطب أي كناية عن لزوم العذاب فإن لزوم العذاب من لوازمه أن ما في الأرض! جميعا، ومثله معه لو افتدوا به منه لم يتقبل منهم فلما كانت هذه الجملة بل هذه الملازمة لازمة للزوم العذاب عبر عنها بها فيكون كناية ولعل التمثيل يطلق على الكناية إذا كانت بالتمثيل، وقال النحرير لا يريد به الاستعارة التمثيلية بل إيراد مثال وحكم يفهم منه لزوم العذاب لهم أي لم يقصد بهذا الكلام إثبات هذه الشرطية بل انتقال الذهن منه إلى هذا المعنى، وبهذا الاعتبار يقال له كناية، ويمكن تنزيله على التمثيل الاصطلاحي بأن يقال حالهم في حال التقصي عن العذاب بمنزلة حال من يكون له أمثال ما في الأرض! ، ويحاول بها التخلص من العذاب فلا يتقبل منه، ولا يتخلص فقد علصت أن التمثيل هنا محتمل ثلاثة معان. قوله: (وقرئ يخرجوا (يعني مجهولا ووجه المبالغة إفادة الاسمية الثبوت مع زيادة الباء للتأكيد، وقد مر له." (١)

"متعلق، وهو من يخفى منه ولا يجوز أن يكون من الخلق لأنه أخفاها عنهم لقوله: إن الله عنده علم الساعة فيتعين ما ذكر، والمراد المبالغة في الإخفاء كما قالوا: كتمت سري عن نفسي، هاثباته في المصاحف قرينة خارجية عليه إذ لا يلزم وجودها في الكلام، وقيل: إنه محال فلا يناسب دخول كاد عليه وقد مر ما يدفعه لكن عدم صحة تقدير من الخلق ممنوع لجواز إرادة إخفاء تفصيلها وتعيينها منهم مع أنه يجوز أن لا يقدر له متعلق والمعنى أوجد إخفاءها ولا أقول إنها آتية كما في بعض شروح الكشاف: ثم إنه قيل: إنه لا مخالفة بين تفسيره بأكاد أظهرها وما قبله لأن المراد من هذا بيان قرب قيامها،

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٢٣٩/٣

كقوله: اقتربت الساعة ونحوه، كظهور إشراطها والمراد من كيدودة إخفائها وسترها إرادة إخفاء وقتها أو القرب من أن لا يخبر بأنها آتية وفيه أنه لا يناسب تعلق لتجزي به كما ذكره المصنف رحمه الله. قوله: (متعلق بآتية (وما بينهما اعتراض لا صفة حتى يلزم إعمال اسم الفاعل الموصوف، وقوله: على المعنى الأخير لأنه يصير المعنى أظهرها لأجل الجزاء، وهو صحيح بخلاف أخفيها وأسترها لأجل الجزاء فإنه لا وجه له، وما قيل إنه غير بعيد لأن تعمية وقتها لتنتظر ساعة فساعة فيحترز عن المعصية ويجتهد في الطاعة لا يخفى ما فيه من التكلف الظاهر مع أنه لا صحة له إلا بتقدير لينتظر الجزاء أو لتخاف وتخشى. قوله: (عن تصديق الساعة (أي التصديق بالساعة إذ ليس المراد الصد عنها نفسها، وقوله: أو عن الصلاة فالضمير لها وفيما قبله للساعة وقوله: نهى الكافر الخ إشارة إلى ما في الكشاف من أن المراد نهى موسى عليه الصلاة والسلام عن التكذيب باللبعث أو أمره بالتصديق والعبارة لا تؤديه لأنها لنهي من لا يؤمن عن صده فلذا أوله بوجهين، أحدهما أنه ذكر السبب وهو الصذ وأريد مسببه

ولازمه وهو الانصداد أو عدم التصديق مجازا أو كناية كما في لا أرينك ههنا فإنه نهى عن رؤيته، والمراد النهي عن لازمه وسببه وهو مجيئه وكونه هنا لكنه عكس الأول في السببية والمسببية، وإلى هذا أشار بقوله: والمراد الخ والثاني أنه ذكر المسبب وهو الصذ وأريد النهي عن سببه وهو لينه لهم وملايمته حتى يتجزؤوا على صده فكأنه قيل: كن شديدا عليهم، هاليه أشار بقوله: وأنه ينبغي الخ ولو أخر المثال كما في الكشاف لكان أولى ومن ظنهما وجها واحدا قال: لا يقال على هذا تكون الآية من ذكر المسبب وإرادة السبب فلا يناسب جعله مما يتفرع على ذكر الصذ د ارادة الانصداد لأنا لا نسلمه لظهور أن التنبيه على شيء غير إرادته ولا يستلزمه كما في مستتبعات التراكيب ولا يخفى أنه مخالف لما في الكشاف وشروحه مع بعده ثم إن هذا مبنيئ على إرجاع الضمير إلى الساعة لا إلى الصلاة كما توهم، وقوله: فتردى مرفوع أي فأنت تردى أو منصوب في جواب النهي، والمخدجة بمعنى الناقصة، ووجه التنبيه أنه جعل ذلك بالصذ لا بالفطرة والسليقة ولذا لم يجعل النهي له بحسب الظاهر. قوله: (استفهام (أي تقريري عن الجنس أو الصفة على ما فصل في شروح الكشاف، وقوله: يتضمن استيقاظا يعني المقصود من السؤال تعديد منافعها ليريه ما فيها **من العجائب** التي هي أعظم مما عنده فما طالبة للوصف وما تلك بمعنى ما منافع تلك، وقوله: حال من معنى الإشارة فيه تسمح والمقصود أنه حال من اسم الإشارة الواقع خبرا أو مبتدأ على القولين، والعامل في الحال ما فيه من معنى الفعل لأنه فيه معنى أشير وتسمية االخحاة عاملا معنويا كما في قوله: وهذا بعلى شيخا. قوله: (وقيل صله تلك (وهذا على مذهب الكوفيين الذين يقولون: إن كل اسم إشارة يجوز أن يكون اسما موصولا والبصريون لا يقولون به إلا في ذا في ماذا، وما قيل:! ت أن المراد بالصلة أنا " متعلق باسم الإشارة لتضمنه معنى الفعل على أنه لغو لا وجه له. قوله: (على لغة هذيل (وهي قلب الألف التي قبل ياء المتكلم ياء للمجانسة كما يكسر ما قبلها في الصحيح، والقطيع العما

المجتمعة وقوله: وأخبط الورق يعني أن أهش بفتح الهمزة وضم الهاء بمعنى أخبط ومفعوله محذوف وهو الورق أي اليابس،

والمعنى أضربه ليسقط على رؤوس الغنم ويقع عندها فتأكله، وقوله: وقرئ أهش أي بفتح فكسر أو بضم فكسر كما نقل عن النخعيئ وكونه من هش الخبز يلائم الضم، والهشاشة الرخاوة، وزجر الغنم منعها وأنجى عليه بالعصا." (١)

"والصغير لسكونه ضعفت صفته، فلذا جاز زوالها وبقاءها هذا محصل ما تلقيناه من أهل الأداء وفي النشران التاء تدغم في الطاء في قوله: ﴿أقم الصلاة طرفي النهار﴾ [سورة هود، الآية: ١١٤] وفي التسهيل إنه إذا أدغم المطبق يجوز إبقاء الإطباق وعدمه وقال سيبويه كل عربي والإطباق رفع اللسان إلى الحنك وأحطت بمعنى

علمت علما تاما كأنه محيط بالمعلوم. قوله: (غير مصروف) اللعلمية والتأنيث لتاويله بما ذكر ومن صرفه فباعتبار الحي أو القوم أو الأب اكبر أو المكان، ومن سكن الهمزة نوى الوقف واليه أشار الشاطبي رحمه الله بقوله:

وسكنه وانو الوقف زهرا ومندلا

والقواس راو لقنبل رحمه الله وقرى بالألف وسكون الباء في الشواذ. فوله: (بخبر محقق) الخبر تفسير للنبا ومحقق تفسير ليقين، وفي الكشاف النبأ الخبر الذي له شأن فهو أخص من الخبر، ولذا اختير في النظم مع ما فيه من التجنيس، وموازنة سبا وهو معنى لغوي صرح به أهل اللغة فلو فسر به المصنف رحمه الله كان أقعد فما قيل من أنه ليس بوضعي، ولذا تركه المصنف ليس بصحيح، وقول المحدثين أنبانا أحط من درجة أخبرنا لا يرد لأنه اصطلاح، وقال الراغب: النبأ خبر ذو فائدة يحصل به علم أو غلبة ظن فلا يقال للخبر نبأ حتى يتضمن هذا، وقوله: (لما أتم بناء بيت المقدس) الخ هذا ينافي ما سيأتي في سورة سبأ من أنه عليه الصلاة والسلام مات قبل إتمامه وهو المشهور، ولعل فيه روايتين، وقوله فوافى أي جاء وقوله وأقام بها أي بمكة لعلمها من الحرم أو لتأويل الحرم بها أو بالبقعة وقوله رائده براء ودال مهملتين هو الذي يتقدم لطلب الماء وخصه بهذه الخدمة دون غيره من الطير لأنه قيل إن الله خصه بأنه يرى الماء تحت الأرض كما يرى ما في الزجاج، وقوله لذلك أي لطلب الماء، وقوله إذ حلق تعليل لقوله فلم يجده والتحليق بالحاء المهملة الارتفاع في الهواء، وقوله فتواصفا أي وصف كل منهما ملك أرضه وكان الهدهد الآخر يمانيا بأرض بلقيس، وقوله وما خص الخ معطوف على قدرة الله أو على عجائب وإنكاره من العجائب، وقوله يستكبرها بالباء الموحدة أي يعدها أمرا كبيرا عظيما عظم الله به بعض خواصه وكان الظاهر يسلمها ولكن الذي دعاه للتعبير به التجنيس مع قوله يستنكرها أي يعدها أمرا منكرا، والمراد بذلك أمر سليمان عليه الصلاة والسلام مع الهدهد، وقوله: أعظم من ذلك أي مما ذكر في هذه القصة. قوله تعالى: (﴿إني وجدت﴾ الخ) قال وجدت دون رأيت للإشعار بأنه أمر غير معلوم أولا لأن

الوجدان بعد الفقد وهو مراد من قال إنه للإشعار بغرابة الحال فلا وجه لرده بعدم ما يدل عليه، ولم يقل تملكها لأن ملك المرأة للجلل أغرب، وبلقيس بكسر الباء علم لملكة سبأ معرب وهو قبل التعريب مفتوح كما ذكره الطيبي، وشراحيل بفتح الشين المعجمة، وقوله والضمير لسبأ أي المراد به الحي أو لأهلها إن كانت علما للبلدة فيعود على الأهل المعلوم من السياق أو المقدر. قوله: (يحتاج إليها الملوك) كان الظاهر إليه لكنه أنثه باعتبار أن كل شيء في معنى أشياء، وهو إشارة إلى وصف مقدر لتصح الكلية فهو كالاستغراق العرفي ولئلا يسوي بينهما وبين سليمان إذ قال: وأوتينا من كل شيء، والقرينة عليه

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ١٩٤/٦

قوله تملكهم هنا، واذا كان المراد بها التكثير لا يحتاج للتأويل، وجملة وأوتيت معطوفة أو حال بتقدير قد وقوله بالنسبة إليها يعني لا بالنسبة لسليمان عليه الصلاة والسلام، والسمك الارتفاع وسمك البناء ونحوه هو طوله، ولذا قابله بالعرض. قوله: (كأنهم كانوا يعبدونها) قيل الظاهر أن يقول لأنهم وكأنه عدل عنه لأن سجودهم يحتمل التحية، أو جعلها قبلة كما يفعله النصارى، وقوله وزين الخ يحتمل العطف على يسجدون والحالية بتقدير قد، وقوله من مقابح أعمالهم وفي نسخة أفعالهم بمعنى قبائح، ولو عبر به كان أحسن. قوله: (فصدهم لئلا يسجدوا) الظاهر أنه أراد أنه على تقدير لام الجر قبل أن المصدرية، وهو متعلق بصدهم، وأما كونه بدلا من السبيل ولا زائدة فوجه في النظم لكن تفسير هذه العبارة به كما قيل غير متوجه، وفيه وجوه ككونه بدلا من أعمالهم كما ذكره المصنف وعد عدم السجود من الأعمال بعيد ولذا لم يذكره الزمخشري أو متعلق بزين على تقدير اللام أي لئلا يسجدوا قيل، ولم يتعرض المصنف رحمه الله لأن الفاء للسببية فالمعنى زين لصدهم وفيه نظر لأن الفاء لا يلزم أن تكون سببية لجواز كونها تفريعية." (١)

"لا ينفعهم صبرهم إذ لم يصادف محله، وقوله: وصي الرجوع إلى ما يحبون لأنها اسم من أعتبه إذا ما رأى ما يعتب عليه، وقوله: المجابين إليها أي إلى العتبي وهي الرجوع لما يرومون بسؤالهم إياه، والجواب مأخوذ
من وقوعه في مقابلة السؤال، وتحقيقه ما قاله الإمام الكرماني في شرح البخاري في باب الاستنجاء أن الاستفعال هنا لطلب المزيد فيه فالاستعتاب فيه ليس لطلب العتب بل لطلب الأعتاب، والهمزة فيه للسلب فتأمل. قوله:) ونظيره قوله الخ) أي نظيره في المعنى لأن معناه إن صبروا، أو لم يصبروا بأن جزعوا لأن سؤالهم لعدم صبرهم فمعنى الشرطيتين سواء صبروا أم جزعوا، وقوله: وقرئ وأن يستعتبوا أي بالبناء للمجهول والمعتبين بصيغة الفاعل، وقوله: أي أن يسألوا أن يرضوا ربهم الخ أو هذه القراءة في معنى قوله: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٢٨ لح لتماديهم في الطغيان، وقوله: لفوات المكنة أي لفوات وقتها وهو الدنيا. قوله: (وقدرنا (يقال: فيض الله له كذا إذا قدره والقرناء جمع قرين وتقييضه له إما لاستيلائه عليه أو لأخذه لا عن غيره من قرنائه، والأخدان جمع خدن وهو كالخدين الصديق، وقوله: وقيل الخ هو ما ارتضاه الزمخشري ورجح الأول لقربه معنى، وقوله: من أمر الدنيا الخ تفسير لما بين أيديهم لحضورها عندهم كالشيء الذي بين يديك تقلبه كيف تشاء وما خلفهم أمور الآخرة لعدم مشاهدتها كالشيء الذي خلفك أو لكونها ستلحق بهم، وقد يعكس فيجعل ما بين أيديهم الآخرة لأنها مستقبلة، وما خلفهم الدنيا لمضيها وتركها كما مز، وما ذكره المصنف رحمه الله أوفق بالترتيب الوجودي ولذا اختاره المصنف واتباع الشهوات عطف على أمر الدنيا بيان للمراد منه وهو المزين لهم فهو كالتفسير له كما إن إنكاره عطف على أمر الآخرة لأنه الذي زين لهم فيه لا قبوله. قوله:) في جملة أمم (يعني أن في للظرفية والجار، والمجرور في محل نصب على الحال من ضمير عليهم أي كائنين في جملة أمم كما في البيت المذكور، وقيل في بمعنى مع في الآية والبيت المذكور لكن المصنف ساقه شاهدا لما ذكر، والصنيعة الإحسان والكرم ومأفوكا بمعنى مصروف عن الجود للبخل، وقوله: ففي آخرين أي فأنت في جملة قوم آخرين قد أفكوا وعدلوا عن الصنيعة يعني لست أول من بخل. قوله:) وقد عملوا مثل أعمالهم) قدره لاقتضاء المقام له وبه يأخذ الكلام بعضه بحجز بعض، وقوله: والضمير

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٤١/٧

لهم وللأمم ويجوز كونه لهم بقرينة السياق. قوله: (وعارضوه بالخرافات (عارضوه أمر بالمعارضة، والمراد بها التكلم عند قراءته والخرافات جمع خرافة بالتخفيف اسم رجل كانت الجن استهوته فلما رجع كان يحدث بما رأى **من العجائب**، ثم شاع في كل كذب وف يث لا أصل له وورد في الحديث: " خرافة حق " ونقل عن الزمخشري تشديد رائه ولم يذكره غيره والتشويش على القارئ التخليط حتى يذهل عما يقرؤه، وهذا تفسير بحاصل المعنى وأصل معناه ائتوا باللغو ليختلط فلا يمكنه القراءة والمراد باللغو ما لا أصل له أو ما لا معنى له، وقوله: لغى يلغى كرضى يرضى ولغا يلغو كعدا يعدو، وهذى بالذال المعجمة من الهذيان وهو معروف. قوله:) تنلبونه على قراءته) أي تشغلونه عنها، وقوله: وقد سبق مثله أي في سورة الزمر وهو إشارة إلى أن إضافة أسوأ للتخصيص وأفعل للزيادة المطلقة إذ ليس المعنى إنا نذيقهم أسوأ الأعمال بل الأسوأ المنسوب إلى أعمالهم، ثم لما أشير إلى ذلك الأسوأ وأخبر عنه بقوله: جزاء أعداء الله النار وجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذين كانوا يعملون ليصح الأخبار إذ الجزاء ليس هو الأسوأ الذي من جنس العمل بل من جنس الجزاء، فإن قيل: فبعد تقدير المضاف يصح الحمل على الإضافة إلى المفضل عليه أي أسوأ أجزية عملهم قلنا ليس المعنى على أن لعملهم أجزية كثيرة هذا أسوأها بل على إن هذا الأسوأ جزاء عملهم. قوله: (فلنذيقق الذين كفروا الخ (أظهر في مقام الإضمار وللإشعار بالعلية، والعذاب إفا في الدارين أو في إحداهما وأيد الأول بقوله: عذابا شديدا في الدنيا والآخرة، وإذا أريد عاقة الكفار ثبت في هؤلاء بالطريق البرهاني. قوله:) خبره (وتصحيح الحمل يحتاج إلى تقدير فيه بسبب جزاء أعدائه أو في السابق أي جزاء أسوأ الذي أو أسوأ أجزاء العمل الذي أو هو خبر جزاء، أو ذلك خبر محذوف أي الأمر كذلك، وقوله: وهو كقولك في هذه الدار الخ يعني إنه من التجريد وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة آخر." (١)

"الشبه وعدمه لأن تكذيبه وتوليه ليس بمقابل لأمره بالتقوى، واهتدائه ولم يقصد به ذلك فلا يرد عليه ما قيل: إن الظاهر عطفه حينئذ وكون أرأيت تأكيدا لا يتوجه الاعتذار به له، وقوله: في الكشف إن أرأيت الثالث يستقل به لأنه يقابل الأول لتقابل الشرطين أراد به أنه كالمستقل فلا ينافي كلام المصنف رحمه الله كما توهم حتى يقال: إن المصنف ذهب إلى أن التقابل لا يمنع تكرير التأكيد، ولا يقتضي الاستقلال وأنما يستقل لو وقع على الشرطية، وليس كذلك ولو استقل عطف والقول بأنه ترشيح للكلام المبكت وتنبيه على حقيقة الثاني ليس بذاك اهـ، **ومن العجائب** ما قيل: إن قول المصنف أو إن كان على التكذيب إشارة إلى أن أو محذوفة فتأمل.

قوله:) والمعنى أخبرني الخ) إشارة إلى أن أرأيت بمعنى أخبرني وقد مر تحقيقه وفي

كلامه إشارة إلى أن الخطاب لغير معين، وأنه من إرخاء عنان الإنصاف والتبكيت كما مر، وقوله: بعض عباد الله لا ينافي كون التنوين للتعظيم كما مز لأن التعظيم مأخوذ من الإبهام وهو المراد هنا لا أن تنوينه للتبعيض كما يتوهم، وقوله: ذلك الناهي إشارة إلى أن اسم كان ضمير

الذي، وقوله: كما يعتقده إشارة إلى أن انتفاء محقق وأنما أتى فيه بأن بناء على زعمه، وقوله: كما تقول بتاء الخطاب للنبي

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٣٩٧/٧

صلى الله عليه وسلم أو بنون العظمة وقوله: ألم يعلم هو الجواب لا مقول القول فافهم. قوله: (وقيل المعنى الخ) يعني أن الضمير المستتر في كان للعبد المصلى، وكذا في أمر والضمير في كذب وتولى ويعلم للذي ينهى وعلى الأول الضمائر كلها للذي ينهى وقوله: والمنهي على الهدى والناهي مكذب بيان لحاصل المعنى لا لأن الجملة الشرطية حالية والرؤية على هذا علمية أيضا، وقيل: إنها بصرية والجواب مقدر كما أشار إليه بقوله: فما أعجب من ذا بقرينة قوله: أرأيت فإنه يفيد التعجب، وقوله: ألم يعلم الخ جملة مستأنفة حينئذ لتقرير ما قبلها، وتأكيده لا جواب للشرط. قوله: (وقيل الخطاب في الثانية مع الكافر) وفي الثالثة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو المفهوم من كلام المصنف وإن جوز الإمام كونه للكافر أيضا وسكت عن الأولى فالظاهر أنها لغير معين فلا يرد ما مر في الكشف، وقيل: إنه للنبي صلى الله عليه وسلم أيضا فتدبر، وقوله: أتنهاه يحتمل أنه جعله مفعولا لا لرأيت ويحتمل أنه جواب الشرط، وقوله: ودعاؤه الخ إشارة إلى أن أو تقسيمية بمعنى الواو هنا فتدبر. قوله: (في التعجب الخ) أراد قوله: إن كان على الهدى الخ، وأن ما قبله مثله أيضا وقيل: هذا على الوجهين الأخيرين لأن مبني الأول على نهيه عن الصلاة والأمر والتعجب منه ومبني الثاني على التوبيخ على نهيه عنهما مع أن المذكور أولا أحدهما وفيه نظر، وقوله: ولم يعرض الخ يعني لم يقل ينهاه إذا صلى أو أمر الخ وهو معطوف على قوله: ذكر أو. هو حال وقوله: لأن النهي الخ تعليل للمنفي لا للنفي، وقوله: فاقتصر الخ بيان لأنه حذف من الأول بعض ما في الثاني اكتفاء بذكره فيه للاختصار ولما كان الاختصار يحصل بالاقتصار على كل منهما أشار إلى المرجح للاقتصار على الصلاة بأن الأمر بالتقو! دعوة قولية، والصلاة دعوة فعلية والفعل أقوى من القول فاقتصر على الأقوى، وكان الظاهر لأنها لكن ذكر بتأويل الدعاء أو باعتبار كونها فعلا أو لأنه مصدر وما قيل في بيانه فخص الصلاة بالذكر لاشتماله على أحد قسمي الدعوة بخلاف الأمر بالتقوى الظاهر أنه خطأ، وأنما جعلت دعوة وأمرا لأن المقتدى به إذا فعل فعلا في قوة قوله: افعلوا هذا فهي أمر كما جعلها الله نهيا في آية أخرى، فمن قال: المتحقق فيها الصلاة لا الدعوة لم يفهم المراد. قوله: (أو لأن نهي العبد الخ) وجه آخر للدفع أي المذكور أولا ليس النهي عن الصلاة بل النهي حين

الصلاة وهو محتمل أن يكون لها أو لغيرها وعامة أحوال الصلاة وجميعها لما انحصرت في تكميل نفس المصلي بالعبادة وتكميل غيره بالدعوة فنهيه في تلك الحال يكون عن الصلاة والدعوة معا، ولذا ذكرا في التعجب أو التوبيخ فسقط ما قيل من أنه في بعض النسخ أحوالها والصواب أحواله كما في بعضها أي عامة أحواله صلى الله عليه وسلم محصورة فيهما فيدل على النهي عنهما، وفيه أن المتحقق منه الصلاة لا الدعوة فتأمل. قوله: (لتأخذن بناصيته الخ) أي برأسه بيان لمعناه الوضعي، وقوله: لنسحبنه هو المعنى الكنائي المؤمحمود منه وقوله: بنون مثددة هي رواية عن أبي عمرو، وقوله: وكتبته بالكسر مصدر بمعنى الكتابة، وقوله: على." (١)

"ومن نثره في خطبة ديوانه رحمه الله تعالى قوله: لما كان لكل إنسان عين من الشعر إن حركها فارت، وإن تركها غارت، وكنت قد حركت عين شعري، فبضت بقطرات قليلة، رجوت أن تكون لتذكاري فيما يأتي وسيلة، وإن كان الشعر ليس بمزية يحق بها الافتخار، فليس هو في حد ذاته منقصة توجب الاحتقار، حيث جاء بنص الكتاب مدح بعض الشعراء

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٣٨٠/٨

وذم البعض، وقد تدور عليه الأحكام الأربعة بحسب الإبرام والنقض، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه مدح فأجاز، وأمر بهجو قوم هجوه بضرب من الأرجاز، فقال اهج بإحسان، نصرك الله يا حسان، وقد ورد في مدح الشعر والشعراء، من الأحاديث والأخبار ما يفوت درجة الاستقصاء، وقد قال بعضهم الشعر ديوان العرب وبه عرفت الأنساب. وقال سيدي عمر بن الوردي المعري رحمه الله تعالى:

انظم الشعر ولازم مذهبي ... فاطراح الرفد في الدنيا أقل

وكان في هذا الزمان قد كسد سوقه، ويبست عروقه، ونضب ماؤه، وسكن هواؤه، وانفقدت دواعيه، وخسر بائعه وشاريه، حتى حق لأهله أن يتمثلوا بقول ابن المعتز رحمه الله:

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة ... باب الدواعي والبواعث مغلق

خلت الديار فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب أنه لا يشترى ... ومع الكساد يخان فيه ويسرق

هذا وإن الشعر لا يخلو من تشحيذ الأذهان، وترقيق الطباع وتسلية الأخدان، ولم يزل صاحبه منتصفا من الزمان، مستعينا على طوارق الحدثان، وكنت منذ ميزت، وجدت والدي حفظه الله تعالى أوحد هذا العصر، في صنعة القريض والشعر، لكنه غير مكثار منه لشغله بالفتوى." (١)

"واحذر من الناس لا تركن إلى أحد ... فالخل في مثل هذا العصر مفقود

بواطن الناس في ذا الدهر قد فسدت ... فالشر طبع لهم والخير تقليد

هذا زمان لقد سادت أراذله ... قلنا لهم هذه أيامكم سودوا

وهي قصيدة طويلة، وله قصيدة ثانية، أرسلها إلى بعض الناس أولها:

يا من له خلق كنفحة عنبر ... بالله كف سهام لومك عن بري

وله أيضا قصيدة قال في براعة استهلالها:

لو كان أمر فؤادي دائما بيدي ... لما وضعت يدي اليمنى على كبدي

وله مزدودة جميلة متداولة مشهورة. وله غير ذلك من القصائد الطنانة، والمقاطيع الرنانة:

تلك آثارنا تدل علينا ... فانظروا بعدنا إلى الآثار

ومات ولم يدون شعره في ديوان، كما جرت بذلك عادة الشعراء من غابر الأزمان، ومع اشتغاله بالعلم ليلا ونهارا، كان يشتغل بالتجارة متعففا عما في أيدي الناس سرا وجهارا، ولم يزل في زيادة نعم مع كمال الاحترام، رفيع القدر بين الخاص والعام، حتى انتقل إلى دار السلام، في شهر رمضان سنة ألف ومائتين واثنتين وستين.

ومن العجائب أن محمود أفندي الساعاتي الشاعر المصري المشهور قبل وفاة المترجم بثلاث ليال، رأى في منامه أن الشيخ

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٣٦٠

المترجم توفي، وكان ذلك في مرض موته فانتبه قائلا:

رحمة الله على حسن قويدر ... فحسب هذه الجملة فكانت تاريخا

للسنة التي وقعت فيها الرؤيا. ثم توفي المترجم بعد ذلك بثلاث ليال، فكانت تاريخا أيضا لوفاته. ثم إن محمود أفندي المرقوم أشار إلى ذلك في قصيدته الطنانة، التي رثى بها المترجم المرقوم بقوله:

بكت عيون العلا وانحطت الرتب ... ومزقت شملها من حزنها الكتب." (١)

"(فجنان الخلد نادت فرحة ... مرحبا أهلا بفخر القادمين)

(طبت بكارا بها أرمخ وقل ... ادخلوها بسلام آمنين)

والرحيبي بضم الراء وفتح الحاء وسكون الياء المثناة من تحت ثم بعدها باء موحدة نسبة إلى قريب الرحيبة من ضواحي دمشق بالقرب من منزلة القطيفة

بكر البغدادي تقدم ذكره ضمن ترجمة الحافظ أحمد الوزير وعلينا هنا أن نعرف أصله فنقول هو رومي الأصل سكن بغداد وصار من اكابر عسكرها وتغلب عليها وانبسطت يده على مملكتها حتى صار إذا جاءت وزراؤها من قبل السلاطين آل عثمان متولين عليها ما ينفذ من حكمهم إلا ما نفذه وهو الذي أدخل الشاه بغداد كما ذكرته مفصلا في ترجمة الحافظ وقتله الشاه وولده محمد شر قتلة وكان قتلهما في سنة اثنتين وثلاثين وألف

برهان الدين بن محمد البهنسي الدمشقي المشهور بشقلبها من ذوي البيوت بدمشق الذين خرج منهم علماء وفضلاء وتقدم ابن عمه أحمد الخطيب وسيأتي أبو أحمد يحيى وهذا برهان الدين نشأ في مبدا أمره يبيع الحرير بحانوت قرب باب العنبرانيين من أبواب جامع بني أمية ثم نما حاله وأثرى فرحل إلى الروم وعاد مدرسا بالمدرسة السليمية وعد ذلك **من العجائب** ولم يطل أمره بها وأخذها عنه المولى يوسف ابن أبي الفتح إمام السلطان فتوجه إلى الروم ثانيا وولي قضاء صيدا ولما عزل عنها استقر بدمشق وبقى يعامل الفلاحين واشتهر بالربا وبلغ فيه مبلغا ليس وراء غاية وكان إذا استحق ما له على الدائن يغلظ عليه في طلبه ويقول لا سبيل إلا أن تعطيني مالي أو تشقلبه وهذه عبارة جارية على السن العوام يقولون شقلب ماله أي رابح فيه مرة ثانية فكان منهم من يعطيه ماله ومنهم من يرابحه وبذلك عرف بشقلبها وجمع كتبا نفيسة وأملاكا وعقارات وامتحن مرات فكان قضاء دمشق يهينونه كثيرا وهو لا يعبأ بذلك وكان قرب دره قناة ماء فأخرجها إلى الشارع وعمرها وكان ذلك في سنة ثمان وعشرين وألف فقال العمادي المفتي مؤرخا بناءها وهو من التواريخ العجيبة وهو قوله

(لبرهان قناة قد بناها ... وشقلبها فتلك له سمات)

---

(١) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/٥٠٨

(فشقلب واحدا في العدو احسب ... وأرخها مشقلبة قناة)

قلت قد اعتبر التاء المربوطة في قناة هاء وهي مستعملة عند الأدباء كذلك." (١)

"انهزامهم فلا يدل على عدم شجاعتهم حتى يخل بالفخر فإن الشجاع ينهزم ممن هو أشجع منه ولذا قيل الفرار مما لا يطاق من سنن الأنبياء كما فر موسى حين هم به القبط وأما ماذكره من معنى العين والحاجب فسخيف وتخيل ضعيف على أن جعل العين والحاجب بمعنى الرئيس والمرؤوس **فمن العجائب** وما ذكره من النقد عليه نقله ابن الشحنة في أماليه عن الشريف المرتضى وقال إنه عيب عليه قوله في ظهورهم وقال لو قال في صدورهم كان أمدح لأن الطعن والضرب في الصدر أدل على الإقدام والشجاعة للطاعن والضارب والمطعون والمضروب لأن الرجل إذا وصف قرينه بالإقدام مع ظهوره عليه كان أمدح من وصفه بالانهزام فلذا قال أبو تمام

(حرام على أرماحنا طعن مدبر ... وتندق في أعلا الصدور صدورها)

وقد عرفت جوابه مما تقدم فتذكر انتهى وأخبار عبد الحق وآثاره كثيرة وفي الذي أوردناه له كفاية وكانت ولادته في سنة اثنتين وستين وتسعمائة وأقعد بالفالج نحو سنتين ثم توفي نهار الاحد خامس عشر شهر رمضان وقت الغداة من سنة عشرين وألف ودفن بمقبرة باب الصغير عند قبر أبيه ووضع على قبره تابوت من دون قبر أبيه وبينه وبين والده في الوفاة أحد وعشرون يوما وقال ولده القاضي إسماعيل المقدم ذكره يرثيه بهذه الأبيات وفيها تاريخ وفاته

(طرف تقرح من دم متدفق ... وحشا تجرح من جوى وتحرق)

(وأسى تجمع لم يكن بمجمع ... لشتات شمل لم يكن بمفرق)

(خطب لقد صدع الجفا منه ومن ... بين أتي من غير وعد مطبق)

(ذهب الذي كانت سحائب فضله ... تهمى بروض بالعلوم معبق)

(مولى مكارمه إذا ما جمعت ... فاقت على سح السحاب المغدق)

(وإذا غدا ليل المباحث مظلما ... كالشمس صيره بفهم مخرق)

(وإذا تعقد مشكل لك حله ... بيدي إمام في العلوم محقق)

(قد حاز فضلا في ميادين العلى ... والعلم حتى إنه لم يسبق)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ١/٤٥٥

(جاد الزمان به فعاد بجوده ... بخلا وكان كبارق متألق)

(هيهات أن يأتي الزمان بعالم ... يحكيه في حسن الصفات مدقق)

(ما حيلتي والدهر لم يك مسعفي ... وقضى علي بلوعة وتفرق)." [١]

"(وأولها يحط لديه وقرا ... وآخرها تحمل من لديا)

ثم لم أشعر إلا بكتاب إلى الإمام من عبد الحميد المترجم بالأبيات فعجبت من توارد الخاطر على التمثل ثم ذكرت قضيته لهذه الأبيات وهي أنه لما مات ابن الإمام شرف الدين المسمى بعبد القيوم وكان من سادات العترة ولم يبلغ عمره إلا إحدى عشرة سنة ونصفا وقد كان يجاري العلماء وقبره في القبة قبلى الحراف من أعمال صنعاء مشهور مزور ومما يروى أنه حضر في مسجد الحسحوش بالحراف والعلماء يخوضون في مسئلة البهائم إذا تم سؤالها وحسابها أين تصير فذكروا المقالات ولم يذكروا أشهرها وأحسنها وهو أن الله تعالى يخلق لهن رحبة في الجنة فلما كثر الخوض قال السيد عبد القيوم وما يشكل عليكم من أمرهن لعل الله يخلق لهن رحبة يتنعمن فيها فأعجب الحاضرون بذلك وكتبوه عنه ولما مات عبد القيوم المذكور أنشد والده هذه القصيدة وأكثرها من شعر الأمير صلاح الدين الأربلي وفيها بيت مشهور متقدم على الأمير صلاح الدين وهو

(حمدت الله ربي يا بنيا ...)

فإن أصله

(حمدت الله ربي يا عليا ...)

مما قاله بعض الناس في أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه وهذه الألف في قوله يا عليا ألف الندبة فلما أخرج الأمير القصيدة أخرج السيد العلامة عبد الله بن القاسم العلوي القصيدة أيضا فاتفقت خواطرهما وذلك **من العجائب** انتهى كلامه ولم يذكر وفاة عبد الحميد بل ذكر أنه مدفون بالسودة عند بابها القبلي لكن سياق كلامه يقتضي أن وفاته تأخرت إلى ما بعد الخمسين وألف

عبد الحميد بن عبد الله بن إبراهيم السندي الفاروقي الحنفي نزيل مكة المكرمة الشيخ الجليل الحميد الخصال الجميل الفعال كان صاحب معارف وفنون أصله من أرض السند الإقليم الشهير ونشأ فيه على فضل عظيم ورحل إلى الحرمين وصحب كثيرا من العلماء الأفاضل وأخذ عن جمع منهم الشيخ عبد الرحمن أبو الفضل زين الدين تلميذ الحافظ ابن حجر العسقلاني ومنهم أخوه وكان وافر الصلاح وحصل له بمكة جاه واسع وصيت شاسع وكان صوفي الأخلاق كثير الخوف خشن العيش

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٢/٣١٥

حسن العشرة ولم يزل بمكة إلى أن توفي وكانت وفاته سنة تسع بعد الألف وعمره نحو تسعين سنة ودفن بالمعلاة بجنب قبر أخيه ومدة إقامته بمكة تسع سنين." (١)

"لا يقول بالمحاباة فيزيف كلام الغير إذا لم يرضه ولو كان أباه وإذا خاض في علوم الصوفية أنكروا وكان شديد الإنكار على الناس فيما يخالف الشرع لا سيما ما أجمع على حظره أو ترجح الإنكار في نظره لا يقنع في أمر الحق بغير إظهاره مطبوعا على الالتذاذ به متحملا للأذى من الناس بسببه يدافع ذلك بيده ولسانه بحسب وسعه وإذا لم يستطع الدفع تأثر به شديدا وربما أصابته الحمى وقد ورد في الحديث أنه

قال يأتي على الناس زمان يذوب قلب المؤمن كما يذوب الملح قيل يا رسول الله مم ذلك قال مما يرى من المنكر لا يستطيع تغييره وكان لصدقه وحسن نيته تهابه أرباب الفسق ويهربون منه وربما إذا أحس به الصبيان تركوا اللعب هيبة منه وكان في جميع أحواله ملازما للأدب زاهدا في الدنيا وعرض عليه قضاء بلدة تريم فلم يقبل وكان ملازما للتلاوة والاعتكاف وبالجملة فهو من محاسن عصره وتحائف دهره وكانت وفاته في سنة سبع وأربعين وألف ودفن بمقبرة زنبل من جنات بشار رحمه الله عبد الرحمن بن علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الله الحديلي بن محمد بن حسن الطويل بن محمد بن عبد الله بن الفقيه أحمد بن عبد الرحمن بن علوي بن محمد صاحب مرباط عرف كسلفه بباحسن الحديلي صاحب القاره أحد فضلاء اليمن المشهورين قال الشلي ولد بمدينة تريم وتفقه بها وأخذ التصوف عن جماعة وغلبت عليه فنون الأدب فكان لا يشار بها إلا إليه وكان جيد البديهة حلو النادرة سريع الجواب وهو في ذلك **من العجائب** وكان يسأل عن المسائل المعمية فيكتب الجواب باللفظ الفصيح والسجع اللطيف قال وكنت وقفت على بعض أجوبته في الصغر ولم أظفر الآن بشيء منها ولا أحفظ الآن من تلك الأجوبة إلا قوله لجعفر الصادق لما قال نصف اسمي في ثلاثة أرباعه رجع وله رسائل فائقة وأشعار مستعذبة وانتفع به كثير وكان له اعتناء بنظم العارف بالله تعالى الشيخ عمر بن عبد بامخرمة فجمع منه مجلدات وكان يوضح مشكلاته ويبين ما دق منه وكان هو وإمام العلوم السيد عبد الله بن محمد بروم في ذلك الزمان فرسي رهان فكانا عيني ذلك العصر وأقام بالقرية المسماة بالقاره وصدقاته دارة على الفقراء وكان كثير الإحسان جم النوال وكانت وفاته في سنة سبع وثلاثين وألف ودفن بقرية القارة رحمه الله تعالى." (٢)

"ثم أسر برؤياه الى بعض أولاده أظنه عبد الحفيظ وأقام مدة سمع فيها شيئا من العلوم وحضر مجالس العلماء وأظنه شهد دفنه والصلاة عليه ومنها ما ذكره حفيده العلامة الناصر بن عبد الحفيظ من قائل يقول فى المنام لم يبق من عمر جدك عبد الله غير تسع وعشرين ليلة وكان كما قال ومنها ما رآه بعض السادة قبل موته من أخذ النبي

بيده ذاهبا به نحو الموضع الذى فيه ضريحه بالاشعاف ثم الى المدينة والى هذا أشار ولده القاضى عبد الحفيظ بقوله ورأى تقى البيت ومنها الكرامة الشهيرة من بلوغه الى قريب مكة على مرحلة أو مرحلتين وكان يتخلف عن القافلة للصلاة ويلحق بها على حمار موصوف بسرعة المشى فأبطأ فى بعض الايام عن اللحوق بالقافلة ركونا منه على ما جرت عادته به فركب

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٢/٣٢٧

(٢) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٢/٣٦٦

حماره فلم يقدر على المشى البته فلما علم تعذر مشيه وفوت القافلة وعدم معرفته بالطريق تحير وصلى ركعتين ودعا الله تعالى وأقبل على التلاوة فاذا برجل أخضر اللون حسن القامة ينحط عن جبل قريب منه ويسرع المشى نحوه فحياه باسمه وقال أبطأت عن القافلة فاقف أثرى وحمل ما معه من أشياء كان يستصحبها فوقع فى نفسه انقطاعه عن الناس وان هذا رجل لا يدرى من هو فالتفت اليه متبسما وأخبره بما وقع فى نفسه فاطمأن وما زال يحدثه حتى بلغ به بركة ما جن فى مكة وأخذ له ماء اغتسل به وأعلمه بالحرم الشريف والطريق اليه بعد ان أحرم من الميقات وقال ان لقيتنى بعد ذلك والا فأنا أستودع الله تعالى دينك وأمانتك وخواتيم عملك وودعه ومضى ولم يره بعد ذلك وكان **من العجائب** مصادفة الحمار على أحسن أحواله بعد مدة فى موضع الانقطاع انتهى وكانت ترد اليه كتب العلماء فى عصره لاستيضاح المشكلات فى كل فن من جميع الجهات وبينه وبين العلامة محمد بن أحمد الرومى الحنفى والعلامة سعد الدين وأخيه على ابنى الحسين المسورى مكاتبات ومحاورات طويلة ذكرها ابن أبي الرجال فى تاريخه وكانت وفاته فى ذى الحجة سنة ثمان وعشرين وألف بالشجعة وقبره بالاشعاف بها وكان عمره ثمانية وسبعين سنة ورثاه بعد موته جماعة عظام وكان من جملتهم ولده القاضى عبد الحفيظ فقال يرثيه بقصيدة مطلعها

(يا غيث يا وكاف يا سحاح جد ... متعطفا مترددا بهناء)

(قبرا على الاشعاف جل ضريحه ... مستوطنا علامة العلماء)

(بالسفح من جبل العروس ومربع الشرف التى فاقت على الانحاء ...)." (١)

"(بدر منير للانام اذا هم ... فى ليلة من جهلهم ظلماء)

(أقلامه مثل الاسنة فى الوغى ... والحبر أفضل من دم الشهداء)

(ان الذى دفنوه بين ظهورهم ... متبركين به من السعداء)

(كان الزمان اذا بدا بقبحيه ... وبداله ولى على استحياء)

(ان مشكل فى أى فن قد بدا ... أبدى ظهورا فيه بعد خفاء)

منها

(سبعين فنا حازها فى صدره ... لله ذلك سيد الكملاء)

منها

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٥٩/٣

(يا قبره وافيت بحرا زاخرا ... هذا لعمرى أعجب الاشياء)

(ورأيت من ملأ البلاد بعلمه ... من مكة الغرا الى صنعاء)

(لكن وسعت العلم اذ هو ميت ... لو كان حيا ضاق كل فضاء)

(ووفاته ثلم لدين محمد ... ومعاشر الاشراف والرؤساء)

(ما كل سال بعد موت نظيريه ... الا شبيه بهيمة عمياء)

(واذا بدا منى سلو فهو من ... حمدى على السراء والضراء)

(يأيها الرجل الذى بهر الورى ... علما وحلما فائق النظراء)

(أبقيت ذكرا للمهلا طيبا ... يا طيب الآباء والابناء)

(وتركت علما نافعا فينا وفى ... أهل الزمان زماننا الاحياء)

(فجزاك ربك ما جزى أحبابه ... الاخيار عنا أفضل الاجزاء)

(**ومن العجائب** ان رأيت محمدا ... فى عامك الماضى أتى بوفاء)

(ورآك فى ثوبى منامك هاجعا ... فوقاك عن برد بخير وقاء)

(ورأى فتى لك شافعى انه ... أضحى النبى الهادى من الرفقاء)

(ورأى تقى فاطمى انه ... صلى عليه الله كل مساء)

(ماض بك السهل الرحيب بنفسه ... نحو المدينة طيبة الفيحاء)

(فسررت ثم خشيت فرقتك التى ... هى عندنا من أعظم البلواء)

(لله درك يا حمام الايك كم ... أحسنت حفظا عهدة الآباء)

(انى نظيرك فى وفائى بعده ... أيضا وفى حزنى وبعض بكائى)

(لكن تسلينا بموت محمد ... صلى عليه طيب الاسماء)

(والآل ما طلعت شموس علومه ... تنصب فى الآفاق والانحاء)

السيد عبد الله بن علوى باذنجان علوى أحد أولياء حضر موت ذكره الشلى وقال." (١)

"محتشمة ليست من ذوات الريب وانه اتفق بها نحو ثمانية من العتاة العصاة فاغتصبوها نفسها وأمروا ذلك الرجل رقيبا بحفظها وعزموا ليأتوا بما يليق بمعصيتهم من لحم يسرقونه ونحو ذلك فلما أطال معها الحديث جاء ذلك الرقيب واستنكر الخطاب فقال القاضى المذكور له يا مسكين ترضى لنفسك بهذه الحال الدنية والحال العلية تمكنك قال وما هى قال أزوجك هذه المرأة وتكون لك خاصة قال الرجل وهذا يتم قال نعم فعقد له بغير شهود فلما وصل أصحاب ذلك الرجل لقيهم وقال لهم هذه صارت زوجتى بحكم القاضى فلا يقربها أحد فمنعهم ونزل القاضى وعقد له عقدا جديدا وكان يزورها كل سنة وكان مع هذا الحلم الكثير بينه وبين العلامة ابراهيم بن مسعود وحشة وذلك **من العجائب** وقد روى انه صلح أمرهما وتراضيا وتوفى بالظهرين هجرتهم المعروفة بحجة فى تاسع عشرى رجب سنة ثمان عشرة وألف وقبره الى جنب السيد الفاضل شرف الدين بن محمد الحميرى من جهة القبلة ورثاه السيد العلامة على بن صلاح العبالى فقال

(عين جودى بدمعك الهتان ... واندبى ماجدا عظيم الشان)

(فاضل طلق الدنا وتخلى ... عالم عامل بكل مكان)

(لم يدع بغية من الفضل الا ... نالها بالسباق طلق العنان)

(يا له من مبرز فى علوم ... ما حواها سواه من انسان)

(فلفقدانه ثوت بفؤادى ... لوعة دونها لظى النيران)

(آه أضحى الانام عميا عليه ... لا يرون الضيا من الضبعان)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٣/٦٠

(رحم الله تربة ابن سعيد ... وسقى من لديه بالهتان)

(وتغشى ضريحه بصلاة ... انه كان طيب الاردان)

عبد الوهاب بن عبد الرحمن الدمشقى الحنفى القاضى تاج الدين المعروف بالتاجى أحد كبراء دمشق وكان له فى وقته شهامة وحرمة وسخاء ورزق وسعة طائلة ونعمة وافرة تفقه بالنجم البهنسى الخطيب واخذ عن البدر الغزى وكان جيد المشاركة فى الفقه وسافر الى الروم وولى قضاء بعض القصبات الى أن وصل الى قضاء حماة وتقاعد بعدها بدمشق وتولى قضاء الركب الشامى فى سنة سبع بعد الالف وكان يرمى بأنه سامرى الاصل واتفق له انه ادعى الشرف من جهة أمه لكونها شريفة وهى بنت السيد القطبى ووضع العلامة الخضراء فى عمامته فقال فيه أبو المعالى." (١)

"ورحل الى مصر خمس مرات وأخذ عن علمائها وكان صوفى المشرب قادري الطريقة وكان أعيان دمشق يذهبون اليه ويقصدون زيارته والتبرك به واستمر مقيما بالمدرسة المذكورة هذه المدة لا يخرج الا لصلاة الجمعة أو أمر مهم وكان يقرئ القرآن والنحو وغيرهما وكتب بخطه الكثير من الكتب هو وتلاميذه واتفق له **من العجائب** انه أقرأ النحو وسمع القرآن وكتب الفقه فى آن واحد ومن عجائبه انه كان يكتب صحيفة من الورق بغطة قلم واحدة وختم القرآن ختمتين وثمن ختمة فى يوم واحد وكان ينظم الشعر فمن شعره قوله فى التوسل

(رباه رباه أنت الله معتمدى ... فى كل حال اذ حالت بى الحال)

(يا واسع اللطف قد قدمت معذرتى ... ان كان يغنى عن التفصيل اجمال)

(ماذا أقول ومنى كل معصية ... ومنك يا سيدى حلم وامهال)

(وما أكون وما قدرى وما عملى ... فى يوم توضع فى الميزان أعمال)

وكتب الى بعض اصحابه

(وفوض لمولاك كل الامور ... فتفويض أمرك خلق حسن)

(وان جاء يوم به شدة ... فلا تجزعن ولا تيأسن)

وله غير ذلك وكانت ولادته فى سنة خمس بعد الالف وتوفى بعد عشاء ليلة الاحد السابع والعشرين من شوال سنة ست وسبعين وألف ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان

السيد محمد بن برهان الدين الشهير بشريف الحميدى نقيب السادة الطالبية بممالك آل عثمان أحد فصحاء الروم وبلغائهم

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ١٠٣/٣

وكان عالما فاضلا مشهورا بالذكاء والتبحر فى العلوم لازم من شيخ الاسلام زكريا بن بيرام وكان فى خدمة نيابته بحلب لما كان قاضيا بها ولما صار قاضى العسكر أعطاه خدمة التذاكر ثم زوجه ابنته وتنقل فى المدارس ثم ولى قضاء الشام فى سنة ثمان عشرة وألف ودخلها وأحسن فى قضاءه ومدحه شعراؤها بالقصائد والمقطعات ولم أسمع بقاض فى دمشق مدح بمقدار ما مدح به هذا وكان محبا للادباء مقربا لهم متهافتا على التلذذ بمجالستهم وقرأت فى أخبار الاديب عبد اللطيف بن يحيى المنقارى انه كان نديم مجلسه وكان يقربه ويدنيه ومرض أبوه فى أيام قضائه فأراد ولده أن يستفرغه عن وظائفه فتمنع ثم انه لما أحس بالموت أراد الفراغ فما أمكنه فذهبت الوظائف ولم يحصل له منها الا القليل وكان بيده تدريس العزية التى بالشرف الاعلى بجانب دمشق الغربى." (١)

"(لك عزمة الشاهين حقا يا ابنه ... وسطا العقاب بكل أخيل زاق)

(أفديك من باز حماه أعز من ... بيض الانوق أعز ذى اشراق)

(فقت القطامى المجد براعة ... وبلاغة يا أحوذى سباق)

(يا مزريا بالببغاء فصاحة ... أنا ذا مطوقك الصدوح الزاقى)

(يا خير مسعود بأيمن طائر ... يا دائم الافضال والاشفاق)

(يا بلبل الافراح فى دوح المنى ... وهزار أنس الواله المشتاق)

(لا زلت ما دعت الهديل حمائم ... قوال صدق ليس بالمذاق)

(ندعوك للجلى فيجلى خطبها ... لا زلت مذخور النفع رفاق)

(قل للبغاث الصعو خفاش الدجا ... حاكى الصدا فى الخلق والاخلاق)

(ثانى غراب البين آوى منزلا ... بحديث زور مسند كنفاق)

(يا أيها الصرد الذى من صافر ... أدهى وأجبن خل عنك شقاق)

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٤٠٥/٣

(ما يدرك الخطاف فى طيرانه ... للجو شأو الاجدل الخفاق)

(والمطرب الصداع لست أعده ... فى الطير قبل الابقع النعاق)

(هل أنت الا كالحبارى خصلة ... فسلاحها بسلاحها الدفاق)

(قبحت يا خرب الخرائب ذلة ... يا مشبه العصفور من دراق)

(أضحى يعرض نفسه من جهله ... للخارج الفتاك ذى الاخفاق)

(أطرق كرا ان النعامة فى القرى ... يرنو اليها الطير بالاحداق)

(نحن البراة الشهب فى أفق العلى ... تعنو لها العنقاء بالاعناق)

(ويصفى الطاوس من عجب بنا ... ويغرد القمرى للعشاق)

(ولنا الشوارد فالجوارح بعضها ... والبعض هن سواجع الاوراق)

(فتشان أقوام وأقوام بها ... تزهو كزهو الورق بالاطواق)

(فمن العجائب وهى عندى جمة ... عتبى على زاغ بغير خلاق)

(ومن استحالت الزمان وقبحه ... وصفى وطاوط مالها من واق)

(رخم سوانحها بوارح عائف ... تحكى العقاعق أولعت بشقاق)

(واسلم ودم فى نعمة لبدية ... أبدية تبقى ومجدك باقى)

(ما غردت ورق الحمام فهيجت ... وجد الكريم ولاعج الاشواق)

(فلأنت فينا نعمة بل رحمة ... يا أحمد المحمود باستحقاق)." (١)

"ينبت الذهب فيه فى سفح جبل كما ينبت القصب فوصل الى اقليم القرود وتقاتل معهم مرات عديدة فكان النصر له وفى سنة أربع وتسعين وتسعمائة جهز السلطان صاحب الترجمة فرهاد باشا الوزير مع عساكر عظيمة الى بلاد العجم فوصلوا الى تبريز وحصنوا قلعتها ورمموا سورها وكانت السباهية حاصروها مرارا عديدة وقربوا من أخذها ثم بنى بين وان وتبريز قلعتين وشحنهما بالرجال والسلاح ولم يزل الوزير المذكور يشتى ببلاد الروم ويرجع فى الصيف الى بلاد العجم حتى مهد البلاد التى أخذت من الكرج وبنى قلعة كورى ووصل الى بلاد قره باغ وكنجه وابتنى هناك حصنا على كنجه وحصنا على بردعه وقاتل صاحب قره باغ محمد خان فكسر وغنم أمواله وعاد الى بلاد الروم وقد وقع فتح بلاد شروان فى هذه السنة **ومن العجائب** التى وقعت فى هذه السنة أنه فى خامس صفر منها ولد بحارة بلاط من قسطنطينية بدار رجل يقال له الحاج خضر مولود له لحية بيضاء طويلة وليس له عينان ولا فم وعلى حاجبه أو جبينه ثؤلول قدر الباقلا وأذناه فى عنقه وحين ولد سطع له نور وبقى الى أن مات من يومه ولما مات ذهب ذلك النور وجئ به الى مجلس قاضى استانبول ورآه الناس وسجل بالسجل وبعث بصورة الواقعة للامصار وفى سنة سبع وتسعين وردت أوامر الى الاقطار بأنه ظهر بمدينة مراكش من المغرب ثلاث أنفار أحدهم اسمه يحيي بن يحيي وهو لابس ثوبا من ليف النخل وفى صدره مرآة وهو راكب جملا ويقول لا اله الا الله ويقول الجمل محمد رسول الله وانه يقول للجدار انهدم بأمر الله فينهدم ويقول كن جدارا كما كنت باذن الله فيكون جدارا عامرا وان الثلاثة تفرقوا واحد الى الشام وآخر الى مصر وآخر الى قسطنطينية وإن الثلاثة يجتمعون بالشام وان المهدى يتلاقى معهم بالشام ومعهم محضر نائب القاضى على قاضى طرابلس الغرب وخطوط العلماء وغيرهم وان البندق والسهام والسيوف لا تؤثر فى واحد منه ولما اتصل بعلم السلطان مراد أمرهم أرسل الى بلاد الغرب أن لا يعتبروا شيئا من ذلك وكذلك الى مصر والشام وصح هذا الخبر وثبت وفى نهار الثلاثا ثالث وعشرى شهر ربيع الآخر سنة احدى بعد الالف وقعت الفتنة باسلا مبول وذلك أن العساكر من طائفة اليمين واليسار والسلاحدراية وغيرهم اتفقوا ودخلوا الى ديوان السلطان بسبب ابطاء علوفاتهم عن العادة وأرسلوا يطلبون محمد الشريف صاحب الدفاتر يومئذ." (٢)

"الاصل المكى المولد الفاضل الاديب الشاعر ذكره ابن معصوم فقال فى وصفه أديب منفسح الخطا وأريب مأمون العثار والخطا له فى الادب المقام المحمود والطبع الذى ما شان سلسال قريحته جمود وقد وقفت له على تأليف سماه أنموذج النجباء من معاشرة الادباء تكلم فيه شارحا قول القائل

(حاشا شمائلك اللطيفة أن ترى ... عونا على مع الزمان القاسى)

غير انه لم يعرف قائله فقال ولعمرى انه وان جهل بانيه فهو من البيوت التى أذن الله أن تسكن فما اللفظ الا بمعانيه وان كان قائله ألكن ثم قال وهذا البيت مما يكثر الاستشهاد به أهل الآداب فى محاضرة الاصدقاء والاحباب وهو من أربعة

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٤٥٨/٣

(٢) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٣٥٢/٤

أبيات معمرة بلطيف العتاب مبرورة بصدق المنطق واقتضاء الصواب محاسنها غرر فى أجياد القصائد والمعانى البديعة بها صلة ومفرداتها عائد تشرق شموس التهذيب فى سماء بلاغتها وترشف الاسماع على الطرب من ريق سلافتها فما أحقها بقول القائل

(أبيات شعر كالقصور ولا قصور بها يليق ...)

(**ومن العجائب** لفظها ... حر ومعناه رقيق)

وهى

(انى لاعجب من صدودك والجفا ... من بعد ذاك القرب والايناس)

(حاشا شمائلك اللطيفة ان ترى ... عونا على مع الزمان القاسى)

(أو ثغرك الصافى يرد حشاشة ... تشكو لهيبا من لظى انفاسى)

(تالله ما هذا فعالك فى الهوى ... لكن حظوظ قسمت فى الناس)

انتهى كلامه قلت وقد وقفت انا على مجموعة قديمة بخط ابى البقا الوفائى الوداعى الحنفى يقول فيه القاضى علاء الدين على بن فضل الله أبو الحسن صاحب ديوان الانشاء أخو القاضى شهاب الدين أحمد العمرى وقف على بيتين للصلاح الصفدى وهما

(انى لاعجب من صدودك والجفا ... من بعد ذاك القرب والايناس)

(حاشا شمائلك ...)

الخ فقال مجيزا لهما أو

(ثغرك الصافى يرد حشاشة ...)

الخ انتهى فعلم من هذا ان البيت الذى شرحه للصلاح الصفدى وقوله انه من أربعة أبيات ليس بصواب لايهامه ان الاربعة قائلها واحد وقد علمت انها الشاعرين ومن شعر الاديب المذكور وقوله موجها باسماء الانغام فيمن اسمه حسين وقد ورد المدينة من مكة فقال." (١)

"وعلم مكتسب: وهو ما يدرك بالطلب، والفكرة والبحث، أو كلاما هذا معناه، وأنفذ الخط إلى الوزير. فلما وقف عليه، أعجب به، وقال: أين يكون هذا الرجل؟ فعرف حاله وفقره، فاستدعاه إليه، وتلقاه بالبشر، وخلع عليه خلعة حسنة، وأعطاه أربعين دينارا، ففرح فرحا عظيما، وقال: يا مولاي، قد حضر لي بيتان. قال: أنشدهما، فقال:

---

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر المحبي ٤/٤٧٣

ومن العجائب والعجائب جمة ... شكر بطيء عن ندى متسرع

ولقد دعوت ندى سواك فلم يجب ... فلأشكرن ندى أجاب وما دعى

فاستحسن ذلك، وما زال يبره إلى أن مات، سامحه الله.

توفي صدقة يوم السبت ثالث عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، وصلى عليه من الغد برحبة الجامع، ودفن بباب حرب.

وقيل: إنه توفي يوم الأحد، رابع عشر.

وذكر ابن الجوزي عمن حدثه: أنه رئي له منامات غير صالحة، وأنه عريان، وأنه أخبر عن نفسه أنه مسجون مضيق عليه، وأنه لم يغفر له، فالله تعالى يسامحه ويتجاوز عنه.

وذكر ابن النجار عن علي الفاخراني الضرير، قال: رأيت صدقة الناسخ في." [1]

"ومحمد يبكي عليه واله ... خير البرية والبطين الأنزع

وذكر تمام القصيدة.

قال: ومن العجائب: أنا كنا جلوسا عند قبره بعد انفضاض العزاء، وإذا بخالي محي الدين يوسف قد صعد من الشط، وخلفه تابوت، فعجبنا وقلنا: ترى من مات في الدار. وإذا بها خاتون أم ولد جدي، والدة محيي الدين، وعهدي بها في ليلة الجمعة التي مات فيها جدي في عافية، قائمة ليس بها مرض، فكان بين موتها وموته يوم وليلة، وعد الناس ذلك من كراماته لأنه كان مغري بها في حال حياته، وأوصى جدي أن يكتب على قبره:

يا كثير العفو عمن كثر الذنب لديه ... جاءك المذنب يرجو الصفح عن جرم يديه

أنا ضيف وجزاء الضيف إحسان إليه

فرحمه الله تعالى وغفر له، ورحم سائر علماء المسلمين.

قال أبو المظفر: وكان له من الأولاد الذكور ثلاثة، أولهم: أبو بكر عبد العزيز. وهو كبر أولاده، تفقه على مذهب أحمد. وسمع أبا الوقت، وابن ناصر، والأرموي، وجماعة من مشايخ والده.

وسافر إلى الموصل، ووعظ، وحصل له القبول التام، فيقال: إن." [2]

"قلت وروى له ابن قانع في معجمه حديثا عن مجاعة بن الزبير أبي عبيدة والحسن بن دينار كلاهما عن الحسن البصري عن المهاجر بن قنفذ أنه سلم على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه حتى توضأ ثم رد عليه والحديث عند أبي داود والنسائي وابن ماجة من رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي ساسان حصين بن المنذر عن المهاجر بن قنفذ وهو الصواب

٤٧٠ - عبد الله بن روزبة السهروردي

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ابن رجب الحنبلي ٣٠٩/٢

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ابن رجب الحنبلي ٥١٢/٢

روى عن علي بن أبي طالب

روى عنه إسماعيل بن علي بن المثنى

قرأت بخط الإمام أبي الميمون عبد الوهاب بن عتيق بن وردان أن الحافظ أبو عمر وهو عثمان بن إبراهيم بن خلدك الموصلي بقراءة أبي الطاهر إسماعيل بن الأنماطي وتخريجه عليه أنا القاضي علي بن أبي نجيح بن الحسن بن محمد الأصبهاني من تخريج الحافظ أبي موسى أنا الإمام أبو الفضل بن أحمد بن منصور العبدري الترمذي ببلد ترمذ أنا إبراهيم بن الحسن الترمذي حدثني الإمام أبو سعد إسماعيل بن علي بن المثنى سمعت عبد الله بن روزبة السهروردي يقول سمعت أمير المؤمنين عليا يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

طوبي لمن رآني أو رأى من رآني وبالإسناد إلى علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من

قال أبو عمرو هذا الإسناد **من العجائب** لم نكتبه إلا عن هذا الشيخ وعبد الله هذا لا نعرفه هكذا نسب ابن وردان الكلام إلى أبي عمرو ولعله كلام المخرج أبي طاهر الأنماطي

قلت إسماعيل بن علي بن المثنى الواعظ قال فيه الخطيب ليس بثقة وإسماعيل مذكور في الميزان وإنما ذكرت هذا الحديث في هذه الترجمة للتحميل المذكور

٤٧١ – عبد الله بن سبرة الأسدي

مجهول مذكور في الحافل في ترجمة ابنه إبراهيم بن عبد الله بن سبرة

٤٧٢ – عبد الله بن شيماء المؤذن

شيخ لعبد العزيز الكتاني قال في حقه لم يكن الحديث من شأنه توفي سنة ٤٢١

٤٧٣ – عبد الله بن شداد المديني أبو الحسن الأعرج (٤)

روى عن أبي عدرة عن عائشة مرفوعا في دخول الحمامات رواه عنه حماد بن سلمة." (١)

"وتشرين الثاني وهذا كله بتقدير العزيز العليم واداراته الاجرام العلوية على نهج مستقيم ويقال المراد بالبروج هى النجوم التي هى منزل القمر وهى ثمانيه وعشرون نجما ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاها ولا يتقصر عنها وذا صار القمر الى آخر منازله دق واستقوس ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين يوما وان كان تسعة وعشرين فليلة واحدة واطلاق البروج على هذه النجوم مبنى على تشبهها بالقصور من حيث ان القمر ينزل فيها ولظهورها ايضا بالنسبة الى بعض الناس كالعرب لان البرج ينبئ عن الظهور مع الاشتمال على المحاسن يقال تبرجت المرأة اى تشهت بالبرج فى اظهار المحاسن واما البروج الاثناعشر فليس لها ظهور حيث لا تدرك حسا والبروج الاثنا عشر منقسمة الى هذه المنازل الثمانية والعشرين والشمس تسير فى تمام هذه البروج الاثني عشر فى كل سنة والقمر فى كل شهر وقد تعلقت بها منافع ومصالح للعباد فاقسم الله تعالى بها إظهارا لقدرها وشرفها وفيه اشارة الى الروح الإنساني ذات المقامات فى الترقي والدرجات واليوم الموعود اى يوم القيامة اقسم الله تعالى به تنبيها على قدره وعظمه ايضا من حيث كونه يوم الفصل والجزاء ويوما تفرد الله بالملك والحكم

---

(١) ذيل ميزان الاعتدال العراقي، زين الدين ص/١٣٤

فيه وفيه اشارة الى آخر درجات الروح من كشف التوحيد الذاتي وهى القيامة الكبرى وشاهد ومشهود اى ومن يشهد فى ذلك اليوم من الأولين والآخرين والانس والجن والملائكة والأنبياء وما يحضر فيه **من العجائب** فالشاهد بمعنى الحاضر من الشهود بمعنى الحضور لا بمعنى الشاهد الذي نثبت به الدعاوى والحقوق وتنكيرهما للابهام فى الوصف اى وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما ويقال المشهود يوم الجمعة والشاهد من يحضره من المسلمين للصلاة ولذكر الله ما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مومن يدعو الله فيها خيرا الا استجاب له ولا يستعيذه من سوء الا أعاذه منه وفى الحديث أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة ويقال المشهود يوم عرفة والشاهد من يحضره من الحاج وحسن القسم به تعظيما لامر الحج وعددهم هفتصد هزار كما فى كشف الاسرار ويقال الشاهد كل يوم والمشهود اهله فيكون المشهود بمعنى المشهود عليه والشاهد من الشهادة كما قال الحسن البصري رحمه الله ما من يوم الا وينادى انى يوم جديد وانى على ما يفعل فى شهيد فاغتنمنى فلو غابت شمس لم تدكنى الى يوم القيامة.

دريغا كه بگذشت عمر عزيز ... بخواهد كذشت اين دمى چند نيز

كذشت آنچه در ناصوابى كذشت ... در اين نيز هم در نيابى كذشت

ويقال الشاهد هو الحق من حنث الجمعية والمشهود هو ايضا من حيث التفرقة وان شئت قلت من حيث الإجمال ومن حيث التفصيل لا يراه بالحقيقة أحد الا هو ويقال الشاهد نفس الروح والمشهود نفس الطبع وقال الحسين رحمه الله فى هذه الآية علامة انه ما انفصل الكون عن المكون ولا قارنه قتل أصحاب الأخدود جواب القسم بحذف اللام المؤكدة." (١)

"فى بعض الأحيان من السنن واما أنه هل يفرض استماعه كلما قرئ بناء على قوله تعالى وذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ففى الصلاة نعم واما خارجها فعامة العلماء على استحبابها كما فى شرح شرعة الإسلام للشيخ قورد افندى رحمه الله تمت سورة القيمة بعون جاعل الإنسان منتصب القامة فى الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر المنتظم فى سلك شهور سنة سبع عشرة ومائة وألف من هجرة من يرى من قدام وخلف

تفسير سورة الزلزلة

مكية او مدينة وآيها تسع او ثمان بسم الله الرحمن الرحيم

إذا چون زلزلت الأرض اى حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا فان تكرر حروف لفظه ينبئ عن تكرر معنى الزلل زلزالها اى الزلزال المخصوص بها الذي تستوجبه فى الحكمة ومشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذي لا غاية وراءه وهو معنى زلزالها بالاضافة العهدية يقال زلزله زلزلة وزلزالا مثلثة حركه كما فى القاموس وقال اهل التفسير الزلزال بالكسر مصدر وبالفتح اسم بمعنى المصدر وفعلان بالفتح لا يوجد الا فى المضاعف كالصلصال ونحوه وأخرجت الأرض أثقالها اختيار الواو على الفاء مع أن الاحراج متسبب عن الزلزال للتفويض الى ذهن السامع واظهار الأرض فى موضع الإضمار لأن إخراج الأثقال حال بعض اجزائها والأثقال كنوز الأرض وموتاها جمع ثقل بالكسر واما ثقل محركة فمتاع المسافر وحشمه على ما فى القاموس

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٣٨٥/١٠

والمعنى وأخرجت الأرض ما فى جوفها من دفائها وكنوزها كما عند زلزال النفخة الاولى الذي هو من اشراط الساعة وكذا من امواتها عند زلزال النفخة الثانية وفى الخبر تقيئ الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوانة من الذهب فجئ القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجئ القاطع رحمه فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجيئ السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيأ قوله أفلاذ كبدها أراد انها تخرج الكنوز المدفونة فيها وقيئها إخراجها ويدخل فى الأثقال الثقلان وفيه اشارة الى أن الجن تدفن ايضا وقال الإنسان اى كل فرد من افراده لما يغشاهم من الأهوال ويلحق بهم من فرط الدهشة وكمال الحيرة ما لها اى شيء للارض زلزلت هذه المرة الشديدة من الزلزال وأخرجت ما فيها من الأثقال استعظاما لما شاهده من الأمر الهائل وتعجبا لما يرونه **من العجائب** التي لم تسمع بها الآذان ولا ينطق بهما اللسان لكن المؤمن يقول بعد الافاقة هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون والكافر من بعثنا من مرقدنا يومئذ يدل من إذا تحدث أخبارها عامل فيهما وهو جواب الشرط وهذا على القول بأن العامل فى إذا لشرطية جوابها واخبارها مفعول لتحدث والاول محذوف لعدم تعلق الغرض بذكره إذ الكلام مسوق لبيان تهويل اليوم وان الجمادات تنطق فيه واما ما ذكر ابن الحاجب من ان حدث." (١)

"الأنثى إنك أنت السميع لجميع المسموعات التي من جملتها تضرعى ودعائى العليم لكل المعلومات التي من زمرتها ما فى ضميرى لا غير فلما وضعتها اى ولدت النسمة وهى أنثى قالت حنة وكانت ترجو ان تكون غلاما رب إني التأكيد للرد على اعتقادها الباطل وضعتها أنثى تحسرا على ما رأته من خيبة رجائها وعكس تقديرها والضمير المتصل عائد الى النسمة وأنثى حال منه والله أعلم بما وضعت تعظيم من جهته تعالى لموضوعها فانها لما تحسرت وتحزنت على ان ولدت أنثى قال الله تعالى انها لا تعلم قدر هذا الموهوب والله هو العالم بالشيء الذي وضعته وما علق به **من العجائب** وعظائم الأمور فانه تعالى سيجعله وولده آية للعالمين وهى جاهلة بذلك لا تعلم به فلذلك تحسرت وتحزنت وليس الذكر كالأنثى مقول لله ايضا مبين لتعظيم موضوعها ورفع منزلته. واللام فيهما للعهد اى ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالا قصاراه ان يكون كواحد من السدنة كالانثى التي وهبت لها فان دائرة علمها وامنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلائل الأمور فهى أفضل من مطلوبها وهى لا تعلم وهاتان الجملتان من مقول الله تعالى اعتراضان بين قول أم مريم إني وضعتها أنثى وقولها وإني سميتها مريم وفائدتهما التسلية لنفس حنة والتعظيم لوضعها وإني سميتها مريم من مقول حنة عطف على قولها إني وضعتها اى انى جعلت اسمها مريم وغرضها من عرضها على علام الغيوب التقرب اليه تعالى واستدعاء العصمة لها فان مريم فى لغتهم بمعنى العابدة وخادم الرب واظهار انها غير راجعة فى نيتها وان كان ما وضعته أنثى وانها ان لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه وظاهر هذا الكلام يدل على ان عمران كان قدمات قبل وضع حنة مريم والا لما تولت الام تسمية المولود لان العادة ان التسمية يتولاها الآباء وإني أعيذها بك اى أجيرها بحفظك وذريتها عطف على الضمير المنصوب اى أولادها من الشيطان الرجيم اى المطرود. واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم (ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها) ومعناه ان الشيطان يطمع فى

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١٠/٤٩٢

إغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها اى أخذ مريم ورضى بها فى النذر مكان الذكر ربها مالكها ومبلغها الى كمالها اللائق بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذائر وهو قبول تلك الأنثى مع أنوثتها وصغرها فان المعتاد فى تلك الشريعة ان لا يجوز التحرير الا فى حق غلام عاقل قادر على خدمة المسجد وهنا لما علم الله تعالى تضرع حنة قبل بنتها حال صغرها وعدم قدرتها على خدمة المسجد وأنبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها مما يصلح فى جميع أحوالها ثم ان الله تعالى ذكر قبولها منها وذلك لضفها وصدق نيتها فى الابتداء وحيلئها فى الانتهاء وكان فى ذلك الزمان اربعة آلاف محرر لم يشتهر خبر أحد منهم اشتهار خبرها. وفيه تنبيه للعبد على ان يرى من نفسه التقصير بعد جهدها ليقبل الله عملها لاظهار إفلاسها وإضمار إخلاصها رزقنا الله وإياكم

طريقت همينست كاهل يقين ... نكو كار بودند وتقصير بين." (١)

"لتضمنه معنى فأدوا اى فأدوه إليهم تاما كاملا إلى مدتهم ولا تفاجئوهم بالقتال عند مضى الاجل المضروب للناكثين ولا تعاملوهم معاملتهم- روى- ان بنى ضمرة وهم حى من بنى كنانة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية عند البيت وكان بقي لهم من عهدهم تسعة أشهر فأتم عليه الصلاة والسلام إليهم عهدهم إن الله يحب المتقين تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعاة حقوق العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوفى والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا: قال الحافظ

وفا وعهد نكو باشد ار بياموزى ... وكرنه هر كه تو بينى ستمكرى داند

قال الشيخ نصرآبادي للمتقى علامات اربع حفظ الحدود وبذل المجهود والوفاء بالعهود والقناعة بالموجود: قيل فى الترجمة

متقى را بود چهار نشان ... حفظ احكام شرع أول آن

ثانيا آنچه دست رس باشد ... بر فقيران وبي كسان باشد

عهد را با وفا كند پيوند ... هر چه باشد بدان شود خرسند

واعلم ان الحج الأكبر يوم الوصول الى كعبة الوصال والحج الأصغر يوم الوصول الى كعبة القلب. وزيارة كعبة الوصال وطوافها حرام على مشركى الصفات الناسوتية لانها تميل الى غير الله وتركن الى ما سواه فلا تطوف الناسوتية حول كعبة اللاهوتية الا بعد فنائها وفناؤها انما يكون بالجذبات الالهية فاذا تداركت العناية الازلية العبد يخاطب يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك اما فى حال الحياة واما فى وقت الوفاة لكل أجل كتاب أما ترى الى سحرة فرعون كيف قالوا إنا إلى ربنا لمنقلبون وفى حديث المعراج (ثم ذهبت الى الجنة فرأيت رضوان خازنها فلما رآنى فرح بي ورحب بي وأدخلني الجنة وأراني فيها **من العجائب** ما وعد الله فيها لاوليائه مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ورأيت فيها درجات أصحابي ورأيت فيها الأنهار والعيون وسمعت فيها صوتا وهو يقول آمنا برب العالمين فقلت ما هذا الصوت يا رضوان قال هم سحرة فرعون وسمعت صوتا آخر وهو يقول لبيك اللهم فقلت من هو قال أرواح الحجاج وسمعت التكبير فقال هؤلاء الغزاة فسمعت التسبيح فقال هؤلاء الأنبياء ورأيت قصور الصالحين ثم بلغت الى سدرة المنتهى) وسميت المنتهى لان علم الخلائق ينتهى إليها (ثم

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٢/٢٧

تخلف عني جبريل فقلت له أتتركني وحيدا فقال يا أكرم الخلق على الله ما جاوز هذا المكان أحد قبلك ولا يجاوز بعدك فاذا ناداني ربي فقال لى ادن مني يا محمد فلم ازل ادنو وهو يقول ادن الف كرة حتى قربت منه كما قال تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى وما من مرة ادنو من ربى إلا قضى لى فيها حاجة ثم وقفت فقطرت على لسانى قطرة كانت احلى من العسل وأبرد من الثلج فعلمت علم الأولين والآخرين وقال لى يا محمد قد جعلت الإسلام حلوا فى قلوب أمتك حتى احبوه وجعلت الكفر مرا فى قلوبهم حتى ابغضوه) يقول الفقير ومنه يعرف ان الله تعالى جعل الكفر حلوا فى قلوب امة الدعوة حتى احبوه وجعل الايمان مرا فى قلوبهم حتى ابغضوه فحب الايمان من الجذبة الالهية والعناية الازلية وبه اتقى المؤمن من الكفر ثم من." (١)

"عليهم حتى مات فعالجوه وملحوه واحتملوه ليراه الناس وفى الواقعات المحمودية ان ذا القرنين طلب رأس النيل فلم يجد- وحكى- انهم وصلوا الى جبل فكل من نظر وراءه لم يأت فربطوا فى وسط شخص حبلا فبعد ان نظر جذبوه وسألوا منه فلم ينطق حتى مات قال بعضهم لولا دخول بحر النيل فى الملح الذي يقال له البحر الأخضر قبل ان يصل الى بحيرة الزنج ويختلط بملوحته لما قدر أحد على شربه لشدة حلاوته ولذا يقال ان النيل نهر العسل فى الجنة ومن الأنهار نهر أرس كما قال الشاعر

أرس را در بيابان جوش باشد ... بدريا چون رسد خاموش باشد

ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اثنين تأكيد للزوجين كما هو دأب العرب فى كلامهم اى وخلق فيها من جميع انواع الثمرات زوجين زوجين كالحلو والحامض والأسود والأبيض والأصفر والأحمر والصغير والكبير يغشي الليل النهار اى يجعل الليل غاشيا يغشى النهار بظلمته فيذهب بنور النهار اى يجعله مستورا بالليل ويغطيه بظلمته ولم يذكر العكس اكتفاء بأحد الضدين قال البيضاوي يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيئا يعنى ان الاغشاء إلباس الشيء الشيء ولما كان اللباس الليل النهار وتغطية النهار به غير معقول لانهما متضادان لا يجتمعان واللباس لا بد ان يجتمع مع اللابس قدر المضاف وهو مكانه ومكان النهار هو الجو وهو الذي يلبس ظلمة الليل شبه احداث الظلمة فى الجو الذي هو مكان الضوء بإلباسها إياه وتغطيته بها فاطلق عليه اسم الاغشاء والإلباس فاشتق منه لفظ يغشى فصار استعارة تبعية إن في ذلك اى فى كل من الأرض والجبال والأنهار والثمار والملوين لآيات تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره اما فى الأرض فمن حيث هى ممدودة مدحوة كالبساط لما فوقها وفيها المسالك والفجاج للماشين فى مناكبها وغير ذلك مما فيها من العيون والمعادن والدواب مثلا واما الجبال فمن جهة رسوها وعلوها وصلابتها وثقلها وقد أرسيت الأرض بها كما يرسى البيت بالأوتاد واما الأنهار فحصولها فى بعض جوانب الجبال دون بعض لا بد ان يستند الى الفاعل المختار الحكيم واما الثمار فالحبة إذا وقعت فى الأرض واثرت فيها نداوة الأرض ربت وكبرت وبسبب ذلك ينشق أعلاها وأسفلها فتخرج من الشق الأعلى الشجرة الصاعدة وتخرج من الشق الأسفل العروق الغائصة فى أسفل الأرض وهذا **من العجائب** لان طبيعة تلك الحبة واحدة وتأثير الطبائع والافلاك والكواكب فيها واحد ثم انه خرج من أحد جانبي تلك الحبة جرم صاعد الى الهواء

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٣٨٦/٣

ومن الجانب الآخر منها جرم غائص فى الأرض ومن المحال ان يتولد من طبيعة واحدة طبيعتان متضادتان فعلمنا ان ذلك انما كان بسبب تدبير المدبر الحكيم ثم ان الشجرة النابتة من تلك الحبة بعضها يكون خشبا وبعضها يكون نورة وبعضها يكون ثمرة ثم ان تلك الثمرة ايضا يحصل فيها

أجسام مختلفة الطبائع فالجوز له اربعة انواع من القشور قشره الأعلى وتحته القشرة الخشبية وتحته القشرة المحيطة باللب وتحت تلك القشرة قشرة اخرى فى غاية الرقة تمتاز عما فوقها حال كون الجوز واللوز رطبا وايضا قد يحصل فى الثمرة الواحدة الطبائع المختلفة فالعنب مثلا." (١)

"برسلهم وبما جاؤا به من الكتب نسلك الذكر فى قلوب اهل مكة او جنس المجرمين حال كونه مكذبا غير مؤمن به لانهم كانوا يسمعون القرآن بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فى قلوبهم ومع ذلك لا يؤمنون لعدم استعدادهم لقبول الحق لكونهم من اهل الخذلان: قال السعدي قدس سره

كسى را كه پندار در سر بود ... مپندار هرگز كه حق بشنود

ز علمش ملال آيد از وعظ ننگ ... شقائق بباران نرويد ز سنگ

قال سعدى المفتى مكذبا اى حال الإلقاء من غير توقف كقوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به اى فى ذلك الزمان من غير توقف وتفكر فلا حاجة الى جعلها حالا مقدرة اى كما فعله الطيبي وفى التأويلات النجمية كذلك نسلكه اى الكفر في قلوب المجرمين لا يؤمنون به بواسطة جرمهم فان بالجرم يسلك الكفر فى القلوب كما يسلك الايمان بالعمل الصالح فى القلوب نظيره بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا وقد خلت سنة الأولين اى قد مضت طريقتهم التي سنها الله فى إهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء: يعنى [هر كه از ايشان هلاك شده بترك قبول حق وتكذيب رسل بوده] وفيه وعيد لاهل مكة على استهزائهم وتكذيبهم

نه هرگز شنيدم درين عمر خويش ... كه بد مرد را نيكى آمد به بيش

ولو فتحنا عليهم اى على هؤلاء المقترحين المعاندين الذين يقولون لو ما تأتينا بالملائكة بابا من السماء اى بابا ما لا بابا من ابوابها المعهودة كما قيل ويسرنا لهم الرقى والصعود اليه فظلوا قال فى بحر العلوم الظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل اكثر الافعال الناقصة بمعناها اى فصاروا فيه اى فى ذلك الباب يعرجون يصعدون بآلة او بغيرها ويرون ما فيها **من العجائب** عيانا او فظل الملائكة يصعدون وهم يشاهدونهم. ويقال ظل يعمل كذا إذا عمله بالنهار دون الليل. فالمعنى فظل الملائكة الذين اقترحوا إتيانهم يعرجون فى ذلك الباب وهم يرونه عيانا مستوضحين طول نهارهم كما قال الكاشفى [پس باشند همه روز فرشتگان در نظر ايشان در ان بر بالا ميروند واز ان در زير مى آيند] لقالوا لغاية عنادهم وتشكيكهم فى الحق إنما سكرت أبصارنا اى سدت من باب الاحساس: يعنى [اين صورت در خارج وجود ندارد] قال فى القاموس قوله تعالى سكرت أبصارنا اى حبست عن النظر وحيرت او غطيت وغشيت وفى تهذيب المصادر السكر [بند بستن] كما قال الكاشفى [جزين نيست كه بر بسته اند چشمهاى ما را وخيره ساخته] بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد كما قالوه

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٤/٣٣٩

عند ظهور سائر الآيات الباهرة كما قال تعالى حكاية عنهم ويقولوا سحر مستمر
تلخيصه لو أوتوا بما طلبوا لكذبوا لتماديهم فى الجحود والعناد وتناهيهم فى ذلك كما فى الكواشي. وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالة على انهم يبتون القول بذلك وان ما يرونه لا حقيقة له وانما هو امر خيل إليهم بنوع من السحر قالوا كلمة انما تفيد الحصر فى المذكور آخرا فيكون الحصر فى الابصار لا فى التسكير فكأنهم قالوا سكرت أبصارنا لا عقولنا فنحن وان." (١)

"وغفلتها عنها فلو ارتفعت جهالتها وغفلتها لشاهدت الأمر وعاينته كما تشاهد الشمس فى وسط السماء وتعاينها اللهم ارفع الحجب عن القلوب حتى تنفتح أبواب الغيوب انتهى بعبارته قال الله تعالى فى بعض كتبه المنزلة اعرف نفسك يا انسان تعرف ربك وقال عليه الصلاة والسلام (أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه) ومن فضل الله تعالى على الإنسان ان علمه طريق معرفته بان جمع فى شخصه مع صغر حجمه **من العجائب** ما يكاد يوازى عجائب كل العالم حتى كأنه نسخة مختصرة من هيئة العالم

آدمي چيست برزخى جامع ... صورت خلق وحق درو واقع
متصل با دقائق جبروت ... مشتمل بر حقائق ملكوت

ليتوسل الإنسان بالتفكر فيها الى العلم بالله الذي هو أجل العلوم واشرف المعارف. ومعنى الآية فاذا كملت استعداده وجعلت فيه الروح حتى جرى آثاره فى تجاويف أعضائه فحيي وصار حساسا متنفسا فقعوا له امر من وقع يقع وفيه دليل على انه ليس المأمور به مجرد الانحناء كما قيل اى اسقطوا له ساجدين امتثالا لامر الله تعالى وتحية لآدم وتعظيما وتكريما له واسجدوا لله على انه عليه السلام بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه تعاجيب آثار قدرته وحكمته يقول الفقير لى رؤيا صادقة فى هذا المقام وهى انى رأيت حضرة شيخى وسندى روح الله روحه فى المنام فى غاية من الانبساط فسألته عن بعض ما يتعلق بالموت فقال كنت على الطهارة الكاملة الى آخر النفس فلما قبض روحى دخلت فجا يجرى فيه عين ماء فتوضأت منه لانه وقع الحدث بالنزع ثم عرج بي الى السماء ثم رجعت الى جنازتى فصليت على مع الحاضرين فقلت له هل يبقى العقل والإدراك الذي فى هذه النشأة الدنيوية على حاله قال نعم ثم أخذ بيدي وهو متبسم فقال لى مرتين كن معتقدا لى كأنه اظهر السرور من حسن اعتقادي له فاستيقظت ففى هذه الرؤيا امور. منها ان الوضوء ينتقض عند النزع وعليه بنى مشروعية الغسل فى الأصح والمؤمن الكامل طاهر فى حياته ومماته فلا يتنجس والحدث غير التنجس ولو سلم فهو بالنسبة الى الناقص والحاصل انه يغسل الكامل غسل الناقص لانه على غير وضوء بحسب الظاهر ولانه فى هذه النشأة الدنيوية تابع للناقص فيما يتعلق بالأمور الظاهرة. ومنها بيان بقاء العقل والإدراك على حاله لان العقل والايمان والولاية ونحوها من صفات الروح وهو لا يتغير بالموت. ومنها ان الروح الكامل يشهد جنازته فيكون أسوة للناس فى الصلاة فصلاته على نفسه اشارة الى ان الكامل هو الساجد والمسجود له فى مرتبة الحقيقة فعبادته له لا لغيره فافهم جدا وصلاة الناس عليه اشارة الى سجود الملائكة لآدم ولهذا شرعت صلاة الجنازة مطلقا تحقيقا لهذا السر العظيم ولا ينافيه كونها دعاء وثناء فى مرتبة الشريعة إذ لكل

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٤/٤٤٦

مرتبة حد بحسب الوقوف عنده قال فى التأويلات النجمية فإذا سويته تسوية نجعله قابلا لنفختي وللروح المضاف الى ونفخت فيه من روحي يشير بتشريف هذه الاضافة الى اختصاص الروح بأعلى المراتب من الملكوت الأعلى وكمال قربه الى الله كما قال ونحن أقرب إليه من حبل الوريد والى اختصاصه بقبول النفخة فانه تشرف بهذا." (١)

"بحقيقة العفو والصبر والحلم والانشراح فى المنشط والمكره وترك الحزن والغم على الفائت والآتي. وبالتقوى على مراتبها وبالإحسان بانواعه فقد جعل لنفسه علامة الولاية والمغية والايمان الكامل وحسن الخاتمة وخير العاقبة اللهم احفظنا من الميل الى السوي والغير واختم عواقبنا بالخير يا رب تمت سورة النحل بما تحتويه من شواهد العقل والنقل فى يوم السبت التاسع عشر من شعبان المبارك المنتظم فى سلك شهور سنة اربع ومائة والف الجزء الخامس عشر من الاجزاء الثلاثين

تفسير سورة الاسراء

وهى مائة واحدى عشرة آية مكية قال فى الكواشي إلا من وإن كادوا ليستفزونك الى نصيرا او فيها من المدني من قل رب أدخلني مدخل صدق. وإن الذين أوتوا العلم من قبله. وإن ربك أحاط بالناس. وإن كادوا ليفتنونك. ولولا أن ثبتناك والتي تليها انتهى بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه ومتضمن معنى التعجب وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره تقديره اسبح الله عن صفات المخلوقين سبحانا بمعنى تسبيحا ثم نزل منزلة الفعل فناب منابه كقولهم معاذ الله وغفرانك وغير ذلك. وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكره بعده وهو لا ينافى التعجب قال فى التأويلات النجمية كلمة سبحان للتعجب بها يشير الى اعجب امر من أموره تعالى جرى بينه وبين حبيبه وفى الاسئلة الحكم اما اقتران الاسراء بالتسبيح ليتقى بذلك ذو العقل وصاحب الوهم ومن يحكم عليه خياله من اهل التشبيه والتجسيم مما يخيله فى حق الخالق من الجهة والجسد والحد والمكان. وانما تعجب بعروجه دون نزوله عليه السلام لانه لما عرج كان مقصده الحق تعالى ولما نزل كان مقصد. الخلق والمقصود من التعجب التعجب بعروجه. وايضا ان عروجه اعجب من نزوله لان عروج الكثيف الى العلو من العجائب الذي أسرى بعبده قال الكاشفى [پاكى وبي عيبى آنراكه بجهت كرامت ببرد بنده خود راكه محمد است صلى الله عليه وسلم] الاسراء السير بالليل خاصة كالسرى يقال اسرى وسرى اى سار ليلا ومنه السرية لواحدة السرايا لانها تسرى فى خفية واسرى به اى سيره ليلا قال النضر سقط السؤال والاعتراضات على المعراج بقوله اسرى دون سار ونظيره قوله عليه السلام (حبب الى من دنياكم ثلاث) حيث لم يقل أحببت. وانما قال بعبده دون بنبيه لئلا يتوهم فيه نبوة والوهة كما توهموا فى عيسى." (٢)

"(اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة) اى لصلاتها (ورأيت ليلة اسرى بي مكتوبا على باب الجنة الصدقة بعشر امثلها والقرض بثمانية عشر فقلت لجبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة قال لان السائل يسأل وعنده شيء والمستقرض لا

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٤/٤٦١

(٢) روح البيان إسماعيل حقي ٥/١٠٢

يستقرض الا من حاجة) وبيان كون درهم القرض بثمانية عشر درهما ان درهم القرض بدرهمين من دراهم الصدقة كما جاء فى بعض الروايات ودرهم الصدقة بعشرة تصير الجملة عشرين ودرهم القرض يرجع للمقرض بدله بدرهمين من عشرين يتخلف ثمانية عشر (ورأيت رضوان خازن الجنة فلما رآنى فرح بي ورحب بي وأدخلني الجنة وأراني فيها **من العجائب** ما وعد الله فيها لاوليائه مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ورأيت فيها درجات أصحابي ورأيت فيها الأنهار والعيون وسمعت فيها صوتا وهو يقول آمنا برب العالمين فقلت ما هذا الصوت يا رضوان قال هم سحرة فرعون وأزواجهم وسمعت آخر وهو يقول لبيك اللهم فقلت من هو قال أرواح الحجاج وسمعت التكبير فقال هؤلاء الغزاة وسمعت التسبيح فقال هؤلاء الأنبياء ورأيت قصور الصالحين وعرضت على النار وان كانت فى الأرض السابعة فاذا على بابها مكتوب وان جهنم لموعدهم أجمعين) قال عليه السلام (وأبصرت ملكا لم يضحك فى وجهى فقلت يا أخي جبريل من هذا قال مالك خازن النار لم يضحك منذ خلقه الله ولو ضحك الى أحد لضحك إليك فقال له جبريل يا مالك هذا محمد فسلم عليه فسلم على وهنأنى بما صرت اليه من الكرامة والشرف) وانما بدأ خازن النار بالسلام عليه صلى الله عليه وسلم ليزيل ما استشعر من الخوف منه ويشير الى انه ومن اتبعه من الصالحين سالمون من النار ناجون قال عليه السلام (فسألته ان يعرض على النار بدركاتها فعرضها على بما فيها وإذا فيها غضب الله) اى نقمته (لو طرحت فيها الحجارة والحديد لاكلتها وإذا قوم يأكلون الجيف فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ورأيت قوما تنزع ألسنتهم من أقفيتهم فقلت من هم فقال هم الذين يحلفون بالله كاذبين ورأيت جماعة من النساء علقن بشعورهن فقلت من هن قال هن اللاتي لا يستترن من غير محارمهن ورأيت جماعة منهن لباسهن من القطران فقلت من هن قال نائحات) جمع نائحة وهى الباكية على الميت مع عدا خلاقه ومحاسنه ودل حديث المعراج على ان الجنة والنار مخلوقتان الآن لان الإنسان إذا علم ثوابا مخلوقا اجتهد فى العبادة ليحصل ذلك الثواب وإذا علم عقابا مخلوقا اجتهد فى اجتناب المعاصي لئلا يصيبه ذلك العقاب وقد صح ان الجنان قيعان وعمارتها بالأعمال كما دل عليه حديث الغراس فيما سبق واعلم انه عليه السلام اسرى به من مكة الى بيت المقدس على البراق ومن بيت المقدس الى السماء الدنيا على المعراج ومنها الى السماء السابعة على جناح الملائكة ومنها الى السدرة على جناح جبريل

ومنها الى العرش على الرفرف والظاهر ان النزول كان على هذا الترتيب وقال بعض الأكابر من اهل الله انه اسرى به الى السدرة على البراق وأيا ما كان فلما نزل الى السماء الدنيا نظر الى أسفل منه فاذا هو بهرج ودخان وأصوات فقال ما هذه يا جبريل قال هذه الشياطين يحومون على أعين بنى آدم حتى لا ينظروا الى العلامات ولا يتفكروا فى ملكوت السموات ولولا ذلك لرأوا **العجائب** اى أدركوها ونزل عليه السلام الى بيت." (١)

"التي هى الصبح لم تكن فرضت كما تقدم (وأتيت فيما بين ذلك بيت المقدس) وأخبرهم عما رأى فى السماء **من العجائب** وانه لقى الأنبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وجاء انه لما دخل المسجد الحرام وعرف ان الناس يكذبونه

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١٢٤/٥

وما أحب ان يكتم ما هو دليل على قدرة الله تعالى وما هو دليل على علو مقامه الباعث على اتباعه قعد حزينا فمر به عدو الله ابو جهل فجاء حتى جلس اليه عليه السلام فقال كالمستهزئ هل كان من شيء قال (نعم أسرى بي الليلة) قال الى اين قال (الى بيت المقدس) قال ثم أصبحت بين ظهرانينا قال (نعم) قال أرأيت ان دعوت قومك تحدثهم ما حدثتنى قال (نعم) قال يا معشر كعب بن لوى فانفضت اليه المجالس وجاؤا حتى جلسوا إليهما فقال حدث قومك بما حدثتنى به فقال (انى اسرى بي) قالوا الى اين قال (الى بيت المقدس فنشر لى الأنبياء وصليت بهم وكلمتهم) فقال ابو جهل كالمستهزئ صفهم لنا فقال عليه السلام (اما عيسى ففوق الربعة دون الطويل) اى لا طويل ولا قصير (عريض الصدر جاعد الشعر) اى فى شعره (تثنى وتكسر تعلوه صهبة) اى يعلو شعره شقرة (ظاهر الدم) اى يعلوه حمرة (كأنما خرج من ديماس) اى حمام وأصله الكن الذي يخرج منه الإنسان وهو عريان وأصله الظلمة يقال ليل دامس والحمام لفظ عربى. وأول واضع له الجن وضعته لسليمان عليه السلام وقيل الواضع بقراط الحكيم وقيل شخص سابق على بقراط استفاده من رجل كان به تعقيد الغصب فوقع فى ماء حار فى جب فسكن فصار يستعمله حتى برئ وفى الحديث (اتقوا بيتا يقال له الحمام فمن دخله فليستتر) ولم يدخل عليه السلام الحمام ولم يكن ذلك فى بلاد الحجاز وانما كان فى ارض العجم والشام (واما موسى فضحم آدم) اى أسمر ومن ثمة كان خروج يده بيضاء مخالفا لونها لسائرلون جسده آية (طويل كأنه من رجال شنوءة) وهى طائفة من اليمن اى ينسبون الى سنوءة وهو عبد المطلب بن كعب، من أولاد الأزد معروفون بالطول (كثير الشعر غائر العينين متراكم الأسنان متقلص الشفتين خارج اللثة) وهو اللحم الذي خارج الأسنان عابس (واما ابراهيم فو الله انه لأشبه الناس بي خلقا وخلقا فضجوا) اى صاح قريش وعظموا ذلك وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على رأسه متعجبا ومنكرا قالوا نحن نضرب أكباد الإبل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا أتزعم انك أتيته فى ليلة واحدة واللات والعزى لا تصدقك وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابى بكر رضى الله عنه اى اسرع او مشى فقال ان كان قد قال ذلك فلقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال انى أصدقه على ابعد من ذلك اى ان ذهب الى بيت المقدس فى ليلة واحدة أصدقه فانى أصدقه فى خبر السماء فى غدوة وهى ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس وروحة وهى اسم للوقت من الزوال الى الليل والمراد هنا انه ليخبرنى ان الخبر ليأتيه من السماء الى الأرض فى ساعة من ليل او نهار فاصدقه فهذا اى مجئ الخبر له من السماء بواسطة الملك ابعد مما تتعجبون منه فسمى الصديق وهو الكثير الصدق فهو للمبالغة وتسمية ابى بكر بسبب هذا الجواب الصدق بهذا الاسم للمبالغة فى كيفية الصدق فانه صدق كامل فى مثل هذا المقام الذي كذب فيه اكثر الناس وكان على رضى الله عنه يحلف بالله ان الله انزل اسم ابى بكر من السماء الصديق اى فهى تسمية الله بالذات لا تسمية الخلق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس." (١)

"قوم تو در كوه ميكيرند كور ... در ميان كوى ميكيرى تو كور
ترك اين تزوير كو شيخ نفور ... آب شورى جمع كرده چند كور
كاين مريدان من ومن آب شور ... مى خورند از من همى كردند كور

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١٢٦/٥

آب خود شيرين كن از بحر لدن ... آب بد را دام اين كوران مكن

خيز شيران خدا بين كور كير ... تو چوسك چونى بزرقى كور كير

فعلى العاقل ان لا يقنع بيسير من القال والحال بل يتضرع الى الله الملك المتعال فى ان يوصله الى المقامات العالية والدرجات العلى انه الكريم المولى- يروى- انه لما رجع رسلها إليها بخبر سليمان قالت والله قد علمت انه ليس بملك ولا لنابه من طاقة وبعثت الى سليمان انى قادمة إليك بملوك قومى حتى انظر ما أمرك وما تدعو اليه من دينك [وتخت خود را در خانه مضبوط ساخت ونكهبانان برو كماشت در خانه قفل كرد ومفتاح را برداشت وبا لشكر متوجه پايه سرير سليمان شد] وكان لها اثنا عشر الف ملك كبير يقال له القيل بفتح القاف تحت كل ملك ألوف كثيرة وكان سليمان رجلا مهيبا لا يبدأ بشيء حتى يسأل عنه فجلس يوما على سريره فرأى جمعا جما على فرسخ عنه فقال ما هذا فقالوا بلقيس بملوكها وجنودها فاقبل سليمان حينئذ على اشراف قومه وقال او لما علم بمسيرها اليه قال يا أيها الملؤا [اى اشراف قوم من] أيكم يأتيني بعرشها [كدام شما مى آرد تخت بلقيس را] قبل أن يأتوني حال كونهم مسلمين لانه قد اوحى الى سليمان انها تسلم لكن أراد ان يريها بعض ما خصه الله تعالى به **من العجائب** الدالة على عظم القدرة وصدقه فى دعوى النبوة فاستدعى إتيان سريرها الموصى بالحفظ قبل قدومها: وفى المثنوى

چونكه بلقيس از دل وجان عزم كرم ... بر زمان رفته هم أفسوس خورد «١»

ترك مال وملك كرد او آنچنان ... كه بترك نام وننك آن عاشقان

هيچ مال وهيچ مخزن هيچ رخت ... ميدريغش نامه الا جز كه تخت

پس سليمان از دلش آگاه شد ... كز دل او تا دل او راه شد

ديد از دورش كه آن تسليم كيش ... تلخش آمد فرقت آن تخت خويش

از بزركى تخت كز حد مى فزود ... نقل كردن تخت را إمكان نبود

خرده كارى بود وتفريقش خطر ... همچوأوصال بدن با يكديكر

پس سليمان كفت كر چهـ فى الأخير ... سرد خواهد شد برو تاج وسرير

ليك خود با اين همه بر نقد حال ... چيست بايد تخت او را انتقال

تا نكردد خسته هنكام لقا ... كودكانه حاجتش كردد روا

وفى التأويلات النجمية يشير الى سليمان عليه السلام كان واقفا على ان فى أمته من هو اهل الكرامة فاراد ان يظهر كرامته ليعلم ان فى امم الأنبياء من يكون اهل الكرامات فلا ينكر مؤمن كرامات الأولياء كما أنكرت المعتزلة فان ادنى مفسدة الإنكار حرمان المنكر من درجة الكرامة كحرمان اهل البدع والأهواء منها ولا يظنن جاهل

---

(١) در أوائل دفتر چهارم در بيان آزاد شدن بلقيس از ملك إلخ." (١)

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٣٤٨/٦

"ولابن لولؤ فيمن اسمه داود:

قد كنت جلدا في الخطوب إذا عرت ... لا تزدهيني الغانيات الغيد

وعهدت قلبي من حديد في الحشا ... فألانه بجفونه داود

وللملك الناصر في داود:

مني بطيفك بعد ما منع الكرى ... عن ناظري البعد والتسهد

ومن العجائب أن قلبك لم يلن ... لي والحديد ألانه داود

ومما قلته فيما قاله:

وحاسد يرسم في صحفه ... فضلى ويخفى الذكر إذ يطرأ

فأسمى لديه واو عمرو لذا ... يكتب في الخط ولا يقرا

وأصله قول أبي نواس:

أيها المدعي سليما سفاها ... لست منها ولا قلامة ظفر

إنما أنت من سليم كواو ... ألحقت في الهجاء ظلما بعمرو." (١)

"(كما فر موسى حين هم به القبط.

وما ذكره من معنى العين والحاجب سخيف، وتخيل ضعيف،) مع أن جعل الضرب في العين والحاجب من العجائب ().

وقد مر لي ما نحوت فيه نحو ابن نباتة بعينه وحاجبه، وهو:

وتنظره في قلبي الصب أعين ... عليها لمحنى الضلوع حواجب

وما ذكر من النقد عليه نقله ابن الشجري في) أمياله (عن الشريف المرتضى، وقال: انه عاب عليه قوله:) بظهورهم (وقال: لو قال:) بصدورهم (كان امدح؛ لان الطعن والضرب في الصدور أدل على الإقدام والشجاعة للطاعن والضارب، والمطعون والمضروب، لان الرجال إذا وصف قرنه بالإقدام مع ظهوره عليه، كان امدح من وصفه بالانهزام، كما قال أبو تمام:." (٢)

"وهذا اختيار أبي عبيد. والثاني: أنها سميت آية، لأنها جماعة حروف من القرآن، وطائفة منه.

قال أبو عمرو الشيباني: يقال: خرج القوم بآيتهم، أي: بجماعتهم. وأنشدوا:

خرجنا من النقبين لا حي مثلنا ... بآيتنا نزجي اللقاح المطافلا «١»

والثالث: أنها سميت آية، لأنها عجب، وذلك أن قارئها يستدل إذا قرأها على مباينتها كلام المخلوقين، وهذا كما تقول: فلان آية من الآيات أي: عجب من العجائب. ذكره ابن الأنباري.

وفي المراد بهذه الآيات أربعة أقوال: أحدها: آيات الكتاب التي تتلى. والثاني: معجزات الأنبياء.

---

(١) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا الشهاب الخفاجي ص/١٦٨

(٢) ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا الشهاب الخفاجي ص/٢٦٦

والثالث: القرآن. والرابع: دلائل الله في مصنوعاته.

وأصحاب النار: سكانها، سموا أصحابا، لصحبتهم إياها بالملازمة.

[سورة البقرة (٢) : آية ٤٠]

يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون (٤٠)

قوله تعالى: يا بني إسرائيل. اسرائيل: هو يعقوب، وهو اسم أعجمي. قال ابن عباس:

ومعناه: عبد الله. وقد لفظت به العرب على أوجه، فقالت: إسرائل، وإسرال، وإسرائيل. وإسرائين.

قال أمية «٢» :

إنني زارد الحديد على النا ... س دروعا سوابغ الأذيال

لا أرى من يعينني في حياتي ... غير نفسي إلا بني إسرال

وقال أعرابي صاد ضبا، فأتى به أهله:

يقول أهل السوق لما جينا: ... هذا ورب البيت إسرائينا

أراد: هذا مما مسخ من بني إسرائيل.

والنعمة: المنة، ومثلها: النعماء. والنعمة: بفتح النون: التنعم، وأراد بالنعمة: النعم، فوحدها، لأنهم يكتفون بالواحد من الجميع كقوله تعالى: والملائكة بعد ذلك ظهير «٣» ، أي: ظهراء. وفي المراد بهذه النعمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ما استودعهم من التوراة التي فيها صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قاله ابن عباس. والثاني: أنها ما أنعم به على آبائهم وأجدادهم إذ أنجاهم من آل فرعون، وأهلك عدوهم، وأعطاهم التوراة، ونحو ذلك، قاله الحسن والزجاج، وإنما من عليهم بما أعطى آباءهم، لأن فخر الآباء فخر للأبناء، وعار الآبار عار على الأبناء. والثالث: أنها جمع نعمة على تصريف الأحوال.

والمراد من ذكرها: شكرها، إذ من لم يشكر فما ذكر.

قوله تعالى: وأوفوا. قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: أوفيت، وأهل نجد يقولون: وفيت، بغير ألف. قال الزجاج: يقال: وفى بالعهد، وأوفى به، وأنشد:

---

(١) في «اللسان» : تزجي السحاب: تسوقه سوقا رفيقا. اللقاح: مصدر قولك لقحت الناقة إذا حملت. نوق مطافل: معها أولادها، وفي الحديث سارت قريش بالعوذ المطافيل، أي الإبل مع أولادها.

(٢) هو ابن أبي الصلت.

(٣) التحريم: ٤. [.....]."[١]

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٥٩/١

"حدثنا عن التوراة فانها حسن ما فيها، فأنزل الله تعالى: نحن نقص عليك أحسن القصص يعني: قصص القرآن أحسن مما في التوراة.

قال الزجاج: والمعنى نحن نبين لك أحسن البيان، والقاص: الذي يأتي بالقصة على حقيقتها قال: وقوله تعالى: بما أوحينا إليك أي: بوحينا إليك هذا القرآن. قال العلماء: وإنما سميت قصة يوسف أحسن القصص، لأنها جمعت ذكر الأنبياء، والصالحين، والملائكة، والشياطين، والأنعام، وسير الملوك، والمماليك، والتجار، والعلماء، والرجال، والنساء، وحيلهن، وذكر التوحيد، والفقه، والسر، وتعبير الرؤيا، والسياسة، والمعاشرة، وتدبير المعاش، والصبر على الأذى، والحلم والعز، والحكم، إلى غير ذلك من العجائب.

قوله تعالى: وإن كنت في «إن» قولان: أحدهما: أنها بمعنى «قد» . والثاني: بمعنى «ما» .

قوله تعالى: من قبله قال ابن عباس: من قبل نزول القرآن. لمن الغافلين عن علم خبر يوسف وما صنع به إخوته.

[سورة يوسف (١٢) : الآيات ٤ الى ٥]

إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين (٤) قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين (٥)

قوله تعالى: إذ قال يوسف لأبيه في «إذ» قولان: أحدهما: أنها صلة للفعل المتقدم، والمعنى:

نحن نقص عليك إذ قال يوسف. والثاني: أنها صلة لفعل مضمر، تقديره: اذكر إذ قال يوسف، ذكرهما الزجاج، وابن الأنباري.

قوله تعالى: يا أبت قرأ أبو جعفر، وابن عامر بفتح التاء، ووقفا بالهاء، وافقهما ابن كثير في الوقف بالهاء، وقرأ الباقون بكسر التاء. فمن فتح التاء، أراد: يا أبتا، فحذف الألف كما تحذف الياء، فبقيت الفتحة دالة على الألف، كما أن الكسرة تبقى دالة على الياء. ومن وقف على الهاء، فلان تاء التأنيث تبدل منها الهاء في الوقف. وقرأ أبو جعفر: «أحد عشر» ، و «تسعة عشر» ، بسكون العين فيهما.

وفيما رآه يوسف قولان: أحدهما: أنه رأى الشمس والقمر والكواكب، وهو قول الأكثرين. قال الفراء:

وإنما قال: «رأيتهم» على جمع ما يعقل، لأن السجود فعل ما يعقل، كقوله تعالى: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم «١» .

قال المفسرون: كانت الكواكب في التأويل إخوته، والشمس أمه، والقمر أباه، فلما قصها على يعقوب أشفق من حسد إخوته. وقال السدي: الشمس أبوه، والقمر خالته، لأن أمه كانت قد ماتت. والثاني: أنه رأى أبويه وإخوته ساجدين له، فكنى عن ذكرهم، وهذا مروي عن ابن عباس، وقتادة. فأما تكرار قوله تعالى: رأيتهم فقال الزجاج: إنما كرره لما طال الكلام توكيدا. وفي سن يوسف لما رأى هذا المنام ثلاثة أقوال: أحدها: سبع سنين. والثاني: اثنتا عشرة سنة. والثالث:

سبع عشرة سنة.

قال المفسرون: علم يعقوب أن إخوة يوسف يعلمون تأويل رؤياه، فقال: لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا

(١) سورة النحل: ١٨.." (١)

"قيل: ما معنى قوله تعالى: إلى المسجد الأقصى وأنتم تقولون: صعد إلى السماء؟ فالجواب: أن الإسراء كان إلى هنالك، والمعراج كان من هنالك. وقيل: إن الحكمة في ذكر ذلك، أنه لو أخبر بصعوده إلى السماء في بدء الحديث، لاشتد إنكارهم، فلما أخبر ببيت المقدس، وبان لهم صدقه فيما أخبرهم به من العلامات الصادقة، أخبر بمعراجه.

قوله تعالى: لنريه من آياتنا يعني: ما رأى تلك الليلة **من العجائب** التي أخبر بها الناس. إنه هو السميع لمقالة قريش، البصير بها. وقد ذكرنا في كتابنا المسمى ب «الحدائق» أحاديث المعراج، وكرهنا الإطالة ها هنا.

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٢ الى ٣]

وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا (٢) ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا (٣)

قوله تعالى: وآتينا موسى الكتاب لما ذكر في الآية الأولى إكرام محمد صلى الله عليه وسلم، ذكر في هذه كرامة موسى. والكتاب: التوراة. وجعلناه هدى لبني إسرائيل أي: دللناهم به على الهدى. ألا تتخذوا قرأ أبو عمرو: «يتخذوا» بالياء، والمعنى: هديناهم لئلا يتخذوا، وقرأ الباقون بالتاء، قال أبو علي: وهو على الانصراف إلى الخطاب بعد الغيبة، مثل: الحمد لله ثم قال: إياك نعبد. قوله تعالى: وكيلا قال مجاهد: شريكا. وقال الزجاج: ربا. قال ابن الأنباري: وإنما قيل للرب: وكيل، لكفايته وقيامه بشأن عباده، من أجل أن الوكيل عند الناس قد علم أنه يقوم بشئون أصحابه، وتفقد أمورهم، فكان الرب وكيلا من هذه الجهة، لا على معنى ارتفاع منزلة الموكل وانحطاط أمر الوكيل.

قوله تعالى: ذرية من حملنا قال مجاهد: هو نداء: يا ذرية من حملنا. قال ابن الأنباري:

من قرأ: «ألا تتخذوا» بالتاء، فإنه يقول: بعد الذرية مضمر حذف اعتمادا على دلالة ما سبق، تلخيصه:

يا ذرية من حملنا مع نوح لا تتخذوا وكيلا، ويجوز أن يستغني عن الإضمار بقوله تعالى: إنه كان عبدا شكورا لأنه بمعنى: اشكروني كشكره. ومن قرأ: «ألا يتخذوا» بالياء، جعل النداء متصلا بالخطاب، و «الذرية» تنتصب بالنداء، ويجوز نصبها بالاتخاذ على أنها مفعول ثان، تلخيص الكلام: ألا يتخذوا ذرية من حملنا مع نوح وكيلا. قال قتادة: الناس كلهم ذرية من أنجى الله في تلك السفينة. قال العلماء: ووجه الإنعام على الخلق بهذا القول، أنهم كانوا في صلب من نجا. قوله تعالى: إنه كان عبدا شكورا قال سلمان الفارسي: كان إذا أكل قال: «الحمد لله» وإذا شرب قال: «الحمد لله» . وقال غيره: كان إذا لبس ثوبا قال: «الحمد لله» فسماه الله «عبدا شكورا» .

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٤ الى ٦]

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢/٤١٣

وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا (٤) فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا (٥) ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا (٦)." (١)

"ها هنا، حتى إذا جئت لم أرك فيه. ومن قرأ «مبصرة» بفتح الميم والصاد، فمعناه: المبالغة في وصف الناقة بالتبيان، كقولهم: «الولد مجبنة» .

قوله تعالى: فظلموا بها قال ابن عباس: فجحدوا بها. وقال الأخفش: بما كان ظلمهم. قوله تعالى: وما نرسل بالآيات إلا تخويفا أي: نخوف العباد ليتعظوا. وللمفسرين في المراد بهذه الآية أربعة أقوال: أحدها: أنها الموت الذريع، قاله الحسن. والثاني: معجزات الرسل جعلها الله تعالى تخويفا للمكذبين. والثالث: آيات الانتقام تخويفا من المعاصي. والرابع: تقلب أحوال الإنسان من صغر إلى شباب، ثم إلى كهولة، ثم إلى مشيب، ليعتبر بتقلب أحواله فيخاف عاقبة أمره، ذكر هذه الأقوال الثلاثة الماوردي، ونسب الأخير منها إلى إمامنا أحمد رضي الله عنه.

[سورة الإسراء (١٧) : آية ٦٠]

وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا (٦٠)

قوله تعالى: وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أحاط علمه بالناس، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الربيع بن أنس. وقال مقاتل: أحاط علمه بالناس، يعني: أهل مكة، أن يفتحها لرسوله صلى الله عليه وسلم. والثاني: أحاطت قدرته بالناس، فهم في قبضته، قاله مجاهد. والثالث:

حال بينك وبين الناس أن يقتلوك، لتبلغ رسالته، قاله الحسن، وقتادة.

قوله تعالى: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس في هذه الرؤيا قولان «١» :

أحدهما: أنها رؤيا عين، وهي ما أري ليلة أسري به **من العجائب** والآيات. روى عكرمة عن ابن عباس قال: هي رؤيا عين رآها ليلة أسري به، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، ومسروق، والنخعي، وقتادة، وأبو مالك، وأبو صالح، وابن جريج، وابن زيد في آخرين. فعلى هذا يكون معنى الفتنة: الاختبار، فإن قوما آمنوا بما قال، وقوما كفروا. قال ابن الأنباري: المختار في هذه الرؤية أن تكون يقظة، ولا فرق بين أن يقول القائل: رأيت فلانا رؤية، ورأيته رؤيا، إلا أن الرؤية يقل استعمالها في المنام، والرؤيا يكثر استعمالها في المنام، ويجوز كل واحد منهما في المعنيين. والثاني: أنها رؤيا منام. ثم فيها قولان:

(٩٠٢) أحدهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أري أنه يدخل مكة، هو وأصحابه، وهو يومئذ بالمدينة، فعجل قبل الأجل، فرده المشركون، فقال أناس: قد رد، وكان حدثنا أنه سيدخلها، فكان رجوعهم فتنتهم، رواه العوفي عن ابن

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٩

عباس. وهذا لا ينافي حديث المعراج، لأن هذا كان بالمدينة، والمعراج كان بمكة: قال أبو سليمان الدمشقي: وإنما ذكره ابن عباس على وجه الزيادة في الإخبار لنا أن المشركين بمكة افتتنوا برؤيا عينه، والمنافقين بالمدينة افتتنوا برؤيا نومه.

أخرجه الطبري ٢٢٤٣٢ من طريق عطية العوفي عن ابن عباس به، وإسناده ضعيف لضعف عطية.

---

(١) قال الإمام الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ١٠٣: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال عني به رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس ليلة أسري به.." [١]

"واختار قوم الوقف على قوله: «قليلا» على معنى: كانوا من الناس قليلا، ثم ابتدأ فقال: «من الليل ما يهجعون» على معنى نفي النوم عنهم البتة، وهذا مذهب الضحاك، ومقاتل. والقول الثاني: أن «ما» بمعنى الذي، فالمعنى: كانوا قليلا من الليل الذي يهجعونه، وهذا مذهب الحسن، والأحنف بن قيس، والزهري. وعلى هذا يحتمل أن تكون «ما» زائدة.

قوله تعالى: وبالأسحار هم يستغفرون وقد شرحناه في آل عمران «١» .

قوله تعالى: وفي أموالهم حق أي: نصيب، وفيه قولان: أحدهما: أنه ما يصلون به رحما، أو يقرون به ضيفا، أو يحملون به كلا، أو يعينون به محروما، وليس بالزكاة، قاله ابن عباس. والثاني: أنه الزكاة، قاله قتادة، وابن سيرين. قوله تعالى: للسائل وهو الطالب. وفي «المحروم» ثمانية أقوال:

أحدها: أنه الذي ليس له سهم في فيء المسلمين، وهو المحارف «٢» ، قاله ابن عباس. وقال إبراهيم:

هو الذي لا سهم له في الغنيمة. والثاني: أنه الذي لا ينمى له شيء، قاله مجاهد، وكذلك قال عطاء:

هو المحروم في الرزق والتجارة. والثالث: أنه المسلم الفقير، قاله محمد بن علي. والرابع: أنه المتعفف الذي لا يسأل شيئا، قاله قتادة، والزهري. والخامس: أنه الذي يجيء بعد الغنيمة، وليس له فيها سهم، قاله الحسن بن محمد ابن الحنفية. والسادس: أنه المصاب ثمرته وزرعه أو نسل ماشيته، قاله ابن زيد. والسابع: أنه المملوك، حكاه الماوردي. والثامن: أنه الكلب، روي عن عمر بن عبد العزيز، وكان الشعبي يقول: أعياني أن أعلم ما المحروم. وأظهر الأقوال قول قتادة والزهري، لأنه قرنه بالسائل، والمتعفف لا يسأل- ولا يكاد الناس يعطون من لا يسأل- ثم يتحفظ بالتعفف من ظهور أثر الفاقة عليه، فيكون محروما من قبل نفسه حين لم يسأل، ومن قبل الناس حين لا يعطونه، وإنما يفطن له متيقظ. وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية منسوخة بآية الزكاة، ولا يصح.

قوله تعالى: وفي الأرض آيات كالجبال والأنهار والأشجار والثمار وغير ذلك للموقنين بالله عز وجل الذين يعرفونه بصنعه. وفي أنفسكم آيات إذ كنتم نطفا ثم عظاما، ثم علقا، ثم مضغا إلى غير ذلك من أحوال الاختلاف ثم اختلاف الصور والألوان والطبائع، وتقويم الأدوات، والسمع والبصر والعقل، وتسهيل سبيل الحدث، إلى غير ذلك **من العجائب** المودعة في ابن آدم. وتم الكلام عند قوله:

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/ ٣٤

وفي أنفسكم، ثم قال: أفلا تبصرون قال مقاتل: أفلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث.
قوله تعالى: وفي السماء رزقكم وقرأ أبي بن كعب، وحميد، وأبو حصين الأسدي: «أرزاقكم» براء ساكنة، وبألف بين الزاي والقاف. وقرأ ابن مسعود، والضحاك، وأبو نهيك: «رازقكم» بفتح الراء وكسر الزاي وبألف بينهما. وعن ابن محيصن كهاتين القراءتين. وفيه قولان: أحدهما: أنه المطر، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وليث عن مجاهد، وهو قول الجمهور. والثاني: الجنة، رواه ابن نجيح عن مجاهد. وفي قوله: وما توعدون قولان: أحدهما: أنه الخير والشر كلاهما يأتي من السماء، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد. والثاني: الجنة، رواه ليث عن مجاهد. قال أبو

---

(١) آل عمران: ١٧.

(٢) في «القاموس» المحارف: المحدود والمحروم.." (١)

"إلا يلوم نفسه على كل حال. والثالث: أنها جميع النفوس. قال الفراء: ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملت خيرا قالت: هلا زدت. وإن كانت عملت سوءا قالت: ليتني لم أفعل «١» .
قوله عز وجل: أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه المراد بالإنسان هاهنا: الكافر.
وقال ابن عباس: يريد أبا جهل.
(١٥٠٤) وقال مقاتل: عدي بن ربيعة وذلك أنه قال: أيجمع الله هذه العظام؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم له: «نعم» ، فاستهزأ منه، فنزلت هذه الآية. قال ابن الأنباري: وجواب القسم محذوف كأنه: ليبعثن ليحاسبن، فدل قوله عز وجل: أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه على الجواب، محذوف.
وقوله عز وجل: بلى وقف حسن. ثم يبتدأ قادرين على معنى: بلى نجمعها قادرين، ويصلح نصب «قادرين» على التكرير: بلى فليحسبنا قادرين على أن نسوي بنانه وفيه قولان: أحدهما:
أن نجعل أصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير، وحافر الحمار، فيعدم الارتفاق بالأعمال اللطيفة، كالكتابة والخياطة، هذا قول الجمهور. والثاني: نقدر على تسوية بنانه كما كانت، وإن صغرت عظامها، ومن قدر على جمع صغار العظام، كان على جمع كبارها أقدر، هذا قول ابن قتيبة، والزجاج.
وقد بينا معنى البنان في الأنفال «٢» .
قوله عز وجل: بل يريد الإنسان ليفجر أمامه فيه قولان: أحدهما: يكذب بما أمامه من البعث والحساب، قاله ابن عباس. والثاني: يقدم الذنب ويؤخر التوبة، ويقول: سوف أتوب، قاله سعيد بن جبير. فعلى هذا: يكون المراد بالإنسان: المسلم. وعلى الأول: الكافر.
قوله عز وجل: يسئل أيان يوم القيامة أي: متى هو؟ تكذيبا به، وهذا هو الكافر، فإذا برق البصر قرأ أهل المدينة، وأبان عن عاصم «برق» بفتح الراء، والباقون بكسرها: قال الفراء: العرب تقول: برق البصر يبرق، وبرق يبرق: إذا رأى هولا يفزع

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١٦٩/٤

منه. و «برق» أكثر وأجود. قال الشاعر:

فنفسك فانع ولا تنعني ... وداو الكلوم ولا تبرق «٣»

بالفتح. يقول: لا تفزع من هول الجراح التي بك. قال المفسرون: يشخص بصر الكافر يوم القيامة، فلا يطرف لما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا. وقال مجاهد: برق البصر عند الموت.

قوله عز وجل: وخسف القمر قال أبو عبيدة: خسف وكسف بمعنى واحد، أي: ذهب ضوءه.

لا أصل له. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٨٤٣ بدون إسناد. وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ٤/ ٦٥٩: ذكره الثعلبي والبغوي والواحدي بغير إسناد. فالخبر باطل لا أصل له، ولم ينسبه هؤلاء إلى قائل، ولم يذكره السيوطي في «الدر» ولا في «أسباب النزول» ولا ذكره الطبري، وكل ذلك دليل على وضعه، والله أعلم.

وانظر «الجامع لأحكام القرآن» ٦١٨١.

---

(١) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١٢/ ٣٢٧: وهذه الأقوال التي ذكرناها عن- النفس اللوامة- وإن اختلفت بها ألفاظ قائليها، فمتقاربات المعاني، وأشبه القول في ذلك بظاهر التنزيل أنها تلوم صاحبها على الخير والشر، وتندم على ما فات.

(٢) الأنفال: ١٢.

(٣) البيت لطرفة بن العبد، في ديوانه: ٢١٨، و «اللسان» - برق.." [1]

"قد غر بعضهم الاهمال يحسبه ... عفوا فعاد لاتلاف وافساد

فذدتهم عن حمي البيت الحرام وهم ... من السلاسل في أطواق أجياد

كأنهم عند رفع الزند أيديهم ... يدعون حيا لمولانا بامداد

وما ارعووا فشهرت السيف محتسبا ... يا برد حرهم في حر أكباد

غادرتهم جزرا في كل منجدل ... كان أثوابه مجت بفرصاد

وأثمر السدر من أجسادهم ثمرا ... حلوا بأفواه أجداث وألحاد

سعيت سعيا جنينا من خمائله ... نور الأمان لأرواح بأجساد

فكم بمكة من داع ومبتهل ... ومن محب ومن مثن ومن فادي

وعاد كل عصي مصلحا وغدت ... أيامنا بالهنا أيام أعياد

وقاد كل قصى ذله وهلا ... وكان من قبل صعبا غير منقاد

نفى لذيذ الكرى عنهم تذكرهم ... وقائعا لك بين الخرج والوادي

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤/٣٦٩

أباح سرحك أن يرعى منازلهم ... مهملا كل معوج ومنآدي
من كل أبيض قد صلت مضاربه ... لما ترقي خطيبا منبر الهادي
وكل أسمر نظام الكلا وله ... إلى العدا طفرة النظام مياد
وصان وسمك في حاش مخالطة ... عن رب غزو تنضاه بأحساد
أسكنت قلبهم رعبا تذكره ... ينسى الشفوق الموالي ذكر أولاد
أقبلتهم كل مرقال وسابحة ... يسرعن عدوا إلى الأعدا بأطواد
من كل شهم إلى الأعداء منتسب ... بسادة قادة للخيل أجواد
فهاك يا ابن رسول الله مدحة من ... أورت قريحته من بعد إخماد
فأحكمت فيك نظما كله غرر ... ما أحرزت مثله أقيال بغداد
أضحت قوافيه والاحسان يشرحها ... روض البديع لأرصاد بمرصاد
ترويه عني الثريا وهي هازية ... بالأصمعي وما يروى وحماد
وتستحث مطايا الزهران ركدت ... كأنها إبل يحدو بها الحادي
وتوقظ الركب ميلا من خمار كرى ... والليل من طول تدآب السرى هادي
أمتك تشفع إذلالا لمنشئها ... فأقبل تذللها يا نسل أمجاد
وأسبل الستر صفحا أن بدا خلل ... تمتك به ستر أعداء وحساد
وقل تقرب إلينا تستعز بنا ... ماحق مثلك أن يقصي بابعاد
لا زلت يا عز آل البيت في دعة ... تحف منهم بأنصار وأنجاد
مسعود جد سعيد الفال طالعه ... سعد السعود ملقي كل إسعاد
بحق طه وسبطيه وأمهما ... والمرتضى والمثنى الطهر والهادي
صلى عليهم إله العرش ما سجعت ... قمرية أو شدا في أيكة شادي
وهذه القصيدة تجارت في مضمار معارضتها أدباء العصر. فمنهم من نكص على عقبيه ومنهم من فاز بالنصر. وسيأتي بعض أخواتها مثبتا في محله إن شاء الله تعالى ومن شعره أيضا قوله في شداد ناقة الشريف المذكور وكتب عليه وفي كل من البيتين تورية لطيفة
أفق الشداد بدت به ... شمس الخلافة والهلال
ومن العجائب جمعه ... ليث الشرافة والغزال
وقوله وهو معنى مبتكر
ألا أنظر إلي هذا الصفاء لبركة ... تقول لمن قد غاب عنها من الصحب
لئن غبت عن عيني وكدرت مشربي ... تأمل تجد تمثال شخصك في قلبي

وقوله يستدعي جماعة من الفضلاء وهم بجبل النور الكائن بالمعلاة وهو بمنى

عليكم من محب حشوا ضلعه ... ود أرق إلى الظامي من النطف

تحية يرتضيها الفضل إن نفحت ... أربت على نفحات الروضة الأنف

حواكم الجبل العالي بكم شرفا ... على المعالي التي تعلو على الشرف." (١)

"إذا كنتم في صحة وسلامة ... فما نحن إلا فيهما نتقلب

ومن مشهور شعره قوله في علم العروض وقد أجاد في التورية

إن العروض لبحر ... تعوم فيه الخواطر

وكل من عام فيه ... دارت عليه الدوائر

وقرأت بخط السيد محمد كبريت السابق الذكر ما نصه أنشد في إجازة لنفسه النفيسة سيدي العفيف عبد الله بن الخطيب الياس. سلما من المكروه والباس.

يا سيدي قم لي ولا ... من غير أن أخشى العتب

كيلا يقال مقصر ... فأكون فيه أنا السبب

فقلت وإن لم يبلغ الظالع شأو الظليع

لم لا أقوم لسيدي ... من غير أن أخشى العتب

وهو الذي قامت له ... بثنائها عليا الرتب

وقلت في المعنى من بحر الحبب

أقوم على الرأس مهما بدا ... جمالك لا لاجتناب العتب

ولم لا أقوم وأنت الذي ... لعلياه قامت كرام الرتب

انتهى ولبعضهم في المعنى

قيامي والعزيز إليك فرض ... وترك الفرض ما لا يستقيم

فهل أحد له عقل ولب ... ومعرفة يراك ولا يقوم

وما الطف قول بعضهم معتذرا عن عدم القيام

علة سميت ثمانين عاما ... منعتني للاصدقاء القياما

فإذا عمروا تمهد عذري ... عندهم بالذي ذكرت وقاما

ذكرت بهذا ما حكاه أرباب السير عن الصاحب اسمعيل بن عباد رحمه الله تعالى أنه لما كان ببغداد وقصد القاضي أبا السائب عتبة بن عبيد لقضاء حقه فتثاقل في القيام له وتحقز تحقزا أراه به ضعف حركته وقصور نهضته فأخذ الصاحب بضبعه وأقامه وقال نعين القاضي على حقوق اخوانه فخجل القاضي واعتذر إليه. وبخط السيد محمد كبريت كتبت إلى

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/٥٣

سدته العلية يعني الخطيب المذكور

يا أيها المولى الذي فاق الورى ... ببيان منطقه البديع الزين

هات افتنا في زيد المخفوض في ... ما قام إلا زيد المسكين

فكتب مجيبا.

يا من بشمس علومه زال الكرى ... فغدا بمصباح الهدى كالعين

إني أقول جوابكم وبي الجوى ... في فرد بيت زان في العينين

زيد تصور جره باضافة ... للال وهو العهد للاثنين

الشيخ شرف الدين يحيى بن عبد الملك العصامي

سبق ذكر والده في الفصل الأول. وهذا فاضل عليه في الفضل المعول. لما توفى والده بالمدينة المنورة اختار هو وأخوه الاقامة في تلك الدار. ورجحا جوار رسول الله صلى الله عليه وآله فجرا ذيل الخفض من العيش بذلك الجوار. والطبع الذي ما شان سلسال قريحته جمود. وناهيك بعصامى النفس والجد. وفاضل جد في كسب الفضائل فساعده على نيلها الحظ والجد. وقد وقفت له على تأليف سماه انموذج النجبا من معشارة الأدبا. تكلم فيه شارحا لقول الشاعر

حاشا شمائلك اللطيفة أن ترى ... عونا علي مع الزمان القاسي

غير أنه لم يعرف قائله فقال لعمري أنه وإن جهل بانيه من البيوت التي أذن الله أن ستكن. فما اللفظ إلا بمعانيه وإن كان قائله الكن. ثم قال وهذا البيت مما يكثر الاستشهاد به أهل الآداب في محاضرة الأصدقاء والأحباب وهو من أربعة أبيات معمورة بلطيف العتاب. وتنزيه شمائل الانجاب. مبرورة بصدق المنطق واقتضاء الصواب. محاسنها غرر في جياد القصائد. ولمعاني البديع بها صلة ومن مفرداتها عائد. تشرق شموس التهذيب في سماء بلاغتها. وترشف الأسماع على الطرب من رقيق سلافتها. فما أحقها بقول القائل

أبيات شعر كالقصور ... ولا قصور بها يليق

ومن العجائب لفظها ... حر ومعناها رقيق

وهي

إني لأعجب من صدودك والجفا ... من بعد ذاك القرب والايناسي

حاشي شمائلك اللطيفة أن ترى ... عونا علي مع الزمان القاسي

أو ثغرك الصافي يرد حشاشة ... تشكو لهيبا من لظى أنفاسي

تالله ما هذي فعالك في الهوى ... لكن حظوظ قسمت في الناس." (١)

"أحمامة الوادي بشرقي الغضا ... ما بين ذات المضى والأجرع

أنسيت قولي إذا ضر بي النوى ... إن كنت مسعدة الكئيب فرجعي

---

(١) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ابن معصوم الحسني ص/١٦١

إنا تقاسمنا الغضا فغصونه ... تزهو وتسقى من سحائب أدمعي

ولقد حبوتك إذ جعلت أراكه ... في راحتيك وجمره في أضلعي

وقال السيد عبد الفتاح بن مصطفى مغيزل الدمشقي

أحمامة الوادي بشرقي الغضا ... أشجاك ما أشجى فقد الأربع

إني ليسعدني البكاء من الجوى ... إن كنت مسعدة الكئيب فرجعي

إنا تقاسمنا الغضا فغصونه ... لك موطن وقتادة في مضجعي

وشذاه تحمله الصبا وخضابه ... في راحتيك وجمره في أضلعي

وقال الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي الباقي

أحمامة الوادي بشرقي الغضا ... هلا تذكرت اللقا بالأجرع

فبحقه عودي بغربي الحمى ... إن كنت مسعدة الكئيب فرجعي

إنا تقاسمنا الغضا فغصونه ... ماست بك لك ناره في مدمعي

ما تعجبين فقد غدت أفنانه ... في راحتيك وجمره في أضلعي

وقال الشيخ محيي الدين يحيى بن يحيى العطار الدمشقي

أحمامة الوادي بشرقي الغضا ... هل شمت مثلي من كئيب مولع

ذي محنة قد غاب عنه الفه ... إن كنت مسعدة الكئيب فرجعي

إنا تقاسمنا الغضا فغصونه ... تزهو وتلهى كل صب موجع

ومن العجائب كونه هو دائما ... في راحتيك وجمره في أضلعي

وقال الشيخ محمد كمال الدين بن محمد بن محمد الدمشقي الشهير كأسلافه بالغزى الشافعي

أحمامة الوادي بشرقي الغضا ... تشدو بندب الألف بين الأجرع

إني المشوق وإن ما بك نابني ... إن كنت مسعدة الكئيب فرجعي

إنا تقاسمنا الغضا فغصونه ... اللاتي ذهت بعبيرها المتضوع

هي طبق ما حكم الغرام بحالتي ... في راحتيك وجمره في أضلعي

وقال مخمسا

لما برا جسمي السقام وامرضا ... ورأيت من أهواه عني أعرضا

ناديت من قلب تصبره انقضى ... أحمامة الوادي بشرقي الغضا

إن كنت مسعدة الكئيب فرجعي

فلعل ما بي قد ألم بلينه ... تلحينك المستعذبات فنونه." (١)

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٤٧/١

"والصهر عثمان بن عفان الذي ... حاز الحياء مع المهابة والتقى

والشهم حيدرة الحروب مدينة ال ... علم الذي حاز السناء الأسبقا

فعليهم منى السلام محلقا ... نحو الحجاز وبالعبير مخلقا

ما سارت الركبان نحو تهامة ... يحدو بها حادي الغرام مشوقا

وله أيضا

قمر تبدى فوق غصن قوام ... ورنا يصول بناظر الآرام

وغدا لقوسي حاجبيه زاويا ... يرمي بها نحو الورى بسهام

فتكت نصول لحاظه بقلوبنا ... فعلى الدوام تصول وهي دوامي

نحن المرامي والسهام لحاظه ... ومن العجائب أنهن مرامي

في لفظه أو لحظه لعقولنا ... خمر وسحر ما هما بحرام

ملك الجمال بحسنه وبهائه ... وبغنج لحظيه ولين قوام

ليت الزمان به لشملي جامع ... لندوم في وصل مدى الأيام

جعلت له مني الحشاشة موطنا ... لما جفاني منه طيب منامي

فعلام يطنب لائمي في حبه ... والوجد وجدي والغرام غرامي

ريح الصبا زوري حماه وبلغي ... عني السلام وعرضي بسقامي

واستقبلي وجها غدا من حسنه ... قمر الدجى متسترا بغمام

واستجلى خالا في مقبل مبسم ... أضحى لكنز الدر مسك ختام

وتأملي تلك المحاسن وانظري ... صنع الآله وحكمة الأحكام

كالورد لاح لناظر والورد طا ... ب لناشق والروح في الأجسام

وهلم إن قبل السلام فبشري ... أملي وغلا فارجعي بسلام

وله أيضا

يا سقى الله يوم أنس بناد ... غلط الدهر لي بطيب التلاقي

لست أنساه إذ أدار علينا ... فيه أقداح خمرة الأحداق

بدر تم أبقى الكمال له ... الله وأعطى المحاق للعشاق

رق جسمي كالخصر منه وقلبي ... خافق مثل بنده الخفاق

يا كثير الصدود رفقا قليلا ... بمحب مضني من الأشواق

ذاب قلبي وقد تصعد حتى ... قطرته الجفون من آماقي

وله أيضا مشجرا

رنا قمرا في جنح ليل من الشعر ... فلم أدر ضوء الصبح أم غرة الفجر." (١)

"٤٦٨٢- ابن عقيل ١:

الإمام العلامة البحر، شيخ الحنابلة، أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي، الظفري، الحنبلي، المتكلم، صاحب التصانيف، كان يسكن الظفرية، ومسجده بها مشهور.

ولد سنة إحدى وثلاثين وأربع مائة.

وسمع: أبا بكر بن بشران، وأبا الفتح بن شيطا، وأبا محمد الجوهري، والحسن بن غالب المقرئ، والقاضي أبا يعلى بن الفراء، وتفقه عليه. وتلا بالعشر على: أبي الفتح بن شيطا. وأخذ العربية عن: أبي القاسم بن برهان. وأخذ علم العقليات عن شيخي الاعتزال: أبي علي بن الوليد، وأبي القاسم بن التبان صاحبي أبي الحسين البصري، فانحرف عن السنة.

وكان يتوقد ذكاء، وكان بحر معارف، وكنز فضائل، لم يكن له في زمانه نظير على بدعته، وعلق كتاب "الفنون"، وهو أزيد من أربع مائة مجلد، حشد فيه كل ما كان يجري له مع الفضلاء والتلامذة، وما يسنح له من الدقائق والغوامض، وما يسمعه **من العجائب** والحوادث.

حدث عنه: أبو حفص المغازلي، وأبو المعمر الأنصاري، ومحمد بن أبي بكر السنجي، وأبو بكر السمعاني، وأبو طاهر السلفي، وأبو الفضل خطيب الموصل، وابن ناصر، وآخرون.

أنبؤونا عن حماد الحراني، سمع السلفي يقول: ما رأت عيني مثل أبي الوفاء بن عقيل الفقيه، ما كان أحد يقدر أن يتكلم معه لغزارة علمه، وحسن إيراده، وبلاغة كلامه، وقوة حجته، تكلم يوما مع شيخنا إلكيا أبي الحسن، فقال له إلكيا: هذا ليس مذهبك. فقال: أكون مثل أبي علي الجبائي، وفلان وفلان لا أعلم شيئا؟! أنا لي اجتهاد متى ما طالبني خصم بالحجة، كان عندي ما أدفع به عن نفسي وأقوم له بحجتي. فقال إلكيا: كذاك الظن بك.

وقال ابن عقيل: عصمني الله في شبابي بأنواع من العصمة، وقصر محبتي على العلم، وما خالطت لعابا قط، ولا عاشرت إلا أمثالي من طلبة العلم، وأنا في عشر الثمانين أجد من الحرص على العلم أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين، وبلغت لاثنتي عشرة سنة، وأنا اليوم

---

١ ترجمته في المنتظم لابن الجوزي "٩/ ٢١٢"، والعبر "٤/ ٢٩"، وميزان الاعتدال "٣/ ١٤٦" ولسان الميزان "٤/ ٢٤٣"، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي "٥/ ٢١٩"، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي "٤/ ٣٥".." (٢)

"قال سبطه: جلس جدي تحت تربة أم الخليفة عند معروف الكرخي، وكنت حاضرا، فأنشد أبياتا، قطع عليها المجلس وهي:

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر محمد خليل المرادي ٢٠/٤

(٢) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ٣٣٠/١٤

الله أسأل أن يطول مدتي ... لأنال بالإنعام ما في نيتي

لي همة في العلم ما إن مثلها ... وهي التي جنت النحول هي التي

خلقت من العلق العظيم إلى المنى ... دعيت إلى نيل الكمال فلبت

كم كان لي من مجلس لو شبهت ... حالاته لتشبهت بالجنة

أشتاقه لما مضت أيامه ... عطلا وتعذر ناقة إن حنت

يا هل لليلات بجمع عودة ... أم هل على وادي منى من نظرة

قد كان أحلى من تصاريف الصبا ... ومن الحمام مغنيا في الأيكة

فيه البديهات التي ما نالها ... خلق بغير مخمر ومبيت

في أبيات.

ونزل، فمرض خمسة أيام، وتوفي ليلة الجمعة بين العشاءين الثالث عشر من رمضان سنة سبع وتسعين وخمس مائة في داره بقطفتا. وحكت لي أمي أنها سمعته يقول قبل موته: أيش أعمل بطواويس؟ -يرددها- قد جبتم لي هذه الطواويس.

وحضر غسله شيخنا ابن سكينة وقت السحر، وغلقت الأسواق، وجاء الخلق، وصلى عليه ابنه أبو القاسم علي اتفاقا، لأن الأعيان لم يقدروا من الوصول إليه، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصور، فصلوا عليه، وضاق بالناس، وكان يوما مشهودا، فلم يصل إلى حفرته بمقبرة أحمد إلى وقت صلاة الجمعة، وكان في تموز، وأفطر خلق، ورموا نفوسهم في الماء. إلى أن قال: وما وصل إلى حفرته من الكفن إلا قليل، -كذا قال- والعهدة عليه، وأنزل في الحفرة، والمؤذن يقول الله أكبر، وحزن عليه الخلق، وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون الختمات، بالشمع والقناديل، ورآه في تلك الليلة المحدث أحمد بن سلمان السكر في النوم، وهو على منبر من ياقوت، وهو جالس في مقعد صدق والملائكة بين يديه. وأصبحنا يوم السبت عملنا العزاء، وتكلمت فيه، وحضر خلق عظيم، وعملت فيه المراثي، **ومن العجائب** أنا كنا بعد انقضاء العزاء يوم السبت عند قبره، وإذا بخالي محيي الدين قد صعد من الشط، وخلفه تابوت، فقلنا: نرى من مات، وإذا بها خاتون أم محيي الدين، وعهدي بها ليلة وفاة." (١)

"أعرابي:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه

فطيب تراب القبد دل على قبره /٤ /٣٧٠

محمد بن داود:

أشكو غليل فؤاد أنت متلفه

شكوى عليل إلى إلف يعلله

سقمي تزيد مع الأيام كثرته

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ١٥/٤٦٣

وأنت في عظم ما ألقى تقلله /١٠ /٢٧٧

ذو القرنين:

أفدي الذي زرته بالسيف مشتملا

ولحظ عينيه أمضى من مضاربه

فما خلعت نجادي للعناق له

إلا لبست نجادا من ذوائبه /١٣ /٢٠٢

ابن رواحة:

أقسمت بالله لتنزله

طائعة أو لتكرهنه /٣ /١٤٧

/٣ /١٥٠

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم:

اللهم إن الأجر أجر الآخره

فارحم الأنصار والمهاجرة /١ /٣٢٤

/١ /٣٢٩

/١ /٤٦٤

........:

أم تر الجن وإبلاسها

ويأسها بعد وإبلاسها

ولحوقها بالقلاص وأحلاسها

وإياسها من أنساكها /١ /٢٤٣

المعتمد:

أليس **من العجائب** أن مثلي

يرى ما قل ممتعا عليه /١٠ /١٦٧

/١٠ /١٩٩." (١)

"يأمرني بردك.

فقال: أنت غلامي أو غلامه؟

قال: كلنا غلمانك ما أطعت الله، وقد عصيت بخروجك وتسليطك عدوك على المسلمين.

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الحديث الذهبي، شمس الدين ١٨/٦٢٥

ثم قام، ووكل به جماعة، ثم إنه بعث إليه يطلب منه ابن خاقان وجماعة ليناظرهم، فبعث بهم، فقال لهم: ما جنى أحد على الإمام والإسلام جنايتكم، أخرجتموه من دار ملكه في عدة يسيرة، وهذا هارون الشاري بإزائكم في جمع كثير، فلو ظفر بالخليفة، لكان عارا على الإسلام، ثم رسم أيضا عليهم، وأمر المعتمد بالرجوع، فقال: فاحلف لي أنك تنحدر معي ولا تسلمني، فحلف، وانحدر إلى سامراء.

فتلقاه كاتب الموفق صاعد، فأنزله في دار أحمد بن الخصيب، ومنعه من نزول دار الخلافة، ووكل به خمس مائة نفس، ومنع من أن يجتمع به أحد.

وبعث الموفق إلى ابن كنداج بخلع وذهب عظيم.

قال الصولي: تحيل المعتمد من أخيه، فكاتب ابن طولون.

ومما قال:

أليس **من العجائب** أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه

وتؤكل باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه (١) ؟!

ولقب الموفق صاعد بن مخلد ذا الوزراتين، ولقب ابن كنداج ذا السيفين.

فلما علم ابن طولون جمع الأعيان، وقال: قد تلا نكث الموفق بأمير المؤمنين، فاخلعوه من العهد، فخلعوه سوى القاضي بكار بن قتيبة. فقال

---

(١) البيتان في " فوات الوفيات " ١ / ٦٦، و" الوافي بالوفيات " ٦ / ٢٩٣، و" تاريخ السيوطي ": ٣٦٥ وبعدهما:

إليه تحمل الاموال طرا * ويمنع بعض ما يجبى إليه

وسيوردهما المصنف أيضا في ص: ٦٠٢ من هذا الجزء.." (١)

"قل له: شيخ فان وعليل مدنف، والملتقى قريب، والقاضي -عز وجل-.

فأبلغها الرسول أحمد، فأطرق، ثم أقبل يكرر ذلك على نفسه، ثم أمر بنقله من السجن إلى دار اكتريت له، وفيها كان يحدث، فلما مات الملك قيل لأبي بكرة: انصرف إلى منزلك.

فقال: هذه الدار بأجرة، وقد صلحت لي، فأقام بها (١) .

قال الطحاوي: فأقام بها بعد أحمد أربعين يوما، ومات.

قلت: كان ولي العهد الموفق قد استبد بالأمور، وضيق على أخيه الخليفة المعتمد.

قال الصولي: تخيل المعتمد من أخيه، فكاتب أحمد بن طولون، واتفقا، وقال المعتمد:

أليس **من العجائب** أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٥٤٨/١٢

وتؤكل باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه (٢) ؟!

فبلغنا أن ابن طولون جمع العلماء والأعيان، وقال: قد نكث الموفق أبو أحمد بأمير المؤمنين، فاخلعوه من العهد.

فخلعوه، إلا بكار بن قتيبة.

وقال: أنت أوردت علي كتاب المعتمد بتوليته العهد، فهات كتابا آخر منه بخلعه.

قال: إنه محجور عليه ومقهور؟

قال: لا أدري.

فقال له: غرك الناس بقولهم: ما في الدنيا مثل بكار، أنت قد خرفت وقيده وحبسه، وأخذ منه جميع عطائه من سنين، فكان عشرة آلاف دينار، فقيل: إنها وجدت بختومها وحالها.

وبلغ ذلك الموفق، فأمر بلعن ابن طولون على المنابر.

---

(١) " وفيات الأعيان " ١ / ٢٩١، و" النجوم الزاهرة " ٣ / ١٨

(٢) سبق تخريج البيتين في ص: ٥٤٨ من هذا الجزء.." [1]

"نال دنيا ورتبة من الحاكم.

وكان رافضيا منجما، رديء الاعتقاد.

له كتاب (التنجيم والإصابات) في عشر مجلدات، وكتاب (الديانات) في اثني عشر مجلدا، وكتاب (الشعر) ثلاث مجلدات، وكتاب (أصناف الجماع) ثلاث مجلدات، وكتاب (التاريخ (١)) وأشياء (٢) .

مات: في ربيع الآخر، سنة عشرين وأربع مائة، وله أربع وخمسون سنة (٣) .

وله يد طولى في الشعر (٤) والأدب والأخبار.

وكان أبوه (٥) من الأعيان، مات سنة أربع مائة، عن سن عالية.

---

(١) نقل ابن خلكان عن المسبحي قوله في هذا الكتاب: وهو أخبار مصر ومن حلها من الولاة والأمراء والائمة والخلفاء، وما بها **من العجائب** والابنية، واختلاف أصناف الاطعمة، وذكر نيلها، وأحوال من حل بها من الشعراء، وأخبار المغنين ومجالس القضاة والحاكم والمعدلين والأدباء والمتغزلين وغيرهم.

قال ابن خلكان: وهو ثلاثة عشر ألف ورقة.

وقال حاجي خليفة: وهو كبير في اثني عشر مجلدا، واختصره تقي الدين الفاسي، وذيل عليه محمد بن علي بن الميسر.

ويوجد من هذا الكتاب نسخة مخطوطة في الاسكوريال ثان ٥٤٣: ٢.

(٢) انظر بعض تصانيفه في " وفيات الأعيان " ٤ / ٣٧٧، ٣٧٨، و" الوافي بالوفيات " ٤ / ٨، و" هدية العارفين " ٢

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٦٠٢/١٢

/ ٦٣، ٦٤.

(٣) وولادته في عاشر رجب سنة ست وستين وثلاث مئة. " وفيات الأعيان " ٤ / ٣٧٩.

(٤) ومن شعره يرثي أم ولده:

ألا في سبيل الله قلب تقطعا * وفادحة لم تبق للعين مدمعا

أصبرا وقد حل الثرى من أوده * فلله هم ما أشد وأوجعا

فيا ليتني للموت قدمت قبلها * وإلا فليت الموت أذهبنا معا

انظر " وفيات الأعيان " ٤ / ٣٧٨، و" الوافي " ٤ / ٨.

(٥) انظر ترجمته في " وفيات الأعيان " ٤ / ٣٧٩.." [(١)]

"وكان يتوقد ذكاء، وكان بحر معارف، وكنز فضائل، لم يكن له في زمانه نظير على بدعته، وعلق كتاب (الفنون) ، وهو أزيد من أربع مائة مجلد، حشد فيه كل ما كان يجري له مع الفضلاء والتلامذة، وما يسنح له من الدقائق والغوامض، وما يسمعه من العجائب والحوادث (١) .

= كإضافة البيت، والناقة، وهذا قول نفاة الصفات من الجهمية، والمعتزلة، ومن وافقهم، حتى ابن عقيل، وابن الجوزي وأمثالهما إذا مالوا إلى قول المعتزلة سلكوا هذا المسلك، وقالوا: هذه آيات الإضافات لا آيات الصفات، كما ذكر ذلك ابن عقيل في كتابه المسمى " نفي التشبيه وإثبات التنزيه " وذكره ابن الجوزي في " منهاج الوصول " وغيره، وهذا قول بن حزم وأمثاله ممن وافقوا الجهمية على نفي الصفات وإن كانوا من المنتسبين إلى الحديث والسنة.

وقال الحافظ ابن رجب في " ذيل الطبقات ": ١ / ١٤٤: إن أصحابنا كانوا ينقمون على ابن عقيل تردده إلى ابن الوليد وابن التبان شيخي المعتزلة، وكان يقرأ عليهما في السر علم الكلام، ويظهر منه في بعض الأحيان نوع انحراف عن السنة وتأول لبعض الصفات، ولم يزل فيه بعض ذلك إلى أن مات رحمه الله.

وقال الحافظ ابن كثير في " البداية ": ١٢ / ١٨٤: وكان يجتمع بجميع العلماء من كل مذهب، فربما لامه أصحابه، فلا يلوي عليهم، فلهذا برز على أقرانه، وساد أهل زمانه،

في فنون كثيرة، مع صيانة وديانة، وحسن صورة، وكثرة اشتغال.

وقال الحافظ ابن حجر في " اللسان ": ٤ / ٢٤٣: وهذا الرجل من كبار الأئمة، نعم كان معتزليا، ثم أشهد على نفسه أنه تاب عن ذلك، وصحت توبته، ثم صنف في الرد عليهم، وقد أثنى عليه أهل عصره ومن بعدهم، وأطراه ابن الجوزي، وعول على كلامه في أكثر تصانيفه.

(١) قال الحافظ ابن رجب: وأكبر تصانيفه الفنون، وهو كتاب كبير جدا، فيه فوائد كثيرة جليلة، في الوعظ، والتفسير، والفقه، والاصلين، والنحو، واللغة، والشعر، والتاريخ، والحكايات، وفيه مناظراته ومجالسه التي وقعت له، وخواطره، ونتائج

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٣٦٢/١٧

فكره قيدها فيه.

وقال ابن الجوزي: وهذا الكتاب مئتا مجلد، وقع لي منه نحو من مئة وخمسين مجلدا، وقال سبطه في مرآة الزمان: ٨ / ١٥١: واختصر منه جدي عشر مجلدات فرقها في تصانيفه، وقد طالعت منه في بغداد في وقف المأمونية نحوا من سبعين، وفيه حكايات ومناظرات، وغرائب وعجائب وأشعار.

وقال عبد الرزاق الرسعني في تفسيره: قال لي أبو البقاء اللغوي: سمعت الشيخ أبا حكيم النهرواني يقول: وقفت على السفر الرابع بعد الثلاث مئة من كتاب الفنون، وقال الامام الذهبي في " تاريخ الإسلام ": حدثني من رأى منه =." [(١)]

"وباتوا عند قبره طول شهر رمضان يختمون الختمات، بالشمع والقناديل، ورآه في تلك الليلة المحدث أحمد بن سلمان السكر (١) في النوم، وهو على منبر من ياقوت، وهو جالس في مقعد صدق والملائكة بين يديه (٢) .

وأصبحنا يوم السبت عملنا العزاء، وتكلمت فيه، وحضر خلق عظيم، وعملت فيه المراثي (٣) ، **ومن العجائب** أنا كنا بعد انقضاء العزاء يوم السبت عند قبره، وإذا بخالي محيي الدين قد صعد من الشط، وخلفه تابوت، فقلنا: نرى من مات، وإذا بها خاتون أم محيي الدين، وعهدي بها ليلة وفاة جدي في عافية، فعد الناس هذا من كراماته، لأنه كان مغرى بها.

وأوصى جده أن يكتب على قبره:

يا كثير العفو عمن ... كثر الذنب لديه

جاءك المذنب يرجو الـ ... صفح عن جرم يديه

أنا ضيف، وجزاء الـ ... ضيف إحسان إليه

أخبرنا عبد الحافظ (٤) بن بدران، أخبرنا الإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد، حدثنا أبو الفرج عبد الرحمان بن علي، أخبرنا يحيى بن ثابت، أخبرنا أبي، حدثنا أبو بكر البرقاني، أخبرنا أحمد بن إبراهيم، أخبرنا ابن عبد الكريم الوزان، حدثنا الحسن بن علي الأزدي، حدثنا علي بن

= السبط بالمجازفة في غير موضع من كتبه.

(١) توفي سنة ٦٠١.

(٢) تمام الخبر: والحق سبحانه حاضر يسمع كلامه.

(٣) لم يقل السبط (وعملت فيه المراثي) لكنه أورد قصيدة في رثائه للناصر العلوي الموسوي من أهل مشهد موسى بن جعفر عليهما السلام، وهي المعروفة بالكاظمية.

(٤) عماد الدين أبو محمد عبد الحافظ بن بدران بن شبل بن طرخان النابلسي الحنبلي الزاهد شيخ الذهبي المتوفى سنة ٩٨

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ١٩/٤٤٥

ذكره الذهبي في (معجم شيوخه) : ١ / الورقة: ٧٠، وفي وفيات سنة ٦٩٨ من (تاريخ الإسلام) (أيا صوفيا ٣٠١٤) .." (١)

"وظهر بذلك تحكم التمدن العربي المتسع ونشأ عن ذلك العمران الزاهر فكان بالأندلس ست تحوت وثمانون مدينة كبيرة وثلاثمائة مدينة أقل منها وما لا يحصى من الضياع والقرى وفي قرطبة وحدها مائتا ألف بيت وستمائة مسجد وخمسون مستشفى للمرضى وثمانون مدرسة كبرى عامة وتسعمائة حكام وعدد ساكنيها مليون وليقس ما لم يقل وجامعها المشهور زخرفة وضخامة الباقي إلى الآن يضاهي في الفخامة الجامع الأموي بدمشق انتهى باختصار كثير مع تقديم وتأخير من خلاصة تاريخ العرب، وقد أتى على أخبار الأندلس الشهاب المقرى في نفح الطيب وأزهار الرياض وأشبع الكلام عليها بما فيه تذكرة وعبرة لذوي الألباب.

واعلم أن الأندلس اشتمل على فحول العلماء المبرزين في كثير من الفنون ترجمنا الكثير منهم في المقصد واشتمل على كثير **من العجائب** والمعادن وغير ذلك. في نفح الطيب: خص الله بلاد الأندلس من الريع وغدق السقيا ولذاذة الأقوات وفراهة الحيوان ودرور الفواكه وكثرة المياه وتبحر العمران وجودة اللباس وشرف الآنية وكثرة السلاح وصحة الهواء وابيضاض ألوان الأسنان ونبل الأفهام وفنون الصنائع وشهامة الطباع ونفوذ الإدراك وإحكم التمدن بما حرمه الكثير من الأقطار مما سواها. وقال أيضا: إن الأندلس بلد كريم البقعة طيب التربة خصب الحنان منبجس الأنهار الغزار والعيون العذاب قليل الهوام وذوات السموم معتدل الهواء والجو والنسيم ربيعه وخريفه ومشتاه ومصيفه على قدر من الاعتدال متوسط الحال تتصل فواكهه أكثر الأزمنة وتدوم ملاحقة غير مفقودة. وقال أيضا: في الأندلس من أنواع المعادن ما لا يحصى وفيه المدن الحصينة والمعاقل المنيعة والقلاع الحريزة والمصانع الجليلة وطول الأندلس ثلاثون يوما وعرضه سبعة أيام ويشقها أربعون نهرا كبارا وبها ثمانون مدينة من القواعد الكبار وأزيد من ثلاثمائة من المتوسط وفيها من الحصون والقرى ما لا يحصى، قيل إن عدد القرى النبي على نهر إشبيلية اثنا عشر ألفا وكانت دور قرطبة أربعة عشر ميلا وعرضها ميلان وكانت قرطبة قبة الإسلام وبها استقر سرير الخلافة الأموية وهي معدن العلماء وهي من الأندلس بمنزلة الرأس من الجسد ومسجدها ليس له نظير في الدنيا طوله ثلاثمائة وثلاثون ذراعا وعرضه مائتان وخمسون ذراعا وسواريه ألف وأربعمائة وهو مزخرف بالرخام والمرمر وماء الذهب واللازوردي وبخارج قرطبة ثلاثة آلاف قرية في كل واحدة منها منبر وفقيه مقلص تكون الفتيا في الأحكام إليه، وكانوا لا يكون فيهم مقلص إلا من حفظ الموطأ وقيل إلا من حفظ عشرة آلاف حديث وحفظ المدونة، وكان هؤلاء." (٢)

"قال: أنشدت يحي بن تميم هاته القصيدة وخاصته بين يديه وعبد العزيز بن عمار في الجملة وكان في هاته الصناعة أبصر الجماعة. فقال له يحي: كيف ترى ما تسمع؟ قال: حسن الحوك محكم السرد. فقال له: أتعرف قائله؟ قال: لا. قال: هو ذلك الجالس يشير إلي. فعلاه بسبب ذلك فتور ونفور عن الاستماع بحسب ما يعرض من العوام الرعاع عندما ينشدون لمن جمعهم وإياه مكان وزمان وإنما عنوا بامتداح القديم وتعظيم العظم الرميم وسببه الحسد وكثيرا ما يعدون الصواب محالا

---

(١) سير أعلام النبلاء ط الرسالة الذهبي، شمس الدين ٣٨٠/٢١

(٢) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية مخلوف، محمد بن محمد ١٦٢/٢

والصداء آلا والقوام اعوجاجا والعذب ملحا أجاجا. انتهى.

قلت: قال بعضهم: المعاصرة أصل المنافرة. وقال شيخنا حسين بن أحمد: المعاصرة حجاب.

وأبو الصلت هذا مقبور بالمنستير وقبره غير معروف وهو ابن الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي يكنى بالأديب الحكيم. في صلة ابن الآبار: خرج من بلاده ابن عشرين سنة يطلب العلم فتفنن في العلم والآداب والعروض والتاريخ وسجن أثناء ذلك ثم تخلص من اعتقاله فنزل بالمهدية على رأس الخمسمائة في كنف أمرائها الصنهاجيين يحيى بن تميم بن المعز وولده على عشرين سنة وكان من أفراد العلماء وفحول الشعراء والأدباء وله تآليف في فنون شاهدة بفضله ودالة على سعة علمه، وقد أوردت له في تأليفي تحفة القادم كثيرا من شعره وكتب إلى أبو جعفر بن عات أن أبا الحسن بن المفضل أنشده بالإسكندرية قال: أنشدني عبد الله بن يوسف القضاعي قال: أنشدني أبو الصلت أمية بن عبد العزيز قال: أنشدني أبو محمد التكريتي من تلامذة الغزالي لأبي حامد هذا ولم أسمعه من غيره، ولا ذكر له أبو الصلت، في الحديقة:

جعلت عقارب صدغه في خده ... قمرا يجل سنى عن التشبيه

ولقد عهدناه يحل ببرجها ... **فمن العجائب** كيف حلت فيه

أفادني أكثر خبره بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عبد الخالق الخطيب بالمنستير توفي سنة ٥٢٠ هـ أو بعدها بيسير انتهى.

وفي حسن المحاضرة: أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الداني الأندلسي قال في العبر: كان ماهرا في علوم الأوائل رأسا في معرفة الهيئة والنجوم والموسيقى والطبيعي والرياضي والإلهي كثير التصانيف بديع النظم مات سنة ٥٢٨ هـ عن ثمان وستين سنة انتهى.." (١)

"يدوم تاقت نفسه إلى الملك الدائم الخالد، واشتاق إلى لقاء الله وإلى آبائه الصالحين إبراهيم وإسحاق فقال ﴿رب قد آتيتني من الملك﴾ أي أعطيتني العز والجاه والسلطان، وذلك من نعمة الدنيا ﴿وعلمتني من تأويل الأحاديث﴾ أي علمتني تفسير الرؤيا، وذلك من نعمة العلم ﴿فاطر السماوات﴾ أي يا مبدع السماوات والأرض وخالقهما على غير مثال سابق ﴿والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة﴾ أي أنت يا رب متولي أموري وشئوني في الدارين ﴿توفني مسلما وألحقني بالصالحين﴾ أي اقبضني إليك مسلما، واجعل لحاقي بالصالحين، ابتهل إلى ربه أن يحفظ عليه إسلامه حتى يموت عليه، وإلى هنا تنتهي قصة يوسف الصديق، ثم يأتي التعقيب بعد ذلك بإقامة البرهان على صحة نبوة محمد عليه السلاة والسلام ﴿ذلك من أنبآء الغيب نوحيه إليك﴾ أي ذلك الذي أخبرناك عنه يا محمد من أمر يوسف وقصته، من الأخبار المغيبة التي لم تكن تعلمها قبل الوحي، وإنما نعلمك نحن بها على أبلغ وجه وأدق تصوير، ليظهر صدقك في دعوى الرسالة ﴿وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾ أي وما كنت حاضرا مع إخوة يوسف حين تآمروا على أخيهم وأجمعوا أمرهم على إلقائه في الجب وهم يحتالون ويمكرون به وبأبيه ليرسله معهم، فإنك يا محمد لم تشاهدهم حتى تقف على حقيقة القصة وإنما جاءتك بوحي من العليم الخبير ﴿ومآ أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أي ليس أكثر الخلق ولو حرصت على إيمانهم وبالغت في إرشادهم بمصدقين لك لتصميمهم على الكفر ﴿وما تسألهم عليه من أجر﴾

---

(١) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية مخلوف، محمد بن محمد ٢/٢٢٦

أي وما تطلب منهم على هذا النصح، والدعاء إلى الخير والرشد أجرة حتى يثقل عليهم ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ أي ما هذا القرآن إلا عظة وتذكير للعالمين، وأنت لا تطلب في تلاوته عليهم مالا، فلو كانوا عقلاء لقبلوا ولم يتمردوا ﴿وكأين من آية في السماوات والأرض﴾ أي كم من الآيات والعلامات الدالة على وجود الله جل وعلا ووحدانيته، الكائنة في السماوات والأرض كالشمس والقمر والنجوم، والجبال والبحار والأشجار، وسائر ما فيهما **من العجائب** ﴿يمرون عليها﴾ أي يشاهدونها ليل نهار، ويمرون عليها بالعشي والإبكار ﴿وهم عنها معرضون﴾ أي لا يفركون فيها ولا يعتبرون، فلا تتعجب من إعراضهم عنك فإن إعراضهم عن هذه الآيات الدالة على وحدانية الله وقدرته أغرب وأعجب ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ أي لا يؤمن أكثر هؤلاء المكذبين من قومك إلا إذا أشركوا مع الله غيره، فإنهم يقرون بأن الله هو الخلاق الرازق ويعبدون معه الأصنام قال ابن عباس: ومن ذلك قولهم في تلبيتهم: «لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك» ﴿أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله﴾ أفأمن هؤلاء المكذبون عقوبة من عذاب الله تغشاهم وتشملهم؟ ﴿أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون﴾ أي أو تأتيهم القيامة بأهوالها فجأة من حيث لا يشعرون ولا يتوقعون؟ والاستفهام إنكاري وفيه معنى التوبيخ ﴿قل هذه سبيلي﴾ أي قل يا محمد هذه طريقي ومنهاجي واضحة مستقيمة لا عوج فيها ولا شك ولا شبهة ﴿أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ أي أدعو على عبادة الله وطاعته، على بيان وحجة واضحة أنا ومن آمن بي ﴿وسبحان الله ومآ أنا من المشركين﴾ أي وأنزهه سبحانه عن الشركاء." (١)

"إن كنتم تريدون قضاء الشهوة قال المفسرون: المراد بقوله ﴿بناتي﴾ بنات أمته لأن كل نبي يعتبر أبا لقومه ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ أي وحياتك يا محمد إن قوم لوط لفي ضلالهم وجهلهم يتخبطون ويترددون، وهذه جملة اعتراضية جاءت ضمن قصة لوط قسما بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم تكريما له وتشريفا قال ابن عباس: «ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره» ﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين﴾ أي أخذتهم صيحة العذاب المهلكة المدمرة وقت شروق الشمس ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ أي قلبناها بهم فجعلنا أعالي المنازل أسافلها قال المفسرون: حمل جبريل عليه السلام قريتهم واقتعلها من جذورها، حتى رأوا الأفلاك وسمعوا تسبيح الأملاك ثم قلبها بهم ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ أي أنزلنا عليهم حجارة كالمطر من طين طبخ بنار جهنم ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ أي فيما حل بهم من الدمار والعذاب للدلالات وعلامات للمعتبرين، المتأملين بعين البصر والبصيرة ﴿وإنها لبسبيل مقيم﴾ أي وإن هذه القرى المهلكة، وما ظهر فيها من آثار قهر الله وغضبه، لبطريق ثابت لم يندرس، يراها المجتازون في أسفارهم أفلا يعتبرون؟ ﴿إن في ذلك لآية للمؤمنين﴾ أي لعبرة للمصدقين ﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾ أي وإنه الحال والشأن كان قوم شعيب – وهم أصحاب الأيكة أي الشجر الكثير المتلف – لظالمين بتكذيبهم شعيبا، وقطعهم الطريق، ونقصهم المكيال والميزان ﴿فانتقمنا منهم﴾ أي أهلكناهم بالرجفة وعذاب يوم الظلة قال المفسرون: اشتد الحر عليهم سبعة أيام حتى قربوا من الهلاك، فبعث الله عليهم سحابة كالظلة، فالتجئوا إليها واجتمعوا تحتها للتظلل بها، فبعث الله عليهم منها نارا فأحرقتهم جميعا ﴿وإنهما لبإمام مبين﴾ أي وإن قرى قوم لوط وشعيب

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢/٦٣

لطريق واضح أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة؟ ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ هذه هي القصة الرابعة وهي قصة صالح عليه السلام أي كذبت ثمود نبيهم صالحا – والحجر واد بين المدينة والشام وآثاره باقية يمر عليها المسافرون – قال البيضاوي: ومن كذب واحدا من الرسل فكأنما كذب الجميع ولذا قال ﴿المرسلين﴾ ﴿وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين﴾ أي وأريناهم معجزاتنا الدالة على قدرتنا مثل الناقة وما فيها **من العجائب** فكانوا لا يعتبرون بها ولا يتعظون قال ابن عباس: كان في الناقة آيات: خروجها من الصخرة، ودنو ولادها عند خروجها، وعظم خلقها فلم تشبهها ناقة، وكثرة لبنها حتى كان يكفيهم جميعا فلم يتفكروا فيها ولم يستدلوا بها ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين﴾ أي كانوا ينقبون الجبال فيبنون فيها بيوتا آمنين يحسبون أنها تحميهم من عذاب الله ﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين﴾ أي أخذتهم صيحة الهلاك حين أصبحوا ﴿فمآ أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ أي ما دفع عنهم عذاب الله ما كانوا يشيدونه من القلاع والحصون ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهمآ إلا بالحق﴾ أي وما خلقنا الخلائق كلها سماءها وأرضها وما بينهما إلا خلقا ملتبسا بالحق، فلذلك اقتضت الحكمة إهلاك أمثال هؤلاء المكذبين لئلا يعم الفساد ﴿وإن." (١)

"سريت من حرم ليلا إلى حرم ... كما سرى البدر في داج من الظلم

﴿فجاسوا﴾ قال الزجاج: طافوا، والجوس: الطواف بالليل والتردد والطلب مع الاستقصاء وقال الواحدي: الجوس هو التردد والطلب ﴿الكرة﴾ الدولة والغلبة ﴿تتبيرا﴾ هلاكا ودمارا ﴿محونآ﴾ طمسنا قال علماء اللغة: المحو إذهاب الأثر يقال محوته فانمحى أي ذهب أثره ﴿طآئره﴾ عمله المقدر عليه سمي الخير والشر بالطائر لأن العرب كانوا يتفاءلون ويتشاءمون بالطير إذا طار جهة اليمين أو الشمال ﴿مترفيها﴾ المترف: المتنعم الذي أبطرته النعمة وسعة العيش ﴿يصلاها﴾ يدخلها ويذوق حرها ﴿مدحورا﴾ مطرودا مبعدا من رحمة الله.

التفسير: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا﴾ أي تنزه وتقدس عما لا يليق بجلاله، الله العلي الشأن، الذي انتقل بعبده ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم في جزء من الليل ﴿من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ أي من مكة المكرمة إلى بيت المقدس، وسمي بالأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام قال المفسرون: وإنما قال ﴿ليلا﴾ بلفظ التنكير لتقليل مدة الإسراء، وأنه قطع به المسافات الشاسعة البعيدة في جزء من الليل وكانت مسيرة أربعين ليلة، وذلك أبلغ في القدرة والإعجاز ولهذا كان بدء السورة بلفظ ﴿سبحان﴾ الدال على كمال القدرة، وبالغ الحكمة، ونهاية تنزهه تعالى عن صفات المخلوقين، وكان الإسراء بالروح والجسد، يقظة لا مناما ﴿الذي باركنا حوله﴾ أي الذي باركنا ما حوله بأنواع البركات الحسية والمعنوية، بالثمار والأنهار التي خص الله بها بلاد الشام، وبكونه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة الأطهار ﴿لنريه من آياتنآ﴾ أي لنري محمدا صلى الله عليه وسلم آياتنا العجيبة العظيمة، ونطلعه على ملكوت السماوات والأرض، فقد رأى صلوات الله عليه السماوات العلى والجنة والنار، وسدرة المنتهى، والملائكة والأنبياء وغير ذلك **من العجائب** والآيات التي تدل على قدرة الله تعالى ﴿إنه هو السميع البصير﴾ أي إنه تعالى هو السميع لأقوال محمد، البصير بأفعاله، فلهذا خصه

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢/١٠٦

بهذه الكرامات والمعجزات احتفاء وتكريما ﴿وآتينآ موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾ أي أعطينا موسى التوراة هداية لبني إسرائيل يخرجهم بواسطة ذلك الكتاب من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان ﴿ألا تتخذوا من دوني وكيلا﴾ أي لا تتخذوا لكم ربا تكلون إليه أموركم سوى الله الذي خلقكم قال المفسرون: لما ذكر المسجد الأقصى وهو قلب الأرض المقدسة التي أسكنها الله بني إسرائيل جاء الحديث عنهم في مكانه المناسب من سياق السورة ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ أي يا ذرية ويا أبناء المؤمنين الذين كانوا مع نوح في السفينة، لقد نجينا آباءكم من الغرق فاشكروا الله على إنعامه ﴿إنه كان عبدا شكورا﴾ أي إن نوحا كان كثير الشكر يحمد الله على كل حال فاقتدوا به، وفي النداء لهم تلطف وتذكير بنعمة الله ﴿وقضينآ إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾ أي أخبرناهم وأعلمناهم وأوحينا إليهم في التوراة ﴿لتفسدن في الأرض مرتين﴾ أي ليحصلن منكم الإفساد في أرض فلسطين وما حولها مرتين قال ابن عباس: أول الفساد قتل زكريا والثاني قتل يحي عليهما السلام ﴿ولتعلن علوا كبيرا﴾ أي تطغون في الأرض المقدسة طغيانا كبيرا بالظلم." (١)

"سنجازيهم ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾ ؟ بدء قصة أصحاب الكهف، والكهف الغار المتسع من الجبل، والرقيم اللوح الذي كتب فيه أسماء أصحاب الكهف على المشهور والمعنى: لا تظنن يا محمد أن قصة أهل الكهف – على غرابتها – هي أعجب آيات الله، ففي صفحات هذا الكون **من العجائب** والغرائب ما يفوق قصة أصحاب الكهف قال مجاهد: أحسبت أنهم كانوا أعجب آياتنا؟ قد كان في آياتنا أعجب منهم ﴿إذ أوى الفتية إلى الكهف﴾ أي اذكر حين التجأ الشبان إلى الغار في الجبل وجعلوه مأواهم ﴿فقالوا ربنآ آتنا من لدنك رحمة﴾ أي أعطنا من خزائن رحمتك الخاصة مغفرة ورزقا ﴿وهيىء لنا من أمرنا رشدا﴾ أي أصلح لنا أمرنا كله واجعلنا من الراشدين المهتدين ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا﴾ أي ألقينا عليهم النوم في الغار سنين عديدة ﴿ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا﴾ أي ثم أيقظناهم من بعد نومهم الطويل لنرى أي الفريقين أدق إحصاء للمدة التي ناموها في الكهف؟ قال في التسهيل: والمراد." (٢)

"والعتاد، وأصحاب شدة في الحرب ﴿والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين﴾ ؟ أي وأمرنا إليك فمرينا بما شئت نمتثل أمرك، وقولهم هذا دليل على الطاعة المفرطة قال القرطبي: أخذت في حسن الأدب مع قومها ومشاورتهم في أمرها في كل ما يعرض لها، فراجعها الملأ بما يقر عينها من إعلامهم إياها بالقوة والبأس، ثم سلموا الأمر إلى نظرها، وهذه محاوة حسنة من الجيمع قال الحسن البصري: فوضوا أمرهم إلى علجة يضطرب ثدياها، فلا قالوا لها ما قالوا كان هي أحزم منهم رأيا وأعلم ﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها﴾ أي إن عادة الملوك أنهم إذا استولوا على بلدة عنوة وقهرا خربوها ﴿وجعلوا أعزة أهلهآ أذلة﴾ أي أهانوا أشرافها وأذلوهم بالقتل والأسر والتشريد ﴿وكذلك يفعلون﴾ أي وهذه عادتهم وطريقتهم في كل بلد يدخلونها قهرا، ثم عدلت إلى المهادنة والمسالمة فقالت ﴿وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ أي وإني سأبعث إلأيه بهدية عظيمة تليق بمثله، فأنظر هل يقبلها أن يردها؟ قال قتادة: ما كان أعقلها في إسلامها وشركها!! علمت أن

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢/١٤٠

(٢) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢/١٦٩

الهدية تقع موقعا من الناس، وقال ابن عباس: قالت لقومها إن قبل الهدية فهو ملك يريد الدنيا فقاتلوه، وإن لم يقبلها فهو نبي صادق فاتبعوه ﴿فلما جآء سليمان قال أتمدونن بمال﴾ ؟ أي فلما جاء رسل بلقيس إلى سليمان بالهدية العظيمة قال منكرا عليهم: أتصانعونني بالمال والهدايا لأتركَكم على كفركم وملككم؟ ﴿فمآ آتاني الله خير ممآ آتاكم﴾ أي فما أعطاني الله من النبوة والملك والواسع خير مما أعطاكم من زينة الحياة فلا حاجة لي بهديتكم ﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ أي أنتم تفرحون بالهدايا لأنكم أهل مفاخرة ومكاثرة في الدنيا، ثم قال لرئيس الوفد ﴿ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها﴾ أي ارجع إليهم بهديتهم فوالله لنأتينهم بجنود لا طاقة لهم بمقابلتها، ولا قدرة لهم على مقاتلتها ﴿ولنخرجنهم منهآ أذلة وهم صاغرون﴾ أي ولنخرجنهم من أرضهم ومملكتهم أذلاء حقيرين إن لم يأتوني مسلمين قال ابن عباس: لما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان وأخبروها الخبر قالت قد عرفت ما هذا بملك، وما لنا به طاقة، وبعثت إلى سليمان إني قادمة إليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك، وما تدعو إليه من دينك ثم ارتحلت إلى سليمان في اثني عشر ألف قائد ﴿قال يأأيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾ ؟ أي قال سليمان لأشراف من حضره من جنده: أيكم يأتيني بسريرها المرصع بالجواهر قبل أن تصل إلي مع قومها مسلمين؟ قال البيضاوي: أراد بذلك أن يريها بعض ما خصه الله به **من العجائب**، الدالة على عظيم القدرة، وصدقه في دعوى النبوة، ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره؟ ﴿قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ أي قال مارد من مردة الجن: أنا أحضره إليك قبل أن تقوم من مجلس الحكم – وكان يجلس من الصبح إلى الظهر في كل يوم – وغرضه أنه يأتيه به في أقل من نصف نهار ﴿وإني عليه لقوي أمين﴾ أي وإني على حمله لقادر، وأمين على ما فيه من الجواهر والدر وغير ذلك ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ قال المفسرون:." (١)

"المناسبة: لما ذكر تعالى في أول السورة قصة موسى، ثم أعقبها بقصة داود وسليمان وما فيها **من العجائب** والغرائب، ذكر هنا قصة «صالح» ثم قصة «لوط» وكل هذه القصص غرضها التذكير والاعتبار، وبيان سنة الله في إهلاك المكذبين، ثم أتبعها بذكر البراهين الدالة على الوحدانية، والعلم، والقدرة.

اللغة: ﴿اطيرنا﴾ من التطير وهو التشاؤم قال الزجاج: أصلها تطيرنا فأدغمت التاء في الطاء واجتلبت الألف لسكون الطاء ﴿خاوية﴾ خالية من خوى البطن إذا خلى، وخوى النجم إذا سقط ﴿الفاحشة﴾ الفعلة القبيحة الشنيعة ﴿حدآئق﴾ جمع حديقة وهي البستان الذي عليه سور قال الفراء: الحديقة البستان الذي عليه حائط فهو البستان ﴿قرارا﴾ مستقرا يثبت عليه الشيء ﴿حاجزا﴾ الحاجز: الفاصل بين الشيئين.

التفسير: ﴿ولقد أرسلنآ إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله﴾ اللام جواب قسم محذوف أي والله لقد ارسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم – في النسب لا في الدين – صالحا عليه السلام يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته ﴿فإذا هم فريقان يختصمون﴾ أي فإذا هم جماعتان: مؤمنون وكافرون يتنازعون في شأن الدين قال مجاهد: «فريقان: مؤمن، وكافر» واختصامهم: اختلافهم

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢/٣٧٥

وجدالهم في الدين، وجاء الفعل بالجمع ﴿يختصمون﴾ حملا على المعنى ﴿قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة﴾ أي قال لهم صالح بطريق التلطف والرفق: يا قوم لم تطلبون العذاب قبل الرحمة؟ ولأي شيء تستعجلون بالعذاب ولا تطلبون الرحمة؟ ﴿لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون﴾ أي هلا تتوبون." (١)

"ولا تجاوروا الظلمة فأرض الله واسعة قال مقاتل: نزلت في ضعفاء مسلمي مكة ﴿فإياي فاعبدون﴾ أي فخصوني بالعبادة ولا تعبدوا أحدا سواي ﴿كل نفس ذآئقة الموت ثم إلينا ترجعون﴾ أي أينما كنتم يدرككم الموت، فكونوا دائما وأبدا في طاعة الله، وحيث أمرتم فهاجروا فإن الموت لا بد منه ولا محيد عنه، ثم إلأى الله المرجع والمآب ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي جمعوا بيت إخلاص العقيدة وإخلاص العمل ﴿لنبوئنهم من الجنة غرفا﴾ أي لننزلنهم أعالي الجنة ولنسكننهم منازل رفيعة فيها ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ أي تجري من تحت أشجارها وقصورها أنهار الجنة ﴿خالدين فيها﴾ أي ماكثين فيها إلى غير نهاية لا يخرجون منها أبدا ﴿نعم أجر العاملين﴾ أي نعمت تلك المساكن العالية في جنات النعيم أجرا للعاملين ﴿الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ هذا بيان للعاملين أي هم الذين صبروا على تحمل المشاق من الهجرة والأذى في سبيل الله، وعلى ربهم يعتمدون في جميع أمورهم قال في البحر: وهذان جماع الخير كله: الصبر، وتفويض الأمر إلأيه تعالى ﴿وكأين من دآبة لا تحمل رزقها﴾ أي كم من دابة ضعيفة لا تقدر على كسب رزقها ولكن الله يرزقها مع ضعفها ﴿الله يرزقها وإياكم﴾ أي الله تعالى يرزقها كما يرزقكم، وقد تكفل برزق جميع الخلق، فلا تخافوا الفقر إن هاجرتم، فالرازق هو الله قال في التسهيل: والقصد بالآية التقوية لقلوب المؤمنين إذا خافوا الفقر والجوع في الهجرة من أوطانهم، فكما يرزق الله الحيوانات الضعيفة كذلك يرزقكم إذا هاجرتم من بلدكم ﴿وهو السميع العليم﴾ أي هو السميع لأقوالكم، العليم بأحوالكم، ثم عاد الحديث إلى توبيخ المشركين في عبادة غير الله فقال ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله﴾ أي ولئن سألت المشركين من خلق العالم العلوي والسفلي وما فيهما **من العجائب** والغرائب؟ ومن ذلل الشمس والقمر وسخرهما لمصالح العباد يجريان بنظام دقيق؟ ليقولون: الله خالق ذلك ﴿فأنى يؤفكون﴾ أي فكيف يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك؟ ﴿الله يبسط الرزق لمن يشآء من عباده ويقدر له﴾ أي هو جل وعلا الخالق وهو الرازق، يوسع الرزق لمن يشاء من عباده امتحانا، ويضيق الرزق على من يشاء ابتلاء، ليظهر الشاكر والصابر ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ أي إنه تعالى واسع العلم يفعل ما تقتضيه الحكمة والمصلحة ﴿ولئن سألتهم من نزل من السمآء مآء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله﴾ توبيخ آخر وإقامة حجة أخرى عليهم أي ولئن سألت المشركين من الذي أنزل المطر من السماء فأخرج به أنواع الزروع والثمار بعد جدب الأرض ويبسها؟ ليقولون: الله فاعل ذلك ﴿قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾ أي قل يا محمد: حمدا لله على ظهور الحجة، بل أكثرهم لا يعقلون، حيث يقرون بأن الله هو الخالق الرازق ويعبدون غيره ﴿وما هذه الحياة الدنيآ إلا لهو ولعب﴾ أي وما الحياة في هذه الدنيا إلا غرور ينقضي سريعا ويزول، كما يلعب الصبيان

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٣٧٨/٢

ساعة ثم يتفرقون ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ أي وإن الآخرة لهي الحياة الحقيقية التي لا موت فيها ولا تنغيص ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي لو كان عندهم علم لم يؤثروا دار الفناء على دار البقاء،." (١)

"ويوم يناديهم أين شركآئي﴾ ؟ أي ويوم القيامة ينادي الله المشركين أين شركائي الذين زعمتم أنهم آلهة؟ وفي تقريع وتهكم بهم ﴿قالوا آذناك ما منا من شهيد﴾ أي قال المشركون: أعلمناك وأخبرناك الآن بالحقيقة ما منا من يشهد اليوم بأن لك شريكا في المفسرون: لما عاينوا القيامة تبرءوا من الأصنام وتبرأت الأصنم منهم أي وأعلنوا إيمانهم وتوحيدهم في وقت لا ينفع فيه إيمان ﴿وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل﴾ أي وغاب عنهم ما كنوا يعبدونه في الدنيا من الآلهة المزعومة ﴿وظنوا ما لهم من محيص﴾ أي وأيقنوا أنه لا مهرب ولا مخلص لهم من عذاب الله ﴿لا يسأم الإنسان من دعآء الخير﴾ أي لا يمل الإنسان من سؤاله ودعائه بالخير لنفسه، كالمال والصحة العز والسلطان ﴿وإن مسه الشر فيئوس قنوط﴾ أي وإن أصابه فقر أو مرض فهو عظيم اليأس، قانطا من ورح الله ورحمته ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضرآء مسته﴾ أي ولئن أعطيناه غنى وصحة من بعد شدة وبلاء ﴿ليقولن هذا لي﴾ أي ليقولن هذا بسعيي واجتهادي قال أبو حيان: سمى النعمة رحمة إذ هي من آثار رحمة الله ﴿ومآ أظن الساعة قآئمة﴾ أي وما أعتقد أن القيامة ستكون ﴿ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾ أي وعلى فرض أن القيامة حاصلة، فليحسنن إلي ربي كما أحسن إلي في هذه الدنيا قال ابن كثير: يتمنى على الله عز وجل مع إساءته العمل وعدم اليقين ﴿فلننبئن الذين كفروا بما عملوا﴾ أي فوالله لنعلمن هؤلاء الكافرين بحقيقة أعمالهم، ولنبصرنهم بإجرامهم ﴿ولنذيقنهم من عذاب غليظ﴾ أي ولنعذبنهم أشد العذاب، وهو الخلود في نار جهنم ﴿وإذآ أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه﴾ أي وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض عن شكر ربه، واستكبر عن الانقياد لأوامره، وشمخ بأنفه تكبرا وترفعا ﴿وإذا مسه الشر فذو دعآء عريض﴾ أي وإذا أصابه المكروه فهو ذو دعاء كثير، يديم التضرع ويكثر من الابتهال، وهكذا طبيعة الإنسان الجحود والنكران، يعرف ربه في البلاء وينساه في الرخاء قال الرازي: استعير العرض لكثرة الدعاء، كما استعير الغلظ لشدة العذاب ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به﴾ أي قل لهم يا محمد: أخبروني يا معشر المشركين، إن كان هذا القرآن من عند الله، وكفرتم به من غير تأمل ولا نظر، كيف يكون حالكم؟ ﴿من أضل ممن هو في شقاق بعيد﴾ الاستفهام إنكاري بمعنى النفي أي لا أحد أضل منكم لفرط شقاقكم وعداوتكم، قال أبو السعود: وضع الموصول «من أضل» موضع الضمير «منكم» شرحا لحالهم، وتعليلا لمزيد ضلالهم ﴿سنريهم آياتنا﴾ أي سنظهر لهؤلاء المشركين دلالاتنا وحجبنا عل أن القرآن حق منزل من عند الله ﴿في الآفاق﴾ أي في أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم، والأشجار والنبات وغير ذلك **من العجائب** العلوية والسفلية ﴿وفي أنفسهم﴾ أي وفي عجائب قدرة الله في خلقهم وتكوينهم قال القرطبي: المراد ما في أنفسهم من لطيف الصنعة، وبديع الحكمة، حتى سبيل الغائط والبول، فإن الرجل يأكل ويشرب من مكان واحد، ويتميز ذلك من مكانين، ومن بديع صنعة الله وحكمته في غينيه اللتين هما قطرة ماء، ينظر بهما من الأرض إلى." (٢)

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٤٢٩/٢

(٢) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ١١٨/٣

"من الخلق البديع، ولهذا قال بعده ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ أي وفي أنفسكم آيات وعبر من مبدأ خلقكم إلى منتهاه، أفلا تبصرون قدرة الله في خلقكم لتعرفوا قدرته على البعث؟ قال ابن عباس: يريد اختلاف الصور، والألسنة، والألوان، والطبائع، والسمع والبصر والعقل إلى غير ذلك **من العجائب** المودعة في ابن آدم وقال قتادة: من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إمنما خلق ولينت مفاصله للعبادة ﴿وفي السمآء رزقكم وما توعدون﴾ أي وفي السماء أسباب رزقكم ومعاشكم وهو المطر الذي به حياة البلاد والعباد، وما توعدون به من الثواب والعقاب مكتوب كذلك في السماء قال الصاوي: والآية قصد بها الامتنان والوعد والوعيد ﴿فورب السمآء والأرض إنه لحق مثل مآ أنكم تنطقون﴾ أي أقسم برب السماء والأرض إن ما توعدون به من الرزق والبعث والنشور لحق كائن لا محالة مثل نطقكم، فكما لا تشكون في نقطكم حين تنطقون فكذلك يجب ألا تشكوا في الرزق والبعث قال المفسرون: وهذا على سبيل التشبيه والتمثيل أي رزقكم مقسوم في السماء كنطقكم فلا تشكوا في ذلك، وهذا كقول القائل: هذا حق كما أنك ههنا، وهذا حق كما أنك ترى وتسمع، فالرزق مثل النطق لا يفارق الشخص في حال من الأحوال وفي الحديث

«لو أن أحدكم فر من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت»

. ثم ذكر تعالى قصة ضيف إبراهيم تسلية لقلب النبي الكريم فقال ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ ؟ الاستفهام للتشويق ولتفخيم شأن تلك القصة كما يقول القائل: هل بلغك الخير الفلاني؟ يريد تشويقه إلى استماعه والمعنى هل وصل إلى سمعك يا محمد خبر ضيوف إبراهيم المعظمين؟ قال ابن عباس: يريد جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام، سموا مكرمين لكرامتهم عند الله عز وجل ﴿إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما﴾ أي حين دخلوا على إبراهيم فقالوا: نسلم عليك سلاما ﴿قال سلام قوم منكرون﴾ أي قال علكيم سلام أنتم قوم غرباء لا نعرفكم فمن أنتم؟ قال ابن كثير: وإنما أنكرهم لأنهم قدموا عليه في صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة ولهذا أنكرهم وقال أبو حيان: والذي يناسب حال إبراهيم عليه السلام أنه لا يخاطبهم بذلك، إذ فيه من عدم الإنس ما لا يخفى، وإنما قال ذلك في نفسه، أو لمن كان معه من أتباعه وغلمانه، بحيث لا يسمع ذلك الأضياف ﴿فراغ إلى أهله﴾ أي فمضى إلى أهله في سرعة وخفية عن ضيفه، لأن من أدب المضيف أن يبادر بإحضار الضيافة من غير أن يشعر به الضيف، حذرا من أن يمنعه الضيف، أو يثقل عليه في التأخير قال ابن قتيبة: عدل إليهم في خفية ولا يكون الرواغ إلا أن تخفي ذهابك ومجيئك ﴿فجآء بعجل سمين﴾ أي فجاءهم بعجل سمين مشوي، والعجل ولد البقرة وكان عامة ما له البقر، واختاره لهم سمينا زيادة في إكرامهم ﴿فقربه إليهم قال ألا تأكلون﴾ أي أفادناه منهم." (١)

"كانت قريش حين أخبرهم صلى الله عليه وسلم بأمره في الإسراء كذبوا واستخفوا حتى وصف لهم صلى الله عليه وسلم بيت المقدس، والجمهور على أن المرئي مرتين هو جبريل، وعن ابن عباس وعكرمة أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه، وأنكرت ذلك عائشة وقالت إنه رأى جبريل في صورته مرتين ثم قال أبو حيان: والصحيح أن جميع ما في هذه الآيات هو مع جريل بدليل قوله تعالى ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ فإنه يقتضي مرة متقدمة ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٣/٢٣٥

أي رأى الرسول جبريل في صورته الملكية مرة أخرى ﴿عند سدرة المنتهى﴾ أي عند سدرة المنتهى التي هي في السماء السابعة قرب العرش قال المفسرون: والسشدرة شجرة النبق تنبع من أصلها الأنهار، وهي عين يمين العرش، وسميت سدرة المنتهى لأنه ينتهي إليها علم الخلائق وجميع الملائكة، ولا يعلم أحد ما وراءها إلا الله جل وعلا وفي الحديث

«صعد بي إلى السماء السابعة، ورفعت إلي سدرة المنتهى، فإذا نبقها أي ثمرها مثل قلال هجر، وإذا أوراقها كآذان الفيلة. .» ﴿عندها جنة المأوى﴾ أي عند سدرة المنتهى الجنة التي تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ أي رآه وقت ما يغشى السدرة ما يغشى **من العجائب** قال الحسن: غشيها نور رب العالمين فاستنارت وقال ابن مسعود: غشيها فراش من ذهب وفي الحديث

«لما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها من حسنها» قال المفسرون: رأى عليه السلام شجرة سدرة المنتهى وقد غشيتها سبحات أنوار الله عز وجل، حتى ما يستطيع أحد أن ينظر إليها، وغشيتها الملائكة أمثال الطيور يعبدون الله عندها، يجتمعون حولها مسبحين وزائرين كما يزور الناس الكعبة وفي الحديث «رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب، ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح لله تعالى» ﴿ما زاغ البصر﴾ أي ما صال بصر النبي صلى الله عليه وسلم في المقام وفي تلك الحضرة يمينا وشمالا ﴿وما طغى﴾ أي وما جاوز الحد الذي رأى قال القرطبي: أي لم يمد بصره إلى غير ما رأى من الآيات، وهذا وهذا وصف أدب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام إذ لم يلتفت يمينا ولا شمالا وقال الخازن: لما تجلى رب العزة وظهر نوره، ثبت صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام العظيم الذي تحار فيه العقول، وتزل فيه الأقدام، وتميل فيه الأبصار ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ أي والله لقد رأى محمد ليلة المعراج عجائب ملكوت الله، رأى سدة المنتهى، والبيت المعمور، والجنة والنار، ورأى جبريل في صورته التي يكون عليها في السموات له ستمائة جناح، ورأى رفرفا أخضر من الجنة قد سد الأفق، وغير ذلك من الآيات العظام قال الفخر: وفي الآية دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ليلة المعراج آيات الله ولم." (١)

"عليها الحور العين، فإذا أراد ولي الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له ﴿وأكواب موضوعة﴾ أي وأقداح موضوعة على حافات العيون، معدة لشرابهم لا تحتاج إلى من يملأها ﴿ونمارق مصفوفة﴾ أي ووسائد مخدات قد صف بعضها إلى جانب بعض ليستندوا عليها ﴿وزرابي مبثوثة﴾ أي وفيها طنافس فاخرة لها خمل رقيق مبسوطة في أنحاء الجنة. . ثم ذكر تعالى الدلائل والبراهين الدالة على قدرته ووحدانيته فقال ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ أي أفلا ينظر هؤلاء الناس نظر تكفر واعتبار، إلى الإبل الجمال كيف خلقها الله خلقا عجيبا بديعا يدل على قدرة خالقها؟ ﴿قال في التسهيل: في الآية حض على النظر في خلقتها، لما فيها **من العجائب** في قوتها، وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف، وصبرها على العطش، وكثرة المنافع التي فيها، من الركوب والحمل عليها، وأكل لحومها، وشرب ألبانها وغير ذلك ﴿وإلى السمآء كيف رفعت﴾ أي وإلى السماء البديعة المحكمة، كيف رفع الله بناءها، وأعلى سمكها بلا عمد ولا دعائم؟ ﴿وإلى الجبال

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢٥٦/٣

كيف نصبت﴾ أي إلى الجبال الشاهقة كيف نصبت على الأرض نصبا ثابتا راسخا لا يتزلزل؟﴾ ﴿وإلى الأرض كيف سطحت﴾ أي وإلى الأرض التي يعيشون عليها، كيف بسطت ومهدت حتى صارت شاسعة واسعة يستقرون عليها، ويزرعون فيها أنواع المزروعات؟! قال الألوسي: ولا ينافي هذا، القول بأنها كرة أو قريبة من الكرة لمكان عظمها والحكمة في تخصيص هذه الأشياء بالذكر، أن القرآن نزل على العرب وكانوا يسافرون كثيرا في الأودية والبراري منفردين عن الناس، والإنسان إذا ابتعد عن المدينة أقبل على التفكر، فأول ما يقع بصره على البعير الذي يركبه فيرى نظرا عجيبا، وإن نظر فوق لم ير غير السماء، وإن نظر يمينا وشمالا لم ير غير الجبال، وإن نظر تحت لم ير غير الأرض، فلذلك ذكر هذه الأشياء قال ابن كثير: نبه تعالى البدوي على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه، والسماء التي فوق رأسه، والجبل الذي تجاهه، والأرض التي تحته، على قدرة خالق ذلك وصانعه، وأنه الرب العظيم، الخالق المالك المتصرف، الذي لا يستحق العبادة سواه.

. ولما ذكر تعالى دلائل التوحيد ولم يعتبر بذلك الكفار، أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بوعظهم وتذكيرهم فقال ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾ أي فعظهم يا محمد وخوفهم، ولا يهمنك أنهم لا ينظرون ولا." (١)

"علم الهداية لسيدنا منصوبا وأجرى جواد البيان فى ميدان الإحسان فكان بحرا يعبوبا وقدح زناد الفكر ورمى بناره شيطان البدعة فأمسى منكوبا فلابد للمملوك أن يتبع الأثر ويقضى تلك الحقوق وينصر أبا الروح كما ينصر أبا الجسد فكلاهما محرم العقوق ويسرق وقتا لذلك السبب وإن كانت الموانع تقوم والعوائق تعوق ويقطعه عن أمثاله وأشغاله **ومن العجائب** أن يقطع المسروق

٢٢٤ - على بن الحسن بن محمد بن حمدويه بن سنجان

بفتح السين المهملة وإسكان النون بعدها جيم ثم ألف ثم نون كذا ضبطه ابن الصلاح بخطه السنجانى

القاضى أبو الحسن المروزى

قال الحاكم كان أحد فقهاء الشافعيين

سمع أبا الموجه محمد بن عمرو الفزارى وأقرانه بمرو

وبالعراق يوسف بن يعقوب القاضى وأقرانه

روى عنه مشايخنا الحكاية بعد الحكاية ولم يبلغ التحديث

ورد نيسابور قاضيا بها سنة ست عشرة وثلاثمائة." (٢)

"أخبرنا علي بن الفضل الحافظ أنشدني أبو محمد عبد الله بن يوسف الأندي أنشدني أمية بن أبي الصلت أنشدني أبو محمد التكريتي أنشدني أبو حامد الغزالي لنفسه

(حلت عقارب صدغه من خده ... قمرا فجل بها عن التشبيه)

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٣/٥٢٦

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٣/٤٤٤

(ولقد عهدناه يحل ببرجها ... **ومن العجائب** كيف حلت فيه)

ومما أنشد فيه أنشد أبو حفص عمرو بن عبد العزيز بن عبيد بن يوسف الطرابلسي لنفسه

(هذب المذهب حبر ... أحسن الله خلاصه)

(ببسيط ووسيط ... ووجيز وخلاصه)

وقال أبو المظفر الأبيوردي يرثيه

(بكى على حجة الإسلام حين ثوى ... من كل حي عظيم القدر أشرفه)

(فما لمن يمتري في الله عبرته ... على أبي حامد لاح يعنفه)

(تلك الرزية تستوهي قوي جلدي ... فالطرف تسهره والدمع تنزفه)." [١]

"(وأتى فظل صريع هذاك اللمى ... عطشا وعاد قتيل هاتيك الملح)

(جنح الغزال إلى قتال جوانحي ... فغدوت أجنح منه لما أن جنح)

(**ومن العجائب** أنه لما رمى ... بسهامه قتل الفؤاد وما جرح)

(ولمى صقيل في مراشف شادن ... لو شئت أمسحه بلثمي لانمسح)

ومنها

(قبلته وقبلت أمر صبابتي ... ونصحت نفسي في قطيعة من نصح)

(ورشفت ريقته على رغم الطلا ... من كأس مرشفه على غيظ القدح)

ومنها

(لي سبحة من جوهر في ثغرها ... ففضلت سائر من يسبح بالسبح)

(لم لا تصالح قبلتي يا خدها ... والماء فيك مع اللهيب قد اصطلح)

(كم يعذلون ولست أسمع قولهم ... وأنا وهم مثل الأصم مع الأبح)

(ليس العذول عليك إنسانا هذى ... إن العذول عليك كلب قد نبح)

ومنها

(أضحت على مهيار قبلي ناشزا ... إذ قال عن محبوبه فيها بطح)." [٢]

"(فيا حبذا برق بأرض مسرة ... ونفحة ريح من هناك انتقالها)

(عقدت على حبي لذكرك عقدة ... عسير على مر الزمان انحلالها)

وقال

(ألا إن بنت الكرم أغلي مهرها ... فيا خسر من أضحى لذلك باذلا)

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٦/٢٢٣

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٩/١٨٣

(تزوج بالعقل المكرم عاجلا ... وبالنار والغسلين والمهل آجلا)

وقال

(بعض أخلاي صار ميتا ... وبعضهم في البلاء غائب)

(وبعضهم حاضر ولكن ... يحصى ويقصى ولا يقارب)

(وصرت بين الورى وحيدا ... فلا قريب ولا مناسب)

(فلا تلمني على اكتئابي ... سرور مثلي **من العجائب**)

وقال

(قد جرحتنا يد أيامنا ... وليس غير الله من آسي)

(فلا ترج الناس في حاجة ... ليسوا بأهل لسوى الياس)." (١)

"شيخه الإسنوي قديما شرح المنهاج ثم صنف تخريج أحاديث الرافعي ورد علينا دمشق في سنة سبعين طالبا لسماع الحديث فاعتنى به القاضي تاج الدين لما ورد عليه وكتب له على مؤلفه وأرسله إلى الشيخ عماد الدين بن كثير فكتب له أيضا وإنما استعان بكتاب القاضي عز الدين ابن جماعة ثم كتب بعد ذلك كتبا عديدة والمصريون ينسبونه إلى سرقة تصانيفه فإنه ما كان يستحضر شيئا ولا يحقق علما ويؤلف المؤلفات الكثيرة على معنى النسخ من كتب الناس وقال غيره كان فريد الدهر في كثرة التواليف وحسنها وعبارته حسنة وكان منقطعا عن الناس جدا وكان من أعذب الناس ألفاظا وأحسنهم خلقا وأجملهم صورة كثير المروءة والإحسان والتواضع وكان موسعا عليه كثير الكتب جدا ثم احترق غالبها قبل موته توفي في ربيع الأول سنة أربع وثمانمائة ودفن بحوش الصوفية خارج باب النصر **ومن العجائب** أن المشايخ الثلاثة هو والبلقيني والعراقي كانوا أعجوبة هذا العصر على رأس القرن الشيخ في التوسع في معرفة مذهب الشافعي وابن الملقن في كثرة التصانيف والعراقي في معرفة الحديث وفنونه وكل من الثلاثة ولد قبل الآخر بسنة ومات قبله بسنة ومن تصانيفه تخريج أحاديث الرافعي سماه البدر المنير في ست مجلدات واختصره في نحو عشرة سماه الخلاصة ثم اختصره في تصنيف لطيف وسماه المنتقى وتخريج أحاديث المهذب وتخريج أحاديث الوسيط شرح العمدة سماه الإعلام بفوائد عمدة الأحكام وهو من أحسن." (٢)

"شاب ودرس وأفتى وولي إفتاء دار العدل وتدريس الشيخونية والمنصورية ثم ولي قضاء القاهرة استقلالا أربع مرات نحو خمس سنين في مدة إحدى عشرة سنة ونصف قال الحافظ شهاب الدين ابن حجر أمتع الله ببقائه وكتب شيئا على جامع المختصرات وخرج أحاديث المصابيح وتكلم على مواضع منه وحدث وحضرت بعض المجالسين عليه وكان كثير التودد إلى الناس مهابا شهما معظما عند الخاص والعام له صورة كبيرة وحشمة بالغة وكلمة نافذة ويسار ظاهر وكان منذ نشأ يسلك طريق برهان الدين ابن جماعة في التعاظم ثم الان جانبه بعد الاستقلال وكانت له عناية بتحصيل الكتب النفيسة فحصل منها شيئا كثيرا عرفت بعده وكان يهاب الملك الظاهر فلما مات أمن على نفسه وتحقق أنهم لا يقدمون على عزله

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٢٢٨/٩

(٢) طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ابن قاضي شهبة ٤٦/٤

لما تقرر له في القلوب من المهابة فسافر مع العسكر إلى قتال تنم فازدادت حرمته وعظم فوق ما في نفسه ثم سافر معهم إلى قتال اللنك فانعكس الأمر وأسر وأهين جدا وسافروا به وهو في قيد فغرق في نهر الزاب في شوال سنة ثلاث وثمانمائة بعد أن قاسى أهوالا **ومن العجائب** أنه كان يهاب ركوب البحر فكان لا يتوجه إلى منزلهم بالروضة بجانب المقياس أيام زيادة النيل خشية من ركوب البحر فاتفق أنه لم يمت إلا غريقا رحمه الله تعالى." (١)

"شعري إذا ما قلت دونه الورى ... بالطبع لا بتكلف الإلقاء

، وله أيضا:

شاور سواك إذا نابتك نائبة ... يوما وإن كنت من أهل المشورات

فالعين تنظر منها ما دنا ونأى ... ولا ترى نفسها إلا بمرآت

، وقال لما استنابه القاضي ناصر الدين عبد القاهر بن محمد على تستر وعسكر مكرم:

ومن العجائب أنني في ... مثل هذا الشغل نائب

ومن العجائب أن لي صبرا ... على هذي **العجائب**

، وله أشعار كثيرة معلقة جيدة قوية لطيفة بديعة، وقد ذكره العماد الكاتب في كتابه الجريدة وأثنى عليه، فقال: وهو وإن كان في العجم مولده، فمن العرب مجده، وسلفه القديم من الأنصار، لم يسمع بنظيره سالف الأعصار، أوسي الأوس خرزجيه، قيسي النطق أياديه، فارسي العلم وفارس ميدانه، وسلمان برهانه، من أبناء فارس الذين نالوا العلم المعلق بالثريا، جمع بين العذوبة والطيب في الري والريا، توفي بتستر في ربيع الأول سنة أربع وأربعين وخمس مائة رحمه الله تعالى.

أحمد بن محمد بن محمد بن سليمان أبو العباس الحويزي." (٢)

"وبالإجازة بن عساكر وابن السمعاني

ومن العجائب أنه اعتقل لسانه في آخر عمره عن الكلام إلا عن الذكر فكان يتكلم بآي القرآن

وكانت وفاته في شهر جمادي الآخرة سنة أربع عشرة وخمسمائة

١٩٥ - محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله بن هبيرة أبو الرضى النسفي ثم البغدادي

كان صالحا فاضلا خبيرا ومؤلفا بالتفسير والنحو والأدب حدث عن طراد وابن البطر روى عنه أبو محمد بن الخشاب النحوي وغيره

وتوفي في شهر المحرم سنة عشر وخمسمائة

[٣٤ أ] ذكره ابن النجار." (٣)

---

(١) طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة ابن قاضي شهبة ٤٨/٤

(٢) طبقات الشافعيين ابن كثير ص/٦٢٢

(٣) طبقات المفسرين للأدنه وي أحمد بن محمد الأدنه وي ص/١٥٧

"قال ابن السبكي: وقد رأيت ذلك في «تفسير أبي نصر» المذكور. ذكره في تفسير سورة مريم (رحمه الله١).

ومن العجائب أنه اعتقل لسانه في آخر عمره عن الكلام إلا عن الذكر، فكان يتكلم بآي القرآن.

مات في يوم الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وخمسمائة وهو في عشر الثمانين.

ومن شعره:

ليالي وصال [قد (رحمه الله٢)] مضين كأنها ... لآلي عقود في نحور الكواعب (رحمه الله٣)

وأيام هجر أعقبتها كأنها ... بياض مشيب في سواد الذوائب

وله أيضا (رحمه الله٤):

تقبيل خدك أشتهي ... أمل إليه أنتهي

لو نلت ذلك لم أبل ... بالروح مني أن تهي

دنياي لذة ساعة ... وعلى الحقيقة أنت هي

وله (رحمه الله٥):

شيئان من يعذلني فيهما ... فهو على التحقيق مني بري

حب أبي بكر إمام التقى ... ثم اعتقادي مذهب الأشعري

رحمه الله________

(رحمه الله١) قال أبو نصر القشيري: وعلى هذا يكون نذر الصمت يعني في قوله تعالى «إني نذرت للرحمن صوما» في تلك الشريعة لا في شريعتنا (طبقات الشافعية للسبكي ٧/ ١٦٦).

(رحمه الله٢) عن طبقات الشافعية للسبكي.

(رحمه الله٣) طبقات الشافعية للسبكي.

(رحمه الله٤) الأبيات الثلاثة في فوات الوفيات. وفيها: تقبيل ثغرك ...

(رحمه الله٥) طبقات الشافعية للسبكي.." (١)

"رأس المعتزلة وشيخهم وكبيرهم، ومن انتهت إليه رياستهم، كان رأسا في الفلسفة والكلام.

أخذ عن أبي [يوسف (رحمه الله١)] يعقوب الشحام البصري، وغيره.

وله مقالات وتصانيف، منها: «التفسير»، و «متشابه القرآن».

وكان من رأيه: تقديم أبي بكر على عمر، وعثمان، والوقوف عن أبي بكر، وعلي وتوفي في شوال سنة ثلاث وثلاثمائة، وله ثمان وستون سنة.

أخذ عنه ابنه أبو هاشم، والشيخ أبو الحسن الأشعري، ثم أعرض الأشعري عن طريق الاعتزال وتاب منه.

---

(١) طبقات المفسرين للداوودي الداوودي، شمس الدين ١/٢٩٩

وذكر النديم له سبعين تصنيفا، منها «الرد على الأشعري في الرواية» وهو **من العجائب**؛ لأن الأشعري كان من تلامذته ثم خالفه، وصنف في الرد عليه فنقض هو بعض تصانيفه.

وله «الرد على أبي الحسن الخياط»، والصالحي، والجاحظ، والنظام، والبرذعي، وغيرهم من المعتزلة مما خالفهم فيه.

٥٣٠ - محمد بن عبد الوهاب بن عبد الكافي بن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد بن علي بن أحمد سعد الدين أبو بكر (رَحِمَهُ اللَّهُ٢).

وأبو اليمن، وأبو المعالي، وأبو سعيد.

ويقال في اسمه: سعيد الأنصاري، الدمشقي، الشيرازي الأصل، ابن الحنبلي، الواعظ، الأطروش.

أخذ عن أبيه، وأبي محمد عبد الغني المقدسي، وأبي اليمن زيد الكندي،

رَحِمَهُ اللَّهُ_______________

(رَحِمَهُ اللَّهُ١) من النجوم الزاهرة.

(رَحِمَهُ اللَّهُ٢) له ترجمة في: المقفى للمقريزي ٢/ ٧٤.." [١]

"**ومن العجائب** أنه مع فرط كرمه وبذله الآلاف في غاية البخل على الطعام، حتى كان يقول: إذا رأيت شخصا يأكل طعامي أظن أنه يضربني بسكين.

وبالجملة كان من محاسن الدنيا مع الدين والصيانة واللطف والظرف.

شرح «التلخيص» و «التسهيل» إلا قليلا، واعتنى بالأجوبة الجيدة عن اعتراضات أبي حيان.

وقال ابن العميد: كان إماما في العربية والتفسير، وله مباحث جيدة دقيقة، واعتراضات وأجوبة، وكان نسيج وحده، ووحيد عصره، وفريد دهره، وكان فيه رئاسة وحشمة ومروءة كاملة، وتعصب مع من يعرف ومن لا يعرف، وفيه ديانة وصيانة، وكان من محاسن الدنيا لكمال أدواته وعلومه، مع الكرم المفرط والمروءة التامة. مات في يوم الثلاثاء ثاني عشر ذي الحجة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة.

ذكره شيخنا في «طبقات النحاة».

٦٠٣ - محمد بن يوسف بن بندار.

له كتاب «علم نكت القرآن» لخصه من كتاب أبي الحسن علي بن عيسى البغدادي النحوي.

٦٠٤ - محمد بن يوسف بن سعادة (رَحِمَهُ اللَّهُ١).

من أهل سبتة، وسكن شاطبة، كنيته أبو عبد الله.

سمع أبا علي الصدفي، وأبا محمد بن عتاب، وأبا بحر الأسدي، وأبا الوليد بن رشد، وأبا بكر بن العربي، وأبا عبد الله بن الحاج.

---

(١) طبقات المفسرين للداوودي الداوودي، شمس الدين ٢/١٩٢

رَحِمَهُ اللَّهُ

(رَحِمَهُ اللَّهُ ١) له ترجمة في: بغية الملتمس للضبي ١٣٢، الديباج المذهب لابن فرحون ٢٨٧.." [١]

"وسمع الحديث من أبيه، وأبي عثمان الصابوني، وابن النقور، وأبي القاسم الزنجاني، وجماعة، وحدث بالكثير.

روى عنه سبطه أبو سعد عبد الله بن عمر الصفار، وأبو الفتوح الطائي وبالإجازة ابن عساكر، وابن السمعاني.

ومن العجائب أنه اعتقل لسانه في آخر عمره عن الكلام إلا عن الذكر، فكان يتكلم بآي القرآن.

مات في جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وخمسمائة.

وهو في عشر الثمانين.

عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر بن خلف الإمام الحافظ المفسر عز الدين أبو محمد الرسعني الحنبلي

المحدث، ولد برأس عين سنة تسع وثمانين وخمسمائة.

وسمع من أبي اليمن الكندي، والافتخار الهاشمي، وجماعة.

وصنف تفسيرا حسنا يروي فيه بأسانيده، وكان إماما، محدثا، فقيها، أديبا، شاعرا، دينا صالحا.." [٢]

"فقال الأصمعي: ما "جذعا"؟ قال: الصغير؛ كالجذع من الغنم، قال: إنما هو "جدعا" سيئ الغذاء، وكذلك المحثل والمقربب والضاوي والمودن. قال المفضل: لا يكون إلا "جذعا" في هذا الموضع. قال الأصمعي: لو نفخت في شبور اليهود، ما كان إلا "جدعا"، ولا ترويه بعد اليوم إلا "جدعا".

وأنشد بعضهم لإسحاق الموصلي في الأصمعي:

أليس **من العجائب** أن قردا ... أصيمع باهليا يستطيل

ويزعم أنه قد كان يفتي ... أبا عمرو ويسأله الخليل

وتوفي بمرو خراسان. قال ابن أبي خيثمة: توفي الأصمعي سنة ست عشرة ومئتين، وهو ابن إحدى وتسعين سنة في صفر.

وفي بعض الحكايات: في شهر رمضان.

قال أبو علي: وكان ثقة عند أصحاب الحديث أيضا، وأنشد بعضهم يرثي الأصمعي:

لا در در خطوب الدهر إذ فجعت ... بالأصمعي لقد أبقت لنا أسفا

عش ما بدا لك في الدنيا فلست ترى ... ما عشت منه ومن آثاره خلفا

قال أبو حاتم: صحف الأصمعي في بيت أوس:

يا عام لو صادفت أرماحنا ... لكان مثوى خدك الأحزما

---

(١) طبقات المفسرين للداوودي الداوودي، شمس الدين ٢/٢٨١

(٢) طبقات المفسرين للسيوطي السيوطي ص/٦٦

يعني بالأحزم، الحزم: الغليظ من الأرض. قال أبو حاتم: والرواة على خلافه، وإنما هو الأخرم -بالراء- وهو طرف أسفل الكتف، أي كنت تقتل فيقطع رأسك على أخرم كتفك.." (١)

"١٨٥ - ابن أبان القرطبي

محمد بن أبان اللخمي أبو عبد الله القرطبي الأندلسي.

كان عالما باللغة حافظا للأخبار والأنساب. م سنة ٣٥٤ هـ رحمه الله تعالى.

١٨٦ - أبو عمر الكندي

محمد بن يوسف بن يعقوب من بني كنده مؤرخ له علم بالحديث والأنساب. م بعد سنة ٣٥٥ هـ. وهو صاحب كتاب: الولاة والقضاة.

١٨٧ - أبو الفرج الأصبهاني

علي بن الحسين بن مروان بن الحكم. م سنة ٣٥٦ هـ صاحب كتاب الأغاني العلامة النسابة الأخباري الحفظة.

قال ياقوت: لم أره وبودي لو رأيته.

وقال الذهبي: **ومن العجائب** أنه مرواني يتشيع.

١ - كتاب جمهرة النسب.

٢ - كتاب نسب بني عبد شمس.

٣ - كتاب نسب بني شيبان.

٤ - كتاب نسب المهالبة. لكونه كان منقطعا إلى الوزير المهلبي.

٥ - كتاب نسب بني تغلب.

٦ - التعديل والإنتصاف في مآثر العرب وأمثالها.

٧ - نسب بني كلاب.

٨ - مقاتل الطالبيين. مطبوع.." (٢)

"نحو سنة ستين وثلثمائة

واشتهر بصناعة الطب وأعمالها وعمر وكان أكثر مقامه بمدينة الموصل وإنما ابنه ظافر انتقل إلى الشام وأقام بها

ظافر بن جابر السكري

---

(١) طبقات النحويين واللغويين الزبيدي، أبو بكر ص/١٧٤

(٢) طبقات النسابين بكر أبو زيد ص/٨٥

هو أبو حكيم ظافر بن جابر بن منصور السكري كان مسلما فاضلا في الصناعة الطبية متقنا للعلوم الحكمية متحليا بالفضائل وعلم الأدب محبا للاشتغال والتضلع بالعلوم

وكان قد لقي أبا الفرج ابن الطيب ببغداد واجتمع به واشتغل معه

وكان ظافر بن جابر قد عمر مثل أبيه وكان موجودا في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة وهو موصلي وإنما انتقل من الموصل إلى مدينة حلب وأقام بحلب إلى آخر عمره

ومن خلفه جماعة مشتغلين بصناعة الطب ومقامهم بحلب

ومن شعره

(ما زلت أعلم أولا في أول ... حتى علمت بأنني لا علم لي)

(**ومن العجائب** أن أكون جاهلا ... من حيث كوني أنني لا أجهل) الكامل

ولظافر بن جابر من الكتب مقالة في أن الحيوان يموت مع أن الغذاء يخلف عوض ما يتحلل منه

موهوب بن الظافر

هو أبو الفضل موهوب بن ظافر بن جابر بن منصور السكري

كان فاضلا أيضا في صناعة الطب مشهورا متميزا

وكان مقيما بمدينة حلب

ولموهوب بن ظافر من الكتب اختصار كتاب المسائل لحنين بن إسحق

جابر بن موهوب

هو جابر بن موهوب بن ظافر بن جابر بن منصور السكري كان أيضا مشهورا في صناعة الطب خبيرا بها وأقام بحلب

أبو الحكم

هو الشيخ الأديب الحكيم أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي الأندلسي المربي

كان فاضلا في العلوم الحكمية متقنا للصناعة الطبية متعينا في الأدب مشهورا بالشعر

وكان حسن النادرة كثير المداعبة محبا للهو والخلاعة

وكثير من شعره يوجد مرائي في أقوام كانوا في زمانه أحياء وإنما قصد بذلك اللعب والمجون

وكان محبا للشراب مدمنا له ويعاني الخيال وكان إذا." (١)

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة ص/٦١٤

"رسولا، أو ويكلمهم رسولا، أو وأرسلت رسولا وقيل: هو معطوف على قوله: وجيها فيكون حالا، لأن فيه معنى النطق، أي: وناطقا، قال الأخفش: وإن شئت جعلت الواو في قوله: ورسولا، مقحمة، والرسول: حالا. وقوله: أني قد جئتكم معمول لرسول، لأن فيه معنى النطق كما مر وقيل: أصله: بأني قد جئتكم، فحذف الجار، وقيل: منصوب بمضمر، أي: تقول: أني قد جئتكم وقيل: معطوف على الأحوال السابقة. وقوله: بآية في محل نصب على الحال، أي: متلبسا بعلامة كائنة من ربكم. وقوله: أني أخلق أي: أصور، وأقدر لكم من الطين كهيئة الطير وهذه الجملة بدل من الجملة الأولى، وهي: أني قد جئتكم أو بدل من آية، أو خبر مبتدأ محذوف، أي: هي أني، وقرئ: بكسر الهمزة على الاستئناف. وقرأ الأعرج، وأبو جعفر: كهيئة الطير بالتشديد، والكاف في قوله: كهيئة الطير: نعت مصدر محذوف، أي: أخلق لكم خلقا أو شيئا مثل هيئة الطير.

وقوله: فأنفخ فيه أي: في ذلك الخلق، أو ذلك الشيء، فالضمير راجع إلى الكاف في قوله كهيئة الطير وقيل: الضمير راجع إلى الطير، أي: الواحد منه وقيل: إلى الطين، وقرئ: فيكون طائرا وطيرا، مثل تاجر وتجر. وقيل: إنه لم يخلق غير الخفاش لما فيه من عجائب الصنعة، فإن له ثديا وأسنانا وأذنا ويحيض ويطهر وقيل: إنهم طلبوا خلق الخفاش لما فيه من العجائب المذكورة، ولكونه يطير بغير ريش، ويلد كما يلد سائر الحيوانات مع كونه من الطير، ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور، ولا يبصر في ضوء النهار، ولا في ظلمة الليل، وإنما يرى في ساعتين: بعد غروب الشمس ساعة، وبعد طلوع الفجر ساعة، وهو يضحك كما يضحك الإنسان وقيل: إن سؤالهم له كان على وجه التعنت، قيل: كان يطير ما دام الناس ينظرونه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا، ليتميز فعل الله من فعل غيره وقوله: بإذن الله فيه دليل: على أنه لولا الإذن من الله عز وجل لم يقدر على ذلك، وأن خلق ذلك كان بفعل الله سبحانه، أجراه على يد عيسى عليه السلام قيل: كانت تسوية الطين والنفخ من عيسى، والخلق من الله عز وجل. قوله: وأبرئ الأكمه الأكمه: الذي يولد أعمى، كذا قال أبو عبيدة. وقال ابن فارس: الكمه: العمى يولد به الإنسان وقد يعرض، يقال: كمه، يكمه، كمها: إذا عمي، وكمهت عينه: إذا أعميتها وقيل: الأكمه: الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل وقيل: هو الممسوح العين. والبرص معروف، وهو: بياض يظهر في الجلد.

وقد كان عيسى عليه السلام يبرئ من أمراض عدة كما اشتمل عليه الإنجيل، وإنما خص الله سبحانه هذين المرضين بالذكر لأنهما لا يبرءان في الغالب بالمداواة، وكذلك إحياء الموتى، قد اشتمل الإنجيل على قصص من ذلك. قوله: وأنبئكم بما تأكلون أي: أخبركم بالذي تأكلونه، وبالذي تدخرونه. قوله: ومصدقا عطف على قوله: ورسولا وقيل: المعنى وجئتكم مصدقا. قوله: ولأحل أي:

ولأجل أن أحل، أي: جئتكم بآية من ربكم، وجئتكم لأحل لكم بعض الذي حرم عليكم من الأطعمة في التوراة، كالشحوم، وكل ذي ظفر، وقيل: إنما أحل لهم ما حرمته عليهم الأحبار ولم تحرمه التوراة.

وقال أبو عبيدة: يجوز أن يكون بعض، بمعنى: كل، وأنشد:." (١)

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٣٩٢/١

"كسقى وأسقى لغتان، وقد جمع بينهما الشاعر «١» في قوله:

حي النضيرة ربة الخدر ... أسرت إلي ولم تكن تسري

وقيل: هو سير أول الليل خاصة، وإذا كان الإسراء لا يكون إلا في الليل فلا بد للتصريح بذكر الليل بعده من فائدة، فقيل: أراد بقوله ليلا تقليل مدة الإسراء، وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشام مسافة أربعين ليلة. ووجه دلالة ليلا على تقليل المدة ما فيه من التنكير الدال على البعضية، بخلاف ما إذا قلت سريت الليل فإنه يفيد استيعاب السير له جميعا. وقد استدل صاحب الكشاف على إفادة ليلا للبعضية بقراءة عبد الله وحذيفة «من الليل» . وقال الزجاج: معنى أسرى بعبده ليلا سير عبده يعني محمدا ليلا، وعلى هذا فيكون معنى أسرى معنى سير فيكون للتقييد بالليل فائدة، وقال بعبده ولم يقل بنبيه أو رسوله أو بمحمد تشريفا له صلى الله عليه وسلم، قال أهل العلم: لو كان غير هذا الاسم أشرف منه لسماه الله سبحانه به في هذا المقام العظيم والحالة العلية:

لا تدعني إلا بياعبدها ... فإنه أشرف أسمائي

ادعاء بأسماء نبزا في قبائلها ... كأن أسماء أضحت بعض أسمائي

من المسجد الحرام قال الحسن وقتادة: يعني المسجد نفسه، وهو ظاهر القرآن. وقال عامة المفسرين: أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من دار أم هانئ، فحملوا المسجد الحرام على مكة أو الحرم لإحاطة كل واحد منهما بالمسجد الحرام، أو لأن الحرم كله مسجد. ثم ذكر سبحانه الغاية التي أسرى برسوله صلى الله عليه وسلم إليها فقال: إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس، وسمي الأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام، ولم يكن حينئذ وراءه مسجد، ثم وصف المسجد الأقصى بقوله: الذي باركنا حوله بالثمار والأنهار والأنبياء والصالحين، فقد بارك الله سبحانه حول المسجد الأقصى ببركات الدنيا والآخرة، وفي باركنا بعد قوله أسرى التفات من الغيبة إلى التكلم. ثم ذكر العلة التي أسرى به لأجلها فقال: لنريه من آياتنا أي: ما أراه الله سبحانه في تلك الليلة **من العجائب** التي من جملتها قطع هذه المسافة الطويلة في جزء من الليل إنه سبحانه هو السميع بكل مسموع، ومن جملة ذلك قول رسوله صلى الله عليه وسلم: البصير بكل مبصر، ومن جملة ذلك ذات رسوله وأفعاله.

وقد اختلف أهل العلم هل كان الإسراء بجسده صلى الله عليه وسلم مع روحه أو بروحه فقط؟ فذهب معظم السلف والخلف إلى الأول. وذهب إلى الثاني طائفة من أهل العلم منهم عائشة ومعاوية والحسن وابن إسحاق، وحكاه ابن جرير عن حذيفة بن اليمان. وذهبت طائفة إلى التفصيل فقالوا: كان الإسراء بجسده يقظة إلى بيت المقدس، وإلى السماء بالروح، واستدلوا على هذا التفصيل بقوله إلى المسجد الأقصى، فجعله غاية للإسراء بذاته صلى الله عليه وسلم، فلو كان الإسراء من بيت المقدس إلى السماء وقع بذاته لذكره، والذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة الكثيرة

---

(١) . هو حسان بن ثابت.." (١)

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٣/٢٤٦

"لما ذكر سبحانه دلائل النبوة والتوحيد أكدها بدليل آخر من عجائب صنعه وبدائع خلقه، فقال:
وجعلنا الليل والنهار آيتين وذلك لما فيهما من الإظلام والإنارة مع تعاقبهما وسائر ما اشتملا عليه **من العجائب** التي تحار في وصفها الأفهام، ومعنى كونهما آيتين أنهما يدلان على وجود الصانع وقدرته، وقدم الليل على النهار لكونه الأصل فمحونا آية الليل أي: طمسنا نورها، وقد كان القمر كالشمس في الإنارة والضوء. قيل: ومن آثار المحو السواد الذي يرى في القمر، وقيل: المراد بمحوها أنه سبحانه خلقها ممحوة الضوء مطموسة، وليس المراد أنه محاها بعد أن لم تكن كذلك وجعلنا آية النهار مبصرة أي جعل سبحانه شمسه مضيئة تبصر فيها الأشياء. قال أبو عمرو بن العلاء والكسائي: هو من قول العرب: أبصر النهار إذا صار بحالة يبصر بها وقيل: مبصرة للناس من قوله أبصره فبصر. فالأول وصف لها بحال أهلها، والثاني وصف لها بحال نفسها، وإضافة آية إلى الليل والنهار بيانية، أي: فمحونا الآية التي هي الليل والآية التي هي النهار كقولهم نفس الشيء وذاته لتبتغوا فضلا من ربكم أي: لتتوصلوا ببياض النهار إلى التصرف في وجوه المعاش، واللام متعلق بقوله: وجعلنا آية النهار مبصرة أي: جعلناها لتبتغوا فضلا من ربكم أي: رزقا، إذ غالب تحصيل الأرزاق وقضاء الحوائج يكون بالنهار، ولم يذكر هنا السكون في الليل اكتفاء بما قاله في موضع آخر: هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا «١» ، ثم ذكر مصلحة أخرى في ذلك الجعل فقال: ولتعلموا عدد السنين والحساب وهذا متعلق بالفعلين جميعا، أعني محونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لا بأحدهما فقط كالأول، إذ لا يكون علم عدد السنين والحساب، إلا باختلاف الجديدين «٢» ومعرفة الأيام والشهور والسنين. والفرق بين العدد والحساب أن العدد إحصاء ما له كمية بتكرير أمثاله من غير أن يتحصل منه شيء، والحساب إحصاء ماله كمية بتكرير أمثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين منه له اسم خاص فالسنة مثلا إن وقع النظر إليها من حيث عدد أيامها فذلك هو العدد وإن وقع النظر إليها من حيث تحققها وتحصلها من عدة أشهر، قد يحصل كل شهر من عدة أيام، قد يحصل كل يوم من عدة ساعات، قد تحصلت كل ساعة من عدة دقائق، فذلك هو الحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا أي: كل ما تفتقرون إليه في أمر دينكم ودنياكم بيناه تبيينا واضحا لا يلتبس، وعند ذلك تنزاح العلل وتزول الأعذار: ليهلك من هلك عن بينة «٣» ، ولهذا قال: وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه قال أبو عبيدة: الطائر عند العرب الحظ، ويقال له البخت، فالطائر ما وقع للشخص في الأزل بما هو نصيبه من العقل والعمل والعمر والرزق والسعادة والشقاوة، كأن طائرا يطير إليه من وكر الأزل وظلمات عالم الغيب طيرانا لا نهاية له ولا غاية إلى أن انتهى إلى ذلك الشخص في وقته المقدر من غير خلاص ولا مناص. وقال الأزهري: الأصل في هذا أن الله سبحانه لما خلق آدم علم المطيع من ذريته والعاصي، فكتب ما علمه منهم أجمعين، وقضى سعادة من علمه مطيعا وشقاوة من علمه عاصيا، فطار لكل منهم ما هو صائر إليه عند خلقه وإنشائه، وذلك قوله: وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه أي: ما طار له في علم الله، وفي عنقه

---

(١) . يونس: ٦٧.

(٢) . الجديدان والأجدان: الليل والنهار.

(٣) . الأنفال: ٤٢.." (١)

"البرج: الظهور، سميت بذلك لظهورها واليوم الموعود أي: الموعود به، وهو يوم القيامة. قال الواحدي: في قول جميع المفسرين وشاهد ومشهود المراد بالشاهد من يشهد في ذلك اليوم من الخلائق، أي: يحضر فيه، والمراد بالمشهود ما يشاهد في ذلك اليوم **من العجائب** وذهب جماعة من الصحابة والتابعين إلى أن الشاهد يوم الجمعة، وأنه يشهد على كل عامل بما عمل فيه، والمشهود: يوم عرفة لأنه يشهد الناس فيه موسم الحج، وتحضره الملائكة. قال الواحدي: وهذا قول الأكثر. وحكى القشيري عن ابن عمر وابن الزبير أن الشاهد يوم الأضحى. وقال سعيد بن المسيب: الشاهد: يوم التروية، والمشهود: يوم عرفة.

وقال النخعي: الشاهد: يوم عرفة، والمشهود: يوم النحر، وقيل: الشاهد: هو الله سبحانه. وبه قال الحسن وسعيد بن جبير، لقوله: وكفى بالله شهيدا وقوله: قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم «١» وقيل: الشاهد: محمد صلى الله عليه وسلم لقوله: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا «٢» وقوله: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا «٣» وقوله: ويكون الرسول عليكم شهيدا»

وقيل: الشاهد: جميع الأنبياء لقوله: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد «٥» وقيل: هو عيسى ابن مريم لقوله: وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم «٦» والمشهود على هذه الأقوال الثلاثة إما: أمة محمد، أو: أمم الأنبياء، أو: أمة عيسى. وقيل: الشاهد آدم. والمشهود ذريته.

وقال محمد بن كعب: الشاهد: الإنسان لقوله: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا «٧» وقال مقاتل:

أعضاؤه لقوله: يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون «٨» وقال الحسين بن الفضل: الشاهد: هذه الأمة، والمشهود: سائر الأمم لقوله: وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس «٩» وقيل: الشاهد: الحفظة، والمشهود: بنو آدم، وقيل: الأيام والليالي. وقيل: الشاهد:

الخلق يشهدون لله عز وجل بالوحدانية، والمشهود له بالوحدانية: هو الله سبحانه، وسيأتي بيان ما ورد في تفسير الشاهد والمشهود، وبيان ما هو الحق إن شاء الله قتل أصحاب الأخدود هذا جواب القسم، واللام فيه مضمرة، وهو الظاهر، وبه قال الفراء وغيره، وقيل تقديره: لقد قتل، فحذفت اللام وقد، وعلى هذا تكون الجملة خبرية، والظاهر أنها دعائية لأن معنى قتل لعن. قال الواحدي: في قول الجميع، والدعائية لا تكون جوابا للقسم، فقيل: الجواب قوله: إن الذين فتنوا المؤمنين وقيل: قوله: إن بطش ربك لشديد وبه قال المبرد، واعترض عليه بطول الفصل، وقيل: هو مقدر يدل عليه قوله: قتل أصحاب الأخدود كأنه قال: أقسم بهذه الأشياء أن كفار قريش ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود، وقيل: تقدير الجواب: لتبعثن، واختاره ابن الأنباري. وقال أبو حاتم السجستاني وابن الأنباري أيضا: في الكلام تقديم وتأخير، أي: قتل أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج، واعترض عليه بأنه لا يجوز أن

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٢٥٣/٣

(١) . الأنعام: ١٩.

(٢) . النساء: ٤١.

(٣) . الأحزاب: ٤٥.

(٤) . البقرة: ١٤٣.

(٥) . النساء: ٤١.

(٦) . المائدة: ١١٧. [.....]

(٧) . الإسراء: ١٤.

(٨) . النور: ٢٤.

(٩) . البقرة: ١٤٣.." [١]

"المعرض والكافر عن دعوته يتولى الله حسابه ٥/ ٥٢٤- ٥٢٥

٣- الإسراء والمعراج:

كانت معجزة الإسراء فتنة للناس ٣/ ٢٨٥- ٢٨٦ الإسراء برسول الله ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليريه الله **من العجائب** الاختلاف حول الإسراء هل كان بروحه وجسده معا أم بروحه فقط؟

تاريخ الإسراء ٣/ ٢٤٧- ٢٤٨ و ٢٥٠ رؤية الله بقلبه ٥/ ١٢٧- ١٣٢ ما رآه الرسول صلى الله عليه وسلم من خلق جبريل وهو على صورته الحقيقية ٥/ ١٣٢- ١٣٣ ما رآه من آيات ربه الكبرى ٥/ ١٣٢- ١٣٣ علمه جبريل، وهو شديد القوة والسليم من الآفات ٥/ ١٢٦- ١٢٩ استواء جبريل وهو في الأفق الأعلى ٥/ ١٢٦- ١٢٩ ما رآه رسول الله حق ٥/ ١٢٦- ١٢٩ رأى رسول الله جبريل مرة أخرى عند سدرة المنتهى، ورأى آيات كبيرة في إسرائه ومعراجه، حتى أصبح ما بينه وبين محمد قدر قوسين أو أقل ٥/ ١٢٦- ١٢٩

١١- صفاته:

صدق الرسول وأمانته قبل البعثة تؤكد أنه لا يغير أو يبدل فيما ينزل عليه ٢/ ٤٩٠- ٤٩١ لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا لا يعلم الغيب وإنما هو نذير وبشير ليس بملك ولا يملك خزائن الأرض ولا يعلم الغيب ٢/ ١٣٥ النبي ليس بشاعر ٤/ ٤٣٥- ٤٣٧ لا يقرأ ولا يكتب ٢/ ٢٨٧ و ٤/ ٢٣٩- ٢٤١

١٢- نهي الرسول صلى الله عليه وسلم:

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٥/٤٩٩

نهيه عن الافتراء والشك ونهي أمته أيضا ٢/ ١٧٧ نهيه عن طاعة أكثر أهل الأرض من الكفار لأنهم ضالون مضلون ٢/ ١٧٧ نهيه عن طرد المؤمنين الضعفاء ٢/ ١٣٦- ١٣٧- ١٣٨ نهيه عن الصلاة في مسجد الضرار ٢/ ٤٥٩- ٤٦١." (١)

"بالإجازة العامة لأهل عصره، عن مولاي الشريف، عن العلقمي عنه ولا أعلى من هذا السند الآن، لأن بيننا وبين وفاته أربعمائة وثلاثين سنة، وبيننا وبين النبي صلى الله عليه وسلم فيها ست عشرة واسطة. وأعلى من ذلك ما حصل لنا في ثلاثيات البخاري، فإن بيننا وبين النبي صلى الله عليه وسلم فيها أربع عشرة واسطة فقط، وهذا لا أعلى منه في الدنيا.

ومن العجائب أني وقفت بمراكش على نسخة من " فتح الملك ناصر في إجازات بني ناصر " لمحمد المكي بن موسى الناصري بخطه، فلما ساق عشاريات السيوطي بواسطة إجازة البرهان إبراهيم السباعي لأبيه كتب عليها العلامة المؤرخ محمد الصغير الافراني المراكشي بخطه ما نصه ومنه نقلت: " هذه العشاريات التي أفردها السيوطي بالتأليف سبقه لها أبو حيان، والعجيب من السيوطي كيف ينسبها لنفسه، قاله محمد الصغير الافراني "، اهـ. وهذا غريب، كأن الافراني رحمه الله لم يتصور الأمر كما هو وقت كتبه لما ذكر، فإن السيوطي وصلها بأسانيده فصار لخ بحصولها له عشارية غاية الفخر، إذ حصول العشاري للسيوطي وهو في القرن العاشر أعجب وأفخر من حصوله لأبي حيان وهو قبله بقرون، ولو صح الانتقاد على السيوطي بتخريجها لانتقد على أبي حيان أيضا لكون الطبراني سبقه إلى إخراجها في معجمه. ولعل الافراني ما طالع خطبة كتاب " النادريات ". وقد فهم الأمر على وجهه الشهاب ابن إبراهيم الدكالي الفاسي صاحب " سلسلة الذهب " فإنه كتب بهامش رسالة السيوطي: " هذه الأحاديث الثلاثة بعينها ثمانيات لأبي حيان أوردها الشيخ المقري في ترجمته في تاريخ الأندلس " (١) .

وقد وجدت عشاريات السيوطي في بعض المجاميع تحت عنوان " الكواكب السيارات في الأحاديث العشاريات " ثم وقعت لي منها نسخة أخرى عتيقة

---

(١) انظر نفح الطيب: ٥٦١:٢ - ٥٦٣.." (٢)

"الرواة بمسلسل القضاة ": " **ومن العجائب** أن المشايخ الثلاثة البلقيني وابن الملقن والعراقي كانوا أعجوبة هذا العصر على رأس القرن الثامن، فالبلقيني في التوسع في معرفة مذهب الشافعي، وابن الملقن في كثرة التصانيف، والعراقي في معرفة الحديث وفنونه، وكل من الثلاثة ولد قبل الآخر بسنة ومات قبله بسنة.

العراقي الصغير: هو ولي الدين أحمد أبو زرعة بن الحافظ عبد الرحيم ابن الحسين (سيأتي في الواو) (١) .

٤٥٩ - العراقي الفاسي (٢) : هو أبو العلاء إدريس بن محمد بن حمدون العراقي الحسيني الفاسي، فخر فاس بل المغرب، قال عن نفسه في أول كتابه " فتح البصير ": "كان يعني والده يذكر لي أن ولادتي كانت سنة عشرين ومائة وألف تقريبا،

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٣٣٢/٦

(٢) فهرس الفهارس الكتاني، عبد الحي ٦٨٨/٢

وأنه لما شرع في طلب العلم عام ١١٣٤ أولع بعلم الحديث وطلب كتبه فوقف على مثير منها " الخ، وكانت وفاته بفاس عام ١١٨٣ أو ٨٤ عن نيف وستين سنة، وقبره الآن عن يمين محراب الزاوية الصقلية التي بالسبع لويات تحت الخزانتين الصغيرتين هناك، قبالة ضريح الشيخ أبي العباس أحمد الصقلي.

للمترجم شرح على شمائل الترمذي، وشرح الثلث الأخير من المشارق للصغاني في مجلد كبير ضخم، وشرح إحياء الميت للسيوطي، ثلاثتهم عندي بخطه، وقرض له على الأخير مشايخه ابن مبارك وابن زكري وابن سليمان، وله أيضا تخريج أحاديث الشهاب للقضاعي، وتكميل مناهل الصفا في تخريج

---

(١) انظر ما يلي رقم: ٦٣١.

(٢) ترجمته في سلوة الأنفاس ١:٢٨٢ وفيه إحالة على نشر المثاني، والتقاط الدرر، والدر النفيس؛ والكتاني يعتمد في هذه الترجمة على مصادر أخرى منها معجم الزبيدي والاشراف لابن الحاج.." (١)

"صاحب " الصفوة " في تراجم أهل ذلك الصقع، وهو عندي، قال في أولها: " إني أذكر في هذا التقييد معتمد مشايخي ومشايخهم وحميد سيرهم وأخبارهم ووفياتهم وأقطارهم، فإن أولى الناس بالإحياء بالذكر من كان أصل سيادتك وسبب سعادتك ودليل رشدك وهدايتك " ثم قال: " إن فضيلة التاريخ تظهر في شيئين " في حفظ الأفاضل وإعطاء كل ذي حق حقه، وفي حفظ أسانيد الرواية حتى لا ترى لغير أهلها مستحقة " قال: " ومن شأن الطالب النبيه، الفحص عن ذلك حتى لا يقع في الخطأ فيه، وهذا الفن لم أر له في بلادنا السوسية مع تقادم الأجيال وتوفر الرجال ناظرا. ولا سمح لي من خلفهم من رسم في سلف أفاضلهم أولا وآخرا " قال: " ورتبت هذا التقييد في أربعة أبواب: الأول في ذكر مشايخي ومشايخهم وحميد سيرهم ووفياتهم، الثاني: في الأسانيد التي حصلت لي ممن ثبت عندي صحة إسناده وأخذه، وهو معظم قصد التقييد لأن به تتصل النسبة إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي بها الشرف والسعادة، الثالث: فيما تلقيته من الغرائب وسمعته **من العجائب**، الرابع: في المرائي الحسان، الدالة على إمداد الله لعبده الضعيف بلطائف البر والإحسان ".

فذكر في الباب الأول ممن أجازه عامة مروياته: الشيخ أحمد بابا السوداني صاحب " النيل " وغيره، أجاز له مكاتبة، وأبو زيد عبد الرحمن ابن أبي عبد الله محمد التلمساني خطيب الجامع الأعظم بتارودانت، أجاز له عامة كما أجاز له هو الرحلة الجوال إمام الدين ابن المعمر محمد بن يوسف البطائحي المقدسي الشافعي عن مشايخه البدر الغزي والخطيب الشربيني والشمس الرملي وجمال الدين الأنصاري كلهم عن القاضي زكرياء ما له، وممن أجاز أيضا للتمنرتي المذكور الأستاذ محمد بن علي الجزولي الكفيف وأبو زكرياء يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم المجاز من الإمام الصالح المحدث المسند أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد الدرعي المعروف بآدفال السوساني بكل ماله.." (٢)

---

(١) فهرس الفهارس الكتاني، عبد الحي ٨١٨/٢

(٢) فهرس الفهارس الكتاني، عبد الحي ٩٢٣/٢

"نعلمه اتفق في الإسلام لأحد قبله ولا لأبي القاسم البغوي "، اه. قلت: وهو القائل:

ليس على الأرض في زماني ... من شأنه في الحديث شأني

نقلا ونقدا ولا علوا ... فيه على رغم كل شأني قال الحافظ ابن ناصر في حقه: " أسند من بقي في الحديث وأعلم ولم ير فيمن رأى مثل نفسه، وكانت وفاته بالإسكندرية في ربيع الأول سنة ٥٧٦ وقد جاوز المائة ممتعا بحواسه وذهنه، وذلك ببركة الحديث ". قال المنتوري في فهرسته: " روى عنه عياض وأبو جعفر ابن الباذش ومن في طبقتهما، ثم روى عنه أهل طبقة ثانية كالخطيب أبي القاسم ابن حبيش ومن في طبقته، ثم روى عنه أهل طبقة ثالثة كالحاج أبي عمر ابن عات، ثم أهل طبقة رابعة كالأستاذ أبي علي الشلوبين وأبي الخطاب ابن خليل شيخ أبي جعفر ابن الزبير، وابن خليل آخر من حدث بالأندلس عن السلفي، وتوفي ابن خليل ١١ شعبان عام ٦٦٢، وتوفي أبو جعفر بن الباذش ٢ جمادى الآخرة عام ٥٥٤، فبين وفاتهما مائة سنة واثنا عشر عاما، وهما يحدثان عن شيخ واحد، وهو من أغرب ما يوجد "، اه. قلت: المعروف عند أيمة المشرق ان آخر أصحاب السلفي في الدنيا سبطه أبو القاسم ابن عبد الرحمن بن مكي الطرابلسي، مات سنة خمسين وستمائة، كما في " تدريب الراوي " ولذلك يذكر من العجائب ان أبا البرداني الحافظ سمع من السلفي حديثا رواه عنه ومات على رأس الخمسمائة، وآخر أصحاب السلفي سبطه المذكور الذي مات سنة خمسين وستمائة. قال الحافظ ابن حجر: " وهذا أكثر ما وقفت عليه في باب السابق واللاحق " هكذا نقل عنه في التدريب. وقال السخاوي في " فتح المغيث " بعد نقله: " وهو محمول على السماع وإلا فقد تأخر بعد السبط جماعة منهم محمد بن الحسن بن عبد السلام أبو بكر السفاقسي، ويعرف بابن المقدسية لكون أمه أخت الحافظ ابن المفضل المقدسي، مات في سنة أربع وخمسين." (١)

"أليس من العجائب أن مثلي ... يرى ما قل ممتنعا عليه

وتؤكل باسمه الدنيا جميعا ... وما من ذاك شيء في يديه ٢٨ (١)

الناصر لدين الله

أحمد بن الحسن أمير المؤمنين الإمام الناصر لدين الله، أبو العباس ابن الإمام المستنصر؛ ولد يوم الاثنين عاشر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، وبويع له في أول ذي القعدة سنة خمس وسبعين، وتوفي سلخ رمضان سنة اثنتين وعشرين وستمائة، فكانت خلافته سبعا (٢) وأربعين سنة.

وكان أبيض اللون تركي الوجه مليح العينين أنور الوجه (٣) ، خفيف العارضين، أشقر، رقيق المحاسن؛ نقش خاتمه رجائي من الله عفوه. ولم يل (٤) الخلافة أطول مدة منه؛ وكان شابا مرحا عنده منعة (٥) الشباب، يشق الدروب والأسواق أكثر الليل، والناس يتهيبون لقاءه، وظهر التشيع في أيامه ثم انطفا، وظهر التسنن المفرط ثم زال، وظهرت الفتوة والبندق والحمام الهادي، وتفنن الناس في ذلك، وألبس الملك العادل وأولاده سراويلات الفتوة، وكذلك للملك شهاب الدين الغوري صاحب غزنة وملك الهند وجميع الملوك الذين كانوا في أيامه،

---

(١) فهرس الفهارس الكتاني، عبد الحي ٢/٩٩٦

(١) انظر كتب التاريخ العامة؛ والروحي: ٦٨ والفخري: ٢٨٥ وتاريخ الخلفاء: ٤٨٠ ومرآة الزمان: ٦٣٥ والوافي ٦: ٣١٠ ونكت الهميان: ٩٣ والمنهل الصافي ١: ٢٦٤، ولم ترد هذه الترجمة في المطبوعة.

(٢) ص: سبع.

(٣) الوافي: الجبهة.

(٤) ص: يلي.

(٥) الوافي: ميعة.." (١)

"لو عاينت عيناك حسن معذبي ... ما لمتني ولكنت أول من عذر

عين الرشا قد ردف النقا ... شعر الدجى شمس الضحى وجه القمر ومما ينسب إليه وهو غاية:

بأبي أهيف إذا رمت منه ... لثم ثغر يصدني عن مرامي

قد حمى خده بسور عذار ... مقلتاه أضحت عليه مرامي وله أيضا:

تراخيت عني حين جد بي الهوى ... وجربت صبري عندما نفد الصبر

فلو عاينت عيناك في الليل حالتي ... وقد هزني شوقي وأقلقني الفكر

رأيت سليما في ثياب مسلم ... ومستشعرا قد ضم شرسوفه الشعر وله:

إذا عاينت عيناي أعلام جلق ... وبانت من القصر المشيد قبابه

تيقنت أن البين قد بان والنوى ... نأى شحطها والعيش عاد شبابه وله أيضا:

طرفي وقلبي قاتل وشهيد ... ودمي على خديك منه شهود

يا أيها الرشأ الذي لحظاته ... كم دونهن صوارم وأسود

من لي بطيفك بعدما منع الكرى ... عن ناظري البعد والتسهيد

وأما وحبك لست أضمر توبة ... عن صبوتي ودع الفؤاد يبيد

وألذ ما لاقيت فيك منيتي ... وأقل ما بالنفس فيك أجود

ومن العجائب أن قلبك لم يلن ... لي والحديد ألانه داود وعلى الجملة إنه لم يكن مسعود الحركات، لأنه قضى عمره في أسوأ حال، مشردا (١) عن الأوطان معكوس المقاصد، وقيل: إنه كان إذا دخل في الشراب

(١) ص: مشرد.." (٢)

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٦٦/١

(٢) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٤٢٧/١

"أحبابنا هل وقفة نشكو بها ... ألم الهوى ونفض كل ختام

ومن العجائب أن سمحت بمهجتي ... لغريرة بخلت برد سلامي

هيفاء حرمت الوصال فلم رأت ... دمي الحرام السفك غير حرام منها:

أصبو إليك وللوقار زواجر ... تقتادني عن صبوة بزمام

وتقول لي ما المجد شرب مدامة ... وسماع غانية ووصل غلام

واعلم بأن الفضل ليس بنافع ... حتى يناط بجرأة الإقدام

والشعر ما لم يأت فيه فصاحة ... فكأنه ضرب من البرسام

والمدح في غير الوزير محمد ... ذي الفضل مأثمة من الآثام وقال أيضا:

أتانا يرينا من مقبله رصفا ... غزال سقانا الخمر من فمه صرفا

من الهيف خط الحسن في نور وجهه ... حروف جمال لا أقيس بها حرفا

فعرق نوني حاجبيه براعة ... وصف بحذق سين طرته صفا

أتى يحتذي لي القضيب قوامه ... ولم يعتمد ليا لوعدي ولا خلفا

تأود غصنا ناضر (١) العطف ناعما ... فبت أفديه وأسأله عطفا

ولما (٢) جنيت الورد من وجناته ... تغنمتها لثما وأحللتها قطفا

بدا بدر تم وانثنى خيزرانة ... وماج كثيبا أهيلا ورنا خشفا

وعاطيته مشمولة بابلية ... يرى لسنا لألاء بارقها خطفا

فراح ولون الراح يصبغ كفه ... ووجنته الحمراء من لونها أصفى

---

(١) ص: ناظر.

(٢) ص: وما.." (١)

"هجم الصباح على الدجى بحسامه ... فظننت أن الصبح من عشاقه وأورد له أيضا:

ما هب من أرض العراق نسيم ... إلا دعاني للغرام غريم

فإلام ويك تلوم جهلا بالهوى ... قصر فإفراط الملامة لوم

أنى يحل العذل من سمعي وفي ... قلبي لتكرار الكلام كلوم؟

يا أيها القمر الذي لم يخل من ... يهواه من لاح عليه يلوم (١)

إن العذول على هواك أعده ... من حاسدي ولا أقول رحيم

فإلام أحمل ثقل هجرك والهوى ... والهجر حامل ثقله مرحوم

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٢/٩٧

وإلى متى أرعى النجوم تعللا ... حتى كأني للنجوم نديم

ومن العجائب أن قلبي يشتكي ... شوقا إليك وأنت فيه مقيم ٣١١ (٢)

ابن برهان النحوي

عبد الواحد بن علي بن عمر بن إسحاق بن إبراهيم بن برهان، أبو القاسم الأسدي العكبري النحوي، صاحب العربية واللغة والتواريخ وأيام العرب؛ قرأ على عبد السلام البصري، وكان أول أمره منجما فصار نحويا، وكان

---

(١) سقط هذا البيت من المطبوعة.

(٢) الزركشي: ٢٠٢ والبداية والنهاية ١٢: ٣١٧ وتاريخ ابن الأثير وتاريخ الإسلام (وفيات ٤٥٦) وانظر ابن خلكان ٣: ٤٤٣ - ٤٤٤، ٥: ٣٥٩ ودمية القصر: ٣٠٩ (ط. اللباخ) والشذرات ٣: ٢٩٧ ولسان الميزان ٤: ٨٢ ومرآة الجنان ٣: ٧٨ وميزان الاعتدال ٢: ٦٧٥ والنجوم الزاهرة ٤: ٧٥ ونزهة الألباء: ٢٤٣.." [1]

"فكم صافحتني من (١) مناها يد المنى ... وكم هب عرف اللهو في عرفاتها

عهدت بها أصنام حسن عهدتي ... هوى عبد عزاها وعبد مناتها

أهل بأشواقي إليها وأتقي ... شرائعها في الحب حق تقاتها وله أيضا:

هم في ضميرك خيموا أو قوضوا ... ومنى جفونك أقبلوا أم أعرضوا

وهم رضاك من الزمان وأهله ... سخطوا كما زعمت وشاتك أو رضوا

أهواكم وإن استمر قلاهم ... **ومن العجائب** أن يحب المبغض وله أيضا:

وقد هوت بهوى نفسي مها سبإ ... فهل درت (٢) مضر من تيمت سبأ

كأن قلبي سليمان وهدهده ... طرفي وبلقيس ليلى والهوى النبأ ٤٢٥ (٣)

ابن الصابوني الإشبيلي

محمد بن أحمد ابن الصابوني الصدفي، من أهل إشبيلية؛ قال ابن الأزبار: ذهبت البدائع (٤) بذهابه، وختمت الأندلس شعراءها به، ذهب إلى المشرق فتوفي بالإسكندرية وهو طالب مصر سنة أربع " وثلاثين " (٥) وستمائة.

---

(١) الوافي: في.

(٢) في المطبوعة: فهددت.

(٣) الوافي ٢: ٩٩ والزركشي: ٢٦٢ والبدر السافر: ٧٦ والمقتضب من التحفة: ١٦١ واختصار القدح: ٦٩ والمغرب ١: ٢٦٣ وصفحات متفرقة من نفح الطيب.

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٤١٤/٢

(٤) في المطبوعة: الآداب، والتصويب عن الوافي والزركشي.

(٥) زيادة من المقتضب؛ ولم ترد في الوافي أيضا؛ وفي البدر السافر: سنة أربع وقيل ست وثلاثين وستمائة.." [١]

"أن ينقضي المجلس، فلا يخرج (١) منه حتى يغرم درهمين.

ومن شعره الصالح:

أيها الأمرد المولع بالهج ... ر أفق ما كذا سبيل الرشاد

فكأني بحسن وجهك قد أل ... بس في عارضيك ثوب حداد

وكأني بعاشقيك وقد أب ... دلت فيهم من خلطة ببعاد

حيث تغضي العيون عنك كما ين ... قبض السمع من حديث معاد

فاغتنم قبل أن تصير إلى كا ... ن وتضحي من جملة الأضداد وقال أيضا:

رأيت **من العجائب** قاضيين ... هما أحدوثة في الخافقين

هما اقتسما العمى نصفين عمدا ... كما اقتسما قضاء الجانبين

هما فأل الزمان بهلك (٢) يحيى ... إذ افتتح القضاء بأعورين

وتحسب منهما من هز رأسا ... لينظر في مواريث ودين

كأنك قد جعلت عليه دنا ... فتحت بزاله من فرد عين وكان المتوكل يرمي به في المنجنيق إلى البركة، فإذا علا في الهواء يقول: الطريق، جاءكم المنجنيق، حتى يقع في البركة، فيطرح عليه الشباك ويصطاد، ويخرج وهو يقول: ويأمر بي ذا الملك " فيطرحوني في البرك " ويصطادني بالشبك، كأني بعض السمك، ويضحك لي هك هك.

قال بعضهم: رأيته ببعض آجام سامرا وهو عريان لا يواريه شيء، على يده اليمنى باشق وبيده اليسرى قوس، وعلى رأسه قطعة رثة من حبل (٣)

---

(١) زاد بعدها في المطبوعة: أحد.

(٢) المطبوعة: الدمار بملك؛ ولا معنى له.

(٣) المطبوعة: رقة حبك.." [٢]

"قولك هذا خطل (١) باطل ... أما ترى الأقمار في الأطلس أخذ هذا المعنى من سيف الدين المشد ونقضه فإنه قال:

زعم الأوائل أنما ... تبدو الذوائب للكواكب وتوهموا الفلك المعظ م أطلسا ما فيه ثاقب

أتراهم لم ينظروا ... ما في الزمان **من العجائب**

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٢٨٤/٣

(٢) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٣٠٠/٣

كم من هلال قد بدا ... في أطلس وله ذوائب وقال وهو بمصر يتشوق إلى دمشق:

لي نحو ربعك دائما يا جلق ... شوق أكاد به جوى أتمزق

وهمول دمع من جوى بأضالع ... ذا مغرق عيني وهذا محرق

أشتاق منك منازلا لم أنسها ... أني وقلبي في ربوعك موثق

طلل به خلقي تكون أولا ... وبه عرفت بكل ما أتخلق

وقف عليه لدى التأسف والبكا ... قلبي الأسير ودمع عيني المطلق

أدمشق لا بعدت ديارك عن فتى ... أبدا إليك بكله يتشوق

أنفقت في ناديك أيام الصبا ... حبا وذاك أعز شيء ينفق

ورحلت عنك ولي إليك تلفت ... ولكل جمع صدعة وتفرق

فاعتضت عن أنسي بظلك وحشة ... منها وهي جلدي وشاب المفرق

فلبست ثوب الشيب وهو مشهر ... وخلعت (٢) ثوب الشرخ وهو معتق

ولكم أسكن عنك قلبا طامعا ... بوعود قربك وهو شوقا يخفق

ولكم أحدث عنك من لاقيته ... وجميع من سمع الحديث يصدق

والأرض في عرض وطول دائما ... لم يحو مثلك غربها والمشرق

لله وادي النيربين (٣) وظله ... لا الرقمتان ورامة والأبرق

---

(١) المطبوعة: خطأ.

(٢) الوافي: ونزعت.

(٣) المطبوعة: النيرين؛ وهو خطأ.." (١)

"حلقوك تقبيحا لحسنك رغبة ... فازداد وجهك بهجة وضياء

كالخمر فك ختامها فتشعشعت ... كالمشع قط ذباله فأضاء ومن شعر السابق المعري:

وأغيد واجه المرآة زهوا ... فحرق بالصبابة كل نفس

وليس **من العجائب** أن تأتى ... حريق بين مرآة وشمس وقال أيضا:

ولقد عصيت عواذلي وأطعته ... رشأ يقتل عاشقيه ولا يدي

ولقد عصيت شوك (١) اللوم فيه مسامعي ... فبما جنت من ورد وجنته الندي وقال أيضا:

وراح أزاحت ظلام الدجى ... فأبدى الفراش إليها فطارا

رآها (٢) توقد في كأسها ... فيممها يحسب النور نارا

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٣/٣٢٧

وما زلت أشربها قهوة ... تميت الظلام وتحيي النهارا وقال أيضا:

حلمت عن السفيه فزاد بغيا ... وعاد فكفه سفهي عليه

وفعل الخير من شيمي ولكن ... أتيت الشر مدفوعا إليه قال محب الدين ابن النجار: قال لنا أبو عبد الله " ابن " (٣) الملحي: كنت عند السابق قبل موته فقال لي: قد وصف صديقنا أبو نصر ابن الحكيم (٤)

---

(١) المطبوعة: شر؛ والتصويب عن الوافي.

(٢) المطبوعة: يراها.

(٣) زيادة من الوافي.

(٤) الوافي: حليم.." [١]

"٥١٥ - (١)

تاج الدين الصرخدي

محمود بن عابد (٢) بن حسين بن محمد، الشيخ تاج الدين أبو (٣) الثنا التميمي الصرخدي النحوي الشاعر المشهور الحنفي؛ ولد بصرخد سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، وتوفي بدمشق سنة أربع وسبعين وستمائة، وكان فقيها صالحا، نحويا بارعا، شاعرا محسنا ماهرا، متففا خيرا متواضعا دمث الأخلاق، كبير القدر وافر الحرمة. وكان سكنه بالمدرسة النورية؛ ومن شعره قوله:

عجبا لقدك ما ترنح مائلا ... إلا وقد سلب الغصون شمائلا

ولسقم جفنك كيف صح بكسرة ... فيه وأصبح باللواحظ نابلا

ولناظر حاز الولاية فاغتدى ... من غير عزل للمعاطف عاملا

وإذا علمت بأن ثغرك منهل ... في روضة فعلام تحرم نائلا

في بحر خدك راح صدغك زورقا ... فلحبسه مد العذار سلاسلا

وأظن موج الحسن يقذف عنبرا ... أضحى له نبت السوالف ساحلا

ومن العجائب أن سائل أدمعي ... قد جاء يستجدي عذارك سائلا وقال أيضا:

ما للفؤاد إذا ذكرتك يخفق ... والدمع من عيني يسح ويدفق

---

(١) الزركشي: ٣٢٦ وعبر الذهبي ٥: ٣٠٢ والشذرات ٥: ٣٤٤ وقال الزركشي: ((ووقفت على المفصل للزمخشري وعليه خط الإمام زين الدين ابن معطي النحوي وذكر أن الصرخدي هذا قرأه عليه قراءة بحث وإتقان عظيم)) ؛ وأكثر هذه الترجمة لم يرد في المطبوعة.

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ٣٤٨/٣

(٢) ص: عايد، ولا إعجام عند الزركشي.

(٣) ص: أبي.." [(١)]

"صديق لو كشفت الغيب عنه ... وجدت هواك قد ملا الفؤادا

يعز عليه رزء بت عنه ... شقيق النفس تلهمها سدادا

انشقق للعباد ونحن منهم ... من الرب الذي خلق العبادا

أراد بنا الفناء على سواء ... ولابد لنا مما أرادا

لئن قدمت علقا مستفادا ... لقد أكرمت حظا مستفادا

ومثلك لا يضعضعه مصاب ... ولا يعطي لنائبه قيادا

ومازلت الرشيد نهى وحاشى ... لمثلك أن نعلمه الرشادا

فراجعه القاضي أبو الحسن بن زنباع. [وافر]

لعا لك من جواد قد أجادا ... ونال الغاية القصوى وزادا

وبشر بالتي يسمو إليها ... سواك فلا تبلغه مرادا

فإني قد رأيت الدهر مطلقا ... تنزل عن خلائقه وحادا

ومنذ بخست حظك وهو كبر ... أحال على الورى سنة جمادا

ولن يرضى الزمان وأنت فيه ... تدافع من محلك أو تعادا

ومثلك وهو أنت ولا مزيد ... شفى وكفى الملمات الشدادا

ومن وفدته بالنوب الليالي ... فكيف يطيق عدوا واشتدادا

ولولا ما كففت به فؤادي ... من الحكم التي تسلي تمادا

ومن يطفئ بنزر الماء نارا ... فليس يزيدها إلا اتقادا

جزاك الله خيرا من صديق ... أفاد صديقه مما استفادا

ورد عليه صبر اصل عنه ... وأقسم لا ينال له قيادا

وأنجدة على خطب عراه ... وأدرك فيه ثارا فاستقادا

وله أيضا: [كامل]

لهواك في قلبي كريقك في فمي ... غيري يقول الحب مر المطعم

فادر علي بمقلتيك كؤسه ... حتى يدب خمارة في أعظمي

---

(١) فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ١٢١/٤

إن التلذذ في هواك تلذذ ... لو كان أقتل من زعاف الأرقم

أحبب بحب لا يثير ملامة ... ملئت بموليه عيون النوم

شغل النواظر والقلوب ولم يدع ... من لم يسمع زمن الأنام بميسم

ومن العجائب شغل شيء واحد ... في الحال أمكنة ولم يتقسم." (١)

"للفقراء، أعطاه والده حلب في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة بعد عمه العادل «١» . توفي بقلعة حلب ليلة الثلاث

[و] العشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة، ودفن بالقلعة.

ثم بنى الطواشي تغربك أتابك «٢» ولده العزيز مدرسة تحت القلعة، وعمر فيها تربة ونقله إليها.

ومولده بالقاهرة في نصف رمضان سنة ثمان وستين وخمسمائة. وهي السنة الثانية من استقلال أبيه بالمملكة بالديار المصرية.

ومن شعره في مملوكه ايبك الجمدار/ (٥ و) ف:

أنا مالك مملوك ظبي أغيد ... **ومن العجائب** مالك مملوك

وأنا الغني وإنني من وصله ... بين البرية معدم صعلوك

ولكم سفكت دما بسيفي عنوة ... ودمي بسيف لحاظه مسفوك

نقلته من ديوان الصبابة.

قال الذهبي، قال الحلي الشاعر يوما للظاهر في المنادمة وهو يعبث به وزاد عليه. فقال:

أنظم؟ يتهدده بالهجاء!. فقال: السلطان: أنثر، وأشار إلى السيف! انتهى.

توفي طغربك المذكور سنة إحدى وثلاثين وستمائه.." (٢)

"الفصل الثامن- فيما ظهر بها **من العجائب**.

- ونتبعه بحوادث بها.

وفي آخره:

- عجائب ظهرت بغيرها.." (٣)

"وفي هذه المدرسة بئران وصهريجان على بئر منهم قنطرة من الحديد مكتوب عليها:

«وقف هذه القنطرة واقف هذه المدرسة عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن العجمي على مصالح الجب في شهر ربيع الأول سنة أربعين وستمائة «١» واسم صانعها: علي بن أبي بكر ابن مسلم. وعليها خط بالكوفي لا أدري ما هو. وهذه الكتابة ليست حفرا. وإنما هي بالقلم المجوز. وعليها صنعة حفر من بدائع الرسم. وهذه القنطرة الحديد **من العجائب**.

---

(١) قلائد العقيان الفتح بن خاقان، أبو محمد ص/٢٢٩

(٢) كنوز الذهب في تاريخ حلب سِبْط ابن العَجَمي، موفق الدين ١/١٠٦

(٣) كنوز الذهب في تاريخ حلب سِبْط ابن العَجَمي، موفق الدين ١/١٣٦

ومشاهدتها تورث الفكرة كيف صنعت.

وإلى جانب المدرسة تربة الواقف وهو مدفون بها بوصيته وعليها وقف (٥١ ظ) ف وزاد وقفها بنت ابنه عائشة.

وإلى جانب قبليتها مسجد قديم لم يغيره الواقف بل عمر حائطه. وأبقى «٢» باب المسجد في مكانه. وفتح له إلى قبلية المدرسة بابا آخر؛ كذا «٣» قيل لي. ورأيت في كتاب وقفها أن الواقف هو الذي بناه ووقفه مسجدا.

وإلى جانب هذا المسجد بيت كان اصطبلا للعجول التي كانت تجلب الأحجار لبناء المدرسة. وكان الواقف- رحمه الله- إذا أعاقه في طريق العجول الذي تجلب الأحجار عائق من بناء اشتراه من مالكه. وهدمه حتى تمر العجول هناك. وكان بهذه المدرسة من الأبواب المنجورة على الخلاوى من أحسن الصنائع المطعم والحفر والخيط والمكولك وغير ذلك مما يفتخر به الصناع. وقد ذهب غالبها من عدم التعهد.." (١)

"هذه أ: الخدمة تخصهم بالسلام التام الكامل، والود الشامخ الشامل، وتتحفهم بالتحيات المباركات، والمحامد المتداركات، وتصف رفع الأدعية الصالحة وتنشر ألوية الأثنية الفاتحة، وتبدي إلى علومهم الكريمة أن الله تعالى فرق المنافع في أرضه، وأغاث البقاع بما شاء من عمره دبر ضده، رتب العقاقير في الأقطار فضلا ونعمة، وأنزل الداء والدواء حكمة ورحمة، وزين السماء بالنور اللائح من السراج الوهاج، وأحيا الأرض من الماء العذب الفرات، والملح الأجاج، ومنح البحار بما اختار **من العجائب** وخص البلاد بما أراد من الغرائب يا لها غرائب أغربت العين، وظهرت بما شاء وأذهلت العقول وحيرت الفكر.

فمنها: الماء الحاكم بفسخ عقد الجراد الأمر بالعدل والإحسان إلى البلاد الوارد بالخير الوافد، يميل..... «١» الرافع الضيم والضمير، الجامع شمل غريب الطير المهدي راحة الأرواح..... الطائر بجناح النجاح والمبشر بالأمن بعد الخوف، الواصل بعطب أبا..... «٢» وأمهات عوف «٣» . الذي جدير به أن يدعى ماء الحياة، وأن ينظم له عقد الأمرة على سائر المياه. باله ما يقل عنده/ (٤٣ و) م المال وتشرئب إليه أعناق الآمال فلو عاينته العيون الصافية لأغضت حياء عن محاسنه واقية ولو شاهده ماء الفرات لشهد أنه أحلى من قطر النبات، ولو رآه النيل لمشى بين يديه وأشار بأصابعه ذات الأيادي إليه، وقد توجه المشايخ الأكابر الصلحاء الأجلاء فلان وفلان وفلان أعاد الله بركتهم، وبلغهم أقصى طلبهم وبغيتهم بسبب تحصيل الماء المذكور وإحضاره وكشف ما خفي من مكنون أسراره ليبلغ أهل الشام به المراد ويقطع بيد مرسلة عنهم رجل الجراد، وتقر العيون ويسر الآباء والبنون، وتنشرح الصدور." (٢)

"٢١- محمد الملك الأشرف عز الدين بن صلاح الدين بن أيوب.

٢١- الملك الصالح بن نور الدين الشهيد.

٢١- مسعود المؤيد بن السلطان صلاح الدين.

٢٢- الحافظ نور الدين العادل.

---

(١) كنوز الذهب في تاريخ حلب سِبْط ابن العَجَمي، موفق الدين ٣١٢/١

(٢) كنوز الذهب في تاريخ حلب سِبْط ابن العَجَمي، موفق الدين ٢٧١/٢

٢٢- يعقوب الأعز، وإسحاق المعز. وعلي الأفضل أولاد صلاح الدين.

٢٣- مقتطفات للأفضل بن صلاح الدين.

٢٣- مسلمة بن عبد الملك بن مروان.

٢٤- سليمان بن عبد الملك.

٢٥- نوادر فيمن كان كثير الأكل.

٢٥- هشام بن عبد الملك.

٢٥- إحراق بني العباس جثث بني أمية كان انتقاما منهم لزيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم.

٢٦- المحسن أحمد بن صلاح الدين وأخوه ذا وزن (كذا)

٢٦- دقيانوس وقبره في طرسوس.

٢٦- المأمون العباسي وقبره في طرسوس وذكر سقوطه بسلاحه إلى أن سقط

٢٨- طغرل بك أتابك العزيز بن صلاح الدين.

٢٩- العباس بن المأمون وموضع قبره.

٣١- (الفصل الثامن فيما ظهر فيها **من العجائب** ونتبعه حوادث وقعت بها) .

٣٥- ذكر نوادر في وضع بعض النساء عدة أولاد في بطن واحد.

٤٧- (الفصل التاسع في بعض وقائع الفرنج وما اتفق لهم بها)." (١)

"فهرس الموضوعات

الجزء الأول ١- المقدمة ٥

٢- سلاسل التاريخ حول حلب ٧

٣- ترجمة المؤلف ٢٦

٤- مقدمة التحقيق ٤٠

كنوز الذهب ٥- الفصل الخامس في بعض عشاقها ٥٣

٦- الفصل السادس في: ٧٧

- المنافع والطلاسم ٧٨- المطالب ٩٣- حل الكتابات القديمة ٩٥ ٧- الفصل السابع في:

- تراجم من دفن بها أو بمعاملتها من الخلفاء والملوك ١٠٤

٨- الفصل الثامن: ١٣٦ فيما ظهر بها **من العجائب** ١٣٧- وحوادث وقعت بها ١٣٧- وعجائب ظهرت بغيرها ١٣٧- ١٧٨

---

(١) كنوز الذهب في تاريخ حلب سِبْط ابن العَجَمي، موفق الدين ٣٣٥/٢

٩- الفصل التاسع في:

بعض وقائع الفرنج وما اتفق بها وبمعاملاتها ١٧٨

١٠- الفصل العاشر في: ٢٠٥- جوامعها ٢٠٦- مدارسها ٢٦٨- بعض آدر القرآن الكريم ٣٧٢- ذكر آدر الحديث ٣٧٧." (١)

""من اسمه قدامة وقراد"

[١٤٦٩] "قدامة" بن عبد الله عن سعيد بن المسيب لا يعرف.

[١٤٧٠] "زقدامة" بن كلثوم شيخ لابن الطباع قال يحيى بن معين لا أعرفه.

[١٤٧١] "قدامة" بن النعمان عن الزهرى لا يعرف والخبر باطل ثم أن سنده مظلم إليه انتهى والخبر المذكور رواه الخطيب حدثنا أبو نعيم لفظا ثنا أحمد بن محمد بن خوزى العكبري ثنا إبراهيم بن عبد الرحمن ثنا ميمون بن مهران بن مخلد بن أبان الكاتب ثنا عارم عنه عن الزهرى عن أنس رضي الله عنه رفعه: "عنوان صحيفة المؤمن حب علي" وقد قال الخطيب أن في حديث أحمد بن محمد الخوزي مناكير وقد تقدم.

[١٤٧٢] "قراد" عن شعبة وعنه عباس الدوري وقع في الدارقطني خبر بهذا الإسناد وقال فيه فزاد شيخ من المصريين مجهول كذا في بعض النسخ وهو **من العجائب** فإن قراد هذا هو أبو نوح واسمه عبد الرحمن بن غزوان وهو مشهور من رجال التهذيب ولا أظن مثله يخفى على الدارقطني.." (٢)

"صنف كتابا في **العجائب** التي شاهدها ببلاد العرب ومن شعره.

يكتب العلم ويلقى في سفط. ... ثم لا يحفظ لا يفلح قط

إنما يفلح من يحفظه ... بعد فهم وتوق من غلط

وقال السلفي سمع علي وبقراءتي كثيرا ثم سافر واتصل بي أنه يقيم بباب الأبواب وقال أبو المواهب بن صعر ذكر أبو حامد أنه ولد سنة ثلاث وسبعين وأربع مائة وتوفي بدمشق سنة خمس وستين وخمس مائة وقد جاوز التسعين وكان يحكي حكايات **من العجائب** التي رآها في بلاده والله اعلم بصحتها وأما سماعه فصحيح وقال يوسف بن أحمد بلغني أن أبا القاسم بن عساكر تكلم في الغرناطي وما عليه إلا وقال ابن عساكر في تاريخه كان كثير الدعاوي فذكر أنه رأى عجائب في بلاد شتى تستحيل في العقل لما يحكى عنه من الكذب وقال القطب رأيت كتابه سماه تحفة الألباب.

٨٩٠ - "محمد" بن عبد الرحيم البغدادي قال أبو القاسم الدمشقي في تاريخه سمع بدمشق هشام بن عمار وحدث عنه بحديث منكر في ذرى قصر ورواه عنه أبو الحسن محمد بن معمر البحراني والحمل فيه عليهما.

٨٩١ - "محمد" بن عبد السلام بن النعمان شيخ بصري كتب عنه ابن عدي ورماه بالكذب وانه يروي ما لم يسمعه روى

---

(١) كنوز الذهب فى تاريخ حلب سِبْط ابن العَجَمي، موفق الدين ٢/٤٨٨

(٢) لسان الميزان ابن حجر العسقلاني ٤/٤٧١

عن هدبة وشيبان انتهى قال ابن عدي: وكان ممن يستحل الكذب بين الوراقين يأخذ نسخة يزيد بن هارون عن حماد فيقرأها على بن عبد السلام هذا بعلو عن هدبة وشيبان وغيرهما فيقرا لهم بذلك وذكر له عدة أحاديث وقال الزق عن شيوخ أحاديث ليست عندهم ليؤخذ عنه بعلو ومن مصائب هذا الرجل أنه سرق الحديث الذي غلط فيه ثابت الزاهد على شريك حين قال وهو يسمع من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار." (١)

"وسماعه منه لمسند أبي هريرة صحيح انتهى يعني علي القطيعي عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه ومات سنة سبع وثلاثين وأربع مائة.

٩٢٩ - "محمد" بن عبد الوهاب بن مرزوق الواسطي عن سعيد بن عيسى عن مالك وعنه أحمد بن كعب الواسطي ذكره النباتي وقال اطلق الدارقطني على إسناد هو فيه الضعف ولم يستثنه.

٩٣٠ - "محمد" بن عبد الوهاب بن سلام بن زيد بن أبي السكن الجبائي أبو علي راس المعتزلة ومن انتهت إليه رياستهم أخذ عن أبي يعقوب الشحام وغيره وكان من رأيه تقديم أبي بكر وعمر وعثمان والوقف على أبي بكر وعلي توفي سنة ثلاث وثلاث مائة وله ثمان وستون سنة وذكر النديم له سبعين تصنيفا منها الرد على الأشعري في الرواية وهو **من العجائب** لان الأشعري كان من تلامذته ثم خالفه وصنف في الرد عليه فنقض هو بعض تصانيفه وله الرد على أبي الحسين الخياط والصالحي والحافظ والنظام والبردعي وغيرهم من المعتزلة في ما خالفهم فيه.

٩٣١ - "محمد" بن عبد بن عامر بن السمرقندي في حدود الثلاث مائة معروف بوضع الحديث قال الخطيب وطول ترجمته روى عن يحيى بن يحيى وعصام بن يوسف وجماعة أحاديث باطلة روى عنه أبو بكر الشافعي وجماعة قال الدارقطني كان يكذب ويضع الحديث قلت: روى بإسناد له عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا من قرأليلة النصف من شعبان ألف مرة قل هو الله أحد في مائة ركعة لم يمت حتى يبعث الله إليه في منامه مائة ملك قال جعفر بن الحجاج الموصلي قدم محمد بن عبد علينا الموصل وحدثنا بأحاديث مناكير فاجتمع جماعة من الشيوخ وصرنا إليه لننكر عليه فإذا هو في حلق من المحدثين والعامة فلما بصر بنا من بعيد علم أنا جئنا لننكر عليه فقال: حدثنا قتيبة عن ابن لهيعة عن." (٢)

"أقبل في ثوب لازورد ... قد أفرغ التبر من عليه

كأنه البدر في سماء ... قد طرز البرق جانبيه

وقال ابن برد أيضا:

كيف لا اعشق ظبيا ... سارحا في ظل ملك

إنما السمرة فيه ... مزج كافور بمسك

قال ابن بسام وهذا كقول بن فتوح:

قد قضيب وبدر ديجور ... وثغر در ولون يعفور

---

(١) لسان الميزان ابن حجر العسقلاني ٥/٢٥٨

(٢) لسان الميزان ابن حجر العسقلاني ٥/٢٧١

كأنما نوره وسمرته ... مسك مشوب بذوب كافور

وقال ابن برد من مقطوعة:

بيننا في الحب قربى ... سقم عينيك وجسمي

قال ابن بسام وهو من قول ابن الرومي:

يا عليلا جعل العلة مفتاحا لسقمي

ليس في الأرض عليل غير جفنيك وجسمي

قال فأخذه ابن هاني الأندلسي فقال:

المدنفان من الربية كلها ... جسمي وطرف بابلي أحور

والمشرقات النيرات ثلاثة: ... الشمس والقمر المنير وجعفر

وقال:

اتحيرت من طيب حمامنا ... فخيل لي أن فيه الفلق

فمن حمرة وابيضاض بدا ... كخد الحبيب إذا ما عرق

رأى الدهر ما شد من حسنه ... فسد كوى سقفه بالشفق

وقال آخر:

ولم أدخل الحمام يوم رحيلهم ... طلاب نعيم قد رضيت ببؤس

ولكن لتجري أدمعي مطمئنة ... فابكي ولا يدري بذاك جليس

وقال ودخل الحمام يوما الأديبان أبو جعفر بن هريرة التطيلي وأبو بكر ابن تقي فقال أبو جعفر:

بأحسن حمامنا وبهجته ... مرأى من السحر كله حسن

ماء ونار جسماهما كنف ... كالقلب فيه السرور والحزن

وأعجبه المنسي فقال:

ليس على لهونا مزيد ... ولا لحمامنا ضريب

ماء وفيه لهيب نار ... كالشمس من ديمة تغوب

وأبيض من تحته رخام ... كالثلج حين ابتدا يذوب

وقال أبو بكر بن تقي:

حمامنا فيه فصل القيظ محتدم ... وفيه للبرد غير ذي ضرر

ضدان ينعم جسم المرء بينهما ... كالغصن ينعم بين الشمس والمطر

وقال أبو جعفر التطيلي:

هل استمالك جسم ابن الأمير وقد ... سالت عليه من الحمام أنداء

كالغصن باشر حد النهار من كثب ... فظل يقطر من أعطافه الماء

وقال أبو عامر بن شهيد:

يا أيها القمر الذي بغيب ... صبغت ثياب الليل فهي حداد

كتب القضاء بأن جدك صاعد ... والصبح رقى والظلام مداد

أفدي أسيماء من نديم ... ملازم للكؤوس راتب

قد عجبوا في السهاد منها ... وهي لعمري من العجائب

قالوا تجافى الرقاد عنها ... فقلت: لا ترقد الكواكب

وقال أبو عمار:

مرض الجفون ولثغة في المنطق ... شيئان جرا عشق من لم يعشق

من لي بألثغ لا يزال حديثه ... يذكي على الأكباد جمرة محرق

بيني فينبو في الكلام لسانه ... فكأنه من خمر عينيه سقي

لا ينعش الألفاظ من عثرتها ... ولو أنها كتبت له في مهرق

وقال الرمادي:

لا الراء تطمع في الوصال ولا أنا ... الهجر يجمعنا فنحن سواء

فإذا خلوت كتبتها في راحتي ... وبكيت منتحيا أنا الراء

وقال أبو القاسم بن العريف:

أيها الألثغ الذي شف قلبي ... جد عرف ولو نطقت بسب

هجرك الراء مثل هجري سواء ... فكلانا معذب دون ذنب

ولأبي الطيب المتنبي: كرآين في ألفاظ ألثغ ناطق وأنشد:

يا سائلي عن جعفر عهدي به ... رطب العجان وكفه كالجلمد

كالأقحوان غداة غب سمائه ... جفت أعاليه وأسفله ندي

ولابن زيدون:

مخضت في أسته الأيور حليبا ... فكست عينه من الزبد نقطه

وقال أبو الحسن ابن الجد:

وأزرق والأمور لها اشتباه ... وتؤتي العين من قبل العجان

ومما شك أسفله العوالي ... جرى في عينه زرق السنان

أجريت للزنج فوق النهر نهر دم ... حتى استحال سماء جللت شفقا

فشاء قول أبو العلاء المعري:

وعلى الأفق من دماء الشهيدين ... علي ونجله شاهدان

فهما في أواخر الليل بجران ... وفي أوليائه شفقان

قال وأما قول ابن الحداد:

بلاد غدت يأجوج فيها فأفسدت ... فكنت كذي القرنين والجحفل السد

ومازال شرقي المرية عاطلا ... إلى أن علاها من رؤوسهم عقد." (١)

"حتى يستوي إلى أعلى الكرسي، فإذا استوى سليمان على كرسيه جالسا أخذ التنين العظيم تاج الملك فوضعه على راس سليمان، وكان الذي يستدير بالكرسي وما فيه **من العجائب** تنين عظيم حتى تمر الأسود والنسور والطواويس التي على الدرجة السفلى إلى أعلى الكرسي فيظلون من فوق رأس سليمان، وهو جالس على الكرسي، فينضحون ما في أجوافها من الطيب على رأس سليمان، وكانت حمامة على عمود جوهر تأخذ التوراة، حتى تجعلها في يد سليمان فيقرأها على الناس فإذا جلس سليمان على كرسيه للقضاء، وجلس قضاة بني إسرائيل على كراسيها عن يمينه وشماله جانبي الكرسي فدخلت الشهود للشهادات استدار منجنون الكرسي، فيزأر الأسد، وتخفق النسور بأجنحتها، وترجع الطواويس لترعب قلوب الشهود أن لا يشهدوا بالزور، ويقول الشهود عندما يرون **من العجائب** وما دخلهم من الرعب: لا نشهد إلا بالحق، فإنا إن نشهد بالزور يهلك العالم، فلم يكن مثل كرسي سليمان في الأولين ولا يكون مثله في الآخرين.

فلما قبض الله سليمان وجاء بخت نصر، فأخذ ذلك الكرسي فحمله معه إلى أنطاكية، فأراد أن يصعد فيه ليقعد عليه، ولم يكن له علم كيف يصعد فيه، فلما وضع قدمه على الدرجة الأولى ولم تصب موضعها رفع الأسد يده اليمنى فكسر ساق بخت نصر الأيسر فعرج فلم يزل بخت نصر يعرج منها حتى مات، ثم بعث الله ملكا من ملوك فارس يقال له: كارس بن سورس ويقال الفريا بن يساريا فحمل الكرسي من بابل حتى رده إلى بيت المقدس، فوضعوه تحت الصخرة فلم يقعد أحد على كرسي سليمان من بعده، ولم يقدر عليه منذ وضع تحت الصخرة.

فذلك ما يذكر من حديث الكرسي وما فيه **من العجائب**.

قال إسحاق بن بشر: وكان سليمان إذا ركب يسمع حفيف قبته من اثني عشر ميلا، فلا يبقى غلام ولا جارية ولا رجل ولا امرأة إلا وهم متشوفون ينظرون إلى مركب سليمان ويتعجبون. فبينا سليمان في مسيره بهذه الحال، وقد اشرفوا عليه من كل جانب، غذ مر." (٢)

"وقال:

أستودع الله قوما ماذكرتهم ... إلا وضعت يدي لهفا على كبدي

تبدلوا وتبدلنا وأخسرنا ... من ابتغى عوضا يسلي فلم يجد

طمعت ثم رأيت اليأس أجمل بي ... تنزها فخصمت الشوق بالجلد

---

(١) لطائف الذخيرة وطرائف الجزيرة الأسعد بن مماتي ص/٤٦

(٢) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ١٤٢/١٠

وقال: من الكامل

يانازحا شط المزار به ... شوقي إليك يجل عن وصفي

أغفي لكي ألقاك في حلمي ... **ومن العجائب** عاشق يغفي

قال الخطيب: توفي أبو الفرج الببغاء في ليلة السبت لثلاث بقين من شعبان سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة.

عبد الواحد بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق

أبو يوسف الطبري روى عن غيلان بن محمد بسنده عن سعد القرظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب الناس في الحرب وهو متوكيء على قوسه

عبد الواحد

لم ينسب عن محمد بن سوقة قال: سمعت عبد الواحد الدمشقي قال: رأيت أبا الدرداء يحدث الناس ويفتيهم، وولده إلى جنبه، وأهل بيته جلوس في جانب يتحدثون. فقيل: ما بال الناس يرغبون فيما عنك من العلم، وأهل بيتك جلوس." (١)

"وعن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنزلت المائدة من السماء خبز ولحم، وأمروا أن لا يخبؤوا ولا يدخروا ولا يرفعوا لغد، فخانوا وادخروا وخبؤوا، فمسخوا قردة وخنازير.

وعن سلمان

أنه قال في المائدة التي أنزلها الله على عيسى قال: لما سأل الحواريون عيسى - وذلك أنهم حين سألوه - قالوا: تريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا للذي رأينا **من العجائب**، ونكون عليها من الشاهدين. قال: فقام عيسى فألقى عنه الصوف ولبس جبة من شعر ولحافا من شعر، ثم وضع يمينه على شماله وصف قدميه، وألصق كعب قدميه مع الآخر، وسى بين إبهاميه، وطأطأ رأسه خاشعا لله عز وجل، فأرسل عينيه بالبكاء حتى سالت الدموع على لحيته وصدره وهو يدعو الله ويتضرع، ثم قال: " اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا " يعني تكون لنا عظة " وآية منك " يقول: علامة بيننا وبينك " وارزقنا " عليها طعاما نأكله وارزقنا " وأنت خير الرازقين " فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين، غمامة من فوقها وأخرى من تحتها، توهي منقضة في الهواء والناس ينظرون إليها! فأوحى الله تعالى: يا عيسى هذه المائدة، فمن كفر بعد ذلك " منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين ". فبلغ عيسى قومه فقالوا: نعم، فقال الله: يا عيسى إن كفروا أخذتهم بالشرط. ونزلت المائدة وعيسى يبكي ويقول: إلهي اجعل رحمة ولا تجعلها عذابا! كم أسألك **من العجائب** " فتعطني، إلهي، أعوذ بك أن يكون نزولها عذابا ورجزا، وأسألك أن تجعلها عافية وسلامة، ولا تجعلها مثلة ولا فتنة. فما

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٢٦٧/١٥

زال " يدعو ويتضرع حتى استقرت بين يدي عيسى، والناس حوله " يجدون ريح " طيبها، لم يجدوا ريحا قط أطيب منها، فخر عيسى ساجدا، وسجد الحواريون معه.." (١)

"إبراهيم بن عثمان بن عبد الله بن عبيد ا
بن أحمد بن الهيثم أبو إسحاق البهراني الحوراني حدث ببصرى سنة أربع عشرة وأربعمئة، وحدث بقصيدة في مناسك الحج.

إبراهيم بن عثمان بن محمد

أبو القاسم، ويقال: أبو مدين، ويقال: أبو إسحاق. الكلبي الغزي.

شاعر محسن، دخل دمشق وسمع بها سنة إحدى وثمانين وأربعمئة. ثم رحل إلى خراسان وامتدح بها جماعة من رؤسائها، وانتشر شعره هناك.

وكان مولده في سنة إحدى وأربعين وأربعمئة.

فمن شعره: من المتقارب

هوى يستلذ كحك الجرب ... وشوق يصيبك منه النصب

تذكرت مربعنا في دمشق ... ومصطافنا بحوالي حلب

وصحبة قوم إذا استنهضوا ... فضرب السيوف لديهم ضرب

وقوله: من الكامل

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة ... باب الدواعي والبواعث مغلق

خلت الديار فلا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب أنه لا يشترى ... ومع الكساد يخان منه ويسرق

وقال يرثي الشيخ الغمام أبا الحسن الطبري، المعروف بالكيا الفقيه، ارتجالا: من البسيط." (٢)

"قال: فما منزلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم؟ قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله عز وجل علينا، شريفنا ووضيعنا، أولنا وآخرنا. ثم أعاد عليه جرجة: يا خالد، هل لمن دخل فيكم اليوم مثل مالكم من الأجر والذخر؟ قال: نعم، وأفضل. قال: وكيف يساوى بكم وقد سبقتموه؟ فقال: إنا دخلنا في هذا الأمر، وبايعنا نبينا صلى الله عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا تأتينا أخبار السماء، ويخبرنا بالكتب، ويرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا **من العجائب**، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا منزلة. قال جرجة بالله لقد صدقتني ولم تخادعني ولم تألفني؟ فقال: بالله لقد صدقتك ومالي إليك، ولا إلى أحد منكم وحشة، وإن الله لولي ما سألت عنه. فقال: صدقتني، وقلب الترس ومال مع خالد وقال: علمني الإسلام، فمال به خالد إلى

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ١٠٧/٢٠

(٢) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٨٢/٤

فسطاطه فشن عليه قربة، ثم صلى به ركعتين.
وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد، وهم يرون أنها حملة، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا المحامية، عليهم عكرمة بن أبي جهل والحارث بن هشام، وركب خالد ومعه جرجة، والروم خلال المسلمين فتنادى الناس وثابوا، وتراجعت الروم إلى مواقفهم، فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسيوف، فضرب فيهم خالدا وجرجة من لدن ارتفاع النهار إلى جنوح الشمس للغروب، ثم أصيب جرجة ولم يصل صلاة سجد فيها إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما.

جرول بن أوس بن جؤية
ويقال: جرول بن مالك بن جؤية بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض ابن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر - أبو مليكة العبسي، المعروف بالحطيئة:
والحطيئة يهمز ولا يهمز، فمن همزه جعله تصغير الحطأة وهي الضربة باليد، ومن لم يهمزه جعله من الحطأة وهي القملة الصغيرة، شبه بها لقصره وقربه من الأرض. وكان جوالا في الآفاق يمتدح الأماثل ويستجديهم.." (١)
"- ١٠١ - قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون
- ١٠٢ - فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين
- ١٠٣ - ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين

يرشد تعالى عباده إلى التفكر في آلائه، وما خلق الله في السماوات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب، وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها، وأخرج فيها من أفانين الثمار والزروع والأزاهير وصنوف النبات، وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع، وما فيها من جبال وسهول وقفار وعمران وخراب، وما في البحر **من العجائب** والأمواج، وهو مع هذا مسخر مذلل للسالكين، بتسخير القدير لا إله إلا هو رب العالمين، وقوله: ﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ أي: وأي شيء تغني الآيات السماوية والأرضية، والرسل بآياتها وحججها وبراهينها الدالة على صدقها، عن قوم لا يؤمنون، كقوله: ﴿إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون﴾ الآية، وقوله: ﴿فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾، أي فهل ينتظر هؤلاء المكذبون لك يا محمد من النقمة والعذاب إلا مثل أيام الله في الذين خلوا من قبلهم من الأمم الماضية المكذبة لرسلهم، ﴿قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين * ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا﴾، أي ونهلك المكذبين بالرسل، ﴿كذلك حقا علينا ننج المؤمنين﴾ حقا أوجبه الله تعالى على نفسه الكريمة، كقوله: ﴿كتب ربكم على نفسه." (٢)

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٢٠/٦
(٢) مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني ٢٠٨/٢

"- ١٦ - ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين

- ١٧ - وحفظناها من كل شيطان رجيم

- ١٨ - إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين

- ١٩ - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون

- ٢٠ - وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين

يذكر تعالى خلقه السماء في ارتفاعها، وما زينها به من الكواكب الثوابت والسيارات، لمن تأمل وكرر النظر فيما يرى **من العجائب** والآيات الباهرات، ما يحار نظره فيه، ولهذا قال مجاهد وقتادة: البروج ههنا هي الكواكب وهذا كقوله تعالى: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجا﴾ الآية، ومنهم من قال: البروج هي منازل الشمس والقمر، ثم ذكر تعالى خلقه الأرض ومده إياها وتوسيعها وبسطها، وما جعل فيها من الجبال الرواسي والأودية والأراضي والرمال، وما أنبت فيها من الزروع والثمار المتناسبة، وقال ابن عباس: ﴿من كل شيء موزون﴾: أي معلوم (وكذلك قال عكرمة ومجاهد والحسن وقتادة)، ومنهم من يقول: مقدر بقدر، وقال ابن زيد: من كل شيء يوزن ويقدر بقدر، وقوله: ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ المعايش وهي جمع معيشة، وقوله: ﴿ومن لستم له برازقين﴾، قال مجاهد: هي الدواب والأنعام. وقال ابن جرير: هم العبيد والإماء والدواب والأنعام، والقصد أنه تعالى يمتن عليهم بما يسر لهم من أسباب المكاسب ووجوه الأسباب وصنوف المعايش، وبما سخر لهم من الدواب التي يركبونها، والأنعام التي يأكلونها، والعبيد والإماء التي يستخدمونها، ورزقهم على خالقهم لا عليهم، فلهم هم المنفعة، والرزق على الله تعالى.." (١)

"لما أمره الله، وأوحى الله إلى إلى موسى ﴿أن اضرب بعصاك البحر﴾ فضربه بها، ففيها سلطان الله الذي أعطاه فانفلق، قال الله تعالى: ﴿فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ أي كالجبل الكبير (قاله ابن عباس وابن مسعود والضحاك وقتادة وغيرهم)، قاله ابن عباس، وقال عطاء الخراساني: هو الفج بين الجبلين. وقال ابن عباس: صار البحر اثني عشر طريقا لكل سبط طريق؛ وزاد السدي: وصار فيه طاقات ينظر بعضهم إلى بعض، وقام الماء على حيله كالحيطان، وبعث الله الريح إلى قعر البحر فلفحته فصار يبسا كوجه الأرض، قال الله تعالى: ﴿فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا * لا تخاف دركا ولا تخشى﴾، وقال في هذه القصة ﴿وأزلفنا ثم الآخرين﴾ أي هنالك. قال ابن عباس ﴿وأزلفنا﴾ أي قربنا من البحر فرعون وجنوده وأدنيناهم إليه، ﴿وأنجينا موسى ومن معه أجمعين * ثم أغرقنا الآخرين﴾ أي أنجينا موسى وبني إسرائيل ومن اتبعهم على دينهم فلم يهلك منهم أحد، وأغرق فرعون وجنوده فلم يبق منهم رجل إلا هلك. عن عبد الله بن مسعود قال: فلما خرج آخر أصحاب موسى وتكامل أصحاب فرعون انطم عليهم البحر، فما رئي سواد أكثر من يومئذ، وغرق فرعون لعنه

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني ٢/٣٠٩

الله، ثم قال تعالى: ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي في هذه القصة وما فيها **من العجائب** والنصر والتأييد لعباد الله المؤمنين لدلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ تقدم تفسيره.." (١)

"[٥٧] ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ [الإسراء: ٥٧] يعني الذين يدعونهم المشركون أنهم آلهة يعبدونهم. قال ابن عباس ومجاهد: وهم عيسى وأمه وعزير والملائكة، والشمس والقمر والنجوم، ﴿يبتغون﴾ [الإسراء: ٥٧] أي يطلبون ﴿إلى ربهم الوسيلة﴾ [الإسراء: ٥٧] أي القربة. وقيل: الوسيلة الدرجة أي يتضرعون إلى الله في طلب الدرجة العليا. وقيل: الوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله تعالى. وقوله ﴿أيهم أقرب﴾ [النساء: ١١] معناه ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به. وقال الزجاج: أيهم أقرب يبتغي الوسيلة إلى الله تعالى ويتقرب إليه بالعمل الصالح، ﴿ويرجون رحمته﴾ [الإسراء: ٥٧] جنته، ﴿ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا﴾ [الإسراء: ٥٧] أي يطلب منه الحذر. وقال عبد الله بن مسعود: نزلت الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم الجنيون ولم يعلم الإنس الذين كانوا يعبدونهم بإسلامهم، فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله وأنزل هذه الآية، وقرأ ابن مسعود (الذين تدعون) بالتاء.

[٥٨] ﴿وإن من قرية﴾ [الإسراء: ٥٨] وما من قرية ﴿إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة﴾ [الإسراء: ٥٨] أي: مخربوها ومهلكوا أهلها، ﴿أو معذبوها عذابا شديدا﴾ [الإسراء: ٥٨] بأنواع العذاب إذا كفروا وعصوا. وقال مقاتل وغيره: مهلكوها في حق المؤمنين بالإماتة ومعذبوها في حق الكفار بأنواع العذاب. قال عبد الله بن مسعود: إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله في إهلاكها. ﴿كان ذلك في الكتاب﴾ [الإسراء: ٥٨] في اللوح المحفوظ، ﴿مسطورا﴾ [الإسراء: ٥٨] مكتوبا. قال عبادة بن الصامت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: القدر، وما كان وما هو كائن إلى الأبد» (رحمه الله ١) .

[قوله تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن] كذب بها الأولون. . . .

[٥٩] قوله: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ [الإسراء: ٥٩] قال ابن عباس: «سأل أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا وأن ينحي الجبال عنهم فيزرعوا فأوحى الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم: إن شئت أن أستأني بهم فعلت، وإن شئت أن أوتيهم ما سألوا فعلت، فإن لم يؤمنوا أهلكهم كما أهلكت من كان قبلهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا بل تستأني بهم» (رحمه الله ٢) فأنزل الله عز وجل: (وما منعنا أن نرسل بالآيات) التي سألها كفار قريش (إلا أن كذب بها الأولون) فأهلكناهم، فإن لم يؤمن قومك بعد إرسال الآيات أهلكناهم، لأن من شأننا في الأمم إذا سألوا الآيات ثم لم يؤمنوا بعد إتيانها أن نهلكهم ولا نمهلهم، وقد حكمنا بإمهال هذه الأمة في العذاب، فقال جل ذكره: ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾ [القمر: ٤٦] ثم قال: ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ [الإسراء: ٥٩] مضيئة بينة، ﴿فظلموا بها﴾ [الإسراء: ٥٩] أي: جحدوا بها أنها من عند الله كما قال: ﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ [الأعراف: ٩] أي: يجحدون وقيل: ظلموا أنفسهم بتكذيبها يريد فعاجلناهم بالعقوبة، ﴿وما نرسل بالآيات﴾

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني ٢/٦٤٩

[الإسراء: ٥٩] أي: العبر والدلالات، ﴿إلا تخويفا﴾ [الإسراء: ٥٩] للعباد ليؤمنوا. قال قتادة: إن الله تعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون.

[٦٠] قوله عز وجل: ﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾ [الإسراء: ٦٠] أي: هم في قبضته لا يقدرون على الخروج عن مشيئته فهو حافظك ومانعك منهم فلا تهبهم وامض إلى ما أمر الله به من تبليغ الرسالة، كما قال: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة: ٦٧] ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ [الإسراء: ٦٠] فالأكثرون على أن المراد منه ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج **من العجائب** والآيات. قال ابن عباس: هي رؤيا عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قول سعيد بن جبير والحسن

رحمه الله ____________

(رحمه الله١) أخرجه أبو داود في السنة ٧ / ٦٩ والترمذي في القدر ٦ / ٣٦٨ والإمام أحمد في المسند ٥ / ٣١٧ والطيالسي في مسنده ص ٧٩ وصححه الألباني في تعليقه على المشكاة ١ / ٣٤.

(رحمه الله٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١ / ٢٥٨ والحاكم في المستدرك ٢ / ٣٦٢ قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.." (١)

"قيما على الكتب كلها أي: مصدقا لها ناسخا لشرائعها. وقال قتادة: ليس على التقديم والتأخير بل معناه: أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، ولكن جعله قيما. قوله عز وجل: ﴿ولم يجعل له عوجا﴾ [الكهف: ١] أي: مختلفا، على ما قال الله تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ [النساء: ٨٢] وقيل: معناه لم يجعله مخلوقا. وروي عن ابن عباس في قوله ﴿قرآنا عربيا غير ذي عوج﴾ [الزمر: ٢٨] أي: غير مخلوق. ﴿لينذر بأسا شديدا﴾ [الكهف: ٢] أي لينذر ببأس شديد، ﴿من لدنه﴾ [الكهف: ٢] أي من عنده، ﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا﴾ [الكهف: ٢] أي الجنة.

[٣] ﴿ماكثين فيه أبدا﴾ [الكهف: ٣] أي: مقيمين فيه.

[٤] ﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا﴾ [الكهف: ٤]

[قوله تعالى ما لهم به من علم ولا لآبائهم. . .] . .

[٥] ﴿ما لهم به من علم ولا لآبائهم﴾ [الكهف: ٥] أي قالوه عن جهل لا عن علم، ﴿كبرت﴾ [الكهف: ٥] أي عظمت، ﴿كلمة﴾ [الكهف: ٥] نصب على التمييز، يقال: تقديره كبرت الكلمة كلمة. وقيل: من كلمة، فحذف (من) فانتصب، ﴿تخرج من أفواههم﴾ [الكهف: ٥] أي: تظهر من أفواههم، ﴿إن يقولون﴾ [الكهف: ٥] ما يقولون، ﴿إلا كذبا﴾ [الكهف: ٥]

[٦] ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم﴾ [الكهف: ٦] من بعدهم، ﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾ [الكهف: ٦] أي:

____

(١) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل عبد الله الزيد ٥٢٩/٤

القرآن، ﴿أسفا﴾ [الكهف: ٦] أي حزنا وقيل: غضبا.

[٧] ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾ [الكهف: ٧] فإن قيل: أي زينة في الحيات والعقارب والشياطين؟ قيل: فيها زينة على معنى أنها تدل على وحدانية الله تعالى. وقال مجاهد: أراد به الرجال خاصة هم زينة الأرض. وقيل: أراد بهم العلماء والصلحاء. وقيل: الزينة بالنبات والأشجار والأنهار، كما قال. ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت﴾ [يونس: ٢٤] ﴿لنبلوهم﴾ [الكهف: ٧] لنختبرهم، ﴿أيهم أحسن عملا﴾ [الكهف: ٧] أي أصلح عملا. وقيل. أيهم أترك للدنيا.

[٨] ﴿وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا﴾ [الكهف: ٨] فالصعيد وجه الأرض، وقيل هو التراب، جرزا يا بسا أملس لا ينبت شيئا. يقال: جزرت الأرض إذا أكل نباتها.

[٩] قوله تعالى: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾ [الكهف: ٩] يعني أظننت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا أي هم عجب من آياتنا. وقيل: معناه إنهم ليسوا بأعجب من آياتنا فإن ما خلقت من السموات والأرض وما فيهن **من العجائب** أعجب منهم، والكهف: هو الغار في الجبل، واختلفوا في الرقيم، قال سعيد بن جبير: هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصصهم وهذا أظهر الأقاويل، ثم وضعوه على باب الكهف وكان اللوح من رصاص، وقيل، من حجار، فعلى هذا يكون." (١)

"القيامة وبالنفس اللوامة. وقال أبو بكر بن عياش: هو تأكيد كقولك لا والله. وقال الفراء: (لا) رد لكلام المشركين المنكرين، ثم ابتدأ فقال: أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ [القيامة: ٢] قال سعيد بن جبير وعكرمة: تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء. قال قتادة: اللوامة: الفاجرة. قال مجاهد: تندم على ما فات وتقول: لو فعلت ولم أفعل. قال الفراء: ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها، إن صانت عملت خيرا قالت: هلا ازددت، وإن عملت شرا قالت: ليتني لم أفعل. قال الحسن: هي النفس المؤمنة قال: إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلامي ما أردت بكلامي. وإن الفاجر يمضي قدما، يحاسب نفسه ولا يعاتبها. قال مقاتل: هي النفس الكافرة تلوم نفسها في الآخرة على ما فرطت في أمر الله في الدنيا.

[٣] ﴿أيحسب الإنسان﴾ [القيامة: ٣] يعني الكافر ﴿ألن نجمع عظامه﴾ [القيامة: ٣] بعد التفرق والبلى فنحييه، قيل: ذكر العظام، وأراد نفسه لأن العظام قالب النفس لا يستوي الخلق إلا باستوائها. وقيل: هو خارج على قول المنكر أو يجمع الله العظام كقوله: ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ [يس: ٧٨]

[٤] ﴿بلى قادرين﴾ [القيامة: ٤] أي نقدر يريد بل قادرين على أكثر من ذا، مجاز الآية: بلى نقدر على جمع عظامه وعلى ما هو أعظم من ذلك، وهو: ﴿على أن نسوي بنانه﴾ [القيامة: ٤] أنامله فنجعل أصابع يديه ورجليه شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار، فلا يرتفق بها بالقبض والبسط والأعمال اللطيفة، كالكتابة والخياطة وغيرها، هذا قول أكثر المفسرين. وقال الزجاج وابن قتيبة: معناه ظن الكافر أنا لا نقدر على جمع عظامه بلى نقدر على أن نعيد السلاميات على صغرها فنؤلف بينها حتى نسوي البنان، فمن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها أقدر.

---

(١) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل عبد الله الزيد ٥٤١/٤

[٥] ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ [القيامة: ٥] يقول: لا جهل ابن آدم أن ربه قادر على جمع عظامه لكنه يريد أن يفجر أمامه أي يمضي قدما في معاصي الله ما عاش راكبا رأسه لا ينزع عنها ولا يتوب، هذا قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدي. وقال سعيد بن جبير: ليفجر أمامه يقدم على الذنب ويؤخر التوبة فيقول: سوف أتوب سوف أعمل حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله. وقال الضحاك: هو الأمل يقول: أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت. وقال ابن عباس وابن زيد: يكذب بما أمامه من البعث والحساب. وأصل الفجور الميل وسمي الفاسق والكافر فاجرا لميله عن الحق.

[٦] ﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾ [القيامة: ٦] أي متى يكون ذلك، تكذيبا به.

[٧] قال الله – تعالى –: ﴿فإذا برق البصر﴾ [القيامة: ٧] قال قتادة ومقاتل: شخص البصر فلا يطرف مما يرى **من العجائب** التي كان يكذب بها في الدنيا. قيل: ذلك عند الموت. وقال الكلبي: عند رؤية جهنم تبرق أبصار الكفار. وقال الفراء والخليل: برق بالكسر أي فزع وتحير لما يرى **من العجائب**، وبرق بالفتح أي شق عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ.

[٨] ﴿وخسف القمر﴾ [القيامة: ٨] أظلم وذهب نوره وضوءه.

[٩] ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ [القيامة: ٩] صارا أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران. وقيل: يجمع بينهما في ذهاب الضياء. وقال كعطاء بن يسار: يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى. وقيل: يجمعان ثم يقذفان في النار. وقيل: يجمعان فيطلعان من المغرب.

[١٠] ﴿يقول الإنسان﴾ [القيامة: ١٠] أي الكافر المكذب ﴿يومئذ أين المفر﴾ [القيامة: ١٠] أي المهرب وهو موضع الفرار. وقيل: هو مصدر أي أين الفرار.

[١١] قال الله – تعالى –: ﴿كلا لا وزر﴾ [القيامة: ١١] لا حصن." (١)

"ضرب المثل الحق أي الثابت من ربهم فلا يسوغ إنكاره لأنه ليس عبثا بل هو مشتمل على الأسرار والفوائد وأما الذين كفروا من اليهود فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا تمييز نسبة من اسم الإشارة. أي أي فائدة في هذا المثل قال الله تعالى في جوابهم: يضل به أي بهذا المثل عن الدين كثيرا من اليهود ويهدي به كثيرا من المؤمنين وما يضل به إلا الفاسقين (٢٦) أي الخارجين عن حد الإيمان. الذين ينقضون عهد الله هو الحجة القائمة على عباده الدالة على وجوب وجوده ووحدانيته وعلى وجوب صدق

رسله من بعد ميثاقه أي توكيده ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل فالله أمرهم أن يصلوا حبلهم بحبل المؤمنين فهم انقطعوا عن المؤمنين واتصلوا بالكفار ويفسدون في الأرض بتعويق الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن. أولئك الموصوفون بنقض العهد وما بعده هم الخاسرون (٢٧) أي المغبونون بذهاب حسناتهم التي عملوها، وبذهاب نعيم الجنة الذي لو أطاعوا الله لوجوده. كيف تكفرون بالله والحال أنكم وكنتم أمواتا أجساما لا حياة لها، نطفا وعلقا، ومضغا فأحياكم

---

(١) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل عبد الله الزيد ٩٨٩/٦

بنفخ الأرواح فيكم ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم ثم يحييكم بالنشور ثم إليه ترجعون (٢٨) بعد الحشر فيجازيكم على أعمالكم إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. والمعنى ثم إليه تنشرون من قبوركم للحساب هو الذي خلق لكم أي لأجل انتفاعكم في الدين والدنيا بالاستدلال على موجدكم، وإصلاح الأبدان ما في الأرض جميعا ثم استوى أي قصد إلى خلق السماء أي تعلقت إرادته تعلقا حادثا بترجيح وجود السماء على عدمها، فتعلقت القدرة بإيجادها، فسواهن أي فجعل السماء سبع سماوات والحاصل أن الله تعالى خلق الأرض من غير بسط في يومين، ثم خلق السموات السبع مبسوطة في يومين، ثم خلق ما في الأرض مما ينتفع به في يومين. وعن ابن مسعود قال: إن الله تعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا قبل الماء، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسماه سماء، ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين في الأحد والإثنين، فجعل الأرض على حوت، والحوت في الماء على صفاة، والصفاة على ظهر ملك، والملك على الصخرة، والصخرة على الريح فتحرك الحوت، فتزلزلت الأرض، فأرسى عليها الجبال، فقرت. فالجبال تفتخر على الأرض. وهو بكل شيء عليم (٢٩) فلا يمكن أن يكون خالقا للأرض وما فيها، وللسموات وما فيها من العجائب والغرائب إلا إذا كان عالما بها محيطا بجزئياتها وكلياتها. وإذ قال ربك للملائكة فإذا نصب بإضمار اذكر.

وقيل: زائدة. وقيل: بمعنى قد. ويجوز أن ينتصب بقالوا: أتجعل أي قالوا ذلك القول وقت قول الله تعالى: إني جاعل في الأرض خليفة [البقرة: ٣] .

روى الضحاك عن ابن عباس: إنه تعالى إنما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا في." (١)

"وضعت» على خطاب الله لها، أي إنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب والله هو العالم بما فيه من العجائب والآيات، ثم قال تعالى حكاية عن قولها: وليس الذكر كالأنثى أي وليس الذكر الذي يكون مطلوبي كالأنثى التي هي موهوبة لله. وهذا الكلام يدل على أن حنة كانت مستغرقة في معرفة جلال الله، عالمة بأن ما يفعله الرب بالعبد خير مما يريده العبد لنفسه. ويحتمل أن هذه الجملة محض كلامه تعالى. والمعنى ليس الذي طلبته كالأنثى التي ولدتها بل هي خير منه وإن لم تصلح للسدانة فإن فيها مزايا أخر لا توجد في الذكر. وإني سميتها أي هذه البنت مريم أرادت حنة بهذه التسمية أن تطلب من الله تعالى أن يعصمها من آفات الدين والدنيا فإن مريم في لغتهم العابدة في لغة العرب. وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (٣٦) أي وأني ألجئ مريم وذريتها إلى رحمتك وعصمتك، وألصق نفسها وأولادها بفضلك ورحمتك من الشيطان اللعين فتقبلها ربها بقبول حسن بأن اختص الله تعالى مريم بإقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل أنثى قبلها أو بأن أخذها الله من أمها عقب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة.

روي أن حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد، ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون وقالت: خذوا هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم الأعظم في العلم والصلاح، فقال زكريا: أنا أحق بها لأن خالتها عندي. فقالت الأحبار: لا تقل ذلك فإنها لو تركت لأحق الناس بها لتركت لأمها التي ولدتها ولكنا نقترع عليها، فانطلقوا وكانوا

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد نووي الجاوي ١٤/١

تسعة وعشرين إلى نهر حار في حلب يقال له: قرمق فألقوا فيها أقلامهم التي كانوا يكتبون التوراة بها على أن كل من ارتفع قلمه فهو الراجح، وعلى كل قلم اسم صاحبه، ثم ألقوا أقلامهم ثلاث مرات ففي كل مرة يرتفع قلم زكريا فوق الماء وترسب أقلامهم، فأخذها زكريا وأنبتها نباتا حسنا أي رباها الله بما يصلحها في جميع أحوالها وغذاها بالسنين والشهور والأيام غذاء حسنا وكفلها زكريا أي جعله الله مربيا لها وضامنا لمصالحها، وقائما بتدبير أمورها ولما أخذها بنى لها غرفة في المسجد، وجعل بابها في وسطه لا يرقى إليه إلا بالسلم ولا يصعد إليها غيره، وكان إذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها. كلما دخل عليها زكريا وهو من ذرية سليمان بن داود المحراب أي الغرفة وجد عندها رزقا أي فاكهة الشتاء في الصيف مثل القصب، وفاكهة الصيف في الشتاء مثل العنب ولم ترضع ثديا قط بل يأتيها رزقها من الجنة.

قال يا مريم أنى لك هذا أي من أين لك هذا الرزق الآتي في غير حينه الذي لا يشبه أرزاق الدنيا والأبواب مغلقة عليك قالت هو من عند الله أتاني به جبريل من الجنة فتكلمت وهي صغيرة في المهد، كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير في المهد. إن الله يرزق من يشاء بغير حساب (٣٧) أي بغير تقدير لكثرة الرزق من غير مسألة في حينه وفي غير حينه هنالك أي في ذلك المكان الذي كان قاعدا فيه عند مريم وشاهد تلك الكرامات، أو في ذلك الوقت الذي رأى." (١)

"موافقة التوراة فلم يسلموا حزن النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه وما تسئلهم عليه أي على تبليغ الأنباء التي أوحينا إليك من أجر كما يفعله حملة الإخبار إن هو أي القرآن الذي أوحينا إليك إلا ذكر للعالمين (١٠٤) عامة أي عظة من الله تعالى لهم في دلائل التوحيد والنبوة، والمعاد والتكاليف والقصص فإن الوعظ العام ينافي أخذ الأجر من البعض، وهذا القرآن مشتمل على هذه المنافع العظيمة ولا تطلب منهم مالا فلو كانوا عقلاء لقبلوا منك وكأين من آية أي وكم من عدد شئت من العلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وعلمه وحكمته غير هذه الآية التي جئت بها كائنة في السماوات والأرض من الأجرام الفلكية وتغير أحوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما في الأرض **من العجائب** يمرون عليها أي يشاهدونها ولا يتأملون فيها.

وقرئ برفع «والأرض» على الابتداء و «يمرون عليها» خبره. وقرأ السدي بنصبها على معنى ويطؤن الأرض. وهم عنها أي الآية معرضون (١٠٥) أي غير متفكرين فيها فلا عجب إذا لم يتأملوا في الدلائل الدالة على نبوتك يا أشرف الخلق وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون (١٠٦) أي لا يؤمن أكثرهم بوجود الله إلا في حال شركهم فالكافرون مقرون بوجود الله لكنهم يثبتون له شريكا في المعبودية. وعن ابن عباس أن أهل مكة قالوا: الله ربنا وحده لا شريك له والملائكة بناته.

وقال عبدة الأصنام: ربنا الله وحده والأصنام شفعاؤنا عنده، وقالت اليهود: ربنا الله وحده وعزيز ابن الله، وقالت النصارى: ربنا الله وحده لا شريك له والمسيح ابن الله، وقال عبدة الشمس والقمر: ربنا الله وحده وهؤلاء أربابنا وكل من هؤلاء لم يوحدوا بل أشركوا. وقال المهاجرون والأنصار: ربنا الله وحده ولا شريك معه أفأمنوا أي أهل مكة أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أي أفلم يخافوا أن تأتيهم في الدنيا عقوبة تشملهم أو تأتيهم الساعة بغتة أي فجأة من غير سبق علامة وهم لا

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد نووي الجاوي ١٢٣/١

يشعرون (١٠٧) بإتيانها غير مستعدين لها. قل يا أشرف الخلق لأهل مكة:

هذه أي الدعوة إلى التوحيد والإيمان بالإخلاص سبيلي أي ديني أدعوا إلى الله بهذا الدين على بصيرة أي حجة واضحة أنا ومن اتبعني «فأدعوا» إما مستأنف أو حال من الياء «وعلى بصيرة» إما حال من فاعل «أدعوا» أو من الياء، و «أنا» إما توكيد للمستكن في «أدعوا» أو في «على بصيرة» ، «ومن اتبعني» عطف على فاعل «أدعو» .

قال صلى الله عليه وسلم: «العلماء أمناء الرسل على عباد الله من حيث يحفظون لما يدعونهم إليه» «١» . وسبحان الله أي وأسبح سبحان الله وما أنا من المشركين (١٠٨) الذين اتخذوا مع الله ضدا وولدا وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى وهذا رد على أهل مكة حيث أنكروا نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا: هلا بعث الله

---

(١) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١: ٣٨٨) ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١: ١٨٥) ، والمتقي الهندي في كنز العمال (٢٨٩٥٢) . [.....]."[1]

"الباب يعرجون (١٤) أي يصعدون ويرون ما فيها **من العجائب** عيانا لقالوا لفرط عنادهم:

إنما سكرت أبصارنا أي غشيت بالسحر. وقرأ ابن كثير بتخفيف الكاف. والباقون بتشديدها فهو يوجب تكثيرا أو حيرت من السكر كما يعضده قراءة من قرأ سكرت أي حارت بل نحن قوم مسحورون (١٥) أي قد سحر محمد عقولنا كما قالوه عند ظهور سائر المعجزات من انشقاق القمر ومن القرآن الذي لا يستطيع الجن والإنس أن يأتوا بمثله ولقد جعلنا في السماء بروجا أي محال تسير فيها الكواكب السيارة وهي المريخ بكسر الميم وهو كوكب في السماء الخامسة وله الحمل والعقرب والزهرة بضم ففتح وهي في السماء الثالثة، ولها الثور والميزان وعطارد بفتح العين وهي في الثانية، ولها الجوزاء والسنبلة والقمر، وهو في الأولى، وله السرطان والشمس وهي في الرابعة، ولها الأسد والمشتري وهو في السادسة، وله القوس والحوت وزحل وهو في السابعة، وله الجدي والدلو وجملة البروج اثنا عشر، ووجه دلالة البروج على وجود الصانع المختار هو أن طبائع هذه البروج مختلفة، فالفلك مركب من هذه الأجزاء المختلفة، وكل مركب لا بد له من مركب يركب تلك الأجزاء بحسب الاختيار والحكمة فثبت أن كون السماء مركبة من البروج يدل على وجود الفاعل المختار وهو المطلوب وزيناها أي السماء بالشمس والقمر والنجوم للناظرين (١٦) بأبصارهم وبصائرهم فيستدلون بها على قدره صانعها ووحدته وحفظناها من كل شيطان رجيم (١٧) أي مرمي بالشهاب فلا يقدر أن يصعد إليها ويوسوس في أهلها ويقف على أحوالها إلا من استرق السمع أي إلا من اختلس المسموع سرا من غير دخول فأتبعه شهاب أي لحقه شعلة نار ساطعة تنفصل من الكوكب مبين (١٨) أي ظاهر أمره للمبصرين والأرض مددناها أي بسطناها على وجه الماء وألقينا فيها أي على الأرض رواسي أي جبالا ثوابت لكيلا تميل بأهلها ولتكون دلالة للناس على طرق الأرض لأنها كالأعلام فلا تميل الناس عن الجادة المستقيمة ولا يقعون في الضلال وأنبتنا فيها أي الأرض من كل شيء موزون (١٩) أي مستحسن مناسب أو موزون بوزن فالمعادن

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد نووي الجاوي ١/٥٥٠

كلها موزونة وذلك مثل الذهب والفضة والحديد والرصاص وغير ذلك والنباتات ترجع عاقبتها إلى الوزن، لأن الحبوب توزن وكذلك الفواكه في الأكثر وجعلنا لكم فيها أي الأرض معايش أي ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرهما مما يتعلق به البقاء مدة حياتكم في الدنيا ومن لستم له برازقين (٢٠) أي وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال والخدم والعبيد والدواب والطيور وما أشبهها، فالناس يظنون في أكثر الأمر أنهم الذين يرزقونهم وذلك خطأ فإن الله هو الرزاق يرزق الكل

وإن من شيء إلا عندنا خزائنه أي إن جميع الممكنات مقدورة له تعالى يخرجها من العدم إلى الوجود كيف شاء شبهت مقدوراته تعالى الفائتة للحصر في كونها مستورة عن علوم العالمين وكونها مهيأة لإيجاده بحيث متى تعلقت الإرادة بوجودها وجدت من غير تأخر بنفائس الأموال المخزونة في." (١)

"ممن يصدقونهم وأهلكنا المسرفين (٩) . أي المجاوزين للحدود في الكفر، بعذاب الاستئصال في الدنيا. لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش، كتابا أي قرآنا فيه ذكركم أي فيه ما يوجب الثناء عليكم، لكونه بلسانكم وفيه موعظتكم، أفلا تعقلون (١٠) ؟ أي ألا تتفكرون فلا تعقلون؟ إن ذلك الكتاب شرفكم، وسبب اشتهاركم لكونه نازلا بينكم على لسان رسول منكم.

وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة أي وكثيرا كسرنا من أهل قرية كانوا كافرين بآيات الله، بأن قتلوا بالسيوف، وأنشأنا بعدها أي بعد إهلاك أهلها قوما آخرين (١١) أي ليسوا منهم نسبا، ولا دينا فسكنوا ديارهم. فلما أحسوا بأسنا أي أدركوا عذابنا الشديد إذا هم منها أي القرية يركضون (١٢) أي يهربون مسرعين، فقيل لهم- بلسان الحال أو بلسان المقال-: لا تركضوا أي لا تهربوا، وارجعوا إلى ما أترفتم أي أنعمتم فيه من العيش والحال الناعمة، ومساكنكم التي كنتم تفتخرون بها، لعلكم تسئلون (١٣) . أي لكي يسألكم الوافدون عطاياكم، إما لأنهم كانوا أسخياء ينفقون أموالهم رئاء الناس، أو كانوا بخلاء، فقيل لهم ذلك، تهكما إلى تهكم. قالوا لما أيقنوا بنزول العذاب: يا ويلنا أي هلاكنا، إنا كنا ظالمين (١٤) . أي بقتل نبينا. فما زالت تلك دعواهم، أي قولهم، أي فلم يزالوا يكررون هذه الكلمة فلم ينفعهم ذلك، حتى جعلناهم حصيدا أي مثل الزرع المحصود بالمناجل في استئصالهم، خامدين (١٥) . أي ميتين لا يتحركون أي أنهم أهلكوا بالعذاب، حتى لم يبق لهم حس، ولا حركة، وجفوا كما يجف الحصيد، وخمدوا كما تخمد النار.

وهذه قصة أهل قرية في جهة اليمن- يقال لها: حضور بفتح الحاء وبالضاد المعجمة- بعث الله لهم نبيا وهو موسى بن ميشا، بن يوسف، بن يعقوب، وكان قبل موسى بن عمران، فقتلوا ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فسلط الله عليهم بختنصر. كما سلطه الله على أهل بيت المقدس، فلما علموا أنهم مدركون، خرجوا هاربين، فقالت لهم الملائكة استهزاء لا تركضوا إلخ.

فرجعوا، فقتلهم جميعا ولم يترك فيهم عينا تطرف. فلما رأوا القتل فيهم أقروا بذنوبهم وندموا وقالوا: يا ويلنا أي يا ويل، احضر فهذا وقتك، ولم ينفعهم هذا الندم كقوله تعالى: فلم يك ينفعهم إيمانهم. وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين (١٦) . أي وما سوينا هذا السقف المرفوع، وهذا المهاد الموضوع، وما بينهما **من العجائب**، التي لا تحصر أنواعها خالية عن

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد نووي الجاوي ١/٥٧٨

الحكم، كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفروشهم للعب، وإنما سويناها لفوائد دينية، ودنيوية، ليتفكر المتفكرون فيها، ويستدلوا بها إلى معرفتنا، وللمنافع التي لا تحصى. لو أردنا أن نتخذ لهوا أي يلعب به لاتخذناه من لدنا أي من جهة قدرتنا مما يليق بشأننا من المجردات، لا من الأجسام المرفوعة، والأجرام الموضوعة. لكن يستحيل إرادتنا له لمنافاته الحكمة، فيستحيل اتخاذنا له قطعا، إن كنا فاعلين (١٧) اتخاذ اللهو أردناه لكنا لم نرده فلم نتخذه، ويجوز أن." (١)

"محمد عن الأنوار وما طلب شيئا غيرها، بل اشتغل بمطالعتها مع أن في ذلك العالم **من العجائب** ما يحير الناظر، لقد رأى من آيات ربه الكبرى (١٨) أي والله لقد رأى من عجائب الملك والملكوت ما لا تحيط به العبارة أفرأيتم اللات والعزى (١٩) ومناة الثالثة الأخرى (٢٠) أي ومناة المتأخرة الذليلة، أي الوضيعة المقدار. وذلك لأن اللات كان وثنا على صورة آدمي وهو لثقيف بالطائف أو لقريش بنخلة والعزى صورتها صورة شجرة سمرة لغطفان، ومناة صورتها صورة صخرة كانت لخزاعة ولهذيل بقديد. فالآدمي أشرف من النبات، وهو أشرف من الجماد وهو متأخر، فالمناة في أخريات المراتب. والمعنى: لما ذكر الله تعالى عظمة آياته في ملكوته وهي أن رسول الله إلى الرسل الذي يسد الآفاق ببعض أجنحته، ويهلك المدائن بقوته لا يمكنه أن يتعدى السدرة في مقام جلال الله وعزته. قال: أفرأيتم هذه الأصنام مع حقارتها شركاء الله مع ما تقدم ويقال: أفتظنون أن عبادتكم اللات والعزى الأخرى، ومناة الثالثة في الدنيا تنفعكم في الآخرة.
ألكم الذكر وله الأنثى (٢١) تلك إذا قسمة ضيزى (٢٢) أي كيف جعلتم لله تعالى بنات وقد اعترفتم في أنفسكم أن البنات ناقصات والبنين كاملون، والله كامل العظمة، فكيف جعلتموه ناقصا ونسبتم إلى أنفسكم الكامل، فنسبتكم البنات إلى الله تعالى قسمة جائزة على طريقتكم حيث نسبتم إلى أنفسكم الأعظم من الثقلين، وأبغضتم البنات ونسبتموهن إلى الأعظم وهو الله تعالى، وكان على عادتكم أن تجعلوا الأعظم للعظيم وإلا نقص للحقير، فإذا أنتم خالفتم الفكر والعقل والعادة التي هي لكم، إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم أي ما هذه الأصنام المذكورات إلا أسماء خالية عن المسميات وضعتموها أنتم وآباؤكم فإنكم قلتم: إنها آلهة وليست بآلهة ما أنزل الله بها من سلطان أي ما أنزل الله بهذه الأسماء من حجة فوضع الاسم لا يجوز إلا بدليل نقلي أو عقلي، إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس أي ما يتبع الكافرون في تسمية الأصنام آلهة إلا توهم أن ما هم عليه حق، وإلا ما دونه مما تشتهيه أنفسهم الأمارة بالسوء ولقد جاءهم من ربهم الهدى (٢٣) أي البيان بالكتاب المنزل والمرسل أن الأصنام ليست بآلهة، وأن العبادة لا تصلح إلا لله الواحد القهار أم للإنسان ما تمنى (٢٤) أي الإنسان ما اشتهاه من شفاعة الأصنام وغيرها أو هل له أن يعبد بالاشتهاء فيعبد ما لا يستحق العبادة! فلله الآخرة والأولى (٢٥) أي إن اختار الإنسان معبودا على ما اشتهاه فيعاقبه على فعله في الدنيا وإلا فيعاقبه في الآخرة وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى (٢٦) أي وكثير من الملائكة مع علو منزلتهم لا تنفع شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله في الشفاعة فيمن يشاء ويرضى، وهو العابد الشاكر، لا المعاند الكافر، فإذا كان حال الملائكة في باب الشفاعة كما ذكر فكيف تقبل شفاعة الجمادات، إن الذين لا يؤمنون

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد نووي الجاوي ٢/٤٦

بالآخرة أي بأحوال يوم القيامة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى (٢٧) ومناسبة هذه الآية لما قبلها هي أنهم لما بين لهم أن أعظم أجناس الخلق لا شفاعة لهم إلا بالإذن قالوا: نحن لا نعبد." (١)

"سورة البروج

مكية، ثنتان وعشرون آية، مائة وتسع كلمات، أربعمائة وثمانية وخمسون حرفا

والسماء ذات البروج (١) أي ذات المحال الاثني عشر، والطرق التي تسير فيها الكواكب السبعة واليوم الموعود (٢) ، وهو يوم القيامة فإن الله تعالى وعد أهل السماء وأهل الأرض أن يجتمعوا فيه، وشاهد ومشهود (٣) فالشاهد من يحضر في ذلك اليوم من الخلائق، والمشهود ما في ذلك اليوم **من العجائب**. قتل أصحاب الأخدود (٤) وهذا دليل جواب قسم محذوف، والتقدير: أقسم بهذه الأشياء إن كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود، وقيل: إن الجواب قوله تعالى: إن بطش ربك لشديد [البروج: ١٢] . والأخدود شق مستطيل في الأرض كالنهر، وذكر أن طوله أربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا. وأصحاب الأخدود هم أناس كانوا بمدارع اليمن كما قاله قتادة عن علي، أو هم الحبشة كما قاله الحسن عن علي أيضا. النار ذات الوقود (٥) من النفط، والزفت، والحطب.

وقرئ بضم الواو بمعنى الاتقاد وقوله: «النار» بدل اشتمال من الأخدود، ثم إن أصحاب الأخدود إما الجبابرة الذين قتلوا المؤمنين، فحينئذ إن قوله تعالى: قتل أصحاب الأخدود إما خبر فالمعنى: أن أولئك القاتلين قتلوا بالنار على القول بأن الجبابرة لما أرادوا قتل المؤمنين بالنار عادت النار عليهم فقتلتهم فهم في تلك الحالة كانوا ملعونين، فالمعنى: أنهم خسروا الدنيا والآخرة، أو دعاء عليهم أي لعن أصحاب الأخدود، وإما المؤمنون المقتولون بالإحراق بالنار.

فيكون قوله تعالى: لعن أصحاب الأخدود خبرا لا دعاء. إذ هم عليها قعود (٦) ظرف ل «قتل» أي لعنوا حين كانوا جالسين على شفير النار يعذبون المؤمنين، فإن النار ارتفعت إليهم فهلكوا، أو يقال لعنوا إذ المؤمنون مطرحون على النار، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود (٧) أي وهؤلاء الكفار مع ما يفعلون بالمؤمنين من الإحراق بالنار حضور لم تحصل في قلوبهم، شفقة ولا رأفة لغاية قسوة قلوبهم والوقف هنا تام إن جعل جواب القسم قتل أصحاب الأخدود بتقدير لقد وجائزا لطول الكلام إن جعل جواب القسم إن بطش ربك لشديد [البروج: ١٢] .

روى مسلم عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان الملك فيمن قبلكم ساحر فلما كبر قال." (٢)

"ومنهم الشيخ محمد بن بركات بن مفرج الشهير بالكوافي الحمصي الدمشقي الشافعي، كان من العلماء الصلحاء، قدم إلى دمشق في أيام كهولته، وقطن في مدرسته الطيبة بمحلة القيمرية مدة أربعين سنة، وأخذ عن الأجلاء ومن مشايخه الشيخ محمد البطنيني في الفقه والقرآن، ورحل إلى مصر خمس مرات، وأخذ عن علمائها، وكان صوفي المشرب، قادري الطريقة، من الراقين الرفاعيين. وكان أعيان دمشق يقصدون زيارته ويتبركون به، لا يخرج إلا لصلاة الجمعة، ويؤذن للصلوات الخمس في مدرسته ويصلي بمن حضر من جماعات المسلمين، ملازما للقرآن ليلا ونهارا، مداوما على الصيام والذكر والأوراد

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد نووي الجاوي ٢/٤٦٥

(٢) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد نووي الجاوي ٢/٦١٦

والتسبيح والصمت، يقرئ في الأصول والنحو، ولم يكن أحد أمهر منه في تعليم البلداء مثلي، فحضرته في غالب الرسائل في العربية تفهما وإعرابا للألفاظ كألفية ابن مالك والقطر والقواعد وشروحها والنبذة مختصرها والملحة وغيرها وكان لا يخرج من مدرسته المذكورة إلا لأمر مهم. وكتب بخطه الكثير من الكتب هو وتلامذته. واتفق له **من العجائب** أنه أقرأ النحو وسمع القرآن وكتب الفقه في آن واحد. وكان يكتب الصحيفة من الورق بغطة واحدة وختم القرآن ختمتين وثمن ختمه في يوم واحد ومن توسلاته: من البسيط

رباه رباه أنت الله معتمدي ... في كل حال إذا حالت بي الحال

يا واسع اللطف قد قدمت معذرتي ... إن كان يغني عن التفصيل إجمال

ماذا أقول ومني كل معصية ... ومنك يا سيدي حلم وإمهال

وما أكون وما قدري وما عملي ... في يوم توضع في الميزان أعمال

ولد سنة ١٠٠٥ وتوفي بعد عشاء ليلة الأحد ٢٧ شوال سنة ١٠٧٦ ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان.

هذا وقد قرأت عليه غالب المختصرات وكتب العربية، وحصل لي عليه غاية الرياضة في العربية والتجويد، وأدبني آدابا كثيرة، ونصحني ونفعني ووعظني مواعظ كثيرة، ونصحني نصائح عظيمة. وأجازني بسائر مروياته فجزاه الله عني خيرا.

الشيخ إبراهيم بن منصور

الفتال

ومنهم الشيخ إبراهيم بن منصور المعروف بالفتال الدمشقي الحنفي العالم الباهر البحر الحبر المحقق المدقق، أفضل أهل زمانه علما وأدبا وفقها وعربية وله المهارة الباهرة في علم الكلام والمعاني والبيان والمنطق وغيرها من بقية علوم العربية، مع الوقار والأدب والتواضع والاتصاف، صاحب الأجوبة المسددة عن المشكلات المعضلة.

أخذ عن جماعات منهم الملا محمود الكردي وعبد الوهاب الفرفوري، وأحمد بن محمد القلعي، وحضر دروس النجم الغزي، وتصدر للإقراء في ابتداء أمره فكبت عليه الطلبة، وانتفع به من الطلبة ما لا يحصى، وغالب طلبة العلم من أهل الشام وغيرها من الآفاقيين من مصريين وهنود وأكراد وغيرهم، وكان يدرس عند باب الخطابة، ثم تحول إلى دار الحديث الأحمدية بالمشهد الشرقي، وكان أيام الصيف يدرس بالرواق الشرقي مما يلي باب جيرون، ثم لزم داره بالكلاسة غالبا، جامعا بين الدروس العامة والخاصة.

هذا وقد قرأت عليه عدة رسائل في العربية وغيرها، ومقدمات في فقه الحنفية ومقدمات في المنطق، وحضرته في المغني لابن هشام وشروحه في البيضاوي، وحضرت عليه حصة في كتاب المطول للسعد، مع اشتغاله بالدعاء لي كثيرا مع زيادة المحبة والمودة وحسن المجابرة لي ولولدي عبد الجليل. وكانت وفاته نهار السبت ١٧ ذي القعدة سنة ١٠٩٨ وقد ناهز السبعين ودفن بمقبرة باب الفراديس.

الشيخ محمد بن محمد

العيثاوي

محمد بن محمد بن أحمد العيثاوي الدمشقي الشافعي، كان علامة فهامة في جميع العلوم الشرعية وعلوم العربية والأصول والعقائد والمنطق مع التحقيق وتدقيق النظر والإنصاف في جميع مجالسه ودروسه العامة والخاصة.

أخذ عن النجم الغزي وأخيه أبي الطيب وعبد الرحمن العمادي وأحمد البهنسي ورمضان العكاري وعلي القبردي وملا حسن الكردي وعبد الكريم الضميراني.

وانتفع به جماعة من العلماء من أهل الشام وغيرهم من الآفاقيين، وكان زجارا للحكام يعاملهم بيده، ربما مسك الباشا من طوقه ويجذبه، فعل ذلك مع الحكام مرارا مع نفاذ كلمته وإجابتهم طلبته بوجه الحق مع بقاء مهابته وجلالته عندهم.." (١)

"وكذا رسائله إلى البلدان والأ ... طراف والأصحاب والإخوان

هي في الورى مبثوثة معلومة ... تبتاع بالغالي من الأثمان

وكذا فتاواه فأخبرني الذي ... أضحى عليها دائم الطوفان

بلغ الذي ألفاه منها عدة الأ ... يام من شهر بلا نقصان

سفر يقابل كل يوم والذي ... قد فاتني منها بلا حسبان

هذا وليس يقصر التفسير عن ... عشر كبار ليس ذا نقصان

وكذا المفاريد التي في كل مسـ ... ـألة فسفر واضح التبيان

ما بين عشر أو تزيد بضعفها ... هي كالنجوم لسالك حيران

وله المقامات الشهيرة في الورى ... قد قامها لله غير جبان

نصر الإله ودينه وكتابه ... ورسوله بالسيف والبرهان

أبدى فضائحهم وبين جهلهم ... وأرى تناقضهم بكل زمان

وأصارهم والله تحت نعال أهـ ... ـل الحق بعد ملابس التيجان

وأصارهم تحت الحضيض وطالما ... كانوا هم الأعلام للبلدان

ومن العجائب أنه بسلاحهم ... أرداهم تحت الحضيض الداني

كانت نواصينا بأيديهم فما ... منا لهم إلا أسير عان

فغدت نواصيهم بأيدينا فما ... يلقوننا إلا بحبل أمان

وغدت ملوكهم ماليكا لأنصـ ... ـار الرسول بمنة الرحمن

وأتت جنودهم التي صالوا بها ... منقادة لعساكر الإيمان

يدري بهذا من له خبر بما ... قد قاله في ربه الفئتان

---

(١) مشيخة أبي المواهب الحنبلي ابن عبد الباقي الحنبلي ص/٥

والفدم يوحشنا وليس هناكم ... فحضوره ومغيبه سيان

ومن ذلك قوله -أيضا-:." (١)

"وأراك تخدم رابعا لتميته ... رفقا به فالشيخ شيخ صالح

يا خادم الوزراء انك عندهم ... سعد ولكن أنت سعد الذابح

وحدث جحظة قال: دخلت وأنا في بقايا علة على كاتب (قال ابن بشران:

على هارون بن غريب الخال) فقدم إلينا مضيرة عصبان فأمعنت فيها، فقال: جعلت فداك أنت عليل، وبدنك نحيل، والعصب ثقيل، واللبن يستحيل، فقلت له:

والعظيم الجليل، المفضل المنيل، لا تركت منها كثير ولا قليل، وحسبنا الله ونعم الوكيل. فغضب علي فضربني عشرين مقرعة فقلت [١] :

ولي صاحب لا قدس الله روحه ... وكان من الخيرات غير قريب

أكلت عصيدا عنده في مضيرة ... فيا لك من يوم علي عصيب

قال: ودخلت إليه يوما آخر فقدم إلي لوزينجا لها أيام وقد حمضت، فأخذت أمعن في أكلها، فقال لي: إن اللوزينج إذا كان بالجوز أسخن، وإذا كان باللوز ألحم، فقلت: نعم يا سيدي إذا كان لوزينجا وأما إذا كانت مصوصا فلا.

وحدث عبد الله بن المعتز قال: عربد ابن أبي العلاء على جحظة بحضرتي فأمرت بتنحية جحظة إلى أن رضي أحمد، فكتب إلي جحظة:

أليس **من العجائب** أن مثلي ... يقام لأحمد بن أبي العلاء

ولي نفس أبت الا ارتفاعا ... فأضحت كالسماء على السماء

لقد غضب الزمان على أناس ... فأبلاهم بأولاد الزناء

في «تاريخ دمشق» قال جحظة سلمت على بعض الرؤساء وكان مبخلا، فلما أردت الانصراف قال لي: يا أبا الحسن أيش تقول في قطائف بائتة؟ ولم يكن له بذلك عادة، فقلت: ما آبى ذلك، فأحضر لي جاما فيه قطائف قد خمت، فأوجعت فيها وصادفت مني مسغبة، وهو ينظر إلي شزرا، فقال لي: يا أبا الحسن إن القطائف إذا كانت بجوز أتخمتك، وإذا كانت بلوز أبشمتك، قال فقلت: هذا إذا كانت قطائف،

---

[١] بخلاء الخطيب: ١٤٨.." (٢)

"ومنهم أبو المجد محمد بن عبد الله أخو أبي العلاء، وكان أسن من أبي العلاء، وله أيضا شعر في الزهد [١] :

كرم المهيمن منتهى أملي ... لا نيتي أرجو ولا عملي

---

(١) معجم أصحاب شيخ الإسلام ابن تيمية وليد الأموي ص/١٤١

(٢) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١/٢١٦

يا مفضلا جلت فواضله ... عن بغيتي حتى انقضى أجلي

كم قد أفضت علي من نعم ... كم قد سترت علي من زلل

إن لم يكن لي ما ألوذ به ... يوم الحساب فإن عفوك لي

ومنهم عبد الواحد أبو الهيثم أخو أبي العلاء القائل في الشمعة [٢] :

وذات لون كلوني في تغيره ... وأدمع كدموعي في تحدرها

سهرت ليلي وباتت بي مسهدة ... كأن ناظرها في قلب مسهرها

وله أيضا:

قالوا تراه سلا لأن جفونه ... ضنت عشية بيننا بدموعها

ومن العجائب أن تفيض مدامع ... نار الغرام تشب في ينبوعها

هؤلاء من حضرني ممن كان قبل أبي العلاء وفي زمانه، وقد تأخر عن زمانه من أهله من كان عالما فاضلا، وأنا ذاكرهم هاهنا ليجيئوا على نسق واحد:

فمنهم القاضي أبو المجد محمد بن عبد الله [بن] محمد أبي المجد- وأبو المجد الثاني هو أخو أبي العلاء- وذكره العماد في «الخريدة» فقال [٣] : ذكر لي [ابن] ابنه القاضي أبو اليسر الكاتب أنه كان فاضلا أديبا فقيها على مذهب الشافعي، أريبا مفتيا خطيبا، أدرك عم أبيه أبا العلاء وروى عنه مصنفاته وأشعاره، وولي القضاء بالمعرة إلى أن دخلها الفرنج خذلهم الله في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة فانتقل إلى شيزر وأقام بها مدة، ثم انتقل إلى حماة فأقام بها إلى أن مات في محرم سنة ثلاث وعشرين

---

[١] الابيات في الخريدة ٢: ٦.

[٢] هذه القطعة والتي تليها في الخريدة ٢: ٦.

[٣] الخريدة ٢: ٨ وانظر ترجمته في الانصاف والتحري (التعريف: ٥٠١) .." (١)

"أنشد له السلفي:

أبا العلاء ابن سليمانا ... إن العمى أولاك إحسانا

لو أبصرت عيناك هذا الورى ... لم ير إنسانك إنسانا

حدث هبة الله بن موسى المؤيد في الدين، وكان بينه وبين أبي العلاء صداقة ومراسلات، قال: كنت أسمع من أخبار أبي العلاء وما أوتيه من البسطة في علم اللسان ما يكثر تعجبي منه، فلما وصلت المعرة داخلا إلى الديار المصرية لم أقدم شيئا على لقائه، فحضرت إليه واتفق حضور أخي معي، وكنت بصدد أشغال يحتاج إليها المسافر، فلم أسمح بمفارقته والاشتغال بها.

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢٩٧/١

فتحدث أخي معي حديثا باللسان الفارسي فأرشدته إلى ما يعمله فيها ثم عدت إلى مذاكرة أبي العلاء، فتجارينا الحديث إلى أن ذكرت ما وصف به في سرعة الحفظ وسألته أن يريني من ذلك شيئا أحكيه عنه، فقال لي: خذ كتابا من هذه الخزانة- لخزانة قريبة منه- واذكر أوله فإني أورده عليك حفظا، فقلت: كتابك ليس بغريب إن حفظته، فقال: قد دار بينك وبين أخيك كلام بالفارسية إن شئت أعدته، قلت:

فأعده، فأعاد الحديث أجمع ما أخل بحرف منه، ولم يكن يعرف اللغة الفارسية.

وهذا الخبر **من العجائب**.

قال السلفي بإسناده: عرض على أبي العلاء التنوخي كف من اللوبياء، فأخذ منها واحدة ولمسها بيده وقال: ما أدري ما هي، إلا أني أشبهه بالكلية، فتعجبوا منه ومن فطنته وإصابته في حديثه [١] .

وحدث أبو الكرم خميس بن علي الحوزي النحوي [٢] حدثنا القاضي أبو يوسف القزويني، قال قال لي ملحد المعرة: ما سمعت في أمر الحسين بن علي رضي الله عنهما شيئا يجب أن يحفظ، فقلت له: قد قال سوادي من أهل بلادنا أبياتا لا يقول مثلها تنوخ جدك الأكبر:

رأس ابن بنت محمد ووصيه ... للمسلمين على قناة يرفع

---

[١] هنا نهاية ما نقل عن المختصر.

[٢] هو صاحب الجوابات على سؤالات الحافظ السلفي. وقد تقدم ذكره.." (١)

"واللعب بشاربه وعنفقته، فلو رأيته يقرر المسائل على هذه الأمثلة العجيبة والبيان الشافي، لرأيت عجبا **من العجائب**، وضربا من الغرائب.

وقال لي يوما الشاباشي، وقد خرجنا من مجلس الصاحب: كيف رأيت مولانا الصاحب اليوم مع هذا التقرير وإظهاره البلاغة الحسنة بين الناس؟ فقلت: السكوت عن مثله احدى الحسنيين وأحرى الحالتين، ولكن نعوذ بالله ممن يزين له الشيطان عمله ويزخرف له قوله. قال لي: كأنه لم يخلق هذا الرجل إلا غيظا لأكباد الأحرار وشفاء لسقم الأنذال، لحا الله دهرا آل بنا إليه، وأنزلنا عليه، وأحوجنا إلى مقاساته، وألجأنا إلى مجالسته، وأنشد يقول:

يا من تبرمت الدنيا بطلعته ... كما تبرمت الأجفان بالرمد

يمشي على الأرض مجتازا فأحسبه ... من بغض طلعته يمشي على كبدي

لو كان في الأرض جزء من سماجته ... لم يقدم الموت إشفاقا على أحد

قال أبو حيان، قال لي الشاباشي: أهدى ابن عباد إلى صاحبه وقت ورودهما إلى الأهواز دينارا من ضربه وزنه ألف مثقال وكتابته «١» :

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٣٠٦/١

وأحمر يحكي الشمس شكلا وصورة ... فأوصافه مشتقة من صفاته

فإن قيل دينار فقد صدق اسمه ... وإن قيل الف كان بعض سماته

بديع فلم يطبع على الدهر مثله ... ولا ضربت أضرابه لسراته

وصار إلى شاهانشاه انتسابه ... على أنه مستصغر لعفاته

تفاءلت أن يبقى سنين كوزنه ... لتستمتع الدنيا بطول حياته

تأنق فيه عبده وابن عبده ... وغرس أياديه وكافي كفاته

فقال أرأيت أكذب منه حيث قال: فلم يطبع على الدهر مثله؟ ما كان في الدنيا من خدم ملكا بألف دينار ثم قال: «وكافي كفاته» والله لو كتبت امرأة بمثله إلى زوجها لكان سمجا قبيحا، فكيف إلى فخر الدولة؟! ما أحسن ما كفاه أمر أبي العلاء." (١)

"أأنشب كفي في الرحى ثم أرتجي ... خلاصا لها إني إذن لرقيع

قال: فأيس منه الحاكم حينئذ. فمما أنشده في حال خروجه من مصر:

ونفسك فز بها إن خفت ضيما ... وخل الدار تندب من بكاها [١]

فإنك واجد أرضا بأرض ... ولست بواجد نفسا سواها

وله [٢] :

الله يعلم ما إثم أردت به ... إلا ونغصه خوفي من النار

وإن نفسي ما همت بمعصية ... إلا وقلبي عليها عاتب زار

-٣٨٢ -

الحسين بن علي بن الحسين

المعروف بابن الخازن الكاتب أبو الفوارس صاحب الخط المليح المشهور بالجودة: كان يسكن بغداد بدرب حبيب. وكان مشتهرا بلعب النرد. مات فجأة في سنة اثنتين وخمسمائة. وعرفت أنه كتب خمسمائة نسخة لكتاب الله عز وجل ما بين جامع وربعة. وكتب بالأغاني الكبير ثلاث نسخ.

ومن العجائب أن دار ابن الخازن بدرب حبيب طلبت منه في سنة ثمانين وأربعمائة بألف دينار فلم تسمح نفسه ببيعها، ثم التمس بعد ذلك من يشتريها بثلاثمائة دينار فلم يتهيأ له ذلك، فلما توفي حصلت من حقوق بيت المال فبيعت بمبلغ ستمائة وخمسين دينارا. وهذه حال التركات، فمن شعره:

لا تركنن إلى الزمان فما بقي ... من كان قبلك واثقا بزمان

صن قدر ما أوليته من نعمة ... فالدهر والأيام ذو حدثان

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٧٠٠/٢

[٣٨٢]- هذه الترجمة من المختصر وانظر ترجمته في تاريخ ابن الأثير ١٠: ٤١٥ وقال إنه توفي عن سبعين سنة؛ والوافي ١٢: ٤٤٠ ووفيات الأعيان ٢: ١٩١ وكتاب الروضتين ١: ٢٩ والبداية والنهاية ١٢: ١٧٠.

[١] لعل الصواب: من بناها.

[٢] الذخيرة ٤: ٥١٣ ونسبها الشريشي (٥: ٣٥٨) لابن المعتز (القطعة: ٤٩) .." [(١)]

"ومن العجائب والعجائب جمة ... شكر بطيء عن ندى متسرع

ولقد دعوت ندى سواك فلم يجب ... فلأشكرن ندى أجاب وما دعي

فاستحسن ذلك منه، وما زال يبره إلى أن مات.

وحدث عنه العدل أبو يعلى ابن الفراء قال: دخلت إليه يوما قبل أن يموت بيسير، وإلى جانبه طبق مغطى، فقال لي: اكشف ذلك الطبق، وكشفته وإذا فيه دجاج مطبوخ ألوان وسنبوسج وحلاوة وغير ذلك من الأطعمة الطيبة، فقال: ما أراد الله عز وجل أن يبعث لي هذا، وأنا أقدر على أكله في أيام شبابي، وإنما بعثه إلي الآن لأبصره حسرة.

وكان سيء الاعتقاد تارة يميل إلى مذهب الفلاسفة وتارة يعترض على القضاء والقدر.

وقال أيو يعلى: كتب صدقة كتاب «الشفاء» لابن سينا فتغير اعتقاده، قال يوما: والله ما أدري من أين جاءوا بنا، ولا إلى أي مطبق يريدون أن يحملونا.

وحكى عنه أبو يعلى قال: كنت عنده فسمع صوت الرعد فقال: فوق خباط وأسفل خباط. قال أبو يعلى، وقال أبياتا أخذتها منه:

نظرت بعين القلب ما صنع الدهر ... فألفيته غرا وليس له خبر

فنحن سدى فيه بغير سياسة ... نروح ونغدو قد تكنفنا الشر

فلا من يحل الزيج وهو منجم ... ولا من عليه الوحي ينزل والذكر

يحل لنا ما نحن فيه فنهتدي ... وهل يهتدي قوم أضلهم السكر

عمى في عمى في ظلمة فوق ظلمة ... تراكمها من دونه يعجز الصبر

[٦٠٣] صفوان بن ادريس بن إبراهيم بن عبد الرحمن

بن عيسى التجبي، أبو

---

[٦٠٣] ترجمة صفوان بن إدريس في التكملة: ٧٦٨ والذيل والتكملة ٤: ١٤٠ وتحفة القادم: ١١٩ والمقتضب من تحفة القادم: ٨٢ والمغرب ٢: ٢٦٠ ورايات المبرزين: ٧٩ وشرح مقصورة حازم ١: ٥٧-." [(٢)]

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٣/١١٠٥

(٢) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٤/١٤٤٨

"بحر: كان أديبا كاتبا شاعرا سريع الخاطر، أخذ عن أبيه والقاضي ابن ادريس وابن غلبون وأبي الوليد ابن رشد، وهو أحد أفاضل الأدباء المعاصرين بالأندلس، ولد سنة ستين وخمسمائة وتوفي بمرسية سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ولم يبلغ الأربعين. وله تصانيف منها كتاب زاد المسافر. ورحلته. وكتاب العجالة مجلدان يتضمنان طرفا من نثره ونظمه. وديوان شعر.

ومن شعره «١» :

قد كان لي قلب فلما فارقوا ... سوى جناحا للغرام وطارا

وجرت سحاب للدموع فأوقدت ... بين الجوانح لوعة وأوارا

ومن العجائب أن فيض مدامعي ... ماء ويثمر في ضلوعي نارا

وقال في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

تحية الله وطيب السلام ... على رسول الله خير الانام

على الذي فتح باب الهدى ... وقال للناس ادخلوا بالسلام

بدر الهدى سحب الندى والجدا ... وما عسى أن يتناهى الكلام

تحية تهزأ أنفاسها ... بالمسك لا أرضى بمسك الختام

تخصه مني ولا تنثني ... عن آله الصيد السراة الكرام

وقدرهم أرفع لكنني ... لم ألف أعلى لفظة من كرام

وقال «٢» :

احمى الهوى قلبه وأوقد ... فهو على أن يموت أوقد

وقال عنه العذول سال ... قلده الله ما تقلد

- والاحاطة ٣: ٣٤٩ وقلائد الجمان لابن الشعار ٣: ١٧٧ والوافي ١٦: ٣٢١ والفوات ٢: ١١٧ وصفحات متفرقة من نفح الطيب، ومقدمة زاد المسافر (ط. بيروت ١٩٧٠) .." [١]

"فلما فرغ من إنشاد هذه القصيدة قال عميد الملك لأمراء العرب: لنا مثله في العجم فهل لكم مثله في العرب؟ ثم أمر له بألف دينار مغربية «١» .

قال: وكان السلطان طغرلبك قد بعث وزيره الكندري وكيلا في العقد على بنت خوارزمشاه، فوقع إرجاف، ورفع إلى السلطان أن عميد الملك زوجها من نفسه وخان، وكان من أمرهما ما كان، فتغير رأي السلطان عليه فحلق عميد الملك لحيته وجب مذاكيره حتى سلم من سياسة السلطان، فمدحه الشيخ علي بن الحسن بهذا النقصان، وما سبقه بهذا المعنى أحد حيث قال «٢» :

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١٤٤٩/٤

قالوا محا السلطان عنه بعدكم ... سمة الفحول وكان قرما صائلا

قلت اسكتوا فالآن زاد فحولة ... لما اغتدى عن أنثييه عاطلا

فالفحل يأنف أن يسمى بعضه ... أنثى لذلك جذه مستاصلا

ولما قتل السلطان الب ارسلان الوزير أبا نصر الكندري قال الباخرزي يخاطب السلطان «٣» :

وعمك أدناه وأعلى محله ... وبوأه من ملكه كنفا رحبا

قضى كل مولى منكم حق عبده ... فخوله الدنيا وخولته العقبي

قال المؤلف: وهذا معنى لطيف، ومقصد ظريف، فلله در الشعراء وقرائحهم، والأدباء ومنائحهم.

قال البيهقي: **ومن العجائب** أن آلات تناسل الكندري مدفونة بخوارزم، ودمه مصبوب بمرو الروذ، وجسده مقبور بقرية كندر من طريثيث، وجمجمته ودماغه مدفونان بنيسابور، وشواته محشوة بالتبن وقد نقلت إلى كرمان فدفنت هناك.

وقال علي بن الحسن الباخرزي في ذلك:

مفترقا في الأرض أجزاؤه ... بين قرى شتى وبلدان." (١)

"منهم: يا سيدي ادعو لنا بشمل الجمع، فغضب وقال: ايش هؤلاء وكيف خلقهم الله؟ ثم حلف بمحلوفه وقال: لو قدرت على خلقة مثل هؤلاء أنفت من خلق مثلهم.

قال المؤلف: حدثني محمد بن حامد بن محمد بن جبريل بن محمد بن منعة بن مالك الموصلي الفقيه فخر الدين بمرو في سنة خمس عشرة وستمائة في ربيع الأول منها قال: لما ورد شميم الحلي إلى الموصل بلغني فضله فقصدته لأقتبس من علومه، فدخلت عليه فجرى أمري معه على ما هو معروف به من قلة الاحتفال بكل أحد، وجرت خطوب ومذاكرات إلى أن

قال: **ومن العجائب** استحسان الناس قول عمرو بن كلثوم:

مشعشعة كأن الحص فيها ... إذا ما الماء خالطها خزينا

- كذا قال تهكما- «١» ، ألا قال كما قلت:

وسالت نطاف الراح في الراح فاعتدى ال ... سماح إلى راحاتنا فسخينا

ثم أخرج رقعة من تحت مصلاه وقال لي ما معنى قولي «قلب شطر أعاديك حظ من كفر أياديك» فقلت: أكتبها وأفسرها، فقال: اكتب، فكتبتها وقلت: نعم شطر «أعاديك» «ديك» وقلبه «كيد» أردت أن الكيد حظ من كفر أياديك، فقال: أحسنت، وكان ذلك سبب إقباله علي بعد ما تقدم من إهماله إياي.

وأنشدني أبو حامد المذكور قال: أنشدني أبو الحسن علي بن الحسن بن عنتر الحلي لنفسه:

أقيلي عثرة الشاكي أقيلي ... فسولي في سماع نثار سولي

وإن لم تأذني بفكاك أسري ... فدليني على صبر جميل

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٤/١٦٨٦

حدثني الآمدي الفقيه قال: بلغني أنه لما قدم الحلي إلى الموصل انثال إليه الناس يزورونه، وأراد نقيب الموصل- وهو ذو الجلالة المشهورة بحيث لا يخفى أمره على أحد- زيارته، فقيل له: إنه لا يعبأ بأحد ولا يقوم من مجلسه لزائر أبدا، فجاءه رجل وعرفه ما يجب من احترام النقيب لحسبه ونسبه وعلو منزلته من الملوك فلم يرد." (١)

"عليه، ووجدته حالا عقود المشكلات، فاتقا رتوق المعضلات، ولعمري إنه رحمه الله كشف عن العلوم نقابها، ورفع عن الحقائق حجابها، فلم يكن في عصره فاضل إلا وقد اغترف من بحاره، واقتبس من أنواره، وتصانيفه كثيرة وسعيه مشهور، وسعي الناظر فيه مشكور.

ومن تصانيفه: كتاب مفتاح البلاغة. كتاب البسملة. كتاب نهج الرشاد.

كتاب عقود الجواهر. كتاب لطائف النكت. كتاب تصفية القلوب. كتاب ديوان شعره.

ومن منظومه:

ضحك الربيع بعبرة الأنداء ... **ومن العجائب** ضاحك ببكاء

خرجت له نحو الشتاء كتيبة ... ذعرت مواكبه عن الصحراء

ركبت فوارسه الهواء فجردت ... سيفا جلا جيش الدجى بضياء

رق الربيع لها فأرسل نحوها ... بشرى بغيم في نسيم هواء

والغصن قرط أذنه بدراهم ... مضروبة من فضة بيضاء

والروض ألبس حلة موشية ... أحسن بها من صنعة الأنداء

قضبان نبل أخرجت ذهبا لنا ... أعجب بها من صيرف معطاء

وشقائق النعمان تشبه صارخا ... متظلما متشحطا بدماء

والزعفران كأنما فرشت به ... ديباجة نسجت من القمراء

ساءلتها هلا برزت لناظر ... صب كئيب هائم بكاء

فأبت وآلت لا يحل نقابها ... إلا مجير الدولة الغراء

وله:

هنيئا لك العيد المبارك يا صدر ... وساعدك الإقبال واليمن والنصر

إذا ما أعاد العيد للناس نضرة ... فقد ألبس الأعياد من وجهك البشر

وإن نشرت أعلام دين محمد ... فذكرك في أقصى البلاد له نشر

وإن أحرم الحجاج عن جل حالهم ... فأحرم عمن دونك الفضل والفخر." (٢)

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١٦٩٤/٤

(٢) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ١٧٨٣/٤

"ولقيني مرة والسلامي معي فسألني عن مثل ذلك فأجبته بمثل الجواب المقدم ذكره، فقال له السلامي، يكذب، والله ما أمر إلا بقطع أيديهم وأرجلهم فقال:

«حوالينا الصدود ولا علينا» .

وأنشد الخالع لابن البقال يعاتب بعض أصدقائه:

وإني في استعطاف رأي محمد ... علي ومدي نحو معروفه يدي

لكالمبتغي من بعد تسعين حجة ... تقمصها رجع الشباب المجدد

سأشكو اعتداء منك لولاه ما درت ... صروف الليالي في الهوى كيف تعتدي

فلله قلبي حين أدعو إلى الهوى ... وأعلم حقا أنه غير مهتدي

وله «١» :

ولما وقفنا للوداع ودوننا ... عيون ترامى بالظنون ضميرها

أماطت عن الشمس المنيرة برقعا ... فغيبنا عن أعين الناس نورها

وله:

يا مذنبا ويقول إني مذنب ... ما إن سمعت بظالم يتظلم

لك صورة ذل الجمال لحسنها ... تقضي بجور في النفوس وتحكم

ومن العجائب أن طرفك مشعر ... سقما وأنت بسقمه لا تعلم

وله:

يا طرفها هب لطرفي لذة الوسن ... واستبق ما لا يقل الثوب من بدني

حاشاك في من الشكوى وان ذهبت ... عيني من الدمع أو قلبي من الحزن

ولا أقول ولو أتلفتني أسفا ... يا ليت ما كان من حبيك لم يكن

وله:

لئن كان طرفي فاز منك بنظرة ... لقد عاد طرفي بالبلاء على قلبي

جعلت الهوى ذنبي فان كنت مذنبا ... به فاليك العذر من ذلك الذنب." (١)

"وقال أبو الحسن ثابت بن قرة الطبيب: كنت أدخل إليه السجن فيشكو إلي فأعزيه وأقول: هذا انتهاء المكروه وخاتمة القطوع، فينشدني:

إذا ما مات بعضك فابك بعضا ... فإن البعض من بعض قريب

ومن شعره في يده:

ما سئمت الحياة لكن توثق ... ت بأيمانهم فبانت يميني

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢٠٤٩/٥

بعت ديني لهم بدنياي حتى ... حرموني دنياهم بعد ديني

ولقد حطت ما استطعت بجهدي ... حفظ أرواحهم فما حفظوني

ليس بعد اليمين لذة عيش ... يا حياتي بانت يميني فبيني

ومن شعره:

وإذا رأيت فتى بأعلى رتبة ... في شامخ من عزه المتمنع

قالت لي النفس العروف بقدرها ... ما كان أولاني بهذا الموضع

ومن شعره:

لست ذا ذلة إذا عضني الده ... ر ولا شامخا إذا واتاني

انا نار في مرتقى نفس الحا ... سد ماء جار مع الإخوان

وابن مقلة هذا أول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين إلى هذه الصورة.

وممن مدحه من الشعراء ابن الرومي الشاعر وله فيه القصيدة التي منها:

كذا قضى الله للأقلام مذ بريت ... ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

وفيه قال الشاعر:

وقالوا العزل للوزراء حيض ... لحاه الله من حيض بغيض

ولكن الوزير أبا علي ... من اللائي يئسن من المحيض

ومن العجائب ان الوزير ابن مقلة تقلد الوزارة ثلاث مرات وسافر في عمره ثلاث مرات واحدة إلى الموصل واثنتين في النفي إلى شيراز ودفن بعد موته ثلاث مرات في ثلاثة مواضع. ومن شعره:

أحببت شكوى العين من أجلها ... لأنها تستر وجدي بها." (١)

"عبء الصدود أخف من عبء النوى ... لو كان لي في الحب أن أتخيرا

فسقى دمشق ووادييها والحمى ... متواصل الأرهام منفصم العرى

حتى نرى وجه الرياض بعارض ... أحوى وفود الدوح أبيض أزهرا

تلك المنازل لا ملاعب عالج ... ورمال كاظمة ولا وادي القرى

أرض إذا مرت بها ريح الصبا ... حملت على الأغصان مسكا أذفرا

فارقتها لا عن رضى وهجرتها ... لا عن قلى ورحلت لا متخيرا

أسعى لرزق في البلاد مشتت ... **ومن العجائب** «١» أن يكون مقترا

وأصون وجه مدائحي متقنعا ... وأكف ذيل مطامعي متسترا

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٦/٢٥٧٥

ومنها في الشكوى والدخول الى المديح:

أشكو اليك نوى تمادى عمرها ... حتى حسبت اليوم منها أشهرا

لا عيشتي تصفو ولا رسم الهوى ... يعفو ولا جفني يصافحه الكرى

أضحي عن الربع «٢» المريع محولا ... وأبيت عن ورد «٣» النمير منفرا

ومن العجائب أن يقيل «٤» بظلكم ... كل الورى ونبذت وحدي بالعرا

وأول قصيدته المسماة مقراض الأعراض قوله «٥» :

أضالع تنطوي على كرب ... ومقلة مستهلة الغرب

شوقا إلى ساكني دمشق فلا ... عدت رباها مواطر السحب

ومن ثم أخذ في الهجو بنفس طويل وتفنن بأساليب السب والثلب فأورد ما لا يحسن إيراده.

وقال أيضا في هجو أبيه «٦» :." (١)

"محمد الرضوي (٠٠٠ - ١٢٦٣ هـ)

(٠٠٠ - ١٨٤٧ م) محمد صالح الرضوي، السمرقندي (أبو عبد الله) صوفي، محدث، مسند، رحالة، طبيب.

ولد بسمرقند، وتوفي بالمدينة.

له مؤلفات اكثرها في التصوف وعلوم الاسرار والاسناد والمسلسلات.

(ط) الكتاني: فهرس الفهارس ١: ٣٢٢ - ٣٢٥.

محمد السباعي (٠٠٠ - ١٢٦٨ هـ) (٠٠٠ - ١٨٥٢ م) محمد بن صالح ابي السعود السباعي، الحفناوي.

مفسر.

من آثاره: حاشية على تفسير الجلالين في ثلاث مجلدات، وبلوغ المراد على بانت سعاد.

(ط) فهرست الخديوية ١: ١٦٥، البغدادي: هدية العارفين ٢: ٣٧٣، فهرس دار الكتب المصرية ٣: ٣٩، البغدادي: ايضاح المكنون ١: ٣٠٤، فهرس الازهرية ٦: ٣٥٨ محمد العيسوي (١١٥٢ - ١٢٤٢ هـ) (١٧٣٩ - ١٨٢٦ م) محمد الصالح بن سليمان بن محمد بن محمد ابن الطالب العيسوي، الرحموني.

اديب،

نحوي، مشارك في بعض العلوم، من أهل أمشدالة بالمغرب.

تعلم بتونس، وعاد إلى بلده فاشتغل بالتدريس في جبل بني عيسى، وتوفي في جبل جرجرة: من تآليفه الكثيرة: ميزان اللباب في قواعد البنا والاعراب، الدليل على الاجرومية، شرح على المقدمة الازهرية وكلها في النحو، حاشية على شرح الصغرى سماها المحتاج في شرح معاني السراج للاخضري، شرح البردة للبوصيري، ورياض السعود في ما لله **من العجائب** والحدود.

---

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب الحموي، ياقوت ٢٦٦٣/٦

(ط) الحفناوي: تعريف الخلف ٢: ٢: ٥٢٢، الزركلي: الاعلام ٧: ٣٣ محمد الكيلاني (١١٧٣ - ١٢٤٤ هـ) (١٧٦٠ - ١٨٢٨ م) محمد بن صالح بن عبد القادر بن ابراهيم ابن شرف الدين الحنفي، الدمشقي، الشهير بالكيلاني.
فاضل.
توفي بدمشق من مؤلفاته: نسمات الاسحار في فضائل العشرة الابرار.
(ط) جميل الشطي: روض البشر ٢٢٩ محمد الكتامي (٠٠٠ - ١٠٥١ هـ)
(٠٠٠ - ١٦٤١ م) محمد بن صالح بن عبد الله بن حيدر." (١)
"عبد الله في بعض الاعمال، ثم استوزره وانتدبه لكثير من المهمات وعقد المعاهدات فكان سفيره في اسبانيا، ثم في مالطة ونابولي والقسطنطينية، وسفيره إلى امبراطور النمسا، وتوفي بمراكش.
من آثاره: الاكسير في فكاك الاسير وهو رحلته في سفارته الاولى لاسبانيا، البدر السافر إلى فكاك الاسارى من يد العدو الكافر، احراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والتبرك بقبر الحبيب وهو رحلته التى كتبها في سفارته الثالثة، ومنظومة في المناسك.
(ط) ابن زيدان: اخبار مكناس ٤: ١٥٩ - ١٦٩ محمد الغساني (٠٠٠ - ١١١٩ هـ) (٠٠٠ - ١٧٠٧ م) محمد بن عبد الوهاب الغساني، الاندلسي الاصل، الفاسي الدار والوفاة المكناسي (أبو عبد الله) فقيه، اديب كاتب، مشارك في بعض العلوم، من
الوزراء.
استوزره السلطان المظفر المولى اسماعيل بفاس، وبعثه سفيرا إلى ملك اسبانيا كارلوس الثاني لافتكاك اسارى المسلمين واستخراج ما بقي من الكتب الاسلامية، وتوفي في زنقة الرطل من فاس القرويين.
من آثاره: رحلة الوزير في افتكاك الاسير شرح فيها ما شاهده في سفرته **من العجائب** في بلاد الاندلس، ورحلة إلى بلاد الحجاز.
(ط) ابن زيدان: اخبار مكناس ٤: ٦١، ابن سودة: دليل مؤرخ المغرب ٣٨٤، البغدادي: ايضاح المكنون ١: ٥٥٢، الزركلي: الاعلام ٧: ١٣٦، ١٣٧ محمد بن المتوج (٦٣٩ - ٧٣٠ هـ) (١٢٤١ - ١٣٢٩ م) محمد بن عبد الوهاب المعروف بابن المتوج الزبيري (تاج الدين) من القضاة ولد بمصر في ربيع الاول، وسمع، وحدث، وتوفي بها في المحرم.
من آثاره: ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل في اخبار مصر.
(ط) السيوطي: حسن المحاضرة ١: ٣٢٠،
حاجي خليفة: كشف الظنون ٢١٤، ٣٠٤، ٧١٦ محمد بن اللبودي (٥٧٠ - ٦٢١ هـ) (١١٧٤ - ١٢٢٤ م) محمد بن عبدان بن عبد الواحد الدمشقي (شمس الدين، أبو عبد الله،." (٢)

---

(١) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ٨٣/١٠
(٢) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ٢٧١/١٠

"اصطفى) (النمل: ٥٩)، إلى قوله: (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) (النمل: ٦٤)، للسائل أن يسأل عن وجه الاختلاف فيما أعقبت به كل آية منها وإبداء التناسب في ذلك؟

والجواب، والله أعلم: أن الآية الأولى لما نبهوا فيها ذكروا بما تشهد العقول بديهيا وتعترف بدلالته – إذ لا إشكال فيه – من أن السماوات والأرض تشهد بإحكام منعتها، وإتقان خلقها، وما أودع سبحانه فيها **من العجائب** والآيات المشاهدة للعيان، مع انسحاب التغير على جميعها وعلى ما فيها، بأن لها موجودا أوجدها وأحكم صنعتها وإتقانها، وأنه لا يمكن أن أوجدت أنفسها ولا أوجدها غيرها مما يماثلها في شواهد الافتقار وانسحاب التغير، وذلك ما لا تنفك عنه سائر الموجودات فيشهد العقل بأن لها موجدا من غير جنسها متعاليا عن شبهها. إذ لو شبهها لافتقر إلى موجد آخر، فلبيان الأمر ما أعقبت هذه الآية الأولى بقوله: (بل هم قوم يعدلون) (النمل: ٦٠)، أي أن الأمر غير خاف ولكنهم يعدلون عنه، وكذا قيل لهم في دعائهم إلى الإيمان في أول سورة البقرة حين ذكروا بقوله: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم ...) (البقرة: ٢١) إلى قوله: (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) (البقرة: ٢٢)، فهذا كقوله: (بل هم قوم يعدلون) من غي فرق، لما ذكروا في الموضعين بخلق السماوات والأرض، وإنزال الماء من السماء، وإخراج الثمرات، وإنبات الحدائق العجيبة، وكانوا يتعرفون بخلقه سبحانه جميع ذلك (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) (العنكبوت: ٦١)، (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله) (العنكبوت: ٦٣)، فاعترافهم بهذا ثم يجعلون له تعالى الند والشريك عدول واضح بعد قيام الحجو عليهم، فقيل هنا: (بل هم قوم يعدلون).

ثم لما ذكروا بما هو أخفى في قوله تعالى: (أمن جعل الأرض قرارا) (النمل: ٦١)، فإن تمهيد الأرض للسكني، وتفجير الأنهار خلالها، وحجز ما بين العذب والمالح من مياهها، ليس مما ظهور الاعتبار به وبيانه في الجلاء والوضوح كخلق السماوات والأرض وإنزال الماء إلى ما في الآية، فلما كان التذكير بما في الآية الثانية أخفى أعقب هذا بقوله: (بل أكثرهم لا يعلمون) (النمل: ٦١)، ثم تدرج الاعتبار إلى ما هو أخفى فقيل: (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض) (النمل: ٦٢)، وخفاء الاعتبار بهذا واضح، ولا يحصل عليه إلا من أمعن النظر فيما تقدم قبله، فأعقب هذا لخفائه بقوله: (قليلا ما تذكرون) (النمل: ٦٢)، ثم أعقب بما لا يمكن أن." (١)

"– قال ابن حجر: كذا في بعض النسخ – يعني من «سنن الدارقطني» –، وهو **من العجائب**، فإن قرادا هذا هو أبو نوح، واسمه عبد الرحمن بن غزوان، وهو مشهور من رجال «التهذيب» ولا أظن مثله يخفى على الدارفطني. «لسان الميزان» ٤ (٦٧٣٤) .

قلنا وقول ابن حجر هو الصواب، وقد سبق عبد الرحمن بن غزوان، برقم (٢١١٦) .." (٢)

"أبو بدر الحلبي: هو (بشار بن الحكم)

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل ابن الزبير الغرناطي ٣٨١/٢

(٢) موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلله محمود محمد خليل ٥٢٨/٢

٤٦٧٢ - أبو بردة: ابن أبي موسى الأشعري. قيل اسمه: "الحارث"، وقيل: "عامر". أخرج له الجماعة، وهو ثقة، صدوق. بذل الإحسان ١/ ٤٦

٤٦٧٣ - أبو بشر: الحلبي [عن الحسن؛ وعنه عبيد الله بن موسى، مجهول. التوحيد / رجب / سنة ١٤١٧، الفتاوى الحديثية / ج ١/ رقم ٥٩/ رجب / ١٤١٧

٤٦٧٤ - أبو بشر الدولابي: [محمد بن أحمد بن حماد الأنطاقي الرازي. الوراق. ٢٢٤ - ٣١٠ هـ. حدث عن النسائي]. مجلسان النسائي / ٤ - ١١

٤٦٧٥ - أبو بشر: [عن أبي الزاهرية؛ وعنه أصبغ بن زيد] راو مقل لا يعرف قال ابن معين: "لا شيء"، وقال أبو حاتم: "لا أعرفه". وليس هو ابن أبي وحشية جعفر بن إياس. تنبيه ٣/ رقم ٩٠٣

٤٦٧٦ - أبو بشر: [عن أبي وائل؛ وعنه هلال بن مقلاص الوزان] مجهول. الصمت / ٥٨ ح ٢٦؛ مجهول، فقول الحاكم: "صحيح الإسناد" وموافقة الذهبي له **من العجائب**. فلعل الحاكم ظن أن أبا بشر هو جعفر بن إياس، فصححه لذلك، وهو غيره بلا شك كما تقدم، والله أعلم. النافلة ج ١/ ٧٣

٤٦٧٧ - أبو بشر: جعفر بن إياس [عن أبي عمير بن أنس] أحد الثقات. غوث المكدود ٢/ ٦٠، ٤٤ ح ٤١٩، ٣٩٦

* ثقة، فإن كان رواه عن مجاهد عن ابن عباس ففي روايته عن مجاهد ضعف. وإن كان يرويه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، فسنده قوي. والله أعلم. تفسير ابن كثير ج ١/ ٢٨٤

* قال المناوي: في "فيض القدير" (١/ ٤١٦): فيه هشيم بن بشير، قال الذهبي: حافظ حجة مدلس، عن أبي بشر مجهول. اهـ." (١)

"إن يكرهوا نظم القريض فعذرهم ... باد كحاشية الرداء المعلم

هم محرمون عن المناقب والعلا ... والشعر طيب لا يحل لمحرم

ومنها قوله أيضا:

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة ... باب الدواعي والبواعث مغلق

لم يبق في الدنيا كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب أنه لا يشترى ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق

ومنها:

يلغى الكرى فيما يحاول صيده ... إلا الخيال فمن حبائله الكريم

إلى غير ذلك.

وكان أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الطبري الأديب يقول غير مرة في المذاكرة إذا استحسن شيئا من شعر نفسه: هذا

---

(١) نثل النبال بمعجم الرجال أبو إسحق الحويني ١٧٧/٤

يشبه شعر الغزي قال ابن السمعاني: وخرج أبو إسحاق الغزي من مرو إلى بلخ، فأدركته المنية في الطريق، وحمل إلى بلخ، ودفن بها. وكان يقول: أرجو أن يغفر الله عز وجل لي ويرحمني، لأني." (١)

"وقال السمعاني في الأنساب: حدثنا أبو العلاء أحمد بن محمد بن الفضل من لفظه بأصبهان أنا أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي الحافظ أنا أبو بكر أحمد بن علي الأديب أنا أبو عبد الله الحافظ حدثني عبد الله بن الحسين قال: كنا يوما مع أبي نصر السندي وفينا كثرة حواليه ونحن نمشي في الطين فاستقبلنا شريف سكران قد وقع في الطين، فلما نظر إلينا شمه أبو نصر وقال: نافق يا عبد! أنا كما ترى، وأنت تمشي وخلفك هؤلاء! فقال له أبو نصر: أيها الشريف! تجري لم هذا؟ لأني متبع آثار جدك وأنت متبع آثار جدي- انتهى.

محمد بن إبراهيم الديبلي

أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن عبد الله الديبلي ساكن مكة، ذكره الحموي في معجم البلدان والسمعاني في الأنساب، قال السمعاني: يروي كتاب التفسير لابن عيينة عن أبي عبد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومي، وكتاب البر والصلة لابن المبارك عن أبي عبد الله الحسين بن الحسن المروزي عنه، يروي عن عبد الحميد بن صبيح أيضا، روى عنه أبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن فراس المكي وأبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن المقري- انتهى.

محمد بن محمد الديبلي

أبو العباس محمد بن محمد بن عبد الله الوراق الديبلي الزاهد، ذكره السمعاني في الأنساب، قال: وكان صالحا عالما، سمع أبا خليفة الفضل بن الحباب الجمحي وجعفر بن محمد بن الحسن القريابي وعبدان بن أحمد بن موسى العسكري ومحمد بن عثمان بن أبي سويد البصري وأقرانهم، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ، وتوفي في شهر رمضان سنة خمس وأربعين وثلاث مائة، صلى عليه أبو عمرو بن نجيد.

المنبه بن الأسد القرشي

الأمير أبو اللباب المنبه بن الأسد القرشي السامي أحد ولاة السند، كانت قاعدة ملكه ملتان، أدركه المسعودي سنة ٣٠٣، قال في مروج الذهب: إنه من ولد سامة بن لؤي بن

---

(١) نزهة الألباء في طبقات الأدباء أبو البركات الأنباري ص/٢٨٦

غالب، وهو ذو جيوش ومنعة، وهو ثغر من ثغور المسلمين الكبار، وحول ثغر المسلمين
الملتان من ضياعه وقراه عشرون ومائة ألف قرية مما يقع عليه الإحصاء والعد، وفيه على
ما ذكرنا الصنم المعروف بالملتان، يقصده السند والهند من أقاصي بلادهم بالنذور
والأموال والجواهر والعود وأنواع الطيب، ويحج إليه الألوف من الناس، وأكثر أموال صاحب
الملتان مما يحمل إلى هذا الصنم من العود القماري الخالص الذي يبلغ ثمن الأوقية منه مائة
دينار وإذا ختم بالخاتم أثر فيه كما يؤثر في الشمع، وغير ذلك **من العجائب** التي تحمل إليه،
وإذا نزلت الملوك من الكفار على الملتان وعجز المسلمون عن حربهم هددوهم بكسر هذا
الصنم، وتعويره فترحل الجيوش عنهم عند ذلك، وكان دخولي إلى بلاد الملتان بعد الثلاث
مائة والملك بها أبو الدلهاث المنبه بن أسد القرشي- انتهى.." (١)

"ذلك إلا بعدا عن التبصرة في كل ما أبدي لهم **من العجائب** - حدث عن بني إسرائيل ولا حرج فقال: ﴿وظللنا﴾ من الظلة وهو وقاية مما ينزل من سماء الموقي و ﴿عليكم الغمام﴾ من الغم وهو ما يغم النور أي يغطيه -." (٢)

"على أن الاتخاذ في بعض زمن البعد فقال: من بعده أي بعد مفارقة موسى لكم إلى الطور كما في الآية الأخرى ﴿فتنا قومك من بعدك﴾ [طه: ٨٥]) وأنتم) أي والحال أنكم) ظالمون) أي لم تزعموا أنه إلهكم على جهل منكم بل بعد مجيء البينات إليكم أن إلهكم إنما هو الله الذي أنقذكم من العبودية وأراكم **من العجائب** الخوارق ما لا يقبل شكا وسمعتم كلامه فعلمتم أنه ليس بجسم ولا يشبه الجسم، فلم تفعلوا ذلك غلا لأن الظلم وهو المشي على غير نظام خبط عشواء وصف لكم لازم.." (٣)

"فأشار إلى نعمته بإنزال الكتاب الذي جعله هدى للمتقين، وأشار هنا ما يحمله عليه من التسلية وشرح الصدور بما جرى **من العجائب** والقصص مع كونه هدى ونورا، فقال ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾ [الأعراف: ٢] أي أنه قد تضمن مما أحلناك عليه ما يرفع الحرج ويسلي النفوس لتنذر به كما أنذر من قبلك ممن نقص خبره من الرسل، ولتستن في إنذارك ودعائك وصبرك سننهم، وليتذكر المؤمنون؛ ثم أمر عباده بالاتباع لما أنزله فقال: ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم﴾ [الأعراف: ٣] فإنة هلاك من نقص عليكم خبره من الأمم إنما كان لعدم الاتباع والركون إلى أوليائهم من شياطين الجن والإنس، ثم أتبع ذلك بقصة آدم عليه السلام ليبين لعباده ما جرت سنته فيهم من تسلط الشياطين وكيده وأنه عدو لهم ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة﴾ [الأعراف: ٢٧] ووقع في قصة آدم هنا ما لم يقع في قصة البقرة من بسط ما أجمل هناك كتصريح اللعين بالحسد وتصور خيريته بخلقه من النار وطلبة الإنظار والتسلط على ذرية آدم

---

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي الحسني ٦٣/١
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٣٨٦/١
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٥١/٢

والإذن له في ذلك ووعيده ووعيد متبعيه ثم أخذ في الوسوسة إلى آدم عليه السلام وحلفه له ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾ [الأعراف: ٢١] وكل هذا مما أجمل في سورة البقرة ولم تتكرر قصة إلا وهذا شأنها، أعني أنها تفيد مهما تكررت ما لم يكن حصل منها أولا؛ ثم انجزت." (١)

"عما كان بعد قصة شعيب عليه السلام من قصة صهره موسى عليه السلام مع فرعون وقومه، وهي كالدليل على آيات الإجمال كما كانت القصص الماضية كالدليل على ما في أول السورة من الإجمال، فإن قصة فرعون مشتملة على الأخذ بالبأساء والضراء، ثم الإنعام بالرخاء والسراء، ثم الأخذ بغتة بسبب شدة الوقوف مع الضلال بعد الكشف الشافي والبيان لما على قلوبهم من الطبع وما قادت إليه الحظوظ من الفسق، وكأنه فصلها عن القصص الماضية تنويها بذكرها وتنبيها على علي قدرها، لأن معجزات صاحبها من معجزات من كان قبله، وجهل من عالجهم كان أعظم وأفحش من جهل تلك الأمم، ولذلك عطفها بأداة البعد مع قرب زمنها من التي قبلها إشارة إلى بعد رتبتها بما فيها **من العجائب** وما اشتملت عليه من الرغائب والغرائب، ولذلك مد لها الميدان وأطلق في سياقها للجواد العنان فقال: ﴿ثم بعثنا﴾ أي على عظمتنا ﴿من بعدهم﴾ أي الرسل المذكورين والأمم المهلكين ﴿موسى بآياتنا﴾ أي التي يحق لها العظمة بإضافتها إلينا فثبت بها النبوة ﴿إلى فرعون﴾ هو علم جنس لملوك مصر ككسرى لملوك فارس وقيصر لملوك الروم، وكان اسم فرعون موسى عليه السلام قابوس، وقيل: الوليد بن مصعب ابن الريان ﴿وملئه﴾ أي عظماء قومه، وخصمهم." (٢)

"يطمعوا منها بشيء ناصر أو غيره وأغلظ أكبادا من أن يرتقي فكرهم إلى ما لها **من العجائب** وما بها من الجنود؛ وسبب نزول الآية على ما قال ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا في ظل شجرة فقال: سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا جاء فلا تكلموه، فلم يلبثوا أن طلع رجل أرزق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله. ما قالوا، فأنزل الله الآية؛ وقال الكلبي: نزلت في الجلاس بن سويد، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين فسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس: لئن كان محمدا صادقا لنحن شر من الحمير، فسمعه عامر بن قيس فقال: أجل، إن محمدا لصادق وأنتم شر من الحمير، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قاله الجلاس، فقال الجلاس: كذب علي يا رسول الله! فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر، وقام عامر فحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد قاله وما كذبت عليه، ثم رفع عامر." (٣)

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٣٥٣/٧

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٨/٨

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٥٥١/٨

"امرأة العزيز ورجوعها إلى الحق وشهادتها ليوسف عليه الصلاة والسلام بما منحه الله من النزاهة عن كل ما يشين، ثم استخلاص العزيز إياه - إلى ما انجر في هذه القصة الجليلة من العجائب والعبر ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ [يوسف: ١١١] فقد انفردت هذه القصة بنفسها ولم تناسب ما ذكر من قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم الصلاة والسلام وما جرى في أممهم، فلهذا فصلت عنهم، وقد أشار في سورة برأسها إلى عاقبة من صبر ورضى وسلم ليتنبه المؤمنون على ما في طي ذلك، وقد صرح لهم مما أجملته هذه السورة من الإشارة في قوله تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾ [النور: ٥٥]- إلى قوله ﴿آمنا﴾ [النور: ٥٥] وكانت قصة يوسف عليه الصلاة والسلام بجملتها أشبه شيء بحال المؤمنين في مكابدتهم في أول الأمر وهجرتهم وتشققهم مع قومهم وقلة ذات أيديهم إلى أن جمع الله شملهم ﴿اذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وأورثهم الله الأرض وأيدهم ونصرهم، ذلك بجليل إيمانهم وعظيم صبرهم، فهذا ما أوجب تجرد هذه القصة عن تلك القصص - والله أعلم، وأما تأخر ذكرها عنها فمناسب لحالها ولأنها إخبار بعاقبة من آمن واتعظ ووقف عند ما حد له، فلم يضره." (١)

"الآيات مناسب لمقتضى السورة من التنبيه بما أودع تعالى من الآيات في السماوات والأرض، وكأنه جل وتعالى لما بين لهم عظيم ما أودع من السماوات والأرض وما بينهما من الآيات وبسط ذلك وأوضحه، أردف ذلك بآية أخرى جامعة للآيات ومتسعة للاعتبارات فقال تعالى

﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال﴾ [الرعد: ٣١] فهو من نحو ﴿إن في السماوات والأرض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم﴾ [الجاثية: ٣] أي لو فكرتم في آيات السماوات والأرض لأقلتكم وكفتكم في بيان الطريق إليه ولو فكرتم في أنفسكم وما أودع تعالى فيكم من العجائب لاكتفيتم «من عرف نفسه عرف ربه» فمن قبيل هذا الضرب من الاعتبار هو الواقع في سورة الرعد من بسط آيات السماوات والأرض، ثم ذكر القرآن وما يحتمل، فهذه إشارة إلى ما تضمنت هذه السورة الجليلة من بسط الآيات المودعة في الأرضين والسماوات. وأما قوله تعالى ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ [يوسف: ١٠٦] فقد أشار إليه قوله تعالى: ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ وقوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله لا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد: ٢٨] فالذين تطمئن." (٢)

"بسرائرهم، ولا شك في أن قصة الإسراء إلى بيت المقدس ثم إلى السماوات العلى كان يقظة لا مناما بالدليل القطعي المتواتر من تكذيب من كذب وارتداد من ارتد، وهذا مذهب الجمهور وأهل السنة والجماعة، وقد ورد في صحته ما لا يحصى من الأخبار - هذا النقل، وأما الإمكان العقلي فثابت غير محتاج إلى بيان، فإن كل ذرة من ذرات الموجودات فيها من العجائب والغرائب والدقائق والرقائق ما يتحير فيه العقول، لكن لما كان على وفق العادة ألفته الطباع، فلم تنكره

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١١/١٠

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٢٦٧/١٠

الأبصار ولا الأسماع، وأما مثل هذا فلما كان على خلاف العادة استنكره ضعفاء العقول الذين لا يتجاوز فهمهم المحسوسات، على ما ألفوا من العادات، وأما أولو الألباب الذين سلموا من نزعات الشيطان ووساوس العادة، ونظروا بأعين البصائر إلى آثار رحمة الله في صنع المصنوعات وإحداث المحدثات في الملك والملكوت، والشهادة والغيب، والخلق والأمر، فاعترفوا به، وأنه من عظيم الآيات، وبدائع الدلائل النيرات، وأدل دليل على ذلك قوله تعالى ﴿فتنة﴾ لأنه لو كان رؤيا منام لم يكن بحيث يستبعده أحد فلم يكن فتنة، ولعله إنما سماه رؤيا – وهي للمنام – على وجه." (١)

"ولما كان هذا **من العجائب** التي تضاءل عندها **العجائب**، والغرائب التي تخضع لديها الغرائب، وإن صارت مألوفة بكثرة التكرار، والتجلي على الأبصار، هذا إلى ما له من الآيات التي تزيد على العد، ولا يحصر بحد، من خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر والكواكب – وغير ذلك، حقر آية أصحاب الكهف – وإن كانت من أعجب العجب – لاضمحلالها في جنب ذلك، لأن الشيء إذا كان كذلك كثر ألفه فلم يعد عجبا، فنبه على ذلك بقوله تعالى عطفا على ما تقديره: أعلمت أن هذا وغيره من عجائب قدرتنا؟ : ﴿أم حسبت﴾ على ما لك من العقل الرزين والرأي الرصين ﴿أن أصحاب الكهف﴾ أي الغار الواسع المنقور في الجبل كالبيت ﴿والرقيم﴾ أي القرية أو الجبل ﴿كانوا﴾ هم فقط ﴿من ءاياتنا عجبا *﴾ على ما لزم من تهويل السائلين من الكفرة من اليهود والعرب، والواقع أنهم – وإن كانوا **من العجائب** – ليسوا بعجب بالنسبة إلى كثرة آياتنا، وبالنسبة إلى هذا العجب النباتي الذي أعرضتم عنه بإلفكم له من كثرة تكرره فيكم، فإنه سبحانه أخرج نبات الأرض على تباين." (٢)

"أن في قصة كل منهما ثلاثة أشياء آخرها بناء جدار لا سقف له، وإنما هو لأجل حفظ ما يهتم به خوف المفسد، وصدرها بالإخبار عن سؤالهم إشارة إلى أنهم لم يسألوا عن التي قبلها على ما فيها **من العجائب** واللطائف، والأسرار والمعارف، تبكيتا لليهود في إغفال الأمر بالسؤال عنها إن كان مقصودهم الحق، وإن لم يكن مقصودا لهم كانوا بالتبكيت أجدر، أو تكون معطوفة على مسألتهم الأولى وهي الروح، وصدرها بالإخبار بالسؤال تنبيها على ذلك لطول الفصل، إشارة إلى أن ذلك كله مرتبط بجوابهم ارتباط الدر بالسلك.

ولما كان من المعلوم أنه يقول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: فبماذا أجيبهم؟ قال: ﴿قل﴾ أي لهم: ﴿سأتلوا﴾ أي أقص قصا متتابعا في مستقبل الزمان إن أعلمني الله به ﴿عليكم﴾ أيها المشركون وأهل الكتاب المعلمون لهم مقيدا بأن شاء الله كما سلف لك الأمر به ﴿منه ذكرا *﴾ كافيا لكم في تعرف أمره، جامعا لمجامع ذكره.

ولما كانت قصته من أدل دليل على عظمة الله، جلاها في ذلك المظهر فقال: ﴿إنا﴾ مؤكدا لأن المخاطبين بصدد التعنت والإنكار ﴿مكنا﴾ أي بما لنا من العظمة، قيل: بالملك وحده، وقيل مع." (٣)

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٤٥٨/١١

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٥/١٢

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٢٩/١٢

"مما هم فيه من الذل، فقلت لبعضهم: أشهد أنه المسيح ابن مريم الذي أتى وتبعه النصارى وعاديتموه حتى رفعه الله تعالى، فقال الذي في التوراة أنه يكون له الكل، وعيسة مل كان كذلك، فقلت: إنه يكون له الكل حين ينزل تابعا لديننا من حيث إنه لا يقبل إلا الإسلام، قيطبق أهل الأرض على إتباعهخ عليه، ويسعد به منكم من يتبعه، ويزول عنه الذل، هذا لا يناف كلام التوراة فإنه لم يقيد ذلك بساعة إتيانه. فلم يقبل ذلك، ثم إنه أتى إلي يوما بكتاب من كتبهم في شرح سفر الأنبياء فقال في الكلام على البشائر المتعلقة بالمسيح " ولا يبعد أن يبدو لإسرائيل ثم يختقي ثم يظهر فيكون له الكل " فقلت له: انظر وتبصر هذا عين ما ذكرته لك من قبل فبهت لذلك فقلت: أطعني وأسلم ففكر ثم قال: حتى يريد الله تعالى.

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير في برهانه: لما قال تعالى) أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (ثم أورد خبرهم وخبر الرجلين وموسى والخضر عليهما السلام وقصة ذي القرنين، أتبع سبحانه ذلك بقصص تضمنت **من العجائب** ما هو أشد عجبا وأخفى سببا، فافتتح سورة مريم بيحيي بن زكريا وبشارة زكريا به بعد الشيخوخة وقطع الرجاء وعقر الزوج حتى سأل زكريا مستفهما ومتعجبا) أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) [."(١)

"فقال: ﴿وناديناه﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿من جانب الطور﴾ أي الجانب ﴿الأيمن﴾ فأنبأناه هنالك – حين كان متوجها إلى مصر – بأنه رسولنا، ثم واعدناه إليه بعد إغراق آل فرعون، فكان لبني إسرائيل به **من العجائب** في رحمتهم بإنزال الكتاب، والإلذاذ بالخطاب، من جوف السحاب، وفي إماتتهم لما طلبوا الرؤية، ثم إحيائهم وغير ذلك ما يجل عن الوصف على ما هو مذكور في التوراة، وتقدم كثير منه في هذا الكتاب ﴿وقربناه﴾ بما لنا من العظمة تقريب تشريف حال كونه ﴿نجيا *﴾ نخبره من أمرنا بلا واسطة من النجوى وهي السر والكلام بين الاثنين كالسر، والتشاور كما في يوسف ويأتي في المجادلة ﴿ووهبنا له﴾ أي هبة تليق بعظمتنا ﴿من رحمتنا﴾ له لما سألنا ﴿أخاه﴾ أي معاضدة أخيه وبينه بقوله: ﴿هارون﴾ حال كونه ﴿نبيا *﴾ أو هو بدل أي نبوته شددنا به أزره، وقوينا به أمره، وكان يخلفه من قومه عند ذهابه إلى ساحة المناجاة، ومع ذلك فأشركوا بي صورة عجل، فلا تعجب من غرورهم للعرب مع مباشرتهم لهذه العظائم.

ولما كان إسماعيل عليه الصلاة والسلام هو الذي ساعد أباه." (٢)

"موسى عليه السلام عقب ذلك بتابوته، أو التابوت الذي فيه موسى عليه السلام ﴿في اليم﴾ أي البحر وهو النيل.

ولما كانت سلامته في البحر **من العجائب**، لتعرضه للغرق بقلب الريح للتابوت، أو بكسره في بعض الجدر أو غيرها، أو بجريه مستقيما مع أقوى جرية من الماء إلى البحر الملح وغير ذلك من الآفات، أشار إلى تحتم تنجيته بلام الأمر عبارة عن معنى الخبر في قوله، جاعلا البحر كأنه ذو تمييز ليطيع الأمر: ﴿فليلقه﴾ أي التابوت الذي فيه موسى عليه السلام أو موسى بتابوته ﴿اليم بالساحل﴾ أي شاطىء النيل، سمي بذلك لأن الماء يسحله، أي ينشره إلى جانب البيت الذي الفعل كله

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٦٥/١٢

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٢١٢/١٢

هربا من شر صاحبه، وهو فرعون، وهو المراد بقوله: ﴿يأخذه﴾ جوابا للأمر، أي موسى ﴿عدو لي﴾ ونبه على محل العجب بإعادة لفظ العدو في قوله: ﴿وعدو له﴾ فإنه ما عادى بني إسرائيل بالتذبيح إلا من أجله ﴿وألقيت عليك محبة﴾ أي عظيمة؛ ثم زاد الأمر في تعظيمها إيضاحا بقوله: ﴿مني﴾ أي ليحبك كل من رآك لما جبلتك عليه من الخلال الحميدة، والشيم السديدة، لتكون أهلا لما أريدك له ﴿ولتصنع﴾ أي تربى بأيسر أمر تربية بمن هو ملازم لك لا ينفك عن الاعتناء بمصالحك عناية شديدة ﴿على عيني*﴾ أي مستعليا على حافظيك غير مستخفى." (١)

"المعتاد، وقد وقع مثل هذا لبعض أتباع نبينا صلى الله عليه وسلم، وهو أبو مسلم الخولاني، طلبه الأسود العنسي لما ادعى النبوة فقال له: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال: نعم! فأمر بنار فألقي فيها فوجدوه قائما يصلي فيها وقد صارت عليه بردا وسلاما، وقدم المدينة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر رضي الله عنهما وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله.

ولما كان إنجاؤه – وهو وحده – ممن أرادوا به هذا الأمر العظيم **من العجائب** فكيف إذا انضم إليه غيره، ولم يكن في ذلك الغير آية تمنعهم عنه كما كان في إبراهيم عليه السلام، قال: ﴿ونجيناه﴾ أي بعظمتنا ﴿ولوطا﴾ أي ابن أخيه وصديقه لكونه آمن به وصدقه، من بلادهما كوثى بلاد العراق، منتهيين إلى الأرض المقدسة، ولعله عبر بإلى الدالة على تضمين «انتهى» للدلالة على أن هناك غاية طويلة، فإنهما خرجا من كوثى من أرض العراق إلى حران ثم من حران." (٢)

"ولما كانت إدامتهم السؤال عنها فعل من يظن أن غيره سبحانه يعلمها، أكد فقال: ﴿قل﴾ أي في جوابهم: ﴿إنما علمها عند الله﴾ أي الذي أحاط علما بجميع الخلال، وله جميع أوصاف الجمال والجلال، فهو يعلم ما عند كل أحد ولا يعلم أحد شيئا مما عنده إلا بإذنه.

ولما كان من فؤائد العلم بوقت الشيء التحرز عنه أو مدافعته، قال مشيرا إلى شدة خفائها بإخفائها عن أكمل خلقه مرجيا تقريبها تهديدا لهم: ﴿وما يدريك﴾ أي أي شيء يعلمك بوقتها؟ ثم استأنف قوله: ﴿لعل الساعة﴾ أي التي لا ساعة في الحقيقة غيرها لما لها **من العجائب** ﴿تكون﴾ أي توجد وتحدث على وجه مهول عجيب ﴿قريبا *﴾ أي في زمن قريب، ويجوز أن يكون التذكير لأجل الوقت لأن السؤال عنها إنما هو سؤال عن تعيين وقتها، قال البخاري في الصحيح: إذا وصفت صفة المؤنث قلت: قريبة، وإذا جعلته ظرفا وبدلا ولم ترد الصفة نزعت الهاء من المؤنث، وكذلك لفظها في الواحد والاثنين والجمع للذكر والأنثى. والمراد بالتعبير بلعل أنها بحيث يرجو قربها من يرجوه ويخشاه من يخشاه، فهل أعد من يخشاها شيئا للمدافعة إذا جاءت أو النجاة منها إذا أقبلت؟ ثم استأنف الإخبار بحال السائلين عنها بقوله مؤكدا في مقابلة إنكار الكفار أن يكون في حالهم شي من نقص: ﴿إن الله﴾." (٣)

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٢٨٧/١٢

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٤٤٧/١٢

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٤١٦/١٥

"﴿فانظر﴾ أي فتسبب عن الإرسال أنا فعلنا في إهلاكهم **من العجائب** ما يستحق التعجيب به والتحذير من مثله بأن يقال لمن تخلف عنهم: انظر ﴿كيف﴾ ولما كان ذلك عادة مستمرة لم تختلف أصلا قال: ﴿كان عاقبة﴾ أي آخر امر ﴿المنذرين﴾ أي في إنا أهلكناهم لتكذيبهم، فاصبر على الشدائد كما صبروا، واستمر على الدعاء بالبشارة والنذارة حتى يأتيك أمر الله.

ولما أفهم الحكم على الأكثر بالضلال أن الأقل على غير حالهم، نبه على حال الطائعين بقوله مستثنيا من ضمير المنذرين: ﴿إلا عباد الله﴾ أي الذين استخلصهم سبحانه بما له من صفات الكمال، فاستحقوا الإضافة إلى اسمه الأعظم ﴿المخلصين *﴾ أي الذين أخلصهم له فأخلصوا هم أعمالهم فلم يجعلوا فيها شوبا لغيره.

ولما كان مقصود السورة التنزيه الذي هو الإبعاد عن النقائص، ولذلك كان أنسب الأشياء الإقسام أولها بالملائكة هم أنزه الخلق، وكان أعلى الخلق من جرد نفسه عن الحظوظ بما يؤتيه الله من المجاهدات والمنازلات والمعالجات حتى يلحق بهم فيجوز مع فضلهم معالي الجهاد، فكان أحق الأنبياء بالذكر من كان أكثر تجريدا لنفسه من الشواغل سيرا إلى مولاه وتعريجا عن كل ما سواه، وكان الأب." (١)

"﴿والأرض﴾ على سعتها وضخامتها وكثافتها وما فيها **من العجائب.**

ولما كان القائل مخيرا كما قال ابن مالك في الكافية الشافية عند اختلاط العقلاء بغيرهم في إطلاق ما شاء من «من» التي أغلب إطلاقها على العقلاء و «ما» التي هي بعكس ذلك، وكان ربما وقع في وهم أن تمكنه تعالى من العقلاء دون تمكنه من غيرهم لما لهم من الحيل التي يحترزون بها عن المحذور، وينظرون بها في عواقب الأمور، أشار إلى أن حكمه فيهم كحكمه في غيرهم من غير فرق بالتعبير عنهم ب «ما» التي أصلها وأغلب استعمالها لمن لا يعقل، وسياق العظمة بالوحدانية وآثارها دال على دخولها في العبادة قطعا فقال: ﴿وما بينهما﴾ أي الخافقين من الفضاء والهواء وغيرهما من العناصر والنبات والحيوانات العقلاء وغيرها، ربي كل شيء من ذلك إيجادا وإبقاء على ما يريد وإن كره ذلك المربوب، فدل ذلك على قهره، وتفرده في جميع أمره.

ولما كان السياق للإنذار، كرر ما يدل على القهر فقال: ﴿العزيز﴾ أي الذي يعز الوصول إليه ويغلب كل شيء ولا يغلبه شيء، ولما ثبت أنه يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء، وكانت دلالة الوصفين العظيمين على الوعيد أظهر من إشعارها بالوعد، كان موضع قولهم،." (٢)

"ولما علم بهذه البراهين أنه سبحانه المتصرف في المعاني بتصرفه في القلوب بالهداية والإضلال، وكان التقدير: فلئن قررتم بهذا الاستفهام الإنكاري ليقولن: بلى! عطف عليه بيان أن الخالق للذات كما أنه المالك للمعاني والصفات، فقال مفسدا لدينهم باعترافهم بأصلين: القدرة التامة له والعجز الكامل لمعبوداتهم: ﴿ولئن سألتهم﴾ أي فقلت لمن شئت منهم فرادى أو مجتمعين: ﴿من خلق السماوات﴾ أي على ما لها من الاتساع والعظمة والارتفاع ﴿والأرض﴾ على ما لها **من**

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٦/٢٤٤

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٦/٤١٤

العجائب وفيها من الانتفاع ﴿ليقولن﴾ بعد تخويفهم لك بشركائهم الذين هم من جملة خلق من أرسلك بما أنت فيه: الذي خلقها ﴿الله﴾ أي وحده الذي لا سمي له وإلباس بوجه في أمره، ولا يصدهم عن ذلك الحياء من التناقض ولا الخوف من التهافت بالتعارض.." (١)

"ابن خليل الله فعل العالي ﴿على الله﴾ الذي له مجامع العظمة ومعاقد العزة بنفوذ الكلمة وجميع أوصاف الكمال فإنكم إن فعلتم ذلك أخذكم بعزته ودمركم بعظمته.

ولما كان علو من يتصرف في العبد على مالك العبد لا يثبت إلا بعد ثبوت أنه ملكه وأنه لا يحب التصرف فيه، علل ذلك بقوله مؤكدا لأجل أن ما أتى به بصدد أن ينكروه لأن النزوع عما استقر في النفس ومضى عليه الإلف بعيد: ﴿إني آتيكم﴾ وهو يصح أن يكون اسم فاعل وأن يكون فعلا مضارعا. ولما كان فعلهم فعل العالي على السلطان، قال: ﴿بسلطان﴾ أي أمر باهر قاهر من عند مالكهم، لا يسوغ لأحد الاستعلاء عليه فكيف بالاستعلاء على من هو بأمره ﴿مبين *﴾ أي واضح في نفسه سلطنته ومظهر لغيره ذلك.

ولما كان **من العجائب** أن يقتل منهم نفسا ثم يخرج فارا منهم ثم يأتي إليهم لا سيما إتيانا يقاهرهم فيه في أمر عظيم من غير أن يقع بينهم وبينه ما يمحو ما تقدم منه، نبههم على إتيانه هذا على هذا الحال آية أخرى دالة على السلطان، فقال مؤكدا تكذيبا لظنهم أنه في قبضتهم: ﴿وإني عذت﴾ أي اعتصمت وامتنعت ﴿بربي﴾ الذي." (٢)

"﴿هم﴾ أي أولئك القرون بظواهرهم وبواطنهم ﴿أشد منهم﴾ أي من قريش ﴿بطشا﴾ أي قوة وأخذا لما يريدونه بالعنف والسطوة والشدة، وحذف الجار هنا يدل على أن كل من كان قبل قريش كانوا أقوى منهم، وإثباته في ص يدل على أن المذكورين بالإهلاك هناك مع الاتصاف بالنداء المذكور بعض المهلكين لا كلهم. ولما أخبر سبحانه بأشديتهم سبب عنه قوله: ﴿فنقبوا﴾ أي أوقعوا النقب ﴿في البلاد﴾ بأن فتحو فيها الأبواب الحسية والمعنوية وخرقوا في أرجائها ما لم يقدر غيرهم عليه وبالغوا في السير في النقاب، وهي طرق الجبال والطرق الضيقة فضلا عن الواسعة وما في السهول، بعقولهم الواسعة وآرائهم النافذة وطبائعهم القوية، وبحثوا مع ذلك عن الأخبار، وأخبروا غيرهم بما لم يصل إليهم، وكان كل منهم نقابا في ذلك أي علامة فيه فصارت له به مناقب أو مفاخر.

ولما كان التقدير: ولم يسلموا مع كثرة تنقيبهم وشدته من إهلاكنا بغوائل الزمان ونوازل الحدثان، توجه سؤال كل سامع على ما في ذلك **من العجائب** والشدة والهول والمخاوف سؤال تنبيه للذاهل الغافل، وتقريع وتبكيت للمعاند الجاهل، بقوله: ﴿هل من محيص *﴾ أي معدل ومحيد ومهرب وإن دق، من قضائنا ليكون لهؤلاء وجه ما في رد أمرنا.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٥١١/١٦

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٢٢/١٨

ولما ذكرنا هنا من المواعظ ما أرقص الجماد، فكيف بمن يدعي أنه من رؤوس النقاد، أنتج قوله مؤكدا لأجل إنكار الجاحد وعناد المعاند:." (١)

"البعث، والشرع الذي أرسلت به هذا النبي الكريم ﴿لواقع *﴾ لا بد منه وإن أنكرتم ذلك، فيظهر دينه على الدين كله كما وعد بذلك، ثم نقيم الناس كلهم للحساب.

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير في برهانه: لما ذكر سبحانه المواعيد الأخروية في سورة ق وعظيم تلك الأحوال من لدن قوله ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ إلى آخر السورة، أتبع سبحانه ذلك بالقسم على وقوعه وصدقه فقال: ﴿والذاريات ذروا﴾ إلى قوله: ﴿إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع﴾ والدين الجزاء، أي أنهم سيجازون على ما كان منهم ويوفون قسط أعمالهم ﴿فلا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون﴾ ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثما﴾ . ولما أقسم الله على صدق وعده ووقوع الجزاء، عقب ذلك بتكذيبهم بالجزاء وازدرائهم فقال ﴿يسألون أيان يوم الدين﴾ ثم ذكر تعالى حال الفريقين وانتهاء الطريقين إلى قوله: ﴿وفي الأرض آيات للموقنين﴾ فوبخ تعالى من لم يعمل فكره ولا بسط نظره فيما أودع سبحانه في العالم **من العجائب**، وأعقب بذكر إشارات إلى أحوال الأمم وما أعقبهم تكذيبهم، وكل هذا تنبيه لبسط النظر إلى قوله: ﴿ومن كل شيء خلقنا﴾ بقوله: ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾ أي إن هذا دأبهم وعادتهم حتى كأنهم تعاهدوا عليه وألقاء بعضهم إلى بعض فقال." (٢)

"المكان فقال: ﴿عند سدرة المنتهى *﴾ أي الشجرة التي هي كالسدر وينتهي إليها علم الخلائق وينتهي إليها ما يعرج من تحت وما ينزل من فوق، فيتلقى هنالك، وذلك - والله أعلم - ليلة الإسراء في السنة الثالثة عشرة من النبوة قبل الهجرة بقليل بعد الترقي في معراج الكمالات من السنين على عدد السماوات وما بينهما من المسافات، فانتهى إلى منتهى يسمع فيه صريف الأقلام، وعظمها بقوله: ﴿عندها﴾ أي السدرة ﴿جنة المأوى *﴾ الذي لا مأوى في الحقيقة غيره لأنه لا يوازي في عظمه، وزاد في تعظيمها بقوله: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى *﴾ أي يغطيها ويركبها وسمره؟ من فراش الذهب والرفرف الأخضر والملائكة والنبق وغير ذلك فإن الغشو النبق ﴿ما يغشى﴾ لا تحتملون وصفه وهو بحيث يكاد أن لا يحصى، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث: «وغشيها، ألا وإني لا أدري ما هي فليس أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها» أو كما قال صلى الله عليه وسلم، وأكد الرؤية وقررها مستأنفا بقوله: ﴿ما زاغ﴾ أي ما مال أدنى ميل ﴿البصر﴾ أي الذي لا بصر لمخلوق أكمل منه، فما قصر عن النظر فيما أذن له فيه ولا زاد ﴿وما طغى *﴾ أي تجاوز الحد إلى ما لم يؤذن له فيه مع أن ذلك العالم غريب عن بني آدم، وفيه **من العجائب** ما يحير الناظر، بل كانت له العفة الصادقة المتوسطة بين الشره والزهادة على أتم قوانين العدل، فأثبت ما رآه على حقيقته، وكما قال السهروردي في أول الباب الثاني والثلاثين من عوارفه: وأخبر تعالى بحسن أدبه في الحضرة بهذه الآية، وهذه غامضة من." (٣)

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٤٣٥/١٨

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٤٤٩/١٨

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٥٣/١٩

"هذا اللطف وعظيم هذا الحلم حتى يرادوا إلى بسط الدلالات وإيضاح البينات إن تعذر إليهم زيادة في البلاغ، فأنبأ تعالى أن هذا رحمة فقال ﴿الرحمن علم القرآن﴾ ثم إذا تأملت سورة القمر وجدت خطابها وإعذارها خاصا ببني آدم بل بمشركي العرب منهم فقط، فاتبعت سورة القمر بسورة الرحمن تنبيها للثقلين وإعذارا إليهم وتقريرا للجنسين على ما أودع سبحانه في العالم **من العجائب** والبراهين الساطعة فتكرر فيها التقرير والتنبيه بقوله تعالى: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ خطابا للجنسين وإعذارا للثقلين فبان اتصالها بسورة القمر أشد البيان - انتهى.

ولما كان كأنه قيل: كيف علمه وهو صفة من صفاته ولمن علمه، قال مستأنفا أو معللا: ﴿خلق الإنسان *﴾ أي قدره وأوجده على هذا الشكل المعروف والتركيب الموصوف منفصلا عن جميع الجمادات وأصله منها ثم عن سائر الناميات ثم عن غيره من الحيوانات، وجعله أصنافا، وفصل بين كل قوم بلسانهم عمن عداهم وخلقه لهم دليل على خلقه لكل شيء موجود

﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ [القمر: ٤٩] والإنسان وإن كان اسم جنس لكن أحقهم بالإرادة بهذا أولهم وهو آدم عليه السلام، وإرادته - كما قال ابن عباس رضي الله عنهما - لا تمنع إرادة الجنس من حيث هو.." (١)

"الأمر بقدر استطاعته فقال: ﴿يؤثر *﴾ أي من شأنه أن ينقله السامع له من غيره، فهو لقوة سحريته وإفراطها في بابها يفرق بمجرد الرواية بين المرء وزوجه وبين المرء وأبيه وابنه إلى غير ذلك **من العجائب** التي تنشأ عنه. ولما كان السامع يجوز أن يكون مأثورا عن الله فيوجب له ذلك الرغبة فيه، قال من غير عاطف كالمبين للأول والمؤكد له، وساقه على وجه التأكيد بالحصر لعلمه أن كل ذي بصيرة ينكر كلامه: ﴿إن﴾ أي ما ﴿هذا﴾ أي القرآن ﴿إلا قول البشر *﴾ أي ليس فيه شيء عن الله فلا يغتر أحد به ولا يعرج عليه، وقد مدحه بهذا الذم بعد هذا التفكير كله من حيث إنه أثبت أنه معجوز عنه لأغلب الناس كما يعجزون عن السحر فسكت ألفا ونطق خلفا، فكان شبيها من بعض الوجوه بما قاله بعضهم:

لو قيل «كم خمس وخمس» لاغتدى ... يوما وليلته يعد ويحسب

ويقول معضلة عجيب أمرها ... ولئن عجبت لها الأمري أعجب

حتى إذا خدرت يداه وعورت ... عيناه مما قد يخط ويكتب

أوفى على شرف وقال ألا انظروا ... ويكاد من فرح يجن ويسلب

خمس وخمس ستة أو سبعة ... قولان قالهما الخليل وثعلب

وهكذا كل حق يجد المبالغ في ذمه لا ينفك ذمه عن إفهام مدح له." (٢)

"في بطنها في القبور وغيرها كما كنتم قبل خلق آدم عليه السلام.

ولما ذكر ما تغيبه من جبال العلم والملك وغيرهما، أتبعه ما تبرزه من الشواهق إعلاما بأنه لو كان الفعل للطبيعة ما كان الأمر هكذا، فإنه لا يخرج هذه الجبال العظيمة على ما لها من الكبر والرسوخ والثقل والصلابة وغير ذلك من العظمة إلا الفاعل

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٤٣/١٩

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٥٦/٢١

المختار، هذا إلى ما يحفظ في أعاليها من المياه التي تنبت الأشجار وتخرج العيون والأنهار، بل أكثر ما يخرج من المياه هو منها، وكذا غالب المنافع من المعادن وغيرها قال: ﴿وجعلنا﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿فيها﴾ أي الأرض ﴿رواسي﴾ لولاها لمادت بأهلها، **ومن العجائب** أن مراسيها من فوقها خلافا لمراسي السفن ﴿شامخات﴾ أي هي مع كونها ثوابت في أنفسها مثبتة لغيرها طوال جدا عظيمة الارتفاع كأنها قد تكبرت على بقية الأرض وعلى من يريد صعودها، وتنكيره للتعظيم.

ولما كان **من العجائب** الخارقة للعوائد فوران الماء الذي من طبعه أن يغور لا أن يفور لما له من الثقل واللطافة التي أفادته قوة السريان في الأعماق وفي كون ذلك منه من موضع من الأرض دون آخر، وكونه من الجبال التي هي أصل الأرض ومن صخورها غالبا دلالة ظاهرة على أن الفعل للواحد المختار الجبال القهار لا للطبائع قال: ﴿وأسقيناكم﴾ أي جعلنا لكم بما لنا من العظمة شرابا لسقيكم وسقي ما تريدون سقيه من الأنعام والحرث وغير ذلك ﴿ماء﴾ من لأنهار." (١)

"﴿وأخرج ضحاها *﴾ بطلوع شمسها فأضاء نهارها، فالآية من الاحتباك: دل ب «أغطش» على «أضاء» وبإخراج الضحى على إخفاء الضياء، ولعله عبر بالضحى عن النهار لأنه أزهر ما فيه وأقوى نورا.

ولما بدأ بدلالة العالم العلوي لأنه أدل لما فيه **من العجائب** والمنافع مع كونه أشرف، فذكر أنه أتقن السماء التي هي كالذكر، ثنى بأنه سوى ما هي لها كالأنثى فقال: ﴿والأرض﴾ ولما كان المراد استغراق الزمان باستمرار الدحو، حذف الخافض فقال: ﴿بعد ذلك﴾ أي المذكور كله ﴿دحاها﴾ أي بسطها ومدها للسكنى وبقية المنافع بعد أن كان خلقها وأوجدها قبل إيجاد السماء غير مسواة بالفعل ولا مدحوة.

ولما ذكر الدحو، أتبعه ما استلزمه من المنافع لتوقف السكنى المقصودة بالدحو عليه فقال كالمبين له من غير عاطف: ﴿أخرج منها﴾ أي الأرض ﴿ماءها﴾ بتفجير العيون، وإضافته إليها دليل على أنه فيها ﴿ومرعاها *﴾ الذي يخرج بالماء، والمراد ما يرعى منها ومكانه وزمانه.

ولما ذكر الأرض ومنافعها، ذكر المراسي التي تم بها نفعها فقال: ﴿والجبال﴾ أي خاصة ﴿أرساها *﴾ أي أثبتها وأقرها ومع كونها ثابتة لا تتحول فإنه سبحانه جعلها مراسي للأرض تكون سببا." (٢)

"ولما دل هذا على عموم السؤال، ذكر ما ينشأ عنه مما يدل على النعيم أو النكال فقال: ﴿وإذا الصحف﴾ أي الأوراق التي كتبت فيها أعمال العباد ﴿نشرت *﴾ أي فرقت مفتحة تفتيحا عظيما على أربابها بأيسر أمر فتأتي السعيد في يمينه من تلقاء وجهه على وجه يكون فيه بشارة له، وتأتي الشقي من وراء ظهره وفي شماله بعد أن كانت طويت عند موته، ونشرها مثل تسيير الجبال وتطايرها، فمن اعتقد أن صحيفته ثابتة فترديه أو تنجيه لم يضع فيها إلا حسنا من قول أو عمل أو اعتقاد.

ولما ذكر ما يطلق وينشر، أتبعه ما يطوى ويحصر، ليبدو ما فوقه **من العجائب** وينظر، فقال: ﴿وإذا السماء﴾ أي هذا

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٧٥/٢١

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٢٤٠/٢١

الجنس كله، أفرده لأنه يعلم بالقدرة على بعضه القدرة على الباقي ﴿كشطت *﴾ أي قلعت بقوة عظيمة وسرعة زائدة وأزيلت عن مكانها التي هي ساترة له محيطة به، أو عن الهواء المحيط بسطحها الذي هو كالروح لها كما يكشط الإهاب عما هو ساتر له ومحيط به مع شدة الالتزاق به لأن ذلك يوم الكشف والإظهار ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ [ق: ٢٢] وكشطها." (١)

"على مثلها من غير فرق غير أنه وإن كان العقل لا يستقل به ولا يفقه منه غير السماء للوعد به من الرسل فهو لا يحيله بعد سماعه.

ولما كان الجمع لأجل العرض، وكان العرض لا بد فيه من شهود ومشهود عليهم وجدال على عهود، قال منكرا للإبهام للتعظيم والتعميم مثل ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ [التكوير: ١٤] : ﴿وشاهد﴾ أي كريم من الأولياء ﴿ومشهود *﴾ أي في نفسه من الأعيان والآثار الهائلة، أو عليه فإنه يوم تشهده جميع الخلائق، ويحضر فيه **من العجائب** أمور يكل عنها الوصف، ويحضره الأنبياء الشاهدون وأممهم المشهود عليهم، ولا تبقى صغيرة من الأعمال ولا كبيرة إلا أحصيت، وفي ذلك أشد وعيد لجميع العبيد.

ولما كان جواب القسم على ما دل عليه مقصود السورة وسوابقها ولواحقها: لنثوبن الفريقين الأولياء والأعداء، ولندينن كلا بما عمل، دل عليه بأفعاله في الدنيا ببعض الجبابرة فيما مضى، وفيما يفعل بجبابرة من كذب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال بادئا بمن عذب بعذاب الله في القيامة للبداءة في آخر الانشقاق بقسم المكذبين وهم المحدث عنهم، معبرا بما يصلح للدعاء والحقيقة تسلية للمؤمنين وتثبيتا لهم بما وقع لأمثالهم، وتحذيرا مما كان لأشكالهم: ﴿قتل﴾ أي لعن بأيسر أمر." (٢)

"حين لا ينفع التذكر ﴿إذا دكت الأرض دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجيء يومئذ بجهنم، يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى﴾ - انتهى.

ولما كان التقدير كما هدى إليه السياق: ليبعثن كلهم صاغرين ثم ليحشرن ثم ليحاسبن فيجازى كل أحد بما عمل، فإن آمنوا بذلك نجوا وإلا عذبهم الذي ثبتت قدرته على العذاب الأكبر بعد العذاب الأدنى بسبب قدرته على البعث بسبب قدرته على ما رأيتم من خلق الإبل والسماء والجبال والأرض على ما في كل **من العجائب** بسبب قدرته على كل شيء، وهذا هو المقصود بالذات، حذف زيادة في تعظيمه واعتمادا على معرفته بما هدى إليه من السياق في جميع السورة وما قبلها. ولما طوى جواب القسم لإرشاد السياق إليه وتعويل المعنى عليه، وتهويلا له مع العلم بأنه لا يكون قسم بغير مقسم عليه، وكان قد علمت القدرة عليه مما أشير إليه بالمقسم به، أوضح تلك القدرة بأمر العذاب الأدنى - للأمم الماضية، فقال مخاطبا لمن قال له في آخر تلك ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾ [الغاشية: ٢١] تسلية له صلى الله عليه وسلم وإشعارا بأنه لا

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٢٨١/٢١

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٣٥٥/٢١

يتدبره حق تدبره غيره، وتهديدا لمن كذب من قومه: ﴿ألم تر﴾ أي تنظر بعين الفكر يا أشرف رسلنا فتعلم علما هو في التيقن به كالمحسوس بالبصر، وعبر." (١)

"﴿لشهيد *﴾ لأنه مقر إذا حوقق بأن جميع ما هو فيه من إحسان ربه وبأن ربه نهاه عن المخالفة، أو أنه لا أمر عنده منه بما فعل، وأنه لا ينبغي لعاقل أن يتحرك بحركة يمكن أن يكرهها الملك الذي هو في خدمته ولا شيء له إلا منه بغير إذنه، وأنه إن تحرك بغير ذلك كان كافرا لإحسانه مستحقا لعقابه، لا يقدر على إنكار شيء منه.

ولما كان **من العجائب** أن يكفر أحد إحسان المنعم، وهو شاهد على نفسه، ذكر الحامل له على ذلك حتى هان عليه فقال: ﴿وإنه﴾ أي الإنسان من حيث هو مع شهادته على نفسه بالكفر الذي يقتضي سلب النعم ﴿لحب﴾ أي لأجل حب ﴿الخير﴾ أي المال الذي لا يعد غيره لجهله خيرا ﴿لشديد *﴾ أي بخيل بالمال ضابط له ممسك عليه، أو بليغ القوة في حبه لأن منفعته في الدنيا وهو متقيد بالعاجل الحاضر المحسوس مع علمه بأن أقل ما فيه أنه يشغله عن حسن الخدمة لربه وهو معرض عن الدين حيث كانت منفعته آجلة غائبة مع علمه بأن المعرف بما يرضى من خدمة ربه الحاث عليها الداعي إليها فهو لحب عبادة الله ضعيف متقاعس، وكان حبه الخير يقتضي عنه الشكر الذي يتقاضى الزيادة، ولا يتخيل أن شديدا عامل في الحب لأن ما بعد اللام لا يعمل فيها قبلها، وإنما ذلك المتقدم دليل على المعمول المحذوف.." (٢)

"لما كانت لذة هذه الدنيا الظاهرة التنعم بما فيها من المتاع، وكان الإنسان مسؤولا بما شهد به، ختم التكاثر عن ذلك النعيم متوعدا برؤية الجحيم، فكان ساكن هذه الدار على غاية الخطر، فكان نعيمه في غاية الكدر، قال دالا على ذلك بأن أكثر الناس هالك، مؤكدا بالقسم والأداة لما للأغلب من التكذيب لذلك إما بالمقال أو بالحال: ﴿والعصر *﴾ أي الزمان الذي خلق فيه أصله آدم عليه الصلاة والسلام وهو في عصر يوم الجمعة كما ورد في الحديث الصحيح في مسلم، أو الصلاة الوسطى أو وقتها الذي هو زمان صاحب هذا الشرع الذي مقداره فيما مضى من الزمان بمقدار وقت العصر من النهار أو بعضه، أو زمان كل أحد الذي هو الخلاصة بالنسبة إليه تنبيها له على نفاسته إشارة إلى اغتنام إنفاقه في الخير إشفاقا من الحشر، أو وقت الأصيل لأنه أفضله بما يحويه من الفراغ من الأشغال واستقبال الراحة والحصول على فائدة ما أنفق فيه ذلك النهار، وبما دل عليه من طول الساعة وربح من كان له فيها بضاعة باختتام الأعمال وتقوض النهار، والدال على البعث، أو جميع الدهر الذي أوجد فيه سبحانه وتعالى المخلوقات وقدر فيه المقدورات بما ظهر فيه **من العجائب** الدالة على ما لله." (٣)

"أليس **من العجائب** أن ... عزمي ليس بالواني
وحظي كلما خالل ... ت من خل تعداني

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٢٢/٢٦

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٢٢/٢١٦

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٢٢/٢٣٦

وبدري حاضر ناء ... فقل في غائب داني

وما نفعي بقرب الدا ... ر مع صد وحرمان

فرب قريب أوطان ... يعد بعيد أوطان

أراني قد جبلت على ... هواك فلست تخشاني

وقلبي بالورى قلب ... وقلبك فيه قلبان

وقوله:

مصدق الكاشح والشاني ... ومرس الدمع من الشان

ذاك الي ملكه مهجتي ... من كل يوم هو في شان

من أجمع الناس على حبه ... لم يختلف في وصفه اثنان

غصن من الدر لذيذ الجنى ... لكنه عز عن الجاني

حلو التثني والثنايا التي ... أزرت على بارق نعمان

أصلي فؤادي نار هجر لنا ... مقتبس من خده القاني

أعيذه بالله أن ينتحي ... ظلم بلا واضح برهان

إلا على الشورى التي أودعت ... إليه من زخرف غيران

يا لي من الواشي الغيور الذي ... أغراه بالزور وأغراني

لكنني لم أستمع فيه قو ... ل الزور من إنس ولا جان

يا ساحر الطرف الكحيل الذي ... أخرجني من أرض سلوان

وكيف أسلو وغريم الهوى ... في كل حين يتقاضاني

أشكوك حالا أنت أدرى بها ... يرثي لها شامخ ثهلان

قد كدت أن أكتمها دائما ... وإنما فعلك ألجاني

فما عدا فيما بدا بيننا ... حتى تهاونت بأيماني

وأنت قد أمنتني بعدها ... سطوة إعراض وهجران

أخلفتني أول وعد فهل ... أطمع في الثالث والثاني

ثناك ريح العذل عن واله ... والريح تثني غصن البان

قد كاد من قبلك أن ينثني ... وإنما حظي أقصاني

فهو الذي أزداد علما به ... يسعى لإقصائي وحرماني

وهاك عتبي فاحتمله وإن ... أسأت عاملني بإحسان

وأنت في أوسع حل ولا ... واخذك الله بأشجاني

واحكم بما شئت وما ترتضي ... فكل ما يرضيك أرضاني

وكل أرض أنت ثاو بها ... تصير من جملة أوطاني

أخوه محمد أديب كما تقترح، له طبع طيع وخاطر منشرح.

اقتفى أثر أخيه في أسلوبه، فتم له ما جنح إليه على وفق مطلوبه.

فمن رآهما عرف ابني صاعد، وقال كلا الفرقدين محلهما غير متباعد.

فهما يد وساعد في الاتصال، وجسمان والروح واحد لا يقبل الانفصال.

وقد ظفرت لهذا بشعر قليل، لكنه على ما قلته في وصفه أول دليل.

فمنه قوله:

حث المطي إلى الأوطان يا حادي ... أما ترى السعد قد ناداك بالنادي

غدت طوالعه بالسعد تخبرنا ... وجودته بإتقان وإسناد

عساك تبلغ بي الأحوى الذي فتكت ... ألحاظه وأهاجت نار أكبادي

رمت فؤادي على عمد وما حفظت ... عهدي ولا أنجزت بالوصل ميعادي

من لي برشف رضاب من مقبله ... يروي ظما قلبي المستأسر الصادي." (١)

"قالوا أضافك يا يحيى لخدمته ... حبيب قلبك في سر وفي علن

فقلت لما رآني غير منصرف ... عن حبه رام كسري فهو يجبرني

وله موجها بأسماء الأنغام، فيمن اسمه حسين، وقد ورد المدينة من مكة:

أقول لمعشر العشاق لما ... بدا ركب الحجاز وقر عيني

أمنتم من نوى المحبوب فاسعوا ... له رملا وغنوا في حسيني

وما ألطف قول ابن جابر الأندلسي، في مثل ذلك:

يا أيها الحادي اسقني كأس السرى ... نحو الحبيب ومهجتي للساقي

حي العراق على النوى واحمل إلى ... أهل الحجاز رسائل العشاق

وله تأليف سماه أنموذج النجبا من معاشرة الأدبا تكلم فيه شارحا لقول القائل:

حاشا شمائلك اللطيفة أن ترى ... عونا علي مع الزمان القاسي

غير أنه لم يعرف قائله، فقال: ولعمري، إنه، وإن جهل بانيه، من البيوت التي أذن الله أن تسكن، فما اللفظ إلا بمعانيه، وإن كان قائله ألكن.

ثم قال: وهذا البيت مما يكثر الاستشهاد به أهل الآداب، في محاضرة الأصدقاء والأحباب.

وهو من أربعة أبيات معمورة بلطيف العتاب، وتنزيه شمائل الأنجاب، مبرورة بصدق المنطق واقتضاء الصواب.

محاسنها غرر في جياد القصائد، ولمعاني البديع بها صلة ومن مفرداتها عائد.

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٤٢٦/١

تشرق شموس التهذيب في سماء بلاغتها، وترتشف الأسماع على الطرب من رقيق سلافتها.

فما أحقها بقول القائل:

أبيات شعر كالقصو ... ر ولا قصور بها يليق

ومن العجائب لفظها ... حر ومعناها رقيق

وهي:

إني لأعجب من صدودك والجفا ... من بعد ذاك القرب والإيناس

حاشا شمائلك اللطيفة أن ترى ... عونا علي مع الزمان القاسي

أو ثغرك الصافي يرد حشاشة ... تشكو لهيبا من لظى أنفاسي

تالله ما هذا فعالك في الهوى ... لكن حظوظ قسمت في الناس

انتهى كلامه.

قال ابن معصوم: قلت: وقد وقفت أنا بالديار الهندية على مجموع بخط أبي البقاء الوفائي الوداعي الحنفي قديم، يقول فيه: القاضي علاء الدين علي بن فضل الله أبو الحسن، صاحب ديوان الإنشاء، أخو القاضي شهاب الدين أحمد العمري، وقف على بيتين للصلاح الصفدي.

وهما:

إني لأعجب من صدودك والجفا ... من بعد ذاك القرب والإيناس

حاشا شمائلك.................. ... .الخ

فقال مجيزا لهما:

أو ثغرك الصافي يرد حشاشتي ... . البيتين.

انتهى.

فعلم بهذا أن البيت الذي شرحه للصلاح الصفدي.

وقوله: إنه من أربعة أبيات ليس بصواب؛ لإيهامه أن الأربعة الأبيات قائلها واحد، وقد علمت أنها لشاعرين.

والله أعلم.

عبد الملك بن حسين العصامي هو بمنزلة الغرة بين البصر والجبين، رمقته عين العناية منذ أطلق عليه لفظ الجنين.

فنشأ مترديا من النعمة ثوبا سابغان ومترويا من الرفاهة شرابا سائغا.

لا دأب له إلا توسم وفود الآداب في سوق عكاظها، ولا شغل له إلا استكشاف وجوه المعاني المخبأة تحت براقع ألفاظها.

مشتملا بحلي الكمالات وبرودها، رافلا بين عقيق الفضائل وزرودها.

حتى ظنت حصاة علاه، وعجزت حصاة حلاه.

فما الدهر إلا من رواة معاليه، وما بديع الزمان إلا من خدمة معانيه.

وناهيك بعصامي النفس والجد، وماجد جد في المعالي فساعفه على نيله الحظ والجد.

وقد صحبته أيام المجاورة، واغتنمت من نشوة المحاضرة والمحاورة.

في أوقات لا أحسب من عمري غيرها، ولا أنسى مدة عمري خيرها وميرها.

وقد أخذت عنه من بدعه، ومخترعه في محاسن الشعر ومبتدعه.

ما تتوالد من غصون حضيرته ولدان القريض، وتقتطف أزهار الأدب الغض من غصون روضه الأريض.

فمن ذلك قوله من قصيدة مدح بها الشريف سعد بن زيد، مطلعها:." (١)

"سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وإن كثرت منه علي الجرائم

وما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثل مقاوم

فأما الذي فوقي فأعرف فضله ... وأتبع فيه الحق والحق لازم

وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا ... تفضلت إن الفضل بالعز حاكم

وأما الذي دوني فإن قال: صنت عن ... إجابته عرضي وإن لام لائم

وقال: قدمت من عمان ورأيي رأي الصفرية، فجلست إلى أيوب بن أبي تميمة السختياني، فسمعته يقول: إذا أردت أن تعلم علم أستاذك فجالس غيره! فظننت أنه يعنيني، فلزمته فنفعني الله به.

قال يونس: قلت للخليل: مابال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنهم بنو أم واحدة وعلي بن أبي طالب عليه السلام كأنه ابن علة؟ فقال: من أين لك هذا السؤال؟ قلت: أريد أن تجيبني! فقال: على أن تكتم علي مادمت حيا! قلت: أجل! فقال: تقدمهم إسلاما وبذهم شرفا وفاقهم علما ورجحهم حلما وكثرهم زهدا وأنجدهم شجاعة، فحسدوه، والناس إلى أمثالهم وأشكالهم أميل منهم إلى من فاقهم وكثرهم ورجحهم.

وقال ابن سلام: لم يكن في العرب أذكى من الخليل بعد الصحابة ولا في العجم أذكى من أبن المقفع ولا اجمع من حماد بن زيد. - وقد ضربت الشعراء الأمثال في أشعارهم بالخليل، قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي يهجو الأصمعي " من الوافر ":

أليس من العجائب أن قردا ... أصيمع باهليا يستطيل

ويزعم أنه قد كان يفتي ... أبا عمرو ويسأله الخليل

وقال خالد النجار يهجو التوزي " من الكامل ":

يا من يزيد تمقتا ... وتباغضا في كل لحظه

والله لو كنت الخليل ... لمار روينا عنك لفظة

وقيل لابن المقفع: كيف رأيت الخليل؟ قال: رأيت رجلا عقله أكثر من علمه. وقيل للخليل: كيف رأيت ابن المقفع؟ قال: رأيت رجلا علمه اكثر من عقله. قال المغيرة بن محمد: صدقا، ادى عقل الخليل إلى أن مات ازهد الناس، وجهل أبن المقفع إلى ان قتل. وذلك أنه كتب كتابا لعبد الله بن علي إلى المنصور، فقال فيه ما كان مستغنيا أن يقوله، كتب: ومتى غدر أمير

---

(١) نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة المحبي ٣٨/٢

المؤنين بعمه عبد الله بن علي فنساؤه طوالق ودوابه حبيس وعبيده أحرار والمسلمون منه في حل من بيعته. فأشتد ذلك على المنصور جدا وخاصة أمر البيعة، فكتب إلى سفيان بن معاوية المهلبي – وهو امير البصرة من قبله – أن اقتل ابن المقفع! فقتله.

وقال الخليل يمدح كتابي عيسى بن عمر في النحو " من الرمل "

بطل النحو الذي جمعتم ... غير ما احدث عيسى بن عمر

ذاك إكمال وهذا جامع ... وهما للناس شمس وقمر

وعن عيسى اخذ الخليل النحو، وأخذ عن الخليل جماعة لم يكن فيهم مثل سيبويه، وهو اعلم الناس بعد الخليل، فألف كتابه الذي سماه الناس قرآن النحو، وعقد أبوابه بلفظه ولفظ الخليل.

قال النضر بن شميل: كان اصحاب الشعر يمرون بالخليل فيتكلمون النحو، فقال الخليل: لا بد لهم من اصل. فوضع العروض، فخلا في بيت ووضع بين يديه طستا، فجعل يقرعه بعود ويقول: فأعلن مستفعلن فعولن. قال: فسمعه أخوه فخرج الى المسجد فقال: إن اخي قد أصابه جنون! فأدخلهم على الخليل وهو يضرب الطست، فقالوا: يا أبا عبد الرحمن، مال؟ اصابك شئ؟ أتحب أن نعالجك؟ قال: وما اك؟ قالوا: أخوك يزعم انك قد خولطت. فأنشأ يقول:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني ... او كنت أجهل ما تقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتي فعذلتني ... وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

دخل أعرابي مسجد البصرة فطاف على الخلق وسمع ما يقولون حتى صار إلى حلقة الخليل، فسمعهم يتذاكرون النحو والشعر حتى افضوا إلى دقيق النحو والعروض، فقام عنهم وقال:

ما زال أحدهم في النحو يعجبني ... حتى تعاطوا كلام الزنج والروم

حتى سمعت كلاما لست اعرفه ... كأنه زجل الغربان والبوم

رفضت نحوهم والله يعصمني ... من التقحم في تلك الحراثيم." (١)

"ابن عمر بن عبد الله الأشهبي، الكلبي، الغزي الشاعر المشهور.

شاعر محسن، ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق، فقال: دخل دمشق وسمع بها من الفقيه نصر المقدسي، سنة إحدى وثمانين وأربعمائة، ورحل إلى بغداد وأقام بالمدرسة النظامية سنين كثيرة، ومدح ورثى غير واحد من المدرسين بها وغيرهم، ثم رحل (١) إلى خراسان وامتدح بها جماعة من رؤسائها، وانتشر شعره هناك، وذكر له عدة مقاطيع من الشعر، وأثنى عليه. انتهى كلام الحافظ.

وله ديوان شعر اختاره لنفسه، وذكر في خطبته أنه ألف بيت.

وذكره العماد الكاتب في الخريدة، وأثنى عليه، وقال: إنه جاب البلاد وتغرب، وأكثر النقل والحركات، وتغلغل في أقطار خراسان وكرمان، ولقي الناس، ومدح ناصر الدين مكرم بن العلاء وزير كرمان بقصيدته البائية التي يقول فيها، ولقد أبدع

---

(١) نور القبس اليغموري ص/٢١

فيه (٢) :

حملنا من الأيام ما لا نطيقه ... كما حمل العظم الكسير العصائبا ومنها في قصر الليل، وهو معنى لطيف:

وليل رجونا أن يدب عذاره ... فما اختط حتى صار بالفجر (٣) شائبا وهي قصيدة طويلة.

ومن جيد شعره المشهور:

قالوا هجرت الشعر، قلت ضرورة ... باب الدواعي والبواعث مغلق

خلت الديار فلا (٤) كريم يرتجى ... منه النوال ولا مليح يعشق

ومن العجائب أنه لا يشترى (٥) ... ويخان فيه مع الكساد ويسرق

---

(١) أهـ: دخل.

(٢) الخريدة: ١١.

(٣) هـ: بالصبح؛ وما أثبتناه مطابق لما في الخريدة.

(٤) د: لم يبق في الدنيا.

(٥) أ: ومن العجائب أن تراه كاسدا.." [1]

"بالمدرسة النظامية بأصبهان، وشعره من آخر عهد نظام الملك، منذ سنة نيف وثمانين وأربعمائة، إلى آخرعهده، وهو سنة أربع وأربعين وخمسمائة، ولم يزل نائب القاضي بعسكر مكرم، وهو مبجل مكرم، وشعره كثير والذي جمع منه لا يكون عشره، ولما وافيت عسكر مكرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة لقيت بها ولده محمدا رئيس الدين أعارني إضبارة كبيرة من شعر والده.

منبت شجرته أرجان، وموطن أسرته تستر وعسكر مكرم من خوزستان، وهو وإن كان في العجم مولده، فمن العرب محتده، سلفه القديم من الأنصار، لم يسمح بنظيره سالف الأعصار، أوسي الأس خزرجيه، قسي النطق إياديه، فارسي القلم وفارس ميدانه، وسلمان برهانه، من أبناء فارس الذين نالوا العلم المتعلق بالثريا، جمع بين العذوبة والطيب في الري والريا. انتهى كلام العماد.

قلت: ونقلت من ديوانه أنه كان ينوب في القضاء ببلاد خوزستان، تارة بتستر وتارة بعسكر مكرم، مرة عن قاضيها ناصر الدين أبي محمد عبد القاهر بن محمد، ومن بعده عن عماد الدين أبي العلاء رجاء، وفي ذلك يقول:

ومن النوائب أنني ... في مثل هذا الشغل نائب

ومن العجائب أن لي ... صبرا على هذي العجائب وكان فقيها شاعرا، وفي ذلك يقول:

أنا أشعر الفقهاء غير مدافع ... في العصر، أو أنا أفقه الشعراء

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٥٨/١

شعري إذا ماقلت دونه الورى ... بالطبع لا بتكلف الإلقاء

كالصوت في قلل الجبال إذا علا ... للسمع هاج تجاوب الأصداء ومن شعره أيضا:

شاور سواك إذا نابتك نائبة ... يوما وإن كانت من أهل المشورات

فالعين تلقى كفاحا ما دنا ونأى ... ولا ترى نفسها إلا بمرآة ومن شعره أيضا:." (١)

"ومن العجائب أنني ... في لج بحر الجود راكب

وأموت من ظمإ ول ... كن عادة البحر العجائب وله أشياء حسنة.

وكانت ولادته سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وتوفي في أوائل سنة اثنتين وعشرين وستمائة بسنجار، رحمه الله تعالى.

٩٣ - (١)

المزني صاحب الشافعي

أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن إسحاق المزني صاحب الإمام الشافعي رضي الله عنه؛ هو من أهل مصر، وكان زاهدا عالما مجتهدا محجاجا غواصا على المعاني الدقيقة، وهو غمام الشافعيين واعرفهم بطرقه وفتاويه وما ينقله عنه، صنف كتبا كثيرة في مذهب الإمام الشافعي، منها الجامع الصغير ومختصر المختصر والمنثور والمسائل المعتبرة والترغيب في العلم وكتاب الوثائق وغير ذلك، وقال الشافعي رضي الله عنه في حقه: المزني ناصر مذهبي (٢) . وكان إذا فرغ من مسألة وأودعها مختصره قام إلى المحراب وصلى ركعتين شكرا لله تعالى. وقال أبو العباس أحمد بن سريج: يخرج مختصر المزني من الدنيا عذراء لم تفض، وهو أصل الكتب المصنفة في مذهب الشافعي رضي الله عنه، وعلى مثاله رتبوا ولكلامه فسروا وشرحوا.

ولما ولي القاضي بكار بن قتيبة الآتي ذكره إن شاء الله تعالى القضاء بمصر

---

(١) ترجمة المزني في طبقات السبكي ١: ٢٣٨ وقال أنه ولد سنة ١٧٥.

(٢) من أقوال الشافعي فيه: لو ناظر الشيطان لغلبه.." (٢)

"وأخرج رأسه لأمراء الدولة (١) .

ومن العجائب أن الصالح ولي الوزارة في التاسع عشرن وقتل في التاسع عشر، ونقل تابوته في التاسع عشر، وزالت دولتهم في التاسع عشر.

ورزيك: بضم الراء وتشديد الزاي المكسورة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها كاف.

(٧٣) وكانت (٢) ولادة زين الدين الواعظ (٣) المذكور سنة ثمان وخمسمائة بدمشق، ونشأ لها وقدم بغداد مرارا، وصاهر

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ١٥٢/١

(٢) وفيات الأعيان ابن خلكان ٢١٧/١

أبا الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد البلنسي الأنصاري الأندلسي (٤) على ابنته أم عبد الكريم فاطمة، وانتقل قبل وفاته إلى مصر، وحدث بها، وتوفي يوم الأربعاء ثامن رمضان سنة تسع وتسعين وخمسمائة بمصر، وهو المعروف بابن نجية، رحمه الله تعالى.

---

(١) وأما ولده العادل ... الدولة: لم ترد هذه الفقرة في م.

(٢) من هنا إلى آخر الترجمة لم يرد فيم.

(٣) ترجمة زين الدين علي بن إبراهيم الواعظ في ذيل الروضتين: ٣٤ وذيل ابن رجب ١: ٤٣٦، وفي إحدى رحلاته إلى بغداد (سنة ٥٦٤) كان رسولا عن نور الدين زنكي، وهناك تعرف إلى سعد الخير البلنسي وصاهره على ابنته فاطمة ونقلها معه إلى مصر، وانتقلت كتب سعد الخير إليه، وكان انتقاله إلى مصر من قبل دولة صلاح الدين، وهناك كان يعظ بجامع القرافة، وكان صلاح الدين يسميه عمرو بن العاص لصواب رأيه، وهو الذي أنهى إلى صلاح الدين خبر مؤامرة عمارة اليمني ورفاقهإعادة الدولة الفاطمية، ولما فتح صلاح الدين القدس كان معه.

(٤) أندلسي رحالة وصل الصين وقاسى المشقات، وتتلمذ ببغداد للغزالي، وسكنها بعد أن استقر فترة بأصبهان وتوفي سنة ٥٤١ (ترجمته في التكملة: رقم ٢٠١١ والذي والتكملة ٤: ١٦ ونفح الطيب ٢: ٦٣٢، رقم: ٢٥٥) .." [١]

"المستنصر بالله ونائبه بها الأمير شمس الدين أبو الفضائل باتكين، فأقام مديدة، وكان وراه من يقصده، فاتفق أن خرج يوما من بيته قبل الظهر، فوثب عليه شخص وضربه بسكين فأخرج حشوته، فكتب في تلك الحال إلى بآتكين المذكور وهو يكابد الموت:

أشكوك يا ملك البسيطة حالة ... لم تبق رعبا (١) في عضوا ساكنا

إن تستبح إبلي لقيطة معشر ... ممن أومل غير جأشك مازنا (٢)

ومن العجائب كيف يمسي (٣) خائفا ... من بات في حرم الخلافة آمنا (٤) ثم توفي بعد ذلك من يومه في يوم الخميس ثاني شوال سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، ودفن في مقبرة باب الميدان، رحمه الله تعالى، وتقدير عمره خمسون سنة.

(١٤٤) وباتكين المذكور كان أرمني الجنس، وهو مملوك أم الخليفة الإمام الناصر لدين الله، ولما أخذ التتر إربل في الدفعة الأولى في أواخر سنة أربع وثلاثين وستمائة رجع إلى بغداد ومات بها يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شوال سنة أربعين وستمائة، ودفن بالشونيزية.

والحاجري: بفتح الحاء المهملة وبعد الألف جيم مكسورة وبعدها راء، هذه النسبة إلى حاجر، وكانت بليدة (٥) بالحجاز ولم يبق منها اليوم سوى الآثار، ولم يكن الحاجري منها، بل لكونه استعملها في شعره كثيرا نسب إليها، وهو إربلي الأصل والمولد والمنشأ، ولما غلبت عليه هذه النسبة وعرف بها واشتهرت بحيث صارت كالعلم عليه عمل في ذلك دوبيت، وهو : (٦)

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٢/٥٣٠

لو كنت كفيت من هواك البينا ... ما بات يحاكي دمع عيني عينا

---

(١) كتب في المسودة " روعا " وضبب عليها وكتب " رعبا ".

(٢) يشير إلى قول الحماسي:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي ... بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا (٣) س: يصبح؛ ل: يمشي.

(٤) كان قد كتب في المسودة: يا للعجائب كيف يصبح خائفا، ثم ضرب عليه ووضع ما أثبتناه.

(٥) ل: بلدة.

(٦) ر: وهو هذا.." [1]

"سنة ثلاث وخمسمائة (١) ، وله المنحول والمنتحل في علم الجدل وله تهافت الفلاسفة ومحك النظر ومعيار العلم والمقاصد والمضنون به على غير أهله والمقصد الأقصى (٢) في شرح أسماء الله الحسنى ومشكاة الأنوار والمنقذ من الضلال وحقيقة القولين وكتبه كثيرة وكلها نافعة.

ثم ألزم بالعود إلى نيسابور والتدريس بها بالمدرسة النظامية، فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودات، ثم ترك ذلك وعاد إلى بيته في وطنه، واتخذ خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره، ووزع أوقاته على وظائف الخير: من ختم القرآن ومجالسة أهل القلوب والقعود للتدريس، إلى أن انتقل إلى ربه. ويروى له شعر، فمن ذلك ما نسبه إليه الحافظ أبو سعد السمعاني في الذيل وهو قوله:

حلت عقارب صدغه في خده ... قمرا فجل بها عن التشبيه

ولقد عهدناه يحل ببرجها ... **فمن العجائب** كيف حلت فيه ورأيت هذين البيتين في موضع آخر لغيره والله أعلم. ونسب إليه العماد الأصبهاني في " الخريدة " (٣) هذين البيتين، وهما:

هبني صبوت كما ترون بزعمكم ... وحظيت منه بلثم خد أزهر

إني اعتزلت فلا تلوموا إنه ... أضحى يقابلني بوجه أشعر (ي) ونسب إليه البيتين اللذين قبلهما.

وكانت ولادته سنة خمسين وأربعمائة، وقيل سنة إحدى وخمسين بالطابران (٤) ، وتوفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة بالطابران (٥) ،

---

(١) فرغ ... وخمسمائة: سقط من النسخ جميعا.

(٢) ن: الأسنى.

(٣) ل ن بر: في كتاب الخريدة.

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٣/٥٠٤

(٤) بالطابران زيادة من ر والمختار.

(٥) ل ن لي س ت بر: بطوس.." (١)

٦٥٣" - (١)

المسبحي

بالأمير المختار عز الملك محمد بن أبي القاسم عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عبد العزيز، المعروف بالمسبحي الكاتب، الحراني الأصل المصري المولد، صاحب التاريخ المشور وغيره من المصنفات؛ كانت فيه فضائل ولديه معارف، ورزق حظوة في التصانيف، وكان على زي الأجناد، واتصل بخدمة الحاكم بن العزيز العبيدي صاحب مصر ونال منه سعادة، وذكر في تاريخه أن أول تصرفه في خدمة الحاكم صاحب مصر كان في سنة ثمان وتسعين وثلثمائة، وذكر فيه أيضا: أنه تقلد القيس (٢) والبهنسا من أعمال الصعيد، ثم تولى ديوان الترتيب، وله مع الحاكم مجالس ومحاضرات حسبما يشهد بها (٣) تاريخه الكبير.

وجمع مقدار ثلاثين مصنفا، منها: التاريخ المذكور الذي قال في حقه " التاريخ الجليل قدره الذي يستغنى بمضمونه عن غيره من الكتب الواردة في معانيه، وهو أخبار مصر ومن حلها من الولاة والأمراء والأئمة والخلفاء، وما بها من العجائب والأبنية واختلاف أصناف الأطعمة، وذكر نيلها، وأحوال من حل بها إلى الوقت الذي كتبنا فيه تعليق هذه الترجمة، وأشعار الشعراء وأخبار المغنين (٤) وجالس القضاة والحكام والمعدلين والأدباء والمعتزلين وغيرهم "

---

(١) ترجمته في اللباب: (المسبحي) والوافي ٤: ٧ والمغرب (قسم مصر) ١: ٢٦٤ والنجوم الزاهرة ٤: ٢٧١ وعبر الذهبي ٣: ١٣٩ والشذرات ٣: ٢١٥ وحسن المحاضرة ١: ٢٤٨ وتاج العروس: (سبح) ؛ وقد اقتصر صاحب المختار من هذه الترجمة على إيراد مرثيته في والده؛ وبهذه الترجمة تبدأ نسخة المجمع العلمي ببغداد ورمزها (مج) .

(٢) غير معجمة في لي ل ت ر بر وانظر ابن دقماق ٥: ٤؛ ن: الفشن، وقد وردت عند ابن دقماق أيضا، وهي والقيس من القرى الاطفيحية؛ ق: المقيس، وبالهامش: الفيوم.

(٣) ت ل بر من لي مج: به.

(٤) ل ن لي: المفتين؛ ق: المفتيين.." (٢)

"هو ذلك ربع المالكية فاربع ... واسأل مصيفا عافيا عن مربع

واستق للدمن الخوالي بالحمى ... غر السحائب واعتذر عن أدمعي

فلقد فنين أمام دان هاجر ... في قربه، ووراء ناء مزمع

لو يخبر الركبان عني حدثوا ... عن مقلة عبرى وقلب موجع

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٢١٨/٤

(٢) وفيات الأعيان ابن خلكان ٣٧٧/٤

ردي لنا زمن الكثيب فإنه ... زمن متى يرجع وصالك يرجع

لو كنت عالمة بأدنى لوعتي ... لرددت أقصى نيلك المسترجع

بل لو قنعت من الغرام بمظهر ... عن مضمر بين الحشى والأضلع أعتبت إثر تعتب، ووصلت غب تجنب، وبذلت بعد تمنع ...

ولو أنني أنصفت نفسي صنتها ... عن أن اكون كطالب لم ينجح ومنها:

إني دعوت ندى الكرام فلم يجب ... فلأشكرن ندى أجاب وما دعي

ومن العجائب، والعجائب جمة، ... شكر بطيء عن ندى متسرع ومن شعره أيضا (١) :

قفوا في القلى حيث انتهيتم تذمما ... ولا تقتفوا من جار لما تحكما

أرى كل معوج المودة يصطفى ... لديكم ويلقى حتفه من تقوما

فإن كنتم لم تعدلوا إذ حكمتم ... فلا تعدلوا عن مذهب قد تقدما

حنى الناس من قبل القسي لتقنى ... وثقف منآد القنا ليقوما

وما ظلم الشيب الملم بلمتي ... وإن بزني حظي من الظلم واللمى

ومحجوبة عزت وعز نظيرها ... وإن أشبهت في الحسن والعفة والدمى

أعنف فيها صبوة قط ما ارعوت ... وأسأل عنها معلما ما تكلما

سلي عنه تخبر عن يقين (٢) دموعه ... ولا تسألي عن قلبه أين يمما

---

(١) ديوانه ٢: ٥٩٨.

(٢) ق: باليقين.." (١)

"والمعري أخذا هذا المعنى من دعبل بن علي الخزاعي الشاعر – المقدم ذكره (١) – فإنه كان قد هجا الخليفة المعتصم بالله بن هارون الرشيد، فطلبه، فهرب من العراق إلى الديار المصرية وسكن بأسوان (٢) في آخر بلادها، وقال في ذلك (٣) :

وإن امرءا أضحت مطارح سهمه ... بأسوان لم يترك من الحزم معلما

حللت محلا يحسر الطرف دونه ... ويعجز عنه الطيف أن يتجشما وقد خرجنا عن المقصود ولكن ساق الكلام بعضه بعضا (٤) .

ولما مات السلطان صلاح الدين وملك الملك العادل دمشق كان غائبا في السفرة التي نفي فيها، فسار متوجها إلى دمشق، وكتب إلى الملك العادل قصيدته الرائية يستأذنه في الدخول إليها ويصف دمشق ويذكر ما قاساه في الغربة، ولقد أحسن فيها كل الإحسان واستعطفه أبلغ استعطاف (٥) ، وأولها (٦) :

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٤٤٢/٤

ماذا على طيف الأحبة لو سرى ... وعليهم لو سامحوني بالكرى ووصف في أوائلها دمشق وبساتينها وأنهارها ومستلزماتها

(٧) ، ولما فرغ من وصف دمشق قال مشيرا إلى النفي منها:

فارقها لا عن رضا، وهجرتها ... لا عن قلى، ورحلت لا متخيرا

أسعى لرزق في البلاد مشتت ... **ومن العجائب** أن يكون مقترا

وأصون وجه مدائحي متقنعا ... وأكف ذيل مطامعي متسترا

---

(١) ج ٢: ٢٦٦.

(٢) زيادة من المختار.

(٣) ديوان دعبل: ١٣٩.

(٤) وقد كرر ... بعضا: سقط من بر ت س من.

(٥) من ر ق بر: الاستعطاف.

(٦) ديوانه: ٣.

(٧) بر: وموضع مستنزهاتها.." [١]

"ومنا يشكو الغربة وما قاساه فيها:

أشكو إليك نوى تمادي عمرها ... حتى حسبت اليوم منها أشهرا

لا عيشتي تصفو، ولا رسم الهوى ... يعفو، ولا جفني يصافحه الكرى

أضحي عن الأحوى المريع محلا (١) ... وأبيت عن ورد النمير منفرا

ومن العجائب أن يقبل ظلكم (٢) ... كل الورى، ونبذت وحدي بالعرا وهذه القصيدة من أحسن الشعر، وعندي هي خير من قصيدة أبي بكر ابن عمار الأندلسي التي أولها - وهي على وزنها ورويها وقد تقدم ذكر شيء منها في ترجمته -:

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى ... فلما وقف عليه الملك العادل أذن له في الدخول إلى دمشق، فلما دخلها قال (٣) :

هجوت الأكابر في جلق ... ورعت الوضيع بسب الرفيع

وأخرجت منها ولكني ... رجعت على رغم أنف الجميع وكان له في عمل الألغاز وحلا اليد الطولى، فمن كتب إليه بشيء منها حله في وقته وكتب الجواب أحسن من السؤال (٤) نظما. ولم يكن له غرض في جمع شعره، فلذلك لم يدونه، فهو يوجد مقاطيع في أيدي الناس، وقد جمع له بعض أهل دمشق ديوانا صغيرا لا يبلغ عشر ما له من النظم، ومع هذا ففيه أشياء ليست له.

وكان من أظرف الناس وأخفهم روحا وأحسنهم مجونا، وله بيت عجيب من جملة قصيدة يذكر فيها أسفاره ويصف توجهه

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ١٦/٥

إلى جهة الشرق، وهو (٥) :

---

(١) ق ن: محولا، ر: محللا.

(٢) ق: يقيل بظلكم.

(٣) ديوانه: ٩٤.

(٤) ر: أحسن ما يكون.

(٥) ر: وهو قوله، انظر ديوانه: ٢٩.." (١)

"قلت اسكتوا فالآن زاد فحولة ... لما اغتدى من أنثييه عاطلا

فالفحل يأنف أن يسمى بعضه ... أنثى، لذلك جذه مستاصلا وهذا من المعاني الغريبة البديعة.

ثم إن ألب أرسلان عزله من الوزارة في المحرم من سنة ست وخمسين وأربعمائة لسبب يطول شرحه، وفوض الوزارة إلى نظام الملك أبي علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي المقدم ذكره. وحبس عميد الملك بنيسابور في دار عميد خراسان، ثم نقله إلى مرو الروذ وحبسه في داره، فكان في حجرة تلك الدار عياله، وكانت له بنت واحدة لا غير، فلما أحس بالقتل دخل الحجرة وأخرج كفنه وودع عياله وأغلق باب الحجرة واغتسل وصلى ركعتين، وأعطى الذي هم بقتله مائة دينار نيسابورية وقال: حقي عليك أن تكفنني في هذا الثوب الذي غسلته بماء زمزم، وقال لجلاده: قل للوزير نظام الملك: بئس ما فعلت، علمت الأتراك قتل الوزراء، وأصحاب الديوان، ومن حفر مهواة وقع فيها، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة؛ ورضي بقضاء الله المحتوم.

وقتل يوم الأحد سادس عشر ذي الحجة سنة خمس وخمسين وأربعمائة وعمره يومئذ نيف وأربعون سنة، فعمل في ذلك الباخرزي الشاعر المذكور مخاطبا للسلطان ألب أرسلان.

وعمك أدناه وأعلى محله ... وبوأه من ملكه كنفا رحبا

قضى كل مولى منكما حق عبده ... فخوله الدنيا وخولته العقبى **ومن العجائب** أنه دفنت مذاكيره بخوارزم، واريق دمه بمرو الروذ، ودفن جسده بقريته كندر، وجمجمته ودماغه بنيسابور، وحشيت سوأته بالتين ونقلت إلى كرمان، وكان نظام الملك هناك، ودفنت ثم، وفي ذلك عبرة لمن اعتبر، بعد أن كان رئيس عصره، رحمه الله تعالى.

والكندري: بضم الكاف وسكون النون وضم الدال المهملة وبعدها راء، هذه النسبة إلى كندر، وهي قرية من قرى طريثيت - بضم الطاء المهملة وفتح." (٢)

"العباس والناس، فلما وقف للدعاء قال: اللهم إنا كنا إذا قحطنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك اليوم بعم نبينا فاسقنا، فسقوا. وأما الوي فهو المطر الذي يأتي بعد الوسمي، وسمي وليا لأنه يلي الوسمي، والوسمي: مطر الربيع

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ١٧/٥

(٢) وفيات الأعيان ابن خلكان ١٤٢/٥

الأول، وسمي بذلك لأنه يسم الأرض بالنبات، وهو منسوب إلى الوسم، وقد جمعها المتنبي في بيت واحد وهو:

أمنعمة بالعود الظبية التي ... بغير ولي كان نائلها الوسمي يعني أنه لم تكن لزيارتها الأولى ثانية:

ولم يزل العماد الكاتب على مكانته ورفعة منزلته إلى أن توفي السلطان صلاح الدين، رحمه الله تعالى، فاختلت أحواله وتعطلت أوصاله، ولم يجد في وجهه بابا مفتوحا، فلزم بيته وأقبل على الاشتغال بالتصانيف، وقد ساق في أوائل " البرق الشامي " طرفا من ذلك. وتقد في ترجمة ابن التعاويذي ما دار بينهما في طلب الفروة والرسالة والقصيدة وجوابهما.

وكانت ولادته يوم الاثنين ثاني جمادى الآخرة، وقيل في شعبان، سنة تسع عشرة وخمسمائة بأصبهان. وتوفي يوم الاثنين مستهل شهر رمضان المعظم سنة سبع وتسعين وخمسمائة بدمشق، ودفن في مقابر الصوفية خارج باب النصر، رحمه الله تعالى.

أخبرني بعض الرؤساء ممن كان ملازمه في مدة مرضه أنه كان إذا دخل عليه أحد يعوده أنشده:

أنا ضيف بربعكم ... أين أين المضيف

أنكرتني معارفي ... مات من كنت أعرف وأله: بفتح الهمزة وضم اللام وسكون الهاء، وهو اسم عجمي معناه بالعربي العقاب، وهو الطائر المعروف، وقد قيل إن العقاب لا يوجد فيه ذكر بل جميعه أنثى، وإن الذي يسافده طائر آخر من غير جنسه، وقيل إن الثعلب يسافده، وهذا **من العجائب**.

ولابن عنين الشاعر المقدم ذكره في هجو شخص يقال له ابن سيده:." (١)

"والده أيضا في حرف الحاء - وتحت ذلك مكتوب:

يا قصر ما فعل الألى ... ضربت قبابهم بعقرك

أخنى الزمان عليهم ... وطواهم بطويل نشرك

واها لقاصر عمر من ... يختال فيك وطول عمرك وتحته مكتوب " وكتب المقل بن المسيب بن رافع بخطه فيسنة ثمان وثمانين وثلثمائة " - قلت: وهذا الكاتب هو المقلد المذكور صاحب هذه الترجمة - وتحت ذلك مكتوب:

يا قصر ما صنع الكرا ... م الساكنون قديم عصرك

عاصرتهم فبذذتهم ... وشأوتهم طرا بصبرك

ولقد أثار تفجعي ... يا ابن المسيب رقم سطرك

وعلمت أني لاحق ... بك دائب في قفو أثرك وتحته مكتوب " وكتب قرواش بن المقلد بن المسيب بخطه في سنة إحدى وأربعمائة " قال الراوي: فعجبت من ذلك، وقلت لقرواش: الساعة كتبت هذا فقال: نعم، ولقد هممت بهدم القصر فإنه مشؤم قد دفن الجماعة، فدعوت له بالسلامة وانصرفت، ورحلت بعد ثلاثة أيام، ولم يهدم القصر.

(٢٥٩) وهذا العباس بن عمرو الغنوي من أهل تل بن سيار الذي بين الرقة ورأس عين بالقرب من حصن مسلمة بن عبد الملك بن مروان الحكمي، وكان يتولى اليمامة والبحرين، وسيره المعتضد بالله لحرب القرامطة في أول أمرهم، فقاتلوه وكسروه

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ١٥٢/٥

وأسروه، ثم أطلقوا فرجع إلى المعتضد ودخل بغداد ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة مضت من شهر رمضان سنة سبع وثمانين ومائتين. وقال أبو عبد الله العظيمي الحلبي في تاريخه الصغير: مات العباس بن عمرو الغنوي في سنة خمسين وثلثمائة، **ومن العجائب** أنه توجه إليهم في عشرة آلاف، فقتل الجميع وسلم وحده، وعمرو بن الليث الصفار حارب إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان." (١)

"العاشقين، يلوح من خلالها شقائق قد شابه اشتقاق الهوى بالعليل (١) ، فشابه شفتي غادتين دنتا للتقبيل، وربما اشتبه على التحرير بائتلاف الخمر (٢) ، وقد انتابه رشاش القطر، ويريه (٣) بهارا يبهر ناضره، فيرتاح إليه ناظره، كأنه صنوج من العسجد، أو دنانير من الإبريز تنقد (٤) ، ويتخلل ذلك أقحوان تخاله ثغر المعشوق إذا عض خد عاشق، فلله درها من نزهة رامق ولون وامق، وجملة أمرها أنها كانت أنوذج الجنة بلا مين، فيها ما تشتهي النفس وتلذ العين قد اشتملت عليها المكارم، وارجحنت في أرجائها الخيرات الفائضة للعالم، فكم فيها من حبر راقت حبره، ومن إمام توجت حياة الإسلام سيره، آثار علومهم على صفحات الدهر مكتوبة، وفضائلهم في محاسن الدنيا والدين محسوبة، وإلى كل قطرة مجلوبة، فما من متين (٥) علم وقويم رأي إلا ومن شرقهم مطلعه، ولا من مغربة فضل إلا وعندهم مغربه وإليهم منزعه، وما نشأ من كرم أخلاق بلا اختلاق إلا وجدته فيهم، ولا أعراق (٦) في طيب أعراق إلا اجتليته من معانيهم، أطفالهم رجال، وشبابهم أبطال، مشايخهم أبدال، شواهد مناقبهم باهرة، ودلائل مجدهم ظاهرة، ومن العجب العجاب (٧) أن سلطانهم المالك، هان عليه ترك تلك الممالك، وقال لتفسه الهوى لك، وإلا فأنت في الهوالك، وأجفل إجفال الرال، وطفق إذا رأى غير شيء ظنه رجلا بل رجال (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين) لكنه عز وجل لم يورثها قوما آخرين، تنزيها لأولئك الأبرار عن مقام المجرمين، بل ابتلاهم فوجدهم شاكرين، وبلاهم فألفاهم صابرين، فألحقهم بالشهداء الأبرار، ورفعهم إلى درجات

---

(١) ر: العليل.

(٢) ع ق: بائتلاق الجمر.

(٣) ق ع ن: ويريك.

(٤) ع ن ق ص: تبرق.

(٥) ن بر من: مبين.

(٦) ن ر: إغراق.

(٧) ن: **ومن العجائب**." (٢)

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٢٦٢/٥

(٢) وفيات الأعيان ابن خلكان ١٣٥/٦

"ص ٤٢ السطر: ١٢ المسودة: يسك؛ ر: يشك.

السطر: ١٥ المسودة ر: وهم من بيت.

٤٣ – السطر: ٨ بر: وكان هارون الرشيد.

٤٤ – السطر: ٤ المسودة ر س بر: ومن رقيق شعره قوله.

٤٦ – السطر: ١٤ بر: مخرج.

٤٨ – السطر: ٧ بر: قلبي أرق عليك.

السطر: ١٠ المسودة ر بر: صاحب كتاب الإمامة.

٥٢ – السطر: ١٣ المسودة ر بر س: وهاجت حقده.

٥٤ – السطر: ٥ المسودة بر ر س: بهمز آخره.

السطر: ١٣ المسودة ر بر س: له ديوان.

السطر: ١٥ س: وأدب.

٥٦ – السطر: ١١ المسودة ر بر س: ما للعذار وكان.

٥٧ – السطر: ٤ المسودة ر بر س: كأنني غيلان.

السطر: ١٦ المسودة بر س: إفرنجة.

٥٨ – السطر: ٢٠ س ر: **ومن العجائب** أن تراه كاسدا.

٥٩ – السطر: ٩ المسودة بر: ما تبل.

السطر: ١٢ بر: يستملحه الأدباء ويستظرفونه.

٦٠ – السطر: ١ بر: طالعي الميمون.

٦٤ – السطر: ١٩ المسودة ر: شعيرات سود.

السطر: ٢٢ المسودة ر س بر: وتوفي.

٦٦ – السطر: ٤ المسودة س بر: في كتاب الطبقات في حقه.

السطر: ٥ المسودة س ر بر: وولي القضاء.

السطر: ١٩ المسودة س ر بر: إن الله تعالى بعث.

٦٧ – السطر: ١ المسودة س ر بر: فأظهر كل سنة.

السطر: ٢ المسودة س ر بر: ومن الله تعالى على رأس الثلثمائة بك.

السطر: ٦ المسودة: في حجرة؛ بر: بحجرته.

السطر: ١٨ المسودة ر بر: عجميا.

٦٨ – السطر: ٩ المسودة ر بر: تولى القضاء بها.

السطر: ١٠ المسودة ر بر: وأدركته خشية ورقة.." [١]

"وأنشدت له من الكامل

(رفعوا الهوادج للرحيل وأعتموا ... فغدت لبينهم المدامع تسجم)

(وسروا وأروقة الظلام تكنهم ... فكأنهم من تحت ذلك أنجم)

(واستكتموا بمسيرهم تحت الدجى ... فأبى نسيم المسك أن يستكتموا)

(**ومن العجائب** انني متأخر ... عنهم وقلبي عندهم متقدم)

(وهي النوى لم يبق لي من بعدها ... غير الهواء بنفحه اتنسم)

(وإذا الصبا اسرت اقول لعلها ... تلقاهم بتحيتي فيسلموا) // الكامل //

٥٨ – عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن حسان

انشدت له من الطويل

(لقد هاجني للشوق نوح حمائم ... مطوقة من مشرقات الحمائم)

(وناحت وما أذرت دموعا قد رأت ... عيوني تجري بالدموع السواجم)

(إذا ما تراجعن الحنين حسبتها ... نوادب رجعن الصدى في المآتم) // الطويل //

٥٩ – سعيد بن عباس

أنشدت له من الوافر

(بنفسي من يجرعني منوني ... ويرجمني بأحجار الظنون)

(ويصرمني ولا يرثي لما بي ... وينفي النوم ظلما عن جفوني) // الوافر //." [٢]

"(أهدت إلي سرورها مثل الذي ... اهدي مساءتها الى الاعداء)

(**ومن العجائب** أنني هنأته ... وأنا المهنأ فيه بالنعماء)

(لا زال يفترع المراتب صاعدا ... حتى يجوز محلة الجوزاء) // الكامل //

وكتب الى الوزير ابي نصر سابور بن أردشير يهنئه بالخروج من الاستتار من الخفيف

(صح أن الوزير بدر منير ... إذ توارى كما توارى البدور)

(غاب لا غاب ثم عاد كما كان ... على الأفق طالعا يستنير)

(لا تسلني عن الوزير فقد نبئت ... بالوصف أنه سابور)

(لا خلا منه صدر دست إذا ما ... قر فيه تقر منه الصدور) // الخفيف //

---

(١) وفيات الأعيان ابن خلكان ٣٦١/٧

(٢) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٦٣/٢

وكتب إليه وقد أعيد إلى الوزارة بعد أن صرف عنها من الكامل

(قد كنت طلقت الوزارة بعد ما ... زلت بها قدم وساء صنيعها)

(فغدت لغيرك تستحيل ضرورة ... كيما يحل إلى ذراك رجوعها)

(فالآن آلت ثم الت حلفة ... أن لا يبيت سواك وهو ضجيعها) // الكامل //

ما أخرج من شعره في الهجاء

قال من المجتث

(يا جامعا لخلال ... قبيحة ليس تحصى)." [1]

"وقال يرثي أبا الحسن السلمي

(إذا ما نعى الناعون أهل مودتي ... بكيت عليهم بل بكيت على نفسي)

(نعوا مهجة السلمي وهي سلامة ... غلبت عليها فالسلام على الأنس) // الطويل //

وقال يرثي أبا منصور كثير بن أحمد

(يقولون لي أودي كثير بن أحمد ... وذلك رزء في الأنام جليل)

(فقلت دعوني والعلا نبكه معا ... فمثل كثير في الرجال قليل) // الطويل //

وقال

(يا أهل سارية السلام عليكم ... قد قل في أرضكم الخطباء)

(حتى غدا الفأفاء يخطب فيكم ... **ومن العجائب** خاطب فأفاء) // الكامل //

وقال في أخوين صبيح وقبيح

(يحيا حكى المحيا ولكن له ... أخ حكى وجه أبي يحيى) // السريع //

وقال

(لقد صدقوا والراقصات إلى منى ... بأن مودات العدى ليس تنفع)

(ولو أنني داريت عمري حية ... إذا مكنت يوما من اللسع تلسع) // الطويل //

وقال

(إذا أدناك سلطان فزده ... من التعظيم واحذره وراقب)

(فما السلطان إلا البحر عظما ... وقرب البحر محذور العواقب) // الوافر //

وقال

(وقائلة لم عرتك الهموم ... وأمرك ممتثل في الأمم)." [2]

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٢/٣٣٦

(٢) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٣/٣٢٢

"(محسودها مرحومها ورئيسها ... مرءوسها ووجودها معدوم)

(وبقاؤها سبب الفناء ووعدها ... إبعادها ووادها مصروم)

(أما الصحيح فإنه من خوف ما ... يعتاده من سقمه لسقيم)

(وسليمها طي السلامة دائبا ... يرنو إلى الآفات وهو سليم)

(وغنيها حذر الحوادث والردى ... في ظل أكناف اليسار عديم)

(سيان في حكم الحمام وريبه ... عند الناهي جاهل وعليم)

(أودي ابن خلاد قريع زمانه ... بحر العلوم وروضها المرهوم)

(لو كان يعرف فضله صرف الردى ... لانحاز عنه ونابه مثلوم)

(عظمت فوائد علمه في دهره ... فمصابه في العالمين عظيم)

(إقليم بابل لم يكن إلا به ... فاليوم ليس لبابل إقليم)

(أنى اهتدى ريب المنون لسائر ... فوق النجوم محله المرسوم)

(ظلم الزمان فبز عنه كماله ... **ومن العجائب** ظالم مظلوم)

(لا تعجبن من الزمان وغدره ... فحديث غدرات الزمان قديم)

(لو كان ينجو ماجد لتقية ... نجى ابن خلاد التقى والخيم)

(لكنه أمر الإله وحكمه ... وقضاؤه في خلقه المحتوم)

(روض في الآداب غض زهره ... ركد الهجير عليه فهو هشيم)

(وحديقة لما تزل ثمراتها ... تحف الملوك أصابهن سموم)

(شمامة الوزراء حلو حديثه ... تحف لهم دون النديم نديم)

(ريحانة الكتاب من ألفاظه ... يتعلم المنثور والمنظوم)

(أما العزاء فما يحل بساحتي ... والصبر عنك كما علمت ذميم)." (١)

"وقوله

(ألقحت منه حرمة ... متوقعا ما تنتج)

(فإذا رعايته لها ... والله سقط مخدج) // من مجزوء الكامل //

وقوله

(لا غرو إن كنت بحرا لا يفيض ندى ... فالبحر غمر ولكن ليس بالجاري)

(أمسيت جاري من بين الأنام فلا ... تغفل وصاة رسول الله بالجار) // من البسيط //

وقوله من قصيدة

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٤٩٤/٣

(كم فيك من رشأ أغن كأنما ... خلقت مفاصله بغير عظام)

(كم قد غللت يد النديم بقهوة ... سهدت بأن الغل من إكرامي) // من الكامل //

ومن أخرى

(ما بال فرقة شملنا لا تجمع ... وإلى متى يصل الزمان ويقطع)

(كم خلفت تلك الركاب وراءها ... من منزل فيه لنا مستمتع)

(فالورد يلطم خده وجدا بنا ... وعيون نرجسه علينا تدمع) // من الكامل //

ومنها

(ولرب كرم قد رضعت ثديه ... **ومن العجائب** أن كهلا يرضع)

ومن أخرى

(أذلت فيما بيننا حرمة ... كحرمة الإبريق والكأس)

(قدك أما يمنعك الفضل أن ... رحت على عرش كناس) // من السريع //." (١)

---

(١) يتيمة الدهر الثعالبي، أبو منصور ٩٨/٤

الأبيات في (**من العجائب**)

عدد الأبيات: ٦٩

١- ديوان أبي العلاء المعري ١/ ٨١

ومن العجائب أن كلا راغب**في أم دفر وهو من عيابها

٢- ديوان أبي العلاء المعري ١/ ٣٠٥

وإذا سيوف الهند أدركها **البلى****فمن العجائب** أن تدوم غمودها

٣- ديوان أبي العلاء المعري ١/ ٣١٠

ومن العجائب ظن قوم أنه**يثني الفتى بالغي وهو قعود

٤- ديوان أبي العلاء المعري ١/ ٦٠٩

ومن العجائب أنني عان بها**أرجو المنية أن تفك إساري

٥- ديوان أبي العلاء المعري ١/ ١٢١٤

ومن العجائب أننا بجهالة**نبني وكل بناء قوم يهدم

٦- ديوان أبي تمام ١/ ٣٩٤

(**ومن العجائب** شاعر قعدت به ** هماته أوضاع عند جواد)

٧- ديوان أبي تمام ١/ ٨١٨

(عمري لقد نصح الزمان وإنه ** **لمن العجائب** ناصح لا يشفق)

٨- ديوان أحمد شوقي ١/ ٢٩٩

(سميته بدر الدجى ** **ومن العجائب** لا أراه)

٩- ديوان أحمد شوقي ١/ ٤٧٠

(**ومن العجائب** في زمانك أن يفي ** لك في الحياة وفي الممات خليل)

١٠- ديوان أحمد شوقي ١/ ٦١٦

(**ومن العجائب** أن نفسك أقصرت ** والدهر في إحراجها لم يقصر)

١١- ديوان أحمد محرم ١/ ٣٥٢

(للكيمياء **من العجائب** عندهم ** سر يريك تفوق الإنسان)

١٢- ديوان أحمد محرم ١/٣٦٩

(ولقد رأيت **من العجائب** ما كفى ** فإذا الذي منيت نفسك أعجب)

١٣- ديوان أسامة بن منقذ ١/١٦٧

(**ومن العجائب** أن أعاف مع الظما ** ماء الفرات لأن بدت أكداره)

١٤- ديوان ابن الخياط ١/٨٥

(**ومن العجائب** أن تروم لمثله ** طهرا وكيف يطهر الأطهار)

١٥- ديوان ابن الخياط ١/٣٨١

البحر : وافر تام (أليس **من العجائب** أن مثلي ** وأنت صفيه يشكو الزمانا)

١٦- ديوان ابن القيسراني ١/٤

(**ومن العجائب** أن تروض أمة ** قتلت وفيها بعد ذاك إباء)

١٧- ديوان ابن القيسراني ١/١٠٣

(**ومن العجائب** أن يرى ** متيقظا في أسر نائم)

١٨- ديوان ابن القيسراني ١/١٣٩

(وإن **من العجائب** أن ناري ** مؤججة وتلذعني شراره)

١٩- ديوان ابن حيوس ١/١٦٤

(**ومن العجائب** أن يخف مصمما ** من كان مثلك يحمل الأثقالا)

٢٠- ديوان ابن حيوس ١/٦٧٣

(**ومن العجائب والعجائب** جمة ** شكر بطيء عن ندى متسرع)

٢١- ديوان ابن زمرك ١/١٥١

(**ومن العجائب** أن يرى بحر الندى ** طود الهدى يسري على الأعناق)

٢٢- ديوان ابن سهل الأندلسي ١/٤٥

(أليس **من العجائب** حال صب ** له شغف وليس له فؤاد)

٢٣- ديوان ابن سهل الأندلسي ١/١٦٩

١(**ومن العجائب** أنهم قد عرضوا ** بي للفتون وبعده عذلوني)

٢٤- ديوان ابن سهل الأندلسي ١/١٦٩

(**ومن العجائب** أن تعجب عاذلي ** من أن يطول تشوقي وحنيني)

٢٥- ديوان ابن شهيد ١/٦٨

(قد عجبوا في السهاد منها ** وهي لعمري **من العجائب**)

٢٦- ديوان ابن عنين ١/٥

(**ومن العجائب** أن تفيأ ظلكم **كل الورى ونبذت وحدي بالعرا)

٢٧- ديوان ابن عنين ١/٦١

(**ومن العجائب** أن بدرا كاملا ** يعتاده عند التمام سرار)

٢٨- ديوان ابن عنين ١/٨٤

(**ومن العجائب** أن يقوم بها أبو ** بكر وقد علم الوصية في علي)

٢٩- ديوان ابن معصوم المدني ١/١٨

(**ومن العجائب** أن جمرة خدها ** تذكو فيشكو القلب حر لهيبها)

٣٠- ديوان الحداد القيسي ١/٧٨

(أهواهم وإن استمر قلاهم ** **ومن العجائب** أن يحب المبغض)

٣١- ديوان الحكم بن أبي الصلت ١/٢٦١

(ولقد عهدناه يحل ببرجها ** **فمن العجائب** كيف حلت فيه)

٣٢- ديوان السري الرفاء ١/٧٦٥

(و **من العجائب** أن تراه هواجرا ** و لقد بعثت به إليك أصائلا)

٣٣- ديوان الشاب الظريف ١/٣٧٩

(**ومن العجائب** أنني والسهم لي ** من ناظريك وفي فؤادي أسهم)

٣٤- ديوان الشريف الرضي ١/٣٩١

(الا ابيت وانت من جمراتها ** **ومن العجائب** جمرة لا تلفح)

٣٥- ديوان الشريف الرضي ١/١٠٧٥

(**ومن العجائب** أن وفيت لغادر ** نقض العهود وضيع الأحلافا)

٣٦- ديوان الشريف الرضي ١/١٧١٦

(**ومن العجائب** أنت بالإحسان تب ** تبنيني والإعراض تهدمني)

٣٧- ديوان الشريف الرضي ١/١٨١٩

البحر : كامل تام (ونمى إلي **من العجائب** أنه ** لعبت بعقلك حيلة الخوان)

٣٨- ديوان الشريف المرتضى ١/٢٠١

(**ومن العجائب** أنني ضنا به ** رملته ورميته في قاع)

٣٩- ديوان الشيخ أحمد سحنون ١/١٧٨

فمن العجائب أن يظل ... ابن العروبة أعجما

٤٠- ديوان الصبابة ١/١٩

أنا مالك مملوك ظبي أغيد **ومن العجائب** مالك مملوك

٤١- ديوان المتنبي ١/١٠٦

(وإن **من العجائب** أن تراني ** فتعدل بي أقل من الهباء)

٤٢- ديوان المعاني ١/١٠٢

عجبي لخضرة زعفران عذاره ... **ومن العجائب** زعفران أخضر

٤٣- ديوان المعاني ١/١٤٠

ومن العجائب أن يعود فتى ... في سبع عشرة ليلة كهلا

٤٤- ديوان المعاني ١/٢٣٥

لا تلعبن فمن ورائك طالب ... **ومن العجائب** لاعب مطلوب

٤٥- ديوان بشار بن برد ١/٦١

(**ومن العجائب** أنه ** في غير شعبك كان شعبه)

٤٦- ديوان بشار بن برد ١/٣٤٣

(**ومن العجائب** أن ما ** منيتني ثم انقلبتا)

٤٧- ديوان بشار بن برد ١/٨٢٣

(**ومن العجائب** أن أفرخ صالح ** يسدي علي كبيرهم وينير)

٤٨- ديوان بهاء الدين ١/١٠٠

(**ومن العجائب** فعله بمحبه ** يصليه نارا وهو من عباده)

٤٩- ديوان جرير ١/٥٧٢

(**ومن العجائب** أن تيما كلفت ** جعلى بريزة كل أصيد سام)

٥٠- ديوان حافظ إبراهيم ١/٣٥

(**ومن العجائب** أن مث ** ل لسانه لم يبتر)

٥١- ديوان سبط ابن التعاويذي ١/٣٥٨

(**ومن العجائب** أن يهان لفضله ** من بات أهلا أن يعز ويكرما)

٥٢- ديوان سبط ابن التعاويذي ١/٤٨٩

(**ومن العجائب** أنها نكحت ولا ** صدقاتها حملت ولا أمهارها)

٥٣- ديوان صفي الدين الحلي ١/٨٢١

(تشكوا تفرقنا وأنت جنيته ** **ومن العجائب** ظالم يتظلم)

٥٤- ديوان عبد الجبار بن حمديس ١/٩٤

(**ومن العجائب** أن تضرم بيننا ** جمرات نار تجتنى من جنة)

٥٥- ديوان عبد الله الخفاجي ١/٣٨

(**ومن العجائب** أن يكون محمد ** وهو القديم العهد بالقدموسة)

٥٦- ديوان عبد الله الخفاجي ١/١٦٣

(**ومن العجائب** أن تكون قضية ** يرضى الخصوم بها ويأبى القاضي)

٥٧- ديوان عبد الله الخفاجي ١/٢٦٢

(**ومن العجائب** أن بيض سيوفه ** تبكي دما وكأنها تتبسم)

٥٨- ديوان عرقلة الكلبي ١/٣

٢(**ومن العجائب** أن حظى أسود ** وله بكل يد يد بيضاء)

٥٩- ديوان عنترة بن شداد (/)

قد طال عزكم وذلي في الهوى **ومن العجائب** عزكم وتذللي

٦٠- ديوان لسان الدين الخطيب ١/٥٩٨

(**ومن العجائب** أن أحكام الهوى ** جور ولكني بذلك راض)

٦١- ديوان لسان الدين الخطيب ١/٦٥٧

(**ومن العجائب** أن أكون وإنني ** إن قست أمرا صح فيه قياسي)

٦٢- ديوان محمود سامي البارودي ٤٠٥/١

(يا للحمية من غزال صادنى ** **ومن العجائب** أن يصيد الجؤذر)

٦٣- ديوان محمود سامي البارودي ٥٥٩/١

١(**ومن العجائب** أنني أشكو الهوى ** والذنب لى فى كل ما أنا مدعى)

٦٤- ديوان محمود سامي البارودي ٥٧٩/١

(وحلمت أني في خمائل جنة ** **ومن العجائب** حالم لم يهجع)

٦٥- ديوان معروف الرصافي ١٠٧/١

(**ومن العجائب** أن يمسك ضره ** من حيث ينفع لو رعتك رعاة)

٦٦- ديوان مهيار الديلمي ٧١٥/١

(و **من العجائب** أن تعطيك في ** قبض يدهى جدول يجري)

٦٧- ديوان مهيار الديلمي ١٢٤٦/١

(**ومن العجائب** أن كسرى والدي ** وأنا بناتي في الفصاحة خندف)

٦٨- ديوان مهيار الديلمي ١٦٠٠/١

(**ومن العجائب** والزمان ملون ** أن الدنو هو الذي أقصاني)

٦٩- ديوان مهيار الديلمي ١٦١٩/١

(**ومن العجائب** أن يشلك قارحا ** عنها ويرجو ضمها قرحانا)